8me Année No. 339

Lundi - 1 - 1 - 1940

بدل الاشتراك عن سنة

ص

٦٠ فى مصر والسودان

٨٠ فى الأقطار العربية

١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى

١٢٠ فى العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤

عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العــدد ٣٣٩ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢١ ذو القعدة سنة ١٣٥٨ — الموافق أول يناير سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهـــــرس

الرسالة

فى عامهـــا الثامن

فى صباح هذا اليوم يستقبل الناس عامهم الجديد وهو يبرز من حجاب الغيب بروز الجنين من كِمام الحياة: لا تدل معارف وجهه على خير ولا شر ؛ وتستقبل الرسالة معهم عامها الثامن وهو يبص فى ظلام الغد بصيص الأمل فى حواشى اليأس لا يُخلد إليه الأريب الحذِر بعرف ولا نكر . وفى مساء البارحة شيع الناس سنتهم الفارطة وهى ترزح بالحوادث الجسام ، وتسفح بالدماء الحرام ، وتنذر بالقارعة العامة ؛ وشيعت الرسالة معهم سنتها السابعة وعليها سِمات وندوبٌ من جهاد الرأى ونضال العيش وعنت الخصومة . وبين الساعة التى نشيع فيها العام الفقيد ، والساعةِ التى نستقبل فيها العام الوليد ، يرتسم الحد الفاصل بين ذكرى وأمل ، وبين ماض ومقبل ، وبين مرحلة ومرحلة من طريق الحياة الطويل الغليظ المبهم . وما يوم الناس إلا ذكراهم للأمس ورجاؤهم فى الغد . وما حاضرهم إلا التحسر على الماضى والتخوف من المستقبل . وما عيدهم بين سنة وسنة إلا وقفة استجمام بين مُرتَّى ملتب أمنوا ضلاله وعلِموا صباحه ، وبين سير مجهد يخشون أهواله ويجهلون ليله !

***

الدنيا حرب دائمة بين الحياة والموت والصلاح والفساد والخير والشر؛ ولكن هذه الحرب الخفية قد أصبحت لضرورتها ولزومها جزءاً من نظام الوجود إن لم تكن هي ذلك النظام نفسه. ومن أجل ذلك ألفناها إلفنا قوانين الطبيعة فلا نتبرم بها ولا نضيق. فأنا ونفسي، ومنفعتي ومنفعتك، ورأيك ورأيه، ورغبتها ورغبته، في حرب مشبوبة لا تنطفئ، وعداوة منصوبة لا تنكسر. والحياة مع هذا الصراع المستمر زاخرة، والكون مع هذا الدمار الشامل قائم. ولكن الحرب التي تشنها أمة على أمم فتزلزل الأرض بالقذائف، وتشق السماء بالرصاص، وتخسف البحر بالألغام، وتهلك الحي بالهم والسم والنار والقحط، مثلها كمثل الزلزال والطوفان والزوبعة، لا يتسق معها نظام، ولا يتصل بها عيش، ولا يستقيم عليها أمر؛ ثم لا يميز شياطينها المجرمة المحطِّمة الهوجاء الضار من النافع، ولا المذنب من البرىء.

من الجائز أن تنجو الرسالة من حرب الهوى والخصومة والمنافسة. فإن الحرب في تنازع البقاء هي السلم، والثورة لبقاء الأصلح هي النظام؛ والسلاح الذي لا يخذل في هذه الحرب هو الصدق والصبر والإيمان والمثابرة، وكلها في مقدور المجاهد الصالح. ولكن من المستحيل أن تسلم الرسالة من شر هذه الحرب الهتلرية الطاحنة؛ فإنها على ضراوتها بكل شر وإضرارها بكل شيء، كانت أقسى ما تكون على الصحافة: قطعت عنها الوارد من الورق والحبر وأدوات الطباعة، فنقصت في الكيف والكم، بقدر ما زادت في النفقة والهم. وقطعت عليها السبيل إلى الأقطار الأخرى بصعوبة النقل وشدة الرقابة وضيق المعاملة، فتعذر وصولها إلى البلاد المحاربة، وقل انتشارها في الأقطار البعيدة. وشُغِل الناس بأخبار الحرب وأفكارها وأوزارها وأطوارها وأزمتها ونتيجتها عن النظر في الأدب اللباب والفن الخالص، فلم يقرأوا إلا ما يتصل من قريب أو بعيد بهذه القيامة القائمة

* * *

كان من شر هذه الحرب على الرسالة أن كابدت ما كابد غيرها من صحف العالم أزمة الورق، فاضطرت إلى أن تنقص حجمها بعض النقص، وتقتصد في زينتها بعض الاقتصاد. ورأت أن تضمن لنفسها استمرار الحياة في هذا الدهر العصيب فطوت (الرواية) في أحشائها إلى حين ليتوفر لها ما كانت تنفقه أختها من الورق وتهلكه من المادة. وكل ذلك في رأينا ورأى القارئ الصديق أهون من التهور في الهجوم القاتل، أو التعرض للأسر المطل

على أن هذه الحرب كربة ستنجلي وأزمة ستنفرج. ثم يعود كل شيء إلى خير مما كان وأحسن. ولئن ظهر أثر هذه الحرب الضروس على سمت الرسالة وحِليتها، فمعاذ الله أن يمتد ذلك إلى تحريرها وخطتها؛ فإن التأثير الخارجي لا يتجاوز الخارج ولا يتعدى الشكل؛ وأما التأثير الداخلي الذي يمس الموضوع والجوهر والكنه فهو انبثاق الإيمان والفن من قلب الكاتب، وانتشار الاطمئنان والثقة من روح القارئ! وهيهات أن يعتور هذين الأثرين فتور أو قصور أو وهن. وبين الرسالة وقرائها ولله الحمد ألفة وثقة وتعاون؛ ولولا ذلك ما ثبتت هذه الصحيفة الضعيفة على عرك الخطوب وكيد المطامع. ونحن لا نزال نأنس في أسرة الرسالة الكفاية والقدرة على إرضاء القارئ في كل جهات عقله وقلبه إذا استمر يوليها الثقة والمعونة. وسيرى أن الرسالة من غير أن تقطع وعداً أو تجدد عهداً تسير في طريق الكمال بقدم ثابتة وخطى متزنة، فلا تعسف لتضل، ولا تسرع لتكل، ولا تجازف لتنقطع. والرسالة في أناتها وثباتها لا تخرج عن سنن الطبيعة؛ فهي مظهر لرقي الأمة العربية في الفكر والخيال والشعور؛ وهذه المواهب لا ترقى في الفرد والأمة إلا بمقدار

* * *

صديقي القارئ، تعودت في مثل هذا اليوم من كل عام أن أستريح إليك بذكر ما لقيت الرسالة في طريقها الجاهد من أشواك وأشراك؛ ولكنني أخذت أستحلي الصاب في سبيل المبدأ، وأستعذب العذاب في بلوغ الفوز، وأستبقي لنفسي لذة الصبر وثواب الألم. ولئن شكوت لأشكون إلى الله أن كبراءنا عطلوا في أنفسهم حاسة الفن فلم يعودوا يدركون معنى الجميل؛ وأن أدباءنا قتلوا في قلوبهم عاطفة الأدب فليسوا اليوم من كرمها في كثير ولا قليل؛ وأن زعماءنا تفرقت بهم السبل بتفرق الغايات، فلكل غاية دعوة ولكل دعوة سبيل.

« قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني، وسبحان الله وما أنا من المشركين » صدق الله العظيم.

احمد حسن الزيات

الانسان والحيوان والحرب

للأستاذ عباس محمود العقاد

غير قليل ما يمكن أن يقال فى الإنسان والحيوان والحرب ، فإن الحرب تفتح المسارب بين الإنسانية والحيوانية على المصراعين بل على شتى المصاريع . وقد تفتح ما بين الإنسان وبين عالم البطولة والملأ الأعلى كذلك .

فنى وسعنا أن نزيد مقالاً آخر لأصدقائنا القراء الذين استزادونا من الكتابة فى هذا الموضوع ، وما أحفله بالحقائق والمشاهدات ، وما أوسع منادح القول فيه .

* * *

الإنسان يتهم الحيوان بعدوى الحرب ، ويزعم الحربيون من الأناسيّ أنها آفة لا معدى عنها ولا دواء لها ، مذ كانت وراثة الطبع الحيوانى حيث كان ، مبتدئاً من الجراثيم ومنتهياً إلى الحيوان

وفريق من بنى آدم يبرئون الحيوان من هذه التهمة ويحصرون آفة الحرب فى أبناء آدم دون سائر الأحياء .

أمنصفون هم لذرية آدم ؟ أصادقون هم فى تبرئة الحيوان ؟ بعض الإنصاف وبعض الصدق لا مراء .

فهم يسألون : أين هو الحيوان الذى يحشد الأسراب والقطعان لقتال سرب أو قطيع من جنسه ؟ بل أين هو الوحش الذى يجمع أبناء جنسه لقتال جنس آخر من الوحش فى الغاب أو فى العراء ؟

والحق أنهم فى هذا السؤال محرجون ، فالحرب كما نعلمها فى ميادينها البشرية إنما هى خاصة من خواص أبناء آدم : هم دون غيرهم من الخلائق الحية يجمعون بعضهم لقتال بعض ، ويخرجون على نية القتال حيث لا يقاتل حيوان وهو يعلم أو ينوى أن يقدم على قتال .

فالحرب ولا جدال إنسانية مقصورة على أبناء آدم ، وإن كان العراك قسطاً مشتركاً بين جميع الأحياء .

* * *

وآخرون من الأناسيّ الحربيين يزعمون أن الحرب لا تزول لأن الطبيعة لا تتبدل ... فما كان فى النفس قبل آلاف السنين سيبقى فى النفس بعد آلاف السنين ! !

أصحيح ما يزعمون ؟

صحيح بعض الصحة ، لأن رأياً من الآراء لن يكون صحيحاً كل الصحة فى جميع الأحوال .

صحيح ، والشاهد من عالم الحيوان الذى يحتجون به فى استدامة البغضاء والشكاسة والقتل والقتال .

فأين كلب اليوم من أجداده بين الذئاب وأبناء آوى ووحشى الكلاب ؟

كلب اليوم يحرس الحلان والأطفال ، ويموت فى سبيل الود والولاء ...

وكلاب الأمس كانوا أخطر شىء على الحلان والأطفال ، وأجهل خلق بالمودة والولاء .

فإذا جاز أن ينتقل الكلب هذا الانتقال وليست له حضارة ولا علوم ولا فلسفة ولا حالة عليا يصير إليها من حالته السفلى ... ألا يجوز أن ينتقل الإنسان مثله أو مرحلة أوسع من مرحلته ، وهو يعبر المسافة بين جهل الهمج وثقافة المهذبين ؟

* * *

وللحيوان أنصار كثيرون بين أبناء آدم ، أعجب ما فى أمرهم أنهم أرفع الآدميين خلقاً وأبعدهم من الحيوانية شقة وأوفرهم من التقدم نصيباً ، فهم — من بعض الوجوه — أحق بالإنحاء على الحيوان من أولئك الذين يتعقبونه بالإنحاء والتنديد ، وهم أقرب الناس إليه !

أنصار الحيوان هؤلاء يكتبون العجب هذه الأيام فى الذود عنه والرجعة بسيئاته إلى أصحابه من الآدميين . وقلما تخلو كتاباتهم من ظرف وفكاهة ... أما العلم والإدراك فهما ماثلان أبداً فيما يطرقون من هذه البحوث .

لاحظ بعض العلماء المتفرغين للبحوث النفسية والحيوانية من الإنجليز أن الشجار قد ازداد بين الكلاب بعد نشوب الحرب الحاضرة ، فبلغ عدد الكلاب المعضوضة التى عالجتها مصحات الشرطة فى لندن خلال شهر أكتوبر الماضى أربعمائة وعشرة ، ولم يتجاوز فى الشهر الذى قبله مائة وثمانية وتسعين !

أكثر من الضعف فى الشهر التالى لنشوب القتال ... فما تعليل ذلك ؟

يقول مستر جونت Gaunt خبير هذه المصحات : إنها عدوى الإنسان ! !

فالكلاب ، كما يقول : « مرهفة الحس بما يخالج نفوس أصحابها ، تضيق صدراً إذا ملكت صاحبها الحالة التي نسميها بالعصبية الحربية . وأنت إذا غضبت يوماً من قراءة أخبار الغارات الجوية خرج كلبك متحفزاً للوثوب على أول كلب يراه ، لا يعلم في أي شيء يقاتل ، وليس لديه ما يسميه الساسة : أغراض حرب أو شروط سلام ؛ وحسبه أن صاحبه ثائر ، فهو مثله يثور ! »

ثم يقول الأستاذ جونت : « ويجوز أن يرجع هذا المزاج الكدر في كلاب العاصمة إلى قلة الرياضة لكثرة الوقايات الهوائية وضرورة المكث الطويل في البيوت ، أو لسفر أصحاب الكلاب إلى الريف ، ولكن السر الأكبر ولا ريب ، إنما هو تلك النزعة القتالية التي تسري إليها من عشرائها الآدميين » .

أرأيتم إذن ؟

إنه الإنسان الذي يلقح الحيوان بلقاح الحرب والعدوان ، وليس الحيوان بالأستاذ السابق له في هذا الميدان .

والمسألة بعدُ واضحة من غير حاجة إلى هذه الدراسات الحديثة وإن كانت هذه الدراسات مضيفة في الغد بعض المعرفة الجديدة بالطبائع والأخلاق .

فواضح قبل هذه الدراسات أن الإنسان يستعين بالحيوان في حروبه ، ولم يحدث قط أن حيواناً استعان بإنسان في افتراس ضحاياه واغتيال أعدائه .

ومن قديم الزمن يستعين الإنسان بالحصان والكلب كلما وقع في نزاع بينه وبين أبناء جنسه ، وأقل من ذلك عذراً أنه يستعين بالحمامة وهي رمز السلام والسلامة في تبليغ أوامر الفتك والهجوم . فقد يعذر المستعين بالحصان والكلب على أغراض الحرب لأنهما كانا عصراً من العصور الغابرة معدودين في حساب الوحوش ... أما الحمامة فما عذر من يقحمها هذا المقحم المخيف ، وهي في غير ما قاله المعري عنها :

ظلم الحمامة في الدنيا وإن حسبت ... في الصالحات كظلم الصقر والباز

لا تتعرض لاتهام !

* * *

ومضى الناس في الحرب الحاضرة على سنة آبائهم من قديم الزمن ، فلم يعتقوا الحصان بعد كل ما كشفوه من الآلات والمركبات . ولا يزال رجال من قادة الحرب يقولون إن له دوراً لا يغني فيه غناءه شيء ولا يلحقه فيه اختراع .

ولم يعتقوا الكلب بعد اختراعهم من أدوات التجسس والاستنشاء ما يرغم أنوف الكلاب ، بل ضاعفوا الحرص عليها وصدرت أوامر الحكومة الروسية بتحريم خروجها من أرضها إلا أن تكون معها شهادة إعفاء تثبت أنها « غير صالحة للخدمة العسكرية ! »

والجديد فيما سمعنا به من مخترعات الحرب الحاضرة أنهم استخدموا الخنازير في بعض الجزر ببحر الشمال للتنبيه إلى الغارات الجوية ، فإذا هبطت الطيارة المغيرة إلى الأرض على غرة من الرقباء صرخت الخنازير صرخة معلومة فتنبه الحراس إلى مكان الغارة .

كان الخنزير متهماً بالخبث قبل اليوم في غير برهان

أما اليوم فيحق لمن يقع في شراكه أن يقول مقال الغيظ أو مقال الاعتراف : ياله من خنزير !

* * *

لكن في الحرب براً من الإنسان بالحيوان وليست كلها شراً في شر وعدواناً على عدوان

فإذا قلب الناس غداً صفحات الحروب الناصعة فسيجدون بينها صفحة من أنصع صفحاتها في هذه الحرب الحاضرة : تلك هي المصلحة التي أنشئت خصيصاً بالجزر البريطانية لوقاية الحيوانات أثناء الغارات الجوية . فأعدت الحكومة مئات الألوف من الصفائح التي تنقش عليها مواطن تلك الحيوانات وأسماء أصحابها وعنواناتهم للدلالة عليها وردها إلى مواطنها كلما شردت من الذعر إلى مكان بعيد عنها ، وندبت الحكومة ألوفاً من متطوعيها للطواف على البيوت والحقول ابتغاء تسجيل ما فيها من فصائل الحيوانات المختلفة وتزويدها بالعلامات الدالة عليها . وأقامت ملاجئ للإسعاف متفرقة هنا وهناك لإيواء ما يحتاج إلى العلاج والإنقاذ من الحيوانات المصابة أثناء الغارات ، ودبرت الأمر للعناية بها كما دبرت الأمر للعناية بالآدميين

صفحة ناصعة في التاريخ الحديث ، وحيوانٌ من يجهل أنها مكسب روحي للإنسان قبل أن تكون مكسباً جسدياً للحيوان المصاب ، حتى لو كان باعث التدبير فيها مقروناً بباعث العطف والإشفاق .

عباس محمود العقاد

فن كتابة القصة

للأستاذ محمود تيمور بك

يجمل بي قبل الشروع في الموضوع أن أشيرَ إلى أن الكتابةَ القصصية يجب أن يتوافرَ فيها ركنان : الأولُ : الموهِبة ، والآخر : جريُ القصة على قواعدَ وأساليبَ متعارَفة . شأنها في ذلك شأنُ الشعر ، لا بد من توافر ركنين فيه : الشاعرِيةِ وصحةِ النظم

ومما لا جدالَ فيه أننا قد نجد الشاعرَ الموهوب ، أعني من يُلهم المعانيَ الشعرية ، فيفيض بها وجدانه من غير تمحّل ، فإذا حاول النظمَ لم تستقم له الأبيات ، لقلة بضاعته من قواعد العَروض ، وحداثة عهده بصوغ الشعر . ومثلُ هذا لا يُعد شاعراً تاماً حتى يُكمِلَ ما نقصه بالتعلّم والمرانة

وكذلك الشأن في القاصّ ، فقد نجد من أوتى الموهبة ، أعنى الذي يُلهم فكرةً أو موضوعاً قصصياً له قيمة ؛ ولكنه ناقصُ القدرة على معالجة موضوعه أو فكرته بالأساليب المقبولة عند أهل الفن في نَسْق القصة . وفي مثل هذه الحالة لا يسعنا أن نعتبر ذلك الموهوبَ قاصًّا مكتملَ النضج

وإذن يجب أن يتوافر للقاص الكامل هذان الركنان معاً ؛ فأما الأول ، وهو الموهبةُ ، ومَعِينها الخيالُ المنسرح ، والذهنُ المتوقد ، والعاطفةُ المشبوبة ، فلا كلامَ لأحد فيه ، إذ هو شيء طبيعي ، فإن وُجد في الكاتب تهيأ ليكون قاصًّا في المرحلة الأولى . وأما الركن الآخر ، وهو الاستئناس بالأساليب المتعارفة ، فذلك الذي نخصه بالكلام ، لأنه صناعة ، مرجعُ الأمر في امتلاك ناصيتها للتمرين والاكتساب

وقد يتوهم البعض — ونحن نذكر القواعد التي يجب على الكاتب القصصي مراعاتها — أننا إنما نطغى على حقه في اتخاذ طريقة خاصة تلائم هواه ، ونحدُّ من حريته في اتباع المذهب الذي يراه . والواقع الذي لا يمكن التغافل عنه أن هناك قوانينَ عامةً مرعية الجانب في التأليف القصصي ، على اختلاف المذاهب والأهواء ، وأنه إذا خلت القصة من مطابقة هذه القوانين العامة ، شعرَ الناقد لأول وهلة بأن هنا اختلالاً ظاهراً ، وأن هنا شيئاً يجب أن يُستدَلَ به شيء ، لا دَخْل في ذلك للطريقة الخاصة ، ولا للمذهب الخاص

وهل ينكر أحد أن كل شأن في هذه الحياة يسير — في جوهره ولُبابه — وَفْق نظام وقانون ؟ تلكم هي السيارة ، فربما اختلفت أصنافها وأشكالها وعُددَها أيَّما اختلاف ؛ بيد أنها — مع هذا كله — يجب أن تكتمل فيها أدوات عامة مشتركة ، إذا فقدت واحدة منها تعطلت السيارة على الفور . وما القصة إلا عمل فنيّ من نتاج الفكر ، يسير كأمثاله من الأعمال الفكرية على نظام دقيق ، خاضع للناموس العام المعترف به في جميع ألوان الأدب

كذلك قد يعترض علينا معترض فيما نلزم الأخذ به من هذه الأصول والقوانين ، فيرى أن الفنان العبقريّ يصدر عنه العمل الفنيّ المشهود له دون تعلم ودراسة ، ودون تدرج وتدريب . وجواب ذلك أن كبارَ الفنانين المباقرة ، إنما يفهمون هذه الأصول والقوانين بالفطرة الفذة ، ويهتدون إليها بالسليقة النيرة ؛ فهم يخرجون أعمالهم الفنية بوحي من قرائحهم الممتازة التي يكمن فيها النبوغ . وليس أدلّ على ذلك من أننا لو سألنا أحدهم عما صنعه في تأليف هذه القطعة أو تلك ، وماذا لاحظ ، لم يُحِرْ جواباً ، لأن ما أنتجه صدر عن غير وعي منه

وقصارى ما نقرره ، أن هذه الأصول والقواعد التي نلخصها في المُحالة التالية ، ليست إلا أقيسةً وموازين استخلصت لتكون أساساً تُبنى عليه الأحكام في تقدير القصص الفني ؛ فإن حرمت أن تكون عادلة كل العدل ، لم تحرَمْ أن تكون أدنى إلى الصدق وأحق بالاعتبار

ثم إن هذه الأصول والقواعد ، تبصِّر القَصصيّ إلى حد ما بصناعة الكتابة في هذا النوع من الأدب ، وترشده إلى الخطوط الرئيسية في القصة ، وتَقِفُه على المميِّزات الأولى بين الخطأ والصواب في النسق . وما أشبهها في هذه الحالة بعلم البيان والمعاني والبديع ، فعلى الرغم من أن الكلمة الأولى والأخيرة في البلاغة للذوق السليم ، وخضوع الكلام لمقتضى الحال — وضع العلماء قواعد وأصولاً تتوضح بها أركان البلاغات ، فقالوا : هذه كلمة فصيحة ، وهذه جملة بليغة ، لتميُّزها بكيتَ وكيت ، وخلوِّها من كذا وكذا . ومعلوم أن هذه القواعد لم توضع أولاً ، ثم طلب من الكتاب والمنشئين أن يجْروا عليها ؛ وإنما كانت هذه القواعد

نتائج مستخلصة من أمثلة بلينة ، أقر أهل البلاغة بسموها ، واتفقوا على جودتها ، فاستخرجوا منها الأسباب التى رفعتها إلى هذه الدرجة ، وسرعان ما تحولت هذه الأسباب إلى قواعد . وذلك هو صنيعنا نحن الآن فى القواعد والأصول التى نعالج بسطها ، ونقول إن القصة الجيدة تتميز بها

وأما وقد بدأنا نمس جوهر موضوعنا ، فلنتذكر أولاً أن القصة هى عرضٌ لفكرة مرت بخاطر الكاتب . أو تسجيلٌ لصورة تأثرت بها مخيلته ، أو بسطٌ لعاطفة اختلجت فى صدره فأراد أن يعبر عنها بالكلام ، ليصل بها إلى أذهان القراء ، محاولاً أن يكون أثرها فى نفوسهم مثل أثرها فى نفسه ، وهى تتألف عادة من ثلاثة عناصرَ رئيسية ، هى : الموضوع ، والشخصيات ، والحوار . وهذا العنصر الثالث ليس من المقومات المحتومة دائماً ، ولكنه لازم فى أغلب الأحيان . فتبدأ القصة بالتمهيد للفكرة ، ثم تتطرق إلى ظهور العقدة ، ثم تتوصل إلى حل هذه العقدة أو ما يشبه الحل ، وهذا هو الهيكل المألوف فى بناء القصة على وجه عام .

فمن القواعد فى كتابة القصة ، ما نذكره فيما يلى :

أولاً : أن تكون للقصة وَحدةٌ فنية . وبهذه الوحدة تتوافر فنية القصة . وما الوحدة الفنية إلا أن يجعل الكاتب همه مقصوراً على إبراز الفكرة الأساسية ، مجتنباً جهدَ الطاقة أن يتطرقَ إلى آفاق أخرى . وإيضاحُ ذلك أن يراعىَ الكاتب حصر عمله فى جوهر الموضوع ، خالصاً من طغيان الزخرف ، فلا تطمسُ التفاصيل الثانوية ذلك الجوهرَ الجدير بالعناية والإيثار . والقدرةُ الكتابية تظهر فى التملك لزمام الصميم من الموضوع ، كالفارس القابض على زمام جواده لا يدعه يجمح به ما طاب له الجموح . فواجب إذن أن يُخضعَ الكاتب جراتِ قلمه لموضوعه ، ولا يدع الموضوع خاضعاً لقلمه يجرّه حيث شاء . فإن استطاع أن يخلص لموضوعه هذا الإخلاص ظهرت أفكار القصة متماسكة ، وخرجت القصة بنياناً متراصاً لا حجر فيه لغير معنى .

ثانياً : أن يُراعى فى عرض الموضوع جانب التلميح ما أمكن وأن يُحذَرَ جانب التصريح . فلا يشرحُ الكاتب الموضوع ويحلل الشخصيات فى شكل مهلهل ، بحيث لا يترك شيئاً لفطنة القارئ وذكائه . فإذا لم يعن الكاتب بهذا الجانب كان مُتهماً قارئه بالغفلة وجمود الذهن إذ يوضح له ما ليس بحاجة إلى توضيح؛

وإذن تخرج القصة مكشوفة لا يجد فيها قارئها لذة التعرف بنفسه ولا يشعر بشوق إلى ما يجيء منها بعد . فلا بد أن يدع الكاتب للقارئ فرجة يستطيع بها أن ينتهى إلى التصريح من التلميح ، وأن يُشيدَ الكبير من الصغير ، وأن يشق بمخيلته – فيما يقرأ – آفاقاً من التصور والتفكير . وكما أننا نشير بضرورة أخذ الكاتب بالتلميح ، نشير كذلك بألا يجنح إلى الإغراق فيه ، مخافة التورط فى الغموض والإبهام ، فيضل القارئ فى فيافٍ لا يقر له فيها قرار

ثالثاً : أن يعنى الكاتب برسم شخصياته ، وأن يجعلها تصدر فى أقوالها وأعمالها عن منطق الحياة التى أراد لها المؤلف أن تعيشها بواعيها الظاهرة ، وواعيها الخفية أيضاً ؛ حتى إذا مضى القارئ فى تفهم هذه الشخصيات ، وتصور ما يقع من أمثالها ، لم يجد نفسه مصطدماً بشيءٍ غيرِ مألوف يأباه المنطق أو الذوق . وما أجدر أن يلقىَ الكاتب كلّ باله إلى هذا الجانب من البراعة فى التحليل النفسى ، فإنه يتوقف عليه شطر عظيم من فنية القصة .

رابعاً : ألا تكون الشخصيات بوقاً ينقل ما يأتى إليه المؤلف من الكلام ، فيكون المتكلم هو المؤلف نفسه على لسان هذه الشخصيات الببغاوية . والواجب أن يكون للشخصيات كيانها المستقل ، وأن تكون حية فى حركاتها وسكناتها ، وأن يُحس القارئ من أعمالها حرارة هذه الحياة ، ويتعرف من فِعالها ما تتميز به من شمائل وحقائق . فلا تتكلم هذه الشخصيات إلا بالأسلوب الطبيعى الذى يلائم نفسيتها ، ولا تعمل إلا وفق الحوادث على منهجها المرسوم لها . وبناء على هذه القاعدة ، لا يجوز أن يدلنا الكاتب على شخصية بائسة ، بأن يجعلها تقول : أنا بائسة . ولكن يعالج أن تُفصح الحوادث نفسها عن بؤس هذه الشخصية . وهذا إلا إذا كان الموقف بطبيعته يستدعى أن تتكلم الشخصية بلسانها ، لتفصح عن حالها

خامساً : حتم أن يكون لكل قصة معنى ، وإلا كانت القصة لغواً لا جدوى له . والقاصّ — ككل فنان آخر — مصور للحياة فى مختلف ألوانها ، مترجم عما يعتلج فى رأسه وما يجيش فى صدره من معان ومشاعر ؛ فهو إذا كتب فإنما يكتب لتصوير هذه المعانى وإيضاح هذه المشاعر . ويصح أن نشير فى هذا الصدد إلى أن معانى القاص فى الغالب ، إما مستمدة من الواقع الذى هو ملء مسموعه ومشهوده ، وما هو فى نطاق الجو المحلىّ الذى يعيش فيه . وإما أن تكون هذه المعانى مستخرجة من صميم

النفس البشرية ، تلك النفس الثابتة بميولها ، الخالدة بغرائزها . إلا أن المجد الأدبيّ لا يكون إلا من نصيب القصة التي يحذق كاتبها رد أصولها ومعانيها إلى أوصال الإنسانية الباقية بتلك الميول والغرائز . فرغبتنا إلى القصاص ألا يعنوا كثيراً بالموضوعات العابرة التي تتغير معالمها بتغير الزمان ، وللناس حولها في كل يوم شعور خاص ، وحل خاص ؛ فإنه إذا تبدل الوقت أصبحت هذه الموضوعات نسياً منسياً ، وذهبت قيمتها الاجتماعية والمحلية

سادساً : يجب ألا تكون الفكرة التي يعالجها الكاتب في قصصه مصوغة في قالب موعظة أو حكمة ، وألا يظهر فيها تحبيذ شيء أو النهي عن شيء . بل يجب أن تكون الحكمة أو الموعظة مطوية في غضون الحوادث ، خالصة إلى القارئ دون معونة ظاهرة من المؤلف ؛ وأن يكون التحبيذ أو النهي كامناً في أعطاف السرد ، غير ملموس بالكلام المكشوف . وذلك هو الفرق بين القصة والمقالة ، فالقصة ليست منبراً للخطابة وإلقاء المواعظ ، بل هي معرض للتصوير والتحليل ، يوحي برموزه وظلاله وإشاراته إلى القارئ بالغرض الذي رمى إليه الكاتب القصصي

سابعاً : يحسن ألا تخلو القصة من عنصر التشويق ، وأعني به أن تستحوذ على القارئ في أثناء قراءته نشوة وروعة تدفعانه إلى متابعة القراءة في نشاط وانتباه. ونلفت النظر إلى أننا لا نبغي بعنصر التشويق أن ينقلب الكاتب مهرّجاً يفتعل الحوادث افتعالاً ليصل إلى هذا الغرض ، حاسباً أن ذلك هو الذي يبعث الشوق ، فإنه حينئذ يقع في أشياء سخيفة مفضوحة يبدو عليها التكلف والاجتلاب . فلا بد من الحذق واليقظة في هذه الناحية بحيث يكون فن الكاتب قادراً على أن يجعل مظاهر التشويق جزءاً طبيعياً من سياق القصة ، فإنه بذلك يضمن انتباه القارئ ونشاطه ، ويوفر له وسائل اللذة والاستمتاع

ثامناً : ما يجب أن يجرى عليه الكاتب في تحرير قصته من وجهة اللغة . ونقدم لذلك بأن اللغة العربية في ذاتها لغة موسيقية ، لألفاظها وأساليبها رنين وإيقاع . وقد أسرف كتاب العصور المتأخرة في استغلال هذه الموسيقية بالمغالاة في الاستعارة ، والإكثار من الترادف ، والتزام السجع والطباق وما إليه . فبلغت الصناعة اللفظية مبلغاً كان فيه القالب أكبر من المعنى وأوسع مجالاً . ثم جاء العصر الحديث يزخر بموضوعاته العلمية ، وبحوثه الاجتماعية والفنية ، مما لا يحتمل البرقشة والزخرف . فأريدت اللغة على أن تكون القوالب على قدود المعاني ، في غير إهمال لما تقتضيه خصائص اللغة من الموسيقية الآخذة . فيجب أن يُعنى الكاتب إذن بلغة قصته ، فلا يبالغ في التحاسين البيانية من نحو الاستعارة والتشبيه والترادف ، بل يجعل الألفاظ على أقدار المعاني جهد المستطاع . ولا ينسينا هذا أن بلاغة الكتابة تكون بمراعاة المقام ، فالإطناب مستحب في مواقف الإطناب ، والإيجاز مطلوب في مواقف الإيجاز . بيد أن هناك شيئاً تجب مراعاته على كل حال ، وهو تجنب الأسلوب المبتذل ، ونعني بالابتذال في الأسلوب استعمال الألفاظ الشائعة شيوعاً يفقدها الرونق والرواء ، والوقوف عند التراكيب الركيكة التي لا تستبين بها قدرة اللغة على التصرف في الأداء والتعبير . وإذا كان على القصصي أن يعرف للمعنى حدوده في الأداء ، فإنه باعتباره أديباً عليه أن يتخير اللفظ الرشيق والتركيب الشريف

وبعد فليست هذه كل القواعد التي يجب أن تبنى عليها القصة . وإنما هي معالم رئيسية اجتهدنا في استخراجها ، ونرى وجوب اكتمالها في القصص الفني

ونختم كلمتنا مصرحين بأن هذه القواعد نفسها لا تهدي القاص الناشئ ، قدر ما يهديه اكتسابه للملكة التي يستفيدها من موفور اطلاعه على الآثار الفنية المعترف بها ، وحسن تفطّنه إلى ما فيها من أسرار الجودة والإبداع .

محمود تيمور

نميمة الأسلوب

« لكاتب من الكتاب »

(يتم عليه أسلوبه)

كنت أرسلت إلى مجلة الرسالة كلمة أحاور بها قلبى ، ولم أذيلها باسمى الصريح ، وإنما اكتفيت بالاشارة إلى أنى « كاتب من الكتاب » فرأيت صاحب « الرسالة » يضيف إلى هذا الرمز عبارة « ينمّ أسلوبه عليه »

فهل كُتِب علىّ أن أعيش فريسة النمائم فأنتقل من كرب إلى كرب إلى أن تدركنى نميمة الأسلوب ؟!

وأين المفرّ من مظالم النمائم إذا صح أنى لن أنجو من نميمة قلمى ؟...

إن الرجل لا ينمّ أسلوبه عليه إلا بعد أن يصبح « كاتباً من الكتاب » تُنصَب لرأيه الموازين ، وأنا كاتب من الكتاب منذ أعوام طوال ، فما الذى غنمتُ من براعة القلم ورشاقة الأسلوب ؟

ما الذى غنمتُ وأنا أمتشق القلم منذ أكثر من خمس وعشرين سنة بعزيمة أقسى من الصخر وأصلب من الحديد ؟

ما الذى غنمت وقد كنت كاتباً وشاعراً قبل أن يولد فريق من الذين تؤذينى عندهم نميمةُ قلمى ؟

وهل أستطيع أن أطمئن إلى أن قلمى سيشفع لى إن قلتُ إن صحبته أضرعتنى وإنى أحتاج إلى الراحة بضعة أسابيع ؟

وهل للقلم دولة فى هذه البلاد حتى نجعله وسيلةً إلى الراحة من بعض المتاعب ؟

وكيف وما كانت متاعبى فى دنياى إلا مكاره ساقها قلمى إلى قلبى ؟

وهل يُراعى القراء ما نطوّق به أعناقهم من ديون ؟

لقد غنّيتُ أهل زمانى أناشيد أيقظتُ بها فى صدورهم من أحلام غافيات ، وأحييتُ بها ما فى قلوبهم من مَوَات ، فأين من يُسعدنى بكلمة صدق أدفع بها عُدوان زمانى ، لأمضى على سجيتى فى السجع والغناء ، ولأضمن السلامة من نميمة الأسلوب ؟

وأين فى الدنيا كلها من يتوجع لمصير البلبل حين يسكته المرض أو الموت ؟

احتجزنى فلان فى الطريق ساعة أو بعض ساعة وهو يحاورنى فى شؤون دقيقة من خصائص حياتى الأدبية ، فظننته — وهو من أهل الجاه — يحاول أن ينصفنى من زمانى . ثم عرفت — وا أسفاه ! — أنه يجمع المصادر لمقال يكتبه عنى يوم أموت !

وفلان الذى صرح ألف مرة بأنى شعلة من اللهب المقدّس هو نفسه فلان الذى يرى اليوم أن أدبى من أعظم ذنوبى ، وأن من الواجب أن أتوب !

أتوب ؟ أتوب ؟

أنا أحب أن أتوب من صحبة القلم ، ولكن أين السبيل إلى المتاب ؟

وهل يمكن ترك الصديق بسهولة ، أيها الناس

أعطونى شيئاً من قدرتكم على نسيان حقوق الأصدقاء ، لأتناسى حقوق قلمى !

علّمونى كيف أغدر وكيف أخون ، لأستطيع التمرد على عقلى وبيانى !...

خذونى إليكم ، أيها الساخرون من صولة العلم والحق ، لأخلُص من صحبة العلم والحق !

خذونى إليكم فى ملاعبكم وملاهيكم ، عسانى أنسى جاذبية البؤس فى صحبة قلمى وكتابى !

لقد أفلحتم فى زعزعة اليقين الذى كنت أفزع إليه حين تكرثنى صروف الزمان ، فأين أنتم لأشكو إليكم ما جَنَتْ أيديكم ؟ وأين السبيل إلى ترميم البناء الذى كنت أستظل به من قبل أن أنخدع بالبريق الذى أزغتم به فؤادى ؟

أين ؟ أين ؟

أتذكر الآن كتاب لامرتين عن سِفر أيوب Le poème du Jobe

فقد صرّح بأن الدنيا لو دُكّتْ صروحها وذهب ما فيها من

روائع الفنون والآداب ولم يبق غير سِفر أيوب ، لكان كافياً فى تسجيل ما تعاني الإنسانية من معاطب وحتوف .

وهل عانى أيوب فى زمانه بعض ما عانيت فى زمانى ؟

أيوب فقد الثروة والعافية ولم يفقد اليقين !

وأنا فقدت الثروة والعافية واليقين . أضاع الله من أضاعونى !

وأيوب استطاع أن يعاتب ربه بقصيد رنّان وهو فى أمان من ثورة الجمهور ، فظفر بالخلود فى عالم الفكر والبيان .

وأنا لا أملك معاتبة ربى بسطر واحد خوفاً من رئيس التحرير ، وخوفاً من شيخ الأزهر ، وخوفاً من محكمة الجنايات وخوفاً من نميمة الأسلوب ! ! !

وأين فجيعة أيوب فى دنياه من فجيعتى فى دنياى ؟

كان الدينار لعهد أيوب يُموّن الرجل شهراً أو شهرين ، وأنا فى عهد يهان فيه الرجل إن اكتفى بالدينار يوماً أو يومين ، فمن يُسلطنى على دهرى فأسجل رزاياه على نحو ما صنع أيوب ؟

وكانت الأرض لعهد أيوب بلا رسوم ولا حدود ، فكان المجاهد ينال منها ما يشاء كيف شاء ، وهى اليوم مقسمة تقسيما يصدّ المجاهدين أعنف الصدود .

وكانت البحار لعهد أيوب مصادر خيرات ، وهى اليوم مواقع ألغام ومسارب غواصات .

وكانت السماء لعهد أيوب مساقط غيث ومذاهب نسيم ، وهى اليوم معارج طائرات ومصادر خطوب .

وكان النمام لعهد أيوب يؤلب عليه رجلاً أو رجلين أو بضعة رجال ، لأن النمام لم يكن يملك غير سفاهة اللسان ، أما النمام فى هذا العهد فيستطيع أن يؤذينى بمقال فى جريدة أو مجلة يقرأها ألوف أو ملايين ، ويذهب شرها إلى من أعرف ومن أجهل فى المشرق والمغرب .

وكان قوم أيوب يعدون بالألوف ، أما قومى فيعدون بالملايين فبلواى بالخصومات أعرض من بلواه .

وكان لأيوب أعداء وأصدقاء ، أما أنا ، فلى أعداء وليس لى أصدقاء .

وكان أيوب نبياً تهابه الأرض وتؤيده السماء ، أما أنا فكاتب من الكتاب تنفر منه الملائكة ويأتمر به الشياطين .

وصارت ثورة أيوب على بلاياه لحناً خالداً يُرتل فى الكنائس والصوامع ، أما ثورتى على زمانى فستضاف إلى الأدب الحزين الذى لا يقام له ميزان .

ومع ذلك كان حزنه أهلاً للحمد ، وصار حزنى أهلاً للملام !

أيوب !

إسمع كلمتى ، أيها الزميل فى الأحزان !

إن النبوّة عصمتك من كيد الخاتلين والحاقدين ، فلم تذق طعم الإيذاء فى سبيل الحزن النبيل ، والله الذى لم يولنى شرف العصمة أولانى شرف الإيذاء فى سبيل الحزن النبيل

فأين مكانك من مكانى ، مع أنى عبدٌ مذنب وأنت نبيٌّ معصوم من الذنوب ؟

كانت المدائن لعهدك لا تملك من المصابيح ما يشغل بصرك عن نجوم السماء ، أما المدائن لعهدى فتعرف المصابيح فى النهار قبل أن تعرفها فى الليل ، ومع ذلك لم تشغل بصرى عن نجوم السماء

وكانت الدنيا لعهدك لا تعرف الضجيج ، فكنت تملك الخلوة إلى خواطر قلبك

والدنيا لعهدى كلها ضجيج وأزيز وهدير ، وأنا مع ذلك أخلو إلى قلبى وأدرس ما فيه من عناصر الوساوس والأحلام والأضاليل

فإن لقيت ربك وفى يمينك كتاب النبوّة فسألقى ربى وفى يمينى كتاب المحنة بوطنى وزمانى

فيا نبى الله ، كيف تسبقنى إلى رحمة الله وأنا أفقر إليها منك ، وإن كنت أحق بها منى ؟

أيوب !

أنت تألمت وتوجعت لأن الوباء كان اغتال إبلك وغنمك فكيف ألام على التألم والتوجع وقد أهلك الطاعون أصدقائى وأحبابى ؟

أيوب !

هل تعرف أنى أملك من العزاء ما لم تكن تملك ؟

فلو أنك قرأت تاريخ المسيح كما قرأتُ لخفّت مصيبتك وهانت بلواك

المسيحُ ، يا أيوب ، قد اكتوى بنار حامية هى غدر الصديق.

وقد صارت قُبلة يهوذا مثلاً سائراً فى التاريخ ، فهل تعرف كيف تكون القبلة شارة الحتف ، وهى فى الأصل لغة القلب ؟

وأنا قرأت من تاريخ محمد ما لم تقرأ ، يا أيوب ، فقد لقى كثيراً من كيد المنافقين من الأصدقاء

فهل تظن مع هذه الشواهد أنك أجدر منى بالصدارة بين البائسين واليائسين ؟

أنت على ما عانيتَ لم تعرف خيانة الصاحب ولا غدر الصديق، ولم تشهد كيف تُعدُّ حسناتك سيئات ، ولم تقاس تمائم الأصحاب ولا « وشاية الأسلوب » ولعل الله كان رعاك فلم تر شخصاً تحسن إليه ويسىء إليك

فكيف تسبقنى إلى رحمة الله ، يا أيوب ؟

خذ حظوظى كلها ، يا أستاذى فى الألم والوجيعة والحرمان ، فأنا أحب أن أخرج من الدنيا بلا جزاء ، لأستطيع القول بأنى عانيت من البلاء ما لم يعان أيوب ، عليه الصلوات !

وأنا مع هذا أعترف بأنى ساعدت الزمان على نفسي ، لأنى تجاهلت أخلاق الزمان

وما الناس ؟ وما الزمان ؟

يكفى أن أصبح وأنا برغم الناس والزمان :

كاتب من الكتاب

الأدب الفنلندى

للأستاذ صديق شيبوب

بينما تتجه أنظار العالم إلى فنلندة بمناسبة الحرب الناشبة التى تخوض غمارها فى جرأة وهدوء، جرى حادث أدبى نبه الأذهان إلى آداب هذه الأمة الباسلة، فقد فاز الأديب الفنلندى سيلانبا Sillanpaa بجائزة نوبل التى يطمح إلى نيلها كبار الأدباء وعظماؤهم لأنها ذات خطر عالى.

وقد كان هذا الحادث الأخير مفاجأة لجمهور الأدباء والمتأدبين فى العالمين القديم والجديد، لأن الفكرة التى كانت شائعة عن الفنلنديين تتركز فى ولعهم بالألعاب الرياضية وتفوقهم فيها، إذ كانوا يشتركون فى الألعاب الأولمبية التى تقام فى شتى بلدان العالم فيفوز لاعبوهم بأكثر من بطولة.

وقد رأينا — لهذه المناسبة — أن نلم بالأدب الفنلندى لبيان تاريخه ومناحيه.

* * *

ينطبع الأدب الفنلندى بطبيعة البلاد التى نشأ فيها وبأخلاق سكانها. وفنلندا قائمة فى الشمال الأقصى من أوربا، ذات غابات كثيفة وبحيرات عديدة، شتاؤها طويل، وصيفها نهار دائم. يسكنها شعب قاسى طول تاريخه أهوال البرد والجوع والحروب، فاكتسب مما قاساه صلابة وقوة، ومن طول الشتاء ميلاً إلى الخيال والأحلام. فلا عجب إذا اختلف فى طبيعته عن الشعوب اللاتينية وعن الشعوب الجرمانية التى يمت إليها فى أصله، وإذا ظهر أدبه فى شكل يلائم أحواله وبيئته.

إنه يبحث فى الأدب والفنون عن وسائل للتعبير عما يجول فى نفسه تختلف عن وسائل الأمم الأخرى. وقد تظهر هذه الوسائل غريبة عجيبة، أو على الأقل غير منتظرة لشعوب تعودت دقة التعبير ووضوحه، وهما من مميزات شعوب البحر الأبيض المتوسط.

والأمم الغربية قد تأثرت بثقافة فكرية وفلسفية واحدة، غير أن المناحى الثقافية اضطرت أن تتأقلم وفاقاً لطبيعة كل إقليم، فظهرت فى شكل يوافق كل بلد، وبدت كأنها تختلف عما هى فى البلاد الأخرى.

لذلك نجد الأدب الفنلندى يعبر عن أخلاق سكان هذا الإقليم وما تتميز به من رجولة بارزة، وخيال واسع ذى ميول إلى الكآبة والحزن، وسذاجة القلب والطبع، كما يعبر عن طبيعة البلاد القاسية فيظهر فى أسلوبه كأنه قبس مستمد منها، فضلاً عن عناية أدبائه بوصف هذه الطبيعة وقواها وعناصرها

كان قدماء الفنلنديين يعيشون بين أحضان الطبيعة القاسية، فلا عجب إذا رأيناهم، فى عصرهم الوثنى، يؤلهون عناصرها ومظاهرها. وقد استدل الباحثون من الأناشيد التى ترجع إلى ذلك العهد، على أنهم كانوا يصفون بالألوهية كل شجرة أو صخرة، ويعتقدون أن الغابات والبحيرات مأوى للآلهة. وسنعود إلى هذه الاعتقادات فى معرض كلامنا عن ملحمة «كاليفالا» Kalevala

وقد ظل الفنلنديون يدينون بالوثنية إلى القرن الثانى عشر، أى إلى أن بشرهم الأسوجيون بالنصرانية. ولكنهم ما زالوا إلى اليوم متأثرين بتاريخهم وعقائدهم القديمة. ولما شع عصر الإصلاح فى أوربا تأثر به الفنلنديون فى أوائل القرن السادس عشر، فصدفوا عن التصوف الذى تميزوا به من قبل وأخذوا بتحكيم عقولهم فى أمور الدين المسيحى وتفسير كتبه

مر قرنان بعد ذلك، وجاء القرن التاسع عشر، والأدب الفنلندى فى سبات عميق لا يظهر له أثر. ولعل ذلك يعزى إلى أن دولة أسوج التى استولت على فنلندا منذ القرن الثانى عشر نشرت فيها لغتها حتى طغت على لغة أهل البلاد الأصيلة وكادت تزيلها من الوجود لولا أن القبائل المنتشرة فى مقاطعة «كاريلى» Carélie احتفظت باللغة الفنلندية ونظمت فيها أغانيها الشعبية فى تمجيد أبطالها ووصف شجاعتهم وحروبهم

وظلت فنلندا محتفظة بتقاليدها وبتأثرها بالأدب الأسوجى بالرغم من استيلاء روسيا عليها سنة ١٨٠٩ وضمها إلى امبراطوريتها. ولكن الروابط الأدبية والثقافية بين روسيا وفنلندا جاءت على عكس الروابط السياسية. فكلما حاولت روسيا ربط الصلات السياسية والإدارية بينها وبين دوقية فنلندا الكبيرة ازداد الفنلنديون شعوراً بقوميتهم وتعلقاً بمدنيتهم. وهكذا أخذ الأدب الفنلندى يزدهر فى أوائل القرن الماضى ولم يلبث أن ارتبط بالحركة الابتداعية

التى كانت قائمة فى أوربا فى ذلك العهد

***

كانت العناية بجمع الأغانى والقصائد الوطنية الحماسية وضمها فى شكل ملحمة أول مظهر للأدب الفنلندى

كان الشعب يحفظ هذه القصائد ويتناقلها بطريق الرواية ، وكان لزاماً على من يعنى بجمعها أن يطوف بالبلاد للبحث عن رواتها ونقلها عنهم

وقد قام « لياس لونرو » Llias Lönnrot بهذه الرحلات لجمع ما استطاع جمعه من تلك الأناشيد الوطنية . وكان يعتقد أن هذه القصائد الشتيتة أجزاء متناثرة من ملحمة شعبية مفقودة زالت لحمتها خلال القرون المتتالية . ويقول النقاد إن هذا الاعتقاد خاطئ ، ولكنه نتج عنه عمل يعد نسيج وحده فى الأدب العالمى : ذلك أن « لونرو » كان شاعراً ، وقد ساعدته هذه الميزة على ضم القصائد وإنشاء لحمة بينها حتى برزت فى شكل ملحمة قد لا يجد فيها بعض النقاد الشروط الفنية لنظم الملاحم كما يجدونها فى الألياذة مثلاً ، ولكن الذين يوجهون إليها هذا النقد يقررون أنها فريدة فى بابها من حيث أنها الملحمة الوحيدة التى اشترك فى وضعها جمهور الشعب .

أما القصص المروية فى هذه الملحمة ، التى أسماها جامعها « كاليفالا » فساذجة بسيطة . كان الشعب الفنلندى وثنياً يؤمن بالرق والتمائم ويعتقد أن الطبيعة ملأى بالجن ، بعضهم للخير وبعضهم للشر ، وأن الجن لا يتداخلون فى شئون العالم إلا إذا طلب إليهم السحرة ذلك . فالسحرة هم بمنزلة الكهان يحفظون عبارات الطلاسم العجيبة التى يستطيعون بها أن يتحدثوا إلى الشياطين لاجتناب أذاهم أو اجتلاب خيرهم . وهكذا جعلت هذه الديانة الساحر شخصاً علياً بكل شئون الحياة ، فهو الحكيم العليم ببواطن الأمور ، وهو الطبيب الشافى من كل داء ، وهو الشاعر المنشد والمغنى المطرب . ويظهر أن الشاعرية عند هذا الشعب قد تفتقت من ألفاظ السحر الغريبة

وهذه السذاجة فى العقيدة لم تساعد على خلق ميثولوجية على الطريقة الرمزية المعروفة عند الشعوب الأخرى حيث نجد العقل المفكر يخلق الآلهة التى ترمز إلى الحياة بأكملها . أما عند الفنلنديين فالحالة على غير هذا ، لأن الباحث فى ديانتهم يجد آلهة لا يفهم معنى وجودها أو ما ترمز إليه . ولم تحتفظ ملحمة « كاليفالا » بما يستدل منه على الرمز الذى تعبر عنه الآلهة . فمن أمثلة ذلك خلو الملحمة مما يشير إلى مركز « فانيا موين » بين الآلهة ، ويقول الباحثون إنه كان إله البحر فى ديانة الفنلنديين القديمة

ولعل السذاجة فى الدين هى التى جعلت هذا الشعب ساذجاً فى قصصه ، لأن ما ترويه ملحمته الطويلة ليس سوى حكايات أطفال وهو وجه الغرابة فيها ، وهو أيضاً ما يجعلها فى أكثر الأحيان عذبة جذابة . إن الأطفال إذا وضعوا قصة جاءت لا رأس لها ولا ذنب ، كما يقولون ، أو لا أول لها ولا آخر ، لأنها تعتمد على المفاجآت الغريبة والأعمال العجيبة أكثر مما ترمى إلى أى غرض آخر . ويظهر أن خيال الشعوب فى عصرها البدائى لا يختلف عن خيال الأطفال الصغار .

وهناك ظاهرة أخرى تجعل ملحمة « كاليفالا » تختلف عن غيرها من الملاحم . ذلك أن الملاحم القديمة كالإلياذة والأوديسة وغيرهما ترمى إلى غايات مقررة لأنها وليدة مدنية قائمة ، بينما لا نجد فى الملحمة الفنلندية شيئاً مثل هذا ، لأن قصصها وليدة خيال ساذج جامح ، بحيث نبحث فيها عبثاً عن رمز للناس والأشياء والآلهة والديانة والأخلاق

على أن أجزاء من هذه الملحمة تحوى اعتقادات الشعب الفنلندى وتصف العواطف الأصلية فى قلب الإنسان

وقصة الخليقة كما جاءت فيها قطعة لها نضارة الشباب وسذاجة القلوب الطاهرة ، وهى تصف فى مستهلها العذراء « إيلماتار » إلهة الهواء التى تزوجت من الموجة وظلت تتقاذفها الأمواج فى وسط المحيط العظيم حتى جرى ما يأتى مما ننقله عن الترجمة الفرنسية :

« جاء طائر جميل من نوع البط فطار محلقاً باحثاً عن موضع ليبنى فيه عشه ... فطار شرقاً وغرباً ، وطار جنوباً وشمالاً ، فلم يقع على موضع يبنى فيه عشه الصغير ومسكنه الجميل

طار طويلاً محلقاً فى الفضاء يفكر قائلاً : « ترى هل أضع عشى على متن الهواء ، أم أبنى بيتى على صفحات الماء ، فيذرو الهواء عشى ، وتتقاذف الأمواج بيتى

« عندئذ أخرجت عذراء الهواء وأم الأمواج الجميلة من الخضم الواسع ركبتها متيحة بذلك مكاناً للعصفور ليبنى فيه عشه العزيز

« كان العصفور الجميل لا يزال محلقاً فرأى ركبة العذراء قائمة على صفحات المياه الزرقاء كأنها قطعة أرض معشبة

« تخفف من طيرانه ، وحط على الركبة فبنى عشه ، ووضع فيه بيضه ، وكانت ست منها ذهباً وواحدة حديداً

« وأقام الطائر على البيض يحضنه للتفريخ حتى وصلت الحرارة إلى ركبة الإلهة ، حضن العصفور بيضه يوماً ، ويوماً آخر ، وفى اليوم الثالث شعرت عذراء الهواء وأم الأمواج الجميلة بحرارة حتى ظنت أن ركبتها تحترق وأن جسمها يذوب

« فنفضت ركبتها ومدت رجلها فجأة فهوى البيض فى اليم وغاص فى جوف الخضم وتكسر

« ولكن البيض لم يصل إلى قعر البحر ، ولم يقم فى جوفه ، لأن كل جزء منها تحول إلى أشياء نافعة صالحة ، تحول أسفل قشرة البيض إلى الأرض وأعلاها إلى قبة السماء ، وصار ما يعلو الصفار الشمس الساطعة ، وما يعلو المح القمر المنير ، وانتثرت قطع صغيرة من القشر نجوماً ترصع السماء ... »

يقول بعض النقاد إن فى هذه القصة إبهاماً كثيراً ، لأنه لا يفهم جيداً ما ترمز إليه الأشياء المذكورة فيها ، فلماذا اختير طير البط؟ ولماذا جعل عدد بيضه ستاً ذهباً وواحدة حديداً ؟ ولعلها كانت وسيلة لخلق صور جديدة ، وهى على كل حال صور خلابة ساحرة

إذا تناولت ملحمة « كاليفالا » موضوعاً يمت إلى العواطف الإنسانية كانت مثيرة مشجية . من ذلك قصة الأم التى فقدت ولدها فسارت فى الأرض باحثة عنه حتى وجدته مجندلاً ، فنفخت فيه حياة جديدة ؛ وهى ترمز إلى الأمومة بطريقة شعرية بسيطة . أنظر كيف أخذت الأم تبحث عن ابنها :

« بحثت الأم عن الضائع ، ونادت ابنها المفقود ، فاجتازت المستنقعات كما تجتازها الدببة واخترقت البحار كما تخترقها الأسماك وطافت بين الحقول والشواطىء وبحثت بين الأشجار ثم نبشت الأرض لتنظر ما تحت الطرق وجذوع الأشجار

« بحثت طويلاً عن ولدها ، بحثت طويلاً وتحدثت إلى الأشجار لتسألها عن المفقود ، فاضطربت شجرة الصنوبر ، وقالت شجرة السنديان : إن لدى من الهموم ما يلهينى عن ابنك ، خلقت لمصير قاس واحتمال أيام مؤلمة ، خلقت لوقيد النار أو بناء الأهراء

« بحثت طويلاً عن ولدها ، بحثت طويلاً فلم تهتد إليه . وتقدم الطريق إليها فانحنت أمامه وقالت له : أيها الطريق العزيز الذى عبده الله ، ألم ترابنى ، تفاحتى الذهبية ، عصاى الفضية الصلبة؟

« فأخذ الطريق يتكلم ، وهذه هى العبارات التى قالها لها : لدى طائفة من الهموم تلهينى عن ابنك ، خلقت لمصير قاس واحتمال أيام مؤلمة ، صنعت لتدوسنى الكلاب وتطأنى أقدام الفرسان ، وتسحقنى الأحذية الثقيلة

« بحثت طويلاً عن ولدها ، بحثت طويلاً فلم تهتد إليه . وتقدم إليها القمر فانحنت أمامه وقالت له : أيها القمر ، أيها الكوكب الذى خلقك الله ، ألم تر ولدى ، تفاحتى الذهبية ، عصاى الفضية الصلبة؟

« أجابها القمر ، وهو الكوكب الذى خلقه الله ، وقال فى لباقة : لدى طائفة من الهموم تلهينى عن ابنك ، خلقت لمصير قاس واحتمال أيام مؤلمة ، يجب علىَّ أن أهيم على وجهى فريداً الليل بطوله . يجب أن أنير فى ليالى البرد القاسية ، وأن أسهر ليالى الشتاء الطويلة ، وأن أختفى فى فصل الصيف

« بحثت عن ولدها ، بحثت طويلاً فلم تهتد إليه ، وتقدمت الشمس إليها ، فانحنت أمام الشمس وقالت لها : أيتها الشمس العزيزة التى خلقك الله ، ألم ترى ولدى ، تفاحتى الذهبية الثمينة ، عصاى الفضية الصلبة؟

« وكانت الشمس تعرف شيئاً عنه ، فأجابها كوكب النهار : أسفاً ، إن ابنك التاعس قد اختفى فاقداً الحياة فى نهر « تيونى » ذى المياه السوداء ، فى مياه « مانا » الأبدية ، لقد احتمله التيار إلى منازل « تيونى » فى وادى « مانالا ... »

يلاحظ على هذه المقطوعة أنها فى شكل أغان شعبية بما فيها من ترديد يزيد فى جمال الشعر ، وبما تعبر عنه من عواطف بدائية . والمعروف أن الأغانى الشعبية تعبر عن مشاغل الحياة وهمومها ، ولا تعرض للحياة بمعناها العام وما تبعثه فى النفوس من إحساس عنيف ، لأن الشعب لا يهتم إلا لما هو فيه ولأن التعبير عن الحياة بمعناها المطلق وليد المدنية والثقافة .

(للبحث صلة) صديق شيبوب

تحية الرسالة

فى صباح عيدها الثامن

للأستاذ محمود الخفيف

صباحك مثل أحلامها   وجدد يا عيد أيامها
صباح تهلل فى المشرقين   وضىء الأسِرّة بسامها
على جانبيه ترفُّ المنى   وقد فتّق البشر أكمامها
وتنفى أهازيجه الضاحكات   كروب الحياة وأوهامها
تهز الفُراتين أصداؤها   وإن من النيل إلهامها
تجاوب بغدادُ هذا الغناء   وكم عشقت مصر أنغامها
وكم هزت الكونَ دارُ الرشيد   وأسمعت الدهر ترنامها
تحمّلها ودها جِلّقٌ   وقد عودت مِصر إعظامها
وكم بعثت من رُباها الهتاف   تحيت على النيل أهرامها
خمائلُ لبنان تهفو لها   ويستروحُ القدس أنسامها
لها منهما اللمحاتُ الوِضاء   إذا استلهم الرأىُ أفهامها
ويصبو الحجازُ وكم طاف منه   خيالٌ يساور أحلامها
ويزجى الأغاريد سودانُ مصر   ويختصُّ بالودّ أعلامها
تهش لألحانه الغاليات   وتعزو إلى الحبّ إحكامها

***

تلقّى الرسالة فى المشرقين   بلادٌ تُوشّج أرحامها
تلاق على الضاد أبناؤها   وإن فرّق الملك أقوامها
لها الشرق إما مضت موطناً   ويهوى بنو الشرق إكرامها
يطوف به إذ تُلِمُّ اليقين   فإن من الرُّوح إلمامها
يحبُّ تسامحها كل حُرّ   وما انفكّ يكبِرُ إسلامها
يَدِن بشِرعتها فى الجهاد   ويعلى عن الشك أحكامها
ألم يَرَ ماضيها العبقرىّ   وقد أرهف الحق أقلامها ؟
ويَبْلُ عزيمتها فى الأمور   إذا استعجل العصر إبرامها ؟
وكيف مشت تستحث النفوس   وتكشف فى الشرق أسقامها ؟
تعلمها كيف تأبى الهوان   وترغم من رام إرغامها
تروض على البأس فى قولها   شبول البلاد وآرامها

وكم بدعة ساقها المبطلون   فراحت تحطم أصنامها
غداً يحتمى ببنيها الذمار   كما حمت الأسد آجامها

***

تجدد فى العيد عهد الوفاء   وقد صحب الصدق أقسامها
إذا أبهمت فى الخلاف الأمور   جلت بالصراحة إبهامها
ويعجزُ عن حلمها شانئ   يحاولُ بالمَيْن إيلامها
وتقدمِ لكنها فى الحياةِ   تريك عن الهجر إحجامها
لها صفحة فى سجل الخلود   تعاجز فى الشرق من رامها

***

تنزه شعرى فلم أزجه   رخيص المدائح نمامها
وما اهتز يوماً لغير العلى   فغنى هداها وإلهامها
عرفت علاها فغنيتها   وحليتُ بالدُّرّ أعوامها
بدأت لها أمس غالى العقود   ولن أبلغ الدهرَ إتمامها

وصف ديك

للأستاذ عبد الرءوف جمعة

وديك كأن الشمس يسطع ضوؤها
عليه بألوان ترفّ وتزهر
على رأسه المرجان تاجاً يزينه
ومنقاره العقيان أو هو أنضر
على جيده فُوفٌ من الخز لامع
كمثل ضياء الشمس فى الصبح أصفر
وعيناه أصفى من مُدام ابن هانئ
ومن طَل نيسان من الورد يقطر
إذا صاح فى جوف الدياجى حسبته
يقول لأهل النسك : الله أكبر
وإن صاح فى وجه النهار حسبته
يقول لمن ناموا : هلاّ وزمجر
أحسّ بما فيه من الحسن فازدهى
وراح بصحن الدار نشوان يخطر
ألست تراه شامخ الرأس مثلما
يتيه على الألمان هِيسٌ وهتلر



صنع فى انجلترة ! . . .

جلسنا نتحدث فال بنا الحديث فيما مال إلى مبلغ شعورنا بقوميتنا ومبلغ حرصنا على مظهرها ، ورحنا نتساءل هل نحن كرماء لضيوفنا حقاً ، أم أن فى الأمر شيئاً غير الكرم ؟ واحتدم الجدال كالمعتاد وعلت الأصوات ، وتشعب الكلام واضطرب نظامه ، وضاعت الحجج جميعاً سليمها وسقيمها فى ذلك الضجيج المتصل . وكانت أشد الدعاوى إيلاماً لنفوسنا أننا قوم نتلاشى فى غيرنا ويسهل على أى قوة أن تسوقنا حسبما تريد

وقطع هذا الضجيج دخول صديق لنا فى رفقته شاب أخذ يقدمه إلينا، فحيا وحيينا، ثم جلسنا برهة صامتين، ومالت أنظارنا إلى هـذا الشاب الذى بدأت معرفتنا به . وما هى إلا برهة حتى فطنت إلى أن منظارى قد وقع منه على شخصية أضيفها إلى ما عرفت من أشباهها من الشخصيات التى لا تكاد تفترق إحداها عن بقيتها فى شىء

وفى نفسى عن هذه الشخصيات التى عرفت معان استيقنتها فما أشك فيها أبداً ، بيد أنى أميل إلى تبينها فى كل شخصية منها ، فقد جرى الأمر فى ذلك عنـدى مجرى التسلية ، إن جاز أن فيما يؤلم ما يسلى كما جاز أن فى المصائب ما يضحك !

ونظرت فإذا صاحبنا يضطجع فى مقعده ويشمخ بأنفه ، ورأيته يضع إحدى رجليه على الأخرى أولاً ، ثم يمدهما معاً إلى حيث يستقر قدماه على مقعد خال ونعلاه قبالة الجالسين فى غير تحرج ولا استحياء ...

وأدخل يده فى جيبه فأخرج بيبته وحشاها وأشعلها ، وراح ينفخ فى الجو من دخانه ، دون أن يشاطرنا ما أخذنا فيه من الأحاديث . وشعرت وشعر أصحابى جميعاً بهذا التكبر السخيف ، كأننا لم نكن أهلاً لمحادثته . وكيف نكون عنـده أهلاً لذلك ، وليس فينا من خرج من مصر ، كما تبين له من كلامنا ؟

وكانت تختلج على شفتيه ابتسامة ليس فيها إلا معانى السخرية من عقولنا أو قل من جهلنا ، وفى نفسه أننا لا زلنا على عقليتنا الشرقية جامدين ضيق المعرفة ، وتمنيت أن يتكلم لأرى شيئاً من عقليته الغربية التى عاد بها من انجلترة ...

ولم يطل تطلعى فلقد أخذ يجيب على سؤال وجه إليه ، فسمعت وأنا أجهد فى كتمان ضحكى عبارة بين العربية والإنجليزية، فهى عربية الحروف انجليزية النطق، الأمر الذى جعلها فى جملتها قردية اللهجة والجرس ... وكانت لا تسعفه ذاكراته أو كان يتكلف أن ذاكراته لا تسعفه ببعض الألفاظ العربية ، فكان ينطق بها انجليزية ثم يشرحها لنا كأنما يثق أننا لا نفهم تلك اللغة فهمه ؛ وكان يكرر قوله : « لما كنت فى انجلترة ... » كأنما يخشى أن ننسى أنه كان هناك ، وهو يقدم تلك الحقيقة بين يدى حججه ليجعلها بذلك قاطعة صادعة

وليته ظل ساكتاً فلقد حمدت الله بعـد كلامه الطويل على عقليتى الشرقية ... وحيا الشاب تحية نصفها شرقى ونصفها غربى، وانطلق هو وصاحبه، والتفت إلى أحد أقرانى وقال: أرأيت الدليل المادى على صحة ما أقول ؟ وقال آخر : ما لهؤلاء لا يتكبرون ولا يزهون وقد افترضت الدولة فيهم الكفاية لمجرد ذهابهم إلى أوربا وإن بدا لها من أكثرهم تقصيرهم فى أعمالهم ، وافترضت فى كثير غيرهم ممن لم ينالوا شرف الاغتراب الجهل وإن بدا لها فطنتهم فيما يناط بهم ؟

وقلت فى نفسى متى يفهم هؤلاء أن ليس بين التكلف والصعلكة كبير فرق ؟ وأن فى المصريين من سافروا مثلهم فتلقوا العلم فى أوربا ، ثم عادوا إلى وطنهم محتفظين بمظاهر قوميتهم فإن قلدوا غيرهم قلدوهم فى العظائم، وأخذوا عنهم ما يشرفهم أخذه، ونبذوا ما يشينهم من سخيف المحاكاة ...

وساورنى خيال غريب عن أولئك المتكلفين ، وذلك أنهم يضعون أنفسهم موضع السلعة فى السوق ، والسلع الإنجليزية يكتب عليها عادة « صنع فى انجلترة » لتزحم غيرها فى الأسواق ، وهؤلاء يباهى الواحد منهم بأنه ـ على حد تعبيره ـ (England man)

(عين)

الملاحة عند العرب

للأستاذ قدرى حافظ طوقان

يهتم الغربيون بالملاحة وينفقون عليها الأموال الطائلة لما لها من أثر فى الحروب والتجارة وسير العمران. وقد أصبحت مدنية الأمم تقاس إلى حد كبير بدرجة اهتمامها وعنايتها بالشؤون البحرية وبراعتها فى بناء الأساطيل. وكان لها — ولا يزال — شأن خطير فى مصير الشعوب، وكثيراً ما غيّرت المواقع البحرية مجرى التاريخ واتجاه الحضارة

والأمة العربية — وهى من الأمم التى لعبت دوراً هاماً فى التاريخ وكان لها أكبر نصيب فى تقدم المدنية — قد وجّهت بعض جهودها إلى ناحية الملاحة وخلّفت فيها مآثر خالدة اعتمد عليها الأوربيون فى ترقية الملاحة والتقدم فى صناعة السفن. وقبل البدء فى حديثى عن الملاحة لا بد لى من القول إن ناحية الملاحة عند العرب لا تزال غامضة لم تمط حقها من البحث والتنقيب. والذى نرجوه أن يحفز حديثنا هذا الهمم للعناية بالمآثر الإسلامية والآثار العربية فى مختلف النواحى التى أدتْ إلى فتوح العرب الواسعة، والتى لا تزال محل دهشة علماء التاريخ إن فى بعض هذه النواحى صفحات لامعة يحق لنا أن نباهى بها أمم الأرض وأن نأخذ منها إلهاماً للاقتداء بالسلف والسير فى خطاهم

ومن المؤلم حقاً ألا نجد أحداً من باحثى العرب ومنقبيهم عُنى بناحية الملاحة عند العرب وتاريخ إنشاء الأساطيل. وعسى أن تلتفت جامعة فؤاد الأول والكليات الحربية بمصر إلى هذه الناحية، وأن تعمل على إظهار المآثر العربية فيها، وبذلك تكشف عن روح المغامرة التى امتاز بها العرب على غيرهم من الأمم، وتكون قد مهّدت السبيل لخلق روح الإقدام والشجاعة فى أبناء هذا الجيل والأجيال التى تليه

والآن نأتى إلى موضوع الملاحة فنقول:

كان العرب فى بدء فتوحاتهم يخافون البحر ويهابونه، وكيف لا يخافونه ويهابونه وهم أهل صحراء منقطعون عنه لم يتعودوا رؤيته فكيف ركوبه. ولم يكن الخلفاء الراشدون يشجعون ركوب البحار لخوفهم على أرواح المسلمين، ويُقال إنه حينما استولى المسلمون على مصر كتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص يسأله أن يصف له البحر فكتب إليه « ... إن البحر خلق كبير يركبه خلق صغير، ليس إلا السماء والماء. إن ركد أحزن القلوب وإن ثار أزاغ العقول، يزداد فيه اليقين قلة والشك كثرة. هم فيه دود على عود. إن مال غرق، وإن نجا برق ... » فكان هذا سبباً فى منعه المسلمين من ركوبه. وجاء أيضاً أن عمر بن الخطاب كثيراً ما عنف الذين يخوضون عبابه، فقد عنف عرفجة بن هرثمة الأزدى لركوبه البحر حين غزوه عمان. ولا شك أن السبب فى منع الخلفاء هو خوفهم على أرواح المسلمين لأنهم لم يكونوا أهل بحر ولم يتعودوا السير على أعواده. وبقى الأمر على هذه الحال إلى أن اتسعت الفتوح الإسلامية وأصبح من العسير بل من المستحيل حماية بعض البلاد ولا سيما وقد أصبح العرب مجاورين الرومان ورأوا أن الحاجة ماسة لحماية الشواطئ، ومن هنا بدأ اعتناؤهم بالملاحة فأخذوا فى إنشاء السفن مثل الرومان، وفى مدة وجيزة صارت لهم دراية وخبرة بالبحار وركوبها وطافوا أشهرها وقهروا محيطات العالم واتصلوا بالبلاد البعيدة وعرفوا عنها الشيء الكثير. مهروا فى صناعة السفائن وأنشأوا لذلك دوراً عظيمة وصار لهم فى مختلف الأنحاء أساطيل أصبحت عرائس البحار وزينة الشواطئ متقنة الصنع كثيرة العدد، تفننوا فى صنعها وأدخلوا تحسينات جمة على آلاتها ومعداتها، ووضعوا لها الخرائط والمصورات البحرية وكانوا على علم بالأوقات الملائمة لخوض البحار وعلى معرفة تامة بأوقات هبوب الرياح. اتخذوا المنائر فى المرافئ وفى المواضع الخطرة لهداية السفن واستعملوا الإبرة المغناطيسية لتعيين الجهات

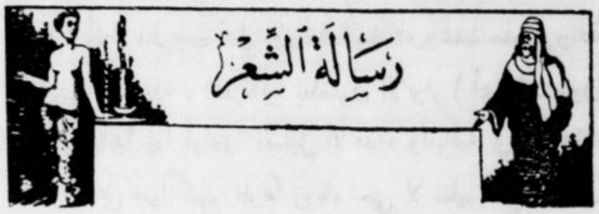
ولا حاجة إلى القول إن أساطيلهم كان لها أثر كبير فى ازدياد قوة الإسلام واتساع رقعته، فلقد تمكن العرب بواسطتها من فتح سردينيا وصقلية وقبرص ومالطة وكريت، وكذلك تم لهم الاستيلاء على كثير من شواطئ البحر الأبيض المتوسط وبعض شواطئ فرنسا. ولقد وصل الأسطول الإسلامى الأندلسى فى عصر عبد الرحمن الناصر إلى مائتى مركب، وكذلك أسطول أفريقيا إذ وصلت أساطيل المسلمين فى دولة الموحدين من المعظمة

والفخامة إلى ما لم تصل إليه فى أى عصر آخر وبلغت فى أيام المعز لدين الله بعصر ستمائة قطعة . وجاء فى مقدمة ابن خلدون أن عدد أساطيل المسلمين فى أوربا وأفريقيا فى القرن الخامس والسادس للهجرة وصل إلى مئة أسطول!... وكانت أساطيلهم هذه على أنواع، منها التجارية ومنها الحربية ، والأخيرة تتركب من سفن ومراكب مختلفة منها ما هو خاص للدفاع يقيمون فيها الأبراج والقلاع أطلقوا عليها اسم (الشونة) . ومنها ما هو خاص بحمل المنجنيقات التى يُرمى بها النفط المشتعل على الأعداء ، وقد أطلقوا عليها اسم (الحراقة) ، ومنها الطرادات وهى سفن صغيرة سريعة الجرى ، ومنها سفن تختلف عن التى ذكرنا لأغراض حربية وغير حربية. وللسفن الحربية معدات وأدوات منها (الزَّرَد) و (الخود) و (الدَّرَق) – والأخيرة أتراس من جلد ليس فيها خشب . وكانوا يستعملون عدا هذه الرماح والكلاليب وسلاسل فى رؤوسها رمانات من حديد . وكثيراً ما كانوا يستعملون قوارير النفط يرمون بها الأعداء وهى فى حالة اشتعال . ومن العجيب أنهم كانوا يستعملون أيضاً مسحوقاً ناعماً من مزيج الكلس والزرنيخ يرمون به مراكب العدو فيعمى الرجال بغبارها . وكانوا يلقون حول المراكب من الخارج الجلود أو اللبود المبلولة بالخل والماء والشب والنطرون أو الطين المخلوط بالبورق والنطرون ومواد أخرى لتخفيف أثر النفط المشتعل . وقد وقف العرب على سر تركيب النار اليونانية بعد أن فتكت بهم فى مواقع حربية كثيرة وأوقعت فى بعض الحالات خللاً وفوضى فى معسكراتهم وسفنهم وصاروا يستعملونها فى حملاتهم البحرية على شواطئ إيطاليا وبعض جزائر البحر الأبيض المتوسط . ويرجح بعض الباحثين أنها تتركب من (زيت النفط) والكبريت والجير والقار بنسب لا تزال مجهولة ، وينتج عن هذه المركبات سائل ملتهب يحدث دخاناً وانفجاراً عظيمين كما تخرج منه نار تشعل الأجسام التى تلامسها أو التى تقع عليها . واستعمل الموحدون هذه النار فى حصار (لبلة) من أعمال البرتغال فى القرن الثالث عشر للميلاد لدفع جيوش ألفونسو العاشر ملك قشتالة. ويقال إنهم (أى العرب) استعملوا آلات يقذفون منها على الأعداء حجارة ومواد ملتهبة يصحبها دوى كالرعد ، ويرى بعض العلماء أن هذه الآلات ليست إلا قاذفات النار اليونانية

ومن طريف ما يروى أنهم كانوا يستعملون طرقاً مبتكرة أثناء الحروب تدل على فطنة وذكاء وشدة حذر وبراعة فى وسائل الحيطة ، فقد كانوا يطفئون الأنوار (أى لا يشعلون ناراً) ، وكانوا إذا أرادوا تضليل الأعداء والمبالغة فى الاختفاء يسدلون على مراكبهم قلوعاً زرقاء حتى لا تظهر عن بُعد . وهذا يذكرنا بوسائل الوقاية التى تستعملها الدول الأوربية المتحاربة من إطفاء النور واستعمال الضوء الأزرق فى السيارات . وجاء فى بعض الكتب أن العرب كانوا لا يتركون ديكا فى (المركب) أثناء الحروب ، وذلك خوفاً من صياحه الذى قد يستدل منه على مكان المركب

ولسنا الآن فى موقف نستطيع معه تفصيل المعدات الحربية الأخرى التى كانوا يستعملونها ، كما أنه ليس هناك مصادر نستطيع منها سرد الطرق التى كانوا يتبعونها فى البحار ، وقد يطول المقال إذا أردنا وصف الاحتفالات الرائعة التى كانت تجرى عند إخراج الأساطيل للحرب . وهذه كلها لا تزال فى حاجة إلى مَن يتعهد جلاءها ويقضى على غموضها . ويؤلمنا أننا لم نسمع عن هيئات علمية أو أفراد اهتموا بهذه الموضوعات أو صرفوا لها بعض جهودهم وعنايتهم . وعلى كل حال فمن مطالعة لبعض الكتب القديمة ومؤلفات جديدة تمكنا من تهيئة هذا الحديث . وقد تجلى لنا منه أن العرب وصلوا فى الملاحة إلى درجة لم يصل إليها غيرهم من قبلهم إذ جعلتهم سلاطين البحار وغزاة المحيطات ، وكان لذلك تأثير كبير فى فتوحاتهم وفى اجتياح كثير من الجزر البحرية وشواطئ البحر الأبيض المتوسط . وبقى العرب أسياد العالم فى البحار إلى أن قامت عليهم قيامة الغرب بحروبه الصليبية وقيامة المغول والتتار وهبت عليهم عواصف الفتن والقلاقل فضعف شأنهم وأضاعوا عزمهم ومجدهم واستولت عليهم غفلة طويلة وجمود مروع كاد يذهب بالكيان والخصائص التى يمتاز بها العرب على غيرهم وكاد يستحيل كل هذا إلى اضمحلال وفناء ...

(نابلس) قدرى حافظ طوقان



صلاة محزون !

إلى بنفسجتي

للأستاذ محمود حسن اسماعيل

خانَكِ النُّورُ – فلا كان – ودسّتْكِ الغيوبُ
فوقَ سَفحٍ أُفقُهُ الضَيانُ مشبوبٌ كئيب
وكَئيبٍ صَمتُهُ فى الرُّوح وَسواسٌ رهيب
تَدرُجُ الشمسُ عليهِ فى الرّوابي وتَغيبُ . . .
. . . وهو مَفجوعُ الثّرَى يا زهرتى يَبكى لِوَجْدِكْ
مُزعَجُ الوَحشةِ كالمصْلوب لهفانُ لِبُعدِكْ !

***

زُرتُهُ والفجرُ – يا فجرِىَ – فى الوادى ربيبُ
خَطوُهُ نحوَكِ سِحرٌ وَصَلاةٌ وطُيوب
وأنا خَطوِىَ أنّاتٌ وشَجوٌ ونحيب
فالتقى عندَكِ ضدّانِ : شروقٌ ، وغروبُ . . .
. . . ألقَ الشمسِ من الذُّعرِ شليلٌ حولَ مَهدِكْ
ودُجى الأحزان فى نفسِىَ صخّابٌ لِقَيدِكْ !

***

والنَّدَى أدمُعُ أرواحٍ حزانَى ، وقلوبُ
راعها حُزنُكِ فى الفجر فأمستْ لا تجيب
كلما ساءلْتُها عنكِ تنشَّاها شُحوب
وبكتْ مِثلى وقالتْ وهىَ فى الضَّوءِ تَذوبُ :
لَيتنا حبّاتُ نورٍ ساجداتٌ فوقَ عِقدِكْ
أو شُعاعاتٌ بَراها الله أكماماً لِوَرْدِكْ !

***

أنا يا دُنيایَ منبوذٌ على الدُّنيا غَريبُ
ودُموعى فى تُراب الدّهر أبلاها المشيب
كلما شارفتُ أنوارَكِ صدّتنى الخطوب
مِثلَما صُدّتْ عن الجانِينَ لله الذُّنوبُ . . .
. . . فابعثى يا ربّتى طيفاً من النُّورِ لِبندِكْ
فهوَ فى ظُلمتهِ الخرساءِ تمثالٌ لِعهدِكْ !

وعـــد !...

[مهداة إلى شاعر الاسكندرية
الأستاذ خليل شيبوب]

للأستاذ أحمد فتحى

يا حبيبى ، وسيِّدى ؟ ! … لِمَ أخلفتَ موعدى
هل تناسيتَ ، أم نسيـ … ـت ، على غيرِ مَقصدِ
أمْ تَلَكّاتَ فى التَّجَمْـ … ـمُلِ ، إذ قُمتَ تَرتدى
زينةَ الحسنِ عوّقَتـ … ـكَ ، فأخلفتَ موعدى
قلتُ : يا « ساعةُ » اشهدى … لستُ أنسى سُوَيْعةً
أخلفَ الحلوُ وَعدَهُ … ليتهُ كانَ مُسعِدى
ليتهُ كان شاهداً … واصلاً ، غيرَ مُبعِدِ
لِيرَى أنْ وَقفتى … جَمرةٌ . . . فى تَوقُّدِ
عقربا الساعةِ البطيـ … ـئانِ خانا تجلُّدى
فكأنّى وقفتُ مِنْ … صُبحِ أمسى إلى غدى !
عُدْتُ يحدُونىَ اللاّ … لُ ، إلى رُكنِ مَعبدى ..
عَبثاً أطلُبُ النعا … سَ لِطَرْفِى المُسهَّدِ !
أو أُسَرِّى لواعِجاً … عَنْ فُؤادِي المُشرَّدِ
ثم ناجيتُ صورةً … لَمعتْ لَمعَ فرقدِ ...
سَحرتْ جوَّ مَعبدِى … واستعزتْ بها يَدِى
قُلتُ : يا رَسمَ سيِّدى … آهِ ، لو كُنتُ أغتدى
آهِ ، لو كُنتُ أغتدى … مِن حبيبي بِمَشهدِ
لِيَرَى مِن صَبابَتِى … كلَّ معنىً مؤكَّدِ ...
وأرَى مِنْ جمالِهِ ... … كلَّ فنٍّ مُجدَّدِ ...
وأُغنّيهِ فى الهوى … كلَّ لَحنٍ مُخلَّدِ ...
يا حبيبي ، وسيِّدى … لِمَ أخلفتَ موعِدى !

تحية الرسالة في عامها الثامن

جان دارك بين العرب

للأستاذ محمود غنيم

مشتْ مثل جان دارك بين العرب   تشدُّ عراهم بأقوى سببْ
تشقُّ الصُّفوفَ بعزم وتهتِـ   ـفُ باسم العروبة واسم الأدب
إذا هتفتْ قلتَ طيرٌ شدا   وإن خطرتْ قلتَ ليثٌ وثب
تبشّرُ بالضاد بين بنيها   وأكرِمْ بحرمة هذا النسب
وما وحّدَ الجمعَ مثلُ اللسان   ولا اتحد الجمعُ إلا غلب
إذا اتحد الفكر في أمة   تجمّع من شملها ما انشعب

* * *

قد انتظمت أمم الضاد طُرًّا   فكانت كعقدٍ وكانوا كحَبْ
بهـا تتلاقى العقولُ كما   تتلاقى الروافدُ عند المصَب
فذا كاتبٌ من أعالي الفُراتِ   وذا من دِمشق وذا من حَلب
بكل يراعٍ أسدٌ من السهـ   ـمِ يغزو القلوبَ إذا ما كتب
فطوراً يمجُّ لُعابَ الأفاعي   وطوراً يمج عصيرَ العنب
وطوراً له أحرفٌ من ضياء   وطوراً له أحرف من لهب

* * *

تطلُّ على العالم العربيّ   وترقُبُ أحداثه عن كثَب
إذا حرّكتْ غيرَها الشهواتُ   فلا رغبٌ عندها أو رَهَب
وتعلنُ عن نفسها بالسكو   تِ عالمةً أنه من ذهب
وما أعلن المرء عن نفسهِ   بمثل الأناةِ ومثلِ الدأَب
ألا ما أقلّ الثمار إذا ما   تعالى الضجيجُ وزاد الصخب

* * *

بدَتْ ولها يومُ وضعِ المسيح   وعمرُ المسيح الطويلُ الحِقب
تكلم هـذا صبيًّا وتلك   أتتْ وهيَ في مهدها بالعجب
لقد جاء من خير أمٍّ وجاءت   سليلةُ (أحمد) من خيرِ أب
فتاةٌ كفاها فخاراً أبوها   إذا افتخرت غادةٌ بالحسب
تكادُ تُسائلُ حين تراها   هل الوحي بعد الرسول احتجب؟
وكم (للرسالة) من نُدماء   هي الكأسُ عندهمو والحبَب
إذا طلعتْ في سماء البيا   نِ لم يَسألوا: أيُّ نجمٍ غرَب؟

* * *

وقالوا: الرسالة قلتُ: وهل ثمّ (م) أجدرُ منها بهـذا اللقب؟
مشتْ بالسّفارة بين البلادِ   تخطّى الوهادَ وترقى الهضَب
فأُقسمُ ما قصّرَتْ في الأداءِ   وإن قصّرَ القومُ عما وَجب
متى يعرفُ الناسُ أن الفتى   ـ بلاأدب ـ دميةٌ من خشب؟
فمـا هوَ شعرٌ ونثرٌ ولكن   هو الرُّوح للجسم وهو العصَب
يُعِدُّ الشعوب بكلّ قواها   وتذهبُ شوكتهم إن ذَهبْ

(الاسكندرية)   محمود غنيم
مدرس بالمعلمين





دراسات فى الفن :

٣٨٨

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

— حقك اليوم أن أبجرك ... كتاب فى يدك ، وتقرأ فى الطريق ؟

— ليس هذا كتاباً ، وإنما هو دليل المعرض الدولى لفن التصوير الشمسى الذى تقيمه الآن جمعية محبى الفنون الجميلة ... هل لك أن تصحبينى إليه لعلنا نرى شيئاً جميلاً ؟

— يسرنى هذا ... هيا ... فهى فرصة قد أقتنع فيها بأن التصوير الشمسى فن .

— أو لم تقتنعى بذلك إلى اليوم ؟

— أحياناً أقتنع ، وأعود فى أغلب الأحايين فأشك ، وتجىء أحيان أنكر فيها إنكاراً .

— ما دمت تقتنعين أحياناً ، ولو قليلة ، فإن هذا يدل على أن التصوير الشمسى فن ؛ أما هذه الأحيان التى ينبعث فيها الشك من نفسك ، والتى ينبعث فيها الإنكار ، فالذنب فيها ليس ذنب التصوير الشمسى ، وإنما هو ذنب المصورين الشمسيين ، ولكى يتضح لك هذا عودى بالذاكرة إلى الصور التى أعجبتك ، وإلى الصور التى لم تعجبك ، وحاولى أن تلمسى الفروق بين هذه وتلك لترى أنها كانت إصابات من مصورين وإخفاقات من آخرين ... فبين المصورين من يطوف بآلته يلتقط الصور لكل ما يراه ، وهذا يشبه فى الشعراء الدكتور زكى أبا شادى الذى لا يستعصى شىء على شعره ، فهو يستطيع بقوة الله أن يقول الشعر فى الزهرة ، وفى السحابة ، وفى النملة ، وفى البلاطة ، وفى القمر ، وفى القلقاس وفى كأس الخمر ، وفى « كوز حمام » ، وفى الراقصة الرشيقة ، وفى « الترسة » المتثاقلة ، وفى الزمرد والياقوت وكلورور الصديوم وبيكربونات الصودا وهناك نوع آخر بين المصورين للواحد منهم محل يذهب إليه الناس ليصورهم بالأجر ، وأغلب هؤلاء يشبهون الكتاب العموميين الذين يكتبون للناس ما يريدون كتابته بالأجر أيضاً ، والذين يكتبون فيما يكتبون فرحاً وحزناً ، وبشرى وإنذاراً ، وحوادث وأخباراً من غير أن تهتز فى أنفسهم خلجة ولا عاطفة ، وأقلهم تطيب لهم بعض الوجوه فيخرجون لها أحسن الصور ... وفى الكتاب العموميين أيضاً من يفعل مثل هذا إذ تطيب له بعض الموضوعات فينطلق قلمه بأحسن ما يكتب ... وهناك نوع ثالث بين المصورين له اتجاه خاص ، فهو لا يصور كل شىء ، وإنما يصور ما يروقه فقط ، وهو لا يروقه كل شىء وإنما تنجذب نفسه إلى معان خاصة يرتاح لها ، ومن هذه المعانى ما قد يُسعد ومنها ما قد يغذى الألم فى نفس الفنان ويسقيه ، وهؤلاء المصورون يشبهون كل فنان من أولئك الذين يمتاز الواحد منهم بطابعه الخاص وبلونه النفسانى ... وفى هؤلاء المصورين جميعاً الصادقون ، وفيهم الكاذبون ، وفيهم الهادئون ، وفيهم المتكلفون وفيهم الجادون ، وفيهم الساخرون ... وللتصوير الشمسى بعد ذلك عالم كما أنه لكل فن عالم ، وفى عالم التصوير الشمسى تجار يبيعون ويشترون ، وفيه سماسرة يروجون ، وفيه ناس طيبون يستهلكون ، وفيه أدعياء يتحككون بالفن ويقتنون الصور ، ويتأنقون فى صنع « براويزها » وهم أبعد ما يكونون عن الفن ، أبعد ما يكونون ...

— كأنى بك تريد أن تقول شيئاً فى نفسك ولكنك تمسكه

— وهل خليت شيئاً لم أقله ؟ إلا أنى معجب برئيس مجلس شيوخنا الذى يهتم كثيراً بالفنون الجميلة ، وبهذه الروح الطيبة التى يرعى بها الفن كل من المسيو مارسيل فنسينو رئيس البنك العقارى المصرى ، ورينيه قطاوى بك مدير شركة وادى كوم امبو ويوسف قطاوى باشا الوزير السابق ، والدكتور على باشا ابرهيم ،

وحافظ عفيفى باشا ، وسعادة محمد طاهر باشا رئيس لجنة الرياضة الأهلية ، وفؤاد أباظة باشا المدير العام للجمعية الزراعية الملكية والمسيو نوس مدير شركة السكر ، والمسيو ريشارد موصيرى الوكيل المفوض لبنك يوسف نسيم موصيرى (أولاده وشركاهم) ، وسائر أولئك النبلاء الذين يعطفون على الفن ... ليس فى نفسى إلا أن أنتهز هذه الفرصة لأشكر فيها هؤلاء الرجال الكبار باسم الفن . فهم من غير شك يضحون كثيراً من وقتهم الغالى ، والغالى حقاً فى سبيل التهذيب الروحى يرقون عن طريقه بأبناء هذه البلاد .

— هل تعرف أن هؤلاء لو اهتموا بالفنانين الذين تؤثر فنونهم فى الشعب تأثيراً قوياً لأجدوا على بلادهم خير جدوى . ولازدهر الأدب والتمثيل والموسيقى و ...

— الله حبب هؤلاء فى التصوير الشمسى ، وللفنون التى تتحدثين عنها قضاء آخر عند الله هو مقدّرُه ، فاشكرى الله على ما قُسم .. واسكتى الآن فقد وصلنا ...

***

— الله ... تعال هنا ... عند (٤١) إنها فتاة حلوة رائعة ، أليس كذلك ...

— من غير شك ... و (٢٨) أيضاً رائعة ... وأظنك ترين الفرق واضحاً بين هذه وتلك .. (٤١) فتاة مليحة أعجب بها مصورها « عزام جال » ، ولا ريب أنه شاب عذب القلب فيه كثير من أخلاق الصبيان ... و (٢٨) شاب فى أواخر الشباب أعجبت به مصورته « آسيا » ، وهى لا ريب فتاة عاتية ، فإذا كانت رجلاً متنكراً باسم مؤنث ، فهو رجل فيه رحمة وفيه حنان ولين ...

— وهل تعرف أنت « عزام جال » و « آسيا » وتعرف أخلاقهما ؟ ...

— لا يا روحى ... وإنما نفساهما فى هاتين الصورتين ... فالذى اختار هذا الوجه الصبوح الضحوك المنبسط الذى لا تجاعيد فيه ولا حزون تصوره هذه الصورة، لا بد أن يكون من عشاق الصباحة والضحك والانبساط والصراحة والوضوح ... وإلا فلماذا اختار هذا الوجه وصوره ؟ . . . أما « آسيا » فقد صورت هذا الشاب المتكسر الشباب الذى يطل الشقاء من إحدى عينيه ويطل الصبر من الأخرى ، فلا بد أن تكون من اللواتى يستهوبهن الشباب المولّى واللواتى يطربن إذا رأين فى عيون الناس صبراً وشقوة ، وهذا لا تحبه إلا نفس الأنثى العاتية . فإذا طرب له رجل فبالرحمة يطرب له ، وبالشفقة يستجيب إلى صبره، وبالتعزية يواسى شقاءه.

— ولم لا يكون الرجل قاسياً عاتياً هو أيضاً يحب أن يرى فى عيون الناس الصبر والشقاء

— هذا لا يكون إلا فى الرجال الجلادين ، وأنا لا أظن أن الذى صور هذه الصورة هو « عشماوى » متنكراً باسم آسيا .

— من يدرى ... تعال إلى (٣٨) هذه ... امرأة تنظر من النافذة مهتمة متلهفة ... صاحب هذه الصورة رومانى اسمه افرامسكو ويسميها « انتظار »

— ليت هذا المصور ذاد هذه المرأة عن النافذة قبل أن يلتقط هذه الصورة ... فقد كانت عندئذ تظهر صورة ساكنة لبيت ساكن ...

— ولكنه يخيل إلى أنه هو الذى دعاها لتقف فى النافذة هذه الوقفة ، ولتطل هذه الإطلالة ، ولتهتم هذا الاهتمام ، ولتتلهف هذه اللهفة ...

— وأنا يخيل إلىّ هذا أيضاً ، وهذا هو ما يفسد علىّ الاستمتاع بهذه الصورة ، ذلك أن هذه السيدة عند ما أرادت أن تلبى دعوة هذا المصور لبتها بإخلاص شديد جداً له هو ، فقد مطت نفسها فى النافذة مطة ثعبانية ، ثم نثرت فى وجهها من علامات الاهتمام ما لا يمكن أن يبدو على وجه إنسان إلا إذا كان يرقب موكب الملائكة يوم الحشر ، وتلهفت تلهفاً لا يمكن أن يتلهفه إنسان إلا إذا كان يرقب انشقاق السماء ليلة القدر حسبما يقولون ويروون.. ومع أنها أدت هذه النوازع هذا الأداء المكبر ، فإنها لم تستطع أن تخفى ما كان يجب عليها أن تخفيه وهو شعورها بأنها تعمل هذا كله كى يصورها الأستاذ أفرامسكو

— إذن فهذه صورة فاشلة ...

— يؤلمنى أن أقول هذا ... ولكنى أعتقد أن فى هذا تعزية

كبيرة للأستاذ أفرامسكو، فهو دليل صادق جداً على أن هذه الشابة مطاوعة له مخلصة لفكرته توده من صميم قلبها أن ينجح ... وهذا أمر من غير شك يرضيه ...

— من يدرى مرة أخرى ... فلربما كان يريد أفرامسكو أن تفوز صورته بإعجابك وإعجاب غيرك من النقاد، ولو كان ثمن هذا الفوز روح هذه التى تقول إنها مخلصة ... ألست تعرف أصحاب الفن وسخفهم ... من منهم جازى المخلصة إلا بكارثة ...

— هذا موضوع آخر لا أوافقك فيه على رأيك هذا على الرغم من أن بعض الظواهر قد تؤيده ... ولكن هذا ليس وقته ... تعالى ... سأختار أنا لك صورة ...

***

— تعالى، أنظرى إلى هذه ... (٣٨٨) ...

— إنتظر لأرى من صاحبها ... إنها من رسم سيدة اسمها مدام رايفون وهى من لندن، وقد سمت هذه الصورة « صورة » .. فقط ... وهى صاحبة (٣٨٩) أيضاً وقد سمتها « عيد » ...

— عظيم ... وهل تعجبك (٣٨٩) هذه ؟ فيها جمال حقاً ولكن (٣٨٨) أبدع، وهى من غير شك أبدع ما فى هذا المعرض ...

— ولكن لا يزال أمامنا جزء من المعرض لم نره لعل فيه ما هو أبدع من هذه الصورة

— قد يكون هناك ما يساويها . ولكن لا أعتقد أن هناك ما هو أبدع منها ... فقد قالت المصورة فى هذه الصورة كل مايمكن أن يقال .

— ولكنى أرى فى هذه الصورة تكلفاً كالذى رأيته أنت فى صورة التى تنظر من النافذة ...

— خسىء ما ترين ... أين هو التكلف ؟ ...

— الصورة صورة شاب لا شك فى أنه أوربى، ومع هذا فهو يلبس ملابس المماليك الأتراك أو الشركس، طربوش يونانى أو عثمانى كبير كطربوش تمثال إبراهيم باشا، وقميص من الحرير، وصديرى مفتوح، وحزام حرير يطل منه خنجر، و « سروال » ارتفع إلى مادون ركبتيه بقليل من أثر جلسته، فظهر جزءان من ساقيه ... ثم هذه « البلغة الفاسية » التى أظن أنه كان يجب أن يكون مكانها « مركوب » أحمر أو أخضر لتماشى هذه الملابس التى لم يكن أهلها يعرفون « البُلغ » وأخيراً هذه الجلسة نفسها على هذه القطعة المخروطة من الخشب التى لا طبيعة فيها ولا صناعة والتى لا تشبه جذع الشجرة، والتى ليس مثلها كرسى، والتى تكاد تكون صنعت خاصة لهذه الصورة ... أو هناك تكلف بعد هذا كله ؟

— هذا الذى تسمينه تكلفاً هو ما أسميه أنا إخراجاً ... فصاحبة هذه الصورة لها خيال تحبه حققته فيها بهذا الأسلوب الذى ترين . فاختارت هذا الفتى الذى فيه ملامح خيالها المحبوب والذى تتعسفين كثيراً إذ تؤكدين أنه أوربى، لأنه قد يكون كما تقولين وقد يكون شرقياً أيضاً، وهو كما ترين ممن يشهد الرجال لهم بالحلاوة والمندوبة، فمابالك بشهادة النساء؟ جبهة عريضة لم يغطها هذا الطربوش العميق الضخم وإن كان أخفى منها جزءاً وهى جبهة تدل عادة على الذكاء والذكاء محبوب، وعيناه دعجاوان تنبعث منهما نظرة مرتاحة متأنقة كأنما تنتقى وتختار، وأنفه دقيق منتظم جميل، تناسق بتناسق نفسه واعتدل باعتدال مزاجه، ووجنتاه بارزتان بروزاً خفيفاً ينفى عن وجهه تراكم اللحم وغلظ الجلد، وعن روحه ثقل الظل وجمود الحس، وفمه واسع ولكنه يبدو كالضيق لأنه مكون من ثلاثة مستقيمات : واحد منها متقدم والآخران منكسران عنه بزاويتين إلى الوراء فكل منهما فى جانب والفم الواسع ترينه دائماً للمغنين والمتحدثين ذوى اللباقة وحسن التأثير، كما أن له أذنين مرتفعتين غير صغيرتين تفتحتا للسمع والإصغاء وشفتاه لا هما رقيقتان قاسيتان ولا غليظتان بربريتان، وذقنه صغير طرى كذقون الأطفال الأصفياء، وأصابعه طويلة دقيقة خلقت للترفه والعبث وفى إحداها هذا الخاتم المرصع باللآلئ والياقوت استغراقاً منه فى جو النساء واصطناعاً منه لما تحبه النساء، وصدره قد انكشف عن القميص فبدا شعره كما بدا الشعر فى ساقيه، والشعر فى الرجل خشونة تنجذب إليها المرأة الناعمة ... وهذه الملابس

الشرقية التي تسخرين منها هي حلم من الأحلام يتردد في نفوس أهل الغرب ، كما يتردد في نفوس الشرقيين الأمل في مشاهدة باريس وفيينا وبوخارست ... وهذه القطعة من الخشب التي تعيبينها هي القاعدة التي أقامت المصورة عليها هذا الموضوع كله بما فيه من الفكرة والعاطفة والخيال بهذا الأسلوب الواضح المستقيم ، والذي لا أظن أن غيرها يشاركها فيه إلا من كان مثلها منساقاً في فنه إلى طبيعته وفطرته . وهذه هي المرتبة العليا من مراتب الفن

— وما رأيك في (٣٨٩) ؟

— هي غطاء لهذه الصورة الجريئة الحلوة ، فالسيدة رايفون لم تشأ أن تعرض (٣٨٨) وحدها لئلا يفهم أن لها اتجاهاً نفسانياً خاصاً فجاءت بهذا « العيد » كما تسميه ، وصورته فتاتين أسبانيتين بينهما شاب جميل المظهر حقاً ، ولكنه كالدمية البلهاء ، حتى إذا رأى الناس هذه الصورة رأوا فيها طهارة تجرى مع التقاليد والعرف والآداب العامة ، وتمحو أثر الصورة السابقة أو ما يمكن أن يكون لها من أثر ، ولعلها جعلت « العيد » تالياً لصورة هذا الفتى تجيء بعدها في الترتيب لهذا الغرض نفسه ، ولعلها أمسكت عن تسمية صورة الفتى بأي اسم من الأسماء تكتماً أيضاً ...

— وهل الفن عيب يتكتمه الناس ؟

— ليس فيه من عيب ، ولكن ناساً يخشون ما فيه من الحق وناساً يسيئون تفهم هذا الحق ، وناساً يتخذون الحق سلاحاً يقتلون به الفنانين في نظر الجمهور قتلاً باطلاً وبهتاناً . . . على أي حال ... إنك فتاة وتستطيعين على أن تشيعي قبلة الإعجاب إلى صاحبة (٣٨٨) . . .

عزيز أحمد فهمي



منهجى فى هذا الباب

للأستاذ محمود محمد شاكر

عهد إلىَّ الأستاذ « الزيات » أن أتولى تحرير هذا الباب من « الرسالة » ، فأجبت إرادته بالتسليم ، وأما أجد المعانى فى نفسى حائرة لا تكاد تقر ؛ فقد لحقتنى إرادته والحياة من حولى تفتِّرنى حتى ما أحس من فورتها إلا القليل ، والنفس منبوذة على حدود النشاط فى كسلٍ مجدب بالقحط والظمأ لا يهتدى إليه رِىٌّ ولا شِبَع . وإذا كانت النفس كذلك لم يأت خيرها إلا من طول الإحساس بالحرمان والألم ، فهى تريد أن تتكلم من نوازعها بألفاظ ثائرة ضائعة حائرة كأنما تبحث عن نفسها فى معانيها . . . ثم لا تتكلم ، وهى على ذلك لا تطيق التأمل فى المادة التى تعرض لها إلا بمقدار من الرغبة فى البحث عن نفسها فى سر نفسٍ غيرها لتجد عند ذلك أسباباً تهتاج بها وتضطرب . وإذا لم تجد النفس لذتها المؤلمة إلا فى انتزاع الآلام المحرقة مما ترى وتسمع وتتخيل ، فكيف تعيش أفكارها إلا فى دخانٍ من الأحزان الصامتة صمتَ الفكرة المختنقة التى لا تجد أنفاسها ولا جوَّ أنفاسها . هكذا أجدُنى

وهذه النفس المنبوذة بما جنت وبالذى لم تجن من شىء ، هى النفس التى أريد أن أتولى بها النظر فيما يعرض لى من شؤون الأدب فى أسبوع من أسابيع « مصر » ، ولقد تشا كلا ووقع حافرٌ على حافر فى حَلْبة مغلقة . فنفسى الآن هى نفسى التى لا أكاد أجمعها وألم أشتاتها إلا قليلاً ، وما هو إلا أن أراها مبعثرة تَنفِرُ منى أوابدها فى كل وجه ، وأقف أنا أتلفَّت . . . أنظرها وهى تغيب فى ظلام الأحزان ، وتترك عندى أطيافاً من الذكرى تطوف فى تأملاتى مرسلة من مزاميرها وناياتها أنغاماً حزينة مهجورة متفجِّعة كأنما تقول : هذا مكان كان أهله ثم بادوا . وهكذا أيضاً أَجِدنى

فى بعض الإنجيل هذه الكلمة : « من وجد نفسه أضاعها ، ومن أضاع نفسه من أجلى وجدها » ؛ أفيكون معنى ذلك أن النفس الإنسانية لا توجد باقية أبداً إلا وهى مستهلكة ، وأن الأشياء الشريفة التى تُهلك هى بعينها التى تُحيِى ، وأنه لا معنى للشيء الحىّ إلا أن يجتمع فيه معنى الأشياء الشريفة الموت والحياة معاً ؛ وأن استغراق النفس واستهلاكها فى الأحزان النبيلة وتعذيبها بها هو استحياؤها وتنميمها ، وأن العمل المهلك والفكر المهلك هما العمل الإنسانىُّ الجليل الذى خُلِقَتْ من أجله الحياة على الأرض ! وعلى ذلك لا تكون النفس حيَّة أبداً إلا وهى سائرة بالحياة فى مَسْبَعَةٍ من الموت، يتخطفها كل شيء حتى الأسباب التى يستوجب بها الحىّ صفة الحياة ! إذن ما أعجب الحياة

* * *

وإذن فقد فرَّت منى المعانى التى أحمل نفسى الآن على علاجها ، واستجهلتنى الآلام فى عواصفها حتى ذهبت هذا المذهب المزن من القول لأقدِّم به الكلام فى هذا الباب الذى عقده « الزيات » للأدب ، ومع ذلك فإنى لأرى الصلة التى تصل أصل هذا الباب بالأصل الذى فى نفسى ، فإن تتبع « الظواهر الأدبية » ينبغى أن توفر له أسباب الاستقرار النفسىّ حتى يستطيع الكاتب أن يجمع إليه المعانى ويضرب عليها الحصار حتى يفندها أو ينقدها أو يحصيها أو يبين عن غامضها أو يكشفَ أستارها أو يقدم لها بالنظر والفكر والتوهم — ما يوجب بعض النتائج التي تفضى به الآراء إليها ، وبذلك يمكنه أن يوجد للأدب ميداناً تستعرض فيه أعماله التى يدأب الأدباء والكتاب والشعراء وأصحاب الرأى فى صنعها وتجويدها . فإذا تناول هذا الأمر بالنفس التى لا تستقر ولا تهدأ كان عمله أقرب إلى الثورة — أى إلى الفوضى — من حيث يريد أن ينظم ، ومع ذلك فإن الخير كل الخير أن نحاول الحياة كما تحاولنا بالاقتسار والعنف ، وأن نقبل عليها وهى مدبرة بالبرهان على إمكان احتمالها جافية كانت أو ناعمة ، ومؤلمة كانت أو مريحة ، ومنصفة كانت أو باغية ، وأن نأخذها من حيث نرى الرأى أنه هو أجدى وأنفع ، وأيضاً فإن المصدر الحىّ للأدب إنما هو النفس ، فهو يصدر عنها موسوماً بسمتها ، إمّا مستقرة هادئة مفكرة فى جوّ من الراحة ، وإما ثائرة لمّاحة

متخطفة فى مسبح الأحلام والآلام والأمانىّ المذبة بالحرمان ، فليس إذن من المنكر أن ينصب امرؤ لا تهدأ نفسه لمثل هذا الباب الذى وصفناه وأن يتناول هذا الأدب بما يتداوله من الإحساس المشبوب والنظر الخاطف والرأى المنيف أوأى ذلك كان

وأحب أن أعهد قبل أن أتكلم ، فإنى رأيت الأدباء قد أكل بعضهم بعضاً بألسنة كظهر البرد ، وتشاحنوا بينهم للكلمة التى لا ترفع ولا تضع ، وتنابذوا على الأهواء الغالبة المستكلبة ، ومن كان ذلك هِجِّيراهُ ودأبهُ ، فهو عند النقد أو الاعتراض كالوَحْش المجوّع الغرثانِ قد أُجْهِضَ عن أشلاء فريسته ، يكاد ينْقَدّ عليه إهابُه من الغيظ والحقد والرغبة فى الإيقاع بمن يصرفه عن أحلام مَعِدته . وهذا أسوأ الخلق وأبعده عن صريح نهج الأدب ، وأقله غناء فى تهذيب الأديب ، وما أظن أن فى الدنيا العاقلة أديباً تخيّل له أوهام «العبقرية» الطائفة به أنه قد سبق السهو والخطأ وبقى النقد والنقاد لَثَقَ وراءه يتلوذون بظلاله ـ فى طلب البركة ! ومع ذلك فإن بعض من عنّاهُ القدر فرمى به فى غيل الأدب العربى بتصيد ، ... يقتات من أوهام العبقرية حتى حبط بوهمه فى نفسه ، واستكرش ونفش بما أكل حتى تضلّع ، ثم استلقى على الأفياء يتخيّل أن الأدب كلّه قد وقف عليه من عند قدمه إلى رأسه يُهدهده حتى ينام فى ظلال الملك الهنىء . ومن كان هذا مثاله من الأدباء ، وعرضنا لبعض قوله بالنقد ، فلا يتخيّلنّ أنّا نعنيه هو بذاته ـ فهو موفور الأحلام على نفسه إن شاء الله ـ وإنما نعرض للقول على أنه كلام مقول يقع فيه السهو والخطأ ، وتتعاوره الصحة كما يتعاوره السُّقم ، وأنه كلامٌ مصبوبٌ على الناس وعلى أسماعهم وأذهانهم ، فنحن بنقدنا كلامه ، إياهم نريد ، وإياهم نخاطب ، وعسى بعدُ أن يكون له فى هداة من نفسه رأىٌ يتابعنا به إن أصبنا أو يسدّدنا ببيانه إن أخطأنا ، وما نألو فى الاجتهاد ، ولكن ربما حُرم الإنسان التوفيق فيما يأتى وما يذر

هذه واحدة فيما نبدأ به ؛ أما ما يقع بين الأدباء من المجادلات والمنافرات ، فخفها من هذا الباب التسجيل ، فإن بقى لنا فى القول مقال نقوله ـ نتعقب به الأصل الذى يقع عليه الاختلاف والتنافر ـ لم نقصّر فى تحقيق البيان وتحريره ، متعاونين فى جعل الحقيقة أسرع إلى إثبات وجودها والدلالة على نفسها حتى تتجلى

وأما الشعر والشعراء وما يلوذ بهما ، فأنا حين أغمض عينى لأجمع علىّ خيالى ورأيى وفكرى ، أنتهى إلى مثل الغيبوبة من الحسرة واللهفة والألم . فقد فرغ الشعر من بيانه ومعانيه ومعارضه الفاتنة ، ووقع إلينا أوزاناً تتخلّج بما يحملُ تخلّج المجنون فى الأرض الوحلة ، وما أظنه يعتصم فى هذه الأيام إلا بشاعرين أو ثلاثة ، ولكل منهم مذهب ، وكل قد قذفت به الحياة فى مهنتها وابتذالها حتى صار أكثر فراغه مستهلكاً على صناعة أو وظيفة تطعمه العيش وتحرمه لذته ، ومع ذلك فهم يقولون ويتكلمون والسامعون ينصرفون عنهم لسوء رأيهم فى الشعر الحاضر أول ، ثم لكثرة ما يسمعون من كلام لا يحرك عاطفة لأنه لا يصدر عن عاطفة ، ومازال ذلك يتوالى عليهم ، حتى إنهم لا يكادون يعرفون الشعر إلا هكذا ثقيلاً غثًّا بارداً ، فكيف لا ينصرفون عنه ، ومن ذا الذى يرضى أن يحمل نفسه إلى « ثلاجة » وهو يُعدّ فى العقلاء . فكذلك ضاع شعر هؤلاء الثلاثة فى غثاثة الكثرة ، ثم فترت أنفسهم ولا تزال تفتر ـ إلا أن يشاء الله ـ لما يجدون من غفلة السامعين عنهم ، وليس كلهم يستطيع أن يقول كما قال صاحبهم الأول :

لم يَبْقَ من جُلّ هذا الناس باقيةٌ
ينالها الفَهْمُ إلا هذه الصُّوَرُ
أهزّ بالشعر أقواماً ذوى وَسَنٍ
فى الجهل، لو ضُربوا بالسيف ما شعروا
علىّ نحتُ القوافى من مَقاطعها
وما علىّ لَهُم أن تفهم البَقَرُ

وكذلك نخشى أن يأتى على الناس زمان يضيع فيه الشعر الجيد أو يرفع حتى من صدور هؤلاء الثلاثة . ولست أدرى الآن كيف يُتاح لى أن أنهج مع الشعر والشعراء نهجاً يكون رضىً ومَقنعاً وباعثاً على تجويد الأساليب والمعانى حتى ينقذ الشعراء فهم من الضياع ؟ فلندع هذا إلى حينه ، وإلى رأى الشعراء فى « مطالبهم » ، فقد صار لكل أصحاب صناعة مطالب وحقوق ـ حتى النساء ، فكيف لا يعرف الشعراء مطالبهم وحقوقهم وهم أرهف إحساساً وأنبل مقصداً وأبين بياناً ؟ !

وأما الكتب التى تصدر فى خلال الأسبوع أو قبله بكثير أو قليل فسننهج لها نهجاً مخالفاً لمنهج العرض الكامل أو النقد الشامل ، فإن هذا أحق به باب « الكتب » و « النقد » ،

وإنما نعرض لها من حيث يتوجه لنا الرأى فى غرض الكتاب الذى يرى إليه ، وأين يقع منه . وربّ كلمة واحدة فى صدر كتاب أو ذيله ، لم يعرضْ لها الكاتب إلا شارداً أو كالشارد ، ثم تكون هى تربُو بمعانيها على الكتاب كله وعلى أغراضه أيضاً ، فربما وقفنا عند هذه وقفةً تجيش لها النفس من نواحيها ، فنحتفل لها أشد احتفال وأعظمه لتكون كالعَلَم على المعانى النبيلة التى تضيع فى خرائب الكتب

وبقيت كلمة ... ، فقد أحسن « الزيات » إذ تنبّه إلى هذا الباب — الآن — من أبواب مجلته وقد أغفله كل هذه السنين . فإن الحرب والثورة وما فى معناهما هى اضطراب عنيف يهز أعصاب الحياة ويقضقض أوصالها ، فلا جَرَمَ إذن أن تدور الرؤوس وعقولها دورات كثيرة حول نفسها ، فتختلّ الأوزان والمقاييس فى كل شىء ، وأن تبدأ الحياة بعد الحروب بدءاً جديداً ؛ ويكون الناس إذ ذاك كالناشر من باطن الأرض وقد خرج من أكفانه ليرى ظاهرها كل شىء غريب وغير مفهوم ، ومع ذلك فهو جديد لذيذ لا يُمل وإن كان كله خطأ وفساداً واستحالة وسبباً من أسباب الفناء ؛ وكذلك يكون الأدب والأدباء بعدَ الحرب ، كما أخرجت الحرب الماضية ثم الثورة المصرية سنة ١٩١٩ جيلاً من الأدباء استفحل أمرهم وذاع صيتهم وضربوا فى الأدب بأسهم مفلولة محطمة ، ومع ذلك ...

فهذا الباب فى هذه الأيام إلى ما بعد الحرب — يصوّر بعون الله وتوفيقه وهدايته الطريقَ الذى كان عليه الأدب إلى اليوم ، ثم أين انتهى وكيف ؟ ثم غيب ذلك كله موقوف على نوع الحرب وأساليبها وما تُبدع من فنون الشر ، وما تثير من طبائع الإنسان — من أنثى وذكر — ، وما تَحفِزُ أو تُبيرُ من أحلام الإنسانية المتحدرة من أطباق الماضى البعيد مع الإنسان الوارث الحىّ على هذه الأرض

محمود محمد شاكر



عام جديد

للدكتور محمد محمود غالى

قدمنا إلى القراء فى مستهل العام الماضى العلامة الدكتور محمد محمود غالى . ويجب هنينا فى مستهل هـذا العام أن نشكر له باسم القراء فى جميع الأنحاء جهده الموفق فى وصف الصورة التى يعرفها العلماء اليوم عن الكون ، وما وصلت إليه الآراء الفلسفية فيه ، وما بلغه العلم التجريبي من تقدم . وقد تابع العلماء والأدباء والطلبة مقالاته الثلاثين فى تبسيط هذه الموضوعات المويصة بأسلوب سهل وعرض جميل وقريحة متمكنة. وسيتابعون هذا العام برنامجه الذى عرضه فى هذه المقالة مدفوعين بما غرسه فيهم من رغبة الاطلاع ولذة المعرفة .

يسمونه عاماً جديداً ، وليس للتسمية من معنى علمي سوى أن الأرض أتمت دورة كاملة فى دورانها حول الشمس ، شد كوكبنا النشيط فيه رحاله كعادته من نقطة معينة فى الفضاء وظل دائراً كعهدنا به إلى أن عاد إلى النقطة التى بدأ منها المسير ، واستأنف الكوكب مسيره من جديد فدخلنا فيما نصطلح على تسميته عاماً جديداً ، وهو اصطلاح له معناه عند الإنسان . ذلك أنه قد مر من العمر الذى يتطلع إليه كل كائن ـ جزء له شأنه ، فما الحياة إلا بضعة عقود مثل هذا الجزء الذى قد لا يعاود الكثيرين ممن جاوزوا العقد الرابع أمثال له كثيرة . أجل فهو جزء له خطره ومرحلة لها قيمتها من مراحل الأجل المحدود . وقد يتساءل كل امرئ عما قدم من عمل فى عامه المنصرم وما اعتزم أن يقوم به فى عامه الجديد

ولقد كانت غايتنا فى العام الماضى أن نقوم بدورنا فى تبسيط العلوم وفى تقريب الميراث العلمى للذين يريدون أن يتذوقوه . وكان ذلك لنا بمثابة مرحلة من مراحل الراحة بعد ما استلزمته السنوات التى قضيناها فى أعمال البحث من تعب متواصل فى الفكر وفترات طويلة فى العمل . وكان واجباً علينا أن نقوم بهذا النوع من التبسيط نحو القراء من المصريين وأهل الشرق بل نحو اللغة العربية ، ففى عالم الغرب مئات من المؤلفات فى هذه الموضوعات وأمثالها ، وقد قام بتأليفها لفيف من كبار العلماء والكتاب فى وقت خلت مكتباتنا من أمثالها من المؤلفات ، وفى هذه البلاد الغربية لم يتأخر علماء معروفون عن المضى فى كتابة المقالات العلمية فى المجلات الأسبوعية أو الشهرية يُقرّبون فيها للقراء أقصى ما بلغه العلم وأعظم ما وصلت إليه المعرفة . ويحضرني فى الذاكرة مقالات جان فابرى Jean Fabri القيمة التى نشرها فى مجلة « العالمين » La Revu de deux mondes ومقالات غيره من العلماء المعروفين فى مجلة « الشهر » Le moi التى تعتبر من أرق وأشهر المجلات العالمية فى الوقت الحاضر . بل لم يتردد آخرون فى القيام بتأليف الكتب المبسطة كالتى نراها للعالم الكبير لويس دى بروى وشقيقه الدوق موريس دى بروى (وقد أخرجا فى العام الماضى ثلاثة كتب من هذا النوع) وكالتى نطالعها للسير جين والعالم الفلكى أرثر أدنجتون ، وهم من مشاهير الإنجليز وممن خطوا كتباً رائعة فى باب تبسيط العلوم . وقد ظهر للأخير منهم هذا الشهر كتاب فى فلسفة العلوم الطبيعية لا زالت الحرب تمنع أن تصل إلينا نسخة منه ، نستمتع بها فيما نستمتع به من كتبه العديدة التى هى من أبدع ما جاء بها الكتاب فى عالم التأليف

ولقد أفسحت لنا الرسالة ، وهى التى تسجل مظاهر التجديد فى الآداب العربية، المجال للتأليف العلمى، وخصصت لذلك صحيفة معينة، وجعلت فى برنامجها رصد ظواهر التطور فى الحركة العلمية، وبدأنا استعراضنا فى العام الماضى بمقدمة استغرقت ثلاث مقالات ذكرنا فيها : لماذا نحاول تصور الكون وفق الآراء الحديثة ؟ وتناولنا بعد هذه المقدمة ثلاثة موضوعات رئيسية ، استغرق كل واحد منها سلسلة من المقالات المتتابعة .

الموضوع الأول تكلمنا فيه عن الحياة وهل هى وليدة المصادفة وشرحنا فيه شيئاً عن علاقة ذلك بالنظام الشمسى للمادة. والموضوع الثانى تكلمنا فيه عن الكون ، وبينا للقارئ كيف يكبر الكون فى مجموعه ، وكيف تبتعد جميع العوالم فيه بعضها عن بعض ،

وكيف استدل العلماء على ذلك من البحث التجريبي ، وكيف أثبت البحث النظرى صحة ما ذهبوا إليه . ولعل أظهر ما فى هذا النوع من الأبحاث ما ذكرناه للقارئ من وجود علاقة بين الكون فى مجموعه وبين أصغر ما فيه وهو الألكترون . والموضوع الثانى عالجنا فيه الأشعة الكونية ، وأردنا بذلك أن نطلع القارئ على أعجب ما نعرفه من الأشعة ، وهى الأشعة الخارقة التى تستطيع أن تخترق ما سمكه عشرة أمتار من الرصاص بينما لا تخترق أشعة الشمس غلافاً رقيقاً من الورق ، وشرحنا كيف يستدل العلماء على مرور جسيمات هذه الأشعة الخارقة بسماعها ، ويحصلون على صور مسارات هذه الدقائق المتناهية فى الصغر ، ووصفنا فى موضوع الأشعة الكونية الذى بلغ خمس مقالات غرفة ولسون المشهورة التى هى أقصى ما بلغه العلم التجريبي من العظمة والدقة ، ووجهنا القارئ بهذا إلى نواح حديثة فى العلم التجريبي تبين له منها مسائل جديدة وبحوث عظيمة الأثر ، فرأى القارئ مثلاً كيف ساعدت هذه الغرفة فى الكشف عن البوزيتون ، الذرة الموجبة للكهرباء ، وما تبع ذلك من فروض فى ماهية وكنه هذه الأشعة العجيبة التى تخترق أسقف منازلنا أينما وجدت وأجسامنا أينما تكون

والموضوع الثالث استغرقنا فى كتابته إثنى عشر مقالاً ولم ننته منه بعد، وقد تناولنا فيه حبيبات المادة والكهرباء والضوء فتكلمنا عن الجزىء ، وبيّنا أن حركة الجزيئات سبب العمليات الحرارية ، وشرحنا فلسفة ليبنز Leibnez وفكرته فى إرجاع الحرارة والحركة إلى أصل واحد ، وشرحنا المبدأ الثانى للترموديناميكا ، وذكرنا تفسير بولتزمان Boltzmann لهذا المبدأ الثانى فشرحنا كيف تحتم قوانين المصادفة على الجسم المرتفع الحرارة أن يعمل على تسخين الجسم المنخفض الحرارة، ولماذا لا يكون العكس صحيحاً ؟ وخرجنا من ذلك بذكر عقيدة العلماء فى الطريقة المحزنة التى ينتهى بها الكون ، وهى عقيدة لم نوافق عليها . ولم نستند حتى الآن فى عدم موافقتنا هذه إلى أسباب علمية ، بل اعتقدنا تعذر قبول الامتداد فى الظواهر Ixtrapolation ، وقنعنا بصعوبة الحكم على مستقبل الزمن ، وكانت الحياة وما تبعث فينا من دهشة ، واختلافها عن كل ما نعرفه من الظواهر ، سبباً عندنا لمخالفة العلماء الحراريين فيما ذهبوا إليه ، وانتقلنا من الكلام عن الجزىء إلى الكلام عن الذرة ، فذكرنا عمل أفوجادرو ونجاح ماندليف ، وبينا وجه الشبه بين عمل الأخير فى الكشف عن العناصر ، وعمل Leverrier فى الكشف عن الكواكب الجديدة ، التى لم تكن معروفة لسكان الأرض ، وانتقلنا بعد ذلك من الذرة إلى الألكترون فتكلمنا عن الكهرباء وذكرنا أنها كالمادة ظاهرة ذرية ، وتحدثنا عن الشقيقين ، الألكترون والبوزيتون ، أو السالب والموجب ، وأتينا على تجارب مليكان R. A. millikan الخالدة التى استطاع بها أن يفصل جسيماً حاملاً لألكترون حر واحد ، وبينا كيف تحدث الأرقام إلى هـذا العالم ، وكيف أنه ، من عملية حسابية بسيطة هى عملية القاسم المشترك الأعظم استنتج وحدة الكهرباء وقاس شحنة الألكترون وتوصل بعد ذلك لمعرفة وحدة من أهم وحدات الوجود . هذا ما استعرضناه فى عام ، وما انتهينا إليه فى مقالاتنا السابقة التى أرجو أن يكون قد أفاد منها عدد كبير من القراء الذين أردت أن أوفر عليهم عناء كبيراً فى مطالعة موضوعات باتت من أصعب المسائل العلمية وباتت رموزها لغير المختصين فى هذه العلوم كالحروف الهيرغليفية لمن لم يدرسها

* * *

وجب علينا بعد ذلك، وقد بدأ عام جديد، أن نتم هذا الموضوع الأخير الذى تعرضنا فيه لحبيبات المادة والضوء والكهرباء ، فننتهى من قصة الألكترون الرائعة ونذكر عمل جان بيران Jean Perrin ونتكلم عن حبيبات الكون الأخرى : كالفوتون والنيترون والديترون ، وغيرها من المكونات الأولى للخليقة ، التى تلعب على مسرح الوجود دوراً هاماً ، والتى يجد الإنسان فى دراستها علاقات تساعده على فهم الكون وقصة الوجود . فإذا انتهينا من هذا تناولنا على الأثر ، وفى بدء هذا العام موضوعات رئيسية ثلاثة : نتم بها وصف الهيكل الرائع للكون وما يحدث فيه ، ونعالج فيها أقصى ما بلغه الإنسان المفكر فى المعرفة :

الموضوع الأول يخص فكرة النسبية La Relativité عند

ألبرت أينشتاين A. Einstein وهى الفكرة التى أدخلت تفكيراً عميقاً على معارف البشر . والموضوع الثانى يخص التفتت الذرى Desintegration وهو الموضوع الذى يصبو العلماء الآن فى تياره إلى الوصول إلى نوع جديد من المدنية ، يصبح الإنسان فيه أعظم سيادة فى استعمال الموارد الطبيعية ، وأعظم شأواً فى الاستمتاع بالحياة فى وجوه لا نعرفها نحن اليوم . والموضوع الثالث موضوع الكم Quanta وعلاقة ذلك بفكرة القضاء والقدر ، وهو موضوع يَعتبر العارفون اليوم أن لا غنى عنه فى دراسة الفلسفة الحديثة ، والتقرب من معرفة قوانين الكون . ونرجو ألا يفوتنا أن نذكر للقارئ شيئاً عن الموجية ومؤسسها دى بروى وشيئاً عن تيارات التفكير الحديث ، وأن نختم موضوعنا بكلمة عن الإنسان القادم والآمال المعقودة عليه . بذلك نكون قد تناولنا سلسلة من الموضوعات المتصل بعضها ببعض ، يستطيع القارئ عند مطالعة إحداها أن يعرف شيئاً عن أحدث ما نعرفه فى التفكير، وعند متابعتها أن يقف على صورة هى أقرب الصور لحقيقة الكون والوجود

ولو أننا أردنا أن نتناول الموضوعات الثلاثة المتقدمة بالعناية والدرس لأمكن أن يستغرق كل منها عاماً أو ما يزيد ، ولكننا ونحن نتوجه بكتاباتنا أيضاً لغير المختصين فى العلوم ، ولأولئك الذين يعنون ألا تظل العلوم الحديثة غريبة عنهم ، نكتفى ببضع مقالات بحيث نستطيع بعد مضى ثلاثة أو أربعة شهور من العام الجديد أن ننتهى من هذه الموضوعات العلمية والدراسة الفلسفية ونبدأ عرضاً من نوع جديد

وغرضنا فى هذا العرض الجديد أن يقف القارئ على معرفة بعض الاختراعات التى يقابلها فى حياته اليومية ويستعملها فى كثير من شئونه ، ويشعر إزاءها بشىء من الإعجاب . من هذه الاختراعات الراديو ونقل الصور الفوتوغرافية باللاسلكى، كذلك « التليفزيون » أى الرؤية من بعيد

على أن بعض هذه الموضوعات تتصل بعلماء ومخترعين ساقنى الحظ للعمل معهم أو التعرف إليهم . أذكر على سبيل المثل بيلان Belin مخترع البلانوجرام، وهو الجهاز المعروف باسمه الذى يستعمل لنقل الصور الفوتوغرافية باللاسلكى ، وهو الذى ترك لى بعض هذه الصور المنقولة بهذه الطريقة ، والتى تمت فى بدء نجاحه ، وأذكر روبير بيروه مكتشف « البالون الكاشف » الذى منحنى كثيراً من الصور الخاصة باختراعاته ، والتى لا يصح أن تكون ملكا لى ، بل يجب أن يستمتع بها كل قراء العربية .

ولعلى بهذا وذاك أكون قد وصلت مع القارئ إلى أحد أغراضى فى أن يتتبع أحدث ما نعرفه فى العلم ويقف على أعجب ما نعلمه من الاختراع ، ويكون قد تعود ذهنه على تتبع مسائل تعد فى الواقع من باب الموضوعات الصعبة ، إلا أنها موضوعات أصبحت لازمة لإتمام حلقة المعرفة .

محمد محمود غالى
دكتوراه الدولة فى العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية. ليسانس العلوم الحرة. دبلوم المهندسخانة



سيدنا ...

للأستاذ محمد سعيد العريان

كنا فى مجلسنا من شرفة النادى حين لمحنا صديقنا الأستاذ ع مفتش التعليم الأولى قادماً من بعيد ، يتوكأ على عصاه وهو يميل يمنة ويسرة ، ويطول فى مشيته ويتقاصر ؛ إذ كان فى رجله عَرَج قديم من التواء فى إحدى قدميه ؛ فلما بلغ حيث كنا جالسين ، ألقى إلينا التحية ثم اتخذ له مقعداً على مقربة

ومضينا فيما كنا من الحديث ، نتسرّح من فن إلى فن ، وشئون الحديث تتداعى معنًى إلى معنى وحادثة إلى حادثة . وقال واحد من السامرين : « رحم الله سيدنا ... ... ! » فلم يكد يتم عبارته حتى اعتدل المفتش فى مجلسه واختلجت شفتاه فى تأثر وانفعال ، ثم اهتبل الحديثَ يقول :

« سيدنا ! ... رحمه الله وغفر له ! »

وتوجهنا بأبصارنا إلى الأستاذ ع ، وقد أدركنا من حاله أن خاطراً من ذكرياته قد ألمّ به الساعة ، وأن شيئاً ذا بال فى كلمة « سيدنا » قد أيقظ نفسه وهاج عاطفته ، فرغبنا إليه فى أن يقص قصته ؛ فمضى يقول :

***

كان سيدنا الشيخ عبد الجليل له فى القرية مكان واحترام ، لا يبلغ منزلته أحدٌ من أهل القرية جميعاً . ولا عجب ، فهو شيخ القرية وعالمها ومعلم بنيها ؛ يستفتونه فى أمر دينهم ، ويستشيرونه فى شئون دنياهم ، وما منهم أحد إلا له عليه يد ، ولا ذو حاجة إلا كانت حاجته عنده ، ولا ذات أمل إلا بلغت مأمولها برُقية من رُقَى الشيخ أو تعويذة من تعاويذه.

وكان له « كتّاب » يختلف إليه طائفة غير قليلة من صبيان القرية يحفظون القرآن ويتعلّمون القراءة والكتابة ، ويقصد إليه ذوو الحاجات يطلبون مشورته أو يلتمسون بركاته

وكنت - ككل فتى فى القرية - أسمع باسم الشيخ وأضمر له فى نفسى من المحبة والاحترام مثل ما يضمر له الجميع ، وإن لم يتهيأ لى مرة أن أراه رأى العين . وذات صباح صحبنى والدى إلى مكتب الشيخ عبد الجليل ليكل إليه تعليمى . وكنت يومئذ فى التاسعة من عمرى وقد شدوت من العلم شيئاً فى مدرسة أولية بالمدينة حيث كنت أقيم عند خالى . ومضيت خلف أبى على طول الطريق لا أفكر إلا فى السعادة التى تنتظرنى ساعة أجلس بين يدى الشيخ المبارك أنظر إليه وأسمع عنه وأحفظ من علمه ...

ورأيت الشيخ يومئذ لأول مرة . لقد بدا لى أصغر سناً مما كنت أتصوره فى خيالى ؛ وأحسبه كان صغيراً حقاً ؛ فإنه على ذيوع صيتهُ وامتداد شهرته فى القرية ، لم يكن قد جاوز الأربعين بعد . عرفت ذلك من لحيته السوداء وشاربه المحفوف . وكان فى وجهه ذبول وعليه مسحة من صور الزهاد ، أنبأتنى بذلك عيناه الناظرتان أبداً إلى تحت ؛ ولكنه على ما كان يبدو فى وجهه وفى عينيه من التواضع والانكسار ، لم يكد يرى أبى مقبلاً عليه بالتحية ، حتى مدَّ له يمناه ؛ فطأطأ أبى رأسه ومال على يده فقبلها ! حينئذ لم أملك إلا أن أفعل مثله ، أنا الذى لم يقبل يداً قط ، حتى يدى أبيه وأمه !

ومنذ ذلك اليوم ، صرت تلميذاً من تلاميذ سيدنا الشيخ عبد الجليل . على أنى لم أجد فى نفسى لذلك من السعادة ما كنت أتوقع ؛ فما هى إلا ساعة أو ساعات فى مكتب سيدنا ، حتى ضاقت نفسى وأحسست مثل إحساس السجين يحاول أن يفر من حراسه !

كان الشيخ جالساً فى صدر المكان على فروة قديمة ناحلة ، وظهره مسند إلى وسادة حائلة اللون ، وبين يديه قميص يرقعه ، وعن يمينه دلوٌ فيها جدائل من خوص أخضر ؛ وتحت رجليه عصا غليظة يبدو طرفاها من تحت الفروة التى يفترشها ؛ وأمامه صبيٌّ من صبيان المكتب متربع فى مثل جلسة المبود « بوذا » وهو يهتز بين يديه فى حركة رتيبة ؛ ويقرأ شيئاً من غيب صدره فى نغمة واحدة ليس لها لون ولا فيها معنى ؛ وسيدنا مكبٌّ على عمله يرقع قيصه وهو يستمع إلى الصبى ، لا يزيد على أن يرفع عينيه إليه بين لحظة وأخرى . وفى المكتب عشرات من مثل

هذا الصبى ، قد تربعوا أفراداً وأزواجاً على حصير كبير يغطى أرض الغرفة جميعاً ، وبين أيديهم كتب وألواح يقرءون مما فيها حيناً ، ويتبادلون الحديث من ورائها فى نظرات صامتة حيناً آخر ؛ والشيخ يخيط أو يجدل ضفائر الخوص ، والصبى بين يديه يقرأ ...

وكنت غارقاً فى تأملاتى لا أكلم أحداً ولا يكلمنى أحد ، لا لحظةَ عين ولا بنتَ شفة ، حين دوى صوت سيدنا غاضباً يتوعد ... ومال على فخذ الصبى أمامه يقرصه بغيظ والصبى يتلوى من الألم لا يكاد يُسمع صوته من خوف سيدنا !

وكان هذا أول الشر ؛ ثم نهض الفتى الذى كان بين يدى سيدنا وحل محله صبىٌّ آخر ؛ ومضت فترة قبل أن يدوى صوت الشيخ فى أذنى مرة ثانية وهو يميل على فخذ الغلام يقرصه . ولم يحتمل الفتى من الألم ما احتمل الصبى الذى سبقه ، فندّت من بين شفتيه صرخة ألم ! حينئذ هاجت هائجة الشيخ ، فوثب إليه « العريف » يعاونه على تأديب الصبى ؛ وفى أسرع من خفقة الطرف كان الصبى مجدولاً على الأرض معلقاً من رجليه فى خشبة غليظة يشدهما إليها حبل مفتول ، والشيخ يهوى على رجلى الغلام بالعصا فى قسوة وعنف ، وهو تحت رحمته يصرخ ويتلوّى ويعض على شفتيه من ألم الضرب !

أحسست قلبى فى تلك اللحظة يكاد يثب من موضعه فَرَقاً وخشية ، فوليت بصرى إلى الناحية الأخرى ، فإذا صبيان المكتب جميعاً منكبون على ألواحهم ودفاترهم فى خوف وفزع ، وقد زادت هزاتهم وتتابعت فى سرعة كأنما يحركهم محرك غير منظور . ولم ألبث أنا نفسى أن رأيتنى أهتز مثل هزاتهم وأحرك شفتىّ وليس بين لدىّ لوح ولا كتاب ، كأنما هى تميمة أقرؤها لترد عنى الشر الذى أخاف !

كانت هذه هى عقوبة كل صبى من صبيان المكتب لا يحفظ درسه ، سواء فى ذلك ابن العمدة وابن الأجير ؛ ومع ذلك لم يحاول صبى واحد أن يتمرد على سيدنا أو يشق عصا الطاعة أو يجرّب الإفلات من عقابه . وأنّى لهم ذلك وإن آباءهم وأمهاتهم جميعاً ليثقون بالشيخ ثقة عمياء ، فلا يتسمّحون لواحد من بنيهم أن يشكو أو يتألم مما نزل به ، مؤمنين بأن « عصا سيدنا من الجنة ! »

منذ تلك اللحظة ، تبدّلت صورة الشيخ فى نفسى فعاد أبغض شىء إلىّ ، حتى لو استطعت أن أنتقم منه لهؤلاء الصبيان وأفرّ بنفسى لفعلت . ومالى أخفى عنكم ؟ لقد طالما حاولت من بعدُ أن أسىء إلى سيدنا كلما أمكنتنى الفرصة ، فتارة أختلفه إلى الأقلام التى تعب فى بَرْيها ساعة من نهاره فأقصفها ، لا أدع قلماً منها له سنٌّ تصلح للكتابة ؛ وتارة أعابثه بسرقة علبة السعوط فأستبدل بما فيها تراباً وحصى ، وتارات أخرى ... وما كان سيدنا يعلم مَن يفعل ذلك ، وإن كان على يقين بأن صبيان المكتب جميعاً غرماؤه ... !

***

قضيت فى مكتب الشيخ عبد الجليل شهراً وبعض شهر ، لم ينلنى فيها عقاب من عقابه ، حتى جاء اليوم المشئوم !

كان علىَّ فى ذلك اليوم أن أحفظ جزءاً من القرآن الكريم فلم تهيأ لى الفرصة أن أفعل ؛ وحلّ ميعادى ، فجلست بين يدى سيدنا وأنا أرتجف خوفاً من عقابه ، فسألته المعذرة فى كلمات خافتة وصوت يرتعش ؛ وبدا لى كأن الشيخ قد قبل عذرى ، حين اكتفى بقرصة مؤلمة فى فخذى ، ونهضت من مجلسه وأنا لا أكاد أصدّق بالنجاة ، فقد كان أخوف ما أخافه أن يجدلنى على الأرض ويهوى على رجلىّ بعصاه !

ومضت ساعة قبل أن يحلّ ميعاد صبىٍّ من رفقائى كان عليه وحده تبعة تقصيرى فى درس اليوم ؛ إذ دعانى فى عصر اليوم الماضى لصحبته إلى الحقل لنصيد العصافير ؛ فما عدنا إلا وقد أرخى الليل سدوله فلم نتهيأ لدرس الغد ...

وجلس الفتى بين يدى سيدنا مضطرباً منتقع الوجه لا يكاد يبين ، ونظرت من خلف اللوح إلى سيدنا فإذا هو فى هيئة الغضب ، ثم لم يلبث أن سمعته يصيح بالصبى صيحة عرفت ماوراءها ، فأخذت أعالج خوفى بهزات سريعة كأنى أقرأ ، وأذنى إلى سيدنا ؛ وطرق مسمعى قوله : « وأين كنتما أمس ؟ تصيدان العصافير ... ؟ »

ونادى عريفه فأسرع بأدواته إليه ، وناداني ....

وقبل أن أرى صاحبى مجدولاً على الأرض ، معلقاً من رجليه فى الخشبة ، كانت رجلاى تسرعان بى إلى الباب . ووقف العريف فى وجهى ، فلم أجد أمامى إلا النافذة ؛ فاستجمعت قوتى ووثبت !

لم أدر بعد ذلك شيئاً مما كان إلا وأنا راقد فى فراشى ، ورجلى مشدودة إلى خشب بأربطة من نسيج أبيض ، وأمى إلى جانب رأسى تبكى فى صمت !

لقد أفلتُّ من عصا سيدنا ، ولكني دفعت ثمن ذلك غالياً ، فانكسرت رجلي ؛ ومن ذلك اليوم لا أمشي إلا مستنداً على عكاز!

***

وتأوه المفتش وهو يعبث فى الأرض بعصاه؛ وغرق السامرون فى صمت ؛ ثم عاد المفتش إلى حديثه :

لم يكن لى طبعاً أن أعود إلى كتّاب سيدنا بعد الذى كان ؛ فدخلت المدرسة الأولية فى المدينة ، وانقطعت صلتى بالشيخ وكتابه وعريفه وصبيانه ؛ ولكن ذكراه لم تفارقنى قط ، ذكرى مؤلمة مرة ؛ ومن أين لى أن أنسى وهذه رجلي وتلك عكازتى لا تفارقنى ؟

وثارت الحقد فى قلبي من يومئذ لسيدنا ، فما كان يخطر ببالى مرة إلا ثارت فى نفسى شياطين الشر ... !

وأتممت التعليم الابتدائى والثانوى ؛ وكنت أقضى الصيف من كل عام فى القرية ؛ فكان لا بد لى أن ألقى سيدنا أو تلميذاً من تلاميذه عابراً فى الطريق ، فأطأطئُ رأسى وأوفض فى السير خشية أن تنزو بى نازية من الشر فأهوى بعصاى على رأسه فأحطمه!

ترُى أكان ذلك شعورى وحدى ، أم هو شعور الكافة من تلاميذه الذين ذاقوا من قساوته وعنفه ما لا طاقة لأحد باحتماله ؟... ولكنى أكاد أعرف تلاميذه جميعاً . وهل فى القرية كلها رجل واحد لم يكن من تلاميذ سيدنا فى يوم ما ؟ وإنهم مع ذلك ليوقّرونه ويرفعون مكانه ؛ وإن منهم لرجالاً فى مناصب رفيعة ، وإن لى منهم لأصدقاء وزملاء !

وأتممت دراستى العالية ، لأكون فى أول عملى مدرساً فى مدرسة من مدارس البنات الابتدائية ، تتبعها روضة من رياض الأطفال ، تضم شتيتاً من الصبيان والبنات بين الخامسة والثامنة تعلّمهم وتهذبهم على نمط من التربية لم يكن معروفاً لعهدنا فى مثل هذه السن ...

وكنت أغدو وأروح كل يوم من عملى على هذه الروضة الضاحكة ، فيسرنى مرأى هؤلاء الأطفال الصغار فى ثيابهم المتشابهة ، بين بنين وبنات ، يلعبون ويمرحون فى بسيط من الأرض تحت رعاية معلمة عطوف ، لها قلب الأم وحرص المربية ، تأخذهم باللين والرفق فى التعليم والمعاملة ؛ وتشاركهم فى اللهو ، وتخاطرهم فى اللعب ؛ وتنفذ بكل أولئك إلى قلوبهم وعقولهم ؛ فتنشئهم نشأة رقيقة ، وتصقل وجدانهم وعواطفهم ، وتطبعهم من لدن نشأتهم على الخير والمحبة والسلام !

وعلى قدر ما كان يسرنى مرأى هؤلاء الأطفال ، كان يتولانى شعور بالأسف على أنى لست صبياً ... !

وكان أدنى هؤلاء الأطفال العزاز منزلة إلى قلبي ، هو الطفل « فؤاد » ، فإنى لأعرفه ويعرفنى ، وبينى وبين أبيه صلة من الود ؛ إذ كانت نشأتنا فى بيتين متجاورين من القرية التى فارقناها معاً منذ آثرنا أن نكون فى خدمة الحكومة ، وكان أبوه زميلى فى كتاب سيدنا ، ولكنه لم يفارقه حتى أتمّ القرآن !

وكان فؤاد يلقانى صباح كل يوم فيحيينى تحية طِفليّة رقيقة، ويود عنى فى العصر بمثلها ، فلا أزال من تحيته بين الصباح والمساء فى نشوة وطرب . وكثيراً ما كانت تحضرنى إلى جانب صورته - صورة أبيه فى صباه ، جالساً على الحصير من كتّاب سيدنا ، وبين يديه لوحه وكتابه ، وهو يهتز هزات متوالية ، ويدور بعينيه بين الصبيان يبادلهم الحديث غمزات ونظرات ... ...

***

واستمر المفتش فى حديثه يقول :

هل كان هذا الطفل ومثله معه من أطفال الروضة ، إلا لمنة حية تذكرنى ما كان من جناية سيدنا علىّ فى صباى وتؤرّث البغضاء فى قلبي !

... وتنقلت فى مدارس عدة ، حتى بلغت أن أكون مفتشاً . . وعلى أنى كنت أعلم ما يلقاه المفتشون من المشقة والجهد ، وما يتحملون من النصب حين تضطرهم تكاليف الوظيفة أن يبيتوا ليالى عدة بعيدين عن أسرهم وأولادهم متنقلين بين القرى والدساكر — فإنى كنت جدّ مغتبط بما أسند إلىّ من عمل ؛ لا زهواً بالمنصب ، ولا رغبة فى الجاه ؛ ولكنها كانت أمنية قديمة فى نفسى ، ليكون لى منها فرصة لتطهير القرى من مثل كتّاب سيدنا الشيخ عبد الجليل ...

أكان ذلك منى عن إخلاص فى العمل وحرص على مصلحة التعليم ، أم كان إيحاء من الواعية الباطنة التى تختزن الذكريات إلى إبانها ، تحاول أن تخدعنى به عن حقيقة الشعور الذى يضطرم فى نفسى بالحقد والبغضاء لسيدنا ؛ فتدفعنى إلى محاولة الثأر والانتقام وهى تسمى ذلك إخلاصاً فى العمل وحرصاً على مصلحة التعليم ... ؟

لست أدرى ، ولكن الذى كنت أوقنه يقيناً لا شبهة فيه ،

هو أننى كنت فرحاً بذلك ، طيب النفس به ؛ فما كان لى من بعدُ إلا أمنية واحـدة ، هى أن يكون كُتَّـاب سيدنا الشيخ عبد الجليل فى دائرة عملى !

ومضت سنوات قبل أن تتحقق لى هذه الأمنية !

... ورسمت خطتى وحددت نهجى ، ودنا اليوم الذى اخترته ميعاداً لزيارة الكتاب الذى دخلته أول يوم ترف على شفتى بسمة الرضا والسعادة، وفارقته يوم فارقته محمولاً على أكتاف الناس غائباً عن الوعى مما نالنى من خوف سيدنا ؛ ثم لم أمش بعدها إلا متوكئاً على عكاز! وصحبتنى أبالسة الشر يومين كاملين فى يقظتى وفى منامى قبل أن يحين موعد هذه الزيارة ؛ فما انتفعت فيهما بنفسى ولا انتفع أحد

وأشرق صبح اليوم الموعود ، فبكرت إلى ما عزمت عليه يصحبنى تابع يحمل حقيبتى ، ويصحبنى شيطانى !

وكان بينى وبين كتاب سيدنا خطوات معدودة حين صك مسمعى صراخ ! ودنا منى الصوت رويداً رويداً ، وسمعت الناعى ينعَى إلى أهل القرية سيدنا الشيخ عبد الجليل !

ما أعجب القدر !

وظللت فى القرية طول اليوم حتى أمشى فى جنازة سيدنا ... وما كان لى أن أفعل غير ذلك ... وأعظم الناس هذا الوفاء ، إذ حسبونى لم أقدم إلا لذاك ، بقدر ما صغرت نفسى فى عينى !

ومشت القرية كلها فى جنازة الشيخ ، لم يتخلف منهم أحد ، وشيعوه محزونين وعادوا يعدّدون مآثره لايذكره أحد منهم بشرّ!

وعدت إلى مكتبى فى المدينة مبكراً ، فلم ألق أحداً من الزملاء أحدّثه بحديثى ويحدثنى؛ وجلست وحدى أنشر الذكريات وأطويها، وفى نفسى ثورة تضطرم ، وفى رأسى غليان . لم يكن بى فى تلك اللحظة حقد على أحد ، لا ، ولا كانت لى أمنية أحرص عليها ؛ ولكنى إلى ذلك كنت فى حيرة من أمرى، أسائل نفسى: أكنتُ على حق فى حقدى على سيدنا وما أضمر له من البغضاء، وهل كان من السوء بحيث يحق لى أن أحمل له ما كنت أحمل من الكره والموجدة؟

لَكم كان لسيدنا على هذه القرية من الأيادى !... لقد كان قاسياً ، جباراً ، عنيفاً ؛ ولكنه مع ذلك كان رجلاً للناس لا لنفسه ؛ وما نالته فى يوم ظِنّة ولا تعلقت به تهمة ، فما يذكره أحد من القرية إلا بمعروف أدّاه أو جميل أسداه ، سواء فى ذلك أهل العلم من تلاميذه وأهل التوكُّل والاعتماد !

... فإنى لغارق فى خواطرى وذكرياتى ، إذ دخل إلىّ صديق من أصدقائى ينقل إلىّ النبأ الفاجع :

« فؤاد ابن صديقنا فلان ... لقد تعجّل آخرته فأزهق نفسه ؛ لأن أباه أغلظ له فى النصح أن يكون رجلاً ، ودعا حلاّقاً فقص له شعره ... وعزّ على الفتى ما فعل أبوه ، فأغلق عليه غرفته فأحرق نفسه... هذه هى التربية الناعمة التى نحاول بها تنشئة الجيل الجديد ليحمل تبعات الغد ...! »

فؤاد ! واحزناه !

وحضرتنى فى تلك اللحظة صورة فؤاد الطفل الضاحك يلقانى كل يوم بالتحية فى غدوّى ورواحى على روضة الأطفال ، ثم صورة فؤاد الصبى العابث يمزح مع أبيه فى مجلس أصحابه وينضح وجهه بالماء يوهمه أنه عطر ، ثم صورة فؤاد الفتى الخليع يمشى فى الشوارع يتثنى ويتخايل بزينته ، وعيناه إلى كل غادية ورائحة ؛ لا يعنيه من أمر شىء إلا ثيابه وزينته وشعره المرسل المصقول بالدهان والمعطور كما تصقله الفتاة الناعمة ؛ ثم صورة فؤاد الصريع مسجى فى أكفانه ، ومشيّع جنازته أولُ من يلعنه !

وسكت صديقى وسكت ، ولكن روح سيدنا الشيخ عبد الجليل ظلت تتحدث حديثها فى نفسى ... ...

ولأول مرة منذ بضع وثلاثين سنة ، شعرت بأن سيدنا كان هبة الله لهذه القرية التى أخلص لها الحب ووقف عليها جهده حتى قبضه الله إليه ؛ فهتفت فى تأثر :

« سيدنا ... ! رحمه الله وغفر له ! »

محمد سعيد العريان



هل يستطيع هتلر أن يغزو أمريكا

[من مجلة « كرانت هستري »]

لعل أهم ما يشغل عقول رجال السياسة فى أميركا اليوم هو هذا السؤال « إذا انتصر أدولف هتلر فى الحرب الأوربية الحاضرة فهل يكون انتصاره هـذا مهدداً للولايات المتحدة من الناحية الحربية ؟ » وعلى جواب هذا السؤال يكون رأينا فى دخول أميركا الحرب الحالية أو الوقوف بمنجاة منها . فإذا دخلنا الحرب فمن المشكوك فيه أن يبقى نظامنا الاقتصادى الحر على ما هو عليه اليوم ، وأن تبقى سياستنا الديمقراطية سليمة مع الدكتاتورية التى تفرضها ضرورات الحرب . لذلك أستطيع أن أقول إن احتمال مهاجمة هتلر لنا ، من المسائل التى نفكر فيها بروية واهتمام

فإذا كانت الضرورة تقضى علينا بأن نقف هتلر عند حده من الآن ، حتى يتيسر لنا أن نفوز فى الدفاع عن أنفسنا فى المستقبل، فمن واجبنا بلا شك أن نعلن عليه الحرب من الغد . ولا تستطيع سلطة حربية أيا كانت أن تقول غير ذلك ، ولكن هل يستطيع هتلر أن يغزو أمريكا ؟ الجواب « لا » بأوسع ما يحوى هـذه الكلمة من المعانى . فكل من له خبرة بالفنون الحربية والبحرية فى أمريكا يعد الادعاء بأن فى مقدور هتلر أن يهاجم شواطئنا ، باطلاً لا يستند إلى شىء من الحقيقة . فلننظر إلى الأسباب التى تدعو إلى ذلك

يجب أن نضع نصب أعيننا قبل كل شىء أنه لا توجد قوة تستطيع أن تهاجم شواطئنا الشرقية إلا إذا وضعت يدها على المحيط الأطلنطيق . فهل فى مقدور هتلر شىء من ذلك ؟ إن قوة هتلر البحرية معروفة وهى لا تزيد على ربع القوى التى لدينا الآن ، فإذا وقعت الحرب قريباً من ديارنا ، وكان على هتلر أن يحارب على مسافة ثلاثة آلاف ميل من دياره ، فإن هذه الميزة وحدها تعد بمثابة واحد إلى اثنين أو تزيد

وقد يقول بعض الناس إن هتلر إذا انتصر فمن المحتمل أن يستولى على الأسطول الإنكليزى فكيف نستطيع أن نقفه عند حده آنذاك ؟ إننى أستطيع أن أتحدث عن تجربة شخصية فى هذا الموضوع ، وأستطيع أن أؤكد أن الأسطول البريطانى لا يمكن أن يحاصر أو يقع فى أيد غير بريطانية . فإذا قدر لهذا الأسطول المظفر أن ينهزم ، فإن النتيجة لا تعدو أمراً من اثنين : إما أن يلجأ إلى شواطىء بعيدة يتحصن بها كشواطىء كندا ، ويجعلها قاعدة له، أو يغرق بيد بحارته فى أجواف المحيط كما تفعل قطع الأسطول الألمانى اليوم

إن نابليون لم يستطع أن يغزو أمريكا بعد انتصاراته العظيمة ، وهى بعد أمة ناشئة ، فهل يستطيع هتلر أن يهدد قوانا الحالية بعد هذه الحرب التى تنذره بالدمار ؟ إننى أعرف كثيراً عن الحرب ، وأعرف كثيراً مما لا يجوز ذكره الآن ، وأستطيع أن أؤكد أن أمريكا إذا احتفظت لنفسها بنظام حربى معقول ، فليس لقوة فى الأرض أن تهددها أو تتغلب على جيوشها فى يوم من الأيام.

من النبات نستمد كل شىء

[من « ديرلد ديجست »]

كم نوفر من المال وكم ندخر من الجهد ، إذا أتيح لنا يوماً ما أن نخرج إلى الغابات أو نتمشى فى الحدائق ، فنقتطف جواربنا من بعض النبات وسجائرنا من آخر، وأطعمتنا من نباتات أخر، ونتناول اللعب لأطفالنا من نبات غير هذا وذاك ! هذا حديث قد تبدو عليه سمة من الهزل ، أو قد يظهر شىء من الاستحالة فى إمكان وقوعه، ولكنه فى الحقيقة فى حكم المستطاع . ففى عالم النباتات وعالم الأشجار ما يمدنا بهذا جميعه ، بل وبأكثر منه إذا أردنا . فإذا تيسر أن يوجد فى مكان واحد كل ما نريد من هذه المواد ، كان لدينا منها (مخازن نباتية) عظيمة تمدنا بما نشاء مما يوفر لنا أسباب الراحة

فإذا ظمئت فى غابة من الغابات الاستوائية ، ولم تجد قطرة ماء تبل بها ظمأك ، أمكنك أن تروى غلتك بينبوع من ماء النباتات ، فإذا كنت تفضل اللبن على الماء فلديك شجرة البقرة ، وهى شجرة تشبه شجرة المطاط ، وتختلف عنه بعصيرها العذب ذى الطعم الشهى اللذيذ ، ويشبه طعم اللبن إلى حد كبير

فإذا احتجت إلى ملابس جديدة فلديك ما يكفيك مشقة

البحث عنها ، وما عليك إلا أن تمد يدك إلى شجرة (الدنتلا) وهى من أعجب أنواع الأشجار وأنفسها ، فتأخذ منها ما تريد . وتتكون أفنان هذه الشجرة من لفافات صغيرة ، أشبه بلفافات الورق، فإذا نشرت واحدة منها رأيتها كالصحيفة الرائعة البيضاء. أما جذع هـذه الشجرة وساقها والفروع الأكبر سمكا منها فتحتوى على الأقمشة القوية المتينة المحكمة النسج . وتستعمل القطع الرقيقة من هذه المادة غلائل وأغطية للسيدات ؛ أما القطع السميكة فيستعملون منها الملابس الثقيلة والسجاد وما إلى ذلك؛ وهى من القوة والمتانة بحيث تصلح لعمل الحبال والسياط

ونستطيع أن نستمد من الأشجار قبعات جميلة معدة للاستعمال وليس علينا إذا أردنا ذلك إلا أن نتسلق شجرة من شجرات البندق ، لنجد فى أعاليها طلبتنا من القبعات الناعمة الجميلة المحلاة بالأزهار المعدة للرؤوس

وإذا كان من السهل أن نجد فى مخازن النبات ما يصلح قبعات لرؤوسنا ، فأسهل منه أن نجد فيها أحذية لأقدامنا . فى غابات المنطقة الحارة أشجار سامقة مهجورة ، لا يعنى بها أحد وهى صالحة تماماً لعمل أحذية متينة منها . فجذوع هذه الأشجار قوية محكمة النسج من الداخل . فإذا أردنا أن نصنع حذاءنا فمن السهل أن نقطع منها ماينطبق القدم وننظفه وننقيه ونمده للاستعمال

وقد تظن أن هذا كل ما نستطيع أن نناله من مخازن النباتات أو أننا قد أحصينا كل ما يمكن استغلاله منها ، والحقيقة أننا نستطيع أن نستمد منها أشياء كثيرة لا يدركها الحصر

حتى أمواس الحلاقة تنمو على رءوس النباتات ، فهل تعرف أن بذور بعض الحشائش المتسلقة تصلح لإزالة اللحى ، فتجد فى كل منها سلاحين حادين لا يقلان عن أقوى أنواع الأسلحة التى تصنع من الصلب

حياة الطالب فى باريس

[ملخصة من « هت جورنال » ستوكهلم]

يقيم فى باريس ثلاثون ألف طالب من أبناء فرنسا ، وعشرة آلاف من الطلبة الأجانب ، ويقطن أكثر هؤلاء الطلاب فى الحى اللاتينى حيث يخلعون عليه طابعاً عالياً فريداً فى نوعه . والطالب الفرنسى يختلف عن أمثاله فى سائر الأمم . فهو مكلف بأن يعتمد على نفسه فى حياته الدراسية على الدوام ، وقل أن تمد له الحكومة يد المساعدة فى شأن من الشؤون ، فعليه إذن أن يعول نفسه مما يدخره هو وما تمده به عائلته من حين إلى حين . والطالب الفرنسى ثالث ثلاثة قيل إنهم يستطيعون أن يعيشوا على الزهيد من العيش الذى يجىء فى المرتبة بعد العدم أو اللاشىء وهم الفقير الهندى والعامل الصينى والطالب الفرنسى

فإذا ما دفع الطالب نفقات المدرسة ، وثمن الكتب المطلوبة منه للدراسة لم يتبق معه لطالب المعيشة إلا النذر القليل . فيلجأ — وكذلك الغالبية العظمى من رفقائه — إلى تأجير غرفة فى الحى اللاتينى بمبلغ قد لا يتجاوز جنيهاً واحداً أو ثلاثين شلناً فى الشهر . ويقوم بنفسه على تحضير وجبة الصباح وعمل القهوة الفرنسية المعتادة أو القهوة الممزوجة بقليل من اللبن

ويقضى الوقت من الساعة التاسعة والنصف إلى الساعة الثانية عشرة فى سماع المحاضرات ، وعليه أن يتناول غداءه بعد ذلك من نقوده الخاصة . وينفق الطالب فى غدائه شلناً واحداً وثلاثة بنسات فى المطاعم المتوسطة . ولكن قليلاً من الطلبة الذين يستطيعون أن ينفقوا هذا المبلغ ، فيلجأ بعضهم إلى تناول بعض الخضروات أو اللحم البقرى فى مطعم صغير بما لا يتجاوز ستة بنسات ؛ ثم ينفق بنسين فى الفاكهة ونصف بنس فى قدح من القهوة بأحد مشارب الحى اللاتينى ، وعلى ذلك فالطالب يستطيع أن يتناول غداءه ويصرف بعض الوقت فى الراحة والتنزه بمبلغ لا يتجاوز ثمانية بنسات ونصف

ويعود الطلاب من الساعة الثانيـة إلى الساعة السادسة بعد الظهر إلى سماع المحاضرات ، فإذا انتهت هذه الفترة وانتهى معها النهار جاء وقت العشاء . ويتولى بعض الطلاب طهي الطعام بأيديهم ويذهب بعضهم إلى تناول عشائهم فى مطعم معتـدل الأسعار . ثم يأتى وقت السهر لاستذكار الدروس . فإذا تجولت فى شوارع الحى اللاتينى وأزقته الضيقة بعد منتصف الليل أبصرت الأضواء الشاحبة تنبعث من خلال النوافذ ، وقد تظل كذلك إلى الثلث الأخير من الليل

وفى مساء السبت يجد الطالب وقتاً للتسلية والمرح ، فيجتمع بإخوانه فى بعض المقاهى والمطاعم — إذ لا توجد نواد رسمية للطالب الفرنسى — فيستطيع أن يتناول معهم كوباً من النبيذ ويقضى بعض الوقت فى التحدث . فإذا أراد تسلية أكثر من ذلك ذهب إلى بعض صالات الرقص حيث يقضى ليـلة ساهرة بما لا يتجاوز شلنين .



شمال أفريقيا والعروبة

صديقي الأستاذ الزيات

قرأت الكلمة المنشورة في العدد ٣٣٦ من الرسالة الغراء بتوقيع « أبو الوفاء » وتحت عنوان « شمال أفريقيا والأستاذ الحصري » ، ووقعت في حيرة عميقة ، عند ما علمت بأن الكاتب قد ظن أنني لا أعتبر تونس ومراكش من البلاد العربية . . . في حين أنه لم يخامرني أدنى شك في عروبة تلك البلاد في وقت من الأوقات . . .

لقد نقل الكاتب من مقالي « بين الوحدة العربية والوحدة الإسلامية » بعض العبارات التي قد تفسح مجالاً لمثل هذا الظن غير أنه لو التفت إلى الأسطر التي تلت في مقالي تلك العبارات ، لوجد فيها ما ينفي ذلك الظن نفياً باتاً :

فقد قلت — بعد عشرة أسطر من العبارات التي نقلها الكاتب — ما يلي حرفياً :

« لا يمكن لأي عاقل كان أن يتصور حصول اتحاد بين القاهرة وبغداد وأنقرة وطهران وكابل ... الخ دون أن يحصل اتحاد بين القاهرة وبغداد ودمشق ومكة وتونس ... »

فأطمئن الكاتب بأنني لم أقل طول حياتي ولا لحظة واحدة : إن « شمال أفريقية التي تبتدئ من تونس وتنتهي بمراكش ليست بعربية »

بل على عكس ذلك ، قلت — في المحاضرة التي ألقيتها في بغداد ، على جمع غفير من الشبان — بعد عودتي من المغرب الأقصى : « إن مراكش أجمل البلاد العربية على الإطلاق » كما حاولت أن أصف مدينة مراكش وضواحيها بقولي : « إنها تجمع بين جبل لبنان وغوطة دمشق ونخيل بغداد ، وتخلط الأرز والنخل والزيتون بأجمل الصور وأبدع الأساليب »

هذا وأود أن أطلع الكاتب على الأمور التالية ، لإظهار مبلغ اهتمامنا ببلاد المغرب ، كجزء مهم من العالم العربي

ا — لقد أسسنا في القصر العباسي الكائن في قلعة بغداد معرضاً دائماً لصور الريازة (العمارة) العربية . وخصصنا غرفتين من غرفه لبلاد المغرب ، يرى الزائر فيهما صوراً شمسية مكبرة ، لأكثر من أربعين بناية عربية ، بينها القرويين والكتبية

ب — لقد أسسنا في الباب الأوسط من أبواب سور بغداد الباقي من العهد العباسي متحفاً للأسلحة ، عرضنا فيه أنواعاً كثيرة من الأسلحة العربية ، والقسم الأعظم من هذه الأسلحة يعود إلى مراكش وتونس ، وكنا اقتنيناها باسم دائرة الآثار القديمة خلال رحلتنا الأخيرة

ج — لقد خصصنا غرفة لـ « فنون المغرب الأقصى » ، في « متحف الآثار العربية » عرضنا فيها كمية من الأواني الخزفية والمصنوعات الجلدية كنا جمعناها خلال رحلتنا الأخيرة ، لزيادة معرفة الناس بتلك البلاد العربية

ولهذه الأسباب كلها ، قد تألمت من قراءة الكلمة التي تتهمني بإنكار عروبة أفريقية الشمالية . غير أن ألمي هذا ، قد انقلب إلى سرور عميق ، عند ما قرأت العبارات التي ختم بها الكاتب كلمته وهي : « أن النزعة القومية المتأصلة في دمائنا تضطرنا أحياناً إلى إصلاح غلط إخواننا العرب فينا » ...

إنني أقدر هذه النزعة القومية ، وأبجلها ، حتى عند ما تجور عليّ ، وتتهمني بما أنا براء منه ...

أبو خلدون

* * *

ملحوظة : إنني مستعد لارسال صور القاعات التي ذكرتها آنفاً ، حالما أطلع على عنوان الكاتب ، لزيادة اطمئنانه على اهتمام مشرق العالم العربي بمغربه

الجواب حاضر !

قرأت الكلمة الكريمة التي نشرتها « الرسالة » لحضرة الأستاذ (م . ف . ع) في نقد كتاب « ليلى المريضة في العراق » وقد شاء له فضله أن يقول : إن بعضهم يمجد ذلك الكتاب حتى ليرتفع به عالياً عالياً إلى السماء . وكنت أحب أن يحدث القراء بوضوح عما لم يعرفوا من كتابي ، ولو أنه فعل لعرفوا عن طريقه أن هناك فرقاً بين ما نشر في « الرسالة » وما لم ينشر . فالذي نشر في « الرسالة » هو الجزء الأول ، وهو جزء مصقول : لأن الزيات — سامحه الله — كان يحذف منه أشياء . وقد ضاعت

الأصول الخطية ولم يبق أمامى غير ما وعت صفحات « الرسالة » فا كتفيت به، وقليل النار غير قليل !

أما الجزء الثانى والثالث ، فقد أنقذتهما من يد الزيات ، فهما صورة صحيحة من عقلى وجنونى ، وهما أعز على من الجزء الأول المهذَّب المصقول بالرغم منى . فمن أراد أن يعرف الفرق بين الأدب المقيد والأدب المرسل ، فلينظر كيف كانت إساءتى إلى نفسى أجل من إحسان الزيات حين حذف من الجزء الأول أشياء

ثم ماذا ؟ ثم يريد حضرة الناقد أن يمسكنى بشىء ، فما هو ذلك الشىء ؟

تفضل فنقل فقرات جيلة من الجزء الثالث تكررت فيها كلة « من » وسماها « منمنة » . فما رأيه فى كلة « يالك » التى كررها الدكتور عزام فى كلة نقلها الناقد نفسه ؟ هل يسميها « لـكالـكة » ؟

وما رأيه فى معلقة زهير ، وقد كرر كلة « من » أربع عشرة مرة فى عشرة أبيات ؟

وكيف يحرم على ما قبلته الأجيال الطوال من زهير ؟

وهناك فقرات للـكاتب الشاعر لامرتين ورد فيها مثل هذا التكرار ، فهل يجب أن أنقلها إليه ليعرف أن التكرار قد يكون جيلاً جداً إذا اقتضاه المقام ؟ وهل يسره أن أفحمه بذكر شواهد من السور القرآنية كان فيها التكرار من أقوى عناصر البيان ؟

وما تلك الـكركرة الطهوية التى يشير إليها الناقد الفضال ؟ هل يظن أن فى أسلوبى مشابه من أسلوب الدكتور طه حسين ؟ أنا أكرم على نفسى وعلى حضرة الناقد من أن يكون أسلوبى صورة لأسلوب قديم أو حديث ، وإن كان يسرنى أن أحاكى الـكاتب :

زكى مبارك

شعراء الشرق والطبيعة الغربية

حضرة الأستاذ الفاضل الجليل محرر الرسالة

قرأت مقالة طويلة فى جريدة يومية سياسية تعليقاً على التصحيح الذى نشرتُه فى الرسالة بعنوان (شعراء الشرق والطبيعة الغربية) . وكأن حضرة الـكاتب الفاضل لم يحسن الدفاع عن أخى على محمود طه المهندس فوقع فى الإساءة إلىّ . وأنا غير مؤاخذه على ما ظهر من مكنون نيته لأمرين : أما أولهما فلأنه « عابرسبيل » كما وقّع مقالته . و«عابر السبيل» إن لم يكن موضع إكرام فهو موضع إشفاق . وأما ثانيهما فلأنى لا أريد أن أنقل ميدان الأدب السامى من التصحيح إلى التجريح ...

وأنا لم يؤلمنى ثناء « الاجبشان مايل » على شاعرية صديقى على محمود طه كما يتهمنى حضرة « عابرسبيل » ولم يؤلمنى إيثارها « على محمود طه » بالذكر ، فذلك موضع الفرحة لا موضع الألم . وإنما آلمنى أن يضع كاتب «الاجبشان مايل» حجاباً على عينه وعلى أعين القراء ليقول لهم : إن شعراء الشرق الذين طافوا بالغرب أو عاشوا فيه لم يهتموا بوصف جماله وهم أكثر الناس استجابة لداعى الجمال إذا أهاب

وأنا ما زدت فى كلمتى فى الرسالة الماضية على أن صحّحتُ وهم مكاتب «الاجبشان مايل» . وإذا كنت قد ذكرت نفسى فى عداد من ذكرت من الشعراء الذين وصفوا الغرب فهو أمر ما كنت لأذكره لولا أن أرادنى عليه صديقان من أعلام الصحافة والأدب والعلم فى مصر . وما كان من طبعى الحديث عن نفسى فى مجلس أو مكتب . فتلك خطتى يعرفها عنى أصدقائى ومعارفى

ويتهم حضرة « عابر سبيل » شعراء مصر بأنهم قد قصروا عن إخوانهم شعراء الشام فى وصف بلادهم ومهد أحلامهم ومراتع صباهم . وهو اتهام لا أجد له نصيباً من الحق ولا مؤيداً من الواقع . وإذا كان إخواننا شعراء الشام قد وصفوا لبنان الخالد والأرز الظليل قبل أن يصفوا الغرب ، فإن إخوانى شعراء مصر لم يقصروا فى حق نيلهم وتاريخهم وبقايا مجدهم قبل أن يصفوا الغرب . ونهار هذه القضية لا يحتاج إلى دليل ؛ فشوقى وصف النيل بقافيّته التى مطلعها :

من أى عهد فى القرى تتدفق ... وبأى كف فى المدائن تغدق

قبـل أن يصف « التيرول » فى النمسا وإيطاليا فى قصيدته التى يقول فيها :

تلك الطبيعة قف بنا يا سارى ... حتى أريك بديع صنع البارى

وصديقى الدكتور بشر فارس وصف الطبيعة المصرية فى شعر لم ينشر، قبلَ أن يصف الفصول الأربعة فى باريس وبرلين وفنلندا

وإذا كان ذكر الواقع يؤلم حضرة الأستاذ « عابر سبيل » فإننى أستاذنه فى أن أذكر له لآخر مرة أن كاتب هذه الـكلمة له قصائد فى « النيل » تفضلت الأهرام الغراء فأفسحت لها مكاناً طيباً

وما نسى شاعر مصرى ممن أقاموا فى أوربا الحنين الدائم إلى وطنه الغالى، ولم تشغله مرابع أوربا ومراتعها عن ذكر النيل وترانيم السنين فيه ... فقد كان شوقى رحمه الله فى أسبانيا وقلبه فى مصر

ولعل بشر فارس كان أقرب الناس روحاً إلى مصر وهو أبعد الناس عنها فى شمالى أوربا

وهناك شاعر ثالث — لا نذكره هذه المرة لئلا يتألم عابر سبيل! — نشر فى الأهرام سنة ١٩٣٤ أبياتاً فى الربيع يقول فيها:

يا طيور الربيع فى أرض مصر إن قلبى إلى الحمى يتحرق
طال شوقى له وطال حنينى كل طير لعشـه يتشوق

وقد أرسل هذه الأبيات إلى مصر النائية من مقاطعة « ديفون » الجميلة بانجلترا

وبعد: فلقد أكسبتنا « الأجيشان مايل » بحديثها عن أخى المبدع على محمود طه موضوعاً طيباً للكلام كما ذكر ذلك لى ولعلى طه، أحد أدبائنا العلماء

وأرجو أن أكتسب معرفة (« عابر سبيل » القاهرة) حتى أؤدى له واجب الضيافة فهو له فى عنقى دين

والشكر للرسالة الغراء أولاً وأخيراً

محمد عبد الغنى حسن

معنى بيتين

سيدى صاحب الرسالة

فى الصفحة السابعة من الجزء الأول من كتاب الأمالى لأبي على القالى عثرت على البيتين الآتيين لشاعر لم يُذكر اسمه، هما:

وما هاج هـذا الشوقَ إلا حمامةٌ
تغنّت على خضراء سُمرٌ قيودها
صدوحُ الضحى معروفة اللحن لم تزل
تقود الهوى من مُسعِدٍ ويقودها

وقد التبس علىّ معنى (سمر قيودها) فى عجز البيت الأول. فأرجو شرحه على صفحات الرسالة الغراء.

(الخرطوم بحري) ا . م . س

(الرسالة) : البيتان من شعر لعلي بن عميرة الجرميّ، وبعدهما:

جزوعٌ جَودُ العينِ دائمةُ البُكى
وكيف بُكى ذى مُقلةٍ وجُودُها
مطوّقةٌ لم يضرب القَينُ فضّةً
عليها، ولم يَعطلْ من الطَّوقِ جيدُها

هكذا ذكر الأبيات أبو عبيد البكرى فى (سمط اللآلى شرح أمالى القالى). قال أبو عبيد: « ولم تختلف الرواية عن أبى على فى خفض (سمرٍ قيودها) فهو على ظاهره نعت (لخضراء) التى يعنى بها الشجرة. وقيودها: أصولها وهم يصفون ما كان متمكن الرى من الشجر بالحُوّة والسواد ».

وأما رواية « سمرٌ قيودها » بالرفع فهو من صفة الحمامة، ويعنى بالقيود قيود الحمامة وهى ما أحاط بساقيها من صغار الريش.

بين ناقد وموسيقار

نشرت « الرسالة » فى عددها السابق (٣٣٨) مقالاً للأستاذ عزيز أحمد فهمى تحدث فيه برأى موزع فى اتجاهات عدة أقحمها فى دائرة الفن. والعابر بحديثه لا يشك فى أن أهداف الكاتب اتجهت فى غالبها اتجاهاً شخصياً استمان له بعدة أسماء لشخصيات مشهورة الشأن فى المجتمع المصرى ما بين شعراء وموسيقيين وكتاب. وإنه ليحزننى أن أتكلم على غير عادتى فأصارح القراء بما صدمنى من امتعاض شديد حين طالعت حديث الكاتب ووقفت على وجهته الأصيلة التى قد ترمي إليها نفسه لا قلمه، وهى محاولة الغض من شخصية الموسيقار النابه النابغ الأستاذ محمد عبد الوهاب على حساب الحديث عن فنه، وإنى مع تقديرى وإعجابى لكثير من الأبحاث الفنية التى يعرض لها الأستاذ عزيز فهمى على صفحات الرسالة، إلا أننى أرخص هذه النزعة التفشية بين الأدباء والفنانين المصريين على الإطلاق وهى أخذ الطريق من بعضهم على بعض، والاعتصاب لكل ذى خطوة جديدة فى فنه بالغض والتشهير

يا قومنا ! إن الفنون لا تمرع فى مثل هذه الأجواء الملوثة بالشحناء والسخائم، فدعوا حملة المشاعل يسيرون فى طريقهم إلى إنقاذ هذا الوطن المسكين من الجمود الذى ضرب على الفنون الرفيعة فيه. ومن هاجت فى قلبه عبقرية النقد فليعلم أن للفن عرضاً

يصان ويشان . ومن كان فى روحه وإحساسه بريق من إشفاق على سمعة الفن فى بلاده ، فعليه بالنقد العف البرىء والتوجيه السديد . . . وإلا فما كان أغنانى عن هـذه النبأة التى أهجس بها فى سبيل حق لا أعرف ولا يعرف منى إنسان أين مكانه من الأرض !

(م)

إنشاء مكتبة إلى جانب ضريح أبى العلاء

زار مسيو بونور مستشار المعارف فى المفوضية الفرنسية العليا ببيروت ، معرة النعمان فى شمالى سوريا ، للاشراف على إنشاء قبر للشاعر العربى الفيلسوف أبى العلاء المعرى

وقد درس مسيو بونور ، وهو من كبار الأدباء المستشرقين مع السلطات المحلية مشروع إنشاء مكتبة عربية وأجنبية إلى جانب القبر ، تجمع فيها مؤلفات الشاعر والكتب التى تحدثت عنه وعن أدبه وشعره فى جميع اللغات والأمصار . على أن يجرى الاحتفال بافتتاح هذه المكتبة بعد تشييد الضريح والبناء المجاور الذى سيضم مدرسة للذكور والإناث بحضور مندوبى جميع المعاهد الشرقية والأقطار العربية وممثلى جامعاتها وكبار أدبائها وشعرائها

وسيكون هذا المهرجان على مثال المهرجان الألفى لشاعر إيران الفردوسى الذى أقيم منذ سنوات فى طهران

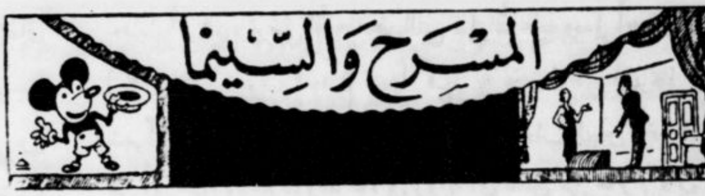
وتتقبل بلدية المعرة منذ الآن مع الشكر كل ما يريد المؤلفون والعلماء والمستشرقون وأصحاب المكاتب الخاصة فى الأقطار العربية وغيرها إهداءه إلى هذه المكتبة من الكتب المطبوعة والمخطوطة والمجلات التى تحوى أبحاثاً خاصة بأبى العلاء على أن تسجل كل كتاب على اسم مهديه فى سجلات البلدية والمكتبة . والبلدية مستعدة لدفع أجور البريد لهذه الكتب المهداة إذا لم يلصق عليها مهدوها الطوابع اللازمة . وهى على ثقة من أن هذا المشروع سيلاقى ما يستحقه من المساعدة والتشجيع فى جميع الأقطار العربية وغيرها من البلاد الكثيرة التى تعرف أبا العلاء المعرى وتحرص على إحياء ذكراه

حديث أبى هريرة فى ذم الشعر

قرأت ما جاء فى عدد ٣٣٨ من مجلة الرسالة الغراء عن حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : (لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً فَيَرِيَهُ خير له من أن يمتلئ شعراً) وهذا الحديث رواه أحمد والشيخان وأصحاب السنن وغيرهم عن أبى هريرة وغيره ، وقد جاء فى رواية ابن عدى عن جابر (لأن يمتلئ جوف الرجل قيحاً أو دماً خير له من أن يمتلئ شعراً مما هجيت به) والروايات يفسر بعضها بعضاً كما هو مشهور فى علم الحديث ، ولا يصح أن يفهم من رواية أبى هريرة ذم الشعر على إطلاقه ، وتهجين حسنه وقبيحه ، وهذا مع أنى لم أسقه هذا المساق ، لأن أصل كلامى فى تفضيل بعض الشعر على بعض ، لا فى ذم الشعر على الإطلاق . وقد جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم فى الشعر أيضاً (إنما الشعر كلام فحسنه حسن وقبيحه قبيح) رواه الدارقطنى فى الإفراد عن عائشة ، والبخارى فى الأدب ، والطبرانى فى الأوسط ، وابن الجوزى فى الواهيات ، عن عبد الله ابن عمر ، والشافعى والبيهقى عن عروة مرسلاً

وجاء فيه أيضاً : (إن من الشعر لحكمة وإن من البيان لسحراً) وهو حديث مشهور رواه أصحاب الصحاح وغيرهم

عبد المتعال الصعيدى



إلى مسرح الأوبرا

تستعد الفرقة القومية لإخراج مسرحيتين جديدتين فى الفترة الباقية من هذا الموسم ، أولاهما رواية تركية ترجمها الأستاذ مطران اسمها فى الأصل « كسمت » ، وصار الآن « القضاء والقدر » ، وهى عربية الموضوع . ويشرف على إخراجها « سراج منير » . أما الرواية الأخرى ، فهى مصرية موضوعة من تأليف الأستاذ صبرى فهمى عضو بعثة معهد التمثيل فى فرنسا . وسيخرج هذه الرواية عمر جيجى ، ويضع أزجالها بيرم التونسي ، وموسيقاها زكريا أحمد ؛ إذ أنها تميل إلى « الأوبريت » كثيراً . أما بقية برنامج الفرقة فيما بقى من وقت الموسم ، فلم يستطع أحد أن يدلى إلينا بخبر قاطع عنه . ولكننا نستطيع القول بأن الفرقة لا تنوى إخراج روايات جديدة فى هذه الفترة الباقية . وسيعاد تمثيل بعض المسرحيات التاريخية القديمة الوثوق من نجاحها .

الموسم الأجنبى

كنا نظن أن منع الإعانة الحكومية عن الفرق الأجنبية التى تزور مصر فى موسم السياحة فى الشتاء، وقيام الحرب فى أوربا بين دول كثيرة ، أن هذين السببين كافيان لامتناع الفرق التمثيلية عن زيارة مصر فى هذا العام . غير أننا علمنا أن الفرقة الإنجليزية التى زارتنا فى الشتاء الماضى « أولدفيك » سوف تحضر بعد أسابيع فضلاً عن فرقة إيطالية لا يحضرنا اسمها . وعلى ذلك فلن يحرم روادالمسرح الفرنجى هذا العام متعة عرض بعض المسرحيات الأوربية برغم كل العوائق

رقابة السينما

رقيب السينما فى مصر موضع شكايات متصلة ، وأحاديث تهمس بخليط من الضيق والاستنكار ؛ وسبب عناء دائم للمشتغلين بإنتاج الأفلام المصرية ومستوردى الأشرطة من الخارج على السواء

ولعل الجمهور لم ينس مهزلة فلم « مارى أنطوانيت » الذى لم يصرح الرقيب بعرضه فى القاهرة ثم عاد فأجاز عرضه، ثم منع عرضه مرة ثانية ، ثم صرح بعرضه فى الاسكندرية ، مثلما حدث فى عرض شريط « هنرى الثامن » الذى منع عرضه مدة من الزمن بحجة أن فيه تعريضاً بملك انجليزى سابق ، ولم يلبث الرقيب أن صرح بعرضه بعد أن تاقى تصريحاً من السفير البريطانى بأن هذا الشريط قد صنع فى بريطانيا وعرض فيها وفى سواها من بلاد العالم ! وقد عانى مخرج فلم « العودة إلى الريف » كثيراً من عنت الرقيب ، لأن الرقيب لم يهضم فكرة أجزاء من الحوار تقوم على الدعاية للريف من طريق مناقشة يحمل أحد طرفيها على الريف فيدافع الطرف الآخر عنه دفاعاً مفحماً مجيداً !

ولا يمكن أن ننسى الصورة الشائنة التى رسمها شريط « أربع ريشات » للمصريين وموقفهم من فتح السودان ، ومع ذلك مر الشريط من الرقابة ولم يحظر عرضه !

* * *

وفى مصر عدد وافر من الشبان ذوى الثقافة السينمائية الممتازة لا ندرى لماذا لا تستخدمهم الحكومة فى رقابة الأفلام ؟ بينما تسند انجلترا مهمة الرقابة السينمائية إلى رجل ممتاز الكفاية والمركز كاللورد « تيرل » ، وتسند الولايات المتحدة نفس المهمة إلى رجل نابه كالستر « جوزيف براين » ؛ كما استعانت فرنسا بأديبها الأكبر « جان جيرودو » فعينته رقيباً عاماً بعد إعلان هذه الحرب ، ولكننا بعد فى مصر

لجنة الأغانى

فى محطة الإذاعة لجنة يقال لها لجنة الأغانى ، أعضاؤها جميعاً من موظفى القسم العربى فى المحطة ، وكلهم مرهق بالعمل فى الواقع ، وقد نجم عن ذلك أن تعطلت أعمال اللجنة بحيث ظلت لديها بعض الأغانى بضعة شهور بغير أن تنظر فيها أو تقضى برفض أو قبول . مما يجعلنا نطالب الأستاذ لطفى بك بحل هذه اللجنة وإحالة أعمالها على بعض الثقات من موظفى المحطة أو غيرهم

(أبو الفتح الاسكندرى)

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى — عابدين)

8me Année No. 340

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

Lundi - 8 - 1 - 1940

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

السنة الثامنة «القاهرة فى يوم الاثنين ٢٨ ذو القعدة سنة ١٣٥٨ — الموافق ٨ يناير سنة ١٩٤٠» العـدد ٣٤٠

الفهـــــرس

هل خصب الأرض

يستلزم جدب القرائح؟

من الأقوال المأثورة أن الحاجة تلد الاختراع وتفتق الحيلة. وهذه الحاجة التى ضمَّنها الله عمارة الأرض ورقى العالم، هى التى جعلت بيئة الفقر مهبط الإلهام ومنبت العبقرية. فأينما تجد الحاجة تجد العمل والذكاء والقوة، وحيثما تر الغنى تر الكسل والغباء والرخاوة. ذلك لأن الفقير يضطره العيش إلى أن يفكر فيجيد التفكير، وإلى أن يعمل فيتقن العمل، وإلى أن يهاجر فيزداد بممارسة الشدائد ومنافسة الناس جلاء فى الذهن وبسطة فى العلم وسعة فى الحيلة. ومواهب العقل كأعضاء الجسد تقوى وتنمو بالكد، وتضعف وتضمر بالعُطلة. ولا يصعب عليك أن ترى مصداق ذلك فى الفروق الذهنية والعملية الواضحة بين أبناء الفقراء وأبناء الأمراء، وبين سكان مصر العليا وسكان مصر السفلى، وبين بلد كدمياط وبلد كالفيوم، وبين مدينة كأثينا ومدينة كرومة فى الغرب القديم، أو بين قطر كفينيقية وقطر كالعراق فى الشرق الغابر. فى كل من ذكرت لك ترى أن جدب الأرض وضحولة الموارد كانا علة فى إخصاب العقول وإنماء المدارك وكثرة الإنشاء ووفرة الإنتاج، وأن خِصب البلد وسهولة الأرزاق كانا سبباً فيما أصاب بعض

الناس وبعض الأجناس من البلادة والقعود والترف والغفلة

* * *

تستطيع أن تقول إن مصر فى جملتها بلد غنى يؤتى أكله كل حين بيسير الجهد وقليل النفقة . فأهله آمنون من موت الجوع، لأن الفقير يملك أن يمسك روحه بنصف قرش، وما أيسر ما يجد قرشين فى اليوم بالعمل الحقير أو السؤال الملحف . ومتى حصل المرء من بلده على الكفاف والراحة والأمن، نشأت فى نفسه فضيلة القناعة الزائفة. والقناعة فى الفقير كالثروة لدى الغنى، كلتاهما تقتل طموح النفس ، وتسكّن قلق الروح ، وتخمد نشاط القريحة ، وتحمل الرجل على الرضى بالدون والتسليم بالواقع

هذا الفقير القانع الذى لا يحس بالحاجة فلا يسعى للغنى، وهذا الغنى الوادع الذى لا يشعر بالنقص فلا يطمح إلى الكمال، هما الأثر السيء لتدليل النيل لبنيه وحَدبه البالغ على أهله. فالفلاح لا يزال يزرع الأرض بالآلة القديمة على الطريقة القديمة ، لأنه لا يجد فى نفسه الحاجة التى تحفزه إلى اختراع آلة وابتكار طريقة مادامت أرضه تغل عليه ما يكفيه بهذه الأداة الرخيصة السهلة

والصانع لا يزال يصنع بيده كل اليوم ما تصنعه الآلة فى بعض الساعة ، لأنه يجد فى جيبه آخر النهار ما يملأ به بطنه بخسيس الطعام وغليظه ؛ فعلام يشغل ذرعه بما يقلل النفقة ويكثر الإنتاج ويحسن النوع ؟

والطالب يقصر جهده على استظهار المختصرات لأن الامتحان لا يخرج عن هذه المذكرات ، والوظيفة لا تطلب إلا بعضاً من الحساب وشيئاً من المصطلحات ؛ وما غناء العلم بعد أن ينال المتعلم الشهادة والوظيفة ؟

والمعلم يحصر نشاطه فى كتب الدراسة وما يتصل بها من مقترح التمارين وموضوع الأسئلة ومحلول المسائل ، ثم لا يفكر بعد ذلك فى درس مشكلة من مشكلات التربية، ولا حل معضلة من معضلات المجتمع، لأنه ضمن لنفسه المرتب آخر الشهر والعلاوة آخر المدة

والكيميائى أو الفيزيائى يبلغ الدرجة الجامعية العليا فى الكيمياء أو الفيزياء ، ثم يعلم أن أقرانه فى البلاد العاملة الجادة لا ينفكون يسخّرون للمدنية والانسانية قُوى المادة وأسرار الطبيعة فى شكول مختلفة ومظاهر متعددة : فى البيت والمدينة ، وفى السماء والأرض، وفى السلام والحرب ، ولا يفكر عالمنا الكبير أن يزيد فى العلم بكشف مجهول ، أو يرفه من العالم باختراع آلة ، لأنه لا يبتغى شيئاً وراء اللقب الفخم والمرتب الضخم والحياة الوديعة

والطبيب أو الصيدلى يجعل كل همه فى رواج عيادته أو صيدليته، لأن المال هو غايته من الطبابة أو الصيدلة ، فإذا بلغها على حساب الطب المحفوظ أو الدواء المجهز فلماذا يكدر صفو عيشه بالاحتباس فى معمل ينقب عن جرثومة مرض، أو يجرب مفعول مصْل ؟

والسياسى أو المصلح يتوخى بعمله مجد الشهرة وجاه الحكم، فإذا أدركهما بتملق الجمهور أو بعصبية الحزب فلا عليه بعد ذلك أن يظل حزبه من غير منهاج ولا غاية ، وأن يزاول عمله الخطير من غير خلق ولا دراية . وإذا كان الرمق فى هذا البلد يسد بنصف القرش ، والوظيفة تنال ببعض العلم ، والمنصب والمرتب يعظمان بمضى المدة ، والشهرة والجاه يدركان بإرضاء العامة ، والزعامة والحكم يُبلغَان باحتراف السياسة ، فأى شىء يدعو إلى زيادة العلم وإطالة الفكر وإدامة العمل وإضاعة الجهد والعمر فى تحرير مسألة ، أو تأليف كتاب، أو متابعة كشف ، أو محاولة اختراع ، أو وضع خطة للاصلاح ، أو تدبير سياسة للحكم ؟

* * *

حاولوا يا قوم أن تهذبوا القناعة فى ذهن الفقير برفع مستوى عيشه وإصلاح فساد ذوقه؛ وحاولوا أن تخلقوا الحاجة فى نفس الغنى بتشويقه إلى الكمال المطلق وترغيبه فى المثل الأعلى، فإنكم إن نجحتم فى زعزعة الرضا فى القانع المترّ وفى الواجد المنترّ، ساورهما القلق الروحى الحافز الذى لا يقنع بما دون الغاية، ولا يرضى للغير بأقل مما يرضى للذات

حاولوا أن تحملوا العلماء والأدباء والأطباء بالجوائز والألقاب على الإنتاج الأصيل والتأليف المبتكر والبحث المنتج حتى ينشأ فيهم على طول الزمن والمران حب البحث لفائدة العلم ، وحب العمل لمنفعة الناس

ثم حاولوا وحاولوا أن تقيسوا كفايات العاملين وأقدار النابغين بغير مقاييس المحاباة والزلفى والقرابة ، فإن كثيراً من الأكفاء إنما يزهدهم فى العمل والإصلاح اليأس من الإنصاف والقنوط من المكافأة !

احمد حسن الزيات

ماذا ربحت وماذا خسرت

من أسواق السنة الماضية ؟

للدكتور زكي مبارك

كتب إلىّ أحد تجار الورق يقول : إنه يرجو أن أرسل إليه ما بقى له عندى ليسوى حساب تجارته فى سنة ١٩٣٩

وأنا أيضاً أريد أن أسوى حسابى مع قومى وزمانى ، حساب سنة ١٩٣٩ فقط ، أما حساب الأعوام السوالف فهو عبء ثقيل والرجوعُ إليه ضربٌ من الخذلان . وأين أنا مما فات ومات ؟ يرحم الله جهادى فى سبيل الأدب والبيان !

ربحت فى العام الماضى أشياء ، وخسرت أشياء !

وأعظم ربح ظفرت به فى السنة الماضية هو الصداقة العظيمة التى تفضل بها قراء مؤلفاتى ومقالاتى ، فأنا اليوم أشعر شعوراً قويًا بأن لى أهلاً وعشيرة فى سائر الأقطار العربية ، وهذا الشعور يزحزح ما يعترض طريقى من عقبات وأشواك ، وبفضل ذلك الشعور أكاد أنسى الأعاصير التى تثور فى وجهى من حين إلى حين

والكاتب كالموسيقار يسره أن يعرف أنه موصول الأواصر بالعواطف والقلوب ، فمن حدّثكم أنه لا يهتم بسخط القارئ أو رضاه ، فاعرفوا أنه يقترف إثم الغرور البغيض ، أو الكذب السخيف .

وتعظُم قيمة هذا الربح فى قلبى كلما تذكرت أنه بشيرٌ بقيام دولة قوية للأدب العربى ، وهو أدب كان يسيطر فى ماضيه على كثير من الأمم والشعوب ، فإن استطعنا أن ننتفع بعواطف القراء ونجذبهم إلى الأدب من جديد كان ذلك مجداً ندفع به عُدوان أهل البغى على الآداب والفنون

وما الذى يمنع من أن يكون للقلم دولة فى هذه البلاد ؟

أتصدّقون ما يمليه الضجر على أقلامنا من وقت إلى وقت حين نتهم مصر بالجحود والعقوق ؟

إن مصر فى تاريخها القديم والحديث قد استمعت كل قول ، واستجابت لكل نداء ، فكيف يتوهم الكاتبون والباحثون أنهم لن يلقَوا فيها غير الضياع ؟

ثم أقول إن العام الماضى كان من الأعوام التى اختبرت فيها أخلاق . ومعاذ الأدب أن أدّعى التفرد بكرم الأخلاق ، وإنما هى حيلة أتوسل بها لخلق فرصة أنوح فيها على أخى وصديقى محمد الهراوى . وهل ذرف الزيات من الدموع على ابنه رجاء ، أو ذرف هيكل من الدموع على ابنه ممدوح ، بعض ما سكبت من دم القلب على صديقى محمد الهراوى ؟

كان من عادتى أن أرتاد ملاهى القاهرة فى المواسم والأعياد لأفهم شيئاً من أسرار المدينة التى تصنع اليوم بأذواق الشرق ما تصنع . فمن يصدّق أن شارع فؤاد صار فى عينى صورة من صور الإقفار والإمحال ، لأنه خلا من وجه الصديق الغالى ، وجه محمد الهراوى ، وجه الأخ الذى عرفت بفقده كيف يكون الجزع على فقد الرفاق

وهل تسمح الدنيا مرة ثانية بصديق مثل ذلك الصديق ؟ وأين الصديق الذى تصحبه عشرين سنة فلا ترى منه غير كرم العهد وصدق الوفاء ؟

أين الصديق الذى يرى من السعادة أن يكون رأيه من رأيك وهواه من هواك ؟

إن دموعى على محمد الهراوى دلتنى على جوانب من أخلاق ، وشرفتنى أمام نفسى ، وفرضت علىّ أن أومن بأنى رجل له قلب. فلا كان الصبر عنك يا أكرم ذاهب وأعزّ فقيد

وكان من مغانم السنة الماضية أن يصير اللغة العربية لغة الدرس فى كلية الطب وكلية العلوم ، وهى دعوة عانيت فيها من الشقاء ما عانيت . فمن قال إنه دعا إلى هذه الفكرة مرة أو مرتين أو مرات فأنا جعلتها حُلماً أهتف به فى يقظتى ومنامى أكثر من خمس عشرة سنة . وبسبب الإلحاح فى نشر هذه الدعوة رآنى بعض أقطاب الجامعة المصرية من الثقلاء ، وأوصدوا فى وجهى كثيراً من الأبواب . فإن قال أعضاء المؤتمر الطبى العربى بعد أسبوعين إنهم قرروا تدريس الطب باللغة العربية فى كلية الطب بالقاهرة فليذكروا مشكورين أنهم سفَّهونى علانية يوم التقينا فى بغداد سنة ١٩٣٨

وفى العام الماضى قُدّمت لكلية الحقوق رسائل لامتحان الدكتوراه باللغة العربية ، وقال قائل : إن فى ذلك مجاراة للنزعة القومية، فمن واجبى نحو نفسي وأنا رجل مظلوم فى وطنى أن أقول إن ذلك لم يقع إلا طلباً للسلامة من القلم الذى شن الغارة على من يقبلون رسالة باللغة الفرنسية عن الدّية فى الشريعة الإسلامية

ولتلك المعركة ذيول فصلتها فى كتاب « البدائع » وفى رسالة « اللغة والدين والتقاليد » وفى كتاب « الأسمار والأحاديث » فإن غضب وزراء المعارف الذين حاربتهم من قبل فليعرفوا أنى أديت إليهم بذلك التوجيه أعظم الخدمات . وحسبهم من الشرف أن يسمعوا كلمة الحق من رجل ليس له فى الحكومة عمٌ ولا خال

وفى العام الماضى قررت وزارة المعارف تأليف كتاب للمطالعة فى المدارس الثانوية من صميم الأدب الحديث ، وأنا صاحب هـذا الرأى ، وقد شغلتُ نفسى بالدعوة إليه أكثر من عشر سنين .

وفى العام الماضى قضت الظروف بأن تقبل وزارة المعارف إسناد تعليم اللغات الحية فى المدارس الثانوية إلى المصريين ، فليتها سمعت الدعوة التى أذعتها منذ أعوام طوال ، الدعوة إلى أن يكون مدرسو اللغات الحيـة من المصريين لنخلق جيلاً من المتفوقين فى اللغات الأجنبية ، وليكون بيدنا الأمر فى تكوين الثقة بالعزيمة الوطنية

وفى العام الماضى ... ما هذا ؟ ما هذا ؟

أرانى أنحدر إلى هاوية المنّ الممقوت ، فلأرجع إلى تدوين ما خسرتُ فى السنة الماضية :

فى سنة ١٩٣٩ نسيت أنى موظف بالحكومة المصرية فوقع قلمى فى أغلاط لا يقع فيها الموظفون « العقلاء »

أنا من كتّاب الطبقة الأولى بشهادة أعدائى ، ولـكنى لم أخط خطوة واحدة فى كسب حق جديد لحرية الأقلام . كنت أستطيع أن أنتفع بالدكتور هيكل باشا ، ولكننى لم أقابله إلا حين دعانى ، وقد هجمت عليه فى جريدة المصرى مرتين . وكنت أستطيع أن أنتفع بمعالى النقراشى باشـا ، وهو رجل مُشرق العقل ، ولكنى قصرت فلم أقابله غير مرتين ، كنت فى الأولى مهنئاً ، وهى زيارة لا تتسع لبحث ولا درس ، وكنت فى الثانية مقروناً بجمهور المفتشين بالتعليم الثانوى ، وهو مقام لا يتسع فيه المجال لغير الشؤون الرسمية

أليس من سوء البخت أن يكون لنا وزير مثل النقراشى باشا ولا أظفر منه بشىء لحرية الأقلام ؟

كنت أحب أن أطلب إجازة طويلة لعام أو عامين لأحقق مشروعاً عجزت عن تحقيقه فى بغداد وهو تأليف كتاب عن أبى تمام إمام المبتكرين فى القرن الثالث ، فهل شغلت نفسى بتقديم هذه الرغبة إلى معالى النقراشى باشا وهو من وزرائنا الأدباء ؟

وكنت أحب أن أقترح إنشاء قلم خاص بمراجعة ما يُكتب عن مصر فى الأقطار العربية ، فهل شغلت نفسى بتقديم هذا الاقتراح إلى رئيس الوزارة المحمدية أو رئيس الوزارة الماهرية ؟

دونت هذه الآراء فى كتاب « ليلى المريضة فى العراق » ولكن من يضمن أن يكون هذا الكتاب مما يقرأ الوزراء ؟

ماذا خسرتُ فى العام الماضى ؟ ماذا خسرت ؟

كان عندى مشروع عظيم هو ربط الأمم العربية والإسلامية برباط وثيق من الحب والعطف

فما الذى صنعت لتحقيق ذلك المشروع العظيم ؟

ضيعت العام الماضى ـ وا أسفاه ! ـ فى مجادلات ومشاغبات نفعُها قليل ، وانصرفت عن تحقيق ذلك المشروع الجليل

فمن يُسعدنى على بكاء ما ضيعتُ من أمانىّ وأحلامى ؟

وكان فى نيتى أن أخلق عُصبةً للخير من أصدقاء كلية الآداب، كنت أحب أن أنظّم سلسلة للدراسات الأدبية والفلسفية أصنع بها فى القاهرة بعض ما يصنع أساتذة كلية الآداب فى الجيزة ، فأين أنا مما أردت ؟ وأين ما صنعتُ لـكلية الآداب وفوق ثراها سكبت عُصارة صباى ؟

وكان فى نيتى أن أكوّن مكتبة عظيمة مما أصدر المتخرجون فى كليـة الآداب ثم أسوقها فى عربات رزينة إلى قصر صاحب الجلالة الملك فأين ضاعت تلك النية ؟ وما مصيرها فى تاريخ العقول؟

وكنت أحب أن أقوم بدراسات قوية أحدد بها اتجاه الأدب الحديث فى مصر والمغرب والشام والعراق ، فأين من يعزينى على ضياع هذا الأمل الغالى ؟

وكنت أشتهى أن أزور الحجاز لأكتب عن وطن الرسول كتاباً لا يعرف الزور ولا الرياء ، فأين ضاعت أحلامى ؟

وكنت أتمنى أن أؤرق غفوات المغرورين من « أعلام » الأدب الحديث ، فإلى أى أفق من آفاق الضياع ضاع أملى فى تأديب أولئك « الأعلام » ؟

كنت وكنت وكنت ، فما الذى صنعت السنةُ الماضية بأغراضى وأحلامى ؟

(للحديث شجون)

زكى مبارك

ألمانيا بين نيتشه وهتلر

« دين القوة »

للأستاذ عبد المجيد نافع

حين أوشكت صحيفة القرن التاسع عشر أن تطوى نشرت فى أوربا راية دين جديد ، ذلك هو دين القوة ، وكان حامل لوائه بل رسوله المبشر به هو الفيلسوف الألماني فريد رش نيتشه

على أنا نحب أن نبدد وهماً قد يعلق بالأذهان ، فنسارع إلى القول بأن عبادة القوة والإيمان بأثرها الحاسم فى حياة الأفراد والشعوب ، دين قديم جديد ، اعتنقته الإنسانية فى كل مراحل التاريخ من غير أن تجهر به ، فكبدها كل ما أنفقت من دموع ودماء

وفى الحق أنك لو جردت الإنسان من طلاء المدنية ، ذلك الطلاء الذى هو بمثابة القشرة الخارجية التى يصطنعها ليخفى تحتها أطماعه تارة ، وضعفه طوراً ، لتبدّى فى ثياب الإنسان الأول بكل ما فيه من مظاهر الوحشية والهمجية والقسوة

والحق للقوة — كلمة قالها بسمارك الألمانى رجل الدم والحديد. ولو أن النصر لم يعقد بلوائه فى حروبه مع الدانمرك والنمسا وفرنسا لنادى بأن الحق فوق القوة . ولو أن القوة حالت بين هتلر وبين أن يزدرد النمسا ، ويثنى على ازدرادها بتشيكوسلوفاكيا للاْ فمه بكلمات العدالة والحق والمساواة والحرية

ولكن نيتشه ، رسول القوة ، يتفرد بأمور : منها أنه صبغ الدين الجديد بالصبغة الفلسفية ، ورسم له الحدود والمعالم ، ودعمه بأسانيد الواقع والتاريخ . ولعله يتميز بين جبابرة العقول وحملة لواء الفكر الإنسانى ، بصراحته الوحشية التى مزقت قناع الرياء عن وجه الإنسان

ولا نحسب أن مفكراً طبع العصر الحديث ، فى الغرب ، بطابعه الفكرى ، مثل نيتشه . وإذا كان ماكيافيلى أستاذ كثير من السياسيين ، فإن نيتشه أستاذ الدكتاتوريين ، وخاصة زعيم النازية

نعم ، هو ملهم النازيين ومهبط وحيهم ، هتف بدين القوة والسلطان ، وتلقف زعماء ألمانيا الحديثة تعاليمه ، فأفرغوها فى قوالب التطبيق العملى ، غير متأثمين ولا متحرجين ، إذا كان تطبيقها يجرح شعور العدالة ، أو يثير الضمير الإنسانى

كان صاحب دعوة القوة يحمل على الديمقراطية حملاته الشعواء بدعوى أنها من أقوى مظاهر الانحطاط والانحلال فى أوربا العصرية ، وكذلك يذهب دعاة النازية هذا المذهب . فما كادت ألمانيا تنسحب من عصبة الأمم فى عام ١٩٣٣ حتى قال هتلر ، فى أعقاب ذلك الانسحاب ، لبعض صحبه : « لن تعود ألمانيا إلى عصبة الأمم الديمقراطية بحال . فقد دبت فيها عوامل الفساد ، وقضت عليها الديمقراطية بالفناء والدمار »

وينادى زعماء النازى بأن ألمانيا تهيئ الجو لانقلاب جديد ، وأن على العالم أن يمشى تحت رايتها . وكان المبشر بدين القوة ، بعد أن ظن أنه حطم أصنام الأوهام الموروثة من دين وعلم وفلسفة وفن وأخلاق وديمقراطية ، وأقام على أنقاضها القيم الأخلاقية الصحيحة ، واكتشف الإنسان الأعلى ، أنه قد مهد الطريق لظهور الإنسانية الجديدة البريئة من شوائب الضعف والانحلال المرتكزة على دعائم القوة والسلطان

وأسر الفوهرر إلى بعض رفاقه أنه على تمام الأهبة لأن يضع توقيعه على أى اتفاق ، ويضمن أية حدود ، ويمضى ميثاق عدم اعتداء مع كائن من كان ، على أن ينقض كل أولئك ، فى دم بارد وضمير جامد ، إذا اقتضته قوة ألمانيا وعظمتها . وجاهر رسول القوة بأن الضعيف يبتغى السلام والوفاق والمساواة والحرية ، لا يشرئب بآماله إلا إلى الاحتفاظ بذاته . ولكن القوى يؤثر أن يثير المشكلات وعظائم الأمور . الضعيف يضمر الكيد فحسب ؛ فأما القوى فيهجم غير وان ولا متردد ، فإن القوة التى تفيض بها جوانب نفسه تحفزه إلى التوثب والانقضاض

وأعمل نيتشه معاوله حتى ظن أنه نقض القيم الأخلاقية من أساسها . فالشفقة لديه بغيضة لأنها من أخلاق العبيد ، والقسوة فى عرفه مرضية لأنها من أخلاق السادة . تلك شرعة الضعفاء وهذه شريعة الأقوياء . ولا يتحرج من أن يجهر بأن الشفقة هى فضيلة المومس ، وينادى مع شاعر الأساطير الشمالية القديمة :

« إن فوتان (كبير الآلهة فى تلك الأساطير) قد وضع فى صدرى قلباً قاسياً » . ثم يهتف : « من الواجب عليك القسوة . فمن هذا الطريق وحده يسمو الإنسان إلى أعلى حيث يقابله البرق ويحطمه : فلترتفع إلى البرق ارتفاعاً كافياً » . ذلك بأنه يرى أن القسوة أعظم شىء يفضى إلى تقوية الإنسان وترويضه على ملاقاة الأخطار ، وشحذ همته للنهوض بجلائل الأعمال ، على حين لا شىء أخطر على المجتمع من الرحمة بالضعفاء والعاجزين ، إذ تنهض عقبة فى سبيل قانون الانتخاب الطبيعى وبقاء الأصلح . فنواميس الطبيعة تقضى بإبادة الكائنات الضعيفة وإفنائها من الوجود . وأما نحن فنتحدى قوانين التطور ، ونعمل على أن نحيل العالم إلى ملجأ الضعفاء والعاجزين .

ومن ذا الذى تداخله أثارة من الشك فى أن هذا ما يدين به جماعة النازى ؟ أرأيت كيف نكلوا برفاقهم فى الجهاد يوم قاموا بعملية التطهير بين صفوفهم فى عام ١٩٣٤ حين زعموا أنهم وقد اختمرت فى رؤوسهم فكرة الجريمة ، أخذوا يدبرون فى الظلام ومن خلف الأستار مؤامرة واسعة النطاق ترمى إلى هدم نظام الحكم النازى ، وتحت ستار هذه الدعوى أجهزوا على طائفة من رؤوسهم وفى طليعتهم روهم ، وكذلك لم يبقوا على شليخر وزوجه !

وهل أتاك حديث الجستابو وما يجرى من أعمال القسوة فى معسكرات الاعتقال التى تضم الخصوم السياسيين الذين يظن فيهم أو يلمح من ثنايا حركاتهم أنهم يعتزمون الانتقاض على حكم النازى ؟

ثم هل جاءتك أنباء تنكيلهم بكل من يحاول كسر القيود من الأمم التى غلبوها على أمرها وأخضعوها لحكمهم عنوة واقتدارا ؟

ويبرر أولئك الدكتاتوريون قسوتهم بأن سلامة الدولة قبل كل شىء وفوق كل اعتبار

ويتخذ النازيون العنف عقيدة ويعدون الرحمة خوراً فى الطبيعة ويؤمنون بالقوة إيماناً عميقاً ، القوة الخالية من شوائب الشفقة والرحمة ، المتجردة من هواجس الضمير ومن عوامل الضعف الإنسانى ، القوة التى تذهب إلى حدود الوحشية أحياناً ؛ فإذا وقف الضمير فى وجه القوة ، وعاق نهوضها إلى الأمام ، كان ذلك آية على الضعف والانحلال ، ومظهراً من مظاهر انحطاط الفرد والجماعة

وفى كتابه « كفاحى » لا يكتم زعيم الريخ الثالث ازدراءه لما تواضع الناس على أنه رحمة ، وما اصطلحوا على أنه إنسانية .

ويدين جماعة النازى بالمبدأ القائل : بأن « الحرب الدائمة » هى حالة المجتمع الإنسانى فى المستقبل ، وأن على كل أمة أن تعد لها العدة ، وأن تتنكر للسلام ، ولا تتجهم للحرب . فالسلام يقتل حيوية الأمم ، فأما الحرب فتنفذى تلك الحيوية ، ولا يجنح للأول إلا الأمم المترفة المستسلمة ، ولا ينزع لخوض غمرات الثانية إلا الذين يفيضون بالقوة والعزة . فألمانيا تبتغى « تقسيم العالم من جديد » كما يقول وزير دعايتها جوبلز . لا ، بل يزعم فيلسوف النازية روزنبرج أن الشعب الألمانى خلق للسيادة ، ولا مندوحة عن أن يبسط سلطانه على العالم ، ليهيىء حضارة أعلى

وفى سبيل فرض السيادة على الدنيا يرى القابضون على مصاير ألمانيا أن لا بد لها من التسلط على المستعمرات والطرق الرئيسية للبحار

وتطوف بأحلام النازيين خيالات غريبة ، وتصور لهم أوهامهم ما لا يمكن أن يتعلق به أمل ، فتراهم يقولون إن مأساة مونيخ قد كشفت عن ضعف انجلترا وشيخوختها ، وأن لا بد لهم من إضعاف انجلترا ، وتحطيم الامبراطورية البريطانية ، تلك الامبراطورية التى قال عنها كبيرهم أدولف هتلر وهو يحلق فى أجواء الخيال : « إن الإمبراطورية البريطانية تمثال ضخم هائل يقوم على رجلين من طين »

فأما فرنسا فيجمح الخيال بزعماء النازى فيقولون عنها إنها « أمة تحتضر » فلا يقام لها فى ميدان الصراع الدولى وزن أو اعتبار !

ولسوف تصدم الحقائق زعماء النازى صدمات قاسية أليمة ، وتوقظهم من أحلامهم إيقاظاً خشناً ، وإذ ذاك يعلمون إلى أعماق أية هوة ساقوا بلادهم !

ولعلهم حين تساورهم الأحلام فيتعلقون بأهداب تلك الأمانى الباطلة يؤمنون فى أعماق نفوسهم بقول الفوهرر : « إن كل

أكذوبة يمكن أن تساغ وتهضم ، على شرط أن تكون من الضخامة بمكان »

وليس بطمح الرجل الثالث فى أن : « يتخذ له مكاناً ليعيش فيه » وإنما يتشبث بالأمانى الكاذبة فتجمح به القوة الناشئة إلى حد الطموح إلى ضم الدنيا بأسرها تحت علم الصليب المعقوف ! والسياسة المنصربة التى طبعت تصرفات حكومة النازى إنما هى منبعثة عن تلك العقيدة الخاطئة وهى أن العنصر الآرى قد خلق للسيادة بينا خلقت العناصر السامية للعبودية !

وترى النازيين ينفخون تلك الروح فى شبابهم ، ويملأون بها جوانب نفوسهم فينادى نشيد الشبيبة الهتلرية :

« اليوم نملك ألمانيا ، وفى غد نملك العالم بأسره »

والآن فمن الذي أضرم نيران المطامع فى نفوس الألمان حتى أشعلوا نار الحرب الحاضرة ؟ إن الذى أجج تلك الروح إنما هو داعية دين القوة ، والمبشر بالإنسان الأعلى ، فريدرش نيتشه

لقد تروعك مبادئه وتعاليمه ، بل لقد تهولك قسوته وعنفه ، ولكن لا مفر من إجالة الفكر فى تلك التعاليم والمبادئ إن كنت تبنى مواجهة الحقائق مهما كانت قاسية وأليمة ، وكنت تريد أن تعلم من هو موقد نيران الحرب الحاضرة ، ومشعل الحرب العالمية من قبل

يذهب نيتشه إلى أن من أقوى الدلائل على الخور والاستسلام الذى أصاب المدنية فى القرن التاسع عشر ، وتفشى بين صفوف أبناء الغرب ، تحصنهم خلف ما يسمونه السلام الدائم ، وتذرعهم بما يدعونه الإنسانية التى هى أنشودة الضعفاء ، ورمز الانحلال ، وعنوان الاضمحلال ؛ لأن الحرب الدائمة ، على ما فيها من كوارث وويلات هى الحالة الضرورية لنهضة الأفراد والشعوب .

ويذهب الفيلسوف الهدام إلى أن الغريزة التى تسير الإنسان وتطبع كافة تصرفاته ، إنما هى غريزة حب السيطرة ، وإرادة القوة . وعنده أن الخير هو كل ما يعلو فى الإنسان بشعور القوة وإرادة القوة ، والقوة نفسها ؛ وأن الشر كل ما يصدر عن الضعف ، وأن السعادة فى الشعور بأن القوة تنمو وتزيد ، وأن لا رضى ، بل قوة أكثر وأكثر ، ولا سلام مطلقاً بل حرباً ، ولا فضيلة بل مهارة ، وأن للضعفاء العجزة يجب أن يفنوا ، وأن هذا هو أول مبدأ من مبادئ حبنا للانسانية ، وأن أشد الرذائل ضرراً إنما هى الشفقة على الضعفاء العاجزين .

وينادى نيتشه بأن مذهب دارون فى « تنازع البقاء » مذهب باطل ، فليست الحياة تنازع البقاء ، وإنما هى تنازع القوة وتنازع السيطرة . وما تاريخ الإنسانية إلا سلسلة متصلة الحلقات من تنازع السلطان والغلبة والقوة بين السادة وبين العبيد . فأما العبيد فيخترعون قيماً أخلاقية لا غاية لهم منها إلا إخضاع السادة لهم عن طريقها ، وإن هى إلا أسلحة مسمومة يستخدمونها رجاء أن يتحرروا من نير سادتهم ، ثم الطمع فى السيطرة عليهم بمجرد زوال سلطانهم

ويذهب ذاك الذى لا يؤمن إلا بالقوة إلى أن الضعيف يريد السلام والوفاق والحرية والمساواة ، لا يبتغى من الدنيا شيئاً إلا الاحتفاظ بالبقاء . ولكن القوى يؤثر أن يخوض غمار المشكلات ، ويواجه العواصف والأهوال غير وجل ولا هياب ، ويشرئب بآماله إلى تسنم الذروة ، وبلوغ العظيم من الأمور . الضعيف لا يرضى أن يخاطر بشيء ، فأما القوى فيغامر بكل شيء ، إذ أن حياته كلها عواصف وأخطار ، بل يبذل له نيتشه النصح أن « يعيش فى خطر » فذاك هو المبدأ الذى يكفل له الاحتفاظ بكل مظاهر القوة

ويبشر نيتشه بظهور الإنسان الأعلى . ولكن كيف السبيل إلى ظهوره حتى ينهض بالانسانية من كبوتها ، ويقيل العالم من عثاره . السبيل أن يؤمن الناس بالأرستقراطية والتميز ، ويكفروا بالديمقراطية والمساواة ! فبين الكيف والكم خصومة عنيفة . فأما الأول فينادى بالتفرقة وينكر المساواة ، ويؤمن بالفرد ولا يعنيه شيء من المجموع باعتباره مجموع وحدات متساوية ، فالكومة المكدسة من الرمال لا تساوى كلها أكثر مما تساويه حبة رمل واحدة . فأما الكم فكل شيء عنده سواء ، يريد أن يخرج الناس جميعاً فى صورة واحدة ، ويطبق عليهم مقياساً واحداً . فصيحته « المساواة ! المساواة » وشعاره « نحن جميعاً متساوون ! وليس هناك أناس أعلى من أناس ! » وترى أصحاب الكم يتحدثون عن « الأغلبية » و « المجموع » و « أكبر عدد ممكن » حتى

انحطت الحياة فى جميع مظاهرها إذ أصبحت السيادة والسلطان للدهماء على أصحاب الرؤوس المفكرة والشخصيات الخصبة الممتازة

فأى عجب وتلك تعاليم نيتشة التى تشبع بها جماعة النازى ، أن نسمع كبيرهم أدولف هتلر يقول عن أعضاء مجلس الريشستاج : « لست أدرى كيف يعهد بإدارة السياسة العليا للدولة لقطيع من الخراف رؤوسها خاوية »

بل كيف نعجب من إشعالهم لنيران الحرب الحاضرة والتهامهم الشعوب ، إذا كان أستاذهم نيتشه ينادى بأن الإنسان الأعلى رجل نضال دائم من أجل السيطرة والغزو والظفر ، لا يعنيه إلا أن يسير نحو الغاية التى رسمها لنفسه ، وأن أبغض شىء إليه السلام ، والحرب عنده أقدس شىء

وإذا أنت اطلعت على رأى نيتشه فى القيم الأخلاقية لم تدهش لتصرفات بنى قومه فى أى بلد اجتاحوه . فعنده أن الضعيف يسمى العجز « إحساناً وطيبة » ويسمى عدم القدرة على الانتقام والأخذ بالثأر : « صبراً » ويسمى حاجته إلى الآخرين وقصوره عن الاعتماد على نفسه : « رحمة » ويسمى عجزه عن إدراك المطامع السامية والغايات العالية : « تواضعاً » . فأما الأقوياء فيسمون الأشياء بأسمائها ولا يبتغون إلا الظفر والانتصار وتحطيم كل من يقف فى سبيل تحقيق آمالهم السامية فى الحياة غير حافلين بدموع تسكب ، أو دماء تسفك ، لأن قلوبهم الصخرية ، وعواطفهم المتحجرة ، تملأها المطامع والغايات ، ولا تجد الرحمة إليها سبيلاً

ولعلك تسأل عن السر فى مناهضة النازية للمسيحية وإرهاقهم لدعاتها ، وتنكيلهم بهم أحياناً ؛ وعندنا أنه لا كتشاف هذا السر ينبغى أن نقول لك : « فتش عن نيتشه » . فحملته الشعواء على دين عيسى ، ورميه هذا الدين بالضعف والانحلال الذى أصاب أوربا فى زعمه إبان القرن التاسع عشر ، كل أولئك حمل دعاة النازية على أن يعملوا كى تقفر جوانب نفوس الألمان من تلك العقيدة التى تدعو للسلام والرحمة وبذلك تجر للضعف والاستسلام وهم شعب الله المختار الذى خلق لسيادة الدنيا فى غير ضعف أو تخاذل !

ولا تحسبن الألمان ينكلون ببنى إسرائيل اعتقاداً منهم بأنهم سبب نكبتهم وباعث هزيمتهم فى الحرب العظمى . فاليهود فى نظر نيتشه هم أول من قاموا بثورة العبيد ، وهم الذين حاربوا السادة حرباً لا هوادة فيها ، وأذّنوا فى الناس بأخلاق العبيد لتكون سبيلهم إلى التسلط على السادة . وكذلك كانوا يوم قاموا فى وجه روما . وهكذا فعلوا حين أشاعوا فى الناس أخلاق الضعف والجبن والعجز والخور تحت أستار الحرية والمساواة !

* * *

والآن أرجو أن أقول إن الذى أوحى إلىّ بهذا البحث هو الكتاب القيم الممتع الذى وضعه عن « نيتشه » صديقى العالم الشاب الأستاذ عبد الرحمن بدوى . وإن أسلوبه الحار الملتهب ، وعباراته التى تنبض بالحياة فى كل موطن ، وإلمامه الشائق بحياة نيتشه ومبادئه وتعاليمه ، وتبسيطه لمبادئ الفلسفة الجافة حتى تسيغها العقول والنفوس ، وطريقته فى عرض الآراء وبسطها ، كل أولئك قد أغرانى بأن ألتهمه التهاماً فأحببت أن أغرى الشبان بمشاركتى فى هذا المتاع المثالى .

عبد المجيد نافع

على هامش الأبحاث النفسية والفلسفية

الفصل بين القيم الذاتية

ظاهرة من ظواهر الرقى

للدكتور محمد البهى

كما أن من ظواهر المدنية والحضارة فى سياسة الأمة الفصل بين السلطات المختلفة، كذلك من ظواهرهما فى وزن الأعمال وتقدير الإنتاج الفردى « الفصل بين القيم الذاتية » ، لأن الثقافة تنوعت تبعاً لتنوع الحياة ، وأصبح لكل نوع من أنواعها قيمته الخاصة لأنه يؤدى غرضاً فى الحياة بعينه لا يعوض من طريق آخر .

والنظرة إلى إنسان اليوم غيرها إلى إنسان الأمس ، أو يجب أن تكون غيرها ، لأن له واجباً فى الحياة، وعليه تبعة نحو المجتمع، وله قيمة فى أية ناحية من نواحيها. فالشعبى والأرستقراطى سواء فى القيام بالتكاليف العامة ، وفى استحقاق التقدير على أداء الواجب المكلف به . إلا أن بعض القيم ، قد يختلف لا من حيث ذاته ، وإنما من حيث نظرة المجتمع إلى ناحية من الحياة التى تتصل به .

فقيمة الفرد قد تكون فى علمه ، فهو صاحب قيمة علمية ؛ وقد تكون فى فنه، فهو صاحب قيمة فنية ؛ وقد تكون فى سلوكه، فهو صاحب قيمة خلقية ؛ وقد تكون فى موهبته الاقتصادية ، فهو صاحب قيمة اقتصادية؛ وقد تكون فى إصلاحه، فهو صاحب قيمة إصلاحية ... وهلم جرا . وكلها متساوية فى ذاتها إلا أن المجتمع وما يسود فيه من نظرة إلى الحياة هو الذى يخص بعضها بالتفضيل . فإذا كان المجتمع مثلاً متشبعاً بفكرة الإنسانية Homanism كان اتجاه تقديره إلى الصفة العلمية . وإذا كان متديناً أو يغلب عليه إقحام الدين والعادات والتقاليد فى آرائه كانت نظرته الأولى فى التقويم إلى الصفة الخلقية . وإذا كان فى حاجة ماسة إلى الإصلاح الإدارى أو الاجتماعى لم يكد يعرف فى حكمه على الإنتاج الفردى غير القيمة السياسية . وهكذا فى الناحية الفنية من أدب وموسيقى وتمثيل وتصوير ... الخ

وعلى الفصل بين هـذه القيم والاعتراف باستقلالها الذاتى درجت مدنية القرن العشرين ، وقام التهذيب الحديث ، وتأسس الإصلاح الاجتماعى

فغاية مدرسة اليوم إعداد الفرد للتمييز بين نواحى الحياة والاعتراف أدبياً . بكل مجهود فى أية ناحية من نواحيها . غايتها إعداده لأن يكون موضوعياً Obijektive فى حكمه على الإنتاج الفردى غير متأثر بميوله ورغباته أو بالإيحاء والتقليد . غايتها تهيئته لأن يكون مستقلاً ، وهذا هو السبب الذى من أجله لا يأنف الأوربى أو الأمريكى من مزاولة أى عمل . ومن أجله لا يبخس الغربى قيمة أى فرد فى إنتاجه ولا ينظر إليه شزرا إذا كان دخله من عمله أقل من دخله هو مثلاً . هذا هو السبب الذى من أجله ملك الأوربيون كل ميادين النشاط الاقتصادى تقريباً فى البلاد الأسيوية والأفريقية

والإصلاح الاجتماعى الحديث يقوم أيضاً على الاعتراف بالفرد ــ وهو غير الفردية ــ وهذا معناه الاعتراف بقيمته فى أية ناحية . هناك طبقات ، ويظهر أن وجودها ضرورة اجتماعية لداعى رابطة خاصة تربط فريقاً من الناس ، ولكل طبقة قيمتها . وتفضيل طبقة على أخرى لغلبة نظرة من نظرات الحياة فى وقت بعينه ؛ ولكن ليس معنى هذا التفضيل احتقار الطبقة الأخرى وإهمالها، لأن الإهمال لم يعد الآن وسيلة من وسائل الحياة المتحضرة، كما أن الاحتقار لم يصبح فى جملة الأحكام التقديرية

والطابع الاجتماعى للقرن العشرين الآن هو المساواة . وطابعه السياسى الديمقراطية . حتى داخل الحكومات الديكتاتورية ، فهذه قامت على هدم تحكم إحدى الطبقات فى الأخرى . قامت على الحدّ من الرأسماليين والتضييق على الأرستقراطيين

وحقاً إن الفصل بين هذه القيم والاعتراف بذاتيتها من ظواهر التمدن ورقى الإنسان ، لأنه دليل على عدم إدخال الرغبات والميول ، أى على عدم إدخال الناحية الشخصية فى الحكم على عمل الغير وإنتاجه . والفرد لا يطلب حقاً فى الحياة أكثر من الاعتراف بقيمته الذاتية فى أية ناحية، لأنه على أساس هذا الاعتراف سيعيش معتداً بنفسه ، وسيعمل جاداً فى عمله ، ومسروراً من عمله لأنه لا غنى ــ فى نظره إذاً ــ لمجتمعه عنه . والمجتمع لا يطلب أكثر من اشتراك أفراده فى بناء صرحه، ولا أكثر من أن يشعر كل فرد فيه بسعادته الشخصية ومتعته النفسية

والعصور الماضية إذا قيست بعصرنا الذى نعيش فيه كانت ميزتها فى الخلط بين هذه القيم وعدم التفريق بينها عند إصدار الأحكام التقديرية . فقيمة الفرد تهمل ، ووجوده يهمل كذلك

إذا كان إنتاجه فى غير الناحية التى ينظر إليها المجتمع ويطالبها لعوامل خاصة . فالعالم صاحب القيمة العلمية أو الفنية كثيراً ما اضطهد ، ولم يهمل وجوده فحسب ، لأن سلوكه فى بحثه كان على أساس النقد وعدم التسليم مبدئيًّا بما فرضه عليه وقته من عقيدة(Dogma). وقد كانت الناحية التى تقوم فى ذلك الوقت، وبجانبها تهمل كل ناحية أخرى فى التقويم ، هى الناحية الدينية أى السلوك طبقاً لأوامر رجال الدين . وبعض الطبقات كان يستعبد ويباع ويشرى ، وهى طبقة الرقيق ، لأن الناحية التى كانت تقدر حينئذ ناحية الشرف والجاه ، وليس لهذه الفئة من جاه من ثروتها أو ثقافتها

وهذه الظاهرة ، وهى ظاهرة الخلط وإهدار القيم الأخرى ما عدا قيمة الناحية المطلوبة ، تشبه فى تطور الأمم ظاهرة الطفولة فى أدوار نمو الإنسان . فالطفل لا يميز ذاته عما فى بيئته ؛ وبعبارة أخرى لا يعرف قيما للأشياء إلا بقدر ما تشبع بعض رغباته أو تلبى بعض ميوله . فالحسن عنده ما انتفع به، والقبيح هو ما لم يستطع السيطرة عليه ؛ فأمه « حُوَّة » إذا لبت رغبة له، و« كُخَّة » إذا منعت عنه بعض ما يطلب

وبالتالى ظاهرة الفصل بين القيم والاعتراف باستقلالها عند أمة من الأمم تحاكى دور النضوج وبلوغ الرشد العقلى لدى الإنسان . فقدرة تصرف الرشيد معناها التمييز بين النافع فى ذاته والضار فى ذاته . معناها الاعتراف بالقيم الذاتية واستقلالها

لنا الآن أن نسائل أنفسنا : فى أى طور من أطوار النمو تعيش الأمة المصرية ؟ هل بلغت طور الرشد أم لم تجاوز بعد دور الطفولة ؟

لنرجع إلى وصف ما يسود فيها من ظاهرة تتعلق بإصدار الأحكام التقديرية، وعلى أساس هذا الوصف المميز Charactaristic يمكن أن نعرف فى أى طور تعيش

طبيعى أنه يسود مجتمعنا كـكل مجتمع إنسانى نظرة معينة فى الحياة . والنظرة الغالبة فى مجتمعنا النظرة الدينية أو نظرة التقاليد . وسواء أ كانت سيطرة هذه النظرة على مجتمعنا الآن دليلاً على تغلب الناحية « اللاشعورية » وهى ناحية النزعات ، أم دليلاً على « إدراكه » لأهمية الدين فى تكوين المجتمع فإن ذلك لا يعنينا فيما نحن بصدده .

هل مجتمعنا يعترف بقيمة الفرد العلمية أو الفنية ، السياسية أو الإصلاحية أو الاقتصادية إن خرج فى سلوكه الفردى عما رسمته التقاليد ؟ ألا يحكم عليه بالفسوق والمروق — على الأقل — عن التقاليد والأخلاق القومية إذا ما أنكر فى بحثه بعض التقاليد أو بعض مبادئ هذه الأخلاق ؛ وبعبارة أخرى إذا لم يسر وفق ما تتطلبه نظرتنا فى مجتمعنا إلى الحياة ؟

أغلب الظن أن هذا هو الذى يقع بالفعل . فالعالم جاهل لأنه « متفرنج » أى مقلد غير ما هو شعبى مألوف بيننا ، وزنديق لأنه يرى « الاجتهاد » من ضروريات العصر ، وهو غير مألوف أيضاً فى أبحاثنا . والمفكر لا خلق له ، أى ليست له قيمة بحسب نظرة المجتمع لأنه يميل إلى النقد وعدم الإذعان لـكل ما هو مألوف فى نقلنا الثقافى

وإذا تجاوزنا دائرة العلم والبحث إلى العلاقات الاجتماعية ، وجدنا الصديق ينكر على صديقه بالأمس كل قيمة لأنه لم يف بوعد ربما ألجئ لأسباب خاصة إلى عدم الوفاء به . ووجدنا الزميل يأبى إلا تجريد زميله من كل اعتبار لأنه ينافسه فى زمالته ، وربما كان شريفاً فى منافسته . ووجدنا الرئيس يفحص قيمة مرؤوسه لأنه أخذ — أى المرؤوس — عليه خطأ فى تصرفه أو خالف المألوف من تملقه ...

كذلك نجد بعض الأعمال مفضلاً على بعض ، وبعض المهن يرفع حتى الذروة، والبعض الآخر يحط من شأنه حتى الحضيض . نجد عامة الشعب لا يُعتَرف بوجودها عملياً، بينما نجد خاصته تمثل دور حكام الإقطاعيات

فنواحى النشاط المختلفة فى الحياة ، وأنواع الثقافات المتعددة، لم تأخذ بعد فى مجتمعنا قيمتها الذاتية . وتقديرها فى الغالب مبنى على التأثر بما يسود المجتمع من نظرة إلى الحياة ورأى بعينه فيها ، مبنى على التأثر بالعنصر الشخصى والرغبات والميول

ولهذا أظن أن مجتمعنا لم يزل فى دور الطفولة، لأنه لا يفصل فى تقدير الأعمال وتقويم الإنتاج الفردى بين القيم الذاتية بعضها تجاه بعض، كما لا يفرق بينها وبين ذاته وشخصه .

محمد البهى

في النحو

قــد لا يكون

لأستاذ جليــل

قال الأستاذ أحمد بك العوامري في (بحوث وتحقيقات لغوية متنوعة) في مجلة «مجمع فؤاد الأول للغة العربية»:

«نسمع كثيراً، ونرى في الصحف نحو: قد يجيء محمد اليوم، و (قد لا يجيء)؛ ونحو: (قد لا نكون منصفين إذا قلنا كذا ... وهو ما لم يرد في كلام العرب. فقد قال ابن هشام في المغني: وأما (قد) الحرفية، فختصة بالفعل المتصرف الخبري المثبت المجرد من جازم وناصب وحرف تنفيس. وهي معه كالجزء، فلا تنفصل منه بشيء، اللهم إلا بالقسم ا. هـ ونحو هذا في القاموس. وقال في شرحه عند قوله المثبت: اشترطه الجماهير ا. هـ فلاصلاح العبارة يعتاض من (قد لا يجيء) مثلا قولك: (ربما لا يجيء)».

أقول: وقال ابن يعيش في شرح المفصل: «اعلم أن قد من الحروف المختصة بالأفعال، ولا يحسن إيلاء الاسم إياه، وهو في ذلك كالسين وسوف. وهي (أي قد) بمنزلة الألف واللام التي للتعريف، فكما أن الألف واللام اللتين للتعريف لا يفصل بينهما وبين المعرّف كان هذا مثله إلا أن قد اتسعت العرب فيها لأنها لتوقع فعل، وهي منفصلة مما بعدها (فيجوز الفصل بينها وبين الفعل بالقسم)، لأن القسم لا يفيد معنى زائداً، وإنما هو لتأكيد معنى الجملة، فكان كأحد حروفها». وقال الرضيّ في شرح (الكافية): «ولا يفصل قدمن الفعل إلا بالقسم».

قد عناني من أمر هذا البرزخ، هذا الحائل: (لا) ما عنى الأستاذ الفاضل العوامري فاستقريت وفتشت، فوجدت ما أنا ممليه اليوم في «الرسالة» الغراء. ولو أدمنت[1] على التنقيب لضممت إلى هذا (الإملاء) شيئاً كثيراً:

(١) الشيخ اليازجي يقول: يقال أدمن العمل ولا يقال أدمن عليه، الضياء المجلد (٧) الصفحة (٣٥٤) وفي الأساس: وأدمن الأمر وأدمن عليه: واظب

١ — كتاب (الأم) للامام الشافعي[1] الجزء (٣) الصفحة (٦٥): «... كما أكره للرجل أن يشتري السيف على أن يقتل به، ولا يحرم على بائعه أن يبيعه ممن يراه أنه يقتل به ظلماً، لأنه (قد لا يقتل) به، ولا أفسد عليه هذا البيع»

٢ — لسان العرب. الجزء (٢) الصفحة (٣١١): قال الخليل بن أحمد: الأمور على ثلاثة أنحاء، يعني على ثلاثة أوجه، شيء يكون ألبتةَ[2]، وشيء لا يكون البتة، وشيء قد يكون و (قد لا يكون) ...

٣ — الخصائص لابن جني الجزء (١) الصفحة (١٩) ... كما أن القول (قد لا يتم) معناه إلا بغيره

٤ — الأنموذج في النحو للزمخشري الصفحة (١٠٢): ولا لنفي المستقبل، والماضي بشرط التكرير و (قد لا يتكرر) نحو لا فعل

٥ — إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن للعكبري الجزء (١) الصفحة (١٣٥): (أن قد صدقتَنا) أن مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف، وقيل أن مصدرية و (وقد لا تمنع) من ذلك

٦ — الفروق لأبي هلال العسكري الصفحة (١٨٢): الفرق بين الطاعة وموافقة الإرادة أن موافقة الإرادة قد تكون طاعة، و [قد لا تكون] طاعة

٧ — شرح شذور الذهب لابن هشام الصفحة (١٣٨): تنعت أي باسم الإشارة كقولك يا أيهذا، والغالب حينئذ أن تنعت الإشارة كقولك:

ألا أيهـذا الزاجري أحضر الوغى
وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي[3]؟

و [قد لا تنعت] كقوله: (أيهذان كلا زاديكما) ومثل ذلك

(١) في طبقات الشافعية: عبد الملك بن هشام: الشافعي ممن تؤخذ عنه اللغة. وفي الكشاف: وكفى بكتابنا المترجم بكتاب (شافي العي من كلام الشافعي) شاهدا بأنه كان أعلى كعبا وأطول باعا في علم كلام العرب من أن يخفى عليه مثل هذا

(٢) قال فريق من اللغويين: ألبتة بقطع الهمزة، وقال فريق منهم: البتة بوصلها. فاقطع (يا أخا العرب) أوصل ... ونصبه على المصدر، ومذهب سيبويه وأصحابه أن البتة لا تكون إلا معرفة، وأجاز الفراء التنكير، فعرف (بانفي) في كلامك أو نكر ...

(٣) أحضر بالرفع وهو القول البصري، وبالنصب وفي رواية: ألا أيها اللاحي أن أحضر الوغى

فى الصفحة (٢٠٥) والصفحة (٣٩٥)

٨ — شرح الكافية للرضى الجزء (٢) الصفحة (٣٧٣) : وأما المنقطعة (يعنى أم) فـ [قد لا يتقدمها] الاستفهام ، وقد يتقدمها الاستفهام بالهمزة أو بهل …

٩ — المقابسات لأبى حيان التوحيدى الصفحة (١٨١) : سئل أبو سليمان هل يجوز أن يقال : الإنسان ذو نفس كما يقال هو ذو ثوب وذو مال ؟ قال : أما على التحقيق فلا ، وذلك أن الإنسان قد يكون ذا ثوب وذا مال و [قد لا يكون] ويستحيل أن يكون الإنسان إنساناً إلا وهو ذو نفس إلا على السمة والمجاز(١) …

١٠ — مفاتيح الغيب للرازى الجزء (٤) الصفحة (١٣٠) : « ثم ههنا بحث آخر ، وهو أن المداوة والصداقة يمتنع أن تحصل باختيار الإنسان ، فإن الرجل قد يبلغ فى عداوة غيره إلى حيث لا يقدر البتة على إزالة تلك الحالة عن قلبه ، بل [قد لا يقدر] على إخفاء تلك المداوة . ولو أنى بكل تكلف وحيلة لمجز عنه . ولو كان حصول المداوة والصداقة فى القلب باختيار الإنسان لوجب أن يكون الإنسان متمكناً من قلب المداوة بالصداقة وبالضد . وكيف لانقول ذلك والشعراء عرفوا أن ذلك خارج عن الوسع ؟ قال المتنبى :

يراد من القلب نسيانكم وتأبى الطباع على الناقل

والعاشق الذى يشتد عشقه قد يحتال بجميع الحيل فى إزالة عشقه ولا يقدر عليه . ولو كان حصول ذلك الحب والبغض باختياره لما عجز عن إزالته » ومثل ذلك فى الجزء الثالث الصفحة (١٩) والجزء الثانى الصفحة (٣٥٢)

١١ — الإيضاح للخطيب القزوينى الجزء الأول الصفحة (١٠٦) : « … لأن الجملة [قد لا تكون] طلبية كقولنا : نعم الرجل زيد »

١٢ — الموافقات لأبى إسحاق الشاطبى الجزء (٢) الصفحة (٢٠٠) : « وغائبات الأمور [قد لا تكون] معلومة » ومثل ذلك فى الجزء (٤) الصفحة (٨)

١٣ — البصائر النّصيرية لزين الدين الساوى الصفحة (٤) : وقد يتردد فى أمور بعد إدراك المحسات وانتزاع القضايا منها ،

(١) قيل له فهل تقول : إن النفس ذات إنسان ، قال : لا ، لأنها غنية من الاضافة ، ألا ترى أنه لا يقال : إن الثوب ذو إنسان وإن اليد ذات إنسان كما يقال : الانسان ذو ثوب وذو يد لأنه لا حاجة بالثوب إلى الانسان وإنما الحاجة بالانسان إلى الثوب واليد …

و [قد لا يجد(١)] إلى الحكم الجزم فى بعضها سبيلاً

١٤ — الفرزدق — وبين الحليفتين عصبة حروف ، عصبة أم … لا (لا) فقط، والفعل ماض فالخطب أطم — :

فقالت : سوى ابنى لا أطالب غيره
و [قد يك عاذت] كلم وغلابها

أرى ابنَى نفيل من يكون أباله
وعما فـ [قد يوم الرهان تمهلا(٢)]

على من جرى والرافعين أكفهم
إلى كل فرع كان بالمجد أطولا

* * *

تلكم أقوال نحويين ولغويين وأدباء وعلماء متقدمين ومتأخرين، فليس ذاك القول بجرَدى عصرى كما حسب الأستاذ العوامرى حتى نحايده . وإن لم تقله العربية الأولى فقد نطق به الأُلى تلوتَ كلامهم ، وفيهم من فيهم . والنحاة يقولون كثيراً : (هذا جائز وإن لم يرد) وإذا أنتجت الحاجة فى الحضارة العربية هذا المسمى بالمولد فجاء من (الكُنْه) (اكتنه(٣)) وما أشبهه ، وتقبله الأدب والعلم ، ألا يسوغ أن يُتبحبح فى (قواعد) بعض تبحبح بُحد اللغة العربية، فتجىء قاعدة مولدة كما جاءت الكلمة المحدثة . وقد قرأنا فى (الكليات) : « كل مبتدأ عقب بإن الوصلية فإنه يؤتى فى خبره بإلا الاستدراكية أو بلكن مثل (هذا الكتاب وإن صغر حجمه لكن كثرت فوائده) وذلك لما فى المبتدأ باعتبار تقييده بأن الوصلية من المعنى الذى يصلح الخبر استدراكا له ، واشتمالاً على مقتضى خلافه »

والمثل الذى أورده أبو البقاء إنما هو محدث والقاعدة مولدة

وإذا قال أبو حيان فى شرح التسهيل : « العجب ممن يجيز تركيباً ما فى لغة من اللغات من غير أن يسمع من ذلك التركيب نظائر . وهل التراكيب العربية إلا كالمفردات اللغوية ، فكما لا يجوز إحداث لفظ مفرد كذلك لا يجوز فى التراكيب .

(١) ممن ورد فى كلامهم مثل ذلك من أهل عصرنا ـ اليازجى والرافعى، والزيات والمازنى وكرد على والمردى والريحانى والبشرى وطه .

(٢) من قوله الشيخ حمزة فتح الله فى تقريظ كتاب (كمال العناية) : قد ولاشك لحظتك فيه عين العناية

(٣) إذا قال الجوهرى فى صحاحه : كنه الشىء نهايته ، ولا يشتق منه فعل ، وقولهم : لا يكتنهه الوصف بمعنى لا يبلغ كنهه أى قدره وغايته كلام مولد — فالحريرى يقول فى السادسة والأربعين : فجلست إليه لأبلو جنى نطفه ، وأكتنه كنه حقه . وأساس البلاغة يقول : اكتنه الأمر بلغ كنهه ، وعندى من السرور بمكانك ما لا يكتنهه الوصف

من الأدب الرمزى

هكذا تكلم بردى (*) !

للأستاذ على الطنطاوى

تفتحت أبواب السماء بغيث منهمر استمرّ ليلة من (تلك) الليالى طولها عشرة آلاف سنة ، فأغرق البحر وابتلع البرّ ، ومدّ أصابعه من خلال التراب وأدخلها من شقوق الأرض حتى بلغ (بردى) وهو (جنين) فى بطن أمه الأرض ، تطيف به أحشاء ليّنة من جَلْمَد الصخر ، تحنو عليه وتغذيه ، فغمره بالماء حتى ضاق به مكانه ، وامتد البلل إلى عظامه فخرج ...

وكانت الشمس قد طلعت على الأرض بعد (تلك) الليلة تمنحها الدفء وتغمرها بالنور ، و (تحدّد) فيها مملكة البر والبحر بعد أن كانت بحراً كلها ؛ فوقف (الوليد) ينظر مشدوهاً فيرى سهلاً أفيح جميلاً تحيط به جبال يَتِهْنَ شباباً ويَمِسْن جمالاً ، ولكنه عارٍ أجرد ، فآلمه عريه وتجرّده ، وود لو سعى فى أرجائه يزرع فيه الحياة ويضع فى تلك السفوح (بذور) المدن والقرى . ولكنه كان ضعيفاً (فلم يستطع أن يمشى) ، وتصرم النهار وهو جاثم مكانه لا هو قادر على الرجوع إلى بطن أمه ، ولا هو قادر على السير ، وأوحشه سكون الليل وظلامه ، ولم يعطف عليه الجبل ولا سامره السهل ، فلبث وحيداً حتى جاءت فتاة من بنات (الدّلب) كانت قد سمعت به فأحبت أن تراه ، فلما أبصرته عشقته وحنت عليه ، وأضجعته على ركبتها (تهمس) فى أذنيه أحاديث المدن البعيدة الحلوة والأودية المسحورة . . . حتى نام !

* * *

ومرت أيام نما فيها الوليد ، فغدا (صبيا) يمشى فى السهل ، ثم شب فصار (فتى) قويًّا ، (يعدو) نحو الوادى عدواً ...

راع ظهوره أهل تلك الديار فأعرضوا عنه بادئَ الرأى ، ثم مالوا إليه فأحبوه ، واتخذوا مولده عيداً ، فنشر له السهل أعلامه الخضر ، وجمع له باقات الزهر ، وفرش له الجبل سفوحه ، وزيّنها بالورد ، وملكوه عليهم ...

وكان (بردى) الشاب ، طموحاً عالى الهمة ، فلم يقنع بملك ذلك السهل ، سهل الزبدانى ، ولم يكفه أن خضعت له جبال مضايا وبلودان ، وأبى إلا أن يخرج فاتحاً لا يقف حتى يملك الوادى كله ، فحشد عسكره ، ودخل الوادى بطبوله وراياته يثب على الصخر وثباً ، ينشد أنشودته (الهادرة) ، ولم يكن فى الوادى إلا أميرات صغيرات ، ملكهن صخرة يخرجن من تحتها ، وساقية يجرين فيها ، فلم يلبثن أن بايعنه وخضعن له ، واندمجن فى جيشه ، وسمعت الأشجار بمسيره فقامت على طريقه صفين تحييه و (تصفق) له

حتى إذا اقترب من (الفيجة) جاءه رائده فقال له : قف ، فإن ههنا ملكة جبارة عرشها صخرة هائلة ، وجيوشها تملأ الوادى وتمتد إلى أبواب المدينة الأبدية الأزلية التى كانت من قبل ، وستبقى بعد الدائن كلها : دمشق !

(فقهقه) بردى ضاحكا من حماقة رائده . أى مدينة وجدت من قبله؟ وأى شىء يعرف القدم والبقاء إلا الله القديم بلا ابتداء، الباقى بلا انتهاء ؟ ثم زمجروا أقسم لئن وجد تلك المدينة قائمة من قبله ليدكنها دكا . وإن وجدها تنتظره ليجعلنها بإذن الله سيدة مدن الأرض وأمها ووارثتها . أما تلك الملكة فليحطمنّ عرشها ، ويبددن جندها ...

* * *

لأن جميع ذلك أمور وضعية ، والأمور الوضعية تحتاج إلى سماع من أهل ذلك اللسان . والفرق بين علم النحو وبين علم اللغة أن علم النحو موضوعه أمور كلية، وموضوع علم اللغة أشياء جزئية، وقد اشتركا معاً فى الوضع [1] » — قيل لشارح التسهيل : إن القوم فى الحضارة قد أحدثوا — محكمين مدققين — ألفاظاً ما عرفتها العربية السالفة . وإذا كان ذلك ولم ينكر فهل يُصدُّ (احتياج) أحدث لفظاً رأى إحداثه، أن يبدع — محتاطا — تركيبا ؟

وهنا هذا الحديث : إن اللغويين لم تحوّش كتبهم ألفاظ اللغة كلها ، وقد فر شى كثير . فهل يستطيع الناحى أن يقول معتزاً : (علمُنا علمُ إحاطة) وقد استقرَت قواعدنا كل تركيب فى كلام العرب ، وما فرّط (الكتاب [2]) من شىء

هل يستطيعن ... ! ؟

« ؟ »

(*) أنظر مقالى من بردى فى الرسالة (عدد ٥٢)

(١) المزهر (٢) يعنى الكتاب لسيبويه

وتقابل البطلان بردى (الأسمر) القوى (سلطان الزبدانى) النازى الفاتح، والفيجة (البيضاء) الفتانة (ملكة الوادى) واصطف الجيشان هذا من هنا، وهذا من هناك لا يختلطان[١].

ثم أقبلا فاصطرعا. فنلبت رجولة بردى وخضعت له الفيجة وسارت تحت ركابه ذليلة صاغرة، وهى أعز منه جنداً، وأسمى نسباً، وأكرم عنصراً

ومشى يجول فى الوادى ويصول، ويملأ أرجاءه بنشيده الحماسى المرعد

لم يجاوز إلا قليلاً حتى قابل أميرة صغيرة تخطر على السفح الجميل، وفى (عينها الخضراء) صفاء وفيها وداعة ولها سحر، كأن الناظر إليها يشرب منها خمراً، تلقى أغنيتها بصوت ناعم حالم. كأنه همس القلب فى أذن الطيف الحبيب. فأصغى إليها الجبل الأصم، ومال من الحنو عليها، وعانقتها الشمس. فلما اضطرت إلى فراقها احمر جفناها[٢] من كثرة البكاء. فذابت من حرارة الوجد قلوب (الثلج) وسالت مدامعها على خدود الجبال فاخضرت منها السفوح، فمن ذلك سميت (الخضراء). ثم لما عادت الشمس بسم الوادى، فمن ذلك سمى وادى (بسيمة)[٣] وكان لهذه الفتاة أم وصتها حين ألقتها فى لجة الحياة أن تحترس من النهر، وتحذر أن (يخطفها) ثم (يبتلعها) فإنه شاب غدار طياش ...

***

لما أحس بها بردى صرخ مختالاً: من هذا الذى جرؤ على أن يمشى مى فى الوادى، وينتزع منى مجدى، وتبسم له الشمس من دونى، ويحنو عليه وتسمع نشيده الصخور الصم ولا تميل على ولا تصغى لنشيدى ؟...

فلما أبصرها شغفته حباً، ودلهته غراماً، فعمد إليها ليخطفها، فقامت دونها الصخور ووقفت تحميها (الدلبة)[٤] العظيمة التى تعيش هناك، وتلوح بأذرعها مهددة، فعجز عنها. وأنى له الوصول إليها وهى نائمة فى حضن الجبل ومملكته لا تتجاوز الوادى ... فحطم الحب كبرياءه، وما أجل ما يفعل الحب! فتطامن ومشى ذليلاً. فلما رأته فتنها بصمته، وحرك قلبها بأحزانه فمالت إليه، وشغفت (ببريق) عينيه وقوته وشبابه، فنسيت وصاة أمها، وتمنت لو نامت على ذراعيه. فلما جربت ذلك حملها وطار بها إلى دمشق

ومر على بردى نصف مليون من السنين، وهو السيد المطلق، يجرى حراً أبياً، لا يقف فى وجهه شىء، حتى يجوز بدمشق، ثم يذهب فيستريح فى (العُتيبَة)... ثم ظهر الإنسان على الأرض، وظهر بردى على الطبيعة، فويل له من الإنسان!

***

وفى ذات صباح جاءه طائر يلهث عطشاً. فلما سقاه أحب الطائر أن يجزيه خيراً، فخبره أنه رأى هناك فى الرمال المحرقة التى تملأ (الجنوب) أمة من الناس، يمشون فى طلب الماء. وقال له: إنى أخاف عليك منهم، فهم من أهل الجزيرة التى لا تغلب. من العرب. إنهم بنو الشمس، بنو الصحارى، بنو الموت، أفتظن أن الموت يمس أبناءه ؟

فضحك بردى وصرفه بسلام!

***

ووصل أول رجل من القافلة، وكان من أهل (الجزيرة). وهل خرج إلى الدنيا فى فجر الحياة غيرهم ؟ فلما رآه صاح بإخوته أن تعالوا انظروا كم يحمل من ماء الحياة ونحن هالكون عطشاً. فاقبضوا عليه كيلا يفلت من أيدينا. ضموا له الحواجز فى طريقه كيلا يهرب ...

وأراد أن يضربهم ضربة واحدة فيهلكهم فلم يقدر عليهم. وقدروا هم عليه فأحس أن نجمه قد شرع فى الأفول ... عطلوه عن سيره، وغلبوه على أمره، ثم صنعوا معه صنع كل عدو غالب. فرقوا جماعته، وجعلوا أمته الواحدة أمماً سبعاً، فبعد أن كان كله بردى صار بردى ويزيد وتورا وبانياس والقنوات والديرانى والقناة، ثوروا عليه أبناءه حتى استقلوا عنه واعتصموا منه بأكناف الجبلين ... ثم سلبوه الفيجة واستاقوها (مقيدة بالحديد) إلى دمشق ...

ولقد غضب بردى مراراً وهاج، فكان يهجم على المنازل

---

(١) ذلك مشاهد إلى اليوم فى الفيجة

(٢) أعنى حمرة الشفق

(٣) من زار الشام ومصايفها ولم ير بسيمة والعين الخضراء فلا يقل إنى رأيت الشام لئلا يقول غير الحق

(٤) فى بسيمة عند العين واحدة من شجرة الدلب لا يدري أحد متى ولدت. وقد أدركت فى الشام دلبة أعظم منها، كانت فى شارع فيصل، فى مدخل السروجية، أحسبها قد أدركت معاوية بن أبى سفيان وقد نخرها الكبر، فاتخذوا فى جوفها مخزنا. وأظن أن محيط جذعها كان أكثر من اثنى عشر مترا. وكان يستند إلى فرع منها جناح كبير من منزل كان هناك، وقد قطعها جمال باشا (عليه من الله ما يستحق) مثلما قطع أعناق البشر!

وساكنيها، فيشردهم شذر مذر، ولا يبقى منها حجراً على حجر، ويحسب أنه انتهى منهم ، فإذا هم يلدون غير من مات ، ويبنون غير ما انهدم ... فكل وأيس ... وأحس أنه صار شيخاً !

***

ووقفت على بردى وهو يمشى فى (المرجة) رحبة دمشق تحت قصر أمية مشية الشيخ العاجز المتهافت ، فقلت له : هيه ... مالك ؟ تعبت ؟ أو قد شخت ؟

قال: دعنى يا غلام ، فإنى أساير الأيام، فلما كانت مقبلة جادة كنت أقبل معها عدواً ، فلما تولت وهزلت ... توليت ...

ومالى لا انى ، وقد باد مجدى ، وساء جدى ؟ ألا يا ليتنى ما عرفت الإنسان !

وسكت لحظة ، ولاحت على خده دمعة تجرى مع الماء ، ثم قال : على أنى رأيت والله ناساً كراماً ... أجلونى وعرفوا قدرى، وكنت أمر بين أيديهم مر الرحيق السلسل ... وكنت أمشى فى الرياض على فتيت المسك ، وأنام على غناء ، وأصبح على شعر ، وأضحى على كرم ومجد ونبل ... فأين أنت يا قصر البريص[1]

وأين أولئك الذين كانوا لباب البشرية ، وكانوا مثلها العليا مجسمة ، أولئك المسلمون الذين شادوا مجداً جدع أنف الدهر ؟ أين ذلك الرجل[2] الذى مر على يوماً وكنت أمشى فى الربوة على باب دمشق فى الموضع الذى امتلأ هواؤه بجراثيم ذلك المرض الفظيع، فلا يمر به أحد إلا أصيب به، المرض الذى يسمونه الحب فلا يذهب إلى الربوة من كان يخاف الحب ، لأنه لا يرى هذا الجمال إلا تفتح له قلبه ، فذهب يفتش عمن يحب ... مر على ذلك الرجل العظيم، فرأى الأغنياء لهم فى الربوة قصور ومنازل، والفقراء ما لهم إلا حجارة الجبل وحصى الوادى ، فلم ينصرف حتى أقام لهم متنزهاً ما رأى الناس مثله ، يجرى تحته (تورا) ، ويجرى فوقه (يزيد) ، وهو بينهما جنة ، فيها ما تشتهى الأنفس وتلذ الأعين . فإن اشتهوا تمراً مدوا إليه أيديهم ، وإن اشتهوا لحماً ناولتهم السمك حياً ، فنقلوه من الماء إلى المقلاة[3] ، وإن أرادوا لذة العين وجدوا ما لا مزيد عليه فى دار الدنيا ، وعند الله فى الآخرة مزيد ...

فأين أولئك الناس ، وأين اليوم أمثالهم ؟

وسكت بردى هنية ، ثم رجع يقول ...

لقد شاقتنى أمس تلك القصور وهاتيك المنازل، وقد سدوا إليها الموارد ، وأقفلوا الأبواب ، (فانسللت) من شقوق الأرض حتى بلغت قاعة فى الدار العظيمة ، دار القوتللى ، التى ترى عرصاتها من (منارة العروس) إذا أنت صعدت إليها ، ونظرت إلى ما تحتك إلى الشمال ، ووراء قبر الملك الظاهر ، ترى عرصاتها فتحسبها حياً كاملاً ، أو أطلال قرية كانت هناك ... دخلت القاعة فيا أسفى ، ماذا وجدت ...

لا الروض باق ولا أهلوه باقونا ... ذوى الزهر ، وجف الماء ، وصارت البرك حفراً قاحلة ، وقد كانت تضحك فيها أوانس الماء متراقصة ضحك الحياة فى هذه الدار . . . وتعرت الجدران ، وقد كانت نقوشها ومقرنصاتها آية فى مصحف الفن ...

اللهم إنى أستغفرك ـ ولم يبق من ذلك (الصينى) الذى يملأ (السكبيات) والرفوف إلا قطع غاصت فى التراب فبدت منها أطرافها ، ولا من السجاد الثمين إلا خيوط الله أعلم كم بللتها الأمطار ، وكم جففتها الشمس ، حتى غدت وليس لها لون يعرف . والرخام الأبيض الذى كان كالمرايا ... والأشجار والأوراد ...

لقد انصرف الدمشقيون عن هذه الدور التى كانت مصدر الفن العمرانى الأندلسى ، منها أخذ وعنها نقل ، وكرهوا هذه الجنان ، واتبعوا الأفرنج إلى (جحر الضب ... فآثروا عليها هذه الصناديق المغلقة التى يسمونها دوراً . فمن يفهمهم أنهم يخطئون ، وكيف السبيل إلى الاحتفاظ بالبقية الباقية من دور دمشق القديمة ، قبل أن تهدمها حماقة المالكين ، وفتنتهم بتقليد الغربيين ؟

ومتى يعلمون أن أوربة ليست أرقى منا فى عادات ولا دين ، ولكنها أرقى فى الصناعات . فياويح القردة المقلدين لقد ذهبوا يدرسون العربيـة ، حتى العربية لغتنا ، ذهبوا يدرسونها فى باريز !

(قال) : ودخلت تلك البركة التي طالما شهدت فيها أعراس

---

(١) هنـدى شواهد على أن موضع قصر البريص فى موقع (سوق النحاسين) اليوم ـ أمام المناخ من دمشق ، واسألوا مع ذلك أعلم أهل الشام بخطط الشام الشيخ دهمان العالم المختبئ الذى لا يجد من أحد تشجيعا .

(٢) نور الدين .

(٣) وهذا مثل ما يعرف في بغداد باسم (السمك المسقوف) وما عرفه من لم يره ، ولا درى بجالسه من لم يحضرها ، لأنها فوق الوصف !

الحياة أتذكر ، فرآني خادم هرم ، فصاح بابنه أن تعال أخرج هذا الماء الآسن من هنا ...

ماء آسن ؟ أنا آسن ؟ يا ويحكم . أما كنت طاهراً نقياً أسير في الوادي كما خلقني الله ؟ أما أكرمني من كان قبلكم ، ورفعوني بالنوافير على الرؤوس ، وكانوا يتقون الله فيّ فلا يمسونني بأذى ؟ ويلكم أينا الآسن يا ذوى النفوس الآسنة ؟ كنت أصافح من أجدادكم عند الوضوء وجوهاً مشرقة نورانية وأيدياً طاهرة معطرة فصرت لا أرى منكم إلا السوء. دنستموني وآذيتموني، وألقيتم عليّ أوضاركم ، وتدّعون أنكم في عهد النور ، وأن عهد أولئك كان عهد ظلام ...

أعهد ظلام كان، وقد سطع فيه من عندكم نور العلم حتى ملأ الدنيا ، وامتد فيه شعاع الفضيلة حتى أضاء غياهب القلوب فبدد ظلمة الشهوات ؟ ورفرفت فيه الراية — رايتكم على نصف المعمور من الأرض — ولو اجتزتم نهراً عرضه خمسون متراً ، ولو أخّر الله موت عبد الرحمن ساعتين، لرفرفت على النصف الآخر، ولنجا العالم من وحشية الشُّقْر الآريين الذين الذين يدعون كذباً أنهم أفضل منكم. دعوى إبليس حين قال : (أنا خير منه) !

لقد هدمنا مجدنا بأيدينا ، وأعنّا عدونا على أنفسنا ، فذللنا حين انقسمنا ، وأضعنا كل شيء حين ذللنا . أفلا يقظة بعد هذا النوم ؟ ألا نظرة بعد هذا العمى ؟ ألا زعيم مصلح حقّاً يرجع الناس إلى الجادة التي ضلوا عنها ، إلى كتاب الله وسنة نبيه ، ويخلصهم من بليتين : من إلحاد المتفرنجين ، ومن شعوذة أصحاب الطرق الحشّويين الجاهلين ؟

اللّهم تباركت ربنا ، لك الملك ولك الأمر ، ولا شكاة إلا إليك ولا خير إلا منك . اللّهم ما شخت ولا أصابني الونى ، ولكن أمرضتني الأقذار التي ألقوها عليّ ، وهذه البنى المنتنة التي أنشأوها على جوانبي : كنبات الشيطان : تريانون وأولمبيا والليدو وبناية الروكسي (السينما وما فوقها ...) !

وسكت بردى ، وعاد يمشي مشية الشيخ العاجز حزيناً متألماً !

هكذا تكلم الشيخ بردى ... !

« دمشق » علي الطنطاوي

الأدب الفنلنــــدي

للأستاذ صديق شيبوب

(بقية الحديث عن ملحمة كاليفالا)

ظهرت الطبعة الأولى للملحمة « كاليفالا » يوم ٢٨ فبراير سنة ١٨٣٥ . ولعل النجاح الذي صادفه هذا الأثر الفني شجع « لونرو » على متابعة رحلاته ، وكان قد عنى من قبل بجمع القصائد التي ينشدها سكان مقاطعة « كاريلي » ، فتوجه إلى المقاطعات الشرقية ونقل القصائد الشائعة فيها ، ثم ضمها إلى ما سبق له جمعه بحيث اكتملت هذه الملحمة وطبعت للمرة الثانية في شكلها الجديد سنة ١٨٤٨ في ثمانمائة واثنين وعشرين ألف بيت من الشعر وهي الطبعة التي يعتمد عليها اليوم . وقد نقلها إلى الفرنسية في شعر مطلق مقطع وفقاً لتقاطيع الشعر الفنلندي المسيو جان لوى بيريه Jean Louis Perret الأستاذ المعيد للأدب الفرنسي بجامعة هلسنكي .

كان لظهور هذه الملحمة فضل بعث الروح القومية في نفوس الفنلنديين . ويهمنا في هذا البحث من أثرها أنها حملتهم على العناية بلغتهم الأصلية .

قلنا : إن الأسوجيين بعد أن فتحوا فنلندا فرضوا لغتهم على سكانها ، فصارت اللغة الأسوجية لغة العلم والأدب ، بينما ظلت اللغة الفنلندية شبه لهجة يتحدث بها الشعب . فظلت متأخرة لا سبيل إلى التعبير فيها عن حالات النفس ورغباتها . وظلت اللغة الأسوجية مسيطرة على اللغة الفنلندية ، حتى بعد استيلاء روسيا على دوقية فنلندا الكبيرة . وكانت تعلم في مدارسها وجامعاتها .

ولما أخذ الفنلنديون يشعرون بقوميتهم بفضل ظهور ملحمة « كاليفالا » ابتدأ الشعب يناضل للتخلص من اللغة الأسوجية التي لا تزال الطبقة الأرستقراطية متمسكة بها إلى اليوم

فلا عجب إذا احتفى الفنلنديون بهذه الملحمة واحتفظوا بها كاحتفاظهم بمفاخرهم القومية وآثارهم الوطنية التي كشفت لهم عن كنوز ماضيهم الدفينة وأوحت إلى نفوسهم الثقة بمستقبلهم

وقوت عزيمتهم لنيل استقلالهم . وقد خصوها بغرفة فى المتحف الوطنى بهلسنكى جمعوا فيها مختلف طبعاتها وترجماتها

ومن أدلة حفاوتهم بها الحفلات العظيمة التى أقاموها سنة ١٩٣٥ بمناسبة مرور مائة عام على ظهورها فى عالم الطباعة

***

بقى أن نشير إلى الجدل الأدبى القائم بين الروس والفنلنديين بصدد هـذه الملحمة وأصلها ، وهو جدل له مظهره الخاص إذا نظرنا إليه على ضوء الحرب الناشبة اليوم بين الدولتين

يقرر علماء (الفولـكلور) الفنلنديون والألمان أن أناشيد هذه الملحمة جمت من المقاطعات الواقعة حول مدينة هلسنكى ويتوسلون بها لتدعيم مطالبتهم بمقاطعات « كاريلى » و « إنجرى » Ingrie وغيرها من المقاطعات الروسية

وينفى علماء (الفولـكلور) الروس هذه المزاعم ويؤكدون أن « لونرو » لم يجمع هذه الأناشيد من المقاطعات التى تتألف منها فنلندا اليوم بل من الجزء الشرقى لمقاطعة « كاريلى » وهى المعروفة باسم « جمهورية كاريلى الاشتراكية السوفيتية المستقلة »

وقد نشرت صحيفة « فيتشرنيا ياموسكوفا » Vetcherniaia Moskva الروسية بتاريخ ٢٦ يونيو الماضى مقالاً عرضت فيه لهذا الجدل جاء فيه أن القصائد التى جمت فى الطبعة الأولى التى ظهرت سنة ١٨٣٥ تلقاها « لونرو » من فلاح يدعى « برتونين » Pertunen كان يسكن فى ناحية «أولونه» Olonets من مقاطعة « كاريلى » . وقد ذكر المسيو « بيريه» الذى يعد اليوم أكبر حجة فى فرنسا فى الأدب الفنلندى ، أنه ذكر فى كتابه « مظاهر الأدب الفنلندى المعاصر » أن الشعب الفنلندى الأمى الذى يدين بالأرثذكسية والذى يقيم بمقاطعة « كاريلى » الروسية قد احتفظ بتقاليد القبائل القديمة ، وأن هذه التقاليد بادت فى فنلندا نفسها بتأثير التعاليم البروتستانتية . وأضافت الصحيفة الروسية إلى ما تقدم أنه بينما لا نجد واحداً فى الجزء الغربى القبلى من فنلندا يروى هذه القصائد والأناشيد، نلقى شيوخاً كثيرين فى « كاريلى » يحفظونها ويروونها ، وذكرت اسم سيدتين تسكن إحداهما مدينة موسكو . ثم قالت : إن بدعة نسبة أناشيد « كاليفالا » إلى فنلندا لم تظهر إلا فى أواخر القرن الماضى ، وحملت الصحيفة الروسية على الذين قاموا بطبع هذه الملحمة باللغة الروسية سنة ١٨٣٣ لأنهم نسبوا هذه الملحمة لفنلندا ولم يمحصوا ما قرره علماء (الفولكلور) الفنلنديون

وهكذا يحاول الروس أن ينتزعوا من الفنلنديين ملحمتهم الوطنية التى تعد مصدر إلهام عظيم لشعرائهم وفنانيهم ، ومبعثاً للحماس وروح الوطنية فى نفوسهم

صديق شيبوب

عن جريدة حشرة الملاريا

أنا أدعى أنوفيل ولست يونانيا أو مصريا بل أنا دولى ونحن نسكن فى جميع الأقطار ويخشى الناس بأسنا فى كل مكان

لقد مضى زمن كنا فيه أقوى من الملوك والقواد وكنا حال ظهورنا مرهوبين كالموت نفسه

آه كم كنت أتمنى لو كنت من جملة السرب الذى قهر بربروس فى إيطاليا وطرد الموغول الـكبير بابار البنجابى.

فان حشرة واحدة منا تكفي لـكى تمحى تماما كل المشاريع الجميلة والسبب كان يبقى خفيا لأن هذه الحشرة كانت تعمل فى الظلام

ولـكننا لم نركن إلى الهدوء حتى خلال هذه القرون الأخيرة فلا يمكن إحصاء المشاريع التى أخفقت بسببنا والسكان الذين محوناهم فنحن نعكر صفاء كل شيء . فلا يزال الانسان يبنى ويهتم بأشغاله وبملذاته وبغتة أظهر أنا أنوفيل وأنا أطن فرحا بهدوء مفتشا عن محل صغير جميل حيث أركز بسرور وأحفر حفرة صغيرة جداً فى جلد المسكين فامتص بعض نقط صغيرة من الدم وينتهى عملى فأعيد الـكرة وأهدم فى ثانية واحدة عملا دام سنين طوالا يظن أنى بعوض اعتيادى ولا يعرف أنى أنا الأنوفيل ولـكن عندما يرتجف من الحمى حينئذ فقط يذكرنى

ولـكن خطراً كبيراً يهددنا . فيكفى حسب رأى لجنة الملاريا فى جمعية الأمم ٤٠٠ ملليجرام يوميا مدة موسم الحميات حتى يقى الانسان نفسه من العدوى التى أحملها أنا وقد وصفت هذه اللجنة لمعالجة إصابة الملاريا كمية جرام واحد أو جرام وثلاثين سنتجرام من الـكينا يوميا للأخذ منها مدة خمسة أو سبعة ايام فـمن ليس له هذه المقدرة كي يقاوم علاجا بهذه القوة .

من وراء المنظار

القاهرة ليلة الجمعة ! . . .

أحب الطواف بأنحاء العاصمة ليلة الجمعة من كل أسبوع فأسير أينما اتجهت بي قدماي لا أدرى متى أقف ولا من أى طريق أعود، ولقد أقصد أحياناً إلى حيث تقوم دور الملاهى، وأنا لسوء حظى أو لحسنه — حسبما يرى القارئ — أجدنى أبداً غريباً فى ذلك الحى ، بل إنى فى الواقع غريب فى المدينة كلها على الرغم من أنى قضيت فيها من عمرى سنين !

وعين الغريب كثيراً ما ترى مالا تراه الأعين التى ألفت ما تقع عليه . ولعل هـذا هو الذى يحبب إلى ذلك الطواف الطويل . ولقد كانت آخر مرة طفت فيها بذلك الحى ليلة الجمعة الماضية ... على أنى وددت ليلتئذ لو أن قدمى سارتا بى إلى مكان غير ذلك المكان ، فلقد كنت أحس شيئاً من الهم على الرغم من أن جيبى كان لا يزال عامراً بمرتبى الذى تناولته قبلها بيوم ، وخشيت أن يؤثر ذلك الهم فى تصوير ما تقع عليه عيناى

ووقع ما خشيته فأنا أرى كل شىء بقلبى لا بعينى. فها هى ذى مناظر شاهدت مثلها كثيراً ولكنها تزيدنى هماً على هم

هذه « شلة » من الرفاق أنستهم جيوبهم التى أحسب أنها كانت لا تزال عامرة مثل جيبى، وأنساهم شبابهم ما يجدر بأمثالهم من « الأفندية » فأخذوا يتصايحون ويهوشون وينادى الواحد منهم صاحبه بأفظع ما يتصور من عبارات السباب كأنما راحوا يتنافسون فى فحش القول . . . ولمحنى أحدهم وهو يعرفنى ، وقد عرفته من قبل وقوراً هادئاً فاندس من الخجل واختفى فى أصحابه

ودرت بعينى، ولكنهما وقعتا على قوم آخرين أراهم أجدر من سالفيهم بالوقار والتحشم، فإن ذلك مما تقضى به على الأقل طرابيشهم « الميرى » وسراويلهم التى تزينها الأشرطة الحمر المهيبة ، ولكنهم كانوا أكثر من السابقين تهريجاً وتبذلاً . ولا عجب فهم فرحون مزهوون بهذه الملابس التى باتوا يخطرون فيها على أعين الناس .

ولكم كنت أضيق بهم حينما كانوا يزحمون الغادين والرائحين وعلى الأخص الغاديات والرائحات . . .

والتفت على صوت هرج شديد فرأيت فى مقهى قريب معركة حامية وعلمت من أمرها أن أحد « اللاعبين » هجم بسكين المائدة على صاحب له لأنه أخذ منه آخر قرش بقى معه ولم يشأ أن يقرضه من تلك القروش شيئاً يعود به إلى عياله

ورأيت حول المائدة الممدودة أولئك الغلمان الذين يلقطون بقايا الدخائن ويترامون على ما يلقى إليهم من فتات تلك الموائد ينازع بعضهم عليها بعضاً كما تفعل الكلاب فيزيدون المنظر بذلك سوءاً وقبحاً

ومضيت أخرج من هذا الحى فلم يعد لى فى تلك الليلة جلد على رؤيته ، فما كدت أنعطف فى أول شارع حتى لقيت فى المنعطف « لقاء » تكتنفه الريبة، فهو يضحك مرتبكاً وهى لا تكاد تضحك حتى يطفئ الخوف والقلق ضحكها ... ومررت بهما وأنا أسائل نفسى : أله زوجة ولها زوج ؟

وكأنما تأبى المكاره إلا أن تأتى فى وقت معاً ! فهـذا مترنح متخلج يمسك أصحابه بذراعيه مخافة أن يقع ، وهو شاب بادى الوجاهة ، ولقد سقط طربوشه حينما قربت منه ، ولست أدرى لم قصدنى أنا فالتفت إلىّ ضاحكاً وقال : « من فضلك ناولنى البلغة يا أفندى »

وألفيت عند محطة الترام أنماطاً من الشباب فرادى وجماعات، ورأيت منهم من مرت بهم جميع المركبات وهم مع ذلك وقوف فى أماكنهم يمدون أعينهم إلى كل مركبة فى مكان معين منها . وعلام يستعجل هؤلاء العودة إلى منازلهم ولا تزال بينهم وبين امتحاناتهم شهور ؟

وأراد نكد طالعى أن يكون آخر ما يقع منظارى عليه جماعة من الغلمان فى إحدى الطرق ينبشون صندوق القمامة يبحثون فيه عما يقتاتون به ... فرفعت بصرى إلى أعلى وقد ضاق بالأرض وما عليها فوجدت القمر من فرجة بين بيتين عاليين، وأحسست أنه فى تلك المدينة غريب مثلى . ولست أدرى لماذا فسرت ابتسامته فى تلك الساعة بأنها سخرية من حياة المدينة هذه ومفارقاتها ؟ ... وأشد ما أمضنى، أني لم أر شيئاً مما كرهت من أحد غير بنى قومنا الأعزاء ، على كثرة ما بين ظهرانينا من النزلاء !

« عين »

الأدب فى سير أعلامه

بيرون

ذلك العبقرى المتمرد الذى غنى أروع أناشيد الحرية، ولاقى الموت فى سبيل الحرية

للأستاذ محمود الخفيف



نشأته وطفولته

ستمضى السنون ويبقى بيرون فى الغرب كالمتنبى فى الشرق يحمل النفوس على الإعجاب به ، من أحبه ومن لم يحبه فى ذلك سواء . وستظل عبقرية هذا الشاعر الشاب كالشعلة تنتقل من جيل إلى جيل فلا تزداد على الأجيال إلا تألقاً وإيماضاً . وما كان لشعر كذلك الذى جاشت به تلك النفس المتوثبة الثائرة ، وغنت به تلك القيثارة الملهمة الساحرة، أن تذهب الأيام بروعته وسحره، مهما تغيرت فنون القول واختلفت ضروب البيان

وما عرفت انجلترة ، بل وما عرفت أوربا كلها شاعراً كاللورد بيرون بلغ فى مثل سنه مبلغه من نباهة الاسم وبعد الصيت فى القارة جميعاً . وما عرف تاريخ الآداب رجلاً هز عصره هزاً متوالياً عنيفاً كما هز عصره ذلك الشاعر الذى تمرد على كل شىء حتى على نفسه . وما لقى رجل من مواطنيه مثل ما لقى بيرون من الإعجاب الشديد والسخط الشديد . ثم ما اختلف النقاد فى رجل اختلافهم فى ذلك الذى كانت شخصيته الفذة مجموعة عجيبة من المتناقضات ، ذلك الذى بلغ قمة المجد الأدبى وهو فى الرابعة والعشرين ثم غيب فى لحده ولم يتجاوز السادسة والثلاثين

ولد جورج بيرون فى لندن عام ١٧٨٨ ، أى قبل أن تنبعث الثورة الكبرى فى فرنسا بعام واحد ، كأنما أراد القدر أن تستقبل هذه النفس الثائرة الحياة فى عصر كانت تعصف فيه أنواء تلك الثورة العاتية بأوربا كلها . وكانت الأسرة التى انحدر منها ذلك الشاعر من أعرق الأسر فى انجلترة كلها ، فلقد جاء رأسها مع وليم الفاتح عند الفتح النورمندى فى القرن الحادى عشر ؛ وكان بيرون يفخر أشد الفخر بانتمائه إلى تلك الأسرة حتى لقد قيل إنه كان يزهى بحسبه هذا أكثر مما كان يزهى بأنه مؤلف تشايلد هارولد ومنفرد

على أن الشاعر قد ورث من بعض أفراد أسرته هذه بعض ما لا يحمد من الصفات ؛ فكان سيئ الحظ من هذه الوجهة بانتمائه إلى هؤلاء . وحسبنا أن نشير منهم إلى اللورد الخامس فى هذه الأسرة ، ذلك الذى كان ينعت باللورد التعس ، فقد كان شاذاً إلى حد يقرب به من الجنون، فهو يبعثر أمواله وهو يحتجب عن الناس ، وهو لا يهدأ ذات ليلة حتى يقتل قريباً له فى مبارزة دعاه إليها على ضوء شمعة فى غرفة مغلقة على أثر خلاف نشأ بينهما وهو يأتى من ضروب اللعب والعبث مالا يفترق به عن الصبية !

وكان لهذا اللورد التعس أخ يعمل فى البحرية وقد وصل بجده إلى مرتبة الأدميرال ولكنه كان يعرف بين زملائه ومرؤوسيه باسم « الجو العاصف » لأنه ما ركب البحر إلا هبت فى إثره عاصفة ، وأنجب هذا الأدميرال ولدين كان كبيرهما قسيم المحيا وجيه الطلعة حسن السمت ، وقد انتظم فى سلك الجندية وهو فى سن اليفاعة وخاض غمار الحرب الأمريكية فيمن خاضوا ، ثم عاد إلى انجلترة وهو فى العشرين من عمره ، فكانت وجاهته محط الأحداق فيه ، إلا أنه عرف بحدة عواطفه وعدم مبالاته وجرأته أكثر مما عرف بجماله، حتى لقد حمل هو أيضاً بدوره لقباً، ذلك هو جاك المجنون

وفتن جمال جاك إحدى الحسان وكانت زوج أحد اللوردات حتى هامت به. ولم تتردد حينما مات أبوها وخلف لها أربعة آلاف من الجنيهات كل عام أن تهرب معه إلى فرنسا ، حيث حملت منه ثم وضعت بنتاً ، ولكن هذه المرأة المسكينة ما لبثت أن قضت نحبها إثر مرض كما يقول بعض الناس أو من جراء سوء معاملة زوجها إياها كما يقول آخرون

على أن جاك ما لبث أن أوقع فى حبائله سيدة اسكتلندية إلا تكن جميلة كسابقتها فقد كانت ترث عن أبيها ثروة قدرها ثلاثة وعشرون ألفاً من الجنيهات ، وقد شغفها حباً ذلك الشاب الغريب الأطوار ثم بنى بها فأنجبت له بعد أربعة أعوام طفلاً هو الشاعر الذى نحدثك عنه

كانت هذه السيدة الاسكتلندية تدعى كاترين جوردون ، وكانت تزهى هى أيضاً أشد الزهو بالأسرة التى تنتمى إليها ، فقد كانت تجرى فى عروق أفرادها دماء من أسرة استيوارت الملكية ؛ ولكن هذه الأسرة لم تكن فى تاريخها أسعد حظاً من أسرة بيرون ، فقد قتل بعض أفرادها ، وأعدم البعض ، وانتحر آخرون فى عدة حوادث ، وكان آخر هؤلاء والد كاترين الذى انتحر غرقاً وخلف تلك الثروة لابنته . وطالما كان رجال هذه الأسرة مصدر رعب للاسكتلنديين ، إذ كانوا يلاقون على أيديهم كثيراً من البطش والانتقام ...

عاشت كاترين مع زوجها أول الأمر فى اسكتلندة وما لبثت أن هالها منه إسرافه وعبثه بثروتها ، وقد كان لا ينقطع عن المقامرة ، ولا يكاد يفيق من سكره . ثم رحلت معه إلى فرنسا حين ضاقت باحتقار الناس إياها وزوجها المستهتر الماجن ؛ وراح زوجها يبعثر الأموال فى باريس بغير حساب ، وهو لا يسد ديناً إلا وقع فى دين . وانتقل الزوجان إلى لندن بعد ذلك ، ولكن جاك ترك زوجه هناك وعاد إلى باريس ، وصار لا يزورها إلا حين يطلب المال . على أنها ظلت على الرغم من ذلك مفتونة به ، وقد ازدادت به تعلقاً حينما وضعت ذلك الغلام الجميل الذى سمته جورج جوردون فى مستهل عام ١٧٨٨

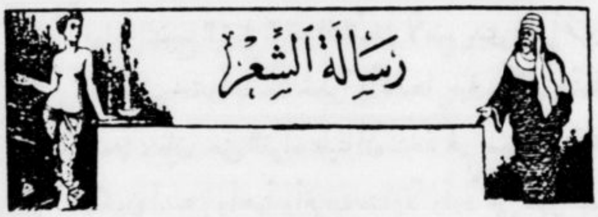
وبدد زوجها ثروتها ، حتى لم يبق لها منها إلا ثلاثة آلاف من الجنيهات كان دخلها منها مائة وخمسين كل عام ، واضطرت المرأة المسكينة أن تعيش بهذا القدر من المال ، ومعها طفلها وخادمتان له ، وأخذت نفسها بالاقتصاد الشديد . ورحلت السيدة إلى أبردين ، وجاء زوجها فاختار له مسكناً بقربها ، وصارا يتزاوران من حين إلى حين ، ولكنهما بقيا منفصلين . وطلب الرجل يومئذ ثلاثمائة من الجنيهات فاستدانتها وصارت تدفع رباها من دخلها حتى أصبح ما تعيش به مائة وخمسة وثلاثين ، ولكنها ظلت حتى بعد ذلك تحب هذا الرجل حباً شديداً ، ولم ينقص من ذلك الحب أنه عاد ثانية إلى فرنسا وتركها وابنها فى ابردين ، على أنها لم تره بعد ذلك، فقد لقى حتفه منتحراً كما أشيع، وابنه فى الثالثة من عمره

وعاش الطفل مع أمه وخادمتيه ، وكان شذوذ هذه الأم فى كثير من سلوكها لا يقل عن شذوذ أبيه ؛ كانت تحنو عليه أحياناً أشد الحنو، وتقسو عليه أحياناً أشد القسوة، حتى لتضربه ضرباً شديداً . ولقد قذفته ذات يوم بملقط النار وهو محمى فكادت تقتله ؛ وكثيراً ما رآها فى ساعات غضبها تقذف الخادمة بالأطباق فإن لم تجد أمامها أحداً مزقت ثيابها ولطمت وجهها وحطمت قبعتها كأن بها جنة . وينظر الطفل إلى أمه فيمتلج فى نفسه الصغيرة الألم والرثاء والإشفاق ، وقبل ذلك رأى أباه ورأى مواقفه من أمه ومواقف أمه منه ، فكان يتساءل عما يرى مندهشاً لا يقتنع بما تجيبه به خادمته

وكان الطفل جميلاً كأبيه ، ولكنه ولد وفى إحدى قدميه عاهة فكان لا يستطيع أن يطأ بها الأرض إلا على أطراف أصابعها ، ولذلك كان فى مشيته عرج ظاهر وكان يتألم من ذلك أشد الألم ، وما كان أشد ألمه حينما كانت أمه تعيره بهذا إذ ترميه بالسيل الذى لا ينقطع من شتائمها ، ولكنه كان يكظم غيظه وإن نفسه لتنطوى على ثورة صامتة ، ولم يتمالك نفسه ذات يوم ، حينما دعته بالأعرج، أن يجيبها قائلاً : « هكذا ولدت يا أماه ! » وفى هذا الرد نلمس نغمة الشاعر المستقبلة حينما يجرى الحوار على ألسنة أشخاص قصصه . ولقد أتى بموقف شبيه بهذا فى إحدى رواياته فلقد استقرت مواقف الطفولة فى نفسه وما برحت بعد ذلك تظهر فى آثاره . وما كان الطفل يصبر على أحد غير أمه يشير إلى عرجه ؛ لقيته ذات مرة فى الطريق إحدى السيدات وهو لم يتجاوز الثالثة فقالت لخادمته : « ما أجمل هذا الطفل لولا أن له وا أسفاه مثل هذه الساق » . فبدت على وجهه أمارات الغضب وصاح بها قائلاً : « كفى عن هذا » ، ثم ضربها بكرباج لعبته محتجاً محنقاً

ويطول بنا الكلام لو رحنا نسرد ما كان يلاقيه الطفل على يد أمه من عذاب ؛ وحسبك أنهم انتزعوا منه ذات يوم سكيناً أوشك أن يجريها على عنقه يريد أن يقتل نفسه وقد ضاق بما كان من أمه . على أنه ما كان يفكر فى الانتحار وحده فكانت تحدثه نفسه أن أمه تنتوى ذلك . ومما يذكر عنهما أن كليهما ذهب على غير علم من الآخر إلى بائع العقاقير وطلب إليه ألا يبيع الآخر سمّاً إذا هو رغب فى شرائه

(يتبع) الخفيف



الخفاش

حين تميل الشمس عن عرشها	وتختفى حيناً إلى موعد
تطير فى الآفاق روح الأسى	جوالةً فى ثوبها الأسود

* * *

خفاشُ عبدَ الليل ماذا ترى	والفجر فى الآفاق لم يولد
وكيف ترضى العيش فى ظلمة	ضل بها الحب فما يهتدى

* * *

لما أفاق الصبح وشى الربى	وعطّر الكون بأزهاره
ونقّط العشب بأندائه	وحرك الأرض بأوتاره
فى كل روض وتر ناعم	يدعو إلى الحب وأسراره
عرس من النور لها قائم	الورد فيه بعض زواره

* * *

إنسل فى أثنائه طائر	واندس فى كهف له مظلم
عبد من النور مضى هارباً	لم يعرف الحب ولم يحلم
حط عليه الليل أعباءه	وراح فى تياره يرتمى
يشاهد الأعراس مجنونةً	فيه ولا ينفك فى مأتم

* * *

يا عبدُ حطم من قيود الدجى	واخرج إلى النور ولا تجزع
أما تمل العيش فى ظلمة	حيران فى أطباقها ما تنى
منكساً ترنو إلى أسفل	والطير فى سلطانها الأرفع
تشاهد الأشياء معكوسة	وتدّعى روحك ما تدّعى

* * *

يا عبد، لا تشفق على ظالم	يا عبد، إن الحر لا يخضع
يا عبد، إن الطير فى شدوها	تدعوك للعود فهل ترجع
يا عبد، اسمع ما تقول المنى	يا عبد، انظر فالضحى يلمع

* * *

للعبد فى ظلمته قابع	لا يبصر النور ولا يسمع

(حلب) عمر أبو ريشة

موكب النور

[أيها النور : إن أجل ما فى الوجود قبس من جمالك !] « بيرس شلى »

يا مَوكبَ النُّورِ أما زَوْرَةٌ	للناسكِ الصوفىّ فى خلوتهْ
كبَّلَهُ الدّهرُ بأمراسهِ	فبات يَبكِى الكون من شقوتِهْ
ظمآنُ للنُّورِ فهلْ رَشفةٌ	مِنكَ له تُطفى صدى غُلّته !
أسرجْ لهُ مِصباحَهُ بعدَ ما	أطفأهُ الشيطانُ مِنْ غَيرتهْ
أسرِجهُ واسكبْ ضوءكَ الحلو فى	فؤادِهِ - إنْ شئتَ - أوْ مُقلته

* * *

يا موكبَ النورِ أصخْ فالدُّنا	خرساءُ إلا من لُحونِ الألم
يَزفِرُها الناسكُ فاسمعْ صدى	أنّاتِهِ مِنْ قلبِهِ المضطرمْ
آمنتُ بالحبِّ فلا تجحدِي	ما قدّمتْ رُوحى لذاكَ الصنم
عَفّرتُ فى مِحْرابِهِ جبهتى	فما أساخَ الحبُّ لِى أوْ رَحِم
وَعُدْتُ مِنْ هَيكلِهِ ذاهلاً	كأننى « يا أنت » صخرٌ أصم

* * *

عِفتُ الأناسِيَّ فلا مُؤْنِسى	فى وَحدتى غير طُيوفِ الفناء
قدّتْ مِنَ النِّيرانِ أثوابُها	وَحوّمتْ عندِى تَرومُ البقاء
فى عَينِها الأهواءُ مجنونةٌ	ورِيُّها فى الدهرِ مِنّا الدّماء
ولَحنُها مِنْ نَغَمٍ صادىءٍ	مَرّ على البحرِ فكانَ الهباء
فيا شُعاعَ النورِ هاتِ المنى	فأنت سِرُّ الكون : أنتَ الدّماء

(بنى سويف) حسن حبشى

مناجاة . . .

ريقُكِ الخمرُ ... سِوَى أنّ لهُ	نَشوَةً لا تَعرفُ الخمرُ مداها
فأنِلنى منهُ ما يُسكِرُنى	سَكرَةً تَطرَبُ رُوحى لِرُؤاها
يا حبيبَ الروحِ دَعنى أرتشِف	وأزِلْ عن هذه النفسِ ظَماها
لا تَقُلْ لى فى غَدٍ ... إنّ غداً	حُجُبٌ صَمّاءُ قد عَمّ دُجاها
هذه البسمةُ ما أجملَها . . .	حينَ يَهتاجُ فؤادى لِسَناها
كلّما عانقتها خُيِّلَ لى	أننى أصبحتُ للحبِّ إلاَها
تسْمُرُ الأنغامُ فِى آفاقِها	إنما الأنغامُ مِن رُوحٍ لَمَاها

الأدب في أسبوع

الإصلاح الاجتماعي

من عادتى — إذا ما استبهمَ علىّ نفاذُ الرأى — أن أعدِل بأفكارى إلى الليل ، فهو أحصنُ لها وأجمع . فإذا كان الليلُ ، وهدأتِ النائرةُ ، وأوَى الناسُ إلى مضاجعهم ، واستكنّت عقاربُ الحياةِ فى أحجارِها — تفلّتُّ من مكانى إلى غرفتى أُسدِلُ ستائرَها وأغلّق أبوابها ونوافذها ، وأصنعُ لنفسى ليلاً مع الليل ، وسكوناً مع السكون؛ ثم أقعد متحفزاً متجمعاً خاشعاً أملأ عينى من ظلام أسود ، ثم أدعُ أفكارى وعواطفى وأحلامى تتعارف بينها ساعة من زمان ، حتى إذا ماجت النفس موجها بين المد والجزر ، ثم قرّت وسكنت ، وعاد تيارها التدفق رهواً ساجياً كسمادة الطفولة ، دلفت إلى مكتبى أستمين الله على البلاء.

وأمسِ ، حين أيقظنى من غفوتى داعى « الرسالة » جمت إلىّ ما عزمت على قراءته من الصحف والمجلات والكتب ـ التى هى مادة هذا الباب ـ وطفقت أقرأ وأقرأ ، ولا أكتم أنى كنت أقرأ فى هذا اليوم ـ على خلاف عادتى فى أكثر هذه الأيام ـ قراءة المتتبع اليقظ الناقد المتلقّف لأضع يدى على أغزر الأصول مادة وأعظمها خطراً وأشدها بِنية . . . وأدسمها شحما ، فإنّ حق القراء علينا أن نتخذ لهم صنيعاً ومائدة تكون أشهى وأمرأ وأقرب متناولاً وأردّ على شهواتهم عائدة . فلمافرغت من إعداد ما أعددت لهم وأويت إلى ليلى المختلق المزيف ، جعلت أستعيد فى نفسي ما قرأت ، وأين وقفت منه، وما تنبهت له مما تعودت أن أستشفه من وراء الألفاظ المعبرة ، ومن تحت السياق المهدِف إلى غرضه ـ مما هو بأخلاق الكتاب وعاداتهم ونوازعهم وخفايا نفوسهم ألصق منه بأغراض الكاتب فيما كتب . فما كدت أقدح الظلام بعينى وأفكر فى هذا الأمر وأستدرجه إلى نفسى حتى رأيتنى أكاد أنفر من مكانى لما عرانى من سوء الرأى وقسوة الظن ، فإن طول تغلغلى فى معانى الكتاب والشعراء، أو فى معانى أنفسهم، يدلنى على أن أكثر من يكتب إنما يدفع بعض الكلام إلى قلمه ليعبر عنه ، غير محتفل بما يقول ، فكذلك يخرج الكلام متخاذلاً مفككا كأنه ناقه من وباء مرض، ويخيل إلىّ أن أكثر كتابنا إنما يتناولون المعانى والأغراض من عَيْبةٍ جامعة غير متخيَّرة ولا منتقاة ولا مصنفة ، وأنهم إنما يعرض لهم اشتهاء القول فيقولون للشهوة المستبدة لا للرأى الحاكم ، وأنهم إنما يكتبون ليبقوا كتاباً فى عقول الناس وعيونهم من طول ما تعرض عليهم المقالات متوجة بالأسماء مذيلة بها ، وأن الكلام عندهم هو أهون عليهم من ضغطة النائم التلفف على زرّ الكهرباء فإذا هو نور مستفيض

لابد للعرب والعربية أن يبرأ هؤلاء من أمراضهم ثم يقولون، وأن يعتدّوا بجمهرة القراء اعتداد من لا غنى له عنهم ولا فقر بهم إليه ، فبذلك أيضاً يصلح ما فسد من القراء الذين يقرأون الأسماء دون معانى هذه الأسماء . ويومئذ لا يشكو الكتاب من بوار أسواقهم ، لأنهم يعرضون للناس الحَسَن الذى ينشىء فى القلوب الإحساس بالحسن والرغبة فى اختيار الأحسن ، ويتشوق الناس الجميل لأنه جميل يسمو بالروح فى سُبُحات المثل الأعلى من الجمال الروحانى ... ثم لا يجيزون إلا الجميل . وكذلك يترافد الكاتب والقارئ ويمدّ أحدهما الآخر بأسباب حياته وخلوده بين خوافق الأدب السامى الرفيع . هذا هو بعض الرأى أدعو إليه كتابنا ، والأدب على شفا جرف هار إلى البوار والبلى والفساد

***

حلتْ اللثمةُ لى يا صاحبى   بعد أن كانت حراماً وسِفاها
فأنِلنيها إلى أنْ يرتوى   خلَدٌ يعبدُ هاتيكَ الشفاها
هىَ لِى وحدى حلالٌ سائغٌ   وبِعُلْكيها فؤادى يتباهى
ربطَتْ ما بيننا رابطةٌ   أبلغَتْ قوة حبّى منتهاها
لا تسلنى كيف نُمسى .. إننى   أقطعُ الليلَ ادّكاراً وانتباها
أنِسَ الليلُ فآويتَ إلى   حُلكةِ الليل وأطياف دُجاها
وكأنّ الليلَ مهْدٌ ناعمٌ   لشريد ضلّ فى الدُّنيا وتاها
يا نجىّ النفسِ فى خلوتها   كن لنفسى.. أنت أقصى مبتغاها
إن يكنْ حبُّكَ ناراً تلتظى   فليكن فردوسَ أحلامى لظاها!

(الزقازيق)   العوضى الوكيل

والآن ، وقد حدّثت النفس ببعض كلامها ، أعودُ إلى « أدب الأسبوع » ويخيل إلى أن « وزارة الشؤون الاجتماعية » هذه التي استحدثت بعد أن لم تكن ، قد كان من فضل اسمها أن أيقظ أكثر كتّابنا إلى حقيقة ملموسة كانوا يَغُضّون دونها أبصارهم لما تلبس صاحبها من لباس الخزى والعار : وهي بقاؤنا بين الأمم أمة لا قوام لها من نفسها وأصلها وتاريخها ، وأن مركز مصر الاجتماعي والسياسي والشرق أيضاً قد سما في ظن الناس ولكنه في حقيقته أقل مما يُحمل عليه من الزينة والتألق والزخرف المستجلب بالإيحاء وإرادة الاستغلال . فقد كتب الدكتور هيكل في « السياسة الأسبوعية » عدد (١٥٢) كلمة في « نهضة الإصلاح في مصر » استقصى بها تاريخها وقواعدها وأغراضها من عهد الثورة الفرنسية إلى هذا الوقت . وكذلك كتب الدكتور « طه حسين » في « الثقافة » عدد (٥٢) يقترح إنشاء « مدرسة المروءة » . وجاء « الزيات » في ختام فاتحة « الرسالة » لعامها الثامن يشكو إلى الله : « إن كبراءنا عطلوا في أنفسهم حاسة الفن فلم يعودوا يدركون معنى الجميل ، وإن أدباءنا قتلوا في قلوبهم عاطفة الأدب فليسوا اليوم من كرمها في كثير ولا قليل ، وإن زعماءنا تفرقت بهم السُّبل بتفرق الغايات ، فلكل غاية دعوة ولكل دعوة سبيل » . وكل هذه تلتقي على أصل واحد ، وهو أن الحياة الاجتماعية لا تزال تحبو في مدارجها ، وأن « لين العظام » يُخشى أن يطول علينا بقاؤه في صدر الحياة حتى نقعد دون شبابها ، وأن الإصلاح لا بد أن يتعجل حدوثه ... ولكن كيف يكون ذلك ؟!

وقد ساق الدكتور طه حديثه عن المروءة ساخراً من هذا الجيل الذي طبع على سفاسف الأخلاق ، وتحطمت عنده مكارم الإنسانية النبيلة ، وامتاز عظماؤه وصغاره باعتبار الأخلاقِ ضرباً من التجارة يلبِّسها الغشّ والِخلابُ والمواربة وتلقِّي التاجر للبائع بالدهان حتى يكون هو في باطنه أظلم شيء ، وظاهره يتلألأ بمعاني الشرف والأمانة والنزاهة وإرادة الموافقة وتغليب منفعة المشترى على منفعته ، وغير ذلك من حيل التُّجار والسماسرة . فأراد أن يمزح ، فيدعو إلى اقتراحه إنشاء مدرسة للمروءة ليسخر من « تنازع الاختصاص » في وزاراتنا بل في أعمالنا كلّها . وهذا كله في مدرجه جيد لا يحاول أحد أن ينازع عليه أو يختلف فيه ، ولكن التهكم في هذا الدهر الآثم بصنوف العذاب والبلاء لا يكاد يجدى شيئاً في الإصلاح . وهل يظن الدكتور طه أن كل هؤلاء الذين أقامتهم الأمة المسكينة على حياطة شؤونها ومرافقها وأسباب عيشها — لا يستشمرون من ذلك ما نستشمر ، ولا يجدون من معانيه مثل الذى نجد ؟ أجل ؛ ولكنهم كالذى يصف هو فيما ساق من الحديث ، فمن أين يأتى الشفاء إذا كان كلُّ الطبيب هو بعض المريض ! إن أعمال الإصلاح الكبرى لن تأتى من وزارة الشؤون الاجتماعية ، ولا وزارة المعارف ، ولا غيرهما إذا بقى الشعب ينظر إلى هذه كلها ليرى ما تعمل . والرأى لا يمكن أن يتجه في هذا الأمر إلى تسديد وزارة المعارف ووزارة الشؤون الاجتماعية وتوقيفها على ما يجب عمله باقتراحات ومذكرات وبيانات ... إلى آخر هذه الجموع . إن عمل الإصلاح الآن موقوف على شيء واحد ، على ظهور الرجل الذى ينبعث من زحام الشعب المسكين الفقير المظلم يحمل في رجولته السراجَ الوهّاج المشتعل من كل نواحيه ، الرجل المصبوب في أجلاده من الثورة والعنف والإحساس بآلام الأمة كلها ، وآلام الأجيال الصارخة من وراء البنيان الحى المتحرك على هذه الأرض الذى يسمى في اللغة «الإنسان» . وليس ظهور هذا الرجل بالأمر الهين ، ولا إعداده بالذى يترك حتى يكون ؛ بل هنا موضع للعمل وللإنشاء . وكبرُ ذلك مُلقًى على الأدباء والكتاب والشعراء ، وعلى كل إنسان يحترم إنسانيته ؛ فالأدباء ومن إليهم قد وقع عليهم التكليف أن يرموا بما يكتبون إلى إيقاظ كل نائمة من عواطف الإنسان ، وإلى إثارة كل كامنة من نار الهداية المحاربة التى لا تخمد ، ولا يكون ذلك شيئاً إلا بأن يعدّ كل أحد نفسه كالجندى عليه أبداً أن تكون حماسته هى روح الحرب فيه ، فهو يمشى بها في كل عمل ، ولو في نقل البريد من مكان إلى مكان . إذن فأول الإصلاح الاجتماعى هو إدماج عواطف الفرد في مصالح الجماعة على أتم صورة من صور الحماسة أي القوة التى تنبعث من الدم لتطهير الدم ؛ وهذا بعض ما نتوافق عليه مع الدكتور هيكل إذ يقول في مقاله الذى أشرنا إليه آنفاً « لم يفكر أحد في مشكلاتنا الاجتماعية واضعاً نصب عينيه غاية قومية يريد أن يحققها ، بل ترانا إذا فكرنا في الأمر كان الدافع لتفكيرنا فيه عواطف الشفقة أحياناً ، والبر بالإنسان أحياناً أخرى ، وهذه عواطف قد تحمد في الأفراد ، لكنها لا قيمة لها في حياة الجماعة . ويوم فرض الله الزكاة في الإسلام وقرن بها الصدقة لم يقم الشارع

ذلك على أساس العاطفة الفردية ، بل أقامه على أساس النظام الاجتماعى » .

والكتابة هى زكاة العلم ، فيجب أن تقوم على هذا الأصل الفردى المتحمس المتدفق بتياره فى أعصاب النظام الاجتماعى ، فإذا اتخذها كتابنا على هذا وتكلموا بقلوبهم قبل ألسنتهم وأقلامهم كان ذلك قميناً أن يبعث الرجل الذى سوف يضيء للحياة الاجتماعية سُدَف الجهل والضمة والبغى والاستبداد

أبو العباس السفاح أمير المؤمنين

أثار الأستاذ العبادى فى « الثقافة » عدد (٤٧) مشكلة ابتغى حلها ، وذلك أنه وصف حِلية «أبى العباس أمير المؤمنين» أول خلفاء بنى العباس كما رواها المؤرخون من أنه كان « ذا شعرة جعدة ، طويلاً أبيض ، أقنى الأنف ، حسن الوجه واللحية » وكان « شاباً متصوّناً عفيفاً حسن المعاشرة ، كريماً معطاء » إلى نهاية ذلك من كريمات الخصال . ثم استبعد أن يكون هذا الإنسان الرقيق أهلاً لتلك الصورة البشعة الطاغية التى تحملها عليه معانى هذا الحرف « السفّاح » من الجريمة وسفك الدّم والرغبة فى ذلك والمبالغة فيه . واحتفل الأستاذ للحوادث التاريخية فلم يجد فيها ما يسوّغ أن يكون « أبو العباس أمير المؤمنين » سفاحاً سفاكا للدماء ، وزاد أن ثقات المؤرخين كالطبرى والدينورى لم يذكروه إلا مجرداً من هذه الصفة ، ثم رجح بدليل بيانى جيد أن السفاح محمول هنا على الأصل اللغوى أى الكريم المعطاء الذي يتلف الأموال ولا يبخل بها . ولكن الأستاذ « أحمد أمين » رد عليه بعض أدلته فى العدد (٤٩) فردها الأستاذ العبادى عليه فى العدد (٥٠) وهكذا إلى العدد (٥٢) . وأنا قد أعجبت كل الإعجاب ببحث الأستاذ العبادى ، وإن كنت أخالفه كل المخالفة ، وذلك لأنه مبنى على منطق تاريخى جيد ، ولأنه أراد أن يفرق فرقاً جيداً بين كتب التاريخ وكتب الأدب القديمة من حيث الحجة فى برهانات التاريخ . فإنا نجد كتباً من أعظم كتب الأدب تحمل على الخلفاء من غث الأخلاق ما تناقضه سير هؤلاء الخلفاء كالذى يروون عن الرشيد — وهو بالمنزلة من الشرف والعلم والسياسة وطول الانبعاث للغزو والحجّ — من معاقرة الخمر والملاهى والاطلاع على الحرم واستباحة الأعراض وغير ذلك مما لا يمكن أن يصح بوجه من الوجوه

هنا ، وإنى أخالف الأستاذ العبادى ، فإنه حين رده الأستاذ « أحمد أمين » رجع عن تفسيره لفظ « السفاح » بالكرم والسخاء لغيرعلة ظاهرة وأصرّ على أن « أبا العباس أمير المؤمنين » لم يلقب « بالسفاح » ألبتة فى حياته ، ولا ذكر ذلك عنه أئمة المؤرخين، وأصر مع ذلك أيضاً على أن صفات أبى العباس وحليته تنفى عنه أن يكون سفاكا للدماء ؛ ولا كل هذا ! فإن هذه الصفات لم يُروَ لنا إلا أقلها حتى يمكن أن نجعلها أصلاً يستشف خلق أبى العباس من ورائها ، وإن الرقة والدعة والجمال ولين الخلق تخفى وراءها أحياناً قسوة لا تدانيها قسوة ، كالذى يكون فى النساء، فإنهن قد عرِفن بين الناس بالرقة « وهن أغلظ أكباداً من الإبل » وإن المرأة إذا ثارت لم يبلغ مبلغها فى القسوة (أقعد) الوحوش فى باب الوحشية ! ومع ذلك ... فهى الزهرة غِبَّ الندى ، وهى النسيم فى السَّحَر ، وهى ...

وكنت أحب أن أستوفىَ هنا القول فى تحقيق هذه الصفة لأبى العباس أمير المؤمنين ، ولكنى رأيت أن الكلام قد جاوز حده، وأن الدليل يقتضينى إثباتَ كثير مما يخل تركه بالفائدة ، فموعدنا الكلمة التالية إن شاء الله .

محمود محمد شاكر



دراسات فى الفن

أعوذ بالله إنه « مكياج » !

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

— ما هذا التخطيط ؟ أردت بالأمس أن تلحن فأخفقت ، واليوم تصور وتريد أن تكون رساماً ؟

— أبعدتمونى عن الألحان وقلتم كلاماً معناه : « أسكت » ، فهل تريدون اليوم أن تخطفوا من يدى الريشة فلا أصور . . . خذوها أيضاً !

— لا تُغْنِّ ولكن لا تغضب ، وارسم وسنرى فى رسمك رأياً .. فما الذى تريد أن ترسمه .. فكرة ؟ أو إنسان ؟ أو عاطفة ؟ أو عاصفة ؟ ...

— لا لا ... إنسان ، كل ما أعرفه عنه هو أنه « كاتب من الكتاب » كتب فصلاً فى عدد الرسالة الأخير يوازن فيه بين بين نفسه وبين سيدنا أيوب

— إذن فستكون صورته أشبه الصور بالصورة التى نتخيلها لسيدنا أيوب

— لا . . بل ستكون صورة أخرى . لأن هذا الكاتب نفسه أراد أن تختلف صورته عن صورة أيوب اختلافاً كبيراً

— وأنى لك ذلك ؟

— من كلامه هو فهو يقول : « أيوب فقد الثروة والعافية ولم يفقد اليقين ، وأنا فقدت الثروة والعافية واليقين . أضاع الله من أضاعونى ! وأيوب استطاع أن يعاتب ربه بقصيد رنان وهو فى أمان من ثورة الجمهور ، فظفر بالخلود فى عالم الفكر والبيان ، وأنا لا أملك معاتبة ربى بسطر واحد خوفاً من رئيس التحرير ، وخوفاً من شيخ الأزهر ، وخوفاً من محكمة الجنايات ، وأين نجيمة أيوب فى دنياه من نجيمتى فى دنياى ؟ كان الدينار لعهد أيوب يمون الرجل شهراً أو شهرين ، وأنا فى عهد يهان فيه الرجل إن اكتفى بالدينار يوماً أو يومين ، فمن يسلطنى على دهرى فأسجل رزاياه على نحو ما صنع أيوب ؟ وكانت الأرض لعهد أيوب بلا رسوم ولا حدود فكان المجاهد ينال منها ما يشاء كيف شاء ، وهى اليوم مقسمة تقسيما يصد المجاهدين أعنف الصدود » ... وهو قبل ذلك يقول للذين أضاعوه — فيما يظهر — « لقد أفلحتم فى زعزعة اليقين الذى كنت أفزع إليه حين تكرثنى صروف الزمان ، فأين أنتم لأشكو إليكم ما جنت أيديكم ؟ وأين السبيل إلى ترميم البناء الذى كنت أستظل به من قبل أن أنخدع بالبريق الذى أزغتم به فؤادى ... ؟ » فهلا ترين أن هناك خلافاً بين الذى يقول هذا الكلام وبين أيوب ؟

— أنا لم أقرأ سفر أيوب

— هو رجل أعطاه الله كثيراً ، فابتلاه الله ، فصبر ، فرفع الله البلايا عنه وفاز . فاختارى له ما تشائين من صوره ، وانظرى منى فى هذه الصورة الجديدة فقد يحتمل أن تشبه إحدى صور أيوب

— وأين هى الصورة ، فإنى لا أرى فى الورقة غير خطوط

— الصورة لا تزال فى الغيب وسنستدرجها معاً ... ولنبدأ بتصوير الرجل الذى فقد الثروة والعافية واليقين ... هذا الرجل ما مظهره ؟ وكيف نرسمه ؟

— نرسمه أول كل شىء فى أثواب من فقد الثروة ، وهى ليست أنيقة ولا غالية ، وهو بعد ذلك هزيل ضعيف لا قوة فيه ولا صحة ، ولا بد أن تظهر الحيرة فى عينيه ما دام قد فقد اليقين . وقد يكون بدل الحيرة جزع ، وقد يكون بدل الجزع حذر ، وقد يكون بدل الحذر قسوة ، وقد يكون بدل القسوة غيرها من سائر النزعات التى تستولى على من فقد اليقين ...

— بعد أسبوع واحد سأنشئ أنا وأنت استوديو نصور فيه العفاريت ... وما رأيك فى قوله : أضاع الله من أضاعونى ؟ أهى كراهة منه لمن أضاعوه فنرسمها على وجهه ، أم هى اعتذار عن فقدانه الثروة والعافية واليقين ؟ ... فهو يريد به أن ينفر الناس له مظاهر هذا الفقدان ؟

— أظنها كراهة ، وأظن هذا الرجل مجنياً عليه ، وأظنه لو تمكن من الذين أضاعوه لأضاعهم . . .

— وأنا يخيل إلى أن قوله هذا لا هو كراهة ولا هو اعتذار

فقد نسيت أن أقرأ عليك من كلامه قوله للذين أضاعوه : خذونى إليكم فى ملاعبكم وملاهيكم ، عسانى أنسى جاذبية البؤس فى صحبة قلمى وكتابى !

— عجباً ! ... فهو إذن لا يكره الذين أضاعوه ، وإنما يريد أن يكون معهم . فلنرسم إذن على وجهه شيئاً من النيرة ... أو لعلها سخرية ...

— سخرية ممن ؟ من الذين يريد هو أن يكون معهم ؟ لا . ليست سخرية . وهو بعد ذلك يريد أن يعاتب الله الذى هو الله معاتبة لا تكون إلا من صاحب حق عند نائل منه ، ومع هذا ، فهو يخشى رئيس التحرير ، وشيخ الأزهر ... فكيف نرسم الرجل الذى له حق عند الله ، وعلى علمه بهذا يخشى الأستاذ أحمد حسن الزيات ، وفضيلة الأستاذ المراغى ... كيف يمكن أن نتصور هذا ؟ إنى لا أتصوره !

— ولا أنا !

— ولا أى إنسان ، فأولئك الذين يقرضون الله ، ويعطون الله ، لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . وهم يعرفون هذا من تلقاء أنفسهم لأنهم يعرفون الله ويعرفون أنهم يقرضونه ويعطونه ، ويعرفون من هو الله ، ومن إلى جانبه رئيس التحرير وشيخ الأزهر ...

— إذن فأنت تريد أن تقول إنها ناحية مبهمة فى الصورة ...

— بل أقول إنها مكياج . وأنها تشبه دعاءه على الذين أضاعوه فى الوقت الذى يريد فيه أن يكون مع الذين أضاعوه فى ملاعبهم وملاهيهم ...

— فكأنه لا أعطى الله ولا أقرضه ...

— الله أعلم ... وهو يحسب لأيوب من النعمة أنه ظفر بالخلود فى عالم الفكر والبيان لما عاتب ربه بقصيد رنان وهو فى أمان من ثورة الجمهور ... فما الذى يبديه هذا الإحساس فى وجهه من الأمارات ؟

— أمارات الفكر ، لا شك ، وعلامات عشاق الخلود ...

— كلا . فلو سئل أيوب أن يتحدث مرة أخرى عما نال من نعمة الله فى عتابه ربه ، لذكر أنها هدى ربه ، ولما ذكر بيانه ولا قصيده ولا فكره ، فما كان أيوب يسعى إلى كلام ينمقه فيحفظه الناس عنه ويروونه له بعد موته ، وإنما كان أيوب يتجه إلى الله يطلب منه أن يصلح نفسه ، وأن يكشف له عن حكمته فيما ناله من بلوى استعذبها وصبر عليها ... فأيوب الذى كانت هذى هى نفسه هو الذى تبدو عليه أمارات الفكر لا شك ، وعلامات عشاق الخلود

— فمكياج هذه أيضاً ؟

ولم لا ... هذا مقال ظهر فى رأس السنة ، ورأس السنة عيد يتنكر فيه أصحابه لهواً وعبثاً . . . فلنمض مع صاحبنا هذا ، فإنه من غير شك لذيذ ...

— وهبك وصلت إلى تصويره حقاً ... فهل تجرؤ على نشر صورته ، وهو رجل لا تعرفه ، وقد يغضب عليك وأنت أحوج ما تكون إلى عطف الناس لا إغضابهم ...

— ولماذا يغضب «أيوب الثانى» من كلمتين يقولهما كاتب صغير مفضوح مثلى ... إنه لو غضب لأكد غضبه لنفسه ما أدعيه من أن صورة أيوب التى يريد أن يرسمها على نفسه إنما هى مكياج ...

— إذن فامض هداك الله ، وهداه معك ، وهدانى معكما ...

— آمين . لو كنت قرأت سفر أيوب لكنت رأيت فيه أن أيوب لم يتفجع من فقدان الثروة إلا على أنه مظهر من مظاهر غضب الله ... ولكن أيوب الثانى هذا الجديد يذكر الفجيعة فى الدنيا على أن أفجع ما فيها هو أنها أصابت دنياه فيقول : « وأين فجيعة أيوب فى دنياه من فجيعتى فى دنياى ؟ » فبأى الصور تتصورين أيوب الثانى ...

— بصورة الرجل الذى تهون فجيعة أيوب فى دنياه إلى جانب فجيعته فيها ... وأيوب على ما أظن فقد فى الدنيا من الفقر والمرض الخبز وأدنأ ما يسد الرمق ، كما فقد الملبس وأهون ما يستر الجسد .

— فهل تظنين كاتباً من الكتاب الذين يكتبون لمجلة رائجة مثل الرسالة تصل به الحال إلى هـذا ولا يعاونه صاحب الرسالة وكتابها وقراؤها ولو برغيف وبنطلون ؟ أنا لا أظن ذلك ... وهذه أيضاً مكياج ...

— إن الرجل يتكلم كلاماً يعتمد فيه على النسبة بينه وبين أيوب ، وزمانه وزمان أيوب ... فأيوب نبى ، وعاش فى عصر أوفر رغداً من عصرنا ...

— وهذا هو الذى يقوله هو ... ولكن لا تنسى أنه يوازن بين نفسه وبين أيوب من ناحية واحدة فقط ، وهى هذا الشقاء الذى

يفرض أنه قد مسه ، وينسى بعد ذلك لأيوب بقية نواحيه وأولها أنه لم يكن يعرف « المكياج » وهى ناحية أساسية فى أيوب وفى كل من يريد أن يكون كأيوب .

— فلندع هذه أيضاً ...

— ولنر إلى قوله إن الدينار والدينارين ...

— لا لا ... فلندع هذه ... فإن الكاتب من الكتاب الذى يشعر بأن الإنسان يهان فى هذا العصر إذا اكتفى بالدينار فى اليوم أو اليومين ... فهو من غير شك قد رحمه الله من إهانات يا لها من إهانات لو لم يكن ينفق الدينار فى اليوم أو اليومين ... كان الله فى عون الكتاب وغير الكتاب من أبناء اليوم الذين ينفقون الدينار فى الأسبوع أو فى الشهر أو فى العام ... إن هؤلاء هم الأيوبون

— بعدها يا سيدتى قوله : ومن يسلطنى على دهرى فأسجل رزاياه على نحو ما صنع أيوب ؟ فهو لا يسجل على دهره الرزايا إلا إذا سلطه على الدهر أحد ، على الرغم من قوله إن الدهر أوجعه وأشقاه ... فكيف نصوره أمام الدهر ؟

— لو كان خائفاً من الدهر لكان قد سكت على الدهر ولم يناوشه ولم يصارحه العداء ، ولو كان هاجماً على الدهر لما عبأ بالدهر ولما طلب الذى يسلطه عليه ويمكنه منه ، فلا هو خائف ولا هو هاجم ...

— فماذا يكون إلا أنه صاحب سياسة مع الدهر حكيمة فهو لا يهاجمه على الرغم من عدائه له انتظاراً لمن يسلطه عليه ؟ ...

— ولكنه على هذه الحكمة يصارح الدهر بالعداء ... وليس من الحكمة فى شىء أن يصارح الإنسان عدوه بالعداء وهو عاجز عنه خائف منه ...

— فهذه الحكمة أيضاً مكياج وهذه الصراحة هى المكياج . . والله أعلم ... على أنه قد خطرت لى الآن صورة مضحكة قد يجتمع فيها ملامح هذا الاضطراب كله : فى الريف عندنا ناس يسلطهم الأعداء على أعدائهم ... فيكرهون ويعادون ويحاربون ويقهرون ؛ تبعاً لما يوحى به إليهم من يسلطهم . . . وهؤلاء من كثرة تدربهم على التسلط والتسليط أصبحوا يتسامحون فيما ينالهم هم من الأذى فلا يأخذون بالثأر لأنفسهم ولا يستردون حقوقهم ، لأنه لا أحد يسلطهم إلا على أعدائه هو لا على أعدائهم هم ... فما رأيك ؟

— ولكن هذه لا يمكن أن تكون صورة كاتب من الكتاب

— إنى قلت ذلك ... فالمفروض أن الكاتب من الكتاب له رأى خاص وكيان خاص وتفكير خاص ؛ وهو يموت ولا يحتمل أن يسلطه إنسان على شىء ...

— ولكن كيف ذكرت الريف وأنت لست منه ولم تحل به إلا خطفات ؟

— لعل الذى دفع صورة الريف إلى ذهنى هو قول صديقنا : وكانت الأرض لعهد أيوب بلا رسوم ولا حدود ، فكان المجاهد ينال منها ما يشاء كيف شاء ، وهى اليوم مقسمة تقسيما يصد المجاهدين أعنف الصدود ... فالأمر الذى لا شك فيه هو أن ذكر الأرض يكثر على ألسنة الريفيين .

— ولكن الرجل ذكر بعد الأرض البحار فقال إنها كانت مصادر خيرات ، وذكر السماء وقال إنها كانت مساقط غيث ومذاهب نسيم وهذا هو ما يدعونى إلى القول بأنه كاتب من الكتاب يزن الكلام ويوازن المعانى ، أفكنت تريدين أن يسكت عند ذكر الأرض فقط فتكون منه هـذه هى الواحدة التى يهمل فيها « الماكياج » ؟ إنه كاتب من الكتاب ... وهو إلى أنه كاتب يرى نفسه مجاهداً ، وكان يجب أن تكون الأرض بلا حدود ولا رسوم لينال منها المجاهدون — وهو منهم — ما يشاء كيف شاء . . . إنه يريد الأرض ويريد أن ينال . . . والآن أرشدينى وقولى لى كيف تكون صورة هذا الكاتب الصديق ... هل تستطيعين أن تبحثى لى عن « موديل » له أرسمه ...

— لا ...

— وأنا قد بدأت واعترفت بالعجز ، ورسمت هذه الخطوط التى رأيتها فى الورقة فلم ترضى أن تقرى فى البدء بأنها صورة إنسان ...

— ولكن هذا الذى رسمته يا شيخ ليس صورة ما . أعوذ بالله

— هى صورة ، ولكنها مرسومة بالأسلوب « المودرن » ... وكم أحب أن أعرف رأى صاحبها فيها — من غير غضب — وعليه منى السلام ومن الله الرحمة والبركات .

عزيز أحمد فهمى



قانون نيوتن الثالث

وارتباطه بحياتنا العامة

للأستاذ ابراهيم زكى أباظة

إن معظم القوانين الطبيعية التى وصلنا إليها كانت نتيجة تجارب جاءت إما عفواً ، وإما استنتاجاً من قوانين أخرى سابقة. وكثيراً ما عد العلماء ورجال البحث أهمية القانون بتعقده وصعوبة الوصول إلى الحلول التى كشف عنها أكثر مما يلعبه من دور هام فى مناح مختلفة من حياتنا العامة، سواء أكانت هذه النواحى مباشرة فى ظهورها ، أم غير مباشرة فى تأثيرها . ولعل الشهرة التى يتمتع بها السر إسحاق نيوتن تتمركز فى المكان الأول على قانون الجاذبية العام الذى وضعه ، ثم ما تفرع عنه من مشاكل ومسائل طبيعية ورياضية جعلت صاحبه من أعاظم الرياضيين .

فنى نفس الطريقة التى كشف بها قانون الجاذبية العام عن مظاهر طبيعية عدة ، كان الإلمام بها يعد قديماً من عمل الخوارق . كذلك يمكننا بواسطة عدة تحاليل علمية ومنطقية أن نتوصل إلى أن قانون « نيوتن الثالث » ، لا يترك ناحية من نواحى حياتنا إلا وله فيها تطبيق وعمل . وعلى مدى مرونة هذا القانون تبنى أهميته وتجعله فى مقدمة القوانين العامة التى تشترك بها جميع العلوم .

ينص هذا القانون على أن لكل فعل رد فعل مساوياً له وفى عكس الاتجاه :

فإذا تكونت فى جسم ما قوة من نوع (سالب) عندئذ وجب وجود قوة مماكسة ومساوية لها من نوع (موجب) . فإذن وجود الواحدة يعنى وجود الأخرى أو الإثنين . فإذا لاحظنا الأمور التى تجرى أمامنا، وتبصرنا كل جسم وحيز، كل جماد وحى، وكل غاز وصلب ، وجدناها تقع تحت مؤثرات تختلف باختلاف أنواعها ومصادرها . حتى الفكر والعلم والزمن وكل شىء معنوى تتجاذبه مؤثرات متماكسة النوع تؤثر فيه حسب ناموس قديم متناسق تناسقاً منطقياً يستند على هذا القانون ؛ وهذا هو التفسير الذى نبنى عليه هذا البحث

فلو أراد شخص رفع ثقل عن الأرض كحجر بواسطة حبل فاقتلعه بقوة لانقطع الحبل ، لأن قوة كبيرة تساوى القوة التى بذلها الرجل فى الرفع قد وجدت فى الحجر، ولكنها تسير مضادة للأولى، وهكذا تتكون قوتان متماكستان فى المفعول فينتج عن هذا التدافع المكسى تأثير على الحبل يتناسب مع حدة هاتين القوتين المتحاربتين فينقطع. ولكن لو رفع بلطف لما انقطع ، لأن القوتين اللتين تعملان فى اتجاه مماكس تخف وطأتهما على الحبل لدرجة يستطيع تحملها بعكس ما يحدث فى الحالة الأولى

هذا مثل من أمثلة عديدة لها أهمية خطيرة فى علم الطبيعيات . ولا أظن أن تطبيق هذا القانون فى بقية العلوم إلا كاشفاً عن أسرار تساوى أخواتها فى الطبيعيات إن لم تفقها .

لقد أثبت علم النفس أن الشرير مهما تمادى فى شرّه ، وأن المرأة الساقطة مهما تطرّفت فى انحطاطها، يُمكنان فى فؤادهما من الروح الصالح والطينة الطيبة ما يمنع قطع الأمل من إصلاحهما . فكم من متهتكة عاهر أصبحت يوماً ما من أرق القلوب وأعطفها على المظلومين والضعفاء والمرضى ، فذهبت تجمل ما بقى من حياتها وقفاً على مواساة المريض وإعانة الضعيف . فبمقتضى هذا القانون — وإن كان طبيعياً — نثبت أن المقدار أو النسبة المئوية من الخلق الشرير لا بد وأن يوجد مقدار مساو له تماماً ، ولكن من الناحية المضادة ، أى من الخلق الحسن المحمود. وأما تعليل تفوق عنصر على ضده فهو أن ظروف الحياة والبيئة ساعدت على نمو الواحد وعرقلت نمو الآخر بنفس الطريقة التى يبيد بها نوع من المكروبات أنانى حشرة ما ، بينما يساعد على بقاء ذكورها ، أو يقتل نوعاً من الحشرات ويبقى على نوع آخر . فإن امتد الأجل بذلك الشرير ضعفت العوامل التى ساعدت على تيقظ خصلة خلقية فيه وقتلت المضادة . عندئذ تسنح الفرصة لظهور الطرف الثانى من الكيان الخلقى الذى لبث دهراً مديداً طى الخفاء

ومما نلاحظه كثيراً وأثبته علم النبات أنك إذا بترت غصناً من شجرة فلا بد من ظهور طلع فى مكان آخر من الشجرة : أى أن العضو الذى يُعاق نموه فى مكان ما يسير اتجاه نشاطه إلى مكان آخر ؛ وربما لم يصلح جذع الشجرة كله لظهور

طلع جديد بدل المبتور ، عندئذ نلاحظ أن طلماً أو عدة طلوع برزت قرب الجذور. هذا فى أغلب الحالات وفى بعضها تحول فاعلية العضو المبتور إلى عضو آخر فتزيد فى نشاطه مثلاً كأن تزيد نضرة الورق أو نضوج الفاكهة . ونفس النظرية يمكن تطبيقها فى جسم الإنسان أو فى أى جسم حى

هذه الأمثال من حيث الظواهر الطبيعية التى فسرت حسب هذا القانون . فنستنتج من ذلك أن كل جسم فى الكون حياً كان أم جاداً يتكون من عنصرين : سالب وموجب . فى الوقت الذى يسيطر فيه أحد المنصرين على الحالة القائمة فى الجسم يختفى الثانى ـ ولكنه لا يزال موجوداً ـ فكأن نظام تسلط الفرد أو مجموعة من الأفراد التى هى من عنصر واحد قائم حتى فى خفايا التراكيب الكونية مهما تنوعت أصنافها . وهنا تتاح الفرصة للظروف أن تقرر سيادة أحد المنصرين واختفاء الآخر مؤقتاً ـ كما فى الأخلاق ـ مع أن توازن الجسم لا يتوفر إلا بوجودهما معاً وإن نشط الواحد وفتر الآخر

فنى المثل الأول من مقالنا قلنا إن رفع الحبل بعنف أو بلطف سبب الحالة التى قررناها . فهنالك قوتان تسيران متعاكستين فى الحبل وجدنا وركزنا فيه عند ما تم فتله. وهاتان القوتان متساويتان فى الجذب؛ وبهذا نملل كون الحبل لا يتحرك أو لا يتحرك فى حالة عدم وقوعه تحت مؤثرات خارجية ، فتبقى القوتان ساكنتين، حتى يجىء باعث أو محرك خارجى فيثيرهما ويجعل لواحدة السيطرة على الأخرى . فنى حالة هذا الحبل سيطرت القوة المعاكسة لثقل الوطأة فقطع، وبالتالى سيطرت القوة الأساسية التى بذلها الرافع فلم ينقطع . فالسالب والموجب إذن موجودان فى أى كيان لا يلزمه سوى باعث يثير الواحدة على الأخرى والنصر يعتمد على شدة هذا الباعث أو المحرك

وهنا نظفر بحقيقة فى علم الأخلاق على جانب من الخطورة عظيم ، إذ يمكننا تحت ضوئها أن نصلح أى خلق شاذ فى أى شخص إذا فهمنا روح هذه النظرية وسرنا فى تطبيقها بخطوات منطقية متوازنة . فإذا فرضنا أن شخصاً مصاب بمادة الحياء أو الخوف أو الاستكانة ، فما علينا إلا أن نعمل على إيجاد الظروف والمناسبات التى تكثر فيها الحوادث التى يساوده فى أثنائها مفعول استحيائه أو خوفه مع الاستمانة فى تنبيه فكره بواسطة غير مباشرة إلى ملاحظة ما يترتب على عمله ، ولتكن هذه المصادفات متتابعة متلاحقة — ولكن بشرط إعطائه الوقت الكافى للتأمل فى أعماله — بحيث يتركز مفعولها وأثره . فما من شك مطلقاً فى أن صفة خلقية مماكسة تنشأ وتترعرع حالاً بقوة وتطرف موازيين للقوة والتطرف فى الحالة الأولى أى فى حالة وجود الاستحياء والخوف ، فتنشأ الجرأة بدل الأول والشجاعة بدل الثانى

واستناداً إلى تفسير هذا القانون والنظرية العملية التى استخلصت منه يصبح فى مقدورنا التنبؤ بعدة نظريات وآراء علمية عديدة منها ما ظهر وبرهن على وجوده فى العلم الذى يتعلق به ، ومنها ما يمكن التنبؤ به استناداً إلى هذا القانون ، إذا تحرينا فى استنتاجاتنا الخطوات المنطقية . ومن النظريات التى تنبئ بها على ضوء هذا القانون — طبعاً بصورة غير مباشرة — نظرية تركيب الذرة atome . ففى الوقت الذى عرفت فيه بواسطة التفاعلات الكيميائية بين المركبات من نوعى Polar Componnds و Nonpolar Compounds الكهارب التى تسير فى مداراتها حول نواة الذرة atom وهذه ما تسمى بال Satellite electrons عندئذ عرف وجود البروتون protons لأن الكهارب هى الشحنات السالبة والبروتونات هى الشحنات الموجبة ووجدت هذه الشحنات المختلفة بنسب متساوية تماماً فى الذرة

وهنالك من الأحياء فى الطبقات الدنيا ما لا يزيد تركيبه على خلية واحدة تقوم فى نفس الوقت بجميع عمليات الجسم الضرورية كالهضم والتنفس والإفرازات ، ومن هذه الحيوانات ال amœba وال paramecium . فلو تصورنا وجود هذه الحيوانات ذوات الخلية الواحدة فى أقصى طرف من عمود خشبى يستدق فى طرف ويتدرج فى الغلظ وتخيلنا هذه الحيوانات الدنيا كأنها تشكل نهاية الطرف المستدق فلا بد إذن من وجود حيوانات تقابل هذه على الطرف الآخر من العمود ، وأنها تكون نهاية فى الغلظ لوجدنا أنه يتحتم وجود حيوان متناه فى قوته وجرمه فائق فى دقة تراكيبه الجسمية ووظائف الأعضاء فتكون قوته وحجمه متطرفين بل متناهيين فى التطرف بالقدر الذى تكون فيه الأميبا متناهية فى الضعف والتلاشى ودقة الحجم . فلو احتجنا إلى مكرسكوب قوى لمشاهدة الأميبا بما فيها من تراكيب غاية فى البساطة ، لأمكننا أن نتصور بل نتأكد من وجود حيوان كبير جداً يعجز نظرنا عن الإحاطة بجرمه إلا إذا ذهبنا



الأب ...

لجى دى موباسان

بقلم الأستاذ مراد الكردانى

تملقها لحظةَ سنحتْ لعينيه . فقد كانت ذات جمال هادئ صارخ ، يتسلل إلى الحواس فى دَهاء ولطف ، حتى إذا تمكن واستوى ، فعل فعله ، ودار فيها على طبيعته حنيناً ورغبة ونداء .

ثم كان لِزاماً عليهما أن يتراءيا كل صباح ، لأن عملهما كان يقتضيهما أن يهبطا باريس كل يوم مع الهابطين .

لم يكن يعرفها ، وما كان رآها ، إنما كان يجد نفسه فى كل صباح جالساً تجاه فتاة جميلة ، سرعان ما أحبها ، وسرعان ما ألقت أنوثتها فى ذهنه أنها امرأة وديعة لينة ، ضعيفة ، فشرع يغزوها كان يحملق فى وجهها ، وخديها ، ثدييها بشراهة عجيبة . وكانت إذ تدرك منه ذلك تحملق فيه ، فلا يردّ عينه عنها ، فتضطرب ، ويصعد الدم وفيراً إلى وجنتيها ، فتزداد جمالاً وفتنة، فيزداد هو شوقاً ورغبة ...

ولا يدريان : لا هو ، ولا هى ، هل كان واحد منهما يحرص أن يكون جار صاحبه فى مقعد المركبة كل يوم؟ أم هى مصادفة ساقها القدر وفقت أن يلتقيا هكذا أسبوعاً كاملاً ؟ . . . كان لا مفر بعده من أن تجرى بينهما بضعة كلمات خفاف قصار فى ابتسامة أخف وأقصر ، لعلهن كن تمتمة شكر لقاء أن آثرها وأجلسها فى مكانه فى يوم كانت العربة فيه ملأى بركابها . . .

وفى اليوم التالى تصافحا يداً بيد ، ثم تكلما ، ثم تصادقا ...
ثم كانت له برغم ذلك شاغلاً يملأ خلايا مخه طول يومه وسواد ليلته ، إلى أن يلقاها ... وإنه ليرقب مشرق وجهها على فؤاده بشوق وحنين ، وإنه ليفكر فى نصف الساعة التى ينعم فيها بها ، حتى إذا بلغا غايتهما، وآن لهما أن يفترقا ، شعرَ بفراغ هائل بداخل نفسه؛ وتعاظمته تلك القسمة الحرام التى قسمت له من زمان حبيبته جزءاً واحداً من ثمانية وأربعين جزءاً ...

لمسافة بعيدة حيث نتمكن من رؤيته كله . ولهذه الحقيقة ما يؤيدها تاريخياً وهو وجود حيوان يسمى بالدينصور الذى زعم المؤرخون أنه كان هائل الجسم والبطش إلا أنه انقرض بفعل الثلج فى العصور الجليدية . وكذلك الحيوان الذى يقال بوجوده أيضاً ويسمى بالتراخودن من فصيلة الدينصور ، ويقدرون قوته وسرعته بأنه يقطع مسافة سبعة أميال بخطوة واحدة من خطاه. وفى البحار ما يقارب هذه الحيوانات كالحيتان ، فمنها ما يقابل – تقريباً – فى الكبر الأميبا فى الصغر

ولا شك أن الحيوان الذى يتمم هذا التقابل قد وجد ورتع يوماً ما على ظهر الأرض وسوف يكشف عنه العلم والتاريخ يوماً ما .

هذه حقائق يمكن أن نتلمسها بالفكر والنظر البعيد . كما أنه من الممكن بهذا القانون التنبؤ بنظريات واقعية تجرى مبادئها مجرى العمل فى كل مضمار من مضامير العلم . وأعتقد اعتقاداً راسخاً أن العلم السائر دوماً إلى الأمام سوف يبرهن عليها بقوانينه وحسابه وملاحظاته وتجاربه إن لم يكف قانون نيوتن الثالث للبرهنة عليها بصورة حاسمة

كما لا شك فى أن ما نجده من تناقض واختلاف – حسب ما نعتقده – سواء فى مجرى الأحداث الطبيعية أو شتى شؤون الحياة المتنوعة أو طباع الناس وأخلاقهم ، لا نجد له تعليلاً منطقياً غير الرجوع إلى هذا القانون . ولو بحثنا فى بعض الأحيان فى إيجاد تعليل إلا أن المصدر الأعلى الشامل لتعليل جميع ما نرى من متناقضات وأضداد فى مجرى الطبيعة والحياة اليومية وسَيَر التاريخ العام هو هذا القانون الخالد ما خلد صاحبه

(نابلس) ابرهيم زكى أباظة

ولما تو ثق ما بينهما اشتهى أن يكون وإياها رجلاً مع امرأة ؛ ولعلها اشتهت مثلما اشتهى لأنها قالت له فى صباح يوم سبت من أيام الربيع ، وهما يتواعدان أن يلتقيا غداً فى مطعم فاخر :

— قبل أن نذهب أحب أن أقول لك كلمة ، وأمامنا عشرون دقيقة نستطيع أن نقول فيها كلمات ...

وتغافل هو عما أحسه من اضطراب جسمها واهتزاز ذراعها فى ذراعه وهى تلقى إليه قولها ، قالت فى صوت خافت :

— أحب أن تعلم أنك ستطوى نهارك مع فتاة شريفة لا تحب أن تذهب مع رجل حتى يتعهد باحترامها ...

وتوهج خدّاها وحرّت أنفاسها وتعنّف اضطرابها ، فلم تمد تملك أمر نفسها فسكتت ، وسكت هو لا يدرى ماذا يقول فقد كان فى حسابه أنه سيمتع نفسه بكل ما يمكن أن يفعله رجل يحب فتاة . وإذ لم يحْرِ جواباً تَنْتَتْ هى تقول :

— إننى لن أذهب معك حتى تتعهد باحترامى

* * *

ولما برحا المطعم الموعود سارا معاً على ضفة النهر يمتعان أعينهما بالماء الحالم فى هُدأةِ الأصيل وبالجو السجسج الدافئ . وكانت لمة الضوء تتكسر على صفحة الماء الحانى ، والأسماك تتواثب وتتلاعب ثم تنغمر فى الماء . وأشعة الشمس تسيل فتصبغ الماء والحشائش والأفق بلون رهيب . . . كان كل ذلك يزيد من جمال النهر ويكسبه روعة وجلالاً

وتفاعلا فى روعة هذا الجمال الضافى فراحا يلعبان ويثبان . وراحت هى تشتبك فى ذراعه ثم تتركه لتدفعه من ظهره . ثم تجرى منه ضاحكة ثم تُؤامنهُ لتنحنى فتجمع له الزهر النامى على حافة النهر وتقدمه له أو تلقيه فى الماء . وظلا هكذا ــ كطفلين غريرين ــ حتى جرت دماؤهما. ثم سارا هادئين لحظة لأنها بدا لها أن تقول له:

— ماذا تظن فىّ وقد جئت معك منفردة !

— إن هذا أمر عادى مألوف

— لا . ليس عادياً ولا مألوفاً ، ولكنى مع ذلك لا أظن أننى أكره مثل هذا الطيش ، ولى أم مريضة ومتعبة كانت أولى بوقتى هذا ، ولم يكن يليق أن أتركها وألهو ولكن ... ولكن أرجو ألا تسىء بى الظن

ولم يكن لديه جواب لهذا الخلط الذى لم يفهمه سوى أن مال عليها فقبلها قبلة أخطأت خدها وأصابت أذنها . فنفرت منه كظبى مذعور وتغاضبت عليه . ولم تطل . . . بل أقبلت عليه تذكره بوعده لتمهد أن يعودا ــ كما كانا ــ مرحين لا عبين

وكان الهواء قد رق وصفا . وسرى عِطرىٌّ الروحة والندوة يحمل فى طواياه هبته شذاً قوياً يدير الرأس حين يدور فيها عند ما بدت لهما من بعد حديقة لفاء يحبو تحتها ماء النهر،وتذهّب ذراها أشعة الشمس الغاربة ، كانت تبدو من بعد كسرادق مظلم أو ككهف عظيم . ولما قارباها أخذت هى تحدّق فيها بعين بارقة مفتوحة ، وقالت فى صوت خافت كأنه يأتى من أعمق أعماقها

— ما أجلها ... ما أجلها !

ولما اقتحماها وسارا فيها بلغا فيها خباء بين دوحتين فارعتين لا تبلغه العين ، ولا يبلغه الضوء ، إلا قِطعاً نُثاراً كنقوش الثوب،وملأتْ رأسيهما فيه ريحٌ عطرة مثيرة قوية ! فجلسا حالمين تائهين ... ثم تقاربا فى بطء وسكون ، ثم تضاما ، ثم عصفت بهما نار الرغبة فلم تملك إلا أن تحسس فمه بشفتيها . فجمل يعتصرها بجنون ، ويضمها إلى صدره بشوق وقوة وعنف ، وقد غابا ونسيا نفسيهما ... !

* * *

ولما أفاقت لم تكن تريد أن تصدق ... ثم أخذت تصيح وتصرخ . . . ثم هدأت لتبكى . . . ثم لما فرغت لم ترد أن تسمع لكلماته وهو يفرغها فى أذنيها ليخفف عنها ما بها من جزع وأسى ، بل جعلت تهتف فى صوت خافت ضعيف :

— رب ماذا فعلت ... ماذا فعلت !

وساوره الخوف والفزع مما رأى من حمرة خديها وعمق عينيها وجعل يرتعد وهو يرجوها أن تبقى ليتفاهما ، وليدبرا الأمر على

قانون الواقع ولكنها تركته دون كلمة أو وداع ...

***

ولما لقيها في اليوم التالي ألفاها ساهمة شاحبة ظاهرة الأسى ، كأنها خالصة من أعقاب مرض طويل أضناها وذوّب قواها . قالت له حين تصابحا في همس :

— أريد أن أتحدث إليك قليلاً ...

ولما انفردا قالت له في ألم وجد :

— إنه ليحسن بنا أن نفترق ، فإن من الخير ألا نلتقي بعد ذلك ، وبعد الذي كان لا أحب أن أراك لأنني كنت ضعيفة ومجنونة، فليس هناك ما يبرر أن أعود لهذا الجنون وذلك الضعف مرة أخرى !

فجعل يتوسل إليها أن تلحق به وهو يؤكد لها أنه سيصلح ما أفسده . وأنه سيتزوجها إن شاءت ومتى شاءت ولكن عبثاً ما حاول فقد رفضت أن تسمع له وتركته ومضت

ولم يعد يراها . ومر أسبوع وأسبوع ، ولم يكن يعرف مأواها ، ولعله أيس منها أو لم يقطع في أمرها بأمر ، لأنه ذهب مرة يفتح الباب لطارق فوجدها هي . وأثلج صدره أن شعر بها فيه ، تملأه وتهدهده ، ورأى ذراعيه قد التفتا عليها ، وجعلتا تضغطانها في رفق وشوق ...

وعاشا معاً ثلاثة شهور شعر بعدها بالملل منها ، فتهابط حبه لها وشغفه بها ، ونقصت رعايته إياها وعنايته بها ... ثم جَبُن وتسافل حين ذكرتْ له أن جنيناً يتواثبُ في أحشائها فكأنما كان هذا النبأ عصاً ألهبته ، لأنه فرّ من وجهها مسرعاً لا يلوي . واختفى ... لا حذرها ولا أخبرها إلى أين ... ولا هي ارتضت لنفسها أن تبحث عنه

لقد طاوعت كبرياءها فلم ترد أن تفعل ، ولم تجد في وُسع عينيها سوى أمها ... فتهاوت في صدرها حزينة باكية تشكو لها بثها ، وترجو عندها الستر والصفح والسلوى ...

***

وفي الجانب الآخر عاش الخاطئ المسكين عيشة مضطربة قلقة سمجة ، لا معنى لها ولا غناء فيها ... عاش وحيداً منعزلاً ، لأن عليه أن يعيش ... كانت الدنيا في عينيه مظلمة قاتمة سخيفة لا خير فيها . ولو لم يكن لديه إلا عمله يرى فيه بضعة وجوه لمات كمداً وملالاً ... فتخامد شبابه وانطفأ نور حياته في حضيض خطيئته . وغدا على الدنيا شبحاً يود لو ينتهي

وكان يقسو عليه ألمه أحياناً فيضيق بوحدته فيخرج في آصال أيام الأحد ليسير ثقيلاً متباطئاً ، وما هي إلا خطى ممدودة حتى يجلس ملولاً ضيق الصدر ، ليرى الأسر السعيدة مغتبطة هانئة بأطفالها التي تجري حولها بوجوه ضاحكة مستبشرة . وكان هذا المرأى في ذاته يزيد ألمه وحزنه ، ويسلمه إلى شعور عنيف يستبد به فيشعر أن قلبه ينسحق تحت معول ضخم ، فلا يملك لنفسه إلا أن يطرق ويصمت

وفي ذات صباح وكان يسير شريداً مضنًّى ، لمح امرأة تتهادى بين طفلين يلعبان حولها، أما أحدهما فطفل لم يجاوز الرابعة، وأما الثاني فغلام تشرّف على العاشرة

اهتز حين رآها وداخله نحوها شعور ما ، ولما لم يكن مخطئاً جد ولم يستطع حراكاً ، فقد فَقَدَ هيمنته على نفسه ، ولم يعد إلا عيناً تدور وراءها وتتابع حركاتها . وازداد يقينه حين شعر بحنين عنيف يثور في صدره نحو أكبر الطفلين عند ما التفت مرة فوضحت ملامحه ...

في تلك الليلة لم ينم ، فقد سهّده أمل أشرق ثم خبا . فبات فريسة تفكير مضنٍ طويل : تُرى هل هذا ابنه ... وهل هي هي ... ؟ وإذا كان فماذا أستطيع أن أفعل ... ؟

وزاد بلاؤه أن طُمس على ذهنه فلم يدر ماذا يستطيع أن يفعل ... ولكنه غنِمَ أن عرف أنها تزوجت رجلاً من جيرتها وكان شهماً فاضلاً غفر لها واعترف بابنها وعُني بهما ...

وكان إشراق وجه ابنه في سماء حياته المظلمة ألماً جديداً فوق آلامه ، إذ أشعره ذلّ الوحدة وعذاب الحرمان ، فاضطرب اضطراباً شديداً ، وامتلكه اليأس والأسى ، وأصبح لا يرجو إلا أن يضم ابنه إلى صدره ويقبله ليشبع منه شوق السنين، وليطفئ

لوعة الحرمان التي شبت في نفسه فنطت آلامه جيمها

وقام في ذهنه أن يعترض طريقها ، فأسرع نحوها فأخذها من كتفها ؛ فلما التفتت إليه صرخت صرخة رعب مكتومة ، وحنت على ولديها فطوقتهما وأسرعت تجرى بهما

ومر شهران يئس فيهما أن يراها أو يرى ولده . وحنق على نفسه أن حرمها رؤية ولده ولو عن بعد . فجعل يكتب لها . . . كتب لها نحو عشرين رسالة لم يتلق رد واحدة منها ! فأحس مرارة الخيبة تغور في ألم الحرمان فترهقانه وتعذبانه عذاباً أليماً

ولما يئس أن يراها فكر وقدر ، ثم فكر وقدر ، فلمعت له في ظلمة يأسه خاطرة هي أن يكتب لزوجها... ولما جاءه الرد أنه يسره أن يلقاه في مساء يوم معين لم يكن بأسعد حالاً مما لو كان أعمله كما أهملته هي من قبل . فقد كان دق قلبه — وهو يصعد الدرج — سريعاً مزعجاً . وكان ينتزع رجليه انتزاعاً ويراود نفسه — وهو صاعد — أن يرجع !

وكانت ثياب الرجل السود ورهبته فيها وسحنته المتزنة الوقور التي طالعه بها . . . كان كل ذلك قد خلع قلبه وطير ما بقي له من قوة واتزان . وحين أشار له الرجل أن يجلس ، جلس متداعياً مذهوب العقل ، ضائعاً ...

قال الرجل في لهجة عميقة ورنة آسفة :

— إن زوجتي حدثتني عنك ...

فرد يقول في صوت خفيض متقطع :

— إنني يا سيدي غير سعيد لأنني لا أستطيع أن أرى ولدي

وهب الرجل فنادى ... فدخل غلام في نحو العاشرة مسرعاً إلى الرجل الذي يعيش معه على ظن أنه أبوه ... ولكنه وقف فجأة حين انتبه إلى أن بالحجرة رجلاً غريباً ...

وقبله أبوه قبلة كلها حنان وعطف . وقال له مشيراً :

— إذهب وقبل هذا السيد الجالس هناك . وسار الطفل نحو « السيد الجالس هناك » وديعاً خجلاً ، ضيق الخطى . وأحس هو — وطفله مقبل عليه — أن دواراً شب في رأسه حين نظر إلى عيني ابنه وهما تطالعانه وتنظران إليه

وقام الرجل (صاحب البيت) فدار على نفسه واتجه صوب النافذة ، حين وافى الولد أباه ، وحين فتح له هذا ذراعيه فاحتواه فيهما ، وحين أخذ يقبله بجنون في شعره وعينيه وخديه وفمه وذقنه وكل وجهه ، وحين انزعج الطفل من هذه القبلات العنيفة وأراد أن يتحاشاها ويبعدها عنه ، وهو يدير رأسه إلى كل ناحية ليتخلص منها فلم يستطع ، لأن الذراعين اللتين أحاطتا به قد تصلبتا عليه ... ...

.... ثم تراخيا عنه ، لأن رقة قلبه شاعت في كل جسمه ، فرّجه وتركه ، ليمسح دموعاً انسابت من عينيه ، ونهض صارخاً يقول :

— وداعاً ...

وأسرع فنزل الدرج قافزاً كالهارب ، وحين احتواه الطريق انغمر في الظلام كاللص .

مراد السكرداني



هذه الحرب ستزيل الحرب

[ملخصة عن « نورتايلى »]

منذ أربعين سنة كان الناس يظنون أن الحروب الدولية هى الطريق الطبعى الذى يدل عليه المنطق وتستحث إليه البطولة فى فض المنازعات . فإذا قتلت إنساناً — وكثيراً ما يحدث هذا — فأنت تقتل شخصاً أجنبياً عنك . أما الحروب الأهلية ، فقد كانت من الأعمال الممقوتة ، لأن القتل فى هذه الحروب كان بمثابة قتل الإنسان لأخيه ؛ فكانوا يعدونه خروجاً عن حدود الطبيعة لا يصح أن يقترف على وجه الإطلاق .

وقد كنت مخالفاً لهذه الفكرة منذ عدة سنين . فلم أعتقد فى ذلك الحب الأخوى المزعوم ، ولم أظن فى يوم من الأيام أن الإنجليزى أحق بالحب من الفرنسى ، أو الألمانى ، أو الأميركى . إن الإنسان حر فى أن يحب هذا أو يكره ذاك . ولكنى أعتقد أن الحرب الأهلية أقل خروجاً بنا من الحدود الأخلاقية من الحرب الدولية لسببين :

السبب الأول : هو أن النضال فى هذه الحرب لا يقوم لأجل انتزاع الأرض ، أو الاستيلاء على المعادن ، أو التهافت على السيادة وإنما يقوم على فكرة أو مبدأ .

والسبب الثانى : أن تلك الحرب ، حرب شعبية ، وثورة ضد الحكم السيء ، تترك فيها الحرية لرجل الشارع فى اختيار الناحية التى يريد أن ينحاز إليها .

ويخيل إلى أن الحرب الحاضرة هى من نوع الحرب الأهلية فهى حرب مبادىء ، هى ثورة يناضل فيها الألمان إلى جانبنا ، أو نحن نناضل إلى جانبهم لمكافحة نوع من الحكم الذى لا يطاق

فليست هذه حرباً دولية ، ليست حرباً بين حكومتين ، ولكنها حرب بين نوعين من أنواع الحكومات ، حرب بين الديمقراطية والدكتاتورية ، أو بعبارة أخرى هى حرب بين الحرية والاستعباد

لقد كتب كثير من اللغو عن كلمة الحرية . وأنا أقرر هنا أن الحرية المطلقة أمر ليس فى الإمكان . فأنا إذ أقول إننى حر فى أن أكتب ما أشاء — هنا — فلا أستطيع أن أكتبه فى ألمانيا أو إيطاليا أو روسيا ، لا يصح أن يقال لى أن الصحافة هنا فى أيدى أصحاب رءوس الأموال ، وهم لا يسمحون لك بأن تنشر إلا ما يتفق وأغراضهم . فأنا حر فى أن أكون من الرأسماليين ، وأخرج صحيفة خاصة بى إذا استطعت ، وأنا حر كذلك فى أن أنشر آرائى فى كتاب خاص إذا وجدت الناشر ، والناشر حر فى أن يقبل أو يرفض نشر هذا الكتاب . وأنا حر فى أن أسبح فى شلالات نياجرا إذا لم تحد من حريتى قوة المياه المتدفقة. فالإنسان لا يكون محروماً من الحرية إلا إذا حرم القدرة لفعل كل ما يريد

فالحرية التى يزدهر نجمها فى البلاد الديمقراطية هى حرية الروح، هى حرية الفرد فى أن يفعل ما تؤهله له كفاياته وظروفه الشخصية إذا لم تصطدم وحقوق غيره ممن لهم الحق كذلك فى الاستمتاع بحرياتهم ، وتلك ليست بالحرية الكاملة . فالحرية الكاملة شيء لا وجود له . وكذلك نحن نحارب هتلر لأنه زعم لنفسه الحرية التامة فى أن يفعل كل ما يريد . فهذا نوع من الحرية ترى الحكومات الديمقراطية أن من واجبها أن تكافحه بكل ما لديها من قوة لأنه يتعارض وحرية الأمم المجاورة له

لقد عدنا إلى حياة الغابة اليوم ، لأن هتلر يريد ذلك . أليس هذا نوعا من الجنون ؟ فإذا كان فى العالم أمة تخضع لشخص واحد أوليس من الجنون أن يبقى شبحه مهدداً للسلام

إن فكرة الحرب مقضى عليها إذا ارتفعت كلمة الشعب . فإذا كان الأمر على النقيض ، وكان صوت الأوتقراطية هو المسموع فسوف لا يرتاح العالم من شر الحروب

إن طريق السلام عسير ولا شك ، ولكنه واضح النهج بادى المعالم ، يراه كل بصير

لا هتلرية فى أرض الوطن

[ملخصة عن « سبكتاتور ، لندن »]

لم يمر على البرلمان ولا على الصحافة وقت أصبحت فيه المهمة الموكولة إليهما فى حاجة إلى عناية ويقظة كالوقت الذى نحن فيه . ومما لا شك فيه أن الديمقراطية لا تقدم على الحرب إلا إذا أفرغت كل ما لديها من الوسائل لاجتنابها . إذ الحرب وعلى الأخص الحرب العصرية — لا تخلو من خسارة موقوتة تقع على الديمقراطية نفسها . فالحكومة فى هذه الظروف على ثقة من أن حالة الحرب ستبرر كل ما تطلبه من النفوذ الدكتاتورى ، ومن ثم تعمل تحت تأثير هذا الشعور . فالحرية الشخصية يجب أن تحد إذا دعا الداعى

إلى التعبئة ، وإعداد المدة لحماية الوطن من الأعداء . وسائر قوى الشعب يجب أن تكون واحدة لنظام معين ، تسير عليه مجبرة إذا اقتضى الحال

هذه حقيقة لا جدال فيها . ولكن هل معنى ذلك أن قبول الحرب أو الدخول فيها يقضى على الديمقراطية ، ويمحو وجودها بحيث يصبح الشعب البريطاني كالشعب الألماني خاضعاً خضوعاً تاما للدكتاتورية العمياء ؟ الجواب لا ، بلا شك . فهذه الأمة لا ترجو يوماً من الأيام أن تعمل على رفع مستواها الحربي بتوجيه النقص إلى تلك الميزات التي كانت مصدر قواها وفخارها أيام السلم

إن العقلية الانكليزية ليست كالعقلية الألمانية . فالألمانيون سواء فى الحرب أو السلم لا يكرهون الاستعباد ، ويريدون أن يكونوا على الدوام تروساً فى الآلة الحكومية التى يديرها الحاكمون

ولكنا لا نستطيع أن نستغل الشعب البريطاني إذا حاولنا أن نعامله على هذا النحو من المعاملة . فالانجليز يفهمون روح التعاون الرياضى فهم يقادون ولكن لا يساقون . فإذا أردنا أن نفوز فى هذه الحرب فلن يكون ذلك بمحاكاة الروح الألمانية . ولكن بالمحافظة على روحنا الخاصة ، وتنمية فضائلنا المتأصلة وإذكاء روح الحرية وتوجيهها ضد قوى الاستعباد

إن الحرب تجابهنا مرة واحدة بنقائض الديمقراطية جميعاً وهى فى أشد أحوالها . فالحالة تقضى بأن يساس أبناء الأمة بشىء من القوة ، ولكن دون أن يفقدوا هم سياسة أنفسهم . ولحل هذه المشكلة لجأت الحكومة إلى وجهتين : الأولى هى الاحتفاظ بالحياة النيابية كاملة ، وإعطاء الأعضاء الحرية التامة فى مناقشة كل شىء . والثانية : حرية الصحافة ، ولم يسىء البرلمان ولا الصحافة استعمال هذه الحرية . بل لقد كان الأمر على نقيض ذلك ، فقد ظهر كل منهما — وعلى الأخص مجلس العموم — عزمه الصحيح على توحيد الرأى، والعمل على محو كل اختلاف، وقبول كل تضحية فى سبيل المصلحة العامة .



اتحاد دولى لضمان السلام

إفتتحنا العدد ٣٣٦ من الرسالة الذى صدر بتاريخ ١١ ديسمبر سنة ١٩٣٩ بمقال عنوانه (سياسة السمك) قلنا فيه إن الدويلات الصغيرة ليس لها بعد انتصار الديمقراطية إلا أن تنظر « فى يومها وفى غدها فتعالج ضعفها بما تعالج به الطبيعة ضعف النمل والنحل وهو التجمع والتكتل والتعاون ، فيكون بين البلدان المتجاورة كدول البلطيق وأمم البلقان وشعوب الإسلام شبه ما بين الدول المتحدة فى أمريكا من اتحاد السياسة الخارجية والدفاع العام والدستور المشرع والرئيس الحاكم . وإذن لا يبقى على الأرض أمة صغيرة يقوم على استعمارها النزاع ، ويميل من جرائها ميزان السلامة » ثم ضربنا مثلاً باتحاد بلاد الوطن الإسلامى الأربعة عشر، وقلنا بعد أن ذكرنا الخطأ الذى قام عليه صلح (فرساى) : « سيفكر الحلفاء الديمقراطيون متى جلسوا إلى مائدة الصلح فيما جنوا من (عصبة الأمم) ويقررون إذا وفقهم الله أن ينشئوا السلم العالمية الدائمة على قواعد من التركيب لا من التحليل، فيؤلفوا من الأمم الصغيرة المتقاربة فى الوطن والجنس والمنفعة اتحادات مستقلة، تتحد فى الرياسة والحكومة والدستور، وتشترك فى الدفاع والسياسة والعمل ، ثم يربطوا بين الدول العظمى والاتحادات الكبرى بروابط وثيقة من الاقتصاد العادل الذى يضمن لكل أمة سداد عوزها من خير الله وغلة الأرض . . . »

ذلك ملخص ما قلناه فى ذلك المقال . ومن توارد الخواطر أننا قرأنا فى عدد الهلال الذى صدر فى أول يناير من سنة ١٩٤٠ صفحة ٣٥٧ أن الكاتب الصحفى الأمريكى (كلارنس سترايت) أصدر كتاباً سماه (الاتحاد الآن) دعا فيه إلى إنشاء ولايات متحدة عالمية على نسق الولايات المتحدة الأمريكية . فهو يقترح أن تتحد الدول الديمقراطية الخمس عشرة معاً ليتألف من جميع شعوبها شعب واحد له حكومة واحدة وبرلمان واحد وقوة حربية واحدة » ثم ذكر الديمقراطيات الخمس عشرة كما ذكرنا شعوب الإسلام الأربعة عشر، ثم قال: « وتحتفظ هذه الدول بملوكها ورؤسائها ووزرائها كما تبقى على لغاتها وثقافاتها وكتبها التاريخية وألويتها المميزة لها ، وتستقل كل منها بإدارة شؤونها الداخلية . أما جيوشها وأساطيلها وسياستها الخارجية فتوحَّد معاً فى قبضة هيئة واحدة تتخذ لها مقراً فى جنيف أو أتاوا » إلى أن قال: « وقد تبدو هذه الفكرة خيالاً بعيد المنال، ولكن هكذا كان الأمر قبل أن تأتلف الولايات المتحدة الأمريكية فى شعب واحد وتحت حكومة واحدة . كانت هذه الولايات متعادية متنافرة ولكن حرب الاستقلال ألفتها ووحدتها. فلم لا تؤلف الحرب القائمة هذه الديمقراطيات التى تتهددها الدول الطاغية وتحاول أن تفترسها واحدة بعد أخرى ؟ »

الشيخ عبد العزيز البشرى والعريان

لا تنسين تلك العهود، فإنما ... سميت إنساناً لأنك ناس
اختلاف النهار والليل ينسي ... اذكرا الصبا وأيام أنسي

أنشدت بيت حبيب وبيت شوقى لما قرأت هذه الجملة فى الثقافة الغراء فى آخر أجزائها : « لا أدرى لماذا تُرِك المسكين عُريانَ ، لا أثر للنقش ، ولا للكتابة فيه ؟ » . وهى فى مقالة لأخينا العالم الأديب الكبير الشيخ عبد العزيز البشرى عنوانها « فن الإعلان » وقلت : لقد أنسى الشيطان فضيلة الشيخ الأستاذ بيتى الألفية :

وزائدا فعلان فى وصف سلم ... من أن يُرى بتاء تأنيث خُتم
ووصف أصلىّ ووزن أفعلا ... ممنوع تأنيث بتا كأشهلا

وقال صاحب (جوف الفرا) :

وكل وصف، تاه أنثى لاتلى ... فاصرف كعريان وما كأرمل

إن العلماء لينسون ، وإن الأئمة ليخطئون ، وإنما العصمة لله ولرسوله محمد وحدهما .

« طنطا » ... أزهرى

حساب الخطأين لا حساب الخطئين

إن إحياء ذكرى ابن الهيثم من أجل الأعمال التى قامت بها الجمعية المصرية للعلوم الرياضية والطبيعية بالقاهرة . وقد قابله العرب فى مختلف الأقطار بالشكر والرضى والتقدير، إذ يرون فيه خطوة نحو بعث الثقافة العربية ومحاولة موفقة لأحياء علماء العرب ونوابغهم الذين خدموا الإنسانية وكان لهم فضل كبير على تقدم الحضارة .

ولقد سبق أن نشرنا عدة مقالات عن ابن الهيثم في المقتطف والمعرفة (أيام صدورها) والرسالة . وأتينا على بعض مآثره في كتاب « نواح مجيدة من الثقافة الإسلامية » وأذعنا عنه حديثين في لاسلكي فلسطين ودعونا (ولا نزال ندعو) إلى تمجيد علماء العرب الذين أضافوا إلى كنوز المعرفة إضافات أدت إلى نمو العلوم واتساع أفق التفكير كما دعونا إلى نفض غبار الإهمال وإزالة غيوم الغموض المحيطة بآثارهم ومآثرهم

لهذا كان سرورنا عظيما حينما قرأنا في الصحف نبأ الاجتماع الرائع الذي عقد في قاعة جامعة فؤاد الأول الكبرى إحياء لذكرى ابن الهيثم ، وقد شهد هذا الحفل أمير عظيم من أمراء البيت المالك الكريم وجمهور كبير من أساتذة الجامعة وصفوة مثقفة من رجال مصر ، وتكلم فيه عدد من أساطين العلم وأمراء البيان

وظهر في الرسالة عدد ٣٣٨ الكلمة التي ألقاها الأستاذ الدكتور محمد محمود غالي في الحفل المذكور عن (الهندسة وابن الهيثم قديماً وحديثاً) فأقبلت على قراءتها برغبة وشغف . وقد لفت نظري اسم كتاب ورد في الكلمة فذكر الدكتور كتاب (حساب الخطين) من بين أسماء تصانيف ابن الهيثم التي تمت إلى علم الهندسة مع أن المصادر (أخبار العلماء وطبقات الأطباء وغيرهما) لا تشير إلى كتاب بهذا الاسم، بل تشير إلى كتاب آخر موضوعاته حسابية ليس فيها شيء من الهندسة ، والكتاب الذي تشير إليه هو (حساب الخطأين) الذي يبحث في إيضاح طريقة حساب الخطأين — وهي إحدى الطرق الأربع التي كان يستعملها العرب لاستخراج المجهولات . أما الطرق الأربع فهي : طريقة الأربعة المتناسبة، وطريقة حساب الخطأين،وطريقة التحليل والتعاكس، وطريقة الجبر والمقابلة

هذه ملاحظة بسيطة على كلمة الدكتور القيمة، ولي من إخلاصه للحق والحقيقة ما يشجعني على إبدائها ولفت نظره إليها

(نابلس) قدري حافظ طوقان

تكريم الأساتذة المصريين في كلية الحقوق العراقية

طلاب كلية الحقوق العراقية مشهورون بوفائهم لأساتذتهم فهم لا يألون جهداً في إكرامهم وطاعتهم . وقد أقاموا أمس حفلة شائقة تسر الناظرين تكريماً للأساتذة المصريين الجدد الذين شرفوا بغداد في هذا العام . وكان يتقدم المدعوين أصحاب المعالي وزراء الحكومة العراقية، وأمراء الجيش وقادتهم ، وقناصل الدول العربية وكبار الموظفين . وكانت الحفلة رائعة كل الروعة خطب فيها خطباء كثيرون ، وكل منهم أثنى على مصر ثناء عاطراً . وألقى الشاعر مصطفى كامل ياسين قصيدة عصماء استعيد أكثر أبياتها . وبعد أن انتهى الخطباء العراقيون تفضل الأستاذ الدكتور عثمان خليل عثمان فارتجل خطاباً ممتعاً بالنيابة عن إخوانه الأساتذة المصريين كان له أبلغ الأثر في النفوس . وكان مسك الختام خطاب عميد كلية الحقوق الأستاذ الكبير منير القاضي . ودامت الحفلة ساعتين وانفض المدعوون وكلهم يلهجون بالثناء على عميد الكلية وأساتذتها وطلابها

ضياء شيت الخطاب

عبث الناشرين وأصحاب المكاتب

زور أحد الناشرين كتاباً على الدكتور طه حسين بك وقد رأينا في العام الماضي شيئاً مثل ذلك منسوباً إلينا وإلى الأستاذ توفيق الحكيم . وقد اشترى صاحب مكتبة الجامعة مائتي نسخة من رواية اللصوص كانت باقية لدى مترجمها الأستاذ عبده حسن الزيات . ثم شاءت ذمة التاجر أن يستبدل بغلافها غلافاً آخر كتب عليه من الصفات والألقاب ما أنكره الأستاذ واحتج عليه . وهذه حال من الفوضى المحزنة لا يليق بحماة الحق وحراس العدالة أن يدعوها تستمر .

كابة بزيد

سألتنا الآنسة فوقية كامل عن تاريخ كابة يزيد بعد أن سألت (الأهرام) فلم تجد الجواب. وقد بحثنا فيما بين أيدينا من كتب الأمثال واللغة فلم نجد لهذه الكابة ذكراً. ويظهر أن إيراد المثل على هذه الصورة خطأ ، فإن أكثر الناس يرويه : (نحل من كابة ميت يزيد) وميت يزيد قرية من قرى مديرية الشرقية فلعل أديباً من أهلها يروي لنا ما يتناقلونه من قصة هذه الكابة البخيلة

حول مقال

سيدي الأستاذ الكبير زكي مبارك :

أحييك تحية مصدرها الإعجاب بأدبك العالي وحسن نقدك وغيرتك على اللغة العربية والدين . وبعد ، فقد وقع في يدي منذ مدة عدد الهلال الممتاز « العرب والإسلام » ، فوجدت فيه مقالة عنوانها « تركيا المسلمة ومصطفى كمال والإسلام » بقلم الأستاذ حسن الشريف ، وفيها ينتقد اللغة العربية ويقرر أنها غير صالحة للعصر الحاضر من حيث صعوبة حروفها في القراءة والكتابة ، وعدم قبولها للاختزال ، وتعدد معانيها . ويقول أيضاً : إن الطفل

فى المدارس الابتدائية يستطيع بعد ستة شهور أن يقرأ معظم المكتوب باللاتينية قراءة تكاد تكون صحيحة ، بينما هو لا يستطيع أن يقرأ سطراً عربياً من دون أن يخطئ فى قراءة كل كلمة . بل إننا نحن الكبار ، وقد درسنا العربية دراسة لا بأس بها لا نسلم من التعثر فى دواوين الشعر ... وقد أورد هنا بيتين من الشعر دليلاً على ذلك . كما أنه قد تعرض فيها لإلقاء مصطفى كمال للمادة التى تنص على أن « الإسلام دين الدولة » .

فأرجو من سيدى الأستاذ أن يطلع على هذا المقال ويبين رأيه فيه ، ويمحصه على صفحات مجلة « الرسالة » الغراء .

سليم الجبيرى

اختلاف الأزياء المصرية

إلى حضرات أساتذة العلم ورجال البحث والتاريخ أتقدم إلى ساحة علمهم بالسؤال الآتى وهو : « ماسبب اختلاف زى المصريين » ؟

إن الناظر إلى الزى المصرى يرى أن له أشكالاً عدة وأنواعاً مختلفة سواء فى ذلك ما كان خاصاً منه بالنساء أو الرجال حضريهم وريفيهم ، حتى ليختلف زى ريف عن آخر . فنرى أن ما تتحلى به زوج السويفى أو المنياوى ترفضه زوج المنوفى أو الشرقاوى . وقل مثل هذا فى أنواع البرد والملاءات حتى فى الأحذية

ولقد شغلت ببحث هذا الاختلاف عدة سنين غير أنى لم أوفق توفيقاً يرتاح إليه الضمير . فإنى إذا رجعت إلى العصور القديمة وقابلت بين أهلها حتى العصر الحديث كما فعل العلامة حفنى بك ناصف — رحمه الله — لمعرفة أسباب اختلاف الأزياء وتعدد اللهجات المصرية ، غم على الأمر وأشكل ؛ فإنى إذا عللت مثلاً لبس العمامة الكبيرة البيضاء فى بعض مديريات الجنوب بأنها لاتقاء وهج الشمس فلا أجد علة للبس الزعبوط الأسود فوق كل منمنم ومعلم من الثياب . الأمر الذى لا يتفق مع الطقس أو الطبيعة فى شىء هناك . فهل ذلك راجع إلى عادات مصرية قديمة ؟ وإذا كان الجواب بالإيجاب فهل لتعدد الإقطاعيات والمدودات دخل فى ذلك ؟ أو أنه راجع إلى حالات نشأت من تعدد الفاتحين لمصر . وإذا كان ذلك كذلك فأيها بقى وأيها ذهب وما علة كل ؟

وإذا كان الجواب نفياً فهل يرجع ذلك إلى عوامل محاية للطبيعة والجو والحالة الصحية أو العلمية والفكرية دخل فيها ؟ وإذا كان الجواب نعم فبماذا نعلل بقاء ما لا يتفق منها مع هذه العوامل ؟

فهل يتفضل حضراتهم ببحث واف شاف فى هذا الموضوع

محمد عبد الجواد حبيب

تصويب

ذكرنا حين تكلمنا عن كتاب تاريخ الطب فى العراق بالعدد ٣٣٥ أنه من تأليف الدكتورين : هاشم الأترى ، ومعمر خالد الشابندر . وصحة الإسم الأول : هاشم الوترى لا الأترى .

اختلافهم رحمة

قرأت فى عدد (الرسالة) المؤرخ ١٣ نوفبر سنة ٣٩ ، مقالة الأستاذ الطنطاوى : (من هو المسلم ؟) . والأستاذ مهما كان موضوعه عادياً لا بد أن يكسوه بقلمه البارع وإيمانه البالغ حلة قشيبة تستدعى الالتفات إليه والاهتمام به . وهو فى نظرى من أدبائنا الذين يخدمون بقلمهم الإسلام ويعملون على تجديده ، بعدم فى ذلك اطلاع على روح الإسلام ونصوصه لم يتهيأ لغيرهم ، ولذلك لا يحق لنا أن نمر بما يكتبه فى هذا الصدد مر الكرام . وبهذا النظر أحب أن تتفضل علىّ الرسالة بشطر من صفحاتها القيمة لأشارك الأستاذ فى هذا البحث وفى مسألة هامة من مسائله التى ألم بها إلمام المرشد ، وهى مما لا يسوغ تعريف جمهرة القراء بها على هذا النمط لا سيما أن الأستاذ لم يتناولها بما عرفنا عنه من النظر المنقب والفكر المجدد ، بل اتبع فيها القول الشائع . وأنا لم أتوفر الآن لإعطاء هذه المسألة حقها من البحث ، وإنما أريد أن أصحح هذا القول الشائع حتى لا يمر به بعد اليوم من أدبائنا ومفكرينا من يقيم له وزناً . قال الأستاذ : « إنه لا يضر الناس اختلافهم فى الفروع (فكلهم من رسول الله ملتمس) سواء فى ذلك الحنفى منهم والشافعى والمالكى والحنبلى . بل إن اختلافهم رحمة من الله وتوسيع على الأمة . ولكن يضر الناس اختلافهم فى أصول الدين من العقائد ونحوها ، ويكون الواحد منهم مصيباً والباقون على ضلال . لأن الحق لا يتعدد ، والمصيب هو من اتبع ما كان عليه النبى (ص) وأصحابه والقرن الأول خير القرون »

فالذى يبدو من هذا الكلام أن الأستاذ يجارى متأخرى الفقهاء من جعلهم اختلاف الأئمة رحمة للأمة وتوسيعاً على الناس فى عباداتهم ومعاملاتهم ليختاروا من أقوالهم ما فيه اليسر لأحوالهم ، كما أنه يرى أن اختلاف أنظار المجتهدين فى الأصول ممنوع لأنه يستدعى اختلاف الحق وتعدده . وهذا التعليل نفسه يرد على اختلافهم فى الفروع أيضاً . والحق الذى لا ريب فيه أن الاختلاف لم يكن له مورد إلا فى الأمور الظنية والمشاكل



اقتباس الروايات

الاقتباس من المسرحيات الأجنبية عمل على كثير من الصعوبة؛ ولكننا نلاحظ دائماً أنه يحول دون تصوير جو المسرح الذى يريده المؤلف. ولسنا نعلم لماذا لا تخرج الفرقة ما تريد من المسرح الفرنجى كما هو؟ ولا نعلم سر غرام الأستاذين سليمان نجيب وعبد الوارث عسر بهذه الطريقة! فلا الروايات تبقى فرنجية الحوادث والمناظر والجو، ولا هى يمكن أن تلبس قناعاً مصرياً كاملاً يخفى ملامحها الحقيقية! ونحن نطالب الفرقة فى إلحاح بأن تكف تماماً عن إخراج الروايات المقتبسة، فضلاً عن الروايات الفرنجية التافهة التى يضعها كتاب مغمورون. وما دام الأدب المسرحى فى بلاد الغرب دائم التجدد، فلماذا لا تعهد الفرقة إلى بعض المجيدين بترجمة أحدث المسرحيات الناجحة لكبار المؤلفين كبرنارد شو وسواه؟!

القاتل!

الأستاذ يوسف وهبى ممثل قديم ومؤلف مسرحى قديم، أصبح له طابع خاص يميزه ولا يشذ عن معالمه وهو يذكرنا — مع الفارق — بالفنان الإنجليزى المعاصر العظيم «ناول كوارد» من حيث أن كليهما يضع المسرحيات بقلمه، ويقوم بالإخراج ويرتب المناظر ويوزع الضوء وغير ذلك مما يمكن الفرد الواحد أن يقوم به من أعمال المسرح

وهو يميل إلى الروح المصرية البحت ويصوّر العقلية والتقاليد والمتقدات الشعبية بقدر ما يواتيه التوفيق. فهو أحياناً يساير طبيعة الأشياء وجريان أحداث الحياة فتكون العبرة والموعظة الحسنة. وهو أحياناً يسخّر من قلمه أقداراً مجنونة تقتل وتفسق وتسفك الدماء. فيبتعد بهذا كله عن طبيعة الأشياء فيكون الفشل والبعد عن إرضاء الجماهير

ومسرحيته الجديدة «القاتل» هى من طراز مسرحياته الأخرى، مصرية صميمة فى كل كبيرة وصغيرة. وليس هنا مجال عرضها أو نقدها فى تفصيل. وهذا لا يحول دون التنبيه إليها بوصف أنها عمل فنى جديد

الجزئية التى يتسع فيها مجال القول ويختلف النظر إليها باختلاف الأحوال والأزمان. وطبيعة الأصول تتنافى مع ذلك فإنها لم تسم كذلك إلا بعد أن أجمع عليها النظار وتناولتها الأجيال بالتسليم والقبول لأنها ليست مظنة اختلاف ولا موضع تأويل بخلاف الفروع. وقد بحث هذه المسألة الإمام الشاطبى فى كتابه: «الموافقات» ج ٤ ص ٧١ فأبان أن الشريعة لا خلاف فيها بالحقيقة أصولاً وفروعاً، وأن منشأ الاختلاف فى الفروع الأمور الظنية التى يتسع فيها مجال القول بالنسبة لأنظار المجتهدين لا بالنسبة للشريعة التى نفى الله عنها فى كثير من آيات القرآن الاختلاف والتفاوت. وقد تعرض بعد ذلك للحديث المأثور: «أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم» فذكر أنه مطعون فى سنده، وهو لا يعارض الآيات الصريحة من حيث التزام الوفاق فى أحكام الشريعة. ثم استطرد إلى موقف المكلفين من الاختلاف وقال إن المجتهد لا يسوغ له العمل بأحد الدليلين من غير ترجيح كما لا يسوغ للمقلد العمل بقول المجتهد إلا بعد الاطمئنان والتبصر فى حال المجتهدين إن تيسر له ذلك وإلا فلا يحق له اتباع أحد القولين كما يستدعيه هواه ويقتضيه حاله (وعليه أن يستفتى قلبه) كما قال الرسول (ص)

وأما ما أثر من مدح لاختلاف فى الفروع كما روى عن عمر ابن عبد العزيز إذ قال فى اختلاف الصحابة «أما يسرنى أن لى باختلافهم حمر النعم» فمناط هذا عدم الحجر على الأنظار فيما ليس فيه قطع وهذه هى السمة التى شرع من أجلها الاجتهاد لا ما يجعل المكلف فى حيرة من العمل بالأقوال المختلفة دون تبصر واطمئنان. ثم قال فى فصل ثان ما نصه: «وقد أدى إغفال هذا الأصل إلى أن صار كثير من مقلدة الفقهاء يفتى قريبه أو صديقه بما لا يفتى به غيره من الأقوال اتباعاً لغرضه وشهوته أو لغرض ذلك القريب وذلك الصديق. ولقد وجد هذا فى الأزمنة السالفة فضلاً عن زماننا هذا كما وجد فيه تتبع رخص المذاهب اتباعاً للغرض والشهوة» أقول وفى زماننا هذا أصبحت هذه القضية مصدر الحيلة لتجار الشيوخ فى إجابة المستفتى لحل مشكلة أو تفادى حرمة فى الدين. وعلى قدر ما يدفع السائل من المال، تتسع أمامه الحيل وتكثر الأقوال. فماذا يقول أمثال هؤلاء فى قول الله تعالى: (وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم)

حلمى الادريسى

(نابلس)

دنانير !

جارية كانت لجعفر البرمكي ، نسج حولها صديقنا « رامي » هيكل قصة سينمائية تخرجها شركة أفلام الشرق وتلعب دور البطولة فيها «أم كلثوم» وهي تصور عصر الرشيد ونكبة البرامكة، وتعرض لكثير من شخصيات هذا العصر في مقدمتهم الخليفة هرون الرشيد نفسه ، والشاعر الأشهر أبو نواس . وسوف يبدأ العمل في استديو مصر في منتصف فبراير القادم

لجان محطة الإذاعة

في محطة الإذاعة لجان كثيرة جديرة بالحديث . هنالك لجنة البرامج العليا يرأسها الدكتور علي ابراهيم باشا وتنتظم في عضويتها حسن باشا رفعت وطه حسين بك ممثلين للحكومة ، وكلا من المستر « ويللاني » والمستر « فرجسون » ممثلين لشركة ماركوني اللاسلكية ، ويحضر اجتماعاتها الأستاذ سعيد لطفي بك لتقديم البيانات والإيضاحات التي توضح للأعضاء المجتمعين سبيل بحث ما يعرضون له من المسائل

وهذه اللجنة استشارية تقريباً ، ولا تعرض لتفاصيل البرامج إلا في النادر ، وتجتمع قليلاً جداً ، ولا ندري السر في وجودها وتأليفها على هذا النحو المختلط

وهنالك لجنة الأغاني ، وقد غمزناها لتتحرك في الأسبوع الماضي ولكنها لم تفعل! وهي مؤلفة من رؤساء أقسام المحاضرات والمسرحيات والموسيقى الشرقية والاسطوانات ومساعد المدير الفني الشرقي وهو الأستاذ عبد الرحمن سامي

وقد ناقشنا الأستاذ لطفي بك في تأليف هذه اللجنة على هذا النحو الذي يتيح لغير الفنيين أن يحكموا على آثار شعراء البلاد ومؤلفي الأغاني فيها ، فقال إنه يريد أن يعطي لكل الموظفين أقساطاً من العمل والمسئولية ، لأنهم شبان يجب أن يتاح لهم حظ كاف من المرانة حتى ينضجوا في المستقبل !

والمعروف أن الشعراء الذين تفحصهم هذه اللجنة في آثارهم ليس لهم ذنب في أن موظفي المحطة شبان يجب لهم التشجيع !

هذه اللجنة مفترض في وجودها أن تجتمع كل أسبوع للنظر فيما يقدم إليها من الأغاني ، ولكنها لا تجتمع فعلاً إلا كل بضعة أسابيع . وقد تستعلم عن هذا فيقول لك كل عضو فيها إنه مرهق بعمله الخاص بمكتبه ، وعمل هذه اللجنة إضافي « كالسخرة » ! وقد بلغ « المخزون » من الأغاني لدى اللجنة ثلاثمائة قطعة . وقد مضى على بعض القطع بضعة شهور وأصحابها لا يعرفون عن قبولها أو رفضها شيئاً !

وثالثة الأثافي أو اللجان هي لجنة البرامج المحلية التي تجتمع يوم الأربعاء من كل أسبوع . وأعضاؤها هم رؤساء الأقلام ؛ ويشهد اجتماعها مدير الإدارة الإنجليزي . وعملها قاصر على تنظيم الإذاعات التي وافقت عليها المحطة ، حتى لا تصطدم أجزاء البرامج أو تزيد أجورها عن الاعتمادات المالية المرصودة في ميزانية كل أسبوع

وليس على هذه اللجنة لوم فيما قد يأخذه المستمعون على البرامج فعملها قاصر على الترتيب كما قدمنا . وليس لها دخل في قبول الإذاعات أو رفضها إذ أن سلطة القبول والرفض هي بيد الأستاذ لطفي بك فيما يختص بجميع البرامج العربية . سوى الموسيقى ، والأخيرة من اختصاص الأستاذ مصطفى بك رضا وهو رجل مشهور بطيبة قلب لا نظير لها .

هذه هي لجان الإذاعة وأعمالها وأعضاؤها ، فلمن الشكوى !

(أبو الفتح الاسكندري)

إلى حضرات المشتركين

تعلن إدارة الرسالة حضرات الذين لا يجددون اشتراكهم قبل منتصف شهر يناير أنها ستحجز المجلة عنهم ابتداء من العدد القادم

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولي — عابدين)

8me Année No. 341

Lundi - 15 - 1 - 1940

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع البدولي رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٣٤١ « القاهرة في يوم الاثنين ٦ ذو الحجة سنة ١٣٥٨ — الموافق ١٥ يناير سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهـــــرس

من مذكراتي اليومية

من عادتي كلما ثقل على الحاضر وضاقت بي الحال أن أعود إلى ماضيّ فأنشر عهوده وأجترّ ذكرياته . وسبيلي إلى ذلك استغراق الفكر فيما سجلت صحائف الصبي من حوادث ، أو العيش مع إخواني الذاهبين فيما كتبت وكتبوا من رسائل ، أو الرجوع إلى ما دوّنتُ في مذكراتي اليومية من خواطر. وكان ليناير من دون الشهور نوطة شديدة بالقلب وأثر بالغ في الذاكرة؛ فوقع في نفسي وأنا أهم بالكتابة فيما أوحاه إليّ أسبوعه الثاني ، أن أتصفح مذكراتي لأقرأ ما كتبته فيه سنة من السنين . فتناولت جزءاً من أجزائها المتروكة وفتحته على موضع هذا الشهر منه فإذا بي أقرأ في يومه الرابع عشر ما أنقله إليك بحرفه :

يوم الجمعة ١٤ يناير سنة ١٩٣٨

في مثل هذا اليوم من سنة ١٩٣٢ وُلد لي ولدان : طفل وكتاب. أذكر هذا كل الذكر، لأنني في ذلك اليوم المقرور عدت في مُتوع الضحى من دار المعلمين بالكرخ إلى داري بالرصافة ، فلزمتها جالساً أمام المدفأة الموقدة أكتب الفصل الأخير من كتابي: (العراق كما رأيته) . ثم جاءني النبأ من مصر بعد ذلك بأن (رجاء) ولد في هذا اليوم نفسه . وكان طفلي وكتابي أعز شيء علي؛ لأن ابن نفسي كان نتيجة أربعين سنة من خير عمري ، وابن فكري كان نتيجة ثلاث سنين من خير عملي

أجل ، قضيت ثلاث سنين فى تأليف (العراق كما رأيته) ! جمت مادته من الآثار والأسفار والأساطير والكتب والمناظر والأحاديث فى سنتين ، ثم حررته وأنشأته ببغداد فى سنة ؛ فلم أكتب منه فى القاهرة إلا رحلتى إلى كردستان والموصل وجبال عبدة الشيطان ، وإلا عودتى إلى سورية عن طريق دير الزور وحلب . ثم وجهت عزيمتى إلى نشره فهيأته للطبع وتربصت به موافاة الفرصة . ولكن الفرصة اتثاقلت حتى وفد إلى مصر صديق من رجالات العراق له بصر وخطر ، فرغب أن يقرأ فيه ما كتبت عن بعض الناس وما علقت على بعض الحوادث ، فحملته إليه فى « الكنتننتال » فحبس نفسه عليه نصف نهار لم يبرح فيه الفندق . ثم رده إلى فى المساء وهو يقول فى سمته الرزين ومنطقه المتئد : « أشهد أن كتابك أول ما كتب عن العراق فى صراحة ولباقة وإخلاص وصدق . ولقد طويت عنى ما قلته فىّ ، ولكننى بعد أن قرأت ما قلته فى غيرى أكاد أعرفه بالاستنتاج والحدس . ولعل من الخير لنا ولك أن تؤخر نشر القسم السياسى منه إلى حين . أما قسماه الأدبى والاجتماعى فستكثر حولهما الأحاديث ، ولكنهما فى الأدب والنقد والتاريخ نصر وفتح »

نزلت على رأى الصديق العظيم وعدت بالمخطوط الغالى إلى موضعه من المكتب . ثم أعلنت أنى سأنشر بعض صوره الأدبية فى «الرسالة» ، وقد نشرت بالفعل منه فيها صورتين أو ثلاثاً رفَّت لها الآذان وأصغت إليها الأفئدة

ولكن وا أسفاه ! لم يعد للطفل الحبيب نفَس ينسم على نفسى ببرد الجنة ، ولم يبق من الكتاب العزيز سطر يشعب فؤادى بذكرى العراق !

والهفتاه على ولدى الذى أبدعه الله ، وعلى أخيه الذى أبدعته! جاءا معاً فى الشتاء ، فلم أجد لوجودهما برداً ولا عبوساً ولا كآبة ؛ وذهبا معاً فى الربيع ، فلم أحس لفقدهما دفئاً ولا طلاقة ولا بهجة . أودى بهما القدر العابث خداعاً وغيلة ، فسلب العين الكالئة ريبة الحذر ، وجرد الدفاع اليقظ من فرصة الحيلة . دب للطفل الموت الوحىّ فى وعكة خفيفة من البرد ظنها الطبيب زكاماً عارضاً فإذا هى الخناق القاتل . ومشى للكتاب القدر المحتوم فى ركام من الورق المتروك فذهب به خلسة إلى النار المبيدة !

أخذت ذلك الكتاب ذات يوم من درج المكتب لأختار منه فصلاً للرسالة ، ثم جلست فى البهو على كنبة بُعثرتْ فوقها وأمامها تجارب المجلة وأصول المقالات ، فاخترت من المخطوط قطعة أدبية ثم ألقيته إلى جانبى ، وأخذت أصحح (الملازم) وأطرح (الأصول) حتى فرغت من ملزمتين فدفعتهما إلى غلام المطبعة ، وخرجت من البهو لا فى يدى ولا فى جيبى لأترك هذا الورق المهمل لخادم البيت تكنسه من هنا ومن هنا ، ثم تطرحه على عادتها كل يوم فى صندوق الكناسة ، ويأتى الزبال فيأخذ ما تجمَّع فى الصندوق ويحمله على عادته كل يوم فى زنبيله إلى المستوقد !

وهكذا قضى الله أن تذهب إلى العدم خلاصة العمر وعصارة الفكر فى فترة ضائعة من فترات الغفلة ! وهيهات أن يكون لهما فى الحياة عوض ، فإن الفلذة إذا انقطعت من الجسم لا ترجع إليه ولا تتجدد فيه ، وسحر المنظر الجديد لا يتكرر أثره فى نفس زائره ومجتليه

* * *

حولت بصرى عن الصفحة ثم أطرقته . ولجّ بى الإطراق والاستغراق حتى سقط الدفتر من يدى ، وتلاشى الحاضر من نفسى ، ووثب الماضى إلى خاطرى ، ووقفت أمام الفاجعتين وجهاً لوجه ، فكأنما لبث الزمن واقفاً حيث كان ، وظل الجرح نازفاً حيث طُعن ، وبقى القلب واقداً حيث اشتعل ؛ وكأنما أسلمنى كل ضعف إلى الجزع ، وخذلتنى كل قوة حتى الإيمان !

تفصد جبينى بالعرق ، ثم اخضل جفنى بالدموع ، فأخذت نفسى تثوب رويداً إلىّ ، وتحركت يدى فى فتور فتناولت الدفتر ثم جعلت أصفحه ، فعثرت فى ثناياه على ورقة بالية من مسودات كتابى الفقيد ؛ فنشرتها بين يدى ثم أقبلت على قراءتها لهيف القلب زائغ البصر فقرأت :

« ... هذه القهوة الضَّحيانة التى رقدت على صدر دجلة النابض ، واستغرقت فى الدفء والضوء والسكون ، كانت أحب القهوات إلى القلب العميد والخيال الشاعر . كنت كثيراً ما أغشاها بُعيد الغداء فأجد جماعة أو جماعتين يلعبون الورق هنا ، وفتى أو فتيين يتساقطان الحديث هناك ، وبائع (الأبيض والبيض والعَنْبا) يسرق خطاه بين هؤلاء وأولئك فيذكّر بندائه الخافت البطونَ التى شغلها عن طلب الطعام سكرة القمار أو نشوة المنادمة ، فأجعل ظهرى إلى أحلاس القهوة ، ووجهى إلى وجه

[البقية فى ذيل الصفحة التالية]

فكاهات الحرب

للأستاذ عباس محمود العقاد

الجد ضد الهزل والعبث ، ولكنه ليس بضد للفكاهة وملكة السخرية ، بل لعله يثيرها في النفس ويدعو إليهما

فأنت تستغرب استغراب الإنكار والازدراء إذا رأيت رجلاً يهزل ويعبث وهو يواجه الشدة ويقف في الموقف الذي يتطلب العمل والجهد والهمة ، ولكنك لا تستغرب هذا الاستغراب إذا رأيته يواجه الشدائد وهو يستخف بها ويتخذ منها موضعاً للفكاهة والسخرية ، بل تحمد منه هذه الفكاهة وتعدها ضرباً من القوة والشجاعة ، لأن العبث بالجد يفسده ويضعف النفس عن احتماله ؛ أما الفكاهة مع الجد فهي معوان عليه

ولا شك في أن سليقة الفكاهة مصرف للنفس الإنسانية وعصمة لها وحافز على النهوض بما يثقل عليها من أوقارها

ولهذا تروج النكات و « القفشات » في إبان الحروب والمصاعب . وتعد « النكتة » امتحاناً لطبائع الأمم وعقولها في هذه الأحوال ، فلا تحفل من الخطب أمة تستطيع أن تواجهه وهي باسمة ، ولا تبسم الأمة للخطب إلا وعندها قدرة على النهوض به والتصرف فيه

وسننقل في هذا المقال بعض الفكاهات التي أسفرت عنها الحرب الحاضرة ، ثم نعقب عليها بعض التعقيب الذي يخلق بطائفة من المصريين أن يلتفتوا إليه

* * *

تحدث الألمان والروس كثيراً بالحرب الخاطفة أو بضربة البرق العاجلة كما يسمونها Blitzkrieg ويعنون بها اكتساب النصر في معركة حاسمة سريعة

فزعم الراوية أن انجليزياً يسأل صاحبه ما هي الضربة الخاطفة ؟

فيجيبه الصاحب : إنها هي الضربة التي لا تقع مرتين في مكان واحد

فيصمت السائل قليلاً ثم يقول مصححاً ! ! . . . يخيل إلي يا صاح أنها شيء أسرع من ذلك : يخيل إلي أنها هي الضربة التي لا تقع مرة واحدة في مكان واحد !

* * *

والمعروف عن مولوتوف الوزير الروسي أنه تمتام يتلعثم في كلامه . فذكره أحد السامعين له في الذياع لصديقه وهو يقول : أليس بعجيب أن يتكلم هذا التمتام أمس ربع ساعة ولا يتلعثم مرة واحدة ؟

قال الصديق : كلا ! لأنه كان يكذب !

* * *

ويعرف بعض القراء تمثال الحقيقة وهو على صورة فتاة رزان تحمل مصباحاً وتستقبل السماء بوجه وقور

فنشرت إحدى الصحف هذا التمثال منكساً وقد أخذ بقدميه على الجانبين كل من مولوتوف وجوبلز وهما يقولان :

هذه هي الحقيقة . . . أليست هي بعينها ؟

* * *

واشتهر جورنج بحب الألقاب والأنواط حتى ما يكاد يرى إلا وعلى صدره صفوف منها يغيرها بين ساعة وساعة

فزعم الراوية أنه قد بات يخشى أن يأتي بعد اليوم بعمل مجيد يستحق من أجله نوطاً من أنواط الفخار

لأنه إذا استحق هذا النوط لم يجد لتعليقه إلا موضعاً واحداً من كسوته

وعندئذ لا يستطيع الجلوس على كرسيه

* * *

وقيل إنه مات فأصبح مستريحاً في قبره ، لأنه يحب أن يشعر بشيء على صدره !

دجلة ، وعيني إلى جسر مود ، ثم أشاهد فلماً عجيب الألوان من الناس والأجناس والصور : فهذا قطيع من الغنم يعبر الجسر إلى المجزرة في حمى راعيه ، وهو مستسلم لصوته ومنقاد لعصاه استسلام الأمة للطاغية يقودها إلى الحرب ، وانقياد الخليقة للقدر يسوقها إلى الموت ! وهذا الملك فيصل يعود من قصر العرش إلى قصر الزهور من غير حرس ولا جلبة ، فيقف في غمرة الناس على فم الجسر ينتظر أن يعبر القطيع وراعيه ! وهنالك تلاقى راع وراع ، وتقابل قطيع وقطيع ! ولكل إنسان في دنياه مملكة ينفذ فيها حكمه ، ودائرة ينعقد عليها أفقه . . . » ثم حاولت أن أقرأ بقية الورقة القابلة الحائلة فلم أستطع !

احمد حسن الزيات

وقيل إنه ذهب فى زيارة إلى مستشفى المجانين فبدا له أن واحداً منهم لم يكترث له ولم يتحرك لوجوده ، فاقترب منه وسأله : ألا تعرفنى ؟

فأجاب المجنون : كلا !

قال : أنا هرمان جورنج

فظل المجنون على قلة اكتراثه كما كان قبل أن يتحدث إليه « الماريشال المظيم » وكأنما على وجهه علامة استفهام إلى جانب علامة الاستفهام الأولى

فعاد الماريشال المظيم يقول: هلم، هلم يا صاح ! كيف لا تعرف هرمان جورنج رئيس الوزارة البروسية ؟

فلم تنقص علامتا الاستفهام على وجه المجنون بل زادتا واحدة جديدة

ومضى الماريشال المظيم يقول : جورنج وزير الطيران !

والمجنون صامت ينظر

ثم يقول الماريشال المظيم : جورنج يا هذا رئيس مجلس الريشستاج !

والمجنون فى صمته وقلة اكتراثه

ثم يقول الماريشال المظيم : جورنج ياهذا ... جورنج !... ألا تعرف جورنج الصياد الأشهر ؟

عندئذ يتجاوز الأمر حد الاحتمال فى رأى المجنون ، فينصرف مشفقاً وهو يردد بين شفتيه :

مسكين !.. هكذا يبدأ الحال معنا جميعاً فى هذا المكان ...

***

ويعلم القراء أن ريبنتروب كان يتجر بالشمبانيا والخمور قبل ولايته الوزارة

فكتب أحد الناظمين تحت صورته : هذا هو ريبنتروب ، هذا هو صانع المعاهدات الآن وصانع الشمبانيا من قبل . ولكن لا يعلم أحد أيهما ينطلق فقاقيع فى قوارير ، وأيهما يسيح بغير صوت !

***

وصاح المذيع النازى فى إحدى الليالى بعد الإشارة إلى ما يقال عن نقض هتلر لمواثيقه :

زعيمنا يا قوم لم يتعود قط أن يكسر كلة من كلماته

فنشرت صحيفة انجليزية هذه الإذاعة فى اليوم التالى وأضافت إليها هذه الكلمات : « نعم ... لأن الكسر من خواص المادة نفسها »

***

وقال هتلر لجورنج عن عرض الصلح :

حسن ... إذن سأعرض بطاقاتى على المائدة

فأطرق جورنج قائلاً : ليتها بطاقات طعام !

***

وشاع بين الألمان أن هتلر لا يرى الحقيقة على جليتها فيما يجرى من شؤون الحرب والسياسة . فقال القائلون : نعم . يجب أن يتنحى جورنج قليلاً !...

***

وكتبت صحيفة فرنسية بعد غارات الشيوعيين أو الجنود الحمر على شواطئ البحر البلطى ، تسأل الجغرافيين : أيصبح البحر الأحمر ؟ !

***

وللرقيب نصيب واف من فكاهات الصحفيين الذين لا يشفع لديهم فيه أنه يجيز هذه الفكاهات

ونجتزئ منها بالأبيات التى كتبها ناظم هجاء على « ضريح الرقيب المجهول » قال :

« هنا يرقد فى النهاية رقيب ثار عليه الصحفيون المحنقون فنام محشواً برصاص مثل رصاصه الذى لا ينفد . . . ولعله ـ والله أعلم ـ قد تنبه بعد الرقاد فر على اسمه بذلك القلم المعهود »

***

تلك نماذج متفرقة من « القفشات » الحربية التى تروج هذه الأيام فى البيئات الإنجليزية والفرنسية ، وهى كما يرى القارئ على نسق يوشك أن ينتظم فى سلك القفشات التى ألفناها من جماعة « أبناء البلد » فى هذه الديار ، لولا ما يلاحظ على أغلبها من قلة اللعب بالألفاظ وكثرة الاتجاه إلى اللباب

والطائفة التى نود أن تستخرج من هذه القفشات مغزاها الذى هى فى حاجة إليه هى طائفة « أبناء البلد » نفسها

لأن الذهن الذى تعودنا أن نسميه بالذهن « البلدى » مصاب بآفة تحجب عنه الكثير من حقائق الدنيا ، وهى آفة النظر إلى الأشياء على وجه واحد وصورة واحدة . فإذا ألف أن يقرئ الناس السلام بأسلوب متواتر وألفاظ محفوظة فمن الإخلال بالذوق عنده أن تبدل لفظاً من تلك التحية أو تجريها مرة واحدة على خلاف ذلك الأسلوب

تلك أيام خلت

للدكتور زكي مبارك

في الكلمة الماضية دونتُ بعض ما ربحت وبعض ما خسرت؛ وسأقصر كلمة اليوم على التنويه بأمور ينفعني النظر فيها من وقت إلى وقت، فإن صح أني قليل الاعتبار بحوادث الأيام، فقد يكون في القراء من ينتفع بالعبرة التي يسوقها هذا الحديث. وآفة الأدب في بلادنا أن الأدباء لا يتحدثون عن عيوبهم إلا قليلاً، وهذا التحرز من سرد العيوب قد يوهم فريقاً من القراء بأن الأدباء تعصمهم مواهبهم من الوقوع في الأغلاط والهفوات. ولو أنهم عرفوا أن الأديب يخطئ ويصيب كسائر الناس، لأدركوا أن التفوق في الأدب ميسور لكل من يتوجه إليه، وهو مزوَّدٌ بقوة العزيمة، ورجاحة العقل، وصدق الوجدان.

فما الذي فاتني من الفوز والنصر في السنة الماضية حتى أرجع على نفسي باللوم والتثريب؟

أعتقد أني ضيعت على قلمي فُرصاً لن تعود: كنت في العام الماضي مرهف الإحساس، ولكن قلمي لم يستفد من ذلك. والكاتب المخلص لفنه لا يترك عواطفه تتبخر وتضيع، وإنما يسارع إلى الاستفادة من فَورتها، فيكتب وهو مشبوب القلب ليستطيع السيطرة على القلوب ...

وما أقول: إني انصرفت عن مصاولة الأزمات الوجدانية، فقراء «الرسالة» يذكرون أني كنت أواجههم بهذه الشؤون من حين إلى حين، ولكني أعترف بأني ظلمت نفسي أقبح الظلم حين تغافلت عن تسجيل ما كان يثور في صدري من العواطف في بعض الأحايين.

حدثني الأستاذ الزيات قال: إن بعض القراء لا يستريحون إلى بعض ما تكتب في الشؤون الوجدانية، وإن من الخير لمن كان في مثل مركزك أن يقف عند حدود الأدب الرزين!

و «بعض القراء» هم المشايخ الذين يسمُرون في نادي «الرسالة»، ليجادلوا الزيات فيما يباح وما لا يباح من المذاهب والآراء، وفيهم من لا يرضى عن كاتب مثلي إلا إن شغل نفسه بشرح «دلائل الخيرات»!

والحق أني راعيت رأي هذا الصديق بعض المراعاة، والزيات صديقٌ أمين، والانتفاع برأيه من أوجب الفروض، ولكن كيف كانت العواقب؟

أضعت على نفسي وعلى «الرسالة» فُرصاً لن تعود ... وهل أملك ردَّ العواطف التي ثارت ثم خمدت في تاريخ السنة الماضية؟

«تلك أيامٌ خلتْ»، ولن يردَّها أسفٌ ولا بكاء!

إذا صح أني مفطور على إحساس الفرح والحزن في الحياة، وإذا صح أني أقوى ما أكون حين أفرح أو حين أحزن، فكيف يضيق صدر وطني وزمني عن سماع سَجماني وزفراتي؟ وبأي حق يحرُم عليَّ ما يباح للشعراء في جميع البلاد؟

وهل تصدّقون أن الناس يكرهون حقيقةً أن نحدثهم عن أزمات الأفئدة والقلوب؟

وهل صَدَق الأستاذ فكري أباظه حين حدّث الناس عن طريق المذياع باندهاشه من أن يسمع أغاني الهجر والوصل والدنيا في حرب؟

وهل تظنون أن هذا الخطيب يقضي أيام الحرب في التخشّع والقنوت أمام المحراب؟

الدنيا في حرب، وسيعقُب الحربَ سلامٌ بعد عام أو عامين، ولكنكم تنسون أن الشاعر يعاني حرباً لا يصدّ شرها عنه غير الموت، إن صح أن الموت يريح أرواح الشعراء من البلاء بالتفكير في أسرار الوجود

وإذا ألف أن يسمع «القفش» والضحك في مجلس من المجالس وعلى هيئة من الهيئات فليس في وسعه أن يتخيل «تنكيتاً» يدور في غير ذلك المجلس وعلى غير تلك الهيئة وبين أناس غير أولئك الناس

ولعل أكثرهم يفغر فاه من الدهش إذا قيل له إن الأوربيين «يدخلون قافية» كما يفغره دهشاً لو رأى خارقة من خوارق الطبيعة وانقلاباً في أوضاع الحياة، وسمع الخرس ينطقون والعجم يعربون

وإنها لآفة «ذهنية» لا ضير منها على الأمم التي يجهلونها ولا يفهمونها، ولكن الضير الأكبر منها على من يُحرمون نعمة النظر الصحيح إلى حقائق الوجود

عباس محمود العقاد

وما الذى يوجب الخضوع للأفكار الواهية التى تتوهم أن الحرب تقدر على زلزلة السريرة الإنسانية ؟

الحرب تستطيع أن تصنع بالسريرة الإنسانية ما تصنع العواصف بأمواج المحيط ، فهى تُقلقل المنافع من وقت إلى وقت ، ولكنها تعجز عن اقتلاع ما فى السرائر من جذور الحب والبغض والهدى والضلال

والشاعر ينظر إلى من حوله من الناس نظرات مختلفات : فيرى بكاءهم مرةً بكاء أطفال ، ويراه مرةً زئير أسود . فالطفل لا يذكر من الحرب غير تنقل « التسعيرة » من وضع إلى وضع ، ويكون مَثَله مَثَل الطباخ الذى انزعج لارتفاع أسعار القطن لأنه رأى ذلك نذيراً بارتفاع أسعار الزيت !

أما الرجل — والشاعر الحق هو الرجل الحق — فيرى أن الحرب لا تكون سيئة العواقب إلا إن استطاعت بفواجعها أن تقتلع من السريرة الإنسانية جذور الإحساس بمعانى الحياة . وهل فى الحياة معانٍ أشرف وأفضل من الحرص والشره والطامع فى انتهاب أطايب الوجود ؟

شغلتُ نفسى مرةً بتاريخ ملاهى الحى اللاتينى فى باريس ، فجمعت أكثر من خمسين كتاباً تحدث مؤلفوها عن ملاهى ذلك الحىّ ، ثم راعنى أن ألاحظ أن تلك المؤلفات كُتبت قبل الحرب العالمية ، فعرفت أن الباريسيين بعد تلك الحرب فقدوا شعورهم بتذوق الحياة فلم يعودوا يهتمون بتسجيل ما يصادفهم من النعيم فى ذلك الحىّ البهيج

فإن استطاعت الحرب الحاضرة أن تشغلنا عن أحاديث الهجر والوصل فسيكون معنى ذلك أننا صرنا أطفالاً ضعافاً لا يهمهم من الدنيا غير اعتدال أسعار « اللِّعب والصواريخ » !

أقول هذا وفى مكتبى مقال لم يسمح بنشره الأستاذ الزيات ، لأنه خشى أن يفتح لخصومى باب الأقاويل والأراجيف ، وهو مقال سجلت فيه إحساسى بفراغ شارع فؤاد من أقدام الملاح يوم تجربة الغارة الجوية . فهل من الحق أن الحرب رجّت مصر رجةً تذهب بما يملك شعراؤها من عواطف وأحاسيس ؟

وهل من الحق أن أهل مصر لم يعودوا يأنسون بغير حديث البقول ؟

أعترف بأنى توجعتُ مرة على صفحات الرسالة من غلاء الورق ، وذلك توجُّع مشرِّف ، لأن الأمة التى تشكو غلاء الورق هى الأمة التى تُعزّ الأفكار والعقول ، وكل شىء فى دنيانا من الكماليات إلا الورق فهو عندنا من الضروريات ، والمصرىُّ المثقَّف قد يكتفى بالقليل من القوت ، ولكنه لا يستغنى أبداً عن زاده من الحِبر والورق

ونحن قومٌ آذتنا الظروف الدولية أقبح الإيذاء ، فليس لنا من السيطرة الاقتصادية أو الحربية ما للأمم الديمقراطية أو الديكتاتورية ، ولكن لنا مع ذلك سيطرة عقلية نصول بها فى أقطار الشرق . ولو شئتُ لقلت إننا نملك من هداية الشرق ما لا يملك الانجليز والفرنسيس والألمان ، ولهذه الدولة الروحية سلطانٌ يحسدنا عليه من يملكون فى تصريف السلم والحرب ما لا نملك ، فليس من العجيب أن نشكو غلاء الورق فى زمن لا يشكو فيه المسيطرون غير غلاء القُوت

والشرق ينتظر أن نحدثه عن نفسه بما لا يعرف

فكيف يغيب عنا أن من الواجب أن نكون أفصح من يذيع فى الشرق أحاديث السريرة الإنسانية ؟

استيقظوا ، أيها الغافلون ، واعلموا أنكم لن تكونوا شيئاً مذكوراً إلا إذا استطعتم أن تشغلوا الشرق عما فى الغرب من ألحان وأغاريد

هل فكر واحد منكم فيما عرف الشرقيون من الآداب الفرنسية والإنجليزية ؟ وهل خطر فى بالكم أن فى الأقطار الهندية والأفغانية والإيرانية أقواماً يقرأون عن العقول الفرنسية والانجليزية أضعاف ما يقرأون عن العقول المصرية ؟ وهذا يقع مع أن مصر فى هذا العهد تستطيع أن تكون قيثارة ترجِّع ألحان السماء لو تركت التزمت الممقوت الذى يفرض التغاضى عن أحاديث القلب والوجدان

سألنى أحد الأصدقاء منذ أيام عن الظروف التى ألفت فيها كتاب التصوف الإسلامى وهو يتوهم أننى لم أذق قطرة من رحيق التصوف ، فقلت : ذلك كتابٌ زكّيتُ به عن قلبى . فقال : وهل على القلب زكاة ؟

فقلت : آفة الآفات أن تظن أن الزكاة لا تجب على القلوب والأحاديث الوجدانية التى أهتف بها من حين إلى حين هى نفحة من نفحات التصوف ، فكيف يراها بعض القراء من مظاهر الفتون ؟ وكيف يرى صديقى الزيات أن نشرها يقوى حجة خصومى وأعدائى ؟

بل كيف استبحت ظلم نفسى فلم أهجر مجلة الرسالة لأتحدث عن فؤادى بما أشاء ؟

تلك أيامٌ خلَت ! فتى أرجع إلى مناجاة أوهامى وأحلامى ؟

إن الحديث عن الظواهر لا يحتاج إلى عبقرية ، أما الحديث عن ضمائر النفوس وسرائر القلوب فلا ينهض به غير أفذاذ الشعراء . فتى أجد آذاناً تطرب لأسجاع الروح المفتون بتهاويل الوجود ؟ ومتى أجد قلباً يسمع وسواس قلبى ؟ ومتى أجد روحاً يأنس بغناء روحى ؟

هل سمعتم بما صنعت وما تصنع مشيخة الأزهر ؟

هى تستعدى الحكومة المصرية على كل من يطبع كتاباً دينيًّا تقع فيه غلطة نحوية أو صرفية أو إملائية !

فهل علمتم فى يقظة أو فى حلم أن مشيخة الأزهر شغلت نفسها بطبع طائفة من الكتب الدينية ؟

كذلك يصنع معى خصومى وأعدائى ، فلا هم يؤدّون زكاة القلوب ، ولا هم يسكتون عمن يؤدى زكاة القلوب

زرت السيد آل كاشف الغطاء فى النجف على غير معرفة فقال : من أىّ بلد قدمتَ أيها السيد ؟ فقلت : قدمت من وطن ابن الفارض . فقال : وطن الذى يقول :

كل من فى حماك يهواك لكن ... أنا وحدى بكل من فى حماكا

فقلت : بل وطن الذى يقول :

أنت ورد فَهَبْ محبَّك شوكا ... أترى الوردَ عاش من غير شوكِ

فإن كنتُ من الشوك فلا بأس ، فالورود لا تعيش إلا فى حماية الأشواك ، والروح اللطيف لا يعيش إلا فى قفص من الجسم الكثيف

وسمعت فى الأيام الأخيرة أن إحدى المجلات تنوشنى منذ أسابيع فرفضت الاطلاع على تلك المجلة لأنى أخشى أن تروضنى على الشراسة والحقد ، وأنا أحب مسالمة الناس لأفرُغ لمحاربة قلبى ، القلب الجامح الذى يقهرنى على الوفاء لأقوام لا يعرفون معنى الوفاء

ثم ماذا ؟ سأتحدث فى الأسبوع المقبل عن لواعج وشجون يضيق عنها حديث اليوم

زكى مبارك

ذريــــنى ... !

للأستاذ كامل محمود حبيب

[« ... ورأيت النار فلم أر منظراً كاليوم قطّ أفظع ، ورأيت أكثر أهلها النساء » . قيل : بم يا رسول الله ؟ قال : « بكفرهن » . قيل : أيكفرن بالله ؟ قال : « يكفرن العشير ، ويكفرن الاحسان . لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ، ثم رأت منك شيئاً ؛ قالت : ما رأيت منك خيراً قط »]

حديث شريف

ذرينى أَطِر بين فلجات الأرض ومصلّات السماء ، أستشف بهاء الحياة وجمالها !

ذرينى أحطم الأغلال الثقال التى أرسف فيها ، لأفر من هذا السجن الأسود ، أتنسم روح الحياة والحرية !

ذرينى أتحلل من هذا العبء الفادح ، فلقد آدنى ، فما عدت أطيقه ! ...

ذرينى أر الدنيا، فلقد وجدت فقدها بين طيّات نفسى الوثّابة!

***

يا عجبا ! لقد جفّ قلبي وذوت سعادتى !

فهذا هو القمر يتألق فى السماء ، والأرض نائمة فى سكون ، وأنا أرمقه من خلال هموى ، فلا أحس فيه الجمال ولا المتعة ...

وتنفّس الفجر ، فما لمست فى نسماته النديّة بَرْدَ الراحة ولا نشوة اللذة ...

وافترّ ثغر المشرق عن ابتسامة الشمس ، وأنا ــ وحدى ــ جاثم على نشز لا أستبشر لبسماتها ...

وإن الروض ليضحك ، فما أرى فى ضحكاته سوى فنون من الكآبة والحزن ...

وإن الغدير ليعزف على قيثاره لحن الخلود الشجى ، فما تطرب له نفسى ...

يا عجبا ! أفكل هذا لأنك — أيتها المرأة — إلى جانبى تنفثين فىّ روح الشر ؟

***

أيتها المرأة ، لطالما فَوّقت إلى قلبي سهامك المراشة ، فاضطرم بالهوى وتلهب بالشوق. والآن ها هو ذا قد شاط بينها فما عاد قلباً، ولكن مضغة لا تتحرك .

ولطالما سهرتُ أُناجيك — وأنتِ فى منأى عنى — والآن هدّنى الإعياء ؛ فذرينى أقذف بأعبائى جانباً ، لأتوسّد ذراعى على الحصا ، فى ظلال شجرة وارفة ، إلى جانب غدير ، تسكرنى نسمات الربيع الهينة ، فتستمتع نفسى بحنان الطبيعة وهدوء الكرى

ولطالما أوحى إلىّ شيطانى أنك أنت فوق البشرية ، أنك بسمة الخالق على الأرض الحزينة ، فماذا ... ماذا رأيتُ الآن ؟

ولطالما استلهمتُ منك جمال الفن ، ورسمتك بريشة الخيال فى أضعاف قلبي ، ثم لمستكِ ، فماذا ... ماذا وجدتُ ؟

***

أحقاً أنكِ أنتِ مادة الشاعر حين يتغنى بكلمات تتدفق النشوة واللذة من خلالها ؟

أحقاً أنكِ أنت ريشة المصور التى تعبث بالألوان فإذا هى حياة ؟

أحقاً أنكِ أنتِ لحن الموسيقى السماوى حين يُداعب أوتار قيثاره فتتحدث عن خلجات القلوب ؟

أحقاً أنكِ أنتِ لمعة الحياة إن شمل الكون ظلام الموت ؟

كلا ... كلا ! إنه هو خيال الرجل يُضفيه عليك — حيناً بعد حين — فيبعث فيك الكبرياء البغيضة ، ويسمو بك إلى آفاقه هو ، فى حين أنك أنتِ ...

***

كان هــذا خيالى حين استهوتنى شياطينك فتمنيتُ ... ولما خبرتك فزعتُ عنك ، لا أطمع فى حديث ، ولا أرنو إلى لقيا

ليت هذا الرجل يعلم ... ليته يعلم أنك قد مرنتِ على الختل والخداع ، ودَربتِ على الشغب والمكيدة ، وأحببتِ نفسك فشغلتك فألهتك عن أن تكونى امرأة لرجل ، ونزت بك نزوات الكبرياء فذهبتِ تفزعين من أنوثتك الوضيعة ... ذهبت تفزعين منها لتكونى بدعاً فى الرجال !

إننى أفرق من جمالك وقبحك ، وأفزع من ابتساماتك

وعبراتك ، وأخاف رضاك وسُخطك ، وأجزع من عطفك ومقتك ، وأرهب صحبتك وفراقك ... فإذا ... ماذا بقى فيك أطمئن إليه ؟

هذه الدار الهادئة قد ملئت بك ضجة تحطم فىّ خواطرى الجميلة

وهذا القلب الشاب الندىّ قد استشعر الوهن حين مسحت بجمالك على شغافه

وهذه الحياة الوضاءة قد أظلمت حين أشرقتِ فى جنباتها

فذرينى ... ذرينى — أيتها المرأة — أفتش عن شباب قلبى !

***

ذرينى . . ذرينى ، يا شقاء القلب !

ولكن ، آه ، أين منك الخلاص ؟

إن شيطانك ما يفتأ يلاحقنى ، فإذا أعجزه أن يسيطر علىّ فى يقظتى ، تبدّى لى ، بين أحلامى ، فى زينته الجذابة

وهذا الجمال الذى تتقزّز منه نفسى لأنى أنفذ إلى حقيقته القبيحة ، يتراءى لى — فى منامى — فى صفاء قطرة الندى على الزهرة البيضاء النضيرة ، فيأسرنى رويداً رويداً

وهذه النظرات التى أرى من خلالها الدّغل والشر والرياء جميعاً ، تنفذ إلى قلب أحلامى فتستخرج أضغان صدرى

وهذا القد المضطرب المتكسر يهفو إلىّ فيما يرى النائم حلواً يميس فى خطرات النسيم بين رؤى نومى

وهذه المرأة التى أنبذها ، تسعى إلىّ ـ دائماً ـ حين يأخذ بنفسى الكرى ... تسعى إلى لتضمنى إليها ، خشية أن أفلت منها ومن متاعبها فى وقت معاً

ولكن ... ولكن ذرينى ، يا شقاء القلب !

***

آه ، لقد طرحتك ، أيتها المرأة ، فلا أحس بالعطف عليك ، وفررتُ منك فلا أحن إليك ، وصدفت عنك فلا أصبو إليك ، وطرت عنك فلا أسقط عليك ...

ولكن كيف ؟ وقلبي ما يزال يتصدع عن نفرة يتوثب منها الهوى والحنان ، لأن روح الأبوة تتأجج فى أعماق قلبى فتسلبنى الهدوء والاستقرار

فأين أجد ابنى؟ ... وهو جمال الحياة ، وبهجة القلب ، وفرحة النفس ، وزهرة الدار ، وشبابى اللمّاع حين يوشك أن يَنْبَتّ حبل العمر ...

واحسرتاه! إننى لن أجده إلا فيك ... فيك أنت أيتها البغيضة!

ويا بنى ، لست فى غنى عنك ، فأنا أجد فى نأيك فراغ الحياة ، وظلام العيش ، ووحشة الطريق ...

فتعال . . . تعال إلى ـ يا بنىَّ ـ علّى أجد فيك صورة من طفولتى الجميلة المرحة ، أو أجد سعادتى المفقودة ... حين أجد ابنى!

كامل محمود حبيب

النـــــاى

هذه الأغنية منظومة على بحرين مختلفين رغبة فى تنويع مجرى النغم ، والبحر الأول وضعه الشاعر، وأجزاؤه : فاعلاتن مفاعلتن (مرتين)، وليكن اسمه : المنطلق . وأما البحر الثانى فمن البحور المعروفة .

جَنِّبوا النّايَ عن أذُنى   زُلزِلَتْ طرَبا
مِثْلَ قَلْبٍ يُحَدِّثُهُ   سِرُّهُ السَّرْدُ فاضطرَبا

أوْتارُ الخاطرِ تغمِزُها   أنّاتُ النايِ فَتَرْتَجِفُ
فَيَضِجُّ الجنبُ بِأغنيةٍ   حمراءَ قرارَتُها التّلَفُ

نَغَمٌ جاءَ يَفْتِكُ بى   ذاعَ فى السّمعِ مُصطَخِبا
مِثْلَ دَمْعٍ يُغالِبُنى   دارَ فى العينِ مُلْتَهِبا

عَطَفاتُ النايِ مُصَعَّدَةً   فى الليل ضُلوعاً تَنقصِفُ
صَبَواتُ الرُّوحِ يُطَوِّحُها   فى اليومِ العابسِ مُلتَهِفُ

القاهرة ، مايو ١٩٣٤   *بشر فارس*

صفحة مجيدة من تاريخ المسرح المصري

عبد الرحمن رشـــدى

وأثره في تاريخ المسرح المصري

للأستاذ زكي طليمات

نص الكلمة التي ألقاها الأستاذ زكي طليمات مفتش شئون التمثيل بوزارة المعارف في حفلة التأبين التي أقيمت بدار الأوبرا الملكية يوم ٤ فبراير سنة ١٩٤٠ برياسة معالي وزير المعارف احياء لذكرى مرور أربعين يوما على وفاة الممثل الكبير الأستاذ عبد الرحمن رشدي المحامي .



في هذا المكان وعلى هذا المَسْرح، منذ نيف وسبعة وعشرين عاما خلت وقف شاب غض الأهاب ، فياض القوة ، في عينيه بريق ، وفي صوته فورة العزيمة وعناد التصميم ، تلطف نبراتها حلاوة الحلم الممتع . وقف هذا الشاب في ثياب الممثل يؤثر ويبهر ، فخط تاريخ التمثيل العربي الناشيء صفحة المجد الأولى ، وأشرق على المسرح المصري فجر وردي جديد

وقف هذا الشاب يمثل، وارتفع الصوت الجهير في رنين أجراس الذهب ، فجاوبته صيحات مدوّية منكرة ، هي أشبه شيء بصوت انهيار الأنقاض وتصدع الجدران . ذلك لأن العرف المصري الجاري في ذلك الوقت أصيب في أعشاره ، وتصدعت منه دعامة قوية شامخة

هـذا الشاب هو (عبد الرحمن رشدي) الذي ترك حلبة المحكمة إلى خشبة المسرح ، ونضا عنه حُلة المحامي ليلبس حُلة الممثل ، وهجر عالم القضاء ودنيا الوظائف الحكومية إلى عالم التمثيل ومستراد الرئيات ومجال الوهم المجسم ، وزهد فيما كان ينتظره من شارات الشرف في عالم القضاء من أجل تيجان من الورق ، وأوسمة من الصفيح ، وسيوف من المدن الزائف ...

أتى كل هذا طائعاً مختاراً وهو في تمام عقله وكامل صحوه ، وافتدى صحو العيش بكدره ... وحياة المسرح في مصر أكدار ومآس . أتى ذلك لأن هاتفاً خفياً أهاب به في الساعة التي ترسم الأقدار فيها رجالها وتختارهم للقيام بأعظم الأحداث وجلائل الأمور

أجل أيها السادة ، كان احتراف عبد الرحمن رشدي التمثيل في ذلك العهد حَدَثاً من الأحداث الاجتماعية في مصر ولمـاذا ... ؟

كان المسرح المصري يرقى الدرج الأول من مرحلة جديدة . كان يحاول متطوحاً فيها أن يستخلص لذاتيته طابعاً جدياً يمت إلى الفن الخالص من حيث فن التمثيل وإخراج الرواية ، بعد أن مهد له (سلامة حجازي) و (عزيز عيد) سبيل ذلك بقدر ما وسعه علمهما وسمح به زمانهما . وكان العاملون في المسرح رجالاً ونساء ، أخلاطاً سقيمة ممن خفت حمولتهم في التعليم والتهذيب والتثقيف ، ولا أقول من حسن الاستعداد وخصب الموهبة . وكانت كثرتهم الغالبة ، ماعدا النذر اليسير الذي لا يؤبه له ، ممن تقطعت بهم أسباب العيش عن طريق احتراف المهن المألوفة . وكان الجمهور من أجل ذلك يرمق المسرح المصري والمشتغلين فيه بعين ملؤها الازدراء والحذر ، إذ يرى فيهم قطيعاً من شذاذ المجتمع ، ونفايات الأوساط ، وقناصي الكسب السهل عن طريق حلق الشارب ، وتخطيط الوجه ، ورفع الصوت بالصياح والضجيج

في ذلك العهد جاء الأستاذ جورج أبيض من أوربا ، وشاءت إرادة سيد البلاد إذ ذاك أن يكون للأستاذ أبيض يد في ترقية المسرح ، فكان أن ألف فرقته العربية الأولى من أقرب ما بين تلك العناصر التي أجلت وصفها إلى شخصية الممثل الحق علماً وأدباً

وهنا جرت الأعجوبة إذ تقدم إلى الصف (عبد الرحمن رشدي) محطماً العرف الاجتماعي السائد ، في الأسرة وفي الحرفة التي ينتمى إليهما ، مضحياً بمركزه الاجتماعي وبكرامة الرجل الكامل. أقول هذا أيها السادة وأكرره وأؤكده. لأنه كان يوجد من الممثلين قبيل ذلك العهد من يحترف كي الطرابيش وبيع الأشربة والمثلجات بالنهار ليحترف التمثيل بعد ذلك في الليل

ولا لوم ولا تثريب على فن التمثيل فى ذلك ، فقد أتى التمثيل مصر دخيلاً ، وفرض نفسه على المجتمع المصرى الذاهل كلون جديد من ألوان التسلية . والجديد الوافد من الحرف لا يلقى صدراً رحباً فى أول الأمر إلا ممن يعيشون على هامش بيئاتهم الاجتماعية ولا يعمل فيه غير من نبت بهم طرائق الكسب المألوفة ، أو من لم يحظوا منها بما يقوم بحاجاتهم

مضى الأمر واحترف عبد الرحمن التمثيل فكانت بداية ملحمة جديدة قوامها نزول شاب مثقف عامل مستكمل لمقومات شخصيته الاجتماعية الرفيعة إلى عالم ضئيل لا يصول فيه غير المكابر ، ولا تطول فيه غير قامة المشاغب والمداجى والمريض الصوت والمنكبين، عالم تحيط به الريب والشكوك، ويغلفه الكثير من سوء الظن ، نزل إليه عبد الرحمن بأقدام ثابتة ، يَعمُرُ قلبه عقيدة راسخة بأن المسرح كالمسجد يؤمر فيه بالمعروف وينهى عن المنكر

نزل وملء حواسه إيمان صادق بأن المسرح المصرى الناشئ لن يرق ولن يؤدى رسالته فى التثقيف والتهذيب ، ما لم يتوله جماعة على قسط وافر من الثقافة والتهذيب ، وما لم يشرف عليه من يعيش له لا من يعيش منه ، وما لم يكله الكفيل الصالح

كان عبد الرحمن محامياً فى نظارة الأوقاف ، وكان يتقاضى مرتباً شهرياً ثابتاً قدره أربعة عشر جنيهاً ، فرضى أن يعمل ممثلاً بمرتب قدره اثنا عشر جنيها فى هيئة غير ثابتة فى فرقة تسير — كما سبقتها الفرق التى تقدمتها — مضطربة حائرة ، كسفينة هزيلة البناء فى بحر عجاج ، وفى هذا ما ينهض دليلاً على أنه لم يحترف التمثيل ليزداد مرتبه، أوليجمع مالاً عجز عن جمعه فى حرفة المحاماة

ومثل عبد الرحمن أدواراً سجلت مواهب الممثل فى نسقها العالى ؛ ودوّى مجده دوياً أخذ على هواة التمثيل مشاعرهم ، فتحركت نفوسهم ، وتطلعوا وتتطلع غيرهم ممن أخذوا يعرفون محاسن التمثيل على يد المحامى الممثل ، وقامت فرقة جماعة أنصار التمثيل تعمل للفن برياسة المرحوم محمد عبد الرحيم الذى كان يشغل وظيفة أستاذ بالمدارس الثانوية

ولكن عبد الرحمن اضطر بعد شهور — ويا للعجب — أن يترك فرقة أبيض مرفوع الرأس ، لأن النزعة المادية كانت تغلب كثيراً نزعة الفن الخالص لدى بعض مديرى الفرق المصرية ، فتأذت نفسه من ذلك وفترت آماله ...

وعاد إلى المحاماة الحرة فى مكتب أنشأه بمدينة الفيوم لقى فيه نجاحاً كبيراً . وهكذا عاد النازح إلى بيته واستقر فيه ، وحسب الناس أن مغامرة عبد الرحمن فى احتراف التمثيل إنما كانت بدوة من بدوات النفس الفتية

* * *

يا الهاتف الغامض الذى ينادى النفس فتلبى النداء ، ويغلّبُ القلبَ على الحجا والروية ؟ ؟

لم يمض زمن طويل حتى رأينا عبد الرحمن يعاود مغامرته الأولى بنفس الحماسة الأولى ويضحى بالربح الواسع الذى كان يدره عليه مكتبه بالفيوم . أتى كل هذا ناسياً ما جرته عليه مغامرته الأولى، ضارباً عرض الحائط بنصائح أصفيائه ممن راءهم أن المسرح المصرى ما برح غير جدير بالتضحية من جانب صفوة المتعلمين

ولكن الهاتف المجهول كان يسد مسامعه ، والقدر يدفعه إلى أن يستقيم على محتوم قضائه

عاد عبد الرحمن إلى العمل فى فرقة الأستاذ أبيض بعد أن انضم إلى فرقتها وجيه من وجهاء مصر ، وسليل بيت كبير من بيوتاتها ، وهو عمر سرى بك نجل المرحوم حسين سرى باشا ؛ وكاد وجيه آخر من طرازه ، وهو المرحوم محمد تيمور بك ، نجل المرحوم أحمد تيمور باشا ، وتشريفنى حضرة صاحب العظمة حسين كامل سلطان مصر ، كاد أن يأتى نفس المغامرة ؛ وكدت بدورى، على الفارق البين، أن أركب نفس الطريق وأترك دراستى الثانوية فى مرحلتها الأخيرة ...

ومهما انتحلت للمرحوم تيمور ولنفسى من الأعذار التى حالت دون احتراف التمثيل فى ذلك العهد ، فلا أجد بداً من المصارحة فى هذا الموقف الذى أعطى فيه « ما لله لله ، وما لقيصر لقيصر » بأننى وتيمور كنا أوهن من عبد الرحمن عزماً وألين عوداً

* * *

وبدأ الدور الثانى من جهاد عبد الرحمن وبدأت معه الجمعيات التمثيلية مرحلة جديدة اتسمت بالجهاد الصادق وبوفرة عدد العاملين فى الجمعيات ، وجلهم من صفوة المتعلمين طلبة كانوا أو موظفين

ونضجت لعبد الرحمن طريقة فى التمثيل حاكاه فيها ضعاف الشخصية من الهواة والممثلين ، وتنبهت الأقلام المصرية إلى واجبها فقام الأستاذان إبراهيم رمزى ولطفى جمعة يدعوان إلى استقلال المسرح المصرى برواياته

أيها السادة :

يقولون إن التاريخ يعيد نفسه ... وما أصدق هذا حتى فى أتفه الأمور !

لم يمض وقت طويل على عبد الرحمن فى هذه الفرقة حتى اضطر إلى تركها لأسباب لا يسمح المقام بذكرها ، ولكنها أسباب تشرف عبد الرحمن ، الرجل والممثل ، الذى لم يعمل فى التمثيل ليجمع المال من ورائه ، وليستثمره كما يستثمر التاجر الملهوف على الكسب متجراً انتهى إليه فى آخر الزمان !

ورجع عمر سرى بك إلى قصره العاجى ينفض عن أقدامه غبار طريق شائكة بعد أن ضاق ذرعاً بالفرقة وبنفسه ، وبقى عبد الرحمن واقفاً مثبتاً فى حلبة الجهاد رجله ، وليس لديه مايدفع عنه غائلة الأيام ، بل وآلام الحاجة والضيق إلا قلب كبير يعمره الإيمان بالله ، وبالمبدأ ، وبالفكرة العاملة

أيتها الحاجة ، إنك قاسية !

أيها الجوع ، إنك كافر !

ولكن يشاء الله أن يسكب فى نفوس أصفيائه من البشر مايحملهم يزدرون بالمحن ، فتراهم يدفعون الحاجة بالصبر ، ويستعينون على الجوع بالكفاف من العيش .

وقف عبد الرحمن هذا الموقف الرائع ، فتجلى عناد التصميم وثبات العقيدة وجلال الرجولة فى أكمل معانيها .

كان فى وسعه أن يعود إلى المحاماة ، أو أن يلتحق بوظيفة حكومية تقيه شر ما يلقى . كان سبيل الخلاص ممهداً أمامه ، ولكن عبد الرحمن أبى أن يفعل شيئاً من هذا ، لأن رسالته فى المسرح المصرى لم تكن قد تمت فصولها ، وصاحب الرسالة مجاهد وشهيد ، والشهداء يأبون إلا أن يكونوا شهداء وقد يكون خلاصهم بين أيديهم .

وسرعان ما انتهى دور الاستجمام والتفكير إلى دور الوثوب والعمل . فألف عبد الرحمن فرقة تمثيلية باسمه ، على نظام الحصص وهو نظام جديد ، يقضى بتوزيع قدر الدخل الوارد من إيراد الحفلات تبعاً لما خصّ به كل ممثل أو ممثلة .

فلا مرتبات ثابتة ، ولا أجور مقيدة .

كان تأليف هذه الفرقة حدثاً جديداً فى المسرح المصرى ، لأنها لم تتألف من أنقاض الفرق العاملة ، وإنما تألفت فى جلتها ولا سيما فى عنصر الرجال فيها من شباب جدد مثقفين ، ينتمون إلى بيئات اجتماعية لم تسخ بأبنائها على التمثيل ، جمت الفرقة الجديدة الموظف الذى هجر وظيفته ، والطالب الذى قطع دراسته العالية أو الثانوية ، اجتمعوا كلهم فى صعيد واحد ، بعد أن أنضجتهم الهواية الصادقة بالعمل فى الجمعيات التمثيلية ، اجتمعوا بعد أن ترسموا طريق الفداء الذى شقه الزعيم المجاهد عبد الرحمن فضحى كل منهم بما كانت تمده لهم وظائفهم أو دراساتهم من مستقبل زاهر ، أقل مزاياه أنه مستقبل لا يسلم أصحابه إلى العيش من وراء مهنة مضطربة حائرة ، غرمها مضمون ، وغنمها مشكوك فيه ، تكابد إغفال الناس ، بل وازدراءهم .

على هذا النحو ، ألفت أول فرقة مصرية من عناصر نابهة ، فما لبثت أن أثبتت حسن اضطلاعها بمهمتها ، واستطاعت أن تشق طريقها ، وتركز أعلامها فى القطر ، من الثغور إلى أقصى الصعيد ، ورددت أرجاء هذه الدار نبرات حارة لأصوات فنية ، وصارت الفرقة بهيئتها ورئيسها رمزاً للتضحية فى سبيل المبدأ ، ومظهراً من مظاهر النهضة المصرية ، ووجهاً من وجوه اليقظة القومية

فى هذه الفرقة عمل الأساتذة سليمان نجيب مدير هذه الدار ، ومحمد عبد القدوس ، ومحمد فاضل ، ومحمد توفيق ، والمتكلم أمامكم ، عملوا ممثلين محترفين !

أيها السادة

حاذروا زوالاً إذا قيل تم الأمر وبلغ مداه . وحقق مقاصده !

بعد جهاد مستمر ، دام ثلاث سنوات وشهوراً ، اضطر عبد الرحمن أمام الأزمة الاقتصادية التى شملت العالم بأسره ، بعد انتهاء الحرب الماضية ، أن يفض الفرقة ، وأن يترك الميدان مقتدياً ذلة الخاضع بعزه المغلوب ، لأن الكساد الذى شمل سائر مرافق الحياة الاجتماعية بفعل تلك الأزمة ، كاد يفرض عليه فرضاً أن ينزل إلى مستوى السواد الأعظم من الجمهور ، وأن يتملق رغباته ، وكانت رغبات الجمهور فى ذلك العهد ، عهد الثورة المصرية ، متقلبة لا تستقر على حال ، ولا تعنى من التمثيل ، وهو لون من ألوان التسلية ، إلا بما هو سطحى وعابر ، لا يكد الذهن ولا يجهد الخاطر

حلت الفرقة ، ولكنها حققت الغرض الأول من قيامها ، وهو جعل المسرح فى ممثليه والقائمين عليه من الطبقة المثقفة التى اجتلبت حسن الظن بفن التمثيل

حلت الفرقة ، ولكن بعد أن جعلت من التمثيل العربى حقلاً جديداً للنشاط الذهنى من جانب طبقة من الناس ما كانت تأبه له قبل قيامها . وهكذا بدأ عهد إصلاح فى المسرح المصرى ، وانفتح باب للتجديد فيه ، لم يلبث أن دخله الأستاذ (يوسف وهبى) ، نجل المرحوم عبد الله وهبى باشا ، ليأخذ المشعل من يد قائد الطليعة ، ويعمل للمسرح مجداً متفانياً فى جهاده ، مضحياً بثروته الشخصية ، وما آل إليه من مال أبيه الراحل

هذا هو مجد عبد الرحمن رشدى ، وبهذا يستقر اسمه فى رأس

قائمة أبطال الطليعة الذين عملوا للمسرح المصرى مخلصين للمبدأ

عاد الممثل ومدير الفرقة إلى المحاماة للمرة الثالثة ، ولكنه عاد إليها فى هذه المرة كسير القلب ، لأنه استيقن أن الزمان يضيق به وأن لا سبيل إلى فرض إرادة على هذا الزمان ، الذى يأخذ من المصلحين بقدر ما يريد ، لا بالقدر الذى يريدونه ويستطيعون تقديمه

وكان ينتابه حنين إلى المسرح ، وهو يجالد الأيام وتجالده ، فكتب له أحياناً ، وعمل عضواً عاملاً فى اللجان التى ألفتها الحكومة لترقية التمثيل ، وأذكر من مسرحياته :

(تحت العلم) ، و (البؤر المرخصة) ، و (المأمون)

وألفت الفرقة القومية بمال وزارة المعارف ، فلم يتوان عن تلبية النداء ، ورجع القائد والزعيم جندياً متواضعاً يعمل فى الصف بالإشارة ، ولا كبر ولا خيلاء !

أحبك يا عبد الرحمن فى تواضعك وسماحتك ، وأحنى الرأس إجلالاً لك ، قائداً كنت وزعيماً ، ومؤتمراً أصبحت وجندياً

ولم يطل مكث (عبد الرحمن) فى الفرقة القومية ، لأسباب خاصة ، فتركها فى نفس الوقت الذى زهدت فيه العمل فيها

وشاء القدر أن يجمع شملى وشمله للمرة الثالثة فى مكان واحد ، وأن نعمل لغرض واحد فى وزارة المعارف ، وهو تهيئة جيل جديد للتمثيل ، يقبل عليه ويعمل له ، إذا استطاع ، مخلصاً ومجدداً

هذا هو بعض عبد الرحمن رشدى ، الذى اجتمعنا اليوم مختارين لتأبينه ، وتكريم ذكراه ، فيبكى كل واحد منا فى شخصه قطعة من ماضيه ، أو صفة من صفات الرجولة الباهرة ، أو سمة من سمات البطولة الحقة ، أو مظهراً من مظاهر الجهاد والتضحية

هذا هو عبد الرحمن رشدى الممثل فحسب ، وأتجاوز عن سائر نعوته وألقابه ، وقد كان المحامى القادر ، والموظف الكبير ، وابن البيت الكريم . أغفل هذا عامداً منزهواً ، لأن الممثل عبد الرحمن رشدى ، أكبر من كل هذا ، وأنبه ذكرا ، وأبعد أثراً من كل هؤلاء فى الدور الذى لعبه فى حياته ، لأن الممثل عبد الرحمن رشدى ، واحد فى نسجه ، منفرد بما آل إليه أمره ، وما استقام عليه بمحتوم قضائه

وهأنذا أختم كلمتى بالهتاف لهذا القائد الذى سقط فى حومة الجهاد ، وسيفه فى يمينه ، بعد أن أفرغتُ كلمتى هذه فى سمع الزمان الواعى ، وهى كلمة تتسم بوفاء التابع الأمين ، وخبرة الصديق ، وصراحة الفنان .

أقف بعد ذلك صامتاً ، وأمسك عامداً عن استنزال شآبيب الرحمة على البطل الراحل ، كما تجرى بذلك تقاليد البيان فى هذا المقام ، لأن هذا البطل الحر الطليق ، كان يمقت التقاليد ؛ وكانت حياته حرباً على التقاليد ، ولأن العناية الإلهية التى رعته مجاهداً ، وجبلته مصلحاً ومناصراً ، أجل وأرفع من أن يتطاول عليها بالنداء والتنبيه صوت مصدره شخصى الضعيف الحزين

بل إن هذه العناية الإلهية الرحيمة ، قد شملته منذ أن حان حينه ، وتهيأ للقاء الرفيق الأعلى ، فعجلت نقلته من هذه الدنيا ، ومضى عنها ما بين غمضة عين وانتباهتها . وكأنى بها نفست به على المرض الطويل ، وضنت به على تجارب الأطباء . وعبث الممرضين ، وعصمته من عذاب دونه كل عذاب ، وهو صمت الجسد المتداعى عن إجابة الروح القوى ، والنفس الوثاب

أعود فأقول : إننى لا أغفل هذا ، لأن عبد الرحمن رشدى مبعوث عناية ، ورجل أقدار ، ونفس من أنفاس الرحمن الرحيم .

زكى طليمات

كبرياء ...

للدكتور ابراهيم ناجى

نِداؤكَ يا فؤادُ . كفى نداء … عفاء! نضرةَ الدنيـا عفاء

رُوَيدكَ أيهـا الجانى ، كلانا … لصاحبه وما يدرى أسـاء

أنا ظمآنُ لم يلمع سرابٌ … على الصحراء إلا خِلْتُ ماء !

وأنتَ فَراشُ ليلٍ كلُّ نور … تبِعتَ وكلُّ برقٍ قد أضاء

عشقتَ فأشدَوْتُ الشعرَ شعراً … ولكن اعتصرتُ لكِ الدماء

فإن أكُ فى هواك أضعتُ قلبى … فلست أُضيعُ فيك دمى هباء

غرامك كان محراب المصلى … كأنى قد بَلغْتُ بك السماء

خلعتُ الآدمية فيـــه عنى … ولكن ما خلعتُ به الإباء

فلم أسجد بســاحته رياء … ولا كالعبدِ ذُلا وانحناء

ولكنى عشقتك عشقَ حُرٍّ … يموت متى أراد وكيف شاء ...

ناجى

الفروق السيكلوجية
بين الأفراد

للأستاذ عبد العزيز عبد المجيد

أشرت فى المقالة السابقة إلى التجارب التى أجراها مونستربرج لاختيار سائق الترام والسيارات وعاملات التليفون وإلى المقاييس التى وضعها لمعرفة الأفراد الصالحين للمهن المختلفة . وإنه لمن الإنصاف التاريخى ألا نترك موضوع « اللياقة المهنية » من غير أن نذكر كلمة عن الدكتور فرانك بارسونز أحد موظفى « إدارة الخدمة الاجتماعية » فى بوستن بأمريكا .

كان ذلك فى سنة ١٩٠٨ حينما جمع الدكتور بارسونز التلاميذ الذين أتموا التعليم الأولى فى الحى الذى يقطنه والأحياء المجاورة، وكانت الغاية من هذا الاجتماع أن يبحث مع هؤلاء المراهقين أمر مستقبلهم ، ونوع المهن التى يريدون احترافها ، ولِمَ يؤثرون مهنة على غيرها ، وما هى الصفات الشخصية والكفايات الفردية التى يتقدم بها كل منهم للمهنة التى يختارها . وما كان أشد عجبه حين ظهر له أن هؤلاء المراهقين لم يعرفوا شيئاً عن الحياة العملية التى يواجهونها ، ولا السبب فى تفضيل نوع من العمل على غيره، وما الذى تتطلبه كل مهنة من المؤهلات الجسمية والقدرة العقلية والخلقية . ولقد استطاع بارسونز أن يسدى لهم نصائح فردية ، وأن يوجه كلا منهم إلى الناحية التى تتفق ومواهبه الشخصية ومعلوماته . وكان هذا الاجتماع التاريخى النواة الأولى لتكوين « مكتب الإرشاد المهنى[(١)] » الذى افتتح فى نفس العام[(٢)] . وقد أسرع إلى هذا المكتب البنون والبنات بعد إتمام الدراسة الأولية للاستشارة ، ومعرفة أنسب الحرف لهم ولهن . ولقد كان الدكتور بارسونز موهوباً القدرة على معرفة خواص الأفراد ، ومزاياهم العقلية والخلقية والجسمية ، واختيار ما يناسب كل فرد من عمل . ولذلك صادف مشروعه هذا نجاحاً وإقبالاً

(١) فضلت استعمال عبارة « مكتب الارشاد المهنى » على عبارة « مكتب المتعلمين المتعطلين » الذى تضمه الآن وزارة الشئون الاجتماعية ، فيا حبذا لو استبدلت العبارة الأولى بالثانية فى مصر

(٢) وقد افتتح أيضا فى العام نفسه « مكتب الارشاد المهنى » فى إدنبرج باسكتلندا ، وكان أول مكتب من نوعه فى الجزائر البريطانية

لم تكن نصائح بارسونز مبنية على اختبارات ومقاييس علمية ولكنها كانت نتيجة لفكرة يكونها عن طالب التوظف بعد سؤاله عدة أسئلة عن ماضيه وحاضره واستعداده ونوع دراسته وآماله[(١)] وقد شعر بارسونز بنقص طريقته هذه فوضع نظاماً أحكم ذا ثلاثة عناصر أساسية : العنصر الأول درس كل مهنة من المهن الممكنة ومعرفة نوع العمل فيها ، وظروف هذه المهنة الاقتصادية والصحية والاجتماعية والفنية ، وبذلك يعرف الطالب أو الطالبة فى وضوح ما تتطلبه المهنة من الممتهن ومستقبلها . والعنصر الثانى أن يكون على صلة بنظار المدارس ومدرسيها ، وأن يخبرهم بنتائج أبحاثه ودراساته الفنية المهنية ، ويطلب إليهم ملاحظة التلاميذ أثناء الدراسة وكتابة تقريرات عن تحصيلهم ونشاطهم المدرسى ، واستعدادهم الفردى وميولهم ، والناحية الممتازة فى الفرد، حتى يرجع إلى هذه التقريرات عند الحاجة . والعنصر الثالث أن يصلح من الطريقة التى كانت متبعة باستقبال طالبى المهن ووضع أسئلة عامة لهم ، حتى يستطيع بالطريقة الجديدة أن يجمع أكثر ما يمكن من معلومات منظمة عنهم

كان أثر هذه الحركة أن تنبهت مجالس التعليم المختلفة وجمعياته فى الولايات والمدن الأمريكية لدراسة مشكلة اللياقة المهنية ، والخصائص السيكلوجية للأفراد ، فعقدت المؤتمرات ، وأسست مكاتب الإرشاد المهنى ، وعين مستشارون مهنيون Vocational Counselors لزيارة المدارس — كما يزورها الأطباء — ولإبداء رأيهم فى صلاحية من أنهوا دراستهم من التلاميذ لأنواع المهن المختلفة ، كما نشطت المدارس ، والمؤسسات العلمية ، والمعامل والشركات ، والجمعيات، لإمداد مكاتب الإرشاد المهنى، والمستشارين المهنيين بالمعلومات التى يحتاجون إليها ، وكثرت هذه المعلومات وازدادت . وغدا المستشارون يسدون نصائحهم مبنية على الاجتهاد والتجربة من غير أن يقوموا باختبارات لقياس الذكاء ، أو الاستعداد الخاص ، أو الصفات الفردية الأخرى ، فكانوا ينصحون ضعاف الرئة مثلاً ألا يشتغلوا فى المعامل التجارية ، أو المصانع ذات الهواء الرطب أو كثير البخار ، ولا يشجعون على التوظف فى الشركات ذات المستقبل الغامض . وهكذا ابتعدت هذه المكاتب عن الغرض السيكلوجى الذى أنشئت من أجله ، وأصبحت « مكاتب استخدام » . وقد اعترف المستشارون بذلك ،

(١) تسمى هذه الطريقة The impressionistic method

وكانت حجتهم أنه لم تظهر بعد المقاييس السيكلوجية المقننة لمعرفة الفروق الفردية وحتى يمكن الحكم على صلاحية نوع معين من الأفراد لنوع معين من المهن

ووضع بارسونز مجموعة من الأسئلة لاختبار طالبي المهن، استطاع بها أن يكشف عن عادات المختبَر وميوله وتجاربه، ومن بين هذه الأسئلة ما يأتي:

هل تصرفاتك هادئة أو هائجة، حكيمة متواضعة أو ترى للإعلان عن النفس؟

إذا كنت مع جماعة فهل تفكر فى راحتهم وتعمل عليها؟

هل ابتسامتك طبيعية وبسهولة أو متكلفة؟

هل أنت صريح فى رأيك، شفيق فى معاملاتك، حريص على اختيار أقوالك وأفعالك؟

هل تخيلاتك وأفكارك طبيعية ومتواضعة، أو اعتدائية، أو مغرورة، أو متشائمة، أو ثائرة؟

ما مقدار درجة انتباهك للشيء إذا كانت الدرجة القصوى الممكنة للانتباه هي مائة؟ ودرجة ملاحظتك، ودرجة ذاكرتك، ودرجة تعقلك، ودرجة تخيلك، ودرجة إدراكك، ودرجة رد فعلك (الرجع) للبيئة الطارئة، ودرجة قدرتك التحليلية للظروف، ودرجة تفكيرك الإنتاجي Construective chinking؟

هل تستطيع أن تخلق علاقات طيبة بسرعة مع من تتصل بهم؟

هل إرادتك قوية أو ضعيفة، مترددة أو عنيدة؟

أتتمتع بوجودك فى المجتمعات، وهل يسر الناسَ وجودهم معك؟

وكثير غير هذه الأسئلة[1]

وربما كانت هذه الأسئلة مفيدة عملياً لو أن الإجابة كانت عنها صحيحة مبنية على علم المختبَر بنفسه وميوله وعاداته. وإلا فمن من القراء يستطيع أن يجيب عن كل هذه الأسئلة بدقة وهو مقتنع بصحة الإجابة؟ وما دامت الإجابة موضع شك فما يبنى عليها أيضاً من النتائج موضع شك. وإذاً فطريق الأسئلة هذا لا يمكن الحكم به على خصائص الأفراد وشخصياتهم، ولا أن تكشف عن الفروق السيكلوجية بينهم

(١) انظر كتاب « اختيار المهنة » Choosing a Vocation لمؤلفه الدكتور فرانك بارسونز

وتسمى طريقة استخدام الأسئلة فى الدراسات النفسية والإجابة عنها طريقة « التأمل الباطنى » Introspection، وهى طريقة لها عيوبها الكثيرة، ومن بينها أنها ليست موضوعية محضة objective ولكنها ذاتية شخصية خاضعة لعواطف الشخص وأهوائه وذاته وحالته النفسية لحظة الاختبار Subjective والعلوم إنما تعتمد فى بحوثها ونتائجها على الطريقة الأولى لا الثانية

وبعد فقد عرضنا حتى الآن تاريخ الفروق السيكلوجية بين الأفراد عرضاً عاماً، وتطورات الاختبارات والمقاييس التى وضعت حتى أول القرن الحاضر. غير أن علم النفس بفروعه المختلفة قد نهج خلال الخمس والعشرين سنة الماضية منهجاً علمياً أكثر دقة، فى الطريقة، وفى إحصاء النتائج. كذلك درست خصائص الأفراد العقلية والجسمية والخلقية والمزاجية، كلُّ طائفة منها على حدة، ووضعت لها مقاييس تختلف كثيراً أو قليلاً من إقليم لإقليم، وقُنِّنَ بعض هذه المقاييس

ويمكن حصر أنواع هذه المقاييس التى استخدمت لمعرفة الفروق السيكلوجية بين الأفراد فيما يأتى:

(١) مقاييس الذكاء العام. ويقاس بها الذكاء العام للأفراد[1]

(٢) مقاييس الذكاء الخاص. وتقاس بها المواهب العقلية الوراثية الخاصة، كالموهبة الموسيقية والموهبة الرياضية

(٣) مقاييس الأمزجة والخلق. وهى تقيس عواطف الأفراد ونزعاتهم الخلقية للاجرام أو الإصلاح

(٤) مقاييس التحصيل الدرسى أو البيئى اللغوى والعلمى

(٥) المقاييس المهنية المحضة

وسنعالج كل مجموعة من هذه المقاييس فى مقالات قادمة إن شاء الله.

(بخت الرضا. السودان) عبد العزيز عبد المجيد

(١) نظرية الأستاذ سبيرمان السائدة الآن هي أن الذكاء ينقسم إلى نوعين: ذكاء عام، وذكاء خاص

الأدب الفنلنـــــدي

للأستاذ صديق شيبوب

بينما كان الشاعر « لياس لونرو » يعنى بجمع قصائد كاليفالا وضم أجزائها، وإنشاء لحمة بينها لتتألف منها ملحمة وطنية قديمة قام شاعر آخر ينظم ملحمة وطنية عصرية يتغنى فيها ببطولة الفنلنديين فى العصور الحديثة، وكان اسم هذا الشاعر « جوهان لودنيج أونبرج » Johan Ludvig Runeberg

ولد أونبرج سنة ١٨٠٤ وتوفى سنة ١٨٧٧، ودرس الطب وامتهنه واشتغل بالأدب والشعر. وفى شبابه وجه عنايته إلى درس أخلاق مواطنيه فى كثير من العطف، ثم كتب فى ذلك رسالة طويلة كما تناول مظاهر هذه الأخلاق فى الأقاصيص العديدة التى كتبها بعد ذلك. وهذا ما جعله فى طليعة الأدباء الذين عملوا على إنشاء الأدب القوى الفنلندى بالرغم من استعماله اللغة الأسوجية فيما كتب ونظم، لأنه عرف كيف يصف روح مواطنيه وكيف يعبر عنها تعبيراً صادقاً. وقد تجلت هذه الميزة خاصة فى كتابه: « أقاصيص حامل الراية » Les récits de l'enseigne Stahl

كان الشعر أبرز ما فى أدب هذا الطبيب، وله قصائد يمدها النقاد الأسوجيون والفنلنديون من خير ما نظم فى هذين البلدين، وهم يقررون أن أحسن شعره ما جمعه فى كتابه الذى ذكرناه: « أقاصيص حامل الراية »، وهو فى جزأين، ظهر الأول منها سنة ١٨٤٨، والثانى سنة ١٨٦٠.

تتألف هاتان المجموعتان الشعريتان من أقاصيص رواها على لسان جندى قديم اشترك فى الحرب التى اضطرت أسوج فى نهايتها إلى التنازل عن فنلندا لروسيا فوصف معاركها وقص أنباءها، وسجل أخبارها. وقد كان من الجرأة بمكان عظيم أن يختار الشاعر موضوعاً للحمة وطنية حرباً ختمت بالانكسار والخذلان؛ ولكن التاريخ كان قد سبق الشاعر فدوّن الأخطاء التى وقعت فيها قيادة الجيش وحملها مسؤولية الاندحار ووصمها بالجبن والخيانة. فقائد الجيش الأعلى لم يصدر غير أوامر تقضى بالارتداد والتراجع، وسلم قائد آخر حصن « سيفبورج » الحصين من غير قتال. بينما ناضل الجنود المشهورون ببسالتهم وصبرهم على الأهوال نضال المستميت فأنقذوا شرف الجندية ولكنهم لم يستطيعوا أن يفوزوا وينتصروا.

وقد حمل « رونبرج » فى شعره على قائد الجيش وفضح خيانته، ومما قاله فيه: « لينفل ذكر أصله وسلالته حتى لا يتحملوا وزر جرمه، ليحمل وحده عاره، لأنه وحده جدير بالازدراء. ليس لمن خان وطنه أصل ولا سلالة، ليس له ولد ولا والد. »

على أن شجاعة الجنود المقاتلين كانت كافية لتوحى للشاعر قصائده الحماسية التى تغنى فيها ببسالة مواطنيه. وقد قص فى شعر رائع أخبار المعارك الصغيرة التى ظهرت فيها بطولتهم والتى تمكنوا فيها من التغلب على الجيش المهاجم فردوه مندحراً. وعنى الشاعر خاصة بأعمال البطولة الفردية التى تجلت فيها المزايا التى تتحلى بها روح الشعب الفنلندى

وصف الشاعر الجيش وتحدث فى أكثر من أقصوصة عن العلاقات الوثيقة التى استحكمت بين صغار القواد والجنود. وقد أجاد كل الإجادة ووصل إلى أبعد الغايات عند تناول وصف الجنود من طبقة الفلاحين. هذا « ستين دوفا » Sten Dufva الذى كان يظنه رفاقه معتوهاً، ولكنه استطاع منفرداً أن يدافع عن أحد الجسور وأن يدفع عنه العدو حتى جاءت نجدة تمكنت من رده.

وهــذا « مونتر » Munter الجندى الباسل الذى كانت شجاعته تنبعث من أعماق نفسه فى كثير من السذاجة والتواضع. وقد مات صريعاً فى ساحة القتال بانفجار قذيفة رماها أحد جنود الأعداء فتلقاها «مونتر» بيده ليردها إليه. وقد رثاه «رونبرج» فى ختام قصته بقوله: « لقد كان فنلندياً »

ويطول بنا الحديث إذا شئنا عرض صور البطولة المختلفة الأشكال والأوضاع التى رسمها الشاعر فى هذين الديوانين، وقد

كان طبيعياً أن يستهل « رونبرج » الجزء الأول منهما بقصيدة حماسية فى تمجيد وطنه والإشادة بذكره ، ننقل منها بعض شعرها للدلالة عليها . قال :

بلادنا ، بلادنا ، وطننا ،

دوّ عاليا أيها الاسم المحبوب ،

لا يوجد فى بلاد الشمال رواب ترتفع نحو السماء

ولا أودية تنخفض ، ولا شواطئ تغمرها الأمواج ،

أحب إلى القلوب من بلادنا

من أرض آبائنا

***

من يستطيع أن يحصى عدد المعارك

التى خاض غمارها هذا الشعب ،

عند ما كانت الحرب تستمر فى واد بعد واد ،

عند ما كان يحل البرد القاسى حاملاً معه الجوع المضنى

من يستطيع أن يحصر الدماء التى أراقها

وأن يصور شدة صبره على احتمال الأهوال

هذه هى « أقاصيص حامل الراية » التى يعتبرها الأسوجيون كأجمل ما كتب بلغتهم . وقد أخذ عليها بعضهم أن ناظمها تحرر فى بعض الأحيان من نصوص التاريخ فلم يحترمها ، بينما يرى البعض الآخر أن هذا النقد لا يحط من قيمتها لأن « رونبرج » إذا تجاوز ما قرره التاريخ فإنه لم يتعمد الحقيقة فكان صادقاً فى الصور التى رسمها والوصف الذى أجراه لنفسية الشعب الفنلندى وأخلاقه ومزاياه

(للبحث صلة) صديق شيبوب



هكذا تكلم هتلر !

[هذه القصيدة مترجمة من الانكليزية ، وهي تنطوي على دعاوى هتلر وأمانيه، منقولة على لسانه في تهكم لاذع]

طيب القلبَ ، محبٌ الـ   خير للناس ، أراني
فلماذا صار كل   الناس يرتابون مني ؟
كل فضل لي يسو   ء الناس بل ودّوا لو اني
مقصدٌ ، لم أسْدِ ما أسدَ   يت عن طيبة قلب

* * *

يتبع الألمان ما أو   حى بتفكير ولبس
بحماس حولَ التف   وا ، تخطى كل حدس
كلهم عاد بهديي   ملَكا في ثوب إنسى
كان هذا بعض ما أسد   يت عن طيبة قلب

* * *

هِمت بالسوديت فانـ   ضم إلى الحب الحبيبْ
وهفت برلين واستُنـ   شِد « غوبلز » الخطيب
وهوى (كورنك) تقبيـ   لاً على « روبنتروب »
فعلوا إذ فعلوا ذ   لك عن طيبة قلب

* * *

أنا حررت بلاد التشـ   شيك من حكم غشوم
وعليهم لم أزل أسـ   ـهر كالأم الرؤوم
منفقاً ما ادخروا بالـ   أمس من مال عقيم
كان هذا بعض ما أسد   يت عن طيبة قلب

* * *

عدت بالنمسا فأضحت   تحت ظلى تستفيء
و - كما قد حدثوني -   بنبوغي تستضيء
وهي ذي في قبضة الجسـ   تابو كالجدْي البريء
تلك مني منّة تفـ   صح عن طيبة قلبي

* * *

أسعد الحظ « السلو   فاك » فشاءوني خليلا
صرت أحميهم وأرمي   ملكهم كيلا يدولا
وعليهم أسبغ الجود   ولا أبغي بديلا
كان هذا بعض ما أسد   يت عن طيبة قلب

* * *

عمت الفوضى بيو   هيميا فتاقت لاحتلالي
وغدت « محمية » تنـ   عم في أحسن حال
وهي ذي اليوم « بفضـ   لي » مضربٌ للاعتقال
تلك مني منة تفـ   صح عن طيبة قلبي

* * *

ساءني تسويف « بولنـ   دا » بتسليم الممرَ
فشننت الحربَ لم   تبق عليها أو تذر
ويح قلبي ، كلما أذ   كر « بولندا » انكسر
غير أني قد شننت الـ   حرب عن طيبة قلب

* * *

عند إغراق « أثينا »   ساور البعض الهموم
فاتهم ما قاله من   قبل «صولون» الحكيم :
« يسعد المرء إذا ما   ت ويحظى بالنعيم »
فباغراقي لها أفـ   صحت عن طيبة قلبي

* * *

أكره الغاز فما استعـ   ملته في غزواتي
وكذا الحرب، فإن أحر   قتُ أطفال العداة
ولئن أغرقت من أسـ   طولهم بالعشرات
فأنا أفعل ما أفعل   عن طيبة قلب

* * *

لجَّ قلبي ببلاد الـ   أرض حباً واستعر
وتمنى ضمها فيـ   ـه وإشباع الوطر
أنا موهوب ، بوسعي   حكم مجموع البشر
وسأمضي لاحتمال الـ   مبء عن طيبة قلب

« بغداد »   (رسول)

الأدب في سير أعلامه

بـــيرون

ذلك العبقري المتمرد الذي غنى أروع أناشيد الحرية، ولاقى الموت في سبيل الحرية

للأستاذ محمود الخفيف



أرسل جورج بيرون إلى مدرسة صغيرة في أبردين وهو دون الخامسة ، ولكن أمه لم تطمئن إلى تعليمه فيها فعهدت إلى أستاذين بتعليمه في المنزل إلى جانب المدرسة وقد حبب إليه أحدهما التاريخ وعلى الأخص تاريخ الرومان، فراح يقرأ منه في غير ملل، وعلمه الآخر اللاتينية ، بينما أخذ يوحي إليه مبادئه الكلفنية ، والطفل يستمع إليه في ذلك مندهشاً متحيراً يتساءل في صمت كيف يقدر الشقاء على قوم قبل مولدهم، وما جريرتهم حتى يشقون وأي فرق بينهم وبين الذين قدرت عليهم السعادة ؟ ويستمع الصبي إلى مثل هذا في حديثه مع خادمته ماري ، حينما يسألها وهي تتلو الإنجيل قائلاً : وما ذنب قابيل قبل أن يقتل أخاه ؟ ويضيق حين تجيبه أنه قدر عليه الشقاء ، فيقول في غضب: وكيف يسأل عن جريمته إذاً ؟ على أنه يطرب للغة الإنجيل وإن لم يفهم أكثرها ويهتز قلبه لما يتخيله عقله الصغير من صوره

والصبي قوي الخيال يصور له خياله كل شيء ويلازمه ما يتخيل أينما ذهب ، وكانت صورة الشيطان الذي طالما حدثته عنه ماري تتملك لبه وتصحبه في الغداة والعشي ، فإذا ترك في مخدعه وحده نفت النوم عن عينيه صورة الشيطان حتى لتمتلئ الغرفة حوله بالأشباح ، وإذا أطل من نافذته وجد المقبرة القريبة منه ملأى بالشياطين من كل هيئة ومن كل طول وهي تتماثب وتتراقص

ويستمع الصبي أيضاً إلى أحاديث أمه وخادمته عن أجداده لأمه وأجداده لأبيه وكيف قرنت بالشر أيامهم فيعزو ذلك إلى أنه قد قدر عليهم الشقاء من قبل فكانوا من حزب الشيطان كما كان قابيل من حزب الشيطان ، ويخاف الصبي أشد الخوف أن يكون نصيبه من الحياة مثل نصيب هؤلاء وهو يرى من أثر الشيطان في خلق أمه ما يرى ثم يرى منه في نفسه ذلك العرج الذي ازداد ألمه منه حينما بلغ السابعة

ويعرف الصبي في المدرسة بحدة ذكائه بقدر ما يعرف بإهماله وانصرافه عن دروسه ، ويسمع منه معلموه عبارات يبدو بها أكبر من سنه ويدهشهم منه قراءته الخارجية التي لن يبلغ نصيبه منها عشرة من أقرانه مجتمعين ، وكان شغفه بالشرق عظيما فقرأ قصص ألف ليلة وليلة وألم بقدر كبير من تاريخ أمم الشرق ، وفي مقدمتهم الترك ، وكانت أمه على قصر ذات يدها لا تضن عليه بما يطلب من الكتب ، فكان يعد ذلك منها أكبر حسناتها إن كان ثمة لها غير هذه من الحسنات

وعرف شاعر الغد بحدة عاطفته وتمرده على القوانين والأوضاع الرتيبة ، وعرف كذلك باستعداده للنضال والهجوم إذا استفزه إلى ذلك أحد. عاد إلى منزله ذات يوم يلهث وفي وجهه آثار معركة، فأجاب على تساؤل خادمته عن هذا بأنه تربص بغلام كان أهانه فتوعده حتى وقع عليه في الطريق فأذاقه من بطشه وأتم حديثه قائلاً : « وكيف لا أنفذ ما توعدته به ؟ ألست بيروني النسب » ؟

واستقرت في أعماق نفسه الصغيرة مناظر اسكتلندة برواسيها الشامخات التي تجلل رؤوسها الثلوج وتعلو ببعض قممها على السحاب، وكانت هذه الأجرام الهائلة تهز نفسه وتستميله أكثر مما تفعل

الزهور والرياض وأشباهها من مناظر الطبيعة الهادئة الوديعة ...

وتفتح قلب الصبي للحب وهو فى الثامنة ، فقد رأى فى إحدى جولاته مع أمه ابنة أحد الفلاحين فأحبها حتى ما يطيق أن يفارقها؛ ولما فارقها على رغمه كانت تجيش نفسه وهو فى تلك السن بمعانى الوجد والحنين . . . على أنه ما لبث وهو فى التاسعة أن هام بابنة عم له هياماً استأثر بلبه ، فما يفكر إلا فيها وما يرى حسناً يقاس إلى حسنها ، وإنه ليحس إذا جالسها بما يملأ قلبه من معانى الوداعة واللين واللطف حتى لينسى عنفه وحدته أتم النسيان ، ولا يزعجه إلا خجله من عرجه ، وكم يتمنى أن لم تكن له تلك العاهة التى يعظم خجله منها أمام ابنة عمه مارى أكثر مما يعظم تلقاء غيرها من الناس ...

وكانت أمه توقن فى قرارة نفسها أن ابنها سيكون رجلاً عظيماً فى غده . ولعل مرد ذلك إلى ما تتمناه الأمهات عادة لأبنائهن، ولعل مرده إلى ما أخذته من عرافة ريفية نبأتها بما سيكون له من خطر فى غده . وها هى ذى الأيام توشك أن تحقق جانباً من نبوءة العرافة ، فلقد كان للورد الخامس فى الأسرة وهو شقيق جده حفيد هو الذى يرث اللقب من بعده فمات هذا الحفيد عام ١٧٩٤ فلم يبق بين الطفل واللقب إلا أن يموت ذلك اللورد الشيخ ، وما لبث أن مات ذلك الشيخ بعد ذلك بنحو أربعة أعوام ، فانتقل لقب الأسرة الوراثى إلى الطفل وهو فى العاشرة . وفرحت أمه أشد الفرح ولكن الطفل يتجه إلى المرآة ويسأل أمه عما إذا كانت ترى فيه فرقاً بين يومه أمسه لأنه لا يرى شيئاً من ذلك .

ولكن هذا اللقب سوف يكون عظيم الأثر فى حياة شاعر الغد وموقف المجتمع منه ، إذ سيكون من أهم ما توافق له من أسباب الإعجاب به وذهاب صيته فى الأوساط جميعاً

وتأهبت أمه لتذهب به من أبردين إلى حيث يتسلم ما ورثه مع لقبه الجديد من ثروة ، وكان الصبي يومئذ فى سنته الحادية عشرة ، ولقد عز عليه أن يغادر أبردين فيبتعد عن ابنة عمه مارى التى أحبها ذلك الحب الشديد وعن مناظر اسكتلندرة ، ويحرم مما بانت توحيه إليه شواهقها ووديانها، تلك الشواهق التى ألف تسلق جوانبها على الرغم من عاهته والتى زلت قدماه على سفح من سفوحها ذات يوم حتى أشرف على الموت لولا أن تداركه بعض من كان معه ، فلم يزده ذلك إلا تعلقاً بها وإقداماً على معاودة تسلقها

ورحلت الأم وولدها وخادمتهما ، وأحس الصبي أنه ينتزع نفسه من ملاعب طفولته انتزاعاً ، ولقد استقرت فى نفسه مناظرها وطيوفها ، وما أعظم ما سيكون لهاتيك الطيوف فى غد من الأثر فى شعره وخياله

وانتهى بهم السير فى نيوستد وحطوا رحالهم فى مهد الأسرة العتيق، فى ذلك القصر الذى أفنت جدره العتيدة السنين الطوال. ولشد ما أحبه الصبي وآنس فى هيكله وأبهائه وحجراته أحلاماً جديدة أضافها إلى سالف أحلامه ... وأقبل على الخدم يسألهم عما تقع عليه عيناه وعلى الأخص عن تلك الصور المعلقة على الجدران ... فهذه صورة اللورد التعس الذى ورث عنه الصبي ما ورث ، وتلك صورة أحد أجداده الذى أبلى أحسن البلاء فى الحروب الصليبية ومات فى الأرض المقدسة ، وهذه . . . وهذه... والصبي معجب بذلك كله إعجاباً شديداً وإنه ليزهى أشد الزهو بأنه اللورد الجديد الذى آل إليه ذلك القصر وما فيه جميعاً .

وغرس الصبي بيده شجرة هناك لتكون ذكرى له

على أن ذلك القصر لم يعد يصلح للسكنى بسبب ما أصابه من التخريب أيام ذلك اللورد التعس ، ولم يك لدى أم الصبي ما يتطلبه إصلاحه من المال ، ولذلك لم تلبث أن تركته وابنها إلى مدينة نوتنجهام ... واعتلج فى نفس اللورد الصغير الألم لفراق قصره السحرى ، الذى أمل أن يتسلى به عن مارى دف وقد شف قلبه الوجد لبعده عنها . ولقد كان عجباً أن يحبها مثل هذا الحب فى التاسعة وأن يأسى على فراقها هذا الأسى وهو بعد لم يتجاوز الحادية عشرة ، ويذهب بعض علماء النفس إلى أن مثل هذه العاطفة الباكرة بشير بنبوغ صاحبها غداً فى مجال الفن ؛ ويروى عن دانتى أحد شعراء الدنيا الأفذاذ أن قلبه النض نبض بحب بياتريس وهو لا يزال فى التاسعة من عمره .

(يتبع) **الخفيف**

الأدب في أسبوع

أسواق النخاسة

ما زلت أضحك إبْلى كلما نظرَت ... إلى من اختضبتْ أخفافها بدم!
أسيرُها بين أصنام أشاهِدُها ... ولا أشاهِدُ فيها عِفّةَ الصنم

هكذا يقول المتنبى فى صفة أصحاب السلطان الأدبى والسياسى من أهل عصره ، ولا يزال هذا ينطبق إلى اليوم على البلاد الشرقية والعربية إلا قليلاً قليلا. لقد أذكرتنى أشياءُ رَمَتْ إلى – ما كنت أسوس النفس على تناسيه ونبذه والتباعد عنه ، ولكن صِناعة الأدب هى من بين الصناعات أشدُّها التحاماً بالحياة ... لا ، بل بالأصول النفسية التى تقوم عليها وبها أسواق المجتمع الإنسانى ، وهى ترى بالأديب فى تنّور متسعّر من نزاع الغرائز والشهوات والأحقاد ، وهو بين اثنتين : إما أن ينحط فى هوى غرائزه التى تثيرها هذه النار الآكلة ، فيفسد بفسادها ، وإما أن يتحصن دونها ، فيروض غرائزه الوحشية ، حتى تألفَ وتنقاد لحكم العقل النبيل والعواطف السامية . فكذلك يوطن نفسه على الحرمان والألم والتفرد والوحشة ... ثم على الصراع الذى لا رحمةَ فيه ولا هوادة بين تضرُّم النزغات المستبيحة ، وبين زهادةِ النفس المتورعة المطمئنة . وكان أحق الناس بالتسامى ومطاولة الغرائز فى هذه الحرب الموقدة – الأدباء ، فالأدب فى أصله تنزيهٌ للنفس وكبحٌ من جماحها ، ورفق فى سياستها ؛ فإذا انقلب الأدب تضرية للوحوش الرابضة فى الدم من الطبائع والغرائز ، خرَج عن أصله وفقدت ألفاظه معانيها ، وصارت أسواق الأدب تعتمد فى معاملتها على البغى والظلم والعدوان والتهجم والاستبداد . وفقدت كل معانى الحرية والعدل والإنصاف والتمييز بين الخبيث والطيب ، وهى أصول الفطرة الأدبية السامية .

إن الأديب الحر ينتفض تقزُّزاً واشمئزازاً كلما انبعثت روح حقارة المجتمع من وراء الرِّمم الأخلاقية المموّهة بالنفاق ، والتى أقيمت عليها أصنام منصوبة للعظمة الباطلة الجوفاء ، وهو أشد انتفاضاً وانتقاضاً حين يرمى ببصره إلى الأدب والعلم وهذه المعانى السامية فيرى الأدباء والعلماء أذلاّء مستعبدين قد خضعت أعناقهم للحاجة والضرورة والبؤس، فهم نواكس الأبصار إلى الأرض بين يدى فئة منهم قد أخذوا عليهم أفواه الطرق المؤدية إلى بعض الرزق ، حين واتاهم القدر ببعض السلطان والجاه والسيطرة ؛ وأقامتهم الشهرة الذائعة أنصاباً تهوى إليها الأغراض ، وتناط بها الوسائل ، وتعتمد عليها الحكومات فى تقدير العلم والأدب وأهلهما والعاملين عليهما ، وكذلك لا يستطيع أديب أو عالم أو فيلسوف أن يجتاز إلا بإجازة من أيديهم وبأختامهم ، وإلا أن يشهدوا له شهادة التقدير ، وأن يعبُروا له السِّعر فى «تسعيرة» السوق الأدبى الذى أقامتهم الحظوظ عليه حكاّماً ومقوّمين

إن الشهرة والشهادة هما شيئان لا قيمة لهما فى العلم والأدب فبناء العلم على نجاح التجربة واستواء المنطق وإقرار العقل ، وبناء الأدب على صدق الإحساس وحدة الإدراك وسمو العاطفة وقوة الحشد وبراعة العبارة والأداء . فإذا لم تكن الشهرة من هذا تستفيض ومنه تَشرع ، فما غناؤها على صاحبها إلا بعض الأباطيل التى تنفش فى عقول الأمم الضعيفة والأجيال المستعبدة بالأوهام والتهاويل . والشهادة ما هى إلا إجازة الدولة لأحد من الناس أنه قد تحرّر من طلب العلم والأدب على القيود التى تتقيد بها المدارس والجامعات فى أنواع بعينها من الكلام ، وأنه قد حصل فى ورقة الامتحان ما فُرض عليه تحصيله بالذاكرة ، ثم ترفع الشهادة يدها عن معرفة ما وراء هذا التحصيل وما بعده وما يصير إليه من الإهمال أو النسيان أو الضعف أو الفساد . فحين يغادر أحدهم الجامعة حاملاً شهادته مندمجاً فى زحمة الجماعة تفقد الشهادة سلطانها الحكومى — أو هكذا يجب أن يكون — ولا يبقى سلطان إلا للرجل وأين يقع هو من العلم أو الأدب أو الفن ؟ وهل أصاب أو أخطأ ؟ وهل أجاد أو أساء ؟ وهكذا فهو لا ينظر إليه إلا مغسولاً غـفلاً من «مكياج» الدبلوم والليسنس والماجستير والدكتوراه ... وما إليها ، وإذَن ، فأولى ألا ينظر إليه عن شهادة قوم لم يكن سبيلهم إلى التحكم فى أسواق العلم والأدب إلا الشهادات المستحدثة ، والشهرة النابتة على حين فترة وضعف واختلاط وجهل كان فى الأمة حين كان أقل العلم وأشفُّ الأدب يرفعان صاحبهما درجات من التقدير والإجلال والكرامة

إن هذه التجارة التى تقوم على استعباد العلم والعلماء والأدب

والأدباء تجارة باغية ينبغى أن تفنى نخاستها وأن تغلق أسواقها ، وينبغى أن يتحرر الأدباء والعلماء المستعبدون قليلاً من أغلال الضرورات المستحكمة ليحاربوا بنى هذه التجارة بالنبل والسمو والترفع ، وليهتكوا تلك الأستار الحريرية الرفيعة المسدلة على بيوت الأوثان الجاهلية التى تستعبد الأحرار باستغلال ضراعة الضرورة والحاجة والفقر ؛ ينبغى . . .

وينبغى لكاتب هذا الباب الجديد فى « الرسالة » أن يرفع القلم عند هذا القدر الآن ، ويعود إليه بالتفصيل والبيان فيما يستقبل

معهد الصحراء بيت الحكمة

كتب صديقى « اسماعيل مظهر » — فى مقتطف يناير سنة ١٩٤٠ — كلمة بليغة يصف فيها « رهين المحبسين » ، محبس الصحراء ، ومحبس النسيان ، وهو معهد الصحراء القائم على مشارف الصحراء المترامية ، فى « مصر الجديدة » ، وقد شيده « الأسد المصرىّ » الملك فؤاد رحمة الله عليه من ماله خاصة ، ليكون مأوى للعلماء الذين يدرسون طبائع الصحراء ومعادنها وأجواءها ، ولكنه لم يتم بناؤه لما عرض من مرض الملك العالم ثم وفاته على شدة الحاجة إلى جرأته وإخلاصه وعزمه ، وإنفاذ هذا العزم بالبصيرة والحكمة والمثابرة

وكنت كلما صحبت أخى « اسماعيل » لبعض الرياضة ، تهاوينا إلى البيداء المقفرة الصامتة بأحزانها الحائرة ، وسرنا نتقاود في جوفها فترمى بنا أرجلنا إلى بناء شامخ قد أقعى على ربوة من الأرض كأنما يتجمع للوثبة ، ومع ذلك فما كاد أجد فى سمعى بيان هذا الأعجم الصموت، وهو يهمهم بأنّاته من ذلّ الوحشة والأسر والنسيان والخراب ، فأنشد « إسماعيل » قول الرضىّ : ولقد رأيتُ « بذى رهند » منزلاً

ألمّا من الضّرّاء والحدثانِ

أغضى كمستمع الهوانِ ، تغيّبتْ

أنصارُه وخلا من الأعوانِ

وكان هذا البناء المسكين همّة من هم الملك النبيل رحمه الله . ولقد سمعت أنه قد أحاطه بما يزيد على عشرة أفدنة ليقوم فيها ، وفى متنزهاتها ، وليؤدى أهله إلى صحراء مصر المجهولة حقها من الدرس والكشف والاستنباط

هذا ، وقد ضرع « إسماعيل » إلى خليفة « فؤاد » فى ملكه وعلمه وعزمه وبصيرته ، إلى « الفاروق » صاحب مصر الأعلى وحاميها وهاديها إلى الخير ، أن يتمّ ما بدأ الملك الأول من البناء ، وأن يعيد لملكه الزاهر تاريخ العرب والعربية فى عصر المأمون الذى أنشأ « بيت الحكمة » ، وجعله مستقر النقلة من العلماء الذين استوعبوا نقل حكمة « يونان » إلى اللسان العربي ؛ فأسسوا للعلم ملكاً لم يطاوله فى العصور إلا عظمة المأمون ... قال :

« ومعهد الصحراء — يا مولاى — عظيم متسع الأرجاء اتساع العقل الخالد الذى فكر فى إنشائه ، فهل نطمع فى أن يضم إليه بضعة علماء يقفون جهودهم على ترجمة علوم أوربا إلى اللغة العربية ؟ وفى مصر — يا مولاى — علماء أقعدهم النسيان عن العمل ومنعهم الخجل عن السؤال ، وعزّ عليهم أن يهينوا العلم باستجداء العطف. أنطمعُ — يا مولاى — أن تفيضَ عليهم من فضلك الواسع ما يسدّ حاجتهم من حطام الدنيا ، ليكونوا نواة لبيت الحكمة فى عهدك ، فيتركوا للأجيال القادمة آثاراً لا يبزها من حيث الأثر فى العالم العربى إلاّ عظمتك ، ولا يفوقها فى الجلالة إلاّ جلالتك ؟ »

وكل أديب وعالم ومفكر فى العالم العربي يضم صوته إلى صوت « إسماعيل » فى هذه الضراعة النبيلة إلى « وارث ملك مصر ، ومجد العرب » ، ويستيقن فى قلبه أن « الفاروق » سيحمى العلم والأدب بحماية ملكية ترفع عنه الظلم والاستعباد ، وتحرر العلماء والأدباء من غطرسة الأدعياء المتشدقين بقليل العلم ومنقوص الأدب ، مما أطاقوه وحملوه بفضل الرحلة إلى أوربا بضع سنين ، تزودوا فيها بالمعاشرة والمخالطة — لا بالدرس والمثابرة — بعض ما جهله أصحاب الفضل والعلم والأدب من قومهم لقعودهم بالضرورة والعجز عن مثل الذى ساروا إليه ، وهم بالعلم والأدب أقوم ، وعليه أحرص ، وطبائعهم إليه أشد انبعاثاً

الشباب والسياسة

فى يوم الخميس السالف (٤ يناير سنة ١٩٤٠) ألقى بهى الدين بركات باشا محاضرة عظيمة القدر درس فيها معنى « السياسة » وحق « الشباب » فى المساهمة فى أصولها وفروعها ، ودافع عن حرية الشاب فى أن يهتم « بالعمل العام الذى يتصل فى وقت من الأوقات بتسيير دفة الحكم فى البلاد » . وهذا هو تعريف السياسة عنده ؛ وبذلك يخرج منها النزاع الحزبى الذى شهدته السياسة المصرية خاصة ، على وجه من التنابذ والتمادى والتسفيه والاعتداء على حرية الفرد وحرية الجماعة . فإذا أخرج هذا الضرب من معنى السياسة أوجب العقل أن يكون لكل أحد الحق فى أن يشارك أصحاب الرأى فى آرائهم ، بل إن الشعور بالحرية

الفطرية توجب عليه أن يشارك بالرأى وأن يُضحّيَ فى سبيل المبدأ الوطنى العام الذى لا تقوم الدولة إلا بقيام معانيه فى أعمال الأفراد والجماعات، وقد ناقش المحاضر جماعة من الأساتذة ولكنهم فى مناقشتهم كانوا لا يزالون متأثرين بالمعنى (المصرىّ القديم) للسياسة ، وغفلوا عن الغرض الذى رمت إليه محاضرة المحاضر فى الفصل بين ما كان وما يجب أن يكون عليه معنى السياسة ؛ وكيف يشارك الشباب فيها بالرأى والعمل . والسياسة – كما قال عزام بك فى موقفه – لا يمكن أن تكون بحثاً فلسفيا مجرداً ، لأن الإيمان بعقيدة ما يقتضى التضحية فى سبيل الدفاع عنها، فإذا كانت السياسة عملاً قوميا يراد به المصلحة العامة ومجد الوطن ، فهى أمر يستحق كل تضحية. وأما إذا صارت السياسة إلى المعنى الذى شهدناه فى مصر من الخلاف الحزبى على مطامع الحكم فهى أمر لا يستحق أتفه التضحية

ونحن نعتقد أن الإنسان الحر لا يعرف معنى لهذا السؤال القديم : « هل ينبغى أن يشتغل الشاب بالسياسة أو لا ينبغى ؟ » فهو سؤال عليه سيماء الذل والعبودية ! إن كل أحد فى مصر وغيرها من بلاد العالم — شاباً أو شيخاً غنياً أو فقيراً — عليه دين للأرض التى تغذوه وتموله وتؤويه وتمده وتحفظ له نسله جيلاً بعد جيل ، وأداء هذا الدين لا يكون إلا عملاً فى حفظها وحياطتها والمدافعة عنها بالسلاح والعلم والعمل والفكر والنفس ، فإذا أخل أحد بشىء من ذلك خان أمانة هذا الدين وأسقط مروءته

وكيف يمكن أن يمتنع الشاب أو الطالب عن الاشتغال بالسياسة ؟ أيمتنع عن قراءة الصحف والكتب لئلا يعرض له الفكر فى ذلك والتمييز بين صوابه وخطئه والعمل على بيان مواضع الخطأ ومعاونة الصواب على الاستمرار ؟ أم يقرأ أخبار الأمم وأحداثها فإذا أقبل على أمر بلاده طوى الصحيفة واستغفر ؟ أم يقرأ ويقرأ ولا يكون إلا كالخزانة ، يُلقى فيها ما يلقى ليحفظ ويصان من لصوص الفكر التى يطلقها عقله فى آثارها ؟ أم يقرأ ويفكر ، ثم يحبس آراءه بين جدران الجمجمة إلى أن يذهب بها الإهمال ؟ وكذلك تضعف النفس وتصدأ وتتأكل ، لأن الإيمان والعمل بأمره هما جلاء النفس وصقلها لتبقى أبداً مشرقة .

إن الشاب – ولابد – مشتغل بالفكر فى السياسة، ونصرة مذاهب الحق فيها – كما هو – مشتغل بالعلم والأدب والفن ؛ ولكن الإشكال كله فى انفساخ القوة الخلقية التى يجب أن يقوم عليها العلم والأدب والفن والسياسة، وكل عمل ؛ فتربية الخلق أولّ، ثم ارموا – بالشباب – حيث شئتم : فإنهم عصام الشعب، وهم ذادة الوطن، وهم أصحاب المستقبل

المرأة والرجل

لشد ما اجترأت المرأة فى هذا العصر ! ! وإذا أخذت المرأة أسلحتها – من الزينة والتطرية والجمال والفتنة، وجيّشت غرائزها – من الحذر والحيلة والضعف والإغراء ، لم يبق للرجل إلا أن يستقتل أو يفر . . . وقد أقامت « وزارة الشؤون الاجتماعية » مناظرة بين الأستاذ « محمد فريد أبو حديد » والسيدة « زاهية مرزوق » وكان غرضها هو « كيف ننهض بالأسرة؟ » . والظاهر أن السيدة الكريمة قد اعتقدت فى قلبها معنى « حرية المرأة » بالإصرار والتعصب فأخذت تنتزع رجولة الرجل شيئاً فشيئاً حتى ليخيل لسامعها أنه مخلوق وحشى منطلق من كل قيود النبل، فهو عندها أنانى لا يؤثر على نفسه ، وهو معنى متجسم للفوضى فى بيت الأبوة والأمومة ، وهو جاهل متحامل على ضعف المرأة لا يرحمها ولا يحس بآلامها، وهو فاجر متوقح يستجر الأخطاء ويجنيها ثم يرمى المرأة بها وينسلّ منها

وأنا لا أريد الآن أن أدافع عن الرجل ، ولكنى أريد أن أسأل السيدة الكريمة ومن يذهبُ مذهبها من النساء : إذا كانت هذه صفة الرجل فى أنفسكن ، وإذا تحدثتن بمثله فبلغ الاسماع فى بيوت العقائل ، فوقع فى آذان الأم والزوجة، والفتاة الجاهلة الطياشة ، فاعتقدنه ومالت إليه أهواؤهن ، فبأى عين تنظر المرأة إلى زوجها والفتاة إلى خاطبها؟ وأيُّ معاملة يتلقاها الرجل بعدُ على أيديهن وبألسنتهن؟

كلا يا سيدتى ، إن المرأة هى تجنى أكثر الذنب فيما نعلم ، ثم تتنصل ، وهى كل الأنانية إلا أن يتصل أمرها ذلك بمصدر الأمومة فى غرائزها ، فهى عندئذ مثال الإيثار والتضحية ، ... وهى صاحبة الفضائل كلها إذا أُثيرت أمومتها وإحساسها بالمحافظة على النوع الإنسانى ؛ وأما بغير ذلك ، فهى المرأة بضعفها وأنوثتها وحاجتها إلى عون الرجل وتضحيته ورحمته . وليس للمرأة عمل إلا أن تعمل دائماً على أن تجمل الرجل فى عينيها تمام إنسانيتها، وبذلك تستصلح منه ما عسى أن يكون فاسداً ، وتتم ما وقع إليها ناقصاً ، ويبنى البيت — بيتهما — على أساس من القوة الداعية للبقاء، فمن الرجل الرحمة والإخلاص، ومن المرأة الاحترام والعفاف، ومنهما النسل الجيل المحفوف بالفضيلة من جميع نواحيه .

أبو العباس السفاح

لم تتسع كلمة هذا الأسبوع لتحقيق لقب السفاح أبى العباس عبد الله بن محمد أمير المؤمنين ، فأرجأنا ذلك إلى العدد القادم .

محمود محمد شاكر



دراسات فى الفن

هشت ... !

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

— هشت !

— ... ما قلة الحياء هذه ؟ أنداء هذا تنادينى به فى الشارع ؟

— وماذا أيضاً فى هذا النداء يغضبك ؟ إنه النداء الذى كان لا بد أن تلبيه . وقد لبيته

— ومن أين جاءك هذا التأكيد ؟ هل جاءك أنى تسميت أخيراً « هشت » ؟ أليس لى اسم تنادينى به ؟

— ومن أين جاءك هذا الاسم ؟

— سمانى به أبى ... ثقلت عليك التواقل ... ألست تعرف أن لى اسماً ؟

— أعرف أنهم يطلقون عليك لفظاً يعلمونك به بين سائر الناس ، وأعرف أيضاً أنك رضيت بهذا الاسم وسكت عنه ولم تعارضى فيه ، ولكننى لا أذكر أنك أخذت رأيى فى هذا الاسم وفى مدى صلاحه لك ، وفى قيمة المؤثرات التى أنتجته ، وفى تحديد ما كان من هذه المؤثرات طبيعيا، وما كان منها مصطنعا متكلفا...

— يا دين النبى ! أتريد أن نعقد المفاوضات فى هذا كله ، ثم نتفق على هذا كله قبل أن تنادينى باسمى ؟ من يدريك أننا قد نقضى العمر فى هذه المناقشات قبل أن نتفق على اسم كل منا ، فإذا فرغنا من هذا كنا قد أفرغنا قوانا فيه فلا نستطيع بعد ذلك أن نتحدث فى موضوع ما ، فإذا اجتمعنا بعد ذلك قلت لك وأنا ألهث من متاعب اسمى واسمك : تشرفنا يا من الله أعلم باسمك ، فتقول لى : « حفظتم » ، ومن يدرى فلعلك تسألنى : « ومن أين جاءك أننا تشرفنا » ؟

— هو هذا . فالاسم إذا لم يكن تعبيراً صادقاً عن المسمى كان اسماً كاذباً ، وقد اعتاد الناس أن يسموا أبناءهم عند ولادتهم وهم لا يعلمون من أمرهم شيئاً ولا من صفاتهم شيئاً فيسمون « عفيفاً » من قدر الله له أن يكون « دنيئاً » ويسمون «مؤمناً» من قدر له الله أن يكون « كافراً » ... ويسمون مايشاءون، ولله فى عبده أسماء وعلامات قد تتفق مع أسمائهم، وقد لا تتفق وكان يمكن للأسماء جميعاً أن تتفق مع مسمياتها ولو فى الظاهر، إذا لم يتعجل الناس ويسموا أبناءهم، وإذا تريثوا حتى يقضى كل فرد حياته المقسومة له فى الدنيا فينظروا فيها ويستخلصوا منها الوصف الذى غلب عليه فيسموه به ... هذا هو ما كان يجب أن يحدث ولكن الناس متعجلون ، وقد رأوا أن الله وهب لهم ميزة النطق فاستغلوها بالحق وبالباطل ، وأعملوا فيها عقولهم ، وراحوا يخترعون الألفاظ والكلمات ليقضوا بها حاجاتهم العاجلة ، ونسوا أن القدر الذى هيأ لهم النطق قد هيأ لهم اللغة ... أوهم قد حسبوا أن أمر اللغة هذا موكول لهم فحرروا تصرفهم فيه ، ولم يقيدوه إلا بإرادتهم ، وإرادتهم كانت فى البدء سليمة ، ولكنها أخذت تتهلهل وتتمزق وتتشعب فأصبحوا يريدون مالا يصلح أن يكون موضع إرادة، أو متجهاً لرغبة، فبدأوا منذ ذاك يخطئون الكلام، حتى تفرقوا شعوباً لكل شعب إرادة ، فتبلبلت ألسنتهم وأصبح لكل شعب لسان ، وما فى هذه الألسنة جميعاً من كلام ما أنزل الله به من سلطان ...

— يخيل إلى أنك كنت تفضل أن يكون الإنسان حيواناً صامتاً

— بل كنت أفضل أن يتكلم الناس كلهم لغة واحدة ... فقد خلقهم الله ناطقين وليس عليهم أن يصمتوا بينما أراد الله بهم أن يسبحوه بكرة وعشياً ...

— ولماذا لا تدعو إلى الاسبرانتو ... ما دمت تريد أن يتكلم الناس جميعاً لغة واحدة ...

— الاسبرانتو لا يمكن أن يتعلمها الناس إلا بالتلقين فى المدارس ، أما اللغة التى أطلبها فلغة ينطق بها الناس أينما كانوا من تلقاء أنفسهم بلا معلم ، ويفهمها الناس أينما كانوا من أنفسهم بلا معلم أيضاً ...

— وهل هذا ممكن ؟ أو أنت لم يعد يريحك إلا أن تشرئب إلى المستحيل ؟

— إن الذى أطلبه ممكن وممكن ؛ بل إنه أكثر إمكاناً من الممكن ، فهو كائن وحادث

— فى أى عالم كان هذا وحادث ؟ فى أى دنيا وفى أى أرض ؟

— فى أرضنا ودنيانا هذه ، ولكن ليس فى عالم البشر ، وإنما هو فى عالم الحمير ، وفى عالم الخراف ، وفى عالم القطط ، وفى عالم الكلاب ... فى هؤلاء العالمين وفى غيرهم . هات قطاً من أمريكا، وهات قطاً من أفريقا ، وهات قطاً من أوربا، وهات قطاً من حيثما شئت، واجمعها فى صعيد وانظريها واسمعيها وهى تموء وتقول « نو » ثم قولى لى بعد ذلك أرأيت أنها تتفاهم أم لم ترى ؟ أما أنا فأقول لك إن كلا منهما يفهم صاحبه ، ويعرف ما الذى يريد وما الذى ينزع إليه ...

— إن كل قط يراقب حركات صاحبه فيعرف منها الذى يريده

— اخفى القط عن صاحبه تري أنهما لا يزالان يتفاهمان

— بأى شىء يتفاهمان ؟

— بلغة القطط

— وهل للقطط لغة ؟ أنا لم أسمع قطاً يقول غير « نو » ، فإذا فرضنا أنها لفظة فهل يمكن أن يقال عن اللفظة الواحدة إنها لغة ؟

— إنها لغة، وإنها لغة كاملة، والقطط فى الحياة الطبيعية تقضى حاجاتها جميعها بها ، وهى على هذا الفقر والجدب الذى تربنه تحتفظ بمكانة لا بأس بها بين لغات الأرض ، فالنسبة بينها وبين اللغة الصينية كالنسبة ما بين ١ ، ٣٠٠٠ أو ٦٠٠٠ وهو أقصى إحصاء لاقانى للغة الصينية ... وهذه نسبة تذكر من غير شك وتستحق التأمل من غير شك ... فليس هيناً أن يكون شعب من الشعوب عتيقاً مثل الشعب الصينى ، ولا تتباعد النسبة بين لغته ولغة القطط أكثر من هذا البعد الطفيف . والنظرة التى أنظر بها أنا إلى الشعب الصينى هى نظرة إجلال وإكبار، فأنا مؤمن بأنه شعب مغرم بالقداسة والطهر والاتجاه بالنفس إلى إرضاء سنن الطبيعة المتطورة المرتقية التى سنها الله، وهذا هو السبب فى أن اللغة الصينية لا تزال قليلة الكلمات إلى جانب غيرها من اللغات ، فإن أهلها لا يحبون الثرثرة ويستغرقون فى التأمل طويلاً ، يبحثون عن أنفسهم ، وهم لا يتكلمون إلا فى الضرورى من الحاجات ، وضرورياتهم الخاطئة قليلة إلى جانب ضروريات غيرهم الخاطئة العاجلة ...

— إذا وافقتك على أن الميل إلى الصمت والاستغراق فى التأمل هما السبب فى قلة الألفاظ عند الصينيين فلا أظن أنى أستطيع موافقتك على أن التأمل هو السبب فى قلة الألفاظ عند الحيوان ...

— لماذا لا يكون هذا هو السبب ... أتنكرين على الحيوان أنه يتأمل وأنه يتفكر ؟ ... من التعسف الشديد أن تقول هذا ، فالحيوان يتأمل ويتفكر ، ويبدو عليه ذلك ، وإن للحمار والحصان إطراقة بينة ولهما ممان ، وقد أحس بعض الشعراء والأدباء والفنانين الصادقين هذه المعانى فناجوا الحيوان ... أفكان هؤلاء مجانين فنانين أصحاب خيال ؟ طيب ، وما رأيك فى سيدنا سليمان الذى كان يكلم الطير والدابة ... أفكان هذا نبياً وكانت هذه معجزة ؟ طيب ، وما رأيك فى مدربى شركات السينما الذين علموا رن تن تن وغيره من النجوم الحيوانات التمثيل ؟ أليس هؤلاء ممن يتفاهمون مع الحيوانات ؟ إن التفاهم مع الحيوانات ممكن ، وإن للطبيعة لغة ! وإن من المخلوقات ما لا ينطق إلا بما توحيه الطبيعة من الكلمات والألفاظ ، وإن منها مايثرثر ، وليته يثرثر فيما ينفع ... ثقى أن الإنسان لو كان قد صبر حتى تعلمه الطبيعة الكلام لكان قد اهتدى إلى ألفاظ ينادى بها الجاد فيلبيه

— الجاد الجاد ؟

— الجاد وما هو أجد . ألم يقل الله فى قرآنه إن هذا القرآن لو قرئ على جبل لاندك ؟

— والقرآن عربى

— وهل قلت لك إنه لاتينى أو يونانى ... ولكن اذهبى واقرئيه على جبل وانظرى أيندك أم تندكين أنت ؟ إن الذى يدك الجبل هو القرآن العربى لو قرئ بالروح والإرادة

— ولكن اللغة التى كنا نتحدث عنها لغة قلت لى إن لها ألفاظاً

— وهل أنكرت أنا أن هذه الألفاظ عربية ؟ ! إنما الذى أنكره هو أننا ننطق هذه الألفاظ من أعماقنا ... أقول لك هذا وأذكرك بأن فى القرآن ألفاظاً لم يعرفها العرب قبل القرآن

— تريد السندس والاستبرق وما إلى ذلك ؟

— لا . فهذه من صنع الناس أيضاً ... وإنما أريد : « كهيعص » ، و « حم » ، و « يس » ، و « طه » ، و « الر » وما إلى ذلك ... هل تعرفين معانى هذه الألفاظ ؟

— لقد اختلفوا فيها أيما اختلاف ... فهل اهتديت أنت إلى معانيها ...

— ليتنى أعرف معنى إحداها ، من يبيعنى « يس » بليسانس الآداب ودبلوم التربية ؟ ! هاتين الشهادتين اللتين لا تشهدان على شىء إلا الاطلاع على ما قال القبمترى وما قالت مونتسورى ! هف ! أريد أن أتكلم يا رب ... ولكنى أحرك شدقى وأصوت فيتعثر لسانى فى حروف صفها أجدادى بعضها إلى جانب بعض . هل سمعت حيواناً يتلعثم ؟ هل سمعت يوماً ثوراً أراد أن يقول

« بع » فقال « كم » أو قال « سع » ولكن الناس يتلعثمون فلماذا يتلعثمون ؟ ولماذا لا يتلعثمون إلا عند ما يلتفتون إلى أرواحهم وأنفسهم عند التدبر أو عند الحذر ؟ أليس ذلك لأن هذه الألفاظ التى نصطنعها ليست من الطبيعة فى شىء وأنها تفلت منا مالم نوجه إليها انتباهاً خاصاً ؟ أليس كذلك ؟ ..

— إن هذا سبب لا يمكنك أن تقطع بأنه السبب

— إنى أعلم هذا ، وأعلم أيضاً أن كل ما قلته لك لا يمكننى أن أقطع به ، كما أعلم أن القطع به يحتاج إلى تجنيد علماء النفس ، وعلماء اللغات ، وعلماء كثيرين غير هؤلاء يتقصون ويدرسون ويشاهدون ويجربون ويقضون فى بحثهم هذا السنين ، وربما القرون . وقد ينتهون إلى تكذيب هذا الكلام وتسخيفه ، ولكن ليس معنى هذا أن أحداً من الناس يستطيع منذ الآن أن يرفض هذا الكلام ، فرفضه يحتاج إلى تفكير مثلما يحتاج إلى التفكير قبوله ، وإن مس من القرائن والأدلة ما يحتاج إلى جهد قبل تحطيمه ...

— علىّ منها بدليل وقرينة

— أما دليلى على أن للطبيعة لغة تعلمها للناس فإجماع الأطفال فى الدنيا كلها على نداء الأب بقولهم « بابا » وعلى نداء الأم بقولهم « ماما » ... ولا تزال اللغات تحتفظ بالباء أو ما يشبهها فيما أطلقت على « الأب » من أسماء كما لا تزال تحتفظ بالميم وما يشبهها فيما أطلقت على « الأم » من أسماء .. أما القرينة ..

— إن الأطفال يقولون بابا و ماما لأن الباء والميم حرفان مفرقعان من حروف الشفتين ، وحروف الشفتين هى أسهل الحروف وأسرعها إلى الخضوع والانسياق للانسان

— طيب ، ولماذا لا يخطىء طفل فيقول لأمه « بابا » ولأبيه « ماما » ؟ هل يعلمه أحد هذا ؟ الطبيعة تعلمه إياه . وفى لفظة « ماما » ما يشبه حركة الامتصاص والرضاعة ، وإن فى لفظة « بابا » ما يشبه الاستنجاد بقوة الأب ...

— صحيح أو كأنه صحيح .. وكنت تريد أن تستشهد بقرينة ...

— نعم . إن الأرض فى اللغة العربية اسمها « أرض » ، وفى اللغة الإنجليزية اسمها earth وهى تنطق إرث و« الإرث » فى اللغة العربية ما يورث ، والإرث فى الأديان جميعاً هو الأرض أورثها الله للانسان ... واللغة العربية بعيدة كل البعد عن اللغة الإنجليزية ، وعلماء اللغات يوسمون الشقة بينهما ، فلا بد أن تكون كلمة الأرض وكلمة earth مما علمته الطبيعة للناس اسماً للأرض ، لأن هذا التشابه لا يحدث إلا فى هذه الحالة ، أو فى حالة أخرى ، وهى أن تكون لغة من هاتين اللغتين قد أخذت هذه الكلمة من اللغة الأخرى وهذا يستبعد أن يحدث فى اسم الأرض التى هى أم الناس جميعاً والتى يعرفها الناس جميعاً ، والتى لا يمكن أن يظل شعب من الشعوب غافلاً أو عاجزاً عن تسميتها ، حتى يأخذ اسمها عن غيره

— وماذا أيضاً ؟ ...

— ليس علىّ أن أصل بك إلى نهاية الطريق ، بل يكفينى معك أن أشير إليه ، فاسعى إذا شئت ، ولكل إنسان ما سعى .

— وهبنا وصلنا إلى هذه اللغة الطبيعية التى تقول عنها . فماذا نصنع بها أكثر مما نحن صانعون بلغاتنا ...

— أول ما يحدث أن ينمحى من الدنيا الكذب ، فكلمات الطبيعة لا يلفظها إلا الطبع ... عندئذ يستطيع الإنسان أن يستمع إلى صاحبه بأذنه فقط ، وألا يتفرس فى وجهه بعينه ، ليرى مدى ما ينطبق كلامه على ما يختلج فى نفسه ... عندئذ ستنكشف الأنفس وتخاطب الضمائر الضمائر ... فإذا قلت لك « هشت » ...

— قلت لك « كش » ...

— فقلت لك « هم » ...

عزيز أحمد فهمى



بعد الأوان ...

للأستاذ محمد سعيد العريان

يا لله ! وفي الدنيا هذا الجمال ؟

فتاة ، وما أعرف مثلها فيمن رأيت !

أتراها كانت تعرف أين هي من أحلام فتيان الحي ؟

وكان لها من جاه أبيها جمالٌ إلى جمال ، فاجتمعت لها أسباب الفتنة والإغراء ...

ورآها صديقي فتبدّل غيرَ ما كان ، وإنه لشاب وإنها لفتاة ، ولكنها ... ولكنه ...

وجاءني ذات مساء وفي عينيه دموع ... يا لي مما أرى ! صديقي يبكي ! هذا الذي كنت أظنه لا يحمل من هم الدنيا إلا مثل ما تحمل نمله من تراب الأرض ! يا عجباً !

وفتحتُ له صدري فآوى إليه ، ومضى يحدثني بخبره

* * *

« ... وما يليق أن أبقى بعد اليوم عَزَباً ... وقد جاوزتُ الخامسةَ والعشرين ! »

وابتسمْت ؛ فما سمعتُ صديقي يتحدث قبلُ عن الزواج بمثل هذا الوقار المحتشم . لقد استطاعت امرأة واحدة أن تحمله على رأي لم يكن واحد من أصحابه جميعاً يستطيع أن يحمله على الإيمان به . ويا طالما قلنا ويا طالما أجاب ... !

ومضى صديقي في حديثه :

« وأجمعت أمري على أن تكون لي ؛ فما يرضيني أن لي بها كلّ متاع الدنيا . لقد وجدتها ، وهي حسْبي من دنياي !

«وراح الرسول عن أمري بؤامرها ويرود لي الطريق؛ وكتم عنها اسمي وخبري ومكاني بين الناس ؛ فما كان إلا أن سألته : وكم جنيهاً يقبض في كل شهر ؟

«وأجابها الرسول بما أجاب، فضحكت ساخرة وقالت: اثنى عشر جنيهاً ؟ يا له من عروس! فكم يعطى الطباخ وكم يعطى السوّاق ... ؟

« وعاد إليّ الرسول بجوابها ... ! »

وأطرق صديقي برهة ، ثم رفع رأسه وشفته تختلج وفي عينيه بريق . وابتسمتُ ثانية ، وقلت : فما غضبك يا صديقي مما قالت ؟ إن لها في الحياة ميزانها الذي تقيس به أقدار الرجال ؛ وإن للحياة موازينها ؛ فما ضرك أن تكون في ميزانها ما تكون وأنتَ أنت. إن معك الشباب والقوة ، وإن لك غداً يبتسم ويرفّ ، وإن دماً في أعراقك يتحدث به التاريخ ؛ فهل يخدعك عن كل أولئك أن فتاة تقول ... ؟

وأمسكتُ عن تمام الحديث ؛ فقد رأيت في عيني صاحبي ما قطعني وردّني إلى الصمت !

وعاد إلى حديثه :

« وددت يا صاحبي لو لم يكن كل أولئك وكانت هي ... ؟ »

ورأيتني منه على حال لا يجدي معها إلا أن أسكت ؛ فسكت !

وودّعني صديقي بالوجه الذي لقيني به ، ومضى لشأنه

* * *

يا لقلوب الشباب من سلطان الحب !

ولقيته بعد ذلك مرات ؛ ولكنه كان شابًّا غير مَن أعرف هذا الذي كان لا يعرف من فروض الحياة على الحي إلا أن يبتسم ويضحك ، ويعبث بكل شيء ، ويسخر من كل شيء — قد عاد في عبوسه وزمّته وصرامة نظرته إلى الحياة خلْقاً آخر ! يا عجباً ! أين ما صار مما كان ؟

تمرُّ به الجميلة الفاتنة قد أخذت زخرفها وازّينتْ ، فما تظفر منه إلا بالنظرة العابرة !

ويسمع النكتة البكر تضجّ لها جنبات المجلس بالضحك والتهليل فما تنال منه إلا بسمةً خاطفة !

وتتداعى أمانيُّ الشباب في معترك الحديث من حوله فما تسمع منه إلا أنّةً خافتة !

ويتبارى الفتيان فيما يحكون من أقاصيص الحب وغزوات الشباب فما ترى على وجهه من دلائل يقظة الوجدان إلا سَبْحة لطيفة من سبحات الذكرى، ثم خفقة طرف وخلجة شفة!

ثم يسمع أحاديث الزواج والخطبة ... فتراه كما ترى جنديًّا في إجازة يتلقى أخبار معركة حربية مظفرة وبينه وبين الميدان أبعاد وأبعاد!

ترى ماذا يتوقع أن يسمع؟

شيء واحد لم يُغيِّره الزمن من أخلاق صاحبي: هو سخاء يده؛ فما عرفتُ في أصحابي من قبلُ ومن بعدُ أكرم يداً منه بما يملك!

***

وترادفت الأعوام، ولم يتزوج صديقي ... ولم تتزوج صاحبته!

أتُراها كانت تعلم من خبره ما أعلم؟ ومن أين لها؟ ... إن لصاحبي من الكبرياء ما يمنعه أن يلتمس إليها الوسيلة بعد ما كان ... وإن ... وإن الخطاب لتزدحم أقدامهم على بابها فما تعرف كم ردّت بالخيبة والخذلان!

أم تراها تعرف اسمه؟ ... هذا الذى لا تذكر من صفاته — إن ذكرتْ — إلا أنه شاب يبلغ دخله فى الشهر اثنى عشر جنيهاً، بعثَ إليها مرة يخطبها فردَّته ... وكم فى خدمة الدولة من شبان يبلغ دخلُهم ما يبلغ دخلُه؛ وحسبه هذا تعريفاً بين آلاف من النكرات!

ولكن صديقي اليوم فى منصب رفيع. لقد سما به جده وعمله إلى ما لم يبلغ أحد من نظرائه! أتُراه يوازن اليوم بين ماضيه وحاضره؟

***

لقد مضى منذ تلك الليلة التى زارنى فيها صديقي زيارتَه خمس عشرة سنة!

يا ه ... ! ما أسرع ما تمرّ السنون! ... أين أنا اليوم مما كنت يومئذ؟

لقد كنتُ يومئذ فتًى فى باكر الشباب، لم يجر حدُّ الموسى على عارضه بعد؛ وإننى اليوم لزوجٌ وأب، وإن فى رأسى لشعرات بيضاً ما إن يخفيها ميلُ الطربوش ولا صنعَةُ الحلاق! ...

وصديقي لم يزل عزباً ... صديقي الذى كان يخشى أن تفوته سن الزواج، منذ خمسَ عشرةَ سنة!

أين هو اليوم؟ وأين حاضره من ماضيه؟

لقد ضربتْ بينى وبينه ضرباتُ الدهر فلم ألقَه منذ أعوام. وددت لو أعرف من خبره!

***

وخرجت أمس من دارى على ميعاد. فإنى انى طريقى إذ لقيته! يا للحظ!

وأقبلتُ عليه وأقبل عليّ؛ وهممت أن أسأله حين بادرنى بقوله: «إننى أدعوك بعد غد إلى دارى ... ...»

— تدعونى؟ ...

— نعم، لقد اتفقنا أن يكون الزفاف بعد غد!

— بمن؟

— وهل حسبتنى أرضى يوماً أن لى بها كلَّ متاع الدنيا! إنها هى ... لقد ضرب القدر بيننا موعداً فلم يخلفه. إن لكل شىء أوانه!

***

... وكما جلس صديقي منى مجلسه ذات مساء، منذ خمس عشرة سنة ليحدثنى بخبره — كان مجلسه الليلة منى ...

وكان فى عينيه بريق غير البريق، ولصوته لحن ورنين، وفى عينيه دموع؛ وكانت الكلمات ترتعش على شفتيه؛ لأن فيها نبضات قلب حى. وصعّدت نظرى إليه؛ فرأيت فى فوديه شعرات سوداء فى شعر أبيض، كأنما كانت لتشير إلى أنه ما زال هنا بقية من شباب.

ومضى صديقي فى حديثه ...

«... ولم يعد إليها رسولى منذ كان ما كان؛ وما عرفت اسمى ولا جاءها خبر من خبرى بعد؛ وكأنما كان يد خرها لى

القدر ؛ فلم تتزوج ، وارتد الخطاب جميعاً عن بابها مخذولين ، وآن الأوان ... ...

« هل جاءك يا صديقي أن مرتبي اليوم في الحكومة ثلاثون جنيهاً في الشهر ، غير ما أكسب من أعمالي الخاصة ؟ ... ... وبعث إليها رسولاً آخر يؤامرها للمرة الثانية ... »

وضحك صديقي ضحكة مرحة ، ثم عاد يقول :

— أتذكر ليلة جلست إليك أحدثك مثل حديث الليلة ، منذ ... منذ كم ... ؟

« ... وقالت للرسول وقال لها ؛ ثم سألته : وكم دخل صاحبك في الشهر ؟ فأجابها ... وكان القدر قد هيأ أسبابه ، فأجابت ... وزرتها من بعد ، وتم الاتفاق ! »

قلت لصاحبي :

— فهل عرفت هي أنك أنت أنت ؟ ... هل عرفت أنك سميت لخطبتها مرة منذ خمس عشرة سنة فردتك ؟

فقال :

« وماذا يعنيني ، عرفت أو لم تعرف ؟ حسبي أنها اليوم لي ؛ وأن ما أردته قد كان ! »

***

ووجد المسكين تعبير رؤياه بعد خمس عشرة سنة من عمر الشباب ، ووجدت تعبير أمانيها . وباعت المسكينة شبابها وشبابه بثمن بخس ، حين تأبت عليه ، ومعه حرارة الشباب ونضارة العمر وسعادة الحب لترضاه من بعد وهو شباب مدبر ، ونجم آفل ، وشعلة إلى رماد ! ...

محمد سعيد العريان



قيصر ستالين الرهيب

[ملخصة عن مجلة « پارید » الانجليزية]

كلما مرت الأيام زادتنا اعتقاداً بأن حالة روسيا الاشتراكية اليوم ينطبق عليها المثل الذي يقول : « تتغير وحالها لا يتغير » ويقول (هارولد وني) في مجلة (نيويورك مجازين) : « كانت روسيا القيصرية فيما مضى توصف بأنها ولاية يحكمها طائفة من السفاحين » ووصف كاتب بلاد السوفيت في عهدها الحديث فقال : « هي دولة بيروقراطية يأتمر بها زمرة من الجلادين » . وهذا قول صحيح إلى حد بعيد ، إذا أعدنا إلى الذاكرة عملية التطهير الكبرى التي اجترمت في روسيا ما بين عام ١٩٣٦ وعام ١٩٣٨ . أما اليوم فقد نكون أقرب إلى الدقة والصواب إذا قلنا إن النظام الحكومي الذي تسير عليه روسيا الآن ، هو نوع من الحكم الاستبدادي الشرقي القديم

فروسيا يحكمها رجل واحد هو « جوسيف ستالين » ينفذ إرادته المطلقة فيها بطريقة لم تتح للقيصر في جبروته ، بل لم يظفر بها هتلر ، وذلك أن النظام السوفيتي متوغل في حياة الشعب الداخلية والخارجية ، بطريقة لم يسبق لها مثيل في حياة الإنسان

ومن ثم كان من السهل على « الكرملين » أن يعلن الرأى النهائي في السياسة العالمية — ما بين عشية وضحاها — كما فعل في الوقت الأخير إذ أعلن فصم العلاقات الروسية بالأمم الديمقراطية الغربية وارتباطها بألمانيا . ففي مقدور ستالين أن يتصرف كيف شاء في سياسة روسيا الخارجية . ولا يجسر أحد أن يرفع صوتاً ما بمعارضته بحال من الأحوال

فروسيا وإن كانت تعد من الناحية النظرية أمة ديمقراطية ، بعد أن كانت — نظرياً — تحكم حكما دكتاتورياً بواسطة الطبقة العاملة ، فهي في الواقع لم تكن قط في هذا ولا ذاك . قد يكون لينين ورفاقه يرمون إلى قيام دكتاتورية من العمال ، وقد يكون في دعوى نظام الديمقراطية الروسية عام ١٩٣٦ شيء من الإخلاص

إلا أن التجارب التي اكتسبها الاشتراكيون بسلطتهم المطلقة قد أقنعتهم بأن الشعب الروسي يجب أن يقاد ، يجب أن يقهر ويقبض عليه بيد من حديد. فأصبح لينين دكتاتوراً ولكن بعقله وأخلاقه قبل أن يكون دكتاتوراً بقوته وجبروته

وقد تولى ستالين الزمام بعد لينين ، فصار دكتاتوراً مطلق الحرية أكثر مما كان لينين . ويرجع نجاح ستالين كحاكم مستبد منقطع النظير في العصر الحاضر ، إلى خبثه الزائد واستهتاره الذي لا حد له

ولعل قوة البوليس في روسيا هي المصدر الحقيقي لنفوذ ستالين والبوليس الروسي يقوم على نظام لا يتفق مع العقلية الأوربية على الإطلاق ، وهو يقوم بأعمال واسعة النطاق في التجسس وسفك الدماء ، وتشجع السلطة السوفيتية التجسس بين أبناء الشعب حتى أن الجار في روسيا يتجسس على جاره والشخص يشي بأفراد عائلته ، وقد تصل بلاغات البوليس إلى حد الاختراع ويضيع بسببها كثير من نفوس بريئة

فكل إنسان في روسيا اليوم خاضع لستالين ، وفي اللحظة التي تقع فيها الشبهة على إنسان يختفي أثره من الوجود

على أن ستالين لا تعوزه الوسائل التي يستحوذ بها على الرأى العام في روسيا. فهو يضع تحت يده الصحافة عامة والإذاعة والمسرح والسينما وكل ما عدا ذلك من وسائل التعبير . فإذا أراد أن يطلب كلمة الرأى العام في المساء كانت بين يديه في الصباح بغير كد أو عناء

فإذا نظرنا إلى ضحايا ستالين من النفوس ، وإلى اليد الحديدية التي استولى بها على الشعب الروسي أفراداً وجماعات ، أيقنا بأن الحاكم المستبد المعروف باسم « قيصر إيفان الرهيب » لم يكن شيئاً إلى جانب ستالين

التحالف الدولي لأجل السلام

[ملخصة عن « وسترن ميل » نيوكاسل]

منذ بضعة قرون خلت خربت أوربا ، وشطرتها الحروب باسم الدين وتأرثت نيران القتال بين البروتستانت وبين الكاثوليك في سبيل السيادة والسلطان ، وعادت حروب الأمر التي كان يثيرها الملوك والأباطرة ، إذ كانت الشعوب تعامل لديهم كالرهائن ، فانصرفت إلى تلك الناحية القائمة على التعصب الديني ، وصار كل يعمل من جانبه لإيقاع الشر بالآخرين ، بدعوى أنه يؤدي واجبه نحو الله ، بدفع أعدائه إلى الجحيم

وفي القرنين السابع عشر والثامن عشر ، بدأت تظهر فكرة الوطنية ، وأخذ التنافس يدب بين الأمم الأوربية في سبيل السيادة

فيما وراء البحار ، فزالت فكرة الحروب الدينية ، وخلفتها حروب أخرى قائمة على الغلبة ، والمنافسة فى التوسع التجارى ، وإفساح الطريق أمام المهاجرين

ومن ثم تغيرت صفة الحرب، فلم تعد آلة لتنفيذ شهوات الحاكمين أو سلاحاً يشهره رجال الدين لنصرة مذهب على مذهب آخر، فهى وسيلة للحكومات الوطنية التى تسعى وراء التوسع والسلطان .

فما هو الدرس الذى يمكننا أن نستخلص من هذا ، للحالة القائمة فى أوربا اليوم ؟ إن المشاغبات الدينية التى كانت تقع فى أوربا فى القرن السادس عشر ، والقرن السابع عشر ، أصبح لها مشابه فى مبادئنا السياسية اليوم . فالدكتاتورية والفاشية والبلشفية والديمقراطية لكل منها دعاتها المتعصبون لها ، الراغبون فى فرض نظامهم السياسى على الأمم الأخرى

نحن نؤمن بالديمقراطية، بل ونحن على أتم استعداد للدفاع عن نظامنا الديمقراطى المتيد، ولكننا لا نرى معنى لفرض هذا النظام على أمة أخرى. فنحن على ثقة بأن الديمقراطية سيكون لها الفوز فى كل أمة فى النهاية ، لأنها خير الأنظمة الحكومية وأليقها بينى الإنسان

فإذا كنا نحارب ألمانيا اليوم ، فنحن لا نحاربها لقسوة الحكومة النازية وظلمها ، فهذا شأن من شئون الألمان ؛ ولكنا نحاربها لاعتدائها على بولندة وتشيكوسلوفاكيا ، فإذا رد الشعب الألمانى إلى هذه البلاد استقلالها كان من السهل أن نضع يدنا فى يده ، وأن ندخله معنا فى تحالف دولى عام

إن النازية سوف لا تتفق معنا على مثل هذا التحالف ؛ ولكن الشعب إذا أعد نفسه لقبول هذه الفكرة التى لا بد منها لإقرار السلام فى العالم ، لن يقوى هتلر على مقاومته ، ولا يقف أمام إرادته ، بل يختفى أثره ، وتذهب مجهوداته أدراج الرياح

كيف نضطلع بأعباء الزواج

[ملخصة من مجلة « يو »]

نحن نقبل الزواج فى العادة لأننا نريد أن نشبع فى أنفسنا الرغبة فى أن نحب وأن نحب ، وأن نظفر بالرفقة الطيبة ، ونشعر بالدعة والسلام ، ونحس فى أعماقنا بأننا نعيش كيف نشاء . تلك هى الأسس التى تدعم فى أنفسنا فكرة الزواج وليست الفكرة الجنسية كما يظن بعض الناس . فإذا أتيح لنا أن نشبع فى أنفسنا ذلك الشعور المتأصل فى أعماقها جاء التوافق الجنسى تبعاً لها ولا محالة

إن الناحية الجنسية ضرورة فسيولجية ولا شك ، ولكنى أستطيع أن أقول هنا إننى قد تبينت فى تجاربى النفسية ، وأنا أصغى إلى حديث الزوجات والأزواج وهم يفرغون على أذنى ما بدا وما استقر من متاعبهم الزوجية ، حقيقة تتأكد لى صحتها كل يوم، وهى أن الدواعى النفسية هى أهم شىء فى الزواج. فإذا نبذت هذه الناحية أو مست بسوء أو عدت عليها بعض المتاعب التى تكدر صفاء تلك الرابطة وتحرمها الأمن والسكينة، تبدد التوافق الجنسى تبعاً لها

إن الزوج الذى لا يعرف التبصر فى النهار ، جدير بأن يجد زوجة عاجزة عن مبادلته الحب فى الليل ، والزوج الذى تستهين به زوجته وتمتهنه لا يجد سبيلاً إلى أن يشتهيها أو يشتهى أى شىء آخر ، وليس العلاج فى هذه الحالة عند الطبيب الذى تندفع إليه ليعالجك ببعض العقاقير أو المحامى الذى تلجأ إليه ليضع حداً بينك وبين زوجك ، ولكن العلاج هو حسن التفاهم الذى يظهر بمرور الأيام فيزيل ما فى النفوس من الآلام ويمحو ما يخالجها من النزق وقلة الانسجام . وخلاصة القول أننا جديرون فى هذه الحالة بأن نجعل الزواج متفقاً بقدر الإمكان مع الحاجات النفسية التى يريدها كل من الآخر

جيوفانى فركا يحدثنا عن الملاريا

عندما يقرع الجرس من جديد للقطيع فى السكون العميق تهرب العصافير دون ضجة والراعى نفسه الأصفر من الحمى والأبيض من الغبار يفتح جفونه الوارمة برهة ويرفع الرأس فى ظل الخيزرانات اليابسة . لأن الملاريا هنا تدخل فى الخيزران الذى تأكله فالملاريا تفاجئ السكان بغتة على الطريق المقفرة وتفاجئهم أمام باب البيوت المحروقة بالشمس مرتجفين من الحمى تحت ملابسهم الواسعة مع الغطاء على الرأس .

والآن قد انقلب كل شىء فتحت سماء إيطاليا أقوياء البنية وهم لا يشكون الآن من مرض الملاريا . وهى السكينا التى سمحت بهذا التغيير السكينا الدواء المعروف منذ سنة ١٦٣٠ فلجنة الملاريا بجمعية الأمم التى تكرس نفسها خصوصا لدرس المسائل المتعلقة بالملاريا تنصح لدرء هذا المرض بأخذ ٤٠٠ ملليجرام يوميا من السكينا طول موسم الحميات وإذا كان أصيب الانسان بالمرض فالدواء الموصوف يلخص فى علاج سريع المدة فيكفى أخذ جرام واحد أو جرام وثلاثين سنتجرام من السكينا كل يوم مدة خمسة أو سبعة أيام ولا داعى للمعالجة التكميلية ففى حالة الانتكاس يمكن تطبيق العلاج ذاته .



عود الى المسرح

قلت فى مقالى السابق فى المسرح (٣٣٥) إن الفرقة القومية إذا أصرّت على أن تتجافى عن الفن السليم الرقيق — ولا أقول الخالص بعدُ — فلتهجر إلى شارع عماد الدين تنافس فيه ما تشاء. فهنالك معترك المسرحيات الرثّة . و « لويس الحادى عشر » من البضاعة المبتذلة . وإن خطر لك أن تستوحش من ناحيتى فتتوجس منى التشدّد، فخذْ حكم ناقد بصير من نقاد المسرح فى فرنسة واسمه لوسيان دوبيك Lucien Dubech ؛ و « لويس الحادى عشر » من تأليف ك . ديلافنى C. Delavigne وهو فرنسى ؛ وفى فرنسة برزت تلك المسرحية ، وأديت غير مرة . يقول دوبيك فى مؤلَّفه الضخم : « التاريخ العام المزوّق للمسرح » (باريس ١٩٣٢ ج ٥ ص ٤٥ ى ى) : « إن مسرحية لويس الحادى عشر ليست بأحسن من أرذل المآسى الابتداعية (الرومنتيكية) » . ثم يبين دوبيك مقدار فساد المسرحية من جهة حقيقة التاريخ وحبك الموضوع ونسج الشاهد

تلك هى قيمة المسرحية ، وهى من نوع المأساة المفرطة الملفّقة تلفيقاً mélodrame à ficelles . وأما تأديتها على مسرح الأوبرة فلولا براعة الأستاذ جورج أبيض واقتصاده فى الأداء ، فى الفصل الأول والثانى ، لانقلبت المسرحية كلها « مهزلة » وضربت إلى لون التهريج le burlesque . وقد لمس النظارة ذلك اللون فى الفصل الثالث إذ غالى أبيض فى الرجفان واللهاث والحشرجة والتضوّر . وأثار هـذا المشهد من حولى الضحك الفاتر ، فحمدت الله على أن زمن طلب الانتفاض الرخيص قد ولّى . وكأنى بالأستاذ أبيض — مع إكبارى لسماه — عزّ عليه أن يترك فى ذلك الفصل طريقته الأولى ، وقد فاته أن الذوق يسيل ويتحول

وفى الإخراج نفسه مآخذ. من ذلك موقف الأستاذ حسين رياض فى حجرة الملك ، فإنك تراه ينوى اغتيال الملك فيصيح صياح الذبيحة — كأنه ينالب أبيض فى المغالاة — وخلف باب الحجرة حرّاس كماة ساهرون . إن ذلك الموقف يتطلب الهمس المضطرب والقرّ فى الأذن ؛ وذلك آخذ للأعصاب من الصياح والولولة . ومن المآخذ أيضاً أن كراسى المخدع كانت منجدةً تنجيداً ، والمتعارَف أن فن الأثاث فى عهد لويس الحادى عشر — أى قبل تأثير الفن الإيطالى l'italianisme فى بقايا فن القرون الوسطى — يجهل الفُرُشَ المنجدة ، بل يطرح الطارح على المقاعد المختلفة نمارقَ وبُسُطاً ووسائدَ .

ومن المآخذ أيضاً أن المخرج لم يُفد من الدَّرَج القائم فى منتصف الحجرة، المؤدى إلى مخدع الملك . فإنما على ذلك الدرج كان يحسن بالمغتال أن ينقضّ على الملك. وهكذا يكون الانقضاض من علٍ ، ويكون الصراع ، مع ما يليه من تقلب الملك على الأرض ، بيّناً للنظّارة

أضف إلى كل هذا أن نفراً من الممثلين لم يحسنوا الإلقاء ولا تنغيم الكلام . ويحزننى أن أخصص فأذكر الآنسة فردوس حسن والأستاذ زكى رستم

بقى أن فى الفصل الثانى مشهداً لطيفاً . وهذا المشهد إلى نوع المهزلة قريب ، والمهزلة فن نحكمه فى مصر ، ولذلك يستغيث به المخرجون عندنا لعلمهم أنه عمود النجاة

وهنا ألتفت إلى الأستاذ فتوح نشاطى الذى أخرج منذ عودته من باريس مسرحيتين : الأولى « تحت سماء إسبانية » ، وأظننى قلت فى تأديتها قولاً حسناً ؛ والثانية « لويس الحادى عشر » . ألتفت إلى الأستاذ فتوح أصارحه بأنى أراه يُخرج مسرحيتين يعرف أنه يظفر من ورائهما بالنجاح السهل ، إذ أنهما من النوع الذى يُرضى من قلت درايته وجفّت ثقافته . وهو نوع يلوذ بالتأثير المباشر والحادث النفّاض ، فضلاً عن إغراقه فى الابتداعية الكريهة . ومتى نتخلص منها ؟ ألا قد حان الزمن يأيها الناس!

وكم كنت أود أن أرى الأستاذ فتوح نشاطى يهمس فى أذن الأستاذ أبيض : أريد أن تمثل لويس الحادى عشر ، فاعدل عن تلك المسرحية البالية التافهة إلى إحدى مسرحيتين لبول فور Paul Fort . أما الأولى فعنوانها « لويس الحادى عشر الرجل الشاذ Louis XI, curieux homme » وقد برزت على مسرح «الأوديون» سنة ١٩٢١ . وأما الثانية فعنوانها « أصفياء

الملك لويس الحادى عشر » Les Compères du roi Louis وقد برزت على مسرح «الكوميدى فرانسيز» سنة ١٩٢٦ . فهنا تصيب اللطف والنسق فضلاً عن الجدّة والروح الشعرى

إن الأستاذ نشاطى انطلق إلى باريس وأقام بها سنة ونحو سنة ليقفل وبين يديه الطرائف وبين جناحيه ولع بالفن الرقيق أمنية أرقب من يحققها : جماعة أو فرقة أو شعبة للفن الخالص ، الفن الطالع

بشر فارس

نهج البلاغة أيضاً

إلى الأديب الكبير الأستاذ النشاشيبى

قرأت بلهفة شديدة فتواكم الأدبية على استفتاء السائل العراق حول نسبة (نهج البلاغة) وذلك قبل أن أسبر موضوعات الرسالة الغراء، لظنى أن جواب حجة الأدب وأعلم الناس بمراجع هذا البحث ، كما اتفق على ذلك السائل وخصومه ، سيكون شافياً كافياً . ولكن مع الأسف لم يكن كذلك ، لأن الأستاذ اكتفى بترجيح قول المنكرين بلا مرجح حيث لم يدعم فتواه بالدليل والبرهان شأن غيره من أهل البرهان وفرسان الأدب وحجاجحه . كما أن إحالة السائل ومناظريه على كتابيه حفظه الله (كلمة فى اللغة العربية) و (الإسلام الصحيح) غير كافية للحكم . ثم إن قول حجة الأدب « إن نهج البلاغة من كتب إخواننا الإمامية وهو مجموعة مصطفاة إن لم يحبره سيدنا على (رضى الله عنه) فقد انتقاه وحبره علويون كما زخرف محدثون (كل حزب بما لديهم فرحون) » قول مجرد لا يقنع الخصم . وكان الأجدر بأعلم الناس بمراجع هذا البحث المهم أن يزيح العلة ويشفى الغلة بما لديه من حجج وبراهين وإن كانت التى أوردها فى كتابيه (كلمة فى اللغة العربية والإسلام الصحيح) ذلك ليكون القراء على بينة من حقيقة هذه الدعوى وحجة الفتوى التى اضطرتنى إلى أن أطلب إلى الأستاذ الحجة وألتمس منه تنويرى وإرشاد طلاب الأدب وهواة التاريخ بإيضاح النقاط التالية :

١ — من هم العلويون الذين حبروا مجموعة كتاب (نهج البلاغة) المصطفاة ، لأن كلمة المنكرين تكاد تتفق على أن واضعه هو الشريف الرضى وحده بلا معين ولا شريك

٢ — هل يقصد الأستاذ بكلمة العلويين الذين يمتون إلى علىّ بصلة النسب أم بالمبدأ والتشيّع له ؟

٣ — هل تمت مجموعة النهج فى عصر واحد أم فى عصور مختلفة مع بيان الأسباب والدواعى لوضعها على قدر المستطاع

٤ — ما قولكم دام فضلكم فيما أثبته المؤرخون وجهابذة الأدب من قدماء ومتأخرين من غير العلويين فى صحة نسبة أغلب المجموعة المصطفاة لسيدنا علىّ كرم الله وجهه

٥ — إرشادنا إلى الخطب التى ثبتت صحة نسبتها لأبى الحسين عند الأستاذ

٦ — إذا عسر على حجة الأدب أن يزيل عنا الإبهام الوارد فى جوابه الذى أجاب به السائل العراق والمنحصر فى النقاط المتقدمة ، فإلى من تنتسب مجموعة (نهج البلاغة) وهو الكتاب العظيم بعد كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم . هذا ما نود من صميم الفؤاد ألا يضن حضرة الأستاذ بإعطاء الجواب الشافى عليه، وبذلك يكون قد أسدى خدمة جليلة جديدة للأدب العربى الصحيح .

(بعضوية — عراق) توفيق الفكيكى

فى معنى بيت وإعرابه

قال أعشى قيس فى مطلع قصيدته فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم :

ألم تَغتمِض عيناك ليلة أرْمَدَا وبت كما بات السَّليم مُسهَّدَا

فقال النحاة : إن « ليلة » فيه ليس منصوباً على الظرفية ، لأنه يكون المعنى على ذلك ألم تغتمض عيناك فى ليلة أرمد ، وهو الذى يشتكى عينيه من الرمد ، وذلك معنى فاسد ، وإنما هو منصوب على أنه مفعول مطلق ، والمعنى عليه : ألم تغتمض عيناك اغتماض ليلة أرمد ، أى اغتماضاً يشبه اغتماضه ، فحذف المصدر المضاف إلى الليلة وأقيمت مقامه ، فصار إعرابها كإعرابه

وقال صديقى العالم العلامة أبو رجاء فى تعليقاته على سيرة ابن هشام : هذا الذى ذكره النحاة مبنى على أن « أرمد » صفة معناها الذى أصابه الرمد ، والألف فيه ألف إطلاق ، وعندى أن خيراً من هذا كله أن يكون قوله « أرمدا » فعلاً ماضياً مسنداً

إلى ألف الاثنين التي تعود إلى قوله « عيناك » وعليه يكون ليلة منصوباً على الظرفية . قال الفيومى فى المصباح : « رمدت العين من باب تعب وأرمدت بالألف لغة » ويكون قد حذف تاء التأنيث من الفعل المسند إلى ضمير المثنى المؤنث

وقد تكلف صديقى أبو رجاء هذا الإعراب بناء على تلك اللغة التى ذكرها المصباح ، وعلى أن الفعل المسند إلى ضمير المؤنث المجازى يجوز تجريده من التاء فى ضرورة الشعر . ولو أن الأمر يقف عند هذا لسهل الخطب ، ولكن المعنى الذى أراده الأعشى لا يتفق مع هذا الإعراب ، وهو معنى متقرر عند الشعراء لا ينفرد به الأعشى وحده ، وقد ورد فى قول امرئ القيس بن عانس الكندى :

تطاولَ ليلك بالأثمدِ ونام الخَلِىُّ ولم ترْقُدِ
وبات وباتتْ له ليلةٌ كليلة ذى العائر الأرمد

فالأعشى يريد هذا المعنى الذى صرح به امرؤ القيس ، وهو ظاهر جدا فى إعراب جمهور النحاة ، ولا يريد الأعشى أن عينيه اغتمضتا فى ليلة إرمادهما ، لأنه لم يكن فى موقف الشكوى من هذا ، وإنما كان فى موقف النسيب الذى يبتدأ به القصيد ، وهذا ما قررته لطلابى فى القسم العام بالجامع الأزهر عند موضعه من المفعول المطلق

عبد المتعال الصعيدى

فى عيد القاهرة الألفى

مما عنيت به الجمعية الجغرافية الملكية — لمناسبة عيد مدينة القاهرة الألفى — إصدار كتابين عن المدينة ، أحدهما باللغة الفرنسية ، وهو يتناول الكلام عنها منذ نشأتها إلى ما قبيل حملة نابليون ، كما رآها الرحالون الأوربيون . وقد اضطلع بتأليفه الأساتذة : فييت ومونييه ودوب ؛ وأتموا جانباً كبيراً منه .

وسيضم هذا الكتاب الأحاديث الممتعة التى كتبها عن القاهرة كثير من الرحالين الذين زاروها حين كانت أغنى مدن الشرق وأعظمها اتساعاً . ويشتمل إلى هذا ، على وصف معالمها والمراسم التى كانت تجرى فى استقبال سفراء الدول الأوربية فى بلاط السلاطين والخلفاء .

وأما الكتاب الآخر ، فيتناول موضوع « القاهرة عند الرحالين الشرقيين » ، وسيصدر باللغة العربية ، وقد أخذ فى تأليفه الدكتور زكى محمد حسن والنقيب عبد الرحمن زكى ، وهو يتمم الكتاب الأول .

وستعرض الجمعية نموذجاً كبيراً مجسماً لمدينة القاهرة بدىء بعمله منذ حوالى عشر سنوات بفضل رعاية المغفور له الملك فؤاد . وقد أتمه المختصون فى مصلحة التنظيم فجاء مشتملاً على كل مبنى وشارع وبيت فى المدينة .

وكذلك تعرض الجمعية مجموعة كبيرة من المصورات الجغرافية والمستندات واللوحات والصور التى تتعلق بعاصمة البلاد وتاريخها فى مختلف العصور .

إلى الأستاذ الجليل « ...ه »

اطلعت فى الجزء (٣٤٠) من الرسالة الغراء على مقالكم القيم « قد لا يكون » ، وفيه سقتم شواهد على صحة توسط « لا » النافية بين «قد» والفعل . وإنه لعمل عظيم تضيفونه إلى ما أسديتم إلى قراء العربية من أياد يشكرونكم عليها ...

غير أنه لفت نظرى نقلكم هذه العبارة من كلام العكبرى — أن قد صدقتنا — أن مخففة من الثقيلة واسمها محذوف وقيل : أن مصدرية (وقد لا تمنع) من ذلك إلى منتهى كلام العكبرى .

فأنت ترى معى يا سيدى الفاضل أن «قد» فى كلام العكبرى مبتدأ خبره قوله : « لا تمنع من ذلك » أى أن وجود « قد » فى الكلام لا ينافى أن تكون «أن» مصدرية . فليس مما أنتم بسبيله. وتقبلوا تحياتى وإجلالى

عوض السيد السحل

وبل للحقائق منا

فى العدد (٣٣٩) من الرسالة الزهراء كتب الدكتور زكى مبارك — وإن يكن أخفى اسمه فقد نم عليه أسلوبه — مقالته « نعيمة الأسلوب » وفيها يلوم زمانه وأهل زمانه ، ثم يقارن بين حاله

وحال النبي أيوب شيخ الصابرين فيقول : « وأين لجيمة أيوب في دنياه من لجيمتي في دنياي ؟ ... كان الدينار لعهد أيوب يمون الرجل شهراً أو شهرين ، وأنا في عهد يهان فيه الرجل إن اكتفى بالدينار يوماً أو يومين ، فمن يسلطني على دهري فأسجل رزاياه على نحو ما صنع أيوب ؟ »

وفي العدد (٣٤٠) كتب أستاذنا الزيات آيته: «هل خصب الأرض يستلزم جدب القرائح » فكان مما قاله فيها : « تستطيع أن تقول إن مصر في جملتها بلد غني ، يؤتي أكله كل حين بيسير الجهد وقليل النفقة ، فأهله آمنون من موت الجوع ، لأن الفقير يملك أن يمسك روحه بنصف قرش ! وما أيسر ما يجد قرشين في اليوم بالعمل الحقير أو السؤال الملحف » !...

هذا قول الزيات وذلك قول مبارك ، وبينهما التناقض الواضح ، لأن الفقير عند الزيات يضمن قوته بنصف قرش ، فلا يصعب أن يضمن الغني قوته بقروش ... ولكن المبارك يوهمنا بأن المكتفي بيننا بالدينار ينفقه في اليوم أو اليومين مهان محتقر ! فأين يقف القراء المساكين من هذين القولين ؟ ...

أصرح برغم صداقتي بالدكتور مبارك أن هواي مع أستاذي الزيات ، وفكري يميل حيث مال فكره العبقري ، والصداقة شيء والرأي شيء آخر يا دكتور ...

ولقد كان الأستاذ عزيز فهمي الداعب المدقق البارع موفقاً حين أزال عن الدكتور مبارك (مكياجه) و (رتوشه) فقال ساخراً متهكماً : « إن الكاتب من الكتاب الذين يشعرون بأن الإنسان يهان إذا اكتفى بالدينار في اليوم أو اليومين ... فهو من غير شك قد رحمه الله من إهانات يا لها من إهانات لو لم يكن ينفق الدينار في اليوم أو في اليومين . . . كان الله في عون الكتاب وغير الكتاب من أبناء اليوم الذين ينفقون الدينار في الأسبوع أو في الشهر أو في العام . . . إن هؤلاء هم الأيوبيون — لا الأيوبون يا أستاذ عزيز ! — »

سامحك الله يا دكتور مبارك وغفر لك قولك ! . . . إذن ألف رحمة وحسرة على كثير من الأدباء في مصر لا يجدون الخبز الأسود إلا بشق الأنفس ، وقد ينفقون القرش ـ القرش لا الدينار يا دكتور ! ـ في اليوم أو اليومين ! . . . إذن ألف أسف لذلك العدد الضخم من الكتاب والصحافيين الذين تتلقفهم المقاهي وتتلاعب بهم الأندية أو الطرقات ، وهم إلى الصعاليك والمشردين البؤساء أقرب منهم إلى الكتاب والأدباء ! ...

إنك سعيد ومحظوظ ومحسود يا دكتور ، لأنك تعتبر نفسك مهاناً لأنك تنفق في اليوم أو اليومين ـ على الأكثر ـ ديناراً بأكله . . . يكاد قلمي أن يسطر عبارة لوم واتهام لك ، إذ تسبح في بحار النعيم وتخطر في فردوس الغنى ، وأمامك الكثير من إخوانك تصرخ أمعاؤهم جوعاً ، وأجسامهم ضنى ومرضاً ؛ وأنت لا ترق ولا تلين ، فتعطيهم ما يفضل من دنانيرك من قروش ومليمات ! . . . ثم لا تكتفي بذلك ، بل تذهب فتغالط وتشكو وتتألم ! ! . . . ويل للحقائق منا يا دكتور ! . . .

« كلية اللغة » أحمد جمعة الشرباصي

اعراب جملة

سيدي الأستاذ الكبير صاحب الرسالة الغراء

في الوسط الأدبي الذي أعيش فيه خلاف على إعراب الجمل الآتية وما في حكمها :

يريد أن يعرب البيت فيعجمه

يريد أن ينجح فيرسب

يريد أن ينهض فيكبو

فهل « الفاء » للعطف فينصب ما بعدها ؟ إن يكن ذلك فإن الإرادة تنسحب إلى الفعل الثاني ، ومدلوله غير مراد . فالإعجام والرسوب والكبو غير مقصودة

وإن لم تكن الفاء للعطف فما معناها وما عملها في الجملة ؟

(ديروط) ع . مصطفى

(الرسالة) لا يجوز في يعجم ويرسب ويكبو إلا الرفع . واختلفوا في إعراب الفاء فقالوا إنها لعطف على الفعل يريد ، وقالوا إنها للاستئناف وجملة يعجم في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف تقديره هو . وقد ورد هذا التركيب في رجز الحطيئة : «الشعر صعب وطويل سلمه» إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه زلت به إلى الحضيض قدمه « يريد أن يعربه فيعجمه » (أنظر المغني في حرف الفاء)

الوحدة المذهبية فى شمال أفريقيا

جاء فى الرسالة الغراء بعدد ٣٣٦ من مقال الأستاذ أبى الوفا بعنوان : (شمال أفريقيا والأستاذ الحصرى) العبارة التالية :

« أما الوحدة الذهبية فالمغرب من أقصاه لأقصاه على مذهب إمام دار الهجرة مالك بن أنس وليس فيه طوائف دينية كالرافضة والأباضية وغيرهما (كذا) من بقية الفرق الدينية التى توجد كثيراً فى بلدان الشرق العربى والإسلامى

إن مقال الأستاذ يشعر أن الأباضية ليسوا من الفرق الإسلامية . والذى يلفت النظر أن مقاله هذا جاء عقب قوله : « وليس فى المغرب أقليات دينية سوى أقلية ضئيلة من اليهود »

كان الأولى بالأستاذ أن يقول بدل جملة الطوائف الدينية : وليس فيه (أى شمال أفريقا) مذاهب إسلامية أخرى كالمذاهب التى توجد كثيراً ... الخ . أما نحن فلسنا الآن بصدد الرد على الأستاذ أبى الوفا لقوله بعدم وجود أباضية بشمال أفريقا ، لأنى أعتقد أن العلامة الأستاذ أبا إسحاق اطفيش نزيل القاهرة الآن ، وهو من جلة علماء الأباضية بشمال أفريقا لن يسكت عن الجواب وإيضاح الحقيقة لمن يتجاهل أو يجهل وجود الأباضية المسلمين بشمال أفريقا بأهم مدنه من طرابلس الغرب وتونس والجزائر ووادى ميزاب وغيرهن من المدن المشهورة، من أقدم التاريخ حتى الآن وإلى ما شاء الله من الزمن ، وحسبهم مفخرة تمسكهم بالعروة الوثقى من الدين الإسلامى الصحيح

الحق أن النزعة الإسلامية المتأصلة فى قرار نفوسنا تضطرنا لإصلاح أغلاط إخواننا فينا . والله يقول الحق وهو يهدى السبيل والسلام عليكم

أحمد الكندى

مراقب بعثة سلطنة مسقط — عمان

القصص المدرسية

أخرج الأساتذة سعيد العريان ، وأمين دويدار ، ومحمود زهران ، حلقة جديدة من سلسلة القصص المدرسية التى يوالون إصدارها منذ سنين ، ليسدوا النقص البادى فى أدب الأطفال العرب ؛ وهذه الحلقة الجديدة هى مجموعة من أربع قصص فى ١٦٠ صفحة : اثنتان منها لكبار التلاميذ فى المدارس الابتدائية ، والاثنتان الأخريان على المنهج الجديد لتلاميذ السنة الأولى فى المدارس الابتدائية لدروس القصص ، ورياض الأطفال

والقصص الأربع مكتوبة بأسلوب سهل ممتع ، معروضة عرضاً فنياً بليغاً يشوق الطفل ويلذه ، ويقدم له الفائدة فى أسلوب رشيق طلى

وثمن القصص الأربع جميعاً عشرة مليات

فنرجو أن ينتفع تلاميذ المدارس الابتدائية ، ورياض الأطفال بهذه المجموعة الجديدة من القصص المدرسية ، وأن يجد مؤلفوها من التشجيع ما يعينهم على الاستمرار فى هذا الباب الجديد من أبواب الأدب



كتاب «الامتاع والمؤانسة»

أتحدث إلى القراء عن طرفة من أثمن طرائف الأدب القديم يعدّ ظهورها فى هذا العصر من خير ما أثمرت المطابع المصرية من كتب الأدب الرفيع ، كما يعد الاتجاه إلى نشرها من أحسن ما وفقت إلى التفكير فيه لجنة التأليف والترجمة والنشر ، على كثرة ما وفقت إليه فى تفكيرها . وتلك الطرفة النفيسة هى كتاب : « الإمتاع والمؤانسة لأبى حيان التوحيدى » .

وإنك لتقرأ هذا الكتاب من أوله إلى آخره ، فيملأ نفسك روعة ، قبل أن يروعك أدب مؤلفه الفذّ بما تراه فيه من براعة الحسن فى جودة طبعه ، ودقة تصحيحه ، وصدق النظر فيه ، وكمال العناية بكل لفظ من ألفاظه .

وقد قرأت الجزء الأول من هذا الكتاب ، وكنت قد اطلعت على عدة صفحات من نسخته الأصلية المأخوذة بالتصوير الشمسى المحفوظة بدار الكتب المصرية ، وهى النسخة الوحيدة لهذا الجزء رغبة فى تتميم بعض البحوث عن مؤلفه أبى حيان التوحيدى ، وإذا بى أرى جميع سطورها مغمورة بالتصحيف والتحريف ، والنقص والزيادة ؛ فلا يهتدى السارى فى ظلمات هذه النسخة إلا بمصباح قوى من الأدب القويم ، والذوق السليم ، والمران الطويل ، والصبر الذى لا يعرف الضجر .

وقد بعثنى على تناول الكتاب من هذه الناحية مقالان قرأتهما فى مجلة الرسالة للدكتورين زكى مبارك وبشر فارس تغاضيا فيهما كل التغاضى عما مُلئتْ به صحفه من حُسن وإحسان رائعَين ، وأغفلا كل الإغفال تلك الجهود القوية الملموسة فى كل ناحية من نواحيه ، وشُغلا بعدة كلمات تافهة قد تسقطاها فى هذا الكتاب ، زاعمين فى بعضها زعماً لم يؤيده الواقع فى شىء أن مصححيه الفاضلين قد فاتهما تصحيحه أو شرحه ، وفى البعض الآخر منها أنهما قد صححاه تصحيحاً أو شرحاه شرحاً لا يلائم الصواب .

وقبل أن أتحدث إلى القراء عن هذين المقالين أريد أن أنبههما وأمثالهما من النقاد إلى أنه لا ينبغى أن ينشر فى الصحف فى نقد أى كتاب إلا ما يتعلق بقيمته الفنية ومنزلته بين أشباهه من الكتب ، والمميزات التى تميز بها عن غيره من المؤلفات فى فنه ، وما كان يفقد هذا الفن لو أن هذا الكتاب لم ينشر ، والفائدة التى تعود على القارىء من قراءته ، ثم الحديث عن مؤلفه ومنزلته بين أشباهه من علماء هذا الفن ، والباعث له على تأليف هذا الكتاب ؛ وما إلى ذلك من الأمور التى تعنى جمهور القراء عامة دون فرد أو أفراد

أما تلك الأمور التصحيحية التى تعتبر من جزئيات الجزئيات والتى لا يعنى بها غير مصحح الكتاب وحده دون غيره من القراء ، فإن نشرها فى الصحف ليس مما تقتضيه العقلية العلمية

وذلك كأن يذكر الناقد كلمة محرفة – فى زعمه – بين ملايين من الكلمات الصحيحة ، أو حرفاً معجما حقه الإهمال ، أو مهملاً حقه الإعجام بين ملايين الحروف التى رُوعِىَ إعجامها وإهمالها ، أو نقطة فى موضع شولة ، أو العكس ، أو قوسين وضعا موضع خطين ، أو خطين وضعا موضع قوسين ، أو تفسير كلمة قد استظهره مصحح الكتاب ، ثم بدا للناقد تفسير آخر ، فإن أمثال هذه الملاحظات لا تساوى ما يبذل فيها من ورق ومداد . وأيضاً فإنه لا يمكن قراء هذه الملاحظات فى الصحف معرفة صوابها من خطئها ، ولا تمييز حقها من باطلها ، إذ لا يمكن ذلك إلا بقراءة الملاحظة ، ثم مطالعة موضعها فى الكتاب وأصله معاً حتى يتبين للقارئ صواب النقد من خطئه ، ولا يتأتى ذلك لقراء الصحف غالباً كما هو معروف

وأولى بهذا الصنف من النقاد أن يبعثوا بجميع ملاحظاتهم التى من هذا النوع إلى مصحح الكتاب ليدرسها ثم يستدركها فى الطبعة الثانية إن كانت مما يستحق الاستدراك ، كما فعل الأستاذ محمد كرد على بك فى ملاحظاته على الكتاب الذى نحن بصدده ، فإنه بعث بها جميعها إلى الأستاذ أحمد أمين مختتمةً بعبارات الإعجاب والتقدير والشكر ، وقد نشرها الأستاذ أمين

فى آخر الجزء الأول من هذا الكتاب مقدّمةً بالشكر الجزيل والثناء الجميل على صاحبها

وبعد، فالمطلع على هذا النقد اطلاعاً منصفاً يرى أنه – على طوله واتساع كاتبيه فى شرحه وتبرير ما فيـه من الملاحظات – يرجع فى جملته إلى اختلاف وجهتى النظر بين المصحح والناقد، والتباين فى ذوقيهما أكثر مما يرجع إلى حقائق علمية أو نصوص ثابتة، ولا يعترض بنظر على نظر ولا بذوق على ذوق

ومن أمثلة ذلك ما أطال به الدكتور بشر فى مقاله من ذكر شولات ونقط، وما إلى ذلك مما يسميه أرباب الطباعة بالترقيم وضعت فى غير مواضعها من عبارات الكتاب كما زعم، وقد استغرق منه هذا الإحصاء قرابة نصف صفحة من مقاله؛ ولم يدر أن هذا الترقيم إنما يمليه الذوق وحده، ولا يرجع وضعه إلى قواعد ثابتة إلا فى رسم العلامات؛ فربما قرأت عدة عبارات فتفهم أن بعضها متصل ببعض، فتضع بينها شولات؛ ثم يقرؤها آخر فيفهم أن بينها انفصالاً من ناحية وانفصالاً من أخرى فيضع شولة منقوطة وهكذا، وكلا الفهمين صحيح لا يعترض بأحدهما على الآخر

وقلما رأيت مصححاً قرأ صفحة ووضع هذه الفواصل بين عباراتها حسب ذوقه فى فهم الكلام، ثم عرضتُ على آخر بعده فوافقه على ذلك؛ بل لا بد أن يجرى قلمه فى هذه العلامات بالمحو والإثبات حسب ذوقه هو أيضاً؛ وكذلك لو عرضت هذه الصفحة على ثالث ورابع

وأشهد لقد حسدت الدكتور بشر أشد الحسد على ما منحه الله من اتساع الزمن ورحابة الصدر وقوة الصبر وطول البال حتى استطاع أن يفرغ لتسقّط هذه العلامات التافهة الضئيلة والتقاطها من كتاب كهذا فيه الألوف منها

ومن هذه الأمثلة أيضاً ما سماه (تباعداً عن سياق النصّ) فى عبارة أوردها من كلام المؤلف يخاطب الوزير أبا عبدالله العارض قال (أى التوحيدى): « فقلتُ قبلُ: كلُّ شىء أُريدُ أن أُجاب إليه يكون ناصرى » الخ. وقد فهم مصححا الكتاب من هذه العبارة أن التوحيدى يريد من الوزير أن يجيبه إلى كل شىء يريده، ليكون ذلك معيناً له وناصراً على ما يريده الوزير من الإمتاع والمؤانسة بمجلس التوحيدى؛ وقد ضَبَطا تلك العبارة على هذا الوجه تَبعاً لما فهماه منها، وهو فهم صحيح لا غبار عليه ولا مطعن فيه

وقد رأى الناقد أن تُضبط العبارة هكذا: « فقلتُ قبلَ كلِّ شىء أريد أن أجاب إليه » الخ فاهماً أن أبا حيان يريد إلى الوزير أن يجيبه إلى شىء واحد قبل إمتاعه ومؤانسته، وهو فهم صحيح أيضاً مع شىء من الضعف، ولا يُعترَض بفهم على فهم كما قدمنا

وإذا بحثنا كلا الفهمين وأردنا الترجيح بينهما وجدنا أن الفهم الأول أليق بحال أبى حيان مع الوزير أبى عبد الله كما يتبين ذلك من ثنايا كتابه

وأيضاً فلا شك فى أن إرادة أبي حيان من الوزير أن يجيبه إلى كل شىء يريده خير من أن يريد منه الإجابة إلى شىء واحد.

ومنها ما سماه: (تجافيا عن أسلوب الكتاب) وما أكثر الأسماء لديه وأقربها إلى قلمه! وذلك أنه رأى عبارة من عبارات الكتاب مختتمة بكلمة: (تُجِدُّها) وبعدها عبارة أخرى مختتمة بكلمة: (تمُدُّها)

هكذا ضبط المصححان الفاضلان هاتين الكلمتين

وقد رأى حضرة الناقد أن الأفضل فى ضبط الكلمة الأخيرة (تُمِدُّها) بضم التاء وكسر الميم، معللاً ذلك بأن الازدواج الذى التزمه المؤلف فى كتابه لا يتم إلا بالتوافق التام بين (تجِدُّها) و (تُمِدها) فى جميع الحركات

ولو تفضل حضرته فألم إلماماً يسيراً بقواعد السجع والازدواج فى فن البديع، لرأى أنهما يتمان على أكمل وجه وأحسنه بدون هذا التطابق الدقيق فى جميع الحركات والحروف، والتزام الدقة فى ذلك يُعدُّ من لزوم ما لا يلزم، إذ السجع فى هاتين العبارتين تام لا عيب فيه وإن لم يتطابق اللفظان فى جميع الحركات

على أن المؤلف لم يلتزم فى جميع كتابه تلك الدقة فى الازدواج والسجع، بل كثيراً ما يكتفى باتفاق أواخر العبارات فى الوزن وإن لم تتفق فى الحروف، بل قد يغفل الازدواج والسجع إغفالاً تاما

ومنها ما سماه: (تركا للغامض على حاله من الغموض والإبهام) وقد أورد من ذلك عبارة ذكرها التوحيدى فى معرض الحديث عن صيانة النفس والقناعة وصعوبتهما على الإنسان، وشدة احتمالهما، والمشقة الشديدة فى التخلق بهما، فقال ما نصه: « وصيانة النفس حسنة إلا أنها كلفة مُحرِجةٌ إن لم تكن لها أداةٌ تُجِدُّها، وفاشيةٌ تَمُدُّها، وترك خدمة السلطان غيرُ الممكن، ولا يستطاع إلا بدين متين » الخ. وقد خفى على الناقد



فلما «حياة الظلام» و«العودة الى الريف»

٢٤ + ١٦ = ٤٠ ... هذه هي القروش الأربعون التي خرجت من جيبي عن طيب خاطر . وإني أصارح القراء بأني أبكي عليها الآن كما لو كانت أربعين ألفاً من الجنيهات !

دفعت المبلغ الأول في شباك تذاكر سينما « ستوديو مصر » ثمن تذكرتين ؛ إحداهما لي والأخرى لصديقي الذي أتأبطه في الذهاب ويتأبطني هو في العودة ! ودفعت المبلغ الثاني في شباك سينما « الكوزمو » وياليتني ما دفعت هذا ولا ذاك ، فقد علمت — بعد فوات الوقت — أن المبلغين ذهبا إلى وجه الشيطان !

حرصت على أن أشهد أول عرض في استوديو مصر لشريط « حياة الظلام » . وقد كان بودي أن أرى عملاً فنياً رائعاً ، فلم أر عملاً فنياً على وجه الإطلاق . وإنما رأيت صوراً تتكلف الحركات ، وأفواهاً تتكلف الكلمات ، ومناظر تُتكلَّف وتفتعل افتعالاً ... كل ذلك في قصة لم يكن بها من بأس كقصة ، للقراءة ولكنها كانت ساقطة أشنع السقوط بوصف أنها سيناريو للسينما

ولا ندري فوق ذلك ماذا دهى آلات تسجيل الصوت في استوديو مصر ؛ فقد كان فسادها صارخاً ، حتى أن الكلام لم يكن يصل إلى مسامع الجمهور إلا وتصحبه همهمات تخبأ الألفاظ وتلف مخارج الكلمات . ولا ندري أيضاً لماذا يعنى هؤلاء الناس بإبراز هذه الوجوه التي جربوها وفشلت مراراً ؛ أو نسي القوم خيبة بطل هـذا الشريط في سابقه « فتش عن المرأة » ! ولا ندري لماذا لا يفتشون عن وجوه جديدة يعطونها الفرصة لكي تظهر وتنجح ؟

والمؤلم أن يضطر الناقد إلى الاعتراف بأن شخصية واحدة من شخصيات هذا الشريط هي التي حظيت بشيء من التوفيق وهي فردوس محمد التي أصبحت مختصة بأدوار الأمهات تقوم بها في إتقان تام ونجاح فائق ؛ وعلى الشخصيات الباقية السلام !

أما الشريط الآخر ، أو الفضيحة الأخرى من فضائح هذا الموسم ، فهو « العودة إلى الريف » الذي آثرت السيدة ملك أن تبدأ به حياتها الفنية كممثلة سينما . فهذا الشريط ليس فيه موضوع ولا تمثيل ولا تلحين ولا إخراج

وقد وضح لنا من البحث أن العمل فيه قد جرى في حدود مالية ضيقة . وليس هـذا عذراً يقبله الجمهور المصري الذي لا حجاب بينه وبين الأفلام الأجنبية الكبرى التي ينفق عليها من

الفاضل معنى قوله : « وترك خدمة السلطان غير الممكن » الخ ، فألح في السؤال عما يريد المؤلف بهذه العبارة ، وهي عبارة في غاية الوضوح والبيان لا تحتاج إلى توضيح ؛ وتوضيح الواضح أكثر مشقة من توضيح الخفي المبهم

يريد المؤلف بهذه العبارة أن صيانة النفس وإعزازها عن مواطن الذلة للملوك والأمراء والعزوف عن خدمتهم ، كل ذلك غير ممكن ، لما تقتضيه ضرورات العيش وحاجات الحياة ؛ ولا يستطيع ذلك إلا من عمر الدين المتين قلبه ، وملأت الثقة بالله نفسه . وبعد فإن لنا نصيحة نريد أن نسرها إلى الناقد الفاضل ، وهي أنه ينبغي لمن يقدم على نقد كتاب كالإمتاع والمؤانسة أن يكون لديه إلمام يسير بأوليات قواعد النحو ، فيعرف حكم الفاعل ونائبه ، وبماذا يرفع المثنى والجمع ، وما إلى ذلك ، وإلا رد نقده عليه ، وكان حديثه عن الكتب منه وإليه

قال مؤلف كتاب الإمتاع والمؤانسة في تفسير معنى الخَلَق بفتح الخاء واللام ما نصه : « وأما قولهم : هذا شيء خَلَقٌ فهو مُضَمَّنٌ مَمْنَيَيْن » الخ

وقد ذكر الناقد هذه العبارة وكتب تحت قوله : « مضمّن معنيين » : « كذا » حاسباً أنه قد ظفر بغلطة شنيعة ؛ يريد حضرته أن في قوله : « معنيين » غلطاً نحوياً ! وكان الصواب في نحوه هو : « معنيان » ! فما رأي سيبويه والخليل والفراء والكسائي ومن إليهم من أئمة العربية في هذا النحو الجديد ؟ ! وهل في قواعدهم أن للفاعل نائبين : نائب أصيل ونائب مساعد كما لبعض وزارات الحكومة وكيلان : أصيل ومساعد ؟ !

ألا يعرف الأستاذ أن ضمّن يتعدى إلى مفعولين ؟

الحق أن تلك الزلة تهدم مقاله من أساسه ، وتجعل صاحبها غير أهل لنقد كتاب كالإمتاع الذي نحن بصدده

هذا ما يتعلق بنقد الدكتور بشر . وسنتحدث في المقال الآتي عن أمثلة من نقد صاحبه (ع . ص)

الأموال ما لا يكاد يُصدَّق ، ولا عذر للسيدة ملك فى قبولها الظهور فى شريط كهذا من المحقق أنها كانت – قبل قبولها الاشتراك فيه – تعلم موضوع قصته وتعلم أنه سوف يخرج فى مراعاة تامة للظروف المالية الشديدة

أما تسجيل الأصوات فكان فضيحة مستقلة ! وأما التمثيل فقد كان عاراً يتحرك على الستار . وأما الأضواء فقد كانت قذى فى عيون الجمهور . وأما المناظر فقد كانت عنواناً على فشل مهندسها . وأما الإخراج فقد كان الشىء الوحيد الذى يمكن السكوت عليه !

وبعد ، فهل رأى القارئ اثنين من حوذية العربات «الكارو» يشربان الوسكى فى شرفة «الكونتننتال» ؟ هذا هو موضع هذين الشريطين بين الأشرطة الأجنبية الهائلة التى ظهرت فى هذا الموسم

الإخراج ... الإخراج ...

وبهذه المناسبة لا نجد مندوحة عن الإشارة إلى فوضى الإخراج السينمائى فى مصر . والواقع أن أصحاب الأفلام يحارون بين نارين : فاستديو مصر على فداحة أجره ، يفرض لوناً من الديكتاتورية منقطع النظير . إذ يفرض ممثلين بأسمائهم لا يجد أصحاب الأفلام بداً من قبولهم على مضض ! والاستديوهات الأخرى وأصحابها من اليهود ، على قلة استعدادها ورداءة آلاتها ، تفرض مثل هذه الديكتاتورية فى إسناد الأدوار إلى ممثلين من ذوى الأسماء المعروفة فى غير نظر إلى التناسق بين طبيعة الممثل وطبيعة الدور الذى يلعبه فى الشريط . يضاف إلى ذلك المعاملة المالية المنقطعة النظير فى الرداءة والجشع

لماذا لا تؤسس الحكومة «استديو» تؤجره لأصحاب الأفلام وتسند إدارته إلى خبراء فنيين من شبابنا ذوى الثقافة السينمائية الممتازة ؛ وهم كثيرون بحمد الله ! ؟

الأوبريت فى الفرقة القومية

أشرنا فى كلمة عابرة منذ أسبوعين إلى استعداد الفرقة القومية لإخراج رواية القضاء والقدر ، وهى من نوع الأوبريت الذى ليس لهذه الفرقة عهد به .

وقد سمعنا فى الأوساط الفنية لغطاً يدور حول الرغبة فى إخراج هذا النوع الذى اندثر من حياة المسرح المصرى منذ سنين . وقيل إن الحكومة تنوى أن تعين المعهد الملكى الموسيقى على أن ينهض بمشروع جديد يكون من آثاره أن يظفر الجمهور بألحان رائعة فى مسرحيات قوية . كما قيل لنا إن ثمت مؤتمراً مؤلفاً من أعلام الموسيقا والمسرح ، سوف يبحث المشروع من نواحيه المختلفة .

وإلى أن يتم تأليف «أوبريت» جديدة ، لا ندرى لماذا لا تقوم الفرقة بإخراج بعض الروايات القديمة الناجحة التى ظهرت منذ عشرين سنة ونيف ! كرواية «العشرة الطيبة» التى تمتاز بألحان لا نظير لها من وضع المرحوم سيد درويش ؟

(أبو الفتح الاسكندرى)

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدول ـ عابدين)

8me Année No. 342

Lundi - 22 - 1 - 1940

الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع البدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٣٤٢ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٣ ذو الحجة سنة ١٣٥٨ — الموافق ٢٢ يناير سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهـــــرس

صفحة



من وراء المنظار

سافر صديقى (عين) إلى الريف ليضحي بكبشه النوق الأملح هناك . ولصديقى الوفى (عين) ولعٌ بالريف عجيب . فصباباه عرائس شعره ، ومشاهده مسارح خياله ، ومعاهده ملاعب هواه ، ومزارعه صقال خاطره ، ومطاعمه عافية بدنه . لذلك تراه كلما افترص العودة إلى الريف فى ساعة من النهار أو الليل أسرع إلى القطار أو إلى السيارة دون أن يشاور أهله ويودع صحبه ويرتب عمله !

دخلت صباح اليوم مكتبه الذى يكتب فيه (من وراء المنظار) فوجدت الكرسى خالياً وليس أمامه خبر ، والمنظار متروكا وليس وراءه نظر ! فقلت لنفسى : لم لا أجرب هذا المنظار الذى تنفذ منه (عين) الصديق إلى ما وراء الصدور والستور والحوادث؟ أما يجوز أن يكون سر فنّه فى هذا المنظار فأرى به ما يصح أن أصوّره وأنشره ؟

سألت عن ذلك نفسى ولم أنتظر ما تقول، فقد أخذت المنظار وتركت الدار ووضعتـه على أنفى وأنا أمشى على طِوار الشارع الذى عرفته وألفته ، فإذا الناس غير الناس ، والمدينة غير المدينة ، والدنيا غير الدنيا !

كأنما هذا المنظار من صنع الله الذى أتقن كل شىء ! فإن فيه

أسرار المناظير المعظِّمة والمقرِّبة والكاشفة ؛ وفيه غير ذلك قوة التجريد فهو يرد كل شيء إلى طبيعته ، ويظهر كل شخص على حقيقته

مشيت به فى زحمة الطريق مشية الغريب الجاهل فى البلد العجيب المجهول، تزخر نفسه بعواطف شتى من الغضب والعجب والدهش والإنكار والخوف ، ثم لا يملك أن يسأل لأن لسانه معقود ، ولا يستطيع أن يصبر لأن جَلَده مفقود

رباه ما هذا الذى أرى ؟ أهذا هو الصديق البر الذى خالصته الود وساهمته الوفاء وعاشرته نصف العمر ثم لا ألقاه إلا صافحنى بالكف الناعمة ومازحنى باللسان المعسول ؟ ما باله قد تساقطت عنه لفائفه الوردية، وحالت عليه أصباغه العبقرية ، فبدا أمامى عارياً ضارياً كالأسد الجائع، تتقد عيناه بالشر، ويتحلب شدقاه بالشره ، وتمتد يداه الباطشتان إلى قوتى الذى لا مساك للنفس إلا به ؟ وفى شريعة الوحش لا تتصافح الكفان ما دامت بينهما فريسة . ولكن الإنسان وحده هو الذى يستطيع أن يسلِّم بيد ويلطم بيد !

أهذا هو رجل الدين الذى عرفته عنوان الفضيلة ومثال الورع ولسان المعروف ؟ مالى أراه اليوم قد تهتكت الأستار عن تنكره البارع ، فلحيته المستعارة تكاد أن تسقط ، وزهادته الكاذبة تهم أن تفترس ، وحلته الدينية تشف عن جسد دنيوى تلهبه الشهوة المسعورة ، وتذيبه الرغبة الملحة ، ويود لو تنقلب المواعظ والآيات فى فمه رُقى سحرية ينال بها عرض الدنيا وعزة الجاه؟

أهذا هو المظيم التابه الذى أشاهده من حين إلى حين يمشى وأنفه فى السماء ، ولغاديده تكاد تنشق من نفخة الكبرياء ، ونظراته وكلماته توزع على من حوله احتقار القوى واستكبار المتسلط ؟ إنى لأراه الساعة من خلف هـذا المظهر الونق والرواء الخلاب جثةً ضئيلة الأجلاد خبيثة الريح يلتف جلدها الرقيق الشاحب على ضمير مثقل بالخزى ونفس مطمئنة إلى الهُون . وكأنى أنظر إلى بقايا الإنسانية فيه تخزه فى مواطن الحس منه بكلام معناه : ياعز ما بينك وبين الناس ، ويا ذل ما بينك وبين نفسك !

ومن هذا ؟ أهذا هو السياسى الذى ألف معجما فى لغة الوطنية ، ونظم ديواناً فى مدح الدستور ؟ أهو من أرى أم ذلك تاجر يهودى السمات يتجر بالكلام كالمضاربين فى (البرصة)، ويراهن على الزعماء كالمراهنين على الخيل فى السباق، ويضحى بالمنفعة اليسيرة لينال مقعداً فى البرلمان، أو بالوظيفة الصغيرة ليبلغ كرسيًا فى الوزارة؟

وما خطب هذا الشاب الذى يتجمل بالبذلة المهندمة، ويتنبل بالحركة المنظمة ، وليس فى كيسه قرش ولا فى بيته قوت ؟ لماذا يجلس فى هذه المركبة الفخمة مع هذا الرجل وهذه المرأة؟ أيريد أن يخدع الرجل فيبتز ماله بالصداقة، أم يريد أن ينوى المرأة فيسلب ثروتها بالزواج ؟ لقد بان فى المنظار أنه (ابن ذوات) أفلس فتاجر فى الاحتيال وسمسر للرذيلة . واللذان معه زوجان أرستقراطيان يقوم زواجهما على الرياء والخيانة ؛ فالفتى يبيع الرجل أعراض النـاس ويشترى منه عرض نفسه . وهو بهاتين الوسيلتين صديق الأسرة الأدنى وكلبها الممسوح المدلل !

وما حال هذه العصبة التى تندو كل ليلة إلى مجلس شراب أو سامر أنس ، فيتنادمون على الكأس بطرائف الأدب وروائع النكت ومداعبات الصداقة ؟ لقد كنت أحسبهم جميعاً فأصبحوا فى هذا المنظار شتى ! فهم لا يتصافقون على الود إلا فى مجالى اللهو ؛ فإذا تفرقوا تناكروا وبسط كل منهم لسانه فى الآخرين بالذم، ودرج بعضهم بين بعض بالوقيمة ، وصحح كل واحد لنفسه ما تقسم من الفضل فى الجماعة !

***

أعوذ بالحليم الستار، من شر هذا المنظار ! لقد شوه فى عينى جمال الوجود كما يشوه المكرسكوب بشرة الوجه الرفّافة . ولا مراء فى أن جمال الدنيا خداع وسعادة العيش وهم وحياة الناس تمثيل ؛ فإذا أزلت عن العيون غشاوة الإبهام والإيهام فرأت كل شيء على طبيعته وكل شخص على حقيقته ، لا يبقى لجميل سحر ، ولا لعجيب سر، ثم لا يكون بين أحد وأحد ألفة، ولا بين جماعة وجماعة نظام

فاكتب لى يا صديقى فى بطاقة العيد : أتريد أن أرسل إليك منظارك ، أم تسمح لى أن أجربه مرة على عين الدكتور مبارك ؟

احمد حسن الزيات

لعل الليـــــالى ...!

[رسالة مهداة إلى الروح الذي أهدى إليه « وحى الرسالة »]

للدكتور زكى مبارك

ما هفا القلب لخطرة من خطرات الحب والمجد إلا ترنمت بقول البحترى :

لعلّ الليالى يكتسين بشاشةً فيرجعن من عهد الهوى المتقادم

ولعهد الهوى فى قلبي وعقلى ألوف من الألوان والظلال. فهو تارة صورة وجدانية ، وتارة صورة وطنية ، وحيناً نزعة إسلامية ، وأحياناً نزعة عربية . وقد يحلّق الفكر فيرتفع إلى الأجواء الإنسانية فى كثير من الأحايين

ولا أعرف بالضبط متى تثور فى صدرى هذه المعانى : فقد تثور للشعور بالتقصير حين أتذكر تخلى عن أداء بعض الواجبات كالذى وقع يوم أهملت التنويه بكتاب «الأدب المصرى الإسلامى» للأستاذ محمد كامل حسين ، مع أن هذا الكتاب قدّم إلى عقلى فنوناً من الأريحية حين حبستُ نفسى على قراءته خمس ليال متواليات ، وكالذى وقع حين قصّرت بكتاب الدكتور طه بك حسين عن أبي العلاء فى سجنه ، مع أنى قرأته فى سهرة واحدة وقيدت بهوامشه ملاحظات كانت خليقة بأن تفتح للقراء باباً من الدرس والتحقيق

وهل أنسى أنى فرطت فى التنويه بكتاب الأستاذ سعيد العريان عن حياة الرافعى ، وهو كتاب شُتِمتُ فيه بغير حق لأنى كنت قلت إن العريان لا يدرك أسرار الحب ولا يفهم أين يقع قلبٌ مثل قلب الرافعى حين ينحدر فى هواه ؟ وكيف يدرك العريان هذه الدقائق وهو لا يصل إلى (شبرا) إلا بدليل مع أن عمله هناك ؟!

وكيف أغفر لنفسى السكوت عن الأستاذ عبد المتعال الصعيدى وقد اجترأ على الدخول بينى وبين الأستاذ أحمد أمين والدكتور طه حسين ؟ كان هذا الأستاذ جديراً بالالتفات إليه حين أنكر عليّ أن أقول : « إن أبا نواس فى فجوره أشعر من أبى العتاهية فى تقواه » ؟ ولو أنى التفت إليه لخلقت فرصة لتحديد الصلات بين الأدب والدين

وفاتنى ، مع الأسف ، أن أتحدث عن كلة قالها رفعة رئيس الوزراء يوم جمع مديرى الأقاليم بمكتبه فى وزارة الداخلية : فقد نبههم إلى مراعاة الكفاية قبل مراعاة الأقدمية فى ترقية الموظفين ، وأعلن بصراحة أن التقيد بالأقدمية يعطل مواهب الأكفاء ، ويروض الكسالى على الاطمئنان إلى أن الزمن يصنع فى الترقية ما لا يصنع الجهاد فى أداء الواجب بأمانة وإخلاص

ولقد كانت هذه النظرة الحصيفة خليقة بأن تُقدَّم إلى القراء فى مقال أو مقالين عساها تصبح من التقاليد الأساسية فى الحكومة المصرية

وهل ضاعت المواهب فى بلادنا إلا بسبب التقيد بالأقدمية ؟ إن رفعة رئيس الوزراء فتح مجال النضال لتحطيم هذه الصخرة التى طال عهدها بتعويق خطوات المجاهدين فى سبيل الواجب ، فكيف نسكت وقد رأينا الكسالى الخامدين يعتمدون على الزمن فى تقدير الأنصبة والحظوظ والحقوق ؟

ومن الذى يشرح هذه المعانى ويصيِّر الاعتماد على الكفاية عقيدة وطنية إذا سكت عنها الأدباء واكتفوا من الأدب بوصف القمر والشمس والنجوم والأزهار والرياحين ؟

وكيف يُحجب الأدباء عن درس الشؤون الأساسية فى سياسة المجتمع وقد صار الأدب فى بلادنا من المؤهلات الملحوظة فى اختيار الوزراء ؟

وهل يظن عاقل أن وزراءنا يرضون لأنفسهم ومواهبهم بالتخلف عن مسايرة الحياة الأدبية ؟

الأديب المصرى هو المسئول عن العزلة التى يعانيها بالبعد عن محيط الحياة الرسمية ، فلو أنه كان اهتم بمتابعة ما يجدّ من الشؤون التى تعالجها الدولة بالطب لأمراض المجتمع لنُصبتْ لأدبه الموازين ، وصار له فى كل مقام مقال ؛ ولكن الأديب المصرى يتوهم فى أغلب الأحيان أن الأدب له مجال غير النظر فيما يهتم به وزراء الدولة من خطير الشؤون

إن الزمن يُسرع ، ثم يُسرع ، ثم يسرع ، وأخشى أن تنقضى حياتنا قبل أن نرى للقلم دولة فى هذه البلاد

فمتى يعرف الأديب أن من واجبه أن يُقنع الدولة بأنه خُلق لوصف المجتمع باللغة العربية ، وهي اليوم لغة مصر ، وعن مصر يأخذ الحجاز نفسه علوم اللغة العربية ؟

ومتى يستطيع الأديب بحسن الترفق والتلطف أن يكون له في كل معضلة قول ، وفي كل مشكلة رأي ؟ متى يفسِّر الأديب ما بنفسه فيدرك أن الدولة تنفق في كل سنة نحو نصف مليون من الدنانير لتخلق الأديب الذي يستطيع أن يشغل الناس بأخلاقهم وأذواقهم ومبادئهم . والذي يستطيع بسحر البيان أن يروض الجماهير على تذوق معنى الحياة ومعنى العدل ؟

الأديب في بلادنا كثير التوجع والتفجع ، ولكنه لم يخط خطوة جدية في تجميل الوجود ، وهل في الوجود جمال وقبح ؟ الوجود هو هو لسائر الناس ، ولكنه كالماء يتلوّن بلون الإناء . والأديب الحق هو الذي يستطيع تحويل الوجود من لون إلى لون ، فيُضحك قراءه حين يريد ، ويبكيهم حين يشاء ، وَفقاً لخطة مرسومة يفرضها الشعور بألوان ذلك الوجود

وأين الأديب الذي سحره جمال الريف المصري وهو يتنقّل بالسيارة أو القطار من إقليم إلى إقليم فوصف أرض مصر وسماءها وصفاً يخلق الحرص الصادق على الاعتزاز بالمِلكية في أرجاء هذا الوطن الجميل ؟

أين الأديب الذي يفكر في بناء دار بالريف يسكن إليها من وقت إلى وقت ، كما يصنع أدباء الفرنسيس والإنجليز ، وكما كان يصنع أدباؤنا الأقدمون ؟

إن الأديب يشكو من تجاهل الدولة لحقه في الحياة ، فهل حفظ هو حقه في الحياة ؟

أليس من العجب العاجب أن يكون الفلاح أعرف بحقه من الأديب ؟

الفلاح المصري هو المثل الأعلى في الوطنية ، لأنه لا يبيع شبراً من أرضه إلا بعد أن يبلله بالدمع ، وهو يشعر بالخزي أمام نفسه وأمام زوجته وأطفاله حين يبيع فداناً ورثه عن أمه أو أبيه ، فأين الأديب الذي يحس هذه المعاني ؟ أين وميادين الأدب تُنتقَص في كل يوم ولا تثور زفرة من شاعر أو كاتب أو خطيب ؟ وللأدباء أملاك صحيحة ورثوها بأسنّة الأقلام ، كما ترث الدول أملاكاً بالمدافع والسيوف ، فأين من يعرف تلك الأملاك ؟

أملاكنا هي الميادين الذوقية والأخلاقية والاجتماعية ، ومن العار أن يسبقنا غيرنا إلى العناية بشؤون المجتمع ونحن نملك من قوة الإفصاح عن أسرار المجتمع أضعاف ما يملكون ، ونستطيع نقل المجتمع من حال إلى أحوال إذا صرنا من أصحاب المبادئ والعقائد ، وفرضنا على أقلامنا الجهاد الموصول في تثقيف المشاعر والعواطف والأذواق

وإلى من تلجأ الأمة في تهذيب مشاعرها وعواطفها وأذواقها إذا جفّ قلم الأديب ؟

وما قيمة الأديب إن لم يكن لصرير قلمه صوت مسموع في الأكواخ والقصور والمعاهد والمعابد ؟

وهل سيطرتْ عقيدة دينية ، أو نظرية أخلاقية ، أو شريعة ذوقية ، بغير سناد من أسنّة الأقلام ؟

أخشى أن يكون الأدباء في مصر هم «الأفندية» في فلسطين؛ فالأفندية هناك هم الذين باعوا أملاكهم ، أما الفلاحون في فلسطين فهم الذين عرفوا قيمة الوطن فلم يبيعوا ما ورثوه عن الآباء والأجداد

أين في أدباء اليوم بمصر من يذكّر بالشيخ محمد عبده ، الرجل الفلاح الذي فرض على الدولة أن تحسب لقلمه ألف حساب ؟ وهل فينا شبيه للأزهري الفلاح سعد زغلول الذي رجّ مصر والشرق بدعوته الكريمة إلى إعزاز الشخصية القومية ؟

إن الأنبياء ـ وهم مؤيَّدون بروح الله ـ لم يصلوا إلى القلوب بغير البيان !

فمتى يصير إعزاز البيان في بلادنا شريعة من الشرائع ؟

وهل نصل إلى ذلك إلا يوم يعرف أرباب الأقلام أنهم رسل هداية ، وأن سواد الحبر في أقلامهم أنفع لوطنهم من بياض الصباح ؟

حدثنا الأستاذ مصطفى عبد الرازق بك في مقال نشره بجريدة السفور منذ أكثر من عشرين سنة، أنه رأى زهرة جميلة في أحد أسفاره، وأنه لم يجد من يعرف اسم تلك الزهرة . فقال : عزاء ، عزاء، أيتها الزهرة، فليس اسمك أول اسم يضيع في هذه البلاد !

وهل صنع الأستاذ مصطفى عبد الرازق أكثر مما يصنع من يتوجعون للحق الضائع في صمت ؟

هل نزل من القطار فنقل الزهرة إلى قصره وخلع عليها اسماً من طرائف الأسماء ؟

وهل يذكر الآن مصير تلك الزهرة ، وقد توسلتْ إليه أن يرعى وداد لحظة ؟

ولتلك الزهرة شبيه من الجواهر المجهولة فى هذه البلاد !

عندكم الأديب ، وهو أنفع لكم من معدن « الولفرام » ، الذى استكشف بغتة فى الصحراء الشرقية ، وهو معدن نفيس يغنيكم عن أخيه الذى يصدر عن بلاد الصين ، وقد استكشفه رجل أجنبى فى السنة الماضية . فأين الأجنبىُّ الملهم الذى توفقه المقادير إلى استكشاف العبقرية الأدبية فى وطن « حابى » والحابى هو الوهاب ، وهو اسم النيل قبل أن يعرفه اليونان ؟

تحرَّك ، أيها الأديب ، ودُلَّ على نفسك كما دلَّ على نفسه معدن الولفرام !

إن ذلك المعدن هو أصلح المعادن لصياغة الأسلاك الكهربائية ، ونفسك هى الكهرباء أيها الأديب ، فاسحقْ من يجادلونك فى عبقريتك ، وسيطر بقلمك على الوجود .

زرت عين حلوان ، فسمعتها تقول : منذ ألوف أو ملايين من السنين وأنا محبوسة فى الصحراء ، لا يحس وجودى فرعون ولا خليفة ولا سلطان ولا مَلك !

فاقتديت بالحكيم مصطفى عبد الرازق وقلت : معذرة ، يا عين حلوان ، فما كنت أول جوهر ينساه أهل هذه البلاد ! !

وما عين حلوان ؟

هى عين يشفى ماؤها من أمراض الكبد

ولى كبِدٌ مقروحة من يبيعنى   بها كبداً ليست بذات قروحِ
أباها علىَّ الناسُ لا يَشترُونها   ومن يشترى ذا علة بصحيح

فأين كانت هذه العين وقد مات ألوف وملايين من أجدادنا الأكرمين بأكباد قرَّحتها مآسى الحب ؟

وهذه العين أراد طمسها بعض أعداء مصر بالأسمنت فى غفوة الليل ولم يفلحوا

فتى ينتصر الأدب على خصومه الذين يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم !

لن يكون لمصر عَلَم مرفوع إلا يوم تعرف أن الله أعزَّها بالقلم ، وأنه عزَّ شأنه جعل فى واديها شعلة الحركة الفكرية فى القديم والحديث . ومن الذى يتصور للدنيا حياة بدون مصر وهى صلة الوصل بين الشرق والغرب ؟ وهل كان لأنبياء الشرق سناد غير مصر وفيها عاش أعظم الحكماء والرهبان والصوفية ؟ وهل اتفق لمدينة فى الدنيا ما اتفق للقاهرة من رعاية الصوامع والكنائس والمساجد ؟

إن وادينا هو الوادى الأخضر بين وديان العالم ، ولن نزكى عن نعمة الله علينا إلا بالتغنى بهذا الوادى الجميل ؛ ولكن من يسمح لنا بالغناء ؟

هل رأيتم جو مصر فى يوم ٦ و ١١ يناير ؟

هل رأيتم ؟ هل رأيتم ؟

حدثونى فى أى بلد يرى الناس مثل هذين اليومين فى فصل الشتاء ؟

إن يوماً واحداً من أيام الصحو فى مصر لأفضل من جميع الأيام فى سائر البلاد . وبفضل أيام الصحو فى مصر صح لأحد ملوكنا القدماء أن يرى نفسه إله الأرض والسموات

ومع ذلك جاز لبعض خلق الله أن ينكر على شعراء مصر نعمة الفتون والجنون

ومتى يُفتَتن المرء أو يجنُّ وهو لم ير صحوة الربيع فى ظُلمة الشتاء ؟

أيامنا كلها ربيع ولكن أين من يعرف ؟

ذلك يوم ٦ يناير ، وهذا يوم ١١ يناير ، فاسألوا فى أى أرض عرف الناس مثل هذين اليومين ؟

لعل الليالى ...!

لعل الليالى يكتسين بشاشةً   فيرجعن من عهد الهوى المتقادمِ

لعل الليالى ...!

لعل الليالى تُحسن مرة واحدة فتلفت بعض الناس إلى الكأس الذى صدعوه بعد أن شربوا ما كان يحوى من رحيق !

لعل الليالى تذكِّر بعض الناسين بالوَتَر الذى قطعوه بعد أن ثملت آذانهم بما كان يملك من رنين !

لعل الليالى ترجع أحبابنا الشاردين إلى عهدهم القديم حين كانوا يحسّون ظمأ الأرواح والقلوب !

إن عشتُ – وعُمر الصادقين فى مصر أقصر من عمر الورد – فسأنتقم من زمانى

وهل أموت قبل أن أساعد على تأسيس دولة للقلم فى هذه البلاد؟

وكيف يموت من ينقل الناس بقلمه من ضلال إلى هدى، أو من هدى إلى ضلال؟

يستطيع قومٌ أن يتناسوا فضل القلم فى خلق المودّات الصحيحة لمصر فى أقطار الشرق، ولكنهم لن يستطيعوا أن يصدّونا عن الجهاد فى الطب لأمراض المجتمع المصرى والشرق. ولن يُفلح من يتوهمون القدرة على تزهيدنا فى تذوق معانى الحب والمجد

نحن من صُنع الله، ويد الله لا تمسُّ شيئاً أو شخصاً إلا تهبه الخلود

لعل الليالى ...!

لعل الليالى تلهم شعراء مصر فكرة «نشيد العدل» كما ألهمتهم فكرة «النشيد القوى» و«الأناشيد العسكرية». ولعل الليالى تذكّر من يسمُرون على شواطىء بَرَدى والعاصى ودجلة والفرات وسائر الأنهار العربية والإسلامية أن لهم فى مصر إخواناً يُغذون أبصارهم تحت أضواء المصابيح ليقيموا دولة للقلم العربى، القلم الذى عجزت عن قصفه مكايد الصروف وعثرات الجدود

لعلّ وليت!! وهل تغنى لعلّ أو تنفع ليت؟؟

«ن، والقلم وما يسطُرون»

فإلى الله الذى أقسم بالقلم أرفع نجواى وشكواى، وهو حسبى ونعم الوكيل

فيا فاطر الأرض والسموات، ويا باعث النور فى ظلمات الحبر الأسود، ويا راحمى من دسائس الكائدين والخاتلين، ويا مُلهمى وساوس الشك وحقائق اليقين، عليك توكلتُ وإليك أُنيب.

زكى مبارك

حديث حول الشعر

لجان كوكتو و بيير لاجارد

بقلم الأستاذ صلاح الدين المنجد

[هـذه محاضرة طريفة ، ولـكنها ليست كالمحاضرات في شيء ، إنما هي أدنى إلى التمثيل منها إلى المحاضرات . قام بها ملك الأحاديث الصحفية « بيير لاجارد » ، مع الشاعر الـكبير « كوكتو » في قاعة « الأنال » في باريس في السنة الحالية ، وهنا يسأل الصحفي ، الأديب الشاعر ، فيجيبه على سؤاله أمام الناس ...] « المنجد »

بيير لاجارد يتكلم :

سيداتي ، آنساتي ، سادتي :

هذا حديث طريف ، سنحاول أن نسمعكموه ، وهو يشا كل التمثيل في كثير من نواحيه . سأدفع شاعرنا « كوكتو » إلى الـكلام عن الشعر ، بعد أن فرّ من باريس واعتزل في البروفانس . إنه لم يعدّ للأمر عدته ، ولم يحبر الصحائف ، ولـكنه سيسمعكم صوته الإنساني المتصعد من أعماق القلب ...

جان كوكتو

قبل أن أسلم مقادتي لهذا الصحفي البارع ، أريد أن أحدثكم عن الصحافة : إنها مهنة من الطراز الأول ، ولـكنها تتطلب جهداً وذكاء، لأن صاحبها يسعى لأن يشق المرء نصفين ليستطلع خفاياه، والمرء يحاول الصمت أمام هؤلاء ذكاء أو كسلاً ، ولـكن مهما حاول المرء أن يفلت من الصحفيين، تبعوه وأفسدوا عليه هدوءه. إن هذه المهنة هي صيد للانسان .

أما الشعر الذي سأحدثكم عنه ، فهو جني يستطيع أن يتخذ أشكالاً شتى ... لقد حسب « ليونارد دفانشي » أن الشاعر من ينظم لا من يهز ، فنظم من الشعر أبياتاً ليكون شاعراً ، ولـكنه كان في غنى عن تلك الـكلمات الميتة التي صاغها ... فقد كان شاعراً في فنه، وشاعراً في لوحاته ... ولقد كان شعره الذي أودعه الصور والتهاويل ، أروع من شعر الشعراء . سألوه يوماً : أي فرق ترى بين المصور والشاعر ؟ ... فأجابهم : إن للمصور شأناً لا يبلغه الشاعر . سلوا عاشقاً أذبله الوجد ، ولاعه الحنين ، ماذا تود ؟ أأبياتاً من الشعر الرقيق تمجيداً لحبك ، أم صورة ساحرة له ؟ ... يجبكم : أود صورتها .

ولقد حدث بعد « رامبو » أمر ذو شأن : فقد كان في فرنسة قبل هذا الشاعر شعر ... ولـكن رامبو أطلق الروح الشعرى ، وكان لا يعني إلا بالروح ...

وأعني أن الشعر قد أصبح بعده مهنة ، فقد كان لا ينظم إلا إذا أثر فيه شيء ... أما بعده ، فقد أصبح الشعر تحت الطلب !

أنا أعجب « بموليير » . إن شعره هو مصدر شعرنا الحديث . لقد كان « موليير » صحفياً ، يؤلف المجلات ، ولـكنها مجلات رائعة عميقة سريعة . وإن قصيدته « أورونت » هي نبع ثرّ لشعرنا اليوم . ولو لم تكن أنشودة الأورونت لما كان « مالارميه » ولما سمعنا أهازيج أولئك الشعراء الذين يسكروننا بروائعهم

لقد بعث فينا «موليير» الحياة، وجعلنا نتذوق أشياء كثيرة. كنت في « مونتارجيس » . فقرأت « المتشائم » عشرين مرة ، وقرأت « بريتانيكوس » عشرين مرة . لأن راسين وموليير صانعا ساعات ، فإذا أردت النظام والدقة فالتمسهما عندهما

لم تكن قصيدة « الأورونت » قط رديئة ، كما قالوا ، وإنما كانت رائعة جميلة ، فيها من الشذوذ قليل ، ولـكن ثقوا أن من هذه القصيدة أتى الشعر الحديث

وتستطيع يا صديقي أن تسألني الآن عما تشاء ...

بيير لاجارد

رأيتم أن من العبث إعداد أسئلة لهذا الشاعر ، فلقد حدثكم عما كنت أريد أن أسأله عنه . ولـكن ... ما هو الشعر يا صديقي

جان كوكتو

يحسن الصنع إن سألتني عما تشاء . أما الشعر فهو دارة لا يستطيع أن ينفذ إليهـا إلا رهط قليل . ولن تجدوا وسطاً أرستقراطياً أشد إحكاماً من الشعر . على أنه يجب أن تعلموا أمراً ، ذلك أن الشاعر إذ ينظم قصيدة فيها الشعر الصافي وحده ، لا يجد لقصيدته هذه رواجاً ، لأن الخاصة وحدها هي التي تفهمها ، وكذلك لا يجد الشعر الواضح المعاني مايلاقيه الشعر الدقيق الفكر . إن نصيب الأول يكون نصيب الزهور المتفتحة التي تذبل سريعاً ؛ أما الثانية ، فاسمعوا ... إذا أردت أن تهدى إلى سيدة أو آنسة أزهاراً ، إنك تدهشها إذا أرسلت اليها الورد المتفتح ، ولـكنه يذبل ، أما يجدر بك لتذكرك دائماً أن ترسل اليها براعم الورد لتتفتح بين يديها ... !

وأنا أعتقد أن القصائد التى لا تحدث ضجة عند نشرها هى التى تخلد وتبقى . هذا بودلير ... أخرج للناس روائعه ، فصدفوا عنها ، لأنهم لم يفهموها ، ولكنها أصبحت من بعد حديث الناس جميعاً ... أما هو فكان ينظر إليها كأنها أزاهير وحشية فى بساتين نائية مجهولة

وربما أصاب الناس فى تقديرهم القصائد أحياناً . ربما سمعتموهم يقولون عن شاعر كبير : إنه ليس بشاعر حق ، أو عن مطرب بارع : إنه لا يطرب . ذلك لأنهم أحسوا أن شعر ذلك الشاعر لا يهز ولا يثير ، ولأن ما أبدعه متقلب ضعيف

إن الشعر يرفرف على العالم من كل نواحيه ، ولكن علينا أن نصطفى وننظهر. فإن فى الصحف شعراً ، ولكنه غير منظوم ؛ وإن فى الحوانيت شعراً ولكن لا يدركه إلا القليل. ألا تنظرون إلى تلك النقوش وتلك الخطوط التى تزدان بها الصحف ؟ ألا ترون تلك الأشكال الرائعة ، وتلك التماثيل العارية التى ظهرت فى معارض البيع ؟ إن فى ذلك كله شيئاً يبهج النفس ، شيئاً اسمه شعر

الحياة ملأى بالشعر يا سادتى . إن مرأى الطائرين الذين تحترق بهم الطائرة ، فيضطربون بين ألسنة اللهب ، ويموتون على زئير النار ، وهم يستمعون بالمذياع إلى رقص الفتيات وضحك الزنوج فى مسارح مونمارتر لمملوء بالشعر . وإن منظر تلك الأم التى أحست الجوع فالتهمت فخذ ابنها الصغير لشعر أيضاً ، ولكنه شعر مخيف مجرم يثير الجمهور لأنه يثير العواطف . إن المرء ليستطيع يا سادتى إقامة معرض للشعر يلاقى أعظم نجاح وأكبر تأييد

بيير لاجارد

أنت لا تريد أن تحدّد الشعر بالنظم ، ولهذا كان ما أخرجته للناس شعراً كله ، ولكنه شعر منثور . لقد صنفت رواياتك ، مثل «توماس» و «الأطفال الأشرار» وغيرهما وسميتها «الشعر الروائى» وعند ما تخرج مجموعة من الرسوم الرائعة ، أو كتاباً مثل «سر المهنة» تضعه تحت اسم «الشعر التصويرى» أو «الشعر النقدى» فهل هناك صلة بين هذه الأنواع كلها أو أن فى نفسك رباطاً يربط بعضها ببعض ؟

جان كوكتو

كل ذلك شعر ولو لم يكن موزوناً مقفى . وأنا شاعر ، والشعر مهنتى ، كما أن للنجار مهنة وللحداد صنعة . لكنى لا أحب ما كان فناً منظماً . لقد حاولت أن أحب ما هو منظم فنى ، ولكنى لم أستطع الشاعر طليق ، والفنان لا يحب النظام . وإن أولئك الشعراء الذين يودون أن ينيروا كل جزء من أجزاء ذاتهم ، ثم يطلبون فوق ذلك نوراً وأشمة طول حياتهم لعظماء . إنهم كجيته العظيم . هم يعشقون النور ، حتى فى اللحظة التى تعرج روحهم فيها إلى السماء ... ولكنهم قليلون

دع الشاعر ... إنه يستمد وحيه من كل شىء ... من كلب حقير ومن ملك كريم . إنه يسعى ويفتش لأنها مهنته ...

— وهل الشعر مهنة ؟

— نعم مهنة ، ومهنتى قول الشعر

— وهل تستطيع أن تقول الشعر متى شئت ؟

— نعم ، أقول الشعر متى أشاء ، كما يصنع النجار النضد متى شاء

— إذن لست بشاعر ولكنك ناظم

— إن هذا المعنى للشعر الذى يدل على أنه الوحى الروحانى ، لم يعرف إلا بعد رامبو . الدنيا مليئة بالشعر ، ولست عبداً ، حتى أنتظر الوحى الروحى ...

إن لنا فى الشعر أساتذة ، هم شعراء من نوع خاص ، لا ينظمون إلا وهم فى كهوفهم ، ولا يعرفهم إلا قليلون ، منهم رامبو ، ومالارميه ورايموند روسّل ... هؤلاء هم كنوزنا التى نفخر بها . هؤلاء هم الشعراء حقاً ، منهم نستلهم شعرنا ، وعليهم نتعلم كيف ننظم وكيف نقول .

صلاح الدين المنجد

بعد الفراق

للدكتور ابراهيم ناجى

أَجلْ أهواكِ أنتِ مُنى حياتى   وأنتِ أحب من بَصرى وسمعى

وهل أنساكِ ؟ كلا ، كيف أنسى   هوًى قد كان إلهامى ونبعى !

لبستُ من التَّصبُّرِ عنكِ درعا   فها أنا تنزع الأقدار درعى

وها أنا لا أُدارى عنك أمرا   عَرَفْتِ محبّتى ورأيتِ دمعى

وهل يُخفى التنكرُ ألفَ جرحٍ ؟   وهل يُخفى التستر ألفَ صدع ؟

تلاشت قوتى وغدا فؤادى   كأنَّ خفوقَه خلجات نزع

أبشّره فيرقص فى ضلوعى   وأنظر سود أيامى فأنعى

وقد نضب الخيال وغاض طبعى   ومات على حياض اليأس زرعى

أُجَرْجِرُ وحدتى فى كل حشد   وأحمل غُربتى فى كل جمع

ناجى

الفروق السيكلوجية

بين الأفراد

للأستاذ عبد العزيز عبد المجيد

الفروق العقلية (الذكائية)

فى سنة ١٨٥٧ ولد ألفريد بينيه السيكلوجى الفرنسى الشهير، وتخرج فى جامعة الصربون. ولما نال دبلوم التاريخ الطبيعى سنة ١٨٩٠ عين مساعداً للأستاذ بونى M. Beaunis مدير معمل علم النفس وعلم وظائف الأعضاء بالصربون. وفى سنة ١٨٩٤ نال بينيه الدكتوراه، وتقاعد الأستاذ بونى فحل الأول محل الثانى فى إدارة معمل علم النفس. ومن ذلك الحين بدأ كلاهما — وانضم إليهما آخرون — فى تحرير مجلة « العام السيكلوجى » L'Année pcychologique. وكانت هذه المجلة لسان الحركة السيكلوجية الفرنسية. وفى هذه المجلة — التى سنشير إليها فى مواضع مختلفة من هذا المقال — نشر بينيه كثيراً من المقالات عن الذكاء ومقاييسه والفروق الفردية[١]. ولكن حياته الحافلة بالبحث والإنتاج لم تطل، فقد عاجلته المنية سنة ١٩١١

بدأ بينيه تجاربه لمعرفة الفروق العقلية بين الأفراد بقياس الذكاء بالطرق التى كانت معروفة فى عهده فى معامل علم النفس، كطرق جولتن وكاتل — التى أشرنا إليها فى مقالات سابقة — وكقياس سرعة الإحساس، وسرعة الحركة، وسرعة الرجع. ولكنه ما لبث أن نبذ هذه الطريقة التى سماها « طريقة الآلات النحاسية » وفكر فى طريقة لا تحتاج إلى آلات بل إلى قلم وقطعة ورق وقليل من الحبر كما يقول هو

وفى سنة ١٨٩٦ اختبر ثمانين طفلاً بعرض صور متشابهة عليهم، ومطالبتهم بالإجابة عن أسئلة وضعها لهم. وقد وصل بتجاربه واختباراته هذه إلى أن هناك ذكاء وراثيا وثقافة مكتسبة يجب التمييز بينهما، وأنه لقياس الذكاء الوراثى يجب أن تكون الاختبارات متعددة ومتنوعة بحيث نقيس كل مظاهر القدرة على التكييف، تلك القدرة التى سماها الذكاء

(١) أنظر مقالة La psychologie Individuelle فى عدد سنة ١٨٩٦ من هذه المجلة

كذلك قرر بينيه أن الذكاء إنما يظهر فى التصرفات التى تحتاج إلى بناء وتركيب أي synthesis أكثر من التى تحتاج إلى تحليل analysis، وفى معالجة الأمور التى تحتاج إلى تنظيم أكثر من إدراك هذه الأمور وتمييزها « أو فى كلمة واحدة: الذكاء هو عملية تكوين وتركيب[١] ». ومن أجل ذلك استعمل بينيه لقياس هذا الذكاء اختبارات تحتاج إلى بناء وتكوين، كأن يعطى الطفل صورة مقسمة إلى عدة قطع ويطلب إليه تكوينها، أو قطعة نثرية محذوفاً بعض أجزائها ويطلب إليه ملء الفراغ بكلمات أو جمل مناسبة

راع رجال التعليم فى باريس فى بضع السنوات الأولى من القرن الحالى كثرة عدد المتخلفين[٢] فى التحصيل من تلاميذ المدارس بالمدينة. ولم تكن تظهر على هؤلاء التلاميذ علامات الغباء أو ضعف العقل. وقد حاول أولو الأمر أن يعرفوا سبب هذا التخلف، أهو عدم الانتباه، أو إهمال المدرسين، أو قلة ذكاء التلاميذ حقيقة، فكونت وزارة المعارف الفرنسية سنة ١٩٠٤ هيئة — من أعضائها بينيه — لفحص الأمر سيكلوجيا، وإبعاد ضعاف العقول وإرسالهم إلى مدرسة خاصة بهم. وقد كان المتبع حتى ذلك الحين أن يعرف ضعاف العقول بطريق الفحص الطبي وآراء المدرسين

شرع بينيه فى وضع[٣] مقياس موضوعى objective يعرف به درجات الذكاء بين الأفراد، ويستطيع به تمييز شواذ العقول من غيرهم. وكان كلما وضع نوعاً من المقاييس جربه ثم عاد إلى إصلاحه وتهذيبه ودراسة النقد الموجه له. وكان أول مقاييسه ما وضعه مع زميله تيودور سيمون سنة ١٩٠٥. ويمتاز هذا القياس بأنه وضع ليناسب أسناناً مختلفة، وبتدرجه فى الصعوبة وفقاً لنمو العقل. ولكى نعرف الفرق العقلى بين فردين أو أكثر يجب أولاً أن يكونا متساويين فى السن حتى نقارن نتائج اختبارهم. ويمتاز هـذا القياس أيضاً بأنه لم يقصد به قياس الاستعدادات الخاصة، بل قياس الذكاء العام Genesse Intelligence

وفى سنة ١٩٠٨ نشر بينيه وسيمون مقياساً منقحاً للذكاء،

(١) صفحة ٢٥ من Psychological Terts of Educable Capacity

(٢) المتخلف من التلاميذ فى الفصل هو ما يسمى بالانجليزية Bachaard، وقد استعمل ابن خلدون فى مقدمته كلمة متخلف بهذا المعنى

(٣) أنظر مجلة العام السيكلوجى المجلد الثانى سنة ١٩٠٥ من صفحة ١٦٣ إلى صفحة ٢٤٤. وكذلك موضوع « استعمال طرق حديثة فى فحص الذكاء الوراثى عند الأطفال العاديين وغير العاديين فى الملاجئ والمدارس الابتدائية » صفحة ٢٤٥

نجد فيه لكل عمر مجموعة خاصة من الأسئلة. فإذا ما أجاب الطفل إجابة صحيحة عن هذه المجموعة من الأسئلة كان عمره العقلى (ع.ع) يناسب عمره الزمنى (ع . ز) ، ويسمى ذكاؤه فى هـذه الحال متوسطاً . مثال ذلك أن يسأل الممتحن الطفل : (١) ما اسمك ؟ (٢) أنت ابن أو بنت ؟ (٣) ما عمرك ؟ فإذا أجاب الطفل صحيحاً عن السؤالين الأول والثانى كان عمر الطفل العقلى (ع ع) أربع سنوات ، إذ أن تجارب بينيه المتكررة أثبتت أن الطفل متوسط الذكاء يستطيع أن يجيب مصيباً عن هذين السؤالين . ولما كان هذا المقياس عبارة عن مجموعة من الأسئلة تزداد صعوبة درجة بعد درجة كلما ازدادت سِنُّ الممتحن أطلق عليـه بالفرنسية échelle métrique ، أى المقياس السلمى للذكاء . وعيب هذا المقياس أنه لا يعطى أى فكرة عن العلاقة بين العمر الزمنى والعمر العقلى ، فقد يتفق اثنان فى عمر عقلى واحد — ست سنوات مثلاً — ويكون العمر الزمنى لأحدهما خمس سنوات وللثانى عشراً .

وقد شاع هذا المقياس فى أوربا وأمريكا ، فاستعمله ديكرولى فى البلجيك ، وجودارد فى الولايات المتحدة ، وبوبرتاج فى ألمانيا ، وفيرارى فى إيطاليا

لم يمض على هذا المقياس ثلاث سنوات حتى نشر بينيه — باسمه وحده — مقياساً آخر منقحاً سنة ١٩١١ ، وكان هذا آخر عمل قام به فى حياته . وقد احتوى هـذا المقياس على أربعة وخمسين اختباراً موزعة على السنوات المختلفة من سن الثالثة إلى السادسة عشرة . وكان هذا المقياس كسابقه يعين عمر الفرد العقلى من غير تحديد للنسبة بينه وبين العمر الزمنى . وقد ترجم هذا المقياس أيضاً إلى لغات أخرى ولاقى رواجاً كبيراً فى أمريكا. وفى سنة ١٩١٥ نشر البروفسور ترمان ـ بمعونة زملائه بجامعة استنفورد ـ ترجمة منقحة ومهذبة ومزيدة لمقياس بينيه سيمون[١] وتعرف هذه الترجمة باسم « مقياس بينيه إستنفورد المنقح[٢] » . ويحتوى هذا المقياس على تسعين اختباراً ، لكل سنة ستة اختبارات عادة . وهاك بعض هذه الاختبارات :

يطلب المختبر من الطفل البالغ ثلاث سنوات :

١ — أن يشير إلى أنفه ثم عينه ثم فمه ثم شعره ، وينجح الطفل إذا عرف ثلاثة من أربعة

(١) وفى سنة ١٩١٦ نشر ترمان كتابه المشهور Measurement of Intelligence

(٢) وقد ترجم الأستاذ اسماعيل القبانى هذا المقياس بتعديل يلائم المصرى

٢ — يعرض المختبِر على الطفل مجموعة مكونة من (مفتاح، مليم ، مبراة مقفلة ، ساعة ، قلم رصاص) ويطلب إليه أن يذكر أسماء ثلاثة أشياء من هذه الستة

٣ — يعرض على الطفل صورة لمنزل هولندى (أو مصرى) وأخرى لنهر ، وأخرى لمكتب بريد ، ويطلب منه أن يذكر أسماء الأشياء التى فى الصور واحدة بعد الأخرى

٤ — أن يسأل المختبر الطفل الابن « أنت ابن أو بنت ؟ » أو يسأل البنت « أنت بنت أو ابن ؟ »

٥ — أو يسأل الطفل عن اسمه واسم أبيه أو عائلته

٦ — أن يكرر الطفل وراء المختبر ثلاث جمل بسيطة مثل : أنا عندى كلب صغير . الكلب جرى ورا القط . فى الصيف الشمس سخنة

ولم أذكر هنا طريقة الاختبار ولا نسبة النجاح فى كل اختبار لأن هذا مما يطول ذكره ، ولأن المقصود هنا إعطاء القارئ فكرة عن نوع الاختبارات المستعملة لقياس الذكاء[١]

ويمتاز مقياس ترمان بأنه استعمل لأول مرة نسبة الذكاء المساة بالإنجليزية Intelligence Ouotient ، وهى عبارة عن نسبة العمر العقلى إلى العمر الزمنى مضروبة فى ١٠٠ ، $\frac{\text{ع . ع}}{\text{ع . ز}} \times ١٠٠$ وقد أصبحت هذه النسبة[٢] معتمدة فى مقياس الذكاء وبها يمكن معرفة الفرق بين ذكاء فرد وذكاء آخر مختلف عنه فى العمر . ووضع علماء النفس الجدول الآتى لمعرفة نوع ذكاء الفرد بعد اختباره

نسبة الذكاء الفردى	فوق ١٤٠	١٢٠ـ١٤٠	١١٠ـ١٢٠	٩٠ـ١١٠	٨٠ـ٩٠	٧٠ـ٨٠	دون ٧٠
النوع	عبقرى	فائق جداً	فائق	متوسط	غـبى	على شفا ضعف العقل	ضعيف العقل

فإذا فرض أن عندنا طفلاً عمره العقلى ٩ سنوات وعمره الزمنى ١٠ سنوات ، وأردنا معرفة نوع ذكائه أجرينا العملية البسيطة الآتية : $\frac{٩ \times ١٠٠}{١٠} = ٩٠$ ، وهى نسبة الذكاء ، وإذا نظرنا إلى الجدول السابق وجدنا أن صاحبنا متوسط الذكاء .

« بخت الرضا — السودان » عبد العزيز عبد المجيد

(١) يستطيع القارئ الذى يريد الاستزادة أن يراجع « مقياس استنفرد وبنيه لذكاء » تصنيف الأستاذ اسماعيل القبانى

(٢) صاحب فكرة نسبة الذكاء هو السيكلوجى الشهير الألمانى ونزيل أمريكا الآن وليم شترن ، وقد شرحها فى Zeitschript sür Angewandte Psychologie سنة ١٩١٦ . وقد أعلن هذه الفكرة سنة ١٩١٢

من عيون الأدب الإنجليزى

مرثية فى مقبرة ريفية

لتوماس جراى

للأستاذ محمد مندور
المدرس بكلية الآداب

ليست معرفتى « بجراى Gray » بنت الأمس . ولقد سمعت شباب الجامعة بكمبردج يرددون مقطوعاته، وفى جمال اطرادها ماينسينى هوى نفسى وعهدى بها نزاعة إلى الجائش المضطرب اضطراب نزوات الحياة عند ما يسحق عمقها. ومن قديم وصف بوالو Boileau هذا النوع من الاضطراب الجميل بأنه منبع آيات الفنون

ولطالما سألت نفسى عن سر إصغائها إلى «جراى» على بعد البون بين ما ألتمس فى نفوس الشعراء وما جبل عليه هذا الصديق، فما وجدت جواباً غير راحة النفس المضناة تجد فى اطراد النغمات مسكناً لما يجيش فيها بالألم

وفى الحق أن الشعر الإنجليزى لا يعرف قصيدة أمتن من مرثية جراى فى اطراد الوزن ونقاء المبنى . فالقصيدة تنتظم رباعيات متعانقة القوافى متلاحقة التفاعيل فى غير زحاف ولا علة، بحيث ينطلق فيها البصر، والنفس تلاحقه فى يسر ينزل منها منزلة قطرات المطر تتساقط موقعة على زجاج نافذة، فإذا بالنفس قد هدأت وسكن جائشها إلى اطراد النغم . ومن هنا يتردد إذن فى صداقة رجل كهذا؟

لم يعرف « جراى » ثورات النفس ولا مغامرات الهوى ، وفى انتظام حياته ما يملأ القلب إعجاباً ، فقد أنفق عمره يطلب العلم بكمبردج، وكأن به يطلب إلى العلم سلوى عن طفولته البائسة. طفولة طفل يولد لأبوين متفاوتى المشارب حتى ليستحيل على أحدهما أن يسكن إلى الآخر

ولأمر ما يحلو لى دائماً أن أتصور « جراي » رقيق النفس رقة النسمات المتهافتة ؛ وفى ميوله ما يغربنى بهذا الظن ، فلقد أولع الرجل أشد الولع بأغانى Ossian تلك الأغانى الشعبية التى كانت ولا يزال يرددها سكان جبال إيقوسيا ، وساقه أوسيان إلى أساطير البلاد الشمالية يستلهمها سذاجة الشعر قانعاً بما تعطيه من بديهى المعانى دون ما يمكن ان يكون خلف ذلك من رمز بعيد

وما كان لجراى وتلك طبيعته أن ينصرف عن آداب روما وأتينا ونفوس منشئيها فى غضاضة نفسه يوم ابتسمت الإنسانية ابتسامة الطفل توقظه من مهده رقة الصباح ... نعم ابتسمت الإنسانية فملأت الطبيعة بخيالها الضاحك ، وإذا بعرائس الشعر ترقص فى كل مكان ، وإذا بعذب الأساطير يوقع نغمات ذلك الرقص

هامت نفس « جراى » فى هذا العالم المسحور فطرب لآثارهم أيما طرب وود أن لو كان من عشيرتهم فقال الشعر باليونانية وباللاتينية، حتى لأحسب هذا الطرب قد بلغ فى نفسه مبلغ الشهوة، ونحن فى ذلك لا نتجنى عليه ما دمنا نؤمن أن نفساً لا تعرف الشهوة لا يمكن إلا أن تنغم إن لم تتحطم

وأنفق جراى حياته بغير زوج ولا ولد بين جدران كمبردج يستمع إليها تقص من أنباء الماضى أجمل القصص، واطردت حياته على تلك الوتيرة حتى دلف إلى سكون الموت

عاشر جراى هومير وفرجيل، فرقت نفسه ، ونزعت إلى المثل الأعلى نزوع الطبع المصقول. واتفقت له أثناء ذلك رحلات رأى فيها من جلال الطبيعة ما يسمو بالقلوب قدر ما يلهب الخيال. وكلنا يذكر كيف قاد روسو تلميذه إلى قمم الجبال ليهديه السبيل إلى ربه

أتى « جراى » إلى الألب بفرنسا وحط رحاله إلى جوار « جرينوبل » حيث يقوم معبد الرهبان المتوحدين La Grande Chartreuse

هنالك تنهض الجبال عاتية وقد كستها الغابات يرتفع إليها البصر فيعود محملاً بأعمق الآيات ترددها النفس بذكر الله . هنالك يملأ القلب شعور دينى بتفاهة الحياة، وإذا بنا نود أن لو استحلنا إلى مثل دمعة عيسى التى زعم الشعراء أنها استحالت إلى ملاك رحمة وسعت رحابه كل نفس حتى نفس إبليس . هنالك يستقر فى الحواس إحساس بالجمال يتمثل صوراً تأخذ النفس كارهة أو راضية إلى حيث تلتمس أطيب المثل. وما غفل جراى عن شيء

من هذا ، فى خطاباته لصديقه Horau Wolpole لكل ذلك أجل الذكرى

وخالس «جراى» الزمن مرة أخرى فانطلق إلى حيث تنتثر البحيرات الصغيرة بين الجبال فيما يشبه قبلات العذارى على وجه السديم ، انطلق إلى إيقوسيا حيث السكون الرهيب لا تحركه إلا نغمات الناى يرسلها الرعاة من أعلى الجبال فتنساب بين الوديان أو تطفو على سطح المياه وكأنها من روح الله ، ونفذ كل ذلك إلى قلب « جراى » فقيد « بيومياته » biary التى طالما باركناه أن تركها لنا دليلاً يأخذ بنا إلى حيث نرجو أن نجد الجمال

وكرت الأيام و « جراى » يطهر من نفسه إلى أن بلغ ولعه بالمثل الأعلى تلك الدرجة الجميلة التى نجدها عند الكثير من هؤلاء المطهرين Puritanis الذين لا تزال انجلترا تنعص بهم رغم وفرة من ترحّل منهم إلى أمريكا حيث وجهوا النفوس هذا الاتجاه الذى أنتج أمثال « نلسن » ممن بلغ بهم الإيمان بالمثل الأعلى مبلغ السذاجة المقدسة

وما كان جراى بحاجة إلى روسو ليحنو على الضعفاء أو ليقدر سذاجة النفوس قدرها ، وفى نفسه وفى ملابسات تلك النفس ما يقوده إلى حيث انتهى فى تلك المرثية الخالدة التى كفلت للشاعر الخلود، والتى لم تكد تنشر سنة ١٧٥٠ حتى تناقلتها جميع الألسن، وحتى أخذت الأمهات أطفالهن بحفظها كما نفعل نحن ببعض آيات كتابنا الكريم ، وأكبر ظنى أنه حتى اليوم لا تزال تلك القصيدة أكثر القصائد انتشاراً بين القوم فى جميع أنحاء انجلترا

قال « جراى » : [(١)]

١ — دق ناقوس المساء ينعى النهار المدبر، وانسابت القطعان متهادية ناغية خلال المروج ، واتخذ الفلاح المضنى سبيله إلى مأواه فى خطى متثاقلة مخلفاً العالم لى وللظلام

٢ — وتضاءل ما بقى من ضوء خفيف ، فامحت من البصر آفاق الطبيعة ، وأخذ سكون رهيب يسود الفضاء فلا تسمع إلا الجعل يرسل دوى أجنحته فى كل فج ، أو أجراس القطعان تهنه ما انبسط من مروج تنشر فوقها غفلة الكرى

(١) الأرقام تدل على عدد المقطوعات المتسلسل . وقد يتصل الكلام بين مقطوعة وأخرى على نحو ماترى فى التضمين بين الأبيات فى الشعر العربى ولا تقرأ كل مقطوعة على أنها مستقلة

٣ — أو نعيق البومة المحزن يحمل إليك من برجها النائى وقد كساه متسلق النبت ما ترسله من شكوى إلى القمر إذ من بمأواها المتيق الموحش عابرو السبيل فأقضوا منها المنام

٤ — تحت هذا النَّشم وإلى ظلال هذا السرو سكن أجداد القرية فى نومهم الأخير، كل فى قبره الضيق حيث ترتفع تلك الكثبان المنهارة وقد علاها ضعيف الحشائش

٥ — رقدوا فى متواضع مضاجعهم رقدتهم الأبدية، فما لنسمات الصباح العطرة، وما لتغريد النغير يرسله من أسقف أكواخ العشب، وما الصياح الديك النافذ ، أو لما يتردد صداه من صوت البوق، أن يوقظ لهم رقدة

٦ — رقدوا فما الموقد أن يرسل إليهم بعد اليوم لهيبه؛ وما لربة بيتهم أن تخف إلى مهامها إذا جاء المساء ، وما للأطفال أن يهرولوا إلى أمهاتهم يتمتمون إليهن رجعة أبيهم، وما لهم أن يتسلقوا أرجله يتناهبون ما يتقاتلون عليه من قبلات .

٧ — لكم تساقط الحصاد تحت ضربات مناجلهم ! ولكم شقت أسنة محاريثهم ما شقت من جوف الغبراء! بأى نشوة كانوا يسوقون قطعانهم إلى الحقول ؟ وبأى يسر كانت أشجار الغابات تطأطىء لهم من هاماتها ما أعملوا فيها معاولهم القوية ؟!

٨ — ما للكبرياء أن تحقر جهودهم المنتجة ومسراتهم العائلية وذكرهم المغمور ؟ وما لعظماء هذه الحياة أن يبتسموا احتقاراً لصغار المهام التى شغلوا بها أيامهم ؟

٩ — وألقاب الفخار ، وأبهة السلطان ، وكل ما يمنحه المال والجمال . كل هذا ساعة الحتف له بالمرصاد ، إذ أن سبل المجد لا تقود إلى غير القبر !

١٠ — وأنت أيها المتغطرس : ليس لك أن تلومهم إذا لم تر الأسلاب قائمة فوق قبورهم تخلد ذكراهم حيث تتردد أناشيد النصر فى القباب الممتدة ، وتحت الأقواس المزينة بالتماثيل ، حاملة نغمات المديح ...

١١ — وهل لأجمل الأوانى نقشاً ، أو لأنطق التماثيل بالحياة، أن ترد إلى مأواه ما تصاعد من نفس ؟ وهل لأصوات الفخار أن تبعث الحياة فى صامت التراب ؟ وهل للملق أن يلين من مسامع الموت البارد القاسى ؟ !

١٢ — من يدرينا لعل فى هذه البقعة المهملة قلباً كانت تسكنه أنوار السماء ؟ أو يداً كانت تستطيع أن تأخذ بصولجان الملك ، أو توقظ الناى إلى حد الإلهام ؟

١٣ — ولكن العلم لم ينشر أمام أبصارهم صفحاته الطويلة التى أغناها بأسلاب الزمان. فلقد أطفأت برودة الفقر نبل حماستهم، وجمدت مجرى العبقرية فى نفوسهم .

١٤ — كم من جوهرة نقية الشعاع صافيته ، ظلت مخبوءة فى أعماق المحيط ؟ وكم من زهرة تتورد بعيداً عن الأبصار ، ثم ترسل عبيرها هدراً إلى بيداء الفضاء ؟

١٥ — من يدرينا ، لعل هنا يرقد « هامدن » قريته وقد ثبت بقلب جسور لصغار الطغاة بريفه ، أو « ملتون » آخر صامتاً عارياً عن المجد ، أو « كرومول » ثان نقى اليد من دم وطنه .

١٦ — أما تحريك أيدى النواب بالتصفيق ، وأما احتقار صيحات التهديد يرسلها الجائمون والمتألمون ، وأما در الخير على الأرض المتهللة ، وأما قراءة تاريخ الشعوب فى أعين أهلها ...

١٧ — فذلك ما حرمهم منه القضاء . على أنه لم يمنع فقط حميد خصالهم عن أن تزهر ؛ بل منع أيضاً جرائمهم من أن تستفحل . منعهم أن يخوضوا الدماء إلى العروش وأن يسدوا منافذ الرحمة عن العباد

١٨ — منعهم أن يخفوا وخزات الضمير إذا أخفيت الحقيقة التى يعلمونها ، أو أن يطفئوا حمرة الخجل البرىء . منعهم أن يلتمسوا النار من آلهة الشعر يضرمون بها أضواء المباخر التى يكدسونها فوق مذابح الكبرياء والرفاهية

١٩ — عاشوا بعيدين عن المعارك المزرية التى تمتركها الجماهير المتوهجة فما ضلت بهم رغباتهم المتواضعة . عبروا وادى حياتهم الوارف البعيد عن الجلبة بخطى صامتة مطردة

٢٠ — على أنه حفظاً لعظامهم أن تهان ينهض بالقرب من هذا المكان تمثال ضئيل تزينه قواف خشنة وتماثيل ممحوة الصور . نهض هذا التمثال ليستدر عابر السبيل واجب الزفرات

٢١ — أسماؤهم وأعمارهم خطتها آلهة مقلة من آلهة الشعر لتكون لهم بمنزلة المجد والرثاء فانتثرت حولهم النصوص المقدسة تحدث حكيم الريف كيف يموت

٢٢ — إذ ما من نفس تحس أنها ستسلَم فريسة إلى النسيان وتسلِم تلك الحياة السارة المقلقة معاً، أو تترك تلك الآفاق الدفيئة آفاق الضوء دون أن تلقى إلى الوراء نظرة الحسرة ، نظرة الرغبة المتباطئة ...

٢٣ — فالنفس الراحلة تسكن إلى صدر محبوب ، والأعين المغلقة تستدر دموع الوفاء ؛ ومن أعماق القبور يصيح صوت الطبيعة كما لا يخمد الوميض فيما يخلف من رماد

٢٤ — أما أنت وقد حرصت على هؤلاء الموتى المغمورين فقصصت نبأهم فى شعرك الساذج ، فمن يدرينا لعل نفساً قريبة إلى نفسك تقودها الوحدة إلى السؤال عن مصيرك

٢٥ — ولعل شيخاً أبيض الرأس من شيوخ الريف يجيب :

— طالما رأيناه عند انبلاج الصباح يكتسح بخطاه السريعة قطرات الندى مهرولاً إلى لقاء الشمس فوق القمم الخضراء

٢٦ — وهنالك إلى جذع البلوط المتمايل ـ البلوط الذى يرسل جذوره المختلطة عالية بالمرتفعات ـ كان يستلقى ماداً كل جسمه تحت أشعة الظهيرة ثم يطيل النظر إلى الجداول تخر بجواره .

٢٧ — طوراً يهيم بتلك الغابات وعلى شفتيه ابتسامة السخرية وقد أخذ يردد أحلام الطريق ، وطوراً ينطلق فى سبيله مقوس الظهر شاحب اللون من البؤس كمن تخلى عنه أحبابه أو ذهبت بعقله الهموم أو حطم نفسه حب عاثر

٢٨ — وفى ذات صباح تفقدته فلم أجده لا على التل المعهود ولا على حافة البرارى ولا إلى جذع شجرته المحبوبة ، وجاء صباح آخر فما وجدته إلى جانب الجداول ولا بقمة التل بل ولا بالغابة .

٢٩ — وفى اليوم التالى رأيناه محمولاً فى طريقه إلى « القبر فى حفل الموت وأناشيد الغناء تصحبه . أدن واقرأ (ما دمت تستطيع القراءة) تلك المرثية المنقوشة على الحجر تحت أشواك هذه الشجرة العتيقة » :

ما على القبر

١ — تحت هذه الأرض يرقد فى راحته الأخيرة شاب جهله المجد كما جهلته الحظوظ . كان نصيبه من العلم نصيباً متزناً بينما وسمته الأحزان بميسمها

٢ — واسعةً كانت طيبةُ قلبه، وخاصة كانت نفسه، وبقدر تلك الطيبة وذلك الإخلاص كافأته السماء

لقد جاد على البؤساء بكل ما يملك، وما كان يملك إلا دمعة. أنالته السماء كل ما تمنى، وكل ما تمناه كان صديقاً

٣ — لا تحاول أن تفض الغلاف عن حسناته، أو أن توقظ سيئاته من مكمنها المخيف. فقد اجتمعت الحسنات إلى السيئات متساوية فى أمل مضطرب مفزع: أمل من أوى إلى أحضان أبيه، أحضان ربه

***

ولو علم « جراى » يوم أن كتب تلك المرثية الخالدة أنها ستفتح له أبواب المجد إلى الأزل لما أن فتاه ما كان للمجد أو للحظوظ أن تنساه، وفى نفسه هذا المزيج العجيب من قوة الفكر وروعة التصور ورقة العاطفة

تلك الرقة التى حملته على أن يحصر كل ما يتمنى أن تهبه السماء فى صديق. وفى الحق أنى لا أدرى أنبل من نفس تستطيع أن تخلص الصداقة، والصداقة أبعد المشاعر عن غرائزنا التى نجدها عادة فى أسس كل شعور قوى.

قهرت الصداقة الحب فى نفس جراى الصافية الرقيقة، بحيث لو أننى أردت أن أضع على لسانه عبارة عن صداقته لموراس وليول، لما وجدت خيراً من كلمة مونتين montaigne الخالدة، وقد فقد صديقه La Beotie لابويسيه: « لقد كنا نقتسم كل شيء مناصفة، حتى فقدته فأصبحت اليوم لا أصيب خيراً إلا أحسست أنى أختلس من صديقى العزيز النصف الذى كان يؤول إليه ».

وأما اليوم، فليس لنا إلا أن ندعو الله أن يبارك تلك الأرواح الطاهرة فى ملكوت رحمته.

محمد مندور

من وحى الديوان

ليلى

للأستاذ ابراهيم العريض

قلتُ يوماً لابنتى ليلَى ـ وقدْ أخذَتْ ديوانَ قَيسٍ تتغنّى
فكأنَّ الحسنَ أولاها يداً فأرادتْ باسمهِ أن تتجنّى ـ
« طِبت ياليلاىَ نفساً فافهمى ليس كالشاعرِ فى الأرض معنّى
هُوَ مِن أحلامهِ فى جنّةٍ فإذا حدّث عنها قيل جُنّا
كلُّنا طائرُهُ فى قفصٍ إنما يُطلِقُهُ المجدودُ منّا
لوْ درَى الضاحكُ فى سَكرتهِ أنّه يشربُ دمعاً لتأنّى
والليالِى يتطاولنَ إذا سقطَ النّجمُ الذى نوّرهُنّا
قُمْنَ فى عافيةٍ مِن حبّهِ يتباهَيْنَ به ما بينهنّا
يحسَبُ الناسُ جواهُ أدباً قلْ مَنْ شاركه فيما أجنّا
ثمّ يطوِى ليْلهُ صُبْحٌ فلا هو للحبّ ولا من حبِهنّا »

***

فأجابتنى غناءٌ فى الصّبا بالذى حيّرَ مَن أكبرُ سنّا
« لاتسلنى ـ فوجودى عدمٌ ـ طائرُ الخلدِ هنا كيف اطمأنّا
هُوَ يهفو لجمالٍ رُبما خفيَت آثارُهُ فى الكوْن عنّا
فإذا شاهدَهُ فى روْضةٍ أوسحابٍ مثّل الإحساس فنّا
والذى يُطرِبُنا مِن نَغَمٍ مسترقاً كلّما الليْلُ أجنّا
لم يكنْ غيرَ نِياط الحبّ فى قلبهِ كالوَترِ الحسّاسِ رنّا
هُوَ فى نَشوتهِ يُفضى بها نَغَماتٍ تملأُ الآفاقَ حسْنا
لا تقُلْ دُنياهُ ظِلٌّ زائِلٌ فشعاعُ الحبّ فيها ليسَ يفنى
لوْ تجلّتْ قدْرةُ الخلاّقِ فى لفظةٍ صاغَ لها الشاعرُ معنى »

***

وانحنتْ فوْقَ يدِى تلثِمُها خجلاً حين رأتْ رأسىَ يُحنى
ثمّ قالتْ وهْىَ تلهو بالذى قلدتهُ دونَ أن تحملَ مَنّا
حسبُ عِقدى أن حوَى واسطة ما لها فى الدُّرّ صِنوٌ فتُثنّى
عِشتَ للشّعرِ ولى يا أبتِى أنتَ للشّعرِ ولى ما أتمنّى

(البحرين) ابراهيم العريض

أقاصيص

بين الخوارزمى والهمذانى (*)

للأستاذ على الجندى

— ٢ —

حين اطمأنَّ المجلس بالشهود فى دار النقيب ، تطالت الأعناق ، وشخصت الأبصار ، وانتصبت الآذان ! فافتتح البديع المساجلة بكلام يجمع بين التهكم والتوريط ! : إنما دعوناك لتملأ المجلس فوائد ، وتذكر الأبيات الشوارد ، والأمثال الفوارد ، وتناجيك فنسعد بما عندك ، وتسألنا فتُسرّ بما عندنا . ونبدأ بالفن الذى ملكت زمامه ، وطار به صيتك : وهو الحفظ إن شئت ، والنظم إن أردت ، والنثر إن اخترت ، والبديهة إن نشِطت ، فهذه دعواك التى تملأ منها فاك !

وقد حسب الخوارزمى حساباً لشيخوخته ، نخاف أن تكبو به قريحته فى الحفظ والنثر ، فآثر المبادهة بالشعر

فقال البديع : الأمر أمرك يا أستاذ

فأجابه الخوارزمى : أقول لك ما قال موسى للسَّحَرة : « بل ألقوا »

فأخذ كل منهما دواة وقلماً ، وخط البديع أبياتاً مدح فيها السيد نقيب الأشراف ، ونخر بنفسه ما شاء ، وأوسع الخوارزمى ذمّا وسخرياً ! منها :

والشعر أصعب مذهباً ومصاعداً   من أن يكون مطيعُه فى فَكِّه
والنظم بحر ، والخواطر مَعبَرٌ   فانظر إلى بحر القريض وفُلكه
فتى ترانى فى القريض مقصّراً   عرَضت أذْن الإمتحان (1) لعَرْكه

أصغوا إلى الشعر الذى نظّمته   كالدرّ رُصّع فى مَجرّة سِلكه
فتى عجزت عن القريض بداهة   فدمى الحلال له إباحة سفكه

ونظم الخوارزمى أبياتاً امتنع عن إبرازها فيما يقول الرواة ، فقال البديع له : إن البيت لقائله كالولد لناجله ، فما لك تمقّ ابنك وتضيمه ؟ أبرزها للعيون ، وخلصها من الظنون ، أما تستحى أن يكون السِّنَّور أعقل منك ؟ لأنه يخمُر (1) فيغطيه بالتراب ؟ !

فقال النقيب : انسجا على منوال المتنبى :

أرَقٌ على أرق ، ومثلى يأرق

فابتدر الخوارزمى قائلاً :

وإذا ابتدهت بديهة يا سيدى   فأراك عند بديهتى تتفلّق
وإذا قرأت الشعر فى ميدانه   لا شك أنك يا أخى تتشقّق
إنى إذا قلت البديهة ، قلتها   عجلاً ، وطبعك عند طبعى يرِق
مالى أراك ولست مثلى فى الورى   مُتموّهاً بالترهات تُمَخرِق (2)
إنى أجيز على البديهة مثلما   تريانه ، وإذا نطقت أصدَّق
لو كنتَ من صخر أصمّ لهاله   منى البديهةُ ، واغتدى يتفلق
أو كنت ليثا فى البديهة خادرا   لرُثيت يا مسكين منّىَ تفرَق
وبديهة قد قلتها متنفّسا   فعل الذى قد قلت ياذا الأخرق

ثم قال معتذراً عن هلهلة نسجها : هذا كما يجىء لا كما يجب . فقال البديع : قبِل الله عذرك ! لكنى أراك وَفّقت بين قواف مكروهة وقافات خشنة ، كل قاف كجبل قاف : تتفلق ، تتشقق ، تتفلق الخ فخذ الآن جزاء عن قرضك ، وأداء لفرضك :

مهلاً أبا بكر فزندك أضيق   واخرس ، فإن أخاك حىٌّ يُرزق
يا أحمقاً وكفاك تلك فضيحةً   جرّبت نارممرّنى ، هل تحرق ؟

فقال الخوارزمى : يا (أحمقاً) : لا يجوز ، فإنه لا ينصرف .

فقال البديع : لا تزال نصفعك حتى ينصرف وتنصرف معه ! وللشاعر أن يرد ما لا ينصرف إلى الصرف ، وإن شئت قلت : يا كَوْدَنا (3)

ثم أردف البديع قائلاً : أخبرنى عن قولك فى البيت : ياسيدى ، ثم قولك : تتفلق ، أمدحت أم قدحت ؟ فإن اللفظين لا يركضان فى حَلْبة (4) ، ولا يخطان فى خطة

فابتدر النقيب قائلاً : قولا على منوال قول المتنبى :

أهلاً بدار سباك أغيدُها

فارتجل البديع :

يا نعمةً لا تزال تجحَدُها   ومنةً لا تزال تكنُدُها

فاعترض الخوارزمى قائلاً : الكُنُود : قلة الخير لا الكفران .

فأنكر الجميع ذلك وقالوا : أما قرأت قوله تعالى : « إن الإنسان لربه لكَنود » أى لكفور

(*) انظر العدد ٣٣٧ (1) قطعت الهمزة لضرورة الوزن

(1) يحدث وهى رواية رسائل البديع (2) المخرقة : الحمق
(3) الفرس الهجين والفيل والبغل (4) المراد هنا : ميدان السباق

فحمىَ الخوارزمى وقال : أنا اكتسبت بفضلى ديَةَ أهل همذان فما الذى اكتسبت أنت بفضلك ؟ فقال البديع : أنت فى حرفة الكُدْيَة(1) أحذق ، وبالاستماحة أحرى وأخلق ، وأما مالك فعندى يهودى يمائلك فى مذهبه ويزيدك بذهبه . ثم مال على مفن فقال : أسمعنا خيراً ، فغنى :

وشبّهنا بنفسج عارضيه ‏ ‏ بقايا اللطم فى الخد الرقيق

فقال الخوارزمى : أنا أحفظ هذه القصيدة ، وهو لا يعرفها .
فقال البديع : أخطأت ، فإن البيت على غير هذه الصيغة وهى :

وشبّهنا بنفسج عارضيه ‏ ‏ بقايا الوشم فى الوجه الصفيق

فقال الخوارزمى : والله لأصفعنك ولو بعد حين !

فرد البديع . أنا أصفعك اليوم وتضربنى غداً ، اليوم خمر ، وغداً أمر ! ثم تمثل بقول ابن الرومى :

رأيت شيخاً سفيها ‏ ‏ يفوق كل سفيهِ
وقد أصاب شبيها ‏ ‏ له وفوق الشبيه

وقفّى على ذلك منشداً :

وأنزلنى طولُ النوى دارَ غربةٍ ‏ ‏ إذا شئتُ لاقيت امرأً لا أشاكلُه
أحامِقُه حتى يقال : سجيّة ‏ ‏ ولو كان ذا عقل لكنت أُعاقله

ومازال الجدل محتدماً بينهما حتى فجر الحضور ، ورنق الكرى فى عيونهم ، فتقوّض المجلس ، ونام الناس — كمادتهم — فى ضيافات نيسابور ، ثم انتشروا فى الصباح وقد تشعبت آراؤهم فى الحكم على الرجلين ، تبعاً لاختلاف ميولهم وأهوائهم .

وقد شق على جماعة من الفضلاء أن يبلغ الشقاق بين الرجلين هذا الحد الممقوت ! فسعوا فى إصلاح ذات البين ، وحملوا البديع على طلب المصافاة ، وهو دليل على أن العدْوان بدر منه ، فمشى إلى الخوارزمى معتذراً يقول : بعد الكدر صفو ، وبعد الغيم صحو !

وأبى كرم الخوارزمى إلا أن يقبل عذره ، وزاد على ذلك فدعاه إلى أن يقضى عنده سحابة يومه مغموراً بأريحيته وتصافى الرجلان ، وحل الوئام محل الخصام

ولكن هذا الصلح كان كصلح (فرساى) يحمل فى تضاعيفه جراثيم حرب ضروس ! فلم يلبث أعداء الخوارزمى والمستوحشون منه أن سعوا فى نقضه فهبت ريح الخلاف مرة أخرى شديدة عاتية ! فلم يكن بدّ من عقد مناظرة ثانية تكون فصل الخطاب فى هذه القضية الشائكة

وكان أن هُيّئ مجلس فى دار أبى القاسم الوزير ، حضره بعض العلية على رأسهم رجل له مكانته وخطره ، وهو الشريف العالم أبو الحسين ، وكان البديع سنياً متعصباً للأشاعرة ، والخوارزمى مصطبغاً بصبغة التشيع ، فرهب البديع جانب أبى الحسين ، ورغب فى استمالته إليه ، فمدحه ومدح آل البيت بقصيدة أولها :

يا معشراً ضرب الزما ‏ ‏ نُ على مُعرَّسهم خيامَه

ثم انثال الناس على المجلس من كل صوب وأوْب ، حتى حفل بذوى المثالة من رؤساء المدينة وعلمائها وقضاتها ومتصوفيها . وأقبل الخوارزمى — بعد لأى — فى جمّ غفير من أنصاره ومُريديه . وبعد ملاحاة ومشادة بين المتناظرين ، تشبه التحام طلائع الجيوش ، اقترح عليهم بعض الحضور أن ينشدا على غرار قول أبى الشيص :

أبقى الزمان به نُدُوبَ عِضاض ‏ ‏ ورمى سواد قرونه ببياض

فابتدر الخوارزمى قائلاً :

يا قاضياً ما مثله من قاضٍ ‏ ‏ أنا بالذى تقضى علينا راضٍ

ومنها :

ولقد بُليت بشاعر متهتّك ‏ ‏ لا بل بليت بناب ذئب غاض

فقال البديع : ما معنى قولك : ذئب غاض ؟ فقال الخوارزمى : ما قلته — هكذا يزعم الرواة — فشهد الحاضرون أنه قاله . فقال : الذئب الغاضى : الذى يأكل الغضا . فقال البديع : استنوق الذئب ! صار الذئب جملاً يأكل الغضا !

وهنا هدأت العاصفة بدخول الرئيس أبى جعفر ، والقاضى الحربى ، والشيخ أبى زكريا الحيرى .

(البقية فى العدد القادم)

على الجندى

(1) التسول

آلام فرتر

فصل للناقد الإنجليزي « ادوارد شانكس »

للأستاذ أحمد فتحي

... الأستاذ الزيات :

ليس « جوته » بجديد عليك ، فقد أغنيت المكتبة العربية منذ نقلت إلى الضاد العزيزة روايته الباقية « آلام فرتر » .

وليس « ادوارد شانكس » بجديد عليك ، فانك لأعرف بأنه في صدر نقاد الأدب في بريطانيا .

وليس قلمي بجديد عليك ، فقد أفسحت له الرسالة الزاهرة صدرها على الدوام ...

ولكن الجديد هو أن يكتب « شانكس » عن « آلام فرتر » ، فيمجدها كل هذا التمجيد الذي يتردد صداه في آفاق الدنيا ، بينا يحال بين الطلاب المصريين في مدارس الحكومة وبين الانتفاع بما فيها من الفن الرفيع . ولينظر جمهور الأدب بعد ذلك في أي عصر نعيش ؟ ! « أ . ف »

أكبر الظن أن كتاباً يصدر بهذا العنوان في أيامنا هذه لا يقدر له حظ من النجاح . ولكن « آلام فرتر » قد ظفرت منذ ظهورها بنجاح فائق ، وطافت أرجاء الدنيا باسم شاب في السادسة والعشرين من عمره . بل إن هذه القصة بذاتها قد أبدعت طرازاً طريفاً ، واستحدثت مدرسة جذبت مناهجها أتباعاً ومريدين لا حصر لهم . كان الحزن على بطل القصة يستأثر بقلوب معظمهم ؛ بل إن الألوف من شباب أوربا كانوا في وقت ما يجهدون أن يرتدوا من الثياب مثل ما كان يرتدي « فرتر » . بل إن بعضهم قد جرى شوطه وانتهى إلى مثل غايته فقتل نفسه !

قرأ « نابليون » هذه القصة سبع مرات ؛ واستصحبها طوال أيام مغامرته في مصر ، بعد ظهورها بعشرين سنة . وحينما مثل « جوته » بين يديه في « إيرفورت » بعد ذلك باثنتي عشرة سنة أخرى ، كان موضوع القصة نفسها أهم الموضوعات في كل ما دار بينهما من الأحاديث . ولقد أبدى الامبراطور للشاعر أنه هضم القصة هضماً جيداً ، وأحبها في إخلاص ، مما كان له أثر باق في نفس الشاعر

وإننا لنحاول في هذا الفصل أن نعرض للبواعث التي أوحت إلى « جوته » بتأليف قصته هذه . ففي سنة ١٧٧٢ فرغ من وضع مسرحية اسمها « برليخنجن » تعتبر في تأثرها بمسرحيات « شكسبير » من بواكر النزعة الرومانتيكية في المسرح الأوربي . ولقد كان لها بهذا الوصف حظ ملحوظ من النجاح . كما كان « جوته » قد كتب في ذلك الحين كثيراً من أروع شعر صباه . يضاف إلى ذلك أنه كان موضع الالتفات إلى جمال قسماته ، وإلى ذكائه اللماح ، ومظهره الممتاز . غير أن أباه ، وكان رجلاً محافظاً شديد القسوة ، أراده على أن يرسم لنفسه طريق الكسب في حياته .

ومن ثمّ رحل ليتم دراسته القانونية في جامعة « ويتزلر » . وكانت هذه المدينة حينذاك مقر المحكمة الإمبراطورية في ألمانيا ؛ وفيها أحب « جوته » فتاة كانت قد خطبت قبل أن تعترض سبيل حياته إلى رجل آخر . ومنذ بدأ هذا الحب ، بدأت فصول قصة « آلام فرتر » التي احتلت مكانها الملحوظ في قلوب الملايين

* * *

كان « جوته » في بواكير صباه فتى ملتهب العاطفة متأزم النفس ضيق الصدر مظلم الخاطر ، حتى إنه كان يبتئس للخطب قبل وقوعه ! ويقدر أنه هالك لا محالة ! ولقد كان من آثار ذلك أن رحل عن « ويتزلر » كسير القلب قبل أن تضع الأقدار لقصة غرامه اليائس نهاية حاسمة . ولو أن المعجزة الماثلة كانت وقعت ، فآثرت « شارلوت » عاشقها الشاعر الحساس على خطيبها المتبلد الجامد ، فأكبر الظن أن هذا الانقلاب لم يكن ليحول بين « جوته » وبين الهرب من بلدة المرأة التي أحبها من كل قلبه ، فإن استعداده الفطري للوقوع في حبائل الحب لم يكن يعدله أو يفوقه سوى استعداده الفطري لإيثار العزلة !

لقد زعم بعض من ترجموا له أنه حين رحل إلى « ويتزلر » كان يضيق بأيامه الأولى فيها ، لأنه لم يجد فيها فتاة تستأثر بقلبه . غير أنه لم يلبث حين رأى « شارلوت بون » أن وقع في شرك غرامها . كانت في التاسعة عشرة ، وكان لها إخوة صغار اثنا عشر توفيت أمهم . وليس من المحقق أن لقاءهما تم على النحو الذي وصفه في لقاء « فرتر وشارلوت » في قصته بعد ذلك ، فقد جاء في القصة أن « فرتر » دُعي ليرافق ، إلى حفلة راقصة ، بضع فتيات وعدنه بأن يجدن له شريكة في حلبة الرقص ، فاستأجر

لهن مركبة ذهبت بالجميع إلى بيت « شارلوت » التي لم تكن قد أخذت بعد أهبتها للرحيل برفقتهم ، إذ لم تكن قد فرغت من تقديم وجبة العشاء لإخوتها وأخواتها الصغار

كان اللقاء على هذا النحو استهلالاً رائعاً لملحمة شعرية بارعة . ومن المحقق أن شارلوت كانت على أوفر حظ من الجمال والسذاجة والشعور بالواجب . غير أنه كان من سوء حظ « جوته » أن التقى بها بعد أن تمت خطبتها من « ألبرت كتزنر » ولقد كان من سوء حظه أيضاً أنها لم تنصح له بمغالبة عواطفه نحوها قبل أن يفلت من يده زمامها . ولعلها لقيت من الألم ألواناً من أجل نفسها ومن أجل « ألبرت » الذي آثرته آخر الأمر بطريقة عملية إذ رضيت أن تزف إليه دون الشاعر

ولقد كان وضعاً على أكبر درجة من الشذوذ أنهم أمضوا شهور الصيف التالية للزفاف على نحو لا نظير له ، إذ كان الشاعر العاشق يلهو حينذاك بدراسة الحقوق ، وينفق كل أوقاته ملازماً « شارلوت » . وكان فضلاً عن ذلك فتى وسيما ذكي الفؤاد ، قد نال من النجاح في حياته الأدبية فوق ما كان « ألبرت » يصبو إليه في مستقبله . غير أن ألبرت كان منقطع النظير بتسامحه وسخاء ذهنه ، فأحب « جوته » ووثق من شارلوت . ولعله قد أدرك بثاقب رأيه أن التسامح كان خيرما يمكن أن يلجأ إليه في ذلك الوضع الشاذ . ويبدو أن « جوته » قد ترك لخياله الحبل على الغارب ، فجعل يصور مشاهد المأساة على النحو الذي توحي آلامه ، وقد وجدت المأساة خاتمتها بعد ثلاثة شهور رحل بعدها الشاعر إلى موطنه « فرانكفورت » حيث ظل يراسل الزوجين جميعاً برسائل تفيض بأحزانه

* * *

على أن فصول هذه القصة على غناها لم تكن كافية لنسج الثوب الرائع الذي ظهرت به « آلام فرتر » بل أتاحت الأقدار لمؤلفها العبقري حادثين آخرين أعاناه على إظهارها في ذلك الثوب الذي لا مثيل له ...

ذلك أنه التقى في « ويتزلر » بشاب ممتاز المواهب اسمه « أورشليم » ولم يلبث هذا الشاب أن أخفق في غرام له فقتل نفسه ! وهنا اتخذت القصة في ذهن « جوته » خاتمة مقبولة . ولكنه لم يكتبها في ذلك الحين أيضاً ، بل هيأت له الأقدار فصلاً بارعاً مما اتفق له من فصول حياته الحقيقية نقله إلى حيث صبه في صلب قصته الخالدة . إذ حدث أنه حلَّ ضيفاً بمنزل كهل من ذوي قرباه اسمه « بيتر برنتانو » كانت له زوج حسناء اسمها « ماكسمليان » لم يرق له ما يبدي الشاعر الشاب من الاهتمام بأمرها . فآثر أن يضع حداً لضيافته وطرده من بيته بدافع من الحرص على الفضيلة ! وبعد ذلك مباشرة انزوى « جوته » في عقر داره وعكف على كتابة قصته الخالدة ، فظهرت أول طبعاتها عام ١٧٧٤

* * *

كان ظهور هذا الكتاب أشبه ما يكون بالقذيفة المفاجئة . وكانت شارلوت وزوجها ألبرت أول من شعر بذلك . إذ أن جوته حين آثر النهج الواقعي في تسجيل حوادث القصة لم يغير أسماء أبطالها ! وإن كان قد غير من سياق حوادثها ومميزات الأبطال أنفسهم ، فألصق بألبرت كثيراً من نقائص قريبه برنتانو ، تلك النقائص التي كان يعلم أن ألبرت بريء منها تماماً والتي جعلها ذات الأثر الفعال في انتحار بطل قصته « فرتر »

ولقد تحدى « جوته » مواطنيه جميعاً في تقدمته القصة إليهم إذ زعم أنهم لا يقدرون قيمتها في نظر الجماهير الأخرى ولا يقدرون قيمتها بالنسبة إليهم أنفسهم . ولم يكن مسرفاً في هذا التحدي ، لأنه إنما أصاب الشهرة في وطنه بوصف أنه مؤلف « برليخنجن » وحسب ، بينما استطاعت « آلام فرتر » أن تتخطى الحدود إلى سائر بلاد الأرض ، وأن تغزو أفكار الشباب حيثما وقعت في أيديهم ، بما تحمل من صور العبقرية الفذة . وإن الكثيرين من هؤلاء قد رسم خيالهم صورة « فرتر » كإنسان نبيل القلب غني العاطفة حي الإنسانية ؛ لفظته الحياة فآثر عليها الموت . ولقد بلغ من تأثرهم بصدق هذه الصورة أنهم آمنوا بأن الحياة ليست إلا هذا اللون من الإخفاق الذريع ، فجروا مع « فرتر » إلى نهاية الشوط ، وقتلوا أنفسهم !

* * *

ولقد تبين للمتأخرين من رجال الإصلاح الخلقي أن « فرتر » هذا قد زين الانتحار للشباب . وهذه حقيقة يصعب إنكارها ، بل هي وثيقة تسجل لمبتكر شخصية « فرتر » مجداً أبقى على الزمن الباقي من الزمن ! ولكن شراً من ذلك أنهم أرغموا « جوته » على أن يضع أبياتاً عقيمة ينعاق بها « فرتر » في لحظاته الأخيرة ، ناصحاً للشباب بألا يحذوا حذوه . ولكن إضافة هذه الأبيات لم تكن لتجدي في الواقع شيئاً ، وكل ما ثار حول الكتاب من النقد إنما كان كله إعلاناً زاد رواجه وساعد على تداوله

ولا يتسع المقام لتعقب الآثار الأدبية التي أحدثها ظهور هذا الكتاب ، تلك الآثار التي عبرت إلى القرن العشرين وظهرت في شخصيات الأبطال القصصيين الذين ابتكرهم أمثال « بيرون » و « شاتوبريان » . غير أن ثمت ملاحظة أخرى يجب أن تضاف إلى ما تقدم عن أثر الكتاب في حياة مؤلفه نفسه . إذ لم يقدر له أن يصيب من النجاح في حياته مثل ما أتاح له هذا الكتاب وهو لم يتخط السادسة والعشرين . وقد يكون لقصته الأخرى « فاوست » عدد أوفر من القراء في هذه الأيام ، ولكن لم يكن لها مثل ذلك في أول عهدها بالنشر . وستظل شهرة « جوته » قائمة إلى ما شاء الله بوصف أنه مؤلف « فرتر » وبهذا الوصف دعاه « الدوق كارل أوجست » إلى قصره في « فيمار » حيث بقي إلى أن وافاه القدر وهو في موضع الصدارة بين وزراء الدوق . وإنه إذا تعسر الحكم بوفرة عدد من يقرأون هذا الكتاب في أيامنا الراهنة ، فإنه من الكتب التي يتعذر إهمال الحديث عنها . فقد نظم « جوته » فيه أحسن الشعر الذي لم ينظم بعده ولا قبله مثيل له أو خير منه . بل إن هذا الشعر ليبز ببساطته ووضوح تعبيره كل ما عداه من شعر الألمان جميعاً إلى اليوم . والكتاب بعد ذلك وقبل ذلك ، حافل بجمال متحرر من كافة القيود والأوضاع ، حافل بروح الشباب التي أبرزها الشاعر مرة أخرى في شعر غنائي رائع زان قصته الأخرى « فاوست » تلك الروح التي ودعته منذ ودع شبابه !

(الجيزة) — أحمد فتحي

من الأناشيد المرفوضة

للأستاذ علي الجندي

نحنُ جندُ النيلِ أبناءُ الفِداء ... وكماةُ الحربِ أبطالُ الكِفاحْ
نَرِدُ الهيجاءَ في ظلِّ اللواء ... كأُسودِ الغابِ أو هُوجِ الرِّياح
في خُطانا النصرُ والفتحُ المبينْ

نحنُ أبناءُ الصناديدِ الغُزاهْ ... سادةُ الدُّنيا وأقيالُ الأُممْ
اقرأِ التاريخَ واحفظْ ما رواهْ ... عن صلاحِ الدين أو باني الهرم
وكذا الآباءُ تُوحِي للبنينْ

نحنُ في البرِّ وفي البحرِ أُسودْ ... ونُسورٌ بينَ أعنانِ السماءْ
سجَّلَ النصرَ لنا لوحُ الخلود ... فوقَ ظهرِ الأرضِ أو متنِ الهواءْ
فوقَ لُجِّ البحرِ يَرغو بالسفينْ

منْ يُبارينا إذا جدَّ القتالْ ... ورجومُ الحربِ تهوي بالصفوفْ
نحتمي في ساحِها مثلَ الجبالْ ... لا نُبالي بالمنايا والحُتوفْ
أتهابُ الموتَ آسادُ العرينْ ؟

سائلِ النيلَ بنا والهرَما ... هلْ لنا منْ مشبهٍ بين الشعوبْ
نُرخِصُ الأرواحَ إن ريعَ الحمى ... ونفدِّيهِ بحبَّاتِ القلوبْ
ونَفي بالعهدِ إنَّ العهدَ دينْ

مِصرُ يا مهدَ المعالي والفخارْ ... بَسَمَ السَّعدُ ووافاكِ المنى
ذاكَ فاروقُ وهل يخفَى النهار ... فوق عرشِ النيلِ مرموقَ السنا
ملكٌ يُحيي عُهودَ الراشدينْ

قدْ قطعنا العهدَ واللهُ شهيدْ ... أننا للعرشِ نحيا والبلادْ
فاهتفوا يا قومَنا عاشَ الرشيد ... عاشَ فاروقُ لمصرٍ خيرَ هادْ
ناهضاً بالشعبِ والجيشِ الأمينْ

علي الجندي

الأدب في سير أعلامه

بيرون

ذلك العبقري المتمرد الذي غنى أروع أناشيد الحرية، ولاقى الموت في سبيل الحرية

للأستاذ محمود الخفيف



أقام الصبي في نوتنجهام ووكلت به أمه أستاذاً يعلمه اللاتينية وأحبه أستاذه حباً عظيماً وأعجب بذكائه الفائق، ودهش لكثرة ما قرأ من الكتب؛ وفي تلك المدينة أسلمته أمه إلى رجل ادعى أنه قادر على أن يزيل عاهته وكم كان يتألم الصبي حين كان يدلك ذلك الرجل رجله بالزيت، ثم يلويها في عنف ويشد عليها الوثاق بين خشبتين، ولكن كبرياءه كانت تأبى عليه أن يظهر الألم على ما كان من هوله وعدم جدواه ... ولقد كان ذلك الرجل الفظ يرسله أحياناً إلى بعض الحوانيت ليشتري له ما يريد كأنه خادمه، والناس يعجبون ويألمون أن يعامل اللورد الجميل هذه المعاملة... وكان الصبي ينتقم من طبيبه بكثير من مماكساته، ومنها أن يسأله أسئلة تظهر له جهله فيسخر منه ويطلق لسانه بالتهكم عليه

واستطاعت أمه أن تحصل له من ميراثه مؤقتاً على ثلاثمائة جنيه تدفع له كل عام حتى يبيح له القانون أخذ نصيبه كله. وأخذا يحسان اليسر في معيشتهما، ولكن أمه ظلت على حالها من الشذوذ فهي لا تني تكيل له الشتائم وكثيراً ما تطارده تريد أن تضربه فلا تدركه على الرغم من عرجه، ولقد علمه هذا أن يصيبها ببعض تهكماته وأن يناوئها بعناده وتمرده

وهكذا تظهر الظروف خلاله في هذه السن الباكرة، فهو عنيد متمرد ذو كبرياء، وهو متوقد العاطفة مشبوب الخيال، وهو بارع الكلمة حاضر البديهة، ولسوف تكون هذه في غد خواص شعره يوم يحمل أنصاره وخصومه جميعاً على الإعجاب بذلك الشعر

وأدخلته أمه مدرسة في لندن وهو في الثانية عشرة من عمره، وكانت تزوره هناك أحياناً فيبدو للناس من شذوذها ما يخجل اللورد المتكبر منه، وكم كان يضيق بخلانه إذ يعيرونه بحماقة أمه، فيحاربهم تارة ويعرض عنهم تارة أخرى .. ولقد كان وهو في تلك السن يحمل في جيبه أينما سار مسدساً محشوا، كأنما كان يستعيض به عما لحقه من ضعف بسبب عرجه ... على أن لا يستبعد أن يكون ذلك بعض ما تطرق إليه من شذوذ بسبب ما سمع من الأقاصيص عن اللورد التعس فلقد كان الصبي يبدي إعجابه بما كان يقص عليه الخدم من أنبائه في قصر نيوستد

ونقل الصبي وهو في الثالثة عشرة إلى مدرسة تليق به، وكانت من أكثر المدارس شهرة يومئذ، وهي مدرسة هارو؛ وكان يقوم عليها أحد ذوي المكانة من المربين، وسرعان ما فطن ذلك المربي إلى صفات التلميذ الجديد، فلمح عناده وكبرياءه، ولذلك عول على اكتسابه باللين، فنجح في ذلك نجاحاً كبيراً، وأحب التلميذ ناظره واطمأن إلى عدالته، ولعل هذا هو الشخص الوحيد الذي خضع له بيرون في حياته كلها ...

وهالت المدرسين والتلاميذ جرأته من أول الأمر، فهو يخرج على ما يحد من حريته، وهو يذهب في ذلك إلى أن يعلن إعجابه بيونابرت، بل إنه ليحمل صوراً له وتمثالاً صغيراً، وهو لا يفتأ يتحدث عن الثورة في فرنسا وما تدعو إليه من حرية، ولو كان على رأس تلك المدرسة رجل غير ناظرها هذا لما صبر على جرأة هذا التلميذ الثائر. وسرعان ما حمل التلاميذ على الإعجاب بخلاله، فهو جريء في الحق، يظهر من الشجاعة الأدبية في كل المواقف ما ينال به احترام الجميع، وهو لا يعرف الكذب ولا يطيق سماعه، وهو ولوع بالرياضة على الرغم من عاهته، وهو شديد الإخلاص لأصدقائه لا يبخل على أحد بشيء مهما عز، وهو مشتعل حماسة وإقداماً، وهو فصيح اللسان، أخاذ العبارة، ذكي الفؤاد؛ وهو فضلاً

عن ذلك كله قد قرأ من الكتب ما لم يقرأ نصفه أحد ممن هم في سنه. هذا إلى اعتداده بنفسه وحرصه على كرامته وطموحه وبعد همته

لذلك لم يمض على بيرون عام في مدرسته حتى كان شخصية فذة فأحبه جميع أقرانه ، واحترمه أساتذته ، وأعجبوا به على الرغم من تمرد روحه وتكاسله أحياناً عن دروسه ، وكان ذوو الصبائر منهم يتنبأون لذلك الغلام بمستقبل فذ وأثر في الأدب خطير

وكان قد ملك قلبه وهو في الثانيـة عشرة حب جديد فهام بابنة عم له أخرى هي مارجريت باركر ، ولقد ذكر بيرون فيما بعد أن أول خطوة خطاها في الشعر كانت بوحي من هذه الفتاة التي كانت تكبره بعام ، على أن يد الموت لم تلبث أن قصفت عودها اللدن وهي في الخامسة عشرة ، فكان هذا أول حزن أرمض قلب الفتى واستقر في أعماقه حتى نهاية عمره

وكان يراه التلاميذ في هارو يحمل كتاباً ويصعد التل القريب إلى مقبرة هناك فيضطجع على قبر تظلله شجرة ويظل يقرأ ويتأمل في ذلك المكان مدة قد تطول إلى ساعات ؛ وكان مما ظهر من صفاته في الرابعة عشرة ميله إلى العزلة أحياناً ، وذلك دأب ذوي النفوس الحالمة الحزينة ، ولقد اشتهر فيما بعد أمر ذلك القبر الذي كان يضطجع عليه الشاعر ، حتى لقد أحيط بسياج من الحديد بعد أن أصبح الشاعر في ذمة التاريخ ، وذلك حين امتدت أيدي الزائرين لهذا المكان إلى أحجاره تحملها كأثر من آثار العبقرية على الرغم من أنهم كانوا يعلمون أن ذلك القبر لم يك قبر بيرون

وأتيح للفتى وهو في السادسة عشرة أن يذهب إلى قصره في نيوستد أثناء عطلة صيفية إجابة لدعوى وجهت إليه من مستأجر ذلك القصر، وكان هذا شاباً يدعى اللورد جراي، ولشد ما أبهج بيرون أن يرى ذلك القصر ، وأن يرى تلك الشجرة التي غرسها هناك بيده وقد أخذت تترعرع وتكبر

وكان يقوم على مقربة من نيوستد قصر آخر في موضع اسمه أنسلي ، وكانت تملكه أسرة سودرث وهم من ذوي قرباه ، وكان بيرون يمتطي جواداً إلى ذلك القصر أحياناً ، حيث كان يرى قريبته ماري سودرث وهي فتاة كانت تكبره بعامين ، وهي من سلالة ذلك الرجل الذي قتله اللورد التمس في مبارزته

وكانت ماري تحب فتى من أهل تلك الجهة على غير علم من بيرون ... ولكنها رأت في نظرات بيرون ما لا يخفى على عين فتاة في مثل هذه السن ، والفتيات يفهمن بغريزتهن لغة العيون إذا ما استبهمت من الخجل لغة الكلام ... ولقد هام بحبها ذلك الفتى المشبوب الخيال الملتهب العاطفة ، واستأثرت بلبه الفتاة حتى ما يرى للوجود معنى غير معنى هيامه بها ، ولا يتصور سعادة تقاس إلى سعادته بحبها ؛ ولكن قلبها لم يك طوعها يومئذ ، فلقد ربطه الحب بقلب غير ذلك القلب الفتى المتوثب ، على أنها وجدت في هيام اللورد بها ضرباً من اللذة ومعنى من معاني الزهو فطاوعته وجاذبته أطراف الأحاديث ، وجعلت لنومه حجرة في قصرها ليبيت هناك إذا شاء ، وأهدت إليه صورة لها وخاتماً

وبات الفتى في فردوسه الجديد يستروح أنسام السعادة ويحلم أحلام الحب ، إلى أن كان ذات ليلة من ليالي فردوسه في طريقه إلى مخدعه فسمع ماري تقول لخادمتها وقد حسبته قد صار بحيث لا يسمع : « أتظنينني أعبأ حقاً بهذا الفتى الأعرج » ؟ ونفذت الكلمات كالسهام إلى قلبه ، ورأى جنته قد انقلبت جحيما في مثل خفقة الطرف ، فخرج لتوه في الظلام وظل يعدو كالمجنون حتى بلغ نيوستد ؛ فأوى إلى حجرته لاهثاً خائر البدن ، وبقي شارد اللب ساهد الجفن حتى أصبح الصبح ، فعاد إلى أنسلي ولكنه لم يطلع ماري على ما حدث . واستقرت اللوعة في قلبه فأخذ يخفيها مكابراً معانداً ، يسفه ذلك القلب ويزجره وإن كان ليكاد ينفطر مما به ؛ ولقد كان من أبرز خلاله أنه يطوي على الثورة نفسه فتظل الثورات كامنة فيـه حتى تجد متنفساً لها ، ولم يك ذلك المتنفس غير شعره . . . والحق لقد كانت هذه الإشارة إلى عاهته أوجع مما سبقها جميعاً وأشدها نيلاً من كبريائه ...

وحان موعد الذهاب إلى المدرسة فلم يذهب على الرغم من إلحاح أمه عليه وقطعه العهد على نفسه بالذهاب مرة بعد أخرى ..

ثم نشب بينه وبين اللورد جراي شجار عنيف لسبب عقل الخجل الشديد لسانه عن أن يفضي به إلى أمه ، ولقد التهب وجهه وهي تستفهمه عنه كأنما سرت في جسده حمى . . . وأخيراً عاد الفتى إلى مدرسته بعد فوات ثلاثة أشهر منذ بدأت الدراسة وقلبه مثقل بالهموم ونفسه منطوية على الثورة

وحاول بيرون أن يتعزى بأصدقائه عما ناله على يد ماري فأقبل عليهم يستزيدهم من أحاديثهم ، فإذا مال بهم الحديث إلى الحب راح يسخر من الحب بكل ما في وسعه من معاني السخرية ، فما الحب في نظره إلا ضرب من الجنون ونوع من الضعف ، وإن الوقت الذي ينفقه المرء في الهيام أضيع أوقات حياته وأتعسها.

يقول ذلك وإن قلبه لينبض بالحب كأقوى وأوجع ما يكون الحب فيكون مثله فى ذلك مثل من يشتد به الحزن لأمر من الأمور، فلا يزيد فى دفع هذا الحزن على أن يضحك ويغرق فى الضحك ويصيح بأعلى صوته إنه فرح مستبشر حتى إذا خلا إلى نفسه أحس بالجوى أشد لذعاً وأقبح وقعاً مما كان عليه قبل هذا المرح المتكلف

ولاذ بالكتب لعلها تسرى عن فؤاده، وراح يقرأ منها ما يسفه الحب ويفند أقوال المحبين ويسخر من دعواهم، ولقد كان يرجو من وراء ذلك أن يبرأ من دائه كما كان يرى فيه ما يتفق مع عناده وكبريائه كأنما كان يريد أن يصرف قلبه عن وجهته بالعنف بعد أن عجز أن يمله بالصبر

وتزايدت على الأيام محبة أصدقائه له وحرصهم على مودته، فكانوا يرجعون إليه فى أمورهم ويعدون الاستمتاع بروحه العذبة من أجمل أويقات حياتهم فى المدرسة ويحسون جميعاً أنهم دون هذا الفتى الذى يحيا حياة الشاعر وإن لم يحمل بعد قيثارة الشاعر ويعترفون له بالتفوق أرادوا ذلك أو لم يريدوا وإن منهم من بوذه فى الدروس المقررة ويظهر عليه فى كثير من نواحى الحياة المدرسية

وصار يكثر من الذهاب إلى تلك المقبرة التى أحبها فيقضى ما شاء من الوقت فى تأمله وقراءته وأقرانه ينظرون إليه ويشيرون عن بعد قائلين: ها هو ذا بيرون يصعد التل إلى مقبرته

وازداد تعلقه بالمدرسة وحياتها حتى إنه ليحزنه أن تقرب الأجازات الدراسية فهو لا يستطيع أن يذهب إلى أنسلى ولا إلى نيوستد، وليس أمامه إلا أن يذهب إلى حيث باتت تقيم أمه فى سوثول على مقربة من مقر قصره العتيق، وهو كلما تقدمت به السن ازداد نفوراً من تلك الأم التى ما تزال تشتمه وتعنفه لسبب ولغير سبب حتى ليضيق بها وبالحياة جميعاً من أجلها

على أنه ما لبث أن سكن إلى أخته لأبيه أوجستا وراح يشكو لها بثه وحزنه وكانت رسائله إليها مفعمة بحماسة قلبه وتوثب روحه وتوقد عاطفته، وكانت تعدها من أكبر دواعى سرورها كما كان يعد رسائلها إليه، ولما علم أنها قد مسها عذاب من الحب كتب إليها يظهر توجعه لها ويعلن لها فى الوقت نفسه استهزاءه بالحب وسخافاته

وكرهت إليه قسوة مارى النساء جميعاً وصار يعتريه الخجل إذا طلع عليهن، على أنه حينما علم بقرب زواج مارى ذهب ليراها وقد كتبت إليه تدعوه ودخلت عليه حيث كان ينتظرها لحيت، فوضع يده فى يدها دون أن يتكلم ثم خرج مسرعاً فامتطى جواده وراح يسبق به الريح

وأحس بيرون فى سنته النهائية فى هارو حباً شديداً لهذه المدرسة حتى لقد كان يفكر كيف يطيق الخروج منها، وكان فى سنته النهائية قد قارب السابعة عشرة من عمره وقد أقام من نفسه زعيما وحامياً لكل من كانوا دونه فى السن، ولقد كان شديد الولوع بهذه الزعامة عظيم الفخر بها والحرص عليها، وأخذ فى تلك السن يكثر من نظم الشعر فى الحفلات المدرسية وفى غيرها من المناسبات غير أن أقرانه ورؤساءه كانوا يرون فيه خطيب الند أكثر مما كانوا يرون فيه شاعراً وذلك لما آنسوه من حماسته فى إلقائه كلماته ولما خبروه من بلاغة عبارته وقوة جنانه وانطلاق لسانه

وأقبل بيرون على دراسة اللاتينية والأغريقية وهو فى هذه السن فتفوق واشتهر أمره فيهما كما تفوق فى السباحة وفى لعبة الكريكت على الرغم من عرجه

ولما حان يوم الرحيل طاف بالمدرسة كلها طائف من الشجن لفراق بيرون، وثقل ذلك الفراق على هذه النفس الشاعرة حتى ما درى الفتى كيف يتأسى أو كيف يطيق البعد عن هذه المدرسة التى خطى خطوات الفتوة بين جدرانها ... وخرج منها وعبارات التوديع من أقرانه ملء أذنيه وملء نفسه

والتحق بيرون عقب ذلك بكمبردج وهو دون السابعة عشرة ببضعة أشهر، وأتيح له يومئذ الحصول على خمسمائة من الجنيهات سنوياً من دخله، وفى كمبردج بدأ بيرون يستقبل حياة الجد ويخطو خطوته الأولى فى مجال الشعر

« يتبع »

الخفيف



التقليد

لم أكد أفرغ من قراءة ما تيسر لى أن أقرأه فى هذا اليوم وما قبله حتى عاودنى الفكر فى أصول ما قرأت من كلام الكتّاب والشعراء ، ووقفت أستعيد فى نفسى تلك التيارات الكثيرة التى تموج بنفوسهم من تحت اللفظ والعبارة والمعنى والغرض . ولقد ظننت — حين أقدمت على قبول كتابة هذا الباب من الرسالة — أن انبعاثى للكتابة وطول ممارستى لمادّتها كفيلان بنهنهة النفس عن بعض ثورتها ، ولكنى أخطأت ، فإن أكثر ما حملت نفسى على قراءته يكاد يؤرّث النار كلما خبت ، ويعيدها جذعة كلما طفئت ، ويدفعنى إلى مثل الحريق من الألم والحسرة والغضب للأدب العربى أن يكون إلى مثل هذا الضعف والفساد والقبح مصيرُه وعقباه .

إن أصحاب هذا اللسان العربى والناطقين به قد أصابتهم فى عصور متتابعة مصائب الجهل والغفلة والضعف فتحطمت عروش الدولة فى بلادهم كلها وعدا عليها كل عاد من ذؤبان الأمم فاستذلوهم وأخذوهم وفتكوا بهم وقضقضوا أوصالهم بالعنف والاستبداد تارة ، وبالرفق والسياسة المتدجّية ، تارة أخرى . ثم جاءت أيام بعثت من تحت الليل جمرات تفرقت ثم اجتمعت ثم استطار شرارها فرمى فى كل هامدة بمض الحياة ، وكذلك ثارت أحلام النائمين بتحاسينها وتخاريجها وفنونها فانتفضوا يطلبون تحقيق أنوار لياليهم فى سواد أيامهم ، ولكنهم قاموا وهبوا على غير نظام ولا تدبير ولا تعبئة فانتشرت القوى الجديدة وتمزقت ، فضعفت وأخفقت ، ولم يكن منها ما كان يرجى لها من الغلبة والظفر والسيادة ، وبقى الضعف فى هذه الأمم العربية هو عمادها وعماد أعمالها فى عصر من القوة الأوربية الطاغية يمتد ويتراحب وينساح فى الأرض كلها متدافعاً متدفقاً لا يقف ولا يفتر

ومن بلاء الأمم الضعيفة بنفسها أن انبعاثها إلى التقليد — تقليد القوى — أشد من انبعاثها لتجديد تاريخها بأسباب القوة التى تدفع فى أعصابها عنفوان الحياة . والضعف يجعل محاكاة القوى أصلاً فى كل أعماله . فلما فسدت قيادة أصحاب الرأى عند هذه الأمم الضعيفة ، وكان لا بد للمستيقظ من أن يعمل ، كان عمل الأفراد متفرقين منسحباً على أصلين : ضعفٌ أورثهم إياه ضياع كيان الدولة السياسى ، وضعف كرثهم به تفرّق القيادة وشتات الأغراض ، فلا جرم أن يكون كل عمل موسوماً بسمة من ضعف مظاهر بضعف صاحبه ، ولا جرم أن يكون أعظم أعمالنا هو تقليد الناس على الهوى والجهل والدهشة المتصرفة بغير عقل

هذا كل شىء تحت أعيننا وبأيدينا : بيوتنا ، مدارسنا ، بناؤنا ، رجالنا ، نساؤنا ، علمنا ، أدبنا ، فننا ، أخلاقنا ... كل ذلك على الجملة والتفصيل قد وُسم بميسم الضعف والتفرق وانعدام التشاكل بين أجزائه التى يتكون من مجموعها معنى الأمة ، وكلها تقليد قد تفرقت فى جمه أهواء أصحابه من هنا وهنا . والتقليد بطبيعته لا يتناول من الأشياء إلا ظاهرها ، فكل ما أخذنا من أجل ذلك ليست إلا مظهراً

هذه المرأة — وهى فن الحياة الذى يشتهى أبداً أن يبدع حتى فى الأذى — ما تكادُ تَراها عِندَنا إلا دُمْيَةً ملفّقةً من الحضارات وبدعها ... ثيابها ، زينتها ، حليها ، تطريتها ، شعرها ، تطريف بنانها ، مشيتها ، منطقها ... كل ذلك أجنبى عنها متكلف منتزع من مظاهر غانيات باريس وعابثات هوليوود ، ليس له من جنسها ولا أصلها شَبَه تنزع إليـه ، وأسمجه أنه ملفق لا ينشاكل تشاكل المصدر الذى اجتلب منه بالتقليد

وهذا الكاتب وهذا الشاعر — وهما فن الحياة الذى يعمل أبداً فى تجديد معانيها بالتأثير والبيان — لا تجد فيما يكتب أكثرهم إلا المعانى الميتة التى نقلت من مكانها بالاعتناف والقسر فوضعت فى جو غير جوها فاختنقت فمات ما كان حيا من بيانها فى الأصل الذى انتزعت منه

وهكذا ... هكذا كل شىء تأخذه العين أو يناله الفكر ، إنما هو دعوى ملفقة وتقليد مستجلبٌ وبلاءٌ من البلاء . ولا نزال مقلدين حتى يستطيع الأحرار — وهم قلة مشردة ضائعة — أن يبسطوا سلطانهم على الحياة الاجتماعية كلها ، ويرد إلى الأحياء بعض القلق الروحى المنيف الذى يدفع الحى إلى الاستقلال بنفسه والاعتداد بشخصيته ، والحرص على تجديد المواريث التى تلقاها

من تاريخه ، ويغامر فى الحضارة الحديثة بروح المجدد لا بضعف المقلد ، فمندئذ ينتزع من الحضارة الأسباب التى تنشأ بقوتها الحضارات ، ولا يكون موقفه منها موقف المسكين الذليل المطرود من المائدة ... ينتظر وفى عينيه الجوع ليتقحم من فتاتها

صورة النفس

عرضت لى مقالة فى مجلة الثقافة عدد (٥٤) عنوانها « الأدب صورة النفس » كتبها الأستاذ « محمد مندور » ، وقد استوقفنى عنوانها قبل أن أقرأها ، لأن هـذه هى الحقيقة التى نقولها ولا نصل فيها إلى حق . وقد تناوى النقاد عليها ومع ذلك فما نظفر من أقوالهم إلا بالمُبهم بعد المُبهم ، ولا نجد لأكثرهم شرحاً لما يفى بعدولها أو بسرها أو يزيل الإبهام عن مسالكها . . . يقول الأستاذ : « وإذن ، فالآثار الأدبية والفنية تطلمنا بغير تحفظ على أسرار واضيها النفسية بأسلوبها الخاص . . . ونحن نقصد بذلك إلى البحث عن نفس الكاتب والشاعر فى تضاعيف ما يكتب ... وعمل الناقد إذن عمل كشف عن أسرار لا تقع تحت البصر لأول نظرة ، وسبيله إلى ذلك لا يمكن أن يكون إلا حساً باطنياً ترهفه التجارب والمعرفة الطويلة بمختلف النفوس ... » ؛ وكل هذا جيد من القول ، وهو كالشرح على عنوان المقالة . ولكنى رأيت الأستاذ ينظر فى آثار أدبية لأستاذين جليلين هما : أحمد أمين وطه حسين ، وشرع يتكلم عن بعض آثارهما . تكلم عن مقال « فى فيض الخاطر » هو (صديق) فإذا كل الذى قاله وصف يمكن أن يقع على كل كلام، فيقول: «سترى كيف حطم الأستاذ هذا الصديق ، فرده إلى عوامله الأولية ؟ وقد تقاصرت جمله متجاوبة كأنها ذرات مادية نتجت عن هذا التحليل » ... والنتيجة ! والنتيجة أن الأستاذ أحمد أمين أو أسلوبه أسلوب تحليلى ، وفيه قوة مخيفة ! والأستاذ طموح متقلقل فى شتى السبل ، لأنه كتب عن الشمس وعن الليل ، يستقرى ما يجوب فى ظلام الليل ، وما تندفه الشمس ؛ ولا يصف جالها أو وحشته ! وهكذا ، ولا أدرى كيف أستخرج شيئاً من كل الذى كتبه يدل على الذى أراده مما نقلناه آنفاً ؟ ولا كيف عمل هو فى الوصول إلى هذه الأحكام التى دمغ بها الآثار الأدبيـة وأصحابها ؟ ولا كيف كان عمله فى التحليل النفسى الذى أحس به إحساساً باطنياً ! !

إنه لا بد لمن يتناول مثل هذا الموضوع أن يفصل القول ، فلا يجمله ، لأنه بلا شك موضوع جليل ، والـكلام فيه سلوك فى مجهل غامض يحمل على الإبانة والإيضاح ، وإلا كان الـكلام فيه على هذا تقصيراً لا ينفع ، ويكون أنفع منه أن يترجم لنا الأستاذ كلام النقاد الأوربيين الذين مارسوا هذا العمل وأفرغوا له أوقاتهم واستوعبوا الأصول التى يسار عليها فى معالجته ، وكذلك تتم خدمته للأدب والأدباء ...

أبو العباس السفاح

كنت أحب أن أستوعب فى هذا التعليق كل الرأى الذى عرض لى فى أمر أبى العباس السفاح أمير المؤمنين ، ولـكنى رأيته قد خرج عن أن يكون من مادة هذا الباب، فلذلك اقتصرت على أشياء أرجو أن تعين الأستاذ العبادى فى تحقيقه الذى بدأه ، وعسى أن يكون فى هذا القول بعض الصواب الذى يسمى إليه .

فمن ذلك أن أبا العباس السفاح ، وأبا جعفر المنصور أخوان وليا الخلافة العباسية لأول أمرها ؛ وكان أبو العباس أصغر من المنصور بعشر سنين ، وأن اسم أبى العباس وأبى جعفر فى نسبهما هو « عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس » ، فأبو العباس هو « عبد الله الأصغر » ، وأبو جعفر هو « عبد الله الأكبر » . فإذا كان ذلك كذلك ، وأبو جعفر قد لقب بالمنصور وأن الذى لقبه بذلك أبوه فيما نعلم ، فلا غرو أن يكون أبو العباس كذلك ملقباً ، وأن يكون أبوه قد لقبه كما لقب أخاه

وإذا كان أبو العباس « عبد الله » هو الأصغر فالتلقيب هو أولى به للتفريق بينه وبين أخيه أبى جعفر « عبد الله » وهو الأكبر الذى ولد أولاً وسمى « عبد الله » من قبله . ويؤكد أمر هذا التلقيب سيرورته بعد فى خلفاء بنى العباس جميعاً إلى انقضاء دولتهم ، فكأنه كان من « تقاليدهم » وتعاليمهم

وأيضاً فإنه قد وردَ فى الحديث عن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يخرج منا رجل فى انقطاع من الزمن وظهور من الفتن يقال له (السفاح) يكون عطاؤه للمال حَثياً » ، وأئمة الحديث لا يصرفون هذا الاسم إلى أبى العباس ، وإنما هو نبوءة كبقية النبوءات التى وردت فى القرآن الكريم والحديث النبوى لا يدرى تأويلها إلا أن تكون ... ؛ ولكن الدعوة العباسية فيما يظهر قد جمعت بين هذا الحديث وأحاديث أخر هى من باب النبوءات أيضاً وجعلت منها حديثاً اتخذته فى الدعوة إلى إقامة الخلافة فى بنى العباس ، فكانوا يروون للناس عن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال : « والله

لو لم يبق من الدنيا إلا يوم ، لأدال الله من بنى أمية . ليكون منا السفاح والمنصور والمهدى » ، وهم الخلفاء العباسيون الثلاثة على التتابع . ولا شك فى أن هذا كان قبل قيام الدعوة بالفتح بزمن طويل . فلعل الإمام « محمد بن على » قد لقب ولديه بهذين اللقبين تفرقة بينهما ، وتفاؤلاً بالذى يروون فى أحاديث الدعوة العباسية

وإذا كان ذلك كذلك فمعنى اللقب إذن ليس من « سفح الدم » — وهو بهذا المعنى مجاز مقصور لغرض بعينه — ولكنه من الكرم والعطاء والبذل كما ورد فى الحديث الذى سقناه آنفاً من أن « عطاء السفاح للمال حثياً » لأنه لا يصح فى العقل أن يلقب أحد ولده بهذه المذمة القبيحة وهو ينصبه للناس خليفة ، وقد لقب أخوه من قبل بالمنصور . نعم قد سمت العرب فى جاهليتها بالأسماء المنكرة ، ولكن الإسلام جاء لحسم ذلك كله ، ولم يبق من التلقيب والتسمية بالمنكر من الألفاظ شىء فى أكثر البادية العربية ، فكيف فى الحضر ثم فى أعظم بيوت الحضر ، وهو بيت العباس ؟ وقد كان لهم فى رسول الله أسوة حسنة فهو قد غير أسماء كثير من الوافدين عليه من أصحابه « كزحم بن معبد » فسماه بشيراً ، وجميلة امرأة عمر بن الخطاب وكان اسمها « عاصية » وخلق كثير

وعلى هذا الأصل نرى أن الناس فى صدر الإسلام سموا « بالسفاح » فنهم : السفاح بن مطر الشيباني ، وهو ممن ولد فى النصف الثانى من المائة الأولى للهجرة وكان من أصحاب الحديث ؛ والسفاح أخو أبى سلمة بن عبد الرحمن الزبيدى لأمه وهو من التابعين ، وقد روى عن أبى هريرة وغيرهما . ولا شك أن التسمية هنا منصرفة إلى المدح لا إلى الذم ؛ فصفة أبى العباس السفاح هى إلى العطاء والكرم كما ذهب الأستاذ العبادى أولاً ، ثم رجع عنه حين تعقبه الأستاذ أحمد أمين

أما النص الذى نقله الأستاذ عن اليعقوبى من أنه قال : « عبد الله بن على الأصغر وهو السفاح » ، وهو عم أبى العباس والمنصور ، فإن أصله منقول من ابن سعد فى طبقاته حين ذكر أولاد على بن عبد الله بن عباس فقال : « عبد الله بن على الأكبر… وعبد الله بن على الأصغر السفاح الذى خرج بالشام » ، فهذا هو الأصل ولا يرى فيه إرادة التلقيب كالذى يرى من نص اليعقوبى ، وإنما هى صفة كالسفاك والقتال . نعم ، وأنا لا أدرى كيف ادعى الأستاذ العبادى أنه اشتهر بذلك فانتقلت هذه الصفة إلى أبى العباس أمير المؤمنين ، فإن الطبرى وأئمة المؤرخين قد ذكروا عبد الله ابن على عم أبى العباس وأبى جعفر فى أكثر من خمسين موضعاً ولم يلقبه أحدهم بهذا اللقب ، فكيف يمكن أن ندعى أنه اشتهر به حتى كان من جراء هذه الشهرة أن اختلط على الناس وعلى الأدباء وعلى فلان وفلان كالجاحظ وابن قتيبة فوضعوا صفة « عبد الله ابن على » صفة « لعبد الله بن محمد » على قرب العهد . وكيف جاز أن يقع فى ذلك الجاحظ فى روايته ، وهو أدق العلماء رواية ، وهو الذى رد أكثر رواية ابن الهيثم وابن الكلبى وغيرهما من أصحاب الأخبار ؟

وخبره الذى رواه وذكر فيه السفاح فى البيان والتبيين ج ١ ص ٩٣ أخبره به « ابراهيم بن السندى » وقد قال فيه ج ١ ص ٣٢٦ « وكان ابراهيم بن السندى يحدثنى عن هؤلاء بشىء هو خلاف ما فى كتب الهيثم بن عدى وابن الكلبى ، وإذا سمعته علمت أنه ليس من المؤلف المزور ، وكان عبد الله بن على وداود بن على يعدلان بأمة من الأمم . ومن مواليهم ابراهيم ونصر ابنا السندى ، فأما نصر فكان صاحب أخبار وأحاديث ، وكان لا يعدو حديث ابن الكلبى والهيثم ، وأما ابراهيم فانه كان رجلاً لا نظير له . . . وكان … وكان … من رؤساء المتكلمين وعالماً برجال الدعوة وكان أحفظ الناس لما سمع وأقلهم نوماً وأصبرهم على السهر

فرواية الجاحظ فيما نرى أقوم من رواية غيره ، وهى دليل على صحة الصفة التى وصف بها أبو العباس أمير المؤمنين ؛ والجاحظ قد أدرك صدر الدولة العباسية ، ولم يكن بين مولده ووفاة أبى العباس السفاح كبير دهر حتى يكون ممن يختلط عليه الحق فى مثل هذا الأمر ، وبخاصة وهو يروى ما يروى عن الثقات فى معرفة أخبار رجال الدولة

أما سكوت الطبرى وغيره — من متأخرى المؤرخين عن صدر الدولة العباسية — فليس يعد دليلاً على بطلان هذا اللقب . وإن دل على شىء فربما دل على أنهم جانبوه وتباعدوا عنه وتركوه لما كان قد انتشر فى عصرهم من معنى السفاح على أنه السفاك للدماء ، وخفاء معنى هذا اللفظ الأول وهو الكريم الباذل الفياض الذى يكون عطاؤه للمال حثياً

هذه كلمة صغيرة إلى الأستاذ العبادى أرجو أن أكون قد بلغت بها بعض رضاه فى التعقيب على رأيه الذى انتهى إليه ووقف عنده . ولعله يعود إلى الذى كتبه فإن له بالعلم بصيرة نافذة مسددة إن شاء الله .

محمود محمد شاكر



دراسات فى الفن

دعاؤك ثم غنائى

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

— كل سنة وانت طيب

— يا باى ! ومالك تكرينها هكذا كأنما أنت آلة ...

— يا فتاح يا عليم ! وكيف كنت تريدنى أن أقولها لك ؟ أكنت أجثو لك على قدمى وأرفع لك كفى مضمومتين ، وألقيها عليك كما ألقى روميو على جولييت تحية الغرام ساخنة ؟

— لا يا شكسبيرة الزمن ، كنت أريد أن أشعر وأنت تقولينها أنك تريدين حقاً أن أكون طيباً فى كل سنة ...

— كنت تريد منى أنا أن تشعر أنت ... ؟ إذن ، فاسمح لى أن آكل نصيبك من غداء اليوم ، واشبع أنت ...

— لو كنت استطعت أن تشعرينى بالسلامة فى دعائك الأول لكنت استطعت أن تشعرينى بالشبع فى دعواك الثانية !

— عجباً ! تذهب فى الجدل إلى هذه النهاية المضحكة فيسهل عليك أن تقرر إمكان الشبع لإنسان إذا أكل غيره . . . ولا تعترف بأنك كنت « تهلوس » ...

— لو كنت أماً لما أنكرت أن الشبع يمكن لإنسان إذا أكل غيره . فالأمهات كثيراً ما يشبعن إذا أكل أبناؤهن . وكثيراً ما يرتوين إذا شرب أبناؤهن . وكثيراً ما يسعدن إذا فرح أبناؤهن . وكثيراً ما يحقق الله على هذا دعاءهن ، إذا دعون لأبنائهن . وفى هذا جعل الله الجنة تحت أقدامهن !

— ما شاء الله . أريد أن أفتك بقضاياك هذه جميعاً لولا أنك تقرر بها للمرأة أفضالاً قليلاً ما أظفر منك بالاعتراف بواحد منها . ولكن هذا لا يمنعنى من أن أسجل عليك هذا الاعتراف ، وأن أسألك بعد ذلك كيف كنت تريدنى أن أدعو لك ؟

— أتعرفين لماذا كانت صلاة الجماعة خيراً من صلاة الفرد ؟ ولماذا كان للمصلين جماعة إمام يقود الصلاة ؟ ولماذا يفزع من طوائف المتدينين المختلفة جماعات فى الكوارث يصلون يطلبون من الله أن يدرأها ، وفى المباهج يصلون يطلبون من الله أن يباركها ؟

— وما صلة هذه « الفقهنة » بدعاء هو تحية العيد ؟ ...

— الدعاء صلاة لأن الصلاة دعاء . والدعاء قد يكون تحية حقاً ، ولكن ليس على هذا النحو الذى تشتغلينه كما تشتغلين « البرودرى » . أنت ألقيت علىّ تحية العيد كما يلقى الناس هذه التحية ، وهم يلقونها كما يلقون كل تحية أخرى ، تنطق بها أفواههم ونفوسهم مشغولة عما ينطقون ، ولهذا فإن تحياتهم لا أثر لها ولا ثمرة ، فكم دعا ناس لناس أن يفوزوا فخابوا ! وكم دعا ناس لناس أن يسعدوا فابتأسوا ! وكم دعا أيضاً ناس على ناس أن يصيبهم السوء فلم يصبهم إلا الخير ! وكم دعا ناس على ناس أن يهلكوا فنجوا ... وكم وكم من دعوات فارغة !

— وهل فى الدعوات فارغ ومملوء ؟

— الدعوات ككل كلام يقوله الإنسان ، وفيه الفارغ ، وفيه المملوء حقاً ، وفيه المملوء باطلاً ، وفيه المملوء أخلاطاً من الحق والباطل . ولا يبقى من هذا كله عند الله إلا المملوء حقاً . وإن له عند الله الجزاء أثراً واجب التحقق . ألم يقل النبى ، فيما يروى من الأثر : اتقوا دعاء المظلوم ؟ ! أليس فى هذا دليل على أن دعاء المظلوم يتحقق ؟ وأى شىء فى دعاء المظلوم يميزه عما فى غيره من الدعاء إلا أنه مملوء بالحق؟ فإذا كان الامتلاء بالحق هو الذى يضمن للدعاء التحقق فلماذا لا نضمن تحقق الدعاء بالخير إذا امتلأ حقاً؟ . .

— إن هذه « شطحة كشطحات » المجاذيب !

— أنعم بهم ! واستمعى لى . وافرضى معى أسوأ ما يمكن أن يفرض فى الإنسان من الفروض ، وهو أنه بلحمه وعظمه ودمه وأعصابه شحنة كهربائية حدثت على وجه من الوجوه لا شأن لنا به . وافرضى كذلك الأسوأ من هذا وهو أن عواطف الإنسان ووجداناته ليست إلا حالات كهربائية تعرض لهذه الشحنة المتجسدة إنساناً فى ظروف مختلفة ... وافرضى بعد هذا وجود إنسانين بينهما علاقات ... فكيف تتصورين هذه العلاقات بين هذين الإنسانين اللذين هما شحنتان من الكهرباء ؟

— لا بد أن تكون كـكل علاقة بين شحنتين من الكهرباء .

فكيف تكون العلاقة بينهما ؟

— تكون أحياناً برقاً يصحبه رعد. وتكون أحياناً إشعاعات تتعاون على بعث النور فى الظلمات ، وتكون أحياناً صواعق ... وقد تكون على نحو لا أعلمه أنا ويعلمه الدكتور غالى ، وقد تكون على نحو لا أعلمه أنا ولا الدكتور غالى ...

— حسن . فلنتصور إذن هذين الإنسانين وهما شحنتان مما يحدث البرق . فكيف يكونان ؟

— هذان يلتقيان فجأة فيتعانقان ويتبادلان القبل مفرقعة ولها هزيم

— والحالة الثانية ؟

— أما الحالة الثانية فهى التى تستعين فيها شحنة بشحنة أخرى على بعث النور ، أو على تحريك الموتور ، أو على بلوغ مقصد ما . . . إنهما من غير شك تتعاونان إذا اتجهتا اتجاهاً واحداً . وهذه هى حالتنا أنت وأنا كما أحب أن تكون . فلو أنك تقصدين معى الهدف الذى أقصد إليه لبلغنا من غير شك أنا وأنت هذا الهدف فى مدة أقصر من المدة التى قد أصل فيها وحدى لأدعوك بعد ذلك إلى جانبى . وأنا لا أطلب منك أن تدفعينى بيديك لأنى لا أتصدى فى هذه الدنيا لعمل أستخدم فيه القوة ، وإنما أريد منك أن تؤمنى بالذى أومن به وأنت تعلمين أنه الله ، وقد قلت لى مرات إنك مؤمنة ، والله قد رسم للحياة حدوداً وأنت تعرفين أنى أخاف كل الخوف من الخروج على هذه الحدود ، فسيرى إلىّ فيها ، والزميها فى قولك وعملك نكن أنا وأنت شحنة واحدة منطلقة فى الكون فيها قواك وقواى وقوة الحق الأكبر من كل قوة . هو دعاء أريده أن ينبعث من قلبك لا من لسانك . اتجهى به إلى الله وأنت على القرب منى أو على البعد ، فهو لا بد معينى لأنه من دعائى ولأنه إلى غايتى ... وأنا لا بد أن أشعر به كما يشعر الأب بدعاء أبنائه إلى جانبه وإن لم يصوغوه دعاء ... ألا يكافح الأب فى الدنيا من أجل أبنائه أكثر مما يكافح من أجل نفسه ... أو تحسبين هذا الكفاح والقـدرة عليه إلا من دعوات الأبناء ... ؟

— قد يدعو الآباء إلى أبنائهم ، ولكن قليلاً ما يدعو الأبناء إلى آبائهم ...

— عند ما يأكل الإنسان قليلاً ما يقول : إنى آكل ، وعندما ينام فإنه لا يقول إنى أنام ، والأبناء يدعون لآبائهم ولا يقولون إنا ندعو ، وهم جديرون بهذا الدعاء وهو جدير بهم لأن أباهم هو عائلهم ولأنهم يأكلون من فيض يديه . قد لا يعرف الأبناء شيئاً من هذا كله ، ولـكن هذا هو الواقع ، والدليل عليه أن الآباء يجاهدون الدنيا أكثر من غيرهم ، ويقوون عليها أكثر من غيرهم ، ويصبرون على مصاعبها أكثر من غيرهم ... وإن هـذا لا يحدث إلا لأن دعوات الأبناء صادقة . وقد كان القدماء يستكثرون من النسل ليستكثروا من الرزق ، لأنهم كانوا أقرب إلى الطبيعة منا ، وكان الواحد منهم إذا رزق مولوداً جديداً أحس بأنه رزق قوة جديدة إلى جانب قوته ، وكان الواحد منهم إذا شاخ وضعفت شحنته الـكهربائية ارتكن على أبنائه يمدهم بالدعوات الصالحات

— وهل كانت هـذه الدعوات تفيد ... وعلى الخصوص إذا اعتبرنا الشيخ شحنة كهربائية ضعيفة ؟

— ما من شك فى أنها كانت تفيد ، فالشيخ كان قبل ذلك قد صقل أبناءه ، وقد علمهم طريق الرشاد ، ونكبهم طريق البغى ، ودلهم على موطن السعادة ، ودلهم على موطن الشقاء ، فدعاؤه لابنه بالسلامة إنما هو تذكير له بطريقها وتوجيه له إليه ، زيدى على ذلك أن شحنة الشيخ الكهربائية إذا كانت قد ضعفت فى مظهرها البدنى فإنها تقوى فى باطنها المعنوى ، وإذا كان الفلاسفة يعترفون للشيخوخة بالحكمة فإننا لا نستطيع أن ننكر عليهم الصفاء والنفاذ إلى الحقائق ، فهم يرتدون إلى الحيـاة كالأطفال طهارة ونقاء ما داموا قد قضوا حياتهم على الحق ، ولكنهم يختلفون عن الأطفال فى شىء وهو أنهم اجتازوا الشطر الأكبر من هذه الحياة فوقفوا على سرها

— وما سر الحياة ؟

— انتظرينى حتى أشيخ فأعلمه ، أو فاسألى شيخاً ممن يعلمون ... أو فانظرى إلى شيخ من الطيبين كيف يعيش واعلمى أنه يستغل هذا السر ويعيش عليه

— وأين أجد هذا الشيخ الطيب ؟

— تجدينه فى الريف ، وتجدينه فى الصحراء ، وتجدينه فى كل مكان لم تنطبق عليه الحضارة بيرانها ومخالبها ، تجدينه

يأكل ويشرب وينام ، ويباشر الأطفال ، ويدعو إلى الناس ويتلقى من الناس الدعوات ... ويصلى لربه ويطلب من الله أن يصلى عليه

— ولماذا يباشر الشيوخ الأطفال ؟

— لأن الشيوخ والأطفال متفقون على معنى واحد للحياة والناس فيما بين الطفولة والشيخوخة يبحثون للحياة عن معانى أخرى .

— وما معنى الحياة عند الشيوخ والأطفال ؟

— هو الاستغراق التام فيها ، والاستمتاع التام بما فيها

— وعلام تقوم العشرة بين الشيوخ والأطفال ؟

— على هذا ، ومظهر هذه العشرة الفنون . فالشيخ يجمع حوله الأطفال ويقص عليهم القصص ، والقصص فن ، ويغنى لهم ويغنون معه والغناء فن ، وقد يستخف الشيخ مع الأطفال فيرقص والرقص فن ، وقد يمثل لهم المركب ويركبونه والتمثيل فن ... فهو إمامهم فى كل فن ، وهم يتبعونه لأنهم يشعرون به يحب هذه الأفاعيل أكثر مما يحب غيرها ، ولأنهم هم أنفسهم يحبونها . فهم سعداء وهو سعيد ...

— وكل من هو مثلهم سعيد ؟ أليس كذلك ؟

— من غير شك

— إذن فالسعادة عندك أن تنقلب الدنيا إلى مسرح لا شىء فيه إلا الغناء والرقص والشعر وما إلى ذلك من اللغو !

— كانت الإنسانية فى طفولتها هكذا كما تقولين مسرحاً لا شىء فيه إلا الغناء والرقص والشعر وما إلى ذلك من السعادة الحق، وهى اليوم كادت أن تصل إلى شيخوختها فترتد بعد ذلك إلى هذا الذى تربنه لغواً . وآية ذلك أن الناس اليوم متضجرون من الحياة، وأن حوادث الانتحار تكاثرت بينما القدماء لم يكونوا يعرفون الانتحار لأن أحداً منهم لم يكره الدنيا كراهية تحمله على الاقتناع بوجوب مغادرتها

— ألا يمكن أن تكون سعادة إلا فى هذا الفن أو هذا الهوس . . . ألست ترى فى العلم سعادة ؟

— وأى شىء حقق العلم للانسان أكثر مما حقق الحس للحيوان ...؟ اللهم إلا أن هذا العلم عطل عند الناس الإحساس، فكسبوا شيئاً وخسروا شيئاً، وكان حقهم أن يكسبوا الاثنين . وسيكسبون الاثنين فى اليوم الذى يقنعون فيه من العلم بلذة العلم ولا يسخرونه فيما لم يجعل العلم له . . .

— ولماذا تريد أن تحرم عليهم الإفادة من العلم إذا كانت هذه الإفادة ممكنة ؟ . . .

— هى ممكنة ، أنا لا أنكر ذلك ، ولكنها ضارة . . . إنها كالدغدغة إذا قصد بها التفريح ، بينما التفريح لا يكون إلا من عوامل نفسية . . . إن الضحك المنبعث من الدغدغة ليس ضحكا وإنما هو رعشات عصبية

— وأنت تريد النكتة الطبيعية لتضحك منها .

— لست أدرى إذا كانت النكتة الطبيعية تضحك أم تبكى ولكنى على أى حال أطلب من الله أن يقينى النعم وإياك .

— آمين ...

— أنظرى ، إنك نطقت « آمين » هذه بصدق ، ولعل ذلك لأنى شملتك بدعائى ... إنها أنانية منك وحب لذاتك ولكنه على أى حال صدق ، والصدق خير من الفراغ ، والفراغ خير من الكذب ... والآن هات منك دعاء صالحاً ، ثم انطلقى معى نغنى كالأطفال والشيوخ ...

عزيز أحمد فهمى



أرقام تتحـــدث

صدى عمل جان بيران

للدكتور محمد محمود غالى

مود إلى قصة الذرات — يتعلق قدر الحقائق بالفروض والخطأ التجريبي — على م استند بيران في أعماله — قوانين الحرارة والضغط — عدد أنوجادرو — ملاحظة لابلاس .

يعود بنا البحث إلى قصة الذرات[١] وأسطورة الألكترونات فهمتنا مع القارئ أن نتابع استعراض هذه الحلقة من حلقات المعرفة واستجلاء الخطير من مراحلها . وليس في طوقنا أن نهمل عمل جان بيران[٢] Jean Perrin في هذا الشأن ، أو نتغاضى عن الدور الحاسم الذى قام به هو ومن حوله من باحثين في التعرف على الذرة والتقرب من الألـكترون .

وقد تناولنا أعمال مليكان R. A. Millikan وشرحنا أثره التجريبي في ثلاث مقالات : الأولى «أندروز مليكان والألكترون» والثانية والثالثة «أرقام تتحدث» وهو العنوان ذاته الذى آثرنا اختياره اليوم لذلك العمل التجريبي المجيـد الذى قام به بيران وتلاميذه ، فقد تحدثت الأرقام لهم كما تحدثت لمليكان ، وكان على بيران أن ينقل هذا الحديث إلى الناس ، فنقله شائقاً عذباً للعلماء والباحثين في المهد ذاته الذى نشر فيه مليكان أبحاثه في سنة ١٩٠٧ وما تبعها من سنين ، هذه التجارب وما أدت إليه من نتائج ظلت منذ ذلك الوقت محل تقدير الباحثين وأعضاء المجامع العلمية ، وقد ظهر هذا التقدير في صورة جلية عندما قرر المجمع السويدى منح بيران جائزة نوبل للطبيعة في سنة ١٩٢٩

***

لأن يصل أحد الأفراد من طريق معينة إلى إثبات حقيقة في الوجود ، وأن يكون فيما اختطه من طريق تجريبي ما يقوم دليلاً على ما ذهب إليه — أمر له قيمته . ولـكن يظل قدر هذه الحقيقة مرتبطاً بعـدد الفروض[١] التى اتخذها الفرد مبدئياً للوصول إلى غايته ، ويظل مبلغ النتائج التى وصل إليها من الحقيقة مرتبطاً كذلك بقدر الخطأ المحتمل في العناصر المختلفة في طريقه التجريبي ، ويظل الأمر عند العلماء الذين يحكمون على درجة قرب النتائج من الحقيقة مرتبطاً بهاتين المسألتين : الأولى صحة الفروض ، والثانية مبلغ الخطأ التجريبي . وعلى قدر ما يوجهه الباحثون من نقد جدى في كل هذا ، تدخل التجربة ونتائجها بين الحقائق العلمية التى تأخذ مكانها بين ما يُسجل في الميراث العلمى المتداول على كر العصور .

أما أن يكون بعد ذلك للتجارب ذاتها أثر في التقدم واقتراب من حقائق الوجود ومعرفة لقوانين الكون ، فهذا أمر آخر يرفع التجربة إلى مصاف الموضوعات الكبرى التى تتصل اتصالاً وثيقاً بحلقة المعرفة ، ويرفع الفردَ المجهول إلى مصاف العلماء الذين يعرفهم التاريخ ، وتدخل النتائج بين أرقى أنواع المِـلكية لمجموعة الإنسان المفكر الذى يعمل على تقدمه على ممر الأجيال

(١) في اصطلاحات المجمع اللغوى الحديثة تسمية الأتوم ذريرة وجمعها ذريرات ، ولا نرى سبباً لاستعمال التصغير لـكلمة ذرة التى تؤدى معناها دون اللجوء إلى تصغيرها فهل لذلك من سبب ؟

(٢) جان بيران من علماء فرنسا المعدودين ويشغل منذ زمن طويل أحد الـكراسى العديدة في السوربون المخصصة لعلم الطبيعة ، وهو من أعضاء المجمع العلمي الفرنسى ، ويقوم بتدريس إحدى مواد الطبيعة الـكيميائية Chimie Physique ، ولعمله في السوربون شهرة كبيرة ، وبخاصة بعد أن كشف بيران وتلاميذه عدد « أنوجادرو » وشحنة الألـكترون بطريقة خاصة تعد من أرقي ما أضافه الباحثون في العلم التجريبي ، وقد نال جائزة نوبل ، وفي ظنى أن نجله موريس بيران الذى يشتغل معه الآن في هذه المعامل من المرشحين لهذه الجائزة أيضاً ، تشهد بذلك نشراته القيمة في محاضر المجمع العلمى الفرنسى .

(١) هب جدلا أن أحـد الباحثين اعتبر أحد القوانين التى استندت في طبيعتها الى مسائل رياضية مثل قانون ستوكس[٢] Sir G. Stokes صحيحا ، واحتاج الباحث إلى هذا القانون في إحدى مراحله التجريبية فلجأ إلى إدخاله في عمله ، فان صحة النتائج التى يصل إليها ترتبط بصحة القانون الذى أجازه في عمله والذى يعتبر في هذه التجربة بين الفروض ، وعلى قدر صحة القانون في التطبيق العملى وفي الناحية المعينة التى تدخل في عمل هذا الباحث تكون النتائج صحيحة

ولقد كان عمل بيران وأتباعه من الأعمال التجريبية الكبرى التي ارتفعت في تاريخ العلوم إلى مثل هذه الذروة ، وكان بيران من الباحثين الذين وضعهم التاريخ بين العلماء البارزين

***

إنما يُستدل على هذا من أعماله التي فرغنا من مراجعتها بالأمس ، سواء ما نشر منها بالمجمع العلمي الفرنسي أو ما ظهر منها في مؤلفاته[1] ، ولم يعتورني ملل عند مطالعة هذه الأعمال مرة أخرى ؛ فقد كنت طالعتها منذ سنين ، وكنت أطالعها في شوق ورغبة هذه المرة . والواقع أنه عند ما انتهيت من هذه المطالعة الأخيرة وقعت في نوع من الحيرة فيما أقدمه للقارئ منها لأن العمل متسع وجليل ، بل ويلزم لاستيعابه مقدمات علمية لأنه مرتبط باكتشافات أخرى سابقة بعضها معروف للقارئ وبعضها قد يكون غير معروف

وهي اكتشافات عاونت جان بيران ليقوم بعمله الجليل الذي توصل فيه كما قدمنا في مقالات سابقة بطريقة مختلفة ولكنها وثيقة ، إلى قياس قدر الذرة وبالتالي إلى استنتاج قدر الألكترون. هذه الاكتشافات السابقة لأعمال بيران التي تكون الحلقة الأولى فيما وصل إليه من معرفة نتعرض لها في هذه الأسطر ونلخصها في ثلاث خطوات رئيسية : الأولى خاصة بقوانين بويل وجاي ليساك للغازات ، والثانية خاصة بما يسمونه فرض أفوجادرو ، والثالثة دراسة « لابلاس » لتوزيع الضغط في طبقات الجو

ونعود بذاكرة القارئ إلى الخطوة الأولى ، فنعود إلى قوانين يعرفها كل من جلس على مقعد في المدرسة ، أولها قانون بويل Boyle سنة ١٦٦٠ وماريوت Mariotte سنة ١٦٧٥ الخاص بالغازات الذي يتلخص في أن كثافة[2] الغاز تتناسب مع ضغطه[3] وثانيها قانون جاي ليساك Gay Lussac الذي بين بصورة جلية في سنة ١٨١٠ أنه في الضغط الثابت تتناسب كثافة الغاز مع حرارته[1] بطريقة لا تتعلق بطبيعة الغاز في ذاته

ويتلخص القانون أن حاصل حجم الغاز في الضغط يساوي ثابتاً يسمى ثابت الغازات مضروباً في الحرارة المطلقة

إنما نريد ألا يعزب عن ذهن القارئ أن الغازات هي مجموعة لجزيئات حرة ، وبهذا يعتبر أن الكثافة تمثل في الواقع عدد الجزيئات ، بمعنى أن ازدياد الكثافة في غاز معين تحت تأثير الضغط هو اقتراب جزيئاته بعضها من بعض أي هو زيادة في عدد ما هو موجود منها في الحجم الواحد

أما عن الخطوة الثانية فهي خاصة بما يسمونه فرض أفوجادرو وهو الفرض الشهير الذي فرضه العالم الكبير أفوجادرو Avogadro عند دراسته لقانون جاي ليساك الومأ إليه ، فقد نبّه العلماء في سنة ١٨١١ إلى حقيقة جديدة ، ظلت منذ ذلك العهد من أعجب ما دخل على الميراث العلمي . ذلك أن الأحجام المتساوية من الغازات المختلفة تحوي ، مهما اختلف نوعها ، عدداً واحداً من الجزيئات ، ما دامت هذه الغازات واقعة تحت ضغط واحد وحرارة واحدة

إنما نود أن ينعم القارئ النظر قليلاً في هذه النتيجة التي أرسلها أفوجادرو للعالم أجمع والتي تُعد في نظري كلما تأملت فيها من أروع ما وصل إليه الإنسان الباحث المفكر، ففيها نوع من الاتفاق الجدي بين عناصر الوجود المختلفة التي شاءت ألا توجد إلا على صورة واضحة هي أبسط الصور

وكأني بهذه العوالم المختلفة شكلا ووزناً وكثافة وطبيعة لا تستطيع أن توجد في المكان الواحد ذي الحجم والضغط والحرارة الواحدة إلا بعدد واحد لا يتغير ، عدد يمتد في سر وجوده إلى طبيعة الكون الذي فيه نحيا ونموت

إنما ننوه بمبلغ الجمال فيما وصل إليه أفوجادرو ، ونقف ملياً إزاء هذا العدد العجيب الذي كان له أثر على ظاهر في أعمال بيران التي استأنفها بعد نحو مائة عام من ملاحظة أفوجادرو السابقة. وسيرى القارئ أن بيران قد عيّن هذا العدد بالذات من طريق يبتعد كل البعد عن قصة الغازات ؛ وكان من تعيين هذا العدد أن عرف قدر الذرة بل قدر الألكترون ، وكان ذلك بطريقة تجريبية أهم ما يُقال فيها أنها لم تستند في جوهرها إلى

---

(١) تذكر للذين يريدون أن يعرفوا أعمال بيران الخاصة بالذرة والألكترون أن يراجعوا كتابه المعروف « الذرات » Les atomes باريز سنة ١٩٣٠ الطابع فليكس السكان Felix Alcan

(٢) أي كتلة وحدة الحجوم

(٣) يعتبر قانون بويل قانونا قريبا من الحقيقة ولكنه لا يمثلها تمثيلاً صحيحا. وتدل التجارب على أنه مضبوط لأقرب $\frac{١}{١٠٠}$ عندما لا يتجاوز الضغط في الغاز عشرة ضغوط جوية تقريبا ، بحيث أنه كلما كان ضغط الغاز ضعيفا كان القانون أقرب للتطبيق ، ويصبح أقرب ما يكون من الواقع عندما تقترب كثافة الغاز من الصفر ، لذلك يلجأ الباحث إلى تطبيق قوانين أخرى مثل قانون « فان در فالس » Wan der Waals أو غيره عندما يحتاج الأمر إلى ذلك

(١) هذا قانون تقريبي أيضا وتنطبق عليه الملاحظة (٣)

الاعتبارات النظرية التى قد تقبل الخطأ بل انما استندت إلى أعمال تجريبية تصل بنا فى معرفة هذه الأقدار إلى درجة اليقين

أما الخطوة الثالثة فخاصة بدراسة قام بها « لابلاس » لمعرفة الكيفية التى يختلف بها الضغط الجوى كلما صعدنا بعيداً عن الأرض . كلنا يعرف أنه كلما ارتفعنا إلى أعلى قل الضغط الجوى بحيث أن عاموداً رأسياً من الهواء يختلف الضغط فيه من نقطة إلى أخرى طوال هذا العامود . وقد توصل لابلاس إلى معرفة القانون الذى يتغير بمقتضاه هذا الضغط ، وكان ذلك من طريق رياضية بسيطة يستطيع كل مبتدئ اليوم فى العلوم الرياضية أن يقوم بما قام به « لابلاس » من حساب رياضى بسيط ، وهذا القانون هو معادلة[1] نجد فى أحد طرفيها الضغط الجوى عند مكان معين ، ونجد فى الطرف الثانى الضغط عند مكان يرتفع عن المكان الأول وكتلة الغاز والارتفاع الواقع بين المكانين كما نجد الحرارة المطلقة للغاز وثابت الغازات الذى أسلفنا ذكره والذى كان نتيجة لقوانين بويل وجاى ليساك . ويمثل قانون لابلاس فى الواقع توزيعاً رياضياً خاصاً[2] ومن نتائجه مثلاً أن الضغط الجوى ينقص إلى النصف عند ما يرتفع الإنسان حوالى ٦ كيلو متر وذلك فى الحرارة العادية. ولو أن الهواء كله من الأكسيجين لحدث هذا النقص عند ما يرتفع الإنسان حوالى نصف الكيلو متر

***

هذه هى المسائل الكبرى الثلاث التى استند إليها « جان بيران » ليصل إلى غرضه العلمى عندما استطاع كما سنذكر للقارئ فيما بعد أن يعين قدر الذرة وأن يتحقق من قدر وحقيقة الالكترون .

إنما أود أن أجتزئ فى هذا المقال بهذا القدر فى إيراد المقدمات التى كانت لازمة لمعرفة حقائق هذه الأسطورة الذرية ، على ألا يفوتنا أن نأتى على عمل بيران الإيجابى فى المقال القادم .

وإن من العجاب أن يصل بيران إلى معرفة عدد « أفوجادرو » بالذات فيعرف عدد ما فى حجم معين من غاز من الذرات الموجودة فيه

هذا العدد الذى يجاوز كل خيال استطاع بيران ، وباللجوء إلى طريق تجريبى جديد ، وإلى المسائل الأساسية الثلاث التى ذكرناها ، أن يصل إلى معرفته ، وأن يصل إلى ذلك من طريق لم يستعن فيه بالغازات للوصول إلى معرفة أهم ما نعرفه لها اليوم من خواص

وسيرى القارئ كيف عاونت الحقائق السابقة بيران للوصول إلى مسألة من أعظم ما نعرفه اليوم فى العلوم ، وكيف استطاع بيران من دراسة معينة قام بها البرت أينشتاين خاصة بالحركة البراونية أن يوسع دائرة بحثه وأن يهتدى لا إلى معرفة عدد أفوجادرو فحسب بل إلى التحقق من نتائج ذرية والكترونية أخرى غاية فى الأهمية

ولو أن هذا العالم الذى ما زال رغم تقدم السن يقوم بأعمال البحث ، لم يقم طوال حياته إلا بهذا التعيين لكفى أن يرتفع إلى سجل العلماء المجددين الذين قاموا للانسان بأجل الخدمات .

(يتبع) **محمد محمود غالى**

دكتوراه الدولة فى العلوم الطبيعية من السوربون

ليسانس العلوم التعليمية . ليسانس العلوم الحرة . دبلوم المهندسخانة

---

(١) الذين يهتمون بالعلوم الرياضية والطبيعية : لو فرضنا فى غاز معين أن ض ضغط الغاز عند مكان معين و ضَ ضغطه عند مكان يزيد ارتفاعه من الأول بمقدار ب وأن و وزن الجزىء بالجرام molecule Gramme لهذا الغاز و د العجلة الأرضية و ك ثابت الغازات و ح الحرارة المطلقة فان العلاقة التى توصل إليها لابلاس هى أن :

$$ضَ = ض \left(١ - \frac{و\ د\ ب}{ك\ ح} \right)$$

(٢) من السهل أن يدرك الرياضيون من هذا القانون أن الهواء يتوزع فى الواقع وفق متوالية هندسية أي يتوزع توزيعا لوغاريتميا



غلطـــة

للكاتب الفرنسي موريس ليفل

يا دكتور : أريد أن تفحصني وتخبرني هل أنا مريض بالسل ؟ أريد أن أعرف الحقيقة؛ وإن لي من الشجاعة ما يساعدني على سماع أسوأ الأخبار . ثم إني أعتبر من واجبك أن تكلمني بصراحة ، ومن حقي أن أعرف حقيقة أمري ... أتعدني بذلك ؟

تردد الطبيب هنيهة ، ثم اضطجع في كرسيه وقال : أعدك بذلك ... اخلع ملابسك ...

وبينما كان المريض يخلع ملابسه ، كان الطبيب يسأله :

— أتشعر بضعف ؟ أتعرق أثناء الليـل ؟ ... هل تسعل كثيراً ... ولا سيما في الصباح الباكر ؟ ... ألا يزال والداك على قيد الحياة ؟ ... أتعرف المرض الذي مات به ؟ ...

قال الرجل وقد عرّى صدره : ها أنذا يا دكتور ...

وأخذ الطبيب يفحص المريض بدقة، والمريض يتتبع الفحص في صمت واهتمام . وبعد بضع دقائق وضع الطبيب يده على كتف المريض قائلاً وهو يبتسم :

— ارتد ملابسك ... إنك عصبي جداً . ليس بك شيء . لا شيء مطلقاً ... يخيل إلى أنك لست مسروراً بسماع ذلك ! ...

فأمسك الرجل قليلاً عن ارتداء ملابسه وفي عينيه نظرة حادة ، وأجاب بصوت فيه سخرية وتهكم :

— أوه ... نعم ... إني مسرور وسعيد ...

وارتدى باقي ملابسه في سكون تام . وكان الطبيب جالساً إلى مكتبه يحرّر « التذكرة » فاستوقفه بإشارة ثم قال :

« لا فائدة ... » . وأخرج من جيبه عشرين فرنكا وضعها على المكتب وجلس ، ثم قال بصوت متهدج فيه رجفة خفيفة :

— لنتحادث قليلاً يا سيدي ... منذ ثمانية عشر شهراً ، جاءك مريض يسألك كما سألتك أنا من بضع دقائق أن تصارحه بالحقيقة . ففحصته سريعاً ... هذا صحيح ... ثم أخبرته أنه مسلول وأن حالته خطرة ... أوه . لا تحتج ، لا تدافع عن نفسك . أنا واثق من كل ما أقول ... قلت له لا يجوز أن يتزوج ، وبعبارة أخرى لا يجب أن يعقب نسلاً

فدمدم الطبيب قائلاً : لا أتذكر ، ومع ذلك فهذا جائز ... إن كثيراً من المرضى يزورني كل يوم ... ولكني لا أفهم ماذا تريد أن تصل إليه ...

— أريد أن أصل إلى هذا : لقد كنت أنا ذاك المريض . ولقد كذبت عليك حين قلت لك وقتئذ إني أعزب . كنت متزوجاً وأباً لأولاد ... وبعد أن أقفلت الباب ورائي لم أخطر لك على بال طبعاً ... لأني واحد من أولئك المخلوقين البائسين الذين يزورون عيادتك كل يوم ... أما أنا فقد كان لوصفك مرضي على هذا النحو أسوأ النتائج ...

وأمرّ يده على عينيه ثم واصل حديثه :

عند ما عدت إلى البيت كانت زوجتي وأولادي الصغار في انتظاري . كان الفصل شتاء ، ولكن البيت كان يستمتع بالدفء والراحة والسرور . وكنت إلى ذلك اليوم مشغوفاً بساعة العودة ... والبقاء مع صغاري الأعزاء . كنت أحب قبلات زوجتي ومداعبات أطفالي ... وفي أثناء النهار كنت أتوق إلى تلك اللحظة التي أصير فيها حراً لأنسى بين هؤلاء الأعزاء متاعب العمل والحياة . ولكنني في تلك الليلة عند ما قدّمتْ إليّ زوجتي شفتيها ، تراجعت ... وأبعدت أطفالي الصغار حين أقبلوا إليّ، لأن البذرة التي بذرتها يا دكتور في نفسي بدأت تنمو !

جلسنا إلى العشاء ، فكنت أحاول أن أخفي همي ، ولكني كنت مكتئباً حزيناً ، كسير القلب ، أفكر في هذه الكائنات المحبوبة التي سأفارقها قريباً ، في أسرتي التي ستفقد عائلها ، في أولادي الذين سيكبرون أيتاماً

إن لغيرى ممن يعرفون أن موتهم قريب تعزية ، وهى أنهم قادرون على أن يضموا إلى صدورهم من يحبون ويملؤوا عيونهم منهم ، ولكنى أنا ... ! أنا الخطر الدائم لكل من يقترب منى ، أنا من يحمل الموت معه ... لا أزال حياً ، وقد انفصلت عن الأحياء ، ولم يعد لى حق فى مسرات الحياة !

... وعند ما حان موعد النوم ، التف أولادى حولى كما يفعلون كل ليلة ، ولكنى دفعتهم عنى لأن فمى الموبوء لا ينبغى أن يمس أفواههم !

أويت إلى فراشى ثم أخذ كل شىء يسكن فى المنزل ، وفى الطريق ، فأشعلت النور ، وبقيت ساهداً بالقرب من زوجتى وهى تنسم أنفاسها الهادئة

أخذت ساعات الأرق الطويلة تمر متثاقلة . كنت أضغط صدرى بيدى ، وكأنى أريد أن أصل بأصابعى إلى موضع الداء فى رئتى . لم يكن بى من الألم فى الحقيقة ما يجعلنى أصدّق حكمك ، فإن مثل هذه الأعراض تنتاب كثيراً من الناس !... وانتهيت إلى الاعتقاد بأنك لا بد أن تكون مخطئاً . قلت فى نفسى : لا ، لست مريضاً بالسل ، مستحيل ، سوف أستشير طبيباً آخر ...

غير أنى سمعت فجأة سعالاً فى الغرفة المجاورة . . . فعرتنى قشعريرة . عاد السعال الآتى من غرفة أولادى ثانياً ، جافاً ، وحاداً ومنتهياً بنوع من الحشرجة . مددت يدى نحو زوجتى ولكن خفت أن أوقظها فسحبت يدى . وعاد السعال مرة أخرى ، فقمت بهدوء وذهبت إلى الغرفة التى ينام فيها أطفالى . وفى ضوء القنديل الضئيل ، أمكننى أن أراهم وهم نائمون فى فراشهم . خيل إلى أن أكبرهم محمر الوجه . جسست يده فإذا بها دافئة ، ملت عليه . سعل عدة مرات متوالية وهو يتقلب فى فراشه بضجر . مكثت إلى جانبه وقتاً طويلاً كان يسعل خلاله باستمرار ... وعدت إلى غرفتى ، ولكنى ما كدت أتمدد على فراشى حتى استولت علىّ فكرة مرعبة : هو مسلول مثلى ، لا شك فى ذلك

فى تلك اللحظة كنت أنت تنام ملء جفونك يا دكتور ، أليس كذلك ؟

واليوم التالى كان فظيعاً . لم أجرؤ على إخبار زوجتى أن طفلنا مريض . لم تكن عندى الشجاعة الكافية لإحضار طبيب. كنت خجلاً من نفسى ، وعقد الجبن لسانى فسكت

لكن عقلى لم يسكن . استمرت الأفكار السود تحركه . ليست المسألة مسألة العدوى فقط ، بل هناك شبح أبشع من ذلك ظلّ ماثلاً أمامى : الوراثة . لقد ورث أطفالى مرضى كما ورثوا عينىّ وشعرى . وحتى لو كانوا قد نجوا من حكم هذا القانون المخيف فقربى المستمر منهم لا بد أن يكون قد نقل العدوى إليهم

تقول إن ذلك وهم وخيال ؟ كلا ، أليس ذلك نتيجة طبيعية للمجهود الذى تبذله أنت وزملاؤك بالمحاضرات والمجلات والجرائد لتكشفوا للناس أسرار هذا المرض !

كل ما كنت قد قرأت أو سمعت تجمع فى رأسى

زوجتى وأطفالى أعز الناس علىّ ، سوف يذبلون واحداً بعد آخر ! سوف يقاسون حياة مريرة معذبة فى انتظار النهاية المؤلمة ... وأنا ، سوف أشهد ذلك كله فى وجوههن الشاحبة ، وأجسامهن المتداعية . والعلم عاجز عن تغيير هذا القضاء المحتوم

وسكت لحظة ثم عاد يقول فى صوت عميق :

ثم – تابعنى جيداً – بعد مرور أيام لم تبرحنى خلالها لحظة تلك الأفكار الواخزة ، تولد عندى الاعتقاد بأن هناك حالات يكون فيها من واجب الإنسان أن يقف عذاباً يعلم أن لا مفر منه ... من حقه أن يمحو جريمته ، يفنى ما خلق ، يكون هو يد القضاء التى تنقذ من الشقوة من لا ذنب لهم

أنت ترتجف ؟ أنت خائف من أن تفهم ؟ .. نعم ، بيدى قتلت أطفالى وزوجتى ! أسمعت ؟ ... قتلتهم ، سممتهم ، وفعلت ذلك بمهارة لم يفطن إليها أحد

كنت فى أول الأمر مصمماً على أن أضع حداً لحياتى أنا أيضاً ؛ ولكنى كنت فى نظر نفسى خليقاً بالعقاب ! لا لأنى قتلتهم – إذ أعتقد أن عملى فى هذه الحالة مشروع – بل لأنى أوجدتهم . وأى تكفير أحكم به على نفسى أشد من البقاء منفرداً يائساً أتحمل وحدى عبء تلك الحياة المنكودة التى أنقذتهم منها ؟!

والآن ، انظر ماذا حدث . بعد موتهم بأسابيع ، أخذت تعود إلىّ قواى . ذهب الألم الذى كنت أشعر به . لم يعد أثر

للدم فى بصاق . بدأت أشعر بشهية للأكل ... بل بدأت أسمن!

اعتقدت فى أول الأمر أنه لسبب ما وقف المرض مؤقتاً ، وسوف يعود بحالة أشد . إلا أنى بعد بضعة أشهر تبينت الحقيقة المرّة ، وهى أنى شفيت . أقول شفيت ! ... ولكن ، هل كنت حقًّا مريضاً بالسل ! . . وتجسّمت الفكرة أمام عينىّ . أتفهم ماذا أعنى ؟ ... إذا كنت مسلولاً حقا ، فقد كان واجباً ما فعلت . أما إذا لم أكن ، فقد قتلت بلا مبرر ، وقتلت من ؟ ... زوجتى وأولادى ...

أمهلت نفسى سنة كى أتأكد ، مؤملاً دائماً أن المرض الذى وقف سوف يعود ، بل محاولاً بكل وسيلة أن أعيده إلى الظهور ... ولكن عبثاً ، إذلم يظهر أى عرض من أعراض المرض. وعندئذ وثقت بأنك كنت مخطئاً ، بل مرتكباً لأفظع خطأ . استولى علىّ اكتئاب لا قبل لى بدفعه ، عيناى اللتان اختزنتا الدموع طويلاً عجزتا عن إبقائها . لقد هدمت حياتى بيدى ، قتلت نفوساً بريئة ، ألقيت بنفسى فى خضم من الأحزان والآلام . ولم كل هذا ... ؟ لسبب خطئك أنت . ولقــد أتيت اليوم هنا لأسمعك أنت بنفسك تقر بغلطتك ...

وانتصب الرجل واقفاً وهو يقول وقد ضم ذراعيه إلى صدره:

— لقد اعترفت أنت بنفسك أن لا أثر للمرض بى . إنك لم ترعينىّ وأنت تقول : أنت عصبى ، ولـكن ليس بك شىء ، لا شىء مطلقاً ، أؤكد لك ! . نعم ، لأنك لو كنت رأيتهما لارتجفت من الخوف ، لقرأت فيهما أنى جئت . . .

فقاطعه الطبيب مغمغما وهو فى منتهى الشحوب :

— أنا لست معصوماً ... إن فكرة السل متغلغلة فى الأفكار هذه الأيام . . . وكثيراً ما يتأثر الإنسان دون شعور منه به . . . من الجائز جداً أن يعطى الطبيب أثناء فحصه أهمية لصوت قد يكون عرضياً ومؤقتاً ... قد أكون أخطأت ... أعظم الأطباء كثيراً ما يخطئون فى تشخيص المرض... ومع ذلك فلكى نتأكد دعنى أفحصك ثانية

فانفجر الرجل يضحك ضحكة وحشية مرعبة وقال :

— تريد أن تفحصنى ثانية !... ها ها ... أتظننى أبله ؟ ليس بى شىء . لقد قلت ذلك منذ هنيهة : « لا شىء مطلقاً ! » وأنا فى هذه المرة واثق من صحة تشخيصك

غلطتك جعلتنى قاتلاً، فأنت شريكى . شريك عن غير قصد، أنا معك ... ولـكنك كنت العقل المدبّر وأنا اليد المنفذة . وما دامت العدالة واحدة وأبدية ، فأنا ـ العصبى ـ أتهمك وأحكم عليك وأنفذ الحكم ... عليك أولاً ... ثم على نفسى

... ودوت طلقتان فى الفضاء . واندفع الخادم إلى الغرفة فوجد جثتين مجندلتين ؛ وقد سال دم الدكتور على (تذكرته) ولم يكتب فيها بعد سوى :

برومید ۱۵ جراما

ماء مقطر . . .

صلاح الدين كامل

كراسى أحد غالبى الملاريا M. Arab. 146

٤ أيار سنة ١٩٢٥

فيرميشينو القرية الصغيرة قرب روما فى حزن كبير . فى حين أن الحياة تظهر فى كل مكان مع مجيء الربيع فان هذه القرية غمرها الأسف لموت شيخ خصص السنوات السبع الأخيرة من حياته المملوءة عملا كى يضمن رفاهيتها وهذ العالم اسمه جيوفانى باتستا كراسى فمن ١٩١٨ إلى ١٩٢٥ توصل إلى تقليل عدد إصابات الملاريا من ٥٨ فى المائة إلى ٢ فى المائة .

لقد كان كراسى أحد مشاهير الأطباء الذين تستطيع إيطاليا أن تفتخر بهم فقد كرس نفسه على الأخص لدرس مقاومة الملاريا فالفضل يرجع إلى رونالد روس واليه فى اكتشاف أن عدوى هذا المرض تنتقل بواسطة البعوض من نوع أنوفيل. لـكن هذا غير كاف فالى جانب أعمال كراسى اللامعة لا يمكننا اغفال ذكر عمل لجنة الملاريا لجمعية الأمم التى تصف السكينا كدواء فعال وهو فى نفس الوقت واق وشاف ضد هذا المرض كما أنه لا ضرر منه حسب رأى هذه اللجنة يجب أخذ ٤٠٠ ملليجرام من السكينا يوميا طول مدة موسم الحميات لتجنب العدوى ويكفى جرام واحد أو جرام وثلاثون سنتجرام كل يوم مدة خمسة أو سبعة أيام لشفاء شخص مصاب ولا لزوم لمعالجة تكميلية وفى حالة الانتكاس يطبقون الطريقة نفسها وهى ناجحة .



حول « الإمتاع والمؤانسة »

قرأنا فى باب النقد مقالاً قنع صاحبه بأن يجمل توقيعه هكذا : « ع . ص » . فمن يخبرنى من تحت هذين الحرفين المقطَّعَين ؟ والمقال رد على تعقّبى لفرطات بدرت من جانب الأستاذين أحمد أمين فأحمد الزين وهما يحرران كتاب « الإمتاع والمؤانسة » لأبى حيان التوحيدى . وكنت قد صنعت ذلك الاستدراك لوجه العلم وحده ولإتمام الفائدة، لا لتنقص الناشرين الفاضلين ، كما زعم ع . ص. وقد كنت أرقب الرد من ناحيتهما ، وأكثر الظن أن صديقى الدكتور زكى مبارك يرى ما أرى وهذا رد يعمد صاحبه إلى التعمية ، فيفر من الميدان قبل أن ننزل إليه . وللتعمية سبب جلىّ ، قصته أن المقال يدور على التلبيس والعنت : على اختلاق القول واجتلاب الحجة .

ووالله لولا دَين القارئ الطُّلَعة فى عُنق الناقد الكشّاف لحبست القلم اليوم عن الكتابة ، وذهنى مشغول بقولة العرب : « لا تناظر جاهلاً ولا لجَوجاً ، فإنه يجعل المناظرة ذريعة إلى التعلم بغير شكر » .

أما التلبيس الذى ذكرتُ ففى قوله : إن تنبيهي على اضطراب الترقيم « استغرق قرابة نصف صفحة من مقالى » . والواقع أن ذلك التنبيه جاء كالذيل للمأخذ الأول ووقع فى عشرة سطور ، على حين أن مقالى فى سبعة وثلاثين ومائة سطر

ومن التلبيس أيضاً أنه يقول فى خاتمة مناقشته المستكرهة : « هذا ما يتعلق بنقد الدكتور بشر » ، وهو يريد أن يدسّ فى ذهن القارئ أنه ناقش كل ما أخذت على الناشرين . والواقع أنه إنما حاول الردّ على مآخذ أربعة ؛ وفى نقدى أحد عشر مأخذاً ، كنت استخرجتها من الأربعين صفحة الأول من كتاب «الإمتاع والمؤانسة» . ألا فليخبرنى « ع . ص » أو من وراءه ماذا صنع بالمآخذ السبعة الأخرى ؟ أطواها فى الغطاء الذى يلفه ؟

إنى أرجو من صديق القارئ أن يعود إلى نقدى ويراجع كلمة « المانَقة الخفيّة » وصوابها « ممانِقيه » ؛ وجملة « ناه أهله » والوجه « باد » ؛ وكلمة « الشهوات الغالبة » والصواب « الغالية » ؛ وتفسير « الركاكة » بضعف العقل والرأى دون البَدَن، والأصل هذا ؛ وكلمة « مادّته بالية » والصواب « سايلة » ؛ وكلمة « وواد واحد » والصواب « وُهوٍ » . ولعمرى إنى أعذر « ع . ص » من لزوم الصمت إزاء هذه المآخذ ، فقد غُلّقت دونها أبواب الاحتيال

* * *

ذلك بعض ما فى مقال ع . ص . من التلبيس . وأما الذى يشينه من ألوان العنت فتتلاحق فى مناقشته المتعصبة ، وسأختصر الكلام قانعاً بضرب مثلين اثنين :

يقول ع . ص — رجاء أن يفلت من تنبيهى على اضطراب الترقيم — ما حرفه : « ولم يدر (يعنينى) أنّ هذا الترقيم إنما يمليه الذوق وحده ، ولا يرجع وضعه إلى قواعد ثابتة إلا فى رسم العلامات » . فمن هنا يتبين لى أن الرجل من الماجين على فن الإنشاء . ولا أريد أن أنقلب إلى علامات الوقف والتمهل فى أدبنا القديم ، خشية الإطالة . ولكنى أخبر ع . ص . أن فن الترقيم « يرجع وضعه إلى قواعد ثابتة » فى اللغات الإفرنجية . فليستعن بأحد إخوانه على تفهم « باب الترقيم » فى كتاب لقواعد الفرنسية ، فى كتاب H.Brelet المختصر مثلاً (والباب فى أربع صفحات ، ثلاثة أرباع واحدة منها للعلامات التى يعنيها هو، نحو علامة التعجب ؛ والباقى للترقيم من نقطة وفصلة أو شولة وغير ذلك) . وأما الترقيم المستحدث فى العربية فقد استعرناه من قواعد اللغات الإفرنجية محاكاةً لها . إنى أثبت هذا وبين يدىّ رسالة أمضتها وزارة المعارف العمومية ، عنوانها : « حروف التاج وعلامات الترقيم ، ومواضع استعمالها » (الطبعة الأميرية ١٩٣١) فهذه تسع سنوات يسير التلاميذ فى فن الإنشاء على منهج قويم ليس للأستاذ الكاتب ع . ص . علم به

بقى أن ع . ص ظنّ أنه ظفر بالمقتل حين قال : إن لى نحواً جديداً إذ أثبتُّ كلمة « كذا » فى تضاعيف قول التوحيدى : « وأما قولهم : هذا شىء خلق ، فهو مضمّن معنيَين (كذا) : أحدهما يُشار به إلى أن مادته بالية (والصواب كما فى

الأصل : سايلة) ، والآخر أن نهاية زمانه قريبة » . ألا ترى كيف يتقوّل علىّ ع . ص ما لم أقله ، إذ يزعم من الطريق التخمين أنى « حسبت » كلمة « ممنيين » من الغلط النحوى ، وأن صوابها عندى : « ممنيان » ، فينشبث لأجل ذلك بورود كلمة (كذا) . يا له من غريق يتشبث بالموج الهازئ ! فهل له أن يسأل أهل الذكر عن موقع كلمة « كذا » فى ذلك الموطن فيخبروه أنها ليست للتخطئة كما وهم ، ولكنها لتأكيد حكم المؤلف وتنبيه القارئ إلى التقسيم الذى يليه . وليرجع ع . ص . هاهنا إلى « كتاب الصناعتين » لأبى هلال العسكرى (الآستانة ١٣٢٠ ص ٢٦٧ ، ٢٧٠) لعله يدرك أن من التقسيم الفاسد أن يدخل أحد القسمين فى الآخر . وفى عبارة التوحيدى تقسيم ، دليله حكمه : « فهو مضمن ممنيين : أحدهما ... والآخر ... » . وقد جاء التقسيم — على حسب رواية الناشرين — فاسداً ، وذلك لأن « المادة البالية » داخلة فى « الزمان القريب نهايته » . وأما « المادة السايلة » (وهى الرواية الصحيحة ، كما بينت فى نقدى مستنداً إلى دواوين الفلسفة العربية) فعلى خلاف ذلك ؛ لأن « السيلان » يفيد التحول من طريق تدافع الأجزاء . وعلى ذلك فإثباتى كلمة « كذا » من باب التأكيد والتنبيه . غير أن ع . ص . قليل الإلمام بأساليب الكتابة العلمية . ولو تروّى قليلاً لفطن إلى أنى لم أجر فى نقدى على التخطئة باستعمال كلمة « كذا » ، بل أقول : هذا خطأ ، والصواب كيت وكيت . أفقلتُ : والصواب « ممنيان » ؟ ولكنه الميل إلى التخاص بالملفقات

من كل ذلك يتضح لك ما وراء التعمية من تلبيس وعَنَت ، مما لا يجلب للعلم منفعة ولا يعود على الناشرين الفاضلين بسَنَد . وليعلم (ع . ص) أن قلمى مهمله بعد هـذه ، فليس من عادته أن يجاذب من يوليه ظهره .

بشر فارس

وفد العراق فى المؤتمر الطبى العربى

أهلاً وسهلاً ومرحباً ! !

كتب إلىّ الأخُ العزيز الدكتور عبد المجيد القصاب يقول : « أنا أحترق شوقاً إليك ، وأحزم حقائبى للقياك مشتركاً فى المؤتمر الطبى رئيساً لوفد الطلبة وعددهم يُنيف على الثمانين من طلاب الحقوق والطب والصيدلة ودار المعلمين العالية . وما شأنى والمؤتمر الطبى ؟ إنما هى مصر التى أحترق شوقاً إليها ، وإنما أعنى أهل مصر الذين بارك الله فى عقولهم وعواطفهم وتفكيرهم ، من أمثال : علوبة ومبارك والمازنى والزيات والسنهورى وعزام وأباظة .

ولست أنا وحدى أتلظى بسعير الوجد ، بل هنالك العدد الكبير من أطباء وطبيبات وطلاب وطالبات من سكان وادى الرافدين سيحملون إلى سكان وادى النيل تحيات عاطرات ... »

وإذاً ، فسيكون عندنا وفدان للمؤتمر من أهل العراق : أحدهما وفد الأطباء برياسة الدكتور صائب شوكت ، والثانى وفد الطلاب برياسة الدكتور عبد المجيد القصاب .

سيكون بالقاهرة فى أيام العيد مئة وعشرون ضيفاً من العراق . فيا فرحة القلب ويا طرب الروح بلقاء الأهل والأحباب ! !

وفى خطاب الدكتور القصاب تحية من الأخ الأستاذ ناجى القشطينى ، وتحية كريمة من بعض إخوانى بالنجف ... فيا أيتها الدنيا التى تجيد مضايقتى من وقت إلى وقت ، تأدبى يوماً أو أياماً حتى ألقى وفد العراق وأنا فى أمان من ثورة النفس على غطرسة الزمان ! ...

وفى الخطاب إشارة رفيقة إلى اشتراك « ليلَى » فى المؤتمر الطبى باسم مستعار لتأمن أهل الفضول ، وهو يدعونى إلى التأهب لاستقبالها فى محطة « باب الحديد »

وحياتِكم وحياتكم قسماً وفى عمرى بغير حياتكم لم أحلف
لو أن روحى فى يدى ووهبتها لمبشرى بقدومكم لم أنصف

سأكون فى عيد ، سأكون فى عيد ، والحمد لله ، والشكر للجمعية الطبية المصرية التى عرفت كيف تجعل القاهرة صلة الوصل بين الأمم العربية .

إليك يا ليلى وإلى أهلك الأكرمين أفتح صدرى وذراعىّ لعناق التلاقى بعد طول البعاد :

ومن بينات الحب أن كان أهلها أحبَّ إلى قلبى وعينىَّ من أهلى

زكى مبارك

أقاصيص جديدة لأوسكار وايلد

عثر الأستاذ غيّو دُسيكس على أقاصيص جديدة لأوسكار وايلد لم يتح لها أن تنشر قبل اليوم ، ولو أنها نشرت لكانت كتيباً صغيراً . وسألخص هذه الأقاصيص ، وعلىّ أن أعود يوماً فأنقلها إلى القراء :

(١) العين الزجاجية

نجد فى هذه الأقصوصة غنيا أوتى الجاه والجمال . وكان مولماً بالصيد والقنص . وإنه لفى أثر بعض الوحوش ذات يوم ، إذ اضطربت بندقيته فأصاب إحدى عينيه رشاش أطفأ نورها . فعمد إلى عين من بلور خاص ، وكانت عيناً حلوة رائعة جديرة بأن ينفق من أجلها كل ماله

ووضع العين الزجاجية أمام المرآة ؛ فأعجب بحلاوتها وصفق ... وغدا عاشقاً لها يغدو ويروح ويرنو إليها

فلما بلغ به الإعجاب كل مبلغ ، أراد أن يسأل صديقاً له عنها فقال له :

— كيف ترى عينى الزجاجية ؟

— لا يستطيع المرء أن يبدع أكمل منها !

— ولكن ألم تعجب بها ؟ إن الحياة لتتدفق منها ، وإن النور ليشع فيها . آه يا صديق ، لقد غدوت لا أميّز بين عينى الأولى وعينى الثانية ، أنظر فيها ... وحدق ، ثم قل أية العينين هى الزجاجية ؟

— تلك هى الزجاجية

— وكيف عرفتها ؟

— إنها أحلى العينين ! ...

— أواه ! إنك تهزأ ... لو لم تك رأيتها من قبل لما عرفتها ... تعال نسأل الناس ، هيا إلى الشارع

وخرج الصديقان ... فلمح الغنى فى زاوية الشارع سائلاً يقضقض برداً ، فاقتربا منه ، وقال له الغنى :

— هل تأخذ درهما ؟

— درهم ... درهم ... ليس أحب إلى منه ... لقد بت جوعان ليلتين !

— حسن ، أنظر إلى عينى ... فإذا استطعت أن تميز عينى الزجاجية من عينى الطبيعية ... كان لك ما تشاء !

فحدق السائل ، وقال فوراً :

— ها هى ذى يا سيدى

— ويحك ! وكيف عرفتها ... ؟

— الأمر سهل يا سيدى ، لقد رأيت فيها شفقة ورحمة بى . أما الثانية ... أما الثانية ... فإنها تقول : لا تعطه شيئاً

(٢) جزيرة النسيان

أقلعت السفن تحمل فوقها فتياناً فى مقتبل العمر . تخيم الليل عليهم وهم فوق ثبج البحر المطمئن ، وكانوا يسمرون وينشدون وإذا بالسماء تعبس ثم تبكى ... وإذا بالبحر يفتح شدقيه ليبتلع كل شيء ... وإذا بالرعد يقهقه وهو ينظر ضاحكا

وتاه البحارون ... حتى وصلوا إلى جزيرة نائية ، ما عرفها علماء الجغرافية وما رأوها ، فنزلوا فيها فلقوا شيخاً قد استقبلهم والوجه مشرق والعين ضحوك

لم يكن الشيخ مرتدياً لباساً بل اتخذ من شعره الأسود الذى استرسل على كتفيه وستر ظهره رداء ، ومن لحيته الطويلة التى بلغت ركبتيه صدرة

وحفّ الشباب بالشيخ وسألوه أن يقص عليهم قصته فضحك وقال :

— كل ما أستطيع أن أقوله ... هو أنى أتيت إلى هذه الجزيرة لأنسى

— تنسى ماذا ؟

— أوه ! لقد نسيت أيضاً !

(٣) الرجل الغنى وسره

كان لغنى ثروة واسعة تنغص عيشه دائماً . فأتاه ذات يوم رجل ذكى محتال وقال له :

— لقد عرفت سرّك فإن لم تعطنى ألف جنيه تكن خاسراً

فدب الخوف فى نفس الغنى وساءل نفسه : أيكون لى سر ولا أعرفه ؟ وما هو سرى ؟ ولكن ربما كان لى سر يعرفه هو ولا أعرفه أنا ، فلأعطه ما يريد !

ومضى الرجل وفمه يتلمظ ... فكان كلما أحس حاجة أو فاقة غدا إليه فأخذ مالاً ... والغنى مذعن خائف

وتصرّمت أعوام ... وإذا بالموت يأتى الغنى !

فنادى المحتال ... وقال له ونفسه تتقطع حسرات :

— لن أخاف بعد اليوم ... فقل لى ما هو سرى ... الذى لم أعرفه !

صلاح الدين المنجد

التجديد فى العروض

قرأت بالعدد (٣٤١) من الرسالة قصيدة بعنوان (الناى) للدكتور الفضال بشر فارس قدم لها بقوله « هذه الأغنية منظومة على بحرين مختلفين رغبة فى تنويع مجرى النغم ، والبحر الأول

وضعه الشاعر، وأجزاؤه: فاعلاتن مفاعلتن (مرتين)، وليكن اسمه: المنطلق. وأما البحر الثاني فمن البحور المعروفة ... اهـ» ثم مضى في القصيدة فكان الوزن الذي أسماه المنطلق يبدأ بقوله:

جنّبوا النايَ عن أُذُني ... أُذُني زُلزلت طَـــربَا

والواقع أنه لا يوجد في أوزان البحور المعروفة بحر أجزاؤه (فاعلاتن مفاعلتن) ولكن يوجد هـذا الضرب نفسه بأجزاء أخرى هي (فاعلن فاعلن فَعِلُنْ) فهو إذاً الضرب الأول من العروض الثاني من المتدارَك، وهو المجزوء الصحيح، وأقرب أمثلته (لوزن) الدكتور بشر هو الضرب المخبون المرَفَّل من هذا المجزوء الصحيح، ومثاله في متن الكافي هو:

دارُ سُعدَى بشَـحْر عُمَانْ ... قد كَساها البِلاَ المَلَوَانْ

على أن هناك فرقاً يسيراً قد يلحظه القارئ بين الوزنين، فذلك أن وزن الدكتور بشر ينقصه الترفيل (وهو زيادة سبب خفيف على ما آخره وتد مجموع) والسبب الخفيف — كما هو معروف — متحرك بعده ساكن كَقَدْ. فهو يمثل الألف والنون الأخيرتين، في عمان والملوان، واللتين بحذفهما نحصل على نفس الوزن (المنطلق) الذي جاء به الدكتور بشر ...

والواقع أنه يصعب جداً، بل يكاد يكون من المتعذر، زيادة (بحر) مستقل على البحور المعروفة، كما سمح الدكتور الفاضل لنفسه في تسميته مجزوءهُ الذي له أصل في العروض بحراً ... على أن له العذر الفني في ذلك، وأقول العذر الفني لأن (البحر) الذي خيّل إليه أنه اخترعه لم يقع له إلا في (المتدارك) وهو — كما يظهر من تسميته نفسها — بحر تدارك به الأخفش على الخليل الذي كان قد نسيه أو أهمله (وقيل هو المتدارِك بكسر الراء لأنه تدارك المتقارب أي التحق به، لأنه خرج منه بتقديم السبب على الوتد، وله أسماء أخرى غير ذلك كالمخترع والخبب ... عن المختصر الشافي للدمنهوري)

ويلوح لي أن هناك شيئاً من توارد الخواطر بين تسمية الدكتور بشر لمجزوئه (بالمنطلق) وبين تسمية المتدارك (بالمختَرَع) فكلا التسميتين ترمزان من طرف خفي أو صريح إلى أنه وزن جديد على أوزان الخليل ... هذا وإن كنت لم أعرف بعدُ مَلحظَ الدكتور في اختياره اسم (المنطلق)

وزيادة للفائدة من هذا البحث الجليل، أقول إنني حاولت التجديد في العروض — وكان ذلك منذ سنوات — بزيادة بحور جديدة، فوقعت على بحرين، أحدهما — لِلَطيفِ ما حدَث — ظهر أنه هو نفس المتدارك! وكنت قد نظمت لإثباته أبياتاً مطلعها:

يا أبي إنني ذاهبٌ للوَغَى ... باذلٌ مهجتي في سبيل الحِمَى!

والثاني أخذته عن وزنٍ انجليزي بديع، يمثل طريقة من سير الجياد Trotting وهو الأصح عندي بأن يسمى (الخَبَبَ) وقد جعلتُ وزنه: مَفْعُولُنْ، أربع مرات، أو ثمان ... ولا أذكر ما نظمته فيه، ولكن المجال فيه مفتوح للناظمين ...

عامر محمد بحيري
ليسانسيه في الآداب من جامعة فؤاد الأول

معنى بيت وإعرابه

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي انتقادات ومباحث تصيب مرماها تارة وتخطئه أخرى، وآراء وملاحظات تحمل قارئها على التأمل والتبصر في محتوياتها مما جعلني أخالف ما ذهب إليه في إعراب قول الأعشى

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا ... وبتّ كما بات السليم مسهدا

فإنه أعرب أرمدا فعلاً ماضياً مسنداً إلى ألف الاثنين العائدة على قوله عيناك، وعلى ذلك (فليلة) في البيت منصوبة على الظرفيه لا أنها مفعول مطلق كما يقول الأستاذ (أبو رجاء) نقلاً عن حذاق النحاة

ولننظر إلى معنى البيت على رأي الأستاذ الصعيدي، أيؤدي ما كان يريده الأعشى أم يعارضه وينافيه ويخالف العقل والواقع؟ إنه يكون هكذا: «ألم تغتمض عيناك ليلة كانا مرمدين» مع حمل الاستفهام على التقرير أو الإنكار، فكيف يتأتى انطباق جفون العين وذوق حلاوة الكرى في وقت كان الرمد كالجمر يُحرِق ويأكل غارساً بذور السهاد والقلق وغير ذلك مما يعلمه الأستاذ؟ إذا كان لهيب الرمد، وحلاوة الهجوع لا يجتمعان، إذن يفسد كل معنى يقول بذلك، ويتحقق ما يقوله حذاق النحاة في معنى البيت من أنه يكون هكذا «ألم تغتمض عيناك اغتماض ليلة الأرمد» ولا ريب في أن اغتماض الرمد كله سهد وقلق وأرق وضجر وغير



كتاب «الامتاع والمؤانسة»

— ٢ —

تحدثنا فى مقال سابق عن أمثلة من نقد الدكتور بشر فارس لتصحيح كتاب (الإمتاع والمؤانسة) وبيّنا تفاهة هذا النقد وقلة جدواه. أما نقد صاحبه الدكتور زكي مبارك لتصحيح هذا الكتاب فهو أقل جدوى وأبعد عن الجادة وأكثر تحكما وأشد تعسفاً وتكلفاً من نقد صاحبه

وشىء آخر يمتاز به الدكتور زكى على صاحبه أنه يمسك بخناق الكلمة الصحيحة ، ويظل يضرب فيها بعصا غليظة من التأويل البعيد ليجبرها على أن تحكم على نفسها بالغلط. فإذا لم تجبه الكلمة إلى ما أراد حكم عليها هو بالغلط ، ولا يكلفه ذلك إلا أن يكتب حرف الغين واللام والطاء

وتلك أمثلة من نقده مع ردنا عليها ليتبين القارئ صدق ما نقول وأن هذا النقد كله لا يستند إلى شىء من الحق :

روى أبو حيان فى كتابه الذى نحن بصدده مناظرة طويلة بين أبى سعيد السيرافى ومتّى بن يونس المنطقى ، وفيها سؤال نحوى وجهه السيرافى إلى متى ، فلم يستطع متى الإجابة عليه ، وطلب إلى السيرافى أن يفيده عن ذلك . فقال السيرافى : «لو حضرتَ الحَلْقةَ استفدتَ»

وكتب المصححان الفاضلان على قوله: «الحلقة» ما يفيد أن فى الأصل «المختلفة» مكان قوله : الحلقة وهو تحريف

ويقول الدكتور زكى : إن قوله «المختلفة» ليس فيها تحريف وإنها صحيحة لا شك فيها؛ وفسر قوله : «المختلفة» بأن معناها الطلبة الذين يختلفون إلى المعلم

ونقول : إن قوله «المختلفة» تحريف لا شك فيه كما رأى المصححان الفاضلان ، وأن الصواب «الحلقة» كما رأيا ، فإن المعلم لا يقول : «إذا حضرت الطلبة استفدت» ، وإنما يقول : «إذا حضرت مع الطلبة» . أو يقول : «إذا حضرت الحلقة» أى حلقة الدرس ؛ فهذا أقرب إلى الأحاديث العادية ، وأشبه بأسلوب أبى حيان والسيرافى وغيرهما من الأئمة

أما أن يقول المعلم لإنسان ما : «إذا حضرتَ الطلبةَ استفدتَ» فهى عبارة ركيكة لا تلتئم مع أساليب الكتّاب العاديين فضلاً عن أعلام الكتابة كأبى حيان . ودليل ذلك قوله بعد هذه العبارة : «فليس هنا مكان التدريس» ؛ وهذه عبارة تنادى بصواب ما أثبته المصححان الفاضلان

روى أبو حيان فى هذه المناظرة السابقة من كلام أبى سعيد السيرافى الذى وجّهه إلى متى بن يونس المنطقى يعنفه ويلومه ، قال : «وإنما بودّكم أن تشغلوا جاهلاً وتستذلوا عزيزاً»

وكتب المصححان الفاضلان على قوله : «بودّكم» ما يفيد أن فى الأصل : «قولكم» ؛ وهو تحريف

ويقول الناقد : «إن لفظ الأصل صحيح لا شك فيه ، فلا موجب لتغييره بكلمة أخرى»

ونقول : إن الصواب ما فعله المصححان الفاضلان ؛ فإن قوله : «وإنما قولكم أن تشغلوا جاهلاً وتستذلوا عزيزاً» حسب عبارة الأصل ، غير سائغ فى أى أسلوب مهما انحط فى درجات الكتابة ؛ فهى عبارة ممزقة النسج ، فاسدة المعنى ، فإن كون المناطقة يشغلون الجاهل ويستذلون العزيز ليس قولاً ، وإنما ذلك قصد وإرادة ، بدليل قوله بعد : «وغايتكم أن تهوّلوا بالجنس والنوع»

وإذن فاللائم لسياق الكلام أن يقول : وإنما بودكم أن تفعلوا كذا ، وغايتكم أن تفعلوا كذا ...

ومنها ما رواه أبو حيان فى هذه المناظرة أيضاً من كلام متى

ذلك مما يتناسب ومراد الأعشى، وخاصة أنه كان كما يقول الأستاذ «لم يكن فى موقف الشكوى من هذا ، وإنما كان فى موقف النسيب» . فلا حرج عليه إذا قال : إنه كان فى سهر طويل ، ويقظة شديدة كانت كيقظة الرجل الذى آلمه رمد عينيه، لا أن يقول : إن عينى كانت مغمضة ونائمة ليلة كانت مرمدة؛ وهب أن المعنى قد يتأتى ، وينام الرجل والرمد فى عينه ، فما هى المناسبة التى تحمل الأعشى أن يقول ذلك وهو فى الموضع الذى نبه عليه الأستاذ . هذا ما أردت كتابته والسلام على الأستاذ ورحمة الله

محمد رجب البيومى

ابن يونس المنطق، يقول: « لا سبيل إلى معرفة الحق من الباطل والصدق من الكذب ... إلا بما حوَّيناه من المنطق ، وملكْناه من القيام به »

وقد كتب المصححان الفاضلان على قوله: «حويناه» ما يفيد أنه فى الأصل : «جربناه» مكان قوله : «حويناه» ؛ وهو تحريف

ويقول الناقد : إن قوله « جربناه » صحيح لا تحريف فيه

ونقول رداً عليه : إن ما فعله مصححا الكتاب هو الصواب بعينه ؛ وقوله : « جرَّبناه » فى هذا الموضع تحريف لا شك فيه ولا معنى له ؛ فإن قول المؤلف بعد : « وملكناه من القيام به » ينادى بصحة ما أثبت مصححا الكتاب ، فإن « حويناه » و « ملكناه » بمعنى واحد وإن اختلفا فى اللفظ ، كما هو ظاهر

ومنها ما قاله السيرافى أيضاً موجهاً الخطاب إلى متّى يعرّفه فضل اللغة العربية ، قال : « وإذا لم يكن لك بُدٌّ من قليل هذه اللغة من أجل الترجمة »

وقد كتب مصححا الكتاب على قوله : « الترجمة » ما يفيد أن فى الأصل : « التجربة » مكان قوله : « الترجمة » وهو تحريف

ويقول الناقد : إن لفظ الأصل صحيح

ونقول : إنه تحريف كما رأى مصححا الكتاب، إذ لا معنى لقوله : « التجربة » فى هذا الموضع ؛ وإلا فما معنى أنه محتاج إلى قليل اللغة لأجل التجربة ؟ وما المراد بالتجربة هنا ؟

إنها على هذا الوجه عبارة غير مفهوم المراد منها . على أن سياق الكلام يدل على أن الصواب كلمة « الترجمة » كما رآه المصححان الفاضلان

وأنا أروى لك هذه الجملة والجمل التى بعدها ليتبين لك أن السياق يقتضى لفظ « الترجمة » لا « التجربة » . قال : « وإذا لم يكن لك بد من قليل هذه اللغة من أجل الترجمة فلا بد لك أيضاً من كثيرها من أجل تحقيق الترجمة واجتلاب الثقة » (يريد الترجمة من اليونانية إلى العربية)

ومنها ما رواه التوحيدى من كلام السيرافى أيضاً الذى وجهه إلى متّى المنطقى يقول له ما نصه : « ثم أنتم فى منطقكم على نقص ظاهر، لأنكم لا تفون بالكتب ولا هى مشروحة » اه

ومعنى قوله : « لا تفون بالكتب » أنهم لا يقومون بحقها وما يجب لها من الشروح والتعليقات ، فهى كتب ناقصة غير مستوفاة

وكتب المصححان الفاضلان على قوله : « لا تفون بالكتب » ما يفيد أن فى الأصل : « لا تقولون » ؛ وهو تحريف اه

ويقول الدكتور مبارك : إن كلمة الأصل صحيحة وإن عمل المصححين لا موجب له

ونقول : ما معنى أن الناطقة لا يقولون بالكتب - كما يرى الناقد - ؟ الحق أنها عبارة فاسدة ، لأن الناطقة يقولون بالكتب ويؤلفونها ويقرءونها ؛ وأن ما فعله المصححان الفاضلان هو الصواب بعينه ، بدليل قول المؤلف بعد : « ولا هى مشروحة » فإن هذه العبارة تدل دلالة واضحة على أن السيرافىّ يريد أن الناطقة لا يفون بالكتب وأن كتبهم ناقصة

ومن أمثلة هذا النقد التافه أيضاً قول الناقد فى عبارة التوحيدى ونصها : « بل الأشياء منها ما يوزَن ، ومنها ما يُكال ، ومنها ما يُذرع ، ومنها ما يُمسح ، ومنها ما يُحزَر » وقد كتب المصححان الفاضلان على قوله : « ومنها ما يحزر » وهى العبارة الأخيرة ما يفيد أن فى الأصل : « ومنها ما يمسح ويحزر » بسقوط كلمة « ومنها ما » قبل قوله : « يحزر » وأنهما قد زادا هذه الكلمة كما يقتضيه سياق الكلام ، فإن المؤلف قد عبر فى كل ما سبقها بقوله : « ومنها ما »

ويقول الناقد : « إنه لا موجب لزيادة « ومنها ما » وإن الصواب ترك العبارة هكذا : « ومنها ما يمسح ويحزر » كما هى عبارة الأصل اه

ففى أى لغة يسوغ هذا الكلام ؟ إن ما يمسَحُ يا دكتور زكى غير ما يحزر ، فإن الحزر هو تقديرك الشىء بالحدس والتخمين كما تفعل فى نقدك ، وما يُمسح معروف

وإذا كان المؤلف قد قال : « منها ما يكال ومنها ما يوزن » الخ ألا يقول : « ومنها ما يمسح ومنها ما يحزر » ؟

وقد كان بودّنا أن نترك عبارة المؤلف تردّ بنفسها على الدكتور زكى مبارك دون أن نعلّق عليها هذا التعليق الطويل

تلك أمثلة من نقد هذين الكاتبين الدكتور زكى مبارك وبشر فارس قد أتينا بها ليعلم القراء قيمة ما نقدا به هذا الكتاب القيم فى تصحيحه ومادته

ولا نريد أن نقف أمام كل ملاحظة من ملاحظاتهما موقف الرد والمناقشة فنشرح ذلك بطول ، ولا تتسع الصحف لمثل هذه الفضول . وإن أتفه الأمور المناقشة فى توافه الأمور

ولنا عودة إلى الحديث عن قيمة هذا الكتاب من ناحية مادته، وما أودَعَه فيه مؤلفه من علم غزير وأدب جمّ ع . ص

﴿ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى — عابدين ﴾

8me Année No. 343

Lundi - 29 - 1 - 1940

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع البدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

مـ	
٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٣٤٣ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٠ ذو الحجة سنة ١٣٥٨ — الموافق ٢٩ يناير سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهـــــــرس

أثر المؤتمر الطبى ومصرع رستم حيدر

أمـــل وذكري . . .

كانت القاهرة فى أيام عيد الأضحى حجا للعروبة ، كما كانت مكة فيها حجا للإسلام . وكان بين عرفات والمقطم أمواج متعاقبة من شعاع الروح الإلهى تشرق فى الأبصار والأفواه والأفئدة فتتعارف وتتآلف وتتكاشف، فيفضى كل قطر إلى أخيه ببنات قلبه وذات صدره[1] وكان ولا شك بين وفود المؤتمر الطبى العربى ، كما كان بين حجاج البيت الإسلامى الحرام مذاكرات وأحاديث فيما يكرُب الأرض ويحزُب الناس من انفجار العدوان والطغيان والشر فى أكثر بقاع العالم ، فكان إصفاق الرأى ولا بد على ضرورة الوحدة العربية بأى شكل وعلى أى نظام

والحق أن الوحدة العربية فى شتى صورها لم تكن فى عهد من العهود ولا فى حال من الأحوال ألزم منها لحياة العرب فى هذا العهد وعلى هذه الحال . فقد كانت بالأمس سبيلاً من سبل الكمال الإنسانى تصد عنها عصبية المكان وحزبية المذهب ، ولكنها أصبحت اليوم ضرورة من ضرورات البقاء تدعو إليها طبيعة الحياة وسلامة الذات . لذلك لهج بها وفود المؤتمر وشهوده فى حفلاتهم الرسمية والشعبية ، واعترف بها ودعا إليها وزير

(١) بنات القلب : العواطف . وذات الصدر : الأسرار

١١ ه ١٤

الشؤون الاجتماعية فى خطبته الخطيرة بدار الأوبرا الملكية

* * *

كان عيد القاهرة بما رأينا من تعاطف الإخوة المؤتمرين مبعث أمل ؛ وكان عيد بغداد بما سمعنا عن مصرع الوزير رستم حيدر مثار ذكرى . ولم يكن من السهل على الخاطر – وقد امتلأ البصر والسمع بشباب العراق وأخباره – أن ينصرف عن الفكر فى حاضر العراق وماضيه

رحم الله رستم حيدر ! لقد كان وحده فصلاً فى تاريخ العراق الحديث. وإذا كان فى بعض حواشى الملوك رجال للهو والزهو، وآخرون للتجسس والتمويه ، فإن رستم حيدر كان وحده فى حاشية الملك فيصل رجل الجد والعمل . ولم أر فى المهاجرين إلى بغداد مع صقر قريش أعلم ولا أفهم من رستم حيدر وساطع الحصرى . وقد أبلى الرجلان فى إذكاء النهضة العراقية البلاء الحسن : هذا فى ميدان الثقافة ، وذاك فى ميدان السياسة . وكان بينهما مشابه من جهات كثيرة : فكلاهما مستقل الفكر، له فى كل مسألة رأى وعلى كل رأى اعتراض . وكلاهما متقن للعمل ، يتقصى أطرافه ويستبطن دخائله . وكلاهما صليب الرأى، يعييك أن يتابعك على ما تريد . وإذا كان بين الرجلين اختلاف، فهو الاختلاف الطبيعى بين رجل السياسة الذى يتأثر بالأحوال والرجال والحوادث ، وبين رجل العلم الذى لا يستخدم غير المنطق ولا يتوخى غير الحقيقة

كان المرحوم رستم حيدر ظاهر الوقار ، دائم الانقباض ، كثير الصمت ، خافض الصوت ، هادئ الحركة ؛ ولكن هدوءه كان كهدوء الماء العميق، تضطرب فى جوانبه الأفكار والأسرار وهو ساكن السطح بارد الأديم

وكان منذ اشتغاله بشؤون العراق مستشار المغفور له الملك فيصل فى سياسته الداخلية والخارجية ، لبصره بعلوم السياسة والمال ، وعلمه بمداخل الأمور ومخارج الحيل . فكانت أعمال العاهل العظيم تجد مصاديقها غالباً فى أقوال المستشار اليقظ

كان من سياسة رستم الاعتماد بعد التاميز على الفرات قبل دجلة . لأن الفرات شيعى المذهب ، وعلى ضفافه الخصيبة تنزل القبائل البدوية القوية . وفى تقويه بالشيعة حيطة من نجد ، ومودة لإيران

وكان يشيح بوجهه عن مصر ، لأن هواها فى ثورة الحسين على الترك كان مع الخلافة ، ولأن اشتغال طلبتها بالسياسة كان فى رأيه مرضاً مخطراً لا ينبغى أن تسرى عدواه إلى العراق . ولعله كان السياسى العراقى الوحيد الذى لا يهتم بأحوال مصر ، ولا يتصل برجال مصر

وكان من رأيه توسيع التعليم الأولى والمهنى، وتضييق التعليم الثانوى ، وحصر التعليم العالى فى مدرسة لتخريج الموظفين ورجال الإدارة، خشاة أن يكثر المتعلمون المتعطلون فيكونوا مصدراً للشغب والإضراب والفوضى . وفى ذلك العهد الذى أرجع بذاكرتى إليه أغلقت المدارس العالية جمعاء إلا مدرسة الطب . وكان من أشد المعارضين لهذه السياسة التعليمية الأستاذ ساطع الحصرى ، لأنه كان يحاول أن ينشئ الثقافة العامة على قواعد العلم الخالص دون أن يحفل بأهواء الطوائف وأغراض الساسة ، ولذلك نحى حينئذ عن سياسة المعارف

وكان من خطة المرحوم رستم أن تظل الأراضى الزراعية ملكاً للحكومة لتضمن بمنح الالتزام ومنعه طاعة القبائل وتأديب العصاة . ومتى تحضرت العشائر وتوحد القانون وعمت المدنية الاجتماعية أمكن أن توزع ملكية الأرض على نظام عادل

تلك هى أقوى الأصول التى كانت تنبت عليها سياسة القصر فى ذلك الحين ، ولا يعلم غير الله مقدار أثر المستشار فى وضع هذه السياسة

* * *

لقد كان المرحوم رستم حيدر عنيداً فى رأيه صليباً فى خطته. والعناد والصلابة صفتان لا يحسنان فيمن يتولى أمراً بالعراق

دخلت عليه ذات يوم من عام ١٩٣٢ وهو وزير المالية أسأله أن يرد على صديق أمير بنى تميم ما أخذته الحكومة من أراضيه الملتزمة وهو يبلغ خمسة عشر ألف فدان ، فأجلسنى إلى جانبه عن يسار المكتب الذى سُفك عليه دمه منذ أيام ؛ ثم أخذ يقنعنى بالحجج والشواهد أن الحكومة محقة وأن الشيخ مبطل . ثم عزا المصادرة إلى أمور تتعلق كلها بسلامة العشيرة وإقامة العدل . ولم ير نفسه فى حاجة إلى ذكر السبب الأول وهو أن سيد تميم عضو قوى فى حزب المعارضة ! فأدهشتنى جراءة الوزير وأعجبتنى لباقته، وعجبت كيف يصر على مناوأة الشيخ وفى سبيل خمسة عشر ألف فدان تخشى الخصومة ! ولكنه نجا من مناوأة الأمير لأنه طالب مجد ، ولم ينج من مناوأة الموظف لأنه طالب قوت !

أحمد حسن الزيات

جائزة هـــذا العام

للأستاذ عباس محمود العقاد

فى اعتقادنا أن المحكمين فى جائزة نوبل الأدبية والسلمية يلاحظون القضايا العالمية عند اختيار صاحب الجائزة، إذا لم يكن لها مرشح من طراز برنارد شو وأناتول فرانس ومترلنك ونظرائهم الذين يستحقونها بشهادة العالم قبل شهادة المحكمين

فقد كانت الجائزة من نصيب الكاتبة الأمريكية بيرل بك لأن القضية التى كانت تشغل الأذهان فى السنة الماضية هى قضية الصين، وقد اشتهرت الكاتبة الأمريكية برواياتها الصينية العديدة حتى أوشكت أن تقصر على موضوعات الصين كل ما كتبت من الروايات والقصص والمقالات

وكانت الجائزة من نصيب «إيفان بونين» الروسى المهاجر إلى باريس هرباً من طغيان الشيوعيين يوم كانت قضية اليوم هى قضية الحرب بين الحرية والشيوعية وبين عقائد النور وعقائد الظلام فى روسيا الحمراء

وقد أصابت الجائزة هذا العام أديباً فنلندياً لم يظهر شأنه قبل ذلك فى أمم أوربا الغربية على الخصوص لأن قضية فنلندة هى قضية السلم والحرية وقضية الجهاد النبيل فى هذه الأوقات

ومن السهل أن نقرن قبل ذلك بين أصحاب الجوائز وبين القضايا الإنسانية التى نجمت فى الهند أو فى إرلندة أو فى إيطاليا أو فى بولونيا أو فى ألمانيا، ولا سيما جائزة السلم التى أصابت كارل فون أوسيتزكى ولم تصل إليه، لأنه كان فى قبضة النازيين

* * *

ولا غبار عندنا على هذا الميزان وإن لم يكن من موازين الأدب الخالص والنقد المجرد، لأن الجائزة المبذولة إنما هى قبل كل شىء جائزة السلم والمروءة، ولا ضير فى الجمع بهما بين الاعتراف للأديب الذى ينالها والاعتراف للقضية التى يرتبط بها ذلك الأديب إما ارتباط الوطن أو ارتباط المذهب أو ارتباط العقيدة الاجتماعية

وعلى هذا المعنى لا نرى فى هذا العام من هو أحق بها من أديب فنلندة «فرانز إميل سيلانبا» إذا اجتمع استحقاقه إلى استحقاق أمته للتنويه والتشجيع

ونقول هذا لأننا لم نقرأ للكاتب الفنلندى شيئاً من الكتب والروايات قبل ذيوع اسمه لتلك المناسبة. وليس فى وسعنا أن نحكم على أدبه أو على استحقاقه الفنى بمعزل عن استحقاق بلاده، فحسبه شهادة وتزكية أنه أديب تلك البلاد التى ارتفعت إلى الذروة العليا من مقاوم البسالة والاستشهاد

لم نقرأ له ولكننا قرأنا عنه فذكرنا ما كتبناه فى العام الماضى حين قلنا إن المحكمين يختارون لجوائزهم واحداً من اثنين: «فإما أديب من الأعلام البارزين طبقت شهرته الآفاق وحكم العالم له قبل حكم المجمع ونقاده... وإما أديب يخدم الطيبة والمروءة ويشيع بين الناس أواصر المودة والرحمة»

فإن لم يكن «سيلانبا» من الأولين فهو ولا ريب – على حسب أوصاف عارفيه – من الآخرين

ويبدو لنا أن هذا الكاتب الفنلندى قد استطاع ما لا يستطاع فى كثير من الأحيان:

استطاع أن يوفق بين معيشته ومعيشة أبطال رواياته ومعيشة أبناء وطنه ومعيشة الإنسان فى كل زمان بمعزل عن الأوقات والأوطان

فالأبطال الذين يصورهم فى رواياته هم فلاحون فنلنديون، وهم مع ذلك أناسى صادقون، وهم مع هذا وذاك صدى ما فى عيشه هو وعيش أسرته جميعاً من البساطة والسهولة والطيبة وقلة التعقيد

والظاهر أن سيلانبا قد استمد البساطة من نشأته ومن تعليمه على السواء.

فهو بنشأته فلاح. وهو بتعليمه «بيولوجى» من تلاميذ داروين المعجبين بذلك العلامة العظيم. وليس فى الدنيا شىء يعلم المفكر البساطة والسداد فى النظر إلى الحياة والأحياء إن لم يتعلمهما من أخلاق داروين وعقل داروين وطريقة داروين فى الملاحظة والاستقراء

وقد أبدع سيلانبا فى الرواية الفنلندية نمطاً جديداً غير النمط الذى كان شائعاً فى وطنه بين كتاب الروايات والأقاصيص

فقد كان الولع بالحبكة والتشويق والإطناب غالباً على الكثيرين

منهم ، وكان فن الحكاية عندهم غالباً على فن الحياة أو فن الملاحظة الصادقة عن كثب

ولعلهم وقعوا فى غلطة الأكثرين من أدبائنا الشرقيين الذين حسبوا أن القريب لا يستحق البحث عنه لمجرد أنه قريب ، وأن البعيد خليق بالسعى إليه لا لشيء إلا أنه بعيد . فتركوا البساطة والقرب وأوغلوا وراء الشذوذ والتعسف ، ودلوا من حيث لا يقصدون على صعوبة المطلب القريب واستعصائه على غير العباقرة الملهمين

وجاء سيلانبا فعوّد القراء الفنلنديين كيف يسيغون قصة تقوم على مراقبة أم ووليدها الصغير ، أو مراقبة الشيخوخة التى تتشابه فيها الأوقات والخواطر والأعمال ، أو مراقبة الأفراد الذين لا يخلقون التاريخ ولا يأتون بالعجائب ولا يخرجون من النهار ، ولكنهم هم الطبيعة الشائعة من كتاب الحياة الباقية ، وفى هذه الطبيعة ولا شك يقرأها من يفتش عن معناها الأصيل

وهو يحسب أن الأفضل الأكمل من مؤلفاته هو ما جاد به عفو البداهة وسخاء الساعة ، ومن هنا إيثاره لقصة صغيرة اسمها « هلتووراجنار » وقوله إنها كتبت فى سهولة وفيض سريع ، وهكذا تُكتب أحسن الآثار

لكنه كثير المراجعة لمعظم ما يكتب ، فقلما يتركه بغير تنقيح وتصحيح على الهامش . ثم يعاد إليه من المطبعة فيزيد عليه ويحذف منه ولا يستريح إليه إلا بعد تبديل كثير

وأشهر رواياته « سيلجا » وهى كما قال قد ظفرت بالحصة الدنيا من التنقيح والتبديل

* * *

رأيت صورته فإذا هى تنم على تركيب بنية الفلاح الفليح المستنير .

ورأيت صورته بين أبنائه وزوجته الأولى فإذا هى تنم على رب الأسرة القرير المعين بمعيشته البيتية وحمايته الأبوية

وقرأت تلخيص كتاباته فعلمت أنه جدير بأن يكتب مثلها وأن يجيء تأليفها على يدى مثله ، لأنها من معدنه وهو من معدنها

زاره الكاتب الإنجليزى إيفور بنسون وكان فى هلسنكى عاصمة فنلندا يوم إعلان نبأ الجائزة فقال :

لبثت أنتظره بعد الموعد نحو خمس دقائق أو ست . ثم اندفع إلى الحجرة وعلى شفتيه ابتسامة عريضة وفى إحدى يديه زجاجة من الجعة، وفى اليد الأخرى كوب ملآن إلى نصفه، وبادر معتذراً يقول :

« لقد تأخرت لأننى عنيت بالحلاقة الجيدة هذا الصباح ، وما كنت أنوى الحلاقة قبل غد لولا علمى أننى سألقى اليوم انجليزياً فلا مناص من «عملها» اليوم ... إذ يقال إن الإنجليزى يحكم على من يلقاه بأشياء ثلاثة : أولها حالة ذقنه ، ومر بيده على ذقنه مرور الواثق المطمئن ؛ ثم لمس رباط رقبته وعلى وجهه ظل من التوجس ولمحة عصبية ظريفة تشف عن الشك وقلة الوثوق ومضى يقول : أياً كانت الحال فليست هى بالرديئة ، وقد أجوز بها الامتحان !

« أما الشيء الثالث فهو الحذاء ، ثم جلس على مقعد وسحب بينى وبينه كرسياً يحجب قدميه وقال : ولا إخاله ينجح فى هذا الامتحان ، ولكنك لا تراه ! »

قال إيفور بنسون ما فحواه : إن سيلانبا طفق يتحدث إلىّ بين الاستحياء والتدفق الصاخب حديث الصاحب الذى قد عرفنى طوال حياته، وذكر لى أن الذى يعجبه من التحدث إلى الانجليز أن جرح شعورهم عسير ، وأن مماكستهم مأمونة كل الأمان . وكان يلوح عليه أنه كان يفكر تلك اللحظة فيما يفاجأ به أحياناً من ألم يساوره كلما ظهر له أنه قد أتى بإساءة مستغربة على غير قصد منه

وجملة ما يقال فى وصفه أنه رجل بين بساطة الفطرة وتثقيف العلم والحضارة ، وأنه فى أدبه وفنه وأسلوبه على هذا المثال

عباس محمود العقاد

اتقوا الله فى أخيكم !

للدكتور زكى مبارك

ذهب الأستاذ الزيات لزيارة صديقه (عين) فوجده مضى لقضاء أيام العيد بين أهله فى المنوفية ، ثم نظر فى غرفة الاستقبال فرأى « منظار » الصديق فوق إحدى المناضد ، فوضعه على عينيه ليعرف إلى أى حد تبدو الخفايا لمن يحمل ذلك المنظار العجيب ، ثم هام فى شوارع القاهرة يتوسم وجوه الناس فرأى فيهم غرائب وعجائب يشيب من هولها الوليد ، فتفزّع وقال وهو يحاور ذلك الصديق :

«أتريد أن أردّ إليك منظارك ، أم تسمح لى أن أجرّ به على عين الدكتور مبارك ؟ »

وما أحب أن أعود إلى تشريح مقال الأستاذ الزيات ، لأنه مقال محزن ، وأنا أخاف على نفسى وعلى القراء من النظر فيه من جديد

ولكن لا بأس من النظر فى التجربة التى يقترحها أخونا الزيات ، وهو يريد أن أرى العالم مرة من وراء ذلك المنظار الذى نقل فهمه للدنيا والناس من حال إلى أحوال

وأسارع فأقول : إن ما رأيته بالعين الطبيعية فيه الكفاية وفوق الكفاية ، فمن الرفق برجل فى مثل حالى أن تُعفى عيناه من النظر إلى الناس بمنظار يفضح ما خفى واستتر من دقائق المساوى والعيوب

الزيات هو الذى يحتاج إلى منظار يرى به خلائق الناس ، لأنه كثير التلطف والترفق ، ومن كان كذلك فهو قليل التعرض لآفات الناس ، ومن هنا يقلّ علمه بما فيهم من دميم الغرائز وذميم الخصال

أما أنا ، فقد دخلت على الناس فى جحورهم وأوكارهم ، وما زلت أهيجهم بقلمى حتى أسمعونى أعنف ما يملكون من هرير ونباح وعواء . وهل ابتُلى أحد بأهل زمانه كما ابتُليت ؟ وهل عانى أحد من لؤم زمانه بعض ما عانيت ؟

وهل بين قراء اللغة العربية فى مصر والشرق من يجهل بليتى بزمانى ؟

لقد شكوت دهرى وشكوت ثم شكوت ، حتى عطف علىّ أعدائى ، فما حاجتى إلى منظار أرى به المستور من خلائق الناس ، وقد اكتوتْ يدى واكتوى قلبى بالسمير الذى يتمرد كلما سمع باسمى أو رآنى ؟

ويزيد فى الغم والكرب عرفانى بأنى لم أكن رجلاً لئيما حتى أقاسى من الناس ما قاسيت . وهل رأى الناس فى القديم والحديث صديقاً فى مثل أدبى وكرمى وسخائى ؟ ومن هو الرجل الذى يجرؤ على القول بأنه أعرف منى بالواجب ، وأحفظ للعهد ، وأحرص على مقابلة الجميل بالجميل ؟

وهل كان الذين ينوشوننى بألسنتهم وأقلامهم إلا خَلْقاً بنيتُ أقدارهم بقلمى ولسانى ؟

دلونى على صديق واحد أسأت إليه فى محضَر أو مغيب !

لو كنت رجلاً لئيما لنسفت أعدائى وخصومى فى يوم أو يومين ثم استرحت من التفجع على مصاير الناس إلى مهاوى البغى والعقوق ؛ ولكنى رجل كريم يكره الغدر ويستعيذ بالله من العدوان على الناس ، وذلك بابٌ من الضعف الشريف ، وأنا به مزهوٌ مختال

وما الذى ينكر علىّ أهل زمانى حتى يصدونى بغدرهم عن الثقة بأبناء آدم وحواء ؟

أنا أعرف ما ينكرون علىّ ، فقد ساءهم أن أسجل ما فى زمانى من صغائر ومعايب وموبقات . ساءهم أن أفضح سرائر الأدعياء ، وأن أقهرهم على الاستهانة بالأدب الزيّف لتُقبل عقولهم وأذواقهم على الأدب الصحيح

وهل أخطأت حتى ألقى من بغيهم ما لقيت ؟

إن أعدائى يقولون فى كل وقت إن مصر هادية الشرق ، فكيف يُلام من يوجّه المصريين إلى أصول الصدق والعدل لتصح لهم السيطرة الأدبية على الشرق ؟

وهل يعرفون لى ذنباً غير هذا الذنب الجميل ؟

إن كان فى هذا البلد من يؤمن بأنه ضحّى فى سبيل الأدب بأعظم مما ضحيت فليتقدم ليحمل بعض ما أحمل من ثقال الأعباء

ذلك رأيى فى نفسى ، وهو حق ، فليكذبنى من يجرؤ على مصاولتى من أهل الأدب والبيان

وما قيمة مصر فى الشرق أو الغرب إذا صح لأهلها أن يقهروا رجلاً مثلى على اليأس من العدل ؟

وبأى حق يدعوننى الناس إلى التلطف والترفق وأنا لم أر منهم غير الظلم المُبين ؟

وفى أية شريعة يفرض على الرجل المظلوم فى وطنه أن يعلن أنه من السعداء ؟

ومن الذى يراجع الظالمين إذا سكت قلم الأديب ؟

حدثونى كيف يسكت من يرى أصدقاءه يأكلون لحمه بلا تهيب ولا إشفاق ؟

حدثونى كيف يَحرُم الغضب على رجل يرى تخلّف العقل فى بلد يستطيل أهله على الشرق باسم العقل ؟

نحن فى مصر التى سبقت جميع الشعوب إلى المدنية ، فمن حقنا عليها أن نرجو حرية التعبير عما نعاني من معاطب وحتوف

ومن يسمع شكواه إذا تجاهلت مصر أننا بفضل جبروتها أشقياء ؟!

إلى من نتوجه إذا تعامى الوطن الغالى عن مآسينا الدامية ؟

آه ! ثم آه ! !

فى وطن الأزهار والرياحين تموت أفئدة وقلوب

وفى الوطن الذى شرع مذاهب العدل بوحى النيل الذى لا يخلف الميعاد تموت أرواح حساسة واعية معدوًّا عليها بسهام الظلم البغيض

فى وطن النيل الذى لا يخلف الميعاد تضيع جميع المواعيد

إحذروا ، ثم احذروا من أن أراكم بعين الناقد ، يا أبناء هذه البلاد

لقد نظرت إليكم بعين المحب فلم أر غير مآثم ومنكرات ، فكيف تكونون لو نظرت إليكم بعين الناقد المنصف ؟ كيف تكونون وأنتم حرب على الصديق الأمين ؟

ويريد الزيات أن أراكم من وراء المنظار الذى كشف له من الطبائع مالم يكن يعرف ، فهل يظن بى السفه والحمق حتى أتعرض للمستور من عيوبكم ومساويكم !

أنتم أجمل الخلق فى أعين من يرونكم من بُعد ؛ ولكنكم « أجمل » الخلق فى أعين من يرونكم من قرب ، وأنا منكم قريب ، فما أعظم شقائى !

إسمعوا ، يا بنى آدم من أهل هذه البلاد

أنتم وثقتم بأدبى ، وليس فيكم من يخاف أن أضيع عليه حظًّا غنمه بأى سبب من الأسباب ، وبفضل هذه الثقة تجترحون ما تجترحون ، تخوضوا كيف شئتم فى أوشال الأكاذيب والأراجيف ، فلن أجازيكم بغير الصفح والغفران

هات المنظار ، يازيات ، هات

هات المنظار لأرى به عيوبى ، وأنسى التفكير فيما عانيت من أصدقائى ، ويرحم الله عهداً كان لى فيه أصدقاء !

حملت المنظار لأرى عيوبى ، فماذا رأيت ؟

رأيتنى أخطأت أعظم الخطأ حين توهمت أن بنى آدم هم جميعاً من طراز ذلك الصديق النادر الذى صعُب عليه أن أعيش وكان يحب أن أموت !

وهل هناك جُرم أقبح من الجرم الذى اقترفت ؟

مضت أعوام وأعوام وأنا أتلقى فى كل يوم رسائل من قلوب تُقسم بأنها قادرة على الطب لجروح قلبى ، فهل استمعت نداء تلك القلوب ؟

أنا أتلقى فى كل يوم رسائل من فلسطين وسورية ولبنان والحجاز واليمن والعراق وتونس والجزائر ومراكش فهل فكرت فى الإجابة عن تلك الرسائل الودية ؟

وكيف وأنا أتجاهل ما يصل إلىّ من أصوات القلوب فى مصر والسودان ؟

وكان ذلك لأنى يئستُ من بنى آدم بفضل الأصدقاء الذين سقيتهم الشهد فسقونى الصاب !

فما الذى يمنع من الاستجابة لدعاء تلك القلوب ؟

ما الذى يمنع وأنا أعيش محروماً من نعيم الصداقة والحب ؟

وهل يرفض من يعيش فى مَسبَعة أن يخرج إلى الحواضر المأهولة بأرواح الناس ؟

يمنع من ذلك أن أطياف النادرين تصدمنى حيثما توجهت ، فالدنيا كلها هى وجوه الذئاب التى شقيتُ فى تربيتها لتقوى على مضغ لحمى وعَرق عظامى

الدنيا كلها هى فلان وفلان وفلان الذين خلدت أسماءهم فى مقالاتى ومؤلفاتى ليصح لهم البغى علىّ باسم الأدب والدين

هات المنظار ، يا زيات ، هات

حملت المنظار لأرى عيوبى ، وما أكثر عيوبى !

رباه ، رباه ! !

ما هذا الذى أرى ؟

ذلك صديق أهجم عليه هجوماً صوريًا لأرفع اسمه بين الأسماء فيرانى من الأعداء

وذلك رفيق أدله على الخير فيرانى من الآثمين

وذلك صاحب تشغلنى الشواغل عن زيارته فيرانى من الغادرين

وذاك أخ عزيز لا تهمه غير الظواهر ويغفل قلبه عن الخدمات التى أؤديها إليه فى المغيب فيرانى من الجاحدين

فلأية حكمة خلق الله بعض الناس بلا بصائر ولا قلوب ؟

أيكون الله أراد أن يمتحننا بخلقه حتى نؤمن صادقين بأنه صاحب الفضل الأول والأخير فى الطب لجراحتنا الدامية ؟

إن كان ذلك ما يريد فقد رضينا بما يريد

ولـكن الله يعلم أننا أصغر من أن نأنس بنجواه . ولا بدّ لنا من مخلوقات نساقيها كؤوس الود حين نشاء ، ونرى فيها صور أحلامنا وأوهامنا حين نريد ، فمتى يمنّ الله علينا بأطياف تلك المخلوقات ؟

كم تمنيت أن أراك فى خلقك ، يا فاطر الأرض والسموات . ولو استطعت لشغلت نفسى بك عن خلقك . وكيف أستطيع وأنا لا أملك السموّ إليك ، أيها الروح المسيطر على جميع الوجود ؟

أنا أعترف بذنوبى

لى أصدقاء ضيعتهم ، وكنت من الظالمين

منهم ذلك الروح الذى شقى فى أن يُنطق لسانى بالاعتراف بأنه صديق ، والذى يكتب إلىّ ما يكتب ثم لا يظفر بجواب

وكان فى يدى أن أملك ذلك الروح ملكا أبديًا وأن أصوغ من نجواه رسائل وقصائد أسيطر بها على الخلود

توسل إلىّ ذلك الروح أن أحفظ عهد الوفاء وأن أعلن أنى له صديق ليحدّث أهله بأنه موصول الأواصر برجل له قلب

ومن أجل هذا الروح الذى أخلفتُ آماله كل الإخلاف تحكم القادير بأن أعيش فى دنياى بلا صديق

فيا أيها الروح الذى يحدّث أهله بأنى لا أنساه ولن أنساه ، أيها الروح الذى يدعونى فلا أجيب ، إعرف ثم اعترف أن الله انتقم لك منى ، فأنا اليوم بلا صاحب ولا رفيق

هات المنظار ، يا زيات ، هات

هات المنظار لأرى عيوبى ، وما أكثر عيوبى !

هات المنظار لأرى الأسرة المكونة من أربعة أرواح ، الأسرة التى ودعتنى بالدمع المحرق يوم الفراق

فإن سمعتم ، يا قرائى ، أننى سأقضى بقية العمر فى كرب وبلاء ، فاعرفوا أن ذلك جزاء الغدر لمن يتناسى فضل تلك الأرواح

غرتنى منزلتى الأدبية فتجاهلت أقدار تلك الأكباد الرقاق ، فمتى أرجع إلى مساهرة النجوم فى صحبة الأكباد الرقاق ؟

فإن قتلنى اليأس من عدل الأهل والأصدقاء فقد كنت الظالم الآثم

والله أرحم من أن يعاقب قلباً يعترف بذنوبه وخطاياه

أنا باقٍ على العهد يا أحبابى ، ويرحم الله من قال :

لقد صَدَدْنا كما صددتم فهل ندمتم كما ندمنا

زكى مبارك

بين دين محمد ودمه

للأستاذ على حيدر الركابى

وددت الكتابة فى هذا الموضوع بالنظر إلى احتدام الجدل بين طائفتين من الناس فى بلاد الشرق العربى : طائفة تنتصر للإسلام وهو دين محمد (ص) ، وطائفة تنتصر للعروبة المستندة إلى فكرة الدم — دم محمد صلى الله عليه وسلم

أما أنصار الإسلام فهم فى الغالب من رجال الدين الذين خشوا أن تطغى الموجة القومية عليه، فانتصبوا فى وجهها يحاربون العروبة ومن ينطق بها ظناً منهم أن ذلك يحمى الإسلام، وفاتهم أن الفكرة القومية مهما تطرفت لا تقضى على الإسلام الصحيح، وإنما يقضى عليه بقاؤه على هـذه الحال المؤلمة المشوهة من الانحطاط والبعد — بشكله الحاضر — عن فكر الجيل الحديث وروحه . فهم إن أرادوا نصرة الإسلام وجب عليهم أن يقوموا بإصلاحه وذلك بإعادته إلى أصله الصافى

وأما أنصار العروبة فهم فى الغالب من الشباب المندفع ، الباحث عن فكرة سامية يعتنقها، الشباب الذى وقف حائراً لأنه وجد نفسه ضائعاً ولا دليل يهديه فى موطنه، فتوجه بأنظاره نحو الغرب حيث خيل إليه أن الفكرة القومية سائدة فاعتنقها وتحمس لها بدون روية أو تعمق . وإذا ذكر الإسلام لأنصار العروبة نفروا منه لأنهم باتوا لا يرون فى بنائه الفخم الرائع فى الأصل سوى جدران بالية عبثت بها يد الزمان وشوهتها الحوادث والبدع فحكموا عليها بالهدم بدلاً من أن يسعوا إلى إزالة التشويه وتقويم البناء . وأغلب الظن أنهم اختاروا الهدم لسهولته، ولأنهم يجهلون هندسة القصر الأصلية وتاريخه الفريد فلا يريدون أن يكلفوا أنفسهم عناء البحث والتنقيب

لقد استمر الأخذ والرد بين الفريقين فكانت ساحته المجالس الخاصة والعامة ، ثم انتقل إلى الكتب وظهر على صفحات الجرائد والمجلات ، ولعبت أصابع المبشرين وغيرها من الأصابع الأجنبية الخبيثة فقوت الخلاف ونجحت فى تحويله إلى نزاع مستحكم سيقضى فى النتيجة على كلتا الفكرتين القومية والدينية — أى العروبة والإسلام — إن لم يتدارك الأمر عقلاء القوم ، فهم إن سكتوا عن هذه الفوضى فى الأفكار والتردد بين المبادئ جعلونا نضيع الشيئين ونخفق فى بناء نهضتنا على أساس قويم

ولكى نجلو كل إبهام قد يعلق بالأذهان لا بد لنا من تحديد معنى الفكرتين القومية والدينية بوضوح حتى نتمكن من معرفة ما إذا كانت إحداهما تعارض الأخرى من حيث الأساس أم لا :

دم محمد (ص)

إن المبدأ القوى السائد كما يفهمه المشتغلون بالقضايا العامة فى الأقطار العربية كلها — ذو غاية سامية ثابتة، ألا وهى السعى إلى تحرير العرب وتحقيق الوحدة العربية . قد يختلف العرب على الخطة الواجب اتباعها لنيل استقلالهم ، فمنهم من يؤمن بالحرية الحمراء ويبذل فى سبيلها دمه وماله ، ومنهم من يميل إلى اللين ويعتقد الصلاح فى التفاهم والمفاوضة على أسلوب « خذ وطالب » . وقد يختلف العرب أيضاً على الشكل الذى ستتخذه الدولة العربية العتيدة والزمن الذى تتكون فيه : أتتألف من ولايات متحدة ، أم تتكون من حكومات مستقلة متحالفة بمعاهدات تعقدها على غرار الحلف العربى المعقود بين اليمن والمملكة السعودية والعراق ، أم تصبح دولة متحدة فى كل شىء : فى عاصمتها وحكامها وأنظمتها الخ ... ؟ ومتى يمكن تحقيق هذه الوحدة ، أفى المستقبل العاجل ، أم فى المستقبل الآجل؟ قد لا يتفق العرب على كل هذا، إلا أنهم على اختلاف مشاربهم مجمعون على الهدف الأسمى الذى لا يرضون عنه بديلاً ، وهو الحرية والوحدة .

هذه غاية القوميين ، وهى غاية صالحة بدون شك ؛ فإن فى الأمة العربية العناصر الأساسية الكافية لتشكيل دولة متحدة. هناك تاريخ مشترك قد ولد رابطة قوية لا تنفصم عراها ، وهناك لغة واحدة وتراث أدبى واحد، وبالإضافة إلى ذلك فإن المصلحتين الاقتصادية والسياسية تقضيان بأن يتحد العرب .

أما من الناحية الاقتصادية فإن البلاد العربية اليوم فى حاجة ماسة إلى نوع من الاتحاد الذى يوجد بينها تعاوناً وثيقاً لاستثمار الثروات الطبيعية الموجودة فى أراضيها ، وتصريف المنتجات المحلية ، والسيطرة على التجارة . إن أرضاً تضم كنوزاً من الذهب والفضة والنفط والفحم الحجرى والقار والكبريت، وتنتج مقادير

كبيرة من الحبوب والفواكه والقطن وغيرها، وتجرى فيها الأنهار العظيمة، أو تهطل الأمطار الغزيرة فتروى التربة الغنية، وتتمتع بمناخ ممتاز يصلح لمختلف الأعمال فى مختلف المواسم، وتقع فى مركز متوسط بين دول العالم تستفيد منه تجارتها ... إن بلاداً هذا شأنها يجب أن تنمو ثرواتها العامة والخاصة بشكل يضمن لها استقلالها الاقتصادى، حتى يصبح لها اعتبار فى الأسواق المالية يمكنها من تسخير مالها الوافر لتشييد صرح نهضتها الشامخ. إن أمة أسبغ الله عليها هذه النعم لا يجوز أن تعيش عيشة المتكل الكسول الذى يكتفى من زمانه بلقمة حقيرة يطعمه إياها من هو غريب عنه: يطعمه القليل بيده اليسرى ويتناول الكثير لنفسه بيده اليمنى، ولن يقضى على هذا الاتكال غير الاتحاد.

وأما من الناحية السياسية، فالأمة العربية ضعيفة فى أجزائها قوية فى مجموعها. ومن درس التاريخ استنتج أمرين: الأول أن حياة الأمم الصغيرة قصيرة، والثانى أن البلاد العربية — وهى حلقة الوصل بين الشرق والغرب، والجسر الذى تتبارى الدول للاستيلاء عليه — لم تنجح فى رد المعتدى إلا عند ما كانت متعاونة على دفعه، كما أنها لم تنل حظها من العظمة إلا بالاتحاد. ولذا فلن يبق للدول العربية الحالية وجود مستقل، ولن تنمو وتتقوى إلا بالوحدة العربية، لأنها عاجزة عن الوقوف، منفردة فى وجه الطامع.

هذه حقيقة الفكرة العربية القومية وهذه دوافعها، ومتى أوضح أنصارها مراميهم الآنفة الذكر قضوا على كل اعتراض، لأنها فكرة صحيحة تدعمها الحجج والبراهين القوية. ومع ذلك فإن بعض القوميين المتطرفين يسيئون إلى الفكرة الأصلية باندفاعهم الطائش ولجوئهم إلى نظرية لا لزوم لها، ألا وهى نظرية الدم. فالمناداة بالفكرة القومية المستندة إلى أساس العنصرية الضيقة لا تزيد المبدأ القوى قوة وإنما ينفر بعض العناصر التى تعيش فى الأقطار العربية ولكنها لا تنتمى إلى أصل عربى. هذا فضلاً عن أن نظرية الدم فاسدة من أصلها وخصوصاً فى الأقطار العربية وذلك بسبب الموجات البشرية التى اكتسحتها فى شتى العصور مما أدى إلى اختلاط الدماء حتى بات إرجاع الأفراد إلى أصلهم الحقيقى أمراً يكاد يكون — فى الغالب — فى حكم المستحيل. إن الأقليات العنصرية الموجودة فى البلاد العربية قادرة على تعطيل سيرنا إذا عوملت معاملة الغريب المحروم الاشتراك معنا فى تحقيق أهدافنا بدرجة ما هى راغبة فى التعاون معنا إذا أدركت القصد الحقيقى من الفكرة العربية، واطلعت على الفوائد الجمة التى ستجنيها هى من جراء اتحادها بأمة متحدة قوية. فلنكن مخلصين ولنبدد مخاوفها التى يغذيها المستعمر. علينا أن نؤكد لها أننا لا نريد القضاء عليها. وعلينا أن نفهمها أنها جزء مهم من أجزاء الأمة العربية التى لا تتألف من جماعة من الناس ينتمون إلى عدنان أو قحطان، بل هى مجموعة من الأفراد الذين اشتركوا فى تاريخ واحد فبعثت ذكرياته القريبة والبعيدة فيهم شعوراً مشتركاً ألف بينهم فدفعهم إلى السير نحو هدف واحد يرمى إلى تحقيق حريتهم ووحدتهم. ويضاف إلى هذه الرابطة العاطفية التى هى الأساس روابط أخرى توثق العلاقة بين هؤلاء الأفراد، كاشتراكهم فى اللغة وتجاورهم فى الديار وأن دين الأكثرية منهم واحد

إننا إن عملنا على نشر المبدأ القوى على حقيقته هذه حفظناه من كل شائبة وضمنا نجاحه.

دين محمد (ص)

إن للفكرة الإسلامية مفهومين مستقلين ومتناقضين ويجب بيانهما بادئ ذى بدء:

فهى فى نظر البعض حركة ترمى إلى (ا) سيادة المسلمين على غيرهم من أتباع الأديان الأخرى و (ب) تحقيق الوحدة الإسلامية الكبرى و (ج) تنصيب خليفة للمسلمين. هذه هى الأهداف التى يتصور أصحاب المبدأ القوى أن كل مؤيد للمبدأ الدينى يقصدها. وهى الأهداف التى يهاجمونها بشدة ويتخذونها سبباً مبرراً لانصرافهم عن كل ما له صلة بالدين. والواقع أن الكثرة من أنصار الإسلام — أو، على الأقل، الشباب منهم — لا تحمل هذه المبادىء، وإنما يمقتها ويحلم بتحقيقها جماعة من (الجموديين) الذين قبعوا فى بيوتهم بعد أن أقاموا بينهم وبين العالم الخارجى جداراً كثيفاً يقيهم حر (التطور) وبرده، ويحفظ آذانهم من أن تصل إليها صيحات

المسلمين الضالين فى كل قطر . إنهم لا يسمعونها ولذا لا يقومون بإرشادهم إلى تعاليم دينهم البسيطة والتي هم فى أشد الحاجة إليها ، بل يقفون فى مكانهم وهم يرددون بعناد عجيب : « المسلم أفضل من غيره ، وسينصره الله عما قريب ! .. الوحدة الإسلامية أولاً وأخيراً ! ... لا بد للمسلمين من خليفة ! . . . » لقد فاتهم أن المسلم الذي ينصره الله قد كاد ينمحى أثره حتى لم يبق اليوم سوى أشباه المسلمين ، كما فاتهم أن الوحدة الإسلامية لن تتحقق إلا بعد أن يعود المسلمون إلى حظيرة الدين وتُبعث فيهم الروح الإسلامية من جديد[1] ، وأما تنصيب خليفة للمسلمين فهو أضعف مطالبهم ، ويكفى أن يعودوا إلى كتبهم ويطالعوا بحث (الخلافة) فيها ليدركوا أن شرطاً واحداً من شروطها غير متوفر الآن ، لا فى الخليفة المتيد ولا فى الرعية . ولذا فإن أهدافهم ، مهما سمت ، تظل بعيدة عن حدود الإمكان ولا بد من أن يسبق تطبيقها أمور كثيرة تمهد لها السبيل

إن فهم الفكرة الإسلامية بهذا المعنى مما يضعفها ويجعلها عرضة للانتقاد ، كما أنه يجعل الأمم والملل الأخرى تنظر إلى كل ما هو إسلامى بعين المرتاب ، فضلاً عن أنه يصرف كل مخلص محب للاسلام مؤمن برسالة نبيه (ص) عن الاشتغال بالقضايا الإسلامية .

فما هى إذاً الفكرة الإسلامية الصحيحة الخالية من كل هذه المحاذير ؟

(البحث صلة) على حيدر الركابى

بغداد (الرستمية) دار المعلمين الريفية

(١) كما أن الوحدة الاسلامية لن تتحقق ما لم تسبقها الوحدة العربية كما بين أستاذنا « أبو خلدون » فى عدد سابق

قصيدة لم تنشر

لشاعر الحب والجمال لامرتين

بقلم الأستاذ صلاح الدين المنجد

عاد لامرتين فى عام ١٨٤٤ إلى نابولى ، تلك المدينة التى ألقت قدميها فى الماء ، وتركت البحر يدغدغها والنسيم يقبلها . وكانت زيارته الثالثة لهذه البلدة التى خلّفها فى صباه ، وخلّف وراءه فيها « جرازيلا » الحبيبة تعانى لجمة البين ، ولوعة الحب ، ووله الحنين . وطاب له المقام ، فأقام فى جزيرة صغيرة بالقرب منها ، يرتع بين حُلم موشّى ، وعيش هادئ ، وتذكّر قاتل . وطافت به أشباح الأحباب فى السنين الخوالى ، ورأى جرازيلا تهدهده بالنغم البارع فوق ثبج البحر ، ويحزنه بالشكوى المحرقة فى ذلك القصر العتيق . فجاش فى صدره شعر باك حزين ، برغم السنين الأربعين التى عمرها ، وبرغم هذه الشعور التى تشبه غبشة الفجر . وماله لا يقول الشعر الحزين وقد مات الهوى وفقد الحبيب ، وهو بعيد عن وطنه ، وحيد على سِيف هذا البحر المائج كالغلام اليافع ، فقال عشرين بيتاً من الشعر عثر عليها منذ حين فى مجموعة نادرة مخطوطة لأشعار لامرتين فى مكتبة السيد لويس بارتو الخاصة ، ولم تكن قد نشرت من قبل . وهأنذا أنقلها للناس :

عندما كنت فتى ، ملء بردىّ الفخار ،
نشرت أجنحتى أمام أرواح (١) البحار
فحملت شُرُع القوارب أفكارى وسارت
وراحت أحلامى تتوثب فوق سُرر الأمواج

***

كنتُ أرى فى ثنايا الموج الذى يغرق الأفق فيه
عوالم تزخر بالحياة ، وجزائر تطفح بالسرور ؛
تطفو ، موشاة بالياسمين ، مزدانة بأغصان الكروم .
وكان الحب ينادينى منها ، والنصر يعد لى معه اليدين

(١) الأرواح : الرياح

كنت أغبط كل سفينة يبيضّ من حيزومها الزبد
تسعى جذلانة تبغى الشاطئ المجهول .
واليوم ، أجلس على سيف الخليج الثائر
أذكر الماضى ، فأخوض تلك الأوادىّ ثم أعود

***

لشد ما أحببت هذه البحار التى ما أزال أهواها
كما أهوى حقلاً رفرف الحزن عليه ،
دفنت فيه أجنحتى ، فمالها تنطق فى كل مكان :
ذلك ، لا كما هويت من قبل عالم المنى والأحلام

***

لقد رقد هذا الشاطئ بحزن ، وأذابت هذه الصخرة نفسى ،
وذوت سعادتى فى هذا الهدوء الخادع .
وهنا ، صعقتنى صاعقة هبطت من السماء
فولّت الموجات تسعى ، تحمل كل واحدة منها
قطعةً من قلبى المكلوم ...

(دمشق) صلاح الدين المنجد

الفروق السيكلوجية

بين الأفراد

للأستاذ عبد العزيز عبد المجيد

الفروق العقلية

يعتبر الفريد بينيه — كما ذكرنا في المقال السابق — زعيم النفسيين الذين وضعوا مقاييس علمية للذكاء، وقد ترجمت مقاييسه مهذبة إلى الإنجليزية في أمريكا وانجلترا، وإلى معظم اللغات الأوربية، وإلى اليابانية أيضاً. ومن هذه المقاييس المترجمة والمعتمدة حتى الآن مقياس «استنفورد بينيه المهذب». غير أن مقياس بينيه بصيغته ووضعه يتطلب أن يمتحن كل فرد على حدة، وتلك عملية طويلة مملة، ويحتاج إلى زمن ومجهود، كما أنه لا يناسب الأفراد الذين يرهبون الامتحانات الشفهية التي يواجهون فيها الممتحنين، ولذلك فكر علماء النفس في نوع آخر من المقاييس يقاس به الجمع من الأفراد. وكان دخول أمريكا في الحرب الكبرى سنة ١٩١٧ من العوامل التي جعلت الحاجة إلى هذا النوع من المقاييس الجمعية ملحة. فقد أرادت السلطات الحربية الأمريكية أن تعزل من المتقدمين للخدمة العسكرية ضعاف العقول لأن هؤلاء لا يصلحون لحمل السلاح ونزول الميدان، كما أرادت أن تختار من بين الصالحين لحمل السلاح أفراداً ذوي ذكاء يمرنون للوظائف ذات التبعات كوظيفة الضباط والقواد، ولم يكن من الممكن عملياً استخدام «مقياس استنفورد المهذب» ولذلك اجتمع علماء النفس الأمريكيون ووضعوا نوعين من المقاييس الجمعية: نوع يسمى «مقياس ألفا»، وهو لفظي تحريري لمن يقرءون الإنجليزية ويكتبونها، ونوع يسمى «مقياس بيتا»، وهو تحريري غير لفظي للأجانب الذين لا يعرفون الإنجليزية والأميين الأمريكيين، وقد طبع كل من النوعين، وكان يوزع في كراسات على المجندين. وبذلك أمكن اختبار آلاف منهم في دقائق معدودة

ومن الاختبارات التي احتواها «مقياس ألفا» عمليات حسابية عادية في الجمع والطرح تتدرج في الصعوبة من أول الصفحة إلى آخرها. وعلى الممتحن أن يقوم بهذه العمليات بأسرع ما يمكن وفي زمن محدود. وكذلك منها صفحة بها عمودان من الكلمات المألوفة، والكلمة التي في العمود التالي إما مرادفة للكلمة التي قبلها في العمود الأول أو مضادة. وكل ما يطلب من الممتحن هو أن يكتب أمام الكلمتين حرف (ر) إذا كانتا مترادفتين، أو حرف (ض) إذا كانتا متضادتين[1]. ومنها صفحة بها جمل كلماتها موضوعة في غير ما نظام معنوي، وعلى الممتحن أن يضعها في نظام بحيث يستقيم المعنى مثل: النور شروق يظهر الشمس عند[2]. ومثل جملة: جريمة النفس الدرجة عن القتل للدفاع من الأولى[3]، ثم يذكر إذا كانت الجملة قضية صادقة أم كاذبة. ومنها أيضاً صفحة ملأى بالأسئلة لمعرفة الأسباب المعقولة لحوادث عادية مألوفة كالسؤال: لم يستعمل معدن النحاس في الأسلاك الكهربائية؟ ألأنه يوجد في الولايات المتحدة، أم لأنه جيد التوصيل، أم لأنه أرخص المعادن؟ وعلى الممتحن أن يضع علامة على السبب المعقول. وأما «مقياس بيتا» فهو لا يحتاج إلى قراءة أو كتابة لفظية، ومن اختباراته: اختبار تكملة الأجزاء الناقصة في الصور المرسومة في صفحة من الكراسة، كتكملة العين الناقصة في وجه إنسان، أو الأذن في وجه حمار. ومنها تكرار رموز على نظام خاص مرسوم في الكراسة كهذا النظام مثلاً: . . . . OX + OX + أو هذا النظام . . . . X + − OX + − O ولكل من هذه الاختبارات درجة. والنسبة المئوية لدرجات كل فرد تعين مقدار ذكائه. وقد ظهرت صلاحية هذين النوعين من الاختبارات في الجيش الأمريكي، وانتشر استعمالها وبخاصة «مقياس ألفا» في المدارس الأمريكية والإنجليزية. وقد بلغ عدد الجنود الذين امتحن ذكاؤهم بهذين القياسين نحو مليونين

وقد استرعت نتائج هذه المقاييس أنظار علماء النفس، فقد وجدوا — بصفة عامة — أن أذكى الجنود هم أولئك الذين يحترفون مهناً علمية أو فنية كالمحامين والأطباء والمدرسين والمهندسين الخ Professional men، ويليهم في الذكاء التجار والكتبة، وبعدهم الميكانيكيون العاديون، وأخيراً يجيء العمال

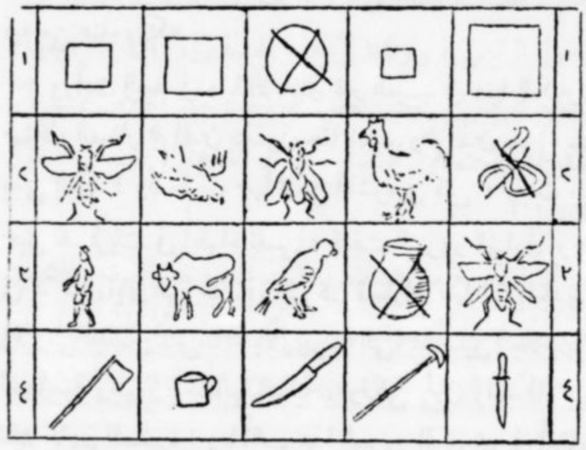
---

(١) الأصل في الانجليزية (S) يعني Same أو (O) يعني Opposite

(٢) نظام الجملة الصحيح هو: عند شروق الشمس يظهر النور. والقضية صادقة

(٣) نظام الجملة الصحيح هو: القتل للدفاع عن النفس جريمة من الدرجة الأولى؛ والقضية كاذبة

وذوو المهن اليدوية[1] . وليس معنى ذلك أن كل فرد من طبقة المحامين والأطباء والمدرسين الخ أذكى من أى فرد من طبقة التجار والكتبة . لا ، بل الذى وجد هو أن الطبقة الأولى كمجموعة أذكى من الطبقة الثانية كمجموعة . وإن كان من بين أفراد الطبقة الثانية من يفوق فى الذكاء بعض أفراد فى الطبقة الأولى . وربما يتساءل القارئ : وهل لنوع المهنة أثر فى الذكاء ؟ والجواب على ذلك هو أن للذكاء أثراً فى اختيار المهنة لا العكس . لأن القاعدة العلمية هى أن من لا يواتيه ذكاؤه للدراسات الجامعية أو العالية يقف دونها ، وبذلك يختار من المهن ما يناسب مؤهلاته دون الجامعية ، ويناسب فى الوقت نفسه ذكاءه المحدود



نموذج لبعض اختبارات الذكاء الجمعية غير اللفظية التى لا تحتاج إلى قراءة أو كتابة ويطلب من المختبر أن يضع علامة × على الشكل الذى لا يتفق مع بقية أشكال الصف فى نوعها أو جنسها المشترك كما فى الصف الأول والثانى والثالث

كان من عناية رجال التعليم فى أمريكا وأوربا باختبارات الذكاء الجمعية ، أن استعملوها مع امتحانات القبول بالمدارس مختلفة الأنواع والجامعات . ففى انجلترا مثلاً يعقد امتحان لتلاميذ المدارس الأولية فى سن الحادية عشرة لاختيار من يصلح منهم للمدارس الثانوية ، ومن يصلح للمدارس الوسطى الفنية ، ولمنح المجانية للمتفوقين ذكائياً . وقد أصبحت اختبارات الذكاء الجمعية مستعملة مع امتحانات التحصيل المدرسى .

وأثبتت نتائج اختبارات الذكاء الجمعية تلازماً مع نتائج الامتحانات المدرسية فى معظم الحالات . وفى الحالات التى حصل فيها اختلاف ظهر بعد البحث والتحليل

(١) أنظر كتاب « دراسة الحياة العقلية » للأستاذ ودورث صفحة ٤٥

مرة أخرى أن اختبارات الذكاء إنما قاست الذكاء الفطرى الذى لم تستطع الاختبارات الدرسية كشفه . أو أن الاختبارات المدرسية قاست مقدار التحصيل المدرسى فقط . ولذلك يوصى المربون وعلماء النفس أن تستعمل اختبارات الذكاء مع الاختبارات المدرسية ، حتى نحكم حكماً صحيحاً على ذكاء الفرد وتحصيله

وهناك نوع من اختبارات الذكاء يسمى « الاختبارات العملية » Performance tests ، وميزة هذه الاختبارات أنه يسهل استعمالها مع صغار الأطفال الذين لم يألفوا بعد استعمال الورق والقلم كالتلاميذ عند التحاقهم بالمدارس الأولية ، وفيها تقاس أيضاً القدرات الذكائية العملية التى تتطلب الانتباه والتفكير ، كما تستعمل بدلاً من مقاييس الذكاء اللفظية التى لا بد فيها أن يكون المختبر ملماً بالقراءة والكتابة واللغة ، وفى هذا النوع من الاختبارات العملية يطلب إلى المختبر أن يكوّن صورة لشىء ، أو شخص من عدة قطع من الورق القوى أو أن يبنى مكعباً كبيراً من مكعبات صغيرة فى أقل زمن ممكن وبأقل عدد ممكن من محاولات خاطئة أو أن يملأ فراغات منتظمة فى لوحة خشبية ، كفراغ مثلث أو مربع أو نجمة أو متوازى أضلاع أو جزء من دائرة . وهذا النوع من اختبارات الذكاء هو أقدم[1] الأنواع التى حاولها علماء النفس . وتوجد منه الآن عدة مجموعات مقننة شائعة الاستعمال فى المدارس الفنية والمصانع والشركات فى أوربا وأمريكا

ولعل القارىء بعد هذا العرض لأنواع مقاييس الذكاء يتساءل : وما هو ذلك الذكاء الذى كثر الكلام عنه ، وما طبيعته ، وما الفرق بين الذكاء الطبيعى والذكاء المكتسب ؟

وموعدنا المقال القادم للاجابة عن هذا كله .

عبد العزيز عبد المجيد

(بخت الرضا — السودان)

(١) أنظر صفحة ٤١ من Psychological Tests of Educable Capacities



أيام فى القرية

لن أجد إذا أردت التعبير عن مبلغ حبي لقريتي كلاماً أجمل ولا أصدق من كلام أستاذنا صاحب « الرسالة » . ولست أزيد عليه سوى أني أعيش فى القرية أبداً إذا جئتها كواحد من فلاحيها؛ فأنا أخالط هؤلاء الفلاحين ، وأتكلم بلهجتهم ، وأؤدى ما أريد من المعانى بألفاظهم ، وأضرب فى الحديث أمثالهم ، وأنهج فى سوق الكلام نهجهم، لا أتكلف ولا أتعسف؛ إذ لا حاجة بي إلى ذلك ، وأنا قروى قبل كل شيء، ومثلى إذا عدت إلى قريتي كمثل النبات ، تنقله إلى بيئته ، فيبدو لك من خصائصه ما لا يبدو إلا فى تلك البيئة ...

هبطت القرية وبيني وبين العيد يومان ، وتركت منظارى لينظر من ورائه صاحب « الرسالة » ، فيستعيذ بالله آخر الأمر منه ، ويسألني فى ختام حديثه البارع الممتع : أرسله إليّ أم يجرّبه على عين الأستاذ المبارك ... وما درى أن لى فى القرية غير ذلك المنظار الذى لا ينفذ فيها إلى مثل ما ينفذ إليه فى المدينة ، ونسى أن للمبارك عيناً لا تحب المنظار ، لأنها تنفذ وهى عارية إلى كل شيء ولو كان بينها وبينه أكثف ستار !

درت بمنظارى هذا فوقع من حياة « القرية » ومجالها على ما لو طاوعت قلمى فى سرده ، لضاق عنه عشرة أمثال هذا المجال . وحسبى أن أقصر الكلام على ما كان أعمق أثراً فى نفسى بين ما شاهدت ...

شاعت الخضرة فى الحقول ، ورف فى مزارعه بين بطاح البرسيم نُوّار الفول، واهتزت الأرض أخيراً وزخرت بالحياة ، بعد أن فعلت بها دودة البرسيم أياماً طويلة ما لا يفعل الجراد ، فالتهمت جوعها الخفية العنيدة، البراعم الطرية الوليدة ، وتركت الناس حيارى لا يجدون لما أصابهم من علة ، إلا أنه غضب من الله ... وأبهجت نفسى مظاهر الحياة والبشر فى النبات الرفيف والشمس الصاحية ؛ بيد أنى وا أسفاه رأيت إلى جانبها مظاهر الموت والعبوس فى الغدران الناضبة والأشجار العارية على جانبيها، ثم فى تلك البهائم العجاف الهزيلة التى تلتهم البرسيم فى نهم، ولا تنال منه إلا بقدر .

وجاء العيد فكان من أجمل معانيه وقعاً فى نفسى تحية أهل القرية جميعاً بعضهم بعضاً وتصافحهم إذا ما التقوا لا فرق بين غنى وفقير، ولا بين كبير وصغير ، ثم تزاور الناس منذ خروجهم من صلاة العيد إلى متوع النهار جرياً على أصول لن تعرف فى المدن إلا بين من تربطهم صلة من قرابة أو من صداقة . وكثيراً ما يقوم فيها مقام الشخص ما يدفع إلى الخادم أو فى صندوق البريد من بطاقة ...

وارتاحت نفسى لحفلة لهذا المعنى؛ غير أنى ما لبثت أن كدرنى خاطر طاف بنفسى؛ وهو أن عيد هؤلاء القرويين كطبيعة حقولهم، فهذا البشر الذى يبدو على وجوههم يكاد يشف عما وراءه من همّ جلبته عليهم الأزمة التى حلت بهم من هلاك الزرع وبيع القطن بثمن بخس ، ولن تغرب شمس هذا اليوم حتى يعودوا إلى ما كانوا فيه من عناء ونكد

ورأيت العيد فى دنيا الأطفال غير العيد فى دنيا الكبار ، فهؤلاء الصغار هم الذين ينعمون حقا بالعيد. وهم الذين ينجلى بهم معنى العيد ؛ ولكم بث مرآهم من النشوة فى قلبى ، وبعث من جميل الذكريات فى أطواء نفسى ، فذقت السرور الصادق برهة فى تذكرى أيامى التى خلت ، والتى كان قصاراى فيها حلتى الجديدة وقروشى القليلة وتمتعى ساعة بالأرجوحة التى أسمع صليل (جلاجلها) النحاسية وصرير أخشابها العالية ، ولكن بأذن وا أسفاه غير تلك الأذن الصغيرة ! وما أعجب هذا السرور الذى يجر فى أعقابه الأسف والكآبة ...

وخرج الصبايا أسراباً عصر يوم العيد كعادتهن إلى الترعة البعيدة ، يحملن جرارهن ويتجملن بحليهن ويخطرن فى جديد ملابسهن والشباب يأخذون عليهن الطريق جماعات جماعات ، وهم مزهوون بحللهم الجديدة وطواقيهم الناصعة البياض وعصيهم الرفيعة من الخيزران ... ولكن نظرات البنات فاترة ساهمة، فليس من هؤلاء الفتية فى هذا العام الباحثُ الخاطب والزوج المرتقب، وقد قل المال ورفعت الحرب ثمن كل شيء

وتجمعت فى الأفق ظلال الغروب وراحت تطوى نور النهار وبهجة العيد معاً ، وأوبت إلى دارى أعد فى نفسى ما تصرم من أيامى فى القرية وأحصى ما بقى منها ، وأعجب لسرعة انقضاء الأيام هنا على هذا النحو ، وأقول متى يقبل الصيف لأقضى فى قريتى ما أقضى كل عام من شهوره . وكان آخر سؤال طرأ على خاطرى: متى يعنى أدباؤنا بالريف وحياته فيصدق هذا الأدب وتتضح معالمه ويذهب عنه ما يعلق به من بهرج زائف وتقليد سخيف ؟

(الخفيف)

أفانين

بين الخوارزمى والهمذانى

للأستاذ على الجندى

(تتمة)

كان دخول الرئيس أبى جعفر وصاحبيه الحربى والحِيرى ، بمثابة هدنة نفّست عن المتناظرَين ، وأتاحت لهما قسطاً من الجمام ، فهدأت الشقاشق ، وسكنت الزماجر ، وأحسبهما أنِسا بدخول الرئيس ، وارتاحا إلى هذه الهدنة ووداّ أن يمتد أجلها ! ولكن الرئيس لم يحضر لفضّ النزاع وحسم الخلاف ، بل أتى كغيره ليرى تصاول الفحول وتخاطر الفحول فى ميدان المعقول والمنقول !

فما إن فرغ من السلام ، وأخذ مجلسه بين الصدور المقدمين حتى تولى توجيه المناظرة ، فاقترح أن ينشدا روّية على وزن اختاره فتلمّظ البديع بلسانه ، وسرعان ما أنشد اثنى[1] عشر بيتاً منها :

برز الربيع لنا برونق مائه … فانظر لروعة أرضه وسمائه
والترب بين مُمسّك ومُعنبر … من نَورْه ، بل مائه ورُوائه
والماء بين مُصَندل ومُكفَّر … فى حسن كُدرته ولون صفائه
والطير مثل المحْصنات صوادح … مثل المغنّى شادياً بغنائه
زمن الربيع جلبت أزكى مَتجر … وجلوت للرائين خير جلائه
فكأنه هذا الرئيس إذا بدا … فى خلقه وصفائه وعطائه
ما البحر فى تزخاره ، وللغيث فى … أمطاره ، والجوّ في أنوائه
بأجلّ منه مواهبا ورغائبا … لا زال هذا المجد حِلْف فنائه

ثم أنشد الخوارزمى على هذا المثال تسعة أبيات لم نعثر عليها فى مظانها

وقد وصفها البديع : بأنها جمعت بين إقواء وإكفاء وأخطاء وإبطاء ! وأنه أخذ عليها عشرين مأخذاً ! وذكر أنه اتجه إلى عميدى المجلس الوزير والرئيس ، فقال — مشيراً إلى الخوارزمى بعد فراغه من الإنشاد — : لو أن رجلاً حلف بالطلاق أن لا أقول شعراً ، ثم نظم تلك الأبيات التى قالها الخوارزمى ، هل كنتم تطلقون عليه امرأته ؟ فهتف الجماعة : لا يقع بهذا طلاق !

ثم طلب البديع إلى الخوارزمى أن ينقد أبياته المتقدمة (برز الربيع لنا برونق مائه …) فقال الخوارزمى : قلت : أنظر لروعة أرضه وسمائه ، ويقال : انظر إلى كذا . فلم تسمع منه الجماعة وشبهتَ الطير بالمحصنات ، ثم شبهتها بالمغنيات . وأى شبه بين المحصنات والطير ؟ ثم كيف توصف المحصنات بالغناء ؟

فرد البديع : يا رقيع ! إذا جاء الربيع كانت شوادى الأطيار تحت ورق الأشجار ، فيكن كأنهن المخدرات بين الأستار ، والطيور فى الخدور كالمحصنات ، وكالطير فى ترجيع الأصوات

ثم قال الخوارزمى : وقلت : زمن الربيع جلبت أزكى متجر . هلا قلت : جلبت أربح متجر ؟ فقال البديع : ليس الربيع بتاجر يجلب البضائع المربحة

ثم قلت : كالبحر فى تزخاره ، والغيث فى أمطاره ، والغيث هو المطر . فقال البديع : لا سقى الغيث أديباً لا يعرف الغيث ! الغيث هو المطر ، وهو السحاب . فصدقه الحاضرون

وهنا قال الإمام أبو الطيب الصعلوكى : قد علمنا أى الرجلين أشعر ، وأى الخصمين أقدر ، وأى البديهتين أسرع ، وأى الروّيتين أصنع !

ثم مال المتناظران إلى فنون أخرى ظهر فيها فوقُ البديع ، ووافق ذلك ملالة الحضور فشرعوا فى الانصراف ، وهم يثنون على البديع ويسلقون الخوارزمى بألسنة حداد !

وهمّ الخوارزمى بالقيام فأصيب بإغماء ! فانحنى عليه البديع متمثلاً بقول بشر بن عوانة :

يعزّ علىّ فى الميدان أنى … قتلت منافسى جَلَداً وقهْرا
ولكن رمتَ شيئاً لم يرمه … سواك ، فلم أطق يا ليث صبرا

ثم أخذ يمسح عن وجهه ! ويقبل بين عينيه ! ويقول — على سبيل الاستهزاء — : إشهدوا أن الغلبة له !

ثم مدت الموائد وتكوّف حولها الحضور لتناول الطعام ، وكأن الظفر فتح شاهية البديع ! فجعل — كما يصف نفسه ويصف خصمه — يكرع فى الجفان ، ويسرع إلى الرغفان !

(١) هنا تضارب بين رواية ياقوت ورواية الرسائل وقد رجحنا الثانية

ويمعن فى الألوان ! والخوارزمى يتناول الطعام بأطراف الأظفار ! فلا يأكل إلا قضما ، ولا ينال إلا تمشا !

وقد بلغ من جفوة البديع وتحجر مشاعره أنه لم يرع الطعام حرمة ! فاتخذ خصمه هزءا وسخرية ! وتناوله بفنون من التندر اللاذع حتى استكفّه الوزير بقوله : قد ملكت فأسجح

ولما قام الخوارزمى عن المائدة — وقد خنقه تبريح الغيظ — قال للبديع : لأتركنك بين الميات . قال : ما معنى الميات ؟ قال : بين مهدوم ، مهزوم ، محموم ، مرجوم ، محروم ! فقال البديع : وأتركك بين الميات أيضاً : بين الهيام ، والصدام ، والجذام ، والحمام والسّام[(١)] ، والزكام ، والبرسام[(٢)] والسقام ! وبين السينات : بين منحوس ، منخوس ، منكوس ، معكوس ! وبين الخاءات . من مطبوخ ، ومسلوخ ، ومشدوخ ، ومفسوخ ، وممسوخ ! وبين الباءات : بين مغلوب ، مسلوب ، مرعوب ، مصلوب ، مركوب منكوب ، منهوب ، مغصوب[(٣)] !

ثم انفض المجلس وخرج البديع تحفه هالة من أصحاب الشافعى السُّنية ، يتباروْن فى تعظيمه وإجلاله ! ويوسعونه ضمّاً وتقبيلا !

وقبع الخوارزمى فى مكانه حتى غربت الشمس ، فعاد إلى داره كسير القلب خافض الطرف كاسف البال !

وكان لهذه الهزيمة وما لابسها من تألب أهل بلده عليه ، وخذلانهم له ، وقع شديد على نفسه ! فدلفت إليه العلل ، وألحت عليه الأوجاع ، فلم ينقض الحول حتى وافته المنية فى شوال سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة هـ

ومن الغريب أن اعتلاله لم يخفف من حقد خصومه عليه ! فكتب بعض سِفْلتهم إلى البديع يهنئه بمرضه ! فرد عليه البديع بكتاب لبس فيه مسوح الرهبان ، ومرقّعات الصوفية ! ومن الإنصاف . أن نشيد بما انطوى عليه من أريحية ونبل ولعل مرد ذلك إلى الصفاء الذى يعاود النفوس بعد أن تهدأ فورتها ، وتنجلى عنها غشاوة الباطل ! فتوقن أن المجد كله لله والعزة له جميعا ! ولعل مرد ذلك أيضاً إلى أن الظفر بالقِرن يُحِلّ الضغينة ويمحو غليل الصدور ، بل يستحيل — على تراخى الأيام — إلى عطف ورثاء ! وشواهد التاريخ على ذلك كثيرة

قال البديع فى كتابه : الحرُّ — أطال الله بقاءك — لا سيما إذا عرف الدهر معرفتى ، ووصف أحواله صفتى ، إذا نظر ، علم أن نعم الدهر ما دامت معدودة فهى أمانىّ ، وإن وجدت فهى عوارىّ ، وأن محن الأيام — وإن مطلت — فستفد ، وإن لم تصب فكأن قد ، فكيف يشمت بالمحنة من لا يأمنها فى نفسه ، ولا يعدمها فى جنسه ، والشامت إن أفلت ، فليس يفوت ، وإن لم يمت فسيموت . وما أقبح الشماتة بمن أمن الإماتة ، فكيف بمن يتوقعها بعد كل لحظة ، وعقب كل لفظة . والدهر غرثان ، طُعمه الخيار ، وظمآن شربه الأحرار . فهل يشمت المرء بأنياب آكله ؟ أم يسرّ العاقل بسلاح قاتله ؟ وهذا الفاضل ـ شفاه الله ـ إن ظاهرناه بالعداوة قليلاً ، فقد باطناه ودا جيلاً . والحر عند الحمية لا يُصطاد ، ولكنه عند الكرم ينقاد ، وعند الشدائد تذهب الأحقاد . فلا تتصور حالتى إلا بصورتها من التوجع لعلته ، والتحزن لمرضته . وقاه الله المكروه ، ووقانى سماع المحذور فيه ، بمنّه وحوله ، ولطفه وطوله !

ولما مات الخوارزمى رثاه البديع ، ولعله اقتدى فى ذلك بجرير فى رثائه للفرزدق قال[(١)] :

حنانيْك من نفَس خافت ... وليْك عن كمد ثابت
تحمّلت فيك من الحزن ما ... تحمّله ابنُك من صامت
حلفتُ:لقد متّ من معشر ... غنيّين عن خطَر المائت
يقولون : أنت به شامتٌ ... فقلت : الثرَى بفم الشامت
وعزّت علىّ معاداته ... ولا مُقدارك للفائت

ورثاه أبو الحسن الرمّانى فأحسن وأساء :

مات أبو بكر وكان امرأً ... أذمّ فى آدابه النفَّر
ولم يكن حُرًا ولكنه ... كان أمير النطق الحرّ

ورثاء البديع للخوارزمى قد يصور لنا طرَفًا من الحرقة واللوعة التى يجدها النظير لفقد نظيره ! ولكنه لا يكشف عن

(١) اليتيمة ٤ — ١٩٦ — ١٩٧

(١) الموت (٢) الجنون

(٣) زهر الآداب ٢ — ١٥٥ — ١٠٦ تفصيل وضبط وشرح الدكتور العلامة زكي مبارك

شيء من فضائل المرثي كما هي سنة الرثاء، حتى لقد قال بعض النقاد: إنه لم يخل من الدس والسعاية !

ومهما يكن من شيء فقد كان البديع أكرم نفساً وأسنى طبعاً وأعف بياناً من الصاحب بن عباد الذي قال حين بلغه موته :

أقول لركب من خراسانَ قافل : أمات خُوارزْميكم ؟ قيل : لي نعم

فقلت : اكتبوا بالجص من فوق قبره : ألا لعن الرحمن مَن كفر النعم !

وبانتصار البديع أولاً وبموت الخوارزمي ثانياً ، نبه ذكره واستطارت شهرته ، ونفقت سوقه لدى الملوك والأمراء والوزراء، وتهادته الأقطار والأمصار ، فلم تبق بلدة في خراسان وسجستان وغزنة إلا دخلها ، فحسنت حاله وكثر ماله وفشت نعمته

وأراد - بعد امتلاء الوطاب وانتفاخ الجراب - أن يستمتع بالراحة ، ويتملى النعيم ، فتخير (هراة[1]) دار قرار ، وصاهر فيها الحسيب النسيب أبا علي الحسين الخشنامي ، فآوى منه إلى ركن شديد ، واقتنى بمعونته ضياعاً فاخرة

ولكن القضاء العادل كان واقفاً له بالمرصاد فأخذه ولم يفلته !

وما من يد إلا يد الله فوقها ... ولا ظالم إلا سيُبلى بظالم

فمن قائل : إنه مات مسموماً ؛ ومن قائل : إنه أصيب بالجنون ؛ وهناك رواية وثيقة تقول : إنه اعترته غشية فظن به الموت وعجل له الدفن ، فأفاق في قبره وسمع صياحه بالليل ، فشقوا عنه فأصابوه قابضاً على لحيته وهو ميت من هول القبر ووحشته !

وكان ذلك يوم الجمعة الحادي عشر من جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة هـ

نسأله تعالى حسن الخواتيم !

علي الجندي

(١) مدينة حصينة الموقع في مملكة الأفغان الحديثة ، تعد ثالثة مدنها بعد كابل وقندهار ، وكانت مشهورة قديما بصباحة الوجوه والشمش الجيد ويقال : إن الذي بناها الاسكندر المقدوني

١٢ ـ ١٤

الفنان (*)

للآنسة زينب الحكيم

الفنان إنسان منقب ، يغريه الأمل فيسبح فى خيالات خلابة، أو يؤنسه القدر فيراع ، وهو على أية حال يكونها متنقل متفنن ...

تعاف نفسه الاستقرار ، ويؤلمه الجمود ، هو إنسان دقيق الشعور مرهف الحس، يدرك من وراء الظواهر ما لا يدركه غيره؛ فإذا أصاب الهدف فبشره بفلاح عظيم ، إذ تسمو مداركه وعزن نشاطه ويخلد فنه ؛ وهو كلما طال وقت اختباراته دق إدراكه ونفذ إلى ما وراء خيالاته ومشاهداته ، وكلما سمت نطقت ريشته ، ودوى نغم وتره ...

امتحان

اختبر مرة فنان صينى ماهر تلاميذه — فكلفهم رسم جبل فى بلادهم يسمى « جبل الأسرار » ، ومن فوقه وحوله الهيا كل للعبادة .

رسم الطلاب الجبل بإتقان ، وأظهروا حوله الهيا كل ، فجاءت رسومهم نماذج باهرة ، وراحوا إلى أستاذهم فخورين ؛ ولكن كان نصيبهم جميعاً الرسوب فى الامتحان ، إذ قال لهم أستاذهم : إن رسومكم التى أرى ، إن دلت على شىء ، فلا تدل على أكثر من أشياء ظاهرية مادية ساذجة ، مما يشير إلى أن خيالكم قاحل وفنكم بدائي ، ولم تحاولوا تفهم نفوسكم حتى تستطيعوا نحت شىء منها يخلد به تصوركم لجبل الأسرار وما يحيط به .

لقد كان يكفى يا تلاميذى أن ترسموا هيكل الجبل من بعيد ، وقد اختفت أجزاء منه : إما فى ضباب ، أو زوبعة ، أو وراء السحب ؛ وقد كان يكفى الرمز إلى وجود هيا كل حوله وعلى قمته بأن ترسموا راهباً أو اثنين يجلبان ماء من مجرى الماء بالوادى ، أو من مساقط المياه القريبة ليصعدا به على الجبل . ويكفى ما يشير إليه عملهما من وجود الرحمة والتضحية والتجرد ، كما يكفى هذا لفهم دلالة الرسم على ما قصد به .

هكذا الحياة شك ويقين ، ووضوح وغموض ، ويأس وأمل ، وصدق وكذب ، وخداع ووفاء ، وشدة ورخاء ، وحب وكره ، وغير ذلك مما لا حصر له من الأضداد .

مسكين الإنسان يضل بين هذه جميعاً ، يخدعه البصر حيناً وتخادعه الحواس أحياناً . تثيره الموسيقى وتشممه الفلسفة ، فيصير نوراً فى الأنوار أو روحاً فى الأرواح . حياته نهب بين الشدائد والتأملات . الشدائد تصقل نفسه من جهة وتنمى خياله التأملات من جهة أخرى ، فيضيف إلى شخصيته شخصيات متعددة كلما مرت به حادثة أو اختلجت قسماته وتأثرت أعصابه .

ولكن هل إدراكه محدود؟ هذا ما يحيرنى . أما نشاطه فحدود بتحلل هيكله ، ولكن نشاطه الإدراكى هل يزول أيضاً وينتهى إلى الأبد كما ينتهى الجسم ؟!

صورة

أتخيل الآن تحفة من روائع الخيال والفن الصينى ، أهدتها إلى بعثة الإخاء الإسلامية الصينية (نزيلة القاهرة فى شهرى مارس وابريل ١٩٣٩)

هـذه الصورة بها أعشاب مزهرة ، وبها طيور خواضة . وقف ثلاثة منها معاً على العشب المائى ، ولفت نظرى سماتها المختلفة

فواحدة كأنما تجد فى إخفاء وجهها ، وتحاول إغماض عينيها فلا تريد أن يراها أحد أو ترى أحداً ؛ وواحدة تكابد يأساً قاتلاً وهماً مقيماً ؛ والثالثة تطأطئ رأسها وقد وقفت على ساق واحدة فى إعياء وخفض جناح

والناظر إلى ثلاثتها لا بد أن يشفق عليها، ويعجب من أمرها. وفى أعلى الصورة طائران يحلقان معاً فى ضوء البدر الخلاب وقد قاربا أزهار العشب وهما يهبطان بالتدرج ، ويطمئن الناظر إليهما لما تضفيان عليه من سمات الانشراح والاطمئنان والسعادة

فى الصورة شىء آخر أحاول تذكره فلا تسعفنى الذاكرة ،

(*) الفنان كما أفهمه لا كما ينص عليه قاموس اللغة .

وقد صممت ألا أرى الإطار حتى أذكر ذلك الشيء ، الذى أذكر موضعه فى الجهة اليسرى من أعلى الصورة ، ولكنى لا أذكر إذا كان جبلاً أو إنساناً أو حيواناً أو غير ذلك ... غريب هذا ! إن جميع ألوان الصورة حاضرة فى مخيلتى بجميع دقائقها من ظل وألوان وحجم وتناسق وكل شىء إلا ذلك الشىء المنسى فى أعلى الصورة من الجهة اليسرى ... ترى ما هو وما دلالته ، ولماذا أهملته باصرتى وذاكرتى ، ولا يمكن أن أتصوره فقد انمحى أثره من مخيلتى تماماً ؟!

إن زهر المشب السامق بألوانه المشوبة بالحمرة والصفرة، والمتناثرة زهوره ينطوى فيها كل معانى فصل الخريف ، الذى يهيج فى كل قلب ما يكمن ، ويثير فى كل نفس مشجاة شجنها

والطير الممثل فى الصورة هو نوع من البط غير الأليف الطيار ، يتصف بشدة الوفاء ، فإذا مات إلف وترك أليفه ، فإنما قد ورثه الحزن والوحدة ، فيموت كمداً وحزناً على إلفه الراحل ، فيقاطع الطعام والشراب ، ولا يطير إلا منفرداً ، ولا يمكن أبداً أن يتخذ إلفاً غير إلفه فى الفترة التى يعيشها بعده طالت أو قصرت

وهذا الطير من الطيور المهاجرة (القواطع) فيعرف فصول السنة ويميزها ، ولذلك ينتقل من الشمال إلى الجنوب فى الشتاء ، ولما عرف عن هذا البط الطيار من شدة الوفاء ، يهدى للعروسين فى بلاد الصين يوم عقد القران لهما دليلاً على الوفاء

أخيراً أذهب إلى الصورة لأرى الشيء المنسى ، ... إنه بيت من الشعر ، مكتوب فى سطرين باللغة الصينية معناه : « وراء هذه الزهرة تكمن معانى الخريف »

هل كان يصح منى أن أنسى هذا البيت من الشعر وهو الذى يفسر معنى الصورة ؟! لقد مررت وأنا أكتب هذا المقال بمواضع فيها من تداعى المعانى ما يذكرنى بالشيء المنسى ولم أذكره ، وكان لا بد لى من الذهاب إلى الإطار لأراه

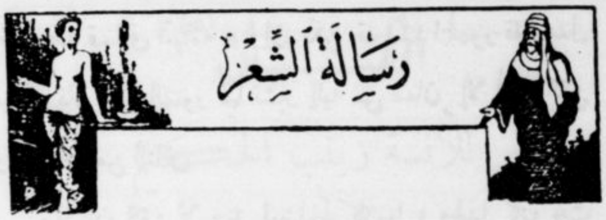
عجباً ! كأن المصور أبهم بيان صورته عما أراده منها ، أو أبهم الجمهور فى فهم بيانه وما تشير إليه صورته ؛ إن يكن قد أبهم نفسه فقد قسا فى أبهامه ، وإن يكن قد أبهم الجمهور فقد عدل فيه ، فلا يفهم الصور فيما تشير إليه من معان إلا أهل الفن والخواص من الناس

وإنسان الفن لا يريد إيضاحاً كلاميا ، ولهذا كان بيت الشعر بالنسبة للذاكرة شيئاً قليل الأهمية

وكيف يمكن أن أذكر هذا وأنسى براعة الفنان المدهشة فى الإلماع إلى كون معانى الخريف وراء أزهاره الشاحبة فى ضوء القمر الكامل الاستدارة ! لقد أخفت أزهار المشب الملوحة بالحمرة والصفرة جزءاً يسيراً غائراً من طرف القمر ، فكان قلباً دامياً - نعم يقطر دماً

فيا أيها الفنانون المدعون ، هل تسيرون وفق طبائعكم أو تخالفونها - فلا تبصرون ولا تفقهون ، ولا تؤدون رسالاتكم المتوقف أداؤها على البصيرة ؟ ؟ !

زينب الحكيم



موكب الوداع

[بمناسبة مرور العام الأول على وفاة فقيد الأدب والشباب الشاعر « الهمشرى »]

للأستاذ على محمود طه

هذا الرحيقُ فأين كأسُ الشاعر ؟ ... قد أوحش الأحبابَ ليلُ السامر !
لِمَ يا حياةُ وقد أحلَّك قلبَه ... لم تؤثريه هوى المحبِّ الشاكر ؟
أخليتِ منه يديكِ حين حُلاهما ... من ذلك الأدب الرفيع الباهر
لو عاش زادكِ من غرائب فنِّه ... ما لا يُشبِّهُ حسنُه بنظائر
وظفرتِ من تمثيلهِ وغنائه ... بأدقِّ مثالٍ وأرخم طائر
أملٌ محا المقدارُ طيفَ خياله ... وتخطفته يدُ الزمان الجائر
وأصار فرحتَنا بمُقبِلِ يومه ... مأساةَ ميْتٍ فى الشباب الباكر
متوسِّداً شوكَ الطريق ، مُلثَّما ... بجراحه ، مثل الشهيد الطاهر
رُدُّوا المراثىَ يا رفاقَ شبابهِ ... لن تُطفئوا بالدمع لوعةَ ذاكر
هذا فتًى نظم الشبابَ وصاغه ... وحياً تحدَّر من أرقِّ مشاعر
جعل الثلاثين القِصارَ مدًى له ... والخلدَ غايةَ عمره المتقاصر !
غنُّوهُ بالشعر الذى صدحتْ به ... أشواقه لحنَ الحبيب الزائر
غنُّوهُ بالشعر الذى خفقت به ... أنفاسه لحنَ الحبيب الهاجر
تلك القوافى الشارداتُ حشاشةٌ ... ذابتْ على وَتَر المغنِّى الساحر
فتسمَّعوا أصداءها فى موكبٍ ... للموت محتشدِ الفواجع زاخر
مشتْ الطبيعةُ فيه بين جداولٍ ... خرسٍ ، وأدواحٍ هناك حواسر
ولو استطاعت نضدَّتْ أوراقَها ... كفناً له ، والنعشَ غضٌّ أزاهر
ودَعتْ سواجع طيرها فتألفتْ ... أمماً تخفُّ إلى وداع الشاعر !

يا ابن الخيال تساءلت عنك الذُّرى ... والشهبُ بين خوافقٍ وزواهر
وشواطئٌ محجوبةٌ شارفتَها ... فوق العواصف والخضمِّ الهادر
أيُرَى جناحُك فى السماء كعهده ... متوشِّحاً فلَقَ الصباحِ السافر !
أيُرى شراعُك فى الساء كعهده ... متقلداً حلَقَ السحاب الماطر ؟
هدأ الصراعُ وكفَّ عن غمراتهِ ... من عاش فى الدنيا بروح مغامر
وطوى البلى إلا قصيدةَ شاعر ... أبقى من المثل الشرود السائر
شعرٌ تمثَّلَ كلُّ حسٍّ مرهفٍ ... لا رصفَ ألفاظٍ ورصُّ خواطر
ودُمًى مفضَّحةَ الطلاء كأنها ... خُشبُ المسارحِ مُوِّهتْ بستائر
تتمثل التــاريخ فى أزيائهِ ... بين المصفِّقِ وابتسام الساخر
من صنع نظَّامين جهدُ خيالهم ... مسحُ الزجاج من الغبار الثائر
متخلفين عن الزمان كأنهم ... أشباحُ كهفٍ أو ظلال مساحر
يا قوم إنَّ الشعر روحانيةٌ ... وذكاء قلبٍ فى توقُّدِ خاطر
نظر الضريرُ به فأدرك فوق ما ... لمستْ يدُ الآسى وعينُ الناظر
متعرفاً صور الخلائق ، سابراً ... أعماقَ أرواحٍ وغورَ سرائر
هذى عروس الزنج ليلتُه التى ... أدمتْ بكفٍّ حُلِّيتْ بأساور
والنجمُ أشواقٌ ، فمهجة عاشق ... وذراع معتنق ، ووجنة عاصر !
الشعرُ موسيقى الحياة موقَّعاً ... متدفعاً من كلِّ عرقٍ فائر
عشاق « بابل » لو سُقوا بنشيده ... لم يذكروها بالرحيق الساكر
وتنصتتْ أقــداحُهم لمغرِّدٍ ... مَرِحٍ يصفق بالبيان الساحر
أو كان كلَّمَ زنجها بلسانهِ ... والقوم شتَّى ألسنٍ وحناجر
لم نشكُ من عوَجِ اللسان ووحَّدت ... لهجات هــذا العالم المتنافر !

على محمود طه

* * *

الأدب في أسبوع

العيد

أيتها الأيام السعيدة الهاربة من عمل الدنيا ببراءتها من الشقاء ،
أيتها الأيام الصغيرة المتلألئة في ظلام الزمن بأفراح السعادة ،
أيتها الأيام الذاهلة عن معاني الآلام !

أنت هكذا أبداً ، وهكذا أبداً تعودين ...

ولكن هل تستطيعين أن تمنحي الناس جميعاً بعض سعادتك وأفراحك ولذاتك البريئة ؟

هل تستطيعين أن تمنحي العقول المتغضّنة من الهم والكِبَر أفكاراً غضّة ناعمة كأحلام العذارى ؟

الحرب

كانت أيام العيد هدنة سكنت فيها الأخبار المحاربة بمعانيها في أذهان الناس وعواطفهم ؛ وانقطعت الصحف الأخبارية أياماً عن الظهور ، فانقطع أكثر الحديث عن الحرب المخيفة بأوهامها قبل حقائقها ، وهدأ الناس

أذكرتني هذه الأيام المسالمة بتأثير الحرب في الأدب ، وحملت إليّ صوراً كثيرة مما قرأت في الصحف والمجلات الأدبية ، ولا أدري ، فيخيّل إليّ أن المجلات الأدبية منذ بدأت الحربُ إلى اليوم قد أفرغت كثيراً من صفحاتها للحرب ، وشرحت صدرها لكثير مما يتعلق بها ، ومع ذلك لا أكاد أجد إلا القليل من هذه الأحاديث يصلح أن يكون من أغراض المجلات الأدبية ، وإنما هو بأغراض الصحف اليومية الأخبارية أليق وألصق . ومن الوهم المتفشي أن يدّعي مدع أن أثر الحرب لا بد أن يكون كذلك ، وأن مثل هذه الأحاديث هي سمة الحرب على أدب الأدباء ، فإن أثرها في فكر العامة لا يكاد يخرج عن مثل ذلك . أما أثرها على الأدباء فهو أشد تغلغلاً في طوايا النفس ، وأشد هزاً لعواطف الإنسانية . فإذا أقررنا أن الحرب إنما تتدافع في صدور الأدباء والشعراء ورجال الفن لتكون كالتيار الذي يتدافع بالبحر فينشئ له الأمواج المتصارعة المتدفقة مخافة أن يركد فيأسن ، لم نجد بُدًّا من اعتبارها كالمد للمعاني الخائفة التي تنزوي في كهوف النفس الإنسانية السامية الطامحة ، يجرّؤها وتذمرها وتؤلبها من هنا وهنا لتتعارف وتتساند وتندفع إلى غمارها مجدة إلى المثل الأعلى الذي هو أحلام النفوس الرفيعة الدائبة أبداً إلى الأغراض النبيلة

فإذا كان ذلك كذلك ، فأثر الحربِ إنما هو تنبيهٌ للمعاني والأغراض التي تحيك في صدور الأدباء والشعراء ، وتطريق للمسالك الغامضة التي يراد منهم أن يمهدوها ويكونوا أدلاء للناس في مجاهلها ومنكراتها . إن الصحف اليومية الأخبارية عليها أن تمد الناس بأخبار الحرب وصفاتها وصفات بلادها المتحاربة ، وعواقبها الدانية أو البعيدة لأحداثها ، ولكن مهمة الأدباء الذين يمارسون تحرير المجلات الأدبية أن يتعقبوا معانيَ أسمى من هذه المعاني المبتذلة التي توضَعُ عن أفكار الناس حين تضع الحرب أوزارها ؛ عليهم أن يسبقوا أحداث الحرب بتمهيد جديد إلى حياة أخرى تبرأ من الغرائز الدنيئة التي دفعت العالم إلى هذا الشر البغيض الذي لا غرض له إلا استبداد السلطان ، واستعباد الناس بعضهم لبعض . وإذن فهم ـ لا بد ـ يبحثون عن العلل والأمراض التي داخلت المدنية الحديثة ، فجعلت قوة الافتراس فيها هي الأصل الذي بنيت عليه عقائدها وأعمالها ، غير متحيزين إلى فئة بعينها . فإن الأسلحة المشرَعة الآن في جميع الصفوف لن تعرف بعدُ معنًى إلا معنى الحرب وحدها بوحشيتها وجوعها وقرمها ... لن تعرف إلا الدمَ وشهوة الدم ، وتنقرض العواطف الرقيقة التي تملأ النفس ورعاً وتقوى وحناناً . وإذا استبان لهم مكنون هذه العلل استطاعوا أن يمهدوا السبيل للحياة الجديدة المبرأة من أسبابها الباغية ، فتمونا شرها ثم شر الآثار والعواقب التي تأبى شياطين الحرب إلا أن تريها للباقين والناجين من أحلامها

هذا هو عمل الأدباء والشعراء على الاختصار والإجمال . أما أن يتوهم متوهم أن أثر الحرب إنما يكون إذ يلوك أخبارها وأحداثها ويمضغها في لفظه وعبارته مضغ الكلأ ، فذلك شيء لا يقع عليه إلا عقل العامة الذين لا ينفذون في المعاني إلا على

الوهن والضعف والفساد . إن أفكار الأدباء التى تسمو بألفاظها ومعانيها سمو الروح بين خوافق السماء ، وإن أحلام الشعراء التى تختالُ فى زينتها رقيقة ناعمة أو ثائرة مُتفجرة — هى أحبُّ إلى نفوس الناس فى زمن الحرب ، لأنها تنفيس عنهم من كرب الحروب ، وإخراج لهم من حمأة الدم الذى ينشر رائحته مع كل نَفَس ، ثم هى التمهيد الصحيح لتهذيب النفس الإنسانية وتربيتها والتسامى بها عن المنى الحيوانى الضارى الذى تنشّئه الحروب فى مهد من الأشلاء والدم

العقل المصرى !!

كتب الأستاذ (محمود النجورى) كلمة فى السياسة الأسبوعية (١٥٥) يريد أن يكشف بها عن (طبيعة العقل المصرى ، ومدى تأثرها بالانقلابات) الاجتماعية أو السياسية أو الدينية . وساق حديثه فيها إلى وزارة الشؤون الاجتماعية . ونحن نتجاوز عن بعض الخطأ الذى وقع الأستاذ فيه عصبيّة للعقل المصرى كما يسمّيه ، كدعواه أن إنشاء الأزهر كان نتيجة للأسباب الفكرية والاجتماعية والروحية — التى نشأت فى مصر فيما يرى — فأريدَ إقامة الدعوة الفكرية المتميزة عن صواحباتها فى سائر العالم الإسلامى بإنشاء هذا المعهد العلمى العظيم . ولا شك فى أن هذا تأويل غير جيد لحقائق التاريخ ، فإن الفاطميين هم أنشأوا هذا المسجد الجامع لأول فتحهم لمصر ، ولم يكن للعقل المصرى إذ ذاك كبير شأن ولا صغيره فى دفع الفاتحين إلى إقامة هذه العمارة فى مصر ، وإنشاء الأزهر كان لغرض فى نفس الفاطميين أصابوه أو أخطأوه ... فليس ذلك من شأننا هنا

وأيضاً فأنا إلى اليوم لا أكاد أعرف شيئاً يمكن أن يسمى « العقل المصرى » أو « العقل الإنجليزى » أو « العقل الفرنسى » وهلم جراً ، حتى يوضع فى كفة وحده أعدت له فى موازين العقول ، وليس قيام المدنيات بأجزائها على « العقل » حتى يمكن أن يقال إن العقل المصرى هو استطاع أن يبقى خالداً والمدنيات من حوله تفنى وتبيد . حقاً إن مصر — وغير مصر من الأمم التى كانت منزلاً لمدنيات كثيرة متباينة — قد احتفظت مع هذه المدنيات بأشياء امتازت بها ، ولكن هذه الأشياء المميزة لم يكن مردُّ أكثرها إلى العقل بل كان مردها إلى الطبائع التى أنشأتها إرادة الإقليم المسيطرة على الطبائع الإنسانية ، وإلى العادات المتوارثة التى لم تقاومها هذه المدنيات مقاومة الحرب والإبادة ، فلذلك بقيت هذه المميزات قائمة سائرة متعارفة ، فيخيل لبعض من لم يَغُرْ إلى أعماق هذه المخلفات أنها ظواهر عقلية مع أن الحق غير ذلك

ونحن نجد الجنس من الناس ينزل أرضاً غير أرض ، فما يمضى الجيل أو الجيلان حتى تفنى المميزات الجنسية فى نسلهم من أبنائهم وأحفادهم ، ويبدأ الوطن الجديد بطبيعته المستبدة فى تحويل هذا النسل إلى طبائعه التى تلائم تربته وسماءه وجوه وحاجات سكانه ، فكذلك المدنيات إذا نزلت أرضاً خضعت لما يخضع له الإنسان الحى المتحدر من أصلاب قوم غير سكانه الأوائل ، وجعلت تتميز بضرورات الإقليم الطبيعية

ولماذا يريد كثير من الكُتّاب أن يجعلوا عقول أممهم بدْعاً فى العقل الإنسانى ؟ لا أدرى ؛ وما يكاد يدرى أحد من هؤلاء ما هو العقل ، وكيف يتميّز فى الإنسان ، أو كيف يتبيّن فى الأفكار أو المدنيات مكان العقل من مكان غيره من الغرائز والطبائع والدوافع وما إلى ذلك من الأشياء التى تشترك فى نتاج الفرد ثم فى إنشاء المدنيات الاجتماعية ؟ ولو استطاعوا لأبانوا لنا — على كثرة ما يقولون — عن موضع واحد يقولون فيه هذا « صنع العقل » الفلانىّ . إن العقل المصرى كغيره من العقول يقبل كل شىء ، ولكن طبائع الإقليم تريد أشياء وتنفى أشياء لأنها لا تستطيع البقاء فى سلطانها . إن جوهر الأشياء كلها لا يتغير فى العقل بعد العقل ، ولكن الأعراض هى التى يصيبها التبدُّل والتغيير لأنه من طبيعتها أولاً ، ولأن العقل لا يعمل فيها عملاً إلا التدبير والتصريف وحسب

***

وقد عرضَ الأستاذ (النجورى) فى مقاله هذا إلى عهد الاحتلال وما صنعت سياسته فى أخلاق مصر وتعليمها ، وكيف حطم بجوره وعدوانه كل الصلات القوية التى يعتمد عليها ترابط الكيان الاجتماعى ؛ فتمزقت الجهود المصرية فى الإصلاح ،

واستبدَّت الشهوات الجارفة بأخلاق الطبقات كلها ، ففشل الاجتماع المصرى فى إرادته ، وقام على أساس فاسد من الأخلاق حتى صار أكثر ما نرمى إليه غرضاً فردياً لا قيمة له فى البناء الاجتماعى ، ومن هنا استبد المستبد وصارت السيطرة الفردية فى كل أعمالنا هى المبدأ ، فلم يقم بيننا التعاون على أساس صحيح ، وكذلك تنازعت الشهوات أعمالنا فصار الآخر بأنانيته يريد هدم عمل الأول لينفرد بأحدوثته وصيته ، كالذى رأيناه فى الحكومات الكثيرة التى تعاقبت على الدولة المصرية فشرعت ووعدت وبدأت وسارت ؛ ثم جاءت أختها من بعدها لتقف كل ذلك وتبدأ من جديد بلجانها وتقريراتها واقتراحاتها ، تريد أن تخالف وأن تنشئ وأن توجد ؛ ثم هكذا دواليك حتى غدت وعود الحكومات عند المصريين خاصة والشرقيين عامة إلى مثل التى يقول فيها كثيِّر عزَّة :

تمتع بها ما ساعفتك ، ولا تكن   عليك شجى فى الصدر حين تبينُ
وإن هى أعطتك الليان ، فإنها   لآخرَ من خُلانها ستلين
وإن حلفت لا ينقض النأى عهدها   فليس لمخضوب البنان يمين

فهذه أمراض وأوبئة لا تزال تنتشر ، ولا بد من مكافحتها مكافحة صارمة بغير هوادة . فهل فى الذين يصير إليهم السلطان الوازع العامل من يستطيع أن يتجرد لمكافحة هذه الأوبئة ، ولو كان فى كفاحها كفاح لنفسه وشهواته وأغراضه ؟ هل تجد مصر أخيراً طبيبها المغامر ؟ ليتها تجد ...

المنطلق

قرأت فى العدد ٣٤١ من « الرسالة » أغنية — أو هكذا سماها صديقنا — بعنوان « الناى » . قال الأستاذ بشر فارس : وهى على بحرين مختلفين رغبة فى تنويع مجرى النغم ، والبحر الأول وضعه الشاعر ، وأجزاؤه : « فاعلاتن مفاعلاتن » مرتين وليكن اسمه « المنطلق » انتهى .

وصديقنا بشر شخصية جوالة فى معانى الدعة والرقة واللطف والظَّرف والابتسام والمرَح ، وسائر هذه الكلمات الراقصة بألفاظها قبل معانيها . وهو كالبحر الذى زعم أنه اخترعه وسماه « المنطلق » ... فهو منطلق فى كل أشياء الحياة بأحلام كأحلام الليل جميلة هادئة ساكنة ... ولكن إذا فجأها النهار تطاردت له هاربة وقد تركت آثارها أخاديدَ نديَّة كذكريات الحبيب الهاجر فى قلب العاشق ...

وهذا البحر « المنطلق » كما يسميه ، قد أرسله على مثل هذه الأبيات :

« جنِّبوا الناى عن أذنى   أذُنى زلزلتْ طربا
مثلَ قلب تُحدِّثُه   مرَّة السرْدُ فاضطربا »

وقد زعم « بشرٌ » أنه وضعه ، ونحن نُسلِّم لبشر ما يقول ، ولكن أصحاب العروض هم أبداً كبحورهم لا يهدأون ، فقد زعموا أن الأخفش قد تدارك على الخليل بحراً سموه « الشقيق » يزعمونه أخا « المتقارب » ، وسموه المحدث والمخترع والخبب إلى غير ذلك وعُرف عندنا باسم « المتدارك » — أى الذى تداركه الأخفش على الخليل بن أحمد — وأصل تفاعيله عندهم : « فاعلن ، فاعلن ، فاعلن ، فاعلن » مكررة ، وله عروضان تامة ومجزوءة ، فالعروض المجزوءة هى : « فاعلن ، فاعلن ، فاعلن » مكررة .

وهذه العروض المجزوءة من بحر المتدارك ، هى زِنَة شعر بشر قد دخلها من رِقَّته ما جعلها تتأوَّد عند قوافيها لتستريح ؛ فالبحر ليس إذن « منطلقاً » ، ولكنه « خليع المتدارك » .

وسائر أبيات القصيدة فى قوله مثلاً :

« أوتار الخاطر تنغمزها   أنَّاتُ الناى فترتجف »

هى أيضاً من عروض المتدارك التامة دخلها التشعيث والخبن كقول ابن حمديس

« صادتْكَ مهاةٌ لم تُصَدِ   فلواحظُها شركُ الأسَدِ
من توحى السِّحر بناظرة   لا تنفثُ منه فى العُقد »

هذا فى مخترع « بشر » ولكن ما بال هذا الصديق يريد أن يزلزل أذنه ، ونحن لم نفرغ بعد من حديث الزلازل التى هدمت ما هدمت فى الأناضول . لماذا أيها الصديق ؟ ولماذا تريدنا أن نشعر أن أذنك وحدها — دون سائرك — هى التى تطرب ، ولا يكون طربها إلا زلزلة

كُفى ... كُفى ، فإنى إذا نقدت « بشراً » فلن أجد الراحة بعد ؛ وإن كنت أظن أنى لم أفهم الشعر كله جيداً ... فلعله شعر جديد ، والجديد على من بدأ الشيب يغزوه يليه ويخيفه فينتشر عليه فهمه فلا يفهم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ...

محمود محمد شاكر



دراسات في الفن

فكرة ...

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

— أين قضيت عيدك ؟ وماذا نعمت به من الفن فيه ؟

— قضيت العيد فى البيت والشارع كما أقضى كل يوم ، ولم أنعم فيه من الفن المعروض إلا بسهرة فى سينما أوليمبيا الوطنى الكبير شاهدت فيها فلم العزيمة .

— دائماً متأخر !

— إنى على سجيتى ولكنكم تتعجلون !

— وماذا رأيت فى العزيمة ؟

— كمال سليم

— إنه لم يظهر فى الفلم ، أنا شاهدت الفلم فى سينما استوديو مصر قبل أن يعرض فى أوليمبيا بشهور .

— ولم يظهر كمال سليم فى الفلم إذ ذاك ؟

— لم يظهر إلا اسمه، ظهر بعد ما عرضت أسماء الممثلين منسوباً إليه تأليف الرواية وإخراجها .

— وكيف إذن لم تريه ؟

— لأنه لم يمثل دوراً !

— آه ... إذن ، فأنت لا ترين إلا بعينيك ؟ وإذن فأنت تربحين كثيراً إذا اشتغلت مخرجة سينما فى مصر ...

— ما هذه اللغة ؟ تثير مسألة لتروغ من مسألة ؟

— لست أنا من يلف ، وإنما أنت الثابتة المثبتة لا ينتقل تفكيرك ولا يتحرك إلا إذا اعتمد قاعدة لتسير هى به ... فاركبي ما أقول يجرك إلى ما أريد ... إنه ما دام قد ألف رجل قصة وأخرجها هو نفسه ، فهو صاحب كل ما فيها وإن لم يعرض صورة بدنه للناس قانعاً بصورة نفسه التى يعرضها

— آه !

— حمداً لله على السلامة

— وفيم كان قولك إنى أصلح مخرجة ؟

— هذه كنت أقصد بها — ولا مؤاخذة — السخرية بكثير من المخرجين فى مصر . أولئك الذين يحسبون الإخراج للسينما ليس إلا عرض لوحات من الصور المتتابعة ... والذى ذكرنى بهؤلاء هو قولك إنك لم ترى صاحب العزيمة مع أنك شاهدت الفيلم ، وهذا وجه شبه بينك وبين هؤلاء المخرجين الذين يعيشون فى الدنيا على أنهم مخرجون وفنانون فلا يقفون بجمهورهم وشعبهم إلا عند كل لوحة ولوح ...

— وكمال سليم من هؤلاء ؟

— ألم تقولى إنك شاهدت العزيمة ؟ ثم أليس لك عقل تستطيعين به بعد مشاهدة فيلم أن تحكمى على مخرجه أهو من أهل اللوحات والألواح أم هو من أهل الحياة ؟ فإذا كان عقلك لا يقوى على استخلاص الحكم وحده ، أفلا تستطيعين أن ترى مدى اهتمام الصحف والناس بهذا العمل الفنى لتحكمى بهذا وحده على قدر ما فيه من الدسم ؟

— حاسب، حاسب ... هذه بعثرة لا أطيق التمزق معها ... قل لى : ما رأيك فى فيلم العزيمة ، أو إذا شئت فى كمال سليم ؟

— أول كل شىء أنه ليس من أصحاب اللوحات والحمد لله . فهو مخرج له عقل وراء عينيه . ولهذا فالذى ينتظر منه دائماً خير . ولكنى لست أدرى إذا كان سيوفق إلى خير بعد « العزيمة » أو أنه سيظل بعدها وقتاً طويلاً إلى أن يواتيه الخير ؟ ...

— ولم هذا التشاؤم ؟

— لأنه حشد فى هذا الفيلم « محصولاً » كان عسيراً علىّ أن أتصوره قد أتيح لشاب فى سنه ... فإذا كان قد أتيح له كل هذا فإنى أظن أنه كل ما يملك ...

— ناس كثيرون قالوا هذا ، وأنا قلته أيضاً ..

— إه ! أنت أيضاً قلته ؟ ! . لا بد إذن أن يكون الحق غير ذلك ؟

— أعوذ بالله منك مشاكساً ... رأيت رأياً ، وكنت تراه ، ألأنى رأيته تنقض عليه ؟

— التجارب علمتني أنك لا ترين الحق ... فكلما رأيتني اتفقت معك على رأى أدركت أن عقلي نائم ... إسمعي ، لا شك في أن صور الحياة وحوادثها هي موارد المؤلف والمخرج ، ولكن الذى لا شك فيه أن كل صورة مفتاح إلى صور ، كل صورة منها مفتاح إلى صور ، وأن كل حادثة مفتاح إلى حوادث ، كل حادثة منها مفتاح إلى حوادث . وهذا شيء لا نهاية له ، ولهذا كان الفنان يستطيع أن يجعل من الحبة قبة كما يقولون

— كلام معقول . فانقضه لأنى اقتنعت به

— قد كنت أنقضه لو كنت سبقت إليه ...

— إذن فانقض ما يأتى : صور الحياة وحوادثها التى يستخلص منها الفنانون فنونهم لها ناحيتان: إحداها وراء الأخرى. أما الأولى فهي الناحية المادية المتجسدة ولا يستطيع إنسان أن ينكر ما فيها من جمال وروعة لا يخلوان من المعاني، والناحية الأخرى هي تلك الناحية الشفافة « النائرة » في أعماق هذه الصور والحوادث ، وهي أيضاً فيها جمال وروعة ومعان . وللناحية الأولى مخرجون يشغفون بها ويهتمون ، وللناحية الثانية مخرجون ، وهناك مخرجون لهم في هذه وفى تلك . وعلى كل صورة وحادثة من صور هاتين الناحيتين وحوادثهما تنطبق القاعدة التى قررتها أنت وهي أن كل صورة مفتاح لصور ، وأن كل حادثة مفتاح لحوادث . فكما أن أصحاب الصور والحوادث المعنوية لا تفرغ من عندهم الصور والحوادث ، كذلك لا تفرغ الصور والحوادث المادية من عند أصحابها لأن آيات الله لا نهاية لها ، ولأن كل آية منها مفتاح لآيات كل منها مفتاح لآيات ... انقض هذا ، أو قل لى لماذا تفضل أصحاب المعاني على غيرهم ؟

— من قال لك إنى أفضل أصحاب المعاني على غيرهم ... هؤلاء وأولئك من غير شك فنانون

— حرت معك ... ألم تسخر من أصحاب اللوحات والألواح ... أنت ؟ !

— يا هذه ! ... إنما كرهت منهم أن يتركوا ميدانهم وأن يعملوا في السينما ، هؤلاء الواحد منهم يصلح لأن يكون مصوراً بالفوتغرافية ، يجمع ما يشاء من صور الناس الذين يحلون في عينيه ، ومن صور المناظر التى تروقه ، ومن صور الحوادث التى يقابلها وتعجبه ... ليعرضها في « فترينة » أو ليطبعها في كتاب؛ أما أن يلصق عدداً من هذه الصور بعضها إلى بعض ويقول للناس تعالوا شاهدوني إنى أخرجت فيلما ، فهو إذن يسخر من الناس ويستحق منهم السخرية ... فالسينما لم تعد كما كانت منذ نصف قرن « صوراً متحركة » يرضى جمهورها « بالزغللة » ، وإنما أصبحت السينما اليوم « سينما » أول ما يطلبه جمهورها فيها شيء « يدلك » أرواحهم ، فإذا لم يطعمهم العاملون في السينما هذا كانوا كأصحاب المقاهى الذين يسقون قصادهم بدلاً من البن فولاً محمصاً مطحوناً مغلياً قهوة لا تمس الأعصاب وإن كان فيها غذاء للمصارين

— لو ضربت لى مثلاً يوضح ما تقول ؟

— لو ضربت مثلاً لغضب الدكتور زكى مبارك ؟

— زكى مبارك ؟ وماله هو والسينما والإخراج وما إلى ذلك ؟

— إنه صديق الناس جميعاً ولا يحب من أحد أن ينقد أحداً ... إن فيه طبع المسالمة

— لم يقلها عنه أحد ، فالناس يعرفونه يناوش الحجر ... أنسيت معركته مع الأستاذ أحمد أمين ؟

— هذا لأن الأستاذ أحمد أمين « ابن كاره » كما يقولون ... وعلى أى حال مالنا نحن وهذا ... ألا تحبين أن نعود إلى ما كنا فيه فنتحدث عن العزيمة ...

— فلنعد ...

— فلنعد ... ما رأيك فيها ؟

— لقد كنت أنت الذي تبدى الرأى فأتم حديثك ...

— لقد قلت ما كنت أريد أن أقوله ... أليس لك أنت ملحوظة ... ؟

— لى ... وهي إن كانت لا تدل على ضعف في الإخراج ، فهي تدل على ضعف في نفس المخرج ...

— يا عظمة ! وما هي ملحوظتك هذه يا مدموازيل فرويد ...

— لقد عنى كمال سليم عناية كبيرة بتقديم أبطال قصته بطلاً بطلاً قبل أن يدخل في صلب الرواية ، وأظنه لم يفعل هذا إلا لأنه خشى لو بدأ الرواية من غير هذا التقديم أن يضطرب النظارة فلا يحددون كل بطل من أبطالها التحديد الصحيح أو التحديد الذى يريده هو على الأقل ... وهذا ولا شك اعتراف منه بأنه

عاجز عن أن يقدم الأبطال فى تلافيف الحوادث تقديماً واحداً

— قد يكون هذا ، وقد يكون أنه لا يحسن الظن كثيراً بالجمهور المصرى ، فهو يكلف نفسه هذا التقديم ، وإن كان يعرف فيما بينه وبين نفسه أنه تقديم لا لزوم له ... أليس لك ملحوظة أخرى ؟

— لى ... وهى أيضاً وإن كانت لا تدل على ضعف فى التأليف ولا فى الإخراج فهى تدل على فراغ فى رجولة كمال سليم ...

— ما شاء الله ... إن عقلك اليوم منساب ... ما ملحوظتك هذه ؟

— ليس فى روايته امرأة

— وماذا كانت فاطمة رشدى ؟ !

— بنتاً . كانت بنتاً حتى بعد أن تزوجها البطل . فقد كانت تنساق بسهولة لما يثيره فيها الناس ولما تثيره فيها الحوادث من النزعات ، وكانت تقف مواقف صريحة قاطعة ، وليس هذا من طبع المرأة وإنما هو فى طبع البنت أقرب ما تكون إلى الطفولة والسذاجة . ليست المرأة التى أخرجها كمال سليم امرأة وإنما هى طفلة ...

— ربما يرجع هذا إلى أن كمال سليم نفسه حينما أحب ... أحب طفلة صغيرة هى التى أخرجها بطلة لهذا الفيلم ... ولعله قد حدث له بعد ذلك ما أبعد بينه وبين المرأة ، وما زاد على ذلك ، حتى حمله على كراهية النساء ، فكانت كل نساء الفلم ما عدا البطلة وأم البطل بغيضات مُنكَرات أخرجهن جميعاً ولهن مآرب ملتوية وأغراض خاطئة خبيثة . فمنهن من تبيع بنتها وتقسو على زوجها ، ومنهن من تسخر فى الكارثة ، ومنهن من تحرض على السخرية فيها ، ومنهن من تفرح لها وتشمت ... وهذه الكراهية للمرأة التى تسميها أنت فراغاً فى الرجولة يعوضها فى هذا المخرج تمكن ظاهر من نفوس الرجال ، واهتمام ظاهر بنفوس الصبيان ، فقد وفق كمال توفيقاً تاماً فى اختيار أبطال قصته من الرجال ، وفى إسناد كل دور للممثل الملائم له القادر عليه حتى إنه لا يستطيع الناقد مهما اشتد ومهما تحامل أن يشير إلى ذات واحدة من ذوات الفيلم ويقول إنها قلقة فى مكانها غير مطمئنة إلى دورها ، وقد أتيح هذا التوفيق لكمال لأنه فيما أعتقد لا يكره رجال الدنيا ولا يحبهم وإنما هو يعيش بين الناس متفرجاً متفحصاً مختبراً متملياً متذوقاً . . . ولا ريب أن هذا هو الذى أفاده فى اختياره لأبطال روايته ...

— والصبيان ؟ ...

— لقد جعل لبطلة الفيلم أخاً ولم يكن فى القصة ما يوجب أن يكون للبطلة أخ . ولكنه لم يستطع أن يحبس ما يجيش فى نفسه من الإلمام بأحوال الصبيان ، فتنفس عن هذا الصبى الذى جعله أخاً للبطلة وعرضه فى صورة من « السهتنة » والخبث المتظاهرين بمظهر البلاهة والبراءة . . . وليس هذا عجباً من فنان ينفر من النساء ، ويحب الفتيات الصغيرات ، ويستغرق فى عشرته للرجال تأملاً ودراسة ... إنها طبيعته وظروف حياته ، ولو كان لى أن أقترح على هذا المخرج موضوعاً لفيلم جديد فإنى أقترح عليه أن يسرع إلى موضوع يجرى حوادثه فى مدرسة للبنين ابتدائية ، أو ثانوية ... ولا يكون فى هذا الفيلم امرأة على وجه الإطلاق ، وإنما يكون فيه ناظر ومعلمون وتلاميذ وفراشون ... ولن يستطيع أحد أن يعترض على هذا النوع فقد سبقتنا أمريكا إليه واستقبلته الجماهير بالارتياح والإعجاب ، وقد برز من ممثليه سبنسر ترامى ، وفريدى بارتولوميو ، وميكى رونى ... كما برز من مؤلفيه مارك توابن ...

— وهل تحسب كمالاً يوافقك ؟ ...

— أنا لا أطلب منه أن يوافقنى اليوم ، ولكنى أبشره بأن هذا النوع هو نوعه ، ولا يبعد أن يقتنع بهذه الفكرة قريباً أو غير قريب فيخطو بالسينما المصرية هذه الخطوة الجديدة ... وإنى أحس أن فى نفسه أن يصنع شيئاً جديداً ...

— ولكن أين يجد المخرج الذى يريد هذا — الممثلين بين الأطفال والصبيان بينما أنت ترى أن فى مصر أزمة ممثلين وممثلات ...

— يا ما فى المدارس ، ويا ما فى الشوارع ، ويا ما فى البيوت ! وإنى واثق من أن كمالاً إذا بحث وجد ... فإن فيه القدرة على أن يجد ...

— صديقك كمال أليس كذلك ؟

— والله إنى لم أره ولم أعرفه . ولكنى رأيته فى فنه عيوبه قليلة ، ومميزاته هى هذه التى ذكرناها وهى كما ترين جديرة بالاهتمام

عزيز أحمد فهمى


فرصة
عظيمة
يوم السبت ٢٧ يناير
شيكوريل



الأسماك العجيبة

للأستاذ أحمد على السيد

الأسماك الطائرة

قد تعجب إن علمت أن هناك بعض الأسماك تطير فى الهواء ، ولكنها الحقيقة، إذ أن بعض الأجناس البحرية تستطيع الطيران فى الجو لمدة محدودة ، ثم تهبط إلى مطارها وهو سطح الماء

ولما أن كان الطيران يقتضى تحوراً فى شكل الجسم ، فإن الزعانف الصدرية فى هذه الأسماك قد اتخذت شكل الأجنحة . ويتراوح طول هذه الأسماك بين بوصات معدودات وبين قدمين وتعيش فى البحار القطبية والمعتدلة



أسماك طائرة يطاردها خنزير البحر

وأشهر الأجناس الطائرة هو المسمى Exocœtus evolans ويعيش فى البحر الأبيض والمحيط الهندى واستراليا والصين ، والزعانف الصدرية طويلة تصل إلى الذيل وهذا مشقوق إلى شقين السفلى منهما أطول من العلوى . وطول هـذه الأسماك يتراوح بين قدم ونصف وقدمين .

أما كيف تستطيع الأسماك الطائرة حفظ توازنها أثناء الطيران فقد قام جدل عنيف بين العلماء حول هذا الأمر فقال بعضهم : إن أجنحتها (وهى الزعانف الصدرية) تكون منبسطة أثناء الطيران كأجنحة الطائرات ، وقال آخرون : إن هذه الأجنحة تكون فى حركة مستمرة كما يحرك الطائر أجنحته إلا أن حركتها سريعة فيصعب على العين تمييزها بوضوح

والنظرية الأخيرة هى المقبولة الآن لدى الأغلبية من رجال العلم، لأننا لو سلمنا جدلاً بأن الأجنحة تكون منبسطة ولا تتحرك فإن مقاومتها للهواء تكون محدودة بحيث لا تفى بإبقاء جسم السمكة فى حالة اتزان فى الهواء . على أن الفريقين المتجادلين يسلمان معاً بأن السرعة العظيمة لحركة هذه الأسماك فى الماء وقوة اندفاعها من العوامل المساعدة على طيرانها فى الفضاء . وأقصى مسافة تقطعها السمكة فى الطيران فى مرحلة واحدة خمسمائة ياردة، كما أنها لا تستطيع أن تطير لأكثر من نصف دقيقة . ثم تهبط إلى مطارها وتغوص فى الماء، على أنها قد تستأنف مرحلة أخرى بعد أن تستجم وتأخذ كفايتها من الأكسجين المذاب فى الماء لتتنفس . والأسماك الطائرة تطير فى اتجاه مستقيم إن لم تقاومها التيارات الهوائية أو ترتطم بأمواج الماء، وترتفع فى طيرانها قدمين أو ثلاث أقدام عن سطح الماء، إلا أنه فى الجو العاصف قد يبلغ ارتفاعها أكثر من ذلك . والسؤال الذى قد يطرأ على ذهن القارئ هو إذا كانت الأسماك قد خلقت لتعيش فى الماء فلماذا يطير بعضها فى جو غير الذى خلقت لتعيش فيه ؟ والجواب على ذلك أن طيرانها هو الهروب من عدو يطاردها، وأعداؤها كثيرون كخنزير البحر والدرفيل وغيرهما . على أنها إذا كانت تطير لتنجو من عدو يطاردها فى الماء فقد لا تسلم أيضاً من عدو يطاردها فى الهواء كالجنقلة gull وسائر الطيور المائية ، والأسماك الطائرة تصلح كغذاء شهى للانسان

الأسماك الحاضنة Nursing - fish

حنان الأمومة ورعاية الصغار غريزة سامية وعاطفة نبيلة، ومن آيات الله أن هذه العاطفة التى تدل على شعور مرهف وإحساس عميق تتجلى أيضاً فى بعض المراتب الدنيا من الكائنات الحية . وإننا وإن كنا نعلم جميعاً أن الأسماك تضع بويضاتها فى الماء ليخصبها الذكر ثم تتركها وشأنها إلا أن بعض الأسماك تتعهد بويضاتها حتى تفقس وإذا ما خرجت منها يرقاتها تعهدتها أيضاً حتى تصبح قادرة على القيام بأمرها بنفسها ثم تتركها بعد أن تطمئن على مقدرتها وعلى أنها قد أصبحت غنية عن مساعدتها لها

ومن الأمثلة الرائعة لذلك أن جنساً من الأسماك المائية العذبة موجوداً فى أمريكا الجنوبية وأفريقية واسمه Perches تحمل الأنثى منه البيض فى فمها ثم يحفر الذكر حفرة فى قاع القناة حيث تضع الأنثى البيض ويتناوب الأبوان حراسته حتى إذا ما فقس وضعت الأم الصغار فى فمها لمدة حتى تصبح هذه قادرة على أن تستقل بنفسها وحين تخرج هذه الصغار من الفم تبقى بجانب أمها مخافة أن يهاجمها عدو فإذا هاجمها فتحت الأم فمها بسرعة ودخلت الصغار

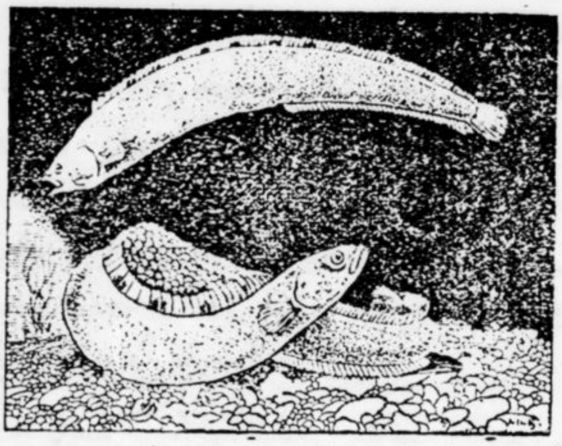
وفى بعض أنواع السمك المسمى Cat - fish الموجود فى مياه البرازيل يقوم الذكر بدور الحضانة فيحفظ البويضات فى فمه حتى تفقس ، وفى خلال هذه الفترة تفقد الأنثى والذكر شهية الأكل ما دامت البويضات فى الفم ، وهناك نوع آخر من هذا السمك يعيش فى غانا له طريقة عجيبة لحماية البيض ، إذ بعد أن تضع الأم البويضات تضغط عليها بالجزء الأسفل من جسمها الذى يصبح فى هذه المدة ناعماً أسفنجياً فتلتصق به البويضات وتحملها الأم حتى تفقس



حصان البحر وصغاره تخرج من جيبه

وفى حصان البحر Sea - horse يحمل الذكر جيباً يشبه الذى يحمله الكنغر ، وفى هـذا الجيب تضع الأم البويضات ثم تقفل فتحة الجيب بإفراز لزج فتصبح البويضات فى أمان حتى تفقس

وفى أحد الأجناس القاطنة بالمحيط الهندى تلتصق الزعنفتان الصدريتان وهما كبيرتان متقاربتان بالجزء الأمامى من جسم السمكة بحيث يتكون ما يشبه الكأس ، وهـذا الالتصاق لا يحدث إلا مدة إفراز البويضات فقط ، وفى هذه الكأس تُحمل البويضات وتثبت فى مكانها بسائل لزج من قنوات فى خيوط تتكون داخل الكأس وتبقى البويضات حتى تفقس



التف جسم السمكة حول البويضات لحمايتها

وفى سمكة Butter - fish تتكون كتلة البويضات ويلتف جسم الأنثى والذكر حول هذه الكتلة بالتبادل لحمايتها

وفى أسماك Lump - sucher يثقب الأب البويضات برأسه ثم يدفع تياراً مائياً بواسطة حركات نفسه إلى هذه الثقوب فيدخل الماء فى البويضات وبذلك يمدها بالأكسجين الكافى ، وفى هذه الفترة يكون الأب عصبياً جداً ويهتز جسمه باستمرار

وفى الأسماك الماصة Sucher - fish يوجد قرص على السطح السفلى للجسم تستطيع السمكة به أن تلتصق بالصخور؛ وفى هذه الأسماك تضع الأنثى بويضاتها فى محار فارغ ويتولى الذكر الحراسة بأن يلتصق جسمه بهذا المحار حتى يفقس البيض

وفى نهر الأمازون وروافده جنس من السمك الصغير تضع الأنثى بيضها على حافة النهر بحيث يكون قريباً ما أمكن من الماء؛ ولكيلا يجف البيض فإن الذكر والأنثى يتبادلان دفع الماء دفعاً قوياً نحو البيض بواسطة حركات ذيلهما ويتعهدان البيض على هذه الوتيرة حتى يفقس

أحمد على السيد



قلب أم ...

للأستاذ محمد سعيد العريان

صباحٌ ومساء، ويقظةٌ ونوم، وأمنيةٌ بالنهار تتراءى حلماً بالليل، وعجلةُ الزمن تدور فتطوى العمر وتختزل الحياة ... هذه هى الدنيا ... !

يا ويلتا! ... وفى الناس من يعيش دنياه كما يدور الثور فى الطاحون: يدور ويدور ولا يزال يدور؛ لا يدرى أين ينتهى؛ ويمضى على وجهه فى طريق طويل لا يقف عند حد ولا ينتهى إلى غاية، وحوله أربعة جدران!

وهل الحياة إلا يومٌ مكرر؟

ما أمس؟ وما اليوم؟ وما غد؟ ... إن هى إلا رسومٌ متشابهة تتعاقب على مرآةٍ مثبتة فى جدار قائم. الصورة واحدة ولكنها تلوح وتختفى، وتزعم المرآة أنها ثلاثة شخوص أطافت بذاك المكان!

ولولا خداع النفس وأباطيل المنى ما طابت الحياة!

* * *

... واستيقظت «الأم» ذات صباح كما تستيقظ كل صباح؛ فأبدلت ثوباً بثوب وجثَت فى محرابها تصلى لله وتدعو ...

كانت تعيش وحدها فى هذه الدار المتداعية منذ سنوات! لقد فارقها (الرجلُ) فراق الأبد، وحمله الرجالُ على الأعناق إلى مثواه؛ ولكن ذكراه بقيت معها فى ولديه ...

... وبكرت إليه فى الغداة تنثر الزهر على قبره وفى نفسها لهفة وفى عينيها دموع؛ ثم تحوّلت عنه إلى ولديه لتجفف فى صدرها دموعها!

وآلت منذ اليوم أن تكون لهذا الطفل وأخته أمًّا وأبا ... وبَرّت بما وعدت!

كان ذلك منذ أربع عشرة سنة!

* * *

أما الفتاة فقد شبّت واكتملت ونضجت ثمرتُها فانتقلت من دار إلى دار ... وباحت بمكنونها إلى زوجها الشاب واستمعت إلى نجواه ... وعرفت دنيا جديدة! ...

أتراها تذكر اليوم أمها؟ ... ألا إن أمها لقانعةٌ راضية بما بلغت من أمانيها ... لقد تحققت لها أمنية من أمنيتين ...

وأما الفتى فقد قطع فى سبيله مرحلتين وانتهى إلى الجامعة؛ فما أهون ما بقى! ... إنه بعيد عن أمه منذ سنوات ثلاث، يجاهد جهاده ليبلغ مأمله، ولم يبق إلا خطوة واحدة! ...

وأما الأم فإنها فى وحدتها من تلك الدار، ما تزال تصلّى لله وتدعو ليحقق لها ما بقى!

يا لله! أهذه هى؟ لَشدّ ما غيّرتها الأيام! ...

* * *

... كان لها جاه ومال، وكان لها شباب وفتنة؛ وكانت حياتها أغنية ضاحكة، كلها مرَح ونشوة ودلال... يا للمسكينة! أين هى اليوم مما كانت منذ أربع عشرة سنة؟

أتُرى مرآتها تحدّثها بما كان وبما صار، كعهدها يوم كانت ...؟ أين تلك المرآة؟ ... لقد علاها غبارُ السنين فما لها عينٌ تنظر ولا لسانٌ يصف!

هاتان عينان قد انطفأ بريقهما فما لهما همْسٌ ولا نجوى!

وهاتان وجنتان ذابلتان ليس لهما أرَجٌ ولا شذى!

وهاتان شفتان قد أطبقتا على ابتسامة حزينة ليس لها صوت ولا صدَى!

وهذا الشعر – ما كان أجله يوم كان! – قد خطّت عليه الليالى سطوراً بيضاء فى صحيفة مسودّة؛ إن فيها تاريخَ جهادٍ نبيل، أربعة عشر عاماً بلا وَنى ولا كلال!

... لقد بذلت لولديها أغلَى ما كانت تملك: بذلت المالَ والشباب، وبرِئت من شهوات النفس وأوهام المنى؛ ونسيت كل شىء مما كانت تطمح إليه، إلا شيئاً واحداً، عاشت ما عاشت له، وبذلت ما بذلت من أجله، وخاطرت بما خاطرت فى سبيله ...: ولَديها العزيزين! ... أما إحداهما فقد بلغت، وأما الثانى ...

إنها لقريرةُ العين على ما جاهدتْ وبذلتْ ؛ لأنها من الغاية التي تهدف إليها على خطوات !

* * *

... وفرغت الأم من صلاتها ودعائها ؛ فنهضت متثاقلة إلى صِوانها ، ففتحته ، فأخرجت منه كِسرة جافة ، فبلَّتها تحت الحنفية وأخذت تلوكها بين فكيها ؛ ثم صعدت إلى سطح الدار تتشمس ! ...

وأمسكتْ عوداً من الحطب تَهش به على دجاجها وهى تنثر له الحب وفتات الخبز الناشف . إن لها فى هذا المكان لَسلوة وأنساً ، وإنها لتجد من هذه الطيور أُسرة تأنس إليها وتتسلى بمرآها ؛ بضع دجاجات وديك ؛ هذا كل ما بقى لها من أُنس العشير !

وانحنت على خُمّ الدجاج فأخذت ما فيه من بيض ، ثم هبطت الدرجَ تستند إلى الحائط حتى بلغت غرفتها ، فوضعت ما معها من البيض فى كيس النخالة ، وجلست فى النافذة ترقب ساعى البريد ...

إنه يوم السبت ، وقد تعوّدتْ أن تتلقى فى مثل هذا اليوم من كل أسبوع رسالة من ولدها لتطمئن . . .

وجاء ساعى البريد فسلّم إليها الرسالة ، ففضّتها معجلةَ وقرأتْ . . .

إنه قادمٌ بعد يومين ليراها . . .

يا فرحتا ! إن لها عيداً من دون الناس !

ووفّرَتْ الأمُّ من غدائها لعشائها ، وقامت إلى الصوان فأخرجتْ ثوبها الجديد الذى خاطتْه منذ عامين ؛ فرتقتْ ما فيه من فتوق ، استعداداً ليوم الاستقبال السعيد !

وكنستْ ، ونظّفتْ ، وهيأتْ فراشَ الضيف ؛ وجلست تمدُّ الساعات وتهيّئ برنامج الاستقبال ؛ ونامت ليلتها تحلم . . .

ومضى اليومان وحلّ الميعاد ، وجلست الأم وراء الباب ترقب مقدم فتاها وقد هيّأتْ ما هيأت لاستقباله ...

هكذا كانت تفعل كلما حان موعد زيارته وإن له زيارة فى كل شهر !

* * *

وتلقّتْ الأم ولدها بالترحيب والعناق ؛ وكأنما عاد إليها الشباب ؛ فإن فى عينيها بريقاً ، وفى خديها حمرة ، وعلى شفتيها ابتسام ، وفى جبينها ألق !

وجلس إليها ساعة يحدثها وتحدثه ؛ ثم نهض يتهيأ للخروج ليجول فى المدينة جولة ؛ ومشى يختال فى زِيّه وزينته ، وأمه تشيّعه بعينيها من النافذة فرحانة !

لا عليها مما تقاسى من الجوع والظمأ والحرمان وإنه لسعيد ! حسبها من سعادة العيش أن يكون ولدها كما يتمنى لنفسه ؛ إنها لتكتم عنه وعن الناس ما تجد من الضيق والحرج وقسوة الحياة ؛ وماذا يجدى عليها أن يعرفَ إلا أن يحزن ويتألم ؟

... وتوارى الفتى عن عينيها فى منعطفات الطريق ، فابتعدت عن النافذة وعلى خديها دموع وراحت إلى الصوان تفتحه لتخرج صندوقها الصغير ، الصندوق العزيز الذى يضم ذكريات الماضى جميعاً ؛ ويضم أمانىّ المستقبل ...

فى هذا الصندوق أهدى إليها زوجها الذى فقدتْه منذ بضع عشرة سنة — هديةَ العرس الغالية ؛ وفى هذا الصندوق كانت تحفظ ما تحفظ من حلاها وجواهرها ، يوم كان لها حلى وجواهر ؛ وفى هذا الصندوق كانت تدخر ما تدّخر من مال لتنفق على ولديها حتى تبلغ بهما مبلغها ... فماذا يضم صندوقها العزيز اليوم ؟

بضعة جنيهات ، وقرط مكسور ، وسوار من الذهب : هذا كل ما هناك ! ... وإن بين ولدها وبين الغاية التى يهدف إليها بضعة أشهر ! ... ماذا يجدى كل ذلك ؟

* * *

... وتركته فى فراشه نائماً يحلم ، وبكرت إلى السوق وفى يدها قرطها المكسور وسوارها ، تشد عليهما أناملها الرتجفة !

وعادت بعد ساعة ومعها مال !

واستيقظ الفتى ليقص على أمه رؤياه وهو يضحك فى مرح ونشوة ، وعيّنها بما ينتظرُ من السعادة يوم يكون ويكون ! وابتسمت ... !

ورفعتْ عينيها إلى السماء وعلى شفتيها نجوى خافتة ، وفى قلبها أمل !

وقامت تودعه إلى الباب وأعطته ما طلب ، لم تحرمه من شيء في نفسه ؛ وانثنت إلى غرفتها لتضع الصندوق الفارغ في موضعه من الصوان !

ومضى الفتى على وجهه لا يبالي ما خلّف وراء ظهره !

منذا الذي يرى هذا الفتى المتأنق الجواد فيعرف من يكون؟

إنه هو نفسه لا يعرف ! ... وأمه حيث تركها ، تعيش من دنياها بين صباح ومساء ، ويقظة ونوم ، وأمنية بالنهار تتراءى حُلماً بالليل ، وعجلة الزمن تدور فتطوى الحياة وتختزل العمر ، وهي لا تدري . هذه هي دنياها ! ولكن لها يوماً تترقب مطلعه على شوق ولهفة ؛ ولكن متى ... ؟ أترى هذا اليوم حين يجيء يرد عليها الشباب المدبر والعمر الذي ضاع !

***

وانقضت بضعة أشهر ، وحان اليوم الذي كانت تنتظر ؛ ودخل إليها زوجُ ابنتها ليزفَّ إليها البشرى . . . وكانت راقدة في فراشها تحلم ! ...

وجلست في فراشها ، وأشرق وجهها بابتسامة راضية ، وقبّلتْ البشيرَ قُبلة ، ثم مال رأسها على الوسادة ... وكانت تبتسم ... !

وهتفت في صوت خافت : ألآن أديت واجبي ! وعادت الابتسامة إلى شفتيها أكثر إشراقاً وفتنة !

ودارت بعينيها في أرجاء الغرفة حتى استقرت على صورته في إطارها ثم أطبقت أجفانها !

وتراقصت أشعة المصباح الذابل في الغرفة الخالية من الأثاث إلا من سرير محطم عليه جسدٌ محطم !

وهبتْ نسمةٌ عابرةٌ فأطفأت المصباحَ وعمّ الظلام !

وخرج الرجلُ ناكسَ الرأس يتعثر في خطاه ليلقى إلى زوجته النبأ الفاجع ...

وكانت زوجته جالسة إلى المرآة تتزين ! ... ...

***

وعلى حين كانت الدار تموج بالأهل والجيران يتهيئون لتشييع الأم إلى مقرها ، كان الفتى جالساً في ثُلة من أصدقائه وصديقاته يحتفلون باليوم السعيد !

محمد سعيد العريان



الخلق الذي سيكسب الحرب

[من مجلة « باريد »]

للحرب الحاضرة نواح كثيرة يجب أن ينظر إليها قبل أن ينظر إلى تقدير قوى الجيوش المحاربة ، وعدد طائرات العدو وحجمها والسرعة التي تسيرها . ومما لاشك فيه أن الجانب الذي سيكون له الفوز النهائي في هذه الحرب ، هو الجانب الذي يمتاز العنصر الإنساني فيه بقواه الأخلاقية ، ومزاياه العقلية . ولا جرم أن البريطانيين والفرنسيين يمتازون من هذه الناحية عن الألمان .

وقد كتب المؤلف الأميركي المشهور « فنسنت شيان » في مجلة « ردبوك » التي تصدر في كندا مقالاً قيماً تناول فيه أخلاق هذه الأمم بالبحث والتحليل . فقال : إن الرجل الألماني لا بأس به على وجه العموم ، فهو شجاع ، صلد ، جلد على احتمال الشدائد ، ذو مقدرة على الاضطلاع بسائر الأعمال الجسدية ، يعمل بيديه وقدميه فيها كما يعمل برأسه .

إلا أن هذا الخلق الألماني بما فيه من العناصر الطيبة ، لم يخل من ناحية ضعف لها أثرها السيء على سائر النواحي القوية فيه . فالشعب الألماني ينقصه الإدراك السياسي الرشيد . فسياسته لا ترتفع عن سياسة العامة، وأخلاقه السياسية لا تترفع عن الجهالة والسخف

والألماني لا يعرف التشكك في أموره السياسية . وقد عرف النازيون كيف يستغلون هذه الصفات ، فاستحوذوا على نفوس الشعب بطرق لا تخلو من المهارة والحذق . فإذا كان الشعب الألماني وعدده ثمانون مليوناً من الأنفس قد أعد لتصديق كل شيء يلقى عليه بغير تردد ، فلماذا يكلف النازي أنفسهم إخباره بالحقائق المريرة المتعسفة، والأكاذيب المتقنة والوعود الخلابة أسهل وأجدى

إلا أن هذه الظاهرة المعهودة في الخلق الألماني منذ قرون ، لا تلبث أن تثير غضب الرأي العام حينما يصل خداع الشعب إلى أقصى حدوده وتفتضح الحقائق التي كانت في طي الكتمان ، وفي هذه الحالة يكون اليهود وغير اليهود سواء في التألب على هتلر وعصابته وإقصائهم عن الحكم، كما أقصى القيصر وحكومته عام ١٩١٨. أمام هذا الشعب يقف الشعبان الإيطالي والفرنسي وهما يستمتعان بالحرية السياسية منذ مائة وخمسين سنة ، ويعرف كل فرد من أفرادهما المبادئ التي يدافع عنها

فالإنجليزي لا يسير بالطريقة الآلية التي يسير بها الألماني ، وهو يحاسب رجاله على كل صغيرة وكبيرة . طبع على ذلك منذ قرون، وهو يرى الحرية خيراً من الكفاية. وإذا كان الإنجليزي يضيع كثيراً من الوقت قبل أن يدخل مع خصومه في حرب طويلة المدى فهو في الحق من النوع الذي يميل بطبعه إلى الدقة والنظام ، ويسير على خير التقاليد دون أن يثير ضجة أو لجباً

والإنجليزي لا ينطق كثيراً بألفاظ البطولة أو التضحية ، ولكنه يعرف دائماً كيف يحافظ على الروح المعنوية فيه ، ويحتفظ بروح الفكاهة ولو كان على فراش الموت

هذا هو الرجل الذي سيقف على قدميه إلى نهاية الحرب . فأعصاب الانجليزي من النوع الذي لا يعرف السطحيات وإن كانت في الحقيقة أقوى وأشد من الصلب .

والفرنسيون كذلك لهم مقدرة على احتمال الشدائد ، وقد برهنوا على ذلك مراراً عديدة في تاريخهم الماضي ، وعلى الأخص في حرب ١٩١٤ — ١٩١٨ .

ولعل أهم الميزات التي خص بها رجل الشارع في بريطانيا وفرنسا ، هي أنه على علم تام بأحواله السياسية . فالصحافة تمد الشعب بكل ما يحتاج إلى علم ، والحكومة لا تكتم عنه شيئاً لتظهره فيما بعد ، ولا يفكر أحد في خديعته عن الموقف الجوهري الذي يدافع عنه .

ولا يمكننا أن نقول ذلك عن الشعب الألماني، فقد قطع ما بينه وبين الحقائق منذ ست سنوات، إلا أنه إذا عرفها عاجلاً أو آجلاً وتبين له أنه كان مخدوعاً ، فسوف لا يوجه غضبته إلى الأجانب ، ولكن سيوجهها إلى الذين خدعوه ، وهم قادة النازي

لابد من التعاون لتوطيد دعائم السلام

[من « دان آند أول »]

ليس كل أنواع السلام مما يستحق السعي إليه . فالسلام القائم على التعاون بين الأمم كبيراتها وصغيراتها ، يختلف ولا شك في

جوهره عن السلام الذى يقوم على الغلبة وإخضاع النفوس، فالأول وحده هو الذى يستحق الاهتمام ، ولكننا إذا سعينا إليه فلا بد أن نحتاج – عاجلاً أو آجلاً – إلى شىء من التعاون مع الشعبين الروسى والألمانى، حتى تكون دعائم هذا السلام موطدة الأركان. وما دام هذان الشعبان يعيشان تحت سلطان الدكتاتورية ، التى تنفذ مشيئتها فى خصومها السياسيين بالقتل أو السجن ، فهما حريان بألا يسميا وراء هذه المبادئ ، لتكون أساساً لعلاقاتهما بالأمم الأخرى ، وقد نبذوها أنفسهم فى حدود بلادهم

على أننا جديرون – على كل حال – بأن نعرف كل العرفان أننا لا نملك الحق فى إلزام الأمم الأخرى بتغيير نوع الحكومة التى ترتضيها. فإذا كان الألمان يفضلون أسلوب هتلر فى الحكم ، أو كانوا على الأقل ، لا يستطيعون تغييره من تلقاء أنفسهم ، فأى حكومة تقوم فى ألمانيا تحت تأثير القوات المسلحة التى لبريطانيا العظمى وفرنسا لا يقدر لها البقاء

فحكومة هتلر هى ثمرة من ثمرات العقلية الألمانية . وقد جاء هتلر نتيجة لانهزام ألمانيا فى حرب ١٩١٤ – ١٩١٨ ، وليس بمستبعد أن تكون للحرب الحاضرة نتيجة شر من تلك النتيجة ، إذا هزمت ألمانيا مرة ثانية . وقد يتعلم الشعب الألمانى هذه المرة كيف يؤسس حكومة أقل سذاجة ونقصاً من حكومته الحاضرة . وعلى أى حال من الأحوال فسوف يكون من شأنهم وحدهم – لا من شأننا – اختيار الأسلوب الذى به يحكمون

بهذا المبدأ نطلب أن يعامل البولنديون والتشك والاستونيون واللتوان ، وإن يكن هذا المبدأ لم يساعدنا على إنقاذ السلم العام . هو ضد إخضاع أمة لأمة أخرى . ولكنه لا يعترض مبدأ آخر أكثر أهمية ، وهو مبدأ التعاون بين الدول . وقد حوولت محاولة طيبة فى معاهدة عام ١٩١٩ للمناداة بهذين المبدأين ، فنالت بعض الأمم المستعبدة حريتها ، وتخلصت من تبعيتها لأمم أخرى تحت تأثير من تقرير المصير ؛ وتم التعاون من ناحية أخرى بين جميع الدول بقيام عصبة الأمم . إلا أن هذا المبدأ مبدأ التعاون الدولى قد سار بخطى وئيدة إلى الغاية التى ينشدها الجميع

بل إن التعاون بين الأمم التى تنتمى للعصبة كان من الناحية العملية محدوداً وغير محقق الرجاء. فكل حكومة كانت تعمل مستقلة لصلاح حالتها الاقتصادية والمالية، وتستغل الظروف لإصلاح سياستها الحربية . فالتعاون بمعناه الصحيح لم يكن معروفاً فى علاقات بعض الدول بالدول الأخرى. وما زالت بعض الحكومات إلى اليوم تعد نفسها غير مسئولة إلا عن مصالح الأهالى الذين ينتمون إليها.

وما زالت هذه الحكومات تقف موقف الصمت بإزاء المصالح العامة ، وليست هذه هى السياسة التى تؤدى إلى توطيد أسس السلام . إن مبدأ التعاون الذى ننشده لتدعيم قواعد السلام لا بد أن يدخل فى سياقه التعاون التجارى والصناعى بين مختلف الأمم ؛ ولا بد أن يقضى على فكرة الحرب الأهلية أو حرب الطبقات . وأى حكومة تبيح تلك الحروب الأهلية فى بلادها لا تستطيع ولا شك أن تتعاون تعاوناً شريفاً لتوطيد طرق السلام .

النشر والحرب

[عن « ذى سبكتاتور »]

قليل من الذين كانوا يشتغلون بالنشر فى الحرب الماضية ، يعيشون إلى اليوم ويزاولون أعمال النشر بيننا . ومما يدعو إلى العجب أنك لا تجد عند هؤلاء إلا النزر القليل مما يروون عن مثل الحالة التى نواجهها اليوم . فإذا كانت هذه الحالة تماثل ما عرف من قبل فيما بين عام ١٩١٤ و ١٩١٨ ، فإن عالم النشر سيشاهد بعد المرحلة الأولى من الحرب تجارب لم تتح له منذ عدة سنين

إن الحرب تشجع على القراءة، فهى تؤثر فى نفوس المحاربين وغير المحاربين من الأهالى بما يضجر ويقلق مما لا يخفف وطأته شىء كقراءة الكتب . فهى تثير الحماسة الوجدانية وتعد الأذهان لتلقى ما ينتجه العقل ، وتجعل النفوس أشد رغبة فى أن يفكروا ويحسوا ، وتضعها فى الوقت ذاته فى موقف يكون فيه أشد حاجة إلى الراحة والتسلية من أى وقت آخر . ولا يضيرنا هنا أن نقول إن هذه العوامل لا تقل قوة وتأثيراً اليوم عما كانت عام ١٩١٤، بل قد يكون الأمر على النقيض ، فالقيود التى تحيط بنا وحالة الشعب العامة قد تساعد على تقوية هذه العوامل

إلا أن عالم النشر تعترضه صعوبات كثيرة إلى جانب الصعوبات المتعلقة بالطبع والتوزيع ، مما قد يخفى على الجمهور . وسوف تعانى بيوت النشر والطباعة الكثير من هذه المصاعب ، فعمل الناشر فى الحقيقة أكثر دقة مما يتصور الكثير من الناس

وهناك صعوبة قد لا تخطر على البال ، وقد يكون علاجها من المستحيلات ، فما قيمة الورق والطبع وما قيمة الناشرين إذا لم تؤلف الكتب ؟ وقد لوحظ هذا العام هبوط محسوس فى عدد الكتب التى قدمت للمطابع وكذلك فى نوعها . والسبب فى ذلك



فى العروض

فى العدد الماضى من « الرسالة » تعقيب عنوانه « التجديد فى العروض » ، وغايته مناقشتى فى بحر « وضعتُـه » ، وكنت نشرت أبياتاً منظومة عليه (قصيدة « الناى ») فى العدد الـ ٣٤٠ ، وجعلت اسم البحر : « المنطلق » . ولن أجاذب صاحب التعقيب . بل علىّ عهد أنى كلما رأيت كاتباً يمرض لى وهو غير مستوثق مما يكتب ولا متقصٍّ فى التدقيق عدلت عن الجدَل إلى ما يجلب لصديق القارئ بمض الفائدة. ولك أن تسألنى عن مواضع النبوّ فى تعقيب الـكاتب . وإليك الجواب مختصراً :

يقول الـكاتب إن البحر الذى قلت إنى « وضعتُـه » (وهو : فاعلاتن مفاعلاتن ، مرتين) قد « خيل إلىّ أنى اخترعته » .

وهنا أحب أن أبصّر الـكاتب، على عجل ، مواقع ألفاظ العربية : فإن « الوضع » غير « الاختراع »

وقد علل الـكاتب كيف « خُيِّل إلىّ » وضع البحر بقوله : « يوجد هـذا الضرب نفسه بأجزاء أُخرى هى (فاعلن فاعلن فَـعِـلُن) فهو إذاً الضرب الأول من العروض الثانى (يريد : الثانية) من المتدارك ، وهو المجزوء الصحيح ، وأقرب أمثلته لوزن الدكتور بشر هو الضرب المخبون المرفَّل من هذا المجزوء الصحيح ، ومثاله فى « متن الـكافى » هو :

دار سُعدى بشحرِ عمانْ   قد كساها البِـلى الملوانْ

على أن هنالك فرقاً يسيراً قد يلحظه القارئ بين الوزنين ، فذلك أن وزن الدكتور بشر ينقصه الترفيل (وهو زيادة سبب خفيف ...) والسبب الخفيف متحرك بعده ساكن كقَـدْ . فهو يمثل الألف والنون الأخيرتين فى « عمانْ » و « الملوانْ » واللتين بحذفهما نحصل على نفس الوزن المنطلق الذى جاء به الدكتور بشر » ا هـ .

أولاً : ليراجع الـكاتب « متن الـكافى » الذى استند إليه ، وشرحه « المختصر الشافى » للدمنهورى وغيرهما ليعلم أن للعروض الثانية المجزوءة من المتدارك ثلاثة أضرب هى : فَعِلاتن ، فاعلان ، فاعلن . فأين « فَعِـلُن » الذى أتى به ؟ وإذا بدا له أن يتذرع بالخَبْن ، فليذكر أن « الخبن » من « الزحاف » فما هو بلازم فى فاعلن ، وإن لزم فى فعلاتن الوارد هكذا على أنه ضرب .

ثانياً : قرأ الـكاتب البيت الذى استشهد به فى « متن الـكافى » ، وهو غير مشكول . فسكن النون من « عمان » و « الملوان » . والصواب: كسر النون (عمانِ ، الملوانِ) — كما يمبِّن ذلك موضع الشاهد من الكتاب — فيكون الوزن « فعلاتن » لا « فعلان »

ثالثاً : والظريف أن الـكاتب يريد أن فى البيت ترفيلاً . فيشرح الترفيل ، ويضرب المثل بكلمة « قد » ، ثم يقول : « إن الترفيل يمثل الألف والنون » من « عمانْ » و « الملوانْ » . والصواب : « أنه يمثل النون المكسورة » ، مع إشباع الكسرة . وأما « الألف والنون » فالألف تتمة التفعيلة السابقة ، والنون هى التذييل ، فلا ترفيل كما وهم الـكاتب

رابعاً : يقول الـكاتب إن بين الوزن الذى استكرهه والوزن الذى وضعتُـه « فرقاً يسيراً... وبحذف الألف والنون (والصواب كما رأيت : بحذف النون مع حركتها المشبعة) نحصل على نفس الوزن المنطلق الذى جاء به الدكتور بشر » . فكأن الأوزان على يد الـكاتب تنقص وتزيد وتضغط وتمط بجرة قلم . وإن توهم أن الترفيل فى العروض لا يقدّم ولا يؤخر كما يقولون ، فليسأل أهل التلحين والغناء عن النقرة التى تبعد إيقاعاً من إيقاع ، والغمزة التى تجنّب « الصبا » من « البياتى » مثلاً . ولينشدهم « قصيدة الناى » يخبروه هل البحر الأول (وهو فى وهمه مجزوء المتدارك) على ميزان البحر الثانى (وهو المتدارك) . ألا إن الشعر والموسيقى من منبع واحد . أليس لـكليهما دوائر قائمة على الأسباب والأوتاد والفواصل عند أرباب الفنين ؟ ليفطن الـكاتب إلى هذا

واضح ، فقد أصبح العالم الأوربى منذ اجتماع ميونخ قليل الاهتمام بالأعمال الأدبية ، فتلك الأزمات المتوالية ، التى تعقبها فترات من القلق والتفكير فى مصير المدنية المزعج ، كل ذلك من شأنه أن يجفف ينابيع التفكير .

ولكن ما دمنا قد وطدنا العزم على إزالة هذه الهمجية من أوربا ، فمن الواجب أن يزول ذلك الشبح المخيف من أذهان الكتاب. فنحن فى حرب يشترك فيها العالم كل بما أهل له، وكل ما يطلب من الـكاتب — إذا ترك وشأنه فى هذه الحرب — هو أن يؤلف ويغذى الأفكار

وخلاصة القول أن أركان صناعة الشعر وشواهدها تختلط على قلم الكاتب وتلتوى. فكيف أجاذبه فيما انحرف إليه؟ هذا وإن لى حديثاً فى «بحر المنطلق»: كيف خطر لى وما أصوله، وإنى لسائق الحديث يوم يخرج الديوان تسبقه توطئة

بشر فارس

ثناء ورجاء

أثنى على مطالعة الأستاذ عوض السيد الدحل الفاحصة، وأعلمه كى يبتهج أن «قد» حذف القول الخامس من جريدة «قد لا يكون»، وإن أراد الإمام المكبرى – كما ظن قبل – «وقيل أن مصدرية، وقد لا تمنع من ذلك».

وأرجو من الأستاذ توفيق الفكيكى أن يتفضل بقراءة: «كلمة فى اللغة العربية، والإسلام الصحيح». فمقالته الكريمة «نهج البلاغة أيضاً» فى «الرسالة الهادية» تخبر أنه لم ير الكتابين. وإذا تلا قولهما، ولم يقنعاه، فإنى أهنيه بإيمانه.

محمد إسعاف النشاشيبى

اقتراح

كنت نشرت فى «الرسالة» مقالاً صححت به فصلاً واحداً من كتاب «الإمتاع والمؤانسة» الذى أخرجته لجنة التأليف والترجمة والنشر بتصحيح الأستاذين الفاضلين أحمد أمين وأحمد الزين. وقد نبهت المصححين إلى سبع وعشرين غلطة أساسية فى ذلك الفصل الواحد. وبعد أسابيع كتب أديب أخفى اسمه مقالاً مطولاً فى الرد علىّ، ولكنه لم يستطع أن يثبت أنى أخطأت فى كلمة واحدة مما نبهت إليه، ومع ذلك دار حول بعض الألفاظ ليوهم القراء أنه فند كلامى.

وأقول: إنه لا خوف من أن ينخدع القراء بمحاولة ذلك الأديب، وإنما الخوف على ذلك الأديب نفسه! فهل أستطيع أن أقترح على الأستاذ الزيات أن يدعوه لمقابلتى ومعه الكتاب لأهديه إلى ما خفى عليه من عبارات التوحيدى...

إن كان طالب علم فليحضر (مع المختلفة) للاستفادة، وإلا فليعرف أن وقتى يضيق عن محاورة من كان فى مثل حاله من الجهل بأساليب القدماء.

زكى مبارك

الكهربائية تعتاد

مما استوقف نظر بعض الأدباء فى شىء من الإنكار ما جاء فى كتاب «آفاق العلم الحديث» من مبحث الأستاذين هل وكرم عن الأفعال المكسية الأصيلة والمتحولة وأساسها فى عالم المادة، ذلك أنه قرر أنه إذا اقترن مؤثران فى إحداث أثر ين معاً، وتكرر هذا الإحداث عدة مرات، فإن أحد المؤثرين منفرداً يمكنه أن يقوم بعمل الاثنين معاً فى إحداث الأثرين. وهذا التفسير المادّى أراد به إيضاح قاعدة بافلوف فى الأفعال المكسية المؤصلة والمتحولة. والتجربة التى أجراها فى هذا الموضوع أنه أتى بمصباحين كهربائيين أو جرسين متصلين، كلاهما ينير أو يدق بالضغط على زر، وبتكرار هذه العملية تمكن من إيجاد شبه عادة فى أن يجمل الكهربائية تسرى فى السلكين المتفرعين من الزر، وأن تنير المصباحين أو تجمل الجرسين يدقان. وتفاصيل هذه التجربة مذكورة بإيضاح فى كتاب «آفاق العلم الحديث»، وهى فى الأصل مقال نشر بمجلة المقتطف لأعوام خلت

ولست أعرف كيف يوجد فى الشرق العربى أناس يزعمون أنهم متصلون بالثقافة الأوربية الحديثة، وأن لهم دراية بآخر نتائج العلم التطبيقى فى أوربا، ومع ذلك يجهلون مثل هذه النتائج التجريبية التى انتهت إليها أوربا، ويعتبرونها من أضغاث أحلام الكتاب الفرنجة؛ مع أن هذه المباحث ليست نظرية إنما هى وليدة التجربة والاختبار. ولا شك أنه ليس للأفكار ولا للمنطق أن ينازع فى حقيقتها، ما دامت التجربة تثبتها؛ وهذا الموقف يذكرنى تماماً بتلك المحاولات الفاشلة التى كان يثيرها البعض أمام كل اكتشاف علمى جديد

ولكم أرجو أن يتمكن أدباؤنا من الأسس العلمية التى تقوم عليها الفكرات الحديثة قبل التعرض لها

(الاسكندرية) إسماعيل أدهم

فهم معكوس فى معنى بيت وإعرابه

من الخطأ ما يلتمس لصاحبه فيه العذر، وهو الخطأ الذى يكون عند ما يستغلق الأمر، ويصعب فهم المراد من الكلام؛ أما الخطأ الذى لا يعذر فيه صاحبه فهو الذى يكون عند وضوح

المراد ، وظهور المعنى غاية الظهور ، ومن هذا الخطأ الأخير ما وقع فيه الأديب الفاضل محمد رجب البيومى ، فقد فهم فهماً معكوساً ما كتبته فى معنى بيت الأعشى وإعرابه :

ألم تَغْتمِضْ عيناك ليلة أرمدا   وبِتَّ كما بات السَّليم مسهَّدا

ومع هذا يبتدئ ما كتبه بهذه الجملة التى لا معنى لها : « للأستاذ عبد المتعال الصعيدى انتقادات ومباحث تصيب مرماها تارة وتخطئه أخرى » ولله الشكوى من مثل ذلك الفهم المعكوس وذلك الاشتباه الظاهر ، وفى النفس ما فيها من هذا الزمان وأهله

لقد ذكرت أيها الأديب الفاضل أنى أنا الذى أعرب (أرمدا) فى بيت الأعشى فعلاً ماضياً مسنداً إلى ألف الاثنين العائدة على قوله عيناك، وعلى هذا تكون (ليلة) فى البيت منصوبة على الظرفية ، ولا تكون مفعولاً مطلقاً كما يقول الأستاذ أبو رجاء نقلاً عن حذاق النحاة

ولو أنك أيها الأديب الفاضل تأملت قليلاً فى كلامى لوجدت أن الإعراب الذى نسبته إلىّ هو إعراب الأستاذ أبى رجاء ، وليس هو إعرابى ولا إعراب حذاق النحاة ، لأنى أوافقهم على إعرابهم ، والذى يخالفهم هو الأستاذ أبو رجاء

ولو أنك تأملت أيضاً قليلاً فى كلامى لعلمت أن السبب فى فساد إعراب ليلة على الظرفية وأرمدا فعلاً ماضياً هو أن الأعشى لم يكن فى مقام الشكوى من رمد فى عينيه . أما الذى ذكرته فى فساد ذلك فخطؤه ظاهر أيضاً ، لأنك ذكرت فى فساده أنه لا يتأتى انطباق جفون العين وذوق حلاوة الكرى فى وقت ألم العين من الرمد ، فأما أن ذلك لا يتأتى فى ذوق حلاوة الكرى فصحيح ، وأما أنه لا يتأتى فى انطباق جفون العين فهذا هو الخطأ الظاهر ، لأن اغماض العين من الرمد لا يمكن إنكاره ، وهو الذى يمكن أن يراد فى بيت الأعشى على الإعرابين ، ولكنه يكون صحيحاً جارياً على التشبيه فى إعراب النحاة ، ونابياً عن المقام فى إعراب الأستاذ أبى رجاء . أما اغماض العين فى الكرى فبعيد عن البيت كل البعد ، ولا يريده من يجرى إعراب ليلة على الظرفية . ونصيحتى بعد هذا إلى الأديب الفاضل ألا يهجم على الكتابة قبل التأمل ، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته

عبد المتعال الصعيدى

مميزات بنى أمية — محاضرة للأستاذ محمد كرد على

هذه هى المحاضرة الثانية التى ألقاها الأستاذ العالم محمد كرد على بك فى دمشق . ولقد كنا نقدنا فى « الرسالة » محاضرته الأولى « كتبنا وتآليفنا » التى ألقاها قبل شهور ، وقلنا إنها محاضرة لا ترتيب فيها ولا استقصاء ، وقال عنها الأستاذ الشيخ على الطنطاوى إنها لا تزيد عما كتبه مؤلفو « الوسيط » للتلاميذ فى كتابهم ، فلنر هذه المحاضرة ونصيبها من التوفيق

موضوع المحاضرة « مميزات بنى أمية » ألقاها الأستاذ فى قاعة الجامعة السورية الكبرى وسمعها ناس كثيرون، من تلاميذ وطلاّب ومعلمين ، وأساتذة ، وموظفى وزارة المعارف ، وبعض المتأدبين الناشئين من تلاميذ « أصمعى هذا العصر الشيخ مارسه » كما يقول الشيخ الطنطاوى . وكانت المحاضرة على عين من مدير المعارف العام معالى عبد اللطيف الشطى بك

بدأ الأستاذ يبحث لغوى عن كلمة « أمة » والنسبة إليها ، وتصغيرها . ثم خطّأ من يقول « أموى » بالفتح وصوّب من قالها بالضم، ثم انتقل الأستاذ فأطرف السامعين بحديث عن أنساب أميّة ، ملّه الناس منه ، لأن الأنساب ليس مما يتحدث به إلى الناس فى حفل عام . وذكر أنهم كانوا تجاراً ، وبيّن شأن تجارتهم فى تلك الأوقات وقال إنهم « أدخلوا مكة فى دور مدنى ، وأن تجارتهم عرفت قريش أرض العجم والروم ... »

وانتقل الأستاذ إلى أبى سفيان ، فأفاض فى ذكر أحواله فى الجاهلية ، وانتقل فجأة إلى معاوية فذكر ما كان يقوله عمر إذا رآه . ثم عاد إلى أبى سفيان فذكر أن له الفضل بنقل الخط إلى الجزيرة ، وانتقل بعد ذلك إلى عثمان بن عفان ؛ فقال إنه جمع القرآن ، ولولاه لكان القرآن اليوم ضائعاً ... وأنه كان يكرم حرملة الشاعر النصرانى . . . وانتقل إلى خالد بن يزيد وذكر أنه أول من ترجم الكتب القبطية والسريانية إلى العربية . وتخطى الأستاذ الخلفاء ، حتى أتى عمر بن عبد العزيز ؛ فقال إنه أول من عنى بتدوين الحديث

ثم رجع القهقرى وقال : « ولم يكن بنو أمية من النابغين لما استعملهم الرسول على الولايات . وقد انتقل رسول الله وأكثر العمال من بنى أمية ، وأنهم كانوا فى الجاهلية أمراء ، وكذلك كانوا فى الإسلام »

وقفز الأستاذ إلى معاوية فقال وأفاض ، وأبان عن علم، حتى حسبنا أن المحاضرة قد انقلبت إلى محاضرة عن معاوية لا عن بنى أمية . فذكر تشبه معاوية بالروم (وهذه وكل ما سيأتى من مميزاته) ، وما اقتبسه من الأمم المجاورة من الأبهة والعظمة ،

وما ألف من مجالس الوفود ، وذكر استخدامه النصارى والعلوج فى وظائف الدولة ، وقال إن بنى سرجون كانوا وزراء المال عنده ، وإنه كان ذا عقل ناضج ، واستدل على سعة عقله بخبر عبد الله بن قيس إذ لقى فى « صقلية » أصناماً من الذهب فأخذها معاوية وأرسلها إلى الهند لتباع ويؤخذ ثمنها . وقال إن معاوية حسن حال الحكومة ، واستطاع بدهائه أن يأخذ الخلافة من على وهو راض ، ومن أبنائه وهم راضون ... وأنه أول من وضع الحشم للملوك وأمر برفع الحراب بين أيديهم، ونظم الجيش، وأعطى الجند رواتب ، ووضع البريد ، وعلم الناس التجسس إذ عين صاحب الخبر (أى مأمور استخبارات) ، وأوجد فى مصر رجلاً كان يطوف على الناس كل ليلة فينادى : « هل ولد فيكم ولد، هل ولدت فيكم جارية ، فيقولون ولد لفلان كذا ... فيكتب اسمه »

وقال الأستاذ إن معاوية كان يعتمد على العطاء ثم الإقناع والرضاء ، فإن لم تفد هذه الأشياء عمد إلى القسر ، وذكر إسرافه فى الأموال ليسكت العلويين والهاشميين ، واستخدامه الشعراء والقصاص للدعاية ... الخ

ويترك الأستاذ معاوية ويأتى إلى عمر بن عبد العزيز فيذكر ورعه وتقواه ، وعفته وصدقه ...

ثم قال : ولقد كانت دولة الأمويين دولة عربية صرفة بكل مظاهرها و ... (والحق أن هذا القول ينطبق على أيام معاوية !!؟) ثم ذكر مروان بن محمد الملقب بالحمار (ولم يذكر الأستاذ لقبه) وقال إنه كان على جانب عظيم من العقل ، وانتقل إلى ذكر قصر الحير الذى بناه هشام فى الشام (والذى كشف أخيراً خارج دمشق من جهة البادية ، ووضع فى متحف دمشق الأثرى)

ويجعل الأستاذ من مميزات معاوية جعله الشام « جمعية أمم » فقد رحب بالنصارى واليهود والسريان والروم والسود والبيض والحمر والصفر ... إلى ما هناك من شعوب وأمم ، ثم انتقل إلى ذكر ولاة بنى أمية ، فأشاد بمناقب الحجاج ، وأكبر أفعال موسى ابن نصير وعظم غيرهما ...

وقال الأستاذ : إن هواه كان وما يزال مع بنى أمية ، لأنهم ظهروا له بعد البحث والدراسة جديرين بهذا الهوى . وقد حاول الأستاذ أن يكذب ما نسب إلى بعضهم من الأخبار التى لا تشرف

وختم الأستاذ محاضرته بقصيدة شوقى فى بنى أمية . ولعل أحسن ما فى المحاضرة هذه الأبيات التى ختم بها الأستاذ محاضرته فأحيت السامعين ، وترنحوا منها طرباً ونشوة .

تلك هى المحاضرة لخصتها فى هذه الأسطر ، والقارئ رأى معنا هذا الاضطراب وهذا التفكك الذى فيها ! ... وما ندرى ، أأصبح عدم الترتيب والاضطراب فى السرد من مميزات محاضرات الأستاذ فى هذه الأيام ؟ على أننا لا ننكر أن هذه الأخبار التى ذكرها الأستاذ تدل على معرفة واسعة وقراءة دائمة ، وهذا ما عرف به الأستاذ . ونحن وإن كنا ننكر عدم الترتيب وذاك الاضطراب ، وهنات نحوية بسيطة ، فإننا نعجب بالأستاذ وبعلمه ، وبتلك الأبيات التى ختم محاضرته بها .

« دمشق » (ص . م)

توفيق الحكيم فى نظر كاتب أوربى

كتب المستشرق المجرى الأستاذ جرمانوس أستاذ التاريخ بجامعة بودابست فصلاً عن الأستاذ توفيق الحكيم فى كتاب له ظهر بالألمانية حديثاً بعنوان : « الله أكبر » نلخصه فيما يلى :

... يميل اليوم كثير من الكتاب المصريين إلى استخدام اللغة الشعبية والتعبير بها عن كل ما يراد التعبير عنه . لكن الكتابة بهذه اللغة اعتبرت بدعة جريئة عند ما قام مفكر حر واستطاع بفضل ما أوتيه من موهبة أن ينفذ عقيدته الفنية . ونعنى بهذا الفكر الحر توفيق الحكيم

درس توفيق وعاش فى باريس . هناك تغيرت عقليته . وحينما عاد إلى القاهرة ليشغل منصباً رفيعاً فى وزارة المعارف ، نشر حوله ظلال أفكاره وثمرة تأملاته . أراد أن يكتب كما أحس وتكلم ، ثم نقل كل شعوره وإحساسه الفكرى إلى العربية مباشرة

اقتبس توفيق الحكيم موضوعاته من تقاليد الإسلام ، ووفق لتمثيل خيالاته على أحسن صورة ؛ لكن الشكل والأسلوب جديدان تماماً . وهو يصف أسطورة شهرزاد بأسلوب حوارى أقرب ما يكون إلى البساطة والرمزية فى الوقت نفسه . وهو يعرف – بأزميله الفنى – كيف يصب أشخاصه فى قوالب من لحم وعظم

وقد قال لى توفيق الحكيم فى إحدى محادثاته : « ليس فى وسعى أن أكتب إلا فى جو الحرية » . والواقع أنه بشخصيته المتواضعة ، ورقته ودماثة أخلاقه ، يمثل لنا الكاتب الشرقى فى أحسن صورة

ثم أردف توفيق قائلاً : « إننى أحس أن قلمى وكذلك فكرى شبه محجور عليهما فى الشرق . إن شعورى متوثب ،



على الطنطاوى وكتابه

في بلاد العرب

بقلم الأستاذ صلاح الدين المنجد

... وها هو ذا الطنطاوى يخرج كتابه الجديد بعد تردد ، وها هو ذا يُلقى بنفسه بين أيدى أهل النقد لينال ما يناله المؤلفون من نقد جارح وتقريظ ناعم ، ومن تهجم لاذع ومداعبة لينة ... ويرمى بكتابه إلى الناس ليقرأوه ويشرحوه ، ثم ليطنبوا فى مديحه أو يدركوا به ثأراً قديماً لهم ، فينالوه بالتعريض . فلنسهر إذن مع هذا الناس ولننقد هذا الكتاب كما ينقد الطائر الأرض لينبش منها حبها وزوانها . ولنحدث الناس عن الطنطاوى الذى يخشى الناس غضبه ، ويخافون على أنفسهم منه ، ولنلق بأنفسنا بين يديه يتحدث عنا ما يشاء . فلقد تربصت طويلاً ، وحاولت أن أنقده كثيراً . ولكننى كنت فى كل مرة أغلب على أمرى. أما وقد أخرج الآن كتابه، فلن أبطىء أبداً، فقد ألقى بنفسه بين يدىّ ، وأصبح كتابه بين عينىّ . وليت شعرى أأمن صديقى على نفسه عند ما أهدى إلىّ كتابه وسألنى أن أكتب عنه ما أشاء ! ...

لقد سهرت يا صديقى مع كتابك طول هذه الليالى المظلمة التى فاجأنا بها هـذا العام الوليد . وكنت أقرأ فيه فأسمع تلك النغمة الحزينة تارة والطروب أخرى التى كانت تتعالى من سطورك وكلماتك ، فتهيج حسى كما أهاجته تلك النغمة التى كان يحدثها المطر وهو يقرع زجاج النافذة ، ويتساقط على أوراق الليمون والبرتقال التى هزتها الريح المولة وروّعها السحاب المهتون . والحق أني استمعت إلى نغمتين حزينتين : نغمتك وأنت تصف مآسى هذا الوطن الباكى ، ونغمة المطر وهى تحدّث الأوراق الذابلة . ثم خرجت من الكتاب وأنا أسيان نشوان ، طروب معجب . فاسمح لى يا صاحب الرسالة أن أتحدث عما رأيت وما سمعت

لقد قرأت قولك فى مقدّمة الكتاب إنك كنت فى حرب مع الحياة ، فذكرت بلدك هذا ، وكيف أنكرك ، فلقد اعتادت الشام أن تعظم الجاهل الغريب ، وتحطم النابغ القريب . فلما رأيت ما رأيت تركت دمشق تبتغى مصراً ، فعشت بها أمداً اتخذت فيه من الأماكن والناس أصدقاء لقلبك وأحبة لنفسك ، وأنفقت أيامك فيها فى دار العلوم طالباً وكلية الآداب مستمعاً ، وفى « الفتح » و « الزهراء » كاتباً ومحرراً ، وعند خالك محب الدين الخطيب سعيداً ومستفيداً . ثم بدا لك ... وعاودك الحنين إلى وطنك ، فعدت إليه فعيّنوك للصبيان معلماً ، وقدّموا الجاهلين عليك ؛ فهزأت بهم وسخرت منهم ، وخرجت من بلدك تبتغى العراق فعلّمت فى ثانوياتها الأدب ، ثم قصدت الحجاز وعبرت الصحراء ، ثم عدت إلى بغداد ، ثم رجعت إلى دمشق وإذا بهم يمكرون بك مرة أخرى

ذلك لأنك من هذا البلد ... ولأن هذا البلد قد اعتاد وأد أبنائه ...

عفواً يا بلدى الحبيب !

فتلك شيمة أبنائك ... يكرمون الغريب ولو كان جاهلاً ، ويفتحون له صدورهم ، ويوسعون له فى دورهم ، ويؤثرونه

وفكرى متقد ؛ ولكن يصعب علىّ تحديد هذا الفكر ورسمه على الورق باللغة التى أريدها ، فإن الفكر والشعور يتجمدان تماماً . نحن لا نملك بعد لغة مرنة ولا نحيا حياة أدبية صحيحة . إننا نعرف من المعانى عظاماً قد تسرب السوس إليها من قرون . لأننا فقدنا شهيتنا لتذوق طعم اللحم الطازج . لهـذا السبب أميل إلى الطبقات الشعبية لأنها لم تشبع بعد ولا تزال على فطرتها وسذاجتها . فلعل الشعب يفهمنى »

صديقى العزيز توفيق ! حقاً ! اليوم لا يفهمك ويقدرك حق قدرك سوى بعض المستشرقين الذين فى وسعهم مطالعة أعمالك وتفهمها على وجه صحيح ، وكذلك فئة قليلة من المصريين المثقفين ؛ ولكن صبراً ستتطور أفهام الجماهير ، وستنمو لشعبك أسنان جديدة ؛ ويومئذ يقبلون على التهام آثارك الأدبية الشعبية

ثم تكلم الكاتب بعد ذلك عن شهرزاد وأهل الكهف وعودة الروح وحياة محمد ، ثم ختم مقاله بقوله : ومهما يكن من شىء فإن الذى أعتقده وأومن به أن توفيق الحكيم يستحق تعضيد العالم العربى ، فيقدر جهوده الفكرية حق قدرها ويعنى بتفهمها على وجهها الصحيح ليتيسر للشرق المضى فى السير نحو مثله الأعلى.

على أنفسهم ... ويموتون هم من الجوع ... فإذا تولى عنهم رماهم بكل قبيح ، ولكنهم يصفحون عنه ، ويسمون لاستقبال غريب آخر ...

نعم ، تلك شيمتك وشيمة أبنائك يا بلدي ...

***

ولقد أعجبني أنك ظهرت في كتابك أديباً حقاً ، يهزك كل شيء ، ويحن إلى كل شيء ... والأديب الحق من إذا رأى شيئاً أثر فيه ، فحرك نفسه ، ودفعها إلى الكتابة . لقد طوفت في ربوع الشام ... فحركت نفسك روائع دمشق ، هذه الزهرة الناعمة التي نبتت على أطراف الصحراء ، يسقيها بردى بدموعه ، ويحرسها قاسيون الجليل بنفسه ، والتي يسعى إليها الملوك ليتمتعوا بنظرة منها ، ويستنشقوا عطرها ... فوصفت ما رأيت وأبدعت. وقد أعرض قومك عن تلك الروائع ولم يحفلوا بها، ثم ذهبت إلى العراق ، فرأيت وسمعت ، وتذكرت الماضي المجيد يرقص على شطآن دجلة ، ويرتع في جنبات بغداد ، فنقلت عنه ما قلت ، ثم أوليت العروس حبك ... فلما رأيت الإيوان هاج حسك ، ثم زرت سر من رأى ، فهاجت شجونك ... وأنت في كل مرة تكتب وتغني. ثم ذهبت إلى الحجاز — فذكرت محمداً سيد العالم — عليه صلوات الله وسلامه ، ورأيت النور ينبثق من هاتيك النجود ، فيغمر الدنيا ... فذرفت دمعة على الماضي الفخم يواريه أبناؤه التراب ولا يحفظونه ، ويستبدلون بالعز ذلاً ، وبالحرية قيداً ، وبالسيادة عبودية . ثم ذكرت العقيق وأيامه، وسمعت الشعر الطروب والغناء الراقص والحب الرفاف ... فحننت ووصفت ، ثم عدت إلى بيروت فهمت على سيف هذا البحر الحبيب ، وشردت في الجبال الخضر ووصفتها أيضاً ، وأنت في كل مرة تذكر وتبكي ، وفي كل مرة تحن وتطرب ، وفي كل مرة تدع قطعة من قلبك هنا ... وقطعة منه هناك ...

فقل لي ما بقي من قلبك يا صديقي !

لقد نثرته هنا وهناك ... « في بلاد العرب » فكيف تعيش بدون قلب ؟ وكيف تحيا بدون فؤاد ؟

***

وميزة أخرى أعجبتني . . . ذلك أنك لست أديباً فقط ، ولكنك أديب إقليميّ . والأدب المحلّي ينقصنا يا صاحبي . وكما أن بمصر أدباً محلياً ، فيجب أن يكون مثله في شامنا وعراقنا وحجازنا ، وأن تبدو في كل أدب مظاهر القوم وشعورهم وعواطفهم . ومجموع هذه الآداب كلها يؤلف الأدب العربي في القرن العشرين ، كما ألّف الأدبَ العربي من قبل أدبُ الشام ، وأدبُ العراق ، وأدب الأندلس . ولو حاولنا أن نبحث عما أنتجه أدباء الشام في أيامنا ، وما ظهر فيه أثر الشام جنة الله ، ومهبط السحر ، وينبوع الإلهام ، لوجدته قليلاً نادراً

أين من وصف سورية الجميلة الوادعة ؟

وأين من كتب عن سورية أم الأبطال ؟

وأين من أشاد بذكر الوطن ، فبكى آلامه ، ومجد أفراحه ، وحن إليه ؟ ...

أين الأدب الذي يبدو فيه غلظة نفوسنا عند الكريهة وصفاءها في الأمن والسلم ؟

أين ... أين ... !

كل ذلك لن تجد منه إلا قسماً واحداً عند أدبائنا كلهم ... أما أنت ... فعندك كل شيء ... فاهنأ فأنت « كاتب الوطن »

***

ولست في كتابك أديباً دمشقياً ، ولكنك أديب مسلم عربي: إنك لم تنس العراق فأشدت بأيامه الخوالي ، وبكيت بطله غازي ومجدت أباه فيصل ؛ ثم ذكرت فلسطين فوصفت بؤسها وجمالها ورجالها وجبل نارها ؛ ثم وصفت مصر وعظمتها ، وكتبت عن الحجاز ماضيها وحاضرها ...

فيا أهل الشام !

إذا أردتم أن تسمعوا الأغاني التي قيلت في بلادكم . . . وتعلموا أن ربوعكم ربوع شعر وبشر وعطر فاقرأوا هذا الكتاب

ويا أهل العراق !

إذا أردتم أن تسمعوا أناشيد محب لبلادكم ، عاشق لها ، بكى مليكها ، ومجّد بطلها ، وأشاد بماضيها ، فاقرأوا هذا الكتاب

ويا أهل مصر !

إذا أردتم أن تعلموا شيئاً عن هذه البلاد العربية ، وتروا ما فيها من جلال وجمال وما أصابها من ألم وأسى ، وتسمعوا أقاصيص هذه البلاد التي تهفو قلوبها إليكم . . . فاقرأوا كتاب الطنطاوي الشامي المسلم العربي : « في بلاد العرب »(1)

(دمشق)

صلاح الدين المنجد

(1) وسنعود إلى نقد الكتاب من حيث اللغة والأسلوب والفن

8me Année No. 344

Lundi - 5 - 2 - 1940

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٤٤ «القاهرة فى يوم الاثنين ٢٧ ذو الحجة سنة ١٣٥٨ — الموافق ٥ فبراير سنة ١٩٤٠» السنة الثامنة

الفهـــرس

الحياة جميـــلة ...

الحياة جميـلة ، وما يشوِّه جمالها غير هذا الحيوان المسمى بالإنسان ! لم يعش فيها كما تعيش سائر الأنواع على رسم الفطرة وهَـدْى الطبيعة ووحى الله ، وإنما عاش على قوانين من وضعه استمدها من أثرته وكبريائه وهواه فكان شرًّا على نفسه وحرباً على غيره

ربما اقتتل الوحش والوحش أو الطير والطير فى سبيل القوت أو النسل ؛ ولكنه اقتتال الساعة لا يسبقه تدبير ولا يصحبه حقد ولا تلحقه جريرة . أما الإنسان فهو وحده كدر السلام وقذى الحياة ! أحيا لنفسه بفضل ذاكرته ماضياً يحفظ الثأر ، وخلق لنفسه بفضل بصيرته مستقبلاً يحمل الخوف ، فكان حاضره بينهما قتالاً مستحِرًّا لا ينقطع ولا يفتر ، إما دركاً لثأر الأمس الذى يتذكره، وإما كسباً لقوت اليوم الذى يتبصره ، وإما درءاً لخوف الغد الذى يتصوره

* * *

الحياة جميلة ، وأجمل منها الحى الذى يدرك هذا الجمال ويتذوقه ويستوعبه ويكتسيه . فالطائر أجمل من الروض لأنه عرف كيف ينقل ألوانه على ريشه، ويجمع ألحانه فى صوته . والأسد أجمل من الغابة لأنه استطاع أن يجمل رهبتها حية فى رهبته، وعظمتها ماثلة

فى عظمته . والجمل أجمل من الصحراء لأنه اندمج فيها فسير جبلها فى هيكله، وصور رملها على أديمه . والحوت أجمل من البحر لأنه قطعة من الحياة صيغت من لين مائه وشدة موجه وسرعة تياره . وكأنما يدرك الطبيعة ويسايرها ويتأثر بها كل شىء من ناطق وصامت إلا هذا الإنسان ، فقد خرج عن سنة الله فى خلقه حتى اختصه بالأنبياء والرسل والمدارس والكتب ! وهيهات أن يدخل النور عين الضرير ، ويبلغ الصوت أذن الأصم !

***

الحياة جميلة ؛ وليس جمالها قصراً على قوم دون قوم ، ولا على طبقة دون طبقة . إنما الجمال وضاءة الفن الإلهى أشاعه الله فى الأرض والسماء وهيأ المدارك للاستغراق فيه والاستمتاع به . فمن كان ذا سمع وبصر وقلب وجده فى كل منظر وأحسه فى كل حالة . فهؤلاء الذين يمرون عليه وهم معرضون عنه قد فسدت فيهم طبيعة الحياة، وتبلدت فيهم ملكة الحس ، فانقطع ما بينهم وبين الوجود الحق والوجدان الصحيح

إن الجمال وسيلة الطبيعة لحفظ الحياة وبقاء النوع ، تجمع به ما شتّ، وتؤلف به ما نفر . وهو بعد ذلك سرور النفس ونور القلب وسلام الروح ؛ فمن تملاه فى صوره الحسية والمعنوية فى الكون كان له منه فى كل زمان شباب وفى كل مكان ربيع

***

الحياة جميلة ، ومظهر الشعور بجمالها المرح والبهجة . فأينما تر الجمود والكآبة تر الشعور الذى أدركه الكلال أو أصدأه القبح أو أفسده الشر، فيموت فيه الوعى، أو ينعكس فيه الجمال، أو ينقلب فيه الخير . فالجمال فى الطبيعة لا بد أن يجاوبه جمال فى النفس ؛ والصفاء فى العيش لا بد أن يعادله صفاء فى القلب . ومن هنا استتر الجمال والصفو على ذوى الحس المظلم والضمير الخامد

كن جميلاً تر الجمال فى كل شىء حتى فى الدمامة . ومتى امتلأت قواك المدركة بمفاتنه ومباهجه حَلِى الوجود فى صدرك ، وساغ المر فى فمك ، وسعيت إلى مجالى الجمال فى النيل والجزيرة والريف فشدوت مع الطير ، وطرت مع الفراش ، وسبحت مع السمك ، واستطعت أن تطاول الأغنياء فى العز وتشآمهم فى النبطة ، وتقول لهم : إن السعادة بالجمال أضعاف السعادة بالمال ؛ والمال لكم تجدوه عليكم ، ولكن الجمال لله تجدواه على الناس

الحياة جميلة ، وأنت يا ابن الحياة وارث هذا الجمال . فلِم تزوى عنه وجهك وترسل عينيك بالحسد والحقد إلى المترفين الخائضين وهم يتلهون بالقنص ، أو يتزحلقون على الجليد ، أو يستمتعون بالسياحة ؟ إن فى القاهرة وضواحيها من الجمال المبذول والنعيم المشاع ما يكفكف ثورتك على الغنى، ويلطف سخطك على الحياة. هذا هو النيل الجميل يجرى بين ضفافه السحر ، ويخطر على سواحله الفتون ؛ فمن الذى يمنع جمهرة الشعب أن تداعب أمواجه بالمجاديف ، وتشق عبابه بالزوارق ، وتقيم على شاطئيه مهرجانات السباق ومسارح اللهو ؟ إنك لتمر على النيل فى أى ساعة شئت من النهار أو الليل فتحسبه من السكون المخيم على شاطئه ومائه يجرى فى مجاهل الأرض . ولولا أن عليه جسوراً لا مناص من عبورها إلى الشاطئ الغربى لما ذكره القاهريون إلا كما يذكرون المقطم !

إن حياة الكسل والرخاوة والجمود والانقباض التى نحياها ألقت من ظلالها الباردة على النيل والجزيرة، فجعلت النيل فى ركود المستنقع، والحدائق فى سكون المقبرة . ولذلك ترى الناس يمشون على جنباته أو بين جناته مطرقين صامتين كأنهم فى مجال التأمل أو فى مقام العبرة!

***

الحياة جميلة ، ولكن جمالها يقتضى أن يكون لنا زعماء للهو يصححون إدراكنا للحياة ، ويرهفون أذواقنا للجمال ، ويهيئون قلوبنا للسرور ، ويشغلون أوقات فراغنا بالمسابقات الرياضية ، والمهرجانات الوطنية ، والسباحات النهرية ، والملاهى الفنية ، والمواكب الشعبية . وليس أقدر على هذه الزعامة اليوم من وزارة الشؤون الاجتماعية ، فإن هذا الذى ذكرنا داخل فى مناهجها وعلاجها ؛ وهو يشبه أن يكون غرضاً أصيلاً من أغراض وزيرها المجاهد المصلح ، فإن سياسته فى تقويم الشباب قائمة على تقوية رجولته وشجاعته بالعسكرية ، وتربية خلقه وذوقه بالرياضة

يصدر عددنا الممتاز فى اليوم الرابع من
شهر مارس المقبل مدبجاً كل ما فيه بأقلام
أعيان البيان فى مصر والعالم العربى

قصة سامراء

للأستاذ أبي خلدون ساطع الحصرى بك

قصة مدينة سامراء من أغرب وأمتع قصص المدن في التاريخ: « قطعة أرض قفراء » على ضفة مرتفعة من نهر دجلة « لا عمارة فيها ولا أنيس بها ، إلا ديراً للنصارى » تتحول – فى مثل لمح البصر – إلى مدينة كبيرة ، لتكون عاصمة لدولة من أعظم الدول التى عرفها التاريخ ، فى دور من ألمع أدوار سؤددها . . . تنمو هذه المدينة الجديدة وتزدهر بسرعة هائلة ، لم ير التاريخ مثالها فى جميع القرون السالفة ، ولم يذكر ما يماثلها بعض المماثلة ، إلا فى القرن الأخير – فى بعض المدن التى نشأت تحت ظروف خاصة – فى بعض الأقسام من العالم الجديد

غير أن هذا الازدهار العجيب لم يستمر مدة طويلة ، لأن المدينة تفقد « صفة العاصمة » التى كانت « علة وجودها وعامل كيانها » قبل أن يمضى نصف قرن على نشأتها ، فتأخذ فى الإقفار والاندراس بسرعة هائلة ، لا تضاهيها سوى تلك السرعة الشاذة التى كان تم بها تأسسها وتوسعها

وبعد أن كان الناس يسمونها باسم « سر من رأى » أضحوا يسمونها باسم « ساء من رأى » . . . وبعد أن كان الشعراء يتنافسون فى مدح قصورها ، أخذوا يسترسلون فى رثاء أطلالها

فبعد أن قال ابن الجهم فى وصف أحد قصورها :

بدائع لم ترها فارس ، ولا الروم فى طول أعمارها
صحون تسافر فيها العيون إذا ما تجلت لأبصارها
وقبة مَلك ، كأن النجو مَ تُفضى إليها بأسرارها

رثاها ابن المعتز ، بقوله :

قد أقفرت سر من رى وما لشىء دوام
فالنقض يحمل منها كأنها آجام
ماتت كما مات فيل تسل منه العظام

وفى الواقع ماتت سامراء ميتة فجائية بعد عمر قصير لم يبلغ نصف القرن ؛ وأمست رموساً وأطلالاً هائلة ، تمتد اليوم أمام أنظار الزائر ، وتتوالى تحت أقدام المسافر إلى أبعاد شاسعة لا يقل امتدادها عن الخمسة والثلاثين من الكيلو مترات

عندما يتجول المرء بين هـذه الأطلال المترامية الأطراف ، ويتأمل فى السرعة العظيمة التى امتاز بها تأسس مدينة سامراء وتوسعها من جهة ، وإقفارها واندراسها من جهة أخرى . . . لا يتمالك نفسه أن يسأل عن العوامل التى سيطرت على مقدرات هذه المدينة العظيمة ، وصيّرت قصة حياتها بهذا الشكل الغريب

إن العوامل السياسية التى لعبت دوراً هاماً فى هذا المضمار ، لم تكن كثيرة التعقيد ؛ بل إنها تتجلى لنا بكل وضوح عندما نُلقى نظرة عامة على أهم الحوادث التى وقعت فى عهود الخلفاء الثمانية الذين توالوا على أريكة الخلافة العباسية فى سامراء

يجابه الخليفة المعتصم – وهو ابن هرون الرشيد – مشا كل عظيمة فى إدارة البلاد ، فيرى أن يتغلب عليها باستخدام جيش من الموالى والمماليك ؛ فيكثر من شراء الغلمان – من بلاد المغرب والمشرق – وعلى الأخص من بلاد ما وراء النهر بغية تكوين جيش مطيع ينزل على إرادته على الدوام. غير أن تكاثر هذا الجيش الغريب فى العاصمة القديمة – بغداد – المزدحمة بالسكان ، يؤدى إلى حدوث بعض الوقائع بين العساكر والأهلين . فيقرر الخليفة إزاء هذه الحال إنشاء عاصمة جديدة — بعيدة عن القديمة — ينتقل إليها بعساكره وقواده ووزرائه وندمائه وكتابه وأتباعه ، ويدعو الناس إليها ، على أن يرتب كل شىء فيها على حسب ما يتراءى له « مفيداً » لتوطيد دعائم ملكه من جهة ، ولزيادة جلال عاصمته من جهة أخرى

يمضى الخليفة فى تحقيق فكرته هذه بعزم قوى وفى خطة محكمة ، فينتخب موقع سامراء ، بعد التحرى والبحث ، ويؤسس عاصمته الجديدة هناك ، على أساس القطائع المنظمة ، فيجعل كل مجموعة من القطائع قائمة بنفسها ، مستقلة عن غيرها بمساجدها وأسواقها وحماماتها

و « يفرد قطائع الأتراك عن قطائع الناس جميعاً ، ويجعلهم منعزلين عنهم لا يختلطون بقوم من المولدين » ولو كانوا من التجار حتى أنه يفكر فى أمر ذريتهم و « يشترى لهم الجوارى ، فيزوجهم منهن ، ويمنعهم أن يتزوجوا ويصاهروا أحداً من المولدين ، إلى أن ينشأ لهم الولد فيتزوج بعضهم من بعض »

لا شك فى أن هذه الخطة كانت تنطوى على محاولة سياسية خطيرة ، بل كانت بمثابة تجربة اجتماعية جزئية ؛ كما لا شك فى أن التدابير التى اتخذها المعتصم فى سبيل تنفيذ هذه الخطة كانت

دقيقة وحازمة . ومع هذا فإنها لم تأت بالفوائد التى كان يتوخاها منها ، بل أفضت إلى نتائج معاكسة للأهداف التى كان قد رمى إليها معاكسة تامة . ونستطيع أن نقول : إن المعتصم كان قد حسب حساباً لكل شىء فى هذا الباب غير شىء واحد ، وهو التطور الذى يحدث فى نفسية الجيش — بطبيعة الحال — عندما يتكون أفراده وقواده من الغرباء ، ولو كانوا فى الأصل من الأرقاء ...

أراد المعتصم — بخطته هذه — أن يتخلص من مشاغبات الأهالى ، غير أنه لم يدرك أن هذه الخطة ستؤدى — عاجلاً أو آجلاً — إلى جعل الخلافة ألعوبة فى أيدى الجنود الغرباء وقوادهم الطامعين

وهذا ما حدث فعلاً : فقبل أن تمضى عشرون سنة على وفاة الخليفة المعتصم الذى وضع هذه الخطة وشرع فى تطبيقها ، تفاقمت سيطرة القواد، ووصلت بهم الجرأة إلى قتل الخليفة المتوكل قتلاً فظيعاً ، وبعد ذلك تتابعت الأحداث والاضطرابات وأفضت إلى قتل الخلفاء وخلعهم ثلاث مرات متواليات خلال عشر سنوات ، إلى أن تولى الخلافة المعتمد . وبعد أن بذل بعض الجهود فى سبيل توطيد دعائم ملكه فى سامراء نفسها ، رأى أن يقضى على هذه المحاولات كلها ، فقرر أن يترك سامراء وأن يعيد كرسى الخلافة إلى بغداد بصورة نهائية

ولذلك نستطيع أن نقول إن الخطة السياسية التى وضعها المعتصم — والتجربة الاجتماعية التى قام بها تنفيذاً لهذه الخطة — انتهت بفشل تام .

غير أن قصة هذه المدينة العجيبة ، إذا انتهت من الوجهة السياسية بفشل أليم ... فإنها تكللت — من الوجهة العمرانية — بنجاح كبير يسجله تاريخ الفن والعمران بمداد الإجلال والإكبار ...

إن إقدام الخليفة المعتصم على تأسيس عاصمته الجديدة كان فى عنفوان الخلافة العباسية وعظمتها ؛ فكان من الطبيعى أن تتمثل فى هذه العاصمة تلك القوة والعظمة أحسن تمثيل ...

إن الأراضى التى اختارها المعتصم لتشييد المدينة الجديدة ، كانت منبسطة واسعة ، ولم يكن فيها من المبانى القديمة ما يعرقل خطط المبانى الجديدة ، ولا من التلول والوديان ما يحدد ساحات البناء؛ فاستطاع الخليفة أن يجعل القطائع كبيرة فسيحة ، والطرق عريضة طويلة . . . وسيستطيع أخلافه أن يوالوا عمله هذا ، ويعددوا الشوارع ويوسعوا المدينة ...

إن المملكة التى كان يحكمها الخليفة المعتصم كانت غنية وكثيرة الموارد جداً . فكان فى استطاعته أن ينفق أموالاً طائلة لتشييد القصور والمساجد ، وسائر المرافق العامة ، كما يكون فى استطاعة أبنائه أيضاً أن يستمروا على الإنفاق فى هذه السبيل بدون حساب

إن المملكة التى تبوأ كرسيها المعتصم كانت فسيحة الأرجاء مترامية الأطراف، فكان فى إمكانه أن يجلب أمهر الفعلة والبنائين وأشهر المهندسين والفنانين ، من جميع أقطار ملكه العظيم . وفى استطاعته أن يضع تحت تصرف هؤلاء كل ما يطلبونه من مواد الزخرفة والبناء ولو كانت مما يجب جلبها من بلاد بعيدة . . .

إن اجتماع كل هذه العوامل الفعالة بهذه الوجوه المساعدة ، سيفسح أمام المهندسين والفنانين مجالاً واسعاً للعمل والإبداع ، وسيتحف العاصمة الجديدة بأوسع القصور وأجلها ، وأعظم المساجد وأبدعها ...

وكان من الطبيعى ألا تقف هذه الحركة الإنشائية عند حد القصور والمساجد وحدها ... بل تتعداها إلى الدور والشوارع والبساتين أيضاً . لأن المعتصم لم يقصد ـ بعمله هذا ـ إيجاد « مقر خلافة » و « معسكر جيش » فحسب ، بل كان يقصد ـ فوق ذلك ـ إيجاد « عاصمة مملكة » بكل معنى الكلمة . إنه أراد إنشاء عاصمة جديدة ، تنافس بغداد فى السعة والنفوس والعمران . فكان من الحتم عليه أن يستقدم جماعات كبيرة من الناس ومن أصحاب المهن ـ على اختلاف أنواعهم وأصنافهم ـ ، وأن يقطعهم الأراضى ، ويجزل لهم العطايا ، ويحثهم على البناء . وكان من الطبيعى أن تتولد من جراء ذلك حركة إنشائية واسعة النطاق شديدة النشاط . . .

غير أن من البديهى أن بناء الحوانيت والدور لا يمكن أن يحاكى بناء المساجد والقصور . فإذا كان فى استطاعة الخلفاء وفى مكنة الأمراء أن يزودوا المعمارين والفنانين بكل ما يطلبونه من النفقات ، فلم يكن فى إمكان الناس أن يقتدوا بهم فى هذا المضمار ... وإذا جاز لمعمارى المساجد والقصور أن يبنوا ما يبنونه بأجود المواد الإنشائية ـ ولو كانت كثيرة الكلفة ـ وأن يزينوه بأجمل المواد الزخرفية — ولو كانت باهظة الثمن — . فلم يكن

معقولاً لبنائي الدور أن يطمعوا في شيء من ذلك ، بوجه من الوجوه . بل كان عليهم أن يتسابقوا في إيجاد الطرق والأساليب التي تضمن البناء بأقل ما يمكن من النفقة وأعظم ما يمكن من السرعة ، دون أن يبتعدوا عن مقتضيات الطرافة والجمال ... كان يتحتم عليهم أن يستعملوا المواد المبذولة في محيطهم ، ويظهروا قوة ابتكارهم في كيفية استفادتهم من خواص تلك المواد في الزخرفة والبناء ... ومن حسن حظهم أن الطبيعة في سامراء كانت مساعدة على كل ذلك مساعدة كبيرة

لأن موقع المدينة يرتفع عن الضفة الأخرى بعض الارتفاع ، والطبقة الترابية فيه تكوّن قشرة قليلة الثخن تستر طبقة صخرية ؛ فالأرض لا تتعرض لخطر الغرق حتى في أشد حالات الفيضان ، كما تبقى مصونة من الرطوبة على الدوام . وهناك مناطق طينية واسعة تساعد على صنع اللبن الجيد. وهنالك أتربة كلسية كثيرة تصلح لتحضير الجص القوي ... ففي استطاعة البنائين أن يستفيدوا من هذه الوجوه المساعدة ؛ فإنهم يستطيعون أن يبنوا المباني الكبيرة باللبن دون أن يخشوا تأثير الرطوبة والمياه فيها ؛ كما أنهم يستطيعون أن يضمنوا متانة تلك الأبنية باستعمال الجص مِلاطاً لاحماً بين قطع اللبن وأسوافها ، وبعقد الطوق بالآجر أو بطابوقات مصنوعة من الجص ... وأخيراً يستطيعون أن يستروا رداءة مادة البناء بطلاء الجدران بالجص ، كما يستطيعون أن يزخرفوا هذا الطلاء بالتلوين أو بالنقش والحفر

إن هذه الزخرفة يمكن أن تعمل خلال البناء كما يمكن أن تعمل بعد إتمامه ؛ والقشرة الجصية التي تتكون عليها هذه الزخارف يمكن أن ترفع بسهولة ، كما يمكن أن تعوض بقشرة جديدة تزخرف بأشكال تختلف عن الأشكال السابقة ...

إن الزخرفة على هذه الطريقة تكون رخيصة ، ولذلك تعمم بسهولة . فكل واحد من أصحاب الدور يستطيع أن يزخرف بعض غرفه بمقدار ما تسمح له موارده ، كما يستطيع أن يعمم الزخرفة في الغرف الأخرى متى صلحت أحواله المالية ، أو يستبدل بها غيرها متى ملّها وأراد الأبدع والأكمل منها ...

ولهذه الأسباب كلها سيكون أمام الفنانين مجال واسع للعمل في هذا المضمار ... إذ هناك عشرات الألوف من الدور يطلب أصحابها الزخرفة لمئات الألوف من غرفها . ومن الطبيعي أن هذا الطلب الشديد المستمر سيؤدي إلى تنشئة جماعة كبيرة من الفنانين الماهرين في الزخرفة ، وسيحملهم على التسابق في طريق التفنن والإبداع على الدوام

ولهذا كان من الطبيعي أن تزدهر في سامراء صنعة الزخرفة الجصية ازدهاراً كبيراً ؛ وتولد طرازاً خاصاً مع أشكال لا تعدُّ ولا تحصى ، فيرتبط اسم سامراء — في تاريخ الفن — بهذا الطراز الخاص من الزخرفة... وتمتاز هذه المدينة ، بجانب عظمة قصورها المديدة ، وفخامة مساجدها الفسيحة ، وامتداد شوارعها العظيمة ، ونضارة بساتينها الجميلة — بزخارف دورها الكثيرة

كما كان من الطبيعي ألا يبقى هذا الطراز من الزخرفة محصوراً بسامراء وحدها ، بل ينتقل ـ بواسطة قواد المعتصم وأخلافه ـ إلى القاهرة أيضاً ، ويخلف هناك آثاراً باهرة في جامع ابن طولون من جهة ، وفي المنازل المبنية في العهد الطولوني من جهة أخرى

لقد مضى على قصة هذه المدينة العجيبة أكثر من عشرة قرون ... وأما الآثار والأطلال الباقية منها إلى الآن ، فتضيف ذيلاً جديداً إلى غرابة مقدراتها المتسلسلة . إذ من الغريب أن آثار دورها المبنية من اللبن والمزخرفة بالجبسين، قاومت حدثان الدهر، أكثر من قصورها المبنية بالآجر والمزخرفة بالرخام... والسبب في ذلك أن القصور تعرضت لتخريب الناس الذين اعتبروها بمثابة محاجر غنية بالمواد الإنشائية الصالحة للاستعمال ، في حين أن الدور سلمت من تخريب الناس ، ولم تتعرض لتدمير أيد غير أيدي الطبيعة والزمان ... ويظهر أن أيدي الإنسان قادرة على التخريب — بوجه عام — أكثر من أيدي الزمان !

أبو خلدون

ويسألونك عن القاهرة

قل القاهرة بغداد الأمس وباريس اليوم

للدكتور زكي مبارك

أكتب هذه الرسالة وقد هربت من ضجيج القاهرة في مساء العيد . وهل في شوارع القاهرة في مثل هذا المساء موضع قدم لمن يريد أن يزوِّد قلبه وعينيه بما في أعياد القاهرة من مواكب السحر وملاعب الفتون ؟

هي دنيا من الغرائب والأعاجيب تسعد بها قلوب ، وتشقى بها قلوب . وهل يعرف حلاوة السعادة أو مرارة الشقاء غير قلب تنطوي عليه أحشاء القاهرة في يوم عيد ؟

يقال في كل أرض : إن النكتة المصرية هي أبرع ما عرف الناس من صور الذكاء . وهذا حق ...

ولكن هل فكر أحد في أسباب هذه الخصوصية ؟

إن النكتة هي النافذة التي نشرف منها على مروج الطرب والابتسام. ولو خلت حياتنا من النكتة لقتلنا الغيظ على الأيام الجوائر التي لا يلتئم بها شمل ولا يعتدل ميزان

ولعل القادير لوَّنت القاهرة هذا التلوين العجيب لتطبَّ لقلوبنا الدامية ، القلوب التي مزّقها الهيام بالحب والمجد فلم تعرف معنى القرار في صباح أو مساء

قلت لقلبي : أيكون فرارك من ملاعب القاهرة في مساء العيد دليلاً على أنك تُشبه الطفل الذي يزهد في اللعب ؟

فقال : وما حكم الطفل الذي يزهد في اللعب ؟

فقلت : ينزعج عليه الأهل ، ويستقدمون له الطبيب ، لأن الطفل لا يزهد في اللعب إلا وهو عليل

فقال : وأين أهل القلب العليل لينزعجوا عليه ويستقدموا له الطبيب ... ؟ وعندئذ عرفت أن قلبي يعيش في الدنيا بلا أهل !

* * *

هنا القاهرة !

نعم ، هنا القاهرة . ولكن أين تقع القاهرة مما يريد القلب المفطور ؟ أين هي أصل العلة التي ردَّت الفؤاد وهو صديع ؟

كانت القاهرة في ماضيها مدينة محدودة النطاق . وكان لها أسوار وأبواب . وكان حراسها يطوفون أرجاءها في ساعة أو ساعتين ثم يصعد رئيسهم فوق منارة ويصيح :

« ناموا ، أيها المسلمون ، فأنتم في أمان »

فأين نحن من ذلك الأمان وقد جدَّت في دنيانا معاطب غير عدوان اللصوص على المتاجر والبيوت ؟

يستطيع كل قاهريّ أن يطمئن إلى أن منزله أو متجره في أمان من سطوات الليل ؛ ولكن أين الأمان من عدوان الشياطين ، شياطين الفراثر والنحاثر والطباع ؟

من يضمن لك الأمان في مدينة مثل القاهرة وهي اليوم مَسْبَعَة عقلية تصطرع فيها المذاهب والآراء ، ولا يغمض فيها جفن إلا وهو مروَّع بقلب ساهر لا يعرف السكون إلا يوم تمنّ عليه المقادير بالموت ؟

من يضمن لك الأمان في مدينة مثل القاهرة وأنت من نفسك في حرب ، ومن الزمان في قتال ، ومن الزملاء في نضال ؟

يجب أن تعرف أنك في دنيا جديدة لا يَسلَم من خطوبها وصروفها غير من أمدته المقادير بالصبر عما في القاهرة من اصطراع العواطف واصطخاب الأهواء

فهل أنت من الصابرين ؟ وكيف تصبر عن القاهرة ، وهي قاهرة وفي دمك وروحك أقباسٌ من سعيرها المعسوف ؟

ألم تسمع ما وقع يوم أقيمت مباراة الأناشيد العسكرية ؟

تلقت اللجنة خمسمائة نشيد ولم تختر غير خمسة أناشيد. فقال القائلون: هذا شاهد جديد على أن دولة الشعر يكثر فيها الأدعياء !

وكان ذلك لأننا نعيش في القاهرة مدينة الأناقة والفخامة والزخرف والبريق ، وفي مثل القاهرة تُقهر العواطف وتُظلَم القلوب . وإلا فكيف جاز أن ينسى المحكّمون ما في تلك الثروة الشعرية أو النظمية من الدلالة على حرارة الأفئدة وشهامة العقول ؟

خمسمائة نشيد ؟ معنى ذلك ، أيها الناس ، أن القاهرة فيها خمسمائة قلب ، وذلك مغنمٌ عظيم . ولكن أين من يقيم الميزان لحيوات القلوب وهي لا تُوزن ولا تقاس ولا تكال ؟

وهل يَشقى في المدائن العظيمة غير أصحاب القلوب ؟

* * *

هنا القاهرة !

نعم ، هنا القاهرة ، ولكن أين مكان الأديب في المدينة التي أصبحت عاصمة الشرق ؟ أين مكان الأديب في القاهرة وبفضل قلم الأديب صارت القاهرة عاصمة الشرق ؟ وهل خُلِّدت ليلى إلا بفضل أشعار قيس ؟

أين مكان الأديب فى القاهرة ، ومن دم قلبه ُخطّ تاريخها الحديث؟ بل أين من تسمح له القاهرة بأن يقول إنه فى هواها مجنون؟

إنى وإياها كفتنةٍ بالنار تحرقه ويعبدها

هنا — فى القاهرة — زاد العقول والقلوب والعواطف والأحاسيس ، فأين مكان الأديب يا قاهرة ليؤدى ما أداه عشاق بغداد فى القديم وعشاق باريس فى الحديث ؟

زرت حديقة الأزبكية فى صباح اليوم وهو يوم عيد فلم أر فيها غير شراذم من غلف القلوب ، فأين الأديب الذى يُشعر الدنيا بأن فى القاهرة حديقة اسمها حديقة الأزبكية ؟ وكيف جاز أن تخلو هذه الحديقة فى يوم العيد من مواكب الُحسن الوضاح، والجمال الفضاح ؟ ومتى نعيش إذا ألهانا جِدُّ القاهرة عن مداعبة الملاح فى يوم العيد ؟

متى نعيش إذا استطاعت ُمحرِجات الحياة أن تقهرنا على التفكير فى منافعنا الدنيوية فى المواسم والأعياد؟ وهل ُعمرنا عمر نوح حتى نصبر عن مواسم الأفئدة إلى أجل قريب أو بعيد ؟

هى أيام نقضيها مشدودين بسلاسل وأغلال إلى « قطار الفاجآت » فى هذه الحياة . فمتى نلتفت إلى ما أنبت الغيث فى صحراء الحياة من أزهار ورياحين ؟

سيندم قومٌ على ما ضيّعوا من مواسم القلوب فى القاهرة . وسأذكر بعد فوات الوقت أننى جنيت على شبابى حين أضعته بين سواد المداد وبياض القرطاس فى زمن لا ينفع فيه غير الاتجار بالتراب . فهل أخرج من دارى إلى معاقرة الحياة بالقاهرة فى هذا المساء ؟ وكيف ولى شواغل تحرمنى الحرية فى مساء العيد ؟

وهل يستطيع قاهرىٌّ أن يُمضى يوماً واحداً بلا كفاح وهو يعيش فى مدينة مقدودة من صخور الصبر على مصاولة الحياة

إن هذه المدينة التى تفتنكم لم ُتخلق فى يوم وليلة ، وإنما هى ُعصارة العزائم الشداد فى الأجيال الطوال . فمن أقام فى القاهرة وله عقل وذوق فليحاسب نفسه على اللمحات واللحظات ليؤدى الزكاة عن قلبه وعقله وذوقه إن كان من الموفَّقين ، وإلا فهو نفاية ملفوظة فى المدينة « القاهرة » التى تنكر خمود الغرائز وجمود الأحاسيس

* * *

هنا القاهرة !

إى ، والله ، هنا القاهرة . وما أسعد من يرى القاهرة أول مرة !

لقد فتنت هذه « القاهرة » من زاروها فى هذه الأيام للاشتراك فى المؤتمر الطبى العربى ، وحمدوا الله على أن جعل للعروبة مدينة مثل القاهرة تتكلم اللغة العربية . فإن لم تكن القاهرة أعظم مدينة فى العالم كله فهى بالتأكيد أعظم مدينة فى الشرق بفضل ما جمعت من الخصائص الذاتية التى تحكم لها بالفضل على جميع مدن الشرق ، وليس ذلك بالقليل

ولكن أين من يعرف أننا بسبب هذه العظمة أشقياء ؟

أين من يعرف أن القاهرة لا تعظم من يوم إلى يوم إلا لتزيد أعباءنا فى الحياة ؟ وإلى المنصفين من إخواننا فى الشرق أقدّم الظاهرة الآتية ليعرفوا فى أى جحيم يعيش القاهريون

فى كل بلد من بلاد الشرق يستطيع الرجل الوسط أن يعيش لأن الدنيا فى بلاد الشرق لا تزال تتسع للأوساط من الرجال

أما مصر — ويرحم الله أهل مصر ! — فليس فيها للرجل الوسط مكان

العالم الوسط لا يستطيع العيش

والأديب الوسط لا يجد الرزق

والمغنى الوسط يضيع

والطبيب الوسط لا يجد ثمن الدواء حين يمرض

والصحفى الوسط لا يملك الوصول إلى خبر صغير

والممثل الوسط قد لا يجد الفرصة لشهود رواية صغيرة ، فضلاً عن القدرة على الاشتراك فى التمثيل

القاهرة تقول فى كل وقت : كن قاهريًّا

وهل يستطيع كل مصرى أن يكون قاهريًّا ؟

أليست القاهرة هى التى فرضت الخمول على مئات من الشعراء لأنهم لم يكونوا فى عبقرية شوقى وحافظ وصبرى ومطران ؟

أليست القاهرة هى التى فرضت الخمول على مئات من الكتاب لأنهم لم يكونوا فى عظمة محمد عبده وعلى يوسف وعبد العزيز جاويش ومصطفى المنفلوطى ومحمد المويلحى ؟

ومن ُكتّاب اليوم وشعراء اليوم ؟

عندنا مئات من الكتاب والشعراء ، ولكنهم سيموتون بغصة الحسرة على أن نشأوا فى القاهرة لهذا العهد ، عهد الزحام العنيف الذى لا يسلم من كربه غير الفحول الصوّالين

لقد قيل إن الرحمة فوق العدل . فأين نحن من الرحمة وأين نحن من العدل ؟ أين من يرحم الأديب الوسط أو يعدل فى الحكم على الأديب الوسط فيقضى بأن من حقه أن يعيش لأنه قد يكون أقدر من بعض الذين خلّدهم أبو الفرج الأصفهانى ؟

وأين الراحم أو العادل الذى يقول بأن فى شعراء اليوم ، الشعراء الذين أخملتهم القاهرة ، من يفوق عشرات من شعراء « اليتيمة » و « الذخيرة » و « قلائد العقيان » ؟

القاهرة لا تتسع أبداً لغير الأفذاذ الذين يغلبون الزمان

وهنا جواب السؤال الذى يوجّه إلىّ فى كل يوم :

« كيف يتسع وقتك لكل ما يَصدُر عن قلمك من الدراسات الأدبية والفلسفية ؟ »

وهل عندى وقت وأنا موظف مسئول أمام الواجب ؟

إنما أنا قاهرىّ يحبس نفسه فى البيت يوم العيد ليحفر بسنان القلم ثقباً يتطلع منه على ضوء العظمة القاهرية عساه يُقنع القاهرة بأنه رجل مجاهد يستحق أن يعيش

فإن رأيتم قاهريًا يصنع مثل الذى أصنع فاعرفوا أنه رجل مكدود يحاول الظفر بكلمة ثناء من المدينة العاتية التى حكمت بألا يعيش فيها غير من يقدرون على أمواج المحيط فى غضبة العواصف الهُوج، ودهرُنا كله عواصف هُوج يتفزّع من هولها المحيط

لا تصدقوا أبداً أننا نسعى فى سبيل المجد ، فذلك مَطلبٌ لا يخطر لنا فى بال ، وإنما نسعى للخلاص من شماتة الشامتين وسفاهة الكائدين

آه ثم آه ! !

لو كان الماضى ينفع لجاز لرجل مثلى أن يعتمد على ماضيه فى خدمة الحياة الأدبية والفلسفية ، ولكن القاهرة تعبس فى وجه الرجل الذى يعتمد على ماضيه ، لأن ذاكرتها تضيق عن مراجعة الأسماء ، أسماء المجاهدين الذين عطروا باسمها أرجاء الشرق . هى حسناء لعوب لا تعرف غير العاشق المزوَّد بأطايب الثروة والعافية . فيارب كيف أكون فى وطنى يوم يتعب قلبى فأنصرف عن الخلوة إليه فى يوم عيد ؟ حتى يوم العيد نقضيه فى نضال ؟

فى مثل هذا العيد من سنة ١٩٣٢ كذبت على أبى مرة ، ولم أكذب عليه غير تلك المرة . كتبت إليه أقول إنى سأقضى أيام العيد فى الإسكندرية فلا ينزعج أهلى إن حرمتنى هذه النزهة من الأنس بهم يوم العيد فى سنتريس

فهل قضيت تلك الأيام فى الأسكندرية ؟

لم تكن إلا حيلة لأحبس نفسى أيام العيد فى البيت لأكتب فصلاً من فصول « النثر الفنى » وهو الفصل الخاص بتطور السجع فى اللغة العربية

وهل يصنع بنفسه هذا الصنيع إلا قاهرىّ تقهره القاهرة على النضال المميت ليجد مجالاً فى المدينة التى تصطرع فيها أقلام المازنى والعقاد والزيات والبشرى وهيكل وطه حسين ، ومن إليهم من الباحثين الذين سيموتون قبل الأوان بفضل الكفاح الموصول ؟

القاهرة لا تعرف الرجل الوسط ، فافهموا هذه الحقيقة يا أبناء هذا الزمان ، وإلا فهناك « سَلّة المهملات » تنتظر الألوف ممن يراسلون الجرائد والمجلات ؟

يعزّ علينا من يحمله التلطف على القول بأن القاهرة عاصمة الشرق . فهل تعرف القاهرة أن أقلامنا هى التى صاغت لها تلك العقود من الثناء ؟ وكيف وعندها (سَفح المقطم) الذى وسع الألوف من أجسام العبقريين ؟

زرت سفح المقطم منذ أعوام لأستوحى روح ابن الفارض قبل أن أشرع فى كتابة الفصل الخاص به فى كتاب التصوف الإسلامى ، فراعنى أن أعرف أن تلك الناحية هى أنفع مكان فى القاهرة من الوجهة الصحية . وكذلك أيقنت أن القاهرة تدخر أجمل بقاعها للأموات . وما أحسبها تصنع ذلك وفاء ، وإنما أخشى أن تكون أرادت التنبيه إلى أن عظمة الرجل فى مصر لا تكون إلا بعد الموت !

يرحمك الله أيها القلب الذى يشغله الكفاح عن ملاهى العيد !

الآن ، وقد انتصف الليل أو كاد ، أفكر فى مصيرى بين قوى

أفكر فى الشباب المضيَّع بلا لهو ولا فُتون !

وهل كنت أول من ندم على الشباب المحروم !

ولكن ، هل أملك غير الذى صنعت وغير الذى سأصنع ؟

فيا أيها الوطن الغالى ، تذكّر ثم تذكر . تذكر أننى كنت ولا أزال مجنون ليلاك ! فإن رأيتنى صدفتُ عن أفراحك فى يوم عيد، فاعرف أن ذلك لم يقع عن جهل أو عقوق ، وإنما هى إرادتك العالية التى قضت بأن يعيش أبناؤك وهم دائماً فى حومة قتال !

وما أدعوك ، أيها الوطن ، إلى التصدق علىّ بنظرة عطف ، فأنا لا أقبل الصدقات ، وإنما أدعوك إلى مقابلة الجميل بالجميل ، فإن رفق الآباء يزيد فى بر الأبناء !

وطنى ! لقد شقيتُ بعظمتك، ومن أجل هذا أحبك وأستعذب الصاب والعلقم فى هواك !

وطنى ! إليك أسلمتُ قلبى وعقلى ، فخذ بزمامى إلى حيث تشاء، يا أنضر دوحة تغنّت فوقها البلابل ، ويا أجمل روضة رنّت فيها القبُلات ، ويا أطهر بقعة أقيمت فيها المحاريب ، ويا أشرف صحيفة ارهفت آذانها الواعية لصرير القلم البليغ .

زكى مبارك

الفروق السيكلوجية

بين الأفراد

للأستاذ عبد العزيز عبد المجيد

الفروق العقلية

ما هو الذكاء ؟ ... سؤال طبيعي ومعقول بعد هذه المقالات المتعددة التي شغلت الوفير من صفحات الرسالة. ولعلي لا أستطيع أن أجيب عن هذا السؤال بأكثر مما يجيب القارئ عن هذه الأسئلة: ما هو الزمن ؟ وما هي الكهرباء ؟ وما هو الثقل ؟

والحقيقة أننا حين نقيس الذكاء لا نقيسه مباشرة ، لأننا لم نصل بعدُ إلى معرفة طبيعته ومكوناته ، وإنما نقيس مظاهره في الحياة والتصرفات والأفعال الذكاوية للانسان . والمفروض علميًا أن كل إنسان عنده قدر من الذكاء قل أو كثر، بل إن الرأى الحديث في علم النفس هو أن بعض الحيوان الأعلى كالشمبانزى[1] والنورلا والكلب على نصيب من الذكاء يظهر في تصرفاته

ولقد حاول علماء النفس منذ أن وضعت أول مقاييس للذكاء أن يحدوه ، ولكنهم ماوصلوا إلى رأى متفق عليه . وفي سنة ١٩٢١ نشرت مجلة علم النفس التربيوية الأمريكية آراء لأربعة عشر عالمًا نفسيًا كلٌ يحاول أن يعرف الذكاء . وكان تعريف ترمان صاحب المقاييس المشهورة بأنه « القـدرة على التفكير المنوى المجرد » abstract chinking . وعرفه كلفن بأنه « القدرة على التعلم » ، وعرفه بكنجهام بأنه « القدرة على العمل والتصرف تصرفًا إنتاجيا تحت ظروف معينة » . ومهما يكن من أجوبتهم فإنها تدل على أنهم لم يتفقوا على تعريف الذكاء الذى أنفقوا السنوات الطويلة في بحثه ووضع مقاييس له

وفي سنة ١٩٢٤ صدر تقرير من وزارة التربية البريطانية The Board of Education ، وضعته لجنة اشترك معها قادة رجال التربية وعلماء النفس الإنجليز للبحث في قوى الذكاء المختلفة، والاختبارات السيكلوجية المناسبة لها . ويشير هذا التقرير[2] إلى أن هناك ثلاث نظريات شائعة حول تعريف الذكاء

النظرية الأولى هي نظرية من يعتبره نتيجة وأثراً effect لبضع ملكات أو وظائف عقلية عامة . وتعزى هذه النظرية لألفريد بينيه السيكلوجي الفرنسي . وهو يقول في بعض مقالاته عن مقاييس الذكاء : إنه يقيس بها ملكة الإرادة ، وملكة الانتباه ، وملكة الحافظة ، وملكة التعقل[1] . ثم هو بعد ذلك يتحدث عن الذكاء في مقالة أخرى فيقول : « إن الذكاء ملكة أساسية أصلية ، تلك هي ملكة الحكم على الأشياء ، وإن شئت فسمها الحاسة العملية . وهي الملكة التي بها يكيف المرء نفسه للظروف المختلفة ... » ثم هو ينشر مقالاً في مجلة « العام السيكلوجي » في سنة ١٩٠٩ بعنوان « ذكاء ضعاف العقول[2] » يرى فيه أن الذكاء العام هو صفة عقلية ذات ثلاثة وجوه على الأقل : (١) إدراك المعضلات والمسائل والاتجاه العقلي المناسب لحلها وتنفيذها (٢) القدرة على التكيف المناسب الضروري للوصول إلى غاية معينة (٣) القوة التي بها يستطيع أن ينقد المرء نفسه

والنظرية الثانية هي نظرية من يرى أن الذكاء إنما هو لفظ يطلق على مجموعة من القدرات العقلية الخاصة المستقلة ، وهذه القدرات موروثة ويرتبط بعضها ببعض بنسب مختلفة . وصاحب هذه النظرية هو البروفسور ادوارد لى تورنديك . وهو يرى أن الطفل إذا كانت قدرته العقلية الموروثة على فهم مسائل الحساب ممتازة وظاهرة فإن ذلك يرجح أن قدرته العقلية الموروثة على فهم موضوعات الجغرافيا فوق المتوسط . ويقول : إن الفرد الذي له قدرة عقلية ممتازة في نوع من الأعمال لترجح هذه القوة فيه أن القوى العقلية الأخرى فوق المتوسط » . ويعود فيقرر أن هناك ثلاثة أنواع من القدرات الذكاوية الخاصة والموروثة، وهي الذكاء الذي يظهر في فهم معاني الكلمات والأفكار المنوية المجردة abstract ideas ، والذكاء الحركي أو المهارة العملية في استعمال الأيدي ، والذكاء الاجتماعي ، أو القدرة على التفاهم والانسجام مع من يتصل بهم الفرد في المجتمع . ومن أنصار هذه النظرية أيضاً البروفسور جودفرى تومسون[3]

---

(١) انظر كتاب The Mentality of Apes, 1925 لمؤلفه وصاحب التجارب التي فيه الدكتور W. Kochler

(٢) عنوان هذا التقرير هو : The Psychological Tests of Educable Capacity and thein possible use in the Public system of Education

---

(١) تسمى هذه النظرية نظرية الملكات العقلية . وأول من استعمل كلمة ملكة faculty هو أرسطو في كتابه النفس . وقد تأثر فلاسفة الشرق — وبخاصة ابن سينا — بنظريته في النفس، وحذوا حذوه . وفي مقدمة كتاب جهار مقاله الفارسي لنظامي عروضي شرح واف لنظرية الملكات العقلية وموضعها

(٢) نشرت في مجلة العام السيكلوجي سنة ١٩٠٩ بعنوان L'Intélligence des imbécilles

(٣) تومسون من معارضي « نظرية العاملين » التي وضعها سيبرمان والمشروحة تحت عنوان النظرية الثالثة

والنظرية الثالثة وهي الشائعة المعتمدة الآن هي التي تقول بوجود عامل عقلي رئيسي عام Central intellective factor يؤثر في كل ما يدركه الفرد ، ويؤثر في كل العمليات الإدراكية الخاصة التي يقوم بها الفرد . ومن أنصار هذه النظرية وليليام شترن الألماني . ويعرف الذكاء بأنه « القدرة على التهيؤ العام للمعضلات الجديدة وظروف الحياة » . والأستاذ كارل سبيرمان الذي زار مصر في العام الدراسي الماضي وحاضر في الجامعة وخارجها . أعلن سبيرمان في سنة ١٩٠٤ النظرية المشهورة « بنظرية العاملين » The two-factor Theory وفيها رد على القائلين بأن القوى العقلية مستقلة بعضها عن بعض — كما في النظريتين السابقتين — ويقول بوجود عامل مركزي مشترك بين جميع القدرات العقلية . ويسمى هـذا العامل بالعامل العام The general factor ، ويرمز له بالحرف (g) . وهذا العامل يختلف من فرد لآخر ، ولـكن يبقى ثابتاً في الفرد الواحد ، وبوجود عوامل أخرى خاصة مستقلة إلى حد ما بعضها عن بعض وتختلف قواتها في الفرد الواحد Specific factors ويرمز لها بالحرف (s) ، وسنرمز للعامل العام الجامع هنا بالحرف (ج) ، والعامل الخاص بالحرف (ص)[1] . فكل عملية عقلية — على رأي سبيرمان — إنما هي نتيجة مؤثرين : العامل العام الجامع وهو ثابت في الفرد الواحد ، والعامل النوعي الخاص بهذه العملية . فقدرة الفرد على حل معضلة حسابية تتوقف على مقدار العامل الذكاوي العام عنده ، وعلى العامل النوعي الحسابي الخاص ، والحال كذلك في الأعمال الموسيقية والفنية . وقد يكون العامل العام قوياً عند فرد ولكن العامل النوعي الخاص بالرسم مثلاً ضعيف عنده . وقد نجد فردين والعامل العام عند أولهما أقوى منه عند الثاني ، على حين أن العامل الخاص بقرض الشعر عند الثاني أقوى منه عند الأول . ولذلك نجد الثاني شاعراً أجود من الأول ، مع أن الأول أذكى من الثاني — إن صح هذا التعبير سيكلوجياً ، ولا يدخل العامل العام في كل العمليات العقلية بنسبة واحدة ، بل نجده في بعضها قوياً وفي بعضها ضعيفاً ، فهو يدخل في المسائل المنطقية والتي تحتاج إلى استنباط علاقات أكثر من دخوله في عمليات الرسم النظري مثلاً أو العزف على البيانو . ويفسر سبيرمان هذا بأن بعض العمليات العقلية أكثر تشبعاً بالعامل العام من البعض الآخر . ولكن بِمَ نسمي هذا العامل العام ؟ أنسميه الذكاء بالمعنى العادي الذي يفهمه الناس ، وهو في الحقيقة جزء من هذا الذكاء بالمعنى العادى ؟ إن سبيرمان ليكره أن تطلق كلمة الذكاء بالمعنى المعروف عند الناس على هذا العامل العام ، ولكن لا بأس من أن نتفق اصطلاحاً على تسمية هذا العامل العام الثابت بالذكاء[1] .

(١) اتبعت في استعمال هذين الرمزين وضع الأستاذ محمد خلف الله في كتابه : الطفل من المهد إلى الرشد

ثم يعود سبيرمان ويزيد عاملاً ثالثاً يسمى العامل الطائفي . وذلك أن أية عملية عقلية لحل مسألة حسابية عن القسمة مثلاً تتوقف على ثلاثة عوامل : العامل العام (ج) ، والعامل النوعي الخاص بهذه العملية (ص) ، والعامل الثالث هو العامل الطائفي (ط) الذي يدخل في كل المسائل الحسابية من جمع أو طرح أو قسمة الخ ، ويسمى special or group factor وقد أثبتت التجارب وجود عدد من هذه العوامل أو القدرات الطائفية أهمها : القدرة الحسابية ، والقـدرة اللغوية ، والقدرة العملية أو الميكانيكية Manual ability ، والقدرة الموسيقية ، والقدرة الفنية Artistic ability . ومن أنصار هـذه النظرية الأستاذ سرل برت ، وقد عرف الذكاء بأنه : « كفاية عقلية عامة موروثة » Inborn, gener al'intellectual efficiency . وقد أجرى تجارب كثيرة لقياس ذكاء الأطفال بالمدارس الأولية في ليفربول واكسفورد ولندن ، ووضع مقاييس تناسب الأطفال الإنجليز . وبناها على قياس القدرات العقلية العالية كإدراك العلاقات بين الأشياء . وهو يرى — بعد التجارب — أن هذه القدرات العقلية العالية متشابهة بين الأبناء والآباء ولذلك فهي موروثة . وهو يقول بوجود ذكاء عام وقدرات خاصة كتلك التي ذكرها سبيرمان ...

ومع أن علماء النفس لم يتفقوا بعد على ما هو الذكاء الذي يقيسونه[2] ، فإنهم متفقون على « ما هو ليس بالذكاء » . فهم متفقون على أن الذكاء ليس الخلق ولا المزاج والعاطفة . وهم متفقون على أن الذكاء ليس المعارف المكتسبة بالتعلم ، ولذلك يجب ألا تتعرض مقاييسه لـما يعرفه الطفل بالتعلم : كالقراءة والهجاء والحساب والجغرافيا . وكذلك هم متفقون على أن أي موهبة خاصة محدودة — كالموهبة الشعرية أو الموهبة الموسيقية — ليست المقصود بالذكاء ، لأن الذكاء عامل عام يدخل في كل العمليات العقلية الخاصة ومن بينها الشعر والموسيقى

عبد العزيز عبد المجيد

(١) أثبت سبيرمان بطريق الرياضة والاحصاء أنه يوجد معامل ارتباط Cœfficient of Correlation بين القدرات العقلية المختلفة وبين العامل العام . ولا داعي لشرح نظريته هنا

(٢) من الذين عرفوا الذكاء تعريفا جامعا المربي الانجليزي بالارد في كتابه « المقاييس الجمعية للذكاء » قال : « هو قدرة عقلية يظهر أثرها بطرائق مختلفة تتضح في الخطوات العقلية العليا أكثر من الدنيا ، وتنشط على الخصوص عند مواجهة حال جديدة النواحي وعند حل المعضلات ، وترتبط بالمقدرة على تحليل المدركات الحسية وترتيبها أو إعادة تنظيمها أكثر مما ترتبط بقبول المحسوسات والتأثيرات »

لوبيا المجهولة

للأستاذ على معمر الطرابلسى

قال الأستاذ الجليل الحصرى بك فى مقالة « بين الوحدة العربية والوحدة الإسلامية » فى الرسالة عدد ٣٢٨ : « إن العالم الإسلامى يشمل : الأقطار العربيـة وتركيا وإيران والأفغان وتركستان . مع قسم من : الهند وجزر الهند الشرقية وبلاد القفقاس ، وأفريقيا الشمالية مع قسم من أفريقيا الوسطى » .

وردّ عليه الأستاذ أبو الوفا بقوله : « فالأستاذ الحصرى يوهم أن الأقطار العربية هى فقط مصر والشام والعراق والحجاز واليمن . أما أفريقيا الشمالية التى تبتـدئ من تونس وتنتهى بمراكش ، فهذه عنده بلاد إسلامية وليست بعربية . فهل هذا هو الحق يا سيدى الأستاذ ؟ » — الرسالة عدد ٣٣٤ .

فالأستاذ ساطع الحصرى بك عدد البلاد الإسلامية ولم يهتد إلى ذكر لوبيا منفردة ، لأنها فى رأيه ورأى الحقيقة الجغرافية قطر من أقطار أفريقيا الشمالية ، لا فرق بينها وبين تونس والجزائر والمغرب الأقصى . ولـكن الأستاذ أبو الوفا لم يصل إلى علمه أنها من أفريقيا الشمالية ، ولم يفهم من كلمة الأستاذ الحصرى دخولها فى هذا القسم من البلاد الإسلامية ، فذهب يحدد أفريقيا الشمالية بأنها تبتدئ من تونس وتنتهى بمراكش . فأخرج هذا القطر الذى يدعوه التاريخ « لوبيا » ، وموقعه بين مصر وتونس من حساب الإسلام والعربية .

ولسنا ندرى متى انتحل هذا القطر ديناً غير الإسلام ، ومتى اختار له لغة غير العربية ! وقد فارقته سنة ١٩٣٦ وتركته بخير وعافية ، وقضيت ثلاث سنين بين تونس والجزائر ، فلم أسمع عنه ما يريب .

لو ترك الأستاذ تبيين كلمة الأستاذ الحصرى ، أو شرحها بغير هذا الشرح المحصور ، لما سمع منا شيئاً ، ولـكنه حرك فينا عاطفة قد آذاها ما كانت تراه من إخواننا فى تونس والجزائر والمغرب من إعراض وازورار . وجرحنا مرة أخرى بنكرانه عربية بلادنا وإسلاميتها بما يفهمه شرحه لكلمة الأستاذ الحصرى بك قصد ذلك أو لم يقصده . وقد آلمه ألا تعد أمته من الأمم العربية ، فما رأيه وقد أخرجنا من العروبة والإسلام ؟

ما رأيه فى إسلام لوبيا وقد سبقته إلى الفتح الإسلامى سنين وكانت معقلاً وممراً لغزاة العرب لما أرادوا فتح بلاده وتعريبها ؟

ما رأيه إذا أخبرته أن فتح لوبيا كان فى زمن عمر ، ولم يكن فتح بلاده إلا فى خلافة عثمان ؟

لو كانت هذه الكلمة أول ما رأينا من إخواننا فى الأقطار الثلاثة لما احتجنا إلى كلام . ولكنهم ـ عفا الله عنهم ـ لا يحبون أن تكون لوبيا من أفريقيا الشمالية برغم ما بذلته من جهود . وعند الأستاذ عبد الحميد بن باديس الخبر اليقين . ولعله لم ينس بعدُ رحلته إلى تونس سنة ١٩٣٦ وما لاقته به البعثة الطرابلسية من حفاوة وما وجهته إليه من لوم وعتاب . ولعله لا يزال يذكر ذلك العهد الذى عاهدهم عليه بحضرة رئيس جمعية الشبان المسلمين . ذلك العهد الذى أكد لهم فيـه ألا يتحدث عن شمال أفريقيا إلا ويبدأ من لوبيا ، بعد أن حاضر وحاضر فلم تجْرِ له على لسان

إن إخواننا بتونس والجزائر والمغرب لا يعترفون أو لا يريدون أن يعترفوا أن لوبيا من الشمال الأفريقى ، ولذا لا يرعون لها حق الشقيقة وواجبات الأخوة . وليس يضيرها أن تكون من هذا الشمال أو لا تكون ، ما دامت لا ترجو لمستقبلها غير أبنائها . ولكن يؤلمها أن تفصل عن أخوات يربطها بهن لحمة النسب والأخوة ، وأواصر اللغة والدين ، ويؤذيها أن تتحبب إليهن فيصغرنها ويتجاهلنها

إن لوبيا ، وهى فى جهادها الشريف المنيف ، تكابد آلامها المرة ، وتحمل أعباءها الثقال ، بدون مناصر ولا معين — لا يحسن بمسلم أن يؤلم عاطفتها المكلومة وقلبها الدامى ، بشىء يشعرها بانفرادها عن العالم العربى الإسلامى . ولا يجمل بإخواننا — وهى فيما هى فيه من محنة وعذاب ، أن يزيدوها ألماً على ألم

إن إخواننا بالأقطار الثلاثة لا يذكرون ، أو لا يحبون أن يذكروا أن لوبيا أخت لبلادهم . فهل كانوا فى ذلك من المصيبين ؟ الحق أنهم أخطأوا خطأ فادحاً ، ولن يستطيعوا قطع الجوار وحجز الثقافة ، وتفريق اللغة والدين ، بفضل ما بذله اللوبيون من جهود ، وقاسوه فى ربط العلائق من جهاد

وإنهم إن استطاعوا أن يتناسوا ذكرها مع أفريقيا الشمالية ، فلن يستطيعوا إنكار ما لها فى هذه الأقطار من أياد ، وما خلفته فيها من آثار

إن لوبيا أيها الناس ! ليست بالقطر الذى أغفله التاريخ وعدم المجد والشرف ، وهى صاحبة قورناء فى التاريخ القديم . إنها لا زالت تضرب المثل العليا لبنى الإنسان فى علو الهمة وطهارة

الضمير ، وأبناؤها المشردون فى البلاد العربية ، الشرقية والغربية شهداء على ذلك . فهل وعيتم ماذا أقول ؟

هل تذكرون أن من بواعث نهضة الشرق ويقظة العرب صليل السيوف ودوى المدافع فى لوبيا ؟

ولعلها من أول بلاد أحيت الروح العربية ، وذكرت الناس بمجدهم المهدوم وتاريخهم الوضاء ! فهل تحفظون لها هذا الجميل ؟

لم تكن لوبيا ميتة الإحساس ولا خامدة المشاعر ، ولم تكن خافتة الصوت ولا الحركة ، كما قد يخطر ببال كثير

إن فى لوبيا حركة أدبية وعلمية لا بأس بها ، لعلها تفوق فى ذلك بعض أقطار عربية أخرى ، ولكن من ذا يرى مقدار تقدم ثقافتها ، ويلمس من قريب دلائل الحياة وسمات القوة فيها ؟

هل زارها أدباء عرب طوفوا بالغرب ، وعلوا خبايا الشرق ، لعلهم يرجعون منها بخبر ؟

هل أنبأونا عما شاهدوا فيه من مظاهر الحياة أو نذر الموت ؟

هل رأوا ما فيه من مساجد وجوامع وكليات ؟

وكيف رأوا حالة المكاتب والمطابع ونظم التعليم هناك ؟

إن رجال العربية – عفا الله عنهم نسوا هذا القطر ، وامحت من ذاكرتهم كلمة لوبيا . ولو قدر لأحدهم أن يدخل إيطاليا من بحر العرب ، أو يزور صقلية ، أو ينتقل من الشرق إلى الغرب ، أو من الغرب إلى الشرق ، لما حدثته نفسه ، أن يقف بمرسى طرابلس ، أو يتأمل شواطئ بنغازى ، ولما طاوعته إرادته أن يدخل خليج السرت ، أو يمتع نظره بجمال الجبل الأخضر

إن لوبيا — أيها الناس — لم تنس حظها فى خدمة اللغة العربية ، برغم ما يسوقها من عقبات ، ويعترض سبيلها من صعاب : فأرسلت بعثات علمية إلى الأزهر ، كما كان لأخواتها فى الغرب والشرق من البلاد العربية ، وإن كنت أعترف أنها فقيرة إلى كثير من الاصلاحات والنظم ، وزينت حلق (الزيتونة) بعدد لا يستهان به وإن كان لا يزال محتاجاً إلى تنظيم أموره وتوحيد مسكنه ورعاية مصالحه ، ورأت الحاجة ماسة إلى تعلم بعض اللغات الحية غير العربية ، فكونت بعثة أخرى بإيطاليا منبثة فى معاهدها

أيها الأستاذ ! سأحدثك عما قريب عن العربية والإسلام فى هذا القطر ، سأحدثك عما يصطرع فيه من أهواء وآمال ، ويتغالب من حقائق وأباطيل

وسأنبئك عن حالة التعليم والثقافة هناك ، ومظاهر الحياة والطموح ، وسأريك كيف يعمل الرجال فى ذلك القطر الذى جهلته وجهله كثير من الناس

سأحدثك كثيراً أيها الأستاذ يوم أرجع من (مجاهل) أفريقيا الشمالية ، وأكون بين أهلى وأبناء وطنى ، أما اليوم فقد لا أستطيع الاتصال بكثير من الحقائق التى تدعم حديثى ، وقد تغيب عنى كثير من الشئون التى يجب أن أحدثك عنها

ولولا لحظات مسترقات يا سيدى ، لما استطعت كتابة هذه الكلمات . وأخيراً أقدم أعطر الثناء إلى كل من ذكر لوبيا بخير وتحدث عنها بالجميل . ولا يسعنى إلا أن أزف إلى الأستاذين اللذين حملانى على كتابة هذه الكلمات – الحصرى بك وأبى الوفا – أرق التحايا وأزكى التسليمات

(الجزائر) علي محمد الطرابلسي

شيطانة تتفلسف !!

للأستاذ محمود كامل حبيب

« إن المرأة خلقت من ضلع ، لن تستقيم لك على طريقة واحدة ، فإن استمتعت بها استمتعت بها وبها عوج ، وإن ذهبت تقيمها كسرتها ، وكسرها طلاقها »
حديث شريف

هى شيطانة شابة فتانة ، تخرجت فى مدرستها بعد أن نالت حظاً من الأدب والفلسفة والمنطق ، وشدت طرفاً من الكيمياء والطبيعة والرياضة ، وغذت خيالها بألوان من قصص الحب وروايات الغرام ؛ ووعت علم السيما فما تنسى منه حرفاً ؛ وتعلمتْ — فيما بين المدرسة والبيت — فنوناً شيطانية خلابة أرسلت الشاب فى إثرها يتلمس إليها الطريق — الفينة بعد الفينة — وهى بين الطمع والخوف لا تدفعه إلى اليأس ولا تجذبه إلى الملل

ودار الفلك دورة فإذا هى مُسَماة على هذا الفتى . ثم خطبت له

وجلست الشيطانة المتعلمة إلى نفسها — ليلة الزفاف — تتفلسف ... وتناهى إلىّ الحديث كله . وهأنذا أنقله إلى قراء (الرسالة) الغراء ، لا يعبث عقلى برأى ولا يعيث قلمى فى خاطرة إلا أن أدير الأسلوب — وهو عَرَض — على طريقة لا أمس بها الجوهر ...

قالت :

يا صاحبى لا تلمنى فإنها جِبلّتى الشيطانية هى التى توحى إلىّ

لقد عرفتك فتى ريّق الشباب ، بهىّ الطلعة ، لا يعوزك المال ولا العلم ، فآثرتُ أن تكون ...

ولجّ بك الهوى على حين كنتُ أمكر بك وأوسوس لك على آمال بُغيتى

لشدّ ما أفظعنى — وأنا فى المدرسة — أن أرى أستاذتى العجوز الشمطاء قد خذلها العلم وضيّعها الدرس ، فتناثرت زهرة شبابها وهى تتخبّط فى عَماء الحياة لا تستطيع أن تأوى إلى ركن ...

وأفزعنى أن أكون — بعد سنوات وسنوات — صورة منها ، فذهبتُ أتحسس منك

يا صاحبى لا تلمنى فما بى هوى لك ، ولكن حب نفسى لنفسى

إن المرأة المتعلمة تتفلسف فى الحب فإذا هو نظرية فلسفية ذات طرفين : الأنانية والخداع

والحب — فى عينى المرأة — هو خداع الرجل عن نفسه وأهله وماله !

هو التضحية العظمى التى أردتك عليها

لقد سلكت إلى قلبك سُبلاً ضللت أنت فيها ، لأجذبك إلىّ

أنا لا أحبك ، غير أنى سأجد فى الحب والغيرة مادة عَمَى تترهّج أنت فى قَتَمها ...

وكيف أحبك — يا زوجى — وأنا لا أستطيع أن أنفذ إلى أعماق تاريخك ؟ لست أنت من ذوى قرباى فينجذب إليك دمى ، ولست رفيق صباى فأرى فيك الذكرى ، وأجد فى الذكرى نشوة ولذة ؛ ولستَ تِرْبى فأضنّ بك . إنْ هى إلاّ نزوة من نزوات الشباب طارت ثم استقرت فيك !

وبعد ، فأنا لا أستبطن لك بُغضاً ، لأنه يتراءى لى أن نفسك صافية طيبة .

ولكن ... ولكن كتابك الذى تعتز به ، هو عدوى الذى أفرق منه ... !

سأستلبه منك بحيلة شيطانية ، فلا تفزع !

لا جرم — يا صاحبى — إن المرأة لا تستطيع أن تكون زوجة إلا أن تكون بلهاء ، أو يكون زوجها مغفلاً !

فلا معدل لى عن أن أتنفّلك بالرياء ، وأغترّك بالتصنّع ، وأخدعك بالحيلة لتكون ابناً لأمى لم تلدك ، وولداً لأبى لم يُربّبْك !

إن أمى تتشوق إلى فتى يملأ الدار حياة ، وأبى يتشوّف إلى شاب يضطلع بأعبائه ، وقد كبرتْ سنه ...

فتعال أنت لتشفى غلّة أمى ، وتنقع صدى أبى !

يا صاحبى ، إن تنازع السيادة فى الدار — بين الرجل والمرأة — صَفَاة تتكسر عليها السعادة

والمرأة الجاهلة تستأسر لزوجها فى سهولة ، وتتصاغر أمامه فى ذِلّة ، لأن عقلها الفاسد لا يستطيع أن ينفذ إلى قلبه إلا أن ينشر على عينيه ضعفها النسوىّ الوضيع

أما أنا فتنسمتُ روح الحرية ، وعشتُ عمري سيدة نفسى ، لا أخضع لأمر أبى ولا أستسلم لرأى أمى ... ثم وجدت حلاوة الطاعة حين استذللك جمالى وأسرك حديثى

فهل تطمع فى أن تتعبّدنى ؟

لا ضير ، فسأعيش عند رأيك ساعة ليطمئن قلبك ؛ ثم أمكر بك المكر الأعظم فأحصّ جناحك فلا تنفلت من لدنى إلاّ أن يؤذن لك

ثم أترفق بك فأنتزعك – رويداً رويداً – من بين سُجراء نفسك وأحباء قلبك ، لتكون لى وحدى

وأبذر غراس الشقاق بينك وبين أهلك فأصرفك عنهم لتكون ابن أمى وأبى

يزعم الناس — يا صاحبى — أن البيت سجن المرأة

حقاً ، غير أنى سأحيله بنفثة شيطانية إلى قفص أدفعك بين قضبانه ، وأطير أنا إلى حيث يحلولى

وإذا ورم أنفك وطنتك بابتسامة تصدع كبرياءك

وإن ثرتَ نثرتُ بين يديك ضمنى القوى ... عبراتى ، فتتخاذل لما لأنك تحبنى

وإن نازعتنى الأمر — بعد هذا وذاك — وأصررتَ على رأيك واستكبرتَ ، سعّرتُ فى دارك ناراً حامية تعصف بسعادتك ، ثم أنفلت أنا لأجد فى الأرض مراغماً كثيراً وسعة

وابنى ... ابنى الذى يتراءى لك – من وراء حجب الغيب – قرة عين ، هو فى عينىّ مادة شقاء لك إن سولت لك نفسك أمراً

وإذن تسقم منى بالعافية ، وتفتقر بالمال ، وتشقى بالسعادة ، وتضيقُ نفسك بالفَرَج ، وتزلّ بالرأى الصواب ، وأعيشُ أنا إلى جانبك – أو فى منأى عنك – داءك الذى لا تبرأ منه

وإن شئتَ ولدتُ لك كل يوم فلسفة شيطانية تلقى بك فى تيهاء مظلمة تحار أنت فيها ، وأنا أرى وأبسم

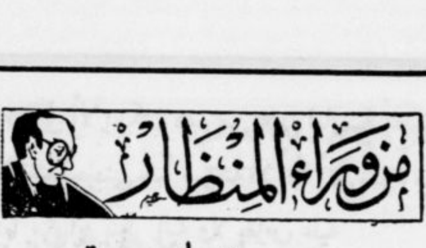
وغداً أدخل دارك أرفل فى الحرير والديباج ، أتأود فى فتنة ، وأتثنى فى كبرياء

فتلقّانى – يا صاحبى – بين ذراعى حبك

لأنك لا تعلم بما توسوس به نفسى

ولا تلمنى فإنها جبلتى الشيطانية هى التى توحى إلى

« طبق الأصل » كامل محمود حبيب



شاعر عبقري

رأيت هذا الشاعر العبقري، أستغفر الله، بل حظيت بشرف لقائه والاستمتاع مرة بسماع بعض درره الغوالي، وليس بالأمر الهين لقاء مثل هذا الشاعر في زمن قل فيه العباقرة، وحط فيه من قدر الشعر، حتى اعتبره بعض الناس شيئاً لا غناء فيه ولا متعة من ورائه؛ وذهبوا في ذلك إلى أنه لن تمضي سنوات معدودات، ولا يتصل الشعر بحياة هذا الزمن بسبب من الأسباب ...

ولئن سعد جدك فمثلت ساعة مثلي بين يدي هذا الشاعر، لوقعت منه على شاب تتوزع الظنون فيه عقلك وخيالك. فإن كنت ممن يجهلون سمات العبقرية، ظللت في حيرتك ودهشتك بل لقد يذهب بك جهلك إلى أن تعزو ما يبدو لك منه إلى الحماقة والبله. فتلحد بذلك في الفن من حيث لا تدري إلحاداً شديداً.

والحق أني حرت في أمره برهة حين رأيته ... فهو يطيل النظر في وجوه جلسائه في صمت عميق، فيحسبونه معهم وما هو معهم ... ثم هو يرفع عينيه في بطء إلى السقف، ويظل كذلك برهة غير قصيرة كمن أخذته عن نفسه حال من غم أو من ذهول، على أني لم ألبث أن رددت أمره إلى ما علمت عن العباقرة، فهم كثيراً ما يذهلون عن أنفسهم بما تمرج فيه أرواحهم من معارج علوية، وكيف يكون عبقرياً ولا تسبح روحه وتمرج إلى السموات كما تسبح أرواح العباقرة وتمرج؟

ورأيت الشاعر قد أطال شعر رأسه، ثم تركه دون ترتيب، حتى تهدل على فوديه، فغطت خصلات منه أذنيه، وتدلت خصلات فوق عنقه؛ بينما تراكم بعضه على بعض، حتى كان منه ما يشبه الأكمة فوق جبينه ... وهو لا يحرص على شيء من مظهره حرصه على أن يكون شعره هكذا كشعر أقرانه من كبار الفلاسفة ونوابغ أصحاب الفنون دليلاً في رؤوسهم لا يكذب على النبوغ، وبرهاناً لا يخطئ على الفن. وتكلم الشاعر الشاب في نبرات الشيوخ ولهجتهم، فأخذ يشكو من قلة فهم أهل زمانه لشعره وعدم تفطنهم إلى فنه، ولكنه ما لبث أن أشرقت أسارير وجهه حينما ذكره بعض من يفهمونه بأنه جاء قبل أوانه، وأنه لا بد أن تعرف قيمة فنه يوم تنجاب عن العقول حجب الغفلة ... أو لم يشك المتنبي بأنه كان في أمته غريباً كصالح في ثمود؟... ولكم سر الشاعر بهذه المقارنة البارعة بينه وبين عبقري آخر على شاكلته.

وأفاض شاعرنا العبقري في أنه يسير على نهجه رضي الناس — أو لم يرضوا — فإنه إنما يغني خلجات وجدانه، ويعرض للمادة والحياة الدنيا وزينتها، فأكد أنه ليس من ذلك كله في شيء... ولست أدري لم وثبت إلى رأسي حينذاك قصائده الطويلة — وكنت نسيتها — في مدح فلان وفلان ممن لا يكون مدحهم إلا وجهاً من الزلفى!؟ ولكني لفرط هيبتي من الشاعر، أو قل لفرط إيماني بعبقريته لم أستطع أن أشير إلى شيء من هذا.. وهل أرضى أن أضع نفسي عنده موضع الأغرار والحمقى؟ ولعل ما فعله كان سراً من أسرار العبقرية لا ينهض له خيالي اليوم.

وأشار أحد أصحابه إشارة خفية إلى تلك الروح السامية التي ألهمته أغانيه، فبدت على وجهه مثل أمارات الخجل وضحك ضحكة غريبة، ثم رمى صاحبه بنظرة غاضبة كأنما خيل إليه أن ذلك الصديق يشك في وجود تلك الروح، أو يظن أنها بعض ما يجري فيه الكلام في مجالس بني الطين ... وما كان شعره فيها إلا صلوات قدسية تتنزل عليه من عليين، وهي كعبقريته، أمر لا يعلق به شك إلا في رؤوس الجاحدين والهازلين.

وألح عليه صاحب آخر أن يطربنا ببعض ترانيمه، فتفرس في وجهي يتبين: أأنا ممن تبدو عليهم مخايل الفطنة، أم أنا من القدين لا يفهمون ... ولعله كان أقرب إلى الأولى، إذ قد أخذ يسمعنا من شعره .. وأشهد لقد وقعت منه على كلام من السحر الحلال تتقطع دون بلاغته الأوهام ... ولكم وددت لو أني استطعت أن أحفظ شيئاً منه، على أني أذكر من أوصافه ما لست أشك لو ذكرتها لك أنك كنت ترى معي أنها آيات من الفن تقصر عنها بدائع ابن هانيء وروائع بشار؛ ويتخاذل دونها فن الطائي وسحر الوليد ومعجز أحمد وبدع ابن الرومي وقدرة شيخ المعرة ...

دع عنك شوقي وجيل شوقي ومن خلا من قبله في مصر ومن خلف من بعده من الشعراء ... وليس يهمه أن ينكر الأغفال في هذا الجيل أسلوبه ومعانيه، فليس عليه أن يُفهمَ من لا يفهمون وإنه لينكر على شوقي ما توافى له من ذهاب الصيت، ويستكثر عليه لقبه الذي عرف به، ويعزو ذلك أيضاً إلى غفلة هذا الجيل، وتتحرك في نفسه العبقرية، فيتساءل: ماذا يجد الإنسان لشوقي من الشعر الحق، ولقد كان كلامه مرثيات ومدائح لا روح فيها؟ ولعله لم يقرأ فيما أرى شعر شوقي، ولست أدري، فلعل هذا كذلك سر من أسرار العبقرية. وتوسلنا إلى الشاعر أن يجود على الناس بنشر ما أسمعنا فرفض قائلاً: إنه يضيق بهؤلاء الناس حتى ليودُّ ألا ينظم بعد اليوم بيتاً من الشعر ... فتوسلنا إليه ألا يفعل حرصاً على دولة الشعر، وإشفاقاً على مكانة العربية ...

«خ»

وحى الذكرى والحنين

[ابنة تناجى أباها بمناسبة مرور العام الثانى على وفاته]

للسيدة وداد صادق عنبر

في ظلام ذلك الليل الدامس، وفى صدى سكونه المهيب، جلست مطرقة أفكر فيك وكل فكرى دمع، وأبكيك وكل دمى فكر، فريسة ذكراك، وقد طال حتى حسبت أن ليس له صباح. فيالطول الليل على حزن الثكلى! ويالحزن الثكلى من طول الليل!

جلست لمناجاتك فدعوتك أبتاه!...

وأجبتنى كعهدى بك فى الدنيا حاضر الابتسامة حين تخصنى بالحديث فى كثير من أوقاتك، ترفرف علينا أثناءها العناية الإلهية وقد عادت حدب أبوة وبر بنوة. فوا أسفاه على تلك النعمة السابغة الذيل التى ما تمتعت بها طويلاً حتى بكيت متفجعة على فقدها ورزئت بسلبها، ولولا إيمانى بسالبها القدير لأكبرت على القدر أن يفجعنى فيك

أجل. لولا إيمانى لأكبرت عليه أن يفجعنى فيك وقد كنت سكناً لقلبك كما كان قلبى سكناً لك. فيا لهذا البث الذى خيم على قلبى ونفسى معاً، والذى لم أجد لهما منه مخرجاً سوى وقوفى أمام قبرك العزيز، فقد أجد فيه بعضاً من سلواها وبردها، فأنفح جوه هتافاً باسمك ولثماً لرسمك، وأنفث عن حسرة مما يقدح الأسى على كبدك حين تحس أى جرح هذا الذى فتحه القدر فى قلبى فهو لا يبرأ ولا يلتئم، وأى جمرة من الآلام تركتها فجيعتى فيك فى أطواء نفسى، وكل ألم منها فى وقعه منى فن من العذاب أستعذب مذاقه ولا أرجو فراقه. وأى كتيبة من الأحزان تحمل على فى عزلتى وأيسرها يسحق النفس ويذروها، ويمحق الحياة ويمحوها. وأى ثورة فى نفسى لا تسكن أبداً ولا تهدأ، ومناحة لا تنفض فهى فى كل ساعة تبدأ، وأى ضغط ينعصر تحته قلبى الواهن المستطار فيظل على حاله واهناً مستطاراً، وأى هم وغم أخذت به عن نفسى فأصبحت فى شبه سكرة أو غمرة...

يا حر قلبى عليك من حر قلبك على! كنت فى حياتك تحرص كل الحرص على ألا يسكب دمع من عينى لعارضة تحدث أو نازلة تكون، لأنك أحببتنى حباً ضربته الأبوة أعلى مثل، بيد أنه أصبح مثلاً يتيماً من أنه ينظر إليه ولا يقاس عليه

على أن العهد بالحزن أن يرث على الزمن أو يبلى فى القلب الحزين. وإنى لأعيذ قلبى أن يرث أو يبلى فى حزنه. على أننى أعود فأتخيلك وأنا ذاهلة على وعى قلقة على سكينة، مضطربة على قرار، مأخوذة على استقرار. أتخيلك فى سِنة نومى إذا دعوتك أجبتنى فأدعوك، ثم أدعوك، وأتسمع عليك ثم أتسمع، فإذا هو القبر فى سكنته، وإذا هو الحزن فى فورته وثورته. وإذا بصدى دعائى يردد إلى نفسى خافتاً خافتاً

أبتاه:

إنى لألمحك الساعة وأنا أكتب كلمتى فى ذكراك الثانية، ألمحك من وراء قبرك، من وراء الموت، من وراء الزمن، من وراء الخلود، قاراً متضوئ النفس رضيها بما أزلفت فى حياتك لقومك من برٍ هم به ذاكروك، وبما تلقى عند ربك من ثواب ما قدمت يداك لأمتك لا لنفسك نخلعت عليها شبابك ونهبت للمجد أترابك، ومن ثم كانت خلاصة حياتك مثلاً سامياً من أمثلة الجهاد والعمل. فحملت نفسك وحملتها غير عابئ بالمرض يداخلك من حيث لا تتقيه، ويهد من صحتك مالا يَرُمُّهُ العلاج ولا يبنيه

لا، بل ألمحك فى آثارك الحية بين يدى وكل أثر منها هو قطعة من حياتك عليها طيفك يرف

وألمحك فى أخى الوحيد (كمال) الذى كان كل همك حيًّا وتركزت فيه آمالك وأحلامك، وقد تركته فى هذه السن الصغيرة، ملقياً عليه أمانة هى ذلك العبء الثقيل الذى أراه فى طريقه إلى النهوض به ناشط الكاهل مرجو المخايل

ألا فنم هانئاً هادئاً مطمئناً فإنه وإن لم يبلغ مداك، فحسبه أن يسير على هداك

رحمك الله يا أبى بقدر ذلك النور الفياض الذى نقتبس منه طريقنا السوى، وأنال ولدك الحظ الذى أملته، وأمطر جسدك الكريم وابلا من فيض رحمته، وألهمنا بقدر مصابنا فيك السلوى وإلى يوم الملتقى عليك منى السلام.

ابنتك البارة

وداد صادق عنبر

الأدب في سير أعلام

بيرون

ذلك العبقرى المتمرد الذى غنى أروع أناشيد الحرية، ولاقى الموت فى سبيل الحرية

للأستاذ محمود الخفيف



وانصرف بيرون فى كمبردج عن دروسه كما كان يفعل فى هارو وراح يقرأ ما تحب نفسه من الكتب ، وأخذ يتسلى بنظم الشعر فى شتى المناسبات ؛ ولقد اصطفى فريقاً من الصحاب فى الجامعة كما فعل فى المدرسة ، وظل فى الجامعة حريصاً على أن تكون له الزعامة على من هم دونه فى السن . وأحب فى الجامعة شيئاً واحداً وذلك هو حياتها الحرة الخالية من قيود المدرسة ، وعاش فى سعة بما أتيح له من المال ، وبسط يده لإخوانه كل البسط ، وكان من الأمور الشائعة يومئذ لعب الورق وشرب الخمر ، حتى لقد كان يعرف الشاب بمقدار ما يشرب من الراح فى جلسة ، وبمبلغ حذقه فى اللعب أكثر مما يعرف بما يحصل من درسه ؛ وكان طبيعياً أن يجارى شاب مثل بيرون أقرانه فيما انغمسوا فيه ، وإن كان يكره الخمر بطبعه ؛ وأقبل الشاب على حياة اللهو ، لا يتقيد بعرف ولا يهتم بلوم ، حتى نفد ماله ، فاستدان بضع مئات . ولما ضاق نطاق الجامعة عن لهوه استأجر مسكناً خارج أسوارها ، واتخذ له خليلة ألبسها ملابس الرجال وادعى أنها أخ له ، وأطلق لحياة المجون عنانه ؛ فهل كان يريد بهذا العبث أن يسخر سخرية عملية من الحب وأحلام الحب ، أم هل كان يجرى فيه على ما ورث من آبائه من خلال ؟ الحق أننا نستطيع أن نرد ما أسرف فيه على نفسه من اللهو إلى الأمرين معاً ؛ ونستطيع كذلك أن نضيف إليهما ولعه بالرياضة التى جعلها بعض لهوه ، وكان يريد من الرياضة أن يكتنز لحمه فيضمر جسمه ، لأنه كان أميل إلى البدانة ، وكان كرهه للبدانة شديداً ؛ وكانت أحب ضروب الرياضة إليه السباحة التى كان يجيدها والملاكمة التى أخذ يتعلمها على أحد كبار معلميها .

ولما انتهى العام ترك بيرون الجامعة وذهب إلى سوثول حيث كانت تقيم أمه ، فما أن وقع بصرها عليه حتى ثارت فى وجهه وقذفته بما كان فى يدها ، فعول على الرحيل مسرعاً وقد كانت له يومئذ مركبة اشتراها فركبها مع أحد أصدقائه وركب إلى جانب السائق خادم، له واصطحب معه كلبيه وكان يحبهما أشد الحب ، وغاب زمناً عن أمه حتى أنفق ماله فعاد إليها على رغمه

وتغيب عن الجامعة عاماً جمع فيه شعره بإشارة من فتاة كان قد تعرف إليها فى سوثول حين ذهب إليها أول مرة مع أمه وكانت تحترمه وتكبره. فاطمأن إليها ؛ ولما تم له جمع قصائده دفعها إلى ناشر تحت عنوان «ساعات الكسل» وذهب إلى لندن ليشرف بنفسه على بيع ذلك الكتيب ، وكان مما يشبع كبرياءه أن يرى اسمه فى «فترينات» بائعى الكتب ؛ وراح يترقب ما عسى أن تنشر الصحف من نقد لشعره ، ولما عاد إلى الجامعة كان يطرب فؤاده لما يسمعه من ذيوع شعره بين طلابها ؛ على أن هذا الشعر يومئذ لم يكن من النوع الذى يبشر بمستقبل عظيم. وما لبث بيرون أن سمع أن صحيفة أدنبرج حملت عليه حملة شديدة ، ولامته على نشر مثل هذا العبث ، وكان بيرون فى التاسعة عشرة وقد أشار إلى سنه فى مقدمة كتابه ، فعدت الصحيفة ذلك منه توقياً للنقد فأشارت إلى ذلك المعنى فى حملتها عليه ذاكرة أن كثيرين غيره نشروا قصائد وهم فى سن مثل سنه أو أصغر منها فكانت خيراً من قصائده كثيراً . ماذا يفعل ذلك المتمرد تلقاء هذا النقد الشديد ؟ لقد ثقل عليه الهم أول الأمر ، لقد كان يضيق بالحياة بعد ما كان بينه وبين مارى ، وظن أن سيكون له فى الشعر من ذهاب الصيت

ما يتأسى به وما يتخذ به فخراً يرفع به رأسه ويدرأ به عن نفسه بعض الخزى الذى كان يلحقه من عاهته والذى ظل ملازماً له كما يتجلى ذلك فى حديث له يومئذ مع قسيس فى سوئول كان يجادله ويذكره بما من به عليه خالقه من نعم منها أنه وهبه عقلاً يسمو به على الناس، وكان جواب بيرون أنه يسمو بعقله عن الناس ولكنه ينحط برجله عنهم

ماذا يفعل ذلك المتكبر المحنق ؟ لقد فكر أن يرد لتوه على هذا النقد بقصيدة ثائرة ، ولكنه عاد فآثر التمهل ليكون رده محكما وليفرغ فيه كل ما يجيش فى نفسه، وأخذ ينظم وقلبه مملوء بالغيظ والحقد على ناقده وعلى شعراء عصره جميعاً

وأخلى اللورد جراى قصر نيوستد فذهب اللورد بيرون ليقيم فيه وكانت يد البلى قد شوهت جمال ذلك القصر القديم ؛ على أن الشاعر ظل على الرغم من ذلك شديد الحب له والإعجاب به ، وكان أول ما التفت إليه عقب عودته شجرته الحبيبة فأزال بيده ما التف بها من الحشائش وما عاق من نموها من متسلق المساليج ، وعاش فى عزلة عن جيرانه فلا يرد لهم مودتهم ليقطعوها ، فإنه بالناس برم منذ يفاعته ، على أنه لم يستطع أن يرفض دعوة وجهت إليه من نيوستد فذهب ليرى مارى وقد تزوجت وصار لها طفلة صغيرة وكأنه لم يبتعد عنها أكثر من يوم فلقد نبض قلبه وهو إلى جوارها بما كان ينبض به أمس ، وحاول الكلام فلم يطاوعه لسانه إلا بعبارات متقطعة لا معنى لها ، وعاد لهفان إلى قصره يلذع الأسى قلبه ويتنازع الهم مشاعره، فكتب لساعته قصيدة تعد من أروع قصائده تلمس فيها اللوعة فى قوله

« وداعاً يا حبيبتى العزيزة : لابد لى من الرحيل ، وما دمت أنت سعيدة فليس هناك ما يكربنى ، أما أن أبقى إلى جوارك فذلك مالا أطيقه إذ سرعان ما يعود قلبى طوع يديك ...

لقد طالما ظننت أن الزمن فى دورانه ، وأن ما فطرت عليه نفسى من نخار وكبرياء ، كفيلان أن يخمدا فى قلبى تلك الشعلة الثائرة شعلة الحب أو شعلة الطفولة ، ولكننى لم أتبين حتى جلست إلى جانبك أن قلبى لم يزل فى كل شىء هو هو ... إلا من جهة واحدة ... هى الأمل !

غير أننى على الرغم من ذلك جلست هادئاً بين يديك ؛ نعم إنى لم أنس تلك اللحظات التى كان يثب فيها قلبى بين ضلوعى عند لمحة من عينيك ، أما الآن فالرعدة جريمة ، ولذلك التقينا فلم ينبض فينا عرق[1] ... »

وعول الشاعر على مغادرة قصره الحبيب يلتمس الشفاء فى رحلة طويلة فى أنحاء القارة أو إلى الشرق ، ولكنه بقى حتى يفرغ من كتيبه الذى كان ينظمه للرد على ناقده

واحتفل الشاعر فى نيوستد فى مستهل عام ١٨٠٩ ببلوغه السن ، فدعا إلى القصر بعض أصدقائه حيث أقاموا ليلة ساهرة صاخبة ، ثم ذهب ليأخذ مقعده فى مجلس اللوردات فاستقبل استقبالاً فاتراً ، وقد ذهب إليه بمفرده على خلاف التقاليد التى كانت تقضى بأن يذهب اللورد الجديد فى حاشية من أهله أو من أصحابه؛ ولكن اللورد بيرون لم يجد من يصحبه، وسرعان ما ضاق بالمجلس ومن بالمجلس . وفرغ من كتيبه وقد نحا فيه منحى الشاعر بوب فى الأسلوب والنزعة التهكمية وملأه بالهجوم العنيف على ناقده وعلى شعراء عصره لم يستثن منهم أحداً، وإنه ليتساءل كيف يحل لهم النقاد ما يحرمونه عليه ؟ ونشر الكتيب فصادف من النجاح أكثر مما قدر له الشاعر الشاب ، ولقد ظهرت فيه براعته فى التهكم ولباقته فى سوق الحجج ، وتجلت قوة عبارته وإشراق معانيه ولذع سخريته ؛ واطمأن الشاعر إلى مكانته وقد ظهر على ناقد من أكبر نقاد العصر ، وهو بعد فى الحادية والعشرين من عمره ، وأحس أنه شفى غليل نفسه فعاد من جديد يسرف فى لهوه ، وكان قد بات فى شغل عن أكثره بما كان يملأ فؤاده من غل . ولم ير الشاعر آخر الأمر بدا من الرحيل فقد آده عبء ديونه ، ومل اللهو بعد أن أسرف فيه على نفسه ، ولذع الهم فؤاده لوجوده قرب مارى وماله إليها من سبيل اليوم ... على أنه قبل أن يرحل دعا نفراً من خلانه فى كمبردج إلى قصره فقضوا شهراً فى العبث والمجون ، وحسبك أنهم كانوا يديرون الراح فى جمجمة آدمية هى جمجمة قسيس أخرجت عظامه من الأرض فأس البستانى . وحان يوم الرحيل فلم يأس الشاعر على فراق أحد غير كلبه؛ ولم يجد حوله من يأسون على فراقه هو ، فإنه لم ير أخته منذ فترة طويلة ، ونال من نفسه أنه لم ير فى وجوه صحابه ما يشعره أنهم يحزنون لسفره . وركب البحر وهو لا يعلم أين يذهب ولا متى يعود

وسافر معه من خلانه شاب يدعى هبهوس ، فكانت لشبونة أول أرض نزلا بها، ومن لشبونة ذهبا إلى قادس ، ومنها إلى جبل

---

(١) ترجمنا هذه القصيدة بعنوان وداع في العدد ٨٥ من الرسالة

طارق ؛ وكانت أسبانيا يومئذ فى صراعها ضد نابليون ، وكانت الجيوش الإنجليزية تساعد أهلها على الخلاص من نيره ؛ وأعجب بيرون بشجاعة أهل أسبانيا بقدر ما أعجب بجمال طبيعتها

وركب وصديقه سفينة من جبل طارق فبلغا مالطة ، ومنها توجها إلى ألبانيا حيث نزلا ضيفين على على باشا والى يانينا ، وشد ما أعجب بيرون ببسالة الألبانيين وبمظاهر الحياة الشرقية فى قصر الباشا ، وكان له من ذلك مادة غزيرة سوف تظهر فيما بعد فى آثاره

وذهبا من ألبانيا إلى بلاد اليونان ، موطن السحر والحكمة بلاد هوميروس وأفلاطون ، وادى الأساطير الخالدة ، ووقف الشاعر أمام آثارها يقضى أرب مشاعره مما تحدث من أخبارها وما توحى من معانيها . . . وتوجها بعد ذلك إلى القسطنطينية مدينة الشرق العظيمة ، بيظنطة الساحرة ذات المجد التالد والجمال الطريف ، وأنس بمظاهر الحياة فى عاصمة العثمانيين . . .

وعاد الشاعر إلى وطنه بعد أن قضى فى هذه الرحلة زهاء عامين ؛ عاد وفى جيبه قصيدة طويلة لم تكن إلا خلاصة مشاهداته فى رحلته هذه ؛ وتردد الشاعر فى نشرها أياماً ؛ ثم دفعها إلى صديق له يسأله رأيه فيها فألح الصديق عليه أن يذيعها فى الناس فانها لجديرة بذلك أى جدارة

وفعل بيرون ما أشار به الصديق ، ولم تكد تتداول لندن هذا الكتيب الجديد ، ويطلع أهلها على ما جاء به من وصف لهذه الرحلة ، حتى كان اسم الشاعر اللورد على كل لسان ، وفعلت بها براعة وصفه وحماسة شعره وقوة عاطفته ما يفعل السحر ؛ وهكذا يتوافى للشاعر بهذا الكتيب الذى خاف من نشره أول الأمر من ذهاب الصيت ما لم يتواف لشاعر قبله ؛ بل لقد حاز بيرون من الشهرة ما لم يحز رجل آخر فى أى ناحية من نواحى الحياة الاجتماعية ، حتى لقد شبه يومئذ بالشهاب اللامع ، الذى يخطف بريقه الأبصار على حين غفلة ، وقال هو يصف نفسه : « لقد أفقت ذات صباح فوجدتنى من ذوى الشهرة »

منذ ذلك اليوم صار بيرون شاعر عصره فى انجلترة ، فأخذ ينظم الشعر فى سرعة عجيبة أدهشت الناس وحيرت النقاد، وسعى إليه كثير من ذوى المكانة يهنئونه ويثنون عليه ، وأصبح يشار إليه فى كل ناد ، ويدعى الوسيلة إلى مودته الشباب والكهول ، وهو يزداد بذلك شهرة ويمتلئ قلبه زهواً وفخراً . ولم تكن انجلترة يومئذ خلواً من الشعراء ، حتى تعزى شهرة بيرون إلى أنه لم يكن فى الميدان غيره ؛ فقد كان فى تلك البلاد عدد من فطاحل هذا الفن من أمثال : وردثورث ، وكاردج ، وسوذى ، وتوماس مور ، وكامبل ، وشيلى وولتر سكوت ، وغيرهم . وكان معظم هؤلاء أكبر سناً منه وأسبق فى قرض الشعر

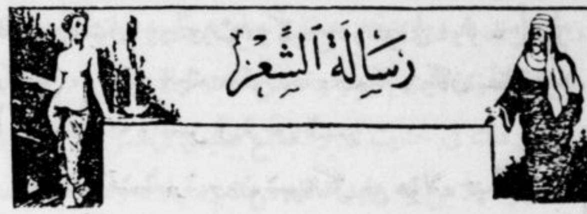
ولقد فاقت شهرة بيرون شهرة كل من هؤلاء جميعاً على الرغم مما كان لأكثرهم من سمو المكانة فى الشعر مثل : ورد ثورث ، وزميله كلردج . وليس معنى ذلك أنه بذهم فى ذلك المضمار ، فقد كان لكل منهم ناحية تفوق فيها ، وإنما اتفق له من الصيت ما لم يتفق لأحدهم ؛ الأمر الذى جعل ولتر سكوت على نباهة شأنه يومئذ يترك الشعر ويبحث لعبقريته عن مجال آخر هو مجال القصص قائلاً فى صراحة إنه إنما يفعل ذلك لأن بيرون قد أخذ عليه طريق الشعر ، وهو قول كان له وقعه فى الأندية ، وكان له كذلك أثره البعيد فى تزايد شهرة الشاعر الشاب ، الذى لم يكن يومئذ يزيد على الرابعة والعشرين من عمره

على أن بعض النقاد يعزون ما أصاب بيرون من النجاح إلى عوامل أخرى تتصل بشخصه أكثر مما يعزون ذلك إلى جمال قصيدته ؛ فهو شاب فى ربيع العمر وهو يتمتع بلقب من أكبر ألقاب الدولة ، وهو إلى ذلك جميل الصورة موفور الوجاهة . . . ولكن آخرين ينكرون على هؤلاء رأيهم هذا قائلين إنه نشر قصيدته قبل أن يعرف عنه كل ذلك الهم إلا بين نفر قليلين من أصحابه . ويلتمس غير هؤلاء وهؤلاء أسباب شهرته هذه فى موضوع قصيدته لا فى قوة شاعريتها ، فهى سياحة فى القارة فى وقت كانت تتجه فيه الأنظار إلى ما يجرى فيها من حروب يبعثها نابليون فى أنحائها . . . ولكن القصيدة لم تكن وصفاً لتلك الحروب حتى يصح هذا الرأى

فهل كان ما أصابت القصيدة من شهرة يرجع إلى قوة شاعرية صاحبها فحسب ؟ إن الذين يقولون ذلك أيضاً بعيدون فيما نرى عن الإنصاف بعد سالفيهم، ولما كانت القصيدة أشهر حادث أدبى فى حياة الشاعر وأحد العوامل الهامة فى الحركة الأدبية يومئذ وجب أن نتبين حقيقة أسباب نجاحها على مثل هذه الصورة الفائقة .

(يتبع) الخفيف

حكم استئنافياً بتغريم محمد موسى أحمد البقال بالسيدة بالقضية نمرة ٢٣٨ تسعيرة سنة ١٩٣٩ استئناف ١٨١٨٠ بجلسة ١٥ نوفبر جنيهان لبيعه عدساً بأزيد من التسعيرة .



نجوى

اذكري قلبي ...

للأستاذ محمود محمد شاكر

اذكري قلبي... فقد يَنضَر من ذِكراكِ عودى
أنا غصن في رياض الدهر ظمآن الصعيد
صوّحتني غلة الوجد وأجّت في برودى
ومشت ناراً على أنوار زهرى وورودى
فهْيَ ألقاه على أرضى آثار وقود
فاذكري قلبي. فقد يَنضَر من ذِكراكِ عودى

***

أنا غصن لخيال السيف في وهم الطريد
ناحل الشخص، قضيف العود، خمصان العمود
لوّحتني وقدة الشمس على وجهي وجيدي
كم شعاع غار في قلبي كالسهم السديد
عبّ في مائي، فغاض الماء كالحب الشرود
فاذكري قلبي ... فقد يَنضَر من ذِكراكِ عودى

***

أنا غصن شاخص الطرف إلى رىّ بعيد
أسراب هو أم ماء؟ فيا ويح جدودي!
أنبتتني حيث أشتاق إلى الماء البرود
هي أشواق من الموت كأشواق الحسود
تركتني موقد الغلة كالصب الحقود
فاذكري قلبي ... فقد يَنضَر من ذِكراكِ عودى

***

أنا غصن حائر الأحلام كالفاني الشريد
غربة الروح تهاوت بي إلى أرض الجحود
قذفتني همة الأحرار في ذل العبيد
الصدى، والجدب، والغربة، سجني وقيودي
مزّقت نضرة أيامي بأنياب الجمود
فاذكري قلبي ... فقد يَنضَر من ذِكراكِ عودى

***

أنا غصن يفزع الفجر بليل من ركود
يتلقى مولد الشمس بأحزان مجود
لو بكى عود من الوحشة في ذل الوجود
لأذابت شخصي الآلام ... كالدمع البديد
أنكرتني الشمس والفجر ودولات المهود
فاذكري قلبي ... فقد يَنضَر من ذِكراكِ عودى

***

أنا غصن فارقته الطير ربات العقود
مسكرات الزهر والنور بألحان النشيد
نغم همس كهمس الغيث للروض الجود
وشباب ضاحك النور بترجيع فريد
وأنا ... الحسرة والأنات لحني ونشيدي
فاذكري قلبي ... فقد يَنضَر من ذِكراكِ عودى

***

غصن عار ... ، وأغصانك في برد جديد
قد كساك الري والنعمة من وشي البرود
وتحلّى عودك الريان نوّار الخدود
فإذا النشوة هزتك بأنفاسي ... فيدي
وإذا غناك ساقي الطير لحني أو قصيدي
فاذكري قلبي ... فقد يَنضَر من ذِكراكِ عودى

محمود محمد شاكر

من وحي الطبيعة المصرية

تحت الشراع

للأستاذ محمد عبد الغني حسن

املأى أذْنى بألحان الصباحْ　　واسكُبى فيها شُعاعَ المغربِ
فشَذا العشبِ على الضّفةِ فاحْ　　وتَمشّى فى الأصيل المُذْهَب
وجرى النيلُ على تلك البطاحْ　　فضّةً قد مُزجتْ بالذّهب
وشدا الملاحُ للركْبِ وراحْ　　يتلهّى فى شِراع المركَب...

* * *

اسمى للنيل همْساً وخريراً　　مثلَ همْسِ الخائفِ المرتقب
موّجته الريحُ..فارتدّ كسيراً　　كلُجينٍ ذائبٍ مُنسكب
إن للموج شهيقاً وزفيراً　　كفؤاد العاشق المضطرب ...
وجرى ماؤكَ يانهرُ نميراً　　سائغَ الطعم هنىء المشرب

* * *

الغوانى جئنَ يملأنَ الجرارا　　يتثنّينَ كلُدْنِ القُضب
ويسابقن مع الطيرِ النهارا　　نُفُرَ الخطوِ خفافَ الوثْب
آه ما أجمل هاتيك العذارى　　رافلاتٍ فى الثيابِ القُشب
آنساتٍ قد تكلّفنَ الوقارا　　وتملن نفارَ الرّيب

* * *

والضحى يَسكب فى النهر لجينا　　فبدا مثلَ بياض السُّحُب
وإذا النهرُ كمرآة تسنّى　　فى إطارٍ مُشْغَلٍ بالعشُب
والنسيمُ الرطبُ فيها يتثنّى　　ويوشّيها بمثْلِ الحبَب
وشدا الطيرُ على الماء وغنّى　　فوقه من خِفّةٍ أو طرب

* * *

وهنا الصفصاف منشور الذوائب　　كالعذارى النافراتِ العُرُب
وسوادُ الظل فى الجدول ذائبْ　　كبياضٍ فاتن مختضب
ترتمى فى حضنه تلك القواربْ　　هارباتٍ من لسان اللهب
يلتقى الأحبابُ فيه بالحبائبْ　　ويُثنّى جِدُّه باللعبِ

محمد عبد الغني حسن

الأدب في أسبوع

الغذاء العقلى والروحى للشباب

ألقى الدكتور طه حسين فى قاعة الجامعة الأمريكية كلمة أريد عليها ، كما قال فى أول كلامه ، فاستغرقت هذه الكلمة من الوقت ساعة أو أشفّ قليلاً، افتتحت بالتصفيق الشديد للدكتور طه حين خرج على الناس ليتكلم ! !

ولستُ هنا فى مقام التلخيص لهذه الكلمة ، ولكنى بالمكان الذى يجب علىّ فيه أن أشقّ للقراءِ موضع الرأى الذى ينبغى لهم أن يشغلوا أفكارهم به ولو ساعةً من نهارٍ ، كما شغل الدكتور طه سامعيه ساعةً من ليل يوم الاثنين ٢٩ يناير سنة ١٩٤٠ .

وليس فى القراء الذين يعرفون الدكتور طه من يجهلُ أن أوّل ما يتكلم به الدكتور إنْ هو إلا أن يجعل مَردّ كل شىء إلى « يونان » ومدن يونان ... فلا شك إذن فى أن أول نظام عرف للغذاء العقلىّ والروحىّ للشباب ، إنما كان فى المدن اليونانية والحضارة اليونانية والعقلية اليونانية ! ! فهذا شىء مفروغ منه قد جعله الدكتور طه مذهباً لا يحيدُ عنه ، وأسلوباً لا يسلُك غيرَه ، ولا بأس بذلك ... فأنا أعتقد أن اختلاط المدنيات المتعاقبة على الأزمان المتقادمة ، قد جعلت لصاحب الرأى سعةً يذهبُ فيها حيث يشاء . فلو قلت أنا مثلاً : إن أول نظامٍ عرفه التاريخ لتنظيم الغذاء الروحى والعقلى للشباب ، إنما كان بالصين ، وقد فصّله لنا ما بقى من آثار « كونفوشيوس » فيلسوف الصين الأكبر ، لوجدت من الدليل ما أستطيع أن أقيم بها عِوجَ الرأى ، وأردُّ به على مخالفىّ رد إلزامٍ وخضوعٍ ... وكيف لا أستطيع ذلك وفى كل كلمةٍ من كلام هذا الفيلسوف العظيم توجيهٌ لقوى الشاب الصينىّ إلى الخير المحض ، وهو الذى يقول : « من حق الشاب أن ننظر إليه بعين الاحترام ، فما يدرينا أن علمه فى المستقبل سيكون فوق علمنا فى الحاضر ؟ أمّا من أسند فى الأربعين أو الخمسين من عمره ولم يشتهر بعلمٍ من العلوم ، فلا يستحق أن ننظر إليه بعين الاحترام » . وقد جعل كل جهده فى تدبير شؤون الدولة الصينية ؛ يقول : « إن الاضطراب قد مزّق البلاد بالفوضى ، فمن الذى يُعيدُ نظامها » ، « لا يمكن أن أعاشر الطيور والوحوش ... وإذا أنا لم أعاشر هذه الأمة ، فمن أعاشر ؟ لو كانت البلاد تحت سياسة عادلة لما كنت فى حاجة إلى أن أحاول إعادة نظامها » . . .

هذا وغيره من تاريخ الأمة الصينية وتاريخ فيلسوفها يعلمنا أن أول نظام كان إنما كان بالصين ؛ فإن شئت أن أقول العند وأسوق الدليل فعلت . فأنت ترى أن المذهب يتسع فى الحضارات القديمة لكل رأى يحتمل به صاحبه إن شاء . واليونان من الأمم القديمة ذاتِ الحضارات القديمة ، وإنما نفعَها وجعلَها مثابة لبحثِ كلِّ باحث يريدُ أن يردّ إليها مذهباً من المذاهب ، بقاء كثير من آثارها، ثم قيام أوربا الحديثة بإحياء ما طمّ عليه الزمن من مدنيتها، وأخفى أمر الحضارات الأخرى ضياع أكثر آثارها أو بقاؤها فى قبر من الإهمال والنسيان ، وجمود النشاط فى البلاد الشرقية التى هى أحق بإحياء آثارها . هذا قليل من كثير يمكن أن يقال فى مثل هذا الأمر من أمور التاريخ القديم

وبعد هذه المقدمة ، ساق الدكتور طه حديثه ببراعته التى لا يستعصى عليها غامض ولا بعيد ولا متشامخ . وأنا وإن كنت أظن أن الدكتور طه لم يوفق فى كلمته كل التوفيق ولم يمس أغراضها إلا مسًّا رفيقاً غامضاً بعيداً ، فإنى أعترف بأنه قد استطاع بحسن تحدُّره فى المعانى أن يثير من الآراء ما يجبُ أن يُثار فى أفكار هذا الجيل ، حتى يمكن بعد ذلك أن نستصلح من أمورنا ما أفسده طغيان الجهل واستبداد الحاكمين ، وتوالى المصائب المرهقة على شعب نائم لا يستطيع أن يدفع عن نفسه أسبابها ، ولا أن يذُودَ الوحوش الضارية التى فرَضتْ عليه بالاستعباد أقسى ما يمكن أن تبتدعه من ضروب الفتك والعدوان

الدولة والثقافة

فأهم ما تناوله الدكتور فى حديثه هذا هو بيانُ موقف الحكومة من الأمة التى رضيتها أن تقبضَ على زمام الأمر فيها تصرفه بما ينفع الناس ويزيدهم قوة على قوتهم . فالأمم كلها قد أسلمت إلى حكوماتها أمر القيام على الثقافة والتعليم ، وأعطتها من حُرّ مالها ما تستطيع أن تنشئ به نظاماً كاملاً للتعليم يكون فيه رضى الشعب وحياطته وتوفير أسباب النهوض العقلى له ، وحماية أفراده من أمراض الجهل وأوبئته التى تهد قوى الشعوب

وتفتك بالعقول التي خلقها الله لتعمل في تدبير الحياة الإنسانية للوصول بها إلى الكمال الممكن على هذه الأرض

وإذا كانت الحكومة – أو الحكومات – تأخذ من الشعب الأموال المتوافرة الكثيرة بالضرائب التي تفرضها عليه في كثير من مرافق حياته كتجارته وزراعته ، لتتخذ هذه الأموال في تدبير الجيش وإعداده وتسليحه وتقويته ليدفع عن الأمة شر المطامع الأجنبية التي لا تلبث أن تغزو البلاد إذا وجدت منه ثغراً مضاعاً تنفذ إليه منه ؛ فمن العبث أن تهمل شأن الفرد الذي يقوم به معنى الجيش ، والذي هو المدد الأول للجيش بروحه وعقيدته وفكره وقوته . فالجيش الذي يتكون ويتجمع من شعب جاهل معذب بالجهل محطم بالضعف العقلي والخلقي ، لا يمكن أن يكون جيشاً مؤتمناً على ثغور البلاد يحميها من غوائل الحروب

الأغنياء والفقراء

وإذا كانت الحكومات جميعاً لا تفرِّقُ في إمداد الجيش بين طبقات الشعب كلها ناظرة إلى الغنى والفقر ، فمن الخطل الذي ليس بعده خطلٌ أن يقوم نظام تعليم هـذا الشعب على التفريق بين الغني والفقير ؛ فكلاهما قد فرض عليه أن يبذل دمه وماله وقوته وجهده في الدفاع عن أوطانه التي تحكمها هذه الحكومة ؛ فمن حقه على الحكومة أن تمده بالأسباب التي يستطيع أن يدافع بها عن هذا الوطن . والأسلحة المختلفة هي بعض أدوات الدفاع ، ولكن الأداة الكبرى في الدفاع إنما هي الرجل الذي يحمل هذه الأسلحة ، فيجب أن ينصرف أعظم هَمِّها إلى أحياء الرجل في طبقات الشعب غنيها وفقيرها على السواء بالحرص على إعطاء الشعب غذاءه كاملاً من الألوان المختلفة من الثقافات المتعددة، كلٌّ على قدر طاقته ورغبته واستعداده ، مكفولاً له الحرية في الاختيار مع التسديد والحياطة والنصح

والحكومة حين تنظر إلى قوى الدفاع تفرض الضرائب على على نسبة الأموال التي يملكها الشعب غير مفرقة بين الغني والفقير في نسبة الضريبة التي تتقاضاها منه اقتساراً وفريضة ، فكذلك يشترك الغني والفقير على السواء في تحمل واجبات الحرب . فأولى إذن أن يشترك الغني والفقير معاً في القيام بأعباء التعليم والثقافة ونشرهما والمساواة في منحهما للغني والفقير على المساواة بغير تفريق. وليست تفرق الحكومات على الحقيقة بين الغني والفقير بقانون موضوع ، وإنما هي تفرق بما هو أعظم خطراً من القانون الوضعي لأنه قانون الطبيعة وقانون القدر . فالغني يستطيع أن يدخل أبناءه جميعاً بيوت العلم من الابتدائي إلى العالي مستعيناً على ذلك بماله الذي استخلفه الله عليه ، والفقير لا يستطيع أن يفعل مثل ذلك فيبقى أبناؤه طعاماً للجهل الضاري وبقايا من فرائس الفقر المتوحش

ومن العجيب الذي لا يعجب إلا منه أن يكون في أمة من الأمم رجل تفضى إليه ثلاثة آلاف جنيه في العام ، وليس له من الولد إلا ثلاثة أو أربعة يتكلف في تعليمهم ما لا يزيد عن مائة جنيه في العام كله ، ورجل آخر يكون مالا يدخل عليه مائتا جنيه في العام وله من الولد مثل الذي للأول فهو يدفع مائة مثل مائته أي نصف دخله ! فما بالك إذن بالذين ينصبّ عليهم من الأموال مالا يستطيعون التصرف فيه إلا أن يسفكوه على اللذات والمنكرات من النساء والخمر والقمار وحالقات المال والخُلُق وليس لهم ولدٌ ، ثم يكون في الأمة آلاف مركومة من الإنسانية إلى ملايين تنسل وتلد وتمد الأمة بأسباب حياتها من الأبناء والبنات ولا يملك أحدهم ما يقوت به نفسه فضلاً عما يقوت به ولده ، فضلاً عما يدفعه لوزارة المعارف أجراً للتعليم ...! إذن فواجب الأمة أن تحمل الحكومات على تغيير نظام التعليم ونظام الضرائب ، فتحصل الضرائب من الشعب كله على نسبة رأس المال والدخل ، ليستخدم هذا المال المجموع من الضريبة في تعليم الشعب كله على المساواة بين غنيه وفقيره ، ويلغى من وزارة المعارف نظام التحصيل ، « تحصيل المصروفات المدرسية من أولياء أمور التلاميذ » ! ويكون التعليم كله من أوله إلى نهايته مجاناً مبذولاً معرضاً لكل مستطيع وطالب وراغب بغير تفريق

وأحب أن أقول للدكتور طه ، ولغيره من كتابنا ، إنه حقٌّ عليهم أن يقوموا بالدعوة ، وبالكتابة في مثل هذا الغرض النبيل الذي ينفع الناس ويرفع عن أعناقهم نِير العبودية التي يفرضها الجهل مرة والفقر مرات كثيرة . فإن كلمة الدكتور طه التي ألقاها ، إنما سمعها عدد من الناس — أكبر الظن فيهم أنهم قد طرحوا عبء التفكير فيها حين خرجوا من باب « قاعة يورت التذكارية » ، كما تطرح الأعباء المثقلة . وليس شيء يحمل الحكومة على الجادة وعلى سواء السبيل كالصحافة وكتابها إذا أخلصت وتطهرت من الغرض والهوى والحقد والبغي والعدوان ... فهل يمكن أن يكون هذا في مصر ؟

فإن تسألينا : كيف نحن ؟ فإننا
عصافير من هذا الأنام المسحر

عناصر الثقافة المصرية

وقد حدد الدكتور طه ألوان الغذاء الروحى والعقلى الذى يجب أن يقدم للشباب ، فجعله مركباً من ثلاثة عناصر : العنصر المتحدرُ من تاريخ مصر القديم — الفرعونى — وهو الفن ؛ والعنصر المتغلغل فى مصر الإسلامية ، وهو الدين والأدب والفن العربى الإسلامى ؛ والعنصر المتلبس بحياتنا الحاضرة منذ اتصلنا بغيرنا من الأمم التى تتعاون معها أو تنافسها ، وهو العنصر الأوربى الجديد ، وسترى بعد ما هو عند الدكتور طه

أما العنصر الأول ، وهو الفن الفرعونى القديم ، فأنا أدعه للكلمة الآتية ، فإن اللَّبس كثير فيه ، وقد زلَّ على مزالقه أكثر أصحابنا ممن فُتنوا به عن صواب الرأى . وأنا أحب أن أتناوله بالبيان الذى يدفع عن مصر شرًّا كثيراً ويحقق لها ما نتمناه جميعاً من الخير

وأما العنصر الإسلامى من الدين والأدب والفن ، فقد أجاد الدكتور طه فى الدعوة إلى العناية به لأنه أصل المدنيـة ، ومن جَهِل فى بلاد مصر — أو بلاد العربية على اختلافها — تاريخ الإسلام فقد حطَّ فى مَهوًى ينقطع به حبله الذى يصله إلى قومه وإلى حضارته وإلى مستقبل هـذه الحضارة التى سوف تنبعث بنورها مرة ثانية فى جنبات الشرق فيما أرى . ولـكن الدكتور طه بعد أن تكلم عن الاجتماع العربى أو الإسلامى الذى عاشت عليه الأمة المصرية هذه الأجيال ولم تجد به بأساً — كما يقول — عاد فاستدرك عليه بقوله : « بشرط أن يتابع تطور المدنية الحديثة » .

فأنا والدكتور طه وكل عربى قد درب بالحضارة وجرَّبها يعرف أن البناء الاجتماعى هو أصل المدنية ، وأن الاجتماع إذا صلح استطاعت كل القوى أن تعمل فى بناء الحضارة بعقائدها وآرائها وإيمانها وفلسفتها ؛ فإذا أردنا أن نجعل النظام الاجتماعى الإسلامى فى العمل والتشريع والسياسة هو النظام فمن الخطأ الذاهب فى الفساد أن نخضعه لتطور مدنية أخرى قد بُنى اجتماعها على المسيحية فى التشريع والسياسة والأخلاق . فمصر والشرق الإسلامى إذا أراد أن ينهض فلا بد له — كما قال الدكتور طه — أن يستمد نهضته من أصول الاجتماع الذى يربطه به التاريخ والدم والوطن واللسان والدين والوراثة ، وإذا ساير فإنما يساير فى فكرة مطلقة وهى « النهضة والحضارة والمدنية الإنسانية » على الطريق الذى يوافق طبيعة هذا الاجتماع . أما المدنية الحديثة فقد بنيت على غير ذلك وقد تطورت على أصوله ؛ وليس بعد خطبة الملك جورج ملك الإنجليز مايدع موضعاً للشك ، فقد خطب الملك يوم ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٣٩ فى الاحتفال بعيد ميلاد المسيح — صلوات الله عليه — فذكر الاتحاد الإنجليزى الفرنسى للحرب ضد ألمانيا النازية فكان مما جاء فى خطبته (ترجمة الأهرام) : « إنى أومن من أعماق قلبى بأن القضية التى تربط شعوبى معاً ، وتربطنا بحلفائنا المخلصين الأمجاد هى (قضية المدنية المسيحية). وليس ثمة قاعدة أخرى يمكن أن تبنى عليها مدنية صحيحة »

ونحن ننظر إلى المدنية الأوربية هذا النظر ، وكلام الملك جورج هو من أدق التصوير لحقيقة الحضارة الأوربية فى نظر كل باحث نصرانى أو يهودى أو مسلم . فإذا أردنا أن نتابع تطوُّر هذا الضرب من المدنية بتبديل اجتماعنا — الذى دعا إليه الدكتور طه فى حديثه — ليطابقه ؛ فكأنما ندعو إلى « تنصير الإسلام » . وما أظن الدكتور طه يرضى أن نصير هذا المصير !

والعجيب بعد ذلك أن يذكر الدكتور طه العنصر الثالث وهو الحضارة الحديثة الأوربية ، فلا يدعو إلى الأخذ بشىء مما فيها دعوة صريحة إلا فى الذى يتصل بالخلق ليكون عندنا الرجل الصريح الذى يتحرى ألا يكذب نفسه قبل اجتنابه الكذب على الناس ، والرجل الذى يستطيع أن يقول : « لا » أو « نعم » حين يريد أن يقولها ، لا حين يكره عليها !!

ألا إن أخلاق المدنية الأوربية قد استعلنت جميعها فى هذا البغى المتفجر فى الحرب التى لا يعلم خَبْأَها إلا عالم الغيب والشهادة ، وإن أردنا أن نأخذ — أى أن نقلد — فلنأخذ من تاريخنا ، من ديننا ، من أخلاق رجالنا .. من الذين استطاع أحدهم أن ينكر على عمر بن الخطاب أمير المؤمنين ، ويقول له : « اتق الله يا عمر » فيقوم رجل يستأذن عمر فى أن يأمره فيه بأمره ، فينهاه عمر ويقول : « دعه ، فلا خير فيكم إذا لم تقولوها لنا ، ولا خير فينا إذا لم نقبلها منكم » . فالرجولة هنا ليست أن يقول الرجل ، ولكن أن يتقبل صاحب السلطان هـذا القول بالخضوع والرضا ؛ فهل فينا من يقبلها يا دكتور طه ... ؟ أو فى النفاق الأوربى المتلبس بالرجولة طبقاً للمنافع فى أكثر أمره إلا مَنْ عصم الله ... ؟ لا أدرى

محمود محمد شاكر



من أسرار الفن

بطلة شارلى

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

— تحدثت الصحف كثيراً عن الفلم الذى يخرجه شارلى شابلن الآن ، وعينت موضوعه ، وقالت إنه سيتناول حياة الديكتاتور هتلر ، وزادت بعضها فسردت ملخصاً للفلم . وقد اهتم العالم كله بأنباء هـذا الفلم لأنه سيكون الحرب التى يشنها الفن على القوة ... ولـكن هذا الاهتمام الـكبير لم يتجه منه ولا جانب تافه إلى بطلة هذا الفيلم ... ألست ترى شارلى مقصراً فى الدعاية لبطلته، وأن الذى يدفعه إلى هذا التقصير أنانية فى نفسه؟

— يجب عليك أن تعلمى قبل كل شىء أن شارلى ليس هو المسئول عن هذا، فهو فيما أعتقد أبعد الناس عن الدعاية لأنه أقرب الناس من الفن الصادق . ثم يجب عليك أن تعلمى بعد ذلك أن حياة هتلر خالية من المرأة فيما يرى الناس . فإذا علمت هذا وذاك فإني أظنك ستعودين وتعتذرين لشارلى عن اتهامك إياه بالأنانية لأنه لم يقم الدنيا ويقعدها من أجل ممثلة تافهة سيمنحها المجد حين يبيح لها أن تقف إلى جانبه ...

— يا سلام ! أو ليست هذه الممثلة التافهة هى التى سيبلغ بها نصف النجاح الذى ينشده ؟ إنه رجل غدار لا وفاء له . وأ كثر من هذا أنه يقصر حتى فى أيسر المجاملات

— بل إن شارلى متسامح . ويكفيه تسامحاً أنه لا يزال يسمح للنساء أن يظهرن على يديه ، وأن يرقين إلى المجد على كتفيه، مع أنه بلغ بالمرأة كل الآلام التى تنمره ... إنه رجل غفار ، لا حقد عنده وأ كثر من هذا أنه يجامل حتى فى المعارك التى يخوضها فى حياته ...

— أية معارك هذه التى يخوضها شارلى فى حياته ؟

— كل أعماله معارك ، وكل رواياته مواقع . وهو ينتصر فيها جميعاً ، ويأبى دائماً إلا أن تكون إلى جانبه فى كل نصر واحدة من بنات حواء ، ينتشلها من غياهب الخمول انتشالاً ويسمو بها إلى آفاق الذكر سمواً ، ثم يرى نفسه مضطراً بعد ذلك إلى أن يتركها وأن يدعو غيرها ... فله فى كل رواية بطلة . . .

— إن هذا هو ما أعيبه فيه . فقد كان يجب عليه أن تكون له بطلة واحدة يفهمها تمام الفهم ، ويحملها بمقدرته على أن تفهمه تمام الفهم ، ثم لا يتركها ولا تتركه ، فإذا كان قد عجز عن هذا لسبب من الأسباب فلم يكن عليه أقل من أن يعنى باختيار بطلة من المشهود لهن بالنبوغ تقف أمامه فى أفلامه ... فهكذا يفعل كل الممثلين الـكبار فى كل زمان ومكان ... فلماذا لا يفعله هو إذا لم يكن الحقد يأكل قلبه ، أو إذا لم يكن يخاف أن تكتسحه ممثلة قادرة ؟

— وهل تعتقدين أنت أن الله خلق ممثلة تستطيع أن تكتسح شارلى ؟ أنا لا أظن ذلك

— إذن فلماذا لا يقف أمام ممثلة نابغة ؟ أهو أعظم من جورج آرليس ، ووالاس بيرى ، وبول مونى ، وهارى بور ، وشارلس لاوتون ...

— ما أبعد الفرق بين هؤلاء وبين شارلى... هؤلاء كل منهم يمثل ذاتاً حدثت فى زمن ما وفى مكان ما ، أما هو فيمثل النكرة الذى يعرفه كل زمان وكل مكان

— وهل كان هتلر نكرة حتى يمثله ؟

— إنه على الرغم مما فيه من شر فهتلر معرفة، ولـكنه أصاب ذيوع تلك النكرة

— واعتماداً على شهرة هتلر واهتمام العالم بما يثيره فيه فإن شارلى يهمل بطلته ...

— من قال هذا ؟ إنه يهدى إلى العالم فى كل فلم بطلة . . .

— إن هذا الجود وهذا الكرم مرجعهما عجزه عن أن يحتفظ لنفسه بواحدة

— بل هو عجزهن جميعاً عن البقاء إلى جانبه

— معذورات ! فهو عجوز شاخ

— وما هذا عند التى تريد شارلى ! شارلى الذى تحبه الدنيا ولم تشبع منه ولن تشبع . ألا تقبل امرأة واحدة ممن عرفهن أن تحتفظ به ؟ حقاً إن للمرأة ذوقاً لا أدرك كنهه

— لعل شارلى الذى تحبه الدنيا غير شارلى الذى تجده المرأة فى البيت ...

— من غير شك ، وإن شارلى الذى تجده المرأة فى البيت لهو أروع بكثير من شارلى الذى يعرفه العالم . فهو فنان ، وحياته خارج الاستوديو إنما هى تحضير لحياته داخل الاستوديو ، فلو أن شارلى وجد التى تحب هذا التحضير كما تحب الوقوف إلى جانبه أمام الكاميرا لوهب لها حياته ، ولوهب لها ماله ولوهب لها فنه ، ولوهب لها نفسه مختاراً ومجبراً ... ولكن شارلى لم يجد هذه الفنانة بين اللواتى عملن معه ، وبين اللواتى تزوج منهن ، فهو معذور إذا تولى بالتبديل والتغيير بطلاته ، وإذا فر من زوجاته . فبطلاته يتعشقنه فى عمله يردن منه أن يرجحن الثروة والمجد ، وزوجاته يتعشقن اسمه وجاهه وغناه ويردن منه بعد ذلك أن يكون خارج عمله لهن هن لا لهذه الدنيا التي يستخلص منها مادة فنه

— أليس هذا حق المرأة على زوجها ... ؟

— قد يكون من حق المرأة على زوجها أن تستخلصه لنفسها إذا لم يكن زوجها فناناً صاحب رسالة . أما إذا كان زوجها مشغولاً حتى عن نفسه بما فى الكون من آيات وبدائع ، وإذا كان يعيش فى هذه الدنيا مباحا لكل من يريد أن يتذوقه وأن يأخذ منه ، فلماذا لا تنكب عليه هى تستوعب كل ما يمكنها أن تستوعبه منه ... ولماذا لا تجد فى فنه المتعة ... لماذا ؟ إلا أن تكون نفسها عاجزة عن تذوق الفن والاستمتاع به ...

— وهل تريد من زوجة الفنان أو من تلميذته أن تقضى معه الحياة متنقلة من ملحوظة إلى ملحوظة، ومن عبرة إلى عبرة ، ومن أغنية إلى أغنية، ومن قصيدة إلى قصيدة ... ولا يكون لها منه ذلك؟

— وماذا تريد منه غير ذلك ؟

— تريده هو ؟

— وأى شىء فيه هو غير ذلك ؟

— فيه أنه رجل ، وأنها امرأة

— وأنه رجل وأنها امرأة ... أو أنكر أحد ذلك ؟

— إنه هو الذى ينكره ... فهو فيما أظن لا يكاد يقيم علاقته مع صاحبته حتى يحسب أنه قد تم له ما يريد من الاستيلاء عليها ، ثم يعمد بعد ذلك إلى ما يرضيه هو لا ما يرضيها هى ... فهو يكثر معها من الحديث عما يراه فى الدنيا وفى الكون وفى الملكوت ... يحدثها عن النجوم والشموس والصراصير والنمل ، وقد لا يخطر على باله طول السنين أن يذكر جمالها بكلمة ، أو أن يمدح ثوباً من ثيابها أو أن يطرى بعض زينتها ناسياً فى هذا أن المرأة مخلوق لا يطيق الحياة وحده ، وأنها تفزع كل الفزع ما لم تحس التهافت عليها ... إنها يا أخى قد خلقها الله لغيرها ... خلقها للرجل وهى لا تقوم بذاتها

— آمنت بالله ، وبهذا الحق الذى تذكرين وما أقل ما تذكرين من الحق ... ولكن ألا ترين يا سيدتى ويا تاج رأسى أن الرجل إذا تزوج من امرأة كان هذا منه كافياً يشهد بأنه معجب بها وبذوقها وبجمالها وبملابسها وبزينتها ... ثم ألا ترين أنه إذا اختار تلميذة له فوجه إليها اهتمامه وجهوده كان هذا منه كافياً أيضاً يشهد بأنه راض عنها وعن كيانها بما فيه عقلها وجسمها وعلى الخصوص إذا كانت هذه التلميذة ممثلة ممن يلقن أن يكن بطلات فى أفلام شارلى ... إنى أعتقد أن هذه الشهادة تكفى ، وأنه لا داعى بعد ذلك يدعو شارلى أو غيره من الرجال إذا استيقظ من النوم فى الصباح أن يقول لامرأته : ما أبهاك وما أروعك ؛ وإذا عاد إليها فى المساء أن يقول لها : ما أحلاك وما أجملك ؛ وإذا صحبها فى عمل أو فى لهو أن يقول لها : ما أذكاك وما أبدعك ... ألا ترين أن هذا لا يمكن أن يكون إلا خداعا لا طعم له . . . إننى أرى فى الصمت والهدوء علامة من علامات الرضى ، وأحسب أن شارلى كذلك ، فهو ما دام صامتاً وهادئاً مع زوجه أو تلميذته كان معنى هذا أنه راض عنها ، وأظن أنه إذا رأى فيها عوجاً لفتها إليه ... وهكذا يجب أن تكون حياة الناس ... أساسها التسليم والرضا الصامتان لا تبادل الإطراء والمخادعة ...

— إنك تقول هـذا لأنك خائب مثلما أن شارلى خائب فأنا منذ رمانى الدهر فى طريقك لم أسمع منك كلمة واحدة ترضينى ولم أجد عندك إلا الكلام الذى يسمم البدن ويكسر النفس ... تذكر شارلى ، وتذكر مواقعه الغرامية فى أفلامه ، وقل لى بالله عليك هل رأيته يوماً عاشقاً لبقاً ...

— إذا كانت اللباقة هى صناعة الغرام ، فشارلى عاشق غير لبق . أما إذا كانت اللباقة هى الغرام الصادق ، فاذكريه يا جاحدة فى « أنوار المدينة » كيف عشق العمياء وكيف أخلص لها وكيف كان يضحك الناس من غرامه هذا والدموع يسيلها من مآقيهم تأثراً له وتفجعاً ، ثم اذكريه فى « العصر الحديث » كيف أحب الشردة الصغيرة ، وكيف كان يحنو على إخوتها ويطعمها وإياهم طعامه هو . وإذا استطعت فاذكريه فى « البحث عن الذهب » كيف زين مسكنه لحبيبته ، وكيف جلس ينتظرها والطعام أمامه لا يذوقه ولا يمسه ، وكيف تخلفت عنه وهو ما زال ينتظرها إلى

أن غفا ، فكان الحب أحلامه ، وكانت هى عروسها . . فلما أفاق وأدرك أنها تخلفت ، جن حزناً وطاشت أحلامه ، ولكنها ظلت عروس أحلامه الطائشة ... إن شارلى من غير شك هو أروع وأخلد عشاق السينما ، يقدره حق قدره الذين أحرق الحب قلوبهم وأفنى أفئدتهم ، ولكنكن يعجبكن أدولف مانجو المتأنق السمج وكلارك جيبل المتحلى المباهى بقوته ... أنتن لا يرضيكن إلا المتنازلون ... أما العشاق ، فلهن منكن الزراية والسخرية ... إن شارلى صادق كل الصدق يا هذه ، وإن حياته الفنية لهى صورة حقة من حياته الطبيعية ...

— وهذا هو ما أريد أن أقول ... فكما أنه فى حياته الفنية لا وفاء فيه لممثلة زميلة فإنه فى حياته الطبيعية لا وفاء فيه لامرأة

— قلت لك إنه لا يخلص فى زمالة امرأة لأنه لم يجد المرأة التى تخلص فى زمالته ، وهو لا يزال يرتجل بطلات لأفلامه لأنه لا يزال يبحث عن سكنه بين النساء ، ولعلك تذكرين أنه جن يوماً فأخرج فلم « الغلام » من غير بطلة امرأة وزامل فيه جاكى كوجان ، وقد كان ذلك لأنه جن يوماً فطاش فى الحياة لا يقف عند امرأة ولا يرتاح إلى أنثى . ولعلك ترين أنه قد عدل أخيراً عن الممثلات الناضجات الأنوثة ذوات التجارب فى الرجال إلى ممثلات أخريات صغيرات لم يعرفن الرجال لا الممثلين منهم ولا غير الممثلين ، وقد حدث ذلك لأنه فى حياته عدل عن تقصى الحب بين النساء ذوات التجارب إلى تقصيه بين الفتيات الساذجات

— وإلى أين سينتهى شارلى فى بحثه هذا يا ترى ؟

— أغلب الظن أنه إذا لم يسعفه القدر سريعاً بما يصبو إليه من الحب ، فإنه ربما عدل عنه ، وعندئذ سنرى شارلى فى أفلام لا نساء فيها ...

— وهل يمكن أن يظهر فلم من غير نساء ؟ إنه لن يكون غير خرافة ، فالدنيا ليست الدنيا مما لم تزينها المرأة...

— هذا هو كلامكن ، وكلام الذين يضحكون على عقولكن. وإلا فقولى لى من هى المرأة التى كانت فى حياة كافور الإخشيدى

— أو لم تجد غير هذا الأغا مثلاً ...

— وهل أبرع وأبرز من مثل هذا العبد يشتريه سادته بالمال فإذا هو الملك الحاكم ؟

— إن شارلى نفسه مقتنع بأنه لا بد لفلمه من بطلة ، وأنا أؤكد لك أن بوليت جودار التى أظهرها فى فلمه الأخير « العصر الحديث » سوف تظهر إلى جانبه فى الديكتاتور

— ومن أين جاءك هذا ؟

— روته صحف أمريكا . بعد أن قيل إن بوليت غادرته ...

— إذن فلن يكون شارلى أنانيا كما قلت فى البدء

— إنه أنانى وأنانى وأنا لا زلت أشك فى إخلاصه لتلميذته الصغيرة

— أما هو فثق أنه مخلص كل الإخلاص ، وهو لا ريب يرجو السماء والأرض أن تحفظ عليه بوليت ، ولكن الشيء الذى أخشاه ، والذى قد يخشاه هو أيضاً هو أن تكون بوليت هذه على الرغم مما يبدو عليها من ملامح الطهر والبراءة ... امرأة صغيرة قد تنكرت بالطهر والبراءة وركبت بهما ظهر شارلى حتى استطاعت أن تظهر معه فى فلمين متتابعين ، وهذا من غير شك يعتبر حادثة فى تاريخ ذلك الفنان العظيم ... وبعدئذ ... من يدرى إذا ذاع اسم بوليت ، واعتبرها الناس نجمة مستقلة لا تحتاج إلى شارلى ولا إلى اسمه فى تجارة الفن ، وآمن بهذا المخرجون وأصحاب رؤوس الأموال ... أتظل على وفائها له فتبقى معه ... أم تفر منه كما فرت الأخريات ... من يدرى ... إنها على أى حال تجربة شارلى الأخيرة فيما أعتقد ...

عزيز أحمد فهمى



أرقام تتحدث

طريقة تعداد الذرات

للدكتور محمد محمود غالى

من « أحمس » المصري إلى « بيران » الفرنسي — الجسيمات التي استخدمها « بيران » في تجاربه — كيف تتوزع هذه الجسيمات الدائمة الحركة — يختلف الجو الذي ابتدعه « بيران » عن الجو الذي نعيش فيه

لقد تنفس العالم الكبير « بيران » فى القرن العشرين بعد الميلاد الهواء ذاته الذى تنفسه « أحمس » فى القرن العشرين قبل الميلاد أو ما يقرب من ذلك العهد ، ومع ذلك استطاع الأول بتجارب علمية دقيقة ، وعمليات رياضية عالية ، أن يعرف عدد ما فى حجم مُعيَّن من الهواء من ذرات ؛ بينما وقفت معارف الثانى عند حد معرفة القواعد الحسابية الأربعة : الجمع والطرح والضرب والقسمة [1] ، ومعرفة الكسور [2] والتقسيم التناسبي وحساب المتواليات ، ولم يكن يجهل معادلات الدرجة الأولى [3] .

والذين يراجعون معنا الآن أعمال « بيران » يدركون كيف اهتدى إلى إحصاء الذرات الدقيقة ، دون أن يكون فى حاجة إلى رؤيتها ، وكيف خلص من هذا إلى معرفة قدر الألكترون ، أصغر ما فى الكهرباء وأحد المكونات الهامة فى الوجود ، دون التجاء إلى استخدام عمليات كهربائية ، وهو بتعيينه قدر الذرة وقدر الألكترون أقام فى نفس الوقت الدليل على وجودهما ، فقطع بذلك مرحلة من أهم مراحل العلم ، تتخلص فى كلمات هامة ومحدودة : ذلك أن التجزؤ المادى وعدم الاتصال فى أجزاء المادة Discontinuité حقيقة موجودة .

والذين يستميدون منا أعمال « أحمس » ، ويتلمسون ذلك فى كتابه الذى ترجمه « إيسنلوهر » Eisenlohr [1] إلى الألمانية من الأصل المخطوط على أوراق البردى المحفوظة فى المتحف البريطانى [2] يعلمون أنه كان يعرف أن يقوم بحساب أبعاد فاكهة مستديرة أو تحديد مساحة قطعة من الأرض ، وأنه كان يعرف قدر الخبز لحجم معين من الدقيق ، بل يعرف قدر الطعام الذى يزدرده الأوز وتلتهمه العجول

***

أما « أحمس » فقد صاغ الفكر فى نسق يتسق وما كان يحتاج إليه معاصروه ، فلمس ببراعة حاجات هذا العهد ، وعرف كيف يعالج ما يعرض له من مسائل بتفكير إنسانى منسق ، وبمجهوده ومجهود من تقدموه ارتقى الإنسان وصار يتوارث المعرفة جيلاً عن جيل ، واحتفظت الإنسانية بطابع من التقدم عهداً إثر عهد ، ونمت المعارف فوصلت إلينا سليمة قوية – أما « بيران » فقد وجد ميراثاً علمياً سليما كانت أعمال « أحمس » ، والأغريق من بعده من أهم ما مهد لهذا الميراث المظيم ، فلا يستضعف أحد ما ذكرنا من حساب « أحمس » لما تزدرده الأوز وتلتهمه العجول ، وغير ذلك مما كان شغله الشاغل عند ما نذكر مشاغل إنسان اليوم جلية فيما قام به « بيران » من تعداد للذرات ومعرفة لأقدارها ، فعند ظنى أن ما عرفه الأول يصل إلى النصف من كل ما ورثناه من علوم ، وأننا لسنا إلا على أبواب مرحلة جديدة فى تاريخ الفكر البشرى

***

ولندع الآن حديثاً أرجو أن يكون قد بعث فى النفس صورة من الماضى البعيد فى شىء من التأمل لنعود لبيران فنذكر عمله الإنشائى ونرى معاً ماذا أفاد من المسائل الرئيسية الثلاث الخاصة بالغازات التى ذكرناها فى المقال السابق : المسألة الأولى أن ثمة

(١) مما هو معروف أن معرفة « أحمس » للضرب والقسمة تختلف عن معرفتنا لها اليوم

(٢) لم نعثر فيما لدينا من مراجع على مقدرة معرفة « أحمس » للكسور وقد ذكر صديقنا الأستاذ سيد عبد المنعم أن ذلك وارد فى كتاب « كبار علماء الرياضة » الذى ألفه « تيرنبول » « The Great mathematicians by Turnball »

(٣) من المسائل الجديرة بالبحث دراسة الأصل فى فكرة الجبر واستخدام الرموز فى حل الموضوعات الرياضية، فإنه من المألوف أن ينسب إلى علماء العرب فكرة الجبر والمقابلة ، ولكن في كتاب « أحمس » ما يجعلنا نتمم النظر فى جواز نسبة هذا العلم إلى العلماء المصريين وفى عهد سابق للاغريق والعرب

(١) الكتاب مطبوع فى « ليزج » سنة ١٨٧٧ واسمه بالألمانية Ein Mathematisches, Handbuch der Alten AEgypten.

(٢) يرجع تاريخ هذا الكتاب المصرى الذى له أكبر قيمة تاريخية والذى يصح أن تعنى دار الكتب أو مراقبة الثقافة بترجمته للغة العربية إلى عهد يتراوح بين ١٧٠٠ ، ٢٠٠٠ سنة قبل المسيح

علاقة تربط الضغط والحجم والحرارة للغاز ، بحيث أن حاصل ضرب اثنين من هذه المتغيرات يساوى المتغير الثالث مضروباً فى عدد ثابت ؛ والثانية أن فى الحجم الواحد يوجد فى الضغط الواحد والحرارة الواحدة العدد ذاته من الذرات الغازية مهما اختلف نوع الغاز ؛ والثالثة هو تَغَيُّر الضغط فى عامود غازى وفق متوالية هندسية

ولقد ذكرنا أنه قد أدت هذه المسائل الثلاث إلى استنباط علاقة أوردناها فى مقالنا السابق[1] علاقة نعرف منها النسبة الواقعة بين ضغطين فى غاز فى موضعين تفصلهما مسافة رأسية ، إذا عرفنا الوزن الجزيئى[2] للغاز والعجلة الأرضية وثابت الغازات والحرارة المطلقة ، ولقد ذكرنا أن النسبة الواقعة بين ضغطين فى الغاز فى موضعين مختلفين هى النسبة بين عدد الجزيئات فى هذين الموضعين ، بحيث إذا عرفنا الضغط أو عدد الجزيئات عند مكان معين أمكننا أن نعرف الضغط أو عدد الجزيئات عند مكان يرتفع عنه مسافة معينة ، وقد ذكرنا فرض « أفوجادرو » القائل بأن هذا العدد للجزيئات الموجود فى الوزن الجزيئى — أى الموجود فى الحجم الواحد لجميع الغازات هو عدد ثابت لا يتغير — يسميه العلماء عدد « أفوجادرو » ، ومن المناسب أن نورد هنا للقارئ فكرة عن هذا العدد الكبير ، فهو يبلغ حوالى ٦٨×١٠^{٢٢} من الجزيئات[3] ، وهو العدد الموجود فى ٣٢ جراماً من الأوكسيجين مثلاً أو ٢٢٫٤ لتراً منه ، أو من أى غاز آخر ، وهو العدد الذى حاول « بيران » بعمله الإنشائى أن يعرفه ، فيعرف منه قدر الذرة وقدر الألكترون .

وطبيعى أنه لا يجوز أن يخطر ببال هذا العالم أو غيره أن يحاول بطريقة مباشرة أن يحصل على أحد هذه الجزيئات أو إحدى هذه الذرات ليتمكن من قياس وزنها أو قطرها أو كثافتها فهى متناهية فى الصغر إن قورنت بكل ما نستطيع أن نتناوله على حدة من الأجسام ، ويكفى القارئ أن يعلم أنها من الضآلة بحيث يمكن أن تندمج فى جسمنا بالنسبة ذاتها التى يندمج فيها هذا الجسم فى الشمس ، أو بالنسبة التى تندمج فيها حشرة صغيرة فى جسم الأرض ، ولكن « بيران » عمد إلى العثور على هذا النوع من التوزيع الغازى فى وسط آخر غير الغازات ذات الجزيئات أو الجسيمات الصغيرة ، وسط يستطيع أن يقيس وزن فيه الجسيمات ويعرف خصائصها بوسائلنا العادية ومقدرتنا المعهودة ، فعمد إلى الحصول على كرات صغيرة من أنواع مختلفة من الأصماغ Gomme Gutte et le mastic ، يبلغ قطر الواحدة منها فى معظم تجاربه كسراً ضئيلاً من الميكرون (الميكرون $\frac{١}{١٠٠٠}$ من المليمتر) وقد ترك « بيران » هذه الكرات فى عمود من السائل . ومما يلاحظ أن هذه الكرات الصغيرة ، عند ما تدخل السائل ، تقع فى حرب شعواء بين الجاذبية الأرضية التى تدفع بهذه الجسيمات نحو الأرض وبين الحركة البراونية التى سبق أن أشرنا إليها فى مقالاتنا ، وهى الحركة الناتجة من حركة جزيئات السائل ذاته والتى تدفع بها فى كل جهة ، بحيث أنه بعد فترة معينة يحدث نوع من الاتزان بين كل هذه العوامل ، تتوزع بعدها هذه الجسيمات فى السائل أى بين جزيئات السائل توزيعاً خاصاً ، بحيث تكون كثيفة العدد فى أسفله قليلة كلما ارتفعنا فيه

ومما يجدر بالملاحظة أن هذه الحالة من التوزيع لا تفترق عن حالة توزيع الجزيئات الغازية فى عمود غازى أو فى الجو مثلاً ، وهو التوزيع الذى تحدثنا عنه سابقاً ، فهذه الأجسام كلها صُغُرَتْ أو كَبُرت واقعة تحت تأثير عاملين : العامل الأول اجتذاب الأرض إياها والعامل الثانى حركة الجزيئات نفسها أى الحركة البراونية ، وليس ثمة فارق بين الحالتين حالة الجزيئات الغازية وحالة الجسيمات الكولوئيدية سوى أنه فى هذه الحالة الأخيرة يوجد تفاوت فى درجة التوزيع بالنسبة للارتفاع يرجع إلى التفاوت الذى بين وزن هذه ووزن الجزيئات الغازية ، فمثلاً يكفى أن ترتفع فى سائل يحوى كرات من التى قطرها كسر من الميكرون (وهى الكرات التى صاغها « بيران ») حوالى $\frac{١}{٢٠}$ من المليمتر حتى ينقص عدد الجسيمات فى الحجم الواحد إلى نصف عددها الأول حين يجب أن ترتفع فى عامود من الغاز مثل

---

(١) يجد القارئ العلاقة فى هامش الصفحة ١٥١ من مقال « أرقام تتحدث » — الرسالة — العدد ٢٤٢ — ٢٢ يناير ١٩٤٠

(٢) الوزن الجزيئى بالجرام Molecule Gramme ، وليس وزن الجزئ بالجرام كما ذكر خطأً بالمقال السابق ، لجسم معين هو كتلة ذلك الجسم الذى هو فى حالته الغازية يحوى الحجم ذاته الذى يوجد فى ٣٢ جراما من الأوكسجين ، ونكرر القول أن كل الأوزان الجزئية بالجرامات للغازات المختلفة تحوى هذا الحجم الذى قدره ٢٢٫٤ لترا الذى يحوى هو أيضا العدد ذاته من الذرات وهو عدد « أفوجادرو » الذى أومأنا إليه

(٣) معنى ذلك أن فى ٢٢٫٤ لتراً من الغاز يوجد حوالى ٦٨×١٠^{٢٢} من الجزيئات

الأوكسيجين حوالى خمسة كيلو مترات لينقص عدد الجزيئات فى الحجم الواحد إلى هذه النسبة ، وهذا يحملنا على التفكير فى أن وزن أحد هذه الجسيمات التى استخدمها بيران يصح أن يكون حوالى مائة مليون مرة قدر وزن الجزىء من الأوكسيجين

والواقع أنه كان من الميسور أن يصل الباحثون إلى علاقة تربط نسبة عدد جسيمات ميكروسكوبية متروكة فى سائل تتوزع فيه مع عدد « أفوجادرو » السابق الذكر ، وهى علاقة يمكن استنتاجها من العلاقة أو المعادلة التى سبق أن نوّهنا عنها فى الغازات التى ذكرناها فى مقالنا السابق ، وهذه العلاقة الثانية التى نذكرها فى هامش هذه الصحفة [1] هى علاقة نجد فى أحد طرفيها النسبة بين عدد الجسيمات الميكروسكوبية أى الكولويدية الحائرة فى السائل فى موضعين مختلفين ، ونجد فى الطرف الثانى عدة متغيرات وثوابت ، أهم ما فى هذه الثوابت عدد « أفوجادرو » الذى ذكرناه والذى هو محل بحثنا

ولعل القارىء يرى أن وزن هذه الحبيبات أو حجمها الذى فى استطاعتنا الوصول إليه هو الوصلة للأوزان الذرية التى يعتبر الوصول إلى وزنها بالذات خارجاً عن طوقنا

ولاريب فى أنه يعوزنا كتاب كامل لنشرح للقارىء العقبات الكبرى التى ذللها « بيران » وتلاميذه للقيام بهذه التجارب التى استخدموا فيها جسيمات قطرها $\frac{٢}{١٠}$ من الميكرون وجسيمات أخرى يختلف قطرها عن هذه . وثمة صعوبات فى صوغ هذه الجسيمات بطرق مختلفة ومواد مختلفة ، ونتفادى الاستقصاء فى وصف الوسائل المختلفة التى عمد إليها هذا العالم فى قياس هذه الجسيمات ، وسائل تمت إلى التطبيق الهيدروديناميكى طوراً وإلى الطرق الطبيعية تارة أخرى ، وهى الوسائل العديدة التى صدرت عنها أطروحات جامعية عديدة طالعنا بعضها وناقشنا البعض الآخر [2]

ترى هل وجد « بيران » بعد ذلك المجهود وبدراسة هذه الجسيمات الحائرة أبدا ذلك التوزيع اللوغاريتمى الموجود فى الغازات ؟ وهل استطاع أن يعثر من دراسة هذا التوزيع فيما اختاره من جسيمات على عدد « أفوجادرو » ذاته الذى كان يتوقعه والذى كانت تدل عليه عمليات أخرى تختلف فى طريقها وجوهرها عن موضوع « جان بيران » Jean Perrin الحالى ؟ هذا ما ندل عليه القارىء فى مقال قادم حيث يقف على ما استنبطه بيران من ملاحظة مستمرة لهذا الجو الجديد الذى ابتدعه وصنعه لنفسه ، هذا الجو الجديد ذو الجزيئات الكبيرة يختلف جد الاختلاف عن الجو الذى نعيش فيه ، ففيه تمثل أهرام الجيزة مثلاً مقداراً أقل من الواحد على ألف من المليمتر

وسيرى القارىء كيف أوصلنا عمل « بيران » المضنى إلى شىء جدى فى الوجود وكيف طلع علينا هذا العالم بأسطورة خالدة من قصص الكون وكيف اقتنع كغيره أن المادة وسط منفصل غير متصل وأنها مكونة من ذرات تحمل فى طياتها ألكتروناتها الأبدية وكيف وثق أن للذرة قدراً وللألكترون قدراً لا يتجزأ وأن هذه وحدات فى الكون تُمد من خصائصه كما تمد الأصابع العشر من خصائص الإنسان .

(يتبع)

محمد محمود غالى
دكتوراه الدولة فى العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية. ليسانس العلوم الحرة. دبلوم المهندسخانة

(١) إذا رمزنا بالحرف ن لعدد « أفوجادرو » ، ى لوزن الجسيم فإن الوزن الجزيئى بالجرام هو ن ى ، وإذا رمزنا بالحرف د لعجلة الأرض ، هـ لكثافة الجسيم ، هـَ لكثافة السائل فإن وزن الجسيم داخل السائل يصبح $\frac{\text{ى هـَ د}}{\text{هـ}}$ بدلا من ى د ، بحيث أن ارتفاعا فى السائل قدره ب يتغير فيه عدد الجسيات من عَ إلى ع وفق العلاقة الآتية :

$$\frac{\text{عَ}}{\text{ع}} = ١ - \frac{\text{ن}}{\text{ك ح}} \text{ ى } \left(١ - \frac{\text{هـَ}}{\text{هـ}}\right) \text{ د ب}$$

حيث ك ثابت الغازات ، ح الحرارة المطلقة وهذه العلاقة ممكن أن نكتبها فى صورة لوغاريتمية كالآتى

$$٢٫٣ \text{ لو } \frac{\text{عَ}}{\text{ع}} = \frac{\text{ن ى}}{\text{ك ح}} \left(١ - \frac{\text{هـَ}}{\text{هـ}}\right) \text{ د ب}$$

(٢) يمكن للمختصين أن يراجعوا مناقشتنا لأطروحة مسيو رو Roux فى كتابنا حركة الكرات فى السوائل mouvement des Sphères dans les liquides الطابع جوتييه فيلار Gauthiers Villars باريس سنة ١٩٣٥



الاعـــتراف

للكاتب الفرنسي موريس ليفل

وقفت لحظة أمام الباب وأنا ساكن متردّد فى الدخول . ولم أخط العتبة إلا حين نبهتنى المرأة التى جاءت بى بقولها : « هنا يا سيدى تفضل ! »

لم أر شيئاً عنـد دخولى سوى المصباح الخافت الموضوع فى ركن الغرفة . ثم أخذت أتبين إلى جانب الحائط فراشاً تمدد عليه جسم طويل هزيل حادّ التقاطيع . وكانت رائحة النفط تملأ فضاء الغرفة ، والصمت شامل كصمت القبور

ومالت المرأة على الفراش صائحة : « ها هو ذا السيد الذى أرسلتنى فى طلبه ... »

فنهض الشيخ الممدد على الفراش نصف نهوض وتمتم فى صوت خافت :

— حسن ... حسن ... اتركينا معاً ...

فلما أغلقت المرأة الباب وراءها ، قال الرجل :

— ادن منى يا سيدى ... اجلس هنا على الكرسى الموضوع بجانب الفراش ... إننى أكاد أكون أعمى أصم . معذرة من إقلاق إياك ، فلدىّ شىء خطير أريد أن أفضى إليك به

كان وجه ذلك الرجل بارز العظام شديد الشحوب . وقد ظل برهة يحدّق فىّ بعينيه الواسعتين . ثم واصل حديثه بصوت متهدج :

— ولكن قبل كل شىء ، هل أنت السيد جربنو النائب العمومى ؟

— نعم

فتنفس الصعداء ثم قال :

« إذن يمكننى الآن أن أدلى باعترافى . لقد أمضيت خطابى لك باسم بريبه ، وليس هذا اسمى الحقيقى . ومن الجائز أنك كنت تتذكر معرفتى لولا ما غير الموت من معالم وجهى ... ولكن دعنا من هذا ...

منذ سنوات كثيرة ، كنت وكيل نيابة . كنت واحداً من الرجال الذين يقول الناس عنهم : إن أمامه مستقبل باهر . وكنت عاقداً العزم على تحقيق هذا الرجاء . ما كان ينقصنى سوى الفرصة لإظهار مقدرتى ؛ وقد هيأت لى تلك الفرصة قضية فى محكمة الجنايات . حدثت تلك الجناية فى إحدى ضواحى باريس ، وقد أثارت فى حينها اهتماماً شديداً بين الناس وخاصة فى البيئات القانونية . كانت الشبهات قوية فى المتهم ، ولكن ينقصها الإثبات القاطع . ولقد دافع المتهم عن نفسه دفاعاً قوياً حتى أحسست وأنا فى كرسى النيابة بشعور الشك بل بالعطف يستولى على المحكمة . وأنت تعلم ما لهذا الشعور من تأثير !

ولكنى كذبت بالبراهين المنطقية القاطعة كل ما أنكره المتهم ، وأزحت الستار أمام القضاء عن سلسلة من الحقائق لا مجال للشك فيها . ولأستطيع أن أقوى أدلة اتهامى ، كشفت عن نفسية الرجل وعن ماضى حياته مظهراً كل ما فى خلقه من ضعف وما فى أعماله من دناءة . وختمت مرافعتى القوية بطلب القصاص من المجرم ؛ وقام الدفاع بعـد ذلك بكل ما فى مكنته لتفنيد أدلتى ، ولكنه حاول عبثاً ... وحكم على الرجل بالإعدام

لم يكن للعطف على السجين حينذاك مجال للوصول إلى نفسى . فلقد كنت مندفعاً فى إثبات مقدرتى وفصاحتى ، وكان الحكم عليه انتصاراً باهراً لى

ورأيت الرجل ثانية فى صباح يوم التنفيذ . ذهبت لأراه وهم يسوقونه إلى المقصلة . فلما رأيت وجهه الغامض اعترانى فجأة شىء من الاضطراب والضيق ... إن تفصيلات تلك الساعة المشؤومة لا تزال ماثلة فى مخيّلتى ! ... لم يبد أى مقاومة وهم يوثقون يديه وقدميه . لم أجسر فى تلك اللحظة على النظر إليه ، لأنى شعرت بأن عينيه مصوبتان نحوى فى هدوء غير معهود .

ولقد صاح حين خروجه من باب السجن ومواجهته المقصلة : إنى برىء ! وخيم السكون على الحاضرين كأن على رؤوسهم الطير . ووجه الرجل الكلام إلى قائلاً : أنظر إلى وأنا أموت، فإن ذلك يستحق بضع دقائق من وقتك . ثم عانق القسيس ومحاميه ... وكانت برهة من أفظع ما مر فى حياتى

فى خلال الأيام التى مرت على ذلك الحادث ، كنت مبلبل الخاطر مضطرب الفكر . كان موت ذلك الرجل هو الشىء الوحيد الذى يستولى على ذهنى فلا يدع مكاناً لسواه . وقد كان زملائى يطمئنوننى بقولهم : إن ذلك يحدث دائماً فى أول مرة وكنت أصدقهم . إلا أنى أدركت على تراخى الزمن أن هناك سبباً لهذا الاضطراب وهو : الشك ! ومنذ اللحظة التى فطنت فيها إلى ذلك لم يهدأ لى بال . كنت لا ألبث أن أسائل نفسى : ترى هل كان الرجل بريئاً ؟

جاهدت بكل ما فى استطاعتى أن أبعد عن خاطرى تلك الفكرة، محاولاً أن أقنع نفسى أنه مجرم؛ ومحال ألا يكون كذلك، ولكنى كنت أعود فأسائل نفسى : أى دليل حقيقى على إجرامه ؟ وتتمثل فى مخيلتى لحظات الرجل الأخيرة وهو واقف على المقصلة فى هدوء ، ويطن فى أذنى صوته وهو يقول : إنى برىء !

قال لى يوماً أحد الزملاء :

ما كان أبدع دفاع هذا الرجل عن نفسه ! لقد كان من المدهش أنه لم يُبرأ ... أقسم لك أنى لو لم أسمع مرافعتك لاعتقدت أنه برىء !

إذن كان سحر كلامى وقوة رغبتى فى النجاح ، هما اللذين تغلبا على تردد النظارة ، وربما كان لهما أكبر الأثر فى تكوين رأى المحكمين . أنا وحدى كنت السبب فى قتل هذا الرجل . فإذا كان بريئاً ، فأنا وحدى المجرم المسئول عن موت هذا البرىء ...

إن الإنسان لا يتهم نفسه بشىء دون أن يحاول الدفاع عنها وقبل أن يقوم بكل ما يمكن ليريح ضميره . ولقد كان هذا شأنى بالنسبة لهذه القضية : فلكى أنجو بنفسى من هذا الشك المؤلم ، راجعت أوراق القضية من جديد ... ولما أعدت قراءة مذكراتى ومستنداتى ، وجدت كل ما بها منطقياً معقولاً ... إلا أنها مذكراتى أنا ومستنداتى أنا ، وهى عمل عقلى الذى حكم على المجرم أولاً ، ثم راح يبحث عن الأدلة ، عمل إرادتى ، وقد استعبدتها الرغبة فى إثبات الجريمة على المتهم ... فدرست وجهة نظر الدفاع من جميع وجوهها ... أعدت قراءة إجابات المتهم وشهادات النفى الخ ... وقررت أن أتأكد من بضع نقط فيها شىء من الغموض، ففحصت المكان الذى وقعت فيه الجريمة بدقة ، وسألت شهوداً كان قد أهمل استجوابهم . فلما فرغت من دراسة هذه التفاصيل انتهيت إلى نتيجة حاسمة : وهى أن الرجل كان بريئاً !

وكأن الظروف أرادت أن تشغل ضميرى ، فصدر الأمر وقتئذ بترقيتى ! ... ترقية هى فى الواقع ثمرة لجريمتى الشنيعة .

كانت الشهامة تقضى بأن أعترف بخطئى على الملأ حتى يكون فى ذلك عبرة وعظة لغيرى . إلا أنى كنت أجبن من أن أفعل ذلك . كنت أخشى غضب الناس واحتقار الزملاء ، فاكتفيت بتقديم استقالتى دون أن أبين بها الأسباب ، ثم سافرت بعيداً عن باريس . ولكن وا أسفاه ! ... إن البعد لا يجلب النسيان

ولقد صار كل همى فى الحياة بعدئذ أن أكفّر عن خطيئتى التى لا تقبل إصلاحاً . كان الرجل شريداً لا أهل له ولا أصدقاء يمكننى أن أعوضهم عن فقده بالمال . فقررت أن أخصص كل ما أملك من ثروة لمساعدة البؤساء والمنكوبين من أمثاله ، عازفاً عن مسرات الحياة . وهكذا عشت وحيداً منسياً حتى هرمت قبل الأوان

ولقد أنقصت نفقاتى الخاصة إلى أدنى حد ممكن ... فى هذا الجحر عشت شهوراً وفيه أدركنى المرض الذى أموت به الآن... والآن يا سيدى قد وصلنا إلى ما أريده منك ... »

وازداد خفوت صوته حتى صرت مضطراً أن أراقب شفتيه المختلجتين لأستعين برؤية حركتهما على تفهم كلماته

« لا أريد أن تموت هذه القصة بموتى . أريد منك أن تعلنها على الناس درساً لأولئك الذين من واجبهم أن يقتصوا من الناس

ولكن بالحق ، لا أن يجلبوا لمقاب للناس على أى حال . أريد أن تكون هذه القصة ماثلة أمام عيون رجال النيابة العمومية وهم يؤدون واجبهم فى طلب رأس المجرم »

فأكدت له أنى سأفعل ما يطلبه

وازدادت رعشة الرجل وهو يواصل حديثه قائلاً :

« ولكن ذلك ليس كل شيء ... لا يزال لدىّ بعض المال ... لم يتسع الوقت لتوزيعه ... إنه هناك فى درج هذه الخزانة . أريد منك أن توزّعه بعد موتى . . . لا باسمى ، بل باسم ذلك الرجل الذى كنت سبباً فى إعدامه منذ ثلاثين عاماً ... وزّعه على الفقراء باسم راناى »

فحملقت مردداً :

— راناى ؟!... لقد كنت أنا المحامى عنه

فهز رأسه متمتماً :

— أعرف ذلك. وهذا هو السبب فى طلبى إياك. لقد كنت مديناً لك أنت بهذا الاعتراف. أنا ديرو ، وكيل النيابة

ثم غمغم ببضع كلمات أخرى لم أتبين منها سوى كلمة راناى

***

هل خنت سر المهنة ؟ هل خرقت القواعد التى تحتمها صناعتى ؟ إن المنظر المؤلم لهذا الشخص الذى يموت على تلك الحالة التعسة ، قد استدرج الحقيقة إلى لسانى رغماً عنى ، فصحت قائلاً :

— مسيو ديرو ! مسيو ديرو ! لقد كان راناى مجرماً ! ... لقد اعترف لى وهو فى طريقه إلى المقصلة . أخبرنى بالحقيقة حين كان يودّعنى . . .

ولكن مسيو ديرو كان قد سقط على الوسادة ميتاً وما زلت حتى الآن ، كلما مرّت هذه الحادثة بفكرى أحاول إقناع نفسى بأنه قد سممنى .

صلاح الدين كامل



لا تلم فرساي !

[ملخصة عن مقال (للمركيز أوف لوثيان)]

أود قبل كل شيء أن أقول كلمة عن معاهدة فرساي . فقد أصبح الأسلوب الجديد لدعاية الدكتور (جوبلز) أن ينسب إلى هذه المعاهدة المظلومة كل سيئة ... إن معاهدة فرساي لا تخلو من أوجه للنقص . إلا أنه من السخف أن نعزو إليها كل شر في الوجود

قال أحد الرجال البارزين من الألمان الديمقراطيين بتمهل : إن ثلاثين في المائة من الأسباب التي أدت إلى ظهور الاشتراكية الوطنية تعزى إلى معاهدة فرساي ، وثلاثين في المائة إلى نقص الروح الديمقراطية في نفوس الألمان ، وثلاثين في المائة إلى وسائل الضغط التي اتخذت ضد الشعب منذ عام ١٩٢٩ . ولكني أود أن أدخل شيئاً من التحوير على هذا الوضع ، فالهتلرية في نظري هي وليد نمته البلشفية وغذته بنظامها الوطني الاقتصادي الذي وضعته ليشمل سائر أنحاء العالم

نحن حريون ألا ننسى تلك المبادئ التي دافعنا عنها دفاعنا المعهود ما بين ١٩١٤ — ١٩٢٠ . لقد بدأنا عهداً جديداً في تلك الفترة إذ قضى عالم قديم ، وظهر في الوجود عالم جديد . وكانت العلاقات الدولية قبل سنة ١٩١٤ تسير على مقتضى السياسة القديمة . فكان من الطبيعي أن تفكر كل أمة فيما يهمها ويهم أبناءها وحدهم ، وقل أن تفكر في شأن من شؤون الأمم الأخرى

إلا أننا في سنة ١٩١٤ رأينا الأمم الديمقراطية التي كانت لا تهتم إلا بشئونها الداخلية ، بدأت تفكر في العلاقات الدولية العامة . والديمقراطية بحكم وجودها لا تحلم بالقوة ، ولكنها تحلم بالمثل الأخلاقية العالية . وإذا كانت الأمم الديمقراطية لا تعيش لهذه المثل على الدوام ، فهما ولا شك الكواكب التي تسهر على حراستها ، وتصونها من الضياع

ومنذ ظهرت عناية الأمم الديمقراطية بالشئون الدولية العامة ، أخذت تفرض مبادئها على سائر الأمم . فالإنسانية في نظرها وحدة لا تتجزأ . وسائر الأمم والأفراد لهم الحق في الحياة والحرية والسعادة . والشعوب المتأخرة لها أن تتخلص من الاستغلال المقوت وتتمتع بنظام الحكم الذاتي . والدول الصغيرة والكبيرة سواء أمام القانون . وقد رؤى أن خير وسيلة لتجنب الحرب هي إيجاد قانون صحيح يحكم بين الأمم

هذه هي المبادئ التي آتت ثمرها الحرب العظمى بعد توقيع معاهدة السلام في باريس عام ١٩١٩ وهي مبادئ قويمة ذات أثر لا ينكر في إسعاد العالم . وقد دافع عنها الرئيس ولسن دفاعاً مأثوراً ، ولكن الدول الديمقراطية لم تكن تقدر أن العالم لا زالت تحركه المطامع وحب السيادة والسلطان ، وأن المبادئ القديمة لا زال لها أنصار يتعلقون بأذيالها

وليس هذا هو السبب الوحيد في نشوب الحرب مرة ثانية ، ولكنه من الأسباب القوية التي أدت إليها ، ونحن لا ندرى إذا كانت هذه الحرب ستنتهي بنا إلى الحرية المنشودة ، أم أنها سترجع بنا إلى همجية العصور الخالية

لقد وفت الدول الديمقراطية بعهودها التي قطعتها على نفسها في معاهدة فرساي ، فأعطت كل أمة الحق في تقرير مصيرها ، وبذلت ما في وسعها لحماية الأقليات

أما هتلر فهو في الحقيقة لا يناضل من أجل الحدود التي قررتها هذه المعاهدة ، ولكنه يناضل لهدم فكرة الديمقراطية من أساسها

الفن والحرب

[ملخصة من « ذي إيفننج نيوس »]

يشترك في الحرب الحاضرة عدد كبير من الفنانين رجالاً ونساء ، إما بالعمل في ميادين القتال أو المشاركة في الأعمال الأخرى التي تقتضيها الحرب . وقد يجد هؤلاء بعض العزاء فيما يسمعون عن حياة رجال الفكر الذين عاشوا قبلهم في أيام الحروب

هل أسكتت الحرب شكسبير ؟ أو أخمدت المنازعات صرخات وجنر الغاضبة ، أو أثرت في شجاعة بيتهوفن ؟ لا ، والحمد لله !

لقد نشأ شوبان في بولاندا وهي تناضل بغير جدوى لاستعادة استقلالها ، وقد كان في « ستتجارت » حين جاءه نبأ سقوط « وارسو » في أيدي الروس ، فكان لهذه الحوادث أثر لا ينكر في شحذ قريحته ، وإمداده بالإلهام الصادق والدراسة الرفيعة . فلما رحل شوبان إلى باريس صارت له باريس وطناً ثانياً ، وأحلته منها مكاناً مرموقاً لما يحمله الفرنسيون لبولندا من العواطف الجميلة . وقد كتبت جورج ساند التي أحبها شوبان وعاشت بعد وفاته - كثيراً من مؤلفاتها الرائعة ووطنها فرنسا في حرب عنيفة

مع الأعداء. لا شك أن الحرب لم تكن عاملاً مخيفاً فى تلك الأيام كما هى اليوم، ولكن مهما تكن الحال فإن الفنانين يشعرون بمآسى الحرب أكثر من سواهم، وهذا مما يزيد ارتباطهم بالعالم إبان الحروب

أخبرتنا (فيولا مينل) فى الكتاب الذى وضعته عن أمها ، أن (آليس مينل) كانت تشعر بصدمة قوية فى أعماق نفسها عند نشوب الحرب. ومع ذلك فقد كتبت آليس الكثير من أرق وأبدع أشعارها فى تلك الأيام العصيبة

وقد يتحرك الشعراء بعامل الدفاع عن الحرية كما فعل (بيرون) باشتراكه فى الحرب للدفاع عن استقلال اليونان . ومن الشعراء من هزوا النفوس بأشعارهم فى الحرب العظمى ١٩١٤ ـ ١٩١٨ مثل روبرت بردك ، وليم نويل هودجسون ، جوليان جرنفيل ، سيسيل شسترن ، إدوارد توماس. وقد ذهبوا جميعاً ولم يعد أحد منهم إلى عالم الوجود . أما الذين عاشوا ليمدوا العالم بمزيد من أشعارهم فمنهم « سيجفريد ساسون » الذى كتب عن الحرب أشعاراً تمد من الحجج البينات التى ظهرت لتوطيد دعائم السلام

وقد قام كثير من المصورين بأعمالهم الفنية إبان الحرب العظمى ومنهم من كانوا يعملون فى ميادين القتال ، فأخرجوا للعالم تحفاً من بدائع الفن التصويرى ، يرمزون بها إلى شتى التجارب والإحساسات التى صادفتهم فى حياتهم الحربية

وليس من همنا أن نثبت هنا أن الفنانين يؤثرون موضوع الحرب لإبراز روائع فنهم ، ولكنا نرى أن من واجبهم الرسمى أن يهزوا القلوب نحو جانب من الجوانب فى أيام الحروب

نساء ستالين

[عن مجلة « باريد » عدد فبراير]

لا تنقطع محاولات اغتيال دكتاتور روسيا ولكنها فى أغلب الأحيان تظل فى الخفاء . ولما كنت أعمل فى قلم الاستعلامات الملحق بالكرملين مقر دكتاتور روسيا ، فقد أتيح لى أن أقف على تفاصيل آخر محاولة لاغتياله . وكان عملى فى الظاهر يتلخص فى إمداد مكاتبى الصحف الأجنبية بالأخبار ، ولكن فى الواقع كانت مهمتى هى العمل على عدم تسرب الأخبار الخاصة بحياة ستالين الداخلية إلى الخارج . وبذلك تمكنت من معرفة تفاصيل هذه المحاولة الجريئة التى قامت بها فتاة جميلة استخدمها الدكتاتور لتقرأ له الصحف الأجنبية مترجمة

فى ذلك الوقت كان الرفيق آبل انيكايدز صديق ستالين الحميم سكرتيراً عاماً للجنة التنفيذية لمقاطعات روسيا البلشفية المتحدة ، وبذلك كان يتمتع بسلطة لا تحدها إلا سلطة ستالين نفسه. وكان يخضع له كبار رجال الدولة لإشرافه على موارد الترف ورفه العيش، وحتى ياجودا رئيس البوليس السرى السابق كان ينحنى له ، ويمتد إشرافه أيضاً إلى المسارح والهيئات الفنية ، ولذلك كان مطمح أنظار جميلات النساء الراغبات فى المجد الفنى اعتماداً على موهبة الجمال وحدها . وقد أدى تهافت النساء عليه إلى سقوطه السريع . وفى ذات يوم أبدى الدكتاتور رغبته فيمن يترجم له الصحف الأجنبية ؛ فعيّن انيكايدز فتاة جميلة تنتمى إلى أصل أرستقراطى قديم . وفى صباح كل يوم يضطجع الدكتاتور الأحمر على أريكة وتجلس الفتاة على منضدة أمامه تقرأ ، ولا يكف هو عن السؤال والتعليق ، وبجنبه على منضدة أخرى وضعت أطباق الحلوى والفاكهة. وراقت هذه القراءات ستالين وسر بها كثيراً . وفى ذات صباح أمر بقدحين من البن التركى الذى يحبه ، وبعد أن تظاهرت الفتاة بتذوق فنجالها قامت فوضعت كمية من السكر فى القدحين ، وبعد ذلك تناولت القهوة فشربتها ؛ أما هو فلم يشرب. وبعد ذهاب الفتاة أخذت القهوة ، وبعد تحليلها وجد بها قدر كبير من السم فألقى عليها القبض ، وألقيت فى أحقر السجون مدة ثلاثة أسابيع ، ولكنها لم تعترف بوجود شركاء لها . وأخيراً نفذ فيها حكم الإعدام رمياً بالرصاص بأمر صادر من ستالين نفسه

وقامت الشكوك فى نفسه واتهم إنيكايدز بتدبير هذه المؤامرة ولكنه لم يعثر على دليل لإدانته ، ولكن هذا لم يعفه من تهمة مد يد المساعدة للأرستقراطيين أعداء النظام البلشفى ، فنفى إلى سيبيريا ويشاع أنه لقى حتفه هناك

وقلائل جداً من يعرفون شيئاً عن زوجة ستالين الأولى التى رزق منها بولد يعمل الآن صانعاً فى أحد معامل موسكو ، متخذاً اسم دجيفاشفيلى ، وهو الاسم الأول لأبيه قبل قيام الثورة

أما عن زوجته الثانية فسأحدثكم عنها بإسهاب لأن ستالين يحبها جداً وقد تزوج بها وهى فى الثلاثين واسمها الأصلى اليلوفا وهى ابنة قسيس. وكان زواجه بها غير معروف عند عامة الناس الذين فوجئوا بنبأ موتها فى الصحف ذات يوم . ومما زاد فى عجبهم الاحتفال بدفنها بمشهد ومانى على غير تقاليد البلاشفة ، ولما تضاربت الأخبار عن أسباب موتها أو عز إلى أن أذيع لمراسلى الصحف أنها ماتت بسبب التهاب الزائدة الدودية . ولم تكن هذه آخر الإشاعات عن موتها ، فذكر أنها ماتت إثر تناول شاى مسموم أريد به ستالين نفسه ، وقيل أيضاً إنها انتحرت متأثرة بكثرة

الاغتيالات وحوادث القتل التي ارتكبها زوجها ، ولكن هاك الحقيقة كما وقفت عليها :

من حين إلى آخر يقيم زعماء البلاشفة حفلات للهو المنيف يحضرها النساء ، وتسيل فيها الخمر أنهاراً ، وفي حفل كهذا أفرط الدكتاتور الأحمر في الشرب وأخذ يبدي ولعاً مكشوفاً بسيدة خاصة ، فأحفظ ذلك زوجته « اليلوفا » التي لم تكن أقل منه سكراً فتشاجرا وصخبت زوجته وهددت بأنها ستنتحر ، فهزأ منها ستالين أمام النساء اللائي عيرنها بأنها لن تقدم على الانتحار ، فما كان منها إلا أن غادرت القاعة ، وعلى الأثر سمع طلق ناري ، فهرعوا إلى الخارج ووجدوها ميتة برصاصة استقرت في رأسها .

فتأثر ستالين الصخري الفؤاد بموتها وأظهر جزعاً شديداً ، فاقترح الحاضرون دفنها بمشهد حافل تعزية له . فدفنت في قبر فخم بكنيسة العذراء بموسكو ، ولا يزال ستالين يتردد على قبرها سراً لوضع باقات الزهور

وقد تزوج دكتاتور روسيا للمرة الثالثة بامرأة من مقاطعة جورجيا ولكنها لم تظهر معه أبداً في المحافل الرسمية ، وإن كانت ترافقه إلى دور التمثيل أحياناً .

حسن الظاهر



« أذني زلزلت طربا »

في العدد الماضي من (الرسالة) بدا للصديق الصالح الخاشع محمود محمد شاكر أن ينظر في قصيدة « الناي » التي كنت نشرتها في العدد الـ ٣٤١ . وجاء نظر الصديق على شطرين : الأول في علم العروض ، والثاني في فن اللغة عامة والمجاز خاصة

فأما قول الصديق إن بحر « المنطلق » الذي وضعتُه إنما هو من مجزوء « المتدارك » أو من نحو ذلك فوهم قد سبقه إليه كاتب آخر . وفي هذا المكان من العدد الماضي وقف القارىء على ما يبدّد ذاك الوهم . ومن الغريب أن كاتباً بمكانة الأستاذ محمود محمد شاكر يخلط « وضع » الشيء بـ « اختراعه » . إني لم أخترع البحر يا محمود ، بل وضعته . وما أنا بباخل عليك بهذا التبصير .

وأما الشطر الثاني فحصور في قول الأستاذ : « ولكن ما بال هذا الصديق (يعنيني) يريد أن يزلزل أذنه ، ونحن لم نفرغ بعد من حديث الزلازل التي هدمت ما هدمت في الأناضول . لماذا أيها الصديق ؟ ولماذا تريد أن نشعر أن أذنك وحدها — دون سائرك — هي التي تطرب ، ولا يكون طربها إلا زلزلة » اهـ .

ألا إن من مساوئ الإكباب على قراءة الصحف اليومية أن يغلب على الألفاظ المتواترة معنًى يقف الخلق عنده فينسوا مُفاده الأول ويُغفلوا ألوان استعماله في الأدب الموروث بجلاله ورونقه . فإن الصديق محموداً قنع بزلزال الأرض ، والأناضول من الأرض . كيف فاته أن زلزال الأرض معنى طارئ على زل زل ؟

ففي « لسان العرب » ج ٥ ص ٣٢٧ : « وفي الحديث : اهزم الأحزاب وزلزلهم — الزلزلة في الأصل : الحركة العظيمة والإزعاج الشديد ، ومنه زلزلة الأرض ، وهو ههنا كناية عن التخويف والتحذير ، أي : اجعل أمرهم مضطرباً متقلقلاً غير ثابت » . هذا ، وفي القرآن نفسه — وهو الحجة العليا في مثل هذه المشكلات — تصيب إلى جانب « زلزال الأرض » و « زلزلة الساعة » (سورة الزلزال ، والحج) آيتين إليك حروفهما :

(١) « وزلزلوا حتى يقول الرسول » البقرة ، (أي « أزعجوا إزعاجاً شديداً مما أصابهم من الشدائد » : عن البيضاوي) — (٢) « هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً » الأحزاب (أي « من شدة الفزع ») . وعلى هذا ، فإنك ترى أن الزلزلة تفيد الاضطراب والتقلقل والتحرك ، حقيقة ومجازاً ، ثم إنها خرجت من ذلك — من باب إطلاق العام على الخاص — إلى المعنى الذي تمهّل عنده الصديق ، والذي غلب عند عامة الناس لهذا الزمان . ومن ذلك المعنى الأول ، وهو الأصل ، ما جاء في حديث عطاء : « لا دق ولا زلزلة في الكيل ، أي لا يحرّك فيه » ، وفي حديث أبي ذرّ : « حتى يخرج من حلمة ثدييه يتزلزل » ، (عن « لسان العرب ») . وعلى ذلك أيضاً قولهم : « جاء بالإبل يزلزلها : يسوقها بعنف » (عن « أساس البلاغة » مادة ز ل ل) . كيف غاب كل هذا عن صديق والقرآن في صدره والتفسير والحديث واللغة شواغله . هل زلزل « الناي » ذاكرته ؟

وقد خطر للصديق محمود — ومحمود كثير الخواطر — أن يقول لي : « لماذا تريد ألا يكون طرب أذنك إلا زلزلة ؟ » . فإني ألوذ بالصبر فأقول : لأن الزلزلة والطرب على مجاورة . مصداق ذلك أن استعمال لفظ الزلزلة للدلالة على الطرب الشديد قديم في أدبنا . ففي « الأغاني » (ط بولاق ج ٦ ص ٨٠) : « فتغنيت

(والمتكلم اسماعيل بن جامع المغنى) بصوت لى ... فتزلزلت والله الدار عليهم » ، وفى « الأغانى » أيضاً (ج ٥ ص ٢٤) عند الكلام على غناء ابراهيم الموصلى وضرب منصور زَلزَل بالعود فى حضرة الرشيد : « فزلزلا الدنيا » ، ومن ذلك قول العرب : « والزُّلزُل : الطبّال الماهر » (عن لسان العرب) ، ولعل اسم « زَلزَل » المتقدم ذكره من ههنا كذلك

وأما أن تُزلزَل الأذن من شدة الطرب دون سائر البدن فكلام أُنزله منزلة الدعابة ، وإلا فَليستفسر الصديقُ العربَ قولهم : « تزلزلت نفسه : رجعت عند الموت فى صدره » (لسان العرب : ز ل ل)، وقولهم فى وصف النزال : «وتزلزلت الأقدام من دلولة الأمجاد» («الألفاظ الكتابية» للهمذانى بيروت ١٩١٣ ص ١١٧ ثم ٢٣٥) ... إن لكل مقام مقالاً : على هذا تلقَّينا البلاغة !

فالطرب الشديد يزلزل الأذن أية زلزلة حتى إن السامع المطراب يتمنى لو يجنِّب الناى أو العود خشية الإعياء ، كالعاشق أضناه عشقه وعناه فيود لو يفرّ من معشوقه اتقاء التلف

وإن استكثر محمود زلزلة الأذن أى اضطرابها وتقلقلها ساعة الطرب الشديد ، فليسأل صاحب « الأغانى » عن صحة قوله (ج ١٨ ص ١٢٧) : « اندفع عمرو بن الكنات يغنّى على جسر بغداد أيام الرشيد ، فحبس الناس واضطربت الحامل ومدت الإبل أعناقها وكادت الفتنة تقع » ... ألا إن الطرب لأهله ـ عفا الله عنهم ـ

وصديقى محمود ربيب بيت صلاح وورع وتحرُّج وتقوى وأما أنا فكما قال هو : صاحبُ « مرح وانطلاق إلى سائر هذه الألفاظ الراقصة بألفاظها قبل معانيها» ، بل إن أهلى أنفذونى إلى باريس يأساً، وفى باريس وغيرها لهوت وعبثت وتلمست الطرب على ألوانه حتى أمست أذنى — لا قوّمها الله ولا أصلحها — تنعم بالزلزال

ثم هل الأذن التى تزلزَل فوق أقوالٍ للعرب مثل هـذه : « طار القلب فرحاً ، وخلع الحزن قلبه ، ومزق أحشاءه ، وفتّ كبده » إلى آخر ما هنالك من التعبيرات التى تذوى اللغة من دونها فينقض لونها

وهكذا ترى أن الأستاذ محموداً خذله الحظ هذه المرة . وذلك لأنه عدّ قصيدة الناى من « الشعر الجديد » ، فخف يتلمس فى مطاويها النبوّ . فسقط على مطوى عربى صميم . ولعل الحظ ينصره عند قصيدة خارجة فى عدد آت ، إذ هى أبعد ذهاباً عن المألوف . وليطمئن الصديق إلى أنى لن أجاذبه فيما يدق عن المقاييس القريبة فإنما أكتب اليوم على جهة التسلّى والتلهى بشر فارس

جواب

عند الأستاذ صاحب الرسالة أخبار وأخبار عن المفتونين والمفتونات بمقالاتى ومؤلفاتى ، وهو يتجاهل تلك الأخبار كما أتجاهل ، ولكن من العقوق أن أتجاهل الخطاب الوارد من « ليلى من الليالى » على وزن « كاتب من الكتاب » كما تقول تلك الغيداء . ويظهر أن الدنيا بدأت تبتسم للروح الحزين الذى قضى دهره فى نضال وصيال

وعطفُ قرائى علىّ هو تلك الابتسامة التى أستعين بها على دفع ظلمات الخطوب ، وما خلا دهرى من خطوب منذ اليوم الذى تقدمت فيه لرفع راية النقد الأدبى ، وعند الله والحق جزائى

وفى خطاب « ليلى من الليالى » أمرٌ كريم بأن يظل خطابها سرًّا مصوناً ، وسيظل كذلك إلى أن ترفع الحجاب وتعترف بأن الأدب كالحب يجوز فيه الافتضاح

نفسى فداء الأنامل اللطاف التى كتبت ثلاث صحائف لتعلن فتنتها بأسلوبى !

وسألنى ذلك الروح عن قدوم ليلى المريضة فى العراق مع وفد المؤتمر الطبي العربى ، وأقول إنى انتظرت ليلى فى محطة باب الحديد إلى منتصف الساعة الثانية بعد نصف الليل مع الأستاذ عبده حسن الزيات ولم تحضر كما وعدنى الدكتور عبد المجيد القصاب ، ومن أجل ذلك قضيت أيام العيد وأنا حزين

أما بعد فقد وجب علىّ أن أعلن ثنائى ، وأن أقول بعبارة صريحة إن عطفهم علىّ هو أثمن ما ظفرت به فى حياتى ، ولولا الخوف من حسد الزملاء لقدمت الأسماء الكريمة التى أعلنت رغبتها السامية فى أن تنصفنى من زمانى ، وهل يقبل الزيات ذلك وهو يخاف علىّ فتنة الغرور بثقة القراء ؟

حَسْبُ الزيات أن يلهو بقراءة ما يصل إليه من أقوال المفتونين بأسلوبى ، وأن يحفظها لأطلع عليها حين أشاء ، وأن ينشر منها ما يريد ، ولكن متى يريد ؟

إن لم يصنع فسأنوب عنه وأقول إنى كاتب محبوب ، والله يختص بكرمه من يشاء زكى مبارك

حول الكهربائية نفساد

صديق الأديب الكبير الأستاذ الزيات

بعد التحية والاحترام طالعت فى العدد الأخير من (الرسالة) الغراء ما أشار إليه الدكتور اسماعيل أدهم من تردُّد فريق من الأدباء

في تصديق ما ورد في كتابي « آفاق العلم الحديث » عن تجارب تبين أن بعض الأجهزة الكهربائية المعدة خاصة لهذه التجارب تقوم بأعمال من قبيل التذكر والنسيان والتمدد (آفاق العلم الحديث : فصل « دراسة الحياة العقلية بتجارب آلية » صفحة ٢١٦ — ٢٢٣) وقد أنحى الدكتور باللائمة على أولئك الأدباء لترددهم هذا الآن هذه الأقوال « نتائج العلم التطبيقي في أوربا ... ومع أن هذه المباحث ليست نظرية وإنما هي وليدة التجربة والاختبار، ولا شك أنه ليس للأفكار ولا للمنطق أن ينازع في حقيقتها ما دامت التجربة تثبتها » (الرسالة العدد ٣٤٣ الصفحة ١٩٦)

ومن لطف الاتفاق أنني تلقيت أمس بالبريد الأميركي جزء يناير من « المجلة العلمية الشهرية » بعد مطالعة كلمة الدكتور أدهم في « الرسالة » الغراء ، فقلبت صفحاتها وإذا صورة الدكتور هَلْ Hull (وهو الذي عزيت إليه هذه التجارب) في رأس الصفحة التاسعة والثمانين منها . وقد نشرت هناك لأنه كان رئيساً لقسم علم النفس (السيكولوجيا) في مجمع تقدم العلوم الأميركي في مؤتمره الأخير . وعلى هذا أيجوز أن نهمل ما يقدمه أستاذ علم النفس في جامعة « ييـل » ورئيس قسم علم النفس في « مجمع تقدم العلم الأميركي » ؟

إنني أعلم أن الشك أول مدارج اليقين . ولكن هذا الشك يجب أن يستقيم على تقصي الموضوع فيفضي إلى توضيحه بالبحث الدقيق . أما أن نغفل ما يقدمه أساطين العلم الحديث أو أن نتردد في قبوله لأن قولهم لا يوافق هوى في النفس ، أو لأنه لا يساير فكرة سنحت في الذهن، فذلك دليل على الضعف والتصلب. وأي تفكير صحيح يقوم على هذين الأسَّين ؟

ولست أعلم من هم الأدباء الذين أشار إليهم الدكتور أدهم في كلمته ورد عليهم . وإنما استرعى نظري قوله في ما بين العلم والثقافة الصحيحة من صلة موثقة . فاسمحوا لي أن أشير في هذا الصدد إلى فصل نفيس في « مسألة ثقافتنا العلمية » حواه كتاب جديد للدكتور قسطنطين زريق، أستاذ التاريخ الشرقي في جامعة بيروت الأميركية عنوانه « الوعي القومي »

وتفضلوا بقبول مودتي واحترامي

فؤاد صروف

هل في الإمكان زيادة بحر جديد في العروض ؟

إن البحور المعروفة في علم العروض العربي ، هي البحور الممكن تأليفها فعلاً من التفاعيل التي تجيء في لغة العرب . وأساس هذا الكلام لا يتعدى معرفة التفاعيـل وصيغها التي تجيء في العربية ، ثم تركيب الأبحر الممكن مجيئها منها على أساس حسابات الأمثال . والنتيجة أنه لا يمكن زيادة بحر جديد مستقل على البحور المعروفة في علم العروض ، وإن أمكن استحداث تركيبات في أجزاء هذه البحور . ولأحد المستشرقين الروس بحث مستفيض في هذا الشأن ، نال عليه أجازة الدكتوراه من لينغراد

« الاسكندرية » إسماعيل أدهم

« يوم سعيد »

إن صناعة السينما في مصر قد نشطت وجدّت وأخذت تتلمس طرق الفن الصحيح . وهي تخفق مرة وتفلح مرة ، ثم إنها أدركت أنه لا بد لها من استيفاء المعدة على توزع نواحيها : من تصوير وتمثيل وغناء ورقص إلى جانب القصة نفسها .

بدا لنا هذا بمناسبة عرض فلم الأستاذ محمد عبد الوهاب الجديد وهو « يوم سعيد » ، ولا شك أن هذا الفلم يدل على تقدم ملموس في صناعة السينما المصرية . فقد وجدنا القصة متساوقة الأغراض لا تبث الملالة والمضايقة في أنفس النظّارة كمعظم القصص التي تعرض هنا . وأما التمثيل ، فكان على الغالب غاية في البساطة ، فلا تكلف في التعبير ، ولا إفراط في الأداء . وكان الإخراج لطيفاً ، فيه تبصر وترفق .

وقد جلب المخرج الأستاذ محمد كريم أوجهاً جديدة وعرفها إلى الجمهور . وأنصع هذه الأوجه وجه الفتاة « فاتن حمامة » . فكثيراً ما حبست الأنفاس ، وحركت القلوب ، ومدت الأعناق وهزت الشفاه بالابتسام الرقيق . وكان الأستاذ فؤاد شفيق بارعاً في تمثيل المصري المِرح صاحب النكتة المستملحة والقلب الطيب الساذج . وفي الفلم مشاهد كثيرة طريفة . وفيه مشهدان محكمان : الأول إذ تؤدّى قطعة من مسرحية « مجنون ليلى » لأمير الشعراء أحمد شوقي ، وقد جاءت على سبيل التخيل الطريف . والثاني حين يبيع الأستاذ عبد الوهاب ألوان الزهر في ظرف أخاذ

بقي الغناء ، وقد جاء على لونين : لون الأغاني الشعبية وفيها الشجي القيم والنغم المحبَّب إلى نفوس العامة . ولون التلاحين الرفيعة الخاصة بالشعر الرائع الجميل . وفي هذا اللون الأخير بلغ الأستاذ محمد عبد الوهاب مبلغاً فنياً رفيعاً . وحسبه تلحينه الحوار الذي يجري بين قيس وليلى في الصحراء . وقد فطن هنا إلى أن يكف عن المزج المباشر بين النغم العربي والنغم الأفرنجي . وإنا لنرقب من الأستاذ محمد عبد الوهاب مثل هذا التلحين الحسن فنهنئ ممثل الفلم ومخرجه بهذا التوفيق ونرجو أن نعود إلى الحديث عنه مرة أخرى



وحى الرســـالة

من واجب (الرسالة) أن تنشر ما يتفضل به عليها الأدباء الزملاء والأصدقاء من صادق النقد وجميل الرأى فى كتاب « وحى الرسالة » تسجيلا للفضل منهم والشكر منا

قال الأستاذ مصطفى الصباحى فى جريدة (الدستور) :

كتاب أخرجه للناس الأستاذ أحمد حسن الزيات ، وهو جملة من مقالاته التى كان يصدر بها مجلته (الرسالة) كل أسبوع جمعها بين دفتى هذا الكتاب ؛ فكان كأنما انتقى من روضة مونقة الربيع أزهاراً ذات أرج خاص فى باقة واحدة على رغبة الناس فى تنسم عبيرها ، فيسر عليهم سبيل اقتنائها وتشممها والإفادة بما يستروحون له من عبقها دون كبير سعى أو عظيم جهد

وللأستاذ الزيات أسلوب يتميز به على كثير من كتاب العصر ، وسياقة لن تجدها لكاتب من أهل العصر ، وتفتقدها من لدن ازدهرت اللغة وعمت آدابها فى العصر العباسى حتى الآن ، فلا تجد إلا نفحات مبعثرة فى تاريخ أدبها لا صلة بينها وبين بعضها ، فذلك كاتب وقعت له عبارة جزلة ، وهذا خطيب اتفق له معنى فحل ، وغير هذين جمعت له بعض ألوان من فنون العبارة أو بلاغة المعانى

ولكن قلما وقعت على كاتب وفق فى الغايتين فامتلك ناصية العبارة وبرز فى خلق المعانى

فأنت إذن حين تقرأ للزيات إنما تجتمع لك طلاوة العبارة وجمال المعانى ، وتلك هى الغاية التى تنتهى عندها آداب الكتاب وتقف دونها ملكات المبرزين من أرباب الأقلام

معنى بيت فى الحماسة

فى صفحة (٨١ و ٨٢) من الجزء الثانى من كتاب ديوان الحماسة (الطبعة الثالثة) الأبيات الآتية وهى من شعر لعبد الله ابن الدمينة الخثعمى :

ولما لحقنا بالحمول ودونها ... خميص الحشا توهى القميص عواتقه
قليلٌ قَذى العينين يُعلم أنه ... هو الموت إن لم تُصْرَ عنّا بوائقُه
عرَضْنا فسلّمنا فسلّم كارهاً ... علينا وتبريحٌ من الغيظ خانقُه

وقد جاء فى شرحها : « ومعنى الأبيات الثلاثة ولما لحقنا بالهوادج التى فيها الحبيبة وخلفها قيم خفيف اللحم لا يقع القميص من عاتقه على لين وطىء لأن عظامه غير مكسوة باللحم وذلك القيم حاد النظر ليس بعينيه قذًى شديد الغيرة على أهله فنحن من شدة صولته نعلم أنه الموت إن لم تهلكنا دواهيه دنونا منه الخ »

وإنى أرى أن الشارح (العلامة التبريزى أو غيره) يشرح جملة « يعلم أنه هو الموت إن لم تُصرَعنّا بوائقه » بأنه الموت إن لم تهلكنا دواهيه فهو يقابل (تُصرعنّا) بكلمة (تُهلكنا) وهذا غير صحيح لأن (تُصرعنا) بضم التاء لا يمكن أن يكون معناها تهلكنا وإذا فرضنا أنها (تَصرَعنّا) بفتح التاء فمعنى الشعر لا يستقيم إذ كيف يكون هو الموت إن لم تهلكهم دواهيه ! ولم تكن جملة « إن لم تهلكنا دواهيه » مسبوقة بواو الحال فنفهم أنها جملة حالية !

فالحقيقة أن (تُصرَعنّا) كلمتان (تُصْرَ) و (عَنّا) وتُصْرَ فعل مبنى للمجهول مجزوم بحذف حرف العلة من صرى أى حبس أو منع . وهنا يستقيم المعنى ونفهم أن الشاعر إنما قصد تشبيه ذلك القيم بالموت إن لم تتلطف بهم المقادير وتحبس أو تمنع عنهم دواهيه .

(الخرطوم بحرى) ا . م . س

(الرسالة) : أصاب الكاتب وأخطأ الشارح الذى نقل عنه ، وهو غير التبريزى من غير شك ؛ فإن التبريزى يقول فى شرحه : « يصفه بحدة النظر ، وأنه ليس بعينه غمص فهو أحدُّ لنظره ؛ وإنما يريد مراعاته أهله لشدة الغيرة ، فنحن نخاف من صولته إن لم تُصْرَ عنا ، ويروى إن لم تلق عنا »

ورواها صاحب الأمالى ج ١ ص١٥٦ وفيها « إن لم تُلْقَ »
وذكر البكرى فى شرح الأمالى رواية أبى تمام فى الحماسة ثم قال وروى : « وإن لم تُسْرَ عنا بالسين والصاد »

وقوله « تصر عنا » ، من قولهم « صَرَى الشىء صرْياً قطعه ودفعه » ، وصرى الله عنك شر فلان أى دفعه يقول ذو الرمة

فودّعن مُشتاقاً أصبنَ فؤاده ... هواهن إن لم يصرِهِ الله قاتله

وروايتهم « تسر عنا » من قولهم سروت الشىء إذا نزعته وكشفت عنه ومنه قولهم سُرّيَ عنه تجلى همه وانكشف

وفى زماننا هذا قل أن يعنى الكاتب والقارئ إلا بما وراء اللفظ ، فإذا برز إنسان فى إيراد المعانى الجليلة واتفقت له سلسلة من الآراء والأفكار القويمة تجاوز النقاد من أهل العصر عن ركاكة عبارته وفساد سياقته

ولقد كنت أعجب للتيار الذى نساق إليه هذه الأيام من إهمال الجانب الأدبى فى التحرير ، وكنت أرجو أن تنقشع تلك النغمة التى دعيت « تجديداً » وهى ليست من التجديد فى شىء ... إذ قنع الناشئون بمحاكاة أهل الغرب فى أخيلتهم والأخذ عنهم فى إيراد الأحاديث وتقليدهم فى الأوصاف ونحوها من فنون الكتابة دون إعارة أصول الأدب العربى شيئاً من عنايتهم ، حتى ذهب كبير من أعلام دولة القلم يتحدث إلى فى مجلس خاص فيقول إن اللفظ للمعنى كالثوب على الرجل ، فهو إن كان رجلاً فاضلاً لم ينتقص خلق ثوبه من فضله ، وإن الرجل مهما يكن لباسه شريفاً ولكن نفسه فقيرة من الفضل وقلبه خلى من العلم لا ينفعه اللباس فى شىء !

وعلى الرغم مما فى ظاهر هذا القول من تعبير حق عن جوهر الموضوع فإن اللفظ الشريف يزيد المعنى الجليل شرفاً ، كما يسبغ الثوب الكريم على الرجل العظيم مهابة ويزيده توقيراً ويكون أدعى إلى احترامه لدى غشيانه المجالس

فإن أول ما يطالعك من الرجل لباسه، وأول ما يفاجئك من المعنى ظاهر لفظه . ورب معان كريمة ضاعت لسوء صياغتها وركاكة أسلوبها . ورب مقالة خلدتها الرواية لطلاوة السياق وبلاغة الإيراد ورقة الحاشية

والزيات كاتب جمعت له إلى رصانة الأسلوب ووضوح السياق حلاوة المعنى ، وبلاغة العبارة . ولعله فى ذلك متميز بالجمال فى الناحيتين. ذلك الجمال الذى تلمس منه ميلاً إليه فى شتى صوره وتفصيلاً له فى جميع معانيه . فأنت أول ما تطالع من كتابه الجديد مقالة « فى الجمال » ، فهو يحدثك فى هذه المقالة عن الجمال حديث الشاعر الملهم، والكاتب الصادق الحس، ورجل الفن الذى استغرق الفن مشاعره، واستجاب لحاسته الفنية الدقيقة .

فهو بهذه الصفات كلها يقول :

« الطبيعة والفن إنما يحدثان أثرهما فى النفس ، إما بالفكرة وإما بالعاطفة وإما بالشعور الصادر عن آلات الحس ، ومن ذلك تنوع الجمال ، فكان عقلياً وأدبياً ومادياً » .

هذا مذهب يذهب إليه الرجل وهو يتحدث لا بعقله وحده وإنما بحسه أيضاً ، ذلك الحس الذى يشعر بالجمال ويقدره ، يشعر به جمالاً عقلياً وأدبياً ومادياً لا يخطئ فى الشعور به ولا يغفله فى أية صورة ظهر أو خفى ... وآية ذلك أنه يقول بفضل ذلك الإحساس وحده : « وجمال المرأة يحتفظ بدوامه وسحره ما دامت له روح العاطفة تشع فى نظراتها ، وتنسم فى بسماتها، وتشيع فى قسماتها، وتنشر أضواءها السحرية على أعصاب الرجل — وهو بطبعه ولوع — فيتمتع بنعمة اختياره ولذة إيثاره ، ويجد فى الضعف الذى يستسلم ويستكين ، الحب الذى يطول ويحكم ...

ثم إن الأستاذ الزيات يتحدث إليك بعد هذه المقالة عن « الربيع » فإذا هو يقول « ففى الربيع يشتد الشعور بالجمال والحاجة إلى التجمل ، فترى الشباب بجنسيه يستعير ألوان الرياض وعبير الخمائل ومرح الطيور ، ويحتشد فى دور الملاهى وصدور الشوارع ، فيخلع على الوجود وضاءة الحسن ، وعلى الحياة رونق السعادة »

وفى المقالة الثالثة يتحدث الأستاذ عن العيد فيقول : « والأعياد الأجنبية التى تشهدها مصر فى ذكرى الميلاد ورأس السنة غاية فى نعيم الروح والجسم ، وآية فى سلامة الذوق والطبع ، وفرصة ترى فيها القاهرة — وهى منفرجة — كيف تفيض الكنائس بالجلال ، وتزخر الفنادق بالجمال ، وتشرق المنازل بالأنس ... الخ »

ألا ترى أن فى ولوع الأستاذ الزيات بالحديث عن الجمال وتحليل مذاهبه وترديد أوصافه ما يهديك إلى سر ذلك الأسلوب الرائق الجميل وتلك الديباجة الموشاة البديعة ؟

ثم ألا ترى فى طريقة أخذه الموضوعات أخذاً منطقياً يشرف به الأسلوب ما يدل على ملكة مطواعة وبديهة مواتية ومقدرة على الترسل فذة عجيبة !

وصل « وحى الرسالة » إلى يدى أمس وكنت قد طالعت فصولاً مما احتوى نشرت قبل فى الرسالة ، وفيه فصول فاتتنى قراءتها ، وإنى لشديد الحرص على ألا تفوتنى ، ولكننى تعجلت إرسال هذه الكلمة إيماء إلى فضل الكاتب وعظيم يده على الأدب العربى فى العصر الحديث . والكتاب بعد جوهرة نفيسة دائمة الإشراق لا تخلق ديباجتها ولا يخبو بريقها؛ فهى ذخر مقتنيها ومتاع روحه

مصطفى الصبامى

8me Année No. 345

Lundi - 12 - 2 - 1940

بدل الاشتراك عن سنة
مصـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٤٥ « القاهرة فى يوم الاثنين ٤ محرم سنة ١٣٥٩ — الموافق ١٢ فبراير سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

صفحة الفهـــرس

الموظفـــون والناس ...

ابتُليتُ فى هـذه الأيام أن اختلف إلى بعض الوزارات فى شأن من شؤون الرسالة . وأشد الأمور على نفسى أن أغشى دواوين الوزارة أو أقسام الإدارة ، لأنى أعتقد كما يعتقد أمثالى من السوقة الأحرار أن الحكومة من الأمة بمثابة الرأس من الجسد ، فيه التفكير والتدبير والقيادة ، وليس فيـه الاختيال والشموخ والسيادة . ولكن الحكومات فى أمم الشرق لا تزال تعتقد أن الرأس معناه أن يوضع فوق الجسم ليسمو على أعضائه ويعيش على غذائه . فإذا دخلت دورها لا تجد فيها الروح الوطنية التى تبعث الحياة العامة ، ولا الفكرة الاجتماعية التى تدبر المنفعة المشتركة ، وإنما تجد بها مظاهر شتى للسلطان الجبار والبيرقراطية الصلفة تعطل معنى الإصلاح وتبطل حقيقة العدالة

ترى أول ما ترى جيشاً من الشرطة والسكرتيرين والحجاب والسعاة يسد أبواب المكاتب، ويملأ مدارج الطرق، ويشغل فراغ الحجَر ؛ وهذا الجيش الذى يكلف الخزانة لا أدرى كم من المال لا عمل له إلا بث الرهبة وإظهار الأبهة والحيلولة بين الناس وبين القائمين على (مصالحهم) من أولى الأمر . فإذا ساعفتك الفرصة أو ساعدتك اللجاجة فنجوت من شراسة الشرطى أو الحاجب ، وخلصت من غطرسة السكرتير أو الكاتب ، دخلت على الموظف الكبير بهواً كأبهاء القصور، فرش بالطنافس

وأثث بالأرائك وزين بالتحف وأدفئ بالكهرباء وقام فى صدره الحالى طرفة من طرف الأثاث يقولون إنها مكتب ، ومن وراء هـذا المكتب الفاخر كرسى وثير متحرك جلس عليه الموظف العظيم وثيابه تكاد تنشق من ورم الكبر ونفخة السلطة ، فلا تستطيع من رهبة السلطان أن تكلمه ، ولا يستطيع هو من عزة المنصب أن يكلمك

هذه المظاهر القائمة على السرف والترف يجب أن تزول أو تخفف، لأنها تحيط الموظف بجو من العظمة المستعارة تزوّر له ذاته ، وتفسد عليه حياته ، وتجعل ميزانه الاجتماعى منصوباً على ضميرين مختلفين : يزن فى بيته ولنفسه بضمير ، ويزن فى الديوان للناس بضمير . وياويل ذى الحاجة إذا دخل على الموظف مكتبه وليس منسوباً إليه ولا معروفاً لديه ولا موصى به ! إنه لا يجد إلا النظرة القاسية، والكلمة الجاسية، والإشارة المهينة، والهيئة الوقحة التى تصرخ فى وجهه بهذه الجملة :

يا بعد ما بينى وبينك ! أنا حاكم وأنت محكوم ، وأنا (ميرى) وأنت (برانى) . فإن احتمل المسكين الهون وقف على مضض ، وإذا ملكته الحمية انصرف على شجار !

لقيت منذ يومين فى فناء الوزارة الفلانية صديقى فلاناً المهندس المقاول خارجاً يزجر من الغيظ وينتفض من الغضب . فقلت له وأنا أربت على كتفه :

— كفاك الله الشر ! ماذا بك ؟

فقال بصوت يتفجر بالسخط ويتهدج من التأثر :

— والله يا أخى ما أدرى أنحن عبيد الموظفين أم نحن وهم عبيد القانون ؟ هذا فلان بك . . .

— فلان بك ؟ ! إنه الرجل الذى أقصده الساعة فى مسألة عامة

— تعال تعال ! لا خير فى لقائه اليوم . لقد تركته يفور على الكرسى فوران القدر على الموقد

— ولم كان ذلك ؟

طلبت الإذن عليه لأشكو إليه خلل إدارته وإهمال مرءوسيه ، فإن لى عملاً دخل فى اختصاصه مضى عليه سنتان ، وكان يكفى لإنجازه يومان ، فأهملنى عند سكرتيره ساعة ثم خرج غير آذن ولامعتذر . فانصرفت خجلان من سوء ما يظن بى مدير مكتبه ، ثم عدت إليه يوماً آخر وطلبت إذنه مع الطالبين وفيهم كما علمت النائب والصاحب والقريب ، فدخلوا وخرجوا ، ثم دخل قبلى من جاء بعدى ، حتى لم يبق فى شرف الانتظار إلا أنا ورجلان من أصحاب العمل . حينئذ قال سكرتيره : إن البك مشغول ببقية الوقت ! فثار فى وجهى الدم ، وطنّ فى رأسى الغضب فاقتحمت عليه الباب وقلت له من غير اعتذار ولا تحيـة : يا سيدى البك ! ربما كنت أنا الزائر الوحيد الذى زارك اليوم لعمل من الأعمال التى تجلس لها وتؤجر عليها ، فلم يكن من اللائق بأمانة المنصب أن تحجبنى مرة بعد مرة لتستجيب إلى طلاب الشفاعات والوساطات من ذوى الصداقة والقرابة

فحملق البك فىّ وقد استشاط وبربر وصاح : مَن أنت ومن أذن لك بالدخول ؟ فقلت له : أنا فلان ! مصرى من سراة البلد ، وثروة من ثروات الأمة. نشأت فى مهد العُدم ، ثم تعلمت للعمل الحر ، وضربت فى سبيل العيش الكريم من أفق إلى أفق ، حتى أصبح عملى الناجح مرتزقاً لمئات من الأسر العاملة ، وأصبحت ـ وأنا لا أزال فى شباب الكهولة ـ ذا خمسين ألف جنيه ورتبة . أما أنت فالكبير الصغير ! كبرك المنصب والمرتب اللذان أدركتهما بمضى المدة ، وصغّرك العجز والكسل اللذان كشفاك فى إدارة العمل . إن سلطان الوظيفة يا سـيدى عرض منفك ومتاع زائل . فإذا شئت أن تعرف أين أنت منى فدع منصبك الحصين وادخل معى فى غمرة الدنيا وزحمة الناس ، ويومئذ نرى أينا يوطأ بالأقدام، وأينا يرفع على الرؤوس ...

وهنا رأيت الرجل يكاد يتمزع من الغيظ فأهوى بيده على أزرار الأجراس فصلصلت جميعاً ، وقال لحجابه وسعاته : أخرجوا هذا ... من هنا . فأخرجونى على حال من الهوان لا يصبر عليها إلا رجل حازم أمام موظف أحمق .

فقلت له ونحن نمشى الهوينى فى طريقنا إلى البيت: هون عليك يا صديقى فإن أكثر الموظفين حالهم مع الناس كحال هذا الموظف معك

* * *

أيها القلم !

لشدّ ما أتمنى على الله أن يجعلك فى يدى سناناً يخز ، ومعولاً يهدم ! لقد عجزنا يا قلم وعجز الكلام !

احمد حسن الزيات

اللعب

للأستاذ عباس محمود العقاد

قلتم فى مقالكم الجميل « الحياة جميلة » :

« ... ولكن جمالها يقتضى أن يكون لنا زعماء للهو يصححون إدرا كنا للحياة ، ويرهفون أذواقنا للجمال ، ويهيئون قلوبنا للسرور، ويشغلون أوقات فراغنا بالمسابقات الرياضية، والمهرجانات الوطنية ، والسياحات النهرية ، والملاهى الفنية ، والمواكب الشعبية. وليس أقدر على هذه الزعامة اليوم من وزارة الشؤون الاجتماعية »

***

كلام صادق

وربما كان أرفع من تقريظه بوصف الصدق تقريظه بوصف الجمال . فليس كل صادق بجميل

لكن كم منا نحن المشارقة ، يا أخى ، يؤمن معك بحاجة اللهو إلى زعامة ، وحاجة الأمة إلى لهو ؟

وكم منهم يؤمن معك بأن زعامة اللهو واللعب لها من الشرف والمنفعة كفاء ما للزعامات فى الجد أو فى الأمور التى تتراءى صبغة الجد عليها ؟

أقل من القليل

أقل من القليل مع هذه الوقائع الناطقة التى تتوالى عليهم كل يوم بفضل الأمم التى تحسن اللهو واللعب على الأمم التى تتكلف التزمت والوقار

وأقل من القليل مع تلك الشواهد التاريخية التى ليس يعمى عنها ذو بصيرة تشهد فى الدنيا شيئاً من الأشياء

فما عرف التاريخ قط أمة أحسنت الجد ولم تحسن اللهو واللعب

وما عرف التاريخ قط أمة من أمم القوة والسيادة لم تكن لها ألعاب ولم يكن لها زعماء فى هذا المضمار

وناهيك بالرومان وملاعبهم فى كل مدينة وضعوا حجراً فى بنائها

وباليونان ومحافلهم القومية التى كانت تتعاقب كل عام أو بضعة أعوام

وبالفرس ومواكب الكرة والصولجان ، والعرب وميادين الفروسية ومنازه الصيد والقنص وما اقتبسوه من سائر الأمم والدولات حينما ارتفع لهم عرش واستقرت لهم إمامة

أما فى التاريخ الحديث فيوشك أن يكون السبق فى مضمار اللعب قريناً بالسبق فى مضمار السيادة . ويصدق من يقول إن بريطانيا العظمى تفردت بالسلطان العالمى يوم تفردت بالسبق فى ألعابها ، وشوركت فى ذلك السلطان يوم شوركت فى تلك الألعاب

فاللعب هو فيض الحياة

ولن تكون سيادة بغير حياة أولاً ... ثم فيض فى الحياة بعد ذلك

***

لا يلعب الإنسان وهو عليل

ولا يلعب وهو محسور مغلوب

ولا يلعب وهو مسلوب المشيئة

ولكنه يلعب حين يصح ، وحين يفرح ، وحين يملك زمامه فيشاء ويفعل ما يشاء

فاللعب والحياة الفائضة صنوان ، والسيادة والحياة الفائضة لا تفترقان

***

لكنهم ضعفوا فى الشرق فلم يفقهوا لغة الحياة ولم يلحنوا ما تقول حين تتكلم بكل لسان

رأوا الطفل يلعب وهو قليل العقل

ورأوا الشيخ يتجنب اللعب وهو كثير العقل أو كثير الاختبار

فحسبوا أن اللعب ونقصان العقل متلازمان ، وأن الوجوم من اللعب ورجاحة العقل مترادفان

فأخطأوا

أخطأوا فى الفهم كما أخطأوا فى الشعور

فما لعب الطفل لأنه أقل من الشيخ عقلاً، ولكنه لعب لأنه أوفر نصيباً من جِدة الحياة

وما تزمت الشيخ لأنه أعقل من الطفل، ولكنه تزمت لأنه أعجز منه وأدنى إلى الموت

ولو اجتمعت للشيخ حكمة السن وجدة الطفولة لما منعته

الحكمة أن يلعب ويلهو ، ولعلمته بعد ذلك كيف يفتن في لعبه ويزيد في لهوه ، ويبز فيهما الأطفال والشبان

* * *

ورأوا المجنون يلعب والعاقل لا يلعب مثله فجزموا باتصال الجنون واللعب كما جزموا باتصال العقل والسكون

أخطأوا

أخطأوا في الفهم كما أخطأوا في الشعور

لأن المجنون يلعب من فرط الطلاقة لا من ذهاب لبه واختلاط فكره

وآية ذلك أن بعض المجانين يفقدون اللب والصواب ولا يلعبون ، بل ينوحون ويتخبطون ويبتئسون ، لأن جنونهم يسلمهم للخوف والفزع ولا يسلمهم للطلاقة والمراح

فهل يقال إنهم إذن أعقل من العقلاء الذين يلعبون حيناً بعد حين ؟

كلا . بل يقال إن الطلاقة تلازم اللعب في كل حين ... أما الجنون واللعب فلا يتلازمان

* * *

وينبغي أن نفرق هنا بين اللعب الذي نعنيه ، وبين ما يلتبس به في بعض ظواهره ودواعيه

فاللعب الذي نعنيه غير التسلية

واللعب الذي نعنيه غير الرياضة

لأن الورق والنرد والشطرنج تسمى ألعاباً ولكنها لا تحتاج إلى فيض حياة ولا إلى تمام شعور . بل لعلها تحتاج إلى الكسل والراحة والفتور ، وهي في لبابها شغل من الأشغال ولكنه شغل فراغ

ولأن الرياضة وسيلة إلى غيرها في كثير من الأحوال ، فهي بين رياضة تراد للحرب ، ورياضة تراد للعلاج ، ورياضة تراد لاحتمال المشقات ، ورياضة تراد للتجميل والتقويم

أما اللعب الذي نعنيه فهو التعبير الملازم لحالة الفيض والإشراق فلا يراد بعد ذلك لغرض من الأغراض

هو شيء كلمعان الزجاج حين ينتفي عنه الكدر وينجلي عنه الغشاء .

فلا يقال إن الزجاج يلمع لهذا الغرض أو لذاك ، ولا يقال إن اللمعان وسيلة مقصودة ليبيعه البائعون ويشتريه المشترون ويصنعه الصانعون

وكل ما يقال إنه يلمع لأن اللمعان طبيعة فيه ، وشعاع من نوره السابغ عليه

وعلى هذا المعنى يدخل في باب اللعب ابتكار الفنان ، ووحي القريحة ، وتوقان النفوس إلى العظائم ، وغرام العقول بالكشف عن المجهول ، ولألاء الجمال في الوجوه ، ولألاء الجمال في الأرواح

وعلى هذا المعنى كذلك يعم اللعب فطرة الحياة حيثما وجد الأحياء

فهو في الطير المغرد ، وفي الحوت السابح ، وفي الحيوان الطافر ، وفي كل ما يفيض بحياته فيندفع في ألعابه ، ويوشك أن يخرج من إهابه

أما التسلية فليست من الفطرة

وأما الرياضة فجانب فيها من الفطرة وجانب من ابتداع الجماعة الإنسانية

وليس اللعب الذي نعنيه تسلية ولا وسيلة اجتماع

وإنما هو تعبير الحياة كما امتنع الحائل بينها وبين التعبير

* * *

وتبحث يا أخي عن زعامة للعب واللهو بين المشارقة «الموقرين» ! أعانك الله !

أتسبق الرياسة المرؤسين ؟

أم يسبق المرؤسون الرئيس ؟

علمهم أن يفهموا اللعب على معناه وأنت في غنى بعد ذلك عن تعليمهم معنى الجد أو تعليمهم معنى الحياة ، وفي غنى عن انتظار الزعماء وهم ما امتنعوا قط حيث وجد المستحقون لزعامة زعيم

عباس محمود العقاد

حول استقلال الكلمات

فى المعاجم

للأستاذ أبى خلدون ساطع الحصرى بك

لا أزال أتذكر الحيرة الشديدة التى تملكتنى عندما تصفحت المعاجم العربية الحديثة قبل سنوات . فقد كنت أريد تزويد ابنى بمعجم صغير يرجع إليه فى معرفة معانى الكلمات من جهة ، ورسم حروفها من جهة أخرى ؛ فاستشرت جماعة من معلمى العربية وعلمائها عن أحسن المعاجم المختصرة التى تحقق هذا الغرض . . . غير أنى ، عندما قلبت صحائف المعاجم التى دلونى عليها وقعت فى حيرة ، إذ وجدتها جميعها مرتبة على نمط المعاجم القديمة ، وسائرة على خططها ، لأنها ترتب الكلمات بحسب موادها الأصلية ، ولا تراعى ترتيب الحروف الهجائية إلا فى تلك المواد ...

وحيرتى هذه تحولت إلى دهشة شديدة عندما أفضيت بها إلى جماعة المعلمين والعلماء ، ووجدتهم يحارون لحيرتى ويستغربون لاستغرابى ، كأن الأمر من الأمور الطبيعية التى لا داعى للحيرة فيها ، ولا مساغ للاعتراض عليها ...

ودهشتى هذه وصلت إلى أقصى حدودها عندما رأيت هؤلاء ينبرون للدفاع عن خطط تلك المعاجم . . . إذ قال أحدهم :

— ولكن اللغة العربية لا تشبه سائر اللغات ...

وقال آخر :

— إن طبيعتها تختلف عن طبيعة تلك اللغات ...

وما كدت أستفيق من الحيرة التى أوقعتنى فيها هذه الكلمات حتى هممت بالرد قائلاً :

— وما علاقة المعجم بطبيعة اللغة ؟ إن الغرض من المعجم هو ترتيب الكلمات ترتيباً معقولاً ، يضمن الوصول إلى إيجاد الكلمة المطلوبة بأعظم ما يمكن من السرعة والسهولة . ولا شك فى أن هذه السرعة والسهولة لا تحصلان إلا بترتيب الكلمات بحسب حروفها الهجائية . ومن البديهى أن هذه ليست من الأمور التى تختلف بين لغة وأخرى بوجه من الوجوه .

غير أن معلماً ثالثاً اشترك فى البحث سائلاً :

— يعنى ، تريد أن تكتب مثلاً كلمة الاستغفار فى مادة الألف ، وكلمة الغفران فى مادة الغين ؟

قلت بدون تردد : نعم

فقال المعلم بلهجة المؤمن المعتقد الذى يثور على أمثال هذه البدع :

— ولكن هذا لا يجوز فى اللغة العربية ...

فسألته : لماذا ؟

فأجابنى بحيرة ظاهرة :

— لأننا إذا فعلنا ذلك لا يتعلم الطلاب ، مثلاً ، أن الاستغفار من باب الاستفعال ، وأن مادته الأصلية هى غفر . . .

فحاولت أن أقنع مخاطبى ببعض البراهين ، فقلت :

— إن لتعليم هذه الأمور ألف وسيلة ووسيلة ... حتى إن المعجم الذى أتصوره وأقترحه يكون — هو أيضاً — من أحسن الوسائط لذلك : يدرج القاموس كلمة الاستغفار فى المحل الذى يتطلبه ترتيب حروفها الهجائية ، ويذكر بجانب الكلمة مادتها الأصلية . . . فيجد الطالب الكلمة فى المعجم بكل سهولة ، ويتعلم — فى الوقت نفسه — من قراءة ما كتب عنها أن مادتها الأصلية هى غفر ، وأنها تدل على طلب المغفرة ...

سكت مخاطبى كما سكت زملاؤه . غير أننى لمحت فى أعينهم ما يدل على أن هذا السكوت لم يتأت من الاقتناع ، بل تأتى من الاعتقاد بأن كل اعتراضاتى هذه ما هى إلا نتيجة عدم إلمامى بقواعد العربية الإلمام الكافى ، وعدم فهمى لخصائصها الفهم اللازم ...

* * *

مضى على هذه المناقشة أكثر من عشرة أعوام . . . ثم عدت إلى قضية المعاجم — فى هذه الأيام — مرة أخرى ، وعلمت — فى حيرة جديدة — أن اللغة العربية لم تحظ إلى الآن بمعجم عصرى بالمعنى الذى يفهم من كلمة المعجم فى جميع لغات العالم . . . كما علمت بأن المجمع اللغوى الملكى نفسه لم يقدر

أهمية هذه القضية حق قدرها، ولم يدخلها فى عداد الأعمال التى يسعى لتحقيقها ...

فرأيت من الواجب على أن ألفت أنظار علماء العربية ومعلميها إلى هذا الأمر الهام من فوق منبر (الرسالة) الغراء، وأن أدعوهم إلى العمل على إزالة هذا النقص الفادح

إن المعجم بمثابة مخزن للكلمات، معد لمراجعة جميع الناس، بحيث يستطيع كل شخص أن يدخل هذا المخزن فيتناول منه الكلمة التى يقصدها، دون أن يحتاج إلى مساعدة أحد يدله على موضعها . . . ولهذا السبب تصنف الكلمات فى هذه المخازن العامة تصنيفاً يضمن إيجاد ما يراد منها بأسرع الطرق وأسهلها . ولهذا السبب يختلف التصنيف المعجمى عن التصنيف الصرفى والنحوى اختلافاً كليًّا، ويكون هذا التصنيف ألفبائيًّا - بوجه عام - لكى يستطيع كل فرد أن يجد أية كلمة من الكلمات فيه، بمجرد تذكر ترتيب الحروف الهجائية فى الألفباء ...

غير أن المعاجم العربية تشذ عن هذه القاعدة العامة شذوذاً غريباً، لأنها تصنِّف الكلمات تصنيفاً مُفعماً بالالتواء والتعقيد، بحيث لا يستطيع أحد أن يجد كلمة من الكلمات إلا إذا عرف — مقدماً — مادتها الأصلية وكيفية اشتقاقها من تلك المادة بصورة تفصيلية

فلو أراد أحد أن يراجع المعجم فى كلمة «الاستيلاء» مثلاً، فعليه أن يلاحظ قبل كل شىء أن هذه الكلمة من باب «الاستفعال»، كما يعرف — سلفاً — أن مادتها الأصلية هى «ولى»، وعليه أن يبحث عنها - مستنداً إلى هذه المعلومات - فى الصحائف الخاصة بحرف الواو فاللام . . . وأما إذا أراد أن يراجع المعجم فى كلمة «الاستواء»، فعليه أن يعرف أنها من باب «الافتعال» وأن مادتها الأصلية هى «سوى»، فعليه أن يبحث عنها — مستنداً إلى معلوماته هذه — فى الصحائف الخاصة بحرف السين فالواو . . . غير أنه إن كان لا يعرف ذلك فمن العبث أن يراجع القاموس ويقلب صفحاته، لأن القواميس العربية لا تدل على مواضع مثل هذه الكلمات إلا لمن يعرف مثل هذه الدقائق الصرفية واللغوية حق المعرفة

أليس ذلك مخالفاً لأبسط قواعد التعلم ولأوضح مبادئ التعليم ... ؟

لنأخذ مثالاً آخر : لنفرض أننا طلبنا من أحد الطلاب أن يبحث فى المعجم عن كلمتى : الاستعانة، والاستكانة ... إن هاتين الكلمتين متشابهتان ومتقاربتان من حيث اللفظ والكتابة؛ فإن الحروف الثلاثة الأولى مشتركة فى كلتيهما، وكذلك الحروف الثلاثة الأخيرة؛ والفرق بينهما ينحصر فى الحرف الرابع وحده، مع كل هذا فإن موقع كل منهما فى المعجم يتباعد عن موقع الأخرى تباعداً غريباً جداً؛ فعلى الطالب الذى يبحث عن هاتين الكلمتين فى المعجم، أن يعرف أن الكلمة الأولى من باب «الاستفعال» من مادة «عون» فيراجع من أجلها حرف العين فالواو؛ كما عليه أن يلاحظ أن الكلمة الثانية قد تكون من باب «الاستفعال» من مادة «كون» أو من باب «الافتعال» من مادة «سكن»؛ فعليه أن يراجع حرف الكاف فالواو نظراً للاحتمال الأول، وحرف السين فالكاف نظراً للاحتمال الثانى

وهل يمكن للمرء أن يتصور طريقة تصنيف أعقم من هذه الطريقة، وخطة تبويب أسخف من هذه الخطة ... من وجهة مقتضيات العقل والمنطق من جهة، ومطالب التربية والتعليم من جهة أخرى ؟

* * *

إن المعاجم العربية الموجودة بين الأيدى لا تزال تضع الاشتقاق فى الموضع الأول من الاعتبار، فتهتم بأنساب الكلمات قبل كل شىء وفوق كل شىء، كأنها لا تريد أن تعترف بشىء من حق الاستقلال للكلمات المشتقة، مهما كان مبلغ تخصصها فى معنى من المعانى، ومهما كانت درجة تباعد هذا المعنى الخاص عن المعنى الأصلى ... إنها لا تعترف لها بحق الاستقلال فى بيت خاص حتى ولو كانت قد أصبحت رئيسة أسرة خاصة، ومنشأ ذرية كبيرة، كأنها تريد أن تبقيها تحت وصاية مستمرة وتحتم عليها أن تسكن على الدوام، فى دار «جدها الأعلى» مع جميع أفراد العشيرة التى تنتسب إليها ...

فلنترك الألفة المخدّرة جانباً ، ولنفسح لأذهاننا مجال التفكير الحر خارجاً عن الطرق المألوفة قليلاً : هل من المعقول أن نستمر على هذه الخطة فى معاجمنا ، ولا سيما فى المدرسية منها

هل من المعقول – مثلاً – أن نستمر على إدخال كلمة المصباح فى مادة الصبح ، فنتركها فى معاجمنا ضائعة بين كلمات الصباح ، والصباحة ، والصبوح والصبيحة والاصطباح والاستصباح ... ؟ وهل من المعقول أن نستمر على عدم اعتبار لفظة « الأنبوبة » كلمة قائمة بنفسها ، وعلى إدخالها فى درج الـ « نبّ » ونظل نطلب من أطفالنا وطلابنا أن يجدوها هناك ؟ وهل من الحكمة فى شىء ألا نوجد محلاً ملائماً لوضع كلمة « الميزانية » فى غير الخزانة المخصصة لمادة « الوزن » ... ؟

وعند ما أكتب هذه الأسطر يتوارد على ذهنى أمثلة كثيرة من هذا القبيل ، كأنها تتسابق فى التباعد عن قواعد العقل والمنطق ومبادئ التربية والتعليم إلى أقصى حدود التباعد ...

إن كلمة الاستئناف – مثلاً – بالرغم من معناها الخاص الذى يلعب دوراً هاماً فى الحقوق والقوانين ، وبالرغم من كثرة المحاكم التى تسمى بها لا تزال تلتجئ فى المعاجم إلى ظل كلمة « الأنف » ! ...

وكلمة « الاستراحة » – التى يستعملها الناس فى كل يوم مئات من المرات – لا تزال محبوسة فى المعاجم فى دار « الراح » ، ومحشورة بين كلمات شتى المعانى والألفاظ : كالرياح والرائحة والأريحية والريحان ! ...

حتى أن كلمة « المدرسة » نفسها لم تكتسب فى معاجمنا حق الاستقلال ؛ فهى لا تزال تابعة – فى نظرها – إلى كلمة الدرس ومجبرة على الاندساس بين كلمات متخالفة النزعات مثل « اندراس » المعالم والمبانى و « دراسة » الحنطة والحبوب ! ...

وكلمة « الاقتصاد » التى أصبحت بمعناها الاصطلاحى الجديد من أهم محاور الحياة الاجتماعية – لا تزال مختفية فى معاجمنا بين الكلمات التى من طراز القصد والمقصود ، والقاصد والقصيدة وبين المعانى التى تدل على موت الكلب ، واستقامة الطريق ، وأغصان الموسج ! ...

ولكن ، لماذا أطيل الكلام فى هذه الأمثلة العجيبة ؟ إن معاجمنا لم تعترف بحق الاستقلال ، حتى لكلمة الاستقلال نفسها ! فهى لا تزال تعتبرها تابعة لـ « قلّ » ، فتجثم عليها السكنى فى مسكن « القلة والقليل » ! ...

نعم ، إن كلمة الاستقلال التى تثير فى النفوس ما تثيره من العواطف الجياشة على الدوام ، والتى تتكرر فى القصائد الوطنية والأناشيد المدرسية كل يوم مئات ، بل آلاف المرات ... كلمة الاستقلال التى كان معناها – ولا يزال – سبباً لتضحيات كبيرة فى الجهود والأموال والأنفس – كلمة الاستقلال هذه لم تستقل فى معاجمنا إلى الآن .

فعلى كل من يود التعرف إليها فى القاموس أن يطرق باب الـ « قلّ » وأن يعرف أنه سيلاقيها بجانب كلمة « القليل » !

***

أنا لا أدرى بماذا أنعت معاجمنا لاتباعها هذه الخطط العوجاء ، وسكوت علمائنا عن هذه النقائص الفادحة . غير أننى أميل إلى تعليل هذا الاستمرار وذلك السكوت بتأثير عاملين أساسيين :

أولاً : عمل قانون الألفة الذى يجعل الإنسان لا يشعر بأكره الروائح ، ولا ينتبه إلى أفدح النقائص ، عند ما يألفها ألفة طويلة ، ولا سيما عند ما تكون ألفته هذه اجتماعية ...

ثانياً : عمل روح المحافظة التى تطلب إبقاء القديم على قدمه فتعطل نوازع العمل عند ما ترمى إلى تغييرات أساسية فى الأمور المقررة سابقاً ، ولا سيما عند ما تكون تلك الأمور متعلقة بالتقاليد الاجتماعية ...

إننى أستطيع أن أضيف إلى هذين العاملين الأصليين عاملاً فرعياً ثالثاً ، وهو عمل نزعة الاهتمام بالأمور الرنانة التى تلفت الأنظار ، أكثر من الانصراف إلى معالجة المسائل الجوهرية التى لا تأتى بنتائج تبهر الأبصار وإن كانت كثيرة الفائدة ...

إننى أعتقد أن الخروج على هذه العادات والنزعات بوضع معاجم عصرية بالمعنى المشروح آنفاً – أصبح من أهم الواجبات التى يجب على رجال العلم والتعليم ، ومحافل اللغة والأدب ، ووزارات التربية والمعارف – فى جميع البلاد العربية ... كما أعتقد

أن وضع مثل هـذه المعاجم العصرية التي تعترف باستقلال الكلمات ، وتجعل الوصول إلى كل واحدة منها من الأمور المتيسرة لكل شخص ـ لهو أهم بكثير من البحث عن الكلمات التي تقابل : التلفون ، والكلور ، والرادوم ... وحتى من إيجاد الاصطلاحات التي تدل على أسماء الأمراض ، ودقائق التشريح

وأما الخطة التي يجب السير عليها لوضع هذه المعاجم فهي بسيطة وجلية :

أولاً — يجب أن تبذل الجهود اللازمة لوضع معجم مختصر يحتوي على الكلمات التي يستعملها الناس ويحتاج إليها طلاب المدارس الابتدائية . ولتعيين هذه الكلمات يجب أن تُستعرض طائفة من الكتب المدرسية من جهة ، وتدرس كمية من الأخبار والإعلانات المنتشرة في الجرائد اليوميـة من جهة أخرى ؛ وتستحضر بطاقات خاصة بكل كلمة من الكلمات التي تصادف خلال هذا الدرس والاستعراض ؛ ثم ترتب هـذه الكلمات حسب نظام حروفها الهجائية ، ويكتب إزاء كل واحدة منها معناها الاصطلاحي ، كما يشار إلى مادتها الأصلية ، وإلى كيفية اشتقاقها من تلك المادة . وأخيراً تذكر أهم الكلمات المشتقة منها، تسهيلاً لمراجعتها في سائر أقسام المعجم

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى تبذل الجهود اللازمة لتنظيم معجم أكثر تفصيلاً من ذلك ، ليكون مرجعاً لطلاب المدارس الثانوية والعالية ، ولرجال الطبقة المثقفة بوجه عام ، على أن تعين كلماته على طريقة استعراض الكتب المدرسية من جهة ، ودرس المجلات العلمية والأدبية من جهة أخرى

وأخيراً يجب أن يسعى لوضع معجم مفصل عام ... يتضمن جميع الكلمات المستعملة في الكتب القديمة والحديثة على اختلاف أنواعها وتواريخها ...

وأما المعاجم القديمة ، فتبقى كمراجع أساسية يرجع إليها العلماء والاختصاصيون

وأعتقد أنه لا يحق لنا أن نتوقع تقدماً حقيقياً في تعليم اللغة العربية ما لم توجد مثل هـذه المعاجم ... ويجعل أمر «مراجعة المعجم» من الواجبات المدرسية ...

أنا لا أدري كم يكون طول المدة التي ستمضي بين كتابة هذه الأسطر وبين ظهور المعاجم التي نشير إليها . . . كما لا أدري ماذا يكون مبلغ ونوع مساهمة كل من الكتّاب والناشرين والهيئات العلمية والدوائر الرسمية في تحقيق هذا المشروع المهم عن طريق العمل المباشر أو التشجيع والمساعدة ...

مع هذا أتمنى بكل قلبي أن تتضافر جهود الأفراد والهيئات والحكومات في هذا السبيل — بكل الوسائل الممكنة — لكي تقر أعيننا بمعاجم عصرية من هـذا القبيل ... قبل أن يمضي وقت طويل

(بغداد) أبو خلدون

إنـــذار

فيمَ البكاء، والاستعطاف والاستجداء ؟ إنما المرأة — في دخيلة نفسها — تهوى الرجل الذي يستخف بكبريائها

سئمتُكِ حتى سئمتُ النساء فأمسيتُ أخشى على عِزّتي

جبينُكِ جفَّ عليه الجمالُ كرهتُ المهابةَ بالميّتِ

وطرفُكِ يَزويه روْعُ الصِّراع إنِ انهبتْ شِرّةٌ مُفلتِ

ونَهدُكِ يختالُ طيشي له تَدرّعَ حُمْقَ الحياءِ العتي

وخصرُكِ خاذَله الرخصُ حتى تماسكَ حرْباً على صَبوتي

وساقُكِ لُفّتْ بِشَفٍّ مَصون تفاريجُه سُخْرةُ المُثبِتِ

مفاتنُكِ الفاترات أساطيرُ تَفترُّ في كُتُبٍ رَثّتِ

برلين ، فبراير ١٩٣٥ بشر فارس

إلى الدكتور طه حسين بك

للدكتور زكي مبارك

أيها الأستاذ الجليل :

تلطفتَ فأوصيتنى بكتمان الحديث الذى دار بينى وبينك فى حضرة « الصديق العظيم » الذى يحل وداده من قلبي وقلبك أعز مكان ، وأنا أستطيع النص على اسم ذلك « الصديق العظيم » بلا تهيب لعواقب العتاب ، لأن للحديث الذى جرى بينى وبينك فى حضرته صلة وثيقة بأصول المذاهب الأدبية التى يشتجر حولها الخلاف فى كثير من الأحايين . فإن قلتَ إن هذا « الصديق العظيم » خلع على ذلك الحديث حلة من الدعابة التى تشهد بما عِلك من عذوبة الروح ، وإنه قد يكره أن يشار إلى اسمه فى مجال الدعابة والظَّرف ، فإنى أجيبُ بأن ذلك « الصديق العظيم » أرحب صدراً مما تظن ، وهو أكبر من أن يرى أن جلال المنصب يمنع من التندُّر الجميل

لا خوف من النص على اسم ذلك الصديق ، ولكنى سأعمل بوصيتك ليصح لى القول بأنى لا أتمرد عليك فى كل وقت ، وليصح لك الظن بأنى أقدر على مراعاة الظروف حين أشاء

ثم ماذا ؟

ثم أستبيح لنفسى التحدث عن بعض ما شجر بينى وبينك .

ويظهر أن المقادير لا تريد أن أسكت عنك أو تسكت عنى ، وفى ذلك الخير كلُّ الخير لو تعرف وأعرف . وهل ارتفع العقل إلا بفضل الخلاف ؟ وهل يتصور الناس وجوداً للحيوية التشريعية لو لم يَكُن الخلاف بين الشافعية والحنفية ؟ وهل تأملت مشكلات النحو والصرف إلا بفضل الجدال بين البصريين والكوفيين ؟ وهل تفوَّق العقل المصرى فى العصر الحديث إلا بسبب النزاع حول القديم والجديد ، والصراع حول المذاهب الاجتماعية والأحزاب السياسية ؟

إن الخلاف نعمة عظيمة جدا ، ويا ويلنا إذا لم نختلف

فكيف تريد أن أكون صديقاً ظريفاً لا تسمع منه غير الكلام المعسول ؟

وهل قلَّ الظرفاء من أصدقائك حتى تطالبنى بما تعجز عنه سجيتى ؟

إن « بداوة الطبع » التى كَثُر الكلام فى ذمها وتجريحها لم تكن من المثالب إلا فى كلام الشعوبية ، وهم قوم أرادوا الغض من الشمائل العربية ، ولولا ذلك الهجوم الأثيم لبقيت من المحامد ، فكيف تنكر على رجل مثلى أن يظل بدوى الطبع فى زمن توارتْ فيه الصراحة وكثر فيه تنميق الأحاديث ؟

لابد من خلاف بينى وبينك لتجد الأبحاث الأدبية والفلسفية وقوداً يحيا به اللهب المقدس فى حياة العقل والوجدان

فإن ضاق صدرك بهذه الحقيقة واكتفيت بمحاورة الرجل اللطيف الذى يقول إن الصحراء تشكو الظماْ وأن البحر يشكو الرى وأن الخير فى امتزاج البحر بالصحراء . إن كان ذلك ما يرضيك فشرِّق فى محاورته وغرِّب كيف شئت وكيف شاء

ولكن ما رأيك فيمن يصارحك بأن الحيوية لن تشيع فى أبحاثك إلا إذا حاورت « الرجل الذى لا يخلو إلى قلمه إلا وفى رأسه عفريت » ؟

تلك كلمتك ، يا سيدى الدكتور ، وأنا عنها راض وبها مختال ؟

فما هو العفريت الذى يحتل رأسى حين أخلو إلى قلمى ؟

أيكون هو الجن الذى سماه الفرنسيون Génie ؟

إن كان ذلك فأنت تشهد لى بالعبقرية ، والقول ما قال طه حسين

وهل تكون العبقرية إلا من نصيب من يخاصم رجلاً مثلك فى سبيل الحق ؟

وما هى المنفعة التى أرجوها من مخاصمتك وأنت رجلٌ يضر وينفع ؟

ما هى المنفعة التى أجنيها من مخاصمتك وقد صاحبتك عشر سنين كانت أطيب الأوقات فى حياتى ؟

يظهر أنك لا تعلم أنك على جانب عظيم من الجاذبية وأن الرجل العاقل لا يترك مودتك وهو طائع

فما سبب الخصومة بينى وبينك ؟

إليك أقباساً من البيان :

منذ أكثر من سبعة أعوام ألقيتَ محاضرة فى الجامعة الأمريكية عن البحترى سجلتها جريدة كوكب الشرق ، وشاء

(العفريت الذى يحتل رأسى حين أخلو إلى قلمى) أن أنشر فى جريدة البلاغ مقالاً عنوانه ·

« الدكتور طه حسين يغلط خمس مرات فقط فى محاضرة واحدة »

ثم لقيتنى بعد ذلك فى الجامعة الأمريكية وجادلتنى فى تلك الأغلاط فأعلنتُ أنى أخطأت ، وكان ذلك لأن الجمهور أحاط بنا من كل جانب ليرى كيف أدفع هجومك ، وما كان يجوز لى أن أصنع غير الذى صنعت ، لأن أدبى لا يسمح لى بمصاولتك أمام الناس ، ولأن وجهك يشفع لك ، فهو وجه لا يلقاه الرجل الحر بغير الإعزاز والتبجيل

فا الذى صنعت أنت فى تصحيح الأغلاط التى أخذتها عليك ؟

مضيتَ فنشرت محاضرتك عن البحترى فى كتابك : « حديث النثر والشعر » ، وأبقيتَ تلك الأغلاط ، أستغفر الله ، بل (تفضلت) فشكلت الكلمات المغلوطة لتقول : إنك لا تعبأ بأى نقد يوجّه إليك ! !

فا الذى كان يمنع من تدارك تلك الأغلاط ؟ وما الذى كان يمنع من شرح رأيك فى الهامش إن كنت تؤمن بأنى لم أكن على حق ؟ ؟

ثم ماذا ؟

ثم حدث فى صيف سنة ١٩٢٩ أن أنكرت علىّ أن أتخذ شواهد لتطور « النثر الفنى » من رسائل عبد الحميد بن يحيى . وقلت : إن عبد الحميد بن يحيى شخصية خرافية كشخصية امرئ القيس ! وكان ذلك بمسمع من شابين واعيين هما : محمد مندور وعلى حافظ . وكانت حجتك أن عبد الحميد بن يحيى لم يرد اسمه فى مؤلفات الجاحظ ، فرجعت إليك بعد أيام وأخبرتك أن الجاحظ تكلم عن عبد الحميد بن يحيى مرات كثيرة ، وأن مؤلفات الجاحظ تعرف رجلين : أحدهما عبد الحميد الأكبر والثانى عبد الحميد الأصغر ، فلم تجب بحرف واحد . ثم ألقيت وأنا فى باريس محاضرة قلت فيها : إن عبد الحميد بن يحيى أخذ أشياء من أدب اليونان ؛ وفاتك أن تنص على اسم الرجل الذى أقنعك بأنه لم يكن شخصية خرافية .

وقد حملنى (العفريت الذى يحتل رأسى حين أخلو إلى قلمى) على أن أسجل هذه القضية فى أحد هوامش كتاب النثر الفنى ، فكانت فرصة اغتنمها صديقك الأستاذ أحمد أمين ليقول فى مقال كتبه فى مجلة الرسالة : إن زكى مبارك يعوزه الذوق فى بعض الأحيان ! !

ثم ماذا ؟

ثم كانت لك يد مؤثرة فى شؤون الدراسة الثانوية بحجة أنها تمهيد للدراسة الجامعية ، وكان من أثر ذلك أن فرضت على طلبة السنة الخامسة بالمدارس الثانوية كتاباً فى نقد النثر لقدامة بن جعفر لا يفهمه المدرسون إلا بعناء فضلاً عن التلاميذ

وأقول بصراحة إنى لم أفلح فى حمل المفتشين على مقاومتك ، فبرزت لك بنفسى فى مقال نشرته بمجلة الرسالة ، فهل استجبت لصوت الحق وأعفيت التلاميذ من كتاب تقوم تماريفه على منطق أرسطاليس وهم يجهلونه كل الجهل ؟

أنت عزيز علينا يا سيدى الدكتور ، لأنك رجل شهم ، ولكن ما رأيك فى أغلاطك ؟ ومن يدلك عليها إذا سكتُّ عنك ؟

هل تذكر كلمة « الصديق العظيم » منذ أيام حين قال لك وهو يبتسم : كيف صيرتم زكى مبارك دكتوراً وهو رجلٌ مشاغب ؟

أنت تذكر ذلك ولا ريب ، ولكنك تعرف أنى لم أنل ألقاب الجامعة المصرية بلا جهاد ، وأنت نفسك أسقطتنى فى امتحان الليسانس مرتين ، واشتركتَ فى امتحان الدكتوراه الذى أديته أول مرة مع أنك لم تكن عضواً فى لجنة الامتحان ، وكان لخصومتك الصورية تأثير فى الدكتوراه التى ظفرت بها المرة الثالثة فلم أصل إليها إلا بعد جهاد سبع سنين

فا فضلك علىّ إن لم يكن فضل المؤدّب الحصيف ؟

هل تذكر يا دكتور ما وقع فى نوفمبر سنة ١٩١٩ ؟

هل تذكر ما وقع يوم غاب سكرتيرك وكنت وحدى الطالب الذى يفهم العبارة الفرنسية لكتاب نظام الآتينيين لأرسطاليس ؟

وهل تذكر أنك أعلنت سرورك بأن يكون فى طلبة الجامعة المصرية من يفهم أسرار اللغة الفرنسية ؟

فن يبلغك أن الشاب الذى أدخل السرور على قلبك فى سنة ١٩١٩ هو الكهل الذى تنكره فى سنة ١٩٤٠ ؟

أنا أعرف ما تكره منى . أنت تكره منى الكبرياء ، وكيف أتواضع وقد أعاننى الله على بناء نفسى ؟ كيف وقد أقمت الدليل على أن الشباب المصرى خليق بعظمة الاعتماد على النفس ؟ وهل رأيت رجلاً قبلى أتمّ دراسته فى أوربا وهو مثقل بتكاليف الأهل والأبناء ؟ هل رأيت رجلاً قبلى يهتف بأوطار الشباب وهو مُثخنٌ بجراح الزمان بعد الأربعين ؟ هل رأيت رجلاً قبلى يؤلف الكتب الجيدة فى البواخر والقطارات والسيارات ؟

ومن يصدّق أنى أنفق فى سبيل الورق والمداد أضعاف ما ينفق بعض الناس فى سبيل الطعام والشراب ؟

إن الدكتور طه من ذخائرنا الأدبية ، ويجب أن يعيش ، ونحن سناده فى الخطأ والصواب رعايةً لمركزه فى الجامعة وفى وزارة المعارف ، وهو خليقٌ بمركزه فى الجامعة وفى وزارة المعارف

أيها الأستاذ الجليل :

فى صدرى أشياء وشؤون وشجون، فتى أنفض همومى بين يديك وقد رأيت الشيب يشتعل فى شعرك الجميل ؟

متى نلتقى أيها الأستاذ الجليل لتصفية الحساب ؟

إن « العفريت الذى يحتلّ رأسى حين أخلو إلى قلمى » لا يحضر حين ألقاك ، لأني لا أرى وجهك إلا تذكرت أنى أحببتك إلى حد العشق

فتى نلتقى وحولك أرصاد يؤذيهم أن أصل إلى قلبك الرفيق ؟

وهل أجهل أو تجهل أن فى الدنيا ناساً عاشوا بإفساد ما بينى وبينك ؟ الله وحده يشهد أنى لم أخاصمك إلا فى سبيل الحق

والله وحده يشهد أنى لم أقل فيك غير ما استبحت نشره فى الجرائد والمجلات . ومن ذلك تعرف أن « العفريت الذى يحتل رأسى حين أخلو إلى قلمى » لم يكن عفريتاً لئيما ، وإنما هو عفريت تلميذك وزميلك وصديقك : زكى مبارك

الفروق السيكلوجية
بين الأفراد

للأستاذ عبد العزيز عبد المجيد

العلاقة بين الذكاء والخلق

الشخصية من الموضوعات التى اهتم بدراستها علماء النفس منذ أوائل القرن الحالى . وقد ذهبوا فى تحليلها إلى أنها تتكون من عوامل بعضها فيزيولوجى ، وبعضها كيميائى ، وبعضها عقلى ، وبعضها خلقى ومزاجى . وقالوا إن نتيجة تفاعل هذه العوامل المختلفة تحت تأثير البيئة التى يعيش فيها الفرد هى التى تكون شخصيته . ومعنى ذلك أنه توجد علاقات فعالة بين كل مجموعة من هذه العوامل وبين بقية المجموعات الأخرى . وسأعالج فى هذا الحديث موضوع العلاقة بين الذكاء والخلق ، وأثر هذه العلاقة فى حياة الفرد

إن قارئاً أو ملاحظاً ليتعسر عليه ـ من غير دراسة وإحصاء ـ أن يجزم بوجود تلازم بين الذكاء والخلق الكريم ، أو العكس ؛ أى بين الذكاء والخلق السيء أو الغباء والخلق الكريم . لأن الملاحظة العادية تدل على أنه يوجد بين الأذكياء ، كما يوجد بين الأغبياء ، الشرير والمتمرد وكريم الخلق والوديع ، وإن كانت بعض الروايات [1] والأفلام تظهر شخصيات المجرمين والمحتالين فى مظهر الأذكياء والعبقريين . وقديماً كان الإغريق يبيحون السرقة لأنها آية الذكاء ، وكانوا يعاقبون من يقبض عليه سارقاً ، أو تثبت عليه التهمة ، لأنه غبى لم يستطع أن يفعل فعلته بمهارة ودهاء ، فيفلت من أعين الرقباء ، شأن الذكى الماهر

والذكاء — ولا شك — عامل من عوامل النجاح فى الحياة فهو الذى يعين الطالب فى حياته الدراسية ، والمحامى فى مكتبه ومحكمته ، والتاجر فى تجارته ، والزارع فى حقله وحديقته . ويختلف أثره فى نجاح حياة الفرد باختلاف نوع المهنة التى يقوم بها ؛ فأثره فى مهنة التاجر مثلاً أقوى وأظهر منه فى وظيفة عامل البريد . هذا إذا استعمل كل منهما ذكاءه فى إجادة عمله ، ولكن الذكاء وحده غير كاف ما لم يؤازره خلق كريم متين . والتاريخ يثبت أن عظماء العالم ، والمصاميين البرزين فى الأعمال العامة ، قد امتازوا بالعقل الذكى ، والخلق القوى ، وأن من لم يتمتع منهم — إلى جانب الذكاء — بالخلق القويم ، قد رأى انهيار عظمته المؤقتة قبل وفاته .

وفى الحياة اليومية يساعد الذكاء على التهيؤ الخلقى المناسب . فالذكى يعرف الظروف المحيطة به بسرعة ، ويدرك ما تتطلبه هذه الظروف ، ويعرف أيضاً قانون بيئته الخلقى والاجتماعى ، فيتهيأ بلباقة ، ويتكيف بمهارة وقدرة ليناسب بين تصرفاته وبين بيئته وفقاً لقانونها الخلقى الاجتماعى المعتمد ، بعكس الغبى أو قليل الذكاء الذى لا يدرك بسرعة ـ أو مطلقاً ـ العلاقات بينه وبين الأحوال الطارئة عليه ، أو بينه وبين القانون الخلقى ، فتصدر تصرفاته عن خطل وحمق ، ويحاول العمل فى تخبط .

وقد يكون ذكاء المرء مصدر شقائه وفساد أخلاقه ، فيجعل منه ثائراً على نفسه وعلى المجتمع ، أو لصاً ماكراً ، أو مجرماً غادراً . ويحدث ذلك فى الغالب إذا كثرت حاجات الفرد ومطالبه ورغباته ، ولم يقو إنتاجه المادى المحدود ، أو لم تساعده البيئة ، على الوفاء بهذه الحاجات والرغبات ، فهو إما أن يضحى بهذه المطالب ويكبت هذه الرغبات ويكون حينئذ عرضة للنوبات العصبية والاضطرابات النفسية ، وإما أن يلجأ إلى تحقيق هذه المطالب وتلبية الرغبات بطريق غير مشروع ، فيحتال ويسرق ويغش ، ويصطنع كل السبل التى يصل بها إلى غاياته ويفلت من عقاب القانون . وقد يخونه ذكاؤه فيقع فى يد القضاء ، ويلقى الجزاء . ثم يعود سيرته الأولى بعد الجزاء ، ويستسيغ هذا النوع الجديد من حياته الشريرة . لأنه سقط فهوى ولم يجد من ينقذه بمعرفة سبب الجرم ؛ فإن كان فى نفس المجرم حاول إزالته وتوجيهه إلى الصالح المنتج المفيد ، وإن كان فى البيئة عمل على محوه وخلق تناسب بين البيئة وبين الفرد . ولذلك نجد فى السجون الأوربية معاهد للتثقيف والإصلاح ، ولتعليم الفنون والصناعات المختلفة كالزراعة ، والتجارة والطباعة ، والحياكة الخ حتى يجد السجين أمامه بعد مغادرة السجن وسائل الحياة التى تتناسب مع ذكائه . والتى تساعده على

(١) يجد القارئ معظم الأبطال المجرمين فى روايات إدجار والاس من الأذكياء كما فى رواية The Dark Eyes of London ورواية The Bregand

كسب ما يحقق رغباته فيتجه بذلك ذكاؤه اتجاها مستقيماً صالحاً ويتحقق المثل السائر « السجن مدرسة وتهذيب وإصلاح »

وقد لاحظ علماء القيادة المهنية Vocational Guidance أن أكثر العمال فى المصانع تذمرا ، والموظفين فى الشركات طمعاً هم أولئك الذين وضعوا فى مهنة أو وظيفة دون مستواهم الذكاوى ، فيكون هؤلاء دائماً مصدراً للمؤامرات ، وتدبير الإضراب ، والخروج على النظام . وكذلك وجدوا أن قليلى[1] الذكاء أو الأغبياء إذا ما وضعوا فى مناصب ذات تبعة وفوق مستواهم الذكاوى ، قصّر ذكاؤهم دون القيام بتبعاتهم ، فيعروهم الاضطراب والهم ، وينغمسون فى الشهوات و الملاذ غير المشروعة ، ويسرفون ، وتكون عاقبتهم الجنون . فعدم التناسب بين الذكاء وبين العمل الذى يقوم به الفرد قد يقود لا إلى فساد فى الأخلاق فحسب بل إلى الأمراض العصبية والجنون

أنفق البروفسور سِرل بِرْت ، رئيس معمل علم النفس وأستاذ المادة بجامعة كوليدج فى لندن ، ست سنوات يفحص فيها سيكلوجيا الأطفال المتمردين Delinquents ويقيس ذكاءهم . وقد قاس ذكاء ما يزيد على مائة ممن تتراوح أعمارهم بين ست سنوات وخمس عشرة ، وكان هؤلاء الأطفال يمثلون كل أنواع البيئات المختلفة فى لندن ، وقد أرسلوا إليه لارتكابهم بعض الذنوب الاجتماعية كسرقة بخس الأشياء ، وكالشحاذة والاعتداء على المارة أو على زملائهم بقذف الأحجار ، وكإتلاف مال الغير ، والسقوط الجنسى ، وخروجهم عن طاعة آبائهم . وقد وجد أن متوسط العمر الزمنى لهؤلاء الأطفال المتمردين هو ١٣٫٢ بينما كان متوسط عمرهم العقلى هو ١١٫٣ . وقد استنبط من هذه النتيجة « أن الأطفال المتمردين ينقص عمرهم العقلى عن عمرهم الزمنى بنحو سنتين[2] » ثم استنبط — بعد دراسة وإحصاء — أن « ٧٪ من هؤلاء الأطفال ضعاف العقول أو ناقصوها » feeble minded or defective . هذا وإذا علمنا أن نسبة ضعاف العقول بين جميع السكان — كما ثبت نظريا — هى ٢٪ اتضح لنا مقدار زيادة ضعاف العقول من الأطفال المجرمين والمتمردين .

ويقول الأستاذ برت أيضاً[1] : « ولا يتعارض الذكاء الفائق مع التمرد ، ولكن المشاهدة تدل على أن وجوده بأية درجة بين المتمردين يعد نادراً »

ويرى الأستاذ فى كتابه « الطفل المتمرد[2] » أنه من الضروى أن ندرس الطفل المتمرد لا من ناحية ذكائه وضعفه العقلى فقط ، بل يجب أن ندرس بيئته ولا سيما المنزلية ، لأن حال الأسرة الوجدانية المضطربة ، وإهمال الطفل وترك حبله على غاربه ، كل هذا له من الأثر ما لضعف العقل فى إيجاد روح التمرد والإجرام عند الطفل . والفتاة البالغة التى لا تجد فى المنزل إلا شقاء وسوء معاملة تسرع إلى هاوية الفساد ، وبخاصة لأن ضعف عقلها يعرقل نجاحها فى الحياة الاقتصادية والعملية والاجتماعية فلا تعرف كيف تحل معضلاتها ، وتخلص من شقاء المنزل بطريق تضمن لها الحياة وشرف العرض

وقد أجرى الأستاذ لويس ترمان بعض التجارب لمعرفة العلاقة بين الذكاء والخلق وقرن بين مجموعة من الأطفال ذوى ذكاء يختلف الدرجات تبلغ ٥٣٣ ومجموعة أخرى مساوية لها من الأطفال النابغين ، ووجد أن المجموعة الثانية على خلق أسمى من الأولى فى صفات الصدق والأمانة والشفقة ويقظة الضمير ، كما وجدها تمتاز جداً بالمثابرة والإرادة القوية

من أجل هذا عنيت الأمم الأوربية والأمريكية بتعيين علماء نفسيين فى المحاكم ، وفى أقسام البوليس ، وفى مجالس التعليم الإقليمية والمدنية ، ليعينوا القضاة ورجال البوليس ورجال التعليم بدراسة الأطفال والكبار المتمردين[3] والمجرمين الذين يشك فى ذكائهم ومقدرتهم العقلية ، حتى يكون الجزاء مبنياً على ظروف الجريمة وحال المجرم العقلية . وفى لندن والمدن الأمريكية الكبرى — غير علماء النفس هؤلاء — عيادات سيكلوجية Psychological clinics يُرسل إليها المتمردون والمجرمون لفحصهم والتقرير عن حالهم .

عبد العزيز عبد المجيد

(بخت الرضا — السودان)

(١) انظر كتاب الأستاذ ولم مكدوجل An Outline of Abnormal Psychology طبعة لندن سنة ١٩٢٦ م

(٢) انظر كتاب Mental and Scholastic Tests للأستاذ سرل برت طبعة سنة ١٩٣٣ م

(١) صفحة ١٨٨ من هذا الكتاب

(٢) The Young Delinquent طبعة لندن سنة ١٩٢٥ م

(٣) أصبحت هذه الدراسة الآن داخلة ضمن علم النفس الجنائى

حول « السفاح » أيضاً

للأستاذ عبد الحميد العبادى

من حسن حظ أمير المؤمنين أبى العباس أن انتدب عالمان جليلان هما الأستاذ أحمد أمين والأستاذ محمود محمد شاكر لمناقشة رأيى فى لقب (السفاح) الذى ألصقه بأبى العباس بعض أدباء المؤرخين أو مؤرخى الأدباء ظلماً ، كما أعتقد وكما دلنى البحث والتتبع. نعم إن الأستاذين الجليلين أخذا برواية المؤرخين الأدباء أمثال الجاحظ وابن قتيبة وأبى الفرج الأصفهانى ، ولكن تدليلهما، على طرافته وبراعته ، لم ينقض حتى اليوم ما سقت من الأدلة فضلاً عن أن يهدمها . وإنى مجمل لقراء الرسالة الغراء رأيى فى هذا الموضوع ، ثم متبع ذلك باستدراك على ما اعترض به علىّ الأستاذ شاكر

لقد رجعت إلى سيرة أمير المؤمنين أبى العباس قبل الخلافة وأثناءها ، فلم أجد فيها ما يسوغ تلقيبه بالسفاح بمعنى القتّال . ثم رجعت إلى قصيدة ابن أبى شبّة العبْلى التى رثى بها بنى أمية ، وهى المصدر المعاصر الوحيد لأبى العباس ، فلم أجد الشاعر ذكر فيها الكوفة ولا الحيرة ولا الأنبار ، وهى المواضع التى أقام فيها أبو العباس فى خلافته ، فى حين أنه ذكر المواضع التى قتل فيها بنو أمية على أيدى عبد الله بن على وداود بن علىّ بالشام والحجاز . ثم انتقلت بعد ذلك إلى الرواية التاريخية القديمة القائمة على الضبط والتحقيق كرواية ابن سعد ، وابن عبد الحكم ، والبلاذُرى ، وأبى حنيفة الدينورى ، وطيفور ، واليعقوبى ، والطبرى ، والنوبختى ، والكندى ، فلم أجد من هؤلاء الأعلام واحداً لقب أمير المؤمنين أبا العباس بالسفاح . هنالك ترجح عندى أن لقب « السفاح » لم يكن أصلاً لقب أبى العباس . ثم رأيت أن ابن سعد واليعقوبى وصاحب « أخبار مجموعة » ، وصاحب كتاب الإمامة والسياسة ، يسندون لقب « السفاح » إلى عبد الله بن علىّ عم الخليفة أبى العباس وعامله على الشام . ووجدت أن سيرة عبد الله ابن علىّ هذا مما يسوغ تلقيبه بهذا اللقب كل التسويغ ، فهى سيرة جبار طاغية قتال حقاً . فثبت عندى أن اللقب لقب به أصلاً عبد الله بن على المذكور . ولما كان عبد الله بن على قد ادعى الخلافة فعلاً وثار على أبى جعفر المنصور بالشام ، وخاطبه الشعراء بالخليفة ، فقد أصبح معروفاً بالشام لذلك العهد بأمير المؤمنين عبد الله السفاح . ولكن الخليفة أبا العباس هو أيضاً يسمى عبد الله ، فقد وجد نوع من اللبس بين الخليفة الأصلى والمدعى للخلافة . ومما يقوى فكرة وقوع هذا اللبس أن ابن الأثير عند ما ذكر حادثة تحريض سديف الشاعر على قتل بنى أمية أسندها أول الأمر إلى عبد الله بن على ثم عاد فقال : « وقيل إن سديفاً أنشد هذا الشعر للسفاح ومعه كانت الحادثة » فقد نسب إلى أبى العباس مأساة قتل بنى أمية مع أن المرتكب لها على التحقيق هو عبد الله بن على ، والخلط فى نسبة الحوادث المفظعة التى أتاها عبد الله بن على إلى أبى العباس جرّ معه انتقال لقب « السفاح » إلى أبى العباس. وإني أعترف بأن هذا تأول منى واجتهاد، ولكنه اجتهاد فى حدود النصوص والوقائع الثابتة، وليس مجرد ادعاء كما وصفه الأستاذ شاكر فى العدد ٣٤٢ من الرسالة الغراء

هذه خلاصة بحثى فى هذا الموضوع . ولقد نشر الأستاذ شاكر فى مجلة « الثقافة » مقالاً قيماً عنوانه « كلمة فى التاريخ » امتدح فى بعض حواشيه بحثى هذا حتى لخيل إلى أن الأستاذ أخذ بوجهة نظرى فى هذا الموضوع واغتبطت بذلك أيما اغتباط ، ولكنى رأيت الأستاذ عاد فأعلن فى العدد ٣٤٠ من الرسالة أنه يخالفنى كل المخالفة ووعد ببحث الموضوع . وقد بحثه فى العدد ٣٤٢ من الرسالة ، وبحثه يقوم على أمور : أولها أن لقب (السفاح) مضافاً إلى أبى العباس إنما هو للمدح لا للذم، ومعناه الكريم المعطاء للأموال. وثانيها أن أحاديث من أحاديث النبوءات يراها الأستاذ صحيحة قد ذكرت (السفاح) بالمعنى المذكور ، فليس بعيداً أن يكون أبو العباس قد لقبه أبوه بهذا اللقب قبل الخلافة تفاؤلاً . وثالثها يقول بوجوب الأخذ برواية الجاحظ التى تلقب أبا العباس بالسفاح . والذى يمنع عندى من الأخذ بالأمر الأول هو أنه ليس له سند تاريخى، واللفظ من حيث اللغة يحتمل أن يكون للمدح وأن يكون للذم . فما النص التاريخى الذى يخصصه للمدح ؟ أما من حيث الأمر الثانى فلنفرض أن الأحاديث والروايات الواردة فى السفاح والمهدى والسفيانى والقحطانى والملاحم صحيحة، فما الدليل على أن أبا العباس قد لقبه أبوه بالسفاح تفاؤلاً واستنجازاً لموعود هذه الأحاديث ؟

أما من حيث رواية الجاحظ فلست أدرى كيف يوفق الأستاذ شاكر بينها وبين تفسيره السفاح « بالكريم المعطاء فإن السفاح »

ذكرى مولد الفاروق

١١ فبراير
خلدي يا مصر أيام المليك
للأستاذ مراد الكرداني

...وهذا يوم من أيامك الزُّهر الوِضاء يا مولاى، يعتز ويتيه على الزمن كله ، ويختال على أيام هذا البلد الأمين ، بأنه كان فجر السعد وفتح اليمن، وبداءة النصر بعد عنت الجهاد، ولمعة الأمل فى ألم الليل الذى تحلك وتدجى ، ثم امتد واستطال

هذا يا مولاى أول أيامك على الدنيا يعود ، وما يزال يعود . أشرق — يوم أشرق — على هذا البلد السعيد إشراق العز ، وهلّ عليه كصيِّب الغيث . ثم سعى فيه كسعى النسيم الريان ، فكان بِشراً بين يدىْ رحمة الله التى غمرت أقاصِىَّ هذا الوادى ودانيه ، وكان نعمة فاضت بمددها الذى لا يفيض ، وخيرها الذى لا ينتهى ، وبرّها الموصول إن شاء الله

هذا يا مولاى أسعد يوم أحقُّ أن أقول فيه ... عادت مصر به وكأنها نفس سابحة على مدّ أملها تستشرف العز الذى انحسرت عنه ظلمات الأفق وتستحث المجد الذى بدا صوراً آخذاً بعضها بيد بعض، وتتعجل النصر الذى رصدت مطلعه متلهفة صابرة منذ آماد طوال !

ولقد شاء القدر الراحم أن يكون ميلادك، يا زين الشباب، أول منحة بعد أطول محنة ، وأن يكون بهاء بعد رَهق البلاء . وذلك فيض من الله عميم، فإن الفضل للمحنة أن تكون طُهرة واستعداداً وتهيؤاً لتكون المنحة إثرها وثوباً إلى الغد ، وتطلعاً نحو المجد ثم أشفق هـذا القدر على هذا البلد ، وأنت يا مولاى حلٌّ بهذا البلد ، فوَسَم أيامك عليه بالخير واليمن وجرى فيه أمداداً متلاحقة من العز واليسر ، وتبدّى فى رحابه رُؤًى رائمة كلها نصر وتوفيق ، حتى بلغ القمة ، وتسنم الذّروة ... ثم حمل الراية ومضى يقود الشرق العظيم إلى منازل العزة ومشارف المجد . . .

ومن ثَمّ كانت ذِكَرُكَ يا مولاى تدْرُجُ على ربوع هذا الوادى الأمين . وكأنها مُنًى حلوة تراوِحُ قلبَ عذراء موعودة . أو كأنها نسمة تناسم روح حبيب فكنت يا مولاى المنى والنسمة ... وكان شعبك الوفىُّ الكريم ، القلبَ الموعود ، والروح المنتظر !

لقد سنحت يا مولاى سنوح الرضا ، ولُحتَ كما يلوح الحق بين شبه الباطل ، فكنت فينا معجزة إلهية لحت بالنور العجيب ، يتطيّفُ هادياً مشرقاً من نبع قبسه الذى هو أنت . فكأنك يا حبيب الحبيب (١) عرق من النور الأعلى ما يزال يترسل ويتضوأ على نسقه وطبعه حتى يضيء كلُّ الذى حوله . ومن ثَمّ يشرق به ومنه ، ومن ثَمّ يتضوّءان معاً ... وأنت يا مولاى كما أنت نور على نور ، وهو ، لا كما هو ، وإنما استحال خلقاً آخر غير الذى كان ، أعنى أنه أشماس ، وكان قبل فجراً من طول ما ران عليه !

سبحان الذى ألهمك يا مولاى أن الأُسوة خير من القسوة، وأن القدْوة أفعل فى النفس من القدرة. فجمل كمالك وحياً وِحيًّا يفعل فى النفوس على طبيعته وفى طبيعتها ، فلا يزال بها حتى يحيلها كمالاً كلها ، وطهراً كلها ، وسلاماً كلها . كما أنت — يا أمير المؤمنين — جمع ذلك كله ... والسعود أقدار يا مولاى ... فلله ما أكرمك عليه حين جعل سبيلها إليك أجرَ من اهتدوا بهديك وسموْا وراءَ خطوك ... ولله ما أكرمك عليه ، حين عمّرْتَ بالشباب أبهاء المسجد ، وحين نضرْتَ بهم وجه الدين ، ويوم انطوت أيديهم على حبات السبحة ، وكانت قبل لا تُفلتُ الدخينة ، ويوم جمعتهم على الهدى وكانوا شيعاً على الحقد والضغينة .

مولاى يا وارث المجدين، ويا فارق المهدين، يا أمير المؤمنين... يا سليل الأمجاد، ويا شبل فؤاد، عيدك يا مولاى سيد الأعياد، ويومك غرة الأيام ... وزين الزمان ...

صان الله شبابك النالى ، وأمدك بالعافية كلها ... ونضّر بالخير أيامك . ووسم بالسعد عهدك وزمانك ...

وليحفظ الله الأميرة الغالية فى مجد المليك ، وعز المليكة ، وهناءة البيت الملكى الكريم ....

مراد الكردانى

(١) الحبيب : الرسول الكريم عليه السلام

فى كتب الجاحظ وابن قتيبة وأبى الفرج معناه «القتال السفاك للدماء»

أليس يرى الأستاذ شاكر بعد ذلك أن الأدلة التى أقمت عليها رأيى أكثر تظاهراً وتساندا، وأشد رجحاناً من رواية المؤرخين الأدباء ؟ هذا اعتقادى على كل حال .

على أنى قبل أن أختم هذه الكلمة ، أحب أن أعترف بأنى أفدت من بحث الأستاذ شاكر فائدة كبيرة ، فقد علمت منه أن نص اليعقوبى القائل بأن عبد الله بن على هو السفاح ، منقول عن ابن سعد فى طبقاته .

عبد الحميد العبادى



من وراء المنظار

ساع فى الدرجة الخامسة!

بلغها بدماثة خلقه ، لا ريب عندى فى ذلك . ومن كان فى ريب مما أقول فليعرفه من كثب كما أعرفه ، ثم لينظر فإن لم يمح اليقين من نفسه الريبة فأنا المخطئ وهو المصيب . . .

وإن أنداده ليعجبون كيف يتخطى أكثرهم إلى تلك الدرجة التى باتت عندهم حقاً من الأحلام ، وإنهم ليقسمون أنه دونهم فى الكفاية ، ويستدلون على ذلك ، إذا لم يغن القسم ، بأخطائه الجسيمة التى لم يسأل قط عن شىء منها ، وذلك ما يزيد دهشتهم وحيرتهم

ولكنى أنا أعجب كيف فاتهم دماثة خلقه ورقة شمائله ولطف معاشرته، وإليها مرد ما نال من حظوة! ومتى كانت تقدر الأعمال بالكفاية فحسب ؟ وإن من الكفاية ما يلحق بصاحبه الأذى ، وإن منها ما يقف بينه وبين ما يشتهى

رأيته أول مرة فرحب بمقدمى ترحيباً ملك قلبى ، وأقبل على يحدثنى ويجود على من الألقاب بما كاد يعترينى الزهو ويداخلنى الغرور من أجله . وما هى إلا دقائق حتى كنت منه كما لو كان يعرفنى من زمن بعيد . وآية ذلك أنه صار يعرفنى إلى أقرانه وهو يشير إلى فطنتى وسعة اطلاعى ويثنى على كرم خلق ، كل ذلك فى طلاقة أدهشتنى وإن كادت تضحكنى ضحكات لست أدرى ماذا كنت أسميها !

وتاقت نفسى إلى رؤيته أمام رئيسه. ولم يطل تطلعى فقد أقبل الرئيس فرأيته يثب من موضعه فينظم وضع طربوشه على رأسه ويزر حلته ويهرول تجاه القادم مبتسما ، حتى إذا دنا منه أقبل على يده فى لهفة ولسانه يلهج بالسؤال عن صحة « سعادة البك » وأنجال « سعادة البك » ويجيب فى سرعة ونشاط على سؤال وجه إليه بقوله : « نعم كما أمرت سعادتك يا سعادة البك » ... وأعجبنى لعمر الحق دماثة خلقه هذه واستيقنت نفسى من أدبه وظرفه

وانقضى يوم فازددت اطلاعاً على حسن شمائله وجميل تواضعه ، فهو يعزو كل شىء إلى همة سعادة البك ، وهو لا يفعل شيئاً إلا « بأنفاس سعادته » وهو لا يكتم خبراً ولا يضن بحديث سمعه على رئيسه، فذلك عنده من الأمانة والإخلاص. وإن عبارات الإجلال والتعظيم لهذا الرئيس لتثب إلى ذهنه فى سرعة عجيبة ولباقة مدهشة ، أعجب معهما لمن ينكرون عليه الكفاية حتى لا يسعنى إلا أن أنكرها عليهم هم ، وإن كنت فى ذلك مثلهم إلا أننى لا تحركنى الغيرة للعيب عليه

ورأيته لا يقع بصره على رئيسه مبارحاً إلا حضر إليه مودعاً ولكنه يمشى على قيد خطوة أو خطوتين وراءه ، وذلك لا شك تأدب منه ، وإن تقول عليه خلاف ذلك المبطلون الذين يحقدون عليه لبلوغه دونهم الدرجة التى يتحرقون شوقاً إليها

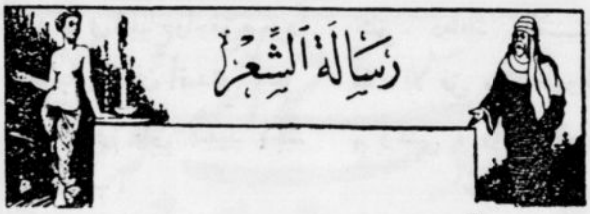
وهو مرب على رغم ما سماه به بعض المغيظين منه ؛ وإنه ليشعر أن من واجبات مهنته أن يوحى إلى تلاميذه دماثته وأدبه وأن يلهمهم الصدق ويعودهم احترام النفس . وإنه ليعتقد أنه يفيد طلابه من هذه الناحية أكثر مما يفيدهم غيره من أقرانه ؛ وإلا فمن بلغ مبلغه منهم من الدماثة وكرم الطبع ؟

ولن تفوته فرصة لإظهار دماثته تلك التى أصبحت مضرب المثل بين عارفيه ، وهو لا يرى من وراء ذلك إلا إلى أن يكون فيه لأبنائه أسوة حسنة ، ولن يبتغى عليه جزاء ولا شكوراً .

ومن أروع مواقفه التى لست أشك أنها من خير ما يقتدى به ، أنه التقط ذات مرة على مرأى من الطلاب جميعاً دخينة سقطت على الأرض من يد رئيسه فأعادها إلى الرئيس ، ولكن ما كان أعظم دهشة الطلاب أن يروا ذلك الرئيس يقذف بها بعيداً بعد أن يأخذها منه وهو عابس الوجه وعلى شفتيه ما يشبه الازدراء وما لا يكون إلا استنكاراً . ولقد قارن الطلاب لا شك بين رقة الأستاذ وغلظة الرئيس ، ولست أدرى أيهما كانت أقرب إلى نفوسهم البريئة

وشاعت الحادثة فى الزملاء الحاقدين منهم والمسالمين ، فقال أحدهم : « ما أراه إلا ساعياً فى الدرجة الخامسة » . فقلت : وكيف يكون ساعياً من كان فى الدرجة الخامسة ؟ فنظر إلى آخر نظرة غاضبة كأنما ضايقه جهلى وقال : وإنك لترى من هؤلاء من هم فى الرابعة وإن شئت ففى الثالثة ... والطريق إليها جميعاً سهل معبد ولكن لمن يرضى أن يكون ساعياً

(عين)



الأمسية الحزينة

للأستاذ محمود الخفيف

حطّت على الأفق ظلالُ الغروبْ كالشَّجَنِ الطارقِ
وراحَ يمحو البِشرَ فيه القطوبْ فى خطوهِ السارقِ
هذا السّنا عما قليلٍ تذوب ألوانُهُ فى سَيلِه الدّافق
صوّرَ لى يا عَينُ هذا الشُّحوب بَرْحَ الضّنى فى وَجنةِ العاشق

***

يا وَيلتا ما بالُ هذا المَساءْ يَهيجُ أشجانِيَهْ
توحى إلى النَّفسِ معانى الفَناءْ أضواؤُهُ الفانِيَهْ
يا هولَ ما يَحكى رَقيعُ السماءْ للعينِ فى أطرافهِ الفانِيَه
والرّيحُ كم غنّت لِمَمْشى البُكاءْ وأسلمَتْ للوجدِ ألحانِيَه

***

كم أحزنَتْ رُوحى هذى الظّلالْ وأزعجَتْ ناظِرِى
كم أيقظَتْ فى خاطرى من خيالْ عن أمسىَ الدابِرِ
كأنما ألمحُ فيها المآل لِكلِّ مَوْموقِ السّنا باهِر
وا لهفتا أغرَى بِقلبى الضّلال هذا الأمى الحيرانُ فى خاطِرى

***

أرقبُ فى الأفقِ تهاويلَهُ طافِيةً لاعِبَهْ
يا مُجتَلَى ما إنْ أرَى مِثلَهُ إلا المُنى الكاذِبَهْ
تلكَ التَّصاويرُ التى حوْلَه كم أشبهَتْ أحلامِىَ الذاهبه
بالأمسِ قَلبى كان يَهفو له جذلانَ يَهوَى شمسَهُ الغاربه!

***

تذَكُّرى أنّ وَراءَ الأفولْ والليلِ صُبحاً يُرَى
يُلبِسُ معنى الحزن هذى الفُلول حتى تُرَى أكدرا
ياليتَ «لَيلِى» مُعقِباً إذ يطول فجراً أرَجّى صُبحه المسفِرا
الله لى فى حُلكةٍ لا تحول فى يَقظةِ الليلِ ولا فى الكرَى!

***

تزايَدُ الكُدرةُ بين الغصونْ ما ازداد غِشيانُها
تُذكّرُ القلبَ غواشى الظنونْ وَسوَسَ شَيطانُها
ستشربُ الخُضرةَ هذى الدُّجون ويُغرقُ الأرواحَ طوفانُها
وتُشبهُ الظُّلمةُ فيها المَنون تَموجُ بالوَحشةِ شُطآنُها

***

يا ظُلمةَ الليلِ نَسيتُ السّنا وغِبتُ عن رَوْعتِهْ
قلبى المعنّى قبلَ مَوتِ المُنى كم هامَ فى فِتنتِهْ
كم هامَ بالصُّبحِ كسا الأغصُنا بالساكِبِ المُنهلِّ مِن غُرّتِه
يَرِفُّ مأخوذاً بهِ ما دَنا وينهلُ الفَرْحةَ من طَلْعتِه

***

الويلُ لى ازدادُ حولى السُّكونْ إلاّ أنينَ الرّياحْ
كأنما طافَ الكرَى بالغصونْ ولَفّها بالجَناحْ
ساهِمةٌ تقرأُ فيها العيون هذا الأمى السارى بكلّ النّواح
ياويحَ قلبى أذهلَتهُ الشُّجون حتى كأنْ لم يَدرِ معنى المِراح!

***

ذابتْ على الجوّ فُلولُ الرّقيعْ وماتَ فيهِ السّنا
وأنكرَتْ عيناىَ هذا القطيعْ أقبلَ وانِى الخُطى
فى إثرهِ يَشكو وما مِن شَفيع الصامتُ المكدودُ، طولَ المنا
ودَوّمَ الخُفّاشُ حولى يُذيع فى خَفقِهِ قُربَ نُزولِ الدُّجى

***

واحرَبا ما انفكّ مرأى الأصيلْ يوقِظُ أوهامِيَهْ
يُعيدُ للنَّفسِ مَساءَ الرّحيل وسُودِ أيامِيَهْ
حينَ افترقنا بعدَ صَمتٍ طويل لا قولَ إلاّ الأدمعُ الهامِيَه
والشمسُ تَمضى غيرَ نورٍ ضئيل مُحتَضَرٍ يَفنَى كأحلامِيَه

***

مضَيتُ لهفانَ أذودُ الجوَى عنْ قَلبِىَ اليائسِ
أقولُ دَعْ ذِكرانَ يومِ النّوَى وعَهْدِهِ الدّارسِ
قدْ كنتَ ياقلبُ نَسيتَ الهوَى إلاّ بَقايا من أسًى هاجِس
رَبيعُكَ الطّلقُ تَوَلّى سِوَى وَساوِسٍ من زَهرِهِ اليابِس

***

الضنى

الضنى -لامسَّك الممرِّضنى- إنه دنيـا بلاء وعَنا
طيفُ عزريلَ إذا دقّ على منزل فزّع فيه السكنا
ومحا الفرحة منه ، ومضى يملأ الأرجاء فيه حزَنا
الضنى -لا ذقت أهوال الضنى- يَطحن العزم ويُوهى البدَنا
يومه كالليـل ، والليلُ به وقفة الحشر وأقسى مِحَنا
يتمنّى الموتَ صرعاه ، وكم يركب المضطر ظهراً خشِنا
صُورَ الدارِ إذا طاف بها طائف الأدواء تُدمى الأعيُنا
راقد يشكو ، وزوج حوله ترسل الدمع سحاباً هَتَنا
وأخ يدعو ، وأم رفرفت روحها حيرَى على ابن وَهَنا
وصـغار خشعت أصواتهم واستكانوا يَنشدون الوَسَنا
ويحهم ! كم زلزلوا الأرض وكم غمروا الدارَ صياحاً وغِنا

* * *

يا صحيح الجسم نُعماكَ ! فلا تأسَ إن فاتَكَ موفور الغنَى
إنما الصحة نبعٌ طالما فاض بالخير ومعسول المُنَى

فريد عين شوكة

خطرة فى داء

مطمحى فى الشفاء ، أين الشفاء؟ أقعـد العجز همتى والداء
إنما مطمح الحياة شـباب ما لمن يفقـد الشباب رجاء
كنتُ والريح طالما نتبارى بجناح تُطوى به الأجواء
كنتُ والطير طالما نتناجى بلسان يسيل منه الغناء
فلسانى قد أخرسته العوادى وفؤادى أودت به اللأواء
أقعدتنى عن التنقل رِجلٌ لست أدرى ما خطبها ، ما تشاء ؟
تتأذى إذا هممتُ بسير وإذا ساء جانب لى تُساء
بينما الداء ها هنا يتفشّى يتمشى كأنه الكهرباء
فإذا بالبلاء لا يبرح الد نف حتى يجىء منه بلاء
يا عليلاً سميره الألم المضنى وعـواد دائه الأرزاء
هل تهدمتَ ، فاعتزمتَ أفولاً أو تخلت أن تدانى انتهاء ؟
لم تزل قمة تناديك فانهض إنما مطمح الحيـاة ارتقاء
مدّ دامِىَ الجناح واخفق صعوداً تتلق دماءك الغـبراء
يا خيالى ! إن أقعدتنىَ رجلى فلك الأفق مسرحاً والسماء
إن روحى تأبى التقيد بالجسـ م وتمشى ، والغاية العلياء

عدل هنداوى

(حلب)

صراع !

تعاودنى الأوهام فى كل آنة فياليت أوهامى تزايل وحدتى
أرى بين هذا الناس فرداً ، وإننى لجمع كثير لو دروا ما بطيّتى
بفكرىَ أضداد تخرِّب نورَه فليس بفكرى غير أشباح ظلمة
فطوراً أرانى هادئاً متبتلاً وطوراً أرانى فى ضلال وريبة
وقلبىَ مذعورُ الأناشيد تارة وطوراً يغنى فى صفاء وفرحة
صراع عنيف كدت من لزَبانه أعيش بلا رشد ووعىَ وفطنة
نشأت على الدنيا أغنى .. فليتنى بقيت على الدنيا أردد أغنوتى
وهت من يدى قيثارتى فتركتها محطمة تبكى غيابى وغربتى
وسرتُ كأنى مدبر من هزيمة عليه من الآلام أطياف خيبة
أنا الصارخُ الشاكى الحزين فليتنى أعود لأنغامى ونايى وأيكتى
تشاكيت . لكن لم تفدنى شكايتى وما زال صبحى غائماً مثل ليلتى
يقولون : مجنون فقلت : نعم نعم ! وسر جنونى حيرتى وتعلتى
كرهت الذى بالأمس كنت أحبه
وأحجمت عما كان بالأمس شِرعتى
يعيش بنو الصلصال يلهون فى السنى
ويحيـا بنو الأنوار نهب الدجنة

* * *

خذوا من فؤادى وهمه وضلاله ومدوا على دربى شعاعى وسكّتى
ترونى على قيثارتى مترنماً أغنى أغاريدَ الهوى والمسرة
وأنتم حيالى مطربون .. تهزكم لحون سماداتى وأقداح كرمتى

عبد العليم عيسى

الأدب في أسبوع

الفن

كنت أرجأتُ الحديث عن « الفنّ الفرعوني » الذي أراد الدكتور طه حسين أن يجعله أحد العناصر في « الغذاء الروحي والعقلي للشباب » في عصرنا هذا ، وهو رأي متداولٌ قد دعا إليه فلان وفلان ممن استطارتهم العصبية فعصفت أعاصيرها بسداد الرأي وحسن البصر وكمال التقدير لما ينبغي أن نقيم عليه حضارتنا المصرية الإسلامية . والعصبية هي دليل الضعف ، وهي الآفةُ التي تتخون الرأي ، وهي الهدّام الذي يأتي بنيانَ العقل والعاطفة من القواعد حتى يدمّره تدميراً . وسنوجز القول ما استطعنا ، فإن الإفاضة والشرح والبيان مما لا يتسع لها هذا الباب .

فالفنان هو القلب النابض الذي يُفضي إليه الدمُ الحي الذي تعيش به حضارة أمته في عصره ، وهو الفكر القلق النافذ المتلقف الذي ينقد الحياة الاجتماعية في عصره يألفها أو يُنكرها ، وهو العبقرية المارِدة التي لا تخضع إلا لناموس الحياة الأعظم . والفنان بطبيعته الإنسانية فكرة معبرة عن حقيقة الاجتماع الإنساني الذي يعيش عليه ، وعن طبيعة الأرض التي يمشي فيها ، والسماءِ التي يستظلُّ بها ؛ وكل أولئك ينشيءُ للفنان أفكاراً وأخيلة وأحلاماً تستمد غذاءها من ينبوعها الذي يتفجر بين يديه ولعينيه وفي قلبه

ونحن لو تتبعنا الآثار الفنية وتاريخها في كل أجيال الناس من الهند والصين والعرب والترك والروم ، وكل الأمم القديمة ، وسائر الأمم الحديثة — لم نخطيء أثر الحياة الاجتماعية في الأثر الفني ، ولا أثر الطبيعة الجغرافية في جوّ الفني . ونعني بالحياة الاجتماعية كل ما تقوم عليه من الدين وعقائده وشرائعه ، وما يتميز به العصر من الأخلاق والعادات والوراثات والأساطير الشعبية التي انحدرت إليه من القدم ، ثم سائر أسباب الحضارة المعاصرة بكل مادتها وألوانها وحقائقها وأباطيلها . وأما الطبيعة الجغرافية ، فهي صورة الأرض بنباتها وأنهارها وفدافدها وحيوانها وغابها ، وما إلى ذلك ، وجو السماء بصفائه والتماعه وشمسه وقمره ونجومه وسحابه وثلوجه وصيفه وشتائه وربيعه ، وغير ذلك مما يولّد في نفس الفنان ألواناً من أخيلة الفن التي يريد تحقيقها أو تمثيلها أو إبداعها ؛ والأثر الفني لا يمكن أن يكون خالياً من تأثير هذين العنصرين المميزين .

فالفن — ولا شك — نتيجة من نتائج الاجتماع الإنساني والطبيعة التي تحتضنه، فهو يتأثر بها تأثراً بيناً، لمكان الإحساس المرهف البليغ من الفنان القدير المتمكن . فأعظم الآثار الفنية التي يعدها الجيل الأوربي — مثلاً — في طليعة العبقرية الفنية ، هي الآثار العظيمة الخالدة ، التي نشأت وربت وترعرعت وامتدت تحت ظلال الكنيسة والعقائد المسيحية ، التي عاش في مدنيتها الفنانون الذين أبدعوها ، وتأنقوا فيها وبالغوا في إتقانها ؛ ونحن لا نحتاج هنا إلى أن نضرب المثل بفلان وفلان من الفنانين الإيطاليين والفرنسيين وغيرهم ، ولا أن نعدّد آثارهم التي بقيت إلى اليوم أصلاً للفن الأوربي الحديث . وهذه الآثار كما يشاهدها المشاهدون تختلف باختلاف الطبيعة الجغرافية التي هي سببٌ ثانٍ في إنتاج الفنان . فكذلك الفنون الصينية والهندية تتميز بالاجتماع الوثني الذي يعيش فيه الفنان الصيني أو الهندي ، وبطبيعة البلاد الهندية والصينية . ونحن لا نشك أن أعظم الفنون والآثار عامة قد كان نتيجةً لازمة للعقيدة الدينية — وثنية كانت أو إلهية — وللطبيعة الجغرافية التي تمد عليها من ظلالها ؛ وأن الدين والعقيدة هما عماد الاجتماع وأصله وأعظم مؤثر في توجيه أغراضه وحياطتها وتدبيرها وتوليدها ، فهما إذن أصل قائم في الحضارة التي تدين بهما مهما تطورت بعد ذلك وخرجتْ عليهما فأهملتهما . وذلك لأن الشعوب تحتفظ من الأديان بخصائص كثيرة لا يمكن أن تؤثر فيها تطوراتُ الحضارة المدنية الخاضعة للعلم والسياسة وما إليهما.

الفن الفرعوني

فالفن الفرعوني — بغير شك — ليس إلا نتاجاً مركباً من الوثنية المصرية الفرعونية والطبيعة المصرية الرائعة القوية ، وأثرها بيّن في هذه الأبنية الضخمة بتماثيلها الغريبة المتقنة المختلفة الدلالات على المعاني الدينية المصرية القديمة ، وعلى الأصول

الاجتماعية الخاضعة للوثنية الفرعونية التي كان يعيش عليها الشعب المصرى القديم . فهذه الديانة القديمة الجاهلية التي عبدت أوثانها وتقدست بعقائدها الباطلة ، وخضعت لأساطيرها الرهيبة المخيفة ، واستمدت تهاويلها من الإيمان بجبرية هذه الأوثان والقوى الطبيعية المختلفة كالشمس والنيل والتمساح وكذا وكذا من الأوهام النالية ، هى التي أنتجت هذا الفن المصرى القديم بمعابده وتماثيله وكتابته المرغليفية المعبرة أدق تعبير عن حقيقة المدد الفنى للآثار المصرية الفرعونية

والفنان الفرعونى لم يستطع أن ينشىء هذه الآثار الماثلة الغريبة التي بقيت هذه القرون الطوال تتحدى الزمان المتطاول عليها ، ولم يمنحها هذا الجبروت الماثل والاستبداد الطاغى إلا بالقوة التي أنشأتها ودبرتها له عقائده الوثنية الرهيبة ، وإيمان المجتمع المصرى بها إيماناً خاضعاً متعقباً أيضاً ، وأعانتها الطبيعة الجغرافية المصرية العظيمة بشمسها وقمرها وصيفها وشتائها ، وصحرائها التي تحف بالنيل العنيف المتدفق بسلطان طاغٍ كسلطان الفراعنة الملوك . كل أولئك أثار الفنان وأمد إحساسه المرهف بالمادة التي استطاع أن يصوغ فيها فنه الوثنى العبقرى

وعلى ذلك فيجب أن نقرر أن الفن المصرى الفرعونى – على دقته وروعته وجبروته – إن هو إلا فن وثنى جاهلى قائم على التهاويل والأساطير والخرافات التي تمحق العقل الإنسانى ، فهو إذن لا يمكن أن يكون مرة أخرى فى أرض تدين بدين غير الوثنية الفرعونية الطاغية – سواء أكان هذا الدين يهودياً أم نصرانياً أم إسلامياً أم غير ذلك من أشباه الأديان

تمثال نهضة مصر

وهذا « تمثال نهضة مصر » القائم فى « ميدان المحطة » ، والذى أقامه المثال القدير « مختار » ، أنا أراه فلا أرى فيه إلا تقليداً فاسداً لآثار حضارة قد دثرت وبادت ولا يمكن أن تعود فى أرض مصر مرة أخرى بوثنيتها وأباطيلها وأساطيرها وخرافاتها . نعم ، هو تقليد رائع يدل على قدرة الفنان الذى نحته ، ولكنه لا معنى له الآن فى مصر الإسلامية . هل يستطيع الفنان الذى نحته وأقامه أن يعيد فى مصر تاريخ الوثنية الجاهلية ، واجتماع الحضارة الفرعونية ، وما يحيط بذلك من الأبنية الضخمة التي شادها أوائله ، والتي كانت وحياً للفنان الفرعونى الذى عبد الشمس وخضع لفرعون وأقر له بكل معانى الربوبية ، وآمن بالأباطيل والأساطير والتهاويل الدينية الوثنية الضخمة الماثلة المخيفة التي قذفها فى قلبه أبالسة عصره من الجبابرة والطغاة ؟ وهل يستطيع أن يجعل فى أرض مصر شعباً وثنياً متعبداً للفراعنة والجبابرة بالخوف والرهبة والرعب حتى يتأثر بمعنى هذا الضرب من الفن المصرى القديم ؟ ولكن أفى مصر الآن من الشعب من يستطيع أن يجد له معنى أو تأثيراً أو اهتزازاً إلا من القدم وأخيلة القدم ؟ كلا ... كلا

لقد ذهب كل هذا ، لقد دثر ، لقد باد . إن الأصول الفنية التي يكون بها الفن فناً قلما تتغير ، وهى ممكنة دانية فى كل الآثار على اختلاف أنواعها وبلادها وأراضيها وأديانها ، ولكن روح الفن هى دين المجتمع وعقائده وطبيعة أرضه وسائر أسباب حضارته ، وهى التي تمنح الفنان القوة والقدرة على الإبداع ، وهى التي ترفع فنه أو تضعه

وإذن فدعوة الدكتور طه إلى الاستمداد من الفن الفرعونى – كما استمد « مختار » – ثم دعوته إلى جعل اجتماعنا اجتماعاً إسلامياً ، ثم استمدادنا أيضاً من الفن الإسلامى – تناقض عجيب فى أصل الرأى ، لا يمكن أن يكون ولا أن يعمل به إلا إذا شئنا أن نوجد لمصر حضارة مقلدة ضعيفة ملفقة من أشياء ليست نتيجة ولا شبه نتيجة للاجتماع المصرى الإسلامى الحديث الذى ندعو إليه ويدعو إليه الدكتور طه حسين !!

وبشر أيضاً !!

يقول بشار بن برد لخلف بن أبى عمرو فى حديث جرى بينهما معابثة ومزاحاً :

ارْفق بعمرو إذا حركت نسبته ... فإنه عربى من قوارير

وصديقى « بشر » قارورة عطر نشوان من نفحات روحه ، قارورة عربية معربدة تختال بطيبها تياهة من الخفة والطرب . وأنا أرفق به ولكنه يأبى – كرماً منه – إلا أن يتحطم فى يدى ليسكب طيبه علينا فيعبق بها ، ويبقى أبداً يتضوع منها نسيماً يسكر ، ويعلق بهذا القلم من عطره أثر خالد كرائحة الحبيبة فى ذكرى الحب ، و « للرسالة » بعد ذلك من شذاه ما يفور وما يتوهج وما يسطع من نضح عبيره

وبشر – هذا الإنسان الرقيق – يتجهم لى ويملأ علىّ « بريد

الرسالة » زلزلة ورعداً وبرقاً وصواعق ... ويبصرني بفروق اللغة بين « وَضَع بحراً » و « اخترعه » !! وأنا بلا شك لا أستطيع أن أشغل نفسي بتبصيره بمنطق اللسان العربي . ثم لا يكتفي بهذا بل هو يغلو في تقديري فيمدني من « الخَلْق » الذي يقف على معاني الألفاظ العربيــة من « الإكباب على قراءة الصحف اليومية » !! كلا ، بل يجوز ذلك فيعلّمني مجاز العربية وحقائق بيانها ودقائق ألفاظها !! أوّه ، بل هو يعرّفني بالقرآن لأني « من عامة الناس في هذا الزمان » ممن يفهمون القرآن — كلام الله — بما يغلب عليهم من عامية العصر !! ولا يكون كل ما يكتبه « بشر » من علمه هذا « إلا على جهة التسلي والتلهي » ! بلى ، فهو يرحمني ويشفق على أن يدخل بي في المقاييس العربية الدقيقة الغامضة التي تستهلك قوةَ العقل والإدراك ، فهو يأخذني من قريب !! وأنا قد أخطأتُ وأسأتُ وأثمتُ وَحبِط عملي ، وتَحتّم في اندفاعي إلى شعر بشر « أتلمس » — هكذا قال بشر — أتلمس له الخطأ !!

ولا كلّ هذا أيها الدزير ، «ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة » ، وأنا يا بشر لا أطاولك في علم ولا فقه ولا بيان ولا معرفة ، فأنت أنت ، وأنا حيث أنا من العجز والبلادة ، ورحم الله امرءاً عرف قدر نفسه

ومن جَهِلتْ نَفسُه قدرَهُ رأى غيرُهُ منه ما لا يَرَى

وأنا يا صديقي أقل شأناً وأضعف من أن أجري في عنانك ، ولكنك — إذ كتبت ورددت وأعطيتني فوق ما أستحق في نفسي — تحملني على المركب الصعب ، فكان أولى بك أن تهملني ، فأما إذ أبيت فلا بأس عليك إذا أنا أقحمت نفسي معك ؛ فاصبر على هذا البلاء « فالحر يُظلم أحياناً فيَظّلم »

وقد زعموا — أيها الدزير — أنه كان رجل عِبَادِيٌّ بالحيرة البيضاء ، فلاقى ضحضاحاً من الماء لابد له أن يجوزه ويخوض فيه ، فاستعان الله وأقبل على الماء — وهو إلى الكعبين حسبُ — فلما دخله صاح : « الغريقَ ، الغريق ! » يستنجد أصحابه ، فتناولوه يسألونه : ما دعاك إلى هـذا وليس غرقٌ ؟ فقال : « أردت أن آخذ بالحزم »

وأنت — أيها الصديق — تأخذ بهذا الحزم ، فتهرول إلى « لسان العرب » ، و« أساس البلاغة » و« الألفاظ الكتابية » تحشد لي ما جاء فيها من مادة العربية في قولهم «زلزل» ولا تكتفي بهذا بل تسعى إلى « الأغاني » (طبعة بولاق !) تقلب أوراقه ، تستخرج تراجم المغنين وأصحاب الملاهي كاسماعيل بن جامع وإبراهيم ابن ميمون الموصلي — وغيرهما في دواوين العربية وأصولها — فتفلي ألفاظها وتجرى عينيك وراء أصبعك على حروف الكلمات عساك تقع على جملة يكون فيها « زلزل » وما يخرج منها وما يتداعى إليها ، ولا تكتفي أيضاً فتتناول من بين كتبك أحد فهارس القرآن الكريم — « وهو الحجة العليا في مثل هذه المشكلات » — كما قلت وإن لم تقل ، فتجد اللفظ في آيات بينات منه . فتجمع ذلك كله في مقالك — أو ردّك عليّ — حشداً بارعاً عظيماً تُضاهي به عمل « المستشرقين » الثقات الأثبات المتضلّعين المتقنين المجيدين ! الذين لا يدعون للحرف مكاناً إلا نبشوه وتقصوه ورموا بعضه فوق بعض «أخذاً بحزم المبادى...» الذي عرفت . وهو أسلوب فاسد عندنا لا يعول عليه في الحجة ، وإنما هو أسلوب ضروري حسن حين يراد منه المقارنة والتدبر لاستخراج المعاني من الألفاظ وبيان سرها من الحقيقة والمجاز ودقة التصوير للأغراض التي نصبت لها هذه الألفاظ

والنصوص التي جمعتها وحشدتها ورتبتها تختلف في حقائقها ومجازها في العربية ، وأنت لم تشرح حرفاً واحداً منها تبين عن وجه مجازه على العبارة التي وقع عليها ، ولو كنت فعلت ذلك أو أحسنته لطويتَ كل الذي نشرته عليّ وعلى القراء... تعلمني به ما غاب عني من « القرآن وهو في صدري، والتفسير والحديث واللغة وهي شواغلي » — كما تقول — وأنا لا أضن عليك ، أيها الصديق ، بما يجمل لحشدك هذا — الذي رُعتنا به حين قذفته علينا — قِراناً ونظاماً يسلك فيه ويمضي عليه ، ويَعرف به من لا يعرف سرّ البيان وكيف يكون مجازه على طريق اللسان العربي المبين !!

فأصل الحرف « زلزل » من « زلّ الشيء إذا زلق فتحرك فتدأدأ ، فر مراً سريعاً في ذهابه عن مستقره » . فلما ضعّفت

العرب الحرف، فقالوا: « زلزل وتزلزل »، ضاعفوا معنى هذه الحركة، فكان معناها الحركة الشديدة العظيمة والاضطراب والتزعزع، وتكرار هذه الحركة مرة بعد مرة، حتى كأن بعض الشيء يَزِلُّ عن مكانه، فينقض على بعض ويتساقط ويتقوض. وإذن، فشرط مجاز هذا الحرف أن يكون لشيء يتحرك حركة عظيمة شديدة، فالرجل يتزلزل، والأقدام والأيدى والرؤوس والقلوب وما إليها من أعضاء الإنسان المتحركة حركة ما، وكذلك الحيوان كالإبل جاء راعيها بها « يزلزلها » أى يسوقها سوقاً عنيفاً كأنها تزل معه مرة بعد مرة، والمكيل فى مكياله كالبر والشعير كل يتزلزل لأنه يحرك فيتحرك، والدار والأرض والدنيا كلها تتزلزل لأنها تتحرك أو يجوز عليها الحركة فيتهدم بعضها على بعض، والنفس كذلك لأنها تضطرب فى حيزوم المحتضر اضطراباً شديداً يتجلى فى الكرب الذى يلحقه والضيق الذى يأخذه، فينتزع الأنفاس، ويضطرب القلب بالنبض الشديد، ويزيغ البصر، وتتحرك اليد والرجل فى الحشرجة حركة كثيرة شديدة بتردُّد النفس فى نزاع الموت والحياة. ومع ذلك فأنا أدع أشياء كثيرة لا أتناولك منها أيها الصديق.

أما الأذن... فالإنسان من بين جميع الحيوان هو الذى لا يحرك أذنيه ألبتة، لا فى طرب ولا غضب، فما بالك وهى ليست بمجرد حركة، وإنما هى حركة شديدة مهدِّمة لأنها زلزلة. فإذا علمت ذلك وتلقَّيته وتدبرته وأحكمته ولم يأخذك العناد عليه عرفت أنه لا يمكن أن تقول « أذنى زلزلت » لأن الزلزلة تتطلب أصلها القرر وهو الحركة والانتقال والزَّلة بعد الزلة من مكان إلى مكان ولو على وجه المبالغة. فدع أذنك من آذان خلق الله الذين صوَّرهم فأحسن صورهم - إن شئت. وأنا لا أصنع فى كلامك هذا تعبا فألتمس لك الخطأ كما تزعم، ولكن انظر يا بشر كيف يتكلم الشعراء عن الآذان وعن الزلزلة؛ يقول بشار فى مغنية:

لعمرُ أبى زُوَّارِها الصِّيدِ، إنهم   لفى مَنظر منها وحسنِ متاعِ
« تُصلِّى لها آذانُنا » وعُيونُنا   إذا ما التقينا والقلوبُ دَوَاعِ
إذا قَلَّدَت أطرافَها العودَ « زلزلت   قلوباً » دَعاها للوساوِس داعِ
يروحون من تغريدها وحديثها   نَشاوَى، وما تسقيهم بصُواعِ
لَعوبٌ بألباب الرجال وإن دنت   أطيعَ التُّقى والنىُّ غير مُطاعِ

فانظر صلاة الآذان بالخشوع والإنصات والسجود للصوت، وتأمل زلزلة أوتار العود التى تزلزل القلب بوقعها وتوقيعها. وكيف أتم المعنى بذكر الوساوس وهى قلق واضطراب ... وأما أنت أيها العزيز

فلا تذهبْ بحِلْمِك طاميات   من الخُيلاء ليس لهن بابُ
فإنك سوف تَحلُمُ أو تَناهَى   إذا ما شبتَ أو شاب الغرابُ

محمد محمود شاكر



من لوازم الفن

لو أكلت الشجرة أثمارها !

[إلى الذين يريدون منى أن أكون مؤدبا]

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

— مالك مقطب الجبين ؟

— بعض الذين أحبهم ساخطون علىّ

— من طول لسانك . تعلم الصمت … دارِ الناس … تأدب تجدهم يحبونك …

— إذا فعلت كذلك كرهت نفسى

— عجباً ! ألا تحب نفسك إلا إذا كنت شتاما ؟

— لست أشتم أحداً ، ولكن أرى ، وأفهم ، وأصف . والله يعلم أنى لا أقصد من وراء ذلك شيئاً …

— هذا أنكى وأمر . فقد كنت أحسب أنك تقصد من وراء ذلك إصلاح الذين تذكر عيوبهم

— ربما كان ذلك يجول بخاطرى أحياناً . ولكن عندما تحتد بى الحكمة أشهد على نفسى بأنى عاجز عن هذا الإصلاح . فلهذا الكون إله يدبره ، وهو قد رضى عن ناس فهداهم ، وهو قد أضل ناساً لم يرض عنهم ، وقد أنبأ الله رسوله المحمد بأنه لن يهدى من أضل الله ، ومن أنا إلى جانب الرسول حتى أزعم أنى أهدى وأرشد ؟!

— إذن فما لك لا تسكت ؟

— لأن الله خلقنى ناطقاً ، فإذا لم أنطق عطلت رغبة من رغبات إلهى ، وأعدمت بيدى مبرر وجودى ، وكنت بعد ذلك جديراً بالفناء ، فليس لى فى هذه الدنيا عمل إلا أن أقول …

— تستطيع أن تعمل شيئاً غير ذلك … ألست إنساناً عاقلاً ؟ إنك تزعم أنك عاقل ، وإنى أرى أكثر اهتمامك متجهاً إلى التأمل فى الناس ودراسة نفوسهم ، ولا أكتمك إعجابى بكثير من دراساتك هذى ، فلماذا لا تستغل قدرتك هــذه على الإلمام بالناس ونفوسهم ، فى السيطرة عليهم واستغلالهم ؟ … لماذا تصدمنى بذكر عيوبى مجسدة مكبرة مهولة ، وأنت تستطيع أن تسيطر على وأن تعبث بعقلى ما دمت تعرف مواطن الضعف فيه … ؟

— هذا الذى تطلبينه يصنعه التاجر ، ويصنعه رجل السلك السياسى ، ويصنعه الجاسوس ، وتصنعه المرأة ؛ ولكن لا يصنعه الكاتب ، ولا الرسام ، ولا الشاعر … ألم تقرئى تاريخ المتنبى ؟ أو لم تقرئى شعره ؟ هل رأيت فى الناس من هو أحكم منه ، ومن هو أشد خبرة بالنفوس منه ؟ ألا تظنين أن المتنبى كان يستطيع العبث بكل ملك من أولئك الملوك الذين قربوه وفضلوه على غيره من المقربين ؟ ألا تظنين أنه كان يستطيع أن يبيع سيف الدولة وأن يشترى الإخشيدى ؟ إنه كان من غير شك يستطيع ، فلماذا لم يفعل ؟ !

— لأنه كان سخيفاً ؟

— قولى إنه كان سخيفاً فى هذه ، وقولى إنه كان مجنوناً ، ولكننى أقول إنه كان أميناً

— أميناً لمن ؟ ما كان أميناً لنفسه ، فلو كان كذلك لأفاد نفسه ، وما كان أميناً لسادته أو أصحابه ، فلو كان كذلك لما سبهم وذكر عيوبهم …

— كان المتنبى أميناً لك أنت ، وكان أميناً لى أنا ، وكان أميناً لكل الذين عاشوا بعده وقرأوا شعره ، فقد كشف لنا المتنبى عن حقيقة ربما كنا سنظل نجهلها لو لم يقفنا عليها ، ولكنه صرح بها ، وذكرها وقال لنا : يا خلق الله لا تشتروا العبد إلا والعصا معه ، إن العبيد لأنجاس مناكيد …

— أو لم يكن المتنبى يعرف أن العبيد أنجاس مناكيد قبل أن تضطره الظروف إلى أن يقول هذا ؟

— صدق أنى أكره فى المتنبى احتماله الطويل لكافور قبل أن يصفه هذا الوصف ، وصدق أنى لا أغفر هذا الاحتمال للمتنبى إلا بهــذه الثورة التى نارها على كافور آخر الأمر ، وصدق أنى لو كنت مكان المتنبى ما كنت تقربت من كافور ولا من غيره ، لأنى

رأيت أصحاب السلطان يمتزون بسلطانهم ، كما يمتز أصحاب المال بأموالهم ، وكما يمتز أصحاب الفكر بأفكارهم ، ولا يمكن أن يماشر معتزٌ معتزاً إلا إذا كان أساس العلاقة بينهما استغناء كل منهما عن الآخر ، وكان المتنبي يستطيع أن يستغني كما استغنى أبو العلاء ، ولكن أطماعه ثقلت على نفسه فسوأت بعض تاريخه ، وإن كانت أطماعه هذه هانت عليه أحياناً عند ما استعصت فانقلب عليها مستهجناً ولكن كما يغضب الطفل على مشتهاه إن قصرت عنه يداه

— فالمتنبي عندك رجل سوء

— لا . ولا يمكن أن يكون كذلك . فالرجل الذي يغاضب أصحاب السلطة حين يشعر أن كرامته مست لا يمكن أن يكون رجل سوء . وإنما رجل السوء الذي تمس كرامته كل يوم فيرضى ، والذي تهون عليه الإساءة بما يأ كل من السمن والعسل . . . هبي المتنبي احتمل سيف الدولة ، وطأطأ الرأس لغضبه ، وهبيه لان لكافور واستمسك بمشرته وتملق بنعمائه . . . أفما كان يستلزم منه هذا أن يسكت عن الإفاضة بما يشعر به من وخز الألم ، أو أن يفيض بالذى لا يشعر به من الراحة والسعادة ؟ وهبيه قد فعل هذا ... أفما كنا نخسر هذه الثروة الفنية التى خلفها لنا غضبه والتى بعثها ثورته ؟ ثم ألم يكن المتنبي مضطراً فى المجاملة أن يقول شعراً كذباً ككل شعر كذب قيل فى عصره فمات ولم يخلد غير شعر المتنبي ... ؟

— ولكن المتنبي قال شعراً كذباً

— أى شعر هذا الكذب الذى قاله ؟

— مدحه الأول لكافور ... أفكان كافور يستحق أن يمدحه شاعر كالمتنبي ... ؟

— ولم لا ؟ ألم يمدح الشعراء الحيوانات ؟ كافور رجل أحسن الظن بالمتنبي فى البدء ، وأحسن على هذا استقباله ، وأحسن بعد هذا تكريمه ، وكل هذا جدير بأن يبث فى نفس الشاعر الراحة وهذه الراحة تبعث فى نفسه حب جالبها ، وهـذا الحب يبعث المدح ... على أنك إذا قرأت مدح المتنبي لكافور رأيت فيه تحوطاً ملحوظاً ، ورأيت المتنبي يقول وكأنه يحس أن مدحه أ كبر من ممدوحه ، ويكفيك هذا ـ فيما أظن ـ تصويراً صادقاً لإحساس هذا الفنان الذى رأى رجلاً هو يعرف النقص فيه ومع هذا فهو يحبه لتكريمه إياه ...

— إذن فالمسألة تدخل فيها الاعتبارات وليست مجردة منها ، والمتنبي كان يحب الذين يعطونه لا الذين يستحقون حب الإنسانية الخالصة ...

— هذا عيب كان فى المتنبى ، وأنت تلحظين هذا العيب وتذكرينه ، وأنا أوافقك على ذكره وأعده من مساوئ المتنبى لا من حسناته ، وأزيد على ذلك فأقول لك إن هذا العيب هو الذى قضي على حياة المتنبي بعد أن قضى على كرامته أيضاً ، فأنت تذكرين أنه هوجم فى الطريق فأراد أن يهرب ، ولكن غلامه ذكره بكلام له ينسب لنفسه فيه الشجاعة ، فارتد ونازل مهاجمه حتى لاقى حتفه ... فلو لم يكن المتنبى يتهاون فى الحق أحياناً لما فخر بشجاعته وهو يعلم أنه غير شجاع ، ولو كان قد أظهر نفسه على حقيقتها فى شعره لما اضطر إلى أن يقف فى آخر ساعة من ساعات حياته هذا الموقف المضطرب الذى مات فيه .. إن المتنبى لم ينته هذه النهاية إلا لأنه اضطرب بين فنه وأطماعه ... بين بيت الشعر الذى يفخر فيه بشجاعته وبين حبه للنجاة ورغبته فى مواصلة التجوال بين أرباب العروش ...

— فإذا كنت أنت فى موقفه فماذا كنت تصنع ؟

— أما أنا فإنى لا أفخر إلا بالذى أتحلى به من الفضائل إن كانت فىّ فضائل ، وإنى لا أذكرها على سبيل الفخر ، وإنما أسردها سرداً كما أسرد كل ما فىّ من العيوب ، ولعلك تقرين بأني أ كثر من رأيتِ من الناس إظهاراً لعيوبهم ، وهذا من غير شك هو انتقام الطبيعة التى سلطتنى على عيوب الناس ومحامدهم أذكرها وأرددها ، فأنا مع نفسى مثلما أنا مع الناس ، وما دمت غير شجاع فلا يمكنى أن أقول إنى شجاع ومقاتل ، وهذا هو الذى كان يمكننى من الهرب عند هجوم العدو لو أنى كنت المتنبى ...

— وما الذى يمنعك ما دمت تعترف بأن لك عيوباً من إصلاح هذه العيوب ؟

— لا شيء . ولاريب أن من ذكر عيوبه كان هذا دليلاً منه على نية إصلاحها ، وهو من غير شك ينصلح قليلاً قليلاً ، ويتخلص من نواحى الضعف فيه شيئاً فشيئاً ، ومهما يكن فإن الصدق الذى يميزه ليس شيئاً هيناً ...

— أنا لا أوافق على أن يكون هذا الصدق مبرراً يستبقى

الإنسان به عيوبه ، ويفضح به عيوب الناس . إن هذا صدق قبيح يجب أن يزول ...

— أما أنه قبيح فإنه قد يكون قبيحاً ... ولكن هذا لا يعنيني ولا يمنيه ، ولا يحط من قدره ، فليس يعيب الصبر أنه مر ، ولا يعيب الليمون أنه حامض ، وإنما الصبر المعيب هو الذى فقد مرارته ، والليمون المعيب هو الذى عطب فذهبت حوضته ...

— يا لباقتك ! أما تستطيع أن تحبس هذه اللباقة لنفسك وأن تنتفع بها ... ؟

— يا أنانيتك ! أى زهرة فى الدنيا تحبس أريجها عن الحياة ؟ إنها لا تستطيع ذلك لأنها وُجدت للوجود لا لنفسها ... إن الكون ينادى فى الخلائق ما منحها ... الثمرة تنضج فتقفز من غصنها إلى الأرض إذا لم تقطفها يد ، وأنت تريدين منى أن تنضج الفكرة فى رأسها وأن أزدردها لنفسى ؟ كنت أستطيع هذا لو أكلت الشجرة أثمارها ! ...

— إذن فأنت تطلب من يأكلك ...

— الذى يأكلنى هو الذى يسممنى ...

— وقد يمقتك من يسمك فيقتلك ...

— فلتكن إرادة الله ، ولست أجهل أن الله خلق من يأكل ومن يؤكل ، ومن يَقتل ومن يُقتل ، وكم مات أصحاب الفكر فى إيمانهم

— ستمود فتكسو نفسك بطولة لست أنت أهلها ، وأنت وقعت الآن فيما عبت على المتنبي الوقوع فيه ...

— لا يا هذه ، إنى لم أقل إنى مقاتل مغوار ، وإنما قلت إنى مؤمن بالله وقضائه ، وإنى لازم رأيى ، وإن لله قضاءه . . . وأما المقاومة ، وأما هذه الشجاعة البدنية فإنى أعجز الناس عنها ... إنما أنا كالجرذ أعرف أن لى فى الحياة حقا آخذه ، وأحاول أن آخذ هذا الحق ، ولا يعنينى من هذا علمى بأن فى الدنيا قططاً وسنانير هى أقوى منى . ولست أفكر إن لاقيت القط أن أقاومه لأنه لا جرذ يقاوم قطا ، وإنما هو يحاول الهرب إذا كان للهرب سبيل ، أما إذا فاجأه القط استسلم له ، وربما هفا إليه ... تلك هى الطبيعة ، والكائنات — كما قلت لك — تتنادى و « تتهاتف » ويفنى بعضها فى بعض ولا يبقى غير وجه الله الكريم . والكائنات تطاوع هذا القانون ولا تتكبر عليه ، وحق الإنسان أن يكون انصياعه له أكثر وأظهر من انصياع غيره مما لم يميزه الله بنعمة العقل ، ولعلك ترين أن أهل الفن وحدهم والصالحين هم الذين يستسلمون لهذا القانون وأن غيرهم من الناس ينتكسون بعقولهم على أنفسهم ، ويلحظون فى حياتهم من الاعتبارات ما لا تقيم له الطبيعة وزناً ... مثلما فعل المتنبي ...

— وهلا تريد أن تحسب المتنبى بين الفنانين ؟ ... هذا الشاعر المجيد الخالد ؟

— إنه فنان من غير شك ، ولكنه — غفر الله له — كان يتذبذب كما قلت لك بين الفن وبين أطماعه فى الدنيا ، وكان يستطيع أن ينقى من هذا ، وأن يصقل فى نفسه كبرياءه بأن يحرم عليها الترجى فى الخلق دون الله ، ولكنه ضعف أمام بهارج الدنيا فاختل ...

— كيف تقول إنه اختل ، مع أنك قلت إنه كان حكيما أو كما قلت أحكم الناس ؟

— كان حكيما لأنه كان يراقب الناس ، وكان إذا راقب تيقظ عقله ووقف على الحق والباطل من أمثالهم وأقوالهم ، وكان مختلاً لأنه لم يكن يراقب نفسه ، بل إنه لم يكن يعرف فيم يعيش ، فهو يقول عن نفسه : إنه عاقل ، وإنه ذكى ، وإنه عالم ، وإنه حساس وإنه فصيح ، وإنه أهل لكل جاه وكل سلطان ؛ ثم لا يفعل شيئاً أكثر من أن يسأل الناس أن يعطوه ، فإذا أعطوه فهم فضلاء ، وإذا لم يعطوه فهم أهل لهجائه ... وليس بعد هذا خلل وليس بعده اضطراب .

— وماذا كنت تحسبه يستطيع أن يفعل ، والحكمة لا سوق لها ولا ربح وراءها ؟

— كان يستطيع أن يرتزق من صناعة أو من عمل ، وإلا فكان يستطيع أن يصبر على فاقة الحكمة ... وأن يسمد بنعمائها

عزيز أحمد فهمى



أرقام تتحــــدث
وتنبئنا عن أسرار الكون

للدكتور محمد محمود غالى

آنية « بيران » وجوها العجيب — رقصة الكرات فى الآنية — نظام توزيعها — أمثلة عملية من هذا التوزيع — فى زرقة السماء دليل على مقدار الذرة — عند ما نطالع هذه السطور تسيطر علينا الفوتونات

استغرقت تجارب « بيران » مقالين ولم نتمها بعد ، وفى هذه الأسطر نحاول أن ننتهى من أسطورته الخالدة ، لهـذا نترك المقدمات لنتكلم على صميم عمله التجريبي

فى آنية صغيرة بها سائل يبلغ ما يعنينا فيها من ارتفاع $\frac{١}{١٠}$ الليمتر أجريت كل تجارب « بيران » الذى ترك فيها عدداً كبيراً من الكرات الصمغية الصغيرة التى يبلغ قطرها كسراً من الميكرون (الميكرون $\frac{١}{١٠٠٠}$ من الليمتر) ، ودرس هذا العالم النظام الذى تتوزع بمقتضاه هذه الكريات فى السائل ، وكان عليه أن يرى بعد فترة من الزمن ، تتنازع خلالها هذه الجسيمات عوامل مختلفة[١] ، هل كان ينتج من ذلك توزيع شبيه بتوزيع الذرات الغازية ، وقد وجد « بيران » بالفعل هذا النوع من التوزيع الذى يتبع متوالية هندسية[٢] ، وللقارئ نورد مثالاً للحالة التى توزعت بها كرات صمغيه Gomme Gutte من التى نصف قطرها ٢١٢ر٠ من الميكرون كما لاحظها « بيران »

(١) من هذه العوامل الأرض تجذب الجسيمات إلى قاع الآنية والحركة البراونية الناتجة من حركة جزيئات السائل تدفع بالجسيمات في كل اتجاه

(٢) المتوالية الهندسية هي سلسلة من الأعداد فى ترتيب معين ، بحيث أن أى عدد منها يساوى العدد السابق مضروبا فى عدد ثابت يسمى الأساس مثال ذلك ٢ ، ٤ ، ٨ ، ١٦ ، ٣٢ ، ٦٤ الخ حيث العدد ٢ هو أساس المتوالية المتقدمة

نسبة عدد الجسيمات	الارتفاع الموجودة عنده الجسيمات محسوبا من قاع الاناء ومقدراً بالميكرون (الميكرون $\frac{١}{١٠٠٠}$ من الليمتر)
١٠٠	٥
٤٧	٣٥
٢٢٫٦	٦٥
١٢	٩٥

ويلاحظ أنه بينما اختار « بيران » الارتفاعات المذكورة وهى : ٥ ، ٣٥ ، ٦٥ ، ٩٥ التى هى متوالية عددية[١] فإن الجسيمات تبعت فى أعدادها ومن تلقاء نفسها الأعداد ١٠٠ ، ٤٧ ، ٦ر٢٢ ، ١٢ التى هى متوالية هندسية إذ يلاحظ أن هذه الأعداد تتساوى تقريباً مع الأعداد ١٠٠ ، ٤٨ ، ٢٣ ، ١ر١١ التى تكون متوالية هندسية مضبوطة

وفى المثال الآتى يرى القارئ كيف توزعت كرات أخرى grains de mastic أكبر من الأولى ويبلغ قطرها ٥٢ر٠ من الميكرون أى حوالى $\frac{١}{٢٠٠٠}$ من الليمتر ، وقد أمكن عد هـذه الجسيمات بطريقة فوتوغرافية بتصويرها فى أربعة مستويات يرتفع الواحد منها عن الآخر بمقدار ٦ ميكرون أى $\frac{٦}{١٠٠٠}$ من الليمتر وقد وجد « بيران » أن عدد الجسيمات عند هذه المستويات الأربعة كالآتى :

١٨٨٠ ، ٩٤٠ ، ٥٣٠ ، ٣٠٥

ويرى القارئ أنها مقادير قريبة جداً من الأعداد :

١٨٨٠ ، ٩٤٥ ، ٥٢٨ ، ٢٨٠

التى تكون متوالية هندسية .

هذا توافق واضح فى الأعداد ، ولكن هل أدى هذا إلى أن يصل « بيران » إلى عدد « أفوجادرو » الذى ينتظره فعرف عدد ما فى الوزن الجزيئى من الذرات ؟ هذا ما نتناوله الآن فنبحث ما تدل عليه الأرقام فى المثال الأخير : عند ما نرتفع بين طبقات الإناء مسافة قدرها $\frac{٦}{١٠٠٠}$ من الليمتر نلاحظ أن عدد الجسيمات

(١) المتوالية العددية هى سلسلة من الأعداد فى ترتيب معين بحيث أن أى عدد منها يساوى العدد السابق مضافا إليه عدد ثابت ، وهو يساوى ٣٠ فى المتوالية المذكورة

ينخفض إلى النصف ، على أننا نعلم من تجارب أخرى فى الضغط الجوى أنه لكى نحصل على مثل هذا الانخفاض فى عدد الذرات الهوائية يجب أن نرتفع فى طبقات الجو إلى ارتفاع ستة كيلو مترات أى إلى مسافة تبلغ الألف مليون (مليار) مرة قدر الارتفاع السابق ، وعلى ذلك فإن وزن جزىء من الهواء يبلغ الواحد على ألف من المليون من وزن إحدى الحبيبات الصمغية المشار إليها[1] ولو أن الغاز الذى نعتبره هو غاز الهيدروجين ، فإنه من الممكن بنفس الطريقة الحصول على وزن ذرة الهيدروجين من وزن الجسيم السابق ، وهكذا توصل « بيران » من التجربة السابقة ومن أمثالها إلى معرفة وزن ذرة الهيدروجين ، وكان عليه أن يتساءل بعد ذلك هل كان هذا الوزن لذرة الهيدروجين يتفق مع الرقم ذاته الذى أمكن العلماء الحصول عليه من باب آخر يختلف فى موضوعه عن تجارب « بيران » ، وهذا ما حدث بالذات عند ما قارن هذا العالم وزن الذرة الذى توصل إليه بوزنها الذى عرفه العلماء من النظرية السينيتيكية

***

وندع للقارىء أن يقدر مبلغ ما كان لهذا من الأثر العميق على نفسه، عند ذلك أراد أن يستوثق العالم من صحة ما وصل إليه فعمد إلى تغيير ظروف التجربة بإبدال الحبيبات حتى جعل حجم بعضها يبلغ الخمسين مرة حجم الأخرى ، ولم يكتف بذلك بل غَيَّر طبيعة[2] هذه الجسيمات ، ثم عمد إلى تغيير السائل[3] ذاته بما يجعل ميوعته تبلغ ١٢٥ مرة ميوعة السائل الأول ، ولم يفت هذا الباحث الكبير تغيير كثافة المواد المستعملة التى كانت طوراً أضعاف كثافة السائل وتارة أقل من كثافته ، إذ تعمل الأرض فى الحالة الأخيرة على صعود الكرات بدل سقوطها ، بعد ذلك غير حرارة[4] السائل من درجة (— ٩) إلى درجة (٦٠) مئوية ، ومع كل ذلك وجد « بيران » ومدرسته طوال

(١) ذكرنا فى المقالين السابقين العلائق الرياضية التى تؤدى إلى هذه النتيجة

(٢) لقد ساعد « دابرسكى » ، « بيران » فى هذه التجارب الخاصة بتغيير طبيعة الكرة

(٣) كان نايلز بجيرام ممن ساعدوا « بيران » فى التجارب الخاصة بتغيير السائل

(٤) وكان الباحث بريا Bruhat وهو الآن العالم المعروف بأبحاثه ومؤلفاته العديدة، دور هام فى مساعدة « بيران » على القيام بهذه التجارب

هذه الحالات المختلفة القوانين ذاتها والأقدار الذرية ذاتها ، وكان ذلك بلا ريب فوزاً علمياً كبيراً يذكره له التاريخ

تلك كانت السبيل عند « بيران » Jean Perrin ليتعرف على قدر الذرة من دراسة توزيع رأسى لجسيمات صلبة دخلت فى الماء أو فى أى سائل ، وشاء لها القدر أن تتجاذبها جزيئات السائل فتنتج بفعل ذلك ، وفعل جاذبية الأرض التوزيع الذى ذكرناه ، ونجتزىء الحديث ، فلا نشرح للقارىء من عمل « بيران » الجزء الخاص بالحركة البراونية بالذات ، فقد عين أيضاً عدد أفوجادرو ، كما عين شحنة الألكترون من دراسة دقيقة قام بها على مسارات الجسيمات كل على حدة داخل السائل ، ويكفى أن نذكر أنه بدراسة مستفيضة على الحركة البراونية ذاتها وبتطبيق لقوانين أينشتاين الخاصة بها تمكن من طريق جديد للوصول إلى هذه الأقدار الذرية والألكترونية[1] .



شكل (١)
كيف تتوزع جسيمات صلبة صغيرة من تلقاء ذاتها داخل سائل موضوع على منضدة ثابتة (من تجارب « بيران »)

ولا يمكن فى عجالة كالتى نحاولها أن نعطى للقارىء صورة دقيقة لما قام به أينشتاين[2] فى سنة ١٩٠٥ من الناحية النظرية وما قام به بيران فى سنة ١٩٠٨[3] من الناحية العملية فى هذا الصدد ، وكل ما يعنى القارىء أن يعرفه هو أن الأول قد استطاع

(١) يجد القارىء شرحاً وافياً لهذه القوانين فى الفصل السابع لكتاب الأتوم لجان بيران ص ٢٣٣ الطابع ألسكان باريس

(٢) المجموعة الطبيعية Ann. d. Phys الجزء ١٧ ص ٥٤٩ سنة ١٩٠٥ والجزء ١٩ ص ٣٧١ سنة ١٩٠٦ والجزء ٢٢ ص ٥٦٩ سنة ١٩٠٧

(٣) محاضر المجمع العلمى الفرنسى Comptes rendus ص ٩٦٧ سنة ١٩٠٨ ، ص ٤٧٥ ، ٥٣٠ ، ٥٩٤ سنة ١٩١١

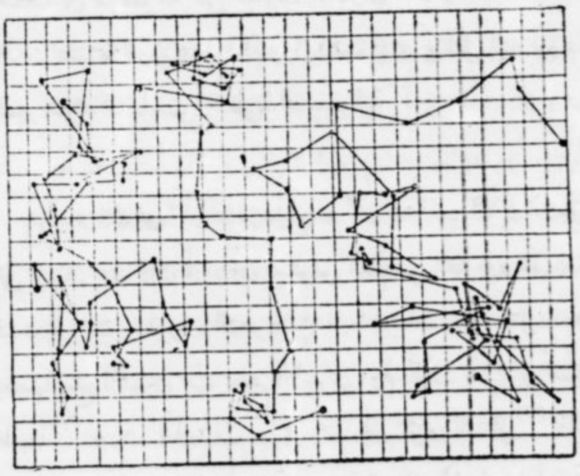
الحصول على علاقة يمكن أن نعرف منها عدد أفوجادرو إذا عرفنا المسافة المتوسطة التى يقطعها جسيم يتحرك تحت تأثير صدمات جزيئات السائل ، وعرفنا طول الزمن المتوسط الذى يستغرقه الجسيم فى قطع تلك المسافة المتوسطة ، أما الثانى فقد توصل من متابعة رصد الجسيمات إلى تعيين عدد أفوجادرو فوجد بهذه الطريقة أنه ($٢ر٦٨ \times ١٠^{٢٢}$)، ومن ثم وجد وسيلة فى الواقع لإثبات صحة قانون أينشتاين ، ولقد كان من السهل بدراسة توزيع وحركة جسيمات مكهربة الوصول إلى معرفة شحنة الألكترون ، وهذا ما قام به أيضاً الباحث الشاب فى ذلك الوقت من سنة ١٩٠٨ الدوق « موريس دى بروى » maurice de Broglie[١] الذى يعتبر الآن من أكبر علماء الأكاديمية الفرنسية عندما درس وتتبع بالميكرسكوب كرات من الدخان أو الأتربة المعدنية المكهربة

* * *

أن يتحرك جسيم صلب موجود فى سائل فى إناء على منضدة ثابتة حركة تصادفية هى الحركة البراونية المعروفة التى كشفها « براون » وعرف العلماء أنها ناشئة عن تحرك جزيئات السائل، وأن يتخبط هذا الجسيم بين هذه الجزيئات تتقاذفه ذات اليمين وذات الشمال دون أن يكون ثمة قانون ينتظم كلا من هذه الصدمات، وأن يكون هناك من هذا التخبط الأعمى ومن جاذبية الأرض توزيع خاص شبيه بتوزيع الذرات الغازية فى اتجاه رأسى وأن يكون من حساب التوزيع فى الحالين سبيل لمعرفة قدر الجسيم الحائر بين بلايين جزيئات السائل وسبيل لمعرفة قدر الذرة بل قدر الألكترون. فإن ذلك كله لأمر له خطره وموضوع يقف بذاته دليلاً على صحة هذه الأقدار الغريبة عن مداركنا البعيدة عن حواسنا ، ولكن هذا التعيين يتركنا فى نوع من الشك فيما وصلنا إليه من نتائج إذا ظلت الطريقة المتقدمة هى الطريقة الوحيدة لمعرفة هذه الأقدار . أما أن نصل إلى معرفتها بطريقة أخرى كطريقة مليكان التى شرحناها فى مقالات سابقة[٢] فإن هذا الاتفاق فى النتائج بطريقتين لا تمت إحداهما بصلة إلى الأخرى ليقوم دليلاً قاطعاً على حقيقة وجود الذرات والألكترونات وبرهاناً ساطعاً على صحة أقدارها ، ولقد حدث هذا الاتفاق فى النتائج بين أعمال « بيران » وأعمال « مليكان » على وجه يبعث على الاطمئنان

وعندظنى أن كليهما ازدادت ثقته بعمله عند ما طالع نشرات الآخر ، وثبت فى يقينه أن هذا الذى توصل إليه يمثل بلا أدنى ريب حقيقة فى الكون، وزادت بينته بأن عمله الفردى يبعد جد البعد عن أن يكون وليد المصادفة التى لا تمت لقوانين العالم فى شىء

ومع ذلك فثمة ظواهر أخرى عديدة دلت هى أيضاً وبطريقة تختلف عن طريقتى « بيران » و « مليكان » على قدر الذرة وقدر الألكترون ، وعلى أن المادة هى المادة كما عرفها بيران وكما فهمها مليكان .



شكل (٢)

مثال من مسار ثلاثة من هذه الجسيمات الصلبة داخل السائل وهى الجسيمات الحائرة تحت الصدمات المستمرة الجزيئات (من تجارب « بيران »)

على أننا نذكر بعض هذه الظواهر الأخرى التي توصل بها علماء عديدون إلى كشف الذرة والألكترون ، وإلى تعيين أقدارها ، ففى دراسة لون السماء أو ميوعة الغازات أو نظام انتشار

---

(١) محاضر المجمع العلمى الفرنسى Comptes rendus ص ٦٢٤ ، ص ١٠١٠ سنة ١٩٠٨

(٢) أمكن لهذا العالم أن يقيس ما يحدث من تغيير فى سرعة جسيمات زيتية تركها تهبط تحت تأثير الأرض وتصعد تحت تأثير المجال الكهربائى بين كفتى مكثف ، وقد أثبت أن التغيير فى سرعة صعودها ناشئ مما تحمله الجسيمات من الكترونات حرة تعلق بها، بحيث أنه بمعرفة المجال الكهربائى ومن حساب سرعة الجسيمات تمكن من أن يصل إلى معرفة شحنة = الألكترون ويثق بوجوده كوحدة في الوجود ، وقد شرحنا أعمال «مليكان» فى ثلاث مقالات بالرسالة : الأولى «أندروز مليكان» والألكترون العدد ٣٢٦ ص ١٩١٠ — ١٩١٣ — ٢ أكتوبر سنة ١٩٣٩ والثانية والثالثة بعنوان أرقام تتحدث وتنبئنا عن قصة الألكترون فى العدد ٣٣٥ ص ٢٢٤٠ — ٢٢٤٢ بتاريخ ٤ ديسمبر سنة ١٩٣٩ والعدد ٣٣٦ ص ٢٢٧٥ — ٢٢٧٨ فى ١١ ديسمبر سنة ١٩٣٩

الضوء فى الأرجون[1] ، بل فى تتبع طيف ما يسميه الطبيعيون بالجسم الأسود أو فى تكوين الهيليوم من العناصر المشعة، فى دراسة هذه الظواهر الخمسة ، المختلفة نشأة ، المتباينة طريقة ، وجد الباحثون كل بدوره سبيلاً آخر لتعيين عدد أفوجادرو[2] هذا العدد الذى يبلغ فى تجارب عديدة ٦٨×١٠^٢٢ وبالتالى وصل الباحثون إلى معرفة قدر الذرة وقدر الألكترون .

هذه أرقام تتحدث وفى حديثها الشائق دليل على وجود هذا العدد للذرات فى حجم معين ودليل على قدرها وقدر الألكترون بالدرجة التى قررها الباحثون

أجل . أن تكون السماء زرقاء صافية هذه الزرقة التى نراها والتى تعودتها العيون ، وأن يكون للغازات ميوعة تدل عليها النظرية السينيتيكية التى أشرنا إليها وأن ينتشر الضوء فى الأرجون بنظام خاص ، وأن يكون لطيف الجسم الأسود دلالة معينة ، وأن يكون للأجسام المشعة نظام فى إشعاعها فإن هذه مظاهر مختلفة ومرئيات متباينة ، ولكنها تدل جميعها على وجود الذرات بالحجم والوزن اللذين لها ، وتدل على عدد ما يوجد منها فى الغازات فى الحجم الواحد وتدل أيضاً على ما للألكترون من كيان

هذا الاتفاق فى النتائج وفى الرقم السابق الذى يتعدى كل خيال يحمل الإنسان المفكر على أن ينتهى إلى نتيجة حتمية هى أن ما عرفناه عن الذرة وعن وليدها الألكترون أمر لا شك فيه

(١) الأرجون L'argon أحد الغازات الموجودة فى الهواء، وقد كشفه لأول مرة العالمان الانجليزيان اللورد راليه Lord Reyleigh ورامزى Ramsay ، ولقد كان كشفه نتيجة لمقارنة قام بها هذان العالمان فى سنة ١٨٩٣ لكثافة غاز الآزوت عندما يستخرج من الهواء أو عندما يحصل عليه من مواد أزوتية أخرى .

(٢) سبق أن أشرنا أن هذا العدد هو ما فى الوزن الجزيئى Molcule Gramme من ذرات أى عدد الذرات الموجودة فى ٢٢٫٤ لتراً من أى غاز وهو عدد ثابت ، ولقد كانت النتائج الخاصة بهذا العدد كالآتى :

٦٥×١٠^٢٢ بطريقة دراسة زرقة السماء

٦٢×١٠^٢٢ بطريقة ميوعة السوائل

٦٩×١٠^٢٢ بطريقة انتشار الضوء فى الأرجون

٦١×١٠^٢٢ بطريقة طيف الجسم الأسود

٦٦×١٠^٢٢ بطريقة تكون الهيليوم

ويلاحظ أن « بيران » وجد أن عدد « أفوجادرو » يساوى ٦٨×١٠^٢٢ بطريقة دراسة نظام توزيع الجسيمات الرأسى فى السوائل ، ٦٦×١٠^٢٢ بدراسة الحركة البراونية

ولا نستعرض هنا هذه الموضوعات كلا على حدة ، فالقارئ الذى يعرف منذ حداثته أن السماء زرقاء وليست بخضراء ، وأنها زرقاء هذه الزرقة المعينة أود أن يعرف أن لذلك علاقة بقدر الذرة وأن ثمة سبباً فى هذه الزرقة عند الإنسان المفكر يتوسل بها إلى النتائج ذاتها التى وصل إليها أمثال « مليكان » و « بيران » . إنما نقصد أن ندفع بالقارئ إلى إيمان على بهذه الحقائق التى نود أن تحل عنده محل الإعجاب والاحترام

إلى هنا انتهينا من قصة الذرات وأسطورة الألكترونات وهى مكونات المادة التى منها توجد وعليها نعيش وإليها نعود ، وليس الألكترون بالساكن الوحيد فى هذا الكون فثمة كائنات أخرى تختلف عنه ، ودورها فى الخليقة يختلف عن دوره ، وإذا كنت عند ما تستمع إلى الإذاعة بواسطة المذياع (الراديو) أو عند ما تحادث فى المسرة (التليفون) صديقاً لك قد استخدمت الألكترون واسطة جدية للاستماع أو التكلم، فكذلك لا يفوتك وأنت تطالع هذه السطور أن تفكر فى أنك رأيتها قبل أن تطالعها ولا تنس أنه لكى تراها لا بد أن تكون هناك مُكوِّنات أخرى فى الكون تنقلت فى طريق بصرك ووصلت إلى العين ، وهى التى بوجودها وما اعتراها من حركة استطعت أن ترى هذه الأسطر وتقرأها ، فاتصل تفكيرك بتفكيرى ومجهودك بمجهودى ؛ وثمة موجودات هامة لعبت دوراً خطيراً ، وبلغت العين ، ومن العين إلى الرأس وعاونتك فى مطالعة هذا الحديث مطالعة يستطيعها كل من وُهب هذه العيون

هذا الشعاع الضوئى ، هذا الذى يقررون أنه مركب من فوتونات Photons كما يقال عن الكهرباء إنها مكونة من الكترونات هو بدوره مكوِّن هام من مكونات الكون ، هذا الفوتون الذى يسافر من الشمس إليك فى ثمان دقائق ، نريد أن نحدثك عنه وعن غيره من المكونات، حتى لا نكون قد وصفنا قصراً عظيماً له حديقة هى مثار الأحاديث ، ولكن فاتنا عند وصفنا إياه أن نذكر أن للقصر حديقة

هذه المكونات الأخرى سنعمد أن يكون لنا مع القارئ حديث عنها أو اثنان قبل أن نتناول موضوعات النسبية والكم Quanta والتفتت ، وهى الموضوعات الرئيسية الثلاثة التى نقصد من ورائها أن يكون لدى القارئ أقرب صورة للكون وأن يعرف أحدث الآراء عنه

محمد محمود غالى
دكتوراه الدولة فى العلوم الطبيعية من (السوربون)
ليسانس العلوم التعليمية . ليسانس العلوم الحرة . دبلوم المهندسخانة



من أدباء الجيـــل !

للأستاذ محمد سعيد العريان

كانت أشـعة المصباح ذابلةً صفراء ترتعش لكل نسمة تهب ؛ وكان الجو عاصفاً ، والمطر يلطم زجاجَ النافذة فينفذ رشاشُه من فروجها ، ويسيل قطراتٍ على الجدار ؛ وفى زاوية من الغرفة كان الفتى النحيل جالساً إلى نضد صغير يكتب ...

منذ ساعات ، والفتى فى مجلسه ذاك يستنزل الوحىَ ويؤلف أشتاتَ المعانى ، لا يكاد يحس شيئاً حوله ، والناس نيام ! يجب أن يفرغ من إعداد هـذه الخطبة التى يكتبها قبل الصباح ؛ إن هنالك من ينتظر ....

ودقت الساعة اثنتى عشرة دقة ، فرفع الفتى رأسه عن أوراقه ووضع القلم وفى عينيه أثر الجهد والإعياء ... وارتفق بذراعه على النضد الذى يتخذه خواناً بالنهار ومكتباً بالليل ، فسمع له مثل صرير الباب تضربه الريح ... ودار بعينيه فى الغرفة التى تضم كلَّ ما يملك من متاع ، ينقل بصره بين البذلة المعلَّقة بالشجب ، والطربوش الملقى على الوسادة ، والفراشِ المشعَّث منذ غادره فى الصباح الباكر ؛ ثم زفر زفرة ... وخرجت من بين الكتب المركومة إلى جانب الحائط دُوَيبَّةٌ صغيرة تلتمس طريقها إلى الباب فى تثاقل وبطء ... وارتمى إليها نظرُ الفتى ، فابتسم ... ثم قلب شفته فى رثاء : « آه ، حتى أنتِ يا مسكينة ... تسهرين الليل مثلى فى البحث عن القوت ! »

ثم عاد إلى مكتبه وأوراقه ...

***

وفرغ الفتى من عمله ، فأشعل آخر دخينة فى علبته ... ثم أخذ يقرأ لنفسه ما كتب ...

وأشرق وجهه راضياً ، كأنما مسحت على آلامه يدٌ رحيمة ؛ ثم هبَّ واقفاً وعلى شفتيه ابتسامة الرضى والسلام ، وبسط أوراقه أمام عينيه ... وعاد يقرأ :

« أيها السادة ! ... »

وخُيِّل إليه فى موقفه ذاك ، أنه هوَ ما هو بين الناس ، فى جمع حاشد تشرئبُّ أعناقهم إليه ، فلعب به الزهو واستخفَّته الكبرياء ، واستمر يخطب ...

« ... أشكر لكم هذا التقدير الغالى ... إن أمة تحتفى بأدبائها هذه الحفاوة العظيمة ... ... »

وأحس شيئاً يَحزُّ فى صدره فلم يتمَّ ... « التقدير الغالى ... والحفاوة العظيمة ... » أين هو من هذه المعانى ؟

إنه منـذ سنوات وسنوات يجاهد جهادَه للفنِّ والأدب ، وينشئ كل يوم فى تاريخ الآداب فصلاً جديداً ، وها هو ذا اليوم حيث بدأ منذ سنوات وسنوات : لا يذكره أحد ، ولا يعترف له إنسان ؛ ولم يُجْدِ عليه جهاد السنين شيئاً ... ولكنه مع ذلك مسئول أن يعمل ، وأن يدأب ، لا ينى ولا يستريح ؛ لأنه يريد أن يعيش !

وغامَ وجهه بعد صفاء ، وذبلت الابتسامة على شفتيه ، وتخاذلت كبرياؤه ، وعاد إلى نفسه يفكر فيما عليه من فرائض الحياة

لقد أوشك الصبح أن يسفر ، وإن عليه موعداً أن يغدو مبكراً على « الأديب الكبير فلان ... » ليدفع إليه الخطبة التى أعدَّها وبذل فيها سواد ليله وعصارة قلبه ، ويقبض ثمنها ، شأنه معه منذ سنوات ... !

وطوى الفتى أوراقه كأنما يلفُّ ميتاً فى أكفانه ؛ ثم أطفأ المصباح وأوى إلى فراشه !

***

واستيقظ بعد ساعات ، فلبس بذلته ، ونفض الغبار عن طربوشه ؛ ثم سكَّ باب غرفته ومضى يهبط السلالم درجةً درجة ، وفى يمناه الخطبةُ التى أعدها ليلقيها الأديب الكبير ... فى حفلة تكريمه ! يا للسخرية !

وسار على حيد الطريق ويسراه فى جيبه تعبث بما فيه من قروش ، وفى رأسه خواطر تصطرع وتموج ...

أرأيت إلى الأب يمشى وحيداً فى جنازة ولده العزيز ليشيعه

إلى مثواه ؟ كذلك كان يمشى هذا الفتى وفى يمناه أوراقه مطوية فى غلافها !

وعاج على بائع الصحف فاشترى واحدةً ؛ فأخذ يقلّب صفحاتها حتى انتهى إلى الموضوع الذى يبحث عنه ، فمضى يقرؤه . . .

. . . لم يكن موضوعاً جديداً عليه ، لقد قرأه من قبلُ مرات حتى ليعرف دلالة كل حرف فيه . أتراه يقرأ الساعةَ من الصحيفة التى فى يده أم يقرأ من غيب صدره ؟ . . . وانقبضت نفسه حين انتهى إلى الإمضاء ؛ ثم ابتسم . . . !

. . . ماذا عليه أن يبيع المجد لطلابه بالمال ؟ . . . إنه يعطيهم مما يملك لينتفع منهم بما لا يملك . وماذا يجدى عليه المجد والشهرة وذيوع الصيت وإنه لمحتاجٌ إلى الرغيف ؟

ليت شعرى ، أىُّ الرجلين أكثرُ جدوى على صاحبه ؟ ذلك الذى يعطى القرش أم هذا الذى يأخذه ؟

وخُيِّل إلى الفتى أنه عرف الجواب ، فطابت نفسه وعاوده الشعور بالرضا والاطمئنان !

ونام الفتى فى تلك الليلة ملء عينيه وملء بطنه ... لا يعنيه من أمر الحياة شىء ... !

وسهر « الأديب الكبير » ليلته يستظهر الخطبة المعدة ليلقيها مساء غد فى حفلة تكريمه ... !

وأشرق الصبح ، فنهض الفتى من فراشه ولبس بذلته وخرج لبعض شأنه ، وعاج على ندِى فى الطريق يتناول فطوره ، فطاب له المجلس ...

وجلس إلى جانب الباب يُتبِع عينيه كل غادية ورائحة فى الطريق ، وتسرحتْ خواطره فنوناً من مشهد قريب إلى معنى بعيد ، وانفتل من دنياه يجرى فى عنان الأوهام ... فما صحا من أحلامه إلا على صوت النادل يمد إليه يده بورقة الحساب ، وعاد إلى الحقيقة ، ولكن بعد مشوار طويل فى وادى المنى ...

ودفع ما عليه ونهض ، ليعود إلى غرفته فيغلق بابها عليه ويجلس إلى مكتبه يستنزل الوحى ويؤلف أشتات المعنى ، وانتهى مما كتب والشمس فى صفرة الأصيل : فغادر غرفته عجلان ليشهد حفلة التكريم !

***

... وكانت الردهة الفسيحة ليس فيها موضع لقدم ، وقد نُصت المقاعد صفوفاً صفوفاً فما بينها فرجة تتسع لعابر ؛ واختلطت أصوات المجتمعين فما يبين صوت من صوت ، وسكنت الأصوات فجأة حين بدت طلعة الأديب الكبير ، وتطاولت إليه الأعناق تنظر ؛ ومضى الأديب الكبير فى طريقه ثابت الخَطْو وهو يرفع يديه إلى رأسه ، حتى انتهى إلى مقعده فى صدر المكان والعيون ناظرة إليه ...

ووجد الفتى مكاناً فى أدنى الردهة إلى الباب ؛ فجلس وإنه ليشعر مما به كأنه غريب فى هذا المكان !

وتعاقب الخطباء خطيباً بعد خطيب وشاعراً بعد شاعر ، يمدحون الأديب الكبير ويعدّون أياديه ، وهو مطرق الرأس من خجل ، لا يزيد على أن يبتسم !

وخُيِّل إلى الفتى فى مجلسه البعيد من خياله أشياء ؛ فكأنما هذا الاجتماع الحاشد ، وهذا الثناء الرطب ، من أجله هو وحده ، وكأنه هو هو ولا أحد هناك ، فأطرق رأسه من خجل كذلك ، لا يزيد على أن يبتسم !

وماذا يضيره أن يجهل الناس اسمه ومكانه وإنهم ليعرفون من يكون بآثاره وأدبه ؟ ماذا يضيره أن يكون كتابه فى أيدى القراء بلا غلاف ولا عنوان ...؟

ومضت ساعة ووقف الأديب الكبير ليؤدى واجبه لهؤلاء الذين اجتمعوا لتكريم أدبه والحفاوة به، وأخذ يقرأ من غيب صدره:

« أيها السادة ! »

« ... وأشكر لكم هذا التقدير الغالى ... وإن أمة تحتفى هذه الحفاوة بالنابغين من أدبائها لحقيقة بالخلود ... »

وقال الرجل الذى يجلس إلى جانب الفتى فى الصف الأخير ونَظَر إليه : لله ما أحكم منطقه وأسَدّ بيانه !

قال الفتى : شكراً !

وسمعها الرجل وابتسم ؛ فما يملك أكثر من أن يبتسم ، وإنه ليعرف أن مجالس الأدب هى أحفل المجالس بالمجانين

واستمر الأديب الكبير يخطب :

« إنى لدين للأمة بما أبذل لها من أعصابى ومن دمى ؛ شاكرٌ لله ما وهب لى من قدرة تهيئنى لأن أكون بهذا المحلّ الرفيع بين أبناء قومى ...

« ... إن الأدب الذى يسمو بضمير الأمة ، ويشرع لها طريقاً إلى المجد والخلود ... »

والتفت الفتى إلى جاره يقول : « لقد نسى فقرة طويلة ... إنها كانت أجمل ما فى خطبته ! »

ونظر إليه جاره فلم يتمالك أن ضحك ؛ فوضع راحته على فه يكتم ضحكته أن تسمع ؛ وتنبه الفتى بعد سهوة ، فاحمر وجهه ثم اصفر ؛ ثم نهض فغادر المكان ... !

* * *

ونهض الفتى من فراشه مبكراً بعد ليلة ساهدة ؛ فقصد إلى دار الأديب الكبير يهنئه على ما نال من إعجاب الناس وما ظفر به من التقدير والمكانة ، ويستعينه على أمر ...

وقرأ صحف الصباح فى الطريق ؛ نعرف ما فاته مما كان فى الليل ...

ودق الجرس فانفتح الباب ، وقدم الفتى بطاقته إلى الخادم ، فخلفه واقفاً بالباب ينتظر ودخل يستأذن سيده ؛ ثم عاد إليه بعد لحظة يعتذر ، لأن سيده نائم !

واحمر وجهه من الغيظ ولبث واقفاً بالباب برهة ، ثم مشى وفى نفسه ثورة تضطرم ، ومضى على غير وجه !

وتذكر الفصل البديع الذى انتهى من كتابته أمس قبل أن يغادر غرفته إلى مكان الاحتفال ؛ فأخرجه من جيبه ومشى يقرؤه ...

لا ، لا ؛ لن يكون بعد اليوم ذيلاً لأحد يبيعه نفسه برغيف من الخبز ؛ إنه ليعرف اليوم قدر نفسه أكثر مما عرف فى يوم من الأيام ؛ لقد قالها الناس أمس كلة صريحة وعتها أذناه ؛ إنه هو هو وإن جهل الناس اسمه ومكانه !

وسعى إلى إدارة الصحيفة التى نشر فيها أول ما نشر من منشآته منسوباً إلى الأديب الكبير ؛ وأى الصحف أولى بتقدير أدبه والاعتراف بفضله غير الصحيفة التى عرف منها (الأديب الكبير) أول ما عرف ، ثم كانت أول من دعا إلى تكريمه والحفاوة به ؟ ... لهُوَ هو وإن جهلت الصحيفة اسمه ومكانه !

واستأذن على المحرر ودخل ، فدفع إليه الورقات التى فى يده ...

ونظر المحرر نظرة إلى وجهه وهندامه ، ثم أثبت وضع النظارة على عينيه وأخذ يقرأ هذه الورقات ، ولكن من آخرها ؛ ثم دفعها إلى الفتى ... وفى صوت متأنق سمعه الفتى يقول : « يا بنى ، إنها محاولة ، وإنى لأرجو أن يكون قريباً ذلك اليوم الذى تنشر فيه ما تكتب ، بعد أن تأخذ عدتك وتنضج ... ! »

وفتح الفتى فه وهم أن يتكلم ، ثم سكت ، واتخذ طريقه إلى الباب فى صمت ...

ومن النافذة التى طالما سهر بجانبها الليالى إلى مكتبه يستنزل الوحى ويؤلف أشتات المعانى ، وقف يطل على الناس ساخراً ، ثم أخرج الورقات من جيبه فمزقها وأسلمها إلى الريح تنثرها على الرءوس كسرب مذعور من الطير الأبيض !

* * *

... وحين نشرت الصحف أن الحكومة قد رصدت من مال الدولة بضعة آلاف لمعاونة الأديب الكبير فلان ... على تنفيذ مشروعه الأدبى العظيم ... كان الفتى جالساً يقرأ الجريدة فى ظل شجرة على رأس الحقل ، ويستريح برهة مما جهد فى الحرث والزراعة ؛ وخار الثور المربوط إلى المحراث ، كأنما يريد أن ينبه الفتى إلى أنه قد آن أوان العمل !

... ولكن الصحف لم تلبث أن عادت فنشرت فى الغد ، أن الأديب الكبير قد كتب إلى الحكومة يشكر ويعتذر ؛ لأنه قد اعتزل الأدب فما له هفوةٌ إليه بعد !

وأسف الناس إذ قرءوا ما قرءوا ، ولكن شخصاً واحداً كان يعرف ، وكان يبتسم !

محمد سعيد العريان



الجيش الأحمر فى الشرق

[ملخصة من مجلة « باريد »]

كتب الجنرال « ليشكوف » مقالاً فى مجلة « كونتمبرورى جابان » التى تصدر فى طوكيو قال فيه : إن حركة القبض المتوالية على قادة الجيش الأحمر ، قد أوجدت نوعاً من عدم الثقة فى ضباط الجيش الباقين . خذ مثلاً حالة الجنرال « بلتشر » الذى كان يوماً ما قائد الجيش الأحمر فى الشرق الأقصى ، فقد طالما بزغ اسمه أمام الجنود الروسية ، إلى جانب الأبطال المخلصين والقادة المقربين ، وطالما ذكر تاريخه مقروناً بعبارات الإخلاص والوفاء ، حتى عدّ من رجال ستالين المقربين وأتباعه الثابتين . فلم يلبث أن اختفى بين عشية وضحاها ، وصدرت الأوامر بتمزيق صورته ومحو اسمه من الوجود ، فإذا سأل سائل عن الأسباب التى انتهت به إلى هذه النهاية ، حيكت حوله الأكاذيب ولفقت عليه التهم ، وانقلب القائد الذى كان مثلاً أعلى بين رجال الجيش فصار خائناً لبلاده ، عدواً لأبناء وطنه

نستطيع أن نتصور مبلغ تأثير هذا فى رجال الجيش – إنهم ولا شك يفقدون ثقتهم برؤسائهم المباشرين . فإذا كان القادة العظام الذين كانوا يوماً ما فوق متناول الشبهة ، قد دلوا على أنهم كانوا مجرمين فى حياتهم الوطنية والعسكرية ، فلا معنى إذن للثقة بغيرهم من القواد الحديثين الذين ليس لهم ماض يجعلهم أكثر إخلاصاً وأمانة من القواد السابقين . ومن ثم انتشرت بين رجال الجيش الأحمر عقيدة ثابتة بأن رؤساءه جميعهم متآمرون مارقون ، بل لقد ذهب بعضهم إلى أبعد من هذا فقالوا صراحة مادام قواد الجيش المخلصون قد ظهروا بمظهر الخيانة لبلادهم ، فلا يبعد على هذا أن يتبين قريباً أن ستالين نفسه عدو للشعب . من هنا نستطيع أن نعرف إلى أى حد وصلت الحال ، فقد انتشر الشعور بعدم الثقة بين الشعب فسمم أفكار الجميع

وقد انتشر بين شباب الجيل الحديث ، وعلى الأخص ضباط الجيش الأحمر ، آلاف ممن يسمون أنفسهم « أعداء السوفيت » الثائرين على النظام ، وهمهم أن يهاجموا النظام القائم ويحطوا من شأنه فى نظر الشعب ، ويرون أن ستالين هو رأس كل خطيئة وأن الجيش الأحمر هو القوة الوحيدة التى فى يدها أن تحد من سلطانه وتقف دكتاتوريته المخيفة عند حدها

ومما يزيد فى إضعاف الروح المعنوية بين قوات الجيش الأحمر فى الشرق الأقصى ، عدم كفاية مواصلات السكك الحديدية ، وعلى الأخص فى فصل الشتاء ، وعدم وجود قواعد محلية للتموين ، مما يتسبب عنه قطع المؤونة عن الكتائب المرابطة فى تلك الأنحاء .

ويجد رجال الجيش الروسى صعوبات كثيرة فى الحصول على الأماكن الكافية لإيوائهم وإيواء عائلاتهم ، فإذا استطاعوا على الرغم منهم أن يقضوا فصل الصيف فى الخيام فإنهم لا يستطيعون ذلك فى الخريف والشتاء حيث تشتد الحالة إلى درجة لا يتصورها العقل . هذا فضلاً عن انتشار الأوبئة والأمراض ، مما لا يمكن اجتنابه بحال من الأحوال

ولا تسل عن الفوضى وضياع النظام فى الجيش ، إذا نظرنا إلى هذه الحالة ، مع فقد نفوذ القواد ، وقيامهم بأعمالهم بغير حافز من رغبة أو اقتناع

الاشتراكية الزائفة فى ألمانيا

[ملخصة عن « داى واهرن دتشلاندز »]

جرى هتلر فى معاملة العمال وتسليمهم إلى طبقة الرأسماليين ، وتقوية هذه الطبقة على سائر أبناء الشعب ، على أسلوب لا شبيه له فى تاريخ الرأسمالية الحديثة على الإطلاق

فمنذ قضى على اتحادات العمال فى مايو سنة ١٩٣٣ ، فقدت الطبقة العاملة حقها فى الدفاع عن نفسها والمطالبة بتحسين الأجور . وقد حل محل هذه الاتحادات ، جبهة العمال التى أسسها مستر (لى) وتقوم هذه الجبهة تحت إشراف لى وهتلر على كم أفواه العمال كلما هموا بالشكوى من توزيع الأجور

لم ير العامل منذ العهود الرأسمالية السحيقة نظاماً كذلك النظام الدكتاتورى الذى وضعه هتلر لإخماد أنفاسه وتجريده من كل قوة

فدير المصنع له الكلمة الأخيرة فى كل ما يتعلق بالعمال المشتغلين بمصنعه . ويقوم كل رئيس بتقديم بيان لموظفيه ، موضحاً فيه الشروط الآتية ليكون على بينة منها

(١) ساعات العمل اليومية وأوقات الفراغ (٢) الأجور والأوقات المحددة لدفعهما (٣) القواعد التى تتبع فى حساب القطعة (٤) الشروط المحددة للغرامات وغيرها من أنواع العقوبات (٥) الأحوال التى يفصل فيها العامل بغير إنذار

أما حقوق العامل الثابتة فى اختيار عمله ، وهى الحقوق التى طالما رفع هتلر عقيرته بها ، فقد تحولت فى السنين الأخيرة إلى لعنة أبدية ، فلا يصح للعامل بمقتضاها أن يغيِّر العمل الذى يشتغل فيه ، أو يرفض العمل الذى يقدم إليه ، ولا يسمح له حتى بالانتقال من بلد إلى بلد آخر

لقد كان العبد الرقيق فى القرون الوسطى ، يستطيع أن يأبق من مقره بالمدن إلى الموانى إذا رأى قسوة من سيده ، ولكن رقيق النازى – على خلاف ذلك – فعليه أن يبقى حيث هو ، فاقد الحيلة محروماً من المساعدة إذا نشدها من أى إنسان ، أو ذهب يبغيها فى أى مكان

أما صغار التجار فهم يعاملون معاملة أقسى من هذه المعاملة ، فبينما هم يعملون على التخلص من منافسة المخازن الكبرى – التى تحولت ملكيتها إلى أيدى الرأسمالية الآرية – إذا بهم يواجهون حرباً لا هوادة فيها تسوقهم بغير رحمة إلى الدمار والضياع . فعلى الرغم مما يعانون من نظام الاحتكار ، يرهقون بزيادة الضرائب الفادحة على تجارتهم، مما جعل الإفلاس والدمار يحل بآلاف وآلاف من هؤلاء التجار، فلم يجدوا أمامهم غير الالتجاء إلى المصانع للاشتغال فيها

وقد أعلنت الحكومة الاشتراكية الوطنية جميع التجار الذين تقل ماليتهم عن مقدار معين، بأن يغلقوا أبوابهم ، فترتب على ذلك إغلاق ستمائة مخزن للألبان «بهامبورج» وحدها فى نهاية سنة ١٩٣٨ ، وكذلك الشأن فى غيرها من البلدان . وقد صدرت أوامر حديثة من الحكومة إلى تجار التبغ باعتزامها إغلاق أكثر من أربعين ألف من محلات تجارة الطباق . أما عذر الحكومة فى هذا التعسف الغريب ، فهو حاجتها إلى العمال لصناعة السلاح



أدب المازني

قال الكاتب القدير البصير ابراهيم عبد القادر المازني في نقدٍ لكتاب أخرجه لسنةٍ مضت صديق له يوده ويُجله : « نحن للثرثرة وهو للعصر والتقتير . وأحسب أني لو تسنّى لي أن أكون مثله لضاق صدري لطول ما ألفتُ السح والمطلان » .

وكأني بالأستاذ ههنا يصارح الخلق بخاصية كتابته . والسح والمطلان – في غالب الأمر وأكثر الحال – من الثرثرة ، وما هذه بفضيلة في الكاتب . إلا أن استرسال صديقي المازني من الترسل اللطيف: لا استكراه لبسط العبارة ولا فضول في تدوين الفكرة. وإنما الحديث ينبثق ويسيل ويسيح على غير كدر ولا أَسَن . وإن تنقص صديقي المازني — على سخريته المعروفة — أسلوبه الممدود ، فمن الناس من يرغب عن قطرات الماء ورشحه إلى بثق النهر وغمره .

غير أن المد مكروه إن انقلب الإنشاء به حذلقةً ولغواً. والأستاذ المازني بنجوة من هذين العيبين. فإنه إذا أطلق القلم عرف ما يريد، ثم تخطر له الفكرة تلو الفكرة، فيصل أطراف السّلك بعضها ببعض ويسيّرها إلى الغاية التي تشغل صدره . ويعينه على ذلك ما وقع إليه من مفردات اللغة وصيغها – وينافسه في محصول اللغة صديق صاحب « الرسالة » – وهل أنا أبثّ سراً إذا قلت : إن المازني لزم كتاب « الأغاني » زماناً فتأدب عليه وأجرى على أنامله من سحر عبارته ؟ وليت الكتاب المحدثين يصنعون صنيعه !

ويزيّن الأستاذ المازني ترسله المحكم بالحديث الموشّى، والحديث الموشى — في أدب القصة خاصة — من الخيال لا من الكذب كما زعم بعضهم . وأحسن مثل على تلك التوشية قصة للأستاذ المازني عنوانها « الجارة » وهي منشورة في كتابه « في الطريق ». ولا شك عندي أن للقصة وتداً مهزوزاً في الحقيقة ، فجاء الكاتب وصاغ له حادثة من هنا ونسج عليه فكرة من هنا . وصدق كنه هذه القصة ملموس فيما يبرز من خلال مجراها . وهو أن إشراق المرأة في حياتنا الاجتماعية شاحب وأن معرفة الرجل المصري بنفسية المرأة قليلة . والمرأة في تلك القصة على جرأة والرجل على حياء وإن كان يحلم « بالمغامرات » ، وهو يحلم بها لأن المرأة عندنا لا تزال على تحفظ ولأن حريتها ضيقة المسالك. وهذه امرأة القصة على خلاف ذلك، فكيف لا يدور رأس الرجل ؟ وقد استطاع الأستاذ المازني – في قصته – أن يثبت من طريق الفن الرفيق لمانِ الاضطراب المكتّم

وهذا الصديق يخرج لنا اليوم « مختارات من القصص الإنجليزي » . وأسلوبه هنا غير أسلوبه في التأليف ، وذلك لأنه ينقل من لغة إلى لغة ، وهو يتحرى الأمانة في الترجمة . فتقرأ العبارة العربية فتقول : إن التركيب سليم واللفظ متخيَّر ، ولكن الماء غير عربي . وسيُغضب ذلك المتشددين عبّادِ الديباجة للديباجة . وأما أنا وأمثالي ففرحون بالتزام المترجم أسرار الروح الأجنبي . لأنك إذا طلبت ناحية من نواحي الأدب الأعجمي فإنما تريد أن تقف على دخائلها لتميزها مما تعرفه من أدبك ، أو لتقتبس منها نحواً جديداً . فجريان الجملة ونبضان الفكرة كلاهما رهين بالأداء ، فإذا نقلت على خصائص لغتك وشرائط تفكيرك عطّلتَ طرائفَ الأصل . وعلى هذا فإن كتاب « مختارات من القصص الإنجليزي » حقيق بالحفاوة والانبساط

وقد تتبعت الأستاذ المازني – وإن كان فوق التتبع لإحكامه اللغتين – فوجدته يعتنق الأصل اعتناقاً . وربما عبّر عن الكلمة الإنجليزية المنتشرة بكلمتين أو ثلاث مخافة أن يزيغ المعنى بتمامه (مثلاً : prig = مغرور ، مفتون ، متحذلق : ص ١٠٥) وربما حافظ على الاستعارة الإنجليزية وإن شذت في العربية بعض الشذوذ (مثلاً to pour out = أصب على رأس مرغريت مادار في اجتماعنا). وهو إلى جانب هذا يحسن استعمال اللفظ الوافي على إيجازه (مثلاً : I did not go on = فقد أقصرت : ص ١٠٦) . ولعل تركيباً أتى به الأستاذ أرى غيره مكانه . ولكن مثل هذا يرجع إلى محض الذوق ، وليس لك أن تفرض ذوقك الخاص على غيرك ممن يتصرف في ضروب الإنشاء ألطف تصرف ، ويوجه مذاهب الكلام في دراية وتبصر .

بشر فارس

التكتم

فى مقالة[1] للباحث الأديب الكبير الدكتور بشر فارس باحث فيها العالم الأستاذ أحمد العوامرى بك فى أشياء — إلماع إلى ألفاظ فى المعجمات فى غير مظانها . ومما يضاف إلى الذى ذكره الدكتور المفضال هذه الكلمة : (التكتم) فقد سطرت فى القاموس والتاج فى مادة (د ل س) مغفلة أو منسية فى مادة (ك ت م) . وكان العلامة اللغوى الكبير الشيخ إبرهيم اليازجى استعمل (تكتم) فى مجلته (الضياء) فخطأه العالم الأستاذ محمد سليم الجندى قائلاً : « إنه لم يعثر عليها فى كتب اللغة التى بين أيدينا » ، فرد عليه العالم الأديب الكبير الأستاذ قسطاكى بك الحمصى المشهور دفاعاً عن خليله إبرهيم مستنداً إلى القياس ، والقياس لا يمين فى كل حين . و (التكتم) هو فى اللغة ، والإمام البورينى يقول فى مقطوعة حين حذق الفارسية :

تعلمت لفظ الأعجمى وإننى   من العرب العرباء لا أتكتم !

وقد تبع المعجمان (أقرب الموارد والبستان) فى هذا الفعل القاموس والتاج ناقلين عنهما ، فأورد الأول (تكتم) والثانى (التكتم) فى (د ل س) ولم يثبتا الفعل أو مصدره فى (ك ت م) والمأمول أن يحظى العرب بمعجم كامل حاشد مجوّد التنسيق فى هذه الدنيا قبل يوم القيامة ... إذ لا يحتاج فى الآخرة إلى مجامع لغوية ولا معجمات ولا بلاغات ولا فصاحات ...

(طنطا)   (أزهرى)

وفاة الدكتور على العنانى

نعى إلينا صباح الخميس الماضى المرحوم الدكتور على العنانى ، وهو من رجال الأدب الذين تخرج على أيديهم طائفة ممتازة من شبابنا المثقفين

تخرج الدكتور العنانى فى دار العلوم سنة ١٩٠٩ ، ثم اتصل بالجامعة المصرية فى أول عهدها ، فكان هو والدكتور أحمد ضيف أول مبعوثيها إلى أوربا ، فدرس الدكتور العنانى فى ألمانيا الفلسفة واللغات الشرقية إلى جانب دراسة اللغة الألمانية ؛ وعاد من أوربا بعد الحرب العظمى الماضية ، فاشتغل محاضراً بالجامعة ، ثم انتقل إلى دار العلوم العليا أستاذاً للأدب ؛ فما زال قائماً بعمله حتى سنة ١٩٣٨ ، ثم اختير كبيراً لمفتشى الفلسفة فى وزارة المعارف العمومية ، وظل قائماً بعمله حتى أحيل إلى المعاش منذ قريب

المنفلوطى فى رأى مستشرق انجليزى

نشرت مجلة (اسلاميك كالتشر) مقالاً عن المرحوم المنفلوطى نلخصه فيما يأتى :

تناول بعض كتاب مصر المعاصرين وفى مقدمتهم العقاد والمازنى وطه حسين مقالات المنفلوطى بنقد عنيف ، ولكن هذه المقالات ذات أهمية خاصة لأنها تمثل مرحلة من مراحل إحياء الأدب العربى

نشرت هذه المقالات الموجزة فى الصحف تحت عنوان « النظرات » وقد جمعت بين الأدب العالى وبين إرضاء ذوق القراء لأنها كتبت بلغة موسيقية صافية ، فكانت بمثابة الوحى يهبط على جمهور تعود قراءة أدب الكلفة والتصنع . وقد انتشرت انتشاراً واسعاً بين قراء العربية من بغداد إلى مراكش ؛ مما يدل على أنهم ألفوا فيها شيئاً قيما ، كما كانت تمثل الشعور الذى تردد صداه فى العالم الإسلامى أبلغ تمثيل

ومن السهل أن ندرك اليوم قيمة هذه المقالات ، فإن رجال الأدب يشعرون بالأثر القوى الذى أحدثته كتب المنفلوطى التى يحفظ منها طلبة المدارس عن ظهر قلب صفحات برمتها ملكت ألبابهم ، واستولت على مشاعرهم

وهى إلى جانب هذا تمثل حالة الأدب فى الشرق العربى الذى اصطبغ بصبغة الآداب الغربية

أما أفكار المنفلوطى ، أو بمعنى أصح عواطف المنفلوطى ، فيلاحظ عليها التناقض والتضارب . فهو لا يستطيع مثلاً أن يخفى أسفه على الاعتقاد بشفاعة الأولياء وإن كان يرى أن هذه الاعتقادات هى السبب فى ضعف العالم الاسلامى ويقول إن اختلاف الآراء هو القانون الأساسى لتقدم الإنسان ، بينا يندد بتعدد الأحزاب السياسية فى مصر . ويرفض الجمود الدينى ويحذر قراء العربية من اقتباس مدنية الغرب دون تمحيص ، مع أنه قد تأثر فى أدبه بالطريقة الإبداعية (رومانتزم) فى الأدب الفرنسى

وكان المنفلوطى وطنياً غيوراً ، وقد قضى هذا الكاتب الرقيق ستة أشهر فى السجن عقاباً له على قصيدة هجا بها الخديو عباس

(١) راجع (مسألة منهج) فى الثقافة ٥٦ ص ٤٥

حلمى . وانضم إلى الزعيم سعد زغلول الذى قام يطالب بالحرية لمصر المتحدة الناهضة . وكان إلى هذا رجلاً يحافظ على التقاليد ويرعاها فظل طول حياته يلبس الزى الوطنى ورفض أن يستبدل به الملابس الأوربية . أما مطالبته باحترام المرأة والطبقات الفقيرة فإنما يقوم على أساس من قواعد الدين الإسلامى

البستانى

توالى مجلة « السياسة الأسبوعية » فى هذه الأيام نشر ترجمة أناشيد « البستانى » للشاعر الفيلسوف طاغور ، وهى بقلم الأستاذين فؤاد البحى وتوفيق أبو السعد . ولقد كنت أطالع هذه الترجمة فى شىء من الإكبار والإعجاب ، وأغض البصر والعقل عن أخطاء لا تشوه المعنى ولا تضع من المجهود الضخم ؛ حتى كانت القطعة الرابعة فى العدد ١٥٦ المؤرخ ٢٧ يناير سنة ١٩٤٠ ، فذهبت أقابل بينها وبين الأصل الإنجليزى مرة ، وبين الترجمة التى حملت نفسى عليها مرة أخرى — كدأبى فيما سبق منها — فألفيت هناك اضطراباً يحط من قدر الترجمة .

وأول شىء أخذته على الترجمة هو أن تحيد عن الطريق الذى اتخذه طاغور لنفسه أول ما كتب أناشيده ، فهو قد رتبها على نسق يجعل كل نشيد وحدة قائمة بذاتها قد لا تمت إلى ما قبلها ولا إلى ما بعدها بسبب ، فيميزها بأرقام هى إحصاء لعدد الأناشيد فى كل كتاب من كتبه ، هذا الترتيب قد أغضى عنه فى القطعة الرابعة مما لا يقر الأستاذين عليه أحد .

ثم ابتدأت القطعة الرابعة — ولست أدرى كيف خوّل الأستاذان لنفسيهما أن يضعا هذا الترقيم — بالنشيد العاشر الذى اختلط آخره بأول النشيد السادس عشر طفرة واحدة ، وبذلك يكون قد سقط من الترجمة خمسة أناشيد كاملة تقع فى اثنتى عشرة صفحة من الأصل الإنجليزى أو قرابة جزء من ثلاثة عشر جزءاً من الكتاب كله ... ثم راحت الأناشيد يدّغم بعضها فى بعض دون أى إشارة تنبئ بأن نشيداً انتهى أو أن آخر ابتدأ ... وفى النشيد السابع عشر جاء المقطع الثانى قبل المقطع الأول ... وهكذا ... وهكذا ... مما يضيق عنه وقتى ولعل هذا الجهد قد ناء بالأستاذين فأرادا أن يتحللا منه فى سرعة أو أن يخلصا إلى آخره فى غير عناء

وإننى أناشد الأستاذين فى غير تعنت ، أن يبذلا فى ترجمة هذه الأناشيد ما تستحقه من جهد ، وأن يخصاها بما تحتاجه من وقت لتكون الترجمة أقرب شىء إلى الأصل ، والسلام

كامل محمود حبيب

نقود ذهبية من عهد العباسيين

بينما كان أحد الفلاحين يستخرج السماد من بعض التلال الأثرية بناحية سيدى سالم بمديرية الغربية ، إذ عثر على ١٩ قطعة ذهبية يرجع عصرها إلى الخلفاء العباسيين ، وقد سكت فى عهد هارون الرشيد والمأمون والمهدى

وقد أبلغ الأمر إلى إدارة حفظ الآثار العربية فأوفدت أحد مفتشيها فتسلم القطع الذهبية التى عثر عليها

وقد نقش على أحد وجهيها بالخط الكوفى (لا إله إلا الله وحده لا شريك له) ونقش على الوجه الثانى « محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله » وأرخت بالتاريخ الهجرى. وهى من الذهب الخالص فى حجم القطعة الفضية ذات القرشين ولكنها أثقل منها وزناً

شعراء البيوتات

يذيع الأستاذ أحمد عبد المجيد الغزالى سلسلة أحاديث أدبية من محطة الإذاعة بهذا العنوان ، وقد سمعناه أخيراً فى مساء الاثنين ٥ فبراير يتحدث عن الشاعر الأمير أبى فراس الحمدانى ، فتناول فى حديثه جميع أطوار الشاعر ، وعرض لفنه ومذهبه فى النظم فوفّى الكلام فى هذا الصدد . ونحن مع إعجابنا بما سمعنا لا نسلم بكل ما جاء فى حديثه ، فمثلاً يقرر أن أبا فراس لم يكن فى غزله كعامة الشعراء ، بل كان إذا تغزل تمثل شخصيته العسكرية ، وطبيعته الباسلة . ويعنى الأستاذ المحاضر بهذا أن الشاعر لم يذب قلبه فى قصائده ومقطوعاته . ويؤيد حكمه على الشاعر بهذه الأبيات:

أراميتى كل السهام مصيبة ... وأنت لى الرامى فكلى مقاتل
وإنى لمقدام وعندك هائب ... وفى الحى سحبان وعندك باقل

تسائلنى من أنت وهى عليمة ... وهل بفتى مثلى على حاله نكر
ونحن أناس لا توسط بيننا ... لنا الصدر دون العالمين أو القبر

وفى كلتى ذاك الخباء خريدة ... لها من طمان الدارعين ستائر
تقول إذا ما جئتها متدرعاً ... أزائر شوق أنت أم أنت ثائر

والأستاذ الغزالى بقوله هذا ينكر على الرجل عمق إحساسه وشعوره وعواطفه وهى الصفات التى تتفاوت بها معايير الشعر. ولو تروّى الأستاذ قليلاً لأدرك أن للرجل فى الغزل شعراً يفيض عن إحساس قوى مشبوب، وعاطفة مضطرمة مضطربة. وإن خالجه فى هذا شك فليسمع:

إذا الليل أضوانى بسطت يدَ الهوى ... وأذللت دمعاً من خلائقه الكبر

تكاد تضيء النار بين جوانحى ... إذا هى أذكتها الصبابة والهجر

ومن غزله السافر:

بات الحبيب إلى الصبا ... ح معانقى خدًّا بخدّ

يمتار فىّ وناظرى ... ما شئت من خمر وورد

ومن أبيات له:

تثنت فغصن ناعم أم شمائل ... وولت فليل فاحم أم غدائر

كأن الحجى والصون والعقل والتقى ... لدىّ، وربات الحجال ضرائر

أقول وقد ضج الحلى بجرسه ... ولم تر فيها للصباح بشائر

فيا رب حتى الحلى مما نخافه ... وحتى بياض الصبح مما نحاذر

هذا ولو شئت أن أذكر للأستاذ المحاضر من شعر أبى فراس الذى لا ينهض مع حكمه الجرىء على غزله وتشبيبه لما اتسعت هذه الكلمة العابرة لذلك!

عبد العليم عيسى

الى مؤلف «الأسمار والأحاديث»

هأنذا يا سيدى أحد هؤلاء القراء الذين فتنوا بأدبك، وغزوت قلوبهم بسحر بيانك

ها أنذا يا سيدى أحد هؤلاء القراء الذين أنصفتهم فى مقدمة كتابك «الأسمار» وصورت لهم خلجات نفسك فكنت كريماً فى مناجاتك، نبيلاً فى عباراتك

لقد زخرت العربية بمؤلفات المفكرين بيد أن كاتباً واحداً لم يسجل آراء الناس وأسمارهم بذلك الأسلوب الحكيم الذى يدعو إلى قراءته، والإعجاب به كما تهيأ ذلك لك

ذاك فن الأسمار الذى نحن أحوج ما نكون إليه فى عصرنا هذا وقد أصبح أدبنا بعيداً عن مجتمعاتنا وأفكارنا

لقد تهيأ لك ابتكار فن جديد قبل ذلك، حينما نقلت الغزل والتشبيب من الشعر إلى النثر، فى كتابك «ليلى المريضة» كما نبه إلى ذلك الأستاذ الجارم بك، واليوم تبتكر جديداً فى عالم الأدب فتصور المجتمع وفيه أصحاب العقول الفطرية تصاول العقول المثقفة فتطلق الحكمة على لسانها سائغة دامغة

تلك هى (الأسمار والأحاديث)

دراسة واسعة، ونقد صائب، وفكاهة راقية، وتمثيل لصور المجتمع. ولعمرى لقد ترددت كثيراً عند كتابة هذه الكلمة بعد أن رأيت المؤلف يوصد الأبواب أمام من يحاول تزكية (أسماره) ولكن إذا كان من حق المؤلف أن يبث القارئ شجونه ويقدم إليه عصارة أفكاره، فإن من حق القارئ أن يصرح بإعجابه

وإنى لأتقدم إلى رجال المعارف أن يقرروا مطالعته فى مرحلة الثقافة العامة حتى يتقن الطلبة لغة الحوار والمناظرة؛ ويقفوا على ما يصطرع فى الجو الأدبى والاجتماعى من آراء وأهواء، وحقائق وأباطيل، ويتذوقوا جمال اللغة العربية وقد تركت حجر الدراسة إلى تصوير أحوال الناس، وما يدور فى المجتمعات

سيد محمد مسعود

كتاب الحلل السندسية فى الأخبار والآثار الأندلسية

صدر المجلد الثالث من تاريخ الأندلس المسمى «بالحلل السندسية» للعلامة الكبير الأمير شكيب أرسلان فى نحو سبعمائة صفحة بالقطع الكامل

وقد أثبت المجلدان الأول والثانى من كتاب «الحلل السندسية» أنه أعظم تاريخ عصرى للأندلس

وقد تناول هذا المجلد الكلام على شرق الأندلس ومملكة بلنسية ومملكة مرسية وجغرافيتها وأحوالها وأهلها ووصف مدن الأندلس وحصونها وتراجم رجالها وملوكها والكلام على طرطوشة ودول الأندلس وملوك الطوائف وسقوط مرسية وحوادث الموريسك وغير ذلك من الأبحاث الجليلة



آفاق العــــلم الحديث

للأستاذ فؤاد صروف محرر « المقتطف »

بقلم الدكتور إسماعيل أحمد أدهم

البحوث العلمية لا وجود لها في العالم العربي اليوم ، والدراسات العلمية نادرة فى لغة العرب ، وهى إن جاءت فيها فعادة تجيء من القسط الشائع من الآراء الدائعة اليوم فى العالم الأوربى عن العلم الحديث ، وهى بذلك دراسات — غالباً — تدور حول كليات لا تنزل منها للتفاصيل والجزئيات التى تتقوم بها . ومن هنا كانت عامية التفكير العلمى عند الكثيرين من كتاب العرب وخلطهم فى المسائل العلمية وما يتصل بها بوشائج الصلة من الآراء والأفكار . ولهذا كانت المحاولات التى تبذلها مجلة « المقتطف » شيخة المجلات العربية منذ نشأتها لا تقدر قيمتها من حيث تعمل على القضاء على عنصر العامية فى الفكر العلمى العربى — إن صح مثل هذا التعبير هنا — والنتائج التى تتركها هذه المحاولات فى الفكر العربى كبيرة ، آثارها غير أن قد لا تبدو اليوم للجميع واضحة، إلا أنه لاشك فى كونها مع الزمن ستنكشف وتتوضح خطوطها وتستبين معالمها . والواقع أن مجلة « المقتطف » منذ عهد مؤسسها المرحوم الدكتور يعقوب صروف ، أعطت الدراسات العلمية اهتماماً كبيراً . وهــذا الاهتمام يبدو اليوم على صفحات « المقتطف » فى الجهود الطيبة التى يبذلها خلفه الأستاذ فؤاد صروف فى تقريب صورة العلم كما ترسمها المباحث الحديثة فى الهيئة والفزياء وعلم الحياة والنفس ، وفى تقريب الأفكار العلمية إلى الأذهان . وهذه الجهود ظاهرة فى الفصول المبسطة التى تنشرها المقتطف فى كل عدد منها ، والتى يجيء معظمها من قلم محررها ، والتى يجمعها بعد نشرها فى مجاميع ، منها كتاب اليوم « آفاق العلم الحديث » الذى خرج بديلاً عن عددى سبتمبر وأكتوبر المنصرمين .

والـكتاب مقسم إلى مقدمة وبابين ، أما المقدمة ففى أثر العلم الحديث فى خلق النقد، وأما الباب الأول ففى عالم المادة الجامدة وهو ينطوى على سبعة فصول تتدرج من أقصى آفاق الـكون فى عالم الأفلاك إلى أدق ما فى الوجود ، فى عالم الذرة والكهرباء والباب الثانى وقف على عالم الحياة ، وهو ينطوى على ستة فصول تتدرج من أسرار الحياة فى الخلية المفردة إلى أسرار النمو والخلق والتعبد والتقى Sex فى الأحياء المتعددة الخلايا والمركبة التكوين والتى يجيء منها الإنسان ، فتم البحث فى عقل ونفسية الإنسان . وهذه الفصول كلها يجمعها وحدة واحدة ، الأصل فيها الاستناد إلى التحقيق العلمى القائم على المشاهدة والاختبار ، وليس فيها من هنا أحلام وتصورات خيالية أو أفكار أولية مفروضة فرضاً . فكل ما تقف عليه فى فصول هذا الـكتاب أن يسنده الاختبار البشرى القائم على التدقيق والفحص ، ومن هنا فهى أسس صالحة لـكتاب العربية ، لتتطور معها فكرتهم الغيبية عن الوجود والحياة المتوارثة عن الماضى ؛ إلى فكرة وضعية إثباتية قائمة على علم اليوم تسندها التجربة والاختبار البشرى

أما مقدمة الكتاب فهى من خير الفصول التى دبجت فى اللغة العربية فى العصر الحديث عن العلم الحديث وآثاره المشهورة ، وفيها ملاحظات قيمة ومطالمات خطيرة — ولـكن لمن يتفهمها على حقها — وقد جاءت فى سبع فقرات ؛ فى الفقرة الأولى نرى الأستاذ صروف يكشف عن الأثر المشهود للعلم الحديث فى مختلف نواحى الحياة اليوم . وهو فى الفقرة الثانية يبين مقدار تأثر حياتنا العقلية والدولية ومثلنا الخلقية بالعلم الحديث ونتائجه التطبيقية . وهو فى هذه الفقرة يكشف عن منابع العلم الحديث من حيث هى قوة ديناميكية مؤثرة فى حياة البشر اليوم ، وهو يرى هــذه المناهج فى ثلاثة مصادر : الأول الانتفاع بنتائج العلم التطبيقية أو بتعبير أدق إمكان الانتفاع . والثانى منطق العلم الذى قلب نظرة الإنسان إلى الكون والحياة ونفسه . والثالث فى التحول الدائم فى مذاهب العلم، والذى نتج عنه اعتبار الحقيقة شيئاً متغيراً يتطور وينمو مع تطور العلم الدائم الذى لا ينقطع . على أن لنا على هــذه الأسس الثلاثة التى يقدرها الـكاتب مأخذاً لا نظنه ينكره علينا ، وقد أشرت إليه فى المحاضرة التى ألقيتها عن « أثر الرياضيات فى الحياة البشرية » مساء ١٨ ديسمبر ١٩٣٩ بجمعية الشبان المسيحية بالإسكندرية ؛ وذلك أنه اعتبر أساس

الأسلوب العلمي التجربة والمشاهدة ، وهذا صحيح من الناحية الشكلية فقط . أما في الواقع فالعنصر الرياضي الذي يجمع المشاهدات والتجارب والاختبارات في نظم موحدة على أساس العلاقة ، هو الأساس في الأسلوب العلمي . أما التجربة والاختبار ، فهي بمثابة الآلات أو المنابع التي تقدم المواد الأولية إلى الآلة الرياضية لتشتغل عليها ؛ وفهم العلاقة بين الآلة الرياضية والتجربة والاختبار مهم جداً في فهم حقيقة الأسلوب العلمي ، وأقل انحراف في ذلك ، نتيجته أن يتردى الإنسان في أوهام مثل التي وقع فيها الدارثورادنجتون في كتابيه « طبيعة العالم الفوزيقي » و « فلسفة العلم الفوزيقي » . وأظنني قد أشرت إلى هذه المسألة في نقد لي لكتاب « هندسة الكون حسب ناموس النسبية » ، نشرناه في المقتطف عام ١٩٣٨ ، وفيه تعرضت بالبحث لآراء إينشتين وإدنجتون وجينز ، وبينت بعض أوهامهم في هذا الموضوع

فإذا صرفنا النظر عن هذه المسألة ، فإن المقدمة تنتظم حلقاتها على أساس دقيق . فالكاتب يتناول في الفقرة الثالثة تطور الفكرة الإنسانية تحت تأثير العلم تجاه كل من الطبيعة والخالق . وهنا نجد الاستاذ صروف يبين كيف أن فكرة القدسية التي كان الإنسان يخلعها على نفسه باعتباره سيد المخلوقات قد انهارت . وفكرة اعتبار الأرض التي يعيش عليها مركز الكون وأنه محط الرعاية الربانية قد تلاشت

على أننا نلمس هنا بعض الحذر من الكاتب فهو لم ينته بفكرته إلى النتائج الأخيرة التي لا بد منها ؛ ولعقيدته وبيئة كتابته التي تتسلط عليها الأفكار القديمة ، بعض الأثر في التزامه هذه التحوط . وفي الفقرة الرابعة بين الكاتب نشوء شريعة الآداب النفسية كنتيجة للحياة التي عاشها الإنسان في الماضي . وتدرج من ذلك في الفقرة الخامسة إلى بيان أوجه الانقلاب الذي ابتدأ يطرأ على شريعة آداب النفس نتيجة لظهور المدنية الصناعية في الغرب ، وكيف أنها عملت على تحطيم القدسية والمثالية المخلوعة على المذاهب الأدبية التقليدية . وهكذا أصبح اليوم في العالم المتمدن الأمومة ضرباً من الاستعباد ، والزواج ضرباً من الرق ، وخصصت فكرة إخلاف النسل للقواعد المالية التي أخذت تعمل على تقييدها . وكان نتيجة كل هذا أن وقف الإنسان اليوم بين عالمين ، أحدهما ذهب إلى سبيله في جوف الماضي ، والآخر لم يولد بعد ، أو هو لا يزال في المهد صبياً ... وهكذا وقف العالم حائراً ؛ والكاتب يصور هذه الحيرة في الفقرة السابعة من بحثه تصويراً دقيقاً ، ويبين في الفقرة الثامنة والأخيرة من البحث أن نظريات العلم التي قلبت نظرية الإنسان في الكون ونفسه التي أنشأت هوة سحيقة بين الحياة التقليدية التي ورثها عن الماضي ومستلزمات الحياة التي تستلزمها اعتبارات اليوم تنطوي رغم كل العوامل الهدامة التي تبدو فيها ، على بذور لحل المشكلة التي تركت الإنسان عبها الآن ، وهذه البذور تكمن في التصوف العلمي وفي النزعة الإنسانية Humanitarian التي أخذت تدبع في الناس بانتشار الفكر العلمي . وفي هذه المقدمة التي عرضنا لك موجز الخطوطها الأساسية ، تفكير سليم ، ومنطق حصيف ، لا شك أنه وليد ذهنية صافية أرهفها التزود من المسائل العلمية الدقيقة وصقلها التمرن على البحوث العلمية ، ولهذا جاءت طابعاً وحدها بين العقول العلمية التي تشتغل في الحقل العلمي في العالم الناطق بالعربية

على أن لنا ملاحظة على استعمال عبارة « المذهب البشري » ناظرة إلى كلمة Humanism الإفرنجية . ذلك أننا نعرف أن لفظة Humanism تفيد اصطلاحياً الآداب اليونانية واللاتينية لتفشي النزعة الإنسانية فيها (بمعنى الرجوع إلى الإنسان لا إلى الله أو الغيب) . وأظن أن صديقنا الأستاذ اسماعيل مظهر نبه إلى ذلك في النقد الذي كتبه لكتاب « البراجتزم » للأستاذ يعقوب فام في المقتطف لأعوام خلت . وفيما عدا ذلك فاللغة مثال اللغة العلمية الواضحة الفائقة على التدقيق

وبالرغم من المآخذ التي أخذناها ، وهي لا تنقص من قيمة الجهد الكبير المبذول في هذا الكتاب ، فإنه يمكن بكل اطمئنان القول بأن هذا الكتاب من خيرة الكتب التي ظفرت بها المكتبة العلمية العربية ، وهو كتاب لا يستغنى عنه العالم ولا المنشئ ولا الأديب . فالكل يجد فيها ما يفيده ، وهو بالتالي موضع الثناء والتقدير . وأظن أن أدباء العربية — خصوصاً الذين لا يعرفون لغة أجنبية ، أو ليست لهم ثقافة علمية — بتزودهم من الحقائق التي بهذا الكتاب ، سيعملون على التغلب على عنصر الضعف العلمي الملحوظ على أدبهم ، والذي سبقهم إلى التغلب عليه أدباء الغرب.

« الاسكندرية » اسماعيل أدهم

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولي — عابدين)

8me Année No. 346

Lundi - 19 - 2 - 1940

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
ص
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٣٤٦ « القاهرة فى يوم الاثنين ١١ محرم سنة ١٣٥٩ — الموافق ١٩ فبراير سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهـــرس

الربيع الأحمـــر !

الربيع الأحمر ! ذلك هو الربيع المقبل كما يتصوره الشاعر !

لا يزال الربيع جنيناً فى بطن الأرض ، وإن الطبيعة لتهيئ لجذوره وبذوره الغذاء المرئ والكساء الوضئ من دماء البشر !

سيولد ولادة الملوك على حشد الجنود وخفق البنود وقصف المدافع ؛ وسيدرُج فى غلائله الأرجوانية الموشاة على فجوات القنابل وأخاديدها ، فيبذر الحياة فى الموت ، وينشر الجمال على القبح ، وينثر أزهاره الغضّة على جثث وقبور ! ويومئذ لا تدرى وأنت ترى غيم الدخان وبرق النيران ، وتسمع صفير الرصاص ورعد القذائف ، أنحن فى ربيع ابريل أم فى شتاء يناير ؟

على أن الشتاء كان على الناس سلاماً وبركة ! خمدت على جليده لظى الحرب ، وجمدت فى ثلوجه مخالب الموت ، واستطاع بفضله الهر الفنلندى الضئيل أن ينشب أظفاره فى حشا الدب الروسى الهائل ؛ ولكن الربيع الذى جعله الله نشوراً للحياة ومعاداً للشباب ومبعثاً للحب ، سيمين لؤم الإنسان بدفء نسيمه وصفاء جوه ، على أن يجعل الأرض لنفسه مجزرة ومقبرة !

* * *

الربيع الأحمر ! ذلك هو الربيع الذى لا يخلقه الله وإنما يخلقه الإنسان ! سيخلقه من الذهب واللهب والدم ، فيجعل من

الجداول خنادق ومن الأغصان بنادق ومن الأدواح مدافع ؛ وإذن تصبح الأعشاش الناعمة المغردة المطارة مثابة بؤس ومناحة شباب ومستودع غاز !

سيعود ربيع الله الأخضرُ بطيوره وزهوره ونوره وسروره إلى الجنة ، وسيمتير الإنسان مادة ربيعه الدامى من جهنم ، فينبت فى كل بقعة من بقاع الأرض آجام من شجر الزقوم الباسق الألَف، تئز فى آفاقها الطوائر، وتمج فى أجوافها المدافع، وتدب فى مدارجها الدبابات ، وتهب فى مجاريها السموم ، وترتد فيها أناشيد السلام وأغاريد الغزل أنات وصرخات تذوب لهولها الهائل قلوب الشياطين !

تبصّروا أيها السادرون من ساسة الشعوب، أهذا هو الربيع الريان الذى جعله الله جِدة للحياة ومتعة للحى، أم هو الخريف الميت أحرقته الحرب باللهب ، وكفنته بالنجيع ، وأخذت عواصفها الرُّعن تكسح الأرواح الساقطة قبل الأوان لتقذف بها فى هوى العدم ؟ لم تستعجلون أمر الله ، وتستقدمون يوم القارعة ، وتحاولون أن تدكوا الأرض ، وتشقوا السماء ، وتذروا الكون الذى عمرته القرون وحضّرته الأمم كمعبد (داجون) أنقاضاً على شمشون وأعدائه ؟

هيهات أن تصيخ اليوم لنداء السلم أذن ! لقد جمح الهوى بالعقل جموح الفرس الشموس ، فلا هو يسمع الصوت المهيب ، ولا هو يطيع اللجام الكابح !

تلك مشيئة الله ، وما تشاءون إلا أن يشاء . ولعله ، عزت حكمته، يريد من هذه القيامة العاجلة أن يحيي الناسَ حياة أخرى على نمط من الهداية جديد

* * *

الربيع الأحمر ! ذلك هو الربيع الخلاق الذى يهز الأرض هزاً فتربو وتنبت ! سيهزها هز العافية ليسقط الذاوى وينتعش الهامد . والحرب تشذيب لغرس الله تقوى عليه الغصون وتزكو بعده الثمر . وآفة الحرب أنها تودى بالصالح للحياة وتبقى على الصالح للموت ؛ ولكنها كالسيل الأتى يجرف تياره الجنِى واليابس ، ويغرق طغيانه العامر والغامر ؛ فإذا انقطعت روافده وجفت مجاريه عادت الأرض به أخصب تربة وأوفر غلة

مرحباً بالحرب إذا لم يكن من خوض غمارها بد . إنها تقطع الفضول وتنفى الخبَث وتذيب الغش وتذهب الوهن. ولعلنا أحوج الأمم إلى طَهور الحرب يرحض عنا رخاوة الذلة واستكانة الرق! فقد غبرت على وجوهنا قرون من التبعية المستسلمة لو مرت على الضوارى لطمست فى جباهها معارف الجرأة ، وأماتت فى نفوسها معانى الافتراس . كنا نعيش فى ظلال المتبوع عيش الأمان والغفلة ، لا نعرف الحدود إلا على الورق، ولا نشهد الحروب إلا فى السينما ، ولا ندرك معنى الدفاع عن النفس فى وجود الحامى إلا كما تدركه الزوجة المرفهة فى وجود زوجها ، والولد المدلل فى حضرة أبيه ، حتى فشا فينا الجبن ، وغلب علينا التواكل ، وقعد بنا الرضى ، فتركنا ثروتنا للغريب ، ووكلنا حمايتنا للحليف، وفرغنا للتنافس فى الهزل ، والتراشق بالتهم ، والتسابق إلى النيابة أو الحكم من غير كفاية ولا غاية !

* * *

الربيع الأحمر ! ذلك هو الربيع الجبار الذى يأكل غثاء الخريف وحطام الشتاء ليحيلهما فى جوفه النارى غذاء لشجره ونماء لثمره !

هو وحده الذى يستطيع أن يقتطع الحطب، ويقتلع العليق، ويُنبت على الجذور البالية خِلفة نامية زاكية تهيئ الروض الهامد للنضارة والطهارة والإنتاج والبركة

إن روضنا يا ربيع هشيم وخشب ! فأحيه بالماء أو بالدم ، وعالجه بالغذاء أو بالسّم، فقد استعصى يا ربيع علاجه على النيل، ولا بد أن يضحّى بجيل فى سبيل جيل !

أحمد حسن الزيات

عددنا الممتاز

سيصدر عددنا السنوى الممتاز فى اليوم الرابع من شهر مارس المقبل فى أربع وثمانين صفحة . وهو كالأعداد السبعة السالفة كتاب قيم يدور على عظمة الرسول وعبقرية الاسلام ومجد العروبة . وسيكون ثمنه قرشين لغلاء الورق وقلة المطبوع

الى وزارة المعارف

معـــارف مصر
فى حولية المعارف الأممية
للأستاذ أبى خلدون ساطع الحصرى بك

حمل البريد إلىّ قبل يومين الحولية التى نشرها مكتب التربية الأممى ، عن « التربية والتعليم فى جميع أنحاء العالم خلال سنة ١٩٣٩ »

فلما أخذت أقلب صحائفها لألم بها إلماماً إجمالياً - استعداداً لدرسها درساً تفصيلياً فيما بعد - كان بعض الفصول يستوقف نظرى قبل غيره أو أكثر من غيره ؛ وكان الفصل الخاص بمصر (ص ١٨٠ إلى ٢٠١) من جملة تلك الفصول بطبيعة الحال

وما كدت ألقى نظرة سريعة على الصفحتين الأوليين من هذا الفصل ، وأستعرض الأرقام الإحصائية المدرجة فيهما ، حتى وقفت على ما يثير الضحك والألم فى وقت واحد ...

يفهم من هذه الإحصائية أن مدارس الأطفال فى مصر تربى ٢٤٤٨ طفلاً ، والمدارس الابتدائية الأميرية تعلم ٢٩٧٧٥ تلميذاً ، والمدارس الابتدائية الخصوصية تُجلس على كراسيها ٥٣٤٨٩ من التلاميذ ؛ وهذا هو كل ما فى مصر من مدارس خاصة بتعليم الأطفال - قبل بلوغهم سن الدراسة الثانوية - حسب ما يظهر من هذه الإحصائية ...

لو لم أكن أعرف حالة المدارس المصرية معرفة سابقة ، وكان عرفانى بها مستنداً إلى هذه الإحصائية وحدها، لقلت حالاً: ما أتعس مصر وما أشقى أطفالها ...

لأن هذه الأرقام تدل على تأخر فظيع ، لا بالنسبة إلى الأمم الأوربية والأمريكية فحسب ، بل بالنسبة إلى الأمم الشرقية نفسها . وليس هذا التأخر بالكمية النسبية فحسب ، بل بالكمية المطلقة أيضاً ... فإن العراق ، يسبق مصر فى هذا المضمار بمراحل عديدة . وأما إيران فتسبقها بعشرات المراحل نظراً إلى هذه الأرقام ...

فإن عدد طلاب المدارس الابتدائية الأميرية فى العراق يناهز ثلاثة أمثال طلاب تلك المدارس فى مصر ، مع أن عدد نفوس العراق لا يبلغ ثلث نفوس مصر ... وأما عدد طلاب المدارس الابتدائية فى إيران فلا يقل عن ثمانية أمثال طلاب مصر ، مع أن عدد نفوسها أقل من نفوس مصر على كل حال ...

ولا مجال للشك فى أن كل من يراجع الحولية الأممية المذكورة من الأوربيين والأمريكيين سيلاحظ هذه الملاحظة ، وسيقول : ما أفظع هذا التأخر المؤلم فى بلاد غنية مثل مصر ، فى شعب عريق فى الحضارة مثل المصريين !

***

قد يقول بعض من يقرأون هذه الأسطر : لا بد من أن يكون هناك خطأ فى الأرقام ... ولا يستبعد أن يكون هذا الخطأ متأتياً من نقص المعلومات التى جمعها مكتب التربية الأممى عن المدارس المصرية ...

غير أن هناك ما ينفى هذا الاحتمال نفياً باتاً : لأن الفصل الذى يرافق إحصائية المعارف فى مصر لسنة ١٩٣٩ تقرير رسمى رفعه مندوب الحكومة المصرية الدكتور محمود فهمى — كما هو مصرح به فى أسفل الصفحة ١٨١ من الحولية — فلا يحق لأحد إذن أن يشك فى صحة الأرقام المدرجة هناك ...

ومع كل هذا ، فأنا أعرف أن النتيجة التى يصل إليها الباحث — من هذه الأرقام — لا توافق الحقائق الراهنة بوجه من الوجوه ... أنا أعرف أن هذا المظهر الغريب الذى تظهر به معارف مصر — فى مثل هذه الإحصائيات — يعود إلى سبب مهم ، كنت قد وجهت إليه الأنظار — على صفحات الرسالة — قبل نحو ثلاث سنوات ...

إن نظم التعليم المرعية فى مصر لا تفهم من تعبير « المدرسة الابتدائية » ما يفهمه رجال التربية والتعليم وغيرهم فى جميع أنحاء العالم. فإن المدرسة الابتدائية فى مصر، مدرسة من نوع خاص، وهى غريبة شاذة من وجوه عديدة ...

لقد انتقدت أوضاع هذه المدارس بشدة فى المقالة التى

الى الدكتور طه حسين بك

تشريح عاطفة الحب

للدكتور زكى مبارك

أيها الأستاذ الجليل :

سألتنى يوم لقيتك بوزارة المعارف فى صباح اليوم الثامن من هذا الشهر عن سبب اهتمامى بالحديث عن الحب ، وقد جرى ذكر كتاب « ليلى المريضة فى العراق » ، وكانت الابتسامة التى شعّ ضوءها فى ملامح وجهك ، تحمل معنى التعجب من أن تسمح الدنيا بأن أعيش بقلب المحب المتيَّم المتبول !

فأجبتك بأن شواغلى فى الحياة قد تجعل الحب آخر ما يشغل قلبى . ولكن حديثى عن الحب صار مذهباً أدبيًا أشرح به ما يتعرض له الناس فى ميادين النوازع والأهواء ، وأنا أريد أن أخلق جوًّا من البشاشة أدفع به ظلمات الزمان !

فابتسمتَ ابتسامةً لها معنًى وقلت : اخلق البشاشة فى الزمن إن استطعت !

ثم خضنا بعد ذلك فى شجون من الأحاديث سأرجع إليها بالتدوين بعد حين ...

ويهمنى اليوم أن أشرح ما كان يجب أن أقول فى جواب سؤالك لو رأيتك منشرح الصدر لا تشكو تدخّل بعض الناس فى شؤون قد يجهلونها كل الجهل ، أو يتحمسون لها بعقيدة مدخولة وإيمان مصنوع .

ونحن لم نبتكر الكلام عن الحب ، فهو عاطفة عرفتها الأرواح منذ أقدم عهود الوجود . وما قيمة الدنيا إذا خلت من الحب ؟ ولأىّ غرض يحيا الناس إذا أُصيبتْ أفئدتهم بالاعتلال فلم تحس ذلك الروح اللطيف ؟

وهل ينصرف القلب عن الحب وهو فى عافية ؟

إن المتوقرين والمتزمتين يتوهمون أنهم وجدوا الحجج الدوامغ حين استطاعوا أن يقولوا : إن الدنيا فى حرب ، وإن الظروف لا تسمح بالحديث عن الحب !

وأقول : إن ما هتفوا به لم يصدر إلا عن صدور مِراض ، فالحب لا يغزو إلا قلوب الأصحاء ، وهو يساور قلوب الجنود فى أصعب أوقات الحروب . وهل كان عنترة بن شدّاد ماجناً حين قال :

ولقد ذكرتك والرماح نواهلٌ ... منى وبيض الهند تقطر من دمى

فوددتُ تقبيل السيوف لأنها ... لمعت كبارق ثغركِ المتبسّم

وما هتف به عنترة هتف به ضابطٌ مصرىٌّ سمحت له لجنة الأناشيد العسكرية بأن يقول :

مين زيّك عندى يا خضره ... فى الرقه يا غصن البان

ما يجـــودى علىّ بنظره ... وانا رايح عَ الميـدان

وهذا الضابط اسمه عبد المنصف محمود ، ولا أعرف كيف اهتدى إلى هذه الفكرة الطريفة وهو يعيش فى زمن مثقل بآصار التصنع والرياء

لقد قيل إن هذا نشيد لا يصلُح للجنود وهم يتأهبون للقتال

وأقول إن هذا النشيد من شواهد العافية ، فلكل جندىٍّ فى الجيش أوطار روحية يحن إليها حنين الأصحّاء ، وتلك الأوطار الروحية هى الحافز الأعظم للاستبسال فى ميادين الشرف والوطنية . والجندىُّ الفارغ القلب من عاطفة الحب لا يصلح أبداً للاستشهاد فى سبيل الوطن الغالى ، لأن الوطن لا يغلو إلا فى صدور أرباب القلوب

نشرتها فى العدد ١٨٧ من الرسالة — بتاريخ أول فبراير سنة ١٩٣٧ — وبعنوان « نقد نظام التعليم فى مصر » ، وشرحت المحذورات الجوهرية التى تتأتى من الاستمرار على تلك النظم ...

وما كنت أتصور عندئذ أن كل شىء سيبقى على حاله وسيؤول إلى ظهور مصر بهذا المظهر الغريب فى الحولية الأممية بعد ثلاث سنوات ...

(بغداد) أبو خلدون

***

حاشية : إن المقارنة بين الأرقام المدرجة فى حولية ١٩٣٩ وبين المدرجة فى حولية ١٩٣٨ — فى القسم الخاص بمصر من جهة، وفى القسم الاجمالى العام من جهة أخرى — ولا سيما فى الأرقام المتعلقة برواتب المعلمين والمعلمات وعدد دور المعلمين ودور المعلمات — أدتنى إلى ملاحظة عدة أمور غريبة ، لم أر لزوما لشرحها هنا ؛ بل آثرت الاكتفاء بتوجيه أنظار المختصين والمسؤولين إليها ...

وأنا أنتظر أن يسود ذلك النشيد على سائر الأناشيد ، فقد هتف به جندىٌّ سليم الجسد والروح ، وهو أفضل من الأناشيد التى ينظمها شعراء لم يعرفوا الفرق بين السيف والرمح ، ولم يسمعوا صوت المِدفع إلا فى ليالى رمضان !

من الفضول أن أحدثك عن أهمية الحب ، ولك فيه تاريخ ، ولكنى أحب أن أعرف كيف يندُر أن نجد بين كتابنا من يهتمّ بتشريح عاطفة الحب ؟ وكيف يرانا من سيدرسون آثارنا الأدبية بعد جيل أو أجيال حين يظهر لهم أننا كنا نحسب الحديث عن الحب فنًّا من فنون المزاح ؟

الحب جِدُّه جدٌّ ، وهزله جِدٌّ ، ولا يتجاهل هذه العاطفة إلا الغافلون عن تأثيرها الحسن أو السيِّئ فى تلوين الوجود

الحبُّ جِدٌّ صُراح ، والاهتمام بدرسه يؤدى خدمات عظيمة لعلم النفس ، فكيف نسكت عن درسه وهو يواجه الناس فى جميع الميادين ؟ كيف نسكت عن درسه وله قدرة قاهرة على الضر والنفع ، وله تأثير شديد فى توجيه مصاير الرجال ؟

وبأى حق يخلو أدبنا من تشريح عاطفة الحب ؟

وكيف يجوز أن يقهرنى العيش فى عصر التزمت على الدفاع عن كتاب « ليلى المريضة فى العراق » وهو كتابٌ أردت به خلق الحيوية الأدبية بين أبناء هذا الجيل ؟

إن التوقر الذى يصطنعه بعض الناس قضى على عصرنا بالحرمان من البشاشة والأريحية وقطع ما بيننا وبين ماضينا المجيد يوم كان لنا شعراء لا يهتفون بغير أوطار القلوب

وأين نحن من العصر الذى عاش فيه عمر بن أبى ربيعة ، أو العصر الذى عاش فيه العباس بن الأحنف ، أو العصر الذى عاش فيه الشريف الرضى ؟

وهل يمكن القول بأن الحاسة الدينية فى هذا العصر تفوق الحاسة الدينية فى أعصر أولئك الشعراء ؟

لا يمكن القول بذلك ، فنحن بشهادة رجال الدين أقلُّ حرصاً على الواجبات الدينية من الرجال الذين عاصرهم أولئك الشعراء ، والله يغفر لى ولك ولسائر أهل هذا الجيل !

الفرق بيننا وبين أسلافنا لا يحتاج إلى توضيح

كان أسلافنا أصحاء ، فكانت عصورهم تجمع بين أشرف صنوف الهداية وأعنف ضروب الضلال ، وكان الرجل الديّان لا يتورع عن رواية أظرف قصائد الغزَل والتشبيب ، وكان هناك توازن بين حقوق القلوب وحقوق العقول ، فكانت الحياة أشبه بالحديقة الفنية التى تجمع فى شمابها بين حياض الأزهار والرياحين ومسارب الأفاعى والصِّلال

وأين نحن اليوم من أولئك الأسلاف ؟

فى مساجدهم رُويت طرائف الأشعار ، ونوقشت مذاهب الزيغ بلا تحامل ولا إسراف ، وفى بيوت أتقيائهم دُوِّنت أوهام القلوب والعقول ، وعلى ألسنة أصفيائهم جرتْ أحاديث الشك والارتياب ، وبفضل ذوقهم الأدبي والفنى عاشت أضاليل لها صلات بحيوات الآداب والفنون

أما عصرنا الذى أعرف وتعرف فهو عصر الرسوم والأشكال ، وأخشى أن يمر بلا أثر ملحوظ فى خدمة العقل والقلب والذوق وإلا فأين الرجل الصالح الذى يقهرك روحه على التزام حدود الدين ؟

وأين المفكر الذى يقهرك إخلاصه للفكر على التزام حدود العقل؟

وأين الأديب الذى يحدثك عن نفسه فتشعر بأنه صادق كل الصدق ؟

ومن أجل هذه الرخاوة الفكرية والأدبية والدينية فترتْ حماسة الناس للفكر والأدب والدين ، وأصبحت القلوب فى مثل حال الشراب المقتول

وهنا أجد الجواب عن سؤالك ، أيها الأستاذ الجليل

فأنا أتحدث عن الحب بصفة جدية ، وأتعقب أخباره وآثاره فى كل ما أرى وما أسمع ، وآية ذلك أنى لم أنته ولم أنزجر بعد أن رأيت غضبتك فى جريدة السياسة يوم ظهر كتاب « مدامع العشاق » وقد قلت إنه يحرض على الشهوات ، سامحك الله وغفرلك!

وأنا أجِدُّ فى كل شىء ، أجد فى الصداقة والعداوة ، وأجد فى الشك واليقين ، وليس أمامى مجال للمزاح ، وكيف يتسع وقتى للمزاح وما قضيت يوماً خالياً من الشقاء بالدنيا والناس ؟

فما أرضاك عنى فهو حق ، وما نفَّرك منى فهو حق ، وما خصصتك بغضبى ورضاى إلا لأنى أعرف أنك تعاقر من فرح الحياة وحزن الحياة بعض ما أعانى . وأنا موقن بأنك تفهم عنى

ما أريد ، لأنك تعرف من سريرتى ما لا يعرف سواك

فا رأيك فى الحب ؟

ألا ترى أنه عاطفة تستحق أن نتأثرها فى جميع المسالك ؟

وإذا سكتنا عن تشريح عاطفة الحب فن يتحدث عنها ونحن ندّعى النيابة عن الجمهور فى تشريح النوازع والأهواء ؟

وهل يرضيك أن نصيرَ إلى ما صار إليه مَن يختارون المحفوظات لتلاميذ المدارس ، وقد تحاشوا جميع الأشعار التى تفصح عن أوطار القلوب

لو كان جميع المعاصرين من « العارفين بالله » لخفّ الأمر وهان ، ولكن معاصرينا من الأساتذة يسمعون حديث الحب من المذياع ، ويرون آثاره على الشاشة البيضاء ، وفيهم من يتمنى لو سارت أشعاره بين أغاريد أم كلثوم وعبد الوهاب !

يجب أن تعرف أنى أخاطب الدكتور طه حسين الذى نقل أروع أحاديث الحب عن أهل الغرب ، والذى يحاول أن يطبع الجمهور المصرى على تذوق الموسيقا الأوربية ، لأنها فى رأيه من أصلح الأدوات للتعبير عن العواطف والأهواء

والأوربيون الذين تعرفهم لا يرون الحب من المزاح ، وإنما يرونه عاطفة أصيلة تنقل القلب من مكان إلى مكان ، وتسبغ عليه أثواب الصحة والعافية ، وتشريحُ عاطفة الحب هو عندى باب لتربية العواطف

تربية العواطف ؟

أعوذ بالله من الجهل بأخلاق زمانى ومن التعرض لسفاهة الأقاويل وشناعة الأراجيف !

نعم ، أنا أدعو إلى الاهتمام بتربية العواطف ، وليقل من شاء ما شاء

كل شيء فى بلادنا موضع اهتمام إلا العواطف ، وإهمالُ العواطف ستكون له آثام أيسرُها رياضة الشبان على رذيلة « عدم الاكتراث » وهى أقبح الرذائل وأشدُّها تأثيراً فى قتل حيوية الشعوب

وهل تستطيع القول بأن الرأى العامّ عندنا يحسّ هذه المعانى ؟

وما الرأى العامّ ؟ أليس صدًى لآراء الباحثين والمدرسين وهم عندنا قومٌ هيّابون خوّافون يرون الحديث عن العواطف من فضول القول ؟

وخمود العواطف هو الذى قتل الشاعرية فى مصر ، وهو الذى جعل المصريين أقل الناس إحساساً بمعانى الوجود ، وإلا فحدثنى عما أقيم على شواطئ النيل من ملاعب ، وما أقيم فوق عبابه من سهرات يغنّى فيها الشعر ويرقص الخيال ؟

هل عندك نبأ عن حدائق القناطر الخيرية ؟ وهل سمعت أن إحساس المصريين بالحياة حمل بعض الشركات على أن تنشئ فندقاً هناك ؟ ولمن تقام الفنادق فى تلك الضاحية السحرية وليس فينا رجل يشوقه قضاء الليل وهو يسمع هدير النيل فى شهر آب ؟

وهل عندك نبأ عن حديقة الأزبكية ؟

ألم تسمع أن حديقة الأزبكية ليس فيها مكان تشرب فيه فنجاناً من القهوة أو الشاى إذا بدا لك أن تقضى فيها ساعة أو ساعتين لمحاسبة نفسك أو مداعبة خيالك ؟

ويتحدث الناس فى هذه الأيام عن بحيرة قارون بمناسبة زيارة جلالة الملك لإقليم الفيوم ، فهل تعرف أنه لا يمكن قضاء ليلة بجوار تلك البحيرة إلا فى فندق أقامه هناك أحد الألمان ؟

وهل سمعت أو سمع أحد من أصحابك أن شاعراً مصرياً قضى ليلة أو بعض ليلة وهو يداعب سمكات تلك البحيرة ؟

وما رأيك فى (بحيرة التمساح) ؟

هل سمعت لها خبراً فى قصيدة أو رسالة أو كتاب لأديب من أهل هذه البلاد ؟

وهل خطر لك أن تقضى ليلة بجوار تلك البحيرة عساك تعرف شيئاً من أخبار مدينة الاسماعيلية ؟

ولا موجب لتذكيرك بالأقصر وأسوان : فالناس جميعاً يعرفون أن الأجانب هم الذين تشوقهم تلك المغانى ، وإليهم يرجع الفضل فى إقامة أسواق الحياة بتلك المناسك ، على أيامها ولياليها أطيب التحية وأزكى السلام !

ومالى أبعد بك فأنقلك إلى تلك البقاع النائية ؟

هل اتفق لك أن تُلقى درساً من دروسك بين الأشجار التى تحدق بكلية الآداب ؟

وهل فكر أستاذنا لطفى باشا فى محادثة طلبة الجامعة عن أرسطاطاليس تحت الدوح كما كان يصنع فلاسفة اليونان ؟

ذلك يشهد بأن إحساسنا بالحياة يكاد يكون فى حكم المفقود ، فا رأيك فى الدعوة إلى الطب لهذا المرض العضال ؟

وكيف نطبّ لهذا المرض ونحن نرى الحديث عن الحب ضرباً من المزاح ؟

كيف وقد تهيبت تقديم كتاب « ليلى المريضة فى العراق » إلى محررى الجرائد المصرية لئلا أقرأ لأحدهم كلمة تؤذينى بلا موجب معقول ؟

وما رأيكَ إذا حدثتك بأنى عجزتُ فى مصر عن بعض ما قدرت عليه فى العراق ؟

كنت أحب أن أؤلف كتاباً عن « ليلى المريضة فى الزمالك » أفصل به أسرار المجتمع وسرائر القلوب فى هذه البلاد بطريقة روائية تفيض على شبابنا روحاً من أرواح الوجدان ، ولكنى خشيت ملامة الفارغين من أشباه الأدباء

فهل أرجو أن يصرّ قلمك بما تهيّب منه قلمى ؟

لقد وضعت لك الخطة بكتاب « ليلى المريضة فى العراق » فأرنى كيف تصنع وكيف تصوّر عصرك وزمانك كما صوّرتُ عصرى وزمانى . نحن نريد أن نشغل الناس بأخلاقهم وأذواقهم وأوهامهم ، نريد أن نسيطر عليهم بالأدب والعقل بعد أن سيطر عليهم السياسيون بالمناوشات الحزبية والسياسية

فهل أنت مستعد لاقتحام هذا الميدان ؟

نحن نفكر فى خلق عصبية أدبية تعلو على العصبية الحزبية

ولن نصل إلى ذلك إلا يوم يؤمن الجمهور بأن الأدب هو الترجمان الصادق لشهوات العقول ، وللعقول شهوات أعنف وأخطر من شهوات الأحاسيس، وتثقيف الشهوات العقلية يصل بنا إلى منازل الحكماء ، ويطمعنا فى الخلود

ليتنى أستطيع مصارحتك بكل ما أريد فى خلق الحيوية الأدبية والفنية !

وكيف أستطيع وأنت كثير التلوُّم والتعتّب ، ولا يصل إليك الرأى الصريح إلا مشوباً بتهمة التحامل عليك ؟

أنت على كل حال من ذخائرنا الأدبية ، وأنا أقبلك على علاتك كما تقبلنى على علاتى

فهل يكون من الفضول أن أصارحك بأنك لا تُقبِل على حياة الوجدان إلا وأنت خائف ، مع أنك قوىّ العبارة فى الإفصاح عن وساوس نفسك ، ونوازع قلبك ؟

وما خوفُك وقد استقام لك أمر مصيرك الأدبى وصار اسمك من أظهر الأسماء ؟

ما خوفُك من الاعتراف بأن عاطفة الحب تستحق التشريح ؟

وما الذى يدعوك إلى الاحتراس حين أقترح عليك تأليف كتاب عما أحس شعراء العرب من النوازع الوجدانية ؟

أتخاف أهل الجمود ؟

إطمئن ، يا سيدى الدكتور ، فهم فى شغل عنا بمعاركهم الدنيوية ، ولن يفرُغوا لنا إلا بعد أن نفرُغ من إعلام الناس بما نريد من شرح أوهام العقول والقلوب

أما بعد فأنا أعلن عتبى عليك ، لأنك ابتسمت ابتسامة فيها طيفٌ من الاعتراض على اهتمامى بتشريح عاطفة الحب ، وأصارحك بأن هذا مذهبٌ أدبىٌّ سأحرص عليه ما دمت أملك القدرة على تشريح العواطف والأحاسيس

فافتح قلبك ، يا سيدى الدكتور ، لوحى الحياة والحب ، واعلم أن الابتسام الصادق هو أثمن ما يملك الرجال

وقد شاءت المقادير أن أستطيع مقابلتك فى كل يوم بعد أن صرت معنا فى وزارة المعارف ، وسأحوّلك إلى حزبنا ، حزب الأخوّة الأدبية الذى يرى أقطار العربية جسماً واحداً إذا شكا منه عضو أسعدته سائر الأعضاء بالسهر والأنين

وستُريك الأيام بعد قليل أن الميزان الذى كنت احتكمت إليه فى تقدير المداوات والصداقات لم يكن أدق الموازين ... والله المسئول أن يديم عليك عافية القلب وشباب الروح .

زكى مبارك

الحق والقـــوة (*)

للدكتور ابراهيم بيومى مدكور

أستاذ الفلسفة بكلية الآداب

فى هذا الجو المملوء بالآلام والويلات ، وفى هذه الساعات الرهيبة التى ينبض لها قلب العالم هلعاً وجزعاً من مأساة لا يعلم مداها، وتطاحن لا يستطيع أن يقدر نتائجه ؛ فى هذه اللحظات التى يعتدى فيها الأقوياء على الضعفاء ويطغى المسلحون على العزّل الأبرياء ، وفى هذه الأيام التى خفتت فيها موسيقى السلم ذات الألحان الشجية والنغمات الحلوة وحلت محلها نواقيس الحرب ذات الأصوات المدوية ؛ بل وفى هذه الأعياد السنوية التى كان يقدسها قديماً الهمجيون أكثر مما يقدسها اليوم المتحضرون، والتى كان يلتقى فيها الأسلحة المتحاربون ؛ فى هذه الظروف كلها رأيت من الخير أن أتحدث عن فكرة الحق والقوة

وإذا ما تحدثت عن هذه الفكرة فإنما أعرض للمشكلة الرئيسية بين مشاكل الفلسفة السياسية منذ أفلاطون إلى اليوم ، فهى مشكلة الماضى والحاضر ، ويخيل إلى أنها ستبقى مشكلة المستقبل إلى النهاية . وكأنى بالحق والقوة ضدين لا يجتمعان وعدوين لا يتهادنان ، يقدر لأحدهما الغلب ثم لا يلبث الآخر أن يعدو عليه وينتزع منه سلطته ، وما تنازعهما إلا صراع بين الروحية والمادية ، بين المثالية والواقعية ، بين الإنسانية والوحشية ، بين الحضارة والهمجية . ولن أكون فى حديثى هذا المشرّع الذى يعنى بالقوانين وصوغها وبيان ما فيها من عقوبات وقصاص تحول دون عدوان المعتدين وظلم الظالمين ، ولا السياسى الذى يقدم الحلول المختلفة لمشاكل الدولية العامة . وإنما سأعرض لموضوع الحق والقوة من ناحيته الفلسفية والأخلاقية والاجتماعية ، فأبين كيف نشأت الفكرتان وكيف تطورتا وماذا كان لهما من أثر فى حياة المجتمع ، ثم أشير إلى أوجه التقابل بينهما وموقف الفلاسفة والأخلاقيين منهما

(*) محاضرة ألقيت بالجمعية الجغرافية فى مساء الثلاثاء ٢٦ ديسمبر سنة ١٩٣٩

ليس من السهل أن نحدد بالدقة كيف اتجه الإنسان الأول نحو فكرة القوة ، أقاده إليها حسه وبصره وسمعه ولمسه ؟ أم هداه إليها شعوره وقلبه وعزمه وإرادته ؟ وبعبارة أخرى هل تبينا القوة لأول مرة فى أنفسنا أو فى الظواهر الطبيعية المحيطة بنا ؟ وهل هى من أصل سيكولوجى أو من مصدر طبيعى ؟ وهل هى وليدة العالم الداخلى أو الخارجى؟ وأغلب الظن أنها نتيجة هذين الجانبين وثمرة هذين المؤثرين، فأدركنا القوى الطبيعية وقوتنا الإنسانية فى الوقت الذى اصطدمت فيه الطبيعة بنا واصطدمنا بها . وكيفما كان أمر هذه النشأة فإن الإنسان سلم من قديم بوجود قوى فى الكون متعددة : طبيعية وإنسانية ، مادية وروحية ، ظاهرة وخفية ، سماوية وأرضية . فإذا ما سألته عن حقيقة هذه القوى عز عليه كشفها وصعب عليه تحديدها، وجُلّ ما تحظى به منه أن يعرفها بآثارها ويتعرفها بنتائجها ، فيقول إنها ما يتم به التغير

بيد أنه على الرغم من كل هذا لم يتردد الفلاسفة والاجتماعيون فى أن يبينوا هذه الفكرة الغامضة فى نشأتها والخفية فى مدلولها ، وكان لا بد لهم أن يفعلوا ما داموا يدرسون التغير وعلله ، إن فى عالم الطبيعة أو فى عالم الإنسان . فنرى الرواقيين فى التاريخ القديم ينتهون إلى مذهب ديناميكى شبيه بذلك المذهب الذى صعد به ليبنتز إلى القمة فى القرن السابع عشر . يتصورون أن العالم كائن حى مشتمل على النار والحرارة التى هى المبدأ الفعال والمؤثر فى المواد والأجسام المنفعلة ، ولا كيان للمادة إلا بواسطة ذلك « النفس الحار » (الأبنيا) الذى يضم أجزاءها ويدفعها إلى الحركة والتغير ، فقوة العالم كامنة فيه تسيره على نظام ثابت وتخضعه لقوانين معينة. وإن فكرة المادة والصورة التى قال بها أرسطو ولم يوضحها تمام التوضيح ولدت فى القرون الوسطى تلك القوى الخفية والخواص الكامنة التى هى مصدر التغيرات الكونية والأحداث الإنسانية ، وإن كان وراءها قوة عظمى ، هى قوة القوى وعلة العلل . وإذا كان لبيكون وديكارت رسالة جديدة فى التاريخ الحديث إزاء المسائل الطبيعية فهى أنهما حاولا محاربة الصفات الغامضة والصور الخفية التى رددها المدرسيون . على أن بيكون لم يسلم تماماً من آثار تلك الفلسفة المدرسية ، وبدا فى بحثه

التجريبي وكأنه ينقب عن أمور ذاتية وصفات أولية للأشياء هي سر تميزها وتغيرها ، وفكرة الحركة والتدافع التي ذهب إليها ديكارت ترد التغير في آخر تحليل إلى قوة وحيدة ، إلى الباري جل شأنه . ولعل هذا هو الذي قاد ليبنتز إلى نظرية « النتاد » والذرات الروحية ، فكان يتصور الأجسام كلها في صورة معنوية أبلغ مما ذهب إليه الرواقيون ، ويتوهم أنها مجموعة ذرات روحية فيها قدر من النشاط والإدراك يتفاوت على حسب مرتبتها ، وقد أبدعها ونسقها إله هو روح الأرواح ومناد المنادات ، وإذا كان مرجع التغير كله إلى الله فلم نبحث عن قوى وأسباب أخرى سواه ؟ والأجدر بنا أن نرد كل شيء إليه سواء أكان من الظواهر الطبيعية أو الأعمال الإنسانية . وهكذا رأى مالبرانش وباركلي أن يردا القوى الظاهرية كلها إلى الله ، وقررا أن ليس ثمة قوة في نظرهما غير تلك القوة الوحيدة

هذا هو شأن القوة فيما يتعلق بالظواهر الطبيعية ، وليس شأنها بأقل خطراً فيما يتعلق بالأحداث الإنسانية ، فقد دالت بسببها دول وقامت أخرى ، وذل جبابرة وعز آخرون . وللقوة في المجتمع مظاهر عدة : فهناك القوة المادية الجسمية ، وإلى جانبها القوة الصناعية والإنتاجية ، ثم قوة المال والفكر والعبقرية ، وأخيراً قوة العزيمة الماضية وإرادة الشعوب التي بدلت صفحات التاريخ . ولا نظننا في حاجة أن نلاحظ أنه إذا كانت قوة الأفراد والطغاة هي التي سادت العالم بالأمس فإن إرادة الشعوب حلت محلها ، بل كانت أحياناً أشد أثراً وأعظم إنتاجاً . ومن هذه القوة الشعبية تولدت الحركات الدستورية وبواسطتها تأيدت النهضات الاستقلالية ، وعنها صدرت قوة الطوائف والنقابات والأحزاب . وإذا ما تتبعنا الفلاسفة السياسيين في مراحل التاريخ المختلفة ، وجدنا أنهم إنما حاولوا أن ينظموا القوى المتباينة أو عولوا على قوة دون سواها . فأفلاطون قديماً أخذ نفسه بالتوفيق بين قوى المجتمع المتباينة : بين حراس المدينة من جانب ، والمنتجين من صناع وزراع من جانب آخر، والحكام والقضاة من جانب ثالث ؛ فأراد التوفيق في اختصار بين الشجاعة والمنفعة الذاتية والعقل . ومكيافيلي في عصر النهضة أو هوبس في أوائل التاريخ الحديث ، ونيتشه بين المعاصرين إنما ناصروا قوة الفرد وأيدوا الحكومة المستبدة ظناً منهم أنها الوسيلة الناجعة لحكم الجماهير . أما لوك وفولتير وروسو ، فقد اعتدوا بقوة الشعب كل الاعتداد ، ووضعوا دعائم النظم الدستورية والنيابية الحديثة . وإلى جانب هؤلاء وهؤلاء نجد جورج واشنطون ومازيني وسعد زغلول على رأس النهضات الاستقلالية ، كما نجد كارل ماركس يصور قوة اليد العاملة في أوضح صورها ، ويعلن حقوقها إزاء أصحاب رءوس الأموال .

في هذه النهضات على اختلافها والثورات على تنوعها ما يشهد بما للقوة من أثر في حياة المجتمع ، بل نستطيع أن نقول إن المجتمع الإنساني مجموعة قوى متعددة، متعاونة أحياناً ومتعارضة أحياناً أخرى . وسعادة الأمة في أن توجه هذه القوى في وجهاتها اللائقة ، وأن تتضافر على غرض أسمى . وأي نظام اجتماعي لا ينمو ولا يطرد ، بل ولا يحيا ولا يثبت إلا إن كانت وراءه قوى مادية وروحية تغذيه وتعاونه .

(يتبع) ابراهيم مدكور

قابليات العناصر البشرية

للدكتور جواد علي

نشر الكاتب السياسي الفرنسي « كراف كوبينو » Graf Arthur Gobineau كتاباً في أربعة مجلدات ظهرت بين عامي ١٨٥٣ — ١٨٥٥ بعنوان « عدم مساواة العناصر البشرية » Essai sur L'inégalité des races humaines : فأثار على مؤلفه سخطاً شديداً ولا سيما من الهيئات الكاثوليكية وأنصار مبادئ الثورة الفرنسية ، كانت نتيجته طرد الرجل مراراً من السلك الدبلوماسي الذي كان ينتسب إليه .

وقد استقى كوبينو آراءه من مصدرين : مصدر التتبع والبحث الشخصي الذي قام به خلال تمثيله السياسي للحكومة الفرنسية في طهران والهند والبلقان ، ومصدر العلم الطبيعي الذي طغى إذ ذاك وتغلب على الطريقة القديمة باعتماده على التجارب والاختبارات . فقال باختلاف الأجناس وتباين العناصر البشرية كما هو الشأن في النباتات والحيوانات . وقد كانت هذه نظرية قال بها العالم الألماني الانترو بولوجي بلومنباخ Blumenbach (١٧٥٢ — ١٨٤٠) ، والعالم الفرنسي كوفييه Cuvier (١٧٦٩ — ١٨٣٢) . غير أنه زاد عليهما بنظريته في اختلاف القابليات البشرية والإنتاج المدني والثقافي ، فوصل إلى أن التاريخ البشري والحضارة البشرية نتيجة عقلية واحدة ، هي العقلية الآرية التي تشتمل الشعوب الأوربية والهندية الأوربية . ويخص من هذه الشعوب أيضاً الشعوب الجرمانية بأعلى القابليات في الاختراع والابتكار والسيادة والإرادة والزعامة في جميع نواحي الحياة[1] .

وكانت أول أرض أجابت هذه الدعوة هي الأرض الألمانية التي بدأت تنمو فيها الروح القومية ، وتظهر بأجلى مظاهرها ، ورسالة الفيلسوف الألماني فخته Fichte بعثت فكرة القوميات في أوربا وهيأت الجو ولا شك لمثل هذه الآراء . وكذلك فلسفة هيكل Hegel الذي قسم العالم إلى أدوار بدأ فيه بالدور الشرقي وانتهى بالدور الجرماني الذي هو في نظره خير الأدوار العالمية وأكملها . أضف إلى ذلك كتابات المؤرخ الألماني الشهير « ترايشكه » ، والكاتب الاجتماعي الوطني فردريش جان Friedrich Jahn وغيرهم ، والوحدة الألمانية التي قام بتأسيسها بسمارك ، وآراء نيتشه في القوة وتمجيده للحرب

ومن أشهر من تأثر بهذه النظرية الكاتب الإنكليزي الألماني H. St. Chamberlain شامبرلين ١٨٥٥ — ١٩٢٧ مؤسس الفلسفة النازية الأولى وأول فيلسوف يعتبره أتباع هتلر من بين صفوفهم . والرجل مع أنه انكليزي يختلف عقلية عن العقلية الألمانية ، تأثر بالمحيط الألماني وهجر وطنه وترك لغته وغدا ألمانيا يخلص لألمانيا ويدافع عنها ويطعن على الإنكليز وقساوتهم في معاملة الألمان في الحرب العظمى . اتخذ هذه النظرية قاعدة له في جميع أبحاثه ومقياساً يقيس به العالم طرًّا . وفي كتابه الشهير « أسس القرن التاسع عشر » الذي ظهر في سنة ١٨٩٩ Grundlagen des 19 Jahrhunderts يحمل أفكاره . وقد ترجم إلى لغات عديدة وطبع عشرات المرات

يرى في كتابه هذا أن الحضارة البشرية من أولها إلى آخرها نتيجة العمل الجرماني الآري . وكل حضارة ظهرت أو بقعة ازدهرت لا بد أن يكون للعنصر الآري ، وعلى الأخص الجرماني ، يد فيها . فهو في بحثه كالفاحص الكيميائي يحاول تحليل الحضارات ليجد العنصر المسبب وهو العنصر الجرماني الذي خص من بين الشعوب بميزة هداية البشرية والقيادة العالمية . حتى الكتابة أو الأرقام يرى أصلها من الجرمان ومن الجرمان انحدرت إلى الشرق . وعلى ذلك ففكرة كونها شرقية خطأ لا يغتفر . وكذلك آراء العلماء في أن الحضارة أصلها من الشرق لا يرى لها مبرراً ولا دليلاً . والشعوب الأخرى كلها مقلدة لم تنتج من عندها شيئاً . والحضارة العربية التي يراها ظهرت صدفة كسائر الحضارات السامية إن جاز تسميتها حضارة هي صورة ظاهرية لعمل آري مكتوم[1]

أثر كتاب شامبرلين في الأوساط الألمانية أثراً كبيراً ولا سيما في الأوساط السياسية منها والأوساط الشعبية والوطنية المتطرفة ، إلى درجة جعلتها تعتقد أن هنالك مهمة واجبة تقع على عاتق ألمانيا الجرمانية ، وهي مهمة قيادة العالم وحق الإشراف عليه ، مهمة تكاد تكون سماوية . ويحدثنا بعض المصادر أن القيصر الألماني كان معجباً جداً بهذا الكتاب أيما إعجاب ولا سيما بعقيدة الزعامة الألمانية والتبشير

(١) انظر كتابه في اللغة الفرنسية وكذلك كتابه في اللغة الألمانية بعنوان Graf Arthur Gobinaeu, Die Ungleichheit der menschenrassen 1935

(١) انظر كتاب Die Grumdlagen des Neumehnten Jahr-hunderts ج ١ ص ٤٤٩ مادة ٣٧٩

بالدين الجديد ، على أساس القوة والسيادة التى هى من صفات الجرمان ، وأن الكاتب هذا وكذلك الفيلسوف النمساوى الاجتماعى Othmar Spann كانا من أهم أبطال الدعوة إلى الحرب قبل دخول ألمانيا الحرب بحجة أن الحرب أساس كل حضارة ، ولإثبات أن العنصر الجرمانى هو العنصر الفعال الذى تقع على عاتقه وحده أمور العالم وحقوق التصرف منذ آلاف السنين (١)

وفى سنة ١٨٩٤ أسست هنالك جمعية عرفت باسم « جمعية كوبينو » لتقوم بإتمام أبحاث هذا العالم . وقد رأس هذه الجمعية العالم ولتمان Woltmann الذى ألف كتاباً عن عصر النهضة فى إيطاليا وأبى إلا أن يرجع أصل جميع علماء النهضة فى إيطاليا وأبطالها إلى أصل جرمانى شمالى . يعرف هذا الكتاب بعنوان Die Germanen und die Renaissance in Italien, 1905 أعقبت هذه الجمعية جمعية أخرى عرفت باسم : « جمعية العناية بالأبحاث العنصرية » ألفها ألفريد بلوتنى Alfred Ploetny أخذت على عاتقها مهمة البحث العنصرى على أسس طبيعية تجريبية لا على الطريقة التاريخية الفلسفية . فعادوا إلى طريقة بلومنباخ Blumenbach وهى الاستعانة بأشكال قحف الرأس فى تقسيم العناصر البشرية ، وهيئة الجسم وتكوينه ، وتكوين علم خاص يتفرع من علم الأنتروبولوجى وهى الطريقة التى اتبعت اليوم فى ألمانيا بعد سيطرة هتلر عليها وخضوع الجامعة لإرادة النازى وآرائه

راجت عقيدة العنصرية خلال الحرب وبعد الحرب ولا سيما بعد استيلاء اليهود على معظم الكراسى فى ألمانيا وتشكيلها المجالس المحلية بعد ثورة شهر نوفبر سنة ١٩١٨ إذ حصلوا على أغلبية كراسى الحكم . وهذا ما روج دعوة أنصار العقيدة العنصرية ، إذ تحولت إلى دعاية وطنية غايتها تطهير ألمانيا من العناصر الأجنبية بإعادة الأخلاق الجرمانية القديمة ، وهى السيادة والقوة ، هذه المبادى التى تنافى المبادى الأوربية الغربية الديمقراطية التى حملتها الحرب إلى ألمانيا بطريق اليهودية الحاكمة على ألمانيا ومحاربة كل فكرة تدعو إلى المساواة بين الشعوب والقابليات على حد سواء (٢) . فظهر هنالك أساتذة وكتاب أمثال أدلف بارتلس Adolf Bartels و Rosenberg و Günther و Claus و Othmar Spann و Lenny و Scheidt وغيرهم استفادوا من الفرصة وحملوا على اليهودية والماسونية والشيوعية حملات شعواء موجهين نظر الألمان إلى هذه الناحية الحساسة لتمهيد الحكم للدولة الألمانية الثالثة وإعادة حلم الدولة الألمانية المقدسة

غير أن هنالك جماعة من الفلاسفة شعرت فى نفس الوقت بتدهور ألمانيا ووجوب إعادة مجدها . غير أنها رأت تحقيق ذلك عن طريق آخر وهو طريق الثقافة واللغة بتحويل العناصر الغريبة والقوميات إلى عنصر ألمانى واحد مستدلة على ذلك بأدلة أخرى ساخرة من قحف الرأس وتركيب الجسم مستدلة بالشعب الأمريكى الذى كوّن له قحف رأس جديد لا هو انكليزى ولا هو ألمانى ولا هولندى ولا فرنسى ، وباللغة التى يدافع عنها ويحاول نشرها مع أن أصله قد يكون من البلطيق أو السويد أو ألمانيا أو غيرها ، وكذلك باختلاف شكل الفلاح الألمانى وتركيبه عن سكان المدن الألمان ، وكذلك أصحاب المهن ، وكذلك الإنكليز الذين هم من عناصر مختلفة ، ومع ذلك ، فقد أصبح لهم قحف رأس مخصوص ، متخذ فى الأرض والمحيط عاملاً مهماً فى العنصرية والقابلية البشرية (١) . وغايتهم من ذلك غاية وطنية كذلك ، وهى ربط اليهود والألمان الذين فى الخارج ، وتجنسوا بجنسيات أجنبية عن طريق الثقافة واللغة ، وتكوين ألمانيا عظيمة بدلاً من تنفير هؤلاء ، وجلب السخط العالمى العام على الشعب الألمانى

غير أن استيلاء هتلر على زمام الحكم قضى على كل معارضة طبعاً للعنصرية ، وحرم أى كتاب يعارض العقيدة . وأخذ Günther يصنف للألمان العناصر الموجودة فى ألمانيا ، فتوصل إلى وجود خمسة عناصر أصلية وخمسة أخرى فرعية فى الدماء الألمانية ولم يتوصل إلا إلى نسبة تقدر باثنين فى المائة من الدماء الجرمانية الشمالية النقيّة . ولكن هنالك مع ذلك اختلافاً أيضاً فى التقسيم : هل تعتبر المظاهر الخارجية والتركيب العضوى للجسم أساس التقسيم ، أو العوامل الروحية والنفسية فقط أو كلاهما ؟ فظهرت آراء للأساتذة : Fischer و Lenny و Scheidt و Claus وغيرهم . وقد أعدت لأجل ذلك معاهد خاصة ومستشفيات

(١) انظر مجلة Die Gesellschaft لسنة ١٩٢٧ مجلد ١ ص ٩٨ وكذلك خطبة Othnar Spann فى جمعية الطلاب الألمان فى مدينة Brünn والتى طبعت فى سنة ١٩١٣ بعنوان Zur Sonyiologie und Philosophie des Krieges 1913

(٢) أنظر كتاب Georg Steinhausen المعروف بعنوان Der Politische niedergang Deutschlands 1927

(١) أنظر كتاب « سقوط الغرب » المشهور للفيلسوف شبرنكلر Oswald Sprengler الذى أحدث أكبر ضجة فى أوربا يوم نشر فى عام ١٩١٨ بعنوان Der Untergang des abendlandes وكذلك كتاب Schmidt Roher المعنون mutter Sprache

ومختبرات تقوم بالتجارب المختلفة لتكوين علم جديد كسائر العلوم الأخرى إن لم نقل إنه أهمها

ويمكن أن نعتبر هذا العلم الذى تكون حديثاً قطب العلوم طرًّا فى ألمانيا الحالية، فعليه أن يقسم العناصر البشرية إلى أصول وفروع، وإلى أمم منتجة ذات قرابة مع الأمم الجرمانية وصلة، وإلى أمم كتب عليها ألا تقوم فى التاريخ بأى دور أو حدث كالشعوب السامية والحامية وما يتفرع منها[1]. ووظيفة الجامعة الألمانية الحديثة أن تكيّف علومها وفق هذه العقيدة. ولا شك أن تلك مهمة صعبة شاقة ولا سيما فى العلوم العقلية منها فالتاريخ يجب أن يقلب رأساً على عقب، والقرون الأولى ستبدأ بالجرمان وتاريخ أوربا، ثم ينتقل إلى التاريخ الأشورى والبابلى والمصرى والحوادث التاريخية والحضارة البشرية يجب أن تغربل غربلة ليعثر على العنصر الآرى الفعال الذى هو بذرة كل حضارة. وتلك مهمة صعبة جداً كما يظهر، لذلك لاقى أساتذة التاريخ خصوصاً المتقدمين منهم صعوبات فى هذا الفن، أدت إلى إخراج معظم مدرسى التاريخ من الجامعات وإحلال عناصر جديدة من الشباب محلهم. وكذلك قل عن الفلسفة وعلم التربية والاجتماع والاقتصاد وغيرها بل حتى العلوم الطبيعية منها يجب إهمال أعمال وأسماء الأساتذة الذين ليست لهم صلة بالعرق الآرى أو نسب

أساس الحضارة العالمية والمدنية وكل إنتاج بشرى عقلى أو مادى هو « الدماء » فعلى الشعب الآرى لذلك أن يحافظ على دمه من الاختلاط بالدماء الأخرى، إذ متى اختلط بالدماء البعيدة حلت بالشعب الكارثة العظمى وذهبت السعادة الأبدية إلى الأبد وفسدت الروح والبدن[2]، وسقط العنصر القوى إلى أسفل درجة من الضعف والاستسلام[3]. وعلى هـذا وضعت قوانين « نورنبرك » فى منع أى آرى فى ألمانيا من الزواج بغير الآريين مهددة المخالف بأقسى العقوبات، وكذلك فى طرد نصف الآرى، أى الذى ينتسب إلى أب أو أم غير آرية، أو ربع الآرى أى الذى ينحدر من جد أو جدة غير آرية — من الخدمة لفساد الدماء فى مثل هذه الأجسام

يرى معارضو هتلر والنازية فى عقيدة العنصرية هذه فكرة « الجبر » فما دام الدم هو العنصر المنتج للحضارة فلم إذاً هذه المدارس وتلك الجامعات، ولم تلك النفقات الباهظة التى تنفق فى سبيل تربية الأحداث ؟ ومن الغريب أن هتلر ينعى على اليهودية قولها بنظرية الشعب المختار والنازية نفسها تقول بهذه الفكرة باختيار الشعب الجرمانى وحده بين الشعوب وتفضيله على الشعوب الأخرى بالإنتاج والعلم والابتكار

معالجة مشكلة الدماء تحل كل مشكلة، ولذلك يجب تقوية الجسم والمحافظة على الدم فيه نقياً سالماً. ومتى حوفظ عليه حوفظ على الحضارة العالمية والمدنية البشرية، والسيادة الأوربية. الحضارة هى وليدة الدماء، والقوة هى وليدة الدماء، والجمال والفن كذلك هذه هى فلسفة الوطنية الاشتراكية، تجعل الروح وليدة المادة. ومن الغريب أيضاً أن الشيوعية التى يقاومها هتلر فى كتبه تجعل العوامل الروحية مصدرها المادة، مع أن هتلر وروز نبرك يعتمدان فى آرائهما العالمية ووجهة نظرهما الفلسفية على الروح

بين هذه النظرة وبين مبدأ الأوجينيك Eugénik Eugénetik قرابة عظيمة. والوطنية الاشتراكية فى نظرتها العنصرية مدينة لهذا المبدأ أيضاً. القواعد التى وضعها العالم الفرنسى Francis Galton (١٨٢٠ — ١٩١١) والتى أطلق عليها الامم التقدم لأجل تكوين أجيال صالحة بمعالجة الجسم بقواعد عرفت « بقواعد كالتون » Galtonische regel، والتى تعتمد على الوراثة فى الدرجة الأولى ونظريات mendil (١٨٢٢ — ١٨٨٤) و Gre gor mendl و Jean Lamark (١٧٤٤ — ١٨٢٩) وداروين.

أراد نيتشه الفيلسوف الألمانى فى زمانه إصلاح الأخلاق بالإصلاح العضوى لتقوية الأجسام وتقوية العقل والإنتاج بالطرق المباشرة كالأكل والرياضة لا بالنظريات الأخلاقية والأدبية المقيمة. وأراد فيورباخ Feurbach إصلاح الإنسان بالأكل وطرد الدين. وأرادت الشيوعية إصلاح المجتمع بتقويض الأنظمة القديمة، وأراد هتلر بعث الجرمان والسيادة على البشر بتقوية الدماء. وكل له فى هذا العالم مذهب ورأى، ولكل غاية ومثال. ولكن لكل شخص أن يقرأ ويرى كما يرى فى دور الصور المتحركة دون أن يسخر من كل رأى أو يضحك من كل فكرة.

جواد على
خريج جامعة هامبرج بألمانيا

(١) أنظر إلى كتاب هتلر (كفاحى) Mein Kamff فى مواضع مختلفة، وإلى كتب روزنبرك وكوبلز وكنتر وغيرهم

(٢) انظر كتاب (كفاحى) لهتلر جـ ١ ص ٣٢١ وكتاب Werner Siebearth Hitlers Wolleus و Afred Rosenberg Der mythus ص ٢١ . كذلك Walther Oehl جـ ٢ و جـ ٣ و Günther . وغيره

(٣) انظر نفس المراجع وكتب الوطنية الاشتراكية المختصة بهذه الموضوعات

هـــذه هى . . . !

للأستاذ كامل محمود حبيب

أحب أبا مروان من أجل تمره ... وأعلم أن الجار بالجار أرفق
وأقسم لولا تمره ما حببته ... وكان عياض منه أدنى ومشرق

« غيلان النهشلي »

أطرق الرجل ساعة ، وأنا بإزائه أتفرّس فيه ، وهو زرى الهيئة مضطرب الهندام : قد تخدّد لحمه ، وذوى عوده ، وأدبر شبابه ... وإنّ فى عينيه عبرات مكفوفة يدفعها اليأس ويحبسها الحياء ، وعلى شفتيه آهة عميقة لا تجد لها متنفساً ... وتبدّت لى خواطره تصطرع فى رأسه ، وهو يشرب القهوة فى نهم ، وينفث دخان سيجارته فى لذة ... فأردت أن أجذبه إلىّ ، فقلت : « ما بالك تكتم عنى ذات نفسك ، وقد خلا بنا المكان ؟ » قال : « إنّ فى النفس حديثاً طويلاً ، ولكنى ألفيتك رجلاً غير مَن صوّرتُ فى خيالى ! » ... ورقّت رنّات صوته ، حتى خيل إلىّ أن آلام قلبه تعتلج فى صدره ، فتتحدث هى حديثاً كله أنّات ، ثم قال : « ... وأنا لا أستطيع أن أومن بأنك أنت صاحب « ذرينى » ، ومن بعدها « شيطانة تتفلسف » ، وكيف يتأتى لك أن تكتب ما قرأت وما فى دارك إلا الأمر والطاعة ، وإلا الهدوء والطمأنينة ، وإلا السعادة و ... »

قلت : « يا سيدى ، إن المرأة لا تجلب السعادة ، ولكنها أبداً تنضح الشقاء ! »

قال : « كأنك تعنى أن نصف العالم خُلق شقاء للنصف الآخر »

قلت : « ولِمَ لا ؟ »

قال : « وبماذا رمتك المرأة فتهدم عليها بمثل كلامك هذا ؟ »

قلت : « يا عجباً ! أفلا ترى أن المرأة كالماء الآسن حين تنعكس عليه أشعة الشمس الذهبية ، فيبدو جيلاً صافياً خلّاباً ، فإذا اغتمرتَ فيه اغتمرتَ فى النتن والوحل معاً ؟ »

قال : « وهذا معنى آخر مما يضطرب فى نفسك ، فهل لك أن تسمع قصة عذابى علّك تجد فيها مادة ! »

قلت : « هات ! »

قال : « أما أنا ، فقد نالنى من المرأة عَنَت كبير ... كنا — أنا وهى — زوجين فى رَغد من العيش ، ودَعة من الزمان ورخاء فى البال ؛ وأنا موظف فى الحكومة يُغل علىّ عملى ما يكفى عدداً ، وفىّ القناعة والرضا ، وهى لا تبسط يدها كل البسط ؛ وتصرمت الأيام ، وأنا أجد فيها سلوة عن الابن ، وقد ضنّت به الأيام ، وعزاء عن الأم ، وقد سلبتها منى يد القدر ... »

ثم غدر بى الدهر غدرة واحدة ، فقذف بى بين براثن المرض لا أبرأ ولا أستقل ... وانطوت الأشهر وأنا بين الطبيب والدواء والحكومة فى مرض آخر : فالطبيب شره لا يطفئ السيل غلّته ، والدواء لا يشفى ولا ينقطع ، والحكومة من ورائهما تضع من راتبى قليلاً قليلاً . وأحسست بالهاوية التى أتحدّر إليها رويداً رويداً ... فأشفقت على زوجتى أن تجد لذع الفقر وقد أشفيت عليه ، أو أن ينسرب إلى قلبها الملل وقد طالت علّتى ، وفى رأيى أن أسرّحها لتنطلق إلى متعة قلبها ولذة نفسها ، وهى شابة فيها عقل المرأة ونزعات الأنوثة ...

ونشرتُ على عينى أمها حديث نفسى ، فراحت العجوز إلى ابنتها توسوس ... وجاءت الزوجة — وفى عينيها عبرات تترقرق — تزور حديثاً : « كيف أتخلّى عنك الآن ؟ أفأعيش إلى جانبك سنوات لا أستشعر منك إلا الشهامة والكرم ، وإلا الرجولة والتضحية ؛ ثم أفزع عنك وأنت بين المرض والعوز ، لأكون معولاً آخر يهدم بقيـة فيك نترجاها ؟ »

واطمأنت نفسى إلى حديثها ، فاستقرت

لقد كانت فكرة عابرة ، غير أنها بعثرت حياتها ، فانبعثت هى تكشف لى عن أدران نفسها

ألحت علىّ الحاجة فتحولت عن دارى إلى حجرات ضيقة وضيعة ، ومكرت هى بى فحملت أثاثها إلى دار أبيهـا إلا حاجات عبث بها البلى ، وجاءت أمها تريد أن تمينى على عَيلتى بكلام يتوثب من أضعافه الصلف والزّهو ، فأبت كبريائى أن تذل لها ، على حين تعصرنى الفاقة ويثقلنى الدَّين ، وليس لى من أفزع إليه سوى أخى ، وهو بين أولاده وزوجته ورقة حاله فى هموم ...

وأحسستُ من الزوجة الشابة الإغضاء والإهمال ، فهى تنفلت من لدنى — بين الحين والحين — فى تطريتها وزينتها ، تزعم أنها تزور أهلها وصاحباتها ، وهى تنطوى عنى ساعات من النهار ؛ وأنا بين الشك واليقين لا أستطيع أن أمسكها فتجد مَسّ الضيق والملل ، ولا أن أرسلها فأذوق مرارة الوحدة وعذاب المرض معاً

وضاق بى صدر الحكومة فلفظتنى ، وللحكومة قانون يحكم

على المرضى بالإعدام . وظلت زوجتى تداجينى وتفتن فى مرضاتى حتى أرسلت الحكومة إلىّ مكافأة مالية لا ترد عادية ولا تدفع فقراً ، غير أن قطرة منها تُروى حِرّنى ... أرسلتها الحكومة فأخذتها الزوجة وطارت ... طارت أحوج ما أكون إليها ، لتذرنى وحيداً على فراش المرض والضيق ، لا أجد إلى جانبى سوى خادم صغيرة لا تستطيع شيئاً »

وسكت سكتة طويلة حين اضطربت الكلمات على شفتيه ، وتدفقت العبرات من محجريه لا يستطيع كَبْتَهَا . فقلتُ : « لا بأس عليك ، يا صاحبى ؟ » قال : « هذا ضعفى ، ولعمرى لقد كنت أضن به أن يبدو أمام الناس، وهأنذا أريقه على عينيك ! » قلت : « لا ضير ، لقد طارت فلا تدعها تنفث فيك من هموم الحياة ، لقد طارت فماذا كان ... ؟ »

قال : « وجاء أخى يرفه عنى بكلمات ... على حين قد حضرنى بنى ثم تماثلتُ للشفاء وأنا أرزح تحت عبء الدين وشدة الصدمة ، وتحدثت إلىّ رجولتى ساعة من زمان ، فإذا زوجتى غريبة عنى وترامى إليها الخبر ، فهبت تحدثنى بلغة المحاكم الشرعية ، وللمحاكم الشرعية لغة هى فى عقل المرأة انتقام وتنكيل ، وفى عقل القاضى ثأر واقتصاص ، وفى رأى الزوج مُثْلة وعِبرة ، وفى عينى العَزَب زجر وعظة . ثم هى - دائماً - تقول للزوج « أيها الأحمق ، لِمَ تزوجت ؟ » وللعزب « أيها العاقل ، إياك إياك ! »

وعشتُ سنة لا أبرح السجن إلا ريثما أعود إلى غيابته ، وما فى يدى ما أستطيع أن أدفع به نهم الزوجة ولا غفلة القاضى »

ثم أطرق وقد نفث حديثه فىّ روح الأسى والحزن ، وإن فى نفسى غيظاً يحتدم ... ثم قلت : « وهى ؟ » قال : « أما هى فقضت أيام محنتى بين ذراعى حبها الجديد، ثم مكرتْ به - بعد أن عصفت بى - فإذا هو زوجها » قلت: « يا لله ! ويل للرجل من المرأة »

فقال فى هدوء : « من النساء غُل قَمِل يقذفها الله فى عنق من يشاء ثم لا يخرجها إلا هو »

قلت : « صدق رسول الله ، فعلام إذن تذهب نفسك حسرات ، وأنت ما تفتأ فى شبابك ؟ »

قال : « لا بأس ، فلقد قرّ رأيى على أن أطوى الماضى لأكون رجلاً غيرى »

قلت : « نعم ولتكون رجلاً ... رجلاً فيك الرجولة »

كامل محمود حبيب

أقاصيص

أثر الايحاء في جلب التفاؤل

للأستــاذ على الجندى

— ١ —

للايحاء سلطان كبير على النفوس ، يدفعها إلى القيام بأعمال جليلة ما كانت لتقوم بها لو عداها أثره الحافز القوى

ولا نبالغ إذا قلنا : إن جل الناس يضربون فى زحمة الحياة ومعتركها الهائل تحت تأثير ذلك الإلهام الباطنى وإن لم يشعروا به أحياناً لأنه أخفى دبيباً من السحر

وفضل هذا الإيحاء عظيم فى أنه يشد عزائمنا ويستجيش قوانا ، ويملؤنا رجاء وأملاً ، ويهوّن علينا اجتياز الصعاب والمعقبات

فالتاجر لا تنفتح نفسه للتجارة ويقبل عليها بشغف ولذة ، إلا إذا ألهم نفسه أن من وراء ذلك المكسب الطائل والربح الوفير

والجندى فى ساحة الوغى إذا فَقَدَ الروح المنوية — وهى فن من الإيحاء — فَقَدَ أمضى أسلحة القتال ، ولم يُجْدِ عليه أن يكون شجاع القلب حسن الدربة قوى العدة . وقد عبر عن هذا المعنى بأجلى عبارة فارس الإسلام « على بن أبى طالب » حين سئل : بم كنت تنال النصر ؟ فأجاب : كنت أبرز للخصم وأنا أعتقد أنى أغلبه ، وهو يعتقد أنى أغلبه ، فكنت أنا ونفسه عليه

والإيحاء بمعناه العلمى يؤمن به أطباء هذا العصر كل الإيمان ويستخدمونه علاجاً ناجعاً فى شفاء الأمراض العصبية والعقد النفسية والعادات الشاذة . وقد حدثنى بعض من درسوا الحياة الإنجليزية أن الأم هناك تعود طفلها قبل النوم أن يقول لنفسه : « إنى سعيد » عشر مرات والغرض من هذا أن يتدسس هذا الاعتقاد إلى عقله الباطن فيخالط نفسه بمر السنين ويمتزج بمشاعره ، فيستقبل الحياة مرحاً متفائلاً ريان الأمل بساماً على السراء والضراء

وأقول بهذه المناسبة : إنى شفيت بفضله بعض الشفاء من الخجل المفرط والحياء الغالى ، وهو مرض موروث كثيراً ما قعد بى عن غشيان الأندية والمحافل ، ومنعنى من أداء الواجبات وزيارة الأصدقاء

كما أشهد أننى انتفعت به فى قرض الشعر ؛ ذلك أننى كنت مكثراً منه فى مفتتح حياتى الأدبية ، ثم صرفتنى عنه الكتابة صرفاً تاماً حتى عسر الرجوع إليه ، فما زلت أوحى نفسى بأن من الجناية تعطيل هذه الموهبة ، وأن الشعر أروع ألوان الأدب وأجلها خطراً ولا يسد مكانه غيره ، حتى عدت إليه تدريجاً ... والعود أحمد إن شاء الله . وليس التشاؤم إلا ضرباً من الأوهام تتحكم فى ضعفاء الإرادة رقاق الإيمان ، فيمكن التخلص منها بالإيحاء

وهذا الدواء ـ أعنى الإيحاء ـ عرفه الناس قديماً لأنه دواء فطرى ، إذ لا يخرج فى حقيقته عن المغالطة التى يلجأ إليها الإنسان أحياناً ليدخل الروح على نفسه ويستلّ منها القلق والاضطراب .

ولنعرض الآن صورتين متشابهتين يغلب فى الأولى التشاؤم فيلوّنها بلون قاتم كريه نقرأ فيه اللوعة والحيرة والتبلبل ! ويتجلى فى الثانية التفاؤل فيُشيع فيها النضارة والبهجة والإيناس !

فى الصورة الأولى نرى (ذا الرّمة) الشاعر ، مر فى طريقه بغراب ينعب فوق بانة ، فتمثل له خياله المظلم أن الغراب نذير الاغتراب ! وأن البانة عنوان البين ! وقد نهد له المذرق الغراب ، ولكن كيف يسوغ التشاؤم بالبان ؟ وبه تشبه قدود الحسان !

قال ذو الرمة :

رأيت غراباً ناعباً فوق بانةٍ   من القضب لم ينبت لها ورق نضر
فقلت غرابٌ لاغتراب ، وبانة   لبين النوى ، تلك العيافة والزجر

ومثله جحدر اللص فى قوله :

ومما هاجنى فازددت شوقاً   بكاء حمامتين تجاوبانِ
تجاوبتا بلحن أعجمىّ   على غصنين من غرَبٍ (١) وبان
فكان البان أن بانت سليمى   وفى الغرَب اغتراب غير دانى

وفى الصورة الثانية نرى الأمر على نقيض ذلك مع أن بواعث التشاؤم أشدوأكثر، نرى (أباحية النمرى) أنشأ سفراً، فسنحت له عُقاب ، وطالعته حمائم تنوح على شجرة طلح ، وهدهد ساقط على غصن بان ، تحته بقعة من دم مسفوح !

وكانت هذه المرائى الغريبة التى يسودها التنافر خليقة بأن يتطير منها ، ولكنه طرد عن نفسه طوارق السوء ، وأوحى لها أن كل أولئك من أمارات الخير والبركة ، فما عتم أن انقلب الشؤم فى عينه يمناً ، واستحال الليل نهاراً ! قال :

بدا يوم رحنا عامدين لأرضها   سنيحٌ ، فقال القوم مرّ سنيحُ
فهاب رجال منهمو وتقاعسوا   فقلت لهم جارى إلىّ ربيح
عُقاب بأعقاب من الدار بعد ما   جرت نية تسلى المحب طروح
وقالوا حمامات فَحُمّ لقاؤها   وطلح ، فزرت والمطىُّ طليح
وقال صحابى هدهد فوق بانة   هدى وبيان بالنجاح يلوح
وقالوا : دمٌ ، دامت مواثيقُ بيننا   ودام لنا حُلوُ الصفاء صريح

ويمتد بنا القول إذا وقفنا عند كل شاهد وعمدنا لتحليله ،

(١) شجر رخو الأعواد

فنكتفى لضيق المقام بإيراد الأمثلة وفيها غنية عن البيان

دخل الحجاج الكوفة متوجهاً إلى عبد الملك فصعد المنبر، فانكسر تحت قدمه لوح، ففطن إلى أن الكوفيين قد تطيّروا له بذلك، فالتفت إلى الناس قبل أن يحمد الله وقال: شاهت الوجوه وتبّت الأيدى! وبؤتم بغضب الله! أأن انكسر عودجذعٍ ضعيف تحت قدم أسد شديد تفاءلتم بالشؤم؟! ألا وإنى على أعداء الله تعالى لأنكد من الغراب الأبقع، وأشأم من يوم نحسٍ مستمر!

وخطب قتيبة بن مسلم على منبر خراسان، فسقط القضيب من يده، فتطيّر له عدوه بالشر، واغتمّ صديقه، فعرف قتيبة ذلك فقال: ليس الأمر على ما ظن العدو وخاف الصديق، ولكن كما قال الشاعر:

فألقت عصاها واستقر بها النوى   كما قر عيناً بالإياب المسافرُ

وكان الوزير أبو نصر الكندرى يتولّى فى أول أمره حجْب الناس، وكان الباخرزى رفيقه فى الدرس فقال مداعباً إياه:

أقبل من كندر[١] مُسَيْخرةٌ   للنحس فى وجهه علاماتُ
يحضر دُورَ الأمير وهو فتًى   موضع أمثاله الخرَاباتُ

ثم ارتقت الحال بالكندرى حتى صار وزيراً محكما، فورد عليه الباخرزى وهو فى صدر الوزارة ببغداد، فلما رآه قال له: أنت صاحب (أقبل من كندر مسيخرة ...) قال: نعم. فقال الكندرى: مرحباً وأهلاً! إنى تفاءلت بقولك (أقبل ...) ثم خلع عليه قبل أن ينشده مديحه فيه. ومن الأمثلة الشعرية قول نور الدين المايورقى من شعراء نفح الطيب:

وذى هيفٍ راق العيون انثناؤه   بقد كريّان من البان مُورق
كتبتُ إليـه: هل تجود بزورة؟   فوقّع «لا» خوفَ الرقيب المصدّق
فأيقنت من «لا» بالعناق تفاؤلاً   كما اعتنقت «لا»[٢] ثم لم تتفرق

ويقول عبد الرحمن من شعراء اليتيمة:

إذا دهاك الوداع فاصبرْ   ولا يهولنّك البعـادُ
وانتظر العودْ عن قريب   فإن قلب الوداع (عادوا)

ومن أروع الشعر فى ذلك: ما كتب به أبو الفضل الميكالى إلى قوم من أهل (مَرْو)[١] انخلعوا من طاعته وحلوا لواءه وتألفوا فرقتين تعيثان فى الأرض فساداً! قال:

يا راكباً أضحى يخبُّ بعنسِه   ليؤمّ مَرْوَ على الطريق المَهْيعِ
أبلغْ بها قوماً أثاروا فتنةً   ظلّت لها الأكبادُ رهن تقطُّع
إذ قدّموا ظلماً على سلطانهم   بالغدر والخلع الذميم المفظِع
وبحلّ عقـد لوائه وإباحةٍ   لجنـابه وحريمه المتمنع
أبلغهمُ أنى اتخذتُ لفعلهم   فألاً، له فى القوم أسوأ موقع
أما اللواء وحلُّه فمخبِّرٌ   عن حلّ عقدٍ بينهم مستجمع
والخلع يُخبر أن ستُخلع عنهم الـ   أرواح بالقتل الأشدّ الأشنع
والغدر يُنبى أن تغادَر فى الورى   أشلاؤهم لنسوره والأضبُع
والفِرْقتان فشاهدٌ معناهما   بتفرُّقِ لجميعهم وتصدُّع

ويلاحظ فى هـذه الأمثلة أنها من نوع الإيحاء الذاتى «إيحاء الإنسان إلى نفسه» وسنتبع هذا المقال بطائفة من غرر الإيحاء الخارجى، فيها قرة العيون وشفاء الصدور والله المستعان!

علي الجندى

(١) اسم قرية (٢) إشارة إلى اعتناق الألف واللام والشعراء فى ذلك كلام كثير منه
رأيت شخصك فى نوى يعانقنى   كما تعانق لام الكاتب الألفا
(١) عاصمة خراسان

من الذروة

هـــذا القطيع ...!

[إلى الذين ما مست مزاهرهم يد الله]

... ولمحتُ رَكباً فى الحضيضِ مُغنِّياً
طمَرَ الخنا تحتَ النَّشيدِ ودَسَّهُ
مِنْ كلِّ نشوانِ الرَّبابِ طهارةً
وحشاهُ للأكوانِ يُترِعُ رِجسَهُ
لَبِسَ المُسُوحَ فقيلَ: قِدِّيسُ الحِمى!
والجيفةُ الشَّنعاءُ تلفِظُ قُدْسَهُ
وبكى الغرامَ فقيلَ: أرْخمُ عاشِقٍ
غَنَّى! ونَتْنُ الفُحشِ يَزْحمُ نفسَهُ
كَذِبٌ يُجلجِلُ فى الصَّدى، وخواطرٌ
إفْكُ الرَّحيقِ بها يُعاتِبُ كأسَهُ
فكأنُها فى الشَّدْوِ مَنطِقُ مُومِسٍ
نَعْشُ الحياءِ بها يُواثِبُ جرْسَهُ...!
فمضَيتُ أسألُ: أىُّ جوْقٍ مُزْعِجٍ
لِلمُلْهَمِينَ شدَا ليُطرِبَ رَمْسَهُ؟
فأُجِبْتُ: دَعْ هذا القَطيعَ، فإنهُ
بُومٌ يُؤبِّنُ فى المفاوزِ حِسَّهُ!!

محمود حسن اسماعيل



من الفاس إلى السلاح

خففت إلى القرية منذ بضعة أيام ، وقد أغرانى الصحو والدفء أن أنعم بهما هناك يوماً أو يومين فى ملاعب صباى ومسارح هواى وجنة أحلامى ؛ ورحت فى رونق الضحى أثب كالفراشة من حقل إلى حقل ومن غدير إلى غدير ، وفى قلبى فرحة الغلام ، وفى خيالى أحلام الشاعر .

وجلست أستريح ساعة فى مصلى على جانب الطريق ، أستند إلى جذع شجرة التوت العتيقة التى جردتها يد الشتاء العاتية من أوراقها ، والتى طالما استروحت نسيم الأصل الرخى فى ظلها السابغ أثناء الصيف ؛ وأخذت عيناى من بعد شخصاً قادماً فى زى « الأفندية » ، فلما صار بحيث أتبينه ، رأيته فى زى « الجند » وما لبث أن دنا منى فعرفته ، ولما بلغ حيث أجلس نطق بالسلام مبتسماً ورفع يده إلى رأسه محيياً بالتحية التى تعلمها فى الميدان ... وعجب إذ نهضت واقفاً له وإذ مددت إليه يدى مصافحاً ، وأشرت إليه فجلس على استحياء على حافة المصلى

هذا هو حسن الفتى القروى المرح ، القسيم المحيا الذى تعرفه القرية كلها بمواويله الساحرة العذبة التى كان يمليها عليه فى الأفراح ما هز قلبه من حب عف شديد والتى ما لحق به فى مضمارها أحد من منافسيه .. ولقد طالما رأيته بالأمس يخطر فى ملابسه القروية فى تلك البقاع ، ولقد طالمـا سمعته من قريب أو من بعيد يبدأ أغانيه الحلوة بقوله : « آه ... يا ما جرى لك يا قلبى »

واليوم أراه فى حلته العسكرية ينتعل ذلك الحذاء الضخم ويضع على رأسه الطربوش ويمسك بيده عصا رفيعة من الخيزران ، وقد زال عن وجهه سفع الشمس إلا قليلاً فبدا أكثر وضاءة وأجمل قسامة وأنضر عافية

ولمحت فى عينيه شيئاً من القلق ولكن لم يغب عنى سببه ، فأنا أعرف أن ذلك المصلى مكان انتظاره لمن يهوى قلبه وهى قافلة من الترعة أو ذاهبة إليها ؛ وأشرت إلى ذلك مداعباً ممازحاً فضحك ضحكة جميلة مازج الطلاقة فيها الخجل ... ولكن إشارتى إلى ما فى نفسه زادت قلقه ، فوجم برهة ، وأدركت أنه يهم بالانصراف فأخذت أهدئ بالحديث روعه

ولم يطل ذلك الحديث فقد رأيت الصفرة تغشى وجهه والخجل يتزايد فى عينيه ؛ فالتفت فإذا هى مقبلة تحمل جرتها ، ورأيتها حينما دنت منا قد أخذتها ربكة المفاجأة فاضطرب هيكلها ثم أسرعت فأخفت وجهها بطرحتها ... وبدا لى فناديتها حين مرت فأبطأت ولكنها لم ترد ولم تلتفت ، فأ كدت ، فوقفت ثم تغاضبت فأقبلت فى حياء شديد ، فصحت بها لتقدم وإلا نهضت فجئت بها على رغمها ، فجاءت ووضعت يدها فى يد خطيبها ثم انتزعتها مسرعة دون أن تتكلم ، وأشرت إليه فحط عنها الجرة وأرغمتها على الجلوس ، فجلست إلى جانب المصلى تحجب طرحتها نصف وجهها المتورد الجميل

وانعقد لسان الجندى فلم يدر ماذا يقول « فأنقذت الموقف » أنا بامتداحى حيـاة الجندية وبثنائى فى عبارة يفهمانها على أولئك البواسل الذين يفتدون بلادهم بأرواحهم ... ولمعت عينا الجندى الشاب ، ثم تندت بدموع الفرح وأنسته الحماسة خجله ؛ فقال وهو الذى كان يحمل الفأس بالأمس إنه يفدى بلاده بدمه إذا لزم الفداء ... ونظرت إليه الفتاة نظرة لم أر فيها إلا معانى الإعجاب والارتياح ؛ ونهضت قائلاً إنى أتركهما برهة ليقولا ما بنفسيهما .

وعدت إذ رأيته يضع على رأسها الجرة وواجهتنى ذاهبة ، فإذا هى مستبشرة راضية تكتم ضحكتها ؛ ودنوت من ذلك الجندى أسأله لم لا يصف ذلك فى موال من مواويله وهو ذلك الشاعر الذى ماعى لسانه فى موقف ... ولكنه لم ينطق بموال حينذاك ، وإنما راح يتكلم عن حب الوطن وعن معانى الفداء والبطولة . ولشد ما أعجبنى قوله « الواحد منا ما يستهلش خير بلاده إذا ما دفعش عنها بدمه ، والراجل إيه فائدة عافيته وشبابه ؟ يا ترى يقعد زى البنت ؟ » وأكد لى أنه لا يأسف على فراق قريته فى سبيل وطنه وله فيها من يهواها قلبه فحب بلاده فوق كل حب !

واستأذن الجندى الفلاح فوقفت أصافحه فى حماسة وشيعته بنظرات الإكبار وهو يمشى مشية متزنة سريعة ، وعجبت كيف تغير الجندية عقلية هؤلاء الفلاحين بمثل هذه السرعة ، وأثلج صدرى أن أرى فى ذلك الفتى المتحمس الدليل الحى على صحة ما يقوم أبداً فى نفسى من أن هذا الذى يجيل الفأس فى تربة وادينا الوديع الهادئ كفيل بأن يدير فى يده السلاح بنفس المهارة إذا هو قلد السلاح ... ومن أين جاءت جنود تحتمس ورمسيس وابراهيم ؟ وكم بين هؤلاء السذج زرق الجلاليب من قادة أمجاد وعلماء أفذاذ وشعراء فطاحل وساسة أماثل ولكنهم تركوا فى غمار الجهل والفاقة لا يعلمون إلا أن يجيلوا الفأس فى ثرى الوادى فى صمت وصبر جاهدين

« خفيف »

لقب السـفاح

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

هذا موضوع كنت قيدته فى مذكرتى منذ سنين تحت هذا العنوان (لمن لقب السفاح)، وكان هذا بعد أن قرأت فى كتاب «الإمامة والسياسة» المنسوب لابن قتيبة وصف عبدالله بن على ابن عبدالله بن عباس بالسفاح، وتركه وصف أبى العباس به، وهو عبدالله بن محمد بن على بن عبدالله بن عباس ؛ فالأول عم الثانى، وكان والياً له على الشام، وهو الذى تولى فيه حرب بنى مروان، وسفك فيه ما سفك من دمائهم، ثم أخذت فى تحقيق ما رأيته من الاضطراب فى ذلك الوصف، ودونت تحقيقاتى فى مذكرتى على هذا الترتيب :

١ – جاء فى ص ١٢٧ من كتاب المعارف لابن قتيبة وصف أبى العباس بالسفاح.

٢ – جاء فى تاريخ بغداد ص ٤٦ ج ١٠ تلقيبه بالمرتضى والقائم

٣ – جاء فى كتاب «خلاصة الذهب» المسبوك للأربلى ص ٤٠ تلقيب أبى العباس بالسفاح والمرتضى والقائم.

٤ – جاء فى ص ٤٧٧ ج ٥ من كتاب (صبح الأعشى) للقلقشندى أن الخلف وقع فى لقب السفاح، فقيل القائم، وقيل المهتدى، وقيل المرتضى

٥ – جا فى ص ٢٠٧ من تاريخ ابن العبرى أن أبا العباس كان رجلاً طويلاً أبيض اللون حسن الوجه، يكره الدماء، ويحابى على أهل البيت

٦ – قرأت ما كتبه ابن جرير الطبرى عن أبي العباس فلم أجد فيه وصف أبى العباس بالسفاح

٧ – جاء فى كتاب (الفاطميون فى مصر) للأستاذ حسن إبراهيم حسن أن الأستاذ دى غويه كان يرى أن السفاح معناه الرجل الكثير العطايا أو المناح

وقد وقفت عند هـذا فى مذكرتى، وشغلت عن الكتابة فى هذا الموضوع بما فيها من الموضوعات الكثيرة، إلى أن قرأت فى مجلة (الثقافة) الغراء بعض ما كتبه فيه الأستاذان الجليلان عبد الحميد العبادى وأحمد أمين، فكنت والله كأنى فقدت بعض أولادى لأن أفكارى تبلغ عندى منزلة الأولاد، وقد تكون أعز منها عندى، وفى سبيلها يهون على ما ألاقيه من عنت واضطهاد فى هذه الحياة

ثم عزيت نفسى عن ذلك بما أغناها الله به من مثل هذه الآراء والأفكار، وانتظرت ما ينتهى إليه أمر الأستاذين الجليلين فى ذلك الموضوع، فلعلهما يتركان لمثلى الكلام بعدهما، ويكون لى ما أعقب به عليهما . فلما فرغا منه وجدت الموضوع لا يزال فى حاجة إلى التحقيق، ورأيت أنهما لم يصلا إلى تلك النصوص السابقة، ولو أنهما وصلا إليها لتغير نظرهما فى ذلك الموضوع

لقد ذكر الأستاذ العبادى فى أول ما كتبه عن السفاح أنه كان شاباً متصوناً، عفيفاً، حسن المعاشرة، كريماً، معطاء، ذا شعرة جعدة، طويلاً، أبيض، أقنى الأنف، حسن الوجه واللحية، ورتب على هذا رأيه فى معنى لقب السفاح الذى عرف به أنه بمعنى الكثير العطاء، وليس بمعنى السفاك للدم، لأن مثل تلك الصفات التى كان السفاح يتحلى بها إنما تلتئم مع المعنى الأول للسفاح وهو المعطاء، ولا تلتئم مع المعنى الثانى، لأنه معنى ذم لا يلتئم مع تلك الصفات الكريمة

والأستاذ العبادى مسبوق بهذه النظرة إلى معنى السفاح الذى لقب به أبو العباس، فقد ذكر الأستاذ حسن ابراهيم حسن فى بعض تعليقاته على كتابه (الفاطميون فى مصر) أن الأستاذ نيكلسن قال فى بعض كتبه : يقول الأستاذ بيفان الذى أدين له بهذه الملاحظات إن ترجمة لفظ السفاح ولو أن استعمالها قد شاع بين الكتاب الأوربيين لا تزال مثار الكثير من الشك، وقد ذهب الأستاذ دى غويه إلى القول بأن السفاح معناه الرجل الكثير العطايا أو المناح، وإنه مما يهمنا ملاحظته أن هذا الاسم قد أطلق على بعض شيوخ القبائل فى الجاهلية، ويقال إن سلمة بن خالد الذى قاد بنى تغلب فى موقعة بنى كلاب الأولى (ابن الأثير – طبعة ترنبرج ج ١ ص ٢٤٦) سمى السفاح لأنه أفرغ مزاد جيشه قبيل الموقعة، ثم قال : والذى أميل إليه أنه إنما سمى بهذا الاسم لقوله فى أول خطبة له (فأنا السفاح المبيح والثائر المنيح)

وفى هذا النقل بعض من الاستقصاء العلمى الذى عرف به المستعربون الأوربيون، ولكن فيه مع هذا تخليطاً كثيراً نحب

أن ننبه هنا إليه ، ثم نعود بعد إلى موضوعنا ، فقد سميت الموقعة فى ذلك النقل موقعة بنى كلاب ، وهو خطأ فى التسمية ، وإنما هو يوم الكُلاب الأول من أيام بكر وتغلب، وقد جاء فى القاموس (وكلاب كغراب موضع وماء له يوم) وكان هذا اليوم بين شرحبيل وسلمة ابنى الحارث بن عمرو ملك بكر بن وائل ، فإنهما اختلفا بعد موت أبيهما على الملك ، وتواعدا الكلاب ، فأقبل شرحبيل فى ضبة والرِّباب كلها وبكر بن وائل ، وأقبل سلمة فى تَغلِبَ والنمر وبهراء ومن تبعه من بنى مالك بن حنظلة ، وعليهم سفيان بن مجاشع ، وعلى تغلب السفاح بن خالد ، وإنما قيل له السفاح لأنه سفح أوعية قومه وقال لهم: ابتدروا إلى ماء الكلاب فسبقوا ونزلوا عليه ، وقد قتل فى ذلك اليوم شرحبيل بن الحارث وجيء برأسه إلى أخيه سلمة ، فلما رآه دمعت عيناه ، وقال :

ألا أبلغ أبا حَنَشٍ رسولاً فمالك لا تجيء إلى الثوابِ
تَعلَّمْ أن خير الناس طُرًّا قتيلٌ بين أحجار الكُلاب
تداعت حوله جُشَمُ بن بكر وأسلمه جَعَاسيسُ الرِّباب

وكان أبو حنش هو الذى قتله ، ثم بعث برأسه إلى سلمةَ مع عسيف له ، ولم يحضر بها مخافة منه ، فقال سلمة لعسيفه : أنت قتلته ؟ قال : لا ، ولكنه قتله أبو حنش ، فقال : إنما أدفع الثواب إلى قاتله، وكان قد جعل لمن يأتيه برأس أخيه مائة من الإبل

وقد رد الأستاذ أحمد أمين على استبعاد أن يكون أبو العباس سفاحاً بمعنى سفاك مع ما كان له من تلك الصفات الكريمة، بأن هذا لا شيء فيه ، لأن كثيراً من أبطال الجاهلية كان سفاكا للدماء ، ومع هذا كان يتحلى بمثل تلك الصفات التى كان يتحلى بها أبو العباس ، كعنترة العبسى وغيره . ورد عليه الأستاذ محمود محمد شاكر بأن الرقة والجمال ولين الخلق تخفى وراءها أحياناً قسوة لا يدانيها قسوة ، كالذى يكون فى النساء ، فإنهن قد عرفن بين الناس بالرقة ، وهن أغلظ أكباداً من الإبل . ومع هذا يرى الأستاذ محمود أن السفاح لقب أبى العباس من سفح المال لا من سفح الدم ، لأن أبا العباس كان يسمي عبدالله الأصغر ، وكان أخوه أبو جعفر يسمي عبد الله الأكبر ، وأبو جعفر قد لقبه أبوه فيما يعلم الأستاذ محمود بالمنصور ، فلا غرو أن يكون أبو العباس قد لقبه أبوه كما لقب أخاه ، ولا يعقل أن يلقب أحد ولده بمذمة سفح الدماء وهو ينصبه للناس خليفة ، وقد روى عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم : « يخرج منا رجل فى انقطاع من الزمن وظهور من الفتن يقال له السفاح ، يكون عطاؤه للمال حثياً » وأئمة الحديث لا يصرفون هذا الاسم إلى أبى العباس ، ولكن بنى العباس استخدموا مثل هذا فى دعوتهم . فالسفاح إذن ليس من سفح الدم ، وهو بهذا المعنى مجاز مقصود لغرض بعينه

وإنى لا أوافق على أن العباسيين كانوا ينظرون إلى لقب السفاح بمعنى السفاك للدم مثل نظر الأستاذ العبادى والأستاذ محمود شاكر ، لأنهم كانوا يريدون منه السفاك لدماء أعدائهم ، وهذا عندهم لقب مدح لا ذم ، وقد تمدح به أبو العباس فى أول خطبة له فقال : « فأنا السفاح المبيح ، والثائر المنيح » وفى رواية الطبرى « والثائر المبير » . ولا شك أنه إذا أمكننا أن نحمل السفاح المبيح على معنى سفح المال وإباحته ، فإنه لا يمكننا أن نحمل الثائر المنيح أو المبير إلا على معنى إهلاك الأعداء وسفح دمائهم وإناحة أهلهم عليهم . ولا مانع بعد هذا عندى فى أن يكون فى السفاح معنى سفح الدم وسفح المال ، ورأيى فى الحديث الذى جاء فيه ذكر السفاح أنه من الأحاديث الضعيفة ، والظاهر أنه لم يظهر إلا بعد انقضاء عهد السفاح ، وأنه كان يقصد به التقرب إلى العباسيين ، كالحديث الذى روى عن ابن عباس أنه قال : لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لأدال الله من بنى أمية ، ليكون منا السفاح والمنصور والمهدى[1]

وأما ما ذكره الأستاذ محمود من أن السفاح بمعنى سفح الدم مجاز فينافيه ما ذكره الزمخشرى فى أساس البلاغة ، وهو الكتاب الذى يرجع إليه فى تمييز المعانى الحقيقية والمجازية ، فقد ذكر السفاح بمعنى السفاك للدماء فى الاستعمال الحقيقى لمادة س ف ح ، ولم يذكر فيه ولا فى الاستعمال المجازي معنى سفح المال ، وهـذا يدل على أن استعماله فى الأول أقرب من استعماله الثانى ، ولنقف الآن عند هذا الحد ، لنتم بحث ذلك الموضوع بعد

عبد المتعال الصعيدى

(١) على أن الحديث ليس نصا فى أن السفاح بمعنى الكثير العطاء ، لأن الصفة كما تكون كاشفة تكون مؤسسة

الأدب في أسبوع

الهجرة

يا نبيّ الله ! !

إنّ الإسلامَ قد قَعَدَ به أهلُه ، والزّمنُ بالناسِ يعدُو، والحياةُ في العالمِ فكرٌ يتحقّق ، وهي عندنا حُلمٌ يتبدّد، هذه أمّتُك تملأ الأرضَ ، ولكن قد فرغت قلوبها من الإيمان والإيمانُ في دِينك قولٌ وعملٌ ، كانت به المعجزةُ الإسلامية ولكنه عندنا قولٌ وجدلٌ ، تكون به الفُرقةُ الجاهليّة ...

فاللهمّ هِجرةً كهجرةِ نبيّك بالعزمِ والإيمان
اللهمّ جهاداً كجهادِهِ يُجدِّد القلوبَ والأوطان

الشباب والأدب

الطفل حياةٌ صغيرة غضّةٌ ليّنةٌ تقبلُ التشكل وتطاوعُ على ضغط البيئة التي تكتنفها وتُطيفُ بها وتميل عليها ؛ وبيئةُ الطفل هي أخلاق أبويه ، ومعاملتهما وحديثهما وما يحيط بهما من الأقارب والأصحاب والخدم وكل من يعود البيت من زوّاره. وقد حُمّل الإنسان طبيعة التشكل من أول عمره ليكونَ بعدُ إنساناً اجتماعياً مقتدراً على التصرّف في نظام الجماعة بما لا يخرجه من جوّها ويقذفه وراء حدودها التي ضربتها عليها الأحوال الاجتماعية التي يتميز بها الجيل من الناس الذين يباشرهم . وتتصل بهذه الطبيعة من قريبٍ طبيعة أخرى هي التقليد ، ليسوغَ له أن يَثقفَ الحياةَ ويتلقّفَ أسبابَها وطرائقها وأساليبها في مدًى قصير ، فلا ينقطع دون إدراك الطلائع الإنسانية السابقة التي بدَرت أمامَه في الحياة ومارستها وعملت لما وجدت فيها بعضَ ما يمكن تجديده في نظام الجماعات . ولا يزال الإنسان — من أول عمره — خاضعاً خضوعاً تاماً لهاتين الطبيعتين ولقانونهما المستبدّ ، حتى يأتي عليه زمان يستطيع أن يتحرر في بعض نواحيه بالخضوع لقانون آخر هو قانون الاستقلال الفكري والعملي الذي تقوم عليه رجولة الإنسان وقوته ، ولكنه مع ذلك يبقى أبداً متلبساً بأسباب القوانين الأولى التي تخضعه في بعض النواحي للتشكل والتقليد في زحمة الجماعات وضغطها وتأثيرها . فهو إذن لا يبلغ مرتبة الاستقلال إلا بعد أن يكون قد قبل من الأشكال ـ بالضعف والتقليد ـ ما لا يستطيع أن ينفك منه أو أن يتفصّى من قيوده التي تحبسه على ضروراتها . . .

فمن هنا يَبين مقدار الخطر الذي تنذر به هذه الفترة الأولى من حياة الإنسان ؛ ونحن لا نستطيع أن نحدد عمر هذه الفترة ، ولكنها تستمرّ على الأقل إلى نهاية رَوْقِ الشباب ما بين العشرين والثلاثين ، بل ربما جاوزت إلى نهاية العمر إذا ما انتكست الحياةُ في الحيّ وصار إلى حيوانية آكلة شاربة غير مفكرة !

فالشاب حين يخرج إلى الحياة العقلية والفكرية تستهويه أسماء المفكرين من الكتاب والشعراء والفلاسفة فتستهويه وتذهب بهواه وعقله إلى الأخذ عنهم والاقتداء بهم والسير على مناهجهم ، ولا يزال كذلك في تحصيل وجمع وتأثر واتباع حتى يتكوّن له قِوامٌ عقليٌّ يجرّئه على الاستقلال بفكره ورأيه ومذهبه . فالقدوة والأسوة هي مادة الشباب التي يتم بها تكوينه العقليّ على امتداد الزمن وكثرة التحصيل وطول الدُّرْبَة ، فإذا كان ذلك كذلك فالكتّاب والشعراء والفلاسفة وأصحاب الرأي وكل من يعرض نتاجه العقلي للشباب ، ويكون عُرضةَ الاقتداء والتأسّي والتأثر — يحملون تبعة تكوين العقول الشابة التي ترث علومهم وأفكارهم ثم تستقل بها وبإنتاجها الخاص ، وكذلك يكون هذا الإنتاج الخاصُّ ضارباً بعرق ونسب إلى الأصل الأول الذي استمد منه واتبعه وتلقّى عنه

هذا ... ، فتبعة الكتّاب والأدباء أمانة قد تقلدوها وحملوها ، ثم ارتزقوا منها أيضاً وأكلوا بهـا وعاشوا في الدنيا الحاضرة بأسبابها ، فهم على اثنتين : على أمانة قد فرض عليهم أن يؤدوها إلى من يخلفهم من الشباب الذي يتبعهم ويتأثر آدابهم، وعلى شكر للمعونة التي يقدمها لهم الجيل الشاب الذي يبذل من ماله ليشتري

منهم ما يكتبون وما يؤلفون وما يقدمون للتاريخ من آثارهم ليكسبوا به خلود الاسم وبقاء الذكر

وشبابنا اليوم قد تهدّمت عليه الآراء ، وتقسّمته المدنية الأوربية الطاغية ، وهو لا يجد عصاماً يعصمه من التدهور فى كل هوة تنخسف بين يديه وهو مقبل عليها بشبابه ونشاطه واندفاعه وعنفوان قوته فى الشوط الذى يجريه من أشواط حياته. والمدارس فى بلادنا لا تكاد تعطيه من الرأى أو من الفن أو من الأدب ما يبلُّ أدنى ظمإه إلى شىء من هذه الأشياء ؛ وإذن فليس يجد أمامه إلا المجلات والصحف والكتب التى يقدمها له أصحاب الشهرة من كتّابه الذين تُرفَع له أسماؤهم فى كل خاطرة وعند كل نظرة . وهو لا ينى يستوعب منهم أساليبهم وأفكارهم وآراءهم وما يدعونه إليه من موائدهم

فهل ينصف هؤلاء الكتاب هذا الشباب ؟ أتراهم قد عرفوا قدر أنفسهم عند الشباب فعبّأوا له قوامهم احتفالاً بشأنه وحرصاً على مصيره الذى هو مصير الأمة ومصير مدنيتها ؟ أنا لا أرى ذلك إلا فى القليل ممن عرفهم الشباب وجعلهم نصب عينه ، واتخذ أساليبهم فتنة يهوى إليها

ناقد يتكلم

وأنا أدع أحد الكتاب من إخواننا الشآميين يتحدث عن بعض ما نحن بسبيله ، وهو الأخ « قسطنطين زريق » فى كتابه « الوعى القومى » فقد قال فى ص (١٦٢ — ١٦٣) :

« لسنا نعيش اليوم فى عصر ترف عقلى ورفاهية فكرية . فى عصور الترف والرفاهية قد يسمح للكاتب أن يقول : « لى الحق أن أكتب ما أريد وأعبر عما فى نفسى كما أشاء » ... إن عصرنا عصر أزمة فكرية وضيق عقلى . وكما أنه لا يسمح للناس فى زمن الأزمة المالية أن يبذروا أموالهم فى سبيل شهواتهم الخاصة وأمورهم التافهة ، فكذلك يجب ألا يسمح لقادة الفكر فى عصر الضيق العقلى والأزمة الفكرية أن يبددوا قواهم على المسائل الطفيفة والأبحاث الجزئية

فعلى كل منا عند ما يهم بكتابة مقال أن يتساءل بصراحة : « إلى ماذا أرمى ؟ أترانى أضيف بمقالى فوضى إلى هـذه الفوضى الفكرية التى يتخبط فيها عالمى ، وأقذف بعنصر جديد إلى العناصر التى تتطاحن فى محيطى ، فأزيد فى بلبلة أمتى واضطرابها الفكرى ، أم أنا أعمل لتوجيه قوى هذه الأمة العقلية نحو فكرة صائبة أو عقيدة واضحة ؟

فإذا لم تكن غايته من هذا النوع الأخير ، نخيرٌ له وللأمة أن تظل كلماته مدفونة فى نفسه ، وأن يبحث له عن طريقة أخرى يخدم بها أمته ولغته » . ا هـ

إن هذه الكلمات القلائل التى ختم بها الأستاذ زريق بحثه عن الأدب الذى يقود الأمة وشبابها إلى إنقاذ المدنية العربية والإسلامية والشرقية من رَدَغَة الخبال التى تورط أهلها فى أوحالها ومستنقعاتها — حقيقة بأن تكون من « محفوظات » . كبار الأدباء الذين يرمون عن أقلامهم آراء وعقائد وأساليب لا يمكن أن تكون مما يحتملها مخلص لأمته ، ينظر إلى المستقبل الذى هو ثمرة الماضى والحاضر ، ونتاج اللّقاح الفكرى الذى تتقبله عقول الشباب حين تبدأ تتفتح عن أكمامها لتتمل عملها فى إنتاج الثمر إما غضًّا شهياً وإما فِجًّا متعفناً موبوءاً

هل يمكن ؟

فهل يمكن أن يكون أدباؤنا ممن يتقبل النصح الخالص الذى لا تحمل عليه ضغينة أو رياء أو حيلة ؟ وهل يمكن أن يعرف أحدهم أن ليس فى الدنيا أحد هو أعلى من أن يتعلم ، ولا أحد أقل من أن يُعلم ؟ وهل يمكن أن تفرّغ النفوس التى نفختها الكبرياء من الروح النافشة التى لا طائل تحتها ؟

لقد جعلت مقامى فى هذا الباب مقام المذكّر الذى يجب أن يؤدى واجبه لمن يقرأ كلامه ، فأنا لا أستطيع إلا أن أتكلم بكلامى وإن أغضَب من لا يرضى إلا بما يرضيه من الملق والدّهان والمماسحة ، وقد انقضت أسابيع طوال من أسابيع الأدب ، وأنا أزداد كل يوم شكاً فى مقدرة أدبائنا على الإنتاج الأدبى الرفيع الذى يمكن أن يخلد فى تاريخ الأدب ؛ وقد تتبعت أقوال هؤلاء وأساليبهم فلم أجد إلا كل ما يحفزنى على المصارحة والنصح وإبداء الرأى مكشوفاً غير مكفّن

وأنا لو كنت أحمل نفسى على تتبع هؤلاء واحداً بعد واحد أنقد أقوالهم على التفصيل دون الجملة ، ثم أقيد ما أريد بالكتابة فى هذا الباب من « الرسالة » لما كفانى القدر الذى أكتبه ،

ولما استطعت أن أستوعب الرأى فى كل ذلك على أسبوع أسبوع، فلذلك تجنبت جهدى أن أعرض لأشياء كانت تقتضينى أسابيع فى تقصيها وتفصيل أجزائها ، وبيان مكان الفساد منها ، والدلالة على قلة عناية هؤلاء بقرائهم ، وصغر احتفالهم بالأدب الذى اتخذوه لهم صناعة عرفوا بها عند الناس ، حتى صاروا للشباب أئمة بهم يقتدون . نعم ، وكأنهم لا يعرفون أن ما يخرجونه للناس إن هو إلا غذاء جيل من الشبان يأخذ عنهم ويحتذى عليهم ، فإن يكن فى الذى يأتون به فساد فهو إلى إفساد الشباب الجديد أسرع ، وفى طبائعه اللينة أعمل وأوغل ؛ فأيُّما خطأٍ صغير منهم فهو عدة أخطاء كبار فى الذين يلونهم من الشباب المقلد المسكين

إن أمثال الدكتور طه حسين والأستاذ أحمد أمين والدكتور زكى مبارك والأستاذ الزيات وفلان وفلان من كبار الأدباء هم من هذه الأمة الشابة من الناس بمنزلة السراج الذى يضىء للشباب معانى الحياة المظلمة بالجهل ، فإذا انقلب السراج فإنما هو الحريق وانتشاره وممممته ومضغُه قوة الشباب بفكين من نار حُطَمة

الرحلتان

ويذكرنى هذا ما يقطع علىّ نهاية الرأى . فقد قرأت أخيراً مقالتين ، إحداهما للدكتور طه ، والأخرى للأستاذ أحمد أمين ، وهما بهذا العنوان « رحلة » . وقد تعود الأستاذان أن يتقارضا المقالات منذ أسابيع طويلة ، وأكثرا فى ذلك إكثاراً لا يمكن أن يُغْضَى عنه ؛ وكنتُ أحب ألاّ أعرضَ لهُ لعلّه ينتهى إلى نهايته ، فإذا هو شىء لا ينقطع . فمن يوم أن كتب الأستاذ أحمد أمين ما كتب وسماه « مدرسة الزوجات » وقارضه الدكتور طه « بمدرسة الأزواج » ثم « مدرسة المروءة » ثم « مدرسة ... » إلى آخر هذه الأشياء ، وافتتنا بهذه الطاحون التى تدور على دقيق مطحون قد فُرِغ منه — من ذلك اليوم وأنا لا أرى فيما يكتبان إلا استسلاماً للقلم وبدواته وبوادره ، واجتلبا فى ذلك من الرأى ما لا يستقرُّ ولا يتماسكُ

وفى هاتين الرحلتين رأيتُ العجب ! ! فالدكتور طه مثلاً قد أطال فى تحقير مصر والزراية عليها وعلى أرضها بما احتمله عليه الغضب الذى رغب فى إنشاء مدرسة له يسميها « مدرسة الغضب » رحل الدكتور طه بالسيارة فى الطريق الزراعية فناظه التراب الذى يثور من حوله فيطلق لسانه بهذه الأسئلة « لماذا ندفع الضرائب ؟ وفيم تنفق الدولة أموالنا ؟ وماذا تصنع الدولة ؟ ولماذا تنشأ الدولة ؟ »

فليخبرنا الدكتور طه عن السبيل الذى نتّقى به الزراية على أرض مصر ! ماذا تصنع الدولة فى طريق عن جانبيه تلك الأرض الخصبة الواسعة التى تُسْقَى لتطعم أهل مصر من خيراتها؟ كيف تتقى الدولة مرور الناس والدواب وأرجلهم تحمل أوحال الأرض الخصْبَة فتمرُّ بها على الطريق الزراعى الممهّد ، فتأتى الشمسُ المصرية الملتهبة فتجفف الوحل فيثور تراباً ؟ إن هذا كلام يقال فى البلاد الباردة التى لا تفعل الشمس فيها ما تفعل فى أرض مصر الغبراء ، هناك فى « قرية من قرى السفوا أو الدوفنيه أو الكانتال ، على قمة جبل من هذه الجبال التى ألف الدكتور طه الاعتصام بها إذا أقبل الصيف ، والتى فارقها فى الصيف وقلبه يتقطع حسرات » أو كما قال ... ! إن مثل هذا يجب أن يأتى من آراء أدبائنا ، إن لم يكن من أجل أنفسهم فمن أجل مَن يتولاهم من الشباب . وليس أكثر آراء الأستاذ أحمد أمين فى هذا المقال بأقل ابتعاداً عن الحق من الذى عرضنا له

جناية !!

والأستاذ أحمد أمين هو الذى حمل على الأدب العربى ، وحقر الشعر الجاهلى ، ودفع بحجته فى وجوب نبذ هذا الأدب وذلك الشعر الجاهلى لأنه كان جناية على أدبنا . وأنا كنت هممت أن أؤدى واجبى للأدب العربى بإظهار فساد هذه الآراء التى لم تنضج ثمراتها ، ثم رجعت عن ذلك ، رغبة أن يترك مثل هذا الرأى حتى يفنى فى نفسه ، لعلمى - بالاستنتاج - أن الأستاذ ليس أديباً ناقداً ، والناقد أديب مضاعَف ، وقدرته على الأدب أكبر من قدرة الأديب المحض . وقد أحببت أن أقف على كلمة فى مقالة الأستاذ أحمد أمين « رحلة » تدلك على أن رأى الأستاذ فى الأدب العربى والشعر الجاهلى رأى لا يؤخذ به ، فقد قال : « وها هم أولاء رفقة كأنّ أخلاقهم سبكتْ من الذهب المُصفّى ، وكأن شمائلهم عصرت من قطر المزن » وهى جملة لا ينطق بها أديب متمكن ألبتة ، فما ظنك بأديب ناقد ، وأنا لا أعرف كيف يعصر قطر المزن (أى الماء) ، وهو لا يمكن أن يُعصر . ونحن لا نشك فى أن الذنب ليس للأستاذ الجليل ، وإلا فهو ذنب الشيخ اليازجى صاحب « نجعة الرائد ، وشرعة الوارد ، فى المترادف والمتوارد » ... الخ ، الذى ذكر هاتين العبارتين بنصهما وترتيبهما



الموسيقى فن وإلهام

للأستاذ محمد السيد المويلحي

أكثر الناس فى هذا الزمن يعتقدون أن الموسيقى « علم » كسكل العلوم لها قواعد ومبادئ ، ولها مناح ونواح متشعبة متفرقة لا يمكن جمعها وهضمها إلا بالبحث والفحص والدرس ، بل هم يعتقدون أكثر من هـذا ؛ يعتقدون أنها تخضع للدأب والـكد ، وتمطى سرها وسحرها لمن يتعب أكثر من غيره فى طلبها ... !

وليس هذا فى مصر والشرق فحسب ؛ بل فى جميع بقاع العالم ، وفى كل البلاد التى بلغت ذروة الحضارة وأدركت نهاية المدنية ... فهناك المدارس المختلفة ، والمعاهد المتباينة ، والجامعات المختصة فى تدريس كل (مادة) من مواد الموسيقى ؛ وهناك الأساتذة الذين قطعوا كل عمرهم أو جله فى التخصص والانقطاع لتجويد ناحية واحدة يكررونها صباحاً ومساء ... حتى (الصوت) استطاعوا أن يوهموا الناس أن فى مكنتهم السيطرة عليه بل وخلقه خلقاً جديداً ... !

ولـكن هـذا ليس من الواقع فى شىء ، فإن كان للموسيقى فروع وأصول ، وقواعد ونظريات ، فليس معنى هذا أن كل من يلم بها أو يهضمها يسمى (موسيقيًّا) أو فنانا يعبِّر عن خوالج الناس بروحه الشفافة الملهمة

الموسيقى ليست مهنة تُـعلم ، ولا حرفة تُجاد ، ولا صنعة تـكتسب ، وإنما هى فن وإلهام كما قلت فى رأس هذا الـكلام ... هى إلهام لأنها أسمى من أن تخضع لقوى البشر الذى يخضع لها ، وهى قوة سحرية روحية تفعل فى النفوس ما لا تفعله قوى الأرض مجتمعة متضامنة ... فهى تُضحك وتُبكى ، وتُـفرح وتُحزن ، وتـسعِد وتُـؤلم فى لحظات ، فهل ثمة قوة إنسانية (مكتسبة) تستطيع أن تملك مثل هذا السحر ؟

إن (العالِم) الذى يقسم لك الموسيقى إلى قواعد غربية وقواعد شرقية وموشحات وأدوار ثم يقول لك إن الموسيقى عبارة عن (دواوين) وأن كل ديوان له درجات أساسية و (نيمات) وعربات و (تيكات) وأن بين اليكاه والعشيران كذا من المسافات ، أو أن يقول لك إن الديوان الأول (مثلاً) يحتوى على ثلاثة (تكوك) وسبعة عربات ... الخ ويروح مقارنا بين الموسيقى الغربية ، والموسيقى العربية ، ويفضل إحداها على الأخرى ناسياً الذوق ، والطبع ، والعادة ، والبيئة ــ لهو أبعد الناس عن الموسيقى وعن الفن الصحيح وإن كان هو يأبى ذلك . فليس الفن أرقاماً تجمع وتطرح وتحفظ وتعرف وإنما هو قوة هائلة معجزة يسوقها الملهم العبقرى أمواجاً سحرية ولو كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، ولا يعرف النيمات والتيكات والعربات ... ! !

(فوزار) الموسيقار الألمانى الخالد عزف وهو فى طفولته على البيان والـكمان والأرغن من غير أن يتعلم درساً واحداً عليها ! ! ولعل القارئ يدهش حينما يعلم أنه كان يسبق الأساتذة

فى فصل « كرم الأخلاق ولؤمها » ص ٧٠ الطبعة الثانية ، وهما من حشد الشيخ الذى لا يقوم على أصل من البيان والبلاغة

أجَلْ ، إن كثيراً ممـا وقع فى كتاب الشيخ اليازجىّ — على جلالته — ، إنْ هو إلاّ مجازات واستعاراتٌ كأخيِلة المحموم مادّتها من الهذيانِ اللغوىّ الذى لا يَصِل إلى الحقيقة بأسباب من منطق العقل . والبلاغةُ ليست إلاّ حفظ النسبة بين الحقيقة اللغوية والمجاز البيانى ، فـكل ما لم يكنْ كذلك من المجاز والاستعارة فهو لَغْوٌ يتشدقُ به من ليس لَهُ طبعٌ أدبىٌّ رفيع . وجهدُ اليازجىّ كان حشدًا من كلامِ العصور المتقدمة فى العربية ، فأخذ من الجيد والردىء على غير نقد أو تمييز

فكان واجبُ الأستاذ أحمد أمين ــ الزارى على الشعر الجاهلى وواصمه بالجناية على الأدب العربى ــ أن ينقُد مثل هذه العبارات الضعيفة المتهالكة التى لا تتصل بسبب إلى البلاغة العربية على اختلاف عصورها ــ لا أن ينقلها إلى كلامه . وإلا فلينظر الأستاذ إلى أثر هذه المجازات فى بيان الشباب الذى يحبُّه ويعجب بأدبه ، ويتلقى كلامه بالإجلال وحب الاقتداء

محمود محمد شاكر

الذين أتى بهم لتعليمه، وتوجيه عبقريته فى الوجهة الصحيحة (كما كانوا يزعمون) حتى إن أحدهم بكى أمام سحر الطفل، وقال لوالده:

«ليس عندى ولا عند غيرى ما يجهله ابنك، إنه ابن الموسيقى وقد علمته سرها وسحرها!» (وبتهوفن) الذى كان يطلق عليه (إله الموسيقى) والذى أرهقه أبوه فى طفولته وظن أن كثرة (التعليم والإرشاد) تنفعه. كان يبكى لأمه ويشكو ظلم هذا الوالد ويقول لها: لقد أوشك أبى أن يبغضنى فى الموسيقى وفى الحياة نفسها... فلما تركوه وشأنه كان لا يفارق البيان أبداً إلا ليأكل أو لينام...!! وبعدها أخرج آياته الخالدة التى لا تزال إلى اليوم سمواً لا يدانى...

قد يقول قائل وما فائدة تلك المدارس إذن، وما فائدة هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم للتدريس وجعلوا من أنفسهم حفظة لقواعد الموسيقى وعلومها...؟

فائدتهم التوجيه والتهذيب فقط. أما الخلق والابتكار والقدرة والسيطرة والتحكم فى ميدان العواطف، أما التغلغل فى الأعماق والسريان فى الدم والتلاعب بالأرواح، فهذا كله لا يعرف العلم، ولا يخضع للعلماء...!

إن الذى يغنى أو يعزف لا يصف النظريات، ولا ينتقل من نغم إلى نغم مرسوم موضوع، وإنما هو ينطلق بروحه فتتحكم فى لسانه أو بنانه وتروح مستولية على خلجات المستمعين، وطوبى لمن يأسره فنه أولاً قبل أن يأسر غيره لأنه يفعل العجب... ولا يهمه بعد ذلك أخرج على (الوحدة) أم ظل محافظاً عليها، ولعل من هذا الباب قصة المرحوم (عبدالحى حلمى) الذى كان يشدو ليلة كبلبل نشوان والناس من حوله سكارى من خمر الطرب فخرج على (الوحدة) فأرشده (عازف القانون) فزجره قائلاً: خلِّ الوحدة لك ولأمثالك، إننى أغنى لهؤلاء الذين يفهمون الموسيقى!

ولهذا لا يمكن لمطرب يغنى لحن غيره، ويترجم إحساس غيره، أن يصل إلى درجة مطرب يلحن لنفسه ويترجم إحساسه مهما أوتى من حسن الصوت وجمال الإلقاء، لأنه يكون ممثلاً وحاكياً، بل يكون كاذباً فى رسالته، والموسيقى لا تعرف الكذب لأنها هى نفسها رسالة صادقة!

رب قارئ يقول إنه يسمع بعض المطربين والمطربات من الذين يغنون تلحينات غيرهم قد وصلوا إلى مرتبة سامية لا تدانى، حتى من الذين يلحنون لأنفسهم؟ وردى على هذا الاعتراض أن القارئ سيقتنع إذا عرف أن هؤلاء المطربات والمطربين لا ينتزعون الإعجاب ولا يسيطرون بسحر فنهم وصوتهم إلا إذا انطلقوا من جو تلحين الموضوع وتصرفوا من عندهم التصرف الذى يمليه إحساسهم...

إن بعضنا يسمع (أم كلثوم) مثلاً وهى تغنى قطعة موضوعة مرسومة فيظل هادئاً أو مشجعاً حتى إذا تصرفت وترجمت إحساسها هاج وماج وفقد سلطانه على نفسه!

وعبد الوهاب، هناك من هو أملح منه صوتاً وأصفى نبرة ومع ذلك لا يقاس إليه، لِمَ؟ لأن عبد الوهاب لا يترجم للناس إلا إحساسه، ولا يصور لهم إلا روحه...

ومالنا نذهب بعيداً؟ إن القصبجى والسنباطى وزكريا وهاشم ومحمود صبح، وهم أئمة التلحين فى مصر والشرق قاطبة، لو غنوا تلحيناتهم بأنفسهم — وبعضهم قبيح الصوت — لأدوها أحسن من غيرهم ولو كان أجمل صوتاً وأقوى أداء، وليس هذا بعجيب أو غريب، فلن يكون المقلِّد كالمقلَّد أبداً...!

***

لنرجع إلى الفن الملهم والفن المكتسب...

فى الشرق والغرب بعض العلماء الذين تخصصوا فى دراسة النظريات والقواعد الموسيقية فألموا بها إلماماً تاماً، وأصبحوا (علماء) ينتفع بعلمهم وطرقهم فى دراسة الموسيقى الذين يعتقدون أن الموسيقى تخضع للدرس والبحث كما قلنا، ومع ذلك ترى هؤلاء العلماء يتساوون مع الجميع — إلا الموهوبين — فى العجز عن فهم الموسيقى الحقة وعدم القدرة على الوصول إليها! لأنهم يصفون الطرق والمسالك التى تؤدى إليها ويزعمون أن الإنسان إذا خص وصل، فإذا سألتهم ولِمَ لَمْ تصلوا أنتم بعد طول بحثكم وخصكم إلى مرتبة الملهم العبقرى الذى لم يقطع زهرة عمره فى الجرى وراء النظرية والقاعدة؟ قلبوا شفاههم، ولووا رءوسهم، ورأيتهم يستكبرون ويتعاظمون، ويصفونك مع الملهمين بالجهل الفاضح والعجز الواضح...!! ولعلهم معذورون، لأنهم يعتقدون أن الفن

يخضع للعلم ، وكذلك تراهم ـ فى كل عصر ـ ينكرون ويحاربون نتاج العباقرة الملهمين ... وكم شهدت مصر ـ أيام سيد درويش ـ من صنوف الدس والتحقير لفن هذا العبقرى الأوحد الذى ذاق الأمرين من رجال معهد الموسيقى ، لا لشىء ، إلا لأنه فى عرفهم من الجاهلين ، نعم ، كم شاهدت مصر — ولا تزال — من صنوف الاضطهاد لفن سيد من هؤلاء الناس الذين لو عاشوا ألف سنة ما استطاعوا أن يصلوا — مجتمعين — إلى فهم قطعة واحدة من قطعه ... ! !

لم يعرف عن سيد أنه كان عالماً يفكر قبل أن يلحن ليخرج تلحينه من نغمة — كذا — كما يريد المغنى أو المغنية ، بل كان ينتزع اللحن الخالد من صميم الحياة ، ومن صميم البيئة المصرية ، دون أن يزن أو يقيس بمعيار النظريات ومقياس القواعد والدُّم ، والتك ، والوحدة . ومع ذلك ، فقد كانت تلحيناته سماوية خالدة يُضرب بها المثل فى الربط والضبط ... ! !

***

وقبل أن أنتهى ، أحب أن أقول : إن الموسيقى فن مُلهم أكثر منها علماً مكتسباً ، وهى وحى سماوى يهبط من علٍ فينقله ويترجمه الملهمون لغة تفهمها القلوب والأرواح ... لغة لا تخضع للقواعد ولا للنظريات ، لأنها ليست من صنع البشر ... !

نعم ، إننى أعتقد أن مرتبة « الفنان » أسمى من مرتبة البشر ، لأن الله اصطفاه بأنبل ما فى الحياة وأطهر ما فى الوجود ... وهو « الفن » ، بل وأعتقد أكثر من هذا ، أعتقد أن الله اصطفاه « بنفسية » لا تخضع لعوامل الشر ، ولا تنحنى أمام مغريات الشيطان ، فالفنان لا يعرف الغل ولا الحقد ، ولا المال ولا الجاه ، لأنه يعيش كما تريد له الحياة أن يعيش ، وينتج كما يريد له الله ، لا كما يريد له العلم والتعليم ... ! !

محمد السيد المويلحى



في ظلمة الليل

أسطورة فرعونية

« تحية للأستاذ يحيى حقي »

للأستاذ محمود بك تيمور

في أصيل يوم من الأيام ، كان « الشيخ حابى » فى بستانه الصغير، أمام داره المتواضعة ، يتعهد نُخيلاته ويستريض . فاسترعى انتباهه خفق أقدام ، فالتفت نحو مصدر الصوت ، فإذا بفتى يسير صوبه ، وهو يدفع — فى جهد — قدميه المتعبتين ، وقد علاه الغبار ، فاختفت ملامحه ؛ بيد أن الناظر إليه يستطيع أن يلمح فى عينيه على الفور حيرة الغريب . وكان يحمل فى يده صرة ؛ فخف الشيخ للقائه ، وما إن اقترب منه ، حتى سمع الفتى يقول فى صوت الهامس :

— الشيخ حابى ؟

— هأنذا ... ما مطلبك ؟

ووجد « حابى » الفتى يتخاذل أمامه ، فأسرع إليه ، وأسنده إلى صدره ، محيطاً إياه بذراعيه ، وقال له :

— أمريض أنت ؟

— بل جائع !

وسار به « حابى » إلى داره فى رفق ، وأجلسه بجوار الباب على مصطبة عارية ، وتركه برهة ... ثم عاد إليه بإبريق مملوء باللبن ، فأخذ يعب منه الغريب ، حتى شبع ... وبعد أن تنفس طويلاً ، تمتم بكلمات الشكر لمضيفه ، ثم أطرق وقتاً ... وأخيراً ، رفع رأسه ، وسرّح بصره فى الشيخ ، والكلمات تتراءى حيرى على شفتيه ... وابتسم الشيخ ابتسامة تنطوى على عطف وطيبة ، وقال :

تكلم يا بنى ، ولا تخش بأساً ... ما حاجتك ؟ إن حابى لا يرد حاجة الغريب !

فأمسك الفتى بيد الشيخ ، وضغطها فى انفعال ، وقال :

— لقد حدثونى أنك تأتى بالمعجزات ، فسعيت إليك أطلب معجزة ! ...

فتأمل الشيخ وجه فتاه طويلاً ، يحاول أن يستكنه ما خلف تلك الصفحة المتربة المتعبة من خفيَّة نفسه ، وقال :

— معجزة ؟ ... لستُ كاهناً يا بنى !

— أنت أعظم من كاهن ...

— أفصح عن غرضك !

— إن قوة تماويذك وعقاقيرك يا أبت مستمدة من روح الآلهة ...

— أنا حكيم زاهد ، قد أنجح فى مداواة النفوس وتطبيب الأجسام ...

وحدق الفتى فى الشيخ بعيون جاحظة ، ثم هبط أمامه ، وقال وقد تشبث بثوبه :

— وحق إيزيس لَتنتزِعن نفسي من بين جوانحى ، ولتلقين بها بعيداً عن جسدى !

— هدىءْ من روعك ... ...

— إني أمقت هـذه النفس الخاملة الميتة ... لتخلقنى خلقاً جديداً ، ولتجعلن منى رجلاً ذا بأس واقتدار !

وجعل الشيخ يلاطف رأس الفتى ، ثم أنهضه فى وداعة ، وأجلسه بجواره . وبعد حين ، قال له فى هدوء ورزانة :

ارو لى قصتك يا بنى ... إنى مصغ إليك فى انتباه !

ودعم الفتى وجهه براحتيه ، وراح يرسل الطرف أمامه فى ذلك الفضاء المظلم ، حيث يبسط الغسق على الكون غلالته السوداء . وأنصت برهة إلى ما يحيط به من صمت شامل . ثم تكلم فإذا به يقول: أنا راموسى ... ولكن ماذا يهمك من اسمى ؟ إن راموسى نكرة لا يحس وجوده أحد

— تكلم !

— إنى أسكن على مسيرة شهر من هنا ...

— فى بلدة رنسى ؟

— نعم !

— ذات المعابد الأربعة ، والمسلات الخمس ؟ !

فواصل « راموسى » حديثه ، وقد رق صوته وضعف :

وحيث تسكن الأميرة أشمس ... !

وطأطأ رأسه حيناً ، ثم رفع عينه بغتة ، وسددها فى وجه « حابى » وقال فى صوت غير متساوق النبرات :

أريد أن أكون عظيما ... أريد أن أكون مثرياً ... تزخر خزائنى بالأموال ... أريد ! ...

فابتسم الشيخ فى هدوء ، وقاطعه قائلاً :

إنه ليس بالطلب المستحيل ...

فاستنار وجه الشاب بلمعة متلألئة ... وقال :

إذاً ستأتى لى بمعجزة !

— إن ما تسميه أنت معجزة يا بنى ، أسميه أنا أمراً قد يستعصى على بعض الناس ، ولكنه فى مقدور آخرين !

فهوى « راموسى » على يدى الشيخ ، وانهال عليهما تقبيلاً ، وهو يقول :

شكراً شكراً ، سأذكر لك ذلك الجميل ماحييت ، وسأعوضك عنه أضعافاً مضاعفة ...

ثم رفع رأسه ، وقال :

أما الآن ، فليس لى ما أقدمه لك سوى ...

وتعثر لسانه بالكلمات ، فسكت ، وأشار إلى الصرة التى بجواره ، وفتحها بيد راعشة أمام « حابى » فنظر فيها الشيخ ، فإذا بخليط من قطع المعادن ، بينها شىء قليل من الفضة والذهب . وتابع « راموسى » كلامه وقد غض من بصره :

— هى كل ما تبقى لى مما أملك !

— أبقها لك ...

— إنها قليلة ... أعرف ذلك !

— كلا ، فهى كثيرة إذا كانت منك . وهذا يكفى ... ولكننى لست فى حاجة إلى عطاء الناس ...

— أبتِ !

ونهض « حابى » فى هدوء وهو يقول :

— ألا ترى يا بنىّ أن الليل قد أقبل يحمل فى أعطافه برد السماء ، وأنا كما ترى شيخ ...

— هيا ...

***

وتركا المصطبة ، ودخلا قاعة غير رحيبة ، بسقف منخفض تكاد تكون عارية إلا من حصير وغطاء

وأشعل « حابى » مصباحه الزيتىّ ، ثم جلس وأراح ظهره على الجدار وقد طوى يديه إلى صدره . وجلس « راموسى » قبالته متربعاً ، لا يفصله عن الشيخ إلا المصباح ...

وانقضت برهة لم يتكلم فيها أحد منهما

ثم سمع « حابى » يردّد فى صوته الرزين :

— إنى مصغٍ إليك !

فلم يحول الفتى عينيه عن المصباح وقال :

— كيف أبدأ لك قصتى ... حقاً إنه لجنونٌ ما فكرتُ فيه ... غير أنى لستُ نادماً على شىء ... لقد كنتُ أحيا يا أبتِ متبطلاً ، أخرج من دارى المهدّمة إلى النهر أرتاض على شاطئه حيث بساتين الأمراء ، أقضى اليوم كله متنقلاً بينها ، أستمتع بمرأى الرياحين ، وأستنشق عرْفها الزكىّ . فإذا تعبتُ استرحت بجوار الماء وأخرجت نايى أناجيه ويناجينى !

— أموسيقى أنت ؟

— لم أجرب أن أصفر إلا لنفسى ...

وأخرج « راموسى » من ثنايا ثيابه ناياً من غاب ساذَج المظهر ، وأراه الشيخ قائلاً :

— إنه زميلى الذى لا يفارقنى أبداً ... زميلى المطلع على سرّى ، العالم بما يجيش فى قلبى من أمان وأطماع !

— أمان وأطماع قد تبدو لك بعيدة التحقيق !

— إننى أضعها بين يديك ، فافعل بها ما أنت صانع !

— ألم تكن راضياً عن حياتك الهادئة ؟

— كل الرضا !

— إذاً « هى » التى غيّرت حالك ...

— من هى ؟

— تلك التى ذكرتَ اسمها ، مشرّفاً بذكره مدينة رنسى !

— نعم ، هى أشمس ، أميرة الأميرات ، وأقربهن صلة بفرعون الأعلى !

— أتمم حديثك ...

— رأيتها يوماً تتنزه فى بستانها ، فسحرني لأول نظرة جمالها ؛ رأيتها ترتاد الخمائل فى حاشيتها ، فجعلت أرقبها خلف دَغَل من الأشجار ، وأضاءت نفسى على التوّ شمس وهاجة أنارت لى دنيا عظيمة كانت مختفية عنى . وإذا بى أقطع على نفسى عهداً بأنها لن تكون لسواى ... ولما عدت إلى دارى ، وراجعت هَجسات ضميرى ، هزئتُ بنفسى ، وكلى سخط وألم . ولكن عهدى ما زال ثابتاً على الرغم من كل شىء ، لا يتقهقر ولا يتزايل ، بل يتقدم فى جُرأة وإقدام ... ولكن كيف أنفّذ ذلك العهد ؟ هذا ما كان يحيرنى ويحز فى قلبى . منذ ذلك اليوم جعلت طريقى إلى بستانها لا أعرف سواه ، أقضى على مقربة منه يوى ، أراها ولا ترانى . فإذا ما صعدتْ فى قصرها انتحيتُ نحو الشاطئ ، وتخيّرت مكاناً ظليلاً ، وبثثت شكواى للناى ، فكنت أسمعه أحياناً يهمس لى : « لماذا لا تحاول التقرب إليها ؟ ... ... لماذا لا تكشف لها عن كوامن صدرك ؟ ... »

— ولماذا لم تَصدَع بما أوحى لك به نايك ؟

— أتريد منى أن أستمع لذلك الساذج الغرير ؟ ألم أقل لك من هى ؟ إن فيها من دم الآلهة يا أَبتِ ! ... وكثنا نعلم أن عظاماً تقدموا إليها بقلوبهم ، فردّتهم خائبين ... لقد أمضيتُ يا أبتِ الليالى الطوالَ أفكر فى مصيرى معها ... لا بد أن تقع معجزة تحولنى من صعلوك بائس إلى أمير يفوق جميع الأمراء ، برضاه فرعون ورعاه إيزيس ... وكان أن اشتد بى الضيق يوماً ، فجريت صوب النهر ، وهممت أن ألقى بنفسى إلى التماسيح ... فى تلك الساعة الفاصلة ، سمعت هاتفاً يقول لى : « اذهب إلى حابى الحكيم ، فعنده تتم المعجزة »

فتمتم « الشيخ حابى » :

— أقال لك الهاتف ذلك ؟

— قسماً بإيزيس ربة الأرباب ، لقد سمعت صوته واضحاً يرن فى أذنى . وكانت التماسيح قد خرجت برءوسها تنظر إلى متنمرة فوجدتُنى فى لحظة أقفز متراجعاً عن النهر ، وانطلقتُ أعدو ... أكنتُ أعدو حقا ؟ لا أدرى ! كنتُ أحسُّ أنى محمول بقوة خارقة غير منظورة ... وفى الغد بعتُ ما أملك ، واستصفيتُ مالى ، وحملت زادى ، وسرت وَوجهتى دارك !

فأمسك « حابى » بيدَىْ « راموسى » وضغطهما وقال :

— ستتم المعجزة يا ولدى ، فاعتمد على

— إذاً ستجعلنى أمير الأمراء ؟ وإذاً ستجعل من أَنْمِيس زوجة لى ؟

— إن علمى لا يتطاول إلى مثل هذ الأمور !

— كيف ؟

— كل ما أقدر عليه أن أعمل على تغيير نفسيتك . . .

— أوضح يا أبت !

— سيتغيّر فيك كل شىء ، شمائلك الأصيلة ستنقلب إلى ضدها ، الخمول سيغدو نشاطاً متأججاً ، والقناعة ستكون طمعاً صاخباً ، والرحمة ستفسح مكانها للقسوة والعنف . . . ستكون حياتك يا راموسى كالبركان الفوّار ، لا يخبو له لهب ، ولا يسكن له زئير !

فطأطأ « راموسى » رأسه ، وقال :

— أَبتِ !

— ليس ثمّةَ طريق ينيلك ما تطلب من ثروة وجاه ومجد ، إلا هذا الطريق !

وصمت « راموسى » فترة ، ورأسه منحن على صدره ، وبغتة رفع وجهه إلى « حابى » وقال :

— ولكن حبى ، حبى . . . أيعتريه تغيّر ؟

— حبك باق بقاء الروح الخالدة . . . ولكن !

— ماذا ؟

— أواثق أنك ستكون سعيداً بنفسك الجديدة ، بعد أن تتم المعجزة ؟ وأنه لن يطول بك الحنين إلى نفسك الأولى ؟

— . . . افعل بى ما تريد !

***

ودارت عجلة الحياة : الأيام تلو الأيام ، والأشهر إثر الأشهر . . .

وكان ملك الغرب قد دفعه الطمع إلى امتلاك مصر ، فسيّر إليها الجيوش الكثيفة ؛ فغزت المناطق الشمالية فى غير عُسر ، ثم اندفعت فى طريقها تكتسح أمامها جند الوطن . ولم يُجدِ تعيين القائد الكبير « رودا » أميراً على الجيش الذى أرسله فرعون لإنقاذ البلاد . . . إذ أصيب « رودا » بهزيمة نكراء ،

وقتل فى المعركة ، وكاد الجيش يتفكك ويندثر ، لولا أن قيض الله له شاباً من بين المحاربين تزعمه ، فأخذ يجمع شمله ، ويبث فيه روحاً جديداً ؛ فلم ينقض وقت طويل حتى انقلبت الهزيمة إلى هجوم ، ثم انتهى الهجوم إلى مطاردة للعدو ، فاكتساح كامل له . وأصبح هذا الشاب قائداً للجيش ، ولقب نفسه بالأمير الأسود ، إذ كان يرتدى السواد دائماً ... ولم يقتصر هذا الأمير على تطهير البلاد من جيش العدو ، بل تابع زحفه فى جرأة غريبة ، ففتح « مملكة الغرب » بأسرها ، وأخضعها لسلطان مصر ، فصارت تابعة لها ...

***

كانت « رنسى » المدينة ذات أربعة المعابد وخمس المسلات حاضرة مصر الثانيـة ، تحتفل احتفالاً شائقاً بقدوم الجيش المنتصر ، وعلى رأسه أميره الأسود ، فقد عاد محملاً بأسلاب وغنائم لم يأت بها قائد منتصر من قبل . وكان موكبه حافلاً بالأسرى العظام من الأمراء والحكام وسراة الدولة المغلوبة . أما بقية الأسرى من الدهماء ، فقد اكتفى بقطع أيديهم ، وأطلق سراحهم ، حتى لا يعطلوا سير الموكب بكثرة عددهم . ولكنه احتفظ بتلك الأيدى ، فحملها معه ليقدمها إلى فرعون ، رمزاً للخضوع والطاعة !

وتمت مراسم الاستقبال فى عظمة وفخامة جديرتين بالقائد العظيم والفاتح الكبير ! ... ولكن الأميرة « أشمس » أولى أميرات البيت الفرعونى ، تخلفت عن حضور الاحتفال ، وأرسلت تعتذر لفرعون . وكان فرعون يعرف شذوذ طباعها واعتزالها العالم ، فقبل عذرها على مضض . ولكن رسول الأمير الأسود جاءها يحمل من الأمير نفسه رغبته فى زيارتها قبل الغروب لأمر ذى بال ؛ فلم تجد مخلصاً من استقباله ، وأمرت أن يعدوا القصر لهذا القدوم

وأخذ الأتباع يعملون بجد واهتمام فى تزيين القصر ، فما كادت الشمس تؤذن بالغروب حتى برز القصر فى غبشة الظلام كأنه قطعة من لؤلؤ تتألق ؛ وانتشر الطيب الذكى فى أرجائه ، فكأنه روضة فواحة من الأزاهر النضرة

وجاء الأمير فى الموعد فى حفل من قواده ، ودخل القصر وهو يضرب بقدميه الصلبتين الأرض ضربات شديدة تردد صداها جوانب المكان ، ويلتفت يمنة ويسرة بوجهه الرائع الذى تنم كل لمحة من لمحاته على رجولة قوية قسية . وكانت لعيونه الواسعة إشعاعات قوية باهرة لا تقوى عين أخرى على تحديها ...

وما إن دخل البهو الكبير ، ورأى الأميرة واقفة فى صدره تحف بها وصيفاتها ، حتى توقف بغتة ، واتسعت حدقتا عينيه ، وتفتح وجهه فى لحظة بنور متألق تشيع فيه الأحلام . وأمسك بيد رفيق له بجانبه ، وشد عليها ؛ وطالت وقفته على هذه الحال والناس من حوله صامتون . وأخيراً همس رفيقه فى أذنه :

— مولاى ! إن الأميرة تنتظرك ... تقدم !

وتقدم الأمير الأسود بخطوات لم تردد صداها جوانب المكان هذه المرة ، وركع أمامها ركعة المتبتل أمام ربه فأنهضته ، وهى تقول :

نحن الذين يجب أن نركع أمام المنقذ العظيم !

ورفع وجهه إليها ، وقال فى صوت خفيض :

عفواً مولاتى ! ... أمام هذا الجمال الإلهى الذى هو قبسة من رع ، ونفحة من إيزيس ، يستشعر القائد العظيم ضآلة نفسه وتفاهة مجده !

— سيدى !

— ليس ثمة عظيم أمامك يا مولاتى ! ... كلنا من أتباعك المخلصين !

وتهامس الناس فيما بينهم دهشين حيارى :

لم يُشاهد الأمير على هذه الصورة ، حتى فى حضرة فرعون الأعلى !

وبدأت الجموع تتفرق والمكان يخلو للضيف وربة القصر ، وأخذ القائد يروى وقائعه ، ويعدد أسلابه ، ويذكر ما ناله من مال وضياع تتعادل معها أموال فرعون المعظم . وختم حديثه قائلاً : إن الأميرة لتعلم أن فرعون بلا عقب ، وهو الآن شيخ مُثقل بالمرض ، وقد طالبته الكهنة بتبنى أمير يجعله ولياً للعهد ، أمير أهل لهذا المنصب الخطير ...

— وهل وقع اختيار الملك على هذا المحظوظ ؟

فابتسم الأمير ابتسامة ذات معنى ، وقال :

لقد أتم اختياره سراً ، وسيعلنه غداً فى الهيكل الكبير !

وصمتت « أشمس » وهى تتفحص الأمير طويلاً .. ثم انحنت فى خشوع وهى تقول :

يسعدنى أن أكون أول من يقدم طاعته لصاحب التاجين، وريث ملك الفراعنة المظيم!

فأمسك الأمير بيدها، وقال:

هذا الملك المظيم، وهذا النصر الباهر، وهذه الأموال التى لا يستطيع أن يحصيها أحد. كل ما كسبته وما سأكسبه، أضعه تحت قدميك أنت يا أميرتى، ويا مولاتى!... أقدم لك كل هذا مقابل شىء واحد منك...

فأسبلت الأميرة جفنيها، وتابع الأمير حديثه فى لهجة مشبوبة:

كلمة منك يا أشمس تجمل هذا الوادى الفسيح بسكانه وكنوزه، هذا الملك الضخم طوع يديك... قولى كلمة الرضا، ثم مُرِى، فلن يعصى لك أحد أمراً...

ونهضت الأميرة، وهى تقول فى صوت حبيس:

ألا نذهب إلى الشرفة فنلقى نظرة على البستان؟

فأجابها الأمير، وهو حائر:

كما تريدين!

وذهبا إلى الشرفة، وأطالت الاميرة النظر إلى الحديقة، وهى تُصَعِّد بصرها فى أشجارها وأزاهيرها. ثم قالت:

أيسمح لى الأمير أن أقص عليه قصة صغيرة؟

فأجابها، وهو يزداد عجبا:

إنى مصغ إليك يا أميرة!

— كان فى الزمان الغابر فتاة من الأثرياء، من أسرة رفيعة النسب؛ تحيا ناعمة البال فى قصرها ذى البستان الكبير حياة ترف ورغد، ولم يكن لها مطمع تصبو إليه إلا العثور على أليف تنعم معه بحب ووفاء، شأنها فى ذلك شأن كل فتاة. وحج إلى قصرها أعلى الأمراء شأناً، وأكثرهم جاهاً وثراء يطلبونها للزواج فردتهم بلا أمل...

— ولم ذلك!

— لأنها كانت مخدوعة بنفسها، مغرورة بجمالها، فلم يَرُقها واحد من هؤلاء الأمراء!

— ومَن كانت تنتظر أن يتقدم لها بعد هؤلاء، وهم صفوة البلد...؟!

وتريثت الأميرة فى إجابتها، وهى تسرح طرفها فى الأفق حيث الظلام مقبل فى وحشته وصمته وأسراره... وقالت:

— هى نفسها لم تكن تدرى، ولكنها على الرغم من ذلك كانت تنتظر وتؤمل!

— وهل طال انتظارها؟

— كلا!

— إذاً عثرت على ضالتها؟!

— نعم أيها الأمير...

— أكان قائداً غازياً؟

— كلا!

— أوزير خطير هو؟

— كلا!

— إذاً هو ملك من نسل الآلهة!

— ولا هذا أيضاً...

— من يكون؟!

— وأرسلت الأميرة تنهدة خفيفة وقالت فى صوت الهامس:

— شاب رقيق الحال، مرهف الشعور!

— وما مهنته؟

— ليست له مهنة، كان يقضى أيامه يجوب البساتين، ويتنزه على ضفاف الأنهار، يستمتع بمحاسن الطبيعة!

— إنها حياة أقرب إلى التبطُّل والصعلكة...

فتمتمت الأميرة بلهجة الحالم، وهى تستقبل بعينيها كتائب الظلام المكدس بعضها فوق بعض:

— قد يكون ذلك، ولكنه الوحيد الذى استطاع أن يبهر كبرياءها، ويحطم تاج غرورها!

فندّت عن الأمير صرخة:

— هو؟!... أممكن ذلك؟

— أجل لقد أحبته الفتاة، أحبت فيه ذلك الشاعر المرهف الحس، ينشدها أعذب ألحانه وأرقها!

— أكان شاعراً ينظم لها القصائد، وينشدها إياها؟

— كان ينظم قصائده بلا كلام؛ وينشدها إياها من مزماره الرخيم!...

فأصابت الأمير هزة شديدة، وقال فى صوت جياش:

— وهل تقابلا؟

— كلا ، فهي لم تره ، بل أُغرمت به على البعد ! ... ولا تدرى أرآها ، أم لا ؟ !

— لا ريب فى أنه رآها ...

— ليس ذلك مؤكداً ، فعيون هذا الشاعر الجوال ، كانت أقصر من أن تخترق خمائل البستان أو جدران القصر ، لتكشف عن الفتاة وتلتقى بعيونها !

— يا للفتى البائس ! ... لو علم أنها تضمر له هذا الحب لطار إليها ، وارتمى تحت قدميها يلثمها فى عبادة ...

— من يدرى أيها الأمير ؟ ... إنه فتى غريب الأطوار ، يعيش وفق هواه ... قد يرفض حبها لو تقدمت به إليه ! !

— محال !

— ولكنه لو كان يعلم كم أحبته هذه الفتاة ، وكيف أنها ترضى أن تعيش معه تقاسمه حياته الطليقة فى دنياه الرحبة الوضاءة لقبل منها هذا الحب !

وتمتم الأمير بكلمات متقطعة ، وقد شد بيده على حاجز الشرفة حتى كادت أصابعه تدمى ، وتابعت الأميرة حديثها :

— لقد بَرِمَت الفتاة بحياة الثروة والجاه التى تحياها ، وتوضحت أمامها بشاعتها ، وأحست ثِقَلها الرهق يحبس أنفاسها . فرغبت أن تفر من بيئها ، تستبدل الكوخ الساذج الهادئ بالقصر المنيف الصاخب ، والرداء الخفيف المزين بالأزهار بالثوب الثمين اللامع بأوصال اللآلئ ... لقد بَرِمَت بكل شىء يحوطها ، واشتدت بها الرغبة أن تهرب ، فتلحق بشاعرها تقضى حياتها فى رحى مزماره ! !

— ولكنها لم تفعل !

— لقد كادت ... ولكن الفتى اختفى فجأة !

— أهرب ؟

— إن الناس يُرْجِفون بموته ، فقد تكون التماسيح أكلته ... ومن ثَمَّ أسدلت الفتاة على حياتها ستراً غليظاً يحجبها عن العالم أجمع !

— قد تسلوه يوماً ، فترضى الزواج بأمير كبير !

— إن القصة تحدثنا أن الفتاة قضت فى عزلتها عامين ، وهى لم تتغير ... إنها لا تطلب الأمير ، ولن تطلبه ، بل ستحيا مترقبة شاعرها الفقير كما هو برادئه الساذج ، وقلبه الكبير ... لن تستبدل به أحداً مهما يعظم قدره ويتسع ماله !

— وهنا تنتهى القصة ... أليس كذلك !

— تكاد تنتهى ، والبقية فى كلمتين ، أريد أن أتمها لك !

فقال الأمير ، وهو يضغط كلماته فى حسرة مكتومة :

— إذا رغبتِ ، أتممتها أنا لك !

فتمايلت الأميرة ، وعرضت على وجهها ابتسامة ، وقالت :

— كيف ؟ أو تعرفها ؟

فقال فى شىء من السهوم :

— إن حذفت فى رواية القصة ، قد جعلنى أحزر خاتمتها !

وراح الأمير يحد بصره فى نجوم الليل البعيدة ، كأنه يريد أن يستلهم منها كلمة نصح أو هداية ... ولكن لم تطل وقفته على هذه الصورة ، فانحنى أمام الأميرة ، وقال :

— لن أنسى ما حييت حسن احتفائك بى !

وقبَّل يدها قبلة طويلة عميقة ، ثم ترك المكان لا يلوى على شىء ...

واستقل على الفور عجلته الحربية ، واستأذن رفاقه !

وانطلقت به العربة ، هائمة فى أديم الصحراء ، تشق أمامها سجف الظلام شقاً ! ...

محمود تيمور



مطلب عادل

[لشاعر الهند « رابندرانات تاجور »]

إن علاقة الإنجليز بتاريخ الهند تدعو إلى الإعجاب الكثير. فقد توطدت بيننا وبينهم وشائج القربى ، باعتبارهم رسل الثقافة الأوربية ، ونالوا من نفوسنا ما لم تنله أمة من الأمم .

وإذا كانت المزنة تحمل إلى الأرض ماء السماء من آفاق بعيدة المدى ، فيتغلغل في أعماقها ويسرى إلى أحشائها ، فيخرج منها نباتاً وأزهاراً تسر الناظرين ، فإن سيل الفكر والثقافة الأوربية قد انحدر إلينا ، فأنبت في قلوبنا حياة جديدة ، وأيقظ نفوسنا من سبات طالت عليه السنون .

بدأنا نتذوق الأدب الإنجليزي ، ولم تكن فائدته لنا مقصورة على الفن الجديد الذي يفيض به ، أو المتعة النفسية التي يهديها إلينا ، فقد حرك قلوبنا إلى إصلاح كثير من أخطاء الإنسان نحو أخيه الإنسان، فدقت لأسماعنا أجراس رنانة الصوت تعلن تحطيم أغلال الإنسانية المعذبة ، وخالجت أذهاننا حماسة نحو النضال في سبيل مكافحة الاتجار بالإنسان .

لقد نيفت على السبعين من عمري ، وكان عهدي بذلك أول العصر من تاريخنا الذي يجدر بي أن أسميه العصر الأوربي ، في منتصف القرن التاسع عشر وهو العصر الفكتوري الذي يسخر منه شباب اليوم . لم تكن أوربا في ذلك العهد قد فقدت عقيدتها في حرية الفكر وحقوق الفرد التي حاربت من أجلها في عصور الإصلاح والثورة الفرنسية ، وكان الأخ في أمريكا يحارب أخاه لمكافحة الاتجار بالرقيق . ويصح للعصر الفيكتوري أن يفخر بأنه العصر الذي سمعت فيه كلمات مازيني النبيلة وصيحات غاريبلدي الجريئة ، وأنه العصر الذي ارتفع فيه صوت غلادستون مدوياً كالرعد في أنحاء العالم المتمدن ، بالحملة على أعمال سلطان تركيا . وقد بدأنا نحن كذلك في الهند نفكر في استقلالنا في ذلك العهد . لم تكن حركتنا تخلو من العداء للانجليز . ولكننا على الرغم من ذلك كنا على ثقة تامة من الخلق الإنجليزي .

فقويت عزيمتنا على المطالبة بمشاركة بريطانيا باسم الإنسانية في الإدارة الهندية .

لقد رأينا الأمم الشرقية تسير قدماً نحو عصر جديد، فأملنا أن نندمج في صفوفهم لنتبوأ مركزنا من التاريخ، ولكن كم كان ذعرنا شديداً حينما رأينا عجلة التقدم تقف بنا عن السير. إن الدين الثقيل الذي تطالبنا به إدارة السواحل يثقل كاهلنا ويحرمنا نحن الفقراء المفلسين نصيبنا الضئيل من الحياة، فلا تستطيع أمتنا البائسة أن تزحزح عنها أثقال الهمجية التي ترزح على صدرها كالصخرة الشماء ، فتخنق أنفاسها حتى الممات

مالطة البلطيق

[ملخصة عن « لابرس دي تونسيا »]

إن السر في حملة السوفييت على فنلندا هو رغبتها في الحصول على مركز وطيد في الأرخبيل الواقع بين فنلندا والسويد .

وقد يجهل الكثير من سكان أوربا الذين يعيشون بعيداً عن منطقة بحر البلطيق أهمية جزر آلند التي يعد موقعها من الناحية الحربية كموقع جزيرة مالطة في البحر الأبيض المتوسط

تتكون هذه الجزر التي قضت عصبة الأمم سنة ١٩٢١ بأن تظل محرومة من التحصينات ، من ستمائة جزيرة صغيرة ، مائتين منها يعمرها السكان الذين يبلغ عددهم ٢٨٫٠٠٠ نفس كلهم من الصيادين

وتقع هذه الجزر على بعد ٥٠ ميلاً من الشاطئ الفنلندي ، و٢٥ ميلاً من السويد و ٣٥٠ ميلاً من لننجراد و ٧٠٠ ميل من موسكو و٣٥٠ ميل من دانزج و ٣٠٠ ميل من ممل و ٤٠٠ ميل من كوبنهاجن . وعاصمتها « ماريهامن » وهي مدينة صغيرة للصيد ، ينتشر على أرضها بعض المساكن الخشبية ، وتفوح منها رائحة الأسماك الشديدة

ونظراً لاستقالة عضوين من أعضاء عصبة الأمم « ألمانيا وإيطاليا » التي عرضت عليها مشكلة جزائر آلند أصبح من المستحيل على فنلندا أن تحصن هذه الجزر . إلا أن الاتفاق الألماني السوفييتي قد أتاح لفنلندا في الأيام الأخيرة أن تنال موافقة باقي الأعضاء « بريطانيا العظمى ، وفرنسا ، واستونيا ،

والدنمارك » على تحصينها ، فقامت حامية صغيرة لحماية ماريهامن وأعد أسطول خاص لحماية الجزر . ومما لا شك فيه أن وجود قوة من البحرية والطيران فى جزائر آلند يجعل من السهل على أية أمة أن تسيطر على شمال غربى أوربا . فمن هذه الجزائر تصد أى غارة للسوفييت ودول البلطيق ، ويسهل تهديد الدنمارك والنرويج وشرق روسيا

وفضلاً عن هـذا فإن جزائر آلند محصنة بحجب كثيفة من الضباب الذى يلفها طول العام فيصعب معه مهاجمتها ، فإذا استولت أمة على هذه الجزر أصبح لها السيادة على شبه جزيرة (اسكانديناڤيا) وأقاليم بحر البلطيق . ومن اليسير أن تصبح الزاوية المؤلفة من روسيا الغربية واسكانديناڤيا وشمال ألمانيا تحت سيطرة هذه الجزر القائمة وسطها ، فتحل الدمار بتجارتها فى بضعة أيام

ومن هنا يسهل علينا أن نقدر القيمة التى لجزائر آلند فى نظر السوفييت . ونعرف أن كل محاولات روسيا للاستيلاء على موانئ حرة على دول البلطيق وليتوانيا واستونيا لا قيمة لها بغير هذه الجزر

هل ينبغى لنا أن نكره الرذيلة

[ملخصة عن « ذى إريان باث » بومباى]

كانت دهشتى عظيمة لحملة النقد الشديد التى ثارت منذ بضع سنين ، حول تصريح سير أوليفر لدج الذى قال فيه (إن الرجل الممتاز لا يهتم كثيراً بآثامه ، فى هذه الأيام)

فقد أثار هذا القول غضب رجال الكنائس على اختلاف مذاهبهم ، وجعل الوعاظ يبذلون غاية جهدهم لتفنيده ، وإقناع الناس بأن أول واجب على المسيحى هو أن يكره الرذيلة . وهذا مذهب طالما رددته الأوساط الدينية فى السنين الغابرة ، وهو راجع إلى ضعف طبيعى فى الإنسان . فقد كان الرجل المتدين يعتقد أن كراهية الرذيلة أسهل كثيراً عليه من حب الفضيلة . ولهذا المبدأ وجوه تختلف باختلاف الطوائف ، وكان بعض رجال الدين يعتقدون أنهم لا يستطيعون أن يعيشوا فى مأمن من الرذيلة التى يكرهونها كل الكره ، ويشفقون من الوقوع فيها ، إلا بالعزلة والانفصال التام عن العالم

والطبقة التى يعنيها سير أوليفر لودج بعبارته السابقة لها آراء خاصة فى كراهة الرذيلة ، فيقول بعضهم : إن الوصية التى تقول أحب جارك كما تحب نفسك . وهى إحدى الوصايا العشر المقدسة لا يمكن التوفيق بينها وبين كراهية الرذيلة . بل إن كره الرذيلة يجعل هذه الوصية فى حكم المستحيلات . إذ أن الشعور بالعمل السيء يسوقنا إلى كراهية فاعله الذى قد يكون جاراً لنا . وهنا لا يمكن التوفيق بين الحب والكراهية .

إن كراهة الرذيلة والخوف منها يساعدان على بقائها . فنحن إذ نجعل من الرذيلة قوة فعالة فى حياتنا تعمل على إحياء ما نريد أن نقتله ونقضى عليه ، فإنما نخلق « لأهريمن » إله الشر تمثالاً خالداً ، وإن كنا نصنع هذا التمثال لنبصق عليه . إن النظر إلى الرذيلة أمر فعال فى حياتنا ، يجعل لشخصية الشيطان شأناً أى شأن فى حياتنا اليومية .

كيف تنام نوماً هادئاً

[ملخصة عن « ذى سيكولجست »]

الرجال بطبيعتهم أهدأ نوماً من النساء ، فأعمالهم الكثيرة تساعدهم على النوم العميق ، والرجل الذى ينهمك فى الأعمال البدنية أياماً متوالية ، ينام فى العادة نوماً عميقاً ، لما يبذله من الجهد الذى ينهك قواه ، فى حين لا يظفر بمثل ذلك الرجل الذى يلازم مكتبه طيلة النهار ولا تسمح له أعماله بالحركة والنشاط

إلا أن المشاغل الفكرية التى تلازمنا فى بعض الأحيان كثيراً ما تحرمنا لذة النوم . فإذا لم نتخذ وسيلة لإرقاد همومنا ونحن فى وقت اليقظة ، فسوف لا تبارحنا حتى تحرمنا الهدوء والراحة عند النوم . فمن الواجب إذن أن نعمل على ترويح النفس وإخلائها من مشاغلها إذا انتهى اليوم وذهبنا نلتمس الرقاد

فإذا أمسى المساء وجب علينا أن نخلد إلى الراحة ، ونأخذ فى تصفية حساب اليوم فنعرض على الذهن حوادث اليوم من الصباح إلى المساء : هل كان يومنا يوماً مرضياً ؟ إذا لم يكن كذلك ، فما السبب ؟ ما هو الخطأ الذى جعله كذلك ؟ ماذا كان علينا أن نفعل لنوجهه نحو الصواب ؟ فإذا آنست من نفسك ضعفاً ولو بسيطاً فيما تقوم به من الأعمال ، وجب عليك أن تبحث عن الطريقة التى تساعدك على إزالة هذا الضعف ، وتجعل كل همك أن تعرف متى يمكنك أن تقوم بأعمالك على الوجه الصحيح

أما من الناحية الجسدية فيجب أن تعرف مقدار ما أدبته

لجسمك من الحقوق . هل كانت أعمالك الفكرية من الكثرة بحيث لا تترك الفرصة الكافية للجسد ليأخذ حقه من النشاط ؟ إذا كان الأمر كذلك ، فلا بد من الموازنة بين حاجات الفكر والبدن ، إذا أردت أن تنام نوماً صحيحاً هادئاً

إن متاعب الليل ، هي أثر من متاعب النهار . فمن الواجب أن تتفحص حالتك العامة : هل هي متجهة إلى طريق الصواب من سائر الوجوه ؟ هل يقوم جسمك وعقلك وعواطفك بما هو مطلوب منها ؟ إذا لم يكن ذلك فإن هذا النقص الذي تراه في الواقع سيكون له أثره في أحلامك عند الرقاد

من الواجب إذن أن تراقب نفسك مراقبة دقيقة إذا كنت لا تنام نوماً مريحاً ، وتصرف عنك ما يشغلك في النهار لتستريح في المساء .

ماذا يربح كبار المؤلفين ؟

[عن « استرليان ديجست »]

ماذا يربح كبار المؤلفين ؟ هذا سؤال لا نستطيع أن نجيب عنه على وجه التخصيص . ولكننا نستطيع بمراجعة الأرقام التي تنشر من آن لآخر ، أن نعرف الشيء الكثير ، فمن المعروف مثلاً أن سير جيمس باري خلف بعد موته ١٧٤٫٠٠٠ من الجنيهات الإنجليزية ، ويعد هذا المبلغ الكبير من أكثر ما عرف في مخلفات الكتاب الإنكليز . وإذا علمنا أن « باري » أسس مستشفى عظيما في فرنسا إبان الحرب العظمى ، وأنه كان ينفق أموالاً طائلة في وجوه الإحسان ، أمكننا أن نقدر الأرباح العظيمة التي كان يكسبها من أدبه الغزير . وترك الشاعر الإنجليزي المعروف رديارد كبلنج ١٥٥٠٠٠ من الجنيهات

ويقال إن شارلس دكنز العظيم ترك بعد موته ٩٣٫٠٠٠ من الجنيهات ، وجورج مور ٧٥٫٠٠٠ جنيه ، أما توماس هاردي فقد خلف ٩١٫٠٠٠ جنيه ، على وجه التحقيق

فإذا اتجهنا إلى كل مؤلف وما أفاء على صاحبه من الأرباح ، فنستطيع أن نقول إنه دفع « لمارلي ألن » ، في حقوق طبع مؤلفه « كارنة أنطوان » في الأربعة الأعوام الأولى من صدوره ٤٠٫٠٠٠ من الجنيهات لكل عام ، ويعد هذا المبلغ من أكبر ما ربحه مؤلف من كتاب واحد ، وربح « باري » من قصة « الوزير الصغير » ٥٠٫٠٠٠ جنيه ، وأعطى لماري كورللي ٢٠٫٠٠٠ من الجنيهات في إحدى قصصها المعروفة ، ودفع إلى « إليس مجان رايس » ٢٠٫٠٠٠ من الجنيهات في قصة مؤلفة من ٢٠٫٠٠٠ كلمة بمعدل جنيه للكلمة الواحدة . وألف رديارد كبلنج ثماني أقاصيص ، فدفع إليه في كل منها ٢٤٠ جنيه للطبعة الإنجليزية ، وعلى هذه النسبة نستطيع أن نقدر لهذه القصص ٨٫٠٠٠ من الجنيهات للطبع في أنحاء العالم التي يقرأ فيها هذا المؤلف المشهور ، ودفع إلى كبلنج ٥٠٠٠ من الجنيهات في حقوق طبع « كم » في انجلترا وأميركا ، ودفعت إليه مجلة « كولير » الأسبوعية مبلغ ٢٠٠ جنيه في قصيدة واحدة

أما بين المؤلفين الأحياء ، فقد قدر ربح « سومرست مرجام » ١٫٠٠٠ جنيه في قصة من نوع القصص الصغيرة وبلغت أرباح (ماك نيل) في مؤلفاته الموسومة باسم (بول دج دموند) ١٠٠٫٠٠٠ من الجنيهات في سبعة عشر عاماً . وبلغت أرباح « بيفرلي نيكولس » ٢٥٫٠٠٠ من الجنيهات في بضعة مؤلفات عن كوخه وحديقته في هانتنجدن

وبلغت أرباح لورد مورلي من كتاب « حياة جلادستون » ١٠٫٠٠٠ ، وربح ونستون تشرشل ٨٠٠٠ جنيه في كتاب عن حياة أبيه . وقد بلغت أرباح كل من « درويك ديبنج » و « أ . أ . ميلن » في العام ٣٠٫٠٠٠ من الجنيهات

وقد فتحت « هوليود » باباً جديداً للربح لكبار المؤلفين وتتراوح المبالغ التي تدفع لحقوق إخراج مؤلف من المؤلفات للسينما من ١٥٠٠ جنيه إلى ١٥٫٠٠٠ جنيه ، وقد تزيد على ذلك في بعض الأحيان . فقد دفع مثلاً في « وودسورث » ٣٢٫٠٠٠ جنيه . وفي قصة « منظر في شارع » ٢٥٫٠٠٠ من الجنيهات



مناقلة ومثاقفة

هذان لفظان أستخرجهما من لغتنا الزاخرة بالمفردات والتعبيرات لأدلّ بهما على ما يقال له « المناظرة »

والمناقلة في المنطق أن تحدثه ويحدثك، كما جاء في «القاموس» مادة ن ق ل ؛ وتجد اللفظة أيضاً في « المخصص » ج٢ ص١٢٩ . وقد استعمل الجاحظ هذا الحرف في رسالته الظريفة « التربيع والتدوير » (مجموعة رسائل، مصر ١٣٢٤ ص ١٠٧) إذ قال : « ولو ظهر لي لما سألته كدؤالي إياك، ولما ناقلته الكلام كمناقلتي لك » . وأما المثاقفة فقد استعملها التوحيدي في « الإمتاع والمؤانسة » ص٩ حيث قال: «فلعل هذه المثاقفة تبقى وتُروى»؛ وشرحها ناشرا الكتاب هكذا : « المثاقفة : المطارحة في العلم والأدب ومذاكرتهما » . والمثاقفة حرف حقيق بالحفاوة لهذا العهد ، أفلا نستعمل كلمة الثقافة لذلك الجمع من ألوان الأدب وصنوف العلوم وضروب الفنون ؟

وأما الذي يحدوني إلى عرض ذينك اللفظين بدلاً من « المناظرة » فانزلاق هذه ، على أقلام المتعالمين وصغار الكتبة ، إلى المهاترة : تأخذهم بالحجة أخذ عزيز متمكن، فتدور رؤوسهم وتُزلزل أقلامهم ، فيفزعون من الجدل إلى الثلب . فإذا الذي يكتبونه يذكّرك بقول ابن شبرمة : « ذهب العلم إلا غبارات في أوعية سوء» . غير أننا صرنا ـ ولله الحمد ـ إلى عهد لا تفصل فيه سلاطة اللسان ساعةَ إفلات البرهان

وإني ليحلو لي أن أثاقف أشراف الرجال وأناقل أثبات العلماء وأكابر الأدباء . وقديماً ثاقفت المازني في «السياسة والأدب» ، وناقلت بعد ذلك الأب الكرملي والشيخ البشري ، ثم الزكيين : مبارك وطليمات . واليوم أناقل « أستاذاً جليلاً » عالماً ثقة . ومما يورث الأسف أني لا أقوى على بث اسمه ، وهو اسم عريض الجاه وضّاح الحسب. لا أقوى على بثه لأن صاحبه يريد أن يكتمه من الناس تواضعاً؛ فتارة يوقّع مقاله هكذا : «ن»، وأخرى هكذا : « القارئ » أو « أزهري (طنطا) » . على أن قراء (الرسالة) يعرفون مَن وراء تلك الرموز

علّق «أزهري (طنطا)» في العدد الماضي من «الرسالة» على مقال كنت نشرته في « الثقافة » (العدد ال ٥٦) جاء فيه أن أصحاب المعجمات ربما أثبتوا لفظاً في غير مظِنّته. فأضاف العالم المتواضع إلى الأمثال التي كنت أوردتها مثلاً آخر هو كلمة « تكنّم » ، ثم ختم مقالته بأمنية تشغل صدور العرب والمشتغلين بالعربية

وإني متبع تلك الأمثال بمثل جديد ، وإليك قصته : كنت استعملت في توطئة « مفرق الطريق » هذه الكلمة : « متمثّلات » . فجاءني صديق بصير بمفردات اللغة وأنكر عليّ الكلمة فقال : إنها لم ترد في المعجمات، وإنما التمثّل ـ كما جاء في القاموس ولسان العرب ـ هو اتخاذ الحديث أو الحجة مثلاً ، ثم إنشاد البيت ، ثم الاقتصاص . وزاد الصديق أن الصواب هو « الامتثال » ، من قولهم : « مثّله له تمثيلاً : صوّره له حتى كأنه ينظر إليه ، وامتثله هو : تصوّره » . فقلت للصديق : ولكني أكره « امتثال الشيء » في هذا الموضع ، لأن الامتثال غلب عليه معنى الإذعان و « اتباع الطريقة » ؛ ثم هذا نص بين يديّ في جانبي : قال الخوارزمي في « مفاتيح العلوم » (مصر ١٣٢٤ ص ٩٢) : « يُقال تصورتَ الشيء إذا تمثلتَ تصوره في نفسك ، وتمثلته وتخيلته » فقال الصديق ـ وهو من المتشددين ـ وهل يستشهد بالخوارزمي ؟ فقلت : لك رأيك ولي رأي

واليوم أخبر هذا الصديق أني عثرت ـ من باب الاتفاق ـ على « تمثل الشيء » في مادة و هـ م من « لسان العرب » : « توهم الشيء : تخيّله وتمثّله كان في الوجود أو لم يكن » . ولم أجد هذا في «القاموس» ، غير أنك تجد عبارة «اللسان» في مستدرك « تاج العروس » مادة و هـ م

رَجيع

وأما قصة « الزلزلة » فاندفر الكاتب ، في عدد الرسالة الماضي ، من ميدان المناقلة والمثاقفة إلى ميدان التطاول باللفظ وحده . فقد كنت بصّرت الكاتب ، في مقالي السابق ، وبين يديّ الشواهد النواهض ، بأمور ثلاثة : الأول أن بحر « المنطلق » ليس من مجزوء « المتدارك » كما وهم أول الأمر، متبعاً وهم غيره ؛ فلم ينطق ههنا بكلمة واحدة . والأمر الثاني أن الزلزلة في اللغة ليست بمقصورة على زلزلة الأرض كما وهم أيضاً ، إذ هي تفيد الاضطراب والتحرك أول ما تفيد ؛ فلم يقوَ على العناد

لأن أحداً من الناس لا يستطيع ردَّ القرآن . والأمر الثالث أن الزلزلة والطرب على مجاورة فى لغتنا ؛ فلم يقدر على المكابرة لأن أسلوب صاحب « الأغانى » وغيره من البلغاء فوقها ، بل جلب إلى شاهداً آخر يعزّز قولى (المغنية التى « زلزلت قلوباً ») وعلى هذا فقد سلّم الكاتب ، مرغماً ، بأنى بصرته بما كان يجهل ، فى ثلاثة مواطن . غير أنى أريد أن أنصف القارئ : فقد تشبث الكاتب — بعد تسليمه ذلك — بدليل فَرِيدٍ، لعله أن ينفى به زلزلة الأذن ، أى اضطرابها وتحركها ، (ومن يتلمس الخطأ لغيره لا بد له أن يتشبث بشىء) . فقال غير متزلزل القلم : إن أذن الإنسان — من بين جميع الحيوان — لا تتحرك ألبتة . وهنا أعود إلى تبصير الكاتب بما تواضع الناس على تَلَقُّنه وقبوله . فحسبه ما جاء فى كتابٍ قررت وزارة المعارف المصرية استعماله بمدارسها ، وعنوانه : « خلاصة الطبيعة ـ الجزء الرابع : فى الصوت » الطبعة الـ ١٤ ، مصر ١٩٣٠ ، ص ١٢٥ : « شرح عمل الأذن : عند حدوث صوت بالقرب من الأذن تُنقل التموجات الهوائية داخل الأذن الخارجة وتؤثر فى غشاء الطبلة فيهتز بحركة مماثلة لحركة مصدر الصوت ، لأن شكل ذلك الغشاء وقوة توتره يمكنانه من الاهتزاز بتأثير أى صوت خارجى » .

إن الكاتب يظن أن كل الأذن — وهى جهاز السمع — هو ما يراه إذا نظر إلى مرآته — ألا إنَّ فى هذا التبصير الجديد الكفاية. وهل تُبصَّر الخلق ببسائط لنتهم ثم بمبادئ العلوم إلا على جهة التسلى والتلهى ؟

تشبث الكاتب بهذا الدليل الفريد ـ وقد عرفتَ بُطلانه ـ بعد أن سلّم بصحة قولى فى الأمور الثلاثة التى كان نازعنى فيها . على أن تسليمه بأنى بصرته بما كان يجهل أوغر صدره ، فنثر حول قهره ما نثر من نُفاية الكلام ؛ وذلك نتركه له ، فَلْيَتَطوَّقْ! فكلٌّ يتزيّن بما تملك يده ، و « لا يكلف الله نفساً إلا وسعها »

بشر فارس

الدكتور عبد الوهاب عزام

قصدت « القاهرة » فى هذا الأسبوع ، واشتريت نسخة من « رحلات » العلامة النابغة الدكتور عبدالوهاب عزام أستاذ جامعة فؤاد الأول . وقد رآنى أحد خلصانى من أئمة الفضل من الشاميين أحرث[1] مرقومها مستهدياً مستفيداً . فقال لى : ما هذا الكتاب ؟

قلت : « رحلات » عبد الوهاب عزام

فقال : اسمع يا شيخ ، أيقنْ أن (مصركم) منذ لم تفضل سائر الأقاليم العربية أنها أكثر منهن عدداً ، ومالاً ، وعلم أشياء وحضارة فى أنحاء ، وشبه نظام . ولكنها فضلتهن ، وتاهت عليهن — وحق لها أن تتيه — بمثل عبد الوهاب عزام ...

سمعت هذا الكلام فى « مصر وعزام » ، فكتبته حتى ينتشر فى مجلة أخيه أحمد حسن الزيات

« طنطا » أزهرى

فلم « يوم سعيد »

فى اعتقادى أن هذا الفلم أبلغ أفلام عبد الوهاب صعوداً فى مراقى الكمال . إنه فى صميم الفن من حيث التأليف والإخراج والتلحين والتمثيل والحوار . ولعله الفلم الوحيد الذى لا يُخزى المصرىَّ أن يُعرض فى غير مصر ، لجاذبية سياقه واطراد حوادثه وسلامة لغته وجمال مناظره وبراعة أدائه . ولقد كانت أفلام عبد الوهاب تعتمد فى تعويض الفن فيها على حلاوة صوته وطرافة تلحينه . أما هذا الفلم فإذا جردته من قوة الغناء بقى قائماً على فنه. وقد دل على أن الأستاذ محمد كريم أول المخرجين ، وأن الأستاذ عبد الوهاب من أوائل الممثلين . وإذا قارنت بين هذا الفلم وبين ما تنتجه الشركات المصرية من الأفلام الملفقة التى تقوم على الشخصيات المهرجة واللهجات الشاذة ازداد يقينك بأننا لا نزال ننجح أفراداً ونفشل جماعة !

الزيات

فى المجمع اللغوى

تأجل اجتماع مجمع فؤاد الأول للغة العربية هذا العام لتعذر حضور الأعضاء الشرقيين والمستشرقين بسبب الحالة الدولية . وقد اقتصر المجمع على متابعة العمل فى المعجمات واللجان المختلفة . وتتجه الفكرة الآن إلى تعديل تكوين المجمع تعديلاً يتيسر به الاجتماع بأعضاء مصريين ليتابع عمله طول العام

وينتظر أن يعرض التعديل الجديد على مجلس الوزراء تمهيداً لاستصدار المرسوم الملكى به . والمظنون أنه سيضاف إلى أعضاء المجمع المصريين نحو عشرة أعضاء ينتخبون من كبار المشتغلين بالبحوث العلمية . وستعلن أسماؤهم بعد صدور المرسوم الملكى تمهيداً لعقد دورة المجمع . وربما عقدت هذه الدورة فى أواخر شهر مارس المقبل .

(١) فى الأساس : وحرثت القرآن : أطلت دراسته وتدبره

العقيدة الأدبية

صديق

إليك أقدم تحية الأخوة وإن لم أرك ، فقد تفضل أخونا الزيات وأطلعنى على رسالتين كريمتين خطتهما يمناك ، ومن قبل ذلك قدم إلىّ طوائف من الرسائل شهدت بأنى موصول القلب بإخوان كرام أوفياء يرون الصداقة الروحية أعظم وأصدق من الصداقة التى تخلقها المنافع أو لطف الحديث

ولن يطول الحجاب بينى وبينك ، أيها الصديق ، فقد اتفقت مع الأستاذ الزيات على إعلان عواطف القراء من حين إلى حين ، فيرى قراء الرسالة أسماء كريمة لرفاق أعزاء تجمع بينهم الأخوة فى الأدب ، كما تجمع أخوة الدين بين الأتقياء والصالحين

ولا أكتمك ، أيها الصديق ، أنى أتندر على حسابك مع الأستاذ الزيات ، فعهدى بك تنص على أنك تحبه كما تحبنى ، وهذا تلطف يستحق التشجيع ، لأن الزيات من أعز أصدقائى ، وهو أيضاً رسولك إلىّ ، والمحب يتلطف مع الرسول !

أنا أعرف منزلتى عندك ، أيها الصديق ، والزيات يعرف أنى عندك الحبيب الأول ، فلا بأس عليك إن تجاهلته حين تعلن إعجابك بأسلوب ، فقد يكون الزيات — أطال الله فى حياته — آخر من يقبل التضحية بحظه من أجل الصديق

ثم ماذا ؟

أريد أن أغتنم الفرصة الذهبية التى جمعت بين قلبى وقلبك ، وإن لم أرك ، فأفضى إليك بحديث ينفعنى وينفعك فى الأيام المقبلات

فمن أنت فى دنياك ؟

يظهر مما قرأت لك أنك تريد أن تكون كاتباً يسيطر على قراء اللغة العربية فى المشرق والمغرب ، ويملك القدرة على تحويل الناس من ضلال إلى هدى أو من هدى إلى ضلال

وأنا حاضرٌ لإرشادك ، أيها الصديق ، فما يسرنى أن أتفرد بمحنة الأدب والبيان ، فهل تعرف جوهر النصح الذى أقدمه إليك ؟

إن أساتذتك علموك أشياء ترجع فى جملتها إلى فهم علوم اللغة العربية من نحو وصرف ومعان وبيان وبديع وعروض ، وهى علوم نفيسة جدًّا ، ولكنها لم تصل بأصحابها إلى شىء ، فقد كنت لمعهد التلمذة أكتب لأساتذتى ما يريدون توجيهه إلى الرؤساء والوزراء ، ولو شئتُ لقلتُ إنى أديت امتحانات أمام أساتذة فضلاء لم تكن دروسهم إلا قبساً مما جاد به قلمى على أولئك الأساتذة الفضلاء . فما هو سر البيان الذى أريد أن أفضى به إليك ؟

هو العقيدة الأدبية ، هو العقيدة الأدبية ، هو العقيدة الأدبية ولن تكون كاتباً ولا شاعراً ولا خطيباً بدون تلك العقيدة وإن كنت أعرف الناس بالدقائق من علوم اللغة العربية !

فما هى تلك العقيدة ؟ هى روحك ، أيها الصديق ، ولا قيمة لأديب يعيش بدون روح !

الأدب فى جوهره صورة من الروح الشفاف الذى ترتسم عليه صور الوجود ، فإن كان لك روح ، فأنت أديب ، وإلا فأنت نسخة ثانية من الشيخ فلان الذى لا يعرف من الأدب غير قواعد النحو والتصريف .

العقيدة الأدبية هى أن تغار على الأدب ، كما يغار رجال الدين على الدين . فأين أنت من تلك العقيدة ، أيها الصديق ؟

أنت تعرف أن فى الدنيا ناساً عانوا أبشع ضروب الاضطهاد بسبب التمسك بعقائدهم الدينية ، ومذاهبهم السياسية ، فأين أنت من أولئك وهؤلاء ؟ وما الذى أعددت من ضروب التضحية فى سبيل الأدب ، وهو غذاء قلبك وروحك ؟

إن الأديب الحق يحدثك عن نفسك بما تجهل من شؤون نفسك . فما جزاؤه عندك وهو يستكشف الخفايا من ضميرك وروحك ؟

ما جزاؤه عندك وهو يشقى لتسعد ، ويموت لتعيش ؟

أنا أعرف جزاء الأديب عندك ، أيها الصديق ، فأنت خصصتنى بكلمات طيبات أرهفت حسى وأذكت بيانى ، وسأذكرها بالخير ما حييت . ولكن ، ما الذى يمنع من أن تتقدم لمعاونتى على ما أحمل من أعباء ؟

أتقول : إن الزيات لا يستجيب لندائك فى كل وقت ؟

إن كان ذلك ، فقدّم إلىّ ما يهمك نشرُه لأحتال فى عرضه على القراء بأسلوب يرضيهم ويرضيك ، إلى أن تعرف كيف تفرض رأيك وأسلوبك على أولئك القراء !

وتقول إنك بكيت ما طاب لك البكاء حين قرأت مقال أحد الكتاب عن « نميمة الأسلوب » وأنا بكيتُ كما بكيتَ ، ولكن فاتك أن تعرف أن ذلك الكاتب لم يشجك ولم يشجنى إلا لأنه تحدث عن قلبه بأسلوب صريح يجب أن أتحدث به عن قلبى أو تتحدث به عن قلبك ، وهنا تظهر قيمة العقيدة الأدبية ، إن كانت تهمك فى كثير أو قليل

صديق :

ما أحب أن أطيل القول فى مخاطبتك ، فأنت تعرف عن نفسك أكثر مما أعرف ، وإنما يهمنى أن تدرك جيداً أن قلبى



طب العقل والنفس

تأليف الدكتور محمد حسني ولاية

للدكتور إسماعيل أحمد أدهم

الطبيب محمد حسني ولاية من أطباء صحة بلدية الإسكندرية أديب شاب يشارف الثلاثين ، متخصص في طب المناطق الحارة والصحة العامة . قضى مدة في مستشفى الأمراض العقلية بالعباسية دارساً ، فاسترعى انتباهه أحوال المصابين بأمراض عقلية واضطرابات نفسية ، فكان له من ذلك حافز نفسي على دراسة الجنون دراسة علمية من جانبيها النظري والعملي . وكان ثمرة هذه الدراسة كتابه « بين العقل والجنون » الذي أصدره لعامين مضيا . وهو اليوم قد أخرج للناس كتاباً جديداً عنوانه « طب العقل والنفس » وهو ثمرة دراسة نظرية للأمراض العقلية والاضطرابات النفسية، اعتمد فيها على آراء علماء مدرسة التحليل النفسي، وبالأخص فرويد وأدلر ويونج . ويكاد يكون الكتاب في المجموع تلخيصاً لآراء هؤلاء ، أو ترجمة لبعض الفصول التي عقدوها عن الجنون والاضطرابات النفسية ومسائل العقل والوجدان والنفس . فمن هنا للكتاب أساس وثيق بآراء زعماء مدرسة التحليل النفسي . وهو يقف عند حدود آرائهم فلا يتجاوزها في شيء إلى آراء المدرسة السلكية ، أو النموذجية الألمانية ، أو الميكانيكية الروسية في هذه الشؤون .

واعتماد المؤلف في دراسته للموضوع على بضعة مراجع محدودة لزعماء مدرسة التحليل النفسي أبعدت بينه وبين تكوين فكرة واضحة بينة الخطوط ظاهرة المعالم عن الموضوع ، فكان من ذلك الاضطراب في تناول بعض الموضوعات (لا كلها) . كما هو ملحوظ في فصل « الحب المتجانس عند المرأة » وفصل « اللاوعي » . وهذا الاضطراب قد يبدو أكثر وضوحاً إذا لاحظنا أن المؤلف مثلاً لم يعتمد بالنسبة لفرويد وهو رأس مدرسة التحليل النفسي ، إلا على مصدرين : أحدهما منتخبات من آثاره ، والآخر مذكرات ورسائل له . وهذا أبعد الكتاب عن الوحدة المطلوبة في الكتب ، ومن هنا جاءت فصول الكتاب غير متجانسة ، فهذا فصل عن فرويد وآخر عن أدلر وبين هذا

ممك وأنه لم يُقد من الصخور والجلاميد حتى يجهل القيمة الذاتية لعطفك عليه بلا مواربة ولا رياء

وسيأتي يوم يكون فيه للقلم دولة ، وفي ذلك اليوم وهو قريب تعرف فضل روحك في إذكاء المشاعر والعواطف والقلوب

فإن فاتك أن تكتب كما أكتب وكما يكتب الزيات فلن يفوتك أن تكون من أهل القدرة على تأريث جذوة الأحاسيس

ومن أنا ؟ ومن الزيات ؟ ومن الكتّاب المصطفون عندك ؟

نحن قوم كوتنا صروف الأيام والليالي ، فإن اكتوت يدك كما اكتوت أيدينا فستملك من السيطرة على القراء أكثر مما نملك

وقد يلقاك الدهر بأفضل وأجمل مما يلقانا، وهو عندنا غادر جحود

قد عِيب علينا ، يا صديقي ، أن نشكو الدهر ونحن في سعة من العيش ، وسيرتقي ذوقك فتدرك أن الخواص لا يشكون جوع البطون ، وإنما يشكون جوع القلوب

وآه ثم آه من جوع القلوب ! !

زكي مبارك

رأي الأستاذ النشاشيبي في نهج البلاغة

سيدي الأستاذ صاحب « الرسالة الهادية »

الرجاء أن تتكرموا بنشر ما في أضعاف كتابَيْ علّامة العربية وأديبها العبقري الأستاذ الجليل « محمد إسعاف النشاشيبي » : « الإسلام الصحيح ، وكلمة في اللغة العربية » مما يخص « نهج البلاغة » . فإن الكتاب الأول ممنوع في العراق (؟ !!) — كما يعلم الأستاذ الجليل بالطبع — والكتاب الثاني أندر من رائد الحقيقة في هذا الزمان ...

وذلك رغبة وشوقاً — والرغبة هنا ملحة ، والشوق أكيد لما نعرف من فضل أستاذنا الجليل النشاشيبي وعلمه وخطره ، أطال الله بقاءه، ونفعنا به — إلى أن نقرأ مقال أستاذ البلاغة في (نهج البلاغة)

مشكور الأسدي

عضو جمعية الرابطة العلمية الأدبية في النجف الأشرف

(الرسالة) : الكتابان منشوران مشهوران يباعان في مكاتب القاهرة ، ولم يقع في علمنا أن حكومة العراق منعت كتاب « الاسلام الصحيح »

وذاك فصل ليونج ، وهى بعد ذلك تتناول موضوعاً واحداً ، وهذا لا يجعل إمكاناً لأن يخرج الإنسان بفكرة واضحة عن مواطن الاختلاف ومواضع الاتفاق بين هؤلاء الزعماء الثلاثة لمدرسة التحليل النفسى فى المسألة الواحدة . ثم هنا لك بعض الاصطلاحات جانب المؤلف فيها المأثور من ذلك استعماله لفظة Sex وكأنها تنظر إلى جنس والصحيح أن اللفظ العربى الذى ينظر إليه المصطلح الإفرنجى هو « شق » كما رأى الدكتور محمد بك شرف وجاراه فى ذلك المشتغلون بالمباحث العلمية فى العالم العربى . ثم عندك استعمال البدوات ناظرة إلى Fantasies والصحيح ـ الأوهام ـ كما قلنا فى دراساتنا عن مطران وكذلك استعمال الغرض حيناً والموضوع أحياناً ناظرة إلى Objet والصحيح الوجه الثانى . ثم ترجمة moral بالعرفى والصحيح الأدبى و Ex trovert بالمنتشر والصحيح أن يقال المحتد كما رأى ذلك مظهر سعيد .

كذلك مما يؤخذ على اللغة الاصطلاحية للكتاب فإن المؤلف يقول نفسانى ومعلوم أن النسبة تقاس من فعل على وزن فعلى فيقال عقلى من عقل وآدمى من آدم ونفسى من نفس . على أنك بعد ذلك تصيب بعض مصطلحات افرنجية أصاب المؤلف فى العثور على المقابل العربى لها ، من ذلك استعماله المنضوى مقابلاً لـ in trovert وهو أدق من لفظة المنكمش التى استعملها مظهر سعيد

وفى الكتاب مطالعات جديرة بالنظر للمؤلف ، تجدها على وجه خاص فى بحثه عن أسباب الأمراض العقلية ، وهى مطالعات لم يسبقه إلى بعضها أحد . كما تجد فى الكتاب آراء ومطالعات تحتمل المناقشة ، خصوصاً فيما يذكره يونج عن الزواج التجريبى الذى دعا إليه القاضى Lindsy ، وفيما يقدره هو عن العلاقات « الجنسية » التى توجد بين الطلبة .

على أنه بعد ذلك على الرغم من هذه المآخذ ، فالكتاب جدير بالنظر والمطالعة فهو يحوى فى تضاعيفه مطالعات قيمة عن الحياة النفسية والشعورية وعن الاضطرابات التى تستولى على النفس البشرية ، يستفيد منها الإنسان فى حياته اليومية ، كما يستفيد منها الأديب والعالم فى حياتهما الأدبية والعلمية ، ومن هنا فالكتاب يشكر عليه صاحبه للمجهود المبذول فيه ، وهو خليق بعد بالتشجيع .

« الأسكندرية » اسماعيل أحمد أدهم

٢ ـ وحى الرسـالة

[من واجب « الرسالة » أن تنشر ما يتفضل به عليها الأدباء الزملاء والأصدقاء من صادق النقد وجميل الرأى فى كتاب « وحى الرسالة » تسجيلا لفضل منهم والشكر منا]

كتب صديقنا الدكتور بشر فارس فى جريدة المقطم :

هذا كتاب يريحنا مما يخرجه بعض المنشئين لهذا العهد ، وهم لا يفطنون إلى أن الكتابة صناعة . فى فصول هذا الكتاب تصيب المنحى الحسن ، والتنسيق المطرد ، ثم اللفظ المتخير ، والسبك المحكم إلى جانب التبصر . وأسلوب الأستاذ الزيات الترسل فى بسط العبارة ، والترفق فى تدوين الفكرة . ويهدد هذا الأسلوب فى غالب الأمر سرد الألفاظ ، وتكلف الأداء . وقد نجا أسلوب هذا الكتاب من هذين الخطرين بفضل سليقة صاحبه السليمة وترسمه خطى البلغاء من كتاب العرب الجاعلين للديباجة المكان الأول . ومما ينشأ عن هذا الأسلوب الإطناب المقبول ، وإن قال الأستاذ فى فاتحة كتابه إن الإيجاز صفته ، إلا إذا عنى بالإطناب ساقط الكلام وفضول القول بتطويل وحشو لغير فائدة

وموضوعات الكتاب إن هى إلا معرض ألوان شتى من التأليف: إنشاء ونقد ووصف ونظر فى الحياة الجارية، فمن الإنشاء « لماذا ترجمت آلام فرتر » وفيه هفوة القلب ونبضة العرق، ومن النقد « مصطفى صادق الرافعى » و « أحمد زكى باشا » وفيهما تبرز خصائص الكاتبين فى اعتدال إذ تذكر مواضع الإكبار ومواطن الأخذ جنباً لجنب . ومن الوصف ما ينساب هنا وهنا من تصوير لطرق المدينة وحقول الريف وشواطئ البحر وضفاف النيل . ومن النظر فى الحياة الجارية تلك المقالات الرصينة مثل « داء الوظيفة » و « الفردية علتنا الأصلية » (وهنا أوثر كلمة التفرد Individualisme كما بينت فى «مباحث عربية») والزيات فى هذه المقالات لاذع القلم نافذ البصر : إنما بغيته التنبيه على جوانب الضعف الخاق والتنديد بنواحى الفشل الاجتماعى، وكتابة الأستاذ هنا لا تنجذب إلى الأسلوب الفلسفى المجرد ولكنها كتابة مصلح يصف الداء القيم ويبين آثاره وعقابيله

وفى تلك الموضوعات، على تنوعها، تطاوع اللغة الكاتب وتتأتى له ألفاظها وتعبيراتها المتواترة ، وذلك لأن الزيات يعرف كيف يستخرج المخبآت وينقب عن الدقائق . وهو إلى هذا التضلع من أساليب القدماء يكره التشدد والتنطع ، حتى أنك تراه يستعمل اللفظة الأعجمية على وجهها إذا تطلبها السياق . من ذلك لفظة « الإيديال » ص ٤٦ و « المثل الأعلى » و « التاكسى » ص ٤٦٨ و « الفترينات والصالات » ص ٤٧٩ . وأكبر الظن أنه يرقب من مجمع اللغة العربية أن يعالج مثل هذه الألفاظ، وإنى لأخشى أن تطول رقابته

إن « وحى الرسالة » مجموعة مختارة مما سطره الأستاذ الزيات فى مجلة «الرسالة»، وهذه المجلة تستقبل سنتها الثامنة. و «الرسالة» فى صدارة المجلات العربية لهذا العهد . ومما تمتاز به أنها معترك الحركة الأدبية : من وجه تسجل مجرى الأدب ، ومن وجه تعرض المستحدث منه، تخطتها الركز والوثب معاً. ومن هنا ما فيها من التلون . وآفة المجلات أن يركد ماء وجهها . فمن وراء ذلك الشحوبُ فالزوال . ويعين على ذلك التلون أن أقلام كتاب الرسالة متغايرة فى التثقف والمضاء، وأن فيها أبواباً ساكنة وأخرى مائجة. وربما وضعت هذه الأشياء مواضعها فى بلد يكثر فيه الاضطراب وبصول الهوى

بشر فارس

***

وقالت زميلتنا الدستور :

الأستاذ أحمد حسن الزيات كاتب تسمو عبارته على النقد، ويرتفع سياقه إلى مرتبة الإيجاز، وتتصل بلاغته بالقلوب لدقته ورصانة نسجه وسمة الصدق المتجلية فى عبارته . وقد أصدر حضرته مجلة «الرسالة» منذ سبع سنوات؛ وألف أن يصدرها كل أسبوع بمقالة من وحى خاطره وفيض بيانه ، حتى اجتمعت له باقة من هذه المقالات متخيرة الألفاظ متسامية الطراز ، تتيه ببراعة أسلوبها دولة الكتاب وترنو إلى إيجازها أعين الأدباء

وسنعود إلى عرض بيان الأستاذ الزيات فى صفحة الدستور الأدبية المقبلة

وقد أحسن الأستاذ الزيات إذ جمعها فى كتاب سماه « وحى الرسالة » ونشره فى مطلع العام الجديد مورداً عذباً للأدب والأدباء ومشرعاً سائغاً لطلاب اللذة والمتاع الروحى والفائدة فى كل باب...

***

وقالت زميلتنا البلاغ :

يطالع الكاتب الكبير الأستاذ أحمد حسن الزيات قراءه العديدين فى مجانه « الرسالة » بافتتاحياته الممتعة التى تعتبر مثالاً عالياً فى حسن الأسلوب وفى تخير الموضوع ودقة التعبير عن الفكرة ؛ وقد تابعوه سبع سنين ينتظرون بلهف ما تدبجه براعته سواء فى الأدب أو فى النقد أو فى السياسة أو فى الاجتماع أو فى تحليل الشخصيات ، فيكون على الدوام عند حسن عقيدتهم فيه ؛ براعة تفكير ، ومتانة أسلوب ، وسرعة نفاذ إلى القلوب

وقد تخيّر الأستاذ الزيات فصولاً مما كتبه للرسالة فى ست سنين وجمعها بين دفتى كتاب واحد سماه « وحى الرسالة » وأصدر المجلد الأول منها فى هذا الأسبوع فى طبع أنيق وورق مصقول ، فجاءت هذه الفصول كما قال فى مقدمتها : متسمة بالصدق وإن كتبت عفو الخاطر ومجاراة المناسبة

ولا شك أننا فى غنى عن أن نقدم « وحى الرسالة » إلى القراء فالأستاذ الزيات فى غنى عن كل تقريظ وإنما يقرظه أدبه وأسلوبه وسعة اطلاعه ؛ ويكفى أن نقول إن كل قارئ مثقف لا غنى له عن مطالعة هذه الفصول الممتعة مما كتبه الأستاذ الزيات

{ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى — عابدين }

8me Année No. 347

Lundi - 26 - 2 - 1940

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٣٤٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٨ محرم سنة ١٣٥٩ — الموافق ٢٦ فبراير سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهـــرس

من بريد الرسالة

على غير انتظار ولا توقع وجدت اليوم فى بريد الرسالة كتاباً من السيدة حياة. والذين كانوا يقرأون جريدة (الليبرتيه) على عهد ليون كاسترو، أو مجلة الرسالة فى عامها الأول، لا يزالون يذكرون ولا شك هذا الاسم الجميل وذلك الأسلوب الساحر وتلك القريحة النَّسوية الصافية التى تخلق من الشعر والمنطق صوراً من الفكر الرصين البارع

ذلك الكتاب كذينك الكتابين[1] وردى الغلاف أنيق الخط مصرى الروح فرنسى اللغة؛ ولكنه يختلف عنهما بمعان من المحافظة والاعتدال لعلهما رجْع المبالغة والإسراف فى حياة المرأة المصرية الحديثة

لا أحب أن أفقدكَ شيئاً من جمال هذا الكتاب بتلخيصه أو اقتضابه، فإنه فى ذاته وحدة من البيان الصريح والقول الشارح لا تقبل توطئة ولا تجزئة. فأنا أترجمه إليك ترجمة لا تخالف الأصل إلا فى اللفظ؛ أما تأليف الجملة، وتنسيق الفكرة، وتلوين الصورة، فذلك كله لفن الكاتبة. وإذا علمت أن السيدة حياة إنما تكتب بروح عربية وطبيعة مصرية، سهل عليك أن تدرك سر هذا الائتلاف العجيب بين العربية والفرنسية فى قلمها المبدع

(١) تحدثنا عنهما ونشرنا شيئاً منهما فى العددين العاشر والحادى عشر من الرسالة

أستاذى العزيز

ما زلت أوثر أن أكتب إليك بالفرنسية على الرغم من بلوغى فى البيان العربى بفضل الرسالة مكانة لا بأس بها . وسبب هذا الإيثار أن المرء يميل بطبعه إلى جهة القدرة لا إلى جهة العجز ، ويؤثر بغريزته جانب الكمال على جانب النقص . ولغتى العربية لا تزال عاجزة عن رياضة هذا القلم فى يدى ، فإذا كتبت بها إليك أهملتَ ما أكتب فتسىء إلىّ ، أو أعملت فيه قلمك فتزوِّره علىّ . وأنا كأكثر النساء مستكبرة أنوفة ، فلا أحب أن أكون من الرجل فى موضع الإهمال أو المعونة

أكتب إليك فى صباح ليلة ساهرة ثارة تقسمت مشاهدها العجيبة خواطرى ومشاعرى ، فكأننى لم أشهد قبلها ليلة ! والحق أن ليلة (مبرة محمد على) فى هذا العام كانت بِدْعاً فى نظامها وبرنامجها والاحتفال بها والإقبال عليها والديمقراطية فيها

لقد كان قصر المعرض بالجزيرة معرضاً حقيقياً لمجتمعنا الحديث . فالأميرات والعقيلات والآنسات والممثلات يصاحبهن أو يراقصهن أو يجاورهن الأمراء والكبراء والموظفون ورجال الفن ؛ وكلهم على النمط الغربى الرفيع فى أناقة الزى ورشاقة الحركة وأسلوب التحية ومراعاة الرسوم وإجادة الرقص، حتى خيل إلىّ أن الحفلة فى (الجران باليه) بباريس لا فى السراى الكبرى بالقاهرة

كنت أتنقل أنا وزوجى من مقعد إلى مقعد ، ومن مشهد إلى مشهد ، فى مسرح اللهو ، وفى حلقة الرقص ، وفى المقصف ، وفى (القهوة البلدية) ، فأجد أخلاطاً من الناس يشتركون فى المظهر ، ولكنك تستطيع أن ترجعهم إلى بيئاتهم المختلفة من طريق الهندام ولهجة الكلام واختلاف الوضع . يسهل ذلك التمييز فى الرجال ويصعب كل الصعوبة فى النساء ؛ لأن المرأة بفضل السينما والرياضة استطاعت أن تشأى الرجل فى مضمار المدنية الغربية، فهى فى إتقان زينتها وفستان سهرتها وانسجام سمتها لا تكاد تختلف عن كواكب هوليود ؛ أما هو فبطىء التطور عصى الطبع لا يغشى أمثال هذه الحفلات إلا مسوقاً بإرادة زوجته أو ابنته

لعلك تذكر أنى كتبت إليك منذ خمس سنوات كتاباً قلت فيه عن حرية المرأة إنها مسألة لا تتعلق إلا بنا، ولا يكون الحكم فيها إلا لنا ؛ وما دخول الرجل فيها إلا أثر من اعتقاده القديم أن فى يده زمام هذا الجنس المنكوب يرخيه ويشده على هواه ، والأمر لا يخرج عن كونه نظاماً طبيعياً يجرى على سنة الحياة من سيطرة القوة على الضعف ، وطغيان الأثرة الباغية على العدل الذليل . فحرية المرأة كحرية الأمة ، سبيلهما الفعل وحجتهما القوة ؛ أما الدفاع بالقول والإقناع بالحق فأصوات مبهمة كزفيف الريح المحبوسة فى مخارم الجبل لا تدل على الطريق ولا تساعد على الفرج

قلت ذلك وما كان يهجس فى صدرى أن المرأة فى هذه المدة القصيرة تستطيع أن تنتزع من الرجل قيادتها وحريتها ثم تغلبه على إرادته وكرامته فتروضه هذه الرياضة وتخضعه هذا الخضوع !

لقد كنت أرى المرأة فى هذه الليلة تراقص الغريب وتضاحك الكأس ، وزوجها أو أبوها يهيئ لها فرصة المعرفة ويسمى لها بوسائل اللذة ، فأجدنى أنا داعيةَ الحرية النسوية بالأمس ، أشد النساء ضيقاً بها وسخطاً عليها اليوم ، لأن هذه الحرية — بالقياس إلى الحرية التى كنا ننعم بها وندعو إليها — إباحية وفوضى ؛ وذلك فى الحق علة ما نرى من التنافر بين الفتى والفتاة ، فقد كان الظن أن يزول بالتعلم ما بينهما من تنافر العلم والجهل ، فأصبح هذا التنافر معززاً بتنافر الحشمة والتهتك . وما دام الانسجام مفقوداً بين الجنسين إما لتقدم الرجل على المرأة فى العلم ، وإما لتقدمها هى عليه فى المدنية ، فهيهات أن تنفرج أزمة الزواج أو تستقيم حال الأسرة

كانت هذه الحفلة فى السنين الخوالى مظهراً للحرية القصد والبر الخالص ، فما زالت عوامل التقليد والتجديد تلح على مزايا الأنوثة وخصائص الجنس حتى أصبحت معرضاً للجمال والدلال والزينة ؛ وذلك بالطبع سر نجاحها ورباحها ، وهو مغنم لغايتها الشريفة على أى حال

إنى ألح على المرأة فى نادى السيدات وفى بعض الحفلات نزوعاً إلى تعدى الحدود التى جعلها الله بينها وبين الرجل ، فإذا لم نعاجله بالفطام والكبح أعضل الأمر وفسد المجتمع

ولعلى يا سيدى أشير فى (الرسالة) إلى مواطن الداء الحين بعد الحين ليتسنى لأرباب القلم وصفه، ويسهل على أقطاب الحكم علاجه.

أدام الله عليك التوفيق وأعانك بالسداد على مواصلة الجهاد فى تبليغ الرسالة ... (حياة)

* * *

هذا كتابك يا سيدتى قرأته وترجمته ثم نشرته، وسأعود إليه بالتعليق والتحقيق فى فرصة أخرى .

احمد حسن الزيات

١ - فى أرجاء سينـــاء

للدكتور عبد الوهاب عزام

من السويس الى أبى زنيمة

تواعد السَّفْرُ ميدانَ ابراهيم صباح الأحد حادى عشر ذى الحجة سنة ١٣٥٨ — (٢١ يناير سنة ١٩٤٠) ، ووقفنا على مصر الجديدة ريثما يركب الرفقاء الذين يقطنون هناك . ثم سار ركْبنا فى سيارات ست يؤم السويس ، وليس فى طريق السويس ما يُتحدث عنه إلا بقايا المنارات التى كانت على طريق البريد .

ولما بلغنا السويس تواعدنا أن نلتقى عند منتهى الترعة الاسماعيلية بعد أن تتزود السيارات وسائقوها بما يحتاجون إليه من المدينة . وكان السائقون كلهم من هذه المدينة وممن خبروا طرق سَيناء.

فارقنا المدينة ظهراً ، فوقفنا بعد قليل عند معبر القناة ريثما قدَّمنا الأوراق والصور التى تبين أشخاصنا ووجهتنا ، ثم عبرنا . وكان الغداء قد حان ، فرأينا أن نتزود للبيداء فتفرقنا يأكل كل واحد زاده ... ولست أقول قول أبى العتاهية :

قد رمى المهدى ظبياً شق بالسهم فؤاده
وعلى بن سليما ن رمى كلباً فصاده
فهنيئــاً لهما كل امرئ يأكل زاده

وهى الوجبة الواحدة التى لم يجتمع عليها السفْر . وكنا استثنيناها تعجلاً للمسير ، فاتفقنا على أن يأتى كل مسافر بالغداء فى اليوم الأول .

وكان فى اختلاف الأطعمة مثار لأسئلة: ماذا عندك يا فلان؟ وما ذا تأكل يا فلان ؟ وكان أكثر الناس تطلعاً إلى السؤال بعض رجال التاريخ . وذكرنى هذا قول أبى الطيب :

وكثير من السؤال اشتياق وكثير من ردّه تعليـــل

تهيأنا للمسير ، وصفر دليل الركب الدكتور حزين إيذاناً بالسير فلم نتهيَّب إقدامَنا على مجاهل سَيناء وسلوك طريق بنى إسرائيل ، لأن الطريق مطروقة ، والأمن شامل ، والزاد موفور ، والسيارات ضمينة بإبلاغنا غايتنا قبل الغروب ...

سرنا صوب الجنوب فسايرنا القناة حيناً، ثم خليج السويس حتى حالت بيننا وبينه التلال . وبعد نصف ساعة مررنا بعيون موسى ، وهى على ٢٤ كيلاً من معبر القناة . ولم نعرج على العيون إلا فى رجوعنا ، وكنت رأيتها مرة من قبل . وهى ينابيع متفرقة متقاربة ، يرى المتأمل فيها فوران الماء من قاعها إلى سطحها ، وكل ينبوع بركة يفيض ماؤها فى الرمل فلا يجرى ، وحولها نخيل وأشجار من الطرفاء ؛ وهى اثنتا عشرة عيناً ، وقد ذكرت فى القرآن الكريم: «وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً ، قد علم كل أناس مشربهم . كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا فى الأرض مفسدين » .



عيون موسى

وذكرت فى التوراة باسم إيليم . ففى سفر الخروج (الإصحاح١٦): « ثم جاءوا إلى إيليم ، وهناك اثنتا عشرة عين ماء وسبعون نخلة ، فنزلوا هناك عند الماء »

وقد نقلت الحكومة إليها سمكا لمنع حمّى الملاريا

مضت السيارات فى أرض مقفرة قليلة النبات ، ثم تغيّر مرأى البيداء، ولاحت أشجار كثيرة من الطرفاء، جاوزناها إلى أرض غير مشجرة يسم وجهها نبات متفرق من العيثران والرتم والسِّلّة وأعشاب مختلفة . ثم دخلنا وادى الطّيبة بين جبال عالية مختلفة الألوان والأشكال ؛ فتكاثرت الأشجار البرية متفرقة ، وبدت على وجه الأرض أمارات الحياة حتى انعطف الوادى إلى اليمين تلقاء البحر ، فإذا غيضة يترقرق الماء فيها، ويلتف فيها الطرفاء والنخيل ؛ وهو منظر يوحى إلى المسافر الرّوح والسرور بعد المناظر القاحلة التى طال سيره فيها . وبعد ثلاثة كيلات من هذه الغيضة بلغنا شاطئ الخليج — خليج السويس — بعد أن قطعنا من القناة مائة وعشرين كيلاً

هناك تبعد الجبال عن البحر قليلاً فتترك بينها وبينه أرضاً

رملية مستوية ، وعلى الشاطئ شركة انكليزية تستخرج المنغنيز وهو حجر مسود حديدى يستعمل فى صناعة الصلب أو الفولاذ. وهناك مبان للشركة ومساكن للعمال وهم زهاء ألف من المصريين، وسكة حديد لنقل المنغنيز إلى الميناء ، وميناء لإرساء السفن

سألنا عن منزل الحكومة (استراحة) فسار معنا خادم موكل به ، فرأينا بناء جميلاً طبقة واحدة فيها خمس غرف ومرافقها وأمامها طُنُف واسع . وهذا المنزل بنى حينما عزم الملك فؤاد رحمه الله على زيارة سيناء . فهو من آثار عنايته بالصحارى المصرية

نزلنا هناك بعد الغروب فأمضينا ليلة سعيدة فى هواء منعش معتدل يحيط بنا مشاهد رائعة من الجبال والبحر أضفت عليها القمراء نورها وبهجتها . ولا أنسى مطلع الشمس هناك بين قنن الجبال القريبة ومغربها على ساحل الخليج الغربى عند جبال الزعفرانة تلوح على بعد كأنها قطع السحاب أو الضباب



البدوى مطير

إن فى هذه الأمكنة وما يشبهها لَمَراداً للمصريين يستجمون من عناء العمل ، ويمتعون الروح والجسم بين الهواء والماء ، وحرية الصحراء والمرائى الجميلة ، ويعرفون مجاهل وطنهم وما فيها من معادن ونبات

وأصبحنا يوم الاثنين مزمعين التجوال فى البرية ورؤية معادن المنغنيز وآثاراً مصرية قديمة فى مكان يسمى سراية الخادم فاستمعنا من الدكتور حزين كلمة عن سيناء وجبالها ومعادنها . ثم سرنا فى وادى الطّيبة وملنا ذات اليمين حتى رأينا معادن المنغنيز وهى حفَر ساذجة تقطع منها الأحجار لا يكلف قطعها عناء ولا تغلغلاً فى بطن الأرض . ثم سرنا نبحث عن الآثار ولقينا فى طريقنا بدوياً معه غنمة وجمال تحمل رحله ونساء وصبية، فكلمناه وأخذنا صورته . وسألته عن شجر صغير يكثر فى البادية لا جذع له تنبت أغصانه من جذره مستقيمة دقيقة ، له ورق مستطيل دقيق. فقال : هذا الرتَم . فذكرت قصة المتنبي حينما خرج من مصر



بئر النصب

وسلك سيناء وخانه عبيده فضرب واحداً منهم بالسيف فخرّ على على رتمة . وأنشدت قول الراجز :

نظرت والعينُ مبينة التهم ... إلى سنا نار وقودها الرتَم

شبت بأعلى عاندين من إضم

واسم الرجل مُطير وهو من قبيلة القرارشة

واستأنفنا المسير فبلغنا مكاناً به نخلات وأشجار وزرع قليل، وإذا بئر تسمى بئر النصب ماؤها قريب عذب

تركنا السيارة وسرنا نبحث عن الآثار واستدللنا رجلاً من غير البدو ادعى معرفة المكان فطال سيرنا وبحثنا على غير هدى ، ورجعنا وقد استفدنا من المشى ، ورأينا من الأودية والجبال والأشجار والعشب ما عزانا عن الآثار المفقودة . ولم نقل : قتل أرضاً عالمها ، وقتلت أرض جاهلها .

(للكلام صلة)

عبد الوهاب عزام

عددنا الممتاز

سيصدر عددنا السنوى الممتاز فى اليوم الرابع من شهر مارس المقبل فى أربع وثمانين صفحة . وهو كالأعداد السبعة السالفة كتاب قيم يدور على عظمة الرسول وعبقرية الاسلام ومجد العروبة . وسيكون ثمنه قرشين لغلاء الورق وقلة المطبوع

في الاجتماع اللغوي

صراع اللغـــات

للدكتور علي عبد الواحد وافي

مدرس العلوم الاجتماعية بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

يحدث بين اللغـات ما يحدث بين أفراد الكائنات الحية وجماعاتها من احتكاك وصراع وتنازع على البقاء وسعي وراء الغلب والسيطرة. وتختلف نتائج هذا الصراع باختلاف الأحوال: فتارة ترجح كفة أحد المتنازعين، فيسارع إلى القضاء على الآخر مستخدماً في ذلك وسائل القسوة والعنف، ويتعقب فلوله فلا يكاد يبقى على أثر من آثاره؛ وتارة ترجح كفة أحدهما كذلك، ولكنه يمهل الآخر، وينتقص بالتدريج من قوته ونفوذه، ويعمل على خضد شوكته شيئاً فشيئاً حتى يتم له النصر؛ وأحياناً تتكافأ قواهما أو تكاد، فتظل الحرب بينهما سجالاً، ويظل كل منهما في أثنائها محتفظاً بشخصيته ومميزاته.

وينشأ هذا الصراع عن عوامل كثيرة أهمها عاملان: أحدهما أن ينزح إلى البلد عناصر أجنبية تنطق بلغة غير لغة أهله؛ وثانيهما أن يتجاور شعبان مختلفا اللغة، فيتبادلا المنافع، ويتاح لأفرادهما فرص للاحتكاك المادي والثقافي.

وكلا العاملين ينتهي أحياناً إلى تغلب إحدى اللغتين على الأخرى، وأحياناً إلى بقائهما معاً جنباً لجنب.

وسنقتصر في هذا المقال على بيان الحالات التي يؤدي فيها العامل الأول إلى تغلب إحدى اللغتين على الأخرى، وما يمتاز به هذا التغلب من خصائص، وما يتصل به من شئون، مرجئين تكملة البحث إلى مقالات تالية.

***

قد يحدث على أثر فتح أو استعمار أو حرب أو هجرة ... أن ينزح إلى البلد عنصر أجنبي ينطق بلغة غير لغة أهله، فيشتبك اللغتان في صراع ينتهي أحياناً إلى تغلب إحداهما، فتصبح لغة جميع السكان قديمهم وحديثهم، أصيلهم ودخيلهم. ويحدث هذا في حالتين:

الحالة الأولى: أن يكون كلا الشعبين همجياً قليل الحضارة منحط الثقافة، ويزيد عدد أفراد أحدهما على عدد أفراد الآخر زيادة كبيرة. ففي هذه الحالة، تتغلب لغة أكثرهما عدداً سواء أكانت لغة الغالب أم المغلوب، لغة الأصيل أم الدخيل؛ على شريطة أن تكون اللغتان من شعبة لغوية واحدة أو من شعبتين متقاربتين

والأمثلة على ذلك كثيرة في التاريخ. فمن ذلك أن الإنجليز السكسونيين، حينما نزحوا من أواسط أوربا إلى انجلترا، لم تلبث لغتهم أن تغلبت على اللغات السلتية[1] التي كان يتكلم بها السكان الأصليون. وذلك لأن عدد من بقي من السلتيين بهذه الأقاليم لم يكن شيئاً مذكوراً بجانب عدد المغيرين؛ وكلا الشعبين كان همجياً منحطاً في مستوى حضارته ومبلغ ثقافته؛ وكلتا اللغتين تنتمي إلى فصيلة اللغات الهندية — الأوربية — والنورمانديون Normands، حينما أغاروا على إنجلترا في منتصف القرن التاسع الميلادي واحتلوا معظم أقاليمها، لم تلبث لغـة الشعب المقهور أن تغلبت على لغتهم، فأصبح جميع السكان، أصيلهم ودخيلهم، إنجليزهم ونورمانديهم، يتكلمون الإنجليزية السكسونية. وذلك لأن الإنجليز المغلوبين كانوا أكثر عدداً من النورمانديين الغالبين؛ ولم يكن لأحد الشعبين إذ ذاك حضارة ولا ثقافة راقية؛ وكلتا اللغتين من الفصيلة الهندية — الأوروبية[2]

وقد يحدث أحياناً في هـذه الحالة أن تتغلب لغة على أخرى من غير فصيلتها. ولكن هذه الظاهرة نادرة الحدوث، ولا يتم التغلب فيها إلا بصعوبة وبعد أمد طويل. واللغة التي تنشأ من هذا التغلب ينالها كثير من التحريف في ألسنة المحدثين من الناطقين بها لشدة الاختلاف بينها وبين لغتهم الأصـلية، فتبعد بعداً كبيراً عن صورتها الأولى. فالبلغاريون وهم من أصل « فينواني Finois » حينما نزحوا إلى البلقان وامتزجوا بشعوب الصقالبة (السلافية Slaves)، أخذت لغتهم تنهزم شيئاً فشيئاً أمام لغة هذه الشعوب حتى انقرضت وحل محلها لسان صقلبي. وذلك لأن عدد البلغاريين لم يكن شيئاً مذكوراً بجانب عدد الصقالبة الممتزجين بهم؛ وكلتا الفئتين كانت إذ ذاك همجية منحطة في مستوى حضارتها ومبلغ

(١) لغة شعوب السلت Celtes وهي شعوب كانت تقطن قديماً أوربا الوسطى، ثم انتشرت عشائر منها في بلاد الجول Gaule (فرنسا الآن) وإسبانيا وبريطانيا

(٢) هي فصيلة لغوية تشمل ثماني طوائف من اللغات: الهندية ـ الايرانية والأرمنية؛ واللغات الاغريقية؛ والألبانية؛ واللغات الايطالية التي تشمل اللاتينية؛ واللغات السلتية؛ واللغات الجرمانية؛ واللغات البلطيقية ـ الصقلبية

ثقافتها . وقد حدث هذا التغلب مع اختلاف اللغتين فى الفصيلة ؛ فلغة البلغاريين الأصلية كانت من الفصيلة الفينية[1] ، على حين أن اللغات الصقلبية من الفصيلة الهندية — الأوروبية ، ولكن هذا التغلب لم يتم إلا بصعوبة ، وبعد أمد طويل ، وصراع عنيف خرجت منه اللغة الغالبة مشوهة محرفة عن مواضعها فى ألسنة المحدثين الناطقين بها ، فبعدت بعداً كبيراً عن صورتها القديمة . فالبلغارية الحديثة هى أكثر اللهجات الصقلبية تحريفاً وبعداً عن أصولها الأولى

(الحالة الثانية) : أن يكون الشعب الغالب أرقى من الشعب المغلوب فى حضارته وثقافته وآداب لغته ، وأشد منه بأساً وأوسع نفوذاً . ففى هـذه الحالة يكتب النصر للغته فتصبح لغة جميع السكان ، وإن قل عدد أفراده عن أفراد الشعب المغلوب ؛ على شريطة أن تدوم غلبته وقوته مدة كافية ، وأن تقيم بصفة دائمة جالية يعتد بها من أفراده فى بلاد الشعب المغلوب ، وأن تمتزج بأفراد هذا الشعب ، وأن تكون اللغتان من شعبة لغوية واحدة أو من شعبتين متقاربتين

والأمثلة على ذلك كثيرة فى التاريخ . فقد نجم عن فتوح الرومان فى وسط أوربا وشرقيها أن تغلبت لغتهم اللاتينية على اللغات الأصلية لإيطاليا وإسبانيا وبلاد الجول La Gaule (فرنسا وما إليها) والألب الوسطى Alpe Centrale والإيليريا Illyrie ، مع أن الرومان المغيرين كانوا فى هذه البلاد أقلية بالنسبة لسكانها الأصليين . وقد نجم عن فتوح العرب فى آسيا وأفريقيا أن تغلبت لغتهم على كثير من اللغات السامية الأخرى وعلى اللغات القبطية والبربرية والكوشيتية[2] ؛ فأصبحت اللغة العربية لغة الحديث والكتابة فى معظم مناطق شبه الجزيرة العربية وفى مصر وشمال أفريقيا وفى جزء كبير من قسمها الشرقى المتاخم لبلاد الحبشة ؛ مع أن الجالية العربية فى هذه البلاد كان عددها أقل كثيراً من عدد السكان الأصليين

وفى كلتا الحالتين السابقتين لا يتم النصر غالباً لإحدى اللغتين

(١) هى فصيلة لغوية تشمل الفنلندية والأستونية والبلغارية القديمة

(٢) اللغات السامية هى فصيلة لغوية يندرج تحتها : اللغات الأكادية (الآشورية — البابلية) ، والآرامية (وتشمل الكلدانية والسريانية) ، والكنعانية (ويدخل فيها الفينيقية والعبرية) ، والعربية ، والحميرية ، والحبشية — أو اللغات البربرية وهي لغات السكان الأصليين لشمال أفريقيا — واللغات الكوشيتية هى لغات القسم الشرقى من أفريقيا المحصورين بين درجة العرض الرابعة جنوب خط الاستواء ، وحدود مصر ما عدا المناطق الحبشية وبعض مناطق السودان

إلا بعد أمد طويل يصل أحياناً إلى أربعة قرون ، وقد يمتد إلى أكثر من ذلك . فالرومان قد أخضعوا بلاد الجول La Gaule (فرنسا وما إليها) فى القرن الأول ؛ ولكن لم يتم النصر للغتهم اللاتينية على اللغة السلتية التى كان يتكلم بها أهل هذه البلاد إلا حوالى القرن الرابع الميلادى . ومع ما كان للعرب من قوة الشوكة ، ورقى اللغة ، واتساع الحضارة ، وحماية الدين ، وسطوة الغالب ، لم يتم النصر للغتهم على القبطية والبربرية إلا بعد أمد طويل . على أن اللغة القبطية لا تزال مستخدمة فى كثير من الطقوس الدينية الأرثوذكسية ؛ واللغات البربرية لا تزال إلى الوقت الحاضر لغة محادثة لدى بعض العشائر المغربية

وغنى عن البيان أن انتصاراً لا يتم إلا بعد أمد طويل وجهاد عنيف لا يخرج المنتصر من معاركه على نفس الحالة التى كان عليها من قبل . فاللغة التى يتم لها الغلب لا تخرج سليمة من هـذا الصراع . بل إن طول احتكاكها باللغة الأخرى يجعلها تتأثر بها فى كثير من مظاهرها وبخاصة فى مفرداتها

ويختلف مبلغ هذا التأثر باختلاف الأحوال : فتكثر مظاهره كلما طال أمد احتكاك اللغتين وكان النزاع بينهما عنيفاً والمقاومة قوية من جانب اللغة المقهورة ؛ وتقل مظاهره كلما قصرت مدة الصراع أو خفت وطأة النزاع أو كانت المقاومة ضعيفة من جانب اللغة المغلوبة . فلطول الأمد الذى استغرقه الكفاح بين لغة الإنجليز السكسونيين بانجلترا ، ولغة الفاتحين من الفرنسيين النورمانديين (الذين أغاروا على بلاد الإنجليز فى القرن التاسع الميلادى واحتلوا معظم مناطق انجلترا كما سبقت الإشارة إلى ذلك) ولشدة المقاومة التى أبدتها اللغة النورماندية المقهورة ، خرجت اللغة المنتصرة (الإنجليزية) من هذا الصراع ، وقد فقدت أكثر من نصف مفرداتها الأصليـة واستبدلت به كلمات من اللغة النورماندية المغلوبة ، واقتبست منها فضلاً عن هذا مفردات أخرى جديدة . على حين أن لغـة بلاد الجول La Gaule التى انتصرت عليها اللغة اللاتينية لم تترك فى اللغة الغالبة أكثر من عشرين كلمة[1] ؛ واللغات القبطية والبربرية المغلوبة لم تكد تترك أى أثر فى اللغة العربية الغالبة . وذلك لأن الصراع فى هذين المثلين ، على طول أمده ، لم يكن عنيفاً ، ولم تلق فى أثنائه اللغتان الغالبتان (اللاتينية فى المثال الأول والعربية فى المثال الثانى)

(١) على أن بعض هذه الكلمات كان قد انتقل إلى اللاتينية قبل غزو الرومان لبلاد الجول

مقاومة شديدة من جانب اللغات المقهورة (لغة الجول السلتية فى المثال الأول ، والقبطية والبربرية فى المثال الثانى)

وتختلف كذلك النواحى التى يبدو فيها تأثر اللغة الغالبة باللغة المغلوبة تبعاً لاختلاف الأحوال التى تكون عليها كلتا اللغتين فى أثناء اشتباكهما . ويبدو هذا التأثر بأوضح صورة فى النواحى التى تكون فيها اللغة المغلوبة متفوقة على اللغة الغالبة . ولذلك تألف معظم المفردات التى أخذتها الإنجليزية الغالبة عن الفرنسية النورماندية المغلوبة ، من كلمات دالة على معان كلية وألفاظ تتصل بشئون المائدة والطهى والطعام . وذلك لأن النورماندية كانت غنية فى هاتين الطائفتين من المفردات ؛ على حين أن الانجليزية كانت فقيرة فيهما كل الفقر ؛ فعمدت إلى خصيمها المقهور واستلبته ما كان يعوزها قبل أن تجهز عليه . وإلى اقتباسها منه الألفاظ المتصلة بشئون المائدة والطهى وألوان الطعام يرجع السبب فى أسلوبها الغريب فى تسمية الحيوانات المأكولة اللحم . فكثير من هذه الحيوانات يطلق على كل منها فى الانجليزية اسمان : اسم جرمانى الأصل يطلق على الحيوان ما دام حياً : Cheep, Galf, Ox, Pig. واسم آخر فرنسى الأصل يطلق عليه بعد ذبحه وإعداده للطعام : Mutton, Veal, Beef, Pork.

والألفاظ الأصيلة للغة الغالبة ينالها كثير من التحريف فى ألسنة المحدثين من الناطقين بها (المغلوبين لغوياً) ، فتبعد بذلك فى أصواتها ودلالاتها وأساليب نطقها عن صورتها الأولى ويبلغ بعدها هذا أقصى درجاته إذا كانت اللغة المقهورة من فصيلة أخرى غير فصيلة اللغة الغالبة كما سبقت الإشارة إلى ذلك بصدد البلغارية القديمة والصقلبية

والألفاظ الدخيلة التى تقتبسها اللغة الغالبة من اللغة المغلوبة ينالها كذلك كثير من التحريف فى أصواتها ودلالاتها وطريقة نطقها ، فتبعد فى جميع هذه النواحى عن صورتها القديمة ، ويظهر هذا بالموازنة بين الكلمات الإنجليزية الآتية والكلمات الفرنسية التى اقتبست منها : Mutton (Mouton), Veal (Veau), Beef (Bœuf). فإن كل كلمة منها تختلف عن أصلها اختلافاً غير يسير فى صوتها ودلالتها وطريقة النطق بها . حتى أن الفرنسى الذى لا يعرف الإنجليزية لا يكاد يتبينها أو يدرك مدلولها إذا سمعها من انجليزى — وليست هذه الظاهرة مقصورة على الاقتباس الناشئ من الصراع بين لغتين ، كتب لإحداهما النصر ، بل هى ظاهرة عامة تتحقق فى جميع الحالات التى يحدث فيها انتقال مفرد من لغة إلى أخرى .

وتقطع اللغة المغلوبة فى سبيل انقراضها مراحل كثيرة تمتاز كل مرحلة منها بمظهر خاص من مظاهر الانحلال وضعف المقاومة ففى المرحلة الأولى تقذفها اللغة الغالبة بطائفة كبيرة من مفرداتها فتوهن بذلك متنها الأصلى وتجرده من كثير من مقوماته ولكن اللغة المغلوبة ، تظل طوال هذه المرحلة محتفظة بقواعدها ومخارج حروفها وأساليبها فى تطبيق الكلمات : فيؤلف أهلها عباراتهم ويصرفون مفرداتهم وفقاً لقواعدهم التنظيمية والمورفولوجية : « السنتكس والمورفولوجيا ، أو النحو والصرف » . وينطقون بألفاظهم الأصلية وما انتقل إليهم من ألفاظ دخيلة طبقاً لأسلوبهم الصوتى ومخارج حروفهم؛ حتى أنهم ليستبدلون فى الكلمات الدخيلة بالحروف التى لا يوجد لها نظير لديهم حروفاً قريبة منها من حروف لغتهم . . . وفى المرحلة التالية تتسرب إلى اللغة المغلوبة أصوات اللغة الغالبة ومخارج حروفها وأساليبها فى نطق الكلمات . فينطق أهل اللغة المغلوبة بألفاظهم الأصيلة ، وما انتقل إليهم من ألفاظ دخيلة من نفس المخارج ... وبنفس الطريقة التى يسير عليها النطق فى اللغة الغالبة . فيزداد بذلك انحلال اللغة المغلوبة ويؤذن نجمها بالأفول . ولكنها تظل طوال هذه المرحلة مستبسلة فى الدفاع عن قواعدها الصرفية والتنظيمية (قواعد المورفولوجيا والسنتكس) وفى مقاومة قواعد اللغة الغالبة . فيركب أهلها جملهم ويصرفون كلماتهم وفق أساليبهم الأولى . وفى المرحلة الأخيرة تضعف هذه المقاومة شيئاً فشيئاً ، فتأخذ قواعد اللغة الغالبة فى الاستيلاء على الألسنة حتى يتم لها الظفر ، فيتم بذلك الإجهاز على اللغة المغلوبة . فالقواعد فى اللغة المغلوبة أشبه شىء بالقلعة التى تحتمى بها فلول الجيش المنهزم وتقاتل عنها حتى آخر رمق ، والتى يتم بسقوطها استيلاء العدو على البلاد .

علي عبد الواحد وافى
ليسانسيه ودكتور فى الآداب من جامعة باريس

٢ - الحق والقـــوة

للدكتور إبراهيم بيومى مدكور
أستاذ الفلسفة بكلية الآداب

ليست فكرة الحق بأعلى من فكرة القوة ، وليست الحقوق الفردية والاجتماعية من الوضوح بحيث تستلفت النظر كالقوى الطبيعية والإنسانية . ومن المحقق أن الجميات الهمجية خضعت لسلطان القوة وانقادت لعوامل البأس والشدة قبل أن تعرف لغة الحق والقانون ، ولم تتكون لديها فكرة عن الحقوق واحترامها والتعهدات والتزامها إلا بعد أن خطت خطوات فى سبيل الحضارة والمدنية . ولعلها لم تعترف أول الأمر ببعض الحقوق إلا لأنها رأت القوة تلزمها بالاعتراف بها ، ثم لم يلبث هذا الاعتراف القهرى أن تحول إلى شعور باطنى اختيارى يدفعها إلى القيام ببعض الأعمال راحة للنفس ومرضاة للضمير . ففكرة الحق إذن بطيئة التكوين ، والحقوق الإنسانية لم تثبت ولم تنضج إلا بعد أجيال عدة وحضارات متعاقبة ، على أنها لا تزال حتى اليوم خاضعة لسنة النشوء والارتقاء ، ولا تزال طائفة منها مختلفاً عليها بين الأفراد والجماعات

ويظهر أن الحقوق فى تطورها مرت بأدوار عدة ، فكانت فى أول أمرها دينية شعبية وشكلية مادية مقصورة على فريق من الناس . فلا حق إلا ما أحقته الآلهة ، ولا التزام إلا بما أوجبته التعاليم الدينية ، والحقوق فى جملها فريضة فرضتها السماء وطاعة أعد لمؤديها الثواب المقيم ولتاركها العذاب الأليم . فمن القساوسة ورجال الدين تعلمت الجماعات الأولى بعض الحقوق ، وإليها لجأت فى إقامة شعائرها والمطالبة بأدائها ؛ ولهذا لم يكن ثمه فرق فى الشرائع القـديمة بين أمر دينى وآخر دنيوى ، وإنما الأوامر كلها وحى الآلهة ، وترجمة لإرادة عليا يقف البشر أمامها خاشعين خاضعين . . . هذا إلى أن الحقوق كانت فى بدء نشأتها شعبية طائفية ، فعُرفت حقوق الأسرة والقبيلة قبل أن تعرف حقوق الفرد مهما كانت منزلته ، وكثيراً ما ضحى به فى سبيل قومه وعشيرته دون ذنب أو جريرة ، فما كانت له شخصية معروفة ولا وجود مستقل محترم . وإذا كانت الحقوق قديماً مظهراً من مظاهر الحياة الدينية ، فلا بد أن تؤدى على شكل معين وصورة ثابتة، شأنها فى هذا شأن الطقوس المختلفة والعبادات المعروفة . وما كانت للقبائل الهمجية تفهم من الحق إلا مظهره الخارجى، وجانبه المادى، فلم يكن هناك حق معنوى ولا التزام روحى. ولا يمكننا أن نتوقع فى تلك البيئات المحدودة والقبائل المتخاصمة حقوقاً تشمل الأفراد على اختلافهم ، بل لأبناء القبيلة الواحدة حقوق لا يمكن أن يقاسمهم فيها أبناء القبيلة الأخرى، ولا زلنا حتى اليوم نفرّق بين الأجنبى والوطنى فى بعض الحقوق والواجبات .

غير أن الحقوق الإنسانية لم تقف عند هذه المظاهر الأولى ، بل تطورت وتدرجت ، فتولد إلى جانب الحقوق الدينية حقوق أخرى مدنية ، وأخذت العادات والتقاليد تنزل من النفوس منزلة التعاليم الدينية ، وصيغت فى قالب أوامر وقوانين محترمة . ورأينا الفرد يبرز بجانب الشعب والقبيلة ، فعرفت شخصيته واحترمت حقوقه ؛ ومن أهم مميزات حضارتنا الحاضرة احترام الشخصية الإنسانية وتقديس ما لها من حقوق . ومن آثار هذا التطور أن تجردت الحقوق من قيودها الشكلية ومظاهرها المـادية ، فنشأت حقوق معنوية وروحية تمتاز كل الامتياز عن الحقوق الشخصية والعينية ، وأضحى الإنسان ، وكلمته حجة ، وتمهده وثيقة لا تقبل النقض . وانتهت الإنسانية أخيراً إلى طائفة من الحقوق يتساوى فيها الجميع ولا يفرق فيها بين صغير وكبير ، ولا بين أمير وحقير ، ولا بين أجنبي ووطنى ؛ هى حقوق الإنسان كيف كان أصله ومنبته ومستواه الاجتماعى وجنسيته .

ولم يتم هذا التطور عفواً ولم تتنوع هذه الحقوق اعتباطاً ، وإنما أثرت فيها عوامل مختلفة وساعدت على نموها واطرادها أسباب شتى . فغرست الديانات بذورها الأولى ، ولولا الدين ما عرفت القبائل الهمجية حقاً ولا احترمت مبدأ ، وفى تشعب الحياة السياسية والاقتصادية ما قضى بتنوع الحقوق وازديادها ، فالنظم الدستورية تعترف للأفراد بحقوق ما كانت تسلم بهـا الحكومات الاستبدادية ، وكثيراً ما طالبت الجماعات بحقوق تحميها من ظلم الظالمين وعدوان المعتدين ، والأجهزة والآلات فرضت للعمال على أصحاب المصانع ورءوس الأموال حقوقاً ما كانوا يطالبون بها من قبل ، وكلما امتدت وسائل الحضارة فى بيئة ما

كثرت الحقوق وتمددت المسئوليات ، وليست الحقوق فى رقيها وتطورها بخاضعة لعوامل اجتماعية فحسب ، بل للفرد فى هذا التطور دخل كبير ، فكثير من الحقوق لم يسلم به إلا بعد أن دافع عنه وناضل فى سبيله أفراد متعاقبون ، وكم أدخل العلماء والباحثون على فكرة الحق من تهذيب وتنقيح ما كان للجماهير أن تصل إليهما

أظننا، بعد أن عرضنا للحقوق فى نشأتها وتطورها، نستطيع أن نفصل فى تلك الخصومة المشهورة المتصلة بأصل فكرة الحق وطبيعتها ؛ والأخلاقيون ، كدأبهم فى المسائل العامة والقضايا الكلية، إزاء هذه المشكلة فريقان : فريق مثالى ينظر إلى الحقائق من حيث هى وبصورها بصورها العليا سواء أطابقت الواقع أم لم تطابقه ، وفريق آخر واقعى يعتد بالأمور الملموسة ولا يعول إلا على الحس والتجربة ، ويرى الفريق الأول أن الإنسان من حيث هو إنسان يستلزم طائفة من الحقوق ثابتة على اختلاف العصور والأزمنة لا تخضع لبيئة ولا لمجتمع ، فهى حقوق أقرها العقل واقتضتها الطبيعة دون أن تتقيد بالحياة الاجتماعية أو تتأثر بها ، وأما الفريق الثانى فيذهب إلى أن فكرة الحق مكتسبة لم تصل إلى كمالها إلا بعد أن مرت بأدوار عدة وتأثرت بعوامل مختلفة ، فليس ثمة حقوق مقدسة لذاتها ، ولا مبادئ أقرتها الإنسانية بصرف النظر عما يترتب عليها من أثر ، والحقوق الطبيعية المزعومة لا يؤيدها الواقع فى شىء ، وإذا شئنا أن نوضح فكرة الحق توضيحاً تاماً فلا بد أن نلم بهذين الاتجاهين ، ونلقى نظرة على هاتين النظريتين

ليست النظرية المثالية حديثة العهد ، فهى ترجع إلى القرن السادس عشر ، ويأبى أنصارها إلا أن يصعدوا بها إلى التاريخ القديم فيتلمسوا لها أصولاً لدى مشرعى الرومان وبعض فلاسفة اليونان ؛ ومُضى المدة كان ولا يزال وسيلة من وسائل ترجيح طرف على آخر . بيد أنها لم تبد فى ثوبها الكامل إلا فى القرن السابع عشر والثامن عشر لدى كثير من المشرعين والأخلاقيين وفى مقدمتهم الفقيه الهولندى « جروسيوس » والأخلاقيان الكبيران « روسو وكانت » ثم جاءت الثورة الفرنسية فأخذت بها وأعلنت حقوق الإنسان تطبيقاً لها وعول عليها نابليون كل التعويل فى وضع قانونه المشهور . وما إن ظهر المذهب الواقعى الذى نادى به « أوجست كونْت » فى القرن التاسع عشر وأيده فيه علماء الاجتماع الآخرون حتى أخذت فى التضاؤل والتراجع وأصبح الفقهاء والأخلاقيون يشكون فى قيمتها العلمية

وتتلخص هذه النظرية فى أن العقل الإنسانى يقضى بطائفة من الحقوق أقرها الناس أو لم يقروها ، فهي ثابتة للأفراد على السواء ولا تسقط بمضى المدة ، ومحاربتها فى جيل من الأجيال لا تقوم دليلاً على بطلانها، كبعض الفضائل السامية التى لم يستطع أفراد بيئة ما التحلى بها . وهذه الحقوق ، فوق أنها عقلية ، طبيعية أيضاً ، فهى ثمرة من ثمار الطبيعة الإنسانية وضرورة من ضروراتها ، ولا يستطيع الإنسان أن يؤدى وظائفه الجنسية والعقلية ويحقق كماله المنشود بدونها ؛ ومن هنا جاء هذا التعبير المشهور : « الحق الطبيعى » الذى يعتبر عنوان النظرية المثالية . وإذن الحق فكرة لا أمر وجودى ، ومبدأ عقلى لا ظاهرة واقعية ؛ والظواهر الواقعية على اختلافها ما كانت لتصل إلى تصوير الحقوق بهذه الصورة المثلى . وقد يسلم بعض المثاليين بوجود حقوق مكتسبة ، ولكنها تختلف عن الحقوق الطبيعية كل الاختلاف ، ولا تسمى حقوقاً إلا بضرب من التوسع والمجاز ؛ وفرق ما بين الحق الطبيعى والمكتسب أن الأول مصحوب دائماً بعاطفة داخلية وشعور باطنى يقدسه ويحترمه ويجمع العقول السليمة على التسليم به

لا نزاع فى أن هـذه النظرية المثالية تصعد بفكرة الحق إلى مستوى المبادئ الثابتة والحقائق المسلمة ، وتريد أن تقول إن الحق لم يكن حقاً لمجرد أن العرف رآه كذلك، بل لأن العقل والطبيعة استوجبت أحقيته ، ولا نزاع أيضاً فى أن المثاليين بوجه عام يذهبون إلى أن الحق والخير والفضيلة ذات قيم ذاتية قدسها من أجلها الناس ، وكل ذلك اعتداد بفكرة الحق وتدعيم لها على أساس عقلى لا نتردد فى أن نقدره ونجله . غير أن هؤلاء المثاليين يتناسون الواقع والتاريخ ويغفلون كل التطورات التى مرت بها الحقوق الإنسانية ولا ينظرون إليها إلا فى مرحلة كمالها ويزعمون أن الحقوق كلها نشأت على هذه الصورة . مع أن حقوق الإنسان لم يعترف بها إلا بعد أجيال وثورات عديدة ، ولا تزال حتى اليوم

مجال أخذ ورد ؛ والحقوق الطبيعية ليست من الجلاء والوضوح بالدرجة التي يتصورها بها أنصارها ، فإنا لا نفهم حقاً كانت الطبيعة وحدها مبعثه . وفوق هذا ففكرة الحق مصحوبة بشيء من الحرمة والتقديس لا تستطيع النظرية المثالية أن تفسره ، فهناك حقوق نرى من الإثم الكبير أن نخل بها أو نعدو عليها ، وما ذاك إلا لأن التعاليم الدينية أحاطتها بسياج من الجلال والرهبة . وفي اختصار ، لئن كان المثاليون قد تلمسوا في بعض الحقوق أسباباً عقلية وطبيعية تؤذن بأحقيتها ، فليس معنى هذا أن هذه الحقوق إنما استمدت من العقل والطبيعة

لذلك أحسن الواقعيون كل الإحسان في دراستهم للحقوق دراسة تاريخية وتتبعهم لنشأتها وتطورها . والنظرية الواقعية أشبه ما يكون برد فعل للنظرية المثالية ، نبتت في القرن السادس عشر ؛ ثم نمت نمواً عظيماً في القرن الثامن عشر بفضل جهود بعض المشرعين والأخلاقيين ، وبلغت أوجها في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين . والواقعيون في الحقيقة قسمان : قسم يرد الحقوق كلها إلى أصل من المنفعة العامة ، ويرى أنها لم تنشأ ولم تتكون إلا تحت تأثير هذه المنفعة ؛ ويذهب القسم الآخر إلى أن الحق وليد القوة ، نشأ في كنفها وتربى على حسابها ، ولولا القوة ما عرفت الحقوق ولا سلم بها

وربما كان مشرعو القرن الثامن عشر وفلاسفته أول من بنى فكرة الحق على أساس من المنفعة العامة ، وفي مقدمتهم أستاذ القانون الجنائي بيكاريا الإيطالي ، والأخلاقي الإنجليزي بنتام ، والفيلسوف الفرنسي هلفسيوس . ثم جاء واقعيو القرن التاسع عشر عامة ورجال المدرسة الفرنسية خاصة فساروا في هذا الاتجاه وأيدوه كل التأييد . فنرى في انجلترة جون استورث مل وسبنسر ، وفي ألمانيا جيرنج ، وفي فرنسا الفقيه الشهير ديجي ؛ وكل هؤلاء يلتقون في نقطة واحدة ، وهي أن الحقوق أثر من آثار الحياة الاجتماعية ، ولولا المجتمع ما عرف حق ولا قدس واجب . فالحقوق إذن تتغير من بيئة إلى أخرى ، وتخضع لمختلف العوامل الاقتصادية والسياسية والدينية . وإذا كانت المصلحة الذاتية تدفع بعض الأفراد إلى التشبث ببعض الحقوق والمطالبة بها ، فإن المصلحة العامة هي الحكم الفصل في كل هذه الشئون ؛ والشرائع الراقية تتخذ من هذه المصلحة الدعامة لكل القوانين ، فلا حق إلا ما طابقها وجاء موافقاً لمقتضياتها ، وإذا كان أنصار النظرية المثالية يعتدون بالفرد وحقوقه ، فإن هذه الحقوق لم تعرف إلا عن طريق المجتمع ؛ وقد سبق لنا أن أشرنا إلى أن الحقوق أول أمرها كانت شعبية طائفية ، ثم تطورت على مر الزمان وظهرت حقوق الأفراد بجانب حقوق الهيئات والجماعات

لقد نجح هؤلاء الواقعيون في تفسير الحقوق على ضوء الحاضر والماضي ، وربطوا فكرة الحق بالمجتمع ؛ فأصبحت ذات وجود خارجي ، وبهذا أمكنهم أن يحللوها ويميزوها ببعض الخصائص . ولا نستطيع في العصر الحاضر بوجه خاص أن ننكر ما للمنفعة العامة واعتبارها من أثر في الحياة الاجتماعية ، ولكن رد الحقوق كلها إليها يتنافى مع الواقع ، فهناك حقوق عمرت طويلاً ودان الناس بها مع مخالفتها الصريحة لها . على أن النظم الاجتماعية لا تخضع لموازنة منظمة بين المنافع المختلفة ، وفكرة المنفعة نفسها غامضة غير قابلة للتحديد في يسر ، وقد فشلت في توضيح فكرة الخير والشر ، ولن تكون أعظم نجاحاً في تدعيم فكرة الحق . ومن الغريب أن أنصار هذه المنفعة العامة هم الذين يقولون إن حب الذات غريزة أولية في حين أن حب الغير غريزة ثانوية فكيف تستطيع هذه الغريزة الثانوية أن تكوّن الحقوق وتتغلب على الغريزة الأولى ؟ ومهما يكن من أمر هذا التناقض فإن هؤلاء النفعيين وفقوا كل التوفيق في ربط الحقوق بحياة المجتمع وعدها ظاهرة من ظواهر تخضع لكل ما يطرأ عليه من عوامل ومؤثرات

ابراهيم مدكور

الكلام هو اللفظ المركب المفيد

شرح الأجـــرومية !

للدكتور زكى مبارك

ابتسم الزيات وقال : ما هذا التعسف الذى يقع فيه أصحابك الصوفية ؟

فقلت : وما شواهد ذلك التعسف ؟

فقال : ألم تعلم أن أحدهم شرح الأجرومية بطريقة صوفية ؟

***

ثم رجعت إلى نفسى أحاورها فى صمت هو أعنف ما يكون من الضجيج ، فقد تذكرتُ أن حالى فى دنياى كان حال الرجل الذى شرح الأجرومية بطريقة صوفية ، وأخشى أن أصير إلى ما صار إليه ، فلا أظفر من الناس بغير السخرية والاستهزاء !

ولكن ، هل أملك التوبة من الشطط والجموح فلا أفجع الناس فى أوهامهم من وقت إلى وقت ، ولا أشرح لهم الأجرومية بطريقة صوفية ؟

وكيف أسكت عنهم وأنا أريد أن أطمئن إلى أن لهم وجوداً ذاتيًا يسمح لهم بالرضا والغضب ، والقهقهة والأنين ؟

إن القلم فى يد الكاتب هو المِشرط فى يد الطبيب !

وكنت لعهد اشتغالى بالطب أعرف مصير المريض بعلامة صريحة ، هى إحساسه بوخز المِشرط ، فإن صرخ عرفت أنه مرجوّ العافية ، وإن سكت سكوت الجمود لا سكوت الصبر ، عرفت أنه صائر إلى الموت ...

وهل أنسى اليوم الذى سمعت فيه أقبح ألوان السباب من مريض أعملت فيه المِشرط بلا تهيب ولا ترفق لأنقذه من أظفار المنية ؟ !

ثم اتخذت من القلم مِشرطاً أعالج به أمراض القلوب بعد أن فرغت من علاج الأبدان ، فما الذى رأيت ؟

قضيت سنين بدون أن أسمع من مرضاى صرخة جزع أو شهقة بكاء ، فكدت أيأس من سلامة مرضاى ، وهممت بتوديع مهنة الأدب كما ودعت مهنة الطب ، لأرجع فلاحاً يصاحب الفأس والمحراث فى حقول سنتريس ...

ثم لطف الله بمرضاى فهداهم إلى الصراخ والأنين لأعرف أن الأمل فى نجاتهم ليس من المستحيلات

أما بعد فقد حان الوقت لشرح الأجرومية والألفية والسنوسية بطريقة صوفية

حان الوقت لشرح عجائب النهار وغرائب الليل

حان الوقت لعلاج العقول والقلوب والأذواق والأحاسيس

ولكنى أخاف ...

ما الذى أخاف ؟

أخاف من عواقب القلم ما كنت أخاف من عواقب المشرط

والدولة تسأل الطبيب الذى يجنى على حياة مريض ، ولكنها لا تسأل المريض الذى يجنى على حياة طبيب

وهل يعرف زملائى كيف هجرت مهنة الطب ؟

هجرت تلك المهنة هجراً غير جميل بسبب حادث رأيت به شبح الموت

كنت أعمل المشرط بيمناى فى جسد عليل فمسَّ أصبعاً من يسراى فارتجفتُ ، لأن أساتذتى بكلية الطب فى باريس علمونى أن العلم بخطر المرض قد يُفضى بصاحبه إلى الفناء ، ومن هنا جاز أن تصنع جرثومة واحدة بجسم الرجل الصحيح ما لا تصنع ألف جرثومة بجسم الرجل العليل

وفى ذلك الوقت عللت نفسى فقلت : إنما هى جرثومة فانية من جسم يدبّ إلى الفناء ، ولا خوف علىّ وأنا أطاول الدهر بجسم يضارع أجسام العماليق ، وبعد يوم أو يومين أمنت عواقب ذلك الجرح ، ثم انصرفت إلى غير رجعة عن مهنة الطب

واليوم يصنع القلم ما صنع المشرط

أسمع صراخ مرضاى فأبتسم ، لأن صراخهم يشهد بأنهم أهلٌ للحياة ، ولكن ذلك الصراخ تقع فيه أحياناً ألفاظ غلاظ يتزعج لها ذوق بعض الانزعاج ، فهل تكون هذه الألفاظ كتلك الجراثيم ؟

إن كان ذلك فسأستشهد فى ميدان الأدب بعد أن فاتنى الاستشهاد فى ميدان الطب ، وعند الله والحب جزائى !

وما خوفى من تلك الألفاظ الفلاظ وأنا بعافية وأستطيع التمرد على جميع الأدواء ، وفى صدرى من اليقين ما يزعزع رواسى الجبال ؟

وهل يصل الطبيب إلى شىء إذا عرف المبالاة بأوهام مرضاه ؟ لقد كتب مرضاى ما يزيد على ألف مقال ، وأسمعونى صراخهم فى كل بلد توجهت إليه ، ولم أر منهم غير الاستخفاف بصُنع الجميل ، وكنت مع ذلك آية فى الصبر على مكاره المعقوق ، فكيف أجزع وقد أمدتنى الأيام بقوة القلم والمِشرط ، كما أمدتنى بقوة الظفر والناب ؟

***

قال الزيات : الرسالة تنتظر منك مقالاً لعدد الهجرة لا تكفر فيه كما كفرت فى مقال السنة الماضية !

سبحان الله !

وأنا كفرت فى السنة الماضية ، يا زيات ؟

ألم تعلم ، يا زيات ، أن مقالى كان فرصة ذهبية لعشرات أو مئات يأكلون الخبز باسم الغيرة على الحق ؟ !

إن مقالى عن « النواحى الإنسانية فى الرسول » علّم أقواماً سهر الليالى فى البحث والتنقيب ، فكيف تبخل فلا تعد ذلك المقال من حسناتى ؟ وكيف تنسى أننى هجت به صدوراً كنت أخشى عليها الموت بالصدأ والجمود ؟

وهل تصدّق أن فى خصومى من يدرك عظمة الرسول كما أدرك ؟

إن بينى وبين الرسول صلة وثيقة هى البلاء بالدنيا والناس ، فكيف يتوهم قومٌ أنهم يغارون عليه أكثر مما أغار عليه ، وهم لا يتقدمون لنصرته إلا مدفوعين بالثمن الذى أعرف وتعرف ؟

إن فى خلق الله من يأكلون الشهد بفضل الرياء ، فكيف يؤذيهم أن نشرب أكواب الصاب والعلقم بسبب القول الصريح؟ ألم يكف ما نعانى من الإيذاء فى سبيل الصدق حتى نشرب السم من أيدى المرائين ؟

وإلى متى يستريح المرضى من أمراضهم بالصراخ ؟

ألا يتقدم الطب فيجد للمرضى علالة غير الصراخ ؟

إن الصراخ كان صوت الطفل وكان أسلوبه فى التعبير عن ألمه قبل أن يعرف النطق ، فما بال قوم يصرخون وقد علمناهم أساليب البيان بالكلام المفيد ؟

ما بال قوم يصرخون وقد هديناهم إلى النطق وشرحنا لهم الأجرومية بطريقة صوفية ؟

ما بالهم يصرخون وقد علمناهم أساليب الصبر الجميل ؟

ولكن لا بأس فالصراخ فن من التعبير عن الألم ، ولا يحس الألم غير الأحياء ، ومعنى ذلك أن مرضانا غير أموات ، ولله الحمد وعليه الثناء

قلت لنفسى : هذا زيد الذى كان يرانى من أشرف الناس ، وذاك عمرو الذى كان يرانى من أعظم الرجال ، وذلك بكر الذى كان يرانى من الأبطال ، فما بالهم ينوشوننى بلا ترفق ولا استبقاء وكنت لهم ظهيراً فى أحرج الظروف ؟

فأجابت النفس : أولئك مرضاك عاودتهم العافية على يديك فهم يشهدونك على أنهم أصبحوا من الأصحاء

فقلت : أما يملكون من التعبير غير هذا الأسلوب البغيض ؟

فقالت النفس : ألست أنت الذى قال بأن الكفر لا يكثر فى غير الأمم القوية ؟

ومن هذا الحديث عرفت أننى نقلت مرضاى من المرض إلى الصحة ، ومن الصحة إلى التمرد ، ومن التمرد إلى الجحود

أما بعد ، ولى فى كل لحظة « أما بعد » لأن ذهنى ينتقل فى عراك الأفكار من ميدان إلى ميادين بسرعة البرق

أما بعد فقد عشت دهرى زاهداً كل الزهد فى خلق المودّات والصداقات ، لأن أهل زمانى لا يرون هذه الأواصر الجميلة إلا ضرباً من ضروب المنافع ، وفيهم من يرى الشكر على المعروف أعظم من المعروف ، فلا يرضيهم إلا أن تعترف بأنك مَدين وإن طوقتَ أعناقهم بقلائد الجميل

وأنا والله راض عما يصنعون ، لأن اللغو الذى يلقوننى به من وقت إلى وقت يشهد بأنهم يملكون من الصحة ما يقدرون به على شتم الطبيب المجاهد الذى استعذب من أجلهم شقاءه بالدنيا والزمان

ولكن ما أصل البلاء الذى نعانيه من الناس ؟

يخاصمنى فريق باسم الأدب ، ويخاصمنى فريق باسم الدين

فأين يقع الحق مما يريد أولئك أو هؤلاء ؟

هل يستطيعون القول بأنهم لا يتفنون من مخاصمتى غير وجه الحق ؟

إن كان ذلك فأين ما هتفوا به من أن الشهرة التى ظفرت بها هى التى تضللنى فتحملنى على مجانبة الحق فى بعض الأحيان ؟

وهذه الشهرة هى أصل تلك الضغائن والحقود ، ولكن ما الذى أصنع وقد هربت من الشهرة مليون مرة فكانت تلاحقنى بلا هوادة ولا رفق ؟

دلونى على جريدة أو مجلة عرضت عليها أدبى بثمن أو بغير ثمن

دلونى على ناد ألقيت فيه محاضرة بدون دعوة

دلونى على عمل توليته بدون أن أستعد له بأهلية الفكر والعقل

هل سمعتم حديث الإذاعة اللاسلكية ؟

يسألنى الناس كل يوم عن سبب انقطاعى عن الإذاعة ، فأين فيهم من يعرف أن لى بمحطة الإذاعة صديقاً كريماً هو الأستاذ سعيد لطفى ؟ وأين فيهم من يعرف أن ذلك الصديق يعجب من انصرافى عن الإذاعة مع أن المستمعين يرحبون بصوتى كل الترحيب ؟ وأين فيهم من يعرف أن الحرص على الوقت هو الذى يضيع علىّ شرف التحدث إلى أصدقائى فى مصر والأقطار العربية ، مع أن لتلك الأحاديث أجراً غير قليل ، ولو شئت لجعلته أجراً غير ممنون كما يصنع بعض الناس !

وأين يضيع وقتى ؟

وهل عندى وقت يصلح للحفظ أو الضياع ؟

وهل للموظف وقت غير السويعات التى يتكلف إحياءها بين الأهل والأبناء ؟

ومن تلك السويعات أخلق الفرصة لمسايرة الحياة الأدبية فأقرأ جميع الجرائد والمجلات ، وأراجع ما يهمنى النظر فيه من المؤلفات العربية والفرنسية ، وأكتب ما أراه من الملاحظات على ما أقرأ وما أسمع ، ثم أخلو بعد ذلك إلى قلمى فى صحبة العفريت الذى سمعتم أخباره فى خطابى إلى الدكتور طه حسين !

وبهذه المناسبة أذكر أنى ركبت الترو منذ أيام فرأيت بالقرب منى فتًى يُشبه كاود ، فقطعت المسافة وأنا مرتاب فى أنه كاود ، ثم عرفت فى النهاية أنه كاود ، ولم أسلم عليه لئلا يتوهم أنى أغضيت عنه كل ذلك الوقت

فكيف قضت الأيام بأن أجهل وجه ابن أخى ، وما عرف فى طفولته أن لأبيه صديقاً أعرف منى بالود ، وأحفظ للهو ؟

ثم أرجع فأقول إن ما تقرأونه بقلمى من وقت إلى وقت هو عصارة تلك السويعات أو تلك اللحيظات ، فما غيظ بعض الناس من الشهرة التى جناها الصبر على سهر الليل ؟

الليل ؟ الليل ؟

وأين من يعرفون سهر الليل فى هذه الأيام ، السهر فى صحبة الورق والمداد ؟

كان من حق أن أصوّب سنان القلم إلى صدور من يأكلون السُّحت ، صدور الذين يأكلون الخبز باسم اللغة العربية وقد تمضى الأعوام ولا يزوّد أحدهم نفسه بكتاب ثمنُه خمسة قروش ، فضلاً عن المساهمة فى البحث والتأليف

وكان من واجب من عابوا نشاطى أن يوجهوا ملامهم إلى الكسالى الظرفاء من أمثال فلان وفلان وفلان ، وهم قوم أعطاهم الزمن حقوقاً لن أنالها ولو عُمِّرت عمر نوح ، لأن هيامى بصحبة الورق والمداد سيضيع علىّ جميع المنافع الدنيوية ، وقد أموت بسبب الكدح الموصول قبل أن يموت فلان مع أنه وُلد قبل أن يولد أبى. رحم الله أبى وأسبغ على ذلك الفلان ثوب العافية!

ثم ماذا ؟

ثم أوجه القول إلى من يتوهمون أنهم أحرص منى على الدين وأمرى مع هؤلاء عجبٌ من العجب ، فقد شقيت ما شقيت فى خدمة الدراسات الدينية ، ثم كانت النتيجة أن أتهَم برقة الدين وأن يظفروا بحسن السمعة مع أن فيهم ناساً لا يعرفون أخبار المؤلفات الدينية إلا بالسماع

إسمعوا كلمة الحق مرة واحدة ، أيها الناس

الإسلام دين العدل والتوحيد ، ولكن أين من يخدمه بلا جزاء ؟

فى « مصر الجديدة » نحو خمس وعشرين مدرسة أسسها رجال لهم عقائد من أتباع موسى أو المسيح . فهل فى مصر الجديدة مدرسة أسسها رجال من أتباع محمد ؟

وفى « شبرا » نحو خمس عشرة مدرسة أسسها رجال من ذلك الطراز . فهل استطاع أشياخنا أن يحتلوا فى « شبرا » غير مسجد واحد أنشأته إحدى السيدات المسلمات ؟

وفى أسيوط مدارس أقامها أمثال أولئك الرجال ، فهل بين علمائنا من يقول إنه قدم حجراً واحداً لبناء معهد أسيوط الدينى؟

وفى الأزهر أكثر من سبعمائة مدرس ، فهل فيهم من يرضى أن يعيش باللقمة كما يعيش المكافحون من الفرير والجزويت ولهم مدارس فى أكثر بقاع الأرض ؟

وفى مصر مدارس كثيرة تديرها الراهبات ، فهل بين علمائنا من خلق الروح الدينى فى زوجته فأنشأت مدرسة لتثقيف الفقيرات واليتيمات ؟

إن الأزهر يرسل وعاظاً لبعض الأقطار البعيدة من حين إلى حين ...

ولكن هل تعرفون مصاير أولئك المبعوثين ؟

إذا قامت حرب فى الحبشة أو فى الصين صرخوا واستغاثوا وكلفوا الدولة ردهم إلى أوطانهم فى أقرب وقت !

فهل سمعتم أن مبشراً مسيحيا ترك مقر عمله بسبب الحرب ؟

ومع ذلك يقرأ علماؤنا مقالات رجل مثلى حرفاً حرفاً ليبحثوا عن لفظة نابية يثيرون حولها الأراجيف

ومن يكون المؤمنون إذا حُرِم رجلٌ مثلى نعمة الإيمان الصحيح ؟

آه ، ثم آه ! !

الجهاد فى سبيل الأدب ضائع ، والجهاد فى سبيل الدين ضائع فماذا أصنع وقد شقيت بوطنى وزمانى ؟

من زَغب الظلم أخذت الخيوط لصياغة الورق

ومن دم الظلم أخذت الحديد لسنان القلم

ومن غضبات الظلم أخذت الكهرباء التى يطالعكم بها بيانى

وعن جنون الظلم نقلت إليكم أقباس الجنون ، وهو على سنان قلمى أشد تماسكاً من العقل

وبفضل الظلم رأيتمونى دائماً من أنصار العدل

زكى مبارك

من الذروة !

شفتاكِ أُغنيتان

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

شَــفَتَاكِ أُغْنِيَتَانِ نا ... غِمَتَانِ فى وَتَرٍ حَزِينْ
صَبَغَتْهُمَا بِلَهِيبِهـا الْ ... قُدُسِىِّ نارُ الْمُغْرَمِينْ
وَشَــدَتْهُمَا شَــبَّابَةٌ ... لِلّٰهِ طاهِرَةُ الرَّنِينْ
أَزَلِيَّــةُ الأَنْغَام تَيَّـ ... ـمَ سِحْرُها قَلْبَ السِّنِينْ
فَاهْتَزَّتَا حِيناً ، وَنُو ... رُكِ مَدَّ فَوْقَهما السُّكونْ
فإذا هُما شَفَقَانِ فى ... أُفُقٍ تَضِلُّ به الْعُيُونْ
مُتَوَهِّجَانِ عَلَى سَـنا ... كِ مِن الصَّبابَةِ وَالحَنِينْ
سَجَدَتْ لِطَيْفِهما التَّمَا ... ئِمُ فى شِفاه السَّاحِرِينْ
وَسَجَت جِراحاتُ الْمَسَا ... ءِ عَلَى قُلوبِ الحائرِينْ...
إلاَّ جِراحًا فى مَسَـا ... نِىَ صَاخِبَاتٍ بِالأَنِينْ
سُلْوَانُها شِـعْرُ الشِّفا ... هِ الصَّامِتُ النَّغَمِ الْحَزِينْ!

محمود حسن اسماعيل

خليفـــة حافظ

[بحث نشرته مجلة العصبة البرازيلية فى عددها الممتاز]

للأستاذ توفيق ضعون

لما كنتُ من عشّاق الشعر السائغ، السهل المبنى، الواضح المعنى، المؤدى صورة صادقة من عاطفة ناظمه وهدفه فى الوجود، ومن كارهى الإغراق والتعقيد ومواراة المعنى المقصود وراء أكثف الحجب التى لا تخترقها البصيرة ولا تعين على استجلائها كتب اللغة ومعاجمها، بحيث يصبح الشعر كناية عن رموز وطلاسم لا يحلها إلا الله والراسخون فى العلم — فلا بدع أننى كلما وقعت فى يدى جريدة أو مجلة رحتُ أُقلب صفحاتها علّى أعثر على سطور مشطّرة فأقرأ مطلعها راجياً أن يستدرجنى إلى قراءة ما يليه وإلا اكتفيتُ به وقلبت الصفحة آسفاً، نادماً على الوقت الذى أضعتهُ، لأن المطلع عندى بمثابة الوجه الذى قد تستهويك النظرة الأولى إليه فتقبل على صاحبه، أو تنفرك فتعرض عنه

وكان خير ما يستهوينى، نظراً إلى استيفائه الشروط المقدّم ذكرها، شعر حافظ ابراهيم، فلما ارتحل عن هذا الوجود أخذتُ أُفتش فى صفحات المجلات المصرية عن خليفة له أُجلسه على عرش إعجابى واحترامى فلا أجد، حتى وقع يوماً فى يدى جزء من مجلة الرسالة التى وجدت فيها ضالتى من حيث الأدب العالى والثقافة العميقة الدقيقة، فقلبت بعض صفحاته وإذا بى أعثر على أبيات من الشعر استهوانى مطلعها واستدرجنى إلى الإتيان عليها حتى ختامها. وكنا فى إدارة « العصبة » فرحتُ أتلو على مسامع الإخوان تلك الأبيات التى لستُ فيها روح حافظ وأسلوبه العالى الأخاذ فشاطرونى رأيى. وطفقت منذ ذلك الحين ألتمس آثار محمود غنيم الأدبية فى تلك المجلة الفنيّة بنتاج أدمغة المجلين فى مضمار الأدب فى ذلك القطر السعيد

وعلمت بعد التنقيب أن محمود غنيم مدرّس فى كوم حماده إحدى قرى الصعيد (الصواب أنها فى مديرية البحيرة) يحمّل شعره المجنح شكواه من سوء حاله وضيق مجاله، فهو يحسب نفسه سجيناً فى تلك القرية يتوق إلى الإفلات منها ولا توق الطائر الغرّيد إلى الإفلات من قفصه ولو كان من ذهب فكيف به وهو من معدن بخس وخشب. مجال ضيق وعيش على وتيرة واحدة يسئم النفس، وعشرة لا مطمع فيها للأديب الذى يؤثر تغذية روحه على تغذية جسده. وعلام أُطيل فى تصوير الحال التى هو فيها، وقد وصفها هو على أدق وأكمل شكل فى القصيدة التالية وعنوانها « كأس تفيض ». قال :

تملّلتُ دهراً بالمنى فإذا بها ... قواريرُ من مسّ الصبا تتحطّمُ
لعمرك لا أدرى على أىّ منطق ... أُشاهد فى مصر الحظوظَ تقسم
فمن يكُ ذا قربى وصهرٍ فإننى ... بمصرَ وحيدٌ لا شقيقٌ ولا حم
فلا غروَ أنى قد سكنتُ بأرضها ... كما سكنتْ أهرامها والمقطمُ

***

أيذوى شبابى بين جدران قريةٍ ... يبابٍ كأن الصمتَ فيها مخيّمُ
أكاد من الصمت الذى هو شاملى ... إذا حسب الأحياء لم أكُ منهم
وعاشرتُ أهلها سنينَ وإننى ... غريبٌ بأحساسى وروحى عنهم
يقولون : خضراء المرابعِ نضرةٌ ... فقلتُ : هبوها ؛ لست شاةً تُسوَّمُ
على رِسلكم إنى أُقيم بقفرةٍ ... يجوز على الأحياء فيها الترحم
حياةٌ كسطح الماء والماء راكدٌ ... فليس بها شئٌ يسرٌ ويؤلم
وما أبتغى إلاَّ حياةً عنيفةً ... تسرُّ فأرضى، أو تسوء فأنقم
حياةً كلجّ البحر والبحرُ زاخر ... تدوّى بها الأنواء والرعدُ يهزم
حياة بها جدٌّ ولهوٌ، بها رضًى ... وسخطٌ، لها طمانٌ : شهدٌ وعلقمُ

***

حنانيكَ إنى قد برمتُ بفتيةٍ ... أروحُ وأغدو كلّ يوم إليهمُ
صغارٌ نربيهم بمثل عقولهم ... ونبنيهمو لكننا نتهدّمُ
لأوشك أن أرتدّ طفلاً لطول ما ... أُمثل دورَ الطفل بين يديهمُ
فصولٌ بدأناها وسوفَ نعيدُها ... دواليك، واللحن المكرر يُسأمُ

فمن كان يرثي قلبه لمعذَّبٍ   فأجدرُ شخصٍ بالرثاء المعلّمُ
على كتفيه يبلغُ المجدَ غيرُه   فما هو إلا للتسلّق سُلّمُ

* * *

يقولون: منطيقٌ أغرُّ بيانُهُ   فقلت لهم: لكنّ حظيَ أبكمُ
أرى الحظَّ منقاداً لكلِّ مهرجٍ   فأما على الأكفاء فهو محرَّمُ
ألا فليسُدْ مَن شاءَ حسبيَ أنني   ضننت بماء الوجه حين تكرموا

فهل هناك ما هو أوهى من هذه القوارير التي كنى بها عن أمانيه العاثرة، وقد وصفها بكونها تتحطم من مس أخف وألطف النسمات؟ وهل هناك ما هو أدل على حقيقة الواقع من أن لا منطق على الإطلاق في توزيع الحظوظ؟ وربما صح هذا الحكم على الشهرة نفسها إذ لم يقم أديب إلا اختلف الناس في تعيين مقداره، وطالما كانت الشهرة نصيب من لا يستحقها لعوامل وأسباب لا علاقة لها بالكفاية المجردة، كأن تسخر الأقدار لغير كفء ما لا تسخره للكفء من الذيميين والمطبلين والمزمرين لهوس أو غاية في النفس. وأين نجد صورة للعزلة التامة لمقيم في القطر المصري كالأهرام والمقطم، يلي ذلك وصف الضجر والسآمة، فحياة المعلم والأدوار التي يمثلها، فالاعتصام بعد كل الشكاوى المؤلمة بالصبر والاستمساك بالأنفة والإباء؟

ثم عثرت على صورة ثانية استوثقت منها أن محمود غنيم لا يعدم تعزية، عما هو فيه مستمدة من محيا صغيريه اللذين لا يسأم مداعبتهما كلما عاد إلى منزله عودة الطائر إلى عشه طلباً للراحة والدفء والقوت وهاك ما يقوله في وصف هذا المشهد بعنوان: « حول المدفأة - أنا وابناي »:

وأطيب ساعِ الحياة لديَّا   عشيةَ أخلو إلى ولديَّا
فأُجلس هذا إلى جانبي   وأجلس ذاك على ركبتيَّا
وأغزو الشتاء بموقد فحمٍ   وأبسطُ من فوقه راحتيَّا
وأحسبني بين طفليَّ «شاهاً»   وأحسب عشيَ قصراً عليَّا
وما حاجتي لغذاء وماء   بحسبيَ طفلايَ زاداً وريَّا

* * *

فيا ليت شعري أتمتدُّ بي   حياتي فأجنيَ غرس يديَّا
وأشهدَ طفليَ حين يشبُّ   فتًى عاليَ النفس شهماً أبيّا
أبوك امرؤ من رجال الكلام   فكن أنت يا ابني امرأً عمليّا
فما احتقر الناس إلا الأديب   ولا احترمَ الناسُ إلا الغنيّا

* * *

أيا ابنيَّ أحبب بما تكسرانِ   وأهوِن بما تتلفانِ عليّا

فانظر إلى العاطفة الوالدية الصادقة المتجسمة في هذه الأبيات وأكبر معي التضحية إلى أقصى حدودها كرماً لتلك العاطفة الفياضة بالشعور والحنان، إذ ترافق عدم الإمكان الاستهانة التامة بكل ما يمكن أن يكسره الصغيران المحبوبان، أو يتلفاه إلى حد استحلاء الإضرار وتشجيعهما عليه، وما يتخلل ذلك من تمنيات وعظات.

ومما تقدم رأيت كل الجمال في روح محمود غنيم. على أني افتقدته في رسمه القاتم في بعض صفحات «الرسالة» شاهداً على أن لا علاقة ألبتة بين المظهر والمخبر، ولكن حبذا الدمامة في الخَلق إذا كانت ترافقها مثل هذه الوسامة في الخُلق. وعلام أشكو مما يزيد غنيماً شبهاً بحافظ كما يزيد ترشيحه لخلافته تبريراً!

هذا هو محمود غنيم الذي أقدمه الآن لقراء العصبة فخوراً بأنني أقدم شاعراً مجيداً، إذا لم يضارع حافظاً في أصيله فإنه يجاريه في ضحاه، وها حاضره يبشر بمستقبل ربما كان أخصب وأجدى. ومما يرجح كفته في نظري هو عقم محيطه بالنسبة إلى محيط حافظ أيام كان يطلق صيحاته وأغاريده في القاهرة حيث المجال الرحب والموحيات والمستثيرات على أنواعها، وكلها مما يفجر الشاعرية، ويبعث الكوامن ويعين على الإجادة. أضف إلى ذلك أنه منذ البداءة حافظيٌّ في تأنقه وتدقيقه وبراعته في تخير الألفاظ والبحور والقوافي التي تماشي روح القصيدة، وتكسبها خاصة الإعراب عن مرامي ناظمها، وتساوق حركات وسكنات الحدث الذي تدور عليه أو المناسبة التي اقتضتها

أما مستندي فما سبق وما سيلي مما اقتبسته واجتزأت به مكرهاً بداعي ضيق المجال، من بضع قصائد احترت في ما أختاره وما أهمله من أبياتها الحسان، وهذا بذاته يدعو إلى الإعجاب بخصب

قريحة الشاعر وسعة اطلاعه ومقدرته على الإجادة ، حتى فى أتفه الموضوعات المطروقة وأبعدها عن استرعاء الالتفات ؛ إذ يغلب فى الشعر أن يكون الجيد منه هو الأندر ، فكيف وقد رأيت الندرة نصيب ما يمكن الاستغناء عنه على رغبتى فى الاختصار تفادياً من التطويل وخشية الملل ؟

شعر تصويرى سداه الدقة ، ولحمته الأمانة فى الأداء ، ونزعة حرة ، وفكر طليق من سيطرة الأوهام ، وخيال واسع يتغلغل فى الأعماق ويكشف الخفايا ، ونفس طموح لا يكبح جماحها إلا الإباء المستحب .

اسمعه يصف راتبه بأبلغ ما يدل على سهولة وسرعة التفلت وقلة الوفاء بالحاجة ، ويجيد التخلص إلى نصيحة غالية يسديها إلى أبناء قومه محذراً إياهم من عواقب الوكل ، وكارهاً لهم الأعمال ذات الكسب المحدود :

ولى راتب كالماء تحويه راحتى ... فيفلت من بين الأصابع هاربا
إذا استأذن الشهر التفت فلم أجد ... إلى جانبى إلا غريماً مطالبا
فقل لشباب النيل قالة ناصحٍ ... تعافُ له أخلاقه أن يواربا
إذا مصر لم ترفع قواعد مجدها ... بساعدها لم تقض منه مآربا
وإن نك فى كل المرافق عالة ... على غيرنا عشنا بمصر أجانبا

* * *

وهناك مطالب أخرى لم تفته فى أيها الإجادة المبتغاة . فمن قوله مخاطباً ملكة الجمال المالى المصرية بعنوان « ملكة الجمال » بيتان ضمنهما نزعته الاستقلالية ، هما :

كم عاهل ذى سطوة لم يفتتح ... قلباً وإن فتح المدائن والقرى
ما للمها فى مصر تحكم عالماً ... والليث يعجز أن يعيش محرراً

* * *

وما هى إلا فترة من الزمن حتى يتجلى غنيم فينزع عنه أطمار التذمر والشكوى ويرتدى وشاح الحكمة والاختبار ويتسنم منصة الوعظ والإرشاد ، مصوراً حقيقة الحياة ، ومزيلاً انخداع للبشر بأنفسهم ، ومبطلاً ما يدعونه عادة من عفة وتقشف ، ويرشحون ذواتهم من أجله لسكنى دار الخلود ، كما يضرب الرياء والتظاهر ضربة قاضية ، إذ يقول بعنوان « المادة » :

فتشت بين الناس عن زاهدِ ... فلم تقع عينى على واحدِ
ما أزهد المرء إذا لم يجد ... وأبعدَ الزهدَ عن الواجدِ
فقيمةُ الشعبِ إذا قستها ... بقيمة الصادرِ والواردِ
قد يُحسد المرء على رزقهِ ... ولا أرى للفضلِ من حاسد
لم يخترِ الناس دياناتهم ... بل أخذوا بالمذهب السائد
ليس جمالُ الطبع فى غادة ... مثل جمالِ اليدِ والساعد
يا زاعم العفةِ فى حبه ... ما تبتغى من كاعب ناهد ؟
لم يتقِ الله امرؤ للتقى ... بل لنعيم الجنة الخالدِ
لولا جمال الحور ما لامست ... أرض المصلى جبهة الساجد
هل كنت تلقى فى الورى ساعيا ... لو كان يسعى الرزق للقاعد
سيان من يسعى إلى قوته ... بالسلب أو بالوَرع الزائد
كم لحية أجدى على ربها ... من ألف سهم بيد الصائد
صاحِ دع الروح ودع قدسها ... نحن عبيد الجسد الفاسد

* * *

فإذا وقفته على الشاطئ الرملى فى الإسكندرية يمتع طرفه بمرأى المستحمات ويشبع نهمه من محاسنهن خلع العذار وأجاد فى وصف ذلك المشهد البديع وسال رقة بمقطعات غزلية موشاة منمقة مطرزة كأنها بستان فيه من كل فاكهة زوجان . وهذا بعضها :

أعوارٍ تلك الدُمى أم كواسى ... بلباسٍ يفصّل الأجساما ؟
لا وقاه الله البلى من لباسٍ ... إنه كان واشياً نماما

* * *

أيها المشتكى من الإقلالِ ... متّع النفسَ بالجمال متاعا
لم يُبيحوا لنا شيوعَ المالِ ... وأباحوا لنا الجمال مشاعا

* * *

لا تضيّقوا بالمعصم المكشوف ... وتقولوا : خير الجمال المصونُ
ما غناء الشذى بغير أنوفٍ ؟ ... قيمةُ الحسن أن تراهُ العيون

وانظر إلى رشاقته فى وصف راقصة أخذت عقله بخفتها ومرونة أعضائها وحسن تثنيها إذ يقول :

كأن تحت إخمصيها جمرة مشتعله
باسمةٌ يحسبها كل فتى تبسم له
أبدلها خالقها بكلٌ عظمٍ عضله
جسم كوج عيلم تسبح فيه الأخيله
تحسب فيه كل عضوٍ وحدةً منفصله
فى مرقص لا يعرف الهم فؤاد نزله
الهمُ فيه واقفٌ خجلان يُخفى خجله
دعنى أضلُ ساعة عبء التقى ما أثقله
ما كنت من أهل المسوح والذقون المسبله
كم ورعٍ مصطنعٍ وعفةٍ مفتعله

* * *

وأخيراً انظر إليه فى النقد الصائب واللوم العادل والتنبيه إلى الواجب ، إذ يصف بنى قومه الذين يترسمون خطى الغرب دون تخير أو استثناء :

يترسمون الغرب حتى يوشكوا أن يعبدوه عبادة الأصنام
ما قلدوهم مبصرين وإنما تبعوا نظامهمُ بغير نظامِ
ما صاغ ربك من نضار خالص شعباً ، وشعباً من حصىً ورغام

* * *

هذا الكثير المختار من بضع قصائد عامرة قليل من كثير ، ولعمر الحق إن شاعراً تقع له مثل هذه الإجادة وتصاد من ساحله كل هذه الدرر، لهو بحر زاخر لا يجوز أن نطمره أو نضع فى سبيله الحواجز والسدود ، بل يجب أن نهيء له الحياة التى اختارها وأحسن وصفها فيما سبق لى نقله من أنات آلامه وحشرجات شكاويه ولعل هذا الصوت الضعيف يصل إلى آذان القادرين من إخواننا المصريين ، فيجد صدًى فى نفوسهم يستفزهم إلى إنصاف هذا الشاعر المجيد المغبون فيعود إلى مصر حافظها متقمصاً فى شخص محمود غنيم .

توفيق ضعون

الربيـــع

فى باريس

نظم الشاعر هذه الأغنية وهو موجع الجنب ، سنة ١٩٢٨ ؛ ثم نظر فيها وزاد عليها . وفى المقطع الثانى من القصيدة إشارة إلى انبثاق الربيع فى باريس بعد طول حبس الشتاء له ، وإشارة إلى الثلج المغشى وجه الأرض يمحوه الربيع فيعيد المعالم .

عانقِ العـودَ وهاتِ همْسَ أنغامِ الشكاةِ
خفِّفِ اللَّمْسَ عن الأو تارِ واضرِبْ فى أناةِ
كلُّ ما رنَّ وبثَّ الـهمَّ نَبْضٌ من فؤادى

يا ربيعاً واثباً كالنَّهْدِ من ظُلْمِ حِجابِ
ناثراً فوق مشيبِ الأرْضِ آياتِ الخِضابِ
هَدأ الحظُّ به هَدْ أةَ حيرانَ بهادِ

يا ربيعاً ناسجاً أسْرارَ تَحنانِ الفتاةِ
حولَ أثمارٍ رِطابٍ تَتدلّى داعياتِ
فرِح الطَّيْشُ به فَرْ حةَ محرومٍ بزادِ

عُطِّلَتْ عيدانُك الغُنُّ بتردادِ عِتابى !
جئتَ كالفجرِ يُعانى خدُّه جَهْمَ الضَّبابِ
جئتَ باللهوِ فؤاداً طاحَ مسلوبَ القيادِ

عانقِ العـودَ وهاتِ همْسَ أنغامِ الشكاةِ
خفِّفِ اللَّمْسَ عن الأو تارِ واضرِبْ فى أناةِ
كلُّ ما رنَّ وبثَّ الـهمَّ نَبْضٌ من فؤادى

باريس بشر فارس

٢ - لقب السفاح

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

نقل الأستاذ العبادى البحث فى هذا الموضوع إلى ميدان آخر غير الأول ، فأنكر أن يكون السفاح لقباً لأبى العباس ، وذهب إلى أنه لقب عمه عبد الله بن على واليه على الشام ، وحجته فيما ذهب إليه من ذلك تنحصر فيما يأتى :

١ — أن الرواية التاريخية القديمة كرواية ابن سعد وابن عبد الحكم والبلاذُرىّ وأبى حنيفة الدِّينَوْرِىّ وطَيْفُور واليعقوبى والطبرى والنُّوبَخْتىّ والكندىّ لم تلقب أبا العباس بالسفاح ...

٢ — أن تلقيب أبى العباس بالسفاح من رواية المؤرخين الأدباء كالجاحظ وابن قتيْبةَ والأصفهانى

٣ — أن رواية ابن سعد واليعقوبى وصاحب أخبار مجموعة وصاحب الإمامة والسياسة تجعل السفاح لقباً لعبد الله بن على عم أبى العباس

٤ — أنه رجع إلى سيرة أبى العباس قبل الخلافة وبعدها فلم يجد فيها ما يسوغ تلقيبه بالسفاح بمعنى القتال ؛ أما سيرة عمه عبد الله وما سفكه من دماء بنى أمية بالشام فتسوغ له ذلك اللقب

ونحب أن نبين ما فى هذه الحجة الأخيرة من غفلة ظاهرة ، قبل أن نعنى برد ما قبلها من الحجج ، فإن أبا العباس هو الذى سلط عمه عبد الله بن على على بنى أمية بالشام ، فهو مسؤول عن كل ما فعله معهم ، وشريكه فى الدماء التى سفكها ، والنفوس التى أزهقها ، على أن أقسى ما فُعل مع بنى أمية مختلف فى نسبته إليه أو إلى عمه عبد الله بن على ، وهو ما روى أن شبل بن عبد الله مولى بنى هاشم دخل على أبى العباس أو عمه عبد الله على اختلاف الروايتين ، فوجد عنده عدة من بنى أمية نحو تسعين رجلاً ، وقد اجتمعوا عند حضور الطعام ، فأنشده :

أصبح المُلكُ ثابت الآساسِ ... بالبهاليلِ مِنْ بنى العباسِ
طلبوا وِتْرَ هاشمٍ فشفوْها ... بعد مَيْل من الزمان ويأسِ
لا تُقيلنّ عبد شمس عِثاراً ... واقطعَنْ كل رَقلةٍ وغِراس
ذُلُّها أظهر التوَدُّدَ منها ... وبها منكم كحَدّ المَواسِى
ولقد ساءنى وساء سوائْى ... قربهم من نمارق وكراسى
أنزلوها بحيث أنزلها اللـ ... ـهُ بدار الهوان والإتعاس
واذكروا مصرع الحسين وزيد ... وقتيل بجانب المِهْراس (١)
والقتيل الذى بحرّان أضحى (٢) ... ثاوياً بين غُرْبةٍ وتَناس

فأمر بهم أبو العباس أو عبد الله فضربوا بالعمد حتى وقعوا ، وبسط عليهم الأنطاع ، ومد عليهم الطعام ، وأكل الناس وهم يسمعون أنينهم ، حتى ماتوا جميعاً

وإذا لم يكن أبو العباس هو الذى فعل ذلك فقد سلط عمه عبد الله عليه ، وافتخر به فى بعض أحاديثه ، ونسب ما حصل لبنى أمية من القتل والتمثيل إلى نفسه ، فروى المسعودى أنه لما أتى برأس مروان بن محمد آخر ملوك بنى أمية ووضع بين يديه ، سجد فأطال ، ثم رفع رأسه فقال : الحمد لله الذى لم يُبق ثأرى قِبلك وقبل رهطك ، الحمد لله الذى أظفرنى بك وأظهرنى عليك ، ثم قال : ما أبالى متى طرقنى الموت ؟ قد قتلت بالحسين وبنى أبيه من بنى أمية مائتين ، وأحرقت شِلْوَ هشام بابن عمى زيد بن على ، وقتلت مروان بأخى إبرهيم ، وتمثل :

لو يشربون دمى لم يُروِ شاربُهم ... ولا دماؤُهم للغيظ تُرْوينى

ثم حول وجهه إلى القبلة فأطال السجود ، ثم جلس وقد أسفرَ وجهه ، وتمثل بقول العباس بن عبد المطلب من أبيات له :

أبى قومنا أن يُنصفونا فأنصفتْ ... قواطعُ فى أيماننا تقطرُ الدَّما
توورثْن من أشياخِ صِدْقٍ تقربوا ... بهن إلى يوم الوَغى فتقدَّما
إذا خالطتْ هام الرجال تركنها ... كبيض نعام فى الوغى مُتحطِّما

ومن يقرأ هذا يجزم بأن أبا العباس كان يحمل قسطا كبيراً من دماء بنى أمية مثل عمه عبد الله أو أشد ، لأن كل هذا الذى سفك من دمائهم لم يكن بحيث يروى ما عنده من الحقد

(١) هو ماء بأحد قتل عنده حمزة بن عبد المطلب
(٢) هو إبراهيم الامام أخو أبى العباس

ولقد كان له سفاح آخر نسيه المؤرخون ، ولم يكن بأقل من عبد الله بن على سفكاً للدماء ، ذلك هو سليمان بن على أخو عبد الله وعم أبى العباس ، فقد ولاه البصرة وسلطه على من كان بها من بنى أمية ، فقتل من كان بها منهم ، وألقاهم فى الطريق فأكلتهم الكلاب ، وكذلك سلط عمه داود بن على على من كان منهم بالحجاز فسفك دماءهم وأفناهم

وقد تولى هو بنفسه سفك بعض من الدماء أيضاً ، ومن ذلك دم سليمان بن هشام بن عبد الملك ، فإنه كان قد وفد عليه من الشام فرحب به وقربه واستلطفه ، للذى كان بينه وبين ابن عمه مروان بن محمد ، فكان سليمان يختلف إلى مائدة أبى العباس فى كل يوم ، فيتغدى معه ويتعشى ، وكان كأحد وزرائه أو فوقهم ، وكان يجلس أبا جعفر عن يمينه وسليمان عن يساره ، وما زال هذا شأنه حتى دخل سديف بن ميمون مولى بنى العباس فأنشده :

لا يغرّنك ما ترى من رجال إن تحت الضلوع داء دويّا
فضع السيف وارفع السوط حتى لا ترى فوق ظهرها أمويّا

فأمر أبو العباس بسليمان فقتل ، ونسى ما كان من أمانه وإكرامه له ، وكذلك قتل وزيره أبا سلمة الخلال ، ولم يكن له ذنب عنده إلا اتهامه بالميل لبنى على ، وأمر أيضاً بقتل ابن هبيرة بعد أن أخذ عليه من الأمان ما أخذ ، فلما مضوا نحوه خر ساجداً وقال : ويحكم نحّوا عنى هذا الصبى لا يرى مصرعى ، فضربوه حتى مات ساجداً

ويطول بنا الكلام لو ذهبنا نستقصى ما سفك أبو العباس وأعمامه وإخوته من الدماء ، ولقد كانوا كلهم شركاء فيها ما عدا سليمان بن على ، فإنه كان أحنّهم على بنى أمية ، وكان يكره سفك دمائهم ، ويجير كل من استجار به منهم ، حتى كان أبو مسلم يسميه كنف الأمان ، وهو الذى كتب فى بنى أمية إلى أبى العباس : يا أمير المؤمنين ، إنا لم نحارب بنى أمية على أرحامهم ، وإنما حاربناهم على عقوقهم ، وقد دفّت إلى منهم دافّة لم يشهروا سلاحاً ، ولم يكثروا جمعاً ، فأحب أن تكتب لهم منشور أمان . فكتب أبو العباس منشور أمان لهم ، وقد مات سليمان وعنده بضع وثمانون حرمة لبنى أمية(١)

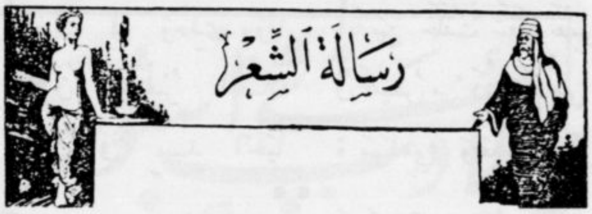
فهذا هو العباسى الوحيد الذى كره سفك الدماء ، ولم يكن يباهى بسفحها كما باهى أبو العباس وغيره من أعمامه وإخوته ، وهو الذى كان يصح أن يهتم الأستاذ العبادى بنفى لقب السفاح عنه لو ألصق به ، أما أبو العباس فإن سيرته بعد الخلافة طافحة بسفك الدماء ، ومن التجنى على التاريخ أن يقول الأستاذ العبادى إنه رجع إلى سيرته قبل الخلافة وبعدها فلم يجد ما يسوغ تلقيبه بالسفاح بمعنى القتال ، وهو فى هذا أشد من أبي العباس غيرة على نفسه ، أو كما يقولون: ملكى أشد من الملك ، لما سبق من تباهى أبى العباس بسفك الدماء ، ومن وصفه نفسه فى بعض خطبه بما لا يرضى الأستاذ العبادى أن يوصف به

وسنبين للأستاذ العبادى كيف اختلفت الروايات بعد هذا فى لقب السفاح بين أبى العباس وعمه عبد الله ، وليكن هذا فى مقالنا الآتى

عبد المتعال الصعيدى

---

(١) هكذا روى عنه صاحب العقد ، وهو ينافى ما ذكرناه من قتله من كان من بنى أمية بالبصرة ، وأنه ألقاهم فى الطريق فأكلتهم الكلاب ، فلعل هذه الشفقة أدركته أخيراً عليهم



وحدة

للأستاذ أمجد الطرابلسى

ز أيها الحائر عبْرَ المدى   على جناح الزمن الدائرِ
صرخْ، وشُقّ الجوّ قبل الصّدى   وامخرْ عبابَ الأفق الباهر
ابحثْ عن السّلوى وناج الهدى   هيهات ! ما نجرك بالسافر
هل من وراء البحث إلا الرّدَى ؟
فما ضياع العمر فيه سُدَى ؟
كما ذوَى الوردُ وجفّ الندَى ...

نتَ الذى من قبل أن يولدا   قُدّرَ أن ينزلها أوحدا
والغدُ مثلُ الأمسِ والحاضرِ ...
فما الذى تَنْشُدُ يا شاعرى ؟

يحك أنّي ساورتك الهمومْ   والجرح يسلو ههنا مَوْجِعَه ؟
ى عرسِ الدنيا تَمَلُّ الوجوم !   حيث تُجَنُّ الأكؤسُ المترعه
حيث اللذاذات تؤز الجسوم   والنور يغرى الظلمة المفزعه
فأين ترجو أن يكون النعيم ؟
يا ابن التوانى وسليل الرميم !
فى اليمّ ، أم فوق ظهور النجوم ؟

نت الذى من قبل أن يولدا   قدّر أن ينزلها أوحدا
والغد مثل الأمس والحاضر ...
فما الذي تنشد يا شاعري

حيران يا حيران ! أين الضياء   إن لم يكن حيث تَشَكَّى العمى؟
الحسن والحبُّ وسِرُّ الهناء   حيث ترَى هذا المدى المظلما ...
انظر إلى حولك يا ابن الفناء   فالوردة الحمراء ليست ... دما !
تدوس نعلاك كنوزَ العزاء
وأنت تمضي ناظراً للعلاء
فما الذى ترجوه عند السماء ؟

أنت الذى من قبل أن يولدا   قدّر أن ينزلها أوحدا
والغد مثل الأمس والحاضر ...
فما الذي تنشد يا شاعرى ؟

أمسِ لدي الأهل وبين الصّحاب   كنت تُحِسّ السّأمَ الراعبا
فى صفحةِ الجدول تَلْقى السّراب   وفى الجِنانِ العَدَمَ الشاحبا
واليومَ، فى دنيا الهوي والشباب   تشتاقُ ذاك الألمَ الذاهبا
لاراحة ... لافرح ... لاعذاب !
تزيح كفاك ستورَ الضَّباب
فى زَحمة النور البَهِيِّ المُجاب

أنت الذى من قبل أن يولدا   قدّر أن ينزلها أوحدا
والغد مثل الأمس والحاضر ...
فما الذى تنشد يا شاعرى ؟

كرعتَ مما زعموه الجمالْ   وخُضْتَ للسّلوى خِضَمَّ البشرْ
شاطرتَهُمْ نُسْكَهُمُ وَالضَّلالْ   فمنك فى كل مكان أثر
ياليت شعرى ! بعد طولِ النضال   هل قد سلا قلبُك.. أم هل شَعَر؟
أنىَّ ! ولو نلتَ بعيدَ المنالْ
وهِضْتَ فى التّحليق جُنْحَ الخيالْ
فأنت فى كهفكَ رهنُ الحِبالْ

أنت الذى من قبل أن يولدا   قُدّر أن ينزلها أوحدا
والغد مثل الأمس والحاضر ...
فما الذى تنشد يا شاعري ؟

الصخرة الصّماء بين الصّخَرْ   جرداء لكنْ لا تَعى قَفْرَها
سيّانِ حيّاها النّدى فى السّحَرْ   أم ألهبَ الحرُّ ضحَى ظَهرَها
ياسعدها ! ليستْ تُحس الكدَرْ   لا ساءها القحطُ ولا سرّها !
وأنت في قفرك رهن الفِكَرْ
تلمس بالكف طيوف الضَّجَر
يا ويل قلبٍ لم يُصَغْ من حَجَر ... !

أنت الذى من قبل أن يولدا   قُدّر أن يَنْزِلها أوحدا
والغدُ مثل الأمس والحاضر ...
فما الذى تنشد يا شاعرى ؟

« باريس »   أمجد الطرابلسى

اثنان فى سيارة

للدكتور ابراهيم ناجى

مِن أى أكوان وأى زمان   يا ساعةً بسطت ظلال أمان

هل كنت حين هبطت غير ثوانى   ومداك فوق الظن والحسبان !

العمر أكثره سدى وأقله   صفوٌ يتاح كأنه عُمران !

كم لحظة قصُرتْ ومدت ظلها   بعد المغيب كدوحة البستان

وتمر فى الذكرى خيال شبابها   فكأن يقظتها شباب ثان !

مَنْ ذلك الطيف الرقيق بجانبي   كفاه فى كفى هاجعتان !

إنى التفتّ إلى مكانك بعد ما   أخليته فبكيتُ سوء مكانى !

لكأننا والأرض تطوى تحتنا   نجمان فى الظلماء منفردان !

لكأننا والريح دون مسارنا   خطان فى الأقدار منطلقان !

هل كان ذاك القرب إلا صيحة   همّتْ بها شفتان ترتجفان

هل كان ذاك القرب إلا لوعة   ونداء مسغبة إلى حرمان !

والناس مُستبقون كلٌّ يبتغى   غرضاً يكافح دونه ويعانى

حُمّى مقدرة على الإنسان   تبقى بقاء الأرض فى الدوران

وكأنما هذى الحياة بضوئها   وضجيجها ضربٌ من الهذيان

يا سرها ! . . .

للأديب محمود السيد شعبان

يا سِرّها . . . أنا عَابِدُ الـ   أسْرَارِ فى مَلَكُوتِ قلْبِي !

أنا مَنْ سَكَبْتُ الرُّوحَ قُرْ   باناً عَلَى محْرَابِ حُبِّي . . .

إنْ كُنْتُ أهْوَى فيكَ أحْ   لاَمِى فَمَا حُبِّيكَ ذَنْبِي !

مِنْ طُولِ حِرْمَانِي أنِفْـ   تُ تَعَاسَتِي وَعَشِقْتُ جَدْبي !

***

يا سِرّها . . . مَنْ لِلْخُلو   دِ سِوَاكَ يا ابْنَ النُّورِ مَنْ لَهْ ؟

أشْرَقْتَ فى التَّاريخِ يحْـ   دُوكَ الهَوَى فَجَمَعْتَ شَمْلَهْ

وَأضَأْتَ لِلأزَلِ الخَفِـ   ـيِّ طَرِيقَهُ فَهَدَيْتَ عقْلَهْ . . . !

عَيْبُ الهُدَى أنَّ الهُدَا   ةَ عَلَيْكِ يا دُنْيَايَ قِلّهْ !

***

يا سِرّها . . . أهْـوَاكَ لَـ   ـكِنِّي أخَافُ عَلَيْكَ تَعْسِي !

أرْجُوكَ لِي وَحْدِي وَمَا   أنَا مَنْ خلقْتُ شَقَاءَ نَفْسِي

ظَمْآنُ وَالخَمْرُ الحَلا   لُ تَفيضُ مِنْ دَنِّي وَكَأْسِي !

ضَيَّعْتُ فى بِيدِ الحَيَا   ةِ مَوَاهِبِي وَنَقَدْتُ حِسِّي

***

يا سِرّها . . . مَنْ لِي سِوَا   كَ إذَا تَرَكْتَ القَلْبَ وَحْدَهْ ؟

لاَ الوَهْمُ يُؤْنِسُهُ وَلاَ الدّ   نيَا تَرُدُّ عَلَيْهِ سَعْدَهْ . . .

أشْقَاهُ أنَّ الوَحْدَةَ الْـ   خرْسَاءَ تَرْعَى اليَوْمَ عَهْدَهْ !

يا لَيْتَ مَنْ يَهْوَى تَصُو   نُ وِدَادَهُ وَتَحُفُّ مَهْدَهْ . . . !

***

يا سِرّهـا . . . أنَا تَائِهٌ   ضَلَّ السَّبِيلَ إلى مَرَادِكْ

أنَا شَاعِرٌ شَاقَتْـهُ أطْـ   ـيَافٌ تَرِفُّ عَلَى مِهَادِكْ !

أنَا عَابِدٌ فِي هيْكَلِ الْـ   أشْوَاقِ حَنَّ إلَى وِدَادِكْ !

أهْوَى الحَقِيقَةَ فِيكَ فَاجْـ   ـمَلْ مِنْ حَيَاتِي بَعْضَ زَادِكْ !

***

يا سِرّها . . . فِي مَعْبَدِ الْـ   أَلْحَانِ قَدْ بَارَكْتُ رُوحِي !

وَمَضَيْتُ وَحْدِي فِي الحَيَا   ةِ تَئِنُّ مِنْ ألَمٍ جُرُوحِي !

حَيْرَانَ أحْمِلُ عِبْءَ آ   مَالِي وَأكْبَحُ مِنْ جُمُوحِي !

الجَدْبُ أتْعَسَنِي وَمَا   مِنْ قَبْلُ أسْعَدَنِي طُمُوحِي !

***

يا سِرّها . . . هاتِ النَّعِيـ   ـمَ بِجُرْعَةٍ لِي مِنْ دِنَانِكْ !

وَاسْكُبْ عَلَى قَلْبِي الحَنَا   نَ فَقَدْ ظَمِئْتُ إلَى حَنَانِكْ

وَامْسَحْ بِكَفِّكَ كُلَّ آ   لاَمِي لأسْعَدَ فِي زَمَانِكْ

مَا لِلشَّقِيِّ طَغَتْ عَلَيْـهِ الْـ   ـمَادِيَاتُ سِوَى أمَانِكْ !

***

يا سِرّها . . . قَدْ ضَلَّ بِي   أمْسِي فَجِئْتُ إلَيْكَ وَحْدِي !

وَدَّعْتُـهُ وَمَضَيْتُ يَـ   ـدْفَعُنِي إلى دُنْيَاكَ وَجْدِي !

النُّورُ مِلْءُ دَمِي فَكَيْـ   ـفَ أضِلُّ يا نَجْوَايَ قَصْدِي ؟!

وَالحُبُّ ؟ . . . هَلْ كَانَ الهَوَى   إلاّ أنَاشِيدِي وَمَجْدِي ؟ !

***

يا سِرّها . . . أنا عَابِدُ الـ   أسْرَارِ فِي مَلَكُوتِ قَلْبِي !

أنا مَنْ سَكَبْتُ الرُّوحَ قُرْ   باناً عَلَى مِحْرَابِ حُبِّي . . .

إنْ كُنْتُ أهْوَى فِيكَ أحْ   لاَمِي فَمَا حُبِّيكَ ذَنْبِي

مِنْ طُولِ حِرْمَانِي أنِفْـ   تُ تَعَاسَتِي وَعَشِقْتُ جَدْبي !

الأدب في أسبوع

الشعر والشعراء

أخشى أن يكون أهمُّ أركان الشعر إحساسُ الشاعر بمعانيه إحساساً كاملاً نافذاً متغلغلاً، لا يدعُ للمنطق العقلى المجرّدِ عملاً فى تكوين شعوره. وليس معنى ذلك أن يَتَعرَّى الشعر من المنطق العقلى المجرد، بل معناه أن ينقلب المنطق العقلى — بكماله وتمامه وقوته واستوائه واستقامته — حاسةً دقيقة مدبِّرة تعمل فى حياطة الإحساس والقيام عليه وتصريفه فى وجوهه على هُدًى لا يضل معه، فلا يشرُد عن الغرض الذى يرمى إليه فى التعبير عن الصور التى تنشأ لهذا الإحساس. وإذن فأكبرُ عمل المنطق العقلى فى الشاعر — أن يُعِدَّ الإحساسَ، بما ليسَ لَهُ من الاستواءِ والاستقامةِ والسدّاد، وكذلك تتداعى إليه الألفاظُ التى يريدُ التعبير بها مقترناً بعضها إلى بعض، بحيث لا تخرج هذه الألفاظ فى الكلام حائرة قلقة، تجول فى عبارتها من انقطاع الرباط الذى يربطها بالمعانى التى أحسها الشاعر، فهاجته فغلبته فأراد التعبير عنها تعبيراً صافياً مهتزاً متغلغلاً قوياً، فيه صفاء الإحساس واهتزازه وتغلغله وقوته

وأداة المنطق العقلى هى اللغة، والعقل بغير اللغة لا يستطيع أن يستوى ويتسلسل ويتصل، ولا أن تتدفق معانيه فى مجراها الطبيعى.

فالمنطق العقلى كما ترى هو خزانة اللغة التى تموّل الإحساس، فهو يتقاضاها ماتستطيع أن تمده به من المادة التى تمكنه من الظهور والانتقال. فربما أخذ من اللغة ما هو «موصل ردىء» للاحساس، وربما أخذ منها ما هو «موصّل جيد» يستطيع أن يسرى فيه إلى قارئه أو سامعه. فإذا عرفت هذا أيقنت أن الشعر يتصل أول ما يتصل بإحساس قارئه وسامعه، فيهزه بقدر ما تحمل ألفاظه من إحساس قائله. فإذا أخفق أن يكون أثره كذلك، فرجع هذا إلى أحد أمرين :

إما أن الشاعر لم يُوَفَّق إحساسُه فى الاستمداد من لغته – ما يطابق الإحساس ويكون «موصّلاً جيداً» له ؛ لأن منطقه العقلى لم ينبذ إليه من مادته ما هو حق المعانى التى يتطلبها إحساسه، هذه واحدة. أو لأن مادة هذا المنطق العقلى أفقر من إحساس الشاعر، فهى لا تملك عندها ما يكفى للتعبير عن إحساسه، فهذه أخرى. ولهذه العلة الأخيرة تجد كثيراً من عامة الناس ليسوا شعراء، ومع ذلك فربما كان أحدهم أدق إحساساً وأعمق وأعنف، ويكون إحساسه أحفلَ بالمعانى وأغنى، وإنما يقطعهُ عن الشّعر هذه العلّة، وهى فقر المنطق العقلى من اللغة التى هى مال له. أو انقطاع المنطق العقلىّ دون الوصول إلى المنطقة التى ينقلب فيها هذا المنطق – بكماله وتمامه وقوته واستوائه واستقامته – حاسة دقيقة مدبّرة تعمل فى حياطة الإحساس والقيام عليه وتسديده للغرض الذى يرمى إليه فى التعبير عن معانى الإحساس، كما قدمنا آنفاً.

وأما الأمر الثانى – الذى يُخفِقُ بسببه الشعر فى التأثير – فرَدُّهُ إلى القارىء أو السامع. فإذا كان إحساسُ السامع أو القارىء ضعيفاً بليداً غثًّا، فمهما يأتِه من شعر حافل قوىّ عنيف دقيق العبارة عن إحساس شاعره – فهو لديه شىءٌ فاترٌ ضعيفٌ لا يهزّه ولا يبلغُ منه ولا ينفذُ فيه ؛ وهذا الضرب من العامة الذين لا يتأثرون بالشعر لا يُعتد بهم ولا ينظر إليهم، ولكن هناك ضربٌ آخر يكون بليغ الإحساس جيد التلقى، صالحاً للتأثر بما ينتقل إليه من هزة الإحساس فيهتزّ لها ويطرب، وقد يكون مع ذلك خِلوًا من اللغة التى يعبّر بها الشعر، إذ ليس له منطقٌ عقلىٌّ سامٍ متخير للكلام يختزن اللغة لنفسه إذا فكّر، ولفهمه إذا حُدث أو أُنشد ؛ فهو ربما سمع الشعر الجيد فلم يبلغ منه المبلغ الذى أُريد له هذا الشعر، وكثر هؤلاء فى عصرنا هذا حتى سقط الشّعر ولم يحفلْ به إلا قليلٌ ؛ وهم لم يكونوا كذلك إلا لفساد التعليم وقلة احتفاله باللغة وبيانها وأسلوب مجازها، ولأن الجهلاء والسخفاء هم سوادُ الناس ؛ وفساد الطبائع فيهم راجعٌ إلى هذين : فمخالطة الجهالة تورث الجهالة والخبال، وترك التعلُّم وسوء التعليم ذريعةٌ مفضيةٌ إلى الجهل والبلادة، فكيف — مع هذين — يخلص أحدهم من فقر العقل وبلادة التأثر بالشعر البليغ الحافل بالإحساس المشبوب العنيف ؟

فأنت ترى : أن اللغة المتخيرة المرصدة للتعبير عن الإحساس تعبيراً مسدداً بالمنطق العقلى الذى لا يزلّ على مدارج المجاز فتنقطع صلاتُه بحقائق المعانى التى وضعت لها هذه الألفاظ اللغوية ... ، ثم المنطقُ العقلى الذى يختزن هذه اللغة ، ويستطيع أن يتحوّل حاسة دقيقة مدبرة تقوم على الإحساس وتحوطه من الضلال ... ، ثم المعانى التى يتمثلها إحساس الشاعر حين يَهيجه ما يؤثّر فيه تأثيراً قوياً عنيفاً - هذه الثلاثة هى ، مادة الشعر الجيد ، فإذا سقط أحدها أو انحط أو ضعف ؛ سقط الشِّعرُ بسقوطه أو انحط أو ضعف

وأنا أقول : إن أكثر شعر العصر العربى الحاضر قد انحط وضعف وسقط ، لأن أكثر الشعراء قد بلغ منهم العيب مبلغاً أفسد كل ما يعتدُّ به من آثار « الشاعرية » التى بقيت فيهم ؛ ولم يخلص لأحد منهم جميع هذه الثلاثة التى ذكرنا . ولكن بقى لشاعرين أو ثلاثة ما يمكن أن يُلحقهم بأهل الرتبة الأولى من الشعراء العبقريين ؛ وهذه الرتبةُ الأولى إنما نتخيلُها ولا نكاد نعرف أحداً استوى عليها ، فملك فيها بيان العربية وشعرها يصرفهما كيف شاء ، فيكون فى تاريخ اللسان العربى عبقرية جديدة كامرئ القيس ، ومسلم بن الوليد ، والمتنبى ، وأبى نواس ، والبحترى ، وأبى تمام ، وغيرهم ممن يعد لساناً وحده ...

شاعر ! !

وأحد هؤلاء الشعراء الثلاثة الذين سيدفعون أنفسهم فى مجاز العربية حتى يبلغوا الرتبة الأولى - فيما نتوهم - هو « محمود حسن إسماعيل » : فهو إنسان مرهف الحس دقيقه ، متوهِّجُ النفس ، سريع التلقى للمعانى التى يصورها له إحساسه ، وإن إحساسه لينشئ له من هذه الصور والمعانى أكثر مما يستطيع أن يطيق صبره ؛ وهو - إذ فقد الصبر على مطاولة هذه المعانى من إحساسه - تراه يثبُ وثباً من أول المعنى إلى آخره لا يترفّق ، كأن فى إحساسه روح « قنبلة » . فلذلك تجد المنطق العقلى فى شعره متفجراً أبداً لا يبالى « أوقع على اللفظ من اللغة ، أم وقع اللفظ عليه » ، ولكنه على كل حال منطق يقظٌ حساس بعيد الوثبة ، يحاول دائماً أن يضبط هذا الإحساس الذى لا يهدأ ولا يستقر . وسينتهى - بعد قليل من المصابرة والمرابطة لإحساس شاعره - إلى القدرة على متابعة إحساسه وكبحه وتوجيهه على هدًى واحد مؤتلف غير مختلف ، وذلك حين يجتاز الشاعر السن التى هى علة التوقد الدائم والاهتزاز المتتابع تتابع البرق إذا خفق وومض وضرب بعضه بعضاً بسياط من الضوء فى عوارض السحاب ...

وأما لغته ، فقد ملك منها ما يكفيه بقدر حاجة بعض إحساسه ، فإذا امتدت يده إلى خزائن العربية التى لا تنفد ، وتداخل فى أسرار حروفها بالمدارسة الطويلة ، تآمرت - ثلاثتُها - على تسنية الأبواب له واحداً بعد واحد ، حتى يستطيع أن يستوى على سَرارة المرتبة الأولى للشعر غير مدافع .

هذا ... وإن فى كثير من شعره الذى نشره إلى اليوم ، ما يحملنى على ثقة - إن شاء الله - من أنه مدرك ذلك لا محالة ، فهو قد استولى على كل ما هو به شاعر ، ولا أظن ظن السوء بقدر الله أن يكون هو قاطعه دون المنهج الذى تعبّد بين يديه ، ولم يبق له إلا قليل حتى يبلغ الذروة العليا

قصيدة الزلزال

وقد قرأت قصيدته[1] الأخيرة فى « فاجعة تركيا » - كما سماها - ثم سمعتها ، فوجدت لزاماً علىّ فى هذا الباب أن أثبت بعض رأيى فى الشعر والشاعر ، ثم فى « محمود حسن اسماعيل » خاصة ، ثم فى هذه القصيدة . وقبيح أن يجهل مريدو الشعر الجيد هذه القصيدة الفذة ، التى تكشف عن السر المستكن وراء هذا الشاعر . وإذ قد عرضنا مرة لبعض الشعر الأسود المظلم ، فلا بد إذن من أن نمحو آيته ببعض آيات الشعر المشرق المضئ

وقد كان « زلزال الأناضول » عذاباً من العذاب الأكبر بأهواله ، حتى قالوا إنه أشد ما عرف من الزلازل وأخطرها وأفظعها موقعاً وأثراً ، وقد كان ما تنشره الصحف اليومية من أخباره هولاً هائلاً مفزعاً يكاد يجعل الولدان شيباً . فلا شك إذن أن يكون هذا الرعب الراجف فى إحساس شاعر فزِعٍ « كمحمود » رجفةً يُرعد بها رِعدة طائرة مدوية مصلصلة مجلجلة

وأنت إذا بدأت القصيدة :

هات الشدائد للجريحة هاتها ... فالصبر فى الأهوال دين أُساتها

واحشُد صروفك يازمان فربما ... لعب العظائم شُب من نكباتها

ولعلها خمرٌ تدور فيستقى ... خمر الكفاح الشرق من كاساتها

---

(١) وهى طويلة تزيد على ثمانين بيتاً ، فلذلك لم نستطع أن نستوفى الكلام عنها وإنما دللنا على منهاجها وروحها

رأيت الأمر والنداء ، نداء الفزع الطامى بطغيان أمواجه على إحساس الشاعر ، فلم يملك إلا إسلام نفسه إلى اليأس ، فيستزيد من البلاء ويطلبه فيقول : « هات الشدائد » ثم يعود فيقول : « هاتها » ليثبت إيمانه بالصبر على هذا البلاء ، فهو إيحاء ؛ إذ قد يئس أن يصرف عن إحساسه ما طغى به عليه هول ما سمع من صفة الزلزال . ويدلُّك على أن هذا المطلع قطعة من اليأس ، عودتُه إلى الشك فى هذه الشدائد الموقدة بنارها ولهيبها ، والتى زلزلتْ أمة من الناس فكانوا كما قال الله تعالى فى صفة زلزلة الساعة : « يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد » . فكذلك عاد الشاعر يشك بعد طغيان البلاء عليه — أن ينقلب كل ذلك الرُّعب الذى اضطرب به الناس سُكراً يجرِّئ — هذا الشرق المغلوب — على الكفاح ، فى زمن يرى من أهواله شدائد ترجف بالشرق رجفة كأشد ما رَجَفتْ زلزلة الأناضول ، فلذلك قال : « ولعلها خمر ... »

هى أمةٌ زلزلتَ جَنبَ مِهادها ونفختَ ريحَ الموت فى جَنباتها

وهذا البيت يكاد يكون الحد الفاصل بين يأس الشاعر الذى طغى عليه حتى أنساه روح الزلزلة التى كانت فى إحساسه ، وهو نفسه الذى يردُّه مرة أخرى فزعاً ثائراً متوثباً تتقاذفه تهاويل إحساسه فى رعب بعد رعب

شوَّهتَ صَفحتها بمدية جازرٍ الرحمة انتحرت بحدِّ شَباتِها
مجنونةُ الحدَّين لو هى لوحتْ لانهد ركن الأرض من حركاتها
ذئبية الشهوات جاع حديدُها وأراق جوع الوحش فى لهواتها

وهنا موضع يوقف عنده ، فإن المعنى الذى أراده الشاعر ، والصورة التى نشأت من شدة إحساسه بهول الزلزلة — طغتْ فلم يستطع المنطق أن يضبط اللغة على قياسها ؛ فهو يريد أن يقول : إنه يرى هذه المدية الصقيلة الذئبية الجائعة المهلكة المجنونة فيرى على حدَّيها وصفحتيها من فِرِندها وضوئها ومائها ما ينسابُ ويترقرق ويتلألأ ويرمى بأضوائه كأنه ضوء جائع يريد أن يلتهم كل ما يلقاه ، وذلك قوله : « وأراق جوع الوحش فى لهواتها » فقوله : « وأراق » هنا لا توافق المعنى ، وقد أوقعه عليها اختلاط « فرند المُدْيَة » — وهو ماؤها — بالمعنى الذى أراده ، ولو قال : « يذكى سعار الوحش فى لهواتها » أو ما يقارب ذلك لكان أجود

ثم يمضى الشاعر فى تصوير ما تخيله — حين فجأت الزلزلة الأناضول — :

والناسُ غَرْقى فى السكون سَجتْ بهم
سِنَةٌ يَنامُ الهوْلُ فى سَكناتِها
بَينا همُ فوْق المهودِ عوَالمٌ غشَّى ضبابُ الصمت كل جهاتها
وإذا بقلبِ الأرض يرجفُ رجفةً :
دُكَّ الصباحُ وذابَ فى خفقاتِها
وانشقت الدُّنيا لديه فلم يَجِدْ أرضاً يفيئُ النورَ فى ربواتِها
فَطوَى المدائن والقرى وهَوَى بها
فى سدْفَة تهوِى على ظلماتِها
... ...
وبنى اللحودَ على المهودِ وهدَّها فنضا ستورَ الموت عن عوراتها
زأرت جراحُ الأرضِ فاهتاج الردى
وتهدّ الزلزال فى ساحاتها

وإذا الذى أتى به فى وصف الزلزلة إلى آخر القصيدة شىء هائل مخيف تقشعر له الأبدان ، وتراه متدفقاً طاغياً لا تكاد تقف على كلمة منه إلا مرتاعاً قد قفَّ شعرك عن هول ما تنقل إليك ألفاظه من معانى إحساسه الثائر المتفجر

أنفاسه لهبُ الجحيمِ وخطوه خطو المنايا السود فى فجآتها

الى بعض القراء

... وبعد ، فإن العالمَ الثقةَ الثبت المحقق الدكتور بشر فارس قد عَلِمَ فعَلَّمَ ! ! وأنا أشكرُ له ما علمنى ، فأنا لا أحبُّ أن أكون كالذى قيل فى أمره : « لا تناظرْ جاهلاً ولا لجوجاً ، فإنه يجعل المناظرة ذريعة إلى التعلُّم بغير شكر » . ثم بصَّرنى « بشر » أيضاً بما كنت أجهل من العروض واللغة والبيان ، فأوغر صدرى ، فنثرت حول قهْرى ما ملكت من نُفاية الكلام ، وكذلك طوَّقتُ نفسى به زينة وحلية أتبرج بها للناس ، أو كما قال ! وهو كذلك ...

فأنا أحمد الله الذى كفانى شر الغرورِ والخيلاء ، ولم يجعلنى كالجاهلة الخرقاء التى زعموها تأنقت بما ليس فيها ، ولا هو من

طباعها ، حتى ضربوا بها المثل فقالوا : « خرقاء ذات نيقة[1] » والحمد لله الذى لم يجعلنى ممن يتزين بما ليس تملكه يداه ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المتشبّع بما لم يُعطَ كلابس ثوبى زُور » ؛ والحمد لله الذى جعلنى جاهلاً يعرف أنه جاهل ، ومن أين لمثلى العلم ؟ أليس قد « ذهب العلم إلا غبارات فى أوعية سوء » كما قال ابن شبرمة فى رواية بشر فارس عن ابن شبرمة : (يريد « الرسالة » العدد ٣٤٦) .

وقد قرر الأستاذ بشر أنه بصرنى بأمور ثلاثة ، وأنى سلمت مرغماً بأنه بصرنى بما كنت أجهل من أمرها ! ! وإذا قرر الأستاذ بشر فقد وجب علىّ وعلى الناس التسليم بما قرر ؛ أليس ذلك كذلك ؟ بلى ، « سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير »

ومع ذلك، فمن غَلَبة الجهل علينا أن البحر الذى وضعه وسماه « المنطلق » ، لا يزال عندنا وعند أصحابنا من علماء العروض — هو من « مجزوءة المتدارك » أدخَل الشاعر الأستاذ على ضربها العرج أو الفساد أو الخبن أو ما شئت فسمِّه ، ثم ألزمها ذلك فى سائر أبياته ، ثم قال إنه وضع بحراً . ومن غلبة جهلنا أيضاً أننا نعده وزناً ثقيلاً غثاً كسائر الأوزان الممكنة التى تركتها العرب لثقلها على السمع ، فلم تجزها فى شعرها ؛ ومن غلبة جهلنا أيضاً أننا لا نزال ندعى أن لن يوجد فى أصحاب الألسنة العربية من الشعراء المجيدين من يتابع النظم على هـذا الوزن الجافى من « مجزوءة المتدارك » ، وكذلك أهملناه وسنهمله

وأما حديث « الزلزلة » ، فلا نزال نقول إن كل حرف من حروف العربية ينقل إلى المجاز ، فهو يتطلب دائماً حقيقته ، وإلا فسد مجازه . فإذا كان أصـل الحرف « زلزل » وحقيقته : أن يزلّ الشىء عن مكانه مرة بعد مرة ، أى أن ينتقل ويتحرك ويسقط ويخرج عن الوضع الذى يستقر عليه ، فلا بد فى كل مجاز لهذا الحرف أن يكون ما يقع عليه فعل الزلزلة — (أى نائب الفاعل أو المفعول) — شيئاً منتقلاً من مكان إلى مكان أو شيئاً يجوز أن ينتقل من مكان إلى مكان ، فهذا هو شرط المجاز أو الاستعارة فى هذا وأمثاله ، وإذ ليست الأذن كذلك ، فقولك « زلزل الطرب أذُنى » مجازٌ فاسدٌ لأن الأذُن ثابتة لا تتحرك

وإذا قال كتاب « خلاصة الطبيعة ، فى الصوت ! ! » فى باب « شرح عمل الأذن » إن الصوت يهزّ غِشاء طبلة الأذن حين تصكّها الأمواج الهوائيـة التى يُحدثها مصدر الصوت ، فليس معنى « يهز الغشاء » هنا أنه ينقله من مكان إلى مكان آخر ، فإذا كان ذلك كذلك ، وكان غشاء طبلة الأذن مثبتاً لا يتحرك أى لا ينتقل من مكانه ، وإنما هو اهتزازٌ يلحقه ، فليس فى الدنيا « ناى » أو غيره يستطيع أن يجعله يتحرك أى ينتقل من مكانه ، ولو كان فى قلب هذا « الناى » عشرون فرقة من فرق « الجازبَنْد » ... ولو كان ذلك فتحرك الغشاء قليلاً عن مكانه لتمزّق وانخرَق ، وكان الصمم . وإذن فليس يجوز فى العربية أن يقال « زلزل الطرب أو الناى غشاء طبلة أُذُنى » ! وإلا فهو مجازٌ فاسدٌ أيضاً

وأما ما يقال من أن الزلزلة والطرب على مجاورة فى لغتنا ! ! فهو شىء لا أصل له ، وهى عبارة لا تؤدى إلى معنى ، وهو كلام « يدخل بعد العِشاء فى العرب »

وأخيراً ... ، فمن عظة نبينا صلى الله عليه وسلم قوله : « من طلب العلم ليمارى به السفهاء ، أو يباهى به العلماء ، أو يصرف به وجوه الناس إليه ، أدخله الله النار » . ونحن نعوذ بالله أن نخالف عن أمر نبينا ، أو نكون ممن يستخف بما أنذر به ، فنباهى الأستاذ بشر بما نعلم ، وإذن فلست أجعل حديثى هذا إلا للقراء وحدهم لأضع به عن نفسى أمانة العلم ...

حتى إذا ما الصباحُ لاح لهم بيَّن سَقُّوقهم من الذهب
والناس قد أصبحوا صيارفة أعـلم شىء بزائف النسب

فأستأذن القراء وأستغفرهم، فأنا امرؤٌ لا يحب أن ينصب نفسه لمن هو عند نفسه أكبر من نفسه والسلام

ابن شبرمة !!

وما دمنا فى حديث أمانة العلم ، فقد رأيت أن الأستاذ المحقق « بشر فارس » روى خبراً عن ابن شبرمة القاضى قدمناه آنفاً وهو : « ذهب العلم إلا غبارات فى أوعية سوء » . وقد رأيت صاحب العقد الفريد (ج ١ ص ٢٠٥ طبعة بولاق أيضاً !) قد أورده بهذا النص عينه ، وهو يبدو لنا نصاً عربياً مظلم النور وتحرير رواية الخبر : « ذهب العلم إلا غُبَرات فى أوعية

(١) قال الميدانى فى مضرب هذا المثل : « يضرب للجاهل بالأمر وهو مع ذلك يدعى المعرفة »

سوء » بضم الغين المعجمة وفتح الباء المشددة . والغُبّرات جمع غُبّر ، وهو آخر الشيء وعقابيله وما يبقى منه . يريد ابن شبرمة : أن العلم لم يبق منه إلا قليل قد وقع فى صدور رجال من الفخار والخزف لا تضيء ولا تقبل الضوء

وقد ورد هذا الحرف (غبرات) فى حديث عمرو بن العاص يقول لعمر بن الخطاب : « إنى والله ما تأبطتنى الإماء ، ولا حملتنى البغايا فى غُبّرات المآلى » . والمآلى خرق للنساء يكون فيها الدم ، وغُبّراتها بقايا الدم . ومن ذلك أيضاً قول أبى كبير الهُذَلى يصف ابن زوجته تأبط شرًّا الشاعر الفاتك :

حَملتْ بِهِ فى ليلةٍ مَزْؤودةٍ كرْهاً وعقدُ نطاقِها لم يحللِ
فأتتْ بِهِ حوشَ الفؤاد مبطناً سُهداً إذا ما نام ليل الهوْجل
ومبرأً من كل « غُبّرِ حيضة » وفساد مرضعة، وداء مُغيـل

فهذا تحقيق رواية الخبر على التحرير والدراية ، فمن كانت عنده نسخة من (العقد الفريد طبعة بولاق !) فليصححه

محمود محمد شاكر



دراسات فى الفن :

هما أحـــــدبان

للأســتاذ عزيز أحمد فهمى

ما هذه الأرقام التى تحسبها فى الورقة ؟

— هى تكاليف أحدب نوتردام أحلم بأنى سأخرجها فى مصر

— بعد أن رأيناها من لون شانى ولاوتون ... من يخرجها ومن يمثل لك الأحدب فى مصر ؟

— هذا شيء لا أفكر فيه إلا بعد أن يعطينى الله هذا المال كله

— إذن فلن تفكر فيه أبداً

— ومن يدريك أنى لن أفكر فيه غداً ... « غد غيوب وأقدار وأسرار »

— رحم الله شوقى

— وفيكتور هيجو ، ولون شانى ، وكل من فتح قلبه لله فألقى الله فيه ما شاء من نوره ، أتعرفين كم احدودب هيجو حتى كتب الأحدب ، وكم احدودب لون شانى ثم لاوتون ؟

— أما لون شانى ولاوتون فقد احدودبا أو قل هما اصطنعا أنهما احدودبا حينما كانا يمثلان فى الاستوديو فقط ، أما هيجو فلا أظنه احدودب ، لأن كتابة الرواية لا تستدعى أن يمثل الكاتب صورها ...

— لم يرد الدنيا أحدب عاش مثلما عاش أحدب نوتردام . فلا بد أن يكون هو الأحدب الأحدب ، وإنه لكذلك لأنه هيجو لما احدودب . كم فى الدنيا من شقى يعيش ويشقى ويفنى ، وفى الدنيا شقى يعيش ويشقى ويخلد ... أولئك يغمرهم شقاؤهم ويبعدهم عن ذكر ربهم ، وهذا يمعن فى الشقاء بالرضا والتأمل بحثاً عما فيه من عبرة ولذة

— وهل يجد اللذة من يمعن فى الشقاء حتى ليحدودب ؟ ...

— وأية لذة ؟ ألم يقل هيجو على لسان غجرى قصد باريس وأراد أن يمنعه عنها حراسها : « ما هذه الأواصر ؟ هذه أرض الله جئتموها أنتم بالأمس وجئناها نحن اليوم ! » ألم يقل هيجو هذا ؟ وكيف كان يمكن أن يقوله لو لم يشعر بأن هذه الأرض أرض الله حقاً ، وأنه للناس أن يعيشوا فيها كما يعيش الطير فى السماء ... والله يرزقهم ... وهل فى الدنيا شعور باللذة أبلغ من شعور الطلاقة هذا ؟ لا ريب أن هيجو كان يشعر باللذة حين كان يشعر بالشقوة ولا ريب أنه عانى فى هذا الاضطراب كثيراً ، ولعلك تذكرين أنه عبر عن اضطرابه هذا بلسان الأحدب إذ أفلتت منه معشوقته ، ورأى أن عليه توديعها لصاحبها : « رب ! لماذا لم تخلقنى حجراً ؟ ! » ... واحتضن صنما ...

— فهو كان يرى الحجر أسعد من البشر ...

— وهذا الذى يراه كل من عجز ، وهو الذى يراه أخيراً

كل من كفر ... أما يقول القرآن : إن الكافر سيقول يوم القيامة « يا ليتني كنت ترابا » ؟ !

— وهل كان الأحدب كافراً ؟

— بل كان هيجو مؤمناً ...

— ما لهيجو ؟ إنما نحن الآن فى الأحدب .

— والأحدب من هيجو ، وليس هو وحده الذى منه ، وإنما منه أيضاً كل من فى القصة وكل ما فيها ، فإذا رأيت أنه يضطرب فى الأحدب العاجز حتى ليتمنى أن يكون حجراً ، فانظرى إليه كيف يختم حياة ملك الشحاذين بثقل ينزل عليه من فوقه فى الوقت الذى يتزعم فيه ثورة عنيفة فيها ضرب وكر وفر ، وفيها موت يراه بعينيه يتخطف الناس من حوله ولا يحسب لنزوله به حساباً ثم انظرى هيجو كيف ينمس فى التوفيق شاعر القصة الذى سيق إلى الملك متهماً بإثارة القلاقل وتهديد الأمن العام بالشعر الحانق فما زال الشاعر المؤمن بشعره يقنع الملك بوجهة نظره حتى يحكم الملك فى قضية الشعب حكما عدلاً يضع حداً للثورة التى لو لم يمدد ملك الشحاذين إلى القوة فيها وانتظر حتى يحق الحق القول الصادق لما لقى فيها حتفه ، ولفاز فى آخر الأمر بالذى كان ينشد، أنظرى إلى هذا وانظرى إلى غيره ترى أن هيجو كان مؤمناً ... وأنه كان ينظر إلى الأحدب نظرته إلى الكافر

— إذن فقد كان هيجو يكره الأحدب ؟ ...

— لا ، وإنما كان يرثى له . لأنه لما احدودبت نفسه قدّر نعمة الرحمة ، وقد نصحه ونصح كل أحدب أن لا يطمع فى غير ما هو أهله وأن يرضى بما هو فيه ، كما نصح ملك الشحاذين وكل من هو معتز بقوته مثله أن يكف عن القوة والاعتزاز بها . كما أظهر رضاه عن الشاعر الراضى الفيلسوف الذى يصبر على حبيبته أن تحب غيره حتى تهتدى إليه وتحبه ، كما أنه حذر الناس جميعاً من التراجع عن تلبية حسهم، حين جعل الملك يحكم الخنجرين فى أمر الغجرية إذ عصب عينيها وقال لها : اختارى من هذين واحداً ، فإذا قبضت على خنجرى فأنت بريئة فإذا أمسكت الآخر فأنت مذنبة، فامتدت يدها أولاً إلى خنجر البراءة ولكنها تراجعت فمانت بعد ذلك ما عانت ... كل هذه دلائل إيمان وصبر أضاءا فى نفس هيجو ... فأضاءا قصته هذه وخلداها ... وإلا فما الذى تحسبينه حفظها وأبقاها ؟

— إنها مكتوبة بلغة رائعة وأسلوب رائع ...

— لا . فما خلدت اللغة وما خلد الأسلوب شيئاً فما هما إلا من أدوات الفن وليسا الفن نفسه . . . إن ملايين الناس فى الأزمنة والأمكنة المختلفة ليحبون هيجو ، ومنهم من لا يقرأ ولا يكتب لا الفرنسية ولا غيرها ، ولكنه يفهم هيجو من إشارات الممثلين وأصواتهم ويقنع بهذا . . . إن الناس جميعاً يرون فى أحدب نوتردام صدقاً وعدلاً وأحكاماً تجب فى مواقف تستوجبها ، فالموت لمن يستحق الموت حيث يجب الموت ، والهناء لمن يستحق الهناء حيث يجب الهناء ... لم يشذ هيجو عن العدل فى حكم من أحكامه ولم يحاب بطلاً من أبطاله ، ولم يمط فى دنياه هذه التى جمعها حقاً لغير صاحبه ، ولم ينزل بها نكبة على مؤمن

— وهذا القسيس النبيل الذى عشق الغجرية فكان فى غرامه هلاكه، ما ذنبه ؟

— ذنبه ضعفه ... هذا قسيس وهب نفسه لله ، واطمأن بهذه الهبة على حياته ومستقبله ، فما له يريد أن يسترد مما أعطى الله شيئاً من نفسه يعطيه غانية صغيرة ؟ ... ما له يشعر بهذا الضعف ، وما له حين يشعر به لا يعالجه بإيمانه وعزمه ، وما له حين يضعف عن علاجه بإيمانه وعزمه لا يكون صريحاً فى إعلان ضعفه؛ فإما أن يرتد على عقبيه خطوات فى طريق تقواه وورعه ، فيخلع مسوح القسيس ويدع الكنيسة وينزل إلى الدنيا ، كالمؤمن إذا ارتد ، يعرض نفسه على غانيته كما يعرض كل رجل عليها نفسه فإذا اختارته سعد فإذا أعرضت عنه كان عليه أن يرضى ... كان هذا هو الواجب عليه أن يصنعه ولكنه لم يصنع منه شيئاً ، بل طرأ عليه الضعف فلم يرض أن يشهر على هذا الضعف سلاحاً من نفسه وإنما غطاه بستر منها كان غشاً لكل من حسبوه قديساً ، وكان حجاباً حال بينه وبين التغلب على نفسه ... فألم به ما ألم به من تشتت

البال فى الموازنة بين مظهره الظاهر ، وبين الكامن من اللوثة فى نفسه ... هذا القسيس كان سليم المظهر ولكنه كان الكافر المشوه النفس، الذى ترجمه هيجو بذلك الأحدب العاجز ببدنه عن إغراء الغجرية ... إن هـذا القسيس هو أحدب نوتردام أكثر مما كانه الأحدب ... فإن الأحدب قد دلته طويته السليمة إلى حركة بلهاء أراد بها أن يغرى فاتنته ... إذ غطى لها يوماً البشاعة فى وجهه وكشف لها عن عينه الرقراقة الحلوة ، ونظر إليها كمن يقول لها ادخلى إلى نفسى من هذا المنفذ ، ولو كان فى الفتاة حكمة، ولو لم يكن بها من نزق الجمال والصبا طيش وخفة، فلعلها كانت تحبه إن أنعمت التفرس فى عينه تلك، ولكنها لم تكن من الحكمة ... أو لم تكن من البذل بالرأفة ... وعلى أى حال فالذى يعنينا هو أن الأحدب وجد فى نفسه شيئاً جميلاً عرضه ، ولكن القسيس الأحدب الروح لم يجد عند روحه ما يعرضه على غانيته ! إنه قسيس، وكان يستطيع على الأقل أن يكون مثلما كان الشاعر المجنون محباً على غير أمل ، وكان على هذا يستطيع أن يحملها على حبه ، وكان بعد هذا يستطيع أن يسلمها « لنوتردام » ما دام قد أقام نفسه فى « نوتردام » راعياً ... ولكنه لم يفعل شيئاً من هذا وانخذل أمام نزوة من نزوات نفسه ... فكان على علمه وعلو شأنه، وسلامة بدنه أشقى حالاً من الأحدب، فقد رضى الأحدب أن يتمنى الجمود والتحجر وأن يروض نفسه عليهما ، أما هو فقد أبى إلا أن يشعل النار فى الدنيا وأن يضرب الناس بالناس حقداً وغلاً وعمى عن واجبه وحقه ...

— إذن فإن هذا هو الأحدب

— إنه على الأقل الأحدب الأول . وقد كنت أحب أن يمثله لاوتون ، فهذا الدور من غير شك معرض لعواطف وتقلبات أكثر من الطارئة على الأحدب الآخر ...

— ولكن هذا الدور لم يلتفت إليه أحد هذه اللفتة ، وإنما يعنى أبطال التمثيل بالدور الآخر ...

— لعل ذلك لأنه أظهر للعيون ، ولأن تمثيله يحتاج إلى مكياج بارع يتحدى الممثلون بعضهم بعضاً بإجادته وإتقانه . وهذا عيب من عيوب السرعة الآخذة برجال الفن فى هذا العصر، وقد كنت أحسب لاوتون ينجو منها هذه المرة كما نجا منها مرة سابقة فى بؤساء هيجو أيضاً ... فإنه ترك دور جان فلجان لفردريك مارش ومثل هو دور جافيير البوليس السرى ، وجافيير كان أبأس من جان فلجان نفساً وأشقى روحاً وإن كان يظهر لجان فلجان أنه الأبأس ... كما أن الناس يحسبون قارع الأجراس فى أحدب نوتردام أنه الأحدب بينما ذاك القسيس هو الأحدب ...

— ولماذا لا يكونان بائسين ، وأحدبين ؟ ...

— هما بائسان وهما أحدبان حقاً ... ولكن البائسين أحدهما تجسد البؤس فيه وظهر نخف عنه تكاثف البؤس وانحباسه فى نفسه ، والآخر توارى البؤس بين جنبيه واستتر فهو ينفث سمه فى داخله ولا ينتثر من بؤسه شىء خارج نفسه ، والأحدبان أحدهما تفجر بالقبح بدنه فانزاح القبح عن روحه ، والآخر ازدرد هذا القبح وهو لا يفتأ يجتره فهو غذاؤه ومادة عيشه ... هذه هى شجرة الزقوم التى يأكل منها الكافرون لا تطعمهم ولا تسمنهم ولا تغنيهم من جوع ، وأسوأ ما فيها علمهم بغصتها ، وأسوأ من هـذا نهمهم إليها وشغفهم بها ... ما كان أروع لاوتون لو أنه مثل هذا الأحدب ! ...

— ومن كان يمثل الأحدب الآخر ؟

— أى واحد ! بوريس كارلوف مثلاً

— ولكن بوريس جامد أصم

— كان أمام لاوتون لا يستطيع إلا أن يتحرك ... فبوريس مسكين . كل ما يسندونه إليه من الأدوار شاذة كثيرة الحركة ، وما أقل الفرص التى أعطوها ليمثل ... فإذا لم يكن بوريس يعجبكم فقد كان على لاوتون أن يمثل الدورين معاً وهذا ممكن فى الدنيا ... إننى حسبت حساب هذا مع هذه الأرقام التى كنت أكتبها ...

— ولكن هذا عمل شاق قد لا يستطيعه ممثل

— إن لاوتون يستطيعه ، ولكنها فكرة لم تخطر له حين كان يدرس الأحدب ، فلا ريب أنه أسرع فى دراستها أكثر مما أسرع فى دراسة البؤساء ، فوقع على أحدب المظهر وفاته أحدب المخبر ؛ ولا ريب أيضاً أنه وضع فى قرارة نفسه نية المباراة مع المرحوم لون شانى .. ولو كان قد أغفل هذه لكان قد خلص فأخلص فاستخلص ...

— يا للرزية ! حتى لاوتون تعيبه ... فمن يعجبك ؟ ...

— لاوتون حينما يصفو ... ولاوتون فى الأحدب أيضاً ... بل لقد راعنى أكثر مما راعنى لون شانى ... ذلك أنى خرجت من « لون شانى » وأنا كارهه ... كاره الأحدب ... بينما قد حببنى فيه لاوتون ... أو حملنى على الترحم له على الأقل

— إنى لا أرى الفرق بينهما محدداً هكذا كما تراه ، ولعل ذلك راجع إلى طول عهدنا بلون شانى فى الأحدب ...

— على أى حال فإنى لا أجزم بهذا الفرق بينهما وإنما أجزم به فى نفسى ، وقد يكون مرجعه اختلاف كل منهما عن صاحبه فى تذوق الأحدب وتفهمه ، وقد يكون مرجعه اختلاف نفسى بين ما أنا عليه اليوم من القدرة على التذوق والفهم ، وبين ما كنت عليه فيما مضى ، وقد يكون مرجعه كذلك اختلاف دواعى التذوق والتفهم عندى بين اليوم والأمس

— وما دواعى التفهم والتذوق هذه ... ؟

— ربونا على أن يخيفنا « أبو رجل مسلوخة » ... ولم أكن فى صباى قد تخلصت مما غرس فى ذهنى ولم أكن بعد قد أحببت المشوهين والضعفاء والعجزة والمرضى ...

— وأنت الآن تحبهم ؟

— أحسب ذلك . فإذا لم أكن أحبهم فإنى على الأقل أتحبب إليهم ...

عزيز أحمد فهمى



حلم شاعر

للأستاذ محمد سعيد العريان

الليلةَ عيد مولده !

أولئك أصحابه وصواحبه قد أحاطوا به فرحين مهلِّلين ، يضيء البشر في قسماتهم ، وترفّ على شفاههم بسمات الفرح والمسرة ؛ قد تنادَوا إلى موعدهم ودَعوه معهم إلى ناديهم ، ليحتفلوا بعيد مولده !

وإنه لجالس بينهم ولكنه ليس منهم ؛ إنه هنا ولكنه هناك !

* * *

. . . وفي يده زهرةٌ يعبث بها ... وضمها بين راحتيه ومال عليها برأسه . ما به أن يشمّها؛ فإن عطرها ليأرج حوله وينتشر، ولكنه ينظر ويفكر ...

. . . وراحت أصابعه تنثرها ورقة ورقة تساقط عند قدميه وهو يعدّ ، وعدّ ثلاثين ورقة ، ثم تعرّت الزهرة من أوراقها إلا عوداً أخضر ليس له عطر ولا رواء ؛ وهمس الشاعر : هذه هي دنيانا . . واختلجت شفتاه وأطرق ؛ وعاد يعد الأوراق المنثورة تحت قدميه ...

. . . ثلاثون ورقة ! ... ذلك كل تاريخ الوردة ؛ فما هي بعد الثلاثين إلا عود ذابل متغتر وورقاتٌ منثورة على التراب ، وكانت وردةً عطرة يعبق بأريجها الجو وتهفو إليها الزهرات الطيارة من فَراش البستان ... فماذا يكون هو بعد الثلاثين وقد غربت شمسها منذ ساعات ... ؟

* * *

وعاد ينظر إلى أصحابه وصواحبه ، يبادلهم تحية بتحية ، وكلمات بكلمات ؛ لا يكاد يشعر أن هؤلاء جميعاً قد اتفقوا على ميعاد ليحتفلوا به في عيد مولده ؛ فإن سيلاً من الخواطر والذكريات يتدافع في رأسه الساعة ، فما يكاد يرى أو يسمع إلا نجوى نفسه وهمس أمانيه ؛ وغامت على عينيه غامة ، فشطح إلى واد بعيد . . . وإن أصحابه وصواحبه من المرح والبهجة لا يكادون يشعرون أنهم هنا وأنه هناك ؛ وما اجتمعوا إلا حفاوة بعيد مولده ...!

وأحس الشاعر إحساس الوحدة ، وإنه لبين أصحابه وأصفى الناس له ؛ فتركهم لما هم فيه وتركوه ، وإن وجهاً في وجه ، وإن ابتسامة تجاوب ابتسامة ، وإن كلمة تحيّي وكلمة ترد ...

وانفض السامر ومضى كلٌّ لوجهه ، ومد الشاعر يده يصافحهم ويشكر لهم ؛ ثم تفرقت بهم السبل ...

* * *

... ووجد الشاعر نفسه وهو يمشي وحده في جنح الظلام ، وأحس الوحدة الرهيبةَ التي يعيش فيها منذ كان ؛ فمضى يتحدث إلى نفسه وتحدّثه ، وخنقته العبرة فأرسلها ، ثم تتابعت عيناه . وعاد الزمان القهقري ينشر على عينيه ماضيه ويذكره أمانيه ...

وقالت له نفسه : هذا سبيلك فامض فيه على هدًى وبصيرة ، وانظر ماذا أعددت لغد ؟

وقال لنفسه : وهل ترين الغد يا نفس إلا صورة من أمس الذي كان؟ وهل تريني في غدٍ غير مَن أنا اليوم وغير مَن كنت في الماضي ؟ ...

لقد تجاوز الثلاثين ولم يزل حيث كان يوم بدأ ؛ فماذا يكون غيرَ الذي كان ؟

وأوى إلى فراشه وأطفأ المصباح ، ليقضي ما بقي من الليل يراوح بين جنبيه في فراش الوحدة لا يهدأ ولا يستقر !

* * *

كان شاعراً بروحه وفطرته قبل أن يكون شاعراً له لسان وبيان : نظر إلى الناس في دنياه فاستوعبهم بنظرة ، ثم عاد ينظر إلى نفسه فلم يعرف أين هو من نفسه وأين هو من الناس ؛ وشعر بالوحدة منذ شعر أنه يعيش في جماعة . وكان له خيال وفي نفسه أمل ؛ فتوزّعته دنياه ودنيا الناس ؛ فلا هو عاش في دنيا الناس واحداً منهم ولا هو عاش في دنياه وحده !

وألحت عليه ضرورات الحياة ، فأبت عليه فطرةُ الشاعر أن يلتمس بعض وسائل الناس ؛ فعاش من ضروراته وفطرته بين قوتين تتجاذبانه ، لا سبيل إلى الخلاص منهما معاً إلا أن

يعيش روحاً بلا جسد أو جسداً بلا روح ؛ وهيهات !

وفكر فيما خلق الله وفكر فى نفسه ؛ فكأن فى كل ما يراه لساناً يحدثه ، وفى كل ما يسمعه معنى يهتف به ؛ وكأن فى كل منظور حقيقة غير منظورة لا تتكشف إلا لعينيه ولا يسمع نجواها أحد غيره ؛ فإن وراء الغمام طيوفاً تتخايل له فى شكول وألوان ، وإن فى لمعان البرق ومضات من الإلهام ، وإن فى الصمت لكلاماً أبلغ من الكلام ، وإن بين السماء والأرض لعوالم غير منظورة تفضى إليه بأسرارها !

وتكشفت له الدنيا ونضت أستارها ؛ فألهمته أن يغنى . . .

وفاض ما فى جنانه على لسانه سحراً من النغم يعبر عن أخفى خفايا النفس وأعمق أسرار الحياة ؛ ولكن ألحانه القدسية قد تلاشت أصداؤها فى صخب الحياة وضجة الأحياء ؛ فلم يستمع إليه أحد !

وضاق الشاعر بوحدته بين هذا الناس وضاقت به دنياه ؛ فاعتزم الخلاص ... ولكن روحاً لطيفاً أطل عليه من سماواته فثبّت فؤاده ...

وابتسمتْ له فابتسم ، وعادت إلى الحياة نضرتُها فى عينيه ، ووجد أنساً من وحشته حين أيقن أنه ليس وحيداً فى دنياه !

وعاد يغنى ... ولكن غناءه اليوم ليس له وحده ؛ إنه لحن مؤلف من خفقات قلبين قد اجتمعا على أمل ...

وغنِى بها عن الناس ، وغنيتْ به ؛ فما يهمه اليومَ أن يسمع الناسُ ما يصدح به من أغاريد الحب أو يكون لها وحدها شدْوُه وغناؤه ! !

آه ... لشدّ ما تقسو عليه دنياه !

كان ذلك منذ سنين ، أما اليوم ، فقد عادت تقاليد الجماعة تضرب بينه وبينها بسور ليس له باب ؛ وعاد إلى الحياة وحده ، لا يدرى من أمرها ولا تدرى من أمره . . .

* * *

... وأشرق الصبح عليه صبيحة عيد الميلاد ، وما زال يراوح بين جنبيه فى فراش الوحدة لم تغتمض عيناه !

ما هو ؟ وأين هو ؟ وما دنياه ؟

إنه ليحس من حوله فراغاً هائلاً ليس له قرار ؛ وإن الوحدة لتكتنفه ، فما يشعر أن ثمة أحداً بجانبه يفزع إليه ليؤنس وحشة قلبه ؛ وإنه ليعيش من زحمة الحياة وصخب الأحياء فى ضجة يموت فيها النغم ويتلاشى الصدى ؛ ففيم العيش ؟ وما جدواه ؟ وإلى أى غاية يمضي ؟

وعاد يلتمس الوسيلة إلى الخلاص ! ...

وقالت له نفسه : أتحسب يا صاحبى أنك قد فرغت من دنياك حين خلوت إلى نفسك ؟ فما أنت بشاعر ! ... لئن كنت قد عفت الحياة وكرهت المقام فى دنياك لأمر من أمور دنياك — إن الحياة ما تزال تطالبك بحقها عليك ؛ فإن أدّيته ... وإلا ، فلست من شعرائها ، ولا كنت ! ...

... ما الشعر إلا رسالة الحياة إلى الأحياء تعبر عن أسرار الحياة ومعانيها ؛ وما هو إلا قبَس من نور السماء يتنزل على قلب بشر لتنير به السماء ما حوله من ظلمات البشرية ؛ وما هو إلا إحساس زائد على إحساس الناس يرى ما لا يرى ذو عين ويسمع ما لا يسمع ذو أذن ؛ وما هو إلا وحىٌ يوحَى من وراء الغيب إلى إنسان تكون فيه زيادة على الإنسانية ؛ وما هو إلا إدراك كامل يكشف عن مظاهر الجمال فى الكون ويهدى إلى الحق والخير ... أفتراك يا صاحبى قد بلغت رسالة الشعر حين حسبت أنك قد فرغت من دنياك ، أم أنت ... ؟

وأطرق الشاعر برهة يفكر ثم نهض لأمره ...

بلى ، إن عليه رسالة يؤدّيها وواجباً ينهض له ؛ فلا عليه من الناس حتى يبلغ ، فإذا انتهى من أمره فإن نفسه له خالصة يمضى بها حيث يريد

وأمات فى دخيلته دواعى النفس ونوازع الهوى ومضى لغايته ...

وعاد يغنى ... غير آمل ولا خائف ، وما به من شىء ضجرٌ ولا ملالة ؛ وأنس وسمتْ روحه فى آفاقها إلى ظل عرش الله ، حين قمع شهوات نفسه ونوازع هواه وآثر أن يكون نوراً يضىء للناس وهو يشتعل ؛ فلقيت أغانيه من يسمع فيعى !

وأفاق الناس على لحن علوىّ ساحر ينشده شاعر وهب نفسه للدعوة إلى الحق والفضيلة والجمال ؛ ونظروا ، فإذا هو هو ، ولكنه صار شخصاً غير من كان ، لا تتصباه المنى ولا يعبث به هواه ، وليس له فى الحياة إلا هدفٌ واحد يسعى إليه ...

وجاءه المجد حين لا حاجة إليه ...

وأشارتْ إليه من النافذة بنانٌ مخضوبة وتقول : إنه لَهُـو ! ولكنه لم ير ، ولكنه لم يسمع ...

شجاعة المرأة الكردية

[قصة تاريخية واقعية لم يحن الوقت بعد لذكر أسمائها]

للآنسة الأديبة سانحة أمين زكى

حدث أنه كان فى منطقة ... رجل نبيل مهيب الجانب قد وهبه الله من الشجاعة والكفاية قدر ما وهبه من جمال الرجولة وقوة الشباب ، ومن ذلك كان رجاله يحترمونه ويقدسونه حتى ليرفعونه إلى مصاف الآلهة ، وقد هيأت له الأقدار زوجة هى صورة مصغرة له ولصفاته ، قد حباها الله ثروة من الجمال والذكاء والشجاعة ، فهى تجيد الرماية إلى أقصى حد ، وتتصدر المجالس سامرة ، وتنافس الرجال فى أعمالهم ، والشعراء فى فنهم ، والعلماء فى علمهم ؛ فكانت بذلك مثلاً أعلى لبنات قومها ، وصورة بديعة ناطقة للمرأة الكردية

كان الرجل يحب زوجته ، وكانت هى تبادله حباً بحب فعاشا مدة من الزمن يرفرف عليهما طائر السعادة بجناحيه ، يخرجان معاً للصيد ويتسابقان فى العدو ، وأتباعهما يشيعونهما بنظرات ملؤها الحب والغبطة وهما فى لهوهما لا يحملان هماً من هم الحياة !

وحدث أن قدم الملك ... إلى هذه المنطقة تمهيداً للاستيلاء عليها وضمها إلى ممتلكاته . فلما تم له الأمر ، أولم وليمة فاخرة ، دعا إليها جميع نبلاء وحكام هذه المنطقة ، وكان من بينهم هذا النبيل ، فما كاد الملك يراه حتى أعجب بذكائه ، فلما سأل عنه سمع ما زاده حباً له وتعلقاً به ، فرغب فى ضمه إلى بطانته ليأنس به ، ويستمتع بعلمه وفضله ويتخذه سلاحاً من أسلحته ؛ فلما عرف هذا النبيل رغبة الملك لقيها بالقبول لما رآه من عطفه على المغلوبين من إخوانه ، وتواضعه لمن حوله؛ ورضى أن يكون مرافقاً له ، وشد الرحال مع زوجته وخدمه ميممين شطر العاصمة ، ولو درى المسكين ما يخبأه له القدر وراء هذه الرحلة من الشر لما رضى أن يرحل ولما خطا خطوة فى هذا السبيل

وصل النبيل وحاشيته إلى قصبة الملك ، فأفرد له الملك قصراً فخماً، فى وسط حديقة غناء ، سكن فيه هو وزوجته فى أسعد حال وأهنأ بال ، واستأنفا ما كانا عليه من قبل : من صيد وقنص ومرح، والجميع يتغنون بمحاسن هذه المرأة وجمالها الذى جلب عليها الوبال فيما بعد . وما زال جمال المرأة منذ كانت أس البلاء ومنبت الشر ، وما زال سبباً إلى الكوارث الفاجعة ، ما دام هناك رجال تسوّل لهم نفوسهم أن ينظروا إلى ما لا تملك أيديهم . وكان واحد من النبلاء – وإن لم يكن فى طبعه شىء من صفات النبل وكرم النفس – مقرباً من الملك، صديقاً له، لا يخطو الملك خطوة إلا عن أمره، ولا يقطع فى رأى إلا بمشورته ؛ فرآها يوماً خارجة لنزهتها المعتادة ، منتصبة فوق صهوة جوادها ، رافعة الرأس ، باسمة للطبيعة يتبعها خادماها الأمينان لا ينفكان يلاحظانها بعيونهما ، كما ينظر الكلب الأليف إلى صاحبه ، ولكنهما على ما كان يبدو عليهما من الضعف بإزائها ، كان من شجعان الرجال ، قد أخذا الأهبة للذود عن سيدتهما وقتل كل شرير تسول له نفسه الخبيثة أن يحاول الاقتراب منها؛ فلم يجد النبيل سبيلاً إلى التقرب منها أو سماع صوتها واكتفى بالنظر إليها والتملى بمحاسنها على بعد؛ وأحست المرأة بغريزتها أن هناك من ينظر إليها، فالتفتت ، وحين التقت نظراتها بنظراته ، ورأت ما فى عينيه من حديث نفسه الدنيئة ... ظهر الغضب فى وجهها ، وأدارت رأسها ، كأن النظر إلى وجهه يدنسها ... لكن ذلك النبيل لم يبال ما رأى ، بل ابتسم ابتسامة فيها وعيد وتهديد . وحين رجع إلى بلاط الملك قص عليه قصة هذه الحسناء ووصف له تعلقه بها وحبه لها بلا حياء ... وأخذ يستعطفه ،

وسعى ساعيها إليه يسأله : أئنك لأنت ... ؟

قال : نعم ، قد كان ذلك يوماً !

* * *

وعلى باب الكوخ المنفرد على حدود العمران ، جلس الشاعر على الرمل مرتفقاً إلى صخرة نائتة ، يسرّح بصره فى الفضاء الممتد إلى ما لا يبلغ النظر ، وفى نفسه أنس ، وفى قلبه هدوء ورضاً واطمئنان ، وعلى لسانه تسبيح وعبادة !

لقد كان فى مجلسه ذلك بحيث لا تراه عين ولا تسمعه أذن ، ولكنه لم يكن وحده ، لأن الله معه !

واستيقظ الشاعر بعد غفوة ، وابتسم ...

لقد أدّى رسالته ، ولكنه لم يكن فى أىّ أيامه أكثرَ حباً للحياة منه يومئذ !

لقد تحقق حلمه بعد لأى ، ووجد تعبير رؤياه !

محمد سعيد العريان

١٤ ـ ٢٣

ويطلب منه العون ... فأثر ذلك فى نفس الملك، وهوَّن عليه الأمر وطلب منه الصبر ، حتى يحين الوقت المناسب ...

* * *

والتقت الزوجة بزوجها ، فقصت عليه ما رأت ، بصوت يرتجف من الغضب ، ويدل على ما كانت تشعر به من الذل والمهانة لما أصابها ... فهدأ الزوج الكريم ثائرتها ، وذهب يستطلع الأمر وحين علم أن الملك راض عن عمل صديقه ، ثارت نفسه الأبية للدفاع عن عرضه ، وزاد فى غضبه ، ما رأى من سوء معاملة الملك لأصدقائه ، واحتقاره لهم ، وتنكيله بهم ، وما فرض من الضرائب المرهقة على المنطقة التى ينتسب إليها، والتى يشعر أن عليه حقاً لها، وما سلب أهلها من الحرية ...

هذه العوامل مجتمعة ، فعلت فعلها فى نفس هذا النبيل ؛ فمحقت ما كان يشعر به من الحب للملك ، وحملته على التفكير فى قتله ، ليريح منه ، ولينتقم ! غير مبال بعاقبة ذلك ، ما دام فيه صيانة لشرفه ، وتخليص لشعبه من آصار العبودية التى يرسف فيها تحت ظل هذا الملك الطاغية !

* * *

رجع النبيل إلى زوجته ، والغضب يطويه وينشره ، وعوامل مختلفة تصطرع فى نفسه ، وأخبرها أنه ذاهب لقتل الملك ، فإن نجح فى ذلك فقد بلغ ما أراد ؛ وإن لم يتمكن من قتله أو لم يستطع الإفلات بعد تنفيذ عزيمته ، فعليها أن تدافع عن شرفها حتى آخر لحظة من عمرها . ثم تمنطق بغدارتين ، وودع زوجته وداعاً حارا ومضى لشأنه . وأبت الزوجة الشجاعة أن تلجأ إلى البكاء والنحيب بلا جدوى ؛ بل اكتفت بالسكوت وبالنظر إلى زوجها كأنها تحاول أن ترسم صورته فى مخيلتها جيدا

وصل الرجل إلى البلاط ، وتمكن من الدخول بسهولة؛ لأنه كان معروفاً هناك، ووصل بهدوء إلى غرفة الملك الخاصة، وكان الملك فى ذلك الوقت جالساً يطالع غافلاً عما يدبَّر له . وحين رأى صديقه بالأمس داخلاً والشرر يتطاير من عينيه ، استولى عليه حب الحياة ، فحاول الهرب ، ولكن الرجل لم يمهله ، بل أطلق عليه خمس رصاصات من الغدارة الأولى ، ولكنه لم يصبه لشدة انفعاله ، فأراد أن يرد الغدارة إلى منطقته كى يستعين بالغدارة الثانية ، ونسى أنه لا يزال هناك رصاصة أخرى فيها ، فما كاد يضعها فى منطقته ، حتى انطلقت هذه الرصاصة وأصابت منه مقتلاً . فسقط متضرجاً بدمائه الزكية تحت أقدام الملك

أما الزوجة فإنها بعد ذهاب زوجها صعدت إلى أعلى غرفة فى منزلها ، وتزوَّدت بما قدرت عليه من الطلقات ، وحصنت الغرفة بما وضعت من الأثاث خلف الباب كالمتاريس ، وجلست فى حصنها متأهبة لما يكون، وهى فى شك من قدرة زوجها على الإفلات بعد تنفيذ عزيمته ، ولكنها لبثت تنتظر ! ولم يطل انتظارها طويلاً حتى قدم جنود الملك وأحاطوا بالمنزل ، فحينذاك عرفت كل ما كان ، وأيقنت أن زوجها قد مات ! فتلاشت رغبتها فى الحياة ، ولم يبق فى نفسها إلا سعير يضطرم يدفعها إلى الثأر . وطلب إليها الجنود أن تنزل ، فأجابتهم بإطلاق الرصاص فأجابوها ناراً بنار ، ودارت المعركة ، فما استطاع الجنود أن يصيبوها وهى فى ذلك الحصن الحصين ؛ على حين استطاعت هى أن تقتل اثنى عشر رجلاً منهم . وعلم الجنود أنهم لن يبلغوا منها مبلغاً ، وصغرت نفوسهم حيال هذه المرأة الجريئة فلم يجدوا إلا أن يشعلوا النار بالمنزل ليحترق بها وتموت بين الأنقاض ، وأيقنت المرأة أنها على شفا الموت حرقاً ، فصاحت بالجنود تخبرهم أنها تستسلم على شرط أن يتقدم الرجل الذى سبَّب هذه الكارثة فيعطيها الأمان ويضمن لها السلامة، ففرح الرجل الفاجر وأيقن أنه قد بلغ أمنيته ، وتقدم متبختراً يريد المنزل ، فلم يكد يقترب من الباب حتى أصابته رصاصة فى جبينه ، نخر على الأرض قتيلاً جزاء وفاقاً على ما سبب لهذه الأسرة الهانئة من الشقاء والبلاء !

ولما انتقمت المرأة لنفسها ولزوجها وللأرواح التى أزهقت، هدأت ثائرتها وعلمت أنها قد أدت واجبها ؛ تخيَّل إليها كأن صوتاً من الغيب يناديها إليه ، هو صوت زوجها ، فوضعت فوهة المسدس على جبينها وهتفت باسم زوجها لآخر مرة ثم أطلقته ؛ فصعدت روحها الطاهرة إلى بارئها ، وانطفأت شعلة حياتها وهى فى ريعان الصبا وزهرة الشباب !

(بغداد) سالمة أمين زكى



الى أين تتجه ايطاليا ؟

[ملخصة عن « ذى كونتمبوراري رفيو »]

مهما قيل فى تصريح الحكومة الإيطالية فى بدء الحرب عن التزامها طريق الحياد ، فما لا شك فيه أن هذا التصريح قد قوبل بالثقة التامة داخل إيطاليا وخارجها .

وقد كانت الصحافة الإيطالية صريحة فى التعبير عن نيات موسولينى فى حماية المصالح الإيطالية الخاصة . فكتبت جريدة « رجيم فاشستا » بعد إعلان الحرب ببضعة أيام تقول :

« إن إيطاليا ستفى بتعهداتها ولا شك ، ولكن فى حدود مصالحها الخاصة التى تضعها الحكومة فوق كل اعتبار ، وتنظر إليها كما تنظر إلى النجم القطبى ، كلما أرادت تحريك الدفة لتوجيه سفينة البلاد . فما هى مصلحة إيطاليا فى الموقف الحاضر ؟ قد تنضم إيطاليا إلى ألمانيا وروسيا ضد الحلفاء ، ولكن الحكومة الفاشستية لا تخطو هذه الخطوة إلا إذا كانت على ثقة تامة من انتصار الدكتاتوريات الثلاث على الديمقراطية الغربية . وإذا صح هذا الفرض ، فإن إيطاليا ستعجز عن الوقوف أمام ألمانيا وروسيا إذا أرادت أن تطالب بنصيبها من الغنيمة فى البحر الأبيض المتوسط والمستعمرات باعتبارهما صاحبتى السلطة الحقيقية فى أوربا وما يتبعها من البلاد . وسوف تنال روسيا ما تريده من آسيا والبلقان فضلاً عما نالته فعلاً فى بولندا وولايات بحر البلطيق ، وتترك إيطاليا لتلعب دوراً آخر تكون فيه سياستها الخارجية المالية والاستعمارية والثقافية ، تابعة لأهواء الألمان المنتصرين .

وهناك الفرض الآخر وهو الأكثر احتمالاً : وهو انتصار الدول الديمقراطية . وفى هذه الحالة تستطيع إيطاليا أن تختار بين صداقة الأمم المنتصرة كما يدل سلوكها مدة الحرب ، ومعارضة يدفعها إليها شىء من عدم الثقة ، الذى قد يبعثه غموض الموقف ويضاعف تأثيره اختلاف المبادئ السياسية ...

وإذا كنا لا نستطيع أن نصل إلى حل هذه المشكلة التى يرجع أمرها إلى الظروف والأحوال التى تظهر بعد الحرب ، فإننا نستطيع أن نحلق حولها ، ونلم بأطرافها

إن الذين يقدرون مستقبل الشعوب بالنظر إلى قواها المادية ، ويهملون تقدير القيم الأدبية والأخلاقية ، يخدعون أنفسهم فى الحقيقة ، فهذه القيم هى مصدر النصر فى النهاية ، إذ الدافع الروحى قوة لا يستهان بها فى حياة الأمم

لذلك يرى رجال السياسة الذين يستمتعون بالنظر البعيد ، أن يكون إلى جانب حرب السلاح حرب المبادئ والأفكار . يجب أن يعرف المحاربون أنهم يحاربون للمحافظة على القيم الأخلاقية لا للاستيلاء على الأرض والمادة . يجب أن يعرفوا أنهم يحاربون للحرية الإنسانية وللدفاع عن الضعفاء والمظلومين

لقد كنا نقول فى سنة ١٩١٤ إن الحرب قائمة لإنهاء الحرب ، ولكنا اليوم نقول : إن الحرب قائمة للدفاع عن الوحدة الأوربية وسلامتها ...

فهل تستطيع إيطاليا أن تقف أمام أوربا المنتصرة ، لتعارض مبادئ الحرية والعدالة التى تدعو إليها بعد الحرب ؟ . الجواب : لا

العمل والعمال فى تركيا

[ملخصة عن « لا جورنال دى رويبه »]

ليس فى تركيا إنسان واحد بغير عمل ، فكلمة (متعطل) لا وجود لها فى قاموس اللغة التركية اليوم . فإذا وجد رجل بغير عمل فمعنى ذلك أنه يغير العمل الذى كان يشتغل فيه . ولا يستغرق (تغيير العمل) أكثر من ثلاثة أسابيع على أكبر تقدير . إذ يذهب الرجل أو المرأة ممن يريدون (تغيير العمل) إلى مكتب خاص صباح كل يوم من هذه الأسابيع الثلاثة فيوكل إليه عمل مؤقت يقوم به ريثما يعين له العمل الدائم . وهكذا أصبحت تركيا الحديثة لا تعرف الكسل ولا الخمول

ولا تعرف تركيا كلمة الحرمان من الحقوق الاجتماعية ، فجميع الحقوق التي للرجل تتمتع بها النساء . أما الرجال فقد فقدوا سلطانهم القديم على المرأة . وإن كانت لا تزال لهم بعض المزايا على وجه العموم ، إلا أن المرأة على الرغم من الجهود التي بذلت بشأنها لا تزال متأخرة عن الرجل في ميدان الحياة العامة ... إنني ممن يؤمنون بحرية المرأة ؛ إلا أن التجارب العديدة قد برهنت لسوء الحظ على تفوق الرجل على المرأة . وقد أتيح لي كرئيس لإحدى قوات الطيران أن أضع تحت رآستي خليطاً من الرجال والنساء ، فلم أجد من يدرك فهم ضرورة النظام بين النساء إلا النذر القليل ، وغالبهن ممن يمتزن في الأصل بالذكاء الشديد ، بينما يبرهن الرجال جميعاً حتى الذين لم يرزقوا من الفهم إلا الشيء القليل على فهمهم للنظام وخضوعهم له

لقد جربت الجوع في الأيام الخالية ، ولكني لا أجد الآن تركياً واحداً يعرف الجوع .

وإذا كانت الإحصاءات الرسمية قد دلت على أن عدداً يتراوح بين ألفين وثلاثة آلاف من الأتراك كانوا يموتون جوعاً كل عام ، فقد ثبت أنه لم يمت في خمس السنين الأخيرة تركي واحد بعامل الجوع

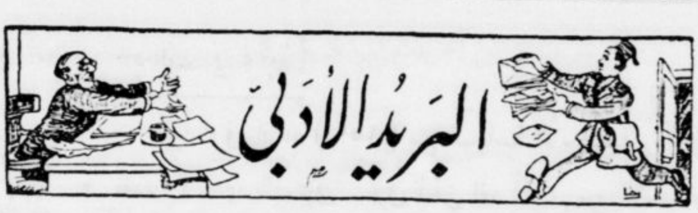
وتقوم الحكومة التركية بالإشراف على غذاء كل عائلة ، وفحصه من الناحية الصحية مرة كل شهرين . وتكلف رب كل عائلة بتقديم بطاقة عن حالة أفراد عائلته الصحية فرداً فرداً إلى السلطات المختصة مرة كل شهر

وتلزم الفتاة التركية التي تصل إلى الثانية عشرة من سنها بدراسة منهاج خاص في الأحوال الصحية وتربية الأطفال . ولا يباح الزواج للفتيات إلا إذا اجتزن امتحاناً خاصاً في هاتين المادتين . وقد زاد عدد المواليد في بعض المدن التركية إلى ٣٠ في المائة للعناية الفائقة التي تبذلها الحكومة

وقد بلغ عدد الأتراك الذين يحملون شهادات بإتقان القراءة والكتابة من الذين ولدوا منذ سنة ١٩١٨ ، ٩٥ في المائة من الفتيان والفتيات ، ويزداد صداق المرأة في تركيا بمقدار التفوق الذي تظهره في خدمة بلادها .

أما عدد الجرائم والمجرمين فقد نقص إلى حد عظيم في السنين الأخيرة ...

أليس هذا جميعه دليلاً على أن تركيا تسير بخطوات واسعة نحو التقدم والفلاح ؟



« وحي الرسالة » في رأي مطران

تفضل إمام الصناعتين وشاعر القطرين الأستاذ خليل مطران بك فأرسل إلينا الكتاب الآتي :

حضرة الأستاذ الكبير أحمد حسن الزيات

أشكر لك إهداءك إليّ نسخة من كتابك « وحي الرسالة » وإنه حقاً لوحي رسالة

أقرر أنه وحي رسالة، وما أرمي بذلك إلى محاولة بديعية أستمد منها وسيلة سهلة للتقريظ ، بل أرمي إلى غرض أبعد وأسمى، ذلك أنك منذ أجريت قلمك في الترجمة ثم في الإنشاء التزمت ما لم يلتزمه غيرك من سلامة العربية وفصاحتها مع قربها إلى التناول . وكان الأمر غير يسير فذللت له صعاباً، وخضت دونه غماراً . ويعلم الله وأهل الذكر ما يعاني الأديب في هذا المطلب، وإنه لوعر شاق . وإن إدراك الغاية فيه لفخر ما بعده فخر. وقد جعلتُ بلوغك هذه الغاية رسالة لك ، وأعظم بها من رسالة مادام يتحتم على الناطقين بالضاد استبقاء الفصحى ، وليس هذا فحسب بل تطويعها ، وهي لا تعي ولا تضعف ، ولا تهن ولا تسخف ، لأداء أدق الأفكار وأبدع المعاني في هذا العصر، بأصدق ما يكون البيان، وأروع ما يأتي الأسلوب ، وأمتن ما تكون التراكيب ، بين أصيلة ومتشبهة بها

أمتعتني بمراجعة تلك الفصول القيمة التي جمعتها بين دفتي كتابك ، فما زادتني المراجعة إلا إكباراً لها وإعجاباً بها . وإني لأرجو أن يكون من أثرها في نفوس فتياننا ، ردهم إلى محجة الصواب التي نكبتهم عنها مولدات عجيبة من مغاطر الأقلام في هذه الأيام .

فبارك الله فيك ومد في أجلك لتجيد وتزيد ، وإليك في الختام خالص التحية مع فائق الاحترام .

المخلص

خليل مطران

هذا الكلام لأفلاطون

روت مجلة (الهلال) الغراء في آخر أجزائها هذا القول عازية إياه إلى عمر بن الخطاب (رضوان الله عليه) : « لا تقصروا أولادكم على آدابكم فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم »

وقد جاءت (لا تقصروا) بالصاد ، وهي بالسين ، وما قيل في الإبدال في هذا الباب معلوم ، بيد أن قصة (أبي صالح . . .) تقسرنا على أن نقصر (القسر) على الإجبار أو الجبر و (القصر) على الحبس . والقول المروي ينسبه ناسبون إلى علي (رضوان الله عليه) . والحق الذي لا مرية فيه أنه إغريقي سليل إغريقيين ، وقائله – كما أخبروا – هو الحكيم أفلاطون . وقد ترجمه أبو الفرج بن هندو فيما عرّب[1] من الحكم اليونانية في (الكلم الروحانية) وربما نقل القول من قبل . ولو شاء الخليفتان الثاني والرابع (رضي الله عنهما وعن جميع الصحابة) أن يقولا شيئاً في هذا المعنى لقالا نقيض ذاك الكلام، إذ يستحيل أيما استحالة أن يرى صاحبا رسول الله (صلوات الله وسلامه عليه) أن لكل وقت آداباً ، كأن الآداب (أزياء) نساء في الماهر في باريس ؛ فيوصيا أهل دهرهما بهاتيك الوصية العريقة في الإغريقية

قل : إن ذلك إنما يقوله ويوصي به يونانيون ، رومانيون ، أوربيون ، أمريكيون ، عربيون عصريون ، لا صحابيون ولا تابعون ولا مهتدون بهديهم

يا كتاب ، يا رواة ، اعقلوا ... !

(طنطا) (أزهري)

هول شمال أفريقية

١ – إلى حضرة نصير العروبة الأستاذ الكبير ساطع الحصري :

في جوابكم المنشور في العدد ٣٣٩ من الرسالة الغراء على كلمة لي سابقة حول رحلتكم إلى « شمال أفريقية » ما يدعوني إلى الخجل إذ كانت سبباً في تألمكم . غير أني سررت لنتيجتها كما سر الشباب المغربي الطموح ، فقد كانت باعثة لكم على إفادتنا بأشياء وإطلاعنا على أشياء . وكنت أود تحريضكم على كتابة فصول عن مشاهداتكم في المغرب ، إذ نعد ذلك فرصة نرجو ألا تضيعوها علينا، لأن وجود العراقي أو المصري في بلاد المغرب « أندر من وجود المطر في القاهرة » . وإذا وهبتمونا قليلاً من وقتكم ووصفتم

(١) أخطأ الأستاذ أسعد داغر في تخطئته من يقول عرب الكتاب أو الجملة أو المقالة ، كما أخطأ في (تذكرة الكاتب) في أشياء كثيرة « ومن البر ما يكون عقوقا »

للعرب فى « رسالتهم » بمض بلادهم ، فستشكر كم العروبة قبل أن يشكر كم أبناؤها .

وأما الملحوظة التى ذكرتم عقب جوابكم ، فستصلكم منى فى شأنها رسالة خاصة لمقركم بالعراق . والسلام عليكم ورحمة الله

٢ — حضرة الأستاذ أحمد الكندى :

جاء فى ردك المنشور فى العدد ٣٤١ من مجلة الرسالة على كلمة سابقة لى ما يفيد أننى أنفى وجود الأباضية من « شمال أفريقية » وهذا ما لا تدل عليه كلمتى قط ، لأنى إنما نفيت وجودهم فى المغرب الأقصى . وهذا نص كلامى (الرسالة ٣٢٩) :

« أما الوحدة المذهبية ، فالمغرب من أقصاه لأقصاه على مذهب إمام دار الهجرة مالك بن أنس وليس فيه طوائف دينية كالرافضة أو الأباضية أو غيرهما ... »

وهو كما ترى صريح فى نفى وجود الأباضية فى المغرب الأقصى « مراكش » لا فى جميع شمال أفريقية كما قد فهمت .

أما أننى لا أعتبرهم من الفرق الإسلامية فمعاذ الله أن أقصد ذلك لأنى قد حصرت الأقليات الدينية غير الإسلامية بالمغرب فى طائفة اليهود وبعض الأجانب من الذين أقاموا فيه بعد الحماية ثم عدت إلى الكلام عن الوحدة المذهبية بالمغرب ، فنفيت أن يكون فيه طوائف دينية أعنى بها المذاهب الإسلامية غير مذهب مالك

أما المذاهب الإسلامية فى الشمال الإفريقى غير المغرب فهى زيادة على الأباضية (التى فصل الكلام عنها صاحب الأزهار فى أئمة وملوك الأباضية) يوجد فى تونس والجزائر وطرابلس وبرقة المذهب الحنفى والمالكى كما يحتمل وجود غيرها

وقياساً على استعدائك عليَّ عالم الأباضية إبراهيم طفيش كان ينبغى أن تستعدى عليَّ شيخ الإسلام الحنفى بتونس وقاضى الأحناف بعاصمة الجزائر وقاضيهم بطرابلس وبرقة ، ومذهبهم أكثر انتشاراً وأعظم أتباعاً ؛ وبهذا كان يتم لكم القول بأن (الحق أن النزعة الإسلامية المتأصلة فى قرار نفوسنا تضطرنا لإصلاح أغلاط إخواننا فينا) كيف وهذا الاستعداء والاستنجاد من أصله قد بنى على فهم خاطئ

وأنا فوق ذلك أحترم نقدك وغيرتك ، ولى كامل الفخر بأن أكون أحد الذين يغارون على الإسلام . وعليك من الله السلام

(فاس) « أبو الوفاء »

« البستانى » أيضاً

قرأت فى العدد (١٥٩) من السياسة الأسبوعية رداً على نقدى لأناشيد البستانى . وفى الحق لقد أعجبنى من الأستاذين فؤاد البعى وتوفيق أبو السعد أن يتقبلا النقد فى صدر رحب ، وأن يستسيغاه فى هدوء ؛ غير أنى لا أستطيع أن أومن معهما بأنهما يريدان أن يميشا « وهذا الشاعر فى لحظات من السموّ والقداسة والجمال ... » لأننى ما زلت أرى أن هذا العمل تعوزه الدقة والاهتمام ، ويفتقر إلى العناية والأناة

وإذا كان المعربان قد ألقيا مسئولية الغلطات السابقة على عاتق « عامل المطبعة » برغم أن من ورائه من يراجع ويصحح ، فلا ضير ، فأنا أغتفرها جيماً « لعامل المطبعة » ؛ ثم أعود إلى الأناشيد المنشورة فى العدد (١٥٩) فأقول :

لقد جاء فى المقطع الأخير من النشيد الخامس والعشرين : وهنا من تنوء أقدامى بأثقال قلبى . (كذا) وهذه عبارة لا أستطيع فهمها على ما فيها من أخطاء فى اللغة والمعنى معاً . فأول ما يجذب النظر فى هذه العبارة هى كلمة : أقدامى . فهل كان للشاعر أكثر من قدمين ؟ وهذه غلطة تكررت فى المقطع الرابع من النشيد الثلاثين حيث كانت الترجمة : أقدامكِ فى حمرة الورد . . . والشاعر هنا يعنى قدى الحبيبة . وفى التعبير اللغوى غلطة أخرى ، فهناك فرق بين « تنوء قدماى بأثقال قلبى » وبين « تنوء أثقال قلبي بقدمى » والمعنى الأخير هو الذى يريده الشاعر فى نشيده

وجاء فى النشيد السادس والعشرين « لو تفضلتِ علىّ بزهرة برية فسأحفظها بين طيات فؤادى وإن لم أحظ إلا بشوك واخز » وهذا حديث فيه أخذ ورد بين الحبيبين يجب أن يكون هكذا :

— لو تفضلت علىّ بزهرة برية فسأحفظها بين طيات فؤادى

— وإن لم تفز منى إلا بالشوك ؟ ثم يتم الحديث بينهما

وسقط من هذا النشيد ثلثه الأخير وترجمته كما يأتى :

— ليتك ترفعين إلى وجهى نظراتك الحبيبة مرة واحدة .
إذ تنفثين فى حياتى السعادة الأبدية

— وإذا كانت حدجات قاسية ؟

— إذن أدعها تخز قلبى

— نعم ، نعم إننى أعرفك أيها السائل الرفيق ، فأنت تطلب كل ما أملك

وبعد فإن زحمة العمل تحول بينى وبين أن أنفد كل ما أجد فى الأناشيد ، وإن مقدرة الأستاذين كفيلة بأن توفر علىّ جهداً أدخره لأشياء أخر ، والسلام

كامل محمود حبيب

مجلة العصبة فى عامها السادس

دخلت زميلتنا (العصبة) فى يناير عامها السادس وهى أقوى ما تكون إيماناً برسالتها العظيمة وصبراً على جهادها الجاهد . و (العصبة) - كما يعلم قراء (الرسالة) - مجلة شهرية للأدب والفن يصدرها فى سان باولو الأستاذ المجاهد « حبيب مسعود » ويحررها جماعة العصبة الأندلسية ، وهى بحق سفارة الأدب العربى بين أهله فى الوطن وبينهم فى المهجر ، تصل ما بينهم بوشائج روحية من نسب الفكر والبيان والأمل والذكرى ، وتلقى فى روعهم على الدوام أن لهم تاريخاً ولغة وأدباً وأمة حتى لا يفقدوا على تراخى الزمن ونزوح الدار مقوماتهم الجنسية والوطنية فيذوبوا فى غمار الأمم

وبين يدينا الآن عددها الممتاز الذى اعتادت أن تصدره فى آخر كل مرحلة من مراحلها البالغة ؛ وهو طرفة من طرف الأدب النادرة يقع فى نحو ١٨٠ صفحة ويمتاز من سوابقه بغزارة مادته ووفرة صوره وجمال تنسيقه وتنوع موضوعاته، وكان المظنون أن يكون أبناء العروبة فى أقطارها عوناً لهؤلاء الأدباء المجاهدين الصابرين على رفع لوائها فى بلاد العرب، ولكنا نستنتج وا أسفاه من فاتحة هذا العدد وخاتمة هذه المرحلة أن الأدب الحر والصحافة الرشيدة هما فى كل مكان تضحية ومحنة . فقد قال محررها الفاضل فيما قال :

« ...أما عدتنا فمحدودة ، لأن الفئة التى تُقبل على صحيفة من طراز « العصبة » قليل عددها بالنسبة إلى تلك الفئة التى لا يهمها من الصحيفة غير أن تكون متحفاً للأشخاص لا معرضاً للأقلام

حبذا لو أننا عند آخر كل مرحلة نقول : لا علينا ولا لنا . غير أن « علىّ » حليفتنا الأمينة . وما فى ذلك لغز وإبهام، لأن ما ننفقه مستمد أكثره من المشتركين لا من موارد أخرى تغنى عن الاشتراكات . ومع ذلك ليس للتذمر مجال فى أنفسنا ، لأن الجندى فى ساحة الحرب لا يتطلّب مائدة تبسط عليها ألوان الطعام والشراب ولا فراشاً وثيراً . وحسبنا من جهادنا أن نترك صفحة نقية فى تاريخ الصحافة العربية فى المهجر... »

اشتراك « العصبة » فى السنة ستة دولارات أمريكية وعنوانها :

LIGA ANDALUZA
CAIXA POSTAL, 1812
S. PAULO (Brasil)

بين بشر وشاكر

الزلزلة تفيد فى اللغة معنى الاضطراب والتقلقل ، ولكن هل هذه الإفادة تجيز أن يقال إن « الأذن تزلزل طربا » بمعنى الاضطراب والتقلقل ؟

الدكتور بشر فارس يجيز هذا ، لأنه يرى مجاورة فى لغة العرب بين الزلزلة والطرب ، وهو يسوق على ذلك الشواهد ويعزز رأيه بنصوص من كلام البلغاء ، ولكن يغيب عنه أن هذه المجاورة — فى كل الشواهد التى جاء بها — تعتمد على أساسين : جواز الاضطراب والتقلقل على الشىء أولاً ، وإمكان الإحساس والشعور بهذا الاضطراب والتقلقل ثانياً .

وقد لمس الأصل الأول منهما الأستاذ المحقق محمود محمد شاكر، ومن هنا كانت موضع مؤاخذته على صاحبه أن يقول : « أذنى زلزلت طربا » . وهو يقرر أن شرط مجاز الزلزلة أن يكون الشىء يتحرك ويضطرب ويتقلقل . ومن هنا يصح عنده القول إن الرجل يتزلزل ، والأقدام والأيدى والرؤوس والقلوب وما إليها من سائر أعضاء الإنسان المتحركة حركة ما ، وكذلك الحيوان كالإبل جاء راعيها « يزلزلها » ، ولكن لا يصح عند ظنه القول بأن الأذن تتزلزل من الطرب أو الغضب (أو تحت تأثير أى انفعال آخر) ، لأن الأذن لا تتحرك ، وهذا صحيح !

ولكن الدكتور بشر فارس يرى الأذن تهتز طبلتها على جانب المماثلة لحركة مصدر الصوت، ومن هنا يجوز عنده أن يقال إن الأذن تتحرك ويصح رأيه فى أن الأذن تتزلزل طرباً . ولكن هذه الحركة الاهتزازية لا يمكن الشعور بها ، وشرط مجاز الزلزلة ليس الحركة وحدها ، وإنما الحركة أولاً ، ثم وجوب الشعور بها ثانياً . ومن كل الشواهد والأمثلة التى دارت على قلمى المتناظرين نجد أن الإحساس والشعور بالحركة شرط مجاز الزلزلة للشىء المتحرك . ومن هنا نرى أنه لا يجوز لغة القول بأن الأذن تطرب

(أو تنفصل) زلزلة ، لأنه لا يمكن الإحساس والشعور بحركة اهتزاز طبلة الأذن ...

على أن تخريج الدكتور بشر للموضوع طريف، وطرافته تجيء من جهة أن كل عضو من أعضاء الحس تهتز دخائلها . وهذا الاهتزاز حين ينتهي إلى مراكز الإحساس فى الدماغ يحدث الشعور بالإحساس . ومن هنا يمكن أن نقول إن العينين تتزلزلان من الجمال . . . ومن الواضح سخافة مثل هذا المجاز ! ...

ومن المهم أن نقول إن نزعة الدكتور بشر فارس التجديدية ، وجريه وراء مذهب المجددين المغرقين فى تجديدهم فى الغرب ، هى التى أملت عليه هذه الصورة الشعرية النابية عن الذوق وفن اللغة عامة والمجاز خاصة . ألا ترى بيراندللو يقول فى مسرحية له : « واضطربت أذنها وتقلقلت من موسيقى الجاز المزعجة التى كانت تدق فى القاعة » (أنظر فردريك نارديللى فى كتابه — الإنسان المقدس — حياة وآلام بيراندللو، الترجمة التركية، استانبول ١٩٣٩ ص ١١٨ ـ ١١٩) . إن فى هذه الصورة أصلا لتعبير الدكتور بشر: « أذنى زلزلت طرباً » ؛ الموروث من طبيعة بدويّة ، أعرابية ، نجاء متخذاً هذا الكساء .

والدكتور بشر على الرغم من حبه للتجديد فيه لوثة أعرابية على حد تعبير أسود بن أبى خزيمة (البيان للجاحظ ج ١ ص ٧٠ طبعة مصر)

(الاسكندرية) اسماعيل أدهم

{ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى — عابدين }

8me Année No. 348

Lundi - 4 - 3 - 1940

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠ فى مصر والسودان

٨٠ فى الأقطار العربية

١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى

١٢٠ فى العراق بالبريد السريع

٢ ثمن هذا العدد

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع البدولى رقم ٣٤

عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٤٨ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٥ محرم سنة ١٣٥٩ — الموافق ٤ مارس سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

صفحة « الفهرس »

محمد الزعيم



ولدت سنتنا الهجرية الجديدة وا أسفاه فى هذه الأيام التى اختبل فيها إنسان الغرب فزلزل جوانب الأرض على نفسه؛ وأبكم فى فمه حجة العقل ووحى الضمير فلا يتكلم إلا بلسان النار، ولا يصول إلا بيأس الحديد؛ وراحت المنايا الرواعد تدكدك المدن والناس فى نجوات القنابل، فلا ترى اليوم فى بلاد الحرب غير مقبور أو منتظِر، ولا فى بلاد الحيدة غير مذعور أو حَذِر. ومفزَع الشعوب فى غشية هذه الخطوب الزعماء والقادة. فليت شعرى إلى من يفزع العرب والمسلمون من هول هذه الساعة؟ لم يُتح الله لهم بعد محمد وخلفائه زعيماً تجتمع عليه القلوب وترجع إليه الأمور فى أقطارهم البعيدة ووجوههم المختلفة؛ وإنما ابتلاهم

بالانقسام والفرقة حين ضلوا الطريق فكان فى كل قطعة من الوطن الأكبر سرير وأمير ، وتوزعت زعامة محمد فى كل جيل وفى كل قبيل بين عشرات من الرجال المجاف ، فكانت كالشعلة العظيمة الوهاجة تقطعت أقباساً كشموع الأطفال لا تقوى على نَسَم الريح ولا تظهر فى حلَك الليل !

* * *

تعالوا يا زعماء اليوم عانين خاشعين ألق عليكم درساً من زعامة محمد ! إن فيكم زعماء أحزاب ، وليس فيكم زعيم أمة ؛ أما هو فكان زعيم الإنسانية جماء

بلغتم مكان الزعامة الإقليمية عن طريق الحزبية أو الثروة أو القوة ، ثم لم تستطيعوا أن تنسوا ضعف القمىء الصغير الذى ارتفع على كواهل غيره ؛ أما هو فقد بلغ الزعامة العالمية عن طريق الألم والفقر والغربة والجهاد ؛ ثم جمل فى عشر سنين من الرعاة الجفاة المشتتين على رمال القفر ، أمةً متماسكة الأجزاء ، متحدة الأهواء ، متساندة القوى ، متجانسة الطباع ، بلغت رسالة الله وحكمت عامر الأرض ومدنت أكثر العالم

إنكم تكونون قبل الزعامة ناساً كالناس ، ثم تصبحون بعدها آلهة كالآلهة ، تنكرون الخاصة ، وتزدرون العامة ؛ ثم تمتازون فتدخلون بفضل المبادئ المزورة والمناصب المسخَّرة فى دنيا النبلاء والأغنياء ، وماذا بعد هذا ؟ أما هو فقد ملك الحجاز واليمن ، وجبى الجزيرة كلها وما داناها من العراق والشام ، وظل ينام على فراش من أدم حشوه ليف ، ويبيت هو وأهله الليالى طاوين لا يجدون العشاء ، ويمكثون الشهر لا يستوقدون ناراً إنْ هو إلا التمر والماء ، ويلبس الكساء الخشن والبرد الغليظ ويقسم على الناس أقبية الديباج المخوص بالذهب ؛ فإذا أقبل على أصحابه فقاموا إجلالاً له قال لهم : « لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضاً . إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد ، وأجلس كما يجلس العبد » . وكان ذات مرة فى سفر فأمر أصحابه بإصلاح شاة . فقال رجل : علىَّ ذبحها ، وقال ثان : علىَّ سلخها ، وقال ثالث : علىَّ طبخها . فقال الرسول صلوات الله عليه : وعلَىَّ جمع الحطب . فقالوا : يا رسول الله نكفيك العمل . فقال : علمت أنكم تكفوننى إياه ولكنى أكره أن أتميز عليكم !

ولما استعز الله بقاسم الفىء وزعيم الجزيرة وسيد الملوك كانت درعه مرهونة عند يهودى فى نفقة عياله !

إنكم حينما تتزعمون لا تفكرون إلا فى مثوبة الصديق وعقوبة العدو ، ثم لا تخرج أعمالكم وآمالكم عن دائرة الحزبية الصغيرة الحقيرة ؛ فالمنفعة تقاس بمقياس الحزب ، والسياسة تتلون بلون المنفعة . أما هو فكان يعادى فى الله ويصادق فى الله . اشتط فى أذاه المشركون فى مكة والمنافقون فى المدينة ، فلما أمكنه الله منهم بسط عليهم جناح عفوه . وقال لقريش يوم الفتح : يا معشر قريش ! ما ترون أنى فاعل بكم ؟ قالوا : خيراً ! أخ كريم وابن أخ كريم ! قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء

ثم كانت سياسته كنور الله لا تعرف الحدود ولا الخصوص ولا الزمن ؛ إنما هى سر الخالق العظيم استعلن فى سكون الصحراء على لسان الرسول العظيم ، ثم دوَّى فى غياهب الآفاق ومجاهل الأبد ليكون الشعاع الهادى لكل ضال ، والنداء الموقظ لكل غافل

إنكم تُسيرون الجنود إلى الخنادق وتبيتون على حشايا الديباج ، وترسلون العمال إلى المهالك وتظلون فى أبراج العاج ؛ أما هو فكان يقاتل مع الجندى حتى يدمَى ، ويعمل مع العامل حتى ينصب . وكان صحبه إذا احتدم البأس واحمرت الحدَق اتقوا به فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه !

ذلك محمد يا زعماء اليوم وهؤلاء أنتم ! فهل تحسون بينكم وبينه صلة ، أو تجدون بين سياستكم وسياسته مشابهة ؟

لا تقولوا إنه الوحى ، فما كانت حياة الرسول كلها ولا سياسته كلها من هُدى الوحى ؛ ولكن قولوا إنها الرجولة الكاملة والُخلق العظيم والعبقرية الفذة والشخصية القوية . وصفة القوة لا تدل على شىء فى شخصية الرسول ، فإنها لم تظهر فى أحد قبله ولا بعده حتى يقوم بها وصف . وما ظنكم بشخصية تُخضع اليتيم العديم الزارى على الآلهة والسادة ، الرءوسَ الطاغية والنفوس العاتية والقلوب الغلاظ ، فيسمتون سمته فى الخلال ، وينهجون نهجه فى العيش ، ويأخذون إخذه فى المعاملة ، ويجمعون على حبه وطاعته وتفديته إجماعاً لا يخرقه إلا الكفر بالله . فأقواله سنن تتبع ، وأعماله عهود تحفظ ، وآراؤه أوامر تطاع ، وأحكامه أقضية تُنفذ . فعليكم يا زعماءنا بسيرة محمد وسياسة محمد ؛ فلعل فيكم من تدركه نفحة من نفحاته القدسية فيجدد ما رث من دعوته ، ويجمع ما شت من وحدته ، ويصلح ما فسد من أمته ! « قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ، ومن عمى فعليها »

احمد حسن الزيات

الهجرة مبدأ التوحيد والوحدة

لامام المسلمين الأستاذ الأكبر
الشيخ محمد مصطفى المراغى
شيخ الجامع الأزهر



فى سبيل الله هاجرَ سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه إلى يثربَ . هاجر ليجاهد الشرك بالتوحيد ويعالج الشتات بالوحدة . والتوحيد هو روح الإسلام وجوهره ، وسبيل الرسول وغايته . وليس التوحيد الذى تضمن سر الدين كله مقصوراً على ما تعارفه الناس من تنزيه الله سبحانه وتعالى عن الشريك والند ؛ وإنما يشمل كل ما يكفل للأمة وللانسانية الألفة والوحدة والتعاون، من توحيد الله وتوحيد العقيدة وتوحيد الكلمة وتوحيد الغاية وتوحيد الدنيا والدين. وفى سبيل التوحيد فى شتى مظاهره كابد الرسول ما كابد من عنت الشرك وسفه الجهالة وإفراط العصبية .

دعا إلى توحيد الله ، وقد كانت الآلهة تتعدد بتعدد القوى والقبائل والأمم ، وكان الإنسان أهون على نفسه من الحيوان والشجر والحجر فعبد مالا يضر ولا ينفع « وحاجّه قومه قال: أتحاجونى فى الله وقد هدانى ؟ إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلىّ أنما إلهكم إله واحد . ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة ؟ »

ثم دعا إلى توحيد الرأى والجهد فألف بين الأوس والخزرج ، وآخى بين المهاجرين والأنصار، فأصبحوا أشداء على الكفار رحماء بينهم ؛ ثم عاهد بين المسلمين واليهود فانطفأت فى المدينة بعد الهجرة نار العداوة بين الأهل والأهل وبين الجيرة والجيرة .

« إن المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم أمة واحدة من دون الناس ... وإن اليهود أمة من المؤمنين لهم النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم ... وإن الجار كالنفس غير مضارٍّ ولا آثم »[1]

ثم دعا الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً إلى توحيد العقيدة بالرجوع إلى مصدرها الصافى وجوهرها الحق : « قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ، ألا نعبد إلا الله ، ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله » « قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على ابراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم ، ونحن له مسلمون »

ثم دعا الرسول صلوات الله وسلامه عليه إلى توحيد الإنسانية بمحو العصبية القَبَلية وقتل النُّعَرة الجنسية وتغيير القياس لدرجات الناس ، فجعل التقديم والتكريم بالتقوى ، وبذلك زالت الفروق الاجتماعية بين الباهلى والقرشى، وبين الفقير والغنى، وبين الأسود والأحمر « إن ربكم واحد . وإن أباكم واحد . كلكم لآدم وآدم من تراب . إن أكرمكم عند الله أتقاكم . لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى »[2]

ثم وائم بين الدنيا والدين وقد كانت الشرائع الأخرى تفصل بينهما كل الفصل ، فجعل اليهودُ الكهانة فى اللاويين ثم انصرف سائرهم إلى الصفق والاجتراح . ودعا المسيحيون إلى الرهبانية والنسك وترك ما لقيصر لقيصر . ولكن الإسلام جعل الدين للدنيا كالروح للجسم، فلا تعمل إلا بوحيه ، ولا تسير إلا بهديه، فكان خليفةُ الرسول هو ملك الناس ، وكان إمام المصلين هو قائد الجنود

وأنت إذا نظرت فى حياة الرسول بالبصيرة ، وبحثت فى أصول الإسلام بالروية، وجدت مبدأ التوحيد والاتحاد مرمى كل عمل وأساس كل قاعدة . وبفضل التوحيد والوحدة جعل الله العرب القلال الضعاف أئمة للناس وورثة لكسرى وقيصر . فلما انشقت العصا وتمزق المسلمون ونسوا الله وفصلوا بين دينه ودنياهم، ضعفوا ولانوا واستكانوا وأصبحوا بين الأمم القوية قطعاناً تسام وسلماً تساوَم

(١) من الصحيفة التى كتبها الرسول عهداً بين المهاجرين والأنصار واليهود
(٢) من خطبة الوداع

عبقرية محمد العسكرية

للأستاذ عباس محمود العقاد



خطر لى أن أجعل موضوع مقالى فى هذا العدد الخاص بالعرب والإسلام بحثاً مجملاً عن عبقرية النبى عليه السلام من الوجهة العسكرية لتتم المناسبة بين المقال وبين موضوع العدد كله والوقت الذى يصدر فيه وهو وقت قتال أو تحفز لقتال

ولا محل للمشابهة بين الحرب فى عهدنا هذا وبينها فى عهد الرسالة الإسلامية ، لأن الحرب قد أصبحت منذ ابتداء القرن العشرين حرب مواقع ، كالحصون المنيعة من خط ماجينو وخط سيجفريد ، أو كالخنادق التى كانت غالبة فى الحرب الماضية ، ولا سيما فى الميادين الغربية

أما فى القرن الماضى فقد كانت الحرب « حرب حركة » كما كانت قبل أربعة عشر قرناً أو قبل عشرين قرناً بغير اختلاف كبير فى المبادئ والأفكار ، وغاية ما هنالك أن الرامية حلت محل القوس والسهم ، وأن المدفع حل محل المنجنيق ، وأن القذائف حلت محل النار الإغريقية وما إليها

لهذا اخترنا أبرع القادة المحدثين على أسلوب « حرب الحركة » وهو نابليون بونابرت ، لنبين السبق فى خطط النبى العسكرية ، بالمضاهاة بينها وبين خطط هذا القائد العظيم

١ — فنابليون كان يوجه همه الأول إلى القضاء على قوة العدو العسكرية بأسرع ما يستطيع ، فلم يكن يعنيه ضرب المدن ولا اقتحام المواقع ، وإنما كانت عنايته الكبرى منصرفة إلى مبادرة الجيش الذى يعتمد عليه العدو بهجمة سريعة يفاجئه بها أكثر الأحيان ، وهو على يقين أن الفوز فى هذه الهجمة يغنيه عن المحاولات التى يلجأ إليها جلة القواد

وعنده أنه يستفيد بخطته تلك ثلاثة أمور : أن يختار الموقع الملائم له ، وأن يختار الفرصة ، وأن يعاجل العدو قبل تمام استعداده

وقد كان النبى عليه السلام سابقاً إلى تلك الخطط فى جميع تفصيلاتها

فكان لا يبدأ أحداً بالعدوان ، ولكنه إذا علم بعزم الأعداء على قتاله لم يمهلهم حتى يهاجموه جهد ما تواتيه الأحوال ، بل ربما وصل إليه الخبر كما حدث فى غزوة تبوك والناس مجدبون والقيظ ملتهب والشدة بالغة ، فلا يثنيه ذلك عن الخطة التى تعودها ، ولا يكف عن التأهب السريع وعن حض المسلمين على جمع الأموال وجمع الرجال ، ولا يبالى ما أرجف به المنافقون الذين توقعوا الهزيمة للجيش المحمدى فلم يحدث ما توقعوه

وكان عليه السلام يعمد إلى القوة العسكرية حيث أصابها فيقضى على عزائم أعدائه بالقضاء عليها ، ولا يضيع الوقت فى انتظار ما يختاره أولئك الأعداء ، وإضعاف أنصاره بتركه زمام الحركة فى أيدى الهاجين ، إلا أن يكون الهجوم وبالاً على القدمين عليه ، كما حدث فى غزوة الخندق

٢ — وقد كان نابليون مع اهتمامه بالقضاء على القوة العسكرية لا يغفل القضاء على القوة المالية أو التجارية التى يتناولها اقتداره ، فكان يحارب الإنجليز بمنع تجارتهم عن الوصول إلى القارة الأوربية ، وتحويل المعاملات عن طريق انجلترا إلى طريق فرنسا

وهكذا كان النبى عليه السلام يحارب قريشاً فى تجارتها ، ويبعث السرايا فى أثر القوافل كلما سمع بقافلة منها

لقد آن للمسلمين أن يرجعوا إلى ما دعا إليه نبيهم ، ويتبعوا ما صلح عليه أولهم ، فيوحد زعماؤهم الجهود ، ويحدد أحزابهم الخطط ، وتستعد شعوبهم للقيام بنصيبهم الأكبر من بناء حضارة روحية جديدة تقوم على العدل ، وتستقيم بالمساواة ، وتستضىء بالدين ، ويرتفع فى جنباتها المترامية ذكر الله « ولينصرن الله من ينصره ، إن الله لقوى عزيز ، الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، ولله عاقبة الأمور » .

محمد مصطفى المراغى

وأنكر بعض المتعصبين من كتاب أوربا هذه السرايا وسموها « قطعاً للطريق » وهى هى سنة المصادرة بعينها التى أقرها القانون الدولى ، وعمل بها قادة الجيوش فى جميع العصور ، ورأينا تطبيقها فى الحرب الحاضرة والحرب الماضية ، رشيداً تارة وبالغاً مبلغه من الشطط والغلواء تارة أخرى .

٣ — وقد أسلفنا أن نابليون كان يوجه همه إلى الجيش ولا يقتحم المدن أو يشغل باله بمحاصرتها لغير ضرورة .

ونرجع إلى غزوات النبى عليه السلام ، فلا نرى أنه حاصر محلة إلا أن يكون الحصار هو الوسيلة العاجلة لمبادرة القوة التى عسى أن تخرج منها قبل استعدادها ، أو قبل نجاحها فى الغدر والوقيعة، كما حدث فى حصار بنى قريظة وبنى قينقاع، فكان الحصار هنا كمبادرة الجيش بالهجوم فى الميدان المختار بغير كبير اختلاف

٤ — لم يعرف عن قائد حديث أنه كان يعنى بالاستطلاع والاستدلال عناية نابليون .

وكانت فراسة النبى فى ذلك مضرب الأمثال ، فلما رأى أصحابه يضربون العبدين المستقيين من ماء بدر ، لأنهما يذكران قريشاً ولا يذكران أبا سفيان ، علم بفطنته الصادقة أنهما يقولان الحق ولا يقصدان المراء . وسأل عن عدد القوم ، فلما لم يعرفا العدد ، سأل عن عدد الجزور التى ينحرونها كل يوم ، فعرف قوة الجيش بمعرفته مقدار الطعام الذى يحتاج إليه . وكان صلوات الله عليه إنما يعول فى استطلاع أخبار كل مكان على أهله ، وأقرب الناس إلى العلم بفجاجه ودروبه ، ويعقد ما يسمى اليوم مجلس الحرب قبل أن يبدأ بالقتال ، فيسمع من كل فيما هو خبير به، ولا يأنف من الأخذ بنصيحة صغير أو كبير ...

٥ — واشتهر عن نابليون أنه كان شديد الحذر من الألسنة والأقلام ، وكان يقول إنه يخشى من أربعة أقلام، ما ليس يخشاه من عشرة آلاف حسام

والنبى عليه السلام كان أعرف الناس بعمل الدعوة فى كسب المعارك وتغليب المقاصد، فكان بيانه عن بعض أفرادهم يشهرون بالإسلام أو يثيرون المشركين لقتاله أو يقذعون فى هجوه وهجو دينه ، فينفذ إليهم من يحاربهم فى حصونهم أو يكفل له الخلاص منهم

وعاب هذا بعض المغرضين من الكتاب الأوربيين وشبهوه بما عيب على نابليون من اختطاف الدوق دانجان وما قيل عن محاولته أن يختطف الشاعر الإنجليزى كولردج الذى كان يخوض فى ذمه ويستهوى الأسماع بسحر حديثه

ولكن الفارق عظيم بين الحالتين ، لأن حروب الإسلام إنما هى حروب دعوة لدعوة أو حروب عقيدة لعقيدة ، وإنما هى فى مصدرها وغايتها كفاح بين التوحيد والشرك أو بين الإلهية والوثنية ، وليس وقوف الجيش أمام الجيش إلا سبيلاً من سبل الصراع بين الدعوتين والغلاب بين العقيدتين

فليس فى حالة سلم مع النبى إذن من يحاربه فى صميم الدعوة الدينية، ويقصده بالطعن فى لباب رسالته الإسلامية، وإنما هو مقاتل فى الميدان الأصيل ينتظر من أعدائه ما ينتظره المقاتل من المقاتلين، ولا سيما إذا كانت الحرب قائمة دائمة لا تنقطع فترة إلا ريثما تعود

أما نابليون فالحرب بينه وبين أعدائه حرب جيوش وسلاح ، فلا يجوز له أن يقتل أحداً لا يحمل السلاح فى وجهه أو لا يدينه القانون بما يستوجب إزهاق حياته . وما نهض نابليون لنشر دين أو تفنيد دين ، ولا كان للرسول الإسلامى من غرض لو جاز له أن يقبل المسالمة ممن يحاربونه فى دينه وإن لم يشهروا السيف فى وجهه ، فإن الضرب بالسيف لأهون من القتل الذى يضربون فيه

تلك مقابلة مجملة بين الخطط التى سبق إليها محمد ، وجرى عليها نابليون بعد مئات السنين ، ومن الواجب أن نحكم على قيمة القيادة بقيمة الفكرة أو الخطة قبل أن نحكم عليها بفخامة الجيوش وأنواع السلاح .

ولم يتخذ محمد الحرب صناعة ، ولا عمد إليها كما أسلفنا إلا لدفع غارة ، واتقاء عداوة ، ورائده فى ذلك ما جاء به القرآن الكريم : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين . واقتلوهم حيث ثقفتموهم ، وأخرجوهم من حيث أخرجوكم ، والفتنة أشد من القتل ، ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه ، فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين . فإن انتهوا فإن الله غفور رحيم . وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ، ويكون الدين كله لله ، فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين »

فإذا كان محمد لم يتخذ من الحرب صناعة وكان يتقى منها ما يتولاه مدفوعاً إليه ، فله فضل السبق على جبار الحروب الحديثة الذى تعلمها وعاش لها ولم ينقطع عنها منذ ترعرع إلى أن سكن فى منفاه ، ولم يبلغ من نتائجها بعض ما بلغ القائد الأمى بين رمال الصحراء .

عباس محمود العقاد

شريعة الإسلام نظام لكل عصر

للأستاذ على الخفيف
أستاذ الشريعة بكلية الحقوق



جاء الإسلام فكان مبيناً فى عقائده ، محكماً فى دلائله ، أسس على اليقين فتمت له قوته ، ومثّل الفطرة فكان له بساطتها وصفاؤها وكان لهذا ديناً صالحاً للناس أجمعين ، يسوى بينهم جميعاً ، فإذا هم أمة واحدة ، لها شرعة واحدة ورياسة واحدة . على هذا الأساس شرعت مبادئه حتى تكون على الدوام أساساً لصلاح المجتمع الإنسانى

ولقد أطلق الإسلام العقول من قيود الأوهام ، وزكى النفوس من دنس الأباطيل ، فأبصرت ما فى هذا الكون من آيات ، فإذا المشرك مؤمن ، والجاهل عالم ، والضعيف قوى

أما عقيدته التى جاء بها ، فهى الفطرة خلصت لله سبحانه وتعالى ، فاطرحت كل ما سواه ، وقررت أنه هو الإله وحده ، وهو الخالق وحده ، له الأمر وإليه المصير

ذلك التوحيد ، وهذا الخلوص هو ما فطر عليه الناس ، وما يجدونه عند مفزعهم ، حين ينسون مشاغلهم ، وما يحسونه من نفوسهم إذا صفت ورجعت إلى طبيعتها ، خالصة مما حاق بها من نزعات شهوانية ورغبات مادية ، وليس يسع الرجل الرشيد ، وقد تبين له الأمر إلا أن يستجيب لتلك الدعوة ، تكريماً لنفسه ، وإطلاقاً لعقله ، وتلبية لفطرته . وإذن فعقائد الإسلام مستكنة فى النفوس ، لا يعوقها عن الظهور إلا ما غشى النفوس من أوهام موروثة ، وغطى على القلوب من شهوات مشبوبة ، وأضعف الضمائر من عادات فاشية ، وهى بذلك فى غنى عن التعريف بصلاحها ، وعن التدليل على عمومها . وأما أخلاقه وفضائله ، فقد جاءت صلاحاً للنفوس وحاملاً لها على الخير

هذان الأمران هما : لب الإسلام وأساسه ودعامته التى قام عليها ، وغايته التى يرمى إليها بما شرع بعد من وسائل وما أمر به من أعمال وما نهي عنه من محرمات . عنى بهما الإسلام حين جاء فدعا محمد صلى الله عليه وسلم الناس أول ما دعا إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، وأهاب بالوثنيين أن يتركوا أوثانهم ، وبالمشبهين أن يتطهروا من تشبيههم ، وبالطبعيين أن ينظروا بأبصارهم ويتدبروا بعقولهم ، وبالمثلثين أن ينبذوا تثليثهم ويتذكروا فى خلقهم . جاء بهذه الدعوة كى يحرر الناس عقولهم ويخلصوا أنفسهم ويطهروا قلوبهم ويدينوا جميعاً لمن فطر السموات والأرض وما بينهما

قام عليه الصلاة والسلام بهذه الدعوة فقرن بينها وبين دعوته إلى الأخلاق وعنايته ببيان آثارها وتفصيل حقائقها والموازنة بينها وبين ما شاع فى الناس يومئذ من الطبائع الخبيثة والعادات السيئة لتتعاون الدعوتان على إصلاح النفوس لتتهيأ لما سيشرع من نظام يكون به عُلو كلمة الإسلام فى الوجود ، ونشر سلامه على العالم . أقام على ذلك جاهداً لا يلويه عن غرضه قوة ، ولا يرده عن غايته أذى . إلى أن أمر بالهجرة إلى المدينة ؛ فلما اطمأن إلى مقامه فيها ، شرع للمؤمنين من الشرائع الاجتماعية ما تقوم عليه دولتهم وتتأسس به حكومتهم ، وما يدفع عنهم العدوان ، ويقيهم أسباب الانحلال

تلك هى غاية الشرائع الإسلامية الاجتماعية والحكمة التى روعيت فى فرضها ؛ لم تفرض لتكون وسيلة من وسائل العبادة فحسب ، ولكنها وضعت لتكون العلاج الذى يشفى النفوس من عللها ، ويقى الجماعات من أمراضها

لذلك امتدت وتشعبت حتى انتظمت جميع نواحى الحياة . فانقسمت إلى شرائع مالية تنمى المال وتقرر الحقوق وتقوم على تحقيق الاقتصاد ، وإلى شرائع اجتماعية تبين للأسر حقوقها وتوثق الصلات بين أعضائها حتى تكون لبنة قوية فى بناء الأمة ، ثم تتجاوز الأسرة إلى شؤون العمل فتحض عليه وتنظمه ، وإلى شؤون التربية والصحة وغيرها من الشؤون الاجتماعية فتضع لها الأسس وتبين لها الطرق إلى غاياتها ؛ ثم إلى شرائع الزجر منعاً للعدوان ؛ وإلى شرائع الحرب إعداداً للقوة وتحديداً للعلاقات بين المتقاتلين فى الأموال ، ومعاملة الأسارى ، والتصرف فى الغنائم ؛ ثم إلى شرائع سياسية تنظم العلاقات الخارجية وتعين

الإدارة الداخلية من حيث اتصال الحاكم بالمحكوم ، وغير ذلك مما يؤسس عليه بناء الدولة ، ويقوم عليه عمرانها

هذه هي مناحي الإسلام في تشريعه وهي كما نرى جامعة لكل نواحي الحياة الاجتماعية الحاضرة؛ غير أن تشريعه فيها كان تشريعاً كلياً يقرر المبادىء العامة ويضع الأسس الثابتة ويدع المجال للتفصيل والتطبيق ليتم له الخلود، ولم يكن له من مصدر إلا القرآن الحكيم وبيان الرسول الكريم . أنزل القرآن بالأصول العامة وجاء بيان النبي صلى الله عليه وسلم وسنته بالفروع التي تخرج منها . أتى القرآن بالإجمال والعموم وتكفلت السنة بالبيان والتطبيق ؛ فإذا قرأت القرآن وتدبرت آياته وجدت في تشريعه عناية ببيان هذه الأصول العامة وحض الناس على المحافظة عليها . فإن أردت المثال فارجع إلى قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم » وقوله تعالى : « الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا . وأحل الله البيع وحرم الربا » . « يمحق الله الربا ويربي الصدقات » وقوله تعالى : « ولكم في القصاص حياة ... » . وقوله تعالى : « والجروح قصاص » . وقوله تعالى : « الرجال قَوَّامُونَ على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم » . وقوله تعالى : « ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة » . وقوله : « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » . وقوله : « وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولاً » . وقوله : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين »

هذه سنة القرآن في التشريع لم تتخلف إلا في النزر اليسير. استنها ليكون تشريعه نظاماً لجميع الأمم، وليبقى صالحاً على مرور الزمن . فهو الشريعة العامة التي تمهد لتحقيق الجامعة الإنسانية وتهيئ العقول لتتجه وجهة واحدة في تبيين الحق وتقدير الجزاء ووضع المعاملات على أسس ثابتة ، وإنماء الأموال بطرق خالية من الخداع، وتدبير الشئون الاجتماعية على نمط يحقق المصلحة العامة؛ ثم هو يقارب بين الأمم المختلفة حتى تتعاون جميعاً في العمل إلى خيرهم مجتمعين . ذلك لأن الأحكام الجزئية والفصل في الحوادث المتجددة لا يستقر مع الزمن ولا يصلح لكل مكان ، لأن الناس في تطور لا ينتهي إلى غاية، وفي تجدد ليس له نهاية

فإذا رجعنا إلى ما شرعه الإسلام في الأموال من أصل وجدنا أنه أسس التعامل فيها على الرضا إذ يقول « إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم » ويقول « فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً » وإذن فليس علينا عند التفصيل إلا أن نرد كل عقد إليه على ألا يتعدى ذلك حقوقنا وألا نخرج به عن رشدنا، فإن تعدينا الحدود بالخديعة والغش فقد اقترفنا الإثم الكبير وأذنا الله ورسوله بالحرب

يعجب كثير من الناس لتحريم الربا وقد زعموا أنه دعامة التجارة وعماد العمارة ومدعاة التعاون، وقد أصبح على أي افتراض ضرورة الزمن . زعموا ذلك وكأنهم لا يسمعون بكاء صرعاه ، ولا يبصرون مصارع قتلاه . لئن قام عليه بيت فقد خربت به مئات البيوت ، ولئن انفرج به يوماً ما ضيق فكم ضيق على صاحبه السبل . وماذا فعل الربا بأهل الأسر الكريمة منا ؟ ألا نرى أن الدين قد طغى على رأس المال بسبب تراكم فوائده حتى صار أضعافاً مضاعفة على الرغم من أداء ما كان بني بأكثره إن لم يزد على أصله ، وأنهم قد أصبحوا على شفا هاوية الإفلاس المدمر ؟

إذا تقدم صاحب المال به لاستثماره وإنمائه فليس له إلا أن يضع نفسه منه حيث يكون إذا اتجر فيه فربح أو عمل فخسر، وفي هاتين الحالتين له ربحه وعليه خسارته، وليس له عن هذا مفر فتلك طبيعة السعي وسنة التجارة ، وإذا كان هذا مآله وهو الحريص على ماله الطامع في ربحه فلم يطلب من غيره وقد قام مقامه فيه أن تكون الأسعار في قبضته فلا يتجر إلا ربح ، ولا يطلب إلا ظفر ، حتى لا يرضى منه أبداً إلا بالربح القدر أو الثواب المعجل ؟ أليس ذلك بالطمع المرذول والتحكم الظالم ؟

وكذلك الحال في طريق الحكم وإدارة أمور الدولة ، جعل الأساس فيه الشورة فقال «وشاورهم في الأمر» ، فنفى الاستبداد بأنواعه وقضى عليه بأشكاله ، وأقام أمر الناس على الشورى ، وجعل لهم بعد ذلك الخيرة في نوع الحكم الشورى الذي يلائمهم ويتفق مع ثقافتهم ويتصل ونشأتهم ، ويتدرج مع نموهم ملكياً كان أو جمهورياً بمجلس واحد أو بمجلسين ذلك لأنه لا يوجد نظام معين للحكومة صالح على الإطلاق، إذ الصلاحية وصف عرضي معناه التناسب بين نوع الحكم وحال الأمة التي اتخذته نظاماً لسلطانها

وفي شرائع القتال سن القواعد الكفيلة بمنعه، والمخففة لويلاته إذا وقع ، والداعية إلى السلم إذا أمكن ، فقال « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا» وقال: «وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة » وقال: « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا

إن الله لا يحب المعتدين » وقال: «فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين » وقال: « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » والحرب إذا كانت للدفاع ومنع الظلم وخلت من العدوان والبغى ولم تتجاوز فى أهوالها ما اقتضته الضرورة وانتهت عند حد الدفاع كف البغى، كانت صيانة للسلم وضرورة يتطلبها الوجود، من تركها هلك

أما أساس الروابط بين المسلمين فهى الأخوة . إنما المؤمنون أخوة . وبينهم وبين غيرهم البر والإقساط ، لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين . وذلك كفيل بتوثيق العلاقات بين الأمم وتأكيد المودة بينهم ما لم يبغ بعضهم على بعض طمعاً فى مال أو علواً فى الأرض أو تحكماً فى العقائد . هذا إلى ما شرعه من القواعد فى إصلاح حال اليتامى وإدارة أموال السفهاء ، وما فرضه من الحقوق فى أموال الأغنياء للفقراء ، وما جاء به من الأوامر حاضاً على التعلم والعمل والسعى فى الأرض ، والمحافظة على الأجسام حتى تتعاون الأمة فى إصلاح أمورها والمحافظة على أموالها ، والقضاء على الأمية فيها ، والقضاء على البطالة ، وحتى لا تجد مبادئ الاشتراكية المتطرفة السبيل إلى نفوس أفرادها ، ولا الأوتقراطية القاسية الوسيلة إلى المقام فيها

هذه سنة القرآن فى تشريعه فى جميع نواحى الحياة شخصية واجتماعية، سياسية ومالية، إدارية وقضائية، لم تتجاوز القواعد العامة إلى التفاصيل التى تتطور بتطور الأمم ، وتتجدد بتجدد الحوادث ، وتختلف باختلاف البيئات ، ولذا بقيت مبادئه سليمة ، تناسب كل الأمم ، فيتسنى لها أن تتخذها أساساً فى تشريعها حسب ما تقتضيه بيئتها ومصالحها .

كانت هذه طريقته ، إلا فى مسائل معدودة عمد فيها إلى نوع من التفصيل والتطبيق ، لأن مصلحة الناس فى ذكره ومفسدتهم فى تركه ، فإنه وإن ترك أمر تقدير العقوبة إلى أولى الأمر لابتنائه على ما يحيط بالجانى من ظروف ، وما يتصل به من أسباب ، وما له من ثقافة وتربية، استثنى من الجرائم خمساً لما فيها من الاعتداء البالغ على الدين والنفس والمال والعرض ، وهى السعى فى الأرض بالفساد والقتل والزنا والسرقة والقذف ، جعل لكل منها جزاء يمكن أولاً أن يتخذ معياراً فى تقدير العقوبة على الجملة مع مراعاة قوله تعالى : « وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به » فبين جزاء الأول فى قوله تعالى « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ، أو ينفوا من الأرض ، ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم ، إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم » وجزاء الثانية فى قوله : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى : الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى » . وجزاء الثالثة فى قوله : « الزانية والزانى ، فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ، ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين » وجزاء الرابعة فى قوله « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالاً من الله » وجزاء الخامسة فى قوله «والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة » فهذه عقوبات دائمة تتناسب فى شدتها وصرامتها مع عظم آثار جرائمها حتى تكون مانعة من العود مصلحة للنفس ، ومن كبير القول وصفها بأنها عقوبات لا تتفق مع هذا الزمن أو لا تتلاءم مع حال هذه الأمة وما وصلت إليه من ثقافة وحضارة وتمدين، لأن حضارتها أو ثقافتها إذا جنبتها هذه الجرائم فقد تجنبت، كذلك جزاءها، وإن اقترفتها كان جزاؤها العلاج الواقى من تكرارها . وقد ترك بعض الأمم عقوبة القتل وما لبث أن عاد إليها، وكذلك أهملت العقوبات الأخرى فانتشر الزنا وعمت السرقة وفحش القول، ولا منجاة إلا باتباع ما سنه القرآن فى جزائها، وليس يوزن الجزاء بموافقته للهوى وائتلافه مع الميل وإنما يوزن بما يفيد من أثر فى الردع ونتيجة فى الإصلاح

وكذلك فعل فى تشريع الميراث فعين لكل وارث حظه مما ترك مورثه، لأن المال كان ولا زال مثار الفتن، ومصدر البغضاء والإحن، ومنشأ الخصومة والفرقة، والاتفاق على توزيعه بين الورثة عسير، ورده إلى مقاييس معقولة وموازين مسلمة غير ممكن، فكان لا بد من أن يجنب الورثة ما يجلب عليهم الشقاء ويشيع فيهم الخلاف وذلك بأن يقسم بينهم الحكيم العادل القسمة المرضية المبنية على كمال الحكمة والمحققة لتمام العدل وسكون النفس ورضا النير

اقترن التشريع القرآنى بالتشريع النبوى وهو المعروف بالسنة فكان الثانى للأول مبيناً لإجماله مطبقاً لقواعده، وليس كل ما يؤثر عن النبى صلى الله عليه وسلم من التشريع، لأنه عليه السلام بشر من الناس لهم مثل ما لهم من الأمور العادية والمهام البشرية فما يؤثر عنه فى هذا المحيط لا يعد من التشريع ولا يتخذ أساساً لأمر ونهى، ولكل إنسان عادته البشرية يتبع فيها قومه وسلفه ويتأثر

موقعة عين جالوت

للدكتور عبد الوهاب عزام

— ١ —



أردت أن أكتب مقالاً للرسالة – لعددها الهجري الممتاز – فنقب فكري في أرجاء التاريخ الإسلامي، حتى عنّ لي هذا الرأي. قلت: لماذا لا يسجل في هذا – العدد الهجري – بعض الخطوب الكبيرة في التاريخ الإسلامي؟ ولا سيما الخطوب التي وقعت في نظائر السنة التي تصرمت، أو السنة التي استهلت. قد تصرمت سنة ١٣٥٨، وأقبلت سنة ١٣٥٩، فأستعرض نظائرهما. عبرت سنى ٥٨ و ٥٩ من قرون التاريخ الهجري كله، فرأيت أحداثاً كثيرة، وغِيَراً عظيمة. فلما هممت بالكتابة، تبينت أن مقالاً يكتب على هذا الشرط، لا يعدو أن يكون ثبتاً للحوادث مختصراً، أو مقالاً مفصَّلاً يزيد على حاجة المجلة.

فلم أجد بدًّا من تخـيُّر بعض الحوادث، فررت بخطوب جسام، وحادثات صغار، حتى انتهيت إلى عام ٦٥٨ فوقفت وقفة كدت أمسك فيها القلم لأكتب في واقعة هائلة عظيمة الأثر كانت في هذا العام، ثم جاوزتُها إلى واقعات أخرى، حتى بلغت وقتنا هذا، ثم رجعتْ بي الرغبة إلى تلك الواقعة، إذ رأيتها عظيمة الأثر في تاريخ المسلمين عامة وتاريخ مصر خاصة، فأخذت القلم لأكتب عن «موقِعَة عين جالوت»:

كان عام ٦٢٨ فاتحة شر مستطير في العالم الإسلاميّ: سالت فيه جيوش جنكيز من هضاب الصين تفرق كل شيء وتدمِّر كل شيء، طغت على التركستان فجرفت عرش ملوك خوارزم ودارت بالمدن العظيمة تخريباً وتدميراً، وفر محمد خوارزمشاه وكان كما قال مسلم بن الوليد:

وطار في إثر من طار الفرار به   خوف يعارضه في كل أخدود

وورث ابنه جلال الدين ملكا في أيدي التتار، ومجداً بين الطعان والضراب، فصبر وصابر وجاهد ما بين نهر السند إلى حدود العراق يحاول جهده أن يلمّ الشمل ويرأب الصدع، ويخلق من الفرقة اجتماعاً، ومن الضعف قوة، ومن الذعر ثباتاً، ومن اليأس رجاء، حتى اغتالته المنون بعد أن أعجزتها مصاولته، وختلته بعد أن أعيتها مجاهرته

وانتشر الرعب، وعمّ الفزع، ولم يثبت للتتار جيش ولا حصن في شرقيّ البلاد الإسلامية

وما لي أكلف نفسي الوصف ولا أستمع لابن الأثير، وقد عاش على شاطىء هذا الطوفان، وأحسّ لفح هذه النار، يحدِّث حديث هذه الوقائع:

فيها ببيِّنته؛ أما غير ذلك مما يتصل بالتشريع للناس وإلزامهم باتباعه فهو السنة المتبعة. غير أن مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه الدائرة كانت مكونة من عملين: الأول بيان التشريع القرآني، الثاني تطبيقه على الحوادث الواقعة والمسائل المتجددة، فأما البيان فهو متمم للقرآن ولتشريعه وهو لهذا أصل من أصول التشريع الإسلامي واجب اتباعه، وعلى الناس مراعاته. وأما التطبيق على الحوادث بالفصل في الخصومات وفض النزاع في المشكلات، فذلك ينبني على ما لكل حادثة من ظرف، وما لابسها من ملابسات، وما أحاط بها من عوامل مما لا يعيه إلا المتصدي لحلها الذي أقام نفسه لحل إشكالها، فإذا نقل الحكم فيها صعب على ناقله أن يستوعب جميع دواعيه، فذكر منها ما تنبه له ووعاه وما حفظه وأحصاه وما استقر في ذاكرته فلم ينسه، ومن هذا أتى اختلاف الرواة عند ما يرون حادثة واحدة، فكان ذلك سبباً في اختلاف الآراء وتعدد المذاهب وتنوع العمل. ومن هذا يتبين أن التشريع النبوي لم يخرج في أغراضه وحكمته عن التشريع القرآني بل الغرض فيهما واحد والحكمة واحدة والغاية واحدة، وهي أن تهيأ للناس حياة صالحة يستمتعون فيها جميعاً بحرياتهم وتتوافر لهم فيها حقوقهم، ويعتمدون فيها على عقولهم وأفكارهم وتنتهي بهم إلى مجتمع مؤسس على الإخاء والتعاون يقوم على النشاط الفكري ويعتمد على العمل المنتج الاجتماعي ولا يهمل الشأن الفردي.

علي الخفيف

هذا الفصل يتضمن ذكر الحادثة العظمى والمصيبة الكبرى التى عقمت الأيام والليالى عن مثلها عمت الخلائق وخصت المسلمين فلو قال قائل : إن العالم منذ خلق الله سبحانه وتعالى آدم إلى الآن لم يبتل بمثلها ؛ لكان صادقاً ، فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ولا ما يدانيها ... الخ

— ٢ —

مات جنكيز خان سنة ٦٢٤ بعد أن قسم بين أولاده ما فتح من الأرض وما لم يفتح ، وامتد الفتح فى آسيا وأوربة ، وكانت غِيَر ، حتى أرسل بنكو قاآن حفيد جنكيز — أخاه هولاكو سنة ٦٥١ ليفتتح حصون الاسماعيلية ثم يفتح بغداد فأخضع أمراء إيران والقوقاز إلى عام ثلاثة وخمسين واستولى على أكثر قلاع الاسماعيلية .

ثم جاءت الطامة الكبرى فاستولى على بغداد ، ومحا الخلافة العباسية تاسع المحرم سنة ست وخمسين وستمائة (١٦ يناير ١٢٥٨) لقد طوى أجداده الممالك الإسلامية إلى العراق ، ثم أصاب هو المسلمين فى الصميم إذ أخذ بغداد التى لبثت مقر الخلافة وقبلة المسلمين فى العلم والحضارة أكثر من خمسة قرون

ماذا يصد هولاكو عما يشاء ؟ من ذا يقف للجيوش التى لبثت ثلاثين سنة تسير من ظفر إلى ظفر ، ومن مملكة فتحتها إلى مملكة قدر لها أن تفتحها ؟ إن آسيا ما بين قراقروم وبغداد فى قبضة أبناء جنكيز ، وإن أوربا الشرقية إلى البحر الأدرياتى قد عنت لأمرهم . ليس على هلاكو إلا أن يسير الجيوش فتطوى الأرض ، ويثير الحروب فتخر الممالك ، ويوعد الملوك فيخذلها جندها ، وينزل بالمدينة فتسلمها أسوارها . عزمة تسخر له الشام ، وأخرى تقهر له مصر ، ثم عزمات تبلغ به بحر الظلمات

— ٣ —

سار التتر إلى الشام فلم تستطع حلب لهم دفعاً ، وهؤلاء المعتصمون بقلعتها لن يجديهم الاعتصام ، ولا مناص لهم من الاستسلام بعد شهرين . وسارع أهل حماة إلى حلب فأعطوا هلاكو مفاتيح المدينة . ولم تثبت للقوم مدينة بين حلب وغزة

وأما أمراء الشام من بنى أيوب فمنهم من انحاز إلى التتر مؤثراً العافية ، ومنهم من لجأ إلى مصر مستنجداً . والملك الناصر أكبر هؤلاء ترددت به الحيرة بين حدود مصر والشام فلم يجد إلا المسير إلى هلاكو

وأبت مصر التى تجاهد الصليبيين منذ مائة وستين عاماً ، أن تذل للتتر ؛ فجمعت ما فيها من إيمان وقوة وخرجت فى رمضان سنة ٦٥٨ وصمدت للقوم فالتقى الجمعان على عين جالوت فى فلسطين . فأما التتر فلم يعرفوا فى الحرب إلا الانتصار منذ سال سيلهم على البلاد الإسلامية قبل ثلاثين سنة . ماذا يخشون من جيش مصر وقد مزقوا للمسلمين جيشاً بعد آخر ، ولم تصدّهم البسالة والاستقتال دون غاية . وأما جيش مصر الذى جمع المصريين وعرب البادية من مصر والشام فقد أيقن أنها الموقعة الفاصلة ، وأن هزيمةً فى عين جالوت تفتح طريق العدو إلى مصر فالمغرب ، فصمّموا أن ينتصروا ؛ وكثيراً ما تلد العزيمة الظفر . ولم يزلزل عزائمهم أن رأوا بعض أمراء المسلمين فى صفوف العدوّ — ذلك الأمير الشقى المتسمّى الملك السعيد

التقى الجمعان يوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان عام ثمانية وخمسين وستمائة ، واحتدم القتال وصبر المسلمون ثم صبروا ، ولقوا من حملات التتار ما يوهن العزائم فلم يهنوا . إلى من يكون الدفاع عن الإسلام والمجد إذا لم يستميتوا فى عين جالوت ؟

كتبغا قائد التتر قتيل ، وابنه أسير ، وجنده مصرّعون فى حومة القتال ، وبقايا السيوف منهم يلوذون برءوس الجبال

علم المسلمون يومئذ أنه يستطاع هزم التتر فلم يثبت القوم فى بقعة من بقاع الشام وأسرعوا فى الرجوع إلى الشرق

جمع التتر شملهم وأعدوا للحرب عُددهم ثم رجعوا فاستولوا على حلب بعد شهرين من موقعة عين جالوت ، ولكن عين جالوت قد فصلت فى القضية من قبل وعلمت المسلمين أن الأمل والعزم والإقدام تغلب كل عدو ولو كان التتر جنود هلاكو حفيد جنكيز

اجتمع المسلمون على حمص وسار التتر إليهم . فليشهد القارئ قبل المعركة جماً من أمجاد العرب يسيرون إلى حومة الوغى :

قال الشيخ شهاب الدين الحلبى : كنت فى نوبة حمص فى واقعة التتار جالساً على سطح باب الاصطبل السلطانى بدمشق إذ أقبل آل مرا[1] زهاء أربعة آلاف فارس شاكين فى السلاح على الخيل المسوّمة والجياد المطهمة وعليهم الكزغندات[2] الحمر ، والأطلس المعدنى والديباج الرومى ، وعلى رؤوسهم البيض كأنهم صقور على صقور ، وأمامهم العبيد تميل على الركائب ويرقصون بتراقص المهارى ، وبين أيديهم الجنائب ، ووراءهم الظعائن

---

(١) آل مرا من آل ربيعة من طيء

(٢) كزغند معرب خزكند وهو قباء محشو بالحرير يلبس فى الحرب

ميراث الأوائل

للأستاذ عبد الله عفيفى بك



لعلنا أعظم الأمم ميراثاً من الذكريات ولعلنا كذلك أقل الأمم نصيباً من هذا الميراث العظيم .

ما تمر بالمسلمين أيام حتى تساق إليهم ذكرى ينحنى لها تاريخ الإنسان ، وفى سياق هذه الذكرى تسمع الرأى الثاقب ، والقول المهذب ، والشرح والتحليل ؛ ثم تنطوى تلك الصفحة ، ولا يذكر الناس إلا أن شاعراً أرقّ من شاعر، وكاتباً أبين من كاتب ، وخطيباً أفصح من خطيب ! !

وما أسرع ما تستيقظ المشاعر وينتبه الرأى ويثور الوجدان !

والخول ، ومعهم مغنية لهم تعرف بالحضرمية طائرة السمعة سافرة من الهودج وهى تغنى :

وكنا حسبنا كل بيضاء شحمة ليالىَ لاقينا جُـذاماً وحميرا
ولما لقينا عصبة تغلبية يقودون جرداً للمنية ضُمّرا
فلما قرعنا النبع بالنبع بعضه ببعض أبى النبع أن يتكسرا
سقيناهم كأساً سقونا بمثلها ولكنهم كانوا على الموت أصبرا

ودارت الحرب عند حمص يوم الجمعة خامس عشر المحرم سنة تسع وخمسين وستمائة، فإن تسألنى كيف كانت عاقبتها فهى العاقبة التى بشرت بها موقعة عين جالوت

فارق التتار الشام إلى غير رجعة

عبد الوهاب عزام

ولكن شيئاً واحداً لا يستيقظ ، ولا ينتبه ، ولا يثور ، وهو الروح ... والروح وحده مصدر الحياة ومصدر القوة ومصدر العزم ومصدر الاحتمال ...

وليس بشىء أن تنتبه المشاعر ، وتنفطر القلوب ؛ فحسب المشاعر لتنتبه ، وحسب القلوب لتنفطر ، كلمة باكية من ممثل موهوب . وليس بشىء أن يستيقظ الرأى ، ويثوب التفكير ، فما من أحد من المسلمين لا يعلم علماً لا شك فيه كيف كان المسلمون، وإلام صاروا ، وما الذى أخافهم بعد أمن ، وبددهم بعد التئام ...

ما من رجل تراه إلا يعيب الخطيئة بلسان طلق وأسلوب مبين ، ثم يجترح الخطيئة بقوة جامحة وهوى مبيح

نحن إذن لا نشكو ضعف الرأى ولا هوان الشعور ، ولكننا نشكو خمود الروح وضعف الروح

ومن خمود الروح أن نرى الحق يثقل على الناطق به ، والمستمع له ، فلا ترى لرسالة الحق من ولىّ ولا نصير

ومن خمود الروح أن نبدأ العمل بقوة صاخبة ، ثم ما نزال يذوى ويتساقط ويتبدد ذووه حتى ينقضى أثره ويصير خبره حديث الساخرين ، وسخرية الشامتين

ومن خمود الروح أن نأخذ الهيّن التافه والغث المبتذل من ألوان المدنية ، ونترك القيّم المكين الذى يحتاج إلى جهد وإيثار ، حتى أصبحت حياتنا مجموعة من المناظر والصور والأشكال

ففيم الذكرى ؟ وفيم القصائد والخطب؟ وفيم الفصول المتناسقة والبحوث المتلاحقة ؟ وفيم الكلام عن رسول الله ، وأعتقد أن لو بعث رسول الله بعثاً ثانياً للقى من تخاذل هذا العالم أضعاف ما لقى من عناد العالم الأول . كان يجد عالماً مملوءاً بالكيد والأنانية والخداع والرياء – رياء فى الدين ورياء فى الدنيا ، وبيع لجانب الله بالثمن الخسيس من جاه زائف ودنيا زائلة

أرأيت كيف بعث محمد رسول الله عربياً ، وكيف قامت رسالته على سواعد العرب ؟

لم يكن العرب فى شىء من عظمة الدولة، ولا نظام الجماعة ، ولا سمو الفكرة ، ولا علو الحياة

ولكنهم كانوا فى الذروة العليا من يقظة الروح وقوة الروح

وبهذا الروح اليقظ القوى كانوا يعافون الضيم ويأبون

الهوان ، ويؤثرون النار على العار . وكان الرجل يقول الكلمة فيرتهنها بروحه وأرواح ولده وأهله وعشيرته . وكانوا يشبون الحرب لكلمة جارحة تصيب أدنامم، وقد يصمدون لها أربعين عاماً

وكان هذا الروح اليقظ أو هذا الأتون المشتعل فى حاجة إلى من يوجهه ويهديه الطريق القويم

وبهذا التوجيه تمت المعجزة التى لم تشابهها معجزة فى الوجود فأخرج رسول الله من أبناء الصحراء الغارقين فى الدماء، الخابطين فى الجهالة الجهلاء ، أعلام العلم ، وأقطاب الحكمة ، وأئمة السياسة ، وأبطال الحرب ، وكواكب الهداية . وهؤلاء الذين كانوا فى نطاق فارس والروم ، ملكوا فارس والروم ، وما وراء فارس والروم فى طرفة عين

ولعل أروع حادث تمثلت فيه يقظة الروح وقوته وسطوعه بنور الإيمان حادث الهجرة . وما ظنك بهذا الرسول الأمين، وهو فى غار نشر الموت ظله عليه، وأطل برأسه على من فيه، فالسيوف الظامئة الظامئة تترصده ، والوحشة والظلمات والهوام القاتلة تطبق عليه — ماظنك بهذا الرسول الكريم وهو فى تلك الحال يقول لصاحبه : لا تحزن إن الله معنا ؟ ! !

ثلاثة أيام تتقطع فى كل ساعة من ساعاتها نياط القلوب ورسول الله أثبت قلباً من ذلك الجبل الذى يضم ذلك الغار

وهذه الأيام الثلاثة تتمم ثلاثة عشر عاماً أقام بها محمد صلى الله عليه وسلم يدعو أهل مكة إلى الله ولم يكن فى يوم من أيامها أخف عبئاً ولا أقل اقتحاماً للأهوال من هذه الليالى الثلاث

وفى ظل ذلك الموت الجاثم على الجبل وما حوله فى ليالى الغار كانت الصبية أسماء بنت أبى بكر تحمل الزاد والماء كل ليلة من دار أبيها فما تزال تخوض بحراً من رمال الصحراء ، ترفعها رافعة ، وتخفضها خافضة ، حتى ترتقى الجبل ، وتصل إلى الغار ، فتقدم الزاد وتلقى ما تعلمه من خبر مكة ثم تعود فى جنح الليل ، فلا ينبثق الصبح إلا وهى فى فراشها كأنه لم يكن ثم شىء

وما كان أقوى تلك الطفلة الناشئة أسماء بنت أبى بكر حين اقتحم رجال قريش عليها البيت وامتحنوها بألوان من العذاب لتدلهم على مكان أبيها فما كان لهم منها من جواب ، ولطمها الشريف النذل أبو جهل بن هشام لطمة أطارت قرطها من أذنها لتتكلم فما نطقت إلا بعبرة واحدة سقطت من عينها على الأرض

هى إذاً روح قوى شديد كان ينتظم كل مسلم ومسلمة ولا يقف أمام هذا الروح شىء مما عساه يعترض الناس

فهل فى الإمكان أن يستيقظ الروح فى صدور مسلمى هذه الأيام؟

إن هذه الأرواح كالأجساد ، تختلف عليها الصحة والمرض، والقوة والوهن ، والنشاط والخمول ؛ وهى كالنحل تجتمع على اليعسوب القوى ، وكالجند تقوى بالقائد الفادى المجيد . فهل يقوم فى المسلمين داعية من دعاة الله يهب نفسه لله ، ويفنى ذاته فى ذات الله ؟

داعية واحد لا يقوم بينه وبين الله شىء ، لا يجمع المال ولا ينشد الجاه ، ولا يؤثر نعمة الحياة على رضا الله ... وهو خليق إن وجد أن يجتمع حوله رجال على غراره ... داعية واحد من هذا الطراز إذا وجد أثمر الأمل وصحت الأحلام

فهل يقوم المهدى المنتظر ؟

لا أدرى .. لعل أوانه قد آن

عبد الله عفيفى

بلاغة العرب
كليلة ودمنة
للدكتور محمد صبرى



البيان فى لغة العرب، يجرى فى منازلها وأساليبها جرى الماء فى فروع الدوحة .. ومنذا الذى لا يحب ظل الدوح وثمره المتهدل الذى يملأ اليد والعين والقلب ؟ ومنذا الذى لا يحس طراوة العيش وبهجة الدنيا فى نواحيها ؟ ومنذا الذى لا يحركه السحر الذى يتبرج فى كل لون نضير ؟

إن لكل لفظة ولكل أسلوب لوناً ولكل لون فتنة ، وقد جمع أسلوب ابن المقفع بين الجزالة والسلاسة ؛ وكانت كل لفظة منه تنحت من خير مقطع ، ومن عجب أن هذه الألفاظ والتراكيب السهلة الممتنعة كان ينظمها ابن المقفع فيخدعك صفوها وانسجام نغمها وموسيقاها عما تكبده من تعب وجهد

وأسلوب ابن المقفع فى الكتابة كأسلوب البحترى فى الشعر: فى كل منهما تتجلى روعة الفن والصقل والذوق

قال الطائر فنزة إلى الملك فى كليلة ودمنة: «... أنا الفريد الوحيد الغريب الطريد قد تزودت عندكم من الحزن عبئاً ثقيلاً لا يحمله معى أحد . وأنا ذاهب فعليك منى السلام » وقال البحترى :

وقفـة فى العقيق أطرح ثقلاً   من دموعى بوقفـة فى العقيق

وقال :

أعاتب الخل فيما جاء واحدةً   ثم السلام عليه لا أعاتبه

هذا نثر منظوم وذاك شعر منثور ينتظمهما نفس واحد وموسيقى واحدة تتحد مع المعنى ... الأول يطول نغمه ويمتد كموج البحر لأنه يدلل على ثقل العبء الذى يؤوده ... « قد تزودت عندكم من الحزن عبئاً ثقيلاً » والثانى يقصر نغمه ويطرد لأنه يدلل على طرح الحمل ... « وقفة فى العقيق أطرح ثقلاً »

وإنى أجتزئ اليوم بهذه المقارنة وأقول : إنه يخيل إلى أن ابن المقفع كان محزون النفس لأن وتر الحزن فى كتابته يرن بين آونة وأخرى كلما ذكرت الصداقة وكلما ذكر الوطن ...

كانت الصداقة عنده كما كانت عند إسماعيل صبرى ظلاً يأوى إليه كلما كثر النهار ...

جاء فى باب الحمامة : « قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف : قد سمعت مثل المتحابين .. فحدثنى إن رأيت عن إخوان الصفاء، كيف يبتدأ تواصلهم ويستمتع بعضهم ببعض ... » . وجاء فيه أن المطوقة نادت الجرذ باسمه : « فأجابها الجرذ من جحره : من أنت ؟ قالت : أنا خليلتك المطوقة . فأقبل إليها الجرذ يسعى »

« أنا خليلتك المطوقة » ... أظن كثيرين من القراء يعرفون قصص (لافونتين)... ويذكرون باب (المطوقتين الراحلتين) وسؤال إحداهما للأخرى: «هل عند خليلتى الكفافُ من الرزق والمأوى؟»

وجاء أيضاً فى باب الحمامة المطوقة : « إنه لا شىء من سرور الدنيا يعدل صحبة الإخوان ، ولا غم فيها يعدل البعد عنهم » . وقالت السلحفاة ترغب الظبى فى الإقامة معها وصحبتها : « نحن نبذل لك ودنا ومكاننا ، والماء والمرعى كثيران عندنا » . ثم قالت : « لا عيش مع فراق الأحبة ، وإذا فارق الأليف أليفه فقد سلب فؤاده وحرم سروره وغشى بصره »

والأمثلة كثيرة فى مقدور كل قارئ أن يهتدى إليها ، والآن أنتقل إلى الوطن والوطنية ، وأرجو أن نقف قليلاً على باب (البوم والغربان) فإن فيه بلاغة وفيه دروساً نافعة

تتلخص هذه القصة فى أن ملك البوم أغار فى أصحابه على الغربان فقتل وسبى منها خلقاً كثيراً ، وكانت الغارة ليلاً ، فلما أصبحت الغربان اجتمعت إلى مَلِكها وأخذت تتشاور معه فى الأمر، فنصح اثنان منهما بالهرب فقال الملك: « لا أرى لكما ذلك رأياً ، أن نرحل عن أوطاننا ونخليها لعدونا من أول نكبة أصابتنا فيه ولا ينبغى لنا ذلك، ولكن نجمع أمرنا ونستعد لعدونا

ونذكى نار الحرب فيما بيننا وبين عدونا ونحترس من الغرة إذا أقبل إلينا فنلقاه مستعدين ونقاتله قتالاً غير مراجعين فيه ولا مقصرين عنه، وتلق أطرافنا أطراف العدو ونتحرز بحصوننا وندافع عدونا بالأناة مرة وبالجلاد أخرى حيث نصيب فرصتنا وبغيتنا ، وقد ثنينا عدونا عنا »

أبى ملك الغربان أن يستسلم للعدو المغير وأن يخلى له وطنه ودياره وأبى إلا أن يقاتل وأن « تلق أطرافنا أطراف العدو ... »

وأفتى الثالث بالصلح مع العدو « على خراج نؤديه إليه فى كل سنة ندفع به عن أنفسنا ونطمئن فى أوطاننا . . . » أو بعبارة أخرى كان يرى فى البقاء فى الوطن فى ظل الاستعباد بعض الطمأنينة ، وقد رد الرابع أنه لا يرى هـذا الصلح رأياً « بل أن نفارق أوطاننا ونصبر على الغُربة وشدة المعيشة خير من أن نضيِّع أحسابنا ونخضع للعدو الذى نحن أشرف منه مع أن البوم لو عرضنا ذلك عليهن لما رضين منا إلا بالشطط . ويقال فى الأمثال : قارب عدوك بعض المقاربة لتنال حاجتك، ولا تقاربه كل المقاربة فيجترىء عليك ويضعف جندك وتذل نفسك . ومثل ذلك مثل الخشبة المنصوبة فى الشمس ... إذا أملتها قليلاً زاد ظلها وإذا جاوزت بها الحد فى إمالتها نقص الظل ... وليس عدونا راضياً منا بالدون فى المقاربة ، فالرأى لنا ولك المحاربة ... »

قال الملك للخامس : ما تقول أنت ؟ وماذا ترى ؟ القتال أم الصلح ؟ أم الجلاء عن الوطن ؟ . . .

قال : أما القتال فلا سبيل للمرء إلى قتال من لا يقوى عليه

وقد كان هذا الأخير أرجحهم عقلاً لأنه خشى مغبة قتال القوى ومقاربته كل المقاربة والجلاء عن الوطن ... ورأى أن يصيب أبناء جنسه حاجتهم من البوم بالرفق والحيلة قال : « وإنى أريد من الملك أن ينقرنى على رؤوس الأشهاد وينتف ريشى وذنبى ، ثم يطرحنى فى أصل هذه الشجرة ويرتحل الملك وجنوده إلى مكان كذا فأرجو أنى أصبر وأطلع على أحوالهم ومواضيع تحصينهم وأبوابهم فأخادعهم وآتى إليكم لنهجم عليهم وننال منهم غرضنا إن شاء الله تعالى »

انطلت على البوم حيلة الغراب وأنست له حتى إذا طاب عيشه ونبت ريشه واطلع على ما أراد أن يطلع عليه راغ روغة فأتى أصحابه وقال لهم : « إن البوم بمكان كذا فى جبل كثير الحطب . وفى ذلك الموضع قطيع من الغنم مع رجل راع . ونحن مصيبون هناك ناراً ونلقيها فى أنقاب البوم ونقذف عليها من يابس الحطب ونتراوح عليها ضرباً بأجنحتنا حتى تضطرم النار فى الحطب فمن خرج منهن احترق ومن لم يخرج مات بالدخان موضعه . ففعل الغربان ذلك فأهلكن البوم قاطبة ورجعن إلى منازلهن سالمات آمنات ... »

لقد أرسل الله إلى البوم من يهلكها ويبيدها ، لأنها ظلمت القرى والعباد ، وإني لأتمثل الغربان وهن يتراوحن على النار ضرباً بأجنحتهن حتى تضطرم فى الحطب ... تلك أجنحة ملائكة ... ملائكة الرحمة والانتقام ...

ويعجبنى فى هذه القصة حكاية الصفرد الذى طالت غيبته عن مكانه فجاءت أرنب فسكنته فلما عاد الصفرد تنازعا وقررا أن يحتكما إلى سنور متعبد بساحل البحر « يصوم النهار ويقوم الليل كله ... » ما كادا يسألانه أن يقضى بينهما ويقصان عليه قصتهما حتى قال :

« قد بلغنى الكبر وثقلت أذناى فادنوَا منى فأسمعانى ما تقولان » فدنوَا منه وأعادا عليه القصة وسألاه الحكم . فقال :

« قد فهمت ما قلتما وأنا مبتدئكما بالنصيحة قبل الحكومة بينكما فأنا آمركما بتقوى الله وألا تطلبا إلا الحق فإن طالب الحق هو الذى يفلح وإن قضى عليه ... » قال صاحب كليلة ودمنة :

« ثم إن السنور لم يزل يقص عليهما من جنس هذا وأشباهه حتى أنسا إليه وأقبلا عليه ودنوا منه ثم وثب عليهما فقتلهما »

تلك عاقبة المتنازعين الذين يحتكمون إلى القوى فيخدعهم برياء قوته وجبروته ناسين « أن العاقل لا يغتر بسكون الحقد إذا سكن . فإنما مثل الحقد فى القلب إذا لم يجد محركا مثل الجمر المكنون ما لم يجد حطباً فليس ينفك الحقد متطلعاً إلى العلل كما تبتغى النار الحطب فإذا وجد علة استعر استعار النار » (باب الملك والطائر فنزة)

أنظر إلى كلمة « المكنون » التى يصف بها الجمر وكلمة « متطلعاً » التى يصف بها الحقد وكلمة « تبتغى » فى قوله « كما تبتغى النار الحطب » هل رأيت أبلغ منها فى مثل هذه المواطن ؟

ثم انظر إلى قوله فى الحقد :

« فإذا وجد علة استعر استعار النار » تر من جمال التعبير ما يرقص له البيان . فإن الكلام كان يمشى وئيداً ثم اندفع كالنار فى الجملة الأخيرة ، وكذلك كان الشأن فى قصة المطوقة :

« فأجابها الجرذ من جحره : من أنت ؟ قالت أنا خليلتك المطوقة ، فأقبل إليها الجرذ يسعى » فإن هذه الكلمات القصيرة المتتابعة « فأقبل ، إليها ، الجرذ ، يسعى » تنم عن الحركة السريعة المطمئنة وتؤدى المعنى خير أداء ، وإن من البيان لسحرا

محمد صبرى

في الطريق إلى يثرب

للأستاذ محمود الخفيف



طافَتِ الذكرى فطُوفى بِقَصِيدِى واسكُبِى فى مِسْمَعِ الدَّهرِ نَشِيدِى
جَدِّدى قيثارَتى اللَّحْنَ وَهاتِى مِنْ حَدِيثٍ أَبْلَجِ الذِّكرِ فَرِيدِ
الْهدَي وَالحَقُّ فِيـهِ والعُلَى والبُطُولاتُ وآياتُ الخُلُودِ

* * *

هِيهِ... غَنِّينا بأَلْحان وِضَاءِ جَدَّ بالقَلْبِ حَنِينٌ لِلغِنَاءِ
فَصِّلِي أَسْجَاعَها واستَلْهِمِى كلُّ نَشْوَانِ الصَّدَى حُلْوِ الأَدَاءِ
رَجِّعِى أُنْشُودَةً خالِدَةً كَمْ سَهَتْ عَنها أغانى الشُّعَراءِ
أَسْمِعِيها الشَّرْقَ شِعْرًا سَلْسَلاً وَأَهِيبِى بِبَنِيـهِ البُسَلاءِ

* * *

سِيرَةٌ مِنْ جَانِبِ اللهِ سَنَاها وَمَعان يُوقِظُ الرُّوحَ صَدَاها
كلُّ نُورٍ هُوَ مِنها قَبَسٌ وَإِلَيها كلُّ مَجْدٍ يَتَناهَى
خُطُوَاتٌ مُبْتَدَاها عَزْمَةٌ دُونَها الوَصْفُ، وَنَصْرٌ مُنْتَهاها

* * *

إقبِسى قيثارَتى الوَحْيَ وهاتِى مِنْ حَدِيثٍ قُدُسِيٍّ المَحَاتِ
أَنْشِدِينا فِيهِ أَعْلَى مَثَل خَطَّهُ التَّارِيخُ فى مَاضٍ وَآتِ
عِظَةُ الأَجْيالِ فِيـهِ سَاقَهَا مَنْ أَتاها بالهُدَى والبَيِّنَاتِ
النَّبِى العَرَبىُّ المصْطَفَي خَاتَمُ الرُّسْلِ سَمَاءُ المَكْرُماتِ

* * *

حَدِّثى كيفَ اتَّقَى كَيْدَ الطَّغَامْ وَمَشَى تَحْتَ الدَّجى هادِي الأَنامْ
ثانِىَ اثْنَيْنِ ترامَتْ بهِما في سَبِيلِ اللهِ بِيدٌ وَرِجَامْ
أَيُّها المُخْرَجُ فى جُنْحِ الدُّجى بِكَ يَنْجَابُ عَنِ الدُّنيا الظَّلَامْ

* * *

وَصِفِى الصِّدِّيقَ يُخْفِى البُرَحَا فِى سُرَى بَكْرَهُ أَنْ يَفْتَضِحَا
مُرْسِلاً عَيْنَيْهِ فِى سُدْفَتِهِ كُلَّمَا أَبْصَرَ فِيهَا شَبَحَا
وَهْوَ مَنْ لا يَرْهَبُ اللَّيْلَ وَمَنْ طَلَبَ الصُّحْبَةَ فِيمَا اقْتَرَحَا
وَبَكَى ... حتى إذا فَازَ بها رَاحَ يَبْكِى مِنْ جَدِيدٍ فَرَحَا!

* * *

يَا دُمُوعَ البِرِّ خَلَدْتِ الوَلَاء وَتَسَامَيْت شَكَاةً وَانْتِشَاء
يَا نُجُومًا يَتَجَدَّدْنَ عَلَى الدَّهْرِ جَمالاً وَسَنَاءً وَضِيَاء
يَتَمَلَّاكِ بنو الدُّنيا إذا طَلَبُوا فى هذه الدنيا الوَفَاء

* * *

سَتَرَ اللَّيْلُ الرَّفِيقَيْنِ فَسَارَا كَيْفَ يَجْتَازَانِ فِى اللَّيْلِ الْقِفَارَا؟
آثَرَ الصِّدِّيقُ أَنْ يَخْتَبِئَا فَمَضَى يَطْلُبُ فِي البَيْدَاءِ غَارَا
عِنْدَ (ثَوْر) يَبْتَغِى مَوْضِعَهُ قَبْلَمَا يُوحِى لَهُ النَّجْمُ النهارَا
وَمَشَى فى إِثْرِهِ صَاحِبُـهُ يَسْأَلُ اللهَ لِعَبْدَيْهِ اصْطِبَارَا

* * *

يُبْصِرُ الصِّدِّيقَ طَوْرًا سَابِقاً يُسْرِعُ الخَطْوَ، وَطَوْرًا لاحِقَا
وَيَرَاهُ بَعْـدَ حِين قُرْبَهُ صَامِتًا، يَرْنُو إِلَيْـهِ مُشْفِقَا
مُرْهِفاً أُذْنَيْهِ فِي البِيدِ إِذَا هَفَتِ الرِّيحُ بِلَيْلٍ أَغْسَقَا

* * *

حَذِرًا يَرْتَابُ إن كان أَمَامَهْ فَهْوَ لا يَأْمَنُ فِي اللَّيْلِ ظَلَامَهْ
وَمَتَى عَادَ إِلَى خَلْفٍ رَأَي مَوْضِعًا لَيْسَ تُرَى فِيهِ السَّلَامَهْ
وَلَئِنْ سَارَ إِلَى جَانِبِـهِ لَمْ يُصِبْ فِي ذَلِكَ السَّيْرِ مَرَامَهْ
جُهْدُهُ أَنْ يَتَلَقَّى وَحْدَهُ إِنْ بدا الشَّرُّ، من الشَّرِّ سِهامَهْ

* * *

أيها الباذلُ في الله الحياهْ يا رفيقاً فاتَ في البرِّ مَداهْ
أيها المرخصُ في إيمانه ما يعزُّ الناسُ من مالٍ وجاهْ
سرتَ في الدنيا حديثاً عطراً تنتشقُ الدنيا على الدهرِ شذاهْ

***

بلغا (ثوراً) وما حانَ السحَرْ فمشى يأوي إلى الغارِ القمرْ
يا سراجاً ينسخُ اللهُ به ما تدجّى من ضلالٍ واعتكرْ
قدّرَ اللهُ لكَ الظعنَ فكمْ عبرةٍ فيه وذكرى للبشرْ
إنْ تكنْ أوذيتَ في الله لقدْ كنتَ أسمى من تأسّى وصبرْ

***

لمحَ الغارَ فأومى عندَ بابهْ للنبيِّ المصطفى، خيرِ صحابهْ
قفْ! تمهّلْ.. بأبي أنتَ وأمي ربَّ شرٍّ خبأ الليلُ لنا بهْ
ومضى يستبرئ الغارَ لهُ ليس يخشى ما دعاهُ لاجتنابهْ

***

لم يخفْ فيه الظلامَ المُعتما بل دعاهُ حرصُهُ أن يقدُما
مدَّ في الظلمةِ رجليهِ إلى كلِّ ركنٍ باحثاً أن يُحجما
ربَّ رقطاءَ أثارتْ رجلُهُ أو أثارتْ في دجاهُ ضيغما
يفتدي بالنفسِ طهَ راضياً كلُّ سلمٍ عندهُ أن يسلما

***

لاذَ بالغارِ الرسولُ المصطفى معه الصدّيقُ أوفى من وفا
يقظَ الطرفِ به ذا أهبةٍ منصتاً في صمتهِ مستهدفا
كلُّ هولٍ عندهُ مستعذبٌ في سبيلِ الحقِّ حتى ينصفا

***

إملأي اللحنَ خشوعاً واحتشاما واجعلي شعري صلاةً وسلاما
أسعدي قيثارتي واقتبسي من جلالٍ فاتَ في الأرضِ الكلاما
أعجزَ القولَ وكمْ هامَ به من رأى فيه قصاراهُ الهياما!
كلما استشرفَ ذو لبٍّ لهُ كان كالأفقِ: تدانى فتراما!

***

هل رأى قطُّ بنو الدنيا كفاحا غيرَ نورِ الحقِّ لم يهززْ سلاحا؟
هل رأوا قطُّ يتيماً مملقاً يتحدّى وحدَهُ اللسنَ الفصاحا؟
ذلكَ اللائذُ بالغارِ غدا يملأُ العالمَ رشداً وفلاحا

***

هل رأى قطُّ بنو الدنيا يقيناً مثلَ هذا حيّرَ المستكبرينا؟
ظلَّ عشراً وثلاثاً صابراً يتحدّى سفهَ المستهزئينا
كلما زادوه من كيدهمُ وجدوا منهُ قناةً لن تلينا
أيها الصابرُ، بالصبرِ غدا يفتحُ اللهُ لكَ الفتحَ المبينا

***

أيها الهامسُ تحتَ الغلسِ وهو من يحملُ أسمى قبسِ!
أيها المخرجُ ليلاً لم يكنْ همسُكَ القدسيُّ بالمختلسِ
هذه الدنيا غداً تشدو به من ضفافِ السندِ للأندلسِ

***

ذلك الغارُ الذي لاذا به جدّةُ الدنيا غداً من بابهِ
يدرجُ التاريخُ من رفعتهِ ويفيضُ النورُ من محرابهِ
يمحقُ الباطلَ في أصنامهِ ويميتُ الشركَ في أنصابهِ
يسعُ الدنيا غداً هيكلُهُ ويلمُّ المجدَ من أنسابهِ

***

سوف يطوي ملكَ كسرى لو درى غيرَ باغٍ، ويذلُّ القيصرا
موضعٌ في البيدِ يسمو ركنُهُ للثريا وهو في أصلِ الثرى
موئلُ الدينِ مشى في هجرةٍ أذنَ اللهُ بها أن ينصرا

***

عصبةُ الشركِ محا الصبحُ دجاها وأتى الحقُّ بما ألجمَ فاها
ليتها لما أتاها أذعنتْ ومعَ الصبحِ أفاقتْ من كراها
صدفتْ عنهُ عناداً ومضتْ تؤثرُ الليلَ على الصبحِ اتجاها
يا لها من عصبةٍ غاشمةٍ كهلُها يسبقُ في الشرِّ فتاها

***

طلبتْ في رقعةِ البيدِ الرسولا وأتتْ تسعى شباباً وكهولا
يسمعُ الصدّيقُ جمعاً ها هنا وهنا يسمعُ من قربٍ فلولا
أيُّ ثأرٍ هاجها فانطلقتْ لا ترى عن ذلكَ البغي عدولا؟

***

أترى تدركُ معنى الارتحالِ وترى أوّلَ آياتِ النضالِ؟
لو تخطّتْ حجبَ الغيبِ رأتْ ملءَ هذي البيدِ من سمرٍ عوالِ
ترجفُ الأرضُ بجيشٍ لجبٍ ظافرِ الإقدامِ نشوانِ النصالِ
رفعَ الرايةَ فيه سيّدٌ يجعلُ العفوَ به فوقَ القتالِ

قالَ عِندَ الغارِ : يا قومِ هنا ! قائلٌ منهم . . . ونادى موقنا
ورأى الصِّدِّيقُ ما أزعجه فشكا البثَّ وأبدى الحزنا
قال لا آسَى إذا نُجِّيتَ مِنْ ذا وإن أوذِيتُ أو مِتُّ أنا

* * *

ورأى أحمدَ لا يخشى العِدَا ولئِنْ كدَّرَهُ ذاكَ الصَّدَى
قالَ : لا تحزَنْ ! وصلَّى قائماً يحمَدُ اللهَ على ما أبدَا
أنزلَ اللهُ عليهِ سكناً ووقى الجارَيْنِ من شرٍّ بدا
وتولَّتْ عُصبةُ الشِّرْكِ ؛ فما يفتحُ الباطِلُ حِصنًا مُوصَدَا

* * *

أيُّ حِصنٍ صدَّ هاتيكَ الجُموعا فتولَّوْا عنهُ مِن يأسٍ رُجُوعا ؟
صِيغَ مِن أوهَنِ نَسْجٍ بابُهُ لا يُرى إلاَّ خيُوطاً ورُقوعا
ما دَنا مِنهُ فتًى إلاَّ انثنَى واجِفَ القلبِ وما كانَ هلُوعا

* * *

أفزعَ الشِّرْكَ مِنَ الغارِ غناه فإذا أفئدَةُ الشِّرْكِ هواه
ذاتُ طَوْقٍ جاوَبتها أُختُها يا دُعاءً راحَ يتلُوهُ دُعاء
روَّعا الشِّرْكَ بلحْنٍ هاتِفٍ إنَّما كانَ مِن اللهِ النَّجاء
إنْ أتَى النَّصْرُ مِنَ اللهِ فما ينسِجُ العنكبُ دِرْعٌ ووِقاء

* * *

وصِفًا مِن جانِبِ الرَّحمنِ حَشْدا مَلأَ الباطِلَ رُعْبًا لو تبدَّى
طافَ بالغارِ أُولو أجنِحَةٍ قدْ تلاقَوْا عِندَهُ وفدًا فوفدا
مِن جُنُودٍ لم يَرَوْها حُوَّمٍ أيْنَ مَن يحشُدُ كالرَّحمنِ جُندًا؟

* * *

حيِّيا أسماءَ كالطَّيفِ الرَّفيقْ تسرِقُ الخطْوَ على هوْلِ الطَّريق!
تحمِلُ الزَّادَ عشِيًّا وحدَها ذاتُ قلبٍ هو بالخوفِ خلِيقْ
يا ابنةَ الصدِّيقِ هل مِنْ نبأٍ للرَّفيقَين عنِ الشِّرْكِ وثيقْ ؟
أمسِكي عنْ لطْمةٍ فاجِرَةٍ طرَحتْ قُرْطَكِ مِنْ وغْدٍ صفِيقْ

* * *

هِيهِ عبدَ اللهِ ... قُصَّ الخبَرا هاتِ مِنْ نِيَّاتِهِمْ ما ظهَرا
وخذِ الحيطةَ واحذَرْ مكرَهُمْ وتخيَّرْ من يُعفِّي الأثَرا
وتأهَّبْ . . . آنَ أن يستأنِفا في سبيلِ اللهِ هذا السَّفَرا

* * *

تَبِعا في وحْشَةِ البِيدِ الدَّليلاَ يتوخَّى بهما سيْرًا طويلاَ
يدْرُجُ الحقُّ إلى غايَتِهِ وقد اختارَ لهُ اللهُ السَّبيلا
ينصُرُ اللهُ به مَن هاجرُوا مِنْ جُنُودٍ صبَرُوا صبراً جميلاَ
آيةُ اللهِ انجلَتْ في هِجْرةٍ تهتِفُ الدنيا بها جيلاً فجيلاَ

* * *

هِجْرةٌ تحمِلُ بُرْهاناتِها وهْيَ وحْيٌ لِلنُّهَى في ذاتِها
كلَّما أمعَنَ فيها ناظِرٌ كشَفَ المكنونَ مِنْ آياتِها
قبَسُ اللهِ الذي أنزَلَهُ ينجَلِي لِلنفْسِ في غاياتِها

* * *

ذلكَ الداعِي الذي يلقَى الصِّعابا لِمَ يختارُ مِن القوْمِ العذَابا؟
وهْوَ لوْ يختارُ مُلكاً نالَهُ مِن سَراةِ القوْمِ طوْعًا لاَ اغتِصابا
أوْ يشاءُ المالَ ساقوهُ لَهُ وهْوَ مَنْ يَفنَى لهُ الناسُ طِلابا
إنما يسْعَى إلى اللهِ ، وإنْ قذَفوا في وجهِهِ السَّمْحِ التُّرابا

* * *

لمْ تكُنْ هِجْرتُهُ إلاَّ جِهادَا وإباءً وحِفاظاً وجِلادَا
راحَ يستأنِفُ في هِجرتِهِ في سبيلِ اللهِ ؛ أعباءً شِدادَا
سارَ يستصْرِخُ مَنْ ينصُرُهُ لِيُذِلَّ السَّيفُ في الشِّرْكِ العِنادا

* * *

هادِيَ البيْداءِ قدْ طالَ المَسيرْ ورَجتْ يثْرِبُ إقبالَ البشيرْ
إيهِ لا تُبْطِئْ فهذا فارسٌ يقتفِي خلفَكَ آثارَ البعِيرْ
التفِتْ تُبْصِرْهُ قدْ ساخَ به فرَسٌ كادَ مِن الزَّهْوِ يطيرْ
صاحَ بالرَّكْبِ تنكَّبْتُ الأذَى ولئِنْ أُطلِقْتُ إنِّي نصيرْ

* * *

ومشَى حتَّى إذا ما اقترَبا راحَ يرْوِي للرَّسُولِ السَّببا:
أرخصَ المالُ لمن يأتي بِهِ فأتى يطْلُبُ فِيمَنْ طلَبا
مُذْ رأى ما حلَّ في السَّيْرِ بِهِ طلَبَ الأمْنَ وعافَ الذَّهبا

* * *

أقبِلِي يثْرِبُ مِن كلِّ البِقاعِ بلَغَ السَّفْرُ ثَنِيَّاتِ الوَداعِ
إجعلِي في كلِّ وادٍ موْكِباً مُشْرَئِباً، واملأي كلَّ يَفاعِ
سِرْتِ في الدُّنيا إلى جبْهتِها مُنذُ آويْتِ بها أشرَفَ داعِ

الخفيف

الإسلام عدو الشرك والنفاق

للأستاذ محمد عبد الرحمن الجديلي



رأى المشرع الإسلامى : أن يُبْقىَ على فريضة الحج ، والحج معروف فى تضاعيف الزمان ومن أقدم العهود ، أبقى عليه المشرع الإسلامى إبقاء مهذباً مطهراً خالصاً من أدران الشرك ومن دنس الاعتقاد الرجس . أبقاه الإسلام ، بعد أن أفرغ عليه من جلال التوحيد ، وأفاض عليه من معانى التقوى ما جعله منسكاً حافلاً بالخير .

وأى خير أوفر من شهود المنافع وتعرُّف شؤون الأقطار الإسلامية ، وشدّ أواصر المجتمع وإعداد النفوس لتلقّى أسمى الفيوضات واستلهام الهدى واجتماع الكلمة ؟

ونحن بسبيل أن نبين كيف اختار الإسلام موسم الحج ميداناً لإصلاح اجتماعى خطير ؟ هـذا الإصلاح هو : مهاجمة النفاق والكشف عن المنافقين وتمييزهم عن المجتمع ونبذهم ، بعيدين عن المؤمنين لـكى يسلم للأمة خلقها وتصح عناصرها ...

***

أنزل الله على رسوله — صلى الله عليه وسلم — فى ختام ما نزل من القرآن سورة « براءة » ، أو السورة « الفاضحة » التى فضحت الشرك وكشفت عن المنافقين ، أنزلها الله فى السنة التاسعة من الهجرة فى موسم الحج .

وقد كان محمد صلى الله عليه وسلم — من قبل ذلك — يعرف خصومه من المشركين السافرين فيحذرهم وينكل بهم . ثم كان يعرف — أيضاً — أن بين أتباعه بعض المنافقين ، فكان لا يجبههم ولا يكشف عن أضغانهم ولا يبرز للمسلمين دخائل نفوسهم ، إبقاء على الدعوة الإسلامية وهى فى دور النمو والتكوين ، حتى لقد بلغ من قسوة تلك الحالة على محمد صلى الله عليه وسلم وعلى أصحابه ، أن صاروا فريسة لمكايد النفاق وهدفاً لمؤامرات المنافقين يدلون المشركين على عورات المؤمنين ويوضعون خلالهم يبغونهم الفتنة ومع هذا ، هم لاصقون بالجماعة المحمدية ...

« يحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم ، ولكنهم قوم يفرقون »

وقد بلغ من خطر النفاق على المجتمع يومذاك — أن وقعت أزمة حربية عنيفة للرسول — صلوات الله عليه — ولأصحابه ، فكانت سانحة للمنافقين ، أرجفوا فيها بموت محمد عليه السلام لتثبيط العزائم ، وتمكين الهزيمة ، والمؤمنون فى ساعة عصيبة يجمعون شملهم ويربطون على قلوبهم ، والرسول عليه السلام ثابت فى مكانه لا يريم

تلك الحوادث أبانت عن أنه لا يزال بين المجتمع الإسلامى — بل وسط جماعة المسلمين — قلوب مطوية على الإحن تتربص بالإسلام وبالرسول الدوائر

وإنها لحال تنغص على المسلمين أمورهم ، وتهدد كيانهم وتقلقل مجتمعهم

وقد كاد صبرهم ينفد يوم وقف واحدٌ من هؤلاء يعيب على رسول الله صلى الله عليه وسلم قسمه للصدقات ويغمز العدالة المحمدية . هذا الرجل هو « ذو الخويصرة التميمى » دفع به النفاق ، فخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : إعدل يا محمد ... ولا ، والله ، ما قصد ذو الخويصرة عدلاً ولا طلب حقاً . ولـكنه قصد إلى أن يشكك الناس فى العدالة المحمدية ، وينبه الأطماع ، ويثير الإحن . فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : « ويلك ، من يعدل إذا لم أعدل ؟ »

واستمع لهذا الحوار الرجل المؤمن حقاً عمر بن الخطاب ، فعرف أنها دسيسة . فقال : يا رسول الله ، ائذن لى فأضرب عنقه ، فأخذ صلى الله عليه وسلم يُهَدِّئ من نفس عمر ، ويذهب عنه الغضب ، ويقول : لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه ونزل فى تلك الحادثة من السورة « الفاضحة » قول الله تعالى :

« ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا ، وإن لم يُعطَوْا منها إذا هم يسخطون »

بقى النفاق — هذا الوباء الأخلاقى — يأكل فى أجزاء من جسم المجتمع ، ولولا صدق اليقين ، ومناعة الجسم ، لأودى النفاق بالدعوة الإسلامية

* * *

إن لله مواقيت تنتهى لديها أمور وتبدأ من عندها أمور . فلما أذن الله بافتضاح النفاق ، وشاء للمنافقين أن يشهّروا ويملّوا ويؤخذوا بسيماهم ، ثم يعزلوا ـ مرضى موبوئين ـ عن بقية المجتمع السليم ، اختار — عز وجل — لذلك وقتاً علا فيه شأن الإسلام ، وتمت له الكلمة ، وأثخن المسلمون فى أعدائهم أسراً وقتلاً واستيلاء وغلبة . فليس يخيفهم أن يبتروا الأعضاء السقيمة العليلة

وكانت الحياة المحمدية المباركة قد آذنت بالانقضاء ، ولا بد من صيانة مجتمعه وشريعته ودينه من هذا المرض ، مرض النفاق المدمّر الفتاك

عند ذلك أنزل الله سبحانه وتعالى السورة « الفاضحة » كما ورد عن ابن عباس رضى الله عنه : نزلت تفضح النفاق ، وتكشف عن المنافقين ، وتصور ألوانهم وأقوالهم ، وتطلع المؤمنين على دخائل نفوسهم ، وتنشر للملأ مطويات سرائرهم ... وقد كانوا من قبلها يخافون ذلك ويحذرونه

« يحذر المنافقون أن تُنزّل عليهم سورة تنبئهم بما فى قلوبهم » ولكن الله أوقع بهم ، فكان ما يحذرون ووقع ما يرهبون

* * *

اختار المشرع الإسلامى غزوة من غزوات المسلمين ، جعلها اختباراً أخيراً للمنافقين . وهى : غزوة تبوك ، آخر الغزوات فى حياة الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وكان الوقت عسيراً والبلاد جدباء ، والحر لافحاً والشقة بعيدة ، والأعداء هم الروم الأقوياء الأغنياء

هنا أخذ النفاق يطل برأسه ، وينفث فى العقد ، ويبعث التخاذل ، ويحبب التقاعد بين الجيوش الإسلامية . فقال جماعة المنافقين وعلى رأسهم كبيرهم « عبد الله بن أبى » : « أيغزو محمد بنى الأصفر (الروم) مع جهد الحال ، وشدة الهجير ، والبلد النائى ؟ أيحسب محمد أن قتال بنى الأصفر لعب ولهو ؟ والله ... لكأنى أنظر إلى أصحابه مُقرَّنين فى الأصفاد »

ثم أخذ المنافقون يقولون : لا تنفروا فى الحر ، قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون

وهكذا جعلوا يعتذرون عن الخروج بأعذار تافهة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلها ، حتى عاتبه القرآن فى ذلك وعفا عنه : « عفا اللهُ عنك ، لِمَ أذنتَ لهم حتى يتبيَّن لكَ الذينَ صدَقوا وتعلمَ الكاذبين »

عرِفت السورة « الفاضحة » أو سورة « براءة » المنافقين ، وحددت أوصافهم : فمنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو أُذُنٌ ومنهم من يلمزك فى الصدقات . ومنهم من عاهد الله ثم أخلف عهده . ومنهم ، ومنهم ...

ثم خاطب الله رسوله عليه السلام الخطاب الحاسم فى شأنهم فقال : « سيحلفونَ بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتُعرِضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون »

ولقد نكل الله بالشرك فى تلك السورة فسميت « المنكلة » وأزرى واحتقر النفاق ورسمه بأنه رجس ، فافتضح النفاق

وجاء صدر تلك السورة قضاء حاسماً على بقية الشرك ، وإبادة لمرضه الخبيث فى أنحاء الجزيرة العربية

فقد اجتمع إلى الشرك مآثم وأوزار وشناعات ، لا مناص من القضاء عليها تطهيراً للمجتمع وإصلاحاً للأمة

* * *

وفى السنة التاسعة للهجرة أمَّرَ النبى عليه السلام على الحج « أبا بكر » الصديق . فلما نزلت السورة — المنكلة الفاضحة — بعث صلى الله عليه وسلم ابن عمه على بن أبى طالب على ناقته العضباء ليقرأ فى موسم الحج على الناس كافة صدر السورة المنزلة ، قضاء على الشرك والمشركين ، فلما دنا على من أبى بكر سمع أبو بكر رغاء الناقة ، فوقف وقال : هذا رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما لحقه علىّ قال له أبو بكر : أمير أم مأمور ؟ قال : مأمور

فلما كان يوم الحج الأكبر ـ يوم النحر ـ عند جمرة العقبة قام على فقال: «أيها الناس، إنى رسول رسول الله تعالى إليكم» فقالوا: بماذا ؟ فقرأ « براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا فى الأرض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزى الله ، وأن الله مخزى الكافرين ، وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم

الحج الأكبر أن الله برىء من المشركين ورسوله » إلى آخر الآيات الثلاثين أو الأربعين من السورة

ثم قال : « أمرت بأربع : ألا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ولا يدخل الجنة إلا كل نفس مؤمنة ، وأن يتم كل ذى عهد عهده »

وفى هذا الموطن الحاشد ، وبهذا البيان القاطع تقررت حياطة المجتمع ، وصيانة التوحيد ، كما تقرر — فى أثناء السورة — إبراء المجتمع من داء النفاق بإقصاء المنافقين وتعرفهم بسيماهم ؛ ثم نبذهم أحياء أو ميتين

« ولا تُصَلِّ على أحد منهم مات أبداً ، ولا تقم على قبره »

« يحلفون لكم لترضوا عنهم ، فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين »

***

انتهى أمر النفاق ، وانتظم شأن المجتمع الإسلامى . فلما كان العام التالى ، أراد صاحب الشريعة عليه السلام أن يحج ، وترامى ذلك إلى أقطار الجزيرة ، فانثال الناس من كل حدب ، حتى بلغ الحجيج مائة ألف أو يزيدون . وفى يوم الحج الأكبر ، خطب صاحب الشريعة خطبته الجامعة التى بين فيها أصول الدين ، وحقوق الإنسان وأعلن فيها المساواة ، وحقن فيها الدماء وبين الحدود ، وحشد فيها الفضائل الإسلامية

وزاد فى جلال الموقف ورهبته إشعار النفوس أن محمداً عليه السلام يودع المسلمين ويتوقع اقترابه من اليوم المحتوم ، ويستشرف إلى الرفيق الأعلى

قال صلى الله عليه وسلم : « الحمد لله ، نحمده ونستغفره ونتوب إليه . ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا . من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ... أوصيكم عباد الله بتقوى الله ، وأحثكم على طاعة الله ، وأستفتح بالذى هو خير . أما بعد :

أيها الناس ، إسمعوا منى أُبيِّن لكم ، فإنى لا أدرى ... لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا ، فى موقفى هذا

أيها الناس ، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام ، إلى أن تلقوا ربكم ، كحرمة يومكم هذا ، فى شهركم هذا ، فى بلدكم هذا . ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد

فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى الذى ائتمنه عليها . وإن ربا الجاهلية موضوع

أيها الناس : إن الشيطان قد يئس أن يعبد فى أرضكم هذه ، ولكنه رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم . ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد

إن لنسائكم عليكم حقاً ، فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف . وإنما النساء عوان أخذتموهن بأمانة الله ، فاتقوا الله فى النساء ، واستوصوا بهن خيراً

أيها الناس ، إنما المؤمنون إخوة ، فلا يحل لامرىء مال أخيه إلا عن طيب نفسه . ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد

فلا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم أعناق بعض ؛ فإنى قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا : كتاب الله . ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد

أيها الناس . إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ؛ كلكم لآدم ، وآدم من تراب . أكرمكم عند الله أتقاكم . ليس يُعرف فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى . ألا هل بلغت ؟ قالوا : نعم : قال : فليبلغ الشاهد منكم الغائب ... »

بتلك الخطبة الحافلة بأسمى المعانى الإنسانية ، تمت كلمة الله صدقاً وعدلاً ، فاكتمل أمر الدين ، وأتم الله نعمته على المؤمنين ، وقد أنزل الله فى أعقاب ذلك من سورة (المائدة) : « اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الإسلام ديناً » .

أقام صلى الله عليه وسلم بمكة بعد ذلك عشرة أيام . وأخذته نوازع الشوق وهو فى موطنه الأول (مكة) إلى موطنه الثانى ، إلى دار الهجرة ، فسار إلى المدينة ...

ولما أشرف عليها ، وبدت أعلامها كبَّر ثلاثاً وقال :

« لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد وهو على كل شىء قدير ... آيبون ، عابدون ، ساجدون ، لربنا حامدون ، صدق الله وعده ، ونصر عبدَه ، وهزم الأحزاب وحده »

محمد عبد الرحمن الجديلى

في جنازة الشرك!

آلهة الكعبة يسجدون!..

للأستاذ محمود حسن إسماعيل



[أسطورة وثنية جديدة يتخيل فيها الشاعر لوناً من الفزع الذى حل بأصنام المشركين ، على ألسنة الجبابرة الخرس من الآلهة الحجرية : « اللات ، والعزى ، ومناة ! » فى اجتماع لهم غداة أشرق فى ظلمة محاريبهم شعاع من نور محمد !]

مَناة (فى حال من الكبرياء والجبروت يحيي رفيقيه عقيب ليلة طال فيها سجود المشركين في ساحة الأصنام) :

سَلامَ الألوهةِ يا صاحِبيّ ... وَحَيّتُكما عِزّتى العالِيَهْ !
وَحَيّتُكُما مِن شعابِ الجبالِ ... قُلوبٌ لِأطيافِنا جاثِيَهْ
وَشَعْبٌ عَلَى الأرْض عانى الجباهِ ... تَخِرُّ لنا رُوحُهُ العاتِيَهْ
تأبَّى فَسوَّى شُعاعَ النُّجوم ... لِخباتِهِ طُنُباً زاهِيَهْ
وَألْقَى الزّمانَ على خَطوِهِ ... حَديثاً لِأمجادِهِ السّارِيَهْ
مَحاراهُ أُنشُودَةُ الأنبياءِ ... وَمَسْرَى شُعاعَتِها المادِيَهْ
وَحَقْلُ السّماءِ الّذى فَجّرَتْ ... عليْهِ يَنابيعَها الصّافِيَهْ ...
بَنُو السّيْفِ وَالبِيدِ أهلُ الوغَى ... وَأبطَالُ دَوْرَتِها الخامِيَهْ
فَمُ الدّهرِ يَبْلَى وَأشعَارُهُمْ ... تَظَلُّ الغُيُوبُ لها رَاوِيَهْ !
أولَئِكَ مَنْ طَوّفُوا حَوْلَنا ... خُشوعاً لِصَوْلَتِنا الطّاغِيَهْ
وَمَنْ قَدّسُونا فَكُنّا لَهُمْ ... حياةً لِأعمارِهِمْ ثانِيَهْ ...

اللاّت (فى تعجب وسخرية) :

أرَاكَ تَعالَيْتَ فى ذِكْرِهِمْ ... وَكُنتَ لَهُمْ فى الوَرَى داعِيَهْ
إلهٌ يُمَجِّدُ عُبّادَهُ ... وَيَكسُوهمُ المِدَحَ الغالِيَهْ !
وَيَخلَعُ مِنْ قُدْسِ أوْصَافِهِ ... عَلَى رِجْسِهِمْ حُلَلاً ضافِيَهْ
لَبِئْسَ الهُدَى عِنْدَهُ وَالرّشادُ ... وَتَبّاً لِشِرْعَتِهِ الغاوِيَهْ !

مَناة (صارخا فى وجه « العزّى » وقد كان فى إطراق عميق) :

سَمِعْتَ مِنَ اللاّتِ هُجْرَ الحديثِ ... وَسُخْفَ المَلامِ وَزَيْفَ الكَلِمْ
وَأطرَقْتَ لم تُلْقِ بالاً لَهُ ... ولم يَسْتَثِرْكَ انتِهاكُ الحُرَمْ
إلهٌ وَتَرْضَى بِهذا الهَوانِ ... وَتَغْرَقُ فى الصّمْتِ مِثلَ الصّنَمْ !

العُزّى (فى دهشة واستغراب) :

وما أنا إلاّ كما قَدْ نَعَتّ ... جَمادٌ عَلَى الأرْضِ خاوٍ أصَمّ
وما أنتَ يا صاحِ ! ...

مَناة :

... ... رَبٌّ عَظِيمٌ ... تُرَجَّى لَدَيَّ المُنَى وَالنِّعَمْ
وَتَمْشِي بِصَوْلجِيَ السّافِياتُ ... وَتَنهَلُّ مِنْ رَاحَتَيَّ الدِّيَمْ
وَباسْمِى تَغَنّى حُداةُ الجِمالِ ... وَمالُوا نَشاوَى بِسِحْرِ النَّغَمْ
وفى الرّوْعِ تَجْثُو لَدَيَّ السّيُوفُ ... وَبى تَسْتَجِيرُ ، وَلى تَحْتَكِمْ
وَبى تُقْسِمُ البِيدُ فى عَهْدِها ... جَلالاً ...

العُزّي (يقاطعه) :

... وأهوِنْ بهذا القَسَمْ !

كَذَبْتَ ! أَلَسْنَا هنا ثلةً   من الصَّخرِ خرساءَ مُنْذُ القِدَمْ؟
تَلَهَّى بِأَحْجَارِنَا النَّاحِتُونَ   وَأَلْقَوْا بنا في مَهاوِي الظُّلَمْ
سَكَنَّا الحَضِيضَ أَسَارَى البِلَى   وكانَتْ مَرابِعُنا في القِمَمْ
دُمُوعُ الجِبالِ عَلَى ذُلِّنا   هِيَ السَّيْلُ يُرْزِمُ فَوْقَ الأَكَمْ
أَبَعْدَ النَّدَى مِنْ كُؤُوسِ الغَمامِ   يُصابِحُنا بالرَّحيقِ الشَّبِمْ !
وَبَعْدَ الرِّياحِ وَتَطْوافِها   صَلاةً وَنُسْكاً بِعالي الأُطُمْ !
وَبَعْدَ الشَّذَى مِنْ خُزامَى السُّفُوحِ   تَفَتَّقَ نُوَّارُهُ وابْتَسَمْ !
وَبَعْدَ المَهارِجِ دَوَّى بِها   فَمُ الجِنِّ في لَيْلِنا واحْتَدَمْ
وَبَعْدَ المَزامِيرِ أَذْكَى بِها   حَنينَ البَرارِي رُعاةُ الغَنَمْ !
وَبَعْدَ السُّهُوبِ التي مَوَّجَتْ   أَسارِيرَها البِيضَ كَفُّ النَّسَمْ
وَكانَتْ مُصَلَّى شُعاعِ الغُيوبِ   وَدَيْرَ السَّماءِ ، وكَهْفَ الحَرَمْ !
وَبَعْدَ الضُّحَى العَبْقَرِيِّ العُبابِ   عَرايا الصُّخُورِ بِهِ تَسْتَحِمّ ...
... أَقَمْنا بِزاوِيَةٍ أَهْلُها   ذُبابُ القُبورِ ، وَدُودُ الرِّمَمْ
وَخُفَّاشُها وَنَئِيُّ الصَّدَى   يُوَصْوِصُ في جانِبَيْهِ البَكَمْ !
مَعَ الصَّمْتِ صَمَّاءَ لا هَمْسَةٌ   وَلا هَجْسَةٌ غَيْرُ صَوْتِ العَدَمْ !
نُصِبْنا مَذابِحَ لِلسَّائِماتِ   وَمَجْزَرَةً لِضَحايا النَّعَمْ
تَبولُ الثَّعالِبُ في ساحِنا   وَتَسْلَحُ فَوْقَ الجِباهِ الرَّخَمْ
كَفانا خِداعاً !

اللات :

كَفانا هَواناً

مَناة (في ندم وحزن) :

أُحِسُّ بِجَنْبَيَّ عَصْفَ الأَلَمْ !
يَدُورُ عَلَى عِزَّتِي بِالفَناءِ   وَيَهْوِي بِها في سَعِيرِ الضَّرَمْ !
أَعِينا صَفاتي عَلَى هَوْلِها !

العزّى :

نُجَرَّعُ لَهِيبَ الأَسَى وَالنَّدَمْ !

« فترة سكون وذهول تخيم على الكعبة ، ويشرق خلالها أول شعاع من نور النبي »

اللات :

أَرَى قَبَساً في حِمانا غَرِيبا   وَأَلْمَحُ في الأُفْقِ ضَوْءاً عَجِيبا !
عَلَى الأَرْضِ دَفَّقَ أَنْوارَهُ   فَسالَتْ عَلَى الرَّمْلِ طُهْراً وَطِيبا
وَأَذْهَلَ بِاللَّمْحِ قَلْبَ الشُّمُوسِ   وَدَاراتِ أَفْلاكِها ، وَالغُيُوبا
وَرِيعَتْ صُخُورُ الفَلا فَارْتَمَتْ   عَلَى خَطْوِهِ وَاسْتَحالَتْ قُلُوبا
أَهَلَّ عَلَى جَلْمَدِي فَاسْتَطارَ   وَأَوْشَكَ مِنْ رَهْبَةٍ أَنْ يَذُوبا
أَعُزَّايَ مَاذَا ؟

العزّى :

شُعاعُ الضُّحَى   تَوَهَّجَ في البِيدِ غَضّاً قَشِيبا !

مَناة :

هُوَ النَّجْمُ خَفَّ لَنا ساجِداً

اللات :

خَسِئْتَ أَوْ خُيِّلْتَ ظَنّاً كَذُوبا !
فَما النَّجْمُ ؟ ما ضَوْءُهُ الكَوْكَبِيُّ ؟   وَكَمْ لاحَ يُضْنِي الأَسَى وَالشُّحُوبا
وَما الشَّمْسُ ؟ كَمْ عَصَّبَتْها السِّنِينُ   وَكادَتْ نَضارَتُها أَنْ تَشِيبا !
ضَلَلْتَ وَضَلَّ الذي خالَهُ   عَلَى الدَّهْرِ يَوْماً سَيَلْقَى غُرُوبا
هُوَ النُّورُ قَدْ رَفْرَفَتْهُ السَّماءُ   يُهَدِّي الحَيارَى وَيَمْحُو الذُّنُوبا
رَأَى الشِّرْكُ أَقْباسَهُ فَارْتَمَى   وَخَرَّ عَلَى صَفْحَتَيْها مُنِيبا
وَهَذِي جِنازَتُهُ في الفَلا   تَجُوسُ القِفارَ وَتَطْوِي السُّهُوبا
... ...
فَهَيّا نُؤَدِّي صَلاةَ الجَمادِ   وَنَسْجُدُ في الأَرْضِ حَتَّى نَذُوبا !

« ويسجدون !! » ...

(القاهرة)

محمود حسن اسماعيل

من مذكرات ابن أبي ربيعة

الحقيقة المؤمنة

للأستاذ محمود محمد شاكر



« قال عمر بن أبي ربيعة » ...

فبادرت أعدو يكاد ينشق على جِلدي من شدة العدو ، فقد أكلت مني السن وتعرّقتني أنياب الكِبَر؛ فجاوزت روضة قصر أمير المؤمنين حتى تقطعت أنفاسي من الجهد، وتلقاني الآذن: ما عدا بكَ يا أبا الخطاب ؟

فقلت : إيذن لي على أمير المؤمنين [هو الوليد بن عبد الملك] ، فقد نزل بنا ما لا ردّ له، وتبعته ... ووالله إنّ فرائصي لترعد وكأني محموم قد جرت عليه هبّة ريح باردة ... وغاب الآذن : فما هو إلا أمير المؤمنين يستقبلني كالفزِع ، وقد خرج إليّ فقال: أيُّ شيء هو يا ابن أبي ربيعة ؟

قلت : والله ما أدري يا أمير المؤمنين ، فما كان إلا ومحمد بن عروة [بن الزبير] تحت سنابكها ، فما زالت تضربه بقوائمها ، وما أدركناه إلا وقد تهشم وجهه وتحطمت أضلاعه ! ! ...

وكأنما فارقتني الروح ، فما أشعر إلا وأمير المؤمنين قائم على رأسي ينضح الماء على وجهي ، وقد قرّبت إلى مِجمرة يسطع منها ريح المندَل الرطب ، فلما أفقت ورجعت إليّ روحي سألني أمير المؤمنين أن أقصّ عليه الخبر ...

قلت : خرجنا أنا ومحمد بن عروة وهشام أخوه نريد منزلنا من قصر أمير المؤمنين ، نرجو أن نتخفف من بعض ثيابنا، فقد أنهكنا الحرُّ ... فنظر محمد إلى مرآة من فضّة مجلوّة معلقة في البيت ، ثم قال : أتذكر يا أبا الخطاب حجّتنا تلك ؟ قلت : أيّتهن ؟ فقد أكثرتَ وعمّك الحجّ ، فقال : سرعان ما نسي الشيخ ، لقد كبرت والله يا أبا الخطاب ! وقد حدثني أبي بالذي كان منك ، فقد كنت تسايره وتحادثه ، فلم تلبث أن سألته : وأين زينُ المواكب(1) يا أبا عبدالله ؟ فقال لك : أمامَك ، فأردت ركضُ راحلتك تطلبُني ، فقال لك : يا أبا الخطاب ، أوَ لسنا أكفاء كراماً لمحادثتك ، ونحن أولى أن تسايرنا ، فقلت له : بَلَى ، بأبي أنت وأمي يا أبا عبدالله ! ولكني مُغرًى بهذا الجمال أتبعه حيث كان ، ثم عدلتَ براحلتك وضربتها وأقبلتَ إليّ ، وجعل أبي يتعجب منك ويَضحك ، وقد استنار وجهه ... إحدى سوآتك هي والله يا أبا الخطاب ...

فضحكت لقوله وتناقلنا الحديث وإذا هو ساكنٌ ساجٍ كأنما غشيته غاشية همّ ، فقلت : ما بك يا محمد ؟ فزفر والله يا أمير المؤمنين زفرة كأنما انشقت لها كبدي ، ثم قال : أرأيت هذا الجمال الذي تبعته يا أبا الخطاب ، يوشك أن يكون طعاماً يلحسه تراب القبر فما ترى إلا عظماً أغبر من جمجمة تقذف الرعب من محجريها ... لقد روّعني والله يا أمير المؤمنين حتى تطيّرتُ وما بيَ الطِّيَرة ؛ فأردت أن أصرفه عن بعض وهمه أن يكون الصيف قد أوقد عليه حرّه فحيّره . فانطلقنا جميعاً [يعني هو وهشام ومحمد] إلى سطح البيت نستظل بظُلته ونستروح للنسمات وأقبلنا نضحك ونعبث ونلهو من بعض اللهو ، وإذا طائر يحوم يصفق بجناحيه ثم رنّق فكسرها من الإعياء ثم سقط ثم درج ثم اضطرب قد كاد يقتله الظمأ ، فجرى إليه « محمد » ليأخذه فيبُل ظماءه ، فخفّ الطائر فهوى إليه محمد ليدركه ، فما نرى والله محمداً ... قد اختطفه أجله فجذبه فهوى به إلى اصطبل الدواب ، فيقع بينها فيثيرها فتهيج ، وإذا « زين المواكب » تحت سنابكها تضربه ، فما أدركناه والله يا أمير المؤمنين إلا جثة قد ذهب رأسها ، وما نرى إلا الدم ... رحمة الله عليه ، لقد ...

قال أمير المؤمنين : إنا لله وإنا إليه راجعون ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، فكيف نحتال لهذا الأمر يا ابن أبي ربيعة ؟ قلت :

(1) كان يسمى محمد بن عروة زين المواكب لجماله وبهائه ...

فيم الحيلة يا أمير المؤمنين وقد ذهب القدر بما يُحتال له ! فقال : أههنا أنت يا عمر ، نمت وسار الركب ، هذا أبوه أبو عبد الله شيخ كبير يوشك أن يصاب في نفسه ؛ قلت : يا أمير المؤمنين ، هذا مصابه في ابنه ، فما مصابه في نفسه إلا أن يكون الخبر إذ يبلغه ؟ وسأحتال له . قال أمير المؤمنين : مهلاً يا عمر ، لقد علمت أن أبا عبد الله [عروة بن الزبير بن العوام] كان قد اشتكى رجله وما زال يشتكي ، فبينا نحن الساعة جلوس إذ دخل علينا « أبو الحكم » الطبيب النصراني ، فاستأذنت أبا عبد الله أن يدع « أبا الحكم » حتى يرى علة رجله ، فما راعنا إلا « أبو الحكم » يقول إنها الأكلة ، وإنها قد ارتفعت تريد الركبة ، وإنها إذا بلغت الركبة أفسدت عليه جسده كله فقتلته ، فما بُدٌّ من أن تقطع رجله الساعة خشية أن تدب الأكلة إلى حيث لا ينفع القطع ولا البتر

فوجمتُ والله لهذا البلاء ، وقد اختلف به القدر على شيخ مثل أبي عبد الله في إدبار من العمر ، وأخذ أمير المؤمنين بيدي وقام . فدخلنا مجلس الخلافة وإذا وجوه الناس قد جلسوا إلى عُرْوة أبي عبد الله يواسونه ويصبّرونه ويذكرونه بقدر الله خيره وشرّه ؛ وإذا فيهم سليمان بن عبد الملك أخو أمير المؤمنين ، وعمر بن عبد العزيز ، والقاسم بن محمد ، وعبد الله بن عبد الله ابن عمر بن الخطاب ، وقد حضره ولده هشام فأرَمٌ قد انتُسف لونه من الحزن على أخيه والرحمة لأبيه . وأقبل أمير المؤمنين وأنا معه على عُرْوة ؛ فتفرق الناس إلى مجالسهم ، وإذا عُرْوة كأنْ ليس به شيء ، يرفُّ وجهه كأنه فِلْقة قمر وهو يضحك ويقول : لقد كرهت يا أمير المؤمنين أن يقطعوا مني عضواً يحط عني بعض ذنوبي ، فقد حدّثنا أن أبا بكر قال : يا رسول الله كيف الصلاح بعد هذه الآية « ليسَ بأمانيّكم ولا أمانيّ أهلِ الكتاب مَنْ يعملْ سوءاً يُجزَ بهِ » ، فكل سوء عملناه جُزينا به ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : غفر الله لك يا أبا بكر ؛ ألستَ تمرَض ؟ ألستَ تنصَب ؟ ألست تحزَن ؟ ألست تصيبك اللأواء ؟ قال : بلى يارسول الله . قال صلى الله عليه وسلم : فهو ما تُجزَون به ، فإن ذاك بذاك . لَوَدِدْت يا أمير المؤمنين أنها بقيتْ بدائها فهي كفّارةٌ تحتُّ الذّنب

قال أمير المؤمنين : غفر الله لك ، غفر الله لك ، وما أعجبُ لصبرك ، فأمُّك أسماء بنت أبي بكر الصديق « ذات النّطاقين » وأبوك حَوَاريُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته الزبير ابن العوام ، فرضي الله عنك وأرضاك يا أبا عبد الله

فما كدنا حتى أقبل أبو الحكم ، وهو شيخ نصرانيٌّ طويل فارعٌ مَشبوحُ العظام ، قد تخدّد لحمه ، أحمرُ أزهرُ أصلع الرأس إلا شعرات بيضاً قد بقيت له ، كثُّ اللحية طويلها ، لو ضربتها الريح لطارت به ؛ ودخل أبو الحكَمَ وراء لحيته وهي تسعى بين يديه ، حتى وقف على عروة بن الزبير فقال : لا بدّ مما ليس منه بُدٌّ يا أبا عبد الله ، وإني والله لأرحمك وأخشى أن يبلُغ منك الجهد ، فما أرى لك إلا أن نسقيك الخمر حتى لا تجد بها ألم القطع . قال عروة : أبعدك الله من شيخ ، وبئس والله ما رأيت ! إنا والله ما نحبُّ أن يرانا الله بحيث نستعين بحرامه على ما نرجو من عافيته ! قال أبو الحكم : فنسقيك المُرْقِدَ ، يا أبا عبد الله ! قال عروة : ما أحبُّ أن أُسلَبَ عضواً من أعضائي وأنا لا أجد ألَمَ ذلك فأحتسبه عند الله

قال أبو الحكم : وقاك الله يا أبا عبد الله ! لقد ألنت منا قلوباً كانت قاسية ؛ ثم التفت (أبو الحكم) إلى رجال سود غِلاظ شداد قد وقفوا ناحية فقال : أقبلوا ، فأقبلوا ... فأخذتهم عينُ عروة فأنكرهم فقال : ما هؤلاء ؟ فقال أبو الحكم : يمسكونك ، فإن الألم ربما عزب معه الصبر ؛ قال عروة : أما تُقلع أيها الشيخ عن باطلك ، انصرفوا يرحمكم الله ، وإني لأرجو أن أكفيكم ذلك من نفسي ، ولا والله ما يسمني أن هذا الحائط وقاني أذاها فاحتمل عني ألمها . أقبل يا أبا الحكم ، وخذ فيما جئتَ له « ربَّنا إننا سَمِعْنا مُنادياً يُنادي للإيمانِ أنْ آمِنوا بربِّكم فآمنّا ، ربَّنا فاغفِرْ لنا ذُنوبَنا وكفِّرْ عنا سيئاتِنا وتوفَّنا مع الأبرار . ربَّنا وآتِنا ما وعدْتَنا على رُسُلِكَ ولا تخزِنا يومَ القيامةِ إنك لا تخلفُ الميعاد »

فرأيت أبا الحكم وقد برق وجهه وتوقد كأنما أسلم بعد كفر ، ثم نشر درجاً كان في يده وأخرج منشاراً دقيقاً طويلاً صقيلاً يضحك فيه الشعاع ووُضع الطست ومَد أبو عبد الله رجْله على الطست وهو يقول : باسم الله والحمد لله وسبحان الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله « ربنا ولا تحمّلْنا ما لا طاقة لنا به واعفُ عنا واغفر لنا وارحمنا » . تقدم يا أبا الحكم فقد احتسبتها لله

فما بقي والله أحدٌ في المجلسِ إلا استدارَ ودفَنَ وجههُ في كفيه ، وبكى القوم فعلاً نشيجهم ، وإن عرْوةَ لساكن قارٌّ

ينظر إلى ما يرادُ به ، وكأنمـا مـَلكٌ قد جاء إلى الأرض يستقبل آلامها بروح من السماء . ووضع أبو الحكم منشاره فى اللحم إلى العظم ، وإن عروة لصائم يومه ذاك ، فما تضور وجهه ولا تقبض ، والمنشار يأكل فى عظمه الحى ، وما يزيد على أن يهلل ويكبر ويسبح الله ، وكأن الدار والله قد أضاء جوها كأنه شعاع ينسكب من تهليله وتكبيره ؛ ودخل رجال يحملون مغارف من حديد يفور منها ريح الزيت وقد غلى فيها على النار ، ودنوا فما هو إلا أن فرغ أبو الحكم وقد فار الدم منها وتفجر مثل الينبوع ، فأخذها أبو الحكم يغمسها فى الزيت فيسمع نشيشها فيه حتى حسم الدم . وإذا عروة قد غشى عليه ، وإذا وجهه قد صـفِر من الدم ، وقد نجِدَ فنضح وجهُـه بالعرق ، ولكنه بقى مشرقاً نيراً يرفُّ كأنه عرارة تحت الندى . قال أبو الحكم : مارأيت كاليوم يا أمير المؤمنين إنه الرجل ، وإنها الحقيقة المؤمنة ، وإن إيمانه ليحوطه ويثبته ويسكنه وينفض عنه الجزع ، ثم التفت إلى عروة يقول : جزاك الله خيراً يا أبا عبد الله ، لأنت والله تمثال الصبر فى إهاب رجل

وما لبثنا ، حتى إذا أفاق أبو عبد الله جلس يقول : لا إلـٰه إلا الله والحمد لله ، ويمسح عن وجهه النومَ والعرق بكفيه ، وينظر فيرى قدمه فى يد رجل يهم أن يخرج بها فيناديه : على رِسْـلِك أيها الرجل ، أرنى ما تحمل ؛ فيأخذ قدمه فى يده فيرنو إليها وقد سكن وحرَّك شفتيه ، ثم يقلبها فى يده ثم يقول لها : أما والذى حملنى عليك ، لقد علمتِ أنى ما مشيت بك إلى حرام ولا معصية ، اللهم هذه نعمة أنعمت بها علىَّ ثم سلبتنيها أحتسـبُها عندك راضياً مطمئناً إنك أنت الغفور الرحيم ، خذها أيها الرجل ؛ ثم أضاء وجهه بالإيمان والصبر عن مثل الدرة فى شعاع الشمس ... ...

قال أمير المؤمنين : غفر الله لك يا أبا عبد الله ، وإن فى الناس لمن هو أعظم بلاء منك ، يا عمر [يريد عمر بن عبد العزيز] ، ناد الرجل من أخوالى [يعنى من بنى عَبْـس] فيقبل عمر ومعه رجلٌ ضريرٌ محطومُ الوجهِ لا تُرى إلاَّ دمامته ، فيقول لهُ أمير المؤمنين : حـدِّثْ أبا عبد الله بخبرك يا أبا صمصمة ، فيلتفت الرجل إلى عُرْوة ويُقبل عليه فيقول : أبنَ الزُّبير ، قد والله لقيتَ البلاء ؛ يا فقيه المدينة وابن حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وإنى والله محدثك عنى بخبرى عسى أن يرفع عنك : فقد بتُّ ليلة فى بطن واد ، ولا أعلم عَبسيًّا فى الأرض يزيد ماله على مالى ، فطرقنا سيلٌ جارفٌ كأنه الطوفان ، يتقاذف بين يديه موجاً كالجبال ، فذهب بما كان لى من أهل ومال وولد إلا صبياً مولوداً وبعيراً نِضواً ضعيفاً . فندَّ البعيرُ يوماً والصبى معى ، فوضعته واتبعت البعير أطلبه ، فما جاوزت ابنى قليلاً إلا ورأسُ الذئب فى بطنه قد بعجها بأنيابه العُـصل فاستل أحشاءه ، وإن الصغير ليصرخ ، ويركض برجليـه الأرض ، فكدت والله أسوخ فى الأرض مما رأيت ، ولكنى ذكرت الله واستمنته واحتسبتُ الصغير فتركته لقدر الله واتبعت البعير ، فهممت آخذ بذنبه وقد أدركته ، فرمحنى رمحة حطم بها وجهى وأذهب عينىَّ ، فأصبحت لا ذا مال ولا ذا ولد ولا ذا بصر ، وإنى أحمد الله إليك ، يا أبا عبد الله ؛ فاصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور . قال عُروة : لقد أفضل الله عليك يا أبا صمصمة وإنى لأرجو لك الجنة

قال عمر بن أبى ربيعة : وألاح إلىَّ أمير المؤمنين أن أقبل ، فدنوت إليه فأسر إلىَّ : إن أردت الحيلة فقد أمكنتك ، فاذهب إلى أبى عبد الله فانعَ إليه ولده « زين المواكب » ، قلت : هو والله الرأى يا أمير المؤمنين ، ثم مضيت إلى عروة وقد غلبتنى عيناى بالبكاء

فلما قاربته قلت : عزاءك يا أبا عبد الله ؛ قال عروة : فيم تعزينى يا أبا الخطاب ؟ إن كنت تعزينى برجلى فقد احتسبتها لله ، قلت : رضى الله عنك ، بأبى أنت وأمى ، بل أعزِّيك « بزَين المواكب » ، فدهش وتلفَّت ولم يرَ إلا هشاماً وولده ، فرأيت فى وجهه المعرفة ثم هدأ فقال : ما لَهُ يا أبا الخطاب ؟ فجلست إليه وتحلَّق الناس حوالينا وتكنَّفُونا ، وأخذت أحدِّثه بشأنه ، ووالله ما يزيد على أن يقول : لا حول ولا قوة إلا بالله ، إنّا لله وإنا إليه راجعون ، فلما فرغت من خبرى ما زاد على أن قال :

وكنتُ إذا الأيامُ أحدثنَ هالكا ... أقولُ شوًى ما لم يُصبنَ حَميمى

ثم رفع وجهه إلى السماء وقد تندَّت عيناه ثم قال : اللهم إنه كان لى أطراف أربعة فأخذت واحداً وأبقيت لى ثلاثة ، فلك الحمد فيما أخذت وأبقيت ؛ اللهم أخذت عضواً وتركت أعضاء ، وأخذت ابناً وتركت أبناء ، وايمُ الله لئن كنت أخذت لقد أبقيتَ ، ولئن ابتليت لطالما عافيت ، سبحانك ربنا وإليك المصير . قوموا إلى جهاز أخيكم يرحمكم الله ، وانظروا لا تكون عليه نائحة ولا مُعْولة فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن النياحة ، ومُرُوهنَّ بالصبر للصدمة فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى على امرأة تبكى

خواطر تلهمنيها ذكرى الهجرة

للأستاذ عبد العزيز البشرى



ليس ما يضرب فيه القلمُ اليوم بحثاً قامت فى الذهن حدوده ، وبانت طرقه ، واتضحت معالمه، واستشرفت مقدماتُه لنتائجه. إن هى إلا خواطر تجول بها ذكرى الهجرة الشريفة. هى خواطرُ تتوالى على النفس كما توالى مناظر الخيالة (السينما) فى جريدة الأخبار مثلاً . على أنها قد تجىء بحكم تداعى المعانى ، وبحكم أضعف المناسبات ، وأدنى الملابسات

وبعد ، فليس من شك فى أن مما يستدعى العجب ، بل مما يكاد يَستهلك كل العجب ، شأن أولئك العرب إلى آخر جاهليتهم ، وما صاروا إليه بعد إسلامهم بيسير من الزمان :

لقد كانوا ، فى جملتهم ، قوماً أميين جهالاً ، لم تفتتح عيونهم على علم ، ولم يتذوقوا فناً ، اللهم إلا فن الكلام ، وهو غير مُغنٍ فى قيام الأمم إذا أغنى إلا قليلاً

لقد كانوا جاهليين حقاً لا يرتبطهم بأى لون من ألوان الحضارة أى سبب ، ولا تنفذُ عقولهم إلى شىء مما وراء تلك البوادى التى يسكنون ؛ حتى لو اضطربوا فيما يجاورهم من البلاد التى أخذت بحظ من الحضارة ، بحكم التجارة ونحوها ، رجعوا إلى قومهم وكأنهم لم يشهدوا شيئاً غريباً من شأنه أن يلفت أنظارهم ، ويحرّك أفكارهم ، كأنما غلّقت الأذهان وغلقت القلوب ، و (إنها لا تَعمى الأبصارُ ولكن تَعمى القلوبُ التى فى الصدور) صدق الله العظيم !

على أنهم لم يسلخوا فى الإسلام إلا صدراً يسيراً من الزمن حتى حذقوا علوم من سبقوهم إلى الحضارة وفنونهم ، بل سرعان ما أنشأوا هم علوماً واستحدثوا فنوناً أوفوا بها على حضارة الزمان !

ولا ينبغى ، فى هذا المقام ، أن يذهب عن المفكر أن ما نقل العرب من علوم غيرهم وفنونهم قد طبعوه أولاً بطابع الفكر العربى ، وسوّوه حتى مرىءَ فى مساغ الذوق العربى أيضاً ، وهذا وهذا فوق ما وسموا فى آفاق هذه العلوم والفنون، واستحدثوا فيها من القضايا التى ذهبت بها إلى أبعد الغايات .

وأنت خبير بأنه إنما يبعث على العجب فى أمثال هذه الغرائب هو غفلة الذهن عن وصل الأسباب بالمسببات . ولهذا قيل : إذا عرف السبب ، بطل العجب ...

فى الحق أن العربى على ما كان فيه بحكم البيئة من الجفاء والانصراف عن إرسال الفكر فى شىء من دواعى الحضارة التى يشهد أو يترامى إليه أمرها ... الحق أنه — مع هذا — حديد الفطنة ، سليم الطبع ، مستقيم الفطرة . فلما جاءه الإسلام ، وهو دين الفطرة ، أذكى مواهبه ، وحرر فكره ، وأجلى ما كان رين على قلبه ؛ فإذا إنسان كفىء أى كفىء لأسمى النظر وعلاج جلّى المعضلات فى الحياة ، وكذلك يمضى طلقاً إلى ابتغاء المجد الحق من كل سبيل ! ...

ولقد كان من المتعيّن على مفكّرى العرب وقد دخلوا فى الإسلام ، أن يكون أبلغ سعيهم ، وأول ما تتقلب فيه أذهانهم ، هو هذا الدين طلباً لحفظ أصوله وتفصيل أحكامه . فجد منهم من جد فى جمع أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم

صبياً لها فقال لها : اتقى الله واصبرى، فقالت : وما تبالى بمصيبتى ! فلما ذهب قيل لها : إنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذها مثل الموت ، فأتت بابه فلم تجد على بابه بوابين فقالت : يا رسول الله لم أعرفك ، فقال صلى الله عليه وسلم : إنما الصبر عند أول الصدمة

وجزاك الله خيراً عنى وعن ولدى يا أمير المؤمنين ، « فلله الحمدُ ربِّ السموات وربِّ الأرض ربِّ العالمين ؛ وله الكبرياء فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم »

محمود محمد شاكر

بطريق الرواية عن الثقات من التابعين أو تابعيهم ، ثم عن الصحابة راوياً بعد راو إلى من سمع منهم بأذنه أو رأى بعينه (فعمل النبي (ص) وإشارته كذلك من السنة)

ولقد أفنى جامعو الحديث أعمارهم فى شدة التحرى والتحقيق والتثبت والتأكيد ، للتمييز بين صحاح الأحاديث وموضوعاتها . بل للتمييز بين الصحاح ، وتبيين حظ كل منها من القوة طوعاً لحظ رواتها من الثقة والدراية . ثم كان من أثر هذا أن نشأ علم جديد ، هو علم (مصطلح الحديث) . ولعله كان من الخير أن يدعى علم (نقد الحديث)

وفى الوقت نفسه اجتهد آخرون فى استنباط الأحكام الشرعية من هذه الأصول الأربعة : الكتاب ، والسنة ، والإجماع ، والقياس ، مهتدين جميعاً بسلامة الفطرة ، وحدة الفطنة ، وصحة التفكير ، ودقة الإحساس ، حتى لقد ارتجلوا — فى هذا الباب — قواعد وقضايا تخلب باختصارها ووضوحها ودقتها أبرع المشرعين . ولأسق طائفة يسيرة منها على جهة التمثيل : الضرورة تقدر بقدرها — الأصل بقاء ما كان على ما كان — إن كنت ناقلاً فالصحة ، وإن كنت مدعياً فالدليل — ماجاء على أصله لا يسأل عن علته — لا اجتهاد مع النص — الاعتراف حجة قاصرة — اليد دليل الملك — المعروف عرفاً كالمشروط شرطاً — ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ... الخ

ولعمرى لم يكن كل هذا الابداع والابتكار أثراً لدرس مدرس أو تقليب للفكر فى كتاب مكتوب، إن هو كما قلنا من فضل سلامة الفطَر وحدة الذكاء ، وصحة التفكير

وإذا كان علماء العرب قد نقلوا بعد ذلك علم المنطق إلى لغتهم عن اليونانية فإنهم سرعان ما أجالوا فى قضاياه هذه الأذهان الحادة وأراقوا عليها تلك الأفكار الخصبة ، فابتكروا ما ابتكروا ، واستحدثوا ما شاء الله أن يستحدثوا ، طلباً لوفاء هـذا العلم على الغاية من الهداية إلى صحة التفكير ، وابتغاء النتائج الحق من صحاح المقدمات .

ثم لم يكفهم هذا ، فلقد نقلوا عن اليونانية أيضاً علم (آداب البحث والمناظرة) ، وغاية هذا العلم تنظيم وسائل المجادلة بين المتجادلين ، وإلزام كل من الطرفين حده فى الخصام ، وبيان الطرق للأدلاء بحجته ، أو إدحاض حجة خصمه . وكذلك تضحى المناظرة مجدية منتجة ، تظهر الحق على الباطل بقيام الحجة الواضحة غير مضيَّمة بين سفسطة ومماترة ، أو نقل لموضوع النزاع .

على أن العرب كذلك قد طبعوه بطابعهم ، وأفاضوا عليه من سابغ تفكيرهم ، ووصلوه بفنونهم ، وأجروا فيه الأمثلة والشواهد مما يعرض لما يعالجون من العلوم

أما وقد عرضنا للقضايا المسلمة وللمنطق ولآداب البحث والمناظرة فقد حق علينا أن نقف وقفة قصيرة لعلنا نرفه بها عن القارئ بعض الترفيه

لا غرو علىَّ إذا زعمتُ أن تسعين فى المائة ، إن لم أقل تسعة وتسعين فى المائة ، من المناقشات والمجادلات التى تدور بيننا ، نحن المصريين ، سـواء أ كانت باللسان فى المجالس الخاصة ، أم بالقلم فى الصحف السيارة، لا يمكن أن تنتهى بالتسليم من أحد المتحاورين. ذلك بأننا ، حتى الـكثير من متعلمينا ، قل أن يُعـنَوا فى جدلهم بترتيب المقدمات المنطقية الترتيب الذى يفضى بها ، فى صحيح القياس إلى النتائج الصحيحة . ولقد يدفعنا الحفاظ للنفس ، والرغبة فى الفلج والخصم أن ننكر القضايا المسلمة . أما نقل موضوع النزاع ، إذا سطت بنا حجة الخصم ، فهذا مايقع عندنا بغير حساب !

ودعنا الآن من المجادلات العلمية أو الفنية ، وخذ بنا فى ألوان الحوار التى تجرى كل ساعة بين الأصدقاء وغير الأصدقاء :

يقول لك فلان : إن فلاناً صنع كيت وكيت مما يتعاظمك ويروعك لضخامته أو لتعذر أسـبابه ، فإذا باديته ولو بالشك فيما يزعم ابتدرك بقوله : (دليه لأ ؟) كأن الأصل أن تضاف إلى الناس الأفعال أو الأقوال ، وعلى المنكر أن يقيم هو الدليل على العكس ، أى العدم أو استحالة الوقوع ، ناسين أبسط القضايا وأوضحها : (البينة على من ادعى) !

ويقول لك آخر : إن فلاناً يرتكب كذا وكذا من الموبقات؛ فإذا أنكرت منه هـذا القول قال : فى غير ورع ظاناً أنه يقيم الحجة عليك : كيف وأنا أقارف معه تلك الموبقات ؟! وقد فاته أن الاعتراف حجة قاصرة على النفس ، فإذا أشرك الغير كان دعوى تحتاج إلى الدليل !

ولقد تروى ، فى بساطة ، ما انتهى إليك من خبر نشرته إحدى الصحف ، أو جملت تردده المجالس من أن فلاناً اتهم فى كذا ؛ فيبادرك رجل من شيعته طبعاً ! حضرتك مبسوط من كده ! ... وترى أن الخبر قد التبس على الغبى بالأمنية ، اللهم إلا أن يكون فاسد الضمير فاجر النية ! ...

ومما يضحك ويبكى نقل موضوعات النزاع ، إما فراراً من لزوم الحجة، أو طلباً للكيد والأذى، أو جهلاً وشدة غباء .

وأذكر نموذجاً واحداً مما وقع لى فى هذا الباب على جهة التمثيل أيضاً . ولم يكن ثمة موضع نزاع ، بل كان هناك سؤال استحال فى غير موجب إلى نزاع :

من بضعة أيام طلبت عيادة طبيب الأسنان ليخلع ضرساً ألح علىّ ألمه ، وورم له صدغى ... وبينا أنا فى غرفة الانتظار ريثما ينتهى الطبيب من علاج من تقدمنى ، إذا رجل حسن السمت ، أنيق البزّة . ويبدأ بالتحية ، فأردها بأحسن منها ... وما يكاد يأخذ مجلسه حتى يطارح الحديث كعادتنا نحن المصريين إلى من نعرف ومن لا نعرف. فاددته الحديث على ما بى. فى الأسباب العامة طبعاً، ومن حديثه أدركت أنه رجل مزخرف الثقافة مزوّق اللسان ؛ ثم إذا هو يفاجئنى بهذا السؤال : حضرتك من أهل الريف ؟ فأجبته من فورى: لا يا سيدى، فأنا مولود فى القاهرة، ومازالت موطنى إلى الآن . فردّ على فى ثورة عنيفة : « ليه ! هيه المعيشة فى الريف وحشة ؟ ! »

لقد ثار ثائرى ، ونهضت لتوّى ، وخرجت مسرعاً إلى دارى مؤثراً وجع الضرس وضرباته على هذا اللون من الحوار !

إذن ، لقد كان علىّ أن أخلق قبل أن أُخلق ، وأن أولد قبل أن أولد ؛ حتى إذا بلغت سن التميز فى النشأة الأولى ، كان على القدر، أن يخيرنى الولادة فى الريف والحضر، فأختار أول الأمرين، ثم أتبخر فى الأثير ، ثم أُبعث فى الريف من جديد ! وإلا كنتُ امرءاً آثماً يستحق اللوم والتأنيب !

وبعد هذه الوقفة المريحة أو المتعبة المعنّية نرجع سياقة الحديث على اسم الله :

لقد اقترنت عناية السابقين فى الإسلام بعلوم الدين ، بعناية غيرهم بعلوم اللسان ، من نحو وصرف وأدب وبيان . وذلك لأنها الوسيلة إلى فهم لباب الدين .

وفى أعقاب هذا أو على الأدق ، فى أثنائه ، التفت مفكرو العرب إلى المنطق ، على أنه مما ينظم الفكر وييسر الطرق لاستنباط الأحكام الشرعية على الوجه الصحيح . ثم اتجهوا كذلك إلى نقل قوانين البحث والمناظرة على ما تقدم به الكلام لم يمنع اشتغال مفكرى العرب بهذا وهذا وذلك من أن يلتفتوا إلى علوم الدنيا من رياضة وهندسة وطب وفلك وغيرها . فسرعان ما جادوا وما برعوا ، وسرعان ما أجلُّوا ووسموا ، وما ابتكروا وما اخترعوا . . . ولم ينسلخ من الزمن غير يسير بالإضافة إلى أعمار الأمم ، حتى صارت هذه العلوم إليهم وكادت تقطع صلتها بغيرهم ، فأصبحوا هم المتحدثين فيها والمتحدثين عليها بين أمم الأرض جماء . وكذلك أنشأوا أجمل حضارة وأزكاها فى هذا العالم !

فإذا تعاظمتك تلك النهضة فى مثل ذلك الزمن ، فإن مما يدفع عنك العجب أنه قد لاقت تلك الفطرة العربية دين الفطرة . . . دين صاحب الهجرة .

عبد العزيز البشرى

مُناجاة الهلال

للأستاذ محمود غنيم



ماذا وراءك ، مرحباً بك عاما ؟   رحماك إن الكون فى الدم عاما
لم أدر حين بدا هلالك أحدباً   أحملت غُصناً أم شهرتَ حساما ؟
وجه البسيطة عابسٌ متجهِّمٌ   فاجعل هلالك ثغره البسَّاما
جفِّفْ دم الدنيا وكفكفْ دمعها   وانشر عليها رحمةً وسلاما

***

ما بال ظهرك يا هلال مقوَّسا   أحملت أعباء السنين جِساما ؟
أصبحت فى زِيِّ الكهول فهل تُرى   قد شبتَ مثلهمو وكنت غلاما ؟
مابال وجهك شاحباً يا ابن الدجى   أفنيتَ مثلى فى الملاح غراما ؟
أم بِتَّ تخشى الحربَ أن ترقى إلى   أفق السماء فتلحقَ الأجراما ؟
فى الجو طير كالحمام محلِّقٌ   لكنه إن طار كان حِماما
فاحذر فإن الحرب منك قريبة   والجوّ يمطر يا هلال سهاما
وانصح خيالك فى البحار وقل له: أوصيك ألا تقربَ الألغاما

***

العالم العُلوىُّ سر غامضٌ   فا كشف لأهل الأرض عنه لثاما
هل ثَمَّ أغراض وثَمَّ مطامعٌ   تُجرى الدماء به وتَبرى الهاما ؟
أهناك خَلْقٌ مثلُنا يقضى كما   نقضى الحياة تطاحناً وخصاما ؟
زعموك مسكوناً ، وليتك بلقعٌ   إن كنت تأوى يا هلال أناما
زعموك مسكوناً كأمك ليتها   كانت عشية أنجبتك عقاما

***

قاد الممالكَ معشرٌ متسلِّطٌ   هدَمَ السكينةَ حائطاً ودِعاما
فتشتُ فى عصر الضياء فلم أجد   إلا شعوباً تشبه الأنعاما
أمم تسبِّح باسم أفرادٍ ، كما   كانت قديماً تعبد الأصناما
كم أمةٍ إن يهتدِ الفرد اهتدت   وتهيمُ فى الظلمات إن هو هاما
هذا زمان الفرد ليس ببارح   هيهات ما دام السَّوادُ سَواما

***

قل للهلال إلام تسرى فى الدجى ؟   يا ابن السبيل أما نويت مُقاما
ساقتك كفٌّ ساقت الدنيا فهل   تدرى علام تسوقها وإلاما ؟
حتَّام تُدلج فى الظلام كعاشق   يخشى الرقيب ويتقى اللوَّاما ؟
أتبيت فى جنح الظلام موكلاً   بالكون تحرسه إذا هو ناما ؟
هم شبهوك بمِنْجَل من فضة   ماذا حصدت ، أتحصد الأياما ؟
يرد الأنامُ عليك أنت معمَّر   وهمو يزورون الحياة لماما
يا رُبَّ قوم ألهوك فأومئوا   لك بالتحية سجداً وقياما
أتت القرون عليك وهى عديدة   وأراك طفلاً ما بلغت فطاما

***

يا ابن الدجى حدِّثْ أعرْك مسامعى   فلأنت أصدقُ من «حذام» كلاما
أشهدتَ مجد الشرق فى ريْعانه   وسناه إذ كان الوجود ظلاما ؟
أشهدت رسْل الله تذرع أرضَه   تتلو الشرائع فيه والأحكاما ؟
أشهدت عيسى والكليم كليهما   يتلقيان الوحى والإلهاما ؟
أشهدت أحمد يوم هاجر أحمدٌ   يطوى الضلال وينشر الإسلاما ؟
إذ جاء يحمل فى اليمين هداية   للعالمين وفى الشمال حساما
فغزا بشرعتــه الضمائر قبلما   يغزو بحدِّ حسامه الأجساما
كانت مبادئه القويمة فيلقاً   يغــزو به الأفكار والأفهاما
فإذا بتيجان الملوك وإن علت   أقدامهم من حوله تترامى

***

نشيد العام الهجري

للأستاذ علي الطنطاوي



سلوا عنا رمال الجزيرة، وجنان الشام، وسهول العراق

سلوا ربوع العجم، ومجاهل الترك، وسفوح القفقاس

سلوا بطاح إفريقيّةَ، ومغانى الأندلس، ومساكن الإفرنج

سلوا حفافى الكنج، وضفاف اللوار، وأطراف الدانوب

سلوا عنا كل أرض فى « الأرض » ... فعندها كلها خبر من بطولاتنا وتضحياتنا، ومفاخرنا وأمجادنا، وعلومنا وفنوننا.

نحن « المسلمين »

* * *

نحن « المسلمين » ... هل روّى رياض المجد إلا دماؤنا ؟

هل زانت جنات البطولة إلا أجساد شهدائنا ؟

هل عرفت الدنيا أنبل منا أو أكرم، أو أرأف أو أرحم، أو أجل أو أعظم، أو أرق أو أعلم ؟

نحن « المسلمين » ... لنا فى كل أرض شهيد قضى فى سبيل الإسلام والسلام والإيمان والأمان، وتحت كل سماء رفرف لنا علم، وامتد لنا حكم، فكان الحكم المسمد العادل، وكان العلَم الظافر الغلاب !

* * *

نحن بنينا الكوفة والبصرة، والقاهرة وبغداد

نحن أنشأنا حضارة الشام والعراق والأندلس

نحن شدنا بيت الحكمة، والمدرسة النظامية، وجامعة قرطبة، والجامع الأزهر

نحن علمنا أهل الأرض، وكنا الأساتذة وكانوا التلاميذ ...

نحن « المسلمين » !

منا أبو بكر وعمر ونور الدين وصلاح الدين، منا خالد وطارق

صف لى زمان الراشدين وزهدَهمُ ... والأرضَ إذ كانوا لها حكّاما

بالله كيف رعى الشعوبَ وساسها ... من كان يرعى الشّاء والأغناما ؟

صف لى بربك قادة الإسلام إذ ... فتحوا العراق ببأسهم والشاما

قل لى بأية قوةٍ جبارة ... نزلوا بمصر وزلزلوا الأهراما ؟

ما كان جند المسلمين أشد من ... أعدائهم بأساً ولا إقداما

لكنه الإيمان فى ساح الوغى ... ربط القلوب وثبت الأقداما

شاهدت دولة « عبد شمس » فانعَها ... وانعت « معاوية » لنا و« هشاما »

واذكر لنا بغداد كيف رأيتها ... تحوى العلوم وتجمع الأعلاما

واذكر لنا صَلَفَ الرشيد وكبرَه ... لما تحدى فى السماء غماما

وأعد على أذنىّ خطبة « طارق » ... « البحر خلفاً والعدوُّ أماما »

أشهدت شعباً من سلالة « يعرُب » ... فى الغرب شاد حضارة ونظاما ؟

ما خطب هذا الشعب كيف وجدته ... يقظان إذ كان « الفرنج » نياما ؟

حدِّثْ عن الإسلام ذكرٍ أهله ... وقِّع لنا تاريخه أنغاما

مجد إذا اجترّ الزمان حديثه ... خفض الزمان جبينه إعظاما

ما كان أخلق أن يدوم لأهله ... لو أن مجداً قبل ذلك داما

* * *

يا ابن السبيل ألا حملت رسالتى ... قد سار ركبك يسبق الأوهاما

حىّ العروبة ثم طفْ ببلادها ... مترفقاً واستنهض الأقواما

استرسل الأقوام فى أحلامهم ... فاقطع عليهم هذه الأحلاما

واعطف على البسفور والمس جرحه ... إنا نُحسُّ لجرحه آلاما

سترى البعول هناك قد ناحوا على ... زوجاتهم وترى النساء أيامى

وترى كهولا ودعوا أبناءهم ... فى مهدهم وترى بنينَ يتامى

وترى أناساً فيه لا مأوى لهم ... أمست أسرتهم حصى ورَغاما

فاذهب إليه باسم مصرَ مواسياً ... عزّ الأقارب فيه والأرحاما

احمل لهم منا السلامَ مع الأسى ... لا تنسَ أنّ لهم عليك ذِماما

لا تنس أنك رمز مصرَ ورمزهم ... بك يا هلال نزيّن الأعلاما

« الاسكندرية »

محمود غنيم

مدرس بالمعلمين

وقتيبة وابن القاسم ، منا أبو حنيفة والشافعي ، منا البخاري وابن حنبل ، منا الغزالي وابن رشد ، منا ابن سينا والرازي والفارابي والبيروني ، منا الخليل والجاحظ وأبو حيان ، منا أبو تمام والبحتري والمتنبي والمعري ، منا إسحاق الموصلي وزرياب ... لقد أنجبنا خلفاء وقواداً ، ومحدثين وفقهاء ، ورياضيين وأطباء ، ولغويين وكتاباً وشعراء وموسيقيين ... لقد أنجبنا مائة ألف عظيم وعظيم ... نحن « المسلمين » !

* * *

تنظم في مفاخرنا مائة إلياذة ، وألف شاهنامة ، ثم لا تنقضي أمجادنا ولا تفنى ، لأنها لا تعد ولا تحصى

من يعدّ معاركنا الظافرة التي خضناها ؟ من يحصى مآثرنا في العلم والفن ؟ من يستقرى نابغينا وأبطالنا ... إلا الذي يعد نجوم السماء ، ويحصى حصى البطحاء ، ويستقري رمال الدأماء !

اكتبوا (على هامش السيرة) ألف كتاب ، و (على هامش التاريخ) مثلها ، وأنشئوا مائة في سيرة كل عظيم ، ثم تبقى السيرة ويبقى التاريخ كالأرض العذراء والمنجم البكر !

* * *

نحن « المسلمين » ...

هل تحققت المُثُل البشرية العليا إلا فينا ؟ هل عرف الكون مجمعاً بشرياً — إلا مجمعنا — قام على الأخلاق والصدق والإيثار ؟ إن بين واقع الحياة وبين أحلام الفلاسفة وآمال المصلحين ، لحرباً أزلية باقية ، ما اصطلحا وما تواءما إلا في صدر الإسلام ، يوم كان الواحد منا يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، ويؤثره عليها ولو كان به خصاصة . وكانوا أطهاراً في أجسادهم وأرواحهم ومادتهم ومعناهم ، وكانوا لا يأتون أمراً ولا يدعونه ، ولا يقومون ولا يقعدون ، ولا يذهبون ولا يجيئون إلا لله . قد أماتوا الشهوات من نفوسهم ، فكان هواهم تبعاً لما جاء به القرآن ...

لقد كنا خلاصة البشر ، وصفوة الإنسانية ، وجعلنا حقاً واقعاً ما كان يراه الفلاسفة والمصلحون أملاً بعيداً ، نحن « المسلمين » !

* * *

نحن « المسلمين » . . قوتنا بإيماننا ، وعزنا بديننا ، وثقتنا بربنا ، وقانوننا قرآننا ، وإمامنا نبيّنا ، وأميرنا خادمنا ، وضعيفنا المحق قويّ فينا ، وقوينا عون لضعيفنا ، وكلنا إخوان في الله ، سواء أمام الدين ... نحن « المسلمين » !

* * *

نحن « المسلمين » ملكنا فعدلنا ، وبنينا فأعلينا ، وفتحنا البلاد فكنا الأقوياء المنصفين . سننّا في الحرب شرائع الرأفة ، وشرعنا في السلم سنن العدل ، فكنا خير الحاكمين ، وسادة الفاتحين ، نحن « المسلمين » !

أقمنا حضارة ، فكانت خيراً كلها وبركات ، حضارة روح وجسد ، وفضيلة وسعادة ، فعمّ نفعها الناس ، وتفيّأ ظلالها أهل الأرض جميعاً

* * *

نحن « المسلمين » ... لسنا أمّة كالأمم تربط بينها اللغة ، ففي كل أمّة خيّر وشرير ؛ ولسنا شعباً كالشعوب يؤلف بينها الدم ، ففي كل شعب صالح وطالح ؛ ولكنا جمعية خيرية كبرى ، أعضاؤها كل فاضل ، من كل أمة ، تقيّ نقيّ ، تجمع بيننا التقوى إن فصل الدم ، وتوحد بيننا العقيدة إن اختلفت اللغات ، وتدنينا الكعبة إن تناءت بنا الديار ...

أليس توجهنا كل يوم خمس مرات إلى هذه الكعبة رمزاً إلى أنها مركز الدائرة وقطب الرحى ، تدور عليه وتطيف به ، مهما اتسعت الرقعة وطال المحيط ؟

* * *

نحن « المسلمين » ... ديننا الفضيلة الظاهرة ، والحق الأبلج ، لا حجب ولا أستار ، ولا خفايا ولا أسرار . هو واضح وضوح المئذنة ... أفليس فيها ذلك المعنى ؟ هل في الدنيا جماعة أو نحلة تكرر مبادئها وتذاع كل يوم ، عشر مرات ، كما تذاع من مشارق الأرض ومغاربها عشر مرات كل يوم ، مبادئ ديننا نحن « المسلمين » : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله ؟

نحن المسلمين ... لا نهن ولا نحزن ، ومعنا الله ، ونحن نسمع كل يوم ثلاثين مرة هذا النداء العلوي المقدس ، هذا النشيد القوي : الله أكبر

نحن « المسلمين » ... البطولة سجية فينا ، وحب التضحية يجري في عروقنا ، لا تنال منها صروف الدهر ، ولا تمحوها من نفوسنا أحداث الزمان ...

نحن « المسلمين » ... كم حلّ بنا من أرزاء ، وكم رأينا من مصائب ، وكم نزل بساحتنا من كوارث ، فهل باد روح البطولة من بين جوانحنا ؟

لا . لا . لا نكون مسلمين إذا لم نكن أعزّ في نفوسنا من أهل الأرض جميعاً ، وإن لم نعد إلى ربنا ، ونستلهم تاريخنا ، ونعد أمجادنا ، نحن « المسلمين » ... المستقبل لنا ... قد تيقظنا فلن ننام بعدُ أبداً ... المستقبل لنا نحن « المسلمين » !

دمشق — (المدرسة الثانوية الأولى) **علي الطنطاوي**

من أسرار غزوة بدر

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي



المشهور بيننا أن المسلمين لما انتهوا من غزوة بدر اختلفوا فى شأن من أسروه من المشركين ، فرأى فريق قتلهم ، ورأى فريق أخذ الفداء منهم ، فجمع النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه ليشاورهم فيما يفعله مع أولئك الأسرى ، وكان يأخذ بالشورى فى أموره ، ليعلم أصحابه الأخذ بها ، وإن كان هو غنياً عنها ، لأن من يكون معه وحى السماء ، لا يحتاج إلى رأى أهل الأرض ، وهو عرضة للخطأ والصواب .

فجمع النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه وقال لهم : ما تقولون فى هؤلاء ؟ (يعنى الأسرى) ، فقال أبو بكر رضى الله عنه : يا رسول الله ، قومك وأهلك ، إستبقهم واستأنْ بهم ، لعل الله أن يتوب عليهم ، وخذ منهم فدية تكون لنا قوة على الكفار .

وقال عمر رضى الله عنه : يا رسول الله ، كذبوك وأخرجوك فدعهم نضربْ أعناقهم . مكّنْ علياً من عقيل (أخيه) فيضرب عنقه . ومكنْ حمزة من العباس (أخيه) فيضرب عنقه . ومكنّى من فلان (نسيب لعمر) فأضرب عنقه ؛ فإن هؤلاء أئمة الكفر !

وقال عبدالله بن رَواحةَ الشاعر المعروف : يا رسول الله ، أنظر وادياً كثير الحطب ، فأدخلهم فيه ، ثم أضرِمهُ عليهم ناراً ... وهو رأى يتفق مع طبيعة الشعراء فى تأثرهم بالعاطفة أكثر من العقل ، وشأن العاطفة المغالاة فى الحب والبغض ، وشأن العقل الاعتدال فيهما .

فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبهم ، ثم تركهم ودخل ، فقال ناس من أهل المجلس : يأخذ بقول أبي بكر . وقال ناس منهم : يأخذ بقول عمر . وقال آخرون : يأخذ بقول عبدالله ابن رواحة . ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن الله لَيُلينُ قلوب رجال حتى تكون ألينَ من اللبن ، ويشدُّ قلوب رجال حتى تكون أشدَّ من الحجارة . وإن مَثلكَ يا أبا بكر مَثلُ إبراهيم ، قال : « فمنْ تَبعنِي فإنه مِني ، ومَنْ عصانى فإنك غفورٌ رحيم » . ومثلكَ يا أبا بكر مثل عيسى ، قال : « إنْ تُعذّبهمْ فإنهم عِبادُكَ ، وإن تَغفرْ لهم فإنك أنت العزيز الحكيم » . ومثلك يا عمر مثل نوح ، قال : « ربِّ لا تَذرْ على الأرض من الكافرين ديّاراً » . ومثلك يا عبدالله بن رواحة كمثل موسى ، قال : « ربّنا اطمسْ على أموالهمْ واشدُدْ على قلوبهم ، فلا يُؤْمنوا حتى يَرَوُا العذابَ الأليمَ » .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اليوم أنتم عالةٌ ، فلا يَفلتنَّ أحد منهم إلا بفداء أو ضرب عنق ...

وروى ابن عباس عن عمر أنه قال : فهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر ، ولم يهو ما قلت ، وأخذ منهم الفداء . فلما كان من الغد جئت فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر قاعدان يبكيان ، فقلت : يارسول الله أخبرنى من أى شيء تبكى أنت وصاحبك ؟ فإن وجدت بكاء بكيت ، وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبكى على أصحابك من أخذهم الفداء . لقد عرض عليّ عذابهم أدنى من هذه الشجرة — لشجرة قريبة منهم — فأنزل الله عز وجل عليه (ما كانَ لِنَبيٍّ أنْ يكونَ لهُ أسرى حتى يُثخِنَ فى الأرضِ ، تُريدُونَ عَرَضَ الدُّنيا واللهُ يُريدُ الآخرةَ ، واللهُ عزيزٌ حكيمٌ . لَولا كِتابٌ مِنَ اللهِ سَبقَ لَمسّكُم فيما أخذتُم عذابٌ عظيمٌ)

فهذا هو المشهور بيننا في سبب نزول هاتين الآيتين (٦٧، ٦٨) من سورة الأنفال التى نزلت فى غزوة بدر ؛ وهو يفيد أن الله تعالى غضب على النبى صلى الله عليه وسلم وعلى أصحابه لهذا العمل الإنسانى العظيم الذى أشار به أبو بكر، من البرّ بالأسرى والرفق بهم . وهذا مع أن الذى أشار به أبو بكر هو الذى يتفق مع ما جاء به الإسلام فى شأن الأسرى ، ومع ما امتازت به الحروب الإسلامية على الحروب السابقة من الإحسان إليهم . على أن الله قد نصر المسلمين فى غزوة بدر نصراً عظيما ، وشفى نفوسهم من صناديد قريش ، فقتلوا فيها كلهم ، ولم يفلت إلا قليل منهم ، وكان منهم فى الأسر النَّضر بن الحارث وعُقْبَة بن أبى مُعَيْط ، فقتلهما رسول الله فى طريقه إلى المدينة ، ولم ينتظر بهما ما فعله فى غيرهم من الأسرى . ولما اختار رسول الله رأى أبى بكر فى الفداء قال له عبد الله بن مسعود : إلا سُهَيْل بن بَيْضاء ، فإنى سمعته يذكر الإسلام . قال ابن مسعود : فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما رأيتنى فى يوم أخوَف أن تقع علىّ الحجارة من السماء من ذلك اليوم ، حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إلا سهيل بن بيضاء

ولم يبق بعد هؤلاء فى الأسرى إلا العباس بن عبد المطلب عم النبى صلى الله عليه وسلم ، وإلا عَقيلُ بن أبى طالب أخو على ، وإلا أمثالهما ممن لم يكن من أولئك الصناديد . وقد حقق الله فى كثير منهم رجاء أبى بكر (لعل الله أن يتوب عليهم) فأسلم العباس بن عبد المطلب ، وأسلم عقيل بن أبى طالب ، وأسلم كثير غيرهما من أولئك الأسرى . والرأى الذى تحققه الأيام لا يليق بحكمة الله تعالى أن يغضب من إيثاره على غيره ذلك الغضب

وإنى أرى أن الإسلام إذا كان قد أباح قتل الأسير مع ما أباحه فيه من الاسترقاق والإطلاق بفداء أو بدون فداء ، فإنه يجب ألا يصار إليه إلا عند الضرورة القصوى والأسباب الموجبة . وإنه ليعجبنى ما روى عن الحسن وعطاء رحمهما الله تعالى أنهما قالا : لا يُقتل الأسير ، ولكن يُفادى أو يمنّ عليه ، وكأنهما اعتمدا فى ذلك ظاهر قوله تعالى : « فإذا لقيتُمُ الذينَ كفرُوا فضربَ الرِّقابِ حتى إذا أثخنتموهم فشُدُّوا الوثاقَ فإمّا مَنًّا بعدُ وإمّا فِداءً حتّى تضعَ الحربُ أوزارَها » — المبسوط للسرخسى ج ١٠ ص ٢٤ — وهذا الذى يذهب إليه الحسن وعطاء فى الأسير هو الذى تذهب إليه القوانين الحربية الحديثة

ولهذا كله لا أرى أن السبب فى نزول آيتى الأنفال هو إنكار الفداء الذى أشار به أبو بكر واختاره النبي صلى الله عليه وسلم على رأى عمر وعبد الله بن رواحة ، ولا سيما أن هذا الفداء فى غزوة بدر لم يكن أول فداء أخذه النبى (ص) من الأسرى ، فقد أخذ الفداء فيما حصل قبلها من السَّرايا ، ولم ينكر الله عليه أخذه له ، وكان ذلك فى سَرِيَّة عبد الله بن جحش إلى نخلة بين مكة والطائف ، فرصد فيها عيراً لقريش تحمل زبيباً وأدماً وتجارة من تجارتهم ، فيها عمرو بن الحضرمى ، وعثمان ونوفل ابنا عبد الله المخزوميان ، والحكم بن كَيْسان مولى هشام بن المغيرة ، فقتلت سرية عبد الله بن جحش بعضهم ، وأسرت عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان ، واستاقت العير إلى المدينة ، فبعثت قريش فى فداء الأسيرين ، فقبل النبى صلى الله عليه وسلم فداءهما . فأما الحكم بن كيسان فأسلم وأقام بالمدينة حتى استشهد يوم بئر معُونة ، وأما عثمان بن عبد الله فلحق بمكة ومات بها كافراً

والذى أراه أن تينك الآيتين نزلتا فى أمر آخر حصل فى غزوة بدر ، وذلك أن تلك الغزوة كانت أهم قتال بدأ به المسلمون بعد هجرتهم إلى المدينة ، وكانوا لا يزالون فى نشأتهم قلة بالنسبة إلى قريش ، وهذا إلى غيرهم من المشركين الذين تموج بهم الجزيرة ، فاهتم النبى صلى الله عليه وسلم بأمرها ، وأمر الله فيها المسلمين ألا تأخذهم فى قتال المشركين رأفة ولا شفقة ، وأن يثخنوا فيهم إذا مكن لهم منهم ، حتى يَهِيَ أمرهم ، ويضعف شأن الشرك بضعفهم ، ويكون ما يحصل لهم عبرة لغيرهم من المشركين . وفى هذا يقول الله تعالى فى سورة الأنفال (سأُلقِى فى قلوبِ الذينَ كفروا الرُّعبَ فاضرِبوا فوقَ الأعناقِ واضرِبُوا مِنهُم كلَّ بَنانٍ) — ١٢

ولكن المسلمين فى هذه الغزوة لم يكادوا يرون النصر فيها بعد أن قتل الله من قتل من صناديد قريش حتى أدركتهم نحيزتهم

من وحى الصحراء

محمد ينبوع العبقريات

للأستاذ صلاح الدين المنجد



تعالى أغرودتى أسمعك نشيد فتى الصحراء، الذى عشقته الرمالُ، وقبّلته الشمس، وحضنته النار، وحنتْ عليه الجبال ... !

تعالى ... فإنّ هذا الفتى الجميل، ذا العينين السوداوين، والبشرة الزهراء، قد فتنَ الدنيا فهى تناغى اسمه ... وخلبَ القلوب فهى ترِفُ لذكره، وأعشى بنوره العيون فهى تَغضّ لمرآه! ...

لقد كان هذا البطل يا فتاتى بِشراً وسِحراً ورحمة ... وكان ينبوعَ نور ومصدرَ هُدى ... إن عالَمُه مملوء بالترانيم والتسابيح فأنصتى ... أنصتى إليه ... !

ليتك رأيتِه يا أغرودتى وهو يرعى الغنمَ فوق البطاح ... يرف حوله الطُهرُ والصفاء. وليتك سمعت نجوى الرمال، إذ رأتْه، إلى الرمال ... وليتك رأيته تحف به تلك العصبةُ من قريش فتنصرَه وترعاه ... وليتك بصرت بالنور يتألّقُ فى حواشى الصحراء، ويَتوَهّجُ فى قمم الجبال ... إذن، لَرأيتِه سيداً بطلاً! ... ولسمعتِ حديثاً عجباً! ... ولبصرتِ بما يُذهل ويعجب! ...

لقد روّق الليلُ ... ولَفّ الوجودَ ... كان ليلَ الجاهلية والأوثان ... وإذا بالّهبِ الزاهى يتمايل فى مكة العروس ... وإذا بفتى الصحراء يخطو فى الزمن ... يدعو الناسَ إلى الهدى ... إلى الله ... !

الأولى فى الجاهلية، واستبدلوا الأسر فى المشركين طمعاً فى الفداء بالإثخان فيهم، والضرب فوق أعناقهم

فلما وضع القوم أيديهم يأسرون، ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى العريش، وسعد بن مُعاذ قائم على باب العريش متوشّحاً فى نفر من الأنصار، يحرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم يخافون عليه كرةَ العدو — رأى رسول الله فى وجه سعد بن معاذ الكراهيةَ لما يصنع الناس، فقال له: والله لكأنك يا سعد تكره ما يصنع القوم، قال: أجل والله يا رسول الله، كانت أول وقعة أوقعها الله بأهل الشرك، فكان الإثخان فى القتل أحب إلىّ من استبقاء الرجال

فهذا هو الإثخان الذى نزل فيه قوله تعالى فى الآيتين السابقتين (ما كان لنبى أن يكون لَهُ أَسرَى حتى يُثخنَ فى الأرض) وهو إثخان تبيحه الشرائع العادلة، ويقتضيه الحزم والتدبير، وقد أمر الله به فى أثناء القتال، ولم يأمر به فى الأسرى بعد الانتهاء منه، كما هو المشهور فى سبب نزول تينك الآيتين

وأما عرض الدنيا الذى قصده الله تعالى بقوله: (تريدون عرض الدنيا) فليس هو الفداء الذى أباحه الله لنا بعد القتال، وإنما هو ما حصل منهم أثناء القتال من إيثار الأسر على القتل طمعاً فى الفداء، والقتال فى الإسلام لا يصح أن يكون لغرض من أغراض الدنيا، لأن ذلك هو قتالهم فى الجاهلية للسلب والنهب والإسلام أشرف من أن يباح فيه القتال لذلك الغرض

وهذا المعنى الذى نقوله فى تفسير الآيتين هو الظاهر منهما، لأن العتاب فيهما لم يرد إلا على نفس الأسر، أما تفسيرهما المشهور فالعتاب فيه على الفداء، وهو إنما يصح تفسيراً لمثل: كان لنبى أن يُبقى على أسرى. وقد قال ابن السبكى فى تفسيرهما: إن المعنى ما كان لنبى غيرك أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض. فجعل هذا من خصائصه صلى الله عليه وسلم، وهو تفسير يخالف التفسير المشهور أيضاً، ولكنه بعيد عن نظم الآية، والذى يتفق مع نظمها هو تفسيرنا.

عبد المتعال الصعيدى

لقد رفّت حوله طيوف الأجيال ... فغازلته ... وإذا به يجمعُ فى نفسه العظيمة تلك العبقريات التى ظهرت منذ بعيد ... لا ، لا ... بل جمع عبقريات السنين الخوالى والسنين القادمات ...

لقد مادت الصحراء وهى سكرى إذ رأته ... وضجت الرمال وهى نشوى إذ غازلته ... فراحت تقفزُ متوثبةً نحو البيت العتيق تهزج وتقول :

هــذا فتانا ... هــذا فتانا

يهدى الدنيا ويحيى الوجود ...

هو لنا يا رجالُ فلن تؤذوه ...

هو ابنُ الصحراء ... فسيقهر العالم

إسمى يا رمالُ إليه ... وقبلى قدمَيْه ...

ثم انفـذى إلى عيون مناوئيه ...

ألا تسمعينَـه يا أختاه ... ألا تسمعينَـه !

إن نشيدَه رخيمٌ ساحر ! ...

إن قرآنه معجز باهر ! ...

إن لحنَـه عبقرىٌ بارع ! ...

أنظرى ... أنظرى يا أختاه ...

إن الجان ينصتون إليـه ...

هاهم أولاء الشياطين يفزعون منه

لقد تمايلت بنات الجبل[1] العابثات لهذا القرآن

هاهنّ أولاء يرددنه بزهو فرحات

يقفزن ليودعْنَـه الكهوف ، ويسمعنه الأودية ويلقنَّه بنات السهول

إسمى يا أختاه صـداه ... فلقد عمّ وانتشر ...

فالله يحفظه يا أختى ويرعاه ... !

أيتها النسمات ... تعالى فاحملينا إليه ... علنا نقبل أقدامه ... ونسجو بين يديه ...

***

ومضى محمدٌ يا فتاتى ... وجاء المدى ... وتمت المعجزة !

يا لله ! أفى يوم وليلة ... تهدَم الأوثان ... وتحطم الآلهة ! أفى يوم وليلة تُهدى قلوبٌ ... وترجع إلى الله نفوس ... ! يا للمعجزة ! يا لعظمتك يا محمد ... يا لسموّك أيها القرآن !

لقد ردّدوه يا فتاتى فخروا سُجّداً ... وتلوه فشفيت به صدورٌ وبرئت أرواح ... وكانت معجزة فى الصحراء ...

أنظرى ... أغرودتى ... أنظرى

إن هذا النور الذى يرقص على سفوح يثرب ، ويسيل من قمم أحد ... ما يزال يشع ولا يخبو ... ! لقد كانت تلك الرمال الشقر ينبوعه الثَّرّ ... ولنْ ينضبَ وعيشك ما دام فى تلك الصحراء رمال ... وفى مكة كعبة ... وفى الدنيا إلـه ... وعند الناس قرآن !

يا لروعة هذه الشعلة المتوثبة ويا لجلالها ... ! لقد هبّت عليها الرياح الهوجُ ... ولعبتْ بها الأيادى السود ... وأقسموا ليطفئونها بأفواهم ودمائهم ... ولكن الشعلة مازالت تتوثّبُ ضاحكةً جذلى ، رهيبة مخيفة ، إنهـا تصمدُ قويّةً زاخرة ، لا تعبأ بالشركِ ولا تحفِـل بالدسيسة ... إنها من نور الله ... إن فيها قوة زلزلت الأرضَ ... قوة ما وقفَ أمامها كسرى ولا أعوانه ... وقيصر ولا خُلاّنه ... لقد تداعت لرؤيتها القصور الشمُّ على شواطئ دِجلة وجنبات فارس ، وعربدت لها المروج الخضرُ فى سفوح الأندلس وشطئان المغرب ... إنها ما انطفأت أبداً ... ولكنها ما تزال تعلو وتسمو

لقد كان هذا النور يا أغرودتى مباركا ليناً ، كان يلمس القلوب الوجيمة فيبرئها ، وينفذ إلى الصدور المظلمة فيضيئها ، ويدغدغ النفوس المفجوعة فيواسيها ... فما للقلوب اليوم تصدف عنه ، وما للنفوس لا تَحِنُّ إليه ... ؟

يا حسرتا عليها يا فتاة ... إنها أشعة الجمال ... إنها ومَضات الإيمان ... إنها من نور الله ... !

***

وما الحجاز يا أغرودتى لولا محمد وأشعة محمد ! أ كان الناس يذ كرون تلك البطاح لولاه ... ؟ وماذا كانوا يقولون بربك ... ؟ أيقولون بلاد الرعاة أم مرابع الخيام أم وأدة البنات ... ؟ لا وفتاك

(١) قالت العرب بنات الجبل وعنوا بها الأصداء

يا أغرودتى ... لولا محمد لما كان هناك حجاز ، ولما رفّت إليه قلوب وعشقته نفوس . ولما كان للعرب أمر فى الدنيا ولا اسم مشرق فى التاريخ ... ! « ولكانت تلك البقاع سماء من غير أضواء ، وأصواتاً من غير أصداء ، ومساكن من غير أحياء »[1]

فاضحكى لهذا النور، وعُبّى من هذا الينبوع. فلقد تدفق من حراء ، ثم سقى الصحراء ، ثم أقبل يتهادى بين زهور دمشق وعطور الغوطة ، ثم فاض فرقص له النخيل وصفق له النيل حتى أدرك البرانس ... وبلغ هملايا ...

اللهم إنه دينك الذى أحببت ، أتممته ورضيته لنا ، فبارك لنا فيه ، واهدنا إليه . إنك أنت الهادى الحكيم ...

***

وأنت يا قلب !

حدثنى ... من يأخذنى إلى تلك البقاع ... أستنشق عطر الخزامى، وأطأ الرمال التى قبلت أقدام الرسول

حدثنى ... كيف أرى النار المظلم ، وأرى الجبل الأشم ، وأهبط الوادى الهادئ ... وأرى مكة العروس متمددة فوق الرمال ... !

***

حدثنى ... متى تقف أمام قبر البطل المشرّع ، والفارس المصلح ... أمام خالق أمة ، وواضع شريعة ... فتخشع فى روضته وتردد ألحانه وقصيدته وتنادى :

السلام عليك يا سيدى يا رسول الله

السلام عليك يا أيها النبى الرحيم

السلام عليك يا أيها الرسول العظيم

السلام عليك يا من كنت رحمة للناس وهدى للعالمين ...

متى تقف يا قلب ... متى ... متى ... !

(دمشق) صلاح الدين المنجد

(١) لامارتين فى (رفائيل)

نفحة نبوية

صبراً دعاة الحق

للأستاذ محمد عبد الغني حسن



هذا الُهدي فاملأ به الصحْراء   وانشرْه فى خِلل الظلامِ ضياء
واصْدَعْ بأمر الله لا مُتهيِّباً   ضُرًا ولا متخوّفاً بأساء
من كان فى الحق المُبينِ بلاؤُه   هيهاتَ يخشى فى العدوّ بَلاء
يأيها الداعى إلى دين الهدى   وفَّيتَ قِسطكَ فى الجهاد دُعاء
شَبُّوا عليكَ النارَ شاويةَ اللظى   ورمَوا عليكَ الغارةَ الشعواء
وترصَّدوا لك فى الطّريق مُجاهداً   فرأوكَ أنفذَ فى الطريق مَضاء
نثروا عليكَ الحقدَ من شهَواتِهم   فنثرتَ من نُبل الخِلالِ وَفاء
نُورُ النبوةِ في جبينك ساطعٌ   يجلُو الدُّجى ويبدِّدُ الظّلماء
فإذا الجاهلُ قد غَدوْن معالما   واليأسُ أصبحَ فى يديك رجاء
بَدّلت صحراء الجزيرةِ رَوْضةً   وجعلتَ منها جنةً فيحاء
الجاهليةُ من غراسك أثمرتْ   وتفجرتْ ظلاً هناكَ وماء
وتألفوا فى الله صفًا واحدا   ونسُوا لديْكَ الحقدَ والبغضاء
يبنون للإسلام ركناً خالداً   وَيرَوْن فيك المنشئَ البنّاء
حَجَرٌ أقمتَ على التُقى آساسه   فرَسَا . وأدرك سمْتَه الجوزاء
يمتدُّ في كِسَفِ السَّحاب تطاوُلاً   ويَزيدُ فى كبد السماء نَماء
ويُزلزِلُ الدنيا ويَصْدع ركنَها   ويهدُّ من نُصُب الضلال بناء
بَطحاءُ مكةَ أشرقتْ جَنَباتُها   ما كانَ أكرمَ هذه البَطحاء!
وُلدَ الهدى فيها فكان محمداً   وغَدَا لكل المكرُماتِ سماء
هـذا اليتيمُ أتى فألّفَ أمة   شتَّى ، وقومًا فرَّقوا أهواء
وَيَشُدُّ بينهمو أواصرَ أُلفةٍ   ويزيدُ ما بين القلوب إخاء
سَوّى من الفانين كلَّ تمايُزٍ   ومحا بها العصبيةَ العمياء
لا يستقيمُ الحقُّ بين جماعةٍ   إن لم يكونوا فى الحقوق سَواء
يأيها الهادى صَبَرتَ على الأذى   وحملت من أوطانك الإيذاء
وضربت فى الصبر الجميل نواحياً   وكشفتَ عن نُبل الخلال غِطاء
قل للذى سئمَ الجهادَ وملَّهُ   هلاَّ اتخذتَ من الرسول عزاء؟
ما قيمةُ الدنيا إذا هى لم تكنْ   صَبْرًا وأَخْذًا دائماً وعطاء؟
يأيها الهادى لقِيتَ إساءةً   فحملتَ فيها الصفحَ والإغضاء
إن الكريمَ يغضُّ طرفَ سماحةٍ   ويردُّ من إحسانه اللؤماء
لما قدرتَ عفوتَ أجملَ قادرٍ   وأمرتَ عفواً مَنْ إليكَ أساءا
تلك الخلالُ الضاحكاتُ خليقةٌ   أن تستميل لصفّك الأعداء
ولقد كرهتَ بأن تقيمَ على الأذى   فهجرتَ أرضاً أنبتتكَ وماء
وتأثروكَ فما خبتْ لك جذوةٌ   يومًا ولا قدَرُوا لها إطفاء
ووجدتَ فى ظل المدينة جيرةً   ولقيتَ من أنصارها نُصراء
آواكَ فيها معشرٌ بك آمنوا   واستقبلوك مرحّبين وِضاء
عجباً! رأيتَ من المدينة رقةً   ورأيتَ مكةَ قَسْوةً وجفاء
صَبْرًا دُعاةَ الحق إن نصيبكم   أن تقطعوا أيامكم غُرباء
مهلاً دعاةَ الحق إن سبيلكم   ليست يساراً كلُّها ورخاء
لا تحسبوها بالورود تَزَينتْ   أو رفَّت الدنيا بها أنداء
لا تحسبوها الظلَّ أفيَحَ ناعماً   والعيشَ حلواً والمنى خضراء
هى أن تضحُّوا بالحياة رخيصةً   وتقدِّموها للجهــاد فداء
الحقُّ لا يحيا شهيداً بينكم   ما ضرَّ لو متم له شهداء؟؟

محمد عبد الغنى حسن

من ضوء الإسلام

هل من سبيل للسعادة أفراداً وأمة

للأستاذ محمد يوسف موسى



كل منا يلتمس لنفسه الخير ويبذل فى ذلك وسعه ، وكلنا يزعم أنه برٌّ بأمته حفِى بها ، فهو لا يألو جهداً فى القيام بالواجب فى عمله ، وبما يعود على أمته بالسعادة والرفعة . فلِم إذاً لا يجد المرء أنى تلفت إلا من يندب شقاوة الجد ، وخسارة الأمس ، واليأس من الغد ؟ وليس حال الجماعات بأهنأ من حال الأفراد . هؤلاء المزارعون يشكون عدم البركة وفتك حشرات الأرض بخيراتها ، والمعنيُّون بالشئون العامة يحز فى نفوسهم تفكك وحدة الأمة وتعثرها فى طريقها . لماذا هذه الظاهرة التى تدعو للرثاء ، وليس منا إلا من يزعم أنه البار بأمته العامل لخيرها ؟ فى رأيى أن مرد ذلك كله أمران : أحدهما علة شقاء الأفراد ، والآخر علة شقاء الأمة

يصبح الواحد ولا هم له إلا الألم اللاذع لما يرى أنه فاته فى أمسه ، والتفكير الرمض فيما قد لا يكون فى غده ، فيصرفه ذلك عن تذوق ما فى حاضره من لذة وسعادة . تجد هذا الفلاح دائم الحسرة موصول الألم لأنه لم يبع قطنه بأربعة جنيهات كما باعه جاره ، والتلميذ دائم الهم خشية ألا يجد عملاً متى فرغ من دراسته ، وهكذا إذا تقصَّيْت أحوال الناس جميعاً ، تجد الأسى على الماضى والخشية من الغد ، يفوتان علينا التنعم بالحياة وما تفيضه من هناءة وسرور . ليعمل الواحد منا واجبه ، وليطرح الأسى الفارغ على الذاهب ، والخشية البالغة من الآتى ، وأنا كفيل بأنه سيجد برد السعادة . « ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير ؛ لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم » . هل رد الأسى نصيباً ذهب ؟ وهل يرد الألم مقدماً للمستقبل ما قد يجىء به من محنة ؟ اللهم لا . إذا فلم يعمل الإنسان بنفسه لشقائه وتكدير أيامه ؟

من المأثور عن إبيكتيت الرواقى[1] أنه كان يوصى بأن يتعرف المرء ما يتعلق به من الأعمال فيعمله على أكمل وجوهه ، وما هو لله فيتركه له . للإنسان أن يسعى لغرضه فى شرف ونبل أو فى غش ودس ، كل ذلك ممكن ، فليمض إذاً قُدُماً لغرضيه فى شرف ونبل ، وليس له أن تذهب نفسه حسرات إن حِيل بينه وبين إدراك ما يريد إذا بذل ما فى طوقه ، لأن الوصول فعلاً للغايات رهن بإرادة الله وحده . هذه فلسفة لها جلالها وبساطتها وجمالها ، ولكن أجمل منها أن أصحابها أخذوا أنفسهم بها . هذا أحدهم وهو هِلفيدْيوسْ پْرِسْكِس[2] كان عضواً بمجلس الشيوخ بروما فطلب منه الأمبراطور ذات يوم أن يتأخر عن حضور جلسة خاصة ، فكان بينهما هذا النقاش :

— لا أريد أن تذهب للمجلس

— لك أن تفصلنى من العضوية ، أما أنا فسأذهب ما دمت عضواً .

— إذا شهدت الجلسة فلا تبد رأيك

— لك ألا تطلب رأيى ، وإذاً فلن أتكلم

— لكنه إذا حضرت الجلسة فسأضطر لسؤالك رأيك

— إذاً فسأدلى بما أراه عدلاً

— ذلك معناه أنك تسعى للموت

— ومتى قلت لك إنى من الخالدين ! كلانا يفعل ما يتعلق به ؛ لك أن تأمر بقتلى ، ولى أن أصبر أو أجزع ، وإذاً فسأتحمل الموت وآلامه صابراً[3]

---

(١) إبيكتيت Epictèt فيلسوف رواقي معروف ، عاش فى القرن الأول للميلاد ، وكانت حياته تمثل فلسفته الرائعة البسيطة

(٢) أحد الرواقيين الرومان . نفى فى عهد نيرون ، وقتل بأمر الأمبراطور فيسباسيان Vespatien سنة ٧٥ م

(٣) دروس الأخلاق تأليف ماريون Marion

لله ما أنبل هذا المبدأ وما أروع تطبيقه ! وما أسهل ما يكون المرء سعيداً إذا وثق بالله، واحترم ما فيه من رجولة فأرضى ضميره!

أما الأمة فى مجموعها ، فأرى أن علة تعثرها فى خطواتها ، وابتلاءها بكثير من المحن فى الأنفس والأموال ، وتفكك الروابط وانحلال الأواصر ، وتفرق الزعماء — أرى أن ذلك كله يرجع إلى انسلاخنا عن الدين شيئاً فشيئاً ، وإلى مبدأ الأثرة الذى أخذ منا بالزمام . عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : كنا جلوساً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « كيف أنتم إذا وقعت فيكم خمس ، وأعوذ بالله أن تكون فيكم أو تدركوهن ؛ ما ظهرت الفاحشة فى قوم يعمل بها علانية إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التى لم تكن فى أسلافهم ، وما منع قوم الزكاة إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا ، وما بخس قوم المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المئونة وجور السلطان ، ولا حكم أمراؤهم بغير ما أنزل الله إلا سلط عليهم عدوهم فاستنفدوا بعض ما فى أيديهم ، وما عطلوا كتاب الله وسنة نبيه إلا جعل الله بأسهم بينهم » أعتقد أنه بالاحتكام لهذا الحديث المبين نجد الأمر واضحاً ، وأن السبب فيما نحن فيه من بلاء جلى

لم نعجب من حبس الله عنا عونه ، وفينا من الرجال المحسوبين على الدين من لا يبالى أن يسخط الله ، كما يبالى أن يغضب عبداً من عبيده ؟ وما بالنا نجزع من ازدياد الإجرام وسببه الفقر وتأصل الحقد فى القلوب ومأتاه عدم القسم فى الحقوق والواجبات؟ ولماذا نجأر بالشكوى من استئصال حشرات الأرض لكثير من الزروع والأثمار ، وقد منعنا الزكاة أربابها ؟ إن الله غنى عن صيام النهار وقيام الليل إذا كان لا يصحبهما إعطاء الحقوق لأصحابها .

إن تربة مصر لتدر الذهب ، فليت شعرى كيف تتحجر منا قلوب ، فلا تحس الآلام التى تنضح بها نفس الفقير ، ولا يجد مواسياً ؟ ! ولماذا نعمى ، فلا نبصر الشقاء مجسما فى أناس لم يبق لهم من الآدمية إلا الاسم بفضل جحودنا وأثرتنا ؟! إن لهؤلاء المحرومين ، وهم شركاؤنا فى الإنسانية ، وإخواننا فى الوطن ، حقاً معلوماً فيما رزقنا الله من ثراء يتسع لقضاء الصيف فى أوربا وغير أوربا ، وتضييع مئات الآلاف من الجنيهات على اللهو الفارغ والمتاع الدون ...

هل تريدون دليلاً على ما يسود أخلاقنا من أنانية ممقوتة وعدم رعاية للصالح العام؟ دونكم أدلة لا دليلاً واحداً : ماذا ترون فى انعدام التناسب بين صغار المرتبات وكبارها إلى درجة شنيعة ، لا توجد إلا فى بلاد الشرق المسكينة؟ وفى التفرقة بين الطبقات فى كثير من مرافق الحياة؟ بل ماذا تقولون فى المريض المعدم لا يجد له راثياً ، ولا لآلامه مواسياً ، ويطرد من مستشفى لآخر ، حتى يموت وعياله وأهله تتفطر نفوسهم حسرات ، بينما يحدثنا القفطى فى كتابه « أخبار الحكماء »[1] أن وزير المقتدر بالله العباسى على بن عيسى وقع إلى سنان بن ثابت كبير الأطباء « بإنفاذ متطببين ، وخزانة من الأدوية والأشربة يطوفون فى السواد ، ويقيمون فى كل صقع منه مدة ما تدعو الحاجة إلى مقامهم ، ويعالجون من فيه ، ثم ينتقلون إلى غيره » . أليس فى بعض هذه المثل ما يدل على ما يتملك أمرنا من أثرة هى بعض السبب فيما نحن فيه من بلاء مبين ؟

وأخيراً ما هو العلاج ؟ هو فى رأيى أن ننعم بحاضرنا دون أسى على الماضى ، وأن نحارب الأنانية فى أنفسنا وفى غيرنا ، وأن يعمل كل منا واجبه وإن كان فى ذلك أذى له ، وأن يطلب حقه من سالبيه ويلح فى اقتضائه ؛ فإن السكوت عن طلب الحق جريمة تعدل عندى عدم القيام بالواجب. نسأل الله حسن الحال والتوفيق والسداد .

محمد يوسف موسى
المدرس بكلية أصول الدين

(١) إخبار العلماء بأخبار الحكماء للوزير جمال الدين القفطى المتوفى سنة ٦٤٦ هـ .

كمال الدين بن يونس

للأستاذ قدرى حافظ طوقان



لم يكن عند كمال الدين خبر من أحوال الدنيا ، يلبس بلا تكلف ، لا يعنى بزى أو هندام منصرفاً بكليته إلى العلم بين درسه وتدريسه . تفقه بالموصل على والده وكان ذلك فى النصف الثانى من القرن الثانى عشر للميلاد . وفى سنة ٥٧١ هـ ذهب إلى بغداد وأقام بالمدرسة النظامية يدرس على السلمانى والقزوينى والشيرازى فقرأ الخلاف والأصول ، وبحث فى الأدب على الأنبارى ، ثم عاد إلى الموصل حيث عكف على الاشتغال بالعلوم الدينيـة والعقلية والأخيرة كانت غالبة عليه « ... فكانت تعتريه غفلة فى بعض الأحيان لاستيلاء الفكرة عليه بسبب هذه العلوم ... » ، وأخذ من أحد المساجد (فى الموصل) مكاناً يدرّس فيه عُرف فيما بعد بالمدرسة الكمالية . وبقى كذلك إلى أن توفاه الله فى منتصف القرن الثالث عشر للميلاد ...

ذاع صيته وانتشر فضله « ... فانثال عليه الفقهاء وتبحّر فى جميع الفنون وجمع من العلوم ما لم يجمعه أحد ... »

رجع إليه الملوك والأمراء والعلماء فى المسائل العلميـة ، واستعان به ملوك الإفرنج فى ما أشكل عليهم من مسائل تتعلق بالنجوم . فقد ورد إلى الملك الرحيم صاحب الموصل رسول من الأمبراطور فردريك الثانى وبيده مسائل فى علم النجوم ، وقد قصد أن يرد كمال الدين أجوبتها . فأرسل صاحب الموصل يعرفه بذلك ويقول له « ... أن يتجمل فى لبسه وزِيّه ويجمل له مجلساً بأبهة لأجل الرسول ، وذلك لما يعرفه عن ابن يونس أنه كان يلبس ثياباً رثة بلا تكلف وما عنده خبر من أحوال الدنيا ... » فاستعد كمال الدين ، وعندما اقترب الرسول من داره بعث من الفقهاء من يستقبله ، فلما حضر عند الشيخ (كمال الدين) — يقول أحد الحاضرين وهو من بغداد : نظرنا فوجدنا الموضع فيه بسط من أحسن ما يكون من البسط الروميـة الفاخرة « ... وجماعة مماليك وقوف بين يديه وخدام وشارة حسنة ، ودخل الرسول وتلقاه الشيخ ، وكتب له الأجوبة عن تلك المسائل بأسرها ، ولما راح الرسول غاب عنا (يقول البغدادى) جميع ما كنا نراه ؛ فقلت للشيخ : يا مولانا ، ما أعجب ما رأينا من ساعة من تلك الأبهة والحشمة ، فتبسم ، وقال يابغدادى هو علم ... »

كان كمال الدين متواضعاً ذا روح علمى صحيح سما العلم بنفسه وصقل روحه ، فإذا الإخلاص للحق والحقيقة يسيطر على جميع أعماله فلم يترك مناسبة دون تبيان الحقيقة وإعلاء شأن الحق وكان يسير على القول السائر : « العلم يزكو بالإنفاق » فكان يجيب على ما يأتيه من مسائل من بغداد وغيرها من حواضر الإمارات ويوضح المشكلات التى ترد عليه من سائر الأقطار فى مختلف فروع المعرفة ، وجاء أن أحد علماء دمشق أشكل عليه مواضع فى مسائل الحساب والجبر والمساحة وأقليدس ، فكتب إلى كمال الدين يستفسره عنها فأجابه عليها وقد كشف عن خفيها وأوضح غامضها ، وذكر ما يعجز الإنسان عن وصفه . ثم كتب فى آخر الجواب : « فليمهد العذر فى التقصير فى الأجوبة فإن القريحة جامدة والفطنة خامدة قد استولى عليها كثرة النسيان وشغلتها حوادث الزمان ... »

لقد اعترف له الأقدمون من العلماء والباحثين بالفضل والنبوغ فقال ابن خلكان : « ... وكان يدرى فى الحكمة والمنطق والطبيعى والإلهى وكذلك الطب ، ويعرف فنون الرياضة ـ من أقليـدس والهيئة والمخروطات والمتوسطات والمجسطى وأنواع الحساب المفتوح منه والجبر والمقابلة وطريق الخطأين والموسيقى والمساحة ـ معرفة لا يشاركه فيها غيره إلا فى ظواهر هذه العلوم دون دقائقها والوقوف على حقائقها ، واستخرج فى علم الأوفاق طرقاً لم يهتد إليها أحد ... » وفوق ذلك كان عالماً بالعربية

والتصريف ، قرأ سيبويه والإيضاح والتكملة لأبى على الفارسى والمفصل للزمخشرى « وكان له فى التفسير والحديث وما يتعلق به وأسماء الرجال يد جيدة ... » ولم يقف علمه عند هذا الحد بل عنى بتاريخ العرب وأيامهم فقد كان يحفظ الشىء الكثير من أشعارهم ووقائعهم ، ودرس التوراة والإنجيل ، ووقف على كثير من دقائقهما ، وقد قرأهما عليه بعض أهل الذمة واعترفوا بأنهم لا يجدون من يوضحهما لهم مثله : « ... وبالجملة ، فإن مجموع ما كان يعلمه من الفنون لم يسمع عن أحد ممن تقدمه أنه قد جمعه » واعترف أيضاً معاصروه بتفوقه ، فقال أثير الدين المفضل الأبهرى ـ وهو عالم كبير فى الخلاف والأزياج بفضل كمال الدين وعبقريته ـ « ليس بين العلماء من يماثل كمال الدين » وقال موفق الدين عبد اللطيف البغدادى — وهو من كبار علماء القرن السادس للهجرة — إنه لما لم يجد فى بغداد من يأخذ بقلبه ويملأ عينه ويحل ما يشكل عليه سافر إلى الموصل سنة ٥٨٥ هـ ، فوجد فيها كمال الدين بن يونس متبحراً فى الرياضيات والفقه عالماً بأجزاء الحكمة الأخرى ، قد استغرق حب الكيمياء عقله ووقته . وكان فقهاء زمانه يقولون : إنه يدرى أربعة وعشرين فناً دراية متقنة ، وكان جماعة من الحنفية يشتغلون عليه بمذهبهم ، « ... ويحل لهم مسائل الجامع الكبير أحسن حل مع ما هى عليه من الإشكال المشهور وكان يتقن فن الخلاف والعراقى والبخارى وأصول الفقه وأصول الدين ... » ، وعلى الرغم من ذلك ، فقد وُجد فى قومه مَن يتهمه فى دينه ، وقد يكون هذا الاتهام آتياً من اهتمامه بالعلوم العقلية وتعمقه فيها . ونظم أحد الشعراء المعاصرين لكمال الدين البيتين الآتيين اللذين تتبين منهما الفكرة التى كانت سائدة عند الناس فى دينه :

أجدك إن قد جاد بعد التعبس غزال بوصل لى وأصبح مؤنسى
وعاطيته صهباء من فيه مزجها كرقة شعرى أو كدين ابن يونس

ويقول ابن أبى أصيبعة : « ... كان كمال علامة زمانه وأوحد أوانه وقدوة العلماء وسيد الحكماء ، قد أتقن الحكمة وتميّز فى سائر العلوم ... » برع فى الحساب ونظرية الأعداد وقطوع المخروط وكتب فى المربعات السحرية والجبر والسيمياء والكيمياء والأعداد المربعة والمسبع المنتظم والصرف والمنطق ، وقد حل مسألة تتعلق بإنشاء مربع يكافئ قطعة من دائرة . ويقال إن الأبهرى الذى سبق ذكره قد برهن على صحة حل ابن يونس وعمل فى ذلك مقالة . وعلى ذكر الأبهرى نقول إن له مؤلفات قيمة فى علم الهيئة والاسطرلاب ورسائل نفيسة فى الحكمة والمنطق والطبيعيات والإيساغوجى

ويقول سارطون : « ... إن كمال الدين من أعلم علماء زمانه ومن كبار المعلمين — أو هو المعلم العظيم — ومن أصحاب النتاج الضخم ، وهو مجموعة معارف شتى فى العلوم والفنون ... » ويمكن القول إنه كان لبحوث كمال الدين قيمة كبرى عند علماء عصره وأثر فى تقدم العلوم

لقد سبق كمال الدين غاليلو فى معرفة بعض القوانين التى تتعلق بالرقاص ، فقال سمث : « ومع أن قانون الرقاص هو من وضع غاليلو إلا أن كمال الدين بن يونس لاحظه وسبقه فى معرفة شىء عنه . وكان الفلكيون يستعملونه لحساب الفترات الزمنية أثناء الرصد ... » ومن هنا يتبين أن العرب عرفوا شيئاً عن القوانين التى تسيطر على الرقاص ثم جاء من بعدهم غاليلو ، وبعد تجارب عديدة استطاع أن يستنبط قوانينه إذ وجد أن مدة الذبذبة تتوقف على طول البندول وقيمة عجلة التثاقل ووضع ذلك بشكل رياضي بديع وسع دائرة استعماله وجنَى الفوائد الجليلة منه

ونظم كمال الدين الشعر ، وله قطع غزلية رقيقة تفيض عذوبة وسلاسة . منها :

ما كنت ممن يطيع عذالى ولا جرى هجره على بالى
حلتُ كما حلتَ غادراً وكما أرخصتَ أرخصتُ قدرك الغالى

وله أيضاً :

حتى ومتى وعدكم لى زور مطل واف ونائل منزور
فى قلبى حب حبكم مبذور زوروا فعسى يثمر وصلاً زوروا

ومن المؤسف أنه لم يصلنا من نتاج كمال الدين إلا القليل فقد ضاع أكثره أثناء الانقلابات ، والفتن التى حدثت فى العراق . وورد فى المصادر بعض مؤلفاته التى تتعلق بالفقه والمنطق والنجوم وهى : كتاب كشف المشكلات وإيضاح المعضلات فى تفسير القرآن، شرح كتاب التنبيه فى الفقه (مجلدان)، كتاب مفردات ألفاظ القانون ، كتاب فى الأصول ، كتاب عيون المنطق ، كتاب لغز فى الحكمة ، وكتاب الأسرار السلطانية فى النجوم

وخلّف كمال الدين أولاداً أتقنوا الفقه ، وسائر العلوم « ... وهم من سادات المدرسين وأفاضل المصنفين ... » كما يقول ابن أبى أصيبعة .

(نابلس) قدرى حافظ طوقان

أم عربية تضحي

للأستاذ خليل هنداوي

وتأبى المقادير إلا أن تخلق (ذاقار) ثانية فى ضاحية السواد، ولكن وقعة ذى قار الثانية تمتاز عن الأولى بأن العرب حشدوا ما عندهم من المقاتلة يدفعون بصدورهم صدور مقاتلة الفرس الذين أقبلوا من أقاصى فارس وأدانيها يذودون العرب عنهم!

أحست القادسية وطء هذه الجموع الزاحفة بخيلائها وعزائمها وأدركت أنه يوم سينضح ثراها فيه بالنجيع، ويسطع على سمائها كوكب من كواكب عهد جديد!

أشرق الفجر تغمر أنواره الباهتة جموعاً تيقظت قبل أن يتيقظ وعلت أصوات تخللها نداء وصهيل ورغاء! والقوم خلال ذلك منكبون على جيادهم يمسحون أعرافها، أو متلمسون مقابض سيوفهم يهزونها، أو مادّون برماحهم يُسرون إليها ما يُسرون! ففريق يتبعه فريق، وكردوس يشد خلفه كردوس، يمشون والأهازيج ملء الفضاء، والنقع يوشك أن يحجب السماء. فهذه فئة مقاتلة تمشى إلى النصر بأهازيجها وتلك فئة منصتة يدوى فيها صوت يرجع صوتاً رن منذ عهد لم يطل عليه الأمد فوق هذه الأرض التى أرادت الفارسية أن تقهرها وما استطاعت إلى ذلك سبيلاً.

صوت هانئ بن مسعود يدوى كالرعد القاصف: «يا معشر العرب! هالك معذور خير من ناج فرور، المنية ولا الدنية، استقبال الموت خير من استدباره، والطعن فى ثغر النحور أكرم منه فى الأعجاز والظهور، وإن الصبر من أسباب الظفر، قاتلوا فما للمنايا من بد، فتح لو كان له رجال! يا معشر العرب شدوا واستعدوا، وإلا تشدوا تردوا»

تسمع هذه الأقوام أصوات خطبائها فتحن أنفسها لذلك اليوم الذى هو أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم، وإن هذا ليوم آخر أقبلت فيه الفارسية الوثنية تنازل الجزيرة المسلمة التى تغلى بدم الحياة!

وغير بعيد عن الساحة المستوية التى أعدت للقاء الأبطال ـ بطحاء انتصبت فيها خيام تقيم فيها الظعائن، وكانت أهازيجهن تجاوب أهازيج الرجال، ومن فوقها الصدى يكاد يلائم بينها، يحملها إلى القيعان البعيدة التى حنت إلى الحرية المكتوبة على أسنة العرب

فى خيمة منفردة حمراء الأديم عجوز تخدد وجهها، ولعل الكبر قد نال منها شيئاً، لكن أحداث الدهر لم تبق منها إلا على شبح نسيه الموت أو تناساه، تمشى بهراوتها المليطة مشية وئيدة مستقيمة، وعلى بدنها صدار أسود ممزق الإهاب، يدل على أنه علامة فاجعة قديمة العهد؛ لكنها حية كأنها بنت ساعتها. وقفت فى ناحية لا يصل إليها تيار الزاحفين؛ وحولها أربعة فتية ما أنضر الشباب الذى تفيض به أعينهم، وما أسمى العزيمة التى تتلألأ على وجوههم! تلمست العجوز هؤلاء الفتية بيديها، وتلمست محاسنهم وأكبت على رءوسهم ووجوههم تشم ريحهم، وما إن انتهت من ذلك حتى بادرتهم بوصيتها:

«أى بَنِىّ! إنكم أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين. والله الذى لا إله إلا هو، إنكم لبنو رجل واحد كما أنكم بنو امرأة واحدة، ما خنتُ أباكم ولا فضحت خالكم، ولا هجنت حسبكم، ولا غيرت نسبكم. واعلموا أن الدار الآخرة خير من الدار الفانية. اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون، فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها فيمموا وطيسها وجالدوا رئيسها، تظفروا بالغنم والكرامة فى دار الخلد والقيامة

أى بَنِىّ! اطلبوا الموت توهب لكم الحياة»

كانت تسيل هذه الكلمات العاصفة من فمها دون ما تلجلج ولا اضطراب، لم ينل منها موقف التوديع شيئاً، وكان أولادها يسمعون خطابها، وكأن نفوسهم ارتابت فى شك أمهم منهم، وهم الذين أقدموا إلى الجهاد مختارين بعد أن باعوا أرواحهم واستقلوا ذلك فى جنب الله

قبلوا يد أمهم، وودعوها توديع مفارق لن يؤوب، وزحفوا على جيادهم وهى لا تزال تتجه بمسامعها نحو وقع الحوافر حتى تلاشى وقعه، وقرت كل حركة حولها. فعادت إلى خيمتها، وكأنما ضاقت بها نفسها فهى لا تستطيع القعود إلا قليلاً فنهضت تتلمس الأرضَ بعصاها، ولكن أين تريد أن تدب؟ فى نفسها خواطر كثيرة، منها ما يتعلق بالمعركة ونهايتها، ومنها ما يخص أبناءها وحدهم. أتلقاهم كدأبها فى المساء؟ أم تلقى بعضهم، والآخر أكلته شفرات السيوف! خواطر كثيرة تحاول أن تطغى على طمأنينتها وإيمانها، ولكنها لا تريد الآن أن

تعرف شيئاً عن رجوعهم وعن مصارعهم ، وإنما تريد أن تعرف كيف استقبلوا الموت ، بنحورهم أم بظهورهم ! ولكن فيم تشك في أشبالها ، وما علمتهم يوماً إلا أهل مروءة ونجدة !

قضت يومها تغالب هذه الخواطر ، وما إن دنا الأصيل حتى هتفت أصوات البشرى في القوم بهزيمة الفرس . فخرجت النساء يستقبلن البعولة والإخوة والأبناء . ومن مثل الخنساء تنشط إلى تنسم الأخبار وهي متوكئة حانية على عصاها ترتفع الأصوات من فوقها ومن تحتها، وعن يمينها وشمالها ، والظافرون عائدون بالأردية الحمراء، والسيوف المضرجة بالدماء، قد أذهلهم النصر عن النصب، يُحَيي بعضهم بعضاً وما تحيتهم إلا مصافحة بالسيف أو السنان !

تعلو الضجة آناً وآناً تخفت ، وإنها لتدل على أن أكثر المقاتلة أووا إلى بيوتهم إلا مصاباً يتحامل على نفسه ، أو فارساً يتظالع به فرسه بعد أن أبلى ، ولكن ما لأولاد الخنساء لم يطل أحد منهم على هذه العجوز المرتقبة التي أخذت ترتجف من الريح الباردة ! ومن ذا ينبئها بمصيرهم بعد أن أبطأوا عليها

ولكنها اعتقدت أن واحداً منهم أدركه مصرعه ، وأن إخوته قعدوا يبحثون عنه بين القتلى لأنهم يؤثرون أن يدفنوه بأيديهم !

ها هي ذي تنتظر ! يمر بها أحد رجال القادسية ممن شهدوا مصرع أولاد الخنساء ، يراها شاخصة في الناحية التي أطل منها وقد رفعت رأسها تهم بتكليمه لولا أنها خفضت رأسها لأنها تريد أن تكون كلمتها الأولى لأحد أولادها

شاهدها الرجل وغلبت على عينيه دمعتان محرقتان أسقطهما الحزن على هذه العجوز التي نالت منها القادسية أعظم تضحية . حتى لتحسب فيها رمزاً للأمومة التي ضحت بأبنائها في هذه الوقعة ... آثر أن يمشي وهو يخطو الخطوة ويلتفت إلى خلفه ، كأن شيئاً — لا يستطيع أن يدركه — يبعث الروع في نفسه .

حاول أن يخبرها أكثر من مرة ، وتردد أكثر من مرة ، وأقل ما يحمله على التردد أنه لا يريد أن يكون ناعياً لأربعة أولاد في يوم واحد ، ولكن ماله يكتم عنها ما كان ، وماله لا يشفق على هذه العجوز التي تنتظر ، والتي لا تزال تنتظر حتى مطلع الفجر ! فلينبئها بمصيرهم ، وليمزها بكلمة قد تقع موقعاً حسناً أو لا تقع ، وليصنع الله بها بعد ذلك ما يشاء ! وإن أعظم ما ينتظره لها الموت ، وما يدريه أنها هي التي تفتش عن الموت بعد مصرع بنيها . فعاود إليها مرة ثانية ؛ وسمعت الخنساء وقع الخطا من ورائها فهمت بالاستغراب ، ولكنها شعرت أن هذه الخطا تسر أمراً لها وحدها ، فناداها :

— يا خالتاه ! لا إخالك تألمين إذا أنبأتك أن أولادك الأربعة يسرحون هذا المساء مع شباب . . . الجنة !

فاه بهذه الجملة ، والحزن يكاد يقطع عليه أنفاسه ؛ ولم يبلغ كلمة (الجنة) إلا بعد أن قاسى من ألم النفس مثل ما قاساه من نصب يومه ؛ فتقدمت منه وكأن الخبر لم يعصف بنفسها ، ولم يظهر أثره على وجهها . . .

— ويك ماذا تعني ؟ أقُتلوا جميعاً ؟

— رأيتهم الواحد يُصرع بعد الآخر ، يذودون عن موقف تهافت العدو على أخذه تهافت الجراد على النار

— أذهبوا متاعاً رخيصاً ؟

— إنهم – وحدهم – كانوا جيشاً ، كأنما الموت مورد عزموا أن يردوه جميعاً ؛ كلما فترت عزيمة واحد منهم هتف به الآخر « وصية العجوز يا أخاه » !

وكأن هذه الكلمة أيقظت فيها الروح التي كلمت بها أولادها فقالت :

— ذلك ما يبعثني على أن أقول : الحمد لله الذي شرفني بقتلهم ، وإني لأرجو الله أن يجمعني وإياهم في مستقر رحمته ؛ ولكن أنبئني ما صنع الله بكم ؟

— جئنا بالنصر معقوداً على راياتنا

— هذه التعزية المثلى لي فيما تبقى من أيامي المعدودة ، لقد مات أخي صخر من قبل ، فلم يسمني من دنياي بعده إلا هذا الصدار الأسود ، وهيهات أن أجد مكاناً للتعزية فيه ، وها يموت أبنائي الأربعة فيعزيني عن موتهم هذا الظفر

والتفتت إلى ناحية بيتها ، وأخذت تدب وئيداً ، والرجل يتبعها صامتاً حتى توارت عنه ، فوا الله ما إن سمع لها أنة ، ولا رأى لها عبرة ، وذهب وهو لا يكاد يوقن بأن هذه التي كانت مثل الأخت المفجوعة الحزينة التي لا يسرى عنها شيء ، والتي قضت أيامها تبكي حتى ابيضت عيناها من البكاء ، هذه الأخت الولهى تصبح المثل الأعلى للأم التي تعتقد أن أولادها للوطن والواجب قبل أن يكونوا لها ، وإذا أراد الوطن استئثاراً بهم قدمتهم، وإذا استوهب الوطن منهم أنفسهم لم تضن بها ولم يضنوا ،

من الالياذة الاسلامية

للأستاذ أحمد محرم

الجزء الثانى

بنو غطفان وسيدهم عيينة بن حصن

لما علم أهل خيبر أن المسلمين قادمون لغزوهم بعثوا إلى حليفهم عيينة ابن حصن سيد غطفان يستمدونه وقومه عليهم ، ولهم فى ذلك نصف ثمار خيبر ، وقيل إن النبي صلى الله عليه وسلم بعث إليهم ينهاهم عن مظاهرة اليهود ، فأبوا ، وقالوا حلفاؤنا وجيراننا ، ثم خرجوا لنصرتهم ، فسمعوا صوتاً فى ديارهم وقع فى نفوسهم أنه صوت الغزاة من المسلمين ، فأخذهم الرعب وارتدوا على أعقابهم مسرعين .

أَمَا تَدَعُ الْعَمَايَةَ (يَا ابْنَ حِصْنٍ) وَتَسْلُكُهَا مُعَبَّـدَةً سَوِيَّهْ ؟
أَضَلَّتْكَ الْيَهُودُ ، فَرُحْتَ تَبْغِي ثِمَارَ النَّخْلِ ، يَا لَكَ مِنْ بَلِيَّهْ
لَبِئْسَ الْأَجْرُ أَجْرُكَ مِنْ أُنَاسٍ يَرَوْنَ الْحَقَّ مَنْزِلَةً دَنِيَّهْ
أَتَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَهُمْ حَلِيفاً ؟ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ شَرُّ الْبَرِيَّهْ
رَمَوْكَ بِرُسْلِهِمْ يَبْغُونَ نَصْرًا فَمَا وَجَدُوكَ مِنْ أَهْلِ الرَّوِيَّهْ
أَهَبْتَ بِقَوْمِكَ : انْطَلِقُوا وَرَائِي فَتِلْكَ سَرِيَّةٌ تَتْلُو سَرِيَّهْ
تُرِيدُ (مُحَمَّداً) وَبَنِي أَبِيهِ أُولِي النَّجَدَاتِ وَالْهِمَمِ الْعَلِيَّهْ
حُمَاةَ الْحَقِّ ، لَيْسَ لَهُ سِوَاهُمْ إِذَا غَلَتِ الْحَفِيظَةُ وَالْحَمِيَّهْ
نَهَاكَ (مُحَمَّدٌ) فَأَبَيْتَ رُشْدًا لِنَفْسِكَ ، إِنَّهَا نَفْسٌ غَوِيَّهْ
وَقُلْتَ : أَنَتْرُكُ الْحُلَفَاءَ نَهْبًا وَنَحْنُ أُولُو السُّيُوفِ الْمَشْرَفِيَّهْ ؟

***

رُوَيْدَكَ يَا (عُيَيْنَةُ) أَيُّ خَطْبٍ أَصَابَكَ ؟ مَا الْحَدِيثُ وَمَا الْقَضِيَّهْ ؟
وَمَا الصَّوْتُ الْمُرَدَّدُ يَا ابْنَ حِصْنٍ وَرَاءَكَ فِي مَنَازِلِكَ الْقَصِيَّهْ ؟
وَرَاءَكَ يَا (عُيَيْنَةُ) لَا تَدَعْهَا فَمَا هِيَ عَنْ دِفَاعِكَ بِالْغَنِيَّهْ

***

رَجَعْتَ بِجُنْدِكَ الْمَهْزُومِ رُعْبًا فَمَرْحَى ، مَا الْهَزِيمَةُ كَالْمَنِيَّهْ
لَوَ انَّكَ جِئْتَ (خَيْبَرَ) وَهْيَ ظَمْأَى سَقَتْكَ مِنَ الرَّدَى كَأْسًا رَوِيَّهْ
نَوَيْتَ غِيَاثَهَا ، فَشُغِلْتَ عَنْهَا وَأَمْرُ اللهِ يَغْلِبُ كُلَّ نِيَّهْ
بِرَبِّكَ يَا فَتَى (غَطَفَانَ) آمِنْ فَإِنَّ لَهُ لَآيَاتٍ جَلِيَّهْ

***

رَجَعْتَ إِلَى (النَّبِيِّ) تَقُولُ مَالاً يَقُولُ الْمَرْءُ ذُو النَّفْسِ الْأَبِيَّهْ
أَلَسْتُ لِمَنْ ظَفِرْتَ بِهِمْ حَلِيفاً ؟ فَهَبْ لِي مِنْ مَغَانِمِهِمْ عَطِيَّهْ
وَإِنِّي قَدْ أَبَيْتُ ، فَلَمْ أُعِنْهُمْ عَلَيْكَ ، وَمَا تَرَكْتُكَ عَنْ تَقِيَّهْ
فَقَالَ : كَذَبْتَ ، مَالَكَ مِنْ خَلَاقٍ وَمَا تَخْفَى عَلَى اللهِ الطَّوِيَّهْ
عَلَيْكَ (بِذِي الرُّقَيْبَةِ) إِنَّ فِيهِ لَمَا أَحْبَبْتَ مِنْ صِلَةٍ سَنِيَّهْ
تَأَمَّلْ : هَلْ مَلَكْتَ عَلَيَّ أَمْرِي ؟ وَهَلْ صَدَقَتْكَ رُؤْيَاكَ الْغَبِيَّهْ ؟
لِكُلٍّ مِنْ دُعَاةِ الشِّرْكِ حَرْبٌ مُظَفَّرَةُ الْوَقَائِعِ (خَيْبَرِيَّهْ)
سَجَايَا الْمُرْهَفَاتِ الْبِيضِ أَوْلَى بِمَنْ جَعَلُوا النِّفَاقَ لَهُمْ سَجِيَّهْ

أحمد محرم

لما فتحت خيبر جاء عيينة بن حصن إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال : أعطنى مما غنمت من حلفائى ، فقد أبيت أن أقاتلك . قال له : كذبت ، إنما أنفذك إلى أهلك ما سمعت من صياح ، لك ذو الرقيبة — وهو جبل بخيبر رأى عيينة فى منامه أنه قد ملكه — فقال لقومه : أبصروا ، لقد والله أخذت برقبة محمد

وكأنها بعد ذلك كله لم تبذل شيئاً ولم تفقد شيئاً

فى الإيمان سر تنمحى الإرادة عنده ، وكيف يريد علماء النفس أن يعللوا مزاجين مختلفين فى نفس واحدة ، هذه المرأة التى فجعتها إحدى الوقائع بأخيها الجرىء الجميل فى الجاهلية ، والتى لم تترك منها هذه الفاجعة إلا لساناً يندب وصدراً يزف ! جاء الإسلام ، فلم يقدر أن يصرفها عن حزنها ، ولكنها أصيبت فى الإسلام بفاجعة قد تهون الأولى عندها وهى فاجعة أبنائها ، فلم تحرك من نفسها شيئاً ، لأنها وهبت مصيبتها لله ! ...

فكرت فى المصيبة الأولى ، فلم تجد ما ينفس عنها ، فاحتفظت بأثرها فى منطقة منعزلة من مناطق نفسها ، تكشف فيها عن ذكرياتها ، وتخوض فى أرجائها وحدها ... أما المصيبة الثانية ، فقد تولاها الإيمان الذى فاض على نفس الخنساء كلها ، حتى أصبح سواء عندها أفقدت واحداً أو أربعة ، أو جميع من فى الكون فى سبيل هذا الإيمان ...

رباه ! ... ألست بقادر على أن تحيي الموتى ؟ !

خليل هنداوى

ذكرى الهجرة النبوية

للأستاذ محمد فريد وجدي



لا يذكر ذاكر الهجرة إلا ذكر القرآن والإسلام ومحمداً، وهي ذكريات حافلة بالأحداث، موقرة بالانقلابات التي تعتبر مبدأ انتقال عالمي لم يسبق للعهود البشرية أن مر بها مثله.

نعم لأن الانتقال الذي أحدثه الإسلام في جزيرة العرب لم يقتصر عليها، ولكنه تناول العالم كله إما مباشرة وإما بواسطة فكان أثره أبعد أثر سجله تاريخ العلم الاجتماعي للانسانية من لدن نشأتها إلى اليوم

انتقال في فهم معنى الدين، انتقال في إدراك حقيقة العبادة، انتقال في تعيين أهداف الاجتماع، انتقال في اعتبار مكانة العلم، انتقال في الاعتداد بسلطان العقل، انتقال في تقرير حقوق الإنسانية، انتقال في إقامة الحقوق الطبيعية، انتقال في تحديد معنى المساواة والعدل

انتقالات ذريعة في كل ضرب من ضروب الشئون الإنسانية سرت إلى العالم كله بتقلب المسلمين في البلاد، فأثرت في مجموع البشرية تأثيراً لا يشتبه بغيره من الانتقالات الأدبية، كان من نتائجها تطور بعيد المدى في كل مجالات الحياة العالمية. فإذا كان الذين استفادوا منه يتثاقلون في عزوه إلى القرآن والإسلام ومحمد فإن أولى العلم يعرفون هذا الحق وقد أعلنوه في مؤلفاتهم (راجع ما كتبه جيبون الإنجليزي ودربير الأمريكي وسديو وجوستاف لوبون وغيرهما من الفرنسيين)

قلنا انتقالات، فأي لفظ أدل من هذا اللفظ على ما نحن بصدده؟

كان الناس قبل القرآن ومحمد يعتبرون الدين ذلاً واستكانة، واستخذاء لذوي المكانة، فلما جاء الإسلام صاح بالناس: ارفعوا رءوسكم، إنما التقوى في الصدر، وعلو الهمة من الإيمان، ولا ينبغي لمؤمن أن يذل نفسه، « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين »

وكانوا يظنون أن العبادات سخرة، فقال لهم الإسلام: كلا إنها صلة بين المخلوق والخالق، وإنها يجب أن تكون ميسرة غير مرهقة « فقم ونم، وصم وأفطر، فإن لبدنك عليك حقاً، ولزوجك عليك حقاً، ولزورك (أي زائريك) عليك حقاً » إن الرجل ليعتبر عابداً لله في كل فاضلة تصدر منه حتى في اللقمة يرفعها إلى فم امرأته

وكانت الجماعات لا تفكر في المقاصد الأدبية المرجوة من الاجتماع، فلما جاء الإسلام قال لها: إنما الاجتماع للتعاون على استكمال وسائل البقاء، وهي لا تكون مباركة إلا إذا كان فيها تعاون على البر، وتضافر للتأدي إلى أكمل ضروب الحياة؛ أما التعاون على الإثم والعدوان فليس من شرف الإنسانية في شيء

وكانوا لا يقيمون للعلم وزناً إلا ما صدر عن الذين نصبوا أنفسهم بين الناس وبين الله حجاباً، فقال لهم الإسلام: « هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ». « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات »

وكانوا يعدون العقل عدواً للدين، ويتعمدون الخروج على أحكامه مشايعة للذين ربوهم على عصيانه، فقال لهم الإسلام: الدين أساسه العقل، ولا دين لمن لا عقل له

وكانوا يتخيلون أن كل من خالفهم في الجنس والدين واللغة أعداء لا يصح أن تجمعهم بهم صلة، فلما جاء الإسلام صاح بأهل الأرض قاطبة: « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم

إن الله عليم خبير » . فكان الإسلام بهذا الأصل أول من أوجب أن تكون بين الناس كافةً زمالة إنسانية ، يتعاونون تحت ظلالها على تحقيق أغراض الحياة العامة ، بصرف النظر عما يفرق بينهم من جنس ولغة ودين

وقوّى هذا الأمر وضوحاً فقال : « لا ينها كم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين »

بل وصاهم بالرحمة ومراعاة قواعد العدل مع أعدائهم الذين قاتلوهم ليفتنوهم عن دينهم ، وأخرجوهم من أرضهم فقال : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » ، وقال : « ولا يجرمنكم شنآن قوم (أى ولا يحملنكم بغضكم لقوم) أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا ، وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ، واتقوا الله إن الله شديد العقاب »

وزاد فى التنبيه على وجوب مراعاة الحقوق الإنسانية ، فأمر ألا يتعقب المنتصر فى الحرب مهزوماً ، وألا يجهز على جريح وألا يقتل شيخاً ولا امرأة ولا طفلاً ولا رجلاً غير محارب حتى خدم المقاتلين ، وألا يهدم ديار الأعداء ولا أن يحرق أشجارهم ، ولا أن يعثو فيها فساداً

وكان الناس لا يعرفون الحقوق الطبيعية لإخوانهم فى الإنسانية بصرف النظر عن أديانهم وأجناسهم ولغاتهم ، فكانوا يجردون من ليس منهم من كل حق ، ويستحلون لأنفسهم بقتلهم وسلبهم إن ظفروا بهم ، فإن منُّوا عليهم بالبقاء استعبدوهم وأذلوهم ، فلما جاء الإسلام قرر أن لبنى آدم مهما كانت مللهم وبيئاتهم ولهجاتهم حقوقاً طبيعية لا يجوز العدوان عليها بغير حق

وكان الناس لا يدرون كنه المساواة والعدل ، نخضعوا لنظام الطبقات ذوات الامتيازات ، فكان لرجال الدين والسراة والمحاربين حقوق ليست لغيرهم من أفراد الشعب ، فكانوا يبهظون الدهماء بالتكاليف والأتاوات ويخلون أنفسهم منها . فلما جاء الإسلام حطم كل هذه الأوضاع ، واعتبر الناس كلهم سواء أمام العدل : « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوّامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الأقربين ، إن يكن غنيـًا أو فقيراً فالله أولى بهما ، فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا ، وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً »

فنحن إذا ذكرنا الهجرة ، وهى دور من أدوار الكفاح الإسلامى فى سبيل الإصلاح ، ذكرنا كل هذه الانتقالات الأدبية التى لو اطلع عليها علماء الاجتماع لدهشوا ، لأن كلا منها لم يتقرر فى العالم المتمدن إلا بعد ثورات دموية ، تلتها انقلابات عنيفة ، وسبقتها تطورات عقلية وأدبية دامت قروناً طويلة ؛ فإن كانت قد تولدت طفرةً على يد خاتم المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم ، فى مدى أقل من ربع قرن ، وفى أبعد البيئات عن توليد أمثالها ، فهى كبرى الآيات الإلـهية ، جاءت مناسبة لموطن الاقتناع من عقول أهل الزمان الأخير ، فإنهم قد يرون القمر ينشق ، أو الجبال تندك فلا يتأثرون ، وبعضون يلتمسون لها عللاً طبيعية ، ولكنهم لا يستطيعون أن يلتمسوا لهذه الانتقالات الفجائية الباهرة عللاً طبيعية ، ولا سيما فى بيئة لا تنتج واحدة منها . ولقد نسيت جميع الآيات التى صحبت الرسالات السابقة ومضت بمضى أيامها ، إلا هذه الآية التى خص الله بها خاتم رسله ، فستبقى ما بقى الإنسان ذا عقل يجيله فى الأمور ، وما بقى العلم يجلو كل مستور .

محمد فريد وجدى

الإسلام دين النضال

للدكتور زكى مبارك



خلوتُ إلى قلمى لأكتب فصلاً للرسالة أتحدث فيه عن بعض الخصائص الإسلامية ، ثم أخذت أستعرض تاريخ الإسلام فى القديم والحديث عسانى أجد مسألة واضحة الحدود يصل فيها القلم إلى شىء بعد جهاد ساعة أو ساعتين

وما هى إلا دقائق حتى اهتديت إلى موضوع تضيق عنه الأعمار ، ولكنه مع ذلك واضح المعالم لا يكلّف القلم إلا بعض العناء ، ليصل الكاتب إلى طوائف من الصور تمنحه التشرف بالمشاركة فى إحياء ذكرى الهجرة النبوية

اهتديت إلى القول بأن «الإسلام دين النضال» . فما معنى ذلك؟

ارجعوا إلى تاريخ الرسول وتواريخ الخلفاء ، ومن تلا الخلفاء من الملوك والسلاطين فى الممالك الإسلامية ، لتعرفوا أن الإسلام فى جميع عصوره لم يكن إلا دين نضال

وشريعة الكفاح وضع قواعدها نبىّ الإسلام : فهو أوّل رسول تجشم مكاره الجندية فى سبيل العقيدة ، وأول رسول تعرض للقتل مرات كثيرة فى سبيل المبدأ ، وأول رسول عاش عيش التأهب للقتال فى جميع الأحوال

دخلت عليه ابنته وهو يعانى سكرات الموت فتوجعت لما هو فيه من الكرب فنظر إليها وقال : لا كرب على أبيك بعد اليوم !

والناس يفهمون أن الكرب الذى تحدث عنه الرسول هو كرب الموت . أما أنا فقد فهمت أنه يشير إلى ما عانى فى حياته من أرزاء وخطوب ، وقد عاش دهره كله وهو فى بلاء بالناس والزمان ، فما انتقل من حرب إلا إلى حرب ، ولا خلص من عناء إلا إلى عناء ، فحياته هى الشاهد على أن المجد لن يكون إلا من حظوظ المكافحين

والعبرة الأصيلة من حياة هذا الرسول هى الصفة الجدية بين شمائله العالية . والصفة الجِدية تظهر فى سيرته منذ عهده الأول ، فقد نشأ يتيما ، واليُتم يحمل النفس على الشعور بالغربة فى محيط الوجود ، والغريب يقهر على اصطناع الجد فى جميع الشؤون

ومن هنا يظهر السر فى عنايته بتدليل سِبطيه الحسن والحسين ، فقد كان يشعر أنه يقدم إليهما سروراً فاته الظفر بمثله وهو يتيم

ثم اتفق له فى صباه أن يشتغل بالتجارة لحساب زوجته خديجة ، فكان مسئولاً أمام قوة السوق التى لا يربح فيها غير أهل الجد والصدق من الذين يكتوون بنيران المعاملة مع أقطاب الكسب من السريان واليهود ، وكانوا فى ذلك العهد دهاقين الأخذ والعطاء

لم يحدثنا التاريخ عن تفاصيل الحياة التجارية التى عاناها الرسول ، ولكننا نعرف أن التاريخ لم يكن يسمح بالسكوت عن ذلك الرسول لو أنه استطاع أن يأخذ عليه هفوة من الهفوات التى تجرح الأمانة والصدق ، وهما فضيلتان لا يتحلى بهما التاجر إلا بعد جهاد شديد للشهوات والأهواء

وبفضل الكفاح الذى عاناه الرسول فى ذلك العهد استطاع أن يدرس أخلاق العرب والسُّريان واليهود ، وهى أمم كانت تقتتل فى سبيل المنافع أبشع الاقتتال ، واستطاع كذلك أن يتصل من قرب أو من بعد بالأخلاق الحبشية والمصرية والهندية والفارسية والرومانية واليونانية . ومن هذه التجارب تهيأت نفسه للاحساس بقيمة الجد والنضال

فإن قيل إن أكثر الأنبياء عانوا رعاية الغنم فى طفولتهم ليتعودوا الصبر ، فإنا نقول بأن محمداً عانى ما هو أشق من رعاية الغنم ، عانى رعاية التجار وهو قومٌ يأكلون الجمر ، ويلتهمون السم ، ويدوسون على أشلاء الضمائر والنفوس

ومن المؤكد أن الرسول عرف الثورة على انحطاط الأخلاق بفضل ما شهد من مكاره الحياة التجارية لذلك العهد

ومن المؤكد أيضاً أن اشتغاله بالتجارة هيأ الفرصة للمعرفة العميقة بالأحوال السياسية والاقتصادية فى ذلك الزمان

ويغلب على الظن أنه لم يكن يخلو بنفسه من وقت إلى وقت إلا ليجد الفرصة للسلامة من مكايد الناس، وقد عرفهم فى ظروف لا يسلم من شرها غير من يعتصمون بالعزلة من حين إلى حين

وفى لحظة من لحظات الصفاء عرف محمد أن العناية الربانية أعدته لغرض أعظم من تثمير الأموال لزوجته الغالية ، ولكن كيف يصارح قومه بذلك الغرض وهو فى ظاهره من الكفر المُوبق فى بلدٍ قد استراح إلى الأوهام والأباطيل ؟

لا بدّ من نضال جديد ، وفى ميدان لا تكون حِجاره من الصخور والجلاميد ، وإنما تكون حِجاره وعِقابه من القلوب الغُلف والضمائر السوء

لا بدّ لليتيم الكهل من نضال جديد، ولا بدّ من توديع الاتجار بالعُروض والأموال للدخول فى تجارة جديدة لا يكون فيها الربح غير الهلاك بالقتل والاستشهاد ، إن لم يعصمه الله من الناس

وبرز محمد لقومه برأى كان فى نظرهم أَجْرَأَ الآراء برز لهم وهو أعزل لا يملك من السلاح غير اليقين ، وهو أضعف أدوات القتال فى عصور الظلمات

وما كان قوم محمد إلا قروماً فحولاً طاولوا الدهر وصابروا الزمان ، وكان فيهم من يملك التصرف بأحلام الأمة العربية ، ومن يقدر على إيذاء سمعته بكلمة أو كلمتين . وما هى إلا أيام حتى شاع فى جميع القبائل أن محمداً أُصيب بالخبال والجنون، وفى أى أرض ؟

فى أرض بدوية تسير فيها قالة السوء بأسرع من ومض البرق

فما الذى يصنع اليتيم الكهل وقد أشيع أنه مخبولٌ مجنون ؟

رجع إلى عزيمته يستفتيها ، فحدثته بأن النضال هو أشرف ما يعتصم به كبار الرجال

وكانت أيامٌ عرف فيها محمد أن حراسة الغنم أسهل من حراسة الأصدقاء . كانت أيام عرف فيها أنه يعاود حياة اليُتم من جديد

فما الذى يصنع ؟

لا بدّ من نضال ، لا بدّ من نضال

لقد انتهى عهده بالنضال الهين الخفيف يوم كان يسهر على زاده وتجارته ليأمن غوائل الأعراب بالليل ، انتهى عهده بالجزع على ضياع صرة فيها دراهم أو دنانير يدّخرها لسرور زوجته الغالية حين يرجع من أسفاره فى تثمير ماتملك من أصول المنافع الدنيوية ، وأقبل عهد جديد ، هو عهد السهر على الضمائر والقلوب ليحميها من غوائل الشرك ، وليقيها شر الفساد والانحلال

ولكن الذين يعنيه أمر هدايتهم يرونه من أهل الفضول ، ويسمونه أقبح عبارات السخرية والازدراء ، فماذا يصنع ؟

لا بد من النضال ، ولا بد من الترحيب فى سبيل العقيدة بالظمأ والجوع والقتل . وهنا تظهر عظمة محمد المؤيد بقوة خفية تهوّن عليه المصاعب والأرزاء

هنا تظهر عظمة الرجل المؤمن بقيمته الذاتية ، والذى يرى أن خصومه ليسوا إلا هباء فى هباء ، وإن تحصنوا بآطام السياسة والمال ، وهما أقوى الحصون

وما الذى يخاف عليه بعد ما لقى ؟

لا بدّ من نضال ، لا بد من نضال

والتفت اليتيم الكهل فرأى أنه وحيد مُضطهَد لا يؤمن قومه برسالته ، وإن كان لم يفقد عطف زوجته الغالية فى ذلك الظرف العصيب

الله وحده هو الذخيرة الباقية للمضطهدين من أصحاب العقائد والمبادئ . الله وحده هو سناد المكروبين ، وغياث اللهوفين . الله وحده هو الذى يحمى أهل الصدق والأمانة من عدوان الكاذبين والخائنين. الله وحده هو الذى يقدر على مواساة المكروب المحزون، وهو وحده الذى يبعث الشجاعة فى صدر اليائس من انتصار الحق

الله وحده هو الذى أوحى إلى اليتيم المضطهد أن يستبسل فى سبيل الحق ، ليرى انتصار الحق على القوة بعد حين

وتلفت محمد فلم يرَ لرسالته من ظهير أو معين غير القوة الخفية التى تحدّثه بأنه قد يصل إلى الفوز إن صبر على المكاره صبر أولى العزم من الرسل

التوجيه الأول

للأستاذ ابرهيم عبد القادر المازني



اتجه نظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى الشام وما جاورها قبل أن يستتب له الأمر في الجزيرة بزمان طويل، بل قبل أن يفرغ من قريش، ويفتح مكة، وصحيح أنه كان قد عقد مع قريش صلح الحديبية، فاطمأن، واطمأنت قريش بذلك بعض الاطمئنان، ووسع النبي أن يتفرغ لغير قريش، ووسع قريشاً أن تستأنف تجارتها مع الشام وهي آمنة، ولكن هذا كان قبل فتح مكة بعامين، وكان هناك اليهود أيضاً، وأمرهم غير هين، وقد قضى عليهم بعد عودته من الحديبية، فغزاهم في خيبر، واستخلصها منهم، ثم دعا يهود فدك فخضعوا بغير قتال، وتلاهم يهود وادي القرى بعد قتال يسير. ولكن هذا وسواه لم يكن قد تم لما شرع النبي — أو لما بدا أنه شرع يفكر — فيما وراء جزيرة العرب. وأكبر الظن أن تفكيره في الشمال قديم، فما يسع قارئ السيرة النبوية إلا أن يروعه عمق النظرة، وبعدها، ورحابة الآفاق التي تمتد إليها

ومن أول مظاهر هذا الاتجاه، إرساله إلى هرقل، وكسرى، والمقوقس، وملك الحيرة، وملك اليمن، ونجاشي الحبشة... يدعوهم إلى الإسلام؛ وقد كانت هذه دعوة عامة، وإذا تركنا الحبشة: فإنها فيما وراء البحر، واليمن: لأنها داخلة في شبه الجزيرة. فإنه يبقى الشمال، الذي جاءت الحوادث بعد ذلك بما يخصصه. وعسى أن يكون من أول دواعي هذا التخصيص أن الحارث الغساني ملك الحيرة، لما تلقى كتاب النبي بالدعوة إلى الإسلام بعث إلى هرقل ملك الروم يستأذنه في أن يقوم على رأس جيش، لمعاقبة صاحب هذه الدعوة الجديدة، ولكن هرقل صرفه عن ذلك لأسباب لا تعنينا هنا، فما أريد أن أكتب تاريخاً حديثاً — فقد تكفل بذلك الصديق الزميل — على الرغم من الوزارة

هو إذن نبيّ، والنبوّة توجب التضحية بجميع المنافع، وتفرض الاستهانة بأكاذيب المفترين على العِرض والشرف، فلا بأس من أن يشيع كذباً أنه رجلٌ غير شريف، وإن كان قومه عدّوه من أقطاب الأمناء، يوم كان لا يجهر بالاعتراض على ما يرتطمون فيه من الزيغ والضلال

لا بدّ من نضال، وهو في هذه اللحظة يقع في ميدان واحد هو الصبر على عدوان المكذِّبين، فإن انتصر محمد على هذا الكرب فلا كرب عليه بعد اليوم

وصرخ محمد بصوت ارتعدت له الجبال: يا معشر قريش، أنا رسول الله إليكم!

وما كاد يفوه بهذه الجملة حتى ظهرت لعينه وقلبه ألوف وملايين من الأفاعي والصلال هي وساوس المرتابين في دعوته السامية

ونظر فإذا هو طعام سائغ للسفهاء والأغبياء من أعداء الحق وأنصار البهتان وحدثته النفس بأن طلب السلامة أمر يوجبه العقل ولكن القوة الخفية سارعت فحدثته بأن الرجل الحق هو الذي يستهين بأراجيف السفهاء

الرجل الحق؟ ومن الرجل الحق بجانب النبي الحق؟

الروح الأمين يحدثه بأنه خاتم الأنبياء، فما الذي يمنع من أن يتحمل في سبيل رسالته أضعاف ما تحمل سائر الأنبياء؟

ومضى محمد يناضل ويقاتل ويجاهد حتى نقل العرب من الشرك إلى الإيمان بعد أن دفع ثمن النصر من دمه الغالي، الدم المسفوك بالأكاذيب والأراجيف والأباطيل

ولكن، لا بأس، فقد سنّ لأتباعه الأوفياء شريعة النضال

زكي مبارك

والرتبة ، الدكتور هيكل باشا ، جزاه الله عن المسلمين خيراً ... وإنما كل ما أقصد إليه من ذكر هذه الدعوة التي وجهها النبي إلى الملوك ، هو الإشارة إلى الاتجاه فيها ...

ومن المحقق أن عين النبي كانت على الشام خاصة ، والشمال عامة ، وهو يعرفها حق معرفتها ؛ فقد سار فيها صبياً ، وشاباً ، ورجلاً قبل البعث . ولم يكن يخفى عليه أن حياة الجزيرة رهن بتجارتها مع الشام ، ولهذا رأى في الهجرة إلى المدينة وسيلة تعينه على السيطرة على مكة ، والتحكم في طريق تجارتها ، وكانت قبائل العرب قبل عهده ، لتفككها ، محتاجة إلى مصانعة الملوك المجاورين ، لتطمئن على هذه التجارة ، على أن النبي — فضلاً عن ذلك — كان يرى أن الشام وما جاورها ، هي الطريق الطبيعي لامتداد دولة الإسلام وانتشار الدعوة إليه ، وتخطيها حدود الجزيرة ، وغير مستغرب أن يتطلع إلى ما وراء الجزيرة ، من جاء بدين الحق للناس كافة ، لا للعرب خاصة ...

وقد تأنى ، ولم يعجل بفتح مكة ، لأنه كان واثقاً من الظفر بها في أوانه المقدور ، ولكنه وجه إلى الشمال ثلاثة آلاف قاتلوا في مُؤتة ، وكانت هذه « حملة تأديبية » صارت مقدمة لغزوة ذات السلاسل ، ثم لغزوة تبوك ، لما بلغ النبي عليه الصلاة والسلام أن الروم يتهيئون لغزو حدود العرب الشمالية . على أن الروم لم يحاربوا بل انسحبوا لما بلغهم أمر الجيش الذي سيره النبي وقوته ، فآثر النبي ألا يتبعهم ، واكتفى بالإقامة عند الحدود متحدياً متحفزاً عاملاً على كفالة هذه الحدود وتأمينها ، وقد خضع له غير واحد من الأمراء هناك وأعطوه الجزية ، وسار خالد بن الوليد بأمره فاستولى على دومة وبذلك أمن النبي عليه الصلاة والسلام الحدود الشمالية ، وجعل من البلاد التي تعاهد مع أمرائها ، معاقل وحصوناً قائمة بينه وبين الروم ، وانتفى كل خوف من العدوان على الجزيرة وأهلها

ولكن النبي لم يكتف بذلك ، فما كاد يعود من حجة الوداع حتى أمر بتجهيز جيش عظيم أمر عليه أسامة بن زيد بن حارثة ليسير به إلى الشام . فخرج من المدينة ، ولكن الله لم يكتب له الذهاب إلى الشام فقد مرض النبي ، واشتد عليه الأمر ، فحال ذلك دون مسير الجيش ، وكان أن انتقل رسول الله إلى الرفيق الأعلى . فانصرف المسلمون إلى شئونهم العاجلة ، مثل دفنه ، واختيار أمير للمؤمنين ، ثم الردة وما استوجبت من التفرغ لقمعها ولكنهم بعد أن انتهوا من ذلك ، واطمأنوا إلى استقرار الأمور في شبه الجزيرة ، شرع أبو بكر رضي الله عنه ، في إمضاء سياسة الرسول ، فوجه الجيوش إلى الشمال

والمؤرخون الغربيون يصفون أبا بكر أحياناً بأنه « محمد الثاني » ولا يعنون بذلك أكثر من أنه هو الذي شرع في رفع بناء الدولة الإسلامية التي وضع الرسول (ص) قواعدها وأرساها وقررها ، وأن موقفه من المرتدين هو الذي كفل لدولة الإسلام أن تبقى قائمة ، وأن يتيسر لها الامتداد ... على أن هذا موضوع آخر ، لا نرى أن نستطرد إليه فنخرج عما قصدنا إليه ، من بيان أن النبي عليه الصلاة والسلام هو الذي وجّه المسلمين إلى فتح الشام وما جاورها ، ولو امتد به العمر لتم ذلك في حياته ، فقد كان من الجلي أنه بعد أن اطمأن على الجزيرة وبسط عليها سلطان الدين الذي بعث به ، صار همه هذا الشمال ، ولكن الله اختاره إلى جواره ، بعد أن أتم رسالته ، وفهم عنه أبو بكر ، فاتجه بالمسلمين إلى حيث أراد النبي أن يوجههم . ومن الممكن أن يقال إن أبا بكر أراد بالزحف على الشمال أن يشغل المسلمين بالحرب والفتح ، بعد الردة وحروبها ، وهذا صحيح ، ولكن أصح منه أن هذا هو توجيه النبي عليه الصلاة والسلام ، كما فهمه أبو بكر وعمر من بعده . فالنبي لم يجيء بالدين وحده ، بل وضع قواعد الدولة المدنية أيضاً ، ورسم لها مستقبلها العالمي وعين لها اتجاهاتها جميعاً

ابرهيم عبد القادر المازني

صيام رمضان

وموازنته بصيام الثلاثين عند الصابئة والمانوية

للدكتور علي عبد الواحد وافي

لا نعلم على وجه اليقين متى نشأت فكرة الصوم في المجتمعات الإنسانية ، ولا نكاد نعرف شيئاً يعتدُّ به عن الأسباب الأولى التي دعت إليه ، كما أن ما وصلنا عن النظم الدينية للأمم الغابرة ، لا يرشدنا إلى أول شريعة جاءت به ، ولا يقفنا على أول شعب ظهر فيه . وكل ما يذهب إليه بعض الباحثين بصدد هذه الأمور يتألف من آراء فطيرة تعتمد في بعض نواحيها على الحدس والتخمين، وفي نواح أخرى على حجج ضعيفة قلقة ، لا يطمئن إلى مثلها المنطق السليم .

غير أنه مما لا شك فيه ، أن الصوم من أقدم العبادات الإنسانية ، ومن أكثرها انتشاراً . فلم يكد يخلو منه دين من الأديان ، ولم تتجرد عنه حياة شعب من الشعوب : جاء بملل الطوطميين والمجوس والوثنيين والصابئين والمانوية والبوذيين وعبدة الكواكب والحيوان ، كما جاء بشرائع اليهود والنصارى والمسلمين

وقد اختلفت أشكاله باختلاف الأمم والشرائع ، وتعددت أنواعه بتعدد الظروف المحيطة به والأسباب الداعية إليه . فمنه ما يكون بالكف عن الأكل والشرب والاتصال الجنسي والكلام، ومنه ما لا يقتضي إلا الكف عن الأكل والشرب ، ومنه ما يتطلب الكف عنهما وعن الاتصال الجنسي ، أو عنهما وعن الكلام ... والإمساك عن الأكل والشرب يقع على وجوه كثيرة، فمنه المطلق الذي تمم جميع المأكولات والمشروبات ، ومنه المقيد الذي يتم بالكف عن بعض أنواعهما، وهو بجميع ضروبه يقتضي حرمان الجسم حرماناً اختيارياً من بعض حاجاته الطبيعية ...

ومن أنواع الصيام ما يقتضي الإمساك عن هذه الأمور اليوم كله نهاره وليله ، ومنه ما لا يقتضي الإمساك إلا نهاراً أو شطراً من النهار ، ومنه ما يبدأ بغروب الشمس ويستغرق الليل كله ، أو شطراً منه

ومن أنواع الصيام ما يكون متتابعاً يجرى في أيام متتالية ، ومنه ما يكون مقصوراً على يوم واحد أو ليلة واحدة أو جزء من يوم أو ليلة ، ومنه ما شرع في أيام غير متتابعة يفصلها بعضها عن بعض فترات معينة

ومن أنواع الصيام ما هو واجب يتحتم على جميع الطبقات أو بعضها بشروط خاصة ، ومنه ما هو مستحب يندب إليه جميع الأفراد أو بعض طوائف منهم . وجميع أنواع الصيام التي شرعها الدين الإسلامي تقتضي الإمساك عن الأكل والشراب والاتصال الجنسي من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس ، وليس منها ما هو فرض على جميع المكلفين العاقلين إلا صيام رمضان

هذا ، ويشبه صوم رمضان في ظاهره صياماً شرعته ديانة الصابئين والمانوية، وسمي صيام الثلاثين، فقد جاء بالجزء التاسع من كتاب الفهرست لابن النديم أن شريعة الحرانيين المعروفين بالصابئة أو الصابئين « تفترض عليهم من الصيام ثلاثين يوماً أولها لثمان مضين من اجتماع آذار » ، وأنهم كانوا يؤدون هذا الصوم تكريماً للقمر، وأنه كان إمساكاً مطلقاً عن جميع المأكولات والمشروبات من طلوع الشمس إلى غروبها . وقال في نفس الجزء في أثناء كلامه عن الثنوية الكلدانيين أو المانوية[1] إنه « إذا أهل الهلال ونزلت الشمس الدلو ومضى من الشهر ثمانية أيام يصومون حينئذ ثلاثين يوماً يفطرون كل يوم منها عند غروب الشمس » . وتدل عباراته أن صيامهم هذا كان تقديساً للأفلاك السماوية وبخاصة الشمس

وقد حاول كثير ممن في قلوبهم مرض ، وممن وقفوا جهودهم على النيل من الإسلام والكيد له تحت ستار البحوث التاريخية ، والتحقيقات العلمية ، حاولوا أن يرجعوا صيام رمضان إلى صيام الثلاثين عند الصابئين والمانوية ، زاعمين أن محمداً عليه السلام قد اقتبسه من هاتين الشريعتين

ومن هؤلاء الدكتور جاكوب الألماني . فقد قرر في رسالة كتبها في موضوع صيام رمضان ، بعد تحقيقات حسابية طويلة وموازنات بين التاريخ العربي والميلادي والبابلي ، أن أول سنة شرع فيها هذا الصوم وهي سنة ٦٢٣ ميلادية كان أول يوم من شهر رمضان فيها يوافق الثامن من شهر آذار ، أي أن أول رمضان صامه المسلمون كان موافقاً في مبدئه ونهايته لتاريخ صيام الحرانيين ، وإن في هذا أكبر دليل على أن محمداً قد اقتبس صومه عن شريعة الصابئين

(١) نسبة إلى زعيمهم الديني ماني بن فتق . ودياناتهم خليط من البابلية القديمة والمسيحية والفارسية ، وبها كثير من مظاهر تقديس الكواكب

وذهب العلامة الفنلنـدى وسـترمارك Westermarcke إلى ما يقرب من هذا الرأى حيث يقول فى مؤلفه : The Origin and Development of Moral Ideas « إن وجوه الشبه بين صيام رمضان وصيام الثلاثين عند الحرانيين والمانوية لتحمل على الجزم برجوعهما إلى أصل واحد . فلا بد إذن أن يكون محمد قد نقل صيامه عن الحرانيين أو عن المانوية أو عنهما معاً »

وهذه لعمرى شنشنة عرفناها عن معظم من تصدى من الفرنجة لبحث عقائد الدين الإسلامى وشعائره ، فتراهم قبل أن يفهموا الموضوع الإسلامى الذى يتصدون لدراسته حق الفهم ، يوجهون كل همهم إلى البحث عن نظير له فى الشرائع الأخرى ، ولا يلبثون أن يعثروا عليه حتى يوحى إليهم تعصبهم أن هذا منقول عن ذاك، ثم لا تعوزهم الحيل والمنافذ لإلباس أهوائهم ثوب الحقائق

ومع أن المقام لا يتسع لرد مفصل على مازعموه بصدد صيام رمضان ، فإن فى النقط المجملة الآتية ما يكفل نقض مزاعمهم هذه من أساسها :

(أولاً) : لم يحدث فى الجاهلية أى اتصال فكرى أو دينى بين قريش التى نشأ فيها الرسول وبين الصابئين أو المانوية ، وقد حال دون هذا الاتصال أمور كثيرة، منها اختلاف اللغة والخط والثقافة والحضارة ، ومنها بعد المسافة بين مواطن هؤلاء وأولئك ، فقد كانت بلاد الصابئين والمانوية فى حدود فارس من الغرب على حين أن القرشيين كانوا يقطنون الحجاز والمواطن المتاخمة له ، وكانت أسفارهم التجارية لا تتجاوز طريقى الشام واليمن ، يسلكون أحدهما فى رحلة الشتاء والآخر فى رحلة الصيف ، ولم ينقل عن الرسول عليه السلام أنه اتصل قبل بعثته بأحد من الصابئين أو المانوية أو عنى بدراسة شرائعهم أو وقف على شىء منها ، وظل هذا حاله إلى ما بعد رسالته بأمد غير قصير

(ثانياً) إن صوم رمضان يختلف اختلافاً جوهرياً فى شروطه وقواعده ومقاصده ووقته وطريقة أدائه وحكمة تشريعه عن صوم الثلاثين عند الصابئين والمانوية ، فليس بينهما من وجوه الشبه إلا الاتفاق فى عدد الأيام وتتابعها ؛ وهـذه ناحية شكلية من التعسف اتخاذها دليلاً على أن أحدهما منقول عن الآخر . على أنهما يختلفان فى هذه الناحية نفسها اختلافاً غير يسير . فالصيام الإسلامى مدته شهر عربى (وهـذا الشهر يختلف باختلاف السنين ، فتارة يكون ثلاثين يوماً وتارة تسعة وعشرين) ؛ على حين أن صيام الصابئين والمانوية مدته ثلاثون يوماً . والصيام الإسلامى يبتدئ بابتداء الشهر وينتهى بانتهائه ، أما صيامهم فيبتدئ من اليوم الثامن من الشهر وينتهى فى الشهر التالى له

(ثالثاً) إن اختيار رمضان بالذات ليس سببه اتفاق مبدئه فى أول عام شرع فيه الصوم مع مبدأ صيام الصابئين ، كما ذهب إلى ذلك الدكتور جاكوب ، وإنمـا سببه — كما صرح بذلك الكتاب العزيز ، وكما يدل البحث التاريخى المجرد عن الهوى — أنه الشهر الذى أنزل فيه القرآن . فلا غرو أن اختصه الله بهذه المزية من بين سائر الشهور

(رابعاً) هذا إلى أن القرآن الكريم ينص على أن ما سن لنا من الشرائع قد سن مثله لكثير من الأمم قبلنا . قال تعالى : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيمَ وموسى وعيسى ... الآية » . وقال عزَّ وجل : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم ... » فمن الممكن إذن أن يكون صيام الثلاثين عند الصابئين والمانوية مستمداً فى الأصل من شريعة سماوية تقادم عليها العهد فدخلها التحريف والتبديل وبعدت عن غايتها الأولى وصبغت بصبغة التقديس للكواكب ، وأن الدين الإسلامى قد كتب نفس الصوم الذى كتبته هذه الشريعة ، فأحياها طاهرة نقية وقضى على كل ما علق بها من أدران الشرك

وقد ذهب بعض المؤرخين من المسلمين وغيرهم إلى أن صيام رمضان كان منتشراً عند بعض قبائل العرب فى الجاهلية ولا سيما قريش ؛ ويؤيدون رأيهم هذا بأن النبى عليه الصلاة والسلام نفسه كان قبل بعثته يقضى فى غار (حراء) شهر رمضان من كل عام متحنثاً صائماً . وقد اختلفوا فى أصل هذا التشريع . فمنهم من يرى أنه من الشرائع التى جاء بها إبراهيم عليه السلام ، ويستدل على ذلك بأن الذين ثبت أداؤهم لهذه الشعيرة فى الجاهلية كانوا من المعروفين باتباعهم لملة إبراهيم ؛ ومنهم من يرى أن عبد المطلب جد النبى عليه الصلاة والسلام هو أول من سنه وسار عليه (وقد أخذ بهذا الرأى الأستاذ موير فى كتابه « حياة محمد »)

ولكن لم يثبت بعد شىء من هذا كله بالدليل القاطع . ومهما يكن ، فإنه لا يضير الدين الإسلامى فى شىء أن يكون صيام رمضان متبعاً عند العرب قبل بعثة الرسول . فمن المحقق أن الشريعة المحمدية أقرت كثيراً من عادات العرب وشعائرهم ، وأن ركناً كبيراً من أركانها وهو الحج لم تدخل على أوقاته ومناسكه فى الجاهلية تغيراً كبيراً .

علي عبد الواحد وافي

باسمك اللهم!

للأستاذ محمد سعيد العريان



اليومَ هلالُ المحرم من السنة السابعة بعد البعثة

وقد وقف أبو الحكم ابن هشام المخزومي موقفه من نادي قومه، واجتمع إليه قبائلُ من أشراف مكة وذوى الرأى من قريش يسمعون مقالته؛ وما منهم أحد إلا كان له بلاء فى إيذاء محمد وصحابته حتى بلغوا فى الكيد لهم ما بلغوا ولم ينالوا منهم منالاً؛ فإن أبا الحكم وأصحابه اليوم لفى هم ناصب وأمر عظيم ...

إن أمرهم ليوشك أن يفلت من أيديهم، وهم أعلى قريش منزلة ومكانة بين سائر العرب، من الساحل إلى أطراف البادية. وهذا محمد وإنه لرجل فرد ليس له منعةٌ من أهل ولا عصبيةٌ من دم ولا جاه من غنى، وإنه على ذلك ليحاول أمراً يفرِّق جماعتهم ويفيِّل رأيهم ويلحد فى آلهتهم وما يعبدون؛ حتى ليوشك لو خلَوا سبيله أن يكون هو صاحبَ الرأى والسلطان فى العرب جميعاً ... وأين هو من هؤلاء وأنّى يبلغ؟

ولقد افتنَّتْ قريش فى حربه ومناهضة دعوته والكيد له ولأصحابه ما بلغ بهم الجهد، ليصرفوه عن وجهه ويفضُّوا صحابته من حوله؛ فما بلغوا شيئاً مما أرادوا، وإن دعوته لتنتشر وتذيع حتى يتسامع بها العرب، وإن أصحابه لزيدون ويكثرون، وإن قبائل العرب من قريب ومن بعيد لتسمع عنه وتعرف من خبره ما لا يريد أبو الحكم بن هشام وحزبه أن يعرف أحد؛ بلى، وإن هذه الدعوة لتطوى البيداء وتجتاز البحر من ساحل إلى ساحل حتى تجد الطمأنينة والسلام فى بلد المسيحية من مملكة النجاشى!

يا للعاقبة لو بلغ محمد ما أراد!

* * *

... واجتمع وجوهُ قريش وأصحاب الرأى فى مكة يتشاورون ليدبروا لهم أمراً ...

وقال أبو الحكم بن هشام:

« يا قوم، أما إنه ليوشك أن يكون أمرٌ شديد! وإن هذا الرجل ليبالغ فيما يدعو إليه حتى كان ما كان من أمره؛ فإن لم يكن قتْله واستئصال خضرائه حتى تذهب بدعوته وتذهب به، فليكن تدبيرٌ جديد ... »

وتطاولت الأعناق تترقب ما يكون من تدبير أبى الحكم فى جهاد محمد وأصحابه، واسترسل يقول:

« ... ألا إن هذا الحىَّ من بنى عبد مناف هو منا ومنكم حيث علمتم؛ وإنهم ليطلبون غايةً ليس إليها سبيل، أفنتركهم وما يحاولون حتى يئول أمرهم إلى أمر؟ ...

« ... وهذا أبو طالب بن عبد المطلب يمنع ابن أخيه أن يخلص إليه ما يكره، فما لنا سبيل عليه بعدُ؛ فليجتمع أمرهم على ما يريدون وليجتمع أمرنا؛ ولتكن براءةٌ قاطعةٌ بيننا وبين هذا الحى من قريش: لا معونة بيننا وبينهم فى أمر؛ فلا نبيعهم شيئاً، ولا نبتاع منهم، ولا نخالطهم فى شىء؛ وكل رحم بيننا مقطوعة حتى يفيئوا إلى أمرنا؛ فإنهم يوشكون إن بلغتْ هذه القطيعةُ أن تجف خضراؤهم فيموتوا جوعاً وعطشاً وعُرْياً، أو يعودوا إلينا مغلوبين وما تجرد سيف من غمده ولا أُريقَ دم!

« يا قوم، فإن رأيتم فهذه يدى، وليكن بيننا عهد مكتوب نعلقه فى جوف الكعبة توكيداً لما تقاسمنا عليه ... وإن أبيتم ... »

وصاح صائح من أقصى المجلس: « رضينا يا أبا الحكم! »

وجاء كاتبهم منصور بن عكرمة فأملى عليه:

« باسمك اللهم ...

« هذا ما تعاهد عليه أشراف مكة وذوو الرأى من قريش: أبو الحكم بن هشام، وأبو لهب بن عبد المطلب، ومنصور ابن عبد شرحبيل، وبغيض بن عامر ... أنهم بُرآء من بنى هاشم وبنى المطلب، لا يبيعونهم شيئاً، ولا يبتاعون منهم، ولا يخالطونهم

فى شىء ، وكل رحم بينهم مقطوعة ، حتى يفيئوا ... »

وتناول أبو الحكم الصحيفة فطواها ، ثم علقها فى جوف الكعبة ، ليشهد الله أمرهم وأمر بنى عبد مناف !

***

وأوى محمد وأصحابه إلى شِعب أبى طالب من شعاب مكة ، حتى يقضى الله أمراً بينهم وبين بنى عمهم من قريش ، ليس لهم مطامع إلا فيما بين أيديهم من طعام ولباس وشراب ، ولا يعرفون إلى كم يمتد الحصار المضروب عليهم فى هـذا الشعب الضيق ليس له إلا باب واحد يقف الأعداء بمرصد قريب منه يمنعون أن يدخل إليهم داخلٌ بشىء من الزاد أو الميرة ...

وتتابعت الشهور شهراً فى أذيال شهر ، والمسلمون فى معتقلهم من شعب أبى طالب ، لا يجدون من الطعام ما يغنى من جوع ولا من اللباس ما يدفىء من قر ، إلا ما يتسلل إليهم فى جنح الليل من شىء ليس فيه غناء يُرسله إليهم مَن يرسل من أبناء عمومتهم على حذر ورِقبة !

وجاء الموسم ، وأمّ الحجيج من قبائل العرب سوقَ مكة يسوقون الإبل قد أُوقِرَت طعاماً وبزًّا ليبيعوا ويشتروا ويتعوضوا

وطمع المسلمون أن يكون لهم من أولئك شىء ؛ فإن هؤلاء التجار العرب فى حل مما تعاقد عليه بطون قريش ، فإن لهم أن يبيعوا أبناء عبد مناف ما يشاءون من بضاعتهم يداً بيد ؛ فما كان لهم فى تلك (الصحيفة) الظالمة رأى ولا عقد

ويخرج مَن يخرج من المسلمين ليشترى زاداً من زاد القوم ويبيعهم مما عنده ، ويقف على صُبرة من قمح بهم أن يشتريها ، ويبصر به أبو لهب فيقوم فى السوق منادياً :

« يا معشر التجار ، غالوا على أصحاب محمد حتى لا يدركوا معكم شيئاً ، فقد علمتم مالى ووفاء ذمتى ، فأنا ضامن أن لا خسار عليكم ! »

ويسمع التجار ما قال أبو لهب ، فيزيدون على المسلمين فى السلعة قيمتها أضعافاً ، فيرجع المسلمون إلى أهليهم وما باعوا ولا اشتروا وليس فى يدهم شىء يَطعمون به ؛ ويغدو التجار على أبى لهب فيربحهم فيما معهم من الطعام واللباس !

ومضى عام وعام وأوشك ثالث ، والمسلمون حيث حصرهم أبناء عُمومتهم من قريش ، حتى جهدوا وأشفتْ نفوسهم على التلف جوعاً وعُريا ...

ويرى محمد ما أصاب أصحابه فى سبيل الله ، فيثبتهم ويربط على قلوبهم ، ويقول :

« لقد كان مَن قَبلكم ليُمشط بمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصب ، ما يصرفه ذلك عن دينه ؛ ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنين ، ما يصرفه ذلك عن دينه ؛ وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله ! »

فتهدأ نفوسهم مطمئنين إلى العاقبة !

ويبلغ بهم الجهد ، حتى يأكلوا ما يسقط على الأرض من ورق الشجر ، وحتى يصنعوا ما تصنع الشاة : لا تجد أكلاً إلا ما تتقمَّم من خَشاش الأرض ومن بارض النبت فى مسايل اللِّوَى ...

ويشد سعد بن أبى وقاص على بطنه من ألم الجوع حتى يكاد يلتصق بظهره ؛ وينال منه الجوع حتى يخرج فى سواد الليل يلتمس رمقَه ، فيطأ على شىء رطب ، فيضمه فى فمه فيبتلعه ، لا يدرى ما هو ، ولا يجد له فى فمه مذاقاً ! !

ويتضاغَى أطفال المسلمين من الجوع ، وتُسمع أصواتهم من وراء الشعب صائحين من السغب والمتربة !

والمسلمون على ما بهم : لم ينل منهم الكفارُ منالاً بما صنعوا لأنهم وهبوا نفوسهم لله ؛ فلا عليهم أن يموتوا جوعاً أو يموتوا مجاهدين فى سبيل الله ! ...

***

وتسامع المشركون بما نال محمداً وأصحابه من الجهد والمسغبة فمنهم من سرَّه ذلك ، ومنهم من ساءه ...

ويفرح أبو الحكم بن هشام بما نال المسلمين من الجهد والمسغبة ، ويستخفه الفرح حتى يأمل أملا ...

ويغضب من يغضب من قريش لما نال إخوانهم وأبناء عمومتهم من بنى عبد مناف ، وإن كانوا على دين محمد !

ويشفق هشام بن عمرو بن ربيعة على ما نال أخاه لأمه نضلةَ ابن هشام بن عبد مناف ، وكان مع المسلمين فى شعب أبى طالب ، فيأتى ببعيره قد أوقره طعاماً وبزًّا ... فيُقبلُ به فمَ الشعب ليلاً وقريشٌ فى غفلاتها ، ثم يخلع خِطامَه ويضرب على جنبيه فيدخل الشعب عليهم ليقتسموا ما يحمل من طعام وبَزّ ... وماذا يغنى بعيرٌ واحد والمسلمون كثرةٌ يكاد يقتلها الجوع والعرْى ؟ ...

ويقول أبو طالب لابن أخيه : « لقد بلغ الجهد منا ما ترى ، وإن رجالاً من قريش قد استشعروا الندمَ على ما تعاقدوا عليه ، لولا شرفُ السمعة وتهمة الخيانة لأحلوا أنفسهم مما ارتبطوا به من عهد الصحيفة ! »

وابتسم محمد بن عبدالله ، وقال : « يا عم ، إن الله قد سلّط الأرَضة على صحيفة قريش ؛ فلم تدعْ فيها اسماً هو لله إلا أثبتته فيها ، ونفتْ منها الظلمَ والقطيعةَ والبهتان ! » ...

ويفرح أبو طالب ويقول : « أربك أخبرك بهذا ؟ »

قال : « نعم ! »

... وخرج أبو طالب إلى قريش فى ناديهم ليتحدث إليهم فى أمر ...

ويصعب على هشام بن عمرو ما يلقى أخوه نضلة والمسلمون معه ، فيمشى إلى جماعة من أشراف قريش لهم فى بنى عبد مناف صهر وخئولة ؛ فيحرضهم على نقض الصحيفة ، رعاية لحرمات النسب وحفاظاً على حق الدم ، فيجتمع على رأيه بضعة نفر ، فيتوافون على ميعادهم إلى حيث كان وجوه قريش مجتمعين فى ناديهم من الحجر ؛ ويقدمهم زهير بن أمية (وأمه عاتكة بنت عبد المطلب) فيطوف بالكعبة سبعاً ثم يقبل على الناس فيقول :

« يا أهل مكة ، أنأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم هلكى لا يباع ولا يبتاع منهم ؟ والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة ! »

ويرتاع أبو جهل بن هشام لما يسمع ، فلا يكاد يرد رأيه حتى تأخذه الأصوات من كل جانب : « مزقوا الصحيفة ، لا نرضى ما كُتب فيها ونبرأ إلى الله منه ! »

تلك كانت أصوات هشام بن عمرو وأصحابه الأربعة : المطعم ابن عدى بن عبد مناف ، وزهير بن أمية بن المغيرة ، والعاص ابن هشام ، وزمعة بن الأسود

ويبلغ الغيظ بأبى جهل وأصحابه ما يبلغ ، أن رأوا ما أجمعوا عليه يحاول أن يخرج من أيديهم حين ظنوا أنهم من الغاية التى يهدفون إليها على خطوات ، وأن محمداً وأصحابه يوشكون أن يفيئوا ... !

وقال أبو جهل: هذا أمر قضى بليل، وما أحسبكم إلا دبرتموها فى غير هذا المكان !

ويقدم أبو طالب بن عبد المطلب فى جماعة من بنى أبيه قد لبسوا أحسن ما يجدون من الثياب ؛ فما إن يسمعون ما يقول أبو جهل حتى يبتدره أبو طالب : « بل هو أمرٌ قد قضاه ربُّ محمد! »

والتفت أهل النَّدِيِّ إلى حيث كان أبو طالب فى أهله ، لا يدرون ما يعنى مما يقول !

وتقصَّف الناس على أبى طالب يستثبتونه عما قال ، ومضى فى حديثه :

« ... بلى ، وإن بيننا وبينكم هذا العهد المكتوب فى الصحيفة ، فإن ابن أخى أخبرنى من أمرها ... فهلم إلى صحيفتكم ؛ فإن كان كما قال ابن أخى فانتهوا عن قطيعتنا وانزلوا عما فيها ؛ وإن كان كاذباً دفعته إليكم فما شئتم فافعلوا به ! »

ووثب المطعم بن عدى إلى حيث كانت الصحيفة فى جوف الكعبة ، وفض غلافها ، ونظر ، ونظر القرّاء ؛ فإذا الأرَضةُ قد لحستْها لم تتركْ فيها من شىء يُقرأ إلا « باسمِك اللهمّ »...

... ...

* * *

وخرج المسلمون من شِعب أبى طالب إلى فضاء مكة كعهدهم يوم كانوا ؛ وانفك الحصار الذى كان مضروباً عليهم ثلاث سنين لا يبيعون ولا يُباعون ؛ وإن كانوا من عداوة المشركين لهم وائتمارهم بهم فى حصارٍ أمنع وأبلغ ؛ ولكن شيئاً من ذلك لم ينلْ من نفوسهم ولم يوهِن عزائمهم

ومضت أربع سنوات أُخر ؛ ثم انطلق المسلمون من الحصار المضروب عليهم حول مكة كلها مهاجرين إلى حيث يؤلف محمد وصحابته حكومتهم فى دار الهجرة ؛ ولا تمضى إلا سنواتٌ من بعدُ ، حتى يكون محمد وأصحابه فى طريقهم إلى مكة يقودون الجحفل اللجب ليحاصروا مكة كلها ويُسلم إليهم أهلها صاغرين!

ودار الفلك دورته ؛ فإذا تلك القِلّة من بنى عبدمناف وجيرانهم الذين كانوا بالأمس محصورين فى شعب من شِعاب مكة لا يجدون ما يأكلون — قد وثبوا أكبر وثبةٍ عرفها التاريخ ، فإذا منهم القادة والسادة والأمراء، يضمون يدهم على مفاتيح خزائن الدنيا، ويبشرون بدين الله فى أربعة أقطار الأرض . ورفرفت الراية الإسلامية على قلاع فارس والروم والمغرب وأوربا ؛ ومضى جنود المسلمين من أبنائهم وحفدتهم يطئون العروش ويقتحمون الممالك وهتافهم يدوِّى حيث كانوا : « باسمك اللهمّ ! باسمك اللهم ! »

محمد سعيد العريان

حكم استئنافياً بحبس مصطفى حسنين صالح الجزار بالزيتون بالقضية ن ٣٤١ السيدة سنة ١٩٣٩ استئناف ٥٦٠ سنة ١٩٤٠ بجلسة ١٦ ديسمبر عشرين يوماً لبيعه لحوماً أزيد من التسعيرة .

ضع يدك في يد محمد

للأستاذ عبد المنعم خلاف



ضع يدك فى يد محمد وسر معه فى الطريق الذى شقه له بارئ الطبيعة بين السبل المتفرقة إلى الحقيقة والعدالة والسلامة الاجتماعية، وقوة الاعتزاز بالقيوم على السموات والأرض، وشدة الحرص على اتباع أسلوبه فى حفظ الفطرة سليمة من زيغ الحس وخداع الهوى وأفن الرأى وألاعيب الذكاء... تسلم لك نفسك أولاً، والإنسانية ثانياً، والطبيعة كلها ثالثاً

فلم يبق لك بد أن تفر إلى هذا الرجل وتستعينه فى جهاد ما يجتاح الأرض الآن من الشر والتقدير السيئ للنفس الإنسانية والحياة والاجتماع

ولم يبق لك بد كذلك أن تقيم المثل الأعلى الذى رسمه الله فى قلب هذا الرجل وعقله وتقذف به على الأمثلة السفلى التى رسمها الأنبياء الكذبة فى هذا الزمان

نعم إنك لست فى قوة هؤلاء الجبابرة، ولكن من هنا ستكون المعجزة. معجزة محمد فى صرع طواغيت الظلم والجبروت والحيوانية وتفريق الإنسانية وردها إلى الوحشية الأولى

إنك عرفت برأيك الحق الذى مع محمد، وتعرف الباطل الذى مع هؤلاء، فاعرف بعزمك وجهدك فى أى الصفين يجب أن تقف. ولن يغفر لك رب الحياة القيوم عليها والغيور على اطراد أسلوبه فيها أن تقف شيطاناً أخرس ترى الإنسانية — أثمن ودائع الله فى الأرض — تتخطفها الشرور وتتوزعها الأباطيل وتصرفها عن وجه الحقيقة والعدالة وتخرب بناء أجسامها وعمرانها بعد ما طال وسما

لقد سار شباب كل أمة وراء نبى كاذب يقول لهم: نحن! نحن! ولا أحد غيرنا ... فالشمس والهواء والغبراء والزرقاء لم تخلق فى عرف هؤلاء إلا لهم. وهذا كذب صارخ على الله، وحرب مصرّحة مستعلنة لما أراده من تنويع الناس، وشرود جامح عجيب من عقل الإنسان ذى الشطحات

ونحن لن نبحث عن رجل آخر نسير وراءه ينعق لنا وننعق له ونطلب منه مبادئ أخرى تجدد حياتنا، وإنما سنبعث محمداً فى نفوسنا ونسير وراءه فيهتف لنا ونهتف معه بما هتفت به السموات والأرض وكل قائم حقيق فى الفكر والحياة والزمان الأزل الأول وفى الأبد الآخر

فلن نصاب بعبادة الأشخاص وتأليه الأفراد. وهذه إحدى نعم الله فى محمد على الديمقراطية وميراثها. فقد كفل الله لكل نفس حق سيادتها واستقلالها بالعلم والرأى حين خولها القرآن: «مأدبة الله فى أرضه» وجعل مبادئه واضحة أمامها دائماً: «ولقد يسرنا القرآن للذكر، فهل من مدكر» وعلى قدر الامتلاء من مبادئ محمد و «تمثيل» الأشخاص لها يكون مركزهم من قيادة أممهم من غير سيادة فردية أو خيلاء عاهرة أو مجد شخصى يطلبونه ... وإنما هو ظلُّ مجد محمد وقع عليهم فأضفى عليهم لوناً من ألوانه

إن محمداً نفسه لم يطلب مجداً ولم يردد ذكر كلمة المجد الإنسانى على لسانه... وإنما كان يعرف أن المجد لله كله والتوفيق منه. وما كان قلبه يبيح له أن يطلب هذه الصغائر التى تذهب قيم العظائم. وإنما كان يذكر كلمة «الواجب» والجهاد له كثيراً ...

وإن من طبيعة الرسالة المحمدية أن تحطم الأنانية الفردية والكبرياء والخيلاء والادعاء، لأنها تعرف أن هذه الصغائر لا يقوم معها حق ولا فضيلة ولا دولة ولا سيادة قومية ولا مِلِّية. ولذلك خرج العرب بعد ما وعوا ما فى ألواح هذه الرسالة خافضى الجوانب من الطاعة والرحمة والتواضع فى غير ذلة «تتكافأ دماؤهم

ويسمى بذمتهم أدناهم» قد يركب عبدهم على دابة والسيد يسير بجواره. وقد يضع ابن البيضاء لابن السوداء خده على التراب استغفاراً من تعييره مرة بسواده وتوكيداً لاعتذاره ...

لقد أوشك أن يختفي اسم الله عن إنسانية هذا العصر، ويختفي ما كان يحيط بهذا الإسم من عالم الطهر والخير والصبر وانتظار الجزاء من وجه ذى الجلال، ويظهر وجه الشيطان والإنسان وحدهما. فأبطال الدنيا الحاضرة يخفون اسم الله عن أعين القطعان التى أسلمت قيادها لهم، وهم يجحدون بذلك كل جهاد أولى العزم من الرسل والمصلحين السابقين الذين أوصلوا الإنسانيـة إلى ما وصلت إليه، ويبدءون فلسفة أنانية ، ولا يرون من حقائق الحياة العليا إلا القوة

إنهم شككوا الناس فى رحمة الله وعدله وأوشكوا أن يريبوهم فى وجوده ! وبذلك خبلوهم وصرفوهم عن رؤية أول حق يجب أن يرى ...

لقد يتساءل بعض الذين لم يتصلوا بأصول الحيـاة : أين رحمة الله فى حرب مثل الحرب العظمى أو هذه الحرب التى توشك أن تكون أعظم ؟ وأين قيمة الإنسانية التى نزعم لها القداسة مع أن بعضها ينظر للبعض الآخر باحتقار ؟ إن معنى الإنسانية لم يتحقق حتى نعترف لها بالقداسة. إن الأبيض يدوس الأسود، والأحمر يحتقر الأصفر، والأصفر يحقد على الأبيض، وهكذا ... فهى إلى الآن لم تعترف لنفسها بحق، ولم تعرف وضعيتها فى الحياة، ولم تدر غايتها فيها ، ولم تتفق على كلمة سواء فيما بينها . وهى لا تزال فى بلبلة من آرائها ومعتقداتها ومذاهبها . وهى لا تزال تعيش بمنطق الأحراج والغابات، ولم تقلع بعد عن فجراتهـا وغدراتها وغفلاتها عن عالم السمو والعلم الذى ما خلقت إلا له .

وهذا التساؤل وهذا التشكك لا جواب له ولا شفاء منه إلا فى « الكتاب » الذى طبع اسم الله على كل شىء وفى كل وقت حتى يرى الناس به الحق دائماً ولا ينسوه . ولن يستقر كل شىء من عالم الآفاق وعالم الأنفس فى مكانه إلا إذا طبع اسم الله عليه. وعبثاً يطلب مصلح استقرار النفوس ما لم يكن هـذا أداتـه الأولى . وهذه هى طريقة القرآن فى كل آية : أن يذيّلها بذكر جانب من صفات الله وشؤونه

إن منطق الإسلام يستمد من قوانين الفطرة الضامنة لـكل ما أخرجته من الأحياء حق الحياة وأدواتها ، ومن روح الحق الذى يملأ كل ذرة من ذرات الخليقة

إن محمداً اتصل ببارئ الفطرة وواضع قوانينها التى لا تتبدل وأتى بمنطقه ووضعه دائماً أمام عين الإنسان ، حتى لا ينسى أخلاق الله فى ملابسته لجميع أعمال دنياه ...

ألم يقل : « تخلقوا بأخلاق الله » ؟ ما أعجب هذا القول ! وما أعظم ربطه بين النفس الإنسانية والطبيعة ذات القوانين التى لا تضل ولا تُخلف !

وخلافة الإنسان فى الأرض هى أن يعمرها على أسلوب الله : أى أن يضمن الحياة لـكل حى يستحقها ويقيم العدل الموزون بين العناصر ، ويستعمل قدرته ، ولا يعطلها بالجهل والمرض ... ويخلق من طين الأرض وموادها البكر الميتة آلات يقلد بها صنعة الله ، ويسيرها بعقله وذكائه كما يسير الله الأحياء بروحه وإلهامه ... على شريطة ألا يخرجه ذلك عن نطاق الطبيعة فينسى أنه من أبنائها وأشيائها ؛ ولـكنه دائماً يضل وينسى هذا ، لأنه ذو اختيار وذكاء وشطحات تباعد بينه وبين أسلوب الطبيعة ، وفتنته من هنا ... فهو يخلق بذكائه جواً صناعياً حوله يجعله منفصلاً عن سير الحياة بما عداه من الأحياء ، ويجعل بين عالمها وعاله حاجزاً ! ...

فلو أنه ملك فكره وقدرته حين بدء سير حياته العقلية ، ونظر نظرة فى النجوم : نجوم السماء ونجوم الأرض ، وقال كلمة القرآن التى هى معنى الإسلام : « إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفاً » ومضى مع مواكب الطبيعة حادياً لهـا بعقله وبيانه ، نائباً عنها فى النطق باسم ربها وربه ... إذاً لوضحت أمامه طريق الحياة وتراءت له غايتها مما يبعث فيه الطمأنينة واليقين والصبر وحب العمل لها ولما بعدها . والمنطق البسيط المأخوذ من هذه النظرة الواضحة يقول : مادام الناس متفرقين مختلفين فى الفطرة ولهم حق الحياة ، فمن الجهل والظلم أن أحتقر جنساً غير جنسى أو احتكر الحياة لنفسى وحدها ما دام كل إنسان لم يخلق نفسه ...

ومن حسن الحظ أن هذه النظرة الأولية الطبيعية تلتقى مع النظرة الناشئة من تتبع الميراث الصناعى لأساليب حكم الجماعة الإنسانية : أى مع أهم مخلفات الحياة الديمقراطية التى ارتاح لها الإنسان السياسى : ألا وهى حق الحياة وحريتها لـكل فرد ولـكل جماعة ...

ومن حسن الحظ أيضاً أن حراس الديمقراطية الآن — وإن كانوا أنقص من المسلمين بدرجة عظيمة فى تقديرهم معنى المساواة والحرية والرحمة والأخوة الإنسانية — مستعدون أن يسمعوا دعوة الإسلام لها وأن يأخذوا أصواتنا القديمة والحديثة فى الدعوة إليها والدفاع عنها ليضموها إلى أصواتهم وهم يحاربون أعداءهم

نعم نحن نفترق عنهم فى التقدير وفى الغاية ، فنحن نطلب الحق والحرية والعدالة لذاتها وللذة إحساس نفوسنا بسموها إحساساً مستنداً على حرارة الإيمان ويقين العقيدة الدينية ، وهم يطلبونها ويقدرونها لحفظ ما فى أيديهم من الحطام وأعراض الدنيا

غير أننا يجب أن ننتهز هذه الفرصة لندخل بمبادئ محمد إلى قلوب حراس الديمقراطية ، فلعل ما هم فيه من المحن والنكبات يجعلهم يقبلون على الخير والحق لذات الخير والحق ...

وما دمنا نعتمد على إعانة رب الحياة الذى نستمد من قوته وقهره للدفاع عن أسلوبه فى الطبيعة وحفظ فطرته كما أرادها ؛ فإننا واثقون أنه سيفتح لنا ثغراً فى حياة الغربيين ينفذ منها نوره الذى وضع مشعاله الأخير فى يد محمد

وأحس أن هذا الزمان يتمخض عن انقلاب خطير ! إما إلى عصر ارتداد وانتكاس وجاهلية جهلاء ... وإما إلى عصر سمو حقيقى للانسانية . فعلى الذين وهبوا أنفسهم للحق الذى عرفوه أن يأخذوا مكانهم فى الصف الذى اختاروه : صف الطبيعة ورب الطبيعة فى هذه المواقع الفاصلة بين قوى الخير وقوى الشر

إن قلب الإنسان يفعل الأعاجيب إذا ما اتصل بالخير ...

إن الرصد الذى يرصد إرادة القدر وجهاته حين يريد رب القدر أن يَفرقَ أمراً حكيما أو يبرمه

إنه مذياع أرضى يذيع النداء العلوى المتجدد ...

***

ونريد من الذين لا يعترفون بالديانات ولا يؤمنون بالغيب ولكنهم مألومون من حالة الشر التى فى الأرض الآن ، أن يقفوا فى صف محمد على أنه بطل يمثل آراءهم أصدق تمثيل وأقواه

وإن فى مبادئه عناصر بشرية خالصة مستمدة من طبيعة الأرض لا من روح السماء

فليعيشوا بمبادئه هذه فقط ، وليتركوا مبادئه السماوية للذين فى قلوبهم نوافذ ترى مالا تراه القلوب الضعيفة

ولعل النصر الذى يلاقونه من السير وراء محمد يرشدهم إلى أن فيه جانباً آخر ، فيحملهم ذلك على الإيمان بمصادر وحيه جميعها

وأؤكد أن ما فيه من السمو المتفرد سيحمل كل منصف على أن يرى تفرد قلبه وعقله بصفات لم يتصف بها أحد . وهذا أول درجات الاعتراف له بالاتصال بعالم خارج عن نطاق الأرض ما دام قد تفرد بين أبطال الدنيا الذين نظروا إلى الحياة من جهة واحدة ، بأن قلبه وسع كل حيوات الناس ، واستوعب قضاياهم ، وأتى من الله بصميم الحق الذى لا يتبدل فى الأمم والأمكنة والأزمان. ولا يعرف قدر محمد رسول الله وطبيعة تفرده بين البشر إلا الذى أغرم بقراءة تاريخ أبطال الدنيا . إنه لن يجد قلباً ولا عقلاً وعى ما وعى عقله وقلبه من الحق الصادق والحكمة البالغة ووسائل إمساك الإنسانية على حدود العدالة

وكثيراً ما أفترض أنى نشأت غير مسلم ، وأتخيل حياتى العقلية على هذا الفرض ، وقد أصابها ما يصيب أى عقل باحث من الشكوك وآثار استعراض الآراء والمعتقدات ، فأجدنى حينئذ كأعمى يخبط فى صحراء ، كل ما لديه من الإيمان ناتج من شعوره بالعجز المطلق أمام جبروت الكون وإبهامه وإصراره على إخفاء ما وراءه من أسراره ... فماذا عساه أن يفعل إزاء هذا غير البكاء الدائم من عينيه القلقتين المظلمتين إن كان محساً بالحياة مقدراً لمصيرها المجهول ... ؟ وغير اللعن الدائم للسموات والسعى بالإفساد فى الأرض إن كان بليد الإحساس بالحياة ، غافلاً عن مصيرها ... ؟ وغير اللِّياذ بصنم : بشرى أو حجرى أو شجر أو شمس أو قمر أو ثعبان أو بقر، إن كان محدود النفس جبان الرأى ؟

أما الإيمان المشرق الواضح الذى يميز كل شىء ويضعه فى مكانه، ويعرِّف ربَّ الكون بما يشبع رغبات العقل من غير إفساد لائتلاف العقيدة مع العلم ومع الفلسفة ويضع للانسان غاية معروفة للحياة ... فذلك ما كنت أفقده لو لم أنشأ مسلماً

وهكذا يبزغ الفجر العقلى الجديد لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وسيتحول حب المؤمنين به الباحثين فيه إلى حب عقلى وتقدير بمقاييس موضوعية لا ذاتية إذ عرفوا أن رسالته لا تضارعها رسالة حديثة أو قديمة على كثرة تقلب الدنيا فى المعتقدات والمذاهب والآراء .

(القاهرة) عبد المنعم خلاف

خباب بن الأرت

للأستاذ كامل محمود حبيب

« رحم الله خباباً ، أسلم راغبا ، وهاجر طائعاً ، وعاش مجاهداً ، وابتلى فى جسمه أحوالا ، وإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا » (على بن أبى طالب)



هذا هو (خباب ابن الأرتّ) فتى لم يبلغ الثلاثين من سنى حياته ، أيْدٌ جَلد، وثيق الأركان متكتل العضل يغدو ويروح على حاجات مولاته (أم أنمار) وحديث قريش ما ينفك يصك مسمعيه ، وهو عنه فى شغل ... ودوّى الحديث فى أرجاء مكة يزلزل القلوب والأقدام وعلى كل لسان كلمة واحدة : محمد ... محمد ! وإن زعماء قريش وذوى الجاه فيها ليضطربون يوجسون خيفة مما جاء به محمد

وجلس خباب إلى نفسه يقلب الرأى ، وقد فرغ من حاجات سيدته : محمد ! أى بأس على الرجل ، وهو الصادق الأمين ؟ تالله ما علمنا عليه من سوء منذ كان . أفيفترون عليه الكذب بعد أن بدا الشيب فى صدغيه ؟ ثم ما هذه الأصنام التى أراهم يعبدون ؟ أخفاً أن فيها آلهة ؟ ليت شعرى أى الحزبين أهدى سبيلاً وأقرب رشداً ؟

ثم ... ثم غدا على مجلس رسول الله (ص) يريد أن يستطلع خبر الدين الجديد ؛ وإن رجليه لتختلجان من الرعب ، وإن قلبه ليتفزّع من الذعر ، خشية أن تراه أعين شياطين قريش فيبطشوا به ، وهو هنا وحده لا تربطه بالقوم آصرة رحم ولا وشيجة قربى فيأمن كيدهم أو ينجو من مكرهم .. وفى مجلس النبى الكريم جلس خباب يسمع ، وإن حلاوة الحديث لتبدد وساوس نفسه ، وإن الإشراق الإلهى ليتدفق فى قلبه فيجلو صدأه ، ثم ... ثم اطمأن قلبه للإيمان ، فبدا رجلاً غيره ، يعلن عن إسلامه فى غير رقبة ولا حذر

يا عجبا ! أى سر خفى انصب فى قلب الرجل فأصبح لا يفزع من شر قريش جميعاً ، وهو كان يفرق من أن تراه عين وهو يدلف إلى مجلس رسول الله (ص) ؟ لا ريب فهـذا هو الإيمان الحق حين يتغلغل فى النفس ، فينتزع الإنسان من معانيه الأرضية ليكون فى معانيه السماوية فحسب

ورضى رسول الله (ص) عن خباب فكان يحبوه بعطفه ، ويخصه بعنايته ، ويألفه ويأتيه. وتناهى الخبر إلى سيدته (أم أنمار) فحاولت عبثاً أن تقف بينه وبين سيده . ولما أعجزها أن تنال بغيتها راحت تذيقه العذاب البئيس فى غير شفقة ولا رحمة . ثم ... ثم انفلت إلى رسول الله (ص) يكشف له عن أثر ميسم أم أنمار فى رأسه ، وعيناه تتحلبان من فرط الأسى ، فدعا له النبى : اللهم انصر خباباً . فما تلبث غير قليل حتى أخذت أم أنمار العلة ، فهى تعوى عواء الكلاب ، وخباب يكوى رأسها بميسم يتوهج ، علها تبرأ من علتها أو تذوق وبال أمرها

وكبر على قريش أن يقوم رجل منهم يثلب آلهتهم ويسفه أحلامهم ويعيب دينهم ، فشرى الأمر بينهم وبين النبى الكريم ، فتذامروا يتواثبون على المسلمين يعذبونهم فنوناً من العذاب ، وإن الشيطان ليوسوس لهم يريد أن يدفعهم إلى غاية ، وهم يرتدغون فى الضلالة ، ويتخبطون فى الظلمات ، وقد طم العمى على قلوبهم ، وبين أيديهم جماعة من ضعفاء المسلمين : خباب وصهيب وبلال وعمار وسمية و ... يلبسونهم أدراع الحديد ، ثم يلقون بهم بين لفحات الحر ووقدات القيظ ، وهم صُبُر على حر الحديد وأوار الشمس ، وخباب من بينهم تسخر شجاعته من غيظ الكافرين .

يا لله ! إن فى الإنسان نوازع إذا سيطرت عليه استحال إلى حيوان لا يجد فى نفسه معنى من معانى الإنسانية ، وهكذا كانت قريش حين أخذتهم ثورة الغضب والغيظ ، ورانت عليهم سورة السلطان والجاه ، فذهبوا يفتنون فى أذى المستضعفين من المسلمين ...

أى شىء جنى خباب فيلصقوا ظهره بالرضف فى قسوة وغلظة ثم ما يزالون به حتى يذهب لحم متنه ؟

أى ذنب ارتكب خباب فيأخذوه إلى نار تتسعر يسلقونه فيها ، ثم ما يبرح الواحد منهم يضع رجله على صدره ، فما يتقى الأرض إلا بظهره ؟

واستشعر خباب العذاب يأكل لحمه ويفرى جلده ، وما له مفزع سوى رسول الله (ص) فانطلق إليه يستنصره على ما يلقى من فظاظة قريش وجفوتهم ... فقال له رسول الله (ص) وإن أثر الغضب ليبدو فى وجهه : « قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له فى الأرض ، ثم يجاء بالمنشار فيجعل فوق رأسه مايصرفه عن دينه ، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم وعصب ما يصرفه عن دينه ، وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخشى إلا الله عز وجل والذئب على غنمه ، ولكنكم تعجلون » . فخرج خباب ورفاقه من لدن الرسول يستعذبون الأذى فى سبيل الله

وفزع المسلمون بدينهم إلى الحبشة ، وخباب بإزائهم يودعهم إلى مهاجرهم ، وعيناه تفيضان من الدمع حزناً على فراق أحباء نفسه فى العزاء ورفقاء قلبه فى الشدة ، ثم هو ما يريد أن يتحول عن مشرق النور من وجه النبى الكريم ، على حين يرى فيه السلوة والعزاء ؛ وقريش تشتط فى عذابه ، فما تنال منه أرباً ، ولا تبلغ منه غرضاً وفى قلبه الإيمان ...

وهاجر - فيمن هاجر - إلى المدينة ليعيش إلى جانب سيده يشهد المشاهد كلها لايستشعر الوهن ولايتسرب إلى نفسه الخور، ثم هو بين صحابة الرسول (ص) فى المنزلة والشرف ...

ولحق النبى الكريم بالرفيق الأعلى ، فتهطلت عبرات خباب مدراراً حين أحس لذع الفراق فى قرارة نفسه ، غير أن الأسى ما كان ليبذر فيه غراس الوهن فى دينه أو الضعف فى إيمانه ، فانطلق إلى غايته يبذل النفس والمال فى سبيل الله ، وصحابة رسول الله (ص) يعرفون له حقه ويكرمون وفادته . وإن عمر ابن الخطاب فى خلافته ليراه يدخل عليه فيقول له : ادنُ ، فما أحد أحق بهذا المجلس منك إلا عمار بن ياسر . فيأخذ خباب يريه آثاراً فى ظهره مما عذبه المشركون ...

لقد كشف عن ظهره لينشر آلام جسمه على عينى عمر ، أو ليكشف عن سمات جهاده فى دين الله ، فإذا هو قد برص من كثرة ما ناله من أذى ...

وانشقت العصا ومرج الأمر وراح كل حزب بما لديهم يفاخرون ، وخباب بالكوفة بين صحابة على تحبسه العلة ، ويقعده السقام ؛ فلا يجد القوة على نصرة علىّ بنفسه... وألح عليه المرض يدفعه إلى غاية كل حى وفى نفسه أن يتمنى الموت ، من طول ما عركه المرض ، لولا أنه سمع رسول الله (ص) يقول : لا ينبغى لأحد أن يتمنى الموت ...

وعاد خباباً نفرٌ من أصحاب رسول الله (ص) وهو فى علته التى مات فيها فقالوا له : أبشر يا أبا عبد الله ، إخوانك تقدم عليهم غداً . فتدفقت العبرات من عينيه وهو يقول : أما إنه ليس بى جزع ، ولكن ذكرتمونى أقواماً وسميتموهم لى إخواناً ، وإن أولئك مضوا بأجورهم كما هى ، وإنى أخاف أن يكون ثواب ما تذكرون من تلك الأعمال ما أوتينا من بعدهم . هذا هو كفنى قباطى ، ولكن حمزة عم النبى (ص) كفّن فى بردة كانت إذا مدت على قدميه قلصت عن رأسه ، وإذا مدت على رأسه قلصت عن قدميه حتى جُعل عليه إذخرٌ(1) . ولقد رأيتنى مع رسول الله (ص) ما أملك ديناراً ولا درهما ، وإن فى ناحية بيتى الآن ، فى تابوتى ، ألف وافٍ . ولقد خشيت أن تكون قد عجلت لنا طيباتنا فى حياتنا الدنيا

لا ضير ، فهذا حديث خباب بن الأرت سادس ستة أسلموا أول ما بزغ النور الإلهى من جبين المصطفى (ص) هو حديث الإيمان المحض الذى ما يزال يتوثب فى القلب فيشغله عن آلام نفسه ليذره بين الطمع والخوف

ودفن خباب - أول من دفن - بالظهر من الكوفة

ومرّ علىّ - حين رجع من صفين - بقبر خباب ، يشيّع الراحل بكلمات : رحم الله خباباً ! أسلم راغباً ، وهاجر طائعاً ، وعاش مجاهداً ، وابتلى فى جسمه أحوالاً ، وإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً .

فرحم الله خباباً .

كامل محمود حبيب

---

(1) هو حشيش أخضر طيب الريح .

فى دار الأرقم

للأستاذ ناجى الطنطاوى



اختفت شمس مكة وراء الأفق الساجى ساحبة ما تبقى من أشعتها الذهبية على قمم الجبال الشامخة، وعلى صدور الهضاب المتموجة ، بعد أن لبثت نهاراً كاملاً تبعث الدفء والنور والحياة، وغام الأفق فى مكة وبدأ ينتشر فيها الظلام ، وما هى إلا لحظات حتى لفها الليل بردائه الحالك وظهرت الكواكب فى سمائها تلتمع خافقة واجفة ، تزين تلك السماء الرحيبة الواسعة كما تزين الأوسمة الفضية الثمينة صدر القائد الكبير ؛ وأوى الناس إلى دورهم يستنشقون فيها نسيم الراحة بعد تعب النهار الطويل ، ويفيئون فيها إلى الدعة والسكينة بعد صخب النهار الشديد ، وبدأت أضواء المصابيح الخافتة فى الليل الأسود كأنها رقع فى ثوب أو دنانير فى جيب

وعم جبل أبى قبيس سكون رهيب ، وصمت بالغ ، وامتد (الصفا) فى ذروة هذا الجبل رحيباً واسعاً باسماً جميلاً ، يتمشى مع (المروة) جنباً إلى جنب ، يحضن بضع دور قامت على جانبيه هى دور نفر من أهل مكة رغبوا عن سكنى مدينتهم التى تعج بالآهلين ، فأحبوا الانطلاق إلى الفضاء الواسع ، إلى الطبيعة الفاتنة ، إلى النسيم الصافى العليل ، فلم يلقوا خيراً من جنبات الصفا يلقون فيها عصيهم ، ويبنون بها دورهم ، ويحيون فيها حياة هادئة سعيدة

وكان الناظر إلى هذه الدور القليلة المنثورة هنا وهناك على أرض الصفا ، يستقر بصره على دار قد نأت قليلاً وانفردت ، دار متواضعة صغيرة شيدت بالطين والقصب ، وأحاطت بها الرمال الدكناء والصخور الجرداء ، لا يشك أنها دار الأرقم بن أبى الأرقم ذلك الرجل العربى الذى كان يعيش من نتاج ناقته من اللبن ، ومحصول أرضه من الشعير ، لا يعرفه إلا نفر قليل من صحابه ، ولا يدرى بوجوده إلا أفراد معدودون من أهله

كان الأرقم مغمور الذكر ، مجهول الاسم ، يحيا كأكثر رجال قومه حياة ساذجة بسيطة فارغة متشابهة ، هى بحياة الحيوان أشبه ، يقضى نهاره فى جمع الماء والحطب وسقى الزرع واستدرار النوق والأغنام ، ويقضى ليله بين أهله يحدثهم ويحدثونه ثم يستلقى نائماً حتى الصباح

وقد كان من الممكن أن تظل حياته سائرة على هذا النمط ثم يموت فلا يدرى به أحد ؛ كما مات كثير من قومه فمات معهم ذكرهم ، وقد كان من الممكن أن تبقى داره متواضعة حقيرة لا يعرفها أحد ولا يهتم لها إنسان ، لولا أن الله سبحانه أراد لحكمة بالغة أن يجعل اسم الأرقم فى فم الزمان ، يتألق فى التاريخ الإسلامى كما تتألق الدرة الثمينة فى القصر الفخم العظيم ، وأن يجعل تلك البنية الخاشعة الصغيرة المشيدة بالطين والماء ، منبع حضارة هدت العالم ، ومنبثق دين ساد الكون ...

كانت الدار حقيرة كأمثالها من دور العرب فى زمن الجاهلية الجهلاء ، يقطنها عربى جاهلى ساذج مع أمه العجوز وزوجه الشابة وصغارها ، يحيون حياة بدوية بسيطة ، لا تمت بنسب إلى الحياة الفخمة المعقدة ذات التكاليف والواجبات الثقيلة ، أكان يدور بخلده أن حياته ستنقلب رأساً على عقب ؟ أكان يحلم أن داره ستصبح فى يوم قريب أعظم مجلس نيابى قام على الأرض ؟ أكان يظن أن شمساً ستشرق من داره فيعم نورها أرجاء الأرض ويحيا بها العالم ؟ ...

خرج صباح يوم من داره يجول جولة بين قومه على عادته ، يتسقط الأخبار ، ويصغى إلى الهمسات والأحاديث ... فسمع نفراً منهم يتحدثون عن محمد بن عبدالله بن عبد المطلب ، حديثاً أثار

اهتمامه ، فأصغى إليه بكل جوارحه ، ولاح له من كلامهم أن دعوة جديدة سيئة منكرة يقوم بها هذا الرجل ، وبدت له شناعة هذه الدعوة وقبحها من كثرة الشتائم التى سمعها تنهال على صاحبها ، فأكبر الأمر ، وهاله أن يكون فى قومه من يبتدع منكراً من القول يلفت به الناس عن دين آبائهم وعاداتهم وأخلاقهم ، وصمم ليفتشنّ عن محمد ، وليجتمعنّ به ، وليسمعنّ كلامه الجديد ...

ومشى ذاهلاً يتملكه العجب من هذا الذى سمعه ، وهو يعرف « الأمينَ » أحسن قومه خلقاً وأطهرهم نفساً وأبعدهم عن المفاسد والمعاصى ، وأكثرهم أدباً وعقلاً ورزانة وحلماً وعفافاً ، وأصدقهم ، وأرقهم قلباً وأكثرهم عطفاً على المساكين والأطفال واليتامى والبائسين ... إنه لا يعرف رجلاً أطهر ولا أشرف ولا أكرم ولا أصدق من محمد ... إن قومه لم يعرفوا له كذبة واحدة ، ولم يستطيعوا أن ينسبوا إليه عملاً سيئاً قبيحاً واحداً ، فما الخبر ؟ وما هذه الدعوة الجديدة ؟ !

وسار الأرقم ، وظل سائراً ، وهو يسأل الناس الذين يلقاهم عن محمد ، حتى دل عليه ، ووصل إليه ؛ فرآه فى جماعة من قومه يدعوهم ويحدثهم ، فجلس لا يشعر به أحد ، وأصغى ، فسمع محمداً يقول : « قل تعالوا أتلُ ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً، وبالوالدين إحساناً ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ، ولا تقربوا الفواحشَ ما ظهر منها وما بطن ، ولا تقتلوا النفس التى حرّم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون »

وسكت محمد رسول الله ، وانفض القوم ساخرين ، واقترب الأرقم منه وقال : إن كان الإسلام ما تقول ، فأنا على دينك ، أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ...

* * *

قام النبى صلى الله عليه وسلم يدعو الناس إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة ، ويتلو عليهم بعض آيات القرآن الذى كان ينزل عليه ، فلا يجد منهم إلا الإعراض والهزء والسخرية ، بل كانوا يتجاوزون ذلك إلى إنزال الأذى به وبأصحابه القلائل الذين فضلوا الإسلام على الشرك ، وأمعنوا فى الأذية ، وتدرع المسلمون الصبر ، ورأى الأرقم ذلك فداخل قلبه الهم الكبير والحزن المضنى ، وعزم على تخفيف آلامهم وشقائهم مهما كلفه ذلك، ووطّن نفسه على تضحية روحه وأهله وما يملك فى سبيل هذه الدعوة الجديدة التى تغلغلت فى كل جارحة من جوارحه

جلس فى إحدى زوايا داره الصغيرة يفكر ويمعن فى التفكير: لقد كنت ضالاً فأنعم الله علىّ بالإسلام ، وكنت لا أهتم بسوى نفسى وأسرتى فأصبحت يملأ رأسى التفكير فى هؤلاء الإخوان الذين تربطنى بهم أقوى رابطة فى العالم ألا وهى رابطة الإسلام ؛ وكان أكبر واجب ملقى على عاتقى هو تأمين معاش هذه الأسرة الصغيرة فأصبح من أوجب الواجبات علىّ اليوم أن أنهض لأدعو إلى الإسلام ، لألاقى من الأذى ما لاقاه إخوانى ، أو أن أحميهم بما أحمى به أهلى وولدى ، وكيف لى بحمايتهم ؟ أم كيف لى بدفع الأذى عنهم ؟ لا بد من العمل ، لا بد من العمل

وراح يستعرض المسلمين فى مخيلته ليقف على عددهم ، فوجدهم ستة ورأى نفسه السابع (١) ، وفاجأته فكرة ملهمة رد لها قلبه واطمأنت إليها جوارحه : إن فى دارى متسعاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولإخوانى المسلمين ، وإن فيها أمناً لهم وخلاصاً من شقائهم ، أفلا أستطيع أن أضمهم فيها على غير علم من المشركين ؟

وأسرع إلى رسول الله ، فأعلن أمامه الرأى الجديد ، وبسط بين يديه الأسباب التى دعته إليها وقال له :

— إننا ضعاف يا رسول الله ، لا قبل لنا بهذه الوحوش الكاسرة ، وإن الأذى الذى يصيب المسلمين قد اشتدت وطأته أفلا نأوى إلى دارى لنجمع شتات أمرنا ونغيب عن أعين أعدائنا وننتظر فرج الله ؟

فأكبر فيه الرسول الرحيم صلى الله عليه وسلم هذه التضحية ، وأذن له بإيواء المسلمين .

* * *

نشر الفجر البسّام أجنحته اللؤلؤية الخفاقة على أرجاء الكون الغارق فى السكون ، المجلل بالسواد ، الرازح تحت أعباء الوحشة ، النائم تحت كلّة الليل، فاخترقت سُدف الظلام ومزقتها ، وأضاءت

(١) المستدرك للحاكم

أرجاء الفضاء الرحيب وأنارتها ، واحتدمت المعركة بين الجيشين : جيش الليل الذى أنهكه طول السهر وكثرة السمر ، وجيش النهار الذى يملأ بردتيه عزم الشباب وتدفعه الأمانى العذاب ، وانجلى النضال عن تبدد العتمة وإشراق النور ، وأطلت ذكاء من وراء الأفق البعيد الصافى ، باسمة طروباً خلاّبة ، وافترت لوهاد مكة وجبالها ودورها عن ابتسامة مغرية جذابة ، فابتسمت لها مكة مجيبة شاكرة ، ورقصت على جنبات الأفق الوهّاج أطياف من السحر والشعر استيقظ الناس على منظرها الخلاّب ، وبدأت الحياة تدب فى أرجاء مكة التى نضت عنها رداء النوم لتستبدل به درع الجد والنشاط ، وهبّ المشركون غاضبين صاخبين مصممين على إفناء هذه الطغمة التى تضم أفراداً قلائل منهم ، فتنوا عن عقيدتهم بعقيدة جديدة تقضى على كل ما خلف لهم الآباء والأجداد من آلهة . وليس بعجب أن يقوموا منذ الصباح الباكر يعدّون العدة لعملهم السافل الدنىء ؛ فلقد كانوا يحلمون فى الليلة الماضية — وفى كل ليلة — بهؤلاء الأفراد الذين تحمّلوا كل أنواع الأذى فى سبيل عقيدتهم ، ولم يكن يبدو على أحد منهم أنه سينفد صبره وتضعف مقاومته ، كانوا يعجبون لقوة رسوخ هذا الدين الجديد فى النفوس وتمكنه فيها واستهانته بكل أنواع الأذى والعذاب فى سبيل بقائه سالماً ، وكانوا يخشون إن هم خلوهم وغضوا عنهم الأبصار ولم يأبهوا لهم ، أن يجذبوا إليهم عدداً كبيراً من العرب فيصبحوا قوة لا طاقة للمشركين بها ،

وراح المشركون يفتشون عن الأفراد الصابئين فى الأسواق وفى الساحات العامة ، وفى ظل الحرم ، وفى دور مكة المجتمعة ، ولكنهم باءوا بعد سعيهم بالفشل، ولم يجدوا لهم أثراً، كأن الأرض ابتلعتهم وغيّبتهم ، فعادوا خاسرين أذلاء كما يعود الجيش مهزوماً مدحوراً . أجل، لقد اختفى المسلمون فى تلك الدار النائية القائمة على الصفا ، جمعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخفّ عنهم الأذى ويزول عنهم الألم ، تحلقوا حوله فى خشوع وصمت يستمعون إلى آيات القرآن الكريم التى يوحى الله إليه بها ، ويصغون إلى مواعظه فتمتلئ أفئدتهم برداً وسلاماً وإيماناً ويقيناً ، وتفيض نفوسهم شجاعة وعزماً، فيشعر كل واحد منهم أن فى استطاعته أن يقاتل ألفاً من المشركين وأن يدحرهم ويردّهم على أعقابهم خاسرين

جلس إلى جانب النبى صلى الله عليه وسلم فتى فى ربيع حياته ، كانت له دالّة كبيرة عليه حتى إنه كان يدعو نفسه زيد بن محمد ؛ لقّب نفسه بذلك حين أخرجه رسول الله إلى الحجر وقال : اشهدوا أن زيد بن حارثة ابنى يرثنى وأرثه وكان أول من أسلم من الموالى ، وجلس إلى جانبه رجل ربعة حسن الوجه رقيق البشرة ، عظيم اللحية ، بعيد ما بين المنكبين ، وضىء ، أبيض مشرب بصفرة ، جعد الشعر ، ذو جمّة عند أسفل أذنيه ، جذل الساقين ، طويل الذراعين ؛ ذلك هو عثمان بن عفان ذو النورين الذى يقول فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : لكل نبىّ رفيق ، ورفيقى فى الجنة عثمان . وجلس إلى جانبه طفل صغير لا يتجاوز العاشرة من عمره هو الزبير بن العوّام حوارى رسول الله وابن عمته صفية بنت عبد المطلب علّقه عمه فى حصير ودخّن عليه ليعود إلى الكفر فقال : لا أكفر أبداً ، وظل متمسكاً بدينه يحرص عليه حرصه على روحه . وجلس إلى جانبه رجل طويل القامة أبيض مشرب بحمرة ، حسن الوجه ، رقيق البشرة ، أهدب الأشفار ، أقنى الأنف ، طويل النابين الأعليين ، ضخم المنكبين ، غليظ الأصابع هو عبد الرحمن بن عوف . وإلى جانبه شاب فى العشرين من عمره نشيط قوىّ حديد النظرات مفتول الساعدين هو سعد بن أبى وقاص. وجلس فى الناحية المقابلة رجل مربوع إلى القصر ، أبيض يضرب إلى الحمرة ، ضخم القدمين ، رحب الصدر آدم كثير الشعر ليس بالجعد ولا بالسبط هو طلحة ابن عبيد الله الذى أسلم على يدى أبى بكر . وإلى جانبه رجل نحيف ، معروق الوجه ، خفيف اللحية ، يبدو عليه الخشوع والتذلل هو عامر بن عبدالله بن الجراح أمين هذه الأمة . وإلى جانبه أخ لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاع هو عبد الله بن عبد الأسد الذى يكنى أبا سلمة . ولقد أسلم عثمان والزبير وعبدالرحمن وسعد وطلحة على يد أبى بكر الذى كان يجلس إلى يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم ملتفعاً بعباءته متوجهاً بقلبه وجسمه إلى إخوانه المسلمين يؤنسهم ويكبر فيهم الثبات على الحق

وكانت الغرفة الأخرى فى الدار ممتلئة بأفراد آخرين من المسلمين كعثمان بن مظعون وأخويه قدامة وعبد الله وكعبيدة بن الحارث وسعيد بن زيد وامرأته فاطمة ابنة الخطاب . كانوا يتحدثون تارة ويذكرون الله أخرى ، ويتواصون بالصبر والثبات على كل أذية حتى يقضى الله أمراً كان مفعولا

فى هذه الدار المنعزلة ولد الإسلام من جديد ، وشـيِّد أول ركن من أركانه ، وبزغ أول شعاع من أشعته الوهاجة التى أضاءت العالم ... إلى هذه الدار المنعزلة كان يأوى كل يوم أفراد من العرب يهجرون أباطيل أجدادهم وأصنامهم ويسلمون على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وينضمون إلى إخوانهم فيزيدون قوة ... ولم تمض إلا أيام قليلة حتى أصبح المسلمون فيها تسعة وثلاثين يعبدون الله مستخفين ينتظرون القوة والمدد من الله ، ولكن رجلاً لا كالرجال أسلم وانضم إليهم وكملوا به أربعين لم يرضه أن يبقوا مستخفين خائفين بل قال : يارسول الله ، ألسنا على الحق؟ قال : بلى . قال : والله لن نبقى هنا ، ولا بد من الخروج ... ذلك هو عمر بن الخطاب

وكانت خاتمة هذه الدار التى كانت أول مرحلة من مراحل الإسلام ، خاتمة رهيبة عظيمة سارة نخمة ، إذ خرج منها المسلمون وهم يكبرون معتزين فخورين ، فكأن جدرانها وأرضها وسماؤها وكل شبر فيهـا قد نفخ فيهم روح العزة والفخار والجرأة ، فأصبحوا لا يبالون شيئاً فى سبيل الإسلام

لك الله أيتها الدار ! لقد لمت شمل المسلمين بعد أن كادت تفتنهم وحشية المشركين، ولقد آويت المسلمين وأمّنتهم وزدتهم قوة بزيادة عددهم. لقد كنت الحصن الذى رد عن المستضعفين قنابل الظالمين، ولقد كنت أول مسجد جمع المؤمنين تحت راية رسول الله وفى كنفه

سنذكركِ كلما ألمت بنا النكبات ، وحاقت بنا المصائب ، ودهتنا الدواهى ، وسنتأسى بذكراك كلما رأينا ضعف المسلمين وخذلانهم ، وتأخرهم وذلهم ، فلن يعرف اليأس إلى نفوسنا سبيلاً ولن يزيدنا الضعف إلاّ قوة . لقد كان المسلمون فيك أفراداً معدودين لا سلاح لهم إلا إيمانهم وعقيدتهم ، تألب عليهم قومهم وناصبوهم العداء والأذى وهم ألوف مؤلفة ، ولكن النتيجة كانت للاسلام الذى قضى أيام طفولته فى دار الأرقم

عليكِ وعلى صاحبكِ وأضيافه رحمة الله ، وعلى أشرف الخلق صلاة الله وسلامه

(دمشق) ناجى الطنطاوى

من معاني الهجرة

للأستاذ محمد أحمد الغمراوي



لعل أكبر أيام الإسلام بل أيام الإنسانية كلها بعد يوم الرسالة هو يوم الهجرة

لقد كانت الهجرة الكريمة بدء عهد عزة الإسلام وانتشاره، عهد الجهاد الإيجابي في سبيل الله بالنفس والمال. إن النبي صلوات الله عليه كان طبعاً يجاهد في سبيل الله بالنفس منذ الأول بتعريضه نفسه الشريفة للخطر الشديد في تبليغ الدعوة قبل الهجرة. أما المسلمون قبل الهجرة فكان جهادهم جهاد المستضعفين: كان جهاد صبر على الأذى وتمسك بالدين رغم الاضطهاد، ومن يقرأ تاريخ الإسلام قبل الهجرة ير عجباً من أمثلة ذلك التمسك رغم الأذى البالغ والعذاب الشديد. لكن الجهاد في سبيل الله يجب ألا يقتصر على الجهاد السلبي، جهاد الصبر على الأذى من غير مقاومة إيجابية للمؤذين. صحيح أن المسلم يجب أن يتمسك بدينه وأن يعمل به رغم كل المثبطات ورغم كل الصعاب لكن يجب عليه أيضاً ألا يقر للذل، ولا يقيم على الضيم، فإن الإسلام دين عزة «ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين». فإذا وُجد المسلم بدار مَذلة، لا يستطيع أن يقيم فيها دينه كما يجب أن يقام، وجب عليه أن يهجر تلك الدار ولو عزت عليه، وأن يهاجر منها إلى حيث يستطيع أن يعبد ربه ويقيم دينه حراً عزيزاً لا يخضع إلا لله، ولا يرى لأحد حقاً عليه إلا بحق الله

وهذا هو درس الهجرة الأول. لقد هاجر النبي صلوات الله عليه من مكة وهي أحب بلاد الله إليه، وهاجر المسلمون الأولون وقلوبهم تتلفت إلى ما خلفوا وراءهم من الأهل والمال والوطن. تتلفت ولكن لا تؤثر على الدين من ذلك كله شيئاً. إذا لم يمكن إعزاز الدين وإحياؤه وإقامة أحكامه إلا بمفارقة ما يعز من أهل ومال ووطن، فليفارقه المسلم ويهاجر في سبيل الله فراراً بدينه وطلباً لإعزازه. «ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مُراغماً كثيراً وسعة ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله» وصدق الله

إن واجب الإنسان الأول هو واجبه نحو خالقه الذي خلقه ورزقه الأهل والولد والمال والوطن. الأهل والولد والمال والوطن والنفس من أجلّ نعم الله على الإنسان، لكن من الحق أن يجعل الإنسان نعم الله عليه سبباً لمعصية الله أو الكفر به، من الحق المطبق أن يؤثر الإنسان على ربه شيئاً مما وهبه ربه، فإيثار الدين على كل ما يعزه الإنسان من مال وأهل ونفس ووطن هو درس الهجرة الثاني، الذي يجب أن يتعلمه المسلم ولا ينساه، هما درسان عظيمان من دروس الهجرة النبوية الكريمة يجب ألا ينساهما المسلم: درس عدم الإقرار للذلة في الدين بأي صورة أو لأي سبب، ودرس إيثار الله ودينه على كل شيء مما خلق الله ومما يعلق به قلب الإنسان

إن قلب المسلم يجب ألا يستشعر خوفاً غير خوف الله، ولا رجاء إلا رجاء الله الذي خلقه والذي له مقاليد السموات والأرض وبيده نواصي العباد. هذا هو التوحيد المطلق، وهذا هو الإسلام لله، ومدى التفاضل والتفاوت في هذا واسع عظيم كما ترى، لكن على المسلم أن يجتهد في تحقيقه ما استطاع. عليه أن يحب الله فوق كل شيء؛ ويؤثر الله على كل شيء، ويضحي في سبيل الله إذا لزم الأمر بكل شيء، ولو اقتضى ذلك الخروج في سبيل الله عن المال، والتضحية في سبيل الله بالنفس والأهل والمهاجرة في سبيل الله عن الوطن، إن كان الوطن مما لا يستطيع المسلم أن يقيم فيه الدين

لكن من فضل الله علينا وعلى المسلمين اليوم أن عافانا من ذلك الامتحان الشديد، امتحان ترك الوطن في سبيل الدين. فوطننا والحمد لله وطن إسلام وليس وطن كفر، وهو والحمد لله وطن أمن للدين والمتدينين وليس وطن اضطهاد كما كانت مكة

حين هاجر منها الرسول صلوات الله عليه. فوقف المسلمين اليوم في هذا البلد وفي كل بلد مسلم ليس هو موقف الرسول صلوات الله عليه والمسلمين في مكة قبل الهجرة، ولكن هو موقف الرسول صلوات الله عليه والمسلمين في المدينة بعد الهجرة. أعزوا الإسلام فيها ودافعوا عنه كل مهاجم أو مغير، ولم يقبلوا لحظة واحدة أن تكون كلمة في مدينتهم فوق كلمة الله، أو يكون الحكم في أرضهم إلا لله؛ وهذا هو واجب المسلمين الآن، واجبهم أن يعزوا دين لله في بلادهم كما أعزه رسوله والمؤمنون الأولون، فلا يقبلوا في دينهم مطعناً، ولا لأحكامه مخالفة، واجبهم أن يثبتوا في بلادهم ويثبتوا الإسلام فيها كما فعل النبي في المدينة، وأن يدفعوا عن دينهم وبلادهم كل مهاجم ومغير

وليس الدفاع عن الإسلام وبلاده بالسيف والمدفع فقط. هذا هو آخر الدفاع، لكن أول الدفاع وأهمه هو الدفاع عن روح الإسلام في بلاده. إن روح الإسلام إذا ضعف في المسلمين فلن يتحملوا في سبيل الإسلام أذى ولا جهداً، فضلاً عن أن يريقوا في سبيله من دمائهم دماً. إن روح الإسلام وحبه يجب أن يتغلغل في قلب كل مسلم، فإن تغلغل فسيحرص المسلمون على إقامة الدين وسيعرفون كيف يعزونه ويعزون أنفسهم به

لكن أنى لروح الإسلام أن يتمكن من قلب المسلم وهو يجهل الإسلام ولم يُنَشَّأ فيه؟ إن النشأة والتربية هي التي تصبغ الناشئ بصبغتها وتوجهه في الحياة. والنشأة الإسلامية مفقودة في الأقطار الإسلامية منذ أمد طويل، ولو كانت موجودة كما ينبغي أن توجد، لعرف المسلمون دينهم كما ينبغي أن يعرفوه، وإذن لعرفوا كيف يحبونه ويعزونه كما ينبغي أن يحبوه ويعزوه. إذن لعرفوا كيف يدفعون شر العوامل الكثيرة التي تحاول أن تضعف الإسلام في نفوسهم وتغزوه في قلوبهم، ولعرفوا ماذا يقبلون من هذه المدنية الغربية المغيرة عليهم وماذا ينبذون. ليتهم عرفوا الإسلام! إذن لأدركوا أن المدنية الغربية ليس فيها ما يحتاجه المسلمون إلا هذا العلم الطبيعي التجريبي الذي هو ملك للعقل البشري عامة، والذي ينبغي أن يكون ملكاً للأمم كافة، لأنه نتيجة استعمال العقل الصارم في بحث ما خلق الله وليس نتيجة العاطفة، فليس فيه شيء من خصائص الأمم التي تظهر عادة في آدابها. العلم التجريبي هو كل ما يحتاجه المسلمون من هذه المدنية الغربية. أما اجتماعيات الغرب فليس المسلم في حاجة إلى شيء منها، لأن رب الشرق والغرب وخالق الخلق كلهم هو الذي شرع للمسلم وللإنسانية كلها أحكام الاجتماع وأصوله مفصلة في الإسلام، كما أجمل للمسلم وللإنسانية كلها أمر طلب العلم الطبيعي في القرآن إجمالاً هو أشبه شيء بتفصيل

لكن إذا كان شباب المسلمين قد فاتهم أن يربوا تربية إسلامية، فإن عليهم أن يتداركوا من ذلك في أنفسهم ما ضيعه الناس. ولا يسوِّفن في هذا، فإن الأمر ليس أمر حياة أو موت، وعزة أو ذلة، في الدنيا فقط، ولكن هو أمر سعادة أو شقاء إلى الأبد في الآخرة. ولا يقولن إن الفرصة فاتت ما داموا لم يتعلموا الدين على وجهه في المدارس. إن الفرصة موجودة والطريق إلى تدارك ما فات مفتوح بسيط ممتع. أويدري المسلمون وشباب المسلمين ما هو؟ قراءة سيرة الرسول صلوات الله عليه، وقراءة القرآن، وقراءة الحديث؛ ثم بعد ذلك أو بين ذلك قراءة تاريخ الخلفاء الراشدين

إن القارئين من شباب الإسلام من بنين وبنات يقبلون على قراءة الروايات، فلماذا لا يقبلون على قراءة السيرة النبوية وهي تاريخ نشأة دينهم وحياة نبيهم؟ إنها أمتع من أي رواية صاغها الخيال، وهي بعد ذلك حق وقع، ومنها يعرفون من أمر دينهم، كيف نشأ وكيف نما، ما لا يعرفه كثيرون ممن لم يدرسوا الدين إلا في كتب الفقه والأحكام

ثم إنهم يقرأون الأدب العربي: يقرأون لأدبائه المحدثين وقد يقرأون للأقدمين. فلماذا لا يقرأون الأدب السهل الخالص البالغ في كتب الحديث؟ إن كتب الحديث الصرف ليست كتب حواش وشروح كتلك التي يتصورها الشبان تدرس في الأزهر. إنها كلام الرسول صلوات الله عليه يحادث أصحابه: يأمرهم وينهاهم ويعظهم ويهديهم ويشير عليهم فيما يستشيرونه فيه من أمور الحياة. إنها أنفع لطلاب الأدب من أي أدب آخر يمكن أن يقرأوه أو يدرسوه، لأن أمور الحياة كلها يتناولها ذلك الكلام الكريم بأعذب لفظ وأسهل أسلوب: لفظ الرسول صلوات الله عليه وأسلوبه في تبليغ رسالة الله للناس. ليأخذ شبان المسلمين أي كتب الحديث الصحيحة شاءوا. ليأخذوا البخاري مثلاً وليقرأوه

بين الذكرى والعبرة

معجزة الإسلام الخالدة

للأستاذ محمد عرفة

[شعب يظهر على شعوب، ودين يعلو على أديان، وحضارة تنزو حضارات ، وقوة معنوية تزلزل الأرض وتهد الجبال]



يعجب كثير من الناس كيف استطاع محمد صلى الله عليه وسلم أن يفتح بفئة قليلة من المهاجرين والأنصار الحصونَ التى كانت حول المدينة ومكة ؛ وأن يظهر بهم على أقيال الجزيرة العربية ورجالاتها ، وعلى عقائدها وعاداتها ؛ وأن يرفع بهم فى غيابة الجهل ، وضلال العقل وحيرة الإنسانية ، لواء الحق والفضيلة ، والخير والرشاد ؛ فينشر فى أرجاء الجزيرة ، بهذه الفئة الصغيرة ، هدى السماء ، وشريعةَ التوحيد ، ويأتيه أهلُها طائعين ، يدخلون فى دين الله أفواجاً ؛ ثم كيف استطاع أصحابه بعده أن يفتحوا بهؤلاء دولَ العالم القديم : فارس والروم وبلاد السند ومصر وأفريقية والأندلس ... وقد كانوا أقلّ عدة ، وأضعف جنداً ، وأقل دراية بفنون الحرب ، ودربة على أساليب القتال ـ من أمة كفارس والروم .

يعجبون من شأن هؤلاء المسلمين الأولين ، لقد كانوا بين تلك الدول والشعوب ، وهذه الحضارات والمدنيات ، كالشعرة البيضاء فى فرس بهيم ، وكالطفل الصغير يصارع شجاعاً جباراً .

ولكنى لا أعجب عجبهم ؛ بل أعجب كيف لم يفتحوا الأرض جمعاء ، ثم يحاولوا بعد ذلك فتح السماء ؟

كيف أعجب من ذلك ؟

لعلى أغفل قانون الكثرة ، والقوة المادّية ، والفنون الحربية لعلى أغفل البروج المشيّدة ، والحصون الشامخة ، والمساكر والدساكر ، والمدن والذخائر ، والقوة والمنعة ، والعزة والشوكة ، والعلم والرأى ، والفن والتدبير ...

لا ، لست أغفل شيئاً من هذا كله ، فقد جعلت لكل أمر قدراً ؛ بيد أنى لم أغفل القوة المعنويّة ، فقدرتها حق قدرها ، ووازنت بينها وبين كل ذلك ؛ فرأيتها ترجح بها كافة .

كانت القوة المعنوية فى جانب ، وكانت القوة المادية فى آخر

تاركين الأسانيد ، أو ليبدأوا بقراءة مختصر البخارى المسمى « مختصر الزبيدى » المحذوف منه الأسانيد الطويلة والأحاديث المكررة، ثم ليرجعوا بعد ذلك إلى البخارى نفسه إذا شاءوا، إذن لرأوا العجب العجاب من فصاحة العربية وبيانها إن كانوا طلاب فصاحة وبيان ، ولفقهوا من أحكام الدين وروحه ما لا يفقهه أو يعرفه إلا الذين استقوا من هذا الورد العذب الفياض ، وكل ذلك فى غير كلفة أو عناء

ثم القرآن ! لماذا لا يقرأ الشباب الإسلامى القرآن ؟ لماذا لا يجعلون لأنفسهم حصة ولو قصيرة يقرأونها من القرآن كل يوم ؟ لماذا لا يمضى المسلم يقرأ من القرآن كل يوم شيئاً يسيراً حتى يتم القرآن كله فى الزمن الذى يتمه فيه ، قصر أو طال ؟ إن القرآن كلام الله عز وجل ، حفظه الله للمسلمين وللانسانية كلها من التحريف والتغيير رحمة للناس ، فهل يغفل الشبان عن كلام ربهم سبحانه فلا يقرأونه وهم يقبلون على دراسة كلام الناس ؟ ليقرأوا القرآن ـ فالقرآن سهل يسره الله للذكر ـ وإذا لم يفهموا كلمة منه فمندهم القواميس ، وإذا لم يفهموا آية فليسألوا عنها أهل البصر بالدين . إن فعلوا — وحياتهم ونجاتهم فى أن يفعلوا — فسيشمرون ، إذا قرأوا القرآن وتدبروه بطهارة نفس واطمئنان قلب لا يجدهما من لا يقرأ القرآن

ليقرأ المسلمون القرآن والحديث وسيرة الرسول وتاريخ الخلفاء الراشدين ، عندئذ لا يخشى المسلمون على شبابهم فتنة ، ولا تعلق بنفوسهم شبهة ، ولا يغلب الإسلامَ على قلوبهم غالب . عندئذ يستطيعون أن يقوموا بحق الدين باحسان الدفاع عنه والعمل به ، ويعرفون أى نعمة أنعم الله بها عليهم وعلى الإنسانية كلها حين أرسل صاحب المعجزة صلوات الله عليه رسولاً منه إلى الناس .

محمد أحمد الغمراوى

وكان من الحتم أن تتغلب القوة المعنوية على كل شيء عداها ... كان فى هذه الفئة القليلة من المسلمين قوة معنوية ، بعثها فيهم دينهم ، وأججها فى صدورهم نبيهم ، فآتت أكلها كل حين بإذن ربهم ، وظهرت بها معجزات الإسلام الخالدة على يد هؤلاء البواسل الأرواع حتى فتحت أرضاً ، ونشرت ديناً ، وفرضت لغة على هؤلاء الأقوياء الظاهرين فى الأرض ، ثم بعثت الحضارة والمدنية والثقافة والعرفان فى الشعوب جميعاً

إنه لخليق بالباحث أن يتبين هذه القوى المعنوية التى كانت تخفق بها قلوب المسلمين ، والتى أتت بهذه المعجزات الباهرة الخالدة بعد قليل من السنين

لقد فتشت عنها ، وبحثت عن مصادرها ومظاهرها ، فرأيتها تتجلى فيما يأتى :

١ — الإيمان

آمن المسلمون بشريعة الإسلام ؛ وآمنوا بأنهم على حق فى عقائدهم وآرائهم وأعمالهم ، والناس جميعاً على باطل ، ومن حق هذه العقائد الحقة ، والآراء الحقة ، والأعمال الحقة ، أن تعم البشر وأن يؤمن بها الناس جميعاً ؛ وآمنوا بأنهم خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويقيمون الإنسانية السعيدة على أسس العدالة والحق والسلام . لقد آمنوا بأنهم مصلحو البشر ، وهداة الكون ، وأنهم إن مُكن لهم فى الأرض بعثوا فيها هدى ونوراً وعدلاً ، وأنقذوها من يد الظلم والوحشية ، وحرروها من استبداد الطغاة وقسوة القساة ، وغطرسة المتزعمين والمتكبرين « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » . « الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر »

وآمن المسلمون مع ذلك بأنهم منتصرون فائزون ، لأنهم على حق ، والحق لا بد ظافر منصور ، يستوى فى درك ثمرة النصر الأموات والأحياء ، فكل موقعة تقع ، وكل حرب تشب نارها ، هم فيها الرابحون ، وأعداؤهم هم الخاسرون ، فالمجاهدون من المسلمين إما أن يُقتلوا أو يَقتلوا ، فمن قُتلوا فلهم الفوز بالسعادة الآخرة الباقية ، يستبشرون بنعمة من الله وفضل ، وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين ، ومن قَتلوا فلهم النصر والبقاء فى الأرض ، والعزة والدولة

لقد غرس هذا الإيمانَ المتشعب النواحى فى نفوس المسلمين كتابُهم الحكيم ، ورسولهم الكريم . بعث فيهم الله روح القوة والرجولة ، والإباء والبطولة ، ووعدهم بالنصر المؤزر والفوز المبين « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين » . « أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون » ، وزاد الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الروح فيهم اشتعالاً بقوله وفعله .

أفلم تسعَ قريش إلى عمه برجالاتها ووجوهها يناشدونه البقيا على الرحم ، والحفظ للجوار ، وكفّ محمد عن تسفيه أحلامهم والسخرية بأصنامهم ، فطلب أبو طالب من ابن أخيه أن يبقى عليه وعلى نفسه وألا يحمّله ما لا يطيق من عداوة قومه ، وخصومة أرومته ، فثار هذا الداعى الكريم ، ونطق هذا الروح العظيم : « يا عمّ ، والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته ، حتى يظهره الله أو أهلك دونه » . وكان هذا القولَ الفصل بين قريش وبين محمد الرسول الكريم ، وضرب بهذا أروع مثل للأجيال السابقة واللاحقة

وقبس المسلمون هذه الروح ، فتجلت فى أسارير وجوههم ، ورسمت على صفحات قلوبهم ، وبدت فى كلامهم ، وفى أعمالهم ، كأنها الشهاب الثاقب ، أو الصبح المبين

فهذا رسول الله يستشير المسلمين فى محاربة قريش وقد خرج للقائهم فى غزوة بدر الكبرى ، فيقول : « أشيروا علىّ أيها الناس » . فينطق سعد بن معاذ : « والله لكأنك تريدنا يا رسول الله » . فقال : « أجل » . فقال : « يا رسول الله ، لقد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامض يا رسول الله لما أردت ، فنحن معك ، فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً ، إنا لصُبُر فى الحرب ، صدق فى اللقاء ، لعل الله يريك منا ما تقرّ به عينك ، فسر على بركة الله »

وهذا زيد بن الدثنة يرسله النبى صلى الله عليه وسلم فى رهط من الصحابة مع وفد من العرب ليقرئوهم القرآن ويعلموهم شرائع الإسلام ؛ فيغدر هؤلاء الأعراب فى الطريق بزيد وأصحابه ، يقتلون بعضاً ويأسرون آخرين ؛ ثم يبيعون زيداً لقريش لتقتله بدل من قتل من رجالها بيد المسلمين ؛ ويقول له أبو سفيان حين قدم ليقتل : أنشدك الله يا زيد ، أتحبّ أن محمداً عندنا الآن فى مكانك تُضرب عُنقه وأنك فى أهلك ؟ فيجيبه زيد : والله

ما أحبُّ أن محمداً الآن فى مكانه الذى هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأنى جالس فى أهلى

هؤلاء هم المسلمون ، آمنوا فلم يقف فى طريقهم شىء فى الأرض ، وساروا كالسيل العرم لا ترده سدود ولا عقبات ، فُتِنوا فى دينهم وعذبوا ونُكل بهم وشردوا فى الأرض وأخرجوا من ديارهم وأموالهم ، فما وهنوا ولا استكانوا ولا ذلوا ولا أخلدوا إلى الأرض ، بل صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلاً

٢ — الاتحاد والألفة

وترى القوةَ المعنوية فى اتحاد المسلمين الأولين وتوادهم ، كما رأيتها فى إيمانهم ويقينهم ، فقد اتحدت قلوبهم ، وتحابت نفوسهم ، وصاروا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً ، وأصبح المسلمون جميعاً جسماً واحداً ، سرت فيه روح واحدة قوية ، فكان يشعر بشعور واحد ، ويفكر بفكر واحد ، إذا اشتكى عضو منه تألم له سائر الأعضاء

وقد بلغ من ذلك الاتحاد المتين والمحبة الصادقة أن آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار حين نزل المدينة ليُذهب عن المهاجرين وحشة الغربة ، ويؤنسهم من مفارقة الأهل والوطن ، ويشد أزر بعضهم ببعض ، فكان الأنصارىُّ يقسم ماله بينه وبين المهاجر ، ويؤثره على نفسه ولو كان به خصاصة

وقد ضرب المسلمون فى هذا السبيل أبلغ الأمثال للأمم التى تصبو إلى المجد والسؤدد ، فكان عطف بعضهم على بعض ، ومواساة الغنى للفقير ، والبرىء للمريض ، وتوقير الصغير للكبير ، وحنان الكبير على الصغير ، كان كل ذلك مضرب الأمثال فى مشارق الأرض ومغاربها ، ولا يزال ذكراً جميلاً لهؤلاء الأمجاد الأبطال ، والأجواد السروات الغطاريف

أين نحن من هؤلاء ؟ وأين الأرض من السماء ؟ لقد خلف من بعدهم خلف أضاعوا إيمانهم ، وبددوا اتحادهم وألفتهم ، فتفرقوا شيعاً ، وتمزقوا بدداً ، فضعفوا عن كثرة ، وذلوا بعد هذه العزة الرفيعة المنيعة

فإذا شاء المسلمون أن يعود لهم مجدهم الباذخ وعزهم التليد ، فليبحثوا عن إيمانهم الذى فقدوه ، وعن اتحادهم الذى بددوه ، وعن ألفتهم التى أضلوها ، وليكملوا أنفسهم بهذا تَعُدْ الذلة عزة ، ويصيرْ الضعف قوة ، وترجع إليهم العظمة الدائرة ، والسؤدد الدارس

ليؤمنْ رجال الدين أنفسُهم كإيمان السالفين ، إيمان قوة وعزم ، لا إيمان ضعف وذلة ؛ فمجرد التصديق لا ينقل قدماً ولا يحرك ساكناً . إنما الإيمان هذه الحركة المتقدة ، والنار الملتهبة ، والحمية للحق ، والمحبة للبشر ، والإخلاص لله ، والغيرة أن تنتهك حرماته ، وتستباح محارمه ، وتعصى أوامره ؛ إنما هو العمل على أن يأخذوا بأيدى الناس من الظلام الدامس إلى النور المبين ... ومتى عاد هذا الإيمان إلى أهل الدين أنفسهم أعادوه إلى الناس جميعاً

... وإذا أردنا الألفة والمحبة — لنستعيد الماضى المجيد ، ونؤسس المستقبل الجديد ، على عبر اليوم وعظات الأمس — فلننظر بماذا ألف الإسلام بين قلوب أصحابه ، وبماذا غرس فيها المحبة والإخاء ؛ لقد جمع الإسلام بين قلوب المسلمين بنزع أسباب الفرقة منهم . كان العرب قبائل متعددة كل قبيلة وحدة برأسها ، يتعصب المرء لقبيلته ، وتعادى كل قبيلة الأخرى ، فكان بأسهم بينهم شديداً ، وحطموا أنفسهم بأيديهم ، ووأدوا سؤددهم بلجاجهم فى الخصومة والفرقة ، وأضعف بعضهم بعضاً فضعف الجميع . ثم جاء الإسلام فوسع أفقهم الضيق ، وبعد أن كان المرء يرى نفسه فرداً من قبيلة ، أصبح يرى أنه فرد من أمة ، ورأى الجميع أنهم أعضاء من أسرة أوسع ، هى أسرة الإسلام ؛ وخاف الإسلام أن يعودوا إلى ما كانوا عليه أشلاء ممزقة وقبائل متفرقة ، فقسا أعظم القسوة على من يعيد روح التعصب إلى القبيلة جذعة ، وعد هذا ذنباً خطيراً وإثماً كبيراً

فلنتبع المنهج الذى ألف به الإسلام بين المسلمين ، ولنطبِّق سياسته الحكيمة الرشيدة من جديد ، فسترون المعجزة تتجدد ، والرجاء يتحقق ، والحياة تبسم لنا ، والمجد يصالحنا بعد عبوسها وجفائه

لست خيالياً أسعى إلى توحيد المسلمين جميعاً قبل اتحاد الأمة الواحدة منهم ، فأطلب الكثير وقد عجزت عن القليل ، وأطلب الفرع مضيعاً الأصل

كل أمة من الأمم الإسلامية قد قُطِّعت أحزاباً ، وفرِّقت شيعاً ، ففى مصر لا يتحد المصرى ، كل يرى نفسه فرداً من حزبه ، قبل أن يرى أنه فرد من أمته ، وفى الأمم الشرقية الشقيقة كما فى مصر من الفرقة والانقسام .

عليناً أن نداوى هذا الانقسام الداخلى أولاً ، فإذا أحرزناه سعينا إلى الاتحاد الخارجى

لقد كان من شرور الحزبية ما سمعتم أولاها وشاهدتم أخراها، حرب وانتقام، وكراهية وانقسام، وإغداق على الشيع والأنصار بالمناصب والألقاب ولو كانوا غير أهل، وحرمانٌ للآخرين ونقمةٌ عليهم ولو كانوا من ذوى الكفايات

من طاوعَ العصبية الحزبية فانظروا إليه شذرا واعلموا أنه داعى فرقة وانقسام ؛ أنظروا إلى الحزبية كما تنظرون إلى الداء المهلك المبيد ، والشرّ الماحق المبير ، إنها قطَّعت أوصالاً ومزقت شملاً ، وزرعت أحقاداً ورفعت جهلاً ، وأقصت علماء وقربت جهلة ، إنها أبعدت المصلحة العامة وأدنت المصلحة الفردية الحقيرة الزائلة

حرّموا يا قوم النظر الحزبى ، كما حرم الإسلام النظر القبلى ، وكونوا أفراداً من أمة لا شيعة من أحزاب

الإيمان والاتحاد

خطوا عليهما يا قوم مجدكم ، وارفعوا بهما مستقبلكم تتجدد المعجزة مرة أخرى « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » .

محمد عرفة

فداء الصلح

أبو جندل بن سهيل بن عمرو

للأستاذ شكرى فيصل

جلس أبو جندل بن سهيل بن عمرو فى غرفته ، وقد طغى الليل على مكة ، فلفّها برداء من الصمت والسكون ؛ فما تسمع فيها إلا همسات الريح ، وحديث النجوم ؛ وحفيفاً خفيفاً تبعثه أشجار النخيل من أعماق الوادى ، كأنها بث الشكاة ، أو نجوى المحبين

واستسلم الفتى الجرئ إلى نفسه ؛ وأسلس قياده إلى الذكريات تحمله على جناحيها الرفيقين ... فتخرج به من هذا الأسر الذى أراده له أبوه ، واضطره إليه ، لتطوف به فى دنياه الحبيبة من الأرض ، حيث يشرق النور ، وتشع الهداية ، ويتنزل الوحى ، ويعيش النبى الكريم فى طائفة من المهاجرين المجاهدين ، والأنصار المدافعين ، والصحابة الذين آمنوا بهذا الدين ؛ فوهبوا دمهم له ، وهجروا عشيرتهم من أجله ...

وعرضت لعينيه صور ، وتدافعت فى نفسه أخيلة ؛ واتقد فى قلبه الحنين ؛ ... وبكى ... بكى لأنه بعيد عن رسول الله ؛ ... وأين منه يد رسول الله تمسح آلامه ، وتبارك إيمانه ، وتشع فى قلبه الراحة والهدوء ؟ ! ... إن بينه وبينه لآماداً بعيدة ؛ ولقد صدوه عن هجرته إليه ، وأقاموا من دونه الأرصاد والرقباء ؛ ورموا به فى هذه الغرفة الضيقة ، لا يملك أن يخرج منها أو ينصرف عنها

وتناثرت دموعه على خديه ، كقطرات الندى الناعمة ... فبللت الشعرات المبعثرة على أطراف وجهه، وفى أسفل ذقنه، على غير نظام ، كالنبت السائب ...

ومضى فى هذه التأملات العميقة ، واستغرق فيها ... وعاش ساعاً من الزمن ، فى دنيا الذكريات ، وظلال النبوة ، وعبق الإسلام ... وأحس النشوة تجرى فى عروقه ، وتسرى فى دمه ، ورفع بصره إلى السماء ، يسأل الله العافية فى دينه أن يفتنه عنه أهله وذوو قرباه ...

ولم يطل به هـذا السكون ، فقد سمع حركة خفيفة فى صحن الدار ؛ فقام يسترق الخطو إلى النافذة ... فإذا فتاة فى ريق الشباب ومقتبل العمر ، تشق ظلام الليل بإشراقها الرائعة ، فيرى لعينيها بريقاً ، ولجبينها وضاءة ، وإذا الفتاة تناديه ، وإذا هو يتحسس فى صوتها صوت أخته ، فيقبل على الباب يفتحه ؛ وما يلبث أن يتبينها حتى يرتمى يقبلها ، وترتمى تقبله ، فى حنان الأخوة ، وانقياد العاطفة ؛ وحماس الحب

لشد ما كان يذكرها فى أيامه ولياليه ! . . . فقد أنس ألواناً من وفائها الحنون ، وبرها الجميل ؛ حين كان يشتد عليه أذى أبيه ، سهيل بن عمرو ، فيدفع به إلى رمضاء مكة ؛ فى لهب الظهيرة واشتداد الهاجرة ، مع طائفة من المستضعفين يكتوون باللظى المشبوب ، ويلتوون فوق الرمل المكروب ، ويذوقون أصناف العذاب الأليم ، ليرتدوا عن هـذه البدعة التى ابتدعها محمد ، فما يزيدهم ذلك إلا إيماناً فوق إيمانهم العتيد

ويجلس إليها . . . ويلقى إليها برأسه ، فتمر عليه بيديها

الناعمتين ، تهدهد أحزانه ، وتكفكف أشجانه ، وتبعث فيه العزم

ويسألها عن أبي بصير عتبة بن أسيد بن جارية ، وعن أم كلثوم أخت الوليد ، وعن فلانة وفلان ، من جيرانه وإخوانه ... هل ثبت الله أقدامهم ، فصبروا على العذاب ، وصمدوا للفتنة ؛ وسكتوا على الإهانة ؟! ... ويستنطقها خبر « يثرب » والنبي ؟... وهذا النور الذي يغالب الظلمات ، ويكافح الضلالات ويخترق السحب ... ما شأنه ؟!! ... ألم تلمح سناه في أفق مكة ؟ ... ألم تر بريقه في سماء البيت الحرام ؟ ... ألم يبلغ بعد هذا الوادي غير ذي الزرع ؛ فينبت في حفافيه الإيمان ؛ وينشر في أجوائه الرحمة ؛ ويفجر من حجارته الصلدة القاسية ينابيع الخير والحكمة ؟ ...

وتتحرك نفسه لهذا الأمل الخاطف يلمع في خاطره ، وهذه الأخيلة الفاتنة تداعب روحه الحزين ، فيهتز هزة الواثق المطمئن ويتحرك ... فتسمع لحركته أصوات الأغلال في رجليه ... فتذعر أخته ، ويتملكها الخوف ، وتخشى أباها أن تصل إلى سمعه هذه الحركة في هدأة الليل ، فيكشف من أمرها ، ما أخفته عنه وتطلب إلى أخيها أن يستقر في مكانه فإن لها معه لحديثاً ؛ وإن الكلام ليتدفق في فمها فلا تعرف كيف تبدأ

وينصت أبو جندل إلى أخته ، وقد أحس هذه الكلمات تتواثب على شفتيها ؛ وأدرك أن وراء هذه الزيارة الفاجئة في حلكة الظلمة وامتداد الليل لأمراً جللاً ... فلعل الله جاعل له فرجاً ... ولعل السماء قد أنصتت إلى صلواته الخاشعة في ساعات النسمة الهادئة

وتلتفت أخته هنا وهناك ... كأنها تخشى الرقباء ؛ ثم تنهض إلى النافذة ، وتلقي نظراتها التائهة على غرف البيت وصحن الدار ، وتجلس لتحدثه في همس رفيق :

— إن مكة يا أخي لتنام منذ أسبوع في مهاد من القلق ، وإنها لتتقلب على الشوك ... فما تدري ما هي صائرة إليه ... لقد نمى إليها أن محمداً غادر المدينة « وأنه استنفر العرب ومن حوله من أهل البوادي من الأعراب ليخرجوا معه » ؛ وأنه سار نحوها في سبعمائة رجل ... يقول إنه يريد زيارة البيت ... فما تصدقه قريش في دعواه

وتنبسط أسارير أبي جندل ... وتملأ شفتيه ابتسامة عريضة وتتواثب الآمال في صدره ؛ وتتراءى له هذه الجموع في طريقها إلى مكة ، وبهم ينادي : « الله أكبر » ... ولكن أخته لا تلبث أن تضع يدها على فيه ، تسأله أن يكتم الفرحة الطافرة ، ويكبت الصيحة الظافرة ؛ ويخفي هذا المرح الشديد... فما يرضيه أن يسلّط عليها سهيل أبوه سوط العذاب

ويتظاهر أبو جندل بالخضوع للرجاء ، ويتمنى عليها بقية الحديث ، ويسألها :

— وماذا فعلت قريش يا أختاه ؟

— لقد خرجت حين سمعت بمسيره بالعوذ المطافيل قد لبسوا جلود النمور ، وقد نزلوا بذي طوى يعاهدون الله لا يدخلها عليهم أبداً ، فلما رأوا أن النبي قد خالفهم عن طريقهم رجعوا منذ أيام إلى مكة ، واستقبلهم الناس في فتور ، وما أدري ماذا صارت إليه خيل قريش يا أخي ... لقد كانت زاهية فخورة ، تقرأ في وجهها النصر ، فإذا هي اليوم كالحة كابية ، ليس لها ذاك الزهو ، ولا تلك الإشراقة النيرة ... ترى ألست معي في أن ذلك هو أول الانحلال ومبدأ التراجع ، وطلائع الفتح المبين الذي نترقبه من بعيد ؟!

— بلى يا أختاه ... لينصرن الله محمداً ودينه ... ثم ماذا كان ؟

— لقد أوفدت قريش رجالها إلى النبي تستوضح نياته ، وتتفهم غاياته ، وتسبر أغواره ... ولقد رجع هؤلاء الرجال يلهجون بذكر محمد ويقولون إنه « كسرى في ملكه ، وقيصر في ملكه ، والنجاشي في ملكه ، وأنهم لم يروا ملكا في قوم قط مثل محمد في أصحابه » ويتحدثون عنه أروع الأحاديث ، ويكبرون حجته ، ويخشون قوته ، ويعجبون ببيانه ... فلقد قال لبُديل ابن ورقاء حين جاءه مع وفد من خزاعة : « إنه لم يأت يريد حرباً وإنما جاء زائراً للبيت ومعظماً لحرمته » وأقبلت علينا خزاعة تقول : «يا معشر قريش، إنكم تعجلون على محمد . إن محمداً لم يأت لقتال »

ولكنك تعلم عزة قريش ، وهذه العصبية التي تعصف في نفسها ، وهذه الحمية التي تتأجج في صدرها ، وهذه الزعامة التي تتبوأها من العرب . وقد خشيت لذلك أن يتحدث الناس فيقولوا إن محمداً دخلها عليهم عنوة ... فلم يطمئنوا إليه ، ولم يسكنوا إلى غايته البريئة ؛ فاتهموا وفد خزاعة وجبهوهم ... ورأيتهم اليوم يتداولون الرأي ، ويتبادلون المشورة ، ويعقدون

المجالس . فهذا أبوك يذهب إلى أبى سفيان ؛ وهذا أبو جهل يسير فى وقدة الظهيرة، فيتنقل من بيت إلى بيت ، وقد ركبه الغم وغشاه القلق ، وعلت جبينه كآبة المهموم

— يا للبشرى يا أخت عبد الله(1) ! من لى بجناحين أطير بهما من هذا الأمر . . . فأكون مع النبي فى عمرته وزيارته ؟! فأين هو الآن يا أختاه ؟ ...

— إن محمداً وصحبه فى « ثنية المرار » يا أبا جندل ... وإنهم الآن إلى جانب تلك الشجرة(2) الضخمة القائمة هناك ... ألا تذكر لقيانا إياها فى البكور والأصائل ... والتجاءنا إليها فى الظهيرة والضحى حين كنا نمر بها فى طريقنا إلى الوادى ... صغيرين نقسم باللات ، ونقدس العزى ، ونعبد الأصنام ... ؟! لقد وهبنا الله عقولنا ، وبث فيها النور ، ... فآمنا ... ولن يضيع الله إيماننا يا أخى ... وسنجتمع إلى النبى ، وسنصلى معه ، وسنقرأ القرآن ... وما أحسب إلا أن وثنية مكة تتضيف للأفول ... وأن ظلامها سينجاب ... وأن جبالها ستطفح بالنور الذى يملأ الأرض ...
فلقد اضطرب فيها الأمر فقام الحليس بن علقمة سيد الأحابيش يهدد قريشاً فيمن يهددها ، ويقول فى البيت الحرام بملء فيه : « يا معشر قريش ... والله ما على هذا حالفناكم ، ولا على هذا عاقدناكم ، أيصد عن بيت الله من جاءه معظما له ... والذى نفس الحليس بيده لتُخَلُّنَّ بين محمد وبين ما جاء له ، أو لأنفرنّ بالأحابيش نفرة رجل واحد ... »

— وهل خضعت قريش لهذا التهديد ؟

— إن قريشاً لا تدرى ما تدع وما تأخذ يا عبد الله ... وهى منقسمة مختلفة فيما بينها ، لا يستقر لها رأى ، ولا تستقيم لها خطة ... وهذا (أبان بن سعيد بن العاص) يجير عثمان بن عفان رسول النبى ، وقد وصل مكة اليوم ... وصافحت عيناه أرضها بعد هجرة سنوات ، وجاء يبلغ رسالة محمد إلى أبى سفيان وعظماء قريش ... فتحتبسه قريش عندها ، وتعقد ندوتها ...

ويخرج أبوك منذ الصباح البكر .. فلا يعود إلا مع الشعاعات التى كانت تودّع المدينة ، لتنام فى أحضان الأفق ... ويدخل غرفته لا يكلمنا ولا يتحدث إلينا .. . ويستدعى أمك يطلب إليها أن تسرج فرسه ، وتجمع بعض متاعه ، فهو مسافر غداً إلى النبى فى ثنية المرار

***

وتنتصب الفتاة قبل أن تنتهى من كلماتها الأخيرة ... ويتطلع إليها أبو جندل ، فيرى وجهها من جديد على أنوار القمر الضئيلة التى اخترقت النافذة الضيقة ، فيود لو أنها بقيت إلى جانبه تؤنس وحدته وتطرد وحشته ... ولكن الليل مضى إلا أقله ... وهذا غبش الفجر فى طرف السماء ، وما من شك فى أن أباه سيبتدر الصباح ، وسينهض مبكراً ليبلغ النبى قبل أن ترتفع الشمس ؛ وقد يمر به ويتفقده قبل غدوه ، فليحرص على ألا يرى أثر أخته عنده ...

وتقترب الفتاة من أخيها ... وتلامس شفتاه جبينها الوضاء ويطبع عليه قبلته كأنما يشكر لها فيها هذا الحديث الشائق، وهذه البشرى الحلوة ... ويهم بتركها لولا أن عارضاً مر بخاطره ... لم لا يهرب من الأمر ؟ ... إن أخته لتستطيع أن تعينه بما لها من حيلة ، وإن فيه لبقية من عزم لم تأت عليها هذه القيود ، وإن فى قلبه لإيماناً يدك الجبال . . . وإن كبده الحرى ليذيبها الحنين إلى النبى وإلى الجهاد ... وإن أباه ليسافر غداً ؛ وستنزاح هذه الغمة الثقيلة التى تظلل سماءه فتغيض فيها الكآبة والعبوس وتتضح هذه الفكرة فى رأسه وتتكامل صورها وأجزاؤها .. إن النبى قريب من مكة ، فليمض إليه وليسع نحوه ليجد فى كنفه الراحة والإيمان والخلاص

ويهمس فى أذن أخته هذه الكلمات ... ويسألها فى ضراعة ورجاء أن تعينه ؛ فقد سئم هذه الحياة الصعبة وبرم بالقيد الغليظ ، وإن الله لمنجيه ... والنصر قريب فلن يلحق بها هى عذاب

ويبيّتان الأمر ... وتنصرف إلى غرفتها ، وينصرف إلى فراشه ... وينام ... ملء عينيه الأحلام المخضلة ، وملء رأسه الأمانى الندية

***

(1) الروايات مختلفة فى اسم أبى جندل، فبعضها يثبت له اسم عبد الله هذا كما فى الجزء الخامس من أسد الغابة ، وبعضها يجرده منه ويكتنى بكنيته كما فى الطبقات الكبرى لابن سعد

(2) هى شجرة الرضوان حيث بايع النبي أصحابه على الموت — أو عدم الفرار كما فى رواية ثانية — حين بلغه خبر مقتل عثمان رسوله إلى قريش .

وفى أصيل اليوم التالى كان النبى صلوات الله عليه فى مجلسه مع سهيـل بن عمرو ، وبين يديه علىّ بن أبى طالب يكتب صلح الحديبية ، وإلى جانبه أبو بكر وعمر وعبد الرحمن وسعد ؛ وقد تناثرت فى السماء قطع من السحاب الخفيف كأنها حمامات السلام البيضاء ... وغشّى الأفق لون وردى جميل من أثر الشمس المتضيفة ، وكان يحس الناظر فى جانب من جوانبه كتلة نور لا يستطيع أن يحدق فيها ... والنسيم يروح خفيفاً هيناً يحمل السلام إلى كل نفس والهدوء إلى كل قلب ... وجماعات الصحابة تقوم لوضوئها ، وتستعد لصلاتها ، وتنعم بهذه الهداية الخالدة

فى تلك الساعة سمع الناس جلجلة قيود ، وأصوات أغلال ؛ وأبصروا . . . فإذا شبح لا يبين . . . حتى إذا اقترب رأوا فيه « أبا جندل » يرسف فى الحديد ؛ وقد انفلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلب فى جواره الأمان ، ويرجو السلام ، ويبنى الحياة لله ورسوله ... فيقبلون عليه بقلوبهم وأفئدتهم ... وعيونهم تفيض من الدمع

ويدرك النبى الكريم كل شىء ؛ وينتفض انتفاضة لا يحسها غير أبى بكر فى جواره . فقد كان نفذت منه قولة : « هذا ما عاهد عليه رسول الله سهيل بن عمرو ... » فماذا هو فاعل فى أبى جندل ؟

ويرى سهيل ابنه أبا جندل ، فيقوم إليـه « يضرب وجهه ويأخذ بتلبيبه » والمسكين ينظر إلى رسول الله وينادى : « أأرد إلى المشركين يفتنوننى فى دينى ؟ ... »

ويخفق قلب النبى الرحيم وتطرف عيناه ويغشيهما الدمع ؛ ويغمض جفنيه يحبسه أن يتذارف، وتتراءى له فى هذه الإغماضة الخفيفة أنوار « جبريل » ، وتنتشر من أمامه صفحات المستقبل ويبرز له يوم الفتح القريب وقد أقبل « سهيل » يطلب جوار ابنه ويحتمى به ، ثم تعرض له صورة سهيل بعد ذاك « كثير البكاء ، رقيقاً عند قراءة القرآن » وتظهر له الجنة فى خاتمة هذا الطواف وأبو جندل وسهيل أبوه إلى جنبيه ، قد خرجا من الدنيا شهيدين فيسرى عنه ، وتخالط أحزانه ابتسامة حلوة ، ويتمتم بكلمات صامتة ، ويقول :

« يا أبا جندل . اصبر واحتسب . فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً . إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً ، وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهد الله وإنا لا نغدر بهم »

ويخالط الجزع قلوب المسلمين ، وتتملكهم الروعة ؛ ويداخلهم الهم لمصير أبى جندل ... ويقف هذا الشاب يتفرس فى الوجوه ، وقد اطمأن إلى وعد رسول الله الذى لا ينطق عن الهوى ... وتراءت له أيامه القريبة الغر ، وقد انفلت من الأسر ، وانضوى تحت راية الجهاد ... وتبرق فى نفسه بارقات الأمل ، وينصرف بعد أن يقبل يد النبى ، ويدس رأسه فى صدره

ويثب عمر بن الخطاب إلى جنبه وهو يقول : « إصبر يا أبا جندل فإنما هم المشركون ، وإنما دم أحدهم دم كلب »

***

ثم لا تكون إلا لحظات ... حتى يغيب الليل فى برده الحالك هذا الفتى الصابر ... فترتد عنه عيون الصحابة ، ولكنها تظل تفكر فيه ، وتتبع خطوه ، وتتساءل عنه ... ويسير هو إلى مكانه من البيت ، وإلى موضعه من القيد، وإلى عذابه من المشركين

(القاهرة) شكرى فيصل

الله أكبر! هلكت خيبر!

للأستاذ أحمد الشايب

[خرج النبي من المدينة لغزو خيبر في بقية المحرم من السنة السابعة وفتحها في صفر]

— ١ —

مر « كنانة بن الربيع » على « حيي بن أخطب » سيد بني النضير فرآه واجماً ينكت الأرض بعود في يده ثم يصعّد الطرف بين الفينة والفينة في حصون خيبر

فقال كنانة : أرى هذه القرية قد راعتك بحصونها ، وحلت من فؤادك محلاً . طبت نفساً وطابت خيبر !

قال حيي : وكيف تطيب نفسي ؟ وها نحن أولاء منذ ثلاث سنوات نعيش في غير أوطاننا مشردين في الآفاق ! ونحن الذين بنينا « يثرب » بأيدينا ، فأصلحنا أرضها ، وأجرينا ماءها ، وغرسنا جناتها ، وأقمنا حصونها ؛ وترانا اليوم ننزل في غير دارنا ، ونأكل من غير زادنا ، لأن محمداً افتتحها علينا ، وأخذها عنوة منا !

لله تلك الأيام العزيزة التي قضيناها هناك أعزاء أشداء ! !

كنا نقاتل الأوس بالخزرج ، ونقاتل الخزرج بالأوس ، ونسعر نيران العداوة بينهما ونمدها بالأسلحة ويمدوننا بأموالهم فما يزالون في تناقص وفناء ، وما نزال في نعمة سابغة ، وسيادة دائمة .

ولكن جاءنا ذلك الساحر الطريد ، ففرقهم عنا ، ونفر موالينا ولا ندري كيف جمع بين قلوبهم الفائرة ، وغسل أحقادهم الثائرة وشفي جراحهم الناغرة ، وجعلهم أمة واحدة يأكلهم يهود والعرب

قال كنانة : ولكنا أحسن حالاً من بني عمومتنا فلقد أخذنا من أموالنا ما تحمله دوابنا ونزلنا بخيبر هذه القرية ذات البروج المشيدة فأوينا إلى ركن شديد . أما بنو قينقاع فياحسرتاه على ما أصابهم ، فعندما أخرجوا من المدينة قصدوا (أذرعات) فتناولتهم أوبئة الشام ، فما انقضى الحول على نسمة تحت الشمس منهم !

— ونسيت « قريظة » إن قلبي ليطفح بالنيران كلما ذكرتهم ! ماذا جنوا حتى يحكم محمد السيف في رقابهم ؟ ويح يثرب ! خلت من يهود !

— وكأنك أنت الذي جنى عليهم يا حيي ، حركتهم ليثوروا على محمد وينبذوا له عهده . وأطمعك في ذلك اجتماع الأحزاب عليه ، ولكنه سرعان ما خُذل الأحزاب ، وفُت في عضدهم ، وسرعان ما انقلب محمد على بني عمنا ، فشفى غيظه منهم

— أجل ؛ وما أردت أن يُطعن محمد بخنجرين ، أقتلهما الذي يأتيه من وراء ظهره ! ولكنى كلما دبرت كيداً أبطله بسحره ، وكأنه ملهم يوحى إليه ! !

— أو تشك في أنه النبي ؟ ! وأنت من أهل العلم والكتاب

— كلا ، ما ارتبت فيه . ولكنه جاءنا من العرب وحسبناه من إسرائيل ! كيف نتبعه فيعلو به أجلاف الأعراب على أهل الكتاب ؟ لا ورب موسى لا نلقي إليه القياد أبداً ، وسنظل على بغضه وحربه حتى نفنيه أو نفنى دون ذلك .

— أتظن الرجل الذي خضعت قريش له وطلبت منه السلام في « الحديبية » ينكسر لنا ؟ ما أظنه أسكت قريشاً إلا ليثور علينا وعلى قبائل العرب . أليس هو الذي يقول :

« أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا كلمة الإسلام فإذا قالوها حقنوا مني دماءهم » .

— ولكنّ قريشاً لم تقلها

— ستقولها يوم أن يُجلب عليها بخيله ورجله ، ويخيّرها بين الكلمة أو السيف

— ونحن أيتركنا ههنا ؟

— إخاله سيتعقبنا

— أو بلغك نبأ ؟

— أما من محمد فلا ؛ كيف يدرى الناس من أمره شيئاً وهو حوّل قلّب ؟ إذا أراد أن يحارب شمالاً اتجه جنوباً !

— ومن أدراك إذن بما تقول ؟

— إنها رؤيا رأتها بنتك التي تحيى فأوّلتها

— صفية بنتي ! إنها لترى وكأنها ترى بعينيها ! ماذا رأت الخبيثة ؟

— كأن قمراً من السماء سقط في حِجرها

— إنه وايم الحق محمد !

— ٢ —

لا هُمّ لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلّينا

فاغفر فداء لك ما أبقينا وألقيَنْ سكينةً علينا

وثبّتِ الأقدام إن لاقينا إنا إذا صِيح بنا أتينا

وبالصياح عوّلوا علينا

على توقيع هذا النشيد المطرب ، وترجيع صوت الحادى اللبِّين سارت قافلة المسلمين تحت ظلال الراية البيضاء تتبع محمد ابن عبد الله ، وما زالت تصعد وتهبط حتى تراءت للعين حصون خيبر شامخة تشق السماء وقد لفَّها غلس الدجى ، وعلى قيد أميال منها وقف النبي يتأملها فوقف الركب معه ، فرفع يديه يناجى ربه ويقول :

« اللهم رب السموات وما أظللن ، ورب الأرضين وما أقللن ، ورب الشياطين وما أضللن ، ورب الرياح وما أذرين ، فإنا نسألك خير هذه القرية ، وخير أهلها ، وخير ما فيها ؛ ونعوذ بك من شرها ، وشر أهلها ، وشر ما فيها »

وأمضى المسلمون ليلتهم على مرأى منها ، فلما أصبحوا قام النبي يقول :

« الله أكبر ، الله أكبر ، هلكت خيبر ! إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين »

وانطلق المسلمون يكبرون ؛ وكأنهم كلما رفعوا بالتكبير أصواتهم ، بالغوا فى إظهار إخلاصهم لبارئهم ؛ وإن من الجبال لما يهتز لتكبيرهم ودعائهم ، وإن منها لما يتصدع من خشية الله

فقال لهم النبي : « اربعوا على أنفسكم ، إنكم لا تدْعون أصمَّ ولا غائباً ، إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم »

* * *

وخرج عمال خيبر إلى مزارعهم فراعهم جيش المسلمين فرجعوا إلى أهلهم يصيحون :

— محمد والخميس !

وفزعت خيبر وأغلقت أبوابها ، وظل المسلمون يحاصرونها ويضيقون عليها . ومن برج مشيد أطل « حيي بن أخطب » على جيش المسلمين فرأى الراية البيضاء فى يمين « على بن أبى طالب » فكأنما رأى ملك الموت يدلف إليه ، فقال :

— تباً لكم ! ألا فتى غير هذا يحمل اللواء ؟

والله ما ذقنا العذاب إلا تحت لوائه !

أخرَجنا من بيوتنا بيثرب ، وها هو ذا جاء يخرب قريتنا !!

فلمحه الإمام يتكلم بصوت خفيض ، فقال له :

— ماذا تقول يا عدو الله ؟!

قال حيي : وماذا تريدون منا — معشر المسلمين — ألم يكفكم أن أخرجتمونا من ديارنا وأموالنا ؟ فجئنا وحططنا رحلنا بهذه القرية ، فما كدنا نستنبت ريشنا بعد أن قصصتم أجنحتنا حتى جئتم إلينا بخيلكم ورجالكم ، فإلى أى أرض نهرب من شركم ؟!

قال على : ألست يا عدو الله الذى جمعت علينا الأحزاب من كل فج ، فصرنا فى أضيق من كفة الحابل ، ولم تكتف بذلك حتى هجت قريظة فنبذوا إلينا عهدنا فى ساعة العسرة فوقفنا بين شق الرحى . وحسبت أنك بذلك قضيت علينا ، ولكن الله ربنا مشتت شملكم ، وكتب على أيدينا قتلكم

قال حيي : إنكم لن تصلوا إلينا ، فأنتم فى الأرض ونحن فى السماء ، إن سهمكم لن يخرق حجراً ، وخيلكم لن تكون طيراً . فامكثوا ما شئتم أن تمكثوا وإن لنا فى كنوزنا وخيراتنا لسعة

قال على : أتحسب أن حصونكم ما نعتكم ؟ ! إن الذى دك الجبل تحت أقدام موسى هو الذى يخسف بها الأرض . فنلتقى على سواء وكأنى بكم يا بنى النضير بعد ليال ، فطاحت رءوسكم ، وأصبحتم طعمة للطير والسباع فأسلموا تسلموا

قال حيي : لن يأخذ منا وعيدكم شيئاً

قال على : وأنتم لا تعجزون الله ، يا خيل الله اركبى ! !

* * *

واستمر المسلمون أياماً يحاصرونهم ، فلما أجهدوهم نزل اليهود إليهم يبارزونهم ، فدارت الدائرة عليهم فأسرت رجالهم ، وسبيت نساؤهم وذرياتهم

قال على لحيي وهو مقدم للقتل : أأغنى عنك حصنك شيئاً ؟ لولا أويت إلى ركن شديد !

قال : وما هو ؟

قال : ربك الذى نسيت ، ودينه الذى أنزل ! ونبيه الذى أرسل !

قال : خذ رأسى إن كانت لك به حاجة

قال : أجل ، إن السيف ليضحك حينما يجز رقاب أعداء الله

* * *

وتقدم « دحية الكلبى » إلى صفية بنت حيي وقال لها :

تعالَىْ يا ابنة حيي ! لقد وجدت فيك عروسى التى أنتظرها

فأمسك بيدها ، فانفلتت منه كالمهرة العربية وقالت له :

ومن تكون أنت ؟

قال : رجل من بنى كلب

قالت : لست هناك ! مالك وسيدة قريظة والنضير ؟ !

قال : ومن تنتظرين ؟

قالت : القمر المنير ! !

قال : أتطمعين فى رسول الله ! ؟ لشد ما خدعتك نفسك ، وحدثتك الأمانى . أبعد علج من علوج يهود تطمحين إلى الطاهر الطيب ؟ !

قالت : إن الكريمة كفء الكريم

وسمع النبى بحديثها فاختارها لنفسه زوجاً وجمل لدحية بنت عمها ...

وبنى النبى بعد أيام بها ، وهو فى طريقه إلى المدينة تحت قبة ضربت لها . فلما انبثق نور الفجر وخرج النبى لصلاته ، رأى « أبا أيوب الأنصارى » متوشحاً سيفه قريباً من بيته

فقال له : مالك يا أبا أيوب ؟

قال : يا رسول الله خفت عليك من هذه المرأة وهى امرأة قتلت أباها وزوجها وقومها وكانت حديثة عهد بكفر فخفتها عليك

فقال النبى : « اللهم احفظ أبا أيوب كما بات يحفظنى »

وحدث صفية بذلك فقالت :

والله يا رسول الله لأنت أعز على من أبى وأمى وأنا على دينك

— ٣ —

وباتت قريش بمكة تتسمع أخبار الرسول مع خيبر ، وتمنت أن تدور الدائرة على المسلمين ، فتكفيهم يهود شر قتالهم ، وبينما كانوا يرصدون الطرق لعلهم يقفون على خبر يبل غلتهم ، ويطفئ أوار غيظهم رأوا قادماً فى شملة أعرابى من بعيد فتبينوه فإذا هو « الحجاج بن علاط السلمى »

قالت قريش : هذا لعمر الله عنده الخبر !

قال لهم : وما ذاك ؟

قالوا : بلغنا أن القاطع خرج إلى خيبر وهى بلد يهود وريف الحجاز

— بلغنى ذلك وعندى من الخبر ما يسركم

— إيه يا حجاج !

— هزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط ، وقُتل أصحابه قتلاً لم تسمعوا بمثله قط ، وأسر محمد أسراً ، وقالوا لا نقتله حتى نبعث به إلى أهل مكة فيقتلوه بين أظهرهم بمن كان أصاب من رجالهم

فصاحت قريش طرباً ، وقالوا لأنفسهم : قد جاءكم الخبر ! وهذا محمد إنما تنتظرون أن يُقدَم به عليكم ، فيقتل بين أظهركم

قال الحجاج : فأعينونى على جمع مالى بمكة ، وعلى غرمائى فإنى أريد أن أقدم خيبر فأصيب من فل محمد وأصحابه قبل أن يسبقنى التجار إلى ما هنالك

قالوا : لك ما تحب وترضى ، وأعانوه حتى جمع ماله كله

فلما سمع العباس بن عبد المطلب الخبر جاء الحجاجَ وهو جازع وقال له :

— ويحك يا حجاج ! ما تقول ؟

— أكاتم أنت على خبرى ؟

— إى والله !

— فالبث على شيئاً حتى يخف موضعى ، ثم سار إليه العباس فقال له الحجاج : الخبر والله على خلاف ما قلت لهم ، خلفت رسول الله ؛ وقد فتح خيبر ، وخانته والله معرّساً بابنة ملكهم ؛ وما جئتك إلا مسلماً .

ولكن قريشاً تحسبنى لا أزال على دينها فاطوِ الخبر ثلاثاً ، حتى أُعجِز القوم . ثم أَشِعْه ، فإنه والله الحق

قال العباس : ويحك ! أحق ما تقول ؟

— إى والله

— ولكنك كذبت الناس ، ودينك لا يسمح بالكذب

— استأذنت الرسول فى أن أقول فأذن ، وكانت حيلةَ لأجمع مالى وأخرج من بين أظهرهم إلى غير رجعة . والآنَ أذهب

— على عين الله

فلما كان بعد ثلاثة أيام تخلق العباس وأخذ عصاه وخرج يطوف بالبيت

قالت قريش : يا أبا الفضل ! هذا والله التجلد لحر المصيبة

قال : كلا والله الذى حلفتم به ، لقد فتح محمد خيبر وأعرس بابنة ملكهم ، وأحرز أموالهم

قالوا : ومن جاءك بهذا الذى تزعم ؟

قال : الذى جاءكم بما جاءكم به ، ولقد دخل عليكم مسلماً ، فأخذ ماله ، وانطلق لمحمد وأصحابه ليكون معه

قالوا : يالعباد الله ! أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن ! أولى له ! انفلت عدو الله !

قال العباس : الله أعلم بعدوه ووليه ... !

أحمد التاجى

من سجل البطولة

روعة التضحية

للأستاذ فريد عين شوكة



[كان للخنساء أربعة أبناء أرسلتهم إلى الجهاد في سبيل الله فاستشهدوا جميعا في موقعة القادسية فقالت : « الحمد لله الذي شرفني بقتلهم »]

— ١ —

(انتقض أهل السواد على المثنى في خلافة عمر ، فهبت الدعوة إلى الجهاد)

الخنساء :

خبر لافح الشرر ناوح القلب فاستعر
ثارت الفرس ثورة زعزعت كل ما استقر
واستطالت فخربت كل ما شِيد أو عمر
سيرى القوم في غد كل ما فيه مزدجر
يوم نسقيهم المنو ن ونرديهم الحفر
ونخلي حصونهم صفصفاً عافي الأثر

يدخل بنوها فيراعون لحالها :

إيه يا أم

الخنساء : أقبلوا قد غدونا على خطر
صرخ الدين يبتغي الـ عون في الموقف العسر

أما علمتم جنود الفرس كيف بغوا على المثنى فأجلوه عن الوادي

أحدهم : بلى علمنا

الخنساء :

فماذا صدَّ أنفسكم عن الجهاد وأنتم أهل إنجاد
أخفتم الحرب أن تطغى فأقعدكم حب السلامة عن بذل وإجهاد

كبيرهم :

رحماك يا أم حاشا أن يكون بنا ما تزعمين فإنا خير أجناد
وقد نكون حيال السلم في دعة لكننا في الوغى أشبال آساد
وقد صبرنا لنسمى في مضاعفة من الكتائب لا في بعض أفراد

الخنساء :

فأجمعوا أمركم وامضوا إلى عمر يحمد بكم نزوات الثائر العادي
فإن قتلتم فدار الخلد تجمعنا وإن رجعتم فعود الظافر الشادي

أحدهم :

سينفر اثنان منا

الخنساء : بل جميعكمُ

كبيرهم :

لا حاضر يرتضي ما قلت أو باد
ومن يعولك إن متنا وليس لنا مال تصيبين منه أقفر الزاد

الخنساء :

بَنيّ أصيخوا إن في النفس حاجة سأقضي بها حتى أكون على رشد
لئن كان بغض الحرب منكم مخافة عليّ إذا أصبحت بين الورى وحدي
فلا تحفلوا خوفاً وهبوا إلى الوغى ففي الله مهوان على النوب الرُّبد
يميناً لأنتم مهجة في جوانحي وعين أرى في ضوئها جنة الخلد
أخاف عليكم هبة السوء إن هفت وأفديكم بالروح إن عز من يفدي
ولكنني أرمي بكم دون رحمة إذا ما دعا داعي البطولة والمجد
إذا الوطن الغالي أهاب بأهله فكيف تخاف الأم فيه على وُلْد

كبيرهم :

كفي يا أم ملهبة فإنا سنمضي أجمعين إلى القتال
ونصرع في سبيل الله صرعاً تقرُّ به السموات العوالي

الخنساء :

وداعاً يا بني ليوم نصر يضوِّئ بالبطولة والجلال

— ٢ —

(في ساحة فسيحة يعرض الخليفة عمر جيش المسلمين الذاهب إلى الحرب)

عمر :

مرحى رجال الوغى شيباً وشبانا حياكم الله أنصاراً وأعوانا

إنى موجهكم للفرس

بعض الجنود : ويلهمُ ومن يشايعهم كفراً وعصيانا

هيا بنى العرب هيا

عمر : بل رويدكم حتى أزودكم فى الحرب تبيانا

لا تقتلوا الهرم الفانى ولا تخزوا مسالماً لم يَرُد للحرب ميدانا

ولا تمدوا يداً بالسوء لامرأة ولا تذيقوا طعام الموت صبيانا

الجنود : السمع والطوع

عمر : فامضوا حول قائدكم

واسعوا إلى الحرب أبطالاً وشجعانا

يد العناية تحدوكم وتحفظكم وأعين الله ترعاكم وترعانا

الجند يسيرون منشدين :

مرحى صراع الردَى مرحى قراع الخطوبْ

إنا جنود الفدى للوطن المحبوب

أهاب داعى الوطن بنا فلبيناهْ

فشبرى يا محن وودعى يا حياه

فكل غال يهون فى نصرة الأوطانْ

مهد الشباب الحنون وروحه الفينان

هيا بنا هيا هيا بنى العُربِ

نطوى الفلا طيّا إلى رحى الحرب

(تسمع الخنساء بالنصر العربى فتسعى إلى لقاء البشير فى دار الخلافة)

الخنساء: مرحباً بالبشير

البشير : أهلاً تماضرْ فخر أماتنا وزين الشواعرْ

الخنساء : أنتصرتم ؟

البشير : أعز نصر رجوناه

الخنساء : لك الحمدُ يا مُذِلّ الأكاسرْ

أيهذا البشير أثلجت صدرى بأحب المنى وأغلى البشائر

فتحدث بعض الحديث عن الحر ب فذكرى الوغى تهز المشاعر

البشير :

قد ركبنا القفار سعياً إلى الفر

س كسيل ينصبُّ فى الأرض هادر

فبعثنا الهيجاء واستبسل الجند وضجت بنا الجياد ثوائر

واستحر القتال وارتجّت الأر ض وقد وافت القلوب الحناجر

كم أطيحت فيه الرؤوس قوار يرَ وفاضتْ به الدماء غزائر

ثم دارت رحى المنون على القو م فأهووا كطائر إثر طائر

وانتصرنا فكان نصراً عزيزاً زلزل الدين وقعه والدساكر

الخنساء :

عزت البيد كل أبنائها البُسل سيوف لدى الطعان بواتر

وبنىّ هل أبلوا بساحات الوغى

البشير : أبلوا بلاء لا يفيه جزاء

الخنساء :

ومن استطال به الزمان ومن ثوى بين الرجام

البشير : جميعهم شهداء !

أحد الحاضرين :

لا تفزعى لمماتهم

الخنساء : لا والذى يبقى وكل العالمين فناء

ليسوا بأموات فإن مماتهم فى نصرة الدين الحنيف بقاء

ما مات من باعوا الحياة رخيصة لله بل هم عنده أحياء

فريد عين شوكة


كلها
من القطن المصرى الخالص
هى منتجات
شركة مصر للغزل والنسج
اطلبوا منتجاتها من شركة بيع المصنوعات
المصرية ومن كافة محلات المانيفاتورة

8me Année No. 349

Lundi - 11 - 3 - 1940

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٤٩ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢ صفر سنة ١٣٥٩ — الموافق ١١ مارس سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهـــــرس

صفحة

عبقرية محمد السياسية

للأستاذ عباس محمود العقاد

السياسة على معان كثيرة فى العرف الحديث . فنها ما يكون بين بعض الدول وبعض من المراسم والعلاقات ، ومنها ما يكون بين هذه الدول من معاهدات وخطط فى أعمالها الخارجية ، ومنها ما يكون بين الراعى ورعيته أو بين الأحزاب والوزارات من برامج ودعوات ، ولكل معنى من هذه المعانى اصطلاحه فى العرف الحديث ، وإن جمعتها كلة السياسة فى اللغة العربية

وقد تولى النبى عليه السلام أعمالاً كثيرة مما يطلق عليه لفظ السياسة فى عموم مدلوله ، ولكننا لا نعرف بينها عملاً واحداً هو أدخل فى أبواب السياسة وأجمع لضروبها وأبعد عن المشاركة فى صفة القيادة العسكرية أو صفة الوعظ العلنى أو سائر الصفات التى اتصف بها عليه السلام من عهد الحديبية فى مراحله جميعاً منذ ابتدأ بالدعوة إلى الحج إلى أن انتهى بنقض الميثاق على أيدى قريش

ففى عهد الحديبية تجلى تدبير محمد فى سياسة خصومه وسياسة أتباعه وفى الاعتماد على السلم والعهد حيث يحسنان ويصلحان ، والاعتماد على الحرب والقوة حيث لا تحسن المسالمة ولا تصلح العهود

بدأ بالدعوة إلى الحج فلم يقصره فى تلك السنة على المسلمين المصدقين لرسالته، بل شمل به كل من أراد الحج من أبناء القبائل

العربية التي تشارك المسلمين في تعظيم البيت والسعي إليه . فجعل له وللعرب أجمعين قضية واحدة في وجه قريش، ومصلحة واحدة في وجه مصلحتها ، وفصل بذلك بين دعواها ودعوى القبائل الأخرى ثم أفسد على قريش ما تمدوه من إثارة نخوة العرب وتوجيهها إلى مناوأة محمد والرسالة الإسلامية . فليس محمد وأصحابه أناساً معزولين عن النخوة العربية يضعون من شأنها ويبطلون مفاخرها ، ولكنهم إذن عرب ينتصر بهم العرب ولا يذلون بانتصارهم ، أو يقطعون ما بينهم وبين آبائهم وأجدادهم . فإذا خالفوا قريشاً في شيء فذلك شأن قريش وحدهم أو شأن المنتفعين من قريش بالسيطرة على مكة ، وليس هو بشأن القبائل أجمعين

ثم أفسد على قريش من جهة أخرى ما تمدوه من إغضاب العرب على الإسلام بما ادعوا من قطعه للأرزاق وتهديده للأسواق التي يعمرها الحاج ويستفيد منها النادون إلى مكة والرائحون منها. فها هو ذا محمد نفسه يأخذ معه المسلمين إلى مكة كما يأخذ معه من شاء مصاحبته من غير المسلمين قصاد البيت الحرام ، فإذا حال بينهم حائل وبين ما يقصدون إليه فتلك جنايته وذلك وزره على نفسه وعلى قومه ، ولا وزر فيما أصاب الأرزاق أو أصاب الأسواق على المسلمين

وقد سمعنا كثيراً في العصور الحديثة عن المقاومة السلمية أو المقاومة التي تجتنب العنف ولا تعتمد على غير الحق والحجة . سمعنا بها في الحركة الهندية التي قام على رأسها غاندي وتابعه فيها بعض مريديه ، حتى كان لها من الأثر في إزعاج الحكومة البريطانية ما لم يكن للقنابل ولا للمشاغبات الدامية

وقيل يومئذ إن غاندي قد تتلمذ في هذه الحركة للمصلح الروسي الكبير ليون تولستوي . وقيل بل هو أحرى أن يعرفها من آداب البرهميين والبوذيين التي تحرم إيذاء الحيوان فضلاً عن الإنسان قبل أن يشرع ليون تولستوي مذهبه الجديد

والذين قالوا بهذا الرأي الأخير استبعدوا أن يتفق المسلمون والبرهميون والبوذيون على حركة غاندي وتبشيره بتلك المقاومة السلبية لاعتقادهم أن الإسلام قد شرع القتال فلا يوائم المسلمين ما يوائم البوذيين والبرهميين من اجتناب القوة والتزام السلم وترك المقاومة .

لكن المثل الذي قدمه النبي صلوات الله عليه في رحلة الحديبية ينقض ما توهموه ويبين لهم أن الإسلام قد أخذ من كل وسيلة من وسائل نشر الدعوة بنصيب يجري في حينه مع مناسباته وأسبابه ، فلا هو يركن إلى السيف وحده ولا إلى السلم وحده ، ولكنه يضع كليهما حيث يوضع ، ويدفع بكليهما حيث ينبغي أن يدفع ، وهو الحكم المتصرف حيث يختار ما يختار ، وليس بالآلة التي يسوقها السلم أو الحرب مساق الاضطرار

وقد خرج النبي إلى مكة في رحلة الحديبية حاجاً لا غازياً يقول ذلك ويكرره ويقيم الشواهد عليه لمن سأله ، ويثبت نية السلم بالتجرد من السلاح إلا ما يؤذن به لغير المقاتلين

فلم يفصل بهذه الخطة بين العرب وقريش وحسب ، بل فصل بين قريش ومن معهم من الأحابيش ، وجعل الزعماء وذوي الرأي يختلفون فيما بينهم على ما يسلكون من مسلك في دفعه أو قبوله أو مهادنته ، وهو عليه السلام يكرر الوصاة لأتباعه بالمسالمة والصبر منعاً للاتفاق بين خصومه على قرار واحد ، وقل من أتباعه من أدرك قصده ومرماه حتى الصفوة المختارين

ولما اتفق الطرفان – المسلمون وقريش – على التعاهد والتهادن كانت سياسة النبي في قبول الشروط التي طلبتها قريش غاية في الحكمة والقدرة « الدبلوماسية » كما تسمى في اصطلاح الساسة المحدثين

دعا بعلي بن أبي طالب فقال له : « أكتب : بسم الله الرحمن الرحيم »

فقال سهيل بن عمرو مندوب قريش : أمسك ! لا أعرف الرحمن الرحيم ، بل اكتب باسمك اللهم

فقال النبي : أكتب باسمك اللهم

ثم قال : أكتب « هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل ابن عمرو »

فقال سهيل : أمسك ! لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك

وروى أن علياً تردد فمسح النبي ما كتب بيده ، وأمره أن يكتب « محمد بن عبد الله » في موضع محمد رسول الله

ثم تعاهدوا على أن من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ، ومن جاء قريشاً من رجال محمد لم يردوه عليه ، وأنه

من أحب من العرب محالفة محمد فلا جناح عليه ، ومن أحب محالفة قريش فلا جناح عليه ، وأن يرجع محمد وأصحابه عن مكة عامهم هذا على أن يعودوا إليها في العام الذى يليه ، ويقيموا بها ثلاثة أيام ومعهم من السلاح السيوف فى قربها، ولا سلاح غيرها.

ولو كان عهد الحديبية هذا قد كتب بعد قتال انهزم فيه المشركون وانتصر فيه المسلمون لوجب أن يكتب على غير هـذا الأسلوب ، فيعترف المشركون كرهاً أو طوعاً بصفة النبوة ولا يردون أحداً من مواليهم أو قاصريهم يذهب إلى النبي ويلحق بالمسلمين .

ولكنه عهد مهادنة أو عهد « إيقاف أعمال العداء إلى حين » كما يسمونه فى اصطلاح العصر الحاضر ، فلا يعوزه شيء من الأصول المرعية فى أمثال هذه العهود من إثبات صفة المندوبين التى لا إرغام فيها لأحد الطرفين ولا مخالفة لدعوى الفريقين ، ومن حفظ كل لحقه فى تجديد دعواه واستئناف مسعاه .

فلو أن النبي عليه السلام شرط على قريش أن ترد إليه من يقصدها من رجاله لنقض بذلك دعوى الهداية الإسلامية ، ونقض الوصف الذى يصف به المسلمين . فإن المسلم الذى يترك النبي باختياره ليلحق قريشاً ليس بمسلم ولكنه مشرك يشبه قريشاً فى دينها وهى أولى به من نبى الإسلام

أما المسلم الذى يُرَد إلى المشركين مكرهاً فإنما الصلة بينه وبين النبي الإسلام وهو شيء لا سلطان عليه للمشركين ولا تنقطع الصلة فيه بالبعد والقرب . فإن كان الرجل ضعيف الدين ففتنوه عن دينه فلا خير فيه ، وإن كان وثيق الدين فبقى على دينه فلا خسارة على المسلمين

وما انقضت فترة وجيزة حتى علمت قريش أنها هى الخاسرة بذلك الشرط الذى حسبته غنماً لها وخذلاناً لمحمد صلوات الله عليه ، فإن المسلمين الذين نفروا من قريش ولم يقبلهم محمد فى حوزته رعاية لعهده قد خرجوا إلى طريق القوافل يأخذونها على تجارة قريش وهى أمان فى عهد المدنة بين الطرفين ، فلا استطاع المشركون أن يشكوهم إلى النبي لأنهم خارجون من ولايته بحكم المدنة ، ولا استطاعوا أن يحجزوهم فى مكة كما أرادوا يوم أملوا شروطهم فى عهد الحديبية ، ولوقضى العهد بولاية للنبي على من ينفر من مسلمى مكة لجاز للمشركين أن ينقضوه أو يطالبوا النبي بالمحافظة عليه . وتم العهد فعرف من لم يعرف ما أفاء على الإسلام بعد قليل فجهر بمحالفة النبي من لم يكن يجهر بولائه، واستراح النبي من قريش ففرغ ليهود خيبر وللممالك الأجنبية يرسل الرسل إلى عظمائها بالدعوة إلى دينه، وفتح الأبواب لمن يفدون إليه ممن أنكروا بنى قريش وأمنوا أن تكون نصرتهم للاسلام حرباً يبتلون فيها بما لا يطيقون

ويوم نزلت الآية الكريمة على أثر اتفاق الحديبية « إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيما » لم يفقه الكثيرون معناها فى حينها ولم يتبينوا موضع الفتح من ذلك الاتفاق الذى حسبوه محض تسليم ، ولكنهم فهموا أى فتح هو بعد سنتين ، وعلموا أن من الفتوح ما يكون بغير السيف وما يشبه الهزيمة فى ظاهره عند من يتعجلون ولا يحسنون النظر إلى بعيد

وهكذا تجلت عبقرية محمد فى سياسة الأمور كما تجلت فى قيادة الجيوش فكان على أحسن نهج فى سياسته إذ نادى بعزيمة الحج وهو لم يفتح مكة بعدده وعدته ، وإذ دعا المسلمين وغير المسلمين إلى مصاحبته فى رحلته ، وإذ توخى ما توخى من طريقة المسالمة وإقامة الحجة فى إنفاذ عزيمته ، وإذ قبل العهد الذى كبر قبوله على أقرب المقربين من عترته ، وإذ نظر إلى عقباه ووصل به إلى القصد الذى توخاه .

عباس محمود العقاد

إنما يزدهر الأدب في عصور الفوضى الاجتماعية

للدكتور زكي مبارك

[أقيمت فى كلية الآداب مناظرة بين الدكتور زكي مبارك والأستاذ لطفى جمعة برياسة الدكتور ابراهيم مدكور ، واشترك فيها فريق من طلبة الكلية ، وانتصر الحاضرون للرأى الذى دافع عنه الدكتور مبارك بهذه الخطبة الصريحة ، الخالصة من شوائب التودد للجمهور]

تعلمون أن أمثال هذه المناظرات لا يراد بها غير إيقاظ العقول بغرض طوائف من المذاهب والآراء ، فالمناظِر لا يؤاخَذ بالرأى الذى ينحاز إليه ، ولا يطالَب بالوقوف عند ما يؤمن بصحته من الأدلة والبراهين

ليست هذه المناظرات إلا حركة عقلية يراد بها عرض صور مختلفة للوجه الواحد من وجوه الفكر والرأى ، فليس من حق أحد أن يقول : إنى أدعو إلى الفوضى حين أقرر أنها من الفرص السوانح لازدهار الآداب والفنون

وبعد تسجيل هذا التحفظ أقول : إنى مؤمن بالرأى الذى أعرضه اليوم من فوق منبر كلية الآداب ، فلا يضيرنى أن أُتهَم بحمد الظروف التى تُشيع الفوضى فى المجتمع ، ولا يؤذينى أن تكون أصواتكم فى صف خصمى ، وهو صديق أعاديه فى هذه الساعة عداوة مؤقتة

وأسارع فأعترف بأنى أخاف أن تكون الهزيمة من نصيبى ، لأنى اخترت الجانب الشائك من مناظرة اليوم ، ولأنى أخشى أن يميل السامعون إلى إيثار السلامة ، فيميلوا تأييدهم لرأى الخصم المحترم ، حتى لا يقال : إن كليـة الآداب تشجع من يرى أن « الفوضى الاجتماعية » قد تعود بالنفع على الآداب والفنون ، وهى معهد يثور حوله الغبار من حين إلى حين

وأما أفترض سلفاً أن الهزيمة ستكون من نصيبى لأواجه الناظرة بعزيمة المستقتل المستميت ، ولأجد ما أعزى به نفسى حين ترونني أبليت فى الدفاع عن رأيى أحسن البلاء

ومن أجل هذا ، زهدت فى البراعة الخطابية ، وأعددت خطبتى ، وقـدِمتُ بها مكتوبةً بلغة صريحة ، لتكون حجة باقية على صحة الرأى الذى تعصبت له وانحزت إليه

أنا أرى أن الأدب لا يزدهر إلا فى عصور الفوضى الاجتماعية، فما هى الحجج التى تؤيد هذا الرأى الجرىء ؟

أستطيع أن أقول إن الفوضى الاجتماعية ترجّ الأذهان رجاً عنيفاً ، وتفتح أمام الأذواق أبواباً ومذاهب ، وتقهر العقول على التفكير فى مصاير الإنسانية عند اضطراب المجتمع

وأستطيع أن أقول إن الفوضى هى التى مهدت السبيل إلى ظهور الحكمة على ألسنة الحكماء ، ولو شئت لقلت إن النبوّات لم تظهر إلا فى الأوقات التى غلبت فيها الفوضى على المجتمع

فيكم من قرأ القرآن ، وفيكم من قرأ التوراة ، وفيكم من قرأ الإنجيل ؛ فهل فيكم من يجرؤ على القول بأن تلك الكتب المقدسة خلت من الثورة على اضطراب المجتمع؟ وهل فيكم من ينكر أن أعظم الجوانب فى تلك الكتب هى الجوانب الخاصة بالتشريع ؟

ولمن توضع قواعد الشرائع إذا اطمأن الأنبياء إلى أن المجتمع فى أمان من شر الفساد والانحلال ؟

وما قيمة الفضائل التى تمدّح بها الصالحون إذا صح أن العالَم صحيح الأديم وأنه لا يعرف التمييز بين الفاضل والمفضول ، ولا يشهد الفرق بين الصحة والاعتلال ؟

وهل سُمّيت الفضائل فضائل إلا بالقياس إلى الرذائل؟ وهل تصوّر الناس معنى الحياة إلا بعد أن شهدوا صورة الموت ؟ وهل أدركوا رَوْح اليقين إلا بعد أن أدركوا قلق الارتياب ؟

اسمعوا كلمة الحق

إن سلامة المجتمع من الفوضى والاضطراب لا تصل بالناس إلا إلى غاية واحدة : هى الأمان المطلق ، والأمان المطلق يقود الناس إلى هاوية البلادة والغفلة والحمق

وأنا لا أنكر أن السعادة قد تكون من نصيب الأحمق والغافل والبليد ، ولكنى أنكر أن يكون التفوق فى الأدب من نصيب هذا الطراز من « السعداء » فالأدب فنٌّ من المحنة باصطراع العقول ، واصطخاب الأهواء ، واضطرام الأباطيل ، وهو التعبير الصادق عما يثور فى المجتمع من الاقتتال العنيف بين الرشد والغىّ

هل قرأتم وصف الجنة فى الكتب الدينية ؟ فيها من كل

فاكهة زوجان ، وفيها حورٌ عين كأمثال اللؤلؤ المكنون ، فيها كل الطيبات ، وفيها الأمان المطلَق من المرض والموت . ولكن هل سمعتم أن الجنة سيكون فيها كتّاب وشعراء وخطباء وجرائد ومجلات وكلية آداب ؟

وكيف تكون هذه المعانى فى الجنة وقد أراح الله أهلها من سيال الشهوات والأهواء ؟

قيل إن أهل الجنة سيكون أكثرهم من البُـله ، وقيل فى تفسير ذلك إن البُله يقلّ تعرضهم للموبقات فيخرجون من الدنيا بسلام وقد أهّلتهم البلاهة لاحتلال الفردوس

وأقول بغير ذلك التفسير ، أقول إن أهل الجنة سيكونون بُلهاً لأن الله سيرحمهم من التعرض لآفات الشطط والجموح فى ميادين الفكر والعقل والوجدان

وما حاجة أهل الجنة إلى الذكاء وهو عناء؟ إن الذكاء وسيلة للتخلص من المعاطب ، وأهل الجنة فى أمان من المعاطب

والأدب فى جوهره تعبيرٌ عن بلاء الإنسانية بالصّراع بين الُحسن والقُبح ، والنضال بين الشك واليقين ، فما حاجة أهل الجنة إلى ذلك التعبير وهم يُرزَقون بلا حساب ، ولا يحسّون الخوف من تلون النفوس وتقلب القلوب ؟

وأنتم تستطيعون الوصول إلى ما يشبه نعيم الجنة فى كل وقت ، إن رضيتم بحظوظكم فى الحياة ، ولكنكم لن تكونوا أدباء ، لأن الأدب ليس إلا تعبيراً عن ظمأ الأرواح والقلوب إلى غايات عالية لا يدركها الراضون عن حظوظهم فى الحياة

الأدب يأخذ وَقوده من قلق الأفئدة والأرواح والعقول ، ولا يقع ذلك القلق إلا عند اضطراب المجتمع . فليت شعرى كيف يجد خصمى حجته وهو ينتظر ازدهار الأدب فى رحاب المجتمع الهادئ الرزين ؟

الأدب من صور الحياة ، والحياةُ تقلّبٌ وتفزّعٌ وصراع ، وهل يعرف السلام المطلق غير الأموات ؟

إن أساتذة الآداب يتحدثون بأن عصور الانحطاط السياسى فى الدولة العباسية كانت عصور تقدم فى العلوم والآداب والفنون وهم يعللون ذلك بالتنافس بين الرؤساء والأمراء والملوك

فما رأيكم فيمن يذكر لذلك سبباً آخر هو اليقظة التى خلقها انحلال المجتمع السياسى فى العصر العباسى ؟

وهل كان للنزاع بين العرب والفُرس إلا صورة من صور الاضطراب فى المجتمع الإسلامى ؟ هو ذلك ، ولا ريب ، فأين من ينكر أن النزاع بين العرب والفرس عاد على الحياة الأدبية بأجزل النفع ، وقدم للأدباء فرصاً ثمينة لتشريح خصائص الشعوب ؟

وتسمعون فى كل يوم أن مصر لها الزعامة الأدبية بين الأمم العربية . فمن أين وصلت إلينا الزعامة وهى حق ؟ أترونها نزلت علينا من السماء بعد انقضاء عصور الوحى ؟ أترون الأمم العربية قدمتها إلينا هدية ؟ لا هـذا ولا ذاك ، وإنما كانت لنا الزعامة الأدبية لأننا نفوق سائر الأمم العربية فى التمتع بأكبر نصيب من اضطراب المجتمع ، وإليكم بعض البيان :

فى بلادنا تصطرع جميع المذاهب والعقائد وفى بلادنا تقتتل جميع العادات والتقاليد . وفى بلادنا يلتقى البحران : بحر المدنية الشرقية وبحر المدنية الغربية . وفى بلادنا يجتمع الضب والحوت ، وتمتزج أنغام المؤذنين بأصوات النواقيس

عندنا برج بابل المشهور فى التاريخ ، بل عندنا برجان هما الأزهر والجامعة المصرية ، يتجه أحدهما إلى الشرق فيكون خلف الضفة الشرقية للنيل ، ويتجه ثانيهما إلى الغرب فيكون حول الضفة الغربية

وهذا اضطراب بلا جدال ، لأنه تقلُّب للوجوه بين الشرق والغرب ، ولكن من هذا التقلب ظفرتْ مصر بالزعامة الأدبية بين الأمم العربية

فالأديب المصرى يغرّب إن شاء فيرى القاهرة فى ثياب (أليس)ومرجريت، ويشرق إن شاء فيراها فى عباءة ليلى وظمياء

وبفضل هذه البلبلة بين الحضارة والبداوة نهضت قواعد الأدب المصرى الحديث

وقد حدثت تلاميذى بكلية الآداب فى سنة ١٩٢٧ أن الأدب لن يسمو ولن يرتفع إلا إذا اشتركت المرأة فى سياسة المجتمع

ومعنى ذلك أن المرأة تخلُق فى حياة الرجل ألواناً من الرضا والغضب ، والقسوة واللين ، وتسوق إليه فنوناً من الرفق والعنف والبؤس والنعيم

المرأة مصدر اضطراب فى حياة الرجل ، وبفضل عصيان جدتنا حوّاء عرف جدنا آدم هـذه الأرض ، فحرث وزرع وحصد ، وعرف معانى اليأس والرجاء ، ومهّد لأبنائه سبيل الأدب الرفيع بوصف ما فى الحياة من أزهار وأشواك ، وحقائق وأباطيل

والمرأة الوديعة لا تخلُق الأديب ، وهل فى الدنيا امرأةٌ وديعة ؟

غضبة الله على جميع بنات حواء !

وما يهمني أن أدعوكم إلى الاصطباح والاغتباق بما عند الرعابيب من نزق وطيش، فلست من أنصار الفوضى الاجتماعية.

واشتراك المرأة في المجتمع يجره حتماً إلى الفساد والاضطراب،

وإنما يهمني أن أنص على أن الشر الذي يصحب حياة المرأة يورّث الحاسة الأدبية والفنية، بفضل ما يورّث من الأذواق والأحاسيس

وفي الدنيا أحبار ورهبان وأشياخ كفاهم الله شر المرأة، فعاشوا سعداء، لا ينتقلون من البيت إلا إلى المعبد، ولا من المعبد إلا إلى البيت، وذلك نموذجٌ للحياة الخالصة من شوائب القلق والانزعاج

ولكن هؤلاء لن يصيروا أدباء، ولن يكون لهم مكان بين أقطاب الفكر والعقل والذوق، وإن ظفروا بنعمة عظيمة هي السلامة من شر الناس

ومالي أبعُد بكم في عرض الشواهد ؟ نحن اليوم في كلية الآداب، فما هو السرّ في تفوق هذه الكلية من الوجهة الأدبية؟

أيكون السرّ في أنها تدرس علوماً لا تدرس في الأزهر ودار العلوم؟

إن كان اختلاف العلوم هو سرّ التفوق فمن حق الأزهر أن يقول إنه يدرس علوماً لا تدرس في كليات الجامعة المصرية. ليس السرّ في المكان، وإنما السر في السكان، كما يقول أهلنا في الريف

إنما تتفوق كلية الآداب بسبب ما تعاني من الفوضى الاجتماعية فهي أول معهد يلتقي فيه الفتيان والفتيات بلا تحجُّب ولا مداراة، فإن لم تكن أول معهد يلتقي فيه الفتيان والفتيات في الدرس الواحد فهي أول معهد كثر فيه بنات حواء حتى بلغ عددهن المئات

ومن المؤكد أننا غير راضين في سرائر أنفسنا عن هذه الصورة من صور المجتمع، وليس فينا من يطمئن كل الاطمئنان إلى أن تكون ابنته غرضاً للعيون، يتأثر خطواتها من يشاء من أهل الفضول.

كلية الآداب في فوضى اجتماعية بشهادة الأفاضل من رجال الدين وبشهادة الأستاذ أمين الخولي. وفي هذه الفوضى إثمٌ كبير وفيها منافع، فما هي تلك المنافع ؟ هي إذكاء المشاعر والعواطف والأحاسيس. هي قهر الفتيان والفتيات على تجميل مذاهبهم الحيوية في تناول شؤون الوجود

وهل من العيب أن يقال إن كل فتًى يسرّه أن يكون موضع الإعجاب من إحدى الفتيات ؟

اتركوا النفاق لحظة واحدة واسمعوا صوت الحق

إن الطالب في كلية الآداب لا يستطيع ولن يستطيع أن ينسى أنه محوط بأرواح لطاف ستنال حياته الحاضرة بالتغيير والتبديل. وهذا الطالب أحد رجلين : رجل بسيط يتجمل بالظواهر والأشكال فيحرص على هندامه بعض الحرص أو كل الحرص، ليظهر أمام الفتيات بمظهر مقبول. ورجل عبقريّ الروح لا تهمه المظاهر والأشكال، وإنما يهمه أن يكون رجلاً يملك السيطرة بالمنطق والعقل والبيان

ومن هنا يجوز لكم أن تنتظروا مطلع الشمس من هذه الكلية، يوم يكون فيها طالبات لا يرون الرجولة في المظاهر والأشكال، وإنما يرون الرجولة في فحولة الأفكار والآراء والعقول. وإنما اخترت كلمة «يرون» بهذه الصورة الصرفية لأن بنات هذه الكلية «سيكونون» في إسناد الضمائر «مساوين» للرجال في مضمار المذاهب والآراء

ولن يقع ذلك بدون فوضى اجتماعية، ولكن تلك الفوضى ستصنع الأعاجيب في تأريث القلوب والعقول

أنا أكره الفوضى، وأرجو أن تخلو منها حياتي وحياتكم وحياة الأساتذة بهذه الكلية، إن صح أن فيكم وفيهم من ابتلته المقادير بالشكاية من اضطراب المجتمع الجديد

ولكني أقف هنا موقف المؤرخ لظاهرة من الظواهر الأدبية في معهد قد اشتغلتُ فيه بالتدريس أربع سنين، ومن حق عليه أن يسمح بأن أجهر في رحابه بقول الحق، فأقرر أن الأدب يزدهر في عصور الفوضى الاجتماعية

وهل أراني في حاجة، بعد الذي سلف، إلى أدلة وبراهين ؟ اسمعوا، اسمعوا :

(البقية في العدد الآتي)

زكي مبارك

في الاجتماع اللغوى

صراع اللغــــات

للدكتور على عبد الواحد وافى

مدرس العلوم الاجتماعية بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

ذكرنا فى مقال سابق[١] أن الصراع بين اللغات ينشأ عن عوامل كثيرة أهمها عاملان : أحدهما أن ينزح إلى البلد عناصر أجنبية تنطق بلغة غير لغة أهله ؛ وثانيهما أن يتجاور شعبان مختلفا اللغة ، فيتبادلا المنافع ، ويتاح لأفرادهما فرص للاحتكاك المادى والثقافى . ثم تكلمنا عن الحالات التى يؤدى فيها العامل الأول إلى تغلب إحدى اللغتين على الأخرى وما يمتاز به هذا التغلب من خصائص وما يتصل به من شؤون

وسنعرض فى هذه الكلمة للحالات التى يؤدى فيها العامل الثانى إلى مثل هذه النتيجة

* * *

يتيح تجاور شعبين مختلفى اللغة فرصاً كثيرة لاحتكاك لغتيهما فتشتبكان فى صراع ينتهى أحياناً إلى تغلب واحدة منهما على الأخرى فتصبح لغة الشعبين ؛ ويحدث هذا فى حالتين :

الحالة الأولى : إذا كانت نسبة النمو فى أحد الشعبين كبيرة لدرجة يتكاثف فيها ساكنوه ، وتضيق مساحته بهم ذرعاً ، فيشتد ضغطه على حدود الشعب المجاور له ، وتكثر تبعاً لذلك عوامل الاحتكاك والتنازع بين اللغتين . وفى هذه الحالة تتغلب لغة الشعب الكثيف السكان على لغة المناطق المجاورة له ؛ على شريطة ألا يقل عن أهلها فى حضارته وثقافته وآداب لغته . ويتأكد انتصاره إذا كان أرقى من أهلها فى هذه الأمور

والأمثلة على ذلك كثيرة فى التاريخ . وأكثرها دلالة بهذا الصدد ما كان من أمر اللغة الألمانية ؛ فقد طغت على مساحة واسعة من المناطق المجاورة لألمانيا بأوربا الوسطى (بسويسرا وتشيكوسلوفاكيا

(١) عدد ٣٤٧ صفحة ٣٢٥ وتوابعها

وبولونيا والنمسا ... الخ) وقضت على لهجاتها الأولى[١]

الحالة الثانية : إذا تغلغل نفوذ أحد الشعبين فى الشعب المجاور له ، وفى هذه الحالة تتغلب لغة الشعب القوى النفوذ ، على شريطة ألا يقل عن الآخر فى حضارته وثقافته وآداب لغته ؛ ويتأكد انتصاره إذا كان أرقى منه فى هذه الأمور

والأمثلة على ذلك كثيرة فى مختلف مراحل التاريخ . فلغة شعوب « الباسك » Basque قد أخذت تنهزم أمام اللغــة الفرنسية فى المناطق التى تغلغل فيها نفوذ الفرنسيين ، وأمام اللغة الإسبانية فى المناطق التى تغلغل فيها نفوذ الإسبانيين حتى كادت تنقرض فى كلتيهما[٢] . — واللهجات السلتية[٣] التى كان يتكلم بها معظم السكان بإرلندا واسكتلندا وويلز قد أخذت تنهزم أمام اللغة الإنجليزية منذ أن تغلغل نفوذ انجلترا فى هذه البلاد ، حتى زالت من لغة الأدب والكتابة ، وكادت تنقرض انقراضاً تاماً من لغــة الحديث . وهكذا كان مصير اللهجة السلتية التى بقيت بمقاطعة البريتون Bretogne (فى القسم الغربى من فرنسا على سواحل الأطلانطيق) ، فقد أخذت تنهزم أمام اللغة الفرنسية منذ أن تغلغل نفوذ فرنسا فى هذه المقاطعة ، حتى لم يبق

(١) يرجع بعض مظاهر هذا التغلب إلى الغارات التى شنها الجرمان قديما على هذه المناطق ، أي إلى أمور تتصل بالعامل الأول لا بهذا العامل . فالتمثيل هنا مقصور على الحالات التى تم فيها تغلب اللغة الألمانية فى صورة سلمية تحت تأثير الجوار وتكاثف السكان

(٢) تقطن شعوب « الباسك » منطقة جبال البرانس الغربية فى المدونتين الأسبانية والفرنسية بمناطق بيسكاى Biscaye وألافا Alava وجويبوزكوا Guipuzcoa ونافار Navarre. (بأسبانيا) وبمناطق بيون Bayonne ومولِيون Mauléon بفرنسا — وتسمى لغتهم بالباسكية أو الأسكارا Euskara . وهى ليست من فصيلة اللغات الهندية الأوربية ، ولا من فصيلة اللغات السامية

ويدل الاحصاء الذى عمله الأستاذ لويس لوسيان بونابرت Louis Lucien Bonaparte عام ١٨٧٣ على أن عدد المتكلمين بهذه اللغة يبلغ نحو ٦٦٠ ألفا فى أسبانيا ونحو ١٤٠ ألفا فى فرنسا — ولكن ليس من شك فى أن منطقة اللغة الباسكية ، وبخاصة منطقتها الأسبانية ، كانت قديما أوسع كثيراً مما يرشد إليه هذا الاحصاء ؛ وقد ضاقت الآن عما كانت عليه عام ١٨٧٣ لتغلب اللغتين الفرنسية والأسبانية على كثير من أجزائها وخاصة فى إقليم نافار Navarre

هذا ، وقد هاجر إلى أمريكا عقب كشفها بعض أسرات من الباسكيين فانتشرت لغتهم فى المناطق التى حلوا بها ، ولا ينفك يتكلم بها الآن بضعة آلاف من أعقابهم ، وتصدر بها بعض صحفهم ومجلاتهم .

(٣) هي لهجات شعوب السلت Celtes ، التى كانت قديما تقطن أوربا الوسطى ، ثم انتشرت عشائر منها بفرنسا وإسبانيا وبريطانيا . ولغاتها من الفصيلة الهندية — الأوربية

لما إلا آثار ضئيلة فى لغة الحديث بين الأميين من الشيوخ[١] . — واللغة الفرنسية قد تغلبت على لهجات الناطق المجاورة لها ببلجيكا وسويسرا ؛ فأصبحت الآن لغة الحديث والكتابة لجميع سكان والونيا Wallonie[٢] ببلجيكا ولنحو ٢٢٪ من سكان سويسرا . — واللغة الإيطالية قد تغلبت على لهجات الناطق المجاورة لها بسويسرا ، فأصبحت الآن لغة الحديث والكتابة لنحو ٣ر٥ ٪ من سكان هذه الجمهورية

وعلى هذا الأساس نفسه تتغلب فى المملكة الواحدة لغة المقاطعة التى تكون بها العاصمة أو يكون لأهلها السلطان والنفوذ؛ فلوقوع عاصمة بلجيكا (بروكسل) فى مقاطعة والونيا ذات اللسان الفرنسى ، ولأن سكان هذه المقاطعة يتمتعون بقسط كبير من النفوذ والسلطان فى هـذه المملكة ، أخذت اللغة الفرنسية تتغلب على الفلامندية (لغة القسم الشمالى من بلجيكا المسمى « فلاندر ») وتنتقصها من أطرافها . ولوقوع عاصمة سويسرا (برن) فى القسم الناطق بالألمانية ، ولأن سكان هذا القسم يتمتعون بأكبر قسط من النفوذ والسلطان وتتألف منهم الأغلبية الساحقة (يتكلم الألمانية فى سويسرا نحو ٧٠٪ من أهلها) أخذت اللغة الألمانية تطغى على ألسنة الناطقين بالفرنسية من السويسريين . وقد أخذت لغة قريش قبيل الإسلام تتغلب على اللغات المضرية الأخرى ، لما كانت تتمتع به من سلطان أدبى ، ويستأثر به أهلها من نفوذ دينى وسياسى

وفى كلتا الحالتين السابقتين لا يتم النصر غالباً لإحدى اللغتين إلا بعد أمد طويل يبلغ أحياناً بضعة قرون ، فالصراع بين الألمانية والفرنسية بسويسرا قد بدأ منذ عهد سحيق ؛

(١) ظلت هذه المقاطعة تتمتع بشىء من الاستقلال الذاتى حتى عام ١٤٩١ (فى عهد شارل الثامن) . ومن ذلك العهد اعتبرت تابعة للتاج الفرنسى . ولكن لم يتم ضمها إلى فرنسا إلا عام ١٥٣٢ فى عهد فرنسوا الأول — وقد انقرضت اللغة السلتية فى هذه المقاطعة انقراضا تاما من لغة الكتابة والأدب . وانقرضت كذلك من لغة الحديث بين أبناء الجيل الحاضر وكادت تنقرض من لغة الشيوخ أنفسهم — وقد زرت هذه المقاطعة وقضيت بضعة أشهر متنقلا فى بلادها ، فلم أسمع هذه اللغة إلا من عدد قليل من الشيوخ الأميين . وحتى هؤلاء أنفسهم لا يتكلمون لغتهم هذه إلا فيما بينهم؛ أما مع غيرهم فيتكلمون الفرنسية . ولكن ينال كلماتها وتراكيبها وأساليبها فى ألسنتهم كثير من التحريف

(٢) هو القسم الجنوبى من بلجيكا ، وينحدر سكانه من أصول سلتية ولاتينية . على حين أن القسم الشمالى المسمى بالفلاندر Flandre ينحدر سكانه من أصل جرمانى ويتكلمون الفلامندية وهى إحدى شعب اللغات الجرمانية الغربية

ومع ذلك لم يتم بعد للألمانية النصر النهائى . والصراع بين اللغة الفرنسية واللسان السلتى الذى يتكلم به البريتونيون (سكان مقاطعة البريتون Bretogne) قد نشب منذ عدة قرون ؛ ومع ذلك لا يزال كثير من شيوخ البريتون فى العصر الحاضر يتكلمون بهذا اللسان . ولا تزال اللهجة السلتية لغة محادثة بين عامة الإيرلنديين فى العصر الحاضر ، مع أن تغلب الإنجليزية عليها قد بدأ فى هذه البلاد منذ أواخر القرن الحادى عشر الميلادى . وقد أخذت لغة قريش تطغى على اللغات المضرية الأخرى منذ العصر الجاهلى ؛ ومع ذلك ظلت هذه اللغات حية فى كثير من المواطن إلى أواخر العصر العباسى

وغنى عن البيان أن انتصاراً لا يتم إلا بعد أمد طويل لا يخرج المنتصر من معاركه على الحالة التى كان عليها من قبل . فاللغة التى يتم لها الغلب لا تخرج سليمة من هذا الصراع . بل إن طول احتكاكها باللغة الأخرى يجعلها تتأثر بها فى بعض مظاهرها وبخاصة فى مفرداتها كما سبقت الإشارة إلى ذلك فى العامل الأول[١] . غير أن مجرد العامل الذى نحن بصدد الكلام عنه من عنف النزاع وشدة المقاومة ، وحدوث نتائجه فى صورة سلمية متدرجة بطيئة ، كل ذلك يعمل على وقاية اللغة الغالبة ، ويخفف من مبلغ تأثرها باللغة المغلوبة

والألفاظ الأصيلة للغة الغالبة ، ينالها بعض التحريف فى ألسنة المحدثين من الناطقين بها (المغلوبين لغوياً)، فتختلف بعض الاختلاف فى أصواتها ودلالاتها وأساليب نطقها عن صورتها الأولى .

والكلمات الدخيلة التى تقتبسها اللغة الغالبة من اللغة المغلوبة ينالها كذلك بعض التحريف فى حروفها ومعانيها وأساليب نطقها فتبعد فى جميع هذه النواحى عن شكلها القديم

***

وتقطع اللغة المغلوبة فى سبيل انقراضها نفس المراحل التى أشرنا إليها فى العامل الأول[٢] فينفذ الانحلال أولاً إلى مفرداتها ثم إلى أصواتها ومخارج حروفها وأساليبها فى نطق الكلمات ويتم الإجهاز عليها بالقضاء على قواعدها .

على عبد الواحد وافى
ليسانسيه ودكتور فى الآداب من جامعة باريس

(١) عدد ٣٤٧ صفحتى ٣٢٦ ، ٣٢٧
(٢) عدد ٣٤٧ صفحة ٣٢٧

العقلية الألمـــانية

من فصول الدراسة اللغوية

للأستاذ أبي حيان

كنا فى ساعة من تلك الساعات الجميلة التى تتكاشف فيها الأذهان ، وتتصافى فيها العقول ، وتنطلق فيها الخواطر ؛ والتى تدّخرها الذاكرة بين أطوائها ، لتكون ذخيرة من السعادة ، تستمدها النفس فى أيام الشقاء ، وتنعم باستحضارها كلما طغت عليها الآلام ، وحزبتها الأيام . وكنا نتدارس فى تلك الساعة طرفاً من علم اللغات المقارن ، مما يتعلق بعلامات الإعراب ، ومكانها فى مختلف اللغات ، وأنها سمة من سمات اللغات البادية : كاللاتينية القديمة ، واليونانية الأولى . وما بقاؤها فى اللغة العربية الشريفة ، وقد جازت دَور البداوة ، وشاركت فى بناء الحضارة ، وأعرقت فى ذلك إعراقاً ، إلا مظهر من مظاهر القداسة التى أسبغها القرآن الكريم عليها ، بنزوله بها . والقرآن خالد خلود النفس : لا تبديل لكلمه ، ولا تغيير فى نظمه ، ولا تحوير لوضعه ؛ وكذلك اللغة العربية التى ارتبط كيانها بكيانه ، وأخذت مكانها من مكانه . فهذه العلامات الإعرابية هى فى حقيقة وضعها ومرد أمرها ، مظهر من مظاهر البداوة الإنسانية فى دور من أدوارها .

ولقد تنزل هذا الرأى من عقولنا ومشاعرنا منازل متفاوتة ، فنا من مال إليه وأخذ به لطرافته ، ومنا من أنكره لغرابته ، إلى غير ذلك من الحالات المختلفة باختلاف المزاج العقلى ، ولكنه لم يلبث أن أثار فى أنفسنا طائفة من الخواطر متعارضة ، فلم يلبث ذلك المجلس الهادئ القارّ الرزين أن تحول عن هدوئه ، حين انطلقت تلك الخواطر متدافعة متضاربة ... فاج الجو من حولنا وثار ، وطال الجدَل واشتد ... وقد اختلفت أساليب المحاجة ، وتشعبت طرائق القول وأفانينه ، على ما يقع فى الخاطر ، وعلى ما توحى به المناقشة .

ولكن أحدنا ، وكان فى معارضة الرأى منذ بدا ، وكأنما كان يدخر ـ لحاجة فى نفسه ـ هذا الوجه الأخير من المعارضة ، أخذ يقول : « كيف يستقيم هذا الرأى لكم ، وكيف يصح فى الاعتبار العلمي ، إذا كان بين يدينا ما يأتى بنيانه من القواعد؟ أنسيتم أن اللغة الألمانية من اللغات المعربة التى تلتزم الإعراب التزاماً لا هوادة فيه ولا تسامح فى قواعده ؟ إذن ، فاعلموا أنكم بين اثنتين لا ثالثة لهما : إما أن تنزلوا عن رأيكم ، وتحتسبوا لدى « الجدل المجرد » جهدكم ، وإما أن تلجوا فى مذهبكم ـ وأعيذكم من اللجاجة فى الباطل حين يكشف عنه غطاؤه ـ فتزعموا أن اللغة الألمانية لغة متبدية ، وأن الجنس الألمانى لا يزال فى دور من أدوار البداوة . ويالها إذن من جرأة على الواقع ومجازفة بالقول ! إذ ما كان لأحد أن يذهب به وهمُه هذا المذهب ، فاللغة الألمانية هى — فيما يعترف الناس جميعاً — لغة الحضارة فى أوسع معانيها ، وأكمل ما عرف من صورها ... »

ثم أخذ صاحبنا يمد شعب الحديث فى كل مذاهبه الممكنة ، ويفيض فى بيان هذه الحضارة وتمجيد أصحابها ، ويستشهد من هنا وهناك ، فى حماسة متقدة ، وبلاغة خلّابة ، حتى لحسبناه — ونستغفر الله — داعية من دعاة النازى ، فهو يجرب فينا أساليبه ، ويتخذ منا موضوعاً له . وهكذا لم يلبث الميدان أن تحول ـ على غير إرادتنا ـ من بحث لغوى ومدارسة علمية ، إلى جدل سياسى ، يهدأ ويفور ، ويعتدل ويجور ؛ وبقيت المسألة الأولى فى موضعها حتى اليوم ـ فيما أعلم ـ لم يبتّ فيها برأى ، ولم ينته فيها إلى مقطع .

انفض هذا المجلس ومضى كل ما فيه ، إلا من هذه النفحة الروحية الخالدة — التى أودعها الله فينا — وأطلقنا عليها كلمة « الذاكرة » ، فقد أضفت عليه معنى الخلود ، ومضت به تختزنه بين ما تختزن ، مما يعمل دائباً فى تكوين شخصية هذا الإنسان الظاهرة والمستكنة ، والحاضرة والمستقبلة ؛ حتى إذا هاجته الحوادث ، واستثارته الأشباه والنظائر ، برز من مكمنه ، وأخذ يؤثر فى خيالنا ، كما تؤثر المحسوسات فى حواسنا .

وأنا منذ الحرب القائمة لا تزال الذاكرة تطلق لى صورة ذلك المجلس ، وما تفتأ هذه الصورة تختال لى ، وترود أمامى ، وتتبرج لعقلى . فإذا بى أسائل نفسى : أيكون الشعب الألمانى لا يزال يعانى البداوة فى دور من أدوارها ؟ أليست هذه المظاهر المختلفة فى مسلكه من الحرب وإثارتها ، وفى تقديره للحرية الشخصية وقيمتها ، وفى تلك الدعاوى العريضة التى لا يفتأ يقررها ويلج فيها ، وفى غير ذلك من الملابسات التى تنتظم الماضى والحاضر ، أليس كل ذلك

أشبه بالعقلية البدوية ؟ وهذه المظاهر الفخمة المتطاولة التي تزعم للناس أنها واهبة الحضارة ، ورافعة بنيانها ، ومثبتة أركانها ؟ ألا يمكن أن يكون وراءها روح بدوية غلابة متغلغلة في العقلية الألمانية ، هي التي تنهج لهذا الشعب سبيلها ، وتفرض عليه قوانينها ، وتحدد له غاياتها ؛ وهي التي بعثته إلى هذا المسلك وإلى نظائره في التاريخ القريب ، مما نحن في مشاهده المنكرة ، وآثاره المروّعة ؟

لعل ذلك كله جائز مقبول ، وإن الدراسة اللغوية هي — فيما نعتقد — من صميم الدراسات المتعلقة بعلم الإنسان Anthropologie ، ومن خير المقدمات التي تهدي إلى معرفة طبائع الشعوب وخصائص الأجناس . فإذا اطردت هذه الدراسة اللغوية مع نتائج الأبحاث الاجتماعية كان ذلك أقوى لها ، وأجدر أن يخرجها من دائرة الفروض ، ويدنو بها إلى منطقة الحقائق العلمية . فهل لنا أن نذهب ذلك المذهب فيما نحن بصدده ؟

أبو عبادة

تحقيق تاريخي

عام الفيل وميلاد الرسول

[تقدمة تحية إلى الدكتور محمد حسين هيكل باشا]

للدكتور اسماعيل أحمد أدهم

عام الفيل

كان الرأي الشائع في الدوائر التاريخية العلمية أن المصادر اليونانية لم تتحدث عن تعرض الأحباش للحجاز ، ولا عن سفر الفيل[1] غير أن المباحث الدقيقة التي نشرها المستشرق العلامة تيودور نولدكه عن تاريخ صلات الفرس بالروم[2] . بينت أن المؤرخ بروكوب اليوناني تحدث عن تعرض الأحباش للحجاز بتحريض الروم[1] ، ومن ذلك الحين اتخذت الدراسات التاريخية وجهة أخرى تبدأ فيها بدراسة الوقائع من وجهة نظر المصادر اليونانية ، وتمحص على أساسها ما ورد في كتب المؤرخين العرب[2] ، وهذه الوجهة التي مال معها المستشرقون صحيحة الأسس ، لأن مؤرخي العرب تأخر بهم العهد نحو ثلاثة قرون من الزمان ، تدرجت فيها وقائع الجاهلية العربية على الأفواه وتنقلت على الألسنة في فترة من الزمان ، حمل في تضاعيفه من الأسباب القوية ما يجعله يتناول الواقعات والحوادث التاريخية بتأثيره ، فينسج من حول مادتها الأقاصيص المتقومة بروح العصر وهكذا كان أن سلمت وقائع الجاهلية العربية لعصر التدوين في القرن الثاني للهجرة ، بعد أن غابت حقائق هذه الوقائع في تيه من الأساطير التي حيكت من حولها والتي غطت على أمرها[3] ، ومن هنا نجد للمصادر اليونانية قيمتها التاريخية ، باعتبارها مصادر معاصرة للوقائع التي جرت ، ومن هنا يمكن اتخاذها محكا لدراسة الروايات العربية ، واستخراج العناصر التاريخية منها

يذكر لنا بروكوب أنه في السنة الخامسة من حكم الامبراطور جوستنيان ، أعني حوالي سنة ٥٣٠ ميلادية ، حمل الأحباش على اليمن واستولوا عليها . وهو يصوّر أسباب هذه الحملة اعتماداً على ما يقدره يوحنا المؤرخ اليوناني فيقول : ان يوسف ذا نواس (دومينوس الحميري : عند يوحنا) قبض على بعض التجار من نصارى الروم وقتلهم ، واستعبد نصارى نجران ، وأخذ يقطع السبيل على تجارة اليونان ، فكان نتيجة ذلك أن كسدت التجارة وساءت الحالة الاقتصادية . وقد تضرر من هذه السياسة أقيال اليمن ، فخرجوا تحت لواء أحدهم ، وهو « أيدوج » الوثني ، وجرت بينهم وبين ذي نواس معارك وحروب لم يثبت فيها ، وانتهى أمره بأن قتل . وانتهز الأحباش فرصة تحارب اليمنيين فشنوا الغارة على بلاد اليمن تحت قيادة « أبرهة » ـ الذي كان في الأصل عبداً لأحد تجار الروم النازلين ثغر أدوليس ـ وفتكوا

---

(١) Caussin de Percival في Essai sur l'Histoire des Arabes avant l'Islams ، باريس ١٨٤٧ ، ص ١٤٥

(٢) Theodor Noldcke في Geschichte der Perser und Arabern zur zeit der Sasaniden ، ليدن ١٨٧٩ ، ص ٢٠٠

---

(١) Prokop في De Bello Persico ، بن ١٨٣٣ ، ج ١ ص ٢٠ ، ١٠٤ ، ١٠٧

(٢) Leone Ceatani في Annali dell'Islam ، ميلانو ١٩٠٥ ، فقرة ١١١ و ١١٧

(٣) I. A. Edham في Islam Tarcki ، استانبول ١٩٣٥ ، ج ١ ص ٢٩١ وكذا من مصادر التاريخ الاسلامي ، الاسكندرية ١٩٣٦

بأيدوج ، وأخضعوا اليمن لسلطة نجاشي الحبشة[١]

غير أن المصادر العربية تجمل من أيدوج هذا قائداً حبشياً ، وتسميه أرياط وأنه باسم النجاشي حارب ذا نواس ، وبعد أن تغلب عليه حكم اليمن ؛ إلا أن « أبرهة الأشرم » أحد قواد الحملة الحبشية ثار عليه ونجح فى إزاحته عن السلطة ، وتمكن من قتله وبسط نفوذه على اليمن كلها وحكمها باسم النجاشى[٢] . ونقطة الاختلاف هذه من الممكن تحقيقها ، لـكنها لا تقع من غرضنا فى هذا البحث، وإنما الذى يهمنا تقديره أن المصادر العربية تماشى المصادر اليونانية فى أن اليمن سقطت تحت حكم الأحباش بعد عهد ذى نواس (دومينوس[٣]) . وبعد أن استولى الأحباش على اليمن واستقروا فيها مدّة ، حدث أن أرسل الامبراطور جوستنيان سفيراً يدعى جوليان ، عرض من قبـله على النجاشى فكرة عقد محالفة مع الروم ضدّ الفرس ، ويكون دور الأحباش فيها التعرض للفرس من جهة بلاد العرب المتاخمة لجنوب غربى الحدود الفارسية ، وذلك لتخفيف الضغط على الروم فى صراعهم مع الفرس على تخوم الحدود بين الامبراطوريتين[٤] . وهذه السفارة حدثت فى حدود سنة ٥٤٠ ميلادية[٥] ، كما يعيّن ذلك التاريخ المصادر اليونانية ، فى وقت كانت الصلات قوية ووثيقة بين النجاشى وامبراطور الروم . ومما لا شك فيه أن جوستنيان اعتمد على هذه الصلات أولاً ووحدة العقيدة الدينية التى تجمعه بنجاشى الحبشة ثانياً ، ليطلب مؤازرة النجاشى له فى الحرب التى اشتدت بينه وبين كسرى أنو شروان سنة ٥٤٠ ميلادية[٦]

ولم تكن فكرة إمكان مساعدة الأحباش للروم فى صراعهم ضد الفرس ، إلا فكرة خيالية لا يمكن أن تتحقق فى عالم الواقع . إذ لم يكن الأحباش أصحاب أسطول بحرى ضخم يمكنهم من غزو

(١) Prokop فى المرجع السالف الذكر

(٢) حسن ابراهيم حسن فى تاريخ الاسلام السياسى ، القاهرة ١٩٣٥ ج ١ ص ٤٤ واسرائيل ولفنسون فى تاريخ اليهود فى الجاهلية وصدر الاسلام ، ص ١١٦

(٣) I. A. Edham في المرجع المذكور سابقا ، ص ٢٩٢

(٤) Th. Noldekc في المرجع السالف الذكر ، ص ٢٠٠ ، ٢٠١

(٥) Leone Ceatani فى الكتاب المذكور ، فقرة ١٠٨ ، الحاشية رقم ١

(٦) الكاتب فى الكتاب المذكور له ، ص ٢٩٢ وكذلك ص ٢٠٠

فارس من جهة الخليج الفارسى ، ولا كان فى إمكانهم إرسال حملة من اليمن قاعدتها فى بلاد العرب عبر صحرائها للتعرض للتخوم العربية الفارسية ، لأن طبيعة تضاريس بلاد العرب ، لا تجعل وجهاً لإمكان نجاح مثل هذه الحملة[١] . وقد أمكن النجاشى أن يدرك هذه الحقيقة ، لإلمامه بالموقف الذى غاب عن الروم وقيصرهم ومن هنا كانت المماطلة دائماً من جانب النجاشى والاعتذار عن إمكان تقديم مساعدة فعالة للروم فى صراعهم ضد الفرس[٢] .

فلما اشتد الصراع وبلغ أقصاه سنة ٥٤٠ ميلادية ، وأرسل جوستنيان رسولاً خاصاً (سفيراً) هو جوليان ، اضطر النجاشى مجاملة أن يأمر عامله على اليمن ، أبرهة ، أن يرسل قسماً من قواته شمالاً على زعم التحرك للتعرض للتخوم الفارسية . والطريق الطبيعى الممتد من اليمن إلى حدود فارس يمر بمكة وينتهى عند وادى الرمة أحد روافد الفرات فيما مضى[٣] . ومما لا ريب فيه أن الأحباش اتخذوا هذا الطريق مسلكهم نحو الشمال . غير أن القوات التى أرسلوها حين انتهت إلى الحجاز ، كان التعب قد نال منها والمرض قد أفنى معظم رجالها ، والجدرى فتك بجنودها[٤] فاضطر الأحباش أن يسحبوا قواتهم ويعتذروا بخسائرهم إلى الروم ، ويقفوا عند هذا الحدّ . غير أن العرب من سكان الحجاز كان قد هالهم تقدم الأحباش فى جيش عرمرم (بالنسبة لهم) ورأوا أنهم يبيتون لهم شراً ، فلما أصيبوا بالوباء ، ورجعوا ، أيقن العرب أن ذلك أثر من تداخل العناية الإلـهية التى حفظتهم مما كان الأحباش يبيتونه لهم[٥] . وهذا هو المصدر التاريخى الذى حيك من حوله

(١) البرنس ليون كاتيا فى الحوليات الاسلامية ، ميلانو ١٩٠٥ ، فقرة ١٠٨

(٢) Prokop في De Bello Persico ، ج ١ ص ٢٠ و ١٠٤ و ١٠٧

(٣) Charles M. Soughty فى Travels in Arabian Deserta, Cambridge 1888 ، ج ٢ ص ٣٢٩ و D. G. Hogalh فى The Near East ، لندن ١٩٠٢ ، ص ٦٩ ، ٧١ و ٧٢ و ٧٦

(٤) انظر لنا تاريخ الاسلام ص ٢٩٤ وكذا انظر كايتانى فى الحوليات الاسلامية ، ميلانو ١٩٠٥ ، فقرة ١٠٨ وتاريخ الخميس ، بولاق ١٣٠٢ ص ١٢ ، ٢١٦ ، وعلى وجه خاص ص ٢١٦ سطر ١٩ وكذا ابن دريد فى الاشتقاق ص ١٠١ سطر ٣ وابن خلدون طبعة بولاق ج ٢ ص ٩١ ، ٦٢ وتفسير الكشاف طبع الهند ج ٢ ص ١٦٣٢

(٥) تاريخ الاسلام ص ٢٩٥

كل روايات العرب عن سفر الفيل[١]

* * *

تروى المصادر العربيّة أن السبب فى تعرض الأحباش لمكة يرجع إلى أن أبرهة الأشرم شيد هيكلاً فى صنعاء حاضرة اليمن[٢] ، وذلك بغية صرف الناس عن الكعبة . غير أننا نعلم من المصادر المسيحية أنها لم تشر ألبتة إلى مسألة بناء هيكل جديد فى صنعاء حاضرة اليمن (العربية السعيدة Arabia Felix) على عهد أبرهة[٣] . هذا فضلاً عن أن المؤرخ أوزيب فى بحثه عن « تاريخ الكنيسة » ، يتناول بالذكر النصارى من العرب وقساوستهم وأصحاب المآثر منهم على الكنيسة، وهو لا يذكر شيئاً عن أبرهة، وعن تشييد هيكل فى صنعاء[٤]

غير أننا نعلم أن المسيحية كانت منتشرة فى نجران ، وفى بعض المناطق من اليمن ، وأنه كان باليمن قسس من النصارى على عهد حكم الأحباش لها[٥] . ولا شك أن هؤلاء القسس الذين يرعون شؤون طائفتهم الروحية ، كانوا يتخذون لأنفسهم فى حاضرة اليمن هيكلاً ، يظهر أنه كان النواة التى حيكت من حولها روايات العرب . هذا ، وربما كان الأحباش وهم نصارى اعتنوا بهذا الهيكل وزينوه بما يليق بمكانهم كنصارى حاكمين للبلاد ؛ وربما حمل هذا العمل عند بدو الصحراء وعرب الحجاز على محاولة الأحباش أن يجعلوا من هيكلهم نظيراً للكعبة . ولا شك أن هذا الوهم لم يكن ليمكن تصوره ، خصوصاً وأن الأحباش إذا فرض أنهم قاموا بمثل هذه المحاولة التى ينسبها مؤرخو العرب لهم ، فستكون هذه المحاولة وقفاً على النصارى من العرب وهؤلاء بحكم دينهم منصرفون عن الكعبة . فإذا جاز أن نحمل هذه المحاولة على الرغبة فى التبشير بالمسيحية بين العرب ، فلا شك أن مثل هذا الحادث الخطير لم يكن ليمر بدون إشارة فى كتب تاريخ الكنيسة الشرقية . ومن هنا لا نرى محلاً لقبول ما يقول رواة العرب عن سبب تعرض الأحباش للحجاز[١] .

* * *

إذا صحت استقراءاتنا ونظرتنا للموضوع ، فإن الصلة تكون مفصومة بين تعرض الأحباش للحجاز ومكة ، وبين وجود هيكل للنصارى بصنعاء . على أنه بعد ذلك مما يستوقف النظر، ما نراه من الاتفاق عند مؤرخى العرب فى تسمية الحملة الحبشية بسفر الفيل ، وذلك على اعتقاد وجود بعض الفيلة فى قوات الأحباش[٢] . على أن اعتقاد وجود بعض الفيلة فى جيش الأحباش باليمن يسوقنا إلى مواقف على جانب كبير من الخطورة ، يميل معها بعض المؤرخين الأعلام من الغربيين إلى إنكار وجود الفيلة فى قوات الأحباش[٣] . ذلك لزعمهم أنه لا يمكن تصور إمكان الاحتفاظ بالفيلة فى اليمن وتسييرها فى صحارى نجران[٤] . فضلاً عن أن الفيلة الإفريقية (التى قد يكون الأحباش جلبوها إلى اليمن إذا صح هذا الاعتقاد) من الصعوبة ترويضها حتى أن بعض الثقات الأثبات من علماء الحيوان يرون استحالة ذلك[٥] وهذه الاستحالة جعلت المؤرخين يرجحون أن تكون الفيلة التى ورد ذكرها فى حروب القرطاجنيين قديماً فيلة مجلوبة من الهند[٦] غير أن افتراض جلب الأحباش فيلتهم من الهند يقف فى سبيل قبوله أن الأحباش لم يكونوا على دراية بترويض الفيلة[٧] ،

---

(١) تاريخ الطبرى ج ٢ ص ١١١ وما بعده ، وسيرة ابن هشام ج ١ ص ٤٣ ، ٦١ . وأخبار مكة للأزرقى ص ٨٦ — ١٠٢ وأخبار الأول لابن اسحاق ص ١٩ — ٢١ وسيد أمير على فى مختصر تاريخ العرب ، لندن ١١١٩ ص ٤١.

(٢) أبو صالح الأرمينى فى كنائس وبيع مصر وبعض الأقطار المجاورة طبع لندن ١٨٩٥ ، ص ٣٠٠ — ٣٠١ من الترجمة الانجليزية و ص ١٣٩ المتن العربي

(٣) البرنس ليون كايتانى فى الحوليات الاسلامية ، ج ١ فقرة ١٠٨ الهامش رقم ٢

(٤) المرجع السابق ذكره توا

(٥) Adolf Harnack فى Die Mission und ausbereitung des christenthums in den Easten Drei jahrhundert طبعة ليزيغ ١٩٠٢ ، ج ١ ص ٤٧٧ سطر ٢٠

---

(١) أنظر لنا — تاريخ الاسلام — أستانبول، ١٩٣٥٢ ص٣٠٤ و ٣٠٥

(٢) أنظر المصادر الاسلامية والعربية فى هذا الباب

(٣) البرنس ليتون كايتانى فى الحوليات الاسلامية ، فقرة ١٠٩ هامش رقم ١

(٤) أنظر لنا — تاريخ الاسلام — ١٩٣٥ص٣٠٤ وما بعده

(٥) Edmond Perrier فى La Vie des Animaux Illustrée

(٦) Edward Charton فى Voyages anciens et Modernes باريس ١٨٦٧ ج ٢ ص ٢٩ وكذا P. Armandi فى Histoire militaire des éléphants ، باريس ١٨٤٣ ، ص ١٢

(٧) ليون كايتانى فى الحوليات الاسلامية ، فقرة ١٠٩ وهوامشها . ومما يحسن الاشارة إليه هنا أن الأحباش استعملوا فيلة هندية فى حروبهم أنظر Henry Zule فى The book of M. Blo لندن١٩٠٣ج٢ص٤٣٤

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى لأنهم لم يكونوا أصحاب أسطول يمخر عباب البحر الهندي ، حتى يمكنهم جلب الفيلة الهندية [١] على أن هذه الاعتراضات من الممكن ردها إذا لاحظنا أمرين غابا عن هؤلاء الباحثين : الأول أن الأحباش استعانوا بأسطول الروم لنقل جيوشهم عبر باب المندب والبحر الأحمر حين شنوا الغارة على اليمن [٢] . وثانياً أنه كان للروم سفائن حربية وأخرى تجارية في البحر الأحمر [٣] . وهذا يجعل من الممكن جلب بعض الفيلة من الهند بواسطة سفائن الروم وأن يستعين الأحباش ببعض الهنود في تسيير هذه الفيلة في حملتهم على فارس . ولاشك أن تعاون الروم مع الأحباش أولاً ، والغرض من الحملة وهو مساعدة الروم ثانياً يجعل لتفسير تسمية حملة الأحباش بسفر الفيل وجهاً مقبولاً .

تقدم الأحباش بقواتهم شمالاً ، لكنهم لم يكادوا يقربون مكة حتى ألمت بهم كارثة أودت بهم . وبعض المراجع العربية ترجح أن تكون هذه الكارثة هي تفشي الجدري في جيش الأحباش [٤] .

والقرآن الكريم يؤيد كلام المؤرخين العرب

على أن إشارة القرآن إلى أصحاب الفيل ، تحمل في تضاعيفها دلائل قوية على معرفة العرب لقصة سفر الفيل من جهة ، وعلى أنها حديثة العهد بهم ؛ على أن ما قدمه القرآن لنا في صورة موجزة توسع فيه رواة العرب وخلطوه بالأقاصيص وشحنوا به كتب التاريخ والسيرة والأدب . وهنا لك بعض الشعر المزعوم قوله في حادثة الفيل ، تجد بعضه منسوباً لابن الزبعرى والبعض الآخر لأمية بن أبي الصلت . فمن المنسوب للأول هذه الأبيات :

وتنكلوا عن بطن مكة إنها ... كانت قديماً لا يرام حريمها
لم تُخلق الشعرى ليالي حرّمت ... إذ لا عزيزَ من الأنام يرومها
سائل أمير الجيش عنها مارأى ... ولسوف ينبي الجاهلين عليمها
ستون ألفاً لم يؤوبوا أرضهم ... بل لم يعش بعد الإياب سقيمها
كانت بها عاد وجُرْهم قبلهم ... والله من فوق العباد يقيمها

أما الأبيات المنسوبة لأمية فهي :

ومن صنعه يوم فيل الحبو ... ش إذ كل ما بعثوه رَزَم
محاجنهم تحت أقـرابِه ... وقد شرّموا أنفه فانخرم
وقد جعلوا سوطه منوَلا ... إذا يمموه قفاه كُلِم
فولى وأدبر أدراجَه ... وقد باء بالظلم من كان ثَم
فأرسل من فوقهم حاصباً ... فلفّهم مثل لف القُزُم
تحض على الصبر أحبارُهم ... وقد ثَأجوا كثُؤاج الغنم

ويفهم منها أن الكارثة التي ألمت بأصحاب الفيل كانت مزدوجة : ريح سموم هبت عليهم ، ووباء تفشى فيهم ، وحمل الوباء عند العرب على الريح السموم [١] . على أنه مما يستوقف النظر في هذه الأبيات ورود لفظة « الأحبار » في البيت الأخير مع أن الأحباش لم يكونوا هوداً ، حتى يصح افتراض اصطحابهم لأحبارهم ! والذي عندي أن هذه الأبيات مفتعلة في العصر الإسلامي .

إذا وضعنا أمام النظر كل هذه التحقيقات بان لنا أولاً : أن قصة مسير الأحباش إلى مكة بقصد هدم الكعبة دون غيره ليست جاهليّة ، وإنما تعود بأصل إلى الإسلام

ومن هنا نجد أن تعليل تعرض الأحباش للحجاز في طريقهم إلى فارس بأن القصد منه محاولة هدم الكعبة وصرف الناس عنها ليست إلا أسطورة نشأت بعد أن قام الإسلام وذاع وانتشر بين العرب واستقر في الشرق وارتفع شأن مكة وأصبحت الكعبة قبلة المسلمين . فعمل الرواة على أن يربطوا بين وجود هيكل النصارى في اليمن وبين حملة الأحباش على الحجاز في سبيلهم إلى فارس فكان لهم من ذلك قصة محبوكة . ومما لا ريب فيه أننا قد وضعنا اليد على مواضع الصنع في هذه القصة التي ترويها الكتب العربية ، وكشفنا عن الخطوط التاريخية التي استمد منها النسيج الأول الذي حيكت بعده بقية خيوط القصة كما تجيء في المصادر العربية . وهكذا تميز معنا الجانب التاريخي من الجانب الأسطوري فيها ،

(١) ابن جرير الطبرى طبعة ى غوييه ج١ س٩٢٢ س٨
(٢) نولدكه في Geschichte der Pesser ، ص ١٨٨ هامش رقم ١
(٣) نفس المرجع
(٤) الطبرى ، ج٢س١١١ وما بعده وسيرة ابن هشام . ج١س٤٣ — ٦١ وأخبار مكة للأزرقى س٨٦ — ١٠٢ وابن خلدون طبعة بولاق ج٢ س ٦١ — ٦٢ والزمخشرى في الكشاف طبع الهند ، ج ٢ س ١٦٣٢ والسيرة الحلبية ج١ س٨١و٨٢و٨٣ طبعة مصر ١٢٨٠ وتاريخ الخميس طبع بولاق ، جـ ١ س ٢١٢ — ٢١٦ وعلى وجه خاص ٢١٦ س ١٩ وابن دريد في الاشتقاق س ١٠١ س ٣

(١) المرجع ذاته ، جـ ١ ص ٣١٥ والبرنس كايتانى في الحوليات الاسلامية ، جـ١ فقرة ١١٧ر١١٩

واتضحت ناحية خفية من نواحي تاريخ العرب في الجاهلية[١]

ميلاد الرسول

ربط الكثير من مؤرخي العرب ميلاد الرسول (ص) بعام الفيل ليتخذوا من ذلك دليلاً آخر على نبوّة الرسول بأن عناية الله ردّت كيد الأحباش عن مكة تكريماً له إذ كانت أمه آمنة في ذلك الحين حاملة به[٢]. والواقع أن نبوة الرسول تحمل في ذاتها آيات صدقها، فهي لا تحتاج لدليل خارجي يدعمها. وحياة الرسول تثبت أنه كان مخلصاً طيلة حياته، وهذا وحده يردّ كل محاولة يراد بها التشكيك في نبوته[٣]

ولما كانت حملة الأحباش التي عرفت بسفر الفيل جرت سنة ٥٤٠ ميلادية[٤] كما ثبت من التحقيقات التي كشفنا لك عنها من قبل، فإن الصلة تبدو مفصومة بين عام الفيل وهي السنة التي كان فيها سفر الفيل وبين ميلاد الرسول (ص)، فنحن نعرف أن محمداً عليه الصلاة والسلام ولد في حدود سنة ٥٧٠ ميلادية كما حقق ذلك الباحثون[٥]. فإذن هنالك نحو ثلاثين سنة تفصل بين عام الفيل وميلاد الرسول. وبعض المؤرخين العرب يثبت هذا، فمثلاً يقول البنوى: إن سفر الفيل حدث قبل ميلاد الرسول بنحو أربعين سنة[٦] ومحمد بن السائب الكلبي ينزل بهذه السنين إلى ثلاث وعشرين سنة[٧]. ونلاحظ أن خلفاء أبرهة حكموا اليمن ٣١ سنة[٨] وأنه في سنة ٥٧٠ ميلادية ذهبت قوات القدس لتخليص اليمن من الأحباش[٩] وهذا يجعل حكم أبرهة الذى أغار على الحجاز حوالى عام ٥٤٠م وهذا ما يؤيده عن طريق غير مباشر بعض المصادر العربية التي تقرر أن الرسول

(١) أنظر أثر ذلك في التاريخ العربي الجاهلي، في تاريخ الاسلام، ج ١ ص ٣٩٠ وما بعدها

(٢) الطبرى، ج ١ ص ٩٦٧ — ٩٦٨

(٣) ليون كايتاني — الحوليات الاسلامية — المقدمة

(٤) نولدكه في تاريخ القدس، ص ٢٠٥، الهامش

(٥) Baussin de Percival في Essai sur l'Histoire des Arabes ج ١ ص ٢٨٢ — ٢٨٣ و se Sacy في 7ém de l'Academie مجلد XLVIII ص ٥٣٠

(٦) ليون كايتاني في الحوليات، ميلاد الرسول.

(٧) المرجع السابق الذكر توا، ميلاد الرسول

(٨) نولدكه في تاريخ الفرس، ص ١٢٠، هامش رقم ٣

(٩) نفس المرجع.

ولد بعد خمسين سنة من استيلاء الأحباش على اليمن[١] وأنهم طردوا بعد عامين من ميلاد الرسول[٢]. وهذا كله إن أثبت شيئاً فإنما يثبت أن الصلة مفصومة بين ميلاد الرسول وعام الفيل وأن محمداً ولد بعد عام الفيل بثلاثين سنة تقريباً[٣]

ومن المهم أن نقول هنا إن هذه الحقيقة التاريخية برغم وضوحها ورغم ثبوت أن حملة الأحباش على الحجاز كانت في حدود سنة ٥٤٠ ميلادية وأن ميلاد الرسول كان سنة ٥٧٠ ميلادية، فإننا نجد معظم المشتغلين بالتاريخ الإسلامي يخطئون، فيجعلون ميلاد الرسول مقروناً بعام الفيل. وربما كان لبعضهم العذر في هذا الخطأ لجهلهم هذه التحقيقات المعروفة في دوائر التاريخ في العالم المتمدن، ولكن ما عذر بعض الأساتذة الجامعيين الذين نجد في مصنفاتهم جميع أصول هذه التحقيقات، وبعد ذلك يخطئون ويقولون إن الرسول ولد في عام الفيل[٤] ومهما يكن من شيء فالتاريخ يرفض كل محاولة يراد بها ربط ميلاد الرسول بعام الفيل كما أن التحقيقات التاريخية تبين أن الصلة مفصومة بين التاريخين بنحو ثلاثين سنة. ونرجو أن يكون في هذا البحث تصحيح لما تجرى به أقلام الباحثين في العالم العربي من أن رسول الله محمد بن عبد الله ولد عام الفيل.

(الاسكندرية)

اسماعيل أحمد أدهم
دكتور في العلوم والفلسفة من موسكو
ودكتوراه فخرية في الآداب من لينغراد وموسكو

(١) البيرو في Chron ص ٤ سطر ٢٤

(٢) الأزرقي في تاريخ مكة، ليبزيغ ١٨٥٨، ص٩٢ س٢ وما بعده

(٣) Sprenger في Zietschrift der Deutschen Iorgenlandischen Gesellschaft جـ ١٣ ص ١٣٧ و ١٤٢

(٤) حسن ابراهيم حسن في تاريخ الاسلام العباسى، ج ١، فصل تعرض الأحباش لليمن، وحربهم على عرب الحجاز، وقابله بما يذكره عن مولد الرسول

محمـــــد تيمور

الممثل والناقد والمؤلف المصرى

للأستاذ زكى طليمات

[نص الكلمة التى ألقاها الأستاذ زكى طليمات مفتش شئون التمثيل بوزارة المعارف فى الحفلة التى أقامتها جماعة أنصار التمثيل والسينما بدار الأوبرا الملكية مساء يوم الأربعاء الموافق ٢٨ فبراير ١٩٤٠ تكريماً لذكرى المرحوم محمد تيمور ، وذلك بمناسبة مرور عشرين عاما على وفاته]

إن الحديثَ عن تيمور لا تَخْلَقُ جِدَّتهُ لمن نَعِمَ بصداقة تيمور الراحل ، ومن قرأه فى أشعاره وفى مسرحياته . وحديثُ اليوم حديثُ الوفاء لمن عَمِلَ إلى جانب تيمور للمسرح وللفن ، واتفق وإياه فى المبدأ والفكرة العاملة . وحديثُ اليوم أيضاً هو درسُ الشبابِ ، الشبابِ الدارج الذى فاته أن يعرف تيمور أو أن يُطَالعَهُ فى كتبه الثلاثة

حينما لبى تيمورُ نِداءَ ربه منذُ عشرين عاماً ، ورُيعت مصرُ بفقده، وانتظمت جنازته فى شِبهِ موكبٍ قومى حافل — لم نشيعْ السرىَّ ابنَ الجاهِ الواسع والحسب الأصيل ، لم نشيعْ الشاعرَ اللهمَ فحسب ، وإنما شيعنا رجل المسرح المصرى الحق ، وكبير كتَّابه ، وأخلص نصرائه

على هذا الاعتبار الذى يطغى على أى اعتبار آخر ، شيعنا محمد تيمور إلى مرقده الأخير ، ولما يتجاوز العقد الثالث من عمره . وليس فى ذلك إرخاص لشباب غض ذَوَىَ قبل أوانه ، وخُلق رضى متواضع قلما تُلمَحُ مخايله فى شباب الأعيان وأبناء الأرستقراطية التى تحسب أن النعم وقف على أبنائها ، ولا خفض لشأنِ البيانِ الذى كان تيمورُ من فرسانه ؛ وإنما إعلاء لشأنِ تلك الموهبةِ الفنية الخصبةِ التى أمدّت المسرح المصرى ، وهو يرقى أولى درجات نموٍّ بكثير من مقومات كيانه بعد أن ركز فيه تيمور أعلاماً من العمل الباهر والجهاد الصادق

وما اجتمعنا اليوم إلا بنفس الدافع الذى دفع الناس من قبل إلى تشييع جنازة تيمور ...

اجتمعنا لنحيى ذكرى تيمور فى جهاده للمسرح المصرى : ممثلاً وكاتباً وناقداً .

وقد نجتمع غداً لنفس الدافع ، ولعين الغرض ، وسيحمل الجيل القادم شرف هذه الرسالة ليسلمها بدوره إلى الجيل الذى يليه . هذا أمر أعتقدُه وأومن به ، لأننا ، وقد شملتنا اليقظة القومية، لا بد من أن نمجد ذكرى من عملوا لهذه القومية.

لأننا ، وقد أخذنا بتدعيم أسباب مسرح مصرى صحيح ، لا مناص من أن نشيد بذكر من جاهدوا فى سبيله ، وأن ننتزع من النسيان تلك الوجوه الكريمة ، التى شقت أفقاً ، ومهدت طريقاً ، وأهوت بيدها تنشئ فى جدار ! ...

تيمور والمسرح

أتحدث الآن عن ذلك الجيل الذى عاش فيه تيمور ، جيل الجهاد الأول من جانب الشباب المثقف لاستخلاص طابع مصرى لفن التمثيل العربى ، ولإعلاء شأنه ، جيل الهواة الذين يرجع إليهم الفضل فيما انتهت إليه الحركة المسرحية اليوم

لئن قلت إن التمثيل كان قبلة تيمور فى مختلف أدوار حياته ، فإنى لا أقرر غير الواقع الذى شهد به كل من اتصل بتيمور

فما كان تيمور المراهقُ الذى كان يتخذ من أبهاء قصور آبائه مسارح مرتجلة ، ومن شقيقيه ومنَّى ومن خلصائه ممثلين لفرقة مزعومة ...

هـذا الجوّاب الصغير لدور التمثيل فى سن لا يحسُن فيها الذهاب إلى دور التمثيل، هذا المقلد (لسلامة حجازى) فى إنشاده ، ما كان تيمور هذا ، إلا ذلك الشاب اليافع ، الذى أعجب به الجمهور بعد ذلك ممثلاً فى حلقات السمر ، وفى حفلات الجميات التمثيلية ، ثم حياه ناقداً جريئاً ، ثم مجده مؤلفاً لمسرحيات مصرية طريفة هى الأولى من نوعها فى العهد الذى عاش فيه تيمور

وإذا حاولنا أن نقيمَ صلةً بين هَوِية تيمور بالمسرح وبين نشأته وبيئته وتقاليد أسرته لما وجدنا إلى ذلك سبيلاً ، ولانتهينا إلى أن الإنسان حقاً لا يستقيم إلا على محتوم قضائه ومكتوب سيرته . (فتيمور) سليل بيت عريق فى الغنى والجد وفى التقاليد التى تعتبر التمثيل رِجساً من أعمال الشيطان . و (تيمور) ابن بيت عُرِف بالاشتغال بالأدب ، فعمته الشاعرة عائشة

التيمورية ، ووالده المؤرخ واللغوى المحقق أحمد تيمور باشا .

و (تيمور) اجتاز مراحل الدراسة فى مصر ، وسافر إلى أوربا لدراسة الحقوق ، ولم يكن بينه وبين نيل إجازته شىء ، لولا أن قطعتْ عليه الحرب العالمية الأخيرة سيرَ دراسته ...

ومع كل هذا فقد اعتلى تيمور المسرح ممثلاً قبل عودته من أوربا وبعد عودته منها وعلى الرغم من تبرم أهله وعشيرته بفن التمثيل ...

اعتلى المسرح وهو يشغل وظيفة التشريفى لدى عظمة السلطان حسين فى قصر عابدين ؛ فضرب بذلك المثل الحىّ على أن التمثيلَ هويةٌ شريفةٌ جديرة بأن يعمل فيها أكبر الناس حولةً من العلم والجاه والمركز الاجتماعى الممتاز . وهذا المثل فيه ما فيه من دلالة على أن المسرح يجب أن يكون مما يُعنَى به الشبابُ المتعلم والشباب الكريم المحتد . وأن المسرح ليس بالأرض التى قضى عليها بألا تحمل إلا الأغرار ومن تنكّبت بهم سبل العيش ومن خلت مواهبهم إلا من الجرأة والصوت الجهير ! ...

تيمور الممثل

ترأس (تيمور) أكثر من هيئة تمثيلية ، وعمِل مخرجاً وممثلاً فيها . بيد أن حياته فى فن المثل ليست بالحياة الطويلة ، ولكنها على قصرها رسمت فن الممثل فى نسقه العالى ، وأقامت مدرسة لفن الإلقاء والتجويد لم تكن معروفة فى ذلك الوقت ، لأنها مدرسة كانت تقوم على الاعتدال والاتزان وصدق التعبير وجمال التأثير . جمع تيمور فى إلقائه قوة التصور والإدراك إلى قوة الأداء والتعبير فى تلك البساطة الفنية والحذق الباهر الذى يعمل على إرخاص الحواشى وإعلاء جوهر الكلام ، والذى يحمل التأثير إلى قلوب المستمعين ، لا إلى آذانهم !

هكذا شق تيمور الفجر الأول لما يجب أن يكون عليه الإلقاء والتمثيل من جانب الممثل والملقى

إلا أن الحركة التمثيلية لم تستفد الإفادة كلها من مواهب تيمور الممثل ؛ لأنه لم يكن فى وسع تيمور — وظروف بيئته على ما أجملنا وصفه — أن يحترف التمثيل فى الفرق العاملة

ويقينى أن تيمور لو احترف التمثيل لما أصاب فيه خيراً ، ولا اقتصرت مواهبه على تأدية بعض الأدوار ، ولا انصرف بذلك عما هو أهم وأجدى ، ولتبرم فى النهاية بالمسرح ومحترفيه

تيمور المؤرخ والناقد

إذا صح أن المسرح المصرى فقد فى إمساك تيمور عن احتراف التمثيل ممثلاً قديراً كان فى وسعه أن يرقى بفن الممثل إلى الدرج المرغوب فيه ، إذا صح هذا فإن المسرح لم يفقد فى تيمور ناقداً له ومؤرخاً لعصر من عصوره

إن ما كتبه تيمور ناقداً ومؤرخاً للمسرح المصرى متفرد فى بابه بالدقة والصراحة ، متفرّد فى ابتعاده عن التشيع وتلمس العيوب وحرق المباخر تحت ذقون زعماء المسرح المصرى

كان تيمور لا يكتب لشهوة الكلام ، أو للتظاهر بأنه حذق المسرح وفنونه ، ولا لأى غرض من الأغراض التى تدفع بعض نقاد المسرح إلى امتشاق القلم وخوض معارك الجدل ، وإنما كان يكتب لينزل الأشياء منازلها الصحيحة ، وليخط للنقد المسرحى طريقاً ، وليقيم له عرفاً ، وليذيع اسم المسرح فى كل مكان ، ثم ليرسم للعاملين فى المسرح الطرق والوسائل التى ترق بهم وبفنهم نحو الكمال المنشود . ولعل تيمور أول من كتب منادياً بوجوب استقلال المسرح المصرى عن المسرح الغربى برواياته وتصانيفه ، وبوسائل تأدية ممثليه

لو قال تيمور هذا وسكت لقلنا إنه إنما يزف نظريات استلهمها من تاريخ المسرح الغربى وتطوره ، وهو المسرح الذى نهل منه تيمور أعذب الموارد

تيمور المؤلف

ولكن تيمور قرن القول بالعمل والنظر بالتنفيذ ، فألف للمسرح مسرحيات تمتاز بطابع مصرى أصيل ، هذبت حواشيه وصقلت صميمه مطالعات بعيدة وتأملات واسعة فى نفائس الأدب المسرحى العام ، امتزجت بوفرة الاستعداد وخصب الوهبة وروح الشاعر

كتب تيمور ثلاث مسرحيات (العصفور فى القفص) ، و (عبد الستار) و (الهاوية) كما وضع مسرحية (العشرة الطيبة) ، والجديد فى هذه الروايات أنها عالجت موضوعات منتزعة من صميم الحياة المصرية والشرقية فى أسلوب أخذ نصيبه الوافر من طرافة الحوار ، ووضوح الفكرة ، وتتغلغل هابطاً فى أعماق النفس البشرية ليسجل منها أصدق الخلجات وأخلص المشاعر

والجديد فى هذه الروايات أيضاً ، أنها كتبت باللغة العامية ، وهذا موضع العجب ، لأن تيمور كان يملك ناصية البيان العربى وله شعر رصين ينم عن تعمق فى دراسة اللغة ، والأخذ ببيان الأقدمين .

وكان التأليف للمسرح من جانب من هم على شاكلة تيمور فى ثقافته وأدبه إنما يجرى باللغة العربية الفصحى

تيمور واللغة العامية

يفسر هذا أن تيمور كان يعتقد — كما سبق أن جاهر بذلك فى مقالات عديدة — بأن لغة المسرح يجب أن تكون غير لغة المقال والأدب ، وأنه يجب مخاطبة الجمهور المستمع باللغة التى يفهمها ويحذقها ، أيًّا كانت لهجة هذه اللغة ونصيبها من البيان ، وأنه فى سبيل ذلك لا ضير على المؤلف للمسرح أن يكتب باللغة العامية ما دامت هـذه اللغة فى متناول كل الأذهان ومختلف الطبقات ، وأن لا ضير من إهمال جانب العربية فى الكتابة للمسرح حتى يجتاز التمثيل المصرى المرحلة الأولى من مراحل تكوينه ، وهى مرحلة نشره وإذاعته بين الجماهير

كان تيمور أول من سن هذه الشرعة الفنية فى وقت كانت تصدر فيه أغلب المسرحيات فى أسلوب عربى لو اهتم كاتبه بمقتضيات الفن فى نسج الرواية اهتمامه بتنميق اللفظ وإشراق البيان ، لـكان للمسرح المصرى اليوم روايات عربيـة مقطوع بصحتها الأدبية والفنية معاً

تيمور والمصرية

وفوق هذا فقد كانت تعمُر قلب تيمور فكرة « المصرية » وهى فكرة ترى إلى أن يكون الأدب المصرى مستقلاً عن الأدب العربى ، لا فى مناحى التفكير فحسب ، ولكن فى العبارة وأسلوبها إذا لزم الأمر

وهـذه « المصرية » تجلت فى كل ما كتبه تيمور قصاصاً وشاعراً .

والمصرية اليوم فكرة قد لا تلقى ترحيباً لدى بعض الرؤوس المفكرة ، ولها ما لها عند البعض ، وعليها ما عليها عند البعض الآخر ، إلا أننى أقول ـ وقد أخذت عن تيمور الكثير من ثقافتى الفنية والأدبية ـ إنه ستكون للمصرية، ولا شك، دولة فى القريب العاجل ما دمنا قد استكملنا مظاهر استقلالنا السياسى ، وما دمنا قد استشمرنا العزة القومية ، وأخذنا بأسباب نهضة ترمى فى الصميم إلى استقلال الفكر والأسلوب فى جميع نواحى الحياة الاجتماعية

ولم يك غريباً بعد أن أصدر تيمور مسرحياته باللغة العامية وهى تعالج موضوعات مصرية، لم يك غريباً أن يقيم مدرسة جديدة فى الأدب المصرى ، والأدب العربى المستحدث ، اجتذبت نحوها مريدين وأنصاراً

وقد ننسى أن تيمور كان ممثلاً فذاً ، وكان ناقداً جريئاً ، وأنه أضاف جديداً إلى دولة الشعر والبيان ، وأنه دبّج للاصلاح الاجتماعى مقالات عديدة . قد ننسى كل هذا ، ولكننا لا نستطيع أن ننسى أن تيمور عمل للقومية المصرية الحقة بتأليف مسرحيات جديرة بالخلود لوفائها بشرائط الفن الرفيع ، مسرحيات تعتبر بحق من أحسن ما أخرجته الأقلام المصرية الدائبة على أن تجعل المسرح شقة من الأدب العربى المستحدث

كذلك لا نستطيع نسيان شىء آخر ، وهو نزول شاب عريق فى الحسب والجاه ، إلى العمل فى حقل جديد ، فى فن وافد حديث العهد بفنون هذه البلاد وتقاليدها ، ترمقه الأكثرية الغالبة من الناس بعين ملؤها الشك والازدراء ...

لا ننسى أن تيمور كان سبباً فى أن أخذ الناس يحسنون الظن بهذا الفن . وشد ما يحتاج هذا الفن إلى حسن ظن الناس به ! وأنه عمل له مجاهداً فدائياً بقدر ما وسعته بيئته وزمانه ، وأنه لم يلق قلم الجهاد حتى الساعة الأخيرة ، وبالها من ساعة سقطت فيها زهرة ندية بقطر الشباب ، تتنفس عن عطر فاغم ، بعد أن جادت بروائها وبنورها وبعطرها لتبقى منابت الورد موارد الإلهام وحصاد الخيال ومباءة الحنان ...

أيها السادة :

إن الذى نحتفل اليوم بتمجيد ذكراه ، شاب قضى فى ميعة العمر ونضوج الصبا ... فحيوا معى العروس المختضر ، وأرسلوا البسمات صافية ، لأن الدموع على الشباب الراحل ضرب من السخرية ، ولون شائع من الحزن الرخيص ...

زكى طليمات



مجلس ظريف

شهدت من كثب ذلك المجلس فى مقهى ، ومن عجب أن تقع عيناى على مجلس ظريف فى مثل ذلك المكان . أقول ذلك وإن عجب القارئ لقولى ؛ على أنى أرجو منه المعذرة ، فأنا أكره المقاهى حتى ما أطيق الجلوس فيها إلا لضرورة . ولئن أنكرت وجود مجلس ظريف فى أحدها فرد ذلك إلى جهلى بها لا ريب فى ذلك ... ولست أدرى لم أسأل نفسى أبداً كلما مررت بمقهى : أيتفرج الجالسون فيه على السابلة ، أم هم أنفسهم صنف من المعروضات يتفرج عليهم المارة فيما يتفرجون عليه من معروضات الشارع ؟ أما عن نفسى فأنا أتفرج دائماً على هؤلاء الجلوس ضاحكا ؛ وكم يذهب خيالى فى تصورهم لى مذاهب لن أطاوع قلمى فى ذكرها

ذهبت فى المساء أطلب الهدوء فى أحد أطراف المدينة فلت إلى مقهى هناك كاد يكون خالياً ، وقد اجتذبنى ما بدا لى من هدوئه . وجلست وحدى فى ركن من أركانه أمنى النفس بجلسة تعيد لى خيال منزلى فى القرية ؛ ولكنى لم أكد أستشمر الهدوء حتى أقبل جماعة لم أشك أنهم من طالبى الهدوء مثلى . وآية ذلك أنهم كانوا يضحكون فى جلبة شديدة ، ويقطع بعضهم على بعض الحديث قبل أن يأخذوا أماكنهم ! ورأيتهم جلسوا فى نصف دائرة أمام واحد منهم جعلوا له الصدارة ، وقد دل مظهره على أنه جدير بهذه الصدارة . والحق لقد كان فى مجموع شكله يخيل إلى أنه نكتة تمثلت بشراً !

وبدأ الحديث أو قل استمر ، فهم لم يمسكوا منذ رأيتهم مقبلين . وكأنما اعتزم هؤلاء أن يضحكوا أكثر ما يستطيعون من الضحك كما لو كانوا واثقين أن هذه آخر فرصة للضحك فى حياتهم !

كانوا إلا واحداً أو اثنين قد جاوزوا الأربعين بقليل كما تراءى لى . أما كبيرهم فأحسبه كان يحبو للخمسين من عمره المبارك ، وكانوا جميعاً يشتركون فى صفة واحدة ؛ ذلك أن عليهم طابع الديوان ، فما تلبث العين — ولو بغير منظار — أن ترى فيهم نفراً من هؤلاء الذين يتربعون أمام المكاتب أثناء النهار وقد ارتسمت على وجوههم أمارات الجاه واتضحت دلائل الحكومة

ودار حديثهم أول ما دار حول « عزومة » كانوا خارجين منها لتوهم ، فلم أسمع إلا النكتة تتلو النكتة . ولقد غابت عنى لسوء حظى أكثر هاتيك النكات فيما كان ينطلق من أفواههم من قهقهات عالية متواصلة ! ورأيتهم يرسلون ضحكاتهم العريضة قبل النكتة وبعدها ، فما تنفرج شفتا زعيمهم حتى تنبث الضحكات مجلجلة من بين شفاههم ، وإن لم يسمعوا ما يقول . فلقد كان يضحك الواحد منهم أحياناً ملء شدقيه ، ثم يميل على جاره يسأله : ماذا كانت النكتة ؟ وكانت تسمج بعض النكات ، ولكن الضحك يظل على حاله من الشدة ، حتى لا أدرى أيحمل هنا على المجاملة أم أن سخف النكتة إذا اشتد قد يكون فى ذاته باعثاً من بواعث الضحك منها ؟ على أننى رأيت للمجاملة هنا شأناً كبيراً ، فكل من هؤلاء يضحك لكى يضحك لقوله الآخرون بدورهم ، وإن جاوز فى السخف أبعد حدوده ...

ومن غريب أمر هؤلاء الظرفاء أنهم لم يتورعوا عن ذكر اسم مضيفهم المسكين أكثر من مرة ، ولم يتركوا شيئاً مما قدم لهم من الطعام ، ولا مما رأوه من متاع بيته إلا جعلوه موضعاً لظرفهم وقلبوه على أوضاعه جميعاً ، فهذا زفت مجسم سمى « بالكفتة » ؛ وهذه « الفتة » كان ينقص أن تقدم فى طست الغسيل ؛ وهذا الصنف جيء به من « المسمط » ، وهذا الخبز سيسأل عن تقديمه لهم بين يدى الله ، أو ذلك البرتقال من « سوق الكانتو » وتلك الأطباق والملاعق لا شك وقف عزيز من أوقاف المرحوم جده ... وإنه إذا أراد أن ينتقم غداً من الرئيس فلان فليس أبلغ فى الانتقام منه من أن يدعوه إلى مثل هذه « الأكلة » ...

وليتهم استمروا فيما هم فيه ، ولم يخرجوا منه إلى استعراض الكثير غيره من أعراض الناس فى مجلسهم الظريف ، وللحديث شجون كما يقولون ، وليس يبالى هؤلاء القوم فى ساعة « حظهم » إلى من يتطرق الحديث ، ولا أى موضع يتناول

وشبعت نفسى مما طلبت من هدوء ، فانصرفت مسروراً برؤيتى هذا المجلس الظريف ؛ وأنا أقول فى نفسى كم يوجد من أشباه هذا المجلس الظريف ونظائره فى الطبقات الأخرى من المجتمع وفى غير أركان المقاهى من النواحى ، فما تلك المجالس إلا براهين قاطعة على أننا قد بدأنا نأخذ أنفسنا بالجد من الأمور ، وأننا إذا لهونا فإنما نحسن اللهو كما نحسن الجد فى هذه الحياة .

« عين »

ذكرى أخى الهراوى

للأستاذ على الجندى

قبل وفاة صديقى المرحوم الهراوى بشهر ، أرسل إلىّ بطاقة لطيفة حمّلها (ألف قبلة وتحية) ورجانى فيها أن أزوره بمقر وظيفته ليحادثنى فى شأن من الشئون الأدبية . وقد عدتنى عواد عن تلبية هذه الدعوة فى حينها ، ثم ذهبت بعد ذلك إلى دار الكتب فسألت عنه ، فقال لى البواب : « تعيش » لقد توفى أمس إلى رحمة الله !

كانت الصدمة عنيفة أذهلتنى عن كل شىء حتى عن واجب العزاء لأسرته ، وحاولت أن أرثيه فلم أستطع ، فقد غال الحزن بيانى وغشى على مشاعرى ، وكان أنكى علىّ من ذلك ما تهامس به بعض الناس : من أنى أخللت بواجب الإخاء ! كأنهم لا يدرون — عفا الله عنهم — أن من الألم ما يحمى صاحبه الكلام كما يحميه الطعام !

والآن وقد انكسر الحزن ورسب سعيره فى الأعماق ، أهدى إلى روح صديق فى مسراه العلوى هذه الطاقة الشعرية مستنزلاً عليه الرحمة والرضوان العميم :

جهلَ العاذلونَ فيك مُصابى ... فأطالوا مَلامتى وعتابى
وأذاعوا : أنى بخلتُ بدمعى ... ورمَونى على أبرّ الصِّحابِ
وعزَوا ذاك عِلمى بأنك تدرى ... ما أعانى من حُرقة واكتئاب
رُبّ باكٍ يذرى دموع التماسيـ ... ـح من الموجعات خالى الوطاب
وجليدٍ يفترّ عن سنٍّ جذلا ... ن طوَى كشحه على الأوصاب
وخلىّ الفؤاد من لاعج الحبّ (م) ... ُري صابياً وليس بصابى
أعذَرُ الناسِ من دهته الرزايا ... ونَهَتْ دمعَه عن التَّسكاب
فهنيئاً لهم بكوْا فاستراحوا ... وكتمت الجوى ، فطال عذابى
أيها اللائمون عدُّوا عن اللو ... م وُقيتمْ ـ على الإساءة ـ ما بى
لو بكم ما بنا ، وبانَ عليكم ... لَلبِستمْ به سوادَ الغراب
لا يُحسّ الآلام من دينه اللهـ ... ـو ولا يدْرَكُ الصبى بالتصابى
كثرت بيننا الجِياد ولكن ... قصبُ السبق للمذاكى العِراب
وحمامُ الرياض يبكى فنشجَى ... حين تبكى مطوّقاتُ الرِّقاب
كيف ينسى الوداد مثر من الجـ ... ـد رفيع الذُّرا كريم النِّصاب
مُعرِقٌ فى الوفاء يجرى على العر ... ق ويسرى فى بُلجة الأحساب
لا وربى لم أنقض العهد يوماً ... لا ولا بتّ سالياً أحبابى
أنا أكسوهم الدائم أحيا ... ءً ، وأروى صداهمو فى التراب
وأصوغ الرثاء فيهم رياحيـ ... ـن تمجّ الشّذا على الأحقاب

* * *

يا أخى فى الوداد ، والودُّ أبقى ... أثراً من علائق الأنساب
ومُعينى على نوائب دهر ... أنا منها ما بين ظفر وناب
ومَنارى إذا دجا الشك حولى ... وتنكبت عن طريق الصواب
وصفيى ، وجُلّ من أصطفيهم ... صُورُ الإنس فى طباع الذئاب
كنت أخشى طوارق السوء إلا ... طارق الموت لم يقع فى حسابى
أين أيامنا نواعم كالغيـ ... ـد تخايلْنَ فى رقيق الثياب
بين صبح مُفضّض ، وأصيل ... شرِق الأفق بالنُّضار المذاب
نسجتها يد الزمان من البهـ ... ـجة والأنس والأمانى العِذاب
فهى من عمره الربيعُ المُوشّى ... وهى من عمرنا لُباب اللباب
وليال كأنها من سَناها ... ومضات الأحداق خلف النقاب
نتساقَى بها الودادَ سُلافاً ... أين منها سلافة الأعناب
كيف مرّت بنا عِجالاً فكانت ... كحباب طفا على الأكواب
أو كطيف الحبيب يدنو به الغمـ ... ـض وتُقصيه رقصةُ الأهداب
خُلَسٌ من بشاشة العيش ولّتْ ... تستحث الخطا لغير إياب
آه لو سامنى زمانىَ فيها ... بشبابى ، شريتها بشبابى

* * *

فجعتنا المنون بالشاعر الملـ ... ـهم آى البيان والإعراب
بالأديب المِفنّ من يسكب المعـ ... ـنى رحيقاً فى المنطق الخلّاب
بمُحيل الطروس روضَ جنان ... مُونِقاً للعيون والألباب
بسجيح الطبع الرقيق الحوا ... شى وسرىّ الخُلْق النقىّ الثياب
بمؤدّ حقّ الأخلاء فى النا ... دى وحق الإله فى المحراب
جامع الخَلّتين : ظرف الألبّا ... ء ، ونُسْك المُطهّر الأوّاب

* * *

يا لذكرى هاجت بلابل صدرى ... وأعارتْ قلبى جناحىْ عُقاب
قَلِقٌ تحتىَ الوسادُ كأنى ... أتنزّى على رؤوس الحراب
بين ليلَين : من دُجى وهموم ... ناهضات إلىّ من كل باب
مَثّلا لى الخضمّ[1] يغشاه موجٌ ... تحت موج مجلل بسحاب

(١) نظم للآية الكريمة « أو كبحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب » وشتان بين كلام الخالق والمخلوق

٣ - لقب السفاح

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

وعدت في مقالي الثاني أن أبين للأستاذ العبادي كيف اختلفت الروايات في لقب السفاح بين أبي العباس وعمه عبد الله ابن علي ، وقد سلك الأستاذ العبادي في اختلاف هذه الروايات مسلكاً ليس من الإنصاف العلمي في شيء ، فجمل تلقيب أبي العباس بالسفاح من رواية المؤرخين الأدباء كالجاحظ وابن قتيبة والأصفهاني ولهذا لا يوثق بها عنده ، وإنما يوثق بالرواية التاريخية القديمة التي سكتت عن تلقيب أبي العباس بهذا اللقب ، كرواية ابن سعد وابن عبد الحكم وغيرهما . ويؤخذ بما رواه غير أولئك المؤرخين الأدباء من تلقيب عبد الله بن علي بالسفاح ، وإنما كان هذا ليس من الإنصاف العلمي في شيء ، لأن سكوت أولئك المؤرخين عن تلقيب أبي العباس بالسفاح لا يصح أن يطعن به في رواية من لقبه به ، لأن من حفظ حجة على من لم يحفظ ، وهذه قاعدة مشهورة عندنا معشر الأزهريين ، ولا يمكن أن يجادل فيها الأستاذ العبادي ، وإنما يصح الطعن برواية أولئك المؤرخين إذا وردت بنفي ذلك اللقب عن أبي العباس ، وحينئذ يكون مثبتاً ومثبت ، وقد اختلف علماء الأصول في تقديم أحدهما على الآخر . على أن الأستاذ العبادي لا يمكن أن يدعى أنه استوعب الرواية التاريخية القديمة كلها في ذلك ، وقد فاته من هذه الرواية رواية أبي الحسن المسعودي المتوفى سنة ٣٤٦ هـ ، فقد جاء في كتابه « مروج الذهب » تلقيب أبي العباس بالسفاح ، والمسعودي مؤرخ مشهور ، وقد كان معاصراً للطبري المتوفى سنة ٣١٠ هـ وهو ممن عده الأستاذ العبادي في أصحاب الرواية التاريخية القديمة فيكون المسعودي من أصحابها أيضاً ، وسيجد الأستاذ العبادي بعد هذا كله أنه لا تعارض بين هذه الروايات ، وأننا لسنا في حاجة إلى إنكار بعضها أو ترجيحه على الآخر

وقد أراد الأستاذ محمود شاكر أن يسلك هذا الطريق في الجمع بين هذه الروايات المختلفة ، فذكر أن قول اليعقوبي (عبد الله بن علي الأصغر وهو السفاح) منقول من ابن سعد في طبقاته حين ذكر أولاد علي (عبد الله بن علي الأكبر وعبد الله بن علي الأصغر السفاح الذي خرج بالشام) ، ولا يريد ابن سعد بذلك التلقيب كما يرى من اليعقوبي ، وإنما ذلك صفة كالسفاك والقتال ، وبهذا لا يكون السفاح لقباً لعبد الله بن علي ، وإنما يكون لقباً لابن أخيه أبي العباس عبد الله بن محمد بن علي ، وقد كان يسمى عبد الله الأصغر أيضاً ، كما كان أخوه أبو جعفر يسمى عبد الله الأكبر . ثم ذكر الأستاذ محمود أن أبا جعفر قد لقبه أبوه بالمنصور فيما يعلم ، فلا غرو أن يكون أبو العباس قد لقبه أبوه بالسفاح كما لقب أخاه بالمنصور

ولما قرأت هذا للأستاذ محمود سألته عما يعتمد عليه في إسناد تلقيب أبي جعفر وأبي العباس بالمنصور والسفاح إلى أبيهما محمد ابن علي ، فلم أجد عنده ما يعتمد عليه في ذلك . وقد بحثت بنفسي لعلي أجد ما يؤيده فيه ، فلم أجد إلا ما ذكره صاحب العقد الفريد ، من أن محمد بن علي ولد له من امرأته الحارثية ولدان سمى كل واحد منهما عبد الله ، وكنى الأكبر أبا العباس ، والأصغر

كلما طار في السماء شهاب ... طار قلبي وَثْباً وراء الشهاب
أوْ كالبرق في الدُّجُنَّة[1] ناراً ... شب نار الأحزان ملء إهابي
تُسعد الذكريات أهلها ، وأَلْقى ... ذكرياتي محطِّم الأعصاب

***

ياصديقي لبيت دعوة « رضوا ... ن » وخلَّفتني لحرِّ المصاب
لم تزوِّد أخاك بالنظرة العجـ ... لى على وَشْك نيةٍ واغتراب
ووداع الأحباب فن من السلـ ... وى وعون على احتمال الغياب
ليت آذنتَ بالفراق ، فكنا ... ننثر الدمع في طريق الركاب
كذَبَ الشعر ما لمن حان عِلمٌ ... بالذي سجلته « أمُّ الكتاب »
إن من منة الإله علينا ... أن توارتْ أسرارنا بالحجاب
لو درى الناس ما تستَّر عنهم ... قعدوا عن تناول الأسباب
لمع الغيب للظماء سراباً ... ضلَّ صاد يجري وراء السراب
روَّض الغيث قبر من كان روضاً ... حالياً بالعلوم والآداب
بان عنا ، فبان كلُّ جميل ... فعزاء للآل والأصحاب

علي الجندي

(١) الدجنة : السحاب المطبق تطبيقا

أبا جعفر[١] ولم يذكر أنه لقبهما بذينك اللقبين ، بل الظاهر مما سننقله فيما يأتي عن صبح الأعشى أن أبا جعفر تلقب بالمنصور بعد انتقال الأمر إليه من أخيه أبي العباس

والرأي عندي أن أبا العباس لم يلقبه أبوه بهذا اللقب قبل أن تقوم دولتهم ، ولم يلقب هو نفسه به بعد أن صار إليه الأمر ، لأن مثل هذا اللقب لا يتفق مع الألقاب الإسلامية التي عرف بها الأمراء قبل أبي العباس وبعده ، وإنما هو لقب لصق به لصوقاً ، وأطلقه عليه الناس وكثير من المؤرخين ، لوصفه نفسه به في خطبته عند ما بايعه الناس ، فقد ذكر الطبري أنه لما بويع صعد المنبر فقال : الحمد لله الذي اصطفى الإسلام تكرمة ، وشرفه وعظمه ، واختاره لنا وأيده بنا ، إلى أن قال مخاطباً أهل الكوفة : وقد زدتكم في أعطياتكم مائة درهم ، فاستعدوا فأنا السفاح المبيح والثائر المبير

وقديماً لقب العرب كثيراً من الشعراء بمثل ما لقب به أبو العباس ، فلقبوا عائذ بن محصن بن ثعلبة العبدي بالمثقِّب لقوله :

رَدَدْنَ تحية وكَنَنَّ أخرى وثقَّبْنَ الوَصَاوص للعيون[٢]

ولقبوا عمرو بن سعد بالمرقِّش الأكبر لقوله :

الدار قَفْرٌ والرسومُ كما رقَّشَ في ظهر الأديم قَلَمْ

وكذلك كثير من الشعراء غيرهما

وإذن يكون لقب السفاح في أصله وصفاً بالنسبة إلى أبي العباس ، كما كان في أصله وصفاً بالنسبة إلى عمه عبد الله ابن علي ، ثم اشتهر به أبو العباس عند بعض المؤرخين ، كما اشتهر به عبد الله بن علي عند بعض آخر منهم ، ولكل منهم في ذلك رأيه واختياره ، وليس فيه شيء من الغلط والاشتباه الذي يدعيه الأستاذ العبادي

وعلى هذا لا يكون لقب السفاح هو اللقب الحقيقي الذي اختاره لنفسه أبو العباس ، وإنما هو لقب غلب عليه عند المؤرخين بذلك السبب السابق ، حتى أنسى الناس لقبه الحقيقي الذي اختاره لنفسه بعد أن صار إليه الأمر ، بل دعا هذا إلى عدم الاهتداء إلى لقبه الحقيقي بيقين ، وإلى ذلك الخلاف الذي سنذكره فيه ، ولكنه مع هذا هو اللقب الذي يصح أن يضمه لنفسه مثل أبي العباس ، ويتلاءم مع ألقاب من أتى بعده من العباسيين .

قال الخطيب البغدادي : عبد الله أمير المؤمنين السفاح بن محمد ابن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، يكنى أبا العباس ، ويقال له أيضاً المرتضي والقائم ، ثم قال : أخبرنا محمد بن أحمد بن رزق ، أخبرنا عثمان بن أحمد الدقاق ، حدثنا محمد بن أحمد بن البراء قال : أبو العباس المرتضى والقائم عبد الله بن محمد الإمام بن علي السجاد ابن عبد الله الحبر ابن عباس ذي الرأي ابن عبد المطلب شيبة الحمد .

وذكر القَلْقَشَنْديُّ أن خلفاء بني أمية لم يتلقب أحد منهم بألقاب الخلافة ، وأن ذلك ابتدئ بابتداء الدولة العباسية ، فتلقب إبراهيم بن محمد حين أخذت البيعة له بالإمام ، وأن الخلف وقع في لقب السفاح فقيل القائم ، وقيل المهتدي ، وقيل المرتضى ، ثم تلقب أخوه بعده بالمنصور ، واستقرت الألقاب جارية على خلفائهم كذلك إلى أن ولي الخلافة أبو إسحاق إبراهيم بن الرشيد بعد أخيه المأمون ، فتلقب بالمعتصم بالله ، فكان أول من أضيف في لقبه من الخلفاء اسم الله ، وجرى الأمر على ذلك فيما بعده من الخلفاء

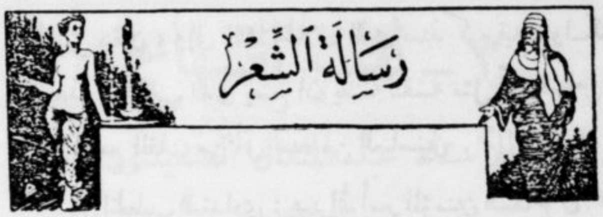
وفي هاتين الروايتين وخصوصاً الأخيرة من العناية بتحقيق تلك الألقاب ما يجعلنا نثق بهما ، ونطمئن إليهما ، وفيهما لا يدخل لقب السفاح فيما قيل إنه لقب أبي العباس ، وهذا يؤيد ما ذهبنا إليه فيه ، وقد جاء بعد أبي العباس من تلقب بالقائم بأمر الله ، ومن تلقب بالمهتدي بالله ، ولم يتلقب أحد بالمرتضى بعده ، فلعله كان اللقب الذي اختاره لنفسه ، على أن ظاهر رواية الخطيب البغدادي أنه كان يقال له المرتضى والقائم معاً

هذا ولا يفوتنا في ختام كلامنا أن نبين حقيقة ما جاء في تاريخ ابن العبري عن السفاح ، من أنه كان رجلاً طويلاً أبيض اللون ، حسن الوجه ، يكره الدماء ، ويحامي على أهل البيت ، فإن هذا لا يراد منه إلا كراهته لدماء أهل البيت وحدهم ، بدليل ما قدمنا من أمره في دماء غيرهم ؛ على أن العبري يقيس في ذلك أمره بأمر من جاء بعده من العباسيين .

عبد المتعال الصعيدي

(١) هذا يخالف ما سبق من أن الأصغر هو أبو العباس ، ويخالف المعروف أيضا من أن أم المنصور كانت أم ولد بربرية يقال لها سلامة .

(٢) الوصاوص : براقع صغار تلبسها الفتيات



البعث ...

للدكتور ابراهيم ناجى

يا جمالاً وجلالاً يتدفقْ   رجع البلبل أم عاد الربيعْ !
بهر النور عيونى فترقرقْ   حين تدنو إننى لا أستطيعْ !

***

أيها الورد الذى طاف بنا   أيها الطلُّ الذى بَلَّ الظما
لا أراك الله حالى وأنا   أطأ الشوكَ ويغزونى الظما

***

يا أمانيَّ وحبي وخيالى   لا تضيّع لحظة فالعمر ضاعْ
لا أراك الله حالى والليالى   كاسفات ليس فيهن شُعاعْ !

***

قد بلوتُ الويل فيها لا بَلوتا   وأنا أبدأ يومى بالمَساء
وعرفتُ الضيقَ ضيقَ القلب حتى   لم أجد فى الكون ثقباً من رجاء !

***

لا وربى ليس للدنيا ختامْ   حين يغدو البعثُ نجوى من حبيب
حين يستيقظ قلبٌ من منامْ   والمنادى أنت ! والحب المجيب !

مطارف الربيع

[إلى الصاحبين دائماً على الأيام المرة القاسية]

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

ما لهذا الرَّوضِ ظمآنا ؟   ما لهذا الزَّهرِ نعسانا ؟
ما لتلك الأرض قد لبست   من نسيج الموتِ أكفانا
ما لهذا النَّجمِ مُرتقبا   ومَضاتِ البرقِ حيرانا
ما لقرص الشمس مكتئبا   عابسَ الألحاظِ غضبانا
ما لهمسِ الريح منطلقا   مثلَ عزفِ الجن رنانا
ما لتلك الأرضِ ثائرةً   مثلما تسمعُ بُركانا
ما لهذا الطفلِ منسربا   تحت جنح الليلِ عُريانا
يتشكى البردَ آونة   ويعانى الجوعَ أحيانا ؟

***

الشتاء المرُّ فارقنا   والربيعُ الحلوُ وافانا
مِطرَفٌ وشَّاهُ صانعه   وحباهُ الحسنَ ألوانا
ما لتلك الأرضِ فاتنةً   ما لهذا الروض سكرانا
ما لهذا الزَّهرِ مؤتلقا   يَنفحُ الأرواحَ رَيحانا
ما لهذا الطيرِ مُنطلقا   يملأُ الأنحاء ألحانا
ما لهذا النُّور منسكبا   قد أصارَ الكونَ غرقانا
ما لقرص الشمسِ ملتهبا   ضاحكَ الألحاظ فتّانا
ما لهذا الطفلِ مُنسربا   فى المروج الخضرِ جذلانا
يتمنَّى فى خمائلها   لو قضى الأيامَ وسنانا ؟ !

***

ترتجى الأيامَ صافيةً   آهِ لَوْ صافينَ إنسانا !
قُلْ لمن ضاقتْ مسالكهُ   بالليالى حَسْبُكَ الآنا
الشتاء الجهْمُ يعقبه   الربيعُ الطَّلقُ مزدانا

أناشيدي ! ...

للأديب محمود السيد شعبان

هُنا دُنيا أناشيدى !   فعِشْ يا قلبُ للذكرى
بنيناها كما شاءتْ   لنا أوهامُنا السكرى !
وصُغناها منَ الأحلا   مِ والإلهامِ ألحانا ...
فهيَّا نلقَ فيها سا   عةً يا قلبُ سلوانا
ونتركُ هذهِ الأشجا   نَ فى دُنيا الأسى حيرى !

وَنَمْــلأُ بالرِّضى وَالبِشْـرِ والأفْرَاحِ دُنيــانا

* * *

أَلاَ يا رَبَّةَ الأَلْحـانِ مَنْ غَنَّاكِ أَلْحانى ؟!
وَمَنْ يا فِتْنَــةَ الدُّنيا سَقاكِ السِّحْرَ مِنْ حَانى ؟!
أنَا الشّادِي ... وَأنتِ صَدَى أغارِيدِى وَأنفَاسى !
إليْكِ قدْ اهْتَدَى وَهْمِى وَلَـكِنْ ضَلَّ إحْسَاسى !
كِلانَا يا هُدَى رُوحى نَزِيلُ العَالَمِ الفانى
خُلِقْنَا لِلخُلُودِ مَعًا وَإنْ كُنَّا مِنَ النَّاسِ !

* * *

مَلَكْنَا هَـذِهِ الدُّنيا وَصُغْنَاها كما نَهْوَى
مَلَاعِبُ فِتْنَةٍ أَصْدَا ؤُها سِحْرٌ مِنَ النَّجْوَى
فَيا قِيثَارَ أَحْـلَامِى تَعَبَّدْ لِلْجَمَالِ هُنـا !
وَإنْ أبْصَرْتَ وَلْهاناً يَطُوفُ بِهِ ... فَذَاكَ أَنَا !
إلى المَاضى رَجَعْتُ أرُو مُ فِى ذِكْراهُ لِى سَلْوَى
فَكَمْ خَلَّفْتُ في وَادِيهِ مِنْ بَعْدِ الهَنَاءِ مُنَى !

* * *

فَيَاشِعْرِى ! خَلَقْتُكَ مِنْ هُدَى قَلْبِى وَمِنْ وَجْدِى !
وَهَبْتُ لكَ الخُلُودَ فلا تَخَفْ إنْ عِشْتَ مِنْ بَعْدِى
وَصُغْتُكَ مِنْ دَمِى فِتَناً وَأَوْهامًا أُنَاجِيهاَ ...
فَخُذْ أنفَاسِىَ الوَلْهَى إلَيْكَ صَبَتْ أَمَانِيها !
مَلَكْتُ بِكَ الحياةَ فمَا أرَدْتُ أَخَذْتُهُ وَحْدِى
وَهَلْ كانَ الهَوَى والشِّعْرُ إلاَّ خَيْرَ مَا فيها !!



تأملات فى الفن :

يا علماءنا... نريد أن نعرف !

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

— خذ كل من هذا الحمص . إنه من السيد البدوى

— وهل كنت فى طنطا ؟

— نعم . ضيفة عند ناس

— أو لم يعجبك شىء فى طنطا غير الحمص ؟

— السمن هناك جيد ، والخضار أجود

— تَمّ بطنك ولا شىء يشغلك غيره ، ألم تفكرى فى زيارة السيد البدوى الذى تأكلين حمصه هذا ؟

— زرته . ولم أنس أن أدعوه لك

— شكراً . فلست أدعو غير الله ... أو لم يعجبك شىء فى مسجد السيد البدوى ؟

— لا أذكر ، فهو مسجد كبقية مساجد ربنا

— صحيح . ولكن فيه منبراً هو نفسه صلاة صامتة قائمة دائمة

— يا سلام ... لم يلفتنى أحد إليه

— وعيناك هاتان البرقتان تحملقان ولكنهما لا تريان . امرأة ! ...

— تركنا منبر السيد البدوى وعدنا إلى امرأة ورجل ، مالها الامرأة ؟ كل ما حدث أنى شغلت عن النظر إلى المنبر بالنظر إلى السيد نفسه ...

— ولا السيد . بل قولى إلى الزوار

— آى ، كنت أنظر إلى الزوار . أليس فى النظر إلى الرجاء المتألق فى وجوههم لذة ؟

— وأى لذة عند المرأة أحلى من أن ترى الرجاء متألقاً فى وجهه

— كان الزوار كلهن نساء

— ولماذا هذا التخصيص ، ولماذا أسرع إلى ذهنك هذا الخاطر السىء فتسرعى إلى إنكاره بهذا الحسم الجازم... أفتظنين أنك هربت من السوء إلا إلى الأسوأ ؟

— وهل يسوء مجتمع النساء أكثر مما يسوء إذا اختلطن بالرجال ؟

— من غير شك . فهن بين الرجال قد يخجلن فيحتشمن ، ولكنهن إذا انفردن انطلقن تتفرس كل منهن فى الأخرى . وتفترس كل منهن الأخرى . وما أعجبها إذن معممة حين تشب فى ضريح أو مسجد ، ينقلب المسجد من مطهرة إلى ... إلى مدرسة !

— مدرسة ؟ ! على أى شكراً لله فقد توقعت أن تقول شيئاً آخر ... ولكن لماذا تقول إن اجتماعنا فى المسجد يقلبه إلى مدرسة ...

— لأنكن بطبيعتكن، إما أن تكن تلميذات، وإما أن تكن معلمات، ولا يمكنكن أن تكن غير ذلك إلا إذا فسدت طبيعتكن. فإذا وصف إنسان اجتماعاً من اجتماعاتكن بأنه مدرسة كان يبنى وصفه هذا على خير الفروض فيكن ...

— كلامك محتاج إلى برهان

— هذا يحتاج برهاناً ؟ لا بأس ... اسمعى ... منبر السيد البدوى ...

— عدنا إلى منبر السيد البدوى ... لن نعود إلى ذكره حتى ننتهى مما كنا فيه ...

— سننتهى منه ومما كنا فيه معاً ... أريد أن أقول لك إنه آية فنية رائعة ، وإنه على ضخامة حجمه وتعقيد تركيبه ، مؤلف من قطع صغيرة التحم بعضها إلى بعض من غير غراء ولا صمغ ولا مسمار واحد، وإنه صنع فى عهد واحد من الخديويين المتأخرين. ولقد أقيم للأستاذ الذى صنعه استوديو أو « أتيليه » خاص كان مؤلفاً من عدة خيام ، وإن الخديو طلب يوماً أن يشرف هذا الاستوديو بالزيارة ليشاهد المنبر أثناء تأليفه ، فاعتذر الأستاذ بأنه لا يستطيع أن يعمل إذا كان عليه رقيب غير الله ... كما أنه لا يستطيع أن يصلى وبينه وبين القبلة إنسان ممتنع عن الصلاة جالس أو واقف ينظر إليه ويحصى عليه حركاته وسكناته ... فهو

لا ريب يشغله ويعوقه عن إحسان الصلاة على الأقل ...

— عجيبة ! ومن هو هذا الأستاذ الفيلسوف ، وماذا كان رد الخديو عليه ...

— ما كان الخديو محب الفن إلا ليقدر مثل هذا الاعتذار وأن يجيزه إكراماً لفن الأستاذ « علي جَلَّطْ » !

— علي ماذا ؟ جلط ؟ ! ياله من اسم مضحك !

— و «ميكيلانج» أليس اسماً مضحكا ؟ ! ألِأن علياً مصرى تضحكين من اسمه، ولأن الآخر من سادتكم أهل الغرب تستسيغين اسمه على ما فيه من عجمة؟... إن ميكيلانج وميكى ماوس ليسا من أسمائنا ، وإنه من أسمائنا « جلط » ، وبهنس ، وغلوش ، وزينهم وما أشبه ... فلماذا نتحرج من أسمائنا ونضحك منها ساخرين ، وحقنا أن نضحك — إن ضحكنا — معجبين بما فيها من النكتة فلا ريب أن هذه الأسماء الغريبة لا تطلق فى مصر إلا لمناسبات

— أريد أن أسألك عن هذه المناسبات ، ولكنى أخشى أن نخرج من الأستاذ على إليها ، فلا نعود منها ، وقد كنا قبل هذا وذاك فى موضوع آخر هو موضوع « المدرسة » ، الذى أظن أنك لا تزال تذكر أننا تركناه معلقاً ...

— امرأة مرة أخرى : لا تنفل ولا تنسى ، وهو من شروط التلميذة الناجحة . والمعلمة البارعة ... أما الأستاذ على يا أبلة ، فلعلهم لقبوه بلقبه ، لأنه « جلط » يوماً لحيته بزجاجة أو حدث منه شىء كهذا ... وأما منبره يا آنستى ، فهو الآية الفنية التى لا يمكن أن توصف ، وإنما يجب أن ترى وأن تدرس ، وأما أنت فامرأة ، ولم تلتفتى إلى هذه الآية الفنية العجيبة ، لأن أحداً لم يلفتك إليها ، وهذا شأن التلميذات ، وأنا أراهن أنك إذا زرت السيد البدوى بعد اليوم ، فإنك ستصحبين صاحبة أو اثنتين ، لا لشىء ، إلا أن تلفتيهما أنت إلى المنبر لتكوني لهما معلمة وتكونا هما تلميذتين ، ولست أراهن على هذا إلا لثقتى منه، ولست واثقاً منه إلا لعلمى بأنه شىء فى طبعكن ، فالله أعدكن لتكن أمهات ، والأمهات مربيات ، والمربيات معلمات ، والمعلمات يكن تلميذات قبل أن يصبحن معلمات ... ولا شىء غير هذا يا زين البنات ...

— تلفيقات وترهات ! فنحن أكثر مما تظن ، فنا الآن مهندسات وطبيبات وفنانات ومحاميات ... كما أنه منا معلمات !

— هؤلاء جميعاً تلميذات ، حتى المعلمات ... كى ترتاحى وتسكتى ...

— أسكت ؟ إن سكت عن خطل الرأى ، فلن أسكت عن تراجعك وانتقاضك على ما سبقت وقررته ... كيف أسكت وقد رددت المعلمات تلميذات ؟ !

— لأنهن هكذا ، فليست فيهن واحدة . . . لها طريقة خاصة بها فى مهنتها أو فنها ... وعلى الرغم من أن الله قد أعدهن ليكن معلمات ، فإنهن لا يعلمن إلا ما تعلمن ...

— وهل تريدهن يعلمن ما لم يعلمن ؟ ...

— أفهن لا يعلمن إلا إذا تعلمن ؟ ... لماذا لا يتعلمن هكذا من الحياة رأساً ... أفنامت عقولهن عن تجاربهن وخبرتهن ومشاهدتهن فى كل شأن من شئون الدنيا إلا المسألة الدنيا ؟

— كلا ! إنى لا أوافقك فى هذا . فإن فينا إمامات وعلى الخصوص فى التربية وفى الفنون . كيف يمكنك أن تجحد المربية مونتسورى ، والممثلة جريتا جاربو ، والمغنية جريس مور ، والراقصة جنجر روجرز و ... و ... و ...

— أما مونتسورى فمعلمة جاد بها الزمن فى القرن العشرين بعد أن ظل الزمن يجود بالمعلمين من قبل سقراط وأرسطو. وعلى أى حال فإن مدام مونتسورى لا تزيد على أن تكون مخترعة لبعض ألاعيب الأطفال . وأما الباقيات اللواتى ذكرتهن هؤلاء فلا أزال أقول إنهن تلميذات فجريتا جاربو لم تكن شيئاً قبل أن يكتشفها أستاذها المخرج السويدى الذى نسيت اسمه وأظن أنك تذكرينه ، وأما جريس مور فإنى أتحداها أن تغنى شيئاً إذا لم يلحن لها الملحنون الأغانى ، وأما تلك التى ترقص كالعفاريت التى اسمها جنجر روجرز فقد جربت أن تنفصل عن أستاذها فريد أستر فأخفقت فعادت إليه ومع ذلك فهى لا تزال تتطاول عليه وتقول عنه إذا ذكرتها إنه زميلها وليس قائدها وأستاذها ...

— وكاى فرانسيس التى تحبها ؟

— أنا أحب عينيها أكثر مما أحب فنها

— عينيها ؟ ! لقد قلت مرات إنها ممثلة نابغة

— لو لم يهبها الله هاتين العينين ما كانت نابغة وما كانت ممثلة . هما عينان لو رزقهما رجل لما استطاع إلا أن يكون قديساً ربانيا من غير ما شىء يعرقله . . . فيهما صفاء وشفافة فهما ينضحان

بما وراءهما من فكرة أو عاطفة ، فصاحبهما لا يستطيع أن يكذب إلا إذا أغمضهما أو سبح بهما فى الفضاء لا يوجههما إلى عينى محادثه ، وهذا شىء يدل على الكذب والصدق أهون منه ، فإذا داوم صاحب هذين العينين الصدق عجزاً عن الكذب فى أول الأمر فإنه سيداومه بعد ذلك اعتياداً له ، ثم يداومه أخيراً حبًّا له ، والصدق كما قلت لك مرات هو الخطوة الأولى نحو الله ... وعلى هذا كانت كاى فرانسيس بهاتين العينين مقصرة حين انتهى أمرها عند أن تكون ممثلة نابغة ... فهمتِ ؟ !

— إذن فقد انقلبت على نفسها إذ تمارس الآن الكذب ؟ فليس التمثيل إلا الكذب

— لو كانت كاى فرنسيس تكذب ما كانت أعجبتنى ، وإنما هى تصدق ، ولا تمثل إلا ما تحسه أو ما أحسته ، ولعلك تلحظين أنها لا تكثر من الظهور ، ولعلك أدركت أن سبب هذا هو أنها تنتظر حتى يوافيها الدور الذى يلائمها والتى تكون قد أحاطت بمثله فى حياتها ... وحياتها كما أظنك تعرفين فيها ما فيها ، وأبرز ما فيها أنها تمثل بهاتين العينين الصافيتين الشفافتين ... فرغ الحمص . أليس معك غيره ؟

— خذ ، ولكن بعد أن تعترف ولو لكاى فرنسيس وحدها بأنها أستاذة .

— ليس ما يمنعنى من ذلك . فلها أن تكون أستاذة ، ولك أنت أيضاً ذلك إذا زرت منبر السيد مرة أخرى وأديت له حق التأمل والدرس والترحم على صانعه ، ولم يشغلك فى زيارته النظر إلى الزائرات من أترابك والتحقق من ملبسهن وزينتهن ولفتاتهن

— ولكنك قلت إن هذا من طبع المرأة

— هو طبعها فى التلمذة ، وأنت تريدين أن تكونى أستاذة ، والأستاذة هى التى فرغت من النظر إلى غيرها وبدأت نفسها تفيض بما فيها ... وأظن أن المرأة لا تكره هذا إلا لسبب واحد ...

— ما هو هذا السبب أيضاً ؟

— هو خشيتها من الكبر ، فبهذه الخشية تدمن النظر إلى غيرها تخدع نفسها متخيلة أنها صغيرة لا تزال فى حاجة إلى التعلم ... حتى إذا ما فاجأتها التجاعيد آمنت بأنها أستاذة ، ولكنها بعدئذ تقضى الحياة فى حسرة بدلاً من أن تقضيها فى عمل ... سنة الله التى شاءت لكن أن تقبعن فى بيوتكن ...

— سأقبع ولن أزور المنبر ...

— زوريه أولا تزوريه ، فستعرف الدنيا خبره يوم ترقى مصر ويبحث علماؤها عن تاريخ على جلط و محمد البقرى وغيرهما من أهل الفن العربى الذى يقدره الغربيون حق قدره ويردون إلينا من أقصى الأرض وأدناها لينعموا بمشاهدته وليأخذوا عنه ، حتى إذا سألونا عمن أنتجه من آبائنا قلنا : اللهم إنا لا نعرف

— أما الأستاذ على فقد عرفته بمنبر السيد ، ولكنك لم تذكر لى من هو محمد البقرى ...

— صاحب الزخرفة العربية الرائعة التى يتحلى بها « بنك مصر » وتياترو حديقة الأزبكية ... وإذا كنت أنا أعرف هذين فإنى أجهل صاحب السلطان حسن وصاحب مسجد القلعة والمؤيد والرفاعى ، وغير ذلك من الآثار العربية الخالدة ... فهل لك أن تسألى لى واحداً من علمائنا عنهم ؟ ...

— بإذن الله سأسأل ... ولكن لماذا لا تهتم أنت بتتبع أخبار هؤلاء وهو أمر شديد الصلة بعملك ؟ ...

— قد يكون هذا حقاً ، ولكن الوثائق تعوزنى ، فإن أغلب الآثار العربية ، قد أرخت منسوبة إلى الملوك الذين أنشئت فى عصورهم ، ولم تنسب إلى الفنانين الذين عصروها من دمائهم ، وقد جرينا على هذه السنة حتى فى عصرنا الحديث فنحن لم نذكر «على جلط» ولا «محمد البقرى» فى آثارهما مع أنهما محدثان قريبان وهما لم يعنيا بهذا لأنهما كانا أخلص للفن من أمثالهما الغربيين ، ولم يكونا يسميان بالفن إلى الذكر الباقى ولا إلى الربح المادى ، وإنما كانا يؤديانه زكاة عما وهبهما الله من ملكة وبصيرة ونظر . ولقد كانا يتعبدان به عبادة ، ولو أنه خطر لأحدهما أن يستغل فنه استغلالاً مادياً لخلف الأموال الطائلة والصيت الرنان ... ولكن الواحد منهما كان لا يعمل إلا إذا احتاج إلى القوت ، فإذا عمل تفانى فى عمله وجاء فيه بالمعجزات المحيرة .. وهو الأمى الذى لا يقرأ ولا يكتب ، والذى إذا سئل عن نفسه قال إنه « نجار دِق » !

— فأى شىء هو ؟ ...

— إنه مهندس زخرفة ينفذ بيده ما يتصوره عقله من غير أن يستعين على ذلك برسم التصميم على الورق ... وهذا شىء لا يستطيعه إنسان فى الغرب وعلى الخصوص إذا تصدى للزخرفة العربية المجردة المعقدة المتجددة

عزيز أحمد فهمى



الكون يكشف عن نفسه

خفـايا الضوء

للدكتور محمد محمود غالى

أينحصر الكون فى ست وحدات أصلية يرد إليها كل ما فيه ؟

عند ما تطالع هذه السطور فانك تراها بفضل أحد هذه الوحدات الدقيقة وهي كائنات نحاول أن نتعرف إليها

نُشيِّد داراً للسكنى وتدخل مواد عديدة فى تشييدها من أحجار البناء إلى الحديد ، ومن رخام الدرج إلى ما يحيط سياجه من نحاس ، ومن أخشاب النوافذ إلى ما يتوسطها من زجاج ، ولا نذكر ما تحتويه الدار من العناصر الكثيرة والمركبات العديدة وأن فى الزجاج وحده من العناصر المتعددة والمركبات المتباينة ما يجعلنا نفطن إلى العدد الكبير من المواد التى نستخدمها فى إقامة البناء ، بل إن مواد من نوع آخر ، مواد عضوية تدخل أيضاً فى تشييد الدار ، وشد ما يختلف ما فى حديقتها من أشجار وزهور عن سائر ما فى البناء : هذا النبات له دور من المراهقة كدور الإنسان ومن الشباب كشبابه ومن الهِرم كهرمه ، وله أعمار تنتهى عندها الحياة ، فيضع البستانى غيره من النبات ينصبه مكانه كما ينصب الابن نفسه مكان أبيه بعد أن يتوارى هذا فى الزمن ، ويترك الابن الدار بدوره لحفيد يستمتع بها ما بقيت أجزاؤها متماسكة تسمح بالحركة بينها وبالحياة فى أنحائها ، يقضى الحفيد فيها سنين طويلة وسط هذه الأجزاء من المادة بين المرح طوراً وظلمة الأيام تارة ، بل إن مواد حية غير المدنية والعضوية قد تدخل بين مكونات الدار تستمتع فيها كما يستمتع صاحبها وتقاسى فيها كما يقاسى ربها ، فقد نشيد فى الحديقة أحواضاً للسمك أو نقتنى داخل الأقفاص أنواعاً من طيور الزينة ، وما هذه وذاك إلا مجموعة من للعناصر المعقَّدة تدخل هى أيضاً فى مجموع الدار الفسيحة ، ولا تختلف عن الأولى إلا بما لها من مزاج يشبه مزاجنا وآمال تقارب آمالنا

عديدة هذه العناصر ومتباينة هذه المركبات التى دخلت الدار بعمل المهندس وفعل البستانى ، فنشأ عنها مكان صالح نثوى إليه بعد النصب ونقضى فيه ساعات من العمر بين لحظات مجدودة وفترات مكدودة ؛ ولو أن امرءاً قال إن الدار مكونة من عشرات العناصر ومئات المركبات لما كان فى قوله انحراف عن الواقع ، ولو أنه قال أيضاً إنها مكونة من ست وحدات أصلية فى الكون وإن كل ما نراه فيها من عناصر عديدة ومركبات متباينة يتكوَّن من هذه المكونات الستة فإنه قد لا يعدو الحقيقة ، ولو أنه خطر ببال أحد أن من يسكن الدار من أحياء كأولادنا ، ومن يؤمها من زائرين كأصدقائنا ، وما يعيش بين جدرانها من أسماك وطيور يدخلون أيضاً فى عداد المكونات الستة المتقدمة ، فإن ثمة علماء عديدين يعتقدون اليوم بصحة ما خطر بباله ، ولديهم من الأسباب العلمية ما يستطيعون بها محاولة إقناعه بأن ما ذهب إليه ليس مما يتطرق إليه الشك

ولا يذهب بوهم أحد بعد الذى ذكرنا أن ما نعنيه بهذه المكونات الستة هى « عناصر » مثل الحديد والنحاس ، فإننا بذلك نصل إلى تعداد العناصر جميعها التى تبلغ ٩٢ عنصراً والتى تعثر على الكثير منها فيما استخدمناه فى رفع البنيان ؛ ولا يعتقدن كذلك أننا نعنى بها بعض المركبات كالماء والحجارة فلا مشاحة أن ما يوجد من هذه المركبات فى المنزل يبلغ المئات ، إذ أن هذه المكونات الستة إنما هى وحدات كونية نستطيع أن نَرُدَّ إليها كل ما يتعلق بهذه الدار.

هنالك أمر آخر أود أن يحظى بعناية القارئ ، ذلك أن الوحدات الست التى تكون كل ما يتعلق بالدار ، والتى من بينها وحدة يتسنى لنا بها رؤية الدار وما فيها ، هى بذاتها الوحدات المكونة لمجموع الكون ، فهى كافية اليوم ليرد العلماء كل ما عرفناه فى الكون إليها

هذه المكونات الستة تعد معرفتها من المسائل الثقافية التى

يحسن معرفة شيء عنها ، فهى اليوم موضع بحث أقطاب العلم ، ولذلك نذكرها للقارئ في الجدول الآتى ، فيعرف شيئاً هاماً عن منشأ الدار التى يسكنها ، بل الكون الذى يحيا فيه ويموت

المكونات أو الوحدات التى يتكون منها الكون فى مجموعه بما فيه من مادة أو كهرباء أو إشعاع أو طاقة			الشحنة الكهربائية
مكونات كهربائية وسالبة	خفيفة	الألكترون	−e
	ثقيلة	غير معروفة	
مكونات كهربائيةوموجبة	خفيفة	البوزيتون	+e
	ثقيلة	البروتون	+e
مكونات مادية	خفيفة	النيترينو أو الأرجون	صفر
	ثقيلة	النيترون	صفر
مكونات ضوئية		الفوتون	صفر
مكونات معقدة (Complex)		الديبلون	+e
		الهيليون (نواةالهيليوم)	+2e

إذا رمزنا لوحدة الشحنات الكهربائية بالرمز والقدر e فان شحنة الألكترون أى الوحدة الكهربائية السالبة تكون (e −) وشحنة البوزيتون أى الوحدة الموجبة تكون (e +). وفى هذه الحالة تكون الشحنة للوحدات الأخرى كما هى مبينة فى الجدول

هذه المكونات باتت الأصل فى كل شيء ، فهى تكون الهواء الذى نستنشقه كما تكون الرئة التى نستنشق بها هذا الهواء ، وهى التى تتكون منها السمكة التى تسبح فى حوض الحديقة كما تتكون منها النجوم النائية والسدم البعيدة ، وما المنزل والزائر والطير ، بل وما يعلوها من كواكب وعوالم إلا أمور ترجع أصولها إلى هذه المكونات الستة التى يشاد منها الكون

***

نود فنتأمل الجدول السابق الذى يلخص لنا موقف العلماء من الكون ، ونود أن يعتبر القارئ وهو يطالع هذه المسميات العلمية التى قد تكون جديدة لديه أنها من المسائل التى يلزم معرفتها ، وكيف لا يجب علينا أن نعرف ما يُكَوِّن منازلنا والأرض التى تحملنا والعوالم التى تملؤنا والكون الذى يحتوينا بل ما يُكوِّن أجسامنا وعقولنا ، ومهما يكن من أمر الكون ، فإننا لا نستطيع أن نستوعب فيه الأشياء إلا على الصور التى عهدناها فيه ، والأوضاع التى ألفناها عنه . ثمة عدد ضئيل من الأوضاع نستوعبها فى الكون طوراً ونستوعب الكون فيها تارة ، وهذه الصور أو الأوضاع هى المادة والكهرباء والأشعاع وكذلك الطاقة ، وقد ذكرنا فى الجدول هذه الصور ، ورجعنا بالكون إلى وحدات كهربائية ومادية وضوئية ، كما ذكرنا فى ذيل الجدول مكونات أخرى معقدة

أما المكونات الكهربائية ، فهى سالبة كالألكترون[١] ، وموجبة كالبوزيتون ، وقد حدثنا القارئ عنها فى سلسلة من المقالات كذلك البروتون Proton الذى يكون نواة الهيدروجين. أما المكونات المادية ، فهى وحدات أخرى لا تحمل الكهرباء ، وهما وحدتان النيترينو: Neutrino أو الأرجون Ergon والنيترون Neutron . وقد تناول بالبحث هذه الوحدة الأخيرة[٢] حديثاً سنة ١٩٣٣ أيرين كيرى وقرينها جوليو من أساتذة السوربون . ولا يفت القارئ أن الكهارب أو الألكترونات موجودة فى المادة مع النيترونات . وكما أن الكهرباء فى تكوينها ترجع إلى هذه الوحدات الأولى التى يسمونها: ألكترونات أو بوزيتونات، كذلك الضوء يرجع فى تكوينه إلى وحدات أصلية يسمونها فوتونات جمع فوتون Photon . وباعتبار أن الوحدة الثقيلة للكهرباء السالبة غير معروفة ، وباعتبار أن الوحدات المعقدة كالديبلون[٣] Diplon والهيليون[٤] Hélion قد ترد فى تكوينها إلى غيرها من الوحدات ، فإنه يغلب على ظنى أن الكون يمكن أن نردّه

(١) الألكترون Electron هو الوحدة السالبة للكهرباء وقد اقترح هذه التسمية جونستون ستونى Johnstone stoney فى سنة ١٨٩١ . وقد شرحنا للقارئ كيف استطاع « مليكان » R. A. MiHikan فى أمريكا وجان بيران Jean Perrin من السوربون فى فرنسا أن يقيسا بطريقتين مختلفتين الأقدار الذرية وشحنة الألكترون .

(٢) مما هو جدير بالذكر أن بوث W. Bothe وبيكر H. Becker استطاعا فى سنة ١٩٣٠ أن يفصلا النيترون

(٣) الديبلون وحدة من وحدات الكون المعقدة كتلته ضعف كتلة البروتون أو ضعف كتلة النيترون ويسميه الباحثون أيضا ديتون Deuton أما شحنته الكهربائية فتساوي شحنة البوزيتون

(٤) الهيليون نواة ذرة غاز الهيليوم وكتلته أربعة أمثال كتلة النيترون وشحنته ضعف شحنة البوزيتون

بما فيه من مادة أو إشعاع أو كهرباء أو طاقة إلى وحدات ست هى : الألكترون والبوزيتون والبروتون والنيترينو والنيترون والفوتون .

وقد يصل العلماء إلى الكشف عن وحدات جديدة ، ولكن يغلب على الظن أن عدد الوحدات سيظل قليلاً وسيظل اللاعبون على مسرح الكون بهذا القدر الضئيل .

* * *

ندع الآن المسميات لنتعرف على أحدها وهو الفوتون أو الذرة الضوئية ، وهو الكائن العجيب الذى يعاوننا فى مطالعة هذه السطور

عند ما نرى فى الليل بريق النجوم اللامعات، أو يخطف العين ضوء إحدى المنارات فى الليل البهيم ، أو تقع العين ذاتها على صورتنا فى المرآة ، أو نحصل بواسطة الجهاز الفوتغرافى على صورة شمسية، أونرى على الشاشة حوادث العالم، أونرى بالمرناة(التليفزيون) إحدى هذه الحوادث فى حينها ، فإننا قد استخدمنا الذرة الضوئية أو الفوتون كأداة كبرى لنستمتع بهذه الأشياء

وليس فى عزمى التعرض فى هذه المقالات للتركيب العلمى للفوتون،وأذكر أنه على رأى لويس دى بروى Louis de Broglie مكون من نصفى فوتون ، وإنما أكتفى بأن ألفت النظر إلى ثلاثة أمور : الأول أنه أحد المكونات الثلاثة فى الكون غير المكهربة إذ لا يوجد فى كل ما نعرفه من وحدات كونية غير الفوتون والنيترينو والنيترون كوحدات لا تمت للكهرباء بشىء . والثانى أنه المكون الوحيد الذى لا يوجد إلا فى حالة حركة بالنسبة للمادة . ويسرنى أن أذكر أن للأستاذ الدكتور على مصطفى مشرفة بك أبحاثاً قيمة فى علاقة المادة بالأشعاع أود أن أعود لذكرها فيما بعد . والثالث أنه كائن سريع جداً بالنسبة للمادة وتبلغ سرعته أى سرعة الضوء (٢٩٩٨٠٠) كيلو متر فى الثانية

ولقد توصل العلماء بوسائل جديرة بالإعجاب إلى قياس هذه السرعة العظيمة وإلى الوصول إلى معرفتها معرفة دقيقة . وللقارئ أن يتصور عظم هذه السرعة إذا ما عرف أن الضوء يقطع المسافة من مصر للاسكندرية فى أقل من واحد على ألف من الثانية

وقبل أن نستمع للمذياع (الراديو) بعشرات السنين ، استطاع علماء عديدون أن يقيسوا سرعة الفوتون ، هذا الكائن العجيب ، وكان لقياس هذه السرعة ولما عرفناه عنها أثر كبير فى معارفنا الحديثة ، وقد تعدى هذا الأثر كل شىء ، حتى أنه تدخل تدخلاً فعليا فى معرفتنا قوانين الكون

ولعل القارئ الذى نفرض ونحن نتوجه إليه بهذه السطور أنه من غير المشتغلين بالعلم أو المختصين فى العلوم الطبيعية ـ قد سمع بالدور الهام والمرحلة الكبرى التى تمت فى العلوم من معرفة سرعة الضوء فى اتجاه ومعرفة سرعته فى اتجاه مغاير للاتجاه الأول ، وما كان لذلك من الأثر فى تدعيم نظريات « أينشتاين » الحديثة فى النسبية . ولعل القارئ يستنتج الآن نوع الاتجاه الذى أحاول أن أوجهه إليه فيما سأتقدم إليه من مقالات قادمة ، ولعلنا فى النهاية قد وفقنا بعض الشىء لكى نصف له شيئاً من الدار التى يسكنها والكون الذى يعيش فيه .

محمد محمود غالى
دكتوراه الدولة فى العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية. ليسانس العلوم الحرة. دبلوم المهندسخانة



نهاية الطريق

للكاتب المعروف دى فيرسنا كبول

للأستاذ محمد بدر الدين

فى سنة ١٩١٣ كنت أجول فى أنحاء إيطاليا ، أطوف بمواطن الروعة والجمال فيها ...

وكنت أستقبل فصل الخريف ، حين خلفت روما ورائى ، وسرت نحو جبال الأبنين ، دون أن أحمل من المتاع سوى حقيبة صغيرة ، ودون أن أترك عنوانى لأحد ، كيلا أدع الفرصة لشخص يراسلنى ، فمن الخير أن تطوف وحيداً ، إذا أردت أن تشاهد بلداً من البلدان أو أن تدرسه خير دراسة

انطلقت فى طريقى وحيداً لا ترافقنى غير مزارع الكروم والحقول المخضوضرة النضرة ، والسماء الزرقاء ، و... فلاحى إيطاليا ذوى البشرة السمراء ، لوحتها أشعة الشمس الحامية . فاستطعت أن أرى إيطاليا تتكشف أمامى على حقيقتها ، وإذا بها رغم الطرق الحديدية التى تخترق أرجاءها ، ورغم مخترعات ماركونى المنبثة فى بقاعها ، لا تزال نفس إيطاليا القديمة ، التى كانت فى عهد آل بورجيا

وفى ذات أصيل ، أفضت بى الطريق إلى فندق قام فى معزل إلى اليمين ، لا يلوح إلى جواره منزل أو بناء ، وكأنما أقيم فى مكانه هذا ليرحب بالقادمين الذين أنهكهم المسير ، وليغريهم على التماس الراحة ، وعلى استعادة النشاط فى كأس مترعة من الشراب ...

أغرانى الفندق المنفرد فى عزلته ، والذى بدت لى عند بابه حروف زرقاء باهتة ألهبها شواظ الشمس ، تعلن عن اسمه ... « أوستريا دبل سولى » فتقدمت ، فإذا بكهل يجلس إلى يمين المدخل ، على مقعد طويل ، يمتع النفس بشمس الأصيل . وقد استلقت إلى جواره قطة سوداء . وما لبثت أن عرفت فيه صاحب النزل الذى قدم نفسه إلىّ باسم « الفريدو باولى » ... وسرعان ما كنا نجلس فى غمرة الأشعة الدافئة ، نتجاذب أطراف الحديث ، ونحن نجرع خلاله كئوس « الكيانتى » التى قدمه الرجل إكراماً وترحيباً ...

تكلمنا عن إيطاليا ، وعن محصول الكروم ، وعن الضرائب ، وعن ذكرى غاريبلدى ... الذكرى التى عادت بالرجل إلى سنى عمره الباكرة . وما لبثت أن عرفت أن المدينة التى كنت أسعى إليها ، تبعد عن النزل بما يعادل ستة أميال . فاقترح الرجل أن أنزل عنده تلك الليلة ، وراح يغرينى بما سوف أجده فى حجراته من نظام وراحة ونظافة ، قائلاً :

— إنه ليس بالفندق العادى ... فنحن هنا لا نرتقب من الضيفان غير الرحالة الذين يدفعهم النصب إلى التماس كأس من الشراب . ولكن حديثك يطيب لى ، حتى لقد ملت إليك ، فأنت على الرحب والسعة

كان ينبغى لرحالة مثلى يجوب البلاد على قدميه حاملاً معه مالاً ، أن يخشى من وراء دعوة كهذه شراً ، أو أن يتوقع غيلة من أجل هذا المال الذى يحمله . بيد أننى لم أك بطبيعتى ممن يستسلمون للهواجس والريب ، كما أننى لم أر فى باولى العجوز ، الشخص الذى يستطيع الإقدام على سرقة أو قتل ...

ومع ذلك فقد سلبنى نوم ليلة ... وقتل راحة كنت أنشدها فما إن قبلت دعوته حتى اضطجع فى مجلسه ونادى صائحاً :

— جيوفانا !

فأجابه صوت نسائى من داخل الدار ، ظهرت على أثره امرأة رزح ظهرها تحت عبء السنين . فأمرها — والشمس ترسل شعاعها الأخير — أن تعد العشاء ، وأن تهيئ الحجرة كما تملى واجبات الضيافة ، فتلقت الأوامر صامتة ، ثم كرت عائدة إلى الداخل ، بينما تحولنا إلى حديثنا عن غاريبلدى نتابعه

فلما فرغنا من تناول العشاء ، عدنا إلى مقعدنا خارج الدار ثانية ، وراح الكهل يقص علىّ قصته ... قصة شبابه التى لم أسمع فى حياتى مثلها ، ولم أصغ لقصة من قبل أو ... بعد ، إصغائى لها فقد مضى يتكلم كما لو كان يفضى بقصة سواه ، وقد لاح كما لو كان الزمن قد حوله إلى كائن ينافر كل مظهر إنسانى ، تتخلل حديثه حيوية المتفنن الذى يتفانى فى عشق فنه ، وحرارة الخطيب يحاول أن يأسر بفصاحته وبلاغته ألباب المستمعين ...

قال : ولدت فى بيروجيا ، وهى غيرها اليوم ، وكان والدى تاجر عاديات ، يقوم متجره على ناحية الطريق التى تصل ميدان البابا

برحبة واسعة تتراءى خلفها تلال « أومبريان »

ولقد يخيل إليك ـ لأول وهلة ـ أن الموقع كان رديئاً . بيد أن والدى لم يكن بالرجل الذى ينصب شراكه فى مكان غير ملائم، إذ كان يعرف كيف يجتذب العملاء ويغرى الزائرين على الابتياع منه.

وكانت أسرته تتكون من ابنين ...: أنا وأرتورو ، وقد كنا توأمين متشابهين كل الشبه . غير أن أرتورو كان ذا روح مغامرة، حببت إليه البحر، فما لبث أن غدا بحاراً، بينما مارست أنا ـ وكنت أكبره بخمس عشرة دقيقة ـ تجارة العاديات، فصرت مساعداً لأبى

كانت المهنة — رغم أنها تتطلب دراية تامة بالأشياء وبنفسيات الأشخاص — تعتمد كل الاعتماد على الخبرة التامة بتقدير ثمن السلعة والتأكد من أنها حقيقية غير زائفة ، وقد كانت لوالدى هذه الخبرة بالسليقة ، إذ انحدر من سلالة تعشقت هـذا الفن ، هواية أو احترافاً ... كما كانت لى نفس الخبرة إلى حد ما ، فقد كانت إيطاليا القديمة تمشى فى دماء والدى ، كما كانت تسرى فى عروق بكل ما كان فيها، وبكل ما كانت تتميز به ، و... بكل ما عرف عنها من عواطف ومن حقد وكراهية ...

وسارت الحياة سهلة لينة، حتى بلغت العشرين ربيعاً، وإذ ذاك جاء يوم تغيرت فيه حياتى

ففى ذات يوم ، قابلت فى طريق « دى بونتمبن » فتاة كثيراً ما صادفتها من قبل ، وطالما تلاقيت وإياها فى بعض المناسبات ، إذ كانت تصلها بى قرابة بعيدة . وكانت تسكن فى ذلك الميدان الذى يطلق عليه الآن اسم « فيكتور عمانويل » . . . ثم كانت تنحدر من أسرة نشأت فى جنوا . فأضفى عليها أصلها هذا ، جمالاً أشقر رائعاً ، تبدى لى فى ذلك اليوم فى أبهى روعته ... فقد تمثلت لى يومذاك ، فتنة الشباب ، وجمال الربيع ، فى « جيوفانا باتسيتا » ، ولاحت لى ، مع أننى كنت أعرفها ـ كما ذكرت ـ وكأننى لم أرها قبل ذلك اليوم ...

وبالرغم من أننى كنت أحس جمالها ... إلا أنه لم يمث فى نفسى يوماً أكثر من إعجاب وقتى ، لا يلبث أن يتلاشى ... أما فى ذلك اليوم ، فقد لاح لى أكثر فتنة وسحراً ... فما هى إلا نظرة من عينيها حتى وقعت فى شراكها ...

وحتى هـذه اللحظة ، لم يبد لى الأمر جدياً يثير اهتمامى ، فلو أننى سمعت إذ ذاك نبأ موتها ، لما نال منى كثيراً ... !

لم أقل لها إذ ذاك شيئاً ، ولم أنبس ببنت شفة ، بل مضيت فى سبيلى ، كشخص عثر بَغتةً على كنز فى طريقه ، فأسرع يخبئه فى ثنايا ردائه ، وانطلق يجد فى خطاه نحو بيته ...

حتى إذا كان اليوم التالى ، قابلتها مرة أخرى ... وفى هذه المرة أيضاً ، أفضت إلى عيناها بما لم أجرؤ أن أصدقه . .

كنت حديث عهد بالهوى ، فلم أدر ما أفعل ... ولو أننى خلوت بها فى مكان ناء لكان فى وسعى أن أقدم على تصرف سريع ، دون أن أتفوه بحرف واحد . أما وقد كنت فى بيروجيا فلم يك أمامى غير أن أزورها حيث تسكن ، أو أن أبوح لها بحبى على قارعة الطريق ، فى جرأة أستمدها من أناة أتذرع بها ... !

وما كنت لأجد فى نفسى هذه الجرأة ، فما عتمت أن تحولت تاركا الأمور تجرى فى أعنتها.. ولكنها لم تلبث أن غادرت المدينة !...

لم تك غيبتها هذه إلا لنزهة قصيرة ما كانت لتستغرق الشهر أبداً ، بيد أننى كدت أقضى حزناً وأسى ، إذ أذكى البعاد أوار الحب فى قلبى ، وأصبحت أرى فى البقعة التى كنت أصادفها عندها ، قبلة أحج إليها . كما كنت أقف فى الأمسيات أمام دارها ، وقد غمرنى شعاع القمر ، والوجد يلهب أحشائى ، والأسى يمزقنى بأنيابه الحادة القاسية ... حقاً ، إن الحب جنون ! ...

لست أود أن أثقل عليك ، ولكننى أحببت أن أريك كيف شاء القدر أن يسعى للقضاء على ...

وأمسك الرجل برهة ليفرغ فى جوفه بقية كأسه ، بينما انبعث صوت العجوز من داخل البيت :

— الفريدو ... إننا الآن فى ساعة متأخرة

فضحك سائلاً إياها أن تدعه وما يشاء ، ثم عاد يتابع حديثه :

— برح بى الهوى حتى لم يبق منى غير هيكل بال لرجل ضعيف . فلم أعد أهتم بالعمل ، أو آبه للفن حتى لطالما اشتجرت مع والدى إذ أضعت عليه كثيراً من الصفقات المربحة

ولو أن الأمور سارت على هـذا المنوال ، لغادرت بيروجيا إذ ذاك مطرحاً عملى ، هاجراً موطنى . غير أن الأقدار أشفقت علىّ، فساقت إلى الشفاء يوماً . فقد عادت جيوفانا إلى المدينة ، وقابلتها فى الطريق، فلم أتردد فى البوح لها بما يعتلج بين جوانحى من غرام. فأطرقت تصغى إلىّ برهة، ثم تحولت فحدقت فى عينى، وابتسمت عند ذاك ، أيقنت أنها أصبحت لى ، فصرت رجلاً آخر...

كانت ثروتى وفيرة لا بأس بها ، وكانت أخلاقى حميدة لا عيب فيها، فلم أجد معارضة من والدى جيوفانا عند ما تقدمت

لطلب يدها . وصار لنا أن نلتقى كل مساء ، فننعم بجولة بديعة خارج المدينة ، عند الكروم الغناء ... ملتقى العاشقين ...

وقررنا أن يكون الزواج فى الصيف ...

ثم حان عيد « الكرنفال »

كان « الكرنفال » فى تلك الأيام الخوالى أكثر مرحاً وبهجة منه الآن . فكان الناس يطرحون عنهم شؤونهم ، وينصرفون عن كل شىء ، ليندمجوا فى ملاهيه وأفراحه

وفى آخر ليالى « الكرنفال » كنت على موعد مع جيوفانا عند بقعة قريبة من « دومو » ، وقد حلا لها أن تتنكر فى رداء غانية أسبانية ، بينما اخترت أنا للباسى حلة مزركشة وقناعاً قرمزياً. ولما كانت صحة والدى معتلة فقد لزم البيت طيلة اليوم بعد أن أخبرته بالأماكن التى أعتزم ارتيادها ، وبالمواقيت التى سأكون فيها هناك ، حتى يكون فى وسعه الاتصال بى ، إذا كانت ثمة حاجة لهذا الاتصال

كان موعدى مع جيوفانا فى الساعة السادسة إلا عشر دقائق عند « فونتى مادجيورى » على مقربة من « دومو » . وقد يخيل إليك أننى كنت هناك قبل الموعد شأن كل عاشق مستهيم ... بيد أننى فى الواقع وصلت إلى مكان الملتقى متأخراً . إذ كان بساعة صديقى مانفريدى الذى قضيت عنده فترة الظهيرة ، خلل جعلها تؤخر فى الوقت . بينما تعمدت أن أترك ساعتى فى البيت خشية أن يسلبنيها اللصوص الذين كانوا يندسون وسط المهرجانات فى مثل هذا العيد ... فلما وصلت إلى فونتى مادجيورى ، كانت النواقيس تدق ، فلم أكد أصدق سمعى ، لا ولا بصرى ، عندما ترامت الدقات إلى أذنى ، ولم أجد جيوفانا ...

ثم حدث ما وقع ... فلا بد أنها حضرت فى الموعد ، حتى إذا لم تجدنى انصرفت عائدة . ولو أننى فكرت فى هذا ، لأدركت مدى استحالة بقاء فتاة وحيدة فى الانتظار عند فونتى مادجيورى فى ليلة العيد ، ولأنحيت باللوم على نفسى بدلاً من أن أسمح للغضب أن يطغى فيجتاح قلبى ...

كنت أعلم أن جيوفانا رغم ليونتها ورقتها ، ذات طباع حادة قاسية . فظللت واقفاً أتلفت حولى وهذه الفكرة توحى إلى بما يذكى نيران الغضب ويزيد شعلتها لهيباً . بينما كان القوم يمرون بى فى طريقهم إلى الساحة لمشاهدة موكب العيد ، وهم فى أحاديثهم وضحكهم عنى لاهون . . . ثم تحولت إلى حانة ، فاتخذت لنفسى فيها مجلساً ، وطلبت شراباً قوى التأثير ، رحت أحتسيه وأنا غافل عن رجل أسمر ، كان يجلس إلى منضدة قريبة ...

لم أسرف فى الشراب قط مثلما أسرفت فى تلك الليلة . فقد لاح لى الكحول ساحراً بدد غضبى وأبدل به شيئاً من اليأس ، الذى لم يلبث أن تحول إلى شعور من عدم المبالاة . وسرعان ما تناسيت جيوفانا ، واندمجت فى الحديث مع الرجل الأسمر ، الذى عرفنى ونادانى باسمى ، يدعونى إلى مجالسته

كان الرجل أحد تجار التحف فى بيزا ، وقد رأيته فى متجر والدى يومذاك ، إذ ذهب ـ رغم العيد ـ يسعى وراء صفقة . بيد أنه لم يحظ بفائدة لمرض والدى . وكانت لديه تحف رائعة ثمينة يبتغى بيعها بثمن بخس ، إذ حصل عليها فى سرقة ارتكبها فوجد أن من الخطر استبقاءها فى حوزته فى بيزا . وقد أرانى منها بودينى ـ إذ كان هذا اسمه ـ صليباً من الذهب المرصع ببعض الأحجار الكريمة ، وقرطاً ، وخنجراً من الخناجر الفلورنتينية ذا مقبض فضى . فعرضت عليه أن أبتاعها منه ، غير أننى لم أك أحمل الثمن الذى ابتغاه . فلم يأبه لذلك ، إذ كانت معاملاته ممنا على ما يرام لذلك تناولت منه هذه الأشياء ، فوضعت الصليب فى صدر ردائى ، ودسست الخنجر ـ وقد غاب فى قرابه ـ فى جيب خفى ...

وما إن فارقنى بودينى ، حتى عدت ثانية ، نهبة للهواجس وفريسة للهموم . ولما بارحت الحانة ، كانت الأضواء تتلألأ مؤتلقة فى المدينة وقد تصاعد ضجيج الجماهير المندمجة فى مهرجانات « الكرنفال » كهدير الأمواج الصاخبة . فوقفت برهة موزع الخاطر متحيراً ، ثم تحولت نحو ساحة الاحتفال ، وأنا أسائل نفسى ... أما كان يحسن بى أن أيمم شطر بيت جيوفانا ؟ ...

لاحت لى المدينة كمجنونة اكتسحتها نشوة الفرح التى يمنها العيد ، وقد تراءت كشعلة من النيران ، وبدا الناس وهم صرعى نوبة من الخبل المرح ، يحيطون بالساحة يشاهدون « مصارعة الثيران » فاندمجت بينهم ، وقد تناسيت جيوفانا . حتى إذا انتهى الصراع ، وتشتت القوم متفرقين وجدتها أمامى !

كانت فى صحبة رجل ... وقد أوليانى ظهريهما فلم يريانى ، بينما أحاط الرجل خصرها بذراعه ، ومضى يشق لكليهما طريقاً وهم يضحكان فى حبور . فدوت ضحكاتهما فى مسمعى كقصف الرعد . إذ كان يخيل لى أننى الرجل الوحيد فى بيروجيا ، الذى اصطفته جيوفانا خليلاً ، وتعرفت إليه ...

وقفز الخنجر من جيبى إلى يدى ، فكدت أغمده فى ظهر

رفيقها لو لم تندفع كوكبة من الخيل إلى الساحة تتسابق ، فحالت بيني وبينهما . فلما مضت لم يك ثمة أثر لجيوفانا ورجلها ! ...

ولك أن تتصور موقفي ، وقد أعمتني ثورة الغضب ، بينما أخذ الخنجر يحز راحة يدي ، وضحكات القوم تستثيرني وتوهمني بأنهم جميعاً يعرفون قصتي ويسخرون مني . بيد أن إرادتي كانت قوية فلم ألبث أن أعدت الخنجر إلى جيبي وأنا أحمل النفس على الصبر وأعللها بالأماني ... واندفعت مع القوم

وما لبثت أن ظفرت بثمرة صبري ، إذ عثرت على جيوفانا ورفيقها في طريق « بيكولو امبرتو » ، فرحت أقترب منهما حتى بات في وسعي أن أحصي الشعيرات خلف رأسها ، أو أن أحل الرباط الذي يثبت القناع على وجه صاحبها . ولكن يدي لم تعد تتحسس الخنجر هذه المرة ؛ فقد وجدتني في أهدأ الحالات ، أتحين اللحظة الملائمة لإنفاذ انتقامي دون أن أعرض نفسي لأتفه الأخطار

تبعتهما في طريق « بيكولو امبرتو » وهما يسيران في عزلة عن القوم لاهيين ، وقد غابا في غمرة سعيدة أنستهما ما حولهما ، حتى أنهما لم يلتفتا نحوي مرة واحدة ...

ثم ... لحظة واحدة يا سيدي ...

وهم باولى من مجلسه لحمل زجاجة الشراب الفارغة ، وغاب في المنزل ... وسمعته يسأل جيوفانا عن مفتاح المخزن ، فأجابته بصوت نم عن غضبها لإقلاق راحتها ، وكأنما كانت متذمرة لبقائه ساهراً حتى تلك الساعة المتأخرة ، في جو الليل الرطب البارد ، يتناول الشراب مع شخص أجنبي لم يسبق لها التعرف إليه ...

ثم عاد يحمل زجاجة جديدة من الشراب ، فاتخذ مجلسه ثانية وتابع حديثه وكأنما لم يقطعه على نفسه ...

اتبعتهما في الطريق، حتى وصلنا إلى أخرى تفضي إلى بيتها . وقبيل باب الدار ، افترقا ...

لم أصدق عيني وأنا منزو في مخبأ في الطريق . فقد كانت بيروجيا بأسرها — لا الحي وحده — تعرف أنني خطيبها وأننا سنصبح عما قليل زوجين . ومع ذلك ، فهأنذا أراها قبيل الزواج ببضعة أشهر تساير شخصاً غريباً على أثر إهمال بسيط صدر مني عفواً ودون إدراك مني ... شخصاً التقطته من بين الأفواج المتدفقة في ساحة « الكرنفال » !

وولجت هي بيتها، بينما عاد هو في الطريق يصفر فرحاً جذلان، فما إن ابتعد عني ثلاثين خطوة ، حتى تسللت في أثره ، وقد قررت — بعد إذ رأيت ما بينه وبينها من علاقة — أن أقدم له الجزاء الذي يستحق ... كان يجب أن يموت ، وكان ينبغي أن تموت هي أيضاً ، ولكنه الأجدر بالأسبقية في تلقي الجزاء !

كان من السهل أن أغتاله في تلك الطريق ذات الأضواء الضئيلة، التي لا تكاد تقوى على مكافحة الظلام الطاغي ... ولكن ... ألا يجوز أن يقبضوا عليّ ، فتفلت هي من انتقامي ؟ ...

وصمت العجوز مرة أخرى ، لينزع عن الزجاجة سدادها ، فيملأ الكأسين، بينما كان القمر قد اعتلى كبد السماء، وازداد ضوؤه الفضي تألقاً، حتى تراءى لنا المنظر المحيط بنا، وكأنه يبدو في وضح النهار . حتى إذا أفرغ كأسه في جوفه ، عاد يقول متابعاً قصته :

« لعلك تقدر موقفي يا سيدي ، فقد كان عليّ أن أحرص على حياتي ، حرصي على كنز ثمين ، حتى أتم انتقامي كاملاً ، وهذا لا يتأتى إلا إذا فرغت من حساب جيوفانا على ما قدمت ...

ومع ذلك ، ظللت أتعقب الرجل ! ...

والظاهر أنه كان قد اختطف ألعوبة « شخشيخة » أحد المهرجين ، أثناء المهرجان ، فراح طيلة الطريق يهزها يمنة ويسرة ويضرب بها ظهور الناس خلال الزحام، وهو يضحك ساخراً لاهياً في غفلة عن ذلك الذي يتعقب خطاه، ممداً خنجره للقضاء على حياته

كان يلوح كمن يبتغي من اجتذاب أنظار القوم . فكان يسخر من كل فتاة أو شاب يعترض طريقه، ويهزأ بكل عجوز أو كهل يصادفه ، مرسلاً قهقهته عالية في الجو . وكأنما هو لم يكتف بما نعم به من سعادة في رفقة جيوفانا، فما لبث أن أوقع في أحبولته فتاة أخرى، أحاطها بذراعه ثم دفعها معه ، وقد تبعتها صويحباتها وهو غير مكترث بهن . ولعله كان يحمل نقوداً وفيرة إذ لجأ إلى مشرب راح يبعثرها فيه بغير حساب ...

ما كنت أرى وجهه، فقد كان ظهره نحوي. بيد أنني كنت أرى أنه قد وفق في أن يغدو الروح الحية التي ظهرت في المشرب فطغت على كل من فيه ، ثم . . . تفرق الجميع كل إلى وجهته ، فعاد وحيداً يسلك طريق « أندريا دوريا »

وهنا ... وجدت الفرصة الملائمة ! ...

كانت الطريق مقفرة، ولم يك ثمة من يرانا ، وحتى لو وجد هـذا فقد كان الظلام الضارب فيما بين المصابيح ، لا يدع لأحد الفرصة كي يتأملنا جيداً ؛ فلم ألبث أن أمسكت بكتفه ، ورحت أنظر إلى وجهه الذي كان شاحباً ، تعلوه كآبة تبعث في النفس

الرغبة فى تهشيمه... كنت مجنوناً، وقد أخذت الوقائع التى حدثت فى ذلك اليوم تتتابع متزاحمة فى رأسى... كان هناك حبى لجيوفانا، وغيرتى، وحقدى، ثم... مفعول الكحول القوى... كل هذا كان يدفعنى نحو الجنون، بينما أخذ الشاب يقاومنى فى نضال، وأحسست بسكين تصيب كتفى الأيسر، ثم هويت إلى الأرض بينما كنت أغمد خنجرى فى قلبه بكل ما واتانى به الحقد والغيرة من قوة !...

سقط الرجل عند قدمى جثة هامدة شاحبة، وما يزال الخنجر مدفوناً فى صدره. ولكننى لم آبه لذلك، ولم أسع إلى الفرار... ولعل هذا أغرب ما حدث... فقد كنت أنتوى قتل جيوفانا، ثم أنتحر، ولذا لم أجد ما يبعث على الفرار !

لم أك أدرى لكل هذا سبباً. غير أننى أدركت فيما بعد، أن عقل الإنسان لا يطيعه فى كل الأحوال، وإنما هو – فى المآزق الحرجة والمآسى المروعة – يتمرد عليه ليعمل بإملائه ووحيه...

جررت الجثة إلى مدخل المبانى القائمة فى الطريق فأسندت ظهرها إلى الباب حتى بدا صاحبها تحت ضوء المصباح الغازى الصغير المعلق فوق المدخل، وكأنه ثمل غلبه النعاس. ثم انطلقت فى طريقى بعد أن تحققت من المكان الذى تركت فيه جثة غريمى

لم يعد أمامى بعد هذا إلا أن أحاسب جيوفانا، لذلك يممت شطر بيتها، ودققت الباب ثم ولجت...

كانت أسرتها ما تزال غائبة فى «الكرنفال»، وكانت هى لم تأو بعد إلى فراشها، فما لبثت أن هبطت للقائى...

وكنت أقف فى الحجرة التى اقتدت إليها عند حضورى، متكئاً إلى منضدة فى قبالة الباب، عند ما قدمت. فما رأتنى حتى حدقت فى وجهى دهشة وتساءلت:

– لماذا عدت ثانية ؟

فأطلقت ضحكة عالية، ولم أنبس ببنت شفة. وإذ ذاك تراجعت وقد لاح على محياها الفزع ؛ غير أننى لم أفكر فى أن خوفها هذا قد يكون منبعثاً عن غرابة مظهرى وعن إخلاصها لى. وإنما خلت أنها فطنت إلى أننى كشفت خيانتها، فكان هذا مصدر جزعها، لذلك صحت بها:

– ما اسمه ؟

– اسم من ؟

– من !؟ الرجل الذى أوصلك إلى باب هذا المنزل منذ ساعة

– إننى لم ألتق بسواك هذا المساء...

لاح لى أنها كانت تنطق عن حقيقة وصدق. فبدأت أفهم الأمر... لا بد أن ثمة شخصاً اتخذ مظهرى وتقدم إليها منتحلاً شخصيتى. فلما أفضيت إليها بما ساورنى ضحكت قائلة:

– لقد كنت أنت الذى رافقنى، وقد وضعت على وجهك قناعاً زائفاً... ثم كان موعدنا وملتقانا عند فونتى مارجيورى، وهذا ما لا يعرفه سوانا...

فصحت:

– يا لله !... ولكننى لم أقابلك إذ تأخرت عن موعدنا...

خيل إلىّ أنها ظنتنى مجنوناً أو كاذباً... وتراءى لى الأمر كحلم، فظللت صامتاً يداخلنى الشك فى صحة قواى العقلية ؛ بل لقد أيقنت أننى مجنون، فرفعت القناع القرمزى عن وجهى وأطرقت إلى الأرض. ثم... تذكرت الرجل الذى خلفته مستنداً إلى الباب فى تلك الطريق القفرة بعد أن سلبته الحياة. وإذ ذاك خيل إلىّ أن ثمة قوى خفية تسيطر علىّ وتدفعنى إلى أن أغادر البيت.. البيت الذى دخلته لأقضى على جيوفانا، فخلفته وأنا نصف مجنون، تسوقنى قوى خفية – رغم إرادتى – إلى حيث لا أدرى...

وجدتنى أخيراً عند باب بيتى... وكان المنزل مظلماً عند ما ولجته، فأغلقت الباب خلفى وتقدمت. وإذ ذاك سمعت والدى يصيح متسائلاً عن القادم، إذ كان ملازماً حجرته لمرضه. فلما وصلت إليه، وجدته جالساً فى الفراش، متدثراً بالأغطية، وعلى ركبتيه كتاب مفتوح، وإلى جانبه المصباح. فما إن رآنى حتى بادرنى:

– آه، أهذا أنت ؟... وأين أرتورو ؟...

والآن... لعلك تذكر أننى أخبرتك فى بداية القصة، أنه قد كان لى أخ أحب البحر فعمل كملاح. وأنه كان يشبهنى كل الشبه، إذ كنا توأمين

صحت بدورى أسأل والدى:

– ماذا تعنى ؟... إن أرتورو فى البحر...

بيد أننى لم أتم كلامى حتى خالجنى شعور رهيب، كاد قلبى أن يقف له عن الوجيب، بينما سمعت والدى يقول:

– لقد عاد أرتورو اليوم، فانطلق يبحث عنك، بعد أن أخبرته أن فى وسعه أن يعثر عليك عند فونتى مادجيورى فى الساعة السادسة، إذ أخبرتنى أنك ستلتقى جيوفانا...

وإذ ذاك، شعرت بالأرض تميد بى، فتهالكت على مقعد

بجوار فراش أبى ، ومضيت أقول دون وعى :

— لقد تأخرت عن الموعد ، وسبقنى أرتورو إلى هناك ، فظنته جيوفانا إياى ، وتقدمت إليه ، ولما كان يعرف أنها خطيبتى فقد شاء — حباً فى المزاح — أن يدعها على اعتقادها ، وبعد أن طاف برهة فى رفقتها ، أوصلها حتى باب دارها ثم ودعها وهو ما يزال منتحلاً شخصيتى . اتخذ طريقه عائداً ، يساوره الأمل فى أن يلقانى فيضحك معى للفصل الذى أتقن تمثيله . بيد أنه لم يك يدرك أننى أتعقبه طيلة ذلك الوقت ، ظاناً أنه شخص غريب سلبنى خطيبتى ، وأوقد فى أعماق نيران الغيرة

فانتفض والدى بغتة فى فراشه ، وكأنما أصابته رصاصة ، وصاح :

— ماذا تقول ؟ ... ما الذى تعنيه ؟ ... أين أرتورو ؟ فأجبته : لقد مات غيلة بخنجرى الذى لايزال فى صدره ...

فهت بهذه الكلمات وأنا هادئ كل الهدوء ، كما لو كنت أنقلها عن شخص آخر كنت لا أستطيع أن أتصور ما فعلت ، وأن أعتقد حقاً أننى ارتكبت تلك الجريمة ! ...

أجل يا سيدى، كان هذا عين ما حدث .

وأطرق الرجل برهة ، وكأنما غلبه الأسى لتلك الذكرى ، ثم ما لبث أن عاد يقول :

— غير أنهم لم يعاقبونى ، إذ أخذتهم بى الشفقة عندما رويت لهم قصتى ، كما أرويها لك الآن ...

وما لبثت بعد ذلك أن تزوجت جيوفانا ، سافرنا إلى بيزا معاً فاستقر بنا المقام هناك ...

كان هذا منذ سنوات ، وقد مضينا عقب ذلك فى الحياة ، دون أن نوفق إلى جمع ثروة أو عقار ، اللهم إلا هذا الفندق الذى امتلكناه أخيراً ...

ومع ذلك فإننا فى نهاية المرحلة ... فماذا يهمنا ؟ ...

وفرغنا من الشراب ، فقادنى إلى الغرفة التى أعدت لنومى . وفيما كنت مستلقياً فى فراشى ، يقظاً أتأمل شعاع القمر ، وقد تساقط على جدار حجرتى ، وأنصت إلى حفيف أشجار الزيتون ، يداعب أغصانها نسيم الهزيع الأخير سمعت جيوفانا تقول ساخطة :

— هل أويت إلى فراشك أخيراً ؟ ... جميل حقاً ، أن تدعنى يقظة حتى الآن فى انتظارك ! ! ...

محمد بدر الدين



رجعات

١ — قرأت كلة العالم الثقة المتواضع « أزهرى (طنطا) » فى العدد الـ ٣٤٧ . وفيها نبه الكتاب والرواة إلى أن أفلاطون هو الذى قال : « لا تقصروا (تقسروا) أولادكم على آدابكم ، فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم » . ويحلو لى أن أعود إلى مناقلة ذلك العالم ومثاقفته ، فأخبره بأن هذا القول ورد منسوباً إلى أفلاطون أيضاً ، على قلم أسامة بن منقذ فى « لباب الآداب » — مصر ١٩٣٥ ص ٢٣٧

٢ — كنت استشهدت فى مقالى « مناقلة ومثاقفة » (الرسالة ٣٤٦) بكلمة بليغة لابن شبرمة ، وهى : « ذهب العلم إلا غبارات فى أوعية سوء » . فذهب صاحب « الأدب فى أسبوع » فى العدد التالى إلى أن هذه الكلمة « تبدو له نصاً عربياً مظلم النور » . فقال — معترضاً — : إن تحرير روايتها يكون بوضع : « غُبّرات » (أى : بقايا الشىء) موضع : « غبارات » . وجلب لأجل ذلك قولاً لعمرو بن العاص وآخر لأبى كبير الهذلى ، وردت فيهما كلمة « غُبّر » وجمعها « غبرات (المآلى) » لبقايا دم الحيض (المعذرة أيها القارئ !) . ثم خرج المعترض من وراء « تحقيقه على التحرير والدراية » ، يأمر الناس يقول : « فمن كانت عنده نسخة من العقد الفريد (طبعة بولاق) فليصححه » ، (وذلك لأن تلك الكلمة مثبتة فى العقد وروايتها « غبارات ») .

ألا إن مثل هذا الضرب من التحقيق ينطوى تحت ما يسميه علماء الفرنجة لهذا العهد فى المنهج الذى يجرون عليه فى تحرير المخطوطات والمطبوعات : « التحكم فى رفض رواية النص » . ومنهج القوم فى ذلك هو معتمدنا اليوم (وهو على كل حال سُنّة العلماء من عرب وأعاجم فى عهد ترسخ فيه قواعد العلم) . وفى نقدى لكتاب « الإمتاع والمؤانسة » (الرسالة ٣٣٧) مثل على ذلك التحكم . وبيان هذا أن نص رواية من الروايات لا يرفض إذا صح لغةً وأداءً وبياناً ؛ وليس للقارئ أن يستبد بذوقه فيحمل القدماء على أن ينطقوا على هواه أو على مبلغ « تحريره ودرايته » ، وإن صحّ رأيه من جانب . وعلى هذا ، فمعلوم أن الغبارات — أى الشىء الحقير القليل [1] — تملو الوعاء المهمَل لفساد ما فيه وتطمئن فى زواياه . فلا حاجة بك إذن إلى اجتلاب استعارة قد ينبو عنها بعض الأذواق . ولو كان استشهد المعترض بنص ورد فيه قول ابن شبرمة و « الغبارات » فيه « غُبّرات » لكان رأيه نجا من نصف التحكم ؛ ولو كان جلب نصًّا فيه « غبرات (المآلى) » تليها « أوعية » سوء أو نحو ذلك لكان رأيه مقبولاً

هذا والغبارات وردت فى غير طبعة بولاق (مصر ١٢٩٣) للعقد الفريد . فإنك تصيبها فى طبعة المطبعة العثمانية مصر ١٣٠٢ ج ١ ص ٢٠٥ ، والمطبعة الشرفية مصر ١٣٠٥ ج ١ ص ١٥٥

وبعد ، فإنى أريد أن أكون عند حسن ظن المعترض بى . ألم يكتب عن غزير فضل : « إن العالم الثقة الثبت المحقق الدكتور بشر فارس قد علِم فعلّم » . وهأنذا فى دار الكتب المصرية — أبقاها الله حصناً للمحققين — وإلى جانبى الصديق الكريم (وفى الناس من تكرم صداقته) الأستاذ كامل المهندس رئيس قسم الفهارس العربية ، والأستاذ عبد الرحيم محمود المصحح بالدار ، وبين يدىّ جانب من نسخة مخطوطة ، قديمة تصعد إلى المائة السادسة [2] ، مشرقة الخط ، مشكولة ، إن هى إلا « الجزء السادس من كتاب العقد وهو بعض كتاب الياقوتة فى العلم والأدب » . وفى أسفل الورقة الـ ٢٢ ما حرفه بالشكل الكامل المحكم : « ذهب العلمُ إلا غُبارَاتٍ فى أوعيةِ سَوْءٍ »

هذه كلة لن أردفها بثانية مهما خطر للمعترض أن يقول .

بشر فارس

دكتور فى الآداب من جامعة باريس

---

(١) أنت تعلم أن الهباء هو الغبار ، والهبوة الغبرة ؛ فاذكر الآية : « وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً » : « شبه عملهم المحبط بالهباء فى حقارته وعدم نفعه » من البيضاوى

(٢) على ما أخبرنى به الأستاذ الشيخ محمد عبد الرسول مفهرس المخطوطات العربية فى دار الكتب . وهذه المخطوطة غير التى عول عليها لطبعة بولاق ، وسيعرف المعترض سبب ذلك عند المراجعة . ورقم المخطوطة ٢٦٠٦ أدب

« ارتجال المصادر »

طالعت فى العدد ٣٤٧ من الرسالة مقالاً فى البريد لكاتبه الأستاذ إسماعيل أدهم يحاول فيه أن يرجع تعبيراً للدكتور بشر فارس هو «أذنى زلزلت طرباً» إلى تعبير إيطالى يقاربه، فى زعمه، للكاتب المسرحى لويجى بيراندللو عن ترجمة تركية

ونحن لا نريد أن نناقش هذا الأسلوب فى ترجيع تعبير إلى آخر فى غير اللغة التى كتب بها مباشرة (من الإيطالية إلى التركية ثم إلى العربية)، وإنما نريد أن نبين للقارئ كيف يواصل الأستاذ أدهم طريقته فى « ارتجال المصادر » (راجع هنا ما قاله الدكتور بشر فارس نفسه فى هذا الصدد : الرسالة ٣٢٩ و٣٣٠) وإليك الحديث :

قد كنت وضعت رسالة عن الكاتب المسرحى لويجى بيراندللو ونشرتها تباعاً عام ١٩٣٥ على صفحات مجلة الحديث الحلبية، وذلك بمناسبة فوزه بجائزة نوبل، وكنت أثبت في هذه الرسالة المصادر الأفرنجية التى اعتمدت عليها فى اللغة الفرنسية، ومن بينها كتاب مستعرض أوربا Carte d'Europe لمؤلفه الناقد Daniel Rops وفى هذا الكتاب وغيره وردت مصادر إيطالية وجدت من تتمة البحث أن أذكر عناوينها، ومن هذه المصادر كتاب L'uomo Segreto أى « الإنسان الخفى » لمؤلفه فردريكو نارديللى

وقد تبين لى بعد ذلك أنى أخطأت فى ترجمة عنوان هـذا المصدر بأن ذكرت « الإنسان المقدس لمؤلفه فردريك نارديللى » وجاء هذا الخطأ نتيجة وهمى أن كلمة Segreto تفيد « مقدس » والصواب أن الكلمة التى ترادف « مقدس » هى بالإيطالية Sacro وهكذا يرى القارئ أن مصدر الخطأ جاء من تقارب خروج حروف اللفظتين الإيطاليتين

هذا وقد استند الأستاذ أدهم فى مقاله المذكور آنفاً إلى هذا الكتاب، وادعى أنه راجع ترجمته التركية (ص ١١٨ ـ ١١٩)؛ فذكر عنوان الكتاب هكذا : « الإنسان المقدس » . ونحن نقول إن هذا الكتاب لو كان ترجمه أحد إلى اللغة التركية حقيقة لكان أصاب فى ترجمة العنوان وهو سهل الألفاظ واضحها، (وإلا فكل الترجمة خطأ ولا يعول عليها إطلاقاً)

والحقيقة أن الأستاذ أدهم سطا على هذا العنوان بخطئه — كما رأيت — من صلب الرسالة التى كنت نشرتها فى مجلة الحديث عام ١٩٣٥ كما قدمت

ونزيد على هذا أن الأستاذ أدهم فى محاولته فى مقاله المذكور استند إلى الترجمة التركية « ؟!! » على حين أنه فى كتابه « توفيق الحكيم — الفنان الحائر » أثبت عنوان هذا الكتاب ذاته فى جدول مصادره باللغة الإيطالية كأنه اطلع عليه . فلم يعمد إلى ترجمة تركية لكتاب سبق أن اطلع عليه فى لغته الأصلية إلا لأنه يعرف أن التركية الحديثة غير شائعة عندنا، فمن يتتبعه ؟

وإذا كان الأستاذ أدهم فى هذا الصدد فليرسل إلى إدارة مجلة الرسالة الترجمة التركية المزعومة لمجرد الاطلاع عليها والإفادة منها

محمد أمين حسونه

الحجز على المتاع

سيدى الفاضل الأستاذ الزيات

تحية وسلاما . وقع نظرى على إعلان حجز نشر فى جريدة البلاغ يوم الجمعة الماضى أو السبت الذى يليه على ما أذكر ؛ فقد أردت أن أحتفظ بالعدد المنشور فيه هـذا الإعلان لولا عبث أطفالى به وهم لا يأبهون بما فيه، ولكن إليك ملخصه (ولك أن تراجع أعداد البلاغ المشار إليها للتحقق منه)

« فى يوم ٤ مارس سنة ٩٤٠ سيصير بيع المنقولات الآتية وهى : حلة وأبجر (وكيلة ذرة) ملك . . . وهذا البيع بناء على طلب حضرة صاحب المعالى وزير الأوقاف وفاء لمبلغ . . قرشاً »

وكان بودى لو تعيرنى قلمك لأعلق على هذا الإعلان المؤلم ؛ بيد أنى خشيت أن يكون فى يدى قصبة لا روح فيها أو كالهند فى يد طفل ضعيف. والموضوع يحتاج إلى صرخة مدوية تهز أوتار القلوب، وأنت فارس هذا الميدان، ولنفائس يراعتك ما ينفس عن القلوب المكلومة، وفيك الرجاء فى معالجة الأمر بحد القلم الذى حرك أولى الأمر فى أكثر من حادثة

إن بعض القوانين تحرم الحجز على كثير من أنواع المتاع فما بالك بالحجز على القوت الضرورى ؟ فهل بلغ الحرص بوزارة الأوقاف على أموالها هذا المبلغ وهناك الكثيرون من أبناء الأثرياء الذين أضاعوا أموالهم على الخمر والميسر وأنواع الفجور، أصبحوا يعيشون فى رغد من المرتبات التى تصرف لهم من الأوقاف من غير استحقاق أو عمل يعملونه لأنفسهم ولبلادهم، وناهيك بغير هؤلاء ممن تعرف

ومما يزيدنا تألماً أن يصدر هذا التصرف الشاذ فى عهد وزير خلق وزارة الشؤون الاجتماعية لخدمة الإنسانية

فمتى نعرف البر بالفقير إذا كانت وزارة البر والإحسان تأخذ اللقمة من فم الفقير لتطعم بها أبناء الأعيان أو تؤثث بها غرف موظفيها بأنواع الأثاث الفاخر ؟

يا لله ... وزارة الأوقاف تنزع من فقير « حلة وأجر وكيلة ذره » وهى بالطبع كل ما يملكه من حطام الدنيا !

أين الرحمة ! أين الشفقة ! ... يا للإنسان من ظلم الإنسان !

احمد محمد على

استفهام

فى كتاب « تاريخ الأدب » المقرر بالمدارس الثانوية تحت عنوان : « نماذج من شعر المخضرمين » شعر لأبى دهبل الجمحى على أنه مخضرم ، وعلى أنه قيل فى مدح رسول الله عليه الصلاة والسلام، وأول الأبيات هو :

إن البيوت معادن فنجاره   ذهب وكل بيوته ضخم

وروى الأغانى فى الجزء السابع « طبعة دار الكتب ص ١٣٤ » أن هذه الأبيات فى مدح عبد الله بن عبد الرحمن الملقب بابن الأزرق ، والى عبد الله بن الزبير على بعض أعمال اليمن . فأى هاتين الروايتين نصدق؟ ومم استقى الأساتذة الأجلاء المؤلفون الرسميون روايتهم تلك؟ وكيف يحتمل أن يكون مخضرما وقد عاش إلى خلافة عبد الملك بن مروان ؟

هذه أسئلة غرضى منها تعرف الحقيقة فحسب ، فلعلى أظفر بمن يهدى إليها « محموداً مشكوراً »

قنارى

البروفسور ويلسون

وصل إلى القاهرة عن طريق الجو فى الأسبوع الماضى البروفسور دوفر ويلسون أستاذ البلاغة والأدب الإنجليزى فى جامعة أدنبرة ، قادماً إلى مصر بدعوة من المجلس البريطانى ، والاتحاد المصرى الإنجليزى، لإلقاء طائفة من المحاضرات العامة، يدعى إليها كبار رجال التعليم فى وزارة المعارف والجامعة ، كما أنه سيباح الاستماع إليها لكل راغب فى ذلك

وسيلقى الأستاذ دوفر أولى محاضراته فى الساعة السادسة من مساء يوم ١٤ مارس الحالى ، بقاعة الجمعية الجغرافية الملكية ، تحت رعاية الاتحاد ، ويتحدث فيها عن « شكسبير وعصره »

ويلقى بعد ذلك محاضرات أخرى عن نظم التعليم الحديثة فى انجلترا وعن الحياة الاجتماعية والسياسية فى لندن يلقيها فى المعهد البريطانى وفى قاعة يورت التذكارية . ثم يلقى محاضرات أخرى فى الأسكندرية وبور سعيد والسويس

وللأستاذ ويلسون أبحاث قيمة عن شكسبير ومؤلفاته ، وإليه يرجع الفضل فى إخراج الطبعة الحديثة من مؤلفات هذا الشاعر العظيم التى أصدرتها جامعة كمبردج أخيراً . وقد أخرج فى شئون التعليم ونظمه كتباً يسترشد بها رجال التعليم فى انجلترا إذ كان أستاذاً للتربية والتعليم فى جامعة لندن ، ثم أستاذاً للأدب الإنجليزى فى جامعة كمبردج

حول لقب السفاح

قرأت فى مجلة (الرسالة الغراء) فى الجزء ٣٤٢ وغيره ما كتبه الكاتبان (الأستاذ محمود شاكر والأستاذ الصعيدى) فى (لقب السفاح) . وعجبت لقول الأستاذ العبادى — على ما نقله الأستاذ الصعيدى — : إن الرواية التاريخية القديمة كرواية ابن سعد وابن عبد الحكم والبلاذرى والدينورى وطيفور واليعقوبى، والطبرى والنوبختى والكندى لم تلقب (أبا العباس) بالسفاح

فالمؤرخون كالمجمعين على تلقيبه بذلك ، بل هو أشهر من لقب بهذا اللقب جاهلية وإسلاماً

ولعل من المفيد أن أنقل ما قاله الحافظ بن حجر فى كتابه (نزهة الألباب فى الألقاب) من مخطوطات دار الكتب المصرية . قال : «السفاح : أول خلفاء بنى العباس ، هو أبو العباس عبد الله ابن محمد بن على بن عبد الله بن العباس . ولقب به من القدماء سلمة بن خالد بن كعب التغلبى رئيس بنى تغلب أحد فرسان الجاهلية ، وقيل له ذلك لأنه سفح الروايا يوم الكلاب الأول »

غسان صلاح الدين

حول لوبيا المجهولة

حضرة الأستاذ على معمر الطرابلسى

قرأت مقالك المعنون بلوبيا المجهولة فى العدد ٣٤٤ من مجلة الرسالة الغراء ، فكانت دهشتى منه كبيرة ، ولو كنت تعلم أن الإنسان الذى حملت عليه تلك الحملة الهوجاء يحمل فى قلبه غيوماً من الأسى الممض والألم المبرح على شقيقتنا (طرابلس الغرب) الإسلامية العربية — لما أقدمت على إذابة قلبه بكتابة ذلك المقال ... لو كنت تعلم أن ذلك الإنسان لا يعترف بالوطنية الضيقة ، بل هو يعتبر كل وطن إسلامى — بله العربى — وطناً له

يعتز به ويفخر بالانتساب إليه ويعتقد أن له عليه من الحقوق مثلما لوطن المولد — ما جرحت قلبه بمثل ذلك الرد

ومع ذلك فالذنب ليس ذنبك ولا هو ذنبي، إنما هو ذنب «السياسة ومراعاة الظروف» وكفى بأستاذنا الزيات شاهداً على أنني ما أغفلت ذكر طرابلس الغرب من كلمتي ولا مهموت عن تعطير قلمي بها

لقد ذكرت طرابلس الغرب على انفراد وفي أسطر خاصة، لأن لها في قلبي مكاناً ممتازاً؛ ثم جاء قلم من الأقلام فحذفها جملة رعياً للظروف الحاضرة. ولم أجعلها في ضمن بلدان «الشمال الأفريقي» لأن هذه اللفظة بفضل السياسة أصبحت لا يراد بها إلا الأقطار الواقعة تحت حماية فرنسا أو استعمارها وهي: تونس، والجزائر، والمغرب ... أفتراني يا حضرة الأستاذ مقصرين في حقوق الجارة الشقيقة وجاهلين بجهادها وبلائها ومحنتها التي ينفطر لها كل قلب عربي مسلم؟

ثم أسألك كيف جاز لك أن تسمى طرابلس الغرب «لوبيا» وهو لفظ أطلقته عليها السياسة لتمحو به المعنى العربي، والتاريخ العربي لهذه البلاد، وتنقل السامعين له فوراً إلى عهدها الأول قبل الإسلام يوم كانت أحد أجزاء الامبراطورية الرومانية؟ وأنت طرابلسي فهل ترضى أن ننسبك إلى لوبيا؟

إن المسلم حين يسمع لفظة (الأندلس) يمر بخياله تاريخ مجيد للإسلام والعروبة، مضى وترك مآسيه منقوشة في القلوب؛ ولكنه قد لا يمر بخياله شيء من ذلك إذا سمع لفظة (أسبانيا)، مع اعترافي بأن طرابلس الغرب أمة عربية خالدة بخلود الزمن

فيأيها الأستاذ، لتكن شديد الثقة بأن العرب وحدة لا تتجزأ، وأن الدم العربي أينما حل لن تنقطع وشائجه ولن تنفصم أواصره مهما جار عليه الزمان وبدد شمله على الأوطان، والسلام عليكم ورحمة الله. (فاس) «أبو الوفاء»

تصويبات في العدد الممتاز

جاء في آخر المقال الافتتاحي (محمد الزعيم): «قد جاءتكم بصائر من ربكم» والصواب جاءكم

وفي مقال الأستاذ العقاد: «وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله» والصواب حذف (كله)

وفي مقال الأستاذ فريد وجدي: «ولو على أنفسكم أو الأقربين» والصواب (ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين)

٣ - وحي الرسالة

[من واجب «الرسالة» أن تنشر ما يتفضل به عليها الأدباء الزملاء والأصدقاء من صادق النقد وجميل الرأى في كتاب «وحي الرسالة» تسجيلا للفضل منهم والشكر منا]

قالت زميلتنا المقتطف في عددها الصادر في أول مارس:

قال الزيات: «قارئي العزيز، اخترت لك هذه الفصول مما كتبته للرسالة في ست سنين. وكان من عادتي أن أكتب الفصل منها أصيل السبت من كل أسبوع، ثم لا أكتبه طوعاً لتأثير قراءة، أو تحرير فكرة، أو تخمير رأى. وإنما كان أثراً لوحي ساعته أو حديث يومه أو صدى أسبوعه. فالزمن جزء منه متمم لمعناه: يبين ملابسته للحادث، ويعين مناسبته في التاريخ، لذلك أعقبت كل فصل بذكر اليوم الذي كتب فيه ليتضح موضعه بفعله وحاله وظرفه»

هذا خير ما يوصف به هذا الكتاب. فأنت ترى أني لا أستطيع أن أزيد في صفته من حيث التأليف والتبويب، ولكني أستطيع أن أقدم بين يدى قارئه بعض الرأى في أدب صاحبه

وأنت إذا تناولت هذا الجزء فقرأت فهرسه، رأيت مائة وعشرين باباً من أبواب القول قد افتتحها «الزيات» بقلمه وسناها برأيه، ومهدها بحسن بيانه، ولكل باب منها غرض، ولكل غرض أسلوب، ولكل أسلوب لفظ يصلح عليه ولا يصلح عليه غيره. وإذا كان الكتاب كذلك كانت المشقة فيه أعظم من مشقة التأليف المرسل إلى غرض واحد لا يتميز إلا بالاتجاه، فإن الغرض الواحد قلما يخرج أسرار البيان من قلب الكاتب ولسانه، لأن الأسلوب إليه قلما يختلف. فإذا اختلفت الأساليب باختلاف الأغراض محصت قدرة الكاتب على ما اعترض له وهمّ إليه من الكتابة

فإذا أنت أخذت هذا الكتاب بين يديك وسايرته فصلاً فصلاً وأسلوباً أسلوباً، عرفت الجهد الذي لقيه صاحبه في إبداعه، ورأيت «الزيات» في كل أسلوب هو «الزيات» لا يختلف

ولا يتنافر ، والكاتب إذا صار إلى هذه المرتبة — حيث تراه هو هو مهما اختلفت الأغراض وتباينت الأساليب — فاعلم أنه إنما يشتق لك كل ما يكتبه من حر نفسه ، فيضنيها ويهلكها مخلصاً صابراً لا يمل . وإذا كان الكاتب كذلك فهو كاتب لا يزيف لك ولا يقبل الزيف ، وهو يعطيك ولا يسألك ، ويبذل لك ولا يمن عليك ، ويعلمك ولا يدعى لك أنه أعلم منك … ذلك بأنه قد بلغ من العقل والفكر والصفاء والبيان حيث يعلم أنه ملك قارئه لا أن القارئ ملك له ، وأنه مرشد لا مسيطر ، وأنه أخوك الذى يناقلك الحديث وإن كان بمنزلة الأب

و « الزيات » — كما عرفته من كتابته — روح هادئة متكتمة مسترسلة ، يكاد يختفى فى نفسه حين يفكر كأنه فيلسوف من فلاسفة الصين : يمشى هادئاً ، ويفكر ساكناً ، ويحاسب نفسه ولكن على التسامح والرضا والاستسلام ؛ فإذا أراد أن يقيد أحلامه وأفكاره وهواجسه كان هو الهادئ الساكن المتسامح ، فإذا اشتد وتحمس وأراد أن يتفجر ، خيل إلىّ أنه عين حمّة ترسل لواذعها سكباً ساخناً حامياً كالماء إذا غلى ثم هدأ أول هدأة لا يضرب بعضه فى بعض . ولذلك ترى نقده إذا نقد شديداً بالغاً ، ولكنه رفيق غير عنيف ، ولكنه على ذلك مما تخشى صواعقه . وهذه الروح التى وصفناها هى التى تجعل كل كلامه قطعاً مزينة ناضرة محكمة مقدرة الألوان لا يختلط شىء منها بشىء ، ولا يجور لون منها على لون . وهى التى تجعل كل لفظه مبنيًا على الإيجاز دون الإطناب ، وعلى مذهب الحكمة دون المذهب الكلامى ؛ وإذا أردت أن تتبين كل ذلك حقيقة التبين فلا تتكلف أكثر من أن تقرأ إهداء كتابه . يقول لولده « رجاء » الذى احتسبه عند ربه فى سنة ١٩٣٦ :

« إلى روحك اللطيفة العذبة — يا ولدى رجاء — أقدم هذا الكتاب ، فلولاك ما أنشأت الرسالة ، ولولا الرسالة ما أنشأت هذه الفصول »

فإن فى هذه الكلمات القلائل لوعةً مستكنّة باقية إلى يومها هذا ، ولكنها ساكنة راضية هادئة لا تثور ولا تتأجج ، ولكنها تسرى وتدبّ وتمشى فى روحه الهوينا الهوينا

هذا سرّ أسلوبه . وأما أسلوبه وبيانه واقتداره على عربيته وحسن تصريفه لألفاظه فى وجوه أغراضه ومراميه ، فالزيات — ولا أشك — هو بقية أصحاب الأقلام العربية التى لا تخلط ولا تتقمّم من هنا وهنا — فأنت إذا نفذت إلى كل جملة من كلامه فى هذا الكتاب لم تجد إلا عربية خالصة مطاوعة لينة ، لا ينافر حرفٌ منها حرفاً — على كثرة الأغراض التى رمى إليها واختلافها ، وعلى ظنّ من لا يعلم أن العربية لا تطيع فى التعبير عن الضرورات الحديثة التى قسرتنا عليها مدنية القرن العشرين من ميلاد المسيح

فلو أتاح الله لهذه العربية من يخلص لها فى معاهد التعليم على اختلاف أغراضه وأنواعه ، وأراد أن يردّ على العربية شباب أيامها حتى تكون لغة مدنيتنا فى الأدب والعلم والفن ، لوجد فى الذين أبادوا شبابهم بالعمل لإحياء اللسان العربى فى هذا العصر قوماً قد استطاعوا أن يجعلوا عربيتهم أصلاً فى الحياة ، إذ جعلوا الحياة أصلاً فيها ، وبقية هؤلاء هو « الزيات »

{ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى — عابدين }

8me Année No. 350

Lundi - 18 - 3 - 1940

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠ فى مصر والسودان

٨٠ فى الأقطار العربية

١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى

١٢٠ فى العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤

عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٥٠ « القاهرة فى يوم الاثنين ٩ صفر سنة ١٣٥٩ — الموافق ١٨ مارس سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهـــرس

١٤٠٣١

بعد اسدال الستار على مأساة فنلندا

فشل العقـــل ...

فشل العقل فى السياسة كفشل القلب فى الطب معناه الانخذال والانحلال والموت . وليس فى مقدورنا نحن أصحابَ الكلام وأرباب الأقلام إلا أن نصنع ما يصنع صاحب القصر الأبيض فى واشنطون ورب القصر المقدس فى روما : نصوغ اللفظ والدمع مراثى ومآسى وأكاليل كلما فشل الضمير والعقل، فمات بفشلهما الحق والعدل ، وكان لذلك ضحايا من الأمم والناس ذهبوا أشلاءً ودماء بين الألم والعَدم !

أُسدل الستار الختامى أول أمس على المأساة الفنلندية الفاجعة بعد ما ظلت ثلاثة أشهر ونصفاً تمثل على مسرح من الجليد والدم اصطرعت عليه القوة والحق، والبغى والعدالة، والكثرة والشجاعة، والنذالة والحميَّة ، والعالم كله يشهد هذا الصراع الهائل وهو شاخص البصر مشـدوه اللب لا يملك إلا التصفيق للبطل والتصفير للنذل !

كان كل واحد من الفنلنديين أمام ستين من الروس ! وكان هذا الواحد ضئيل الحظ من الميرة والذخيرة والسلاح والمدد ؛ وكان هؤلاء الستون وراء صفوف متلاحقة من آلات الحديد والنار ، ومع ذلك استطاع هذا الواحد أن يمعن فى أولئك

السنين تقتيلاً وتنكيلاً وأسراً ، وهو ينوص فى الثلج ويكز من البرد ولا يكاد يجد الدفء ولا القوت ولا النوم !

ذلك هو الإيمان الصادق الصابر الذى يأذن به الله أن تغلب الفئة القليلة الفئة الكثيرة . وتلك هى البطولة القائمة على عزة النفس وكرامة الجنس وإيثار التضحية وتقديس الوطن . فلو أن العقل السياسى فى جارتى فنلندة ساعد هذه المزايا النادرة فنهضتا لمناصرتها، ومكنتا الحليفتين من مؤازرتها، لخنس ستالين خنوس الجبان ، وذلت البلشفية ذل الأبد !

***

حاربت فنلندة مكرهة ثم سالمت مكرهة . أكرهها أعداؤها على الحرب ، وأكرهها أصدقاؤها على السلم ، فدافعت عظيمة، ثم صالحت كريمة . والجانى عليها فى الحالين هو فشل العقل فيمن عادى وفيمن صادق . فلو أن ستالين لم يصب باحمرار العقل فى مفاوضته لفنلندة قبل الحرب ، لظفر منها بخير مما ظفر به بعد الصلح . إنه اقتطع من الوطن الفنلندى مقاطعات عزيزة ، ولكنه أخذها بعد أن جعلها المرشال البطل مانرْهايم مقبرة هائلة ، دفن فيها مائتى ألف جندى من الروس معهم ألف وخمسمائة دبابة وسبعمائة طائرة ؛ وكل أولئك مكفن بهيبة الجيش الأحمر وكرامة قواده وقيمة عتاده !

ولو أن الدول الشمالية لم تصب بشلل العقل لفكرت قبل هذه الحرب أو أثناءها فيما تفكر فيه اليوم من التحالف العسكرى بينها ، فإن ذلك كان عسِيًّا أنه يشفى الدب من غروره ويكسر من طماحه

ولو أن الدول الديمقراطية لم تصب بتردد العقل لخرقت حياد السويد والنرويج لتدفع الموت المحقق عن الجارة الباسلة الصغيرة. وهل عليك من بأس إذا وطئت حمى الجار لتعانق الحريق فى بيت جاره ؟

***

إن فنلندة حاربت فى سبيل الحق والسلام والمدنية ، وكان لها على المجاهدين فى هذه السبيل الحفيظة والنصرة . ولو لم يكن لها وللحلفاء قضية عادلة مشتركة توجب التضامن والتعاون، لكان من شهامة الطبع المدنى ألا يدعوا هذه البطولة العجيبة التى أدهشت العالم فى مغربى الأرض ومشرقيها تيأس من النصير فتستكين للظالم وتستنيم للذلة !

فما أحرى الذين فرطوا فى جنب فنلندة بالأمس أن يتداركوا عواقب تفريطهم اليوم ! لقد تثاقلوا عن إسعافها حتى أهلك الغاشم وأقفر الآهل وأجدب الخصيب ، فأصبح أربعمائة ألف من أهلها لا يجدون مورداً ولا مأوى . إنهم ساعدوا العدو سلباً على التدمير ، فليساعدوها إيجاباً على التعمير . ومن لم ينهض ليقيك الطعنة النفاحة ، فلا أقل من أن يساعدك عليها بالضماد والمرهم

هذا أوان الثمر المرجو من عطف الديمقراطية فى أوربا وأمريكا على فنلندة البائسة . ولن يخالجنا الشك فى أن دعاة الحرية وحماة المدنية سيذكرون اليوم أن فنلندة أصيبت بنقص شديد فى الأنفس والأموال والثمرات ، ففقدت من شبابها البر العامل خمسين ألفاً بين قتلى وعجزة ، وخسرت من ثراها الغالى المثمر ثلاثين ألف كيلو متراً من أزكى الأرض تربة وأوفرها ثروة . وسيذكرون غداً متى جلسوا للصلح على أنقاض البلشفية والنازية أن صلح فنلندة قد انعقد على دخن، وجرحها قد اندمل على بغى[1]، وسيرون يومئذ أن هذا الجرح لا يزال تحت جُلبته[2] الخادعة يجيش ويقيح ويضرب . فهى حرية أن تعد محاربة معهم بالقوة، وإن لم تستطع مباشرة هذه الحرب بالفعل

***

إن فى أخطاء الناس وأرزاء القدر عبراً لا تنقضى الإفادة منها . فاستشهاد بولندة واستخذاء فنلندة نذيران للأمم الصغيرة بخطر التواكل والتخاذل والعزلة . وقد قلنا مرة فى هذا المكان إن سياسة الاتحاد هى وحدها الأمان من سياسة السمك . فإذا أرادت الدويلات المتجاورة التى حكمت عليها الطبيعة بالضعف لقلتها أو جهالتها أن تحفظ على نفسها الحياة وتضمن لشعوبها الحرية ، فليس لها غير سبيل الولايات المتحدة الأمريكية ؛ فإن فى الاتحاد القائم على صلات الدم والروح والجوار الخيرَ المتصل للعالم ، والضمان الدائم للسلام !

احمد حسن الزيات

(١) انعقد الصلح على دخن أى على حقد ، واندمل الجرح على بغى أى على فساد (٢) الجلبة : القشرة التى تعلو الجرح عند البرء

فى أرجاء سينـــاء

للدكتور عبد الوهاب عزام

- ٢ -

من أبى زنيمة الى الدير

خرجنا من أبى زنيمة والساعة ثمان من صباح الثلاثاء ثالث عشر ذى الحجة ، فسرنا على الساحل بين البحر عن يميننا والجبل عن يسارنا صوب الجنوب زهاء أربعين دقيقة ، ثم ملنا ذات اليسار تلقاء الشرقية فى سهل واسع كثير الحجارة والتلال قد استبانت فيه الطريق واستقامت ، فأسرعنا عشر دقائق حتى بلغنا وادياً تشرف على جانبيه جبال رملية مصفرّة ثم جبال حمراء شاهقة ، أدّى بنا إلى صخور عظام عليها نقوش بخط سريانى ، فنزلنا عندها قليلاً والساعة عشر ، ثم ركبنا فررنا بعـد ساعة بواحة ناضرة جميلة وجبال رائعة شاهقة محمرّة لا مختلطة الألوان .

وجبال سيناء كثيرة الأشكال والألوان ، قد ألحت عليها الشمس والرياح والأمطار على مرّ العصور تحطيماً وتشكيلاً وتلويناً، فما يزال الرائى فى عجب من اختلاف مرائيها وكثرة أشكالها . وقد وجدت فيها تفسيراً بيّناً للآية :

« ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ، ومن الجبال جُدَد بيض وحمرٌ مختلفٌ ألوانُها وغرابيب سود ، ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك . إنما يخشى اللهَ من عباده العلماء »

وبعد نصف ساعة من الراحة الأولى رأينا أشجاراً ونخيلاً تملأ الوادى ، فعرفنا أننا فى وادى فاران . وبعد مسيرة خمس دقائق فى هذه الخضرة بلغنا ديراً عليه سور قصير وفيه حديقة، وهو دير فاران التابع لدير سنت كترينا الكبير. نزلنا هناك لنستريح فى الدير ونرى ما فيه .

دخلنا الدير فرأينا مجرى ماء بارد عذب ، فعرفنا أنه ينبوع الحياة فى هذه الواحة الكبيرة . وصعدنا على سفح الجبال المشرفة على الدير فإذا بناء قديم من اللبِن مهدم هو بقية كنيسة . ورأينا على عدوة الوادى الثانية وفى بسطته أنقاض أبنية وآجر وحجارة منثورة قيل إنها آثار مدينة فاران، وصوامع كانت لتعبد الرهبان فيه

وهى على ١٢ كيلاً شمالى الطور وعلى ١٣٠ كيلاً إلى الجنوب والغرب من قلعة النخل



فى وادى فاران

وهى مذكورة فى التوراة فى أخبار إبراهيم وموسى. ففى سفر التكوين أن اسماعيل سكن برية فاران وأخذت له أمه زوجة من مصر . وفى التثنية : « هـذه هى البركة التى بارك فيها موسى رجل الله بنى إسرائيل قبل موته فقال : جاء الرب من سينا ، وأشرق لهم من سعير ، وتلألأ من جبل فاران ... »

وعلى مقربة من الوادى جبل شاهق جداً يفرع الجبال كلها يسمى جبل سربال ، ويقال إنه جبل المناجاة الذى تجلى فيه الله سبحانه لموسى عليه السلام

وبعد أن طعمنا خرجنا من الدير والساعة واحدة بعد الظهر فسرنا بين أشجار ونخيل متكاثف خمساً وعشرين دقيقة بالسيارات . ورأينا على عدوة الوادى اليسرى أنقاباً فى الجبل ، يقال إنها قبور قديمة كان أهل فاران يدفنون موتاهم فيها

والنخيل فى هذا الوادى متروك بطبيعته لا يؤبر ولا يقلع

فسيله فترى نخلات كثيرة من أصل واحد ، وترى جريد النخلة أو كربه يابساً حول جذعها طبقات بعضها فوق بعض لا يقطع ولكن يجف فيسقط أو يبقى معلقاً فى الجذع

وقد سألت رجلين هناك : لماذا لا تقطعون الجريد ؟

قالا : لنصعد عليه .

قلت : إن النخل لا يثمر كثيراً إذا لم يقطع جريده كل عام. هل تعرفون ما يفعل أهل مصر بالنخيل ؟

قالا : نعم .

قلت : فلماذا لا تفعلون فعلهم فيكثر ثمر نخيلكم ؟

فسكتا .

وبعد خمسين دقيقة من فاران ، رأينا أشجاراً كثيرة من الطرفاء ، ثم سرنا فى أرض جرداء إلى أن مررنا بجبلين متقاربين مشرفين على الطريق ، بينهما ممر ضيق يسمى « بويب فاران » ؛ ثم عطفنا إلى اليمين إلى واد يسمى « وادى الشيخ » ، أو وادى النبى صالح ، وسأذكره فيما بعد .

وجئنا إلى أرض مرملة ساخت فيها بعض السيارات وتقدمت السيارات التى تجنبت هذه الورطة ، فوقفنا عند تل عليه مقابر وقباب من الطين فيها بعض القبور ، وكنيسة وقبر يقال إنه قبر هارون عليه السلام ، وينشعب الوادى وراء هذا التل إلى اليسار ، فيرى السائر جبالاً شاهقة جداً ، بينها واد ضيق ينتهى إلى بناء كبير أبيض يلوح من وراء الشجر ويتضاءل على ارتفاعه بجانب الجبال الشاهقة المشرفة عليه ، وهذا الدير « دير سنت كترينا »

وقبل أن أصفه ، أنقل ما ذكره صاحب مسالك الأبصار نقلاً عن الشابشى :

وهذا الطور هو طور سيناء الذى صعق عليه موسى عليه السلام . والكنيسة فى أعلى الجبل ، مبنية بحجر أسود ، عرض حصنه سبعة أذرع ، وله ثلاثة أبواب من الحديد ، وفى غربيه باب لطيف ، وقدامه حجر لقيم ، إذا أرادوا رفعه رفعوه ، وإذا قصدهم متغلب أرسلوه ، فانطبق ، فلا يعرف أحد مكان الباب . وداخلها عين ماء ، وخارجها عين أخرى .

قال :

« زعم النصارى أن بها من أنواع النار الحديدة التى كانت ببيت المقدس ، يوقدون منها فى كل عشية السراج ، وهى بيضاء ضعيفة الحر ، لا تحرق . ثم تقوى إذا هم أرادوا أن يوقدوا منها »

وهو عامر بالرهبان . فلا يخلو من أحد من أهل البطالات للتفرج فيه والتبرك — على رأيهم — به

وهو من الديارات الموصوفة والأماكن المقصودة . وممن وصفه ابن عاصم . قال فيه :

يا راهبَ الدَّيرِ ، ماذا الضوءُ والنورُ
فقد أضاء بما فى دَيْرِكَ الطورُ ؟
هل حلَّتِ الشمسُ فيه دونَ أبرُجها
أو غُيِّبَ البدرُ فيه فهو مستورُ ؟
فقال : ما حلَّه شمسٌ ولا قمرٌ ،
لكن يُقرَّبُ فيه اليومَ قوْرِبرُ !

عبد الوهاب عزام

الحرب ومستقبل الانسان

للأستاذ ابرهيم عبد القادر المازني

كلما قرأت أن الحكومة تجرب أسباب الوقاية الدنية من الغارات الجوية ، أو رأيت خندقاً محفوراً وعلى جانبيه أكياس الرمل ، أو سمعت صفارة تنطلق بالإنذار والدعوة إلى الاختباء وإطفاء الأنوار ، أراني أتساءل : « أترى سيعود الإنسان إلى حياة الكهوف والغيران ؟ » ولست أعنى الكهوف بالمعنى الحرفى ، وإنما أعنى الحياة فى جوف الأرض . وماذا يكون مصير الإنسان يا ترى إذا دفعه الترقى فى القدرة على التخريب إلى باطن الأرض ؟!

وتذكرت هـ . ج . ولز وكتابه « آلة الزمان » وهى آلة يتصور الكاتب أن صانعها يذهب بها مطوفاً فى الزمن (فى الماضى أو المستقبل كما يشاء) كما نذهب الآن شرقاً أو غرباً وشمالاً أو جنوباً — ويقول ولز إن رحالته بعد أن قطع مرحلة كافية من الزمن الآتى ، ألفى الإنسان قد صار إنسانين — واحداً يعيش فى جوف الأرض وواحداً بقى فوقها . فأما الذى دخل فيها ، وألف الحياة فى السراديب والظلام ، فقد ارتد إلى الحيوانية فى مظهره وطباعه وعاداته ، فهو يمشى على أربع ، وبدنه يكسوه الشعر ، وعينه واسعة ترى فى الظلام ويُعشيها النور ، وتفزعها النار . ولهذا الإنسان السفلى صناعاته وآلاتها ، وهو يستدرج إلى سراديبه أبناء العالم العلوى ويفتك بهم ، ويأكل لحمهم . وأما الذى بقى فوق ظهرها فهذا من سلالة المترفين الأغنياء ، وقد انحط وضعف وتشابه ذكوره وإناثه فى اللين وصغر الجسم ، وفَقَدَ القدرة على العمل والاحتيال والسعى ، وصار معوله فى حياته على العالم السفلى ، وخوفه منه ، لفرط ما انتابه من الانحطاط والطراوة

ويقول ولز إن بداية هذا الانقسام ظهرت فى زماننا ، وإن الإنسان شرع ينحدر إلى باطن الأرض . فبُناتنا ومصانعنا لها طبقات تحت الأرض ، وفى عواصمنا تجرى القطر فى سراديب إلى آخر ذلك

وقد كنت وأنا أقرأ كتاب ولز هذا قبل حوالى عشرين عاماً ، ثم وأنا أنقله إلى العربية منذ عامين أو نحو ذلك ، أقول لنفسى إن ولز مبالغ ، وإن الدخول فى جوف الأرض لا يستدعى أن يصبح الإنسان إنسانين متميزين على نحو ما يصف ، وإن الناس يختلفون ويتفاوتون ولكن تفاوتهم لن يبلغ من أمره أن يصير بهم إلى مثل هذا المصير المرعب الذى يصوره ولز كأنه يراه

ثم جاءت هذه الحرب ، وعرفنا ما صنعت الطيارات الألمانية فى بولندا ، وما فعلت الطيارات الروسية بالمدن الفنلندية ، وشهدنا صوراً من آثار التخريب فيما تعرضه دور السينما ، وكنا قبل ذلك رأينا مناظر من تخريب الطيارات اليابانية فى الصين ، ولكن الحرب اليابانية الصينية كانت لبعدها تبدو لى كأنها تدور فى غير كوكبنا ، ولم أكن أتصور أن تدور الحرب على هذا النحو فى عالمنا القريب . ثم أخلفت الحوادث هذا الظن السخيف وغرقت عواصم الأمم المتحاربة وبلدانها الكبيرة فى ظلام دامس، وقامت حكومتنا تتخذ الأهبة لدفع الأذى عن المدن وأهلها ، إذا امتدت الحرب إلينا فأطفأت الأنوار إلا أقلها ، وحفرت الخنادق ، وبنت المخابئ ، وأطلقت الأنوار الكاشفة فى الليل ، ونصبت المدافع فألفيت نفسى أتساءل : أترانى لا أزال أعد ولز مبالغاً فى التخيل ومشتطاً فى التصور ؟

ماذا تصنع الأمم بعد هذه الحرب ؟ أتظل ترفع البنى وتعليها فوق الأرض وتقيم المصانع على ظهرها ؟ لا أظن ؟ إلا إذا اهتدت إلى مادة لا تنال منها القنابل الهادمة والمحرقة ، وعسير بلوغ هاتيك جداً — كما يقول الشاعر . وهبها فعلت واهتدت ، فإن العلم الذى يوفقها إلى ذلك خليق أن يدلها على ما يهدمه ، فإن البلاء والداء العياء أن كل ما يثمره العلم ، يسخر لأغراض الحرب كما يسخر لأغراض السلم ، فلا سبيل إلى السلامة إلا بالفرار إلى باطن الأرض ، وحرى بذلك أن يكون له أثره فى هندسة البناء ، أو بعبارة أدق فى شيوع طراز جديد ، فقد ظهرت فى البلاد

المحاربة مبان ذات طبقات ممتدة فى جوف الأرض يلجأ إليها الناس ويحتمون بها من الغارات الجوية

وفى هذا المعنى يقول الجنرال بوشيرى فى فصل له نشرته مجلة Monde Souterratn ونقلته عنها صحف بريطانية « إن الحرب الحديثة تعرض سكان البلاد كلها لأخطار القتال ، وتفرض على الأمم أن تتخذ الأهبة الكافية للدفاع السلبى ، وهذا يستوجب أن تجرى الأعمال الحيوية كلها — من مدنية وعسكرية — فى جوف الأرض ، ومن الجلى أن المساكن الجديدة يجب أن تكون لها طبقات سفلية أو متصلة بمبان سفلية مجاورة لها تصلح أن تكون بديلاً من المساكن العلوية ، إذا اقتضت الحاجة الالتجاء إليها »

ونحن أبناء هذا العصر ، نستغرب أن تنتقل حياتنا من فوق ظهر الأرض إلى قلبها ، فإن ظهر الأرض مقرون فى أذهاننا بالحياة ، أما باطنها فمقرون بالموت والدفن ، ولكن أحفادنا لن يستغربوا هذا التحول ، أو ينكروه ، لأنهم سيألفونه من الصغر . ويا ليت من يدرى هل تندس المدارس والمستشفيات ، كما تندس المصانع فى جوف الأرض ؟ وإلى أى عمق يا ترى يضطر الإنسان أن يحفر وينقب ، ويسوّى ويوسع ؟

وعلى الأيام — بل الحقب الطويلة والأدهار المديدة — يألف الإنسان باطن الأرض ، وتطول حياته فيه ، ويقل خروجه إلى نور الشمس ، وتكر آلاف السنين ومئات الآلاف ، والناس أكثرهم يعملون تحت الأرض ولا يكادون يبرزون إلا فى الندرة القليلة والفلتة المفردة . فيكتسب الإنسان خصائص الحيوان الذى يأوى إلى الجحور ، ويصدق ما تنبأ به هـ . ج . ولز فى كتابه : « آلة الزمان » !

وكيف تكون الحروب يا ترى فى ذلك المستقبل البعيد ، إذا بقيت الحروب تدور بين جماعات الإنسان ؟ أحسب أن اندساس الإنسان فى جوف الأرض سيكون بداية انحطاطه ، فما أغرب أن يكون رقيه العلمى مفضياً إلى انحداره وهويّه ؟ وتلك جناية استخدام العلم فى الحرب ، فإذا بقيت الحروب فهذا مآل الإنسان ، ولا نجاة له من هـذا المصير إلا بالقضاء على الحرب ، فيما أرى ، أى بإعفائه من بواعث الاحتماء بجوف الأرض والسكون إلى الحياة فيه

مآل الإنسان مرتهن بالسلام الدائم ، لا الطويل فحسب ، على الرغم مما يقال من أن طول عهد السلام يفضى إلى اللين والتطرى والرخاوة ؛ وكفى بالكفاح فى سبيل العيش واقياً من هذا التطرى . وعلى أن التطرّى خير ألف مرة من الارتداد إلى الحيوانية . ولأن يكون المرء طرياً ليناً ، آثر عندى من أن يكون أرنباً ! ! واللين عيب أو ضعف فى دنيا تقوم فيها الحياة على العنف ، ويكثر فيها الفتك والبطش ، ويحتاج الإنسان فيها من أجل ذلك إلى القوة والخشونة . أما فى دنيا تنعم بالسلام ولا يزعجها خوف الفتك وتوقعه ، فما ضير أن يلين الإنسان ويطرى ، إذا بقيت له قوة العقل ؟

ابرهيم عبد القادر المازنى

إنما يزدهر الأدب

فى عصور الفوضى الاجتماعية

للدكتور زكى مبارك

[بقية ما نشر فى العدد الماضى]

أيها السادة :

يقال فى كل يوم : إن جوّ مصر معروف بالاعتدال ، فما الذى جنينا فى ذلك الاعتدال ؟ كانت النتيجة أن نخاف من الاضطراب فى بقاع الأرض. وكانت النتيجة أن نشعر بالغربة حين ننتقل من حُلوان إلى قَليوب . وكانت النتيجة أن تخمُد العواطف بفضل ما نحن عليه من قرار وسكون

أعترف بأن مصر استفادت من اعتدال الجو فائدة عقلية ، هى التفوق العظيم فى التأليف ، فمصر أقدر الأمم الإسلامية والعربية على التفكير المنظم الدقيق بفضل هذا الجو المعتدل الجميل

ولكن مصر فى ماضيها تخلفت فى ميدان الأدب عن الشام وفارس والعراق ، لأن الفوضى الجوية ، لا يحسها المصريون كما يحسها الشاميون والفرس والعراقيون ؛ وإلا فأين وصف الثلوج والأمطار والأعاصير فى أشعار من يعيشون فى ضيافة النيل ؟ ثم شاءت المقادير أن تتفوق فى الأدب بعد تخلُّف ، فما مصدر ذلك التفوق ؟ لم نعرف قسوة الطبيعة كما يعرفها الناس فى الشام وفارس والعراق ، وإنما رمتنا المقادير بقسوة أعنف من قسوة الطبيعة ، هى الثورة الجائحة التى تحس أعاصيرها الفواتك فى الأذهان والعقول والقلوب

نحن كلّ يوم على شفا الهاوية : إن اصطرع الشرق جزعنا ، وإن اضطرم الغرب نظرنا . ألم تسمعوا أنه كان معروفاً عندنا أن الميدان الأول فى الحرب الحاضرة سيكون حول ضفاف النيل ؟

ومن هذه المحرجات التى تتجدد كل يوم ، إن لم أقل فى كل ساعة أو كل لحظة ، من هذه المحرجات خُلقت لنا مكاره سياسية تفوق المكاره الجوية فى الشام وفارس والعراق

وما هى نقطة الارتحال من وضع إلى وضع فى الأدب الحديث ؟

لن أرجع إلى ما فصلته فى مؤلفاتى ومقالاتى ، ويكفى أن أنص على أن الأدب فى مصر لم يرتق إلا بفضل الفوضى السياسية ، وهى صورة من الفوضى الاجتماعية

النهضة الحقيقية للأدب الحديث ترجع إلى عهد مشئوم ، هو النزاع بين الرجلين العظيمين : عدلى يكن وسعد زغلول . فى ذلك العهد صارت الكتابة والخطابة عنصرين أساسيين فى تكوين الأدب المصرى الحديث . وبفضل النزاع بين عدلى وسعد خُلقت جرائد ومجلات وأندية صار لها فى نهضة الأدب مكان ملحوظ . وبفضله استطعنا أن نبدع فى الشرق فنّاً جديداً ، هو الأدب السياسى ، وهو فنّ كان انقرض بانقراض النضال بين أشياع بنى أمية وأتباع بنى العباس . وإليكم هذه النكتة :

كان شاع أنى أخاصم الأستاذ الدكتور طه حسين ، فكتبت فى الهجوم عليه مقالات كان لها وقع حسن أو سىء عند قراء اللغة العربية ، واطلع الأستاذ محمود بسيونى على بعض تلك المقالات فانزعج أشد الانزعاج وسعى للصلح بينى وبين الدكتور طه فى حفل مشهود حضرهُ العمداء وكبار الأساتذة بكليات الجامعة المصرية ، فهل تعرفون نتيجة ذلك الصلح المشئوم أو الميمون ؟

تلفّت الناس متوجعين لضياع فرصة ثمينة هى فرصة الجدل حول المذاهب الأدبية ، فهل فيكم من يتفضل بالسعاية بينى وبين الدكتور طه حسين لأرجع إلى مصاولته من جديد ؟

كان بينى وبين الدكتور طه ودّ وثيق ، ولكن رعاية ذلك الود لم تنفع الأدب بشىء ، لأن كل ما يصدر عنه كان يقع من نفسى موقع القبول ، فلما ثار علىّ وغضبت عليه أتيت فى مصاولته بالأعاجيب ، فمن ذا الذى يتفضل فيفسد ما بينى وبينه لأجد الوقود لسنان قلمى ؟ أليس فيكم دساس ظريف ينقل إليه أننى اغتبته من فوق منبر كلية الآداب ؟

اتقوا الله وأفسدوا بينى وبينه وبين سائر الأساتذة لتسمعوا صرير القلم الذى تعرفون ! وهل فيكم من ينكر أن مجموعة نهج البلاغة من أعظم الذخائر الأدبية ؟ فهل كان يمكن أن يظفر الأدب بتلك المجموعة النفيسة لو اعتدل الميزان فصار علىّ ابن أبى طالب أول خليفة أو ثانى خليفة بعد الرسول ؟

إن غيظ ابن أبى طالب على أهله وزمانه هو الذى أرّث

في صدره نيران الحقد على الدنيا والناس فزفر بتلك الخطب الروائع التي غالبت الدهر وصابرت الزمان

وما هي الظروف التي خلقت مواهب الشيخ محمد عبده ؟

هي ظروف الفوضى الاجتماعية في انتقال الأزهر من حال إلى أحوال، يوم كان تدريس العلوم الحديثة موضع خلاف، ويوم كان القول بكروية الأرض يلقى ألف اعتراض

والشيخ المراغي من أكابر هذا الزمن، ولكنه سيذهب بعد عمر طويل بلا تاريخ طويل، لأن بيئة الأزهر قد صلحت واستنارت فلم تعد محتاج إلى مصلح يتشرف بعدوان الاضطهاد

فإن أراد الأزهريون أن يكون لشيخهم تاريخ طويل فليتكلفوا الغفلة عن مطالب العصر الحديث ليجد شيخهم فرصة الدعوة إلى اعتناق مذاهب التفكير في الجيل الجديد

أرجوكم للمرة الثانية أو الثالثة أن تذكروا أني لست من أنصار الفوضى الاجتماعية، وإنما أنا مؤرخ لظاهرة من الظواهر الأدبية والفلسفية، والمؤرخ غير مسئول عن حوادث التاريخ

وكم تمنيت السلامة من مكاره الفوضى التي تثور في صدري والتي قضت بأن يكون ميدان قتال بين الملائكة والشياطين

في صدري أتون يأخذ وقوده من الأحلام والأوهام والحقائق والأباطيل، ثم يقول في كل لحظة : هل من مزيد ؟

وهذا الأتون يفرض عليّ أحياناً أن ألقم فم الشره الأكول بأكداس من الآراء تشبه الحطب المعطوب ليسكت عني لحظة أو لحظتين، كما يقدم الأعرابي لناره الموقدة أكداساً من العظام والتراب ! ويشهد الله أني أكره أشد الكره بعض ما يصدر عن قلمي، ولكن ماذا أصنع وفي صدري نار تأكل الحجر والطوب حين يعييها أن تجد الوقود الصالح من جذوع الشجر والنخيل ؟

ولكني أتعزى كلما ذكرت الحكمة التي تقول : «لو أنصف الناس استراح القاضي» . فشيوع المظالم بين الناس هو الذي خلق الثروة التشريعية، وهو الذي قضى أن يكون في الدنيا قضاة ومفتون ومحامون. ولو سلم المجتمع من الاضطراب لأغلقت المحاكم، ولم يبق أمام الأستاذ لطفي جمعة إلا الفرار إلى الريف ليأخذ قوته مما تخرج الأرض بجهاد الفأس والمحراث، ويومئذ يُحرَم الأدب من خطبة نفيسة يحاورني بها في المدرج الأكبر بكلية الآداب، وتحرمون تكلُّف الرفق في التصفيق له بغير حق !

لو أنصف الناس واستراح القاضي لخلت الدنيا من المؤلفات النفيسة التي صدرت عن الرومان والعرب والفرنسيين في أصول التشريع . لو أنصف الناس واستراح القاضي لخلت الدنيا من الأدب الرائع الذي صدر عن رجال الأخلاق من الذين عممتم أخبارهم ودرستم آثارهم مع منصور فهمي ومصطفى عبد الرازق وأحمد أمين.

لو أنصف الناس لمات سقراط غير مسموم، ولم نقرأ الوثيقة الأدبية الرائعة التي جاد بها قلم أفلاطون، والتي فتنت لامرتين حين قرأها بترجمة كوزان فنظمها بقصيد رائع يفتت الجلاميد .

لو أنصف الناس لحُرِمنا نفثات ابن مسكويه في أدب الصديق . لو أنصف الناس لضاع على الأدب حظٌّ نفيس هو أشعار أبي العلاء في نقد أخلاق الحكام والقضاة والفقهاء .

لو أنصف الناس لأمن هابيل شر قابيل فلم يصنع التمثال الرائع الذي نراه في متحف (البتي باليه) في باريس. لو أنصف الناس لحُرِم الأدب قصائد ابن الرومي في تشريح ثائرة الحقد والبغضاء .

لو أنصفت الطبيعة لحرمت الإنسانية من عبقرية باستور في حرب الجراثيم . لو أنصف المجتمع لأمن بعض الرجال شر الاغتراب وهو فرصة ليقظة العقول . ولو أنصفتْ ليلى — عفا الحب عن ليلى — لحُرِمتم نفثات المجنون القديم والمجنون الجديد

أنا أكره الفوضى لأنها كدرت حياتي، ولأنها جعلت صدري ميداناً لاصطراع الهدى والضلال، ومع ذلك أجد العزاء، حين أشاء

فبفضل الفوضى في تقسيم الحظوظ نشأت مذاهب أدبية وفلسفية واقتصادية صنعت ما صنعت في توجيه الأذهان والعقول بالشرق والغرب . وبفضل الفوضى في توزيع الممالك كانت الحروب التي صاغت عزائم الأبطال . وبفضل الفوضى في تكوين مدرس اللغة العربية قام النزاع بين الأزهر ودار العلوم والجامعة المصرية، وهو نزاع محمود العواقب، وسيؤتي ثماره بعد حين . وبفضل الفوضى في تصور الغاية السياسية للأمم العربية والإسلامية خُلِقتْ عبقريات الكواكبي وجمال الدين ومحمد عبده ومصطفى كامل وسعد زغلول . وبفضل الفوضى في فهم الغاية الأدبية كان الصراع بين أنصار القديم وأنصار الجديد . وبفضل الفوضى في أحوال الجو كان التنويع الطريف بين الربيع والصيف والخريف والشتاء . وبفضل الفوضى في الأخلاق والعقائد كان الجمال المرموق في تزيين

الوجود بالحرب بين الفجور والعفاف والكفر والإيمان . وبفضل الفوضى فى تحديد الآراء كانت المناظرات التى تنظمها المعاهد والأندية والجمعيات . وبفضل الفوضى فى فهم الغاية الصحيحة لمصاير الإنسانية كان النزاع بين الديانات ، وكان الصراع بين المذاهب المختلفة فى الدين الواحد ، وتلك فتنٌ جوامح نشأت عنها آداب وفنون لا ينكرها إلا غافل أو جهول

لما تلطفت وزارة المعارف العراقية فدعتنى لتدريس الأدب العربى بدار المعلمين العالية فى بغداد ، سألت عن مبلغ بغداد من الحضارة فقيل لى إنها تشبه طنطا ، فجزعت أشد الجزع ، لأن طنطا يقلّ فيها الصراع بين المذاهب والآراء ، وإن كانت عامرة بالقصور والمتنزهات ، وهى البلد الوحيد الذى لا أبيت فيه حين أمضى إليه لمهمة رسمية

ودخلت بغداد فرأيتها أقل من طنطا فى الحضارة والعمران ، ولو شئت لقلت إن أصغر شارع فى طنطا أجمل من أكبر شارع فى بغداد ... وكذلك أحسست قسوة الوحشة حين دخلت عاصمة العراق ، ولولا الخوف من غضب « العقيدة الأدبية » لرجعت فى السيارة التى أقلتنى إلى هناك

وبعد يومين اثنين رأيت أن بغداد البدوية غير طنطا الحضرية فى طنطا شوارع عريضة وقصور شوامخ ، ولكن سكانها لا يعرفون الصراع الجميل بين المذاهب والآراء ، لأنها مدينة مصرية صميمة يقل فيها الأجانب ، ويكثر فيها ائتلاف الأذواق ، وهو باب من السكون والخمود

أما بغداد الجافية التى لا تعرف الحضارة فى غير شارع واحد فهى مضطرب عريض لاختلاف المذاهب والمشارب والأذواق ، فيها عصبيات عربية وفارسية وهندية وكرديه ويهودية ، وفيها جاليات فرنسية وانجليزية وأمريكية ، وفيها على جفوتها بقايا من الحضارات المختلفات ، وفيها ألف مجال ومجال لاضطرام الأذواق والأحاسيس

وكذلك ألفيت نفسى فى ضرام بغداد فكتبت فى نحو تسعة أشهر ألوفاً من الصفحات نشرتُ منها ما نشرت وطويت ما طويت

فى طنطا الحضرية يعيش شعبٌ واحد ، وفى بغداد البدوية تعيش شعوب ، ومن الاختلاف والائتلاف يحيا الأدب الرفيع

ليس فى بغداد كلها قصر يشبه أصغر قصر من قصور حاضرة « الغربية » ولكن بغداد فيها جرائد ومجلات وأندية لا تعرفها حاضرة « الغربية » لأن الهدوء فى طنطا عجز عما قدر عليه القلق فى بغداد . وكذلك فهمت أن الأدب يزدهر فى عصور الفوضى الاجتماعية وفى أقطار الفوضى الاجتماعية ، بدليل ازدهاره فى القاهرة وبغداد وباريس ولندن وبرلين ، على شرط أن تقع الفوضى فى قوم أصحاء ، لا يُقلقهم الاضطراب ، وإنما يزيدهم قوةً إلى قوة ومضاءً إلى مضاء . وما رأيكم فى الشواطئ المصرية ؟ ألم تسمعوا أن رجال الدين اتفقت كلمتهم على أنها من الأرجاس ؟ ألم تروا حيرة شيخ الأزهر فى تخليص سمعة مصر من مآثم تلك الشواطئ ؟

لا جدال فى أن شواطئنا فى الصيف تمثّل الفوضى الاجتماعية أعنف تمثيل ، فهى مضطرَبٌ طويل عريض تثور حوله الآراء فى الإسكندرية وبور سعيد ودمياط ، ويمتدّ شرُّه حتى يصل إلى بحيرة التمساح ، ثم تنتقل عدواه إلى حمامات مصر الجديدة والمعادى وحلوان

ينظر الرجل المؤمن إلى هذه الشواطئ نظرة مخطوفة ، ثم يهتف : اللهم أن هذا منكَرٌ لا يرضيك ! وأقول وأنا صادق إنى أنظر إلى شواطئنا أحياناً بعين الغضب والمقت ؛ ولكن هذه الشواطئ المُجرمة خلقت فنًّا جديداً فى اللغة العربية هو « أدب الشواطئ » ، وقد ألفتُ فيه كتاباً سأنشره يوم أطمئن إلى أن الجمهور يفهم أن المؤرخ غير مسئول عن حوادث التاريخ .

ويوم يُنشر هذا الكتاب ستعرفون أن مصر دانت الأدب العربى بثروة طريفة من تشريح العواطف والأهواء ، وسترون الغرائب حين تعرفون أن تلك الشواطئ أنطقت رجال الدين أنفسهم بأقوال هى من عيون الأدب الرفيع

كان الأستاذ الأكبر قد اتفق مع سعادة حامد باشا الشواربى على تخصيص جزء من شاطئ الاسكندرية للنساء بلغة العصر القديم ، أو السيدات بلغة العصر الحديث ، وتسامع رجال الأزهر بذلك فأمطروا شيخهم الكبير وابلاً من برقيات الثناء

ثم ماذا ؟ ثم أُعِدَّ الشاطئ النسوى إعداداً محتشماً وأزيلت منه القهوات المخضرَمة التى تجمع من الأشربة ما نعرف وما نجهل

ثم ماذا ؟ ثم ماذا ؟

ثم شاع أنه حمام خاصٌّ بالمجاز فلم تقبل عليه ستٌّ ولا ستُّوته ولا بنتٌ ولا بنُّوتة ، ورفعت أسواره بعد يومين اثنين ؟

لا تظنونى خلقتُ هذه النكتة ، فما هى إلا واقعةٌ وقعت ،

ولها حواش وذيول ستعلمون أنباءها بعد حين

حياة الشواطئ إفك وسفاهة وضلال ، ولكن الأدب يستفيد من كل شيء ، لأن مهمة الأدب هي الوصف والشرح والتعليل ، وحياة الشواطئ تمده بوقود رائع جزيل

الشواطئ كلها مآثم ، ولولا الخوف من بني الحاسدين والحاقدين لقلت إن المآثم لا تخلو من بريق يزلزل القلوب والأذواق والعقول ، ومن هذه الزلزلة تكون الرجفة التي تثير شياطين الشعر والخيال . والشواطئ المصرية لها سوابق في تاريخ الأدب العربي . وقد وقعت تلك السوابق فوق أرض مقدسة تعطر ثراها بأقدام الرسول. هل تعرفون ما أعني ومن أعني؟ عندكم عمر بن أبي ربيعة وعندكم الشريف الرضي ، وهما شاعران جعلا مواسم الحج معالم صبابة ومدارج فتون

عمر بن أبي ربيعة فاجر بحسب الاصطلاح، وهيامه بزائرات مكة هيام أثيم ، ولكن أشعار ذلك الفاجر صارت من ذخائر الأدب العربي. وقد شرّقت وغرّبت حتى قهرت بعض الجامعات الأوربية على إفراد أشعاره بدرس خاص

كان يقال : ما عُصِيَ الله بشعر أكثر مما عُصِي بشعر عمر بن أبي ربيعة

وهذا حق ؟ فهل تضمنون أن يرفع اسمه من مطبوعات وزارة المعارف ؟ وكيف وهو من الذين ستحفظ أقدارهم في كتاب « أعلام الإسلام » بدراسة يقدمها الأستاذ عباس العقاد ؟

وتسمعون في كل يوم أن مصر تحارب الخمر لأنها في طليعة الأمم الإسلامية ، ولكن رجال الأدب في مصر لن يستطيعوا غض النظر عن « خمريات أبي نواس » لأن الأدب وإن تَجَبَّر في بعض نواحيه له سلطانٌ قهار لا ينكر جبروته غير الأغبياء !

أنا أبغض الفوضى أشد البغض ، وأرجو الله في كل وقت أن يحفظ عليَّ نعمة السلامة من مكايد الشياطين ، ولكني أؤرخ الأدب ، والمؤرخ لا يصدُق إلا إن تناسى منافعه الذاتية ، ونظر في الحوادث بلا غرض ، والنزاهة عن الغرض هي التي تفغني هذا الموقف الشائك فأسجل على نفسي القول بأن الأدب لا يزدهر إلا في عصور الفوضى الاجتماعية ، وهو قول يعرّضني لقوارص الاغتياب والتجريح

ولكن ماذا أصنع وأنتم دعوتموني لمواجهة المنطق والعقل فوق منبر كلية الآداب بين شباب وكهول لا يلقاهم الرجل الحازم بغير الصراحة والصدق ؟

أحب أن أعرف كيف يطيش السهم الذي صوبته إلى صدر الباطل بهذه الكلمات التي شقيت في تحريرها ليلتين طويلتين ؟ أحب أن أعرف كيف يضيع الرجل الصادق في هذه البلاد؟ أحب أن أعرف كيف ينال خصمي أصواتكم بعد هذه البينات ، وعلى ضوء هذه الكهرباء ؟ له أن يصول ويجول كيف شاء ، ولكم أن تحكموا له أو عليه كيف شئتم، فما أملك من القدرة غير صرير القلم وهدير الوجدان . ولكن ، ما الذي يستطيع أن يقول ؟

أيقول : إن النظام أفضل من الاضطراب ، وإن الأدب الذي يصدُر عن الحالة الأولى أفضل من الأدب الذي يصدر عن الحالة الثانية ؟

آمنت وصدّقت ! ولكن هل يستطيع القول بأن النظام صدر عنه أدب رفيع ؟ وما حاجة الناس إلى الأدب حين يعيشون في نظام وأمان ؟ وهل للآمنين أدب وهم يعيشون في غيبوبة بفضل الراحة والاطمئنان ؟

الأدب حظُّنا ، جماعةَ المكتوين بالدنيا والناس ، وليس لسوانا غير الأحلام ، أحلام الناعمين بهدآت الليل !

عنّا يصدُر قلق الفِكر وانزعاج البال ، وهما مصدر يقظة الرأي والعقل. فما بال قوم يتوهمون أنهم قادرون على مساورة الشعر والخيال وهم يشاركون الأموات في الهدوء والاطمئنان؟ عنا يصدر الإحساس بالدنيا والوجود ، لأننا أشقياء بالدنيا والوجود ، فما بال قوم يتوهمون القدرة على اقتحام جحيم الأدب وهم بفضل نعيم النظام سعداء ؟ عنا يصدر الأدب الصحيح ، لأننا أصحّاء ، وهل يحس وخز الألم غير من يملك عناصر العافية ؟

من أنتم ، في عالم الفكر والعقل ، أيها الوادعون في ظل الأمن المكفول برعاية القوانين ؟ أنتم أشبه بالأطفال الذين يعيشون في ظلال ما ورثوا عن الآباء والأجداد ، ولن تحسوا من الدنيا أكثر مما يحس هؤلاء ، أما نحن فقد كتب علينا أن نعيش بحس مرهف وذوق مشبوب ، بفضل البلاء بالدنيا والناس ، والفرق بيننا وبينكم أبعد مما تظنون ، فجرّبوا الاطمئنان إلى الوهم الخادع إن صح للمريض بالهيام أن ينخدع بالسراب !

النظام قرار ، والاضطراب حركة ، والحركة أدلّ على الحياة من السكون ، جعلني الله وإياكم من الأحياء !

زكي مبارك

أفانين

أثر الإيحاء فى جلب التفاؤل

للأستاذ على الجندى

— ٢ —

أوردنا فى مقال سابق أمثلة للإيحاء الذاتى، كانت سبباً فى ردء التشاؤم عن أصحابها ، وجلب التفاؤل إليهم

وسبيلنا فى هـذا المقال أن نسوق شواهد طريفة للإيحاء الخارجى ، أى إيحاء الإنسان إلى غيره

وطرافة هذه الشواهد أن جلها بل كلها وقعت عفو البديهة ومسارقة الخاطر ! ولولا ذلك ما كان لها هذا الأثر الذى يشبه فعل السحر ! لأن مجىء الإيحاء فى وقته أشبه بمعالجة المرض إبان طروئه . هذا إلى أن ذلك يطبعه بطابع الإلهام العلوى والنفحات اللَّدنية ! ويجعل له وقع البُشريَات التى تنفرج عنهـا سجوف الغيوب فى الحين بعد الحين !

وطبيعى أن هؤلاء السحرة أو الرُّقاة ـ على الأصح ـ الذين استطاعوا أن يتلعّبوا بالنفوس ، فأروْها النحوس سعوداً ، والسواد بياضاً ! واستنقذوها من القلق والشك والارتماض ، لم يكونوا إلا جماعة من أهل اللسن والبيان ! ومن أقدر من أهل اللسَن والبيان على قلب الحقائق والتصرف فى أهواء النفوس ؟ وإن من البيان لسحراً !

بل الحق أن البلاغة وحدها لا تغنى غناءها فى هذه المواقف المتضايقة ، ما لم تسعدها شدة العارضة ودقة الفطنة وحسن التأتى وبراعة الاحتجاج وقوة التعليل

وسنذكر هذه الشواهد فيما يلى مرتبة بحسب الزمن قدر الاستطاعة :

١ — بنى عبد الملك بن مروان[1] باباً من أبواب المسجد الأقصى ببيت المقدس ، وبنى الحجاج باباً إلى جانبه ، فنزلت صاعقة فأحرقت باب عبد الملك ، فتطيّر بذلك وشق عليه ! فبلغ ذلك الحجاج فكتب إليه : بلغنى كذا وكذا ، فليهن أمير المؤمنين أن الله تقبّل منه ! وما مثلى ومثله إلا كابنىْ آدم إذ قرّبا قرباناً ، فتُقُبِّل من أحدهما ولم يتقبّل من الآخر

فلما وقف عبد الملك على الكتاب سُرِّى عنه واستبشر

قال صاحب المثل السائر : وهذا معنى غريب استخرجه الحجاج من القرآن الكريم ، ويكفى الحجاج من فطانة الفكرة أن يكون عنده استعداد لاستخراج مثل ذلك

٢ — خرج المنصور العباسى إلى قتال أبى يزيد الخارجى فى جماعة من الأنصار . فلما واَجه الحصن سقط الرمح من يده ، فأخذه بعضهم فسحه وقال :

فألقت عصاها واستقرّ بها النوى كما قرّ عيناً بالإياب المسافر

فضحك المنصور وقال : لم لا قلت : فألقى موسى عصاه ؟

فقال الرجل : يا أمير المؤمنين ، العبد تكلم بما عنده من إشارات المتأدبين ، وتكلم أمير المؤمنين بما أنزل الله على النبى من كلام رب العالمين

فكان الأمر على ماذكر ، فأخذ الحصن وتم الظفر للمنصور

٣ — قلّد المأمون[1] خالدَ بن يزيد بن مَزْيد ولايةَ الموصل ، فر خالد ببعض الدروب فاندقّ اللواء ! فاغتمّ خالد بذلك وتطيّر منه ! فقال أبو الشّمقمق :

ما كان مُنْدَقّ اللواء لطيرةٍ تُخشَى ولا سوءٍ يكون معجّلا
لـكنّ هذا العُودَ أضْـعفَ مَتْنَـهُ صِـغَرُ الولاية ، فاستقلّ الموْصِلا

ففرح خالد ! وكتب صاحب البريد بذلك إلى المأمون ، فزاده ديار ربيعة ، وأعطى خالدُ أبا الشمقمق عشرة آلاف درهم

٤ — كان المنصور[2] بن أبى عامر الأندلسى إذا سار لغزوة ، عقد لواءه بجامع قرطبة ولم يسرْ إلى الغزوة إلا من الجامع

فاتفق أنه فى بعض حركاته للغزو ، توجه إلى الجامع لعقد اللواء ، فاجتمع عنده القضاة والعلماء وأرباب الدولة ، ورفع حامل اللواء اللواء ، فصدم ثريّا من قناديل المسجد فانكسرت على اللواء، وانسكب عليه زيتها ! فتطير الحاضرون من ذلك ، وتغير وجه المنصور !

---

(١) المثل السائر ١٢٧

(١) العمدة (١ — ٤٠)

(٢) ثمرات الأوراق (١ — ١٥٣)

فقام رجل وقال : أبشر يا أمير المؤمنين بغزاة هيّنة وغيبة سارّة ! فقد بلغت أعلامك الثريّا ، وسقاها الله من شجرة مباركة !

فاستحسن المنصور ذلك ، وكانت هذه الغزوة من أبرك الغزوات !

٥ — كان سيف الدولة[١] بن حمدان ، قد ضرب خيمة كبيرة عجيبة الصنع (بميّا فارقين[٢]) فهبت ريح شديدة فقوضتها ، فتكلم الناس فى ذلك وأكثروا ، فقال المتنبى :

أيقدح فى الخيمة العُذَّلُ ... وتَشمل مَنْ دهرَها يشمل
وتعلو الذى زُحَلٌ فوقه ... مُحالٌ لعمرك ما تُسأَل
تضيق بشخصك أرجاؤها ... ويركض فى الواحد الجحفل
وكيف تقوم على راحةٍ ... كأن السحاب لها أَنمُل
فلا تنكرنّ لها صرعة ... فمن فرح النفس ما يقتل
ولو بلغ الناس ما بُلِّغت ... لخانتهمو حولك الأرجل
ولما أمرت بتطنيبها ... أُشيع بأنك لا ترحل
فما اعتمد الله تقويضها ... ولكن أشار بما تفعل
فما العاندون وما أمّلوا ... وما الحاسدون وما قوّلوا
همو يطلبون فمن أدركوا ؟ ... وهم يكذبون فمن يَقبلُ ؟
وهم يتمنونْ ما يشتهون ... ومن دونه جدُّك المقبل

٦ — كان أبو إسحاق[٣] ابراهيم بن عبدالله البحترى يوماً عند أبي المسك كافور الأخشيدى ، فدخل عليه الفضل بن عباس فقال : أدام الله أيام سيدنا الأستاذ (بخفض أيام وحقها النصب) فتبسم كافور إلى أبي إسحاق البحترى ! فقال مرتجلاً :

لا غرو إن لحن الداعى لسيدنا ... وغص من هيبة بالريق والبهر
فمثل سيدنا حالت مهابته ... بين البليغ وبين القول بالحصر
فإن يكن خفض الأيام من دهش ... من شدة الخوف لا من قلة البصر
فقد تفاءلت فى هذا لسيدنا ... والفأل مأثرة عن سيد البشر
بأن أيامه خفض بلا نصب ... وأن دولته صفو بلا كدر

٧ — كان لعضد الدولة[٤] أحد الرؤساء ابن خُلعَ عليه خلعة سنية ، وركب إلى منزله — والناس بين يديه — فعثرت[٥] به

(١) ديوان المتنبى
(٢) مدينة باقليم ديار بكر
(٣) زهر الآداب (٣ — ٣٧)
(٤) غير عضد الدولة بن بويه
(٥) معجم الأدباء (١٧ — ٦١)

فرسه فسقط من فوقها ، ثم ركبها ثانية من ساعته ، فلهج الناس بالقول فى الطيرة ، فقال الوجيه[١] الشاعر :

لا تعذل الفرسَ التى عثرت ... بك أمسِ قبل سماعك العذرا
قالت مقالاً لو علمتَ به ... لم تولها لوماً ولا هجرا[٢] :
لما رأى الأملاك أنّ على ... سرجي فتًى أعلى الورى قدرا
رفَعتْ يدى حتى تقبّلها ... شغفاً بها فهوت يدى الأخرى

٨ — كان[٣] السلطان حسن الناصرى المصرى يريد أن يبنى لمدرسته (مسجد السلطان حسن) أربع منائر . فلما بنيت ثلاث منها سقطت المنارة التى على الباب ، فهلك تحتها ثلاثمائة من الأيتام الذين كانوا يقرءون القرآن وغيرهم من الناس !

فتحدّث الناس أن هذا نذير بزوال الدولة ! فقال فى ذلك الشيخ بهاء الدين السبكى :

تلك الحجارة لم تنقضْ بل هبطتْ
من خشية الله ، لا للضعف والخَلَل
وغاب سلطانها فاستوحشت فرمتْ
بنفسها لجوًى فى القلب مُشتعِل
لا يقرب البؤسُ بعد اليوم مدرسةً
شيدتَ بنيانها للعلم والعمل
ودمت حتى ترى الدنيا بها امتلأتْ
علمًا ، فليس بمصر غير مشتغل

ومما يتصل بهذا وإن لم يكن منه أن الناجم دخل على ابن الرومى ، وهو ينظم قصيدة فى مدح أبي العباس المرثدى ويهنئه بابن وُلدَ له ، وكان أول القصيدة :

شمسٌ وبدرٌ ولدا كوكبا ... أقسمت بالله لقد أنجبا

فقال الناجم : لو تفاءلت لأبي العباس بسبعة من الولد لأن معكوس أبي العباس : أبو السابع ، إذاً لجاء المعنى طريفاً ! فقال ابن الرومى :

(١) مثل ذلك قول ابن حيوس فى محمود بن نصر وقد زلت قوائم فرس كان تحته :
حاشا لأشقرك الميمون غرته ... يزل ، والفلك الدوار خادمه
وإنما عاين الأملاك ساجدة ... إلى علاك فلم تثبت قوائمه
(٢) بفتح الهاء : القطيعة . وبضمها : القول الفاحش . وكلاهما محتمل
(٣) زهر الآداب (٢ — ٨)

١ ـ تأمــــلات

في يوم سبت من يناير من عام منصرم تحركت عاطفة مكنونة فإذا هي تضطرم ، وإذا ظرفها الطارئ يطبع أربعة عشر عاماً من حياتي بطابع خاص . كانت العاطفة في غضونها مودة فحسب ، اشتدت حيناً وفترت أحياناً ، وتفاوتت درجاتها بتفاوت الظروف لكنها بقيت مودة يغذيها ميل وألفة وجميل وعرفان ؛ حتى كان يوم السبت ، فحالت العاطفة شيئاً آخر بدأ غبطة يكتنفها ذهول واستسلام ؛ ثم تنبه القلب إلى زائر جديد لا يعرف الاستئذان واستقر بين الضلوع شيء نسيت على مر الأيام اسمه ، فأحسست اليوم فعله ، وكان جارفاً ، أطار كل شيء من لب ونوم ، وبسط على نفسي الهادئة سلطانه ، فاضطربت واضطرمت ، ولم تك تدين من قبل لسلطان كهذا يشبه البُحران

ومضت بين السبت والسبت سبعة أيام ، لزمت فيها الفراش يومين ، ونخدعني ثلاثة ، وجرت في بقيتها بين البيت والمكتب ، تارة آلم ، وتارة أتنعم ، وطوراً تفترسني كآبة تبيت معها قوتي ضعفاً ، ولا أملك أن أرفع فيها جفناً . أما طبعي الذي لم يبال في حياتي أحداً ، فخانني هذه المرة ، فكففت عن أن أكون ما كنت

كنت أحب الوحدة ، والظلام الذي لا يقربه الخفاش ، لأنه تضيئه التأملات . وكنت أوزع مودتي على غير واحد من بني البشر ، وأحس الميل الجامح إلى غير واحدة من بناتهم . فلم أعرف في التوزيع غير القسطاس . وكنت أعجب أحياناً كيف أحب الناس هذا الحب العادل ، وكيف أتحرر إلى هذا الحد من سلطان التحيز والتحامل ، لكني هذه المرة قد اضطرب ميزاني ، فإذا بي أميل إلى ناحيته كل الميل ، وإذا تلك التي رجحت كفتها تستبد بي من دون أن تعلم ، وتستحوذني على عظم جرمي في طي إشارة لو شاءت ، وهي بعد لم تشأ ولم تدرِ . بل قل : إنها تدري ولكن لا تدرك . وكيف تدرك وهي تعبث ، والأمر عندي جد وهي تلهو ، وأنا جدُّ حزين ؟

ما بك يا فتاتي ! الشباب الذي ترفلين في غفلته ، وتخطرين في روعته ، وتمر فيه نظراتك واهنة ، فتصمي مع هذا إصماء السهم ؛ ثم لا شيء في ذهنك غير الفراغ ، وكل شيء يضطرب به ذهني ، ويدمى ، ويتألم ...

أأحسست دفء الإيمان في راحتي حين احتوت راحتك الدافئة بدم الشباب ؟

إذن فدعيني أذكر لك يا فتاتي بعض الذي بي : أحبك حبًّا خالط كل حواسي ، فأنا أبداً على ذكر منك ، وأنت على مرأى ومسمع مني

رسمك أبداً ماثل لعيني ، حاضر في ذهني ، فأنا في الحياة أعيش بك وأنساق بإرادتك . أكون مع الناس جميعاً في كل مكان ، ولا أكون إلا معك ... النبطة التي تطغى على مصدرها أنت ؛ والألم الذي يهد كياني مبعثه أنت . والمشاعر على اختلافها تتناوبني منك ولا أملك أن أشعر لنفسي وبإرادتي

أتحبين يا فتاتي أن أصارحك بما ساورني ليلة أمس ؟ إن نظرتك الواهنة التي خلتك تؤثرينني بها نظرة للجميع ، فهي من هذه الناحية عادلة وهي مما خلاها ظالمة خادعة

وقـــد تفاءلتُ له زاجرًا ... كنيتَه ، لا زاجرًا ثعلبا
إنى تأمَّلتُ له كنيةً ... إذا بدا مقـــلوبها أعجَبا
يصوغها المَكْسُ أبا سابع ... لا كَذَب اللهُ ولا خيَّبا
بل ذاك فألٌ ضامنٌ سبعةً ... مثل الصقور استشرفت مرقبا
يأتون من صُلب فتًي ماجد ... وذاك فألٌ لم يَعُدْ مُخطبا
وقد أتى منهم له واحـــدٌ ... فَلْنَنتظرهم ستَّة غيَّبا
في مـــدة تنمرها نعمةٌ ... يجعلهـــا الله له تُرْتَبا(٢)
حتّى نراه جالسًا بينهم ... أجلَّ من رضْوَى ومِن كبكبا
كالبدر وافى الأرض من نوره ... بين نجوم سبعة فاحتَبى
ولْيُشكر النَّاجمُ عن هــذه ... فإنها من بعض ما بَوَّبا
سَدّي وألْحمتُ أخٌ لم أزَلْ ... أشكر ما أسْدى وما سَيَّبا

هذه الشواهد وما قبلها تدل دلالة واضحة على أن التفاؤل والتشاؤم من عمل الإنسان نفسه ، وأن المصاب بمرض التطير يستطيع بقوة الإرادة ، واصطناع الرجاء ، والنظر إلى الحوادث بمنظار أبيض وهاج ، في ظل الثقة بالله وبشاشة الإيمان ، أن يبرأ منه برءاً تاماً ، ولله الخلق والأمر .

علي الجندي

---

(١) بضم التاء الأولى وفتح الثانية وضمها . من معانيها : الأبد والشيء المقيم الثابت (هامش شرح المفصل للزمخشري)

إنك يا فتاتى لغز ، ميزتك الكبرى جاذبيتك ، فأنت تجذبين محبيك ومبغضيك على السواء . ولا يملك المرء ألا يكترث لك ليس جمالك بالفاتن ولا بالذى يلفت النظر . وقد تمرين بالألوف من دون أن تستوقفى أحداً ، ويمر بك الألوف من الكرام . لكن كيانك جميل كل الجمال ، فاتن كل الفتنة ، ولا بد من الوقوف عندك والتأمل فيك ليملكك من يشاء ومن تشائين، ويأسره منك إلى الأبد تلك النظرة الواهنة ، والابتسامة الحائرة ، والوجه الذى لا يمتاز بشىء فى تفاصيله ولكنه فى جملته وحدة أخاذة

ما قولك يا فتاتى فيمن ظل أربعة عشر عاماً على رأى واحد فيك ، وميل واحد نحوك ، وكنت فى خلالها طفلة فى العاشرة ، وزهرة فى الرابعة عشرة ، وثمرة شهية فى العشرين ، فما فكر فى غير الحدب عليك ، واستنشاق عبيرك ، والتطلع إليك . لكنه لم يقطفك ولم يخنك

كانت زهرتك تغرى بالقطف ، لكنه كان فيك ما يرد الأيدى عنك . وكانت ثمرتك ناضجة شهية ، لكنها كانت الثمرة المحرمة . وكنت عزلاء إلا من ذلك العفاف الذى ينبعث من كيانك طهراً وبراءة

ثم سددت يوماً إلى قلبى نظرتك المعهودة وفيها بريق غير معهود ، ومعها حاشية طيبة من الضحك الواهن الغالب عليه الحياء . وألفيتك فى مجلسى مرحة قد وسع فهمك مغازى الكلام ، ودقت إجاباتك عليها

ثم ظللت جبينك العالى غمامة فأطرقت برأسك ، واحتوتك كآبة وخفت صوتك ، وكان سكون طال عليه الزمن أو قصر لا ندرى ، أو على الأقل لا أدرى

واحتوت راحتك راحتى فإذا هما شملتان ، وحاولت أن أحدق فى عينيك فلم ترفعيهما إلىّ ، وألقيت عليك كلمة من عفو الساعة فلم تردى علىّ

ولبثنا هنيهة على هذه الحال من الصمت فإذا نحن نتساءل معاً : هل أسأت إليك ؟!

وكيف تسيئينني يا فتاتى وقد أشعرتنى الهناء الذى كنت أحوّم حوله أيام الشباب ولا أناله ، حتى كان يوم السبت من يناير من عام منصرم فخلقتنى خلقاً آخر يدين لك بالوجود

(م . د)



عرفان الجميل

نهضت للقائه وقد أقبل علىّ هاشاً محيياً ، وصافحته شاكراً له تحيته مجيباً عليها بأحسن منها ، وجلست وجلس وهو يحمد الظروف التي جمعت بيننا في القرية على غير انتظار

وكان يعلم أني لا تتاح لي فرصة للمجيء إلى القرية إلا اغتنمتها فمال بالحديث إلى ذلك المعنى ، وأخذ يبدئ ويعيد في بيان مبلغ كرهه للقرية ، وهو لن يرى أبلغ من أن يقول إنه يكرهها بقدر ما أحبها ؛ وإنما يجيء إليها مضطراً في بعض عمله ثم يغادرها بأسرع ما يستطيع

ولما كنت أفهم العلة الحقيقية لتلك الكراهية لم أشأ أن أناقشه فيما أبداه من غيرها من العلل الزائفة ، بل لقد ثقل علىّ كلامه وأنكرت ما يفيض به من تكلف سخيف وما ينطوي عليه من خبث بغيض

ورأيته يبالغ في الحذر على ملابسه أن يعلق بها التراب فهو لذلك يمسحه عنها بمنديله بين آونة وأخرى لا يمل ذلك ولا يفتر عنه ؛ وكيف يطيق أن يرى الغبار على حلته (الإفرنجية) ، وإنه ليزهى أكبر الزهو بأن يخطر فيها على أعين الناس في القرية يذكرهم بها كيف أنه أصبح ذلك « الأفندي » الوجيه الذي لا يقل في وجاهته وعظمته شأناً عن سراة القرية ووجوهها . ولعل هذا المظهر الذي تبتهج له نفسه هو وحده الذي يجعله يطيق البقاء يوماً أو بعض يوم في تلك القرية

وقطع علينا الحديث قدوم شيخ أربى فيما قدرت على الستين يتوكأ على عصا غليظة ، ويكاد من الضعف لا تقوى على حمله رجلاه ، ولم يكن ذلك الشيخ المتهدم إلا والد ذلك الأفندي الوجيه ؛ ونهضت أستقبله مظهراً له حفاوتي به ؛ وعجبت أن أرى ابنه يقف متثاقلاً متباطئاً ؛ وأسند الرجل عصاه إلى أحد المقاعد وهم ليجلس على الأرض فأمسكت بيده وأجلسته بعد إلحاح على المقعد ...

وأطرق الرجل لحظة ، ولكني تبينت في عينيه كلاماً ؛ وفطنت إلى أنه يرتاح لوجود ابنه معي في تلك الآونة إذ يستطيع أن يسمعه ما يريد ويشهدني على قوله ويبثني شكواه ؛ وزدت وثوقاً من ذلك بما رأيته من اضطراب وغيظ على ملامح ابنه الوجيه .

وتنهد الرجل تنهدة طويلة ثم انطلق يتحدث ولم يكن حديثه إلا شكاة مرة موجعة من هذا الذي أنفق عليه الرجل ماله جميعاً حتى صار إلى ما صار إليه . وذكر لي فيما ذكر والدموع تبلل لحيته البيضاء ، أنه ذهب إلى بيت ابنه في المدينة فأنكر الابن وجوده هناك ، فذهب أبوه يطلبه في مقر عمله فدله عليه بعض الخدم ، فانتحى به الابن جانباً وهو يحاول كتمان غيظه ثم صرفه بعد دقائق ، فما كاد الرجل يبلغ عتبة الحجرة حتى سمع ابنه يقول لزملائه ضاحكا : إن هذا الرجل كان فيما قبل مزارعاً أجيراً عند أسرته وإنه يطلب إحساناً ... وخنقته العبرات لحظة ثم عاد إلى حديثه يسألني : هل يكون ذلك نتيجة التربية ؟ وهل يكون جزاؤه على بيع ما كان يملك في تعليم ابنه أن يقابله بما يقابله به ؟

والتفت أطلب الجواب من الوجيه المتعلم الذي يكره القرية وحياة القرية ، فهالني ما سمعته من عبارات فاجرة أخذ يوجهها إلى الذي كان سبباً في نعمته ، دون أن يستحي ، وكانت أقل تهمة ألصقها بأبيه أنه قد صار شيخاً خرفاً لا يؤاخذ

وبلغ بي الغيظ كل مبلغ فنصحت إلى الرجل أن يرفع إلى القضاء دعواه ، فنظر إليّ نظرة شكر ولكنه قال : « يا بني نضحك علينا البلد ونسمع بنا الناس ؟ لا ، أنا عندي أموت من الجوع ولا يقول الناس إن ابني ناكر للجميل »

وأخذت أسري عن الرجل بما أستطيع من الكلام وقد عزني في هذا الموقف الكلام . كل ذلك وابنه صامت كأنه جماد ، ثم وعدت الشيخ أني سأبذل قصارى جهدي من أجل راحته وودعته مواسياً مشفقاً

وهم ابنه بالانصراف بعده فمددت إليه يدي على كره مني ؛ وجلست وأنا أقول : أيكون بعد ذلك غريباً أن نجهل القرى وحياة ساكني القرى وأن نظل وكأننا بما بيننا وبين هؤلاء الساكين من قطيعة شعبان يعيش أحدهما من كد الآخر ؟ وإذا كان هذا شأن بعض الأبناء مع الآباء فكيف تكون الحال فيمن لا تربطهم بأولئك الساكين بنوة أو قرابة ؟

« عين »

حول لقب « السفاح » أيضاً

للأستاذ عبد الحميد العبادى

وأخيراً يدلى الأستاذ عبد المتعال الصعيدى دلوه فى الدلاء وينبرى للبحث عن لقب « السفاح » لمن هو على التحقيق . وقد كتب الأستاذ فى هذا الموضوع ثلاث مقالات نشرت فى الأعداد ٣٤٦ و ٣٤٧ و ٣٤٩ من « الرسالة » الغراء . ونحن لا شأن لنا بالمقالة الأولى من هذه المقالات ، لأن الأستاذ ذهب يدلل فيها على أننا مسبوقون إلى تفسير لفظ «السفاح» بالمعطاء للمال، وفاته وهو يكتب تلك المقالة أننا قد نزلنا عن هذه الدعوى عند ما ثبت عندنا أن الذين لقبوا الإمام أبا العباس بذلك اللقب لم يقصدوا إلى مدحه بل إلى ذمه ووصفه بأنه سفاك قتال .

أما مقالتاه الثانية والثالثة فهما اللتان نعنى بمناقشتهما اليوم . وقد حاول الأستاذ فى المقال الثانى أن يفند قولنا إن أبا العباس لم يكن سفاحاً ، كما حاول فى المقال الثالث أن يبين لنا كيف اختلفت الروايات فى لقب السفاح بين أبى العباس وعمه عبد الله بن على

***

ولقد كبر على الأستاذ الصعيدى أن نقول : « إنا رجعنا إلى سيرة أبى العباس قبل الخلافة وبعدها فلم نجد فيها ما يسوغ تلقيبه بالسفاح » فاندفع يرمينا بالغفلة الظاهرة والتجنى على التاريخ ويزعم أن سيرة أبى العباس بعد الخلافة « طافحة » بسفك الدماء ولقد ظننت الأستاذ سيأتى فى الأمر بجديد فإذا به يعزو إلى أبى العباس ثلاثة حوادث: أولها قتله ابن هبيرة غدراً، وهذا قد نبهت أنا عليه فى أول مقال نشرته لى الثقافة فى هذا الموضوع . وثانيها قتله أبا سلمة الخلال، ولم أعد أنا أبا العباس مسئولاً عن هذا الحادث شخصياً ، فالباعث عليه من قبيل ما نسميه الآن بتهمة الخيانة العظمى ، ولذلك لم أعتد به على أبى العباس . على أن هذا الحادث قد تولى كبره أبو مسلم الخراسانى من غير مراء . الحادث الثالث قتل أبى العباس سليمان بن هشام بن عبد الملك بعد أن آمنه ، ولو تتبع الأستاذ قصة هذا الأمير فى أقدم مظانها وأصحها وهو تاريخ ابن جرير الطبرى لعلم أن الطبرى يتتبع أخبار سليمان هذا بكثير من العناية والإسهاب حتى سنة ١٢٩ ثم لا يعود إلى ذكره بعد ذلك التاريخ ، وسياق حديث الطبرى يفيد أن هذا الأمير قتل فى وقعة مرو الشاذان التى كانت سنة ١٢٩ بين جيش ابن معاوية الثائر بفارس وبين جيش ابن هبيرة أمير العراق؛ وإذاً يكون سليمان ابن هشام قد فارق هذه الحياة قبل قتله المزعوم على يد أبى العباس بنحو أربع سنوات على أقل تقدير . وإذاً لا يمكن أن ينسب من هذه الحوادث إلى أبى العباس إلا حادث واحد فقط هو مقتل ابن هبيرة ، وحتى هذا لا يعدم عند تدقيق النظر توجيهاً وتأويلاً . فقد كان ابن هبيرة زعيماً عربياً قوياً ، وكان له حزب عربى عظيم فى مدينة واسط ، وكان أبو العباس يعتقد أنه يرقب الأمور ، ويتربص الدوائر ليثب وثبة ترد عليه ما ضاع منه ، فرأى أن يعاجله قبل استفحال شأنه

ولما لم يجد الأستاذ الصعيدى من حوادث القتل ما يصح أن ينسبه إلى أبى العباس رأساً أخذ ينحله جرائم غيره ، فزعم أنه هو الذى قتل تسعين من بنى أمية كانوا على مائدته بتحريض سديف الشاعر؛ مع أن هذا الحادث الفظيع إنما كان بفلسطين وهو المعبر عنه فى تاريخ الطبرى بيوم أبى فطرس ، والمسئول عنه هو من غير نزاع عبد الله بن علىّ وحده . بل إن الأستاذ الصعيدى ليجعل أبا العباس مسئولاً عمن قتل عبدالله بن على بالشام وداود بن على بالحجاز وسليمان بن على فى البصرة، لأنه هو الذى «سلطهم» على بنى أمية فى البلدان المذكورة . وهذه قصة الذئب مع الخروف معادة بشكل آخر . ولست أدرى على أى مصدر يعتمد الأستاذ فى دعواه هذا « التسليط » فالمصادر لا تذكر إلا لفظ « التولية » على تلك البلدان . والتولية ليس معناها « التسليط » بطبيعة الحال . ثم أين عدالة الإسلام وأدب القرآن الذى يقول « كل نفس بما كسبت رهينة » « ولا تزر وازرة وزر أخرى » ؟ وأين مبدأ شخصية الجريمة وشخصية العقوبة وهو من الإصلاحات العظيمة التى جاء بها الإسلام ، وكانوا فى الجاهلية ربما أخذوا القبيلة كلها بجريرة فرد واحد منها ؟ الحق أن أبا العباس كما بينت فى مقالاتى

السابقة كان مغلوباً على أمره لأبي مسلم بالمشرق ولعمه عبد الله ابن على بالشام ، ولو رجع الأستاذ الصعيدى إلى تاريخ الطبرى وقرأ فيه سيرة أبي العباس لتبين له ذلك بأجلى بيان ، فلعله فاعل إن شاء الله

ولقد بلغ من حرص الأستاذ الصعيدى على اتهام أبي العباس أن وقع فى تناقض عجيب حقاً . فقد كتب فى مقاله الثانى يقول : « ولقد كان له (أى لأبي العباس) سفاح آخر نسيه المؤرخون ، ولم يكن بأقل من عبد الله بن على سفكاً للدماء . ذلك هو سليمان بن على أخو عبد الله وعم أبي العباس ، فقد ولاه البصرة وسلطه على من كان بها من بنى أمية ، فقتل من كان بها منهم وألقاهم فى الطريق فأكلتهم الكلاب » وبعد أسطر قليلة يقول الأستاذ الذى يرمينا بالغفلة : « ويطول بنا الكلام لو ذهبنا نستقصى ما سفك أبو العباس وأعمامه وإخوته (مع العلم بأن التاريخ لايعرف لأبي العباس إخوة سفاكين يسأل عن جرائمهم) من الدماء . ولقد كانوا كلهم شركاء فيما عدا سليمان بن على فإنه كان أحنهم على بنى أمية وكان يكره سفك دمائهم ، ويجير كل من استجار منهم الخ » والظاهر أن الأستاذ أحس هذا التناقض العجيب وأراد أن يتلافاه فكان تلافيه له أعجب وأغرب ، إذ عقب على الفقرة الأخيرة بقوله فى هامش المقال الثانى : « هكذا روى عنه صاحب العقد وهو ينافى ما ذكرناه من قتله من كان فى بنى أمية بالبصرة ... فلعل هـذه الشفقة أدركته أخيراً عليهم » . ولولا أن الأستاذ الصعيدى جاد فيما يقول لقلنا إنه تعمد أن يورد فى هذا البحث الداى فصلاً مضحكا يرفه به عن القراء

والواقع أنه لا أبو العباس ولا عمه سليمان بن على يمكن أن يوصفا بأنهما سفاحان سفاكان ، وذلك لسبب واضح هو أنه لم يكن فى العراق فى وقتهما أمويون يمكن أن يبسطا إليهم يد القتل والمثلة . فمن يتعمق درس التاريخ الأموى يعلم أن العراق لم يكن فى وقت من الأوقات موطناً لبنى أمية وبخاصة فى أخريات عهدهم عند ما انبثقت عليهم فيه البثوق التى زعزعت ملكهم ، وكادت تأتى على سلطانهم قبل زحف العباسيين من المشرق . إنما كان موطن بنى أمية ومحل عصبيتهم الشام ثم الحجاز . فإذا سكتت المصادر التاريخية القديمة عن أن تنسب إلى أبي العباس قتل بنى أمية أو قال صاحب العقد إن سليمان بن على كان شديد الحنو على من يلجأ إليه من بنى أمية ، كان هذا السكوت وذلك القول هو المعقول والمتفق وحقيقة الحال . وإذا اقتصر الطبرى على ذكر من قتل الأمويين إنه إنما كان فى الشام والحجاز كان ذلك منطبقاً على الحقيقة والواقع

مما تقدم يرى القارئ أن الأستاذ الصعيدى على عنف محاولته « إدانة » أبي العباس وتسويغ تلقيبه بالسفاح لم يكن موفقاً ، بل هو لم يخرج فى واقع الأمر قيد شعرة عن مضمون قولنا : « إن سيرة أبي العباس قبل الخلافة وبعـدها لا تسوغ تلقيبه بالسفاح بحال من الأحوال »

***

ولننتقل الآن إلى مناقشة موقف الأستاذ الصعيدى من المصادر واختلافها فى لقب السفاح بين أبي العباس وعمه عبدالله بن على . وهو موقف عجيب حقاً ، فالأستاذ الصعيدى ينظر إلى المؤرخين والأدباء الذين تعرضوا لسيرة أبي العباس وأخباره نظرة واحدة ، ويضعهم فى مرتبة واحدة من حيث العدالة والضبط والحجية ، لا فرق عنده بين متقدم ومتأخر ، وبين متخصص فى الرواية التاريخية وغير متخصص فيها ، وبين من يتتبع الرواية بإسنادها إلى من شهد الواقعة ومن يتسقط الأخبار من هنا وهنا . وما هكذا كان السلف الصالح من علماء المسلمين . فإنهم كانوا يزنون الرجال والأخبار بأدق موازين النقد ؛ وما علم الحديث منا ببعيد ، فقد رجحوا كتاب البخارى على غيره من كتب الحديث ، لأنه أقل من غيره رجالاً تُكلم فيهم بالضعف ، وأقل من غيره أحاديث شاذة أو معلولة . فإذا جئنا إلى التاريخ ، وجدناهم يقولون : إن أصح التواريخ تاريخ ابن جرير ، وإن كتاب «فتوح البلدان» للبلاذرى لم يؤلف مثله فى موضوعه ، وإن طبقات ابن سعد أقدم وأعظم كتاب فى السيرة وتاريخ الصحابة والتابعين . وقالوا فى ابن قتيبة إنه قليل الرواية

ولقد أدى هذا الموقف الأستاذ الصعيدي إلى نتيجة هي عجب من العجب، فالمصادر التي لقبت أبا العباس بالسفاح صادقة لأن، أبا العباس عنده سفاح، والمصادر التي لقبت عبد الله بن عليّ بنفس اللقب صادقة لأنه كان سفاحاً. والمصادر التي سكتت عن تلقيب هذا أو ذاك باللقب المذكور لا يصح الطعن بها في رواية المصادر التي ذكرت هذا اللقب «لأن من حفظ حجة على من لم يحفظ» وهي قاعدة مشهورة عند الأزهريين ويقول الأستاذ إنه لا يمكن أن أجادل فيها. وأنا لا أجادل في القاعدة ولكن أجادل في تطبيقها فليس هذا محل تطبيقها، والمسألة ليست مسألة حفظ وتضييع، وإنما هي مسألة تخليط وعدم تخليط، فهل يسلم الأستاذ بقول من يقول «إن من خلط حجة على من لم يخلط»؟

أما نحن فنظرنا إلى المصادر نظرة نقد وتقدير كما فعل الأقدمون من علماء الحديث؛ فوجدنا أن أقدمها وأوثقها وأشدها تخصصاً بالرواية التاريخية لا تلقب أبا العباس بالسفاح، وتصور هذا الخليفة في الصورة التي أجملناها غير مرة، ووجدنا المصادر التي شوهت صورة هذا الخليفة ولقبته بالسفاح ونسبت إليه الفظائع هي من وضع رجال ليسوا متخصصين في الرواية التاريخية الجدية ولا معروفين بالعدالة والضبط اللذين يعرف بهما أصحاب الرواية التاريخية القديمة كابن سعد والبلاذري والطبري وغيرهم. هذا هو موقفنا بإزاء المصادر القديمة من حيث موضوع «السفاح»

وبعد فلئن كنت حزنت لشيء وأنا أقرأ المقال الثالث والأخير للأستاذ الصعيدي فلقد حزنت للعبارة التي علق بها على جملة لابن العبري المؤرخ المسيحي المتدين الزاهد. فقد قال ابن العبري: «وكان أبو العباس رجلاً طويلاً أبيض اللون حسن الوجه يكره الدماء ويحامي على أهل البيت» فعلق الأستاذ الصعيدي على ذلك بقوله: «إن هذا لا يراد منه إلا كراهته لدماء أهل البيت وحدهم» مع أن المؤرخ وهو يترجم لأبي العباس لم يسند إليه حادثة قتل واحدة، ومع أنه في تاريخه السرياني المطول والمترجم إلى الإنجليزية لا يلقبه بالسفاح مطلقاً.

عبد الحميد العبادي

من وحي الفوضى!

الدكتور مبارك يناظر

للأستاذ شكري فيصل

منذ أيام وقف الدكتور «زكي مبارك» يناظر الأستاذ «لطفي جمعة» في موضوع: «يزدهر الأدب في عصور الفوضى الاجتماعية». وكان طبيعياً أن يؤيد الدكتور المبارك هذه الفكرة وأن ينتصر لها، ويدافع عنها؛ ويجرد حملاته على خصومها، ويسوق عليهم القوى والمهجات من منطق العقل ومنطق العواطف

وقد ود الناس لو سمعوا الدكتور خطيباً يرتجل حججه وسط هذا الحماس المضطرم، وينتزع آراءه من قلب هذا التيار العاصف، ويمتع ساميه بلفتاته الذهنية البارعة. ولكن الدكتور زهد — كما يقول — في البراعة الخطابية، فانصرف عنها، وأوى إلى قلمه في ساعة من ساعات الفوضى والاضطراب فكتب خطابه في دائرة محدودة وصفحات معدودة ونهج بيّن

وكان هذا في الواقع صدمة شديدة الأثر ... تناثرت معها أماني وأحلام. فالناس يعجبهم من هذه المناظرات أنها متعة من متع الفكر، يستفيق فيها الحس؛ ويتفتح معها الذهن وتضطرم فيها الحياة، وتنبثق في خلالها المعاني والخطرات كما ينبثق الماء الثر فإذا هم — هذه المرة — في نطاق من الفكر، وفي مدى من الجدل، وفي مجال ضيق قد رسمت فيه الخطوط، وعينت الاتجاهات وصدرت عن أصل مكتوب

ولئن فات الناس أن ينعموا ببراعة الدكتور الخطابية التي زهد فيها، فقد عوضهم أن يروا نظارته المزدوجة (المتفلسفة) من فوق عينيه (١)

***

وأنا أشهد يا سيدي الدكتور أنك استطعت أن تأسر الناس، وأن تأخذهم بالإعجاب بك، والتصفيق لك، والانسياق معك

(١) الدكتور يدعي أن لكل فيلسوف نظارتين. وأن له مثلهما!

فى هـذه الوديان المترعة بالحسن التى حملتهم إليها ، وهذه الربوع المليئة بالجمال التى دفعتهم نحوها ... وتلك الأجواء العبقة التى حلّقت بهم فيها ...

ولقد حدثتَ يا سيدى حديث العواطف الثائرة والشعور الطاغى والقلب الذى كوته النار والصدر الذى اضطرم فيه اللهب ... وسمعك الناس تقرأ لهم صفحة من بلائك بالدنيا ، وصدامك مع الناس ، وحربك مع هـذا العالم ... وأنصتوا يصغون لهذا النشيد الدائم الخالد : نشيد « الأحلام والأوهام » و « الحقائق والأباطيل » و « الأزهار والأشواك » و « العقول والقلوب » ... فنفثت فيهم ببراعتك ولباقتك السحر والعطر والجمال ...

ولم تنس يا سيدى أن تقص علينا طرفاً من حياتك ... فأنت فى كلية الآداب ، ولـكلية الآداب فى تاريخك صفحات وصفحات ... فلِم لا تنشر هذه الصفحات فى مدرج الـكلية ، وعلى عينى طلبتها وطالباتها ... ليروا مدى برّك بها ، وميلك إليها ، وغيرتك عليها ؟!. ولم لا تغتنم هذه الفرصة فتضع أيديهم على أمور وأمور تعتقد أن من واجبك أن تنبه إليها ، وتتحدث عنها ؟! ...

وحديث ليلى يا سيدى ... حتى ليلى هذه كان لها فى خطابك نصيب ، وفى موضوعك حظ ... وفى أوراقك ذكر ... وكانت ليمينك يمين ... ولجيشك جناح ...

ولقد استطعت يا سيدى بما آتاك الله من طلاقة ووهبك من اندفاع وبما أفضت من روعة ونثرت من رياحين أن تهدئ ثورات وتسكن نفوساً ، وتسكت غاضبين . . . وأن تخرج من وسط الضجة الناقمة ، والصخب الثائر بالهتاف الذى ملأ الجو ، والتصفيق الذى كان يمثل نبضات القلوب الخافقة ...

وضمن لك هذا الأسلوب البارع ، وهذه القدرة الخطابية ، أن تمر بكثير من القضايا ... فتعرض على الناس طرفاً منها ووجهاً لها ؛ ثم تخلص منها إلى غيرها على أنها قضية مسلمة ، وحقيقة واقعة ... ولقد بلغت أكثر من ذلك ... حين خضت طريقاً شائكا وعراً ... وقدت الناس فيه ، وخرجت منه مظفراً ...

لم تدم لك قدم ، ولم يقف فى طريقك ما يقف فى طريق الناس من عقبات وحواجز ...

ولـكن ، أليس من حق الناس ، وقد اكتسبت المعركة ، وظفرت بالنصر ، واكتسحت الخصوم الأقوياء ، أن يقفوا عند هذه القضايا التى طويت عليها كتابك أمس ... فيتحدثوا عنها ، وقد هدأ الحماس الثائر ، وسكنت الأكف المصفقة ، وتنفس الصبح عن الوضح المبين ؟ ! ...

* * *

نحن نحب أن نتساءل عن قولك: «إن أكثر أهل الجنة من البُله » . كيف استطعت أن تنجو معها من إخواننا الأزهريين الذين كانوا يملأون جنبات المدرج ؛ وكيف سكتوا عنها حتى لكأنك لم تمر بها ؟ ... إن تعليلك طريف حقاً ... ولـكن هل ترضاه الآن بعد أن خرجت من ميدان المعركة ؟ !

وشيء آخر يا سيدى ... إنك تقول إن الأدب لا يزدهر فى البيئات الساكنة ، وإن رجال الدين ومن فى مثل منزلتهم لم يصدر عنهم أدب صحيح قيم ... فهل أنت مؤمن بهذه الدعوى المريضة ؟ ... وهل يستطيع أحد أن ينكر أن للبيئة الهادئة أدبها الهادئ الجميل ... وأن كثيرين من رجال الدين والمتدينين قد صاغوا من هذا الهدوء الذى نعموا به ، وهذه اللذاذات العقلية التى عاشوا فيها الوجدانيات من الأدب الرفيع ؟ !

وهل يغفل الإنسان عن الحقيقة الناصعة فى أن طائفة كبيرة من أدباء الشرق العربى فى الجيل الماضى وفى الجيل الحاضر هم من رجال الدين الذين قرأ لهم الناس الشعر ، وقرأوا لهم النثر ، وكانوا من عمد هذه النهضة الجديدة ؟ ! ...

أو ليس صحيحاً أن الأكاديمية الفرنسية تضم فيما تضم بعضاً من رجال الأكليروس ... أم أن ذلك كان بعد رجوع الدكتور من باريس ؟ ! ...

وماذا بعد ؟ إنى لأحاول أن أجوز إلى الناحية الثالثة التى استوقفتنى فى خطاب الدكتور لولا أنى أخشى أن أتهم بالعصبية أو الإقليمية أو الهوى . . . وإنما هواى مع مصر ، وعصبيتى لها . . . ولكن ما يمنعنا أن نكون أقرب إلى الدقة

وإلى الانصاف ؟! ... وهل يعاب الحق إن هو لم يساوق بعض الأهواء الجامحة ؟!

ما على إذن إن أنا وقفت عند كلمة الدكتور : « إن مصر أقدر الأمم الإسلامية على التفكير الدقيق وعلى التأليف » وما علىّ أن أتساءل ويتساءل معى كثيرون ، وأن نرجوا الدكتور أن يكون متئداً هادئاً ، لا يدل ولا يتيه فمصر زعيمة العالم العربى . وهى موطن أمله ، وموضع رجائه ، ومحط أمانيه ؛ وهى بلد رجاله ومنبت أبطاله ، ومبعث النور فيه ... ولكن هذا لا يعنى يا سيدى الدكتور ألا تكون الأقطار الإسلامية الأخرى قادرة على مثل هذه الدقة فى التفكير ، وهذه الكثرة فى التأليف ...

والذين هم فى مكان القيادة يا سيدى ، ليأخذوا بيد الضعيف ، ويعدوا فى قوة العاجز ، وينيروا السبيل للضال ... لا يعيبون على الضعيف ضعفه ، ولا يأخذون عليه عجزه ، لأن هذا لا يتسق مع تواضع النعمة ؛ وحق الأخوة ، وشكر الله ...

وفى الأقطار التى تعنيها يا سيدى نهضة وحركة ... وقدرة على (التفكير الدقيق) غير أن ألواناً من الجهاد تطغى على هذه النهضات ، وتكبت هذا النشاط ، وتفل هــذه القدرة ، وتحاول أن تطفىء شعل النور فيها ...

لقد كنت وقفت منذ حين أرد على الذين أعماهم الغرور فى لبنان وغير لبنان ، فادّعوا الدعاوى وتقوّلوا الأقاويل وحاولوا أن يغمزوا الأدب المصرى وأن ينالوا منه ، وأن يتعرضوا لطائفة كبيرة من الأدباء ... وأنا أجدنى اليوم مضطراً أن أقف مرة ثانية موقفاً لا يختلف فى حقيقته عن الموقف الأول ... فنحن فى الأقطار الإسلامية الأخرى نؤمن بكل هذه الجهود التى تبذلها مصر ؛ ونحن نكبر هذا النشاط الذى يتراءى فى أجوائها ساطعاً كالنور ؛ ونحن نغذى نهضتنا وأدبنا بكل ما ينطلق من قيثارة شعرائها ، وصفحات كتابها ؛ ونحن ننعم بهذا العطر الذى تنشره مع النسائم ، وهذا الألق الذى تشعه فى سموات الفكر ... ولكننا نريد ألا نُغفَل هذا الإغفال ، ولا نُهمل هذا الإهمال

إن زعامة مصر أمر لا شك فيه ... وليس ثمة من يناقش فى الأمور البديهية المسلّمة ؛ فلم نخرج بالأمور إلى مفاضلات ومقارنات لا تفيد فى تقرير رأى ، ولا تنفع فى الوصول إلى نتيجة ، ولا يكون من ورائها إلا اللغط ؟

وبعد ... فإن لك يا سيدى فى قلوبنا حرمة ، وفى نفوسنا منزلة ، ونحن نحاول هنا أن نحملك على أن تجلو هذا الذى استغلق على الناس ، ولقد متّعتهم بصفحة رائعة ؛ ووقفت منهم موقف الخطيب الموفق ... واهتزت لك أفئدة وتولاّك الإكبار من كل جانب ... وتهافتت عليك البطاقات معجبة راضية مغتبطة ، فتقبلتها باسماً ضاحكا مغتبطاً ... فهلاّ تقبلت معها هذه الكلمة ؟ ...

(القاهرة) شكرى فيصل

النسر المهيض

للأستاذ محمود الخفيف



بعد الهزيمة

حُلْمُكَ القَيْصَرِيُّ كَيْفَ تَقَضَّى ... أَيُّهَا السَّاهِمُ المُلَقَّى الهَوَانَا ؟
ضَاقَ عَنْكَ الفَضَاءُ طولاً وَعَرْضا ... وَتَعَالَيْتَ لَسْتَ تَحْفِلُ بُغْضَا
لاَ وَلاَ كُنْتَ أَمْسِ تَحْفِلُ حُبّا
لِبَنِي الطِّينِ ، أَوْ تَهَابُ الزَّمَانَا
كُنْتَ بالأمسِ الامبراطورَ تُدْعَى ... بَعْدَ نَعْتٍ بِالْكُرْسِكِيِّ الصَّغِيرِ
تَتَهَاوَى أَلْقَابُ مَجْدِكَ صَرْعَى ... وَتَرَى مَنْ وَالَوْكَ كَرْهاً وَطَوْعا
بَيْنَ رَاثٍ وَشَامِتٍ يَتَشَفَّى
فِي مَصِيرٍ مَا مِثْلُهُ مِنْ مَصِيرِ !
لَمْ تَرَ الأَرْضُ مِثْلَ عُقْبَاكَ عُقْبَى ... هَلْ رَأَتْ مِثْلَ مَا بَلَغْتَ ارْتِقَاء ؟
نِلْتَ مَا نِلْتَ مِنْ زَمَانِكَ غَصْبا ... لَمْ تَجِدْ فِي الْحَيَاةِ سَهْلاً وَصَعْبَا
ثُمَّ حَلَّقْتَ تَبْتَغِي غَيْرَ وَانٍ
أَيُّهَا النَّسْرُ ، أَنْ تَنَالَ السَّمَاءَ !

قُضِيَ الأَمْرُ ! هَلْ رَضِيتَ القَضَاء ... أَيُّهَا اللاَّعِبُ المَهِيضُ الجَنَاحِ !
كَيْفَ تَرْضَى وَمَا عَرَفْتَ الرِّضَاء ... مَرَّةً أَمْسِ أَوْ عَدِمْتَ الرَّجَاء
أَيُّهَا الوَاجِمُ العَبُوسُ تَلاَشَتْ
خُدَعُ الْحُلْمِ فِي يَقِينِ الصَّبَاحِ
قَدْ تَزَيَّدْتَ فِي غُرُورِكَ حَتَّى ... كِدْتَ تُنْمَى لِغَيْرِ هَذَا الوُجُودِ !
وَتَأَنَّى مِنْ زُورِهِ مَا تَأَنَّى ... فَتَغَابَيْتَ فِي مَوَاطِنَ شَتَّى
لَشَجَانِي بِرَغْمِ ذَلِكَ مَرْأَى
شَبَحِ الذُّلِّ فِي العُقَابِ الصَّيُودِ !
تَصِفُ الْعَيْنُ فِي مُحَيَّاكَ خَوْفاً ... وَابْتِئَاساً وَذِلَّةً وَانْكِسَارَا
لاَ يُوَفِّيكَ غَيْرُ مَرْآكَ وَصْفاً ... عُدْتَ كَالنَّاسِ بَلْ لَقَدْ زِدْتَ ضَعْفَا
لَيْتَ شِعْرِي يَا مَنْ هَزَمْتَ المنايا
كيف تحيا؟ هل تستطيع اصطبارا ؟
بَهَرَ النَّاسَ فِي صُعُودِكَ بَرْقٌ ... لَمْ يَرَوْا فِي سَنَاهُ مِنْكَ العُيوبا
كُلُّ إِفْكٍ أَرَدْتَهُ فَهْوَ حَقٌّ ... وَتَحَدَّى الزَّمَانَ عِنْدَكَ سَبْقٌ
تُشْفِقُ الْعَيْنُ أَنْ تَرَى الشَّمْسَ حَتَّى
تتراءى لها تُرِيدُ الغروبا
كَمْ تَرَى العَيْنُ فِي غُرُورِكَ مِمَّا ... يَمْلأُ القَلْبَ مِنْ شَتِيتِ المَعَانِي
أَنْتَ فِي الأَرْضِ مِنْ بَنِي الأَرْضِ مَهْمَا ... مَلأَتْكَ الحَيَاةُ وَهْماً وَعَزْمَا !
عَبْقَرِيُّ الحُرُوبِ ، كَمْ كُنْتَ تَبْدُو
أَمْسِ كَالطِّفْلِ أَطْمَعَتْهُ الأَمَانِي !
رُحْتَ كَالطِّفْلِ لاعِباً بِالعُرُوشِ ... لَعِباً حَارَ جُنْدُ عَرْشِكَ فِيهِ !
النَّجِيعُ الصَّبِيبُ أَبْهَى النُّقُوشِ ... وَالدُّمَى مِنْ أَمِيرَةٍ وَنُعُوشِ
كُرَةُ الأَرْضِ بَيْنَ رِجْلَيْكَ حَيْرَى
وَالمَنَايَا تَجْرِي بِمَا تَشْتَهِيهِ
وَيْكَ ! قَدْ كُنْتَ كَالشِّهَابِ التِمَاعا ... وَسَنَاءً وَرَوْعَةً وَانْطِلاَقَا
كُلَّمَا زَادَ فِي السَّمَاءِ ارْتِفَاعا ... وَتَبَدَّى لِلْعَيْنِ أَبْهَى شُعَاعا
وَمَضَى يَخْطِفُ العُيُونَ سَنَاهُ
لَمْ يَزِدْهُ المَضَاءُ إِلاَّ احْتِرَاقَا

إعصار

للأستاذ أمجد الطرابلسي

هذى الليالى السودْ كيف أُقضيها ؟
أشدو وهل فى العودْ من وَتَر مشدودْ ؟
والكأس . . . هل فيها ؟

الريحُ ، نجواها تنشدها الآفاقْ
والليلُ ، أوَّاها ، قد ذاب أمواهاً
تهوى من الأعماقْ . . .
وتلك أبوابى يلطمها الإعصارْ . . .
أطيافَ أحبابى ! أشباحَ أوْصابى !
كيف عرفتِ الدار ؟
يا ذِكرَ الغابرْ يِبنى كما بانا . . .
لا تقلقِ السادرْ فى وَحشةِ الحاضرْ
دعِيه مَهمانا . . .

. . . .

هذى الليالى السُّودْ كيف أُقضيها ؟
أشدو وهل فى العودْ من وَتَرٍ مشدودْ ؟
والكأس . . . هل فيها ؟

(باريس) أمجد الطرابلسى

تحت الليل

للأستاذ محمود محمد شاكر

أهيمُ .. وقلبِي هائمٌ .. وَحُشَاشَتِي تهيمُ .. فهلْ يبقَى الشقِيُّ المبعثَرُ ؟
وهلْ يهتَدِى غاوٍ أضَاعَ حيَاتَهُ بحيثُ يَضِيعُ الطامحُ المُتَجبِّرُ ؟
وهلْ تَسكُنُ الدُّنياويَسكُنُ صَرفُهَا ويسكنُ هذا النَّابضُ المتفجِّرُ ؟
وهلْ تُطْفِئُ الأيامُ نيرانَ ظُلْمِهَا وَتَطْفَأُ نارٌ في دَمِي تَتَسعَّرُ ؟

لئِنْ أبقَتِ الآمالُ منِّي ، لَطالما تَقَلَّبْتُ فى آلامِها أتَصَوَّرُ
تَنَازَعُنِي من كلِّ وَجْهٍ بِساحِرٍ يُمَثِّلُ لى إقبالَهَا وَيُصَوِّرُ
فيَهْوِى لهابعضِى وَبَعْضِىَ مُوثَقٌ بأشواقِهِ الأُخرى إلى حيثُ يَنظرُ
أضاليلُ من سِحْرِ الحياةِ وَفِتْنَةٌ تَهَاوَى إليها مُسْتهامٌ مُسَحَّرُ

أبَى القلبُ إلاَّ أنْ يرَاها قريبةً كأنَّ رضَاها مُزْنَةٌ تَتَحَدَّرُ
يَرِفُّ شبابُ القلبِ فى قَسَماتِها تكادُ تراهُ ضاحكاً يَتَحَيَّرُ
تُضِيء لياليَ هَمِّهِ بِخَيالِها كما سَلَّ همَّ اللَّيْل نَجْمٌ مُنَوَّرُ
وهيهاتَ ! ضَلَّ القلبُ إنَّ بقاءَها بَقاءُ رَبيعِ الزَّهْرِ أو هُوَ أقْصَرُ

سَرَتْ فِي دَمٍ يَغلِي كأنَّ اندِفاقَهُ مِنَ القلبِ يَنْبُوعٌ من الوجْدِ يُسْجَرُ
تَمُرُّ به الأفكارُ وَهْيَ نَدِيَّةٌ فما هِىَ إلاَّ جَمْرَةٌ تَتَدَهْوَرُ
إذاسكَنَتْ فى اللَّيْلِ كلُّ خَفِيَّةٍ سمِعتُ صَليلاً فى دَمِي يتحدَّرُ
فهَلْ ترحَمُ الأيامُ أو تهدأُ المُنَى ؟ أبَى حُبُّهَا إلاَّ شقَاءً يُدَمِّرُ

محمود محمد شاكر

أشبهتْ مُلْكَكَ الفقاقيعُ مَعْنًى وبِناءً وَبَسْطَةً وَفَناءَ
بهْرَجُ المجدِ كان زُورًا وَإفْكًا وَبَرِيقاً يكسُو الفقاقيعَ حُسْنَا
وَهْيَ مِثْلُ الهواءِ أوْ هِيَ أوْهَى
وَهْيَ كالْبَرْقِ وَمْضَةً وَانطِفَاءً !

الخفيف



تأملات في الفن :

مدرســـة الاحساس

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

— لا تنهرى القطة بهذه القسوة . كونى صاحبة إحساس وكونى ذات رحمة

— أرحمة بلصة تسرق طعامى ؟

— ليس مكتوباً عليه بلغة تقرأها هى أنه طعامك ، وإنما هو عندها رزق يسره الله

— ولكنها كانت تدب إليه مشفقة حريصة محاذرة متنبهة متلفتة يمنة ويسرة كاللص الذى يدرك حين يجترم السرقة أنه يجترم المنكر

— هى معذورة فقد تعلمت هذا التلصص منا ؛ فهى لا ترانا نفترس ما نأكل وإنما ترانا نربى الحيوان والطير ثم ندب إلى فريستنا منهما دبة اللص فنختلس حياته اختلاساً لا يسبقه صراع ، ولا يسبقه إنذار ... ولم يكن القط هكذا إلا منذ استأنس ، وقبل ذلك كان يفترس ، أو يأكل مما يخلفه كبار السباع

— وهل فى القط ذكاء يدرك به هذا كله ؟...

— إن الأمر لا يحتاج إلى ذكاء ، وإنما هو يحتاج إلى إحساس . ألست تدخلين على جماعة من الناس فتعرفين إذا كانوا على حزن أو على فرح ، أو على صدق أو على غش ؟!

— قد أعرف ذلك مما أرى فى وجوههم من أثره ...

— ومن الناس من يعرف وهو مطرق إلى الأرض ، ومن الناس من يعرف وهو مغمض العينين والأذنين ، ومن الناس من يعرف وهو على البعد لا يتمكن من نظر ولا سمع

— باللاسلكى ؟!

— نعم ؛ فنى قلب كل مؤمن جهاز يدله ، ومن هذه الأجهزة طويل الموجة ، ومنها قصير الموجة ، ومنها ما هو متصل بتيار لا ينقطع ، ومنها ما يعبأ (ببطاريات) تفرغ وتملأ ، ومنها ما يستقبل القريب فقط ، ومنها ما يستشف المحطات البعيدة ... وهكذا ، فالكون كله إذاعات واستقبالات جلّت على ماركونى وإن سلست للأستاذ حسن كامل

— هذا العجوز الذى ظهر سكيراً فى فيلم العزيمة ؟ إنه ممثل ممتلىء حقاً ولكنى لم أكن أحسب أنه يعلم ما لا يعلمه ماركونى ...

— ويعلم ما لم يكن يعلمه فرويد كذلك

— ما شاء الله ! لعله اخترع آلتين تتزاوجان وتنجبان البنات من الآلات والصبيان !

— بل تمكن من إيجاد إنسان يعيش من غير غريزة فرويد فيستطيع أن يتحادث مع الطير والحيوان

— على طريقة سيدنا سليمان ؟

— إذا لم تكن هناك إلا طريقة سليمان فهو إذن على طريقة سليمان . وهو إذن يعيش بين دجاجه وأرانبه وإوزه وكلابه ومعيزه ملكا مدبراً حكيما لا يعيبه إلا أنه يأكل رعاياه

— وكنت تريد ألا يأكل منها

— ربما كان هذا أحلى ؛ ولكن الذى يصنعه على أى حال حلال ؛ فلا ريب أنه للانسان على ما هو دونه ومن فى حماه حق الرعاية بالحكمة وله أن يتقاضاه روحاً وحياة

— أنت تجمل الذى بيننا وبين الحيوان عشرة أظن لها عندك قوانين وأصولاً

— الطبيعة فرضت هـذه القوانين والأصول ، وقد كان القدماء شديدى الاعتراف بها ، ولا يزال الفلاحون يحترمون هذه القوانين والأصول فيما بينهم وبين ما ينفعهم من الطير والحيوان ، وإن كنا نحن فى المدن قد أنكرنا هذه القوانين إنكاراً استدعى أن تقوم فينا جمعيات للرفق بالحيوان تصيح فى آذاننا تطلب له رحمة كان يجب علينا أن نحسها من تلقاء أنفسنا لولا أننا قد تحجرت نفوسنا وتخشبت من شدة إقبالنا على عشرة الحديد والحجر والخشب ... فلم يعد أحد منا يعطف على حيوانه عطفه على ولده الذى فى عنقه

— هذا الذى تطلبه كثير ، وهو ليس من الطبيعة فى شىء

— لو لم يكن من الطبيعة لذبح إبراهيم ولده

فلو أنك كنت تشعرين بالحياة حولك، لكنت تبادلت الحس مع الحيوان ... ولكنت أدركت الحق فيما أقول ... ولكن كيف أطلب منك الإحساس بالحيوان وأنت منصرفة حتى عن الإحساس بالناس، وحتى عن الإحساس بنفسك ...

— حتى نفسى ترميني بإغفالها والبعد عنها ؟ ...

— ولست وحدك هكذا ، وإنما أغلب أهل هذا العصر هكذا وأكثرهم تردياً فيه أهل الدن ، وأكثر أهل الدن تردياً فيه وانطماساً أولئك الذين يتعلمون فى المدارس ، وأكثر المتعلمين تخبطاً فيه وانطماساً أبناء معاهد الفن فى مصر، فهؤلاء يستعرضون صوراً مختلفة للحس ، ولكنهم لا يقفون عند واحدة منها وقفة التأمل والتذوق ، وإنما هم يحصونها عداً ويحسبون هذا الإحصاء علماً ، فيخرجون به إلى الدنيا ونفوسهم مشوشة مختلطة حائرة ... ومع هذا كله ، فمغرورة متكبرة ...

— وهذا فى مصر وحدها أو فى العالم كله ؟

— أظنه فى مصر وحدها ... فهم فى الغرب إذا كفروا لم يكفروا حتى يؤمنوا بكفرهم ، ونحن هنا ننتظر حتى يكفروا فنجرى وراءهم ، فإذا آمنوا آمنا ، فإذا كفروا كفرنا ونفوسنا فارغة لا يعمرها إيمان ولا كفر ...

— وهل يعمر الكفر النفوس ؟ ...

— إذا كان كفراً خالصاً لوجه الحق كذلك الكفر الذى شاع فى أوربا فى القرن الماضى وفى سوابقه ، إذ تفتحت عيون عشاق الحق هناك على أباطيل رأوا أهل الدين يستمسكون بها ، فقالوا لهم تعالوا ندع هذه الأباطيل ونحرر أنفسنا ونفكر بعقولنا، فقال لهم أهل الدين: ليست لنا عقول إذا ردتنا المعقول عما وجدنا عليه آباءنا ، وإنه لدين آمنا به ولن نحول عنه ، فقالوا لأهل ذلك الدين : فليكن إذن لكم دينكم وليكن لنا ديننا ، ثم قالوا للناس جميعاً : إنما نحن نسعى إلى الحق بعلومنا وعقولنا ، وليس لنا شأن بأخصامنا ، ولسنا ندعو الناس إلى جنة أو نار ، فالجنة والنار حديثهم ، وإنما نحن نقول إن عباد الشمس الأزرق يحمر إذا أضيف إلى حمض ، كما نقول إن الهيدروجين أخف من الأكسجين وثاني أكسيد الكربون ، وإن الأرض مجذوبة إلى الشمس ، وإن الشمس تسبح فى الفضاء وإن وإن... وليستمع لنا من يريد وليستمع لهم أيضاً ، فإذا شاء أن يودع عقله بين أيديهم فليستغن عن عقله وهو عندهم حتى إذا جاءنا استحضره ... هذه حال حدثت فى أوربا ، ولأنها حدثت فى أوربا فقد أحدثنا مثلها قولاً فى كلية الآداب عندنا وقلنا إن العلم شىء وإن الدين شىء ، مع أن ديننا هو العلم نفسه ، وهو العقل نفسه ، ولم يحدث أن احتضن يوماً خرافة ، أو أظل باطلاً ... وإن كان بعض أصحاب الغرض قد رشقوا فى حواشيه بعض ما ينافيه ، مما هو ظاهر للعين زيفه وغرابته عن سلامة الفطرة وحكمة الحق ... وقال الغرب يوماً إننا لن نؤمن بشىء حتى نبدأ بالشك فيه ونعقله بعد ذلك إلى نهايته حتى نصل إلى حقيقة أمره ، فنراها فنؤمن عندئذ بها ، ولم يقل الغرب هذا إلا من تقل ما كان يراد به أن يحشره فى إيمانه من أوهام ، وأكاذيب ... فقلنا نحن أيضاً مثلما قال الغرب: لن نؤمن بشىء حتى نشك فيه أولاً وبدأنا نشك فى أغلى تراثنا حتى لقد شككنا فى قصة إبراهيم يوماً

— وهل أثبت التاريخ قصة إبراهيم ؟ العلم لا يرضى إلا بالإثبات العلمى ، وللاثبات العلمى شروط

— وهل أثبت التاريخ أن الأرض كانت جزءاً من الشمس إثباتاً علمياً بالشروط إياها ؟ وهل يستطيع التاريخ أن يثبت كل حقائق الوجود ؟ إذا كان الأمر كذلك فقولى لى كيف يثبت التاريخ أن هانيبال كان يتنفس مثلما تتنفس نحن مع أن هذا شىء لم يرد فى وثيقة تاريخية واحدة مستوفاة لشروط التحقق والتحقيق التى تطلبينها ! بل إنه لم يرد فى وثيقة أصلاً ! أفتستطيعين أن تشكى فى أن هانيبال وأباه كانا يتنفسان لأنه لا وثائق تثبت ذلك ؟ أفإذا ضاعت منك شهادة ميلادك ظننت أنك ربما تكونين قد انعدمت لأنه لا ورقة رسمية معك تعترف بك ؟ حتى لو حلف الناس بوجودك وشهد أهل بلدك بنسبك ؟

فتذوق العلم ... وتذوق الأدب ... وتذوق الفن ... وتذوق الحياة ... عيشى على مهل ، تغرسى فى كل شىء ... أيقظى إحساسك ، ولا تقفزى بعقلك إلا بعد أن يرتاح إحساسك إلى ما أنت فيه .. فلو فعلت أنت هذا ، ولو فعله الناس جميعاً ، ولو فعله أهل الغرب على الخصوص ، لخفت كوارث البشرية ولهان من مصائبها الكثير ... أفلو تريث أولئك الذين يخترعون الغازات السامة والقنابل والبلاوى الزرق الفتاكة بالناس ، وحاسبوا عقولهم بضمائرهم واستشعروا ماتجره اختراعاتهم على إخوانهم من ويلات ...

أكانوا يبرزونها للناس كالحمى المجنونة ، حملها من الجحيم شيطان أثيم ... لو أن هؤلاء العلماء العقلاء تريثوا ، وحادثوا أنفسهم لما أطلقوا الخراب من مكامنه عاصفاً يلهف البرىء وغير البرىء ... ولـكنهم علماء مثلما تريدين أنت أن تكونى عالمة

— وأى شبه بينى وبين هؤلاء ؟

— هؤلاء يجمعون من الحقائق ما يقتل الناس ، وأنت تجمعين من الحقائق ما يقعد على الإحساس ، وهؤلاء لو أنهم استغنوا عن استغلال حقائقهم لوفروا على الناس هلاكاً لا غناء فيه ، وأنت لو أنك استغنيت عن حقائقك التاريخية لوفرت على نفسك هلاكاً لا غناء فيه كذلك ...

— وهل أنا هالـكة ؟

— وأى هالـكة يا من لا تمنيك فى قصة إبراهيم إلا أن تعرفى إذا كانت قد حدثت أو إذا لم تكن ، ولم تحاولى أن تتذوقيها ... مسكينة أنت ... ما أحوج أمثالك إلى أن تنشأ لهم مدرسة للاحساس !

عزيز أحمد فهمى



الأسماك العجيبة

للأستاذ أحمـــد على الشحات

تحدثنا فى مقال سابق عن بعض الأسماك التى تجلت فيها غريزة الحنان ، فدفعتها إلى القيام بالمحافظة على بيضها والصغار التى تخرج منه ، وألممنا ببعض الطرق الطريفة التى تقوم بها هذه الأسماك فى سبيل حماية نسلها . وسنرى فى حديث اليوم كيف أن تلك الغريزة تدفع بعض الأسماك إلى القيام ببناء مأوى لصغارها يقيها شر هجمات عدو يفترسها ، حتى يستقيم عودها وتستطيع أن تذود عن نفسها . وأشهر هذه الأسماك هى المسماة : « ذات الأشواك الظهرية » ؛ ففى النوع ذى ثلاث الشوكات على الظهر ، يتجلى نشاط الذكر فى الربيع والصيف بأن يقوم ببناء عش على أرض عمقها قليل ، والمواد المستعملة فى بنائه هى النباتات المائية ، والحشائش والقش وغيرها ؛ ويشد بعضها إلى بعض مادة مخاطية يفرزها الذكر ، ولهذا العش فتحات جانبية ؛ فإذا انتهى من بنائه أخذ يبحث عن أنثى يدعوها لتضع بيضاً فى هذا العش ، فإن لم تخضع ، أخذ يطاردها بعنف إلى أن تذعن لأمره . وقد يحدث أنها لا تضع من البيض الكمية التى يقنع الذكر بها ، عندئذ يبحث عن أنثى أخرى لتزيد كمية البيض ، ويقوم بتنظيم وضع البيض فى العش ، ويخفره ومحتوياته الثمينة ليل نهار . وإذا اقترب غريب منه أثخنه بالجروح بفعل أشواكه ليحمى عشه ، حتى إذا كبرت صغار السمك هدم الأب الجزء الأعلى من العش ، واستطاعت الصغار أن تنطلق فى الماء تسعى لرزقها



سمكة الجنة وعشها العائم

ولعل أطرف عش يبنى هذا الذى تعمله سمكة الجنة التى تعيش فى الصين ، وليس هذا العش إلا فقاعات هوائية يخرجها الذكر من فمه ويتماسك بعضها ببعض بمادة لزجة ، فإذا تم بناء هذا العش العجيب العائم على سطح الماء أخذ الذكر يبحث عن أنثى ، فإذا ما وفق ابتدأت تضع البيض واحدة واحدة يلتقطها الذكر بفمه

ويرفعها إلى العش ، ويلتصق هذا البيض بالمادة اللزجة . ولما كانت الأنثى شرهة تأكل بيضها إن لم يحمه الذكر ، فإنه يتولى المحافظة عليه حتى يفقس ، ويظل لمدة أسابيع أخرى يرعى صغاره خشية أن تنقض الأم عليها وتأكل أولادها

وفى أحد أجناس الأسماك النضروفية المسمى Lamprey — وهى كلة تشتق من لفظين Lambère بمعنى يلتصق ، Petra بمعنى صخر ، وسمى بذلك لأنه يلتصق بالصخور بوساطة فمه — يتعاون الأبوان فى عمل جحر صغير حيث تضع الأم البيض ، ثم يحركان الأحجار المحيطة به فينتج عن ذلك أن ينهار سيل من الرمال يغطى الجحر فيصبح محجوباً عن أعين الأحياء المائية الأخرى التى تبحث عن غذاء لها

وهناك أسماك فى كاليفورنيا تحمى بيضها بدفنه فى رمال الشاطئ حين يجرفها المد إليه ، ويبقى هذا البيض جافاً وبعيداً عن الماء لمدة تناهز أسبوعين حين يغمر الماء الشاطئ ثانية فتكشف المياه عن البيض الذى تنطلق منه الصغار آنئذ إلى الشاطئ

الأسماك الذهبية

وهى أسماك قد حبتها الطبيعة لوناً جميلاً وذكاء تستطيع به أن تقوم ببعض الألعاب المسلية ، ولذا فإنه يحتفظ بها فى أحواض للزينة ، وعلى الناوين أن يتعهدوا هذه الأسماك بتربية أجمل الأفراد منها بعضها مع بعض حتى ينتج نسل ذو لون زاه ، وإلا فإن الأجيال الناتجة تفقد تدريجياً بهاء الألوان التى كانت لسلفها ، وقد حدث هذا فعلاً عند ما وفد على أوربا ممثلو إحدى الجزائر الواقعة فى المحيط الهادى ، وأعجبوا بهذه الأسماك فحملوا حين قفلوا راجعين إلى بلادهم الآلاف من هذه الأسماك وأطلقوها فى أنهارهم . ولما أن كانت محاربة الطبيعة لا تجدى نفعاً بل تنتج ضرراً ، كما حدث مثلاً حين نقل الإنسان الأرانب إلى استراليا ، فإنها زادت وقتئذ زيادة بليغة فانطلقت تبحث عن غذاء لها فلم تبق على أخضر هناك رغم ما قامت به الحكومة من مجهودات للقضاء على هـذا الحيوان . فكذلك هذه الأسماك حين نقلها أهل الجزيرة إلى بلادهم ، فمع أنها فقدت بهاء ألوانها لأنه لم يعن بتربية أزهى الأفراد لوناً مجتمعة فإنها قضت على النوع الوحيد من السمك الذى كان يعيش فى مياه تلك الجزيرة والذى كان يعتمد الأهالى عليه فى غذائهم



مجموعة من الأسماك الذهبية

وليست هذه الأسماك بالذهبية اللون دائماً فقد يكون بعضها فضياً أو أحمر ، وقد تكون الزعنفة الظهرية عالية وتقوم بمهمة قلاع المركب حين تسبح السمكة . ولبعض هذه الأسماك عيون محمولة على نتوءات بارزة من الرأس ، وتسمى بذات الأعين التلسكوبية ، ولا تظهر هذه النتوءات إلا بعد أشهر من عمر السمكة

وتستطيع هذه الأسماك أن تعيش خارج الماء لمدة محدودة ، فقد وضع العلامة « فرنك بكلاند » بعضها وسط حشائش رطبة وأحاطها بقطعة من سجاد ، فظلت محتفظة بنشاطها مدى أربع وعشرين ساعة . ويراعى أن تزود هذه الأسماك فى أحواض تربيتها بمقدار وافر من الماء ، ويتكون غذاؤها من قطع صغيرة من لحم الثيران ودود الأرض ويرقات الناموس وبيض النمل

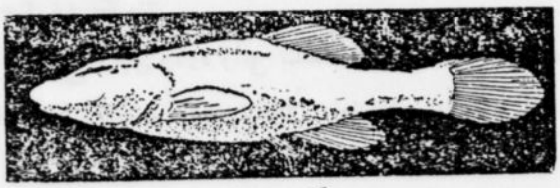
ومن اليسور تدريب هذه الأسماك على القيام ببعض الألعاب

السلبية ، كدقها ناقوساً إذا كانت فى حاجة إلى الطعام . وكيفية ذلك أن يربط ناقوس بقطعة من مادة تطفو كالفلين ، ويتدلى خيط إلى قاع الحوض الذى به السمكة ، وتتصل بهـذا الجهاز الصغير كأس بها الغذاء الذى يقـدم للسمكة ، فإذا ما جاءت شدت الخيط إلى أسفل فيدق الناقوس وتنقلب الـكأس فتنزل إليها محتوياتها

ويمكن تمييز الذكر عن الأنثى فى دور التناسل بخشونة جسمه فى منطقة الخياشيم لوجود بروزات صغيرة لا توجد فى جسم الأنثى وتستطيع الأنثى أن تضع سبعين ألف بويضة ، إلا أنها عادة تضع أقل من ذلك ، فحين تكون فى الثانية من عمرها تضع ألفى بويضة وكلما تقدم بها العمر تضع مقداراً أكبر ، فنى الثالثة مثلاً تضع خمسة وعشرين ألف بويضة تقريباً ، والأنثى فى هذه الأسماك شرهة جداً حتى أنها لا ترحم صغارها بل تلتهمها ، ولذا يجب فى أحواض التربية فصل الكبير منها عن الصغير

الأسماك العمياء

هناك أسماك قد حرمت نعمة البصر إلا أنها تروح وتغدو تبحث عن غذائها بنفسها ، وقد يكون عجيباً أن تستطيع سمكة ضريرة أن تبحث عن غذائها بنفسها ، وأن تحافظ على حياتها



سمكة عميـــاء

فى وسط حيوانات ينقض أحدها على الآخر تلتهمها غذاء لها . إلا أنا نعلم أن رحمة الله قد وسعت كل شيء ، فالإنسان الضرير مثلاً قد منح غالباً قوة فى استراق السمع وفى حاسة اللمس ، فكذلك هذه الأسماك قد زودت بحساسية فى السمع وبأعضاء لمس حساسة .

وقد يكون فقد البصر فيها كلياً فلا توجد عيون لها ألبتة ، وقد توجد فى بعضها بحالة أثرية ، حتى أنها تكون عديمة الفائدة كعضو إبصار . وتجريد مثل هذه الأسماك من العيون لا يلحق بها أذى لأنها تعيش فى ظلام دامس. فلو فرض أن كانت لها عيون لما استطاعت الإبصار فى هذا الجو المظلم. والظلام هنا مرجعه إلى العمق البعيد عن سطح الماء حتى أن الأشعة الضوئية لا تستطيع اختراق هذه المسافة الطويلة إلا أنه لا يتحتم أن تكون جميع الأسماك التى فى قاع البحار عمياء لأن هناك ضوءاً ينبعث فى قاع البحار ليس مرجعه إلى الأشعة الضوئية التى تخترق الطبقات العليا ، وإنمـا مرجعه إلى إشعاعات فسفورية تنبعث تقريباً من كل الكائنات التى تعيش فى قاع البحر ولا توجد هذه الإشعاعات فى المياه العذبة

وتتناول هـذه الأسماك غذاءها مما يعلق بسطح الماء ، ولذا تحور شكل الفم فأصبحت فتحته تقرب من السطح العلوى ، وقد يستطيع الإنسان أن يمسك سمكة منها بيده حين تصعد إلى سطح الماء إذا لم يحدث أدنى صوت ، وإلا فإنها قادرة أن تشعر بأقل حركة وعندئذ تختفى سريعاً .

أحمد على الشحات

كيميائي بمعمل السكة الحديد



قصة واقعية

حقيبـــة الذكريات

للأستاذ محمد سعيد العريان

فى حارة « قصر الشوق » من حىّ الجمالية بالقاهرة ، وإلى الشمال الغربى من مسجد « أبى عبد الله الحسين » حيث لا تزال القاهرة التى بناها المعز لدين الله قائمة فى هذه القباب والمآذن ، وتلك الدُّروب والمسارب ، وهذه الدُّور الرحيبة المتقادمة التى تفضى إليها من باب إلى باب إلى أبواب ...

... هناك ، حيث التاريخُ الثابر ما يزال حيًّا ناطقاً فى كل ما تقع عليه العين من مشاهد وآثار وناس ؛ كأنما اجتمع تاريخ مصر الإسلامية كله فى زمان ومكان ، فلا يزال النظر ينتقل من منظر إلى منظر يذكّر بالماضى كعهده يوم كان ، من جيل إلى جيل إلى أجيال ...

... هناك ، حيث لا تزال ترى وتنظر ألواناً من الناس فى سمات وأزياء وملامح ، كأنما تشهد بقايا من سلائل الفاطميين وأبناء المماليك وجند السلطان سليم ...

... هناك فى هذا الحى نشأ « توفيق » ...

تراه ، فلولا طربوشه الأحمر ولسانه العربى لحسبتَه واحداً من أولئك السياح الأجانب الذين يفـدون إلى بلادنا كل شتاء للدرس أو للرياضة . أما أبوه فله فى الحىّ جاه واعتبار ، وإن له ميراثاً من تاريخ هذا الحى العريق يمتد إلى أجيال ، منذ دخلت مصر جيوش السلطان سليم . وأما أمه فنازحة من دمياط ، فلعلها بقية من سلالة بنى أيوب . وأما هو فإنه ابن أمه وأبيه ...

ونشأ نشأة أهله على صلاح وتقوى ودين ؛ لا يعرف له طريقاً إلا إلى المدرسة أو المسجد ، فلم يعبثْ به الهوى مرة ولم يَفْتِنْه الشباب ...

وأتم فى التعليم مرحلتين ، فأراد أبوه أن يلحقه بالجامعة ، ولكن ميراثاً فى دمه كان يزين له ركوب البحر ؛ فسافر إلى انجلترا ليدرس فنون الملاحة ويتهيأ لما أراد ...

***

وانتقل توفيق من جو إلى جوّ : من حى الجمالية فى ظلال القباب والمساجد وأضرحة الأولياء ؛ إلى دنيا الهوى ومسارح اللهو وملاعب الجمال ... ورأى ، وسمع ، وعرف ...

ونظرت إليه جارته الحسناء ، فما كان إلا نظرة وجوابها حتى كانا ذراعاً إلى ذراع ...

وعاد توفيق إلى غرفته فى الفندق وقد أوشك الصبح ، وإنه من صاحبته على ميعاد ؛ وكأنما كان فى حلم فاستيقظ ؛ فلم يأو إلى فراشه إلا بعد ما أخرج دفتره ليكتب فى مذكراته . إنها لحادثة جديرة بأن يذكرها فى تاريخه — ثم أغمض عينيه ونام ...

وعرف توفيق منـذ اليوم أن فى الحياة أشياء غير ما كان يعرف ! ... ...

وكان فى طريقه إلى صاحبته ذات مساء ، حين اعترضتْ سبيلـه فتاة ؛ ونظر ونظرت ، ثم كان تاريخ ، وذاق توفيق لوناً جديداً من ألوان الحب !

وعاد إلى غرفته ليكتب فى مذكراته ، وطوى صحيفة وبسط أخرى ، وكتب ...

وخلع توفيق وقاره وألقى بنفسه فى تيار الحياة ؛ وتتابعت حوادثه فى فصول وأبواب ، وامتلأت حقيبته صوراً وذكريات ...

***

وتجرّد توفيق من ماضيه ، فلم يبق فى ذكراه من صورة الأمس إلا رسوم حائلة يكاد يبليها النسيان ؛ ولكن شيئين اثنين لم يغفلهما توفيق : دروس الملاحة التى هجر من أجلها وطنه وأهله ، ومذكراتِه التى يثبت فيها مغامراته فى الحب كل ليلة قبل أن ينام !

وانتهى توفيق من دروسه ؛ فالتحق بشركة كبيرة من شركات الملاحة الإنجليزية التى تجول فى البحار بين سواحل القارات الخمس ؛ وركب ظهر البحر يتنقل بين البلاد ، وفى يده « حقيبة الذكريات » يثبت فيها فصلاً من مغامراته كلما هبط ميناء من الموانى . لم ينس واجبه قطّ فى ليلة من ليالى الأرض أو ليلة من ليالى الماء ...

لكأنما كان يجوب البحار على هذه السابحة لغاية واحدة، هي أن يذوق الحب في كل ميناء تُرسى فيه السفينة فيكتب ويصف . . . !

وذاق الحب في كل ألوانه، إلا اللونَ الواحد الذي يكون معه الدمع!

لقد كان يخلع حبه دائماً في الظلام قبل أن يفارق الغرفةَ المسدَلةَ الستائر ويغلقَ البابَ وراءه؛ فإذا عاد إلى غرفته من الفندق أو من السفينة بسط أوراقه وكتب؛ وتنتهى قصة حب؛ فلا يبقى منها إلا سطور مكتوبة!

ومضى توفيق على وجهه، والشر يغرى بالشر . . . !

* * *

. . . واجتازت السفينة مضيق جبل طارق في طريقها إلى الشرق، وأسرَّ إليه صاحبه «ماجدو» حديثاً فابتسم؛ ومضت السفينة بهما تمخر عباب الماء، واجتازت الدردنيل إلى البحر الأسود، لترسى في ميناء «كوستانزا» على ساحل رومانيا، بلاد الجمال والحب

وهبط توفيق وصديقه إلى البر، وراحا يضربان في المدينة ليذوقا الحب . . . الحب الذي ينتهى في الظلام، في غرفة مسدلة الستائر مغلَّقة الأبواب!

وقال ماجدو: إن في هذا المتجر يا صديقى فتيات للحب . . . لقد أخبرنى صديقٌ زار «كوستانزا» من قبل . . . !

ودخل الصديقان المتجر وراحا ينظران، ووقف «ماجدو» يتحدث إلى بائعة المناديل وذهب توفيق إلى جارتها؛ ونظر إليها ونظرتْ إليه، وتحدثت عينان إلى عينين؛ وقالت الفتاة بصوت مُطرب: هل يريد سيدى . . . ؟

ولكن توفيق لم يكن يريد شيئاً غيرها . . .

لقد ذاق توفيق من الحب ألواناً وفنوناً، ولكنه لم ير من قبل مثل هذا الفن وهذا الجمال!

لكأنما كان يتنقل في البحار من شرق الأرض إلى غربها ليدرك موعداً واعده القدر في هذا المكان!

وإن صوتها لينفذ في أعماقه وله رجع بعيد كأنما كانت تهتف به من وراء البحار: إلىَّ يا حبيبى إلىَّ فإنى أنتظرك منذ أزمان! وأحس لأول مرة أنه وأنها . . . وأحست، وتواعدا على اللقاء!

والتقيا على موعدهما، وجلسا يتحدثان، وقال وقالت، وعرفت أن صاحبها مصرى، فصاحت فرحانة: مصرى؟ ما أجمل هذا! إن بيننا نسباً يا صديقى. إن أبى من تركيا، أعنى جدِّى. إننى لست رومانية خالصة، ومع ذلك . . .

وسكتت «مارتزا» فلم تتم. لقد رأت في عينى صاحبها نظرة زعمت أنها تفهم معناها

وأحس توفيق إحساساً جديداً منذ الساعة. إنه ليشعر كأنما يتحدث إليه القدرُ بلسان هذه الفتاة حديثاً لا يكاد يعيه . . .

وتناول يدها بين راحتيه، ومال عليها فقبّلها، واغرورقت عيناه!

لقد جلس توفيق مثل هذا المجلس من قبل مرات ومرات؛ ولكنه لم يكن في مرة منها في مثل حاله الليلة

هذه فتاة لم يعرفها إلا منذ ساعات، دعاها إلى خلوة اللهو والشراب فما تأبّتْ — ماله يُحسُّ في مجلسها هذا الإحساسَ الغامض حتى لا يكاد ينظر إليها نظرةَ رجل إلى امرأة! وما باله يشعر في مجلسه منها كأنه قد ارتفع عن بشريته حتى ليستشعر الندم لأنه دعاها إلى هذا المجلس من مجالس اللهو الحرام!

وشعر كأن روحاً خفيًّا يهمس في نفسه، وشعاعاً لطيفاً من نور الله ينفذ إلى قلبه؛ فكأنما قام بينهما حجاب من الوهم يمنعه أن ينفذ إليها ويمنعها

وأطاف به طائف فأطرق، ثم رفع إليها عينيه ونظر . . . وامحتْ فيه كلُّ معانى (الجنس) لتحل فيه معانى (الإنسان)

. . . وفاء إلى نفسه بعد برهة فسخر من نفسه، وراح يقاوم هذا الطارئَ الجديد في قلبه ويسكب في كأسها وفي كأسه؛ وأخذا يشربان! . . . وانتصف الليل وصحبتْه الفتاة إلى غرفته . . . فإنها لتعرف أن عليها لصديقها حقاً ينبغى أن تهيأ له؛ فما يَدْعوها مثلَه من روّاد البحار إلا لمثل ذلك . . . !

. . . ولكنه . . . ولكنه في تلك الليلة كان غيرَ من كان، ونام ونامت كما يقتسم الأخوان الفراش! . . .

ولما قام ليودّعها في الصباح إلى الباب، كانت مطرقة برأسها إلى الأرض وفي عينيها دموع!

وتلاقيا من بعد مرات، ودَعتْه إلى زيارة أهلها فلبَّى، وتوثقت بينهما عقدة الحب على طهر وعفاف!

وذاق توفيق لوناً من الحب لم ينعم بمثله فيما فات من أيامه !

وقال لها : مارتزا ! سنفترق يا حبيبتي ؛ وستبحر السفينة بعد أيام لتضرب في مجاهل البحار ؛ فاذكريني ، واكتبي إليَّ كلما تهيأت لك فرصة !

وتغرغرت عينا الفتاة وقالت : توفيق ! بربك لا تذكر الفراق ! خذني معك ؛ إنني لا أطيق !

وفكر الفتى قليلاً ، ثم ذهب إلى الرُّبان يرجوه أن يقبل مارتزا وصيفة في السفينة . ولكن السفينة لم تكن في حاجة إلى وصيفة على من فيها ؛ فعاد توفيق إلى صاحبته ينوء بهمه !

وأبحرت السفينة بعد أيام ، وراحت مارتزا تودِّع صاحبها ، وهي تتجلد ؛ ووقفت على الرصيف تلوِّح بيدها ومحبوبها ؛ ثم صفرت السفينة ، وراحت تشق الماء ، وسقطت الفتاة بين يدي أمها في غشية !

وحملوها إلى دارها ، وجاء الطبيب ؛ ولكن مارتزا كانت من الصدمة التي نالتها بحيث لا يجدي عليها احتيال الطبيب !

وجلست أمها بجانب فراشها تبكي ، ووقف الطبيب حيران ، ولم تفق مارتزا من غشيتها !

وراحت السفينة تشق البحر بحيزومها ، وعلى ظهرها توفيق وخلَّفت على الشاطئ فتاة بين الحياة والموت !

ولكن السفينة لم تكد تمضي على وجهها ، حتى جاءتها الأنباء بأن المجاز مغلق في طريقها ، فعادت أدراجها إلى كوستانزا ، حتى يصدر إليها الأمر بالمسير

وأرست السفينة ، فهبط توفيق مسرعاً إلى البر ليرى فتاته ويأنس بها ساعة ، وهو لا يعرف من أمرها شيئاً

ودق الباب ودخل ، وكانت تهذي باسمه ، وفزع توفيق ، وجرى إليها وهو يصيح : ماريتزا ! ماريتزا !

وأفاقت ماريتزا بعد غشية يومين ، وشفاها لقاء حبيبها حين عجز الطبيب

وثابت إلى الفتاة قوتها رويداً رويداً ، ولكنها لم تفارق فراشها ولم يفارقها توفيق . ومضت أيام ، وصدر الأمر إلى السفينة باستئناف رحلتها . وخاف توفيق أن ينال الفتاة ما نالها أول مرة لو علمت أنه موشك أن يفارقها ؛ فأسر الخبر إلى أمها لتحتال في أمرها ...

ومضى توفيق ليؤدي واجبه في السفينة ، وهو محزونٌ أسوان وكان باقياً على إبحار السفينة ساعات حين جاءه الربان يسأله : «توفيق، إنك تعرف فتاة كانت تريد أن تعمل وصيفة في السفينة؛ فهل يمكن أن تدعوها الآن ؟ إن إحدى وصيفاتنا مريضة وقد غادرت السفينة إلى المستشفى ونحن في حاجة إلى بديل ! »

ولم يتلبث توفيق ؛ فما هو إلا أن أسرع إلى صديقته يدعوها ، وأبحرت السفينة وعلى ظهرها الحبيبان ...

وكانت على رصيف الميناء امرأة عجوز تلوح بمنديلها !

***

توفيق وأخته ، هكذا كان يعرفهما ركاب السفينة جميعاً : الملاحون والركاب

ومضت السفينة بهما تشق البحار من الشرق إلى الغرب ، ومن الجنوب إلى الشمال ، ينعمان بالحب وسعادة اللقاء ، لا يظنان أن سيفرق بينهما شيء . وتمازجت روحاهما حتى ليس بينهما سر ، وسالمتهما الليالي ... ومضت سنوات ...

وكانا في أحد الموانئ حين جاءت الفتاة برقية بأن أمها تحتضر ! . وكان الفراق ؛ وباعدت الحادثات بينهما ، ولكنه لم ينس ، ولكنها لم تنس ؛ فإنه ليكتب إليها وإنها لتكتب إليه !

وفعل به الفراق ما فعل حتى لا قرار له ؛ فليس له أمنية من بعد إلا أن يعود ما كان ! وتصرمت السنون، والفتى في حنين دائم وشوق لا يُغلَب !

***

وحنَّ توفيق إلى أهله ، فآثر العمل في شركة مصر للملاحة ليكون جهاده لبلاده ؛ ولم ينس « حقيبة الذكريات » فإنها لمعه أين يكون ؛ يستروح منها نسمات الحب ويأنس إليها في ساعات الوحشة ...

ومضت الباخرة « زمزم » تتهادى من ميناء السويس في طريقها إلى «جدة» في ديسمبر سنة ١٩٣٨ وعلى ظهرها الملاح « توفيق » ثم أرستْ ، وركب الحجاج الفلك إلى رصيف ميناء جدة ، ومعهم توفيق مُحْرِماً بالحج

وطاف الحجيج بالبيت ملبين ضارعين ، ووقف الفتى حيث بدأ الناس ، لا يتقدم ولا يتأخر ؛ وحضرته الذكرى فرأى كتابه منشوراً على عينيه بما فيه من خطايا وآثام ؛ وهمَّ يرفع رأسه



هل تصبح أوربا ولايات متحدة نازية

[ملخصة عن « ذي ساين » نيويورك]

إذا انتصرت ألمانيا فى الحرب الحاضرة، فليس لهذا الانتصار غير نتيجة واحـدة : هى أن تصبح أوربا ولايات متحدة نازية . فهل وازن مستشارو دول وسط أوربا هذا الاحتمال ؟ أم أنه مجرد وهم وتخمين ؟ لقد طرحت هذا السؤال للبحث مع عضوين من كبار رجال السلك السياسى البريطانى . أحدهما يقيم فى (صوفيا) والآخر (بيودابست) .

فجاء فى حديث الأول عن الدول البلقانية : أن كل إنسان فى الجنوب الشرقى لأوربا يشعر بأنه مهدد بالموت من يوم لآخر . فقد أصبحت ألبانيا خنجراً مصوباً إلى قلب البلقانيين . وسواء أكانت السلم أم كانت الحرب، فلا يخال أحد أن موسلينى يخرج من هذه الأزمة، ولا ينال من الفطيرة نصيبه الأوفى . قد يكون موسلينى أكثر صبراً من هتلر وأبعد نظراً، ولكن مما لا شك فيه أنه أكثر رجال السياسة الحاليين نظراً للواقع . وإذ كان موسلينى مؤسس الإمبراطورية الرومانية الحديثة، فهو على هذا الاعتبار يعد من المهمين بمذهب التوسع

وقد جاء فى حديث الثانى : أن ثمانين فى المائة من تجارة هنجاريا تتقاسمها دول المحور . ويبلغ ما تدفعه ألمانيا إليها فى تجارة الحبوب ضعف ما تدفعه الدول الأخرى

أما إيطاليا فتستورد ما لديها من البرتقال والليمون، وزيت الزيتون والحرير . ولا يصح هنا أن نهمل الصلات الجغرافية والاقتصادية التى تربطها بتلك البلاد . لا شك أن هؤلاء الهنجاريين الذين يبلغ عددهم أحد عشر مليوناً، شعب شجاع منتج ؛ ولكننا ونحن لا نعدو أن نكون أصدقاء نراقب الأمور عن كثب، لا نشك فى أن هنجاريا لا تستبقى اليوم من استقلالها أكثر مما كان للنمسا قبل الحالة التى طرأت عليها أخيراً . إن اليوم الذى يموت فيه الأدميرال (هورثى) وهو فى السبعين من عمره الآن، سيكون علامة لتغيير جوهرى فى حياة تلك البلاد

ومن رأيى أن سادة النازى يقصرون وقتهم للسعى وراء السيادة . وهم اليوم فى حاجة إلى هنجاريا باعتبارها قنطرة بين الريخ والبحر الأسود . وينقل الزيت، والحبوب، والخشب،

فما أطاق، كأنما يحمل أوزار السنين على كاهله ؛ وتندّت عيناه بالدمع ... وتذكر يوم كان ... فتى يخطو إلى العشرين، فى حارة « قصر الشوق » لا يحمل من هم وليس له ماض ؛ فتراءى على أستار الكعبة نادماً يستغفر، وانهملت دموعه على خديه ....

* * *

وعادت « زمزم » تخطر على ثبج الماء، وعلى ظهرها ركابها مهللين داعين ترف على شفاههم بسمات الرضا والاطمئنان !

وعاد توفيق إلى غرفته من السفينة راضياً مبتسما طاهر القلب كما كان يوم ركب السفينة أول مرة من ميناء الاسكندرية منذ تسع سنين ليتعلم الملاحة

ونظر إلى متاعه فرأى ... وكأنما برزت حقيبة الذكريات لعينيه أول ما نظر لترده إلى ذلك الماضى الذى رماه عن كتفيه منذ قريب !

ونازعته الذكرى تخَار عزمُه وأحسَّ فى نفسه الوَهن ؛ واصطرعت فى نفسه قوتان، فماد ينظر إلى الحقيبة بين لهفة وندم وإشفاق، ثم دنا منها فتناولها ومشى بطيئاً ثقيل الخطو حتى بلغ ظهر السفينة ... وطوّح بها وهو يقول : « أيها الماضى الذى كان، إذهب إلى غير مَعَاد ! »

* * *

... وفرغ صديقى من قصته ؛ فما كاد يبلغ نهايتها حتى اختلجت شفته وتندّت عيناه بالدمع ؛ ثم أردف :

يا صديقى ! لقد أذكرتنى ما كنت أريد أن أنساه وحسبتُنى قد فرغتُ من أمره منذ عام وبعض عام ؛ فإنى لأحس الساعةَ أن الجرح الذى اندمل قد عاد يَدْمَى ! ... لا لا، ولكنه ماض قد انطوى وفرغتُ من أمره !

وصمت ساعة، وانطفأ بريق عينيه وأطرق ؛ ثم عاد فرفع رأسه وكأنه عائدٌ من سفر بعيد ... ثم تناول قلمه وبسط بين يديه ورقة وراح يكتب إليها :

« عزيزتى مارتزا !

« ... ... »

محمد سعيد العريان

والمعادن من الشرق إلى الغرب عن هذه الطريق . ويرى هتلر ، وجورنج وفرانك هيس أن الألمان يجب أن يطعموا شيئاً غير البطاطس هذا الشتاء .

وفضلاً عن هذا ، فإن هنجاريا تمد عاملاً قوياً فى نظر النازى للتوغل فى رومانيا . فنى اللحظة التى يشعر فيها الهنجاريون بأن قوى الريخ الحربية من ورائهم سيثيرون العاصفة على الجبهة الرومانية. أما روسيا التى أصبح لها مركز ممتاز فى البلطيق ، فهي تطمع فى توطيد مركزها فى البلقان . فقد كانت فكرة الحصول على نافذة تطل على البحر الأبيض المتوسط حلم رجال السياسة الروسية منذ عهد بطرس الأكبر . ومن السهل مهاجمة القسطنطينية وهى العاصمة السابقة للبلاد التركية من الناحية البرية

وإذا كانت تركيا تقف اليوم بين عدوين قويين ، فإننا لا نستطيع أن نعرف موقف الدتشى فى هذه الظروف . إن الدتشى قد ينذر أو يحذر أو يهدد بالحرب ، ولكنه فى الواقع لا يستطيع أن يتقدم أو يتحرك . إذا جد الجد تبين مواطن الخطر !

إن المشكلة الحقيقية التى يعانيها موسولينى ، هى ارتباطه مع هتلر لإلغاء معاهدة فرساى فى وقت لم يستطع أن يقدر فيه موقف الشعب الإيطالى بإزاء فرنسا التى ارتبط معها بصلات لم تنفصم عراها منذ ١٢٥ عاماً .

إن الوقت والمال يعملان لمصلحة الحلفاء ، ولا شك أن الذهب فى هذه الحروب الطويلة له الغلبة على السلاح . فإذا لم يقدم موسولينى لموازنة القوى ، فقد وصل حليفه أدولف هتلر إلى نهايته

البلشفيون هم فاشيون

[عن مجلة « باريد »]

كتب الصحفى والمؤلف المشهور « فنسنت شيان » مقالاً فى العدد الحديث من « كارنت هستورى » التى تصدر فى نيويورك قارن فيه بين البلشفية والفاشية

ويقول « فنسنت شيان » فى هذا المقال إن البلشفية هى فى الحقيقة نوع من الفاشية فى ثوب اشتراكى خداع . والفاشية قائمة على التغرير بعقول الناس بالادعاءات والوعود الخلابة والآمال التى لا ظل لها من الحقيقة ، فتخلع على العبودية المريرة ضوءاً خلاباً من ألفاظ البطولة والتضحية حتى تكون آلامها ومتاعبها سائغة المذاق إلى حد ما . وقل أن تختلف الوسائل التى تتبع فى ألمانيا عنها فى روسيا ، فالشعب فى كلا البلدين يقوم بأشق الأعمال ويتناول عنها أقل الجزاء . وهكذا أتيح للحكومات الفاشية والبلشفية أن تخدع الملايين من المستعبدين !

إن حجر الزاوية فى الحكم الفاشى هو تمجيد التضحيات القاسية التى تفرض دون حد على الأهلين ، وإخضاعهم للعبودية المقوتة بإذكاء عواطفهم نحو الرقى والتقدم . وقد سار هذا المبدأ بنجاح فى روسيا كما سار فى ألمانيا على حد سواء . وما زال الملايين من العمال فى روسيا ، وكذلك فى ألمانيا ، مسلوبين كل حق . فلا يستطيعون اختيار العمل الذى يريدونه ، أو المكان الذى يسكنون فيه ، ونوع التسلية التى يرغبونها معتقدين ـ وهذا ما يسممون على الدوام ولا يسممون شيئاً غيره ـ بأن هذا هو النوع الرفيع من الحياة التى يجب أن تسود العالم أجمع بفضل جهادهم

ولكن الفاشية روسية كانت أو ألمانية ليست فى الحقيقة نظاماً دولياً عاماً سواء من الناحية الفكرية أو الناحية العملية . بل هى على النقيض من ذلك ، فقد ثبت أنها تقدس العصبية وترفع الوطنية إلى حد لم يسبق له مثيل فى تاريخ العالم

وتعمل الدعاية الروسية بكافة الوسائل لإقناع الشعب بأن حكومة روسيا السوفيتية تمتاز فى سائر أعمالها على حكومات العالم، وأن الشعب الروسى خير من سائر الشعوب ، وأن الجيش الروسى أفضل الجيوش التى فى العالم .

لقد كانت البلشفية التى دعا إليها لينين وتروتسكى على شىء من المنطق ، لذلك كانت غير فاشية ، وكذلك كانت تحمل معنى الدولية أما بلشفية ستالين ، فتبدأ بنظرية « الاشتراكية داخل المملكة المنفصلة »

فإذا فرضنا أن الفاشية أتيح لها أن تتغلب على أوربا ، فسوف لا يستقر لها أمن أو سلام، إذ أن مبادئها القائمة على تأليه الجنس، وتقديس الوطنية ، ودعوى التفوق والامتياز سوف تصطدم بمبادئ الأمم الأخرى التى تزعم لنفسها مثل هذه المزاعم

إن الفاشية لا تحتمل دعوى التفوق أو المساواة من أى شعب من الشعوب . والعقل الفاشى يعتقد كما يقول موسلينى ـ أن السلم ما هو إلا فترة بين الحروب ـ وخير ما تفعله الإنسانية هو أن تقضى هذه الفترة فى التدريب والتأهب على الدوام

فإذا أصبحت أوربا قارة مقسمة بين فاشية ستالين وهتلر وموسلينى ، فمعنى ذلك أن أوربا لا تخرج من الحرب إلا لتعود إليها؛ ولكن الحرب فى هذه المرة لا تكون إلا بين الفاشيين المتنافسين



كتاب كريم

تفضل إمام المسلمين الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الأزهر فقرأ كتاب (وحى الرسالة) ثم أرسل إلينا هذا الكتاب الكريم :

عزيزي الأستاذ أحمد حسن الزيات

إن كثير الثناء عليك ليقل بجانب ما تسديه للأدب والعربية والثقافة من جهد وفضل. فما أنا ببالغ حق الثناء عليك وإن أطلت وتأنقت، ولا حق تقديرك وإن أطنبت وجودت. وعجيب ألا يكون لوحى الرسالة فضل على الرسالة، فما هو إلا جنى أشجارها، وزهرات أغصانها، جمت في باقة واحدة بعد أن كانت متناثرة، وقربت إلى اليد بعد أن كانت متباعدة. ولقد كنت في هذه الفصول مترجماً صادقاً منصفاً للتاريخ فيمن ترجمت لهم من الرجال؛ وكنت مصوراً ماهراً فيما صورت من عيوب المجتمع وآلام الحياة، وأبرزت خفايا النفوس ودبيب الهواجس حتى لتكاد تلمس وتحس؛ وقبل هذا كنت محيطاً إحاطة دقيقة بما عرضت له من بحوث. كل أولئك بأسلوب رصين نقي الجوهر تتصل فيه بأسلافك الأولين من فحول العربية والأدب، ممن أثروا فيك فجريت على سَنَنهم دون أن تقصد، وسرت على نهجهم دون أن تحاكي

ولست أملك بعد إلا أن أدعو لك بحياة طويلة سعيدة يدوم لك فيها الإلهام، فتثابر على رسالتك حتى يقرأ لك الناس مجلدات عديدة من وحى الرسالة

والسلام عليك ورحمة الله

[٦ مارس سنة ١٩٤٠] محمد مصطفى المراغي

غبرات لا غبارات

قال شيخُنا أبو عثمان الجاحظ في « كتاب الحيوان » يذكرُ ما يعرض للكتاب المنسوخ من آفات الناسخين :

« ... ثم يصيرُ هذا الكتاب بعد ذلك لإنسان آخر، فيسير فيه الورّاقُ الثاني سيرةَ الورّاق الأول ؛ ولا يزال تتداوله الأيدي الجانية، والأعراض المفسدة، حتى يصير غلطاً صرفاً وكذباً مُصْمَتاً. فما ظنكم بكتاب يتعاقبه المترجمون بالإفساد، وتتعاوره الخطّاط بشرٍّ من ذلك أو بمثله ... ، كتاب متقادم الميلاد، دهريّ الصنعة »

ولم يزل أئمتنا وعلماؤنا وأصحاب العقل من شيوخنا، يردون الكلام المنقول المكتوب إلى العقل — بعد التحري للفظه المكتوب — اتقاء لما عرفوه من تحريف الناسخين، وانتحال المبطلين وغفلة الجاهلين. ونحن إنما نمضي على سننهم ـ إن شاء الله ـ ولا نقف عند القول نخرُّ عليه تعبُّداً لحرفه، وخضوعاً لنصّه. ولئن فعلنا لمحق الله منا نصف العقل وبقي النصف الآخر متردّداً بين قال فلان وكتب فلان

... وعلى ذلك، فقد صححنا قول ابن شبرمة في رواية صاحب العقد الفريد في العدد (٣٤٧) من الرسالة، فجعلناه « ذَهَبَ العلم إلا غُبَّرات في أوْعية سوء »، ورفضنا نص العقد وهو : « إلا غبارات ». ثم رأيت في البريد الأدبي من الرسالة (٣٤٩) كلمة للدكتور بشر فارس يردّ ما ذهبنا إليه بثلاثة براهين نثبتها بالترتيب من تحت إلى فوق :

الأول : أن الحرف (غبارات) قد وَرَد كذلك في جميع نسخ العقد الفريد المطبوعة، وكذلك في مخطوطة منه بدار الكتب يُظَنُّ أنها كتبت في القرن السادس

الثاني : أن هذا النص يصحُّ لغة وأداء وبياناً. وإذا صحّ كذلك فمن الاستبداد أن يُرَدَّ على الهوى

الثالث : مخالفة نهجنا في ذلك لنهج علماء الفرنجة (المستشرقين)

وجوابنا على الترتيب من تحت إلى فوق :

أننا أدرى بأساليب هؤلاء الأعاجم الذين اتخذوا العربية عملاً من أعمالهم — من أن نخالفهم في الجيّد من مذاهبهم، فتحرير النص ومراجعته على جميع النسخ التي ذكر فيها وما إلى ذلك، عملٌ ضروريٌّ لكل باحث. ولكن هؤلاء الأعاجم تقعد بهم سلائقهم عن معرفة أسرار العربية، فلم يتجاوزوا الوقوف عند النص المكتوب، وذلك لعجزهم عن بيانها. فلما عرفوا ذلك

من أنفسهم ، كان من أمانتهم أن يتوقفوا ، فلا يقطعون برأى فى صواب أو خطأ . وهى أمانة مشكورة لهم

ولكن العربىّ إذا أخذ بأسبابهم ، فلا بُدَّ له من أن يهتدى بعربيته إلى ما عجزوا عنه بأعجميتهم ، فكذلك فعلنا فى كلمة ابن شبرمة وقلنا « إنه نصٌ عربىٌّ مُظلِم النور » . وبيان ذلك أنه ليس من قياس العربية أن يجمع « غبار » على « غبارات » ولا غيرها من الجموع ، وأن ابن شبرمة لم يُردْ تحقيرَ العلم نفسه فيجعل ما بقى منه « غباراً » ، وإنما أراد أنه بقى من العلم شىء هو من صحيح العلم ، ولكنه وقع فى صدور رجال من أهل الباطل يفتنونَ الناسَ يضِلُّ بهم من يضِلُّ إذ يحسبونهم لا ينطقون بباطل ما داموا أصحاب فقه ودين وعلم . ولم تكن الشهادات وألقابها عرفت لعهد ابن شبرمة حتى تكون هى التى تقدر العلماء وتميزهم للناس ، وإنما كانوا يتميزون بالعلم ، فإذا لم يكن عندهم علم لم يعدهم الناسُ فى العلماء . ثم إن الغبارَ لا يمكن أن يُوكَى عليه فى وعاء حتى يصح أن يجمل - ما أغلقت عليه صدورهم من بقية العلم - غباراً . فلو صح نص العقد لكان المراد تحقير العلم وأصحابه جميعاً

وأخيراً ، فنحن نرفض نص العقد من جهة بيان العربية وتحريرها ، ونقول : إنه لا يصح أن يروى إلا هكذا : « ذهب العلم إلا غبرات فى أوعية سوء » . وإذا كان الدكتور بشر أو غيره يريد أن ينحاز إلى رأينا بنص آخر ، فلا بأس علينا أن ندله عليه فقد روى ابن عبد البر فى كتابه « جامع بيان العلم وفضله » — المطبوع فى سنة ١٣٤٦ عن نسختين قديمتين : إحداهما للامام الشيخ الشنقيطى ، وعليها خطه فى الجزء الأول منه (ص ١٥٣ سطر ٦) بإسناده إلى محمد بن سيرين (وليس ابن شبرمة) قال : « ذهب العلم فلم يبق إلا غبرات فى أوعية سوء » . فهذا نص ، وهناك نصوص غيره ؛ فمن شاء أن يبحث فليبحث ، ونصيحتنا إلى من عنده نسخة من العقد - أى الطبعات كانت - فليصححها بالذى أثبتناه ، وما سوى ذلك ، فهو — كما قال — أبو عثمان : غلط صرف وكذب مصمت ... والسلام

محمود محمد شاكر

الأدب الإنجليزى والروح الإنجليزية

ألقى الأستاذ دوفر ويلسون ، أستاذ البلاغة والأدب الإنجليزى فى جامعة أدنبره ، بعد ظهر الإثنين الماضى فى المدرسة الإنجليزية بالأسكندرية ، أولى المحاضرات التى دعى إلى إلقائها من انجلترا ، وكان موضوعها « الأدب الإنجليزى والروح الإنجليزية » فاستهل كلامه بقوله إن بريطانيا استطاعت أن تعمر نصف أقطار العالم ، وإنها تعد مهد الديمقراطية ومؤسسة الصناعات الحديثة ، وفيها نشأ باكون ونيوتن وداروين . وقد تسنمت من الخيال الذروة العليا حيث يتربع شاعرها العظيم شاكسبير كأنه أمبراطور تقدم له أمم العالم فروض الطاعة والولاء

ثم قال إن الأدب الإنجليزى أقدم أنواع الأدب الحديث ، إذ يرجع عهده إلى القرن الخامس الميلادى ، أى قبل أن يجد الإنجليز والسكسونيون طريقهم إلى بريطانيا ، وبين هذا التاريخ وبين غزو النورمانديين للبلاد مضت ستة قرون ، كانت حافلة كلها بالشعر والنثر

وعرض للصفات التى كان يتحلى بها من ترنموا بالشعر فى هذا الحين ، فأبان أنها كانت هى نفسها ما يتحلى به الخلق الإنجليزى الآن ، فالبريطانيون يذهبون إلى الحرب وكأنهم ذاهبون إلى مشاهدة مباراة فى كرة القدم

ثم أبان أن تاريخ الأدب الإنجليزى كان دائماً تاريخاً لقوة هذه الأمة يتمشى مع انتصاراتها فى مختلف الحروب التى خاضتها ، قال : إن أهم الظواهر التى تلفت النظر فيه اعتماده على آداب اللغات فى البلدان الأخرى إلى حد كبير . ولقد ظهرت فى أوربا اليوم اصطلاحات كثيرة كالأوتقراطية والعنصرية ، ومقدرة الدولة على سد حاجاتها بنفسها ، فلم يلفت هذا نظر الشعب الإنجليزى ولم يثر إعجابه ، لأن قوة انجلترا تتوقف على اختلاط أجناسها ومقدرتها على إدماج العناصر الجديدة فيها . لهذا كان قليلاً أن تجد لغات ركب أصلها من عدة عناصر كاللغة الإنجليزية ، وكان أقل من ذلك أن تجد أدباً اعتمد على مختلف المصادر كالأدب الإنجليزى

وقد رد الأستاذ ولسون هذا إلى أن الكتاب الإنجليز نهلوا من كل مورد ، وضرب كثيراً من الأمثلة : فقال : إن الشاعر

العظيم شوسر ، من أكثر شعراء الإنجليز الذين تأثروا بشعر الفرنسيين والطليان . ومنذ عهد الإصلاح إلى مستهل القرن الثامن عشر كان الأثر الرومانى والإغريقى هو السائد فى الأدب الإنجليزى . وفى خلال هذا القرن تلقى الإنجليز أصول الأدب على الفرنسيين . وفى أوائل القرن التاسع عشر كانوا يدينون لألمانيا إلى حد كبير . وفى الوقت الحاضر تدين الدراما الإنجليزية بوجودها للشاعر النرويجى ابسن . وكذلك تأثر كتاب الروايات القصصية من الإنجليز بالكاتب الروسى الشهير دستوفسكى

ثم قال إنه إذا صح القول بأن انجلترا منفصلة عن أوربا ، فإن هذا الوصف لا ينطبق عليها فى الواقع من ناحية الأدب . وقد يكون من متناقض القول أن شعباً كالشعب الإنجليزى عرف بأنه أنجب فى ميادين السياسة والعمل والتجارة رجالاً أفذاذاً لا يكون أيضاً من أوائل الشعوب فى ميادين الأدب بجميع أنواعه

وذكر المحاضر بعد ذلك أن انجلترا لم تتزعم دول العالم فى الصناعة والتجارة فحسب ولكن فى الرياضة أيضاً . وأن الإنجليز فى الوقت نفسه أكثر الشعوب تديناً . وقد يكون أهم ما يلفت النظر عند زائر انجلترا أن يلاحظ أن الشعب الإنجليزى شعب لا يعرف اللهو ، أو هم كما يسمونهم « يلهون بحزن » ولكن قلما يوجد شعب آخر فى بساطة الطفل ووداعته مثلهم

وبعد أن ذكر الأستاذ ويلسون أنه يجوز أن تتحد هذه العناصر من الرياضة والشعر والخوف من الله ، وتؤلف ظاهرة غريبة ، فإن رجال الأدب فى انجلترا هم بدون شك من أشد الناس تمسكا بأهداب الدين والفضيلة قال إن الفلسفة والفضيلة كانتا على الدوام رائد الشعراء الإنجليز فيما أنتجوا . فهذا ملتون كان يعمل فى كتاباته ليظهر للناس طريقهم إلى الله . وكذلك كان يفعل من قبله لانجلاند وسبنسر وبوب ووردزورث وتيسون وبراوننج وغيرهم ؛ حتى شيللى ، ولم يكن يعترف بالله ، كان يبشر فى كتاباته بإنجيل اجتماعى جديد . وقد ابتدأ ذلك منذ العصر الفيكتورى ، وما زال حتى الآن يحمل لواءه أشهر الكتاب الحاليين أمثال برنارد شو وولز وهكسلى

وهناك من يتهم هذا النوع من الكتابة بأنه ليس من الأدب فى شىء ، ولكن الأدب لم يكن فى يوم من الأيام يتوقف على عقيدة الشخص ، وإنما يتوقف على أسلوبه ، وهذه كتابات بانيان التى لا تخرج عن أنها دعاية دينية ، فهى تعد عملاً أدبياً عظيما

ولما كان الإنجليز فى جميع العصور يدينون سياسياً إما بمبدأ الأحرار ، وإما بمبدأ المحافظين ، فإنه ليس غريباً أن كان لهذين المبدأين شأن أى شأن فى الأدب الإنجليزى .

وقد كان شوسر من أصحاب المذهب الأول ، وقد عرف عنه العطف على كل مخلوق ، وإحساس رقيق ، واهتمام خاص بالحياة العادية للرجل العادى فى حين كان معاصره لانجلاند على نقيضه ، إذ كان من أنصار الأحرار الذين يعتقدون بالمثل الأعلى للإنسان

وأما من وجهة شكسبير ، فهى تماثل شوسر ولكن على نطاق أوسع ، فقد كان شكسبير من أشد رجال الأدب الكاثوليكيين فى العالم تديناً

وفى نفس هذا العصر ظهر ميلتون أكبر شاعر بروتستنتى دعا إلى التعصب لمذهب الراديكالية البريطانية فى أوسع حدودها . وكان يعتقد بالقضاء والقدر فى حياة الإنسان .

وبعد أن أبان المحاضر أن هذه التفرقة نفسها قائمة بين أشعار وردزورث وشيللى ، ختم كلامه بقوله : لقد كان للحرية فى كل عصر أنصارها المتحمسون؛ ومع أن ثمن الحرية غال مرتفع، فإن انجلترا قبلت أن تدفعه عن طيب خاطر ولو كلفها ذلك دم أعز أبنائها . ولكى يفهم الأجنبى الروح الإنجليزية على حقيقتها يجب عليه أن يدرس الشاعر وردزورث الذى تتميز أشعاره بإنجليزيتها عن جميع الشعراء

وكما حارب الإنجليز فى عام ١٩١١ الدانمركيين وهم لا يحملون لهم حقداً ولا ضغينة ، كذلك نرى هذه الروح هى المتغلبة عليهم فى جميع حروبهم ، وهى نفسها الروح التى تتسلط عليهم فى حربهم الدائرة رحاها اليوم

اختراع جديد فى طب الأسنان

نشرت المجلة الطبية الأمريكية أن طبيب أسنان من ميشيجان وفق إلى إجراء عمليات جديدة فى جراحة الأسنان ستحدث قريباً ثورة فى عالم طب الأسنان. وتقول المجلة المذكورة إن الطبيب يخلع الأسنان الفاسدة والمسوسة من أفكاك مرضاه؛ وبطريقة خاصة

من اختراعه ردها إلى مكانها من الفك بعد تنظيفها وإزالة الأجزاء الفاسدة والتي مشى فيها السوس

وتماد السن إلى التجويف وتستقر في مكانها الأصلي بواسطة جبيرة من الذهب حتى تنمو حولها اللثة والنسيج . والأسنان التي تعد بهذه الطريقة تصلح للعمل مدة أقلها عشر سنين

حول آلهة الكعبة

قرأت العدد الممتاز من رسالتكم الزاهرة الخاص بذكرى هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فأقدم لكم جميل الشكر والثناء على عنايتكم بهذه الذكرى المباركة ، كما أتقدم بالحمد لحضرات الكتاب الكرام الذين عاونوا على إصدار العدد بما جادت به قرائحهم. بارك الله فيكم وجزاكم عن نبيه وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء

ولقد استوقف نظري عنوان قصيدة الأستاذ الشاعر محمود حسن إسماعيل « آلهة الكعبة » بإضافة آلهة إلى الكعبة . فالتحاور في القصيدة محصور بين مناة واللات والعزى ، وليس واحد من هذه الثلاثة من أصنام الكعبة، بل لم يكن واحد منها داخل الكعبة ولا حولها. فمناة كان منصوباً على ساحل البحر من ناحية المشلل بقديد بين المدينة ومكة . واللات كانت بالطائف وكانت موضع منارة مسجد الطائف اليسرى اليوم . والعزى كانت بواد من نخلة الشآمية يقال له حُراض بإزاء الغمير عن يمين المصعد إلى العراق من مكة : راجع كتاب الأصنام لأبي المنذر هشام بن محمد الكلبي : ص ١٣ و ١٦ و ١٨

وقد يعتذر عن هذا الإبهام بأن إضافة آلهة إلى الكعبة لأدنى ملابسة كما يقول النحويون في مثل هذا، كما قد يقال أيضاً إن ما تضمنته القصيدة إنما هو أسطورة غير واقعية بل خيالية فاضت بها قريحة الشاعر ، وقد أشرتم إلى هذا في الرسالة . غير أنه حدث أن بعض طلاب العلم كانوا يزورونني وأحدهم يسمعني بعضاً من المقالات والقصائد من عدد الرسالة حتى قرأ « آلهة الكعبة » فتبادر إلى ذهن البعض منهم أن هذه الأصنام كانت في الكعبة فصححت لهم ما ظنوا . وتبيّن لي أن ما اشتبه على هؤلاء ربما اشتبه على غيرهم ؛ لذلك رأيت أن أكتب إليكم هذه النبذة إيضاحاً وكشفاً لهذا الإبهام غير المقصود :

ومما يناسب هذا البحث ما رواه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم مكة أبى أن يدخل البيت « الكعبة » وفيه الآلهة ، فأمر بها فأُخرجت ، فأخرج صورة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام في أيديهما الأزلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قاتلهم الله ! أما والله لقد علموا ما اقتسما بها قط ، ثم دخل فكبّر في نواحي البيت . (مسند الإمام أحمد ج ١ ص ٣٣٤)

محمد صبري

إلى الأستاذ إسماعيل أحمد أدهم

قرأت مقالك في عام الفيل وميلاد الرسول فأعجبني رأيك في تحقيق ذلك الميلاد ، وكنت موفقاً كل التوفيق في تأييدك وجود الفيل في حملة الأحباش . وقد أشكل علي في مقالك أمور أعرضها عليك لتتفضل بإيضاحها

١ — ذكرت أن النجاشي كان يرى أن فكرة هذه الحملة خيالية لا يمكن تحقيقها ، فكيف يعلم النجاشي هذا وهو من شعب فطري ، ثم يغيب على الروم وهم أهل علم وثقافة ودراية بفنون الحرب وطبائع البلاد؟

٢ — وذكرت أن مساعدة النجاشي للروم لم تكن ممكنة من جهة الخليج الفارسي ، لأنه لم يكن له أسطول ينقل به جنوده إليه ، مع أنك ذكرت أنه كان للروم أسطول بالبحر الأحمر والمحيط الهندي ، وأن هذا الأسطول هو الذي نقل جنود الأحباش إلى اليمن ، وكانت الأفيال تأتي به إليهم من الهند

٣ — وذكرت أن الأحباش تعرضوا للحجاز بتحريض الروم ، ثم عدت فذكرت أن الأحباش لم يكن قصدهم التعرض للحجاز ، وإنما كانوا يقصدون مساعدة الروم

٤ — ويفهم من كلامك أن المرض والوباء الذي حصل للأحباش عند وصولهم إلى مكة لم يكن بعناية إلهية ، وأن أهل الحجاز هم الذين فهموا ذلك حين فهموا خطأً أن الروم يقصدون هدم الكعبة ، ولكن الأمر في هذا لا يقف عند فهم أهل الحجاز فقد جاء القرآن الكريم موافقاً لما فهموه من تلك العناية ، وذلك في قوله تعالى : (ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ، ألم يجعل كيدهم في تضليل) الآيات

٥ — وقد جعلت الرواية اليونانية تناقض الرواية العربية في سبب حملة الأحباش ، مع أنه لا تناقض بينهما ، والشيء

الواحد قد تتعدد أسبابه ، ولا يضير الرواية العربية أن تجهل أمر سفير الروم إلى النجاشي ، لأن ذلك جرى بين النجاشي وجوستنيان ، ولم يكن العرب في ذلك الوقت في حالة تمكنهم من الاطلاع على هذه السفارة (قارئ)

« سؤال »

جاء في مقال الأستاذ الكبير عبد الله عفيفي بك بالعدد الممتاز « ميراث لا وارث له » :

« وما كان أقوى تلك الطفلة الناشئة عائشة بنت أبي بكر حين اقتحم رجال قريش عليها البيت . . . ولطمها الشريف النذل أبو جهل بن هشام لطمة أطارت قرطها من أذنها لتتكلم فما نطقت إلا بعبرة واحدة سقطت من عينها على الأرض » .

وجاء في قصيدة الأستاذ محمود الخفيف بالعدد نفسه « في الطريق إلى يثرب » :

حيّيا أسماء كالطيف الرفيق   تسرق الخطو على هول الطريق
... ...
يا ابنة الصدّيق هل من نبأ   للرفيقين عن الشرك وثيق
أمسكي عن لطمة فاجرة   طرحت قرطك من وغد صفيق

فيتضح من مقال الأستاذ عفيفي بك أن لطمة أبي جهل كانت لعائشة بنت أبي بكر ، ومن قصيدة الأستاذ محمود أن اللطمة كانت لأسماء . فعلى أي شيء جاء هذا الاختلاف ؟ أسهما أحدهما فأورد القصة على غير ما هي ، أم ماذا ؟

(صا الحجر)   السيد محمد أحمد الفقي

(الرسالة) : الصحيح أن اللطمة كانت لذات النطاقين أسماء ، أما ذكر عائشة فهو سهو

« جواب »

سأل (قناوي) عن كلمة وردت في كتاب « تاريخ الأدب » الذي ألفه مؤلفو وزارة المعارف العمومية ! حيث زعموا أن أبا دهبل الجمحي من شعراء المخضرمين (بين الجاهلية والإسلام) وقالوا إنه مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبياته التي أولها :

إنّ البيوت معادنٌ ، فنجارُه   ذهبٌ وكلُّ بيوته ضخمُ

ونحن نقول إن الأساتذة المؤلفين قد بلغوا الجهد وسلكوا الحجّة واهتدوا بأساليب الثقاتِ من أصحابهم في الاستنباط والتحقيق العلمي ، فأهدوا إلى العربية ما كانت تجهل من ميلاد أبي دهبل الجمحي ! وكان طريقهم إلى ذلك أنهم رأوا في شرح الحماسة للتبريزي ج ٣ ص ٧٥ ما نصه :

« قال أبو دهبل الجمحي – وقالوا يمدح النبي صلى الله عليه وسلم » ثم ذكر الشعر، فاستخرجوا من ذلك أن أبا دهبل مخضرمٌ . وهذا نهايةٌ في التحقيق

أما تحقيقنا فهو يخالف ما ذهبوا إليه، فإنك إذا قرأت شرح هذا البيت رأيت التبريزي يقولُ في شرح قوله « وكلّ بيوته ضخمُ » : « يعني ما اكتنفه من أخواله وأعمامه من بني هاشم وأمية ومخزوم » والتبريزي لا يجهل بلا شك أن بني أمية وبني مخزوم ليسوا من أعمام رسول الله أو أخواله ، وهو يعلم بلا شك أيضاً أن الأبيات في مدح عبد الله بن عبد الرحمن ابن الوليد بن عبد شمس بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم المخزومي (ابن الأزرق) كما جاء في الأغاني ، وهو الذي أعمامه وأخواله من بني هاشم وبني أمية وبني مخزوم

وإذن فصوابُ العبارة في التبريزي على ما نظن : « وقالوا : وهو أحق بمدح النبي صلى الله عليه وسلم » فوقف عليها بعض النساخ فلم يفهمها ، فحذف قوله « وهو أحق » ، فصار الكلام « وقالوا يمدح النبي . . » وصار أبو دهبل في زماننا هذا مخضرماً بعد أن عرفه علماء العربية كل هذه القرون شاعراً أموياً .

(م)

الكتب

من التاريخ الاسلامي

تأليف الأستاذ علي الطنطاوي

« يصدر في الأيام القريبة هـذا الكتاب للأستاذ علي الطنطاوي مصدراً بهذه المقدمة البليغة. ونحن نسارع إلى نشرها تعريفاً بالكتاب وتشويقاً إليه »

لو رجعت إلى أصول هذه القصص التي يشتمل عليها هذا الكتاب، لرأيت أنها لا تجاوز بضع صفحات « من التاريخ الإسلامي » متفرقة في مواضع منه شتى، وفصول مختلفة لا يتنبه إليها القارئ ولا يقف عليها. وليست أروع ما في تاريخنا ولا هي من أروع ما فيه، وإنما هي أخبار عادية استطاع قلم الأديب أن ينسج منها هذه القصص وأن يعرضها على الناس شيئاً جديداً أو هو كالجديد. فكيف إذا تولاها قلم أقوى من هذا القلم؟ وكيف إذا اختار لها مواقف من التاريخ رائعة عظيمة حقاً؟ وإذا كان أصل هذا الكتاب الذي تفرع عنه، وأساسه الذي بني عليه، بضع صفحات من هذا التاريخ العظيم فكم صورة رائعة، وكم قصة بارعة، وكم من الآثار الأدبية الخالدة يمكن أن تخرج من هذا التاريخ؟ أما إن ذلك ليزيد عن العدد ويجل عن الحسبان، وإن السيرة وحدها لتمد الأدب بألف كتاب أدبي ... ولكن أدباءنا لم يردوا هذا المورد!

وليست هذه القصص كاملة ولا هي الثمرة الناضجة لهذه الدوحة الباسقة، ولكنها بواكير ثمارها، وإن فيها لنقائص وعيوباً أدرك أنا الآن بعضاً منها، وإن عشت وقدر لي الله أن أسلك سبيل الأدب سلوك المسافر المطمئن، لا المتعثر الضال، وأراحني من همّ الكد للعيش ونكد الحياة النمطية الجافة « حياة الموظف ». فلأخرجن على الناس بقصص من التاريخ تبكي منها عيون الصخر ويرق قلب الجماد. وإني لأقرأ في التاريخ ما يزلزل شعوري وهو على اختصاره وجموده على أساليب العلماء، فما له لا يصنع الأعاجيب إذا فصل ووسع وطار في آفاق الأدب؟

وإن لنا من تاريخنا لثروة ما لأمة مثلها. لنا منه عالم يفيض بالحب والإخلاص والنبل والتضحية والبطولة والخلود فيه مآس وفيه ملاحم وفيه من كل فن من فنون الأدب.

ولكن عيب هذا التاريخ أنه لنا، وأنه ليس لأمة من « تلك » الأمم الحية، وأن علماءنا — أعني الفقهاء والمحدثين والمفسرين — قد انصرفوا عنه جملة، وكانوا يعدونه إلى عهد قريب من فضول الكلام، ويرون الاشتغال به مضيعة للوقت. ثم إنهم إذا عرفوه لم تقدم معرفتهم به، فيما نحن بصدد الكلام عنه، لأنه ليس لأكثرهم أقلام، ولا بصر لجمهورهم بالأدب، ولا يعرفون من البلاغة إلا حدودها الجافة وتعريفاتها الجامدة التي بقيت في الكتب واشتملت عليها « شروح التلخيص » فهم يعرفون الاستعارة وأقسامها ولكنهم لا يستعيرون؛ ويحفظون أنواع المجاز ولكنهم لا يتجوزون. فاترك العلماء وقف على الشبان الذين اشتغلوا بهذا الفن، وكانوا هم المرجع فيه وكانوا معلميه، ترَ أكثرهم قد تلقى تاريخنا على غير أهله، وقرأه في غير كتبه، ولم يأخذ من التاريخ رواياته، ولا عن الرجال نقولهم، ولكن أخذ آراءهم وأغراضهم وحسب أن التاريخ يكون بالعقل، وأنه يرتجل ارتجالاً، ونسي أو هو لم يعرف أن العقل لا يصنع في التاريخ شيئاً إن لم تكن معه الرواية، وأن القيمة فيه للنص الصحيح، وأن نصوص التاريخ عندنا لا عند غيرنا ... والبلية بهذا النفر من الناس كبيرة. ثم إن هؤلاء كلهم أو من عرفنا منهم لا يكتبون ولا يبينون عن أنفسهم، وأنهم في البعد عن الأدب كالعلماء، إلا أن العلماء حفظوا قواعد النحو والصرف والبلاغة، وقرأوا فيها الشروح الضخمة والحواشي، وهؤلاء استراحوا من ذلك كله ... بقي الأدباء فاسأل الأدباء، أن ما حال بينكم وبين التاريخ وما منعكم أن تمدوا أيديكم إلى هذا الكنز العظيم؟ وانظر ماذا يقولون!

***

على أن من الإنصاف أن نقرر أن هذا التاريخ الذي انصرف عنه علماؤنا وعدّوه من فضول الكلام، وأخذه شبابنا من غير مأخذه، إنما هو التاريخ السياسي، تاريخ الملوك

والأمراء ، والحروب والوقائع ، وهو أضعف جانب فى تاريخنا — على قوته وعظمته إذا قيس بتواريخ الأمم الأخرى — أما التاريخ القوى حقاً ، الحافل بالأمجاد الطافح بالعظمة فهو تاريخنا العلمى الذى عنى به العلماء بعض العناية ، وانصرف عنه الشبان الانصراف كله ، ولم يكونوا منه فى قليل ولا كثير ، لأن دراسته تحتاج إلى آلات لا يملكونها ، من اطلاع على اللغة وتمكن منها ، إلى معرفة بمصطلحات أهل الحديث والفقه ، إلى وقوف على التفسير ومعرفة بالأثر ؛ فإذا عرضوا له على جهل بهذا كله ، فإنما يعرضون نفوسهم إلى الفضيحة وانفضاح الجهل كما افتضح من هو أعلم منهم ، من « أولئك » القوم ، واتضح جهلهم ، وظهرت أغراضهم . إن تاريخنا القوى حقاً العظيم الماجد هو التاريخ العلمى ، تاريخ الرجال . وابدأ فيه بسيرة سيد البشر ومعلم الخير سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم التى ألفت فيها المئات من الكتب، ثم عرج على سير الصحابة فاقرأها فى الإصابة أو فى أسد الغابة أو فى الاستيعاب ، ثم انظر العمل الذى قام به مؤرخو رجال الحديث، ومبلغ ماوصلوا إليه من الإحاطة والتدقيق والصدق، وانظر هل أفلت منهم خبر ، أو خفيت عليهم حقيقة . وهل صنع علماء أمة كانت أو تكون كالذى صنعوا ، أو تصوروا إمكان هذا الصنيع المعجز الهائل ؟ لقد صنفوا فى الرجال الكتب الجامعة ، وأفردوا الضعاف والمتروكين بالتأليف ، ووضعوا الكتب فى ضبط الأسماء وبيان ما تشابه منها وما اشتبه وبحثوا فى تواريخ الوفاة ، وحققوا الأسانيد ... ثم انظر ما ألف من كتب لرجال فى سائر العلوم والفنون ، كطبقات الأطباء وأخبار الحكماء ، والنحاة ، والأدباء ، وفى المذاهب كتاب السبكى الجليل القيم ، طبقات الشافعية ، والديباج فى أعيان المذهب المالكى ، وطبقات الحنابلة والحنفية ، وما ألف منها فى المدن كتاريخ بغداد الذى ترجم لكل من دخل بغداد فلم يبق ولم يذر ، والكتاب الذى لم يؤلف فى بابه مثله كتاب ابن عساكر العجيب الذى عجزت دمشق عن طبعه ونشره ... وما ألف بحسب العصور ، وعندنا سلسلة كاملة لأعيان كل عصر من العصر السابع إلى الثانى عشر الهجرى ، وما كان منها جامعاً كوفيات الأعيان الكتاب النفيس الممتاز ، وغير ذلك مما يتعسر الإحاطة به ، وتقصى خبره فى مثل هذا المقام ، وفى كل صفحة من هذه الكتب مبعث إلهام للأديب ، وأصل قصة للكاتب ، وكنز من كنوز العقل والقلب لا يفنى

ومعلمو التاريخ لا يدرون بهذه الكتب ولا يعرفونها ، بل هم ينفّرون منها على جهل بها ، وينعتونها بالكتب الصفراء . وإذا عرفوا المشهور منها لم يعرفوا التفريق بين رواياته ، ولا دراية لهم برجاله . وإذا وقع أحدهم على خبر فى تاريخ الطبرى أو ابن الأثير طار به فرحا ، يحسبون أن كل ما بين دفتى الطبرى فى درجة واحدة من الصحة ، مع أن الطبرى يروى القوى الثابت من الأخبار وما دونه ، وهو حين يذكر سند الرواية يسقط عن نفسه تبعتها . وعليك أنت أن تعرف السند الموثوق به من السند الواهى — ومن الرجال من هو معروف بالكذب كابن الكلبى — ومع ذلك فقد رأينا مدرساً من « هؤلاء » المدرسين يعتمد عليه فى رواية عرضها ابن الكلبى بصيغة التضعيف ، ويقرر لتلاميذه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يسجد للأصنام فى الجاهلية ، وأن ذلك معنى قوله تعالى : « ووجدك ضالا فهدى » . ومنهم من ادعى حل الخمر عند فقهاء العراق ظناً منه أن النبيذ معناه الخمر المعروف . . .

ومما يقع فيه « هؤلاء » المعلمون الذين يحملون يداً فيها « الشهادة الرسمية » ورأساً مثل فعل (قال) فى الصرف ... أنهم لا يعرفون درجات الحديث ولا مصطلح أهله . وهم لذلك يروون الحديث الموضوع على أنه صحيح ، ويأخذون الأحاديث من كتب الأدب والمحاضرات . ولقد قرأت فى كتاب لأدب من أدباء هذا العصر نسبة حديث إلى الصفحة (كذا) من كتاب الأغانى ، وإثباته ذلك فى حاشية الصفحة كما يعزو العالم إلى « البخارى » أو « مسلم » !

وأكثر « هؤلاء » المعلمين ، يدرّسون التاريخ بالهوى ، ويسيرون فيه بالغرض ، ويضعون النتائج أولاً ، ثم يختلقون لها المقدمات ، فعل أساتذتهم من المستعربين . فالشيوعى منهم يدرس التاريخ بهوى شيوعيته ويسوقه مساق هواه ، ولو جار على الحق أو خالف الرواية ؛ والقومى « النازى » يبحثه بقوميته وإلحاده ، فيكذب فيه على الواقع بقول بأن العرب كانوا بالغين ما بلغوه ولو لم يأتهم الله بالإسلام ، وأن الإسلام فرع من العروبة ، ويعوّ على

ضعاف المعقول بقوله : « نحن عرب قبل أن نكون مسلمين » مع أن العرب ما كانوا شيئاً لولا الإسلام ، وأن تاريخ العرب الحق يبدأ بسيد كل عربي خاتم الأنبياء محمد رسول الله إلى الناس كافة ، الذي قال : « لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى » . وقديماً حرف التاريخ ذوو الأغراض والنحل وصرفوه إلى غاياتهم وأغراضهم .

***

وبعد فهذه طائفة قليلة من القصص التاريخية ، ليست كاملة ولا مبرأة من العيوب ، ولكنها باكورة الثمار وهي مكتوبة في أزمنة مختلفة ففي أسلوبها تفاوت ، ولعل الله يوفق إلى الثمار الناضجة ، ويكتب لنا والمشتغلين النجاح ، ويلهم الكسالى العمل ، ويجعل منا أمة كالأمة التي كتبت بفعالها هذا « التاريخ العظيم » .

الثانوية الأولى (دمشق) — علي الطنطاوي

رضا شـــــاه بهلوى

تأليف الأستاذ أحمد محمود الساداتي

بين مصر وإيران صلات تاريخية عريقة ، وقد توثقت هذه الصلات بالمصاهرة الكريمة بين الأمتين الخالدتين ، وكان أن انتهزها الكتاب والباحثون فرصة حميدة للاشادة بمجد الشعبين ، وتمكين التعارف بينهما تعريفاً رباطه الدين والعلم ، وقوامه الآمال المشتركة ، والأغراض المتفقة ، وغايته المودة والأخوة الكاملة

وهذا الكتاب الذي كتبه الأستاذ الساداتي إنما هو ثمرة من تلك الثمرات الطيبة ، فقد أراد أن يشيد برجولة رضا شاه بهلوى وما قام به نحو شعبه من ضروب الإصلاح ، ولكنه رأى من حق البحث أن يرجع إلى الماضي السحيق يستقبل تاريخ إيران من عهد الإمبراطورية القديمة ، ثم الإمبراطورية الوسطى ، ثم ما كان من شأن آل ساسان ، وما زال يتدرج في البحث حتى انتهى إلى نهضة إيران الحديثة ، وما كان يصطرع فيها من نزاع بين الشرق والغرب ، والجمود والتقدم ، والرجعية وروح الإصلاح ؛ ثم ما كان من جهود رضا شاه بهلوى في إنقاذ بلاده والسير بها في سبيل الرقي والتقدم حتى بلغت إلى ما وصلت إليه وما زالت تواصل الجهود ...

فهذا الكتاب في الواقع هو كما يقول الدكتور عبد الوهاب عزام في تقديمه : يتضمن طرفاً من تاريخ إيران وجغرافيتها وأحوالها الحاضرة ، وهو يجدي كثيراً على قراء العربية في التعريف بأمة إسلامية لها مكانتها في ماضي الإسلام وحاضره ، ويعد فاتحة طيبة لكتب أخرى تفصل الكلام في تاريخ إيران ومكانتها بين الأمم عامة ، وصلاتها بالأمم الإسلامية خاصة ، وحسب الأستاذ الساداتي أنه السابق

ولا شك أن الأستاذ الفاضل قد وجد عناء كبيراً في كتابة كتابه ، لأن المصادر التي تناولت تاريخ إيران فيها كثير من الشبهات وبعضها قد كتب بروح التعصب ، وخصوصاً ما كتبه الاستعماريون الذين حقدوا على إيران في نهضتها وأزعجتهم جهود رضا شاه فراحوا يزعمون عنه الأراجيف والأكاذيب ، وقد اجتهد الأستاذ في الابتعاد عن هذه الشبهات ، وحرص على تخير الصحيح الثابت من الروايات ، وهذه لا شك مهمة تحتاج إلى كثير من الذكانة والحذر والفطنة التي تنفذ إلى ما وراء الظواهر .

﴿ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى — عابدين ﴾

8me Année No. 351

Lundi - 25 - 3 - 1940

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع البدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
ــــ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــــدد ٣٥١ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٦ صفر سنة ١٣٥٩ — الموافق ٢٥ مارس سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

صفحة الفهـــرس

التبشير عدو للسلام

وهو فى مصر عمل لا يليق

كان التبشير والتجارة رائدَى الإستعمار السياسى منذ اعتزم الغرب الطموح الإغارة على الشرق الغافل . وكان التبشير أشد الرائدين تدخلاً فى شؤون الناس، وتغلغلاً فى أصول المجتمع، لما تهيأ له من شتى الوسائل فى التعليم والتطبيب والتمريض والاستشراق والخدمة العامة ، فاستطاع أن يُرهج بين الأمة المتحدة العبار الخانق، ويزرع بين الملة الواحدة الزرع الخبيث ، ويخلق فى كل شعب من شعوب الشرق بالعصبية الدينية والتربية المذهبية قِلةً حاقدة تعارض الكثرة فى الرأى، وتخالفها فى الهوى، وتغرى بها الشر، وتمالئُ عليها العدو، وتحاول أن تتحيز فى السكن والعمل، وتتميز بالشعار والجنس ، فلا تكون من قومها فى دنيا ولا آخرة

ليس التبشير بهذا المعنى ولهذا الغرض من ألسنة الدين ولا من سبل الحق ؛ فإن الدين مهما تعددت أسماؤه وغيّر فيه أبناؤه لا يزال فى حقيقته الحبل الذى يصل به الله من انقطع ويجمَع عليه من تفرق . وإن الحق مهما تفرقت سبله وتنوعت وسائله لا تزال له غاية واحدة يهتدى إليها من ضل ، ويتوافى عليها من تأخر . وإذن لا يكون هذا التبشير القاطع

المفرق إلا وسيلة من وسائل السياسة الماكرة ، أو حيلة من حيل العيش الرخيص

وأعجب العجب أن الدول الديمقراطية الثلاث هي التي تحضن هذا النظام الطفيلي وتموله وتقوده وتحميه . وكان أقرب الظن بها أن تنكره بعد ما أمكن الشرق من يده وخلي بينها وبين ميراثه ؛ فإن السلام والوئام والحب هي التي تقرب إليها من تسوس، وتحفظ عليها ما تملك . وهؤلاء المبشرون الذين اضطرهم اليأس أو البؤس أو العجز إلى الاتجار بالدين والعيش على ضلالات العقول وحزازات النفوس وسفاهات الألسن ، لا يستطيعون أن يبذروا غير الخلاف ، ولا أن يحصدوا غير الضغينة

***

إن ميدان الدعوة إلى الله لا يكون بالطبيعة إلا في بلاد الوثنية والجهالة . هنالك يجد المجاهدون في سبيل الحق والخير ملايين من عُمى القلوب يخبطون الظلام ويطأون الشوك ويعانون الحيرة ويكابدون الذنوب ؛ فيخرجونهم إلى نور الله ويلحقونهم بركب الإنسانية . ولكننا لا نرى جمهرة المبشرين ولا معركة التبشير إلا في مصر ، كأنما انحصر جهد هؤلاء المتعطلين في فتون المسلم عن دينه ، وإخراج المسيحي عن مذهبه ! فهل حسب أولئك الناس أن الإسلام بالنسبة إلى المسيحية كفر ، وأن الأرثذكسية بالقياس إلى البروتستانتية فسوق ؟ لا يمكن أن يقع هذا في حسبان عاقل ؛ والقوم قد جاوزوا العقل والفطنة إلى الدهاء والخبث ؛ فهم أكيس من أن يجهلوا حقيقة الإسلام وينكروا أثره الإلهي المحمدي في تكريم الإنسان وتنظيم العيش وإصلاح الأرض ؛ ولكن الأشبه بالحق أنهم اطمأنوا إلى العيش الغرير في ظلال النيل، فأمنوا وسمنوا وخاروا، وعز عليهم أن يبعدوا عن مَصابّ الدولار والجنيه والفرنك في بنوك القاهرة ، فأدخلوا في روع الشيوخ والعجائز من المؤمنين الثرين في أوربا وأمريكا أن البلد الذي يقوم فيه الأزهر هو المكان الذي لا يزال يصاب فيه المسيح . واستعانوا على خديعتهم بما افتراه قساوسة القرون الوسطى على الإسلام من الزور الغبي والكذب الأحمق . وأوهموهم أنهم إذا أمدوهم بالمال ورفدوهم بالنفوذ جندوا الجنود، وأحكموا الخطط، وهجموا على الإسلام فصرعوه في عقر داره من أجل ذلك كان المبشرون حِراصاً على أن يجمعوا الأزهريين للمناظرات أو المحاضرات بشتى الحِيَل ؛ فإذا ما اجتمعوا أخذوا صورهم في أروقة الكنائس أو في أفنية المدارس ، ثم بعثوا بها إلى مرسليهم ومموّليهم مدسوسة بين صحيفتين بارعتين إحداهما تبشر بتنصير (العلماء) ، والأخرى تلح في مضاعفة الجزاء !

وفي سبيل أن ينعم المبشرون بالطعام الدسم ، والشراب السائغ ، والفراش الوثير ، والفراغ الوادع ، تتمزق العلائق بين الإخوة في النسب والوطن والعقيدة ، وتكون الجفوة بين المسلم والقبطي في مصر ، وبين المسلم والماروني في لبنان !

***

إن التبشير عدو للسلام، لأنه تأريث للعداوة وتشتيت للوحدة في غير طائل . وهو في مصر عمل لا يليق ، لأنه إهانة وتحة لدينها وعقلها ، وإن لها في تاريخ الحضارة والثقافة والمجد صفحات لا يزال إشراقها السماوي يضيء جوانب الحاضر ويبدد غياهب المستقبل

لقد آن للديمقراطيات التي تقاتل عصبية الجنس في ألمانيا ، وتناضل عصبية المذهب في روسيا، أن تخلص سياستها من عصبية الدين ؛ فإن ذلك أخلق بالسلام الأدبي الدائم الذي تحارب الطغاة على سلطانه ، وتريد أن تقيم العالم الجديد بعد الحرب على أركانه

إن للتبشير في مصر فواجع لا تزال الضلوع محنيّة منها على نار. ولعل أرمضها للقلب وأبعثها للدمع مأساة ابنة الوزير الذي حال المبشرات بينه وبينها بالقوة لأنها نذرت نفسها للمسيح ، ثم أخفوها عن العيون حيناً من الدهر ، ثم نقلوها على رغم الأسرة والحكومة إلى فرنسا فانقطعت الأسباب بين أهلها ودينها ووطنها إلى الأبد !

***

ذلك ما خطر لي أن أكتبه ساعة قرأت ما كتبته مجلة التبشير الدولية عن حركة التنصير في مصر . وإن في ذلك المقال الخبيث من اقتراح تأليف مجلس مسيحي وطني لتنظيم التبشير وتعميمه في المدن، وإنشاء المدارس الإلزامية لفتنة الصبية والأيفاع في القرى، لَبلاغاً للقائمين على سلامة التربية وحماية العقيدة من لصوص الضمائر وشياطين القلوب !

احمد حسن الزيات

عبقرية محمد الادارية

للأستاذ عباس محمود العقاد

فى الإسلام أحكام كثيرة مما يدخل فى تصرف رجال الإدارة كما نسميهم اليوم

وفيه وصايا كثيرة عن المعاملات ، كالمساقاة والمبايعة والاستقراض والشفعة والتجارة وسائر شؤون المعيشة الاجتماعية يقتدى بها المشترعون فى جميع العصور

ولكننا لا نريد بما نكتب عن النبى أن نسرد أحكام الفقه ونبسط وصايا الدين ، فهى مشروحة فى مواطنها لمن شاء الرجوع إليها

وإنما نريد أن نعرض لأعماله ووصاياه من حيث هى ملكات شخصية وسلائق نفسية تلازمه حيث كان مؤدياً لرسالة الدين ، أو مؤدياً لغير الرسالة من سائر أعمال الإنسان

كذلك لا يعنينا مثلاً أن نتكلم عن « الإدارة » كأنها نصوص المنشورات و « اللوائح » التى تدار بها الدواوين وتجرى عليها تفصيلات الحركة فى مكاتب الحكومة ، فإن هذه وما إليها هى أعمال منفذين مأمورين وليست أعمال مديرين آمرين

وإنما نعنى الملكة الإدارية من حيث هى أساس فى التفكير من اعتمد عليه استطاع أن يقيم بناء الإدارة كلها على أسس قويمة ، ثم يدع لغيره تفصيلات الأضابير والأوراق

فليس فى وسع رجل مطبوع على الفوضى مستخف بالتبعة أن يؤسس إدارة نافعة ولو كان فيما عدا ذلك كبير العقل كبير الهمة

أما السليقة المطبوعة على إنشاء الإدارة النافعة فهى السليقة التى تعرف النظام وتعرف التبعة وتعرف الاختصاص بالعمل ، فلا تسنده إلى كثيرين متفرقين يتولاه كل منهم على هواه

وقد كانت هذه السليقة فى محمد عليه السلام على أتم ما تكون

كان يوصى بالرياسة حيثما وجد العمل الاجتماعى أو العمل المجتمع الذى يحتاج إلى تدبير . ومن حديثه المأثور : « إذا خرج ثلاثة فى سفر فليؤمروا أحدهم » . ومن أعماله المأثورة أنه كان يرسل الجيش وعليه أمير وخليفة للأمير وخليفة للخليفة إذا أصيب من تقدمه بما يقعده عن القيادة

وكان إلى عنايته بإسناد الأمر إلى المدبر القادر عليه حريصاً على تقرير التبعات فى جميع الشئون ما كبر منها وما صغر على النهج الذى أوضحه صلوات الله عليه حيث قال : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته . فالأمير الذى على الناس راع وهو مسئول عن رعيته ، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عنهم ، والمرأة راعية على بيت بعلها وهى مسئولة عنه ، والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه . ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته »

وقد كانت أوامر الإسلام ونواهيه معروفة لطائفة كبيرة من المسلمين أنصاراً كانوا أو مهاجرين ، ولكنه عليه السلام لم يترك أحداً يدعى لنفسه حقاً فى إقامة الحدود وإكراه الناس على طاعة الأوامر واجتناب النواهى غير من لهم ولاية الأمر وسياسة الناس

فلما قتل بعض المسلمين غداة فتح مكة رجلاً من المشركين غضب عليه السلام وقال فيما قال من حديثه المبين : « ... فمن قال لكم إن رسول الله قد قاتل فيها فقولوا إن الله قد أحلها لرسوله ولم يحللها لكم يا معشر خزاعة ... »

ولما أراد أن يصادر الخمر نهج فى ذلك منهجاً يقصد به إلى التعليم والاستئنان كما جاء فى رواية ابن عمر حيث قال :

«أمرنى النبى صلى الله عليه وآله وسلم أن آتيه بمدية ، فأتيته بها . فأرسل بها فأرهفت ثم أعطانيها فقال اغد على بها . ففعلت ، فخرج بأصحابه إلى أسواق المدينة وفيها زقاق الخمر قد جلبت من الشام . فأخذ المدية منى فشق ما كان من تلك الزقاق بحضرته ثم أعطانيها، وأمر الذين كانوا معه أن يمضوا معى ويعاونونى، وأمرنى أن آتى الأسواق كلها فلا أجد فيها زق خمر إلا شققته ففعلت ، فلم أترك فى أسواقها زقاً إلا شققته »

وهذا تصرف المدبر بعد تصرف النبى الذى يبين الحرام ويبين الحلال

فالخمر شربها وبيعها ونقلها حرام يعلمه جميع المسلمين من تفقه منهم ومن لم يتفقه فى الدين ، ولكن المحرمات الاجتماعية ينبغى أن تكون فى يد ولى المسلمين لا فى يد كل فرد يعرف الحلال والحرام . وليست المسألة هنا مسألة تحريم وتحليل ولكنها مسألة إدارة وتنفيذ فى مجتمع حافل يشتمل على شتى المصالح والأهواء

ولا يصاب ببلاء هو أضر عليه من بلاء الفوضى والاضطراب واختلاف الدعاوى وانتزاع الطاعة وتجاهل السلطان؛ فلم يكتف النبي بصريح التحريم فى القرآن، ولا اكتفى بإسناد الأمر إلى غير معروف الصفة فى تنفيذ الأحكام، بل خرج بنفسه ثم أمر رجلاً بعينه وأناساً بأعينهم أن يمضوا فى إتمام عمله، ولم يجعل ذلك إذناً لمن شاء أن يفعل ما شاء

وما أكثر ما سمعنا فى أيامنا الأخيرة عن الأمن والنظام، وتوطيد أركان الشريعة والقانون، ولكننا لا نعرف فى كل ما قيل كلاماً هو أجمع لوجوه الصواب فى هذه المسألة من قول النبي: «السمع والطاعة حق مالم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة» ومن قوله فيما رواه عبادة بن الصامت «... ألا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بَواحا عندكم من الله فيه برهان» ومن قوله: «الإمام الجائر خير من الفتنة، وكلٌ لا خير فيه. وفى بعض الشر خيار» ومن قوله: «إن الأمير إذا ابتغى الريبة فى الناس أفسدهم» إلى أحاديث فى هذا المعنى هى جماع الضوابط التى تقوم عليهـا الإدارة الحكيمة، والخطط السليمة المستقيمة، بين آمر ومأمور: نظام وفوق النظام سلطان، وفوق السلطان برهان من الشرع والعقل لا شك فيه، وجميع أولئك على سماحة لا تتعسف النزاع ولا تتعسف الريبة ولا تلتمس الغلواء

هذا الإلهام النافذ السديد فى تدبير المصالح العامة، وعلاج شئون الجماعات، هو الذى أوحى إلى الرسول الأمى قبل كشف الجراثيم، وقبل تأسيس الحجر الصحى بين الدول، وقبل العصر الحديث بعشرات القرون، أن يقضى فى مسائل الصحة واتقاء نشر الأوبئة بفصل الخطاب الذى لم يأت العلم بعده بمزيد، حيث قال: «إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها»

فتلك وصية من ينظر فى تدبيره إلى العالم الإنسانى بأسره لا إلى سلامة مدينة واحدة أو سلامة فرد واحد. إذ ليس أصون للعالم من حصر الوباء فى مكانه، وليس من حق مدينة أن تنشد السلامة لنفسها أو لأحد من سكانها بتعريض المدن كلها لعدواها

***

على أن الإدارة العليا إنما تتجلى فى تدبير الشؤون العامة حين تصطدم بالأهواء وتنذر بالفتنة والنزاع، فليست الإدارة كلها نصوصاً وقواعد يجرى الحاكم فى تنفيذها مجرى الآلات والموازين التى تصرف الشؤون على نسق واحد، ولكنها فى كثير من الأحيان علاج نفوس وقيادة أخطار لا أمان فيها من الانحراف القليل هنا أو الانحراف القليل هناك

وذلك هو المجال الذى تمت فيه عبقرية محمد فى حلول التوفيق واتقاء الشرور أحسن تمام. فما عرض له تدبير أمر من معضلات الشقاق بعد الرسالة ولا قبلها إلا أشار فيه بأعدل الآراء، وأدناها إلى السلم والإرضاء

صنع ذلك حين اختلفت القبائل على أيها يستأثر بإقامة الحجر الأسود فى مكانه، وهو شرف لا تنزل عنه قبيلة لقبيلة، ولا تؤمن عقبى الفصل فيه بإيثار إحدى القبائل على غيرها ولو جاء الإيثار من طريق المصادفة والاقتراع فأشار محمد بالرأى الذى لا رأى غيره لحاضر الوقت ولمقبل الغيب المجهول. فجىء بالثوب ووضع الحجر الأسود عليه وأشرك كل زعيم فى طرف من أطرافه، وكان من قسمته هو على غير خلاف بين الناس أن يقيمه بيده حيث كان، وأن يتسلف الدعوة وهى مكنونة فى طوايا الزمان، ولو علموا بها يومئذ لما سلموا ولا سلم من عدوان وشنآن

وصنع ذلك يوم هاجر من مكة إلى المدينة فاستقبلته الوفود تتنافس على ضيافته ونزوله وهو يشفق أن يقدح فى نفوسها شرر الغيرة بتمييز أناس منهم على أناس أو اختيار محلة دون محلة، فترك لناقته خطامها تسير ويفسح الناس لها طريقها حتى بركت حيث طاب لها أن تبرك، وفصلت فيما لو فصل فيه إنسان كبير أو صغير لما مضى فصله بغير جريرة لا تؤمن عقباها بعد ساعتها ولو أمنت فى تلك الساعة على دَخل وسوء طوية

وصنع ذلك يوم فضّل بالغنائم أناساً من أهل مكة الضعيف إيمانهم على أناس من الأنصار الذين صدقوا الإسلام وثبتوا على الجهاد. فلما غضب المفضولون لم يكن أسرع منه إلى إرضائهم بالحجة التى لا تغلب من يدين بها بل تريه أنه هو الغالب الكاسب، وأنها تصيب منه المقنع والإقناع فى وقت واحد: «... أوجدتم يا معشر الأنصار فى لُعاعة من الدنيا تألفت بها قوماً ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم؟ ألا ترضون يا معشر

الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله إلى رحالكم ؟ فوالذى نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار . اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار . . . »

كلام مدبر فيه الإدارة والرياسة هبة من هبات الخلق والتكوين ، فهو مدبر حين تكون الإدارة تدبير أمور ، ومدبر حين تكون الإدارة تدبير شعور ، وهو كفيل ألا يلى مصلحة من المصالح تمتورها الفوضى ويتطرق إليها الاختلال ، لأنه يسوسها بالنظام وبالتبعة، وبالاختصاص وبالسماحة. وما من مجتمع يساس بهذه الخصال ويبقى فيه منفذ بعدها لاختلال أو انحلال ، أو لخطل فى إدارة الأعمال .

عباس محمود العقاد

ليلة نابغة !

للدكتور زكى مبارك

أخى الأستاذ الزيات :

فى نيتى أن أريح قراء « الرسالة » من شطحات قلمى شهراً أو شهرين لأفرُغ لواجبات أدبية لا يصح معها الانشغال بمواجهة القراء من أسبوع إلى أسبوع، وهى واجبات كواجبات الفراء[1]

وقبل أن أشرع فى تناسى الشوق إلى قرائى ، وهو تناسٍ موجع ، أصوِّر لك ولهم ما وقع بينى وبين الأستاذ لطفى جمعة ليلة المناظرة بكلية الآداب ، وكانت مناظرة عنيفة لا يزال صداها يقرع سمعى فيبدِّد ما أشتهيه من الأنس بالهدوء والصفاء

وما ذكرتُ تلك المناظرة إلا جزعتُ ، وتولانى الندم على الاشتراك فى جدال يضيق به صدر الغالب والمغلوب ، لأنه لم يمض بلا هنوات مزعجات

ولهذه المناظرة تاريخ :

سألنى فريق من أعضاء اتحاد كليـة الآداب أن أشترك فى مناظرات هذا الموسم ، وعرضوا علىَّ طوائف من الموضوعات لم يرقنى منها غير موضوع :

« يزدهر الأدب فى عصور الفوضى الأخلاقية »

ولكنى اقترحت أن يُعدَّل فتوضع « الفوضى الاجتماعية » مكان « الفوضى الأخلاقية » فراراً من التجنى على كلية الآداب باسم الغيرة على الأخلاق !

ومضت أيام وأسابيع، والاتحاد مشغول بالبحث عمن يناظرنى من أساتذة كلية الآداب ، ثم علمت أن الأساتذة لم يَرُقهم أن يناظروا « الشاغب الأكبر » على حد تعبير الدكتور هيكل باشا .

وهل من العقل أن يتقدم أحد الأساتذة لمناظرتى وقد شاع وذاع أنى أكبر الشاغبين ؟ !

هى تهمةٌ ظالمة ، كما تعرف ، ولكنها حقَّت علىَّ ، وسأقضى بقية العمر فى الدفاع عن نفسى ، ولكن بلا نفع ولا غناء ، لأن الناس عندنا يؤذيهم أن يصححوا رأيهم فى رجل ظلموه بلا بينة ولا برهان !

وأخيراً ، ظفر اتحاد الكلية برجل يناظرنى . ولكن ، أى رجل؟ كاتب مشهور كانت لى معه وقائع فى بعض الجرائد والمجلات؟ فقلت فى نفسى : هى مكرمة من مكرمات الأستاذ لطفى جمعة ، فقد هداه القلب الطيب إلى أننى رجل ينهاه الأدب والذوق عن الاستخفاف بأقدار الزملاء

واتصلت به تليفونيًّا لأقول له : إنى أريد أن تكون هذه المناظرة مثالاً فى التلطف والترفق ، وإنى سأبدأ خطبتى بكلمة فى الثناء عليه ، وإنى أنتظر أن يقابل الجميل بالجميل !

وكنت صادقاً فيما قلت ، لولا خاطرٌ واحد كدَّر صدق بعض التكدير ، وهو الحرص على أن يبقى هذا المُناظر فلا يطير من يدى ، كما طار من كنت أرجو مناظرتهم من أساتذة الكلية . صفح الله عنهم وعفا عنى ! !

كان الأستاذ لطفى جمعة متردداً فى القبول، ثم قبل بعد تمنُّع؛ والحرُّ قد ينخدع فى بعض الأحايين !

وفى تلك الأثناء نقلت الإذاعة اللاسلكية مناظرة قامت بين الدكتور طه والدكتور هيكل فى كلية العلوم ، مناظرة مرتجلة قام بها الرجلان بدون استعداد ، فقلت : يجب أن أستعدَّ لتكون

(١) إشارة إلى قول الفراء : « سأموت وفى نفسي شيء من حتى » ويريد الكاتب أن يقول إن للباحثين شواغل قد يراها الجمهور من التوافه مع أنها فى الواقع من الأمور ذوات البال عند من يعرف

مناظرة كلية الآداب أقوى من مناظرة كلية العلوم ، ولأعطى الدكتور طه والدكتور هيكل درساً فى وجوب الاحتفال بمقامات الكلام ، ولأحمى نفسى من شر المرجفين ، وأنا أدافع عن رأى شائك لا ينظر إليه المجتمع بغير الاستخفاف

ورجعت إلى مذكرات كنت أعددتها يومَ عُرِض علىّ الموضوع أول مرة ، ولكنى لم أجد تلك المذكرات ، فأقبلت على الموضوع من جديد وشغلت به نفسى سهرتين طويلتين ليصل فى الجودة والقوة إلى ما أريد

وبعد أن فرغت من تحريره وتحبيره دعوت أحد أبنائى ليقرأه علىّ فكانت فرصة لدرس طريف من دروس التربية ، فقد عرفت أن الرجل لا يدرك ما فى أسلوبه من نَبَوات إلا حين يسمعه من رجل سواه ، وكذلك غيّرتُ بعض الألفاظ وعدّلتُ بعض التعابير ، فظهرت الخطبة وهى فنٌّ من الكلام المصقول

* * *

ثم مضيت إلى كلية الآداب فى أصيل اليوم الأول من أيام آذار ، ولا يمكن الوصول إلى كلية الآداب إلا بالسير فى شارع فؤاد الذى يعبُر الزمالك مرة ويعبُر النيل مرتين ، ثم انطلقت السيارة فسايرت النيل حتى وصلت إلى شارع الجامعة المصرية ، عليه وعليها أطيب التحيات !

هو اليوم الأول من أيام آذار ، وأيام مصر كلها آذار ، فما تعرف بلادنا غير نضرة النعيم فى جميع الفصول

ونظرت فى الساعة فلم أجد من فسحة الوقت غير خمس دقائق ، وهى مدة لا تسمح باجتلاء المحاسن فى شارع الجامعة ، الشارع الجميل الذى كان يستهوينى فأسير فيه بتأدب واستحياء رعاية لحقوق العين والقلب فى البقعة التى صارت مراتع ظباء ، ومرابض أسود

الله أكبر ولله الحمد !

هذه كلية الآداب التى قضيتُ فيها مواسم شبابى ، يوم كنت فتًى عارم العزيمة يؤذيه أن يقال إن فى الدنيا كتاباً لم يطلع عليه ، ويوم كنت معمور القلب بأرواح الأمانى ، ويوم كنت أتوهم أن الجِد فى طلب العلم لا يظفر صاحبه بغير الإعزاز والتبجيل ، ويوم كنت إخال أن الكفاح فى سبيل الأدب قد تنصب له الموازين، ويوم كنت أومن بأن الجهاد لا يضيع فى هذه البلاد ! ! !

تقع كليتنا الغالية على يمين من يدخل حَرَم الجامعة المصرية ، جامعة فؤاد الأول . وسميت بذلك ، لأن فؤاداً المعظم كان أول رئيس للجامعة المصرية . وكليتنا الغالية لها روح قهار ، لأنها شرعت للناس مذاهب التفكير فى الآداب والفنون ، ولأنها أول معهد فى مصر فتح أبوابه لحرية الفكر والعقل بلا تمييز بين العقائد والآراء

كاد الدمع يطفر من عينى حين دخلتُ كليتنا الغالية ، فقد خُيِّل إلىّ أن أحجارها لا تنطق ، وإلا فكيف غاب عنى تفصيل ما فيها من حُجُرات وغُرُفات ؟ وكيف نسيتُ الأماكن التى كنت ألقى فيها دروسى ومحاضراتى على قرب العهد ؟ وكيف غفلتْ عَتَباتها عن الوثوب لمصافحتى وقد صحبتُها طالباً ومدرساً من سنة ١٩١٣ إلى سنة ١٩٣٧ ودرت معها من ميدان الاسماعيلية إلى ميدان الفلكى ، ومن حىّ المنيرة إلى قصر الزعفران ، ثم إلى حديقة الأرمان ، ولم يزاحم هواها فى فؤادى غير الأعوام التى قضيتها بكلية الآداب فى جامعة باريس ؟

وزاد فى أساى وشجاى أنى سأخرج مهزوماً فى المناظرة التى تقام بكليتنا الغالية ، لأنى سأدافع عن رأى جرىء لا يقول به إلا من يخاطر بنفسه فيتعرض لغضب المجتمع . ولكن لا بأس فكليتنا الغالية قد علمتنا الثورة على أوهام المجتمع

وألّفتُ ما تبدد من شمل عزيمتى وصعدت إلى غرفة الأساتذة ، الغرفة التى صاولتُ فيها من صاولتُ ، وكايدتُ من كايدتُ ، يوم كنت أحسب أن مغايظة الرجال لن تكون لها عواقب سود ... فماذا رأيت ؟

رأيت الأستاذ لطفى جمعة قد انحاز إلى شابين من طلبة الكلية يدبِّر معهما خطط النضال ، فأردت أن أفسد ذلك التدبير بدعوته إلى المسارعة بالنزول إلى المدرّج الأكبر حيث ينتظر جمهور المستمعين . ولكنى لم أفلح ، فقد تعلل بأنه ينتظر فنجاناً من القهوة ، ورجانى أن أعفيه من حضورى لحظات !

وسألت عن نصيرىّ فى المناظرة فرأيت فتاة حييّة اسمها ليلى ، وفتًى ناشئاً اسمه صادق ، فحدقت فيهما وقلت : أين تقعان مما أريد ؟ !

ونزلت إلى المدرّج بعد أن أعلن الدكتور ابراهيم مدكور أن الطلبة هم الذين سيبدأون ثم تقع الوقعة بينى وبين غريمى

وبعد تلبُّث وتمكُّث حضر الأستاذ لطفى جمعه ومعه نصيراه من الطلبة، ونصيرٌ ثالث هو الدكتور أحمد موسى، وهو فيما سمعت أديب متمكن من ناصية الفكر والبيان

ثم صرّح رئيس المناظرة بأنه أستاذ ونائب، وأنه سيطبِّق اللائحة الداخلية إذا وقع بين المتناظرين شِجار ، فعرفتُ أن الأمر جِدٌّ فى جد ، وأنى سأعانى من هذه المناظرة ليلةً نابغية

وشرعتْ ليلى تتكلم ، ليلى يوسف ، وهى فتاة جمّلها الله بالأدب والحياء ، فما كانت إلا دُمية مصقولة صيغت من العقل والذوق ، وسيكون لها فى حياة الأدب تاريخ ، وقد تفوق الفتاة البنومية الصوت التى نضجت قبل الأوان فأضر بها الزهو والخُيلاء

ولكن ليلى ستلحن كما تلحن سائر « الليالى » ستلحن لحناً خفيفاً فى مواطن لا تسلَم فيها ألسنة « بعض » الأساتذة ، ومع ذلك يثور الجمهور ويصخب ليصح له أن يضايقنى ويضايقها باسم الغيرة على قواعد اللغة العربية !

ثم يتكلم الشيال أفندى فيقترح أن يحال الدكتور زكى مبارك إلى المعاش لأنه من دعاة الفوضى الاجتماعية ولأن مؤلفاته تشهد بأنه يستهين بالعادات والتقاليد !

ويتكلم بعد ذلك محمد عبد الرحمن صادق أفندى بأسلوب يشهد بأنه من طلبة كلية الآداب ، كليتنا الغالية التى نذكر عهدها بالحب والعطف ، ونعرف فضلها فى تثقيف الأذواق والعقول

ويميل بدير متولى أفندى على أذنى فيسرُّ إلىَّ أنه قد يستبيح ما لا يباح فى تحقير الرأى الذى أرتضيه ، فآذن له بذلك ، لأنى من أقوى أنصار حرية الرأى ، ولكن الفتى يخلف ظنى به كل الإخلاف فيعلن عجبه من أن أكون مفتشاً بوزارة المعارف مع أنى من دعاة الفوضى الاجتماعية ، ويدعو الجمهور إلى الحذر من آرائى !

ويجىء دورى فى الكلام فأبدأ بالثناء على الطالبين اللذين شتمانى بلا ترفق ولا استبقاء ، لأنهما من طلبة كليتنا الغالية ، ولأنهما سمعا أصوات مصطفى عبد الرازق وطه حسين وشفيق غربال ، ولأننا حضرنا لتمرينهم على النضال والصيال

ثم أشرع فى الخطبة التى أعددتها فى سهرتين طويلتين ، وبعد لحظات يقوم شاب ثائر فيقاطعنى مقاطعة عنيفة ويؤلب علىَّ الجمهور بشطط وإسراف ، وأنظر فأراه أحد تلاميذى ، التلاميذ الذين كنت أشتى فى سبيلهم إلى عهد قريب

ويدور رأسى من هول ما أراه ، فهذا الشاب كان موضع ثقتى ، وكنت أكرمه لنفسه ولأخيه ولقرب بلده من سنتريس

وتطوف بذهنى أخيلة مزعجة : فليس هذا الشاب أول من يغدر ويخون ، وليست ليلتى هذه أول ليالىَّ فى المحرجات والمضجرات ، ولن تكون آخر العهد بشقائى فى رحاب كلية الآداب ، فسأرجع إليها لخدمة الأدب والفلسفة بعد عهد قريب أو بعيد ، يوم يعتدل الميزان . وأنظر فأرى الأستاذ لطفى جمعة قد اطمأن واستراح ، وأرى أنصاره فى جذل وانشراح

هى إذن معركة جدية سأنهزم فى ميدانها المشئوم وسيلحقنى عارها الباقى ، والله الحفيظ !

وينهض رئيس المناظرة فيهدد الشاب الذى يقاطعنى ، يهدده بالطرد ، فيخشع الشاب ويستكين ، ويصفق الجمهور إيذاناً بالشوق لسماع صوتى ، فأمضى فى إلقاء خطبتى وأنا جريح ، وأضيف إلى خطبتى كلمة أقول فيها : إنى اشتغلت بالتدريس فى كلية الآداب أربع سنين ومن حقى عليها أن تسمح بأن أجهر فى رحابها بكلمة الحق

وما قيمة الاشتغال بالتدريس أربع سنين فى معهد مصرىّ وقد صرّح شاعرنا شوقى بأن كل شىء فى مصر ينسى بعد حين !

ما قيمة الاعتماد على الماضى وهو ذُخر الفانين ؟ وبأى حق أغضب على شاب يقاطعنى وقد أخذ عنى أصول الثورة والصيال ؟

ثم أمضى فى خطبتى كالسيل الجارف فأفتن الجمهور فتنة ماحقة يضج لها خصوى بتصفيق الإعجاب ليسلَموا من سخرية الجمهور الذى سَحَرَهُ بيانى

ويميل الأستاذ لطفى جمعة على أذنى وهو يقول : أهنئك على أن عرّضت سمعتك للأراجيف فى سبيل الحق . فأبتسم وأنتظر أن يصنع كما صنعت ليظفر بتهنئتى ! وينهض الخصم الشريف فيسلك فى تحقيرى جميع المسالك ، ويدّعى أنى فوضوىٌّ أثيم ، وينهى الجمهور عن الانخداع بآرائى ، ويعلن عجبه من أن يكون لى كتاب اسمه التصوف الإسلامى فى مجلدين كبيرين مع أنى من أنصار الفوضى الاجتماعية ، ويقضى فى تحامله وتجنّيه ساعة وبعض ساعة وأنا ساهم مطرق أكاد أذوب من الخجل والحياء

وأعود إلى نفسى فأندم على تعريض سمعتى لهذا الضيم البغيض

وأعرف أنى أخطأت فى قبول المناظرة مع هذا الخصم الشريف ، وأعاهد الله على اعتزال الناس إلى يوم الممات . وما الذى يغريني بصحبة بنى آدم ولم أر منهم غير شجا الحلوق ، وقذى العيون ؟

لقد أقمت دارى على حدود الصحراء لآنس بظلمات الليل ، ولأنسى أننى موصول الأواصر بهذا الخلق ، ولأناجى مَوَات البادية حين أشاء ، ثم قهرنى حب العُزلة على أن أغلق نوافذ دارى فلا أرى الوجود إلا بأوهام من طيف الخيال

لطفى جمعة الرجل الفاضل الذى أثنيت عليه فى خطبتى يقضى فى شتمى ساعة وبعض ساعة ؟ تلك إحدى الأعاجيب ، إن كان النكر فى زماننا من الأعاجيب !

أين أنا من دهرى وزمانى ؟ أمثلى يُشتَم جهرة فى كلية الآداب ، وقد حلتُ على كاهلى أحجار الأساس ؟

هو ذلك ، وعلى نفسى أنا الجانى ، فقد عرّضت سمعتى للجدال الذى يسمونه مناظرات ! وينتهى الأستاذ لطفى جمعة من خطبته بعد أن مزّق آرائى كل ممزّق ، وبعد أن شفى صدره منى ، وكانت بينى وبينه ترات وضغائن وحقود

ويعلن رئيس المناظرة أن ليس لى غير خمس دقائق . وما الذى أستطيع أن أصنع فى خمس دقائق وقد جُرّحت أشنع تجريح ؟ ما الذى أستطيع أن أصنع وقد سمعت ما أكره فى معهد يؤذينى أن أذكر فيه بغير الجميل ؟ فى خمس دقائق يعرف الأستاذ لطفى جمعة أن لحمى مرّ المذاق ، ويؤمن وهو كاره بأن التطاول على رجل مثلى لا يمرّ بلا جزاء، ويعرف من قاطمونى أن شأنى أعظم مما يظنون. فى خمس دقائق تحوّل السامعون إلى من حال إلى أحوال فصاروا جميعاً من أنصارى ، فى خمس دقائق شهدتْ أحجار كلية الآداب بأن المنطق أعظم من التنكيت ، فى خمس دقائق عرف غريمى أن سهر الليل فى الاستعداد للحرب أمر يوجبه العقل الصحيح

وبعد كلمات ألقاها الأستاذ مندور والدكتور موسى طلب رئيس المناظرة أصوات الحاضرين فكانوا جميعاً فى صنى ، وهتف هاتف : « تحيا الفوضى الاجتماعية ! »

فأجبت : « تسقط الفوضى ويحيا النظام ! »

والآن ، يا صديقى الزيات ، أحب أن أسجل فى مجلتك ظاهرة من شمائل الجيل الجديد ، لتعرف أن اليأس الذى يساورنا قد يكون من الأوهام فى أكثر الأحايين

وهذه الظاهرة هى يقظة الجمهور فى هذا المهد ، وقلة انخداعه بالتزاويق والتهاويل . وأؤكد لك أنه كان مفهوماً عند أنصارى أنى لن أخرج من تلك المعركة بغير الهزيمة ، وأن التملق بالشكليات سينفع خصومى فيظفرون بالنصر المبين

وقد أراد الأستاذ لطفى جمعة أن ينقص من جهودى فقال إنى شغلت نفسى بالموضوع أياماً وليالى ، ولكن هذه السخرية لم تنفع ، لأن الاستعداد للنضال من أصول التشريف ، وهو يقابل عند الجمهور بالإعزاز والتبجيل . وهل كان يجوز لى أن أستخف بمناظرة تقام فى كلية الآداب ؟

وهذا النصر الذى نظفر به من وقت إلى وقت هو الذى ينسينا ما قد نجنى من الحنظل فى الحياة الأدبية ، وهو الذى يهوّن ما نعانى من عقوق الزملاء ، أو « بعض » الزملاء !

وقد حدثتك فى مطلع هذا الحديث أنى سأريح قراء الرسالة من شطحات قلمى شهراً أو شهرين ، فلتعلم وليعلموا أنى قد أشتاق إليك وإليهم فأرجع بعد أسبوع أو أسبوعين ، والسلام .

زكى مبارك

***

حاشية : قرأت الكلمة الطريفة التى نشرتها الرسالة للأستاذ شكرى فيصل ، وأنا واثق بأنه رأى أمر العتاب هيناً بعد أن قرأ خطبتى فى الرسالة . أما احترامى للأقطار العربية وحبى لها وشغفى بها فهو أظهر من أن يحتاج إلى براهين .

في الاجتماع اللغوى

صراع اللغــات

للدكتور على عبد الواحد وافى

مدرس العلوم الاجتماعية بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

ذكرنا فى المقالين السابقين[1] أن عوامل الصراع بين اللغات ترجع أهمها إلى عاملين : أحدهما أن ينزح إلى البلد عناصر أجنبية تنطق بلغة غير لغة أهله ، وثانيهما أن يتجاور شعبان مختلفا اللغة فيتبادلا المنافع ، ويتاح لأفرادهما فرص للاحتكاك المادى والثقافى . وقلنا إن نتائج هـذا الصراع تختلف باختلاف الأحوال : فتارة ترجح كفة إحدى اللغتين المتنازعتين فتصرع اللغة الأخرى ؛ وتارة تتكافأ قواهما أو تكاد فتعيشان معاً جنباً لجنب

ثم عرضنا للحالات التى يحدث فيها تغلب إحدى اللغتين على الأخرى . فذكرنا أنها ترجع إلى أربع حالات : اثنتان منها تتصلان بالعامل الأول (نزوح عناصر أجنبية إلى البلد) واثنتان تتصلان بالعامل الثانى (مجاورة شعبين مختلفى اللغة) . فأما حالتا العامل الأول فهما :

١ — أن يكون كلا الشعبين همجيًّا قليل الحضارة منحط الثقافة ، ويزيد عدد أفراد أحدهما عن عدد أفراد الآخر زيادة كبيرة . ففى هذه الحالة تتغلب لغة أكثرهما عدداً سواء أكانت لغة الغالب أم المغلوب ، لغة الأصيل أم الدخيل ؛ على شريطة أن تكون اللغتان من شعبة لغوية واحدة أو من شعبتين متقاربتين : كما كان شأن الانجليزية مع النورماندية

٢ — أن يكون الشعب الغالب أرقى من الشعب المغلوب فى حضارته وثقافته وآداب لغته ، وأشد منه بأساً ، وأوسع نفوذاً . ففى هذه الحالة يكتب النصر للغته ، فتصبح لغة جميع السكان ، وإن قل عدد أفراده عن أفراد الشعب المغلوب ؛ على شريطة أن تدوم غلبته وقوته مدة كافية ، وأن تقيم بصفة دائمة جالية يعتد بها من أفراده فى بلاد الشعب المغلوب ، وأن تمتزج بأفراد هذا الشعب ، وأن تكون اللغتان من شعبة لغوية واحدة أو من شعبتين متقاربتين : كما كان شأن اللاتينية مع لغات كثير من الأمم التى تغلب عليها الرومان فى العصور القديمة ؛ والعربية مع لغات معظم الأمم التى تغلب عليها العرب فى العصور الوسطى

وأما الحالتان اللتان يؤدى فيهما العامل الثانى (مجاورة شعبين مختلفى اللغة) إلى هذه النتيجة ، فهما :

١ — أن تكون نسبة النمو فى أحد الشعبين المتجاورين كبيرة ، لدرجة يتكاثف فيها ساكنوه ، وتضيق مساحته بهم ذرعاً ، فيشتد ضغطه على حدود الشعب المجاور له ، وتكثر تبعاً لذلك عوامل الاحتكاك والتنازع بين اللغتين . وفى هـذه الحالة تتغلب لغة الشعب الكثيف السكان على لغة المناطق المجاورة له ؛ على شريطة ألا يقل عن أهلها فى حضارته وثقافته وآداب لغته ؛ ويتأكد انتصاره إذا كان أرقى منهم فى هذه الأمور : كما كان شأن الألمانية مع لغات المناطق المجاورة لألمانيا بسويسرا وتشيكوسلوفاكيا وبولونيا والنمسا

٢ — أن يتغلغل نفوذ أحد الشعبين فى الشعب المجاور له . وفى هـذه الحالة تتغلب لغة الشعب القوى النفوذ ؛ على شريطة ألا يقل عن الآخر فى حضارته وثقافته وآداب لغته ؛ ويتأكد انتصاره إذا كان أرقى منه فى هذه الأمور : كما كان شأن الفرنسية والأسبانية مع لغة شعوب الباسك بمناطق البرانس ؛ والإنجليزية والفرنسية مع اللغات السلتية بإيرلندا واسكتلندا وويلز ومنطقة البريتون

وسنختم هذا البحث فى مقال اليوم بالكلام عن الحالات التى تعجز فيها كلتا اللغتين عن التغلب على الأخرى

***

فيما عدا الحالات الأربع السابقة تتكافأ قوى اللغتين المتنازعتين فتعيشان معاً جنباً لجنب ، وتسلك كل منهما فى سبيل تطورها المنهج الذى يتفق مع طبيعتها ، وترسمه لها نواميس الارتقاء اللغوى والأمثلة على ذلك كثيرة فى تاريخ الأمم الغابرة وفى العصر الحاضر .

فاللغة اللاتينية لم تقو على اللغة الإغريقية ، مع أن الأولى كانت لغة الشعب الغالب ، وذلك لأن الإغريق ، مع خضوعهم

(١) أنظر عدد ٣٤٧ صفحة ٣٢٥ وتوابعها ، وعدد ٣٤٩ صفحة ٤١٧ وتوابعها

١٤٠٣٤

الرومان ، كانوا أعرق منهم حضارة وأوسع ثقافة وأقدم لغة . وقد سبق أن انهزام لغة الشعب المغلوب أمام لغة الشعب الغالب لا يحدث إلا إذا كان الشعب الثانى أرقى من الشعب الأول فى جميع هذه الأمور

ولهذه الأسباب نفسها لم تقو لغات الشعوب الجرمانية التى قوضت الامبراطورية الرومانية الغربية فى فاتحة العصور الوسطى على التغلب على اللغة اللاتينية فى البلاد التى قهرتها بمناطق الجول La Gaule (فرنسا) وما إليها

واللغة اللاتينية لم تقو على التغلب على لغات أهل بريطانيا العظمى ، على الرغم من فتح الرومان لبلادهم واحتلالهم إياها نحو مائة وخمسين سنة ، وعلى الرغم من أن الشعب الغالب كان أرقى كثيراً من الشعب المغلوب فى حضارته وثقافته . وذلك لأن الجالية الرومانية فى الجزر البريطانية لم تكن شيئاً مذكوراً ، ولم تمتزج امتزاجاً كافياً بأفراد الشعب المغلوب . وقد تقدم أن الغلب اللغوى لا يتم فى مثل هذه الحالات إلا إذا أقامت فى البلاد المقهورة جالية يعتد بها من أفراد الشعب الغالب ، وتم الامتزاج بينها وبين أفراد الشعب الآخر

واللغة العربية لم تقو على الانتصار على اللغة الفارسية ، على الرغم من فتح العرب لبلاد فارس وبقائها تحت سلطانهم أمداً طويلاً ، وذلك لأن الشعب العربى لم يكن إذ ذاك أرقى حضارة من الشعب الفارسى ، ولقلة عدد الجالية العربية بفارس وضعف امتزاجها بالسكان ، ولانتماء اللغتين إلى فصيلتين مختلفتين (فالعربية من الفصيلة السامية ، والفارسية من الفصيلة الهندية ـ الأوربية)

واللغة العربية لم تقو على الانتصار على اللغات الإسبانية على الرغم من فتح العرب للأندلس وبقائها تحت سلطانهم نحو سبعة قرون . وذلك لانتماء العربية إلى فصيلة غير فصيلة اللغات الإسبانية ولعدم امتزاج الشعوب القوطية بالشعب العربى

واللغة التركية لم تقو على التغلب على لغة أية أمة من الأمم التى كانت خاضعة للأمبراطورية العثمانية بأوربا وآسيا وأفريقيا ، على الرغم من بقاء هذه الأمم مدة طويلة تحت سلطان تركيا ، وذلك لاختلاف فصائل اللغات (فالتركية من الفصيلة الطورانية ، على حين أن لغات معظم الأمم التى كانت خاضعة لتركيا من الفصيلة السامية — الحامية أو الهندية — الأوربية) ، ولأن الترك كانوا أقل حضارة وثقافة من معظم الشعوب التى كانت تابعة لهم ، ولقلة عدد جاليتهم فى بلاد هذه الشعوب ، ولضعف امتزاجها بالسكان

ولم تقو الانجليزية على التغلب على اللغات الهندية ، على الرغم من خضوع الهند لانجلترا منذ أمد طويل ، وذلك لأن شعوب الهند أعرق حضارة من الانجليز ، ولقلة عـدد أفراد الجالية الانجليزية بهذه البلاد ، وعدم امتزاجها بالسكان

والجوار بين فرنسا وانجلترا وإيطاليا وأسبانيا والبرتغال لم يؤد إلى تغلب لغة شعب منها على لغة شعب آخر . لأن احتكاك لغاتها لا ينطبق على حالة من الحالتين اللتين يحدث فيهما التغلب بالمجاورة .

ولهذا السبب نفسه لم يؤد الجوار بين الفارسية والعراقية والتركية والأفغانية إلى تغلب لغة منها على لغة أخرى

وكذلك شأن الإنجليزية فى الولايات المتحدة بأمريكا الشمالية مع الأسبانية المجاورة لها فى المكسيك ، وشأن البرتغالية التى يتكلم بها فى البرازيل مع الأسبانية التى يتكلم بها فى الجمهوريات المتاخمة للبرازيل بأمريكا الجنوبية؛ وشأن الحبشية مع الصومالية. وهلم جرا

* * *

ولـكن عدم تغلب إحدى اللغتين لا يحول دون تأثر كل منهما بالأخرى .

فقد تأثرت اللاتينية بالإغريقية فى أساليبها وآدابها، واقتبست منها طائفة كبيرة من مفرداتها .

وقد تركت اللغة العربية آثاراً قوية فى الأسبانية ، وبخاصة فى المناطق التى كانت تسمى بالأندلس أو أندلوسيا Andalousie حيث دام سلطان العرب عدة قرون .

والصراع بين العربية والفارسية، وإن لم ينته إلى تغلب إحداهما قد ترك فى كل منهما آثاراً واضحة من الأخرى ؛ وبخاصة من ناحية المفردات .

والصراع بين التركية ولغات الأمم التى كانت خاضعة للامبراطورية العثمانية ، وإن لم ينته إلى تغلب لغوى ، قد ترك فى التركية آثاراً قوية من هذه اللغات ، وبخاصة من اللغة العربية وترك كذلك فى كثير من هذه اللغات آثاراً ظاهرة من التركية وقد بلغ هذا التأثر مبلغاً كبيراً فى بعض هذه اللغات : فلغة العراق فى العصر الحاضر مثلاً قد أخذت عن التركية كثيراً من المفردات

وبعض الأصوات التى لا نظير لها فى العربية ، (كالصوت الذى ينطق به بين الشين والجيم المعطشة فى مثل « عربنجى ») وطائفة من القواعد الصرفية كقواعد النسب والنعت والإضافة فى مثل « عربنجى » (نسبة إلى العربة) ، « خوش ولد » : (خوش كلمة فارسية الأصل معناها : حسن) ـ كتبخانة « دار الكتب »

والإنجليزية الحديثة فى انجلترا والفرنسية الحديثة فى فرنسا تتقارضان المفردات منذ أن أتيح للشعبين المتجاورين فرص للاحتكاك وتبادل المنافع .

* * *

وكذلك تفعل الفرنسية بفرنسا مع الألمانية بألمانيا[1] ومع أخواتها المجاورة لها فى الجنوب الشرقى والغربى بإيطاليا وأسبانيا والبرتغال .

وتجاور التركية والفارسية ، وإن لم يؤد إلى تغلب إحداهما على الأخرى ، قد ترك فى التركية آثاراً واضحة من الفارسية ، وبخاصة فى المفردات، وترك كذلك فى الفارسية بعض آثار من التركية

وتجاور الفارسية والعراقية فى العصر الحاضر ، وإن لم ينته إلى تغلب لغوى ، قد نقل إلى كل منهما كثيراً من آثار الأخرى فى المفردات والقواعد والأساليب

ومجاورة الجرمانية واللاتينية فى العصور القديمة ، وإن لم يؤد إلى تغلب واحدة منهما على الأخرى ، قد نقل إلى أولاهما كثيراً من مفردات الثانية[2] ، وترك فى الثانية بعض آثار من الأولى[3]

وقصارى القول : متى اجتمع لغتان فى بلد واحد أو تجاورا لا مناص من تأثر كل منهما بالأخرى ؛ سواء أتغلبت إحداهما أم كتب لكلتيهما البقاء . غير أن هذا التأثر يختلف فى مبلغه ومنهجه ونواحى ظهوره ونتائجه فى الحالة الأولى عنه فى الحالة الثانية .

فإذا كان الغلب كتب لإحداهما تراها تسيغ كل ما تأخذه من الأخري مهما كثرت كميته ؛ فيستحيل إلى عناصر من نوع عناصرها ، فتزداد به قوة ونشاطاً ، بدون أن تدع له مجالاً للتأثير فى بنيتها أو تغيير تكوينها الأصلى . على حين أن المغلوبة لا تقوى على مقاومة ما تقذفها به الغالبة من مفردات وقواعد وأساليب ، ولا تكاد تسيغ ما تتجرعه منها ، فيتخمها ويضعف بنيتها ، فتخور قواها ، وتفنى أنسجتها الأصلية شيئاً فشيئاً حتى تزول : كما كان شأن الإنجليزية مع النورماندية ، والعربية مع القبطية

وإذا كان البقاء قد كتب لكلتيهما تعمد كل منهما إلى ما تأخذه من الأخرى فتسيغه ، وتفيض عليه من حيويتها ، وتقاوم آثاره الهادمة . فتبقى كل منهما متميزة الشخصية ، موفورة القوى سليمة البناء : كما كان شأن الفارسية مع العربية .

على عبد الواحد وافى
ليسانسيه ودكتور فى الآداب من جامعة باريس

(١) انتقل إلى الألمانيــة الحديثة ، تحت تأثير جوارها لفرنسا ، كثير من المفردات الفرنسية ، لدرجة أزعجت أولى الأمر وحملتهم على التدخل لصد هذا التيار وإحلال مفردات ألمانية محل المفردات الفرنسية الدخيلة . ولكن قسطاً كبيراً من جهودهم بهذا الصدد قد ذهب أدراج الرياح

(٢) كثير من المفردات الألمانية تبدو جرمانيه خالصة ، ولكن يظهر عند البحث أنها مقتبسة في الأصل من اللاتينية . فن ذلك مثلا : Schreiben يكتب، lesen يقرأ ، katze قط ، pflanze نبات. فانها على الرغم من ظاهرها الجرمانى ماخوذة من الكلمات اللاتينية scribere, legere, catta, planta

(٣) غير أن تأثر اللاتينية بالجرمانية كان فى حكم العدم قبل غارات الجرمان على الأمبراطورية الرومانية الغربية فى فاتحة العصور الوسطى

الانتاج العقلى للأمم

للدكتور جواد على

كانت الفكرة السائدة حتى أوائل القرن الثانى عشر تقول بتطور البشرية تدريجياً من نقص إلى كمال ، ومن جهل إلى علم . وقد اختلفوا فى المبدأ ، هل كان الإنسان فى بدء خلقته كاملاً ، ثم انتكس وتدهور لخطيئة وقع فيها ، ثم بدأ يستغفر من ذنبه ، ويكفر عن سيئاته ، أو أنه بدأ كما نعرفه الآن ، ثم هو آخذ فى التطور إلى التكامل شيئاً فشيئاً ، حتى يعود الإنسان الكامل ذا المثل العليا التى يريدها بعض الفلاسفة وأصحاب الأحلام البعيدة(١) . غير أن تطور العلم الطبيعى ، وانتصار أوربا فى ساحات الفن والصناعات الضخمة والاستعمار ، زلزل هذه الفكرة وولد فى نفوس العلماء من أبناء تلك القارة ، فكرة الاستئثار بالزعامة والقيادة العالمية . فقسمت الشعوب العالمية إلى طبقات وأجناس لكل منها خواص وأوصاف كما هو شأن عالم الحيوان والنبات . وإذا كان علماء النبات أو الحيوان يقسمون العالم النباتى أو الحيوانى إلى فصائل وأجناس ، فلم لا يقسم علماء الأجناس البشرية ، البشر إلى فصائل وأجناس كذلك ؟ تستأثر أوربا بالفصائل العالية والأوصاف الراقية ؛ ثم تعطى ما تجود به للفصائل التى تمت إليها بصلة وقرابة ، ثم الأبعد فالأبعد .

وبعض الآراء المعتدلة ترى العالم مؤلفاً من مجموعة حضارات(٢) مستقلة لكل منها روحية خاصة ونفسية سماها (نفسيات الحضارة Kulturseelen) كما هو رأى الفيلسوف Spengler و Oswald تمر عليها جميع أدوار الحياة المعروفة من ولادة وطفولة وشباب ثم شيخوخة فمات ، تستغرق هذه المدة حوالى ألف سنة ، وأن ثلاث حضارات جاءت على التوالى تكمل الواحدة الأخرى وهى الحضارة اليونانية وسمتها (apollinische) والحضارة العربية وخاصيتها (magic) والحضارة الأوربية الجرمانية وهى (faus-tische)(١) بينما رأى الفيلسوف الألمانى الآخر Graf Herman Keyserling (كراف هرمان كيسرلنك مؤسس مدرسة الحكمة فى مدينة دارمشتد Darmstadt) تنوع الحضارات البشرية كذلك واختلافها ولكنها ترجع كلها إلى أصل واحد ومنبع منظم هو القوة الخارقة الموجودة فى البشر التى تدفع الأمم بالسير إلى الأمام . قد تكون هى الحكمة (weisheit) لذلك كان يرى وجوب الاستفادة من الحكمة بدلاً من العلم المجرد(٢)

وقد نشأ من جراء البحث المتوالى فى اختلاف عقليات الأمم وقابليات إنتاجها بحث خاص يسمى Kulturmorphologie غايته التعمق فى دراسة أمم الأرض ، واستخراج الأسباب التى أدت إلى ازدهار الحضارات أو هبوطها . وقد قسم العالم A. Sutherland شعوب العالم إلى أربع طوائف :

١ — الشعوب الفطرية ، أو التى تعيش على الطبيعة الأولى وسماها Naturvölker

٢ — الشعوب المتوحشة البربرية Barbarvölker

٣ — Zivilvölker أو الشعوب المتمدنة

٤ — Kulturvôlker أو الشعوب المتحضرة . ولكل من

---

(١) انظر ذلك فى الفلسفة المسيحية وخصوصا الدور المسمى scholastik ومبحث Gnade أو الخلاص من الخطيئة وفلسفة Fichte ١٧٦٢–١٨١٤ وكذلك Herder (١٧٤٤ — ١٨٠٣) فى كتابه I deen mur Philo-sophie der Geschichte der menschheit وكذلك الفيلسوف هيكل Hegel (١٧٧٩ — ١٨٣١) فى كتابه Die Vorlesungen über die Philosophie der Geschichte

(٢) تميز اللغة الألمانية بين كلمة Kultur المأخوذة من اللاتينية Cultura من Colere ومعناها الاعتناء بالأرض وإصلاحها وزرعها فاستعملتها للعناية بالبشر وخصصتها بالمسائل الروحية فقط والناحية النفسية مثل الشعور والعواطف والديانة والموسيقى والاجتماع والسياسة والتربية على اختلافها (انظر ص ٣٥١ Philosophisches wörterbuch و Heinrich Schmidt واستعملت كلمة Zivilisation المدنية المأخوذة من اللاتينية كذلك Civis للدلالة على الحالة التى تعقب التوحش ثم خصصت بعد ذلك للاتجاهات العقلية = الظاهرة مثل أشكال المدن الصناعات أى الصناعات والفنون الآلية من البشر . ومتى ما انحطت الحضارة تهبط إلى المدنية قد يمكن أن تتساوى الشعوب فى المدنية أما من ناحية الحضارة فلا يمكن ذلك إذ أن لكل شعب عواطف وروحيات خاصة به انظر نفس الكتاب كذلك ص ٧٤٦ واللغة الانكليزية والفرنسية لا تميز بين الكلمتين انظر كتاب Geschichte der Z. in England

(١) انظر كتاب Phi. wörterbuch ص ٦٢٠ وكتاب Lehrbuch der Oeschichte der Philosophie و Windelband ص ٦٠٩ مادة ٣ فصل ٤٩

(٢) أنظر Phi. wörterbuch ص ٣٢٨ وكتاب Der mythus ص ٢٩٦ ، ٦٠ ، ١١٥ ، ٤٠٣

هذه الأقسام درجات ثلاث : واطئة ، ووسطى ، وعليا[١]

ولكن هنا مشكلة عظيمة تجابه الباحث ، وهى الدوافع الخفية التى تدفع بالشعوب إلى الحضارة وإلى إنتاجها الروحى ، هل هو عامل داخلى يدفعها إلى ذلك دون مؤثر خارجى ، أو عامل خارجى بحت كما يذهب إليه الماديون وأتباع كارل ماركس ، أو دوافع المحيط الخارجى كالزمان والمكان كما هو رأى العالم Les Frobenius (ولد ١٨٧٣) (أنظر ص ١٩٣ Phi. wörterbuch) وبين المبدأين بون شاسع كما يظهر . ومن أتباع المذهب الأول العالم الفرنسى Gobineau و Le Bon ـ Gustave (١٨٤١ـ ١٩٣٠) و H. st. Chamberlain و Ratmenhafer و Waltmann و V. Eickstedt فى ألمانيا و Ward فى أمريكا . جعلوا العنصرية العامل الأساسى فى تكوين الحضارة . ومن هذه النظرية استحدثت النازية رأيها من أن الحضارة العالية نتيجة العقلية الآرية فقط ، وأن العالم يتألف من طبقات ثلاث حسب رأى هتلر مؤسس هذا المذهب ، من :

١ — شعوب أسست الحضارة Kulturbegrunder

٢ — وشعوب تنقل الحضارة دون أن تضيف إليها شيئاً أو تغير فيها ، وسماها Kulturträger

٣ — وشعوب هدمت الحضارة وأفسدتها سماها : Kulturmerstörer ومن هذه الشعوب الروسي البلشفى ، ولا أدرى أغير رأيه الآن بعد اتفاقه مع البلاشفة أم لا

وتتلخص فكرته فى أن الحضارة البشرية نتيجة عاملين فقط : الدم والأرض Blut und Boden والعنصرية هى المظهر الخارجى للروح[٢]

على عكس هذه النظرية تماماً نظرية « كارل ماركس » Karl Marx (١٨١٨ — ١٨٨٣) مؤسس المذهب المنسوب إليه والبلشفية والشيوعية التى تتخذ المادة كأساس فى كل شىء إذ يقول : « الآراء السائدة فى زمن ما تمثل آراء الطبقة الحاكمة فى ذلك الزمن[١] » وكذلك قوله : « غيروا الوضع السياسى والوضع الاقتصادى تتغيروا بذلك البشر[٢] » ولذلك تحارب البلشفية النظام الرأسمالى لأنها تعتقد أنه مصدر كل شر ، وبإزالة هذا النظام تتغير العقلية البشرية وتفكيرها ويظهر تفكير عالى جديد . وهذا الرأى مأخوذ بصورة مكبرة عن المبدأ المادى الذى يجعل المادة أساس كل شىء والروح نتيجة عمل الدماغ . بل لقد غالى الفيلسوف فورباخ (١٨٠٤ — ١٨٧٢) Ludwig Feurbach حتى قال : « الإنسان يكون حسبما يكون أكله[٣] »

لست بمتعرض للنقد هنا ولكن أقول : للطرفين غلو عظيم ، وكلا الرأيين قديم فى تاريخه يرجع إلى عصور اليونان وربما يرجع إلى أقدم من ذلك . وإنى أرى أن هنالك آراء عامة تطرق إليها عقل كل إنسان ، كل على حسب قابليته ومحيطه ، ومن هذه الآراء هذه المشكلة ، ولكن الأساليب فى معالجتها تختلف والتشكلات تتغير ؛ والاكتفاء بالدم والأرض فى تعيين الإنتاج العقلى للأمم أمر يخالفه الواقع . ونرى أن التطور الاقتصادى مثلاً قد قلب أوربا رأساً على عقب وغير مقاييسها الأدبية والأخلاقية والنزعة الروحية المتصوفية التى سادت ألمانيا والعالم بعد الحرب العظمى ، وأن حب التشاؤم الذى ساد كذلك ، وظهور ما يسمى بـ Sexualität أو الميول الشاذة بأجلى مظاهرها ومعالجتها علناً ، وظهور مذهب expressionismus ومذهب impressionist[٤] تدل على أن المادة مؤثرة فى الروح لا محالة . وكذلك من باب المغالطة جعل الإنسان آلة تتحرك بمؤثر خارجى كالآلات الصماء التى تشتغل فى المعامل . وما نجده من العوامل الروحية فى الطفل وفى حالات المجرمين بالطبيعة ، والذكاء

---

(١) أنظر كتاب Phi. wörterbuch ص ٣٥٣ وكتابه المشهور aïber den wrsprung und das wachstum des moralischen instinhts 1898

(٢) انظر كتاب هتلر كفاحى Mein Kampf جـ ١ ص ٢٨٥ ، ٢١٦ ، وكذلك كتاب روزنبرك Der Mythus ص ٦٠ ، ١١٥ ، ٤٠٣ وكتابه Blut und Boden ١٩٣٤

(١) انظر كتاب الاشتراكي الهولندى Hendrik de man المسمى Der Somialismus als Knltur bewegung ص ٥

(٢) انظر نفس الكتاب ص ٦

(٣) انظر كتاب Vorländer, Geschlchte der Philosophie ص ٤٢٢

(٤) أنظر كتاب Curt Gebauer المسمى : Detsuche Kultur Geschichte der Neumeit فصل الحضارة بعد الحرب العظمى

أو الجمود الفكرى يناقض النظرية المادية تماماً

ولـكن ما هى المقاييس التى ستنتخب للحكم على أمة بأنها متحضرة وعلى درجة حضارتها ؟ أجـد أن الأساليب المتبعة الآن فى أوربا فى تعيين الحضارات كلها مقاييس واهنة ، إذ هى تقيس كل حضارة بالنسبة إلى المقاييس التى لديها ، وبالنظر إلى العرف أو العادات أو الذوق الذى تراه ، وهذا ما يدعو إلى الحكم المخطئ طبعاً . أضف إلى ذلك أن دراسة الإنتاج الروحى أمر عسير جداً ويحتاج إلى إلمام كثير بالظروف والأحوال التى تحيط بتلك الأمة التى ستدرس أو يحكم عليها . فالعزم Wille مثـلاً يجعله كتاب أوربا اليوم من أهم ميزات الأوربى ، وكذلك حبه للسيطرة eroberung Geist ولكن لو حللنا الظروف والأحوال التى حطمت هذه الميول ، وجو الشرق المحرق وخيراته الكثيرة لوجدنا أن تلك لم تعد ميزة عقلية، إنما هى ناحية وردت عن طريق الحاجة والمحيط

إن الفيلسوف نيتشه يجمل الحضارة ترادف « العزم على العمل » التى يرددها دائماً will mur macht . وقد أخذت الفاشية ذلك ، وموسولينى من أكبر المحبين لفلسفة نيتشه ، فجمل الامبراطورية تشمل الناحية الروحية كذلك ، فهو ينص فى كتابه الذى ألفه فى مبادئه على أن السيطرة والاستيلاء Impero لا تقصر على السيطرة بكثرة الجنود والأراضى ، بل تشمل سيادة العالم الروحى وتقوية الإرادة والعزم . وضعف هذه معناه الانحطاط والتدهور (١)

مراد على
خريج جامعة هامبرك بألمانيا

---

(١) أنظر كتاب موسولينى Benito Mussolini, La dottrina del Fascismo Con Una Storia del Movimento fascista di Gioachino Vo'pe. 1932.

تأمــــلات

لا أدرى يا فتاتى كنه نظراتك، ولا أخدع النفس بتصوراتى؛ إنما بعينيك سواد يغمر ضوؤه فؤادى، ويذيب حره جنانى. أسمع صوتك المتهدج تحاولين أن تخلعى عليه المستحيل من ثباتك، وأحس خفقان قلبي يعلوه هذا الشحم واللحم، فتخفى ضرباته على وجدانك.

تضربين يا فتاتى فى حدود الثلاثين، ولما تكادى، وأغذ أنا السير والأربعون من ورائى؛ فبيننا ما يسوغ لك مناداتى بيا أبى. وكم يحمل هذا النداء من عطف ومن مرثية! وكم تتجلى فيه الحقيقة المرة، وتشرق به النفس الظمآى إلى فيض الحب!...

كم يردنى إلى اليأس قدر ما أرتد إلى الأمل... لكن، يا فتاتى، قد آرتك بحواسى، وهى تهتف بك وتهيب، فهل تستجيبين؟

وكيف تستجيب يا صديقى، وقد كان ما مضى كله عبثاً فى عبث... لقد فتحت عينىّ عليه، وكانتا مغمضتين، فروعنى ما رأيت: رأيت سداً هائلاً يقوم بينى وبينها، هو فرق ما بينى وبينها من سن... دروجى إلى الكهولة، وخطرها فى مطارف الشباب هو الذى أترع قلبى غماً، وأزال الغشاوة عن عينىّ...

رأيت الأوهام بعين الحقيقة تمضى فراراً لا تلوى على شىء. وكأنها خشيت أن تلقانى وجهاً لوجه، فأبصق من مر الحقيقة على وجهها. خجلت أوهامى فانحسرت عن بصيرتى، وخلفت أثرها فى الكآبة التى لا تبرح تلازمنى

ظلمتنى يا فتاتى حين أرخيت لى فى حبل الأمل فتعلقت به وشددت عليه، وتشبثت وكأنى أتشبث بالحياة، وأية إماءة حادة كانت تكفى لقطع الحبل لأنه من عمل الشذوذ ومجانبة الحقائق، والعمى عن الحدود. لكن حبلى لم ينقطع بشىء حاد. نظرة لا حياة فيها، لأنه لا اكتراث فيها، كفت لأن تقطع حبل آمالى بعد إذ كانت تحييها فى سالف الأيام نظرة أخرى. وفتور أدنى إلى التثاؤب وأوهى منه، طعننى فى الصميم فكانت الصرخة التى فتحت عينىّ على حلمى المنكوب

بلى يا فتاتى! لقد نكبت كما لم ينكب غافل، وعاودنى الرشد غير رشيد، وحزت الحسرة فى فؤادى ولن تزال تحز إلى الأبد

كنت ماثلة لعينى، فى اليقظة وفى المنام، فى السر وفى العلن، وخلياً ومشغولاً، ومغتبطاً ومكموداً

ومثالث لعينى بعد الخيبة أجلى ما تكونين، وأنضر ما تكونين، تعلو شفتيك تلك الابتسامة الحائرة فتزيد فى حيرتى وتثير من حسرتى

شربت المر ليعوضنى من حُلوكِ، وألزمت حوامى حدها لأفر من طيفك. ثم عمدت إلى تخيلى وقد خفت على نفسى الخبال فمسحت منها صورتك إلى حين. ثم ضبطت خيالك متلبساً بالسطو على رأسى المضطرب وأعصابى المحطمة وليس بها لمثلك غناء فأقصيته، وأغمضت عينى دونه، وذهبت ألتمس السلوان

وكيف تسلو يا صديقى، بل كيف تجبن عن احتمال الذكرى وتهيب وجه الحبيب؟ أتراك خشيت الألم ولوعة الهوى، وما الهوى من دون لوعة وألم؟ أتريد المتعة الرخيصة؟ إنك إذن لأنانى أو عابث؛ وإنى لأعيذك يا صديقى أن تكون هذا أو ذاك

فَلْيَغْشَ نومك طيف الحبيب، وذهنك رسمه؛ وليكن تفكيرك فيه وعيشك به وله؛ وليكن بعد ذاك ما يكون. فالنار التى تتأجج فى قلبك، والجرح الذى يحمله صدرك، يطهران نفسك التى بين جنبيك. وما هو إيثار الروح على الجسد إن لم يكن فى تعففك وعفافها، واطراح الإغراء من جانبك وجانبها ليكن جمال نفسها هو الذى يستهويك لا فتنة الجسد. وليكن صوتك فى سمعها كصوتها فى سمعك رحمة وخيراً لا شراً وإغراء

ستألم حين لا تطفئ المتعة نار قلبك المتأججة، فما نفعك بمتعة تطفئ الإيمان وتميت القلب؟ إنما نفعك بالألم الذى يرهف حسك، ويضىء نفسك، ويخضع جسدك. إنما نفعك فى البقاء لا الفناء، فى بقاء نارك متأججة، ونفسك نيرة، بقاء للحب الذى لا تعرفه المادة ولا ينبغى أن تعرفه، بقاء لروحانية البشر التى تتمثل فى الألم، الألم يا صديقى ولوعة الحب والكآبة التى تذيب جسدك كالشمعة لتحترق وتضىء

كل أولئك يا صديقى عناصر تجعل منك الإنسان المنشود لا الإنسان الموجود.

(م. د)



مجلس أدباء

طالما رغبت أن أرى هذا المجلس حتى أتيح لى هذا الحظ العظيم فقادنى إلى حيث ينعقد أحد الرفاق ؛ وكان المجلس لحسن حظى ليلة خففت إليه حافلاً لم يغب عنه كما علمت إلا واحد أو اثنان ممن يشتركون فى حلقته

وأنا رجل طالما أحسنت الظن بالأدباء حسن ظنى بالكتب فيما سلف وإن كان أكثرهم ليزعمون أنى متكبر أعيش فى علبة لأنى ظللت حتى تلك الليلة لا أعرف أكثر هؤلاء إلا فى آثارهم

جلست بين هؤلاء الشباب صامتاً أنقل بصرى من وجه إلى وجه، وأتبين الأشخاص من أحاديثهم، وهم قد وضعوا أنفسهم بحكم رسالتهم فى مركز وسط بين الملائكة والناس ؛ ولم تمض لحظة حتى عرفت من كلامهم أولاً أنهم جميعاً شعراء ؛ ثم تبين لى بعد ذلك أن كلا منهم يسمو فى فنه على الباقين حتى ما يلحق به أحد وإن كان لا يصرح أحدهم بذلك ، وإنما يشير إلى ذلك المعنى فى لباقة عجيبة

وأعجبنى منهم لعمر الحق أنهم كانوا يديرون بينهم كؤوس الثناء بدل كؤوس الصهباء إن جاز فى ذوقهم هذا التعبير . فهذا يثنى ما وسعه الثناء على القصيدة الأخيرة لجاره ؛ وذلك يمتدح ديوان صاحبه حتى ليجعله من مفاخر العصر ومآثر الجيل، وفلان يستزيد فلاناً من طرفه ... وهكذا يتبادلون بينهم الثناء حتى لا يتركون معنى من معانيه

ولكننى ما لبثت على الرغم من ذلك أن تبينت فى حلقتهم أحزاباً ، وساعدنى على فهم ذلك ما عرفته من سالف كتاباتهم ، فهذا شخص أعرفه من قبل قد جعل لصاحب له الزعامة فيما كتبه عنه ، وأراه فى المجلس يقبل عليه إقبالاً شديداً فما تبدو منه نكتة إلا انطلق وراءها مقهقهاً مستحسناً مهما بلغ من تفاهتها ، وما يبدى رأياً إلا انحاز فيه إليه مهما خالف فيه كل قياس وخرج به على كل ذوق ... وهذا شخص آخر يعلم أن بين فلان وفلان حقداً وهو يحقد على أحدهما فيما أعرف فلا يزال يمتدح الآخر بكل ألوان المدح ، وألمح أنا الامتعاض على وجه المغضوب عليه فأفطن وأبتسم

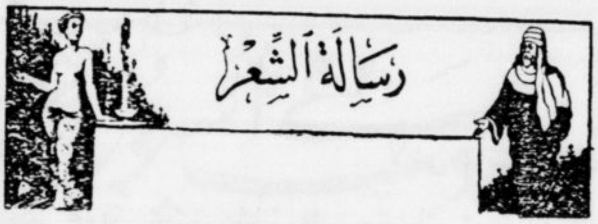
وأعجب لهذا التناقص الغريب ، وهم كانوا قبل ذلك يبدون لى وقد ألف الفن بين قلوبهم وملأها بالمحبة ... ! وينتقل بهم الحديث من تبادل الثناء ثم من اللمز إلى المباهاة والمفاخرة . فهذا تنهال عليه رسائل الإعجاب حتى ليترك بعضها دون قراءة لكثرتها ؛ وذلك يتهافت على قصائده كبار الملحنين ولكنه يضن بها ضناً بالشعر عن التكسب والتبذل ؛ وثالث يقول فى خجل مصطنع إنه يشار إليه فى كل ناد ويتهامس الفتيان والفتيات باسمه ، ويرد عليهم من يذكر كيف يحرص على مودته أصحاب الصحف اليومية والأسبوعية على اختلاف نزعاتها ؛ ويسكت أحدهم تاركا لصاحبه المفتون به أن يتلو عليهم من حالاته ما يعجبون معها لشذوذه المحير، ذلك الشذوذ الذى يصل به إلى الجنون، ولكنه بأى حال لا يفسر إلا بأنه شذوذ العبقرية وجنون الملهمين ، وإن كانوا ليعلمون أنه متكلف يبلغ غاية السخف فى تكلفه ...

واجتمع هؤلاء الشباب على رأى واحد ، وذلك هو رأيهم فيمن سموهم شيوخ الأدب فأولئك عندهم قوم نالوا من الشهرة مالا يستحقون ، وليس فيهم إلا من يحقد على الشباب وعبقرية الشباب وطموح الشباب ، ولذلك فهم يحاربونهم ويضعون فى طريقهم العقبات ، ولكن الغلبة فى النهاية لا شك للجيل الناهض ...

ويحمل هؤلاء الملهمون حملة صارمة على هذا البلد الجاحد ويألمون لحظهم فيه ، ويتساءلون: لم أطبقت الغفلة على هذا الجيل إلى مثل هذا الحد ؟ فإذا مال الحديث إلى أصل من أصول الأدب رأيت بين هؤلاء الذين يرمون الجيل بالغفلة تناقضاً وتباينا واختلافاً شديداً حتى ليصعب على من يقرأ مثل آرائهم أن يصدق أنهم يعيشون فى عصر واحد وفى بلد واحد ، وكيف يلتقى هؤلاء على ذوق أدبى والمسألة بينهم رياء وتقارض ثناء ؟

وبعد أفلا يسهل على بعد أن بلوت مبلغ صدق هؤلاء بعضهم تلقاء بعض أن أصدق ما يقال عن مبلغ صدق أكثرهم فى فنهم؟ ذلك الصدق الذى ترى من آياته أن ينظم أحدهم فيما رأى من جمال الربيع وهو لم يخرج من مكتبه ، أو يصف الشروق والغروب والليل فى القرية وهو لم ير مدى عمره قرية ، أو يتوجد ويتوجع ويشتكى إلى ملهمته وهى لا توجد إلا فى مخيلته ! لقد أسرفنا فى الهزل فمتى نجد ، وبالغنا فى الاستهتار فمتى نستحى ؟

« عين »



من شكوى الزمن

للدكتور ابراهيم ناجي

يا ويلتا من عُمرى الباقي ... هذا سوادٌ تحت أحداقي
هذا بياض الشيب وا عجبى ... من مَغربٍ فى زِى إشراق
ويلى على كأس معربدة ... وعلى دم فى الكأس مُهراق
وعلى سراب خادع وعلى ... متألق اللمحات برّاق
طاف الزمان به على نفر ... ملوا بهاماتٍ وأعناق
صُرعوا وكنت تظنهم سكروا ... مات الندامى أيها الساقى !
يا دهر لم أشك الكلال ولا ... مَلكتْ خطوب الدهر إرهاقى
عذبت أيامى بعفتها ... وقتلتنى بصفاء أخلاقى
يا كَمْ غرستُ وكم سَقَيتُ وكم ... نضَّرتُ من زهر وأوراق
ما حيلتى والأرض مجدبة ... سيَّانِ إقلالى وإغداقى
أين الذين رفعتُ فانحدروا ... وبنيتهم بُنيان خلاّق
إن الوفاء بضاعة كَسَدَتْ ... ومآل صاحبها لإملاق
إفلاس أرواح ومَضْيعةٌ ... لقلوبنا فى شر أسواق
إن كنتُ لم أغنَمْ فقد ظفروا ... منى بمغفرتى وإشفاقى
لكننى والجرح يُلهب لى ... حِسّى ويكوى كىّ إحراق
هيهات أنسى أنهم عبثوا ... ووَفيتُ لم أعبث بميثاق

احترق ... احترق !

للأستاذ أمجد الطرابلسى

لا تقف يا قطارْ ... لا تهن يا خَفِقْ
نخَلات الديارْ ... من وراء البحارْ
لمعَتْ فِى الافُقْ
ويك ! لا تحترقْ
قد بلغنا الفناءْ ... بعدَ كدِّ المسيرْ
ليس دونَ اللقاءْ ... بعدَ هذا المساءْ
غيرُ بعض العصورْ ...
وبحارِ تموزْ ...
سرْ بنا سرْ بنا ... فى الدّجى يا أملْ
الهوى نايُنا ... والمدَى ... غايُنا
يا هَنَا مَنْ وَصَلْ
بعدَ فَوْتِ الأجلْ ...
. . . .
قفْ بنا يا قطارْ ... واسترِحْ يا خفِقْ
بيننا والدّيارْ ... غمَراتُ البحارْ
وظلامُ الافُقْ
احترق ... احترق !

يومان

للأستاذ صالح جودت

اليوم الاول

(المنظر : هو وهى على الشاطىء)

هى : ما لعَيْنَيْكَ يا رهيبُ تُثيرا ... نِ طيوفَ الأوهام حول أمانى؟
هو : أنا يا فتنةَ الوجود ؟
هى : أجل أنت
هو : وكيف اتُّهِمْتِ ؟
هى : مجنونتان !
فيهما حيرةٌ وغمرةُ شكٍّ ... ومعانٍ ما تُرجمتْ بلسانِ
كم علَتْنى غِشاوةٌ عند لُقيا ... كَ فأنكرتُ رؤية الإنسان
لستَ كالناس!
هو : هل أكون ملاكاً ؟
هى : حيرتى فى الملاك والشيطان !
هو : أنتِ يا مَنْ سكبتِ خمرةَ إلحا ... دى وأترعتِنى من الإيمانِ
عند عينيكِ تنتهى أعيُنُ اللـه ... فأنّى مضيتُ شارفتانى

مهدُ جَفْنَيهما من السَّرْمَدِ الخا لدِ مهما استطال لا يَغْفُوَان
غير أنى أحس سرًّا دفينا وهما دون غَيْبِهِ مُغلقان

هي: ثم ماذا؟

هو : أهواكِ يا ربة الُحسْنِ !

هى : وماذا أعددتَ للقربان ؟

هو : كل ماشئتِ لايعزُّ، وإن كا ن محالاً فإنه لك دَانِ

هى :
قمْ بهذا الكُرازِ أنضِبْ لِيَ البَحْر !

هو : وهل أستطيع ما فوق شانى ؟

هى :
خَلِّهِ عنكَ.. قم وأنضِب من الشا طئِ بعض المياه

هو : يختلطان

هى :
كاختلاط الشَّهوات بالأَثْرِةِ العميـاء فى لجةٍ من الوجدان
واختلاط الحِجَى ببوتقة الجنـس فتبْنِى من المحال الأمانى !
أوَ ما قلتَ إنه لِيَ دانِ ؟ مالَكَ الآن نُوْتَ بالبرهان ؟

هو : لستُ ربًّا !

هى : وما أنا ؟

هو : أنتِ عندى رَبَّةٌ فى سماوة الفَنَّان

هى :
كيف ترجو إذَنْ هواى وما أنـتَ بصنوٍ مكانه كمكانى ؟

هو : إجعلينى فيما مَلَكْتِ قطيناً أو هبينى مُوَكَّلاً بالجِنَانِ !

هى : هل رأيتَ الجِنَان ؟

هو : فى جسم أنثى عبقرىّ الظلال والألوان
فعلى صدرها الثمار وفى الثَّغْـرِ من الخمر سلسبيل المعانى
وعلى شَعْرها المذهَّبِ أشبا حُ قصورٍ ما شَيَّدَتْها يدانِ

اليوم الثانى

(المنظر : هو وهى خارجين من الصومعة)

هى: كنتَ فى الليل راعيًا فى الجِنَانِ

هو : ليل أمس فى ذمة النسيان كنتِ فيه إلهةً !

هى : ما أنا الساعةَ ؟

هو : لاشىء، أنتِ كالجثمان
أنتِ مخلوقةٌ تعيشين بالجِسْمِ وتُفْنِيكِ شهوة الحيوان

هى: قُبلةً !

هو : ما وراءها ؟

هى : هِيَ معنًى

هو : هَتَكَتْ شهوةُ الجسوم المعانى
ونَضَتْ سِتْرَ ناظريك وذاع السِّـرُّ فيما فقدْتِ من أكوان

هى : أَوَ أَنْزَلْتنِي عن العرش لما ذاع سرى لديكَ ؟ أىّ بيان !

: ... ...
... ...
: ... ...
: ... ...
... ...

: غادرٌ أنتَ ؟

هو : نحن للفن نحيا ونراكم له من القربان
فنُضَحِّى بكم على مَذْبح الفكر ليُهْدَى بالفكر جيلٌ ثان

صالح جودت



العودة

إن بعض الحوادث فى حياة الرجل لتنزل منزلة الآية المحكمة: تنسخ ما كان قبلها، ثم يأتى بعضها كالقنبلة: تخسف الأرض أمامه فلا يرى إلا هوةً وغبارها، فإذا تلاحقا لم يدر المرء ما يستدبرُ من أمره ولا ما يستقبل، وإنما هو الحيرة والضلال والرُّعبُ، والتردّى كلما أقدم أو أحجم ... بَلَى، إن علينا أن نصارع الحياة بالقوة، وأن نداورها بالحيلة، حتى نخلص إلى الأرض المطمئنة، ولكن هل يستطيع أحدنا بعد ذلك أن يصل إلى هذه الأرض؟! لولا أن اليأس هو باب الموت، لكان هو — فى الحقيقة — إحدى الراحتين ...

كتب

ولنعُدْ ... أصدرت المطابع المصرية فى الأسابيع الماضية طائفة كثيرة من الكتب العربية، بعضها لأصحابنا من المعاصرين، وبعضها مما أنقذه المعاصرون من المكتبة العربية المدفونة فى خزائن الكتب، فنحن نختار من هذه الكتب ثلاثة يجرى الحديث فيها مجرًى واحداً فى الغرض الذى نرمى إليه، وهى كتاب: «التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية» وهو دراسات لكبار المستشرقين مثل: بكر، وجولد تسيهر، ونلينو، ومايرهوف. ترجمها إلى العربية الأستاذ عبد الرحمن بدوى؛ وكتاب «الرسالة» لإمام المذهب محمد بن إدريس الشافعى. نشره العالم المحدّث الثقة الشيخ أحمد محمد شاكر، وكتاب «الذخيرة» لأبى الحسن على بن بسام، نشرته كلية الآداب مستعينة بمراجعة الأساتذة محمد عبده عزام، وخليل عساكر، وبخاطره الشافعى؛ وأشرف على عملهم أساتذة الجامعة: أحمد أمين، ومصطفى عبد الرازق، وعبد الحميد العبادى، وعبد الوهاب عزام، وطه حسين

وهذه الكتب الثلاثة لا يجمعها بابٌ واحدٌ من حيث موضوعها، فالأول آراء للمستشرقين فى فروع من الحضارة العربية والآراء الإسلامية، ورسالة الشافعى هى أصل علم «أصول الشريعة». والثالث فى تاريخ الأندلس، وشعرائها، وبلغائها، وكتابها. فالذى حملنا على جمعها فى باب واحد من كلامنا هو الرأى فى المستشرقين، وما يجب علينا أن نتابعهم عليه، وما ينبغى لنا أن نحذره منهم

المستشرقون

فقد قرأت مقدمة كتاب «التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية» — كتبها الأستاذ «بدوى» بحرارة الشباب التى تتضرم فى دمه، وجعل يتهدّمُ فيها على التُّراث العربىّ بآراء كالمعاول: تضربُ فى الجِذع بعد الجذع على غير هُدًى ولا كتابٍ منير. فلما توغلت فى الكتاب رأيت أن آراء المستشرقين — الذين ترجمَ لهم كلامهم — هى التى وضعتْ فى يديه هذه الفأسَ ليعمل بها؛ ونحن لا نرى أن مثل ذلك مما يُضر بالتراث الإسلامى بشىء، ولكننا نرى أنه يُضرُّ بأصحابه والعاملين عليه أوّل، لأنه يأكل قوامهم فى شىء لا يمكن أن ينال منه شىء «ولو كان بعضهم لبعض ظَهِيراً». والمُشْكلة كلُّها هى فتنةُ أكثر الناس بأسماء المستشرقين، وأن ما يكتبون فى التاريخ الإسلامى والعربى ينزل من قلوب كثير من شبان الجامعة وغيرهم منزلة الكلام القُدْسى: تحريف معانيه إبطال لقوة «الاستشراق» التى فتنتهم. ونحن — حين قرأنا بعض آرائهم التى ترجمها الأستاذ «بدوى» — وجدناها عملاً صالح المذهب من ناحية مَدْرَجِه، وأما من ناحية التحقيق العلمى، والغاية التى يرمى إليها، فهو عمل غير صالح. فكان هذا الذى عرفناه هو الذى دفعنا أن نخصص هذه الكلمة للكتب الثلاثة المذكورة آنفاً، ولمذاهب المستشرقين فى تناول الكتب العربية القديمة بالتحقيق لنشرها، ثم مذاهبهم خاصة فيما يعالجون من تاريخ الفكر الإسلامى أو الحضارة الإسلامية. وليس غرضنا هنا أن نعرض لنقد شىء بعينه من آرائهم، وإنما نريد أن نثبت لهم حقهم الذى وجب لهم بما بذلوه من جُهْدٍ، ونحذر شبّاننا من الافتتان بباطل من باطلهم

وينقسم أمر المستشرقين كما ترى إلى عملين: أحدهما عملهم فى الكتب العربية القديمة التى نشروها من بدء توجههم إلى هذا

الغرض ، والآخر ما كتبوه من دراساتهم فى الآثار العربية ، وما أرّخوه من تاريخ الإسلام ، وتاريخ آرائه ومذاهبه العلمية والفلسفية .

نشر الكتب العربية

فالمستشرقون حين بدأوا فنشروا الكتب العربية القديمة لم يقصّروا فى بذل المال والوقت لاستجلاب الأصول التى يطبعون عنها هذه الكتب ، ثم يتفرغ أحدهم لمقارنة الأصول بعضها ببعض ، وإثبات الاختلاف بين النسخ الكثيرة التى تقع لهم ، وتحرير ذلك بالحرف والنقط والشكل على ما هو عليه فى أصل من الأصول ، وأمانتهم فى إبقاء المحرّف على تحريفه والخطأ على صورته ... إلى غير ذلك من الدقة والأمانة فى إعطاء القارئ صورة كاملة فى نسخة واحدة من الكتاب المطبوع - لعدة نسخ مختلفة متباينة من الأصول المخطوطة . حتى إنهم ليثبتون فى « الهامش أو الاستدراك » ما هو خطأ بيّنٌ لا يصح على وجه من الوجوه ، وإنما هو جهلُ ناسخٍ وإفسادُ كاتبٍ ، ثم لا يعطونك رأياً يرجّحون به لفظاً على لفظ ... وحتى إنهم ليثبتون الخطأ الصرف فى صلب الكتاب ويكون صوابه فى الاستدراك ، وحجتهم فى ذلك أنهم يعتمدون أقدم النسخ عندهم ، يطبعونها كما هى ، وأما اختلاف سائر النسخ فهو من حق المستدرك وإن كان هو الصواب الذى لا صواب غيره

وهذا — على علّاته — عمل جيد وأمانة صحيحة . ثم جاءتنا هذه المطبوعات فى بلادنا على فترة جهل وإهمال ، وعلى زمن كلُّ أصحاب المال الذين ينشرون الكتب فيه ، إنما هم عامة لا يعنيهم إلا الربح من طبع الكتب حروفاً قد جُمع بعضها إلى بعض على غير نظام ولا تحرير ولا فن ؛ فلما قارن بعضنا هذا بهذا ونحن عرب وهم أعاجم لا يعنيهم من عربيتنا ما يجب أن يعنينا — انبثق بثق الفتنة ، وبجد الناس همة هؤلاء المستشرقين الأعاجم — وحقَّ لهم — وجعل جماعةٌ ممن لُبِّس عليهم يدفعون القول بعد القول فى تعظيمهم والمغالاة فيهم بغير الحق ... ثم مضى ذلك وانسحب التبجيل على آرائهم فى الفكر الإسلامى والتاريخ العربى كما انسحب على أعمالهم فى نشر الكتب ... وأين هذا من ذاك ؟

ثم انبثقَ بثقٌ آخر ، فظن بعضُ المغالين أنّ المذهب الذى سلكه المستشرقون فى التصحيح ، هو المذهبُ لا مذهبَ غيره ، وجعلوا يَنْمَونَ على مَنْ يخالفهم من أصحاب اللسان العربى فى طريقة نشر الكتب العربية . ومع ذلك فهم على الحق فى بعض ما يقولون ، ولكنه ليس كل الحقّ ؛ فإن المستشرقينَ لم يذهبوا هذا المذهب ، ولم يقفوا هذا الموقف من اختلاف النُّسخ ، إلا لعجزهم عن ترجيح بعض الكلام العربىّ على بعضٍ ، وذلك لِعِلَلٍ بيّنة : أولها جهلهم بالعربية على التمام ، فإن تمامَ العربية هو السليقة التى لا تكتسب ، كما أن تمام الإنجليزية والفرنسية هو السليقةُ والنشأة والاندماج فى الوسط الإنجليزى أو الفرنسى من بدء المولد والحضانة ؛ والثانى أنه قلَّما يوجد فيهم المتخصص فى فقه علم بعينه حتى يكونَ حجّةً فيه ، اللّهمَّ إلا أن تكونَ الحجة - عندهم - فى جمع نصوص كثيرة فى موضوع واحد من كتب شتى ، ولكنهم لا يدّعون أبداً أنهم أصحاب رأى فى البيان والتأويل والترجيح

رسالة الشافعى

ويجب أن نضرب المثل هنا « برسالة الشافعى » التى طبعها العالم الجليل الشيخ أحمد محمد شاكر ، فهو طبعها عن أصول مخطوطة ومطبوعة ، وأقدمها نسخة منها بخط الربيع بن سليمان تلميذ الشافعى وراوى كتبه ؛ فالأستاذ الشيخ شاكر حجة فى علم الحديث النبوى ، وفقيهٌ مُتقِنٌ للسنة التى هى أصل من أصول الدين ، فلما تناولَ « الرسالة » بعدّها للطابع لم يتركْ شاردة ولا هائمةً من اللفظ إلا ردّها إلى مكانها من عربية الشافعى وأصوله التى فى كتبه ، وأثبت الاختلاف ورجح بعضه على بعض ، وعمل فى ذلك عمل العقل المفكّر بعد أن ضبط كل اختلاف رآه إلى غير ذلك من أبواب التحرير والضبط . فإذا أنت قرأت الأصل دون التعليق رأيته قد سلم من كل عيب ، وصار بياناً كله ، بعد أن كان فى الطبعة الأولى من « الرسالة » شيئاً متخالفاً يتوقف عليه البصير ، فما ظنك بسائر الناس ممن يقرأ وليس له فى هذا العلم قديم معرفة أو مشاركة ؟ وأنت إذا قارنت هذه الرسالة بأى كتاب من الكتب التى أتقنها أصحابُها من ثقات المستشرقينَ ، وجدت الفرق الواضح ، وعرفت فضل العربى على الأعجمى فى نشر الكتب العربية ، إذا هو حمل أصولها على أصول الفقه والدراية والتثبت ، ولم تخدعه فتنة برأى لعله غيره أقوم منه وأجود

وأنا أذكر بهذه المناسبة أن الأستاذ قد أرسل إليّ في (إبريل سنة ١٩٣٢) يسألني عن كلمة وردت في حديث من مسند أحمد ابن حنبل، ولم أكن قرأتها قبل ذلك، فكتبت إلى الرافعي رحمه الله أسأله عنها وعرضت له ما رأيت من رأي، فخالفني الرافعي، ثم لم تمض أيام حتى وجدت في الطبري ما يوافق بعض رأيي أو يدل عليه، وأبي الرافعي أيضاً. ثم لم ألبث أن وجدت نصاً بعينه على الذي رأيت، وهذه الكلمة هي في الحديث ... «رجل قد جرد نفسه، قد (أطَّنها) على أنه مقتول»، فرأيت أن قراءتها: «أَطَّنَها» والهمزة فيها منقلبة عن الواو فهي «وطنها» وكذلك وردت في الطبري، ولكن أصحاب كتب اللغة لم يثبتوا ذلك في كتبهم كما أثبتوا «وكَدَ وأكَدَ، ووثل وأثل» إلى غير ذلك. فأنت ترى أن الطبع والسليقة ربما هدت إلى ما لا يقع إلا بعض طول التنقيب والبحث والتجميع

الذخيرة

وهذا أيضاً كتاب «الذخيرة» فإن الجهد الذي بذل في تصحيحه وضبطه على الأصول المخطوطة التي طبع عنها وبيان اختلاف النسخ، قد أوفى على الغاية، وقلّ من المستشرقين من يستطيع أن ينفذ إلى إجادة مثله في التحرير، ومع ذلك فقد وقع فيه بعض ما كان يمكن تجنبه، لولا أن الأساتذة المصححين قد تهاونوا في تحطيم أسلوب المستشرقين الأعاجم، في التوقف الذي لا معنى له عند العربي، ونضيف إلى هذا علة أخرى، هي أنهم ليسوا ممن تخصص لشيء بعينه من تاريخ الأندلس وأدبه، فكذلك بقي بعض الخطأ كما هو، وأثبت على ذلك وليس له أي معنى. وترْك مثل ذلك للقارئ مما لا يصح ولا يستحسن، ولنضرب لذلك مثلاً أو مثلين: ففي ص ٨٢ «... دبّروا جميعاً عليه فقتلوه ليلاً ...» وفي نسخة أخرى «بدروا»؛ وكلا الحرفين لا معنى له في الجملة، والصواب عندي أن يكون «اندَرَأوا عليه ...» أي هجموا عليه واندفعوا، ومن قرأ النص عرف أن هذا هو حق السياق، وكذلك في ص ١١٠ «وفارس ميدان البيان، وذات صدر الزمان» وفي نسخة «وأذات» وكلاهما ليس له معنى، وهو محرف عن «ودُرَّة» أو أي شيء يكون حلياً للصدر ... ونحن لا نتتبع وإنما نقلب بعض أوراقه الآن على غير ترتيب، ومع ذلك فهو أجود بكثير من أغلب كتب المستشرقين

هذا ...، وليس كل المستشرقين ممن يصح الاعتماد عليهم في كل شيء، فقد طبعوا كثيراً من الكتب ...، وأقل كتاب وأردأ مما يطبع في مصر هو خير من مثل هذه الكتب. فلو أخذت مثلاً «كتاب الزُّهرة» لابن داود الظاهري، الذي طبعه الأستاذ «لويس نيكل» بمساعدة الأخ «ابراهيم طوقان[1]»، لوجدت أكثره خطأ، بعد الذي بذله الأستاذ طوقان في الاستدراك عليه ... ولو شئنا أن نضرب المثال بعد المثال على ذلك لضاق المكان عن إتمام ذلك

مباحثهم

أما مباحث المستشرقين فهذه هي موضوع الإشكال كله، والمستشرقون - كما لا يشك أحد - ثلاث فئات: فئة المتعصبين الذين تعلموا العربية في الكنائس لخدمة التبشير، وهم الأصل، لأن الاستشراق في أوله كان قد نشأ هنالك بين رجال الدين ..؛ وفئة المستشرقين الذي يخدمون السياسة الاستعمارية في الشرق العربي، وفئة العلماء الذين يظن أنهم تجرّدوا من الغرضين جميعاً ... فأما الفئة الأولى والثانية فما نظن أكثر أقوالهم في المباحث الإسلامية إلا جانحاً إلى غرض أو مركوساً بقوله إليه، وهم أكثرية المستشرقين، ولا نظن أن كلام هؤلاء مما يمكن أن يعتمده أحدٌ إلا أن يكون مفتوناً جاهلاً. وأما الفئة الثالثة، فهي أيضاً موضع الإشكال؛ فمن غير الممكن فيما نظن أن يتجرد هؤلاء عن الغرض الخفي الذي يدب من وراء الكلام؛ هذا على أنهم كما قدمنا ليسوا أصحاب سليقة في فهم النصوص العربية على التحري لموضوعها، وتمام الفقه لمعانيها التي يتعاطونها؛ وإذن فمن واجب قارئ كلامهم أن يقف عند آرائهم موقف الناقد الذي لا يقبل إلا ما تقبله الطبيعة الفطرية للغة في المعاني التي يستخرجونها من الكلام. ومع ذلك أيضاً فمن عيوب هذه الفئة أنهم ربما استخرجوا قولاً ضعيفاً فاسداً ليس بشيء في تاريخ الإسلام والعربية، ثم يكتبون وقد اتخذوا هذا القول أصلاً ثم يجرون عليه سائر الأقوال ويؤولونها إليه، ثم يحشدون لذلك شبهاً كثيرة مما يقع في تاريخ مهمل

(١) ترجم الأستاذ بدوي هذا الاسم بجملته «توقان»!! ص ١٠ من كتابه.



تأملات فى الفن :

نبئيني غداً عما تسمعين

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

— لست أدرى لماذا تحب أن تسمع موريس شفالييه وهو يغنى بالإنجليزية ، مع أنه إذا غنى بالفرنسية كان أبدع

— من غير شك يكون أبدع ، ولكنى أسمعه يغنى بالإنجليزية لكى أضحك لا لكى أطرب ؛ فهو ينطق الإنجليزية بلكنة فرنسية فيزيد هذا الشذوذ تهريجه حلاوة وخفة

— وهل موريس شفالييه مهرج ؟

— وأى شيء هو غير هذا ؟ إنما هو مستساغ ومحبوب لأن تهريجه فى طبعه ، فلو لم يكن شفالييه مهرجاً محترفاً يربح من تهريجه المال الوفير ، لكان مهرجاً فى أى عمل يعمله وأينما كان وكيفما كان

— ليت عندنا مهرجين مثله

— وهل عندنا غيرهم . . . ولكن الذين عندنا لا يحترفون التهريج ويدعون الوقار ويصطنعون الجد والتعالى عن سفاسف الأمور

— مثل من ؟

— دعينا من هذا ، فأهلنا هنا فى مصر يوجعهم الحق . عودى بنا إلى موريس شفالييه واذكرى له حسنة أخرى إلى ما ذكرنا له من حسنة التهريج الصريح

— خفة روحه

— إنها مع تهريجه وفى خلاله ، بل إنه منها وبها . ونحن نريد له حسنة أخرى لا صلة لها بالتهريج ...

— مثل ماذا ؟

— مثل لكنته هذه . أليست تدل على شيء طيب فى نفسه ؟ أليست تشهد بأن موريس شفالييه قوى الشخصية ، ومن قوى شخصيته هذه القوة الفرنسية التى لم تخذلها رغبته فى الربح وطمعه فى الدولار الأمريكانى الرنة الإنجليزى اللثغة ... إنى أرى فى شفالييه هذه الحسنة

— ولكنى أرى هذه سيئة لا حسنة . فالمثل هو الطيع النفس الذى يستطيع أن يتشكل بسهولة لا الجامد النفس الذى يستعصى عليه التلون

لم يمحص كالتاريخ الإسلامى ، وكذلك يلبسون على من لا يعلم تلبيساً محكماً لأنه حشد وجمع ، وتغرير بالجمع والاستقصاء الذى يزعمون . وسنتناول ذلك بعد قليل بعرض بعض الآراء التى ترجمها لنا الأستاذ بدوى فى كتابه لنحقق كل ذلك إلى نهايته ، حرصاً على أن نحصر الفساد فى أضيق محيط

العقاد

وأنا لا أحب أن أختم هذا الحديث بغير مثل أيضاً . فهذا الأستاذ « العقاد » ، وكلنا يعلم أنه قلما كان يتناول الأغراض الإسلامية بالتحرير والبحث ، ولكنه منذ العدد الهجرى للرسالة كتب مقالة عن عبقرية محمد صلى الله عليه وسلم العسكرية ، ثم عن عبقريته السياسية ، فاستوفى القول فى ذلك وأشبعه ، ورد كثيراً من الشبه التى كان يلبس بها الأعاجم على الأغرار من شبابنا : وليس يستطيع مستشرق أن ينفذ فى فهم التاريخ العربى ، والاجتماع الإسلامى ، والفلسفة الإسلامية ، كما يستطيع كاتب قارىء مطلع كالأستاذ العقاد . ثم هو فوق ذلك أديب عربى يستطيع أن يجعل فطرته العربية الأدبية عوناً له على التغلغل فى أسرار تاريخية مطموسة ، لا يطيقها المستشرق لفقدانه مثل هذه الفطرة ؛ ثم لأن البيئة العلمية والاجتماعية التى نشأ فيها وتثقف على أساسها لا تطاوعه أو تلين معه ، حتى يكون فى نظره إلى التاريخ العربى أو الفلسفة الإسلامية ، خرّاجاً ولاّجاً على طبيعة العرب وطريقتهم فى تداول معانى حياتهم ، وحياة أفكارهم وفلسفتهم . ونحن نرجو ألا يخلى الأستاذ العقاد مباحثه من هذا النوع الجديد من الفكر فى تاريخ تنقذف عليه كل يوم جهالات كثيرة مفسدة ليس لها أصل ولا بها قوة

محمود محمد شاكر

— هذا حق . وإنى أعتقد أن موريس شفالييه إذا مَثَّلَ شخصية إنجليزية معينة فإنه سيكون فى تمثيله هـذا أقرب إلى سلامة « التجنلز » منه وهو يمثل شخصيات غير محدودة لا ينعاق الإنجليزية بلسانها بضرورة فنية ، وإنما لضرورة تجارية ألزمته إياها شركات السينما الأمريكية ... ولو لم تكن الأدوار التى يخرجها موريس شفالييه كلها تهريج ومراح ومجون وفكاهة لا تجب معها المؤاخذة على سلامة كيانها لقضى لفشل موريس شفالييه ولعاد إلى التمثيل بلغته الفرنسية كما عاد إميل جاننجز إلى التمثيل بلغته الألمانية على ما تكبد فى ذلك من خسارة مادية هائلة ، إذ كانت أمريكا تعتبره ممثل الدنيا الأول

— أو إلى هذا الحد يصعب على الإنسان أن يمثل بلغة غير لغته؟

— إذا كانت لغته متغلغلة فى نفسه قابضة على زمام روحه

— وكيف يكون هذا وكيف لا يكون ؟

— اللغة هى لسان فريق من الناس يقال لهم شعب، لأنهم تشعبوا من أصل البشرية إلى اتجاه إنسانى خاص يستدعى سلوكه مميزات نفسية خاصة . وهذه المميزات يظهر بعضها فى التفكير ، ويظهر بعضها فى الذوق ، ويظهر بعضها فى الأفعال والحركات ، ويظهر بعضها فى اللغة وفى طريقة إلقاء هذه اللغة . وكلما تأصلت هذه المميزات فى نفوس الشعب وضحت آثارها فى المظاهر التى ذكرناها ، وليس هذا الوضوح إلا دليلاً على تمكن هذه المظاهر من تلك النفوس ، وشـدة ارتباطها بها ، فإذا أكرم شعب من الشعوب أفراده تأصلت فى أفراده مظاهره حتى لتكون هى الطابع الذى يطبعهم ، وإنهم لينمون هذا مدفوعين إليه بالذى يشعرون به من الاعتزاز بانتسابهم إلى أنفسهم ، وهم لا يشعرون بهذا إلا إذا كانوا على خير ، وإذا كانوا بهذا الخير راضين . وليس هناك شك فى أن موريس شفالييه يعتز بانتسابه إلى فرنسا ، كما أنه ليس هناك شك فى أن إميل جاننجز يعتز بانتسابه إلى ألمانيا ، كما أنه ليس هناك شك فى أن شارلى شابلن يعتز بانتسابه إلى العبرية ، أما موريس فإنه رأى الناس لا يطلبون منه إلا أن يضحكهم وأن يمازحهم ، فلم يعبأ بأى لسان يتحدث إليهم ويغنيهم ، فهو ينطق أحياناً بالفرنسية وأحياناً بالإنجليزية ، ولو كفل له استديو مصر حاجته من المال لمثل بالعربية ولم يجد مانعاً من ذلك ما دام غرضه وغرض الناس منه هو العبث ، وأما شارلى شابلن فإنه يمثل من غير أن يتكلم لأنه لا يهرج ، وإن كان يضحك الناس على أنفسهم ، ولأنه يريد أن يحسه الناس جميعاً مجرداً من كل بلبلة مما فرق البشرية وشَعَّبَها ، وقد كان شارلى يستطيع أن يمثل بالانجليزية وهو مولود عليها، ولكنه يشعر بالحق فيما بينه وبين نفسه أنها لغة طارئة على تكوينه غريبة على نفسه ذات المميزات العبرية الشرقية التى أنعم الله بها على بنى إسرائيل ، وهذا الشعور مع رغبته فى الشيوع مع النفوس المختلفة هما اللذان يلزمانه التمثيل الصامت وإلا فقد كان يمثل بالإنجليزية وهى لغة جمهور السينما

— أو بالعبرية وهى لغته

— ولكن أهلها قليلون جداً وحرام أن يخصهم شارلى وحدهم بفنه مثلما خص إميل جاننجز أهله الألمان وحدهم بفنه بينما كان الواجب الإنسانى عليه أن يظل فى أمريكا يمثل صامتاً مثلما يفعل شارلى ، وقد كان ينجح كل النجاح ويوفق كل التوفيق فهو فى الممثلين آية . أذكر أنى رأيته مرة فى فيلم يبكى بضلوع ظهره بكاء أبكانى وأبكى كثيرين معى ، وليس كل ممثل بقادر على هذا

— فما الذى منعه ؟

— لست أدرى ، وإن كنت أظن أن إميل لو كان صاحب ثروة مدخرة لبقى فى أمريكا وفعل الذى يفعله شارلى ولما اضطره الفقر إلى أن يقف موقف الاختيار بين ما يريده الأمريكان من التمثيل الناطق ، وما يريده الألمان من النطق بالألمانية وحدها

— إذن فلو كان إميل غنياً لكان قد تخلص من ألمانيته ، فالألمانية إذن ليست متغلغلة فيه كما تدعى ، وما دام الأمر كذلك فقد كان يمكنه أن يظل فى أمريكا وأن يمثل بالإنجليزية

— لا . إن الألمانية متغلغلة فيه، فلا أحد ينكر أن الألمان من الشعوب الذين يعتزون بأنفسهم ، بل الذين يصل بهم اعتزازهم بأنفسهم إلى أن يصبح صلفاً وتكبراً مذمومين ، وكل الذى كان يستطيعه إميل مع هذه الألمانية المتمكنة فيه من ألوان الكفاح هو سترها بالصمت ، ولكنه لم يكن ليقوى على أن يسترها إذا نطق فبأى لسان نطق ظهرت ألمانيته ، وظهر فيها صلفه وكبرياؤه وغروره ، والصلف والكبرياء والغرور من الصفات التى يراها البشر عامة شذوذاً وانحرافاً عن الفطرة الإنسانية السهلة السمحاء وليس يقبل فريق من الناس أن يكون الإنسان ذا صلف وكبرياء

وغرور إلا الألمان ، لأنهم كلهم هكذا أصحاب صلف وكبرياء وغرور، فمجتمعهم مملوء بهذه الصفات حتى إنهم لم يعودوا يرون فيها غرابة ولا شذوذاً ولا عيباً ، وقد يقبل الناس من غير الألمان أن يروا إميل جاننجز فى دور تمثيلى فيه صلف وغرور وكبرياء ، ولكنهم لن يقبلوه فى هذا الدور بهذه الصفات إلا إذا كانت هذه الصفات مما يستدعيه الدور ، كأن يكون دور قائد من المحاربين الناصرين المفتونين ، أو حاكم من الحكام المستبدين المغرورين ، أما إذا لم يستدع هذا الدور هذه الصفات وظهرت هذه الصفات فى لهجة إميل جاننجز وإلقائه للانجليزية أو الفرنسية فإن الناس سيضحكون عليه من غير شك لأنها صفات غريبة على الدور خارجة عن طبيعته ... أولا تضحكين أنت من المتكبر المغرور إذا لم يكن له جاه يبرر — ولو للعرف — كبرياءه وغروره ؟ ... لهذا عجز إميل جاننجز عن التمثيل بالإنجليزية

— وهؤلاء الممثلون جميعاً الذين يمثلون فى هوليوود باللغة الإنجليزية وهم من شعوب مختلفة ولهم ألسنة مختلفة ، ألا يراعون هذا الذى يراعيه إميل جاننجز وشارلى شابلن وموريس شفالييه ؟

— أما شفالييه ، فهو لا يراعى شيئاً كما قلت لك ، واللذان يراعيان هما شارلى شابلن وإميل جاننجز ، فهما من عشاق الكمال الفنى ، وقد تركزت فى كل منهما خصائص قومه ، فهو فى فنه يمثل شعبه فى حياته ، فهذا شارلى ضاقت العبرية به ، فصمت وانتشر بصمته فى الأرض ، كما ضاقت الأرض المقدسة عن بنى إسرائيل ، فصمتوا عنها وانتشروا فى الأرض ، وهذا إميل جاننجز ضاقت به الألمانية ، فتشبث بها وانحصر فى حدود بلاده يجتر كبرياءه وصلفه وغروره كما ضاقت ألمانيا نفسها بأبنائها فلم يصمتوا عن صلفهم وكبريائهم وغرورهم ، وإنما انحصروا فى أرضهم يأكلون صراخاً وزعيقاً وصخباً وجلبة . ولو كانوا على شىء من الحكمة ، لنزلوا عن شىء من صفاتهم هذه ، ولكانوا كالإنجليز معتدين بأنفسهم ولا غرور ، أو كانوا كالمسلمين معتمدين على الله ساعين فى أرضه الواسعة بالحق والسلام والصبر فى البأساء ويوم البأس ... كم أريد أن أسمع صوتاً مسلماً : فى حديث أو غناء أو ترتيل أو تمثيل لحال أو موعظة تلقى ... ولكن أين نحن من هذا ... إنه لن يكون إلا إذا أسلم كاتب من الكتاب ، فاهتدى إلى موضوع مسلم ، فكتبه ، فعهد به إلى مخرج مسلم ، فسلمه إلى ممثلين مسلمين وملحنين مسلمين ومغنين مسلمين ، فعندئذ فقط نسمع الصوت المسلم ...

— وهذه الأصوات التى تسمعها ؟ ألا يشبهك منها ولا صوت جورج أبيض ؟ ...

— فيه رنة لذيذة كرنة الذهب ، ولكن فيه أيضاً عجمة غريبة تشربها فى فرنسا حيث تعلم التمثيل ، وإنه فى هذا يشبه الدكتور طه حسين بك فى إلقائه ، فهو ينطق الحروف العربية سلمة مسلّمة نقية مجودة ، ولكنه إلى هذا يموج صوته فى إلقائه تمويجاً فرنسياً فيه التلطف ، وفيه القصد إلى التأثير ، وفيه التأنق فى الاسترسال والتأنق فى الوقف ، وهذا شأن مستشرق فرنسى تعلم العربية فأجادها ، وليس شأن عربى يتكلم . والدكتور طه معذور فى هذا فقد تعلم فى مصر ولكنه تربى فى فرنسا وقد اختار أن يتفرنس ثم يستشرق لأنه رأى المستشرقين الفرنسيين أرق علماً وأخصب حالاً من المصريين ومن العرب ، وأنا مؤمن بأن الدكتور طه لو كان قد احتك بمثل إنسانى حى أعلى منه ومحبب لديه من المسلمين أو المصريين أو العرب لكان قد مكن لغته العربية من نفسه على مثال تمكنها من نفس ذلك المثل الذى لم يره فلم يجد بداً من أن يبحث عنه بين المستشرقين ، كما تعلم الأستاذ جورج أبيض التمثيل على يد أستاذ فرنسى فَطَوّع له نفسه حتى تترجمت إلى نفس فرنسية تلقى العربية برنة فرنسية هى صدى لأسلوب الإحساس الفرنسى الذى دربه عليه أستاذه ...

— وهل للاحساس أساليب ؟

— من غير شك. تصيب المسلم المصيبة فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، ويقبل على الحياة مجاهداً وهو يقول: لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا ، والمؤمنون لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، وتصيب الكافر المصيبة فيهلع لها ويتخبط من جزعه فى أرجائها فلا يخرج منها ـ إن خرج ـ إلا منهوكا زادته المحنة كفراً وبعداً عن الله واستتلافاً على نفسه، له أسلوبه فى الحس وللمسلم أسلوبه، وأسلوب الكافر ظاهر فى لهجته وكلامه، فهو مضطرب حائر يلفظ الكلمة يكاد يخفيها أو يأكلها خشية أن تفضح ما فى نفسه ، فإذا أفصح انفضح اضطرابه وهلعه وجزعه ، وأسلوب المسلم ظاهر فى لهجته وكلامه، فهو مطمئن هادئ مستبشر واثق من رحمة ربه ... ولكل شعب من الشعوب أسلوب فى الحس ويختار من الإحساس يحبه

ويغذيه من نفسه وينميه فيها فيظهر فى لهجته وكلامه . فالألمان يعتقدون أنهم أقوى ما فى الدنيا ولذلك فإنهم يقبلون على الدنيا بهذا الإحساس يتحدون كل قواها مقعقعين بلغتهم وكلامهم كأنهم المدافع، والفرنسيون يعتقدون أنهم أجمل ما فى الدنيا وأشد ما فيها عصفاً وهم لهذا يقبلون على الحياة مدللين متأنقين متلطفين مغرين الناس بأنفسهم قد أرهفوا انتباههم إلى مسة تخدشهم فما يخدشهم حتى يثوروا فما يسترضون حتى يرضوا ... طبيعة الجيل المدلل الأنيق المتلطف ؛ وكل هذا باد فى لغتهم ومطاتها الرشيقة ووقفاتهم الأنيقة كما يبدو فى عواصف إلقائهم وزوابعه إذا هم غضبوا ... وأهل لبنان فى إلقائهم للعربية بداوتهم الباقية وعنجهيتها الفخور ... وأهل المغرب فى سرعة إلقائهم ومضغ الحروف و « كركبة » الألفاظ بعضها فوق بعض لا يزالون فى الهلع الذى أصابهم منذ أزيحوا عن الأندلس بما كانوا يلهون فيها ...

— وأهل مصر ؟

— تسمّيهم أنت ... وتنبئيني غداً بما تسمين

عزيز أحمد فهمى



تضارب فى الرأى يؤدى إلى كشف خطير

للدكتور محمد محمود غالى

الفكرة الموجية والفكرة الحدثية — لماذا تمذهب العلماء بالفكرة الحدثية أو الموجية — ظاهرة التداخل الضوئى والاستقطاب

فيم كان التضارب ؟ وفى أى المناحى ظهرت أزمة علمية ؟ لقد كان فى أهم مرحلة من المراحل العلمية التى تتصل بفهمنا للكون ورؤيتنا له ، وللقارئ بيان ذلك

حاولنا أن نُرجع الكون فى مجموعه إلى ظواهر أربع : الكهرباء والمادة والإشعاع والطاقة . وحاولنا أن نُرجع كل هذه الظواهر إلى ست وحدات أصلية ، وذكرنا أن ظاهرة الإشعاع ترجع إلى ذرة ضوئية يسمونها الفوتون ، والواقع أن ظاهرة الإشعاع تتكون من الفوتون ومن موجة مستصحبة له ، وذكرنا أن هذه الذرة الضوئية تسافر بسرعة عظيمة تبلغ حوالى ثلاثمائة ألف كيلو متر فى الثانية . ولا نتوسع اليوم مع القارئ فى شرح الطرق التجريبية المختلفة التى توصل بها العلماء لقياس سرعة الفوتون الذى لا يمكن أن نعثر عليه إلا وهو فى حالة حركة سريعة بالنسبة للمادة ، ولكننا نستعرض مناحى التفكير فى فهم الظاهرة الضوئية ، والوسط الذى ينتقل فيه الضوء ، والكيفية التى تصور بها الباحثون هذا الوسط الذى يتصل فى أساسه بالكون وبالوجود والحالة التى اضطر لها العلماء فى تعديل تصورهم والاتجاهات العلمية التى تناولت هذا التعديل ، وبهذا نستعرض موضوعاً تضاربت فيه الآراء ، وأزمة كانت من أشد الأزمات العلمية ، أزمة لم تنته إلا بتطور على جديد ، عَدّل تصوراتنا عن الكون وهذّب طريقتنا لمعرفته

***

ولا عجب فى ظاهرة ترجع فى تكوينها وفى معرفتنا لها إلى ظروف معقدة يجمل بنا أن نذكرها ، فالضوء الذى ترسله إلينا الشمس مثلاً أو المصباح يصل لنا فى الحيز من أجسام مادية ، لا نعرف على وجه التدقيق ما حدث فيها من عمليات يصل أثرها إلى حاسة من أهم حواسنا هى البصر نعرف به صور الأشياء بالمظهر ذاته الذى يراه كل من وهب هذه العيون

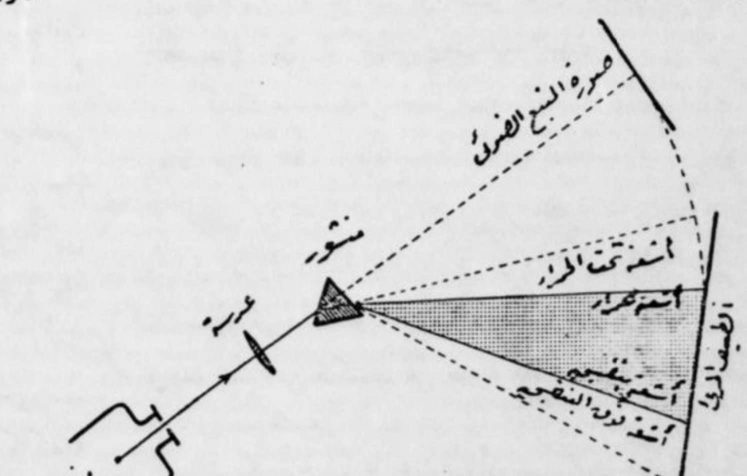
كذلك عند ما يتلقن الطفل أن هذا اللون هو اللون الأحمر وذاك هو الأخضر ، فإنه بعد المران يعرف دائماً الأحمر من الأخضر ، ولا يحدث خلاف بين بنى الإنسان فى تمييز لون معين من بين الألوان، فثمة اتفاق عام على أن هذا أحمر وذاك أخضر، تلك مسألة نقررها بتجاربنا اليومية ، ولكنها تجارب بدائية تقف فى حد ذاتها عن الكشف عن طبيعة الظاهرة التى تجعلنا جميعاً نتفق فى هذا التعيين

وقد يكون غريباً على القارئ أن نقول له إن الضوء عملية موجية ، وإن اللون يترجم عدداً من الذبذبات فى الزمن ، وإنه إنما يميز الأحمر من الأخضر، لأن ثمة عددا من الذبذبات فى الثانية أثرت على العين ليرى اللون الأحمر. وثمة عدد آخر من الذبذبات يختلف عن العدد الأول وصل إلى العين ليرى اللون الأخضر،

ذلك أن القارئ لا يرى هذه الذبذبات، وليس فى تجاربه اليومية ما يؤيدها ، ولكنا نطالبه أن يتبعنا قليلاً ليرى معنا ماذا تكنه هذه الظاهرة العجيبة التى عرف عندها الأشياء بصورها واستوعب الألوان بحالتها

* * *

أول معارفنا عن الضوء ترجع لملاحظة الظواهر العادية التى تتصل بما يسمونه الضوء الهندسى Optique Geomertrique الذى يبين مسيرات الأشعة الضوئية . كلنا يعرف أن الضوء يسير فى خط مستقيم ما دامت المادة التى يسير فيها لا تتغير، ويعرف أن الأشعة تنكسر عند انتقالها من مادة إلى أخرى ، وما السراب إلا ظاهرة حادثة من انكسار الضوء فى الهواء الذى يتكون منه فى الواقع طبقات تختلف كثافتها لاختلاف درجة حرارتها وقد عرف نيوتن ظاهرة انكسار الضوء فى الزجاج ، ودرس من ذلك ظاهرة تحليل الضوء الأبيض إلى الألوان المعروفة ، وبذلك عرف أن الضوء الأبيض الذى يصلنا من الشمس خليط من أشعة مختلفة ألوانها وقد أثبت ذلك بأن جعل الضوء يمر فى منشور زجاجى فيتحلل إلى الألوان المعروفة : الأحمر ، والبرتقالى ، والأصفر ، والأخضر ، والأزرق ، والأرجوانى ، والبنفسجى ، وهى ظاهرة الطيف التى نشاهدها أيضاً فى قوس قزح حيث تلعب كرات الماء المنتشرة فى الفضاء دور المنشور فيتحلل الضوء عند اختراقها إلى ألوانه السبعة



(شكل ١) تحليل الضوء الأبيض بواسطة منشور زجاجى

ويرى القارئ فى الشكل (١) تحليل الضوء بواسطة المنشور ، ويرى المنطقة التى يكون فيها اللون الأحمر واللون البنفسجى ، كما يرى المنطقة التى تكون فيها الأشعة تحت الحمراء وفوق البنفسجية

ولو أننا وضعنا — كما فعل نيوتن — أمام الأشعة المبعثرة عدسة فإن هذه الأشعة تتجمع مرة أخرى بعد خروجها من العدسة وتكون الضوء الأبيض من جديد

ولقد كان الانكسار فى الضوء الأساس فى اختراع كل الأجهزة الضوئية : كالمنظار الفلكى (التليسكوب) والمجهر (الميكروسكوب) والجهاز الفوتغرافى . بهذه الأجهزة جال الإنسان بنظره وفكره من العوالم البعيدة إلى الدقائق التى لا تراها العين ، واستطاع أن يحتفظ بصور الأشياء والحوادث ، اجتماعية كانت أم علمية ؛ وهكذا بتعديل فى شكل الزجاج خرجت صناعة هامة هى صناعة العدسات ، واقترنت هذه بأعمال الإنسان حتى بات فريق كبير يحملها على العيون ليرى للعالم صورة أوضح من التى تسمح له بها حواسه ، وكان ذلك امتداداً عجيباً لوظيفة العين البشرية ، أى امتداداً لحياتنا البيولوجية

لم تكن هذه الظواهر : من مسار الضوء فى خط مستقيم ، وانكساره عند اختراقه المواد ، وتحليله إلى ألوان مختلفة — بكافية لنتعرف حقيقة الضوء ؛ وكان على الباحثين لمعرفة ذلك أن يدرسوا خواصه دراسة وافية ، وهذا ما عكف عليه العلماء الذين ذهب التفكير بهم إلى افتراض احتمالين :

الأول أن يكون الضوء مكوناً من جسيمات صلبة مقذوفة فى الحيز

والثانى أن يكون الضوء حادثة وقعت على جسيمات أخرى مادية ، وليس هو الجسيمات بذاتها ، وفى الحالة الثانية يكون الكون بأسره مملوءاً بهذه المادة التى سموها الأثير Ether وهذه المادة لا نراها بالذات إنما نرى ما يحدث فيها من تعديل أو تموجات ، وظل الرأيان يتناوبان المكان الأول عند العلماء الذين اعتقدوا أولاً فى الفكرة الشيئية (أى الجسيمية) ثم اعتقدوا ثانياً فى الفكرة الحدثية (أى الموجية) ، ولأسباب سنذكرها هنا انتصرت الفكرة الأخيرة عهداً طويلاً ، وظلت النظرية الصحيحة إلى أن حولت النظريات الحديثة ونظرية الكم Quanta مرة أخرى المعتقد نحو الفكرة الأولى

أما النظرية الشيئية فقد أسسها نيوتن Neuton ففرض أن

الضوء مكون من جسيمات صلبة صغيرة مقذوفة فى خط مستقيم فى الفضاء ، وكان لما يتكون من ظل لأى جسم موضوع أمام منبع ضوئى دليل عند نيوتن على ما احتجزه الجسم من هذه الكرات التى حال الجسم دون مرورها

أما النظرية الحديثة ، فقد أسسها الرياضى الهولاندى ويجاز Huyghens وقامت فى المبدأ على اعتبارات نظرية وحسابات قام بها هذا العالم ، وكان لا بد من أسباب علمية هامة لكى يهجر العلماء نظرية نيوتن الجسيمية Corpusculaire على ما لمؤسسها من مكانة ليتمذهبوا بالمذهب الجديد .

على أننا نلخص المهم من هذه الأسباب التى خرج بها علينا العلم التجريبي :

السبب الأول كان فى ظاهرة يسمونها (التداخل الضوئى) Intérference ، والسبب الثانى كان فى ظاهرة يسمونها الاستقطاب[1] Polèrisation ، وللقارئ نوجز الظاهرتين :

عندما يقع شعاع على جسم يضيئه شعاع آخر ، فإنه من البديهى أن يزداد توهج الجسم بهذا الشعاع الثانى ، وهى نتيجة حتمية لنظرية « نيوتن » التى تقول بازدياد عدد الجسيمات الضوئية الواقعة على الجسم ، وبرغم هذه الحقيقة التى نشاهدها فى تجاربنا العادية توصل العلماء إلى تجارب من نوع معين يتبين منها أن هذه الإضافة لشعاعين من الضوء ينتج عنها ظلمة حالكة بدل أن ينتج عنها زيادة فى الضوء



(شكل ٢) ما نراه فى ظاهرة التداخل الضوئى

وقد كشف هذه الظاهرة الطبيب والطبيعى المعروف توماس يونج[2] Thomas Young وتتلخص تجربته فى أنه وضع حاجزاً به ثقبان أمام منبع ضوئى وشاهد على حاجز آخر موضوع خلف الأول سلسلة من الخطوط المضيئة والظلمة المتجاورة ، ذلك أن هذا الحاجز يضاء بما ينبعث من ضوء خلال الثقبين ، وفى الشكل (٢) يرى القارئ صورة لهذه الظاهرة التى لا يمكن تفسيرها بنظرية « نيوتن » ويمكن تفسيرها بالوسائل الرياضية إذا اعتبرنا الضوء ظاهرة موجية[1] ، ذلك لأن موجتين متضادتين وحادثتين فى مكان واحد تمحو إحداهما أثر الأخرى ، ويظهر ذلك فى هذه الخطوط السوداء التى رغم تعرضها للمنبعين لا يظهر عليها أثر للضوء. وليس المجال هنا لنذكر التجارب المختلفة التى وفق فيها العلماء لرؤية هذه الظاهرة ، ولا بد أن يكون قد رآها كل من أتيحت له فرصة عمل تجارب فى إحدى كليات العلوم ، مثل التجارب المعروفة باسم حلقات « نيوتن » أو « مرآة فرنل » وغيرها . كذلك لا ندخل فى تفصيل التطبيقات العديدة التى استخدمت فيها ظاهرة التداخل لكل مهندس تتاح له الفرصة فى معرفة ما تقدمه العلوم الطبيعية من تطبيقات مفيدة يعلم أنه يستطيع أن يعرف درجة تمدد أو ضغط إحدى الأعتاب الحاملة للجسور الحديدية[2] بواسطة أجهزة ضوئية تستند إلى ظاهرة التداخل الضوئى ، كما يعرف أنه من السهل الآن تعيين سمك لوحة رفيعة أو دراسة ما على سطحها من تعاريج أو حركة بالاتجاه إلى أمواج الضوء ، واستخدام ظاهرة التداخل فى القيام بما يصعب قياسه بالطرق العادية[3]

أما الظاهرة الثانية فهى ظاهرة الاستقطاب التى تفرغ لدراستها أيضاً المهندس والعالم « فرنل » ونشرحها هنا فى كلتين :

ثمة نوعان من الأمواج فى الظواهر الطبيعية المختلفة ، أمواج طولية حيث تتذبذب الجسيمات فى اتجاه سير الموجة ، وأمواج مستعرضة حيث تتذبذب الجسيمات فى اتجاه عمودى على سير الموجة. وأظهر مثال للأخيرة تلك الأمواج التى نشاهدها على سطح المياه حيث يرتفع الماء ويهبط فى مكانه عموديا على الاتجاه الظاهرى لمسار الموج دون أن يتحرك الماء من مكانه نحو هذا الاتجاه ،

(١) فى محاولة لا أدرى مدى نجاحها أعتقد أنه ربما نستطيع معرفة سرعة المياه فى المنطقة المجاورة لقاع النيل والترع بالالتجاء إلى ظاهرة الاستقطاب دون ما التجاء لاستخدام الجهاز المعروف لدى مهندسى الرأى باسم « السكارنتيمتر » Current metre أو moulinet Hydrométrique الذى يصعب استعماله فى المنطقة القريبة من القاع

(٢) أعتقد أنه كان ليونج بالذات بحث هام قام به فى مصر عن الآثار المصرية

(١) يرجع تفسير ظاهرة التداخل إلى المهندس الفرنسى المعروف فرنل Fresnel الذى قام أيضا بتجارب هامة عن الضوء الموجى والذى توفى عن ٣٩ عاما

(٢) قام بهذه التجربة الأستاذ « ميناجيه » من أساتذة مدرسة الكبارى والجسور بباريس

(٣) مما هو جدير بالذكر أن ثمة ظاهرة أخرى اسمها ظاهرة الحيود الضوئية Diffraction ، ولا ندخل فى تفاصيلها ، أيدت أيضا النظرية الموجية وعارضت النظرية الجسمية

ولقد أثبت « فرنل » أن الضوء ظاهرة موجية من النوع الأخير فهي كموجة الماء تتذبذب فى اتجاه عمودى على مسار الموجة ، ولا تختلف عنها إلا فى أنها مع مرور الوقت تدور هذه الذبذبة فى المستوى العمودى الذى تتذبذب فيه ، وقد لاحظ « فرنل » أن الضوء عند ما يخترق نوعاً من البلور فإنه يتذبذب عمودياً كما كان قبل اختراقه البلورة ، ولكن الذبذبة تتخذ صفة جديدة ، ذلك أنها تتذبذب فى اتجاه واحد ، ويسمى هذا الشعاع مستقطَباً ؛ وقد بيّن « فرنل » أن ظاهرة التداخل لا تحدث بين شعاعين من هذا النوع إلا إذا كانا مستقطبين فى اتجاه واحد . وظلت فكرة « فرنل » التى تتلخص فى أن الضوء ظاهرة موجية مستعرضة تستلزم وجود مادة أثيرية لحدوث هذه الموجات فكرة غير مقبولة من العلماء الذين لم يؤمنوا بوجود مثل هذه المادة فى الكون، وهى المادة التى لجأ إليها كل من «فرنل» و «ويجانز» لتفسير ظاهرتى التداخل والاستقطاب التى صعب تفسيرها بنظرية « نيوتن » الجسمية ، وظل الأثير وسطاً يتطلب الدراسة

وهكذا لم يكن من المستطاع التعرف على الضوء كحالة موجية دون أن يكون هناك هذه المادة الأثيرية التى تملأ الكون ، وكان شأن الأثير من الضوء شأن الماء فى بحيرة سقط فيها حجر ، وإلا فكيف تصل لنا آثار الحجر إذا لم يوجد الماء ، وكيف تصل لنا هذه الدوائر على سطح البحيرة تتسع رُوَيداً رويداً حتى تبلغ الشاطىء إذا خلت البحيرة مما يحمل هذه الدوائر ، ومع ذلك ظل الأثير فرضاً لا نعرف عن خواصه شيئاً ، وكل ما نعرفه أنه مادة خفيفة شبيهة بالغازات ، لا نستطيع تفريغها مهما كانت أجهزتنا قوية، فهو يملأ المصباح الكهربائى مهما كان مفرّغاً، وبواسطته يمر الضوء من السلك المعدنى إلى الغلاف الزجاجى وإلى ما وراء هذا الغلاف

ولقد صادفت فكرة « فرنل » عن الموجات الضوئية ووصفها بأنها مستعرضة عقبة جديدة ، ذلك أن الأثير باعتباره مادة شبيهة بالغازات لا يقبل غير الموجات الطولية ، وقد استمسك «فرنل» برأيه فى أن الضوء أمواج مستعرضة حتى أنه ، عند ما تشبث « بواسون » Poisson بأن التموجات الطولية هى وحدها الكائنة فى الأجسام الغازية ، لم يسع « فرنل » إلا أن يطلب من هذا العالم أن يصحح رأيه فى خواص الأثير الذى قد يكون له خواص الأجسام الصلبة ، ويقول «ريشنباخ» Reichenbach إن تصميم « فرنل » هذا كان سبباً لكى يمتنع زميله « أراجو » Arago من أن يوقع معه للنشرة العلمية النهائية الخاصة بهذا الموضوع. وفى القرن التاسع عشر عكف العلماء على القيام بتجارب عديدة يتبيّنون منها وجود هـذا الأثير ويتعرفون بها على شىء من خواصه ، وتساءل بعضهم ماذا يحدث فى الأثير عند ما يتحرك جسم فيه ؟ ثمة احتمالات ثلاثة :

الأول أن يحمل الجسم معه الأثير بأسره المحبوس بين جزيئات الجسم . والثانى أن للأثير مرونة عظيمة تسمح أن يمر الجسم فيه دون أى احتكاك ظاهر

والثالث أن يكون للأثير حالة متوسطة ، أى أنه يشترك جزئياً مع حركة الجسم، وهو رأى مال إليه « فرنل » وعززه بحسابات أراد منها أن يعرف درجة اشتراك الأثير فى مثل هذه الحركة

وقد عمد فيزو Fizeau لتحقيق ما ذهب إليه فرنل ، وفى تجربة معروفة أرسل شعاعاً فى أنبوبة مملوءة بالماء الجارى كما أرسل فى الأنبوبة ذاتها شعاعاً آخر فى الاتجاه المضاد ، بحيث يسير مع المـاء أحد الشعاعين ويسير بعكسه الشعاع الآخر ، وباعتبار أن المادة الحاملة للضوء هى الأثير وأن هذا ، وفق النظرية المتقدمة ، يتحرك مع الماء بعض الشىء ؛ فإنه يجب أن تختلف السرعة لشعاعى الضوء فى الحالين . وباللجوء إلى طريقة دقيقة استخدم « فيزو » فيها لقياس السرعة ظاهرة التداخل الضوئى استطاع أن يقيس الفرق بين السرعتين ، فأيدت صحة هذه التجربة فكرة « فرنل » عن وجود الأثير وعن معرفة شىء عن حركته[1]

على أن تجربة أخرى تعد فى نظرى من أهم التجارب التى أحدثت انقلاباً فى التفكير الحديث قام بها العالم المعروف « ألبرت ميكلسون » Albert michelson فى سنة ١٨٨١ ، وكان لها أثر فى عقيدة العلماء فيما يخص الأثير، هذا الوسط الوهمى، وسيرى القارىء كيف سببت تجربة ميكلسون تضارباً فى الرأى وأحدثت أزمة علمية عصيبة ، وماذا كان أثرها على التفكير الحديث فى فهم الكون.

محمد محمود غالى
دكتوراه الدولة فى العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية . ليسانس العلوم الحرة . دبلوم المهندسخانة

---

(١) سيتضح من التجربة التالية لميكلسون خطأ « فيزو » ومهما يكن من أمر تجربة « فيزو » هـذه ، فإنها توحى للباحث بفكرة أخرى تهمنا فى حياتنا العملية ، وهى احتمال قياس السرعة المتوسطة لمياه الأنهار كالنيل بإرسال ذبذبة صوتية فى اتجاه سير الميـاه ، ولمسافة كبيرة تبلغ بضعة الكيلومترات ، وإرسال ذبذبة مماثلة فى الاتجاه المضاد ، ومحاولة استنتاج السرعة المتوسطة لمياه النهر وبالتالى تصرف النهر من مقارنة الفترتين اللتين وصلت فيهما هذه الذبذبات ومن معرفتنا لسرعة الصوت فى الماء



عفـــــراء الغجرية

للأستاذ محمود الخفيف

كان على صهوة مهره الجميل ذات صباح من أصباح بشنس البهيجة فى طريقه إلى حقل من حقول أسرته المترامية البعيدة ، وقد برزت الشمس من وراء كِلّتها الوردية ، وأخذ ذوبها العسجدى يرف فى ذرى الأغصان وأطراف السعف وأجنحة الطير . وكان نسيم الصباح الندىُّ ينفح الناس والشجر والدواب فى تلك البطاح المنبسطة التى لم تبق فيها مناجل الحاصدين إلا جذور القمح ، والتى تلمح العين فيها على أبعاد ، مزارع القطن الخضراء ، وقد أخذت تدب القوة فى شجيراته الموموقة المصفوفة ...

وكانت الحقول آهلة بالناس ، فهنا وهناك جماعات الحاصدين قد تحلقوا حول الفطير والعسل ، أو تمددوا على فرش الحصيد ، أو انحنوا فرادى على السنابل الذهبية يجذونها بمناجلهم ... وهنا وهناك حاملات الفطور بين غاديات ورائحات ، ولاقطات السنابل لا يزال بعضهن يلتقطنها ؛ بينما يخطر بهـا الأخريات حزماً على رؤوسهن يزداد بها قوامهن رشاقة وملاحة ؛ والطرق إلى القرية تتقاطر فيها الإبل تحمل السنابل ويتغنى خلفها الفلاحون — وهم بين هاتف وزامر — وبينهم بعض البـدو ممن يهبطون القرى بجمالهم فى هذا الموسم لنقل أحمال الحصيد إلى البيادر ...

كان كل شيء باعثاً على البهجة ، فما ترى العين ولا تسمع الأذن إلا فيض السرور ؛ ولـكن « حسيناً » كان يحس وحده الانقباض وسط هذا المرح الناضر ... وكم كان يحسد هؤلاء الفلاحين على ما رأى من مظاهر هناءتهم ، وكم كان يتمنى لو أتيح له مثل ما يتاح لهم من نعيم ، ولو اشتراه بما يملك جميعاً ! بل لقد كان يحسد مهره ، وقد خيل إليه كأنما طاف به طائف من هذا السرور ، فهو يتبختر تبختر النشوان ، حتى لو تكلم لباهى بفتونه وجمال غرته ، ولام صاحبه على ما يبدو عليه من هم !

وتنهد الفتى ، وقد ذكره ذلك السرور شجونه ، واستحث مهره يريد أن يصل به سريعاً إلى حيث كان يريد أن يقضى النهار فى منعزله ، فى ذلك الكوخ القائم على ضفة الترعة الكبيرة ، بالقرب من أكواخ تلك الأسرة البدوية التى تقيم هناك منذ سنين لحراسة الزرع ؛ وما كان يأوى حسين إلى ذلك الكوخ إلا حين كان يضيق بهمه ، وتثقل على نفسه الحياة

وانعطف به مهره عند نهاية قناة طويلة تجرى وسط مزارع أسرته ، فلم يكد يتجه اتجاهه الجديد ، حتى وقعت عيناه خلف شجرة كبيرة على بعض أخبية للبدو لم يرها من قبل هناك ، ينبعث الدخان من كوانينها ، وتنبح الكلاب المارين بها . ونظر ، فإذا هو يرى بأحد هذه الأخبية فتاة مضطجعة ، عجب لأول وهلة كيف يتأتى وجود مثلها فى خباء من الشعر ، وهى لولا ملابسها البدوية ، وحليها البدوية ، لظنها الرائى إحدى غانيات القصور ، ففى وجهها الرائع القسمات ، وفى بدنها البض ، مخايل النعيم والترف ، وفى سمتها معانى الكبرياء والأنفة ، هذا إلى بياض بشرتها على نحو لا يكون إلا فى الناعمات البيض من ربات الجمال ...

ورشقته الفتاة بنظرة من عينيها الدعجاوين الرائعتين ، نظرة فهم بفطرته منها كثيراً من المعانى : ففيها الإغراء والدلال ، وفيها الإعجاب به وبمهره الجميل ، وفيها الأنفة وعدم المبالاة ، وفيها الإقرار بما يبدو عليه من جاه ، وفيها الإيحاء إليه بجاهها هى وإن كان من نوع آخر غير جاهه ، نوع كم ذل له كل جاه ، وكم دانت له من جباه ... وسار ، وقد انطبعت فى مخيلته صورة هذه البدوية الجميلة ، ورآها بين من أحطن بها كأنها وردة رائعة فى بقعة من الشوك ... وحدثته نفسه وهو من لا يهاب ولا يضطرب أن يرجع ، فيجلس ساعة بين هذه الأخبية ليرى مبلغ كبرياء تلك الفتاة ، وهو لم ير هناك رجلاً ولا فتى ، ولن يضيره أن يحضر الرجال جميعاً ، فهم يقيمون فى ملكه ، ولا يسعهم إلا الإذعان لسلطانه ... ولـكنه ما لبث أن رغب عن ذلك ، ومضى فى سبيله إلى منعزله ...

***

وبلغ كوخه فترجّل وأسرع إليه صبى من البدو المقيمين

هناك فأخذ المهر إلى مربطه ؛ وجلس حسين فى الكوخ ينظر إلى الماء فى الترعة الساكنة الهادئة وعنى نفسه بيوم هادئ ؛ وطافت برأسه أول الأمر طيوف همه ، ثم طاف بها خيال تلك البدوية الجميلة ، وتمثلت له عيناها الجريئتان الساحرتان ، فسرى عنه بعض ما به لحظة أسلمه بعدها إلى وجد عميق إذ تداعت إليه آلام حبه ولواعج قلبه ... وأفاق من أحلامه على صوت ارتفع من قرب بالتحية ... ونظر فإذا الشيخ مصطفى مقبل نحوه ، وامتعض حسين ولكنه أخفى امتعاضه بابتسامة متكلفة قائلاً : « وعليكم السلام يا عم الشيخ مصطفى . من أين أنت قادم ؟ »

— من عزبة على بك ، حيث كنت أحادثه فى شأن الأطيان التى يريد عمك البك استئجارها وقد قضيت الليل عنده

— هنيئاً لعمى ما يملك وما يستأجر ... أما أنا ... ولكن ماذا أقول ربنا موجود يا عم الشيخ مصطفى

— يا سى حسين بك دائماً تشكو ، قريباً تأخذ ملكك وتتمتع به ، المسألة زيادة حرص من سيدنا البك عليك

— قريباً ... نعم قريباً ، بمشيئة الله وبإرادتى أنا لا بإرادة سيدنا البك

وخشى الشيخ مصطفى أن يسمع عن سيده ما لا يحب ، فاستأذن ونهض يريد الانصراف ، ومد يده إلى حسين فسلم عليه وهو مضطجع والشر يلمع فى عينيه وقال له وفى وجهه جذوة الغضب : « قل لسيدنا البك إن حسين لم يعد صغيراً وهو لن يطيق بعد اليوم أن يحيا هذه الحياة وله عندك أكثر من ثلاثمائة فدان ... كفى ... كفى أنى انقطعت عن التعليم بسبب شحه علىّ وكنت قريباً من النهاية ... لا ! لا ! الصبر بعد اليوم مذلة »

ومضى الشيخ مصطفى ، يشيعه حسين بلعناته ، وقد كان هذا الرجل من أبغض الناس إليه ، لما عرفه عنه من الملق والمداهنة وشدة المكر ، هذا إلى أنه لا يذكره عند عمه إلا بالسوء كأنه يرى فى ذلك وجهاً من الزلفى

وتشاءم حسين برأى الشيخ مصطفى كاتب زراعة عمه ونائبه فى أعماله وزاده مرآه همًّا على هم ؛ وتذكر أنه ما كان يراه مرة أيام كان طالباً إلا رسب فى امتحانه أو أصابه المرض إن لم يعقب مرآه امتحان

والتفت حسين نحو الترعة يريد أن يغيب فى سكونها ثورة نفسه فأبصر تلك البدوية الحسناء وقد حسرت ثوبها عن ساقيها الجميلتين ونزلت فى الماء تغترف منه فى إناء صغير من الفخار ، وتبدت لعينيه كأنها تلك الجنية التى كان يسمع من أوصافها وهو صغير ما كان يخفق له قلبه رعباً ... ولقد خفق قلبه الآن لمرآها ولكنها اليوم خفقات الإعجاب بهذا المنظر الساحر الفاتن ...

وكأنما كانت بما تأتيه من حركاتها الرشيقة تدعوه ليحدثها وما كان بحاجة إلى هذه الدعوة فقد خف إليها وحياها فى جرأة فردت فى فتور وهى تغريه بعينيها وتتكلف الحياء فتشيح بوجهها عنه وهى منحنية على الماء ، وسألها عن اسمها فتباطأت لحظة وهى تبسم له ابتسامة نفذت إلى قلبه ثم قالت : « خادمتك عفراء ... »

ووثبت إلى الشاطئ ووضعت الإناء فوق رأسها وهمّت معجلة بالانصراف ، فاستوقفها فتأبت ، فقال : إنه لن يسمح لها بالسير إلا على موعد . فضحكت وقالت : حتى ترى القمر فى الضحى ؛ وأجاب من فوره: ها قد رأيته ، وأشار إلى وجهها الجميل ...

ولم تكد تخطو حتى مر بالكوخ فتى فى نحو الثلاثين كره حسين مرآه ، فنى لفتته لفتة الذئب ورآه ينظر نحو عفراء نظرة ملؤها الغضب والغيرة

عاد حسين إلى القرية بعد عشرة أيام قضاها فى منزله على ضفة الترعة ، حيث كانت توافيه إليه عفراء كل ليلة فتجلس معه ساعة أو بعض ساعة

ووصل إلى منزل عمه وقد غربت الشمس فوجده جالساً على كرسيه أمام داره وحوله جلساؤه وعلى مقربة منه كاتب زراعته ؛ وألقى الفتى إليهم السلام فردوا جميعاً إلا عمه فقد نظر إليه نظرة كريهة لمح فيها لأول مرة إلى جانب البغض ما يشبه التشفى ... وعجب حسين أن رأى معانى الرثاء واضحة فى نظرات من لقيهم من الخدم وقرأ على وجوه الخادمات وبخاصة عزيزة أن كلا منهن تريد أن تفضى إليه بنبأ ، فاضطرب قلبه فى جوانحه وقد فهم كل شئ ...

ونادى عزيزة فأقبلت عليه لا تدرى كيف تفضى إليه بما تريد من نبأ ، فارتسمت على شفتيه ضحكة متكلفة حزينة كأنما يقول

لها بها : هيه لا تخافى . وقالت عزيزة « يا سيدى حسين ستى ثريا هانم خطبوها خلاص وكتب الكتاب بعد شهر ... »

وأحس كأن قلبه يدمى فى جوانحه ؛ وتقطعت أنفاسه كأنما مسه نصب شديد ، ولكنه تجلد ريثما صرفها ، ثم أسند ظهره إلى حائط البيت يخشى أن يسقط على الأرض . . . ثم مشى يجر رجليه فأوى إلى مضجعه وجلس فى الظلام ساعة ...

وبث اليأس فى قلبه البأس والقسوة فلن يعبأ بعد اليوم بشىء وهو يريد أن يعرف أولا ماذا ترى ابنة عمه فيما أريد لها، ولذلك وثب من مكانه لا يدرى أين يذهب ولا من يسأل ، وفى مخيلته نظرة عمه وما فيها من معانى التشفى ، وفى نفسه وساوس وهواجس ونيات سود فزع حتى فى ساعة يأسه منها ... وما قيمة حرمانه مما يرث إلى جانب حرمانه من أمله الذى لا يرى للحياة معنى من دونه ؟ ولم يكد يخطو من منزله إلى منزل عمه حتى رأى عزيزة فناداها وهم بسؤالها ولكنه لم يعرف كيف يدير الحديث إلى غرضه ففهمت ما يريد فقالت فى لهجة الواثق : « ما تخافش أبداً يا سيدى حسين أنا عارفه ... »

— عارفه إيه ؟ هل قالت لك حاجة ؟ لازم أعرف

— لا مافيش حاجة إنما أنا عارفه وبكره تشوف وابقى قول عزيزة قالت لى ولى عندك الحلاوة

وانصرفت عزيزة مخافة أن يراها سيدها ، ووقف حسين فى مكانه يدير كلامها فى عقله متسائلاً هل أتت به من عندها أم سمعت شيئاً من سيدتها ولكنها لا تذكره لأنها لم تؤمر بذكره؟ وفزع بآماله إلى الرأى الثانى فهدأت ثورته قليلاً

مضى حسين إلى (دوار) عمه، وجلس وحده فى ركن هناك، وظل يتفكر فى همه مطرقاً حتى أحس بيد على كتفه فرفع بصره فإذا هو ابن عمه أحمد ، وكان هذا على خلاف أبيه ، يبدى المودة لحسين ، ويكاشفه بما فى نفسه ... ومال الحديث بين الفتيين أول الأمر إلى الأرض التى يريد أن يستأجرها البك بالقرب من عزبة على بك ، وأظهر أحمد خوفه من عاقبة هذا العمل ، ثم أفضى إلى حسين أن على بك يستأجرها كل عام من البنك ، وعلى بك رجل خطر فتاك وبينه وبين أبيه ضغائن وإحن قديمة وليس من الحكمة أن يأتى أبوه هذا العام فيغرى البنك بأن يأخذها هو نظير زيادة فى الإيجار ، وليست به حاجة إليها ، بينما يحتاج إليها على بك أشد الحاجة لأنها تفرج عنه ضائقته التى يعانيها منذ بضع سنين، فضلاً عما فى فعل والده من معنى التحدى والتعدى وهو أمر له خطره الشديد عند الأمر

ووثبت إلى ذهن حسين صورة ذلك الفتى الذى مر به غداة ذهب إلى كوخه ، والذى كره حسين مرآه ورأى الإجرام واضحاً فى وجهه الشبيه بوجه الذئب ؛ ولم يدر حسين لم يذكر الآن ذلك الفتى ولم يبعث تذكره فى قلبه الرهبة ويشيع فى نفسه الكآبة . ورأى حسين فى وجه ابن عمه أنه يريد أن يحدثه فى أمر ، فسبقه حسين إليه وقال ضاحكاً : « مبارك النسب الجديد يا سى أحمد »

— لا دى مسألة وتفوت . عمك يريد معاندتك . . . إحنا كنا معك ، مين يفوت ابن العم ويفضل الغريب — لا تهتم غاية ما فى الأمر لا تعاند عمك . وازدادت المحبة فى قلب حسين لابن عمه أحمد ، وقد تبين فى لهجته الجد والصدق

* * *

لم ينم حسين ليلته إلا غراراً وقد ذهبت به الهواجس كل مذهب ، ولما أخذته سنة رأى فى نومه أنهم قد ذهبوا به إلى القبر وأنه فزع من ضمة القبر وظلمته ؛ وأنقذته الديكة بتصايحها من حلمه المخيف ، فهب ، ولكنه تمنى لو كان الحلم حقيقة . . . أتزف ثريا إلى غيره وهو حى ؟ . . . ثريا ابنة عمه التى ما أحب غيرها وهى منذ الصغر مسماة عليه ؟ أكان يفعل عمه ذلك لو كان أبوه حياً ؟ وماذا جنى حتى يطعنه عمه تلك الطعنة ؟ لا شىء إلا أنه يطالب بحقه . . . وما قيمة الحياة مع هذا الهوان ؟

وتمثلت له أيامه الجميلة ، أيام سعادته بحب ابنة عمه ، أيام كان يناقلها الأحاديث العفة ، وهى مطرقة فى سذاجة خلوة تستروح نسمات الحب ، وتحلم أحلام الحب ، وترى فى ابن عمها دنيا آمالها ، ويرى فيها جنة أحلامه . . .

وعول من فوره أن يذهب إلى منزله على ضفة الترعة ، فما يطيق العيش على مقربة من عمه . . . بل إنه ما يطيق الوجود

كله ، وامتطى مهره وانطلق بعد أن قابل عزيزة ؛ ومر فى طريقه بخيام البدو فلم ير عفراء هناك . . . على أنه كان من همه فى شغل عنها وعن سالف لهوه معها .

***

— كيف الحال يا شيخة العرب ؟

— الحمد لله . . . ربنا يخليك يا سيدنا البك

— مين هوه الجدع اللى كان هنا الغريب ده ؟

— ربنا يكفينا شره ... الله يسهل له ... دا بعيد عنك ... دا يقتل الرجل بجنيه أو بكيلتين حب

— ولم يأتى عند كم ؟

— دا يروح عند أى جماعة من العرب ، ما حدش يقدر يكلمه ... يا ما ياخد من هنا خبز ولحم وشاى ...

وكان حسين يعرف الكثير من أحوال هؤلاء الأعراب الذين يحترفون القتل ، وليس يدرى لم لاح له شبح الجريمة منذ رأى ذلك الأعرابى ... هل جاء لقتل عمه ؟ يفعلها على بك ولا يبالى ...

فكر حسين وأطال التفكير ، وبينا هو يقلب الأمر على وجوهه ، إذ لمح عفراء مقبلة تحيت باسمة ولمحت عيناها السريعتان الهم فى وجهه ، فقالت مداعبة :

— أعرف البخت وأقرأ الضمير ... فهل تريد ؟

— أين الرمل والودع ؟

— لا ... يكفى هذا الطمى ... ارم بياضك

ودهشت الغجرية أن رأت حسيناً يرى إليها جنيهاً براقاً كعين الشمس ، ولم تصدق أنه لها أول الأمر حتى استيقنت من ذلك فراحت تقول وهى تخطط الطمى بأصبعها :

— عدو جديد ... احذره ، ولكن الوردة لك لا لغيرك ... صلى على النبى ... واحد يكرهك وواحد يوز عليك والباقى بحبوك وانت منصور ... شر كبير ولكن يفوت وربنا يسلم

وسكتت العرافة وتلعثم لسانها ، وجرت صفرة فى وجهها الوردى ، واختلجت عيناها واضطربت أصبعها ، ثم قالت :

— وفيه وردة ثانية ، لكن آه ! تعرفك وتتملى نورك ، وانت موش دارى

وفهم ما تريد ولكنه تغابى ، ودنت العرافة منه وهمست فى أذنه كلاماً دق له قلبه وانطفأت حمرة وجهه وارتعدت مفاصله .. وانطلقت وبودها لو عرف الوردة الأخرى وشمها شمة ...

إذاً فقد أصبح الوهم حقيقة ... فهذا الذئب ما جاء إلا ليفتك بعمه ، ولكن من أدرى عفراء ؟ لعلها سمعته يفضى بسره إلى زميل له من البدو . وماذا يفعل حسين ؟ لقد مرت برأسه فكرة ارتاع منها وانتفض لها جسمه ... لا ، كيف يسكت؟ أيطيق أن تفجع ثريا فى أبيها ؟ ... وهو ؟ أليس هو عمه على الرغم من كل شىء ؟ ألم ينحدر هو وأبوه من صلب واحد فهو بذلك قطعة من أبيه ... ؟ وكيف يلقى الله ودم عمه على يديه ؟ وكيف يهنأ بعيشه بعد الجريمة ... إنه يحس أن سكوته اشتراك بكل معانى الاشتراك

ويوسوس له الشيطان فيقول : هبك لم تعلم ومات عمك أفلا تتمتع بملكك وحبيبة قلبك ؟ كلا ... كلا ... إن الدم لا يهون؛ وهو يعلم ما يبيت لعمه ... ولكن كيف تزف ثريا إلى غيره ثم لا يحدث ذلك إلا نكاية فيه ؟ ويحه ما باله ! تنازعه هذه الهواجس والأمر بين ؟ ماله يلتفت نحو الترعة ؟ أيريد أن يعبر إلى العدم لجتها ؟

***

قضى ليلته مشرد اللب خائر البدن تفزعه الرؤى السود وتنهش أحشاءه المخاوف ، وبات يخشى على نفسه هو ، ومن يدريه فلعل ذلك الذئب قد علم من حيث لم يدر هو ولم تدر عفراء ، بما أفضت به إليه .. لعله رآها تهمس فى أذنه ومثله من يرتاب فى كل شىء ومن يفهم باللمحة الخاطفة ، وأغمض جفنه ، فرأى وهو بين اليقظة والنوم أنه مائل أمام أبيه مغلول اليدين والدماء على ملابسه وبديه ، وعمه فى أكفانه ينظر إليه من كثب ولا يستطيع أن يتكلم ... ومرت بوجهه أنفاس الفجر الندية فقام وهو لا يكاد يقوى على القيام ... ثم عقد النية أن يخبر الشيخ مصطفى بما علم وهو الكفيل بأن يقضى على الذئب قبل أن يقضى الذئب على عمه وأرسل من جاءه بالشيخ مصطفى ، وجلس كاتب عمه بين يديه ساكتاً ، وسكت حسين لحظة

— تألت والله يا سيدى حسين لما علمت بنبأ الخطوبة الجديدة

— ليه ؟ هذا نسب عال ...

— على كل حال أنت أولى من الغريب ولكن ما الحيلة ؟

— يا سيدى دى قسمة وربنا هو اللى عمل كده .. هل يكون العقد بعد شهر صحيح ؟

— لا ، ربما كان قبل ذلك فالبك مستعجل

وأمسك حسين وصمم على كتمان ما علم ، ولكنه حار كيف يصرف الشيخ مصطفى ... واستأذنه لحظة وراح يمشى على ضفة الترعة جيئة وذهاباً وهو ضائق بما كان يبدو له من نظرات التشفى فى وجه الشيخ مصطفى وإن بالغ فى إظهار تألمه ... وناداه فأفضى إليه بما علم ، ثم صحبه إلى القرية وقد أصبح يخاف من كوخه

وانقضت أيام ، أخذ يزداد فيها حسين قرباً من عمه بعد أن كان موضع الريبة والحذر الشديد ، فقد اتهمه الشيخ مصطفى عند عمه بتدبير الجريمة ، ولكن الشيخ مصطفى ما لبث أن جاء من لدن عفراء بالخبر اليقين ... وأجل العقد الذى أريد من قبل ليحل محله بعد التخاص منه عقد آخر ... وأخذت الأيام تبتسم لحسين بعد عبوس مخيف طويل ، ولم يعد يكدر على الأسرة صفوها إلا خوفها وحذرها البالغ على حياة البك ، ذلك الحذر الذى كان يتجلى فى إحاطة منزله ليلاً بالحرس الساهرين

ولم تحل يقظة الحراس دون أن تفزع الأسرة كلها بعد المشاء ذات ليلة من صوت انطلاق بندقية استقر مقذوفها فى كتف البك وهو فى مدخل الحارة المؤدية إلى بيته

وهرع إليه ذووه يعتقدون أنه قد فارق الحياة ... ولكن الله سلم فحالته لا تنذر بالخطر ... لقد أخطأ الجانى مرماه ؛ وشغل الناس هول الفزع عن تعقب المجرم ، فتسلل تحت جنح الظلام وهو من يعرف كيف يفلت مهما نصب فى طريقه من الفخاخ

ولئن أخطأ الذئب مرماه هنا فلقد أصابه بعد ساعة أو بعضها فى مكان آخر ؛ فهؤلاء البدو يهبون من خيامهم مذعورين على صوت مقذوف ... أعقبه صرخة ، ونظروا على ضوء مصباح صغير فإذا الدم الحار يتدفق من قلب عفراء ، ووجهها الجميل لا تزال عليه بسمة أحلامها وهو متجه إلى السماء . . .

الخفيف



الحصار لا يكفى

[ملخصة من « ذى كونتمبورارى رفيو » لندن]

كثير مما يقال عن تأثير الحصار فى الحرب العظمى ، ويلفظ به الناس، يحمل طابع المبالغة. فعلى الرغم من موقعنا الجغرافى الممتاز وتفوقنا البحرى العظيم ، فإن هذا الحصار لم يؤت ثماره إلا بعد اشتراك أميركا فى الحرب . إن تنفيذ مبدأ كهذا المبدأ على البضائع التى تصدرها دولة قوية محايدة كالولايات المتحدة يعد من الأمور المستحيلة . فإذا حاولنا ذلك تعرضنا لمشاكل سياسية لا نهاية لها . ومما لا شك فيه أننا كنا إلى منتصف عام ١٩١٧ غير قادرين على منع كثير من البضائع الهامة التى ترسل إلى ألمانيا عن طريق اسكاندينافيا وغيرها من الأمم المحايدة

ولم يكن للحصار تلك القوة القاهرة التى تقضى على خصومنا القضاء المبرم كما يعتقد الكثيرون ، حتى حين أصبح أمراً واقعاً على الأعداء . فلا نعرف أن خطة حربية ذات أهمية تذكر أخفقت بسبب نقص السلاح أو الذخيرة وكان الحصار السبب المباشر لهذا النقص . ولم يشك أحد من قواد الألمان فى جميع الميادين نقص السلاح أو الذخيرة طيلة الحرب ، وإن كانوا يشكون قلة الرجال . ولا نستطيع أن نعزو انعدام الدبابات فى الجيش الألمانى إلى الحصار كما أننا لا نستطيع أن نقول إن الطائرات الألمانية أو الغواصات نقصت بهذا السبب

ولكن ضغط الحصار كان واقعاً فى الحقيقة على السكان المدنيين دون الجنود أو البحارة أو الطيارين . ولم يكن حتى هذا الضغط بالذى يؤدى إلى كبتهم وشل حركتهم كما يعتقد الكثيرون ويستدل من الكتاب الذى ألفه « جنرال واندوهر » بعنوان « الجوع » – وهو كتاب موضوع فى هذا الشأن – على أن ضغط الحصار لم يكن إلا نوعاً من حرب الأعصاب التى تضايق السكان بحرمانهم من الحصول على المواد التى اعتاد الرجل المتوسط الحال أن يحصل عليها فى سهولة ويسر ، ولم يكن بذى أثر فعال يصل إلى الإضرار بأجسامهم ونفوسهم كما قد يفهم وهذه نتيجة أستطيع أن أعززها بملاحظاتى الشخصية

ولا يفهم من هذا أن الحصار كان عديم الفائدة أو أن العدو لم يعان من أجله مصاعب لا يستهان بها ، ولكنى أرمى إلى الحقيقة التى لا شك فيها ، وهى أننا نستطيع أن نحاصر ألمانيا وأن نحكم عليها هذا الحصار ، ولكن لا يمكن أن نلجئها بذلك إلى التسليم

قد يكون من المعقول أن يفوز الملاكم على خصمه إذا وقف أمامه موقف المدافع فى جميع حركاته ، حتى إذا أنهكت قواه تغلب عليه بقوة الاحتمال ، ولكننا لا نعرف فيما نعلم أن ملاكما نال جائزة التفوق على خصمه بهذه الوسيلة

وقد يكون من المعقول كذلك أن تتغلب أمة عظيمة على أمة أخرى بإحكام الحصار عليها ، ولكننا لم نر ولم نسمع أن حرباً اكتسبت فى الواقع بهذه الوسيلة ، ولا نستطيع أن نستثنى الحرب الحاضرة من هذا الوصف

فإذا أردنا أن نربح الحرب يجب علينا أن نضع خطة حربية إيجابية نقدم عليها بكل ما لدينا من القوة ، فإذا كنا سنتعرض فى سبيل ذلك إلى بعض الأخطار ، فإن هذه الأخطار ستكون عوناً لنا على قهر الأعداء

يجب أن نفهم الفرنسيين

[ملخصة من « ذى نيوستيتسمان » لندن]

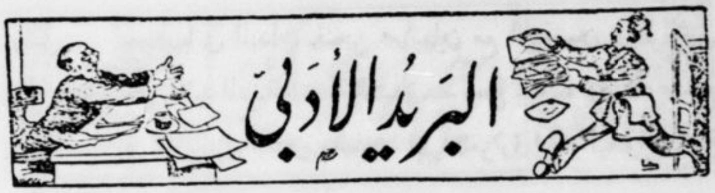
منذ بضعة أسابيع دعا أحد الرجال الإنجليز البارزين ممن يدعون إلى فكرة الاتحاد الدولى ، شخصية ممتازة من الرجال الفرنسيين البارزين إلى اجتماع فى أكسفورد . فشرح الإنجليزى رأيه فى النظام الأوربى الحديث ، وصور لضيفه الفرنسى نظرية الاتحاد الدولى الأوربى ، والأساس الذى يقوم عليه ، ثم استطرد قائلاً : « سوف ينتخب المجلس بطبيعة الحال من الدول القوية ، وسوف يكون عدد الممثلين فيه بنسبة عدد سكان كل دولة » . فاعترضه الضيف قائلاً : « ولكن عدد الألمان ٨٠،٠٠٠،٠٠٠ وعدد الفرنسيين ٤٠،٠٠٠،٠٠٠ ، فهل تمنى أن يكون عدد ممثلى الشعب الألمانى ضعف عدد الممثلين الفرنسيين » . قال الإنجليزى : « أو ليس هذا هو المنطق المعقول » ؟

لقد وقع هذا الحوار بين رجلين من رجال الأعمال . ولعل الفزع الذى أوقعه كل منهما فى نفس الآخر، هو مقياس ما بين وجهتى النظر البريطانية والفرنسية فى السياسة الخارجية . فهذا الإنجليزى ينظر إلى الحق بالطريقة الحسابية المجردة ، وينظر إلى جميع الاعتبارات التى نسميها باسم الضمان الوطنى ، كشىء لا يتفق مع قواعد الأخلاق . بينما يهتم الفرنسى بالضمانات الحربية التى تطلبها بلاده ، ويرى أن فكرة الحكومة الدولية ، ما هى إلا فكرة (يوتوبية) خيالية أو سياسة مكيافلية للعود إلى موازنة القوى الدولية ضد فرنسا . ومن ثم غادر اكسفورد وصدره يغلى بالضغينة وفؤاده يفيض بالسخط

إن من الواجب علينا قبل أن نطالب حكومتنا بالبيانات الوافية عن المقاصد الحربية ، وقبل أن نتقدم إليها بمزيد من المقترحات ، أن نضع حلاً للمشكلة الإنجليزية الفرنسية . فكل ما نشأ منذ نهاية الحرب الماضية ، من الاختلافات التى قد تعكر صفاء العلاقات الودية بين الدولتين فى بعض الظروف ، لم يكن منشأه اختلافاً جوهرياً فى المبدأ ، فنحن مرتبطين مع الفرنسيين برباط وثيق من تقاليد المدنية الغربية المتيدة منذ زمن بعيد ، ولكنه يرجع فى الغالب إلى اختلاف الطبيعة نظراً للفوارق الجغرافية والتاريخية بين البلدين

يزيد هذا الاختلاف تأثيراً ، أن كلتا الدولتين ديمقراطيتان ، فبينما تستطيع الدول الدكتاتورية أن تتفاهم فيما بينها على إهمال الرأى العام ، وعدم الاهتمام بآرائه ومعتقداته يظل رجال السياسة الديمقراطية مرتبطين بشعور الرأى العام وهو ينظر إلى الظروف الحاضرة من وجهة نظره المحدودة الضيقة

فالرأى العام الفرنسى والبريطانى كلاهما يعانيان تلك النظرة الديمقراطية المحدودة . فإذا أردنا أن نجد حلاً لهذه المشكلة يجب أن نضع قواعد وأسساً صالحة لفهم وجهتى النظر التى تذهب إليها كل من الدولتين . فبدلاً من مناهضة فكرة الضمان التى تغالى بها الوطنية الفرنسية يجب أن نفكر فيما إذا كنا نستطيع أن نعود منها بفائدة صالحة للدولتين



« وحي الرسالة »

تفضل صديقنا الأستاذ توفيق الحكيم فبعث إلينا بهذه الرسالة الكريمة :

صديقي العزيز الأستاذ الزيات :

أتيح لي أن أستمتع ساعات بقراءة ذلك الكتاب النفيس : « وحي الرسالة » الذي تفضلت بإهداء نسخة منه إليّ . وليست هذه هي المرة الأولى التي أتعرف فيها إلى سمو أسلوبك ، وبلاغة تعبيرك ، واتساع أفق خيالك ؛ ولكنها قد تكون المرة الأولى التي ترتبط فيها وتتركز تلك الفصول ، والآراء ، والأفكار ، والمشاهد الفنية التي تمخضت عنها مواهبك ، فيضمها كتاب ينعكس على كل صفحة من صفحاته شعاع من جمال روحك ، وفيض من نبع ثقافتك ، وذكريات غالية عرفت كيف تحرص عليها وتحتفظ بها ، ثم تنشرها تذكرة للناس وموعظة لهم .

إن أدب المقال يا صديقي من فنون الأدب الكبرى . وقل أن تشهد أديباً خلاقاً لم يضمن أدبه وعمله الفني آراء اجتماعية ونظرات فكرية ، واتجاهات ثقافية . و « وحي الرسالة » يحمل صورة نابضة حية من ذلك « الأدب الكبير » الذي أشرت إليه . فهو في الواقع مجموعة دراسات عميقة ناضجة للمجتمع ، وتصوير بارع للتطورات الخلقية والنفسية ، وإشارات دقيقة وجولات موفقة في الأدب والحياة ، استقرت عواطفك في أجمل بقاعها ، وتغنى قلمك الرصين بأبهج مفاتنها .

جميل منك إذن أن تحرص على تدوين هذه الذكريات الغالية ، وتنشر هذه الفصول القيمة ، لتكون ذكرى للماضي ، وعظة للحاضر ، وإيماناً بالمستقبل .

المخلص
توفيق الحكيم

الأدب الجاهلي في فجر الإسلام

كتب الأستاذ سليم الجندي عضو المجمع العلمي العربي « بدمشق » مقالاً رائعاً عن المناهج التي تتبع في دراسة الأدب العربي ، تطرّق فيه إلى الردّ على بعض ما وهم الأستاذ أحمد أمين في بحثه عن الأدب الجاهلي في كتابه « فجر الإسلام » وقد رأينا أن من الخير لقراء الرسالة أن ننقل إليهم قبساً من مقال الأستاذ ليتبادل أدباؤنا الرأي وتظهر الحقيقة .

قال الأستاذ الجندي : « وأنت إذا أنعمت النظر تبينت أن البلية كل البلية أتت اللغة من الكتاب الباحثين ، وهؤلاء أتتهم البلية من التهاون في البحث وعدم الاستقراء . مثال ذلك أن صاحب فجر الإسلام قال في الجزء الأول من كتابه ص ٥٥ : إن ألفاظ اللغة في العصر الجاهلي كانت في منتهى الدقة والسعة إن كان الشيء الذي وضع له اللفظ من ضروريات الحياة في المعيشة البدوية . فالإبل خير ما كلهم ومشربهم ومركبهم وعماد حياتهم ، ولذلك لم يتركوا صغيرة ولا كبيرة تتعلق بها إلا وضعوا لها لفظاً أو ألفاظاً

« وإذا انتقلت من الجمل إلى السفينة رأيت اللغة في غاية القصور فهم لم يوفوها حقها كما وفوا الجمل ، ولم يحصوا كل أجزائها ، ولم يضعوا اسماً لكل نوع من أنواعها . نعم إن هناك ألفاظاً تتعلق بذلك ، ولكنها لا تكاد تذكر إذا قيست بالألفاظ الموضوعة للإبل وشؤونها . بل إنك إذا فحصت الألفاظ المستعملة في السفن ومتعلقاتها وجدت كثيراً منها معرباً غير عربي كالسيابجة والبيامرة ... وكثير منها لا نشك في أنه وُضع بعد العصر الجاهلي » انتهى كلام الأستاذ أحمد أمين

قال الأستاذ الجندي : « وأنت إذا رجعت إلى كتب اللغة تبين لك أن هذا الحكم قائم على استقراء غير تام ، وأن العرب في الجاهلية ما غادروا صغيرة ولا كبيرة تتعلق بالسفينة المعروفة في عهدهم إلا وضعوا لها لفظاً أو ألفاظاً غير ما أدخل بعد ذلك في العصور التالية ، وأنهم نعتوها وشبهوا بها

وإذا تذكرنا أن السفينة في ذلك العهد كانت تتألف من أجزاء بسيطة ، وليس لها أنواع كثيرة التفاوت في الأشكال والمقادير ، ونظرنا ما وضع لها ولأجزائها من أسماء ونعوت ، وجدنا أن اللغة ليست في قصور في هذا الأمر .

انظر إلى دقة الوضع في التفريق بين الأنواع والأجزاء عند الجاهليين ، فإنهم قسموا ما يركبه الإنسان فوق الماء إلى أنواع . فإن كان من قرب تنفخ ويشد بعضها إلى بعض فتجعل كهيئة سطح فوق الماء سمي طوفاً ورمثاً ، وربما كان من خشب أو غيره . وما عدا ذلك فهو سفينة . ويقال للسفن الصغيرة زورق وقارب

وركوة وممبر . وللكبيرة : فلك وخلية وقرقور وماخرة ومصباب وجارية وجفل وعدولى . وما يتخذ للقتال منها بارجة

ووضعوا لكل جزء اسماً مختصاً به . فالسقائف ألواحها ، والدُسُرُ خيوط تشد بها الألواح أو المسامير ، والطائف ما بين كل خشبتين منها ، والشراع رواق السفينة ، والصارى خشبة فى وسطها يمد عليه الشراع ، والقلس حبل الشراع من ليف ، والصابورة ما يوضع فى بطنها من الثقل ، والمعابير خُشب فيها يُشد بها الهوجل ، والمردى خشبة يدفع بها الملاّح ، والقذاف خشبة فى رأسها لوح عريض تدفع به السفينة ، والمرساة حديدة تلق فى الماء ، والكفر القير الذى تطلى به

وكذلك اختصوا كل قسم منها باسم : فالمرنحة صدرها ، والكوثل مؤخرها ، والسكان ذنبها ، والجمة الموضع الذى يجتمع فيه الماء الراشح

وجعلوا لكل عامل فيها اسماً خاصاً به : فالملاّح سائس السفينة ، والدارى الملاّح الذى يلى الشراع ، والردفان ملاّحان يكونان فى مؤخرها ، والربان رئيس الملاحين

وقد وضعوا لكل حالة تعرض لها اسماً يميزها من غيرها ، فقالوا مخرت السفينة إذا جرت تشق الماء مع صوت ، وسخرت إذا أطاعت وطاب لها الريح ، ودسرت الماء بصدرها إذا عاندته ، وجمحت إذا تركت قصدها فلم يضبطها الملاحون ، وجنحت إذا انتهت إلى ماء قليل فلزقت بالأرض فلم تمض ، وماهت إذا دخل فيها الماء ، وكبت إذا جنحت إلى الأرض فحوّل ما فيها إلى أخرى ، وقمص البحر بها إذا حرّكها الموج . . . ولولا أن الإطالة تدعو إلى السأم لأتينا على كثير مما يتعلق بالسفينة . فلا يجوز بعد ذلك أن يُقال إن اللغة فى غاية القصور ، وإنما القصور فى البحث والتقرى . وإذا كان ما جُمع من كلام الجاهليين فى الجمل أكثر مما جمع فى السفينة فذلك منشؤه أمران : الأول أن صاحب المخصص إنما ذكر فيه ما أحاط به علمه فى السفينة ، وليس هذا كل ما يتعلق بها . الثانى أن السفينة لا تساوى الجمل فى كل شيء فهو أكثر أجزاء وأطواراً وأعراضاً وأمراضاً وأغراضاً . . . والسفينة فى ذلك العهد مؤلفة من أجزاء قليلة بسيطة .. الخ . اه »

هذا ما كتبه الأستاذ الجندى . والقارئ يلاحظ معنا أن الأستاذ أصاب الحقيقة، وبدّد الوهم الذى وقع فيه الأستاذ أحمد أمين فما قول أولئك الذين يرمون اللغة بالقصور ؟ صلاح الدين المنجد

مكانة اللغة العربية فى العالم

نشرت جريدة « يوركشير بوست » البريطانية مقالة افتتاحية عن المركز الهام الذى تتبوأه اللغة العربية بين لغات العالم جاء فيها :

« للغة العربية جاذبية خاصة تجذب الشعب البريطانى فى الشرق ولقد كان هنالك فيما مضى كثير من المستشرقين ولكنا لا نغالى إذا قلنا إن بريطانيا هى التى أطلعت العالم فى الأعوام الأخيرة على أندر ثمار الثقافة العربية »

« كثيراً ما كانت الإمبراطورية البريطانية تعجز عن إدراك أهمية اللغة العربية، ومع ذلك فهى اللغة الرسمية فى مصر والسودان والمتغلغلة فى صميم أفريقيا حتى البحيرات العظمى . وهى اللسان السائد فى جميع أصقاع شبه جزيرة العرب، كما أنها أداة التخاطب فى العراق . وهى اللغة التى يستخدمها مسلمو الهند — إخواننا فى الرعوية وعددهم ثمانون مليون نسمة — كل يوم فى صلواتهم وفى تلاوتهم للقرآن الكريم . وهى تمتد لغة مراكش ، والجزائر وتونس

وهى اللغة التى يستطيع بها العلماء فى إيران وأفغانستان أن يدرسوا أحاديث النبى الكريم محمد صلى الله عليه وسلم . ولا تقل الحروف العربية انتشاراً عن الحروف الرومانية ، فهى ليست قاصرة على اللغة العربية وحدها ، وإنما هى أساس اللغات الفارسية والهندستانية ولغات البوشتو والهاوسا والأردية وغيرها من اللغات الشرقية

ولا مراء فى أن اللغة العربية من أعظم ينابيع المعرفة التى يغترف منها العالم

وبينما كانت أوربا تعيش فى ظلمات الجهالة كان علماء العرب فى بغداد وقرطبة خير أمناء على مدنية اليونان والرومان وأورثوها للعالم فيما بعد

ومما يبرهن على أهمية هذه اللغة العظيمة ، أنها كانت أولى اللغات التى استعملتها هيئة الإذاعة البريطانية . ويزداد عدد المتكلمين باللغة العربية يوماً عن يوم ، وتتسع حدودها . فهى لغة التخاطب فى زنجبار وتنجانيقا وفى بلاد بعيدة كجزر الملايو ، وتتبوأ اللغة العربية مكان الشرف فى مدرسة اللغات الشرقية بلندن

ولقد أدركت الحكومة البريطانية أهمية اللغة العربية ، فلا تسمح



بطل الاستقلال الاقتصادى طلعت حرب

تأليف الأديب مصطفى كامل الفلكى

هـذا كتاب وضعه مؤلفه لبيان ما لزعيم مصر الاقتصادى طلعت حرب من أثر فى نهضة مصر الحديثة ؛ فبدأ بالإشارة إلى أحوال مصر الاقتصادية والسياسية فى أواخر القرن الماضى، مبيناً ما كانت تتطلبه مصر من أوجه الإصلاح وعلى الأخص فى الجانب الاقتصادى ، مشيراً إلى حاجة البلاد يومئذ وتطلعها إلى « المصلح المنتظر » حتى أذن الله فن عليها بطلعت حرب

ثم تتبع المؤلف جهاد الرجل العظيم منذ استهلال القرن الحالى، حتى ظفر بتحقيق أمنيته ، فظهرت المعجزة فى هيكل بنك مصر وشركاته ؛ وأورد المؤلف كلمة عن كل شركة من هذه الشركات المباركة الميمونة . وهذا لا ريب من خير البراهين على ما أسدى هذا الرجل العظيم من خير لبلاده، فإنما يعرض المؤلف صحيفة أعماله الجليلة .

ولما كان المؤلف كما يذكر : « قد أتيحت له فرص حسان ألم فيها بكثير من دخائل ذلك النضال السلمى الرائع » ، فإن بحثه لا ريب بحث الخبير العليم . والكتاب مطبوع طبعاً جيداً وحلى بكثير من الصور للزعيم العظيم فى كثير من مواقفه المشهورة ، وهو خليق بأن يطلع عليه بنو هذا الجيل ليكون لناشئتهم نبراساً ولرجالهم قدوة .

رحلة الباخرة المصرية مباحث فى المحيط الهندى

تأليف الدكتور حسين فوزى

يذكر قراء العربية ذلك الكتاب القيم الذى نشره فى مصر منذ عامين الدكتور حسين فوزى مدير معهد الأحياء المائية بعنوان

لأى موظف من موظفيها بالاشتغال فى الشرق الأدنى والأوسط ما لم تكن له مؤهلات فى اللغة العربية

نقد وتصويب

وافانا العدد (٣٤٩) من مجلة « الرسالة » الغراء بقصيدة خلابة للأستاذ على الجندى يرثى فيهـا صديقه الحميم المرحوم الحاج محمد المراوى ، والقصيدة من مطلعها حتى الختام تتجلى فيها براعة الشعر ، ودقة التصوير ، ورقة الأسلوب ورصانته ؛ ومع تقديرى لعبقرية الشاعر فإنى لا أرى مانعاً من لفت نظره إلى بيت من الأبيات لاحظت فيه خروجاً عن الوزن وهو :

تسعد الذكريات أهلها والتى ذكرياتى محطم الأعصاب

وأرى أن لو كان كما يلى لكان أحكم :

يسعد الذكر أهله والتى ذكرياتى محطم الأعصاب

أبو الفضل السباعى ناصف

الى الدكتور مبارك

قرأت محاضرتك الظريفة ووقفت عند فقرة بشطرها الثانى المنشور بالعدد ٣٥٠ من الرسالة الغراء هاك نصها : « الشواطئ كلها مآتم ولولا الخوف من بنى الحاسدين والحاقدين لقلت إن المآتم لا تخلو من بريق يزلزل القلوب والأذواق والعقول . ومن هذه الزلزلة تكون الرجفة التى تثير شياطين الشعر والخيال » ١ . هـ ثم رحت أستعيد المعانى الباقية فى ذهنى لمعنى الزلزلة مما تفضل بشرحه الأستاذان شاكر وبشر فارس ، فخلصت إلى أن البريق لا يزلزل القلوب والعقول قياساً على أن الطرب لا يزلزل الآذان . وأظن سيدى الدكتور لا يزال يذكر هذا النقاش حول كلمة الزلزلة فهل للأستاذ أن يتفضل بشرح هذه الكلمة التى شككنا فيها الأستاذ شاكر، وله الفضل والشكر

محمود الاشرم

« سندباد عصرى » وضمنه أثر رحلته فى بعثة السير جون مورى على ظهر الباخرة المصرية مباحث فى المحيط الهندى سنة ١٩٣٣ .

ذلك كان كتاب الأديب والفنان والشاعر ؛ أما الكتاب الذى نتحدث عنه اليوم فهو كتاب العالم والباحث والرحالة ، يصف فيه الدكتور حسين فوزى الرحلة منذ بدأت حتى انتهت ، فلا يترك صغيرة ولا كبيرة مما تهم معرفته والاطلاع عليه إلا عرض لها بأسلوب شائق ، ووصف كاشف . والكتاب يقع فى أكثر من ١٢٠ صفحة من الحجم الكبير، وهو مطبوع طبعاً أنيقاً على ورق فاخر ، ومحلًى بكثير من الصور الجميلة

وقد صدره صاحب المعالى الأستاذ سابا حبشى وزير التجارة والصناعة بمقدمة تدل على قيمة هذه الرحلة التى يتحدث عنها الدكتور فوزى ، كما يتحدث عن قيمة هذا الكتاب .

وهذا الكتاب على أن المقصود به أن يكون وصفاً علمياً — لم يستطع مؤلفه أن يتجرد من روحه الأدبية وإحساسه الفنى فى وصف بعض ما يعرض له ، فجاء كتاباً جديداً فى فنه وفى أسلوبه .

وقد ختم الكتاب بفهرس كامل الموضوعات والصور .

أخطاؤنا فى الصحف والدواوين

تأليف الأستاذ صلاح الدين سعد الزعبلاوى

هو كتاب جديد فى اللغة ، جمله مؤلفه فى بابين : باب للموضوعات ، وباب للمفردات ؛ وعرض فيه لكثير من الأوهام اللغوية التى تشيع على أقلام الكتاب فى الدواوين والصحف ؛ ثم فرّع هذين البابين إلى فصول ، فباب الموضوعات أحد عشر فصلاً جمع كل فصل منها ما تداخلت أو تجاذبت مباحثه ؛ وأما الباب الثانى وهو باب المفردات فقد توزعته الفصول على تتابع أحرف الهجاء . وقد حذا المؤلف فى ترتيب المواد طريقة الجمهور فى اعتبار أوائل الكلمات ، ثم جعل فى خاتمة الكتاب فهرساً للموضوعات والمفردات التى تناولها بحثه حتى لا يتعب القارئ فى التماس موضوعه

وقد تناول المؤلف فى كتابه طائفة من المباحث اللغوية التى يهم كل قارئ وكاتب عربى أن يلم بها ، وعالجها علاجاً يدل على اطلاعه وصحة نظره

والكتاب يقع فى ٣٢٠ صفحة من الحجم المتوسط ، وهو مطبوع طبعاً جيداً على ورق مصقول فى المطبعة الهاشمية بدمشق

علم الصحة

تأليف الدكتور عبد الواحد الوكيل بك

هذه هى الطبعة الثانية من كتاب « علم الصحة » للدكتور عبد الواحد الوكيل بك ، وقد صدرت الطبعة الأولى منه منذ سنوات فاستنفدها إقبال القراء ؛ فزاد فيه ما زاد من الفصول ثم أصدره فى هذه الطبعة الجديدة

وكتاب علم الصحة من الكتب التى لا يصح أن تخلو منها مكتبة قارئ يلتمس أسباب الوقاية مما قد يعرض له أو لأهله وولده من المرض ؛ وفيه عون كبير للمعلمين والمعلمات فى المدارس على النهج الذى يدرسون لتلاميذهم من علم الصحة الوقائى ؛ وفيه للوالدات والمولدات والممرضين ومعاونى الصحة وطلاب الخدمة الاجتماعية نفع لا يجزئ بما فيه كتاب غيره .

ويقع الكتاب فى نحو ستمائة صفحة من الحجم المتوسط ، ويباع فى مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة .

---

٤ – وحى الرسالة

[من واجب « الرسالة » أن تنشر ما يتفضل به عليها الأدباء الزملاء والأصدقاء من صادق النقد وجميل الرأى فى كتاب « وحى الرسالة » تسجيلا للفضل منهم والشكر منا]

قالت جريدة (الأهرام) الغراء :

للأستاذ الكبير أحمد حسن الزيات ، أسلوب فنى امتاز بالأناقة والطلاوة وحسن البيان

وقد عرف قراء العربية هذا الأسلوب العذب فيما أخرجه المؤلف من كتب بعضها مترجم وبعضها الآخر من تأليفه ؛ ثم عرفوه فى مجلة الرسالة ، حيث ظل الأستاذ الزيات سبع سنوات يطالع قراءه كل أسبوع بمقال افتتاحى يمس فيه مختلف الموضوعات . فكان له من قرائه الكثيرين ما للمطرب النابغ من معجبين . أليس هؤلاء المعجبون يحاكون مطربهم ، ويرددون أناشيده وأغانيه ؟ نعم ، وفى هذا إذاعة لسر نبوغه

وإن للأستاذ الزيات لمعجبين من هذا الطراز الرفيع يذيعون سر نبوغه بمحاكاة أسلوبه القوى الرصين ، وهذا فى الواقع ليس كسباً للزيات بقدر ما هو كسب للبيان العربى الصحيح

ولقد أخرج الأستاذ الزيات منذ أسابيع : الجزء الأول من « وحى الرسالة » وهو مختارات مما نشره فى مجلته « الرسالة » ، ولعل هذا التعريف الموجز يكفى للدلالة على ما لهذا الكتاب من قيمة أدبية عظيمة . وسنقف عند ذلك ، إذ أنه فى رأينا معنى من معانى الإطراء يحسن الوقوف عنده

وكتاب « وحى الرسالة » يقع فى ٤٨٠ صفحة من القطع الكبير ، طبعت طبعاً أنيقاً على ورق صقيل ، وهو يباع فى جميع المكتبات العامة ، وثمن النسخة الواحدة منه خمسة وعشرون قرشاً . « ش »

***

وقالت مجلة (الشعلة) الغراء فى عددها الأخير :

نغمط الأستاذ أحمد حسن الزيات حقه ونقلل من قدره إذا كنا نحاول أن نقدمه هنا إلى القراء . فالأستاذ الزيات أعظم من أن يحتاج اليوم إلى تقديم ، لا هنا فى مصر وحدها بل وفى أنحاء الشرق كله .

ولقد أخرج الأستاذ الزيات منذ أسابيع كتابه الجديد « وحى الرسالة » فكان هذا سبباً فى حيرة وحرج تملكانا

ماذا نقول فى هذا الكتاب ؟

أنتكلم عن أسلوب الزيات الأخاذ الجذاب ؟ أنتكلم عن أناقته وذوقه الممتاز فى انتقاء ألفاظه ؟ أنتكلم عن « الفكرة الرائعة » يقدمها الزيات إلى قرائه فى عبارة قوية ومنطق متين ؟

ولكن هذا كله معروف ، وإعادته وترديده هو من قبيل تحصيل الحاصل . أنسكت إذن ولا نكتب شيئاً عن الكتاب ؟ ولكن هناك تقليداً ، تواضعت عليه الصحف جميعاً ، أن تقول كلمتها عن كل ما يجد فى عالم التأليف !

وأخيراً فكرنا فى تقليد جديد : أن نذكر هنا أن الزيات قد أخرج كتاباً . والقراء من أنفسهم يعرفون !

وهنيئاً للزيات كتابه الجديد .

وهنيئاً للكتاب الجديد مؤلفه .

وهنيئاً لقراء العربية أديبهم ، وهنيئاً لهم كتابهم الجديد .

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى — عابدين)

8me Année No. 352

Lundi - 1 - 4 - 1940

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع البدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٥٢ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٣ صفر سنة ١٣٥٩ — الموافق أول أبريل سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهـــرس

فقهـــاء بيزنطة

فقهاء بيزنطة هم الذين كانوا يجادلون فى البيضة والدجاجة : أهذى أصل تلك ، أم تلك أصل هذى ، بينما كان محمد الفاتح يرسل الصواعق دِراكاً على أسوار القسطنطينية ، فلا يخرجهم من شدة الخلاف وحدة الجدل ما فوقهم من حمم المنايا ، ولا ما حولهم من صرخات الفزع !

وفقهاء بيزنطة هم الذين يجادلون اليوم فى محراب المسجد بعد ألف ومائتى عام : أهو سنة فيبقى ، أم هو بدعة فيزول ؛ وفى محمل شجرة الدر : أهو موافق للشرع فيسير ، أم هو مخالف له فيقف ! يجادلون فى هذا وفى ذاك بين أعمدة الجرائد والمساجد ، ويسرفون فى الجدال حتى يتشعب الخلاف ويتمادى ، ويتقسم الرأى ويتعادى ، فيكون لكل شيخ شيعة ، ولكل شيعة عصبية جاهلة تمزق ما وصل الدين به القلوب من وشائج الإخاء والمودة

نعم يجادل فقهاء بيزنطة اليوم فى المحراب والمحمل ، ومن قبل كانوا يجادلون فى زر العمامة أينتر أم يُضنى ، وفى شعر الذقن أيُحفى أم يُعفى ، وفى قبر الميت أيسوى بالأرض أم يقام ؛ حتى أدخلوا فى روع العامة من طول ما شغلوهم بهذه الصغائر أن الدين هو

هذا وليس غير هذا . فلو تسنى لك أن تكشف عن عقيدة الإسلام فى ذهن العامى أو شبهه لما رأيت إلا صورة مشوهة من رسوم العبادات وأوضاع العادات وألوان الأدعية . أما الإسلام الذى وضع الدساتير الخالدة لسعادة الفرد والأسرة والأمة والإنسانية فى كل زمان وفى كل مكان، فذلك معنى لم يجر فى شعوره ولم يدخل فى علمه . والعوام وأشباه العوام هم جلة الأمة الإسلامية اليوم ، فما تسمعه من هذا تسمعه من ذاك ، وما تراه هنا لا بد أن تراه هناك . وعلة هذه الجهالة الفاشية هى طريقة أهل الدين فى تعلمه وتعليمه ونشره ، فهم يقفون فى تحقيقه عند النقل ، ويقتصرون فى تطبيقه على الشكل ، ويكتفون فى نشره بهذه المظاهر الصوفية الباطلة ؛ فكان من جرائر ذلك عليهم أن قصُرت مداركهم عن مداه ، وبان على القدر الذى شَدَوه منه الضيق والضحل والجمود ، ووهم الناس أن ما عندهم هو الدين كله فزهدوا فيه ونفروا منه .

***

إى والله لا تزال فقهاء بيزنطة يفرقون بين الناس بصدعات الرأى والهوى فى المحراب والمحمل ، وفيما هو أدنى عن المحراب والمحمل ، وهم يعلمون أن الأديان البشرية التى وضعها الطغاة تحدياً لله وتهجماً على دينه ، تحاول بقوة الجيش وحجة المدفع ودعاية المذياع أن تخفت ذكر الله فى كل أرض، وتطفئ نوره فى كل سماء. وهذه المذاهب الأرضية إنما تجادل خصومها فيما تزعمه لنفسها من قتل البؤس ومحو الفروق ونشر العدالة، لا فيما تتخذه لشعائرها من زِىّ ، أو تبتدعه لمظاهرها من شكول

ثم جعلوا غاية الدين أن يتزيوا بالورع ، ويتفقهوا فى علومه بتشقيق الجمل وتوليد الألفاظ وتعديد الفروض ، فإذا زادوا على ذلك شيئاً فهو الوعظ الذى يميت الطموح ويخمد العزيمة ويحقر الدنيا ويهيئ النفوس المثقفة التى أعوزها النور الهادى والصوت المهيب لأن تصغى لما يتقوله المبشرون على الإسلام من الأباطيل ويزورونه عليه من الشُّبه .

***

ليس من البر بالدين يا ورثة الأنبياء أن تخذلوا دعوة الله لتنصروا دعوة الإنسان

إن الدعوات السياسية التى تتخذ شعار الإصلاح، أو تلبس مسوح الدين ، تسلك إلى النفوس المؤمنة المطمئنة سبل الغرور والنى فى غفوة من العقل أو سورة من الجهالة ، فتزعزع إيمانها بالشكوك ، وتذهب اطمئنانها بالفتون . فماذا أعددتم لحماية هذه النفوس الغريرة الغضة من وساوس الفتنة وهواجس الجهل ؟ إننى ألقى هؤلاء النشء فى كل يوم ، وأحدثهم فى كل لقية ، وأ كشفهم فى كل حديث، فلا أجد عندهم من الإسلام إلا ما كان عند نصارى القرون الوسطى منه ؛ ثم لا تسمع منهم إلا غماغم من الألفاظ المنكورة المكرورة عن الزواج والطلاق وحرية الفكر ومجافاة التمدن . فإذا أخذت تقرر لهؤلاء كيف كان الإسلام بتوحيده بين الدين والدنيا علاجاً لأدواء المجتمع ونظاماً لفوضى الطبيعة، وتدلل على أن ميزة الإسلام التى تفرد بها هى أنه يساير التطور ويطاول الزمن ، فلا يمكن أن تكون فيه مناقضة للمدنية الصحيحة ولا معارضة للتقدم الحق ، سألوك دهشين : وأين نجد بيان هذا ؟

والمعضلة التى لم نجد لها إلى اليوم حلاً هو إجابتهم عن هذا السؤال : وأين نجد بيان هذا ؟ الواقع الذى يكسف البصر ويرمض الفؤاد أنك لا تجد فى مكتبة الدين الإسلامى على ضخامتها وسعتها كتاباً واحداً يشرح للناس عبقرية هذا الدين وفلسفة تشريعه ووجوه إصلاحه وأسباب خلوده ، على ضوء العلم الكاشف ونظام التأليف الحديث . وما أظن ديناً من الأديان قد نكب فى نفسه وفى أهله بمثل هذه النكبة !

فلو أن الله وفق (جماعة كبار العلماء) فألفوا هذا الكتاب بدلاً من تأليفهم فى (المياه التى يجوز بها التطهير) مثلاً لدفعوا عن أنفسهم معرة الجمود وعن دينهم نقيصة التخلف.

ولكن كبار العلماء لم يدخلوا هذه (الهيئة) إلا ليعظم القدْر ويضخم المرتب، فكيف نجشمهم أن يبطلوا كيد المبشرين بوضع هذا الكتاب ، أو يفصلوا بين المجادلين المتقاتلين فى المحمل والمحراب ؟

أحمد حسن الزيات

٣ ـ فى أرجاء سينـــاء

للدكتور عبد الوهاب عزام

دير سنت كترين

— ١ —

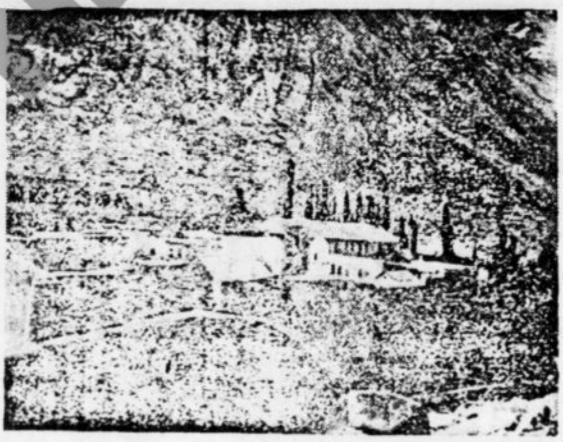
عطفنا إلى اليسار فى شعب من وادى الشيخ ، فررنا بأبنية قليلة الملاط كأنها حجارة مرصوصة ، وعرفنا من بعدُ أنها كانت للجنود الذين رافقوا عباس باشا الأول حينما أقام فى هذه البقعة من سيناء ، وقد رأينا بناء كبيراً على جبل شامخ قريب من الدير وهو قصر عباس باشا ، وكان يحب الإقامة فى البرارى ، ولا سيما فى برّية سيناء . وبلغنا الدير قبيل الغروب ، فإذا حديقة إلى اليمين ذات سور قصير ، بينها وبين الجبل طريق ضيقة تؤدى إلى الدير

والدير بناء واسع عال يحيط به سور متين علوه أحد عشر متراً

وفى جداره الغربى باب صغير دخلناه إلى باب آخر وراءه باب ثالث إلى اليمين . وهذا السور الضخم ، وهذه الأبواب الصغيرة المتتابعة تدل على ما كان يخشاه أهل الدير من غارات البدو وغيرهم فى العصور السالفة . وللدير فى أعلى جداره الشمالى باب عليه وقاية من الخشب أعدّ للدخول إلى الدير وقت الخوف . فيرفع الداخل فى سلة معلقة ترفعها حبال على بكرة كبيرة تسمى « الدوّار » ، وتشد الحبال إلى عمود له ترس كبير يدور به عدة رجال ، فتلتف الحبال وتمرّ على البكرة فترفع السلة ، ومن هذا الباب أدخلت أمتعتنا

دخلنا إلى أبنية كثيرة لا يتيسّر وصفها ، فإنها لم تخط فى وقت واحد ، بل بنيت فى عصور مختلفة . صعدنا درجاً إلى مستوى ، ثم صعدنا مرتين فلقينا رئيس الدير فدخلنا إلى حجرة كبيرة، فجلسنا نتحدث وقدّمت إلينا القهوة على الطريقة المصرية وعرض علينا النبيذ، والنبيذ يصنع فى الدير وفى الواحات التابعة له فى أنحاء سيناء، وهو من التمر، ولخمور الأديرة صيت ذائع فى الشعر العربى ، ومن أجل هذا كثر ذكر الأديار فى الشعر منذ عهد أبى نواس ، كان الشعراء يقصدونها لبعدها عن البلدان ونزاهتها وما فيها من خمور .

ثم خرجنا من الحجرة لنرى الحجر التى أعدّت لنزولنا ، فصعدنا إلى طبقة ثم أخرى فى الجهة الغربية ، فإذا مكتب رئيس الدير ، ثم غرفة كبيرة للجلوس والمائدة ، ثم مطبخ ، ثم صف من الحجر أمامها طنف يفضى إلى الجناح الجنوبي من الدير ، وقد عُمّر حديثاً بالأسمنت المسلح فكان شذوذاً فى هذه الأبنية العتيقة



منظر عام للدير

ويُفضى الدرج الصاعد إلى هذه الطبقات العليا إلى سطح تحده من الشمال والغرب شرفات السور المطلة على حديقة الدير ومدخله . وهناك مدافع صغيرة يقال إن بعضها من أيام السلطان سليم ، وقد أهديت إلى الدير لمدافعة المغيرين

أكرم القوم مثوانا فأنزلونا فى عشر حجرات فى كل حجرة سريران . فأمضينا ليلتنا مستريحين

— ٢ —

بنى هذا الدير القيصر جستينيان حوالى سنة ٥٤٥ م ، باسم كترين زوجه التى عرفت من بعد باسم سنتا كترينا ، فى موضع يعلو سطح البحر بنحو خمسة آلاف قدم ، وهو يشبه مربعاً طول ضلعه ثمانون متراً. وله أوقاف كثيرة فى سيناء ومصر وبلاد اليونان. وكان له أوقاف كثيرة فى بلاد الروس استولى عليها البلشفيون . له فى سيناء بساتين كثيرة وأديرة وكنائس ، وله أبنية فى القاهرة والإسكندرية والسويس، ويقيم مطران سيناء فى القاهرة وقت الشتاء

وأعظم غلات الدير الآن ريع مائة فدان فى سرياقوس وهبها له عباس باشا الأول . وكان دخل الدير زهاء ستة آلاف جنيه نقصت كثيراً بعد استيلاء الروس على أوقافه

وينفق بعض الريع على أعراب سيناء، يعطون الخبز كل يوم ولكل واحد من الأعراب الذين يقصدون الدير أن يأخذ الخبز

يوماً بعد يوم ، ثلاثة أرغفة لكل إنسان . وكان فى الدير رهبان كثيرون ثلاثمائة أو أكثر وهم الآن زهاء الأربعين .

— ٣ —

وفى صبيحة يوم الأربعاء ١٥ ذى الحجة (٢٣ يناير) سار معنا أحد الرهبان ليرينا بعض أبنية الدير فذهبنا إلى الكنيسة الكبرى : باب ضخم من الحديد ثم باب خشبى دقيق الصنع عتيق يقال إنه من عهد جُستنيان

ويلقى الداخل بهو كبير على جانبيه صفّان من عَمَد الجرانيت ثم رواقان وراء الأعمدة. وفى الكنيسة من النقش والتذهيب ومن الصور والألواح ما يُعيى الناظر إحصاؤه بله التأمل فيه ومعرفة دقائقه

ومما أذكر من هذه المناظر منبر إلى اليمين عليه صورة للدير واضحة ملوّنة ، وهى من تصوير الأب كرنارس الكريتى من مصورى القرن الثامن عشر الميلادى ؛ ومن الصور القديمة صورة للسيدة مريم تحمل عيسى عليه السلام ويقال إنها من صنع لوقا الإنجيلى ، وصورة أخرى يقال إنها صنع جستنيان

ويعلو هيكل الكنيسة عقد قد صور عليه المسيح والرسل والأنبياء بالفسيفساء فى جمال وإتقان الخ

ووراء هذه الكنيسة كنيسة صغيرة لسنت هيلانة وتسمى كنيسة العلّيقة ويقال إنها فى مكان شجرة العليق التى رأى فيها موسى عليه السلام النار ، وفى الجدار الشرقى كوة تقابل صدعا فى الجبل. وتدخل الشمس يوم ٢٣ مارس من الصدع إلى الكوة فتقع على مكان الشجرة . ووراء الجدار شجرة يزعمون أنها هى شجرة موسى ، ولكنى لم أرها

ويُلزم داخل هذه الكنيسة الصغيرة بخلع نعليه اقتداء بموسى عليه السلام فى القصة التى ذكرت فى القرآن الكريم: «فلما أتاها نودى يا موسى إنى أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالوادى المقدس طوى»

وخرجنا من الكنيسة إلى مشاهد أخرى منها مكتبة الدير وفيها كتب دينية كثيرة قليل منها باللغة العربية . وقد رأيت هناك تمثالاً لاسماعيل باشا الخديو فسرّنى جداً أن رأيته فى هذا المكان فشعرت أن سلطان مصر ممتد إلى هذا الدير

ثم رأينا مسجد الدير ، ولا ريب أن القارىء سيعجب حين يقرأ هذا التركيب المتناقض : «مسجد الدير» ، ولكنها حقيقة ، ففى الدير مسجد صغير ملاصق كنيسة صغيرة . وهو مسجد ساذج له منبر قديم قد وضعت عليه أعلام مزركشة جديدة مصنوعة فى مصر ؛ على العَلم الأمامى «إنّا فتحنا لك فتحاً مبيناً» من فؤاد الأول . وعلى كل من العلمين الجانبيين : لا إله إلا الله الملك الحق المبين محمد رسول الله صادق الوعد الأمين . من فؤاد الأول . والتاريخ ١٣٤٩



منظر فى الدير تظهر فيه مئذنة المسجد

وفى جانب المسجد منضدة عليها كسوتا ضريحين مصنوعتان فى مصر أيضاً أهداهما الملك فؤاد رحمه الله ؛ إحداهما لقبر النبى هرون والأخرى لقبر النبى صالح ، وتؤخذان فى مواسم الزيارة ، ثم تردان إلى الدير فتحفظان فى المسجد

وبجانب المسجد مئذنة مربعة لها سلم خشبى وفيها ثلاث طبقات أو أربع صعدت فيها مع بعض الرفاق وشاقنى الأذان هناك فأذّنت، ولعل هذا الأذان كان إيناساً لهذا المسجد المعطل المستوحش

وكنت قرأت فى كتاب نعوم شقير عن سيناء، أن على منبر هذا المسجد كتابة قديمة ، وأن فيه كرسياً قديماً ، ولكنى لم أجد الكتابة ولا الكرسى، فسألت المطران، فقال: حفظناهما فى المكتبة. ولست أدرى لماذا لم يحفظا فى موضعهما من المسجد . وكان المرحوم أحمد زكى باشا زار الدير ونسخ الكتابة التى على المنبر والكرسى . فأما الكتابة الكوفية التى على المنبر فهى مصورة فى كتاب شقير ، وهذا نصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير. نصر من الله وفتح قريب، لعبدالله ووليّه أبى علىّ المنصور، الإمام الآمر بأحكام الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه المنتصرين

«أمر بإنشاء هـذا المنبر السيد الأجل الأفضل أمير الحرمين سيف الإسلام ناصر الإمام ، كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين أبو القاسم شاهنشاه عضد الله به الدين وأمتع بطول بقائه أمير المؤمنين وأدام قدرته وأعلا كلمته . وذلك فى شهر ربيع الأول سنة خمس ميه . أثق بالله »

والخليفة الآمر الفاطمى تولى الخلافة من سنة ٤٩٥ إلى سنة ٥٢٤

وأما الكتابة التى على الكرسى فهى أعظم خطراً ودلالة على عناية الفاطميين ببناء المساجد فى هذه البقعة :

« بسم الله الرحمن الرحيم . أمر بعمل هذا الشمع والكراسى والجامع المبارك الذى بالدير الأعلا والثلاث مساجد التى فوق فاران والمسجد الذى تحت فاران الجديدة والمنارة التى بحضر الساحل ، الأمير الموفق المنتخب منير الدولة وفارسها أبو منصور أنوشتكين الآمرى »

والآمرى نسبة إلى الآمر بأحكام الله . فالكرسى والمنبر صنعا فى زمان الخليفة الآمر

(للكلام صلة)　　　　عبد الوهاب عزام

مزامير للنفس العربية !

للأستاذ عبد المنعم خلاف

تمهيد :

أستوحى روح مولى نفوسنا وسيد عقولنا وآخذنا إلى رب الحياة ومقدمنا إليه بسنته وحنيفيته السمحاء (محمد) ، ليملأ قلبى ويفيض على قلمى ويهديه ويسدده فى وفائه له ولقوميته التى حملت أجمل الأمثال العليا فى الفكرة والفطرة والخلق والمعاملة

أستوحى هذا الروح الأكبر ، ويتعرف قلبى الصغير إلى قلبه الكبير ، كما يتعرف الجدول الضَّحْضَاح إلى النهر البَرّاح ؛ وأستعينه فى خدمة النفس العربية بالمساهمة فى حملها على إدراك فضائلها وحاجة الإنسانية إليها .

وإنما أتوجه إليه إذ هو باعث روح أمته المجيبة ومخلدها على مر الأيام وكر الأعوام ، وموحد شملها ، وفارض أمجادها على القلوب والعقول

وأومن إيماناً لا يتزعزع أن أمته هذه لا ينقصها إلا الوحدة فى القلوب أولاً كما توحدت على يديه حتى تعود فتنهض بجسمها العملاق الهائل فتستلم الشمس من الشرق لتسلمها إلى المغرب



صورة رمزية للعرب
بريشة الأستاذ سعيد تحسين

وأستوحى المهد الأول الذى درجت فيه هذه الأمة العجوز وانبثق منه ينبوعها الأزلى ... ذلك المهد الناطق بالصمت ، العامر بالنجوم، الحصين بالتجرد والتفرد، المبنى بالجبال، المفروش بالرمال، مَراد الأرواح ، ومُجتلى الإلهية ، ومبعث النبوات ، ومركز المعمور ، وملتقى الشرق بالغرب ...

كما أستوحى بلادها الثانية التى فاضت عليها أمواجها ، وتلاحقت أرتالها ، ونشرت عليها سلطانها الروحى واللغوى ، وسطرت على أديمها تاريخها بعروشها وفتوح سيوفها وأقلامها

وحينما أستوحى كل أولئك أجد السماء تنطق والأرض تنطق وكل شىء يوحى ويلهم ويدفع القلم دفعاً إلى التسطير والتحرير لبعث هذه الأمة والتفانى فى خدمتها والتفادى فى إحياء مثلها الأعلى الذى رسمه الله فى قلب أبيها محمد ، وملء أسماعها بأناشيد مجدها وترانيم وحدتها حتى تعود فتملأ الدنيا وتشغل الناس وتنثر

أشخاصها وكلماتها الصامتة والناطقة فى مجاهل الأرض ، كما تنتثر النجوم فى مجاهل السماء

غير أنى أبادر فأبرأ إلى الله من العصبية القومية الجاهلية وضيقها وسفاهتها على غيرها ، وإنما أرجو أن تقوم العربية كما قامت أول أمرها على يد أبيها محمد أداة تنظيف للبشرية وتوكيد لوحدتها ... ولذلك أبادر فأنبه إخواننا وأصدقاءنا من الجنسيات الإسلامية الأخرى إلى هذا حتى يستيقنوا أننا لا نريد مفاخرة ولا منافرة جنسية دموية قائمة على زعم فروق جوهرية بين الأجناس والألوان ؛ وإنما هى دعوة للعرب — وهم مادة الإسلام الأولى وقوم القرآن — إلى الاعتداد والاستمساك بالمثل العليا التى اختار الله القومية العربية لحلها إلى الناس ، وبالصفات الطبيعية العربية العليا التى كانت سنداً لهذه المثل

وقد دعانى إلى اختيار هذا الزمان للبوح بهذه الأناشيد التى طالما ترنمت بها نفسى معانى مطلقة حرة غير مصبوبة بألفاظ ، أننى وجدت الأقدار تنزل فيه وتتلاحق بسرعة وتتولى تغيير مقدرات الأرض وأوضاعها النفسية والجغرافية ، ووجدت صراع القوميات والآراء والمعتقدات والفلسفات فى رءوس الناس وقلوبهم لا يقل قسوة وعنفاً واحتداماً عن صراع القوى الحديدية العمياء النارية التى تأكل الأخضر واليابس وتحطم القائم والحصيد وبين هذين الصراعين يقف قوى العرب متفرقى الرأى فى الحاضر مختلفى التقدير للمستقبل حائرى الألباب لا يكادون يعرفون فى أى النواحى موضعهم ، ولا من أى الآفاق مطلع مستقبلهم . ولا يكادون يعرفون ما فى مصاحفهم ودساتيرهم من المثل العليا التى تستطيع أن تجمع أمم الأرض كلها على حدود العدالة والسلامة الإجماعية متى وجدت قوماً يؤمنون بها ويحسنون ذلك الإيمان ، ويمثلونها خير تمثيل ويدعون إليها بأسلوب هذا العصر الذى يعتمد على براعة الاستلفات والإعلان

وذلك لأن قوى فقدوا « الأب » الواحد الذى يجب أن « يلدوه » فى كل جيل ليتكلم بلسانهم ويتبنى قضيتهم ويتولى حراسة ميراثهم القلبى والفكرى والمادى حتى لا تمحوه الغفلة أمام الأقدار التى لن تزال تغير أوضاع الناس ومقدرات الأمم ، ولا ترحم الضعيف الكسلان المتوانى فى حراسة حقه وأمجاده بالسيف والقلم ، ولا تقيم وزناً لمن لا يقيم وزناً لقوانين الطبيعة وسنن الله فيكتفى بالأمانى والأحلام وتزويق الكلام ويترك ما آمن الله به وأولو العلم وهو الوحدة والعدالة والعلم والعمل

فإلى أن يوجد الأب الواحد العادل العالم العامل ، فيتولى بوحدة فكره وفنه وضع القضية العربية الوضع المحكم وتنسيق قواها التنسيق البديع ، ويتولى بعدله توزيع الاهتمام والشعور على كل بقعة فى الوطن العربى الأكبر ، ويتولى بعلمه الإحاطة بالدقيق والجليل من شئون أمته فى بطون وديانها وشعاب جبالها فى صحرائها وخضرائها، فى حواضرها وبواديها، من الخليج الفارسى إلى الأطلسى ، ويتولى بعمله جمع أيديها حتى تكون يداً واحدة ، تصفق بها فى مواثيقها وعهودها صفقة واحدة ، وتلوح بها لأعدائها قبضة واحدة وتضرب بها قيودها وأغلالها ضربة واحدة أقول إلى أن يوجد ذلك الأب لا أقل من أن ينشد لها القادرون على الإنشاد والبيان بمزامير وأبواق تهتف فى أرضها النائمة بنداء اليقظة والانبعاث فى فجر الحياة الجديدة التى لا بد فيها لطالبى المجد من التبكير للسبق فى المضمار

وإن قدر الله — لا قدر ! — فأفلت الحاضر الراهن من أيدى العرب من غير أن يجمعوا أمرهم ويخفُّوا فى طريق الحياة مع الزمن الذى يجرى بالناس ، ويخضعوا أجسامهم وعقولهم لضرورات العلم والقوة والاتحاد وملاقاة الصعاب بجبهة متحدة ، فسوف تموت آمال وتحبط أعمال وتحدث أهوال !

ولست أعلم زمناً أصلح للسعى إلى تحقيق الجبهة العربية الواحدة ، وأدعى إلى الإيمان بها من هذا الزمن الذى تداس فيه الأمم الصغرى ، ولا يكون فيه لغير القوميات الكبرى وزن ، أو اعتبار فى أى معيار . .

ولست أعلم كذلك قوماً لهم مثل أوطاننا المتصلة المكونة من مجموعة نادرة فريدة من الوديان والسهول والجنات والأنهار ، ولهم مثل أعلى واحد فى العقيدة والتقاليد والأخلاق ، ولهم لغة واحدة يفرغ عليها التاريخ والدين جلالاً وسحراً ، ثم يتوانى قادتهم وزعماؤهم فى استغلال هذه الظروف والفرص هذا التوانى الذى وراءه التفكك وتبديد الميراث

ويشهد الله أننى لا أعنى قيام القومية العربية للانتفاع فقط بما فيها من العزة لكل فرد ينتسب إليها ، ولا لما فيها من الخيلاء والكبرياء اللتين تصاحبان الغرور القوى لدى أكثر الأقوام ...

ولـكنني أعنى قيامها للاعتزاز أولاً بمثلها الأعلى الذى رفعته ورفعت الحياة به أيام أن كان لها السلطان والصولجان ... ذلك المثل الذى لا يتحقق التوازن الدولى ، والعدل الطبيعى إلا به ، ولا يضع علاقات مودة ، ومعانى بر جديدة بين شعوب الأرض إلا هو . لأنه مثل أعلى يقوم على كلمتين من كلمات الله رب الناس جميعاً ، وجاعلهم صنوفاً ، وأنواعاً وأجناساً ، وألواناً كما يصنف البستانى أزهار البستان ... : على كلمة ناطقة تدور بها الألسنة وتستوحى منها الأفكار ، وهى القرآن ! وعلى كلمة صامتة مستخفية فيها أسرارها وأوتارها وأشواقها وأوطارها وهى القلب العربى !

وفى الـكلمة الأولى اعتمد الله على بلاغة هذه الأمة وفصاحتها وصراحتها فى الـكشف عن كل مخبوء فى الضمير وفى الشعور وفى الفكر وتسجيله بلغة موسيقية موجزة مبينة ، وإلقائه على الأسماع والأفهام آيات منزلة من حول العرش ...

وفيها يضع الله كل شىء فى الطبيعة فى موضعه أمام الفكر البشرى « إنا كل شىء خلقناه بقدر » « أعطى كل شىء خلقه ثم هدى » فلا يجوز الاعتراض والثورة على نظام الكون ومحاولة تبديله « لا تبديل لخلق الله »

وفيها ينظر الله إلى أمم الأرض كأمة واحدة « يا أيها الرسلُ كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إنى بما تعملون عليم وإن هذه أُمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون »

وفيها يحطم الله الأصنام الحجرية والبشرية ويسحق « العجل الذهبى » وعبّاده ، ويكسر كل قيد يقيد النفس بالمادة ويجعلها تخلد إلى الأرض وتتخذ الأهواء آلهة وتشبع الشهوات السفلى وتعيش فى الأرض فى غفلة عن الجمال الأعلى ؛ فيخرج الإنسان بعد هذا كله طليقاً حراً قديس الروح نظيف الجسد متجرداً من كل شىء لله الذى أعطاه كل شىء ...

وفيها يعقد الله بينه وبين الإنسان صلة مبنية على منطق الفكر ومنطق الوجدان ، فما يقدره الله فى الطبيعة ويحترمه يقدره الإنسان ويحترمه ، وما يبغضه الله ويمتهنه يبغضه العقل الإنسانى ويزدريه ؛ فالعقل البشرى صورة مصغرة من العقل الأعلى الذى يدير الكون ويحرسه ويمسكه أن يزول . ألم يقل : « ونفختُ فيه من روحى » « إنى جاعلٌ فى الأرض خليفةً » ؟

وبدهى بعد ذلك أن يصدر العربى من بين يدى القرآن الذى يضعه فى الحياة هذا الموضع الأكرم الأعلى ، وهو معتقد أنه قوة من قوى الله مستخلفة لحراسة الأرض وحراسة النفس والإنسانية من فتن الحياة وقوى الشر ونوازع الإثم ، وأن ينظر إلى الناس كما ينظر إليهم الله نظرة رحمة وغيرة على مصالحهم وسعى حثيث لها ، لا كما ينظر الملحدون إلى أنفسهم وإلى الناس نظرة ضياع وحيرة بين القوى العمياء ، ولا يعتقدون أن القوة المتسلطة على الـكون تأبه لهم أو تقيم لهم وزناً ، فهم كذلك لا يقيمون لقوانينها فى الطبيعة وزناً ، وإنما يدخلون الحياة ويخرجون منها كما تدخل وتخرج السباع إن كانوا أقوياء ، أو كما تحيا وتموت الخراف البلهاء إن كانوا ضعفاء

وبدهى كذلك أن تكون هذه الصداقة المعقودة بين العربى ورب الطبيعة مبعث اعتزاز وقوة واعتصام بقوة الذى بنى السماء والأرض ، يتحول بها إلى قوة مندمجة فى قوى الـكون التى فى يد الله . وينظر بها إلى ما فى السماء والأرض وكأنه ينظر إلى أشياء موضوعة مهيأة له فى دار أبيه . .

* * *

أما القلب العربى ، وهو الـكلمة الصامتة ، ففيه حيثما كان وراثات مدخرة من بساطة الحياة فى الصحراء ، واتساعها وعزلة الفكر فيها عن المؤثرات الصناعية ، وإشراق النجوم عليها ، واحتكاك الفكر فيها بالسماء دائماً ، وانطلاق النفس من غير سدود وقيود ، واعتداد الإنسان فيها بنفسه ، واعتماده على قواه الذاتية ، وسبح الخيال وراء المجهولات والغيوب ، وتجرد الحياة فيها من الزينة الصناعية والتكليفات الوضعية التى لا تطلق النفس لدواعى الفطرة بل تجعل عليها ركاماً من قيود التقاليد

يضاف إلى هذه الوراثات الاستعداد الدائم لبذل الدم والمال فى سبيل الشرف وحسن الأحدوثة ، وعدم الارتباط بالأرض إلى درجة التضحية بالحرية والخضوع لسلطة مذلة واستبداد مُهْدر لـكرامات الإنسان وحرمات الحياة . . .

وهذه صفات ترشح قومها لحمل دعوة كالدعوة الإسلامية التى تطلب الدم والمال للوصاية على كل حق فى الحياة . ولن تستطيع نفس مترفة معقدة الفكر بتعقد الحياة التى نشأت فيها ، معقدة النفس بتعقد التربية السياسية ذات الأوضاع والقوانين الكثيرة ، محبة للحياة حريصة عليها لما فيها من الترف والنعمة ، بعيدة عن الطبيعة لأنها عاشت سجينة بين الجدران أو مكبة

على عبادة الزراعة والصناعة ، مثقلة بالأموال والخيرات الكثيرة فليس لها فراغ للفكر فى الكون وربه ... ان تستطيع هذه النفس أن تحمل ما تحمل النفس العربية من رسالة البساطة والمساواة والرجوع إلى قوانين الطبيعة والنظر إلى أوليات الحياة ومبادئها والتجرد من التعقيد وركام التقاليد

ومن أجل ذلك لم يصطف الله أمة من الأمم المتحضرة كالرومان والفرس لحمل رسالة الإسلام مع أنهما كانتا على علم كثير وحضارة عظيمة ، بل اصطفى العرب لتلك الرسالة ، رسالة الفطرة والبساطة ، لأنهم أقرب الناس فى حياتهم من مبادئ الحياة العامة التى تجعل الإنسان شيئاً من الطبيعة غير منفصل ولا معزول عنها بجو صناعى ، ولأنهم يكونون وهم الغالبون أسرع من المغلوبين إلى ما يحقق العدالة والمساواة ، إذ لا يشعرون بفرق كبير بين حياتهم فى الحكم وأبهته ، وبين حياتهم على قدم المساواة مع أقل الناس تكاليف

واعتقادى أن الرجل الأوربى أو « الرجل الأبيض » على العموم لا يمكن أن ينهض برسالة المساواة بين الناس ، لأنه يجد فى شكله جمالاً وفى قده اعتدالاً وفى عقله تركيباً ، وفى حياته على العموم زيادات لا يجدها عند سواه ... بل إن بعض أنواع الرجل الأبيض — وهم الجرمان — قد بدأوا فلسفة جديدة فى الفروق الجنسية لا يمكن مطلقاً أن تقوم معها عدالة أو مساواة حتى بين أنواع الرجل الأبيض نفسه ...

وقد يكون للبيض بعض العذر من ملاحظة الفروق الظاهرة بين بيئاتهم وبيئات الأجناس الملونة ، فلا يجدون أنفسهم تطاوعهم على تناسيها ، والنزول بين غيرهم من بنى البشر على قدم المساواة ، لأنهم أولاً معزولون من قديم الزمان عن الاتصال بالأجناس الملونة التى تسكن فى وسط الأرض وحوله ، فلا يعلمون جوهر نفوسهم ولأنهم ثانياً يمتدون بشكايات الحياة اعتداداً كبيراً ، ولذلك ملأوا حياتهم بها ؛ فلا يمكن مطلقاً أن يتغفروا الفرق بين الجلدة البيضاء والجلدة الصفراء والسوداء والحمراء ... وإنهم ليغفرون الفروق بين الإنسان والكلب ، فيحتضنون الكلاب ويقبلونها ويبكون رحمة لها ويعاملونها بالحسنى ، ولكنهم يأنفون من رؤية الرجل الملون ويهينونه ولا يرحمونه ولا يجتهدون فى رفع حياته وإنقاذه من وثنياته وخرافاته . مع أنهم فتحوا دياره بالقوة منذ أكثر من قرن ، وعندهم من وسائل إخضاعه للتعليم والتهذيب بالإحسان والقوة الشىء الكثير ... ولكنهم مشغولون فقط بالبحث عن الذهب الأصفر والذهب الأسود ... !

والذين شاهدوا الشريط السينمائى الذى عرض فى بعض دور السينما بالقاهرة منذ قريب عن حياة « لفنجستون » الكاشف الإنجليزى المشهور ، يدركون تماماً ما يرى إليه واضع هذا الفلم ومخرجه من نقد ، لإهمال التبعات الملقاة على عاتق الرجل الأبيض فى تحضير هذه البقايا من الإنسانية الباقية على وثنياتها وخرافاتها وانقطاعها عن حياة العلم والدين .

دع عنك المؤثرات الطبيعية والصناعية التى جعلت الرجل الأبيض يهمل فى واجباته نحو إخوانه من بنى البشر هذا الإهمال وتعال معى ننظر إلى نعم الله على القومية العربية حيث وضعها هذا الوضع الوسط العجيب بين أجناس الناس وبقاع الأرض ...

إن وضعها هكذا من الخليج الفارسى إلى المحيط الأطلسى وسطاً بين أمم الشرق والغرب والشمال والجنوب لتلتقى عندها الألوان والأجناس والدماء والأجواء والثقافات والحضارات والطباع والأمزجة ، فتأخذ قلوبها من جميع القلوب ، وعقولها من جميع العقول ، وأجسامها وألوانها من جميع الأجناس والألوان ، ثم يمتزج كل أولئك ويصهر فى طبيعتها المعتدلة ويخرج للناس بعد هذا ثقافة نفسية وسياسية يلتقى عليها الشرق والغرب لقاء يحطم القيود ويجتاز الحدود . لأن فيها من كل جنس رفداً ، ومن كل عقل مدداً ، ومن كل قطر ورداً ...

فاذا خاطب الله برسالته الأخيرة وكلمته الخاتمة هذه الأمة التى فى مركز الأرض فإنما يخاطب البشرية جماء متمثلة فى هذا الجنس

وإذا خاطب العربى المتحضر أمم الشمال والغرب المتحضرة ، أخذوا عنه خطابه وعقلوه لأن فيه مسحة من بياضهم وثقافتهم ، ولأنه أقرب الأجناس إليهم وأكثرها اختلاطاً بهم

وإذا خاطب العربى المتبدى أمم الجنوب والشرق ، أخذوا عنه وعقلوا منه ، لأن فيه بساطتهم ومعارفهم ، ولأنه من أقرب الأجناس إليهم وأكثرها اختلاطاً بهم

وتلك نعمة عظمى حتمّ على العرب أن يتفطنوا لها ويبنوا جهادهم ورسالتهم عليها ويدركوا امتنان الله عليهم بها فى قوله : « وكذلك جعلناكم أمَّةً وسَطاً لتكونوا شهداء على الناس »

(القاهرة) عبد المنعم خلاف

نشر الثقافة

وكيف يكون

للأستاذ محمود العمرى

نشرت الصحف فى المدة الأخيرة أن وزارة المعارف قررت تكليف بعض المؤلفين وضع كتب فى سير أبطال الإسلام، وعهدت إلى بعض المترجين ترجمة مؤلفات أجنبية إلى اللغة العربية

ولا شك أن عناية وزارة المعارف بنشر الثقافة أمر توجبه عليها مهمتها، إذ الحقيقة التى لا مفر من الاعتراف بها أنه لا يغنى عن البلاد كثرة حملة الشهادات الدراسية فيها، وليس مما يشرفها أن يقال فى التدليل على انتشار التعليم إن الناجحين فى امتحان شهادة كذا بلغ عددهم كذا ألفاً. ولكن الذى يدل دلالة حقيقية على انتشار التعليم أن يقال إن أحد المؤلفات قد بيع منه كذا ألفاً. فهذا وحده هو القياس الصحيح الدال على أن التعليم انتشر انتشاراً حقيقياً كان له أثره فى أمرين لا غنى عنهما فى كيان أمة، أولهما انتشار الثقافة وسريانها سرياناً طبيعياً اختيارياً تتكيف به حياتها الفكرية، وثانيهما عيالة طبقة من المؤلفين

أما أن تقتصر الحياة العلمية على البرامج الدراسية وتحصيل الشهادات فحالة سطحية مصطنعة. وقد شعر المفكرون منذ مدة بعدم كفاية هذه الشهادات فى تكوين الحياة الفكرية، بل لقد نزل مستوى التعليم لدى حامليها، وفطنت الأمة إلى ذلك بعد أن قطعت شوطاً بعيداً فى الإكثار منهم. كما تبين أن من أكبر أسباب ضعف التعليم المدرسى عدم وجود المؤلفين والباحثين الذين يتغذى التعليم بمؤلفاتهم وبحوثهم، وتقوم الحركة العلمية على جهودهم قياماً مستقلاً يرفعها إلى حيث تمد البرامج بعناصرها وتنشىء المثل الفكرية العليا نشأة قائمة بذاتها مما يجعلها أساساً للتعليم والتطبيق بدلاً من أن تكون مقصورة عليهما

ولا شك أيضاً أن مساهمة وزارة المعارف فى زيادة الثروة الفكرية على النحو الذى انتحته لا تخلو من فائدة، ولا سيما إذا أحسنت الاختيار وتوخت ملء فراغ، كما فعلت فى سير أبطال الإسلام، وفى ترجمة كتاب هانوتو فى تاريخ الأمة المصرية

إن أولى الكتب بالنقل إلى العربية وأحقها بالجهود المحدودة التى فى طاقتنا فى الوقت الحاضر الكتب التى لا تفقد شيئاً من معانيها إذا هى ترجمت إلى لغتنا، والتى تتسق مع حياتنا الفكرية فى المرحلة التى نجتازها الآن. أما مؤلفات شكسبير وأضرابه من أعلام الأدب الغربى الذين ترجمت وزارة المعارف كتبهم فى عهود مضت وتزمع الآن ترجمتها، فإن كثيراً منها بعد نقلها إلى العربية من الكماليات

يعرف الملمون بالأدب الغربى أن اختيار المؤلفات التى تفيد ترجمتها أمر فى غاية الدقة، إذ أن كثيراً منها ترجع قيمته إلى اللغة الأصلية وإلى الفنون الأدبية والأوضاع الاجتماعية المحلية، فهى حافلة بإشارات لها مدلولها فى ذهن قارئها فى بلادها أو على الأكثر فى البلاد القريبة الشبه بها فى البيئة. ولسنا نأتى بجديد إذا قلنا إن الناحية الفنية فى الأدب الغربى تتأثر كثيراً بالنقل إلى العربية لبعد الشبه بينها وبين اللغة الأصلية. بل إن المعانى الأدبية العميقة فى الأدب الأوربى العويص كثيراً ما تخفى على غير المتعمقين فيه من المبتدئين فى الاطلاع، معتمدين على مجرد فهم المعنى اللفظى دون أن يغوصوا إلى ما وراء اللفظ وما بين السطور

فخير لوزارة المعارف أن تختص بعنايتها بالنقل إلى العربية الكتب التى تستساغ لدى قراء العربية دون غيرها من اللغات، فتنسجم ضمن غذائهم العقلى ولا تفقد معانيها شيئاً بالترجمة لأنها تتناول مادة عامة وعلى الأخص الكتب التى تتناول مادة أصلها عربى ككتاب هانوتو، فإن معانيها تزداد فى العربية وضوحاً

والكتب التى من هذا القبيل كثيرة فى اللغات الأوربية، من أهمها كتب المستشرقين فى تاريخ العرب والإسلام، وقد سبق أن عرض كاتب هذه السطور مقترحاً بترجمتها أيام وزارة المرحوم زكى باشا أبو السعود، كما تكلم فى هذا الشأن مع المرحوم الشيخ شاويش

ولا جدال فى أن ترجمة المؤلفات المذكورة تعد من قبيل رد مادة إلى أصلها العربى فتزداد بالترجمة وضوحاً كما أنها تدخل مع ثقافتنا فى نسق واحد مستساغ

على أن أهم ما أقصده من كتابة هذه الكلمة أن أتناول الرأى الأساسى فى نشر الثقافة عن طريق تكليف بعض المؤلفين أو المترجين وضع كتب أو ترجمتها

هذا الرأى على عدم خلوه من فائدة كما قدمت لا يؤتى فى النهاية إلا ثمرة محدودة الفائدة، وليس فيه دواء حاسم للمشكلة الأصلية وهى فقر الثقافة وعدم انتشارها

لا شك أن أفاضل المؤلفين والمترجمين الذين كلفتهم الوزارة القيام بذلك العمل سيبذلون جهداً مشكوراً وستظهر لهم كتب قيمة ، إلا أن الداء الأساسى سيظل كما هو

قامت الوزارة منذ مدة بعمل آخر فى تشجيع الثقافة فجرت على عادة شراء مقادير من المؤلفات التى تصدر من وقت إلى آخر تعضيداً للمؤلفين وتعويضاً لهم عن قلة ما يباع من كتبهم . ولا ريب أن هـذا التشجيع بشراء الكتب ولو لوضعها فى مخازن الوزارة كان فيه بعض الفائدة فى ذاته ، إلا أنه كان من قبيل دخول الحكومة فى سوق القطن بالشراء إنقاذاً لقيمة المحصول من أن يباع بقيمة دون قيمته ، وضنا بثمرة جهود المنتجين أن تضيع هباء، وتشجيعاً لهم على المضى فى الإنتاج

غير أن الناس لم يلبثوا أن فطنوا إلى ما نبه إليه المستر طود الاقتصادى المختص بشئون القطن وهو أن هذا العلاج محدود الأثر ؛ فإن القطن الذى تشتريه الحكومة اليوم لا بد أن تبيعه غداً، وعندئذ يزيد المعروض فيهبط السعر. وإن شراء الحكومة ليس شراء بمعنى الكلمة لأنها ليست مستهلكة له فى واقع الأمر، وإنما الشراء الحقيقى من الوجهة الاقتصادية شراء المصانع التى تستهلكه فى الصناعة وتستبعده نهائياً من عداد المادة الخام وتقوم بتصريفه فى شكل جديد

يحضرنى عند التفكير فى حل هذه المشكلة حلاً طبيعياً أساسياً ذكر ما توصلت إليه دول أوربا للنهوض بالزراعة ووضعها على أساس علمى

بذلت تلك الدول فى أول الأمر جهوداً عظيمة من الناحية المباشرة فذهب عناؤها هباء . ثم أتتها فترة تهيأت فيها ظروف ساعدتها على رفع أسعار المحاصيل الزراعية بسبب اتساع الأسواق العالمية وسهولة النقل، فما هى إلا أن أصبحت الزراعة مهنة رابحة، وسرعان ما انشحذت الملكات وانطلقت نحو الزراعة بأقصى ما أوتيت من قوة فازدهرت الفنون الزراعية من الناحيتين العلمية والعملية . وهكذا عولجت المشكلة من صميم أسبابها .

***

عانت فرنسا فى السنين الأخيرة أزمة نسبية هى ضعف انتشار المؤلفات الفرنسية ، وذلك لأسباب منها انتشار الراديو والسينما والألعاب الرياضية ، فخشى مفكروها ضعف ثقافتها وهى سند مدنيتها ، وخافوا أن يهبط بذلك نفوذ بلادهم الأدبى فى العالم كما خافوا أن ينحط الإنتاج الفكرى عندهم لقلة ما يباع من مؤلفاتهم عن القدر الكافى لمبالة طبقة مؤلفيهم وشحذ هممهم

أجمع هؤلاء المفكرون أمرهم وأنشأوا جماعة برياسة جورج دوهاميل الكاتب المشهور واستمالوا بوزير معارفهم جان زاى وهو الوزير الذى رآه المصريون عند ما جاء منذ عامين لافتتاح معرض الفن الفرنسى الذى كان للكتب الفرنسية فيه حظ كبير؛ وقد تمت إجراءات مهمة بتعاون الوزير المذكور مع تلك الجماعة .

لا شك أن تصريف الكتب فى مصر قليل جداً لأسباب تختلف عن أسبابه فى فرنسا ، وأن ما يباع عندنا من الكتب لا يكفى لسد حاجة البلاد إلى طبقة من المؤلفين المحترفين الذين يستطيعون أن يعيشوا من ثمرة أقلامهم . فعبثاً نحاول أن نخرج البلاد ما فيها من الملكات إلا بإيجاد الحافز .

قال أحد الأدباء فى عصر شبيه بعصرنا : « كان الناس فى الزمن الغابر يسألون: ما صناعة هذا الرجل ؟ فيقال : هو أديب. والآن إذا عرفوا أدبه يسألون : ما صناعة هذا الأديب ؟ ! »

هذه حال لا يصح السكوت عليها، ولا سيما أن لنا مزية انتشار لغتنا فى خارج حدودنا انتشاراً من شأنه أن يجعل لمؤلفينا من القراء فى غير بلادنا ما يزيد على عددهم فى مصر أضعافاً مضاعفة .

لا أريد فى هذه الكلمة أن أتكلم عن أسباب قلة الميل إلى القراءة ، ولكننى لا أشك فى أن الكتب ، حتى على أساس هذا الميل القليل غير منتشرة ، وأن عدم انتشارها أمر غير طبيعى ؛ ومن الأدلة على ذلك كثرة انتشار الصحف والروايات الخفيفة انتشاراً يدل على أن عدم الإقبال على القراءة قد بلغ هـذا المبلغ المشاهد فى الكتب .

صحيح أن الجمهور أميل إلى القراءة الخفيفة السطحية ، غير أن هذا السبب لا يكفى لتعليل البون الشاسع بين انتشار الصحف وانتشار الكتب . إنما العلة الكبرى أن للصحف والروايات الخفيفة أصحاباً يتعهدون نشرها على أساس تجارى وإدارى محكم . أما

الكتاب في مصر فيتيم ليس له من يتولى أمره ، إذ أن كل مؤلف على حدته لا يستطيع شيئاً ، والحركة التجارية غافلة عنه ، وذلك لسببين : أولهما أن التجارة في مصر رائجة لسبب نأسف له وهو نشاط الأجانب ، وهؤلاء لا يقبلون على الكتب العربية إقبالهم على النواحي الأخرى . والثاني أن تجارنا تنوزهم ملكة الابتكار ، فتجارة الكتب تختلف عن غيرها في أن الطلب في أمرها يتبع العرض إلى حد بعيد ، مع أن العرض في أمر غيرها يتبع الطلب بدرجة عظيمة . وهذا ملموس في كل بلاد وفي كل جهة حتى ليخيل للانسان أنه لا يوجد ميل إلى الاطلاع إلا بين الذين اعتادوا المرور في حي معين فيه مكتبة يستوقف ما في واجهتها من الكتب نظر المارة ، بل قد يدخل أحدهم بغير قصد شراء كتاب بذاته فيخرج وإذا بيده كتب

يعرف المؤلفون في مصر أن كتبهم لا تباع إلا حيث توجد المكتبات في مدينة واحدة وهي القاهرة ، فيخيل إليهم أن الميل إلى القراءة غير موزع بين سكان القطر وأنه مقصور على حي معين . ثم ما هي إلا أن يتطوع صديق في جهة مائية فيبيع له عدداً كبيراً

لا ريب أن تشجيع نشر الكتب أمر حيوي وفيه شفاء للعلة الأصلية من أساسها بشكل يؤدي حتى في ظروفنا الحالية إلى انتشار الثقافة فتربح التجارة ، وتنشط المطابع ، وتقوم في البلاد طبقة من قادة الفكر على أساس الدافع الطبيعي الذي لا يقتصر على ما لا بد منه للمؤلفين من الاستقلال المادي والأدبي . بل إن في انتشار مؤلفات أحدهم ما يقوم في نفسه دليلاً على أنه أدى رسالته ، كما أن في الإقبال على كتبه انتخاباً من القراء له وعملاً فيه الكثير من الصدق في التعبير عن أنهم أولوه زعامة طبيعية نابتة من الحركة الفكرية في ذاتها

ولست أريد أن أرسم خطة معينة تتبعها وزارة المعارف في تنفيذ برنامج عملي لنشر الثقافة عن طريق الكتب ، ولكنني أورد على سبيل المثال ما يعن لي من الوسائل :

١ — أن تتفق الوزارة مع مراقبات مناطق التعليم ومجالس المديريات على أن تقصر معاملاتها بقدر الإمكان على المكتبات الواقعة في الجهات نفسها

٢ — أن تتفق مع مصلحة البريد على إعطاء الأفضلية في بيع طوابع البريد وطوابع التمغة للمكتبات دون الصيدليات ومحلات العطارة وحوانيت التبغ

٣ — أن تحفظ لديها سجلاً بالمكتبات في كافة جهات القطر ليرجع إليها الناشرون وأصحاب المطابع والمؤلفون للتعامل معهم ، وأن تقوم مراقبات مناطق التعليم بالاستيثاق من أن هذه المكتبات مكتبات حقيقية

٤ — أن تذيع بالراديو أسماء الكتب وخلاصات مشوقة موجزة عن محتوياتها

٥ — أن تتفق مع وزارة الشؤون الاجتماعية على أن تدمج في المراكز الاجتماعية التي تزمع إنشاءها برامج ثقافية

٦ — أن تشجع على إنشاء هيئة مركزية في القاهرة تجمع لديها فهارس ما يصدر من الكتب وتوزعها على جميع المكتبات في القطر ، ويشترك أصحاب المكتبات في هذه الهيئة بضمان أو تأمين لكل منهم بمائتي جنيه مثلاً يجعل لكل منهم حق أخذ كتب بقيمتها حسب اختياره عن طريق الهيئة ، وكلما سدد ثمن ما أخذه فتح له اعتماد بدلاً منه بقيمة ما يسدد ، حتى إذا كان نشطاً في البيع دار معه مبلغ الضمان خمس مرات أو عشراً ، فيكون قد اتجر في رأس مال قدره ألف أو ألفا جنيه دون أن يدفع شيئاً ، اللهم إلا ضماناً قدره مائتا جنيه . وهذه الطريقة تتبعها شركة من شركات المنسوجات الأجنبية في مصر

ولا بد لي أن أختم هذه الكلمة بتكرار ما قلت فيما سبق ، وهو أنني لم أتعرض لمعالجة موضوع عدم الميل إلى القراءة ، إذ أن هذا أمر يتصل بمشكلة التعليم وبالرأي السائد في البلاد وفي الحكومة عن غاياته وأقيسته

محمود العمري

في الاجتماع اللغوي

تفرع اللغة الواحدة إلى لهجات ولغات

وأثر انتشارها في هذا التفرع

للدكتور علي عبد الواحد وافي

تختلف اللغات الإنسانية في مبلغ انتشارها اختلافاً كبيراً فمنها ما تتاح له فرص مواتية ، فينتشر في مناطق شاسعة من الأرض ، ويتكلم به عدد كبير من الأمم الإنسانية ؛ كما حدث للاتينية والعربية في العصور القديمة والوسطى ؛ وللانجليزية ، والأسبانية ، والبرتغالية ، والفرنسية ، والألمانية في العصور الحديثة . ومنها ما تسد أمامه المسالك ، فيقضي عليه أن يظل حبيساً في منطقة ضيقة من الأرض ، وفئة قليلة من الناس ؛ كما حدث للأينو[1] والبسكية[2] والليتونية[3] ، ومنها ما يكون حاله وسطاً بين هذا وذاك ، فلا تتسع مناطقه كل السعة ، ولا تضيق كل الضيق ؛ كما هو شأن الحبشية والفارسية

هذا ، ولانتشار اللغة أسباب كثيرة يرجع أهمها إلى ما يلي :

١ — أن تشتبك اللغة في صراع مع لغة أو لغات أخرى وتقضي نواميس الصراع اللغوي المتقدم ذكرها في المقالات السابقة[4] أن يكتب لها النصر ، فتحتل مناطق اللغة أو اللغات المقهورة ، فيتسع بذلك مدى انتشارها ، وتدخل أمم جديدة في عداد الناطقين بها : كما حدث للاتينية في العصور القديمة ، إذ تغلبت على اللغات الأصلية لإيطاليا وإسبانيا وبلاد الجول La Gaule (فرنسا وما إليها) والألب الوسطى والإليريا Illyrie ، فأصبحت لغة الحديث والكتابة في منطقة شاسعة في القسم الجنوبي الغربي من أوربا بعد أن كانت قديماً مقصورة على منطقة ضيقة في وسط إيطاليا ، هي منطقة اللاتيوم Latium ؛ وكما حدث للغة العربية إذ تغلبت على كثير من اللغات السامية الأخرى وعلى اللغات القبطية والبربرية والكوشيتية ، حتى بلغ الآن عدد الناطقين بها نحو ٤٠ مليوناً ينتمون إلى نحو خمس عشرة أمة بعد أن كانوا قديماً لا يتجاوزون بضعة آلاف يقطنون منطقة ضيقة في الجنوب الغربي من بلاد العرب ؛ وكما حدث للألمانية إذ طغت على مساحة واسعة من المناطق المجاورة لها بأوربا الوسطى (بألمانيا وسويسرا وتشيكو-لوفاكيا وبولونيا والنمسا ... الخ) . وقضت على لهجاتها الأولى ، فأصبحت الآن لغة الحديث والكتابة لنحو ٧٠ مليوناً من سكان أوربا بعد أن كانت قديماً مقصورة على بعض المقاطعات الألمانية

٢ — أن ينتشر أفراد شعب ما — على أثر هجرة أو استعمار — في مناطق جديدة بعيدة عن أوطانهم الأولى ، ويتكون من سلالاتهم بهذه المناطق أمة أو أمم متميزة كثيرة السكان ، فيتسع بذلك مدى اتساع لغتهم ، وتتعدد الجماعات الناطقة بها ، ويكثر أفرادها . والأمثلة على ذلك كثيرة في العصور الحديثة . فقد نجم عن استعمار الإنجليز السكسون لأمريكا الشمالية وأستراليا ونيوزيلندا وجنوب أفريقية أن انتشرت الإنجليزية في هذه المناطق الشاسعة ، فبلغ عدد الناطقين بها نحو ١٧٠ مليوناً موزعين على مختلف قارات الأرض ، بعد أن كانت قديماً محصورة في منطقة ضيقة من الجزر البريطانية . ونجم عن الاستعمار الأسباني في الدنيا الجديدة أن أصبحت الأسبانية لغة المكسيك وجزر الفيليبين وجميع دول أمريكا الوسطى وأمريكا الجنوبية ما عدا البرازيل ، فبلغ عدد الناطقين بها نحو ٧٠ مليوناً ينتمون إلى نحو خمس عشرة أمة ، بعد أن كانت محصورة في منطقة ضيقة في الجنوب الغربي من أوربا . ونجم عن الاستعمار البرتغالي في الدنيا الجديدة وأفريقيا والأوقيانوسية أن أصبحت البرتغالية

---

(١) يتكلم بلغة الأينو Aïnou نحو عشرين ألفا من سكان جزر هوكادو Hokkado وساكهالين Sakhaine وشيكوتو Shikotau ، وكلها تابعة لليابان — ولم تثبت صلة قرابة بين هذه اللغة وأية لغة أخرى ، ولذلك عدت فصيلة على حدتها

(٢) يتكلم بالبسكية Basque الآن نحو ٨٠٠ر٠٠٠ من الباسكيين الذين يقطنون جبال البرانس الغربية في المدوتين الأسبانية والفرنسية . ولم تثبت بعد بصورة قاطعة صلة قرابة بين هذه اللغة وأية لغة أخرى . ولذلك عدت فصيلة على حدتها

(٣) يتكلم بها سكان ليتونيا Lettonie الذين يبلغ عددهم الآن ١ر٨٤٤ر٨٠٠ وهي من شعبة اللغات البلطيقية من الفصيلة الهندية الأوروبية

(٤) أنظر أعداد الرسالة ٣٤٧ ، ٣٤٩ ، ٣٥١

لغة سكان البرازيل بأمريكا الجنوبية وسكان المستعمرات البرتغالية بأفريقيا وجزر المحيط الهندى ، فبلغ عدد الناطقين بها نحو ٥٠ مليوناً ينتمون إلى عدة أمم ، بعد أن كانت محصورة فى منطقة ضيقة فى بلاد البرتغال نفسها

٣ — أن يتاح لجماعة ما أسباب مواتية للنمو الطبيعى فى أوطانها الأصلية نفسها فيأخذ عدد أفرادها وطوائفها فى الزيادة المطردة ، وتنشط حركة العمران فى بلادها ، فتكثر فيها المدن والقرى وتتعدد الأقاليم والمناطق ، فيتسع تبعاً لذلك نطاق لغتها ومدى انتشارها ، كما حدث لليابانية والفرنسية والإيطالية . فبفضل هذا العامل بلغ عدد الناطقين باليابانية فى اليابان نفسها نحو ٦٠ مليوناً ، وبفضله كذلك مع مساعدة العاملين السابقين بلغ عدد الناطقين بالفرنسية نحو ٥٠ مليوناً [١] وبالايطالية نحو ٤٥ مليوناً [٢] .

* * *

ومتى انتشرت اللغة فى مناطق شاسعة من الأرض تحت تأثير عامل من العوامل السابق ذكرها ، وتكلم بها جماعات كثيرة العدد ، وطوائف مختلفة من الناس ، استحال عليها الاحتفاظ بوحدتها الأولى أمداً طويلاً ، فلا تلبث أن تنشعب إلى لهجات ، وتسلك كل لهجة من هذه اللهجات فى سبيل تطورها منهجاً يختلف عن منهج غيرها ، فلا تلبث مسافة الخلف أن تتسع بينها وبين أخواتها ، حتى تصبح لغة متميزة مستقلة غير مفهومة إلا لأهلها ، وبذلك يتولد عن اللغة الأولى فصيلة أو شعبة من اللغات يختلف أفرادها بعضها عن بعض فى كثير من الوجوه ، ولكنها تظل مع ذلك متفقة فى وجوه أخرى ، إذ يترك الأصل الأول فى كل منها آثاراً تنطق بما بينها من صلات قرابة ، ولحمة نسب لغوى . وكثيراً ما يبقى الأصل الأول لغة أدب وكتابة بين الشعوب الناطقة باللغات المتفرعة منه ؛ ولكنه لا يلبث أن يتنحى عن ذلك بعد أن يكتمل نمو هذه اللغات .

ولهذا القانون خضعت اللغات الإنسانية من مبدأ نشأتها إلى العصر فاللغة الهندية — الأوربية الأولى ، قد انشعبت فى ضحى الإنسانية إلى مجموعات كثيرة ، وكل مجموعة منها تفرعت إلى عدة طوائف ، وكل طائفة انقسمت إلى شعب ، وكل شعبة إلى لغات وهكذا دواليك ... ومثل هذا حدث للغة السامية الحامية الأولى ولجميع الفصائل اللغوية الأخرى .

وقد شهدت عصورنا التاريخية نفسها كثيراً من آثار هذا القانون ، فاللغة اللاتينية ، وهى إحدى لغات الفرع الإيطالى المنشعب من الهندية — الأوربية ، قد أخذت هى نفسها فى أواخر العصور القديمة وفى العصور الوسطى تنشعب إلى عدد كبير من اللهجات ، وأخذت كل لهجة من هذه اللهجات تسلك فى سبيل تطورها منهجاً يختلف عن منهج أخواتها ، حتى انفصلت عنها انفصالاً تاماً ، وأصبحت لغة متميزة مستقلة غير مفهومة إلا لأهلها. وقد بقيت اللاتينية مدة ما لغة أدب وكتابة بين الشعوب الناطقة باللغات المتفرعة منها (الفرنسية والإيطالية والأسبانية والبرتغالية ولغة رومانيا ...) ولكنها لم تلبث أن تنحت عن ذلك بعد أن اكتمل نمو هذه اللغات

والعصر الحاضر نفسه يشهد كثيراً من آثار هذا القانون . فلانتشار اللغة الأسبانية فى مناطق شاسعة من الأرض ولاختلاف الطوائف المتكلمة بها ، أخذت تفقد وحدتها ، فانشعب عنها فى أمريكا الجنوبية لهجات كثيرة تختلف كل منها عن الأسبانية الأصلية اختلافاً غير يسير فى كلماتها وأصواتها ؛ بل إن بعض هذه اللهجات أخذ يختلف عن الأسبانية الأصلية فى القواعد نفسها [١]

وهذا هو ما يحدث الآن للانجليزية والألمانية . فقد أخذت انجليزية الولايات المتحدة بأمريكا تختلف عن انجليزية الجزر البريطانية فى كثير من المفردات وأساليب النطق ؛ وأخذت ألمانية سويسرا تبتعد عن أصلها ويزداد تأثرها بجارتها الفرنسية ، حتى توشك أن تكون لهجة متميزة عن ألمانية الألمان وقد اتسعت مسافة الخلف بين اللهجات المنشعبة عن العربية حتى أصبح بعضها غريباً عن بعض ؛ فلهجة العراق فى العصر الحاضر مثلاً لا يكاد يفهمها المصرى . غير أنه قد خفف من أثر هذا الانقسام اللغوى بقاء العربية الأولى بين هذه الشعوب لغة أدب وكتابة ودين

* * *

(١) منهم بفرنسا نفسها نحو ٤١ مليونا والباقى ببلجيكا وسويسرا وكندا والمستعمرات الفرنسية .

(٢) معظمهم بايطاليا نفسها والباقى فى سويسرا والمستعمرات الايطالية

(١) وقد ألف بعض العلماء كتبا مستقلة فى بعض هذه اللهجات ، ككتاب الأستاذ لنز Lenz فى قواعد لهجة شيلى

والعامل الرئيسى فى تفرع اللغة إلى لهجات ولغات هو سعة انتشارها . غير أن هذا العامل لا يؤدى إلى ذلك بشكل مباشر، بل يتيح الفرص لظهور عوامل أخرى تؤدى إلى هذه النتيجة . وباستقراء هذه العوامل فى الماضى والحاضر يظهر أن أهمها يرجع إلى الطوائف الآتية :

١ — عوامل اجتماعية سياسية تتعلق باستقلال المناطق التى انتشرت فيها اللغة بعضها عن بعض، وضعف السلطان المركزى الذى كان يجمعها ويوثق ما بينها من علاقات . وذلك أن اتساع الدولة وكثرة المناطق التابعة لها ، واختلاف الشعوب الخاضعة لنفوذها ... كل ذلك يؤدى غالباً إلى ضعف سلطانها المركزى ، وتفككها من الناحية السياسية ، وانقسامها إلى دويلات أو دول مستقل بعضها عن بعض . وغنى عن البيان أن انفصام الوحدة السياسية يؤدى إلى انفصام الوحدة الفكرية واللغوية

٢ — عوامل اجتماعية نفسية تتمثل فيما بين سكان المناطق المختلفة من فروق فى النظم الاجتماعية والعرف والتقاليد والعادات ومبلغ الثقافة ومناحى التفكير والوجدان . فمن الواضح أن الاختلاف فى هذه الأمور يتردد صداه فى أداة التعبير

٣ — عوامل جغرافية تتمثل فيما بين سكان المناطق المختلفة من فروق فى الجو وطبيعة البلاد وبيئتها وشكلها وموقعها . . . وما إلى ذلك ، وفيما يفصل كل منطقة منها عن غيرها من جبال وأنهار وبحار وبحيرات ... وهلم جرا . — فلا يخفى أن هذه الفروق والفواصل الطبيعية تؤدى ، عاجلاً أو آجلاً ، إلى فروق وفواصل فى اللغات

٤ — عوامل شعبية تتمثل فيما بين سكان المناطق المختلفة من فروق فى الأجناس والفصائل الإنسانية التى ينتمون إليها والأصول التى انحدروا منها ، فمن الواضح أن لهـذه الفروق آثاراً بلينة فى تفرع اللغة الواحدة إلى لهجات ولغات

٥ — عوامل جسمية فيزيولوجية تتمثل فيما بين سكان المناطق المختلفة من فروق فى التكوين الطبيعى لأعضاء النطق[1]

فمن المحال ، مع فروق كهذه ، أن تظل اللغة محتفظة بوحدتها الأولى أمداً طويلاً

* * *

فانقسام المتكلمين باللغة الواحدة ، تحت تأثير هذه العوامل ، إلى جماعات متميزة ، واختلاف هذه الجماعات بعضها عن بعض فى شئونها السياسية والاجتماعية ، وفى خواصها الشعبية والجسمية والنفسية ، وفيما يحيط بها من ظروف طبيعية وجغرافية ، كل ذلك وما إليه يوجه اللغة عند كل جماعة منها وجهة تختلف عن وجهتها عند غيرها ، ويرسم لتطورها فى النواحى الصوتية والدلالية وغيرها منهجاً يختلف عن منهج أخواتها ، فتتعدد مناهج التطور اللغوى حسب تعدد الجماعات ، ولا تنفك مسافة الخلف تتسع بين اللهجات الناشئة عن هذا التعدد ، حتى تصبح كل لهجة منها لغة متميزة مستقلة غير مفهومة إلا لأهلها

* * *

ويبدأ الخلاف بين هذه اللهجات من ناحيتين : إحداهما الناحية المتعلقة بالصوت ، فتختلف الأصوات (الحروف[1]) التى تتألف منها الكلمة الواحدة ، وتختلف طريقة النطق بها تبعاً لاختلاف اللهجات ؛ والأخرى الناحية المتعلقة بدلالة المفردات ، فتختلف معانى بعض الكلمات باختلاف الجماعات الناطقة بها

أما القواعد La Grammaire ، سواء فى ذلك ما يتعلق منها بالبنية (المورفولوجيا) أو ما يتعلق منها بالتنظيم (السنتكس) ، فلا ينالها فى المبدأ كثير من التغيير . وإليك مثلاً اللهجات العامية التى انشعبت عن العربية بالعراق والشام والحجاز واليمن وبلاد المغرب ... فإنه لا يوجد بينها إلا فروق ضئيلة فى نظام تكوين الجملة وتغيير البنية وقواعد الاشتقاق والجمع والتأنيث والوصف والنسب والتصغير ... وما إلى ذلك ؛ على حين أن مسافة الخلف بينها فى الناحيتين الصوتية والدلالية قد بلغت حدا جعل بعضها غريباً عن بعض ، كما سبقت الإشارة إلى ذلك

ولكن هذه الوحدة فى القواعد لا تقوى على مقاومة عوامل التفرقه إلا لأجل معلوم ؛ ثم تهن قواها وتستسلم لهذه العوامل ،

(١) ترجع هـذه الفروق إلى عوامل كثيرة منها العاملان الجغرافى والشعبى المشار إليهما آنفا تحت رقمى ٣ ، ٤

(١) الحرف هو ما يرمز إلى الصوت فى الكتابة . فالتعبير هنا بالأصوات أدق من التعبير بالحروف

فيصيبها منها ما أصاب الصوت والدلالة من قبل ، وحينئذ تقوى وجوه الخلاف بين اللهجات ، وتبدأ مرحلة تحولها إلى لغات مستقلة ، ولا تنفك تذهب حثيثاً فى هذا الطريق حتى تبلغ غايته

غير أنه يبقى بها ، على الرغم من هذا كله ، وجوه شبه قريبة أو بعيدة فى أصول المفردات وبعض مظاهر القواعد العامة . وإليك مثلاً طوائف اللغات الهندية الأوربية ، فعلى الرغم من استحكام ما بينها من حلقات الخلاف ، فإن الأصل الأول قد ترك فى كل منها آثاراً تنطق بما بينها من صلات قرابة وتشهد بتفرعها عن أرومة واحدة

ومن هذا يتبين أن اللغة لا تموت حتف أنفها . فما لم تصرعها لغة أخرى على الوجوه التى تقدم شرحها فى المقالات السابقة ، لا يتطرق إليها الفناء . وخلودها هذا يبدو فى أحد مظهرين . فأحياناً تحتفظ بوحدتها ، وذلك إذا ظلت حبيسة على منطقة ضيقة وفئة قليلة، وأحياناً تنشعب إلى لهجات ولغات، وذلك إذا انتشرت فى مساحات شاسعة من الأرض وتكلم بها طوائف مختلفة من الناس

ومن ثم يظهر كذلك خطأ من يحاولون علاج تعدد اللغات بإنشاء لغة عالمية (إسبرنتو Espéranto) يتحدث بها الناس من مختلف الأمم والعصور . وذلك أن هذه اللغة الصناعية على فرض إمكان اختراعها وإلزام الناس باستخدامها (1) ، لا تلبث بعد تداولها على الألسنة أن تخضع لجميع القوانين التى تخضع لها اللغات الطبيعية والتى خضعت لها أول لغة تكلم بها الإنسان . فما دام أفراد الأمم الناطقة بها مختلفين فى أصولهم الشعبية وفى التكوين الطبيعى لجسومهم وأعضاء نطقهم ، وفى الظروف الجغرافية والطبيعية والاجتماعية المحيطة بهم ، وفى قوائم الإدراكية والوجدانية ، ومادامت سنة الطبيعة تقتضى أن يختلف كل جيل عن الجيل السابق له فى كل هذه الأمور ، فلا بد أن تختلف هذه اللغة الصناعية فى كلماتها وأصواتها ودلالاتها وقواعدها باختلاف العصور وباختلاف الشعوب الناطقة بها، وتنقسم إلى لهجات يختلف كل منها عما عداه ، وتتفرع منها لغات عامية ، وتتسع الهوة بين لهجاتها قليلاً قليلاً حتى تنفصل كل لهجة منها عما عداها انفصالاً تاماً وتصبح غير مفهومة إلا لأهلها ، شأنها فى ذلك شأن غيرها من اللغات ، وهكذا لا يمضى زمن قصير أو طويل حتى يتولد من هذا العلاج نفس المشكلة التى يحاولون القضاء عليها : « ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ، ولا يزالون مختلفين ، إلا من رحم ربك ، ولذلك خلقهم ... » . « ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ، إن فى ذلك لآيات للعالمين »

علي عبد الواحد وافى

ليسانسيه ودكتور فى الآداب من جامعة السربون

(1) هذه الأمنية ، وإن كانت ممكنة نظريا ، يحول دون تحقيقها عمليا صعوبات جمة كما لا يخفى



صاحب الديوان

إياك أن تظنه صاحب « ديوان شعر » ، فثل هذا أهون من أن يحفل به إلا من كانوا مثله من ذوى الأحلام والأوهام فى هذه الدنيا التى باتت لا تحفل بالأحلام ولا بذوى الأحلام ...

ولعلك فطنت بعد هذا إلى من أعنيه بهذا اللقب ؛ ثم لعلك فهمت لِمَ أسميه « صاحب الديوان » ، فما كان لفظ « الموظف » و « المستخدم » وما يجرى مجراها مما يفى بالغرض فى معرض الحديث عن ذلك الذى توافق له من أسباب الجاه والسلطان ما يسمو به على الناس ، رضوا بذلك أو لم يرضوا ؛ وما أرى نعته بمثل تلك الألقاب المتواضعة إلا ضرباً من الخطأ أسبق بجمع اللغة فى تلافيه ، فأضع له هذا الاسم الجديد ، وبودى لو وقعت له على اسم آخر أكثر فخامة وأضخم جرساً وأبلغ رهبة

ولست أدرى وقد وقع منظارى على أنماط وأشكال من أصحاب الديوان إلى من أدير الحديث منهم أولاً فأجعله فى طليعة أصحابه فإنى لست بمفيهم جيماً من حديثى ولو لحقنى بعدها من سطوتهم ما أعض أصبع الندم عليه

أأبدأ بالحديث عن ذلك الشاب الماجن المتظرف الذى لا تساوى الدنيا فى نظره شيئاً ؟ أم أبدأ بصاحبه المتزمت المتبرم الذى يحمل الدنيا كلها على رأسه ؟ أم أدعهما إلى ذلك الكهل الذى أخلق برد الشباب على مقعده وهو يلتفت إلى الماضى فى حسرة ويحتمل الحاضر فى ملل وينظر إلى المستقبل فى يأس ، ولا ينى عن احتقار من هم دونه والحقد على من خلفوه وراءهم وكانوا وإياه فى صف واحد عند بدء الشوط ؟ أم أبدأ من عل غير متهيب ، فأتحدث عن ذلك الذى يخضع له هؤلاء جيماً ويتملقه أكثرهم وليس فيهم من لا يكره أن يودع كرسيه فى أقرب فرصة ؟

الحق أنى حائر ، ولا مخرج لى من هذه الحيرة إلا بأن أعرض عليك فى هذه الكلمة صورة لفريق من أصحاب الديوان فى قاعة من قاعاتهم ، على أن أتناول هذا الإجمال بعد بالتفصيل

دخلت تلك القاعة فى شأن من الشؤون فوجدت نحو خمسة عشر من هؤلاء ينصتون إلى من يتلو عليهم حديثاً وهم على مكاتبهم يرنون إليه حتى إذا فرغ من قصته انطلقوا يضحكون فى صخب عظيم ، ثم أخذ كل منهم يسابق الآخر فى التعقيب عليها بما يسمه من نكتة أو قصة مشابهة ، ومضى على ذلك وقت ليس بالقصير ، وأنا واقف فى ركن عند مدخل القاعة لا أدرى من أقصد ولا أجد من يلتفت إلىّ كما لو كنت « صاحب ديوان » مثلهم لا حرج علىّ ولا غرابة فى أن أكون معهم فى حجرتهم

وكان قد مضى على بدء العمل أكثر من ساعة ، ولكن أغلب المكاتب كان لا يزال خالياً من الأوراق ، وبعضها كانت خالية حتى من أصحابها ؛ ونظرت إلى الباب فإذا فريق من الصبية يدخلون وفى أيديهم أصناف « الصينيات » ، فهذا يحمل « الفول » ، وذلك يقبل « بالطعمية » ، وثالث لا يحمل غير القهوة ...

وأخذ أصحاب الديوان فى تناول طعام فطورهم أو فى شرب القهوة ، لهم خلا ثلاثة أو أربعة ، راح أحدهم يقرأ فى جريدة الصباح وراح الآخر ينظر إلى السقف كأنما يفكر فى حل معضلة ، ولعله كان ينتظر أن يفرغ صاحبه من جريدته ليتناولها بعده ، وأخذ الثالث يفتح أدراج مكتبه ويغلقها ولا يخرج منها شيئاً ، أما الرابع فقد تناول بعض « الدوسيهات » وصار ينظر فيها واحداً بعد الآخر ثم فتح أحدها أمامه وأخذ يصفر بشفتيه لحناً جيلاً

وكنت قد جلست على مقعد خال بجانبى ، وليس ما يمنع وإن لم يكن فى يدى عمل أن أكون أحدهم ، ولعلهم ظنوا — إن كان فيهم من عنى بأن يظن — أنى أنتظر أحد الغائبين بناء على موعد سالف ؛ وكان علىّ فى الواقع أن أنتظر ولكنى كنت أنتظر الحاضرين حتى يفرغوا من طعامهم وشرابهم أو من قراءة صحفهم لأستطيع أن أعرف فيهم من يوجد لديه حل مسألتى

وأزف موعد عملى ، ودخل السعاة بأضابير من الأوراق وأخذوا يوزعونها على أصحابها ، وحال ذلك دون أن أتقدم إلى أحد، فخرجت على أن أعود مرة أخرى إلى الديوان

« عين »

عقيدة النازى المالية

للدكتور جواد على

سمّيت سياسة الوطنية الاشتراكية المالية وآراءها الاقتصادية (عقيدة) ؛ لأن الهتلرية لا تعتقد بالنظريات العلمية ، ولا تعترف بالقواعد التجارية التى تسير عليها الدول الأخرى ؛ بل تدين بعقائد ثابتة مكتوبة ونصوص تخضع لها ولا تحيد عنها : هى نصوص العنصرية والدم والأرض Blut und Boden . وهى المفتاح لكل حضارة أو مدنية فى العالم ، والتجارة والثروة من نتائج الحضارة البشرية ، والحضارة البشرية Kultur هى المظهر الخارجى للعامل الداخلى الأساسى الختفى : الدماء

لذلك فاقتصاديات شعب مرتبطة بقوته وبسلامة العنصرية من الامتزاج بالدم الأجنبى الدخيل [(١)] . والروح التى تكون فى كل جسم ، كما أنها فى كل أمة ، هى التى تغيّر اقتصاديات أمة وتكيفها حسبما تريد ؛ لا الإنتاج كما هو مذهب كارل ماركس إذ يقول : « غيروا الإنتاج تغيروا البشر[(٢)] » . ولا المادية كما عليه البلشفية وأصحاب المادة ؛ والروح ليست من قبيل الأحلام أو الأفكار أو الاصطلاحات العلمية أو بالمعنى الذى ورد فى فلسفة أفلاطون ؛ بل هى حقيقة واقعة لا شك فيها ، عاملها الدم لا التفكير البارد فقط [(٣)]

وبما أن لكل شعب روحية خاصة وعقلية تميزه عن عقليات الشعوب الأخرى ، فاقتصاديات كل أمة ونظمها التجارية يجب أن تكون وفق نظمها وقواعدها السياسية والعقائد الاجتماعية والتاريخية وآرائها الثقافية العالية . وعلى ذلك يجب أن نجعل القواعد الاقتصادية وأساليبها خاضعة لمصلحة جماعة الأمة Volks-gemeinschaft والدولة ، لا أن نجعل الاقتصاد خاضعاً لنظريات وقواعد عالية وأصول علمية وضعتها أدمغة العلماء بصورة مجردة

---

(١) انظر كتاب Probleme des Deutschen Wirt schaftsle-bens, 1937 ص ١٦٠

(٢) انظر Hendrik de man و Der Somialismus als Kultur bewegung ص •

(٣) انظر Prombleme des D. W. L. 1937 ص ١٦١

نظرية لم تستند إلى قواعد العنصرية والظروف التى تحيط بكل أمة . فهى لذلك تضحك من كل علم يحاول وضع قواعد عامة مسلمة أو آراء أممية يجب السير عليها . وهى تفتخر بأنها ألغت نظريات العلم الشائعة اليوم واتخذت قواعد مكتوبة وفق آرائها وعقيدتها [(١)] . وهى تحارب فكرة حرية التجارة وإلغاء الرسوم الكمركية ومبادئ « آدم سميث » و « ريكاردو » وجميع الـ Klassikern وهى بالجملة تقارب أصحاب فكرة حماية التجارة Patrioton فى فكرتها، وتحذو حذو مذهب الـ merkantilismus الذى يحاول أن يجعل الدولة المسيطرة على جميع اقتصاديات المملكة ومواردها التجارية[(٢)]

ولكنها تختلف هنا عن الشيوعية والبلشفية فى نظرية إشراك الدولة فى المسائل الاقتصادية رأساً . فالوطنية الاشتراكية تريد كما تدعى حق الإشراف المطلق على سياسة الأمة الاقتصادية فتسيرها وفق مبادئها وآرائها ، فلا تتساهل مع كل متوان أو متجاهل لأنظمة النازى بواسطة القوانين التى تضعها والمحاضرات التى تلقيها على التجار وبواسطة الهيئات التجارية التى تعينها من بين رجال حزبها لا بطريقة الانتخاب وبواسطة هيئة وضع الأسعار التى يشرف عليها قوميسير الأسعار Preiskommisar إلا أنها لا ترى وجوب اشتراك الدولة فى البيع والشراء وإدارة المعامل والإنتاج رأساً ، ولو أنها تتدخل فى الحقيقة فى كل شىء ، ولها فى كل معمل أو محل رجل معين من قبل الحزب يسمى Cebmann بمثابة عين على كل عامل، وذلك ما يخالف مبدأ البلشفية والمركسية الذى يدير المعامل رأساً وكذلك الاقتصاديات الكبرى .

رأت الهتلرية أن خير حل لمشكلة العمل والمال هو الاعتراف بمبدأ الملكية الشخصية والرأسمال Der Kapital ولكنها ترى أن صاحب المال أو المعمل من جهة أخرى هو مدير لماله أو لمعمله أو قائد يتصرف به وفق الأنظمة والقوانين والطرق الشرعية

---

(١) انظر كتاب الوزير Dietrich Klagges و Reichtum und Somiale Gerechtigkeit 1933 ص ٢٤ وكتاب Deutsche Somyalis-ten am werk 1935 ص ١٤

(٢) انظر كتاب Friedrich Bülow و Wolkswirtschaflslehre be Kröner verlag ص ٨٦ وكذلك ص ١٠٠ ، ١٦٠

الشريفة ، فسمته Betriebsführer أى مدير محل ، ولم تسمه مالكاً إذ يتصرف المالك قانوناً كيف يشاء بينما سلب منه هذا الحق هنا . وعلى ذلك فوضع الأسعار والأجور وأوقات العمل وأسعار التصدير إلى الخارج أو البيع فى الداخل لم يعد من حق أصحاب المال بل من حق الحكومة فقط[١] . وكل من يحاول استغلال ماله عن طريق يخالف مبادئ النازية يكون نصيبه العقاب الصارم أو الإعدام لأنه خائن للأمة ولص خطير[٢] . كما أن كل عامل رجل مؤتمن على العمل فعليه الإطاعة والخضوع لأنظمة العمال التى هى أنظمة الشعب والدولة وإطاعة أوامر من هو أعلى منه درجة، وكل مخالفة تكون عاقبتها العقاب الصارم أو الإعدام أيضاً

تعترف الهتلرية بالأنانية وحب الذات كصفات غريزية فى البشر، لذلك ترى مكافحتها بقاعدة « النفع العام قبل النفع الخاص Gemeinnutm vor Eigennutm » وهـذه القاعدة تستدعى وضع تربية سياسية جديدة تكون أسسها مرتكزة على العواطف قبل التفكير وعلى الإطاعة قبل إدراك السبب أو الباعث وهو الطابع الحديث الذى تنطبع به فلسفة الوطنية الاشتراكية . ونظراً إلى ذلك وجب مراقبة الأرباح التى تدعو إلى كل مشكلة[٣] وتخليص البشرية من عبودية المرابين ، وذلك بجعل أصحاب المال تحت سيطرة سياسة الدولة رأساً لا الدولة تحت سيطرة أصحاب رؤوس الأموال الذين يطلقون عليهم لقب Goldenen Internationale كما هو الشأن فى الدول الديمقراطية والأمريكية ، ولذلك يجعلون هؤلاء مصدر كل حب وبغض إلى الألمان ويتهمون هذه الدول بكونها تخضع للسياسة اليهودية التي تنتمى إلى هذه الطغمة[٤]

ولإنقاذ الشعب والحكومة من عبودية الربا وجب تنظيم الأرباح على قاعدة « الربح على قدر العمل[١] » والقضاء على بيوتات البيع الكبرى والشركات الاحتكارية وتقسيمها إلى محال صغيرة فنحو (١٠٠٠٠٠) اسكاف خير من وجود خمس شركات كبرى، لأن من طبيعة المحال الكبرى الميل إلى الأرباح دون الالتفات إلى التحسين[٢] ، وبتخليص الفلاح من الديون . والفلاح هو رمز العنصر الشمالى الآرى وكل سياسة اقتصادية لا تستند إلى محصولات الأرض landwirtschaft تكون سبباً لهلاك الشعب وتدهوره. والتاريخ يرينا كما يقول هؤلاء أن سبب سقوط الشعوب هو إهمالها الزراعة ، وبسبب تقدم الصناعات الكبرى توسعت المدن وظهرت روح جديدة هى روحية المدن بأمراضها المختلفة وازدراء الفلاحة وسكان الأرض وهذا معناه الانحطاط الثقافى . لذلك كان من واجب الوطنية الاشتراكية مقاومة توسع المدن وإرجاع السكان إلى العمل فى الأراضى خارج المدن واتخاذ سياسة استيطان جديدة وإلغاء القوانين التى تجعل الفلاح فى عزلة عن أهل المدن أو أقل منهم ثقافة واجتماعاً، وتحويل المدنيين إلى شعبيين ؛ وبذلك تعود الحضارة البشرية والروح الجرمانية التى يحلم بها هتلر ، وتختفى الفروق الموجودة بين الشعب الواحد ، وتنفيذاً لهذه السياسة ترى وجوب الإشراف على بيع الأراضى وتوزيعها بحيث تضمن ما تراه بصورة عملية[٣]

أما التجارة الخارجية للشعب فيجب أن تشرف عليها الدولة كذلك وتحدد أسعارها . وتقوم بذلك الدول فيما بينها بعقد معاهدات تجارية حسب رغبات الدول وحاجاتها لا على قواعد علم الاقتصاد ومبادئ حرية التجارة أو المبادئ المالية الأخرى، وتكتب هذه المعاهدات بلغات الدول المتعاقدة لا باللغة الفرنسية كما هو الشائع الآن[٤] . وأساس هـذه المعاهدات هو نظام المقايضة أو تبديل بضاعة ببضاعة ، وهو نظام تراه الوطنية الاشتراكية أكمل نظام طبيعى ، وقد كانت تتبعه قبل الحرب العظمى فسبب حصول التوتر الشديد فيما بينها وبين بريطانيا وهو الذى يدعو

(١) Friedrich Bülow و Volkswirtschaftslehre ص ١٦٤
(٢) Gottfried Feder و Das Programm der N. S. D. A. P. ص٩ . و Feder هذا من أقدم الوطنيين الاشتراكيين والمفكرين فى جماعة هتلر وهو الشارح لمنهج هتلر ولكنه لتطرفه فى آرائه لم يقدم فى الدوائر العليا حينما تسنم هتلر الحكم وظل معتزلا حتى الآن
(٣) انظر كتاب الاقتصادى الشهير الدكتور شاخت Dr. Hjalmar Schacht المسمى Grundsätme Deutscher wirtschaftspolitik 1932 ص ٩
(٤) انظر Herman Göring فى خطاباته المطبوعة سنة ١٩٣٨ ص ٢٦٢ وكذلك المنهج لفدر ص ٩

(١) انظر نفس المصادر
(٢) Das Programm ص ٤٥
(٣) Das Programm ص ١١
(٤) Rudolf Brinkmann و Wirtschaftspolitik aus national-momialistischen Kraftquell 1939 ص ١٥٠

إلى قلق الأمريكيين دائماً وخوفهم من تفوق التجارة الألمانية على أسواق أمريكا الجنوبية ، وذلك الذى تطلب منمه واتخاذ أساس الشراء الحر

ونظراً إلى أن ألمانيا فقيرة فى المواد الابتدائية فمن الواجب إيجاد مصادر لها فى الخارج وهى المستعمرات . وتقسم ألمانيا مبدئيا العالم إلى قسمين : أمم متحضرة مستهلكة ومصدرة، وأمم كتب عليها أن تشتغل لتزويد هذه البلاد المختارة. ولكن ما هى المقاييس التى تتخذ قاعدة فى الشراء ؟ الذهب أو الإنتاج ؟ إن خلو ألمانيا من الذهب يجعل هتلر يرفض قاعدة الذهب ويطمن فى البلاد التى تتعامل به. وإن النشاط Fleiss والعمل هما رأس المال فقط. وعلى ذلك فكل دولة تشتغل بنشاط وتكافح فى سبيل قوتها تكون هى المملكة الغنية فى العالم ، ولهذا وضع مشروعاً سماه مشروع أربع السنوات غايته الاعتماد على المنتجات الداخلية واستخراج كل ما يمكن من الأرض الألمانية بتفضيل كل ما هو ألمانى على غيره ولو كان أقل جودة وأردأ نوعاً . فالمطاط يجب أن يستخرج من مواد ألمانية صرية ، وكذلك السللوز والنفط والبنزين من الفحم الألمانى ، وكل مملكة تسد نقصها من الخارج فهى دولة منحطة متأخرة ؛ حتى قوائم الأكل يجب أن تكون ألمانية بحتة ، ولذلك تستخدم لجنة مشروع أربع السنوات كل ما لديها من وسائط فى سبيل إقناع الأمهات وخصوصاً العجائز منهن بعدم شرب القهوة أو الشاى بكثرة ، وبعدم أكل القشدة المحبوبة لدى المسنات على الأخص Sahne بإفراط اقتصاداً وحفظاً للنقد الألمانى من الذهاب إلى الخارج . ولكن ذلك ليس من السهولة بمكان، فقد اختفت الأقمشة الصوفية الجيدة من الأسواق الألمانية ، وظهرت عوضاً عنها الأقمشة الصوفية السللولوزية mell woll واختفت المنتجات المتينة ولكنها أخذت تنافس أحسن الأقمشه البريطانية فى الخارج ، وتنافس بضاعات الأمم الأخرى حتى فى أسواقها المحلية . كل ذلك لجر النقد الأجنبى إلى ألمانيا وتغطية العملة الورقية فيها[1]

مراد على
خريج جامعة هامبرك بألمانيا

(٤) انظر كتاب هرمان جورنغ ساعد هتلر الأول Hermann Göring Reden und aufsätme 1938 ص ٢٦٢

أيها الأطفال !

للأديب أحمد محمود فهمي

أنتم أولاد الطبيعة أما نحن فأولاد الحياة !

أنتم تصورون لنا الطبيعة فى شكل آدمى لأنكم صورتها الآدمية !

تغريكم الدُّمى وتسركم الأضواء وتبهركم الألوان

لا تحتاجون إلى أسرار أيها الأنقياء الأطهار .

وما حاجتكم إلى صدر زاخر بالأسرار وأنتم الذين لا تقبلون الحياة إلا بسيطة سهلة لا تعقيد فيها ولا إشكال

خير عندكم من كل مباهج الكبار ومسراتهم ، دمية صغيرة محبوبة ، تدورون بها فى مجال المرح والسرور

يقينكم أنه ليس لكم يقين ، وظنكم أنكم لا تعرفون الظنون

أأنتم لاهون عن الحياة أم الحياة لاهية عنكم ؟

تمر عليكم قافلة الحياة حافلة بشتى المعانى والألوان ،وأنتم عنها لاهون ، كأنكم من غير أعين ولا آذان

لا تعرفون من الحياة إلا طفولتكم ، ولا تعرفون من الطفولة إلا الفطرة والسذاجة والإخلاص !

نحن نحتاج أحياناً أن نجالسكم لنتذكر فى ظل طفولتكم أيام كنا مثلكم ، وننشق من عرف لهوكم وعبثكم ما كان لنا فى ماضينا الطفلى العجيب من لهو عابث وعبث لاه ، فى قلوب مطمئنة متوثبة معاً ، تعرف كل شىء ، ولكنها لا تعرف شيئاً !

حياتكم هادئة مطمئنة لا يفزعكم فيها شىء ؛ ونحن نثوب إليكم دائماً كلما ثارت بنا الحيــاة ، أو اضطرب علينا هدوؤنا وطمأنينتنا ، فنراكم فى حجر الطبيعة الأم الحنون ، تهدهدكم وتنثر بين أسرتكم الورود والرياحين

إن الحياة تفسد الطبيعة ، ولكن الطبيعة تصلح الحياة ، وإلا فما كانت الحياة تسلب من عَلَتْ به السن معالم الطبيعة ونقاء الفطرة

أيها الأطفال !

أراكم تجرون فى العمر تريدون أن تلحقوا بنا فى مضمار الحياة ، ونحن كذلك نجرى فى طريق العمر إلى مدى لا يعلمه إلا الله

إن منكم من سيظل طفلاً برغم تقدم الحياة والسن ، لأن لون الطبيعة قد انطبع على إهابه

وإن منكم من ستسلب منه الحياة فطرة الطبيعة ، فيصير كأهل الحياة ، يتعلم مكرهم وختلهم ، وتتلاشى من نظراته تلك الأضواء البراقة التى عرفها فى طفولته أسلوباً من لغة الطبيعة . والناس بهذا الوضع سيندفعون مع التيار ، وتنغمر عواطفهم فى العباب

ليت الطفولة لا تفارق الناس فى كبرهم ، ولكن هل كانت الحياة تستقيم على هذا المنهج ؟

إننا إذا خرجنا عن نطاق الفلسفة أو دخلنا فى نطاقها وجدنا أنفسنا أحوج ما نكون إلى أن نتخلق ببعض أخلاق الطفولة ، فليست كل مميزات الطفولة غير صالحة ؛ فإن بين طباعها الطهر والنقاء والصفاء ؛ وما أحوجنا فى كل حين أن نكون أنقياء بكل معانى النقاء !

إن الطبيعة والحياة لا تتنافران ، بل ما أحوج المجتمع أن يمزج بين عناصرهما ليتحقق الانسجام والاعتدال

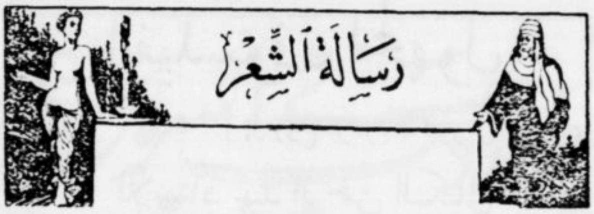
يريد المصلحون أن تقل من المجتمع الشرور والآثام ، وهل يتحقق ذلك إلا إذا مزجنا حياة الكبار بطبيعة الأطفال

وماذا يمحو الشر والإثم غير الصفاء والنقاء ...؟

الواقع أننا فى حاجة إلى مدرسة للطفولة نعلم فيها الكبار فطرة الأطفال ، نعلمهم أو نذكرهم فيها طبيعة الطفولة فيما تفردت به خصائصها ومميزاتها من الفطرة والسذاجة والنقاء

وهل ينسى من فارق مجال الطفولة أنه كان من أبناء الطبيعة فأصبح من أبناء الحياة !

أحمد محمود فهمى



عيـــد الربيع ...

للأستاذ أحمد محرم

متف الداعى ، فلبوا يا رفاق   واجمعوا شمل الهوى بعد الفراق
ورد العيش صفا ، والجو راق   فهو طلق الساح ، فضى الرواق
ما لمن يزهد فيه من خلاق

ماد فى بهجته عيـــد الربيع   يزدهى فى معرض الحسن البديع
مو يا أهل الهوى عيد الجميع   ليس للهاجر فيــــه من شفيع
عيدكم عيـــد اجتماع وتلاق

كان للهجر زمان ، فانطوى   وخلت من شره دنيا الهوى
كم جريح فيه بالشوق اكتوي   كم جريح فيه بالدمع ارتوى
كم مشوق بات مشدود الوثاق

ا شفاه الزهر ، ما أبهى الشفاه   إضحكى بالله يا دنيا الحياه
رانظمى شعر الهوى ، إنى أراه   سلوة الصب المعنًّى فى هواه
اسكبيه سلسلا عــذب المذاق

ك من شعرى ربيع دائم   كل بيت فيه عيـــد باسم
كل معنى فيــــه حب هائم   كل حب فيــــه معنى حالم
كل حلم يملأ السبع الطباق

مرحباً بالعيد ، عيد الشعراء   قادة الحب ، وأبطال الوفاء
اعرفوهم ، إنهم حول اللواء   صفوة القتلى ، وخير الشهداء
اعرفوهم واستعدوا للّحـــاق

يا قلوب الناس ، ما هذا الجمود ؟   أجُنوب تلك منهم ؛ أم لحود !
أنتِ موتى ؛ وبنو الحب شهود   ليس فى الدنيا حياة أو وجود
حيث لا يوجد حب واشتياق

لا يحب الله من لا يعشق   يشهد العقل ؛ ويرضى المنطق
كل حسن أو جمال يخلق   فهو منه ؛ وعليــــه يطلق
وإليه فى معاليه يســـاق

كل حب ، فهو منه وإليه   وقلوب الناس ما بين يديه
عالم الغيب ، فلا يخفى عليه   كل ما فى الكون مسطور لديه
فى كتاب أزلى العهـــد باق

يا كتاب الحب، ماهذى السطور   حِكَم الإنجيل أم آى الزبور !
هى كالفرقان نور فوق نور   إن فيها لشفاء للصدور
وغنى للناس عن آس وراق

رددى يا طير آيات الحنين   وتغنى بحـــديث العاشقين
نبهى الأشواق فى رفق ولين   نبهيها فى قـــلوب الراقدين
الهوى استيقظ ، والحب استفاق

عبقُ الريحان ، يُهديه النسيم   وجمال الورد فى الروض الوسيم
وصفاء الجو فى دنيا النعيم   ووفاء الصاحب السمح الكريم
كل هذا من أناشيدى الرقاق

كلما رددت آيات الكتاب   فى محاريب الهوى بين الصحاب
ضجت الدنيا وظلت فى اضطراب   إنما الدنيا عذاب فى عذاب
وبنو الدنيا بلاء لا يطـــاق

تلك خمرى يا رفيقى خذ وهات   ودع الهم لأهـــل الترهات
نحن فى المعبد نقضى الصلوات   هات كأسى يا صريع النشوات
يا لها يا صاح من كأس دهاق

نحن فى عالمنا السامى الجليل   ديننا الإيمان ، والحب النبيل
لا نبالى فى كثير ، أو قليل   كل من لام خليلاً فى خليل
ما لكم والحب يا أهل النفاق !

يا رفيقى ليس للحب مدى   وقلوب الناس لم تخلق سدى
أين من يعقل ، أو يبغي الهدى   لا أرى إلا غويًّا مفســـدا
يتمادى فى ادعاء واختـــلاق

طال عهد الزهر بالوادى الخصيب   وتمادت وحشة النائى الغريب
وأتى (آذار) من بعد المغيب   فتلاقى ، من محب وحبيب
بين تسليم ، ولثم ، وعناق

يا نشيد الحب من ذا صنعك !   غن يا (قيس) وقل ما أبدعك
كل طير يشتهي أن يسمعك   هذه (ليلاك) يا (قيس) معك
كاذب من قال (ليلى) بالعراق

أحمد محرم

وحى الطبيعة الغربية

الجبل الأبيض

بشامونى — فرنسا

[مهداة إلى الدكتور بشر فارس تذكاراً لزيارة ممتعة]

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

يُطلُّ على الكونِ من شاهقٍ ... كنسرٍ يُرفرفُ مِنْ حالقِ
وتلمعُ فوقَ ذراهُ الثلوجُ ... وتبرقُ كالأملِ البارقِ
له قِمَّةٌ كُلِّلت بالمشيب ... على ظهرهِ الأدكنِ الغامقِ (١)
وشابَ ... ولكنَّه لم يزَلْ ... فتىَّ الغواربِ والعاتق
فما قوَّسَتْهُ همومُ السنينَ ... ولا ضَرْبةُ الزمنِ الصاعقِ
تَسامَى إلى جَنباتِ السماء ... وطال على رأسِها السامِقِ
يلوحُ عليه اتِّزانُ الوَقورِ ... وتبدو به ثقةُ الواثقِ
تمرُّ عليه توالى العُصورِ ... ثِقالَ المؤخَّرِ والسابقِ
وتطرقه حادثاتُ السنين ... فيهزأ بالقَدَرِ الطارقِ ...

***

هُنالك صعدنا إلى مَتْنه ... وطُفنا على نَبْعه الدافق
وقد ثار جدولُه ثورةً ... تذكِّرنى غضبةَ الحانق
صعدنا هنالك إلى عالمٍ ... لذيذِ المنى خالصٍ رائقِ
تَخَلَّصَ من صَرَخاتِ الحياةِ ... ومن إنْسِها الناعبِ الناعقِ !
وَمِنْ زَفْرة اختَنَقَ بين القلوبِ ... ومن دُخْنَةِ النَّفَسِ الخانق ...

***

هناك رأيتُ شعاعَ الغروب ... يَدِبُّ على الثلج كالسارق
وقد طالَ وجهُ النهار الضَّحوك ... كما طال ليلٌ على العاشق ...
وسار بياضُ الثلوج الكثيف ... على حُمرة الشَّفَقِ الفاسق
وقامت على مَزْجِ ألوانه ... يَدُ الصانعِ الماهرِ الحاذق
تُصَوِّرُ كلَّ طريفِ الجمالِ ... وكلَّ بديعِ الحِلَى شائقِ

محمد عبد الغنى حسن

(١) الغامق بالمعنى الذى يريده الشاعر ليست عربية (الرسالة)

الفيلسوف المجهول

[إلى روح المرحوم الدكتور على العنانى بك]

للأستاذ عبد الرحمن الكيالى

ضلت ركاب الفكر عن أخباره ... فسعت تحت الخطو فى آثاره
سبق الزمان إلى الزمان فقصرت ... عن شأوه الأيام فى مضماره
هتفت بأذنيه الهموم وجلجلت ... فى صدره الهمسات من أفكاره
فسمت به فوق السماء وأرسلت ... نغماته بالسحر من أوتاره
كالنجم أفرط فى العلو وإنه ... ليذود لحظ الطرف عن إبصاره
لم يصبه للمجد طيف لم تزل ... همم النفوس تُساق فى تياره
ورمى الخلود بنظرة لو صادفت ... طوداً أشم لدُكَّ من أقطاره
ما الخلد فى عينيه إلا ومضة ... للوهم ترفل فى شفيف دثاره
فتكت بأوطار النفوس ولم تكن ... لتفوز باللمحات من أوطاره
ما ضره ليل تجهم حوله ... وأحاطه بالسود من أستاره
والعود يذهب فى الرماد إذا التظى ... وهج اللهيب يشف عن أسراره
فليرتفع عن دهره متكبراً ... وليجف هذا الدهر عن إكباره
وليشد فى مزماره مترنماً ... ويرى النعيم الحق فى مزماره
فدعوه لا تتسمعوا نغماته ... نغماته وقف على إسكاره
لا تنفحوه بالكؤوس فقلبه ... كأس تصفق فى يدى خماره
ملئت بمعسول العقار ولم تكن ... لهوانكم تسمو لرشف عقاره
فليطلع الفجر الوضىء وخلفه ... حجب ترد العين عن أنواره
وليكتم الروض الأريج عبيره ... عن كل مشتم سوى أزهاره
وليحم ذو اللب الكبير شعاعه ... أن تُخطف الأبصار من إسفاره
نفحاته قدسية جياشة ... فاضت بماء القلب من قيثاره
ما بالها سلكت سبيلاً موحشاً ... يرتاح فيه العقل من أسفاره
نسلته من دنيا الفتون ولم تكن ... ترضى بهذا الكون من سماره
فنضا الكرى عن مقلتيه مغرد ... للفجر يهتف بانتعاش نهاره
كشف الصباح لناظريه فأبصرا ... صبح الأنام يموت فى أسحاره

دفن الرقاد قلوبهم برموسه	وحبا الرياء نفوسهم بشعاره
فانساب تحت الليل يقبس لمعة	كالمستجير من الصقيع بناره
وازورّ عن أفق الظلام مُغبراً	تتقطع الأعناق دون غباره
متبتــل ترك الأنام وراءه	ونجا يحطم من وثيق إساره
حتى إذا نسج الظلام حباله	ثوب الفناء وأتمّــه بإزاره
أرست نوازعه وأشرق لبه	ورمى الأزمة فى يدى أقداره
فتطايرت آماله من قلبه	مذعورة النسمات من إعصاره
وترنمت فى ثغره ضحكاته	بالسخر ترسل من فحيح جماره
ورد الحياة وفرّ عن آفاقها	مستهزئاً بقــدومه وفراره

(الخليل — فلسطين) عبد الرحمن الكيالى

الأدب في أسبوع

توطئة ...

كتبت — فى هــذا الباب — منذ أسابيع بعض رأيى فى الشعر والشعراء ، ولم يكن همى أن أستوفى كل الرأى فيهما وليس من عملى الآن أن أفعل ذلك ، وإنما هى إشارات فى لمحات يأخذ بها من يأخذ، ويدعها من شاء أن يدع؛ وأنا أحب أن أقدم بين يدى كلامى ... فإن بعض من يغافل نفسه عن حدود الألفاظ ومعانيها ينطلق من ورائها يمد منها بأوهامه مداً بعيداً حتى يخرج بما نكتبه عن المعنى الذى نريده إلى أحلام ووساوس وخطرات يحم بها ثم يغلى ثم ينتفض... ثم لا يكون رأيه فينا إلا وهماً، من فوقه وهم ، من فوقه عناد ، ظلمات بعضها فوق بعض

فأنا حين أهجم على الغرض الذى أريده من النقد أو البيان ، لا أتلجلج دونه لما أخشاه من قالة السوء التى يوكل بها بعض من فرغ زمانه إلا من الفراغ الذى يستهلكه فى اختلاق الأوهام واقعة وطائرة، رائحة وغادية، ثم هو يجلس إليها — بعد أن تفصل عنه — ليتأملها ويملأ عينيه وأذنيه من مفاتنها وألحانها ! وأنا أحب أن يعلم من ليس يعلم أنى حين أكتب أكتب عن صديقى وكأن ليس بينى وبينه سبب من مودة، وأكتب عن عدوى وكأن ليس بينى وبينه دخان من غضب . فإذا خُيِّل لبعض من يتخيل أنى أماسح صديقى أو أتلفف على عدوى فقد أخطأ ، وإنما العيب منه لا منا . . . وذلك عيب علمه أن هذا عدو وهذا صديق ، فيرى من وراء اللفظ ومن تحته ومن فوقه ومن بين يديه معانى ليست منه ولا تتداعى إليــه ، وإنما نحن نستوفى الكلام ونعطيه حقه على وجوهه فى الرضا والغضب ، ونأخذ أنفسنا بذلك ما استطعنا ، فإن الحق فى هــذا الذى نكتبه هو حق القارئ لا شهوات من يكتبه ؛ ثم هو بعد ذلك رأينا أصبنا أو أخطأنا ، وليس علينا أن نوافق هوى قارئ لأنه هواه ، بل علينا أن نجتهد له فى إمحاض الرأى الذى نراه ليأخذ منه أو يدع على قدر من اقتناعه أو مخالفته؛ فهذه كلمة أُوَطِّئُ بها ما بينى وبين القراء ؛ ليسيروا إلينا ونسير إليهم فى مهاد مذلَّل من الرأى والنصيحة ...

ويشَدُّه قومٌ كثيرٌ تجارةً ويمنعُنى من ذاك دينى ومنصبى

الملاح التائه !

أمَّا « الملاح التائه » فذاك هو الصديق الشاعر المهندس « على محمود طه » ، وقد عاد بعد خمس سنوات فألقى على شاطئنا ديوانه الثانى « ليالى الملاح التائه » ثم نشر شراعه ومضى . وقد أحدث ظهور هذا الديوان الجديد — فى معرضه الأنيق وشعره القوى الجميل — آثاراً فى توجيه أنظار الناس إليه وإلى صاحبه ثم إلى الشّعر خاصة ، ثم اختلف الأدباء عليه بأحاديثهم وآرائهم ، ولَغَوْا لغواً كثيراً فى الأغراض التى اشتملتْ عليها دفتا هذا الديوان الثانى من شعر « الملاح التائه » . ونحن لن نعرض لشىء مما قيل فى ذلك إلا كما يدرج الكلام على أغراضه بالإشارة والتنبيه والبيان على مجاز السياق

والشعر أيضاً !

ولا بُدّ من أن نعود مرة أخرى للحديث عن الشعر عامةً ، ليكون بعض الرأى فيه مدخلاً للكلام عن « الملاح التائه » ،

فإن أكثر ما قيل – عن ديوان هذا الشاعر – إنما مردُّه إلى آراء فاسدة في معنى الشعر، وما هو، وكيف هو؛ وإلى الجهل بطبيعة الشاعر وفطرته ومن أين تأتى، وأنى تتوجّه، وكيف تجرى به إلى أغراضها على نظام لا ينفك عنه أراد أو لم يرد

وليس يشك أحد أن الشعر فى أصله هو معان يريدها الشاعر، وأن هذه المعانى ليست إلا أفكاراً عامة يشترك فى معرفتها كثير من الناس، وأنها دائرة فى الحياة على صورتها التى تأخذها بها كل عين، ويتداولها من جهته كل فكر، وأنها – إذ كانت كذلك – ليست شيئاً جديداً فى الحياة ولا فى معانيها وأوصافها وحقائقها، وإنما تصير هذه المعانى شعراً حين يعرضها الشاعر فى معرض من فنّه وخياله وأدائه ولفظه، فيجدد لك هذه المعانى تجديداً بنقلها من المعرفة إلى الشعور بالمعرفة، ومن إدراك المعنى إلى التأثر بالمعنى، ومن فهم الحقيقة إلى الاهتزاز للحقيقة، فتجد المعنى القريب وقد نقلك الشاعر إلى أغواره الأبدية وأسراره العظيمة وكأنه قد خرج عن صورته التى ضربت عليه فى الحياة إلى السر الأول الذى أبدع هذه الصورة، وإلى الصلة التى تصل ما بين المعلوم إلى المجهول البعيد الذى لا يرى ولا يلمس

فالشعور والتأثر والاهتزاز هى أصل الشعر، ولا يكون شعر يخلو منها ومن آثارها وتأثيرها إلا كلاماً كسائر الكلام ليس له فضل إلا فضل الوزن والقافية وهذه الثلاثة لا يكتسبها الكلام من المعانى من حيث هى معان معقولة مدركة، وإنما هى فيه من روح الشاعر وأعصابه، ونبضات الشوق الأبدى التى تنتزى فى دمه؛ فأيما معنى عرفه الشاعر، وأيما صورة رآها، وأيما إحساس أحس به، فهو لا يكون من شعره إلا حين يتحول فى روحه وأعصابه ودمه إلى أخيلة ظامئة عارية تبحث عن زيها ولباسها من أسلوب الشاعر وألفاظه، ثم تريد بعد ذلك زينتها من فن الشاعر لتفصل عنه فى مفاتنها الجميلة كأنها حسناء قد وجدت أحلام شبابها فى زينتها وأثوابها. وبقدر نقصان خزائن الشاعر مما تتطلبه أخيلته الظامئة العارية، يكون النقص الذى يلحق العذارى الجميلة التى تسبح فى دمه من معانيه

والشعر على ذلك هو فن تجميل الحياة، أى فن أفراحها الراقصة فى نسمات من الألحان المربدة بالحقيقة المفرحة؛ وفن أحزانها النائحة فى هدأة التأملات الخاشعة تحت لذعات الحقيقة المؤلمة؛ وفن ثوراتها المزمجرة فى أمواج من الأفراح والأحزان والأشواق، قد كُفّت وراء أسوار الحقيقة المفرحة المؤلمة فى وقت معاً

وهو على ذلك فلسفة الحياة، أى فلسفة السمو بالحياة إلى السر الأبدى الذى بث فى الحياة أسراره المستغلقة المبهمة التى تُرى ولا تُرى، وتظاهر ولا تظاهر، وتترك العقل إذا أرادها حائراً ضائعاً مشرداً فى سبحات من الجمال تضىء فيه بأفراحها كما تضىء بأحزانها، وتفرح بكليهما وتحزن، فرحاً سامياً أحياناً، وحزناً سامياً أبداً

وإذا كان الشعر هو فلسفة السمو بالحياة، فمعنى ذلك أنه النظام العقلى الدقيق الذى يبلغ من دقته أن يكون منطقه إحساساً مسدداً لا يخطئ ولا يزيغ ولا يبطل ولا يتناقض فى أسلوبه الفنى ونظامه الشعرى البديع، وهذا النظام العقلى النابض الذى يتلقف مادة أفكاره من الحياة لا يستطيع أن يشعر أحياناً، ولا يشعر أحياناً، كما قال بعضهم، ولا يستطيع أن يتقيد بزمان ومكان يستوحى منهما الشعر ثم لا يكون هو يستوحى من غيرهما، كما ذهب بعض أصحاب الكلام إلى القول حين ظهر «ليالى الملاح التائه» فى شعر الطبيعة المصرية، وشعر الطبيعة الأوربية وما إلى ذلك من فضول الحديث

إنّ هذه الحاسّة العاقلة المفكرة النابضة فى الشاعر تأخذ مادتها من مَساقط الوحى فى كل أرض وتحت كل سماء؛ وربّ خمول أو فترة تأخذ هذه الحاسة فى موطنها ومنشئها ومدرجها ثم تكون البلادُ البعيدة فى مطارح الغُربة هى التى تنفض عنها غبارها وتمسحه حتى تجلوها جلاء المرآة، إعداداً لها لتتلقى صورها التى تجرى فى مائها إلى دم الشاعر ثم إليها مرة أخرى، ولا تزال كذلك بين الأخذ والإعطاء حتى ينبثق ماء الينبوع من صخرة الحياة الشاعرة

فلا يخدعنّك ما يقول فلانٌ وفلانٌ، فإنْ هم إلا أسماء قد ركبتْ على ألقابها تركيباً مَزجيًّا على خطأ وفساد، كما ركّبتْ حضرموت وبعلبك تركيباً مزجيًّا على صحة وصواب

ليالي الملاح التائه

كل هذا الديوان شعرٌ من شعر « علي طه » بعد رحلتيه من مصر إلى أوربا في خلال هذه السنوات التي انقضت بعد نشره الجزء الأول من ديوانه وهو « الملاح التائه » . وقد كانت هاتان الرحلتان وحياً جديداً في نفس الشاعر وأعصابه وأحلامه ، وكانتا تغييراً في حياته عامة وفي أفكاره خاصة ، ولم يكن بد إذن أن يجدَ قارئ هذا الديوان فرقاً بيّناً بين شعر « الملاح التائه » و « ليالي الملاح التائه » . وليس هذا الاختلاف بشيء ألبتّة ، فإن شاعريّته لم تزل هي ما هي في كليهما على نمط لم يختلف ، ولكنه نزع في هذا الطّوْر الجديد إلى السهولة والرّقة ومعابثةِ المعاني والألفاظ بغزل رقيق من عواطفه . وعلةُ ذلك فيما نرى أنه انطلق من قيود مصر في أول رحلته وخرج شارداً يستجلي روائع الحياة الأوربية الزاخرة ببدائع الفن ومعجزات الحضارة والعلم ، ونزلَ المنازل المتبرّجة بفتنتها في عواصم المدن الأوربية ، وعبَّ من مُسكِراتِ الجمال الفطريّ والصناعيّ البديع الذي تستجيده أناملُ الحضارة الرقيقة العابثة اللاهية ، والتي لم تدع للفن مَعقلاً إلا لعبت به واستخرجت كنوزه وتلاعبتْ بها على أصول أخرى غير التي بنى عليها الفن القديم البارع المحكم ، وعرضت له الصور التي تفتن الناس بجمالها وتهدمهم بفتنتها ، وتقعُ في دمائهم موقعاً لا تلبث معه إنسانية الإنسان أن تشتمل من جميع نواحيها بلهيب من اللذة والسكر والفرح . كل ذلك هزّ وهزّ أعصابه وألقى عليه من وحيه وتركه يقول من الشعر على السجية غير متكلّف ولا مُتقحّم ولا راغبٍ في الكد والعناء و .... ، والحنبليّة الفنية التي تريد البديع ، فإذا أدركته طلبت الأبدع ، فإذا بلغت تسامت إلى ما هو أبدع منهما ؛ لا تهدأ ولا تقرّ ولا تستريح إلى جميل

كان هذا — فيما نرى — وكانت نفسه الشاعرة المتلقفة – والتي تهجم بعينيها على أبكار المعاني بنشوة الشباب العربيد – تتلفت تلفُّت الصائد ، تكاثرَ الصيد بين يديه ، فما يدري ما يأخذ وما يدع ، وهو مع ذلك لا يزال يذكر صِغاره وأحبابه وهوى قلبه ، ومن يريد أن يصنع لهم حياةً من صَيده ؛ فهو يتلفّت إليه بقلبه حنيناً وذكرى وصبابة . فهذه العواطف الدائبة في تكوين شاعريته ، والتي تلوّنها بألوانها وتخاريجها ، هي التي جنحت به إلى السهولة والرقة والغزل الُحلو بينه وبين معانيه وألفاظه ، ومن غير الممكن أن يتقيد الغزل الشعري بقيودٍ تضبطه ، وإلا انقلب تكلفاً واستكراهاً وجفوة .

الجندول

وإذا أردت أن تعرف صدق الذي قلنا به من العوامل الجديدة في تلوين هذا الشعر ، فخذ هذه الأغنية الجميلة التي ترنّم بها الشاعر الموسيقي ، ثم أعطاها الموسيقيّ البارع « عبد الوهاب » جوّ تفريدها في ألحان هي من شعر الموسيقى ...

فإن الشاعر حين لعبت به فتن « عروس الإدرياتيك » في كرنفالها المشهور ، ودَفِءُ دَمُه في أنفاسها الحبيبة المعطّرة ، وفجأته فتنة من فِتَنِها التي عرضت في صبابته ... أرقّ فتنة في أحلى جوّ في سِحر الليل المضيء في أجمل فن الحضارة في أحفل الليالي باللهو والعبث ، والضحكات التي تتردد بين أضواء الكهرباء ، حتى كأنها أمواجٌ من الضوء تضحك ضحكها — لم يستطع أن يضبط تلك الأمواج الفرحة المربدة في إحساسه الشاعر ، فبدأ يترنّم :

أين من عينيّ هاتيك المجالي يا عروس البحر يا حلم الخيال
أين عُشّاقُك سُمّار الليالي أين من واديك يا مهد الجمال

ثم انطلق يصف عاطفته وجو عاطفته وعطر عاطفته ، كل ذلك بألفاظ غزلية عاشقية ، تتنفس أنفاسها من المعاني المرحة ، حتى في بعض اللوعة المستكنّة وراء نفسه ، والتي استعلنت في قوله :

« أنا من ضيّع في الأوهام عمره »

بعد أن قال :

ذهبيّ الشَّعر شرقيّ السماتِ مرح الأعطاف حُلوُ اللفتات
كلما قلت له : خذ ، قال : هات يا حبيب الرّوح ، يا أُنس الحياة

كل ذلك والشاعر في مرح ونعمة وخيال وافتتان ، وكأنه نسي الدنيا التي ولد فيها كما « نسي التاريخ أو أنسى ذكره » ... ولكنه لا يلبث يتلفت بعد ذلك تلفتاً مؤثراً عجيباً ، هو دليل الشاعرية الصحيحة التي اشتمل عليها تكوينه المصبي ... يقول :

قال : من أين ؟ وأصغى ورنا قلت : من مصر ، (غريب) ههنا

(غريب) ، هذه كلة النفس الشاعرة في مكانها من العاطفة وفي أقصى مدّها من التأثير ، إنه حرف يبكي من الغربة والحنين

والذكرى، ولو سقطت هذه الكلمة من الشعر لسقط كل الشعر ولسقط معه رأينا في العوامل التي عملت في شعر « على طه » بعد رحلته إلى أوربا، لو قال: (من مصر) وسكت، أو أتى بذلك الحشو الذي لا معنى له، والذي يكثر في شعر الضعفاء، لانسلخ عن الشعر إلى سؤال يتلقاه المرء من فضولي قائم على طريق السابلة، وجواب استخرجه الفضول واللجاجة ... ثم هي بعد ذلك التفات يخيل لك معه أن الشاعر قد رد فقال: من مصر، ثم انفتل بوجهه إلى مصر، وتلقى دمعة يموّهها بيده ويمسح أثرها بمنديله — في هذا الجو المرح العابث اللاهي — وهو يقول: (غريب ههنا)

هذا ... وقد أخذت هذا الموضع وحده من القطعة لشهرتها الآن وليتدبر من يسمعها فإن فيها من أمثال ذلك كثير، مما هو دليل الشاعرية الناضجة التي لا تخلىّ معانيها. ولو أخذت سائر شعره على هذا الأساس الذي كشفنا لك عنه في حديثنا عن الشعر لوقفت على روائعه التي هي روائعه

محمود محمد شاكر



نحو التربية الفنية

هذا أستاذ

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

— هل تستطيعين أن تساعديني على ترشيح صاحب ديوان (الجداول) ليكون أستاذاً في كلية الآداب؟

— ما ديوان الجداول هذا، ومن صاحبه، وأين هو، وما الذي يميزه على غيره حتى تطلب له أن يكون أستاذاً في كلية الآداب عندنا، وأنت تعرف أن للأستاذية فيها شروطاً، منها، أن يكون الأستاذ حاصلاً على الدكتوراه؟

— ديوان الجداول هو مجموعة من شعر إيليا أبي ماضي، وهو به يستحق أن يكون أستاذاً في كلية الآداب، أما الدكتوراه فشهادة يمنحها القارئون الكبار للقارئين الصغار، ولكن إيليا أبا ماضي لم يعد قارئاً، ولا كاتباً، وإنما هو إنسان ينفذ من هذا الوجود المحسوس إلى ما بعده، ثم يعود إلى الناس يروي لهم ما رأى وما سمع وما أحس وما أدرك ... وهو من كثرة تجواله في آفاق الكون ألم بالكثير من دروبه، وأحاط بالكثير من طرقه، فهو يستطيع أن يكون رائداً لجماهير من التلاميذ تتبعه، يرشد منهم من يسترشد، ويوجه منهم من يحار، ويعلم منهم من يرتبك، ويهدي منهم من يضل ... وهذا هو عمل الأستاذ. أستاذ الأدب

— هذا عمل الفارغ من حياته المستغني عن عمره وليس عمل أستاذ الآداب

— ولن يكون الإنسان أستاذاً للآداب إلا إذا فرغ من حياته واستغنى عن عمره، واشترى بهذه الدنيا شيئاً آخر، هو الأدب. والأدب ليس كما تحسبين كلاماً منمقاً مزوقاً لبعض الناس قدرة على تخليقه، والبعض الآخر عاجزون عنه، وإنما الأدب تربية نفسية يجاهد اليتيم في تقويم نفسه بها، وغير اليتيم يسعد بما يربيه عليه أبوه أو أستاذه. واليتامى مساكين، قليلاً ما يوفقون إلى الهدى وكثيراً ما يفلت زمام أنفسهم من أيديهم فينطلقون في الحياة ونفوسهم مشردة معربدة تنغمس في الرذيلة حيناً، وتتخبط أحياناً بين الرذائل والفضائل، ولكنها لا تستقر على فضيلة إلا ما فرضه عليها مجتمع اليتامى المشردين الذين يحيطون بها، وليس يفرض هذا المجتمع كثيراً من الفضائل، فهو كمجتمعات المشردين والمشبوهين من اليتامى والمساكين الذين تربيهم ملقيّن في الشوارع ...

— وهل فرغ إيليا أبو ماضي من حياته حقاً وتوفر على تأديب نفسه، فهو إذن قادر على أن يؤدب غيره؟ وإذا كان قد فرغ من حياته حقاً فمن أين يأكل ... وكيف يعيش؟

— إنه يأكل كما تأكل الطير في السماء، ويعيش كما يعيش الحر الكريم؛ منذ سنوات وسنوات هبط مصر وأراد أن يستقر فيها، فاتخذ لنفسه محلاً يبيع فيه السجاير والدخان ووقع عليه

أنطون الجميل بك فرآه يكتب شعراً فى الدكان، فقرأ شعره فأعجبه فنشره فى مجلة كان يصدرها ، فقامت قيامة الأدباء والشعراء المصريين عليه فأوسعوه نقداً ، وأوسعوه تجريحاً ، وتناولوا ألفاظه ولغته وراحوا يناقشونه فى هذه اللغاء ما موقعها من الإعراب، وهذه النون لماذا هى مفتوحة وهى فى الأصل مضمومة ، وهذه الهمزة ، لماذا قطعها وهى همزة وصل ؟ وتكاثروا عليه ، وكان فى مصر إذ ذاك أمير للشعراء هو المرحوم أحمد شوقى بك، وكان رحمه الله يستطيع أن يقول كلمة ينقذ بها إيليا من بين براثن هؤلاء الذين ينقدون الشعر بغيرما يصلح نقداً للشعر ، وكان رحمه الله يستطيع أن يقول لهؤلاء النقاد : إنى أربأ بالشعر أن يعيبه هذا الذى تروون مما يعيب اللغة والعروض والنحو وسائر ما يحصل بالقراءة والدرس ، وإنى أرفع الشعر فوق هذا كله ، فهو حديث النفس وللنفس من الله وليس لله لسان مما ننطق به .

كان شوقى بك رحمه الله يستطيع أن يقف من إيليا هذه الوقفة ولكنه — رحمه الله — كان مشغولاً بشعره هو وبنفسه هو ، وبالمُلك العريض الذى أرسله فيه الزمن ، فلم يشعر مطلقاً بالذى حدث لأبى ماضى ، ولم يطق أبو ماضى صبراً على هؤلاء الهاجين فشد رحاله إلى أمريكا ، حيث يتكلم الناس بالإنجليزية ، وحيث لا عرب إلا الباحثون عن الرزق ، والخارجون من أوطانهم وأيديهم صفر ، ثم استطاعوا هناك فى أشد معامع الحياة ازدحاماً واصطراعاً أن يجمعوا المال وأن يعيشوا به كراما ، لا ذل يرهقهم إلا الغربة ولا مستعبد يزحمهم عن الأرض ؛ وإنما لكل امرىء هناك ما سعى ، ولقد سعى أبو ماضى فأنشأ هناك مجلة اسمها السمير ويقولون : إنه أنشأ متجراً للدخان والسجاير أيضاً ؟ وراح بعد ذلك يتأمل الدنيا ويرنو إلى الآخرة ، ويقيد على الورق ما يتكشف له من الحقائق ، وما يلمحه من المبهمات ، ويسجل على نفسه بلوغها وقصورها ، وخيرها وشرها ، وهداها وحيرتها أفلا يصلح هذا أستاذاً لأدب النفس ؟ فإن كان لا يصلح ، فمن ذا الذى يصلح ؟ !

— ولكن هذا الذى رويته من حياته يدل على أنه من رجال الدنيا المغامرين الذين يجرون وراء الرزق والسادة من آسيا إلى أفريقا إلى أمريكا فكيف تقول إن هذا رجل فرغ من الحياة واستغنى عن مادتها ؟

— البلبل يطير من فنن إلى فنن يتلقط رزقه ، ولكنه لا يقضى كل وقته فى البحث عن طعامه ، وإنما يقضى أغلبه فى الشدو والترتيل فهما طبعه وقد اختص بهما ، وليس الأكل من طبعه إلا كما هو من طبع الخلائق ، وليس الشدو والترتيل من خصائص غيره إلا من كان على طرازه من الخلائق . فأبو ماضى لم يجد رزقه فى الشام فطار إلى مصر ، فوجد فيها الرزق مقدوراً عليه فطار إلى أمريكا ، فوجد فيها رزقاً مباحاً طاهراً قد يكون كثيراً وقد يكون قليلاً ولكنه نقى غير محسود ، فلا عجب إذا اطمأن أبو ماضى هناك ... ولكن ثق أنه يحن إلى الشرق ، ولعل أغلب حنينه يهتاج إلى مصر فهو يقول :

وطنان أشوق ما أكون إليهما مصر التى أحببتها وبلادى

ومواطن الأرواح يعظم شأنها فى النفس فوق مواطن الأجساد

حرصى على حب الكنانة دونه حرص السجين على بقايا الزاد

بلد الجمال خفيه وجليه والفن من مستطرف وتلاد

عرضت مواكبها الشعوب فلم أجد

إلا بمصر نضارة الآباد ...

— ولكن هذا شعر يسير المعنى قريب اللفظ ... أليس له شعر أحلى ؟

— له ... له كل هذا الديوان الذى فى يدى ، وله غيره ... وبارك الله لصاحب الرسالة الذى ينشر فيها بين الحين والحين شيئاً من شعره ، وكم أريد أن أقول أيضاً بارك الله لوزارة المعارف لو أنها عطفت على تلاميذها وطلابها ويسرت لهم شيئاً من هذا الشعر

— ولكنه لا يزال حياً يرزق ، والدولة لا تخلد إلا من فارق الحياة . . .

— فأل الله ولا فألك ، فوزارة المعارف تخلد كلام الأستاذ الجارم الموظف بوزارة المعارف ، ووزارة المعارف تخلد كلام الأستاذ أحمد أمين عضو لجان وزارة المعارف ، ووزارة المعارف تخلد كلام الدكتور طه حسين بك مراقب الثقافة بوزارة المعارف ، ووزارة المعارف تكاد لا تلتفت إلا لمن كان فى وزارة المعارف، منذ حسنين باشا

صاحب كتاب الطبيعة ، وعبد الفتاح صبرى باشا ، وكل ما فى الأمر أن الصور تتبدل وتتغير ، وأن الكلام يتلون ويتشكل ، ولكن الأمر لا يزال كما كان : موظفون يؤلفون كتباً . ثم يؤلفون لجاناً . فتقرر اللجان الكتب ...

— إخسأ . لا تقل عن هؤلاء الأساتذة الأجلاء إنهم أصحاب أهواء ولا مطامع فهم الأدباء الذين فى البلد ، وهم الشعراء وهم الكتاب ، فإذا لم تأخذ الوزارة كتبهم فأى الكتب تأخذ ؟

— إن أساتذتنا هؤلاء هم أساتذة الجامعة ، فأحرى بهم أن يوفروا أنفسهم للعلم ؛ لأنهم على العكس من إيليا أبى ماضى . . . هو يتاجر فى الدخان ليأكل منه وليفرغ للأدب لايذل نفسه ، وهم يتاجرون بالأدب ليأكلوا منه لا يمترون بأنفسهم ، ولا يشكرون الله على ما يسر لهم من وظائف ...

— ثق أنك مخطئ ، وثق أنهم أرفع نفساً مما تحسب ، وثق أنهم يتجشمون فى سبيل تثقيف البلد ما أسأل الله أن يجزيهم عنه خيراً ...

— آمين ... إسمع أبا ماضى يصف الشاعر :

أتقولون إنه مجنون
أتقولون إنه مفتون
أتقولون شاعر مسكين
كم مليك كم قائد كم وزير   ود لو كان شاعراً مسكينا
عاش ملتن فلم يكن مذكورا
وهوميروس كالشيخ كان ضريرا
ولقد مات إبن برد فقيرا
أرأيتم كما رأى العميان   أفلستم بنورهم تهتدونا ؟

— هل هو زاهد ؟

— نعم ، وهو يقول فى الزهد :

قيل : أدرى الناس بالأسرار سكان الصوامع
قلت : إن صح الذى قالوا ، فإن السر شائع
عجباً ! كيف ترى الشمس عيون فى براقع
والتى لم تتبرقع لا تراها ؟ ...
لست أدرى ...

— إذن فهو يسخر من الزاهدين ....

— إنه لايسخر من شىء مطلقاً وإنما هو متطلع إلى الوجود يتعلم الحكمة فكلما تعلم حكمة تفتقت له من ورائها حكمة ، فهو لا يزال كلما تعلم علماً تبين له فى نفسه جهل حتى يقول :

إننى جئت وأمضى ، وأنا لا أعلم
أنا لغز ، وذهابى كمجيئى طلسم
والذى أوجد هذا اللغز لغز مبهم
لاتجادل ... ذوالحجى من قال إنى ...
لست أدرى ...

— لعله كافر ...

— الكافر لا يقول للناس :

لو دخلتم هيا كل الإلهام
وسرحتم فى عالم الأحلام
واجتليتم سر الخيال السامى
وعرفتم كما عرفنا الله   لخررتم أمامنا ساجدينا

— إذن فهو مؤمن ...

— ومسلم فى مسيحيته ، لو عرفته لوافقتنى على ترشيحه للأستاذية فى كلية الآداب يعلم طلابها الإيمان والحكمة شعراً ، ويؤدب نفوسهم أدباً ، فإذا تعذر هذا أو صعب فلا أقل من أن يعرض على التلاميذ ديوانه .

عزيز أحمد فهمى



تضـــارب فى الرأى

يؤدى إلى كشف خطير

للدكتور محمد محمود غالى

من الفكرة الشيئية إلى فكرة الأثير — هجر العلماء الفكرة الشيئية واعتناقهم الفكرة الحدثية — تجربة « ميكلسون » والأثير — هجر العلماء الفكرة الحدثية وترددهم فيها — تطور يتفتح عن تعديل فى الميكانيكا النيوتونية — لا تعديل فى الضوء

نرافق القارئ فى مرحلة من العلوم تضاربت خلالها الآراء ، تلك المرحلة التى حاول الإنسان فيها أن يفهم الظاهرة الضوئية ، ويتعمق فى معرفة كنه « الفوتون » ، وهو الذرة التى تتكون منها الأشعة على اختلاف أنواعها ، والتى كانت عند « نيوتن » جسيما صلباً ، وعند « فرنل » موجة ، وهى اليوم عند « دى بروى » جسيم وموجة مستصحبة له ، وقد شرحنا للقارئ النظرية الشيئية للضوء التى أسسها « نيوتن » والتى نوجزها فى أن الضوء مكون من جسيمات صغيرة مقذوفة فى الحيز فى خط مستقيم وبسرعة كبيرة ، وذكرنا أن ظواهر الضوء الهندسى Optique Geométrique من تكوين ظلال الأجسام عند وضعها أمام منبع ضوئى ومن انكسار الأشعة الضوئية عند اختلاف نوع المادة التى يخترقها الضوء ، يجوز تفسيرها بالنظرية الشيئية النيوتونية ، وعرضنا للقارئ ظواهر أخرى للضوء مثل ظاهرتى التداخل والاستقطاب اللتين كشف إحداهما « يونج » Thomas Young لا يمكن تفسيرها بالنظرية الشيئية المتقدمة ، ويمكن ذلك باللجوء إلى فكرة فرضية ، فكرة أثيرية أسسها الرياضى « ويجانز » والمهندس الطبيعى « فرنل » ونذكر للقارئ اليوم أن ظاهرتى التداخل والاستقطاب لم تكونا وحدهما سبباً لهجر الفكرة النيوتونية واعتناق المذهب الأثيرى ، بل إن ثمة ظاهرة أخرى من أهم الظواهر المعروفة وهى ظاهرة « الحيود » فى الضوء Diffraction لم يتيسر تفسيرها أيضاً باللجوء إلى فكرة نيوتن ، وأمكن تعليلها بالنظرية الأثيرية أو الموجية المتقدمة ، وتتلخص هذه الظاهرة فى أنه قد ثبت بالملاحظة ، عند ظروف معينة ، أن الضوء لا يسير فى خط مستقيم كما هو المعتقد منذ القدم ، بل إن الأشعة الضوئية عند مقابلتها جسما محدداً بحافة مستقيمة تميل بحالة تدل على حيودها عن مسارها ، وتتضح نتيجة ذلك من ظاهرة تشبه ظاهرة التداخل التى تكلمنا عنها

وأمام ظواهر طبيعية لم يكن يعلمها الأقدمون شيد « ويجانز » الهولاندى هيكلا رياضياً رائعاً ، وقام « فرنل » بتجارب بالغة حد الإتقان وحسابات لا يتطرق إليها الشك ، وهجرا ، عن عقيدة ، النظرية الشيئية للضوء ، وأسسا افتراضاً لفهم الظواهر الضوئية نوجزه فى أن الضوء حادثة أو أمواج وقعت فى مادة تملأ الكون بأسره ، وهى مادة الأثير التى طالما سمع القارئ عنها فى الكتب العلمية البحتة وفى البحوث الفلسفية ، والذين يراجعون اليوم منا تلك الحسابات الباهرة لويجانز وفرنل ويعيدون بعضاً من هذه التجارب الرائعة يتجولون فى الواقع فى هيكل من أجل الهياكل التى شيدها الإنسان المفكر ويشاهدون ناحية من أبدع مناحى العلم التجريبى ، وهكذا كانت ثقة فرنل بالوسط الأثيرى الذى افترضه افتراضاً ثقة علمية ذهبت به إلى حد معاملة « الأثير » معاملة الأوساط المادية ، وذلك بالقيام بحسابات رياضية حاول أن يعلم منها الدرجة التى يتحرك بها هذا الأثير عندما تتحرك المادة فيه ، وقد دلت تجربة فيزو Fizeau الذى قام بقياس سرعة الضوء فى أنبوبة تحمل ماء متحركا على أن سرعة الضوء فى اتجاه حركة الماء تختلف عن سرعته فى الاتجاه المضاد ، وبذلك بيّن بطريقة تجريبية حركة للأثير توهمها فرنل الذى نظر إليه كمادة موجودة فى الوجود تسرى عليها قوانيننا الطبيعية ونعاملها معاملة ميكانيكية ، ولم يصبح الأثير بذلك فرضاً رياضياً فحسب ، بل مادة كائنة فى الوجود نطبق عليها قوانين : « جاليليه » و « نيوتن » الميكانيكية ، وكانت ظواهر التداخل والاستقطاب والحيود السبب فى انتصار هذا النوع من التفكير ، وفى تأييد نظرية أثيرية موجية

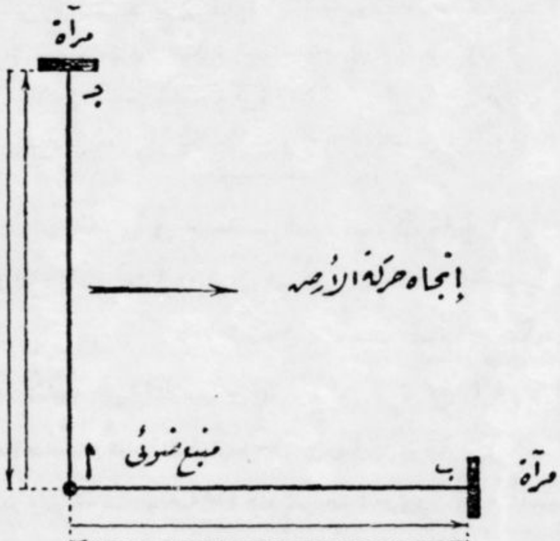
يصح أن نسميها هنا لأول مرة : « النظرية الفريجازية » نسبة لاسمى فرنل ووبجاز .

ولكن رغم هذه الانتصارات المتتابعة ظل الأثير وسطاً عجيباً ، إذ يجب أن يكون له خواص الأجسام الصلبة بحكم أن الضوء أمواج مستعرضة ، وليس أمواجاً طولية ، وكانت الفكرة فى مولد الأثير عن فرض نظرى لتفسير وقائع معينة سبباً جعل العلماء ينظرون إليه بشىء من عدم اليقين ، ولم يكن هناك لإثبات وجوده وحركته غير تجربة واحدة لفيزو ، لا تكفى باعتبارها تجربة واحدة وصادرة من مصدر واحد أن تقوم دليلاً قاطعاً على وجوده

هذا الشك فى الوسط الوهمى الذى افترضه العلماء افتراضاً جعل العالم الكبير ميكلسون(1) Albert Michelson يقوم بتجربته الشهيرة التى وإن مضى عليها الآن ستون عاماً إلا أن الأثر الذى أحدثته لم يكن بالأمر الهين ، وهى التجربة التى أراد أن يعرف منها كيان هذا الأثير ، بل يعرف شيئاً عن وجوده أو حركته

لجأ ميكلسون إلى استنباط جهاز يتركب من ذراعين ا ب ، ا حـ طولهما واحد وأحدهما عمودى على الآخر ، ووضع مرآة فى طرف كل ذراع كما هو مُبيَّن بالشكل (١) ووضع عند ا منبعاً ضوئياً وأرسل منه فى الاتجاه ا ب شعاعاً ضوئياً يصل للمرآة ب وينعكس مرة أخرى إلى ا متتبعا السهمين ا ب ، ب ا ، كذلك أرسل من ا وفى الاتجاه ا حـ شعاعاً آخر يصل للمرآة حـ وينعكس إلى ا وفق السهمين ا حـ ، حـ ا

وبديهى أنه فى الحالة التى لا يتحرك فيها الجهاز فى الأثير ، فإن الضوء يأخذ الوقت ذاته لعمل الرحلة ا ب ا ، والرحلة ا حـ ا . كذلك فى الحالة التى يتحرك الجهاز فيها فى الاتجاه ا ب مثلاً ، ويتحرك الأثير فى الاتجاه ذاته بنفس السرعة ، فإن الزمن للشعاعين يجب ألا يتغير ، ولكنا نعرف من تجربة فيزو السابقة أن الأثير يتحرك بحالة ضعيفة فى اتجاه الجهاز ، وعليه فيجب أن يكون هناك فارق فى سرعة الشعاعين ، ويدل الحساب على أن الشعاع ا ب ا ، يجب أن يأخذ فترة من الزمن أطول من الفترة التى يأخذها الشعاع ا حـ ا ؛ ومن الواضح أنه يجب لنجاح التجربة أن يتحرك الجهاز بأكبر ما يمكننا من السرعة ، حتى يكون فى الإمكان قياس الفرق بين الحالتين ، نظراً لعظم سرعة الضوء ، ولا شك أن القارئ يتساءل الآن : أنى لنا هذه السرعة للجهاز التى تجعلنا نستطيع أن نقيس الفارق بين سرعته وسرعة الضوء التى تبلغ ٣٠٠ ألف كيلومتر فى الثانية؟ ولكن ميكلسون وجد ذلك فى الأرض نفسها ، ذلك أن الأرض غير ثابتة ، وتسير حول الشمس سيرها الأبدى بسرعة تبلغ ٣٠ كيلومترا فى الثانية ، وعلى ذلك ، فقد كان على ميكلسون أن يعتبر الأرض ذاتها كجزء من جهازه ، ويبحث دون تحريك الجهاز عما إذا كان هناك فارق فى الوقت الذى يتخذه كل من الشعاعين



تجربة ميكلسون

(شكل ١)

ترى ماذا كانت النتيجة التى وصل إليها « ميكلسون » ؟ لقد وصل إلى نتيجة غير منتظرة بل نتيجة عجيبة . ذلك أنه لم يجد أى فارق بين سرعة الشعاعين رغم أن دقة التجربة كفيلة بأن تظهر أقل من ذلك الفرق . وهكذا كانت تجربة ميكلسون بمثابة ضربة قاضية على وجود الأثير .

ومع ذلك فإن وجود حالة موجية للضوء أمر لا يقبل الجدل وهى حالة تستدعى وجود مادة أثيرية لها خواص الأجسام الصلبة — من ذلك حصلت أزمة علمية عصيبة ، فلا المتذهبين بمذهب نيوتن بقادرين على تفسير ظاهرتى التداخل والاستقطاب وغيرهما ولا الآخذين برأى الموجية ووجود الأثير وهم التابعون لفرنل ووبجاز بمستطيعين أن يفسروا لنا تجربة « ميكلسون »

(١) عالم أمريكى معروف حاز جائزة نوبل فى سنة ١٩٠٧ ، وقد استطاع فى سنة ١٩٢٠ أن يقيس قطر بعض النجوم الكبيرة بطريقة تداخل الضوء Intérférence وقد توفى «ميكلسون» منذ بضع سنوات عن ٧٩ عاما

وإزاء هذه الصدمة العنيفة كان يجب أن يبحث العلماء عن طريقة جديدة ، وقد انتهى بهم البحث بعد وقت ليس بالقصير إلى أن الضوء ليس هو الذى يجب أن يكون موضع التعديل إنما هى معارفنا عن الميكانيكا وعن الحيز والزمن هى التى يجب أن تُعدَّل ، وكان على العلماء أن يتفهموا الكون وقوانينه بطريقة غير الطريقة النيوتنية ، التى اعتُبرت صحيحة سنوات طوال ، والتى كانت فى الواقع طريقة تقريبية لكى نفهم الدار التى نعيش فيها ، ولكنها لم تكن كافية لكى نفهم تفاصيل هذه الدار

هنا ينحنى جيلنا أمام معادلات لورنتز Lorentz التى سنتكلم عنها ، وهى المعادلات التى أدمج فيها الزمن فى الحيِّز والحيز فى الزمن ، بل وينحنى جيلنا أمام تفكير أينشتاين الذى أفاد من هذه المعادلات لخرج بنا من المأزق السابق ، وأفهمنا الكون على صورة غير التى عهدناها له ، ولعل القارئ قد أفاد من تتبع هذه الأزمة الطبيعية التى بدأ بتمثيل الدور الأول منها شيخ علماء الأجيال المنصرمة « نيوتن » والتى ظهر فى آخر فصولها شيخ علماء الجيل الحالى « إينشتاين »

ولكنا نورد ، قبل الدخول فى تفسير معادلات « لورنتز » ونظرية « أينشتاين » ، ملخصاً عن الضوء كظاهرة كهربائية وعنه كظاهرة مادية ، وسيعلم القارئ منها أن التموجات الضوئية ما هى إلا سلسلة تموجات عامة فى الكون ، تبدأ بتموجات كبيرة أطوالها بضعة كيلو مترات ، وهى الأمواج الكهربائية أو « الهرتزية » نسبة للعالم « هرتز » Hertz والتى نعرف منها الأمواج الطويلة والوسطى التى تنتقل من مكان إلى مكان متتبعة منحنى سطح الأرض ونعرف منها الموجة القصيرة [1] ، وهذه الأخيرة تصل من مكان إلى آخر بالانعكاس على الطبقات العليا من اليونات الجوية [2]

تلى هذه السلسلة من التموجات الموجات تحت الحمراء Infra-rouges ، ثم الموجات المرئية من اللون الأحمر إلى البنفسجى ، ثم تلى ذلك الموجات القصيرة غير المرئية ، التى تبدأ من الأشعة فوق البنفسجية وتستمر إلى الأشعة السينية Rayons X وتنتهى بإشعاع الراديوم وبالأشعة الكونية تلى كتبنا عنها

وسيتبين للقارئ من استعراض الضوء كظاهرة مادية ما للضوء من ضغط على المادة ، وهو الضغط الذى أمكن حسابه وقياسه ، كل ذلك يقودنا إلى فكرة النسبية وإلى نظرية الكم Quanta اللتين نتناولها قبل أن نتناول موضوع التفتت الذرى Désintegration وهو الموضوع الذى يتطلب الإنسان من ورائه مستقبلاً أرقى مما وصل إليه ، ويتطلع إلى نوع من المدنية عجيب ، قد يختلف جد الاختلاف عن المدنية التى نستمتع بها اليوم .

محمد محمود غالى
دكتوراه الدولة فى العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية . ليسانس العلوم الحرة . دبلوم المهندسخانه

(١) بالانجليزية Short Wave وبالفرنسية Onde Courte

(٢) يراجع القارئ المحاضرة القيمة لمسيو جيتون Gutton عضو المجمع العلمى الفرنسى التى ألقاها فى الجامعة المصرية منذ عامين والتى نشرت لها خلاصة فى محاضر الجمعية المصرية للعلوم الرياضية والطبيعية Proceeding of the Egyptian Math. & Phys. Society



أُمٌّ بلا ولـــد!

للأستاذ محمد سعيد العريان

كانت خديجة فى الخامسة والعشرين من عمرها ، أو لعلها قد جاوزتها ، وإن كانت تبدو لمن يراها أصغر من ذلك ؛ فهى قد نالت شهادة (المعلِّمات) منذ سبع سنين ؛ فكم كانت سنها يومئذ ؟ ... على أن ذلك لم يكن يعنيها كثيراً ، ولعلها لم تشغل نفسها يوماً بحساب عمرها ؛ وماذا يجدى عليها ذلك وإنها لسعيدة بحياتها التى تحيا ؛ فما لها فكر فى غد ولا أمل يمتد إلى ما وراء غد !

وهل يشغل نفسَه بحساب عمره وما مضى من أيامه — إلا ذو أمل يعيش به من يومه فى غده ، أو عاشق تتجاذبه لهفة الذكرى وخطرات المنى ؟

* * *

منذ سبع سنين لم تغير خديجة شيئاً من نظام حياتها ، فهى تغادر مدرستها كل يوم قبيل العصر بعد أن تودع تلميذاتها وتلاميذها ، لتلقاهم فى صبيحة اليوم التالى أشوق ما تكون أمٌّ إلى بنيها وبناتها !

وفيما بين مسائها وصباحها لم يكن لها من عمل إلا أن تأوى إلى غرفتها تقرأ فى كتاب ، أو تشارك فى عمل هين من أعمال البيت، أو تخرج لزيارة بعض جاراتها وصديقاتها منذ أيام الدراسة؛ فإذا بدا لها يوماً أن تخرج إلى بعض الحدائق العامة للرياضة ، أو تشاهد رواية جديدة فى السيما ، أو تقصد إلى بعض المشاهد التى يؤمها الناس للتفرج - فلا بد لها يومئذ من رفيقات أو رفقاء من تلاميذها الصغار فى روضة الأطفال يشاركونها فى الرحلة والتفرج !

على أن هذا الحب العجيب الذى كانت تمنحه هؤلاء الصغار لم يكن بلا جزاء ؛ فقد كان تلاميذها يبادلونها حباً يفوق ما يمنحون آباءهم وأمهاتهم اللائى ولدنهم !

وما كانت خديجة هى المعلمة الوحيدة فى روضة الأطفال؛ فإن سبع معلمات يحملن معها أعباء العمل المدرسى؛ ولكنها هى وحدها — بهذه العواطف الأُمومة الصادقة — كانت فى عيون أطفالها هى المعلمة الوحيدة . لا جرم كانت خديجة بذلك أسعد زميلاتها وأكثرهن شعوراً بمسرات الحياة !

* * *

وغنيت خديجة بدنياها تلك عن المنى والأحلام ؛ فما طوعت لنفسها أن تحلم أو تتمنى ، ولا هجس فى قلبها أن وراء هذه الحياة التى تنعم بهدوئها حياة تتخايل فى أوهام كل فتاة فى فنون وألوان !

وكان صباح ، وجاءها ساعى البريد بخطاب ...

ونظرت الفتاة فى غلافه قبل أن تفضه فأطالت النظر ، وكأنما أحست وراءه عينين تنظران إليها نظرة لم تفهم معناها ولا رأت مثلها لذى عينين ؛ وقرأت على الغلاف : « الآنسة خديجة ... » من يكون صاحب هذا الخط ؟ ... وترددت برهة ، ثم همت أن تفضه لتعرف ما فيه ، ولكنها لم تفعل ؛ لقد خيل إليها أن أربع عشرة عيناً تنظر إليها لتعرف قبلها ما فى هذا الخطاب ؛ إن زميلاتها فى المدرسة على مقربة ! ... وتصنعت عدم المبالاة ووضعت الرسالة فى حقيبتها وما قرأتها ...

ولأول مرة أحست خديجة أنها فى حاجة إلى أن تبتعد عن أطفالها لتخلو إلى نفسها برهة ، وكما تحاول الأم أحياناً أن يبعد عنها أطفالها وهم أحب إلى قلبها لتخفى عنهم بعض أسرار الأُمومة، كذلك فعلت خديجة ... !

وأوت إلى ركن قصى تقرأ رسالتها ....

« عزيزتى خديجة !

« تُرَى هل تذكرين ؟ أو تعرفين ؟ ...

« إن أياماً لا أتمتع فيها بمرآك ، ليست من الحياة ؛ إن هذا القدر الذى أبعدنى عنك إلى حين ، قد صدع صدعاً فى أيامى !

« وفجأنى الفراق وأنا بين غفوة الأمل وصحوة الحلم ؛ فلم أودعك يا عزيزتى ، ولم أتحدث إليك ، وسافرت وما تدرين ...

« تُرَى بماذا تحدثك نفسك الآن يا عزيزتى ؟ ... ليتنى قريب

منك ، فأرى ، وأسمع ، وأعلم ... بل إننى لأعلمُ علمَ قلبى وإن لم تحدثينى ... وستعرفين عذرى ، وتغفرين لى ... وسنلتقى من بعد يا عزيزتى فأحدثك وتحدثيننى ؛ وأضحك وتضحكين منى حين نتذكر هذا الحاضر بعد أن تطويه الأيام فى مدرجة الماضى ...

« لست أغفر لنفسى ولكنك ستغفرين لى ؛ ويوم يجمعنا القدرُ الذى فرّق بيننا يا عزيزتى ، ويعود ما كان ... وأراك ... ويعود الربيع النضر طلقاً ضاحكا يتهلل ... يومئذ أقول لك ... لا ؛ لستُ قائلها اليوم ، ولن أقولها غداً ، سأجعلها رسالة على فم طفل صغير يلثغ بها همساً فى أذنك ؛ فتضحكين ، وأضحك ، ويضحك الطفل الصغير كأمه وأبيه وإن لم يعرف لماذا يضحكان ... !

« كيف أنت الآن يا عزيزتى ؟ هل رضيتِ ومرّ ى عنك ؛ إن كان كذلك فاكتبى إلىّ لتهدأ نفسى ...

« مضى يومان وأنا فى هذا المنأى البعيد كأنهما ليلٌ مطبق ليس وراءه نهار ؛ فكيف تمضى الثلاثون ؟

« ارقبى مطلع الهلال يا عزيزتى فإنى أرقبه كل مساء لأعرف متى يحين اللقاء !

« وأترك قلبى لديك وديعة إلى معاد ! »

محبك : أمل

***

كانت أناملها باردة كالثلج ، وكانت شفتها تختلج ، وكانت الصحيفة مبسوطة تحت عينيها ولا تكاد ترى ؛ وأحست فجأة ، وقد بلغت آخر الرسالة ، مثل إحساس من يهبط من علوٍّ شاهق مغمض العينين إلى واد من أودية الجنة كان مخبوءاً عن عينيه فلما وطئته رجلاه فتّح فرأى ...

وعادت تقرأ الرسالة ثانية وثالثة ، وكل مرة تُجِدُّ لها فكراً وتوقظ معنى ؛ ثم طوت الكتاب برفق وأودعته غلافه ، وراحت تفكر ... وسألت نفسها : « تُرى من هو ؟ وأين هو ؟ ومتى رآنى ؟ وأين ... ؟ »

وتوزعتها الصور والأوهام ، وراحت تكدّ خاطرها ، لتتذكر وتعاقبت على مخيلتها صور ورسوم، ولكنها لم تعرف ... أىّ حيرة! فتى يبلغ حبها من نفسه هذا المبلغ ، فيكتم هواه عنها وعن

الناس ، ويقنع منها بالنظر على مبعدة وهى لا تدرى ؛ ويطوى جوانحه على ألم الحب ، وبرحاء الوجد ، وشقة النوى ؛ وهى لا تعرف من أمره ، ولا تسمع من خبره ، ولا تحس وقع نظرته ؛ حتى إذا أبعدته بعض شئون الحياة عن طريقها ، وحيل بينه وبين أن يراها ، غلبه الهوى على الكتمان فباح بحبه وأمانيه فى رسالة .

أىُّ فتىً ذاك ؟ وأين مثله فى الشباب ؟ يا له من رجل !

***

وأحست الفتاة بعد فترة ، أنها قد غابت كثيراً عن أطفالها ؛ فأصلحت شأنها وعادت إليهم ؛ ولكن خديجة التى فارقتهم غير خديجة التى عادت ...

... ودق الجرس ، وقامت خديجة لتودّع أطفالها وتمضى لشأنها ، ولكن أين تذهب اليوم ؟

وأخرجت الرسالة من حقيبتها وأخذت تقرأ ...

« عزيزتى خديجة ! »

إنه يعرف اسمها ، على حين لم تكن تعرف اسمه ولا تحس وجودَه ؛ بلى ، وإنها إلى الساعةِ لا تعرف من اسمه إلا الكلمة الواحدة التى جمعها فى ذيل كتابه ؛ وكم مرة رآها ، وأتبعها عينيه، واستمع إليها تحدّث صواحبها فى الطريق، وهى لا تدرى..!

وعادت تقرأ :

« وفجأنى الفراقُ وأنا بين غفوة الأمل وصحوة الحلم ؛ فلم أودّعك يا عزيزتى ، ولم أتحدّث إليك ... وسافرتُ وما تدرين ... ! »

وخفق قلبها ، وأحست مثلَ إحساس المفارِق حِيلَ بينه وبين الكلمة الأخيرة ؛ وعضت على شفتها ؛ واستمرت تقرأ وفى قلبها وجيب ، وفى دمها سمار يتلهب !

وجلست خديجة فى الشرفة فى المساء ترقب مطلع الهلال وتحصى ما بقى من ليالى البعاد !

***

تغيرت حياة خديجة بعد ذلك اليوم ؛ فكأنما هى تعيش فى دنيا غير الدنيا التى عرفتها منذ كانت ؛ وتضاعف إحساسها بالحياة مذ عرفت أن وراء اليوم غداً ، ورأت فى عيون أولئك الصغار الذين تعيش معهم نصف حياتها ـ معانى جديدة لم ترها

فى عيونهم من قبل ؛ إذ كانت فى نفسها معانى الأمومة حين بزغ فى قلبها الحب . وعمر ليلها بالأحلام ! ...

ولمحت طفلاً يهمس فى أذن رفيقه ؛ فاشتاقت أن تسمع رسالة على فم طفل صغير يلثغ بها همساً فى أذنها فتضحك ويضحك شخص ثان ... !

ووسع خيالها ما لم يكن يسع !

وتعاقبت الأيام ، والأحلام تطاولها وتعد لها ...

ولما خلت إلى نفسها فى غرفتها بعد أسبوعين من تلك الرسالة، اعترفت لنفسها بصوت مسموع أنها تحبه ، وأنها تكاد تعرفه لو رأته ... بل إنها لتعرفه يقيناً لا شبهة فيه ... هكذا زعمت وهى خالية إلى نفسها تحدثها !

وارتسمت فى خيالها صورة كاملة للرجل الذى جاءتها رسالته ولم تره قط ، ورسمت لنفسها صورة أخرى من خيالها يوم تراه فتعاتبه ثم تصفح عنه !

***

وبقى يومان على مطلع الهلال ... ...

وكانت واقفة فى الشرفة تستروح رَوْحَ الربيع ، حين سمعت رنين الجرس ... وكن ثلاثاً من صديقاتها ؛ وجلسن وجلستْ معهن فى غرفة الاستقبال . ومضى الحديث يتنقل من فن إلى فن إلى فنون ...

وقالت واحدة لجارتها : « متى زفاف أخيك ؟ »

قالت : « لقد أذكرتِنى أمراً ... فقد أرسل أخى رسالة إلى خطيبته غداة سفره فلم تجبه ؛ فغضب وكتب إلىّ يشكوها ؛ وذهبتُ أزورها أمس فإذا هى غضبانة كذلك ، تشكو إلى أن أخى لم يكتب لها منذ سفره ... أرأيت ... ؟ »

واعتدلت خديجة فى مجلسها وقالت : « عجيبة ! تقولين إنه كتب إليها فلم ترد ؛ ففيم غضبها ؟ »

قالت : « هنا المشكلة ؛ فإن رسالة كامل لم تبلغها ! »

واختلجت خديجة ، وهجس فى نفسها هاجس ، وأردفتْ صديقتها : « وبذلك كتبت إلى أخى ليعرف الحقيقة ! »

واختلجت خديجة ثانية وقالت : « أتعنين ... ؟ »

قالت الفتاة : « أعنى أن رسالته لم تصل إلى خديجة ... ! »...

***

ووضحت الحقيقة كاملة لعينى الفتاة ، وعرفتْ ، واستيقظت من الحلم الرائع الذى عاشت منه عُمراً سعيداً فى أيام ...

ونهضت متثاقلة إلى غرفتها لتفتح حقيبتها فتعود بالرسالة التى ضلت طريقها إلى صاحبتها لتضل هى بها ... ثم دفعتها إلى صديقتها وهى تتمتم معتذرة ... وتهاوت على مقعدها خائرة !

***

... وصفا ما بين الحبيبين وفاء قلباهما إلى الرضا ، وتحطم قلب ثالث ...

ولما بصرتْ بهما خديجة بعد أيام يمشيان ذراعاً إلى ذراع ، أتبعتهما عينيها فى ألم ولهفة ، ثم دارت على عقبيها ، ورجعت من حيث أتت

وعادت إلى أطفالها الذين كانوا ، تلتمس بينهم العزاء والسلوى؛ فما وجدتْ أطفالها ولكن أطفالَ الناس !

واستنجدت أمومتها ، فإذا أمومتها التى كانت عندها من قبل فى تأليف هؤلاء الصغار - هى أمومة الأثِر الغَيرَان الذى يتشهى ولا يجد ، ويرجو ولا يجد سبيلاً إلى تحقيق الرجاء !

ونظرت ، فإذا طفلٌ يهمس فى أذن رفيقه ، فابتسمت ، ثم قطبت ، ثم مدت يدها إليهما بالعصا !

وهم طفل أن يناديها ، فأخطأ النداء ونطق على عادته : أمى !

فلوت وجهها لتخفى عن أطفالها دمعة !

وأحس الصغار إحساس الطفولة الملهَمة فداروا بها يسألونها عما بها محزونين وفى كل عين دمعة !

ونظرت ثانية ، فابتسمتْ وسُرِّى عنها ؛ ثم ضمت أطفالها إلى صدرها وهى تتمتم :

« لا عَلىّ يا أحبابى ما دمتم معى ! أنتم بنىّ وبناتى ، وأنا لكم أم ، أم بلا ولد ! »

محمد سعيد العريان



عام الفيل وميلاد الرسول

كتب أستاذ فاضل بتوقيع « قارئ » كلمة فى باب البريد الأدبى من العدد ٣٥٠ من الرسالة ، جاء فيها عدة أسئلة إلىّ بخصوص بعض ما استشكل عليه فهمه فى مبحثى « عام الفيل وميلاد الرسول » المنشور بالعدد ٣٤٨ من الرسالة . والذى أراه أن الروم (البيزانس) كانت معرفتهم ببلاد العرب نظرية ، ومن هنا كانت الخطة التى وضعها امبراطورهم جوستنيان مع قواد جيشه بارعة ، كخطة تجرى على خريطة الشرق الأدنى . فقد كان هو سيقوم بمهاجمة تخوم فارس المتصلة بحدود امبراطوريته فى الوقت الذى يتعرض فيه حلفاؤه الأحباش بقوات جسيمة من الجنوب الغربى لفارس ، فيضطر الفرس أمام هذا الهجوم المزدوج أن يقسموا قواتهم ، فيخف مجموعهم أمام الروم ، ويتمكن هؤلاء من ضربهم الضربة القاصمة التى تقضى على نفوذهم خارج بلادهم

وهذه الخطة لو رجعت بها إلى « الخريطة » لوجدتها سهلة ، تدل على براعة ؛ ولكن كل قيمتها تضيع حين تخرج للتطبيق ، فتصطدم بعالم الواقع ، لأن الوضع الاستراتيجى لفارس إزاء الحبشة لا يحمل مجالاً لهجوم كبير عليها ، سواء عن طريق البحر بالتعرض للخليج الفارسى ، أو عن طريق البر بمهاجمة التخوم الفارسية من جهة العراق العربى . ففارس تبعد عن الحبشة بحراً مسافة تتراوح بين ٢٠٠٠ و٢٥٠٠ كيلومتر ، كما أنها تبعد مسافة ١٠٠٠ كيلومتر وأكثر براً من اليمن قاعدة الأحباش فى بلاد العرب . ونجاح حملة عسكرية على فارس تهاجمها من جهة البحر ، تحتاج على أقل تقدير إلى مائة ألف مقاتل ، وبالتالى إلى أكثر من ألف سفينة تنقلهم إلى الشواطئ الفارسية . ولم يكن الروم ولا الأحباش ولا الاثنان مجتمعين يملكون مثل هذا الأسطول الضخم فى البحر الأحمر والمحيط الهندى . ومن هنا كانت فكرة مهاجمة فارس بحراً غير ممكنة . ولا تناقض فى هذا القول مع القول بنقل الروم بأسطولهم الصغير فى البحر الأحمر قوات الأحباش إلى اليمن ، وهى قوات لم تزد على بضعة آلاف تقدمت لسواحل اليمن واحتلتها ، وبقيت تنتظر تجريدات وإمدادات أخرى ، كان هذا الأسطول الصغير ينقلها من الحين للحين ، من الساحل الإفريقى المواجه لليمن ، إلى اليمن. ولا شك عندى أن اليمن لو كانت متحدة ، ولو لم يكن النزاع يأكلها والصراع على أشده بين أقيالها وبينهم وبين مليكهم ، لما نجح الأحباش فى فتحها والاستيلاء عليها بقوات صغيرة . وفى هذا حل للاشكال الثانى الذى استشكله « قارئ » . أما نجاح الهجوم الحبشى برًّا ، فقد كانت تضاريس الجزيرة لا تجعله ممكناً ؛ والأحباش كانوا يعرفون هذا لدرايتهم بشؤون الجزيرة من الوجهة العسكرية عن طريق التجارب ، إذ كانوا يجردون التجريدات العسكرية على نجران بين الحين والحين لإخضاع القبائل الثائرة ، ومن هنا كانت الصعوبات التى يلقونها مضرب المثل . فلا عجب إذا كانت فكرة الأحباش أقرب إلى الواقع من فكرة الروم ، رغم تفوق الروم عليهم فى المعارف والأفكار . ولا يبعد أن يكون الروم لا يجهلون هذه الصعاب ، ولكن الحرب التى طالت بينهم وبين الفرس ، جعلتهم يتعلقون بالأوهام والخيالات علّها تأتيهم بمخرج مما هم فيه . وهذا الموقف تجد له شبيهاً اليوم فى الأحلام التى تداعب رأس هتلر ، فى إمكان مهاجمة حلفائه الروس الهند وضربهم انجلترة فيها ، مع أن هذا الحلم دون تحقيقه من الصعوبات ما لا يغيب على أحد ، والهنود يعرفون اليوم استحالته ، والألمان تدفعهم الرغبة لتحطيم بريطانيا لتصوره ، بل وتصور نجاحه . وهذا لا يضعف بأى حال من الأحوال من ثقافتهم وعلومهم التى جعلتهم متفوقين على معظم أمم الأرض . فإذا وضعنا هذا موضع النظر فإن الإشكال الأول يزول من نفسه ، خصوصاً إذا عرفنا أن معنا حكم التاريخ الحاضر وليس الماضى

بقى أن الفاضل « قارئ » لاحظ أننى قلت فى صدر بحثى أن بروكوب اليونانى تكلم عن تعرض الأحباش للحجاز بتحريض الروم ، مع أن الأحباش لم يكن قصدهم التعرض للحجاز بل مساعدة الروم . وهذا صحيح ، ولكن كما قلت (ص ٤٥١ عمود ٢ من العدد ٣٤٨ من الرسالة) إن إلحاح الروم على النجاشى اضطره أن يأمر عامله على اليمن بالتحرك شمالاً ومهاجمة التخوم الفارسية ،

ولما كان الطريق الطبيعي إلى هذه التخوم يمر بأرض الحجاز ، فإن القوات الحبشية قد ابتلاها الله بالجدري الذي فتك بجندها فاضطروا إلى الرجوع والاعتذار للروم عن تقديم المساعدة إليهم . وتكون بذلك حملة مساعدة الروم وقفت عند حد التعرض للحجاز ، ولم تتجاوزها إلى ما بعدها ، فاتخذت في الظاهر شكل حملة على الحجاز ، وكان العنصر المحرض فيها الروم ، بدون أن يكون الغرض منها الحجاز نفسها في حال من الأحوال . وكان يحسن بقارئ أن يراجع نصوص بروكوب وشروح نولدكه وكايتاني وملاحظاتي على هذه الشروح في المصادر التي أثبتها في هوامش البحث ، وفيها سيجد أن بروكوب يقدر أن الأحباش بتحريض الروم ، حاولوا مساعدة جوستنيان بمهاجمة فارس ، غير أن محاولتهم وقفت عند حد الحجاز فلم تتعدها ، وهذا هو تفسير الكلام ، وليس فيه تناقض ولا تضارب مع ما يجيء بعده

اسماعيل أحمد أدهم

أبيات في ديوان اسماعيل صبري ليست له

في ديوان المرحوم اسماعيل صبري باشا الذي طبعته ونشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر مقطوعة في وصف النيل وردت في صفحة ١٣٠ منسوبة إلى الشاعر وهي لابن خروف النحوي المشهور نظمها حينما وفد إلى مصر ورأى نيلها الميمون .

قال الأستاذ الباحث الشيخ محمد الطنطاوي المدرس في كلية اللغة العربية في كتابه «نشأة النحو» صفحة ١١١ : ومن شعره (يعني ابن خروف أبا الحسن الأشبيلي المتوفى سنة ٦٠٣) في وصف نيل مصر :

ما أعجب النيل ما أحلى شمائله   في ضفتيه من الأشجار أدواح
من جنة الخلد فياض على ترع   تهب فيها هبوب الريح أرواح
ليست زيادته ماء كما زعموا   وإنما هي أرزاق وأرباح

والمقطوعة برمتها موجودة في كتاب «بغية الوعاة في طبقات النحاة» للسيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ

فننبه اللجنة الموقرة إذا قامت بطبع الديوان مرة أخرى أن تلتفت إلى تلك الحقيقة .

زكريا علي عبد الله
كلية اللغة العربية

وفاة الأستاذ المستشرق مرجليوث

نعت أخبار لندن في الأسبوع الماضي المستشرق الإنجليزي المشهور الأستاذ مرجليوث .

وقد تلقى علومه في جامعة أكسفورد وتولى تعليم العربية فيها من سنة ١٨٨٩ . وقد نشر كتباً عربية هامة ، منها معجم الأدباء لياقوت ، كما نشر رسائل أبي العلاء مع ترجمتها إلى الإنجليزية . ونشر آثاراً عربية مختلفة تاريخية وشعرية ، منها قطعة بردى عربية كانت في مكتبة أكسفورد . وألف في مشاهد أورشليم ودمشق كتاباً ، وكتاباً آخر بالإنجليزية في السيرة النبوية

والأستاذ مرجليوث من علماء المستشرقين الأفلاء الذين يعتز أهل العربية بما أدوا إلى لغتهم

نشر المودة بين العالم

ألقى الأستاذ كاتسفليس وكيل جمعية «الأصدقاء في العالم» محاضرة في قاعة «بابازيان» بالأسكندرية استهلها بقوله : إن من يدقق النظر في العالم يدهشه أمران : أولهما تعدد أسباب الموت والفناء من جراء الأعراض الطبيعية مثل البراكين والزلازل والعواصف والأمراض والوحوش المفترسة وغيرها . وثانيهما : ثبات الحياة وتغلبها على عوامل الفناء . ومما يلفت النظر أن ذوات الأجسام الضئيلة كالنمل والذباب تجد أسباب معيشتها على الرغم من وجود أعداء لها أكثر منها قوة وبطشاً

ويتحقق هذا أيضاً في الحياة الاجتماعية ، إذ أن كثيراً من ضعفاء الأجسام والعقول يجدون طرق المعيشة إلى أمد طويل ، في حين أن المتعلمين وأقوياء الإرادة يصعب عليهم أحياناً أن يجدوها

وهكذا ، فإن الأمل لا يمكن ملاشاته من قلب الإنسان . وقد شوهد في جزيرة صقلية وغيرها ، حيث قضت الزلازل على مئات الألوف من السكان ، أن الذين ظلوا على قيد الحياة منهم سرعان ما أعادوا بناء منازلهم في الحال ، وعلى مقربة من البركان الذي كان سبب الكارثة . وهذا ما حدث أيضاً في بلاد الصين واليابان وسواهما

ثم استطرد المحاضر فقال : إن الذي نستخلصه من ذلك هو أن قوة الحياة تتغلب على القوى الأخرى المضادة لها ، وأن الأمر

يجرى على هذا النمط فى المجتمع الإنسانى ، فإن قوة المودة ستنتصر فى النهاية ، على الرغم من وجود أسباب الخصام والشرور والحروب والمنازعات . على أنه يجب بث هذه الفكرة ، فكرة المودة والمصافاة ، وتمهيد الطريق لها

ولهذا الغرض قد تأسست « جمعية الأصدقاء فى العالم » ، وجمعيات أخرى مماثلة لها

وقال : إن كثيراً من الناس يحبذون فكرة جمعية « الأصدقاء فى العالم » ولكنهم يقولون بأن تحقيق أمانيها مستحيل ، لأن الناس كانوا منذ بدء الحياة وعلى تعاقب الأجيال فى خلاف وحروب مستمرة

ولكننا نؤكد أنه ما دامت الإنسانية قد فازت على الطبيعة ، وحققت التقدم المادى بالاختراعات والاستكشافات : كالطيران والإضاءة الكهربائية والراديو وغيرها ، فلا شك فى أنها جديرة بتحقيق التمدن الأدبى وهو الأهم ، ولهذا السبب ، أى لكونه الأهم ، فإنه سيستغرق وقتاً أطول مما استغرقه التمدن المادى ، إذ أنه يستلزم كفاح النفس ضد شهواتها وميولها . وهذا الكفاح صعب على الطبيعة البشرية ، ولكنه ليس من المستحيل . والبرهان على ذلك وجود كثير ممن فازوا وتغلبوا على ميولهم الأولى كالغضب والبخل ، وأصبحوا بكفاحهم الداخلى ذوى حلم وكرم

وانتقل المحاضر إلى القول بأن المساعى لم تنجح حتى الآن فى نشر لواء السلام ، لأن الداعين إليه يريدون تأسيسه على الماديات فقط لا على ما تكنه الصدور ، أعنى على القلب

ثم ختم محاضرته بقوله :

« إذا سقط رجل فى الشارع مصاباً بصدمة سيارة وشهده جمع من المارة ، ألا يتهافتون لمساعدته شفقة عليه دون أن يعنيهم مذهبه أو جنسه أو لأى حزب سياسى ينتمى ؟ »

فهذا يدل بلا شك على أن هناك شعوراً مكنوناً فى صدر الإنسان ، وفى أعماق قلبه يمكن بوساطته التفاهم ، وإيجاد المحبة بين الجميع . ذلك الشعور هو الأساس الذى يجب أن ينشأ عليه العالم الجديد الذى تسعى إليه جمعيتنا ، ذلك هو عالم المودة والوفاق والرقى الأدبى والروحى ، أى التمدن الحقيقى

وإذا اعترض أحد قائلاً : « ما هى فائدتى الشخصية فى السعى لإيجاد المودة بين الناس كما تقترحه على جمعيتكم ؟ » لأجبته قائلاً : « لأنك لو حققت السلم فى الوسط الذى أنت فيه لعرفت ما هى نفسك التى تجهلها الآن ، ولوجدت فى أعماقها ينبوع الحياة والسعادة التى لا تزول »

نقد وتصويب

تحت هذا العنوان لفت نظرى الأستاذ الفاضل أبو الفضل السباعى ناصف ، إلى بيت فى قصيدة الذكرى ندّ عن الوزن المعروف ؛ وأبى إلا أن يمن فى كرمه فأزاح علة الشعر وأصلح زيفه .

وعذرى أننى مع دراستى الوافية للعروض لا أعتمد عليه بتاتاً فى الوزن ، بل أستشير أذنى مساوقاً للنغمات الموسيقية ، وهى حال قد يضل معها الإنسان أحياناً وبخاصة إذا كان قد نال منه الجهد

وإنى لأشكر للأستاذ جميل ثنائه وجم أدبه ورقيق إرشاده وبارع علاجه ، والسلام عليه ورحمة الله

على الجندى

رأى الأستاذ النشاشيبى فى نهج البلاغة أيضاً

سيدى الأستاذ الجليل محمد إسعاف النشاشيبى المحترم

تحية العروبة والإسلام

أما بعد فقد تفضل الأستاذ الكبير صاحب الرسالة الهادية المهدية فأدرج لى فى (البريد الأدبى) من العدد الـ ٣٤٦ كلمة صغيرة رجونا فيها نشر ما فى تضاعيف كتابيكم الثمينين : (الإسلام الصحيح ، وكلمة فى اللغة العربية) مما يخص (نهج البلاغة) ، لأن الكتاب الأول ممنوع فى العراق ، والكتاب الثانى نادر الوجود عندنا وذلك تطميناً لرغبتنا الصادقة فى الاطلاع على رأيكم فى (النهج)

وفى نشر الأستاذ (الزيات) الكاتب دون مقالتكم دعوة ضمنية لحضرتكم إلى تلبية طلبنا بنفسكم ، فأنتم صاحب المقالة ولكم الحق الأول فى نشرها وعدمه

وقد صدر بعد العدد الـ ٣٤٦ ثلاثة أعداد ولم نُتْحَف بمقالتكم ، كما لم نتلقَّ من حضرتكم كلمة فى الجواب على رجائنا وهذا يحملنا على التساؤل : تُرى لماذا امتنع أستاذنا الجليل

العلامة النشاشيبي عن نشر مقالته في (النهج) ؟

هل تراءت له جوانب جديدة في التحقيق - وهو هو المحقق المدقق الثبت الأمين - تنسف ، أو تلطف من حدة تلك المقالة فلم يشأ أن يدوس على وجدانه العلمي فينشر رأياً في مسئلة خطيرة لا يؤمن به - الرأي - الإيمان كله .؟

أم هل خشي النقد - ونريد من النقد هنا النزيه الخالص لوجه العلم والحقيقة لا يدلف إلى سواهما - يطلع به عليه بعض علماء العراق بعد أن يكونوا قد وقفوا على مقالته ؟

إن كانت الأولى : فإن واجب العلم والإخلاص له يحتمان على حامله ألا يتخاف لحظة في نشر ما يتوفق إليه من تصحيح أو تنقيح لآراء خطيرة سبق أن أذاعها وبسطها إلى الملأ من الناس ، وأديب العربية الفذ الأستاذ النشاشيبي ، والحمد لله ، من علمائنا الذين لا يدعون الكمال - إذ الكمال لله وحده - ويعترفون بما قد يقعون فيه من خطأ عن غير عمد (بالطبع) ، والذين لا يبخلون قط في الإفاضة من علمهم الغزير بأسلوب هو غاية في الروعة والتواضع وكرم النفس ، وقراء الرسالة المدمنون على حرثها والإفادة منها يعرفون جيداً هذه الخلة في أستاذنا الجليل (صاحب التواقيع المستعارة العديدة)

وإن كانت الثانية : فإن عهدنا بالنشاشيبي - ذلك الأديب الألمعي الفحل الصريح الشجاع المرفوع الرأس - لا يخاف في الحق - الذي يؤمن به - لومة لائم ، أو نقد ناقد ، أو تحامل جاهل

فكيف إذن نوفق يا أستاذ بين هذا وذاك ؟ ؟

وكيف نفسر عدم إجابتكم لرغبتنا الشديدة في نشر مقالتكم الخطيرة القيمة عن « نهج البلاغة » ، في مجلة العروبة والإسلام المفضلة « الرسالة » الغراء ؟ ؟

لعلنا نحظى بالجواب ...

مشكور الاسدي

عضو جمعية الرابطة العلمية الأدبية في النجف الأشرف

« وحي الرسالة » في رأي سيدة فاضلة

سيدي حضرة الكاتب الألمعي الأكبر الأستاذ الزيات :

كبرت مكانتكم الأبوية في نفسي ، فهي لك فيها ولاء وعلى لساني دعاء ... وبعد ، فقد خرج سفرك القيم ، وقرأه كل المعجبين به وبك إلا التي كان يجب أن تكون أول من تقرؤه ، ولكن حظي السعيد أبي حرماني التمتع بحكمه البليغة ، فقرأت منه ما قرأت ، وإذا بي بين « وحي الرسالة » ، وقد جاء طرفة هي في معانيها طرف عدة وتحفة في مجاليها تزداد على الزمن طرافة وجدة . وإذا به خرج مخرج صدق في هذه الفترة التي ندر فيها من يعالج أدبنا واجتماعياتنا ، وفتر وحي القرائح الخصيبة في دقائقها ، وشحت الملكات المجيبة بأسرارها ، فكان كالمنبهة لأهل البصر بهما معاً ، والحذاقة فيهما أن يشحذوا هممهم من كلالها ، ويبرئوا ذممهم من تبعة إهمالها ، ويدأبوا دأبهم على خدمتهما ، تارة بالتأليف يراجعون به ما انقطع ، وأخرى بابتكار الجديد من عوامل النهضة بهما

وقصارى القول أنك فيه لم تدع غاية في التحقيق إلا ابتكرتها ، ولا نهاية في التدقيق إلا استبقتها

ولقد عبرت كتابك هذا عبرة ، وجمته لفظاً ومعنى بنظرة ، فإذا لمحات من التحقيق لفن الذوق الأدبي تطبع على غراره الملكات فيكون فيها بلاغة فوق البلاغة ، وبياناً أسمى من البيان فلك الشكر المثنى كفاء ما جهدت في عملك ، والله المسئول أن ينفع به قارئيه ويكثر في المؤلفين من أمثالك بمنه وبمنه وتوفيقه والسلام ...

المخلصة

وداد صادق عنبر

ذكرى الشاعر المصري اسماعيل صبري باشا

فكر قسم المحاضرات بجماعة الإخوان المسلمين بالمنصورة أن يحيي ذكرى الشاعر المصري الجليل « أستاذ الشعراء » المرحوم إسماعيل صبري باشا بمناسبة ذكرى وفاته في مارس سنة ١٩٢٣

ورغبة في أن يكون للحفل من الجلال : بما يتناسب مع عظم الفقيد المعظم لهذا نتوجه إلى أبناء الدقهلية عموماً وشعرائها وأهل العلم والفضل فيها أن يكتبوا باسم « الأستاذ ابراهيم عبد الوهاب » الإخوان المسلمين . المنصورة . بما تجود به قرائحهم من قصائد أو بحوث أو أفكار ليتسنى للجنة التي ستجتمع بعد خمسة عشر يوماً أن تقرر منهج الحفل وموعده ثم ندعو حضرات الأدباء والشعراء لإلقاء كلماتهم

ولنا كبير الأمل أن نجد للربيع الذي نستقبله والذي كان الشاعر الفقيد خير لسان له الأثر المرجو .

والله أكبر ولله الحمد .



يوم الاثنين أول ابريل

إفتتاح الموسم

معرض الواردات الحديثة

شيكوريل

الكتب

نشـــأة النحو

تأليف الأستاذ محمد الطنطاوى

بقلم الأستاذ محمود مصطفى

هذا أول كتاب من نوعه فيما أعلم ؛ إذ قد جرت العادة فى الكتب التى تؤرخ فيها العلوم والآداب ، أن يشغل الحديث فيها عن كل فن أو علم بضع صفحات يلم فيها المؤلف بمجمل من تاريخ ذلك العلم أو الفن . فأما أن يملأ الحديث عن علم واحد كتاباً تصل صفحاته إلى الخمسين بعد المائة من القطع الكبير فذلك ما لم نعهده قبل أن يخرج إلينا الأستاذ الجليل والعالم المفضال صاحب الفضيلة الشيخ محمد الطنطاوى المدرس بكلية اللغة العربية كتابه « نشأة النحو »

والحق أن هذه التسمية « نشأة النحو » تسمية يتجلى فيها التواضع العلمى تمام التجلى فالكتاب ليس عن نشأة النحو فحسب ولكنه يتناول نشأته ودروجه ثم شبابه وكهولته ثم شيخوخته وهرمه وليس ذلك فى قطر واحد من الأقطار العربية ، بل هو حديث مفصل من كل هذه الأطوار فى كل قطر من الأقطار . حديث يتناول المذاهب واختلافها وأسباب نشوئها وعلل تمايزها وبنوه بالأعلام من رجالها وما كان لهم من آثار بارزة فى خدمة علمهم وتجلية غامضه وتسهيل سبله

قد يتناول الباحث فى تاريخ العلوم والآداب دراسة علم أو فن لم يدرسه دراسة وافية مستوعبة ولم يكن له به صلة وثيقة ، فيكون همه جمع ما كتبه الكاتبون من ذلك العلم وترتيب أقوالهم بما يملك من قدرة على التقسيم والتبويب ، فيخرج عمله معجباً من يطلع عليه ، مرضياً من يريد الوقوف على تدرج هـذا العلم وتسلسل أطواره ، ولكنه مع ذلك لا يستطيع أن يكشف عن أسرار العلم كما يكشف عنها عالم مارسه ودرس كتبه وألم بمسائله وأطال مناقشتها ووازن بين أقوال العلماء فيها ، وتكونت له ملكة الحكم وبيان الصحيح الجيد من الزائف البهرج . وذلك شأن مؤلفنا الفاضل فى هذا الكتاب . فهو إذا وازن بين قولين رأيت الحجة فى قوله واضحة المحجة ، والبرهان يدعم البرهان؛ كالبنيان يشد البنيان . وكذلك من فضل العالم الذى يؤلف لعلمه أن ترى أثر الاجتهاد ظاهراً فى بحثه فهو يضيف إلى أقوال السابقين ما يصبح مادة جديدة فى البحث، والفضل فى ذلك راجع إلى هداية الفكر الصائب والذهن الواعى لمسائل العلم ومباحثه المتشعبة

وفى هذا الكتاب نجد الأستاذ الطنطاوى ظاهراً موازياً تمام الموازاة لآثار السلف الذين نذكر لهم صنيعهم بالشكر ، فقد ذكر المؤلف حفظه الله كثيراً من مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين وتلك مسألة ألف القدماء فيها الكتب وأحصوا فيها كل ما كان من ذلك بين أهل المذهبين ، ولكن المؤلف حفظه الله لم يشأ أن يكون ناقلاً فحسب بل إنه وازن بين المذهبين وكانت له بينهما جولة رجح فيها بحق مذهب البصريين على الكوفيين داعماً قوله بالشواهد الصحيحة والعلل المقولة فكان الناقد الألمعى والحكم الرضى . كذلك تراه يعرض لأثر البغداديين أو المغاربة فى علم النحو فيجمع من آرائهم التى اشتغلوا بها، ما تفرق فى ثنايا الكتب مما لم يعن أحد قبل الشيخ الطنطاوى بجمعه وضم شتاته ، فهذا مظهر من مظاهر الاستقلال فى التأليف نذكره لصديقنا بالإعجاب الفائق

وبعد فكتاب (نشأة النحو) سجل واف لتاريخ هذا العلم منذ فكر فى وضعه الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه إلى أن انتهى المتأخرون من تنسيقه وتبويبه فلم يتركوا بعدهم مجالاً لقائل إلا أن يكون فى مثل فضل الأستاذ الطنطاوى الذى أرخ لدولة النحو من بدئها إلى ختامها تاريخاً لم يغادر من أمرها صغيراً ولا كبيراً إلا أحصاه ، فالله يتولاه ، ويمنحه على هذا الجهد المشكور أتم رضاه وأجزل نعماه .

محمود مصطفى

المدرس فى كلية اللغة العربية

8me Année No. 353

Lundi - 8 - 4 - 1940

بدل الاشتراك عن سنة

مـ	
٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٥٣ « القاهرة فى يوم الاثنين ٣٠ صفر سنة ١٣٥٩ — الموافق ٨ أبريل سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهـــرس

خواطر يثيرها ســـائل

للأستاذ عبد المنعم خلاف

الى السائل المجهول فى بيروت

أحسب أن ما عندك من العلم والرأى كفيل أن يردك إلى الاطمئنان متى حرصت على أن ترى دائماً بدهيات الحياة ولا تنساها ، وعلى ألا تترك النظرات الفلسفية الشاردة تقودك إلى الخروج عن حدود الواقع العملى الذى لا نرى غيره فى الحياة متسلطاً على عقول الناس .

إن النظرات الأولية للحياة ، هى التى تفرض علينا الإيمان ، فإذا جاوزناها ، لا بد أن يكون لنا من القدرة على الرجوع إليها ما يضمن لنا الاعتصام بصخرة النجاة والطمأنينة على الحياة وقيمتنا فيها .

وينبغى لرجل الفكر أن يتذكر دائماً أن إنكار وجود الله ، أو القيمة السامية لحياة الإنسان هنا ، أو المصير السامى لحياته الأخرى هناك : معناه تخبيل العقل وتشريده . ولئن كان فى الإثبات بعض الإشكال عند من لم يتصل بأصول الحياة ، ففى الإنكار كل الإشكال .

وأمامك فرصة من التسامح المطلق لتوازن بين فكرتى

الإثبات والإنكار ؛ وأنت مجرد من أى تأثير نحو إحداهما ، لترى النتائج العملية لكل منهما .

وعلى هذا ، هب أن كل ما فى نفسك من الإيمان تحول إلى كفر ونكران ، وكل ما فى خلقك من البراءة والطهر تحول إلى نجس وعهر ؛ أفتتخيل أنك واجد الطمأنينة والسعادة ووضوح الحياة بعد هذا التحول ؟ لا شك أن مثلك يجيب : كلا ... ذلك لأن الكفر المبنى على فكر ، ليس معه طمأنينة ولا استقرار على شىء ، بل هو فى ذاته كل القلق وكل الضياع الذى يجعل الإنسان فى الحياة كطائر فى قفص برى قضبانه محكمة متينة ، ومع ذلك يطفر ويحاول تحطيمها والانطلاق منها ، وليس له على ذلك طاقة ، « ولن نعجزه هرباً » .

فالإيمان ضرورة فكرية للراحة فى الحياة قبل أن يكون تقليداً موروثاً عن الأم والأب والبيئة . ثم إن حياة الإثم والانطلاق وراء الشهوات والآثام ليست مبعث سعادة عند ذوى الأفكار ولا عند الأغرار والسفهاء أنفسهم . واسألهم ينبئوك أنها ظمأ لا يرتوى . دع عنك عقابيلها من الأوجاع والضياع ؛ ولا يمكن للجماعة أن تقرها ، لا لأن الدين ينهى عنها بل لأن حياة الاجتماع تأباها وتعلن الحرب عليها بعد أن اختبرت نتائجها السيئة

فالدين لم ينزل بالفضيلة من السماء ، وإنما الاجتماع الإنسانى هو الذى قررها . ثم جاء الوحى فأقرها ، لأن الحسن والقبح عقليان يدركان بالعقل قبل الوحى ، ولذلك عبر القرآن عن الحسن والقبيح « بالمعروف » و « المنكر » أى ما يتعارفه الناس ، وما ينكرونه بطبائعهم العامة وأذواقهم المشتركة

ثم الواقع أن الخير الشخصى جزاؤه فيه والشر الشخصى جزاؤه فيه فى هذه الدنيا قبل الآخرة . وكذلك الخير الاجتماعى والشر الاجتماعى جزاؤهما معهما فى هذه الحياة إذا ما كان المجتمع حارساً متيقظاً لحقوقه وواجباته

هذا دفاع سلبى عن فكرة الإيمان بالله وفكرة الخير كأصل من أصول الحياة الاجتماعيـة . وقد سبق لى فى العام الماضى أن كتبت فى هذه المجلة سلسلة مقالات فى الإيمان كحقيقة من الحقائق العليا فى الحياة ، وعرضت فيها لكثير من القضايا والشبه التى تشغل بالك وأوردتها فى كتابك الأخير إلىّ ، فأرجو أن ترجع إليها فلعل ما فيها وما أنا بسبيله الآن يقع من قلبك الموقع المأمول

إن الذى عنانى أكثر من غيره مما أوردته فى كتابك هو شكك فى القيمة الساميـة للانسان ومحاولتك أن تجعل حياته كحياة النبات والحيوان والحشرات : ليست أكثر من ظواهر طبيعية ودورات أبدية تأتى بها أيام وتذهب بها أيام

ومعرفة قيمة الإنسان هى فى رأيى أول المعانى الدينية ؛ لأن الذى يذهل عن قيمة حياة الإنسان لا يمكن أن يتيقظ لشىء آخر . فلن يفكر فى الكون ولا خالقه . فالذى لا يسترعى انتباهه هذا الجسم المتحرك المريد الناطق المتنوع الفكر لا يمكن أن يتنبه للصمت المطلق والسكون المطلق والاطراد المطلق فى الطبيعة . ودع ما وراءها من العالم الخفى الذى لا يناله الإنسان بالحواس ...

وأسألك : هل رأيت نوعاً آخر متسلطاً على الأرض يغير أوضاعها ويتصرف فى موادها ويسخر قواها وينقح الطبيعة ، يزيد فيها وينقص منها ، متنوع المرافق متجدد الأفكار ، له حياة فكرية وقلبية تكاد تكون لا حدود لمظاهرها ؟

وهل رأيت غير الإنسان اخترع شيئاً يزيد عن ضرورات حفظ حياته ؟ هل رأيته يكتب تاريخه أو يتطلع لمستقبله ، أو يركب آلات معقدة ، أو يغنى أغانى مُفَنَّنَة ، أو يستخرج أصواتاً موسيقية من الجلد والخشب والمعادن ، أو يقيم أهراماً وعمارات ذات أرصاد وأوضاع محبوكة وفنون بارعة ؟

وهل رأيت نوعاً آخر اخترع طيارة وسيارة وراديو وتلغراف وتليفون وتلفزيون وغيرها وغيرها مما يصيد به الأصوات ويقتنص الأضواء والمسافات ؟

ثم هل رأيت نوعاً آخر يسكر « ويحشش » ويدخن « ويشم » ويقامر ويقيم مهازل ومساخر بذكاء ومهارة ؟ هل رأيت غيره يزارع ويتاجر ويضارب بعمليات اقتصادية معقدة غاية التعقيد ؟

هل رأيت غيره يحارب بآلات كلها إبداع وبراعة تكاد تجعلها عند المتطلعين لما يولد فى الكون من عجائب والمتوسمين لما فى حياة الإنسان من بدع ، فرجة من فرج القلوب تملى شأن الحروب ؟!

تخيل جميع الأساطيل الجوية والبحرية وجميع الجيوش البرية انطلقت فى الجو والبحر والبر ، يعبئها ويزجيها وينسقها الإنسان ذو الجمجمة العجيبة ... تملأ الأثير بلمعات فكره وومضات خواطره لتعلم أىُّ فن إلـهى هذا الإنسان المخلوق من ماء مهين !

[البقية على صفحة ٦٣٩]

عقيدة النازى المالية

للأستاذ عباس محمود العقاد

قرأت فى العدد السابق من الرسالة مقالاً عن عقيدة النازى المالية أو عن فلسفة النازيين فى علم الاقتصاد للأستاذ جواد على العراق « خريج جامعة هامبرك بألمانيا » فرأيت عرضاً صحيحاً لتلك الفلسفة من جانب واحد وهو الجانب الذى يكتبه النازيون ليبقى حبراً على ورق أو لينشروا به الدعوة ويكسبوا به الأنصار

ولهذا وجب أن نلم بتلك الفلسفة من جانبها العملى الواقعى تصحيحاً للآراء فيها وبياناً للحقيقة عن مقاصد أتباعها وأعمال المبشرين بها . فإن الجانب المكتوب والجانب المعمول من فلسفة النازيين الاقتصادية يختلفان كثيراً فيما هو حادث الآن ، بل يتناقضان كل التناقض فى أكثر الأحيان

مثال ذلك يقول الأستاذ جواد فى تلخيص بعض المبادئ النازية إنهم : « لإنقاذ الشعب والحكومة من عبودية الربا وجب تنظيم الأرباح على قاعدة الربح على قدر العمل، والقضاء على بيوتات البيع الكبرى والشركات الاحتكارية. وتقسيمها إلى محال صغيرة، فنحو مائة ألف إسكاف خير من وجود خمس شركات كبرى ، لأن من طبيعة المحال الكبرى الميل إلى الأرباح دون الالتفات إلى التحسين . . . أما التجارة الخارجية للشعب فيجب أن تشرف عليها الدولة كذلك وتحدد أسعارها . وتقوم بذلك الدول فيما بينها بعقد معاهدات تجارية حسب رغبات الدول وحاجاتها لا على قواعد علم الاقتصاد ومبادئ حرية التجارة أو المبادئ المالية الأخرى » .

هذا ما يقولون عن الأرباح ، وشركات الاحتكار . أما ما يعملون فهو تسليم شركات الاحتكار زمام التجارة والثروة فى جميع مرافق البلاد . فإن مديرى « الغرف الاقتصادية » المشرفين كذلك على فروع الصناعة والتجارة هم جميعاً من رجال الاحتكار المعدودين كالهر كارشر Herr Karcher مدير المصانع فى إقليم السار الذى اشتهر بالقسوة البالغة على العمال ، وكالمصرفى البارون فون شرودر Baron von Schroeder مدير غرفة أقاليم الرين ، وكالهر بيتزش Herr Pietzch مندوب الشركات الكيمية ومدير الغرفة الاقتصادية فى بافاريا . . . وقس على ذلك سائر المديرين

وقد أصدر النازيون قانوناً سموه قانون إصلاح السهوم Akiensrechtsreform أو حصص الشركات حرموا فيه بقاء الشركات التى يقل رأس مالها عن مائة ألف مارك بعد نهاية سنة ١٩٤٠، ولم يوجبوا التصفية على الشركات التى يبلغ رأس مالها خمسمائة ألف مارك بل أوجبوا على كل شركة تؤلف بعد التاريخ المحدود ألا يقل رأس مالها عن ذلك المقدار

وكان النازيون يقولون قبل ولاية الحكم إنهم سيضعون أيدى الحكومة على المصارف ، ويمنعون الاتجار بمناصب الإدارة فيها، فصنعوا نقيض ما دعوا إليه وباعوا المصارف مرة أخرى جميع الحصص التى كانت الحكومات السابقة قد اشترتها منها تدعيما لرؤوس أموالها ومساعدة لها على مقاومة الصدمات التى استهدفت لها فى أيام الكساد ، وهذا ماحدث فى مصرف الدينش Deutsche Bank ومصرف درسدنر Dresdner Bank ومصرف التجارة Commerz und Privat Bank وغيرها من المصارف الكبيرة والصغيرة .

وكان المستشار برونتج Bruning قد أعلن فى مرسوم الطوارئ الذى صدر فى الحادى والثلاثين من شهر اكتوبر سنة ١٩٣١ ضرورة النقص من مكافآت رجال الإدارة والرقابة على الشركات والمصارف . فلم يزد النازيون فى المادة الثامنة والسبعين من قانونهم على الوعد بأن تكون « المكافآت مناسبة للأعمال التى يؤديها المديرون والمراقبون » ثم اكتفوا بتحريم الاشتراك فى أكثر من عشرة مكاتب للشركات والهيئات الاقتصادية من جهة المبدأ ... ومعنى « من جهة المبدأ » هذه أن الاشتراك فى أكثر من عشرة مكاتب جائز من جهة الواقع . مع أنها لو حرمت الاشتراك فى أكثر من ذلك العدد تحريماً باتاً لما صنعت شيئاً فيما زعمته إصلاحاً تحتاج إليه تلك البلاد

وعلى خلاف ما أذاعوه عن مكافحة الاحتكار أصبح المحتكرون وهم مالكون لزمام التجارة الخارجية فى كثير من الأقطار . فعقد الهر أوتو ولف Herr Otto Wolff اتفاقاً مع حكومة منشوكيو

باسم المحتكرين للحديد فى ألمانيا الغربية يفرضون تلك الحكومة بموجبه مليونى جنيه ، ويشترطون عليها فيه أن تقصر الشراء عليهم دون سائر الشركات ، وكذلك انعقد الاتفاق بين مصانع كروب وبين اليابانيين على أمثال هذه الشروط

***

ويقول الأستاذ جواد: إن الهتلرية رأت «أن خير حل لمشكلة العمل والعمال هو الاعتراف بمبدأ الملكية الشخصية ورأس المال ، ولكنها ترى أن صاحب المال أو المعمل من جهة أخرى هو مدير لماله أو لمعمله ، أو قائد يتصرف به وفق الأنظمة والقوانين والطرق الشرعية الشريفة ... وكل من يحاول استغلال ماله عن طريق يخالف مبادئ النازية يكون نصيبه العقاب الصارم أو الإعدام .. »

وهذا أيضاً من الحبر على الورق الذى لا أثر له فى عالم الواقع . فقد سمعنا عن ألوف العمال الذين قتلوا بمحاكمة أو بغير محاكمة ، والذين أرسلوا إلى معسكرات الاعتقال أو حرموا العمل فى أنحاء البلاد كافة لأنهم يطالبون بحقوقهم أصحاب المصانع والشركات، ولكننا لم نسمع بصاحب مصنع واحد قتل أو أرسل إلى معسكرات الاعتقال أو أغلق مصنعه لأنه ظلم العمال أو حرمهم حصتهم من الربح والأجر المعقول

وقد ظل التفاوت عظيماً بين أرباح المديرين وبين جملة الأجور التى يعطاها العمال . فإن الهر كوتجن Herr Köttgen مدير شركة Siemens Shuckert يقبض وحده ثمانمائة ألف مارك فى السنة أجراً لإدارته، عدا الأرباح والمكافآت التى يتقاضاها عن الإدارات الأخرى. وفى مصرف التجارة السابق ذكره ستة مديرين يعطون تسعمائة وستة وخمسين ألف مارك فى السنة ، ولا يبالون تنقيص أجور العمال الصغار لزيادة الأرباح

واقترح بعضهم فى الشركة الأولى ، شركة Seimens أن توزع حصة من الأرباح على عمال الشركات من قبيل المكافأة لأن الأرباح العامة قد أربت فى تلك السنة — ١٩٣٧ — على عشرين مليون مارك ... فرفض النازيون الاقتراح

وقس على ما تقدم سائر المبادئ التى يدقون بها الطبول لإفهام العمال أنهم ينصفونهم ولا يحابون المحتكرين والمتجرين بالثقة فى الأسواق

***

أما التجارة الخارجية فكل ما صدقوا فيه من قواعدها النازية أنهم خرجوا على قواعد علم الاقتصاد ومبادئ حرية التجارة والمبادئ الاقتصادية الأخرى، وأداروها على النصب والغش الصريح

وهذه خلاصة السياسة الاقتصادية التى يعاملون بها الأمم الأجنبية :

يغرون تلك الأمم بمعاملتهم فيعرضون عليها أثماناً أغلى من الأثمان التى تبيع بها محصولاتها فى الأسواق الأخرى

ثم يأخذون تلك المحصولات فيعرضونها فى الأسواق بأثمان أرخص كثيراً من أثمانها التى اشتروها بها

ثم يعطون البدل مقايضة لا نقداً ولا عملة تشبه النقد فى السداد العاجل ، فيعرضون مصنوعاتهم وأدواتهم بدلاً من المحصولات الزراعية التى هم فى حاجة إليها

ثم يتحكمون فى الأمم التى اشتروا منها تلك المحصولات الزراعية فلا يعرضون عليها إلا المصنوعات التى يستغنون عنها ولا حيلة لها فى رفضها ، لأنها لا تعرف وسيلة غير هذه الوسيلة للوصول إلى حقوقها

فماذا تكون النتيجة ؟

تكون النتيجة أن الأمم التى تعاملهم تخسر « عملاءها » الأولين لأنهم يشترون محصولاتها من النازيين بأرخص من الأثمان التى يشترونها بها منها

وتكون النتيجة أن الأمم تضطر إلى قبول مصنوعات لا تحتاج إليها . ثم تقبلها شيئاً فشيئاً بأثمان أغلى من أثمانها بعد أن تصبح مضطرة إلى البيع للنازيين والشراء من النازيين دون سائر « العملاء » الآخرين

وقد يُسمّى هذا الأسلوب اختراعاً أو فلسفة أو مهارة كما يشاء السماسرة النازيون المعجبون بأمثال هذه الأساليب

لكن الواقع أنه هو أسلوب التجار المجازفين اليائسين من قديم الزمان ، وعندنا يقول العامة عمن يباشر هذه المراوغات فى التجارة والمبادلة « إنه يلبس طاقية هذا لذاك » ، وإنه يعطى بالشمال ويأخذ باليمين . ولو سلك تاجر مثل هذا المسلك فى مدينة من المدن لضاع شرفه وضاعت سمعته بعد أشهر معدودات

***

بابر

للدكتور عبد الوهاب عزام

— ١ —

لقد أعقب موت تيمورلنك عصراً من الاضطراب السياسي في إيران وما وراء النهر. وقد استطاع ابنه شاه رخ أن يثبت سلطانه على معظم ملك أبيه، ويكبح الثائرين من أقاربه. فلما توفى سنة ٨٥٠، عم النزاع، واشتد الاضطراب، حتى نشأت الدولة الصفوية، فكان انتصار الشاه اسماعيل في موقعة شرور سنة ٩٠٧ بعد قرن كامل من وفاة تيمور فاتحة حروب مظفرة مدّت سلطان اسماعيل إلى أفغانستان ونهر جيحون، فشمل هذه البلاد سلطان واحد.

ولقد كان لبني تيمور على ما كان بينهم من حروب، وعلى قصر زمان كثير منهم، أثر محمود في الفنون والآداب، وقد نبغ منهم جماعة من ذوي الآثار الواضحة في ذلك العصر مثل شاه رخ وألوغ بك، والسلطان أبي سعيد، والسلطان حسين ميرزا.

— ٢ —

ونتكلم الآن في سيرة عبقري من سلالة تيمور تقلبت به غير الدهر بين هزيمة وانتصار، ونجاح وخيبة، فكشفت عن خلال من الهمة والطموح والشجاعة والصبر، انتهت به إلى إقامة دولة من أعظم الدول التي عرفها تاريخ الإسلام، وبقيت سيرته في صفحات التاريخ عبرة لذوي الهمم، ومثلاً لأصحاب النفوس الكبيرة.

ذلكم محمد ظهير الدين بابر الذي يصل نسبه بتيمور أربعة آباء: بابر بن عمر بن أبي سعيد بن محمد بن ميرانشاه بن تيمور.

ويمتاز هذا الرجل العظيم بأنه ترك للتاريخ سيرته مفصلة بينة مصورة صورة صادقة طبيعية بعيدة من التكلف والرياء في كتابه « بابر نامه » الذي سنذكره من بعد، ولست أعرف بين العظماء رجلاً كتب سيرته بيده في بيان مسهب ممتع طبيعي صريح كما فعل بابر.

— ٣ —

كان أبوه عمر شيخ أميراً على فرغانة تولاها سنة ٨٧٠ من قبل أبيه السلطان أبي سعيد؛ واستمر أميراً عليها بعد وفاة أبيه إلى أن توفى سنة ٨٩٩. وهنا نستمع حديث بابر عن أبيه في « بابر نامه »:

« كان حنفي المذهب، صحيح العقيدة، مواظباً على الصلوات في أوقاتها. قد قضى جميع ما فاته من الصلوات، وكان يديم تلاوة القرآن، وكان من مريدي الشيخ عبدالله — وهو المعروف بخواجه احرار — يحرص على صحبته والتبرك به، ويدعوه الشيخ ابنه

« وكان يحب الأدب، قرأ منظومات: نظامي والمثنوي والشاهنامه، وكتباً في التاريخ؛ وكان قادراً على نظم الشعر، ولكنه لم يحفل به

« وكان عادلاً يتبين حبه للعدل من هذه الواقعة: بغتت عاصفة شديدة من الثلج قافلة آتية من بلاد الخطا على سفوح الجبال شرقي أندجان. فلم ينج من ألف رجل إلا رجلان فلما بلغه الخبر بعث رجالاً أحرزوا أموال القافلة وأتوا بها لحفظها لأهلها مع احتياجه إلى المال. فلما عرف ورثتهم بعد سنة أو سنتين دعاهم وسلم إليهم أموالهم

« وكان سخياً حسن الخلق فصيح الكلام حلوه، شجاعاً باسلاً يحسن الضرب بالسيف، وكان وسطاً في الرمي بالسهام شديد اللكم لا يثبت للكمته مصارع » إلى أن يقول: « وكان يكثر من الخمر

نحن في الشرق نسمع كثيراً عن فلسفة النازيين في الاقتصاد، وفلسفة النازيين في التربية، وفلسفة النازيين في السياسة، وفلسفة النازيين في القوانين وغير القوانين

ومن الواجب أن نسمع كثيراً عن جميع أولئك على شريطة أن نسمع كل شيء وأن نحيط بكل جانب وأن نسمع الجعجعة ونحاول أن نرى الطحن الذي وراءها

وعندئذ نعرف الحقيقة ونعلم أنها جعجعة ولا طحن في كل شيء وفي كل مضمار

ونفهم أن « النازية » أكذوبة كبيرة حشوها الغش والخداع والأعراض الزائلة والتهويش الذي ينخدع به الأغرار ولا يجوز على أحد من المنصفين

عباس محمود العقاد

ولكنه اقتصد من بعد فكانت مجالس أنسه يوماً أو يومين في الأسبوع الخ ... »

ويقول : « كان عمر شيخ مرزا قصير القامة مستدير اللحية بدينا ممتلىء الوجه يلبس ثوباً ضيقاً جداً فإذا شد أربطته ضغط على بطنه وكثيراً ما تقطعت الأربطة بعد أن يشدها ، وكان لا يتكلف في ملبسه ومأكله ، يلف عمامته لفة واحدة ، وكانت العمائم إذ ذاك أربع لفات وكان يلفها دون طيّ ويترك لها عذبة . ويلبس في أكثر أوقات الصيف خارج الديوان قلنسوة مغولية »

ويقول عن أمه إنها من بنات يونس خان وهو من ذرية جغتاي بن جنكيز . وبعد أن يتكلم عن نسب يونس خان وسيرته يذكر أولاده واحداً واحداً إلى أن يقول : « وكانت بنت يونس خان الثانية أمي قتلق نكار ، وقد رافقتني أكثر أيام كفاحي ومحني وتوفيت رحمها الله عام ٩١١ بعد استيلائي على كابل بخمسة أشهر أو ستة »

ويذكر أولاد أبيه فيقول : « ترك ثلاثة بنين وخمس بنات ، وكنت أنا ظهير الدين محمد بابر أكبر أبنائه وأمي تدعى قتلق نكار »

— ٤ —

مات عمر شيخ سنة ٨٩٩ هـ فورث ابنه بابر ملك فرغانة ، وهي ولاية على نهر سيحون وكانت سنه إذ ذاك اثنتي عشرة سنة ومن الممتع أن نقرأ في بابرنامه الفصل الأول الذي يفتتحه بابر بقوله :

« في شهر رمضان من سنة ٨٩٩ وفي الثانية عشرة من عمري صرت ملكاً على فرغانة وهي من الإقليم الخامس في طرف المعمورة تحدها كشغر من الشرق وسمرقند من الغرب وجبال تبرخشان من الجنوب ، وكان في شمالها مدن عظيمة . (ثم يفيض في ذكر مدن فرغانة وأنهارها وحيوانها ونباتها)

لم يكن ملك فرغانة ميسراً لبابر ، فقد مرت عليه أحداث عظيمة لم يستقر فيها ملكه إلى أن أخرج منه طريداً بعد عشر سنين من موت أبيه

طمع أعمامه في ملكه أول الأمر وحاولوا أن يغصبوه عرش فرغانة ، فلم يبلغوا ما أملوا

يقول بابر : « لما توفي عمر شيخ مرزا فجأة كنت في جهارباغ في أندجان

« ويوم الثلاثاء ١٥ رمضان جاء الخبر مدينة أندجان فركبت جوادي على عجل وصرت إلى القلعة فيمن كانوا في خدمتي فلما بلغت باب مرزا أمسك (شيريم قفاي) بعنان الفرس، وسار إلى المصلى (نمازكاه) وكان قد خشي أن يأتي السلطان أحمد مرزا في جيوشه الكثيرة فيسلمني الأمراء إليه مع المملكة ، وأراد أن يذهب بي إلى أزكند على سفح جبل آلاتاغ ، فإذا سلّم الأمراء الولاية للسلطان أحمد نجوت أنا وذهبت إلى آلاجه خان أو السلطان محمود خان من إخواني »

كان هم بابر منذ ورث ملك فرغانة أن يستولي على سمرقند ليكون خليفة جده تيمور في دار ملكه . فما زال حتى فتح سمرقند سنة ٩٠٣ هـ (١٤٩٧م) ثم ثار بعض الكبراء في فرغانة فأخرجوها من سلطانه ، فخرج ليردها إلى حكمه فخذلته جيوشه ففقد سمرقند أيضاً ولكنه استطاع أن يسترد فرغانة وسمرقند بعد جهاد ومحن

ولم يستقر له الأمر طويلاً فقد أخرجه الأزبك من سمرقند ، وفرغانة معاً سنة ٩٠٦ هـ فبقي بابر سنين ثلاثاً يطوف في البلاد ويحاول استرجاع ملكه؛ وهو يحدث أنه هزم مرة ففر في ثمانية من أنصاره وتعقبهم العدو وأعيت الخيل ، فتخلف بعض رفاقه ، وبقي معه اثنان، فلما أعيا فرسه نزل له أحد الرفيقين عن فرسه ، فسار حتى أعيا الفرس الثاني ، فقدم إليه الرفيق الأخير حصانه ، وسار وحده ووراءه اثنان من الأعداء حتى جن الظلام ، فترجل وأوى إلى صخرة ليعتصم بها ويرمي من يتعقبه بالنبال. وذلك مثل مما مر بهذا الرجل الشجاع الصبور

ولا بد لمثل بابر أن يكون ملكاً ، فلما عجز عن استرجاع فرغانة وسمرقند عزم على أن يختط بالسيف مملكة أخرى، فما كان له بد من أن يكون ملكاً طوعاً أو كرهاً ، فها هو ذا يجتاز جبال هندكوش الثلجية ويفتح كابل ثم يمد سلطانه في أرجاء أفغانستان

بابر اليوم ملك مسلط على أقاليم من أفغانستان ولكن همته تحاول ملكاً أعظم ، وعزمه لا يقر بالعجز عن استرجاع عرش آبائه فيما وراء النهر . وها هو ذا السلطان اسماعيل الصفوي يطوي الأرض من أذربيجان إلى أفغانستان فيحالف بابر اسماعيل الصفوي على عدوه من الأزبك

سار بابر إلى سمرقند سنة ٩١٤ فأخذها ولكنه أخرج منها بعد حين وهزم هزيمة شنيعة أبلغته كابل بعد أن أشفى على الهلاك

يئس بابر من سمرقند بعد هذه الخطوب أو كاد ييأس منها فنالها اليوم بعيد . فماذا يفعل ؟ أيقنع بما ملك من أفغانستان ويرتقب الحوادث لعلها تتيح له فرصة ، أم يقهر الحوادث على الخضوع لمشيئته ويوسع سلطانه فى أرض الله الواسعة ؟

كانت جيوش بابر تشرق إلى حدود الهند أحياناً فما الذى يمنعه أن يحاول ملكا عظيما فى هذه الأرض العظيمة ؟

غزا الملك الطموح أطراف الهند سنة ٩٢٥ هـ (١٥١٩ م) واستولى على بعض الأقاليم ثم رجع إلى كابل فانتقضت عليه الأرض التى فتحها ، ولكن هذه الغارة مدت عينيه إلى هذه الأرض الغنية الواسعة

— ٥ —

كان السلطان فى دهلى إذ ذاك إبراهيم اللورى الأفغانى الأصل استولت عليها أسرته سنة ٨٥٥ . وكان إبراهيم ولوعاً بأبهة الملك يريد أن يخضع رؤساء الأفغان لآداب وسنن لم يألفوها . كان يلزمهم أن يقفوا فى حضرته صامتين مطرقين، فسخطوا عليه واجتمع بعضهم على أخيه جلال يحاول أن يقاسم إبراهيم الملك ، وثار آخرون فقابل إبراهيم ثورتهم بالشدة والقسوة ، وقتل بعض زعمائهم ، وتعاقبت الثورات فى أرجاء المملكة حتى وفد عمه علاء الدين إلى كابل يلتمس عوناً من بابر على ابن أخيه ؛ وتلك هى الفرصة التى لا يضيعها بابر ، والأمنية التى كان يتمناها والمغامرة التى يميل إليها وينشط لها ، وكان محبًّا المخاطرة والمغامرة

أسرع إلى انتهاز الفرصة حتى بلغ لاهور فإذا جيوش دهلى قد انتصرت على (الثائر دولت خان) ، فقلب بابر انتصارهم هزيمة وتعقبهم فى شوارع لاهور ، ثم أسرع ففتح ديبل بور وترك علاء الدين اللورى فيها ورجع إلى كابل

وفى سنة ٩٣١ (١٥٢٥ م) رجع بجيوشه إلى الهند وقد أعد لها عدته فلقيه (الثائر دولت خان) محارباً، وكان قد أوهمه أنه سيؤيده ، ولكن جنده تفرقوا حينما اقترب بابر . وتقدمت جيوش كابل للقاء جيوش دهلى . وكان السلطان إبراهيم خرج للحرب فى مائة ألف مقاتل ومائة فيل . وجعل بابر مدينة بانيبات إلى يمينه وجعل على يساره خنادق وحواجز من الأشجار ، ووضع أمام جيشه عربات المدافع مشدوداً بعضها إلى بعض وجعل بينها فرجاً تتسع الواحدة منها لمرور مائة فارس ورتب جيوشه خلفها ، ووقف إلى أقصى اليسار وأقصى اليمين سرايا من المغول للمفاجأة حين الحاجة

وفى ليلة الثامن من رجب سنة ٩٣٢ (٢١ ابريل سنة ١٥٢٦) فاجأ بابر جيش السلطان ابراهيم فلم يفلح غير أنه أخرج عدوه من معسكره ، وعند الفجر تحركت جيوش ابراهيم فهجموا دون تلبث، وحسب بابر أنهم يقصدون جناحه الأيمن فأمده، ولما جاءت الجيوش الهاجمة إلى الخنادق والحواجز وصف العربات المشدودة ترددوا وضغطتهم الجماعات إلى ورائهم. فاضطرب أمرهم، فانتهز بابر الفرصة وأرسل سرايا المغول من الفجوات التى بين العربات فداروا حول العدو وشرعوا يرمونه من الخلف ، ووقف بابر كالصقر يرقب المعركة، فلما تقدمت جماعة من ميسرته على غير حذر فزلزلهم العدو سارع إلى إمدادهم، ولما اشتد ضغط العدو على ميمنته أسرع إلى إمدادهم أيضاً ، وكان الأستاذ على رئيس الدفعية فى مقدمة الجيش ناشطاً موفقاً فى عمله

وانجلت المعركة عن السلطان ابراهيم قتيلاً بين خمسة عشر ألفاً من جنده .

يقول بابر : « كانت الشمس قد ارتفعت حينما بدأ الهجوم واستمرت المعركة إلى الظهر فكانت هزيمة العدو ، وتم انتصارنا ويسر الله العظيم لى هذه المصاعب ومحق هذا الجيش الكبير فى نصف يوم »

وغنم فى هذه الموقعة وبعدها من الذهب والجوهر والسلاح والخيل ما لا يحصى ففرقه بابر غير ضنين به ولم يحرص على ادخاره

وبادر بابر فأرسل سريتين فاحتلتا دهلى وأكراز ، وفى يوم الجمعة ١٤ رجب سنة ٩٣٢ خطب لبابر فى جامع دهلى فبدأ فى الهند تاريخ الدولة الإسلامية العظيمة التى سيطرت على الهند كلها حيناً وبقى سلطانها فى تلك البلاد إلى سنة (١٢٧٥ هـ — ١٨٥٨ م)

(البقية فى العدد القادم)

عبد الوهاب عزام

في الاجتماع اللغوى

نشأة اللغـــة الانسانية

للدكتور على عبد الواحد وافى

تمهيد فى أنواع التعبير الانسانى

للتعبير الإنسانى طرق كثيرة يرجع أهمها إلى قسمين رئيسيين

القسم الأول : التعبير الطبيعى عن الانفعالات ، ويشمل جميع الأمور الفطرية غير المقصودة التى تصحب مختلف الانفعالات السارة والأليمة : كالصراخ ، والضحك ، والبكاء ، وتفتح الأسارير وانقباضها ، واتساع الحدقة ، وإغماض العينين ، واحمرار الوجه واصفراره ، ووقوف شعر الرأس ، وارتعاد الجسم ... وما إلى ذلك من الظواهر الفطرية التى تبدو بشكل غير إرادى فى حالات الفرح والحزن والألم والخوف والخجل والاشمئزاز ... وما إليها ، والتى تعبر عن قيام حالة وجدانية خاصة بالشخص الصادرة عنه

وتنقسم هذه التعبيرات من حيث الحاسة التى ندركها عن طريقها إلى نوعين :

١ — تعبيرات بصرية ، أى تصل عن طريق البصر كالحمرة والصفرة والرعشة وانقباض الأسارير وانبساطها واتساع الحدقة وإغماض العين ووقوف شعر الرأس والعدْو ... وما إلى ذلك من الظواهر الجسمية التى تصحب مختلف الانفعالات

٢ — تعبيرات سمعية ، أى تصل عن طريق حاسة السمع ، كالضحك والبكاء والصراخ . وما إلى ذلك من الظواهر الصوتية الفطرية التى تصحب حالات الفرح والألم والحزن والسرور ... وهلم جرا ، ويتألف هذا النوع من أصوات مبهمة (تشبه أصوات الحيوان وأصوات مظاهر الطبيعة) وأصوات لين (حروف مد) مختلطة أحياناً ببعض أصوات ذات مقاطع (حروف ساكنة)

(القسم الثانى) : التعبير الإرادى عن المعانى ، ويشمل جميع الوسائل المكتسبة التى يستخدمها الإنسان بشكل إرادى للتعبير عن المعانى والمدركات . فهذا القسم يختلف عن القسم السابق فى منشئه وطرق استخدامه وما يعبر عنه . فهو كسبي فى منشئه ، إرادى فى استخدامه ، معبر عن معان ومدركات ؛ على حين أن القسم الأول فطرى النشأة ، يصدر بشكل غير إرادى ، ويعبر عن تلبس الشخص بحالة وجدانية انفعالية .

وتنقسم هذه الطائفة من التعبيرات ، من حيث الحاسة التى ندركها عن طريقها ، إلى نوعين مشابهين لنوعى الطائفة الأولى : أحدهما التعبيرات الإرادية البصرية ، وثانيهما التعبيرات الإرادية السمعية :

١ — أما التعبيرات الإرادية البصرية ، فهى التى تصل عن طريق حاسة النظر ، وتشمل جميع الإشارات الحسية التى تستخدم بقصد الدلالة . وهى على ضربين :

(أحدهما) إشارات مساعدة ونائبة ، أى تساعد لغة الكلام أو تنوب عنها فى حالات خاصة أو لضرورة ما .

فمن هذه الطائفة الإشارات البحرية ، وهى التى يستخدمها عن بعد بحارة سفينة مع بحارة سفينة أخرى ، وهى إشارات دولية معروفة لجميع البحارة وتدرس فى مدارس البحرية .

ومنها كذلك إشارات الصيد وهى التى يستخدمها الصيادون بعضهم مع بعض ، حتى لا يسمع صوتهم الحيوان الطارد .

ومنها الحركات اليدوية والجسمية التى يستخدمها الصم البكم للتعبير عما يجول بخواطرهم .

ومنها الإشارات التى يلجأ إليها الفرد أحياناً للتعبير إذا كان المخاطب لا يفهم لغته ؛ والتى جرت العادة فى بعض الأمم الأولية أن يستخدمها أفراد العشائر المختلفة اللهجات بعضهم مع بعض . وقد عثر علماء الاجتماع والإتنوجرافيا على شواهد كثيرة من هذه الظاهرة عند كثير من عشائر السكان الأصليين لأمريكا واستراليا وعند بعض القبائل الإفريقية . فقد روى الأستاذ كوهل Kohl أنه إذا التقى أحد الهنود الحمر (السكان الأصليين لقسم من أمريكا الشمالية) بآخر من غـير عشيرته ، مختلف عنه فى لغته ، فإنهما يلجآن فى تعبيرهما إلى لغة الإشارات التى تنزلها هذه العشائر منزلة لغة دولية . وقد مهر الهنود الحمر فى هذه اللغة أيما مهارة . ففى إمكان المتخاطبين أن يظلا يوماً كاملاً يتحادثان عن طريق الإشارات باليـد والأصابع والرجلين ، وأن يقص كل منهما

على الآخر كل ما يود قصه عليه[١]

ومنها الإشارات التي تستخدم في بعض الشعوب في حالات الصيام الديني عن الكلام . وهذا النوع من الصيام متبع عند كثير من الأمم الأولية وبخاصة عند السكان الأصليين لاستراليا وأمريكا . فقد ذكر الأستاذان سبنسر وجيلين في كتابهما عن سكان استراليا الوسطى[٢] حالات كثيرة من هذا القبيل ، منها أن المتوفى عنها زوجها يجب عليها أن تظل مدة طويلة ، تبلغ أحياناً سنة كاملة صائمة عن الكلام . ويظهر أن شيئاً من هذا كان متبعاً عند اليهود ، بدليل قوله تعالى على لسان مريم : « إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسيًا ، فأشارت إليه ... الآية »

ومنها الحركات التي يستعين بها في أثناء حديثهم أهل اللغات الساذجة الناقصة لتكملة ما ينقص تعبيرهم وما يعوزه من دلالة . وقد لوحظ هذا في كثير من الأمم الأولية . فقد روى عن البوشيمان Boschimans (عشائر أولية تسكن بعض مناطق في أفريقيا الجنوبية) أنهم إذا أرادوا المحادثة ليلاً أشعلوا النار ليتمكنوا من رؤية الإشارات اليدوية التي تصحب كلامهم فتكمل ناقصه وتحدد مدلولاته[٣]

ومنها الإشارات التي تصحب حديثنا نحن لتوكيد المعاني ، أو لتمثيل الحقائق ، أو لزيادة التوضيح ؛ والتي نستخدمها وحدها للدلالة على الإيجاب والنفي والاستحسان وما إلى ذلك : كالإيماء بالرأس للتعبير عن القبول ، وتحريك السبابة حركة مستعرضة للتعبير عن الرفض أو النفي ، ومد الشفتين ووضع السبابة عليهما للأمر بالسكوت ... وهلم جرا

(وثانيهما) إشارات أصيلة عامة ، وهي التي يتكون منها لغة كاملة مستقلة تستخدم وحدها في جميع الشئون والظروف ... وقد استخدم هذا النوع من اللغات عند بعض الجماعات الإنسانية ولا يزال مستعملاً في بعض العشائر . فقد عثر في الأمم الأولية على جماعات كثيرة لا تكاد تستخدم في تعبيرها غير الإشارات اليدوية والجسمية . ومن هؤلاء بعض قبائل السكان الأصليين

---

(١) انظر لِفى برول : « الوظائف العقلية في الأمم الأولية » ص١٧٨ وتوابعها .Levy Bruhl : Fonctions Mentales ... etc, P.P. 178 et suiv

(٢) Spencer and Gillen : Native tribes of Central Australia

(٣) V. Ribot: L'Évolution des Idées Générales, P.78 et suiv.

لأمريكا واستراليا وبعض عشائر أفريقيا . ويطلق على هذا الضرب من التعبير اسم « لغة الإشارات » أو « الإشارات التحليلية » Gestes Analytiques[١] . وقد عني بدراسته عدد كبير من علماء الأنتوجرافيا والاجتماع من أشهرهم مولرى Mallery[٢] وتيلور Tylor[٣] وروماس Romanes[٤] ولوبوك Lubock[٥] وسبنسر وجيلين Spencer and Gillen[٦]، وليفي برول Levy Bruhl[٧] وريبو Ribot[٨] والدكتور فيشر الألماني Fischer[٩]

وقد صور الدكتور « فيشر » هذا النوع من اللغات وقربه إلى الأذهان إذ يقول :

إذا التقيت بأحد الهنود الحمر وأردت أن أخاطبه بلغة الإشارات لأسأله هل رأى ست عربات يجرها ثيران ويصحبها ستة سائقين منهم ثلاثة مكسيكيون وثلاثة أمريكيون وواحد ممتط صهوة جواده ، فإنني أشير إلى شخصه بيدي للدلالة على كلمة « أنت » ، ثم أشير إلى عينيه للدلالة على فعل « الرؤية » ، ثم أبسط أصابع يدي اليمنى وسبابة يدي اليسرى للدلالة على عدد « ستة » ، ثم أكوّن صورة دائرة بإلصاق نهايتي السبابتين والإبهامين إحداهما بالأخرى وأمد يديّ إلى الأمام وأحركهما كما تتحرك عجلات العربة وهي تسير للدلالة على « العربة » ، ثم أضع الكفين ممدودتين بجانب الجبهة ممثلاً قرن حيوان للدلالة على « الثور » ، ثم أمد ثلاثة أصابع من يدي اليسرى وأضع يدي اليمنى تحت شفتي السفلى وأنحدر بها إلى صدري ممثلاً اللحية للدلالة على « ثلاثة مكسيكيين » ، ثم أمد مرة ثانية ثلاثة أصابع وأمسح جبهتي بيدي من اليمين إلى الشمال ممثلاً وجهاً شاحباً

---

(١) صاحب هذه التسمية هو العلامة ريبو V. Ribot : Évolution des Idées Générales

(٢) انظر بحثه : Sign - Language among the North - American - Indians

(٣) انظر كتابه : Early History of Mankind

(٤) انظر كتابه : Mental Evolution In Man

(٥) انظر كتابه : The Origin of Civilisation

(٦) انظر كتابيهما : Native Tribes of Central Australia; Northern tribes of Central Australia

(٧) انظر كتبه : La Mentalité primitive; L'Ame primitive; Les Fonctions mentales dans les Sociétés primitives

(٨) انظر كتابه : Evolution des Idées générales

(٩) عني الدكتور فيشر في بحوث كثيرة بدراسة هذا النوع من اللغات عند عشائر أفريقيا الوسطى وعند السكان الأصليين لأمريكا

للدلالة على « ثلاثة أمريكيين » ، ثم أرفع إصبعاً واحداً وأضع بعد ذلك سبابة اليسرى بين سبابة اليمنى ووسطاها ممثلاً الراكب للدلالة على « رجل واحد راكب حصاناً »

وأضاف إلى ذلك أن الوقت الذي يقضيه أحد المتكلمين بهذه اللغة في أداء هذه الحركات لا يزيد كثيراً على الوقت الذي يستغرقه تعبيرنا نحن باللغة الكلامية عن هذه المعاني

وذكر الأستاذ تيلور Tylor بصدد هذه اللغة أن لها قواعد إشارية لربط أجزاء العبارة بعضها ببعض وترتيب عناصرها ؛ وأنها في مجموعها تكاد تكون متحدة عند جميع الشعوب التي تستخدمها ، فهي من هذه الناحية أشبه شيء بلغة دولية ، وأنه يمكن أحياناً التعبير بها عن حقائق دقيقة كعظات وضرب أمثال وقص حكايات ؛ وأنها في جلها ومعظم تفاصيلها تشبه لغة الصم ـ البكم . فقد جمع مولري بين رجل أصم ـ أبكم وطائفة من الهنود الحمر المتكلمين بلغة الإشارات ، فأخذ الأصم ـ الأبكم يقص عليهم بالإشارات قصة طويلة تتعلق بحادث سرقة ، وعقب على هذه القصة بتمليقات من عنده ، فلم يفتهم فهم أي حركة من حركاته ، لاتحادها مع حركاتهم اللغوية

وذهب العلامة « ريبو » إلى أنها قابلة للإصلاح والتهذيب ، وأنه لو طال استخدام الشعوب الإنسانية لها لسارت في سبيل الارتقاء ، ولأصابها كثير من أسباب التنقيح تحت تأثير الرقي العقلي ومطالب الحياة الاجتماعية ، واتساع حاجات الإنسان ، وأعمال المخترعين والعلماء . . وما إلى ذلك

غير أنه مهما ينلها من التهذيب فلن تخلو من مساوئها الذاتية ، فهي تستأثر باليد ، فتحول دون القيام بأي عمل آخر في أثناء التعبير . ويتوقف إدراكها على النظر ، فلا يمكن التعبير بها عن بعد ولا في الظلام وهي قائمة على تقليد الأشياء المحسة ، فلا تكاد تقوى على التعبير عن المعاني الكلية أو وصف المشاعر والوجدان هذا إلى أنها عارية عن الدقة في كثير من مظاهرها ، وأنها تقتضي إسرافاً كبيراً في الوقت والمجهود

٢ — وأما التعبيرات الإرادية السمعية ، فهي التي تصل عن طريق حاسة السمع ، وهي الأصوات المركبة ذات المقاطع التي تتألف منها الكلمات

وهذا النوع هو الذي تنصرف إليه كلمة « اللغة » إذا أطلقت وهو وحده الذي يهمنا في بحثنا . وإنما ذكرنا الأنواع الأخرى لاستيفاء مظاهر التعبير من جهة ، ولأننا قد نحتاج إليها من جهة أخرى في بيان نشأة هـذا النوع ، أو في ضرب الأمثال ، أو الموازنة ، أو مناقشة النظريات وتوضيحها . . . وما إلى ذلك من الأمور التي سنعرض لها ، بصدد نشأة اللغة ، في المقالات التالية إن شاء الله .

علي عبد الواحد وافي

ليسانسيه ودكتور في الآداب من جامعة السربون

أفانين

أبو النجم الرجاز وهشام بن عبـــد الملك

للأستاذ على الجندى

فى عصر بنى أمية لمت أسماء ثلاثة من الرُّجاز ، زاحموا الشعراء بالمناكب على أبواب الخلفاء والولاة ، وقاسموهم جزيل الصِّلات وسنىّ الهبات ، بل أكرهوهم على أن ينظروا إليهم بعين التجلة والإكبار ، ويروا فيهم منافسين يخشى بأسهم ، وترهب صولتهم ، فاضطروا إلى مجاراتهم فى هذا الفن الناهض ، ليفوزوا بالحسنيين ، فكان جرير والفرزدق من الشعراء الرجاز

هؤلاء الثلاثة الذين سموْا بالرجز من الحضيض إلى الذروة ، واستنقذوا أهله من الخمول والضّعة : هم : العجّاج التميمىّ وابنه رُؤبة ، وأبو النجم العِجْلى ، وفيهم يقول أبو عبيدة : ما زالت الشعراء تقصر بالرجاز حتى قال أبو النجم :

الحمد لله[1] العلى الأجلل

وقال العجاج : قد جبر[2] الدين الإلـه فجبرْ

وقال رؤبة : وقاتم الأعماق خاوى المخترق

فانتصفوا منهم !

لم يكن للرجز فى الجاهلية نباهة شأن ، فقد كان البدوى يصوغ منه بضعة مشطورات فى الحرب والمفاخرة والسِّباب ، أو يرسلها فى غرض تافه كوصف ظبى أو ظلم أو ثور وحشى ، حتى جاء شيخ الرجاز وأرصنهم قولاً : الأغلب[3] العجلى من المخضرمين ؟ فأطاله قليلاً على عهد الرسالة ، فكان مثله فى الرجاز مثل المهلهل التغلبى فى الشعراء

(١) عددها ١٩١ شـطراً وهى أرجوزة نادرة نشرت على طولها فى مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق ٨ : ٤٧٢ — ٤٧٩ سنة ١٩٢٨ م (هامش خزانة الأدب ٢ — ٢٤٠ طبع المكتبة السلفيه وإدارة الطباعة المنيرية) .

(٢) تقع فى مائتى بيت وقوافيها موقوفة مقيدة ، ولو أطلقت وساعد فيها الوزن لـكانت منصوبة كلها (العمدة ١ : ٥٦)

(٣) أدرك الاسلام وأسلم واستشهد فى وقعة نهاوند

ولـكن فى هـذا العهد ـ عهد بنى أمية ـ وثب الرجز وثبة قوية موفقة ، فبارى الشعر فى جُلّ خصائصه كما بارته الرسائل الأدبية فى أواسط العصر العباسى ، فاستعمل فى المدح والهجاء والفخر والرثاء ، وذكر الديار والظعائن ، والوقوف على الأطلال والرسوم والدِّمن ، وبكاء الشباب ووصف الرحلة إلى الممدوح ، والتمهيد بالنسيب ، والتخلص منه إلى المدح والقدم إلى غير ذلك من أغراض الشعر الصميمة

وحسبك فيما بلغه الرجز من رفيع المنزلة ، قول المنتجع[1] لرجل من الأشراف : ما علمت ولدك ؟ قال : الفرائض . قال : ذلك علم الموالى لا أبالك ! علمهم الرجز فإنه يُهَرِّت أشداقهم « يوسعها »

ويقتضينا الإنصاف أن نقول : إن السابق إلى تقصيد الرجز وتضمينه فنون الشعر : العجاج . ولذلك عده الرواة فى الرجاز كامرئ القيس فى الشعراء

والذى يعنينا من هؤلاء الثلاثة الصدور المقدمين هو أبو النجم العجلى

واسمه المفضَّل[2] أو الفضل بن قدامة ، يرتفع نسبه إلى عجل ابن لجيم بن صعب بن على بن بكر بن وائل

وقبيلة بكر من القبائل المرقة فى الفصاحة والبيان ! ويكفيها فخراً أنها أخرجت للعرب الأغلبَ وأبا النجم من الرجاز ، وطرفة ابن العبد والحارث ابن حِلّزة وأعشى قيس من الشعراء أصحاب المعلقات !

كان أبو النجم يمتاز من صاحبيه : العجاج ورؤبة — على ما لهما من مزايا — بأشياء :

كان بارعاً إلى الغاية من البراعة فى النموت

وكان حاضر البديهة سريع الخاطر : يحدث الأصمعى أنه قال أرجوزته : الحمد لله العلى الأجلل ، فى قدر ما يمشى الإنسان مسافة غلوة أو نحوها (مقدار رمية سهم)

وكان أحسن الناس إنشاداً ، وكانت له فى الإنشاد عادة غريبة ! وهى أنه يُرغى ويُزبد ويرى بثيابه فيضفى عليه ذلك رهبة وهيبة !

(١) رغبة الآمل ٤ : ١٩٣

(٢) على الخلاف بين الشيبانى وابن الأعرابى

وروعة الإنشاد لا ينكر أثرها فى الغلبة والفلج ! وبخاصة فى عصر يعتمد فيه على المشافهة والسماع ، ويتلاقى فيه الخصوم وجهاً لوجه فى المواسم والأسواق

بل إن الإنشاد لم يفقد روعته فى عصرنا هذا — عصر القراءة والكتابة — فقد كان عدة (حافظ) فى التغلب بمقول الجماهير ، وانتزاع التصفيق منهم ، حتى لقد كان يقوم له ذلك مقام البراعة والإبداع فى شعر (شوقى)

ومن شعرائنا المعاصرين من تسمع شعره ثم تقرؤه ، فإذا الفرق بين ما سمعت وما قرأت كالفرق بين الدر والخزف لكثرة ما يتحاسن فى إنشاده ويتصايح ويمعن فى التأوّه والتباكى والشهيق والزفير !

وكان أبو النجم — فوق تمكنه فى الرجز — شاعراً مجيداً وقد تغنت فى بعض مرققاته عُليّة بنت المهدى ، كما أنه انتصر على الفرزدق وجماعة من الشعراء فى مجلس سليمان بن عبد الملك ، وحاز الجائزة دونهم بقصيدته الفخرية التى أولها :

« علق الهوى بحبائل الشعثاء »

ومن المقرر فى [1] عرف النقدة : أن كل مقصّد يستطيع الرجز — وإن لقى فى ذلك بعض المشقة — وليس كل راجز يمكنه التقصيد . والشاعر الراجز أعلى مقاماً ممن حظه الشعر أو الرجز فحسب ، فإذا اجتمع الشعر والرجز والقطعات لإنسان سمى : الكامل . وقد ظفر الفرزدق بهذه المرتبة ، ثم أبو نواس من المحدثين .

ولم يكن بد أن تستحرّ المنافسة بين أبى النجم وبين العجاج وابنه رؤبة ، وقد أظلهم عصر واحد ، وجمعتهم صناعة واحدة . ولكن الباحث المتقصى يستطيع أن يرد هذا الصراع إلى سبب أعمق من المعاصرة : وهى العصبية القبلية ؛ فالعجاج وابنه من تميم ثم من مضر ، وأبو النجم من بكر ثم من ربيعة ، وبين تميم ابن مُرّ وبكر بن وائل إحن ومضاغنات فى الجاهلية والإسلام ! وبين مضر الحمراء وربيعة الفرس حقود وحزازات حملتها قبائلهما إلى كل بلد نزلت فيه !

وكان العجاج ورؤبة يحذران أبا النجم ويداريانه ، لما عرف عنه من شكاسة الطبع وزعارة الخلق !

(١) العمدة ١ : ١٢٦

يقول عامر بن عبد الملك المسمعى : كان رؤبة وأبو النجم يجتمعان عندى ، فأطاب لهما النبيذ ، فكان أبو النجم يتسرع إلى رؤبة حتى أكفّه عنه !

ويحدثون [1] : أن فتياناً من عجل قالوا لأبى النجم : هذا رؤبة بالمِرْبَد يجلس فيسمع شعره ، وينشد الناس ويجتمع إليه فتيان من تميم ، فما يمنعك من هذا ؟ قال : أو تحبون هذا ؟ قالوا : نعم قال : فأتونى بعسّ [2] نبيذ ، فأتوه به فشربه ، ثم نهض قائلاً :

إذ اصطبحت أربعاً عرفتنى ثم تجشّمتُ الذى جشّمتنى

فلما رآه رؤبة أعظمه ، وقام له من مكانه وقال : هذا رجّاز العرب

ثم أنشدهم أبو النجم أرجوزته اللامية ، فقال رؤبة : هذه أم الرجز

ومن طريف مراجزاته [3] للعجاج : أن العجاج خرج محتفلاً ، عليه جبة خزّ وعمامة خزّ ، فوق ناقة له كَوْماء (عظيمة السنام) قد أجاد رحلها ، حتى وقف بالمِربد — والناس مجتمعون — فأنشدهم أرجوزته الرائية :

« قد جبر الدين الإله فجبر »

فذكر ربيعة وهجاها ، فجاء رجل إلى أبى النجم ، فقال له : أنت جالس ، وهذا العجاج يهجونا بالمربد قد اجتمع عليه الناس .

فقال أبو النجم : صف لى حاله وزيه الذى هو فيه ، فوصفه له ، فقال : ابغنى جملاً وأكثر عليه من الهناء ، فجىء بالجمل إليه ، فأخذ سراويل له فجعل إحدى رجليه فيها ، واتزر بالأخرى ! وركب الجمل ودفع خطامه إلى من يقوده حتى أتى إلى المربد

فلما دنا من العجاج قال للقائد : اخلع خطامه ؛ فخلعه ، وأنشد أبو النجم أرجوزته :

« تذكر القلب وجهلاً ما ذكر »

والجمل فى أثناء ذلك يدنو من الناقة ويتشمّمها ! والعجّاج يتباعد لئلا تفسد ثيابه ورحله بالقطران !

حتى إذا بلغ أبو النجم إلى قوله :

إنى وكلُّ شاعر إذا شعرْ شيطانه أنثى ، وشيطانى ذكرْ

(١) ترجمة أبى النجم — الأغانى — ٩
(٢) القدح العظيم
(٣) جمعنا بين رواية الأغانى والخزانة

فما رآنى شاعر إلا استتر   فِعْلَ نجوم الليل عايَنَّ القمر

وثب الجمل على الناقة ! !

فهرب العجاج والناس يضحكون قائلين :

« شيطانه أنثى وشيطانى ذكر »

وكان أبو النجم ينزل سواد الكوفة وينتجع بقصيده ورجزه خلفاء بنى أمية وولاتهم ، فيحسنون لقاءه وينفحونه بالعطاء

وله مع الخليفة هشام بن عبد الملك أخبار طريفة ونوادر حِسان كان يجرى فيها على سجية الأعراب لا يُوارب ولا يحتشم!

فمن ذلك : أن هشاماً قال له يوماً : حدثنى يا أبا النجم . قال : عنى أو عن غيرى . قال : بل عنك . قال : إنى حين علتنى الشيخوخة كان يعرض لى البول فى الليل ، فوضعت عند رجلى شيئاً أقضى فيه حاجتى . فقمت ذات ليلة لأبول ، فخرج منى صوت ! فتشدّدت وتماسكت ، وعدت مرة أخرى ، فخرج منى صوت آخر ! فأويت إلى فراشى ، وهتفت بزوجى : يا أم الخيار[1] هل سمعت شيئاً ؟ فقالت : لا ، ولا واحدة منهما !

فضحك هشام وأمر له بصلة

ومن نوادره المضحكة المبكية : أنه ورد على هشام فى الشعراء ، فقال لهم : صفوا لى إبلاً ، فقطروها[2] وأوردوها وأصدروها ، حتى كأنى أنظر إليها

فأنشده الشعراء وأنشده أبو النجم أرجوزته التى مر ذكرها :

« الحمد لله العلى الأجلل »

وهشام يصفق بيديه استحساناً لها ! ومضى أبو النجم فى إنشاده إلى أن بلغ قوله فى وصف الشمس :

حتى إذا الشمس جلاها المجتلى   بين سِماطَى[3] شفق مُرعبَل
صَغواء[4] قد كادت ولما تفعل   فهى على الأفق ... ...

كان تمام البيت : كعين الأحول

وهنا تذكر أبو النجم — بعد فوات الأوان — أن هشاماً أحول ! فامتُقع لونه ، وتخاذلت أوصاله ، وجمد لسانه فى فمه !

(١) هى التى يقول فيها :

قد أصبحت أم الخيار تدعى   على ذنبا كله لم أصنع

(٢) قطر الابل بالتشديد والتخفيف : قرب بعضها إلى بعض على نسق

(٣) السماط : الصف والجانب ، والمرعبل : المقطع

(٤) مائلة للغروب

وأراد أن يغير البيت فخذله شيطانه ! وحار فى أمره فأطرق واجماً !

ولم يفطن هشام للسبب ، فضجر وصاح به : أجز ! فلم يسع أبا النجم إلا أن يصدع بالأمر فقال :

كعين الأحول !

نطق بها كحشرجة المحتَضر ! والقافية (لا تعذر)

وكان هشام — على عقله وكيْسه — فظاً غليظاً خشناً ! فاستشاط غضباً ! وأمر بوجْء[1] عنقه ! فتبادر إليه الخدم يدفعون فى قفاه ! حتى خرج من المجلس وهو لا يصدّق بالنجاة !

ولم يكتف هشام بذلك ، فأمر الربيع صاحب شرطته ألا يريه وجه أبى النجم بعد هذا ! وأن ينفيه من الرصافة[2] !

ولكن وجوه الناس شفعوا له عند الربيع ، فأقرّه فيها ولم يكن أحد يُضيف فى الرصافة ، غير سليم بن كيسان الكلبى ، وعمر بن بسطام التغلبى ؛ فكان يتغدى عند سليم ، ويتعشى عند عمر ! ويؤم المسجد ليلاً فيبيت فيه !

(البقية فى العدد الآتى)   على الجندى

(١) كناية عن السكز والصفع

(٢) رصافة الشام أو رصافة هشام على طرف البرية ، بناها هشام لما وقع الطاعون بالشام ، وكان يسكنها فى الصيف وكانت من قبل من بناء الغساسنة . خزانة الأدب للبغدادى ٢ : ٣٥١

تأملات

فى ذهنى صورة منك تنسخ كل صورك : صورة استسلام يحمل كل معانى المنعة ، ويعصمك من عينى ومن يدى ومن حسى ، وكان خليقاً أن يغرينى بك ، فلم يغرنى .... لأنى إكباراً لك وتدلهاً بك ، لأن فيك شيئاً مقدساً يحميك دائماً من الأعين والأيدى ، وحول رأسك هالة من الطهر تحوطه مرفوعاً ومطرقاً فاختلاس النظر إليك نوع من العبادة لا يخفره إليك الشيطان ، وأنت فى صمتك بليغة ، تتحدثين بألف صوت كالسيمفونى ...

جوارحى دائماً مشغوفة بك ، مشوقة إليك ، يطربها حديثك ويناجيها صمتك ، وتستلهم الوحى من إطراقك ...

تُرَى يا فتاتى ، بمن كان شغلك ، وفيم كنت تطرقين ؟ ... لا يغرنَّنى الغرور ، فأحسب اتجاهك كان إلىّ ، وأنت إلى غير الغرض تتجهين ... بل أنت فى أكبر الظن تتساءلين : ماذا تحسين ؟ أخداع هو أم يقين ؟ ... وتقولين فى نفسك : أيجوز أم لا يجوز أن أجيب نداء ليس بعد من القلب ، ولا هو من وراء القلب ... ولكنه يوشك أن يصدر عن الصميم ؟ ؟

تقولين فى أكبر الظن: إنى فتاة عديمة التجربة ، وها أنا ذى أتعرض للتجربة ، أأقدم أم أحجم ؟ وإذا أقدمت ماذا يكون ؟ إننى لا أملك الإقدام ، لأنه شر ، ولا أملك مع هذا الإحجام ... إننى أتردد وسأبقى مترددة إلى يوم الدين ، ومن كان مثلى فسلامته فى الاعتصام لا فى الإقدام ... وقد اعتصمت بحبل الله ، وحفظت جميله ، ومنحته ودى ، وجازيته على حبه حباً عذرياً طاهراً ... أحس الغبطة فيه ، ويثير مع ذلك فى نفسى الأشجان

إذن فليكن ما تشاءين ، ولن نقف فى حبنا يا فتاتى على قدم المساواة ؛ فأنت عندى أسمى من أن أقف وإياك فى مستوى واحد ، وأكرم من أن أحشر وإياك فى صعيد واحد ... وإنى بذلت لك من نفسى أكثر مما بذلتِ لى من نفسك ... لكن العبرة بقيمة ما أبذل وما تبذلين ؛ وقد بذلتُ لك عاطفة جياشة لم أحبسها ، وبذلتِ لى عاطفة مكبوتة جاهدت فى كبتها ، فجاءت عاطفتى الجياشة أرخص من العاطفة التى ما زلتِ تكبتين ... وتجاوزت إليك الحدود ، ووقفتِ أنتِ دائماً منى عند حد ... فأنا أسخو بما لا يكلفنى جهداً ، وأنت تبذلين جهداً جباراً فيما تكبتين وتكبحين

لا أدرك مبلغ ألمك لأنك صبوحة دائماً ، لكنى أحس الصراع فى نفسك بين واجبك نحوى وواجبك نحو الله وقد تبدو المقابلة بين الموقفين نابية . لكن الواقع لا مندحة عن ذكره والإشارة إليه ، والواقع أنى أجاهد فى ربط مصيرك بمصيرى بهذه الصلة الروحية ، ويريد الله أن يكون لكل منا مصير ؛ وأنت بما أودعك الله من وداعة تصرفين السوء عن نفسك ، وكل شىء يرعاك حتى تلك العين التى ترنو إليك ، واليد التى تتلمس يدك ، والحس الذى يهفو إليك بكليته ليغمرك أو تغمريه

كونى يا فتاتى ما تشائين فلن تكون مشيئتى غير مشيئتك ، وليكن ما يجيش به صدرى وقفاً على هذا الحيز الضيق حتى يضيق به فيكون من أمر الله ما يكون

سأبقى أميناً كما كنت شهيداً كما تكونين ، ولن أنساك فى قيامى وقعودى وركوعى وسجودى ولو ذهبت صلاتى غير مأجورة ولا مثابة ، فحسبى أنها خالصة لوجه الله

أنت يا فتاتى شهيدة كأقدس ما يكون الشهداء ، قديسة كأكرم ما يكون القديسون . ليست عندنا أديرة ولكنك تلجأين فى نفسك الممتنعة إلى دير حصين ، وقد تبقين هكذا طوال حياتك وأتقلب أنا مع الأيام ، فتبقين لى مثلاً أعلى ، وأبيت أنا بشراً ككل الأنام

(م . د)

من وحى الحنين

آذار !... حدثنى ...

[مهداة إلى الأستاذ الزيات]

للأستاذ شكرى فيصل

آذار ... يا مُطلِق الحياة من قيود الشتاء ... وباعث النور فى أرجاء الكون ... حدثنى ... كيف ضممت إليك « دمشق » بعد هذا الفصل القاتم ، وذاك الجو الغائم ؛ وتلك الليالى القريرة ؟! ... هل أزحت عنها أثقال السحاب ... وجبت ظلام الضباب ... ونشرت الروح فى جنباتها الحلوة ... أم أنها لا تزال بعدُ غارقة فى صمت الشتاء ، صابرة على أذى القرّ ... تنذرها السماء ؛ وتهددها العواصف ؟! ...

آذار !... أيها المنطلق هنا على حفافى النيل ... تستمع إلى أنشودته الصامتة ؛ وهمسه الخفيف ... حدثنى عن « بردى » هذا النهر الوادع ... ألا يزال ثائراً مضطرباً ... يحمل الخرف ، وينشر الذعر ، ويبث الاضطراب ، ويقبض على أطرافه وجنباته كأنما ملّ مظاهر الجور ومهازل الحياة ... أم أنه عاد سيرته الأولى ... يحمل الأمان إلى النفوس ، ويشع الحياة فى المهج ؛ وتصطفق أمواجه الفانيات وتنصت إليه أفئدة وقلوب ... لتسمع أغنيته الخالدة ، ولحنه البارع ... وتنتشر على ضفتيه طوائف الناس تنعم بهذا الرحيق السلسل ، وهذا الصفاء الجميل ... وتقرأ فى صفحاته آيات المجد الذى انبثق مع « الغساسنة » وترعرع فى جنبات قصورهم الناعمة ؛ وتكامل فى عهد « أميّة » وفى ظلال سلطانهم الواسع ... ثم غاب حيناً من الدهر ... فبكاه هذا النهر ... بدموعه وعبراته ... حتى إذا ولد من جديد فى تاج « فيصل » وملك « فيصل » ... وفتح عينيه للنور ، ومدّ ذراعيه يريد أن يحبو ... انتزعه الدهر ؛ فى ليلة سوداء كالحة ، ورمى به فى صحراء اليأس المجدب ...

آذار !... أيها المرح هنا فى ربوع (الأرمان) ؛ وملاعب الجزيرة ، وحدائق النيل ... حدثنى ... هلا حملت المرح إلى وطنى الآخر ... ؟ هلا زرعت البسمات على الشفاه ... ودفعت الدم فى العروق ، وأحييت موات الأمل فى القلوب ... ؟ أم أن القوم فى شغل عنك ... يقارعون الدهر المصيب ، ويجالدون الزمن الغادر ، ويدارون الأحمق السفيه ؟

آذار ... أيها الضاحك هنا على شفاه الأزاهير الفوّاحة ... حدثنى ... عن أزاهير دمشق ... هل تفتحت عنها براعمها بعد هجمة طويلة ثقيلة ... وهل نشطت الحياة فى هاته الشجيرات الفتية القائمة فى وسط الحدائق كأنها زمرة غانيات فى موكب زفاف ... ترقص مع خطرات النسيم ، وتهتز مع أنداء الفجر ، وتصفق كلما ذهب بها الهواء هنا وهناك ؟ ... وهل استفاقت هذه الجنات الفيح يا آذار ... فنثرت الزهر ، ونشرت العطر ، وطبعت على وجه الدنيا قبلتها الضاحكة ... كأنها تنفخ فيها روحاً من النشاط ؟

والغوطة .. هلا كنست الغوطة ذاك الثوب الزاهى يا آذار ! بعد عرى طويل ... فنبت فى أرضها العشب الأخضر ... ريّان نديًّا ... ينفح الفتوة ، ويمور بالحياة ، ويستقبل الشمس مع الصباح بقطرات من الندى المبعثر ... البراق كالماس ... ويودعها مع المساء وهو يقبلها كأنه يتمنى ألا تزول عنه ... ثم يبكى فراقها فى الليل بدموعه الصافية اللألاءة ؟! ...

... والزهر المتشقق على مبسم الغصن يا آذار ! ... هل رقّت أوراقه الملونة لنجوى المحبين ، وآهات الشاكين ، وقلوب المتيمين ؟ وهل خرج الناس يشهدون هذا السحر الحلال ، وهذه الروعة الضاحكة ... وينعمون بهذه الأجواء المعطرة ، والدنيا المتألقة ، وينشقون فى هوائها الأرج والعبير ، ويطوفون بها كما يطوفون فى جنات الخلد ... ويقرأون آيات الله البارعات فى الغصن المائس والفروع المهتزة ، والماء الذى يخرج به نبات مختلف ألوانه ؟!

... ومواكب الزهر يا آذار ! ... هل شهدت « دمشق » هذا العام مواكب الزهر ؟ ... وهل ضحكت هذه المدينة الصابرة لصروف الزمان وعبث الدهر ... وهل صافحت عيناها من جديد ... هؤلاء الفتيان الذين يذهبون هنا وهناك ... مع شعاعات الفجر الأولى ، يستقبلون الصباح ، ويرتمون فى الحقول ، ويمرحون فى الجنان ، وينتقلون ... كالفراشات الطائرة ... من شجرة إلى شجرة ، ومن غصن إلى غصن ... ويصفقون مع أمواه النهر ،

وينتشون من هـذا السحر ؛ ويقضون يومهم لله ولأنفسهم ... ثم يعودون ... وفى أيديهم هذه الهالات من الورد ؛ وهذه الباقات من الزهر ؛ ينشرون عبيرها فى رحاب المدينة وأحيائها ... فى صدورهم البشر ، وفى وجوههم المرح ؛ وعلى ألسنتهم نشيد الوطن التالى ؟ ! ...

والريف البعيد يا آذار ! ... هل انتفض من نومه العميق ... وهل فتح أهلوه أبواب دورهم بعد أن سدتها الثلوج ، فحالت بينهم وبين الخروج ... فظلوا فى حصار الطبيعة شهراً أو بعض الشهر لا يغادرون هذه الداق البنية فى زاوية من زوايا الغرفة .. وهل بدأوا حياة الربيع الوادع ... يتفقدون زرعهم الذى دفنوه فى الأرض ، ووكلوه إلى الله ، وانتظروا موسم حصاده ؟!

وهل خرج أطفالهم يتسابقون فى طرق القرية ، ويتسلقون قمم الجبل ؛ ليظفروا بالثلوج المتجمدة . . . يتراشقون بهـا ، ويتزحلقون عليها ، على طريقتهم الساذجة الأولية ؟ ! ...

... وفتيات القرى يا آذار ! ... هل انتصبت قاماتهن ؛ بعد أن حناها الشتاء ؛ فى طريقهن إلى ماء القرية ، يستقين منه ، وقد علتهن الجرار ، ولثمت خدودهن هذه النسمات العليلة ؛ وعبثت بخمرهن ؛ فحركتها ذات اليمين وذات الشمال ... واجتمعن حول الورد ينشدن فى همس خفيف ، وتمتمة ناعمة ، ويتحدثن حديث القرية وضيوفها ومواسمها وأعراسها ... ؟ ...

* * *

وحديث الجبال يا آذار ! ... هل اتشحت بوشاحها الأخضر الزاهى ؛ وهل نبتت فوق تربتها هذه الحشائش القصيرة ، على أنقاض الثلوج ، وبقايا السيول ... وهل خرجت القطعان تسرح فى شعاب هذه الجبال ؛ وفى صعابها ؟ ... وهل سمعت يا آذار ... أصوات أجراسها حين تتضيَّف الشمس إلى الغروب ... وتنسحب غلالتها على صفحة الأفق الوردية ... وتتراءى صفحة السماء رائعة جميلة ... وتظاهر الشمس كدائرة من النار الملتهبة ، تغطس فى بحر الظلام فيخمد لهبها ويطفأ نورها ، وتمَّحى شعاعاتها من السماء ... فتبكيها هذه القطعان ... بأصوات أجراسها الحزينة ؛ وتلتفت لتعود إلى القرية ... فى جنح الليل ، وستار الظلام ... والرعاة ، يا آذار ... هؤلاء الذين شرفهم الله ، فجعل منهم الأنبياء ... هل تسلقوا الجبل مع قطعانهم ، وحملوا مزاميرهم فى أيديهم ، ووقعوا عليها نشيد الحياة الهادئة التى تتعالى عن الأرض ، فلا تعرف المكر والغل ... وتتقرب من السماء ، فلا تعرف إلا الإيمان والنور والحق ... وهل أنصت إلى نغماتهم الحلوة يا آذار التى يرسلونها فى هذه الوحدة كأنها وحى السماء ، ونغمة الكون المتسقة ، فتنتقل أصداؤها فى الجبال مع خفقات الريح ... ويلقفها الطير ليذهب يرتلها على الناس فى الوديان والحقول والبساتين ...

... حبذا يا آذار ... حبذا لو استطعت أن تحملنى على جناحين رفيقين من نسماتك اللطاف ... إلى مجالى الأنس ، وربوع الحياة ، إلى مطارح الصبا وملاعب الفتوة ... أطفىء هذا الحنين الذى يأكل كبدى ، وأقنع هذا الشوق الذى يضطرم فى صدرى ... برشفات من بردى ... ونسمات من « قاسيون »

حبذا يا آذار ... حبذا ...

(القاهرة) شكرى فيصل

من وراء المنظار

صاحب الديوان أيضا

مضيت إلى الديوان للمرة الثانية ، وأنا أمني النفس أن أحظى هذه المرة بما لم أحظ به في المرة السالفة من حل مسألتي ؛ ولقد حرصت على أن يكون حضوري إلى الديوان في وقت لا يدع مجيء إليه فيه مجالاً للشك في بدء العمل به ؛ فكنت هناك في نحو الساعة العاشرة من صباح أحد الأيام .

ورأيت في إحدى الردهات من توسمت فيه أنه صاحب ديوان فاتجهت إليه مبتسماً محيياً ، ورجوت منه أن يدلني أين أذهب للسؤال عن كيت وكيت ، فأجاب دون أن يقف ، وأنا أسرع الخطو لألحق به ، كأنما كان في سبيله لتلافي خطر من الأخطار الداهمة : « عند حسني أفندي في الشطب هناك على شمالك وراء السلم »

وذهبت إلى « الشطب » ، فإذا هو قاعة كبيرة ، فيها نحو عشرين من أصحاب الديوان ، ورأيتهم جميعاً لأول نظرة ، والحق يقال ، منكبين على أوراقهم . فقصدت أقربهم إلى الباب ، فحييت وقلت : « حضرتك حسني أفندي ؟ » فلم يزد على أن أشار بإصبعه إلى من أردت دون أن تنفرج شفتاه ولو برد التحية ، ولعله كان في شغل بعملية حسابية معضلة أو بتدبير حل لمشكلة من مشاكل عمله

ونظرت إلى حسني أفندي وأنا أخطو إليه ، أحاول أن أتبين شيئاً عن خلقه من مظهره ، فخانتني فراستي إما لقصر المدة ، وإما لأني رأيت منظره يدل على ألف معنى فلا يدل من أجل ذلك على معنى ! ... ووقفت أمام مكتبه فحييت في هدوء مبتسما متظرفا أحرص الحرص كله على أن أكون خفيفاً ظريفاً على نفسه ما وسعني الظرف ... ولكن ظرفي أو قل تظرفي ذهب عبثاً ، فإنه لم يرفع رأسه من بين أوراقه ليراه ؛ ولمحت دلائل الغضب على محياه فتهيبت ! ولكني استعنت ثانية بابتسامة عريضة وكررت التحية فرفع رأسه هذه المرة ونظر إليّ قائلاً : « أهلاً وسهلاً يافندم » ثم عاد إلى أوراقه كأني ما جئت إلا لأتبادل وإياه عبارة التحية على هذه الصورة الجميلة ثم أنصرف !

وانتظرت برهة ، وهو ينقل عينيه من هذا الدفتر إلى ذاك ، ويكتب هنا كلمة وهنا سطرين ، دون أن يخطر على باله أن هناك أحداً يريد التحدث إليه ... ولعله قد تعود ذلك فما يأبه لمن يقف أمام مكتبه . ولو ظل هناك إلى موعد الانصراف

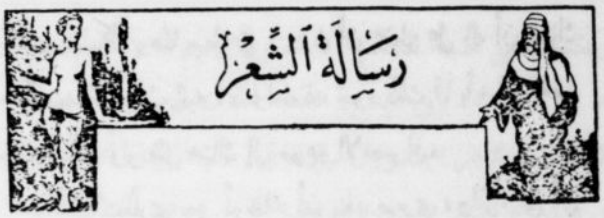
وطال انتظاري حتى أوشك أن ينفد صبري ، والمرء على أي حال لا يطيق مهما بلغ من حلمه ألا يأبه به الناس في غير داع إلى ذلك ... على أني عدت فتلطفت وإن كرهت من نفسي هذا التلطف الذي أخذ يسمج كسماجة ذلك الذي لا يريد أن يلتفت إليّ ؛ وناديته باسمه في صوت مسموع ونفسي تحدثني أنه قد يكون بانكبابه هذا على العمل من ذوي النشاط فعسى أن أفيد من نشاطه

وأخيراً بدا له أن يستجيب إليّ ؛ فقال في كثير من التؤدة وعدم المبالاة : « نعم يا افندي » فأخذت أشرح له أمري ، ولكنه ظهر كمن لا يعي مما أقول حرفاً وبدا في وجهه التململ والامتعاض ثم مد يده إلى أوراق كنت أعددتها في يدي ، فنظر فيها نظرة ثم قال : « لا ، دا هناك في المستخدمين عند عزت افندي » ... وعاد بعدها قبل أن أدير ظهري ، إلى ما كان فيه من جسيمات المشاكل

وانطلقت أبحث في « المستخدمين » عن عزت أفندي هذا لأخبره بما قال حسني افندي الذي في « الشطب » فكان حالي معه كما كان مع سلفه : تشاغل عني وصلف في الرد عليّ ، وما كان جوابه سوى أن قال هو أيضاً : « يا فندم موضوعك ده في الحسابات عند مراد افندي » ؛ خرجت من لدنه أسأل نفسي أأخرج إلى غير عودة من الديوان ، فقد آلمني ما ألاقيه وليس في مسلكي ولا في مظهري ما يستأهل هذه المعاملة ، أم أعتصم بالصبر فأحظى بالمثول بين يدي مراد افندي أيضاً ؟ وملت بعد تردد إلى الرأي الثاني ؛ ولكن مراد افندي أكد لي أن مسألتي عند حسني افندي في الشطب وإلا فهو لا يعرف في الديوان شيئاً

ولعله كان بين مراد وحسني ما جعل أولهما ينهض ليذهب معي إلى الثاني ، وعدت إلى حسني افندي في الشطب وبين يدي هذه المرة صاحب ديوان مثله ، وبعد نظرات كريهة رماني بها حسني وبعد مشادة ليست بالهينة بين صاحبي الديوان تبين أن المسألة عند هذا الذي أحالني من أول الأمر على غيره ! ... ولكنه لم ينظر فيها بل استمهلني إلى غد ، ولم يسعني ، وقد رأيت ما رأيت إلا أن أخرج وأمري لله !

(عين)



رجع أيامي . . .

للأستاذ محمود الخفيف

كُنْتَ ياقلبُ قدْ نسِيتَ الحَنِينَا   وَتَأَبَّيْتَ عَنْ هَوَاكَ سِنِينَا
أخرسَ اليأسُ لحنَ ماضِيكَ دَهْرًا   وَأَنِمْتَ الجَوَى وَعِفْتَ الأَنِينَا !

تخفِقُ اليومَ لِلزَّمانِ الغَرِيضِ   طَافَ بالدِّفْءِ والسَّنَى المُسْتَفِيضِ
خَفْقَةَ الرَّاسِفِ الجَرِيحِ المُعَنَّى   رَفَّ لِلطَّيْرِ بالجَناحِ المَهِيضِ

هَتَفَتْ فى الضُّحَى شوادِى الرَّبيعِ   وَكَسَا السِّحْرُ كلَّ وَادٍ مَرِيعِ
وَجرَتْ مِنْ أُرْغُولِهِ فَرْحَةُ المَوْ   سِمِ لَحنًا وَهَامَ رَاعِى القَطِيعِ

لَمَحَاتُ الرَّبيعِ فى تَرْنَامِهْ   والرَّخِيُّ الشَّذِيُّ مِنْ أَنسَامِهْ
فَسَّرَ اللَّحْنَ كلُّ مُصْغٍ طَرُوبٍ   بالمُنَى الضَّاحِكاتِ مِنْ أَحْلَامِهْ

رَفَّ فى لَحْنِهِ شَبابُ الزَّمانِ   وَخَيالُ الصِّبا وَضِحْكُ الأَمانِى
وَشَدَا فِيــهِ حُبَّهُ فَكَسَاهُ   رَجْعُ أَحْلَامِهِ أَحَبَّ المعانِى

كلُّ حَىٍّ هَفَا إِلَى أَلْحَانِهْ   وَمَعَانى الرِّضاءِ فى تَحْنَانِهْ
أَنا وَحْدِى اللَّهِيفُ فى فَرَحِ الكَوْ   نِ الوَحيدُ الغريبُ فى مِهْرَجانِهْ !

أَيْنَ مِنِّى فى الرَّوْضِ فِتْنَةُ أَمْسِى   أَىَّ سِحْرٍ فَقَدْتُ؟ وَالَهْفَ نَفْسِى
أَوَ لَيْسَتْ يا قلبُ هذى رُبوعى   وَرُؤَى جَنَّتِى وَبَهْجَةُ حِسِّى ؟

كلُّ حُسْنٍ أَرَاهُ بَيْنَ يَدَيَّا   هَامِسٌ بالرِّثاءِ فى أُذُنَيَّا
غابَ مِرُّ الجَمالِ عَنْ مَوْسِمِ الزَّ   هْرِ وَهَيْهاتَ أن يُرَدَّ عَلَيَّا !

أَسْلَمَتْنِى نَوَاضِرُ الزَّهَرَاتِ   لِمَعَانِى الذُّبُولِ مِنْ خَطَرَاتِى
صَوَّحَتْ وَبِلَاهُ خُضْرُ الأَمانِى   وانطَوَى السِّحْرُ من رَبِيعِ الحَيَاةِ

أَيْنَمَا سِرْتُ ذَكَّرَتْنِى مَآلى   بَعْدَ عَيْشِى الغَرِيرِ، هذِى المَجالى
أَىُّ شىءٍ أَخافُ ثَمَّ عَلَيْهِ   بَعْدَ مَوْتِ المُنَى، وَشِيكَ الزَّوالِ؟

زَمَنُ الوَرْدِ كَمْ هَفَا لِإِبابِهْ   أَمْسِ قَلْبِى وَتَاقَ بَعْدَ ذَهَابِهْ
كَمْ رَفَفْنَا مِثْلَ الفَراشاتِ فِيهِ   وَنَهَلْنَا السُّرُورَ مِن أَكْوابِهْ

كَمْ غَنِمْنَا الجَمالَ فى أَسْحَارِهْ   وَاجْتَلَيْنَاهُ فِى مُتُوعِ نَهَارِهْ
وَعَشِقْنَا النَّارَنْجَ فى الرَّوضِ تَسْرِى   نَفَحَاتُ الرَّبيعِ مِن نُوَّارِهْ

وَهَشَشْنَا لِلكَرْمِ حَوْلَ الضِّفافِ   أَرْقَطَ الظِّلِّ، خَافِقَ الأَلْفَافِ
نَاضِرَ العُودِ، كم تَرَى العَيْنُ فيهِ   لِلرَّبِيعِ الجَدِيدِ مِنْ أَطْيَافِ

زَهْرَنى فِى الرَّبيعِ أَنْضَرُ حُسْنًا   مِنْ بَوَاكِيرِهِ وَأَجْمَلُ يُمْنَا
وَهْىَ أَشْهَى شَذًى وَأَبْهَجُ بِشْرًا   وَاهْتِزَازًا بِهِ وَأَرْهَفُ غُصْنَا

تُنْقِصُ الوَرْدَ سِحْرَهُ وَجَنَاهَا   وَسَنَى الكَوْنِ لَمْحَةٌ مِن سَنَاهَا
تَقْطَعُ الرَّوْضَ كالفَرَاشَةِ وَثْبًا   لَيْسَ غيرُ الجَمالِ دُنْيَا مُنَاهَا

كَمْ حَلَلْنَا عَلَى الضِّفافِ مَقِيلَا   وَعَرَفْنَا السُّكونَ لَحْنًا جَمِيلَا
وَاسْتَرَحْنَا هُنَاكَ حَتَّى تَرَامَتْ   رُقْعَةُ الظِّلِّ فَانْتَهَبْنَا الأَصِيلَا

نَجْعَلُ الصُّبْحَ إنْ طَلَبْنَا الرَّوَاحَا   مَوْعِدًا نَسْتَعِيدُ فِيهِ المَرَاحَا
فَتَرَانَا الرِّيَاضُ وَالصُّبْحُ وَسْنَا   نُ سَبَقْنَا إِلى الشُّرُوقِ الصَّبَاحَا!

انْقَضَى الحُلْمُ فِى ظِلَالٍ وَوَرْدِ   أَنا ذا اليومَ أُثْقِلُ الخَطْوَ وَحْدِى
أَوْحَشَتْ جَنَّتِى وَأَضْحَت رُؤاها   وشذاها البَهِيجُ مَبْعَثَ وَجْدِى

كَمْ حَوَى اليَوْمَ كُلُّ وَادٍ عَشِيبِ   مِنْ طُيُوفٍ تَلِجُّ فِى تَعْذِيبِى
يُوجِعُ النَّفْسَ فيه مَرْأَى خَلِىٍّ   وَمُحِبٍّ يُصْغِى به لِحَبِيبِ

قَدْ تَوَلَّى بَعْدَ الثَّلاثِينَ عامُ   فِيمَ يا قَلْبُ هذِهِ الأَوْهَامُ ؟
أَيُّها القَلْبُ لَمْ تَعُدْ بَعْدُ طِفْلًا   فِيمَ تَصْبُو ؟ هَلْ تَنْفَعُ الأَحْلَامُ ؟

الخفيف

وحى الطبيعة الغربية

النبع المتدفق

[زار الشاعر نبع « إيفيان » بفرنسا فأوحت إليه هذه الزيارة العابرة بهذه الأبيات]

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

تَدَفقْ على جانبِ الصَّخْرِ ماء … وَطُفْ بالعِطاشِ وَرَوِّ الظِّماء
وَفِض فِضَّةً أين منها النضارُ … إذا لاح فى صُفْرة أو تراءى
رأيتُ لديكَ مراضَ الجسوم … وقد عقدوا فى يديكَ الرجاء !
يعزُّ عليهم شفاء الطبيبِ … فيلتمسون لديكَ الشفاء
تعالى الذى بثَّ فيكَ العلاج … وَأَوْدَعَ فى قطرتيكَ الدَّواء …

* * *

وبعضُ الصُّخورِ على عنفها … تَمدُّ إلى الظامِئين الرِّواء
وتعطى بلا كبرياءِ الغَنِيِّ … وفى الناسِ ما أكثرَ الكبرياء !

* * *

تدفقْ فإن قلوبَ الأنام … دماءٌ … ولكن تحب الدماء
قسونَ فكنَّ كبعض الصخور … جموداً وزدنَ عليها الرياء …
لقد أحكموا سَتْر سَوْءاتِهم … وخاطوا لها من نفاقٍ كِساء …
يُزَخْرِفُ كذّابُهُمْ فى الكلام … ويَرمى بآفاتِه الأبرياء …

* * *

تدفقْ فإن معانِى الحياة … نَضَبْن وأصبحن فيها هباء
تدفقْ ، كفكرِ الشُّجاعِ الجريء … يُشعُّ على الآخرينَ الضِّياء
تدفق ، كحدِّ الحسامِ الحديدِ … إذا زاد فى كل هولٍ مضاء
تدفق هناكَ صفاء فإنا … عدمنا بتلك القلوبِ الصَّفاء ..
وكيف يُصَفَّى سليلُ التراب … وقد كان بالأمسِ طيناً وماء ؟

محمد عبد الغنى حسن

الأدب في أسبوع

الربيع

أيّامُهُ كالعِيدِ ، نَضْرَها ... تَرَفُ الصِّبا وَغَضَارَةُ الحبِّ
زُهرٌ نَوَاعِمُ فى نَضَارَتِها ... سِحْرُ الحَيَاةِ وَفِتْنَةُ القَلْبِ
تَمْشِى بأنفاسٍ مُعطَّرَةٍ ... تحيى بريّا الحبّ أو تسبى
تَنْسَابُ فى الصَّبَوَاتِ عابثةً ... عَبَثَ الدَّلالِ برِقَّةِ العَتْبِ
وَتَدِبُّ فى الأرْوَاحِ نَشْوَتُها ... هَفّافَةً ، نَفَحاتُها تُصْبِى
عِطْرُ الحبيبِ عَلَى نَسَائِمِها ... يُذْكِى غرامَ الهائمِ الصَّبِّ
تُدْنِى إليهِ خَيالَ مُمْتَنِعٍ ... بالدَّلِّ ، مُبْتَعِدٍ عَلَى القُرْبِ
وَتُرِيحُ أشْوَاقاً مُعَذَّبةً ... ظَمْأَى ، بلذَّةِ مَنْهَلٍ عَذْبِ

***

هَذَا رَبِيعُ النّاسِ ، واحَزَنى ، ... وَرَبيعِىَ الأشْوَاكُ فى قَلْبِي !
أغْفَى شَبَابى في مُلاوَتِهِ ... كالشَّيْخِ تَحْتَ عَمَائِمِ الشَّيْبِ
وَدَنَتْ بالأيّامِ مُتّئِدًا ... حُمِّلْتُها خَطْبًا عَلَى خَطْبِ
أَمْشِى بأفكارٍ مُحَيَّرَةٍ ... بالشَّوْقِ آوِنَةً وبالرُّعْبِ
هَذَا شَبَابى ، سَائِرٌ أبَدًا ... بِرَبِيعِهِ فى مُقْفِرٍ جَدْبِ
أحْيَا الشَّبابَ رَبِيعُ حُبِّهِمُ ... - نَعِمُوا بِهِ - وَأَمَاتَنِى حُبِّى !

« شاكر »

الرأى العام

كتب الأستاذ « الزيات » فى العددين الماضيين من الرسالة كلمتين جليلتين ، إحداهما عن « التبشير » والأخرى عن « فقهاء بزنطة » : أى فقهاؤنا وعلماؤنا . وهما تنزعان جيماً إلى بيان أصل واحد ، وهذا الأصلُ هو غفلتُنا وإهمالنا ، ثم غثاثة آرائنا وضآلتُها ؛ وهذه مردّها إلى عِلل كثيرة قد توغّل داؤها فى أعصاب الأمم الإسلامية ، حتى صار الدواء لها باطلاً أو كالباطل ، وذلك لغلبة الجهل علينا ، وفى الجهل العناد ، وفى العناد المكابرة ، وفى المكابرة اللجاجة ، واللجاجة أمٌّ ولودٌ كل أبنائها أباطيل ؛ ومَنْ طلب علاج الأباطيل وترك أمهاتِها تلِد ، فقد جعل علاجَه باطل الأباطيل

وهذه الأمة المصرية وسائر الأمم الإسلامية قد خضعت من قرون طويلة لسيطرة الجهل وبغيه ، وامتدت عليها حقبٌ طويلة أظلّتها بالغفلة والنسيان والموت ، وحجبت دونها شمس المعرفة ونور العلم ، حتى انحنت على أساطير التراب تجدُ فيها كل معانى الفكر والعقل والقوة ، وصار همُّها الأرضَ وما تنتج مما يكفى شهوات النفوس المستغلة باللذة ، أو يردُّ مسغبة النفوس المحطَّمة بالعمل . ثم جاءت الذئابُ الذكية العاقلة المدبّرة ، فعرفت صيدها وقالت له : اعمل عَملك ، فهذا طريقُك ، ولكنها خشيتْ أن تتمزّق الظُّلَلُ وتسقطَ الحُجُب ، وتهبّ تلك القوة العلوية الرابضة فى دمِ الإنسان ، فترى أشواقها فتندفع إليها اندفاعَ الوحش المجوّع فى مَهوى الريح التى تحملُ أنفاسَ فريسته ، وعندئذ تعجزُ الحيلة فى دفع هذه القوة وردّها إلى ما كانت عليه تحت أطباق الخمول والجمود والغفلة . وعمِلَ ذكاء الذئاب عمله ، ورأى أن قمع القوة العلوية بالاستبداد والفجور فى الاستبداد هو الشر عين الشر ، وأنه كقمع البخار فى قماقم الحديد ومن تحتها جاحم من النار يتضرم ، فما يعقب إلا الانفجار والتصديع والأذى . فنكبوا عن ذلك إلى تصريف هذه القوة العلوية حين تستيقظ فى هذا الشرق تصريفاً يكفل لهم معها أمرين :

الأول التنفيس عن هـذه القوة ، واتخذوا لذلك أبرع الأساليب ، فحاولوا أن يظهروا وكأنهم هم الذين يعملون على إزالة غشاوة الجهل عن العيون المحجبة ، فأنشأوا المدارس وتلبّسوا بالنصيحة للتعليم فى معاهده كلها ، وجعلوا خلال ذلك يضعون ويقررون أصولاً تؤدى بهم إلى أغراضهم ، ليسيروا بالتعليم إلى حالة ترضيهم وتنفعهم ، فلا يخرجون من هذه المعاهد جيلاً يقف أمامهم كما تقف القوة للقوة وكما يناهض العقل العقل ؛ ثم يزاحم فى إنشاء الحضارة بالقوة العاملة والفكر المبدع

والأمر الثانى : وهو بناء على ذلك البناء ، وذلك اجتهادهم

— بكل أساليب التنبيه والدعاية والمثال وغير ذلك — فى توجيه الرأى العام فى نواح بعينها إلى العصبية الفردية والإجماعية ، ثم صرف هذا الرأى العام — أى أهله — عن الاهتمام بتقرير الأصول العامة التى تسير عليها السياسة الخلقية والعقلية والإنشائية والعملية ؛ وعن العمل فى توحيد الرأى العام للشعب توحيداً يكفل للأمة أن تستغل كل قواها فى تدبير المستقبل على نظام ثابت مستقر ماض على أسبابه إلى النهاية غير مختلف ولا متنافر

وقد كان من نتائج هذين الأمرين العظيمين ـ حين استيقظنا وأبصرنا ـ أن تعددت الثقافات فى الشعب الواحد ، وتنابذت العقول على المعنى الصحيح ، واختلفت المناهج المفضية إلى الغايات ، وعاون ذلك ما ورثناه من الجهل الداعى إلى العناد والمكابرة واللجاجة ؛ فاستشرى داء العصبية وأصبح العمل عندنا لا يكون عملاً حتى يحاول أن ينقُض كل ما سبقه من العمل ، وتعاقبت على الأمة أطوار بعد أطوار ولا نزال فى عهد الإنشاء ، ولا تزال اللجان تجتمع عاماً بعد عام لتقرر وتضع ، وليس إلا التقرير والوضع وحَضَانة المذكرات ! !

وكذلك اختل نظام الرأى العام ، وهو لا يكون إلا من اشتراك الجماعة فى الأصول الثقافية كلها ، واختل أيضاً مكوّن الرأى العام، وهو الصحافة وما ينزل فى ذلك منزلتها، فتكوّن من الصحف المختلفة المبادئ آراء متخالفة ، لا بل متباعدة ، لا بل متعادية ؛ كلا بل هى فى الواقع لا تمس جوهر حياة الشعب العامل المستهلك فى الزراعة والصناعة والجهل أيضاً ... وحتى لا نجد صحيفة واحدة قد بَنَتْ دعوتها على أصول بيّنة موافقة لحاجة هذا الشعب ، وعلى هذه الأصول تأخذ وتدع ، وتحبذ وتنقد ، وتهدم وتبنى ، على تعاقب السنين وتغير الظروف والأحوال

التبشير

وأحدُ الأمورِ التى ابتُنِىَ بها العملُ على إضعافِ الشعب والتفريق بين أهله ، وإيجادُ ضروب من الثقافات فى بلد واحد يجب وجوباً قطعيا — كما يقولون — أن تتوحد ثقافته — هو ما اتخذوه من التبشير ومدارسه المختلفة ، وما يبطن أصحابها وما يظهرون . وليس التبشير هو الدعوة الصريحة إلى الدين المسيحى، فإن هذا لا يمكن أن يكون فى بلد جل أهله من المسلمين ، وخروج المسلم من دين الإسلام إلى دين غيره يكاد يكون مستحيلاً فى العامة من الشعب ، ويكاد لا يصح عند المتعلمين وأشباه المتعلمين. وهذه حقيقة يعرفها المبشرون قبل أن يعرفها المسلمون ، وإذن فليس الغرضُ من التبشير هو المفهوم من لفظه ، ولكنه الذى أشار إليه الأستاذ « الزيات » فى مقاله ، ثم إيجاد ضرب من الثقافة الأدبية والخلقية والعقلية يناقض ضروباً أخرى من الثقافات المختلفة فى مدارس الأجانب والمدارس الوطنية ، وبذلك تتعدّد المناهج الفكرية فى حياة الشعب ، ويعسر بعد ذلك أن تتحد هذه الثقافات على رأى عام يقوم عليه الشعب ويحرص على تنفيذه ، ويأخذ فى الإعداد للوصول إليه درجة بعد درجة . وكذلك يبقى الشعب إلى النهاية وهو فى بدء لا ينتهى وفى اختلاف لا ينفضُ ، بل يصير ولا بد إلى المعاداة والمنابذة والأحقاد التى تورثها السياسة الاجتماعية الخفية التى طغت على الشرق من قِبَل حضارة قوية باهرة عظيمة كالحضارة الأوربية

ولا يزال أهل الشرق مختلفين ما بقيت هذه الثقافات المتعددة من مدارس التبشير إلى المدارس الإلزامية ، تمد الرأى العام بأصحاب الآراء المختلفة والعقول المتباينة . ولن يصلح أمر هذا الشعب حتى يناهض ذلك كله بانصرافه إلى مدارسه ابتغاء توحيد ثقافته على أصل واحد . والأصل الضعيف الموحد فى ثقافة الشعب خير وأنفع من الأصول المتعددة القوية ، لأن هذه تغرى بالتفرقة والعداء ، وذلك يؤلف ويوفق ويضم أشتاتاً ويقيم القلوب على الإخلاص والتفاهم

فقهاء بيزنطة

وهذا مثل جيد ضربه الأستاذ الزيات لاختلاف عامة المسلمين على بعض أحكام الفقه الإسلامى والسنة النبوية ، وبنى بعضهم على بعض فى ذلك ، وتركهم الأصول الإسلامية التى ترفع المسلم إنسانية فوق إنسانية ، وتمحّصه من الجهل والضعف والفساد والذلة . وكيف يختلف علماء المسلمين على فروع من دينهم ويدعون الأصل لا ينفذ نوره إلى قلوب هذه الملايين من المسلمين ، فيطهر أدرانها ويزيل غشاوة العمى التى ضربت عليهم أسدادها .

وضرب الله مثلاً فقال : « ولقد آتينا بنى إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ، ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على العالمين .

وآتيناهم بينات من الأمر ، فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم إن ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ثم جعلناك على شريعة من الأمر ، فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون » .

فقد بين الله سبحانه أن اختلاف من سبقنا لم يكن إلا بغياً من بعد أن جاءهم العلم ، وأنه جعل المسلمين على شريعة من الأمر. وحق ذلك ألا يقع الاختلاف بين المسلمين إلا فى رأى لا يفضى إلى فرقة ، وعلى ذلك كان السلف من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتبعوا قوله : « لا تختلفوا فتختلف قلوبكم » ، وقد نهى عن الجدل والمراء وتناهى أصحابه عنه حتى قال ابن عمر : « لا يصيب الرجل حقيقة الإيمان حتى يترك المراء وهو مُحِقٌ »

ونحن قد صرنا الآن إلى زمن قد غلبت فيه بدع كثيرة ليست من الدين ولا تنزع إليه، ولكنها من محدثات الأمم وفتن الأهواء. ونحن أيضاً فى زمان ضعف وقلة وتفرق ، والأمم من حولنا تتباغى على أنفسها وعلينا ، فما يكون اختلافنا على البدع والمحدثات وبغى بعضنا على بعض ، ومصير ذلك كله إلى العداوة والبغضاء وأن يكفر بعضنا بعضاً — إلا إعانة لهؤلاء على النيل منا ما شاءوا . ثم نحن فى زمان جهل بالدين ، فليس من أمر الله أن ندع أصل الدين مجهولاً ، وننصرف إلى فروع نحاول على إبطالها أو تحقيقها

وقد روى البخارى : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأوا القرآن ما ائتلفت قلوبكم فإذا اختلفتم فقوموا عنه » ، فإذا كان من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحسم أصل الخلاف بترك مجلس الخلاف فى القرآن وهو أصل الإسلام كله ، فأولى أن نقوم عن مجلس الخلاف فى فروع وسنن ، لئلا يفضى ذلك إلى مثل الذى نراه بيننا اليوم من التعاند على بعض السنن بالعداوة ، حتى صار لكل صاحب رأى فريق يحامى دونه ويعادى عليه ، ثم يقع بعضهم فيما هو أشد نكراً من أصل الخلاف ، ألا وهى الغيبة والتفريق بين المسلمين.

سياسة الإسلام

والإسلام فى بنائه قائم على مصلحة الجماعة ، وجعل المسلمين يداً على من سواهم ، وأن يكونوا كالبنيان يشد بعضه بعضاً . وهذه مصلحة مقدمة على كل المصالح الأخرى ، وهى مقدمة على فروع الفقه الإسلامى ، كما قدم الجهاد فى سبيل الله على كل عمل من أعمال الإسلام

والإسلام فى أصله أيضاً لا يعرف من نسميهم اليوم « رجال الدين » فإنما هم من المسلمين يعملون أول ما يعملون فى حياطة الجماعة وإقامة كيانها الاجتماعى والسياسى بالعمل ، كما يعمل فيه سائر الناس فى وجوه العيش وضروب البناء الاجتماعى . وليس الانقطاع للجدل فى الفقه والسنن والتوحيد عملاً من أعمال الحياطة إلا أن يبنى على المسامحة والأخوة والرضا وترك اللجاج والمعاندة ، وإلا فهو شرٌ كبيرٌ يجب على المسلمين أن يحسموا أصله

فإذا استقرَّ البناء الاجتماعىُّ للأُمم الإسلامية على أصولِ الإيمان المُبصِر والتقوى الهادية ، وتبرأتِ النفوس والقلوبُ من غوائل الضعف والذلّةِ والخضوع ، وقام على الأمم الإسلامية قرآنُها يَهديها ، ويُهذّبُ شعوبها، ويرقّق أفئدتها لدين الله، ويؤلف قلوبها على إعلاء كلمة التوحيد ، ويجمعها على دستور الإسلام فى التشريع الواضح الحازم القوى ، ويجعل الاجتماع فى كل بلد إسلامى اجتماعاً بريئاً من فتن الغواية ومحدثات الشر ، ثم تكون للمسلمين حضارة من أصل دينها تضارع الحضارات التى تناوئُ شعوبها وتستذلها ، — إذا كان ذلك كله — فعندئذ يستطيع الحكم الإسلامى أن يرد ما يبقى من البدع التى غلبت على أهل الجهالة بالسلطان الحاكم لا بالكلام المفرق بين الناس وإذن فأجدرُ العاملين برجال الإسلام من أصحاب الفقه والشريعة والتوحيد أن يعملوا على إنقاذ المجتمع الإسلامى من أسباب ضعفه بهدايته بأسباب القوة الأخلاقية والفكرية التى جعلت المسلمين فى ثمانين عاماً سادة حاكمين على الإمبراطورية التى جاهد الرومان فى بنائها ثمانمائة عام ... وإلا فلن يكون بعد مائة عام محمل فى حج ولا محراب فى مسجد

محمود محمد شاكر



تأملات فى الفن

فى معرض مختـــار

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

كان الزوار جميعاً فى ركن ملتفين حول هدى هانم شعراوى، وسيدتان مفردتان فى ركن آخر تحومان حول التماثيل ، إحداهما من أصحاب المعرض تشرح للأخرى الزائرة ، فعرجت إليهما ووقفت على مقربة منهما أدعى أنى أنظر فى تمثال ، بينما أنا أتسمع إلى ما تقولان ، لأرى كيف تتحدث السيدات عن التماثيل ...

ووقفنا أمام تمثال « المنجد » ... الزائرة تنظر إليه فى حيرة كأنها تخاف أن تظهر الإعجاب به ، بينما يكون هو مما لا يستحق الإعجاب ، وتخاف أن تزدريه ، بينما يكون هو من روائع المعرض فوقفت الزائرة ساكتة كأنها مستغرقة فى تأمل التمثال ، وكأنها ممن لا يتسرعن إلى إصدار الحكم على الأشياء لغرام عندها بالتحقيق والتدقيق ، وتقليب أوجه النظر ، واستقصاء المحاسن والعيوب ، كيلا يكون حكمها آخر الأمر إلا الحكم الفصل الذى لا يقبل النقض

ورأت صاحبتها أنها لو انتظرتها ، حتى تقول كلمة فى المنجد أو تعبره من غير كلام ، فإنها قد تقضى الدهر واقفة مع زائرتها وهى تمثال آدمى لطيف أنيق «أريستكرات» ، ينظر إلى تمثال من حجر متواضع ديمقراط ... فقطعت صاحبة المعرض هذه السكتة الباردة وقالت :

— مدهش التمثال ...

... فبلعت الزائرة ريقها لأنها سمعت كلمة خرجت من فم صاحبتها وفى نبراتها معنى التأكيد فأدركت أن هذه الكلمة حكم على التمثال ، ولكنها لم تلبث حتى زاغت روحها مرة أخرى كأنها لم تفهم ما إذا كانت كلمة « مدهش » هذه مدحاً للتمثال أو ذماً ، وكادت روحها تتكاسل وتقنع بهذا الزيغ فتظل فى التيه الذى انتقلت إليه حتى تستدرجها صاحبتها إلى عالمنا هـذا بكلمة أخرى . . . غير أن الله ألهمها أن كلمة «مدهش» هذه قد مرت بها قبل ذلك فقلبت عينيها فى محجريها فاستدارتا فبان بياضهما وحده، واتجه إنسانهما إلى داخلها يفتشان فى أعصابها وحناياها نفسها عن كلمة «مدهش» هذه ما معناها ... وأخيراً اهتدت ، وظهر عليها أنها ذكرت ، وأغلب الظن أنها ذكرتها بمجلة من المجلات المصرية التى تكتب أبناء الطبقة الراقية فقد خدمت هذه المجلات اللغة العربية إذ حملت بعض كلماتها إلى أهل الطبقة الراقية هؤلاء فلها الشكر ...

وكأن صاحبة المعرض أدركت أن زائرتها قد فهمت أخيراً أن هذا التمثال مدهش ، ولكنها إلى جانب هذا أدركت أن هذه الزائرة الصغيرة لا تزال تريد أن تعرف لماذا كان هذا التمثال مدهشاً ، فأسرعت وقالت :

— إنه مدهش لأنه Simple ، ولأنه حلو ...

... وكانت صاحبة المعرض تستطيع أن تقول « بسيط » و « جميل » ولكنها خشيت ألا تفهم الزائرة من كلامها شيئاً ، وهى زائرة عليهـا مظاهر اليسار ، وأمثالها وحدهن هن اللواتى يشترين التماثيل ليضعنها فى الصالونات لتكون موضوعاً لحديث الزائرين والزائرات ومجال الإشارة إليهن والتنويه بهن فى الصحف والمجلات ...

وانتقلت الزائرة من أمام تمثال المنجد إلى أمام تمثال بائع المرقسوس وهو تمثال كبير فى الحجم الطبيعى وقد صنعه صاحبه من الورق المقوى صناعة اهتم فيها بمظهر التمثال وملابسه وأدواته اهتماماً كبيراً

ورأت الزائرة ألوان التمثال فانبهرت ، وكأنها قالت فى نفسها لابد أن يكون هذا التمثال هو بطل المعرض فليس غيره تمثال مزوق منمق لابس ملابسه كلها ، وليس ينقصه إلا أن يمشى فى المعرض يبيع للناس مما يبيع ... وهنا تفتقت فى رأس الزائرة مسألة جديدة هى هذا الذى يبيعه الرجل ... الورقة مكتوب عليها بائع المرقسوس، ولكن ما هو المرقسوس؟ ... بنات الطبقة الراقية

لا يعرفن المرقسوس ! ... فسألت صاحبتها :

— دى جيلاتى ... ؟ !

وصدمنى هذا السؤال فضحكت ، وشعرت الزائرة بأنى أضحك ساخراً منها فاصطنعت السعال وأرادت صاحبة المعرض أن تنقذ زائرتها فرطنت إليها بالفرنسية كلاماً قد يكون معناه : لا تعبئى بهؤلاء الشعب . وأدركت أنى إذا وقفت بعد ذلك على مقربة منهما أو تبعتهما فإنى سأفسد الشغل على المعرض وأصحابه ، وأنا من أول الأمر لا فائدة منى للمعرض ولا نفع فلا أقل من أن أكون غير ذى ضرر ... فانتحيت جانباً أفيض حسرة على متابعة هذا الحديث الشعبى الدائر بين هاتين السيدتين ... أريد أن أسمعه إلى آخره وأن أعتصر كل ما فى أسئلة الزائرة من بله، وأن أستمتع بكل ما فى أجوبة صاحبتها من صبر وسخرية ...

ولكنى ابتعدت مجاملاً ، وعدت إلى تمثال المنجد عسانى أرى فيه شيئاً أكثر مما أشارت صاحبة المعرض لزائرتها ...

التمثال يمثل شاباً مصرياً منجداً فى جلباب قاهرى لعله كان من « الزفير » أو « البك » ، وهو جالس على الأرض جلسة المنجدين وفى يده القوس يضرب به القطن ... وقد كتب عليه أنه من صنع الآنسة جلاديس بولاد وأنه نال الجائزة الأولى

التمثال كله مصنوع بمهارة وحذق ولباقة ورقة ، وهو منسجم مستريح سليم لا عيب فيه إلا شىء واحد فقط . . . ذلك أنه إذا أقسم لى أهل الأرض وأهل المريخ بأن الآنسة جلاديس قد نقلت هذا التمثال عن شاب منجد حقاً بأنى أصر على رفض هذا القسم ممتنعاً على الاقتناع به . وإنما وجه هذا التمثال منقول عن وجه شاب يخيل إلىّ أنه من بيئة مهذبة تهذيباً عالياً ، كما يخيل إلى أنه نفسه من المفكرين الذين لا يفتأون يحاسبون أنفسهم ليلاً ونهاراً ويتأملون فى كل ما يسنح ويعرض لهم من البوادى والظواهر ، كما أنى أرى فيه ما هو أعمق من هذا وأشد انطباعاً فى نفسه، ذلك أنه لا بد أن يكون ذلك الشاب الذى نقل عنه هذا التمثال عاشقاً مدلهاً معذباً انكسر قلبه من الحب وهو يمسك بعقله خشية أن ينكسر هو أيضاً ...

كل هذا ظاهر فى ملامح الوجه الذى ربط على جسم هذا المنجد، فإما أن يكون هذا التمثال منقولاً عن شاب لا صلة له بالقوس ولا بالقطن ، وإما أن يكون هذا المنجد من قراء الدكتور غالى الذين يدوخون فى تفهم النسبية والألكترونات وما إلى ذلك من المصاعب، على أن يكون هذا القطن الذى « ينجده » قطن معشوقته التى ستزف إلى منافسه فى الغرام ...

وعلى وجه غير هذين الوجهين لا أستطيع أن أفهم هذا التمثال ولا أن أستسيغه ، فأيهما كان هذا الشاب صاحب هذا التمثال ؟ على أى حال إن هذا أمر لا يعنينا وإنما يكفينا أن نلمح هذا اللون أو ذاك من الحياة فى التمثال ، فليس لنا عند الفنان أكثر من أن يسقينا شهده ، وليس لنا عليه أن يكون هذا الشهد مما نعرف أو مما سبق لنا أن ذقناه ...

إنه « منجد » رأته هكذا الآنسة جلاديس بولاد ... ولها أن تفخر بأنها رأت شيئاً وبأنها تحس وتدرك ثم تعبر عما تقف أمامه زائرة كالتى رأيناها لا تعرف الفرق بين بائع الجيلاتى وبائع المرقسوس ...

انتهيت من هذا « المنجد » ونظرت يمنة ويسرة فلفتنى تمثال لغجرية تبين « زينا » لامرأتين قرويتين استند إلى كتف إحداهما طفل ... كنت على بعد خطوات من التمثال أراه ولا أرى تفاصيله وملامح وجوهه ، فجذبنى إليه « موضوعه » واقتربت منه أبحث عن فعل الفنان فيه ، فالغجرية امرأة لها عقل أبرع من بقية العقول ، ولها نظرات أنفذ من بقية النظرات ، ولها إشارات أكثر امتلاء بالمعانى من بقية الإشارات ، والنسوة اللواتى يجلسن إلى الغجرية يستفتينها فى شؤونهن لسن هادئات ولا ناعمات ، وإنما تثور فى نفوسهن رغبات ، وتصطرع فيها آمال ، وتتخبط فيها نزوات ولواعج ، والصبى الذى يستند إلى كتف أمه ويقف يسمع الغجرية تحدثها لا يمكن أن يخلو من الفضول وحب الاستطلاع ، ولا بد أن يظهر فى وجهه تفرس يتتبع به هذا الكلام العجيب الذى يسمعه والذى يحسه لا يشبه غيره من الكلام ...

دنوت من التمثال لأرى فيه هذا كله فماذا رأيت ؟

رأيت الغجرية نائمة والمرأتين ناعستين والصبى المستند إلى

كتف أمه شارد الروح ... بل إن شارد الروح يدل على نفسه، فيعرف الناظر إليه أنه قد سرح إلى دنيا غير هذه الدنيا، فهو موجود فيها، وإن كان مفقوداً فى دنيانا ... أما هذا الطفل، فقد ظهر عليه أنه ابتلع روحه، فهى فى بطنه محبوسة لا تكسوه حياة الأرض ولا تنتقل به إلى حياة أخرى ...

كان هؤلاء الجماعة أشبه الجماعات بتلاميذ المدارس فى الحصة الخامسة بعد أكلة العدس ... متهافتين إلى النوم، متبلدين عن الفهم، ولم يكن فيهم ما يكون فى تجربة وجماعة مصنين إليها ... فكيف دخل هذا التمثال هذا المعرض؟ وأى شىء فيه أغرى المعرض بعرضه؟ ... هذا ما يعلمه الله وما يعلمه أولئك الذين يقولون: إنهم يشجعون الفنانين الناشئين. والذين أريد أن أقول لهم: إن تشجيع الفنانين الناشئين لا يصح أن يكون على حساب الفن، ولا يصح أن يتعدى حدود التشجيع إلى أن يكون تحريضاً على الفن، وإكراهاً له أن يخضع ويذل لمن لا يكرمه ويفسح له روحه ونفسه. وهذه كلمة شديدة لا أريد منها إلا أن تحفز صاحب التجربة على أن يمعن فى التأمل إذا تأمل وأن يثابر فى تجويد التعبير إذا أقبل على تمثال جديد، فإذا لم يجد فى نفسه القدرة على ذلك استرزق الله عملاً آخر غير الفن ...

وبدأ الزحام الذى كان محيطاً بهدى هانم شعراوى فى الركن البعيد ينحل قليلاً قليلاً، فقصدت إلى ذلك الركن فكان أول ما استرعى نظرى فيه تمثال آخر صغير لبائع العرقسوس حسبته أول ما رأيته أنه من صنع آنسة أو سيدة لما رأيت فيه من حنان وإعجاب ذاعا فى تكوينه ونحته، وتفصيل جوارحه تفصيلاً لا يمكن إلا أن يكون استجابة لطرب كانت ترقص به اليدان اللتان نحتتا هذا الجسم الفارع المشوق الأنيق. حسبت هذا ولكننى علمت أنه من صنع شاب هو سيد زيدان، فهنأته به ولم أكتم عنه ما خطر لى فابتسم فى استحياء كمن لم يكن يحب أن يقال له كلام كهذا، ولكنى هونت عليه بأنه لا حرج على الفنان الرجل أن يعجبه جمال الرجال ... وإنى أعتقد أنه لو كان زيدان قد اهتم بوجه تمثاله هذا على نحو ما كان قد عرض إلى جانب هذا الجسم الحلو وجهاً فيه شىء ما نذكره له إلى ما ذكرناه من جمال البدن فى تمثاله، ولكنه استغرق فى الذراعين والساقين والكتفين، وغير ذلك واكتفى بذلك ...

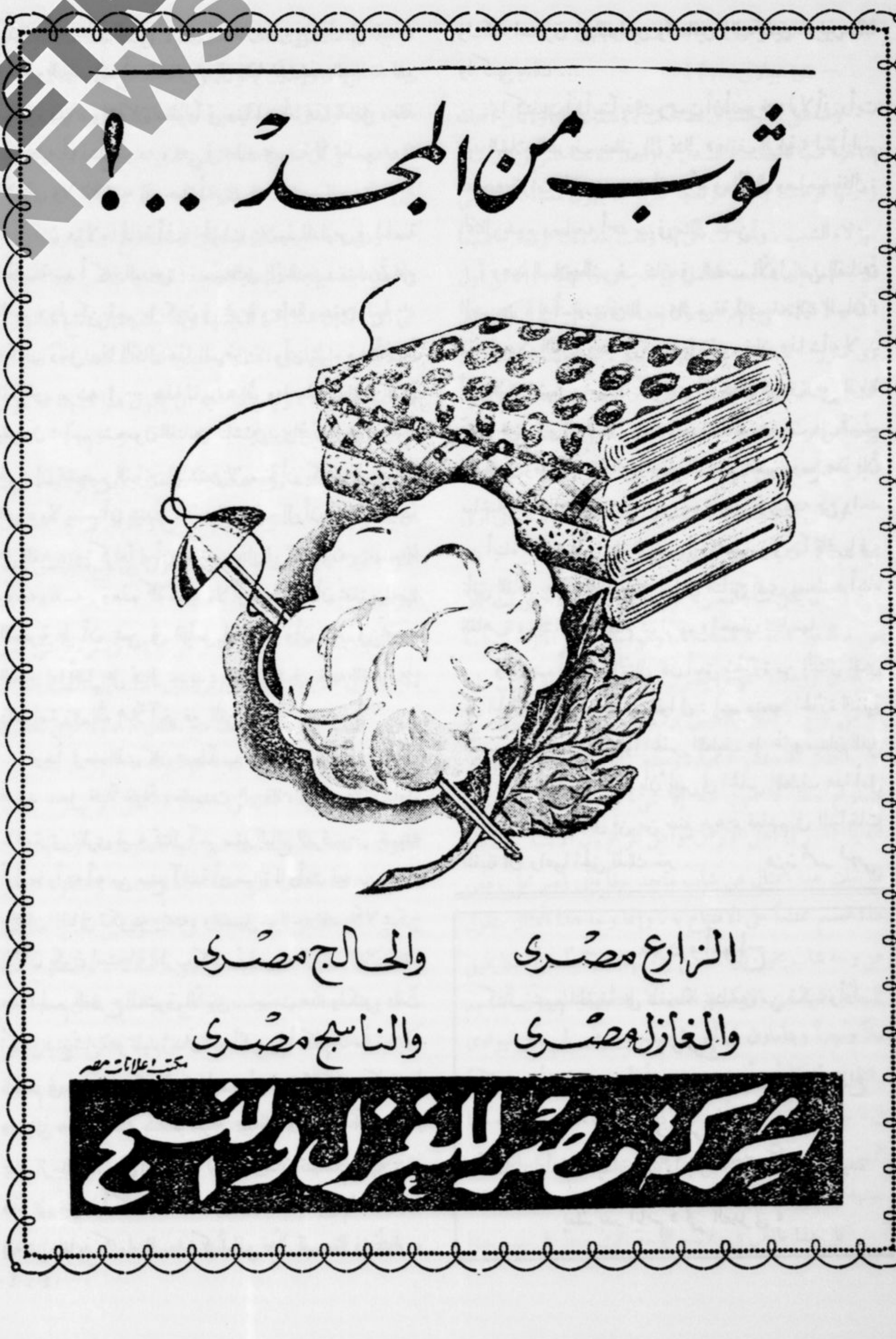
واكتفيت أنا أيضاً بذلك وهممت أن أنصرف، لولا أنى رأيت عبد السلام الشريف ينطلق إلى تمثال «عازف الربابة» ليقرأ اسم صاحبه فقرأت الاسم معه وسألته رأيه فى التمثال وصاحبه فقال: التمثال بديع وصاحبه أحمد صدقى مثال محسن

وعبد السلام الشريف فنان فى الصف الأول من الفنانين المصريين، له أسلوب فى الرسم والزخرفة لم يسبقه إليه إنسان، وقد أحدث القارئ عنه فى فرصة قريبة، وفنان هذا شأنه لا بد أن يكون لشهادته قيمتها. والحق أن تمثال العازف على الربابة تمثال بديع ولو أنه لم ينل جائزة، وميزته أنه منحوت على النهج الفرعونى وفق الطريقة التى أحياها المرحوم مختار، ومع هذا فإن صاحبه احتفظ «بقاهريته» فى وجه التمثال فلم ينحته عن واحد من أبناء الصعيد أو أبناء الريف، وإنما صوره وجهاً قاهرياً فيه تأنق القاهريين، ولطربوشه ميلان التأنق الذى يصطنعه أبناء القاهرة، ولشاربيه انتظام شواربهم وإحسان تنظيمها

ولا ريب أن هذا التمثال كان أحق بالجائزة من التمثال الذى نال الجائزة الثانية، ولكنهم قالوا لى: إنهم منحوا الجائزة الثانية لآنسة متعمدين كى يشجعوا الجنس اللطيف على غزو ميدان الفن

وأنا منذ اليوم أنذرهم بأن ليس فى الجنس اللطيف هذا أمل كبير فى الحصول على فن من صنع يديه، فعليهم فى المسابقات المقبلة أن يراعوا الحق فذلك خير.

عزيز أحمد فهمى


ثوب من المجد..!
الزارع مصرى
والحالج مصرى
والغازل مصرى
والناسج مصرى
مكتب إعلانات مصر
شركة مصر للغزل والنسج



في بيوت النمـــل

للأستاذ أحمد على الشحات

ما من حشرة أكثر انتشاراً على سطح المعمورة من النملة ، وقد يبدو عجيباً أن تستطيع هذه الحشرة الصغيرة أن تهيئ نفسها للأجواء والبيئات المختلفة ؛ فكما أنها تعيش فى أوربا تعيش كذلك فى أفريقية — وفى الجبال والأودية ، وفى الغابات والصحارى ، وعلى شواطئ الأنهار والبحيرات . وقد أحصى العلماء ستة آلاف نوع من النمل تختلف فى الحجم والشكل والعادات واللون ، فنها ما لا يزيد طولها عن ملليمتر ومنها ما يصل طولها إلى بوصة . ومنها الأسود والأحمر والبنى والأصفر والأخضر وما تضاربت وجهات نظر العلماء كما تضاربت فى تعليل عادات النمل ونشاطه وهل مصدرها التفكير أم الغريزة ؟

والنملة فى الاجتهاد والمثابرة يضرب بها المثل . فمن الهزيع الأخير من الليل إلى غروب الشمس تظل دائبة على العمل فى نقل غذائها وتخزينه ، أو بناء مأوى لها ، وتستطيع أن تحمل ما يزيد على أضعاف وزنها من المواد ، فقد أجرى العالم فوريل بعض التجارب فوجد أن النملة تستطيع أن تحمل ما يفوق وزنها ستين مرة

وقد درس فرولوف وهو عالم روسى يشتغل بدراسة الأحياء بعض عادات النمل ، فأتى بصندوق ونزع أحد جوانبه واستعاض عنه بلوح زجاجى شفاف حتى يشاهد منه حركات النمل ، ونزع كذلك السطح العلوى ليدخل الهواء منه إلى الصندوق ، ولكنه وضع نسيجاً شفافاً مكانه حتى لا يهرب منه النمل ، وسد ما قد يكون من ثغرات دقيقة بمعجون ليضمن عدم خروج النمل ، ووضع أمام اللوح الزجاجى ستاراً ليحجب الضوء عنه — وبمجراف ودلو أخذ جزءاً من كوم طبيعى صغير للنمل — بما احتواه منه ومن بيض وبقايا نباتات ، وما يكون قد وجد فيه غير ذلك — من غابة تبعد ثمانين ياردة عن معمله ووضعه فى الصندوق . فلما استعاد النمل هدوءه بعد نقله من موطنه الطبيعى بدأ نشاطه وأخذ ينظم بيته الجديد فخصص مكاناً أميناً للبيض ونقله بعناية إليه ، وأقام مما حوله بيتاً منظما ذا غرف عديدة ، وفتحات للدخول وأخرى للخروج ، وردهات يجتمع فيها. وظل النمل يومين كاملين يشتغل فى موطنه الجديد كأن قد طاب له المقام فيه ، حتى إذا ما أقبل الصباح الثالث ورفع العالم الستار ليرى النمل ، فلشد ما كانت دهشته حين وجد أن ما قد أقامه النمل وتعب فى تنظيمه قد دك دكا ، وأن البيت الجديد قد هدمت قواعده فتطرق إلى ذهنه أن الظروف ما غير ملائمة قد مات النمل ففتح الصندوق ولكن كانت دهشته أعظم حين لم يعثر على نملة واحدة أو بيضة واحدة رغم ما قد اتخذه من احتياطات تكفل له عدم هروب النمل فعاد إلى الكوم الصغير ثانية ، فوجد أنه قد أعيد بناؤه ولو أنه لم يبلغ فى ارتفاعه ما كان عليه أولاً ، فأخذ منه كمية أخرى ، وزيادة فى الاحتياط طلى ظهر أغلب النمل المأخوذ بلون أحمر ونقله إلى الصندوق فبدأ النمل يعيد سيرته الأولى فى البناء والتنظيم ليومين متتاليين ، إلى أن كان الصباح الثالث فوجد كما وجد فى مثيله . البيت تهدم والنمل لا أثر له وكذا البيض ، فعاد إلى الكوم الصغير فتملكه العجب أن وجد هناك أن النمل المطلى ظهره قد عاد أغلبه إليه . أما الباقى فربما كان قد وصل إلى الكوم ثم خرج يبحث عن غذاء ، أو قد هلك فى الطريق ، أو لم يصل بعد إلى الكوم ، ووجد بعد بحث دقيق بعدسة مكبرة أن النمل قد أحدث ثغرة دقيقة فى النسيج الشفاف الذى يقوم مقام السطح العلوى للصندوق ومنها هرب

ولكن كيف اهتدى النمل إلى بيته الأول مع أنه يبعد ثمانين ياردة عن الصندوق وقد حمل حملاً فى دلو حين نقل إليه ؟ وكذلك ما الذى جعله على عزم أكيد للعودة إلى بيته الطبيعى ؟ ففى مرتين يهرب ، وكذلك لم حمل البيض معه ؟ وإذا كان النمل قد عزم على العودة ، فلم كان يشقى كل مرة ويجد فى بناء البيت الجديد ثم يهجره بعد بنائه ؟ أغلب الظن أن النمل لم يفكر فى مثل هذه الأمور ، ولكنها الغرائز هى التى دفعته إلى تنظيم موطنه الجديد ، وهى التى دفعته إلى الحنين إلى بيته الأول ، وهى التى دفعته إلى حمل البيض حفظاً على النوع

ويعيش النمل فى جماعات تتكاتف أفرادها فى عمل ما ينفعهم كبناء بيت ، أو الحصول على زاد وتخزينه ، كما تتكاتف فى دفع الضر كمهاجمة عدو، فتشتبك الجماعات فى معركة يستعر أوارها بسبب القوت غالباً ، إذ تتنافس جماعتان فى الحصول عليه ، فتشتبكان فى الملحمة ، ومتى انتهت رأيت مكان الموقعة ، وقد تناثرت عليه أشلاء القتلى ، فمن أرجل مبتورة إلى رؤوس مقطوعة إلى أجسام ممزقة . وكثيراً ما تشاهد هذه الظاهرة فى النمل الأبيض الذى يعيش فى أمريكا . وقد يندفع الفريق الغالب نحو بيت المغلوب ويلتهم البيض . ومن العجيب أن الفريق المغلوب قد يتجه نحو بيضه ويشاطر الغالب التهامه بعد أن كان يحرص عليه حرصاً شديداً

ويختزن النمل غذاء كافياً ليستهلكه فى الشتاء ، إلا أنه فى بيوت بعض الأجناس لم يعثر العلماء على غذاء مخزون للشتاء ، كما أن مثل هذا النمل لا يخرج شتاء للبحث عن غذاء له . وبعد بحث وجدوا أن مثل هذا النمل يكون شتاء فى حالة ركود أشبه ما تكون بالنوم . فلا يحتاج فى هذه الفترة إلى قوت ، حتى إذا لاحت تباشير الدفء فى الجو بإقبال الربيع خرج يسعى لرزقه .

وقد توجد حشرات أخرى تشاطر النمل مسكنه وغذاءه ، ولقد أحصى العلماء خمسمائة حشرة مختلفة تعيش معه نظير أن تقوم ببعض الخدمات كتنظيف البيت ، أو إعطاء بعض إفرازات من جسمها حلوة الطعم كالتى يمنحها إياه بعض أنواع القمل ، إذ تضغط النملة بقرنى الاستشمار على مؤخر جسم القملة ، فيخرج سائل تمتصه . إلا أن بعض الحشرات قد لا ترعى أصول الضيافة وتلتهم الغذاء المخزون للشتاء، عندئذ ينقض النمل عليها يطاردها وقد يلتهمها

وللنمل أعداء كثيرة أشهرها : « آكل النمل الذى يستطيع أن يبتلع الآلاف منه دفعة واحدة رغم ما يخرج من جسم النمل فى فم آكله من سائل حمضى هو حامض النمليك . ويمكن استحضار هذا الحامض كيميائياً من جسم النمل بالتقطير

ويتعهد النمل إحدى يرقاته الصغيرة حين تخرج من البيضة بغذاء خاص حلو الطعم يعرف بالغذاء الملكى . وتصبح هذه اليرقة فيما بعد ملكة على النمل ، وهى وحدها القادرة على وضع البيض ؛ أما اليرقات التى لا تطعم هذا الغذاء فتصبح ما يسمى « الشغالة » وظيفتها استحضار الغذاء والتنظيف ومهاجمة العدو ؛ ولكن لا تستطيع أن تضع بيضاً

وللنمل فى سبيل المحافظة على النوع مشاهد عجيبة ، فقد أخذ العالم « لوبوك » يوماً نملة من كوم صغير للنمل ومعها مئات من البيض ووضعها جميعاً فى كأس صغيرة ، فما كان من النملة إلا أن استمرت طيلة اليوم ترجع واحدة ثم واحدة من البيض إلى الكوم وقد أخذت هذا العمل المضنى على عاتقها بدون مساعدة ، حتى أفرغت وحدها الكأس كلها

أحمد على الشحات

بكالوريوس العلوم ودرجة الشرف

أرانب بغير أب

توصل جاك لوب لأول مرة منذ أربعين عاماً إلى طريقة « الإخصاب الكيميائى » أو « التوالد البكرى الصناعى » فأثبت ببحوثه المدهشة أن البيض البكر لقنفذ البحر يستطيع بعد غمره فى محلول حمضى أو مالح ذى تركيب مناسب ، أن ينمو بطريقة منتظمة حتى تتوالد منه يرقات تامة التكوين والتماثل لتلك التى تتوالد من الإخصاب الطبيعى ، فاستطاع الإنسان بذلك أن يعتاض بوسائل المعمل عن الإخصاب الطبيعى من الذكر

وبعد عشرة أعوام أجرى العالم البيولوجى الفرنسى الكبير Bataillon تجربة « التوالد البكرى الصناعى » على الحيوانات الفقارية ، فاستطاع أن يوفق إلى تحديد النمو الكامل للبيض البكر للضفدعة بواسطة تلقيحها بالمادة الليمفاوية أو بالدم ، وقد حقق بعض هذه الضفادع الوليدة بغير أب هذا الانقلاب ونمت حتى صارت ضفادع طبيعية

وقد عادت هذه النتائج بفائدة جليلة من الوجهة البيولوجية والفلسفية ، فقد كان يظن أن هذه التجربة قاصرة على كل حال على الحيوانات الدنيا . وكان يشك فى إمكان تطبيق طريقة التوالد البكرى على الحيوانات الراقية ، فإن البيضة فى الواقع عند طبقة الحيوانات الثديية التى ينتمى إليها الإنسان ، هى خلية صغيرة لا تكاد ترى بالعين المجردة ، ويتم نموها فى داخل الأعضاء الأنثوية

ولتحقيق التوالد البكرى الصناعى فى الحيوانات الثديية ، يجب مواجهة سلسلة من العمليات المتناهية الدقة، وهى الحصول على



كلاب ... وكلاب !...

للأستاذ عبد الله حبيب

« إلى هذا الشيخ الجاثم فى حفرة بين المقابر كما يجثم العقاب الهرم ، وإلى وحيدته فاطمة الراقدة تحت أطباق الثرى ، وإلى هذه الكلاب التى ترفل فى نعيم الدنيا ، وإلى الصعاليك من بنى آدم أهدي هذه القصة » ع . ح

— ١ —

كان البدر يتألق فى صفحة السماء ، وكان الليل مشرق الجبين فتهلل وجه الطبيعة ، وانقشعت غياهب يومنا العابس المطير

وكأن صحو هذه الليلة وإشراقها قد أشاعا الدفء فى الأرجاء فنسينا أننا فى ليلة من ليالى الشتاء

وكنت مع صاحبي ليلتئذ — فى دارى التى اخترتها لسكناى بالضاحية النائية على حافة الصحراء — نطوف بالذكريات فى ركب الأيام ومواكب الأعوام ، وطال بنا الجلوس فمللنا البقاء وهممنا بالخروج ننشق نسيم هذه الليلة التى تشبه ليالى الربيع ، وكنا نسير إلى غير قصد معلوم

قال لى صاحبي :

— ألك فى رحلة قصيرة نجتاز بها هذا الجانب من الصحراء إلى تلك القرية الصغيرة على مسيرة ربع ساعة ننعم فى خلالها بالبدر يسطع فوق رمالها البيضاء ، وبالليل نبدد سكونه بما يحضرنا من حديث ؟

وكان تألق البدر فى الصحراء يغرى بالمضى إلى حيث شاء صاحبي فأجبته إلى ما أراد

... ونعمنا فى طريقنا إلى القرية بسكون الليل وفتنة القمر ما شاء الله أن ننعم . ثم أراد صاحبي أن نسلك فى عودتنا طريقاً أخرى ...

قلت :

— وماذا تبغى من هذه الطريق ؟

— لنمر بمقابر هذه القرية لعلنا نجد الشيخ الكفيف المسلوب العقل فى صحوة من صحواته هناك فأريك منظراً عجباً ، وأحدثك حديثاً أعجب من العجب ...

— شيخ كفيف مسلوب العقل يسكن هذه المقابر وهو حى ؟

— أجل ، وفى حفرة عميقة تشبه الجب لا يبرحها ليلاً أو نهاراً إلا إذا ثارت ثائرته فنهض منها ينفض عن بدنه وثيابه

البويضات البكر ، ووضعها تحت علاج ناجع دون تعريضها للهلاك ، ثم وضعها فى رحم مستعد لقبولها ، وهذه كلها مجموعة من الصعاب تبدو ذات طبيعة تتحدى أكثر المختبرين مهارة

إلا أنه يلوح أن العالم الأمريكى « جريجورى بنكس » قد تغلب على هذه الصعاب ، فاستطاع إنماء بويضة الأرنب بالتوالد البكرى ، وهو كشف عظيم الدلالة ، لو أنه كان فى وقت قليل الاضطراب لاعتبر كأنه حدث كبير

أخذ بنكس بعض البيض البكر ووضعه تحت تأثير محلول ملح أو حرارة مرتفعة (٤٧°) وبعد أن نشطه على هذا المنوال نقله إلى رحم أرنبة أخرى كان قد أعدها من قبل فى حالة حمل كاذب ، أى فى الحالة التى يكون للأنثى استعداد لقبول وتغذية البيض ، فنما بعض هذا البيض (٣ فى المائة) بطريق التوالد البكرى إلى درجة متقدمة فى التطور الجنينى ، بل لقد أفرخت بيضة منها أرنباً حياً ولد فى موعده

ونجاح بنكس إلى هذه الدرجة يذهل ، حتى ليصعب على الإنسان ألا يشك فى غلطة أثناء التجربة ، ولكنه يجب أن نذكر أن هذه النتائج قد أعلنها بيولوجى مشهور أعطى كثيراً من الأدلة على رسوخه الفنى ، وندين له بأعمال باهرة فى تربية بيض الحيوانات الثديية

ولكن من المحتمل على الأقل أن يكون أرنب بغير أب قد رأى النور بفضل العلم ، فالعلم لا يتبطل . وقد رأينا التوالد البكرى الصناعى لقنفذ البحر فى سنة ١٩٠٠ وللضفدعة فى سنة ١٩١٠ وللأرنب فى سنة ١٩٣٩ . فمتى يكون للانسان ؟

« عن ماريانه »

ترابها ، ويمتشق عصاه فيلوّح بها في الفضاء صائحاً :

كلاب ! كلاب ...

— وما شأن هذا الشيخ ؟

— إن أكثر سكان الضاحية يعرفون خبره ومصرع ابنته فاطمة . إنهم يمرون به في طريقهم إلى السوق فيحسنون إليه بإلقاء بعض الطعام في حفرته دون أن يدنو منه أحد . إنه على ضعفه وكبر سنه وذهاب بصره وتخاذل قواه يفتك بمن يقترب منه . إنه يعاف ما يلقى إليه من الطعام فيظل أياماً لا يأكل منه شيئاً ، كأنه يريد أن يعجّل في أجله فتأبى عليه الأقدار العاتية إلا أن يتعذب ...

— وما خطبه صنع الله له ؟

وكنا في مسيرنا قد أشرفنا على مقابر القرية ، فبدت لأعيننا في وحشة الليل وجلال الصحراء كالأشباح المترامية بين الوهاد والآكام

لزم صاحبي الصمت ، وسرت بجانبه مأخوذاً برهبة الموت ، فلا هو استطاع أن يسترسل في حديثه عن الشيخ ولا أنا أصررت على أن يجيب

وكنا كلما اقتربنا من هذه المقابر الجاثمة في الفضاء زادت وحشتنا من سكون الليل الرهيب

— ٢ —

الآن نحن على حافة الحفرة العميقة التي اتخذها شيخنا المسكين مقراً ، وها هو ذا ملقى على ترابها في ثيابه المهلهلة بغير غطاء ، وتلك عصاه التي حدثني عنها صاحبي يقبض الشيخ عليها وهو في غفوته ساكن لا يتحرك ، وتلك أنفاسه المتقطعة كأنها حشرجة الموت لا نسمع سواها في وحشة الليل وسكونه

إنه الآن يتململ في ضجعته ، لقد أيقظه السعال ! ! – ما أشد وقع هذه اللحظات الرهيبة على نفسي – ها هو ذا يئن متهالكا على نفسه . . . إنه يعتمد على عصاه فيقف وكأنه ميت قام يجرجر أكفانه ... وها هو ذا يتحسس الطريق إلى الأرض المستوية ... إنه يمد عنقه ، ويتسمع بأذنه ، ويتشمم الهواء . كأنه أحس أنفاساً غريبة في جو المقبرة . وها هو ذا يتمتم بكلمات متقطعة

لقد ابتعدنا عن حافة حفرته حين صعد إلى الأرض المستوية . لكنني غالبت الخوف والرهبة فبقيت على مقربة منه أنظر إلى وجهه على ضوء القمر الساطع ...

ما أروع هـذا الوجه وما أحفله بالأسرار والمعاني . عينان أطفأ نورهما فعل السنين ، وجبين خطت فيه الشيخوخة سطوراً متعرجة من الغضون والتجاعيد ، وأنف أشم أقنى ، ورأس ضخم جلله الشيب ، وجسم ناحل ضامر

وقف يجمجم بكلمات لا تبين ، ثم لم يلبث على هذا الحال كثيراً ، وكأن قوة عاتية سرت في هذا الجسم النحيل الذاوي ، فانتفض كالأسد المهصور يلوح بعصاه ويعدو في الفضاء

كان المسكين يحارب الهواء ، وينازل الأعداء ، وكنت في هذه اللحظة أحبس أنفاسي ، وأتحاشى مواضع جولاته ومطارح عصاه . وكان في هذه الثورة الجارفة يكرر كلمة واحدة بصوت قاصف كالرعد : كلاب ! ! كلاب ...

ثم خارت قواه وانطفأت جذوة غضبه فراح يتهالك على نفسه ويجر قدميه يتلمس مكان الحفرة التي صعد منها ، وما زال كذلك حتى أحست إحدى قدميه مكانها فألقى بنفسه فيها فإذا هو جاثم كما يجثم العقاب الهرم لا حركة ولا نأمة

ودنا مني صاحبي – وكنت أستند إلى جدار مقبرة نائية كالمسحور لا أقوى على الحركة أو الكلام – فاجتذبني من يدي لنواصل السير ، فمشيت بجانبه مأخوذاً من هول ما رأيت ذاهلاً عن كل شيء . وما زلنا حتى ابتعدنا عن هـذه المقبرة وجوّها المفزع الرهيب ، ثم بدأ صاحبي يقول :

— يوم رأيت هذا الشيخ أول مرة تولاني من الفزع مثل ما تولاك . أما اليوم فقد ألفت مرآه ، وإن كنت لا أزال أرثي لحاله وأجزع عليه أشد الجزع كلما تذكرت مأساته الدامية ...

— وهل للمسكين مأساة غير ذهاب بصره وعقله وارتمائه في هذه الحفرة بين الأموات ؟

— إن هذه الحال الأليمة التي شاهدتها إنما هي آخر مأساته . أما أولها فهو آلم وأوجع مما شاهدت ...

— ٣ —

... ومضى صاحبي يتحدث عن هذا الشيخ فقال :

كان المسكين وجيهاً في قومه وأحد أغنياء قريته ، مرموقاً

بين أهلها بالتجلة والاحترام ، واستنار فى صباه بما قرأ من كتب الأقدمين والمحدثين ، واستطاع بما وهبه الله من بصيرة نيّرة وإحساس مرهف مشبوب أن يدرك مقدار ما يعانى فقراء قريته وعمالها المكدودون ، وأرّقه همُّ التفكير فى شأن هؤلاء المساكين وما يعانون من ظلم الأغنياء وتحجر قلوبهم ، فوهب حياته وماله فى سبيل نصرتهم وحثهم على إدراك ما لهم فى أعناق أولئك العتاة من ذوى النعمة واليسار ، فراح يجمعهم حوله وينادى فيهم بمبادئه السامية . وكان عمدة القرية رجلاً عاتياً ظالماً فجمع لمحاربته كل قواه ، وأخذ يكيد له فى الجهر والخفاء ويوقع به فى كل فرصة . وما زال الرجل يتلقى ضربات هذا الطاغية فيصمد لها مرة وينهزم أخرى حتى أوشك ماله أن ينفد

وظل المسكين يجالد الأيام ويناضل العتاة من أهل قريته ، وينفق من صبابة ماله على مواساة ذوى الحاجة والمعوزين حتى نضب معين ثروته فتنكرت له القرية بأسرها ، وشمت به أعداؤه ، ونفر من حوله أنصاره الذين أنفق فى سبيلهم ماله وشبابه وجاهه . واسترسل عمدة القرية فى النكاية به فألّب عليه هؤلاء الأنصار الذين نعموا بثروته ، واستناروا بآرائه ، وجرّد منهم جيشاً للتنكيل به وإيذائه

وأصبح المسكين ؛ فإذا هو فى القرية البائس اليائس الذى لا يملك من حطام دنياه غير دار صغيرة لا يفى ثمنها بما هى مثقلة به من الديون

وفى ذات مساء جلس الرجل فى داره حزيناً كئيباً يتحدث إلى زوجه الوفية الحنون وينفض بين يديها جملة حاله ، وقد جدعت الحاجة أنف العزة ، فكاشفها بما آل إليه أمره ، وكان يخفى عنها كثيراً مما أصابه من الخيبة والفشل ...

ورأى آخر الأمر أن يرحل عن قريته تحت ستار الليل تاركا داره دون أن يشعر بهجرته أحد ، واستقر رأيه على أن يصحب زوجه وابنته فاطمة التى كان قد رزق بها فى آخر أيامه

وكانت الأيام قد غالته فى بصره ، فأصبح كفيفاً يدب على عصاه ، وتألبت عليه الكوارث ، فألحت علة الصدر على زوجه الوفية ، وأعوزه المال ، فلم يجد منه ثمن الدواء !

خرج المسكين فى جنح الظلام يحمل بعض الثياب والزاد ... وخرجت معه زوجه تقوده إلى ظاهر القرية ، وابنته الصغيرة تدرج إلى جواره ، وهى لا تعرف من شأن هجرة أبيها وأمها شيئاً

وكان قد أجمع الرأى على أن يقصد العاصمة عله يجد بين أغنيائها محسناً كريماً يدفع عنه غائلة الحاجة فيمد إليه يد الرحمة بقية أيامه

وليست العاصمة بقريبة من قريته ، فالشقة بعيدة والزاد قليل والبرد قارص ، وزوجه المريضة يتولاها السعال ، وتقسو عليها علة الصدر. كلما جد بهم السير ...

لكن الشيخ ابرهيم مجاهد — وهذا اسمه — رجل غالب الأيام وصبر على أذاها ، فهو لا يزال رغم ذهاب بصره وماله وشبابه الرجل القوى الشكيمة ، وقد أراد أن يصل إلى العاصمة ، فلا بد أن يصل ...

ورأى الشيخ إبرهيم أن يجعل مسيره ليلاً ليتقى بالسير غائلة البرد، ولكيلا يراه سكان القرى القريبة فى غدوهم ورواحهم نهاراً ، فظل يسير الليل ويستريح النهار حتى صار قريباً من العاصمة ...

لكن العلة كانت قد اشتدت وطأتها على زوجه ، وأنهك السير وحيدته الطفلة ، وهو لا يزال – مع ذلك – يسكب فى آذانهما كلماته العذبة الرقيقة يغريهما باقتراب العاصمة ويمنيهما بالراحة الدائمة فى كنف المحسنين من سكانها العظماء ! !

وكان قارص البرد يوغل فى القسوة والشدة يوماً بعد يوم ، واحتمال الزوج المريضة والطفلة الناعمة ينفد يوماً بعد يوم ...

— ٤ —

فى ليلة من تلك الليالى الجاهدة كان الشيخ ابرهيم وزوجه ووحيدته قد أشرفوا على قرية من قرى القليوبية . وكان السائر فى طريق تلك القرية يرى فى عجمة الليل وإغفاءة الفجر ثلاثة أشباح تترنح فى الظلام الدامس من فرط الإعياء والجوع والبرد . أولئك هم التعساء الثلاثة فى طريقهم إلى القرية

وقال الشيخ لزوجه : اسمعى يا عائشة ! ! هذا صوت المؤذن يجلجل : الله أكبر الله أكبر حى على الصلاة . إن الفجر يوشك أن ينبثق . سنصل إلى هذا المسجد القريب فأدرك صلاة الصبح ، وهناك نحتمى من هذا المطر المنهمر وننعم بدفء الشمس فى الصباح هيا يا عائشة انهضى ، اعتمدى على منكبى فقد أوشكنا أن ندرك الغاية ...

وكانت المسكينة قد أخذتها نوبة السعال ، والمطر ينهمر ، والرعد يقصف ، والسماء غاضبة ، والليل موحش . وتهالكت

على نفسها فنهضت تحنى بين جوانحها ما تعانى من ألم وضعف وتخاذل، ومشت إلى جواره خطوات، ثم اشتدت عليها وطأة الداء، وأعياها المسير فسقطت تحت أقدام زوجها الضرير وظلت تئن وهى تلفظ أنفاسها الأخيرة . والزوج يتحسس مكانها ولا يراها ، ويتشمم أنفاسها الخافتة ، ويتسمع دقات قلبها الموجع ...

وفى هذه اللحظات الرهيبة دوّى صوت المؤذن مرة أخرى : « الله أكبر . الله أكبر » وكانت الزوج قد لفظت آخر أنفاسها وأصبحت جثة ملقاة فى وحل الطريق ، طريق العاصمة . . .

وأدرك الشيخ أن زوجه قد ماتت فألهبت الفجيعة رأسه وراح يتخبط كالمجنون ، وبصيح فتذهب صيحاته فى سكون الليل بدداً . . .

وكان المؤذن لا يزال يدعو الناس إلى الصلاة فاختلط صوته بصوت ذلك المفجوع الذى وقف فى الطريق يدعو الناس إلى عونه فى مصابه

وظل الشيخ الضرير يتشمم جثة زوجه الوفية ويبلل وجهها بدموعه . أما وحيدته فاطمة فقد كان منظرها فى سواد الليل وإلى جوار جثة أمها تصطك أسنانها من شدة البرد وتبكى من ذوب قلبها دموعاً – منظراً يذيب قلب الحجر ...

... ثم مضى الليل ! فوارحمتاه ! كيف مضى ؟!

وكان صباح ...

وبكر فلاحو القرية بالماشية إلى مزارعهم ، وانتشروا على ظاهر الطريق يتلاقون على تحية الصباح ، ثم رأوا ذلك الشيخ الضرير يحنو على جثة زوجه ، ورأوا وحيدته الطفلة وقد ارتمت فى أحضان أمها خائرة تبكى وتئن

واجتمع أهل القرية على فعل الخير فأعانوا هذا الغريب المرتحل فواروا جثة زوجه التراب . وظل الشيخ مع ابنته فى مقبرة القرية أياماً طوالاً لا يبرحها ولا يكف عن النحيب ، ووجد زاده من جود أهل القرية ، فكانوا يمدون إليه يد الإحسان يوماً بعد يوم

ثم رأى الشيخ أن يرحل عن المقبرة إشفاقاً على وحيدته الطفلة ، وأن يمضى بها إلى غايته ، فقد أصبح على مقربة من العاصمة ... فليعش من أجل هذه الطفلة الغريرة ، وليجد لها سبيل العيش فى كنف رحيم من ذوى اليسار هناك

— ٥ —

وصل الشيخ إلى ضاحيتنا على حافة الصحراء ، واقترب من المدينة الآهلة بذوى البر والثراء وأصبحت منه على بضعة كيلو مترات ، وجلس يستريح من وعثاء الطريق ، وراحت ابنته تلعب من حوله وتطفر فى دفء الشمس لاهية

ونظرت الطفلة فرأت قصراً كبيراً تحيط به حديقة غناء ذات سور من القضبان الحديدية ، وكان أبوها قد أحس بمض الراحة وبمض الدفء فأغفى إغفاءة المتعب المكدود ، وعدّت الطفلة نحو سور القصر تنظر من بين قضبانه لترى أشياء وأشياء لم تكن رأت مثلها من قبل ، وأطلت على الحديقة ، فلم يكد نظرها يقع على ما فى داخلها حتى عادت إلى أبيها تعدو فأيقظته – وقد راعها ما رأت – ثم راحت الكلمات تتناثر من فمها الصغير فى غير ترتيب

— قم يا أبى ، قم ولا تنم ، تعال انظر ما فى هذه الحديقة ، وكأن المسكينة نسيت أن أباها لا يستطيع أن ينظر . . . تعال يا أبى لأريك دنيا غير دنيانا . نظرت هنا يا أبى من بين القضبان فى حديقة هذه الدار الكبيرة فرأيت الأرض كلها مفروشة بشىء أخضر يشبه الزرع الذى نزرعه فى بلادنا ، لكنه ناعم ملتصق كله بالأرض ، ورأيت الأرض التى يمشى عليها الناس مفروشة بشىء أصفر يشبه الدقيق لكن الدقيق أبيض ، ورأيت رجالاً كثيرين يذهبون إلى آخر الحديقة من الجهة الأخرى ويفتحون أبواباً صغيرة فتخرج منها كلاب تجرى فى الحديقة . . . أى والله إنها كلاب يا أبى تشبه كلاب بلدنا ، إنها كثيرة جداً أكثر من كلاب بلدنا جميعها ؛ إن الناس هنا يا أبى يلبسون الكلاب ثياباً خضراً من القطيفة كالتى كنت ألبسها وأنا صغيرة ويضعون فى رقابها أطواقاً تلمع مثل الذهب كالتى كانت أمى تلبسها فى رقبتها . إنها كثيرة جدا يا أبى ، إنها كلاب حقيقية ، لقد سمعتها تنبح مثل كلابنا تماماً . تعال يا أبى نطلب من هؤلاء الرجال طعاماً من الذى وضعوه الآن لهذه الكلاب ، إننى رأيتهم يحملون آنية كبيرة وفيها الثريد وعليها اللحم ودخان الثريد يتصاعد فى الفضاء ، اللحم هنا يا أبى كثير جدا ، لقد شممته بأنفى ورأيته بعينى . قم يا أبى ، قم ولا تنم إن الدنيا هنا جميلة والأكل كثير ...

تناثرت هذه الكلمات — في لهفة — من فم فاطمة الصغيرة وأطرق أبوها عند سماعها ما شاء الله أن يطرق ، ثم حاول أن يصرفها عن ذكر هذا الذي رأت بمختلف الأحاديث ووعدها أن يقوم بعد قليل ليحضر لها الطعام

أما هذا القصر فهو قصر « عظيم » من عظماء العاصمة بناه في ضاحيتنا النائية ليقضي به بعض أيام الشتاء . وقد ورث عن أبيه العظيم مالاً وعقاراً وضياعاً . وكان مما نزعت إليه نفسه أن يقتني أكبر مجموعة من كلاب الصيد وكلاب الحراسة وكلاب الزينة فاجتمع لديه منها ما يزيد على المائة . وقد عنى ببناء أوْجرة نظيفة مفروشة تأوي إليها هذه الكلاب ، وجعل لها غذاء في اليوم خمسين أقة من اللحم !!!

ورأت فاطمة الصغيرة ما رأت — وكان الجوع والإعياء قد فعلا بها فعلهما — فعادت إلى أبيها - في براءة الطفولة الغريرة - تستحثه على النهوض ليطلب لها من خدام الكلاب لحماً وثريداً مما يحملون ...

أما أبوها الضرير فقد ظل مكانه مطرقاً ، وأما وحيدته الجائعة فلم يستقر لها مع الجوع قرار ...

— ٦ —

تركت الطفلة أباها في إطراقته الحزينة ، وتسللت من جانبه نحو سور الحديقة ، وكان الحراس والخدم لا يزالون يحملون اللحم والثريد إلى الكلاب ... وطغى الجوع على الإنسانة الصغيرة وسال لعابها ، فاندفعت من بين القضبان داخل السور الحديدي ، وعدت إلى قصعة من القصاع ، فمدّت إليها يدها تأخذ قطعة من اللحم ، ولم تكد الجائعة الضاوية تمد إلى اللحم يدها ، حتى أطبق عليها كلب ضار من كلاب الحراسة ، فأعمل أنيابه الحادة في بطنها ، فتفجر دمها الإنساني وخرجت أمعاؤها ... ودوّت في الفضاء صرخة واحدة وصلت إلى أذن أبيها الضرير ، فعرف صوت وحيدته وأيقن أن مكروهاً أصابها ، فنهض يعدو متخبطاً يسأل الغادين والرائحين عن مصدر الصوت ، فلا يجيبه أحد ...

كانت الصرخة التي دوّت في الفضاء صرخة واحدة ، وكان الوالد الضرير يرقب صرخة أخرى ... علّه يهتدي بها إلى مكان ابنته ... لكن الأقدار العاتية أبت عليه ، حتى هذا الرجاء ، فظل يعدو هنا وهناك بقلب مفجوع وكبد تتمزع

وكان مصرع الطفلة بين أنياب كلب العظيم الضاري قد أثار ضجة بين الحراس والخدم ، وتسمع الوالد المفجوع إلى هذه الضجة فقصد إلى مكانها ...

لكن الأسوار شاهقة منيعة ! ! ...

صاح الرجل صيحات مدوّية جمعت الناس حوله ... ثم راح يستنجد بهم أن يدلوه على مكان ابنته ... وتطلّع الناس إلى داخل الحديقة ، فرأوا الطفلة ملقاة على الحشائش ينزف دمها ، والخدم من حولها يتصايحون ...

قال أحدهم :

— يجب أن نلقي بها خارج الأسوار قبل خروج الباشا حتى لا نتعرض لغضبه وعقابه ، إنه سيوقع بنا العقاب لأننا غفلنا عن العناية بالكلاب وحراسة طعامها من أيدي المتسللين !

وقال آخر :

— يجب أن تبقى علَّ الباشا يرق لحالها فيواسي أهلها المساكين . ثم قر الرأي بعد هذا الخلاف على أن يلقى بالطفلة خارج الأسوار ...

وعرف الوالد الضرير مصرع وحيدته وراح يتشمم جثتها ، ويذرف فوقها الدمع فيختلط بدمائها القانية

واجتمع أهل الضاحية فأعانوا الغريب المرتحل على مصابه . لكن الغريب المرتحل كان قد ذهب عقله ... فلم يدرك لصنيعهم معنى ، ولم يعرف بعد ذلك من شأن الدنيا إلا أن يتبع جثة فاطمة إلى المقبرة وأن يرتمي في تلك الحفرة العميقة بجوارها إلى آخر أيامه

وهو كما رأيت الليلة لم يبق على لسانه غير هذه الكلمة الواحدة يكررها ثم يكررها : كلاب ! ! ! كلاب ! ...

— ٧ —

كان البدر — أول الليل — يتألق في صفحة السماء ، وكان إشراق الطبيعة في تلك الليلة يغري بالحركة والنشاط

ولم يكد صاحبي يحدثني ذلك الحديث الدامي خلال عودتنا إلى ضاحيتنا حتى تجاوبت أصداء الرياح في الأرجاء ، وغام على البدر المتألق سحاب متكاثف ، فزمجرت السماء ، وانهمرت الأمطار ، وصارت الطرقات مظلمة خرساء

وآويت إلى مضجعي مطرقاً حزيناً ثائر النفس مضطرم الجوانح أرقب طلائع الصباح ! ...

عبد الله حبيب



لماذا نحارب ألمانيا

[عن حديث « لمستر هور بليشيا »]

أمام ألمانيا النازية الآن ثلاثة أبواب : فإما أن تحاول قهرنا فى البر والبحر والهواء ، أو تقف أمامنا موقف المسالمة والهدوء أملاً فى انصرافنا عن مواجهتها وكبح جماحها قبل حلول الوقت الملائم ، أو خداعنا بعرض بعض شروط السلام

وقد دلت التجارب الحربية الحديثة على أن مواجهة المواقع الحربية الكاملة التحصين الوافية العدد أمر من المستحيلات . فبولندا لم يكن لها خط كخط ماجينو لتدفع عن نفسها شر البلاء الذى منيت به . ولكن الجبهة الغربية تتمتع بحصون قوية متينة تزداد كل يوم ثباتاً ورسوخاً ، وكل محاولة يقوم بها العدو لمهاجمة تلك الحصون تكلفه غالياً . ولم ير قوادنا أن يستبقوا الوقت ليخاطروا بأبناء الأمة الذين يتكون منهم جيشها ، بغير ضرورة ملجئة

وقد أخلفت هذه الحرب كثيراً من الظنون التى كانت تخطر بالبال ، فقد كان الكثيرون يتوقعون المواقع العنيفة فى البر والبحر والهواء . وكنا نظن أن الخطر السريع قريب من جبهة الوطن ، فواصلنا الليل بالنهار فى سبيل الاستعداد والتأهب للعمل وإن كنا قد رأينا الأسابيع تمر تلو الأسابيع دون أن نواجه شيئاً من الأخطار التى نستعد لها

وعلى الرغم من الهدوء الظاهر فقد أمكننا أن نكشف عن نيات خصومنا . فمنذ رفعت ألمانيا عقيرتها بالمطالبة بإطلاق يدها فى الشرق ، أخذنا نتبين مطالبها العديدة التى كانت بولندا أحدها فألمانيا ترى أن دول بحر البلطيق يجب أن تكون تحت سيادتها . ولكنا رأيناها ترد عن هذه الغاية بمطامع روسيا فى تلك المنطقة . وترى أن رومانيا يجب أن تحتلها ألمانيا النازية عن طريق بولندا ولكن روسيا قد وضعت سداً منيعاً بينها وبين رومانيا من هذه الناحية . أما خط برلين — بغداد فقد وقفت تركيا عقبة فى سبيله .

وتركيا أمة قوية شريفة وكذلك العراق وهى حليفة راسخة متينة

فإذا اتجهنا إلى الناحية الغربية، نجد أن الحملة البريطانية قد وصلت فرنسا سالمة آمنة بحراسة الأسطول التجارى ، وستزود برجال الميليشيا والمتطوعين من كل سن تليق بالخدمة الحربية ، وسوف يكون عمادنا القويم ما تخرجه مصانعنا من الأسلحة والمؤن

لقد أصبحت الممتلكات الحرة على استعداد للقيام بنصيبها إلى جانبنا فى هذه الحرب . وقد تبوأت الكتائب الهندية مراكزها فى كثير من المواقع وأبدت الهند وغيرها من أنحاء الامبراطورية استعدادها لزيادة نصيبها فى هذه الحرب . فإذا تقدمت الأيام وجد الجد فسوف ترى ألمانيا هذه الجموع الزاخرة محتشدة أمامها . ومما لا شك فيه أن الزمن سيكون إلى جانب فرنسا وبريطانيا والامبراطورية

فإذا أراد الخصم لياذاً من هذه النكبة التى كان هو أول من أرث نارها ، فهذا هو الموقف الذى يجب أن نقابله بحذر . إذ أن كل سلم يعتمد على الكلمة المرضوضة لا تقوم له قائمة على الإطلاق . ولا ضمان للسلم إلا بقيام نظام جديد بعيد عن ظلم النازيين

إن لهذه الحرب أهدافاً أسمى وأعظم من مصادمة الجيوش ومكافحة الطائرات ومغالبة الغواصات ، ذلك هو الصراع بين قوة الخير وقوة الشر . فأى القوتين ستكون لها السيادة على العالم ؟ أى القوتين يكون لها الغلب على عنصر الإنسان

نحن لا نحارب لإعادة الحكومة التشكوسلافية ، أو رد الحكم إلى بولاندا كما قد يظن الكثيرون ، فنحن لا نحارب من أجل الجبهة الجغرافية ، ولكنا نحارب لإنقاذ الجبهة الإنسانية

الحرب فلسفة الألمان

[عن كتاب « الروح البروسية فى ألمانيا »]

ثلاثة عوامل كان لها أبلغ الأثر فى توجيه الفكر البروسى فى القرنين الأخيرين : حب الحرب فى ذات نفسها ، وسوء الظن بالسياسة السلمية والصدوف عن فكرة الاتحاد الدولى بكافة أنواعه والتأثر بنظرية « كلوزويتز » القائلة بأن الحرب وسيلة من وسائل السياسة والسياسة وسيلة من وسائل الحرب ؛ وثالثاً عقيدتهم بأن الحكومة — وعلى الأخص الحكومة البروسية — يجب

ألا تهتم بشأن غير شئونها الخاصة ، ويرجع حب الألمان للحرب إلى فجر التاريخ الألماني . فقد ذكر عن خطيب إغريقي عظيم أن الأمبراطور الروماني « جوليان » احتج ذات مرة على قبيلة « توتونية » لأعمال السلب التي تقع منها ، وعاداتها الشبيهة بالعادات الحربية . فجاءه منها هذا الجواب : « إننا نجد في حياة الحروب سعادة لا تعدلها سعادة » وما زالت هذه الأمثلة تتكرر في تاريخ بروسيا منذ عهد فردريك الأكبر الذي جعل الحرب (صناعة بروسيا القومية) إلى العهود الحديثة ، حتى نصل إلى هتلر ، فنظرية الحرب السريعة المهجة — وقول (مولتاك) — : « وجدت الحرب لتنفيذ إرادة الله في العالم . ولولا الحرب لغرق الكل في بحور المادية المميقة » كلها آراء بروسية عريقة. وقد كان (تريتشك) يقول إن عظمة التاريخ تبدو في التنازع الدائم بين الأمم »

وقد كتب (فردريك) في أخريات أيامه إلى (فولتير) يقول إنه في كل عشر سنوات من حياته يرى حرباً جديدة ، وسيدوم ذلك على ما يظهر بغير انقطاع . والضابط الحربي له مركز ممتاز في الدولة يرفعه على من عداه من المدنيين ، ما عدا كبار رجال الحكومة ويقول (فردريك) : « إنني أستقبل كل ضابط صغير في بلاطي قبل أي لورد من المنتظرين)

وقد جرت العادة في بروسيا منذ زمن بعيد على أن يتقدم للدخول في سلك الجندية جميع أبناء الأرستقراطية . وتختلف نسبة عدد ضباط الجيش من أبناء الطبقة الدنيا والطبقة الوسطى باختلاف العهود . على أن الضابط الألماني يرتقي إلى درجة « الجنتلمان » بمجرد التحاقه بالجيش وانتسابه إليه ، وإن كان من أصل وضيع ، فتصير له حقوق الأرستقراطية من حملة السيف. وقد بلغ مجموع ما ألف من الكتب في ألمانيا عن الحرب في اثني عشر شهراً عام ١٩١٣ سبعمائة كتاب . وإذا كان المسيح يقول : من يحمل السيف يقتل بالسيف ، فإن شباب ألمانيا اليوم يقولون : من يمت بالسيف يمت ميتة شريفة . ويقولون : إن الحرب ضرورة لتطهير حياة الأمم

الغواصة الطائرة

[من « لاجورنال دى روبيه »]

تعمل مصانع اليابان منذ عام في بناء نوع من الغواصات ، سيكون له أثر كبير في الحروب ، نظراً لما يمتاز به من السرعة . هذا النوع هو غواصة الجيب . فهذه الغواصة وإن كانت لا تزيد في طولها على ست أو سبع ياردات ، فقد نجحت نجاحاً عظيماً في قذف الطربيد ، وسرعة السير ، وقوة المحاورة ، لما تمتاز به عن الغواصات الكبيرة من الخفة وحسن النظام

ولدى اليابان الآن عشر غواصات من هذا النوع الصغير ، وهذه الغواصات العشر تستطيع أن تقضي قضاء تاماً على فرقة كاملة من أسطول كبير . ونستطيع أن نؤكد أن هذا السلاح الجديد الذي صنعته اليابان لا يتيسر للألمان بحال من الأحوال . وذلك أن عشرين في المائة من القطع الضرورية لصناعة هذه الغواصة تصنع من معدن الألمونيوم ، وليس لدى ألمانيا مصدر لهذا المعدن . وقد دعى منذ بضعة أسابيع خمسة عشر من الرجال الإخصائيين وثلاثة من المراسلين لمشاهدة بعض التجارب في مرفأ صناعة السفن بياسو ، فشاهدوا هذه الغواصة الصغيرة ترتفع إلى سطح الماء فتسير مسافة قصيرة ، ثم ترتفع إلى السماء حيث تحلق في الجو كالطائرة المائية

وقام بإدارة هذه الغواصة المهندس الذي اخترعها واسمه « تسنوما » فدفع بها إلى اليم فرأينا جسما على صورة السمكة ، يغطس ويختفي تحت المياه في سرعة وخفة عجيبتين . وبعد عشر دقائق ظهرت على سطح الماء ، ومن ثم برزت أجنحتها واحدة فواحدة ، ويبلغ طول هذه الأجنحة من١٨ إلى ٢٠ ياردة ولم تلبث أن ارتفعت إلى أجواز السماء

هذه السمكة الطائرة كما يقول دكتور « جود » مساعد « تسنوما » مخترع هذه الآلة — تستطيع أن تقطع تحت الماء من ١٥ إلى ٢٠ ميلاً ولا يمسها خطر . فإذا كانت غير محملة بشيء تستطيع أن تقطع ٦٠٠ ميل ، فإذا كانت حمولتها خفيفة قطعت ٣٠٠ ميل ، ومن السهل عليها أن تحمل أربعة طوربيدات لاستخدامها تحت الماء أو في عرض السماء . ولهذه السمكة الطائرة ثلاث آلات محركة قوة كل منها ٦٠ حصاناً وقد صنعت أجنحتها من نوع خاص من الحرير . ولا زالت هذه الغواصة في دور التجربة ، ولكن مما لا شك فيه أنه سيكون لها شأن كبير في عالم الحروب فتكون في الموقعة الحربية كالبعوضة تقتل الأسد

ولما كانت صناعة هذه الآلة تحتاج إلى مقادير عظيمة من الألمونيوم فسوف لا تستطيع ألمانيا أن تستخدمها على الإطلاق في حين أن لدى بريطانيا وفرنسا ما يكفيها لاستخدام هذا السلاح



الى عميد كلية الآداب

إليك — وقد أمسيت عميداً لكلّيتنا الغالية — أوجّه السؤال الآتي بأدب ورفق :

سمعتك عن طريق المذياع وسمعك مني ألوف وملايين ، سمعتك تقول :

« نحن لا نعرف كيف نقضى أوقاتِ فراغنا »

بنصب كلمة « أوقات » بالكسرة ، كأنك تظنها جمع مؤنث سالماً ، وكان المفهوم عندى منذ أعوام طوال أن « أوقات » جمع تكسير لا جمع تصحيح

وقد نظرتُ فى أصل كلمة « وقت » مرة ومرتين ومرات بعد إذ رأيتك تنصب « أوقات » بالكسرة نيابةً عن الفتحة فلم يصح عندى أنك على حق ، مع الاعتراف بأن الخطأ لا يجوز على مثلك فى مثل هذه الشؤون !

فهل لك أن تتفضل فترشدنى إلى الصواب ، ولك من الله الأجر والثواب ؟

أما إذا اعترفت بأن الحق معى لا معك فى إعراب كلمة « أوقات » فسيكون ذلك فرصة للتوبة مما أسرفتُ فى محاسبتك بالمقالات التى جاوزت العشرين ، إن كان الجهر بقول الحق يستوجب المتاب

وتفضل — يا حضرة العميد — بقبول التحية من الصديق القديم :

زكى مبارك

حاشية :

لا خوف من أن ينكر الأستاذ أحمد أمين أنه نصب « أوقات » بالكسرة لأن ضميره أعظم من ذلك ، ولأن المظنون أن محطة الاذاعة سجلت محاضرته الأخيرة ، إذ كانت أول محاضرة ألقاها وهو عميد ، فمن السهل أن نحتكم إلى الشريط المسجل إن أنكر ما سجلناه عليه !

حاشية ثانية :

سألت محطة الاذاعة بالتليفون فعرفت أنها سجلت جزءاً من محاضرة الأستاذ أحمد أمين لتذيعه فى الاستعراض الشهرى ، فأرجو مدير قسم المحاضرات أن يقص الفقرة التى نصبت فيها « أوقات » بالكسرة لئلا يتوهم الجمهور أن الصواب هو ما نطق به حضرة العميد . والله المسئول أن يهدينا جميعا إلى الصواب

مبارك

السفاح أم المهدى ولقب أبى جعفر وابنه محمد

قرأت فى الرسالة المحبوبة ما دبجته يراعة الأساتذة الكرام حول لقب السفاح فى عدديها ٣٤٦ و ٣٤٩ وكان لكل من حضراتهم رأى قد استصوبه فيما ارتآه . إلا أنهم ومن كتب حول لقب السفاح والمنصور حتى المستشرقين ومن أخذ عنهم ما اهتدوا إلى المصادر التى فيها ما يبتغون . وأما أنا وأعوذ بالله من قول (أنا) مازلت أستقصى منذ أكثر من عشر سنوات ولا زلت بقصد تأليف كتيب قد أسميه (الثورة العباسية) وقد توصلت فى بحثى إلى ما جعلنى أطمئن بصحته ، وبه أرجو أن أكون قد اهتديت إلى معرفة اللقب الذى طالت المناقشة حوله . كما أننى لا أدعى أننى قد أصبت الهدف المقصود ، وإنما كلى أمل فى أن أرشد إلى ما فاتنى وخفى علىّ ، فأعرض ما يأتى :

١ — إن المسعودى لقب أبا العباس بالسفاح فى مروج الذهب ثم يعود فيذكر فى كتاب التنبيه والإشراف الذى ألفه بعد كتاب المروج وهو مختصره وبه استدرك ما فاته ذكره فى كتاب المروج. ومما رواه فى التنبيه والإشراف عن لقب أبى العباس أنه (قد كان لقب أولاً بالمهدى ص ٢٩٠) فنفهم من هذه الرواية أن أبا العباس لقب بالسفاح أخيراً وقد غلب على لقبه الأول وهو (المهدى) . ومما يؤيد هذه الرواية التى لا مرية فيها بيت من قصيدة لسديف إذ يقول :

ظهر الحق واستبان مضيا   إذ رأينا الخليفة المهــديا

٢ — وأما سبب تلقيب محمد بن أبى جعفر بالمهدى فهو أن أبا جعفر أرسل أحد من يعتمد عليهم وقال له اجلس عند منبر محمد بن عبد الله النفس الزكية فاسمع ما يقول . فقال الرسول : سمعته يقول : إنكم لا تشكون أنى أنا المهدى وأنا هو . فأخبرت بذلك أبا جعفر فقال : كذب عدو الله بل هو (ابنى) (مقاتل الطالبين لأبى فرج الأصفهانى ص ١٦٦) وجاء فى (المقاتل) أيضاً ص ١٧١ ما نصه « قال مسلم بن قتيبة : أرسل إلىّ أبو جعفر فدخلت عليه فقال قد خرج محمد بن عبد الله وتسمى بالمهدى ووالله ما هو به، وأخرى أقولها لك لم أقلها لأحد قبلك ولا أقولها لأحد بعدك وابنى والله ما هو بالمهدى الذى جاءت به الرواية ، ولكننى تيمنت به وتفاءلت به »

ومما يؤيد هـذا هو ما جاء فى كتاب الجهشيارى ص ١٢٧

إذ يقول الراوي : قال محمد المهدي لأبيه يا أمير المؤمنين أنت ترشحني لهذا الأمر، وتروى أني المهدى الذي بعدك في الناس .

٣ — وأما أبو جعفر فقد لقب بالمنصور عقب قتل محمد وابرهيم (التنبيه والإشراف ص ٢٩٥)

وأما الخلفاء الذين تلقبوا بالألقاب المعلومة ، فقد كانت تختار لهم أو هم أنفسهم كانوا يختارونها ، وهكذا جرت العادة عند كل الخلفاء .

(بغداد) عبد المجيد الساكني

تقي الدين بن تيمية ومذهبه السياسي والاجتماعي

يشغل المسيو هنري لاوست منصب السكرتير العام في المعهد الفرنسي في دمشق . وقد انخرط في سلك الجندية على أثر إعلان التعبئة العامة في فرنسا . ولكنه حصل أخيراً على إجازة قصيرة ليتقدم إلى السوربون لمناقشة الرسالة التي وضعها لإحراز الدكتوراه

أما رسالته فوضوعها (تقي الدين احمد بن تيمية ومذهبه السياسي والاجتماعي) وهي تقع في أكثر من ٧٠٠ صفحة وقد طبعت بمطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة

وقد تناول المؤلف بالبحث ترجمة حياة ابن تيمية والبيئة التي عاش فيها ، وتكوينه الفكري ، ومذهبه السياسي والاجتماعي ، وما كان له من الأثر في المذهب الوهابي وفي آراء المغفور له السيد رشيد رضا منشئ المنار

وكان طريفاً أن يرى المسيو لاوست — ذلك الجندي — وقد ترك السيف والمدفع وجاء إلى الجامعة ليناقش في رسالته

كاتب فرنسي يزور بلاد الشرق الأدنى

وصل إلى بيروت المسيو بيير بنوا عضو الأكاديمية الفرنسية، بعد أن زار الشرق أيضاً المسيو جيروم تادو والمسيو أندريه سيجفريد . والمسيو بنوا هو الرسول الثالث للفكر الفرنسي الذي يزور الشرق بضعة أسابيع

اختراع مصري

نشرت (المصري) أن الأستاذ عباس محمد شلبي أفندي المهندس بالاسكندرية قد اخترع طائرة تسع ٥٠ شخصاً وترتفع رأساً وتهبط كذلك ، وتسير بسرعة من ٦٠٠ إلى ٨٠٠ كيلو في الساعة . وقد صنع المخترع لها نموذجاً مصغراً وكتب إلى أولي الأمر وحضر إلى القاهرة لعرض النماذج على ولاة الأمور بناء على دعوة أرسلت إليه من رياسة الطيران

وقد قابل سعادة حسن عبد الوهاب باشا في هذا الصدد فحدد له موعداً لعرض النماذج أمام هيئة من كبار رجال الطيران

مجلة المستمع العربي لمحطة الإذاعة البريطانية

أعلنت جريدة « التيمس » أن العدد الأول من مجلة شركة الإذاعة البريطانية التي أطلق عليها اسم « المستمع العربي » سيظهر في هذا الأسبوع ، والمأمول أن تساعد هذه المجلة على تعزيز روابط الصداقة القائمة بين العالمين العربي والإنجليزي

وستكون هذه المجلة أول صحيفة مصورة تطبع في لندن باللغة العربية . وهي على مثال أختها الإنجليزية « لسنر » والغرض منها تسجيل الأحاديث العربية التي تذاع من محطة لندن ليطلع عليها الذين فاتهم الاستماع إليها وتعززها بما يهم القارئ العربي

وتقع المجلة الجديدة في ١٦ صفحة وتظهر مرتين في الشهر

أكثر أهل الجنة البله

قرأت في العدد (٣٤٩) من مجلة الرسالة الغراء كلمة الكاتب العبقري أستاذي الدكتور زكي مبارك في موضوع (إنما يزدهر الأدب في عصور الفوضى الاجتماعية) . ولقد لفت نظري بنوع خاص ما جاء فيها من تفسير الأستاذ المفضال للحديث الشريف (أكثر أهل الجنة البله) ، فقد ذهب الأستاذ إلى أن المراد من هذا الحديث هو أن أهل الجنة سيكونون بلهاً لأن الله سيرحمهم من التعرض لآفات الشطط والجموح في ميادين الفكر والعقل والوجدان ، لا ما ذُهب إليه في تفسير الحديث من أن البله يقل تعرضهم للموبقات فيخرجون من الدنيا بسلام ، وقد أهلتهم البلاهة لاحتلال الجنة

وعندي أن تفسير الأستاذ للحديث المذكور على الوجه الذي ارتضاه لا يأتلف وما ورد فيه من كلمة (أكثر) لأنه لو كان المقصود منه أن أهل الجنة سيكونون بلهاً لما كان هناك من حاجة إلى ذكر كلمة (أكثر) فورود هذه الكلمة فيه يجعلني لا أتردد في القول بما قيل في تفسيره من أن البله يقل تعرضهم للموبقات فيرحلون عن الدنيا وقد أعدهم ما فيهم من بلاهة لدخول الجنة . وهذا التفسير للحديث المذكور هو الذي يحتمله بالنظر إلى ما اشتمل عليه من لفظة (أكثر)

وختاماً أرجو أن أكون موفقاً فى تنبيه أستاذى الفضال إلى ما وقع فيه

سدد الله خطاه ، ونصره فى نضاله ، وأكثر لخدمة الأدب العربى أمثاله ، إنه سميع مجيب .

(بغداد) عبد الكريم جواد

أخطاؤنا فى الصحف والدواوين

اعتادت الكثرة من الناس أن تنظر إلى ما جاء به الشيوخ فى اللغة أو الأدب ، المتقدمون أو المحدثون ، نظرة يقطر منها التقديس والتقدير . فدفعهم ذلك إلى الاعتقاد بأن ما جاؤا به لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ولا من فوقه أو تحته ، وفى هذا من الاعتراف بالعجز ، وضعف الحكم ، وهزال العقل الشيء الكثير

على أن صديقنا الأستاذ صلاح الدين معدى الزعبلاوى ، لم ينظر تلك النظرة الخاطئة ، بل نبذ ذلك الرأى وراء ظهره ، وحمل بيده معولاً وراح يستقرئ ما كتبه أئمة اللغة ، أو ما وهمه بعض من ادعى العلم باللغة والاختصاص بها ، فهدم الفاسد وأظهر ضعفه وسخفه ، وجلى عن الصحيح وأبان عن جماله ونفاسته ، فجاء كتابه « أخطاؤنا فى الصحف والدواوين » مرآة تعكس علم صديقنا الأستاذ وتظهر مبلغ تحقيقه وتدقيقه

ولقد أخذ على شيوخ اللغة المتقدمين مآخذ شتى ثم انفصل إلى الشيوخ المحدثين ، فأخذ على اليازجى مجازفته فى القول فى أغلب الأحايين ، دون أن يتدبر الأمور أو يتروى فى إطلاق الأحكام ، وأخذ على « المنذر » خلو كتابه من التقصى والتدقيق وبين أخطاء الأستاذ داغر ، وبعض ما وهمه الأستاذ العوامرى

وقد جعل الأستاذ كتابه بابين : الباب الأول وقد أفرده الموضوعات . أما الثانى فقد خصه بالمفردات . أما الموضوعات التى ذكرها فهي : فساد السنن التى تتبع فى كتابة القرار أو المرسوم فى دواوين الحكومة ، خصائص بعض حروف الاستفهام ودفع الأخطاء والأوهام التى يقع فيها كثير من الأدباء والمتأدبين ، قياس النسبة ، العدد فى تمييزه وتعريفه ، قياسية الصفات المشبهة ، المصادر اليائية ، تصحيح بعض جموع التكسير ، صوغ اسم المكان من معتل العين الثلاثى ومكسورها السالم ، تأنيث أى ، ضوضاء ، وغيرهما ، ثم تطرق إلى البيان عن هزال بعض الأساليب الشائعة ، وهو فى ذلك كله لا يدع مسألة حتى يستقصيها ، ولا يصدر حكما حتى يحقق فيبالغ فى التحقيق ، ويدقق فيغالى فى التدقيق ، هذا مع استقراء صائب وحكم صحيح

أما باب المفردات ، فقد سرد كثيراً من الكلمات الشائعة التى تدور على الألسنة فصححها ؛ وفى هذا الباب أخذ على المحدثين من علماء اللغة مآخذ فاضحة ، وخصوصاً على داغر والمنذر . ثم رد هذه الكلمات إلى أصلها ، فذكر صحيحها ونبذ فاسدها

والكتاب فى جملته موفق جيد ، والحق أنه جدير بالقراءة والمطالعة ، لأنه إن لم يجعل قارئه لغوياً كبيراً ، استطاع أن يفقهه فى لغته وأن يقوّم به لسانه وقلمه .

صلاح الدين المنجد

خواطر يثيرها سائل

[بقية المنشور على صفحة ٦٠٢]

تخيل مدينة عظيمة كنيويورك أو لندن أو برلين أو القاهرة بما فيها من فنون الحياة والأفكار والشعور ومايغمرها من الأضواء والألوان وما يضطرب فى أحشائها من المصانع والمعاهد والمعابد، وما يثوى فيها من دور الكتب والآثار ومخازن التحف وأدوات الجمال، وما تسيل به شوارعها من وسائل الانتقال، وما تضج به من الأصوات والمقالات والخطب والأسمار و لأحاديث، ومايتوزع فيها من الأعمال والأموال والحرف تخيّل هذا ثم قل: هل رأيت فى الحياة منذ دخولك إليها نوعاً غير الإنسان يقيم أسواقاً للحياة مثل هذه الأسواق؟ ثم هل رأيت نوعاً آخر يعلو بالحياة حتى يأتى فى علوه بالعجب العجاب ... ويسفل بها حتى يأتى فى السفالة بالعجب العجاب؟ ... وهل رأيت نوعاً آخر يتفنن فى وسائل متاعه هذا التفنن الذى تراه فى السينما والمسرح ومخازن الملابس والفرش وأدوات الزينة؟. هل رأيت ... وهل رأيت؟

وأخيراً هل رأيت نوعاً آخر يترقى فى سلم الحياة باطراد وخطى ثابتة وقياس متناسب بعد أن أتى عليه «حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً» كما قال القرآن؟

فكيف بعد هذا تسوى بين قيمة هذا الإنسان أبى العجائب وبين قيم النبات والحيوان، وتريد أن تسلكه فى سلك الفناء المطلق الذى يأتى على أجسامها وأرواحها بدون مآل أسمى ومصير أكمل؟!

وكيف تريد أن تضرب عليه ما ضربته عليها من الأحكام المنحطة وتحشر أفراده فى مليارات أفراد الحيوان والحشرات التى تعيش على العشب والجيف والروث والعفونات؟!

إنى لأستعرض تنوع حياة الأمم والأفراد وأتصفح الوجوه والنفوس، وأسمع حديث الأطفال والعجائز والنساك والفتاك والفقراء والأغنياء والعلماء والجهلاء والذكور والإناث ... فأجدنى بعد هذا الاستعراض فى دوار من الفكر!

وإنى لأخرج بعد هذا الاستعراض وأنا أشعر أنه كان لا بد أيضاً فى الأرض مما نسميه الشر والضلال ليدوم ظهور أسرار التكوين!

إن الإنسان خلق ليكون أشبه «مِجْهَرٍ» تمر من خلاله الطبيعة الأرضية بخصائصها التى كانت «غَيْباً» مستوراً قبل ظهور هذا النوع. فكل شىء فى الطبيعة الأرضية كان لا بد أن يمر من حواس هذا النوع وفكره ليأخذ حدوده ومميزاته ويرمز إليه بكلمة بيانية يضعها خليفة الله فى الأرض ...

وإذا صح ما أثبته علم تحليل ضوء العناصر من أن العناصر التى فى النجوم والكواكب هى بعينها العناصر التى فى الأرض كان فى هذا زيادة فى النظر لقيمة الإنسان كترجم أيضاً ومحدد لعناصر الطبيعة فى غير الأرض ...

* * *

إن شئت فقل إن الإنسان آلة فى يد الخالق يتم بها التنويع والتفريع والتركيب فى خلق المادة الميتة الجامدة وتصويرها وصقلها وتزويقها وتوشيمها حتى تصل إلى الدقة المتناهية فى تركيب تروس الآلات ومساميرها الصغيرة، وإلى الزركشة والنمنمة و«المونوكير» فى ثياب المرأة وأظافيرها! وعندئذ يكون الإنسان امتداداً لعوامل التكوين والإنشاء والتعمير التى فى يد الله ... يكون إزميلاً فى يد الفنان الأعظم، وريشة بين أصبعيه يشكل بهما المادة أشكالاً ويعلوها بهما تزاويق وتهاويل!

وإن شئت فقل: إنه «مِجْهر» يلتقط آثار الصنع العظيم فى المواد «الخام» فتتساقط على عينه أنوارها وظلماتها وعلى سمعه نغماتها وأصواتها، وعلى خياشيمه عطورها ونفحاتها، وعلى ملامسه نعوماتها وخشوناتها، ويقع على إحساسه العام ثقل المادة وصعق الكهرباء وشد الجاذبية، ويمر على فكره معانى الوجود ومعانى العدم ... ثم يترجم كل هذه الكلمات الصامتة بكلمات ناطقة من بيانه الذى اختصه به بارئ الطبيعة ...

إن رب الطبيعة أراد أن يترجم هذا الطين الذى سواه بيديه ونفخ فيه من روحه بعض كلماته الصامتة فى أسرار التكوين والخلقة، وكانت قبل الإنسان غيباً فى السموات والأرض لا يعلمها أحد غيره حتى الملائكة

ولذلك كان العلم بأسرار الطبيعة أشرف عبادات هذا النوع ما دام متوجهاً فيه إلى رب الحياة ومتعرفاً إليه به. أما الملائكة فعبادتهم طاعة عمياء طبيعية ليس لهم على غيرها طاقة

واقرأ إن شئت بعد هذا قصة خلق الإنسان فى القرآن لترى

منها العجب الذي رأيناه : « وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة . قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ؟ قال إني أعلم ما لا تعلمون . وعَلَّم آدمَ الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة . فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . قالوا سبحانَك لا علمَ لنا إلا ما علَّمتنا إنك أنت العليم الحكيم . قال يا آدم أنبئْهُم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلمُ غيبَ السموات والأرض وأعلمُ ما تُبدُون وما كنتم تكتمون ؟ »

وأرجو أن تقف طويلاً أمام قوله تعالى : « إني أعلم ما لا تعلمون » رداً على سؤال الملائكة : « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ... » لتعلم أن الله نظر نظرة سماح واغتفار لما تستلزمه حياة الإنسان في مجموعه بالجسم الحيواني من بعض الآثام والشرور ، إذ علم ماوراء فتوح الإنسان في « غيب السموات والأرض » من آثار علمية ترجح على ما يرتكبه من شرور ...

فلا يهولنك ما تراه من الجريمة والفساد والأوباء والنكبات التي تجتاح حياة الإنسان ... فإن الذي خلق هذا النوع متيقظ له دائم الرعاية عليه يسوقه في طريق مرسوم حتى يبلغ غايته برغم كل ما نسميه الشر والفساد لأن الشر والفساد والباطل ما خلقه إلا للحق والصلاح ... فلولا الأمراض ما ظهرت علوم الطب التي كشفت لنا عن ملايين من عوالم الجراثيم ... وكانت حياتها مستورة في « غيب السموات والأرض » ... ولولا الحروب ، والجرائم ما ظهرت أدوات الانتقال السريع ، واختزال المسافات وما تنافس الناس على استخراج ما في المناجم من الركاز ... وكان كل ذلك « غيباً » محجوباً في الأرض ... ولولا الغرائز السفلى كالطمع والجشع والأنانية ما رأيت في الأرض هذه الحياة العنيفة الحركات في التعمير والاقتناء والتسابق على كشف بقاع الأرض المجهولة وإظهار غيوبها ، وإقامة معالم الحياة العلمية المتحضرة فيها

ولولا البأس الشديد في الحديد والنار ما تكونت الامبراطوريات الواسعة التي ربطت بين كثير من أمم الأرض برباط التفاهم والحب والخدمة المشتركة ... وما ابتدأت البشرية الآن تفكر في جامعة عامة لجميع الشعوب والأمم تجمعها على حدود العدالة والسلامة الإجماعية ، وخدمة العلم خدمة مشتركة ، وتقيها من شرور التدمير والتخريب وما تنتجه الحروب

ونظرة إلى تاريخ البشرية ترينا التقدم المطرد في سبيل التجميع والتوحيد . فقد كان الإنسان فرداً ثم صار أسرة ثم صار قبيلة ثم صار أمة ثم صار أمبراطورية وولايات متحدة ثم بدأ يصير « جامعة أمم » ولا بد من ذلك في يوم ما قريباً كان أم بعيداً .

والشر هو الذي يدفع دائماً إلى الجهاد للخير . « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض » « ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم » فإن الأرواح لا تقوى إلا بالمجاهدة كما أن الأجسام لا تقوى عضلاتها إلا بالمقاومة . فلا تذهبن من نفسك قداسة الإنسان فإنه الابن البكر للأرض يعمر ديارها ويستقبل ليلها ونهارها

وقد كان يجوز الشك في قيمة الإنسان السامية أيام الجهل والغفلة والحيرة قبل عثوره على مفاتيح العلوم الطبيعية وابتدائه فتح أبوابها باباً فباباً . . . أما الآن بعد أن تيقظ الإنسان لحياته وابتدأت الأرض والسماء تحدثه أخبارها وتوضحت أمامه معالم طريق الحياة ؛ فلن يرضى لنفسه الارتداد ولن يجوز الشك في قدسيته وامتيازه

وإن قيادته إلى الله رب الطبيعة قد صارت الآن من أسهل الأمور لأن العلم قد ألقى كثيراً من أشعته على مواقع يد الله في الطبيعة وعلى كثير من الأبواب التي توصل إليه . . .

ولكن كثيرين جداً من الذين يحترفون قيادة الأرواح أغبياء محدودون عميان ... فكيف يقودون في طريق مملوءة بكثير من جثث الخرافات والأباطيل التي لصقت بالدين في زمن الجهل والظلام ، والتي صرعها العلم الواضح والعقل الطلق المستنير ؟!

(القاهرة)

عبد المنعم خلاف

﴿ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولي — عابدين ﴾

8me Année No. 354

Lundi - 15 - 4 - 1940

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٣٥٤ « القاهرة فى يوم الاثنين ٧ ربيع أول سنة ١٣٥٩ — الموافق ١٥ أبريل سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهـــرس

العقيدة الساذجة

تلك هى عقيدة الكثرة الكاثرة من مسلمى اليوم ! وربما كان الأشبه بالحق أن نصفها بشر من السذاجة ؛ فإن أيلولة الدين فى نفوس أهله إلى هذا القدر العامى من العبادة الشكلية ، والزهد الكاذب ، والتفويض الذليل ، والورع المنافق ، والتصوف المشرك ، هى الفساد بعينه . وماذا بعد أن ترى كتاب الله وسنة رسوله يقرآن لالتماس البركة لا لاكتساب الفقه ، ودستورَ الإسلام وفلسفة وحيه يدرسان لمجرد العلم لا لإرادة العمل ؟

وماذا بعد أن ترى الأحكام والآداب والأنظمة التى أصلحت الأرض ومدنت الخليقة ، تصبح فى الجوامع والمجامع رهبنة وشعبذة لا يستقيم عليها فرد ولا تنتظم بها جماعة ؟

لقد كان من أثر فساد العقيدة فى النفس أن فسدت آثارها فى الناس ؛ فالفقه فى الدين تفيهق وجدل ، والصلاح فى الدنيا تبطل وفشل ، والعبادة مظاهر آلية لا أثر فيها للروح ولا صلة لها بالقلب ، والأخلاق مياسم وراثية تنطق بالحق على ذلة الماضى وجهالة السلف ، والمعاملة ألاعيب اجتماعية تخادع الله وتزعم لنفسها الرضى والسكينة !

ذكر معنى الزكاة فى دين الله ثم قل لى أين منها ما كان

يصنع أحد شيوخ الأزهر وقد كان يملك فى القاهرة شوارع بما عليها من البُنى عن شمال ويمين؟ لقد حدثوا أنه كان يجمل زكاة ماله كلما حال الحول فى قفة؛ ثم يغطى الذهب والفضة بطبقة من الحنطة؛ ثم يأمر فيأتونه بأحد المساكين الذين يتكففون على حاشية الطريق، فإذا أدخل عليه قال له:

« هذه زكاتنا يا رجل آتيناك بها ابتغاء مرضاة الله »

فيدعو المسكين ويهم بأخذ القفة؛ ولكن الشيخ قارون يريد أن يخفف عنه ويختار له، فيبادره بقوله: «وماذا تصنع بها يا رجل وليس عندك من تطحن وتعجن وتخبز؟ أتبيعنى إياها بكذا قرشاً؟» فيلهج المسكين بالدعاء، ويبالغ فى الحمد والثناء، ثم ينصرف بالقروش وتعود مئات الدنانير المروّعة آمنة إلى صدر الخزانة الحنون!

تدبر فكرة الصدقة الجارية فى سنة الرسول ثم أخبرني أمنها ذلك البناء المربّع الذى أقامه أحد القضاة المتقين فى وسط شارع حسن الأكبر، ثم أجرى فى قلبه الماء، وأوقد على رأسه النور، ووقف على نفقته المال، وجعله مورداً للسابلة فكان مزرعة للجراثيم ومصدمة للناس!

تصور حكمة الإنفاق فى سبيل الله على قواعد الدين الذى شُرع ليضمن للفرد السعادة وللأمة السلامة وللبشرية الألفة، ثم تعال أنقل إليك ما روته (الدستور) فى يوم الاثنين الماضى عن مراسلها ببغداد:

كان من ضيوف العراق لعامين مضيا الزعيم الشيعي الهندى السردار طاهر زين الدين، وهو من أنداد أغا خان فى الزعامة المقدسة والثروة العريضة، فلما زار ضريح الإمام علىّ رضوان الله وسلامه عليه، نشأ فى نفسه أن يقيم للخليفة الراشد ضريحاً يكون مضرب الأمثال على تعاقب الأجيال فى نفاسة المادة وبراعة الصنعة وضخامة النفقة. ولم يكد يرجع إلى الهند حتى استحضر أمهر الصناع وأقدر الفنانين وتقدم إليهم بما أراد، ووصل أيديهم بكنوزه العجيبة، فصنعوا ضريحاً من الآبنوس سَمْكه إحدى عشرة قدماً وقطره عشرون، ثم زخرفوه بروائع النقش الهندى، وغشوه بخمسة عشر رطلاً من صفائح الذهب ومثلها من سبائك الفضة حتى بلغت تكاليفه اثنين وأربعين مليون جنيه على ما روى المراسل، أو اثنين وأربعين مليون رُبيّة على ما أرجح!

هل قرأت؟ إثنان وأربعون مليون جنيه كميزانية مصر، أو اثنان وأربعون مليون ربية كميزانية العراق، تنفق فى مقصورة تقام على ضريح الإمام الزاهد المجاهد الشهيد على كرم الله وجهه!

فهل تحسب أن هذا المؤمن الساذج قد بلغ بما أنفق مكانة الزلفى من الله وموضع الرضا من إمامه؟ لا والله! إن الله الذى يقترض من عباده القرض الحسن ليضاعفه لهم لا يقبل هذا القرض العقيم، وإن الإمام الذى كان يطوى الأيام ليطعم على حب الله المسكين واليتيم والأسير لا يرضى هذا الإحسان الميت. لو كان هذا الغنى الأمى صحيح الفقه فى الدين، واسع الأفق فى الفكر، بعيد النظر فى الإصلاح، لعلم أن علياً كان سيف الإسلام ولسان الدعوة وإمام القضاء، فكان خير ما يتقرب به إليه أن يعطى حكومة العراق هذه الملايين لتنشئ بها أسطولاً جوياً فى بغداد على حب فاتح خيبر، ومعهداً علمياً فى الكوفة على ذكر صاحب نهج البلاغة

* * *

لذلك وشبهه يكون القرض حسناً والإحسان جميلاً يا سيدى الزعيم. أما أن تصفّح الضريح بالذهب والفضة، وترصعه باللؤلؤ والجوهر — وفى وطن الإمام الفقيرُ الذى لا يجد القوت، والمريض الذى لا ينال الدواء، والجاهل الذى لا يستطيع التعلم، والجندى الذى لا يملك السلاح — فذلك فن من العمل الباطل لا يليق أن يجترح باسم الدين فى سبيل إمام أئمته وقطب أبطاله!

* * *

لقد قرأت فى أنباء اليوم أنهم فضوا وصية المحامى الأمريكى اليهودى صموئيل أونترماير منذ أيام فإذا به يوصى بجزء عظيم من تركته الضخمة لبضع جامعات أمريكية؛ ثم كان نصيب الجامعة العبرية فى القدس منها مائة ألف دولار!

فليت شعرى متى يعلم هذا الذى ينفق دماء الشهداء على ملاهى القصور، وذاك الذى يبذر أموال الأحياء على شواهد القبور، أن الحياة من غير إحسان موت، وأن الإحسان فى غير موضعه إساءة!

أحمد حسن الزيات

بابــــر

للدكتور عبد الوهاب عزام

[بقية ما نشر فى العدد الماضى]



محمد ظهير الدين بابر
مؤسس الدولة المغولية فى الهند

— ١ —

لم تخضع الهند لبابر بعد موقعة بانيبات فقد بقى أخو السلطان إبراهيم مطالباً بالملك والبلاد كارهة غارة بابر، وكثير من المدن والقلاع متأهبة للدفاع، وكادت جيوش بابر تهلك جوعاً على كثرة ما بأيديها من الغنائم، وزاد حالهم سوءاً شدة الحر. نقرأ فى بابرنامه هذه السطور: « لما جئت إلى اكركان وقت الحر وكان الناس قد فروا من الخوف فلم نجد حبًّا لنا ولا علفاً لدوابنا، وكانت القرى قد نهبت إعناتاً لنا وكراهية فينا، وأفسدت الطرق... إلى أن يقول: « وكان الحر هذه السنة أشد من المعتاد، وكثير من الناس سقطوا كأنهم أصيبوا بالسموم وماتوا فى مواضعهم »

شرعت جيوش بابر تتذمر كما تذمرت جيوش الاسكندر حينما فتح الهند من قبل، وهموا بالرجوع إلى كابل وقد ذكرهم هذا الحر هواءها البارد؛ فجمعهم بابر وذكرهم أنهم تحملوا ماتحملوا وقاسوا ما قاسوا من أجل هذه الغاية التى بلغوها اليوم: « إن عدواً قوياً قد هزم وإن تحت أقدامكم مملكة عظيمة، فهل نترك كل ما كسبنا بعد أن بلغنا الغاية التى سعينا إليها ونفر إلى كابل كأننا جيش مهزوم مطارد؟ من كان يزعم أنه صديقى فليقلع عن هذه الوساوس. ومن لم يستطع أن يقسر نفسه على البقاء فليذهب ». وخجل الجيش فلم يحر أحد منهم جواباً

وجاهد بابر لتهدئة البلاد بالرغبة والرهبة، ولم يكن له بد من لقاء عدو هو أكبر الأعداء فى الهند. ذلكم رأنا سانجا زعيم الأمراء فى رجبوت، قد جمع مائة وعشرين قائداً وثمانين ألف حصان وخمسمائة فيل، وأيده أمراء آخرون وجاءته الجيوش من أرجاء مختلفة

وخرج إليه بابر سنة ٩٣٤ ﻫ (١١ فبراير سنة ١٥٢٧) بعد سنتين من موقعة بانيبات وهى أول مرة يتقدم فيها لحرب عدو من غير المسلمين. وعسكر بابر عند سكرى التى سميت فيما بعد فتح بور، وبنى فيها جلال الدين الأكبر قصوراً عظيمة وظل خمسة وعشرين يوماً يحصن معسكره وينشر السكينة فى قلوب قومه وقد ملكهم الرعب مما سمعوا ورأوا من شجاعة الرجبوتيين. فى هذه الشدة هجر بابر الخمر وكسر أقداحها وأراق دنانها ثم جمع جنده فخطب فيهم: «أيها الأمراء والجند، لا بد لمن يجىء لهذا العالم أن يفارقه؛ وإنما البقاء لله الذى لا يتغير. وكل من جلس على مائدة الحياة شارب كأس الموت لا محالة، وكل من طرق نزل الفناء هذا فهو لا بد راحل يوماً عن دار الحزن. أولى بنا أن نموت أحراراً من أن نعيش أذلاء

« إن من فضل الله علينا أن ضمن لنا إحدى الحسنيين، فإن متنا متنا شهداء، وإذا ظفرنا ظفرنا فى سبيله. هلمو نقسم جميعاً بالله العظيم ألا نفر من هذا الموت وألا نرهب مآزق الحرب حتى تفارق أرواحنا أجسادنا »

فأقسموا جميعاً على القرآن. وتقدم بابر فى جموعه وعبأ جيشه كما فعل فى بانيبات من قبل، ثم ركض جواده بين الصفوف يحض الناس على القتال والصبر ويعلمهم ما يجب عليهم حين تنشب المعركة

والتقى الجمعان فى كنوها (١٦ مارس سنة ١٥٢٧) واحتدم القتال واشتدت حملات الرجبوتيين واستمر الجلاد وجهاً لوجه ساعات كثيرة. ثم أرسل بابر سرايا المغول لمفاجأة العدو من الخلف

وانتهى الأمر بهزيمة عدوه بعد أن استمات فى القتال تاركاً آلاف القتلى فى المترك . وفر سنجا مثخنا بالجراح ومات بعد قليل ، ثم لم يتعرض أحد من ذريته من بعد لحرب أحد من سلالة بابر بهاتين الموقعتين فى بانيبات وكنوها حطم بابر أعظم القوى المخالفة فى الهند . ثم استطاع أن يقضى على مخالفيه واحداً بعد الآخر فى مواقع كثيرة آخرها موقعة هزم فيها المقاومين من سد مملكة دهلى وحلفاءهم من جيوش بنغاله بعد سنين من موقعة كنوها

عاش بابر بعد هذه الموقعة الأخيرة سنة ونصف سنة أمضى معظمها فى أكرا مجتهداً فى تنظيم مملكته الجديدة

— ٢ —

كان محمد ظهير الدين بابر سوىّ الخلق محكم البنية قوياً فارساً ماهراً رامياً حاذقاً حمل رجلين تحت ذراعه وجرى بهما على سور إحدى القلاع . ويقول فى بابر نامه : « اجتزت نهر الكنك سباحة وعددت ضربات ذراعى فوجدتنى قد اجتزت النهر بثلاث وثلاثين ضربة ، ثم أخذت نفسى وسبحت إلى العدوة الأخرى »

وكان جلداً على ركوب الخيل . وكثيراً ما قطع ثمانين ميلاً فى اليوم . وقد أمضى معظم حياته فى الأسفار والحروب

ولكن نوبات الحمى وكثرة تطوافه وتقلب النير بها دهراً ، والشدائد التى قاساها ، والخمر التى لم يسلم منها أحد من بنى تيمور ، ثم الأفيون — كل هذا أنقض ظهره وناء بجسمه القوى . فها هو ذا على فراش الموت فى قصره الجميل وحديقته فى مدينة أكرا

مات بابر سنة ٩٣٧ هـ فى سن التاسعة والأربعين (٢٦ ديسمبر سنة ١٥٣٠ م) بعد سبع وثلاثين سنة من تملكه فى فرغانة

— ٣ —

وكان بابر كسائر بنى تيمور مولعاً بالآداب والفنون ، يقرأ الشعر وينظمه ، ويعجب بالأبنية الجميلة ، ويهتم بتنسيق الحدائق وغرس الأزهار ، ويكلف بالغناء والموسيقى .

ونحن نراه فى « بابر نامه » يفزع إلى نظم الشعر فى أشد أوقات محنه ، كما نراه يتحدث عن الأدباء الذين اجتمعوا فى هراة حول السلطان حسين ووزيره المعظم مير على شير موانى حديث عارف ناقد . وله ديوان صغير بالتركية تتخلله قطع فارسية .

وفى هذا الديوان منظومة فى نحو ٢٥٠ بيتاً وهى نظم الرسالة الوالدية بعين الله المعروف باسم خواجه احرار من كبار الصوفية ، وتعرّفنا بابر نامه الأحوال التى نظمت فيها هذه الرسالة . وأنا أثبت هنا ترجمة هذه النبذة من الكتاب لتكون مثالاً من أسلوبه فى تسجيل الحوادث وتفصيلها :

« يوم الجمعة ٢٣ من هذا الشهر (صفر) ، أحسست الحمى فى جسدى ، حتى لم أستطع أن أؤدى الصلاة فى المسجد إلا بمشقة ؛ ولم أستطع أن أصلى الظهر فى خزانة كتبى إلا بعد تأخير ، ومع جهد كبير . وفى اليوم الثالث ، يوم الأحد ، خفت الرعشة قليلاً . ويوم الثلاثاء ٢٧ صفر ، خطر لى أن أترجم نظمى الرسالة الوالدية مولانا عبيدالله . التجأت إلى روح الشيخ وقلت لنفسى : إن قبلت هذه القربة عند الشيخ كان إبلالى من هذا المرض آية القبول كما خلص صاحب البردة من مرضه .

« نظمت هذه الليلة ١٣ بيتاً ، وشرطت على نفسى ألا أنظم أقل من عشرة أبيات كل يوم ، وقد وفيت بهذا الشرط إلا يوماً واحداً

« كانت الحمى فى السنة الماضية كلما انتابتنى دامت ثلاثين أو أربعين يوماً ، ولكن بفضل الله وبركة الشيخ أبللت من هذه النوبة يوم الثلاثاء ٢٩ من الشهر .

« وفى يوم السبت ٨ ربيع الأول أكملت نظم الرسالة . وقد نظمت يوماً اثنين وخمسين بيتاً »

كتب فى نهاية الديوان هذه العبارة « حرره بابر دوشنبه ١٥ ربيع الآخر سنة ٩٣٥ » . وفى ذيل الصفحة الأخيرة رباعية وفى حاشيتها هذه الجملة « هذه الرباعية التركية ، والاسم المبارك بالتحقيق خط أعليحضرت ساكن الجنان بابربادشاه الغازى أنار الله برهانه . حرره شاه جهان بن جهانكير بادشاه بن أكبر بادشاه بن همايون بادشاه بن بابربادشاه »

وأما كتابه بابر نامه فهو فى موضوعه نادرة من نوادر التاريخ ؛ فما عرفنا قبل بابر ملكا أمضى حياته فى عراك الحوادث ثم استطاع أن يصف مشاعره ، ويسجل وقائع سيرته ، وسيرة أقاربه وأعوانه فى بيان واضح مفصل بعيد من التكلف يتجلى فيه اهتمام الكاتب بما يرى ويسمع ودقته فى الإدراك والوصف

وهو فى لغته وأسلوبه ذخيرة أدبية تسجل لنا لغة جغتاى فى القرن العاشر الهجرى وتبين محاولة ملك عظيم أن يذلل هذه اللغة للنثر الأدبى كما ذللها للشعر منذ سنين قليلة الوزير الكبير

مير على شير . والكتاب بعد هذا وذاك فصول ممتعة بل ساحرة يكلف بقراءتها كل من حاولها ، فعرف ما تبعث فى نفس القارئ من سرور وإعجاب وما تتضمن من فوائد للعلم والأدب والتاريخ

وقد ترجمت هذه السيرة إلى لغات كثيرة . ترجمت إلى الفارسية بأمر حفيدة جلال الدين الأكبر (٩٦٣ — ١١٠٤) ثم ترجمت فى العصور الأخيرة إلى لغات أوربية وطبعت أول ترجمة إنجليزية لها قبل مائة سنة ، ولا تزال موضع عناية الباحثين فى تاريخ الشرق الإسلامى وآدابه .

ولعل معهد الدراسات الشرقية فى كلية الآداب من جامعة فؤاد الأول الذى افتتح هذا العام يحمل ترجمتها إلى العربية باكورة أعماله إن شاء الله .

عبد الوهاب عزام

أعرابى فى سينما ... (*)

للأستاذ على الطنطاوى

وطالت غيبة « صُلَبى »[1] ، حتى لقد استيأست منه ، فنسيته وطرحت همه عن عاتقى ، وعدت أدور مع الحياة كما تدور الساقية ، منمض العينين ، أطوف فى مفحص قطاة ، فلا غاية أبلغ ولا راحة أجد ، أغدو إلى كدّ العقل وعذاب النفْس ، وجفاف الريق وانقطاع النفَس ، وأروح ، وما بقى فىّ بقية لعمل ، ولا طاقة على كتابة ، فألقى بنفسى على كرسىّ أو سرير ، أنتظر عذاب اليوم الجديد ...

وإنى لغادٍ إلى المدرسة ذات يوم ، وإذا أنا بأعرابى فى شملته يشير إلىّ ... وهو يسير بين تلك المواخير : ترايون وليدو ولوازيس – حائراً يتلفَّت ... فقلت : لعلّه ضالٌّ أحب أن يستهدينى ووقفت له ، فلما دنا وتبينته ، لم أملك من الفرح نفسى ... فصحت فى السوق وسط الناس . ومالى لا أصيح وقد وجدت « صلبى » بعد طول الغياب ... وحييته وحيانى تحية ذاكر للصحبة ، حافظ للود ، وطفق يحدثنى حديثه ...

قال :

أتذكر يا شيخ ما ابتلانى به الله من أمر الحمام ؟ لقد وقعت فى داهية أدهى ... ولقد والله كرهت الحضر ، وعفت المدن ، وأصبحت أخشى فيها على نفسى ، فما أدرى ماذا سيكون من أمرى بعد الذى كان ؟ ...

... قدمت الشام قدمة أخرى ، فكان أول ما صنعت أن قصدت صاحبى ، وكنت قد عرفت داره فى (الميدان) ... فأكرمنى وأحسن استقبالى ، أحسن الله إليه ، وذبح لى خروفاً ، ولم يكتف بذلك من إكرامى بل أزمع أن يأخذنى إلى سنمة ... قلت : ولكنى لا أعرف سنمة هذا ، ولا أدرى من هو ، فكيف تأخذنى إليه ؟ قال : لا بد من ذلك . فاستحييت منه وكرهت أن أخالفه بعد الذى قد صنع فى إكرامى ... وقلت فى نفسى : لولا أن سنمة هذا صديق له ، عزيز عليه ، ما سار بى إليه . ولقد قال المشايخ من قبيلتنا : صديق صديقك صديقك ... فرضيت وقلت له : على اسم الله !

* * *

ولكن الرجل لم يسر بل أدركه لؤم الحضر فصاح بابنه أن هات الجرائد حتى نرى الرواية ، فتوجست خيفة الشر ، وقلت : إن الرجل قد جنّ ، وإلا فما بال الجرائد ؟ وهل تراه يضربنى بها ؟ إذن والله لأريته عز الرجال ولضربته ضرباً يبلغ مستقر اللؤم فى نفسه ... وخشيت أن أتريّث أو أتلوّم فأخيب وأفشل ، وذكرت حكمة حَمَدْ بن عَلْوى : « الغلبة لمن بدأ » فشد ذلك من عزمى وصرخت : « يا هُو ... » ووثبت وثبة أطبقت بها على عنقه ، وقلت : سترى لمن الجرائد والسياط ، ألابن المدينة الخوار الفرار ، أم لابن البر الحر ؟

فارتاع وأبيك وجعل يصيح من جبنه : أدركونى، أنقذونى! النجدة ، العون ، يا فلان (لابنه) أقبل ... ويلك يا صُلَبى ، يا مجنون ، كف عنى ، ويلك ماذا اعتراك ؟

فأخذتنى به رأفة فكففت عنه ، وقعدت محاذراً أرقب أهل المنزل ، وقد اجتمعوا ينظرون إلى بعيون من يهم بفرى جلدى . فقال لى : ما أردت بهذا ويلك ؟ وبم أسأت إليك حتى استحققت منك هذا الصنيع ؟ قلت : بالجرائد ... أمثلى يضرب بالجرائد ، لا أم لك ؟

فضحك والله وجعل يكركر حتى لقد شبهت بطنه بقربة جوفاء أدخلنها الماء . وضحك كل من كان حاضراً من أهله وبنيه ضحكا

(*) من كتاب « صور وخواطر » وسيصدر قريبا

(1) أنظر العدد ١٣٨ والعدد ٣٣٠ من الرسالة

ما شككت معه أن القوم قد أصابهم طائف من الجن ، فقلت : قبحكم الله من قوم ، وقبحني إذ أنزل بمثلكم . وهممت بالانصراف . فصاح بي وعزم عليّ إلا ما رجعت ، فبررت بيمينه وقفلت راجعاً فقال لي :

وأنت حسبت الجرائد مما يضرب به ؟ ألم تبصر جريدة قط ؟ قلت : ويحك فكيف إذن ؟ أنا من بلاد النخيل ، تبوك حاضرتي

قال : وتحسبها جرائد نخيل ؟ قلت : إذن فجرائد ماذا ؟ قال : خذ ؛ هذه هي الجرائد

وألقى إلى صحفاً سوداً بها من دقيق الكلم مثل دبيب النمل ، فعجبت منها وسألته أن يقرأ عليّ مما فيها فأستفيد علماً ينفعني في آخرتي ، فإن الرجل لا يزال عالماً ما طلب العلم ، فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل . ولقد سمعت أنه جاء في الأثر « كن عالماً أو متعلماً أو مستمعاً ولا تكن الرابعة فتهلك »

فضحك وقال : وهل تظنها كتب علم ؟ قلت : فماذا فيها مما ينفع الناس ؟ قال فيها أخبار البشر — من سافر منهم أو حضر — أو تزوج أو ولد له ، فما يصنع أحد من شيء إلا دوّن فيها ، ولا ينبغ من عالم أو أديب أو يقدم مغنّ أو تجيء قينة أو تأمر الحكومة أو تنهى إلا ذكر ذلك فيها ، حتى إن فيها صفة الخمر والإعلان عن الميسر ، وأخبار دور الدعارة ، والدعوة إلى الروايات الخليعة ...

فلما سمعت ذلك طار عقلي وأخذت هذه الجرائد فمزقتها شرّ ممزّق ، وعلمت أن الله مهلك هذه القرية ، وعزمت على مفارقتها ونويت ألا أعود إليها بعد الذي سمعت من خبر جرائدها ... وما ظننت أن مثل ذلك يكون ، ولم يجتزىء صاحبي بما أعلمني من علمها بل عمد إلى صحف أخرى كانت في أيدي صبيانه وبناته فيها صور قوم عراة تبدو عوراتهم ، ونساء ما يسترهن من شيء إلا شيئاً ليس بساتر ، فأرانيها ، فسقط والله من عيني وقلت ، هذا القرنان الذي لا تأخذه على أهله غيرة ، وما كنت أحسب أن رجلاً يؤمن بالله واليوم الآخر يفعل ذلك ...

***

ولست مطيلاً عليك الحديث ...

... وذهبنا نزور سنمة فسرنا حتى بلغنا قصراً عظيما على بابه خلق كثير ، وله دهليز تسطع فيه الأضواء ، فقلت ، هذا قصر أمير البلد ، هذا الذي يدعونه رئيس الجماهير ... وألهاني ما رأيت وشغلني ففقدت صاحبي وسط الزحمة ... ولكني لم أبال ، وأقبلت أصعد الدرج فمنعني أغلمة بثياب ضيقة حمر ما رأيت مثلها ، وعلى رؤوسهم كُمّ لها رواق من فوق عيونهم كالذي يوضع على عيني بغل العجلة ... وأفخاذهم مكشوفة فعل أهل الفسوق والتهتك ، فهممت أن آخذ اثنين منهم فأكركبهم على الدرج فأزحلق مُقدّمهم عن مواضعها ، ثم قلت ، ترفق يا صُلَبي لا تجنّ فما أنت في البادية، أنت في قصر الأمير وهؤلاء مماليكه وإنك إن مسستهم لم تجد أمامك إلا ضرب العنق ... ووضعت يدي على عنقي أتحسسها فعلمت أني لا أزال أحتاج إليها

ولو أنني في السوق أبتاع مثلها وجدك ما باليت أن أتقدما

وسألت الغلمان الكاشفي الأفخاذ ماذا يريدون مني أن أصنع ، فأشاروا إلى كوّة ازدحم عليها الناس ، فعلمت أن الدخول من هناك ، وأقبلت أزاحم وأدافع وهم يردونني حتى بلغت الكوة . فإذا هي غرفة ضيقة كأنها القفص وإذا فيها رجل محبوس والناس يتصدقون عليه ، فقلت في نفسي : هذا رجل ضرب مماليك الأمير فحبسه هنا لتضرب عنقه في غداة الغد ، وحمدت الله على السلامة ، وتوجهت بوجهي إلى رجل توسمته أسأله: متى تضرب عنق السجين ؟ فنظر إليّ ولم يجب ، ثم ولاني قفاه وانصرف ، فعلمت أن الأمير يمنع الناس من الكلام في هذا ، ولولا ذلك لأجابني . ودنوت من كوّة السجين فأعطيته قروشاً كانت معي وقلت له : هذه لأولادك من بعدك ، لهم الله فلا تحزن ، فلم يقبضها حتى عدّها فرآها كثيرة فرد إليّ بعضها وقبل بعضاً ، فلم ألحف عليه وأخذتها منه وأخذت معها ورقة صفراء أعطانيها لم أدر ما هي ، ولكني لم أشأ كسر قلبه بردّها ، ووضعت ذلك كله في كمّي وعمدت إلى الكوة لأدخل منها فوجدتها عالية ، فوثبت فأصبت بقدمي وجه رجل ممن كان هناك ، فما باليته وقلت سأعتذر إليه ، وقد رأيت أهل المدن يؤذون إيذاء العدو ، ثم يعتذرون اعتذار الصديق . وأدخلت رأسي في الكوة ، فصاح السجين صياحاً أرعبني والله ، وشبهته بصراخ كلب ديس على ذنبه ، وأجلب الناس ، وطفقوا يشدون برجلي وثيابي ، وأنا أرفس بقدمي رفساً لا أبالي موقعه من أجساد الناس ، والسجين اللئيم الذي أحسنت إليه يدفع برأسي ويشد بشعري ، ولم يكن عضو من أعضائي إلا وهو مشغول ،

فيداى أمسك بهما ، ورجلاى أذود بهما عن نفسى ، ولم أجد ما أدفع به أذاه عنى إلا أن بصقت فى وجهه ، فأقبل يضربنى فعضضت يده ، ثم دنوت من وجهه فعضضت أنفه ... وكان أنف ذليل لا يزال خبث طعمه على لسانى ...

... ثم أخرجونى قسراً وجبراً – وجاء مماليك السلطان فحجزوا بينى وبينهم – وأخذوا الورقة الصفراء ، وأدخلونى من باب كان هناك إلى بهو واسع صح معه ما كنت قدرت من أن سنمة هذا سلطان البلد ، ورأيت الناس قد صفوا كراسيّهم كصفّ الصلاة ، وإذا بعضهم يولى بعضاً دبره ، فقلت : ما ألأم أهل المدن ، والله ما كنت مولياً مصلياً ظهرى إلا فى الصلاة . وعمدت إلى الكرسى لأديره فإذا هو مثبت بمسامير من حديد ، فتركته واستدرت أنا ، فجلست على قفاه ، وجعلوا يضحكون منى ، فما ألقى لهم بالاً ، حتى جاءت امرأة ، فجلست قبالتى ، فقلت : يا أمة الله استترى . فأقبلوا يزبروننى ، وإذا هى فيما قالوا « شاب » وليس امرأة ، فجعلت أعجب ...

ولبثت أنتظر خروج السلطان فإذا بالماليك يديروننى فيجلسوننى من حيث يجلس الناس ، فلم أملك إلا الطاعة ، وقعدت أنتظر فلم أنشب أن جاء مملوك آخر ، فقدم إلىّ صفحة من خشب قد صف عليها فرانى وشطائر[1] وقال : تريد؟ قلت : أريد والله ... وهل يأبى الكرامة إلا اللئيم ؟ وأقبلت آكل فأجد طعاماً هشاً تحت الأسنان ، حلواً فى الحلق ، خفيفاً على البطن ، فقلت : هـذه هى البقلاوة التى وصفوها لنا ، وجعلت آكل فلا أشبع ، وهو يقدم إلى متعجباً حتى استنفدت ما كان معه . فمسحت شفتى بيدى وقلت : الحمد لله ، جزاك الله خيراً

فظل واقفاً ولم يمض ، فقلت : الحمد لله ، لقد شبعت . قال : يدك على الفلوس ؟ قلت : ويحك ماذا تريد ؟ قال : أكلت ثلاثين قطعة كل قطعة منها بسبعة قروش فهذه مائتان وعشرة . . .

قلت : قبحك الله من عبد لئيم ! تأخذ من ضيوف السلطان ثمن القرى ؟

وكان ما أكلت قد شدّ صُلبى فوثبت إليه ووثب إلىّ ، وقام الناس ، وزلزل البهو بأهله ، وكادوا والله يطردوننى لولا أن ظهر صاحبى فانفرد بالمملوك فأرضاه عنى ، وجاء فقعد معى

* * *

وإنا لكذلك يا شيخ ، وإذا بالأنوار تنطفئ ، وإذا بالخيل تهجم علينا مسرعة حتى كادت والله تخالطنا . فقلت : لك الويل يا صُلبى ، ثكلتك أمك ، إنه الغزو فما قعودك ؟ وقفزت قفزاتى فى البادية ، وصرخت وهجمت أدوس على أجساد الناس وهم يضجّون ويصخبون ، فلما كدت أبلغ الخيل اشتعلت الأنوار وفرّ العدوّ من خوف بطشى هارباً ، وجاء عبيد السلطان ليخرجونى فردّهم عنى صاحبى وكلمهم ...

فقلت : هذا والله العجز والذل ، فقبح الله من يقيم عليهما ترون العدو قد خالطكم وتلبثون قعوداً ؟ ما أكرهكم إلىّ يا أهل المدن ، ما ظننت والله إلا أنكم ستحملون إلىّ صلة السلطان على أن رددت عدوّكم وهزمته ...

فضحك اللئام ، وجعل صاحبى يحذرنى العودة إلى مثلها ؛ ولم ألبث حتى أطفئت الأنوار كرّة أخرى ؛ ففزعت ونظرت فما أحسست إلا امرأة قد قبض عليها رجل خبيث يحاول أن ينال منها على مرأى منا ومسمع ؛ وهى تستغيث وأنا أسمع صياحها ولا من مغيث ؛ فثارت الحميّة فى رأسى وسللت الخنجر وأقبلت أريده ، فاختفى والله حتى كأن لم يكن هنا لك من أحد . وعادت الأضواء ، ورجع الصخب ؛ فقلت : والله ما أقيم ، وجعلت أصيح أخرجونى ويلكم ... حتى أخرجونى ...

* * *

قال صُلبى : فخرجت وقد علمت أن جرائدكم يا أهل المدن تنشر الفجور وتهتك ستر الله عن الناس وتفضحهم ، وأن شبابكم بنات ، وأن أمراءكم سحرة يسحرون أعين الناس حتى يروهم ما لا يُرى ... ثم إنكم لا تغارون على أعراضكم ، ولا تبالون كشف عورات أبنائكم وبناتكم . لا والله ما أحبكم ...

وذهب مولياً عنى مسرعاً يمشى بين تلك المواخير القذرة : ترياتون وليدو وأوليمبيا ... ... تلقاء سوق الحميدية والأموى حيث المدينة الطاهرة الفاضلة ... حيث دمشق التى سمّاها شوقى « ظئر الإسلام » !

(ثانوية – دمشق) **علي الطنطاوى**

(١) الفرنية الـكاتو وجمعها فرانى . والشطيرة والشطائر الساندوتش

الأمومة عند العرب

للأستاذ رفعة الحنبلي

تمهيد

ذهب أكثر علماء الاجتماع، حتى أواسط القرن الثامن عشر إلى أن الأبوة هي أقدم عهداً من الأمومة في تاريخ الأسرة، وأنها قد تتشابه والأسرة الحديثة تشابهاً كلياً من حيث النشأة والتكوين، إلى أن ظهر كتاب «الأمومة» للعالم الألماني الكبير Bachofen فأحدث انقلاباً تاماً في تاريخ الأسرة وفي آراء علماء الاجتماع فيه. إذ ذهب إلى أن الأمومة هي أقدم عهداً من الأبوة، وأبعدها أثراً منها في الهيئة الاجتماعية

ليست الأمومة أقدم نوع في تاريخ الأسرة بل هي – كالأبوة – أحد الأنواع التي مرت على هذا التاريخ منذ ما أخذت الجماعات الإنسانية تفكر في تكوين الأسرة وخلقها

أراد علماء الاجتماع بالأمومة Matriarcat بأنها القرابة من ناحية الأم، كما أرادوا بالأبوة Patriacat بأنها القرابة من ناحية الأب، ذلك أن الولد في الحالة الأولى ينتسب إلى أمه كما أنه ينتسب إلى أبيه في الحالة الثانية

وقد اختلف العلماء في أمر نشأة الأمومة وتباينت آراؤهم في أمر ظهورها، فذهب Bachofen إلى أنها نشأت من نكاح المشاركة أو بعبارة ثانية من نكاح الاختلاط Hétérisme، فتولد من هذا النوع من النكاح الفوضوي الأمومة؛ إذ ليس من السهولة أن يعرف الولد أباه فينتسب إليه ويلتحق به، ولذا كان النسب محصوراً في الأم وقرابتها وحسب، وأصبحت لها مكانتها العالية، ومقامها الرفيع عند القوم، لأنها — في الحقيقة — الوالدة الوحيدة المعروفة من أبوي الولد مما أدى بها إلى تزعمها الهيئة الاجتماعية Gynécocratie ردحاً من الزمن

إلا أن العالم الإنكليزي Lenan يخالف Bachofen فيما ذهب إليه في أمر نشأة الأمومة، ويردها إلى التباين الموجود بين نوعين من أنواع الزواج: الزواج الخارجي Exogamie والزواج الداخلي Encogamie ذلك أن Lenan عند ما أراد البحث عن تاريخ الأسرة، وجد أن هنالك عادة لا تزال شائعة عند بعض الشعوب المتوحشة حتى في بعض الأمم المتمدينة أيضاً، هذه العادة هي خطف الخطيب لفتاته، أو اغتصابها، فأيقن أن هذه الظاهرة ليست إلا بقية من عادة قديمة أخرى تشير إلى تزوج رجال قبيلة في قبيلة ثانية. وقد توصل في بحثه هذا إلى معرفة تلك العادة وسبب تأصلها في الأمم الغابرة، فاعتقد أنها ناجمة عن وأد الفتاة وقتلها، مما أدى إلى قلة عدد النساء، وزيادة عدد الرجال زيادة بينة، فأقدم هؤلاء على مخالطة امرأة واحدة مما نشأ عنه تعدد الأزواج Polyandrie وبالتالي الأمومة، التي يعنى بها معرفة أم الولد دون أبيه

وخالف العالم الألماني Cuwont زميله في اجتهاده مخالفة تامة فذهب إلى أن الأمومة ظهرت بظهور «عصر الزراعة» وعهدها؛ ذلك أن الأم – في ذلك الوقت – كانت تتعهد الأرض بالغرس والزرع تعهداً كلياً، وكانت تشرف على البيت إشرافاً تاماً لا ينازعها السلطة عليه أحد، متحملة التبعات العظيمة التي ألقيت على عاتقها مما جعلها تهتم بالناحيتين الداخلية والاقتصادية، بينما كان الرجل بعيداً عن البيت وعن هذه المظاهر المختلفة، إما للقيام بواجب الدفاع أيام الغزوات والحروب، وإما لاشباع رغبته في القنص والصيد، وهو إلى هذا قد لا يفكر في الاجتماع بأسرته وزيارة امرأته — أم أولاده — إلا عند ما يرغب في الاتصال بها

حدث من هذا الابتعاد أن التف حول المرأة أولادها – وهي التي غذتهم بلبنها وقامت على تربيتهم – فأنشأت لنفسها مركزاً سامياً بين أعضاء أسرتها، أي لدى أولادها وإخوتها وأعمامها، وأخذت الأسرة تتركز فيها، فاحترم القوم هذه الأم، وأنزلوها منزلة رفيعة، وأمست محور الأسرة ومحور البيت معاً ... وهكذا اتجهت الأمومة نحوها

إلا أن Cunow لم ينتبه إلى أهمية «التوتمية» Totémisme في نشأة الأمومة؛ هذه الكلمة تشير إلى رمز ديني اتخذته الأسرة أو القبيلة القديمة إلهاً لها، وهي إلى ذلك من الرموز الدينية التي لها الفضل الأكبر في تكوين الأسرة الأولى. يقول Durkheim(١):

«إن الأسرة الأولى لم تقم إلا على التوتمية، وحسب المرء لكي يعد عضواً في الهيئة الاجتماعية أن يكون تابعاً أو منتسباً لتوتم

(١) في L'année sociologique

واحد Totem ومن صفات التوتم أن يكون محصوراً فى نسل المرأة ، أى أن يتبع الولد توتم أمه . وليس الولد هو الذى يتبع أو ينتسب إلى هذا التوتم فحسب، بل تشترك الأسرة والقبيلة فى هذا الانتساب أيضاً . فالتوتمية لها إذن الأثر الأكبر فى تكوين الأمومة وظهورها

وإذا كان الولد لازم أمه فى عصر الزراعة كما نوه بذلك Cunow ومال إليها وانتسب إلى أسرتها ، وتوثقت علاقته الاجتماعية بها ، فإن كل هذه الظواهر لم تكن نتيجة هذا العصر ، بل كان الباعث لها التوتمية

الأمومة عند العرب

مما لا ريب فيه أن الأمومة كانت فاشية عند أكثر شعوب العالم إن لم يكن كلها ، ونكاد نلمس آثارها جلية واضحة عند بعض الجماعات : كقبائل الأراواك فى غينيا ، وقبائل الدياك فى بورنيو ؛ كما أننا نشعر باضمحلالها عند البعض الآخر حيث خلفتها الأبوة . وإذا ما رجعنا إلى تراث كل أمة من الأمم الغابرة نجد أنها عرفت هذا النوع من أنواع الأسرة . والأمة العربية لم تخل فى سالف عهدها ، قبل الإسلام ، من شيوع الأمومة فيها ومعرفة العرب للتوتمية Totémisme . فالتوتمية[1] كلمة أشار بها هنود أمريكا الشمالية إلى الحيوان المقدس الذى تعبده القبيلة وتسمى باسمه وتنتسب إليه . فالقبيلة التى تأخذ الحمامة توتماً لها ، فإنها تعتبرها ملاكاً كريماً ، وروحاً طاهرة وحارساً أميناً لها ، فتتلقب بها ، ويعتقد رجالها جميعهم أنهم أقرباء لها ولسائر أنواع الحمام أيضاً

ولو رجعنا إلى تاريخ الأمة العربية ، فى جاهليتها ، لوجدنا أن كثيراً من قبائلها كانت تعرف بأسماء بعض الحيوان أو بأسماء بعض الآلهة ، ودليلنا على ذلك أن بعض القبائل العربية كانت معروفة بقبائل أسد ، وثور ، وكلب ، وعقاب ، وغيرها ، حتى أن المستشرق سميث Smith يعتقد أن لهذه الأسماء معانى دينية ، وأن لها علاقة بعبادة الحيوان كما هو مشاهد فى التوتمية ؛ كما أن البعض الآخر من القبائل العربية تلقب بأسماء الآلهة التى عبدها كقبائل بنى هلال وبنى شمس وبنى بدر وغيرها الذين كانوا ينتسبون إلى تلك الآلهة التى كانوا يعبدونها أيضاً ؛ فالقبائل العربية كانت ، عهدئذ ، توتمية أى أنها كانت تقدس الحيوان وتعبده ، وعنه اتخذت ألقابها . على أن من صفات التوتم ، كما قدمنا ، أن يكون محصوراً فى نسل المرأة أى أن يتبع الولد أمه دون أبيه ، كما هو مشهور عن هنود أمريكا الشمالية إذ لا يزالون حتى اليوم على الأمومة

والأمومة عند العرب نشأت عن عدم معرفة أبى الولد ، ذلك أن الهيئة الاجتماعية العربية القديمة لم تهتم بالزواج الشرعى بل كان الزواج فوضوياً أو زواجاً مشتركاً Hétérisme أى أن المرأة لم تكن ترتبط مع الرجل برباط شرعى متين بل كانت تتصل بأكثر رجال قبيلتها

إلا أن العالم Lenan يذهب إلى أن الأمومة نشأت عند العرب عن تعدد الأزواج Polyandrie الذى كان فى بادىء الأمر غير مقيد ، بمعنى أنه لم تكن صلة قرابة بين الأشخاص المالكة لامرأة واحدة ، لكنه أصبح فيما بعد مقيداً ومحصوراً أى أن المرأة أصبحت تخص جملة أشخاص معينة من أسرة واحدة أو من أم واحدة . غير أن Lubbock الفيلسوف الإنكليزى « يعد تعدد الأزواج من الأمور الشاذة التى نتجت عن قلة النساء » فالأمومة كانت إذن سائدة فى الوقت الذى كان فيه زواج الاشتراك شائعاً عند الأمة العربية ، قبل أن تعرف الزواج الشرعى أو الزواج الفردى الذى تعرفه الهيئة الاجتماعية الحاضرة وتعمل به

ولا بد لنا من أن نتساءل : هل كانت الأمة العربية فى جاهليتها ، تعرف هذا النوع من الزواج - زواج الاشتراك - أم أخذت بنوع آخر أى بتعدد الأزواج ؟

لقد أخبرنا أحد المؤرخين اليونانيين القدماء - سترابون - عن أمر الزواج عند عرب الجاهلية بأن « الأملاك عندهم مشتركة أى أنها تخص جميع أعضاء الأسرة التى يرأسها شيخ ، وهو أكبرهم سناً ، ولهم جميعاً امرأة مشتركة يختلفون إليها ، فمن جاء منهم قبلاً دخل عليها ، وترك على الباب عصاه ، ليشير بذلك إلى اختلائه بها... لكنها ، فى الليل ، لا تكون إلا مع أكبرهم سناً »

---

(١) ولعل لفظة « تميمة » العربية كانت فى الأصل تدل على عبادة الحيوان عند السلالات الشرقية لأن معناها فى العربية « المعاذة » والشىء الذى يتعوذ به الانسان من شر ، وتقارب اللفظين « توتم » وتميمة يدعو إلى هذا الظن « علم الاجتماع » لنقولا الحداد

نفهم من هذه العبارة التى أوردها هذا المؤرخ اليونانى أن تمدد الأزواج كان فاشياً بين العرب ومعروفاً عندهم ، وهذا ما اعتقده المستشرق سميث .

وأعقب هذا المؤرخ عبارته تلك بعبارة ثانية خالف بها ما ذهب إليه فى الأولى إذ قال : « وهم يتصلون بأمهاتهم ويعاقبون الزانى بالموت، ويريدون بالزانى من اتصل بامرأة من غير قبيلته » . يعنى بذلك أن رجال القبيلة الواحدة أباحوا لأنفسهم الاتصال بنسائها بحرية تامة ، فلم تكن المرأة يستأثر بها رجل معين ، أو جماعة معينة ، وهذا ما يجعلنا نؤمن بشيوع زواج المشاركة عندهم لا تمدد الأزواج يقول أحد علماء الاجتماع : « إن العرب فى الجاهلية لم تكن تعرف زواجاً مستمراً ترتبط به المرأة مع رجل إلى وقت محدود ؟ ذلك أن العرب كانوا يفضلون النكاح الوقتى على غيره » . وقال أيضاً : « والعرب يقضون عمرهم فى التجول والتنقل ونساؤهم يتصلن بمن أردن من الرجال لأجل معين ، بعد أن يأخذن منهم أجورهن فريضة . هذا النكاح الوقتى يشبه نكاح المتعة الذى أباحه النبى العربى الكريم لأصحابه فى أول عهد الإسلام ، وقد عرفه بعض علماء الشرع بأنه نكاح يعقد إلى أجل معين ، ثم يحل بعد انقضاء هذه المدة . وفسره البعض الآخر : بأنه — أى نكاح المتعة — يعقد إلى أجل ، لا ميراث فيه ، وفراقه يحصل بانقضاء الأجل من غير طلاق »

ولنبحث قليلاً عن نكاح المتعة ، فإن لنا فيه بعض الفائدة لهذا البحث ، لنقف منه على مدى تلك العلاقات الزوجية القائمة بين الرجل والمرأة .

أشار القرآن الكريم إلى هذا النكاح ، نكاح المتعة ، فى عدة آيات . فقد جاء فى سورة النساء « . . . وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين، فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة ، ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة . . . » اختلف المفسرون فى تفسير هذه الآية ، فبعضهم يفهم من مدلولها أنها إشارة إلى الزواج الشرعى أو الزواج الفردى ، وأن كلمة أجورهن يراد بها مهورهن لأن المهر ثواب على البضع[1] وبعضهم يرى فيها أنها إشارة إلى زواج المتعة أو الزواج الوقتى حتى قيل إن هذه الآية نزلت فى المتعة التى

(١) تفسير الزمخشرى الجزء الأول صفحة ٢٠٢

كانت ثلاثة أيام حين فتح الله مكة على يد رسوله الكريم ثم نسخت .

كان الرجل ينكح المرأة وقتاً معلوماً ليلة أو ليلتين أو أسبوعاً بثوب[1] أو غير ذلك ويقضى منها وطره ثم يسرحها ؛ وسميت متعة لاستمتاعه بها أو لتمتيعه لها بما يعطيها[2]

وهاك بعض الأحاديث التى تدل على أن النبى العربى الكريم أباح المتعة يوم فتح مكة ، ونهى عنها بعد ذلك . جاء فى صحيح البخارى[3] : أن النبى ، صلوات الله عليه ، نهي عن نكاح المتعة آخراً . وعن ابن عباس حينما سئل عن متعة النساء فرخص ؛ فقال له مولى له : إنما ذلك فى الحال الشديد[4] وفى النساء قلة أو نحوه فقال ابن عباس : نعم[5]

يتبين لنا مما تقدم ، أن النبى العربى الكريم أباح نكاح المتعة فى الظروف المتقدمة ، وحرمها تحريماً أبديا . قال المستشرق Von Kremer فى كتابه « تاريخ تمدن الشرق » عن زواج المتعة ما معناه : « وكان شائعاً بين العرب قبل محمد نوع من النكاح يكاد لا يستحق هذا الاسم ، وهو المعروف بنكاح المتعة ؛ كان يعقد لأجل بقيمة معلومة تدفع للمرأة سلفاً ؛ لكن محمداً أبطل هذه العادة الرديئة »

فالمتعة إذن ليست إلا النكاح الوقتى ، وكانت من عادات العرب فى الجاهلية ، ولولم تكن من عاداتهم قبل الإسلام لما نزلت الآية القرآنية ، ولما أحلها وحرمها النبى العربى الكريم ؛ لقد تأصلت هذه العادة فى نفوس القوم ، وتمكنت من أخلاقهم ، وتأصلت فى طباعهم حتى أننا نلمس آثارها بعد الإسلام وبعد هذا التحريم . روى الرحالة الانكليزى Hamilton أنه « رأى فى أكثر شوارع مدينة « سنان » — وهى من أعظم المدن فى اليمن — سماسرة للنساء ، فكل غريب لا مأوى له فى المدينة يمكنه أن يتزوج ويتبلد فيها بقيم زهيدة وبطريقة بسيطة ، وهو أن يتفق مع المرأة ، بعد أن يراها وتعجبه على الثمن ، فيحدد لها المدة التى يمكنه أن يقيمها معها أسبوعاً كان أم شهراً أم سنة كاملة ثم يحضر معها أمام القاضى أو حاكم المدينة فيسجلان اسميهما فى كتاب عنده ويكتبان الشروط التى اتفقا عليها ، وكل ذلك

(١) والأصح بثبوت

(٢) تفسير الزمخشرى الجزء الأول صفحة ٢٠٢

(٣) المجلد الثانى الجزء السابع صفحة ١٢ (٥) من قوة الشهوة

(٤) صحيح البخارى المجلد الثانى الجزء السابع صفحة ١٣

أقانين

أبو النجم الرجاز
وهشام بن عبد الملك
للأستاذ على الجندى

[بقية ما نشر فى العدد الماضى]

تركنا فى المقال الأول أبا النجم فى رصافة هشام أو رصافة الشام ، على حال تسرّ العدو وتسوء الحبيب ! منبوذاً من البلاط خائفاً يترقب ! لا طعام إلا ما يصيبه من مائدة الكلبى والتغلبى ، ولا مأوى إلا بيت الله يبيت فيه بلا وطاء ولا غطاء مع طُرّاق الليل وأبناء السبيل !

وقبل أن نقتصّ بقية أخباره نريد أن نعرف : كيف رانت الغفلة على عقله ، وكيف غاب عنه شيطانه الناصح ! فزلّ زلة ما كان أيسر أن يشيط بها دُمه لولا أن حفّه لطف الله الخفى ! وأى زلة أكبر من أن يعيب شاعر الخليفة فى وجهه بين غاشيته وخاصته ؟

الحق أن لأبى النجم بعض العذر ؛ فإنه لم يكن فى مقام المادح للخليفة المخاطب له بالشعر حتى يُعدّ مجبّها له ، وإنما هى أرجوزة أنشئت من قبل فى غرض خاص وسمعها الخليفة عرضاً ، وليس من المعقول أن نعطّل التشبيهات ، ونُبطل الوصف ونئد الفن إكراماً لحوَل عينٍ ولو كانت عين هشام ! فالكلام فى ذاته برىء من العيب ، وإنما جاء العيب من المصادفة السوداء !

والحق أيضاً أن جمهرة من الشعراء قبل أبى النجم وبعده وقعوا فى أشرّ مما وقع فيه ، وبعضهم لم يكن بادياً جافياً مثله ، بل كان حضرى الشمائل ، رقيق الحواشى ، مصقول الخاطر ، أنيق الطبع كأبى نواس ! ولا يتسع المقام لإيراد الشواهد ؛ فقد نجرد لها مقالاً خاصاً ، ونكتفى منها بمثال واحد :

يذكر الرواة أن ذا الرمة الشاعر ورد على عبد الملك بن مروان فاستنشده شيئاً من شعره ، فأنشده أول قصيدته البائية :

ما بال عينك منها الماء ينسكب ؟ كأنه من كلى مفرية سرب[1]

وكان بعين عبد الملك شعرة فهى تدمع منها أبداً ، فتوهم أنه عرّض به ! فقال : وما سؤالك عن هذا يا أحمق ؟ وأمر به فأخرج

وقد علل ابن رشيق[2] ازلاق الشعراء إلى هذه المآزق ، فقال : إنما يُؤتى الشاعر فى هذه الأشياء من غفلة فى الطبع وغلظ ، أو من استغراق فى الصنعة ، وشغل هاجس بالعمل يذهب مع حسن القول أين ذهب

ثم قال — ينصح لهم — : والفطن الحاذق يختار للأوقات ما يشاكلها ، وينظر فى أحوال المخاطبين ، فيقصد محابهم ويميل إلى شهواتهم ، وإن خالفت شهوته ؛ ويتفقد ما يكرهون سماعه فيتجنب ذكره.

ورأيى أنه كان واجباً على هشام فى أبهة الخلافة وجلال الملك وبهاء المنصب ، أن يتغاضى عن هنة غير مقصودة من شاعر نقى الفطرة ، سليم دواعى الصدر مثل أبى النجم ، وأحسب أن هذه السقطة لو وقعت فى بلاط معاوية أو المأمون أو الواثق ، ما زادوا على أن أسروها فى أنفسهم ، أو ضحكوا لها ضحكة مدوية ! ولو أن هشاماً جعلها دبْرَ أذنه ما كان لها هذا الشأن التاريخى ولأكبر الناس رحابة ذرعه ، ورجاحة حلمه ، ورموا أبا النجم بالفدامة وفساد الذوق !

وإذا كان الشىء بالشىء يذكر نقول : إن حولة هشام لها نوادر مذكورة فى الكتب !

يحدث المسعودى فى مروج[3] الذهب : أن هشاماً عرض

(١) سرب القربة بفتح الراء : ما يقطر من خرزها
(٢) العمدة ١ — ١٤٩
(٣) مروج الذهب ٢ — ١٨٣

لا يكلفه إلا بضعة دريهمات ، ثم يضع الرجل يده فى يد المرأة أمام القاضى فيتم الزواج ويعد ذلك شرعياً حتى انقضاء المدة المعينة ؛ هذا وكل منهما حر أن يفترق عن صاحبه متى أراد أو أن يرتبط معه ثانية بعد انقضاء المدة المعينة ، أما إذا افترق أحدهما عن الآخر قبل انقضاء هذه المدة فعليه أن يدفع لصاحبه القيمة التى تسلمها منه أو اتفق معه عليها طبقاً للشروط التى عقدت بينهما ، وبعد ذلك يمكنه أن يتزوج على الصورة عينها متى شاء »

لو لم يكن النكاح الوقتى فاشياً بين العرب لاستحال وجود نساء يهبن أنفسهن ببضعة دريهمات ولأجل معين ، ذلك أن الأمة العربية فى جاهليتها لم تكن تعرف الزواج الشرعى الدائم .

(البقية فى العدد القادم) رفعة الحنبلى

الجند يوماً بحمص الشام ، فمر به رجل من أهلها على فرس نفور فقال له : ما حملك على أن ترتبط فرساً نفوراً ؟ فقال الحمصى : لا ، والرحمن الرحيم ، يا أمير المؤمنين ما هو بنفور ، ولكنه أبصر حولتك فظن أنها عين غزوان البيطار ! فصاح هشام : تنح ! فمليك وعلى فرسك لعنة الله !

وكان غزوان هذا بيطاراً نصرانياً بناحية حمص يشبه هشاماً كل الشبه

ويحكى المبرد(1) : أن سالم بن عبد الله بن عمر ، دخل إلى هشام فى ثياب وعليه عمامة تخالفها ، فقال له هشام : كأن العمامة ليست من الثياب ، قال : إنها مستعارة . قال : كم سنك ؟ قال : ستون . قال : ما رأيت ابن ستين أبقى كدنة(2) منك ! ما طعامك ؟ قال : الخبز والزيت . قال : أما تأجمها(3) ؟ قال : إذا أجمتهما تركتهما حتى أشتهيهما .

ثم خرج من عنده وقد صدع ! فقال : أترون الأحول قد لقعنى(4) بعينه ؟ فمات من تلك العلة !

ويجب أن نقول بهذه المناسبة : إن الحول قد يعده بعض الناس – وأنا فى طليعتهم – من سمات العيون المستملحة كالحور والانكسار والدعج ، وبخاصة إذا كان الحول خفيفاً وهو ما يسمى بالقَبَل .

ففى ترجمة ابن سريج(5) : أنه كان فى عينه قبل حلو لا يبلغ أن يكون حولاً

وفى أخبار أبى الأسود(6) : أنه اشترى جارية حولاء فغارت منها زوجه وابنة عمه : أم عوف . فكانت تشارّه(7) فى كل يوم وتقول : من يشترى حولاء ؟ فلما أكثرت عليه قال :

يَعيبونها عندى ، ولا عيبَ عندها
سوى أن فى العينين بعض التأخر
فإن يك فى العينين سوء ، فإنها
مهفهفة الأعلى ، رداح(8) المؤخر

(1) رغبة الآمل ٥ — ١٣١
(2) بضم الكاف وكسرها : قوة الجسم أو كثرة اللحم والشحم
(3) أجم الطعام من باب ضرب وفرح : كرهه
(4) أصابه بالعين
(5) الأغانى ١ — ٢٥٠
(٦) عيون الأخبار ٤ — ٥٨
(7) تخاصمه
(8) ثقيلة الأوراك

وقد عد بعض العشاق حول عينيه نعمة من الله تستوجب الشكر والحمد ! وساق ذلك فى شعر طريف علق عليه أبو هلال(1) العسكرى بقوله : إنه مما لا أظن له شبيهاً !

قال العاشق الشاعر الأحول :

حمدت إلٰهى إذ بليت بحبها — على حول يغنى عن النظر الشزر
نظرت إليها ، والرقيب يظننى — نظرت إليه،فاسترحت من العذر

ونعود إلى سياقة قصة(2) أبى النجم فنقول : إن محنته لم تطل ، فقد تأذن الله بكشف النمة عنه وهيأ لذلك أسبابه !

فأمسى هشام ذات ليلة لَقِس(3) النفس منفّر النام ! وهو عارضٌ كثيراً ما يعترى الخلفاء لما يكابدونه من جهد فى تصريف أمور الملك وتدبير شئون الرعية ، وإعمال الفكر فى سدّ الثغور ورتق الفتوق . وكانوا فى مثل ذلك يفزعون إلى السُّمار الظُّراف يتفكّهون بأحاديثهم ومُلَحهم . فتقدم هشام إلى خادم له أن يبغيه محدثاً ، وأن يكون أعرابياً أهوج شاعراً راوية ! ومن يكون ذلك المحدث الأعرابى الأهوج الشاعر الراوية غير أبى النجم ؟

وذهب الخادم يبحث عن طلبة الخليفة فقاده حسه اللطيف إلى أحد المساجد ، وإذا هو برجل نائم فضربه برجله وقال : قم ، أجب أمير المؤمنين . فقال الرجل : أنا أعرابى غريب . قال : إياك أبغى ، فهل تروى الشعر ؟ قال : نعم ، وأقوله . فأقبل به من المسجد حتى أدخله قصر الخليفة وأغلق الباب وراءه ؛ فذكر الرجل حادثته مع هشام فرجف قلبه وأيقن بالشر المستطير ! ولكنه أسلم لله أمره واستقاد للخادم ؛ فأدخله إلى أمير المؤمنين فى بيت صغير من بيوت القصر ، بينه وبين أهله ستر رقيق والشموع تزهر بين يديه . فلما بصر به هشام قال : أبو النجم ؟ قال : نعم ، طريدك يا أمير المؤمنين . فأذن له بالجلوس وسأله عمن كان يضيفه ؛ فأخبره خبر الكلبى والتغلبى . قال : وكيف اجتمعا لك ؟ قال : كنت أتغدى عند أحدهما وأتعشى عند الآخر . قال : وأين كنت تأوى ؟ قال : فى المسجد حيث وجدنى رسولك

وأطرق هشام برهة لعله راجع فيها نفسه فندم على ما كان منه مع أبى النجم ! ثم رفع رأسه وقال له : ما لكَ من الولد

(1) ديوان المعانى ١ — ٢٧٢
(2) وردت القصة فى العقد والأغانى والكامل للمبرد وخزانة الأدب للبغدادى باختلاف يسير
(3) لقست نفسه : غثت

والمال ؟ قال : أما المال فلا مال لى ، وأما الولد فلى ثلاث بنات وبُنىّ يقال له : شيّبان . قال : هل أخرجت من بناتك ؟ قال : نعم ، زوجت اثنتين وبقيت واحدة تجمز(1) فى أبياتنا كأنها نعامة . قال وما وصيت به الأولى ؟ – وكانت تسمى برّة – قال :

أوصيتُ من بَرّة قلباً حُرا ... بالكلب خيراً والحماةِ شرّا
لا تسأمى ضرباً لها ، وجَرا ... حتى تَرَى حلو الحياة مُرّا
وإن كستك ذهباً ودُرا ... والحىَّ عمّيهم بشرٍّ طُرّا

فضحك هشام ، وقال : فما قلت للأخرى ؟ قال : قلت :

سُبّى الحماة وابْهتى(2) عليها ... وإن دنتْ فازدلفى إليها
وأوجعى بالفِهْر(3) ركبتيها ... ومرفقيها ، واضربى جنبيها
وقَمّدى كفيكِ فى صُدْغيها ... لا تخبرى الدهرَ بذاك ابنيها

فضحك هشام حتى بدت نواجذه ، وسقط على قفاه ! وقال : ويحك ! ما هـذه وصية يعقوب لولده ! قال : ما أنا كيعقوب يا أمير المؤمنين ولا ولدى كولده

قال : فما قلت للثالثة ؟ قال : قلت :

أوصيك يا بنتى فإنى ذاهب ... أوصيك أن يحمدك الأقارب
والجار والضيف الكريم الساغب ... لا يرجع المسكين وهو خائب
ولا تنى أظفارك السلاهب(4) ... لهن فى وجه الحماة كاتب
والزوج ، إن الزوج بئس الصاحب

قال : فأى شىء قلت فى تأخير زواجها ؟ — وكان اسمها : ظَلاّمة — قال : قلت :

كأن ظلامة أخت شَيّبان(5) ... يتيمة ووالداها حيّان
الرأسُ قملٌ كله وصِئبان ... وليس فى الرجلين إلا خيطان
وقُصّة قد شيّطتها النيران ... تلك التى يفزع منها الشيطان

فضحك هشام حتى ضحكت النساء لضحكه ! وقال للخصىّ : ما فعلت الدنانير المختومة التى أمرتك بقبضها ؟ قال : ها هى عندى ووزنها خمسمائة . قال : ادفعها إلى أبى النجم ليجعلها فى رجلى ظلامة مكان الخيطين !

على الجندى

(1) تعدو وتسرع
(2) اكذبى على التضمين وفى بعض الروايات : انهق . والنهيت : صوت الأسد دون الزئير ، وقد رجح هذه الرواية العلامة المرصفى
(3) الحجر ملء الكف
(4) الطوال على المجاز لأنها فى الأصل وصف الخيل
(5) فى الأغانى والكامل : شيبان

من وراء المنظار



صراع ...!

سألتُ صديقى الأستاذ (عين) أن يعيرنى منظاره ساعة من زمان ، علّى أرى من خلاله ما توسوس به نفوس قوم قضيت بينهم عمراً من عمرى ، أحسن الظن بهم ، وأقربهم إلى نفسى خشية أن يستشعروا الوحدة ، وأنزل لهم عن بعض مالى خيفة أن يجدوا لذع العوز ، وأواسيهم فى البأساء ضناً بقلوبهم أن يأ كلها الأسى و . . . ؛ فلما أعرضت الأيام عنى ، انطلقتُ أفتش عبثاً ، وإذا أنا على حَيْد الطريق ، وحيداً تكاد تعصف بى أعاصير الحياة لولا بقية من أمل . . .

وأراد صديقى الأستاذ (عين) أن تكون له عندى يدٌ أخرى، فقدّم إلىّ منظاره فى رضى ، فوضعته على أنفى فى خيلاء ، ودلفت إلى الشارع فى أناة وتؤدة ، وهو من ورائى يشيعنى بنظراته الباسمة

وخشيت أن ينزلق المنظار من على أنفى وأنا أتخطر فى مشيتى ، ومالى عهد بالمناظير ، فيتحطم وأنا به ضنين ؛ فانتحيت ناحية أصلح من شأنى وشأنه ، وأزوّر فى نفسى أمراً ، فما راعنى إلا صوت ينادينى باسمى

والتفت فإذا صديقى (م) وزوجته يسيران الهوينى جنباً إلى جنب وذراعاً فى ذراع ، وقد عرته حمى الضحك حين رآنى أقلب المنظار بين يدى ، أضعه على عينى مرة ، وأخلعه مرة ، فى حيرة وتردد ؛ غير أنى تغاضيت عن مجونه وأنا أدنو منه

لقد نشأ صاحبى (م) – كما نشأت أنا – بين ربوع الريف فى ظل القرية الوارف الجميل ، لم تلوث المدنية دمه الطاهر ، ولا دنست الحضارة قلبه الزكى . عرفته وعرفنى أول عهدى بالمدرسة ، فهو أول من جلست إلى جانبه فى فصل ، وأول من تحدثت إليه فى مدرسة ، وأول من سكنت إليه فى درس ، وأول من لاعبته . . . ودرجنا ودرجت معنا الصداقة الجميلة الرّفافة ، والأيام تجمع بيننا وتفرق ، ونحن على عهد من الود

لا نقطعه ، وميثاق فى الهوى لا نخيس به ، وفى القلبين أواصر لا تستطيع نوازع الحياة أن تعبث بها ، ولا تطمع حاجات العيش فى أن تعانى عليها

وبهرت المدينة صاحبى أول ما هبط القاهرة ، وهو قد هبطها طالباً فى الجامعة ، فاستلبه بهرجها من وقار القرية وحيائها ليقذف به فى هذر الحياة ومجونها ، وجرفه التيار وهو عنيف ، فما استطاع أن يخطو الخطوة الأخيرة من تعليمه الجامعى إلا وهو يلهث من أثر الإعياء والبهر ، ثم أرخى لنفسه العنان

وتعرف إلى ابنة (فلان) بك ، وهو عين من أعيان القاهرة استطاع أن يخلق من جاهه وظيفة مرموقة يقدمها مهر الزواج إلى زوج ابنته الوحيدة ... إلى صاحبى

وشاء (البك) ألا يحرم النظر إلى وحيدته ، وهى قرة عينه وفرحة قلبه ، وما فى القصر سواها بعد أن ماتت عنها أمها ، وسوى زوجته الجديدة ، وهى فتاة فى فجر العمر وثورة الشباب تزوجت من (البك) وفاء دين كان على أهلها ، فلمست فيه برد شبابها المضطرم ، وأحست بعد ما بين شيخوخته الذاوية وبين نضارتها المتألقة ، فانطوت على نفسها تبكى حظها العاثر ، ثم ... ثم أشرق صاحبى الشاب فى الدار فابتسمت له حين وجدت فى غدوه ورواحه حياة تتوثب

وعاش الفتى فى هذه الدار يتغنى بالسعادة ويترنم بالهناءة ، وهو يحدثنى حديثه — بين الفينة والفينة — فأستبشر لكلماته ويطمئن قلبى

لا جرم ، فالآن قد نفذ بصرى من خلال المنظار إلى الحقيقة التى لا يعرفها صاحبى ، الحقيقة التى إن جاشت بها نفس الزوج طمّت عليها ابتسامات الزوجة الرقيقة ...

هذه هى الزوجة الطيعة الوفية تتراءى لى وهى تنظر إلى زوجها الريفى الساذج فى احتقار وسخرية ، وفى نفسها أنه صنيعة أبيها ويد من أياديه ، أقامه وهو يتكفأ فى مضطرب الحياة ، ولم شعثه من شتات ، وخلق منه رجلاً ذا مال وأنق وهو على خطوة من التصعلك ، ثم هى لا تحس باحترامه ولا تشعر بكرامته ، وكيف ؟ وهو قريب عهد بآداب الجماعات والحفلات ، لا يعرف الرقص ، ولا يتقن (البوكر) ، ولا يصبو إلى الأصفر والأحمر من شرابهم

وإن حمرة الخجل لتربط على لسانه إن هو جلس إلى فتاة غريبة ، وإن فورة الغيظ لتسيطر عليه إن جلست هى إلى شاب غريب ؛ وهى فتاة من بنات الشارع [1] ترى فى طباعه تزمت الأغبياء ، ورجعية الفقراء ، واضطراب الجهلاء ، فتعبث به ، وهى فى مأمن من ثورته ، لأنه عبد أبيها ...

ورحت أحدق فى الزوجة لأتغلغل إلى خلجات ضميرها ... وهى تتصاغر فى عينى ، وهو يتضاءل تحت منظارى ، حتى بلغنا سيارة (البك) ، وفيها زوجته الشابة تنتظر ... لقد أرادت أن تخلو إلى نفسها ساعة تدبر أمراً ...

وعجبت أن رأيتها تلتصق بصاحبى تريد أن تستشعر الدفء من شبابه ، وهى تحاول أن تصرفه عن زوجته رويداً رويداً لتستمتع به ، وفى قصر زوجها ، غير أنها كانت تخشى صولة (البك)

ونظرت إلى زوجة صاحبى فألفيتها لا تستطيع أن تلمس خواطر تنزى فى قلب زوجة أبيها ، لأن حياتها الماجنة كانت قد أسدلت على عينيها ستاراً لا ترى من فروجه إلا الحفلات والسهرات ، وإلا الزينة والسمر ، وإلا ... فأوشك البيت أن يتداعى عليها

وعجبت لهذا الصراع النفسانى يحوم حول صاحبى وهو عنه فى غفلة ؛ فرفعت بصرى إلى السماء أحوله عن بعض ما رأيت ؛ غير أنى ذهلت أن رأيت صفحة من صفحات القدر منشورة أمامى أقرأ فيها : أن (البك) قد مات ، وأن النزوات المكبوتة قد ثارت . فيا ترى من ذى التى تفوز ؟

***

وأنت يا صاحبى لا تلحنى فلقد كتبت لك سطراً من حياتك علك تجد لنفسك مخرجاً قبل أن تتردى

(مشتهر) **كامل محمود حبيب**

---

(١) ابنة الشارع : علم على الفتاة الحديثة التى تذر الدار وتتطوى من أعمالها لتتقن فن الشارع ، وسنتحدث عنها فى مقال آخر ، إن شاء الله .

من تاريخ الأدب الإنجليزى

الأدب القصصى
فى عهد الملكة اليزابث
١٥٥٨ – ١٦٠٣

للأديب مصطفى مشعل

مقدمة

تعتبر القصة منذ أقدم العصور فناً قائماً على قوة التخيل، واستخلاص أفضل النتائج التى يحسن توجيه الشعب إليها، وبث العقائد أو المثل العليا التى يدين بها الكاتب

ومن المعروف أن أدب القصة هو الأدب الذى يتأثر به القارئ أكثر من تأثره بسواه، وأنه الأدب المحبوب الذى يتذوقه المطالع تذوقاً شهياً دون ملل، أو إرهاق فكر. فهو إذن أشد الآداب اتصالاً بالروح، وتصويراً للشعور، ووصفاً للبيئة، ومعالجة للحياة فى جميع أوضاعها ... فالقصة هى أحسن أدب يمثل الحياة.

ولا شك فى أن الكاتب الروائى يستطيع – إن ملك القدرة على نسج الخيال بالحقيقة، واستطاع سرد قصته دون أن يمل قارئه النجاح – بسهولة فى جعل هذا القارئ يعيش ويحيا مع أبطال قصته، فيفرح لفرحهم ويتألم لألمهم كأنهم أشخاص يعيشون على مسرح الحياة لا مسرح الخيال

ومن الحقائق المعروفة أيضاً عن الأدب القصصى أنه أداة فعالة فى النفوس، فنحن مثلاً إذا سمعنا قصة حياة شبيهة بحياتنا نشعر بفرح هائل يملك علينا إحساسنا، إذ نرى فى إحساسات غيرنا وشعوره صورة ناطقة لشعورنا وأحاسيسنا، حتى ولو كان ذلك الشعور وهذا الإحساس ألماً لشىء أو أسفاً عليه، فالطبيعة البشرية تجد فى هذه المشاركة فى الشعور والوحدة فى الألم أملاً جديداً، وشجاعة تواجه بها الأحداث والمتاعب

أما إذا كان الوصف والتصوير الذى نطالعه هو وصفاً وتصويراً لحياة جديدة لا نعرفها ولا نحياها فسرعان ما نلمس فى نفوسنا حناناً لهذه الحياة متأثرين بما نقرأ عنها من وصف ... مشغوفين بما نتخيله عنها سواء كان هذا التخيل الذى يدفعنا إليه الكاتب يتجه نحو النور أو الظلام ... نحو الفرح أو الحزن؛ وهكذا ينمو ذلك التأثر وهذا التخيل حتى ندخل فى حياة الحياة الجديدة ونعيش فيها شاعرين بلذة لا توصف، لأننا شاركنا أبطال القصة فى حياتهم، وفى فرحهم وترحهم

ونحن نستنتج من هذا أن القصة الواقعية التى تصف حياة رجل أو امرأة وصفاً حقيقياً تفوز بعطفنا وإعجابنا، ولكننا سرعان ما نشعر بفتور يستولى علينا، لأن أبغض شىء إلى المرء هو أن يرى آلام حياته تمثل أمامه أو تسرد عليه مرة أخرى .. إنه يكتسب من ذلك أملاً ولكنه لا يكتسب لذة ... وذلك لأن القصة الواقعية قد عدمت فى سطورها ذلك الشىء المجهول الذى نشعر به ولا نعرفه، واللذة غير الأمل ... فاللذة التى يحسها القارئ لقصة مزجت فيها الحقيقة بالخيال البلورى هى تلك اللذة التى يحسها كل بشرى عقب استطلاع شىء مجهول . . . عقب الخوض فى عالم جديد لا يعرفه ولم يجئ فيه

ومن ذلك نرى أنه كان لزاماً على القصاص أن يخترع المواقف والمفاجآت التى يوحيها خياله ليضمن تتبع القارئ له تتبعاً مستمراً غير منقطع ... وكان عليه أن يشوق القارئ إلى النهاية المحبوكة، وأن يجعله يعجل القراءة محاولاً أن يصل إلى آخر مرحلة من مراحل هذا الخيال المسترسل وإلى خاتمة هذه المفاجآت المتصلة، لأنه – أى القارئ – لا يستطيع إدراك نهاية القصة ولا يستطيع أن يحزرها حزراً يقرب من الصواب، لأنه لم يشعر ولم يتذوق مثل الحياة التى تصفها القصة وتصورها

شارلمان ورولاند (١)

كان هذان الرجلان هما أول من بذرا بذور هذا النوع الذى تحدثت عنه، فاستقبله الكتاب الواقعيون بشىء غير قليل من اللهفة والشغف والرغبة القوية فى التقليد، فما زالوا يفكرون بين مترددين ومقدمين حتى جرفهم التيار فإذا بهم مقلدون. وهكذا شاع وذاع هذا النوع السائغ السهل الهضم فى المدة الأدبية، وابتدأ الخيال يلعب دوره فى القصة وينشط شططاً كبيراً ويجمح جموحاً غريباً

(١) Charlemagne and Roland

حتى اعتاده الناس وتقبلوه تقبلاً حسناً ولكن الكتاب أمعنوا فيه إمعاناً شائناً مبتذلاً ، فكان ذلك وبالاً على هذا النوع من القصة إذ تحول القراء عنه . وهكذا راح يخبو ويندثر ليظهر على أعقابه نوع جديد من الأدب الذى كتب واصفاً بعض حوادث التاريخ القديم وسمى بالقصة (١)

قصة « يوفيس » لجون ليلى (٢)

إذا أراد الكاتب أن يتحدث عن العصر الإليزابثى وخلفائه وأن يتكلم عن القصص الموفق الذى ظهر وأحدث ضجة كبيرة لما وجد أمامه إلا قصة رائعة بل هو أروع آثار هذا العهد اطلاقاً من حيث قوة الفكرة وحسن الأسلوب ولما اشتملت عليه من مغزى

كتب هذه القصة شاب نابه يدعى جون ليلى وكان اسمها « يوفيس » ، ونحن إن أردنا تحليل الأسباب والدوافع التى كانت سبباً فى ظهور هـذه القصة وتفوقها على كل ما عداها استطعنا ذلك بقليل من الاستنتاج . فالقصة لم تكتب جزافاً ولم يضعها صاحبها لمجرد الرغبة فى الكتابة أو الشهرة، بل إنه أراد بها مغزى عظيما ، إذ حاول أن يظهر ويصف التأثير السىء والانحطاط الخلقى الذى كانت الحياة الاجتماعية فى إيطاليا تؤثره فى صغار الشبان الانجليز النازحين إليها لتلقى العلم والمعرفة

لقد كانت إيطاليا فى ذلك الوقت بلاد النور الخلاب يتهافت عليها طلاب العلم ، وتفيض هى على العالم علماً وعرفاناً ، حتى لقد كان يحج إليها كل متعلم أراد أن يتم حظه من الثقافة أو يزيد نصيبه من العلم . واقتبست انجلترا هذه العادة عن غيرها من الأمم منذ رحل إلى إيطاليا بعض المجدين من طلبة العلم الذين أظهروا نبوغاً فى الأدب من أمثال : كوليت ولينا كر وجروكن لدراسة اللغة اللاتينية وآداب الإغريق الكلاسيكية التى كانت دراستها باعثاً قوياً فى نهضة أدب المسرح والقصة ... واستمرت هـذه العادة عند الطبقة الراقية كتقليد لا بد منه لكل من أتم دراسته حتى بعد أن شرعت الجامعات الإنجليزية فى تدريس هاتين المادتين ولم يكن جون ليلى هو أول من فطن إلى ذلك ، بل إن أول من أراد منع هذا التقليد هو مؤدب الملكة روجر آشام Roger Acham ، فلقد أدرك روجر أن هؤلاء الذين يحجون كل عام إلى إيطاليا بحجة الدراسة إنما يرحلون دون نية أو مقصد حقيقى لذلك . فلقد كانوا يجتمعون هناك فى مدرسة واسعة حيث كانت الآداب الإغريقية الرائعة تعتبر فيها مادة للهو والتسلية ، إذ كانت تترجم إلى اللغة الإيطالية الدارجة بأسلوب وضيع ولغة فجة ، فتحولت عن مغزاها العالى الذى كتبت من أجله إلى أداة للاستهتار والتسلية ليس إلا. فأشار روجر إلى كل ذلك فى كتاب ثقافى (١) وضمه وحمل فيه على العقائد والمثل العليا فى إيطاليا حملة شعواء ، وبيّن الأخطار الهائلة التى تعود على الأمة من جراء إرسال أبنائها وصفوة شبابها إلى بلاد لا يدين قومها بشىء ، بل هم ساخرون هازلون بالعقائد الإلهية والقوانين المرسلة ... ولكن الكتاب رغم ذلك كله لم ينل النجاح الذى قدره روجر له ولم يف بالغرض الذى أراده ، لأنه كتب بأسلوب علمى لا يشجع على القراءة ، وإن كان قد مهد به لبحث مسألة حيوية لجيل من الشباب .

كان روجر صادق النية فى محاولة تخليص أمته من تأثير إيطاليا ، ولذا لم يرض هو نفسه عن كتابه هذا ... كان يريد كتاباً من نوع آخر ... كتاباً يقرأه الخاص والعام ، فيخرج منه متأثراً منفعلا لروجر فى فكرته ، مؤيداً له فى وجوب القضاء على هذه العادة ... ولكنه لا يستطيع كتابة هذا الكتاب لقلة فراغه وكثرة مشاغله ... فماذا يفعل ؟ ...

تذكر الشاب المغمور جون ليلى وعرف فيه القدرة على وضع الكتاب المنشود والبراعة فى الوصف والتأثير على القارىء ، فأوحى إليه أن يضع قصة يبين فيها آفات المجتمع الإيطالى وخطره العظيم على شبيبة ناشئة والنتيجة السيئة لهؤلاء الذين يعيشون فى وسطه وما زال دم الشباب يجرى فى عروقهم حاراً عنيفاً ... وما زال بهم ظمأ شديد للعب والوثب ... وظمأ أشد للحب والمرأة ... وشغف لا يقاوم بحياة الليل المسممة بين رنين الكؤوس وأصوات القبل.

وكان ليلى عند حسن ظنه به فدرس المؤثرات التى يستهدف لها الفتى الإنجليزى فى إيطاليا وبلادها وجعلها موضوعاً لقصته العظيمة « يوفيس »

(١) Novel

(٢) Euphues. by John Lyly

(١) اسم الكتاب : Scool Master

كان اسم «يوفيس» اسماً مقتبساً عن الإغريقية، ولعل هذا هو ما حدا به لأن يجعل بطل قصته شاباً من شباب أثينا المفتونين أنهى دراسته ثم رحل إلى إيطاليا للدراسة، وفى طريقه عرج على «نابلى» وهناك التقى بآخر يدعى إيبوليس ... ولكن هذا الأخير عاقل فى بلدة أجدبت من العقلاء؛ فهو ينصح يوفيس، ولكن يوفيس لا ينتصح ... وهو يلومه ولكنه لا يرعوى ... وهو يحاول أن يفيده والآخر لا يريد؛ فإذا ما مل نصحه ويئس من إصلاحه صمت على مضض ... ولكن رغبته فى إصلاح صديقه لا تلبث أن تعود فيضرب على الناحية الحساسة فى نفس يوفيس قائلاً:

— أى يوفيس البائس ... اعمل لأجل الله ولا تعمل لأجل نفسك، واجعل حبه لا حب البشر هو المسيطر عليك، واحذر أن تغضبه منك، فإنك لو عملت له، وأخلصت لذاته العظيمة، باركك ورعاك، فإنه عادل يحب المخلصين

ولكن أنى للجاهل العربيد أن يثوب إلى رشده ويعود إلى حظيرة الله ما دام الشيطان يطوف حوله ليسكب فى أذنيه أغانى الشر وأهازيج الدمار

لقد انخرط الأثينى الشاب فى زمرة الكسالى، وراح معهم يعيثون فى أنحاء نابلى فساداً يبحثون عن اللذة أينما وجدت، ويتذوقون كل محرم ويفخرون بما يأتونه كل يوم من ضروب المجون والعبث

وتصل القصة إلى أكثر أجزائها شدة وقوة فيعمد ليلى إلى ختم قصته ختاماً موفقاً حقاً إذ أرجع «يوفيس» إلى أثينا ... «رجلاً حزيناً عاقلاً» ... بل لقد جعل منه رجلاً آخر مخالفاً لشخصيته الأولى ... لقد أدرك آثام الماضى وشروره فراح يكتب الرسائل الطويلة إلى أصدقائه باسطاً فيها من الآراء الناضجة الكاملة الشىء الكثير، شأن العارف الدارس بأسرار الحياة

ولذلك تستطيع أن تلمح من بين سطور القصة قوة المؤلف الذى استطاع أن يصف ما أراد من نزق وجنون، وعبث ولهو، ثم ندم واستغفار ... ووقار وحكمة

لقد أراد ليلى أن يجعل الناشئة تتمسك بأهداب الفضيلة بأن أخذ يسرد عليهم سرداً قويا التقاليد السيئة المتبعة ليجتنبوها ودعا فيما دعا إليه إلى دراسة الكتاب المقدس ليستوحوا منه العظات ولكى يستطيعوا التغلب على نزعة الإلحاد التى كانت تنتشر فى إيطاليا بلد العلم والعرفان!

وهكذا لم تلبث القصة أن ذاعت ذيوعاً عظيما حتى لقد صارت أحب الكتب الأدبية إلى الناس

كانت حديث الطبقات الراقية ... بل لقد تناقل الإعجاب بها موظفو البلاط الملكى نفسه

على أنه مما ليس فيه شك أن هذه القصة لو لم يعرف مؤلفها أدواء الجيل لما لقيت من هذا النجاح الفذ قليلاً أو كثيراً، بل لما سمع عنها فى هذا الوقت، فإنما قامت شهرتها على قوة أسلوبها وقوة بصيرة مؤلفها وقدرته على معالجة الحوادث الخارجية التى كانت تحيط بالناشئة، والتى كان الشعب يجهلها رغم أنها كانت سائدة بينه ... فعلى هذا الأساس المتين نالت القصة هذا المركز الفذ الذى لا يدانى فى العهد الإليزابثى كله

الأساليب القصصية

كانت الدراسة الطويلة للآداب الإيطالية وأساليبها من أقوى المؤثرات فى الأسلوب الذى ساد فى هذا العصر ... لقد عنى الكتاب بالمظاهر فى أسلوبهم أكثر مما عنوا بالفكرة فى كتاباتهم. ونحن إذا تعمقنا قليلاً فى الأساليب التى استعملت فى هذا العهد وجدنا فيها شيئاً غير قليل من محاولة التلاعب بألفاظ وحروف اللغة ومحاولة جعل أوائل أو أواخر الكلمات متشابهة فى جرسها أو رنتها الموسيقية كالسجع فى اللغة العربية مثلاً

وقبل أن أنتقل بالقارئ إلى نوع آخر استعمل فى الأسلوب الإنجليزى لهذا العهد أحب أن أنقل هنا جملة من الأسلوب الذى تحدثت عنه وهى من قصة «يوفيس»:

If I were as able to persuade thee to patienee as than wert desirous to exhort me to piety.

أما النوع الآخر فقد سموه أسلوب التباين أو الموازنة المضادة وأنا أنقل منه هنا بضع جمل لسهولة الفهم:

She was young and might have live, but she was mortal and must have died.

وإليك جملة أخرى :

Thou shouldst not weep that she hath run fast, but that thou hast gone so slow.

وتفيض كتابات هذا العصر بمثل هذا الأسلوب الأخير ، كما تفيض بالأسلوب الأول . وبقدر ما كان لهذه الأساليب من ميزة إن صح أن كان لها ميزة ، كان الشعور العميق والاختلاجات الحقيقية صعبة الإظهار ... صعبة البيان ... تحتاج إلى كثير جداً من المهارة والحنكة والتصرف والإلمام بكلمات اللغة ... وخلق المرادفات التي لا يستثقلها السمع ولا ينبو عنها الذوق ، وفي كل هذا من الإرهاق والجهد ما يفوت المقصد الحقيقي على الكاتب ، بل ويمعن به في التبعد عن الموضوع إمعاناً معيباً جرياً وراء هذا السجع ، أو ذاك التباين ، فإنه مما لا شك فيه أن محاولة تصيد الحروف الأولى للكلمات أو الحروف الأخيرة تقف — في غير الشعر — حجر عثرة في سبيل الأسلوب المستقيم .

***

هذه هي أهم الأحداث في تاريخ الأدب القصصي في هذا العهد الذي ابتدأ عام ١٥٥٨م إلى ١٦٠٣م

ولا شك أن القارىء لاحظ مني أنني قصدت الكلام عن قصة يوفيس، ولكني لم أفعل ذلك إلا لأن هذه القصة هي أعظم أثر أدبي لهذا العصر فضلاً عن أنها تمثل في أكثر أسلوبها الأسلوب الذي ساد ... الأسلوب الذي كان أشبه ما يكون بالطلاء اللامع الذي يخفي وراءه عيوباً كثيرة، حتى لقد سخر عميد اللغة الإنجليزية وليم شكسبير منه إذ كان يجريه على لسان بعض أبطال قصصه البلداء الفكر

قصة جديدة لجون ليلي [1]

كتب ليلي هذه القصة عام ١٥٧٩ بعد قصته الأولى بعام واحد وهي عبارة عن رواية لزيارة « يوفيس » لانجلترا وانخراطه في الحياة الاجتماعية الإنجليزية

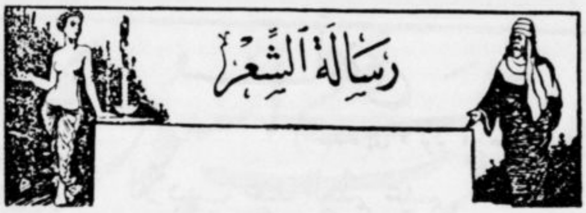
وكانت القصة محتفظة بروح المؤلف . . . وتنقد فيها العادات الإنجليزية والجامعات الإنجليزية ، لا بقصد التشهير والهدم ، وإنما للاصلاح ووضع القواعد الثابتة الناجحة لمساعدة الشبان الناشئين

وكان يوجد بجانب ليلي بعض الكتاب الذين ساهموا بنصيب وافر في خدمة أدب القصة في هذا العصر ، ومن هؤلاء كاتبا المأساة لودج وجرين ، والأخير كتب عدداً كبيراً من القصص القصير اقتبسه عن الإيطالية ... واشتهرت كتاباته بميسم الحزن والألم؛ ولعل ذلك يرجع إلى المرض الذي عاناه والذي جعله ينظر إلى العالم بمنظار أسود ، حتى لقد كتب عن هذا اليأس والحزن قصة طويلة جعل اسم بطلها « روبرت » وهو اسمه الأول

أما الكتاب الآخرون ، فلم يظهروا إلى جانب من ذكرت إما لضعف أسلوبهم أو لقلة ثقافتهم

الأسكندرية مصطفى مشعل

(١) Euphues and His England



رحلة عابسة

للأستاذ أحمد محرم

من دمنهور عاصمة البحيرة التي هي مقر الشاعر إلى القاهرة ، ومن القاهرة إلى الاسكندرية من طريق الصحراء ، انطلقت به السيارة هو وصديق له ، فمر في طريقه بدنشواى والقناطر الخيرية والأهرام ، فتنكرت شاعريته لكل هذه المشاهد ، أو هي قد تنكرت لهذه الشاعرية الساخطة ، وحسبه أن يكون في جوف الصحراء فيحسب أنه في نفق من الأنفاق ، وأن يكره الشمس فيراها تخلع رداء الحسن والاشراق ، ويشهد الروض بكره نفسه ، فيلقى بما فيه من زهر وأوراق . وهذا ما يقول في هذه الرحلة العابسة :

عَصَفَ الْهَوَى بِجَوَانِحِ الْمُشْتَاقِ ... وَهَفَا الْحَنِينُ بِقَلْبِهِ الْخَفَّاقِ
مَا يَصْنَعُ الْقَلْبُ الطَّرُوبُ إِذَا الْهَوَى ... بَلَغَ الْقَرَارَ ، وَجَالَ فِي الْأَعْمَاقِ ؟
يَا صَاحِبِي : فِيمَ الْمُقَامُ عَلَى الْأَذَى ؟ ... سِرْ فَالْبِلَادُ فَسِيحَةُ الْآفَاقِ
ارْكَبْ جَنَاحَ الرِّيحِ وَاسْتَبِقِ الْمَدَى ... بَعُدَ الْمَدَى (بِالشَّاعِرِ السَّبَّاقِ)
مَاذَا تَظُنُّ بِنَا الْمَدَائِنُ وَالْقُرَى ؟ ... الرَّكْبُ رَكْبِي ، وَالرِّفَاقُ رِفَاقِي
وَأَنَا الَّذِي أَحْبَبْتُهَا ، وَجَعَلْتُهَا ... دَارَ الْهَوَى ، وَمَحَلَّةَ الْأَشْوَاقِ
وَلَكَمْ سَقَيْتُ رُبُوعَهَا مِنْ أَدْمُعِي ... وَالْبَاكِيَاتُ جَوَامِدُ الْآمَاقِ
لَاذَتْ بِأَرْوِقَةِ الْبَيَانِ فَلَمْ تَجِدْ ... فِي الْحَادِثَاتِ النُّكْرِ مِثْلَ رِوَاقِي
أَدَبٌ تَحَصَّنَ بِالْمُرُوءَةِ فَازْدَرَى ... عَنْهُ الْمُسَاوِمُ ، وَاتَّقَاهُ الرَّاقِي
مَا كُنْتُ أَحْسَبُ وَالْخُطُوبُ كَثِيرَةٌ ... أَنَّ الْقَرِيضَ يُبَاعُ فِي الْأَسْوَاقِ

قُلْ لِلْجَدَاوِلِ وَالزُّرُوعِ : تَحَدَّثِي ... فِي غَيْرِ مَا وَجَلٍ ، وَلَا إِشْفَاقِ
مَاذَا يُمَارِسُ مِنْ شَدَائِدِ دَهْرِهِ ... مَنْ أَنْتِ كُلُّ رَجَائِهِ ، وَيُلَاقِي ؟
وَلِمَنْ جَنَاكِ ؟ أَلِلَّذِي هُوَ زَارِعٌ ؟ ... أَمْ أَنْتِ لِلْجَانِي بِلَا اسْتِحْقَاقِ ؟
وَيْلِي عَلَى (فَلَّاحِ مِصْرَ) أَمَا كَفَى ... مَاذَاقَ مِنْ عَنَتٍ وَمِنْ إِرْهَاقِ ؟
يُغْنِي أُلُوفَ الْمُتْرَفِينَ بِمَالِهِ ... وَيَعِيشُ فِي فَقْرٍ وَفِي إِمْلَاقِ
سُبْحَانَ مَنْ شَرَعَ السَّبِيلَ لِخَلْقِهِ ... أَكَذَا يَكُونُ تَفَاوُتُ الْأَرْزَاقِ ؟

وَلَقَدْ مَرَرْتُ (بِدِنْشِوَايَ) فَهَاجَنِي ... وَجْدٌ عَلَى مَرِّ الْحَوَادِثِ بَاقِ
تِلْكَ السِّيَاطُ عَلَى الْجُلُودِ وَهَذِهِ ... سُودُ الْحِبَالِ تُشَدُّ فِي الْأَعْنَاقِ
وَأَرَى دُمُوعَ الثَّاكِلَاتِ هَوَامِيًا ... تَجْرِي فَتَغْرَقُ فِي الدَّمِ الْمُهْرَاقِ
تَرْمِي النُّفُوسُ وَمَا بِهَا مِنْ قُوَّةٍ ... نَزَعَ الرُّمَاةَ وَمَا لَهَا مِنْ وَاقِ
عَرَفَ (الْحَمَامُ) مُصَابَهَا فَكَأَنَّمَا ... لَبِسَ الْأَسَى فِي هَذِهِ الْأَطْوَاقِ
لَوْلَا الْأُلَى حَمَلُوا السِّلَاحَ لِصَيْدِهِ ... لَمْ يَسْقِهَا الْمَوْتَ الْمُسَمَّمَ سَاقِ

سِرْ يَا رَفِيقِي ، لَيْتَنِي فِي مَحْبَسِي ... وَلَسَوْفَ أُمْنَعُ أَنْ يَحُلَّ وَثَاقِي
أَهِيَ (الْقَنَاطِرُ) فِي بَدِيعِ جَمَالِهَا ؟ ... أَمْ تِلْكَ بَعْضُ مَقَابِرِ الْأَخْلَاقِ ؟
لَا تَظْلِمُوا الْعُشَّاقَ يَا قَوْمِي ، فَمَا ... أَبْصَرْتُ غَيْرَ مَسَارِحِ الْفُسَّاقِ
وَدَعُوا الْعُهُودَ ، فَمَا وَجَدْتُ لِمُدَّعٍ ... فِي الْحُبِّ مِنْ عَهْدٍ ، وَلَا مِيثَاقِ
الْحُبُّ مَا صَرَفَ الْقُلُوبَ إِلَى الْهُدَى ... وَسَمَا إِلَى الْجَوْزَاءِ بِالْأَحْدَاقِ
دِينُ الْمُرُوءَةِ وَالْوَفَاءِ ، وَإِنْ هُمُو ... زَعَمُوهُ دِينَ تَصَنُّعٍ وَنِفَاقِ
الْقَبْرُ أَطْيَبُ مِنْ فُؤَادِ مُنَافِقٍ ... خَدَعَ النُّفُوسَ بِظَاهِرٍ بَرَّاقِ

مَا هَذِهِ (الْأَهْرَامُ) ؟ مَا لِبُنَاتِهَا ... سَاقُوا أُمُورَ الْمُلْكِ شَرَّ مَسَاقِ
هَدَمُوا الْقُوَى فِيهَا يُشَدُّ بِنَاؤُهَا ... وَيُقَامُ أَطْبَاقًا عَلَى أَطْبَاقِ
هِيَ إِنْ أَرَدْتَ الْحَقَّ شَاهِدُ قَسْوَةٍ ... يُخْزِي الْوُجُوهَ وَآيَةُ اسْتِرْقَاقِ
أَفَمَا تَرَاهَا ، كُلَّمَا اسْتَنْطَقْتَهَا ... زَادَتْكَ مِنْ صَمْتٍ وَمِنْ إِطْرَاقِ ؟
خُرْسٌ يُجَلِّلُهَا الْحَيَاءُ ، وَمَا بِهَا ... إِلَّا ضَلَالُ (السَّاسَةِ الْحُذَّاقِ)
قَالَ الْأُلَى فُتِنُوا بِهَا : مُسْتَوْدَعٌ ... لِلسِّرِّ ، غُودِرَ مُحْكَمَ الْأَغْلَاقِ
دَعْ مَا يُرِيبُكَ مِنْ وَسَاوِسِ مَعْشَرٍ ... عَكَفُوا عَلَى التَّهْوِيلِ وَالْإِغْرَاقِ
دَارٌ تُجِيرُ مِنَ الزَّمَانِ وَصَرْفِهِ ... وَتَصُونُ مَا أَبْقَى مِنَ الْأَرْمَاقِ
خَيْرٌ مِنَ الصَّرْحِ الْمُقَامِ لِظَالِمٍ ... جَافِي الطِّبَاعِ إِلَى الْأَذَى تَوَّاقِ

سِرْ فِي الْقِفَارِ الْبِيدِ ، مَا لِرِكَابِنَا ... مِنْ حَابِسٍ فِيهَا ، وَلَا مُعْتَاقِ
رَحُبَتْ جَوَانِبُهَا ، فَنَحْنُ نَظُنُّهَا ... أَخْلَاقَ حُرٍّ مَاجِدِ الْأَعْرَاقِ
أَتَظُنُّ أَنَّا فِي فَسِيحِ فَضَائِهَا ... أَمْ نَحْنُ فِي نَفَقٍ مِنَ الْأَنْفَاقِ ؟
إِصْبِرْ ، وَلَا تَعْجَبْ لِمَا أَنَا قَائِلٌ ... فَالْهَمُّ وَيْحَكَ آخِذٌ بِخِنَاقِي
وَكَأَنَّمَا أَنَا وَالْأَحِبَّةِ حُضَّرٌ ... حَوْلِي صَرِيعُ نَوًى وَنِضْوُ فِرَاقِ

آمـــال كاذبة

للدكتور ابراهيم ناجى

لا البرء زار ولا خيالك عادا ما أكذب الآمال والميعادا
عجباً لحبك يا بخيلة ! كيف يخ لق من جوارح عابد حسادا ؟
إنى لأهتف حين أفترش المدى وأرى الجحيم لجانبىّ مهادا :
آهاً على الرأس الجميل سلاً وأغ فى مطمئناً لا يحس سهادا
فرَشَتْ له الأحلام واحتفل الهدو ء به ومدّ لهُ الجمـــال وسادا
يا حبها ما أنت ما هــذا الذى جمع الغريب وألّف الأضدادا
كمْ أشرئب إلى سمائك بناظرى مستلهماً بك قوةً وعمادا
ولَـكَمْ أبيتُ على السآمة طاويا فى خاطري شبحاً لها عوّادا
فأراك تعبث بى كطفل فى السما ء يصرّف الأقدار كيف أرادا!
ولكم أقول هوىّ كما بدأ انتهي فإذا الهوى وافى النهاية عادا
مات الرجاء مع المساء وإنمـا كان الممات لحبنا ميلادا
ماذا صنعت بناظرٍ لا ينثنى متطلعاً متلفتاً مرتادا
وأنا غريب فى الزحام كأنتى آمال أجفان حُرِمْن رقادا
ولقد ترى عينى الجموع فما ترى دنيا تموج ولا تحس عبادا
فإذا رأيتك كنت أنتِ الناس والأ أعمـار والآماد والآبادا
وأراك كل الزهر، كل الروض أنـ تِ لدىّ كلُّ خميلة تتهادى

ناجى

إنّا اجتَمَعْنَا لِلرّحِيلِ ، يَضُمُّنَا فكأنّنا لمْ نجتَمِعْ لِتَلاق
ذُقتُ الخُطُوبَ فما وَجَدْتُ مَرَارَةً كمَرَارَةِ الحِرْمَانِ وَالإخفَاق
مَا كُنْتُ أُوثِرُ أنْ أُفارِقَ مَوْضِعِى لَوْلاَ القَضَاء وَحِكْمَةُ الخَلاّق

مَالِى رَأيْتُ الشّمْسَ حِين كَرِهْتُها خَلَعَتْ رِدَاءَ الحُسْنِ وَالإشراق؟
وَلَقَدْ شَهِدْتُ الرّوْضَ يَكرَهُ نَفسَهُ لَمّا رَمَى بالزّهْرِ وَالأوْرَاق
لِلعَبْقَرِيّةِ مِنْ هوَى أرْبابها عِـلْمٌ تُجَوِّدُهُ ، وَفَنٌّ رَاق
أمُّ البَدَائعِ ، مَا يُحَدّ نِطَاقُهَا إنْ حَدّدَ الأقْوَامُ كلّ نِطَاق
هِيَ لِلرّجالِ عَلَى الخَصَاصَةِ وَالغِنَى أغْلَى الكُنُوزِ، وَأنفَسُ الأعلَاق

أحمد محرم

ســــأغنّى

[مهداة إلى « لولو » الصغير ...]

للأديب عبد العليم عيسى

ظمِئتْ روحى وضــاقت رَحَبَاتى
واحتوَت قلـــبى المدمّى كرُباتى
فاتركونى أتغـــنّى فى حيــاتى
ذاهلاً عن كل موجودٍ وآت

سأغنى ! سأغنى ! ! فدعونى إن روحى ترتوى من نغماتى

لستُ منكم ... فاذْهَبوا عنى بعيدا
ثم ضِجوا واقصِفوا قصفاً شـــديدا
واملأوا الكونَ صُراخًا لن يبيـــدا
إن أحلامىَ لا تهـــوى الرعودا

دربكم خالف دربى وطريقى فاتركونى هائماً فى سَبَحاتى

قد كذبتم ... وأنا كنتُ صدوقا !
وغلِطتــم ... وأنا كنت رقيقا !
وقسَـوْتم ... وأنا كنت رفيقا !
ورسِـــفتم ... وأنا كنت طليقا !

فلِماذا ... تحْسبونى مثلكم من بنى الطين وعبد الظلمات

إسْــألُوا عنى السّواقى والزهورَا
وضفافَ النهــرِ والحقلَ النضــيرا
أنا أهواهَا ... ولا أهوى القصورا
فجّرتْ قلـــبى فغنّيتُ كثيرا

وهْىَ تدرى هجسَاتى ومُيولى وطِباعى ونزُوعى وصفاتى

الأدب في أسبوع

نقد

كتب الأخ الفاضل الأستاذ سلامه موسى فى مجلة اللطائف (٨ إبريل سنة ١٩٤٠) كلمة يتعقب بهـا كلامنا فى (الفن الفرعونى ، وتمثال نهضة مصر) المنشور فى عدد الرسالة ٣٤٥ فى ١٢ فبراير سنة ١٩٤٠ ، وجعل عنوان نقده « تعارض التيارات الفكرية ، وضررها على التطور الاجتماعى والثقافى » وسنلخص لك نقده ثم نتبعه ببعض ما يجب علينا من تحرير رأينا ، وتقدير رأى الأستاذ الفاضل ، يقول : إن الأفكار تتعارض فى كل أمة حرة ولـكنه لا يخرج بها عن أسلوب الحياة العامة من التوافق إلى التناقض والتنافر ، فيفضى ذلك إلى اختلال التوازن الاجتماعى ، فيعتاقُ الأمة عن الرقىّ والإصلاح . ويقول : إن بعض الآراء فى مصر ليتناقض كما يكون التناقض بين أمتين متخالفتين ، وإن (العقلية المصرية) التى تفكر بها مصر فى أنظمتها الاقتصادية ، والثقافية ، والاجتماعية ، والتعليمية ، والحربية : هى ضرورة الوضع الجغرافى والاحتكاك السياسى بأوربا ، وإننا لا نعيش فقط فى القرن العشرين ، بل فى سنة ١٩٤٠ من هذا القرن . ويقول ما نصه :

« ونستطيع أن نضرب الأمثال على هذا الاختلاف الذى يقارب التنافر . فقد ألّفَ الدكتور طه حسين بك كتاباً يدعو فيه إلى أن نجعل من الفن الفرعونى أحد العناصر فى « الغذاء الروحى والعقلى للشباب » فتناول هذه الدعوة الأستاذ محمود محمد شاكر بالاستنكار حتى قال فى مقاله بالرسالة : وعلى ذلك ، فيجب أن نقرر أن الفن المصرى الفرعونى — على دقته ، وروعته ، وجبروته — إن هو إلا فنٌّ وثنىٌّ جاهلى قائم على التهاويل ، والأساطير ، والخرافات التى تمحق العقل الإنسانى ، فهو إذن لا يمكن أن يكون مرّة أخرى فى أرض تدين بدين غير الوثنية الفرعونية الطاغية — سواء أكان هذا الدين يهودياً أم نصرانياً أم إسلامياً أم غير ذلك من أشباه الأديان » . . . ثم استمر فنقل بعض رأينا فى الذى قلناه عن تمثال نهضة مصر

وهذا تعارضٌ عجيبٌ ، كما يرى الأستاذ سلامه موسى ، واختلاف فى التيارات الفكرية يحمله على أن يدعو الاجتماعيين أن يحاولوا التوفيق بين هـذه الآراء حتى لا يصير اختلاف الرأى الحر تناقضاً فى العقائد المجزومة ، وحتى تُصبح أمة متمدنة تستطيع أن تنصت إلى الرأى المخالف فى تسامح وأن تعبر عنه فى اعتدال ينأى عن الحدة والتهور

ثم يقول الأستاذ الفاضل إنه يتوهّم مما كتبته أن الدكتور طه أو المثال مختار يريدان منا أن نحنط الموتى ونعبد (رع) مع أن حقيقة ما طلبه كل منهما أن نستوحِىَ هـذا الفن المصرى القديم . ثم يقول عنى وعن الدكتور طه : « إن الاختلاف بين الكاتبين هنا يرجع إلى أكثر من ذلك ، وهو أشبه بالتنافر بين القائلين بعقيدتين متناقضتين ، ومصلحة الأمة تقتضى إزالة هذا التنافر بين الذين يكلفون هذه المهمة ، وكل رجل مثقف يهتم بالانسجام الاجتماعى فى الأمة »

وهذا نهاية الرأى فى كلام الأستاذ سلامة موسى نقلنا أكثره بنصه أو ما يقربُ منه . ونحن نشكر الأستاذ سلامة موسى على حُسن مقصده ورغبته فى تحقيق الإصلاح الاجتماعى بإزالة كل العوامل المفرّقة بين الناس

التيارات الفكرية

ومن الغريب أن اليوم الذى صدرت فيه هذه المقالة فى اللطائف ، هو نفسه اليوم الذى كتبنا فيه عن « الرأى العام وسياسته » فى العدد الماضى من الرسالة ، وقلنا إن تعدد الثقافات فى الشعب الواحد قد أفضى إلى شر آثاره ، حيث تنابذت العقول على المعنى الصحيح ، واختلفت المناهج المؤدية إلى الغايات ، وكذلك يبقى الشعب إلى النهاية وهو فى بدءٍ لا ينتهى ، وفى اختلاف لا ينفضُّ . وكما يرى الأستاذ سلامة موسى أن هـذا التعارض البغيض بين الآراء مما يعتاقُ رقىَّ الشّعب ، ويمنعه من الاجتماع على رأى ، ويحرِمُه فضيلةَ القوة التى تنفُـذُ به إلى غاياته ... كما يرى نحن نرى ، ونرى وراء ذلك كله ما هو أسوأ وأقبح — مما يستعاذ منه ويُخشى منبَّـقُه . فهذا إذن أمرٌ مفروغٌ من تقريره

بيننا وبينه ، وهى رغبة نتوافى جيماً على العمل لها ، ونَشْرِي أنفسنا فى سبيل إنفاذها

وكان جديراً بالأستاذ سلامة موسى أن يرى مثل هذا الرأى فى الذى كتبناهُ ، ويعلم عِلْم ما طويناه فى نقدنا لرأى الدكتورطه ، ولعلّه لم يقرأ كل ما كتبناهُ فى العدد ٣٤٤ ، ٣٤٥ من الرسالة ، ولعلّه لم يتتبّع ما نقولُه به من الرأى فى باب «الأدب فى أسبوع» ، ولو قد فَعل لعرف أن الرأى بيننا وبينه فى ذلك غير مختلف إن شاء الله

القرن العشرون

وما دمنا فى حديث تعارُض هذه التيارات الفكرية ، فقد كنت أحبُّ أن ينزّهَ الأستاذ سلامة موسى كلامه عن بعض التعريض ... وذلك تنبيه لنا أننا نعيش فى القرن العشرين ، وفى سنة ١٩٤٠ منه . فهل يَظُنّ الأستاذ أننا نعيش فى غيره أو أننا نرى أنفسنا رِمَماً تاريخية عتيقةً قد انبعثتْ فى أجلادِ إنسانِ (القرن العشرين) !

... الزمن لا يكون هو العلة فى إنشاء الحضارة ، وإنما تُستجدُّ الحضارة بالروح الإنسانية وبالإنسانية الروحية ، وإنما الزمن وحدوده تبع للانسان الحى ، ولا يكون الإنسان تبعاً للزمن إلا حين تفقد الروح إنسانيتها العالية ، وتفقد الإنسانية روحانيتها السامية ... وترتد الحكمة والحضارة والتهذيب وجميع الفضائل إلى منزلة الغرائز الدنيا التى تصرّف المجاوات من الأحياء فى سبيلها ، وعلى سنّتها ، وبقانونها ، ومن مدارجها النازلة إلى أغوار الحيوانية الفطرية

إن من أخطر التيارات الفكرية التى تهاوى فيها أكثر كتاب القرن الماضى ، والمخضرمون من كتاب القرن العشرين اعترافهم بالقرن العشرين وما فيه اعترافاً (تعبُّدياً) يكاد يكون إيماناً وعقيدة، فما أقنع منه بالبرهان والحجة فهو ببرهانه وحجته، وما لم يقنع فهو مردود إلى الأسرار الأزلية للحضارة ، وأنه هكذا كان ... وأنه هكذا خلق ، وأنه مادام موجوداً فى حضارة القرن العشرين ، فوجوده هذا هو برهانه وحجته ... ! !

وأنا — مع الأسف — لا أعتقد فى هذا القرن العشرين اعتقاداً قلبياً مطمئناً بالإيمان ، لا لأنى أريد أن أرتدّ إلى الماضى لأعيش فى ظلماته وكهوفه وتهاويل خرافاته ، بل لأنى أرى أن حضارة الإنسانية يجب أن تتجدد بمبادئها النبيلة السامية التى كل أجزائها فضائل . أما هذه الحضارة الأدبية المصرية للقرن العشرين ، فهى حضارة حيوانية الفضائل ، ليس فى أعمالها إلا فتنة بعد فتنة . ولا نقول هذا فى العلم — معاذ الله — فإن العلم الحاضر قد استطاع أن ينفذ فى بعض أسرار الكون بأسباب كأسباب المعجزات ، ومع ذلك ، فقد كان هذا العلم نفسه ، هو ما اتخذوه تدليساً فى تمجيد حضارة القرن العشرين ، ليفتنوا الناس بها عن حقيقة الإنسانية الروحية المتجردة من أغلال الحيوانية النازلة المستفلة

الحرب

ويكفى أن تكون هذه الحرب التى أحدّت أنيابها ونشرت مخالبها ، وزأرت زئيرها ، ثم أسبابها التى نشأت عنها من المطامع الاستعمارية المستكلبة الضارية ، ثم ما سيكون من آثارها فى الأرواح الإنسانية والمدنية الروحية ... يكفى أن تكون هذه الحرب — من جميع نواحيها وأطرافها ، وبجميع خلائقها وزمن هذه الخلائق — توصيما كتوصيم الفجور الأسود فى الأعراض النقية البيضاء

هذه الحرب الفاجرة المتعرّية من جميع الفضائل برذيلة الكذب والخداع مما يسمونه الدعاية والسياسة — هى البرهان الحى فى أذهاننا جيماً — أهلَ القرن العشرين ، على أن مدنية هذا القرن ، مدنية حيوانية الأصول والفروع ، هى مدنية مفترسة متوحشة ، لا تعترف بالحق ولا تعرف الحق ، وليس إلا ... النداء النداء ... الصيدَ الصيدَ ... : هذا نداؤها وهذا دينها وهذا إيمانها . ثم لا تكون مثبّتة أعمالها إلا تمزيقاً وقضقضة وقضما ، وتدميراً لبنيان الله الذى يسمى « الإنسان »

الحرية !!

إن هذا القرن العشرين أسطورةٌ مُهوِّلةٌ قد انحدرت من القدم إلى هذا الزمن ، فى دمها كلُّ الأساطير الحيوانية المرجفة فى تاريخ الإنسانية . إنه أسطورة عظيمة كاذبة مكذّبة على الناس، وإن فى مدنيته من الباطل مِلءَ عُلوِها حقًا . إنّ الأجيالَ

الإنسانية النبيلة لتصرخ من وراء أسوار التاريخ تريدُنا أن ننقذ أنفسنا من أوهام (القرن العشرين)، ومن خرافاته الجميلة المزينة بالعلم، المثيرة باللذة، المندلعة بألسنة من نيران الشهوات والأهواء، الصاخبة بعبادةِ الأوثان التي تجُولُ في أدمغةِ البشر حاملة نَدَّها وبخورها ومجامِرها وطيبها، وكل ما ينفذ عطره إلى أعمق الإحساسات يثيرها لتقديس البشرية المتجسدة بلذاتها وشهواتها

يجب — في هـذا الزمن — أن نتحرر من أباطيل القرن العشرين وأباطيل القِـدَم معاً، يجبُ ألا نعرف الحاضر بأنه هو الحاضرُ وكفى، ولا الماضى بأنه هو المـاضى وحسْبُ، يجبُ ألا نَتعبَّدَ بشىء من كليْهما، يجبُ أن نأخذَ الحاضر والماضى بالعقل والعلم والفضيلة، وما لم يكن كذلك مما مضى ومما حضر فهو نَبذٌ يجب أن ننبِذَه ونتجافى عنه، يجب أن نتحرر، يجب أن نتحرَّر...

إننا الآن أممٌ تريدُ أن تسيرَ إلى غايَاتِها في إبداعِ حضارتها التي سترث جميع الحضارات التي سبقتها، والحضارةُ التي تأتي من التقليد ليستْ حضارة، وإنما هي تزييفٌ وكذبٌ ووثنيـةٌ جاهلية تنحدر إلى هذا الزمن عن السلالات التي قال الله فيها: « وإذا قيلَ لهم: اتبعوا ما أنزلَ اللهُ، قالوا بل نتَّبعُ ما ألفيْنا عليه آباءَنا، أوَ لوْ كان آباؤهم لا يعقلونَ شيئاً ولا يهتدون ؟! »

لن نبلغ شيئاً حتى تكون (الحرية، والحب) نقيين طاهرين مبرَّأين كاملين متواضعيْن، فهما القوة التي تسير بهما الحضارة إلى مجدها وروائعها. إذا عرفنا الحرية وجرتْ في دمائنا فيومئذ تتهدَّم كل هذه الأباطيل التي تعوقنا وتقف بين أيدينا من قمامات الرذائل الإنسانية التي قُذِفتْ في طريقنا من أباطيلِ المـاضى وترهات القرن العشرين !!

الفن الفرعوني

والأستاذ سلامه موسى قد بنى نقده على ما يسميه (العقائد المجزومة)، وعلى عقيدته في (القرن العشرين) !! ونحن — مع الأسف — لا نبنى أبداً كلامنا على (العقائد المجزومة)، ولا على التعصب (للقرن العشرين)، ولو رجع الأستاذ إلى المقالين اللذين نشرناها في الرسالة عدد ٣٤٤ و ٣٤٥ عن محاضرة الدكتور طه، ولو رجع خاصة إلى حديثنا عن (الفن) ما هو، وكيف هو ؟ وعن الفنان وعمله في فنّـه — لعرفَ أن دعوتنا كلها مبنيةٌ على تحرير أعمالنا من قيود الماضى والحاضر معاً على أساس من العقل والعلم والفضيلة، فلا يُزرِى عندنا بالقديم قِدَمه، ولا يُرغّبنا في الجديد جدّته. وإن القول في (القديم والجديد) على إطلاق اللفظ، وجعله لفظاً تاريخيًّا زمنيًّا محصوراً باليوم والسنة، إنْ هو إلا تلذذ بالكلام كما يتمطق آكل العسل بعد أكله من تحلب الريق وشَهْوة الحلْو، ولو كان في هذا العسل السم الناقع

إن حديثنا عن الفن الفرعوني، وأنه لا يصلح أن يكون شيئاً يستمد منه الفنان في زماننا، لا يمت بصلة إلى الرأى الذى ذهب إليه الأستاذ سلامة موسى في فهم كلامنا، لأننا نظرنا إلى شيء واحد، وهو تحرير الفن من التقليد، ثم معرفتنا أن الفنان لا يستوحى كما يقول الأستاذ سلامة من فنون غيره. بل إن الفنان عندنا هو القلب النابض الذى يفضى إليه الدم الحى الذى تعيش به حضارة أمته في عصره، والفن إن هو إلا نتيجة من نتائج الاجتماع الإنساني والطبيعة التي تحتضنه، والعقائد التي تسيطر على الشعب وتملأ قلبه بالإيمان بها والفكر فيها، فإذا لم يكن الفن ناشئاً من ثَمَّ، فاعلم أنه ليس بفن وإنما هو كذب مضرَّج بتحاسين قوس قزح، وما أسقط الفن الرفيع في زماننا وفي بلادنا إلا أنه نتاج العقول المزيفة بالتقليد، والخيال المدلس بالسرقة، وهذا الهمج الهامج من الفنانين والأدباء والشعراء والعلماء أيضاً ممن يعيشون بأدواتهم تحت جناح الليل الأسود وفي ستره، ثم يقبلون على الناس إذا أصبحوا فيقولون: أين كنتم ؟ يقولون: كنا نستوحى، ثم يخدعون الناس بزيفهم وبهرجهم. لأنهم لا يعلمون من أين يأتى هؤلاء هذا الوحى ... ولو علموا أنما وحيهم وحى اللص الذى يبدع له المـال، وإنما هو دبيب واستخفاء وحرص، و « طفاشة » تهشم بها أقفال خزائن بعض الناس، يستخرجون كنوز غيرهم ليتنبَّلوا بزينتها وجمالها

الحرية هي أصل الفن كما بينا، وكما هو ظاهر كلامنا، وأما الاستيحاء من فنون القدماء لإنتاج فن لا يتصل بمدنيتنا بسبب إلا القدم والوراثة وتاريخ هذه الأرض، فهو إبطال للفن ومعنى الفن وقيمة الفن، وإلا فما الذى فعله الأستاذ المثال القدير « مختار » إلا أن نقل صورة لا معنى لها في عقائد الشعب المصرى الحاضر، هي صورة أبي الهول، وليس فيها معناه القديم الباسط ذراعيه في جوف رمال الصحراء هناك، ثم ماذا ؟ ثم جعله مقعياً



فوزية الجديدة :

أميرة الربيع

لها تاج الجمال والفرح والفن

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

بإذن الله ...

لما زغرد البارود سلاماً لمقدمها كانت ساعة أصيل احمرت الشمس فيها خجلاً منها فبدأت تتوارى إذ أشرقت فوزية

ولكنها قبل أن تمضي انتفضت عن مفاتنها ، فهي إذ تتباعد كانت تلوّح للعيون بمنديلها الذهبي توديعاً وتحويجاً لنسمات أصيل من أصائل الربيع كان أسعد أصائله لما حمله الغيب إلى الوجود فوزية

وغمزت الشمس بعينها للأطيار غمزة فإذا هي كلها تشدو أغنيات السعادة والفرح بفوزية

وغمزت الشمس للأزهار غمزة فزهت ، وانتعشت ونفثت في الجو من عطرها طيباً ، وبعثت من ألوانها حلية وزينة لعيون فوزية ...

كانت ساعة مباركة على الكون ، وعليّ. ومن كان له أن يفرح مثلما كان لي أنا أن أفرح ، فها هو ذا شهر مولدي يعود وقد عفا الله عني ، أجرى قلم الفاروق عفوه ، فوهب له على الربيع فوزية بوركت وبورك مقدمها

كان الشعب يدعو الله — كما كنت أدعوه — أن تكون صبياً تقر به عينا الملك ، ولكن حكمة الله شاءت أن توائم بين الوليد وزمن المولد . فهذا الربيع أجدر به أن ينفتح عن زهرة ، وهذا الأصيل الجميل كان أجدر به أن ينثر عند مطلعها كل ما ادخره له اليوم من جمال وحسن وروعة

وهذا أقرب إلى طبيعة الصبية

عشت للجمال والفرح والفن يا أميرتي فوزية ...

إذا تقدمت بك الأيام ، وشببت عن الطوق ، ورأيت ... فإنه لن ينطبع في ذهنك إلا كل صورة من الجمال والحسن ، ولن تستقر عيناك إلا على كل بهجة وزينة ، فهذا هو أول ما عرضت عليك الحياة من ألوانها ...

إذا مرت بك السنون وسمعت ... فإنه لن يطرق أذنيك إلا نغم حلو لين سلس كهذا الغناء الذي أنشدته الأطيار يوم مقدمك

إذا جازت بك الأعوام ... وامتلأت نفسك حسناً فأغدقي على الدنيا من حسن نفسك كما يغدق على الدنيا من حسن النفس فنان ...

هذه الأفراح التي تشيع في نفسك أشيعيها في الكون شعراً ، وليكن شعرك إحساناً فأسمى الشعر الإحسان . وكم شاعر يتلهف إلى الإحسان ، وكم تستطيعين يا أميرتي أنت من ضروب الإحسان ...

كلمة التقدير الحق من الأميرة فيها الغناء ، ومن أقدر على

بعد أن كان باسطاً متطامناً ، ثم ماذا ؟ ثم ألصق إلى جانبه فتاة تضع يدها على رأسه ... سبحان الله هذه نهضة مصر ، وهذا هو فن القرن العشرين ! !

إذا كان الأستاذ سلامه موسى أو غيره يريد أن يناقشنا في هذه الآراء ، فليناقش على أساس واحد ، هو أساس الفن وما هو ، ومن هو الفنان . أما (القرن العشرون) ، وأنظمة مكافحة الأوبئة ، والنظام الاقتصادي ، والعلوم ، وما إلى ذلك ، فليس له مدخل أو سبب في الطبيعة الفنية ، وتقدير الآثار الفنية ، وهل يمكن أن تكون فناً إذا كانت تقليداً واستيحاء وتشا كلا ذكياً بارعاً ؟

كل فن يأتي من التقليد واستيحاء فنون الناس ، وكل فن يتولد من شهوة التقليد وبلادة العزيمة وعبودية الروح ، فهو فن كالمولود السِّقط في آخر تسعة أشهر من حمله ... فيه صورة الحي ولكن ليست فيه الحياة ، فيه قوة المشابهة للحي ولكن ليست فيه قوة استمرار الحي على الحياة

محمود محمد شاكر

التقدير الحق من أميرة الربيع التى لما طلعت رأت الجمال الحق أول ما رأت ، وسمعت الغناء الصدق أول ما سمعت ، واستنشقت العطر الأصيل أول ما استنشقت ، فهى تعرف الجمال الحق من الجمال الزائف ، وهى تعرف الغناء الصدق من الغناء الملفق ، وهى تعرف روائح الله من روائح المعمل وما تؤلفه اليدان

أميرة الربيع ! يا أميرة العفو والرحمة يا أميرتى ... هلا شببت اليوم ، فأنت عروس ومصر فى مهرجان ، ودولة الفن غير الدولة القاعدة فيه الآن ...

قرب اللهم هذه الأيام ... إذ يرفعون إليك أسماء الذين اختاروهم ليحيو المهرجان ... فتقولين لهم : لا ... لا تمنموا عنى خاملاً لأنه خامل ، ولا تجيئونى بالمعروف لأنه قد تحدث بذكره الركبان ، وإنما أريد أن أستمع إلى فلان وفلان وفلان ... فأنت يا أميرتى قد فتشت قبل ذلك فى المكتبة ، وقرأت ما يكتبه هذا وما يكتبه ذاك ... فعرفت بما منحك الله من طبع الحسن موطن الحق عند هذا ، ومخبأ الزور عند ذاك ... وأنت يا أميرتى قد أصغيت قبل ذلك إلى كل ما يذاع من اللحن والغناء ، فعرفت أى هذا الغناء صدر من القلب ، وأيه كان ضرباً على خشب العود ، فهو ليس إلا غناء الأخشاب ...

رعاياك من أهل الفن يا أميرة الربيع مشوقون إلى يوم من أيام الإنصاف ... الحياة ثقلت عليهم ، والناس انشغلوا عنهم ، ومالوا إلى حيث يخبلهم سحرة مهرة لا الصدق عندهم ، ولا الحق ولا الجمال ... وإن هى إلا « الشطارة » والإعلان ...

سترين ذلك عندما تتقدم بك الأيام ... وستكرهينه ... وسيكون على يديك تحطيم الأوثان ...

سيملمك أبوك ... فكم جدد هو أيضاً فى ملكه ، وكم وحد الله لم يعبأ بالنصب ولا الأصنام ... فهو الملك الذى عصف بالجود ، والذى جرف ما أعقبته لنا الأيام من وجل وخوف فأمننا من الخوف ، وأبقى علينا ثاث حقه عندنا مثلاً ضربه لأولى الألباب منا لو أنهم تبعوه لأطعمنا جميعاً من الجوع ، كما آمننا جميعاً من الخوف ...

والأيام مقبلة ... وستفرغ مصر من الحرب حين تفرغ منها الأمم ، وسيرى عندئذ أولو الألباب هؤلاء وغيرهم أنه لا مفر من انتهاج الطريق الذى شقه أبوك المبارك وليد الشتاء ... ومن للملك كوليد الشتاء له السيطرة على تدفقه ونشاطه كما أن لك السيطرة على الحسن والجمال ...

يا أميرة الربيع ...

كم يسعد عروبتنا أن يكون لك فن ، ولماذا لا يكون لك فن وقد كان نبينا يستمع إلى الخنساء ... فليكن فى النبى شعرك ، أو فاكتبى فيه نثرك ، وخذي من أبيك حب الإسلام انظميه درراً ، فقليلاً ما يفكر أهل الفن عندنا فى الإسلام ، وكثيراً ما يحسبه بعضهم تنظيما لعلاقة من فى الأرض بمن فى السماء فإذا نظروا إلى السماء تساءلوا ... ما الذى فى السماء ؟

فدليهم أنت على الذى فى السماء ... قولى لهم : هو الذى سماه المسيح المحبة ، والذى سماه القرآن السلام . ثم انشرى بإيمانك وسلطانك بين الناس آيات المحبة وألوية السلام ، وما أشد حاجتنا فى مصر إلى أن ترفرف علينا وتظلنا ، فليس ينقص وطننا إلا المحبة والسلام يشيعان فيه فإذا هو جنة الأرض ، وموطن الرغد والأمان ...

أعيدى على مسامع هؤلاء الخلق فى مصر وفى غيرها تلك الأناشيد التى استقبلتك بها الدنيا يوم مولدك ؛ وقولى للناس هؤلاء الذين يتخبطون خبلاً فى هذه الأيام بماذا كانت تسبح العصافير لله : أطعمها ، وسقاها ، وأجرى لها الدفء ورعاها ، وطيب لها الصبح وضحاها ، وليلها إذ غشاها ، فما حقد منها عصفور على عصفور ، وما طغى منها واحد على أخيه ... وإنما كن يخفن النسر والصقر والعقاب ، فلما سترهن الله بليله بتن وهن يقلن : حمداً لله الذى فى الأرض وفى السماء ... ألف حمد وألف شكر لله ...

والنسر والصقر والعقاب ، كلها أيضاً سبح لله ... إن انقض واحدها على فريسة فهو أصدق الطلب ، طلب القوة الجائعة ، يأخذ من أصدق العطاء عطاء الضعف والفناء

فعلمينا يا أميرة الربيع كيف نكون مع الحب والرحمة أقوياء . تسمى إلى السماء ، وقصى علينا ما سمعت من السماء ...

هاتى الذى سمعت يا رحمة الله ...

اللهم قرب هذه الأيام ...



الحـــــرب والرياضيات

للأستاذ قدرى حافظ طوقان

تتقدم فروع المعرفة ويتناولها التغيير والتبديل، وكلما اقتربت من الأرقام زادت دقة ونحت نحو الكمال. قال أحد الفلاسفة: «يكون العلم دقيقاً إذا استعمل العلوم الرياضية فى بحوثه ...» ولم يستطع العلماء أن يستفيدوا من فروع الطبيعة أو الهندسة ولا أن يتفننوا فى صنع السابحات فى السماء، والعائمات على الماء، ولا أن يغوصوا إلى أعماق البحار، ولا أن يطوّقوا القارات بالأسلاك الكهربائية، وأن يملأوا الجو بعجيج الأمواج اللاسلكية، وقد حملت على أجنحتها الأنباء والأخبار والصور - أقول لم يستطع العلماء أن يسيطروا على الطبيعة هذه السيطرة القوية إلا بفضل الرياضيات

لست أطمع أن تقرئى اليوم هذا الذى أكتبه، فدونك ودون القراءة لم تزل أعوام، ولكنى أسأل الله أن يقع هذا الذى أكتبه بين يديك فى يوم قريب من الأيام، فلست أدرى لماذا أشعر بأن تنبؤى لك فيه شىء من الإلهام ...

لعلها الفرحة التى زفها الله إلىّ على مقدمك، ولعله خيال صورته لنفسى عن زهرات الربيع ونسماته وملائكته الذين يبعثهم الله إلى الأرض هدى ورحمة، ولعله الرجاء فى أن الله قد رضى عن الفن وأهله فهيأ لهم راعية وقديسة ...

لعله هذا، ولعله حق لمسته عن غير قصد ولا تدبير ... فإذا كان هذا أو كان ذاك فلست أطلب من الله أكثر من أن يحقق هذا الخيال ... أو هذا الرجاء ...

عشت ... وعاش أبوك براً بك ورؤوفاً بالناس ...

عزيز أحمد فهمى

قد يكشف العالم بعض النواميس الطبيعية، ولكن لا يستطيع أن يتوسع فيها، ولا أن يخضعها لتقوم بأعمال المدنية الحديثة المعقدة إلا إذا استعان بالرياضيات.

فلقد أحدث اكتشاف (فراداى Faraday) لإحداث التيار فى لفة السلك حين إمرارها فى حقل ممغطس أثراً بعيداً عظيم الخطر فى الصناعة ... هذا الاكتشاف قد يبدو بسيطاً ولكن أليس من العجيب المدهش أن كل الصناعات الكهربائية بنيت عليه؟ والأعجب أنه لم يكن فى الإمكان جعل هذه الصناعة بمحركاتها ومولداتها فى حيز الإمكان إلا حينما دخلت الأرقام والمعادلات قوانين (فراداى) بعد توسيع نطاقها.

ولقد تنبأ (فراداى) أيضاً بأنه لا بد أن يأتى يوم يثبت فيه أن هناك صلة بين الضوء والاهتزازات الكهربائية المغناطيسية فى الأثير، ثم جاء كلارك ماكسويل J. C. Maxwell العالم الرياضى الشهير، وبعد درس وتحليل خرج بمعادلات رياضية أثبت منها أن فى الفضاء اضطرابات كهربائية مغناطيسية تتصف بصفات الضوء، أى أن الاضطرابات الناشئة من شرارة كهربائية تبدو فى مظهر أمواج فى الأثير لا نراها، ولكنها كالأمواج التى تُحدث الضوء والحرارة والطاقة الكيميائية تسير جميعها بسرعة الضوء التى هى (١٨٦٠٠٠) ميل فى الثانية. وجاء بعد (ماكسويل) غيره من العلماء وجروا على القواعد التى وضعها فأحدثوا هذه الأمواج وأرسلوها فى الفضاء مسافة ثم التقطوها، وبذلك صار تحقيق التلغراف اللاسلكى محتملاً، وقد تنبأ به السير وليم كروكس Sir William Crookes. ثم حققه لودج Lodg على مسافات قصيرة، ثم تلاه علماء آخرون فأتقنوه وتوسعوا فى صنعه؛ فإذا المخاطبات اللاسلكية على أنواعها منتشرة ومتغلغلة فى العمران

لم يكن فى الإمكان أن يسخر العلماء بحوث الضوء لخير الإنسان إلا بعد أن أفرغوا قوانين الانكسار فى قالب رياضى، وبذلك استطاعوا أن يستعينوا بالمعادلات والأرقام فى العدسات لإصلاح عيوب العين وتكبير الصور وعمل التلسكوب والسبكترسكوب والميكرسكوب على اختلافها

إن الصناعة الحربية قائمة على الرياضيات، فالأسلحة على تعددها وتنوعها تعتمد فى صنعها على الكهرباء والمولدات والمحركات وآلات

ميكانيكية أخرى معقدة وعلى دقة لا تأتى إلا عن طريق المادلة . فصناعة الغواصات والطائرات قائمة على مبادئ ميكيانيكية وكهربائية وطبيعية تدعمها قوانين رياضية لولاها لما كان فى إمكان الأولى أن تغوص إلى الأعماق ولا الثانية أن تجوب رحاب الفضاء

لقد برع المهندسون فى صنع الآلات المقاومة لبعض أدوات القتال ، فلقد (تفننوا) مثلاً فى صناعة كاشفات الأصوات (الميدروفين) الذى جعل الغواصات بوساطته أقل خطراً وخفاء من ذى قبل . ويمكن القول إنهم استطاعوا أن يتخلصوا من خطرها إلى حد كبير، ولاسيما بعد أن أدخل بعض علماء الإنكليز تحسينات على هذا الجهاز تمكنوا بها من تحديد مكان الغواصة بالضبط . وفوق ذلك فقد جهزوا الطائرات المائية بآلات دقيقة تستطيع أن تكشف مسافات من أعماق البحار . وتقوم جميع هذه الآلات وغيرها على حسابات دقيقة أساسها الجداول والمعادلات الرياضية

وكذلك هناك أجهزة دقيقة قائمة على مسائل عويصة معقدة من شأنها إصابة الطائرة بإحكام . وتقوم هذه الأجهزة بعمليات حساب مدى ارتفاع الطائرة عن الأرض وحساب سرعتها التى تسير بها ، كما أنها تحدد النقطة التى تصل إليها الطائرة فى اللحظة التى تصل فيها قذيفة المدفع . ومن الغريب أن هذه العمليات لا تستغرق أكثر من نصف دقيقة ، وفى هذه المدة لا تستطيع الطائرة تغيير اتجاهها ، ويمكن عندئذ وعلى ضوء هذه الحسابات إطلاق القنابل إلى المكان الذي تلتقى فيه بالطائرة أو مكان قريب جداً من الطائرة تنفجر فيه وبذلك تصاب الطائرة بالقنبلة أو برشاشها

لقد تقدمت صناعة الطائرات على اختلافها من مطاردات وقاذفات ومهاجمة تقدماً سريعاً ، وتفنن مهندسو الدول فى صنعها وثبت أن المصانع البريطانية امتازت على غيرها فى إنتاج طائرات من نوع المطاردات ، وتحقق لدى خبراء الطيران العسكرى أن خير المطاردات ، هى المطاردات المعروفة باسم « قاذفات اللهب » . وسرعة هذه المطاردات تزيد على ٣٦٢ ميلاً فى الساعة وتستطيع أن ترتفع من أرض المطار إلى علو (١١) ألف قدم فى أقل من خمس دقائق ، ومداها (٦٠٠) ميل ، وهى مجهزة بثمانية مدافع رشاشة ، بينما المطاردات الألمانية لا تزيد سرعتها على (٣٥٠) ميلاً فى الساعة ، ومداها (٦٠٠) ميل ، ومجهزة بأربعة مدافع رشاشة . أما المطاردات الفرنسية ، فسرعتها (٣٠٥) أميال فى الساعة ، ومداها (٦٠٠) ميل ، ومجهزة بمدفعين رشاشين ومدفعين آخرين قطر كل منهما (١٢٠) مليمتراً

أما طائرات الهجوم أو قاذفات القنابل، فعلى نوعين: المتوسطة والضخمة : فقاذفات القنابل المتوسطة البريطانية لها سرعة (٣١٥) ميلاً فى الساعة ، ومداها (١٩٠٠) ميل ، وحملها من القنابل (٢٠٠٠) رطل انكليزى يقابلها فى السلاح الجوى الألمانى (٢٨٠) ميلاً للسرعة و (١٤٠٠) ميل للمدى و (١٩٠٠) رطل للعمل ، وفى الفرنسى (٣٠٠) ميل للسرعة و (١٢٩٠) ميلاً للمدى و (٣٣٠٠) للحمل

وأما القاذفات الضخمة ، فأقصى سرعتها (٢٢٠) ميلاً للانكليزية ، ومداها (١٣١٥) ميلاً ، وحملها (٤٠٠) رطل يقابلها فى الألمانية (٢٠٥) أميال للسرعة و (٩٩٥) ميلاً للمدى و (٨١٠٠) رطل للحمل ، وفى الفرنسية (٢٠٠) ميل للسرعة و (٧٥٠) ميلاً للمدى و (٩٣٠٠) رطل للحمل

وعلى ذكر القاذفات الضخمة نقول : إن أحدث ما أخرجته المصانع الأميركية طائرات تعرف باسم القلعة الطائرة تفوق مثيلاتها فى البلاد الأخرى فى السرعة والمدى، فسرعتها (٢٦٠) ميلاً [يقابلها ٢٢٠ ميلاً فى الإنكليزية و (٢٠٠) ميل فى الفرنسية و (٢٠٥) أميال فى الألمانية] ومداها (٢٠٠٠) ميل . ولقد أخرجت المصانع البريطانية طائرة ضخمة جديدة تفوق (القلعة الطائرة) بلغت سرعتها (٢٦٧) ميلاً فى الساعة وحملها (٤٦٠٠) رطل ومداها (٣٦٠٠) ميل ، وهذه الناحية — ناحية المدى — محل دهشة مهندسى الأمم وإعجابهم[1]

وهناك اختراعات واكتشافات لم يتوسع نطاق استعمالها واستغلالها لمنافع الإنسان إلا على أساس التجربة والمعادلة الرياضية ويمكن القول إن علمي الفيزياء والفلك بفروعهما المتنوعة قد

(١) رجعنا فى الأرقام التى تتعلق بالطائرات إلى مقال ظهر فى مقتطف نوفمبر سنة ١٩٣٩ حول الطائرات الحربية

وصلا إلى درجة كبيرة من الدقة والكمال بفضل الأرقام والمعادلات . جرّدْ هـذين العلمين من رياضياتهما بل جرد الكيمياء الحديثة من معادلاتها وقوانينها فلا يبقى إلا تماريف ومبادئ أولية لا يمكنك ولا بحال الاستفادة منها أو تطبيقها فيما يعود على البشرية بالنفع والخير . ولن يستطيع العالم مهما كان قوى العقل خصب الفكر أن يقف على أسرار الطبيعة والكون، بل لن يستطيع النوص ليقف على كنوزها وعجائبهما إلاّ إذا ألمّ بالرياضيات وكانت عنده خبرة بها . وإن الكيمياء الحديثة لفى حاجة إلى الرياضيات حاجتها إلى التجربة والاختبار ، وناهيك بالكيمياء فهى الأساس الذى شـيد عليه صرح الصناعة فى هذا العصر ، وقد ازدهرت ازدهارها العجيب . إن هذا العصر لهو عصر الهندسة والآلة . وكل هذه فى حاجة إلى الرياضيات ، ولا يمكن الاستفادة منهما أو تطبيقهما على مقتضيات العمران إلا بذلك ، ويمكن القول : « إن مدنيتنا التى ترتكز على الاستفادة من الطبيعة والسيطرة على عناصرها مبنية على أسس العلوم الرياضية » وقد أثبت العالم الأمريكى الشهير (ملكن Milikan) أنه « إذا أزلنا من العمران الحالى أحد القوانين الرياضية التى ابتدعها وحققها نيوتن Newton لوجب أن نزيل كل آلة تجارية وكل محرك ومولد كهربائى بل كل آلة تستعمل لتحويل القوة إلى حركة ، لأنها كلها بنيت على هذا القانون الرياضى الشامل . ولسنا بحاجة إلى القول إن نيوتن لم يقصد من قانونه استنباط آلة تجارية أو سيارة أو طائرة . ولـكن أليس من الدهش حقاً أن هذه المخترعات وغيرها بنيت على قانونه وأننا إذا أزلناه تهدم عمراننا كأنه بيت من ورق » . فالهندسة بأنواعها والملاحة والصناعات المختلفة إن كل هذه تحتاج إلى الرياضيات ، ولا يمكنها أن تزدهر وتثمر بدونها، بل إن أسس إنشائها وتقدمها قامت على الأرقام والمعادلات . وما يقال عن هذه يقال عن علوم أخرى إلى حد ما، فإن هذه كلما تقدمت وكلما استطاعت أن تدخل الأرقام والمعادلات فى بحوثها أصبحت دقيقة واقتربت من الـكمال . فالعلوم على اختلافها وتعددها إذا اقتربت من الكمال فإنها لابد محلقة فى سماء الرياضيات وفى جواء من المعادلات والأرقام

(نابلس) قدرى حافظ طوقان



الدرس الأول

للأستاذ محمد سعيد العريان

« هل كانت « قدرية » فى أوّليتها تتوقع هذه الغاية التى انتهى إليها أمرُها ؟ »

هكذا سألنى صديق وهو يحدثنى حديثها :

كانت تجلس فى الصف الأخير من حجرة الدراسة ، فقد كانت أطول قامة وأبعد نظراً ؛ فما يشق عليها ولا يعنيها أن تجلس فى الصف الأول أو فى الصف الأخير ؛ على أنها كانت أسبقَ التلميذات جواباً عند الاختبار ، وأكثرهن عناية بالعمل المدرسى ؛ فلا جَرَم كانت بذلك أدنى منزلة إلى قلوب معلميها ومعلماتها . وكانت على إرثٍ من الأدب والفضيلة ، يبدو فى طرْف غضيض ، وصوت خفيض ، ولسان عَذْب التحية عف الخصام ؛ وكانت إلى كل ذلك مليحة رشيقة ، مقبلة ومُدْبرة ! ... وإنى لأعجب لنفسى كيف لم أتبيَّن ما فيها من رشاقة وخفة إلا فى تلك الليلة التى كانت ... حين بدأت حوادث هذه القصة ؟ ... على أن المعلم فى مدارس البنات ، قلّما يُعنى بالنظر إلى وجوه تلميذاته ، ولعله لو سُئل الرأىَ فى تفضيل واحدة على واحدة من بناته فى هذا الباب ، لأخطأ الرأى والنظر ، ولكانت أدَمُّ الدميمات هى عنده الجميلة التى لا تباريها واحدة ولا تقاربها ؛ فإن طول المعشرة ودوام المخالطة خليقٌ بأن يلوّن رأيه بلون غير اللون الذى ينظر به كل رجل إلى كل امرأة ؛ ومن ذلك لم يهجس فى نفسى يوماً أن فلانة من تلميذاتى أجملُ أو أدَمُّ من فلانة ؛ وكذلك لم أكتشف ما كان فى « قدرية » من جمال وفتنة إلا فى تلك الليلة ، وإنها لتلميذتى منذ ثلاث سنين !

* * *

كان ذلك فى يوم من أيام الربيع ، وقد تبرّجتْ الدنيا بزينتها وأخذتْ زخرفها ، ونَضَت الكائناتُ عن سرّ الإبداع العبقرى الذى أودعه فيها الصانع الأعظم !

وكان العام الدراسى فى أخرياته ، وقد فرغ المعلّمون أو كادوا مما عليهم من فرائض العلم ، وتأهب التلميذات لواجبهن استمداداً ليوم قريب ...

ورأت المدرسةُ أن تجرى على تقاليدها احتفالاً بانتهاء عام ؛ على أنها رأتْ أن يكون فى حفلتها هذه السنةَ شئٌ جديد ، محاكاة لمدارس أخرى ، ومساهمة فى بعض أعمال البر ؛ فاعتزمت أن يكون احتفالها في مسرح كبير مشهور ، يُدعى إليه طائفةٌ من أهل البذْل والمعروف ، لتستعين المدرسة بما تجمع منهم على البر بطائفة من الفقراء ...

هى سنّة جديدة سنها بعض القائمين على شئون التعليم فجَرَتْ قاعدة ؛ فلِمَ نتخلّفُ نحن وقد سبقتْ إلى هذه السنة الجديدة مدارس ؟

وأعدّت المدرسة برنامجاً حافلاً ، فيه تمثيل ، ورقص ، وموسيقى ؛ وما بدٌّ أن تجتمع هذه الألوانُ الثلاثة فى كل حفلٍ مدرسى يراد منه أن يغل إيراداً يعين على بعض أعمال البر ... وإلا فماذا تقدّم المدرسة من وسائل التسلية ثمناً لما تطلب من أهل البذل والمعروف !

وقالت معلِّمةٌ لأخرى : ينبغى أن تكون حفلتنا ...

فقاطعتْها الثانية : نعم ، وستكون أفخمَ ما أقيم من حفلات المدارس فى هذا الموسم ... !

* * *

واختيرت الرواية ، وأستؤجِر المسرح الكبير ، ودُعى فنانٌ كبير من أهل الكفاية ... ليدرّب التلميذات على اصطناع شخصيات الرواية ، كل واحدة بدورها ، راقصة أو ممثلة !

وطاف المدرّب بالتلميذات فى صفوفهن يختار منهن ذوات الوجوه والأجسام ... الفنية !

واختار « قدرية » لدور ذي خطر ...

وتأبّت الفتاةُ بما فى طبيعتها من الحياء وما فى دمها من إرث أجدادها ؛ وعجب البناتُ أن تأبى قدريةُ وإن كل واحدة منهن لتتمنى ؛ واستمعت قدرية إلى أحاديث البنات صامتة ، ثم ... ثم قبلت نخوراً مزهوة ، وغلبتها غريزة الأنثى الغيور على ما فى دمها من إرث الآباء والأجداد !

ووقف المدرّب يلقنها ويستمع إليها ، ووقفت هى مصغية تستمع إليه وتحاكيه ، تجهر بصوتها حيناً وحيناً تخافت به ؛

وعرفت من مخارج الصوت ما لم تكن تعرف ، ولانت أعطافها بعد خشونة ويبس ، وأحسنت أن تدور على عقبها ، ثم تنثنى وتنهض، وأجادت تمثيل اللفتة المتكبرة، والنظرة العابرة، والزنوة الآسرة ، ثم تبكى وتضحك فى وقت معاً ... ...

وقال المدرب الفنان : يالها من فتاة ! إنها لفنانة موهوبة !

وأطبقت الفتاة جفنيها فى حياء وهى تشكر له ، فبدت فى كلّها وحركتها أبرع فناً مما ظن مدربها ... !

ولم يمانع أبوها وأمها أن تكون ابنتهما راقصة ممثلة ساعة فى ليلة من ليالى البر ؛ وأين يبدو لها وجه الاعتراض والمدرسة هى التى اختارتها لذاك ؛ وإن المدرسة لأعرف منهما بما ينبغى وما لا ينبغى ؛ وإن عليها وحدها أن تختار لتلميذاتها من وسائل الرياضة والتثقيف ما يؤهلهن للحياة ... !

وجاءت الليلة الموعودة بعد تدريب طويل وإعداد شاق ... وكان على أبواب المسرح الكبير معلمون ومعلمات لاستقبال المدعوين ، وغص البهو والشرفات بالآباء والأمهات ، والأصدقاء والصديقات ، و ... والمربين والمربيات ...

وراحت طائفة من التلميذات تجوس خلال الصفوف فى ثياب بديعة ومظهر فاتن ، يبعن الزهر والحلوى مما صنعت أيديهن من قبلُ استعداداً لهذا اليوم ومساهمة فى أعمال البر ...

... وكانت « قدرية » خلف الستارة بين أيدى المواشط يهيئنها للظهور ، وأمامها مرآة كبيرة تريها من نفسها ما لم تكن ترى أو تعرف ، وابتسمت ابتسامة الإعجاب والرضا حين رأت وعرفت ... !

وخرجت إلى المسرح مجلوة ملونة كما لم تبد فى يوم من أيامها، وانسكبت عليها الأشعة من أربعة جوانب المسرح تشبُّ لونها وتزيدها ملاحة وفتنة ، ووقفت متأهّبة ...

ورن الجرس ، ثم ارتفعت الستارة ، وضج المسرح بالتصفيق فانحنت فى رشاقة وخفة وهى تكشف عن ساق ممتلئة مصقولة كأنما يجرى فيها شعاع الشمس ، ونثرت ابتساماتها يمنة ويسرة ترد تحية بتحية ...

ولم يكفّ التصفيق حتى ارتفع صوتها يغنى . . . واستدار بها البنات يرقصن ويغنين ...

وغنت ورقصت ، وضحكت وبكت ، وتأمرت ثم ذلت ، واستعطفت ثم دلُت ، ووعدت ثم تأبت ، ومنعت ثم نولت ، وقالت عيناها . . . وقالت عيونُ الناس . . .

وكأنى لم أر قدرية قبل تلك الليلة ؛ ... لقد بدا لى من جمالها وخفتها ما لم يكن لى به عهد من قبل ؛ أهذه هى ... ؟

ولما أسدِلت الستارة فى الخاتمة، كان تحت قدميها أكداس من الزهر ؛ وفى أذنيها أنغام من هتاف الإعجاب ؛ ولكن قلبها كان أحفلَ بمعانيه ... !

وحين لقيها أبوها بعد ، كانت فى عينيه دموع ، وطبع على جبينها قبلة ... وأقلتها السيارة بين أمها وأبيها إلى البيت وهى صامتة ، لأن معانى ذات خطر كانت تُطيف برأسها ...

ونامت تلك الليلة بين هتاف وتصفيق وأكداس من الزهر : لقد كانت عيناها مغمضتين ولكن قلبها يقظان ؛ وتمثل لها فى أحلامها كلُّ ما رأت وسمعت وشعرت ، وراحت أحلامها تنسج لها أمانيها ... وتلقت الدرسَ الأول فى تلك الليلة ، فنسيت به كل ما تعلمت من دروس !

* * *

لقد ذاقت قدريةُ من اللذة الفنية ليلتئذٍ ما لم تذق طوال سنيها التى عاشت ، فشاقها أن تستزيد ...

ولما عادت إلى المدرسة بعد يومين ، وسمعت ثناء معلميها ومعلماتها ، أجدّ لها ما سمعت معانىَ أحست فى أعماقها صداها ووجدت فيها غذاء لأمانيها ...

... وتناولت (المجلةَ) التى تعودت أن تقرأها فى كل أسبوع ، فراحت تعبر صفحاتها مُعجلة حتى انتهت إلى صفحة (الفن) فتلبثت ، وأخذت تنظر إلى صور الراقصات ونجوم المسرح معجبة متمنية ... وفى أذنها صدًى بعيد من هتاف النظّارة وتصفيق المتفرجين ... !

ولما حان عيد مولدها وأرادت أن تتصوّر – على عادتها فى كل سنة – لم يحلُ لها إلا وضعٌ واحد تبدو فيه صورتُها ، فلبست ثوبها الذى كانت ترتديه ليلتئذ ووقفت بعضَ مواقفها واستحضرت صورةَ ما كان ... فانطبعت فى الورقة صورةٌ من مشاهد ذلك الماضى ، وتمثلت فى نظرة عينيها تمامُ صورته !

ووقفت ذات مساء على باب مسرح كبير من مسارح اللهو تجيل عينيها فى إطار كبير يضم شتيتاً من صور الراقصات وربات

الفن ، وطالت وقفتها ؛ ثم انصرفت ؛ وفى الليلة التالية كانت جالسة فى الصف الأول من بهو المسرح تشهد التمثيل وحدها ، ليس معها أحد من ذويها ؛ واستطاعت فى ختام الليلة أن يكون لها رأى فيما شهدت من ألوان الفن وفى عيوب الممثلين وغلط الراقصات . . . !

وفى الصباح كانت جالسة إلى بعض زميلاتها فى حوش المدرسة تحدثهن حديثاً طويلاً عن عيوب الفن المصرى فى الرقص والتمثيل والغناء ، وتشخّص العلة وتصف الدواء ؛ وأمّن صديقاتها على ما قالت ؛ فما تشك واحدة منهن فى أن من حق قدرية أن يكون لها رأى فى الرقص والتمثيل والغناء ؛ وإنهن ليسمعن من حديثها كل يوم ما يشهد بكفايتها وسعة معارفها فى تلك الفنون . . . !

وتلقت قدرية بعد الدرس الأول دروساً كثيرة ، فى المسرح والسيما ، والصحف ، والكتب ؛ وما نسيت مع كل أولئك شيئاً مما رأت فى تلك الليلة التى كانت . . . لقد استقرت فى أعماقها أصداء الهتاف والتصفيق الذى سمعت ليلتئذ ... ورنين كلمات الإعجاب والرضا التى وعتها أذناها ، وصورتها بين الأشعة الملونة تنسكب عليها من جوانب المسرح وتحت قدميها أكداس الزهر ... وبقى كل أولئك فى نفسها مشهداً حياً كأنها ما تزال بين أشعته وألوانه، فإنها لتجد لتذكُّره لذة فنية تحبب إليها حياتها وتجدد لها فى كل يوم أمانيها ...

* * *

وانتهى عهدى بقدرية وانتهى عهدها بى ؛ فقد أتمت دروسها بالمدرسة ومضت لشأنها ؛ وتصرمت سنون ... ونسيت أمرها وما كان ...

... وفى ليلة من ليالى الصيف الماضى ، دعوت أهلى إلى سهرة فى بعض ملاهى الإسكندرية ؛ قصدَ التسلية والرياضة . ووقفتُ بباب الملهى العائم بين الأمواج المصطخبة ، أقرأ البرنامج المنشور على الباب وأشاهد الصور ؛ ورأيت صورة ، فهجس فى نفسى هاجس لم يلبث أن تلاشى ...

ودخلنا ، واتخذنا مقاعدنا على مقربة من المسرح ... ومضت لحظات ، ثم رن الجرس ورفعت الستارة ؛ وتتابعت المشاهد فنوناً توقظ الفكر وتجلو صدأ النفس وتُسرى عن الهموم ؛ وفجأة برز أمامى مشهد رائع ... يا لله ... ! من كان يظن ... ؟ هذه تلميذتى قدرية ... !

وبدت لى فى مثل هيئتها التى رأيتُ أول مرة على المسرح الكبير فى القاهرة منذ سنوات ...

ثوب منفوش ، كأنما اجتمعت أجزاؤه من أوراق الزهر ، يكشف عن ساق ممتلئة مصقولة، كأنما يجرى فيها شعاع الشمس، وانحنت فى رشاقة وخفة ، وهى تنثر ابتساماتها يمنة ويسرة ، ترد تحية بتحية ، والمسرح يضج بالتصفيق والهتاف باسمها الجديد الذى سمعتُه لأول مرة فى تلك الليلة ...

وغنت ورقصت ، وضحكت وبكت ، وتأمرت ثم ذلت ، واستعطفت ثم دلت ، ووعدت ثم تأبت ، ومنعت ثم نولت ... وقالت عيناها ... وقالت عيون الناس ... وقالت لى نفسى ...

وانتثرت أكداس الزهر على قدميها، وأسدلت الستارة...!

ليت شعرى ، هل كانت قدرية فى أوّليتها تتوقع هذه النهاية التى انتهى إليها أمرُها ؟

وهل كانت خواطرها تخيّل لها هذا المصير الذى بلغته ، يوم كانت تجلس مجلسها من الصف الأخير فى حجرة الدراسة ؟

وهل ... وهل عَرف من عَرَف : كم بين الدرس الأول والدرس الأخير ... وأين ما بدأ مما انتهى ... ؟

* * *

وانفض السامر ، وتهيأ أهلى للانصراف وما زلت فى مجلسى أفكر، ثم نهضت؛ فإنى لألتمس طريقى فى الزحام على الباب إذ حانت منى التفاتة فرأيت ؛ فتنحيت عن طريقى ، وقلت للتى بجانبى : تفضلى ! وكانت سيدة ورجلها وبينهما طفل؛ أما السيدة فأعرفها ؛ فما تخفى علىّ ملامح تلميذة من تلميذاتى مهما باعد بيننا الزمان؛ وأما الرجل فزوجها؛ هكذا يعرف كل من يراه ويراها ؛ وأما الطفل...

... هذه فتاة أخرى من تلميذاتى تبرز لعينىّ فجأة بعد غياب سنين ... هذه واحدة و (تلك) واحدة . . .

ليت (تلك) التى توارت خلف الستارة منذ قريب قد رأت ما رأيتُ لعلها تعلم ماذا باعت وما اشترتْ !

وشيعتُ (الأسرة السعيدة) بعينىّ ثم ارتد نظرى إلى الوراء لأشيّع الأخرى...

وكأنما اجتمعت لى هاتان الصورتان فى زمان ومكان ليشغلنى أمرهما من بعدُ ما يشغلنى ، فلا أزال أسأل نفسى كلما حضرتنى الذكرى : أيهما خير . . . ؟

محمد سعيد العريان



الجندى المجهول

[عن مجلة العصبة البرازيلية]

كم بين ملايين الجنود الذين التهمتهم الحرب العالمية الماضية من اختفت آثارهم فلا صليب يدل على رفاتهم ولا دمعة تذرف على تربتهم . أولئك هم الجنود المجهولون الذين تركوا أهلهم وأحباءهم وبذلوا دماءهم من أجل أوطانهم فإذا هم بعد حين شيء ضائع فلا ذووهم يعرفون مثواهم ولا وطنهم يعلم مصيرهم

على أن ذلك الجندى المجهول الذى فرض عليه الواجب الوطنى التضحية فقضى غير مذكور قد لقى بعد موته تكريماً لتضحيته لم ينله الأبطال واحتراماً لذكراه لم يظفر به الشهداء . رفعت له الأنصاب التذكارية الضخمة ، وأقيمت له الأضرحة الرمزية البديعة فأصبحت مزاراً رسمياً يتوارد إليه الناس ليذكروا البطل المنسى ويؤمهُ الملوك وأصحاب الشأن ليمجدوا التضحية

ومن هو الجندى المجهول ؟

« هو ابن كل الأمهات اللواتى فقدنَ أبناءهن ولا يعرفنَ مثواهم »

هذا هو تعريف « الجندى المجهول » الذى اصطلحوا عليه بعد الحرب . أما الفكرة فنبعها فرنسا ، وهى اليوم أنصابٌ وأضرحة ترمز إلى التضحية الصامتة وتمثل الشرف الوطنى

فى سنة ١٩٢٠ أصدرت حكومة الوزير جورج ليغ القرار التالى :

مادة أولى — يتناول شرف « البانثيون » رفات أحد الجنود المجهولى الهوية الذين ماتوا فى ساحة الشرف فى خلال ١٩١٤ — ١٩١٨

مادة ثانية — يُدفن رفات « الجندى المجهول » تحت قوس النصر

وتم تنفيذ ذلك القرار باحتفال رائع حضرته هيأة الحكومة وقواد الحرب وقد كتب على الضريح العبارة التالية :

« هنا يرقد جندى فرنسى مات من أجل الوطن ١٩١٤ — ١٩١٨ »

واقتفت الدول الأخرى التى اشتركت فى تلك الحرب أثر فرنسا ، ففى بلجيكا ضريحان أحدهما للجندى المجهول الفرنسى والآخر للجندى المجهول البلجيكى وكتب على الأول :

« هذا الضريح يضم رفات جندى فرنسى صرع فى بلجيكا (ناحية إيبر) فى غضون ١٩١٤ — ١٩١٨ على عهد الملك ألبر . إكرام بلجيكا للجندى الفرنسى المجيد »

وكتب على الآخر :

« هنا يرقد جندى مجهول بذل حياته فى سبيل الوطن ١٩١٤ — ١٩١٨ »

وفى قصر وستنمستر بلندن الذى يضم رفات ملوك انكلترا وعظماء رجالها تقرأ على قبر الجندى المجهول الكتابة التالية :

« تحت هذا الحجر يرقد رفات جندى انكليزى مجهول الاسم والرتبة جُلب من فرنسا ودفن هنا بين رفات أعاظم رجال الوطن يوم تذكار الهدنة فى ١١ نوفبر ١٩٢٠ باحتفال وطنى كبير حضره جلالة الملك جورج الخامس ووزراء الدولة وقائد حربيتها . بهذا يُذكر الرجال الذين بذلوا فى خلال الحرب الكبرى ١٩١٤ — ١٩١٨ كل ما يستطيع امرؤ أن يبذله : الحياة نفسها من أجل الله والملك والوطن والأهل والمنزل والامبراطورية ، وأخيراً من أجل قضية العدل المقدَّسة ، وحرية العالم »

وفى مقبرة كرنستون بالولايات المتحدة كُتب على ضريح الجندى المجهول ما يلى :

« هنا يرقد بشرف ومجد جندىٌ أميركانى لا يعرفه غير الله »

وفى إيطاليا بُنى ضريح الجندى المجهول إلى جانب نصب رومة، وهذا ما كتب عليه :

« جندى مجهول » — سليل شعب باسل ومدنية ألفيَّة ، ثبت بلا وجل فى الخنادق ، وبرهن على بطولة فى أدمى المارك ، ووهب حياته ولا أمل له إلا النصر من أجل عظمة وطنه — ٢٤ أيار ١٩١٥ — ٣ نوفبر ١٩١٨ »

وفى فارسوفيا عاصمة بولونيا يحمل قبر الجندى المجهول العبارة التالية :

« هنا يرقد الجندى البولونى الذى مات من أجل الوطن »

وفى البورتغال كتب الكلام التالى :

« من البورتغال الخالدة بحراً وبراً إلى جنديها المجهول الذى مات من أجل الوطن فى الحرب الكبرى ١٩١٤ — ١٩١٨ »

وفى جنينة كارول برومانيا أقيم قبر الجندى المجهول ، وكتب عليه :

« هنا يرقد الجندى المجهول ، الذى ضحى بنفسه فى سبيل الوحدة الرومانية . إن رفاته مدفون فى أرض رومانيا الكبيرة ١٩١٦ — ١٩١٩ »

وفى يوغوسلافيا على جبل أولفالا الذى يبعد نحو ستة عشر كيلومتر عن العاصمة بلغراد ، أقيم القبر الذى يضم رماد الجندى المجهول وكتب عليه :

« إلى الجندى المجهول الذى لم يعرف رسمياً »

وفى مستشفى براغا مصلّى تاريخى قديم أقام فيه التشاك قبر جنديهم المجهول الذى مات فى معركة زبوروف ، حيث انتصرت شرذمة تشاكية على الروس وأسرت منهم ألف جندى

بماذا تستهوى المرأة الرجل ؟

للشعب الأمريكانى ولعٌ بالإحصاءات الغريبة، والإحصاء التالى قامت به لجنة من محبى الاستطلاع بعد ملاحظات واختبارات استغرقت شهرين فى مختلف المدن الأميركانية

إن الرجال ، بناء على الإحصاء المذكور ، يستهويهم فى المرأة الأعضاء والأشياء التالية :

من ألف رجل ٥٥٠ رجلاً يستهويهم فى المرأة سيقانها، و٢٠٠ عيناها، و ١٠٠ عنقها، و ٤٠ ملابسها، و ٣٠ يداها، و٣٠ زينتها، و٢٠ محفظتها، و١٠ شعرها، و٥ حذاؤها أما الخمسة عشر الباقون من الألف فهم الذين يتغلب عليهم الذهول فيمرون بالمرأة فيرونها دون أن يلفت أنظارهم شىء فيها

صناعة الجمال

« إن الصناعة الوحيدة التى لم تصبها الأزمة المالية بسوء هى صناعة الجمال التى يدعمها الجنس اللطيف ويحييها بنفقاته الهائلة ، فنى الولايات المتحدة تنفق النساء على من يجملهن ٤٥٠ مليون دولار أو ٢١٫٨٠٠ مليون فرنك سنويا .

وهذا إحصاء رسمى لا مبالغة فيه ، فكم تنفق النساء إذاً فى العالم كله ؟ فى أوربا ما أنفقت النساء قط على أدوات الزينة ما ينفقنه فى أيامنا .

أما هذا الإسراف فسببه الرئيسى الحرية الواسعة النطاق التى تتمتع بها المرأة فى عصرنا والتى تجعلها أقل تصوناً من ابنة جنسها الماضية .

ولكن هل نساء اليوم أجمل من نساء الأمس ؟ وهل فى وسع النساء أن يصرن جميلات ؟

فجوابى على السؤال الأول : أن الجمال يختلف باختلاف النظر والذوق ؛ فنى الناس من يفضلون الورد على كل أنواع الرياحين ، وفيهم من يفضلون أحقر الأزهار على الورد . وإنما لا ينكر أن المرأة المصرية قد استطاعت أن تحافظ على رونق جمالها حتى فى كهولتها بأساليب التجمل الحالية

أما جوابى على السؤال الأخير فينحصر فى « لا » لأن جمال المرأة لا يتوقف على مظهرها الخارجى بل على جمال نفسها أيضاً ، فليست هى كالإناء الذى ينحصر جماله فى شكله الخارجى وقد يكون فى داخله عشاً للحشرات »

شىء عن المكروبات

ليس للمكروبات على الإجمال ألوان خاصة وإنما يمكن صبغها لأجل درسها وفحصها ، وتعتمد على الأكثر المواد الأنيلية . والمكروبات فى ذلك تماثل الخيوط والأنسجة، فنها ما لا يقبل بعض الألوان أو يقتضى عناء كبيراً وزماناً معيناً لقبولها، ومنها ما يأخذ اللون بسهولة وسرعة، ومنها ما يصطبغ بلون دون غيره وطرق تلوين الميكروبات لتمييزها ومعرفتها بدقة أصبحت علماً قائماً بذاته وعليها قامت مهارة كوخ العالم الألمانى بإظهار كيفية صبغ باشلس السل

لا بد للمكروبات لكى تتوالد وتنمو من بيئة موافقة وغذاء ملائم . وهى تُبذر وتزرع كما يُبذر ويُزرع النبات فى مستنبت

سائل أو جامد . والحرارة ضرورية لحياتها ونموّها ؛ وأصلح درجة للجراثيم المرَضية حرارة قريبة من حرارة الحيوان الذى يصاب بها وهى نحو الدرجة ٣٧ فوق الصفر ، ومنها ما يعيش فى جليد القطب الشمالى .

والبحّاثون قد يعوّدون الميكروب درجة لم يكن ألفها من قبل . وربّ ميكروب لا ينمو إلا بدرجة ٣٩ لكنه لا يموت إلا بدرجة ٥٤ وبزره بدرجة ١١٠

أما البرد فهو أقل فتكا بالميكروبات، فخمير الجعة يتحمل درجة ٩٠ تحت الصفر دون أن يفقد خواصه التخميرية وبزر الجمرة أى مرض الطحال والبثرة الخبيثة يبقى حياً عشرين ساعة بدرجة ١٣٠ تحت الصفر غير أن ميكروبه نفسه لا يقوى عليها فإن لم يمت يفقد قوته

للنور تأثير كبير فى الميكروبات فهو أكبر عدو للجراثيم وقد تحقق الجراثيميون فتك النور بميكروب الجمرة وبزوره أيضاً الذى يموت بعد ثلاثين ساعة على تعريضه لنور الشمس ، وبنور الشمس أضعفوا الميكروبات إلى درجة جعلتها لقاحاً واقياً . أما ميكروب السل فإذا سلط نور الشمس عليه فيموت فى منبته بعد ساعتين ، وفى البصاق بعد ٤٨ ساعة ، ولكنه فى الظلمة أو الأماكن الرطبة لا يموت إلا بعد أشهر أو سنين

ومتى حلت الميكروبات فى مادة غذائية جزأتها وحللتها وحولتها ولولاها لما كنا نتصور ولا نفهم كيف يتحول عصير العنب إلى نبيذ ويصير مسكراً ، أو كيف يصير الشعير جعة أو كيف تتلاشى الجثث ولا يبقى منها أثر بعد أيام ، فإن الميكروبات قد فعلت فيها ما لم تفعله الكواسر ، فحللتها إلى غازات وتراب

ومن الميكروبات ما تفوح من مستنبته روائح عطرية تميز بها فقضيبات السل مثلاً تولّد فى مستنبتها رائحة ذكية أشبه برائحة السوسن . ومنها ما يفرز مواد ذات لون كميكروب الصديد الأزرق فإنه يولّد مادة براقة ميالة إلى الزرقة

أما نمو الميكروبات وسرعة توالدها فأمر مدهش وقد ترى فى بصقة المسلول الواحدة ملايين من ميكروب السل فالميكروب الواحد إذا وافقته البيئة قد يصبح فى يوم واحد عشرات الملايين

« العصبة »



مصر ولغة الضاد

كتب الأمير الجليل « مصطفى الشهابي » وزير معارف سوريا سابقاً مقالاً قيما في عدد أبريل من (المقتطف) الأغر عنوانه « مصر ولغة الضاد » . والمقال في مجموعه محاولة طيبة كريمة لإعزاز اللغة العربية . واقتراحات عملية للنهوض بها حتى لا تتخلف عن عصر بلغ التقدم العلمي فيه مبلغاً يقتضي بذل جهد كبير لجعل اللغـة العربية مسايرة للنهضة العالمية الحديثة وما يجدُّ من النهضات

وفي المقال عتب على المصريين (لأن الوسائل المادية والمعنوية التي تيسرت لهم تمكنهم من النهوض بأضعاف الأعمال التي نهضوا بها حتى الآن في موضوع اللغة العربية) و (لهذا فالعالم العربي مهما يشكر لهم خدمة لسان الآباء والأجداد ، فهو يراهم مقصرين في الخدمة)

وهذا العتاب الكريم هو عتاب الأخ الودود ، لا عتاب الخصم اللدود ، وعتاب التمني لا عتاب التجني . لهذا استحق هذا المقال المخلص من أمير عربي كريم أن نقف منه وقفة قصيرة على صفحات (الرسالة) الغراء . واختيار (الرسالة) لسببين : أما الأول فلأن سموّ الأمير أشار إليها في مقاله لما قرأه في العدد (٣٤٦) منها من أن في نية الحكومة المصرية تعزيز المجمع بنحو عشرة أعضاء مصريين ينتخبون من كبار المشتغلين بالبحوث العلمية . وأما الثاني فلأنني رغبت أن أهيّئ لمن لم يطالع على مقال الأمير في المقتطف فرصة في (الرسالة) حتى يعرف رأي أمير عربي في نصيب مصر من خدمة اللسان العربي ، وما ينتظر منهم لإتمام الصنيعة ، لو كان في حفظ تراث الآباء والجدود ما يصح أن يسمى صنيعة

والأمير لا ينكر على بعض الأدباء المصريين اعتدادهم بما أتاهم الله من فضل في الأدب . ولا ينكر على بعضهم أنه غلا في التمادح وأفرط في التباهي ، (فمصر جديرة بأن تكون مباءة الأدب ، وخليقة بأن تكون قلب بلاد العرب) . وإذا كان هذا رأي الأمير في مصر ، فنحن يسرنا – لا على سبيل تبادل المدائح – أن نقرر أن البلاد العربية كلها تحمل قسطها من النهضة بقدر . ولا ننسى هؤلاء المجاهدين في الأمريكتين ، فآثارهم في الشعر والنقد والأدب ، ستضيف ثروة عربية خالدة إلى التراث العربي بعد حين ... ويكفي أن نعد منهم على سبيل المثال : أمين الريحاني وميخائيل نعيمة وإيليا أبو ماضي والياس قنصل والمرحوم جبران خليل خبران – على ضعفه اللغوي –

وللأمير اقتراح طيب ، وهو اتخاذ قرار حكومي يقضي بأن تكون جميع إعلانات المتاجر مكتوبة بالعربية . وليس في تنفيذ هذا الاقتراح صعوبة عملية

وينتقد الأمير التعليم في بعض كليات الجامعة المصرية بغير العربية . وهو انتقاد له وجاهته وخطره ، فإن العربية لم تثبت بعد عجزها عن أن تكون لغة العلم . وليس الكلام هنا ملقى على عواهنه ، فقد أثبت المعهد الطبي في دمشق صلاح اللسان العربي لتعلم الطب مع التكميل فقط بالفرنسية . ولم يكن قول المرحوم حافظ ابراهيم على لسان اللغة العربية :

وسعت كتاب الله لفظاً وغاية ... وما ضقت عن آيٍ به وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة ... وتنسيق أسماء لمخترعات ؟
أنا البحر في أحشائه الدر كامن ... فهل سألوا الغواص عن صدفاتي ؟

لم يكن هذا القول خيال شاعر . وإنما هو حقيقة أدركها حافظ المتبحر في اللغة والأدب

ويشير الأمير إلى (الرسالة الغراء) لما نشرته خاصاً بنية الحكومة تعزيز المجمع بعشرة أعضاء مصريين ، ويشك في قدرة هؤلاء العشرة على وضع معجم عربي تعرّف فيه الألفاظ تعريفاً علمياً جامعاً مانعاً كما في معجم لاروس الفرنسي . وليأذن لنا سموه أن نقول إنه يسيء الظن بهم العلماء من العرب . وإذا كان هؤلاء العشرة – غير مسمَّين – عاجزين عن وضع معجم عربي أفرنكي حديث ؛ فليس معنى هذا أنهم يعجزون عن وضع معجم عربي دقيق . فالأول عمل عظيم يحتاج إلى زمن طويل وصبر طويل وجهاد طويل ، أما الثاني فهو عمل يحتاج إلى قليل من الصبر وكثير

من التنظيم ... فإن واضعي المعجمات العربية - رحمهم الله وأحسن إليهم - كان ينقصهم كثير من « الفن النظامى » لوضع المعاجم. إنى مع سمو الأمير الجليل فى أن معجماتنا القديمة لا تشتمل على كل اللغة. ولا تعرف الألفاظ العلمية تعريفاً جامعاً. وهذا واضح لمن يبتلى منها كل يوم بهذا التعريف (نبات معروف) أو (حيوان معروف) . والله يعلم أنه مجهول إلى الأبد . . . وأزيد عليه أن معجماتنا رجراجة كالزئبق مطاطة كالكاوتشوك . فبعضها ينكر الفعل (سـدل) الثلاثى إنكاراً صريحاً ، وبعضها ينكر الفعل (أسدل) الرباعى إنكاراً صريحاً ويجيز (سدل) الثلاثى إجازة مطلقة والقارئ يقف متحيراً بين الاثنين ... ثم لا يسعه إلا أن يستعملهما معاً ، لأنهما صحيحان على التخريجين ... ومن هنا جاءت ظاهرة أسميها (الميوعة اللغوية) أو عدم التماسك . وهذا مشاهد لمن يعانى دراسة العربية أو تدريسها . ولعلى أوفق إلى الكتابة عن هذه الظاهرة فى الآتى من أعداد الرسالة الغراء .

محمد عبد الغنى حسن
أستاذ الأدب بالخديو اسماعيل

فى جمعية هواة الفنون الجميلة بالاسكندرية

ألقى الأستاذ الشاعر عثمان حلمى مساء الجمعة ٥ إبريل الجارى بصالة المحاضرات بجمعية هواة الفنون الجميلة محاضرة تناول فيها الحياة الأدبية فى الاسكندرية خلال ربع القرن الماضى وعرض لكل شاعر وأديب أنتج فى هذه الفترة نتاجاً أدبيا

وقد أعقب الأستاذ المحاضر نخبة من كبار الأدباء فى الثغر فأعلنوا رأيهم فى موضوع المحاضرة وملاحظاتهم على الأستاذ المحاضر فتكلم الأستاذ عبد اللطيف النشار عن الأدباء السكندريين الذين نزحوا إلى القاهرة معتبراً إياهم سكندريين برغم انتقالهم منها، ومعتبراً أدبهم أدباً سكندريا أيضاً

وتبعه الأستاذ محمود عوض البحراوى فعرض لناحية أخرى من الموضوع إذ تكلم عن مدى تقدير عظماء الثغر وأغنيائه للأدب والأدباء محملاً إياهم تبعة ذلك الخمود الذى يلمس فى الحياة الأدبية السكندرية الآن . ثم تكلم الدكتور إسماعيل أدهم فعرض للموضوع من ناحية أخرى حاول أن يقرر بها أن العوامل التى ساعدت على ازدهار الأدب فى الثغر ليست عوامل محلية ، ولكنها عوامل خارجية أتت إليه من سوريا وغيرها من البلدان عن طريق النازحين إلى الاسكندرية من بلاد الشام

وقد حدثت بينه وبين الأستاذ البحراوى مناقشة شديدة فى هذا الصدد أعقبها الأستاذ النشار بكلمة أخرى دعا فى ختامها الدكتور أحمد زكى أبو شادى إلى الإدلاء برأيه فى الموضوع ، فتقدم الدكتور أبو شادى وعرض للمسألة فى أناة وهدوء ، ونوه بما للجو الإسكندرية من تأثير فى وجدان الشاعر ونفسه ، وذكر أشياء من خصائص الأستاذ عثمان حلمى كشاعر سكندرى ، ثم تكلم الأستاذ حسن كامل كلمة ختامية انتهت بها هذه المناقشات الحادة فى هذا الموضوع

وأعقب ذلك حفلة سمر اشترك فيها قسم الموسيقى بالجمعية ، وألقى بعض أدباء الثغر قصائد فى الربيع ، واختتمت الحفلة بالسلام الملكى .

تصويب

جاء فى مقال الأستاذ على الطنطاوى فى عدد الرسالة الممتاز هـذا التعبير « يستقرى رمال الدأماء » . فعجبت عجباً يستنفد كل العجب !

ذلك أن يخطىء الأستاذ فى معنى «الدأماء» وهو « البحر » فيضمها موضع بيداء أو دهناء ...

... وسبحان من تفرد بالعصمة والجلال ...

البصرة **محى الدين اسماعيل**

بين أما ومهما

إلى الأستاذ الكبير مؤلف « النحو والنحاة »

أجمع النحويون فى إعراب « أما زيد فمنطلق » على تأويل « أما » بمهما يكن من شىء ، وإنما دعاهم إلى هذا وجود فاء الشرط فى الكلام ... وبحثوا عن فعل الشرط وأداته فلم يجدوهما فأولوا « أما » ، بمهما يكن من شىء ، وجعلوا جملة « فزيد منطلق » جواب الشرط ، وهذا تأويل لا غبار عليه من حيث تأدية المعنى

ولكن الذى لا يستساغ هو أن تكون « أما » الحرفية التى لا تركيب فيها كما يدعون دالة على هذا المحذوف كله

ورأيى أن أما ليست بسيطة وليست دالة على (مهما يكن من شىء كما زعم النحاة) وإنما هى أن الشرطة وما التى بمعنى

شىء، وأصلها (أنْ ما) وأن بفتح الهمزة شرطية وهى (إن) المكسورة نفسها كما يرى الكوفيون، ورجحه صاحب المغنى بأدلة هى فى غاية الوجاهة والقوة، و (ما) نكرة تامة بمعنى شىء ... إلا أنه قد بقى أنَّ (أنْ) حرف شرط فلا يليها إلا فعل فأين هذا الفعل وكيف تقديره ؟

الجواب أن الفعل محذوف تقديره (كان) كما قدَّره النحاة فى (إن خيرٌ فخير) فقالوا التقدير (إن كان خير)

فتقدير (أمّا) – إن كان شىء – فكان تامّة فعل الشرط وشىء فاعلها، والجواب هو الجملة المقترنة بالفاء، فتقدير (أمّا زيد فمنطلق) إن كان شىء فزيد منطلق، أى إن وُجد شىء فزيد منطلق

لقد وقف الأستاذ الكبير محمد عرفه من النحاة الأقدمين موقف الذّائد الحامى الذمار

فهل يظفرون بدفاعه البارع فى موقفى هذا الذى أتقدم جميعاً فيه . وإنى لمنتظر رأيه الفصل

محمود فرج العقده



المطبوعات العربية القديمة فى سنة ١٩٣٩

للأستاذ كوركيس عواد

ظفرتْ المؤلفات العربية القديمة فى سنة ١٩٣٨ بفوز كبير . فقد نُشِرَ منها خلالها طائفة حسنة ، لبعضها خطر وأهمية لا يقدران . ولا غرو أن تكون جهود العلماء والباحثين المبذولة فى سبيلها أثناء تلك السنة قد جاءت بفتح جديد فى مناحى الثقافة العربية ، فكُشِفَتْ بعض مخبآتها وكنوزها ، تلك الكنوز التى ظلت طوال قرون عديدة بعيدة عن المطابع والانتشار ، منزوية فى بعض خزائن الكتب ، طامسة فى ظلام الإهمال والنسيان ... أجل ! كُتِبَ لتلك الكنوز أن تحيا حياة ثانية ، وقدِّر لها أن تلقى من إقبال العلماء والباحثين وعنايتهم ما يستحقون عليهما أوفر الشكر وأعطر الثناء

ثم تَلَتْها سنة ١٩٣٩ ، فأصابت المطبوعات العربية القديمة فى أثنائها حظاً حسناً ونالت حركة لا بأس بها ؛ غير أنها لم تكن لتجارى حركة السنة التى تقدمتها . ولعل أوضح الأسباب لهذا التناقص ما كان ناجماً عن الأحوال السياسية المضطربة التى أحاطت بكل المرافق ، وأحدقت بجميع المشاريع والأعمال ، وبضمنها حركة النشر كما لا يخفى ...

ولقد خطر لنا أن نتتبع ما نشرته المطابع من هذه الكتب العربية القديمة خلال السنة المنصرمة ، أعنى بها سنة ١٩٣٩ ، فإذا نحن أمام جملة نفيسة منها ، تبلغ فى عَدِّها نحو خمسة وثلاثين كتاباً ، بينها ما يتكون من مجلد واحد ، وبينها ما يتكون من بضعة مجلدات ، كما أن بينها عدداً آخر يكمل مجموعات أو ينتظم فى سلسلة نشرت بعض حلقاتها فى سنين ماضية والعمل على إصدار بقيتها لا يزال مستمراً

ونحن على يقين أنه فاتنا من هذه الكتب طائفة ، قد تكون غير قليلة ، منها ما نشر فى المغرب أو فى إيران أو فى الهند أو فى غيرها من الأقطار . ولعل لنا فى ذلك بعض العذر : فإن كثيراً من المطابع أو المكتبات أو شركات النشر فى البلدان الشرقية تفرِّط أشد التفريط فى إصدار الفهارس المفصحة عن الكتب ، ونشر القوائم التى تفى بالمرام وترشد القارئ ، من حين إلى حين ، إلى ما يصدر من تلك المطبوعات فَتُيسِّر له طريق الحصول عليها فالانتفاع منها

وعلى ذكر هذا أقول : إن شركات الكتب فى البلدان الغربية قد قطعت شوطاً بعيداً فى هذا المضمار وأمعنت فى تحسين عملها وتنظيمه ، فلا يكاد يصدر كتاب من الكتب حتى ترى الإعلانات عنه توزع بجد واهتمام على كل الجهات والأوساط التى يُنتظَر منها أن تهتم له ، وترى قوائم الكتب قد أتت على ذكره مُبيِّنة أهم أوصافه ، فيقف متصفحها على شىء من أمر هذا الكتاب . وقد يتكرر الإعلان عن الكتاب الواحد ، فيأخذ أشكالاً وأساليب مختلفة ، فإن لم يصب أحدها المرمى من نشره ، فقد يكون رفيقه ما يؤدى المطلوب ... !

هذا من الوجهة التجارية . وهناك فى هذا السبيل ناحية علمية محترمة تسمو على هذه الناحية : فقد يعمد بعض العلماء إلى حصر ما نشر فى منحى من مناحى البحث والتفكير فى أوقات معينة أو غير معينة ، فيقفون القراء ، بأيسر الطرق وأوضحها ، على ماظهر فى العلم الفلانى أو الفن الفلانى من المطبوعات التى لا تقتصر

على الكتب فحسب ، بل تتعداها إلى الرسائل والمقالات أيضاً . وعلى هذا الوجه ينيرون السبيل أمام هؤلاء القراء

وما لنا نذهب بعيداً ، وأمامنا الآن ثلاثة أجزاء من نشرة سنوية جزيلة الفائدة يصدرها المستشرق ماير L. A. Mayer بمؤازرة جمهرة من أرباب البحث ، بعنوان « حولية منشورات الفن والآثريات الإسلامية » Annual Bibliography of Islamic Art and Archaeology وها هو ذا قد أصدر مؤخراً نشرة شبيهة بتلك ، غير أنها تتعلق بالكتب أو المقالات التي ظهرت في فرع « المسكوكات الإسلامية » ، وهي لعمري خدمة تذكر فتشكر . ومثل هذا شيء كثير يصدر في بلاد الغرب ، ونحن عن مثله منصرفون !

فتى يا ترى نجد بيننا من ذوي الاختصاص ، من يتقدم إلى زملائه ، من وقت لآخر ، بتصنيف مثل هذه النشرات التي من شأنها أن تفتح أمامهم مسالك البحث ، وتذلل لهم بعض العقبات ، وتجعلهم على علم بما ينشر في الفرع الذي يشتغلون به

وفيما يلي ثبت موجز بالكتب العربية القديمة التي ظهرت في سنة ١٩٣٩ ، وهو كل ما استطعنا الوقوف عليه . وقد كان بودّنا أن نصنفها بحسب موضوعاتها، كما هو الأصلح في مثل هذه الشؤون ، غير أنها لما كانت قليلة العدد آثرنا أن نرتبها بحسب تسلسل عنواناتها، مع الإشارة إلى سنة وفاة مؤلفها ما أمكن (١)

١ — الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة : لبدر الدين الزركشي (٧٩٤هـ) . نشره الأستاذ سعيد الأفغاني (المطبعة الهاشمية ـ دمشق ، ٢٢٨ ص)

٢ — الأحكام السلطانية : لأبي يعلى الحنبلي (٤٥٨هـ) . نشره الأستاذ محمد حامد الفقي (مطبعة مصطفى الحلبي ـ القاهرة، ٢٩٢ ص)

٣ — أزهار الرياض في أخبار عياض : للمقري (١٠٤١ هـ . نشره الأساتذة مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبدالحفيظ شلبي (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة، ح+٣٧١ص)

٤ — أسرار البلاغة والبيان : لعبد القاهر الجرجاني (٤٧١ هـ) . نشرته ثانية مطبعة دار المنار — القاهرة بتصحيح الشيخ محمد رشيد رضا والشيخ الشنقيطي (٣٦٨ص)

٥ — الأغاني : لأبي الفرج الأصفهاني (٣٥٦ هـ) . المجلد العاشر ، نشرته دار الكتب المصرية في القاهرة ، وهو كسابق أجزائه من حيث العناية بالتعاليق والفهارس (المجلدات ١ — ٩ ظهرت خلال ١٩٢٧ — ١٩٣٦ ، والكتاب لما ينته)

٦ — الإمتاع والمؤانسة : لأبي حيان التوحيدي (٤٠٠ هـ) الجزء الأول . نشره الأستاذان أحمد أمين وأحمد الزين (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر — القاهرة)

٧ — أنساب القبائل العراقية: للسيد مهدي القزويني الحسيني (١٣٠٠) . نشرته المكتبة المرتضوية بالنجف [العراق] (٩٠ ص)

٨ — البداية والنهاية في التاريخ : لابن كثير (٧٧٤ هـ) المجلد العاشر ، مطبعة السعادة — القاهرة (المجلدات ١ — ٩ ظهرت قبل هذا ، والكتاب لما ينته)

٩ — البلدان لابن واضح اليعقوبي (المتوفى بعد سنة ٢٩٢هـ) نشرته المكتبة المرتضوية بالنجف ، ١٣٢ ص

١٠ — بلوغ المرام في شرح مسك الختام فيمن تولى ملك اليمن من ملك وإمام : للقاضي حسين بن أحمد العرشي (المتوفى بعد سنة ١٣٣٠ هـ) . نشره العلامة الأب أنستاس ماري الكرملي ، مع حواش ، وملاحق ، وفهارس ، ومقدمة بالفرنسية (مطبعة البرتيري ـ القاهرة ، د + ٤٤٢ ص)

١١ — بيان مذهب الباطنية وبطلانه (منقول من كتاب عقائد آل محمد) لمحمد بن الحسن الديلمي (ألف كتابه سنة ٧٠٧هـ) نشره المستشرق شتروطمان (R. Strothmann) مطبعة الدولة ـ استانبول ، يه + ١٣٧ ص (النشريات الإسلامية لجمعية المستشرقين الألمانية ، رقم ١١)

١٢ — تاريخ ابن الفرات : لناصر الدين محمد بن عبد الرحيم ابن الفرات (٨٠٧ هـ) . المجلد الثامن ، نشره الدكتور قسطنطين زريق والدكتورة نجلا عز الدين (المطبعة الأميركية ـ بيروت ، ٢٨٤ ص . في هذا المجلد حوادث السنين ٦٨٣ ـ ٦٩٦ هـ . المجلد التاسع منه نشر في قسمين سنة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٨ ، فيهما حوادث السنين ٧٨٩ ـ ٧٩٩ هـ)

١٣ — تاريخ الطبري : لابن جرير الطبري (٣١٠ هـ) نشره محيي الدين عبدالحميد (٨ مجلدات، مطبعة مصطفى محمد ـ القاهرة)

١٤ — تاريخ اليعقوبي : لليعقوبي (المذكور في رقم ٩) . نشرته المكتبة المرتضوية بالنجف (٣ أجزاء ، ٧١٧ ص)

١٥ — التبصير في الدين : لأبي المظفر طاهر بن محمد

(١) وضعنا بين قوسين سنة وفاة المؤلف ، كما وضعنا « ص » بدلا من « صفحة » .

الاسفرائيني . نشره الأستاذ محمد سليم النعيمى (مطبعة النهضة بنهج باب السعدون — تونس ، ١٨٤ ص)

١٦ — الحيوان : للجاحظ (٢٥٥ هـ) . المجلد الثالث ، نشره الأستاذ عبد السلام محمد هارون ، بتعاليق وشروح وفهارس (مطبعة مصطفى الحلبي ـ القاهرة ، ٥٨٤ ص . المجلد الأول والثانى صدرا سنة ١٩٣٨ ، والكتاب لما ينته)

١٧ — ديوان ابن الساعاتى : لبهاء الدين أبى الحسن على ابن الساعاتى (٦٠٤ هـ) . الجزء الثانى ، نشره الأستاذ أنيس الخورى المقدسى (المطبعة الأمريكية — بيروت ، ٤٣٧ ص . المجلد الأول صدر سنة ١٩٣٨)

١٨ — رحلة ابن الفقيه إلى نهر الفلجا : لابن الفقيه الهمذانى (المتوفى فى أواخر القرن الثالث للهجرة) نشرها على الأصل المستشرق كراتشكوفسكى I. Kratchkovsky فى ليدن مع ترجمة ومقدمة وشروح وتعاليق بالروسية . كما أن فهارس الشروح موضوعة بالروسية والعربية

١٩ — رسالة موسيقية : لمؤلف مجهول (قدمها إلى السلطان العثمانى محمد الثانى ، الذى حكم أثناء ٨٥٥ — ٨٨٦ هـ) . ترجمها درلانجه Baron Rodolphe D'Erlanger إلى الفرنسية ونشر هذه الترجمة (دون النص العربى) فى الصفحة ١ — ٢٥٥ من المجلد الرابع من مجموعة فى الموسيقى العربى La Musique Arabe المطبوع فى باريس لدى الكتبي بول غوتنر

٢٠ — السلوك لمعرفة دول الملوك : للمقريزى (٨٤٥ هـ) . القسم الثالث من الجزء الأول ، نشره الدكتور محمد مصطفى زيادة مع تعاليق وملاحق وفهارس كلها فى غاية الدقة والفائدة (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر — القاهرة ، ٥٣٢ ص . فى هذا القسم أخبار السنين ٦٧٨ـ٧٠٣ هـ . أما القسمان الأول والثانى من الجزء الأول فقد صدرا فى سنة ١٩٣٤ـ١٩٣٦ والكتاب لما ينته)

٢١ - سيرة أحمد بن طولون : لأبى محمد عبدالله بن محمد المدينى البلوى (ألف كتابه بعد سنة ٣١٢ هـ) نشره الأستاذ محمد كردعلى مع تعاليق وفهارس (المكتبة العربية ـ دمشق ، ٤٠٠ ص)

٢٢ — صورة الأرض : لابن حوقل (ألفه سنة ٣٦٧ هـ) القسم الثانى نشره المستشرق كريمرز J. H. Kramers . (مطبعة بريل — ليدن ، ٢٨٠ ص . القسم الأول ظهر سنة ١٩٣٨ ، وسيتلوها الثالث وبه يتم الكتاب . وكان المستشرق دى غويه De Goeje قد نشر هذا الكتاب فى ليدن سنة ١٨٧٣ بعنوان « المسالك والممالك » وهو المجلد الثانى من « المكتبة الجغرافية العربية » . إن طبعة كريمرز هى « الثانية » باعتبار طبعة دى غويه كانت الأولى)

٢٣ — طبقات الشعراء فى مدح الخلفاء والوزراء : لعبد الله ابن المعتز (٢٩٦ هـ) . نشره الأستاذ عباس إقبال ، على الأصل ، مع مقدمة بالفرنسية (كمبردج ، ٢٢٦ + 55 + XXXII ص ، مجموعة تذكار جب ، السلسلة الجديدة ، رقم ١٣)

٢٤ — عمدة الطالب فى أنساب آل أبى طالب : لابن عنبة [وقيل : ابن عنبسة] الحسنى (٨٢٨ هـ) . نشرته المكتبة المرتضوية فى النجف . ١٢ + ٣٧٠ ص)

٢٥ — الفتحية فى علم الموسيقى : لمحمد بن عبد الحميد اللاذقى (قدمها إلى السلطان العثمانى بايزيد الثانى الذى حكم أثناء ٨٨٦ـ ٩١٨ هـ) . ترجمها درلانجه إلى الفرنسية ، ونَشَرَ الترجمة هذه (دون النص العربى) فى الصفحة ٢٥٧ ـ ٤٩٨ من المجلد الرابع من مجموعه فى الموسيقى العربى (المذكور فى رقم ٢٠)

٢٦ — كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة : لابن أبى الفضائل الحمادى اليمانى (من أهل القرن الخامس للهجرة) . نشره الأستاذ عزة العطار مع مقدمة للشيخ محمد زاهد الكوثرى (مطبعة الأنوار — القاهرة ، ٤٤ ص)

٢٧ — اللباب فى تهذيب الأنساب : لعز الدين بن الأثير (٦٣٠ هـ) الجزء الأول ، نشرته مكتبة القدس بالقاهرة ، ٥٩١ ص

٢٨ — لسان العرب : لابن منظور (٧١١ هـ) . الجزء الخامس . نشره الأستاذ عبد الله اسماعيل الصاوى (مطبعة الصاوى — القاهرة ، ١٨٠ ص . المجلدات ١ — ٤ صدرت قبل هذا ، والكتاب لما ينته)

٢٩ — المجازات النبوية : للشريف الرضى (٤٠٦ هـ) . نشره الأستاذ محمود مصطفى (مطبعة مصطفى الحلبى — القاهرة ٣٤ ص)

٣٠ — المستجاد من فعلات الأجواد : للمحسن التنوخى (٣٨٤ . نشره المستشرق پولى v. Leo Pauly دراسات بنر Bonner الشرقية ، رقم ٢٣ (٢٦ + ٢١٣ ص)

٣١ — النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة : لابن تغرى بردى (٨٧٤ هـ) . المجلد السابع ، نشرته دار الكتب المصرية

بالقاهرة ، ٤٦٦ ص (المجلدات ١ ـ ٦ صدرت خلال ١٩٢٩ ـ ١٩٣١ ، والكتاب لما ينته)

٣٢ — نخب الذخائر فى أحوال الجواهر : لابن الأكفانى السنجارى (٧٤٩ هـ) . نشره العلامة الأب أنستاس مارى الكرملى ، مع تعاليق وملاحق وفهارس ومقدمة بالفرنسية (المطبعة المصرية القاهرة ، ١٨٨ ص)

٣٣ — نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب : للمقّرى (أنظر رقم ٣) . المجلد العاشر ، نشره الدكتور أحمد فريد رفاعى ، بتعاليق الأستاذ يوسف نجاتى ، مع الفهارس . القاهرة (المجلدات ١ — ٩ ظهرت قبل هذا ، والكتاب لمّا ينته)

٣٤ — النقود العربية وعلم النُّمِيِّات : هى مجموعة رسائل عربية فى هذا الموضوع ، نشرها العلامة الأب أنستاس مارى الكرملى ، مع تعاليق وملاحق وفهارس ومقدمة بالفرنسية . (لمطبعة المصرية ـ القاهرة ، ٥٢٩ ص) تتألف هذه المجموعة من :

(١) كتاب النقود : للبلاذرى (٢٧٩ هـ) . وهو فصل من كتابه « فتوح البلدان »

(٢) كتاب النقود القديمة الإسلامية : للمقريزى (أنظر رقم ٢١) وهى الرسالة التى طبعت سابقاً غير مرة بعنوان « شذور العقود فى ذكر النقود »

(٣) تحرير الدرهم والمثقال والرطل والمكيال ، وبيان مقادير النقود المتداولة بمصر على مقتضى ماحدد بدار الضرب سنة ١٢٥٦ هـ لمصطفى الذهبى الشافعى (من أهل القرن الثالث عشر للهجرة)

(٤) أقوال ابن خلدون (٨٠٨ هـ) فى النقود الإسلامية (نقلاً عن « مقدمة ابن خلدون »)

(٥) أقوال القلقشندى (٨٢١ هـ) فى النقود الإسلامية (نقلاً عن كتابه « صبح الأعشى »)

٣٥ — نهاية الأرب فى فنون الأدب : للنويرى (٧٣٢ هـ) المجلد الثالث عشر ، نشرته دار الكتب المصرية بالقاهرة ، ٢٧٧ ص (المجلدات ١ ـ ١٢ صدرت خلال ١٩٢٣ ـ ١٩٣٧ والكتاب لما ينته)

***

هذا ما تيسر الوقوف عليه ، وكان بودنا أن نذكر فى هذا المقام بضعة كتب أخرى اطلعنا على أسمائها فى بعض القوائم أو المجلات ، غير أنه لم يشر لدى الكلام عليها هنا لك إلى سنة صدورها ، مما جعلنا فى ريبة من صحة نسبتها إلى سنة ١٩٣٩ ؛ ولما لم تصل إليها يدنا فى الوقت الحاضر ، فقد اضطررنا إلى تركها على غير رغبة منا . ولعل بين القراء الأفاضل من يقوم بإكمال ما فاتنا منها أو ما لم يتأتّ لنا الوقوف عليه ، وله منّا أبلغ الشكر

« بغداد » كوركيس عواد

يانكتسه

فيتأمل الناس ما شاؤا فيما تسميه اليابان حدثا بسيطا وبما يسميه باقي العالم حربا فالجيشان لهما عدو مشترك يمكنه أن يوقع بلية فى اليابان .

إذا عمل الصينيون على فيضان أهم أنهرهم الذى وضعت له الحواجز منذ أجيال فكل طبيب يستطيع أن يتنبأ بما يحدث فقد حدث ذلك وقد صارت النتائج التى ظهرت حتى الآن كبيرة الأهمية .

فن مئات الفراسخ المربعة من الأرض قد أصابها الفيضان فى بقعة كانت مظاهر الملاريا فيها عادية ولا يعنى بذلك أنها لم تكن مرتفعة ولكن المرض أى الملاريا فى الوقت الحاضر لم تكن متفشية بحالة وبائية وبنسبة كبرى فالكينا تمثل الدواء الوحيد والواسطة الوحيدة للوقاية فى المعالجة الاجمالية للجيوش كما تبين ذلك فى الحبشة فاما يستعملها الجيشان المتناظران واما يفعل فيهما المرض فعله الذريع ويظهر أن ذلك قد بدأ الآن .

فلنساء الصينيات فى نيويورك قد جمعن مالا كي يستطعن تحضير طنين ونصف من الكينا لمواطنيهن . فى كل محل صينى للغسيل توجد علبة لتلقى دريهمات الأمريكيين المحبذين . وكمية ٤٠ سنتجرام من الكينا يوميا ضرورية لوقاية جندى من الملاريا واليانكتسة يتكاثر دائما . فمعالجة الملاريا تقتضى يوميا مقدار جرام واحد أو جرام وثلاثين سنتجرام من الكينا مدة خمسة أو سبعة أيام كما تشير بذلك لجنة الملاريا فى جمعية الأمم .

8me Année No. 355

Lundi - 22 - 4 - 1940

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

السنة الثامنة « القاهرة فى يوم الاثنين ١٤ ربيع أول سنة ١٣٥٩ — الموافق ٢٢ أبريل سنة ١٩٤٠ » العــــدد ٣٥٥

الفهـــرس

فى سبيل الأزهر الجديد

من بشائر الأمل فى النهوض ودلائل الثقة بالفوز أن النفوس الشابة مهيأة لدعوة التجديد ورسالة الإصلاح ؛ فهى كالأرض الطيبة تشتمل على مذخور الحياة وموفور البذر ثم لا تنتظر غير الفلاح والغيث

منذ أخذنا على بعض العلماء اشتغالهم بالمراء الباطل والبحث العقيم ، ووقوفهم عند المماحكة فى اللفظ والمماياة بالاعتراض ، وتركهم أصول الدين تشتجن عليها الأضاليل والبدع ، والرسائل تنثال علينا من شباب المراغى فى أقسام الأزهر وكلياته يشايعوننا على الرأى ويسألوننا أن نزيد .

و(شباب المراغى) تعبير لم نضعه، وإنما وجدناه فى جميع الرسائل التى ألقيت إلينا ؛ فهو إما إلهام جاء من اتحاد النية، وإما اتفاق أبرم على إرادة الإصلاح .

***

نعتقد مخلصين أن الأزهر إذا استكمل أداة التعليم وساير حاجة العصر نهض بالشرق نهضة أصيلة حرة ، تنشأ من قواه وتقوم على مزاياه وتتغلغل فى أصوله . ذلك لأن ثقافته المشتقة من مصدر الوحى وقانون الطبيعة متى اتصلت بتيار الفكر الحديث تفاعلت هى وهو فيكون من هذا التفاعل ما يريد به الله تجديد

دينه وكفاية شرعه وإدامة ذكره .

كذلك نعتقد مخلصين أن رجعة الأزهر إلى ماضيه البعيد خير له وللناس من جموده على شأنه الحاضر . والرجعية لا يمكن أن تكون فى منطق الطبع سبيلاً إلى التقدم ، ولكنها فى نظام التعليم الأزهرى خرق لهذا القانون لا ينكره العقل . ذلك لأن رجعية الأزهر معناها العودة فى استنباط الدين إلى منابعه الأولى من صريح الكتاب وصحيح السنة ، وفى فقه الأحكام إلى مثل كتابى الأم والرسالة للشافعى ، وفى تعليم النحو إلى كتاب سيبويه وخصائص ابن جنى ، وفى تدريس البلاغة إلى كتب عبد القاهر وأبى هلال . وفائدة هذه الرجعية الخلوص من أمثال الجمع والهمع ، وما حشد الأعاجم فى عصور الشروح والحواشى والتقارير مما أفسد الملكات وأفند[1] العقول وصرف الأذهان عن جوهر الدين ولب العربية وسر البلاغة

***

إن الدين الإسلامى ينفرد عن سائر الأديان باعتماد دعوته على الأدب وقيام معجزته على البلاغة . فإذا حتر[2] ذوق العربية فى رجاله بما قمش[3] السكاكى والقسنرى وملا جلبى من الغثاء والهراء ، تقطعت الأسباب بينهم وبين محمد فضلوا سبيله وجهلوا علمه . فالدين الإسلامى والأدب العربى متلازمان تلازم المعنى واللفظ أو الفكر والأداء . ولا يتسنى لرجل الهداية والإصلاح أن يبلغ دعوة محمد إلا إذا تمكّن منهما تمكُّن الجاحظ والزمخشرى ومحمد عبده ورشيد رضا والمراغى . أما المضمضة بالألفاظ الاصطلاحية والجمجمة بالجمل المعقدة على أنها هى العلم والأدب ، فتطور إلى العكس لا يجوز أن ينتج إلا ما نحن فيه

***

من الطبيعى أن ينشىء هذا الكلام فى ذهنك هذا السؤال فتلقيه علىّ : إذا كان المراغى أجدر الناس بإصلاح الأزهر كما نعتقد ؛ وكان شباب الأزهر راغبين فى هذا الإصلاح مؤمنين بقدرة شيخهم عليه كما ترى ؛ فما الذى يعوق هذا الإصلاح ويعارض هذه الرغبة ؟ ... والجواب المفصل عن هذا السؤال يقتضى شيئاً من الصراحة لا تحتمله بعض النفوس فيما أظن . فإذا وقفنا عند الأسباب الظاهرة المباشرة قلنا إن إصلاح الأزهر لا يمكن أن يتم فى سنتين أو فى أربع ، لأن مِلاك هذا الإصلاح منوط بأمرين اثنين : أحدهما إعداد المعلم ، والآخر تأليف الكتاب

فأما إعداد المعلم فيقوم على أن يكون متمكناً فى علوم الدين وصاحب ملكة فى الفقه ، وأن يكون متبحراً فى فنون العربية وصاحب قريحة فى الأدب ، وأن يأخذ بعد هذا وهذا من ثقافة الغرب بأوفى نصيب . وهذا الإعداد على هذه الأساس لا يؤتى ثمره قبل عشر سنين إذا أخذوا منذ اليوم ينتخلون ممن تخرّجهم أقسام التخصص المختلفة فى كل سنة نوابغ الفقهاء الأدباء ، ثم يبعثون بهم إلى جامعات انجلترا وفرنسا وألمانيا ليبلغ كل منهم أقصى الدرجات فى العلم الذى أخصى فيه . ولك فى الأساتذة البهى وماضى ومحمد يوسف موسى شاهد صادق على فضل هذا الإعداد وأثره

وأما تأليف الكتاب فلا يتيسر إلا بعد إعداد المعلم ، لأنه هو وحده الذى يدرى كيف يؤلفه ويدرّسه . ومتى توفر للأزهر المعلم والكتاب فى ظل هذه الإدارة البصيرة صح لك أن تقول : « إن مصر ظفرت بجامعتها الصحيحة التى تُدخل المدنية الغربية فى الإسلام ، وتجلو الحضارة الشرقية للغرب ، وتصفى الدين والأدب من شوائب البدع والشبه والركاكة والعجمة »

***

ذلك فيما نعتقد ما كان يعنيه صاحب الجلالة المغفور له الملك « فؤاد » حين قال لأحد كبار العلماء : « إن أنجع الوسائل فى إصلاح الأزهر أن يغلق عشر سنين ثم يفتح من جديد »

وذلك فيما نعتقد أول الإصلاح الأزهرى وآخره . وما دام التعليم الدينى قائماً على براعة المعلم فى حل المعميات وخلق الاعتراضات ، وإمعان الكتاب فى الاستطراد والاستغلاق والحشد ، فهيهات أن يتجدد الأزهر وإن شيد بالمرمر وفرش بالطنافس وأنير بالكهرباء !

احمد حسن الزيات

---

(١) أفند العقول : أضعفها

(٢) من قولهم : حتر اللسان إذا لم يجد طعم الطعام

(٣) قمش الشىء : جمعه من ههنا وههنا

٤ – فى أرجاء سينـــاء

للدكتور عبد الوهاب عزام

وفى يوم الثلاثاء رابع عشر ذى الحجة خرجنا إلى حديقة الدير فدخلنا إلى ساحة ذات أشجار اتخذت مباءة لغنم الدير، رأينا فيها عدة من الضأن والمعز معها سخالها، ورأينا فى جانب الحديقة ناقة معها فصيلها، وهى لحمل ما يجلب إلى الدير. وهناك بئر واسعة قريبة الماء

ثم دخلنا إلى ساحة صغيرة فيها قبور قليلة هى مزرعة الموتى؛ فأما حصاد هذه المزرعة ففى حجرة واسعة متصلة بهذه المقبرة. فى هذه الحجرة أكداس من الجماجم والعظام قد رتبت وصنفت، فالجماجم على حدة، وعظام الأذرع على حدة، وعظام الأرجل على حدة، لم تختلط كما توجس أبو العلاء فى قوله:

لا يغيّركم الصعيد وكونوا فيه مثل السيوف فى الأغماد
فعزيز علىّ خلط الليـــالى رمّ أقدامكم برمّ الهوادى

ذلكم أن موتى الدير يدفنون فى المقبرة الصغيرة ثم تستخرج العظام بعد حين فتجمع فى مكانها وتخلى الأرض لمن يفد إليها من وفود الموتى المتتابعة على مرّ العصور

ربّ لحد قد صار لحداً مراراً ضاحك من تزاحم الأضداد
ودفين على بقايا دفين فى قديم الأزمان والآباد

ثم خرجنا من دار الفناء والعبر فدخلنا إلى حديقة واسعة فيها أنواع من البقول وضروب من السرو وأشجار الفاكهة، تسقى من آبار فيها، ومما يجلب إليها من آبار داخل الدير

وحديقة الدير مرأى جيل فى حضيض الجبال الشاهقة المشرفة عليها

الى جبل موسى

الجبل العظيم المطل على الدير من الجنوب يسمى جبل موسى ويقال: إنه الجبل الذى تلق فيه موسى عليه السلام الألواح.

تواعدنا الخروج إلى الجبل بعد الظهر، فسار الرفاق يدلهم أحد الرهبان، فخرجوا من باب صغير فى حديقة الدير إلى الجبل ليصعدوا زهاء ثلاثة آلاف درجة منحوتة فى الحجر أو مرصوفة، وللجبل طريق أخرى على مقربة من الدير تصعد على السفح متعرجة إلى ثلثى الجبل، ويستطيع الجمل أن يصعد فيها. وقد آثرت أنا هذه الطريق، فركبت جملاً، وسار صاحبه يقوده. فأما الجمل فاسمه درويش، وأما صاحبه فاسمه حميد من أولاد سعيد

صعدنا زهاء خمسين دقيقة، وأنا مشفق على هذا الحيوان السهلى يكلَّف هذا المرتقى الصعب، بل سفينة الصحراء التى تسام صعود الجبال.

وكان بينى وبين صاحب درويش حديث ممتع:

قلت: ما تسمي هذا الذى أركب عليه؟ قال: الغبيط، والذى تحته البدار، وقد وضعت الغبيط على بدار الجمل، لأنى جئت بدرويش إلى الدير محملاً، وما حسبت أنه يركب. قلت: الغبيط بلغة أهل مصر ما يحمل فيه التراب ونحوه على الدابة، ولكنه فى الشعر القديم كما تقول. قال: هذا الخشب المكسوّ الذى يركب عليه هو الغبيط، والبدار هذه الحشيّة التى توضع تحت الغبيط. قلت: فما تسمى هذا الحزام الذى على صدر الجمل؟ قال: هو البطان قلت: صدقت. ويقال فى المثل التقت حلقتا البطان والحقب. فما الحقب؟ وهل تسمى الحزام الخلفى حقباً؟ قال: لا، هو الحبك. قلت فى نفسى: ليس هذا بعيداً من قياس اللغة وسماعها. ثم قلت: فما الحبل الذى فى يدك؟ قال: الرسن. قلت: ألا تسميه المِقود؟ قال: المقود هذه — وأشار إلى طرف الحبل الذى فى يده وقد جعله كالحلقة — قلت: يا حميد! فما الحبل الذى على خدّ الجمل. قال: المذار. قلت: صدقت. وتذكرت قول أبى الطيب:

فقرّحت المقاود ذفريها وصعّر خدّها هذا العذار

قلت: فأين الغارب؟ فوضع يده على ما أمام الغبيط من ظهر الجمل، وقال: والكتَب هـذا؛ ووضع يده على ما يلى العنق. قلت فى نفسى: الذى عرفناه فى اللغة الكاثب وجمعه كواثب، كما قال النابغة:

لهن عليهم عادة قد عرفنها إذا عرّض الخطىّ فوق الكواثب

قلت: فأين الثفنة؟ قال: لا أعرف. قلت: ألا تسمى الركبة ثفِنة؟ قال: لا، ولكن الدّفنة هـذه. وأشار إلى ما يقع على

الأرض من رجل البعير الخلفية إذا برك . فقلت فى نفسى : قد قُلبت الثاء ذالاً فى لغة حميد وقومه

ثم سألته عن نبات مرَرْنا به حتى قلت : أهنا ثُمام ؟ قال : لا ، ولكن فى وادى كذا ثمام كثير . قلت : نحن نقرأ فى كلام القدماء : « هذا الشىء على أطراف الثمام » . قال : نعم ، كذلك نقول إذا كان الشىء كثيراً قريباً ، لأن الثمام قصير . قلت : أفادك الله يا حميد

قال حميد : لا يصعد الجمل بعد هذا الموضع . فنزلت وربط هو درويشاً ؛ وسار معى يدلّنى الطريق إلى حيث يصعد المتوقّل إلى القمّة . فمشينا زهاء خمس دقائق ، فنادى : هؤلاء أصحابك . فرأيت جماعة من الرفاق قعدوا من الإعياء ، فعرّفونى أن جماعة خلفهم وآخرين سبقوهم إلى القمّة . شرعت أصعد فى درج متمهّلاً أقرأ بين الحين والحين على الصخر ما كتبه أحد الرفاق السابقين من كلمات تواسى الصاعد وتحرّضه على المثابرة ، وبعد نصف ساعة بلغت القمة

على القمة فجوة بين الصخور قال دليلنا الراهب : إنها حيث رأى موسى الملَك . وهناك كنيسة صغيرة جميلة على جدرانها صور متقنة تمثل ما يدور حول هذا المكان من ذكريات منها صورة تمثل موسى يتلقى الشريعة من الله تعالى

وفى جانب من القمة مسجد ساذج جدرانه غير معالية وسقفه غير محكم وأرضه غير مفروشة . قالت نفسى : هذه أمارة على إهمال المسلمين أمورهم ، فخطر لى أنه مع هذا أمارة على يسر الإسلام وقربه إلى الفطرة . وبجانب المسجد عند حافة القمة غار صغير يُهبَط إليه درجات قليلة فيه أثر نار . يقول العامة : إنه حيث أقام موسى أيام الموعد ، وإن هذه النار من آثار ذلك الزمان

وتشرف هذه القمة العالية على جبال وأودية كثيرة ، ومناظر بعيدة وقريبة ، وتسمو بجسم الإنسان وروحه حتى يكاد يتوهم أنه من طير الجو أو سكان السماء

أقمنا قليلاً ثم شرعنا نهبط وأمامنا الراهب لم يعىَ بالصعود والهبوط على كبر سنه (وكل امرئ جار على ما تعوّدا)

ما زلنا نهبط ثم نهبط ؛ كلما رأينا وادياً فى الجبل قلنا قاربنا الأرض ، فإذا بلغناه وجدناه قمة عالية تشرف على مهاوٍ أخرى بعيدة . وتشرف المخارم فوقنا عالية عاتية مهيبة ملساء صمّاء ، ونشرف نحن على هُوّى سحيقة وأودية بعيدة ، دواليك حتى غربت الشمس وطلع القمر متمهلاً فوق الجبل الشرقى كأنما أصابه من الإعياء ما أصابنا . ثم أشرفنا على الدير وقد بلغ منا التعب مبلغه فتحاملنا حتى هبطنا إلى مستوى الدير بعد ساعة ونصف من مفارقة القمة .

(للكلام صلة) عبد الوهاب عزام

على هامش الأبحاث النفسية والفلسفية

أساليبنا في البحث
وعلام تعتمد ؟

للدكتور محمد البهى

كتبت مرة فى مجلة أزهرية كلمة حول تطور فكرة « الشر » فى القصص الميثولوجية Mythology والأبحاث الفلسفية ، وكيف دخل كثير مما قيل فيها من آراء فى شرح ما جاء فى الديانات السماويَّة من التعبير « بالشيطان » على لسان المفسرين العقليين Rationalisten

فكتب « باحث » آخر يلاحظ أن كلمتى اشتملت على « غموض وإبهام » ، وأنى قد « أطلت من غير داع » ، وأن « كل اعتمادى على الفكَر الخيالية » ، ولم تكن « لمقدمتى الطويلة كبير فائدة تذكر للمسلمين وغيرهم » . وليتنى « إذ تعرضت للفلسفة أتيت منها بما يستند إلى البرهان العقلى أو التجربة والمشاهدة كما هو أساس الفلسفة الحديثة التى انتهت إلى إثبات الأرواح المجردة علوية وسفلية . ولكنى لم أفعل ، بل أتيت بما هو منقوض بنفس الفلسفة الحديثة التى انتهى إليها تفكير الفلاسفة المصريين فى أبحاثهم »

وهكذا كان « بحثه » مملوءاً بمثل هذه الأحكام والملاحظات . وقد ختمه بأن وعدنى « بالمناقشة باعتبار أنى مسلم »

مثل هذا الكاتب ليس بالقليل ، وطريقته فى البحث غير مجهولة . وهو فقط مثل جزئى لظاهرة تطبع تفكير الكثير من « باحثينا » وكتابنا

لهذا لا أقصد من كلمتى هـذه سوى شرح تلك الظاهرة وتعليلها من ناحية البحث التاريخى الفلسفى ، وإرجاعها لحالة معينة من الحالات العقلية التطورية للجماعة من وجهة البحث البسيكولوجى

كثيراً ما نقرأ « للباحثين » أمثال هذه العبارات : ما أقوله (أنا) حق ، أو هو الحق الصراح ، أو واضح وضوح الشمس فى رائعة النهار . وما تقوله أنت (للخصم) باطل ، أو غامض مبهم ، أو لا يستند إلى الواقع ولا إلى العقل والمنطق ؛ والحس ينكره والتجارب لا تؤيده .... الخ

هل وضع مثل هـذا الكاتب مقياساً علمياً مجرداً عن التأثر الشخصى لمعرفة الحق والباطل ؟ هل اتخذ فاصلاً من الأساليب اللغوية لتبين النص والصراحة والوضوح من اللبس والاحتمال والأبهام ؟ هل أراد من الواقع الواقعَ الذى له اعتبار عام ، أم ذلك الذى يدركه هو من أفق ومحيط ؟ هل أراد بالعقل العقلَ الإنسانى ، بغض النظر عما لكل فرد من ثقافة وعادات وعن الفروق الفردية والبيئية ، أم أراد به الشائع المعروف كالذى يحكيه الفارابى عن المتكلمين فى زمانه من أنهم كانوا يقولون : هذا يقبله العقل ، هذا لا يسلم به العقل ، ويقصدون بالعقل الشائع المتعارف بينهم ، وبذا فهموا المنطق الصورى خطأ واستخدموه خطأ كذلك ؟ ماذا قصد من الحس وأى شىء أراده بالتجارب ؟ أأراد بها ما يتعلق به خاصة أم أراد تلك التى تكوّن قواعد العلوم العامة ؟

هذه أسئلة يعلق العلماء على جوابها الفصل بين بحث وبحث . فإذا كان الباحث متأثراً بشخصه فى وضع « مقياس » الحقيقة سمى المقياس شخصياً . وعليـه فالذى يجعل من ثقافته الخاصة ، وواقعه الخاص ، وعقله وعاداته الخاصة ، ونظرته الخاصة فى الحياة مقياساً للبحث كان مقياسه شخصياً

والباحث الذى يبعد كل هذه العوامل الشخصية فى البحث عن الحقيقة يكون قد قصد إليها متجرداً ، وتكون حقيقته التى وصل إليها حقيقة مجردة وعلى قدر تجرده فى بحثه مما هو شخصى يكون ظهور حقيقته ناصعة ، أى لم يسدل عليها أى غشاء شخصى لا دخل له فى ما هيتها الذاتية

والمقياس الشخصى اعتباره بالنسبة إلى الشخص الذى وضعه فحسب ؛ فلا تلزم نتائجه غيره ولا تبنى عليه أحكام عامة . أما المقياس المجرد Objective فاعتباره عام ، لأن تجرده من الأثر الشخصى يبعد عنه نزاع الأفراد ويحمل كل فرد (تقريباً) على الاعتراف به ، ولهذا تكون لنتائجه وأحكامه قوة القوانين والمبادىء العامة

وقد كان الشخص نفسه فى القديم معيار المعارف والعلوم ، متخذاً ذاته أساساً لبحث الحقيقة والحكم على التصرفات والسلوك الإنسانى بأحكام خلقية ، فما تخيله حقيقة فهو حقيقة (فى الواقع)

وما وقع حسنه فى نفسه فهو حسن (فى الواقع) . وأصبحت المعرفة لذلك عبارة عن حقائق شخصية ، وأصبح الشىء الواحد له أكثر من حقيقة . ولم يلبث أن أصبحت هذه الطريقة مذهباً فلسفياً عرف بالمذهب الشخصى Subjectivism كما عرف أتباعه بالشخصيين (وهم السفسطائيون فى العهد الأول)

ومع أن الفلاسفة الذين جاءوا بعد السفسطائيين ، مثل أفلاطون وأرسطو حاولوا التدليل على أن « حقائق الأشياء ثابتة » أى غير متعددة تبعاً لتعدد الأفراد ، وغير متغيرة لما بينها من مغايرة وفروق بحكم هذا التعدد ، ووضعوا لتعرفها قانوناً عاماً يسمى آلة العلوم ومعيار العلوم وهو المنطق الصورى ؛ ومع أنهم وصوا بعدم إقحام العادات والعقائد الدينية فى البحث لم تخلص معارفهم ولا الأحكام التى كونوها عن الله ، والعالم ، والإنسان — وهى فلسفتهم — من التأثر بثقافتهم الخاصة ، وبيئتهم الخاصة ، ونظراتهم الخاصة إلى الحياة ، وهى ما نلمسها فى الفرق بين فيلسوف وفيلسوف

اتجه التفكير بعد ذلك ، وهو البحث الفلسفى ، إلى الإمعان فى الفصل بين المؤثرات الشخصية ، والنظر إلى الأشياء على ما هى عليه فى الأبحاث العلمية ؛ أو بعبارة أخرى مال إلى تجريد المقياس الذى يتخذ أساساً للبحث من الخصائص الفردية . ولم يستطع العقل « الحر » أن يسير خطوة فى تحقيق هذه الرغبة إلا منذ عصر النهضة ؛ أى بعد أن أخذت شعوب أوربا تتحرر من سلطان الكنيسة

وقد كان لموقف الإسلام تجاه الأبحاث الفلسفية منذ القرن التاسع الميلادى إلى القرن الثانى عشر أثر كبير فى التشجيع على عملية الفصل هذه . فبينما كانت الكنيسة فى الغرب تفرض أن تكون العقيدة الكنسية المبدأ الذى يأخذ منه البحث مجراه ، كان المسلمون فى الشرق ، ثم فى الغرب أيضاً يبحثون فى فروع الفلسفة المختلفة ؛ فى الطبيعة والرياضة حتى فى المسائل الإلهية ، والأبحاث النفسية الخلقية ، فى جو مملوء فى عمومه بحرية البحث وأنتج من فلاسفة المسلمين من استطاع أن ينتج . ووصلت فلسفتهم مميزة الفروع ، أى لم يراع فى بحثها مبدأ واحد كمبدأ العقيدة مثلاً ، إلى أوربا عن طريق أسبانيا

فلما احتك العقل الأوربى الراغب فى التخلص من الجولان حول نقطة واحدة ، نقطة العقيدة، بالعقل الشرقى الإسلامى الذى لم يتحكم فى تفكيره اتجاه خاص ، ازدادت رغبته فى بحث الكون من الكون نفسه ، فترك العقيدة جانباً ، أى ترك أهم عامل من العوامل التى تؤثر فى بحث الشخص والتى تجعل مقياسه العلمى شخصياً ، وعمل على تخلية نفسه من كل اعتبار آخر غير اعتبار « الحقيقة » لذاتها

وكان ديكارت أول فلاسفة عصر النهضة الذى نفذ هذه الرغبة فى صورة منظمة كاملة . ثم نحا كثير من الفلاسفة نحوه وهو العمل على وضع مقياس علمى مجرد عن الأثر الشخصى ، مقياس objective ، ولم يكن اختلافهم الذى بدا فى مذاهبهم المنسوبة إليهم اختلافاً فى وجوب اعتماد المعارف الإنسانية وفى حاجة يقينيتها إلى مثل هذا المقياس ، بل كان فى كمية الشروط وفى كيفها التى تحقق مثل هذا المقياس المنشود

وإذن أصبحنا نرى فى تاريخ الفكر البشرى مقياسين للمعارف: المقياس الشخصى، والآخر غير الشخصى (المجرد) ، ونرى كذلك لإنتاجه طابعين : الطابع الشخصى والطابع الذى يتعدى الفرد والشخص

والتفلسف لم يقم ـ منذ أن قام ـ إلا لإيجاد المقياس غير الشخصى ، وإلا لأن يطبع أبحاث الإنسان وعلومه بطابع الاعتبار العام كى يتخذ منها أساساً واضحاً ، بعيداً عن النزاع الفردى ، فى إرشاد الإنسان نفسه وفى تمكينه من السيطرة على بيئته ، وبالتالى فى تقريب أفراد الجماعة الإنسانية بعضهم من بعض وفى تكوين ما يسمى « بالعقل الإنسانى »

والفلسفة فى بدئها ونهايتها ، وفى قديمها وحديثها ، لم تعمل لغير هذه الغاية . وما يبدو فى معارف الإنسان الأولى من خيال أو وهم أساسه استخدام المقياس الشخصى فى بحثها ، وما يبدو فى علومه الآن من عقل ومنطق أساسه التقرب بقدر ما يمكن من المقياس الثانى ، والتخلى بقدر المستطاع عن العوامل الشخصية فى البحث

وعلماء النفس حينما نظموا الأبحاث النفسية الحديثة ، فرضوا « للجماعة » نفساً كنفس الفرد سواء بسواء ، وطبقوا عليها لذلك مظاهر التطور النفسى من طفولة فراهقة فرشد وبلوغ

وجعلوا من مميزات الطفولة « الأنانية » أو ما يسمى « بأنا » لأن الطفل فى أحكامه يصدر عن « ذاته » وليس عن الواقع المجرد عن شخصه ونفسه . وجعلوا من مظاهر المراهقة الوقوف

بين بين، إذ أحكامه وتصرفاته defoss غير واضحة المصدر . ولذا نراه يعيش كثيراً فى الخيال الذى لا يمت إلى الحقيقة الراهنة بصلة وثيقة . وأحياناً يساير الواقع ؛ ولكنه فى خياله ملك ممتع ، وفى حقيقته إنسان ضعيف يكثر البكاء والملل من هذه الحياة ؛ لأن القلم الذى يسطر به فى صحف الخيال لا يقدر على متابعة الكتابة فوق صخرة الواقع . وجعلوا من مظاهر الرشد أو النضوج ربط التصرف بالواقع ، وعدم إقحام المؤثرات الشخصية فى الحكم عليه ، والنظر إليه « بعين الحقيقة » لا بعينه هو

وكذلك حكموا على الجماعة فأطلقوا عليها جماعة ساذجة، أو لم تزل بعد فى دور الطفولة ، إذا كانت تجعل الفردية أو الشخصية أساس المعرفة ؛ وحكموا عليها ببلوغ طور المراهقة إذا حاولت الفصل بين الشخصى والواقع ، وببلوغ طور الرشد والنضوج إذا اتجهت فى أبحاثها نحو الواقع أكثر من تأثرها بالعوامل الشخصية

وعلى هذا فالتفلسف ، أو بحث الإنسان العقلى داخل الجماعة البشرية ، يمثل دور الطفولة فى الوقت الذى كان يسيطر فيه المذهب الشخصى Subjectivism ، ويحكى دور المراهقة فى الزمن الذى بدت فيه الرغبة إلى الفصل والعمل على تنفيذ تلك الرغبة . وفى عصرنا الحديث يدخل فى دور الرشد والنضوج لأن السائد فى أبحاثه مذهب الـ objektivism

هذا عرض تاريخى موجز لأساليب البحث فى القديم والحديث بالنسبة للفلسفة والتفلسف ، وفى أطوار نمو الفرد وتدرج الجماعة فى التفكير من الوجهة البسيكلوجية .

وفى ضوء هذا نعود إلى هؤلاء الباحثين ، أمثال ذلك الباحث «الأنانى» ، الذين تتصل أحكامهم صلة وثيقة بذواتهم ، وتتكون مما لهم من ثقافة خاصة ونظرة خاصة فى الحياة لنقول لهم : إن هذه الأبحاث ما دام مصدرها « أنا » وغايتها « أنت » سوف يكون اعتبارها شخصياً لا تؤدى نصيباً فى الإنتاج الفكرى العام .

ثم إلى هؤلاء الأقلاء الذين يسلكون فى أبحاثهم طريق « العقل الكلى » ، عقل الإنسانية — لا ذلك العقل الجزئى — لنقول لهم أيضاً : عليكم وحدكم يتوقف توجيه أمتنا فى حياتها العقلية وعليكم وحدكم يتوقف مستقبل التفكير فى مصر والسير به إلى طور الرشد والنضوج !

محمد البهى
دكتوراه فى الفلسفة وعلم النفس
من جامعتى برلين وهامبورغ

مزامير للنفس العربية !

للأستاذ عبد المنعم خلاف

١ — خمائر المهد الأول

نحن الآن فى قلب الجزيرة ... فى جاهليتها الأولى ، التربة بمعانى طفولة البشرية التى تملأ الحياة شعراً وتهاويل وأوهاماً ...

نخوض فى بحر من الرمال يغلى بالحرارة ، ويبسط على الجلود لفحات من لظى تصيب الأجسام بقشعريرة من بَحَران الحمى التى تصهر الأجسام ، وتجعلها جمرات مشبوبة المشاعر ، ثائرة العناصر ، حديدة المزاج ، مكشوفة الرماد عن الطبع الخالص ، والفطرة الصريحة ...

ننقل الخطا على تراب آبائنا الأولين ، ونبحث فيه عن عظامهم التى غابت فى التلال والرجام ...

ونشم فيه دماءهم التى ابتلعتها الرمال المتعطشة أبدا مع ما ابتلعت من دموع الغمام ...

ونحدق فى الأضواء والظلمات إلى صورهم التى طبعت فى ألواح الأثير مع ما صبغته الشمس والكواكب من الأضواء والظلال ... ونتسمع إلى أصواتهم التى فنيت فى الصمت المطلق ...

فتطالعنا من وراء الغيب أشباح لهـا وجوه سمراء ، حادة النظرات ، دقيقة الأنوف ، عريضة الجباه ، عليها سيما الكبرياء والاعتداد ، وسهوم العزلة والتفرد ...

يعتصرون حرارة الصحراء ، وينضحونها دماء حارة ، وحرية حمراء ...

ويصيدون النغم الذائب فى الأجواء ، ويصوغونه شعراً منثوراً ومنظوماً ببيان يقتحم الآذان ، ويلقف المقول ...

ينشدونه فى هياكلهم المبنية بجدران من جبال ، وأعمدة من نخيل فارعات كالمرَدَة ...

ويتغنون به فى مواسم الحب والحرب على حوافّ الآبار ، وشواطئ بحار السراب والآل ...

ويقيمون للبيان أسواقاً يعرضون فيها لعب الجن بأرواحهم

وقلوبهم وألسنتهم ، ويتركون أنفاسهم خالدة فى ألفاظهم ميراثاً محفوظاً لمن يأتى بعدهم ...

منثورون فى صحرائهم محجوبون بها عن عيون الأمم الطامعة كأنهم جن متخفية فى عالم بعيد ...

سيوفهم شائلات كأذناب العقارب يضربون بها دفاعاً عن الحرمات ، وعشقاً للحريات ، وشراء للشرف والمكرمات ...

إبلهم تهدر فى صمت الصحراء بأصوات كالأمواج المحبوسة والزلازل المكتومة ...

تسيل بها الأباطح راقصة برقابها البيض والسود ورؤوسها الصغيرة ذات العيون الساهمة ...

يحدو لها إنسانها بأصوات صادرة من قلوب عميقة تيّمها الحب والشوق الأبدى ، وجرحها الفراق الدائم فى سبيل الرعى والانتجاع وحب الأسفار والفرار من ثأر أو لإدراك ثأر ...

يظعنون بها قوافل ، عنق جمل فى ذيل آخر ، فى خطوط طويلة ترتسم على الآفاق فى الأماسى والأسحار والضحوات والأصائل ... تحسبها أشباحاً ضالة تهيم فى خيال شاعر ...

حتى إذا وصلوا إلى شواطئ الحضارة فى الشمال أو الشرق أخذوا حاجاتهم المحدودة من أسواقها ، وتسقطوا أخبارها ، ثم عادوا بُحُمر الحقائب بركب موسوق تمربد قلوبهم من الشوق إلى الحبائب اللواتى هن النعيم العزيز الوحيد للقلب العربى الذكى المحروم والخيام تخفق فيها هبوات الريح على الرُّبا والتلاع ، أمامها نيران موقدة تنادى بضوئها عيون الضالين للغرق فى أمواج البيد والظلمات ...

والنيران راقصة عارية تغازلها عيون الرجال من بعيد ...

والصبية والجوارى يرقصن ويغنين بأصوات فيها أنغام محدودة مكررة ...

وتحمل النسائم أصواتهن إلى آذان الخيل فترقص فى حماسة وخيلاء ...

ثم يغنى كل هذا فى صمت الصحراء !

***

أمة اندمجت فى الطبيعة ، وغابت فيها بأشخاصها ، وعبدت مظاهر القوة فيها ، وتسمى أفرادها بأسماء الجماد والنبات والوحش فقالوا : أسد وذئب وكلب وثعلب ونمر ويربوع وحجر وحنظل وجندب ومرة وزهرة وأنف الناقة ...

ووضعوا قلوبهم على كل شىء فيها يتحسسون نبض الحياة ، كما يعلق الفنان المستغرق قيثارته على الأغصان يتسمع بها إيقاع الريح ووسوسة الحصى واصطفاق الأمواج ...

ثم خلعوا من أوهامهم الشاردة على الحجارة صوراً وتماثيل لمسوها بأيديهم وعبدوها فى غيبوبة فكر وثوران قلب وقلة علم والكهنة والعرافون — وهم الأذكياء منهم — اختلطت فى نفوسهم رُؤَى الكون المبهم ، وهم محرومون من تعليل العلم وهدى النبوات ؛ فصارت الحياة أمامهم رموزاً وألغازاً شردت نومهم وجعلتهم يهيمون فى أرض عبقر مع الجن والخفاء والخوف وصرخات الإنسان الضائع الفريد ...

***

هؤلاء هم خميرتنا التى انحدرت منها إلينا عناصر ورواسب فى الدماء وخصائص فى الأعصاب ...

نزلت فى موجات وأنسال وأجيال إلى الهلال الخصيب فى العراق ووادى النيل وجنات الشام فى أدوار يعرفها التاريخ القديم ...

هؤلاء هم الذين دائماً تلدهم الجزيرة الولود ، ثم تقذفهم على أحضان بناتها و « داياتها » : العراق والشام ومصر . ليخففن عنها الحمل ويتعهدن ما تلد ...

هؤلاء هم الذين كانوا يلقحون دائماً ضعف أوطاننا بالقوة ، ومرضها بالصحة ، وتعقيدها بالبساطة ...

هؤلاء هم الذين ولدوا الفراعين من عهد « مينا » فى مصر ، والأشوريين والبابليين فى العراق ، والفينيقيين فى الشام ؛ وهم الذين عمروا العالم القديم ...

هؤلاء هم الذين ولدوا ابراهيم أبا أنبياء العالم المتحضر ، فأخضعوا أشرف ما فى الحياة لسلطانهم الروحى المتجدد على أيدى موسى وعيسى ومحمد

هؤلاء هم الذين اكتسحوا فى موجتهم الكبرى جميع الفروق التى كانت بين أبناء ما يحيط بهم وطوَوْا الجميع فى الدين الواحد واللغة الواحدة والعادات الواحدة

وهؤلاء لا يزالون يعمرون بوادى الجزيرة محتفظين بحياتهم

مبعثاً لقوتنا وتخليداً لدمائنا واحتفاظاً بميراثنا وبياناً لمراقتنا فى الحرية والمساواة والعزة والفطرة

فواجبنا أن نلقى ببذورنا وغراسنا الناشئة إليهم فى دور من أدوار التربية والتكوين لتتصل الطبائع بينابيع القوة ... فنجعل الحياة معهم فترة من الزمن فرضاً محتوماً على الشباب من جميع أقطار الوطن العربى ... فإن هذه الحياة الحرة القوية الصريحة الطبيعية سوف تترك خمائرها وآثارها فى مقاومة الضعف والخنائة والبعد عن منطق الطبيعة وأسلوب الفطرة

وكما أن حياة البحر جزء من تكوين الإنجليزى فكذلك يجب أن تكون حياة البادية جزءاً من تكوين العربى حيثما كان . فالإنجليز يعتزون بحياة البحر وبالأخلاق المكتسبة منه كالصبر ومواجهة الصعاب والاعتداد بالنفس وحب الرحلة والكشف ... فيجعلون الخدمة فى الأسطول أمنية الأمانى أمام الشباب

وكذلك يجب أن يعتز العربى بحياة البادية والخدمة فى « أسطول الصحراء » ؛ فإنها تترك نفس الآثار والنتائج التى تتركها خدمة البحر فى النفس

إن العربى بقوامه المشوق الذى ليس فيه ترهل وفضول ، وبمجموعته العصبية القوية ، وبملامحه الحادة ومنطقه السريع المحكم المبين ، وبشهامته وكرمه وشجاعته وتقاليد فروسيته ، وشاعريته - ثروةٌ عظيمة تغنى الناس بكثير من الأخلاق التى يفتقدونها الآن فلا يجدونها . وقد صارت له صورة رمزية شعرية فى أذهان الأمم يحيط بها إطار من هذه الأخلاق

وهو إن كان فى باديته معدوداً من الإنسان البُدائى فإن اختياره هذه الحياة وتجميلها بصفات ربما لا يحظى بشرفها غيره من سكان العالم المتحضر ، قد جعل الأمم تنظر إليه نظرة خاصة غير النظرة التى يأخذون بها من هم فى مستواه الاجتماعى والاقتصادى فى البوادى والحواضر

* * *

فى قلب الجزيرة الآن دولة هى معجزة من معجزات هذه الأمة التى طالما ملأت التاريخ بالمعجزات

دولة هى فى سلامها وأمنها حديث صامت من أحاديث القدر يرسله فى القرن العشرين درساً لمن ملأوا الدنيا قوة ودساتير وشرائع لكفالة النظام والسلام ، ومع ذلك لا يزالون مطارَدين من الهدم والفوضى والإجرام

دولة أقامها ووطدها رجل لا يعرف تزويق الكلام ولا مضغ الأحاديث ، وإنما عرف الطبيعة والفطرة واستمد من أحكام كتابهما وميراث رسولها ... فأقام دولة الأحلام التى زعموا أن الذئب رعى فيها الأغنام ...

دولة جددت الطبيعة العربية وأبرزتها فى إطار من فن البداوة فى القرن العشرين ، وجلت ميراثها القديم الذى صار من إيغاله فى القدم جديداً طارفاً وبدعاً مستحدثاً ...

وكان لا بد من قيامها فى نهضة العرب هذه لرد الإيمان إلى قلوبهم وبعث الحنين فى نفوسهم إلى مهدهم الأول وعرشهم الأبدى ... فهى عنوان عريض ودليل جديد على أن أصول حياتهم عريقة واشجة فى مناجم الحياة ومنابت الناس ...

فليحتفظ العرب دائماً بخمائر حياتهم ووراثات مهدهم الأول مجردة من الوثنيات والجهالات ...

وليسبغوا على الحياة فى قلب الجزيرة جواً من فن الفكر وشعر الروح ...

وليفروا إليه فترة من الزمان ليخلعوا عن أنفسهم آثار الحياة فى التعقيد والتكلف والضعف الذى يستلزمه الخوض فى الطين والحرير والطرق المعبدة التي ليس فيها شوك وقتاد ...

إنما الإسلام فى الصحرا امتهد ليجىء كل مسلم أسد !

(القاهرة) عبد المنعم خلاف

١٤٠٤٤

في الاجتماع اللغوى

نشأة اللغة الانسانية

للدكتور على عبد الواحد وافى

اختصاص الانسان باللغة ومراكزها

عرضنا فى المقال السابق إلى أهم أنواع التعبير الإنسانى ، فذكرنا أنها ترجع إلى أربعة ضروب :

١ — التعبير الطبيعى عن الانفعال بأمور مرئية ، كتفتح الأسارير وانقباضها ، واحمرار الوجه واصفراره ، ووقوف شعر الرأس وارتعاد الجسم وما إلى ذلك من الظواهر المرئية الفطرية التى تصحب مختلف الانفعالات

٢ — التعبير الطبيعى عن الانفعال بظواهر مسموعة ، كالضحك والبكاء والصراخ . وما إلى ذلك من الظواهر الصوتية الفطرية التى تصحب حالات الفرح والألم والحزن والسرور

٣ — التعبير الإرادى عن المعانى بأمور مرئية ، كالإشارات اليدوية والجسمية التى تستخدم مستقلة أو مع غيرها بقصد الدلالة على المعانى والمدركات

٤ — التعبير الإرادى عن المعانى بظواهر مسموعة ، وهى الأصوات المركبة ذات المقاطع التى تتألف منها الكلمات . وهذا النوع هو الذى تنصرف إليه كلمة اللغة إذا أطلقت

وسنشرح فى مقال اليوم مدى مشاركة الحيوانات للإنسان فى كل نوع من هذه الأنواع الأربعة

تشترك معظم فصائل الحيوان مع الإنسان فى النوعين الأول والثانى من أنواع التعبيرات السابق ذكرها (التعبير الطبيعى عن الانفعالات بمظهريه المرئى والمسموع) . فانفعالات الحيوان ، جسميها ونفسيها : كالجوع والعطش والسرور والفرح والاطمئنان والحزن والاشمئزاز والغضب ... وما إلى ذلك ، يثير كل منها لدى المتلبس به طائفة خاصة من الحركات الفطرية غير المقصودة، وهذه الحركات بعضها بصرى ، أى يصل عن طريق حاسة النظر : كاتساع الحدقة وضيقها ، وبسط الأذنين وخفضهما ، والتكشير عن الناب ، ووقوف الشعر ، وانتفاخ الجسم والأوداج ، والهرب والاختفاء ... وما إلى ذلك ؛ وبعضها سمعى ، أى يتمثل فى صوت يصل عن طريق الأذن : كرغاء الناقة وبغامها ، وصهيل الفرس وقبعه[1] عند نفوره من شىء وحمحمته عند الجوع أو الاستئناس، وشحيج البغل ، ونهيق الحمار ، وخوار البقر، وثغاء الغنم، وزئير الأسد ، وعواء الذئب ، وتضوره وتلمله عند جوعه ، ونباح الكلب ، وضغاؤه إذا جاع ، ووقوقته إذا خاف ، وهريره إذا أنكر شيئاً أو كرهه ، وضباح الثعلب ، ومواء الهرة ، وضحك القردة ، وصرصرة البازى ، وقعقعة الصقر ، وهدير الحمام ، وسجع القمرى، وزقزقة العصفور، ونعيق الغراب، وفحيح الحيات وكشيشها وحفيفها عند تحرش بعضها ببعض إذا انسابت، ونقيق الضفدع ... وهلم جراً ...[2]

وتشترك كذلك بعض فصائل الحيوان مع الإنسان فى التعبير الإرادى البصرى، وهو التعبير بالإشارة . ويبدو هذا على الأخص لدى الحيوانات التى تعيش جماعات كالنحل والنمل والقردة والبقر والغنم والوعول وما إليها — فقد ثبت أن كثيراً من هذه الفصائل وغيرها تستخدم أحياناً بعض إشارات جسمية للتعبير بشكل مقصود عن بعض شئونها . ففحل الأوعال (الأيل) يستخدم فى أثناء قيادة قطيعه بعض إشارات برأسه وقرونه للوقوف فيقف جميع أفراد القطيع ، وبعض إشارات للسير فيسير جميع أفراد القطيع ؛ ويستحث المتخلفات بأن ينطح كلا منها نطحاً خفيفاً . ويستخدم الأذكياء من الكلاب مع أفراد فصيلتها ومع الآدميين بعض إشارات بالرأس وغيره للتعبير بطريق إرادى عن أمور خاصة ، كأن تمر بأظافرها على الباب ليفطن أصحابها إلى وجودها فيفتحوا لها ، أو تدفع إناء طعامها برأسها للتعبير عن حاجتها إلى الغذاء ... وهلم جرا

وتستخدم كذلك فصائل القردة ، وبخاصة الفصائل العليا منها (الغوريلا والشمبانزيه والجيبون والأورانج — أوتانج) ، وفصائل النحل والنمل بعض إشارات من هذا القبيل . فقد كشف العلامة كوهلر Kœhler عن ظواهر كثيرة من هذا النوع عند فصائل القردة العليا : منها ما يعمله الشمبنزيه حينما يريد أن يرافقه آخر فى طريقه ، أو يرغب أن يعطيه أحد

(١) صوت يردده الفرس من منخره إلى حلقه عند نفوره من شىء .

(٢) أنظر فى هذه الأصوات وغيرها فقه اللغة للثعالبى ص٢٠٩ — ٢١٢ طبعة بيروت

زملائه شيئاً مما فى يده ، أو يطلب نداءه عن بعد : فإنه فى الحالة الأولى يحتك به بخفة ويجذبه من ذراعه محدقاً فيه ومُتقدّماً بعض خطوات فى الطريق التى يود أن يسلكاها معاً ؛ وفى الحالة الثانية يمد يده إلى زميله مَدّ الاستجداء ؛ وفى الحالة الثالثة يمد يده ويقبض كفه ويبسطها كما نفعل نحن فى مثل هذه المناسبة[1] . وقرر الأساتذة فرانكلين وكيربى وسبنسر وبورميستر وهوبير Franklin, Kirby, Spencer, Burmeister, Huber أن كثيراً من طوائف النحل والنمل يستخدم أفرادها ، بعضها مع بعض ، إشارات مقصودة للتعبير بها عن بعض شئونها ، وأن هذه الإشارات تتمثل فى احتكاك بعض أعضاء المتكلم أو أطرافه أو ذؤاباته بجزء من جسم المخاطب بطريقة خاصة . وقام العلامة لوبوك Lubbock فى هذا الصدد بطائفة كبيرة من التجارب ، فتبين له صدق ما ذهب إليه هؤلاء الأساتذة[2]

وأما النوع الأخير من أنواع التعبير التى أشرنا إليها أول هذا المقال ، وهو اللغة بالمعنى الكامل لهذه الكلمة ، أى الأصوات المركبة ذات المقاطع التى تتألف منها الكلمات ، فيظهر أن الإنسان قد اختص بها من بين سائر الفصائل الحيوانية

حقاً إن بعض طوائف الحيوان تصدر عنه أصوات شبيهة فى ظاهرها بهذا النوع من التعبير ، ولكن بالتأمل فى هذه الأصوات ، يتبين أنها عارية من خصائص اللغة فى صورتها الصحيحة ، وأنها ترجع إلى فصيلة أخرى من فصائل الأصوات . وسنعرض فيما يلى لأهم ما يبدو عند الحيوان من هذا القبيل ، معقّبين على كل مظهر منها بما يبين وجوه الفرق بينه وبين اللغة الصوتية بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة

(١) انظر كوهلر : ذكاء الفصائل العليا من القردة صفحة ٢٩٤ وتوابعها (الترجمة الفرنسية) L'Intelligence des Singes Supérieurs

(٢) أنظر :

Ribot: Evolution des Idées Générales, P. P. 66, 67
Lubbock: Ants, Bees, and Wasps
Romanes: Animal Intelligence

هذا ، وقد أنكر بعض العلماء وجود الاشارات ذات الدلالة المقصودة عند الحيوان . ومن هؤلاء العلامة واسمان Wasmann الذى يرى أن كل الاشارات الحيوانية التى يخيل للانسان أنها من هذا النوع هى فى الحقيقة فطرية ، وأنها لا تدل المخاطب على شىء معين ، بل تقتصر على إثارة نشاطه فى ناحية يحددها العمل الذى سيتلو الاشارة . وتابعه فى هذا أستاذى العلامة دولا كروا (انظر دولا كروا Delacroix: اللغة والفكر ص ٧٥ وتوابعها)

يرجع أهم ما يلفظه الحيوان من هذه الأصوات إلى ثلاث طوائف :

(الطائفة الأولى) أصوات فطرية الأصل يستخدمها الحيوان قاصداً بها التعبير عن بعض شؤونه : كالحمحمة التى يرددها الفرس بشكل إرادى عند رؤية صاحبه للتعبير عن حاجته إلى العلف ، والمواء الذى يلجأ إليه الهر لينبىء به عن جوعه ، والنباح الذى يلفظه الكلب قاصداً به إيقاظ أهل المنزل أو إرشادهم إلى أن شخصاً أجنبياً يحوم حول البيت ... وهلم جرا

وهذه الطائفة ليست فى الواقع من اللغة الصوتية فى شىء وإن أشبهتها فى ظاهرها ووظائفها . وذلك أنها أصوات مبهمة عارية عن المقاطع والكلمات وغير متميزة العناصر . ومن أهم خصائص الكلام ، كما لا يخفى ، اشتماله على مقاطع وكلمات وتميز عناصره بعضها من بعض . هذا إلى أنها فى الأصل أصوات فطرية تصحب الانفعالات ، وأن كل ما يعمله الحيوان حيالها فى هذه الحالة أن يرددها هى نفسها بشكل إرادى للدلالة على نفس الانفعالات التى تعبر عنها فى شكلها الفطرى أو للدلالة على أمور انفعالية قريبة منها (الجوع ، العطش ، الخوف ... الخ) . وأصوات هذا شأنها لا يصح عدها كلاماً ؛ لأن أهم خصائص الكلام أنه أصوات موضوعة للدلالة ، وأنه يعبر عن معان لا عن انفعالات

الطائفة الثانية : أصوات متنوعة تلفظها القردة فى اجتماعاتها بطريقة يتبادر منها إلى الذهن أنها وسائل تعبير إرادى ، وأن أفراد القردة تتجاذب بها الحديث بعضها مع بعض . وتبدو هذه الظاهرة بشكل واضح فى الفصائل العليا من القردة وبخاصة « الجيبون »

وهذه الطائفة كذلك ليست فى الواقع من اللغة الصوتية فى شىء وإن أشبهتها فى ظاهرها ومناسبات استخدامها . فقد ظهر بالبحث فيها أن بعضها تعبير طبيعى عن الانفعال ، وبعضها مجرد ترديد إرادى لهذا التعبير ، وبعضها من ظواهر التداعى الآلى[1] أو العدوى الصوتية[2] أو تقليد الحيوان بطريق

(١) وذلك أن يرتبط الصوت بشىء آخر بطريقة تجعله يظهر بشكل منعكس غير إرادى كلما ظهر هذا الشىء ، وسيأتى بيان ذلك بتفصيل فى الطائفة الثالثة

(٢) تبدو ظاهرة العدوى الصوتية عند كثير من أنواع الحيوان ، وتبدو كذلك عند الأطفال إذا ضمهم مكان واحد . يصوت الوليد منهم فيثير صوته أصوات الآخرين ، ويبكى أحدهم فيبكى لبكائه الباقون : أنظر تفصيل هذا بكتابى « فى التربية » ص ٧٠ وتوابعها

فطرى غير إرادى لأصوات نفسه أو أصوات غيره[١] . — هذا إلى أنها على الرغم من تنوعها ، وعلى الرغم من تشابه أعضاء النطق عنـد فصائل القردة بأعضاء النطق الإنسانية أصوات مبهمة بسيطة عارية عن المقاطع والـكلمات وغير متميزة العناصر . ومن أهم خصائص الـكلام ، كما سبقت الإشارة إلى ذلك ، اشتماله على مقاطع وكلمات وتميز عناصره بعضها من بعض[٢]

(الطائفة الثالثة) أصوات مركبة ذات مقاطعة تلفظها بعض الطيور كالببغاء ، وما إليها من الفصائل التى امتازت أعضاء صوتها بخصائص طبيعية تتيح لها إخراج هذا النوع من الأصوات .

وهذه الطائفة كذلك ليست فى الواقع من اللغة الصوتية فى شىء ، وإن أشبهتها فى الظاهر . وذلك أن الطائر لا يقصد بهذه الأصوات التعبير ، فهى تصدر عنه فى ثلاث حالات كلها فطرية آلية عارية بتاتاً عن هذا القصد :

الحالة الأولى : حينما يكون الطائر متلبساً بانفعال جسمى أو نفسى . وهى فى هذه الحالة من نوع التعبير الطبيعى عن الانفعالات : تصدر عن غير قصد ، ويثيرها بشكل آلىّ الانفعال المتلبس به الطائر . وإثارتها مؤسسة على الروابط الطبيعية الفطرية التى تربط أعضاء الصوت بحالات الجسم والنفس بطريقة تجعل هذه الأعضاء تتحرك وحدها بشكل آلىّ أو منعكس ، وتلفظ أصواتاً مركبة ذات مقاطع عند وجود حالة من الحالات الجسمية أو النفسية المرتبطة بها . فهى حينئذ من قبيل الضحك والبكاء وما إليهما من مظاهر « التعبير الطبيعى السمعى » وكل ما هنالك أن التعبير الطبيعى السمعى يبدو عند الحيوانات الأخرى فى صورة أصوات بسيطة مبهمة ، ويبدو عند هذه الطيور أحياناً فى صورة أصوات مركبة ذات مقاطع

والحالة الثانية : حينما تكون محاكاة لصوت إنسانى سمعه الطائر . وهى فى هـذه الحالة كذلك تصدر بشكل آلىّ عار عن قصد التعبير بل عن قصد المحاكاة نفسها . وذلك أن هذه الفصائل مزودة بروابط طبيعية تربط جهاز سمعها بجهاز صوتها بطريقة

(١) سيأتى شرح هذا فى الطائفة الثالثة

(٢) أنظر فى هـذا الموضوع بحوث الأستاذ Pfungst الذى درس أكثر من مائتى قرد فى حديقة الحيوانات ببرلين ، وبحوث Bouton الذى لاحظ فى أثناء خمس سنوات أدوار نمو قرد من فصيلة الجيبون، وبحوث كوهلر الذى كتب كثيراً فى القردة وبخاصة فى القردة العليا التى ألف فيها كتابه الشهير : « ذكاء القردة العليا » . وانظر كذلك ما كتبه أستاذنا العلامة دولاكروا فى كتابه : « اللغة والتفكير » ص ٧٢ وتوابعها .

تجعل أعضاء الجهاز الثانى تتحرك وحدها وتلفظ بشكل آلىّ نفس الأصوات التى يحسها الجهاز الأول . فكلما وصل صوت إلى سمعها ، فى ظروف خاصة ، انبعث صداه من أفواهها[١]

(والحالة الثالثة) قد تسمع الببغاء أحياناً كلمات أو أصواتاً فى مناسبة ما فتكررها كلما حدثت هذه المناسبة أو مناسبة أخرى تشبهها بطريقة يتبادر منها إلى الذهن أنها تقصد بها التعبير عن أمر معين : فقد تسمع مثلاً أصحابها ينادون طفلاً باسمه فتكرر هذا الاسم كلما رأت الطفل أو رأت دميته أو متاعاً من أمتعته[٢]

وهذه الأصوات كذلك ليست من اللغة فى شىء وإن التبست بها فى بادئ النظر ، وذلك أن الطائر لا يقصد بها ، فى الواقع ، التعبير عن أمر ما ؛ وإنما تصدر منه بشكل غير إرادى على الصورة التى تصدر فيها ظواهر « التداعى الآلى » . فمن كثرة تكرار الـكلمة أمام الطائر ، بحضرة الشخص أو الشىء الذى تدل عليه ، يرتبط صوتها بصورة مدلولها ، فينبعث الصوت من الطائر بشكل آلى كلما ظهر أمامه المدلول أو ما يتصل به[٣]

هذا ، ولا يمتاز الإنسان بهذا الصدد عن بقية فصائل الحيوان باللغة الصوتية فحسب ، بل يمتاز عنها كذلك بطائفة من المراكز المخية التى تشرف على مختلف مظاهر هذه اللغة : (مركز إصدار الألفاظ ، مركز حفظ الـكلمات المسموعة ... وهلم جرا) ... فقد ثبت أن هذه المراكز ليس لهـا نظير فى مخ أى فصيلة حيوانية أخرى ، حتى الفصائل العليا من القردة نفسها .

***

فالبحث فى نشأة اللغة يتطلب إذن دراسة موضوعين اثنين : أولهما نشأة الـكلام فى الفصيلة الإنسانية ؛ وثانيهما نشأة مراكز اللغة فى المخ الإنسانى .

وسنعرض لهذين الموضوعين فى المقالات التالية إن شاء الله

على عبد الواحد وافى
ليسانسيه ودكتور فى الآداب من جامعة السوربون

(١) أنظر تفصيل هذا الموضوع بمؤلفى « فى التربية » صفحتى ٦٩ ، ٧٠

(٢) من أهم الملاحظات بهذا الصـدد ما دونه الدكتور ولكس عضو الجمعية الملكية بصحيفة العلوم العقلية ، عدد يولية سنة ١٨٧٩ Dr. Wilks, Journal of Mental Science

(٣) أنظر فى هذا الموضوع كتابى الأستاذ رومان « الذكاء الحيوانى » و « الارتقاء العقلى للانسان » . وانظر بحثا بهذا الصدد للعلامة ولكس فى المجلة الفلسفية لسنة ١٨٨٠ Revue Philosophique . وانظر كذلك ما كتبه أستاذى دولاكروا فى كتاب « اللغة والفكر » ص ٧٨

الأمومة عند العرب

للأستاذ رفعة الحنبلي

(بقية ما نشر في العدد الماضي)

وهناك نوع آخر من أنواع النكاح اشتهر به العرب ، كما اشتهرت بالنكاح الوقتي ، أعني به : نكاح الذواق الذي كان يعقد دون شريطة ما، ويحل من نفسه إذا أراد ذلك أحد الطرفين متى لم يجد فيه اللذاذة والتنعم ، ومتى فقد منه الميل والعطف

على أن هنالك بعض أنواع من النكاح كان شائعاً بين العرب في أيام الجاهلية شيوع النكاحين السابقين . جاء عن عائشة زوج النبي العربي : أن « النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء[(١)] : فنكاح منها ، نكاح الناس اليوم يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته فيصدقها ثم ينكحها ؛ ونكاح آخر كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها أرسلي إلى فلان فاستبضعي منه[(٢)] ويعتزلها زوجها ولا يمسها أبداً حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه ، فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب ، وإنما يفعل ذلك رغبة منه في نجابة الولد ، فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع ؛ ونكاح آخر يجتمع الرهط ما دون العشرة فيدخلون على المرأة، كلهم يصيبها، فإذا حملت ووضعت ومر عليها ليال بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها ؛ تقول لهم : قد عرفتم الذي كان من أمركم وقد ولدت فهو ابنك يا فلان: تسمي من أحبت باسمه، فيلحق به ولدها لا يستطيع أن يمتنع منه الرجل[(٣)] ؛ ونكاح رابع يجتمع الناس الكثير فيدخلون على المرأة لا تمتنع ممن جاءها، وهن البغايا كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون علماً، فمن أرادهن دخل عليهن فإذا حملت إحداهن، ووضعت حملها، جمعوا لها ودعوا القافة[(٤)] ثم ألحقوا ولدها بالذي يرون فالتاط به ودعي ابنه لا يمتنع من ذلك[(٥)]

لم تكن تلك الأنواع من الزواج إلا عادات تأصلت في أخلاق القوم ، وتمكنت من نفوسهم ، فبقيت ظاهرة مدة طويلة بين العرب حتى بعد الإسلام ، وبعد أن هدم صاحب الشريعة الإسلامية نكاح الجاهلية كله إلا نكاح الناس اليوم ، ذلك أن العرب لم تنههم الأوامر الإلهية ، ولا الشرائع السماوية عن هذه العادات التي ورثوها عن آبائهم الأولين ، جيلاً بعد جيل ، ولم تحملهم دفعة واحدة على التمسك بالزواج الشرعي

تبين لنا مما تقدم شيوع تعدد الأزواج ونكاح المشاركة وغيرهما بين العرب ، إذ لا سبيل إلى معرفة الأب بل ولا حاجة إلى معرفته أبداً ، إذ لم يكن الزواج الشرعي معروفاً ، وإذ كان الولد يتبع أمه ويتعلق بها في جميع أموره ، على أن الرجل أخذ يشعر بالميل نحو طفله ، وبالعطف على ولده الذي كان هو سبب وجوده في هذا العالم ، واشتد ميله إلى الاعتناء به وضمه إليه ، وإلحاقه به ، فنشأ عن هذه الظاهرة الجديدة ، عادة تعين أباً اختيارياً للولد ، معتمدين في ذلك على ظواهر خارجية وعلامات خاصة ، وقد يكون تعين هذا الأب أندر في زواج المشاركة منه في تعدد الأزواج الذي كان يملك فيه بعض الأقارب - أو بالحرى بعض الإخوة - امرأة واحدة. ففي هذه الحالة كان الأخ الأكبر أو من تنتخبه المرأة ، أو من تعينه القافة ، يأخذ على عاتقه تربية وليدها ويتبناه ، كما أنه يعد — غالباً — أباً له، وإن لم يكن في الحقيقة أباه . ولم يأخذ العرب بهذه الظاهرة الجديدة ، إلا بعد شيوع تعدد الأزواج ونكاح المشاركة ، وظهور أول مبادئ الزواج الفردي في المجتمع الإنساني ، إذ أنه لو كان دائماً للولد أب حقيقي أو كان يعين له والد ولو بتلك الطريقة الاختيارية ، لصعب على كل باحث أن يدرك الأسباب التي دعت إلى حصر القرابة في الأم . فكثيراً ما نجد أن الولد في الجاهلية ، ليس له أب حقيقي بل لم يكن أحد يتبناه وهذا ما أدى إلى شيوع الأمومة في العرب أو التمسك بقرابة الأم

ومن الأدلة الواضحة على شيوع الأمومة عند العرب ، قبل قيام نظام الأبوة عندهم ، لفظة « بطن » التي تستعملها العرب حتى اليوم بمعنى العائلة أو القبيلة ، ولا ريب ، أن هذه الكلمة بمعناها الحقيقي تدل — في زمن مضى — على أن المرأة كانت مصدر العائلة ومحورها .

---

(١) صحيح البخاري المجلد الثاني الجزء السابع صفحة ١٥ و ١٦

(٢) « ارسلي إلى فلان فاستبضعي منه » أي برجل من أشرافهم — تفسير القسطلاني

(٣) وهو ما يعرف بتعدد الأزواج Polyandrie

(٤) فسر القسطلاني كلمة القافة « بالذين يلحقون الولد بالآثار الخفية »

(٥) وهو مايعرف بنكاح المشاركة Hétérisme

ومن آثار الأمومة أيضاً ، اعتقاد العرب بانتقال الصفات الطبيعية من الرجل إلى ابن أخته ، وإن لم يكن بينهما فى الحقيقة صلة رحم بجمعهما ، وهم إلى ذلك يؤمنون أن الولد ينشأ على غرار خاله ، فى أخلاقه وميوله وعاداته ، دون أبيه ، لأنهم وثقوا بصلة داخلية جد قوية بين الخال وابن أخته ، يوم كان الولد يتبع نسب أمه وينتسب إليها ؛ فكم من أمير من أمراء الجاهلية خلفه ابن أخته فى زعامته ، وورث عنه ألقابه وأمواله ، دون أولاده ؛ لذا كان العرب يفخرون بالخؤولة فخرهم بالأمومة .

وكذلك الرق ، فإنه أثر من آثار الأمومة ، انتقل إلى الإسلام من الجاهلية ، ومن صفاته أن الولد يتبع أمه ، وحالته تتوقف على حالتها ، وهذا ما يعرف عند العلماء بأن « الولد يتبع الرحم » ، بمعنى أنه إذا كانت الأم حرة ، فولدها حر ، وإن تزوجت عبداً ؛ وإن كانت أمة ، فولدها عبد ، وإن كان زوجها حراً . وفى كلتا الحالتين ، يتبع الولد أمه فى حالتى الحرية والرق .

ذكر مؤرخو الأدب ، أن عنترة العبسى ، الشاعر الجاهلى الكبير ، كانت أمه أمة حبشية ، وأبوه من سادات بنى عبس ؛ أنف أبوه أن يلحقه بنسبه ، فجعله فى عداد العبيد ، وكان عنترة عند أبيه منبوذاً بين عبدانه يرعى له إبله وخيله ، فربأ بنفسه عن خصال العبيد ، ومارس الفروسية ومهر فيها ، فشب فارساً شجاعاً هماماً ، وكان يكره من أبيه استعباده له وعدم إلحاقه به ، حتى أغار بعض العرب على عبس واستاقوا إبلهم ، ولحقهم بنو عبس وفيهم عنترة لاستنقاذ الإبل . قال له أبوه : كر ، يا عنترة ؛ قال : العبد لا يحسن الكر ، إنما يحسن الحلاب والصر ؛ قال له : كر فأنت حر ، فقاتل قتالاً شديداً حتى هزم القوم واستنقذ الإبل .

لا ريب إذن فى أن الأب الحر ، لا يقدر أن يجعل من ابنه ولداً حراً ، إذا كانت زوجه أمة ، ولو كان زواجهما شرعياً ؛ والأم الحرة تستطيع أن تجعل من ابنها ولداً حراً ، ولو كان زوجها عبداً رقيقاً . إن هذا التفاوت بين حقوق الأرقاء ، إن هو إلا بقية من بقايا الأمومة التى نشأت عنها طبقة الأعيان عند العرب يوم كانت تؤثر نسب المرأة على نسب الرجل ، فى حفظ شرف أسرتها .

يقول المستشرق سميث Smith إن العرب كانت ، فى عصر الجاهلية ، على الزواج الخارجى Exogamie واستشهد على ذلك بما قاله Lenan الذى رد هذا الزواج إلى العادة التى كانت شائعة بين العرب عن وأد الفتاة أو قتلها مما أدى إلى قلة النساء وزيادة عدد الرجال زيادة بينة، فاضطر الرجال إلى طلبهن فى غير قبائلهم .

لا نكران أن بعض القبائل العربية كانت تمارس هذه العادة ، وكانت تئد بناتها بعيد ظهورهن ؛ قيل « كان الرجل إذا ولدت له بنت فأراد أن يستحييها ألبسها جبة من صوف أو شعر ترعى له الإبل والغنم فى البادية ؛ وإن أراد قتلها تركها حتى إذا كانت سداسية — أى لها من العمر ستة أعوام — فيقول لأمها طيبيها حتى أذهب بها إلى أعمامها[1] ، وقد حفر لها بئراً فى الصحراء فيبلغ بها البئر فيقول لها انظرى فيه ثم يدفعها من خلفها ويهيل عليها التراب حتى تستوى البئر بالأرض »[2] وقيل « كانت الحامل إذا أقربت حفرت حفرة فتمخضت على رأس الحفرة ؛ فإذا ولدت بنتاً رمت بها فى الحفرة ، وإن ولدت ابناً حبسته »

وورد فى أمثال العرب ما يفهم منه أنهم كانوا يرتاحون إلى وأد البنات ؛ من ذلك قولهم : « تقديم الحرم من النعم » ، و « دفن البنات من المكرمات » . أما السبب فى وأد البنات ، فهو إما خوفهم من لحوق العار بهم من أجلهن أو للتخلص من مؤونة تربيتهن[3] أو مخافة السبى والفقر والإملاق ؛ بل كانوا يقولون إن الملائكة بنات الله فألحقوا البنات به فهو أحق بهن[4] . ولما ظهر صاحب الشريعة الإسلامية، النبى العربى الكريم ، نهى الله عن هذه العادة وحرمها فقال : « ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق ، نحن نرزقهم وإياكم، إن قتلهم كان خطئاً كبيراً[5] »

ويقال إن العرب ، قبيل الإسلام ، عدلت عن هذه العادة أو كادت ؛ فقد عرف عن صعصعة بن ناجية أنه كان يقاوم وأد البنات، ويفدى كل موءودة بناقتين وجمل، فلقب بمحيي الموءودات وبه افتخر الفرزدق إذ يقول :

(١) أو أحمائها
(٢) تفسير الزمخشرى الجزء الثانى صفحة ٥٢٦
(٣) تفسير الزمخشري لسورة النساء . الآية ١٤١
(٤) تفسير الزمخشرى الجزء الثانى صفحة ٥٢٦
(٥) سورة الاسراء

ومنا الذى منع الوائدات   فأحيا الوئيد فلم توأد[1]

لم تكن هذه العادة من الأسباب التى دعت الرجال إلى طلب النساء فى غير قبائلهم ، ولم تكن أيضاً سبباً من أسباب شيوع الزواج الخارجى عند العرب كما زعم Lenan و Smith . إن ظاهرة طبيعية غفل عنها العالمان ولم يتنبها إليها ، هذه الظاهرة حرية بالتفكير والتأمل ، ذلك أن إحدى المفكرات Lombroso ذهبت إلى أن الإناث فى المخلوقات جميعها تفوق الذكور منها عدداً ، وإذا تمشينا على هذه القاعدة نجد أن عدد البنات كان ولا يزال أكثر من عدد الصبيان ، فضلاً عن أن الرجل يتعرض دائماً لأخطار الحروب والأمراض أكثر مما تتعرض لها المرأة ، ومهمة الرجل كانت تقوم على محاربة العدو لحفظ كيان قبيلته من الفناء ، وعلى قتال وحوش الغابات والأحراش للحصول على أهم ما يحتاجه من مأكل وملبس

وإذا ما سلمنا جدلاً مع هذين العالمين ، أن وأد البنات كان من أسباب شيوع الزواج الخارجى ، فكيف سمحا لنفسيهما أن يتجاهلا نتيجة هـذا الوأد فى القبائل الأخرى ؟ فإن قل عدد النساء فى قبيلة واحدة ، وجب أن تقل فى قبيلة أخرى ، وهذا ما يجعل الزواج الخارجى عسيراً إن لم يكن مستحيلاً …

فليس السبب الحقيقى إذن فى شيوع الزواج الخارجى بين العرب وأد البنات ، بل هو شدة كراهة العرب لزواج القرابة . قال المستشرق Goldziher : إن من جملة الأقوال الحكيمة التى أبقاها عمرو بن كلثوم صاحب المعلقة المشهورة وصيته لأولاده : « لا تتزوجوا فى حيكم فإنه يؤدى إلى قبيح البغض » ثم أتى بمثل يشتم منه كراهة العرب للزواج داخل الحي ، أى الزواج الداخلى Endogamie وهو : الغرائب ولا القرائب

فالعرب إذن كانت فى الأزمنة الغابرة على النكاح الخارجى وإن أخذت بالزواج الداخلى حيناً من الزمن ، إذ أصبح رجال القبيلة الواحـدة يتزوجون من نساء قبيلتهم ، وليس فى قبيلة أخرى ؛ إلا أن هذا الزواج لم يكن شائعاً شيوع الزواج الخارجى

ولقد رافقت الزواج الخارجى ظاهرة جديدة أخذ العرب بها ، هذه الظاهرة هى التحاق الزوج بزوجه وبالتالى بأسرتها وبقبيلتها،

(١) تفسير الزمخشرى الجزء الثانى صفحة ٥٢٦ .

فبقاء المرأة ، بعد زواجها ، فى قبيلتها ، وحملها زوجها على الإقامة حيث تقيم بين أهلها، تعد هذه الظاهرة صفة من صفات الأمومة، وكان من أمر هذا أن تبع الولد أمه والتحق بنسبها

فطن العرب إلى أهمية الزواج الخارجى من الناحية الوراثية ، إذ يكون النسل قويًّا عقلاً وجسما ، فأخذوا به ، بينما أهملوا الزواج الداخلى لاعتقادهم أن الزواج من القرابة يولد الفقر فى العقول ، والضعف فى الأجسام فنأوا عنه ؛ وهذه النظرية التى أخذوا بها تطابق — ولو إلى حد ما — النظريات الوراثية الحديثة

إلا أن هذا الاعتقاد يخالف ظاهراً ما اشتهر به العرب قديماً من أنهم كانوا يفضلون نكاح بنات العم على غيرهن ، لكن فى الواقع ، لا نجد أى تناقض فى هذه المسألة . ذلك لأن كل عربى يلقب محبوبته وخطيبته ببنت عمه، وحماه بعمه، وإن لم يكن بين الطرفين وشيجة رحم أو صلة قرابة، وليس بوسع الباحث أن يرد سبب إطلاق كلمة العم على الحم ، وبنت العم على محبوبته ، إلا لتمسك العرب ، منذ القدم ، بالأمومة والزواج الخارجى الذى نتج عنهما الزواج بين أولاد الأعمام ، أى أنهم كانوا يسمحون لأولاد الأخوة الذين أمهاتهم من قبائل مختلفة أن يتزوج بعضهم من بعض ، لفقدان صلة القرابة بينهم باعتبار أن الأمومة تتطلب من الولد أن ينتسب إلى أمه ، وأن يتبع خاله بعدها دون أبيه

فالزواج لم يكن إذاً فى ذلك العهد بين أولاد الأعمام وبنات العم زواجاً فيه قرابة، بل فيه بعد، فى حين أن الرجل كان يحجم عن التزوج بابنة خاله لاعتقاده أن الخؤولة أكثر قرابة من العمومة، ولربما كان هذا الاعتقاد من الأسباب التى دعت إلى إطلاق كلمة بنت العم على المرأة عامة

« بيروت »   رفعة الحنبلى

مصادر هذا البحث :

١ — القرآن الكريم
٢ — تفسير الزمخشرى
٣ — صحيح البخارى
٤ — علم الاجتماع : لنقولا الحداد
٥ — الأمومة عند العرب
٦ — Sociologues d'hier et d'aujourd'hui لمؤلفه Georges Davy
٧ — Le lien familial لمؤلفه G. L. Duprat
٨ — Année Sociologique
٩ — Totem et Tabou par Dr. Seqm Treud

النقابات الإسلامية

للأستاذ برنارد لويس

ترجمة الأستاذ عبد العزيز الدورى

أكثر الكتاب والمؤرخون في سرد الوقائع ، ووصف أبهة القصور وعظمة السلطان ، وجعلوا التاريخ سلسلة حوادث متفرقة متباينة ، وأغفلوا التيارات الاجتماعية التى كان لها أكبر الأثر في سير التاريخ ، يظهر هذا خاصة في التاريخ الاسلامى . ثم تنبه بعض المستشرقين لذلك ، وحاول أن يسد بعض هذا النقص . ولدينا فى هذه الرسالة (النقابات الاسلامية) عرض عام لنتيجة البحوث من أهل الصناعات والحرف فى الاسلام

وقد ترجمت هذه الرسالة لأنها تعطى القارئ العربى فكرة من نظر بعض المستشرقين إلى بعض مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية فى التاريخ الاسلامى . وقد نشرت هذه الرسالة فى مجلة

Economic History Review, vol. VIII, No. 1937

ولكن النص العربى يحوى إضافات ومعلومات لم تنشر هناك ، وهى النتائج الأخيرة لأبحاث المؤلف عن الموضوع ؛ إذ تفضل باضافتها أخيراً . (ع . د)

إن طوائف أهل الصناعات والحرف هى من أهم ظواهر الحضارة الإسلامية فى القرون الوسطى .

يندر أن يجد الإنسان أثراً لما نسميه روحاً مدنية (نسبة إلى مدينة) ، أو تنظيما بلديا (نسبة إلى بلدية) فى البلاد الإسلامية فقد كانت المدن الإسلامية فى القرون الوسطى وقتية الظهور على الأغلب ، تتمتع بازدهار تجارى أو ثقافى لمدة قرن أو نحو قرن ، ثم تتضاءل أو تختفى . وبهذا ندر وجود طوائف بلدية معينة ، أو وحدات متحضرة دائمة . إذ أن روح التكتل والتنظيم المحلى التى كان لها أهمية كبرى فى أوربا فى القرون الوسطى ، منعت من الظهور فى الحقل السياسى بتأثير الأوضاع السياسية المضطربة فى البلاد الإسلامية ، وسيقت تلك الروح لأن تجد لها منفذاً فى الحياة الاقتصادية . وهكذا نجد فى أصناف الحرف فى الإسلام ما يساوى تلك الحياة المحلية القومية التى هى من أبرز مظاهر تاريخ أوربا فى القرون الوسطى .

كانت النقابة مهمة فى الحياة الإسلامية لدرجة أن تخطيط المدينة — التى كانت تبنى على أساس سوق تجارية — كان يقرر فى كثير من الأحيان حسب حاجات أصحاب الحرف . فنرى أن المدن الإسلامية من مراكش إلى جاوة ظهرت بتماثل عجيب متمركزة حول ثلاث أو أربع نقاط أساسية

فأول نقطة ثابتة هى سوق الصرافين ، وهو مركز هام دائماً فى النظام الاقتصادى الثنائى الأساس فى العملة ، كما كانت الحال فى البلاد الإسلامية فى القرون الوسطى

ونجد حواليه جامى المكوس ، ثم دار الضرب (إن وجدت هنالك واحدة) ، ثم سوق المزايدة ، ثم المحتسب وهو ملاحظ الأسواق . وهنا نجد الحمالين أيضاً

والمركز الثانى هو القيصرية ـ وهى بناية محكمة تخزن فيها البضائع والنفائس الأجنبية ويحتمل أن يكون الاسم بيزنطى الأصل . والمركز الثالث هو سوق الغزل ـ حيث يأتى النساء لبيع إنتاجهن اليدوى . وهنا نرى المتعاملين بالحاجات التى يشتريها النساء كالقصابين والخبازين وبائعى الخضر الخ ...

والمركز الرابع هو الجامعة أو المدرسة . وهى ملحقة عادة بمسجد ، وفيها يكوّن الطلبة والأساتذة نظام نقابة حقيقية . ويشتغل أهل الحرف حول هذه المراكز الأربعة ، كل صنف فى سوقه الخاص . ويلاحظ من هذا أن توزيع النقابات يتبع هذا النظام فى المدن المختلفة حيث توجد هذه المراكز الأربعة .

دعنا الآن ننظر فى منشأ هذه النقابات ، وهو بحث يلاحظ فيه أنه لم يتقدم بالقدر الكافى

هناك رأى يقول بأن هذه النقابات هى متممة للنقابات البيزنطية التى سبقتها ، إذ كانت توجد نقابات متعددة فى المقاطعات البيزنطية كسوريا ومصر حتى القرن السابع الميلادى . وليس من المحتمل أنه قضى عليها من قبل الفاتحين العرب الذين كانت سياستهم كما نعلم ترك الهيئات الإدارية والاقتصادية التى خلقها البيزنطيون كما كانت عليه تقريباً . ومع ذلك لا نرى أية إشارة إلى وجود نقابات إسلامية قبل القرن العاشر الميلادى ؛ أى بعد ثلاثة قرون (من بدء الفتح) ، كما أن هذه النقابات كانت من نوع يختلف تماماً عن النقابات الموجودة قبل الفتح الإسلامى . وليس لدينا إلا ملاحظات قصيرة متقطعة (عن النقابات) خلال

هذه الفترة وأولها جاءة فى تاريخ ابن عذارى المراكشى إذ يقول عن والى أفريقية والمغرب سنة ٧٧٠ م (١٥٥هـ) : « وكان يزيد (بن حاتم) هذا حسن السيرة فقدم أفريقية وأصلحها ورتب أسواق القيروان وجعل كل صناعة فى مكانها(١) »

ومع أن الكتاب الذى يحتوى هذا النص قد كتب فى القرن العاشر فلا مانع من قبول صحة هـذا الخبر وهو خبر طريف فى ذاته ، إذ أنه يظهر أن الأمير العربى وضع العمال والأسواق فى القيروان ، وهى مدينة جديدة بناها العرب الفاتحون ، تحت نفس الإدارة والمراقبة كما كان يفعل الحاكم البيزنطى فى المدن المجاورة . ولـكن يظهر لى أن استنتاج وجود نقابات عربية فى القيروان من هذه العبارة ، كما فعل « فون كريمر Von Kremer (٢) » و « آجر Atger (٣) » غـير مؤيد بالبيانات الموجودة

وفى نهاية القرن التاسع الميلادى نجد عدداً لا بأس به من المصادر يشير إلى وجود شىء من نظام التكتل بين التجار وأصحاب الحرف . لـكن هذه الأصناف لم تصل بعد إلى درجة يصح اعتبارها كنموذج للأصناف الإسلامية . وإنمـا هى مجرد تنظيم عام وضبط للأسواق والحرف من النوع الموصوف فى المصادر البيزنطية المعاصرة(٤) يمكن أن نستنتج من هذه الإشارات أن الأمراء المسلمين احتفظوا بأشكال السـيطرة العامة التى كانت للإدارة البيزنطية على الحرف — على الأقل فى معاملاتهم مع الصناع من غير العرب وغير المسلمين — وربما امتد ذلك حتى إلى المسلمين أنفسهم . وعلى كل حال فاننا نجد فى القرن التالى تطوراً ظاهراً فيما يسمى بالأصناف الإسلامية ، وحينئذ نجدها من نوع لا يصح تعليله بالتأثير أو التراث البيزنطى . وتوجد نظرية أخرى بجانب هذه النظرية يتطلب فحصها الانتقال إلى موضوع قد يجهله غير المستشرقين

بدأ المستشرقون فى السنوات الأخيرة يتأكدون أكثر فأكثر أن المذهب السنى فى العصر الأول للخلافة لم يكن أبداً

(١) كتاب ـ البيان المغرب فى حلى المغرب ـ لابن عذارى المراكشى طبعة ليدن سنة ١٨٤٨ جـ١ ص٦٨

(٢) Von Kremer - Kulturgeschichte des Orients, Vienna 1877, ii, p. 187 ص ٧

(٣) Atger - Les corporatims Tunisiennes, Paris, 1909

(٤) راجع Von Kremer و Metz - Renaisiamce of Islam

مذهب الطبقات العامة ، وكلما ازدادت دراسة الباحث فى الأدب الإسلامى فى القرون الوسطى ازداد الاتضاح من أن المذهب السنى كان ينظر إليه فى كل محل كدين طبقة مسيطرة ، دين الدولة وميزة الأرستقراطية العربيـة الحاكمة(١) وقد كانت هذه نظرية الفاتحين أنفسهم فى الأدوار الإسلامية الأولى ، ولقد كانت الأكثرية الساحقة بين رعايا الخليفة — لقرون عديدة بعد الفتح الإسلامى — غير سنية تكره المذهب السنى كرمز لسطوة طبقة أجنبية حاكمة تتمتع بامتيازات خاصة

ومع ذلك كان الشعور الدينى قوياً بين الطبقات العامة ، وقد تجلى هذا الشعور بظهور سلسلة فرق متزندقة منشقة منذ القرن الثامن الميلادى حتى الفتح المغولى ، وتتصف جميع هذه الفرق تقريباً بفلسفة خاصة Symenetistic تحتوى عناصر مقتبسة من فرق سبقت العصر الإسلامى كالأفلاطونية الحديثة والمـانوية والمزدكية وبفلسفة اجتماعية ثورية فيها عامل المساواة بين الأفراد وبتنظيم سرى يشبه النظام الماسونى ، وهى عادة من أفراد من مختلف الطوائف Interconfessional مع درجات من التنشىء والتهذيب ، ونجد مثلاً عصرياً لنجاح هذه الفرق وفشل المذهب السنى فى حالة الهولنديين فى الهند الصينية (أندونيسيا) والفرنسيين فى أفريقا الغربية ، حيث على الرغم من قواها المتفوقة نجد البعثات المسيحية تتقدم بين السكان الوطنيين بنجاح أقل من نجاح الدعوة الإسلامية . فهنا أيضاً يرى الزنجى أو الإندونوسى أن المسيحية متصلة بحكم أجنبى ، فيفضل أن يكون مسلماً من الدرجة الأولى على أن يكون مسيحياً من الدرجة الثانية

بلغت هذه الحركات الدينية أوجها فى القرنين العاشر والحادى عشر . فقد كانا مرحلتى تطور صناعى وتكتل حضرى . فظهور نظام راق للبنوك مركزها بغداد ، تغطى فروعها الإمبراطورية ، ساعد على تجهيز الدولة بالنقود ، وعلى حفظ النقود بصورة عامة أساساً للاقتصاد . وقد أثر هذا على النمو الصناعى ، فأنتج تمركزاً فى رأس

(١) انظر Von Vloten - Recherches sur la Bomènation أنظر أيضاً Becher -: Islam Léudien Arabe Amesterdam, 1849 Bartold - musulman Culture, Calcutta, et 34. p. 72-6, 100-102 ومما يسترعى النظر أن التقسيم بين السنة والمنشقين herébcs لا يناسب تماماً التقسيم بين العرب وغير العرب . فالطبقة الحاكمة فى فارس من عهد الدولة الساسانية انضمت إلى المذهب السنى بينما نجد الطبقات الفقيرة من العرب فى سورية والعراق تأثرت بالمانوية وبزندقات أخرى

المال والعمل[1] كما ولد النمو السريع فى رأس المال حسب المنتظر مشاكل اجتماعية خطيرة . إذ نقرأ عن سلسلة اضطرابات خطيرة فى بغداد ، وعن ثورة الزنج فى أسفل العراق فى القرن التاسع ، ثم عن ظهور فرق دينية باستمرار . وفى هذا العصر زلزل العالم الإسلامى بحركة ثورية سياسية اقتصادية ثقافية فى نفس الوقت أنتجت الخلافة الفاطمية فى القاهرة . فالحركة الاسماعيلية (أو القرمطية) — كما تسمى هذه الحركة تبعاً لاسم أهم شعبها وأكثرها أهمية — تميزت بآراء حرة عجيبة . إذ وجهت دعوتها إلى مختلف الفرق الإسلامية — من سنة وشيعة — ومختلف الأديان من يهود ونصارى ، وزرادشتية على السواء باسم الحركة الثقافية والعدالة الاجتماعية ، ويصعب البت فى فلسفتها الحقيقية لأن مصادرنا إما سنية فتكون شديدة العداء متحيزة، أو اسماعيلية تنتمى إلى عصر متأخر عند ما طرأ على المبادئ الأولى تعديل واسع . فمثلاً نرى أن فخر الدين الرازى وصم الغزالى والشهرستانى والبغدادى بالتعصب وقلة فهمهم لآراء خصومهم . إذ روى عن حديث له مع المسعودى عن الكتب قال : « فقد ذكر المسعودى كثيراً منها إلى أن ذكر كتاب الملل والنحل للشهرستانى . فقلت: نعم، إنه كتاب حكى فيه مذاهب أهل العلم بزعمه إلا أنه غير معتمد عليه ، لأنه نقل المذاهب الإسلامية من الكتاب المسمى بالفرق بين الفرق ، من تصانيف الأستاذ أبى منصور البغدادى ، وهذا الأستاذ كان شديد التعصب على المخالفين ، فلا يكاد ينقل مذهبهم على الوجه الصحيح[2] ، وقد أدرك الغزالى الخاصة الاجتماعية للمذاهب المنشقة ، وقال فى الكلام عن الباطنية : « فاستبان أن ما ذكروه تلبيس بعيد عن التحقيق وأن العامى المنخدع به فى غاية العمى ، لأنهم يلبسون على العوام » ثم قال أيضاً عنهم : « فما هولوا من خطر الخطأ مستحقر فى نفسه عند المحصلين من أهل الدين ، وإنما يعظم به الأمر على العوام الغافلين عن أسرار الشرع » . وعند الكلام على الدعاة الباطنيين قال : « وهؤلاء الدعاة تواطئوا على هذا الاختراع ليتوصلوا به إلى استتباع العوام واستباحة أموالهم فيتوصلون به إلى آمالهم)[1]

ومن الواضح على كل حال أن الحركة الإسماعيلية كانت مبنية على نوع من التفكير الحر تعترف بقرابة الأديان جميعاً وتنبذ الشريعة الإسلامية ، وتستند إلى مبدأ من العدل والتسامح والمساواة التامة[2] ؛ وبطريقة حاذقة من التفسير تعرف بالتأويل أسندت هذه المبادئ بنصوص من القرآن والكتب الدينية الإسلامية وكذا عوملت كتب اليهود والنصارى المقدسة بنفس الطريقة ...

وقد ذكر عبد الله الإسماعيلى فى عرضه للأسس الاجتماعية للاسلام أنه « ما وجه ذلك إلا أن صاحبهم حرم عليهم الطيبات وخوفهم بغائب لا يعقل وهو الإله الذى يزعمونه وأخبرهم بكون ما لا يرونه أبداً من البعث من القبور والحساب والجنة والنار حتى استعبدهم بذلك عاجلاً ، وجعلهم له فى حياته ولذريته بعد وفاته خولا ، واستباح بذلك أموالهم بقوله : لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى (الشورى ٢٣) فكان أمره معهم نقداً وأمرهم معه نسيئة ، وقد استعجل منهم بذل أرواحهم وأموالهم على انتظار موعود لا يكون . وهل الجنة إلا هذه الدنيا ونعيمها ؟ وهل النار وعذابها إلا ما فيه أصحاب الشرائع من التعب والنصب فى الصلاة والصيام والجهاد والحج[3] »

روى هذا النص مؤلف سنى توفى سنة ١٠٣٧ ، كمثل من زيغ القرامطة وشك بعض الباحثين فى صحته . لكن النص وإن كان ركيك التعبير ، فإنه لا يوجد فيه غير الحط من شخصية الرسول ، ولا يمكن تأييده بنصوص من الكتب الاسماعيلية القديمة القليلة أو المتأخرة التى لدينا .

« يتبع » عبد العزيز الدورى

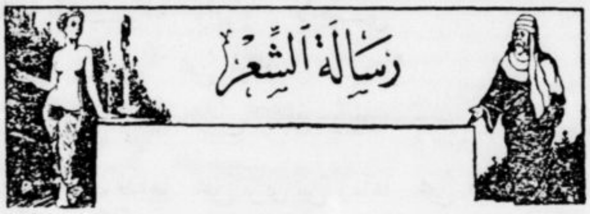
(١) أنظر كتاب Fixhil, The Ougui of bauhingui Medieual, M ets. Islam. J. R. A. S. 1931 p. 339 — 561 وكتاب آخر لنفس المؤلف Jems in II Social life of Medural Islam, 1937

(٢) لاحظ ملحق مناظرات فخر الدين الرازى ص ٢٦٢ ، القاهرة سنة ١٩٣٧

(١) ص ٥ كتاب فضائح الباطنية للغزالى نشره كولد زيهر طبعة ليدن ١٩١٩

(٢) وحتى الوقت الحاضر نجد أهل الحق أو — أهل حق — وهم بقية إحدى هذه الفرق تسكن فى بعض قرى شمال شرقى إيران تحتفظ بشيء من هذه الصفات فتحتوى إحدى قصائد التعزية عندهم الوعد بأن سيعاقب السلاطين . ويلاحظ البروفسور فينورسكى بصورة خاصة الميزة الشعبية Popular لهذا الدين إذ يقول إنه « معتنق بصورة خاصة من قبل الطبقات الوضيعة من بدو وقرويين ودراويش وسكان المحلات الفقيرة . . الخ) لاحظ ملحق دائرة المعارف الاسلامية (مادة — أهل حق —)

(٣) ص ٥ البغدادى : الفرق بين الفرق . القاهرة ١٩١٠ ص ٢٨١ و ٢٨٢



بين الجد والفكاهة

بيوت الشعراء

للأستاذ محمود غنيم

كسوت الناسَ خزًّا من ثنائى ... وبتُّ من البلى أرفو كسائى
فوالهفى على أبياتِ شعرٍ ... أُشيِّدها ولكن فى الهواءِ
أأُنشئ كلَّ يوم ألف بيتٍ ... وأسكنُ بعد ذلك بالكراء ؟
فلو طاب المُقام ببيت شعر ... إذن لأقمتُ فى أعلى بناء
إذن لملأتُ شطَّ النيل دورًا ... فلم ترَ فيه شبرًا من فضاء
وآويتُ الأراملَ واليتامى ... ولم أترك شريداً بالعراء
ولم أُوقِعْ على السكان حجزاً ... ولو عجز الجميع عن الأداء
إذن لملكتُ أحياء بمصرٍ ... تناطح دورُها هامَ السماء
أطوف بهنَّ دارًا بعد دارٍ ... فصيفى ها هنا وهنا شتائى
ولكن لا مُقامَ ببيتِ شعرٍ ... يطيب ، ولو بناه أبو العلاء
ألا مَنْ يشترى أبياتَ شعرى ... بكوخٍ شِيدَ من طينٍ وماءِ ؟
فليس الطينُ أكرمَ من فؤادى ... وليس الماء أغلى من دمائى

المنبوذ

للأديب فؤاد بلبيل

جائعٌ لفَّهُ الضنَى بِردائِهْ ... أينَ نارُ الجحيمِ مِن أحشائِهْ
لفظتْهُ الحياةُ فهو شريدٌ ... يَصِلُ البؤسُ صُبْحَهُ بمسائِهْ
شاحبُ الوجهِ ناحلُ الجسمِ طاوٍ ... تتمشَّى الأوصابُ فى أعضائه
وعلى جسمِهِ بقايا رِداء ... تتبدَّى العظامُ منْ أجزائه
باهتُ اللونِ مثل بشرتهِ شكـلاً ، يضمُّ الشقاءَ في أنضائه
خِرَقٌ رثَّةٌ على جسدٍ با ... لٍ وَقَدْ زادَ الضنى فى التوائه
شَبَحٌ منطوٍ على كبدٍ حرَّ ... ى ونفسٍ قد رُوِّعتْ بشقائه
غائرُ المقلتينِ أنهكهُ الجو ... عُ وأذكى الأوارَ فى أمعائه
فكأنَّ السقامَ ما يرتديه ... وكأنَّ الشقاء من أسمائه
وكأنَّ الجحيمَ ما هو فيه ... وكأنَّ الزمانَ من أعدائه
كلَّما شامَ بارقاً من رجاء ... فجعَ اليأسُ قلبَهُ برجائه
ضائعٌ فى الوجودِ جدُّ شقيٍّ ... يجمعُ البؤسَ كلَّه فى كسائه
ضاربٌ فى النجادِ لا جادهُ الغيـثُ ولا شوكها ارتوى من دمائه
ركبَ العمْرَ لجَّةً وهْوَ فيها ... زورقٌ نازحُ الشواطئ تائه
هشَّم الموجُ جانبيهِ وألقى ... بشراعيْهِ فى غياهبِ مائه
ورَماهُ الإعصارُ في كلِّ قاعٍ ... واحتواهُ الخضمُّ فى أنوائه
نالَ منهُ القنوط كلَّ منالٍ ... وتنحَّى أهلُ الورَى عن عزائه
هدَّهُ فى القفارِ لم يُؤوِهِ عـشٌّ ولا ابتلَّ رملها من بكائه
يتقلَّى على الهجير شقيًّا ... أينَ لفحُ الهجيرِ من بُرَحائه
لائذٌ بالعراءِ من دهره الطا ... غى وأينَ المفرُّ من أرزائه
آبقٌ والشقاء جيشٌ لُهامٌ ... زاحفٌ من أمامِهِ وورائه
كلَّما هزَّ للزمانِ قناةً ... حطَّمتها الأيامُ فى أحشائه
أنكرَ الناسُ ما يقاسى وقالوا ... مجرمٌ يخدعُ الوري بريائه
وأشاحوا عنه الوُجوهَ احتقارًا ... وتواصَوا بنبْذهِ وازدرائه
زعَموهُ عبئًا عليهم ثقيلاً ... وَهُمُ المثقلون من أعبائه
حمَّلوهُ آثامَهم وأحلّوا ... دمَهُ لابتئاسِهِ واجتدائه
عذَّبوهُ بالجوع ظلماً وراحوا ... يشبعونَ الذئابَ من أشلائه
طرَدُوهُ عن أن يشاركَ حتى الـكلبَ في ما يعافهُ من غذائه
شرَّدُوهُ فى الأرض من خوفهم منـه وَجدَّتْ جُنودُهم فى اقتفائه
أيَّ شرٍّ يخشونَهُ من شريدٍ ... يتبارى الجميعُ فى إيذائه ؟ !

* * *

ألهذا الطريدِ أنشأتُمُ السجـنَ وأعددتُمُ القنا للقائه ؟ !
ألهذا الضعيفِ أشرعتم الرمـحَ وخفتُمْ من بطشِهِ واعتدائه؟
ألهذا الفقيرِ هيأتمُ السو ... طَ وحذَّرتُمُ الورى من عطائه؟

أيها المفترون مم تخافو ن أمن ذُلّه وفرط عيائه ؟ !
وتردِّيه فى التعاسةِ والبُؤ سِ وطولِ اكتآبه وبلائه ؟ !
أم هو الدهر قد أعزَّ أولى البُشـ ـر وأخنى ظلماً على فقرائه !
سفهوا رأيه وربَّ فقيرٍ تُستمدُّ الآراء من آرائه
وأبى الأغنياء أن ينصفوه ويحَ هذا الزمان من أغنيائه !
لا تلوموه إنْ تمرَّد أو ثا رَ وهزَّ الوُجُودَ مِن أرجائه
أنتمُ سقتموه للإثمِ سَوْقاً فاعذروه إن لجَّ فى غُلوَائه
هاجهُ ظلمُكم فثارَ عليكم وأثارَ الكمينَ مِن شحنائه

نشـــيد العمل (*)

للمدارس التجارية والطبقات العاملة

للأستاذ على الجندى

نحنُ أبناء العمـــلْ فى مَيادينِ الحَياة
كلُّنا حُــرٌّ بطَلْ تُحرِزُ التِّبرَ يَداهْ يَحمَدُ النيلُ خُطاهْ
نحنُ أبناء العمـــلْ

نحنُ للشَّعبِ عِمادْ نحنُ للنِّيلِ دِعامْ
نحنُ للناسِ رشادْ نحنُ لِلمالِ قِوامْ نحنُ للعَيشِ نِظامْ
نحنُ أبناء العمـــلْ

نحنُ للسعي خُلقنا كالطيورْ والذي يَسعى ينالْ
لا نُبالى ما لقينا كالصُّخورْ حيَّ أحرارَ الرِّجالْ حيَّ أبطالَ النِّضالْ
حيَّ أبناء العمـــلْ

نحنُ رمزٌ للدأبْ ومِثالٌ للشَّبابْ
عصرُنا عصرُ الغلبْ من توانى فيه خابْ
لا ترى فينا الكسِلْ لا ترى فينا الوَكِل
نحنُ أبناء العمـــلْ

نحنُ لا نرضى الغِنَى فى ظِلالِ المنصبِ
فالتمسنا رزقَنـــا من طريقِ المكسَب
وسَعَينا جُهـــدَنا واقتدينا بالنّبى
فبَلَغْنا سُـــؤلَنا وقهرْنا الأجنبى
نحنُ أبناء العمـــلْ

مِصرُ هبّتْ من كرَاها سدَّدَ الله خُطاها ورَعَى عرشَ البِلادْ
نحنُ فى الخطبِ فِدَاها نحنُ نَرْمى مَنْ رَماها نحنُ فُرسانُ الجِهادْ
نحنُ أبناء العمـــلْ

(*) لحنه الأستاذ محمد عثمان

إيَّاكَ أَعْنى . . .

للأستاذ محمد كامل حته

يا مَنْ جَهلتَ حَقيقتى فأفدْتَنى بالجهـلِ عِلما !
جُوزيتَ عَنِّى مِن جَهو لٍ زادَنى عِلماً وحِلما !
أنكرْتَنى فعرَفْتُ نفـ ـسِى ، يا لمعْرِفةِ النفوسْ . . .
هِيَ جَنَّــةُ الرُّوحِ الشَّرِ يدِ وبَسْمَةُ القلبِ العبُوسْ !
لاَ بَلْ هى النـارُ التى يَشْقَى بها العقلُ السعيدْ !
ويظلُّ يهفـــو كالفَرا شةِ نحوَها يرجو المزيدْ . . .
هـامتْ معَ الآمالِ فى وَادِى الهوَى المسحورِ نَفسى
فضَلَلْتُ عنها ، وانثنَيْـ ـتُ أخبُّ فى أذيالِ يأسى !
كم رُحتُ أنشُــدُها بـكلِّ مظِنَّةٍ وبكل وادِ . . .
حيرانَ أضربُ فى فِجَا جِ الأرضِ مُضطرِبَ القِيادِ !
كم ذا شَقِيتُ بِغُرْبَتى فى هذه الدُّنيا الكنُودْ . . .
فطفِقْتُ أندبُ وحْـدَتِى وزَهِدْتُ فى هذا الوجودْ !
ماذا لقِيتُ مِنَ الحيا ةِ وصَفْوُها كدَرٌ مَرِيرْ ؟
هِيَ مِحْنَـةُ العقلِ البصيـرِ ونعمةُ القلبِ الغَرِيرْ !
لَوْلاكِ — نفسي — ما شَقِيـتُ بما أُعانِي مِنْ قَلَقْ !
ولَقَرَّ بين جَوانِحِى قلبٌ يَوَدُّ لَوِ انطلَقْ . . .
نفسى ! عَرَفْتُكِ مُنْـذُ أنـكرنى الجَهُولُ المُدَّعِى . . .
وبهِ اهتديْتُ إليكِ فى هذا المَقامِ الأرْفَعِ !
كُفِّى مَلامَتَـــهُ فما هو بالمَــلامَةِ يَجْدُرُ
ما ضَرَّها شَمسُ الضُّحَى ألاَّ يَراها الأجْهَــرُ ؟



مولده

سكن الكون وأصغى ، وتعبأت كل القوى الأبدية لحشدها ، وعبَّ التيار الإلهيُّ الذى يموج به الكون ، وسمت الملائكة بالبشرى بين خوافق السماء والأرض ، وتهللت أجيال النبوة بأفراح خاتمها الذى أتمَّ الله به نعمته على الناس ، وسرت فى الكائنات أسرار الحياة الجديدة فاهتزَّت وربت واستشرفت إلى النور الخالد الذى ينبع من أفق الإنسانية العالى البعيد ، ووسوست رمال الصحراء بتسبيحة الحمد لله ، تستقبل الأقدام التى تطؤها بالنور الذى سيمشى أوَّلَ ما يمشى على حصبائها، ثم يمشى بأصحابه فى أرجاء الأرض يحييها بعد موت ، ويطهرها بعد دَنَس

سكن الكون وأصغى ، وسكنت نأمةُ الشياطين فى مخارمها ومهاويها وآفاقها ، وخشعت وساوس إبليس بالرُّعب والفزع ، وثبتت فى مساربها جائلاتُ الجِبْتِ والطاغوت ، وتحيَّرت فى مستقرِّها أباطيلُ الأوثان وأوهام الالوهة المزيفة على الناس ثم اهتز الكون كله بالفرح ، فتداعت أبنية الأجيال الوثنية الباطلة ، ثم أخذت تتداعى تحت الأشعة النبوية التى نشرت على الدنيا نورها بالحق والعدل والتوحيد والسلام ...

سكن الكون وأصغى ، ثم اهتز بنوره وتطهر ، صلى الله عليه وسلم . والسلام عليك يا رسول الله ، سلاماً من كل قلب ، وفى كل زمن ، والحمد لله الذى أرسلك بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون

أعيادنا

أعياد الأمم هى الأيام التى تتمثل فيها خصائص الشعوب وذخائرها وخلائقها الأدبية والعقلية والنفسية والسياسية . هى الأيام المبتهجة التى تنبض بالحياة وأسبابها فى الأمة ، لتدل على السر الحيوى السارى فى أعصاب الحياة العملية اليومية المتتابعة على نظام من الجد لا يكاد يختلف

واحتفال الشعب بأعياده أمر ضرورى لإعطائه المثل الأعلى وإمداده بالروح التى تدفعه إلى مجده، أو إلى المحافظة عليه . فهو من ناحيتيه يظهر ما فى الشعب من خصائصه ومحامده وعيوبه؛ ويبقى على المثل الأعلى بالتجديد والبهجة والزينة

فأعياد الأجانب الأوربيين مثلاً تكشف عن قوتهم واعتدادهم بأنفسهم ، وتمشقهم لجمال الحياة الدنيا إدماناً وإغراقاً ، وعن جعلهم المجاملة أصلاً أخلاقياً فى أنفسهم وأهليهم ، وعن غرورهم واستهتارهم واستهانتهم بأكثر الفضائل الإنسانية حين يجرى فى دمائهم عربدة الطغيان الإنسانى المتوحش الذى يرتد إلى الغرائز الحيوانية المستأثرة باللذة ، المجردة من الورع والتقوى

وأعيادنا نحن تهتك الحجاب عن ضعفنا وذلتنا ، واستكانتنا لما نشعر به من الضعف والذلة ، وتبين عن ذهول الشعب عن نفسه وعن تاريخه ، وعن مجده ، وتملقه بترَّهات الحياة ، وقلة مبالاته بجهالها ، وانصرافه عن معرفة الأحزان الخالدة فى طبقاته بخلود الفقر والجهل والبلادة

فهل يزدلف إلينا ذلك اليوم الذى تتمثل فيه أعياد الشعب الإسلامى صورةَ السيطرة والسيادة والقوة ، وتتبدَّى عليه أفراح الحياة الراضية المؤمنة المطمئنة ، وتعود إليه الأخوة الإسلامية التى ساوت بين الناس غنيهم وفقيرهم وعالمهم وجاهلهم ، وجعلتهم سواء لا فضل لأحد على أحد إلا بالخلق والتقوى ؟ هل يأتى ذلك اليوم السعيد الذى يجعل أعيادنا صورة من مدنية دين الله التى تبدأ بالرحمة والحنان والتعاطف ، وتنتهى بالعمل والجد والصبر والتعاون ؟ يومئذ تكون السيادة العليا للمدنية المستقبلة ، مدنية الحرية التى لا تشتهى أن تفجر ، والعلم الذى لا ينبغى أن يكفر

التعليم

فاز الأسبوع الماضى فى مجلس النواب بإثارة انتباه الناس إلى شأن التعليم وسياسته التى درجت عليها وزارة المعارف من سنين تطاولت ، وقد قدمت اللجنة المالية تقريرها عن ميزانية المعارف ، وتناولت فى هذا التقرير سياسة التعليم وأغراضه ، وعيوبه وما ترجو به له الإصلاح ، وناقش المجلس بعض هذه الآراء ، وعرض حضرات النواب بعض آرائهم وملاحظاتهم .

ونحن – على أننا لم نحضر هذه الجلسة بل قرأنا ما اختصر مما جرى فيها – نظن أن حديث النواب كان يدل دلالة قاطعة على أن وزارة المعارف التي انقضى على قيامها بهذه المهمة ما يربو على قرن من الدهر لم تقرر فيها أصولٌ صحيحةٌ للتعليم ، ولم تجر سياستها على منهج يستمر بها إلى غاية تريدها على تدبير وحياطة

أفلا ترى أن الوزارة لا تزال تسمع من الناس ومن النواب ومن أصحاب الرأى ما يجب عليها للتعليم الديني فى مدارسها ، وما ينبغى فى مناهج تعليم البنات ، وما تتطلبه أنظمة التعليم الإلزامى ، وهل أدى الغرض منه إلى اليوم أو لم يؤده ؟ وما تفرضه الوطنية من النظر الصادق فى ترقية التعليم الحر حتى يصل إلى الدرجة التى تليق به وبالأمة التى يتولى هو بعض الرعاية على بعض أبنائها ، وغير ذلك من الشئون الابتدائية فى سياسة التعليم

فهذا عجيب أن تبقى وزارة المعارف إلى هذا اليوم ، ولم تتقرر لها سياسة كاملة عامة تتناول حياة الأمة العلمية والأدبية والخلقية والبدنية بأدق النظر وأحسن الرأى ، فلا ينبغ لها نابغ يسددها إلى هذه الآراء الأولية التى يفرض كل أحد أن الوزارة قد انتهت من إقرارها والسير عليها والتدبير لها بكل الوسائل التى تكفل للشعب تربية أبنائه تربية تامة كاملة مهيأة لتحمل الأعباء المثقلة التى سيحملها جيلهم من بعد هذا الجيل

وقد سارت وزارة المعارف فى السنين الأخيرة على سنة لا يمكن إلا أن تفضى إلى توهين الروابط الثقافية التى تربط الشعب كله بعضه إلى بعض ؛ وذلك كثرة تبديل المناهج وتغييرها عاماً بعد عام لغير ضرورة ملجئة فى أكثر هذا التبديل والتغيير .

ولا بد أن تحزم وزارة المعارف أمرها على خطة واسعة متراحبة ترمى إلى أبعد مدى على أتم حذر ، ليتسنى لها أن تمحو كل أخطاء الماضى التى لعبت فيها الأيدى الاستعمارية والسياسية بكل ما من شأنه أن يسلب الشعب قدرته على التحفز والتوثب والتجمع ، وما ينشئه على الحرية العقلية والنفسية ، التى ترفعه إلى الدرجات السامية التى يجب أن يرقى إليها كل شعب يريد أن يتحرر ويسود ويفرض مدنيته على الأرض التى يعيش عليها

وإذا أرادت وزارة المعارف ذلك الآن ، فإن فى همة وزيرها الذى لا يَمَل ولا يتأخر عن دواعى الوطن ، إنفاذاً لهذه الإرادة . فوزير المعارف رجل معروف بالجد والإخلاص والثبات وقوة العزيمة ، فلو اجتمع له كل أصحاب الرأى ممن يحب أن يساهم فى شأن التعليم مساهمة الدرس والكفاح للمستقبل ، لأمكنهم أن ينقذوا وزارة المعارف من البلبلة التى لا زالت تتساقط بها من ذلك العهد القديم المعروف بأغراضه فى تحطيم قوى الشعب تحطيما استعبادياً مستبداً . فنرجو أن يضمَّ وزير المعارف إلى رأيه جماعة من أصحاب التدبير السياسى للتعليم غير متقيِّد بشىء من الرسوم القديمة – وهو الرجل الحر – فإن القيود هى التى جعلتنا إلى هذا اليوم نسرى فى ظلام دامس من الأهواء التى غلبت على شأن التعليم فيما مضى

تعليم العربية

وبهذه المناسبة أذكرُ أنى قرأتُ فى الأسبوع الماضى أيضاً كلمة عن أسباب ضعف الناشئة فى اللغة العربية ، وأن الكاتب ردَّ هذا إلى أسباب من المعلم والكتب وغير ذلك ، وزعمَ أن أكثر كتُبنا لا يصلح لتعليم الناشئة لسانَ أمتهم . وإن يكن فى هذا بعضُ الحقِّ فليس هو كلُّ الحقِّ ، فإن أسبابَ ضعفِ النشء فى العربيةِ ليس يُرد إلى المعلم والكتاب ، بل مَرَدُّه إلى المنهج الذى يُقيِّد المعلم بقيود كثيرة ترفع عنه التبعة فى نتيجة التعليم ، ويقيد الكتاب بمثلها ، ويُعطى النشء ما لا يَصلُح عليه لسانٌ ولا يستقيم به تعلم لغة

فلو أنت نظرت لما رأيت شعباً من شعوب الأرض المتعلمة ، يفعَلُ بلغته ما نفعلُ نحنُ ، من التجاهل للآثار الأدبية وقلة الاحتفال بتزويد الناشئ بمادَّتها التى تحفظها لتكون أبداً على مدِّ الذاكرة وفى طلب اللسان . ولو أنت سألتَ أى متعلِّم من أهل الأمم الأخرى أن يُسمِعك من روائع شعر أمته ونثرها وحديث بلغائها لاحتفَلَ لك بالكثير الذى تظنُّ معه أنه إنما أعدَّ لك الجواب لعلمه أنك قد أعددتَ له السؤال . فلو أنتَ جئت بعدَ ذلك إلى أحد المثقفين المكثرين المتنفِّخين من المتعلمين عندنا وسألته مثل ذلك لنحا إليك بصره فأثار النظر فابتسمَ فضحكَ فاستهزأ بك فولاك ظهره فمضى يعجب من غفلتك وحماقتك وقلة عقلك

وإن بعضهم ليقول : ليس لنا ما لهم ، أين للطالب المصرى أو العربى ما يغريه بالقراءة كما يغرى شكسبير وملتون وبيرون وشيللى وفلانٌ وفلانٌ من الشعراء والكتاب ؟ بلى أين ؟ وإن يكن هذا كله حقاً فافترضناه كذلك ، فليس يكون لنا مثل شكسبير

وأصحابه إلا باستيعاب قديم كتابنا وشعرائنا ، والحرص على آثار محدثيهم ، فإذا كان ذلك أخرج الشَّعْبُ يوماً أمثالَ هؤلاء لمن بلينا من أهل أمتنا . وإلا فإننا سائرون إلى ضعف أبداً ما دُمنا نرى أن الطالب لا يطيقُ أن يستوعب من شعر البحترى إلا قصيدة واحدة ومن المتنبي مثلها ، ثم يكون ذلك آخر عهده وأوله بدراسة الآثار الأدبية العربية

إن الحفظ الأول للآثار الأدبية الرائعة قديمها وحديثها هو الذى يخرج الأديب والكاتب والشاعر . أنظر إلى المنفلوطى والرافعى وشوقى وحافظ والبارودى والزيات وطه حسين ، كل هؤلاء لم يكونوا كذلك إلا لأنهم نشأوا وقد حفظوا القرآن أطفالاً فحملهم ذلك على متابعة حفظ الآثار الأدبية الجليلة ، ثم حفز هذا المحفوظ ما انطووا عليه من الطبيعة الأدبية التى استقرَّتْ فى أنفسهم وأعصابهم ، فلما استحكموا استحكمت لهم طريقتهم فى الأدب والشعر والإنشاء ، ولولا ذلك لما استطاعوا أن يكونوا اليوم إلا كما نرى من سائر من تخرجهم دور التعليم بالآلاف فى كل عام ينقضى من أعوام الدراسة

مشروع

كتب الأخ الأستاذ « محمد خلف الله » كلمة جليلة الغرض تحت هذا العنوان « مشروع » فى مجلة الثقافة العدد (٦٨) الماضى ، وخلاصة هذا المشروع : أن تؤلف جماعة من الباحثين يمثلون اللغة والأدب وعلم النفس والاجتماع يكون من أغراضها أن تدرس النواحى المختلفة للاجتماع المصرى الحاضر وما يكون فيه من الظواهر المختلفة التى يخشى أن تدرج وتبيد ولم نستفد من الحرص عليها إن كانت نافعة ، أو الاستعانة بها فى درء الأمراض الاجتماعية عن الشعب فيما يستقبل إن كانت من السوء بحيث تكون كذلك

وقد عدَّ الأستاذ خلف الله بعض الأمثلة فيما يجب أن تتوجه إلى دراسته هذه الجماعة كمخارج الحروف وأصواتها فى كل الأقاليم المصرية ، ورد ذلك إلى أصوله الأولى التى انحدر عنها من تاريخ القبائل ، وكذلك اللهجات الكثيرة فى الوجه البحرى والقبلى مما هو — ولا شك — نتيجة لإقامة بعض العرب فى هذه الجهات ، ثم دراسة الأدب الشعبى من قصيد وموال ومثل وفكاهة وسمر ، ودراسة الخلق المصرى ، وعيوبه وفضائله ، وما يتعاوره من الغلو والضعف . ويكون ذلك كله إعداداً لمعرفة حقيقة هذا الشعب معرفة صحيحة ، ثم نشر كل ذلك على التتابع فى رسائل قد استوفت شروط المنهج العلمى للدراسة الاجتماعية واللسانية والفنية

وكنا نرحب بهذا المشروع الذى نستطيع معه أن نخدم الشعب خدمة عظيمة باستظهار ما يستسر من قوته ، وما يستعلن من ضعفه ، فيكون ذلك أحرى بأن يهدينا إلى إصابة الدواء الذى يحسم مادة الداء التى تلتهم أسباب رقيه سبباً بعد سبب . وهذه الدراسات المفصلة للشعوب على طبيعتها التى تتعامل بها فى السوق والحقل والمصنع والمدرسة والبيت ، وهى النجاة لنا من شر كبير قد أوقعنا فيه الاضطراب وقلة الخبرة . ولو علمت أن أكثر الأمم المستعمرة تلجأ إلى هذا الطريق نفسه فى دراسة الشعب الذى تريد أن تستبد به ، ليتسنى لها أن تعمل على إضعافه وقتله بتقوية ضعفه وإضعاف قوته دون أن يشعر أو يتألم بل يحسب أنه يسير إلى غايته على تدريج طبيعى — لو علمت ذلك علمت ما نستطيع أن نستفيده من نتائج هذا المشروع الجيد إذا أحكم تنفيذه ، ولم تَغْلِبْ على اختيار رجاله محاباة ، ولم تتحكم فى هؤلاء الرجال شهوةٌ أو هوًى

محمود محمد شاكر

ترانكانو

إن الأسواق الكبرى فى الأقاليم الحارة هى حقا أماكن اجتماع غريبة إن كان بالنظر إلى النباتات التى يشاهدها الانسان هناك أو بالنظر إلى الناس أنفسهم فهؤلاء يأتون عادة من الجهات المجاورة بعكس النباتات التى مصدرها المنطقة الحارة جميعها فيوجد الجوز الهندى من الفلبين وأرز الهند وشكلاتو أمريكا وتمر البابايا من جهة الأمازون والكوافا من الكوتاماك والمنغوست من مليزيا .

إن رسما جديدا ممثلا سوق ترانكانو عاصمة مقاطعة صغيرة من دول الاتحاد المليزى يظهر جما من سكان البلاد يهرولون بجلبة مختفين من الحر فى ثيابهم الطويلة البيضاء .

فمعظمهم من زراعى الأرز أو صيادى السمك وجميعهم يعيشون فى ناحية من أكثر النواحى التى انتشر فيها وباء بالملاريا فى العالم كله وشغلهم خطر ولكن الخطر لا يأتى من النمور والأفاعى على قدر ما يأتى من حيوان أصغر من ذلك وأشد منها وبالا وهو بعوض أي الملاريا .

فاللجنة الصحية لجمعية الأمم قد أظهرت ما هي البلية الماثلة بلية الملاريا فى مدينة كمدينة ترانكانوا فاللجنة التى تهتم بالملاريا تقول بوجوب إعطاء جميع أهل البلاد مقدار أربعين سنتجرام من الكينا يوميا على سبيل الوقاية وهذا شىء تحقيقه غير ممكن فاللجنة وهي خبيرة بكل ذلك تلح بأن يأخذ جميع السكان المصابين بالملاريا جراما واحدا أو جراما وثلاثين سنتجرام من الكينا يوميا مدة خمسة أو سبعة أيام والحاجة القصوى لأن ما يقارب نصف مجموع الداخلين إلى المستشفيات فى مدينة ترانكانو مصابون بالملاريا .



تأملات في الفن :

العشرة الطيبة

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

منذ زمن طويل والكتاب يدعون استوديو مصر إلى إخراج العشرة الطيبة للسينما ، وقد كان رجال الاستوديو يترددون دائماً حيال هذه الأوبريت الرائعة ويشفقون من إخراجها بسبب واحد وهو أن قصة العشرة الطيبة تصور الحياة المصرية في حقبة من الزمن لا تشرف المصريين ، وهي تلك الحقبة التي حكمها فيها الأتراك والمماليك معاً ، والتي كان هؤلاء الحكام يعبثون فيها بحقوق الناس عبثاً شديداً سخيفاً ضعف إزاءه المصريون ، واستلانوا له وجعلوا شعارهم معه قولهم : « من تزوج أمي قلت له يا عمي » وقولهم : « إن كانت لك عند الكلب حاجة فقل له يا سيدي » ...

ولقد حاولت أكثر من مرة وفي أكثر من صحيفة أن أنزع من أذهان رجال استوديو مصر هذه الكراهية الخاطئة التي يصبونها على العشرة الطيبة لهذا السبب وحده ، ولعلي ضربت لهم يوماً مثلاً برواية هنري الثامن التي مثلها شارلس لاوتون لإحدى الشركات الإنجليزية ، والتي لم يتورع ذلك الممثل الإنجليزي الكبير حين مثلها أن يصور هنري الثامن الملك الإنجليزي بصورة هي أقرب الصور لما كانت عليه حقيقة هذا الملك ، ولم تكن حقيقة هذا الملك مفخرة من مفاخر بريطانيا العظمى ، ولا مثلاً طيباً لحكامها وملوكها ، وإنما كانت حياته كما روى التاريخ وكما أظهرتها السينما حياة كلها صيد وزواج ، وأكل ، وطلاق ، وفتك بالنساء وبالحيوان وبالتقاليد ، واستخفاف بشريعة النصارى التي لا تبيح انفصال الزوج عن زوجه إلا للسبب الشنيع الواحد الذي لم يحاول هنري الثامن مطلقاً أن يجعله وسيلة إلى التخلص من نسائه لأنه كان يرى نفسه فوق التحقيق والتدقيق واستقصاء الأسباب وإبداء الأعذار ...

ومع هذه البشاعة كلها ، ومع هذه العتمة والظلمة والسواد فإن الإنجليز لم يكرهوا شارلس لاوتون، لأنه أخرج هنري الثامن على حقيقته، بل إنهم على العكس من ذلك أحبوه وقدروه ، وبدأوا منذ أخرج هذا الفلم يعتبرونه فنانهم الأول في هذا العصر، وهنري الثامن ذات حقيقية فعل بها شارلس لاوتون هذا كله تحت أعين الإنجليز وأسماعهم ، بل إنه استعان على فعله هذا بأموالهم وبكفايات الذين ساعدوه من رجالهم . أما « العشرة الطيبة » ، فليس فيها ذات حقيقية واحدة ممن يعتز بهم التاريخ المصري ، أو ممن ينسبون إليه ويخشى إن هو أظهرهم للناس أن يلصقوا به نقائصهم وعيوبهم ... وإنما هي قصة خيالية تصور كاتبها المرحوم محمد تيمور أن حوادثها جرت في مصر ، وقد كان يستطيع أن يتصورها جرت في الهند ، كما كان يستطيع أن يتصورها جرت في كوكب آخر غير هذه الأرض ، لولا أنه آثر أن تكون حين تنسب إلى مصر أقرب إلى نفوس المصريين ، وأشد إغراء لهم بالإقبال عليها والاستمتاع بها . وقد كانت « العشرة الطيبة » فعلاً من أحجار الأساس الأولى التي وضعت في بناء المسرح المصري

وقد تراءى إلينا أن استوديو مصر بدأ يفكر في هذه الأيام في إخراج العشرة الطيبة ، وأن رجاله بدأوا يتخلون عن تلك الفكرة العجيبة التي ظلوا يتشبثون بها زمناً طويلاً والتي حالت بينهم وبين إخراج « العشرة الطيبة » هذا الزمن الطويل، ولا ريب أن استوديو مصر إذا نفذ هذه الفكرة فإنه سيفتح بها فتحاً جديداً في تاريخ أوبريت السينما في مصر ، ففي هذه الرواية مجموعة من الألحان يشهد الموسيقيون المصريون جميعاً قبل النقاد وقبل الجمهور بأنها خلاصة الموسيقى التمثيلية المصرية ، وأول من شهد بهذا هو المرحوم الشيخ سيد درويش الذي وضع موسيقى هذه الأوبريت. فقد سئل رحمه الله يوماً بعد أن أنشأ لنفسه فرقة خاصة أخرج فيها روايتي « البروكة » و « شهرزاد » عن أحب آثاره الفنية إليه فقال إنها العشرة الطيبة ، وكان السائل يحسبه سيقول

عن إحدى هاتين الروايتين اللتين أعدهما لنفسه ولفرقته واللتين لم تأخذهما منه فرقة من الفرق

وإننى لا أشك فى أن سيد درويش رحمه الله كان على حق فى تفضيله للعشرة الطيبة على غيرها مما لحن ، فهى أصفى وأنقى من كل رواياته ، ونفسه منطلقة فى ألحانها كل الانطلاق لا يقيدها قيد ولا يكتفها شرط

ولعل القراء يعرفون أن موسيقى سيد درويش كانت تصيبها أحياناً آفات لم يجد سيد درويش نفسه بدأ من أن يسمح لها بأن تصيب فنه ، بل إنه هو الذى كان يبلو فنه بهذه الآفات ، لأن احترافه التلحين للفرق المختلفة هو الذى كان يجبره عليه . وهذه الآفات تظهر بموازنة ألحان سيد درويش للفرق المختلفة بعضها ببعض . فألحان سيد درويش لمنيرة المهدية ، غير ألحانه للريحانى، غير ألحانه « للكاكشة ...» وذلك يرجع إلى أن سيد درويش كان يتقمص أبطال الغناء والتمثيل حين يلحن لهم ، وكان يتدفق فى تلحينه لهم بروح هى أقرب إلى أرواحهم منها إلى روحه هو ، وبأسلوب هو أقرب إلى أساليبهم منه إلى أسلوبه هو ، وليس معنى هذا أن سيد درويش كان يفقد نفسه فى هذه الألحان التى كان يعطيها غيره ، وإنما معناه أنه كان يتنكر بصور مختلفة فى أثناء تلحينه ... ومن هذه الصور — صور المغنين والممثلين — ما هو خفيف جميل رائع ، ومنها ما هو ثقيل سمج أقتم الظل ... ومع الثقيل السمج الأقتم الظل لم يكن سيد درويش يستطيع أن يسبل عليه من الحسن إلا بمقدار ماتستطيع شركة السكر أن تبعث الحلاوة فى ملاحة رشيد ...

وكان سيد درويش رحمه الله يبارك الثقلاء من أبطاله ، ويسبهم ويلعنهم ، وكان يثور على بعضهم ويضربهم لكى يطاوعوه ويسايروه ، ويحملوا أرواحهم على التأثر بروحه ، وأذواقهم على التبسط فى الغناء والتمثيل ، وترك الشعوذة والتطريب ، ولكنه لم يكن يجنى من هذا كله إلا أن يحترق دمه وأن تتهدم أعصابه ، ويظل الثقلاء من أصحاب الفرق وكبار المغنين ... على ما هم عليه من فساد الذوق و « المصلجة » ، فكان المسكين لا يرى بدأ فى بعض الأحيان من أن يطعمهم موسيقى تروق لهم هم ، وتروق للناس أيضاً ، ولكنه هو كان أول من يعرف أن عنده خير منها وأروع ...

أما حين وضع سيد درويش ألحان « العشرة الطيبة » فقد كان حراً متحرراً من كل قيد ، ومن كل اعتبار خارج على إرادته

ذلك أن نجيب الريحانى كان له فى ذلك الوقت فرقتان ، فرقة كان يلعب بها « كشكشيانه » الرشيقة وفرقة أخرى أسلمها لعزيز عيد يخرج بها فناً دسماً. وكانت رواية تيمور هذه أول ما وقع عليه اختيار هذه الفرقة، وكان بديع خيرى إذ ذاك لا يزال يشق طريقه إلى مجده الفنى الزاهر فلما عهد إليه بوضع أزجال هذه الرواية بثها روحه كلها لم يقتصد ولم يدخر وسعاً فى إجادتها والتأنق فيها ، فلما تسلم سيد درويش هذه الأزجال ليلحنها حرا أعطاها هو أيضاً كل نفسه ، لم يقتصد كذلك ولم يدخر وسعاً فى إجادتها والتأنق فيها . ولم يزل الريحانى ينفق على « بروفات » هذه الرواية الأشهر الطويلة حتى اكتمل ما أنفقه ألف جنيه ، فضج وراح يزور هذه البروفات ليرى أى شىء فيها يستدعى هذا التريث كله ، وهذه النفقات كلها ... ولم تشعر به الفرقة وهو يتجسس عليها متسمعاً لأحد ألحانها ، ولكنها شعرت به عند ما فرغت من ذلك اللحن وهو يقول موجهاً الحديث إلى عزيز عيد : « لقد كان فى عزمى أن أضع اليوم حداً لهذا الإسراف ، ولكنى بعد ما سمعت هذا اللحن أرانى مضطراً إلى أن أتركم وشأنكم فليس هذا الذى تصنعونه بالشىء العادى »

وقد كان نجيب محقا ، فالعشرة الطيبة من غير شك معجزة

وهنا قد يسألنى سائل : لماذا كانت العشرة الطيبة (درويشية) أصفى من شهرزاد والبروكة ، مع أن هاتين الروايتين الأخيرتين قد وضعهما سيد درويش لنفسه ولفرقته لم يتقيد فيهما هما أيضاً بقيد ، ولم يراع فيهما ذوق أحد غير ذوقه الخاص ؟

وإجابة عن هذا السؤال نقول : إن سيد درويش لحن العشرة الطيبة فى أوائل حياته الفنية أو فى أواسطها ، بينما لم يلحن شهرزاد والبروكة إلا قبيل وفاته . وقد حدث أن تأثر سيد درويش بعد العشرة الطيبة بالأساليب الغربية فى الإلقاء المسرحى ، وقد ظهر هذا التأثر واضحاً جلياً فى ألحان رواية البروكة الغربية الحوادث

والأبطال ، كما ظهر هذا التأثر باهتاً غير جلي في ألحان شهرزاد .

وليس هذا التأثر بالروح الغربية مما يعيب هاتين الروايتين فلا يزال تقليد الغربيين في الفن الشرقي هو مقياس الفلاح ، ولكنني أنا الذي أكره هذا التأثر ، كما أحب أن أجد عند كل فنان مصري روحاً مصرية خالصة ، هي من غير شك مهما هانت وتواضعت لن تكون إلا أصدق من روحه إذا قلد بها الغربيين وأساليبهم .

ولكن سيد درويش كان معذوراً في التفاتاته للموسيقى الغربية وآلاتها وأدواتها وطرائقها وأساليبها ، وتوزيع الأصوات فيها ، فقد شاءت الظروف أن يكون هو الموسيقى المصرى الذى ألقت عليه النهضة المصرية أعباء الفن ليثب به من حالة الركود والإنشاد التى سبقته إلى حالة الحياة والصخب والتدفق والتفرع والشمول التى كانت على أيام سيد، والتى يريد من جاءوا بعد سيد أن تكون على أيامهم .

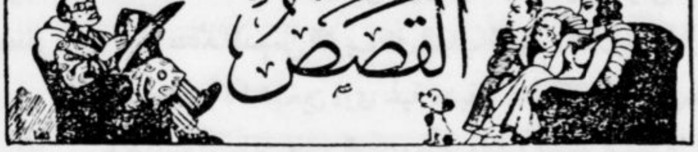
فلو أن سيد درويش عاش أكثر مما عاش لكان قد استتب له تقرير ما يصلح أخذه من الأساليب الغربية فى الموسيقى واصطناعه فى موسيقاه ، ولكان قد أدرك أنه لا يقل شيئاً عن وجنر وفردي وغير هذين من أعلام الموسيقى الذين كان يتوق دائماً إلى أن يكون فى صفهم ، ولم يكن إلا فى صفهم بمواهبه وصفاء روحه ، وإن كان قد أعوزه ما لم يعوزهم من التثقيف الفنى الذي لا يعدو أن يكون حساب الموسيقى وتطريزها لا الموسيقى نفسها ...

ولنعد الآن إلى استوديو مصر لنسأله : هل صحيح ما نشرته بعض المجلات من خبر اعتزامه إخراج العشرة الطيبة ...

أما إذا كان هذا الخبر صحيحاً فإنه خبر يغتبط له الشرق كله لا مصر وحدها . وإن لنا عند صحة هذا الخبر رجاء نتجه به إلى استوديو مصر ورجاله وهى أن يشترك عزيز عيد ونجيب الريحانى معاً فى الفلم على أى نحو وعلى أى وجه ، فلهما من خبرتهما وذكرياتهما — على الأقل — ما نطمئن به على أن تعود الحياة إلى العشرة الطيبة على النحو الذى أراداه لها مع صاحبها ...

والله الموفق .

عزيز أحمد فهمي



الكتابة على الأرض

[مقتبسة من أسطورة قديمة]

للكاتبة الأسوجية سلمى لاجيرلوف

بقلم الأستاذ صديق شيبوب

كان قد صدر الحكم على المرأة الزانية ، وكانت تعرف أنها سوف تعدم ... إن الذين ألقوا القبض عليها ، متلبسة بجريمتها ، قادوها إلى الهيكل أمام الكهنة ورجال الشريعة ، فأصدروا حكمهم عليها وفاقاً لشريعة موسى التى تقضى بإعدام الزانية رجماً بالحجارة ...

كانت هذه الزانية هزيلة الجسم ، وكانت ثيابها ممزقة ووجهها دامياً من أثر الضرب الذى انهال عليها ... وكانت لفرط ذعرها شبه ميتة ، وقد ظلت ساكنة صامتة أمام قضاتها ... فلم تحاول أن تدافع عن نفسها ، ولم تقاوم قبل ذلك الرجال الذين ألقوا القبض عليها وقادوها إلى الهيكل ، أولئك الرجال الذين يدفعون بها الآن إلى المكان المعد لتنفيذ الحكم الصادر عليها ...

على أنها بالرغم من مظاهر الضنك البادية عليها ، كانت روحها مليئة بغضاً ، ودمها يفور فى عروقها غضباً ... وكان واضحاً جلياً أنها لا تشعر بوخز ضميرها وتقريعه ... فقد كان زوجها شديد القسوة فى معاملتها ، وكان يضربها ضرباً مبرحاً ، ويحتم عليها أن تشتغل وتكد من غير أن يوجه إليها كلمة مؤاساة طيبة ... لذلك لم تكن تعتقد أنها مدينة له بالأمانة والوفاء ... وكانت نساء الحى يعرفن ما تقاسيه ويعجبن لصبرها على تحمل المضض ، وطاعتها لأوامر زوجها ، وأنها لا تقابل الشر بالشر ...

وشعرت فجأة بالمصير الذى ينتظرها ... فصرخت صرخة مدوية ، وتراجعت إلى الوراء ...

سمعت منذ نعومة أظفارها أحاديث كان الناس يتناقلونها همساً فيقولون : إنه يوجد فى هيكل أورشليم مكان مخيف لا يقصده الناس إلا مرغمين ؛ وكان هذا الموضع ساحة ضيقة فى شكل مربع ذات أرض سوداء يحيط بها جدران عالية مشيدة بحجارة ضخمة ... لم يكن فى تلك الساحة مذبح ، أو أقفاص حمام ، أو مكاتب صيارف ... لم يكن فيها غير كومة كبيرة من أحجار عادية كالتى توجد فى الحقول ، حجارة رمادية اللون بحجم رأس الإنسان ... ولم تكن المرأة قد رأت هذا المكان قبل ذلك ، ولكنها عند ما نظرت من فجوة باب مرتفع ، ورأت الحجارة الرمادية اللون ، فهمت لساعتها أى مكان يحتويها ...

كانت تشعر برعدة وخوف كلما سمعت الناس يتحدثون عن الساحة الخالية إلا من كومة من الحجارة حيث تكفر النساء الزانيات عن جرمهن وفقاً لشريعة موسى ، وقد ظهر لها هذا المكان أشد شؤماً من جهنم ، وها هى ذى تقاد اليوم إليه

ماذا ينفعها الصراخ والمقاومة ؟ لقد دفعها الرجال بعنف فدخلت الباب وبعد ذلك لم يهتموا بأن تظل واقفة ، فتركوها ترتمى على الأرض فجرت

تعريف

نعت أنباء البرق فى يوم ١٦ مارس الماضي الكاتبة الأسوجية الذائعة الصيت « سلمى لاجيرلوف » Selma Lagerlöf بعد أن أربت على الثمانين من عمرها وكانت قد ولدت سنة ١٨٥٩ وابتدأت حياتها العملية بالتعليم ثم زاولت الكتابة والتاليف فلم تلبث أن ذاعت شهرتها وعلا كعبها فى عالم الأدب . وكان أول كتبها الذى لفت إليها الأنظار قصة « ساجادى جوسته بيرلنج » أو كما يسمونها بالفرنسية La légende de Gösta Berling التى ظهرت سنة ١٨٩١ . وقد ساهمت فى حركة التجديد التى ظهرت فى أدب بلادها وهى حركة كانت ترمى إلى انتهاج الطريقة الرومانسية الابتداعية فى الأدب الأسوجى وكانت تعالج فى قصصها أساطير قديمة بخيال واسع قوى ونزعة إنسانية محضة .

وقد امتازت بعطفها على المساكين وفهمها العميق النفس البشرية ، فمزجت فى مؤلفاتها بين هذه العواطف الانسانية ، وذلك الخيال الواسع فجاءت كتبها فى متناول كل واحد على اختلاف العمر والفهم . وهذا ما حمل الكثيرين من النقاد على تشبيهها بالقصصى الدانمركي الكبير « أندرسن » Andersen وجعلها ذات شهرة عالمية ، بل دفعها فى مصاف الكتاب القلائل الذين عرفوا بميزتهم الانسانية العالمية الشاملة . وقد فازت بجائزة « نوبل » الادبية سنة ١٩٠٩

وقد شاءت الصدف أن تنعى هذه الكاتبة الكبيرة بينما كنت أطالع آخر ما ترجم إلى الفرنسية من مؤلفاتها وهي مجموعة من الأقاصيص بعنوان « خاتم الصياد » L'anneau du pêcheur فرأيت أن أنقل منها أقصوصة بعنوان « الكتابة على الأرض » L'inscription sur le sol تناولت فيها الكاتبة الكبيرة حكاية الزانية التى جىء بها إلى المسيح وقد حكم عليها بالموت رجما فأجابهم بكلمته المشهورة : « من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بأول حجر » . ثم انحنى إلى الأرض يكتب بأصبعه عليها ... إلى آخر ما روى فى الاصحاح الثامن من إنجيل يوحنا .

نفسها جرا إلى أحد أركان الساحة حيث قبعت فى مكانها مذعورة مشدوهة ، وعيناها لا تفارقان كومة الحجارة لأنها مصدر روعها وخوفها

على أنه بالرغم من وجلها ظل البغض والغضب يضطرمان فى نفسها ويحولان دون شعورها بحقيقة جرمها . ولو أنها استطاعت الكلام لما حاولت أن تنكر فعلتها أو تستدر عطف أحد عليها . كلا ، بل لصاحت فى وجه متهميها بأنهم أخطأوا نحوها أكثر منها نحوهم ، وأن إله إسرائيل سوف يعاقبهم إذا انتزعوا منها الحياة التى تنبض فيها

ولكنها فى تلك الساعة لم تكن تستطيع التفكير إلا فى كومة الحجارة القائمة أمامها ، لذلك لم تدر من أين جاء الرجل الذى وقف فجأة بينها وبين تلك الكومة المشؤومة ، أكان فى موضعه قبل وصولها أم هو من أولئك الفضوليين الذين تبعوها إلى فناء الهيكل ؟

لماذا يقف بينها وبين كومة الحجارة ؟ ماذا يريد ؟ أتراه الذى يبدأ بتنفيذ الحكم ؟

كان الرجل مديد القامة يرتدى ثوباً أسود، ويتدثر بدثار أسود. وكان شعره ينحدر على كتفيه مضفراً غدائر متساوية ، وكان وجهه جميلاً، ولكنه كان يشيع حول عينيه وفمه تجاعيد خددها الألم، وكانت تفكر فى نفسها : « إنى أعرف حق المعرفة أنى لم أسىء إليك من قبل يا هذا ، فلماذا تحكم علىّ وتنالنى بقضائك ؟ »

لم يخطر ببالها لحظة واحدة أن حضوره لهذا المكان قد يكون لإعانتها والأخذ بيدها. على أنها أحست بتغيير فجائى عند ما رأته. إن وجود هذا الرجل الغريب قد خفف الضيق الذى كان يلازم صدرها وحسن تنفسها الهواء ، فلم يعد هـذا التنفس يشبه حشرجة الموت

أما الرجال الآخرون ، أما أبوها وزوجها وأخوها وجيرانها الذين قادوها إلى هذا المكان والذين كانوا يتأهبون لقتلها فقد تمهلوا إلى حين دون هجومهم الوحشى عليها ، وإذا ببعض الرجال من الذين قضوا النهار فى الهيكل يصلون ويجادلون فى كتب الدين قد دخلوا فناء الهيكل المظلم وأمر أحدهم بوقف تنفيذ الحكم

فسمعت الزانية همساً من ورائها ، وخيل لها أنها تسمع من يقول : « سوف يمتحنون هذا الرجل، إنه النبي الناصرى ، لنغنم هذه الفرصة السانحة ونر هل يجرؤ على معارضة شريعة موسى! »

وعندئذ تقدم من الغريب ذى الثياب السوداء اثنان من رجال الشريعة ، وكانا شيخين ذوى لحية فضية ، يتدثر كل واحد منهما بدثار صنعت حواشيه من الفرو ، فانحنيا أمامه ، وقال له أحدهما :

« يا معلم ، لقد قبض على هذه المرأة متلبسة بجريمة الزنا ، وقد قضت شريعة موسى على أمثالها بالرجم بالحجارة ، أما أنت فماذا تقول ؟ »

رفع الغريب الذى لفحوه بالملم أجفانه الثقيلة ونظر إلى محدثيه. ثم أجال نظره فى أب المحكوم عليها وزوجها وأخيها ، والرجال الذين رافقوهم إلى الهيكل ، ورجال الشريعة والفريسيين وكل خدمة الهيكل

وبعد أن طاف بنظره محدقاً فى وجه كل واحد منهم انحنى على الأرض وأخذ يكتب بأصبعه عليها ، كأنه لم يجد من المناسب أن يرد عليهم . على أنه عند إلحاح الشيخين اللذين تقدما إليه نهض وقال لهم :

« من لم يرتكب منكم خطيئة فليرمها بأول حجر »

فرد عليه الرجال بضحكة ساخرة ، ماذا يريد من قوله هذا ؟ إذا كان الأمر كذلك فلن يلقى مجرم عقابه الحق

تصاعدت من صدر المرأة أنة ضعيفة ، وكانت قبل ذلك قد أحست بالرغم منها بالأمل فى أن هذا الغريب سيقول كلمة تنقذها من الموت . أما الآن فقد فهمت أن كل أمل ضائع مفقود ، فأحنت رأسها وقبعت فى مكانها مطوية الجسم فى انتظار سيل الحجارة الذى سيهوى عليها ، بينما كان الرجال الذين سينفذون الحكم فيها قد أخذوا ينزعون عنهم ما يتدثرون به ويشمرون عن سواعدهم . أما الغريب فظل فى مكانه وانحنى من جديد ليكتب شيئاً على الأرض السوداء

كان أول من تقدم من كومة الحجارة أبو المرأة الزانية ، لأنه رب الأسرة وأول من أصيب بمارجريمتها فمن حقه أن يبدأ . فانحنى ليلتقط حجراً ، وفى هذه اللحظة وقع نظره على الكتابة المخطوطة على الأرض وقرأ فيها مكتوباً ، لا بالحروف بل بطريقة واضحة مفهومة ، قصة إثم هائل ارتكبه منذ سنوات خلت ، وهو لا يزال إلى اليوم يحرص على إخفائه

فتراجع الأب مذعوراً مرتاعاً عند رؤيته ذلك وجرى نحو الباب هارباً من غير أن يعنى بأخذ دثاره الذى كان قد انتزعه من قبل

فأسرع ابنه ليقوم مقام والده ويغفر سلوكه الشائن ، وقد ظن أن سبب هذا الهرب ضعف الشيخ وتخاذله أمام ابنته ، ولكنه عند ما انحنى بدوره ليلتقط حجراً ويرمى به أخته التى جلبت عليه العار وقع نظره على ما كتب على الأرض فرأى مخطوطاً ، لا بحروف بل بطريقة واضحة مفهومة ، قصة سرقة دنسة ارتكبها فى نزق شبابه ، وهى لو عرفت كان من جرائها فقدانه حقوقه كمواطن إسرائيلى

فذعر وحاول أن يمحو برجليه ما رآه مكتوباً على الأرض ، ولكن الكتابة ظلت جلية تشع بلمعان لا سبيل إلى إطفائه . وعندئذ فر ممعناً فى هربه مقصياً فى عنف كل من حاول أن يسد عليه طريقه

تحركت المرأة الزانية من الركن الذى قبعت فيه ، وكان شعرها ينحدر على جبينها فأزاحته عنه وأخذت تسوى ثيابها المهلهلة

وعندئذ تقدم زوجها ، وكان قد غاظه ما رآه من سلوك أبيها وأخيها الشائن ، فتأهب ليلتقط حجراً بينما كان كل جسمه يصرخ بالثأر للشرف المهان : لتقتل هذه المرأة التى ألبسته العار . يا لها من لذة يشعر بها فى ثأره هذا ، ولكنه بينما كان ينحنى نحو الأرض خيل إليه أن بعض كلمات أو إشارات سطرت عليها أخذت تلتهب فجأة ، وكانت هذه الكلمات تزيح الستار عن مؤامرة دبرت ضد الحاكم الرومانى ، وكان الرجل مشتركا فيها ، وهى لو فضح أمرها لكان الشنق للعقاب الذى ينتظره

فانتصب واقفاً ، وأوحت له خبرته بالحياة أن يتظاهر بالشفقة فغمغم كلمات معناها أنه لا يريد أن يقيم نفسه حكما . ثم غادر المكان

ورأى رجلا الشريعة هذا التخاذل فاندهشا وخافا . ثم تقدما من الكومة لا ليلتقطا حجراً بل لينظرا ما خطه المعلم على الأرض بعد أن رأيا ما كان لهذه الكتابة من أثر عظيم

فرأى أحدهما سطراً أنه فى أحد الأيام اغتصب جزءاً من حقل جاره إذ نقل الحد الفاصل بينهما ، ورأى الثانى أنه استولى على جزء كبير من أموال قاصر كان وصياً عليها

فانحنى الرجلان عندئذ أمام المعلم متظاهرين بالشفقة والحنان وانصرفا بوقار

وبعد أن خرج الرجلان اللذان كانا بين قضاتها ، انتصبت الزانية على ركبتيها لأن الشجاعة أخذت تعاودها . إنها لم تفهم جليًا ما جرى ، ولكنها أحست بأنها ستنجو ، أو أنها قد نجت بالفعل . فشعرت بلذة الحياة تفيض على نفسها غبطة وسعادة ، وتمشت فى جسمها رعشة عجيبة فأحست بميل إلى الرقص

ولكن الخطر لم يكن قد زال تماماً لأن بعض الحاضرين تهافتوا لينفذوا فيها الحكم . على أنهم لم يلبثوا أن تراجعوا الواحد تلو الآخر بعد أن ألقوا نظرة على الأرض ، وكانوا ، بدلاً من أن يلتقطوا الحجارة ، يولون الأدبار وقد علت وجوههم صفرة الوجل وسرت فى أجسامهم رعدته ، ثم يمعنون فى الهرب ، وقد حولوا أنظارهم وخفضوا رؤوسهم

وعند ما لم يبق فى فناء الهيكل أحد انتصبت الزانية واقفة وقد استعادت عيناها لمعانهما كما استردت وجنتاها الشاحبتان لونهما الوردى ... وظلت حيناً جامدة لا تحرك ساكناً . وكان فرحها بالحياة يختلط بلذة رؤيتها أعداءها ينصرفون مذعورين ذليلين . فانتشت بحلاوة الانتقام وأحست برغبة ملحة فى الرقص فى هذا المكان المرذول وأمام الحجارة التى كانت ستنقض عليها فتسحقها . فاستقامت فى وقفة المستعدة للرقص ، وكأنما فتنها الموقف فطفقت تضحك

ونظر إليها المعلم المجهول سائلاً : « أين قضاتك ؟ ألم يحكم عليك أحد ؟ »

فأجابته : « لم يحكم أحد يا سيد »

وبينما كانت ترد عليه كانت تقول فى نفسها إنها لا تستطيع كبح جماح سرورها الذى كان يدفع بها إلى الرقص

ولكن المعلم ظل ينظر إليها

كان يرى تلك الغبطة الحيوانية الجامحة التى استولت عليها ، ويلاحظ أنها لا تشعر بأى ندم ، وأن نفسها مليئة بالبغض ، عطشى إلى الانتقام وإلى إشباع الشهوات الجسدية

على أنها فهمت أنه كان يرى ما بنفسها ففارقتها رغبتها فى الرقص وأخذت تحس بالخوف من الرجل الذى أنقذ حياتها .

الدَّيْن ...

عن «موباسان»

بقلم الأستاذ مراد الكردانى

خرجت لتبحث عن القوت فرجعت ومعها جائع !

زحف الظلام فلفّ باريس كلها . وغشيتها موجة من البرد القارس . وجثمت على صدر المدينة اللاهية الضاحكة غاشية من همٍّ ثقيل حبست الناس إلى دورهم ، وحلّقتهم حول مدافئهم . وقد خلت من رُوّادها المسالك والطرقات . وهجعت مدينة النور — على كُرْهها — تحت أطواء ليل بارد مظلم طويل

ولكن « فانى » التى طوت نهارها طاوية لم تكن لتأبه لذلك البرد القاسى ، فإن الجوع قد لوى أمعاءها وخمصَ بطنها ، وأشاع فى نفسها الخوف من أن تتضور فى غدها كما تضورت فى يومها ؛ فخرجت — ككل أمسية — لترابط على رأس طريق تنتظر فيه من يمنحها الخبز الرخيص لقاء أن تهبه جسدها ساعة أو بعض ساعة

فى تلك الليلة القَرّة كان الرجال يمرون بها مرّاً لا يحفلون بها ، لأنها لم تكن تحسن دعوتهم ، ولأن لذع البرد لم يدع فى نفوسهم سوى أن يصلوا إلى مكان دافىء كنين ، فلم تلفتهم تلك الهسهسة المرتجفة التى كانت تقع من أذهانهم موقع الظِّنّة والعجب من هذه الفتاة التى تهزأ بهم وتسخر منهم فى هذا الليل المثلوج !

كانت شابة جميلة تقف على قمة العشرين ، تفور أنوثتها فى كيانها فتنضح حسناً فى وجهها وامتلاء فى جسدها ، وشهوة تتألق فى عينها الشرهة ونظرتها الآثمة ...

تلك « فانى » التى سطع نجمها فبهر باريس من أقصاها إلى أقصاها ، وشغلها عن كل غانية سواها ، تدور الليلة يهرأها البرد ويلويها الجوع فلا تجد من يشبعها أو يأويها . حتى إذا خَدِرت قدماها من طول ما وقفت ، وسرت فى قدميها وفخذيها رطوبة الأرض المصقوعة همت راجعة وهى تتمتم قائلة :

— لم يعد ثمت أمل فلأرجع إلى بيتى

وكأنما شق عليها أن تنتهى غمرتها هذه النهاية المحزنة المؤلمة ، لأنها حين دارت بجسمها لتأخذ طريقها دارت عينها تفحص الظلام حولها علّه يتفتق عن رجل ... فلمحت شبحاً يسير مضطرباً متثاقلاً يتلفف فى معطف بال مهلهل ... كان بين الخطوة والخطوة يتأنى ويتمهل كأنه يستوضح الطريق أو يدبر المصير

وحين تبينته ظنته طلبتها التى إليها تهفو فرصدت سبيله ، وطفقت تهمس له فى صوت داعر مرتعش لفته حين ملأ سمعه ... فاستدار لها وقصدها متوجساً منها مسرعة إليه ! !

... لم يكن مخموراً كما حسبت ، ولا كانت خاطئة كما ظن ... إنما كان جائعاً شريداً ... مهزولاً ، ذرع المدينة الغارقة فى الثلج يومين كاملين حتى عصبه الجوع وأزحفه السير والسرى

قالت له فى حنو وإشفاق ، وهى تسنده فى لفة ذراعها وتقبله فى نهزة الظلمة والسبيل خالية :

— مسكين ... مسكين ! لا تحزن ... تعال معى فهى حجرة على أى حال وفيها دفء وقرار ...

... ووصلا معاً ... وحين دلفا إلى الحجرة ، واستشعر دفئها

كانت تراه يشع بنور سماوى فشعرت برهبة شديدة تستولى عليها . هل جاء دور هذا الرجل لمحاكمتها . سوف يكون حكمه أشد قسوة من الحكم الأول لأن من حقه أن يستنكف الخطيئة التى ارتكبتها

وبينما كانت تتنازع نفسها عوامل الخوف والرهبة سمعته يقول لها :

« وأنا أيضاً لا أدينك . اذهبى بسلام ولا تأثمى بعد اليوم »

عند ما انتهت إلى نفس المرأة الخاطئة هذه الكلمات الحاملة لمعانى الغفران والمحبة تمت المعجزة فى قلبها . ذلك أن شرارة صغيرة هى قبس من الضياء السرمدى اشتعلت فأوقدت شعلة مضطرمة أنارت ظلام القلق والنضال اللذين كابدتهما أياماً وليالى عديدة . وكانت تود فى بعض الأحيان لو تنطفئ هذه الشعلة لأنها كانت تجد أن روحها ليست جديرة بزانية مثلها . ولكن الشعلة لم تنطفئ بل خطت فى قلبها كتابة لا تمحى عن بشاعة الخطيئة وجمال العدل . وقد ظلت متقدة حتى امتلأت بقدسيتها نفس تلك المرأة الضالة

صدقى شبيوب

صاح في جذل وسرور وهو يلقي بنفسه إلى الأرض إلقاء :

— ما أهنأني بهذا المكان ... إنه ولا شك أفضل من الشوارع. نعم إنه أفضل من الشوارع لقد أمضيت دهراً في الشوارع

وفتحت « فاني » خزانتها و عَيْنَتْ فيها ، وكانت تحوي كل ما تملك من ملابس وطعام وشراب ! إن كانت الكسر التوافه التي ضربت فيها العفونة تسمى طعاماً ... أو إن كان القليل من النبيذ الرخيص يصلح أن يكون شراباً ...

قدمت له كل ما عندها ، بعد أن عجفت نفسها عنه ، فشبع وروى جهد ما وسعها أن تشبعه وترويه ... وحين أجاء الطعام[1] شرع يقص عليها قصصه وقد طامنت جوعها واطمأنا معاً ... قال :

« قضى جدي منذ زمن قصير ولم يكن لي سواه وكان مصوراً مغموراً ... وقبيل موته أوصى بي أحد معارفه هنا ، وحملني إليه رسالة مكتوبة ناشده فيها أن يعني بأمري ، ويعلمني حرفة التصوير وكنت أحمل — حين قدمت باريس — نيِّفاً وثلاثين فرنكاً كانت كل ما أملك من متاع الدنيا ...

« طفقت أبحث عن الرجل فما وقعت له على أثر . إذ كان نقل مسكنه إلى حيث لا يدري أحد من جيرته فلبثت ستة أشهر أنفق مما معي إنفاق الحريص الشحيح حتى نفدت ثروتي عن آخرها منذ سبع ليال ! فهمت على وجهي متسولاً في الطرقات ، وفي تلك الأيام التي يجمد فيها الدم وتُجِنُّ فيها الريح ... آه يا سيدتي ... عند ما لقيتك لم أكن قد طعمت شيئاً منذ ثمان وأربعين ساعة ! »

وكان التعب والدفء قد فعلا فيه فعلهما فلم يَفْنُ أن ينهض ليخلع عنه أخلاقه . فنهضت تساعده وتنضوها عنه في رقة وحرص ... ثم احتوته في صدرها في عطف وحنو ، وأخذت تقبله وتدلِّله وقد شاعت فيها الرحمة وأنساها بؤسه بؤسها . ثم ثم تركته لتخلع ملابسها هي أيضاً . . . ثم صعدا معاً إلى فراشها وكَنَنْتُه في حضنها كطفل عليل ، وناما — ملء عيونهما — إلى ضحوة النهار

... ... واستدانت ثمن غذاء رخيص في مطعم حقير ، وحين جاء الليل تأذَّنَتْه أن تغيب عنه بعض الوقت ... وحين عادت أفرغتْ بين يديه اثني عشر فرنكا قائلة إنها كسبتها وإنها أحسن حظاً من الليالي السالفات، وإنها تدين له بهذا الحظ الوفير، ثم قبلته وتركته كَرَّة أخرى، إذ كانا ـ لا يزالان ـ أول الليل

... ... وأوغل الليلُ ... ثم انتصف ... ثم تهوَّر ولم تعد « فاني » فقلق عليها . ولكن لم تداخله في خفيتها ريبة ... وأسفر الصبح ولم تعد أيضاً ... ولما علا النهار غادر الحجرة . إذ كان عليه أن يعول نفسه ويعودَ ثانياً فيطرقَ شوارع باريس المديعة القلب ، وإن كانت ستغنيه تلك الفرنكات القليلة التي تركتها له ـ تلك التي لم يعرف اسمها ـ عن التشرد بضعة أيام !

أما هي فكان من تَعَسِها أن احتجزها رجل الشرطة ، لأنها كانت تسير عبْر شارع محظور على مثلها أن تسلكه أو تظهر فيه ... ومن ثَمَّ أعدوا لها ـ جزاء ما اجترأت ـ مكاناً في سجن البغايا في « سانت لازار »

* * *

ودارت عجلة الزمان خمس عشرة دورة ، تحولت الحال فيها غير الحال ، وتبدَّل فيها كل شيء . . . ذاقت خلالها « فاني » من صابِ الحياة وحلوها ويسرها وعسرها ما تذوقه كل طريدة مثلها ... وهبت نفسها للإثم والخطيئة ... فملأ التيار بها وهبط ومد وجزر . حتى استقر المطاف بها أخيراً فإذا هي ـ بعد جهد السنين ـ غانية باريس الأولى وزهرة مجتمعاتها وحفلاتها وكوكبها الذي إذا ظهر أخذ وبهر ، وإذا غاب شغل وأسر . . . !

كذلك ، وفي وثبة واحدة بلغت « فاني » الأوج وارتفعت إلى الذروة مالاً وجمالاً وشهرة وبُعدَ صيت . وأثْرتْ تلك الفتاة المعدمة الشريدة التي آوتها الطرق ليالي وأياماً وربَّتها الحادثات ، والتي عانت الجوع والعري ألواناً وأعواماً ؛ وتدفق في يديها الذهب ، وأقبلت عليها الدنيا ، حتى سار المثل بغناها وبذخها ، واندفعت في نزق وجنون تنتقم من يومها لأمسها ، فأسرفت في اقتناء الجياد والمركبات واستعمال الخدم والنُّدُلِ ، وجُنَّت بالترف البالغ والسرف الطائش حتى طاولت بقصورها قصور السادة والأمراء، وطار ذكرها فملأ فرنسا كلها وجاوزها، فتهاوت تحت قدميها أفئدة الرجال ، واحتولها[1] السادة ، وتحلَّقها الخاصة ، واحترق في وَهَجها الشباب المُنْفَرُ من كل صَوْب وفج ، وذابت في لَذْعةِ السحر من عينيها الأخَّاذتين الأموال الكريمة . والضياع الوِسَاع ، واختفت في أبهاء قصورها وبُهْرَات ملاعبها ومغانيها ثروات السفهاء البُله من سادة الحكم ووزراء الحاكم وأمراء المال من كل بلد وقطر !

(١) أجاء الطعام أسكت جوعه

(١) احتولها : تجمعوا حواليها

وظلّت « فانى » فترة من الزمن ملكة الجمال الفاتن والبذخ المريض ، ليس فى باريس وحدها ولكن فى دائرة مركزها باريس ومحيطها عبر المحيط ... تمسك أفئدة الخاصة - بل خاصة الخاصة - بخيوط تجمعها فى يدها . فتُقْوِى من تشاء وتُرْجى من تشاء ، وتتحفّى من تريد وقت ما تريد . وبلغ بها هوسها أن تألّهت فقسمت الحظوظ بين عُبّادها وفرّقتهم ، فمنهم شقى وسعيد !

... وأوفت الفتنة فى هذه « المخلوقة » وبها على الغاية حتى ذل فيها الأعزة الشم من الحافين حولها ، وحتى هلك فى سبيلها من حقّت عليه كلمتها . فقضى من أجلها من قضى ، وجن فيها من جن ... ...

* * *

... وكأنما برمت باريس بهذه الداهية الوافدة التى شغلتها برهة من الزمن فماجلها القدر وهى فى عقدة عزّها ، إذ توالت عليها المصائب ودهمتها الحوادث بغتة ومن غير تمهل ، فأخذت تنحدر سريعاً كما ارتفعت سريعاً ... وفعلت تلك الحياة العابثة الصاخبة فعلها فى أعصابها وكيانها ... فأصابتها لوثة جعلت تخبط فيها على غير هدى ... ثم ركبتها الديون ... فاضطربت رأساً لقدم ، وأخذتها العزة فلم تقو أن ترى الدائنين يجترئون عليها فيقتحمون مقاصيرها . ويخادعها - على عينيها - ليستوفوا أموالهم بعدل ما تحوى من كنوز ثمينة وطرائف عجيبة ونفائس غالية ! ! ...

وأسلمها الخبل إلى الجنون ، وتضاءلت شهرتها وانفضت من حولها حاشيتها . وتقلص ظلها الممدود وهوى النجم الذى تضوأ فأفل - من وهج نوره - كل نجم سواه ... واختُصرت الدنيا العريضة التى وسعتها ، حتى صارت حجرة ... حجرة بسيطة فى مستشفى المجانين لا تليق أبداً بـ « فانى » العظيمة ! ...

وقرأ الفنان العظيم « فرنسيس جورلاند » خبر ما أصاب « فانى » غانية فرنسا ، فلم يلفته النبأ بدء الأمر ، ولكن الصورة المنشورة أرجعت عقله - حين توضحها - إلى الوراء بعيداً بعيداً .. حتى عثر فى طواياه على ذكرى سحيقة ... ذكرى تلك الليلة ... ... وحين عرف أن « فانى » الحسناء لم تكن سوى تلك الفتاة التى أطعمته وأدفأته وحنت عليه حنو الأم على وليدها والتى ذهبت عنه فلم يرها ولم يسمع بها ، والتى جدّ فى البحث عنها فلم يجدها حتى أيس منها ، والتى كانت تصحو ذكراها فى زوايا قلبه فيردد شكرها فى أعماقه ويتمنى لو يراها ... حين عرف كل ذلك آسفته هذه النهاية المفجعة لهذه الفانية الطيبة القلب ... ثم عجب لنفسه كيف جهل أن « فانى » التى لهجت بسيرتها كل شفة وشغلت بجمالها كل إنسان لم تكن سوى فتاته التى تركت له اثنى عشر فرنكا ومضت ...

قال يحدث نفسه بعد أن رجع من غياهب الماضى الذى غرق فيه :

- إنه لا يحسن أن تنتهى حياة « فانى » هكذا ، وفاض فؤاده نحوها بحنان غزير . واعتزم أن يعمل من أجلها عملاً ما ، ومع أنه حمد للقدر أن هيأ له أن يراها ليبثها شكره وامتنانه ، وليرد لها جميلها الذى لا يستطيع أن ينساه ، إلا أنه حزن وأسى وود لو كانت لقياها فى ظروف أحسن من هذه

ولم يكن الفنان النابه ثرياً إنما كان يحيا حياة وسطاً قوامها ما كان يربحه من فنه كمصور ، فباع كل ما يملك ليستطيع أن يجد لها مكاناً خيراً من الذى هى فيه وجواً أرجى وأنقى . وعناية أتم وأكمل حيث تراعى وتمالج ويعنى بحالتها النفسية ، وحيث تقوم على أمرها ممرضة تحنو عليها وترعاها ... وهناك تحسنت صحتها تحسناً ظاهراً شجعه أن يحملها إلى بيته ليخدمها بنفسه . وليدخل على قلبها لوناً من المسرة والبهجة ، سيكون له - بإذن الله - أثر فى تقدم صحتها ، ولكن الطبيب عارضه وأنكر عليه ونصحه قائلاً :

- ستعود بها إلينا ثانياً ... إن لهذا المرض نوبات تعاودها حيناً بعد حين . وقد تقضى عليها إحدى هذه النوبات

فلم يرضخ لنصح الطبيب ، وقال له :

- إنه لا بد أن تعيش معى ، إنها أشبه بأمى . . .

وفى منزله اعتنى بها وخدمها بإخلاص ، وسهر عليها فى حنو وصبر . وكانت الصدمة قد كهلتها فتخاذلت وابيض شعرها ، ولم تستطع أن تعى حقيقة أمرها ، ولا أن تعرف شيئاً عن الرجل الذى يأويها ويقوم على شأنها ، ولم يشأ هو أن يذكرها بنفسه ، بل ذهب إلى أبعد مدى فى النبل وإنكار الذات ، إذ تركها تعتقد



أطفال ولا طفولة

[ملخصة عن « نيوزيورخ زوتنج »]

لا يختلف الطفل فى أمريكا الجنوبية عن الشاب البالغ إلا بأنه أقل سناً وأقصر قامة . ولكنه لا يختلف عنه من الناحية النفسية على الإطلاق . والطفل فى كل مدينة وكل إقليم يشترك فى مظاهر الحياة العامة على اختلافها . ومن المظاهر المألوفة فى « كويتو » أن ترى الطفل البالغ من العمر ست سنوات يطوف الشوارع فى ثيابه الرسمية وعلى قبعته الرقم الذى يشير إلى وظيفته فى الخدمة العامة

فإذا بلغ الطفل الثالثة من عمره أخذ أهله فى تدريبه وإعداده للمزاحمة فى الحياة . ويشاهد الأطفال فى تلك البلاد وهم فى الخامسة من أعمارهم فى الأسواق العامة يبيعون السجائر والفاكهة والمجلات وأنواع الحلوى . وترى المكاريون والسعاة من بين الأطفال الذين فى الثامنة أو التاسعة من أعمارهم

والطفل فى أمريكا الجنوبية فى السنتين الأوليين من حياته ، يعد لعبة طريفة عند والديه ، يلبسانه ثياب الخز والديباج ويعرضانه فى زهو وعطف على أصدقائهم . فإذا بلغ الثالثة أو الرابعة من سنه بدأ يتبع نسق الحياة الذى اتخذه والداه . فإذا كان من الطبقة الفقيرة كان عليه أن يكسب بعض النقود عند ما يبلغ الخامسة من عمره .

وقد تشاهد فى منتصف الليل كثيراً من البنات اللاتى لم يتجاوزن السابعة من أعمارهن على عرض الطريق يبعن الحلوى والأزهار . وكذلك الغلمان فى هذه السن وهم يحملون أوراق النصيب أو علب (الورنيش) . ولا ينقطع هؤلاء الأطفال عن الشارع فى الليل أو النهار ، فلا تعرف فى أى وقت يخرجون وفى أى وقت ينصرفون ؟ !

والطفل فى جنوب أمريكا يعد عضواً عاملاً فى أسرته ، يرتدى زى الكبار وله ما لهم من الحقوق . فالبنت الصغيرة مثلاً تتحلى بالخواتم وتلبس الأقراط وترتدى ثياب الحرير وتضع الطلاء وتتعطر بالروائح الزكية . وتصفف شعرها كما تفعل أمها على حد سواء . وكذلك يتزيا الصبى بزى أبيه فيلبس القبعة الفاخرة ويرتد الملابس الطويلة ويقتنى الحلى والجواهر

إن جهاد هؤلاء الأطفال فى الحياة العملية ليدعو حقاً إلى الإعجاب . فقد رأيت طفلاً فى العاشرة من عمره يقوم بعمل حارس الليل فى سفينة على نهر « كاتالبا » فى فنزويلا . حيث الملاريا والحمى الصفراء والدسنطاريا والتماسيح ، لا يساعده فى هذه العزلة الموحشة إلا امرأة واحدة ، وهو يعد مسئول عن صحة الركاب الذين لا يقلون عن مائة شخص ، مسئول لذلك عن راحتهم ؛ ويقوم بأعمال النُّدُل فى بعض القطارات أطفال فى العاشرة والحادية عشرة من أعمارهم ، ويدير مصلحة تنظيف الشوارع فى مدينة « كويتو » أطفال فى السابعة ويقومون بعملهم على أحسن وجه

نابليون فى منزله

[من « ذس ويك »]

كان نابليون من ذوى العبقريات الحربية النادرة التى عرفها العالم ، وكان من أعظم رجال السياسة والإدارة الذين عرفهم التاريخ . وقد أشرفت شخصيته الجبارة على أوربا ولما يبلغ الخامسة والثلاثين فماذا عسى أن تكون حياته المنزلية ؟

أنها فى رعاية شاب ترى فُتن بها وأحبها لنفسها حباً حقاً خالصاً موقناً أن هذا الحلم السعيد الذى تعيش فيه مطمئنة وادعة ، والذى قدّمَ لها خيوطه الحريرية فنسجته هذا النسج البديع اللائم سيسرع بها نحو العافية ...

... ولكنها عُقبى نوبة قاسية من نوبات دائها أسندت رأسها إلى صدره هانئة سعيدة وأسلمتْ نفسها تحت عينيه وبين ذراعيه

وحين أراح على فراشها جثمانها الساخن ذكر ليلة أن طعم ودفءُ وبات هانئاً سعيداً ملء حضنها وبين ذراعيها وغمغم يقول :

— هل دفعت الدين يا فانى ؟ ! . . .

مراد السكرانى

كان نابليون يستيقظ من رقاده فى أى ساعة من ساعات الليل ، فيستحم بالماء الساخن ، وكان يجلس فى حوض الماء وعلى رأسه لفافة كالعمامة يتدلى طرفاها على عنقه . وكان يأمر بتدليك صدره بفرجون من الحرير فى كثير من الأحيان

ويقوم خدمه بإلباسه فى الوقت المعتاد . فإذا أراد أن يحفى لحيته، غمر كل شىء فى وجهه بالصابون إلا منابت الشعر ، ويتناول « الموسى » فى تعسف ، فلا يكاد يمر بها على وجهه ، حتى يملأ خده الناصع بالجروح . وكثيراً ما كان يشرد لبه وهو يقوم بهذا العمل ، فيترك جانباً من وجهه كما هو ، ويحفى الجانب الآخر

ولم تكن أحذيته أنيقة المنظر ، أو جيدة الصنع ، ولكنها كانت دائماً مبطنة بالحرير . أما قبعاته ، فكانت مهدمة الأركان ممزقة من بعض النواحى . إذ أن القبعات الجديدة كانت تحز فى جبهته وتجلب إلى رأسه الصداع . ولم يكن نابليون يلبس الحلى أياً كان نوعها ، ولم يكن يحمل كيساً للنقود أو يضع فى جيوبه شيئاً منها .

وكان يحب من الذين يقومون بخدمته أن يجيبوه أجوبة سريعة حازمة ، وإن كان قل أن يصغى إلى ما يقولون . فإذا كان معتدل المزاج فلا بأس من أن يفرك لأحدهم أذناً أو يصفعه مداعباً على خده . وكان نابليون سريع الغضب فى أكثر الأحيان ، وكثيراً ما كانت تعتريه نوبات نفسية عنيفة تطغى على أخلاقه ، ولكنه كان سريعاً إلى الهدوء سريعاً إلى الصفح

وكانت تصيبه نوبات عنيفة من سوء الهضم لعدم عنايته بمضغ الطعام ، فيستلقى على الأرض وتأخذ زوجته برأسه فتضمه على صدرها وتدلك بيديها على جبهته وصدره ، وكان يكره تناول العقاقير على اختلاف أنواعها

ومن عادته أن يلعب الورق مع زوجه وأصدقائه عقب الغداء ، إذا لم يكن مصاباً بعسر الهضم

وكان يقرأ الكتاب ؛ فإذا لم يعجبه ما فيه ألقى به إلى النار . فإذا رأى أحداً من أصدقائه يقرأ فى كتاب لا يوافقه أخذه من يده ودفع به إلى النار

وكان نابليون سريع التأثر بالبرد حتى إنه ليأمر بتدفئة فراشه بالطرق الصناعية فى جميع فصول السنة . وكان مصاباً بعادة قرض الأظافر . ومن المعروف عنه أنه كان يغار على زوجه إلى درجة تشبه الجنون إلا أنه كثيراً ما كان يخضع لها ويسألها العفو وإن كان الخطأ فى جانبها . هذه صورة مصغرة لحياة الرجل الذى هزم إيطاليا وهو فى السادسة والعشرين ، وفتح مصر فى الثامنة والعشرين وكان دكتاتوراً لفرنسا فى الثلاثين وسيداً لأوربا فى الثانية والثلاثين من عمره : نابليون بونابرت



هذا أديب

كان عندنا فى مصر أديب فلسطيني راجح العقل ، وافر الذوق ، اسمه خليل سكاكيني ؛ وكانت بيني وبينه مطارحات تصل أحياناً إلى الصيال ، ولكنه لم يكن يعرف الحقد ولا الضغن

فكان يتلقى هجومي عليه بالصفح الجميل ، ثم يحمله الكرم على المبالغة فى الرعاية لما كان بيننا من صداقة وإخاء

ولا أذكر بالضبط متى انتقل من القاهرة إلى القُدس ، فقد شغلتني عنه أيامي ، ولم يبق لى منه إلا هدايا أدبية من كتبه النفيسة يرسلها إلىّ من حين إلى حين بدون أن يتلقى مني كلمة ثناء ، إلا أن أكون وُفقت إلى الكلام عن بعض مؤلفاته أعوامَ كنت أحرر الصفحة الأدبية بجريدة البلاغ ، وأنا رجلٌ يعاوده الوفاء فى بعض الأحايين !

تلقيت يوماً رسالة مطبوعة من الأستاذ خليل السكاكيني ، فنظرت فيها فرأيتها مجموعة من خطابات الأشواق كتبها إلى ابنه سَرِيّ وكان اغترب لطلب العلم فى أمريكا

فماذا رأيت ؟

لم أجدها رسائل أب إلى ابنه ، وإنما وجدتها رسائل عاشق إلى معشوق !

رأيت رجلاً يقول لابنه إنه يتذكر وجهه الأصبح وهو فى مثل ضوء الشَّفَق وقد صِيغَ مثالاً للجمال الشائق الفتان . رأيت رجلاً يقول لابنه إنه يتذكر طُرّته الجميلة المصفوفة على أروع ما تكون الغدائر التى تفتن العيون فيهتاجه التذكر والاشتياق

رأيت رجلاً يتغزل فى ابنه بعبارات صريحة فقلت : هذا أديب يطبع الحب الأبوىّ بطابع الوجدان

وفى هذا المساء — وقد رجعت من سفر لا يخلو من عناء — وجدت رسالة مطبوعة من الأستاذ خليل السكاكيني وعليها صورة امرأة جميلة فقلت : لعلها معشوقة يتحدث عنها هذا الأديب ،

وهل عرفت الدنيا أديباً خلا قلبه من العشق ؟

ومن هذه المعشوقة الغالية ؟

هى حليلة السكاكيني ، هى أمُّ سَرِيّ التى خُلِّدت فى أشعار الأستاذ معروف الرصافي

وأقبلتُ على الرسالة فقرأتها فى دقائق مع أنها تبلغ الثمانين من الصفحات

فماذا رأيت ؟

رأيت رجلاً يكرم زوجته فيصف جمالها الفتان بعبارات صريحة فقلت : هذا أديب يضيف ثروة جديدة إلى اللغة العربية ، لأن الحلائل فى لغتنا لم يُبكين إلا قليلاً ، وهنّ أجدر من المعشوقات بالبكاء

ورأيت رجلاً يعتز بنفسه فيصرّح بأن جمال امرأته كان يحتاج إلى فتى فى مثل رجولته ، فقلت : هذا أديب فيه سمة من فتيان قريش

ورأيت رجلاً يبلغ به الحزن على زوجته الغالية إلى التفوه بعبارات هى أفظع ما يكون من الكفر الموبق، فقلت: هذا أديب يغلبه الحزن فيخلع قناع التأدب مع الشرائع

والأديب الحق يستبيح فى عتاب الأقدار ما لا يباح

والأدباء كأهل بدر تغفر لهم جميع الذنوب ، وستعرفون صدق ما أقول يوم نلتقى فى حضرة الواحد الديان ، إن كان من الممكن أن يكون لأعداء الأدب مَعاد ، وإن جاز أن تُنصَب لأعداء الأدب موازين يوم يقوم الحساب ، وهم فى شِرعة العقل من المهملات وسوف تعلمون مصايركم يا أعداء الأدب الرفيع !

السكاكيني مبتكر فى بكاء حليلته لأنه أديب حق ، وقد كفر من أجلها كفراً هو صورة من الإيمان الصحيح . وبعض الكفر إيمان ، ولكن أكثر الناس لا يفقهون !

والسكاكيني يعجب من أن ينكر الناس البكاء ، ويقول إن مقاومة البكاء إفساد للفطرة ، ويدعو المحزونين إلى تنفيس كروبهم بالنوح والأنين كما كان يصنع القدماء

قال السكاكيني فى بكاء زوجته كل شىء ، والمفارق يقول ما يشاء وما أصعب الفراق !

يلطف الله بك يا خليل ، ويلطف بأبنائك المفجوعين بفراق أمهم الغالية !!

وكيف خطرتُ فى بالك ، يا صديق ، بعد فراق الأعوام الطوال ؟ أتريد أن آسَى لأساك ، وأشجَى لشجاك ؟

إن كان ذلك ما أردتَ فقد حزنتُ لحزنك حتى خفتُ أن أصبح عاشقاً لذلك الحسن المكنون الذى أمسى فى ودبعة التراب

أتريد أن أعرف أنك كنت زوجاً لامرأة جيلة كان يقتتل فى سبيلها الخاطبون ؟

هو ذلك ، وإلا فكيف قدمتَ لنا صورها الجذابة فى عهودها المختلفات ؟ !

اسمع ، يا خليل ، اسمع ثم اسمع

أنت رفعت المرأة درجات ، حين جعلتها أهلاً للتفجع والتوجع والأنين

وفى النساء أمهاتنا وأخواتنا وبناتنا وزوجاتنا ، وهنّ جيماً أهلٌ للعطف والحب . والحمد لله الذى أعزها بوقوفك على قبرها ولم يذلها بوقوفها على قبرك ، على حدّ التعبير الجيل الذى قرأته منذ أعوام بمجلة المرحوم سليم سركيس . . . وسلامٌ عليك من الصديق الحافظ للعهد :

زكى مبارك

حول الأمومة عند العرب

اطلعت على الجزء الأول من مقالة الأستاذ رفعة الحنبلى « الأمومة عند العرب » المنشور فى العدد (٣٥٤) فاستوقف نظرى قول الكاتب نقلاً عن أحد المؤرخين اليونانيين القدماء وهو «سترابون» إن العرب فى الجاهلية لم يكونوا يعرفون الزواج الشرعى الدائم، وإنه كان يفشو بينهم تعدد الأزواج، وإنهم كانوا يتصلون بأمهاتهم

وجواباً على المسألة الأولى أقول : إن الزعم بأن للعرب فى الجاهلية لم يكونوا يعرفون الزواج الشرعى الدائم هو زعم غير صحيح

فقد روى البخارى فى صحيحه وأبو داود فى السنن عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، قالت: كان النكاح فى الجاهلية على أربعة أنحاء «أنواع» نكاح الناس اليوم يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته فيصدقها ، ثم ينكحها : ثم ذكرت الأنواع الثلاثة تتمة الأربعة وفيها تعدد من يتصلون بالمرأة ؛ إلى أن قالت : فلما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم بالحق هدم نكاح الجاهلية كله إلا نكاح الناس اليوم . التاج ج ٢ ص ٣٦٨

ويعلم المطلعون على تاريخ الأمة العربية أن الشعوبية -من أعداء العرب وشانئيهم- هم أول من عمد إلى الطعن فى أنساب العرب، ووضعوا أخباراً ولفقوا كتباً فى مثالبهم وتحقير شأنهم ، ومن أشهر هؤلاء الشعوبية الهيثم بن عدى ، وكان دعياً ، فألف كتاباً فى مثالب العرب أراد به أن يعرّ أهل الشرف تشفياً منهم . قال الألوسى : « ثم نشأ غيلان الشعوبى الوراق- كان زنديقاً ثنوياً- فعمل لطاهر بن الحسين كتاباً خارجاً عن الإسلام بدأ فيه بمثالب بنى هاشم ، وذكر مناكحهم وأمهاتهم ، ثم بطون قريش ، ثم سائر العرب ؛ ونسب إليهم كل زور ووضع عليهم كل إفك وبهتان » ص ١٦٠ ج ١

وقال فى ص ١٧٣ ج ١ : « إن جميع ما ذكره الشعوبية فى شأن مناكح العرب وما أوردوه من باب الطعن فى أنسابهم بما كانوا يتعاطونه فى الغارات من سبى النساء واسترقاقهم ووطئهم من غير استبراء من طمث ونحو ذلك لا أصل له . وكتب التواريخ صارخة بتبرئتهم مما رماهم به خصومهم وأعداؤهم ، وقد نطق الشعر الجاهلى بما كانوا عليه من الحمية والغيرة ومزيد الاعتناء بأنسابهم وحفظ حريمهم والذب عن أحسابهم وعشائرهم »

وجواباً على المسألة الثانية أقول : ليس صحيحاً أن العرب فى الجاهلية كانوا يتصلون بأمهاتهم ، لأن هذه عادة مجوسية ، ولأن الله تعالى نهاهم فى القرآن عن محرمات النكاح ولم يذكر أنهم فيما سلف كانوا ينكحون أمهاتهم ، بل خص ذلك بزوجة الأب والجمع بين الأختين . فقال سبحانه : « ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلاً » وقال عز وجل : « وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف » ويدل على هذا ما روى هشام بن عبدالله عن الإمام محمد بن الحسن صاحب أبى حنيفة أنه قال : « كان أهل الجاهلية يعرفون هذه المحرمات كلها التى ذكرت فى هذه الآية وهى : « حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم » الخ إلا اثنتين إحداهما نكاح امرأة الأب والثانية الجمع بين الأختين . ألا ترى أنه قال : «ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف ، «وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف » ولم يذكر فى سائر المحرمات « إلا ما قد سلف» قرطبى ص ١١٩ ج ٥

وبعد فأقول ليس بعيداً أن يكون ذلك المؤرخ الأجنبى الذى نقل عنه الكاتب أن العرب فى الجاهلية كانوا يتصلون بأمهاتهم

قد التبس عليه الحال فتوهم أن امرأة الأب – التي كان بعض العرب في الجاهلية يتزوجونها – هي الأم مع أنها غيرها قطعاً ولو فرض أن هناك رجلاً أو نفراً من جهلاء العرب كانوا قد اقترفوا هذا الإثم واتصلوا بأمهاتهم فليس من الصواب جعل هذه النقيصة عامة لكل رجال الأمة العربية « ولا تزر وازرة وزر أخرى » وأختم كلمتي هذه بتوجيه نظر حضرة الكاتب وغيره ممن يخوض في مثل هذا البحث الدقيق ألا يهملوا الاستدلال بما في المراجع العربية فهي المصدر الذي اقتبس منه المستشرقون كما أنها هي التي عنيت بتفنيد ورد ما افتراه ووضعه الشعوبيون

محمد صبري عابدين

العقيدة الساذجة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد : فقد راعني مقالكم « العقيدة الساذجة » وسرني – شهد الله – هذا الاتجاه منكم لعلاج أمراض المسلمين ، ونواحي النقص فيهم بقلمكم الصناع ، وأسلوبكم الساحر ، لا سيما نواحي العقيدة التي أساء الناس فهمها ، واتجهوا فيها اتجاهاً لا يرضاه الدين إن لم ينافه في أصله وقواعده

وغير خاف أن ذلك الزعيم الهندي الكبير ليس هو الوحيد في هذا الشأن « زخرفة القبور » بل إن من بين أيدينا ، وعن أيماننا ، وعن شمائلنا لمثلاً كثيرة للخروج على عقيدة الإسلام وتعاليمه .

وإني لعلى يقين من أنكم ستستعذبون هذا اللون من الجهاد حتى تنبهوا الأمة من سباتها العميق

سدد الله خطاكم ، وأمدكم بروح من عنده .

وقد لفت نظري في هذا المقال قولكم : « وإن الإمام الذي كان يطوي الأيام ليطعم – على حب الله – المسكين ، واليتيم ، والأسير لا يرضى هذا الإحسان الميت » تشيرون بذلك إلى معنى قوله تعالى : « ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً » التي رووا فيها قصة صوم علي كرم الله وجهه ، وبنيه ، وزوجه ، وجاريته وهذه القصة موضوعة لا أصل لها ولا ينبغي أن يحمل كلام الله تعالى على قصة هذا شأنها ، وإن أقل تأمل في هذه القصة يدل على أنها مصطنعة .

محمود محمد سويلم
واعظ سمالوط

مجمع فؤاد الأول للغة العربية في رأي لجنة المالية بمجلس النواب

ترى اللجنة أن الدرجة الثقافية التي وصلت إليها مصر الآن تجعلنا نشعر بالفراغ الكبير وبالحاجة الكبرى لوجود قاموس عربي جامع منسق على أحدث الطرق وأسهلها . كما أن مصر والشرق العربي كله يطمحان في تحقيق أملهما في وجود دائرة للمعارف عربية ، تستجمع ثمرة إنتاج العقل الإنساني في مختلف العلوم والفنون والمعارف ، أسوة بدوائر المعارف الكبرى الموجودة الآن بكل أمة وبكل لغة إلا اللغة العربية ، وهي الوحيدة بين اللغات الحية المحرومة من دائرة معارف للآن

لذا تأمل اللجنة أن تتوجه وزارة المعارف بخطوات جدية حاسمة في سبيل تحقيق هذا الأمل العزيز

وترى اللجنة أن مجمع اللغة العربية ، على ما أفاد به في حدوده الضيقة ومباحثه المحدودة ، لم يشبع في كثير ولا قليل هذه الأطماع الثقافية الكبيرة . ولعل الوزارة على ضوء رغبة اللجنة السابق ذكرها ، تسرع بالعمل على إعادة النظر في تكوين هذا المجمع ، من حيث تنوع معارف أعضائه والزيادة في اختصاصه ، حتى يكون الأداة الحية المرجوة لتحقيق وجود دائرة المعارف والقاموس ، وغيره من البحوث الأدبية واللغوية والعلمية التي يفتقر لها جماعات مثقفون في العالم كله

الفؤاديات

مجموعة من الشعر الوجداني الرقيق ، نظمها المرحوم « فؤاد بك محمد » ؛ ثم نشرها بعد موته ابن عمه الأديب عبد القادر يوسف تمجيداً لذكراه وتخليداً لفنه ؛ ثم تفضل فأهدى إلى (الرسالة) مائة نسخة منها لتوزعها هدية على من شاء من قرائها تحقيقاً للغرض الذي طبعت من أجله ، وهو الإشادة بفضل الفقيد الشاب والإفادة من نشر أدبه الرفيع

الشيخ عبد الرحمن قراعة كأديب

رأى الأستاذ « محمود علي قراعة » من الوفاء للأدب ، والإخلاص لعمه المغفور له الشيخ « عبد الرحمن قراعة » مفتي الديار المصرية سابقاً أن يتحدث عنه كشاعر وناثر ليهيئ أذهان تلاميذه وأصدقائه إلى إدراك منزلته العالية في الأدب والعلم فينشروا ديوانه ويظهروا فضله . فتكلم عنه كصديق ومحسن ومتدين وفقيه ومعاشر وحكيم ، كلام العارف البصير ؛ ثم نشر ذلك في مجموعة وأهدى إلى (الرسالة) منها مائة نسخة لتوزعها على من شاء من قرائها ، فلله الحمد على ما هدى ، والشكر على ما أهدى .



ليالى الملاح التائه

ديوان الأستاذ على محمود طه

للأديب عبد العليم عيسى

الشعر كالحياة من حيث مظهره ومصدره ؛ فهو من حيث المظهر متفاوت التقدير عديد الألوان ، ومن حيث المصدر واحد لا يتجزأ ولا يقاس ولا يتنوع ...

فالحياة فى الثعلب هى بعينها الحياة فى الأسد ؛ ونحن لا نعظم الحياة فى الأسد لأنها أشرف وأجل من الحياة التى تسير الثعلب ، ولكن لأنها قد اتخذت لها فى الأسد مظهراً واسعاً مكتملاً عريضاً أوسع وأكمل وأعرض من المظهر الذى اتخذته فى الثعلب(١) ...

على هذا القياس الحق ، ترانا نفضل هذا الشاعر على ذاك الشاعر ، وترانا نستحسن هذا الشعر ولا نستحسن ذاك ، ونحن فى هذا التفضيل والاستحسان لم نرد إلا أن المظهر الذى ظهر فيه شعر الأول أحسن وأتم وأوسع من المظهر الذى ظهر فيه شعر الثانى ؛ أما شعرهما من حيث القيمة فهو واحد لا تفاوت فيه ...

من بين شعرائنا الذين نقدرهم ونستحسن شعرهم ، شاعر رقيق رشيق هو الأستاذ على محمود طه فهو شاعر يستقى قلمه من ينابيع قلبه الجياش بالعواطف ، وروحه المائجة السبوح . وهو شاعر عانقت روحه روح الكون الجميل ، فجاءت أشعاره واسعة متفتحة ناعمة ، تسمع فيها دقات أنباض الحياة ، وتتنسم منها نسمات الجمال والخلود ...

قرأت « لياليه » فشعرت بلذة روحية عجيبة ، وأحسست بانفعالات تهزنى وتنعشنى ، وتوقظ نفسى وترهف حسى ، وتفتح أمامى آفاقاً من النور والجمال والبهاء ...

وهل أنا أطلب من الشاعر غير هذا ؟ ... كفى بالشاعر أن ينقلنى من عالمى المادى الحقير ، إلى عالم سماوى نضير ، تحير فيه أطياف الحسن والسحر والفتون ، فأنسى فيه — ولو قليلاً من الزمن — رغبات الأرض وشهوات ابن التراب !! وأنت لو ذهبت تعد شعراءنا جميعاً علك تجد فيهم من يسمو بك إلى عاله ، ويشعرك بالحياة المتدفقة الفائرة مثل هذا الشاعر ، ما وجدت — للأسف — غير شاعرين أو ثلاثة على الرغم من وفرتهم وتبجحهم وجعجعتهم !

إن من بين شعرائنا من هم إذا كلفوا بشىء آخر كلفهم بالشعر ، لجاءوا بالعجب العجاب ولب اللباب ؛ ولكنك إذا ذهبت تصارحهم بهذا رأيتهم هاجوا وماجوا ، كأنك تريد أن تسلبهم أرواحهم ! ومن العجيب أنك لا تلبث أن تسمع منهم من يقول فى غطرسة وكبرياء : « أنا المجلى وغيرى نابع تال » ...

وآخر يقول :

قد صرت وحدك فى الملو ك وصرت فى الشعراء وحدى

وثالث يقول :

لولا غنائى وشعرى لمات روح الوجود

وهكذا وهكذا تسمع ما يؤلم قلبك ... ويشجى روحك !

إذن يجب علينا أن نفرح بظهور الشاعر الحق فرحنا بظهور الوليد الجديد ، ويجب علينا أن نحبه ونقدره ونجله ؛ وما حبنا وتقديرنا وإجلالنا ، إلا حب وتقدير وإجلال للحق والخير والجمال وهى القيم المنشودة التى تسمى إليها البشرية وتبحث عنها فى جميع أطوارها ومراحلها . وشاعرنا المحظوظ « على طه » هبة سماوية أطلعتنا على آفاق جديدة فيها جمال وخير وفيها أحلام وآمال ...

قلت إن شاعرنا محظوظ ، وأنا أقصد بهذا أنه يحيا حياة شعرية مليئة بالأفراح واللذات ، مترعة بالأحلام والمغامرات . فليس فيها آلام ولا أحزان ، وليس فيها أهوال ولا شكوك ، ولا تردد ولا حيرة ... وأنت لو فتشت فى ديوانه كله ما عثرت على بيت واحد يشعرك أن هذا الشاعر مرت عليه أوقات فيها تنغيص وفيها ألم ، ولكنك تعثر على أبيات كثيرة فيها اللذة السامية ، وفيها النشوة السارية ، وفيها الفرح الشامل ...

هو اليوم فى مدينة « فينيسيا » عروس الأدرياتيك حيث الجمال والحسن الشاع ، وحيث الجنادل المزدانة بالمصابيح الملونة والضفائر الوردية . فلا يلبث أن يوحى إليه هذا الجو الفاتن أنشودة « الجندول » الموسيقية الرائعة الرقيقة الخالدة ...

وهو اليوم فى « بحيرة كومو » التى جذبت إليها كثيراً من

(١) قرأت كلاما قديما للأستاذ ميخائيل نعيمة فيه معنى تلك الجملة ...

الشعراء فألهمتهم أرق أشعارهم وأعذب أغانيهم ؛ فلا يلبث أن تلهمه أنشودة بارعة ، ويهديها إلى صديقة أمريكية كانت ترافقه

وهو اليوم فى مدينة « زيوريخ » على شاطئ بحيرتها ، حيث الاحتفال بعيد سويسرا الوطنى الأكبر ، بين المواكب الصاخبة المرحة ، وأنوار المشاعل ، والأسهم النارية ، وأضواء معرضها العظيم ؛ فتوحى إليه تلك الفاتن الساحرة ... أنشودته الساحرة « تاييس الجديدة »

وهو اليوم على ضفاف « نهر الرين » ذلك النهر الذى يتفرد بجنات أعنابه ، وأشجاره الباسقة ، وقصوره التاريخية ؛ فيوحى إليه هذا الجو الرائع الجميل قصيدة « خمرة نهر الرين » ثم يهديها إلى صديقة سويسرية التقى بها هناك ...

وهكذا وهكذا ترى شاعرنا سارحاً متنقلاً فى أمكنة الفتون والجمال ، وهو فى كل مكان سعيد محظوظ مغامر . له فيه محبوبة سعيدة محظوظة مغامرة ؛ فجاءت أشعاره لها طابع خاص تمتاز به من بين سائر الأشعار ...

أكبر الظن أن شاعرنا ليس عاشقاً متيما ولا غزلاً متهالكا فهو يوافق « دانزيو » الشاعر الإيطالى العظيم فى قوله : « ما معنى أن يخلص الشاعر لامرأة واحدة ، وهل فى وسع الشاعر أن يجمع الجمال كله فى وجه واحد أو فى منظر واحد ؟ لا بد لخيال الشاعر من أفق لا نهائى دائم التجدد دائم التحول دائم الحركة » ولقد أجهدت نفسى فى أن أعرف لشاعرنا من شعره محبوبة واحدة تشقيه وتسعده وتهجره وتصله حتى يشعر فى حبه بالحرمان والسعادة فما وصلت إلى ما أردت أن أعرفه ... وقد يكون هذا « فى عقيدتى » هو السر فى أن شعر شاعرنا غنائى فطرى ، له جرس ورنين فى مفرداته وتراكيبه ، تشيع فيه المسرة والبهجة وتغمره البشاشة والطلاقة ...

يعجبنى من شاعرنا أنه صريح صادق ، يعبر عن إحساسه وشعوره وحياته بلا تدجيل أو مداراة ؛ فأنت لا تكاد ترى شاعراً من شعرائنا المعاصرين من يصرح فيقول :

ملأت بتفاحها راحتى   وبت لكرمتها عاصرا

أو يقول فى التى « علمته كيف يحب وكيف يكره » :

إذا فتح الباب تحت الظلام   فكيف ارتماؤك فى صدرها ؟
وكيف طوى خصرها ساعداك   ومرت يداك على شعرها

وما هذه ؟ رعشة فى يديك   أم الكأس ترجف من ذكرها
لقد دنس الجسد الآدمى   حياة حرصت على طهرها
بكى الفن فيك على شاعر   تسائله الروح عن ثأرها
نزلت بها وهدة كم خبا   شعاع وغيب فى قبرها

كذلك لا ترى معاصراً يقول مثل قوله يحث صديقته فى « بحيرة كومو » على أن تنفى الحذر عنها وأن تمذره إن طغت روحه ، أو ثار جسمه :

ما تسرين ؟ أفصحى   إن فى عينك الخبر
الغريبان ههنا   ليس يجديهما الحذر
نحن روحان عاصفان   وجسمان من سقر
فاعذرى الروح إن طغى   واعذرى الجسم إن ثار

أو مثل قوله فى « تاييس الجديدة » :

أأنا الغريب هنا وملء يدى   أعطاف هذا الأغيد المرح
خفقت على وجهى غدائرها   فجذبتها بذراع مجترح
عرضت بفاكهة محرمة   وعرضت لم أنطق ولم أبح
يا رب صنعك كله فتن   كيف الفرار ، وكيف مطرحى

هذا شعر رائع جميل ، له وقع فى النفس ، ونشوة فى القلب وما روعته وجماله إلا من صدق تعبيره ، وصراحة أدائه ، ثم من حيويته واتساعه وغليانه ...

كذلك يعجبنى من شاعرنا الرقيق أنه شاعر مصرى صميم — على الرغم مما يعيبونه به من أنه شاعر الطبيعة الغربية — فهو لا ينسى بلاده حتى فى تلك الأوقات الجميلة التى يقضيها فى هذه الأجواء السحرية الناضرة . بل إنه ليكون غارقاً فى لذته وبهجته وسكرته ، ثم يهزه الحنين لنيله الجميل ، فيمسك قيثارته ويغنى فى فخر ومباهاة :

قلت : والنشوة تسرى فى لسانى   هاجت الذكرى فأين الهرمان
أين وادى السحر صداح المغانى   أين ماء النيل أين الضفتان

* * *

آه لو كنت معى نختال عبره   بشراع تسبح الأنجم إثره
حيث يروى الموج فى أرخم نبره   حلم ليل من ليالى كيلوبتره

وهناك فى « بحيرة كومو » — حيث الجمال والسحر — يهز الشاعر حبه لوطنه ، فينطلق قائلاً ، وهو جالس بين كؤوسه وغادته ، غارق فى نعيمه وحظه وصفائه :

أين وادى النخيل أم قاهرياته النضر ؟

إن مما يزيدنى إعجاباً بهذا الشاعر أنه صادق فى شعره . وفى فنه ، وأنه ذو شخصية مستقلة لا تندغم فى شخصية أخرى ، وأن لشاعريته وجهاً يميزها عن كل شاعرية ، ولألحانه رنة تعرف بها من بين سائر الألحان ، وفى كل ما ينظمه نكهة تختلف عن كل نكهة ...

لكم وددت لو كان بإمكانى أن أتخطى بالقارئ خطوة خطوة مع شاعرية صاحب « ليالى الملاح التائه » فهى فى تجوالها قد سلكت شعباً كثيرة ، وطرقت أبواباً عديدة ، ومن كل سياحة ساحتها قد عادت بآثار طريفة وتذكارات ثمينة . والديوان حافل بمثل هذه الآثار والتذكارات التى تفسح مداه وتفرج صدر قارئه ...

وأخيراً ... لقد انتهيت بدون أن أنقد شاعرنا الملهم ، ويعلم الله أننى كنت أود أن أعثر على أغلوطة أو سقطة ؛ ولكنى عبثاً حاولت . غير أنه يسرنى أن أطلع شاعرنا على هنات طفيفة ما إخالها شيئاً ، فمثلاً قول الشاعر فى أغنية « الجندول » :

قلت والنشوة تسرى فى لسانى هاجت الذكرى فأين الهرمان

كان الأحسن من ذلك أن يقول « فى كيانى » لأنى لا أتصور ولا يتصور أحد مى تلك النشوة التى تسرى فى اللسان .

وفى الأغنية نفسها اضطراب فى صورها ، فليس فيها وحدة ولا اتساق . ولقد رزقنى الله حلاوة الصوت . فكنت إذا غنيتها على عودى وأنا متنقل على خيالى فى الجو الذى نظمت فيه شعرت باصطدام وحواجز تقفنى عن متابعة طربى خصوصاً فى مقطعها الأول . وفى الأغنية مقطع رائع وهو :

آه لو كنت معى نختال عبره بشراع تسبح الأنجم إثره
حيث يروى الموج فى أرخم نبره حلم ليل من ليالى كيلوبتره

وأنا أذكر أنى قرأت هذا المعنى الجميل البارع الذى يعد أحسن ما فى الأغنية مترجماً عن الإنجليزية . فهم يذكرون أن الشعراء الثلاثة كيتس وشلى وليهند اتفقوا على أن ينظم كل واحد منهم قصيدة فى النيل فكان مما قاله ليهند هذا المعنى الجميل . وما كنت لأشير إلى هذا لولا أن الأدباء يرفعون هذا المعنى إلى السماء . فأردت أن أبين أصله ... ويقول الشاعر « فى بحيرة كومو » :

ثمر ناضج الجنى كيف لا نقطف الثمر

وأنا أفهم أن الثمر هو الجنى

ويقول الشاعر فى « مصرع الربان » :

وغاب كل مشيد غير قبمة ذكرى من الشرف العالى وتذكار

والذكرى والتذكار معناهما واحد

ويقول الشاعر فى « مهرجان الزفاف » يريد السيوف :

أو ما لها الماضى لجن حديدها حتى تكاد بغير كف تمشق

والمتنبى يقول : « حتى تكاد بغير كف تضرب » وهو طبعاً أحسن من الأول . فكان حقه أن يأتى بالمعنى كاملاً

وهذه طبعاً هنات طفيفة لا تنقص من قيمة شاعرنا العزيز . وكفاه رفعة وسمواً أن تكون هذه مآخذنا فى وقت أصبحت فيه الدواوين الشعرية مهزلة وسخفاً ! ...

عبد العليم عيسى

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى — عابدين)

8me Année No. 356 — Lundi - 29 - 4 - 1940

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٣٥٦ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢١ ربيع أول سنة ١٣٥٩ — الموافق ٢٩ أبريل سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهـرس

١٤٠٤٦

ساعة مع الأستاذ الأكبر

كان مما لا بد منه لمن يكتب فى الإصلاح الدينى والأزهرى أن يستضىء برأى الإمام الذى هيأه الله واختاره التوفيق لزعامة الثقافة الإسلامية فى أشد العصور افتتاناً بالعلم وامتحاناً للعقيدة وهزأً للشعور واستعداداً للتطور

والأستاذ المراغى إذا قيلت كلمة الحق فيه إمام هذا العصر باعداد من الله تجلى فى فهمه الدقيق لرسالة دينه ، وإدراكه الصحيح لحاجة عصره ، وعلمه الراسخ بطبيعة قومه ، وملكته السليمة فى أدب لغته، وأفقه الرحيب لاقتران المشكلات الاجتماعية فيه تحت ضوء من الفكر الثاقب يبدد عنها ظلام الإشكال فترجع إلى طريقها الواضح من الدنيا أو الدين . وآية المصلح الدينى فى الإسلام علمه بأن رسالة الدين هى إصلاح الدنيا ، وعمله لتوجيه الحكم والسياسة والاجتماع إلى الخطة التى رسمها الحق للحق فى دستوره السماوى الخالد

* * *

دخلت على الإمام المراغى مكتبه العظيم الفخم فى إدارة الأزهر منتصف الساعة الثانية ، وكانت الأصوات والحركات قد خشعت فى المكاتب والمسالك ، فساعدتنى الحال على الظفر بجلسة طويلة مع الإمام لم يقطعها عمل ولم يكدرها زائر

تلقانى شيخ الشيوخ بوجهه المنبسط وبشره الرزين، فسهّل علىّ أن أجد نفسى وأتسرّح فى حديثى وأراقب انعكاس الإشراق الروحى على ملامحه الناطقة فأفهمه من قرب . والمراغى إشماع على محادثه عجيب ؛ وهذا الإشماع دائم الانبثاق من عينيه وشفتيه فلا تنفك المشاعر منه فى غمر من الإعجاب والإجلال والحب مهما توثقت الألفة وزالت الكلفة وطال الحديث . وأشد تأثير المراغى على النفس القابلة ينبعث من سر نظرته وسحر بسمته ولهجة حديثه وحلاوة جرسه وفصاحة منطقه . أما توقد ذهنه ولطافة حسه ووزانة قوله ورصانة عقله وسراوة خلقه ، فتلك خصائص شخصيته وفضائل نبوغه

لا أستطيع أن أنقل إليك نص حديث تدفق وتشقق فى ساعة ونصف ، ولا أريد أن أقطع سرده بما سألت أو أجبت ، فإن همك وهمى أن نسمع إلى الأستاذ . فأنا أروى لك خلاصة الجانب العام من الحديث على اطراد وتساوق لتصل إلى وجه الرأى من أخصر طريق

قال الأستاذ الإمام وقد تزاور عن مكتبه واتجه بكرسيه الدوار إلىّ :

لقد سرنى أن تتجه الرسالة إلى معالجة شؤون الأزهر ، فإن فى النقد الخالص من الهوى حثاً للهمم الوانية ، وتذكيراً للنفوس الناقلة ؛ ولكنى أحب أن يكون النقد على خلوصه رفيقاً ليطمئن إليه المنقود ويستفيد منه

أنا لا أسلم بأن الأزهر جامد على حاله القديمة ، وأرى أنه يتقدم مع الزمن تقدماً يتفق مع طبيعة أهله فى الأناة والروية . ولو قارنت بين حاله اليوم وبينها منذ أربعين سنة تجلى لك الفرق واضحاً لا غبار للشك عليه . ففى أيام طلبك بالأزهر قلما كنت تجد عالماً أو طالباً يكتب أو يخطب أو يؤلف أو يتصل بالحياة العامة ؛ أما اليوم فأنت ترى أكثر العلماء والطلاب يفكرون ويحررون ويحاضرون ويناظرون ويؤلفون فى فصاحة منطق وحسن صياغة وسلامة فكرة

أذكر وأنا مفتش بالأوقاف أنا اقترحنا على العلماء إنشاء طائفة من الخطب المنبرية فى الأغراض الاجتماعية المختلفة، فجاءنا أربعمائة خطبة لم نجد من بينها واحدة تستحق النظر . ولكنك اليوم تجد الخطباء فى المساجد والوعاظ فى المجالس ينشئون الخطب البليغة، أو يرتجلون العظات البالغة فيما تقتضيه الحال من المعانى العامة

على أنى أشعر بحاجة الأزهر الشديدة إلى الإصلاح . وأوافق الرسالة على أن الأمر يكاد ينحصر فى طريقة المعلم ووسيلة التعليم. وقد أخذنا بالفعل نعالج الإصلاح فى هذه الناحية، فضاعفنا العناية بطلاب التخصص لأنهم مناط أملى فى المستقبل وموضع ثقتى فى الإصلاح ، فأنا أتعهد تعليمهم وأتفقد أحوالهم وأشدد امتحانهم، حتى لم ينجح من ثلاثة وعشرين غير ثمانية . ومن هؤلاء أرسلنا وسنرسل البعوث إلى بلاد الغرب ليتصلوا بتيار الفكر الحديث ، ومكنا لمن لا يبعث منهم أن يتعلم لغة أوربية فى الكلية ليتسنى له بواسطتها أن يزيد فى ثقافته

أما مسألة الكتاب فإنى أوثر أخذ العلم من كتب الأئمة السابقين القادرين على صوغ العبارات العلمية فى أسلوب ناصع البيان ، ولكنى أوثر كذلك الإبقاء على طائفة من الكتب المؤلفة على المنهاج التقليدى من تحليل ألفاظ الجملة وتقليب وجوه الفكرة، فإن ذلك سبيل التعمق والاستقصاء والمران لمن عرف كيف يسلكه ويخرج منه . وفى اعتقادى أن غموض النص فى نفس التلميذ ناشئ من غموضه فى ذهن المعلم. فإذا استطاع الأستاذ أن يحلل عبارة النص فى الكتاب ويجلو غامضه من جهة ، وأن يجمع أشتات الرأى فى الموضوع ويمحص حقائقه من جهة أخرى ، تيسر له بعد ذلك أن يلقيه على الطلاب فى محاضرة متناسقة الفكر متساوقة الأجزاء محكمة الصياغة ، ومن مجموع هذه المحاضرات فى العلم الواحد يتألف الكتاب الذى تريده

على أن الكتاب يتضاءل شأنه كلما سمت قدرة المعلم، فإنك تذكر أن أستاذنا الإمام رضوان الله عليه كان لا يحمل فى يده وهو يفسر كتاب الله غير (الجلالين)، ومع ذلك كان يستبطن بفكره النفاذ أسرار الآى ثم يكشفها للناس فى معرض من البيان المشرق

وفى الكليات طائفة من المعلمين القادرين يستطيعون أن ينهضوا بالتعليم الأزهرى نهضة صادقة . وملاك ذلك أن يقفوا حياتهم على العلم، ويقصروا جهودهم على التعليم، وأن يتصلوا بأبنائهم اتصالاً روحياً ليغرسوا فيهم حب العلم فيطلبوه لذاته ولذته

كان أشياخنا يقولون : « أعط العلم كلك يعطك بعضه » وكان منهم من لا ينقطع عن التدريس حتى فى المرض ، ولا يذوق

حديث الأسكندرية ذو شجون

للدكتور زكى مبارك

« فى ليلة الاحتفال بالمولد النبوى أقامت جمعية الشبان المسيحية فى الأسكندرية احتفالاً سمته « عيد الورد » ، ودعت إليه جماعة من أدباء القاهرة ، وفيما يلى خطبة الدكتور زكي مبارك فى ذلك الاحتفال »

فى هذا المساء أيها السادة يحتفل المسلمون بعيد المولد النبوىّ، وتحتفلون بعيد الورد، فالمسلمون يحتفلون بعيد الحق، وأنتم تحتفلون بعيد الجمال، والصلةُ وثيقةٌ جداًّ بين الحق والجمال

أما بعد ، فقد اقترح صديقٌ عزيز أن تكون خطبتى عن الإسكندرية حديثاً ذا شجون ، فما الذى ينتظر ذلك الصديق من تلك الشجون ؟

أيكون لاحظَ أننى كثير الحديث عن الإسكندرية ، وأن هواى بها وصل إلى حدّ الافتضاح ؟

هو ذلك ، ولكن هل يعرف لأى سبب تزداد شراهتى فى انتهاب مفاتن الإسكندرية كلما سنحت الفرص فى الصيف أو فى الشتاء ؟

السبب يرجع إلى أنى دخلت الإسكندرية أول مرة وأنا حزين: دخلتها فى قفص ، دخلتها فى سيارة مقفلة من سيارات السلطة العسكرية فى أيام الثورة المصرية . دخلتها فى الظلام ، فلم أر من جمالها غير أطياف ، ثم نقلنى ذلك « السجن المتحرك » إلى مقرّ الاعتقال فى ضاحية نائية، هى اليوم ملاعب صبابة ومدارج فتون. ومن يصدّق أن ضاحية (سيدى بشر) كانت معتقَلاً يُسجن فيه من هتفوا باسم الحرية والاستقلال ؟

قضيت فى هذه المدينة شهوراً طوالاً بدون أن أشهد من جمالها غير ما يطوف بالأوهام والظنون . ولن أنسى أبداً كيف كان هدير البحر يقرع سمعى وقلبى فى غفوات الليل . ولن أنسى كيف فرحت يوم خرجت من المعتقَل لأرى الأسكندرية بعينىّ ، ولأطوّف فى رحابها حيث أشاء بلا حارس ولا رقيب ، ولأقول

طعم الراحة حتى فى العطلة ، ولا يرى (أخذ الدرجة) صارفا عن التحصيل ، ولا منصب القضاء عائقا عن الأزهر

قال لى الإمام محمد عبده وقد زرته بعد نجاحى فى (العالمية) بثلاثة أيام : أتستطيع أن تعرّف العلم ؟ فأجبته بلهجة الواثق المطمئن : نعم . وأخذت أسوق إليه ما أعرف من التعريفات المختلفة ، ولكنه زيفها جميعاً وقال : العلم ما نفَعك ونفع الناس . فهل ما عندك منه ينطبق عليه هذا التعريف ؟ فقلت له : لا . قال: إذن لا تملك من العلم الصحيح شيئاً. إنما هيأتْ لك دراستك وشهادتك السلم ، وعليك وحدك بعد ذلك أن تصعد

إن الذى يظهر الأزهر فى هذا المظهر الجامد يرجع بعضه إلى إخلاد القادرين إلى الراحة ، وبعضه إلى مجافاة أسلوب العصر مع حسن الاستعداد وتوفر وسائل الاجتهاد ومواتاة أسباب النهضة . أليس من العجيب أن تكون عُدد الاجتهاد التشريعى عندنا أكثر منها عند مالك ، وذرائع الابتكار الأدبى فى عصرنا أوفر منها فى عصر الجاحظ ، ثم لا نجد فينا فقيهاً يجتهد بعض اجتهاد صاحب الموطأ ، ولا أديباً يؤلف بعض ما ألف صاحب الحيوان ؟ لقد كان مالك لا يملك من ثروة الحديث النبوى غير ما صحت له روايته منه ، وكان الجاحظ لا يجد من مصادر الأدب العربى غير ما وقع له من السماع فيه ، ومع ذلك صار لمالك مذهب متبع فى الفقه ، وانتشر للجاحظ مذهب معروف فى الأدب . أما نحن فبين أيدينا كل ما ورد عن الرسول من الأحاديث ، وما روى عن الأئمة من الأحكام ، وما أثر عن الفقهاء من الكتب ؛ وفى خزائننا كل ما خلف العرب وغير العرب من لباب الأدب وعصارة الفكر ، ومع هذا اليسر فى الوسائل وهذه القوة فى الاستعداد لا ترى إلا فراغاً يثير الظنون ويغرى بالأزهر التهم

إن العلماء إذا استناروا بسيرة السلف فى الإخلاص للعلم والانقطاع إلى التعليم يستطيعون أن يصلحوا فساد الطريقة ويكملوا نقص الكتاب ويصلوا بالأزهر إلى الغاية التى نرجوها من أداء الرسالة الإسلامية على الوجه الملائم لطبيعة العصر وعقلية الناس

***

وحينئذ كانت الساعة الثالثة ، فلم أر من اللائق أن أعوق الإمام عن غدائه أكثر مما عقت ، فاستأذنت وانصرفت وأنا موزع القلب بين الإعجاب بالمحدث والاغتباط بالحديث

احمد حسن الزيات

لنفسى : إن شهور الاعتقال قد ذهبت إلى غير مَعاد ...

هذا هو السبب فى هيامى بالإسكندرية، ولن أشبع منها أبداً. فجنونى بها هو انتقامٌ من الزمن الجائر الذى قضى بأن أراها أول مرة فى ظروف أفظع وأشنع من أعمار الأحزان

أحب أن أفرح فى الإسكندرية . أحب أن أرى فيها أيام نعيم بعد أن رأيت فيها شهور بؤس . أحب أن أراها وترانى فى بشاشة وأريحية وصفاء .نخذى بزمامى إلى حيث تشائين ، يا مهد الشهامة والنضارة والجمال

لك قلبى ، يا إسكندرية ، فامنحينى من العطف ما أنسى به تلك الأيام السود ، أيام الاعتقال . واصفحى عنى ، يا إسكندرية ، إن افتضحت فى هواك ، فما يكون تلاقينا إلا بلسماً لجرح عميق تعتادنى آلامه من حين إلى حين ...

أيها السادة

لمدينتنا هذه تاريخ وتواريخ

فيها وقعت أعظم فاجعة غرامية ، وهى فاجعة صيرت الحب شريعةً من الشرائع . ألم يكف أن يصل اسم كليوباتره إلى جميع البلاد وأن تؤلف فيه المئات من الأقاصيص ؟

ومدينتنا هذه هى التى حفظت ذخائر الفلسفة اليونانية بعد غفوة العقل اليونانى

ومدينتنا هذه هى التى عرفت الاستشهاد فى سبيل المسيحية أعوامَ اضطهاد المسيحية

ومدينتنا هـذه هى التى استقبلت طلائع الجيش الإسلامى وجعلت للاسلام دولة على شاطىء المحيط ، وقد كان بحرنا هذا أول بحر خفقت فوقه الراية الإسلامية ، وسيظل إلى الأبد صلة الوصل بين حضارة الإسلام فى الشرق وحضارة النصرانية فى الغرب ، ولن تكون شواطئه الشرقية إلا بأيدينا مهما بنى الاستعمار واستطال

ومدينتنا هذه هى التى خلّدت اسم من نسبتْ إليه . وما بناها الإسكندر كما يتوهم الجاهلون ، وإنما بنى حيًّا من أحيائها ، وسيأتى يوم لا يُعرف فيه مَن الإسكندر إلا بوصل اسمه الفانى بهذه المدينة الباقية على الزمان

وقد سميت باسم الأسكندرية مدن كثيرة فى الشرق والمغرب، ولكنها ذهبت جميعاً ، ولم يبق غير مدينتنا هذه لأنها مصرية ، ومصر عريقةٌ فى الخلود

أيها السادة

كتب أحد أدبائكم يقول إن الأسكندرية تقتل الروح الأدبى ، وهو أديب لا أسميه لئلا أعرّض سمعته للإيذاء، فهل ترونه على حق ؟

اسمعوا ثم اسمعوا

فى مدينتنا هذه خُلقت المعارضة السياسية بطريقة صريحة لأول مرة بعد الثورة المصرية . وفى مدينتنا هذه وجد الناس من الشجاعة ما يقاومون به سعد زغلول وكان اسمه قد ملأ جميع الأرجاء

وما يهمنى أن أقول إن تلك المعارضة كانت بحق أو بغير حق ، فلذلك حديث غير هذا الحديث ، وإنما يهمنى أن أقول إن أول معارضة ثارت فى مصر بطريقة صريحة كانت المعارضة الموجَّهة إلى مشروع ملنر ، وتلك المعارضة لم ترفع رأسها إلا فى الأسكندرية بجريدتين سيذكرهما التاريخ وهما جريدة « الأمة » وجريدة « الأهالى »

فكيف جاز أن يسيطر سعد زغلول على سائر المدن المصرية ولا يجد مقاومة فى غير هذه المدينة ؟

لا تتهمونى بالعصبية للحزب الوطنى ، فأنا فى نفسى أعظم من كل عصبية وإن اعتمدتْ على الحق ، وإنما يهمنى أن أسجل محامد مدينتنا هذه فأقول إن سكانها الوطنيين يرجعون فى الأغلب إلى عنصرين اثنين : العنصر الوافد عليها من الصعيد وهو عنصر معروف بالعناد ، والعنصر الوافد عليها من المغرب بعد سقوط الأندلس فى أيدى الأسبان وهو عنصر معروف بقوة المِراس ، ومن أجل هذا ترون الاسكندريين الوطنيين قوماً غلاظ الأكباد يغضبون بسرعة ويستوحشون من الدخلاء كأهل المغرب وأهل الصعيد ، أما سكان الإسكندرية من أهل الوجه البحرى فهم أقلية ، وهم مصدر اللطف الذى نلمحه فى الأسكندرية من وقت إلى وقت فى غيبة الغضب واللجاجة والعناد

وهنا يسمح المقام بتسجيل خاطر غريب

فى هذه المدينة الثائرة بالفطرة وبوحى البحر نرى شواهد من النظام لا نجده فى أية مدينة مصرية

فى هذه المدينة وُضعت قواعد النظام للمعاهد الدينية ، فأول معهد دينىّ نظامىّ هو المعهد الاسكندرىّ ، وقد أشرف عليه

رجل صعيدىّ حادّ الطبع ، ولكنه فى روحه مفطور على النظام هو أستاذنا الجليل المرحوم الشيخ محمد شاكر الذى كان يرضى ويغضب فى لحظات ، والذى كان يمثل قلق الإسكندرية ، وحمية الصعيد ، وسكينة القاهرة ، ومن الأسكندرية نُقل النظام إلى سائر المعاهد الدينية ، وهو نظامٌ ثار عليه الأزهر ثورة عنيفة لن أنساها ما حييتُ لأنها عطلتنى من الدرس أسابيع وأسابيع قبل أن تولد عرائس هذا الحقل البديع

والمعهدُ الاسكندرىُّ منسىٌّ فى هذه الأيام ، ولكن الذين عاشوا قبل الحرب الماضية يذكرون كيف استطاع أستاذنا الشيخ عبد المجيد اللبان أن يقيم به زعامة دينية يصل روحها إلى أكثر المدن المصرية

وإن كُشِف غطاء التاريخ فستعرفون أن الشيخ اللبان كانت له يد فى تأريث الثورة المصرية ، فهو الذى جمع بين أعضاء الحزب الوطنى وبين حضرة صاحب السمو الأمير عمر طوسون ، ومن تلك الحركة تهيأ الجوّ لحركات شهدتها سنة ١٩١٨ ثم استفحلت فى سنة ١٩١٩ ثم كان ما كان إلى أن شهدتم سقوط الحماية وإعلان الاستقلال

فما معنى هذا؟ معناه أن الإسكندرية التى ألقى فيها مصطفى كامل أعظم خطبة وطنية هى الإسكندرية التى سبقت إلى الثورة على الأحكام العرفية فى أعقاب الحرب الماضية والتى سنّت لأهل مصر شريعة النضال فى سبيل الاستقلال

وهل سمعتم بحديث الدكتور محجوب ثابت ؟

بفضل الإسكندرية جاز أن يكون فى مصر نائب عن العمال ، وهذا شيء غريب فى بلادنا ولم يقع أول مرة إلا فى الأسكندرية. وله مدلول يشهد بأن مدينتنا هذه مدينة أصيلة فى قوة الشخصية. ألم يكف أنها تحتفل الليلة بالمولد النبوى احتفالاً أفخم وأعظم من جميع الاحتفالات بسائر المدن المصرية ؟ ألم يكف أنها أول مدينة فى الشرق بعد القاهرة مع أن القاهرة تملك من السحر ما تعجز عنه جميع المدائن فى الشرق ؟

أيها السادة :

إن الحديث ذو شجون ، فهل سمعتم أن الإسكندرية تسيطر فى هذه الأيام على وزارة المعارف ؟

قيل إن النقراشى اسكندرىُّ المولد . وقيل إن السنهورى اسكندرى المولد . وقيل إن شفيق غربال اسكندرى المولد ، فهل هذا صحيح؟ إن صحّ هذا فانتظروا منى ثورة تزلزل رواسى الجبال، فما يرضينى أن يكون لمدينتكم كل هذا السلطان ؟

ولكن ما الموجب للثورة وأنا أعرف مقاتل هؤلاء الرجال ؟ فالنقراشى العنيد اسكندرانى تأسره قوة المنطق ، والسنهورى أضعف الضعفاء أمام القانون ، وشفيق غربال يعجز كل العجز عن مقاومة الحق

وأرجوكم باسم الذوق ألاّ تظنوا أننى أجامل رؤسائى ، فما خُلقت للمجاملات ، وإنما أدلكم على مقاتل هؤلاء الرجال ، وهذا ينفعكم أجزل النفع ، يوم يبدو لأحدكم أن يستفيد من قوة الحق والمنطق والقانون

ومدينتنا هذه التي وضعت قواعد النظام للتعليم الدينى هى أول مدينة بعد القاهرة تقوم فيها جامعةٌ مَدَنيّة فى العصر الحديث فكان لها فضل السبق على المنصورة وأسيوط ، مع الاعتراف برشاقة المنصورة ورزانة أسيوط

ولأول مرة فى تاريخ مصر يُحرَم الوزراء بَدَلَ السفر حين ينتقلون لشأن من الشؤون ، وما حُرِّم ذلك إلا بالنسبة إلى الاسكندرية ، فهل كان ذلك لأن الاسكندرية تستهوى الوزراء فتحملهم على تكلف أسباب الانتقال ؟ لا ، إنما كان ذلك التحريم لأن الإقامة فى الاسكندرية غنيمة من الغنائم ، ومن واجب الدولة أن تمنّ على الوزير بأن مصالحها هيأت له الفرصة للإقامة يوماً أو يومين بالبلد الذى يَفتِن فى الصيف ويَشُوق فى الشتاء

ومع أن الاسكندرية سبقت القاهرة إلى البلاء بقسوة اشتباك المنافع مع الأجانب فقد صحّ للاسكندرية أن تسبق القاهرة إلى استخلاص بعض المنافع من الأجانب ، فأول «ترام» سيطرت عليه الحكومة هو ترام الاسكندرية ، وفى ذلك ما فيه من قوة الشخصية

والاسكندرية تفوق القاهرة فى أشياء

فالوافد على الاسكندرية من الجنوب تَلقاه المنازل البيض الخفيفة الروح ، وتَلقاه نخلاتٌ بواسق تأنس برؤيتها العيون ، أما الوافد على القاهرة من الشمال فتلقاه منازل مهدّمة تقبض النفس ، فمتى تفطن حكومتنا إلى هذه الظاهرة ؟ ومتى تمدّ يدها لرفع تلك الخرائب وتحويلها إلى حدائق ورياض ليشعر الوافد

على القاهرة بأنه مُقبل على مدينة تفهم قيمة الجمال ؟

آن للقاهرة أن تعرف أنها تسيء إلى سمعة مصر بالعفو عن تلك الخرائب التى تواجه من يَقدَم إليها من الشمال . آن للقاهرة أن تعرف أنه لا يجوز أن تَلقى القادمين بنير الابتسام ، وتلك الخرائب الشبرواية تُدخل على أرواح القادمين أثقالاً من الانقباض البنيض

أتذكرون المحطة القديمة ، محطة الاسكندرية ؟

لقد كان الداخل إليها يشعر بأنه يفد على أطلال ، وقد عزّ ذلك على الملك فؤاد رحمه الله فأشار بأن يكون للاسكندرية محطة تناسب ماضيها الجليل وحاضرها الجميل

ومحطة القاهرة هى رابع محطة فى العالم من حيث الفخامة والرونق ، فكيف يجوز أن ندخل إلى القاهرة فى مضايق محفوفة بمنازل محرومة من نضرة النعيم ؟

يجب أن تسارع الحكومة إلى تجميل مدخل القاهرة ، فن العيب أن تكون لها تلك الحواشى المطرّزة بأكواخ البائسين

ويوم يتمّ ذلك أستطيع أن أتحدث فى موضوع جديد هو تغيير الشاطئ الذى تدخل فيه البواخر إلى « عروس الماء »

فالشاطئ الذى يستقبل البواخر مطرّزٌ بحواش يُقذِى مرآها العيون . ويجب تغييره أو تجميله فى أقرب فرصة ، فما يجوز أن يكون أول ما يقع عليه البصر عند دخول الإسكندرية شوارع ضيقة ومنازل دميمة وحوانيت ترجع فى تكوينها إلى ما قبل التاريخ

الجمال ، الجمال ، الجمال !!!

ليس الحديث عن الجمال هزلاً ، وإنما هو جِدٌ صُراح ، والأمم التى لا تَقدِر الجمال لا تستحق نعمة الوجود

فهل خطر فى بال من يثورون على التبرج فى شواطئ الاستحمام أن من واجبهم أن يثوروا على الدمامة فى مرامى السفائن ؟

وهل فيهم من حدثته النفس بأن ينظر فى البقعة الموحشة التى تستقبل الوافدين من روما ولندن وباريس وبرلين ؟

أين المحافظ وأين مدير البلدية وإليهما يتوجه من يتألمون من التبرج فى الشواطئ ؟!

هل عند هذين الرجلين علمٌ بما نعانيه حين ندخل مدينتنا هذه بعد قضاء شهور أو أعوام فى ديار الغرب ، الغرب الذى يرى الزينة مطلوبة فى جميع المواطن وجميع الأشياء ؟

قلتم فى الدعوة إلى « عيد الورد » إن الاسكندرية لها حقٌ على الجميع . فمن حقى عليكم وعليها أن تسمعوا وتسمع هذا القول وأنا أدعو إلى تغيير أو تجميل موقع الميناء ، فأين من يسمع وأين من يجيب ؟

الحديث ذو شجون ، أليس كذلك ؟ فما الذى يمنع من القول بأن مدينتكم أخلفت الظن بها كل الإخلاف ؟

هل تصدقون أن مدينتكم هذه كان لها صوت صحفى مسموع فى أيام مصطفى كامل وأيام سعد زغلول ؟ فأين صوتها اليوم وهى صدى لأصوات القاهرة ؟

أنا أعرف أن الساعة الثامنة صباحاً والساعة السابعة مساء موعدان لقدوم الجرائد والمجلات وأُحسُّ لوعة الشوق إلى هاتين الساعتين لأنهما موعد اتصال الاسكندرية بالقاهرة ، ولكنى أتوجع كلما تذكرت أن الحكومة المصرية التى تُعسكِر بالاسكندرية فى الصيف لا تسمع صدى أصواتها إلا بفضل جرائد القاهرة ، فمتى يستيقظ الناعون من أهل هذا الثغر الجميل ؟

أيها السادة

أترك حديث المؤاخذات إلى حين، وألتفت إلى حديث القلب فأقول : سيأتى يوم قريب يجتمع فيه زعماء مصر حول شواطئ بحر العرب الذى سُمّىَ خطأً بحر الروم ، وسيقام فى الاسكندرية مؤتمر يؤلف بين أهواء الرجال ويغسل الضغائن ويدفن الحقود

ويومئذ نقيم « عيد الورد » وفى ليلة الاحتفال بعيد « المولد النبوىّ »

ويومئذ نطمئن إلى أن بحرنا يسمى « البحر الأبيض المتوسط » لأنه جمع بين بياض القلوب ، وتوسّط فى جمع أهواء النفوس

ويومئذ ننسى أن المِيام بشواطئ الإسكندرية يجرح رجال الدين ، لأننا سنكون يومئذ ملائكة رفع الله عنهم إصر التكليف

المستقبل لنا ، بإذن الله صاحب العزة والجبروت

وهذا البحر لنا ، بإذن فاطر الصباحة والملاحة والجمال

ومصر لنا ، بفضل سواعدنا وعزائمنا وقلوبنا

فمن أراد بنا السوء فلينتظر غضبات الأُسود عند جياع الأشبال .

نحن حفظنا مصر للعروبة والإسلام ثلاثة عشر قرناً ، وسنحفظ لأبنائنا وأحفادنا وأسباطنا هذا التراث الغالى . والله مع المجاهدين .

زكى مبارك

في سبيل الأزهر

اعتراف ورجاء

للأستاذ محمد محمد المدني

المدرس بكلية الشريعة

كتب الأستاذ الكبير صاحب الرسالة الغراء، سلسلة من مقالاته القوية الممتعة في الأزهر وما يتصل بالأزهر من فقه ودراسة وخلق

وقد أثارت هذه المقالات في نفسي باعتباري مسلماً ، وعالماً ، ومدرساً في الأزهر، عاملين مختلفين: أحدهما عامل الأسف والحزن والخجل من هذا السيل المتدفق الذي ينصب على رأس الأزهر في الحين بعد الحين ، بل مع كل مطلع شمس ومغربها ، حتى أصبحنا لا نقرأ مقالاً ، ولا نستمع إلى حديث ، ولا نتصفح كتاباً إلا رأينا فيه لوناً من ألوان النقد المنيف موجهاً إلى الأزهر في جموده وخموله ، وركود الحياة العلمية فيه ، وقصوره عن مجاراة الزمن ، ومسايرة الحضارة العلمية التي رجت العالم ، وتغلغلت في كل نواحي الحياة !

أما العامل الثاني فهو عامل الأمل والرجاء ، في أن هذه العلل ما دامت غير مستحكمة ولا متأبية على الإصلاح ، فهي قابلة للشفاء، وأن هذه الوخزات ما دام يحس بها أبناء الأزهر فهي دليل على الحياة فيه ، وهي لا بد ستوقظه من سباته العميق ، وستحمله على أن ينفض عن نفسه غبار هذا الكسل ، وينخلع من هذا الثوب البالي الذي جلله بالعار ، ودينه بالصغار ، وسامه الذل والهوان !

لقد ساءلت نفسي : أحقاً أن في الأزهر كل هذه العيوب التي يرميه الناس بها ، أم أنهم يتجنون عليه ويتندرون على حسابه؟

وسرعان ما أجبت عن هذا التساؤل ، فاعترفت بكثير من هذه العيوب ، وعذرت الذين يلومون :

في الأزهر من غير شك نواحي نقص عظيمة ، ويجب أن نكون صرحاء إلى أبعد حدود الصراحة . وإذا جاز لكاتب مهذب كالأستاذ الزيات أن يجامل الأزهر ، فلا يذكر كل ما يعرفه من عيوبه ، حين يتناوله بالنقد ، فإن ذلك لا يجوز لأزهري يصطلي ليله ونهاره هذه النار المحرقة التي لا مناص له من اصطلائها بحكم عمله وطبيعة اتصاله ببيئته

لقد تدبرت هذه النواحي التي من أجلها يلام الأزهر ومن قِبَلها يؤتى ، فوجدت أهمها عقيدة الأزهر في نفسه ، وأسلوب الدراسة فيه .

فالأزهر ما زال — على الرغم من بزوغ شمس الإمام المراغي في أرجائه — يدير حركته الفكرية على نحو من التعصب الجامد لكل ما يعلم ، والرفض الجامد لكل ما يجهل . وما زال فيه من يقول : كفر فلان، وألحد فلان، وتزندق فلان ، لأنه أخذ برأي غير مألوف ، أو خالف شيئاً قال به إمام من الأئمة السابقين ! وليس هذا التكفير والحكم بالفسق والزندقة شيئاً يرمى به غير الأزهريين فحسب ، ولكن للأزهريين منه نصيباً غير قليل !

وإنك لترى غباراً يتطاير وشرراً يلمع ، وتسمع دوياً يملأ أذنيك وضجة تدور من حولك ، فتقول لنفسك هذه معركة علمية قد احتدمت ، ولا بد أن تنجلي عن حقيقة يحسن السكوت عليها كما يقولون ، أو عن فكرة إصلاحية تفيد منها الأمة فائدة تحفظها لرجال الأزهر

ويصدق ظنك من بعض نواحيه ، فإذا هو عراك ولكن في غير معترك ، وشجار ولكن في غير مشتجر ، ثم تنجلي هذه المعركة كما بدأت ، فلا الحقيقة العلمية وصلت إليها ، ولا الأمة أفادت ما كان ينبغي أن تفيد ؛ بل قل إنها تنجلي عن حالة هي أسوأ مما بدأت . فإذا كانت المعارك الحقيقية تسفر في كثير من الأحيان عن كذا من القتلى ، وكذا من الجرحى ؛ فإن معاركنا الأزهرية تسفر كذلك عن كذا من الكفرة، وكذا من الفسقة، وكذا من الجهلة ... الخ

لست مبالغاً ، أيها القارئ ، وإنها للحقيقة المرة

لقد قال بعض العلماء رأياً في « الشيطان » في حديث له أذاعه بالراديو ، خلاصته : أن « الشيطان » قد ورد ذكره في القرآن على أساليب شتى ، وأن المعنى المشترك في كل الآيات التي عرضت للشيطان ، أنه قوة الشر وعنصر الفساد في هذا الوجود

هذا الرأي الذي يدل على تفكير ناضج وعقل رشيد ، ويلتئم مع أحدث الآراء العلمية الصحيحة ، ولا يعارض في نفس الوقت شيئاً صريحاً من الدين — لا يمر كما يمر سائر الكلام ، ولكن يوقف عنده ، لا ليشكر صاحبه على توفيقه بين نصوص الدين

وآراء العلم ، ولكن ليُتهم بمخالفة النصوص ، وإنكار ما فى القرآن ، والخروج على الأحاديث !

ولولا أن صاحب الرأى رجل قوى ، محترم الرأي ، مرموق المكانة ، لا يؤكل لحمه ، لترددتْ فى هذا المجال كلمات الإلحاد ، والفسوق ، والزندقة ، والمروق ، ولكن الله سلم !

على رسلكم أيها السادة ! لماذا تفرضون دائماً فى كل من يخالفكم فى الرأى أنه سيئ النية ، متهم الغرض ؟ ولماذا تفرضون دائماً فى أنفسكم أنكم قد وصلتم فى كل ما زعمتم إلى الحق ، فتدخلون فى كل بحث وكل نقاش على هذا الأساس ومع استحضار هذه الفكرة؟

وعمن أخذتم هذه الطريقة ؟ أعن كتاب الله ، وهو الذى يعظم شأن البرهان ويحكم العقل فى كل شيء حتى فى الإيمان بالله وينهى عن التنابز بالألقاب ؟

أم عن الرسول صلى الله عليه وسلم وقد كان المثل الأعلى فى حلمه وسعة صدره وصبره على الحوار والجدال ؟ ألم يكن الأعرابى الجلف يأتيه فيناديه باسمه المجرد ، ويغلظ له فى القول ، ويعنف عليه فى السؤال ، فلا يفسد ذلك من حلمه ، ولا يوهن من صبره ؟

فإذا لم تكونوا قد أخذتم هذه الطريقة عن الله ورسوله فممن أخذتموها ؟ أعن علماء السلف ورجال المذاهب الأولين الذين كانوا يتناقشون ويتحاورون ويرجع بعضهم إلى رأى بعض ، ويخالف بعضهم بعضاً ، فلا يدفعهم ذلك الخلاف إلى تجريح أو تكفير ؟

أم أخذتموها من كتب البحث والمناظرة التى قتلتموها بحثاً وأفعمتموها شرحاً ، ولست أذكر أن فيما رسمت من أساليب الحوار سوى التدليل ودفع البرهان بالبرهان ومنع المقدمات .. الخ وليس فيها الوصف بالخروج على الآيات وإنكار الأحاديث !

هذا معنى فى الأزهر ما زال موجوداً ، وهو موجود على أشده فى بيئة أزهرية معينة يعرفها الأزهريون ولها صلة وثيقة بالجمهور !

فإذا رجعت إلى أسلوب الدراسة والكتب المقررة وجدت العجب العجاب . وكلمة (العجب العجاب) هذه كانت تقال فى زمن عبد القاهر الجرجانى وأبى هلال والشاطبى وغيرهم . كانوا يقولونها فى نقدهم لآراء مخالفيهم ؛ أما فى عصرنا الحاضر ، حيث النظريات الصحيحة الثابتة فى شتى نواحى العلوم ، وحيث السرعة والحرص على الزمن ، فإنى أرى كلمة « العجب العجاب » غير كافية للتعبير عما أقصد . وأعترف بالعجز عن اختيار لفظ مناسب يوصف به هذا التسكع العلمى الذى نسميه دراسة ، مع أن الدراسة دائماً تنتج الوضوح وحل المشكلات ، وهذا التسكع يقوم دائماً على التعقيد وخلق المشكلات !

لو أردت أن أضرب أمثلة كثيرة لهذا النوع من الدراسة ، لأتيت بالكثير ولوجد فيه قراء الرسالة طُرفا لا تدور لهم بخلد ، ولا تخطر لهم على بال ، ولكنى أكتفى الآن — والآن فقط — بأن أصف ما كان لذلك من أثر تحس به مناهج الدراسة !

ما زال علماء بعض الكليات يقرأون فى المنطق من أول العام إلى اليوم ، « وأرجو أن يلاحظ القراء أنه لم يبق من العام الدراسى إلا أيام معدودات » ، فلم يخرجوا بعد عن مقدمات هذا العلم ، ولم يصلوا إلى بحث من صميم أبحاثه !

وما زال الذين يدرسون علم الأصول من أول العام يتحدثون عن أدلة التشريع . أستغفر الله ، بل يسردون أدلة التشريع التى هى الكتاب والسنة والإجماع والقياس ، فأين هم اليوم ؟ إنهم لم يتجاوزوا تعريف الكتاب تعريفاً فنياً إلا منذ عهد قريب ، ومضى العام فى معرفة ما هو علم الأصول ، وما منزلته بين العلوم ، وما ثمرته، الخ . بل ليس فى هذه الموضوعات خالصة ، فإن فيها على كل حال بحثاً علمياً مفيداً ، ولكن فى العبارات التى عبر بها المؤلف عن هذه المسائل ، وفيما نقده من هذه العبارات شراح الكتاب وحواشى الكتاب ! فأى ضياع هذا الضياع ؟ وعلى حساب من ؟

لماذا نحتفظ بأمثال هذه الكتب ، ونحرص عليها ، وفيها هذا الإرهاق وهذا البطء ؟ ولماذا نأزم بها أنفسنا وأبناءنا ؟ ألأنها أثرية ؟ فأقيموا معهداً للدراسات الأثرية إن كنتم حريصين على الدراسات الأثرية إلى هذا الحد

هذه بعض العيوب التى يحس بها الأزهريون الناهضون أنفسهم قبل أن يحس بها الناس لهم . وفى الأزهر شباب ناهضون مستعدون للانتاج والعمل ، شباب أحسن الأستاذ الزيات فى تسميتهم « شباب المراغى » لأن الأستاذ الإمام هو قائدهم الروحى ، ليس فى الإدارة فقط ، ولكن فى العلم والخلق والإصلاح

ولقد وجد فيه الأزهر الحديث ضالته المنشودة ، فهو أول

شيخ للأزهر لا يتعصب على الثقافة الحديثة . وهو أول شيخ للأزهر اشترك اشتراكا عملياً فى التشريع لخير البلاد . وهو واضع قانون الطلاق ومذكرته التى هى المثل الكامل للفقيه الذى تتطلع إليه آمالنا . وهو الذى اشترك اشتراكا فعلياً فى إلقاء الدروس على طلبة كلية الشريعة ، لتكون مثالاً يحتذى ، ويمضى على سننه المدرسون

وهو فى كل هذا وبعد كل هذا القدوة الحسنة لعلماء الأزهر وشباب الأزهر فى تفكيره ، وخلقه ، وعلو همته ، وسمو أغراضه

فما دام الأستاذ الأكبر المراغى يقود الأزهر ، وما دام « شباب المراغى » مؤمنين بروحه ، مقتفين لآثاره ، فإن فى الأزهر حياة ، وفى إصلاحه أملاً إن شاء الله

وليستبشر الأستاذ الزيات ، فإن صرخته قد وجدت صداها ، ولن تضيع !

محمد محمد المدنى

خواطر يثيرها سـائل

للأستاذ عبد المنعم خلاف

— ٢ —

عودة إلى قيمة الانسان — نظرية النشوء والترقى — سمو الانسان الخلود — الانقلاب الاسلامى — إنقلاب القرن السابع عشر — لماذا التشاؤم ؟ — دين الله بغير عنوان — بعض أسباب الالحاد — ثياب رجال الدين — وحدة التعليم الدينى والمدنى — جنايات الجمود فى مصر اسماعيل

لما كتبت كلمتى الأولى تحت هذا العنوان آثرت أن أبدأ الحديث فيها بدفاع سلبى عن الفكرة الدينية ، وطلبت من حضرة السائل « البيروتى » أن يوازن بين حياة الإيمان وحياة الجحود كفرضين عقليين ، وهو مجرد من أى تأثر نحو أحدهما ، ولم أتعرض للبحث الإيجابى فى الأصول الأولى للدين — وهى : الإلهية ، والنبوة ، ومصير الإنسان إلى حياة أخرى — وإنما أحلت السائل — ويلوح لى من كتابته إلى أنه من الدارسين للدين والفلسفة والتصوف والعلوم — إلى فكره هو أولاً ، وإلى المقالات الإيجابية التى سبقت لى عن الإيمان ، ثم بسطت الحديث فى قيمة الإنسان ، لأنها فى رأيى أساس الاعتراف بكل حقائق الدين والعلم والفلسفة .

وكنت أرجو أن تكون قراءة أمثال هذه البحوث ، قراءة غير سطحية ، حتى يتفطن القارئ لجميع حلقاتها ، ويخلص إليه منها نتائج واضحة محدودة ، ولكن — مع الأسف — جاءتنى رسالة أخرى من مجهول آخر هو « ح.م » ، يلفت نظرى فيها إلى حياة مجتمعات النحل والنمل ، وكثير من الحيوان والحشرات التى تعيش فى نظام محكم لا تحيد عنه ، ويبدو منها فيه إدراك واختيار ...

وأنا لم أجهل نظم الحيوان والحشرات التى أشار إليها ، بل إنى مغرم بقراءة المباحث التى فيها ، ولم أنكر عليها الإدراك والاختيار فى مرافق معيشتها . وقد قال القرآن قبل أن يقول العلم : « وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم » ...

ولكنى أنكرت أن يسوى بين حياتها وحياة الإنسان أبى العجائب ... الإنسان الذى يفكر فيها ويدرسها ويصورها ويكتب عنها ويتصرف فيها ويتغلب عليها ، وهى لا تفعل شيئاً من ذلك ! الإنسان الذى يولد وهو أقل منها قدرة على التغذى والدفاع عن نفسه ، ثم ينمو ويترقى إلى ما لا نهاية له فى الفكر والعلم بما يزيد عن ضرورات حياته ، بينما هى تقف فى نموها وإدراكها عند حدود حفظ حياتها ... الإنسان الذى خلقت هى له بدليل تسخيره لها فى خدمته ، ولم يخلق هو لها بدليل أنها لم تتغلب عليه وتسخره وتتصرف فيه ... الإنسان الذى خطا فى خمسة آلاف سنة ـ هى عمر التاريخ الذى نعرفه ـ خطوات واسعة ثابتة متلاحقة ، فتغيرت حياته من العرى والبساطة فى المسكن والملبس والمدرسة والحرفة والعبادة ، تغيراً عجيباً يكاد يجن منه آباؤنا الأولون ، لو بعثوا ورأوا ما وصلنا إليه ... بينما الحيوانات والحشرات واقفة كما هى منذ عهد أجدادنا الأولين بها .

وهنا الدليل القاطع على وجود روح سام من الله فى الإنسان يدفعه إلى الأمام دائماً فى هذا العالم ، حتى يكشف عن كل سر فى الطبيعة ويتصرف فيه ، ويدفعه إلى إدراك الكمال التام الذى ينتظره فى عالم آخر .

فإن لم نعترف بقيمة سامية للانسان خارجة عن نطاق حياته الحيوانية ، فسوف تختلط أمام الفكر المثل ، وتلتوى السبل ، ونضل ضلالاً بعيداً يؤثر فى خدمتنا للعلوم والآداب الرفيعة والعمران تأثيراً رديئاً .

وإن سوء الفهم لنظرية النشوء والترقى من أكثر الدين

درسوها دراسة سطحية هى التى لونت نظرة الكثيرين إلى قيمة الإنسان بهذه الألوان الزرية التى تبعث على تحقيره وإسقاطه عن العرش الذى أجلسه عليه الدين منذ أقدم العصور. فبناء على تلك النظرة المبنية على سوء فهم للنظرية ذهبت عن الإنسان قداسته، واختلت مقاييس الأخلاق وموازينها، وكان فى هذا أكبر دافع إلى التحاكم إلى قوانين الأدغال التى لا تجد فيها إلا للقوة العمياء والشهوات، والسيطرة الوحشية التى لا تعترف بخدمة الفكر، والعلم، ولذة الحياة فى مثل أعلى

وعلى فرض ثبوت نظرية النشوء — وهى للآن لا تزال فرضاً نظرياً يحتاج إلى حلقات مفقودة ليصير حقيقة علمية — لا يجوز لنا أن نخلط بين الحياة الآلية التى هى «مضروب مشترك» فى أجسام جميع الأنواع، وبين الروح الإنسانى الملوح فى رق الإنسان الدائم السريع، ونزوعه المستمر إلى العالم الأكمل، ونفاذ فكره فى عالم المعانى المجردة، التى تبدو عجيبة رائعة فى الرياضيات العليا والخفقات الروحية العليا، والمثاليات العليا التى لا يمكن تفسيرها تفسيراً «بيولوجياً» أو «فسيولوجياً»

ولقد أحس الإنسان حتى فى عصور جهالته بتفرده وامتيازه على سائر ما يحيط به فى الطبيعة إذ وجد نفسه أقوى قدرة، وأوسع حيلة فى التغلب على المشقات، وفى الرق بالحياة رقياً مطرداً، ولذلك لم يستطع أن ينظر إلى القبر كأنه نهاية أبدية لتلك الحياة؛ بل وجد فى إلهامه أن لا بد وراء موته من امتداد لحياته على أسلوب آخر أو على أسلوب الدنيا ...

فما بال الإنسان يشك الآن فى قيمته السامية بعد أن تضخم أمامه ميراث علومه وآدابه، وعمر الأرض عمراناً، وافتن فيها افتناناً وصار فطناً لما فيها من جمال وأسرار؟!

إنه ما فتئ منذ وجوده وهو يسعى لخلوده ليظل مغموراً بهذا الإحساس العجيب بالحياة، ولم يكن يستطيع أن يتصور الخلود فى أول الأمر بأكثر من أن يعطى شعلة حياته إلى ولده. وقد وجد فى ولده أكبر عزاء له عن موته وفنائه؛ ولكنه لم يقنع بهذا بل ظل يبحث جاهداً عن وسائل خلود جسده هو بذاته، فحنطه ونقش صورته على الألواح والتماثيل، ثم خطا خطوة أخرى فخلد فكره بالكتابة، ثم خطا خطوات متلاحقة فى العصر الحديث نحو هذه الغاية فخلد صورته الحقيقية «بالفوتوغراف» وصوته «بالفونوغراف» وأنغام نفسه «بنوتة» الموسيقى وحركات جسمه بالسينما، ثم تصرف فى الصوت والصورة والحركة ونقلها على أمواج الأثير فاخترق الحدود والكثافات بالراديو والتلفزيون فى أقل من لمحة، ثم هو الآن يتجه ببحوثه إلى عالم الروح لعله يستطيع أن يتصرف فيها ... والله أعلم بمستقبل هذا النوع العجيب الذى ارتضاه خليفة له فى أرضه ...!

فأنت ترى أنه مشغول دائماً بخلود حياته إذ يحس إحساساً فطرياً وعقلياً أنها لا يليق بها الفناء الأبدى الذى يرجعها إلى العدم المطلق ...

وأحب أن ألفت الفكر إلى أمر هام جداً وذى قيمة كبرى فى النظر إلى قيمة الإنسان: وهو أن حياة هذا النوع منذ ابتداء تيقظه لها فى العصر التاريخى، وتقييد خطواته فيها حياة مطردة الرقى سائرة بسرعة إلى الوضوح والانكشاف وتحقيق الغاية من خلق النوع

ولقد عاش أدهاراً طويلة وهو يجهل أجناسه وأنواعه، غائباً فى أوطانه الضيقة يحسبها هى وحدها كل الدنيا، لا يعلم حدود اليابس والماء، منثوراً لا رابطة تجمعه، جاهلاً بما فى الكون من عوالم وأسرار، وقد كانت أديانه أدياناً خاصة. كل قرية فيها نذير يسدد حياتها بحسب ظروفها هى وحدها

ولقد كان الانقلاب الإسلامى قمة النضوج فى العقيدة الدينية إذ جعلها عقيدة دولية وضع فيها الأسس لوحدة البشر، وتلاقيهم على معان مشتركة حتى يتأتى من وراء ذلك السعى إلى وحدة العمل والخدمة المشتركة، ولذلك لم تقبل الأرض أن يأتيها هدى من السماء على يد رسول بعد رسول الإسلام، وقد علم الله ذلك فأغلق باب الوحى وجعل محمداً «خاتم النبيين»، وقد صدق الزمان ذلك فلا مجال للجدال. ولم تعد الإنسانية تقبل ظهور البطل فى صورة نبى، وقد فطن إلى ذلك «كارليل» فى كتاب الأبطال، وهذا هو معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خطبة الوداع: «إن الزمن قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض» أى أن الإنسانية قد بدأت بعد الانقلاب الإسلامى دورة زمنية جديدة، وحقاً يجد كل من يتفرس ويستقرئ التاريخ أن عصراً عقلياً جديداً قد ابتدأ بظهور الإسلام وانفساح الامبراطورية العربية التى احتضنت جميع علوم العالم القديم ومعارفه وأتمتها وحملتها إلى العالم الحديث. فالانقلاب الإسلامى ينبغى أن تجعله الإنسانية بدء تاريخ رشد للعقل ووحدة للدين، وستفعل ذلك فى يوم لا ريب فيه

والآن صارت الأرض كقطر واحد بأدوات الاتصال السريع وكل أمة تعلمت لغات غيرها ، وارتبطت مجموعات كبيرة من الأمم برباط واحد. واختلط الأبيض بالزنجى والشرقى بالغربى وسكان الجزر النائية الغائبة فى المحيطات بسكان القارات ، وصار الإنسان العادى يطلع فى كل صباح ومساء على أخبار العالم الأرضى كله ، ويرى حياة جميع الأمم فى السينما ... وهذه كلها مقدمات لنتائج لا شك فيها عند من يقيس ويعتبر بالماضى

وإذا ثبت أن الانقلاب الاسلامى كان بدء عهد عقلى وقلبى للانسان، فقد ثبت أن القرن السابع عشر الميلادى كان بدء عهد عملى وعلمى له . وبذلك طار الإنسان بجناحين قويين من الحياة الفكرية والحياة العملية إلى الغاية من خلقه

فليس من الصواب ولا من الإنصاف أن ننظر نظرة تشاؤم إلى حاضره ومستقبله بعد أن رأيناه يبنى حياته على العلم والفكر والنظام بناء كان يعد فى الماضى من أعمال السحر والإعجاز وخوارق العادات ...

ومن النظر العامى أن نزعم أن الإنسانية الآن أحط منها فى الماضى ... ولست أدرى ما مبعث هذا الزعم ؟ أهو ملاحظة فساد فى العقيدة الدينية؟ إن العقيدة الدينية الآن أصح منها فى الماضى؛ فهى فى أكثر الأمم المتعلمة بعيدة عن الشرك والوثنيات والخضوع الأعمى للكهنة ... وما أصدق أن عاقلاً يخلى الطبيعة من عقل يدبرها ولكنه ليس إله الكهنة ؛ وعما قريب يذهب ما فى بعض الأديان من بقايا الوثنية والإشراك ولن يبقى للانسانية إلا دين الفطرة والعقل بغير عنوان من يهودية أو مسيحية أو بوذية أو غيرها . وهذا هو المعنى الحرفى اللغوى لكلمة « الإسلام » « فالإسلام » ترجمة لـ « دين بغير عنوان » . فأى امرئ يؤمن بخالق واحد للطبيعة ويحسن العمل فى الدنيا فهو « مسلم » والمعنى الحرفى لكلمة « إسلام » هو الانقياد لحكم الله فى الطبيعة

واقرأ إن شئت : « وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى تلك أمانيهم ... قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين . بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » ... والآيات كثيرة فى هذا ، ولا محل الآن للخوض فى هذا الموضوع ...

وقد صارت الأديان التى تحتضن بقايا الوثنيات تختنق وتنفر من نور العلم والفكر الحر ويزعم سدنتها أن الدين لا مناقشة ولا تحاكم للعقل فيه ... وهذا أول الاعتراف منهم بأنهم على باطل عما قليل يذهب مذموماً مدحوراً إلى قبور الخرافات والأباطيل

وأؤكد أن كثرة حوادث انفلات المتعلمين من العقيدة الدينية ليست ناشئة من أن عقولهم لم تقتنع بالأفكار الأولية الرئيسية فيه ... وإنما منشؤها أن هذه الأفكار الرئيسية قدمت لهم فى هلاهل من الخرافات والمتناقضات والألغاز ، ولأنهم وجدوا أن تاريخ رجال الدين مع الأسف الشديد تاريخ مملوء بالجمود ومواقف العداوة للعلماء الطبيعيين الأولين الذين كان لهم فضل الاهتداء إلى مفاتيح العلوم التى نالت الإنسانية منها كثيراً من الخير والبركات وصار رجال الدين الحاليون أنفسهم يتمتعون بها ويأخذون بمنافعها كما يأخذ سائر الناس بعد أن كان أسلافهم يصبون عليها شآبيب السخط واللعنات ويحرقون وينكلون بمن يجرؤ على التحدث عنها فى الفلتات بعد الفلتات ...

ومنشؤها كذلك أن رجال الدين متعزلون عن حياة كثرية الناس لهم لباس خاص ويكادون يكون لهم منطق خاص بهم وحدهم. والحياة الحالية حياة عظيمة السلطان على النفوس تغرى جميع أبنائها بالاندماج فى موجاتها ، وتعد من يعتزلها وينأى عنها رجلاً فيه مس ونقص وشذوذ . وكل مخلص للدين مقدر آثاره فى الحياة وفقرها إليه وفسادها بدونه ، يرى من الخطر أن يظل لرجال الدين ثيابهم الكهنوتية وطقوسهم التى ما أنزل الله بها من سلطان لأنها توهم الناس أن الدين فى تلك الثياب والرسوم العجيبة ، ويرى من الخطر أيضاً أن يفرق شباب الأمة فئتين : فئة لعلوم الدنيا منذ التعليم الابتدائى وفئة لعلوم الدين منذ التعليم الابتدائى .

وليس بين الفئتين مرحلة يسيرون فيها جنباً إلى جنب حتى يتنفسوا فى جو واحد ويقيسوا بمقياس واحد . وإذا كان هذا التفريق قبيحاً فى أى أمة فهو فى الأمة الإسلامية أقبح القبح ! لأن الإسلام هو المعيشة بالجسد والروح عيشة متناسبة ، وهو دين يجعل التمتع باللذات المحللة عبادة إذا ذكر اسم الله فيها ... ويجعل خدمة العلوم الدنيوية المفيدة فرضاً يحاسب الله على إهماله ، ويطلب من الإنسان أن يعيش عيشة رحبة عميقة بكل قوة فى تكوينه . فلماذا التفريق فى التعليم وفى اللباس تفريقاً يوحى إلى النفوس بمعان من التعصب والانحياز ، ويلقى فى روع الناس أن حياة الدين منفصلة عن حياة الدنيا ؟ !

إن اليوم الذى توحد فيه برامج التعليم فى المرحلتين الابتدائية

والثانوية فى جميع المدارس المدنية والمعاهد الدينية بحيث تحتوى البرامج على التربية الروحية التهذيبية والعلوم المفيدة للجميع . ويوحد فيه الزى بين أبناء الأمة جميعاً سواء أكان عمامة للجميع أم أى لباس للجميع ، هو اليوم الذى تصير فيه الحياة الفكرية والروحية مزيجاً مؤتلفة فيه جميع عناصر الحياة اللازمة لكل نفس بدون تكلف أو احتراف . وهذا هو ما كان عند الرعيل الأول من المسلمين فى زمن الرسول وخلفائه . فقد كان الرسول جندياً مع جنوده ، وعاملاً بيده مع عماله ، وعابداً وحاكما ورجلاً يعيش بجميع قوى جسده ونفسه ، يلبس جميع ألوان ثياب قومه ، ولم يكن يتميز على أصحابه فى شيء من السمات الظاهرة . فمن تبعه صار يلبس مثله . ولذلك كانوا كلهم فى مظهرهم رجال دين ودنيا يتفاضلون ويتمايزون بالعقل وكثرة العلم لا بالسمات والشارات . فمن كان عنده علم من الدنيا أفتى فيه وبذل منه وعرفه الناس به فقصدوه من أجله ، ومن كان عنده علم من الدين أفتى فيه وبذل منه وعرفه الناس به فقصدوه . وليس وراء ذلك فارق ما . فلا جرم بعد ذلك ألا تكون هناك شقة خلاف وهوة شقاق بين الدين والدنيا عند المسلمين الأولين بمثل ما هما عند المسلمين المتأخرين الذين ورثوا ميراث هذا الخلاف عن أمم الغرب ، وزعم المبطلون أنه أصل عندنا كما هو عندهم

وقد كان من الواجب — لو فطنت الأمم الإسلامية — أن تظل الدراسات الكونية ضمن نطاق العلوم التى تدرس فى المعاهد الدينية ، كما كان الشأن عند المسلمين فى الدولة العباسية والدول التى تلتها إلى أن جاءت نظم العصر الحديث فى عهد محمد على . إذاً لظل العلم بما فى الدين وما فى الدنيا وحدة غير مجزأة يخرج الإنسان المتحلى بها كامل القلب والعقل تلتقى عنده الثقافات ويمرن على التوفيق بينها ، وبناء الحياة الاجتماعية عليها . فما كان عند المسلمين سبب يدعو إلى التفريق فى المعاهد وإخراج علوم الدنيا عن نطاق الدراسات الدينية . وقد ظل الأزهر والنجف والزيتونة ، وجامع القيروان ، ومساجد بغداد ، ومعاهد الشام يدرس فيها الفلك والحساب ، والرياضيات والطب ، والطبيعيات والموسيقى إلى أن أتى العصر الحديث .

وقد كان المتعلم لا يخرج إلا من هذه المعاهد وأمثالها . ولذلك أخذ محمد على — منشىء دراسات العلم الحديث فى البلاد العربية — أغلب أفراد بعثاته إلى أوربا من طلبة الأزهر ، إذ كانوا هم الطبقة المثقفة من الشباب . وقد كان بعض العلوم الدينية يدرس فى عهد محمد على فى المدارس التى أنشأها للهندسة والطب وغيرهما

ولكن جمود بعض المشايخ فى عصر إسماعيل وامتناعهم عن إدخال العلوم الحديثة بنظامها الأوربية فى الأزهر ، هو الذى جنى على الإسلام كما جنى عليه امتناعهم عن إنشاء قانون مستمد من جميع مذاهب الشريعة الإسلامية يساير روح العصر الحاضر ويكون منطبقاً على ما جد فى الحياة من مشاكل ومطالب ، حتى اضطروا اسماعيل إلى فتح مدارس خاصة وإنشاء محاكم تحكم بغير الشريعة الإسلامية

إن الأوربيين اضطروا إلى انتزاع دراسة العلوم الكونية من أحضان الأديرة والكنائس ، لأنها لا تسمح بالاعتراف بالحقائق التى تناقض وتهدم تعاليمها ، بل كانت تئدها فى مهدها ، حتى جاءت الثورات الإصلاحية التى ألزمت الكنيسة حدودها ، وجعلت الناس يدخلون الكنيسة بعقل خاص ، ومعاهد العلوم بعقل آخر . ونحن المسلمين ولله الحمد لم تحدث عندنا معارك وخصومات بين الفريقين تجعل الملاقات بينهما مستحيلة ، وليس فى ديننا ما نخاف عليه من حقيقة كونية ، بل بالعكس ديننا يخدم بالعلم الطبيعى . فلا يصح أن نفرد هذا بمعاهد خاصة وذاك بمعاهد أخرى . بل الواجب أن يسير جميع التعليم فى مجرى واحد إلا فى مرحلة التخصص

وفى هذا تدارك سريع لحالة تخشى عواقبها على الدين والأخلاق ، وفيه توحيد وتوجيه لقلوب الشباب وعقولهم إلى مثل أعلى واحد . وفيه توكيد لذلك المعنى السامى العظيم : وهو أن الدين عندنا عقل وعلم ، والعلم عندنا دين وخلق .

(القاهرة) عبد المنعم خلاف

زفرة مصـــــدور !

للأستاذ على الطنطاوى

إلى أخى شكرى فيصل :

قرأت كلمتك التى أوحى إليك الحنين ممناها ، فوعيت وحيه وبلغته « الرسالة » وأهديته إلى صاحبها فأثارت قراءتها ألماً فى نفسى دفيناً ، وبعثت فيها شكاة ميتة ، فأخذت القلم أكتبها لتكون جواباً لـكلمتك. وليغفر لى القراء النحو الذى نحوت إليه فيها ، وليغفر الزيات فإننى متألم ...

ولا بد من شكوى إلى ذى مروءة

يواسيك أو يسليك أو يتوجع

وما عجب أن أدخل بينك وبين الأستاذ الكبير الزيات ، فإنه أخى الأكبر ، وأنت أخى الأصغر ، وأنا أحمل له من الحب والإكبار، على أنى لم ألقه أبداً ، مثلما أحمل لك من المودة والحب على طول معرفتى بك ناشئاً وشاباً ، وعلى أنى سأعرفك أديباً كبيراً إن شاء الله

* * *

أنا الآن فى شرفتى التى تعرفها ... أطلّ على دمشق من فوق خمس جوادّ علوها مائتا متر ، فأراها كلها كصفحة الـكف ، وقد انتصف الليل ، وانصرف الساهرون آنفاً بعد ما أحيوا ليلة من الليالى التى تعرف مثيلاتها فى دارنا ، وسكن الـكون وشمله الجلال ، وأنا جالس وحدى أفكر، لا أفكر فى دمشق التى حننت إليها ، وشاقتك ذكراها ، دمشق التى باكرها الربيع فضحك فى غوطتها الزهر، وغمر جوّها العطر، وماست فى جناتها الحور الفاتنات ، من الحور والصفصاف ومن بنات أمنا حواء ، لا أفكر فيها لأن قلبى لا يتفتح الآن لإدراك الجمال ، وقريحتى لا تنشط لوصف الربيع ، ومكان الشعر من نفسى مقفر خال . وما لى لا تحمل قريحتى ، ويذوى غصن الشعر فى نفسى ، وقد عدت إلى دمشق ، على طول شوقى إليها وازدياد حنينى ، وتركت أهلاً فى العراق كراماً ، وبلداً طيباً ، وأمة حية ، تحمل اللواء ، وتهز العلم ، وتتقدم لتجمع الشمل الشتيت شمل العرب المتفرق ، وتوحد الشعب وترجع المجد والجلال ، وتؤلف بين أهل الضاد من حاضر وباد... تركت ذلك كله وعدت إلى بلدى الأول، ويا ليت بغداد كانت هى بلدى الأول ... فلم أجد فى دمشق إلا النكران والأذى ولم أجد إلا ما يسوء ويؤلم ...

ولـكن هل يشكو امرؤ بلده ؟ هل يهدم بيده داره ؟

إن تكلمت قال الحساد بغى وظلم ، وإن سكت قال الشامتون رضى أو عجز ، والقلب بالسكوت يتفطر ، والصدر من الصمت يتمزق ، والـكلام ... هل يجوز لى الـكلام ؟

يا ليتنى بقيت بعيداً أقنع من بلدى بهذه الصورة الحلوة التى تتراءى من خلال أحلام المشوق الولهان ، ويوحى بها الحنين الطاغى، يا ليتنى، وهل تنفع شيئا ليتنى ؟

فاقنع أنت بهذه الصورة ودع دمشق . ولكن لا ، إنك لست مثلى ، إنك ستعود فتلقى مكانك فى غرفة المدرّسين ممدًّا لك ينتظرك . وسيظلمونك فيسوّون بينك وبين هؤلاء المساكين الذين بعثوهم ليتعلموا العربية فى ديار العجم فجاءوهم بذلك سخرية الساخرين. أما أنا فلم أبلغ مرتبة هؤلاء، ولا أنا بيالغها فى يوم من الأيام ، وقد عمى أولو الأمر والنهى عن أدبى وعلمى وعما نشرت فى الكتب والمجلات والصحف وهو شىء يملأ ثلاثة آلاف صفحة على أقل تقدير . هبْ أن فيها كلاماً مرصوفاً لا معنى وراءه تجد أنى جملت فى كتابتها ورصفها عناء ، فكيف وكلها ثمرة التأمل الطويل ، ونتيجة كد الخاطر وعصر الدماغ ، وما منها شىء سرقته عن أديب من أدباء فرنسا ولا انكلترا !... عمى أولو الأمر عن هذا كله ولم يبدلوه بهذه الورقة السحرية التى جاء بها أولئك من ديار العجم يشهد لهم فيها من يسكن هناك ، بأنهم صاروا يفهمون العربية ، وغدوا أهلاً للتصدر لتدريسها ... ولم يجدونى أهلاً لأكثر من « أستاذ معاون » !

أفيكون ظلماً منى وعدواناً ، إذا أعلنت ما أصابنى ، وشكوته إلى القراء ، وهم أصدقائى ، لم يبق لى من صديق غيرهم ؟ لم يبق لى صديق فى هذه الحياة ، إنك لتعلم ذلك ، ولـكنى لا أشكو !

إنهم يقولون إنى عنيد، وإنى مشاغب ، وإنى أثير المشاكل؛ ولست أفهم لهذا كله إلا معنى واحداً، هو أنى أوثر الصدق وأعلنه ولا أفعل ولا أقول إلا ما أطمئن إلى أنه الحق ...

وهل كان ذنباً أنى حميت للفضيلة تمتهن ، وللأخلاق تهان ، فناضلت عنها وقاتلت ، وقلت لتلاميذى ناضلوا عنها وقاتلوا ؟ ...

وهل كان ذنباً أنى غضبت لمحمد أن ينكر نبوّته ويجحد رسالته ، جاهل غرير ، فى حفلة أقيمت لتكريم محمد وتمجيد

ذكراه ؟ وهل كان ذنباً أنى لا أقول لسواد الليل أنت أبيض مشرق ، ولا أقول للأعور ما أحلى عينيك ؟ ...

هذه هي ذنوبي التي خسرت من أجلها صداقات الأصدقاء وكسبت عداوات الرؤساء ، وربحت خصومة الجاهلين ، وعُددت بها من كبار المشاغبين ...

* * *

لقد قارب الفجر ، وانطفأت أنوار المدينة ... لقد مرّ عليّ ساعتان وأنا أفكر ، وكل شيء من حولى ساكن ميت ، وكذلك حياتى ! ... إنها خالية مذ سنوات ، ليس فيها شيء متحرك ... فأنا أعيش عيش الخالين ، أرقب أبداً الحادث الذى يهز حياتى الساكنة ، ويحرك مواهبي الخاملة ، ويدفعنى إلى العمل ، ولكن انتظارى قد طال حتى كدت أيأس من الانتظار ...

إنك تعزينى بما حصلت من شهرة وما نلت من مكانة ، ولعل فى ذلك تسلية لى لو كنت أحسّ به أو ألمسه ، إننى لا أحس والله بهذه الشهرة ، إننى كالمغنى الأصم الأعمى ، يطرب الناس فيصفقون له ويهتفون ، ولكنه لا يسمع ولا يرى ، فينصرف حزيناً يحسب أنه خاب وأساء ...

إن أهل بلدى ينكرون عليّ كل شيء حتى الأدب

لقد قرأت أمس مقالة سقطت إليّ عرضاً ، فرأيت فيها مقالاً يخبط فيه صاحبه خبط عمياء ، فيعد أدباء دمشق أو الذين يزاهم هو أدباء ، فيذكر فيهم كل موظف فى وزارة المعارف ، وكل تلميذ يدرس فى أوربة ، وكل مدرسى التاريخ والجغرافيا ، ولكنه لا يذكر على الطنطاوى ولا سعيد الأفغانى ؛ أفسمعت أبلغ من هذا الجهل وهذا النكران ؟

هذه حالنا فى دمشق التى تحنّ إليها ، وتحيى الليالى تفكر فيها ، وتتراءى لك صورتها حيال الأفق وأنت قائم عند قنطرة الزمالك أو مرتق ذروة الهرم ، وتساهر النجم تفكر فيها وتعد الأيام للوصول إليها ، دمشق صارت كالهرة تأكل من حبّها بنيها

لقد حمل إليّ البريد رسائل جمة ممن أعرف ومن لا أعرف يسألنى أصحابها لم لا أكتب فى الرسالة فى هذه الأيام ؟ فوجدت فى هذه الرسائل عزاء ، وشكرت لأصحابها ، وتوهمت حين قرأتها أن فى الدنيا من يفكر فى ، ويقرأ ما أكتب ، ولكنى لم أجب واحداً منهم ، وبماذا أجيبهم ؟ وكيف أقول لهم إن دمشق قد قتلت فى نفسى روح الأدب ؟

كيف أشكو دمشق التى أحبها ؟ وكيف أذمها بعملها ؟

* * *

ثلاثون سنة ما خرجت منها إلا بشيء واحد ، هو أنى رأيت الحياة كمائدة القمار ، فمن الناس من يخسر ماله ويخرج ينفض كفه ، ومنهم من يخرج مثقلاً بأموال غيره التى ربحها ، ومنهم من يقوم على الطريق يمسح الأحذية ، ومن يمد إليه حذاءه ليمسحه له ، ومن ينام على السرير ، ومن يسهر فى الشارع يحرس النائم ، ومن يأخذ القسمة من غير عمل ، ومن يكد ويدأب فلا يبلغ الواحد ، وعالم يخضع لجاهل ، وجاهل يترأس العلماء ، ورأيت المال والعلم والخلق والشهادات قسماً وهبات ، فرُبّ غنى لا علم عنده ، وعالم لا مال لديه ، وصاحب شهادات ليس بصاحب علم ، وذى علم ليس بذى شهادات ، وربّ أخلاق لا يملك معها شيئاً ، ومالك لكل شيء ولكن لا أخلاق له ، ورأيت فى مدرسى المدارس من هو أعلم من رئيس الجامعة ، وبين موظفى الوزارة من هو أفضل من الوزير ، ولكنه الحظ الأعمى ، أو هى حكمة الله لا يعلم سرّها إلا هو ، ابتلانا بخفائها لننظر أنرضى أم نسخط

ولكن ما أضيع أيامى فى مدرسة الحياة ، إن كان هذا كل ما تعلمت منها فى ثلاثين سنة !

* * *

لقد أذّن الفجر وأنا ساهر ، وأضيئت منارات دمشق التى لا يحصيها عدّ ، ورنّ صوت المؤذنين فى أرجاء الوجود صافياً عذباً : الله أكبر ... الله أكبر ...

الله أكبر من كل شيء ، اللهم إنى أرفع إليك شكاتى ...

اللهم إنى قد نفضت يدى من الناس ، وإنى أسألك أمراً واحداً ، ألا تقطعنى عنك ، وأن تدلنى عليك ، حتى أجد بمراقبتك أنس الدنيا ، وسعادة الأخرى ...

على الطنطاوى

النقابات الاســـلامية

للأستاذ برنارد لويس

ترجمة الأستاذ عبد العزيز الدوري

— ٢ —

كانت الحركة الإسماعيلية قوة تهذيبية عظيمة، اختصت بإنشاء مدارس وجامعات أشهرها جامعة الأزهر فى القاهرة وبتصنيف دائرة معارف واسعة تذكرنا بحركة التأليف الأنسكلوبيدية فى فرنسا فى القرن الثامن عشر. وفى هذه الموسوعة المسماة «رسائل إخوان الصفا» نجد تقريباً كل الآراء التقدمية فى ذلك العصر وإشارات قليلة ثمينة إلى نظم تشكيل الجمعيات ، ومنها نعلم بوجود جمعيات لإخوان الصفا فى جميع أنحاء الإمبراطورية تعمل لبث آرائها بين كل طبقات الشعب وخاصة بين الصناع وأصحاب الحرف[1]

يرى الأستاذ ماسنيون أن الحركة الإسماعيلية هى التى أوجدت الطوائف الإسلامية وأعطتها ميزتها الخاصة التى حافظت عليها حتى الآن ، إذ يقول : إن الطوائف الإسلامية كانت قبل كل شىء سلاحاً شهره الدعاة الاسماعيليون فى كفاحهم لضم الطبقات العاملة فى العالم الإسلامى لتكوين قوة منهم تستطيع قلب الخلافة وكل ما تمثله ؛ وللتوصل إلى استغلال أصحاب الحرف أوجدوا الطوائف وسيطروا عليها . وهكذا أصبحت لها خاصيتان : (أولاً) كونها أصنافاً للحرف و (ثانياً) كونها مؤسسات أخوية إسماعيلية[2]

دعنا نفحص الدلائل التى تؤيد هـذه النظرية . يجب قبل كل شىء ملاحظة اهتمام الاسماعيلية العظيم بطبقات أصحاب الحرف فقد خصص فصل كامل فى رسائل إخوان الصفا للنظر فى الحرف

(١) رسائل إخوان الصفا . القاهرة ج ٤ ص ٢١٤

(٢) لم يصل الأستاذ ماسنيون مع الأسف بنظريته إلى النهاية إذ أنه يقول إن المصادر لا تزال غير كافية .La Passion d'al-Hallaj Paris 1922, Vol P. 83, 399, 410 لاحظ الأنسكلوبيديا الاسلامية . مادة نقابة . صنف . شد

اليدوية وتبويبها وتصنيفها ونبلها . وتهمنا بصورة خاصة الفقرة التى قسم فيها الذين لا يمتهنون الحرف كما يلى : قسم لا يمتهن الحرف كبرياء وأنفة، وقسم لزهده كالأنبياء، وقسم يقلدها لكسله وقلة نشاطه كالشحاذين وغير الماهرين من الصناع أو لتراخ فى الطبيعة وضعف فى العقل كالنساء وما يشبههن من الرجال . فالإشادة المقصودة بأصحاب الحرف بينة ، والأمثلة الأخرى على اهتمام الاسماعيلية بالحرف كثيرة . وهناك عامل ثان وهو الفرق بين وضعية الطوائف فى عهد الفاطميين وبينها فى عهود الدول السنية. إذ كانت الطوائف تحت الحكم السنى مضطهدة وخاضعة لقيود لا تعد ، ومحرومة من حقوق قانونية . وكان هناك موظف حكومى يدعى المحتسب مهمته الأساسية مراقبة الطوائف وقتل أية محاولة للعمل المستقل فيها منذ المبدأ ، ولدينا أدب ممتع ضد هذه الطوائف يظهر قلة ثقة الدول السنية بها ، ويظهر ذلك خاصة فى كتب الحسبة أى الكتب التى كتبت لفائدة المحتسب عن خطر أهل الصنائع وعن أحسن الطرق للسيطرة عليهم ، وقد وصلتنا هذه الكتب من محلات متباينة كالقاهرة وحلب ومالقة

نلاحظ الفرق فى وضعية الأصناف تحت حكم الفاطميين ، إذ كانت تتمتع برخاء عظيم . فقد كانت معترفاً بها من قبل الدولة، ويظهر أنها كانت تتمتع بامتيازات كثيرة ، وأنها لعبت دوراً هاماً فى النشاط التجارى الذى حصل فى العهد الفاطمى ، ففى هذا العصر نشأت نقابة الأساتذة والطلاب التى تؤلف الجامعة العظيمة أى الأزهر الذى مر ذكره . ثم قضى صلاح الدين على الخلافة الفاطمية ١١٧١ م ، وأعيدت مصر إلى الحكم السنى وفى الحال جردت الطوائف من أكثر حقوقها وامتيازاتها وأخضعت لنظارة دقيقة .

وهنالك عامل ثالث يؤيد هـذه النظرية ، وهو الأثر القوى الذى تركه النفوذ الإسماعيلى فى الطوائف بعد اختفاء الدعوة الإسماعيلية بزمن طويل . إذ يقول الأستاذ كوبريلى[1] إن الطوائف فى أناضوليا فى القرن الثالث عشر كانت لا تزال تحتفظ بنظام متدرج فى التنشىء يشبه بدقة النظام الإسماعيلى ، كما أن

(١) لاحظ Köprülü — Les ourgines de l'Impire Otomn, Paris, 1935 P. 711.

دراسة أصناف مختلفة فى أنحاء مختلفة من العالم الإسلامى أظهرت آثاراً مماثلة . وتظهر رسالة لأحد الأصناف المصرية كتبت فى القرن السادس عشر — كتاب الذخائر والتحف فى بير الصنائع والحرف — كرهاً شديداً للحكم العثمانى الذى يعتبر سبب تعاسة رجال الأصناف ، ونجد فى الرسالة فكرة انتظار المهدى لينقذ البؤساء

وهكذا نجد الآثار الإسماعيلية التى هى ضد التعاليم السنية تستمر بين الأصناف ، ونلاحظ العبارة التالية فى هذه الرسالة « إن العلم يبطلونه وبعد أن تذهب دولة العثمان يطلبونه ويقوم سيدى محمد المهدى لكل حرفة لها صدر فى الصحابة ويأمرهم باتباع الطريق فيدخلون السياج ويسألون كل نقيب عارف بصير الأمر له محتاج حتى يقوم الدين ويصلح اليقين ويبطل العقد والثلاث ويضرب أعناق النقباء الجاهلين والمشايخ المتلبسين »

وأهم من ذلك وجود أفراد من طوائف مختلفة بين أفراد الأصناف ، وهى خاصة تميز هذه الأصناف بدقة عن النقابات الأوربية ، إذ يقبل المسلم والمسيحى واليهودى تحت نفس الشروط فيها ، حتى إن بعضها يغلب فيها غير المسلمين كأصناف الأطباء والمتعاملين بالمعادن الثمينة ...الخ . وهذا يظهر الرابطة الدقيقة بين الأصناف والدعوة الاسماعيلية

يتضح من كل هذا أن الحركة الاسماعيلية لعبت دوراً هاماً فى تطور الأصناف الإسلامية ، وأنها تركت أثراً عميقاً خالداً فى حياتها الداخلية ، وإن لم يوجد برهان واضح يبين أن الحركة الاسماعيلية أوجدت الأصناف[1] ، ولكن الأكثر احتمالاً هو أن الاسماعيلية أعطت مصدراً جديداً ومعنى جديداً لتشكيلات كانت موجودة من قبل . فهل كانت هذه التشكيلات من أصل بيزنطى ، أو كانت تقليداً لمؤسسات بيزنطية معاصرة خارج حدود الامبراطورية الإسلامية ؟ هذا ما يستحيل البت فيه . فأثار تشكيلات الحرف فى الفترة التى سبقت الحركة الاسماعيلية والعامل الإغريقى المظيم فى الأفكار يؤيد تفسيراً من هذا القبيل

وهكذا تكون النقابات الإسلامية عبارة عن نظام يتركب من هيكل موروث من العالم اليونانى الرومانى وسلسلة من الآراء جاءت على الأخص من الحضارة الفارسية الآرامية وأنتجت حركة إسلامية إغريقية تهذيبية فلسفية تكتلية (على هيئة جمعيات) فى نفس الوقت

وفى أوسط القرن الثالث عشر حدثت فاجعة الفتح المغولى الذى حطم الخلافة وأخضع المسلمين من سنيين وغيرهم على السواء إلى سيطرة شعب أجنبى كافر ، وأفضى إلى طمس التميز الاجتماعى بين الاثنين « السنة وغير السنة » ومهل نوعاً ما اعتناق الجماهير للمذهب السنى . وباختفاء الحركة الاسماعيلية تحرج مركز الأصناف فى المجتمع السنى ، إذ بقيت بعض الصعوبات ، فأصحاب الحرف بقوا غير آمنين فى نير الطبقات الحاكمة فى الدولة . وربطوا أنفسهم بميول دينية هى وإن لم تكن خارجة عن الدين لم تكن دائماً فوق الشك ، وهذا هو التصوف ، فإلى زمن قريب كانت تصدر بعض التهم من علماء السنة ضد الأصناف كالأحكام التى أصدرها الفقيه السورى المظيم ابن تيمية ، أو التى أصدرها الشيخ العثمانى (منيرى بلغرادى) فى القرن السابع عشر . وعلى كل فبالرغم من كل هذا العداء كانت حالة الأصناف فى الفترة التى تلت الفتح المغولى متوطدة ، واستمرت كذلك حتى حركة الإصلاح التركى فى القرن التاسع عشر التى انتهجت خطة أدت إلى انحطاط الأصناف بصورة عامة . وترجع أكثر الوثائق وكل الأخبار التى لدينا عن النظام الداخلى للأصناف إلى الفترة التى تلت العهد المغولى

وقبل النظر فى النظام الداخلى يجدر بنا أن نفحص مشكلة هامة فى تاريخ الأصناف الإسلامية . فحوالى نفس الوقت الذى نجد فيه الأصناف تختلط بطرائق الدراويش والصوفية نجدها على اتصال أشد بنظام جديد وهو الفتوة . أما أصل حركة الفتوة فغامض جداً ، وليس هذا بمحل البحث عن ذلك . ويكفى القول بأن تشكيلات الفتوة انتشرت فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر فى جميع البلاد الإسلامية . وجمعية الفتوة هى مجموعة شبان (فتيان) يربطهم قانون أو دستور دينى وأخلاقى يحتوى على واجبات وشعائر منظمة . فهم مسئولون عن ممارسة بعض الفضائل والقيام بخدمة عسكرية لخير الإسلام . ويظهر من هذا

(١) لهذا الحد قبلت نظرية ماسنيون من قبل (كوبريلى) و (كوردلفسكى) . أما (تشنر) فيؤجل البت لأن البحث لم يتم .

أن الفتوة تشكل نظاماً إسلامياً يوازى الفروسية عند الأوربيين حتى أن فون همر Von Hammer ذهب إلى أن أصل الفروسية الأوروبية إسلامى[1]

وفى الفترة التى تلت الفتح المغولى مباشرة نجد الفتوة تميل أكثر فأكثر إلى الاتصال بالطرائق الصوفية وبأصناف الحرف بواسطة رابطة العضوية (أى الانتماء إليها فى نفس الوقت) . بدأ هذا التطور فى الأناضول، وانتشر بسرعة فى أنحاء العالم الإسلامى، ولم يمض زمن طويل حتى أصبحت كلتا صنف وفتوة ذاتى مدلول واحد . أما كيف بدأ هذا الامتزاج، وعلاقة هذه التشكيلات المختلفة، فأمر غامض لم يوضح بصورة كافية حتى الآن[2]

يلاحظ تشنر Taeschner ثلاثة أدوار فى تاريخ الفتوة، وهى ثلاث خطوات لانحلال اجتماعى مطرد : فيقول إن حركة الفتوة بدأت كحركة فروسية أرستقراطية، ثم تحولت فصارت حركة الطبقة المتوسطة فى القرن الثالث عشر، وأخيراً انحطت فى القرن الخامس عشر إلى أكثر من ذلك وأصبحت حركة العوام . وهكذا اندمج الفتيان فى أصناف الحرف . ومن جهة أخرى يقول ثورننج أن الصوفيين وأصحاب الحرف قلدوا جمعيات الفتوة مقتبسين شعائرها ومثلها العليا وأخيراً اسمها . وأكثر هذه التعليلات إقناعاً هو تعليل (كوردلفسكى) الذى يتفق مع كوبرولو[3] على أن زمن اندماج مجموعات الفتوة بالأصناف هو فى القرن الثالث عشر فى الأناضول، ويربط ذلك بنظام هام هو نظام (أخيان روم) أو (أخوة الأناضول) . فقد ظهرت أخوة فى أناضوليا لأول مرة فى السنوات التى تلت الفتح المغولى مباشرة، إذ كانت الفترة فترة فوضى واضطراب عام ؛ فالمغول الذين دحروا الدولة السلجوقية عجزوا عن التعويض عنها، وبذا اضطربت الإدارة . وفى هذا الدور الحرج تظهر الأخوة كمؤسسة قومية واسعة لها الرغبة والقدرة على التنظيم .

(يتبع) عبد العزيز الدورى

(١) لاحظ Von Hammer : Sur La Chevalué des Arabes, J. A. 1899, P .5

(٢) لاحظ Tœscher—Die Islamische Futuwwotbündr. Z. D. M. G. 1933, P. 6

(٣) كوبرولو Les ourgines 76 - 8, 110 — 112

من شجو الربيع

عَينـــاكِ . . . !

للأستاذ محمود حسن اسماعيل

عَيْنَاكِ لِي قبسَانِ فِي زَمَنِي الْمُحَيِّرِ هَادِيَانْ
وَشُعَاعَتَانِ مِنَ الطَّهَا رَةِ وَالْقَدَاسَةِ وَالْحَنَانْ
وَسَكِينَتَانِ بِوَاحَةٍ سَجْــوَاءِ عَــذْرَاءِ الْجِنَانْ
سِرُّ الْإِلٰهِ بِهَا خَــفِيُّ الْغَيْبِ مَعْصُومُ اللِّسَانْ
أَشْجَتْ خَيَالِيَ مِنْهُمَا فِى وَحْدَتِى أُنْشُودَتَانْ
تَتَهَادَلَانِ عَلَى رَبَابٍ لَمْ تُلَامِسْــهُ بَنَانْ
عَيْنَــاكِ لَوْ تَدْرِينَ فِى صَحْرَاءِ عُمْرِيَ وَاحَتَانْ
وَبُحَــيْرَتَانِ بِعَالَمٍ فَوْ قَ الْغُيُوبِ رَهِيبَتَانْ
بِالْحُبِّ وَالْأَنْغَامِ وَالْــخَمْرِ الْمُقَدَّسِ تَخْفِقَانْ
اللهُ أَكْبَرُ ! بَلْ هُمَا مِنْ نَايِ رَبِّكِ هَمْسَتَانْ
وَهُمَا لِرُوحِى فِى السَّنَا الْ جَانِى لَدَيْكِ عِبَادَتَانْ
بَلْ نَشْوَتَانِ، وَسَجْدَتَا نِ، وَفِتْنَتَانِ، وَتَوْبَتَانْ
وَهُمَا لِحُــبِّيَ لَوْ عَلِمْــتِ مِنَ الضِّيَاءِ تَمِيمَتَانْ
تَقِيَانَ قَلْبِيَ مِنْ أَذَى الدُّنْيَا وَشَعْوَذَةِ الزَّمَانْ
... ...
عَيْنَاكِ عَبْــدُ سَنَاهُمَا يَفْنَى وَلَا ...
... لَا تَدْرِيَانْ !

(ديوان المعارف) محمود حسن اسماعيل

مجموعات الرسالة

تباع مجموعات الرسالة مجلدة بالأثمان الآتية :
السنة الأولى فى مجلد واحد ٥٠ قرشا، و ٧٠ قرشا عن كل سنة من السنوات : الثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة فى مجلدين .
وذلك عدا أجرة البريد وقدرها خمسة قروش فى الداخل وعشرة قروش فى السودان وعشرون قرشا فى الخارج عن كل مجلد



صاحب الديوان الظريف

أما أنه ظريف حقاً فذلك ما يتبين من هذا الحديث الذى أسوقه عنه، ولكم تمنيت لو كان أصحاب الدواوين جميعاً على شاكلة هذا الشاب الذى ساقتنى الظروف السعيدة إليه ...

ولن يتسع المجال إذا أردت أن ألم بنواحى ظرفه جميعها ولذلك فحسبي أن أقصر الحديث على آخر لقاء كان بينى وبينه

دخلت حجرة عمله فما رآنى مقبلاً عليه حتى خف للقائى ضاحكاً مرحباً يمد لمصافحتى يمناه ويقدم إلىّ كرسياً بيسراه على صورة لفتت أنظار الكثيرين ممن حوله من أصحاب الدواوين ، وأمثال هؤلاء لن يلفت أنظارهم الرصينة المنكبة على حل المعضلات إلا أمر غير مألوف

وجلست ترمقنى العيون برهة وحرت أول الأمر كيف أبدأ الكلام وما جئت زائراً ، ولا أنا بصديق لهذا الذى أسرنى ظرفه ، وما كانت معرفتى به إلا من كثرة ترددى عليه فى أمرلى عنده .

وبدأ هو الكلام فقال : « قهوة والا قرفة والا شاى يا سعادة البيه ؟ » ؛ واعتذرت شاكراً فما زاده اعتذارى إلا إلحاحاً بل وتوسلاً أن أتنازل فآخذ شيئاً مما ذكر ، ولست أدرى ماذا كان يبلغ من قوة إلحاحه لو تبين على وجهى أمارة القبول ، على أنى والحق يقال لم أر فى وجهه إلا أنه جاد ، وإلا فبماذا يفسر هذا التوسل الذى ما فتر والذى لم ينته فى الوقت نفسه آخر الأمر إلى شىء ؟

وابتسمت وتواضعت وتصنعت الحياء وقلت فى رفق يتناسب مع ما لقيت من ظرف : «لعلك انتهيت من مسألتى» فقال : « أيوه يا فندم قربنا ... حالاً إن شاء الله ، الحكاية كثرة عمل والمدير كل ساعة يطلبنا ، وكل عام وأنت بخير إجازة المولد ... على كل حال كن مطمئن احنا محاسيب يا فندم ... »

وجاء أحد السعاة فاستدعاه لمقابلة المدير فنظر إلىّ كأنما يقول هكذا لا ينى المدير عن طلبه ، وأخذ فى يده مجموعة من الأوراق كان ينظر إليها فى اهتمام واستأذننى وهو يرجو أن يعود فلا يجدنى .

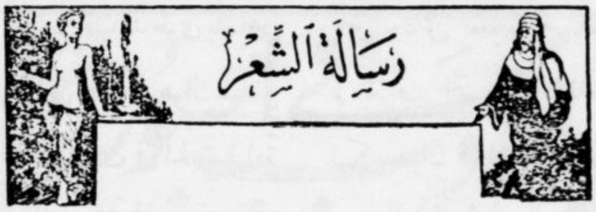
وجلست أنا متعجباً حائراً كيف يكون هذا الذى أرجو منه حل مسألتى محسوباً لى ، وهو لا يعرفنى كما ذكرت إلا من ترددى عليه ! ؟ وتنازعنى الضحك والغضب ، فأما الضحك فمن هذه الحركات «البهلوانيه» المحكمة، وأما الغضب فلأنه يظن أنى لست أفهم أنه يسخر منى ، دع عنك إهمال أمرى الذى استمهلنى آخر مرة جئته فيها من أجله ثلاثة أيام ، فما عدت إليه منذ ذلك اليوم إلا بعد ثلاثة أسابيع ، ومع ذلك فهو يقول « قربنا » والمسألة فى غير مبالغة لا تستغرق منه أكثر من ربع الساعة !

وعاد فوجدنى لا أزال فى موضعى ، فتلاقى فى وجهه التجهم والابتسام فى وقت واحد ، وهو من كثرة مرانه يعرف كيف يبتسم بناحية من وجهه ، ويتجهم بالناحية الأخرى ... ثم غلبت ابتسامته تجهمه فى أسرع من ارتداد الطارف ، ونظر إلى من ابتسم إليه من أصحاب الديوان ابتسامة فهمت منها أنهم يضحكون منه لأنه لم يستطع أن يصرفنى أو يضحكون من أنى على الرغم من ألاعيبه بقيت ثابتاً لا أتحول

وجاء شخص غيرى رقيق الحال يلبس جلباباً عليه معطف يسأله هو أيضاً عن مسألته فقال فى نفس ظرفه وأدبه : « حاضر يا عم إن شاء الله تجينا بعد يومين تكون مبسوط » ولما شكا الرجل وغضب قال له باسماً : « حلمك يا بويا إن الله مع الصابرين قلت لك إن شاء الله تكون مسرور » ولما أدار الرجل ظهره لينصرف نظرت إلى صاحب الديوان فإذا به يخرج له لسانه ، وابتسم ابتسامة عريضة وضحك من رآه من أصحاب الديوان ، وكثيراً ما أضحكهم بمثل هذه الأمور كما قرأت ذلك على وجوههم

واتجه إلىّ قائلاً : « شرفت يا بيه » وفهمت معناها فليست إلا مطالبة بالانصراف ؛ وهممت أن أنصرف ، وقد تأكد لى ما سبق أن عرفته من أن الأوراق عند أصحاب الدواوين قسمان ، قسم يعلم به المدير أو الرئيس ، وهذا هو الذى ينجز ويعد ، وقسم لا علم للرئيس به ، وهذا لا يتناوله أصحاب الديوان ولو بمجرد القراءة ، وعلى مصالح الناس ألف سلام !

وسلمت فنهض يصافحنى فى ظرفه ولباقته ، وهو يقول : « ما تأخذناش يا بيه ، والله الواحد خجلان ... حالاً إن شاء الله » ومضيت ولكنى التفت عند الباب أنظر إليه فلست أدرى لم ألقى فى روعى أنه ظل يخرج لى لسانه منذ ودعته ... « عين »



صخرة المكس

للدكتور ابراهيم ناجى

تعال نزف للثغر السلاما ... ألست ترى على الثغر ابتساما
ألم تشعر كأن يدىْ عزيز ... مسحن لك المواجع والسّقاما
كأن خطى العُباب خطى حبيب ... كأن الموج أفئدة ترامى !
سلاماً يا عروس الماء إنى ... أحبك لا أملّ بك المقاما
أسير إلى لقائك نضو شوق ... وأرجع عن ربوعك مستهاما
أراك فتنتشى روحى وقلبى ... كأنى قد سقيت بك المُداما
وإن طوى البساط فنصب عينى ... عليك خيال أحبابى القدامى
وإن طاح الزمان بكأس حبى ... فلا الساقى نسيت ولا الندامى !

***

فؤادى قم بنا نذكر شجانا ... لصخر فى جوار المكس قاما !
تعال ولا تقل هـذا جماد ... وكيف تروم بالصخر اعتصاما؟
فكم فى الحىّ من قلب أصم ... تنكر أو تجاهل أو تعامى
وكم صخر أحس بما عنانا ... وما عرف الحديث ولا الكلاما
وكم فى الناس من رجل قوى ... شديد البأس يقتحم اقتحاما
تعرض للحوادث لا يبالى ... تلقاها نصالاً أم سهاما !
فإن عرضت له الذكر الخوالى ... رأيت الكون فى عينيه غاما
عرته الرجفة الكبرى وراحت ... جيوش الصبر تنهزم انهزاما !

***

بربك أيها الأنوار ماذا ... صنعت بساهر ألِف الظلاما
بربك أيها الأمواج ظلت ... على الشطآن ترتطم ارتطاما !
أتيتك أبتغى منك التأسى ... وأنشد فى نواحيك السلاما !
أراك فتحت لى شجناً جديداً ... وكنت أروم لماضى التئاما !
وهيتُ، وخاننى جلدى، وإلا ... فهذى الدمعة الحرّى علاما !
أيا بلد التأسى كيف أنسى ... زمانى فيك كهلاً أو غلاما !
ويوم أتيت مكتئباً عليلاً ... أحس البين يدنو والحماما !
أجرجر فيك أقداماً ثقالاً ... وأجمع من عزيمتى الحطاما !
وعلاتى وأدوائى كبار ... شربن دمى وأبلين العظاما !
أراك فلا أبالى بالمنـايا ... وأحمد عند شاطئك الختاما
وكم طاف الرفاق وغادرونى ... كعوّاد ومرّوا بى كراما !
تمر بى الحياة ولست أدرى ... أيوم مرّ أم قضيت عاما !
عرفتك والشتاء يمد ظلاً ... وينشر فى جوانبك الغماما
عرفتك والمصيف عليك زاه ... وقرن الشمس يضطرم اضطراما
عرفتك والعواصف فيك غضبى ... نشرن على محياك القتاما !
عرفتك و(أقلاعك فيك بيض) ... مجنحـة يحاكين الحماما
عرفتك هادئاً والفجر غاف ... كأن البحر وسده فناما !
عرفتك كالصديق بكل حال ... وكنت شراب روحى والطعاما
وملحك فى دمى، وشذاك باق ... وهذا الصوت أسمعه دواما !
تعالىْ صخرة الماضى أجيبى ... وقوفك وانتظارك ذا الإلاما
لقيت من العباب كما لقينا ... من الأيام قرعاً واصطداما !
كأنك للورى هدفٌ وهذى ... جموع تبتغى أمراً جساما !
إذا ما أخفقوا رجعوا فرادى ... وإن همّوا وجدتهم زحاما !

***

فؤادى إن تغيرت الليالى ... فمثلك من رعى فيها الذماما !
بلغنا كعبة الآمال فاخشع ... ودعنا فى مناسكها قيـاما
خذ السلوان من حجر صموت ... فما أخزاك بالحجر استلاما !

***

بربكِ أين أحلامٌ غوالٍ ... وعمرٌ قد قطعنـاه نياما
نسقاه أمانىَّ أو خيـالاً ... ونطعمه قصيداً أو غراما !
وعهد كان فيكِ ربيع وَرْد ... كهذا اليوم حسناً وانسجاما !

ناجى

العمر الضائع

[مهداة إلى الشاعر الملهم الأخ أحمد فتحى]

للأستاذ خليل شيبوب

ضَيَّعْتُ عمرىَ فى هواكِ فضاعا   وأعاضنى الأسقامَ والأوجاعا
وغدوتُ لا أملٌ أعيشُ به ولا   قصدٌ أُطالعُ وجهَهُ استطلاعا
إنى لأعجبُ منكِ كيف طَلَبْتِنِى   ومددتِ تُغْوِينى يَداً وذراعا
ونبذتِ داعى الكبرياءِ مهانةً   حتى تَرُدِّينى إليكِ خداعا
ونسيتِ في الماضى القريبِ مواقفاً   لكِ صكَّتِ الأبصارَ والأسماعا
لكنْ إبائى ردَّنى فكأنه   حولى أقامَ معاقلاً وقلاعا
مِنْ بعدِ ما عَثَرَ الفؤادُ بنفسه   والأمرُ أفْلَتَ من يديه وضاعا
فأفادنى نُبلى بحبكِ شِقوةً   رضى الفؤادُ بحكمها وأطاعا
متجانفاً عما أردتِ من المنى   متكافئاً خُلُقاً به وطِباعا
قد أزهَقَتْنِى عزلتى فكأننى   من قبل دفنى قد دُفِنْتُ تباعا
أصبحتُ مثلَ المومياءِ محدِّثاً   عن غابرٍ لى لم يكن لِيُذاعا
عهد به جَرَّبتُ فيكِ حوادثاً   صَدَعَتْ حشاىَ صروفُها فتداعى
غيرى تمرُّ به تجاريبُ الهوى   مرَّ الكرامِ فلا يُحِسُّ صراعا
لكنني غَلَبَتْ حجاىَ مشاعرى   فبقيتُ محترقاً بها ملتاعا
خِزْيًا لحبكِ إنه البحرُ الذى   غالَ الغريقَ وما أراهُ القاعا
بُعْدًا لحسنِكِ إنه الليلُ الذى   ضَلَّ الحليمُ به ورابَ وراعا
بعضُ المحاسنِ لو علمتِ مَسَبَّةٌ   للمليحةِ لا تفهمُ الأوضاعا
نُشِرَتْ شِبا كِفافاعتلقت بها وما   أحْسَنَتْ عن قلبى الضعيفِ دفاعا
إنى رأيتكِ منيةً علويةً   ورآكِ غيرى فى الزمان متاعا
ولقد أبيتُ سوى التفرُّدِ فى الهوى   وأبيتِ إلا أن أراكِ مشاعا
فإذا الأبىُّ مُدَفَّعٌ عن نفسه   وإذا الغبىُّ مُمَتَّعٌ إمتاعا
وإذا ثمارُ الحسنِ قد أطْعَمْتِها   نَفَرًا يجيئون الطعامَ شباعا
من كل مكظوظٍ يراكِ علالةً   يلهو بها ساعًا ويسأمُ ساعا
وَحَرَمْتِ قلبًا قد طوى يأسًا على   يأسٍ وعاش مُفَجَّعًا مرتاعا
يا بُؤْسَ قلبٍ فى هواكِ مُضَلَّلٍ   لم يَعْرِفِ التمويهَ والإيقاعا
قد كانَ يملكُ فى الحياةِ إرادةً   لكن هواكِ قد اشتراهُ وباعا
أعْطِيتِه ملكَ الهوى فتصرَّفى   فيه ولا تَرْعَىْ له ما راعى
وخُذِيهِ لا بوركتِ فيه لأننى   آبى لِما أعْطَيْتُهُ استرجاعا

* * *

الصدرُ يطفح بالمرارة ثائرًا   والنفسُ واجفةٌ تطير شعاعا
وتُمِضُّنى ذكرى هواكِ كأننى   فى كل يومٍ أستَجِدُّ وداعا
وأظلُّ مذهوبَ الفؤادِ لأننى   ضَيَّعتُ عمري فى هواكِ فضاعا

خليل شيبوب

M. Arab. 150

التأمين

كان أحد موظفى شركات التأمين مسافرا فى إحدى مناطق الولايات المتحده الزراعية وكان رأيه أنهم يقولون أكثر من اللازم « ليس عندي وقت » ففكر حينئذ فى وسيلة ممتازة للجواب على هذه الحجة فاستأجر عاملا زراعيا يعرف كيف يقوم بشق الأعمال ثم اصطحبه وراح يعمل كالفلاح بكل معانى الكلمه فاذا كانت الفرصة المناسبة للحلب أو البذر أو الدرس فلا داعى للقلق إذ أن خادمه كان يعمل كل مايلزم لتأمين الخدمة وفى هذه الأثناء كان العميل الفطن يستطيع أن يقنع المزارع بمزايا التأمين .

ويوجد فعلا شركات تأمين متنوعة تؤدى منافع كبرى من ضمنها مثلا التأمين ضد عواقب المرض المالية فان هذا النوع من التأمين أصبح معروفا منذ زمن بعيد فى معظم بلدان أوربا وهو ينتشر الآن بسرعة فى أمريكا باعتبار التأمين المتبادل ضد المرض لكن هناك أيضا مناطق واسعة وكثيرة حيث تنتشر الأمراض العديدة وحيث نسمع رغم ذلك أحداً يتكلم عن إحدى الضمانات ضد هذا الخطر فهذا شىء لم يزل مجهولا تماما فى بلدان المناطق الحاره مع أنه لدى سكان تلك المناطق وسيلة لتأمين أنفسهم ضد أمراض توجد غالبا هناك .

ونحن نقصد الملاريا التى هي بلية البشرية وهي تميت كل سنة ملايين الضحايا وتسبب أيضا خسائر كبرى من الجهة الاقتصادية لكن بالامكان الآن الوقاية من الملاريا ببعض دريهمات فى اليوم إذا اتبع الانسان النصائح التى تعطيها لجنة الملاريا فى جمعية الأمم فهذه اللجنة قد تحققت من أنه بالامكان التحصن ضد الملاريا بأخذ ٤٠٠ مليجرام من الكينا يوميا طول موسم الحميات ضد الملاريا . وإذا كان الانسان قد أصيب بالمرض فان هذا العلاج الممتاز يظهر مفعوله بسرعة ويكفى أخذ جرام واحد أو جرام وثلاثين سنتجرام من الكينا كل يوم لمدة خمسة أو سبعة أيام ولا داعى فى هذه الحالة لعمل معالجة تكميلية على أنه من الضرورى التأمين ضد الملاريا باستعمال الكينا كعلاج واق .



الأزهر

الأزهر — كما يجب أن نعرفه — إن هو إلا تاريخ مصرى عربى إسلامى كاملٌ متتابعٌ قد امتدَّ على مَدْرَجَةِ التاريخ ألف سنة يجدِّد فيه ويتجدَّد به ، ويعيشُ عيشه هذا فى التاريخ كالمدد المتلاحِق الذى يستفيضُ عُبابُه لينشئ القوةَ فى رُوح الجيش المرابط وأعصابه وأفكاره وأعماله المجيدة . وهذا التاريخ العجيب الذى لا يزال حيا فى هذه الأرض ، هو كالتاريخ الإسلامى والعربى كله مجهولٌ متروكٌ لم تَنفُضْ عنه الحياةُ العربية الجديدةُ غُبار السنين المتقادمة والأجيال المتطاولة التى تعاقبت عليه بالنسيان والإهمال والهجر . وإذا نظرنا إلى الأزهر على مقتضى هذه النظرة وبسبب من هـذا الرأى — علمنا أنه كهذا التاريخ الإسلامىّ قد تعاورته القوّة والضعف ، وحزّتْ فيه سِيما العلم ومِيسم الجهل ، وتغلغل فيه النبوغ الفذُّ السامى والنبوغ الشاذُّ النازل : النبوغ السامى الذى ارتفع بروحانية الشعوب الإسلامية وأخرجها من سُلطان الشهواتِ والجهالات ، فمدّتْ بذلك سلطانها على جزء عظيم من العالم ، والنُّبوغُ النازل الذى هَوَى بروحانيةِ هـذه الشعوب إلى الجَدَل والفُرقة والمذاهب والآراء الخاضعة لسلطان الشهوات العقلية المريضة ، فقلَّصتْ ظِلَّ هذا السلطان عن هذا الجزء العظيم من العالم

والأزهرُ — كان — مجتَمَع القُوى المختلفة التى عملتْ فى إنشاء الحضارة الإسلاميّة والعربيّة التى عاشَتْ فى التاريخ الماضى وملأته بالألوان المختلفة من مميزات هذه الشعوب الإسلامية المتباينة ، المتباعدة فى مطارح الأرض ما بين الصين إلى المغرب الأقصى . واستمرَّ على ذلك مئات من السنين تتلوها مئات ، وكذلك مهدت هذه السنين للشعب العربى المصرى فى هذا العصر — عصر النهضة الجديدة فى الشرق — أن يكونَ هو قِبْلَةَ الأمم العربية والإسلامية . وذلك لأن روح الشعب المصرى ، وثقافته المرونة فى تفكيره وأخلاقه وطباعه ، وحضارته القديمة التى تبرّجتْ على ضفاف النيل — هذه كلُّها ليست إلا خلاصة هائلة مُصفّاة من أرواح الشعوب الإسلاميّة كلها وثقافاتها وحضاراتها . وكان الأزهر هو المصدر الذى استمدّتْ منه مصر هـذا الفيض المظم الجارى فى أودية التاريخ المتقدِّم ، لأنه هو كان الجامعة الوحيدة فى هذه الديار، وكان أكبر جامعة وأعظمها فى سائر الديار العربية الإسلامية. وبهذه الخلاصة التى اجتمعت فى الأزهر، ثم انتشرت منه فى أرجاء مصر قديماً وحديثاً استمد الشعب المصرى بطبيعته لأمر مقدور ، هو أن يكون زعيما للشرق فى عصر النهضة الجديدة ، لأن كل شعب من الشعوب العربية والإسلامية يرى فى هذا الشَّعْبِ صورة من نفسه مكملة بألوان أخرى من صور سائر الشعوب التى تمتُّ إليه بسبب من الدين واللغة والحضارة والثقافة والفكر والدم

ونحن نأسف إذ نرى الناس إنما ينظرون إلى الأزهر نظرةً محدودةً ضيقةً لا تتراحب ولا تنفذ إلى حقيقة هذا التاريخ القائم فى أرض مصر . فهم يعدُّونه معهداً دينياً ، ويكون تفسير كلمة الدين هنا — على غير الأصل الذى يعرف به معنى الدين فى حقيقة الفكرة الإسلامية التى ختم الله بها النبوّات والأديان على هذه الأرض . وهذا المعنى الجديد المعروف فى زماننا لهذه الكلمة كلمة « الدين » ليس إسلامياً ، لأنه لا يلائم روح الإسلام فى شىء ... كلا ، بل هو يهدمُ أعظم حقيقة حية أتى بها هذا الإسلام ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ، وليجعل الذين آمنوا فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ، ويجعلهم الوارثين . وهذه الحقيقة الحية الجليلة هى جعل كل عمل من أعمال الإنسان المسلم فى الحياة عبادة تقربه إلى الله ... فليس البيْع والشراء ، أو تدبير أمور الناس فى الملك ، أو العلم والتعليم ، أو تربية الولد ، أو الخدمة التى يؤديها الرجل لمن يخدمه ... ليست كل هذه الأشياء الاجتماعية فى منزلتها من الدين الإسلامى : إلا كالصلاة والصيام والزكاة وسائر الأعمال التى يفهم بعض الناس الآن أنها هى الدين حسبُ . فالأزهر الإسلامى هو الذى تتمثّل فيه حقيقة الإسلام — أو يجب أن تتمثل فيه هذه الحقيقة — ، وتاريخه الماضى كان صورة صحيحة للحياة الاجتماعية الإسلامية بكل ألوانها وأنواعها ، مع ما كان قد عرض فيها من العيوب التى أدركت الشعوب الإسلامية وجعلتها تنزل عن المرتبة الأولى التى كانت لها فى تاريخ الحضارات السالفة

التى سبقت الحضارة الأوربية لهذا العصر. فلما هجمت علينا الحضارة الحديثة من أوربا بعواملها المختلفة، وسياستها القوية التى تغلبت على كل سلطان فى الشرق، ثم اندست العوامل الغربية فى الأمم الإسلامية، وعملت الأيدى المدوة عملها فى تمزيق الروابط بين طبقات الشعب... رجع الأزهر إلى غيله يستتر فيه، يقبع أهله عن صراع الحياة الجديدة صراعاً يراد منه الظفر، وكذلك سار الناس ناحية، وسار الأزهر ناحية أخرى، وكان ذلك أول البلاء على الأزهر وعلى الشعب نفسه!

إصلاح الأزهر

وقد أحس كثير من المصلحين من أهل الأزهر وغير أهله – ممن يعرفونه أصلاً كبيراً فى الحياة المصرية والعربية والإسلامية – بما تقتضيه طبيعة الموقف الذى صار إليه فى هذا العصر، وبما توجبه حقيقة الدين الإسلامى، فهبوا إلى إصلاحه والنظر فى شأنه مرة بعد مرة. وكان العمل لذلك شاقاً كثير المتاعب غير قريب المنافذ، فاضطربت الأيدى واختلفت الأغراض، وسار هذا الزمن السريع بقوة واندفاع، لا يملك معه المصلح الانطلاق فى آثاره على مثل سرعته واندفاعه وكذلك لم يزل الأزهر الآن فى منزلة غير المنزلة التى يوجبها له قيامه ألف سنة على التاريخ الفكرى والثقافى والعملى فى الحضارة الاسلامية

وقد كتب الأستاذ « الزيات » – فى فاتحة العدد الماضى من الرسالة – كلمته الجليلة « فى سبيل الأزهر الجديد » يطالب الأزهر بالرجوع إلى المنابع الأولى للدين واللغة والأدب والعلم. وحب « الزيات » للأزهر، ورغبته فى المبادرة إلى علاج الأدواء التى تلبست به من أمراض الأجيال السابقة، هى التى حملته على أن يكتب كلمته لتظفر مصر « بجامعتها الصحيحة التى تدخل الدنية الغربية فى الإسلام، وتجلو الحضارة الشرقية للغرب، وتصفى الدين والأدب من شوائب البدع والشبه والركاكة والعجمة »

نعم إن الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر لم يقصر فى اجتهاده أن يجعل الأزهر مثابة للعلم الإسلامى الصحيح، ولم يتخلف عن النصيحة له بما توحى به الرغبة الصادقة فى تحريره من آصار قديمة عاقته عن بلوغ غايته التى يحق له أن يبلغها. فقد وضع الأستاذ الأكبر من عشر سنين نظامه الجديد للكليات فى الأزهر وجعل أحد قسمى التخصص فى هذه الكليات موقوفاً على مادة من مواد الشريعة أو اللغة أو الأدب أو التفسير والحديث أو المنطق والفلسفة أو الأخلاق والتاريخ وعلم النفس وما إلى ذلك. وأمدّ هذه الكليات العالية – فى دراستها لما خصصت له – بالكتب الأصول المعتمدة فى بابها ككتاب سيبويه، وخصائص ابن جنى، وسر صناعة الإعراب لابن جنى، وتصريف المازنى، وكتاب فيلسوف النحو رضى الدين الاستراباذى صاحب شرح الشافية، وشرح الكافية، وهما عمدة أصحاب النحو والتصريف. وكذلك جملة كتب عبد القاهر – دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة –، وكتاب الصناعتين لأبى هلال؛ وأدب الكاتب والكامل والأمالى وغير هذه من أصول الأدب. واللغة هى مادة الدراسة فى هذه الكليات

وقد قام على التدريس فى هذه الكليات جماعة من خيرة من أنجبهم الأزهر فاستقلوا بتدريس هذه الكتب الجليلة خير استقلال، فنرجو أن يظهر الأزهر الجديد بعلمه الجديد الذى استمده من الكتب الأصول، وأن يعتمد فيما يستقبل من أيام نهضته كل الأصول الأولى فى تدريس الفنون المختلفة التى يقوم بها بين أبنائه ومريديه وطلبته. هذا ونرجو أن تحقق روح الأزهر – التى تتصل بالشعب المصرى وسائر الشعوب الإسلامية – معنى الإسلام الصحيح الذى يطالب المسلمين بالسيادة والقوة والغلبة، ولا يكون ذلك إلا يوم يتصل الأزهر اتصالاً تاماً بجميع ألوان الثقافات العالمية، ليوجد للشعب المصرى والعربى والإسلامى ثقافة تضارع كل هذه الثقافات، مبرأة من عيوبها التى فرضتها عليها البيئة غير الإسلامية التى نشأت تحت ظلالها وفى رعايتها

وأنا أكتفى بهذا القدر من القول، وسأعود قريباً لأبدى بعض الرأى فى أنواع من الإصلاح تراد للأزهر وغير الأزهر، أرجو أن تنال بعض الرعاية ممن يتولون شأن هذا الإصلاح

المجمع المصرى للثقافة العلمية

بدأت فى الأسبوع الماضى جلسات المؤتمر السنوى للمجمع المصرى للثقافة العلمية برياسة حضرة صاحب السعادة حافظ عفيفى باشا، وهذا هو المؤتمر الحادى عشر لهذا المجمع العلمى الصامت الذى يجاهد فى إنشاء الثقافة العلمية العربية فى الشرق بما يسعه جهده وماله: والمجمع العلمى هو أهم ما يحتاج إليه الشعب العربى الذى ابتعد به الزمن عن متابعة النهضات العلمية المختلفة التى تجددت بالحضارة الأوربية الحديثة. وقيام هذا المجمع بنشر الثقافة العلمية – فى حدود طاقته – قد أوجد للأمة العربية ذخيرة عظيمة

تقع فى عشرة مجلدات ، كلها مباحث علمية عظيمة مكتوبة باللغة العربية مع قلة الاصطلاحات العربية العلمية التى تؤدى المعانى العلمية الجديدة التى لم تقرر لها بعد مصطلحات ثابتة فى مادة هذه العلوم

وهذا المجمع العلمى العظيم لا يلقى — مع الأسف — ما هو حقيق به من الحفاوة والاحتفال فى الأوساط الأدبية والعلمية التى توجب عليها مهمتها الشاقة إمحاض النصيحة للأمم العربية ، بتشجيع القائمين بأعمالهم المجيدة فى صمت وسكون ورفق . ومن أعجب العجب أن تعقد المحاضرات والمناظرات الكثيرة التى تعتمد أكثر ما تعتمد على الثرثرة ومضغ الأحاديث والتمطق بمبذول الكلام ، ويجتمع لهذه المحاضرات والمناظرات فئات كثيرة من طبقات الناس ، وفى صدرهم كثير من أصحاب الأمر وعظماء الأمة ثم يعقد هذا المجمع مؤتمره مرة فى كل عام — فلا يلقى من هذه الفئات ولا من هؤلاء العظماء ما هو أهل له من المتابعة والاهتمام أو المجاملة إن شئت

وكان الظن أن تعمل وزارة المعارف والجامعة وسائر المعاهد والوزارات التى يتناول المجمع ـ بعض ما يخصها أو يقع فى حدود أعمالها ـ بالبحث والدرس والتحقيق والكشف : كان الظن أن تمهد هذه له سبيل إبلاغ صوته إلى أكبر عدد ممكن من المثقفين ، تشجيعاً له وللقائمين عليه ، وطلباً للمنفعة التى تأتى من إثارة اهتمام هـذه الجماهير بنتائج الأبحاث العلمية وأنواعها ، وضروبها المختلفة التى يقوم المجمع وأعضاؤه على إعدادها ومتابعتها والعمل على نشرها ، لتكون سبباً من أسباب اليقظة العلمية التى تقتضيها النهضة الحديثة فى الشعوب العربية

وقد جمعنى مرة مجلس فيه فئة من كبار الأساتذة فى بعض المعاهد العلمية العالية ، فلم أجد عند أحد منه خبراً يعلمه عن هذا المجمع ، فما ظنك بعمله أو إنتاجه أو غايته التى أريد لهـا إنشاؤه وتأسيسه ؟ وهذا أمر يؤسف له ، ويوجب على المجمع وعلى كل ذى رأى أن يعمل على تنبيه الوزارات والمعاهد إلى قيمة هذا العمل الذى يقوم عليه المجمع ، وإلى توجيه أنظار الناس إليه بكل سبيل ، حتى يستطيع أن يؤدى إلى الناس ما رغب فيه من نشر الثقافة العلمية التى يحتاج إليها هذا الشعب فى كل أغراضه وأعماله ، وفى بعث الروح العلمية التى تكفل له القيام بالعبء المثقل الذى يريد أن ينهض به فى بناء الحضارة الجديدة التى يتهيأ الشرق لوراثتها عن الحضارات التى هى فى سبيل إلى الهلكة والتدمير والبوار

هذا وقد بدأ المجمع مؤتمره لهذه السنة بالمحاضرة التى ألقاها الدكتور حافظ عفيفى باشا عن « الأصول العلمية الحديثة وتطبيقها على الزراعة » ، وقد عرض فيها لأهم ما يشغل الأسواق المصرية فى هذا الوقت ، وهو نظام الحاصلات والأسواق الداخلية ، فأبان كل البيان عن وجه المصلحة التى يجب أن يقصدها القائمون على أمر الشئون الزراعية فى هذه الأوقات العصيبة المنـذرة بأشد الأزمات على الأسواق التجارية . ثم تبع ذلك بحث فى أهم ما يخافُ منه وما تخشى عواقبه فى أزمان الحربِ ، وهو تفشى الأمراض والأوبئة ، وما يجبُ على الشعب المصرى وحكومته أن تعمل على تفاديه بكل سبيل . فأتى الدكتور عبـد الواحد الوكيل : « حاجة البلاد إلى تعديل خططها الطبية والصحية » ، وقد أبانت هذه المحاضرة عن هول الحالة الصحية التى تختفى فى كل ناحية من نواحى هذا الشعب المهمل المسكين

آلهة الكعبة

كنت قرأت فى البريد الأدبى من عدد الرسالة ٣٥٠ كلمة للأخ محمد صبرى فى قصيدة الأخ الشاعر محمود حسن إسماعيل ، ينكر فيها أن « اللات ، والعزّى ، ومناة » من آلهة الكعبة ، قال : « وليس واحد من هذه الثلاثة من أصنام الكعبة ، بل لم يكن واحد منها داخل الكعبة ولا حولها » . ثم استشهد قول ابن الكلبى فى كتاب الأصنام ، حين ذكر مواضع هذه الأوثان الثلاثة . وقد كان اعترض بعض أصحابنا قبل ذلك — فى مجلس الأستاذ الزيات — بمثل ما اعترض به الأخ صبرى ، فرُمتُ أن أقول : إن وجود هذه الثلاثة فى الكعبة أو حولها ليس يمتنع . وذلك لأن ابن سعد ذكر فى طبقاته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف بالبيت — بعد فتح مكة — وهو على راحلته ، وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنما ، فجعل كلما مر بصنم منها يشير إليه بقضيب فى يده ويقول : « جاء الحق وزهق الباطل ، إن الباطل كان زهوقاً » . فيقع الصنم لوجهه . وابن الكلبى لم يعد لنا فى كتابه الأصنام غير أسمـاء ثلاثين صنما ، وزاد زكى باشا عليها خمسة وأربعين صنما ، فهذه خمسة وسبعون ، فأين هى من ثلاثمائة وستين ؟ . . . وما كانت كل هذه الأمة من الأصنام إذن — إن لم يكن منها اللات والعزى ومناة ، وهى أشهر أصنام الجاهلية ، وهى المذكورة فى القرآن فى سورة النجم ، وقد كان نزولها بمكة ؛ وما أظنها تذكر بأسمائها إلا وكفار قريش يعظمونها



تأملات في الفن

العب يا ميمون العب !

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

— من هذا الذي معك ؟ يا أمّه ! قرد ؟

— نعم . واحد من أبناء عمك ميمون . أبوك آدم رقاه الله ، وأبوه هو استحسن أن يظل يلعب ، فظل يلعب

— لعبت عليه نفسه ! وأين لقيت ابن عمك أنت هـذا ؟ وإياك أن تكون قد دعوته إلى مكث طويل هنا ؟

— ليته يقبل ... إنما هو مرتبط بخمسة أصدقاء استأذنهم وجاء يحييك ثم يعود إليهم عند الباب

— أبالباب خمسة قرود غير هذا ؟ لم لم تقل لي إن أسرتك الكريمة هاجرت إليك فكنا نوسع لهم بيننا نزلاً ؟

— ربما لم يكن هؤلاء الزوار جميعاً من الأهل وربما كانوا ! أولهم على أي حال أخ من بني آدم ، وثانيهم حمار ، وثالثهم جدي ، ورابعهم كلب ، وخامسهم أوزة

— أعز الأهل، أنعم بهم وأكرم. تعال نستقبلهم وهات ابن عمك ، فمنذ سنين وأنا لم أر أسرة كهذه ، وكنت أراها وأنا طفلة وأسر وأضحك ؛ ولكن لم أكن أتوقع يوماً أن تنسب إليّ أو أن أنسب إليها ... لا أنا ولا أنت

— تعالي ! ها هي ذي الأسرة . أنظري إلى كل فرد من أفرادها وقولي لي : ما هو ؟ لا تقولي هذا قرد وهذا حمار ، فإني أعرفك تعلمين أسماءها ، وإنما أريد أن أراك هل تعرفينها هي أو أنك تجهلينها كما كنت أجهلها أنا حتى عرفني بها صاحبها هذا الغجري الذي يقودها ؟

— وماذا قال لك أكثر من أن الحمار حيوان من ذوات الأربع له أذنان طويلتان وصوته منكر وهو يستخدم في حمل الأثقال ...

— هذا كلام يصفون به قشر الحمار للتلامذة ، ولكن هذا الغجري يعرف عن الحمار مثلما يعرف عنه حمار مثله

— وأنت يا هنيئاً لك أخذت عنه هـذا العلم ... أنهق لي به أنهق ...

— لا بأس . ولكن ألا ترينه واجباً أن نرى الغجري قبل أن نرى القرد والحمار ؟

— وهل في الغجري شيء يرى وهو ليس في غيره من الناس ؟ رجل مسكين يحتال على الرزق بتلعيب الحيوان

— وكم في الناس القادر على تلعيب الحيوان ؟ إن الإنسان ليستعصي عليه أن يلعب نفسه . ومن استطاع ذلك فهو الفنان

— فكل حيوان من هؤلاء فنان ، وهذا الغجري بينهم مثل سيسيل دي ميل أستاذ على الممثلين والممثلات ...

— هذا التشبيه صحيح لولا أنه معكوس . فسيسيل دي ميل هو الذي يحاول أن يكون في عمله كهذا الغجري ولكن أنى له ذلك إلا إذا عاش عيشة الغجري ، وكم قلد الغجرَ أفراد من أهل الفن فكان كل منهم كالمسخ ما لم تكن فيه طبيعة الغجري يسترسل بها في الحياة استرسالهم . ولا بد أن تكون قد رأيت واحداً من هؤلاء الذين ينفشون شعرهم ويطلقون لحاهم ، ويهدّلون ثيابهم

فإذا عظموها اتخذوها في الكعبة وهي بيتهم المعظم ، كما كانوا يتخذون الأصنام في بيوتهم ودورهم . ثم رأيت أخيراً أن ابن سعد يذكر في فتح مكة أن رسول الله بث السرايا إلى الأصنام التي حول الكعبة فكسرها، منها : « العزى، ومناة، وسواع ، وبوانة ، وذو الكفين . فنادى مناديه بمكة : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدعْ في بيته صنماً إلا كسره »

ثم جاء كلام أبي جعفر الطبري في تفسير سورة النجم ج ٢٧ ص ٣٦ يقطع الشك باليقين إذ يقول . « وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة يقول: اللات والعزّى ومناة الثالثة — أصنام من حجارة كانت في جوف الكعبة يعبدونها » ، وهذا هو المعقول ، وليس من المعقول أن تخلو كل هذه الأمة من الأصنام التي كانت حول الكعبة من تماثيل منصوبة للات والعزى ومناة الثالثة ، وهذا ليس يمنع أن تكون القبائل غير قريش مكة قد اتخذت لها أنصاباً نصبتها في الأماكن التي ذكرها ابن الكلبي وغيره

محمود محمد شاكر

ويعربدون فى الأرض سكارى مستذئبين على أنفسهم وعلى الناس قائلين إنما نحن بوهيميون . هؤلاء هم الذين يقلدون النجر كما أن من أهل الفن من تضطره الحياة إلى أن « ينجر » نفسه فإما أن يكون نجرياً فى فنه وإما أن ينزلق فيكون نجرياً فى سلوكه مع الناس فيحتال على رزقه كما يحتال هذا النجرى بتلعيب نفسه ، وتلعيب عشرائه ، فهو محتال بارع ممن يعرفون كيف ينطبقون على الفريسة ومن أى مدخل سهل ضعيف يتسللون إلى نفسها ، وأى لسان من الألسنة المعسولة يعجبها ، وأى شكل من الأشكال النمقة المزوقة يرضيها ، وأى مطلب من المطالب تنزع إليه ، وأى شىء يسرها وأى شىء يغضبها ، وأى كلمة تثيرها وأى كلمة تردها إلى هدوئها ، وأى إشارة تحفزها ، وأى إيماءة تثبط همتها إلى غير ذلك مما تمكن النجر منه وأتقنه معهم الكهان من الناس ، والمتكاهنون .

— فالنجر كهان ؟

— هم أبرع الكهان إذا أرادوا ، ولكنهم كمنا ميمون استحسنوا الأمر ما أن يلعبوا وما زالوا يلعبون ، ولو أنهم أرادوا أن يفتكوا بهذه الانسانية لفتكوا بها وسلاحهم ما يعلمون من شئون النفوس وأمورها ، ولكنهم يؤثرون على هذا أن يفروا من البشرية إلى مرحهم وغنائهم ورقصهم ، فهم لا يلمون بالناس إلا حين تعوزهم حاجة ، فعندئذ ينزلون على الناس ليأخذوها ، وهم آخذوها إن أباحها الناس لهم أو منعوها ، وهم آخذوها إن حللتها الشرائع أو حرمتها ، لا يستطيع إنسان أن يردهم ، ولا أن يمسكهم بها ، ولا أن يستردها منهم … نجر أولاد شيطان …

— وهذا الشيطان عمنا هو أيضاً كمنا ميمون ؟

— لا ، بل إنه خالنا أخو أمنا حواء الذى قال لها : رَجُلك خواف ، رجلك ضعيف ، شحيح إن أطعمك ما أطعمك ، فإنه يضن عليك بالتفاحة … يا حلاوة التفاحة !

— صحيح ، إن فى عينيه بريقاً كما تلمع عيون الشياطين … إعطهم شيئاً وتعال …

— أنظرى إليهم وهم ذاهبون يحيطون به … الحق أنه ما فى الأرض من يمثل سيادة الانسان على بقية الخلق كهذا النجرى ، والنجر جميعاً ، فهم البقية الباقية من الناس الذين كانوا يعاشرون الأرواح ويأتلفون بها قبل أن تهيم البشرية حباً بالحديد والحجر ، هؤلاء النجر لهم أحاديث فى كيمياء النفوس أعجب من العجب ، ليت علماءنا يستمعون إليهم ويحاولون تحقيق أحاديثهم …

— وما كيمياء النفوس هذه أيضاً ؟ …

— هذا بحر فيه ماء وملح يلقى الشمس فيتبخر منه الماء ويبقى الملح ، ويصعد الماء إلى السماء بخاراً . فيلقى البرد فيرتد إلى الأرض ماء حلواً ليس فيه ملح ، ويجرى على الأرض فى هضاب ووديان ويسرى فى النبات والحيوان والإنسان ، وفى الأحجار أيضاً يسرى ، ويتبخر منه عندئذ بعضه ويبقى بعضه ، ويعود منه إلى البحر بعضه ويضيع منه فى الخلائق بعضه … هذا البحر …

— معقول .. فكيف يقيس النجر النفوس بهذا المثل ؟

— هم يقولون هذا إنسان . فيه نفس وجسد . يلقى الحياة وما يزال يتلقاها حتى تتبخر نفسه ويظل جسده فى الأرض ، وتصعد نفسه إلى السماء فتجد حجاباً فترتد إلى الأرض تبحث عن قوة تمكنها من خرق هذا الحجاب إذا عادت مرة أخرى إلى السماء وهذه القوة فى قولهم تواتى النفس بالتطهر والتلطف ، والتطهر والتلطف يجيئان فى قولهم بالتدريب . فإذا كانت نفس إنسان قضت حياتها الأولى ثائرة ساخطة وتبخرت وهى ثائرة ساخطة فثقل بها السخط وثقلت بها الثورة عن خرق الحجاب عادت إلى الأرض تتعلم الصبر والرضى فإذا أسعدها الحظ صادفت غلاماً حاراً ينحدر إلى الدنيا فحلت فيه ، ونزلت به إلى الدنيا تقضى حياة كلها صبر وكلها احتمال وهوان … ورضا ، وبهذا إذا تبخرت هذه النفس مرة أخرى خفت أكثر من ذى قبل ، وربما استطاعت أن تخرق الحجاب وأن تمضى إلى عالم غير هذا العالم ، وربما عادت إنساناً أو حيواناً أو شيئاً مما يخلق الله ويعلمه ونحن لا نعلمه …

— ولكن هذا القياس فيه فارق . فهم قد حولوا الإنسان إلى غير الإنسان بينما مثلهم الذى يقيسون عليه يحفظ الماء ماء مهما تعددت أشكاله

— فلنصلح لهم نحن هـذا المثل فهم لم يتوفروا على كيمياء المادة مثلما توفروا على كيمياء النفس ، ولست إخالك تنكرين أن الذى يقولونه عن تحولات النفس يشبه الذى يقوله علماء المادة عن تحولاتها ، ولست إخالك تتركين هذا التشابه يمر بك من غير أن تسجليه على الأقل ، أما أنا فإنى لا أكتفى بتسجيله فى ذهنى وإنما أربط بعضه إلى بعضه وإن كنت إلى الآن لا أدرى مثلما قد يدرون هم أى شىء سأربطه بعد ذلك فى هذين السببين وإلى أين سأصل بعد هذا الربط …

— إلى ... « العباسية » من غير شك

— حتى إذا وقفتك مني على أوجه الشبه بين الذي يقوله الفجر وبين الذي يقوله علماء المادة

— إن وقفت معك فأنا أيضاً في حاجة إلى علاج للرأس .

— العلاج على أي حال خير من إهمال المرض . إسمعي . ألا يقول علماء المادة إن هذه الأرض كلها تتشمع وتريد أن تتلاشى في الفضاء ؟ ألا يقولون إن لهذه الأرض غلافاً من الأثير وهو مادة ولكنه أخف من المادة وألطف منها وأشد شوقاً إلى التشمع والذهاب ؟ ألم يكتشفوا أخيراً عناصر من المادة لا تزال نادرة جداً وهي أقدر المواد على التشمع والتطاير ؟ إن هذه المواد هي أرق ما في الأرض مادة ، وهي أخف العناصر وألطفها ، وهي لا تزال نادرة لأنها طلائع الدور الجديد الذي بدأت مادة الأرض تدخل فيه ، والأرجح أن الأرض جميعاً ستتحول على مرور الدهور إلى هذه العناصر الخفيفة اللطيفة المتطهرة حتى تصل عندئذ إلى ما تتوق إليه من الخلاص من هذا الوضع وهذا الشكل إلى سياحتها الجديدة في الكون . وإذا كان الماء هو أكثر ما في الأرض اليوم ، والراديوم (مثلاً) هو أقل ما فيها ، فالماء إذن هو الحلقة الأولى من حلقات الحياة المادية في الأرض والراديوم هو الحلقة الأخيرة بحسب ما نرى ... أو قولي إن الأثير هو هذه الحلقة الاخيرة ... ثم قولي إن ما بين الماء والاثير من الخلائق المادية إن هو إلا تشكلات وتطورات ومحولات تنزع بها المادة إلى الانطلاق . وقيسي على ذلك النفوس كما يقيسها الفجر ، ولست أطلب منك ولا من نفسي أن نعرف ما يعرفون هم إذا نظروا إلى إنسان ماذا كان قبل أن يكون إنساناً ، وماذا سيكون . فهم يدعون أنهم يعلمون هذا بالنظرة ، ولست أستطيع أن أنكر عليهم قولهم ما دمت أرى في علماء المادة من ينظر إلى الحجرة فيقول كانت شجرة وستصبح بعد قرون فحمة . فلماذا نقبل كلام علماء المادة هؤلاء ولا نقبل كلام الفجر ؟ ألأنهم غجر ؟ نحن الذين دعوناهم غجراً ، أما هم فيعتبرون أنفسهم أصحاب هذه الدنيا يذرعونها من الشرق إلى الغرب ، ومن الجنوب إلى الشمال لا يخضعون إلا للقوانين الطبيعية الخالدة ، ولا تفسد أنفسهم غيرها من القوانين المصنوعة التي وضعتها العقول بحساب بعد أن نسيت أول قوانين الحساب وهو أنه لا بدء ولا نهاية ، وبعد أن نسيت كذلك أن لكل حساب حساباً يبطله حتى لقد بطل عمل الحساب وصار هذا البطلان هو أساس الحساب بغير حساب ..

— على هذا الأساس أستطيع أن أستمع منك إلى كلام الفجر ، فلا تحسب أني سأقتنع به ، فدون ذلك تشمع عقلي وطيران منطقي وتفكيري ، ودعني الآن أسألك على سبيل العبث والفكاهة لا أقل ولا أكثر : أي نفس كانت نفسي قبل هذه الحياة ... وأي نفس ستكون ؟

— أنت ؟ لا أدري ، ولكني أعرف واحداً كان إوزة وسيكون حماراً

— من هو ؟

— مالك أنت وماله ؟ وإنما قولي : كيف هو ، فأقول لك إنه كلما اطمأن إلى الحياة تمكن منه البله ، فهو يلعب في الأرض ويلعب في الماء ويحب كل شيء ، ولكنه لا يكاد يعطي من نفسه شيئاً لأحد إلا أن يجد عنده لذة ، وهو غر يصدق كل ما يحيط به ، ومن سقاه شربة ماء استطاع أن يذبحه ؛ وهو إلى جانب هذا رعديد خواف ، لأنه يعرف أنه عاجز عن رد الأذى بأذى ... كالإوزة ... له هذه الأخلاق والطبائع من نشأته فلعلها كانت طبعه الأول ، ومن عرف فيه هذا تمكن منه ولعب عليه ما شاء أن يلعب وقد لعب عليه ناس كثيرون حتى كاد أن يذبح مرة ؛ وإني أقول لك إنه سيكون حماراً ، لأني أراه إذا أفاق إلى نفسه أخذها بالصبر وبالرضا والاحتمال ، فلعله إذا تمكن هذا منه كان أصلح البشر « للحمارية » في حياته المقبلة ، ومن يدري فربما اكتفى القدر منه بصبره في هذه الحياة ، وطهره في حياته المقبلة من نقائص أخرى غير بادية لي فيه الآن ، فكان عندئذ أخف ، وألطف ، وأظهر مما عرفناه الآن ، وكان عندئذ أصلح للبقاء في أثير الأرواح انتظاراً لموكب من نوعه يلحقه فيدفعه في فضاء الله إماماً لمن يتبعه ومأموماً لمن سبقه ... من يدري ؟

— لا أحد ، ولا أنت ، ولا الفجري . ولكن هذا الكلام يشبه ما يقوله الهنود عن تناسخ الأرواح فهل أصل الفجر هؤلاء من الهند؟

— الموجة البشرية المشرفة على غرب أوربا كلها أصلها من الهند

— ولكنك لم تقل لي ماذا كنت أنت ؟

— يقول داروين إن الناس كانوا قردة ، ويقول القرآن إن من الناس من ردهم الله قردة ... وإني أقبل القولين في حق نفسي وإن كنت لا أصدق فيك أنت قول داروين ...

عزيز أحمد فهمي



أفق جديد

الكهرباء والضوء يلتقيان

للدكتور محمد محمود غالى

أزمة الأثير — فراداى والكهرباء — نبوءة ماكسويل — أعمال هرتز — « برانلى » يخترع اللاسلكى ويموت محتمياً من اختراعه

لو أننا أعدنا اليوم مطالعة الصفحات الجيدة التى خطها فرنيل Fresnel ويجاز Huyghens ، ووقفنا عند هذا القدر دون متابعة التطورات العلمية ، لأيقنا أن البناء الذى شيّداه لا يمكن أن يعتوره خلل ، ولو أننا جلنا فى الوقت ذاته فى الهيكل الرياضى الذى شيده « نيوتن » العظيم ، واشترك فى إقامته « أيلر » L. Euler ولاجرانج J. Lagrange ، لأدركنا فى غير عناء لماذا طبق فرنل الميكانيكا النيوتونية فى تفسير الظواهر الضوئية الدقيقة ، التى اعتبر أنها ذبذبات حادثة فى وسط مرن افترضه افتراضاً ، ولكن تجربة « ميكلسون » تقف عقبة فى طريق التقدم فى هذا السبيل ، وتتطلب من الباحثين تفسيراً يختلف والميكانيكا النيوتونية .

إن أرضاً تجرى حول الشمس بسرعة كبيرة تحمل مصباحاً والمصباح يرسل فى طريق سير الأرض شعاعاً ضوئياً كما يرسل فى طريق عمودى على الطريق الذى تسير فيه الأرض شعاعاً له طبيعة الأول وسرعته ، وهذان الشعاعان يعودان فى اللحظة ذاتها إلى النقطة التى خرجا منها ، فى وقت لم تكف الأرض فيه عن الجرى فى مستقرها الأبدى حول الشمس ، لأمر لا يسيغه عقل ولا يقبله منطق ، إذ كيف لا يحدث رغم رحلة الأرض المستمرة وسرعتها الملحوظة ، أى فارق فى الوقت لمسافرين لهما فى الواقع ظروف مختلفة ؟ كان لا بد من طرق أبواب جديدة فى التفكير للاجابة على ذلك . ولقد كان للنظريات الكهربائية شأن فى هذا الميدان الأثيرى ، ولندع الآن هذه الأزمة جانباً ، لننعم النظر فى أمر جديد . ذلك أن الضوء الذى يتموّج على النحو الذى ذكرناه هو جزء من الكهرباء[1] ، وإدماج الجزء فى الكل يحتم علينا أن نعرف شيئاً عن خواص الكهرباء ، وسيرى القارئ أنه بمعرفتنا هذه الخواص ، ينتفى السبب فى افتراض وجود هذا الوسط الأثيرى ، ولعل هذا التفكير الجديد يكون خطوة لازمة قبل أن نعرض عن الميكانيكا النيوتونية ، ونستعين بميكانيكة جديدة لا نيوتونية ، نفهم بواسطتها الكون على شكل أكثر وضوحاً من الشكل الذى نعرفه له .

* * *

عند ما يَهم عامل لإصلاح خلل فى الشبكة الكهربائية فى منازلنا قد لا يفوتنا أن ننبّهه ليتخذ الحيطة لنفسه ، ذلك أننا نعلم أنه يكفى أن يلمس العامل خطأ طرف أحد الأسلاك الكهربية لكى يفقد حياته ، ويصبح بين طرفة عين وانتباهتها فى عداد الأموات ، ولو أن العامل الذى يلمس السلك الكهربائى كان ممسكا بيده الأخرى واحداً أو أكثر من زملائه ؛ فإن جميع المتصلين به يفقدون حياتهم فى اللحظة ذاتها ، وقد حدث أن قُضى على ثلاثة أشخاص العام الماضى فى حى بولاق بالقاهرة بلمس أحدهم سلكا كهربائياً . بيد أننا نشعر بالطمأنينة لو اقترب العامل من السلك دون أن يمسّه ، إذ أننا واثقون بأنه فى هذه الحالة لن يُصاب بأذى ، كما أننا واثقون بأنه لا يشعر عندئذ ولا يشعر من بجواره بوجود الكهرباء بمجرد الاقتراب من الأسلاك الحاملة لها ، ولهذا بالطبع أثره فى اعتقادنا أن الكهرباء سارية فى الأسلاك لا تتعداها إلى خارجها

ومع ذلك وبالرغم من مقدرة الجسم الإنسانى على الإحساس بالكهرباء بلمسها فإنه لم تكن أجسامنا يوماً ما أجهزة لائقة للتعرف على المحيط المتأثر بها ، وكما أن العين ليست الوسيلة الوحيدة لمعرفة الظواهر الضوئية ، كذلك اللمس ليس الوسيلة الأولى والأخيرة لمعرفة الظواهر الكهربائية ، فلقد كانت هاتان الحاستان فى حاجة لوسائل أخرى يتسنى لنا بها استجلاء هذه الظواهر

(١) نستعرض للقارئ الآن أمراً ذكرناه له فى مقدمة هذه المقالات من الكون التى بلغت اليوم الأربعين مقالاً ، فقد نوهنا له فى المقدمة بأن الكهرباء هى الضوء وفق التفكير الحديث .

فى صورة أدق من تلك التى نعرفها لها ، ولقد تقدمت الوسائط الطبيعية فى معرفة الظواهر المختلفة حتى باتت حواسنا الخمس وحدها فى المرتبة الأخيرة لمعرفة حقائق الكون



صورة «فرادای» مأخوذة من المتحف البريطانى مؤسس الكهرباء ، رجل كسكل الرجال ولكنه كشف عن أهم ما ورثه الانسان من معرفة

إنما نروم من هذه الأسطر أن نلفت نظر القارئ إلى عبقرية « فرادای » M. Faraday الذى أدرك أن الكهرباء غير مستكنة فى الأسلاك فحسب، وإنما فى الفضاء المحيط بها أيضاً ، فقد لاحظ أنه يمكن لكرة متصلة بمنبع كهربائى ذى ضغط عال أن تجذب كرة صغيرة معزولة موضوعة بالقرب منها ، واستخلص من هذا أن الكهرباء كائنة فى الفراغ المحيط بالكرة . ولقد لاحظ « فرادای » أنه بتقريبه إبرة ممغنطة من دائرة كهربائية تدور الإبرة حول محور دورانها

ما أسعد العالم بهذه المشاهدة الأخيرة لفرادای ، وإذا كانت مركبات الكهرباء تجوب المدن الآن بسرعتها المعهودة ، وإذا كان المصعد يعمل فى عماراتنا بلا ملل طول اليوم صعوداً وهبوطاً ؛ فما هذا أو ذاك إلا تطبيق مباشر لمشاهدات فرادای التى قصها لقرينته فى يوم من أعياد الميلاد، ومات فرادای ولم يستمتع بركوب الترام ولم يشاهد المصعد ، وهكذا نظر الباحثون من عهده إلى الكهرباء لا كامنة فى الأسلاك فحسب ، بل كمجال حولها أيضاً

أما اليوم فمنذ ما تتابعت الطفرات العلمية ، ولم يعد القارئ بحاجة ليستحضر إبرة ممغنطة ليرى آثار الكهرباء عن بعد ، بل إنه يشاهد ذلك فى تجاربه اليومية . من منا لم يشعر وهو يجوب بسيارة عرض المدينة بالتأثيرات المختلفة التى تحدثها أسلاك الترام على « الراديو » الذى أصبح فى السيارات الخاصة فى مصر والعامة فى أوربا من دواعى الرفاهية ؟

وقد يتساءل القارئ مالنا والتجوء إلى هذا الموضوع الذى يعد من أبدع ما وصل إليه الإنسان فى التقدم ولم ننته بعد من حل الأزمة العلمية الكبيرة التى ذكرناها له وشغلنا ذهنه بها فى مقالات متواصلة ؟ وهو بهذا التساؤل لا يرى صلة بين الظواهر الكهربائية وما ذكرناه من عدم استساغة الفكرة الأثيرية بعد تجربة « ميكلسون » ، ولكننا لم نذكر مشاهدة « فرادای » عبثاً ، فلم يكن اتجاهه التجريبى ليمر دون أن يفيد منه البشر ، فقد تناول « مكسويل » J. Maxwell الإنجليزى مشاهداته ، ووضع نظريات هامة أصبحت بعده أساس الدراسة لأهم الظواهر الكهربائية ، ولم يكتف « مكسويل » بتفسير الظواهر التى شاهدها الإنسان حتى عهده بل كان واثقاً من طريقه الرياضى وثوقاً جعله يتنبأ بظواهر أخرى لم تكن قد اكتشفت بعد ولم يكن قد دل عليها فى زمانه العلم التجريبى ، ذلك أنه استنتج من معادلاته الأساسية مجموعة أخرى من المعادلات أثبت بها أن الكهرباء تنتشر فى الفراغ بحالة موجية ، وبهذا تنبأ بوجود الموجات الكهربائية ، ولم يكن فى عهده سبيل لإحداث هذه الأمواج والتثبت من صفاتها على هذا الشكل الموجى ، ولكن « مكسويل » اعتبر أنها موجودة ، واعتبر أن الموجات الضوئية ليست إلا أمواجاً كهربائية



صورة «ماكسويل» مأخوذة من المتحف البريطانى، وهو الذى تنبأ باللاسلكى بمعادلاته الرياضية الشهيرة

من هذا يدرك القارئ لماذا نذكر الكهرباء مع الضوء الموجى وقبل أن نفسر كيف ساعدت هذه الخطوة الجريئة من « مكسويل » العلماء على التخلص من الأثير الذى افترضوه افتراضاً نذكر أولاً النتائج التجريبية العظمى التى خلص بها العالم من تفكير مكسويل الرائع ومن أداته الرياضية البديعة .

ولقد كان لهرتز (Heinrich Hertz) الألماني الفضل الأول فى الحصول على موجات كهربائية غير متصلة بموصل كهربائى ، وتخترق الفضاء ، واستطاع أن يعاملها كما نعامل الأشعة الضوئية فيعكسها مثلاً كما نعكس هذه الأشعة ، واتجه كثير من الباحثين إلى دراسة هــذه الناحية للأمواج الهرتزية ، أوَ لم تتجه « مارى سكلودوفسكا » ذاتها المعروفة باسم مدام « كيرى » شطر الأمواج الهرتزية قبل انشغالها بالنشاط الإشعاعى ، وكشفها للراديوم ؟ . إننا نعرف أنها حاولت أن تتخذ لهــا مكاناً فى معامل الأبحاث الطبيعية فى السوربون التى كان يديرها فى ذلك المعهد « ليمان Lippmann » المعروف بكشفه لفوتوغرافية الألوان ، ولم يكن المكان ليتسع للأجهزة التى أرادت أن تستخدمها فى بحثها ، فاتجهت الطالبة البولونية شطر العالم « بكارل » فى الوقت الذى كشف فيه أشعة الأيرانيوم ، ولا نسرد الوقائع التى يعلمها كل من تابع مقالاتنا[1] ، وما كان من أمر هذه الفتاة بعد ذلك فيما أوتيت من حظ فى بحثها الموفق ، فقد خرجت على العالم بالراديوم سنة ١٨٩٧ ، وقبل ذلك المعهد اتجه « برانلى Branly » الفرنسى سنة ١٨٩١ عن غير قصد نحو الأمواج الكهربائية بدراسة طبيعة الكهرباء ، ففاز بالكشف عن اللاسلكى ؛ وكرت السنون وتقدم « برانلى » و « كيرى » لمضوية المجمع العلمى الفرنسي ، وفاز « برانلى » وخُذِلت « كيرى » . أوَ كان فيما قدمه « برانلى » للعالم ما جعل نصف هؤلاء الذين يسمونهم الخالدين يعرضون عن أعظم امرأة عرفها التاريخ؟ هذا ما سيدركه القارئ في هذه السطور

* * *

ليس المجال هنا لنشرح للقارئ جهاز « الراديو » ، وسنعمد إلى ذلك عند ما ننتهى من قصة العلم الشائقة ومن سرد التطورات التى حدثت فى معارفنا عن الكون ؛ ولكنا نوجز هنا من الخطوات التجريبية ما له علاقة بحديثنا ، وهى خطوات كانت إلى حد كبير أساساً للانتشار الموجى الكهربائى

درس (برانلى) الضوء البنفسجى المنبعث من الشرارات الحادثة من « زجاجات ليد Bouteilles de Leyde » ، وتوصل من

(١) مقالنا بالرسالة بعنوان مدام « كيرى » العدد ٢٨٦ المنشور فى ٢٦ ديسمبر سنة ١٩٣٨ ص ٢١٠١ — ٢١٠٤

هذه الدراسة إلى مايسمونه اليوم التفريغ الموجى المكثف الكهربائى فتوصل فى الواقع إلى عمل مرسل للاسلكى ، ولقد وضع « برانلى » فى حجرة مجاورة للحجرة التى كانت بهازجاجات« ليد » «جالفانومترا»[1] ذا مرآة ، وكان يستخدمه فى دراسة المقاومة الكهربائية للوحة زجاجيــة مغطاة براسب من البلاتين



الأستاذ « برانلى » عضو المجمع العلمى الفرنسى مخترع اللاسلكي وفى هذا الشهر تاركا وراءه أعجب ما عرفه الانسان

وهى دراسة لا ترتبط فى شىء ما بدراسة الشرارات الحادثة فى الحجرة المجاورة وقد حدث فى ساعة كان « برانلى » قريباً من « الجلفانومتر » بينما كان أحد مساعديه يشتغل على زجاجة « ليد » فى الحجرة المجاورة . أن رأى « برانلى » رأى العين حركة فجائية مريعة فى « الجلفانومتر » لفتت نظره ليدرس السبب فى تغيير التيار فى هذه اللحظة التى لم يعمد فيها إلى تغييره ، وبالاحرى أراد أن يعرف لماذا تغيرت المقاومة الكهربائية لهذه القطعة من الزجاج المغطاة بالبلاتين دون أن يسبب هو هذا التغيير . هذا البلاتين توزع بشكل معين وتجمعت جسيماته بشكل خاص كما تتجمع أو تنتظم البرادة الحديدية عند هزها ، وقد فهم « برانلى » أن ثمة علاقة بين هذا الحادث وحادث التفريغ الكهربائى فى الحجرة المجاورة . وبهذا توصل إلى اختراع أول نوع من المستقبل اللاسلكى يسمونه جهاز التماسك Cohereur . وبذلك يكون قد اخترع هذا العالم المرسلَ والمستقبِل ، واستطاع بهما أن يرسل ويستقبل لمسافة تزيد عن ٢٠ متراً وخلال الجدران الإشارات المنبعثة من دائرة كهربائية باعثة ، وقد نشر « برانلى » كشفه فعُرف فى أنحاء أوربا ،

(١) الجلفانومتر جهاز لقياس التيار الكهربائى

وتطلب الباحثون الحصول على نتائج أهم من التي وصل إليها

ولقد كان الفضل في سنة ١٨٩٩ – وبعد عشرة أعوام من تجارب برانلي الأولى – لماركوني الإيطالي في أن يبعث بإشارات تلغرافية لاسلكية تعبُر بحر المانش ، فبعث بأول رسالة إلى « برانلي » نفسه ، مشيراً بذلك إلى فضله الأول في الكشف عن اللاسلكي

وشاء الزمن للرجل الذي كشف جهاز التماسك أن يظل حياً حتى اليوم الذي رأى فيه رأى العين « التليفزيون » (١) ؛ وهذا يجعلنا نلمس السرعة الخارقة التي تقدمت فيها الكهرباء الموجية في الأربعين سنة الأخيرة

من كان يدري – عند ما عرف « أراجو » و « أمبير » و « أيرستد » Œrstedt آثار التيار الكهربائي لمسافة قريبة ، وعند ما تنبأ « ماكسويل » عن آثاره لمسافات بعيدة – أن سيصل الإنسان في فن الراديو للحد الذي وصل إليه اليوم ؟

من كان يدري أن سيصل « ماركوني » و « فرييه Ferrié و « فلمنج » Fleming إلى اختراع الصمام « اللمبة الألكترونية » العجيبة فأتموا بها الأعمال الأولى والعظيمة للاسلكي

أما « برانلي » فقد عاش فقيراً يلقي دروساً لطلبة « البكالوريا » وفي الأيام الأخيرة أنشأ المعهد الكاثوليكي معملاً له ، وهو معمل مُغَطّى في أجزائه بطبقة من النحاس ، فهو بذلك معزول تماماً عن الذبذبات الكهربائية الموجودة في أنحاء المدينة ، تلك الذبذبات التي كانت تؤثر على أجهزته الدقيقة ، فقد كان يمقت في سنيه الأخيرة الإذاعات اللاسلكية المستمرة التي تمنعه عن مواصلة أبحاثه ، وحبس نفسه في ذلك القفص النحاسي لينجو من آثار كشفه الأول إلى أن وافتنا الأنباء بوفاته في الشهر الحالي عن ٩٦ عاماً .

* * *

(١) كان لصديقنا بيلان الفرنسي الفضل في اختراع نقل الصور الفوتوغرافية باللاسلكي ، وكان لبيرد الأنجليزي الفضل في اختراع التليفزيون ، وقد شاهدنا التليفزيون لأول مرة في معرض اللاسلكي « بالجراند باليه » بباريس حوالي صيف سنة ١٩٣٢ ، فقد عرضوا عند ذلك مشاهد لعمال الورش الكائنة في حي مونت روج ، في الوقت الذي يقومون فيه بأعمالهم.

وأستميح القارئ عذراً في سرد جزء أصبح في الواقع بعد وفاة « برانلي » من أبواب التاريخ ، فقد ذهب « برانلي » للتاريخ يحكم على أعماله ، ولكن العمل الذي قدمه يستحق منا أكثر من هذه السطور

وسأحدث القارئ في المقال القادم عن سبر العلماء لمراحل الإشعاع المختلفة من الراديو إلى الأشعة النافذة مشيراً إلى عمل « لويه » Max Laue وسيرى القارئ من كل ذلك أن الضوء والكهرباء أمواج كونية واحدة ، بحيث لو أننا فقدنا البصر لأمكننا أن نعرف الموجودات ، وسنطلعه على شيء يدور بخلدنا ، ولمناسبة ما نخوض فيه الآن ، عن احتمال قد يكون لصفات الأحياء التي لا زالت فرضية والتي قد تكون موجودة في الكواكب الأخرى . هذه تأملات تبدأ تأملات ، ولكنها تصبح برنامجاً للقارئ نحدثه عنه قبل أن نحدثه عن الضوء كمادة في الوجود ، وقبل أن نشرح له نوع التفكير الجديد للعالمين الكبيرين لورانتز وأينشتاين .

محمد محمود غالي

دكتوراه الدولة في العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية . ليسانس العلوم الحرة . دبلوم الهندسخانة



عيـــد الربيع

للأســتاذ محمد سعيد العريان

منذ عام لم تكن « نُضار » فى مثل حالها اليوم ... شتان بين ما كانت وما صارت !

ها هى ذى تخرج اليوم من محبسها الذى اعتزلت فيه الناس أشهراً لا تراهم ولا يرونها إلا كما ينظر العابرُ العجلان إلى تمثال قائم فى عرض الطريق !

لم يكن ثمة ما يربطها بالناس بعد ما مات أبوها وهجرها خطيبها ؛ فما شأنها وشأن الناس وما ترجو منهم وما يرجون ؟

لقد عرفت من طباع الناس وهى معتزلة بعيدة أكثر مما كانت تعرف وهى تخالطهم وتعيش بينهم؛ وكذلك لا تتكشف حقائق الأشياء لمن يراها إلا على مبعدة !

***

منذ عام مات أبوها ، وما كان لها فى الحياة غير أبيها وغير خطيبها « رشيد » ، وكانت تعيش من بيت أبيها فى نعمة سابغة وظل وارف ؛ ولم يكن لأبيها — منذ ماتت زوجُه — غاية يسعى لها غير إسعاد ابنته ؛ فَقَصر عليها عواطف قلبه ونوازع وجدانه وعاش لها ، لا يرى لنفسه حقاً فى متاع من متاع الرجال ما دامت ابنته سعيدة !

وكان لأبيها وظيفة ذات أبهة ومظهر ، وكان لها جمال يفتن ويسحر ؛ فتهافت الشبان على التماس رضاها والحظوة عندها ، ولكن فتى واحداً هو الذى استطاع أن يحملها على الإذعان والرضا ؛ وعرفها رشيد وعرفته ، وعرفه أبوها ، وتواعدا على ميعاد تنتقل فيه «نضار» من بيت أبيها إلى بيت رشيد !

... وعاشت حيناً سعيدة بأحلامها ، لا يشغلها همٌّ من هم الحياة واستيقظت فجأة من أحلامها حين وجدت أباها مُسجًّى فى فراشه والطبيب بجانب سريره ناكس الرأس أسوان ؛ ورأت فى عيون الرجال من عُوَّاد أبيها دموعاً تترقرق ، فصرخت فى لهفة : أبى ... ! وتلاشى الصدى ولم تسمع جواب أبيها ... ودنا منها خطيبها يواسيها وفى صوته نبرة حزن ، ولمعت دمعة بين أهدابه فأطبق جفنيه ولوى وجهه ...

وخرج أبوها من الدار إلى غير مَعاد ، وخرج خطيبها يشيع الجنازة فلم يعد ، ولبثت الفتاة وحدها تنتظر ...

وخرس جرس الباب فما عاد يستأذن عليها أحد ... وما عادت تسمع خفق أقدام أبيها عائداً من الديوان بعد الظهر ، ولا صوت نداء خطيبها قادماً لزيارتها فى المساء ؛ أما أبوها فإنها تعلم أين ذهب ، وأما خطيبها ...

بلى ، لقد عرف رشيد من شئون صاحبته ما لم يكن يعرف .. فاتخذ طريقاً غير الطريق التى كان يسلكها كل يوم ، وماذا يحمله على الزواج من فتاة ليس لها جاه من أهل ولا غنى من مال، وهو لو شاء لوجد عند غيرها الجاه والمال والسعادة ... هكذا قالت له نفسه ، فمضى وخلّفها ... !

لقد كان أبوها هو كل ما تملك من غِنًى وجاه ، وقد مات أبوها ، فما ذا بقى ؟

ومضى شهر ، وراحت نضار تقبض « المعاش » الشهرىّ الذى فرضتْه لها الحكومة بعد موت أبيها ... وعادت وفى يدها ثلاثة جنيهات ... ذلك كلّ ثروتها ، وكلُّ العِوَض من أبيها الذى مات !

وفى اليوم التالى كانت عربة نقل كبيرة تحمل متاعها من البيت الذى عاشتْ فيه هى وأبوها ما عاشت ... إلى غرفة مفردة على سطح بيت كبير من بيوت الحي ؛ وكانت الخادمة تحمل صُرَّةَ ثيابها ذاهبة ...

وتغيرت منذ اليوم عيشةُ نضار ، وانقادت صاغرة لما فرضتْ عليها الحياة !

ولزمت غرفتَها على السطح ، لا تفارقها إلا لحاجة ، واعتزلت الناس لا تراهم ولا يرونها إلا كما ينظر العابر العجلانُ إلى تمثال قائم فى عرض الطريق !

ومضى عام ... وها هى ذى اليوم تفارق محبسها لغير حاجة ، تلتمس جديداً فى حياتها المملولة الجافة التى تحياها منذ مات أبوها ...

***

اليوم عيد الربيع ... وقد خرج الناس من بيوتهم جماعات مبكرين إلى شاطئ النيل ، وإلى حدائق الجزيرة ورياض الجيزة والقناطر الخيرية ، يتملّون جمال الحياة ويتمتعون بما أحلّ الله وما حرّم من طيبات وخبائث ...

وذكرت نضار ما كان من ماضيها ... مُنْذُ عامٍ كان يراها في مجلسها ذاك على المقعد الخشبي في شارع « مسبيرو » وعليها ذلك الثوب الأسود الحائل ، وفي عينيها تلك النظرة الساهمة ، وفي وجنتيها هذا الشحوب ... منذ عام كان يراها في مجلسها ذاك فيعرفها ويذكر ما كانت ... ؟

لقد آثرت ذلك المكان القصيّ الذي لا يطرقه أحدٌ ممن تعرف من سكان الحي ، لتكون بنجوة من عيون الفضوليين ؛ أفكانت تحسب أن أحداً من أهل الحيّ يعرفها حين يراها ، أو يذكرها ؟ ... ولكن فيها بقية من حسن الظن بالناس !

ومرّت بها مواكب الأطفال في ثيابهم وزينتهم ، يحملون في أيديهم طاقات الزهر ، وينفح من أعطافهم عطرُ الربيع وريحانه ؛ وتتابعت أسراب الفتيات في غلائلهن الموشاة وأزيائهن الفاتنة يتمايلن ضاحكاتٍ عابثات عبث الصبّى والدلال ؛ ومضت طائفة من الفتيان في آثارهن يغنون ويتطارحون أناشيد الهوى والشباب والأمل المنشود ؛ وكان على الشاطئ فتيانِ يقرعان كأساً بكأس ؛ وعلى المقعد القريب فتى وفتاة يتناجيان في همس ؛ ومرت سيارة تتهادى وفيها اثنان يُنشِئان قصة حبّ ...

ونضار جالسةٌ على مقعدها وحدها ، تسمع وترى وتذكر صوراً من ماضيها ، وذكرتْ فتاها الذي كان ، وذكرت أباها ... في مثل هذا اليوم ... منذ عام ... كانت وكان ... وعادت إلى ماضيها ، واستغرقت في حلم طويل ...

* * *

ومرّ بها فتى ، وتبادلا نظرتين ، وأطرقت نضار من حياء وعادت إلى ذكريات ماضيها ، وخطا الفتى إليها خطوة ، وكانت على شفتيه ابتسامة ... وفي عينيه نظرةٌ تعبّر عن معنى ... وقال لها : أنتِ وحدكِ وأنا وحدي ! ...

وتضرمتْ وجنتاها حياءً وغضباً ، وسكتت ؛ وعاد الفتى يتم حديثه ... ونظرتْ إليه ثانية وهمت أن تتكلم ، ثم أمسكتْ ... فليقل ما يقول ثم يمضي لشأنه ؛ ليس ينبغي لمثلها أن تردّ على مثله ... وخطا الفتى خطوة أخرى فجلس على طرف المقعد ؛

فجفلت الفتاة ونهضت وفي عينيها غضب وسخرية ! ...

واستيأس الفتى فمضى لشأنه ، وعادت الفتاة لشأنها ...

وتعاقبت على عينيها صور ... وترادفت مواكب الفتيان والفتيات ، وتجاوبت أناشيد الهوى والشباب ، ورنّ الصدى في أذنيها ؛ وذكرت فتاها ... وحنّتْ إليه ، واصطرعت في نفسها عاطفتان ، فرضيت ثم سخطت ، وترقرقت في عينيها عبرة ...

* * *

... واتخذت نضارُ طريقها إلى مأواها وفي نفسها ألم ، وإن ضحكات المرح والمسرة تتجاوب حوالبها ؛ ومضت تحدّث نفسها وتستمع إليها ، وفجأة برز لعينيها منظر ... هذا رشيد وفتاة معه ، يا ويلتا ! إنه لهو ، وتلك صديقتها « سعدية » وما لرشيد وسعدية ؟ ... وأين وأنّى اجتمعا ؟ ... أتراه حين هجرها أبدل بها صديقتها ؟ ... ولكن سعدية مسماةٌ منذ سنوات على ابن عمها ... أتراها هجرته بعد أن مات أبوه ... ؟

وخنقتها عبرة ، ودار رأسها وكادت تسقط ، فاستندت إلى الحائط ؛ وتوارى الفتى وفتاته في زحمة الناس ؛ وثابتْ نُضار إلى نفسها ، فاستأنفت السير ؛ وكان فتيان وفتيات يزحمون الطريق مَشْنَى مثنى ، وكأن كل اثنين من نجواهما في خلوة . . ومضت تشق طريقها وفي نفسها عواطف تصطرع وتثور ؛ وهتف هاتف في أعماقها : أكلُّ أولئك ... وأنتِ وحدك ... ؟

وهمّت أن تعود من حيث أتت ، فتجلس ساعة على المقعد الذي كانت تجلس عليه ، في شارع مسبيرو ، على شاطئ النيل ... حيث قال لها فتًى منذ قليل : أنت وحدك ... وأنا وحدي ... ! فما لها طاقةٌ بعدُ على مثل هذه الوحدة الذليلة ... واليوم عيد الربيع ... !

وصَرَّتْ أسنانُ الفتاة ، وقمعتْ خواطرها ، واستأنفت السير ، وراحت تسائل نفسها : أكذلك الحياة؟ ليتني لم أكن أعلم ... !

* * *

وراحت تصعد السلم درجة درجة وهي تمدّ ، وكان البواب جالساً يهمس في أذن ضيفه ؛ ورنّت ضحكة البواب وصاحبه في أذنيها ، فوقفت واحمرّ وجهها من الغضب ؛ أتراه يحدّث صاحبه عنها ؟ فماذا يقول ؟ ... أم تراه يحسبها فتاة كبعض مَن رأت اليوم ؟ ومن أين له أن يعرف حقيقتها ؟ ...

وما ظنُّ الناسِ بفتاة عزباء ، تعيش وحدها في غرفة على السطح ، وليس لباب السطح بواب ، تخرج حين تخرج وحدها

وتعود حين تعود ، لا يعرف أحد أين ذهبتْ ومن أين جاءتْ ؟

... وتماسكتْ من ضعف ، واستأنفت الصعود ... وبلغتْ غرفتها فارتمت على سريرها باكية !

وأخذتها غفوة واستيقظت أحلامها؛ ولما صحتْ من غفوتها بعد ساعة؛ كانت نظرتها إلى الحياة غير ما كانت ... وماذا يجديها أن تحرص على التزام الجادة والناس هو الناس ، وكل فتاة عندهم كـكل فتاة ؟

***

... وجلستْ نضار إلى المرآة تتزين — المرآةِ التي لم تجلس إليها منذ عام مجلسَ فتاةٍ إلى مرآتها، ونفضت الغبار عن حقيبتها، وراحت تبحث فيها عن شيء من تراث الماضي ... وخلعت ثوب الحداد الذي لم تغيره منذُ لبسته ... !

وسمعتْ طرقاً على الباب ... وفتحت ... فابتدرها البواب يُؤذنها أن فتى بالباب يسأل عنها ، وابتسم ... وشحب لونها ، وقالت في صوت يرتعش : ما اسمه ؟ وماذا يريد ؟ ...

ولـكن البواب لم يكن يعرف اسمه ولا ماذا يريد ؛ فما كان يعنيه إلا أن يؤذنها أن زائراً يسأل عنها ، ثم هبط مسرعاً ... وأطلّتْ الفتاة وراءه لترى ، ولـكنها لم تر ... !

... لقد غشيتها الدموع وحضرتها الذكرى فما تستطيع أن تسمع أو ترى أو ... تفكر !

منذ عام لم يهتف هاتف باسمها ولم يزرها زائر ... فمن يكون هذا الطارق ؟ ...

وعاد إليها البواب برسالة في يده قبل أن تجد نضار جواب سؤالها ؛ وتناولت منه الرسالة بيد ترتجف ، وراحت تقرؤها وهي في طريقها إلى غرفتها ... وسقطت دمعتان على القرطاس في يدها وكانت تبتسم ... ولم تفطن إلا بعد حين أن البواب لا يزال منها على مقربة ؛ ولأول مرة منذ سكنت هذه الغرفة المفردة ، شعرت أن من الواجب عليها أن تمنح البواب شيئاً ... فعادت حقيبتها الصغيرة ومدت يدها إليه بقروش ... !

وأغلقت بابها وراحت تعيد قراءة الرسالة ؛ ثم رفعتها إلى شفتيها فقبلتها قبلة ، وهمست : نعم ، أحبك لأنك أنت ...

وحتى في خلوتها لم تنس أنها امرأة .. فعادت تقول: نعم ... لأنك أنت تحبني حين لم يذكرني أحد !

ثم طوت الرسالة وأخفتها في صدرها ...

كان «سامي» يعرفها من زمان، وكانت تعرفه؛ ورآها ذات ليلة تحدثه في منامه ويحدثها فطمع ... وكان مجمعاً أمره على خطبتها حين جاءه النبأ بأنها سمّيت على رشيد، فطوى جوانحه على آلامه وسكت...

وضربت بينهما الأيام فصعدتْ بها إلى غرفة في السطح ، ورمت به النوى من بلد إلى بلد إلى بلاد ، ثم عاد ليعرف من أمرها ما عرف ... فكتب إليها ...

... وتم أمرهما على ما أرادا وأظلهما سقف واحد ، وابتسمت لها الأيام بعد عبوس !

ومضى عام وجاء عيد الربيع ، وقال لها : أين تريدين يا عزيزتي أن نمضي يوم العيد ؟

وتفتّشتها الذكرى فأطرقتْ وفي قلبها عواطف تصطرع ، ثم رفعت رأسها وقالت وهي تبتسم : أتريد يا سامي ؟ ... إنني أفضل أن نجلس على مقعد خشبي على شاطئ النيل، في شارع مسبيرو، ثم نعود ... ...

وضحك سامي دَهِشاً وهو يقول : على مقعد خشبي ؟ في شارع مسبيرو ؟ يا لها فكرة ! ربك لماذا ؟ وأي خاطر ألمك ؟

قالت وفي عينيها بريق وفي صوتها حنان وفي أعطافها نشوة : تسألني لماذا ... ؟ لأنكَ أنتَ هناك ... ! حيث التقينا أول مرة في خطرة فِكر وخفقة قلب، وكنتُ وحدي هناك ولكني كنتُ معك ... !

محمد سعيد العريان



الفرقة القومية تحتفل بمولد الأميرة فوزية

كانت ليلة الثلاثاء الماضى صفحة مجيدة فى تاريخ الفرقة القومية ، فقد احتفلت فيها بمولد صاحبة السمو الملكى الأميرة فوزية احتفالاً جديراً بمكانتها وكفايتها افتتحه مديرها الأستاذ خليل مطران بك بقصيدة عصماء أنشدها بين يدى المليك ، ثم مثلت الفرقة رواية (عبيد الذهب) التى نقلها إلى العربية الأستاذ أحمد الصاوى محمد ، فكانت الرواية ببراعة ترجمتها ، وطرافة موضوعها ، ورشاقة أسلوبها ، وقوة إخراجها ، وحسن تمثيلها نظاماً متسقاً من الفن والجمال واللذة قلما شهدناه فى ماضى الفرقة . والحقيقة التى أثبتتها هذه الحفلة أن الفرقة إذا ساعدها الكتاب بالاختيار الموفق للموضوع ، والترجمة اللائقة للرواية، ظهرت براعتها فى الإخراج والتمثيل ظهوراً يجذب إليها هوى الجمهور ، ويعقل عنها لسان النقد .

فقهاء بيزنطة

قرأت افتتاحية العدد الـ ٣٥٢ للسنة الثامنة من مجلة الرسالة الغراء بعنوان (فقهاء بيزنطة) لحضرة رئيس التحرير الأستاذ الكبير السيد أحمد حسن الزيات . وقد أعجبنى نقده رجال الدين لتشاغلهم بصغار الأمور عن معاليها التى جاء الإسلام بها ؛ ووصفه الأستاذ بأنه (هو الذي وضع الدساتير الخالدة لسعادة الفرد والأسرة والأمة والإنسانية فى كل زمان وفى كل مكان) ؛ ولانصراف أهله عن حقيقته ومقصده ، وقد لبسوه كما يلبس الفرو مقلوباً . ونقل العلامة أحمد فتحى باشا زغلول فى مقدمة كتاب : (الإسلام خواطر وسوانح) : أن السيد رشيد منشئ المنار قال فى أمثال من ينتقدهم الأستاذ الزيات : (إن الجبر صار عندهم توحيداً ، وإنكار الأسباب إيماناً ، وترك الأعمال المفيدة توكلا، ومعرفة الحقائق كفراً أو إلحاداً، وإيذاء المخالف فى المذهب ديناً ، والجهل بالفنون والتسليم بالخرافات صلاحاً ، واختبال العقل وسفاهة الرأى ولاية وعرفاناً ، والذلة والمهانة تواضعاً ، والخضوع للذل والاستسلام للضيم رضى وتسليما، والتقليد الأعمى لكل متقدم علماً وإيقاناً)

أعجبنى نقد الأستاذ كما أعجبتنى شكواه من ضعف النشء فى معرفتهم الدينية التى يتلقفونها عمن هم حجب على محاسن الدين ومزاياه الحميدة ، وقد شعر السيد الإمام كما شعر حضرة الأستاذ الجليل ، حينما اختبر أمثال هؤلاء ، وألقيت عليه أسئلة كالتى ألقيت على الأستاذ صاحب (الرسالة) الغراء ، وحل السيد رشيد المعضلة التى رجا الأستاذ حلها ، وتمنى أن تشرح للناس عبقرية هذا الدين وفلسفة تشريعه ووجوه إصلاحه وأسباب خلوده على ضوء العلم الكاشف ونظام التأليف الحديث (بالوحى المحمدى) وقد طبع فى سنتين ثلاث مرات ، واتفق على الشهادة له كبار العلماء والأدباء على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم ومختلف أقطارهم. ولو شئت أن أذكر أسماءهم وأنقل جملاً من رسائلهم ، لاحتجت إلى صحائف من مجلة الرسالة . على أنى أكتفى بأن أورد كلمة من خطاب الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر الشيخ محمد مصطفى المراغى إلى السيد رشيد فى وصف كتاب الوحى :

« إنكم وفقتم لفتح جديد فى الدعوة إلى الدين الإسلامى القويم، فقد عرضتم خلاصته من ينابيعه الصافية ، عرضاً قل أن يتيسر إلا لفرع من فروع الشجرة النبوية المباركة . وقد استطعتم أن توفقوا بين الدين والعلم توفيقاً لا يقوى عليه إلا العلماء المؤمنون. فجزاكم الله عن الإسلام أحسن ما يجازى به المجاهدون »

وكلمة للأستاذ محمد لطفى جمعة فى كتاب الوحى المحمدى : « وفى الحق أنه كتاب جليل يلفت النظر بما أورده الأستاذ مؤلفه من الأدلة العقلية والحجج النقلية ، بوضوح وجلاء ، على طريقة حديثة لم تسبق للمؤلفين فى المسائل الدينية »

وكلمة للأمير شكيب أرسلان : « ... وقد كتب السيد رشيد هذا الكتاب أيضاً لكل من نشأ نشأة أوربية أى خالية من التربية الإسلامية التى يكون الناشىء قد ارتضع فيها مبادئ الإسلام مع لبن أمه فيقال إنها رسخت فيه من الصغر ، ولما كان جميع من يقرأون العلوم العصرية اليوم ويتعلمون بحسب برامج الحكومات الإسلامية الحاضرة هم فى الحقيقة أشبه بناشئة

الأوربيين ولو كانوا مسلمين نسباً . كان هذا الكتاب موجهاً أيضاً إليهم لأنهم فى حكم الأوربيين من جهة فقد التربية الإسلامية أو على ما يقرب من ذلك »

وفى هذا القدر كفاية من شهادة هؤلاء العلماء الأجلاء بأن كتاب الوحى المحمدى هو الحل للمعضلة التى تسألون عن حلها وهو الضالة المنشودة التى تبحثون عنها لتجيبوا سائليكم عن وجود كتاب يبين أن (الإسلام بتوحيده بين الدين والدنيا علاج لأدواء المجتمع ونظام لفوضى الطبيعة وأنه يساير التطور ويطاول الزمن فلا يمكن أن تكون فيه مناقضة للمدنية الصحيحة ولا معارضة للتقدم الحق) وبالله التوفيق .

عبد الرحمن عاصم

معرفة طمى النيل باللاسلكى

يعرض الأستاذ الدكتور محمد محمود غالى أمام الجمعية المصرية للعلوم الرياضية والطبيعية التى هو عضو فى مجلس إدارتها بحثاً جديداً يناقش فيه الأهمية العملية فى القطر المصرى لتقدير كميات المواد المعلقة فى مياه النيل أو الترع مدة الفيضان، ومعرفة الحالة التى تتغير بها فى الحيز وفى الزمن . وتتصل هذه المعرفة بموضوع رسوب الطمى فى ترع الرى أو رسوبه أمام خزان أسوان

وسيتكلم عن طريقته الخاصة لمعرفة كمية الطمى وتحليلها من الناحيتين النوعية والكمية بتعيين سرعة ووزن جسيمات الطمى فى الماء بطريقة ضوئية ، كما سيتكلم عن طريقة أخرى استخدم فيها ظاهرة التبادل الضوئى الكهربائى لمعرفة سرعة جسيمات كروية فى سائل أو غيوم كطمى النيل فى الماء ، وهى طريقة يتعين بها كمية الطمى المحمولة بالنيل ودراسة الحالة التى يتوزع بها

وسيبين بعد ذلك امتداداً للبحث الأخير توصل بواسطته إلى طريقة لمعرفة كمية الطمى المحمولة بالماء عن بعد دون الالتجاء إلى استخدام الأسلاك الكهربائية ، بمعنى أنه يتسنى من القاهرة مثلاً تسجيل كمية الطمى المحمول بالنيل فى أى وقت من اليوم وفى أى جزء من النيل مثل العطبرة أو النيل الأزرق أو أمام أسوان

وسيلقى هذا البحث فى يوم الثلاثاء ٣٠ أبريل الساعة ٦ مساء أمام الجمعية فى كلية العلوم بسراى الزعفران بالعباسية

إلى الأستاذ صديق شيبوب

تحية وإعجاباً ... وبعد :

قرأت قصتكم الممتعة البارعة التى ترجمتموها عن الكاتبة القديرة « سلمى لاجيرلوف » . فأخذتنى روعتها فكرة وأسلوباً؛ ومن ثَمَّ جئت أثنى عليك ، مشكوراً منى ومن جمهرة القارئين ، أن تدأب على ترجمة آثار هذه القصصية العالمية القادرة

ولكن حبى لآثارك الروائع ، وحرصى عليها أن تبدو رائعة كاملة ، دفعنى أن أشير لك فى رفق وهون إلى لفظة جاءت فى آخر القصة أعتقد « أنا » أن الأوفق أن تبدل بأنسب منها . رعاية لسياق الكلام ، وانسجام المعانى ، وأمانة لفن القصة

فقد حكيت فى ختام القصة عن شعور الزانية ، وتطهر روحها من دنس رجسها « ... لا تمحى عن بشاعة الخطيئة ، وجمال العدل ... » وكان الأنسب أن تقول : « وجمال الرحمة » لأن العدل لا يجمل فى نفوس البشر . إذ كانوا أبداً خاطئين

ولست أدعى أننى رأيت الأصل الفرنسى ، ولكنى أرجح وفقاً لذوق أن تكون الكلمة فى هذا الأصل هى « الرحمة » بدلاً من « العدل »

على أنى أسارع فأقرر أن الرأى لك ، وللأصل الفرنسى ، ولأصله السويدى ... وإنما الأمر خلاف ذوق فقط ... لا يمس روعة القصة فى قليل أو كثير

وتحياتى لك — أيها الأستاذ — مقرونة بتقديرى وإعجابى

مراد السكردانى

عدد التلاميذ بالمدارس المصرية فى السنة الماضية

يؤخذ من آخر إحصاء رسمى أصدرته وزارة المعارف أن عدد التلاميذ الذين كانوا يتلقون العلم فى السنة الدراسية الماضية (١٩٣٨ — ١٩٣٩) بالمدارس الأميرية غير الأولية بلغ ٧٧٫٠٢٩ طالباً

من هذا العدد ٦٤٫٦٨٢ مسلماً و١٢٢١٩ قبطياً ، ومنه أيضاً ٧٦٫٧٢٩ مصرياً و١٢٨ سودانياً ، وواحد حبشى ، و٩ يمنيون ، واثنان أردنيان ، و١٨ سورياً ، وواحد أرمنى ، واثنان من

الإنجليز ، وستة من العراقيين ، و٣١ فلسطينياً ، و٣٥ من العرب ، و٤ من الهنود ، وواحد من أهل سيام وخمسة من الأفغان . وستة من أهل جاوا ، وواحد ألباني ، واثنان اسبانيان ، واثنان تركيان و٣ من اليونان ، و٣ من طرابلس ، وواحد إيطالى و٧ من حضرموت ، و١٦ من راكشيا ، و٣ من زنجبار ، وواحد صينى ، وواحد من الجزائر ، وخمسة من إيران ، و٦ من الفرنسيين

ويؤخذ من الإحصاء المتقدم ذكره ، أن عدد التلاميذ الذين يتلقون العلم بالمدارس الخاضعة لتفتيش وزارة المعارف ٧٦٫٧٣٦ طالباً وأن عدد التلاميذ المقيدين بالمدارس الأولية والمكاتب العامة مليون و ١١٩٫٤٧١ تلميذاً منهم ٦٤٠٫٧٩٠ بنين ، ٤٧٨٫٦٨١ بنات

الجندى المجهول

سيدى الأستاذ الزيات :

شغلتنى شواغل جمة عن الاطلاع على مجلة الرسالة (العدد ٣٥٤) فى الموعد المعتاد فلم أطلع عليها إلا اليوم ، ولما وصلت إلى ما نقلتموه عن مجلة العصبة البرازيلية وجدت به خطأ أردت أن أنبه إليه إذ قالت فى حديثها عن الجندى المجهول إن فكرته نشأت فى فرنسا . والحقيقة أنها نشأت فى مخ قس انجليزى سنة ١٩١٦ . وفى أغسطس سنة ١٩٢٠ تحدث بها إلى رئيسه الذى نقلها بدوره إلى رئيس الأساقفة ، ونفذت الفكرة وأحضر الجندى واحتفل به فى نوفبر سنة ١٩٢٠ . أما طريقة إحضاره فلها قصة طريفة قد تقرأها يوماً فى الرسالة إن شاء الله

هذا ما عن لى ، وإنى لشاكر لكم فضلكم لإفساح صدركم لكلمات القراء المتواضعة .

محمد لطفى مهنا

كيانى أو لسانى ؟

سيدى الأستاذ الكبير مدير الرسالة

قرأت ما كتبه الأديب الفاضل عبد العليم عيسى عن « ليالى الملاح التائه » للأستاذ الشاعر على محمود طه فأعجبنى منه أنه كان بعيداً عن الغرض والهوى ، صريحاً بارعاً فى حكمه على شعر الشاعر ومنزلته بين شعرائنا المعاصرين . غير أنى أخالفه فى أن لفظة « كيانى » أرق من لفظة « لسانى » فى البيت :

قلت والنشوة تسرى فى لسانى هاجت الذكرى فأين الهرمان

فهى فى موضعها أدق وأبرع بكثير من الأولى ، فضلاً عن أنها لفظة شعرية خفيفة موسيقية . أما قوله : إنه لا يتصور تلك النشوة التى تسرى فى اللسان . فهو دليل على أنه ليس من أرباب الكاس والطاس . وقديماً قال الشاعر العربى حسان بن ثابت :

كلتاهما حلب العصير فعاطنى بزجاجة أرخاهما للمفصل

وفسر المعرى المفصل باللسان ، وهكذا ذكر اللسان والقاموس

حامد القوصى
مدرس بالقاهرة



في سبيل العربية

تصحيح نهاية الأرب

جزؤه الثالث عشر

للأستاذ عبد القادر المغربي

ص ٣ س ٣ قوله : (وتفوهت بأخبار من نبغ من أهلها) أى أهل كل دولة من دول التاريخ ، ومعنى (تفوهت) نطقت . ولا يقال فى مثل هذا المقام (نطقت) وإنما يقال (نوّهت) فى كتب اللغة : نوّه فلان بفلان إذا رفع ذكره ومدحه وعظّمه . وهذا هو المراد هنا . فإن المؤلف يمدح النابغين من كل دولة ويشيد بذكرهم .

ص ٣ س ٩ قوله : (ولم أعرج فى الآخر إلا بالإشارة إليها) فعل التعريج يتعدى بعلى لا بالباء . فى التاج (التعريج على الشيء الإقامة عليه ، وفى الحديث : فلم أعرج أى لم أقم ولم أحتبس) فالمعنى فى عبارة المؤلف إننى لم أحبس قلمى على شيء إلا على الإشارة إليها ، ولم نجدهم ذكروا أن فعل التعريج يتعدى بالباء ، ولعل تعديتها بها هنا من ذهول المؤلف لا من خطأ الناسخ

ص ١١ س ٢١ قوله : (ففتحها) صوابه (ففتحهما) إذ أن الضمير يرجع إلى العينين ، وهو خطأ مطبعى

ص ٢٥ س ١٤ لما أخذ الله الميثاق على ذرية آدم وهم فى ظهره كان أول من أجاب وخرج سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قال المؤلف : (ونادى إلى ذات اليمين وهو يقول . أنا أول من يشهد لك بالتوحيد. الخ) فقوله (ونادى إلى ذات اليمين) صوابه : (وأوى إلى ذات اليمين . أى مال ولجأ إلى الجهة اليمنى فتبوأها صلى الله عليه وسلم ونزل بها ، ومنه قوله تعالى : (إذ أوى الفتية إلى الكهف) (أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة) وفى انحيازه صلى الله عليه وسلم إلى جهة اليمين إشارة إلى أنه من أهل الميمنة السعداء لا من أهل المشأمة الأشقياء

ص ٢٩ س ١٤ لما أخرج آدم وحواء من الجنة اضطرا إلى قضاء الحاجة فبكيا (ثم أمرهما الملك أن يمسحا بالمدر ، ثم يغتسلا بالماء) يعنى أنه علمهما آداب الاستنجاء فى الإسلام ، كما علمهما الوضوء فتوضآ وضوء الإسلام . وآداب الاستنجاء كما قال الفقهاء هى الجمع بين المسح والغسل بالماء . فقوله (ثم يغتسلا بالماء) صوابه (ثم يغسلا) أى محل النجو بالماء بعد أن يكونا مسحاه بالمدر أى بالتراب

ص ٦١ س ١ قوله : (وإن شئت بقاء سبع نوايات من تمر) يسأل الملك لقمان إذا كان يريد أن يبقى فى الحياة الدنيا بقاء سبع نويات تمر . والنويات جمع نواة فقوله (نوايات) بألف بعد الواو خطأ والصواب حذف الألف

ص ٦٧ س ١١ قوله : (فقال فتى منهم حَدَث السن) خطأ صوابه (حديث السن) وعبارة المصباح (يقال للفتى حديث السن فإن حذفت السن قلت حدث بفتحتين) أى من دون إضافة حدث إلى السن

ص ٩١ س ٦ : وأمرّ الله الرياح الأربع (فضمّت ما كان لأهل الرسّ من متاع الخ) هذا حين أراد الله إهلاكهم بسبب عصيانهم . وفعل الريح فى كسح ما كان على وجه الأرض من متاع وفتات يسمى كنساً وقمًّا لا ضمًّا ، فصواب (فضمّت) : (فقمّت) ، يقال : قمّ البيت قمًّا كنسه . والقُمامة : الكناسة

ص ٩٣ س ٢ : كان أهل الرسّ يعبدون شجرة صنوبر يقال لها (ساب درحب) ، وقوله (درحب) كتبت بحاء مهملة وباء موحدة . وصوابه : (درخت) بخاء معجمة وتاء مثناة فى الآخر ، وهى كلمة فارسية معناها الشجر ، ومنه الشجر المسمى (أزدرخت) ، وأصله بالفارسية (آزاد درخت) ويحرفه عوام الشام إلى (زنزلخت) و (زلزلخت) واسمه بالعربية (قيقب) و (قيقبان) ومما يحسن ذكره أن شجرة الصنوبر التى يعبدها أهل الرس ويسمونها (ساب درخت) كلمة (ساب) فيها تذكرنا بكلمة Sapin الفرنسية التى معناها شجرة الصنوبر . فهل هذه من تلك يا تُرى ؟

ص٩٣ س٢ : (كان يافث غرس شجرة الصنوبر المذكورة

على شفير عين يقال لها (دوسات) . وكلمة (دوسات) كتبت بسين مهملة وتاء مثناة فى الآخر . وصوابها (دوشاب) بشين معجمة وباء موحدة . قال الخفاجى فى كتابه « شفاء الغليل » : (الدوشاب نبيذ التمر معرب . وذكرت كلمة الدوشاب فى شعر لابن المعتز ، وكذا فى شعر لابن الرومى ، وفسرها شارح ديوانه بالنبيذ الأسود . وقال السمعانى الدوشاب هو الدبس بالعربية . اهـ قول الخفاجى . وسألت إيرانياً من سكان دمشق عن (الدوشاب) فى لغتهم ، فقال هو الشيرا . ولا يخفى أن (الشيرا) لفظة تركية معناها عصير العنب الذى اعتصر حديثاً فأصبح حامضاً ولم يصل إلى درجة الإسكار ، وهو المسمى بالعربيـة (مسطار) بضم الميم أو كسرها . وقد اختلفوا فى أصل مسطار حتى قال بعضهم إنها رومية تلقفها أهل الشام من سكان سوريا الأصليين . والحاصل أن (الدوشاب) شراب يتخذ من عصير العنب سميت به عين الماء التى غرس يافث عليها شجرة الصنوبر المسماة (ساب درخت)

ص ٩٦ س ١٩ : (وهو الذى أنشأ كوثاربا من أرض العراق) . قوله (كوثا) كذا بالألف ، وصوابه (كوثى) بالياء المقصورة لأن (كوثى ربا) ليس كلمة واحدة بل كلمتان : (كوثى) مضافة إلى (ربا) قال صاحب كتاب « مراصد الاطلاع فى أسماء الأمكنة والبقاع : (وكوثى بالعراق فى موضعين (كوثى الطريق) و (كوثى ربا) وبهـا مشهد إبراهيم الخليل عليه السلام ، وهما قريتان الخ . وقد كتبت (كوثى) بالياء المقصورة فى آخرها . وفى القاموس وشرحه (وكوثى بلدة بالعراق وتسمى (كوثى الطريق) و (كوثى ربا) من ناحية بابل بأرض العراق أيضاً وفيها ولد الخليل وطرح فى النار) اهـ . وقد كتبت (كوثى) بالياء المقصورة كما ذكرت . فالواجب تصحيحها فى هذه الصفحة وص ٩٨ وص ١١١ وكل صفحة سواها

ص ١٠٥ س ١٨ : (وبينما إبراهيم قاعداً) كذا بالنصب وصوابه (قاعد) بالرفع على الخبرية كما ورد مرفوعاً فى أول ص ١٦٩ إذ قال ثم : (فبينما هو مشتغلٌ بالذكر)

ص ١٠٨ س ١٠ : (وأدخل — أى إبراهيم الخليل — المضيق تحت الأرض) صوابه : (الطبق) . قال فى مستدرك التاج : (الطبق كحسن سجن تحت الأرض) ويؤيد هذا ما جاء فى الصفحة نفسها س ١٥ : (وكان إبراهيم يسلّى أهل السجن)

ص ١١٢ س ١ : (فأمر بالتنور فأُسجر فطُرح إبراهيم فيه) قوله : (فأسجر) مصدره الأسجار . ولم أعثر عليه فى كتب اللغة وإنما هو ثلاثى سجره سجراً ، ومن التفعيل سجَّره تسجيراً . ولا دخل للناسخ فى هذا الخطأ بل السهو فيه من المؤلف فى غالب الظن

ص ١١٥ فى السطر الرابع وسطور أخرى تلته ورد اسم (سارة) زوجة إبراهيم الخليل مشدَّد الراء ، ولعل الصواب تخفيفها ، لأنها كلمة عبرانية معناها « أميرة » كما فى قاموس الكتاب المقدس . وقد نبهت دائرة المعارف البستانية إلى تخفيف راء (سارة) مذ كتبتها بالحروف اللاتينية هكذا (Sarah) (Sara) وتخفيفها هو الشائع على الألسنة فى بلاد المشرق حتى إن معاجم اللغة العربية لم تشر فى مادة (سرور) إلى أن (سارة) زوجة الخليل مشددة الراء حتى يكون عربياً بل سكتت عن ذلك . ولعل فى سكوتها ما يشعر بأن اسم (سارة) ليس من مادة السرور العربية . وعندى أن هذا هو الصواب إذ لا يعقل أن (ماحور) العبرانى والد سارة يسميها باسم عربى فى معناه عربى فى اشتقاقه، اللهم إلا إذا ادعى مدع بأن اسم (سارة) المخفف نقله العرب إلى لغتهم ثم عربوه وأفرغوه فى قوالبها فشددوا راءه . وروى صاحب القاموس عن اللحيانى (امرأة سرّة وسارّة تسرّك) وسمعت فتى يذكر أختاً له فسماها (سارّة) وشدد الراء فقلت : ولماذا شددت الراء والناس يلفظونها مخففة قال : إن جدى هو الذى سماها وأوصى ألا يلفظ اسمها إلا مشدداً قلت : لا كلام إذن وكأن جدك يعتقد أن اسم (سارة) عربى مادة واشتقاقاً . أما إذا كنا نتحدث عن السيدة (سارة) العبرانية فيحسن أن نلفظ اسمها مخففاً كما سماها أبوها (ماحور) .

ص ١٢٥ س ٢٠ (ثم خرجت امرأة لوط وبيدها سراج كأنها تُشْعل) ضبط فعل (تشعل) بالعين المهملة المفتوحة على البناء للمجهول من فعل شَعَل النار وأشعلها إذا ألهبها . ولا معنى لذلك هنا ، ولعل صوابه (تشغل) بالغين المعجمة من الشغل والاشتغال ، والمعنى أن امرأة لوط لما علمت بضيوف زوجها من الملائكة وهم على شكل غلمان حسان ، خرجت فى الليل وبيدها السراج توهم زوجها الذى استكتمها الخبر أنها مشغولة بأمور المنزل كتفقد خادم أو علف دابة وبذلك تسنى لها أن تخلص إلى فساق قومها فتخبرهم بخبر الضيوف . على أنه يصح أن تكون (تشعل) من إشعال النار لكن يكون صوابه (تشعله) بضمير النصب والبناء للمعلوم أى توهم زوجها أنها تريد أن تشعل السراج وتوقده

لتستفيء في خدمة بيتها ثم انسلت إلى فساق قومها

ص ١٢٧ س ٧ قوله : (حتى بلغ بها إلى البحر) صوابه (بلغ بها البحر) من دون حرف الجر لأن فعل البلوغ يتعدى بنفسه ، والقول بأنه مضمن معنى الوصول تكلف لعدم ما يدعو إليه من نكت البلاغة التي تزيد في إيضاح المعنى أو تأكيده أو تورث الكلام حسناً أو غير ذلك من الاعتبارات التي يراعيها البلغاء عادة في التضمين وإلا كان خطلاً

ص ١٣٢ س ١٠ (غيابت الجب) كذا بتاء طويلة أو مجرورة وصوابه (غيابة) بتاء مربوطة كما هي قاعدتها . نعم إنها تكتب في المصحف الشريف (غيابت) إتباعاً للرسم المأثور

ص ١٣٩ س ٧ (وقيل إن النساء خلون به ليعدّلنه لها) يعني أن نسوة المدينة لما بلغهن خبر جفوة يوسف لزليخا امرأة العزيز خلون به ليعدلنه ، وقد ضبط فعل (يعدلنه) بالدال المهملة المشددة من فعل عدّله إذا أقامه وسواه . فالنسوة بذلن جهدهن في تعديل يوسف وتقويمه لأجل امرأة العزيز ولأجل أن يواتيها على ما تريد منه ، ولكن ليس المقام مقام تربية ولا تقويم غلام اعوجت أخلاقه والتوت طباعه ، وإنما المقام مقام حب وجفاء ، ونسوة أقمن أنفسهن وسطاء أو شفعاء . فالأصوب والأليق بالمقام أن تكون (يعذلنه) بالذال المعجمة من العذل الثلاثي (أو التعذيل المزيد على الثلاثي للمبالغة) على معنى أن النسوة خلون بيوسف وأخذن في عذله ولومه على ما كان من جفوته لسيدته وإعراضه عنها وقد فعلن ذلك خدمة لها وفي سبيل مصلحتها

ص ١٥٤ س ١٤ قوله : (تيناك) صوابه (أتيناك) وهو خطأ مطبعي

ص ١٨١ س ١٥ أم موسى دخلت على آسية امرأة فرعون فلم تعرفها آسية (لأن أم موسى دخلت عليها في حلبة الرواضع) (حلبة) كذا بالباء الموحدة ، والحلبة خيل السباق ولا معنى لها هنا وصوابه (حلية الرواضع) بالياء المثناة قال في المصباح الحلية الصفة وقال في الأساس : عرفته بحليته أي بهيأته . فآسية لم تعرف أم موسى لأنها دخلت عليها بصفة مرضعة وعلى هيئة الرواضع وهو أيضاً خطأ مطبعي

٢١٣ ص ٨ س : أفواج الملائكة كانت تمر على موسى فكان منهم فوج (لهم نحيب بالتسبيح والتقديس) النحيب البكاء أو أشده أي أنهم كانوا يبكون بسبب تسبيحهم لله . وهو ظاهر، ولكن الأظهر منه بل الأشبه في هذا المقام أن تكون (نحيب) مصحفة عن (نحيت) بتاء مثناه في آخرها وهو اللث وشدة تتابع النفس أي أن هذا الفريق من الملائكة من شدة ما لجوا في التسبيح وألحوا جعلوا يلهثون حتى كاد يلحقهم البُهر وهو انقطاع النفس

٢٢٠ ص ٨ س : في صفة أمة محمد صلى الله عليه وسلم أنهم (يُصَفُّون في صلاتهم صفوفاً كصفوف الملائكة) وقد ضُبط فعل (يُصفون) بضم ياء المضارعة مجهولاً أي أنهم قد صفّهم صافّ . والأفصح أن يضبط معلوماً يقال في الفصيح صفّهم فصَفّوا أي اصطفوا . فهو لازم متعد . ومن اللازم قوله تعالى في وصف الملائكة أيضاً (والصافّات صفّا) أي أقسم بجماعات الملائكة المصطفة في مراتبها لعبادة ربها . وفعل الصف إذا أسند إلى من يصطف بنفسه استعمل معلوماً يقال : صف الجند وصفّت الملائكة وإلا استعمل مجهولاً : صُفّت النمارق (ونمارق مصفوفة) صُفّت السُرر (على سُررٍ مصفوفة)

ص ٢٢٠ س ٩ في صفة أمة محمد أيضاً : (لا يدخل النار منهم أحد إلا من الحساب مثلما يرمى الحجر من وراء الشجر) . قوله (إلا من الحساب) محرّف ، وصوابه (إلا مَرّ الحُسْبان) والحسبان جمع حسبانة ضرب من السهام صغار قصار كالمسالّ . يعني أن أمة محمد لا يدخلون النار إلا مروراً كرور السهام . ومرور السهم ومروقه يضرب مثلاً لسرعة النفاذ . ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في صفة الخوارج : (يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية) وزاد هـذا المعنى وضوحاً قوله بعده : (مثلما يرمى الحجر من وراء الشجر) فلا جرم إن الحجر إذ ذاك يمر خلال غصون الشجر بسرعة ثم يخلص إلى الجهة المقابلة من دون أن يمكث في الشجرة أو يعلق عليه شيء منها . وهكذا أمة محمد تمر في النار على هذا النحو . وكتبت (مثل ما) هكذا مفصولة . ولعل الصواب أن تكتب متصلة كما كتبناها آنفاً

ص ٢٤٢ س ٢ : (فعرفوا الخضر فحملوه بغير نول) قوله (فحملوه) لعل صوابه (فحملوهما) أي حملوا كلا من الخضر وموسى وإن كانوا لم يعرفوا إلا الخضر . ويشهد لما قلنا قوله بعد : (فلما ركبا في السفينة) بألف التثنية أي الخضر وموسى

ص ٢٥٨ س ١٢ (لولا بنو إسرائيل لم يختر الطعام ولم يخبث اللحم) قوله : (يختر) بالثاء الثلثة أي يغلظ بعد أن كان مائعاً . ولا يستقيم المعنى عليه هنا وإنما صوابه (يخنز) بنون

وزاى: خنز اللحم والجوز والتمر فسد وأنتن ، أى أن الطعام أصبح معرضاً للفساد والنتن بسبب عصيان اليهود لأوامر الله تعالى. ويدل على صحة ما قلنا قوله بعده : (ولم يخبث اللحم) فإن خبثه يمنع من أكله . وأصبح المقام يتطلب أن يلحق الطعام آفة تمنع من أكله أيضاً وتلك الآفة هي خنوزه ، ونتنه أما خثوره أى غلظه واشتداده فلا يمنع أكله . على أن الطعام لا ينسب إليه الخثور وإنما الخثور للبن: يقال خثر اللبن خثراً وخثوراً وخثراناً فلظ واشتد بعد أن كان رقيقاً مائعاً

ص ٢٥٩ س ٢٠ (تقول العرب فوموا لنا أى اختبزوا) ضبط فعل (فوموا) بالتخفيف أى بضم الفاء والميم ثلاثياً على وزن قوموا. وصوابه (فَوِّموا) بتشديد الواو من التفعيل كما ضبط كذلك فى اللسان والتاج قالا: (يقولون فَوِّموا لنا بالتشديد يريدون اختبزوا)

ص ٢٧٠ س ١٠ و س ١٥ و س ١٦ زمرى بن شلوم تزوج كستى بنت صمور مرغماً الشريعة التوراة ، فغضب موسى وأصيب بنو إسرائيل من جراء ذلك بالطاعون . فدخل فنحاص المزار القبة على العروسين وطعنهما بحربته الحديد الثقيلة فانتظمهما وخرج بهما إلى القوم رافعاً حربته ، قد أخذها بذراعه واعتمد بمرفقه على خاصرته وأسند الحربة إلى لحيته فرفع الطاعون، قال : ومن أجل ذلك يعطى اليهود ذرية فنحاص من كل ذبيحة الخاصرة والذراع واللحية . أقول : لا يخفى أن اللحية هى الشعر النابت على الذقن أى عظم الحنك . والشعر المذكور لا يمكن أن يكون نقطة ارتكاز لحربة من حديد تحمل جثتين بشريتين ، بل إن عظم الحنك نفسه لا يصلح لذلك ، وإنما صوابه : وأسند الحربة إلى « لبته » ، وكذا فى السطرين الآخرين « اللبة » مكان « اللحية » ولبته مكان لحيته واللبة على الصدر حيث تقع القلادة أو نقول هى الزَّوْر وهو ما ارتفع من الصدر إلى الكتفين . وما زلنا فى المواسم ومواكب المحمل نرى حملة الأعلام والرايات الكبرى لا يستطيعون حملها ما لم يسندوها إلى لباتهم أى أعلا صدورهم لا إلى لحاهم ولا إلى ذقونهم، على أن الذبائح التى يُعطى منها أولاد فنحاص لا يُعقل أن يعطوا منها مع الخاصرة والذراع شعر اللحية، ولا لحى للذبائح ينتفع بشعرها وإنما يعطون لباتها وأزوارها

ص ٢٧٠ : فى آخر هذه الصفحة يحكى خبر (بلعام) وقد قدم على بنى إسرائيل راكباً أتانه قال (فلما عاين عسكرهم قامت به الأتان وقد وقفت فضربها بلعام الخ) معنى (قامت به) وقفت به قال صاحب القاموس (قامت الدابة وقفت عن السير) فقوله : (وقد وقفت) بعد قوله : (قامت به) مستغنى عنه إذ يصبح المعنى به (وقفت به الأتان وقد وقفت) وهو تكرار . فلعل قوله : (وقد وقفت) مما كتب على الهامش تفسيراً لقوله : (قامت به) فألحقها الناسخ بها فى المتن أو هى مما جاء فى صلب المتن تفسيراً لقامت، ويكون أصل الجملة هكذا (قامت به الأتان أى وقفت) فحرف الناسخ كلمة (أى) التفسيرية إلى كلمة (وقد) التحقيقية فأصبح تركيباً ظاهر البطلان

ص ٢٧١ س ٥ : (قال موسى يا رب بما سمعت دعاء بلعام على فاسمع دعائى عليه) قوله (بما سمعت) لعل صوابه (كما سمعت) أى اسمع دعائى كما سمعت دعاءه ، وإلا فإن (بما) لا يصح معها معنى الكلام إلا على تخريج بعيد ظاهر التكلف

(دمشق) عبد الله المغربى

8me Année No. 357

Lundi - 6 - 5 - 1940

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع البدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مص
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــدد ٣٥٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٨ ربيع أول سنة ١٣٥٩ — الموافق ٦ مايو سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهـــرس

إشعاع الإيمان

لكل إنسان إشعاع ينتشر عليك من روحه كلما جلست إليه أو دنوت منه . وهذا الإشعاع يختلف فى القوة والضعف وفى الكثافة واللطف باختلاف الروح فى أولئك كله. ولكن لرجل الدين ورجل الحكم إشعاعاً عرضيًّا آخر ينبثق عن العالم ما دام متصلاً بالله ، ويصدر عن الحاكم ما دام متصفاً بالسلطان . فإذا انقطع ما بين أحدهما وبين هذه القوة السماوية أو الأرضية انقلب كسائر الناس يُشع على حسب اقتداره واعتباره

تدخل على رجل السلطان أو تلقاه فتغشاك منه مهابة تطأطئ من نفسك وتكسر من نخوتك ، فإذا خرجت من مدار هالته ، أو خرج هو من ملكوت سلطانه ، وجدته فى رأيك الحر أشبه بالجذوة الواهجة إذا ما تحولت إلى رماد بارد

وتجلس إلى رجل الدين أو تراه فتغمرك منه جلالة تثلج صدرك بالرضا وتنقع نفسك بالسكينة ، فإذا قمت عن مجلسه بقى فى بصرك نوره وظل فى بصيرتك هداه . وذلك هو الفرق بين قوة تسيطر بمادة الإنسان وقوة تؤثر بروح الله

كان هذا الإشعاع الإلٰهى من رجل الدين يفعل فعله فى القلوب والأبصار من غير إرشاد ولا وعظ. كان العالم أو شبه العالم إذا دخل قرية أشرقت أرضها بنوره واهتز أهلها لمقدمه، فيهرعون إليه ويعكفون عليه ويجدون فيه الدليل إلى الله ، فمصافحته عهد

لا ينقض ، وإشارته حكم لا يرد ، ودعوته بركة لا تنقطع . وكنا في ذلك المعهد أحداثاً ننظر إلى الشيخ وهو في بُهرة المجلس كأنه برهان الله ، يعبر وهو صامت ، ويؤثر وهو ساكن ، والقوم من حوله مطرقون مستغرقون قد فرغت قلوبهم من مطامع الدنيا ، وخلت صدورهم من وساوس الشر . فإذا ترك القرية خلف بها عهد الله يتصل به ما انقطع من الأسباب ، ويقوى عليه ما وهن من المودة

ذلك لأن الشيوخ كانوا يومئذ يسمتون سمت الأنبياء فيجعلون دينهم ودنياهم وحدة لا تتجزأ ؛ فإذا قالوا وعظوا ، وإذا فعلوا أرشدوا ، وإذا صمتوا كانوا كأعلام البر تدل بالإشارة ، أو كمنائر البحر تهدى بالشعاع . فلما تشوف العلماء إلى زهرة العيش ، واستشرفوا لعزة المنصب ، انطفأت من حولهم هالة الورع فأصبحوا كالناس يفعلون فيرمُون بالرياء ، ويقولون فيُتهمون بالكذب

***

تعال أقص عليك حديثاً من أحاديث الواقع لا يزال الناس يروونه كلما حلا لهم أن يوازنوا بين عالم يجرى دينه على لسانه فيذهب في قوله ، وعالم يجرى دينه في قلبه فيشع من مسامه :

كان الشيخ . . . فقيهاً من النمط القديم ، قد شغل فكره بالدين ، وقصر جهده على العلم ، ووهب وجوده للأزهر ، فهو يقضى النهار وطرفى الليل في التدريس والمطالعة والصلاة ؛ لا يكاد يخرج من درس إلا إلى درس ، ولا يترك ملزمة إلا إلى ملزمة . فإذا جاء يوم الجمعة خرج ماشياً إلى زيارة الأولياء في المقابر أو في المساجد ، ثم يعود مع المساء قرير العين مطمئن النفس إلى حجرته الأزهرية ذات الفراش الخشن والضوء الشاحب ليعدّ درسه الذى سيلقيه في فجر السبت

وفى ذات يوم من أيام الجمع وقع في نفسه أن يصلى الجمعة في مسجد أبي العلاء ببولاق ، فخرج من الأزهر في ضحوة النهار وأخذ يسأل عن الطريق إلى ذلك المسجد والناس يدلونه أو يضلونه حتى دفعه القدر إلى المكان الرسمى للمومسات

كان الشيخ يسير في هذا الشارع العاهر بعمته العظيمة وجبته الفضفاضة كما يسير الجمل في شارع من شوارع لندن ! كان موضعاً للنظر الساخر وموضوعاً للتنادر البذىء ؛ ولكنه كان يمشى ناكس الطرف مشغول الخاطر فلم يفطن إلى شىء . ثم فطن إلى انتقاض وضوئه حين لمست يده بنى من البغايا تريد أن تعبث به . فاستغفر الله وحوقل ، ثم سأل صبياً من صبيان ذلك الحى أن يدله على مسجد يجدد فيه وضوءه ، فقد كان يكره أن يمشى على غير وضوء ؛ وكان الصبى خبيث الفطرة فاحش الدعابة فدله على بيت مومس وقال له : هذه يا سيدى دورة المياه !

دخل الشيخ الدار فإذا فتاة كصورة (القارئة) في متحف اللُّثمر قد اضطجعت على كنبتها الوثيرة وهى نصف عارية . فلما رآها أسبل عينيه وغمغم بالاستغفار والدعاء ثم قال لها :

— استرى نفسك يا بنيتى فقد قربت الصلاة وأوشك المصلون أن يجيئوا

فنهضت الفتاة وقد اعتراها نوع من الوجوم ينشأ بين الدهش والعجب فوضعت عليها بعض ثيابها وقالت :

— ماذا تريد يا سيدى الشيخ ؟

— أريد أن أتوضأ . نادى أباك يقودنى إلى الحنفية ! ألست ابنة خادم المسجد ؟

فأجابت الفتاة وقد أدركت كل شىء :

— بلى يا سيدى أنا ابنته ؛ وسأقودك بنفسى إلى الحنفية . فافتح عينيك واتبعنى فقد لبست

وأرشدت المومسُ العالمَ إلى مكان الطهارة وهو مغسلها الوردى الأنيق ، فوقف أمامه ذاهلاً يرى أداة الزينة ويجد رائحة العطر ، ولكنه لم يستريب . ولم يستريب ؟ أما يجوز أن يكون في القاهرة طراز من المساجد لم يره ؟

وفتح الشيخ الحنفية وتوضأ ، وجاءته الفتاة بشكير أوبَرَ فأمرّه على وجهه فسطعه أريجه . ثم أقسمت عليه المرأة ليجلسن على الكنبة ريثما تهيء له فنجاناً من القهوة . فجلس الشيخ يذكر الله ، وجلست هى بجانبه تتلى الكنكة وتديم النظر إلى وجهه . فلما تمزز الفنجان سألته : إلى أين يذهب ؟ فقال لها : إلى مسجد السلطان أبى العلا . فخرجت أمام الدار ونادت عربة من عربات الركوب فأجلست الشيخ فيها ، ثم أعطت الحوذى الأجرة وأمرته أن ينزله أمام الجامع . ورغبت الفتاة أن تقبل يد الشيخ ، ولكنه أدخلها مسرعاً في ثوبه وقال : لقد ضاق الوقت يا بنيتى عن وضوء جديد . أسأل الله لك الهداية والمغفرة

قالوا : ورجعت المومس إلى دارها وعليها من الشيخ شعاع نفذ إلى ظلام نفسها فأشرقت بالصلاح والخير ؛ ثم لم تُرَ بعد ذلك اليوم إلا في ثوبها الأسود قاعدةً تخيط أو قائمة تصلى !

احمد حسن الزيات

صوت فضـــولى !

للأستاذ عباس محمود العقاد

منـذ أسابيع كانت محطة الإذاعة المصرية تنقل إلى الناس أحاديث شتى من مكان فى أرباض القاهرة على ما يظهر

وكانت الأحاديث تجرى على صيغـة السؤال والجواب ، أو الاستيضاح والتوضيح ؛ وإن السائلين ليسألون ، وإن المجيبين ليجيبون، وإن الأدوار لتتوالى دوراً بعد دور، إذا بصوت لم يدعه أحد ، ولم يأذن له أحد ، ولم ينتظره أحد ، ولم يسأله سائل أن يجيب ، قد شق الفضاء وحيداً ثم ذهب بعيداً ... حتى توارى فى حجاب الصمت ، وغاب عن الأسماع كما هو غائب عن الأبصار

صوت فضولى !

لكنه أحق من أصحاب الدار ، ومن المدعوين الأصلاء ، ومن سائر الأصوات أن يسمع فى هذا الأوان

لأنه صوت الكروان

***

الكروان فى المذياع ، يقتحمه اقتحاماً بغير داع

أذكرنى هذا الصوت الفضولى احتفال الأمريكيين بذكرى الشاعر الإنجليزى العظيم وليام وردزورث منذ أعوام

فإنهم أقاموا فى صومعته التى عاش فيها أكثر أيام حياته مذياعاً ينقل إلى عشاق أدبه ما كان يسمعه بأذنيه ، ويترجمه لحناً فى قصيده . فلما كان الموعد المعروف أصغى المحتفلون فى القارة الجديدة إلى أصداء الأثير المنطلقة من تلك الصومعة، فإذا هم يسمعون زقاء العصافير ودقات الساعة القديمة وحفيف الأشجار وخفقات الهواء ، وكل ما كان فى سمع الشاعر وقلبه وخياله ، وفى أوزان شعره وآيات وحيه ، كأنهم نقلوا عالم الأطياف كله ، فنقلوا أطياف العصافير ومناظر الربيع ، كما نقلوا طيف الشاعر من العالم الأخير ومن حصن الخلود المنيع

لكن أطيار « وردزورث » كانت مدعوة منتظرة فى موعدها المعروف .

أما كرواننا فى مصر ، فلم يسمع دعوة من الناس . بل كان كل ما سمع دعوة من الربيع ونداء من الأرض والسماء ، فلبّى وأطاع ، ولم يضره أنه فضولى فى عرف المذياع .

***

ويح هذه الأطيار !

من أدراها بمواسم الأفلاك ؟ ومن أدراها بعـدد السنين والحساب ؟ ومن أدراها بمواعد الأرض والسماء ، ومواسم الصيف والشتاء ؟

إنها لتدرى !

إنها لتقرأ الخط وتفسر الأرقام وتدرس الأزياج وترقب الأرصاد

إنها لقارئة وحاسبة وفلكية وميقاتية ، وكل ما شئت من أوصاف العلم والدراية

مالك لا تصدق ؟ مالك ترتاب ؟ اسمع سؤالاً وجوابه ، وأنت خليق أن تعلم بعد ذلك من منا على خطأ ، ومن منا على صواب :

فقد سأل أناس : لماذا تغرد الطير فى الربيع ؟ لماذا تتغزل وتتغنى فى هذا الأوان ؟

فحار بعض العلماء فى الجواب ، وبحثوا ونقبوا ، وفحصوا وقلبوا ، ثم عادوا إلى السائل قائلين ، وهم على أيقن يقين :

إن الطير تغنى فى الربيع لأنها تجد طعامها موفوراً فيه ، وإنها لتشبع من ذلك الطعام فتسرى فيها حرارة الشبع ، فتعرف الحب فيلهمها الحب الغناء !

جواب علماء ... !

فقل لى بحق العلم عندك : أيهما أحق بالتصديق : أن يسألك السائل كيف تعرف الطير المواسم فتجيبه إنها تعرفها لأنها تدرس الفلك وتقرأ التقاويم وتحسن الحساب ، أم يسألك السائل لماذا تغنى فى الربيع فتجيبه إنها تغنى لأنها تجد الطعام ؟

ماذا على هؤلاء العلماء لو فهموا أن الحياة التى تنبت الشجر وتكثر الحب وتملأ السنابل بالطعام لن تقف مغلولة اليدين مع الأحياء ، ولن يتأتى أن تعطى الأرض ما تعطى وأن تعود إليهم وحدهم بغير عطاء ؟

لماذا تثمر الأرض وتشرق الأزهار فى الربيع ؟

إن هذا لأعجب من تغريد الطير وحركة الحيوان . فإذا استطاع الربيع أن ينفخ الحياة فى بذرة وورقة، وفى غصن وثمرة، فما باله يعجز عن ابتعاث الطير وتحريك الأحياء ؟ وما بالنا نرجع إلى الطعام ولا نرجع إلى الذى نفخ الحياة فى الشجر الأعجف فأصبح طعاماً يأكله من يشاء

لماذا لا يفهم العلماء هذا ؟

لأنهم لو فهموه لأصبحوا شعراء ... وقد يتفق العلم والجهل ؛ أما العلم والشعر فمعاذ الله لا يتفقان !

***

ولا نحب أن نسأل العلماء عن الربيع ، فإن الربيع لمن يحسونه لا لمن يدرسونه ، والذين يحسونه لا يستكثرون عليه أن ينطق الجماد بالألحان ، فضلاً عن البلبل والكروان

فلنسأل الشعراء

والشعراء يقولون إن الربيع شباب الزمان . صدقوا ، أى تعريف للربيع أبلغ من هذا التعريف ؟

ثم ما الشباب ؟

قالوا : والشباب ربيع العمر ... وصدقوا أيضاً . فأي أوان فى العمر هو أشبه بالربيع من أوان الشباب ؟

لكن ما الربيع والعمر معاً معشر الشعراء ؟

هنا يسكت أصحابنا الشعراء ، لأنهم لا يحبون الاستقصاء ، ولا يتعقبون الأشياء تعقب الأعداء والرقباء

فليكن الشباب ربيع العمر

وليكن الربيع شباب الزمان

وكفى بذلك تعريفاً لمن يحسون . أما الذين لا يحسون فما هم بعارفين ، ولا هم معرَّفون

***

وكثير من الذين يحسون قد عرفوا للشباب علامات ، وإن لم يحصروه بالكلمات ، ولا بالأوقات

فقال الموسيقار موريز روزنتال : « إنك لشاب إذا استطاعت امرأة أن تسعدك واستطاعت أن تشقيك ، وإنك لكهل إذا استطاعت إسعادك ولم تستطع إشقاءك ، وإنك لشيخ فان إذا عجزت معك عن هذا وذاك »

وقالت ظريفة باريسية : إنك شاب إذا أكلت علبة من الحلوى كل يوم واستمرأت أكلها ، وإنك لأكبر عمراً إذا قلت إن الحلوى لسم زعاف ، ولكنك تأكلها مع ذاك . وإنك لشيخ يائس إذا انقطعت عن أكلها وعن ذمها وعن اشتهائها

وقالت : « إنك لشاب إذا أنت أحببت الكتب والروايات ومناظر السينما التي تبكيك ، وإنك لأكبر عمراً إذا أنت آثرت عليها ما يضحكك ويسليك ، وإنك لشيخ يأس إذا أعرضت عنها وهى مبكية ومسلية على السواء »

وقالت تخاطب النساء : « أنت شابة إذا نظرت أول ما تنظرين إلى عينى الرجل ، وأنت أكبر عمراً إذا نظرت أول ما تنظرين إلى يديه »

وقالت : « أنت شابة إذا راقك الثناء على ذكائك ، وأنت أكبر عمراً إذا آثرت الثناء على جمالك ومرآك »

وقالت : « أنت شابة إذا أسفت على وقت ضاع منك فى النوم . وأنت أكبر عمراً إذا علمت أن وقتاً تنامينه ليس بالوقت الذى ضاع »

***

علامات صادقة ، لأنها أصدق من توقيت الشباب بالسنة واليوم ، ومن حصره بالمصطلحات والتعريفات

وهى صادقة أيضاً لأن المغالطة فيها تجوز حين لا تجوز فى مواقيت السنين أو فى سمات الشيب والغضون

كان كليمنصو يوم بلوغه الثمانين يتمشى مع صديق فى الشانزليزيه ، فعبرت بهما صبية فاتنة ، والتقت أعين الصديقين ، فإذا بعينى الوزير الجليل تلتمعان وإذا به يهتف كأنه يمزح : « ليتنى أعود إلى السبعين كرة أخرى ؟ »

لم قال السبعين ولم يقل العشرين أو الثلاثين ... أو الأربعين والخمسين ؟

لو كان يعلم أن الأمنية تستجاب لتمنى العشرين والثلاثين ، ولم يتمنَّ السبعين

لكنها لا تستجاب ، فخير له إذن ألا يشهد على نفسه بالفناء وألا يوسع الفارق بينه وبين أيام الغرام . فلأن يكون رجلاً بينه وبين متعة الحياة عشر سنوات ، خير من أن يكون حطاماً بالياً بينه وبين المتعة خمسون سنة ، ولو فى لغة الأمانى والأحلام !

***

سل الشعراء إذن عن علامات الشباب ودلالاته ، ولا تسألهم عن حدوده وأرقامه ، فهم مجيبوك إن سألت هذا السؤال جواباً كجواب العرافين والعرافات يرضى كل سائل ويعجب كل سن ويفتح باب المغالطة على مصراعيه

ومن الذى يأبى أن يثبت شبابه إذا كان الدليل عليه بكاء من رواية أو صورة متحركة أو كتاب ؟

ومن الذى يعجز عن إثبات شبابه إذا كانت السبعون أمنية الثمانين ؟

الشباب هو ربيع العمر ، وربيع العمر له علامات وليست له حدود

والربيع هو شباب الزمان، والزمان فى شبابه يستمع إلى غناء الطير وهتاف الكروان ، ولا يحسبه من أهل التطفل والفضول

فليكن كرواننا فضولياً فى المذياع بين حوار العلماء والأدباء ، فما هو بالفضولى فى الربيع بين أزاهر الأرض وزواهر السماء

هو مدعو بكل ورقة على كل شجرة

هو صاحب بيت

هو داع فى ربيعه الخالد : ربيع الطير الذى ينفث الحياة ، وليس بربيع الإنسان الذى ترقبوه لإزهاق الأرواح وتمزيق الأبدان .

إن صوت الكروان لصوت فضولى فى هذا الربيع ، لأنه نشوز بين صفير الرصاص ودوى القذيفة ، ويا له من نشوز جميل !

عباس محمود العقاد

فن الحيـــاة

للدكتور إبراهيم ناجى

الحياة فن جميل . لا ، بل عدة فنون متصلة مندمجة ، تكوّن فنًا واحداً ، هو فن الحياة

وأكثر الناس لا يعرفون كيف يعيشون . أجل ، أكثر الناس يتخبطون فى ظلام دامس . ولذلك تكون حياتهم شقاء هم السبب فيه

قد تعترضون بأن من أسباب الشقاء ما لا قبل لنا به ولا يد ولا رأى ؛ ولكنى أرد بأن أكثر الشقاء – ولا أقول كله – هو من تخيلتنا ومن اعتيادنا ومن البيئة التى نوجد فيها

قلت إن الحيـاة فنون !

ولكن ما هى الحياة أولاً ؟ وما هو الفن ثانياً ؟

الحياة مطابَقَـةٌ لما بين الدنيا الخارجية والدنيا الداخلية . والفن هو المعرفة مضافة إلى الطبيعة ؛ أى الملاءمة بين الداخل والخارج فالحياة والفن من عنصر واحد . فالحياة الفن والفن الحياة

قلت إن الحياة ملاءمة بين ما فى الخارج والداخل . ويسمى العالَم الخارجى (الماكروكزم) أو العالَم الكبير ، والعالَم الداخلى (الميكروكزم) أى العالَم الصغير

فما معنى هذا ؟

معناه أن انعكاس العالم الخارجى على مرآة أنفسنا هو الذى يُشكل الحياة ويعطيها الصورة الخاصة بكل منا ، وكلما كانت الصورة المنعكسة على مرآة أنفسنا مطابقة للأصل كانت الحياة أقرب إلى الفن والكمال

وكلما كانت الصورة مشوهة أو مقلوبة أو مبتورة كانت الحياة بعيدة عن الفن والكمال

كيف إذن نجعل هذه الصورة مجلوّة على حقيقتها ، كحقيقة السماء فى أعمق بحيرة فى يوم صيف جميل ؟

إننا فى الحيـاة نقوم بأشياء كثيرة ملخصها ثلاثة أشياء : التفكير والحب والعمل

والتفكير فن والحب فن والعمل فن ...

وقد قسم العلماء التفكير إلى نوعين: التفكير بالجسد، والتفكير بالكلمة ...

والتفكير بالجسد أقواها وأضبطها ، ولكنه محدود ضيق الأفق . فمن ذلك التفكير تفكير القطة التى تثب، والملاكم الذى يضرب . فهذان يفكران بالعين واليد أو القدم ، وهذا يسمى تفكير الغريزة . ويقول أندريه موروا : إن أرق أنواع التفكير هو الذى ينتقل من التعقل إلى الغريزة . يعنى بذلك الذى ينتقل من دور التحليل والمنطق إلى دور التنفيذ السليم بوساطة الغريزة التى تملى على أعضاء الجسد فتقوم بالعمل وتؤديه على أحسن حال .

وهناك التفكير بالكلمة ، وهو أشد أنواع التفكير خطراً وأبعدها مدى ، وهو كذلك أكثرها تفككاً وإبهاماً . فإن كلمة واحدة تثل عروشاً ، وتقلب دولاً ، وتغير نظاماً . وإن كلمة واحدة فى ميدان السياسة أو الاقتصاد لتفسر ألف تفسير وتؤول ألف تأويل

ما هى قواعد التفكير السليم ؟

إن التفكير السليم لشىء نعتاده كما نعتاد أى شىء فالإنسان « حزمة » من العوائد كما قال وليم جيمس

والتفكير السليم يكون أساسه أمرين :

الأول : الإيمان بالقواعد التى أثبتت الأجيال صحتها ، واتفقت التقاليد المتوارثة على التسليم بها . تلك أصول ثابتة فى النفس الإنسانية لا سبيل إلى إنكارها ولا الخلاص منها ، وعبث محاولة التفلت من جذور امتدت فى أعمق أعماق السرائر الإنسانية وبقيت هناك ، وإنما الشجرة التى تنمو من تلك الأعماق وتصل إلى النور والشمس هى التى يباح لها أن تحلق وتتساءل وتبحث . مثلُ ذلك مثل الطيار الذى يستكشف وهو يعد جزءاً من الجيش الذى ينتظر إشارته ليهتدى ، ثم ينتصر

والأمر الثانى ، الأساس الثانى للتفكير هو أمر ديكارتىٌّ محض . ديكارتى أى يوقن بعظمة العقل الإنسانى وإمكانه التحليل والتعليل والوصول . وهو يبنى قدرته على الشك المستند إلى قواعد ثابتة من القضايا المنطقية التى أسلمتها الإنسانية من جيل لجيل

ويتفرع من الأمرين أمرٌ جدير بالتدبر

وهو أنه لكى تكون الصورة المجلوة فى نفوسنا سليمة والمرآةُ غير مجرّحة ، يجب أن تستبعد الأوهام والخزعبلات والأباطيل ، يجب أن تستبعد الفكر الزائفة والأقاويل السخيفة والترهات .

هذا أساس التفكير وهو الفن الأول

أما الفن الثانى فهو الحب ؛ ويتفرع منه الصداقة أو هو أبوها وسيدها

إن رأى فرويد أن الدنيا قامت على الحب وعلى الحب وحده ؛ وقد تختلف صوره وتتباين أشكاله . فهو حب للوالدين حيناً وللرفاق حيناً وللجنس المخالف ما تبقى منه . وهو عند فرويد خط مرسوم كالقطار يسير من محطة إلى أخرى ما بتر منه أو اقتصد فيه أو شوّه ، يغير وجه الحياة بحالها

ويقول علماء التناسل : إن الشاب والشابة فى سن المراهقة ينشغلان بتصور المثل الأعلى كل فى ناحيته ، والأصل فى المثل الأعلى عند الشاب امرأة ، وعند المرأة رجل ، ولكنه لما كان فى تلك السن يستحيل تحقيق ذلك المثل ، فإن المراهق ينصرف إلى تخيل المثل الأعلى على هواه ، فحيناً يكون ذلك شعراً ، وحيناً يكون موسيقى ، وحيناً تصويراً

وهنا منشأ الفنون الجميلة

فإذا أراد الله تحقيق حلم من أحلام الشباب وجب أن يعلم كل منهما كيف يحب وكيف يستبقى ذلك الحب

وإذا علم كيف يستبقى حبيبه علم كيف يستبقى صديقه

فيجب على الرجل أن يلم أولاً بطبيعة الحب ، وثانياً بطبيعة المرأة . ويجب على المرأة أن تلم أولاً بطبيعة الحب ، وثانياً بطبيعة الرجل ، فأكثر الخلاف بينهما ناشئٌ من قلة الفهم . كلٌّ يتهم الآخر بما ليس فيه ، أو يضيف إليه ما ليس عنده

فالحب ليس عنصراً واحداً بسيطاً ، بل هو مزيج مركب من الإعجاب ، والجنس ، وحب الملك ، والاعتياد

فلا بد من الإعجاب أولاً . لابد من تلك الصدمة التى تعترى الإنسان أولاً . وثانياً ، لا بد أن يكون طبيعيا كما أرادت الطبيعة . وثالثاً لا بد من أن يحب الواحد منهما الآخر حبًّا يغرى بالانفراد، ثم بكشف النفس وفتح مغاليق القلب فى غير تكلف ولا تصنع . ثم أخيراً لا بد أن يعتاد الواحد الآخر ، لا بد أن يتآلفا باتفاق الميول وتشابه الأهواء . ويقول العلماء إن هذا الاعتياد هو الأسمنت الذى يربط العناصر الأخرى بعضها ببعض

وطبيعة الرجل فى أساسها أنه مغامرٌ مفروض فيه القوة والجبروت والقدرة على الحماية ، مفروض أنه الجندى المحارب

وطبيعة المرأة فى أساسها الأمومة ، وما يتفرع عن ذلك من حنان

وهى التى تهيئُ الوسادة المريحة للجندى ، وتبنى له العش الهادئُ الجميل . فمفروض إذن أنها تُنال بالبساطة والوداعة والصبر ، ما دام أساس طبيعتها الحنان ، حنان الأمومة . فمهما عصفت وثارت ، يجب أن يعرف الرجل أنه فى وسط العاصفة كالربان الماهر فى البحر الثائر يصبر على العاصفة ولا يكرهها ، ويتنكر له البحر ولا يزال يحبه .

وبهذا المقدار من الفهم عند كليهما تبقى المحبة بينهما ثابتة . ويبقى أن نؤكد أن أساس المحبة والصداقة معاً ، أن يتجرد الإنسان من الأنانية . يجب أن يعطى لكى يأخذ ، فأكثر الناس يأخذون ولا يعطون ، وبذلك يفقدون أحبابهم ويفقدون أصحابهم .

ونؤكد أكثر من ذلك أن أساس المحبة والصداقة أمور

صغيرة تقوم عليها الحياة ، وتقوم عليها الدنيا ، وتقوم عليها المحبة والصداقة

فالعظائم لا يقوم بها الرجل الذى لا يقوم بالأمور الصغيرة فى شكل عظيم ، وكيف تقوم بالأمور الصغيرة فى شكل عظيم ؟

إننا فى الغالب ننسى المناسبات الصغيرة التى لو انتهزناها فتذكرنا أصدقاءنا أو أحبابنا لقيدت تلك السلسلة الرقيقة أحبابنا أو أصدقاءنا بقيود تبقى مدى الحياة ، كلمة صغيرة ، هدية تافهة ، لحظة تنتهزها للسؤال عنهم ، رنة التليفون فى عيد الميلاد ، تلك أشياء ينساها أكثرنا ، وبذلك تفتر الصداقات وتموت المحبات ووقودها تلك الأمور التوافه ...

***

هذا فن الحب ، ويبقى فن العمل

العمل قوام الحياة والدعامة التى تقوم عليها . بل هو الدريئة التى نستتر وراءها لننسى متاعبنا وأشجاننا ؛ فما دمنا نعمل فنحن فى شاغل من عملنا ، لا نبالى بسفالات الناس ، ولا بأقاويلهم ، ولا بسخافاتهم . ولكن هل مجرد العمل يكفى ؟

كلا ، لا بد أن يكون العمل مثمراً ، لا بد من الجنى الشهى ، لا بد من الراحة بعد التعب . والراحة ذلك الجنى الشهى !

حقيقة أن المواهب تختلف ، وأن الله ينعم على هذا بالعبقرية ويجعل ذلك فى مستوى العامة

ولكن حتى العبقرية تموت إذا لم يتعهدها العمل المنظم . ورحم الله شوقى حين قال : « السيف يزدهى بالصقال ! »

فقد كان جيته لا يخجل من ترتيب عمله

وكانت ساعات عمله منظمة ، وهو العبقرى المشهور

وكان لا يخجل أن يطرد عنه الزائر البغيض

وكان يقول للذى يشغله فى جرأة : أرجوك أن تنصرف ، فإنى مشغول

وفى الأمثال : أثقل الثقلاء من شغل مشغولاً !

ولكننا نتورط ، ونجامل ، وبذلك نضيع وقتنا

ومن أسرار السعادة أن نتبع الأفضل ، ولا نتبع سبيل المجاملة . وقد قال المرحوم أحمد عبد الوهاب باشا : إن من أسرار النجاح أن تقول « لا » حين يجب أن تقولها

إن هذا التورط ضرب من الفوضى ، ضرب من قلة الضوابط التى يتبعثر بوساطتها الزمن وتتمزق الجهود

وقد قال أحد عظمائنا : إن آفة الشباب عندنا أنهم يجاملون وسطاً فيه « فرامل » لا يستعملها أهلها !

قال إديسون: إن العبقرية ٩٩ ٪ عَرَق !

يعنى أن العبقرية لا تعنى الكسل ، بل الجهد الدائم ، والحيوية المتدفقة

ولقد يخيل للذى يرى أثر العبقرية فى الفنون ، أن القصيدة أو الرسم ، الذى قد يقوم به العبقرى فى ساعة أو بعضها من نتاج العبقرية وحدها . وهو واهم فإن خطاً واحداً يرسمه مصور هو جهد سنين ، وبيت شاعر قد يلوح بسيطاً ، ولكن هاته البساطة خلاصة عهود وأزمان من النصب والتعب

ويشترط فى العمل أن تتخلله الراحة ، ولا يهزأنّ أحد بذلك ، ولا يتخيلنّ أحدٌ أن الإنسان فى راحته تنقطع الصلة بينه وبين عمله ... كلا . فالعقل الباطن يشتغل دائماً ، والإنسان فى الراحة يستجم

***

هذه أسرار الحياة وفنها الرفيع

فلعلى أكون قد أصبت الحقيقة ، والسلام عليكم ورحمة الله

ابراهيم ناجى

في الاجتماع اللغوى

نشأة اللغـــة الانسانية

للدكتور على عبد الواحد وافى

استأثرت هذه المشكلة بقسط غير يسير من نشاط الباحثين فى مختلف العصور ، وذهب العلماء بصددها مذاهب شتى يرجع أهمها إلى أربع نظريات :

(النظرية الأولى) تقرر أن الفضل فى نشأة اللغة الإنسانية يرجع إلى إلهام إلهى هبط على الإنسان فعلمه النطق وأسماء الأشياء . وقد ذهب إلى هذا الرأى فى العصور القديمة الفيلسوف اليونانى هيراكليت Héraclite[(١)] ، وفى العصور الوسطى بعض الباحثين فى فقه اللغة العربية ، كابن فارس فى كتابه الصاحبى[(٢)] . وفى العصور الحديثة طائفة من العلماء على رأسها الأب لامى Lami فى كتابه فن الكلام L'Art de parler[(٣)] . والفيلسوف الفرنسى دو بونالد De Bonald فى كتابه التشريع القديم Législation primitive[(٤)]

ولا يكاد أصحاب هذه النظرية يقدمون بين يدى مذهبهم دليلاً يعطلب يعتد به . أما أدلتهم النقلية ، فبعضها يحتمل التأويل ، وبعضها يكاد يكون دليلاً عليهم لا لهم . فالمؤيدون لهذا الرأى من باحثى العرب يعتمدون على قوله تعالى « وعلم آدم الأسماء كلها » وهذا النص ، كما ترى ، ليس صريحاً فيما يدعون ، إذ يحتمل أن يكون معناه — كما ذكر ذلك ابن جنى فى كتابه الخصائص وذهب إليه كثير من أئمة المفسرين — أن الله تعالى أقدر الإنسان على وضع الألفاظ . أما القائلون بهـذه النظرية من الفرنجة ، فيعتمدون على ما ورد بهذا الصدد فى سفر التكوين إذ يقول : « والله خلق من الطين جميع حيوانات الحقول وجميع طيور السماء ، ثم عرضها على آدم ليرى كيف يسميها ، وليحمل كل منها الاسم الذى يضعه له الإنسان ، فوضع آدم أسماء لجميع الحيوانات المستأنسة ولطيور السماء ودواب الحقول[(١)] »

وهذا النص كما ترى لا يدل على شىء مما يقول به أصحاب هذه النظرية ؛ بل يكاد يكون دليلاً عليهم . ومهما يكن من شىء ، فلا صلة للدليل النقلى بمقام البحث العلمى

(النظرية الثانية) تقرر أن اللغة ابتدعت واستحدثت بالتواضع والاتفاق وارتجال ألفاظها ارتجالاً . وقد ذهب إلى هذا الرأى فى العصور القديمة ديموكريت Démocrite (من فلاسفة اليونان فى القرن الخامس ق م) ، وفى العصور الوسطى كثير من الباحثين فى فقه اللغة العربية ، وفى العصور الحديثة الفلاسفة الإنجليز آدم سميث وريد ودجلد ستيوارت Adam Smith, Reid, Dugald Stewart

وليس لهذه النظرية أى سند عقلى أو نقلى أو تاريخى . بل إن ما تقرره يتعارض مع النواميس العامة التى تسير عليها النظم الاجتماعية . فعهدنا بهذه النظم أنها لا ترتجل ارتجالاً ولا تخلق خلقاً ، بل تتكون بالتدريج من تلقاء نفسها . هذا إلى أن التواضع على التسمية يتوقف فى كثير من مظاهره على لغة صوتية يتفاهم بها المتواضعون[(٢)] . فما يجعله أصحاب هذه النظرية منشأ للغة يتوقف هو نفسه على وجودها من قبل[(٣)]

فلسنا هنا بصدد نظرية جديرة بالمناقشة ، بل بصدد تخمين خيالى وفرض عقيم يحمل فى طيه آية بطلانه . وقد ذهب المتعصبون له فى تصوير منشأ اللغة مذاهب ساذجة غريبة تدل أبلغ دلالة على مبلغ انحرافه عن جادة الصواب ونطاق المعقول . وإليك نبذة مما يقوله بعضهم بهذا الصدد : « إن أصل اللغة لا بد فيه من المواضعة . وذلك كأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعداً فيحتاجوا إلى الإبانة عن الأشياء فيضعوا لكل منها سمة ولفظاً يدل عليه ويغنى عن إحضاره أمام البصر . وطريقـة ذلك أن يقبلوا مثلاً

(١) فيلسوف إغريقى من المدرسة اليونانية ولد بإيفيزيا سنة ٤٨٠ ق م ونسبة هذا الرأى له ليست يقينية .

(٢) أنظر الصاحبى صفحات ٥ — ٧ وقد مال إلى هذا الرأى كذلك ابن جنى فى كتابه الخصائص (أنظر ص ٤٥) وإن كان قد رد فى أول الفصل على ما يعتمد عليه القائلون به ذاهباً إلى أنه لا ينهض دليلا لهم .

(٣) هو دوم فرنسوا لامى Don François Lami ولد سنة ١٦٣٦ وتوفى سـنة ١٧١١ وقد قام بتدريس الفلسفة فى كثير من المعاهد الدينية بفرنسا . وإليه يرجع الفضل فى نشر آراء الفيلسوف ديكارت بهذه المعاهد

(٤) ولد سنة ١٧٥٤ وتوفى سنة ١٨٤٠ وله مؤلفات كثيرة فى السياسة والفلسفة .

(١) أنظر الآيتين ١٩ و ٢٠ من الجزء الثانى بسفر التكوين

(٢) سيأتى توضيح هذا فى النظرية الثالثة

(٣) انظر فى الرد على هذه النظرية :
Renan : L'Origine du Langage. P. 76 et suiv.

على شخص ويومئوا إليه قائلين : إنسان ، إنسان ، إنسان ! فتصبح هذه الكلمة اسماً له . وإن أرادوا تسمية عينه أو يده أو رأسه أو قدمه ، أشاروا إلى العضو وقالوا : يد ، عين ، رأس ، قدم ... ويسيرون على هذه الوتيرة في أسماء بقية الأشياء ، وفي الأفعال والحروف وفي المعاني الكلية والأمور المعنوية نفسها[(1)] . وبذلك تنشأ اللغة العربية مثلاً . ثم يخطر بعد ذلك لجماعة منهم أن يضعوا كلمة « مَرْد » بدل إنسان ، وكلمة « سَرْ » بدل رأس ... وهكذا ، فتنشأ اللغة الفارسية ... »[(2)]

(النظرية الثالثة) تقرر أن الفضل في نشأة اللغة يرجع إلى غريزة خاصة زود بها في الأصل جميع أفراد النوع الإنساني ؛ وأن هذه الغريزة كانت تحمل كل فرد على التعبير عن كل مدرك حسي أو معنوي بكلمة خاصة به ، كما أن غريزة « التعبير الطبيعي عن الانفعالات »[(3)] تحمل الإنسان على القيام بحركات وأصوات خاصة (انقباض الأسارير وانبساطها، وقوف شعر الرأس، الضحك، البكاء...الخ) كلما قامت به حالة انفعالية معينة (الغضب ، الخوف الحزن ، السرور...الخ) ؛ وأنها كانت متحدة عند جميع الأفراد في طبيعتها ووظائفها وما يصدر عنها ؛ وأنه بفضل ذلك اتحدت المفردات وتشابهت طرق التعبير عند الجماعات الإنسانية الأولى فاستطاع الأفراد التفاهم فيما بينهم ؛ وأنه بعد نشأة اللغة الإنسانية الأولى لم يستخدم الإنسان هذه الغريزة ؛ فأخذت تنقرض شيئاً فشيئاً حتى تلاشت كما انقرض لهذا السبب كثير من الغرائز الإنسانية القديمة . ومن أشهر من ذهب هـذا المذهب العلامة الألماني مكس مولر Max Müller والعلامة الفرنسي رينان Renan

وقد اعتمد مكس مولر في تأييد هذه النظرية على أدلة مستمدة من البحث في أصول الكلمات في اللغات الهندية الأوربية . فقد ظهر له أن مفردات هذه اللغات ترجع إلى خمسمائة أصل مشترك ؛ وأن هذه الأصول تمثل اللغة الأولى التي انشعبت منها هذه الفصيلة، فهي لذلك تمثل اللغة الإنسانية في أقدم عهودها . وتبين له من تحليل هذه الأصول أنها تدل على معان كلية ؛ وأنه لا تشابه مطلقاً بين أصواتها ، وما تدل عليه من فعل أو حالة .

(1) لم يبين القائلون بهذه النظرية كيف أمكن التواضع على الكلمات الدالة على الأفعال والحروف والمعاني الكلية ، مع أن هذه الأمور ليس لها في الخارج مدلول حسي يشير إليه المتواضعون

(2) نقلا عن ابن جني بتصرف : الخصائص صفحتي ٤٢ و ٤٣

(3) أنظر في شرح هذا التعبير كلمتي بعدد ٣٥٣

ففي دلالتها على معان كلية برهان قاطع على أن اللغة الإنسانية الأولى لم تكن نتيجة تواضع واتفاق ، كما يذهب إلى ذلك أصحاب النظرية الثانية السابق ذكرها ، لأن التواضع فضلاً عن تعارضه مع طبيعة النظم الاجتماعية كما تقدمت الإشارة إلى ذلك ، يتوقف هو نفسه على وسيلة يتفاهم بها المتواضعون . وهذه الوسيلة لا يعقل أن تكون اللغة الصوتية ، لأن المفروض أن المتواضع عليه هو أول ما نطق به الإنسان من هذه اللغة ؛ ولا يعقل كذلك أن تكون لغة الإشارة ، لأننا بصدد ألفاظ تدل على معان كلية أي على أمور معنوية يتعذر استخدام الإشارة الحسية فيها

وفي عدم وجود تشابه بين أصواتها وما تدل عليه برهان قاطع على أن اللغة الإنسانية لم تنشأ من محاكاة الإنسان لأصواته الطبيعية (أصوات التعبير الطبيعي عن الانفعالات) وأصوات الحيوانات والأشياء كما يذهب إلى ذلك أصحاب النظرية الرابعة التي سنتكلم عنها قريباً

وإذا بطل أن اللغة الإنسانية كانت نتيجة تواضع واتفاق ؛ وبطل كذلك أنها نشأت عن محاكاة الإنسان لأصواته الطبيعية وأصوات الحيوانات والأشياء ، لم يبق إذن تفسير معقول لهذه الظاهرة غير التفسير السابق ذكره : وهو أن الفضل في نشأة اللغة يرجع إلى غريزة زود بها الإنسان في الأصل للتعبير عن مدركاته بأصوات مركبة ذات مقاطع ، كما زود باستعداد فطري للتعبير عن انفعالاته بحركات جسمية وأصوات بسيطة[(1)]

وهذه النظرية على ما فيها من دقة وطرافة وعمق في البحث ، فاسدة من عدة وجوه :

١ — فهي لا تحل شيئاً من المشكلة التي نحن بصددها ، بل تكتفي بأن تضع مكانها مشكلة أخرى أكثر منها غموضاً ، وهي مشكلة « الغريزة الكلامية »

٢ — هذا إلى أن ما تقرره يعتبر — من بعض الوجوه — من قبيل تفسير الشيء بنفسه . فكل ما تقوله يمكن تلخيصه في العبارة الآتية : « إن الإنسان قد لفظ أصواتاً مركبة ذات مقاطع ودلالات مقصودة لأنه كانت لديه قدرة على لفظ هذا النوع من الأصوات » وهذا ، كما لا يخفى ، مجرد تقرير للمشكلة نفسها في صيغة أخرى

٣ — على أن قدرة الإنسان الفطرية أو المكتسبة على لفظ

(1) أنظر الدرس التاسع من كتاب علم اللغة لمكس مولر

هذا النوع من الأصوات ليست موضوع البحث ، وإنما الذى يهمنا هو الوقوف على أول مظهر لاستغلال هذه القدرة والانتفاع بها فى تكوين الكلام الإنسانى ؛ أى البحث عن الأسلوب الذى سار عليه الإنسان فى مبدأ الأمر فى وضع أصوات معينة لمسميات خاصة ، والكشف عن العوامل التى وجهته إلى هذا الأسلوب دون غيره

٤ — وأكبر خطأ وقعت فيه هذه النظرية هو ذهابها إلى أن الأصول الخمسائة السابق ذكرها تمثل اللغة الإنسانية الأولى . فهذه الأصول ، كما تقدم ، تدل على معان كلية . ومن الواضح أن إدراك المعانى الكلية يتوقف على درجة عقلية راقية لا يتصور وجود مثلها فى فاتحة النشأة الإنسانية . وها هى ذى الأمم الأولية التى تمد أصدق ممثل للإنسانية الأولى تؤيد ما نقول . فقد أجمع علماء الأتنوجرافيا الذين قاموا بدراسة هذه الأمم بأمريكا واستراليا وأفريقيا وغيرها على ضعف عقليتهم بهذا الصدد وعجزها عن إدراك المعانى الكلية فى كثير من مظاهرها . وقد كان لهذه العقلية صدى كبير فى لغاتهم ؛ فلا نكاد نجد فى كثير منها لفظاً يدل على معنى كلى . فى لغة الهنود الحمر مثلاً يوجد لفظ للدلالة على شجرة البلوط الحمراء ، وآخر للدلالة على شجرة البلوط السوداء ، وهكذا ؛ ولكن لا يوجد أى لفظ للدلالة على شجرة البلوط ؛ ومن باب أولى لا يوجد أى لفظ للدلالة على الشجرة على العموم[1] . وفى لغة الهورونيين Hurons (من السكان الأصليين لأمريكا الشمالية) يوجد لكل حالة من حالات الفعل المتعدى لفظ خاص بها ؛ ولكن لا يوجد للفعل نفسه لفظ يدل عليه . فيوجد لفظ للتعبير عن الأكل فى حالة تعلقه بالخبز ، ولفظ آخر للتعبير عنه فى حالة تعلقه باللحم ، وثالث فى حالة تعلقه بالزبد ، ورابع فى حالة تعلقه بالموز . . وهكذا ؛ ولكن لا يوجد فعل ولا مصدر للدلالة على الأكل على العموم أو الأكل فى زمن ما . ولغة السكان الأصليين بجزيرة تسمانيا Tasmanie (بقرب استراليا) لا يوجد من بين مفرداتها لفظ يدل على الصفة ؛ فإذا أرادوا وصف شىء لجئوا إلى تشبيهه بآخر مشتمل على الصفة المقصودة ؛ فيقولون مثلاً فلان كشجرة كذا ، إذا أرادوا وصفه بالطول[2]

ولذلك يرى المحدثون من علماء اللغة ، ومن علماء الاجتماع اللغوى أن الأصول الخمسائة السابق ذكرها لا تمثل فى شىء اللغة

(١) أنظر : Ribot : Evolution des Idées Générales, P. 110.

(٢) أنظر : Ribot : op. cit. 173, 174.

الإنسانية الأولى كما يذهب إلى ذلك مكس مولر ؛ بل إنها بقايا لغة حديثة قطعت شوطاً كبيراً فى سبيل الرقى والكمال ، ولم تصل إليها الأمم الإنسانية إلا بعد أن ارتقت عقليتها ونهض تفكيرها . ويذهب بعضهم إلى أبعد من هذا فيقرر أنها مجرد أصول نظرية ، وأنها لم تكن يوماً ما موضوع لغة إنسانية[1]

(النظرية الرابعة) تقرر أن اللغة الإنسانية نشأت من الأصوات الطبيعية (أصوات التعبير الطبيعى عن الانفعالات ، أصوات الحيوانات ، أصوات مظاهر الطبيعة ، الأصوات التى تحدثها الأفعال الإنسانية وغيرها ... الخ) وسارت فى سبيل الرقى شيئاً فشيئاً تبعاً لارتقاء العقلية الإنسانية وتقدم الحضارة واتساع نطاق الحياة الاجتماعية وتعدد حاجات الإنسان ... وما إلى ذلك . وقد ذهب إلى هذا الرأى معظم المحدثين من علماء اللغة وعلى رأسهم العلامة وتنى Whitney[2] . وذهب إلى مثله من قبل هؤلاء كثير من فلاسفة العصور القديمة ومن مؤلفى العرب بالعصور الوسطى . فقد تحدث عنه ابن جنى (المتوفى سنة ٣٩٢ أى من نحو ألف سنة) بكتابه الخصائص فى أسلوب يدل على قدمه وكثرة القائلين به من قبله[3]

فبحسب هذه النظرية يكون الإنسان قد افتتح هذه السبيل بمحاكاة أصواته الطبيعية التى تعبر عن الانفعالات كأصوات الفرح والحزن والرعب ... وما إليها ، ومحاكاة أصوات الحيوان ومظاهر الطبيعة والأشياء كدوى الريح وحنين الرعد وخرير الماء وحفيف الشجر وجعجعة الرحى وقعقعة الشنان وصرير الباب وصوت القطع والضرب ... وهلم جرا . وكان يقصد من هذه المحاكاة التعبير عن الشىء الذى يصدر عنه الصوت المحاكى أو عما يلازمه أو يصاحبه من حالات وشئون ، واستخدم فى هذه المحاكاة ما زود به من قدرة على لفظ أصوات مركبة ذات مقاطع ؛ فكان يحاكى هذه الأصوات المبهمة بوضعها فى أصوات مقطعية قريبة منها (قه قه مثلاً للتعبير عن صوت الضحك) . وكانت

(١) هذا هو رأى الأستاذين سيس وبريل Sayce, Bréal أنظر فى ذلك Ribot, of. cit. 81,82

(٢) من أشهر المحدثين من علماء اللغة الانجليزية وله فى هذا العلم مؤلفات كثيرة منها « حياة اللغة » (ظهر سنة ١٨٧٥) و « اللغة ودراستها » (ظهر سنة ١٨٦٧)

(٣) أنظر الخصائص صفحتى ٤٤ ، ٤٥ : « وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعة كدوى الريح وحنين الرعد وخرير الماء وشحيج الحمار ونعيق الغراب وصهيل الفرس ونزيب الظبى ، ثم تولدت اللغات عن ذلك فيما بعد . وهذا عندى وجه صالح ومذهب متقبل » .

لغته فى مبدأ أمرها محدودة الألفاظ ، قليلة التنوع ، قريبة الشبه بالأصوات الطبيعية التى أخذت عنها ، قاصرة عن الدلالة على المقصود . فكان لا بد لها من مساعد يصحبها فيوضح مدلولاتها ويعين على إدراك ما ترمى إليه . وقد وجد الإنسان خير مساعد لها فى الإشارات اليدوية والحركات الجسمية، وهذا المساعد الإرادى قد نشأ هو نفسه عن الحركات الفطرية التى تصحب الانفعالات ؛ فكان فى مبدأ أمره مجرد محاكاة إرادية لهذه الحركات ؛ ثم توسع الإنسان فى استخدامه فحاكى به أشكال الأشياء وحجومها وصفاتها ... وما إلى ذلك ، فازدادت أهميته فى الحديث ، وسد فراغاً كبيراً فى اللغة الصوتية . ثم أخذت هذه اللغة يتسع نطاقها تبعاً لارتقاء التفكير ، واتساع حاجات الإنسان ومظاهر حضارته . وتستغنى شيئاً فشيئاً عن مساعدة الإشارات ، وتبعد عن أصولها الأولى تحت تأثير عوامل كثيرة كالتطورات الطبيعية التى تعتور الصوت ، وأعضاء النطق الإنسانى وكعلاقات المجاورة والمشابهة التى تعتور الدلالات ... وما إلى ذلك

وهذه النظرية هى أدنى نظريات هذا البحث إلى الصحة وأقربها إلى المعقول ، وأكثرها اتفاقاً مع طبيعة الأمور وسنن النشوء ، والارتقاء الخاضعة لها الكائنات وظواهر الطبيعة والنظم الاجتماعية

ولم يقم أى دليل قاطع على خطأ هذه النظرية ، ولكن لم يقم كذلك أى دليل قاطع على صحتها ، وكل ما يذكر لتأييدها لا يقطع بصحتها وإنما يقرب تصورها ويرجح الأخذ بها

ومن أهم أدلتها أن المراحل التى تقررها بصدد اللغة الإنسانية تتفق فى كثير من وجوهها مع مراحل الارتقاء اللغوى عند الطفل ، فقد ثبت أن الطفل فى المرحلة السابقة لمرحلة الكلام ، يلجأ فى تعبيره الإرادى إلى محاكاة الأصوات الطبيعية (أصوات التعبير الطبيعى عن الانفعالات ، أصوات الحيوان ، أصوات مظاهر الطبيعة ، أصوات الأفعال ... الخ) فيحاكى الصوت قاصداً التعبير عن مصدره أو عن أمر يتصل به ؛ وثبت كذلك أنه فى هذه المرحلة وفى مبدأ مرحلة الكلام يعتمد اعتماداً كبيراً فى توضيح تعبيره الصوتى على الإشارات اليدوية والجسمية . ومن المقرر أن المراحل التى يجتازها الطفل فى مظهر ما من مظاهر حياته تمثل المراحل التى اجتازها النوع الإنسانى فى هذا المظهر[1]

(١) يطلق على هذه النظرية اسم « نظرية التلخيص العام » وقد تكلمنا عنها بتفصيل فى كتابنا « فى التربية » صفحة ١٥ وتوابعها

ومن أدلتها كذلك أن ما تقرره بصدد خصائص اللغة الإنسانية فى مراحلها الأولى يتفق مع ما نعرفه عن خصائص اللغات فى الأمم الأولية . فى هذه اللغات تكثر المفردات التى تشبه أصواتها أصوات ما تدل عليه، ولنقص هذه اللغات وسذاجتها وإبهامها وعدم كفايتها للتعبير لا يجد المتكلمون بها مناصاً من الاستعانة بالإشارات اليدوية والجسمية فى أثناء حديثهم لتكملة ما يفتقر إليه من عناصر وما يعوزه من دلالة[1]

ومن المقرر أن هذه الأمم، لبعدها عن تيارات الحضارة وبقائها بمعزل عن أسباب النهضات الاجتماعية تمثل إلى حد كبير حالة الإنسانية فى عهودها الأولى .

على عبد الواحد وافى
ليسانسيه ودكتور فى الآداب من جامعة السربون

(١) انظر ما كتبناه فى هذا الصدد بعدد ٣٥٣

منقذ الآلاف الأحياء

إن نحواً من العشرين ألف شخص ينقذون الآن وكل سنة فى إيطاليا بفضل أنجلو تشالى الاختصاصى الشهير الملاريا .

فبعد الاكتشاف الذى توصل إليه روس حوالى سنة ١٩٠٠ فى الهند الانجليزية وكراسى فى إيطاليا هذا الاكتشاف الذى سمح بمعرفة الدور الذى تقوم به طفيلية الملاريا فان كراسى هو أول من توصل إلى استنتاجات عملية . فالملاريا كانت تسبب فى بلاده ٢٠٠٠٠٠ وفاة كل سنة وكان عدد الاصابات بالمرض يفوق بكثير فان كراسى كرس حياته ساعيا لتغيير هذه الحالة فظن أولا أنه يستطيع أن يتوصل إلى نتائج جيدة بالتجائه إلى وسائل ميكانيكية بحتة مثل حواجز مشبكة وناموسية وتجفيف لكنه ما لبث أن عرف أن هذا غير كاف وتوصل حينئذ إلى استعمال الكينا كدواء واق فكل الناس الساكنين فى منطقة عمت فيها الحميات والملاريا رأوا أنفسهم فى مناعة من عدوى هذا المرض بأخذ الكينا بانتظام .

إن تشالى الذى كان عضواً فى البرلمان هو الدافع إلى التشريع الايطالى الشهير بخصوص الملاريا وهو التشريع الذى يمكن أن يكون مثلا لعدد كبير من البلدان الأخرى فمنذ سنة ١٩٠٤ يلزم هذا القانون كبار الملاك والمديرين أن يوزعوا الكينا مجانا على سبيل الوقاية والشفاء فقبل الحرب الكبرى كان يوزع هكذا كل سنة فى إيطاليا ٥٣٠٠٠ كيلو جرام كينا .

ثم أعلنت الحرب سنة ١٩١٤ وكان أن مات تشالى بعد أن رأى الوفيات بالملاريا ينقص عن ٩٠ بالمائة بفضل تدابيره .

فالأسلوب الذى أشار به تشالى لمحاربة الملاريا باستعمال الكينا قد استعملته لجنة الملاريا بجمعية الأمم وأوصت بأخذ ٤٠٠ ملليجرام يوميا من الكينا على سبيل الوقاية طول مدة موسم الحميات حيث يخاف الناس من العدوى . وإذا أصيب الانسان بالمرض فيجب أخذ جرام واحد أو جرام وثلاثين سنتجرام من الكينا كل يوم مدة خمسة أو سبعة أيام ولا لزوم فى هذه الحالة للمعالجة التكميلية فلجنة الملاريا تعترف على الأخص استعمال الكينا بأن هذا العلاج لا ضرر منه حتى بين أيدي من يجهلون استعماله .

نفســــية الطبقات

للدكتور جواد على

لاحظت خلال إقامتى الطويلة فى برلين وهامبرك والمدن الألمانية الأخرى اختلافاً كبيراً بين مقاطعة ومقاطعة ، وبين طبقات مدينة واحدة أحياناً فى اللغة والأخلاق والمعاملات والمثل العليا وشكل الوجه وتركيب الجسم . وقد زاد انتباهى هذا موضوع البحث العنصرى الذى استولى على الجامعة والمدرسة والحانوت والحياة اليومية فى ألمانيا المتلزبة . فقلت : مادام الشعب الألمانى شعباً جرمانياً واحداً من دم وعنصر واحد ، فلم هذا الاختلاف بين المقاطعات ؟ ولم هذا البون بين الطبقات فى المدينة الواحدة ؟ صرت أسجل ملاحظاتى هذه وميزات كل طبقة وأخلاقها فى كل مدينة أنزل بها وفى كل بيت أحل به . كذلك فعلت أثناء زياراتى للندن وبعض مدن انكلترة وباريس وليون واشتراتسبرك ومارسيليا وروما ، وأكثر مدن إيطاليا وجنيف وبرن ولوزان وبراغ ومارينباد وويسبادن وغيرها من مدن جيكوسلوفاكيا (المرحومة) ؛ وكذلك بولندة والنمسا ودول البحر الأبيض المتوسط

توصلت إلى نتيجة ، وهى أن قواعد التفكير العامة ، وطراز المعاملات متقاربة ومتشابهة بين الطبقات الواحدة فى الممالك المختلفة أولاً ، وهى أيضاً تتشابه مع تركيب الجسم وشكل الوجه واللامح ثانياً . فالطبقة الرابعة من سكان المدن مثلاً ، وهى التى يطلق عليها فى أوربا اسم Proletariat [1] تستعمل لها لغة خاصة عامية وتضع لها مصطلحات تصطلح عليها وتقضى معظم أوقاتها فى المحلات المنخفضة فى الأرض (كالسراديب والدهاليز) ، وتأوى بكل سرور إلى المحلات المظلمة ذات النور القليل والمحلات المؤثثة بأثاث خشن ابتدائى، يميل الشاب منهم إلى تجميل شعر رأسه وتجعيده، مع أن ملابسه ممزقة رثة لا يهتم بها ، يميل كذلك بصورة عامة إلى الألوان (الغامقة) كالأحمر أو الأسود أو الأصفر. وتميل بصورة عامة إلى المخاطر إذ لا تفزع منها ، فإذا ركب أحدهم دراجة هوائية (بايسكل) أسرع بها كأنه فى سباق . كذلك لا يبالون فى حمل الأشياء الثقيلة من خطر صحى ، وهم يميلون بصورة عامة إلى رسم الأشكال المختلفة بالزرقة والحمرة على بشرتهم ، وإلى موسيقى غير موزونة مرتفعة مضطربة . ولا يبالون بإنفاق كل ما يحصلون عليه فى مدة قليلة ، ولو أنهم حصلوا عليه بشق الأنفس ومخاطرات عظيمة ، فاللص ينفق المال الذى يسرقه بأقل من لمح البصر كما هو معروف وكذلك النشالون وقطاعو الطرق[1] .

كذلك للطبقة الثالثة وهى العمال آداب ومعاملات ومثل خاصة وفن وذوق تنفرد به مع ميل إلى التبذير والكرم . وأجسام هذه الطبقة بصورة عامة أقصر من أبناء الفلاحين أو سكان المدن من الطبقتين طبقة الأعمال العقلية وطبقة الأشغال العملية والتجار ولكنها أكثر إنتاجاً فى النسل من طبقتى سكان المدن ، وأقل من الفلاحين كما أن شكل رأسها أصغر من الطبقات الثلاث ، ويميل إلى الاستدارة . وفى المدن الصناعية تميل إلى لحم الخنزير وإلى اللحوم الباردة لأن النساء لا تترك العامل لذلك فليس لها الوقت الكافى للطبخ[2] . أما الطبقة الثانية وخصوصاً أصحاب رؤوس الأموال والتجار ، فهى تتكلم مثلاً بصورة أسرع من الفلاحين أو العمال ، ولا يميلون إلى التفكير العميق المنطقى ، وكذلك لها ذوق خاص تجارى فى التأثيث وفى الفن والمعيشة[3] بينما الطبقة الأولى ذات أجسام طويلة وشكل الرأس كبير بالنسبة إلى الجسم فيها، والعظام فيها دقيقة والعضلات غير مفتولة بالنسبة إلى الفلاحين أو العمال، والوزن أثقل من العمال، وطفل الفقير فى المدرسة يرى أصغر بعام تقريباً من طفل الغنى الذى فى عمره العمر[4] . وهذه الطبقة ـ وخصوصاً الغنية منها ـ غير مخصبة فى إنتاج النسل ، وقد علل ذلك تعليلاً كثيراً لا يدخل فى هذا

(١) الطبقة الأولى هي طبقة الموظفين وذوى الأعمال العقلية والطبقة الثانية هى طبقة الأشغال والأعمال العملية مثل التجار وأصحاب المهن والثالثة هى العمال

(١) انظر Niceforo Anthropologie der Nichtbesit Zenden Klassen ص ٤٢٦ كذلك كتاب العالم Lenny ص ٦٥

(٢) انظر (٦٤٧) Lomer Schädelmasse und Beruf 1907

(٣) انظر Graf Basler Einführung in die Rassen und Gesel-lschafts Physiologie 1925 ص ١٢٧

(٤) E. Rietz im Arch f. Antropologie Bdi 1904 وكذلك O. Ammon Die natürl auslese beim meus-chen Bd 24 ص ٦٨ لسنة ١٨٩٤

الموضوع . ونرى من إحصائية عن قابلية النسل فى السويد أن كثيراً من العائلات العريقة تضمحل وتفنى لانقطاع نسلها[١]

والفرق بارز كذلك جسميًا وعقليًا بين سكان المدن وأبناء الأرض من الفلاحين والزراع فقحف الرأس والملامح الجسمية وشكل العظم ، وكذلك طراز التفكير واللغة، تختلف مظاهرها عن مظاهر سكان المدن ، وقد دل الإحصاء على أن ٤١ فى المائة من سكان مدينة برلين كانوا لائقين للخدمة العسكرية بينما كان ٦١ فى المائة من سكان الأرض يصلحون فى نفس الوقت[٢] . فهذه النقاط تجعل المرء يسبح فى بحر من التعليل . وتدفع به إلى الاعتقاد بتأثير المهنة والمحيط على الإنسان عقليا وجسميًا . وزاد فى اعتقادى ذلك ما وجدته بصورة عملية من تقارب بين موسيقى الأكراد سكان المنطقة الكردية العراقية ورقصهم واختيار ألوان ملابسهم وبين سكان منطقة بارن فى ألمانيا مثلاً مع ما بين الشعبين من الاختلاف . وهذا مايدفع الإنسان إلى دراسة عقليات الطبقات المختلفة ، والبحث عن القواعد المشتركة التى تتميز كل طبقة بها عن الأخرى

علت الماركسية ذلك بتأثير الإنتاج على الجماعات ؛ فالعمل المادى الاقتصادى فى نظرها هو العامل الأول فى هذا الاختلاف وقد جاءت بأمثلة تحاول إثبات نظريتها هذه وجاءت بفلسفة مبنية على ذلك ، وعلى هذا الأساس تحاول إشمال نيران ثورة ليتخلص العمال وهم الأكثرية من نفوذ الأقلية المسيطرة ، ليبسطوا تفكيرهم وحضارتهم على الطبقة الصغيرة التى تعتبر رمز الحضارة العالية فى العصر الرأسمالى الحالى . وهى تأتى بأمثلة من حياة الفرنسيين فى القرنين السابع والثامن عشر ، وكيف كان البلاط ورجاله يعتبرون أنفف طبقة فى المملكة يحتذى بهم وتقلد حركاتهم لنفوذ البلاط ورجاله بينما كان الوضع بالعكس فى انكلترة لنفوذ « الكونتيه واللوردات » فيها . حيث كان كبار المزارعين هم ممثلو انكلترة فى عالم الثقافة والحضارة[٣] ويرون من جراء ذلك فكرة الوطنية فكرة ثانوية اصطناعية يمكن التعويض عنها بفكرة الوطنية المهنية والمصلحة المشتركة ويرون فى الكاثوليكية العالمية

(١) انظر كتاب Fahlbeck Der Adel Schwedens 1903

(٢) انظر Thurnwald in arch f. Rassen u. Gesell3chafs Bd 54, ص ٨٧٨

(٣) انظر مجلة Die Gesellcahalt 1928, 1928 ص ١٣٠

مثلاً نوعاً من الوطنية والاستقلال فلا يتفق عمال العالم ويكونون لهم وحدة واحدة على أساس دكتاتورية العمال وتقارب المصلحة والفكر، يدعمون رأيهم ذلك بما يبديه الاشتراكيون على اختلاف حكوماتهم من تعاون تام واتفاق فى الطريقة والعمل والفكر وتقاربهم كلهم فى الفكر[١] وهذه تمارض النازية تماماً ، تلك النظرية التى تدعى بالعنصرية وتفوق الجنس الآرى على الأجناس الأخرى وتمارض كذلك حوادث التاريخ أيضاً . وقد قلنا إن هذه الطبقات تكيف لها لهجة خاصة تتكلم بها، وهذا يعنى أن عقلية تلك الطبقة قد تغيرت عن عقلية الطبقة الثانية ، والذى يلاحظ بصورة عامة أن للصوص والسراق لغة خاصة واصطلاحات تتكلم بها، وكذلك يفعل النشالون ولهم طريقة خاصة فى إخراج الأصوات ، وسكان نابولى فى إيطاليا أو صيادو الأسماك فى انكلترة وألمانيا وغيرها من البلاد يخرجون الكلمات بصورة تختلف عن المزارعين أو التجار فهى بصورة عامة طويلة عريضة بينما نجد لغة التجار سريعة وقصيرة . هذه أشياء لوحظت وشوهدت بالتجربة[٢] ، ونطق الإنكليزى الذى ينزل فكه إلى تحت يختلف عن نطق الفرنسى الذى يمد فتحة فمه إلى الجانبين[٣] وذلك يعنى أن اللغة تتغير أيضاً مما لا مجال لبيان سببه فى هذا الموضوع . ولكن فى ذلك رداً بصورة عامة على من يقول إن اللغة تساوى العنصرية تماماً . نعم هى تمثل جزءاً من روحية الشخص ولكن ليست روحيته تماماً إذ لو كان ذلك لكان زنوج أمريكا الذين ينطقون اللغة الإنكليزية إنكليزاً بالعقل والتفكير ولأصبح مولدو أمريكا الجنوبية أسباناً بالنفس والخلق تماماً . وقد أجريت تجارب على أطفال أخذوا حين الولادة من أمهاتهم من زنوج ويابانيين لقنوا الألمانية فقط ونشئوا فى محيط ألمانى بحت فصاروا يتكلمون الألمانية وكأنهم ألمان أباً عن جد[٤] . وقد أوّل ذلك الذين يقولون بهذه الفكرة بأن فى البشرية قابلية للنطق مطلقاً وفى كل طفل فى نفس الوقت ميل إلى الشذوذ عن نطق الأجداد

(١) انظر نفس المحل وكذلك كتاب Der Ausgang des Kapi-talismus 1928 ص ٥٣ وكذلك H. Freyer Die bewertung der wirtschaft im Philo. 1921

(٢) انظر كتاب العالم العالمى المشهور Wilhelm Wund المعروف ب Völkerpsychologie IBand 1900

(٣) انظر مجلة Die Gesellschaft 1924 ص ١٣٠

(٤) انظر Georg Schmidt - Roher. mutter sprache ص ٢٢٣

٥ – فى أرجاء سيناء

للدكتور عبد الوهاب عزام

على ظهر هرياد

أزمع أكثر الرفاق أن يذهبوا يوم الخميس إلى جبل سنت كترين وهو أعلى جبال سيناء ترتفع قمته إلى ٨٥٣٦ قدم، وفى قصص الرهبان أن القديسة كترينا حينما ماتت فى الأسكندرية سنة ٣٠٧ م حملت الملائكة جثتها إلى هذا الجبل، وقد بقى منها جمجمة وذراع يحفظان فى الدير إلى اليوم

وآثر بعضهم أن يعكف على مطالعة الكتب فى مكتبة الدير، وأما أنا فأزمعت أن أركب جملاً فأسير به فى وادى الشيخ إلى القبر الذى يسمى قبر النبي صالح. قيل لى كيف تطيب نفسك عن رؤية الجبل العظيم أعلى جبال سيناء؟ قلت إن برجلىّ عقابيل من جبل موسى فلست أقوى على الصعود اليوم؟ قيل ولكن قمة سنت كترين تشرف بك على جبال بلاد العرب. قلت قد رأيتها عن كثب قيل: وتريك الخليجين معاً: خليج السويس وخليج العقبة قلت: لا أحتاج فى تصديقكم إلى أن أرى بنفسى. قيل: إنه مشهد يتمناه كثير من الناس. قلت: ما كل ما يتمنى المرء يدركه

سار الرفاق إلى الجبل وخرجت فإذا جملان مرحولان فركبت أحدهما وركب محمد أفندى حشيش الطالب بكلية الآداب الثانى، وسرنا مغتبطين بهذه الرحلة الممتعة القريبة. فلما أفضى بنا الشعب الذى فيه الدير إلى وادى الشيخ أبصرنا الحاج سيد محرم الطالب بالكلية راجعاً من حيث توجه إخواننا إلى الجبل. قلت: ماخطبك؟ قال: تلبثت لأصور بعض المرائى فانقطعت عن الرفقة. قلت: خار الله لك سر معنا نتعاقب على الجمل. رحم الله حاتماً:

وما أنا بالساعى بفضل زمامها ... لتشرب ماء الحوض قبل الركائب
وما أنا بالطاوى حقيبة رحلها ... لأبعثها خِفًّا، وأترك صاحبي
إذا كنت ربّا للقلوص فلا تدع ... رفيقك يمشى خلفها غير راكب
أنخها فأردفه فإن حملتكما ... فذاك وإن كان العقاب فعاقب

قليلاً لا يشعر به يتعاظم بمرور السنين فيصبح لهجة خاصة، وأن ذلك يطرأ ولو كان العنصر سليماً نقياً من كل امتزاج. وهم يدعون أن أوربا لو كانت مأهولة من جنس واحد، وكانت معزولة عن كل عامل خارجى من زمن الأهرام حتى الآن لظهر عليها اختلاف اللهجات رغماً من ذلك[1] على أننا نلاحظ أن يهود ألمانيا يتكلمون مع ذلك بلهجة محسوسة، وكذلك فى البلاد الأخرى، تميزها عن كيفية إخراج الكلمات لدى المواطنين، ولكنهم يجيبون عن ذلك بأن اليهود يعيشون بصورة عامة فى محيط واحد متكتلين

وحاول Gunther زعيم العنصرية فى ألمانيا أن يبرهن على أن الجرمان لم يبتعدوا عن اللغة الجرمانية الأصلية، وأنها هى لم تتغير. ولكن اختلاف اللهجات الألمانية، وكذلك أشكال الجسم والعداوة الموجودة بين المقاطعات، مثلاً بين سكان بروسيا وسكان بايرن، والاختلاف الكبير بين عادات سكان هامبرك وبرلين، يدل على أن بحث العنصرية لا يستطيع التغلب على المشاكل التى بحثنا عنها، ويجد حلاً معقولاً لذلك علمياً.

والبشرية تتقدم، وبتقدمها تظهر أشكال وفوارق جديدة وهى غير متشابهة، منها المنتج ومنها الخامل لعوامل مختلفة، وللملامح وتركيب الجسم والمحيط والأكل والمهنة أثر فعّال فى تكييف الفرد، وكل أمة فى الحقيقة عبارة عن بضع أمم مختلفة فى المصالح، ولو أنها متحدة فى الدين أو اللغة مثلاً، ولكل منها وجهة نظر خاصة، وهدف يصطدم مع هدف غيرها، وهذا مصدر الحزبية والنزاع، وسقوط الدول فى نظرى، والأمة التى تستطيع تقريب وجهات النظر بين هذه الطبقات تتمتع بوحدة، والتى تترك هذه الطبقات تزيد فى قوة كيانها، تعرض نفسها إلى تمزق لا يلبث أن يظهر بصورة كتل مستقلة ذات تفكير مستقل ومظهر غريب خصوصاً فى المحيط الشرقى الذى لا تربط بين أجزائه طرق مواصلات جيدة ولا صلات تفكيرية قوية. لا زالت حاجة الأقاليم فى المملكة الواحدة بعضها إلى بعض غير شديدة. فكرة الحاجة إلى المجتمع والتعاون لم تتغلب على روح (أنا) فيه كما هو شأن كل أمة فى ابتداء تكونها.

ميراد على
خريج جامعة هامبرك بألمانيا

(١) نفس المصدر ص ٢٣١

سألت صاحب جملي : ما اسم الجمل ؟ قال هِدَيّان . وما اسمك ؟ قال : فرحان . وسألت الآخر فقال : اسمى جبلى واسم الجمل صبيح



بعض طلاب الجامعة وبعض صبية الأعراب فيهم سعد في أقصى اليسار

وكان سادسنا صبيًا فطناً لقناً يسمى سعداً ، رآنا نتأهب للركوب عند الدير فتطوع لصحبتنا عسى أن يناله خير . مشى سعد وقد جمل يديه وراء ظهره تحت حزامه وأطبق أنامله بعضها على بعض ، واستقام على الطريق يوحى إليك بمشيته وحديثه اعتداده بنفسه . وهو صبي يكدح لرزقه ورزق أمه ، فهو يحمل من أعباء الحياة ويشعر بكفايته لما يحمل . والرجولة بين العرب تبتدئ فى العقد الثانى من سنى العمر ، لا تمتد الطفولة والصبى بينهم امتدادها فى المدن حيث ترى الرجل صبيا وقد جاوز العشرين وطالباً إلى أن يجاوز الثلاثين ، وكهلاً متصابياً يعدّ نفسه للزواج عند الأربعين . ومن أجل ذلك أمّر رسول الله صلوات الله عليه أسامة بن زيد على جيش وهو فى السابعة عشرة . وفتح محمد بن القاسم الثقفى الهند وهو فى هذه السن . قال بعض الشعراء :

إن المروءة والسماحة والندى　　لمحمد بن القاسم بن محمد
ساس الجيوش لخمس عشرة حجة　　يا قرب ذلك سؤدداً من مولد !

وقال آخر :

ساس الرجال لسبع عشرة حجة　　ولداته عن ذاك فى أشغال

قلت لسعد : ماذا يسمى حزامك هذا ؟ قال : مريرة . قلت من قولهم أمرّ الحبل إذا أحكم فتله

وكنا سألنا ونحن فى الدير عن دجاج لطعامنا وكلفنا سعداً أن يفتش عن بعض الدجاج . وقابلنا طائفة من البدويات يقصدن الدير ابتغاء رزقهن من الخبز ، ومال سعد إليهن فسلم عليهن وكلم إحداهن . وقال أحد الجمالين : هذه أم سعد . وسألت سعداً فجمجم ولم يجب ثم قال : عند امرأة دجاجة واحدة. قلت: ما عسى أن تغنى دجاجتك الواحدة يا سعد ؟ وحسبت أن سعداً استحى أن يقول إن التى حادثها أمه وإن الدجاجة دجاجته وأحس شيئاً من الخجل أن يبيع لنا دجاجة ، وكذلك قال صاحب الجمل حينما سألته : لماذا لا يقول سعد إن المرأة أمه.

وعرف سعد من سؤالى عن ضروب النبات أنى معنىّ بها فوجد له عملاً يبرّر مصاحبته إيانا ، ويجعل له يداً عندنا . فكان لا يمر بنبات إلا سماه وقلعه أو قطع فرعاً منه ، وناولنى إياه فأضعه فى الخرج



عند عين ماء بين صخور في سفح جبل بوادي الشيخ

ناولنى شجرة من الشيح فسألته عن القيصوم وكنت رأيته بالبادية على مقربة من البصرة ، فأسرع بعد قليل إلى نبتة وقال : هذه قيصومة وناولنى منها ، وهى تشبه الشيح ، وتمتاز عنه بلون زهرها ، ولا يدرك الفرق بينهما إلا النباتى أو البدوى المرن على تمييز ضروب النبات وإن تشابهت . ثم مررنا بنبات صغير لاطئ بالأرض له عصارة لزجة فقال : وهذه لبّيدة . رأى شجرة من الشوك كبيرة فقال : هذه سلة وما أكثر السلة فى سيناء ، ثم سمى من ضروب النبات التى مررنا عليها الوراقة ، وهى نبت قليل الشوك تأكله الإبل ، والكَباث وهو يشبه السلة إلا أنه أضعف شوكاً ، وكان هديّان إذا مرّ بكباثة أبى إلا أن يميل إليها لينال منها . والكباث فى معاجم اللغة ثمر الأراك ، وهو غير هذا : ومما رأينا النمام والحزماع ، وهو شجيرة تنبت كالعصا لها فروع قصيرة . وقد رأيت منها واحدة يابسة فأشرت إلى سعد فجرى إليها وحاول خلعها فاستعصت عليه فناديته أن اتركها ،

فأبى وما زال يقوم بها ويقعد حتى أتى بها . وأرانى سعد النعمان وأصابع العجوز والمرُورة والبركان والدهمىّ، وكلها نبت ضعيف صغير . وكنت أمتحن سعداً فأسأله عن النبات الواحد مرة بعد أخرى فأعرف أنه ينطق عن معرفة . ومما رأينا الزعتر وهو نبات طيب الرائحة معروف فى مصر والشيران، قال سعد : وهو نبات الحمير ، وهو نبات صغير له فروع وورق دقيق ورائحة طيبة ، والهنيدة والجعدة والشكاع الخ

وقصارى القول أنه ليس فى البرية نبتة صغيرة أو كبيرة إلا يعرفها الأعراب باسمها ووصفها وخصائصها

ولقينا فى وادى الشيخ أعرابيتين معهما قربتان صغيرتان ، فكلمهما جبلى وكان يعرفهما. وسألته أين الماء؟ فقال: هنا وأشار إلى سفح الجبل ، فنزلنا وصعدنا بين صخور عظام ، حتى بلغنا فجوة بين الصخور فيها ماء بارد، فجلست الأعرابيتان تملآن قربتيهما

والأعرابيات فى سيناء يلبسن ملابس ضافية ، حواشيها مطرزة ملونة ، وهى من نسج أيديهن ، ويلبسن براقع محلاة بقطع كثيرة من المعدن ، ويحلين صدورهن بخرز كثير ، فلا يبدو من المرأة إلا عيناها . وقد استأذنا المرأتين أن نصورهما ، فقالت إحداهما ضاحكة : بالفلوس ، قلنا : أجل .



بدويتان فى وادى الشيخ

ثم بلغنا الشيخ صالح بعد ساعتين : حجرة صغيرة مظلمة ، عليها قبة ساذجة ، وفيها قبر يقول الأعراب إنه النبى صالح ، وأكبر الظن أنه رجل من الصالحين اسمه صالح وللشيخ صالح موسم يأتى البدو إليه فيبيتون وينحرون ويذبحون ويلهون

وقد أمر الملك فؤاد رحمه الله بصنع كسوة لضريح النبى صالح وهى مودعة فى دير سنت كترينا كما ذكرت قبلاً

لم نلبث كثيراً عند الشيخ صالح فرجعنا أدراجنا ، وقد عرّج سعد إلى اليسار فغاب قليلاً ، ثم رجع وفى يده دجاجة . قلت : يا سعد ، أصررت على الإتيان بدجاجتك ؟ قال : ليست دجاجتى قلت : ولـكنها واحدة ، ولا تغنى شيئاً . قال : ما وجدت غيرها قلت : فلم جئت بها ؟ ثم سار سعد والدجاجة ، حتى وقفنا وقفة فأفلتت منه . فقلت : لا يظفر بها . فما لبث أن جاء بها فوضعها فى كيس خلف ظهره ، فلم نسمع لها حسًّا ، حتى بلغنا الدير . قلت : يا سعد ، لم يجد الطباخ دجاجاً ، ونحن أكثر من عشرين فماذا نفعل بهذه الدجاجة ؟ فوجم ... قلت : ارجع بدجاجتك وخذ هذه القروش ، ففرح وزدناه بعض الخبز

خرجنا من الدير صباح يوم الجمعة فألفينا صبية بأيديهم أشياء يقدمونها إلينا ؛ ناولنى سعد نباتاً قائلاً : هـذه هنيدة . قلت : لم تزدنى على الأمس شيئاً . وقدم إلىّ صالح عصاً من الورد البرى كثيرة الشوك فأخذتها ذكرى ، ثم زرعتها فى حديقتى بعد أيام فأورقت . وقدم الصبية الآخرون أقفاصاً للسجاير من هذا الورد لا يحسن الإنسان إمساكها لكثرة شوكها

ثم أزّت السيارات فسارت والساعة ثمان ونصف فرجعنا أدراجنا فى الأودية التى ذكرتها آنفاً

ونزلنا فى دير فاران الذى وصفته من قبل ثم استأنفنا المسير فى وادى فاران . وبعد ساعة من دير فاران توقفنا قليلاً فأبصرت صبيا يرعى غنما فقصدت قصده وقلت: ما اسمك يا ولد؟ قال : اسمى ولد — وكأنه لم يعجبه هذا الخطاب — قلت: اسمك محمد؟ قال : ربيع . قلت : أتبيعنا خروفاً من غنمك ؟ قال : لا . ثم سألته عن ضروب العشب ، قلت : ما هذا؟ وأشرت إلى نبات ضعيف يشبه البصل. قال: بَرْوَق، أقول: البروق معروف فى كتب اللغة والأدب والنبات . وتقول العرب هو أشكر من بروق لأن البروق يعيش بأدنى ندى يقع على الأرض. وقالوا: أضعف من بروقة. قال جرير:

كأن سيوف التيم عيدان بروْق ... إذا نضيت عنها لحرب جفونها

ثم سألت ربيعاً عن نبات آخر قال : هو الرمث . قلت : قد رأيت الرمث فى العراق وهو أكبر من هذا ، فهل يطول الرمث أكثر مما أرى ؟ قال : لا . قلت : إن رمثك هذا عجيب . وتذكرت قول أبى الطيب فى قصيدة ابن العميد يصف ناقته :

تركت دخان الرمث فى أوطانها ... طلباً لقوم يوقدون العنبرا

الأغنيـــاء ...

للأستاذ محمود محمد شاكر

كانت ليلة السبت السالفة من الأسبوع الماضي ، فوقع في دنياىَ أمرٌ مُفظعٌ مُفزِعٌ كنتُ معه كمن عَمِيَ دهراً من عمره ثم أبصر . فأخذتني الحيرة أخذاً شديداً ، وتضرَّبتْ نفسي كما يتضرَّبُ الماء في مِرْجَلِه على معركة من النار تشتعل من تحته وتتسعر ، وتقاذفَتْني الهموم كما يتقاذفُ تيَّارُ البحر الأعظم موجةً هائمة من موجِهِ ، وتنزَّى قلبي بين ضلوعي كما تتنزَّى الكرةُ مقذوفة من علُ ، وهاجَ هَيجي واضطربَ أمري وتنوَّشَتْني الأفكارُ الخائفة الحزينة المجرَّحة التي تدْمَى أبداً ، فلا تحسِمُ الدَّم ، وانقلبتُ بهمِّي أدورُ في نفسي دَوْرة المجنون في دنيا عقله المريض المشعَّث . وهكذا قَضَّيتُ ليلَ أيامي ، وليس لمثل هذه الأيامِ نهارٌ

ثم سألت ربيماً عن نبات تنبسط فروعه على الأرض فقال : سفيرا . فأعدت السؤال، فقال : سفيرا عزيزة. فعجبت أن تكون السفيرا عزيزة اسم نبت في الصحراء ، ثم سألت أعرابياً من بعد فقال نعم يسمى بهذا الاسم — ولم أعرف كيف سمى به — وبعد مسيرة نصف ساعة توقفنا للغداء ، عند جبل يسمى جبل الزمرد ولكنا لم نهتد إلى الزمرد فيه ، ويقال إن به حجارة زرقاء وإن الزمرد يكون في حجارته

وقد حدثت أعرابياً هناك ، وسألته عن نبات ضعيف له زهر بنفسجي فقال هو السَّهَك ينبت بعد المطر

ثم سألته عن نبات له ثمر مستدير ذو شوك. فقال: السعدان قلت : أهذا هو السعدان الذي ملأ صيته كتب الأدب ، والذي ضرب المثل بجودته فقيل : مرعى ولا كالسعدان ، ويضرب المثل بشوكه : حسك السعدان ، ولكن السعدانة التي رأيتها كانت خضراء لم يمتد شوكها وييبس

وأبلغنا السير أبا زنيمة عشياً ، وأصبحنا إلى السويس فالقاهرة فألقت عصاها واستقرت بها النوى

كما قر عيناً بالإياب المسافر

عبد الوهاب عزام

ودعوتُ ربي جاهداً ، وكنت من قبل أدعوهُ ، إنه هو البرُّ الرحيم ... ، وكنتُ أرى الدنيا كلها وكأنما ارتدتْ لعيني غِلالةً من سرابٍ تخفِقُ عليها وتميدُ وتتربَّعُ ، وإذا الأرضُ غيرُ الأرضِ والناس غيرُ الناسِ ، وإذا كل شيء يجيء ويذهبُ ، ويبينُ ويَخفى ... ، وفقدتْ الأشياء معانيها في نفسي ، فما أرى إلا بؤساً وخَصاصة وجوعاً وعُرْياً ، وإذا كلُّ شيء بائسٌ فقيرٌ جائعٌ عارٍ لا يستره شيء ... اللهم إني فوضتُ أمري إليك وألجأتُ ظهري إليك ... ومضيتُ أنسابُ في أيامىَ البائسة ، حتى إذا كان الليلُ في أوَّلِه مُذ أمس، أويتُ إلى بيت كتبي آخذُ كتاباً لا ألبثُ ألقيه كأنْ بيني وبينه عداوةٌ أو حقدٌ قديمٌ . فضِقتُ ثم ضقتُ وخَنقني خانقُ الضَّجر واليأسِ ، وغاظني ما غلبني على عقلي وإرادتي ، فأهويتُ بيدي إلى كتاب عزمتُ ألا أدعه ، وإذا هو : « إغاثة الأمة ، بكشف الغُمَّة ، للمقريزي » . وفتحتهُ وانطلقتُ أقرأ ، فما أجوز منه حرفاً أولَ إلا وجدتُ الألفاظَ تتهاوى في نفسي وفي عقلي ، وكأنها تُقذفُ فيهما من حالقٍ ، حتى لَوجدتُني أسمع لها فيهما صلصلةً ودويًّا وهدًّا شديداً شديداً ، كأن في نفسي وعقلي أبنية تنقضُ وتنهدمُ في كفٍّ زلزلة

وإذا بحر يموجُ لعينيَّ أسمعُ هديرَه وزئيره وزمجرة أمواجِه في الريح العاتية ، وإذا هو أحمرُ كالدَّم يفُورُ ويتوثَّبُ ، وإذا صرخةٌ تخفت زمجرة الأمواج ، وإذا هو هاتف يهتف بي : « قم إلى صلاتك ، فقد أظلك الفجر ! ! » . فانتبهت فزعاً وإذا أنا أقلب الصفحة التاسعة والعشرين من هذا الكتاب ، وإذا خطوط حمر قد ضربتها فوق هذه الأسطر : « ودخل فصل الربيع فهب هواء أعقبه وباء وفناء ، وعدم القوت حتى أكل الناس صغار بني آدم من الجوع ، فكان الأب يأكل ولده مشوياً ومطبوخاً ، والمرأة تأكل ولدها ... فكان يوجد بين ثياب الرجل والمرأة كتف صغير أو فخذه أو شيء من لحمه . ويدخل بعضهم إلى جاره فيجد القدر على النار فينتظرها حتى تتهيأ ، فإذا هي لحم طفل . وأكثر ما يوجد ذلك في أكابر البيوت[1] »

---

(١) كتاب « إغاثة الأمة بكشف الغمة » هو تاريخ المجاعات التي كانت بمصر ، وقد طبع بلجنة التاليف والترجمة والنشر منذ أسابيع . وهذا الذي نقلناه من تاريخ المجاعة التي كانت بمصر في الدولة الأيوبية سنة ٥٩٦ فقيل فيها : « سنة سبع افترست أسباب الحياة »

أين يعيش أحدُنا وهو يقرأ ؟ هذه تسع ساعات يخيَّل إلىّ أنى قضيت ثمانى ساعات منها وأنا أقرأ هذه الأسطر القليلة أقلّبها لعينى فتتقلّب معانيها فى نفسى ، إذ كانت تنزع فى معناها إلى الآلام المتفجرة بدمى فى قلبى ، فلا يكون الحرفُ منها إلا أفكاراً تتّسع وتتراحب وتتداعى وتتوالد ويَنسَخ بعضها بعضاً . ولو ذهبتُ أكتب ماقرأته فى نفسى من هذه الأسطر ، وماتحدثت به النفس من حديث أكَل ثمانى ساعات من أول الليل إلى مطلع الفجر ، لملأ ذلك ما يقع فى كتاب مفرد ، ولـكن ...

لماذا لا تكون هذه القسوة المتوحشة إلا من أعمال القلوب المتحجرة فى بيوت الأغنياء والأكابر ؟ ولماذا يكون أقسى القسوة فى قلب المرأة الغنيـة ، فتكون هى أعظم استهانة بجريمة أكل ولدِها الذى ولدته ؟ ولماذا يكون الفقير والفقيرة دائماً هما مثالُ الرحمة والحب والعطف والحنان ؟ أليس الناس جميعاً – غنيُّهم وفقيرُهم – سواء فى هذه الحياة ؟ بلَى ، ولـكن ...

ألاَ إن هذا المال نعمة من نعم الله التى استخلف الإنسان عليها فى الأرض ، وفى هذه الحياة الدنيا ؛ ألا وإن المالَ عِصامُ هذا الـكون الممتلئ بأسراره العجيبة التى لا يُقضى من أعاجيبها عجب ، ألاَ وإنه للنّظام الطبيعى الذى يجعل من قانونه سر الحياة الإنسانية التى لا تسمو إلا بالمنافسة والرغبة فيها والإصرار عليها ، ألا وإنه لأعجب شىء فى الحياة ، إذ يكون هو كل شىء ، ثم هو ليس بشىء على الحقيقة ، وإذ يكون فى وَهْم الفقير القلق سِرَّ السعادة ؛ ثم يكون عند الغنى المسترخى فلا يعرف به ظاهر السعادة . ألا إنه العجب والفتنة ، إذ يكون سر الحياة الإنسانية الدنية على الأرض ، ومع ذلك فهو إذا ملأ الغنىّ أفرغه من إنسانيته ، وإذا فرَغَ الفقير منه امتلأ إنسانية ورحمة وحناناً ، ثم يكون بينهما أشياء فى هذا وفى ذاك تختلط وتضطرب ويرى بعضها فى بعض حتى يصبح كل شىء فساداً لا صلاح له

« أكثر ما يوجد ذلك فى أكابر البيوت ! » و « أكثر ما يفعل ذلك النساء ! » إنه ليس عجيباً ولـكنه مؤلم ، إنه ليس بعيداً ولـكنه مفزع ، إنه هو الحقيقة الدائرة مع معانى الثراء والغنى والترف والرفاهية ، ولـكنها الحقيقة الضارية المتوحشة التى انطلقت من قيودها حين أزَمَتها الحاجة والقحط والجوع ونداء المعدة التى تتلوّى أمعاؤها كما تتلوى الحية الجائعة على شهواتها المتجسدة فى فريستها . ليس هذا هو كل شىء ، وليس القحط وحده هو الذى يُغرِّى عبيد المال فيأكلون بنيهم وبناتهم أكل الوحش الطاغى بطغيان حيوانيته التى تريد البقاء لنفسها ، ثم لا تعرف غير نفسها ، ولا تعبد إلا نفسها . إن كل أزمة تطلق فى أعصاب الأغنياء – إلا من رحم ربك – وحشاً آكلا طاغياً مستأثراً لا يرى إلا نفسه ولا يريد البقاء إلا لنفسه .

فإذا وقع القحط بين صديقين أحدهما غنى كان صديقه طعاماً تفترسه الصداقة الغنية ! وإذا وقع القحط بين حبيبين أحدهما ثرىٌّ مُترف تثاءب عنه يريد النوم لأنه شبع من حبه حتى تملأ ! وإذا وقع القحط بين أخوين أحدهما غنى ، كان حق الرحم عليه أن يشرب ما بقى من دم أخيه يستولغ فيه حتى يَروَى !

إن الترف والنعمة والكفاية ، وأحلام الغنى وكنوز الثراء ، إن هى إلا الماحقات الآكلات التى تمحق العواطف الإنسانية النبيلة حين لا ملجأ إلا إلى الخشونة والشدة والصبر وحقيقة الفقر.

إن الفقراء هم أكثر الناس رغبة فى النسل على ضيق رزقهم ، والأغنياء أقل الناس إقبالاً عليه على ما يجدون من السعة . الفقراء أشد حزناً على من فقدوا من أبنائهم وأحبابهم ، ولكن أولئك لا يحزنون إلا ريث يشعرون الناس أنهم حزنوا ، ولئلا يقول الناس إنهم لم يحزنوا على أحبابهم ... الأغنياء ، الأغنياء ... نعم هم زينة الحياة الدنيا ، ولكن مع الزينة الخداع ، ومع الخداع الضعف ، ومع الضعف القسوة حين تجد ما يتلين لها أو يتساهل أو يستكين ... أو يثق

فمن صادق غنياً فليحذر ، ومن آخى ثرياً فليتحصن ، ومن عامله فليرهب ، فإذا بلغ المرأة الغنية فأحبها تخيلت له أنها أحبته فوثق بها فقد هلك ، وإنما هو ملهاة من ملاهى الترف إذا فقدت لذة اللهو به نبذته لما به

محمود محمد شاكر

يا ابنـــة الشارع ...!

للأستاذ كامل محمود حبيب

على رِسلك ، يا ابنة الشارع ، وادفنى حزازات صدرك إن أنا انطويتُ عنك ، فلقد لستُ فى خواطرك أشياء جذبتنى عنك

إن تاريخ قلبينا ابتدأ فى الشارع ، وشبّ واشتد فى الشارع ، وتوثقت بيننا أواصر الحب تحت شجرة وارفة فى روضة أُنُف

ولجّ بنا الهوى فتساقينا أكؤسه على حيد الطريق تحت ستر الظلام فى (الجزيرة) و (الزمالك) و ... حيث لا حس ولا حركة

وصحوتُ - يا من أحب - من غفوتى ، فإذا أنا إنسان تريدين أن تنفثى فيه روح الذئب . وأحسستُ مرارة تلك الخُلس تتفجر فى قلبى ، فعزفتُ عنها

ثم أردتُ وأردتِ ، فانطلقت إلى أبيك أحدثه حديث زواجى منك فما تمهّل ، وإلى أمك فشاعت النشوة فى مفاصلها ، وأنتِ تمهدين الطريق ؛ فسميت علىّ ...

غير أنى انطويت عنك حين لست فى خواطرك أشياء جذبتنى عنك ، فلا تحقدى علىّ ، يا ابنة الشارع

ولما خرجت إلى الشارع — أول ما خرجت — أخذ زخرفه وازين وتلقاك فى ابتسامة حلوة رقيقة ؛ لأنك كنت زهرته اليانعة النضيرة ، ونوره المتلألئ الوضاح

ورآك الشاب — أول ما رآك — فانبسطت أساريره ، وأفسح لك من رقته مكاناً سامياً

وتبارى الشارع والشاب ، كل منهما يحتفل بك فنوناً ، وفى رأيه أنها ساعة من زمان ، ثم ينقلب الطائر الغريد إلى وكره

ولكن شيطانيتك الثائرة أبت أن تلم من نفسها ، فاندفعت إلى شر غاية حين سَرّكِ أن تنتزى الطرف وتسيطرى على القلب

واستشعر الشارع فيك عاره فراح يقذف بك من جانب إلى جانب فى بغض وكراهية ، وعبث بك الشاب حين رأى فيك لهو نفسه وشغل فراغه ، على حين قد أغضيتِ أنتِ

وحاولتُ أن أردك عن غوايتك فأغلقت من دون حديثى مسمعيك ، فانطويت عنك ، فلا تحقدى علىّ ، يا ابنة الشارع

* * *

وأومضت فى عمايتك ، وأنا أريد صلاح أمرك ، وجئت تناقشين وتفاطنين وفى حديثك الزور ، كأنه بعض هاتيك الأصباغ التى تموهين بها على الناس ، وانطلق لسانك يطمع فى أن يدلل على أن المرأة هى نور الحياة وبهجتها وجمالها الساطع

وتبدت لى فلسفة المرأة الفجة فى كلماتك الخاوية ، وفى عينى أن المرأة عذاب القلب والنفس والعقل والدار جميعاً ، لا يخلص الرجل من واحدة إلا ليرتدغ فى واحدة

وسخرت من الدار ، فسخرت هى من انصداع شملك وتشعب غايتك ؛ وانفلتّ من حدود المرأة ، فانفرجت لك الحياة عن مأساة لا تنتهى ، وأصبحت أضحوكة الشارع ، لأنك تمثلين على مسرحه كل يوم مهزلة ؛ وتصنعت للرجل فألفيت فيه الصاحب ، وافتقدت فيه الزوج

ولمزت فتاة الدار فرقاً من أن تسمو عليك ، فذهبتُ أثير فيك نوازع مكفوفة علّى أستل جماع رأيك ، فقلت : « لاريب ففتاة الدار هى فى رأينا مطية الدار ، وهى بنت الدجن ، وهى عَبْير الحى و ... ثم كيف تجد الزوج ، وهى فى غياهب البيت وظلام الحياة ؟ »

فقلت : وإذن ففتاة الشارع قد حطمت هذا القيد الذهبى لتبحث ... لتبحث عن الزوج ؛ وهى فى بحثها تقارن وتختار اختياراً فاجراً ، وتعرض على عينى الرجل الغريب ، فى سوق الزواج ، محاسنها القبيحة وقبحها الفتان . ولا عجب إن هى ضلت الطريق ففقدت الدار والزوج معاً !

وقلت : إن اختلاط المرأة بالرجل يعلمها حكمة لا ينطلى عليها خداع الشاب ولا مكره ولا حيلته ، وللشاب أساليب ملتوية يفتر بها الشيطانة . فقلت : يا سيدتى ، إن الجدار سد يحول بينك وبين خير الشاب وشره

وقلت : إن المرأة تجد — خارج الدار — حياتها وعملها وكسبها . فقلت : قد خلقت المرأة لتكون أماً ، وليس فى الشارع أطفال سوى اللقطاء

وقلتِ وقلتُ ...

ثم أعيتني الحيلة فانطويت عنك لأنك ترفعت عن أن تكوني سيدة الدار، وفي رأيي أنك هويت لتكوني ابنة الشارع

***

أتذكرين يوم أن جئت لك بقناع يدرأ عنك العين المتطفلة النهمة ؟ لقد كان صفيقاً هوناً ما، يا عزيزتي، فطرحته جانباً وأنت تقولين « لو كان رقيقاً ! » فاستبدلت به غيره، غير أني رأيت الكراهية في ناظريك، فحبوتك غيره ... ثم اشتريت أنت نقاباً يروق لك، فجاء يسخر منك لأنه لا يواري إلا ما يواري الأبيض والأحمر من مفاتنك

وهذا الجورب الذي أرغمتك على لبسه كان موضوع جدال يحتدم مرة ثم يخبو، لأنك تملت في مدرستك التعنت في الرأي

لقد تلقنت في المدرسة علماً ألقى بك بين أحضان الشارع لأنه فتح أمامك باب الحرية، وهو أيضاً قد قذف بالشاب ليتسكع في تيهاء من أمره لأنه سد أمامه باب العمل

وهذا اللباس القصير، إنه يكشف عن شيء، وإنه ليتألق فيجذب إليك البصر

أفرأيت — يا صاحبتي — الزهرة تزهو بلونها لتجذب إليها الحشرة فتمتص رحيقها ثم تطير وقد قضت منها وطراً ؟

لا ضير، فلقد صمم عليّ الأمر وضلت فيك فلسفتي ؛ فانطلقت ألتمس راحة نفسي وهدوء خاطري

وخلفتك من ورائي، في هذا الشارع، تضطربين بين آذى الحياة المتلاطم

ويا عزيزتي، هذه السيارة الجميلة التي أتأنق فيها، إنها من وحي غطرستك، فهل تجدين لذع فراقها ؟

وهذه الدار الصغيرة قد رتبتها يدك على نسق ونظام لتكون لك عشاً آمناً فهل وجدت فقدها ؟

***

وتلك الأيام الناعمة البهجة، أيام الهوى النضر، حين كنا نتلاقى عند الأصيل على شاطيء النيل، نتجاذب أحاديث الغرام ونفتن في أساليب الحب، وهذا الأمل الذي سطع في قلبك وقلبي ... ثم خبا، أفتذكرين سطراً من هذا التاريخ ؟

كلا، كلا ! فأنا قد رأيتك بالأمس تسيرين إلى جانب شاب يخدعك وتمكرين به فعرفت أنك أنت ابنة الشارع، لا عهد لك ولا ذمة، ولا غرو فلقد خرجت إلى الشارع تفتشين عن الزوج

فهذا عذري إليك حين انطويت عنك وفي رأيي أن حرية المرأة هي فجورها، وأن خروجها من دارها هو فسقها فيا ابنة الشارع، كوني من تشائين إلا أن تكوني زوجة لي .

(مشتهر) **كامل محمود حبيب**

من شجو الربيع

عطرٌ من الله ... !

للأستاذ محمود حسن اسماعيل

... ولمّا وصلتُ (القصرَ) كبّرَ خافقٌ
يجنّبنيَ أوهى حكمةَ الجنِّ جرحُهُ !
وروّعَ ليلٌ للهوى ماتَ فجرُهُ
وفي واحةِ النّسيانِ وُورِيَ صُبْحُهُ !
وجُنَّ بصدري بلبلٌ ذابَ شجوُهُ
على فمِهِ، وارتدَّ للرّوحِ نوحُهُ !
وشقّتْ ضبابي هالةٌ ليتَ نورَها
يُخلَّدُ في آفاقِ عمريَ لمحُهُ
وكادَ يُزاحُ السّترُ لولا قداسةٌ
تعالى بها عنْ عالمِ النّاسِ جُنحُهُ ! ...
فيا طائرًا هدّتْ يدُ الرّيحِ عُشّهُ
ونقّضَ أحلامَ الاليفينِ دوحُهُ
عذابُ الهوى عطرٌ منَ اللهِ نافحٌ
يُطهّرُ آثامَ الشّقيّينَ نفحُهُ ...

(ديوان المعارف) **محمود حسن اسماعيل**

صفحة من كتاب

مع الغـــروب

للأستاذ شكرى فيصل

— ١ —

هذا منصرفى الآن من « المكتبة » . لقد قرأت الفصل الطويل الذى كتبه « الطبرى » عن « صفين » . وخرجت منه دامع الطرف ، حزين القلب ، تملو وجهى كآبة مرة . . . ولـكن الدنيا المشرقة تريدنى أن أضحك ؛ فـكل ما حولى جميل ناعم . . . إن صفحة السماء لتوحى إلىّ بكثير من المعانى ؛ وإنها لتبعث فى نفسى ألواناً من الحنان ؛ وإنى لأشعر بيد ناعمة طرية تدغدغ قلبى فيستكين لها وينبسط معها ؛ وتشيع فيه بوارق الأمل . . . كأنها كانت السماء تُلقى إليه فى يأسه وخموله ، فيصحو وينتفض ويثب ويهفو مع النسمات البليلة ، ويتحسس هذا الجمال المبعثر هنا فى أفق السماء وجنبات الأرض

. . . لقد طرق سمعى صوت الساعة الضخمة القائمة فى حرم الجامعة ، كجرس الـكنيسة ! . . . كأنها كانت تنعى هذا النهار المدبر إلى الناس الغافلين . . . فأنوار الشمس الساطعة تستحيل شيئاً فشيئاً إلى أنوار باهتة ليس لها ذاك الجبروت ولا تلك القوة ، والنسمات اللطاف تترنح فى هذا الجو ، والشجيرات القائمة على حفافى الشارع تبدأ رقصاتها الفاتنة ، وتثنِّيها الرائع ، والعشب النامى يتماوج بكل فتوته الناشئة كأنه يشارك الـكون نغمته المتسقة البارعة

— ٢ —

. . . لشد ما ازدهتنى هذه الأمسية الحلوة . . . فانطلقت معها أطوف فى هذه « الضاحية الجامعية » وأنعم بالهدوء الذى يلفها برادئه الرفيق الرقيق فى مثل هذه الساعة المتأخرة من النهار حين يفارقها ضجيج المحاضرات وجلبة الطلبة ورنين الأجراس ، فلا تحس فيها تلك الحركة ، ولا تجد لها ذاك الاضطراب . . . وإنما يغمرك إحساس رفيع من قدسية العلم ، وسمو المعرفة ، وجلال الطلب

. . . لقد أخذت أذرع هذا الشارع الجميل الذى تنسحب على جانبيه الحدائق ، وتنبت فى أطرافه الزهور ؛ وتتغنى على شجيراته جماعات الطير . . . ولقد كان هذا الشارع إلى ساعات قريبة يمور بالحياة ، ويفيض بالنشاط ، ويتقد فيه العزم ، ويودع طوائف من الطلبة ، ليستقبل طوائف أخرى . . . ولـكنه الآن ساكن هادئ ... إنى لأخطو فيه وحيداً ليس معى إلا هذه التأملات العميقة التى يثيرها فى ذهنى السكون الشامل ... وإنى لأهيم بعد ... فأمضى حيث تقودنى قدماى ؛ لا آخذ جهة ، ولا أحدد قصداً ...

— ٣ —

هأنذا فى منبسط من الأرض ، ممتد واسع ... تنطلق فيه صفحة السماء واسعة عريضة ، كجنة الأمل ؛ وتتراقص فيه الأرواح مرحة عابثة بسنابل القمح القريبة ؛ ... لقد بعدت عن العمران القائم ، والأبنية الضخمة ... لـكأنى أخطو الخطوات الأولى فى الريف . . . فأنا لا أسمع حركة « الترام » ، ولا جلبة السيارات . . . وأنا لا أرى من برج الساعة ، وقبة الجامعة ، إلا القمة العالية التى تشبه رأس الصخرة الطافى على سطح البحر وليس من حوالى إلا مزارع وحقول ، تتبعثر فيها الأكواخ ، وتمتد من حولها أبسطة العشب الندى

... يا لروعة المساء ! ... كانت الشمس تجمع خيوطها المتناثرة لتنحدر نحو الأفق البعيد ... وقطع السحاب الرقيق تسربل أجزاء من السماء كأنها ثوب ممزق على جسم إنسانة فقيرة ... والأكواخ المتواضعة تودع النور الحبيب لتغوص فى لجج الليل ... والأفق الزاهى يصطبغ بهذه الألوان العجيبة المائمة ... والدنيا كلها ترقب هذا الخط البعيد الذى تتصل فيه السماء بالأرض

... لقد كنت إلى حين أجفو أضواء الشمس ، وأنأى عنها وأحتمى منها بالظلال ... ولـكننى الآن أتقرب منها وأتحسسها وألحق بها من مكان إلى مكان ، كأنى أرثى لها هذا المصير ، وأخشى عليها سطوة الليل ، وأتمنى لها ألا تزول ؛ وأحاول أن أمسك بهـذه الشعاعات . . . ولـكنها تفر منى حتى لا تبقى منها إلا خيوط واهية على قمم الأشجار السامقة

وتقبل هذه الأشجار الأنوار الآفلة ؛ وترتمش أغصانها من حمّى

الوداع ... وتنطوى الشمس على نفسها قرصاً رائماً فى الأفق البعيد تلق آخر نظراتها التى بللتها الدموع القانية على الأرض ... لطالما أعشت هذه الشمس عيوناً ونواظر ؛ كانت تتجه نحوها تحاول أن تنظر إليها ، ثم ارتدت عنها خاسئة حسيرة ... ولكنها الآن فى لحظاتها الأخيرة تبيح للناس أن يحدقوا فيها فقد ركبها العجز . وما عليها من ذلك ! وهى سجينة أسيرة فى يد الليل يحاول أن يقذف بها فى أحشائه العميقة ! ...

— ٤ —

... ورقبت هذا الصراع الهادئ بين أضواء النهار وظلمة الليل ... لقد جمعت له الشمس كل ما تستطيع ... حتى هذه الأنوار البعيدة التى كانت تغطى رأس « أبى الهول » وقمة « الهرم » ... ولكنها لم تجد سبيلاً إلى النجاة ؛ ولا يزال الليل يغير عليها ... ولا يزال هذا القرص الذهبي يتضاءل ويتضاءل ... والدماء الوردية تنسكب منه فتتناثر فى أطراف السماء ... لقد أضحى دائرة صغيرة آخذة فى انحدار سريع ... وإن الدائرة لتمس خط الأفق، ثم تنغطس فى خضمه الهائل ... وتستسلم ... وترسل نظراتها الأخيرة فى ضراعة ووداعة وحب ... حتى إذا غامت فيه ؛ كان جناحاها المشيان الممتدان على طرفيه ، يضطربان ويهتزان كما يهتز المصباح الضئيل قبل أن ينطفئ

... وانطلقت فى الدنيا نسمات سريعة كأنها كانت تحمل نبأ الصراع ، ونهاية المعركة ...

... وسكنت الطيور إلى أعشاشها تخاف على نفسها شر الليالى السود

... وأويت أنا إلى غرفتى مكدوداً ... بعد هذا الطواف الطويل

— ٥ —

سينجاب الليل ... وستشرق الشمس غداً على العالم ... وستتجدد الحياة فى أضوائها الساطعة ... ترى هل تنزاح الظلمات التى تملأ نفسى ... وهل أخرج من هذا الليل الطويل الذى أخبط فيه ... وهل يقدر لهذا القلب أن ينعم بالضوء والدفء والحياة المرحة ؟ ! !

... ترى هل يقدر ؟ ! ... نورك اللهم ! ...

« القاهرة » شكرى فيصل

شبلى

قصـــة الحب ...

« يا شامري : إنك تحكى ما فى نفسى ... فتعال فى خطى بطيئة وبيدك هـذه الباقة الصغيرة تقدمها فى صفاء ... »

تختلط الينابيع بالنهر
وتنساب الأنهار من المحيط
وتنزل الرياح القادمة من السماء
إلى النسمات الوادعة .
ليس فى الحياة من يحيا وحده
كل ما فيها يمتزج
بقانون أزلى ثابت
فلم لا نكون : أنا وأنت

***

أنظرى الجبال تقبّل السحب
والأمواج يعانق بعضها بعضاً
والزهرة الصغيرة لن يغتفر لها أحد
أن تتناسى أخاها الشقيق
أنظرى ...
ضياء الشمس يلامس الأرض
وأشعة القمر تقبل المحيط
هذه القبلات كلها ما نفعها
إذا لم تقبلينى أنت .

م . وهبه

مجموعات الرسالة

تباع مجموعات الرسالة مجلدة بالأثمان الآتية :
السنة الأولى فى مجلد واحد ٥٠ قرشا ، و ٧٠ قرشا عن كل سنة من السنوات : الثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة فى مجلدين .
وذلك عدا أجرة البريد وقدرها خمسة قروش فى الداخل وعشرة قروش في السودان وعشرون قرشا فى الخارج عن كل مجلد

دعوة الرسالة

إلى تجديد الدين والأزهر

للأستاذ محمود أبو رية

لما قرأت مقالكم الممتع « فقهاء بيزنطة » فى العدد ٣٥٢ من الرسالة ، أعجبنى أيما إعجاب ما وصف قلمكم البليغ من الأمور التى يجادل فيها مشايخنا فشغلوا الناس بها ، وأوقعوا الفرقة بينهم من أجلها ؛ ذلك بأن من يطلع من أهل البصر على أكثر أبحاث شيوخ الدين عندنا وجادلاتهم ، سواء أكان ذلك فى مجتمعاتهم أم على صفحات مجلاتهم لا يصدق أنهم يعيشون فى هذا العصر ، أو أن الدين الذى ينتسبون له ويناقشون فى مسائله هو الدين الإسلامى الذى جاء به محمد (ص) . ولكنى — ولا أكتمك الحق — قد وقفت عند جعلكم البحث فى أمر تسوية القبور أو إقامتها من هذه المباحث البيزنطية ، لأن هذا الأمر إنما يتصل بأصل الدين الإسلامى وهو (التوحيد) الذى هو أصل رسالة محمد (ص) وقاعدة دينه ، بل هو أول ما يدعو إليه كل رسول بقوله : « اعبدوا الله مالكم من إله غيره » وذلك بأن يعبد الله وحده ولا يعبد غيره بدعاء ولا بغيره ، وروح التوحيد كما لا يخفى على كل مسلم صحيح الايمان ، هو إخلاص العبادة لله تعالى والاستعانة به والتوكل عليه والنذر له ، وما نكب المسلمون بشىء نكبتهم بالقبور المشرفة والأضرحة العالية فقد أصابتهم من نواح كثيرة فى دينهم ودنياهم . أفسدت عقائدهم فأصبحوا كما قال الله تعالى : « وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون » ، وأذهبت أموالهم فيما لاخير فيه ولا نفع منه وذلك بما يبذلونه فى إقامة القباب ورفع الأضرحة ؛ وشلت قواهم ، وكبلت هممهم ، وهذه الناحية هى أشد ضرر اجتماعى ضرب فى مفاصل الأمة ، ذلك بأنهم قد تركوا الأسباب التى من كسبهم ودابروا سنن الله فى عملهم ، تلك السنن والأسباب التي أخذت بها الأمم ، فكانت سبب نهوضها ومرقاة سعادتها . ارتكنوا على أصحاب هذه الأضرحة ليقوموا بشؤونهم ويقضوا من حاجهم حتى صرنا فى ساقة الأمم لا حول لنا ولا قوة ، ورحم الله حافظ ابراهيم فى قوله يخاطب الأستاذ الإمام محمد عبده :

إمام الهدى إنى أرى القوم أبدعوا … لهم بدعاً عنها الشريعة تعزف
رأوا فى قبور الميتين حياتهم … فقاموا إلى تلك القبور وطوفوا
وباتوا عليها جاثمين كأنهم … على صنم للجاهلية عكف

ورحمه الله إذ قال :

أحياؤنا لا يرزقون بدرهم … وبألف ألف ترزق الأموات
للسيد البدوى ملكٌ دخله … خمسون ألفاً والحظوظ هبات[1]
وأنا أعذب فى الوجود وليس لى … يا أم دفر ما به أقتات[1]
من لى بحظ النائمين بحفرة … قامت على أرجائها الصلوات
يسعى الأنام لها ويجرى حولها … بحر النذور وتقرأ الآيات
ويقال هذا القطب باب المصطفى … ووسيلة تقضى بها الحاجات

وقفت عند هذا القول فى مقال صاحب الرسالة وعجبت أن يصدر منه وهو جد خبير به وبضرره حتى قرأت مقاله البليغ (العقيدة الساذجة) ، ورأيت فى القول المحكم عن الضريح الذى أنشأه بالعراق السردار طاهر زين الدين الزعيم الهندى لعلىّ رضى الله عنه ؛ فوجدت قلمه قد ضرب فى الصميم ومسّ أصل الداء الذى أصاب بلاد الإسلام جميعاً وقلت : لقد اقترب صاحب الرسالة من العمل الحق للدين — لما لم يجد أهله يعملون له — بعد أن كان أكثر عمله للأدب ، ولا غرو فإن الدين الإسلامى لكما قال هو : « ينفرد عن سائر الأديان باعتماد دعوته على الأدب وقيام معجزته على البلاغة » ثم وددت لو أنى قرأت فى هذا المقال أدلة النهى عن إقامة القبور وزخرفتها من لسان صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم ومن عمل على رضى الله عنه فى مثل هذا الأمر نفسه لا ليشد مقاله بها فإنه شديد متين ولكن ليعرف المتعصبون والقبوريون أن ما تدعو إليه الرسالة إنما هو دعوة محمد (ص) فلا يفتروا الكذب بأنه رأى مفتجر لا يؤيده دليل ولا يظاهره نص . كنت أود أن يقرأ الناس فى هذا المقال الحديث الصحيح الذى أخرجه مسلم عن أبى الهياج الأسدى قال :

(١) البيتان الثانى والثالث لم ينشرا بديوان حافظ ، فنرجو من كل من عنده نسخة من هذا الديوان أن يزيدهما على هذه الأبيات لأنهما من نظم الشاعر

قال لى علىّ : ألا أبعثك على ما بعثنى على رسول الله (ص) ؟ ألا تدع صورة إلا طمستها ، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته — وفى رواية ألا تدع تمثالاً إلا طمسته ، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته)

وقد ذكر الإمام الشافعى فى الأم ونقله عنه النووى فى شرح مسلم أنه رأى الأئمة بمكة يهدمون ما شيِّد من القبور ويسوونها بالأرض عملاً بهذا الحديث ، والحديث الآخر الذى رواه مسلم عن جندب قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس وهو يقول :

« ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، فإنى أنهاكم عن ذلك »

وما أخرج مالك فى الموطأ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اللهم لا تجعل قبرى وثناً يعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد

نعم. وددت ذلك وتمنيت لو أن صاحب « الرسالة » قد نهض كذلك ، وهو ذو القول البليغ المسموع والرأى الموفق المقبول فواصل الكتابة فى هذا الأمر ، حتى جاء العدد ٣٥٥ ، ورأيت صدره قد تحلى بمقاله « فى سبيل الأزهر الجديد » ، حينئذ طابت نفسى وانشرح صدرى وقلت : لقد وضعنا أيدينا على مفتاح الإصلاح ، لأن هذا المقال ، إنما هو الصيحة المباركة لا فى سبيل تجديد الأزهر فحسب ، ولكن فى سبيل تجديد الدين .

لقد ضرب قلمكم البليغ فى صميم الإصلاح الدينى فقال : إن إصلاح الأزهر من ناحية الدين إنما هو فى العودة إلى استنباط الدين من منابعه الأولى « من صريح الكتاب وصحيح السنة »

إن الدعوة التى تقوم بها الرسالة اليوم هى التى اتبعها خير القرون واستمسك بها من بعدهم العلماء المحققون أمثال ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وغيرهما. وهى التى وضع بذرتها فى العصر الحديث جمال الدين وأنبتها الإمام محمد عبده ، وقام على تربيتها السيد رشيد رضا حوالى أربعين سنة والتى أفصح عنها بكلمة حكيمة يجب أن تكون أساس كل إصلاح دينى فى هذا العصر وهى :

« أقول فى الدين بقاعدة الإمام مالك وهى الوقوف فى العقائد والعبادات عند نصوص القرآن ، وبيان السنة النبوية له ، وسيرة السلف الصالح فيه قبل حدوث الآراء والبدع ومراعاة مصالح الأمة العامة فى الأحكام الدنيوية من مدنية وسياسية وغيرها ؛ وأما ما فوضه الشارع إلى الناس من أمور دنياهم ووكله إلى علمهم وتجاربهم فى قوله صلى الله عليه وسلم : « أنتم أعلم بأمور دنياكم » وقوله (ص) : « إنما أنا بشر مثلكم إذا أمرتكم بشىء من أمر دينكم فخذوا به ، وإذا أمرتكم بشىء من رأيى فإنما أنا بشر » رواهما مسلم فى صحيحه

أما هذا فأنا أدعو فيه إلى أحدث ما انتهت إليه علوم البشر وفنونها وإلى ما لا يعرف له حد من الزيادة عليها بقصد إعزاز الأمة وإعلاء شأن الملة بها ، ولا بد فيه من المحافظة على مقومات الأمة ومشخصاتها التى كانت بها أمة فى وسائلها ومقاصدها)

هذا هو منهج الإصلاح الدينى الذى بينه أفصح بيان السيد رشيد رضوان الله عليه

فسر يا صاحب الرسالة بتوفيق الله فى هذا الطريق حتى يتجدد الدين ويبلغ مكانته اللائقة فى هذا العصر وفى غيره ، وبذلك تكون الرسالة قد نهضت بخير عمل ثوابه عند الله كبير ، ونفعه للناس عظيم

(المنصورة) محمود أبو ريه

من وراء المنظار



فى عيد الفسيخ

أرجو ألا يحمل القارئ تسميتى هذه على المزاح ، فلست لعمر الحق مازحاً ، وما أستطيع أن أسمى الأشياء بغير أسمائها حتى فى هذا الزمن الذى يسمى كل شيء فيه بغير اسمه

وإنما تسمى الأعياد بأبرز خصائصها . على هذا النحو كان عيد الأضحى ، وعيد الفطر ، وعيد الميلاد . وليس فى القراء من يستطيع أن يجادلنى فى أن الفسيخ قد أصبح أبرز خصائص ذلك اليوم الذى نسميه شم النسيم ؛ فليت شعرى وهذا هو شأن الفسيخ فيه لم لا نسميه عيد الفسيخ ، وقد تلاشى فى جمال الفسيخ كل جمال ؟

الأصل فى هـذا اليوم أنه عيد الربيع ، عيد الورد ، عيد النسيم الذى ينفح بالعطر ويزخر بالجمال ، ولست أشك فى أصله ؛ ولـكنى لست أدرى ماذا جعل الفسيخ فيه يطغى على الزهر ؟ ولعمرى ما أرى أى رابطة بين هذا وذاك ، وليس من ينازعنى حتى المولعين بالفسيخ أنفسهم أن هذا شيء وذاك شيء آخر أبعد ما يكون عنه عنصراً ومعنى ؛ وإن كان فى الناس من يقول : « يخلق من الفسيخ شربات »

درت بمنظارى لحار المنظار أو حارت عينى من وراء المنظار ، ماذا تسجل وماذا تدع ؟ أأستطيع أن أمر ، دون أن أضحك ، بهؤلاء الذين جلسوا للطعام على بُسُط الربيع ، فما كان أمام الـكثرة المطلقة منهم إلا هـذا الصنف من الطعام الذى يجب أن يكون آخر ما يؤكل خارج المنازل ، إن جاز أن يؤكل فى أى مكان قط ؟ وكان يبعث ضحكى من هؤلاء أنهم يعانون رهقاً شديداً فى تناوله ، ومع ذلك فهم يقبلون عليه فى شراهة جعلتنى أعتقد أن اسم الجمال عندهم فى هذا اليوم هو فى ذلك « الملخ » وذلك « النتش » وما يصحبهما من تلويث الأيدى والملابس فضلاً عن تلويث الجو كله برائحة احتبست منها أنفاس الزهر ! دع عنك مخلفاته الثمينة التى تزيد بتناثرها هنا وهناك هاتيك البساتين جمالاً على جمال !

وما كان هذا المنظر وحده هو الذى انقبضت له نفسى ، فلقد كان ما رأيت فى النهار كله دليلاً لا يكذب على أن الناس ما خرجوا من دورهم لاجتلاء جمال الربيع والاستمتاع بصفاء الربيع ، وإنما جاءوا ليشوهوا جمال الربيع عامدين بكل ما فى وسعهم من أسباب التشويه

على أى وضع من أوضاع الذوق والجمال يعتبر منظر هؤلاء « الأفندية » الذين تحلقوا على الحشائش فما خفت لهم صوت منذ جلسوا ، وما جرت ألسنتهم إلا بكل عوراء مخزية من النكات والحـكايات ؛ حتى لعبت برؤوسهم بنت زجاجتهم فازدادوا نكراً وخفة وعلى جوانبهم أسر فيها أوانس وسيدات ؟

وعلى أى وضع من أوضاع الذوق والجمال يعتبر منظر هؤلاء الشباب المتملعين الذين يأخذون السبيل على كل غادية ورائحة ، ولا يتنادون إلا بأشنع السباب وأوقح الأسماء والذين لا يطربهم أكثر من عبارات السب توجه إليهم ممن يغازلن « ويما كسن » ؟

ثم ما هذه « الشلل البلدى » الذين اصطحبوا من اصطحبوا ممن كن وإياهم على موعد فى هذا اليوم الجميل فجاءوا وجئن يضيفون إلى معانى جماله هذا المنظر المخزى البغيض ؟

بل ما هذا الأفندى الوجيه الذى خلع سترته وألقى بطربوشه ووقف يرقص فى حركات بهلوانية وحوله من يصفق له ممن يعرفونه ومن لا يعرفونه ، وهو لا يزداد على التصفيق إلا جنوناً وانتشاء ، ثم هو لا يفتأ يعاود حركاته كلما استخفه التصفيق ممن أولعوا باستخفافه ؟ وما هؤلاء الشحاذون الذين انتشروا هنا وهناك ، فكانوا أثقل على العادثين من المهرجين ومن الذباب ومن رائحة الفسيخ ؟ ما هذا الضجيج ، وما هذه الفوضى التى تلاشى فيها جمال الربيع وصفو الربيع واستخذى لها وجه الربيع ، حتى لو استطاع ربيعنا لبحث له عن أرض غير هذه الأرض ، وناس غير هؤلاء الناس !

رأيت هذا ، فذكرت يوم شم النسيم فى القرية ، وطاف برأسى عذارى الريف يسبقن الفجر زرافات إلى الترع فيستحممن ويملأن جرارهن ويغطينها بالريحان والنوار ، ويعدن مغنيات ضاحكات تنفحهن أنفاس الفجر الندية الرخية ، وترمقهن باحتشام عيون الشبان فى طريقهم إلى شجر التوت وفى أيديهم الريحان والسعد والنعناع والورد ، فلا يكون بين هؤلاء وأولئكن إلا الابتسامة الحلوة أو التحية العفة ، ويكون نهارهم ونهارهن فيضاً من الجمال والهدوء والانبساط ، ومما شاءوا وشئن من هوى عذرى تبقى ذكراه وذكرى المسرة فى نهاره سحر العام كله

« عين »

النقابات الاســـــلامية

للأستاذ برنارد لويس

ترجمة الأستاذ عبد العزيز الدروى

— ٣ —

انتشرت حركة الأخوة بسرعة فى المدن والأرياف – بالتكتل والكرم – كدستورهم ، وطبقة أصحاب الحرف كأساس اجتماعى لهم ، وقتل الطغاة وسنائمهم كواجب من واجباتهم ، فكانت حركة اجتماعية سياسية دينية عسكرية فى نفس الوقت . وقد لاحظ أحد الزائرين فى عهد متقدم أن أعضاء كل جمية من جميات الأخوة كانوا أصحاب حرفة واحدة . ولا بد من أن الاتحاد التام لجميات الأخوة مع الطوائف قد حصل فى زمن متقـدم ، وربما كان ذلك فى بدء حركة الأخوة . كما أن حركة الأخوة لم تكن مجرد تنظيم لأصحاب حرفة واحدة ، وإنما جعلوا واجبهم حفظ العدل ووقف الظالم عند حده ، واتباع قانون أخلاق ودينى ، وتنفيذ واجباتهم العسكرية إن دعت الحاجة للدفاع عن حقوقهم . ولم تكن العضوية مقصورة على المسلمين فقط إذ نجد عدد المسيحيين عظيما جدا فى طور متأخر

وهكذا تحقق فى حركة الأخوة لأول مرة اتحاد الطوائف والفتوة والطرائق الدينية . وقد أتى كورد لفسكى ببينة ممتعة تؤيد تأثر الطوائف بالنفوذ الإسماعيلى إذ يلاحظ الأستاذ أثراً قوياً لآراء ابتداعية (لا توافق قواعد الإسلام) عند الأخوة ، ويرجع أصل ذلك إلى إخوان الصفا . ويذهب (كوبرولو) إلى أبعد من ذلك ويؤكد أن الأخوة كانوا فى الحقيقة متطرفين ملحدين فى بدعتهم وخروجهم وأنهم من طراز القرامطة أنفسهم[١]

ولدينا وصف هام للأخوة فى الأناضول ورد إلينا فى رحلة ابن بطوطة من أهالى طنجة زار الأناضول فى القرن الخامس عشر الميلادى[٢]

---

(١) تجب ملاحظة أن (تشنر) ينكر أى أثر إسماعيلى فى حركة الأخوة ويعتبرهم سنية قبل كل شىء

(٢) ابن بطوطة طبعة باريس١٨٥٤ ج٢ ص ٢٦٠ وما بعدها . لخص (تشنر Taeschner ، مخطوطة أخوة ممتعة ترجع إلى القرن الرابع عشر تنسب إلى يحيى بن (خليل) . وفى هذه الرسالة نلاحظ ثلاث درجات يكيت فتى، آخى، شيخ؛ والدرجة الأخيرة نظرية أكثر منها عملية، ووظيفة==

وبظهور السلطة العثمانية وتوحيدها فقدت الأخوة كثيراً من سلطتهم ونفوذهم ، وبعد مقاومة عنيفة غير ناجحة اضطروا إلى التخلى عن مهمتهم السياسية والعسكرية ، ولكنهم لم ينحطوا أبداً إلى درجة أصحاب حرف عادية فقد استمرت بينهم روح العصر الأول . وحافظت الطوائف حتى القرن العشرين على حياة روحية داخلية وقانون أخلاق

وامتزجت نظم الطوائف والفتوة والأخوة فى الأناضول بسرعة وتم ذلك فى كل البلاد الإسلامية المتوسطة (مركزاً) فى القرن الخامس عشر . وقد جاءت معظم وثائقنا عن النظام الداخلى لهذه الطوائف بوساطة طوائف الفتوة . فكان لكل طائفة قانون يحتوى على قواعد وعادات وشعائر يتلى شفهيا عادة . وكان هذا القانون يعرف بالدستور (كلمة فارسية معناها : إذن . ومؤخراً . نظام) وكانت تكتب هذه القوانين فى بعض الأحيان وقد وصلنا عدد كبير من هذه الكراريس ترجع إلى القرن الرابع عشر وما بعده . ويعتبر كتاب الفتوة أو (فتوت نامه) كما تسمى هذه الكراريس بالعربية والتركية على التوالى مع عدد من كتب الرحلات والجغرافيا المصدر الأساسى لمعلوماتنا[١] وتتألف جميع هذه الكتب تقريباً حسب خطة واحدة من ثلاثة أقسام . القسم الأول يحوى أساطير تتعلق بأصل الحرفة ومغامرات مؤسسها الذى تنتمى إليه ، وهى تمطى عادة حلقة من التنشىء مثلاً : الله علم جبريل ، جبريل علم محمد ، محمد علم عليًا ، علىّ علم سلمان الفارسى ، وسلمان علم الأبيار (وهم حماة أصحاب الحرف حسب تقاليدهم) والأبيار علموا الفروع (وهم الحماة الثانويون للشعب المختلفة لأصحاب الحرفة الواحدة) . وهؤلاء الفروع علموا بدورهم رؤساء الأصناف العاديين . وهـذه الأساطير تظهر عادة تأثيراً قوياً للاسماعيلية والصوفية . القسم الثانى : يحوى عادة قائمة بأسماء الأبيار والفروع لمختلف الحرف ، وهؤلاء عادة أشخاص اقتبسوا من التوراة والقرآن ومن التاريخ الإسلامى ، وهكذا نجد آدم حامى الفلاحين والخبازين ، وشيث حامى الحياكة والخياطين ، ونوح حامى النجارين ، وداوود حامى الحدادين والصباغ وابراهيم حامى

==الآخى أن يدعو ويرأس الاجتماعات الأسبوعية وتعليم وتنشىء المبتدئين . وكان اليكتلر (فتيان) ينقسمون إلى صنفين : قولى وسبقى . ومن الصنف الثانى يعين الأخية الجـدد فى حالة الفراغ . وهناك موظف دائم يدعى النقيب أو رئيس الحفلات

(١) ص١٠ لا تزال أكثر هذه الكراريس باستثناء اثنين أو ثلاثة خطية موزعة فى أوربا وآسيا فى المكتبات العامة والخاصة لنظرة العامة راجع : Thorning, Breitage p. 15 - 54

الطباخين، واسماعيل حامي صناع الأسلحة . والقسم الثالث يحوى التعاليم لتثقيف المبتدئين ، والأسئلة فيه تظهر اتصالاً قوياً بآراء الدراويش. ويمكننا من هذه الكراريس (كتب الفتوة) أن نصور نظام الطوائف لحد ما . ويحسن بنا أن نتذكر فى عملنا هذا أن وثائقنا جاءت من حقل تاريخى يمتد منذ القرن الرابع عشر حتى القرن العشرين ويشمل كل البلاد الإسلامية . ومهما كان التغيير قليلاً خلال القرون، فإنه يوجد تباين محلى عظيم. لذا سنحاول أن نعطى صورة شاملة مع ملاحظة الفروق الأساسية تبعاً للمحل والزمن

يرأس الطائفة الشيخ[1] ينتخبه الأساتذة من بين رجال الحرفة، وبعد انتخابه يكون حاكم الطائفة الأوحد ويجمع وظائف رئيس وأمين صندوق وكاتب ، وهو (أى الشيخ) موجود فى جميع الطوائف الإسلامية وفى بعض الطوائف كطوائف مصر فى القرن السادس عشر الموصوفة فى (مخطوط كونا) ونجد له مساعداً ، وهو النقيب ، ومنزلته بالنسبة إلى الشيخ « كمنزلة الوزير من السلطان » ويظهر أنه كان رئيس التنفيذ لأوامر الشيخ ومنظم الحفلات أيضاً . ويليه الاختيارية أو المسنون بين أساتذة الطائفة يتعاونون معه على إدارة الطائفة؛ ثم يأتى الأساتذة ويدعى الواحد عادة أسطى أو أحياناً (معلم) ، وهم يشكلون القسم الرئيسى من الطائفة . أما الصانع فلا يلعب دوراً هاماً فى الطوائف الإسلامية ولا وجود له عادة إذ يكون الانتقال من مبتدىء إلى أسطى رأساً؛ ويوجد فى بعض النقابات دور وسط يدعى العامل فى خلاله خلفه أو خليفة، وهذا الدور وقتى فقط

وتتم الحلقة بالمبتدىء وفى أغلب الحالات لا يحدد وقت للدور الذى يقضيه المبتدىء ولا يطلب منه صنع شيء مثالى متقن جداً Masterpiece بالمعنى المفهوم عند الأوربيين . فزمن الدراسة والأجازة يعين من قبل الأستاذ الذى يشتغل معه المبتدىء . وتختلف النصوص فى مسألة تطبيق النظام فيقول البعض إن الشيخ يطبقه أو ينفذه منفرداً . ويقول آخرون إنه يفعل ذلك بمساعدة الاختيارية

هناك نوع آخر من التنظيم فى الطوائف الأناضولية المتأخرة وصفه كوردلفسكى إذ يطلب هنا من المبتدىء قضاء ألف يوم ويوم فى هذا الدور . كما أنه لا يأخذ فى هذا الدور أى أجر ولكن له الحق أن يحصل على بعض المكافآة (البقشيش) ووليمة عند انتمائه إلى الطائفة ، ويدربه أستاذ فى شئون حرفته كما يحصل على دراسة أخلاقية فى الزاوية فى نفس الوقت . وإذا تتلمذ الجراق لأستاذ معين، فعليه أن يبقى مع أستاذه ولن يقبله أستاذ آخر كتلميذ له. وفى نهاية هذا الدور يطلب منه عمل شيء مثالى متقن فى صناعته ثم يجاز فى حفلة عامة من قبل — الأصناف باشى — أى شيخ الحرفة ، وال — يكيت باشلرى — أى الاختيارية ، وبعد هذا يصبح خلفه[1] ويجب عليه أن يبقى ستة أشهر على الأقل وبعد انتهائها يستطيع أن يمارس حرفته كأستاذ — وفى هذا يساعده أستاذه وغيره من الأساتذة من الوجهة المالية عادة .

ترأس الطائفة هيئة تدعى لونجة هيئتى Lonca Heyeti تتشكل من شيوخها أى الرجال المسنين[2] ويكون القرار النهائى للرئيس الذى ينتخب عادة لتقواه . وتجتمع الهيئة مرة كل أسبوعين ، وينفذ الأوامر والعقوبات الجاويش أوال — أوش باشى — ويحرص الطوائف كثيراً على كيفية نوع المنتَج ويعاقب صاحب الإنتاج الردىء بطرده مؤقتاً من الطائفة تشترى المواد الأولية تحت رقابة الشيخ، ولأصحاب الحرفة الفقراء حق الأقدمية فى هذا على الأغنياء ، ويعقد اجتماع عام سنوياً .

يمكننا أن نلاحظ الدور الهام الذى يلعبه اللباس الخاص لرجال الطوائف فى حياتها . فميزة الفتوة الظاهرة فى أوائل عهدها كانت السروال ، ويتكلم الكتاب العرب عن لبس السروال كعلامة للانتماء إلى الفتوة ؛ ثم أصبحت هذه العادة متبعة فى الطوائف ، وصارت حفلة الانتماء إلى عهد قريب تتصف بارتداء بعض الملابس: السروال والشد والحزام والبشمال أو الصدرية . وهى الأهم من بين الملابس .

لدينا وصفان مفصلان للطوائف الإسلامية يستحقان الفحص كل على انفراد أولها وصف فى رحلة سائح تركى يدعى — أوليا جلبى — الذى صنف قائمة مفصلة بأسماء الطوائف وهيئات أصحاب الحرف فى أوائل القرن السابع عشر بناء على طلب السلطان ، وفى هذا المؤلف نجد لأول مرة وصفاً كاملاً لنظام الطوائف فى مدينة إسلامية . يبدأ أوليا جلبى وصفه للطوائف بفتوت نامة — كتاب الفتوة — الذى يظهر أنه نص منقول يحتوى على الأساطير والتعاليم الاعتيادية وكذا وصفه حفلة الانتماء

---

(١) يعرف الشيخ أيضا باسم (أمين) وعريف ، وأحيانا نقيب إذا اختفت رتبة النقيب كرتبة مستقلة يسمى الشيخ فى تركيا — شيخ ، أسطا — وفى أسيا الوسطى يسمى — آق صقال —

(١) راجع Gordlevsky - R. E. I. 1934, p. 81 off.

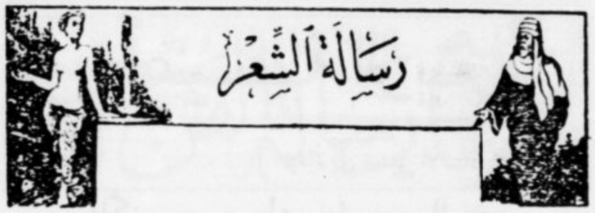
(٢) يقول كوردلفسكى نظراً لقلة رأس المال كان يمد دور الحلقة إلى أكثر من ستة أشهر .

إلى الطائفة . أما تركيب الطائفة الذى يحويه الوصف فهو الشيخ (الرئيس) والنقيب (نائب الرئيس) والجاويش والأوسطة (الأستاذ) ثم الشاكرد (المبتدئ) . أما الصانع أو العامل البسيط فيلاحظ أنه لا ذكر له

ثم يعدد (أوليا جلبى) جميع الطوائف الموجودة تحت سلطة اللالى (جمع مُلاّ) الاربعة فى القسطنطينية مع عدد حوانيتهم ورجالهم وشيوخهم إذ ينقسمون إلى سبع وخمسين شعبة تحتوى بمجموعها على ألف طائفة وطائفة تحوى الشعبة الأولى طوائف الجواويش (ج جاويش) وموظفى البوليس والغلمان والانكشارية الجدد (أكم أو غلان) والزبالين والقندلفتية (حفار القبور — الحانوتية —) وعمال المناجم ، والبلطجية والأحداث Minors والنقاش . وفى المعارض العامة يتقدم هؤلاء فى السير لأن من واجبهم تنظيم أو تسوية الطرق التى يسير عليها الآخرون بعدهم . أما الشعبة الثانية فهى تحت إدارة رئيس الطوائف Asas - Basi الذى عين لهذا المنصب من قبل السلطان محمد الفاتح (١٤٥١م – ١٤٨١م) وهى تحتوى على أصناف العسس والشرطة والجلادين ، واللصوص ، وقطاع الطرق ، وزمرة المسخرين (فى العسكرية أو البحرية) وسواس الخيل ، ومرنى الخيل ، والحرس . ويبين أوليا أن أصناف اللصوص ، وقطاع الطرق ، وكذلك المفلسون وغيرهم من وضيعى الأخلاق لا يظهرون فى المعارض العامة ، ولا يعرفون شخصياً ، ولكنهم يدفعون خوة (ضريبة) لرئيسى الشرطة المدعوَّين (أسس باشى) (وصو باشى)

لا يتسع المجال هنا للنظر فى وصفه للسبع والخمسين شعبة ، ولنلاحظ كمبدأ عام أن كل شعبة يرأسها شخص واحد ، وهو عادة رأس الطائفة المهم فى الشعبة ووظيفته أرفع وظيفة . أما الشعب القليلة التى يترأسها موظفون كـ (صوباشى) ، فهى مستثنيات ، والسبب هو كون الحرف نفسها رسمية أو شبه رسمية ، وتمثل الطوائف عرضاً تاماً على هيئة استعراض مرة واحدة سنوياً ، ووصفه أوليا كما يأتى : « يبدأ الوكب الملكى بالسير وقت الفجر ويستمر الموكب فى السير طول النهار ، حتى الغروب ، يفتتح الاستعراض من قبل الجاووش لر المسمى الاى جاويش وينهى الموكب ألفى رجل والـكل مدجج بالسلاح كأنه بحر زاخر ، ومن العادة المتبعة أن كل طائفة عند الوصول قرب الحديقة الجديدة أمام تذكار خسرو باشا تعرض نفسها أمام بيت قاضى استانبول لأنه صاحب السلطة لتفتيش جميع الأوزان والمقاييس ، وجميع الطوائف . وهناك قاعدة أخرى وهى أن كلا من هذه الطوائف يهدى إلى قاضى القسطنطينية البضائع التى عرضوها فى معرض عام . ولكن بعض هذه البضائع كان يخفى بهذه المناسبة ، وبعد تقديم الاحترام لأول حاكم فى العاصمة تسحب الطوائف رؤساؤها إلى محلاتها المختلفة وينصرف كل إلى بيته . وتتوقف كل تجارة وحرفة فى القسطنطينية بمناسبة هذا الاستعراض لمدة ثلاثة أيام يملأها ضجيج وفوضى الاستعراض » . ويظهر أن أهمية عظمى كانت تعلق على نظام الأقدمية (فى السير) . ويعطى أوليا جلبى وصفاً ممتعاً لنزاع من هذا القبيل (أى حول حق الأقدمية) بين القصابين وبين تجار مصر ، ثم صدر الحكم النهائى من قبل السلطان فى جانب التجار (يتبع)

عبد العزيز الدورى



هل بعد الشباب شباب ؟

للأستاذ حسين شفيق المصرى

أبعد اكتهال فى الضلال صواب ... وهل صادقٌ بعد المشيب متاب
أرى الشيخ من بعد الغواية زاهدا ... كما خاف حرّاس الكروم غرابُ
تشوب له الغادات بالسُّخر وِدَّها ... ويسخو على جُلاّسه ويُعاب
فيهلك ما يقني ويمضغ حسرة ... لها فى اللهى بعد السُّلافة صابُ
ويعتزل اللذاتِ فى ثوب راهب ... ومن تحتـه المخزيات ثياب
فينهض فى المحراب يسأل ربه ... ثواباً ، وما للمفسدين ثواب
وفى نفسه عند السجود لو انه ... يتاح له فى الموبقات وثاب
وقد يتمنى لو يُنيب ، وبينه ... وبين فتون المغريات جِذاب
فلا هو للدنيا ، ولا هو دينٌ ... وقد مات ، لولا جيئةٌ وذهاب
ويا رُب حى يخفض الذلُّ رأسَهُ ... وميْت يُعَلَّى قبرُه ويهابُ
ألا لو درى الأشياخ فى زمن الصبا ... بعقبى الهوى لاستدبروه وآبوا
وشقوا إلى العلياء كل مخوفة ... تشق رؤوسٌ عندها ورقاب
وكائن ترى من مُترف ورِث القُرى ... وركن الحجى فيما لديه خراب
تطير به الأهواء حتى ينوشَهُ ... من الفقر فى جو الرفاهِ عُقاب
وآخر ضاوٍ مسّه اليُتم بالطوى ... ودارت به الأيام وهى غضاب
فسار على درب الشباب إلى المنى ... وئيداً ، فما استعصى عليه طِلاب
وخالس عيشَ الكدِّ ساعاتِ لذةٍ ... تعيد صفاء النفس حين تُشاب
فلما دنا من شيبه بشـبابه ... تربع فى دست عليه حجاب

***

فتى العصر هل بعد الشباب شباب ... إذا غزلٌ ولى به وشراب
أكل الصِّبا حب ولهو ونشوة ... وهجر وشكوى لوعةٍ وعتاب
أفى كل ناد ملعب ومجانة ... وفى كل ليل صبوة ودعاب
أتذهب أيام الشباب على الهوى ... أليس لأيام المشيب حساب
شبابك هذا فرصة إن تركتها ... فليس لها بعد المضى مآب
وليس لمجد فى الفتون شريعة ... وليس لجاه فى المجون كتاب
فخذ فى سبيل السابقين إلى العُلا ... وليس لها غير الجهاد ركاب
ولا تنس والأيام خُضْرٌ وريقة ... نصيبَكَ منها والغصونُ رِطاب
فإن كان حب فلتصنه نزاهة ... وإن كان لهوٌ فليزنه صواب

***

ألم ترنى أبصرت بعد عمايتى ... وما زال مغشيًّا علىَّ حجاب
كما انجاب ليل فى فلاة فسيحة ... فأخفى ضياء الشمس عنك ضباب
كشأن صحاب عاصرونى مع الصبا ... فشبت على دين المجون وشابوا
قضوا فى حوانيت الشراب شبابهم ... فلما علا الشيبُ الرؤوسَ تصابوا
كأن بهم وهناً يصد عن العلا ... وأعوادهم رغم المشيب صِلاب
وداعى الهدى لا يسمع الشيخ صوته ... ولكنه يدعو الفتى فيجاب (1)

حسين شفيق المصرى

لقـــاء...

للأستاذ حسن حبشى

يَا لَحْظَةً أَفْدِيكِ بِالْخُـلْدِ ... جِئْتِ العَشِيَّةَ دُونَ مَا قَصْدِ
أَبْصَرْتُ فِيكِ أَشِعَّةَ المَجْدِ ... وَشَذَى الرَّبِيعِ ، وَنَفْحَةَ الوَرْدِ

هِيَ لَحْظَةٌ جَمَعَتْ فُؤَادَيْنِ ... رَبَطَ الهَوَى بَعْضاً إِلَى بَعْضِ
بَعْدَ الفِرَاقِ وَلَوْعَةِ البَيْنِ ... كَانَتْ شُعَاعَ اللهِ فِي الأَرْضِ

---

(1) نظرت فى البيت الأخير إلى قول زهير بن أبى سلمى :
وإن سفاه الشيخ لا حلم بعده ... وإن الفتى بعد السفاهة يحلم

خَفَقَ الفُؤادُ لِطَلْعَةٍ عَكَسَتْ نُورَ الخُلودِ وَبَدَّدَتْ ضَعْفِي
مَدَّتْ يَداً فِيهَا المُنَى جُمِعَتْ يا لَيْتَ ثَغْرِي كانَ فى كَفِّى

أنتِ الحَيَاةُ لِشَاعِرٍ عَاشِقٍ جَعَلَ الجَمَالَ إلهُهُ السَّامِي
يَهْفُو إلَى نَهْرِ الهَوَى الدَّافِقْ هَيْهَاتَ يُرْوَى قَلْبُهُ الظَّامِي

أقْسَمْتُ أنكِ مَشْرِقُ الحُسْنِ وَرَبِيعُهُ النَّضَّاحُ بالأمَلِ
وَرَأَيْتُ أنكِ دُمْيَةُ الفَنِّ سُكِبَتْ مِنَ الألحَانِ وَالقُبَلِ

أأظَلُّ فِي دُنْيَايَ ظَمْآنَا وَالخَمْرُ فى كأسِي بِيُمْنَايَا ؟
وَأظَلُّ أقْضِي العُمْرَ حَيْرَانَا وَالنُّورُ أنتِ ، وَأنتِ دُنْيَايَا ؟

أمْسِي وَمَا أمْسِي سِوَي لَحْنِ قَدْ وَقَّعَتْهُ أنامِلُ الحُبِّ
فَشَرِبْتُهُ لَهْفَانَ بِالأذْنِ وَجَمَعْتُهُ سَكْرَانَ فى لُبِّي

يا ذَلِكَ الأمْس الذى وَلَّى مَا كُنْتَ مِنْ ذَيَّالِكَ الزَّمَنِ
وَدَّعْتُ فيكِ أمَانِيًا هَلاً أبقَيْتَ لِي ذِكْرَى سِوَى الشَّجَن

يا خافِقاً فى الصَّدْرِ مَا بَرِحَا يَهْفُو إلَي المَجْهُولِ مِنْ دَهْرِهْ
مَا أنْتَ أوَّلُ طَائِرٍ جُرِحَا أوْ ضَلَّ مَسْلَكَهُ إلى وَكْرِهْ

أيُرِيشُ زُغْبَ جَنَاحِكَ الدَّمْعُ هَيْهَاتَ مَا لِلدَّمْعِ مِنْ جَدْوَى
فَخُذِ اليَقِينَ فَإنَّهُ دِرْعُ وَدَعِ البُكَاءَ وَدَائِمَ الشَّكْوَى

إنْ تَبْكِ تَذْهَبْ رَوْعَةَ الأمْسِ وَجَلالَهُ البَاقِي إلى الأبَدِ
فَالْقَ الدُّجى لُقْيَاكَ لِلشَّمْسِ وَاسْخَرْ بِمَا يَأتِيكَ مِنْ نَكَدِ

يا لَحْظَةً سَتَظَلُّ فِي خَلَدِي رَفَّافَةَ الأضْوَاءِ وَالسِّحْرِ
نَغَّمْتِ أمْسَ الشَّاعِرِ الغَرِدِ وَغَمَرْتِهِ بِالنُّورِ وَالعِطْرِ

(بنى سويف) **حسن حبشي**

أغنيــــة الربيع

[مهداة إلى صديقى الاستاذ محمود تيمور]

للأديب مصطفى على عبد الرحمن

أشرقتْ مثلَ ابتساماتِ المنى ضحكاتُ الزهرِ فى الصبح الوديعْ
وسرت عطراً وحُسناً وسنا لمحاتُ البشرِ فى وجه الربيعْ

* * *

وجرى الجدولُ ما بين النخيلْ حالماً يخطُر فى رفقٍ واينْ
والطيــورْ
تتغنى فوق عـــذبِ سلسبيلْ
فى سرورْ
ضمّها ظلٌّ من الغصنِ ظليلْ مسبلُ الأهدابِ يستهوى العيونْ
مرت الأنســامُ سكرى فتهادتْ
وسقاها الطـــلُّ خمراً فتناجتْ

* * *

وترى السوسنَ فيّاح العبيرْ سافرَ الحسنِ تراءى للعيانِ
وعذارى الأيكِ أرخين الشعورْ فتنت بالسحرِ سكانَ الجنانِ

* * *

وصحا النرجسُ من ليلِ الشتاءْ وتثنّى
باسماً يختال فى ثوبِ الضياءْ مطمئنّا
وغديرٌ حنّت الطير إليهِ
راقها رشفُ اللمى من شفتيهِ
والفراشاتُ طليقاتٌ عليهِ
حيثما تهوى تهيمْ
فى صفاء ونعيمْ

* * *

يا ربيعاً لاح موفورَ الجنى فاتن الطلعةِ لمّاح السنا
فرشفنا منه أكوابَ المنى ليت هذا السحرَ تبقيه لنا
ليت هذا الحسن للدنيا يدوم

(الاسكندرية) **مصطفى على عبد الرحمن**



بواطن وظواهر

عندنا فنانون ... ولكن !

[إلى أستاذى الدكتور زكي مبارك بعد مقاله : « عندنا أدباء ولكن ... »]

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

١ — من الكتاب

الدكتور هيكل باشا

شارلى شابلن هو أعظم فنان فى الدنيا الآن ، فلا يجوز لأحد أن يغضب إذا قيل له إن فيه من روح شارلى شابلن وظله وتكوينه ، إلا إذا كان ممن يكرهون الفطرة الصافية ، وسهولة النفس الصادقة . ولا يمكن أن يكون الدكتور هيكل باشا من هؤلاء ، ولذلك أبيح لنفسى على الرغم من أنه باشا فى الشرق الذى يقدس كبراءه ويتحرج فى التحدث إليهم والتحدث عنهم ... أن أقول له : إنى ما رأيته حتى تفتحت له نفسى كما تتفتح لشارلى شابلن ، فما أذكر أنه باشا حتى أعود فأتكتم نفسى أمامه ترهيباً وتوقيراً ...

قد كنت أحب ألا يكون الدكتور هيكل ... باشا . بل قد كنت أحب ألا يكون دكتوراً ، فالدكتوراه قد ألزمته فيما يكتب الواقع الثابت المؤكد يتحراه فيما ينشئ ، وفيما يبحث ويدرس ، وفيما ينقد ويوجّه ... والتزام الواقع الثابت المؤكد فى هذا كله حرمنا أن نقرأ وحى عاطفته وأن نطالع نسج خياله ، والعاطفة والخيال أغلى ما فى الفنان ... فهلّا أعطانا منهما الدكتور هيكل باشا ما ننعم به مثلما ننعم بما يعطينا من فكره ؟

الأستاذ الزيات

اسمع صوته تعرف أنه لا يزال إلى اليوم طفلاً لا تعقيد فى طبعه ولا مكر ولا تخابث . وإنه لمسالم ولكنه يعرف ندرة المسالمة فى الناس ، فهو يتحشاهم ويتوقاهم ويسأل الله النجاة من إساءتهم ومن إحسانهم أيضاً . وقد أورثه هذا الشعور « التأنق » الذى عرف عنه فى كتابته ، فهو إذا أراد أن يلقى جبلاً على رأس قارئه لوماً وعتاباً وتعنيفاً كلف نفسه فى البدء أن ينسف الجبل ، ثم أن يدق حجارته وصخوره فإذا هى حصى ، ثم أن يطحن الحصى فإذا هو دقيق ناعم ، ثم أن يحرق هذا الدقيق فإذا هو دخان ، ثم أن ينفخ فى هذا الدخان فإذا هو .. ماذا ؟.. سراب أو أثير يرجم به الأستاذ الزيات ما يكره من الصور والفِكَر والحوادث . وهو إلى جانب ذلك التلطف كله يقول : اللهم غفرانك فما أردت إلا الإصلاح ! مسالم جداً !

وإذا جاء يوم كان اللطف فيه عيباً ، فإنه لن يجيء يوم يرى الناس الإسفاف فيه فضيلة . وقد وقى الله الأستاذ الزيات الإسفاف بما وهب له من الرقة وأناقة النفس ، فهو حريص كل الحرص على قلمه أن ينزلق إلى فكرة نابية أو كلمة فاجرة . وهو على الرغم من احترافه الكتابة السنين الطويلة لا يزال يتأنق فيها . وهذا دليل على حبه إياها وشغفه بها . وثمة دليل آخر على ذلك هو أنه أكرمها فلم ينزل بها إلى أسواق يروج فيها الرخيص الغث منها ، وإنما ظل بها فى سموات أدناها (الرسالة)

إنى أحبه لأنه كان شجاعاً فى عطفه علىّ فى أشد ما عرفت من محن الحياة ، فقد فتح لى أبواب الرسالة بعد ما كنت فى نظر الناس مكروباً

الأستاذ أحمد أمين

قُدّمت إليه سنة ١٩٢٨ وكانت معى كراسة أكتب فيها أشياء شغلتنى إذ ذاك وأنا فى الرابعة الثانوية . فقرأ منها شيئاً ثم سألنى : ماذا تريد أن تدرس بعد البكالوريا ؟ فقلت له : اللغة العربية فى كلية الآداب عندكم . فسألنى : لماذا ؟ فقلت له : لكى أكون أديباً . فقال لى : لسنا نخرج الأدباء المنشئين وإنما نحن نخرج الأدباء الواصفين ... قالها وابتسم زعماً منه أنى سأسأله

وأما التلميذ الجاهل فى المدرسة الثانوية عن الفرق بين الأدباء المنشئين والأدباء الواصفين هؤلاء، فإن هذا الفرق كان موضوعاً لدرس من دروس السنة الثانية من قسم اللغة العربية فى كلية الآداب، ولكنى كنت قد قرأت كتاب « فى الأدب الجاهلى » كما كان الأستاذ أحمد أمين قد قرأه، فعرفت منه ما عرفه، فلما سمعته يقول ما قال لم أسأله شيئاً وإنما بادرتنى الحسرة على نفسى لأن الأستاذ أحمد أمين أنذرها بأنه لا معين فى كلية الآداب على بلوغ ما تنشد ... فقلت من ساعتها : الاعتماد على الله

وجئت من الإسكندرية ودخلت كلية الآداب، واضطررت إلى احتراف الكتابة، فما كان ينهانى عنها أحد أكثر من الأستاذ أحمد أمين، فكم قال لى إن العلم لا يمكن أن يتفق مع الكتابة فى المجلات والصحف ! وكم خيرنى بين الاستمرار فى طلب العلم عندهم فى كلية الآداب أو طلب الرزق بالكتابة، حتى سألته يوماً أن يربط لى من مرتبه خمسة جنيهات فى الشهر تكفينى وأتعهد له بها أن أتوفر على الدرس حتى لا يلحقنى فيه طالب، فانتهت المشكلة بيننا عند هذا، ولكنها بدأت بين الأستاذ أحمد أمين ونفسه عند هذا أيضاً . فقد بدأت تظهر أعراض الكتابة على الأستاذ أحمد أمين، فإذا له فى الرسالة قطعة مترجمة تحت عنوان « نفسية قطة » وإذا له بعد ذلك مقالات أخرى، وإذا له آخر الأمر مجلة أسبوعية تربح ولا تخسر !

فهل لى أن أسأل الآن الأستاذ أحمد أمين : أتستطيع كلية الآداب اليوم أن تخرج الكتاب المنشئين ولو فى مدة عمادته، أم هى لا تزال قانعة بإخراج الأدباء الواصفين الذين ملأوا البلد بأنفسهم وبوصفهم وإن كان لا يراهم أحد ولا يسمعهم ... ؟

ثم هل لى أن أسأله أيضاً : أتتفق حياة العلم اليوم مع الكتابة فى المجلات والصحف، أم أن هذا أمر يجوز للعمداء والأساتذة الذين استوعبوا العلم كله، وانتهوا منه كله، ولم يعودوا يجهلون شيئاً مطلقاً، ولم تعد ضمائرهم تسألهم عن إصلاح الفاسد مما وظفتهم الدولة لإصلاحه والإشراف عليه ... بينما هو لا يجوز للأولاد الجهلاء الذين عليهم أن يموتوا ضيقاً أو يجدوا الفسحة فى كتابى فجر الإسلام وضحاه وثمن النسخة عشرون قرشاً ؟

فى القرآن ظاهرة عجيبة، وهى أنه عند ما يقول عن الله إنه الغنى يردفها بقوله إنه الحميد . لماذا يلتزم القرآن هذا الإقران أو لماذا يكثر منه على الأقل ؟ لعل ذلك لأن الله وحده هو الذى يستطيع أن يكون غنياً وحميداً . والله أعلم

٢ — من الممثلين

الأستاذ الريحانى

تزوره فتقول له : إذا أغلقت عليك حجرتك امتنع عنك الهواء فسلمت حنجرتك من العطب فيغلق عليه حجرته فتمضى عنه. ويزوره زائر آخر يقول له : إنك أغلقت عليك فامتنع عنك الهواء فارتفعت درجة حرارتك فأنت إذا خرجت أصابك البرد ونال حنجرتك العطب، فيفتح الباب والنافذة. ويمضى هذا الزائر ويجىء زائر ثالث فيقول له : إنك وقد فتحت الباب والنافذة قد عرضت نفسك للتيار، والبرد إذا أصابك نال حنجرتك العطب فاكتف إما بالباب وإما بالنافذة، فيغلق النافذة ويبقى الباب مفتوحاً . ويمضى عنه هذا الزائر ويجيئه زائر رابع فيقول له : إنك وقد فتحت الباب عرضت نفسك لإلمام الثقلاء من الزائرين بك وأنت رجل عمدتك فى عملك على أعصابك إذا هدأت، ونفسك إذا اطمأنت ولم يقلقها ضيق أو ضجر، فيقوم ويغلق الباب ويفتح النافذة . ويمضى هذا الزائر ويجيئه زائر خامس يقول له : إنك وقد فتحت النافذة ردمك الغبار، ودخل إلى « خياشيمك » وتراكم على سقف حلقك فعطل صوتك وربما آذى عينيك أيضاً، فيغلق النافذة . فإذا مضى عنه هذا الزائر ألفى نفسه وقد أغلق على نفسه الحجرة نافذتها وبابها وذكر أن زائراً قال له كلاماً معقولاً منعه به من إغلاق النافذة والباب، فيقوم ويفتحهما؛ ولكنه عندئذ يذكر أيضاً أن كلاماً معقولاً قيل له لما فتحهما أول مرة وأنه اقتنع به وأنه قام على أثره فأغلق الباب وأبقى النافذة مفتوحة . فيقوم ويغلق الباب ويستبقى النافذة مفتوحة، ولكنه عندئذ أيضاً يذكر مرة أخرى أنه اقتنع فى ساعة ما بوجوب إغلاقها فيقوم ويغلقها هى أيضاً، ثم يعود فيرى أنه عاد إلى ما كان فيه، فلا يرى مخرجاً من هذا الدوران إلا أن يغادر حجرته وأن يجلس فى القهوة يلعب الورق، فإذا ما سأله أفراد فرقته لماذا ترك « الشغل » بسط لهم المسألة وسألهم حلاً للمعضلة فإذا هم كل واحد وله رأى وإذا هو ساخر منهم جميعاً لعجزهم عن الاهتداء إلى الحل القريب الذى اهتدى إليه هو، وهو الإضراب عن الحجرة، ويدخل فى ذلك الإضراب عن العمل .

الأستاذ يوسف وهبي

لا شك في أنه قد ضحى للفن بثروة طائلة؟ ولا شك أيضاً في أنه منذ ظهر لا يزال يضرب الرقم القياسي في إقبال الجمهور على فنه. فكيف يتفق لفنان أن يكون أروج الفنانين ومع ذلك يكون أخسرهم؟

الظاهر: هو ينفق على مظاهره ربحه كله وأكثر، ويرجع السبب في هذا إلى أنه يشعر في قرارة نفسه بأنه وإن كان ممثلاً فهو غير الممثلين، وأول فرق بينه وبينهم أنه دخل إلى التمثيل وفي جيبه مال

اتهمه خصومه بكثير من التهم، ولكن الواقع يشهد بأنه بريء من تهمة واحدة — على الأقل — وهي تكلف الهواية التي وهب نفسه لها، فهو يمثل لأنه يحب التمثيل، وهو يمثل ولو خرب في سبيل التمثيل، وهو يمثل لأنه إذا لم يجد مسرحاً يؤويه انطلق في الحياة يمثل صوراً تتراءى له. وأكثر هذه الصور ترقصاً أمام عينيه هي صور الزعامة والرياسة والقيادة والحكم، ورواياته الأخيرة التي ألفها هو تشهد كلها بذلك، فهو فيها جميعاً إما زعيم حزب، وإما رئيس شركة أو إدارة، وإما مستشار أو قاض في محكمة، وإما ضابط كبير في الجيش

وإني لا أرتاب في أنه إذا أراد أن يكون زعيم حزب في مصر لاستطاع أن يكونه في نجاح كبير

الشيخانه

جورج أبيض وعزيز عيد:

اشتركا يوماً وألفا فرقة، وطافا بها في الوجه البحري والوجه القبلي، وعادا إلى القاهرة ومعهما ألفان من الجنيهات كانت في جيب الأستاذ جورج أبيض، وبعد يوم من المودة ارتاحا فيه من مشقة السفر ذهب الأستاذ عزيز عيد إلى الأستاذ جورج أبيض يطالبه بنصف الأرباح حسبما اتفقا ...

عزيز عيد — يا أخي يا جورج. أين الألف الذي لي؟

جورج أبيض — معي يا أخي يا عزيز. في جيبي

عزيز عيد — طيب. هاتها

جورج أبيض — ليتني أستطيع. ثق أنني أرثي لك، ولكن ثق أيضاً أنني عاجز عن مواساتك

عزيز عيد — ولم المواساة ونحن لم نفقد شيئاً ... أما قلت إن الألف معك؟

جورج أبيض — وهذا ما أنت جدير بالمواساة فيه ... فجنيهاتك معي أنا وليست معك أنت ...

عزيز عيد — وأي شيء في هذا؟ أعطني إياها تكن معي وينته الأمر

جورج أبيض — وكيف السبيل إلى هذا؟

عزيز عيد — ضع يدك في جيبك وأخرجها وهاتها، ولا غير

جورج أبيض — أنا؟ أنا أضع يدي في جيبي، وأخرج منه ألف جنيه، وأعطيك إياها بكل سهولة هكذا، وأنا حي أرزق، وقوي صحيح أستطيع أن أحمي نفسي وما في جيبي؟ ...

عزيز عيد — ولكنه مالي أنا

جورج أبيض — وهل أنكرت أنا ذلك يا أخي؟ كل ما في الأمر أني لا أطيق أن أخرجه بيدي

عزيز عيد — إذن فأخرجه بيدي أنا ... في أي جيب من جيوبك المال؟

جورج أبيض — هنا يا أخي يا عزيز ... في جيبي هذا ...

عزيز عيد — طيب. اسمح لي ...

جورج أبيض — لن يحدث هذا إلا إذا فقدت آخر قطرة من دمي ... حذار يا عزيز أن تمد يدك ...

عزيز عيد — عجيبة!

جورج أبيض — العجيب أن يخرج من جيبي ألف جنيه لا أن أحتفظ بها ...

ويؤكد الأستاذ عزيز عيد أن هذه الحادثة كانت آخر صلته بالألف الجنيه، وإن لم تكن آخر صلته بالأستاذ جورج أبيض... الاثنان فنانان ولا ريب!

* * *

هذه صور مررنا بها سريعاً، وقد كنت أحسب أن براحي في هذا العدد من الرسالة سيتسع إلى صور غيرها لبعض الشعراء وبعض الموسيقيين وبعض المغنين وغيرهم من الفنانين ولكنه امتلأ بهؤلاء؛ فإلى عدد مقبل بإذن الله نعود فيه إلى المرور بصور سريعة أخرى نرى فيها من بواطن أعلام الفن عندنا وظواهرهم ما يهدينا الله إليه

نسأله الهداية إلى الحق رائدنا وغايتنا

عزيز أحمد فهمي



الصدا . . .

للقصصي الفرنسي جي دي موباسان

لم يكن له في حياته سوى « غية » واحدة ، غية نهمة ، لا تعرف الشبع : « الصيد ! »

كان يصطاد كل يوم من الصباح إلى المساء في لهفة وشوق ، وكان يصطاد في الشتاء والخريف وفي الربيع والصيف ، وكان يصطاد في الغدران حين كانت الأنظمة تحظر الصيد في الغابات والأحراج ، وكان يصطاد بجميع أنواع الصيد : بالعدو ، وبالكلب المتحفز ، والكلب الراكض ، والكمين ، والمرآة ، والفناش ...

ولم يكن يتحدث عن شيء غير الصيد ، ولم يكن يحلم بشيء غير الصيد !... ولم يكن لينقطع عن الترديد : يا لشقاء من لا يحب الصيد ! ...

ومع أنه تجاوز العقد الخامس من حياته ، فإن صحته لا تزال جيدة ، بحيث لا يظن أنه تخطى عتبة الشباب ، بالرغم من الصلع الذي فتك بشعر رأسه ؛ وهو إلى ذلك شديد البأس قوي البنية ضخم الجسم

وكان يحلق ما تحت الشارب ليكشف جيداً عن شفتيه ، ويجعل دائرة الفم حرة ليسهل عليه النفخ في البوق

ولم يكن أحد في المنطقة يدعوه بغير اسمه الخاص : « السيد هيكتور » ، مع أن اسمه البارون هيكتور غونتران دي كورتلين

وكان يقطن في وسط الأحراج ، في مزرعة صغيرة انتقلت إليه بالإرث ؛ ومع أنه كان يعرف جميع الطبقة الأرستقراطية في المقاطعة ، ويتقابل مع جميع أفرادها الذكور في أماكن الصيد ، فإنه لم يكن يتردد بصورة فعلية على أكثر من أسرة واحدة هي أسرة « كورفيل » التي تقطن بجواره وتخلص له الود ، والتي عقدت أواصر القرابة بين أسرته وبينها منذ أجيال عديدة

وكان حبيباً إلى هذه الأسرة عزيزاً لديها ، مكرماً محترماً ؛ وكان كثيراً ما يقول لأفرادها :

— لو لم أكن صياداً لما وددت الابتعاد عنكم قط !

وكان السيد دي كورفيل صديقه ورفيقه منذ عهد الحداثة ، وكان مزارعاً شريفاً يعيش عيشة هادئة مع زوجه وابنته وصهره السيد دي دانتو الذي لم يكن له عمل ، بحجة أنه منقطع لأبحاث تاريخية خطيرة

وكثيراً ما كان البارون دي كورتلين يتناول عشاءه على مائدة أصدقائه ليحدثهم عن الصيد خاصة ، وكان يروي لهم قصصاً مطولة عن الكلاب والفناش ، وكان يتحدث عن هذه الأشياء كما لو كان يتحدث عن شخصيات بارزة له بها صلات وثيقة ، فكان يكشف عن نياتها ومقاصدها ، ويشرح حركاتها وإشاراتها :

عندما رأى فيدور — اسم كلبه — أن العصفور هو الذي يضطره إلى أن يعدو سريعاً هكذا ، قال في نفسه : انتظر أيها اللعين ، إنا لن نلبث أن نضحك وأن نضحك كثيراً . ثم أشار إليّ برأسه أن أذهب وأتوارى في حقل النفل ، وانطلق يبحث ويبحث ملتوياً تارة ومنحرفاً تارة أخرى في شيء غير يسير من الجلبة وهو يتسلل بين الأعشاب ليوصل العصفور المطارد إلى زاوية لا يستطيع الإفلات منها . وقد تم كل شيء كما توقعه ، ولم يلبث العصفور أن سقط في أقصى الحقل ، إذ لم يكن في إمكانه أن يذهب إلى أبعد من ذلك من غير أن يرى . فقال له فيدور : ها أنت وقعت بين يدي ... ثم أكب على رجليه متخفياً والتفت ينظر إلي ، فما كدت أشير إليه حتى سمعت « برررر » فطار العصفور فرفعت البندقية إلى كتفي وأطلقت منها النار : « بان » وإذا بالعصفور يسقط ، فحمله فيدور إلي وهو يحرك ذنبه كأنه يريد أن يقول : أرأيت كيف نجحت الحيلة يا سيد هيكتور ؟

وكان كورفيل ودارنتو والسيدتان يضحكون ضحكا شديداً من هذه القصص الغريبة التي يرويها البارون بكل ما أوتي من فن وبراعة ، فكان يحرك كتفيه ويشير بجميع أعضاء جسمه ، حتى إذا وصل إلى موت العصفور انفجر يضحك ضحكا عريضاً وهو يسأل هذا السؤال الذي يتخذه خاتمة لقصته : إنها لجميلة هذه القصة . أليس كذلك ؟

ولا يكاد الحديث ينتقل إلى موضوع آخر حتى ينصرف عنه سمعه ، ويشرع يدمدم ببعض أغانى الصيد ، كما كان يفعل حين يسود الصمت بين جلتين ، فإن الهدوء لا يكاد يقطع ضجة الحديث حتى تنطلق منه على حين غرة : طن ... طن ... ويظل البارون يرددها وهو ينفخ خديه كأنه ينفخ فى بوق

وهو لم يتعلق بالحياة إلا لأجل الصيد ، وكان الهرم قد بدأ يدب إليه شيئاً فشيئاً . وذات يوم أصيب بداء المفاصل ولزم الفراش شهرين متواصلين ، فكاد يقضى كآبة وضجراً . ولما لم يكن لديه خادم تتولى شئون بيته عهد إلى إحدى العجائز بأمر إعداد الطعام ...

ولم يكن فى استطاعته أن يحصل على كادات حارة ، ولا أن يظفر بما يفتقر المرضى إليه من عناية ، فاتخذ من قائد كلابه ممرضاً له ، وصار هذا الأخير يضجر بقدر ما يضجر سيده على الأقل، فصار ينام ليلاً ونهاراً على أحد الكراسى بينما البارون يشتم ويجدف محنقاً مغتاظاً فى سريره

وكانت السيدة كورفيل وابنتها تعودانه أحياناً ، فكانت الساعة التى تقضيانها بقربه أحب الساعات إليه ، ينعم بالهدوء والراحة ، إذ تغليان له ما يحتاج إليه من مشروبات حارة وتتعهدان الموقد وتقدمان له فطوره على حافة سريره ؛ فكان يدمدم حين انصرافهما : كان عليكما أن تقطنا هنا ؛ فتغرق السيدتان فى الضحك وتوصدان الباب وراءهما

ولما تحسنت صحته وعاد يصطاد فى الغدران ذهب ذات مساء لتناول العشاء على مائدة أصدقائه ، ولكنه لم يكن كعادته مرحاً نشطاً ، إذ كان يخشى الانتكاس وعودة الآلام قبل افتتاح موسم الصيد ؛ فلما نهض يريد الانصراف هرعت السيدتان إليه تلفان حول عنقه وشاحاً حريرياً ، فترك نفسه للمرة الأولى فى حياته بين أيديهما ؛ ثم أخذ يتمتم بلهجة يائسة :

— إذا عادت الآلام إلىّ قضى علىّ لا محالة !

وعند ما انصرف قالت السيدة دارنتو لأمها :

— يجب تزويج البارون !

فسرّ الجميع لهذه الفكرة وعجبوا كيف أنهم لم يفكروا فى ذلك إلى الآن ، وظفقوا يبحثون طيلة السهرة بين الأرامل اللواتى يعرفونهن ، وانتهى بهم الأمر إلى أن وقع اختيارهم على سيدة فى الأربعين من عمرها ما تزال جميلة موسرة ، حسنة الطباع جيدة الصحة تدعى « برت فيلرس »

فدعوها لتمضية شهر فى القصر ، ولما كانت تضجر وحدها فى بيتها لبّت دعوتهم ، وكانت كثيرة الحركة والمرح ، وراقها السيد كورتلين لأول نظرة ، وأصبحت تسر بوجوده كما تسر بلعبة تنبض فيها الحياة ، وصارت تقضى الساعات الطويلة تسأله فى خبث عن عواطف الأرانب وحيل الثعالب . فكان يندفع برزانة فى تمييز وجهات نظر مختلف الحيوانات ناسباً إليها خططاً دقيقة كما ينسب مثلها إلى معارفه من الرجال

وقد استحسن الالتفات الذى كانت تميره إياه ، وأراد أن يبرهن على تقديره لها فدعاها لمرافقته إلى الصيد ، وكانت هذه الدعوة أمراً لم يقدم عليه إلى الآن مع أية سيدة أخرى . وقد بدت لها هذه الدعوة مضحكة إلى درجة لم تر مانعاً من قبولها

وتعاون الجميع على إلباسها لباس الصيد . فصار كل واحد يقدم لها شيئاً ، ثم ظهرت وقد ارتدت ثيابها على طريقة سكان «الأمازون» ، فى رجليها حذاءان ضخمان ، تنفرجان عن سروال من سراويل الرجال ، فوق قميص قصير تغطيه سترة من القطيفة تضيق عند النحر ، وعلى رأسها قبعة من قبعات الخدم الذين يقودون الكلاب

وكان يبدو على البارون أنه شديد التأثر كأنما هو سيطلق أول طلقة من بندقيته ، وشرع يشرح لها بدقة اتجاه الهواء ومختلف أنواع وقفات الكلاب ، وطرق اجتذاب الحيوانات والطيور لصيدها . ثم دفع بها إلى أحد الحقول وراح يسير فى إثرها خطوة خطوة كأنه مرضع تسير وراء رضيعها عند ما يبدأ يمشى لأول مرة

وصادف « فيدور » طائراً فأكب على رجليه ووقف . ثم رفع إحدى رجليه ، وكان البارون وراء تلميذته يرتجف كريشة فى مهب الرياح يتمتم : انتبهى .... حجـ ... لات ...

ولم يكد يتم كلمته الأخيرة حتى دوى طلق شديد ، وارتفع من الأرض برررر ... فارتفع على الأثر سرب من الطيور فى الهواء وهى تضرب بأجنحتها ضرباً عنيفاً

ومن شدة التأثر أغمضت السيدة فيلرس عينيها وأطلقت

طلقتين ، وتقهقرت خطوتين من أثر رجة البندقية ، فلما استعادت رباطة جأشها أبصرت البارون يرقص حولها كالمجنون وفيدور يسود بمجلنين بين فكيه

منذ ذلك اليوم بدأ السيد كورتلين يعشقها !

وأنشأ يقول عنها وهو يرفع بصره : يا لها من امرأة ! ...

ومنذ ذلك اليوم صار يأتى كل مساء ليتحدث عن الصيد . وذات مرة ، بينما كان السيد دى كورفيل يودعه والبارون مندفع فى امتداح صديقته الجديدة سأله :

لماذا لا تتزوجها ؟

فجمد البارون كالمأخوذ وقال :

— أنا ؟ ... أنا ؟ ... أتزوجها ! ... ولـكن ... فعلاً ...

وصمت ثم هز يد صديقه بسرعة وتمتم :

— إلى اللقاء يا صديقى

واختفى فى ظلام الليل وراح يبتعد بخطوات واسعة ...

ولم يعد البارون طيلة أيام ثلاثة ، ولما عاد كان الشحوب قد صبغ وجهه بصفرة داكنة لشدة ما عاناه من التفكير الممض. وكان هذه المرة أكثر رزانة من قبل ، فتوجه إلى السيد كورفيل وأخذه على طرف ثم قال له :

— لقد خطر لك خاطر وجيه ، فأرجوك أن تعمل على تهيئتها لقبولى زوجاً لها ... يا لله ... لكأن هذه المرأة خلقت من أجلى، إذ نستطيع أن نذهب للصيد معاً دائماً

ولما كان السيد دى كورفيل متأكداً من أنها لا ترفض ، أجاب :

— اطلب يدها حالاً يا عزيزى ... أتريد أن أقوم بهذه المهمة ؟

ولـكن البارون اضطرب فجأة وصار يتلعثم :

— كلا ! . . . كلا ! . . . ينبغى قبل ذلك أن أقوم برحلة قصيرة ... برحلة قصيرة إلى باريس ، وسأجيبك حال رجوعى الجواب النهائى ...

وامتنع عن بيان أسباب ذلك. وفى اليوم التالى سافر ...

مضى أسبوع ... أسبوعان ... ثلاثة ... والسيد كورتلين لم يعد ، فاستغربت ذلك أسرة كورفيل وقلقت عليه ، ولم يعد أفرادها يدرون ما ذا يقولون للسيدة فيلرس التى أطلعوها على رغبة البارون، وصاروا يرسلون كل يوم إلى داره من يتسقط أخباره ، ولـكن لم يكن بين خدمه من تلقى شيئاً منه

وذات مساء ، بينما كانت السيدة فيلرس تغنى وهى تعزف على البيان اقتربت الخادم بحذر كبير من السيد كورفيل ، وهمست فى أذنه بصوت خافت جداً : إن بالباب رجلاً يريد مقابلته

وكان هذا الرجل البارون وهو ما يزال فى لباس السفر ، وقد بدا عليه كثير من الشحوب والهزال والهرم ، وما كاد يقع بصره على صديقه حتى أسرع إليه وأمسك بيديه ، وقال له بصوت ضعيف متعب :

— وصلت فى هذه اللحظة يا عزيزى ومع ذلك فقد أسرعت إليك لأقول لك ...

ثم صمت برهة ، وفى شىء من الارتباك والتردد استأنف :

— أريد أن أقول لك ... حالاً ... إن القضية ... التى تعرفها لا يمكن ... أن تتم ...

فنظر إليه السيد كورفيل دهشاً :

— كيف ... ؟ ولماذا لا يمكن أن تتم ؟

— أوه ! ... أرجوك ألا ترهقنى بالأسئلة ، إذ يشق على كثيراً أن تضطرنى لبيان السبب ، ولكن كن واثقاً كل الثقة أننى لا أفعل إلا ما يفعله كل رجل شريف ... إنى لا أستطيع ... بل ليس لى الحق فى أن أتزوج هذه السيدة ... أفهمت ؟ ... وسأنتظر مغادرتها داركم لأعود إليكم ... لأن مشاهدتها تمضنى كثيراً ... فإلى اللقاء ... وانصرف هارباً

فاجتمعت الأسرة كلها وأخذت تتشاور وتتناقش وتفترض الافتراضات المختلفة ، وانتهى بها الأمر إلى أنه لا بد أن يكون فى حياة البارون سر خطير ، فقد يكون له أولاد طبيعيون ، وقد تكون له علاقات غرامية قديمة ... وأدركت أسرة كورفيل أن الحالة على جانب عظيم من الرصانة ، ومنعاً لتعقيدات أخرى تسلحت بلباقة فائقة لإطلاع السيدة فيلرس على الواقع ... فعادت هذه السيدة أرمل كما قدمت ...

ومضى على ذلك ثلاثة أشهر . وفى ذات مساء أفرط السيد دى كورتليه فى تناول العشاء ، وصار يترنح وهو يدخن غليونه مع السيد دى كورفيل ، وكم كانت دهشة هذا الأخير عظيمة حينما فاجأه البارون قائلاً :

— آه لو كنت تعلم كم أفكر فى صديقتك، إذن لأشفقت على!

والسيد دى كورفيل الذى استاء من سلوك البارون فى هذه القضية أجاب بصراحة :

— كان عليك يا عزيزى ، ما دام فى حياتك الماضية أسرار ألا تقدم على ما أقدمت عليه ، إذ كان فى إمكانك بكل تأكيد أن تفكر من قبل فى السبب الذى سيضطرك للرجوع عن عزمك

فبدت على البارون علامات الخجل ، وقال بعد أن توقف عن التدخين :

— كان ذلك ممكناً وغير ممكن فى وقت واحد ... ولكنى لم أكن أصدق إمكان حدوث ما حدث

فقاطعه السيد دى كورفيل بفارغ الصبر :

— كان عليك أن تفكر فى إمكان حدوث كل شىء !

فألقى السيد كورتابن نظرة على الظلام الذى يكتنفهما ، وبعد أن تأكد من أنه ليس حولهما من يسمعهما قال بصوت منخفض:

— ألاحظ أنك مستاء من تصرفى ، وسأفضى إليك بكل شىء لتمن علىّ بالعذر ... منذ عشرين سنة وأنا لا أحيا يا صديقى إلا للصيد ... وللصيد وحده دون كل شىء آخر ... أنا كما تعلم لا أحب شيئاً غير الصيد ، ولا أهتم بشىء آخر سواه ... ولذلك خطر لى قبل أن أوقع عقد الزواج مع هذه السيدة أن .. بل حصل فى ضميرى تردد ... إذ منذ الزمن الذى انقطعت فيه عن ... عن الحب ... لم أعد أعرف إذا كنت لا أزال أقوى على ... على ... أفهمت ؟ ؟ ... تصور أنه مضى علىّ أكثر من ست عشرة سنة لم ... لم ... أفهمت ؟ وليس من السهل فى هذه القاطعة أن ... أفاهم أنت ؟ ... ثم إنه كان لدى شىء آخر أعمله ... كنت أفضل على ذلك أن أطلق طلقة من بندقيتى... وبكلمة مختصرة حين عزمت على أن أتعهد إزاء الكاهن وإزاء المأمور الرسمى على أن أقوم بواجب الزوجية خشيت أن أكون... والرجل الشريف لا ينقض عهوده ولا يخل بتعهداته ... وكان على أن أقطع لهذه المرأة عهداً مقدساً بأن ... وأخيراً ، ولكى أكون واثقاً من نفسى قررت أن أسافر إلى باريس وأن أقضى فيها ثمانية أيام ، ولكن الأيام الثمانية انقضت ولم أستطع أن أعرف شيئاً مطلقاً ، ولم يكن ذلك ناشئاً عن قلة ما قمت به من تجارب ، إذ ترددت على أحسن ما فى باريس من جميع الأنواع وجميع الأجناس ، وأؤكد لك أن أولئك عملن كل ما باستطاعتهن ... ولكن ماذا تريد... كن جميعاً ينسحبن منمنمات ... متمتمات ... وإذ ذاك قررت أن أنتظر خمسة عشر يوماً . . . فثلاثة أسابيع رجاء أن . . . وقد أفرطت فى تناول الأطعمة المفلفلة ، الأمر الذى أجهد معدتى إجهاداً عظيما . . . ورغم كل ذلك لم أستطع شيئاً مطلقاً ! . . . وفى هذه الحال وإزاء فشل جميع المحاولات لم يكن لى بد من الانسحاب . . . وهذا ما فعلته ! ...

وكان السيد دى كورفيل أثناء ذلك يدور على نفسه ويبذل جهداً عظيماً ليحول دون انفجاره بالضحك ، فلما فرغ البارون من روايته هزّ يديه برصانة قائلاً :

إنى لأشفق عليك حقاً !

ورافقه إلى منتصف طريق منزله ...

ولما خلا السيد كورفيل بزوجه ، أطلعها على كل شىء وهو يكاد يختنق من شدة الضحك ، ولكن السيدة دى كورفيل لم تضحك قط وإنما كانت تنصت إلى زوجها بانتباه ، حتى إذا فرغ من حديثه ابتدرته برزانة :

إن البارون أبله يا عزيزى... فإذا كان لم يستطع شيئاً فلأنه كان خائفاً ... وسأكتب حالاً إلى برت أن تعود

فأنشأ السيد دى كورفيل يحتج بفشل جميع محاولات البارون ولكن زوجته أسكتته بقولها :

— يجب أن تعلم أن الرجل إذا كان يحب زوجه وانته القدرة دائماً !

فلم يحر السيد دى كورفيل جواباً إذ اعتراه هو نفسه شىء من الخجل ...

ايزاك شموش



في سبيل الأزهر

تلقينا من الاستاذين عبد اللطيف السبكي وسيد نايل المدرسين بكلية الشريعة كلمتين عقبا بهما على مقال الأستاذ المدني (في سبيل الأزهر) تعقيباً لم يتجاوز أسلوب النقد ولهجة الناقد، فرأينا من الحكمة أن نتريث في نشرهما حتى لا يموقنا الجدل في الشكل عن البحث في الموضوع. وما دامت الآراء مطبقة على حاجة الأزهر للاصلاح فلا بأس أن تتسع الصدور لما يسيل على الأقلام من مبالغة في عرضه أو شدة في طلبه. ومما لا ريب فيه أن أبناء الأزهر أجمعين سواء في المحافظة عليه والإخلاص له والجهاد فيه؛ ولكن أهواءهم إذا تفرقت في سبيل حبه، فقامت هنا صيحة تدعو إلى الإصلاح، وقامت هناك ضجة تخزّل عنه وقف بينهما المصلح موقف المتأني الحائر، لا يطمئن للوقوف ولا يثق بالتقدم.

قانون منع التبشير في مصر

وقع صاحب الجلالة الملك مرسوماً بإحالة مشروع القانون الخاص بمنع التبشير إلى البرلمان، وهذا نصه بعد الديباجة:

المادة الأولى: تمنع الدعوة الدينية بأية طريقة كانت، خارجاً عن المحال المعدة لإقامة الشعائر أو الأمكنة المرخص لها بذلك.

المادة الثانية: تعتبر الأمور الآتي ذكرها دعوة دينية إذا وقعت في معاهد تعليم:

(١) إشراك التلاميذ أو تركهم يشتركون في دروس ديانة غير ديانتهم

(٢) إشراك التلاميذ أو تركهم يشتركون في صلوات تخالف عقائدهم الدينية، أو إسماعهم أو تركهم يستمعون إلى خطب دينية كذلك

(٣) توزيع كتب أو نشرات على التلاميذ تخالف عقائدهم الدينية

وتسري الفقرتان الثانية والثالثة السالفتان على المنشآت الطبية أو المعاهد الخيرية إذا كانت الدعوة الدينية موجهة إلى المرضى أو اللاجئين إلى تلك المعاهد

المادة الثالثة: لرجال الضبطية القضائية دائماً حق الدخول في الأماكن المشار إليها في المادة السابقة للتحقق مما قد يقع فيها مخالفاً لهذا القانون

المادة الرابعة: مع عدم الإخلال بتوقيع عقوبة أشد حيث يقضي بذلك قانون العقوبات، يعاقب على المخالفات لأحكام هذا القانون بالحبس لمدة شهر وبغرامة قدرها عشرة جنيهات مصرية، أو بإحدى هاتين العقوبتين فقط

المادة الخامسة: يعاقب بالحبس لمدة لا تزيد على سنة، وبغرامة لا تتجاوز مائة جنيه مصري، أو بإحدى هاتين العقوبتين فقط كل من حاول تلقين حدث تقل سنه عن ثماني عشرة سنة كاملة عقائد دينية تخالف دينه أو عقيدته، حتى ولو كان ذلك برضاه.

ويعاقب بنفس العقوبات كل من أعطى أو منح شخصاً عطية أو هبة من نقود أو أوراق أو عروض أو فوائد أخرى أو عرض عليه شيئاً من ذلك أو وعده به، سواء أكان ذلك بالذات أم كان بواسطة الغير، وسواء أكان للشخص نفسه أو للغير، وذلك بقصد التأثير على عقيدته الدينية أو تحويله عنها

ويعاقب أيضاً بنفس العقوبات كل من استعمل مع شخص آخر لهذا الغرض القوة أو التهديد أو الإرهاب أو أخافه من فقد خدمة، أو من تمريض نفسه أو أهله أو ماله للأذى، أو استعمل معه المخدرات أو التنويم

المادة السادسة: يعتبر من رجال الضبطية القضائية فيما يتعلق بتطبيق هذا القانون، موظفو وزارة المعارف وموظفو وزارة الصحة الذين يندبهم لهذا الغرض وزير المعارف أو وزير الصحة بالاتفاق مع وزير الداخلية

المادة السابعة: على وزراء الداخلية والمعارف والصحة تنفيذ هذا القانون؛ كل منهم فيما يخصه، ويعمل به من تاريخ نشره في الجريدة الرسمية

***

وقد أرفقت بالمشروع مذكرة إيضاحية أشير فيها إلى أن الدستور يعلن حرية العقائد ويحميها كما يحمي حرية القيام بشعائر الأديان، طبقاً للعادات المرعية في الديار المصرية، وذلك في حدود النظام العام والآداب، وأن هذه المبادئ تتفق وأصول التسامح الذي درج عليه الإسلام

وقديماً أحسنت مصر معاملة أهل الأديان المختلفة، وأقطعتهم الأراضي الواسعة وكانت تعفيهم من أغلب الرسوم وتتركهم

يباشرون فى حرية تامة ما تقوم عليه جمعياتهم ومؤسساتهم ومنشآتهم من أعمال التعليم والبر، غير أن بعض هؤلاء انصرفوا إلى التبشير بدينهم ، وتوسلوا إلى ذلك بوسائل أقل ما يقال فيها إنها استهانة بكرامة المسلمين ، وتحد لعواطفهم الدينية

وإذا كانت الدعوة الدينية تتصل فى بعض صورها بحرية العقائد ، فإنها إذا بوشرت خارجاً عن محال العبادة أو الأماكن المخصصة لهذا الغرض والمرخص لها بذلك قد تحدث الفتنة وتصبح إخلالاً بالنظام لا يجدر السكوت عليه. لذلك وضع مشروع هذا القانون ليحظر الدعوة الدينية على أية صورة ، خارجاً عن تلك الأماكن ؛ ثم تضمنت المذكرة الكلام عن مواد المشروع

تعبانٌ وظمآنُ

تعبان على وزن فعلان ، وهذا الوزن يمنع من الصرف إذا توفر فيه شرطان زيادة الألف والنون ، وكون أنثاه على وزن فعلى كسكران وغضبان وما شابهه ، فإن أنثاه فعلى كسكرى وغضبى... أما إذا كان فيه زيادة الألف والنون ولم تكن أنثاه على فعلى نحو تعبان وتعبانة فإنه لا يمنع من الصرف ، فنقول مثلاً : استيقظت تعباناً، وهو تعبانٌ . وفى هذا يقول ابن مالك فى الألفية:
وزائدا فعلان فى وصف سلم   من أن يرى بتاء تأنيث ختم
وأما ظمآن فإن أنثاه ظمأى فهو ممنوع من الصرف لأنه منطبق على القاعدة ، وقد نص عليه صاحب اللسان فقال : « رجل ظمآنُ وامرأة ظمأى لا ينصرفان نكرة ولا معرفة »

والذى حدا بى إلى الكلام عن هذين اللفظين أنهما وردا فى عبارتين لأديبين من كبار الأدباء على غير وضعهما الأصلى فأحببت أن أنبه عليهما لئلا يقلدها القراء لأنهما ممن يقتدى بهم ويقتفى أثرهم ، فالعبارة الأولى جاءت فى أول الجزء الثالث من كتاب « ليلى المريضة فى العراق » للأديب الكبير الدكتور زكى مبارك قال : « واستيقظت فى الساعة التاسعة تعبان » وصحتها أن تكون « تعباناً » لما قدمنا ، والرجاء من الدكتور مبارك أن يستيقظ نشيطاً حتى لا يتعبنا ويتعب نفسه مرة ثانية . والعبارة الثانية جاءت فى العدد ٧٠ من الثقافة فى مقال الدكتور محمد عوض محمد قال : « ورأى الزعيم ، الذى لم يزل ظمآناً إلى فتح جديد » وصحتها ظمآنَ لما قدمنا أن مؤنثه ظمأى فهو ممنوع من الصرف .

إبراهيم يس القطان

النقد والتصويب

صاحب الرسالة الأستاذ الكبير أحمد حسن الزيات
لك منى تحيات وإعجاب

وبعد فإننى معجب تمام الإعجاب بحضرات الشعراء البارعين الذين يتحفون رسالتهم بخرائدهم البليغة. وأبداً لا تعدو عيناى عن واحدة مما ينشرون . غير أن هنالك أمراً كنت أتمنى كثيراً أن ينتهجه أرباب الدراية فى العربية وبحور الشعر . ذلك هو النقد والتصويب الذى رأيته لأول مرة على ما أذكر لحضرة الأستاذ أبى الفضل السباعى ناصف الذى أحكم بيتاً ند عن الوزن فى قصيدة ذكرى المرحوم الهراوى للأستاذ على الجندى . وكم كان جميلاً أن يعلن الأستاذ الجندى شكره للناقد المصوِّب . إن هذا النقد والتصويب الذى يجمل بالأساتذة أن ينهجوه على النمط المتقدم أرى ألا يقتصر على ما تنشره الرسالة وغيرها ، بل يتعدى إلى ما يسمع فى المحافل من مناظرات وخطب وإذاعات ، كما جرى عليه الأستاذ الدكتور زكى مبارك — أدام الله عليه التوفيق وأصلحه مع زمانه — فقد ناقش ببراعته المعروفة الأستاذ الكبير أحمد أمين فى كلمة (أوقات) التى نصبها الأستاذ بالكسرة إذ كان يلقى نفثاته عن طريق المذياع . ومن المؤكد أن الأستاذ أحمد أمين يدرى يقيناً أنها تنصب بالفتحة كما هو معروف ولم يلفظها مكسورة إلا سهواً ، ومع ذلك يجب أن تعلن كلمة الحق وهذا حسن

لقد قرأت فى العدد (٣٥٣) من الرسالة قصيدة (رجع أيامى) للأستاذ محمود الخفيف وهى من القصائد الرقيقة المعجبة ، ولكنى لن أسكت على شطر منها كما لم يسكت الأستاذ أبو الفضل السباعى ناصف . ذلك قوله : « صوحت ويلاه خضر الأمانى » فهل سها الأستاذ الخفيف عن وضع حرف النداء بين كلمتىْ « صوحت » و « ويلاه » حتى يصح الوزن على هذا الوضع ؟ « صوحت يا ويلاه خضر الأمانى » . أن الأستاذ وضع حرف النداء وابتلعته المطبعة على كل حال أعلن نقدى وتصويبى لهذا الشطر راجيا أن يتحفنا الأستاذ الخفيف وغيره من المبدعين دائماً بآياتهم البالغة الباهرة ، وأن يتوالى النقد والتصويب على هذا الطراز

(نابلس)   محمد البسطامى

(الرسالة) صحة الشطر :
صوحت وبلناه خضر الأمانى
والخطأ مطبعى

أندونسيا

جاء فى مقالة الأستاذ عبد العزيز الهروى « النقابات الإسلامية » المنشورة فى العدد (٣٥٥) ما نصه : « ونجد مثلاً عصرياً لنجاح هذه الفرق وفشل للذهب السنى فى حالة الهولنديين فى الهند الصينية « أندونسيا » الخ . ولا شك أن الأستاذ يقصد بذلك جزائر الهند الشرقية الهولندية لا الهند الصينية ، لأن الأخيرة — كما نعلم — تابعة للفرنسيين لا للهولنديين ، وجزائر الهند الشرقية هذه هى التى أجمع أهلها الوطنيون فى الأعوام الأخيرة على تسميتها بأندونسيا — أى جزائر الهند — ، وكان العرب يطلقون عليها اسم « جاوة » — إحدى جزائرها — من قبيل تسمية الشىء ببعض أجزائه

حسين أحمد باكثير

القرن العشرون

فى العدد ٣٥٤ من الرسالة قرأت فى باب (الأدب فى أسبوع) تحت عنوان : « القرن العشرين » ما يأتى بعد كلام : وذاك تنبيه لنا أننا نعيش فى القرن العشرين ، وفى سنة ١٩٤٠ منه » . والمعلوم أن (من) للتبعيض وبالضرورة يعود الضمير فيه على القرن العشرين فيكون معنى ذلك أننا نعيش فى سنة ١٩٤٠ من القرن العشرين ؟ والواقع أننا نعيش فى سنة ٤٠ فقط من هذا القرن وفى سنة ١٩٤٠ من العشرين قرناً ، ففى أى سنة نعيش ؟

ابراهيم عقلة
معهد القاهرة

الأبيات الحائرة

للحجاج بن يوسف الثقفى مع الشعراء أحاديث طوال . وقد فر جماعة منهم من وجهه وهربوا منه ، ومن هؤلاء « سوّار ابن المضرّب » و « محمد بن عبد الله بن نمير الثقفى » وهو الذى شبب بزينب أخت الحجاج ولما ظفر به عفا عنه . وغير هذين كثير

وليس يعنينى الآن أن أستقصى أحاديث هؤلاء ، ولكنى أعرض لأبيات تتصل بالحجاج وتلك هى :

إن تنصفونا آل مروان نقترب — إليكم وإلا فأذنوا ببعاد
فإن لنا عنكم مزاحاً ومرحلا — بعيس إلى ريح الفلاة صوادى
فماذا عسى الحجاج يبلغ جهده — إذا نحن جاوزنا حفير زياد

فقد ذكر ابن قتيبة فى كتابه الشعر والشعراء أنها (لمالك ابن الريب) وكذلك ذكر المبرد فى كتابه (الكامل) ج ١ ص ٣٠١ طبعة المكتبة التجارية . والبيت الثالث من شواهد النحويين وقد أجمعوا فى كتب النحو والشواهد أنها لمالك هذا . ولكن المعروف أن هذا الشاعر مات فى عهد معاوية وكان فى بعث « سعيد بن عثمان بن عفان » إلى خراسان وقد مات فى الطريق ورثى نفسه بقصيدته اليائية المشهورة — وهو أول من رثى نفسه — فليست الأبيات له إذن فلمن هى ؟

جاء فى (معجم البلدان لياقوت الحموى ج ٣ ص ٣٠٤ الطبعة الأولى) أنها للبرج بن خنزير التميمى ، قال : وكان الحجاج قد ألزمه البعث إلى المهلب لقتال الأزارقة فهرب منه إلى الشام وقال ... الأبيات :

وقد رضى الشيخ المرصفى رحمة الله عليه هذا الإسناد وشنع على المبرد (رغبة الآمل ج ٥ ص ٢٧) ولكن صاحب الحماسة نسبها إلى « الفرزدق » جاء ذلك فى جميع الطبعات التى بين أيدينا لحماسة أبى تمام ، وقد ارتضى بعض أساتذتنا هذا

فلمن هذه الأبيات ؟ لعلنا نظفر بجواب ممن عنده تحقيق هذه المسألة

على محمد حسن
كلية اللغة العربية

الثانى والآخر

قرأت فى العدد ٦٧ من مجلة الثقافة مقالاً بعنوان : « حديث أمس » للأستاذ أحمد أمين جاء فيه :

قال أحدنا : جزءاً من العقد الفريد ، وآخر : جزءاً من الأغانى وثالث : نهج البلاغة ، ورابع : مقدمة ابن خلدون

والمعروف فى اللغة أنه لا يسوغ أن تقول آخر إلا إذا كان هو الأخير ، فلا تقى بعد ذلك بأعداد أخرى ؛ وأن الواجب أن تقول : قال أول وثان وثالث وآخر إذا لم يبق إلا واحد بعد ثالث ، أو إن شئت قلت « رابع »

وأحسبك لم تنس استدراكهم على من قال : ربيع الثانى وجمادى الثانية بأن الصواب ربيع الآخر وجمادى الآخرة ما دام ليس هناك ثالث ورابع ؛ وعندى أن هفوة ربيع الثانى ... أهون من قولنا : قال أول وقال آخر وقال ثالث ...

(الفشن) م . م . ابراهيم

﴿ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى — عابدين ﴾

8me Année No. 358

Lundi - 13 - 5 - 1940

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٣٥٨ « القاهرة فى يوم الاثنين ٦ ربيع آخر سنة ١٣٥٩ — الموافق ١٣ مايو سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهـــرس

رأى الرافعى

فى الأستاذين طه والعقاد

بمناسبة ذكراه الثالثة

ذكرتُ بذكرى الرافعى وعداً درجت الأيام عليه ولم أوفِّ به[1] . ذلك أن أذكر لقراء الرسالة الرأى الصريح المجرد لصاحب (السفود) و (تحت راية القرآن) فى خصميه العظيمين طه والعقاد . وفى ظنى أن تسجيل هذا الرأى قد يصحح ما شاع فى أجواء الأدب من نقد مسه الهوى وحكم أفسدته الخصومة . فإن الرافعى رحمة الله عليه كان من أبصر الناس بِصَرف الكلام وأقدرهم على نقده ؛ ولكن تعقبه للأدباء الأحياء قلما كان يبرأ من مجاملة الصداقة أو منافسة الحرفة . فإذا أردت استنباط رأيه الحر من غوره البعيد لا يتيسر لك ذلك منه إلا فى الخلوة حين يأمن الأذن الخصيمة والقلم المسجل

جلسنا معاً ذات يوم من أيام الإسكندرية على قهوة (أتينيوس) بعد غداء ضاحك هنىء على مائدة صديقنا المرحوم فليكس فارس . وكان الرافعى برد الله ضريحه شديد الحساسة بالجمال قوى الرغبة فى اللذة ؛ ولكنه كان يطلبها من طريق

(١) انظر العدد (٢٥٤)

المحال أو الحلال فتمييه . كان يتمنى أن يكون كأصحاب الجنة : يصبو من غير فجور وينتشى من غير إثم . فلما أعجزه الدرك أغلق فؤاده من دون نفسه ؛ ثم فتح للجمال عينيه وأطلق فى نعيمه لسانه ، فلا يدع معنى من معانى اللهو ولا لوناً من ألوان العيش إلا صرّف الكلام فيه وأدار الرأى عليه

* * *

كان حديث الرافعى على المقهى الأنيق الوادع أفانين من النكات والأفاكيه يدور أكثرها على سكرات الجمال فى الكرنيش ، وسطوات الشباب على الشاطئ ، وحسرات الحرمان فيما بين ذلك . ثم توافدت زمر المصطافين على المقهى ، فأخذ يتحفظ فى الحديث ويخافت به حتى رده مرغماً إلى الأدب ؛ فسألنى كيف أكتب ومتى أكتب وماذا أشرب حين أكتب . فلما أجبته أنى لا أفكر إلا أول الكتابة ، ولا أكتب إلا آخر الوقت، ولا أدخن التبغ ولا أشرب القهوة ولا أكركر الشيشة، عجب كيف تواتى القريحة على هذه الحال الكليلة ، وذكر لى ما يتملق به قريحته من المطاعم والمشارب والعقاقير ، ثم روى لى الأعاجيب مما يُلقى عليه إلقاء فى النوم، وما يلهَمه إلهاماً فى اليقظة، وعزا ذلك إلى قوة إلهية ترفده وتسنده. فقلت له ضاحكا: وهل تعتقد أن من إلهام هذه القوة تلك الفصول المقذعة التى كتبتها فى النقد ؟ فأجاب بلهجته الطفلية الحاسمة :

أما ما كتبته (على السفود) فأكثره رجس من عمل الشيطان، وأما ما أدخلته (تحت راية القرآن) فكله إلهام من روح الله

فقلت له ، أو بالحرى كتبت ، لأن مناقلة الحديث كانت لصممه تحريرية منى وشفوية منه :

أتستطيع فى هذه المناسبة ياصاحب (تاريخ آداب العرب) أن تجرد نفسك من ملابسات الخصومة وتُجمل لى رأيك الخالص فى طه والعقاد ؟

فأجاب الرافعى وعلى محياه الوردى سيما المعترف المقر :

— أما لك فأقول الحق . وما دمت لا أكتبه فلا أبالى أن تنشره :

إن طه عجيب التكوين جليل المواهب . وهو مدين بنبوغه لتوقد ذهنه ودقة حسه وقوة ذاكرته ولباقة حديثه ومزايا عاهته. ولو أنه انتهى كما بدأ لكان اليوم أحد عباقرة الدنيا . ولكنه بلغ المنزلة المرجوة قبل الأوان لأسباب غير طبيعية ، فأعفى طبعه واطمأن إلى منصبه المضمون ومجده المكتسب

علمه علم الأديب يأخذ من كل شىء بطرَف ، وأدبه أدب الصحفى تصرفه السرعة عن الإجادة ، وأسلوبه أسلوب الوادى المنحدر يشتد جريانه ويقل عمقه

ذهنه لمّاع الذكاء ولكنه لا ينفذ ، وقريحته واسعة الحيلة ولكنها لا تخلق . لذلك تجده مفسول الكلام لا أثر فيه لروعة الفن ولا لبراعة الفكرة . ولكنه قوى الشخصية جياش الحركة عذب السياق جميل العرض . وهو أشبه الناس بمهندس العرض فى بيوت التجارة ، يعرض البضائع فى البترينات منسقة على نظام يملك البصر ، ولكنها تظل بعد التنسيق كما كانت قبل التنسيق ملك غيره . وأحسبه إذا تنفس به العمر على هذه الحال يعود رجلاً له رأى مسموع فى التأديب ، ولكن ليس له أثر خالد فى الأدب . ويلوح لى أن طه تعوزه العقيدة التى تخلق المبدأ ، ومن هنا كان التناقض الظاهر فى كل ما يصدر عنه من قول أو فعل

أما العقاد فإنى أكرهه وأحترمه: أكرهه لأنه شديد الاعتداد بنفسه قليل الإنصاف لغيره . ولعله أعلم الناس بمكانى من الأدب ، ولكنه يَنفَس علىّ قوة البيان فيتجاهلنى حتى لا أجرى معه فى عنان

وأحترمه لأنه أديب قد استملك أداة الأدب ، وباحث قد استكمل عدة البحث . قصَرَ عمره وجهده على القراءة والكتابة فلا ينفك بين كتاب وقلم . ومن آفة الذين يديمون النظر فى كلام الناس أنهم يفقدون استقلال الفكر وابتكار القريحة ، وليس كذلك العقاد؛ فإن رأيه لقوة عقله وسلامة طبعه يظل متميزاً عن رأى الكتاب مهيمناً عليه؛ يؤيده أو يفنده، ولكنه لا يسمح له أن يذوب فيه أو يتأثر به

أسلوب العقاد أسلوب الأديب الحكيم ، تبرز فيه الفكرة الدقيقة فى مجتلى من الفن الرفيع، فيجمع بقوة تفكيره ودقة تعبيره طرَفَىْ البلاغة. والعقاد مخلص لفنه فلا يخرج للناس ما لا يرضاه. فهو لذلك أبعد الأدباء عن استغلال شهرته واستخدام إمضائه

فقلت له وأنا أختم الورقة التى أحدثه عليها : هيهات يا صديقى أن يخلص رأيك من هواك . إن رأيك فى الأستاذ العقاد رجوع إلى الحق ، ولكن رأيك فى الدكتور طه إمعان فى الباطل !

احمد حسن الزيات

في ذكرى الرافعي

طريقته في تأليف كتبه

للأستاذ محمد سعيد العريان

قلت عن طريقة الرافعي في تأليف مقالاته ما وسعني أن أعرفه بنفسي حين كنت أكتب له ؛ فقد أملى عليّ أكثر من مائة مقالة كنتُ شاهدَه فيها إذ يُلَـقَّى الوحيَ ، ويهذب الفكرة ، ويرتب المعاني ، ويتألف الألفاظ ، حتى تفصل عنه المقالة إلى نفس قارئها كما هي في نفسه[1]

وأحسب أن طريقته العامة في كل ما كتب من المقالات هي ما وصفتُ عن عيان وملاحظة ، ولكن لم يتهيأ لي أن أشهده حين يؤلف في موضوع من موضوعات العلم ، مما يقوم على التتبع والاستقراء ، وتقليب الصحائف ، وبعث الدفائن ، والارتفاق إلى الكتب ، والاستعانة بما انتهى إليه السابقون من حقائق العلم ونتائج البحث والروية ، ثم التهدّي من ذلك إلى رأى ينتهي بمقدماته إلى نتيجة .

وطريقة الكتابة غير طريقة التأليف ؛ أعني أن الطريقة لإعداد مقالة أو فصل أدبي من مثل « رسائل الأحزان » أو « السحاب الأحمر » أو « المساكين » — غيرُ الطريقة في إعداد كتاب مثل « تاريخ آداب العرب » ؛ فإن الشأن بين هذين يختلف باختلاف موضوعهما ؛ ذلك أن في كل نفس معانيها التي تعبّر بها عن الحب والبغض والقطيعة وما إليها من خلجات الوجدان أو مدركات الحس ، بأسلوبها وعلى مقدارها ؛ فما يحتاج الأديب لتصورها وإبرازها إلى شيء غير الأداة الطبيعية التي يؤديها بها إلى الناس كلاماً مقروءاً يصل نفساً بنفس وينقلها من خطرة قلب إلى إدراك حس . أما تأليف الكتب العلمية فله سبيل غير هذه ، لأنه يقوم على الجمع والتفريق ، وعلى النقد والتصفح ، وعلى الاستقراء والملاحظة .

وأنا قد قرأت الجزء الأول من كتاب تاريخ آداب العرب منذ بضع عشرة سنة ، وألممت منه بما ألممت ، واهتديت به ما اهتديت ؛ ثم عدت إلى نفسي أسائلها : أين وأيان اجتمع لمؤلف هذا الكتاب هذا القدرُ من المعارف في شئون العرب والعربيـة فألّف بين أشتاتها في هذا الكتاب ؟

وظل هذا السؤال قائماً في نفسي زمناً ، وما أزال من مطالعاتي في الأدب القديم أقع على شيء بعد شيء في صفحات متفرقة من كتب عدة يُنسى آخرها أولها من تباعد الزمان بينها ، وكلها مما اجتمع للرافعي في كتابه . وكان ذلك يزيدني عجباً وحيرة ؛ فإنه ليس من الطبيعي أن يعرف إنسان كل من يراه في طريقه من الناس بحيث يتهيأ له أن ينسب بعضهم إلى بعض ويعرف القريب منهم والجنيب بما بينهم من تشابه في الخلقة ؛ ولقد يكون ممكناً أن يجلس أخَوان بإزائي فأعرف ما بينهما من النسب بالمشابهة والفراسة ، ولكن هيهات أن أهتدي إلى ذلك لو رأيتهما متفرقين على تباعد الزمان وانقطاع الصلة . من مثل ذلك كان عجبي وحيرتي

... وهممت أن أسأل الرافعي مرة ، ولكني لم أفعل ؛ وهممت أن أعرف بنفسي فلم أبلغ ؛ ثم عزوت ذلك إلى ذاكرة الرافعي وسرعة حفظه ؛ وقلت : متفرقاتٌ قد عرفها في سنين متباعدة فوعتها حافظته ، فلما هم أن يؤلف كتابه أمدته الذاكرة بما وعت منها ، وكان مستحيلاً عليه أن يجمعها لو لم تجتمع له من ذات نفسها ، واطمأننت إلى هذا الاستنتاج ونسبتُ إليه عدم ذكر الرافعي للمراجع التي استعان بها في هـذا الكتاب ؛ لأنه يروى عن ذاكرته !

ثم قرأت له بحثه في (الرواية والرواة) ؛ فإذا هو يتحدث عن أثر الحفظ في مؤلفات العلماء وينادي بإحياء هذه السنة ، سنة حفظ العلم واستظهار كتبه[1] ؛ فتأكد لي ما رأيت ، وكان وهماً من الوهم عرفت حقيقته فيما بعد ...

***

أما الحقيقة التي عرفتها بعد ، فما أزال في شك منها وإن كان برهانها ماثلاً لعيني ؛ ولكنه شك المتعجب الذي يفجأه ما لم يكن يتوقع ...

منذ بضعة أشهر وكل إلى القيام على تصحيح بعض مؤلفات الرافعي التي تطبعها الآن إحدى دور النشر الكبرى في القاهرة ؛ فأخذت أهبتي للعمل ...

... وزرت المكتبة التي خلفها صاحبها أوراقاً مركومة وكتباً تستند إلى الحيطان ؛ أريد بذلك أن أبحث فيها عما يكون

(١) حياة الرافعي ص ١٨٠ — ١٨٦

(١) تاريخ آداب العرب ج ١ ص ٣٢٢

هناك من مستدركات على بعض الكتب المطبوعة، فأزيدها عليها؛ وأبحث عن (أصول) الكتب التي لم تطبع بعد، فأرتب فصولها وأعدها للطبع. وفتحت أدراج الدولاب، فرأيت وعرفت السر... رحمه الله!

ذلك جهد لا يقوى على مثله جند سليمان ولكنه قوىَ عليه وحده، ثم مات وخلَّفه شاهداً على ما بذل فى حياته لخير هذه الأمة فلم يلق من يعرف يده!

وإلى القارئ أصف ما عثرت عليه:

يعرف قراء العربية أن كل كتب المراجع فى لغتنا ليس لها فهارس تعين الباحث على التماس ما يريده منها فى أقصر وقت، إلا بضع كتب من المطبوعات الحديثة؛ فالأغانى، والأمالى، والعقد الفريد، والكامل، والعمدة، والخزانة، والحيوان، والبيان والتبيين، وكتب الطبقات، وحتى كتب الفهارس والتراجم، ليس لها فهارس يمكن الاعتماد عليها عند البحث؛ فمن أصاب منها غرضاً فمن طريق المصادفة والاتفاق، أو بعد المطاولة وضياع الزمن؛ وحسبى أن أذكر أننى ذات مرة أنفقت ليلة كاملة فى البحث عن كلمة فى البيان والتبيين ثم لم أعثر بها فطويته على سأم وملالة؛ فلما كنت بعد أيام، وقد فات علىّ الغرض الذى كنت أقصد، فتحت الكتاب عرضاً فإذا الكلمة التى كنت أريدها أمامى...

هذه الحقيقة يعرفها كل من عانى مشقة البحث فى هذه الكتب؛ فهى كتب للقراءة المجرّدة لا للبحث والتنقيب العلمى. عرف الرافعى ذلك فاتخذ له طريقاً...

وكان أول ما صنع أن انتخب كل الكتب التى يعنيه أمرها فيما يمهد له من البحث، فقرأها كلها قراءة درس؛ وهى كتب ليست بالقليلة، وحسب القارئ أن يعرف أن كل فصل فى كتاب تاريخ آداب العرب للرافعى قد اعتمد فيه على عشر مراجع من المطولات أو يزيد، ليدرك من ذلك كم كتاباً قرأ قبل أن يؤلف كتابه الذى ذكرت...

قلت إن الرافعى انتخب طائفة من الكتب يرجو أن تعينه على البحث فقرأها كلها، أعنى نَفَضها نَفْضاً بحيث لم يفُتْه منها معنى يتصل بموضوعه

ثم شرع يعمل، فكتب لكل كتاب مما قرأ ملخصاً يضم المجلدات الكثيرة فى كراسة أو كراسات؛ يرجو أن تغنيه عن أصولها المطولة

ثم عاد إلى هذه الملخصات فرتب أجزاءها ترتيباً يضم القريب إلى القريب بحيث يجد طلبته عند النظرة الأولى من غير أن يتعب فى تقليب الأوراق

ثم كانت الخطوة الرابعة فزاوج بين ملخصات الكتب المختلفة يضم الأشباه منها إلى الأشباه

ثم كتب...

ثم عاد إلى المكتوب فقرأه قراءة الباحث: يزاوج بين رأى ورأى ليخرج منهما رأى ثالث... واجتمعت له من ذلك المقدماتُ التى تبلغ به النتيجة...

ثم كانت المرحلة الأخيرة هى التهذيب والصقل الفنى، من صناعة البيان وتحكيك الألفاظ وتجميل المعانى وتزيين الأسلوب

سبع مراحل بين البدء والنهاية... ثم خرج الكتاب لقارئه ليسائل نفسه فى عجب: أين وأيان اجتمع لمؤلفه ذلك القدرُ من المعارف فى شئون العرب والعربية فألف بين أشتاتها فى هذا الكتاب؟

سؤال كنت أسأله نفسى قبل أن أرى وأعرف وأضع يدى على تلك الأوراق التى كانت فى درج مكتبه فتكشف لى السر...

بين يدىّ الآن الجزء الثالث من تاريخ آداب العرب، أرجو أن أفرغ منه ليكون فى أيدى القراء بعد أيام؛ وهو كتاب ألفه فى سنة ١٩١١ أو قبل ذلك، ثم شغلته شئون الحياة عن إخراجه فخلَّفه أوراقاً مصفرَّة يكاد يبليها التقادم... فى هذا الكتاب وجدت مفتاح السر، وسيقرؤه قراؤه بعد أيام فيعرفون فى بعض فصوله أين بدأ مما انتهى وعند أى مرحلةٍ وقف... ثم يذكرون مؤلفه فيترحَّمون عليه...

... وفى مكتبته كتاب آخر أرجو أن يعيننى الله عليه ما أعاننى على هذا الكتاب. وهناك غير ذلك كراسات عدة وأضابير مطوية. تلك هى الفهارس التى كتبها ثم استكتبها... ولكنها – فيما تبدو لى – ألسنةٌ خُرْس

***

قلت كانت المرحلة الأولى فى تأليفه أنه اختار طائفة من الكتب... وأقول إن أول ما اختار من ذلك كتب التراجم،

(البقية على صفحة ٨٤٠)

من مذكرات الأستاذ محمد كرد على

« للأستاذ محمد كرد على مذكرات تتناول مشاهداته وتاريخ حياته من يوم وعى لنفسه ، وقد تحدث فيها كثيراً من مصر ورجالات مصر، ويسرنا أن نقدم إلى قرائنا هذه الصفحة منها . »

أخلاق القضاة

لم أرَ فيما رأيت من أنواع المداوات أشد من تمادى المشايخ ، ولا أكثر من غمط بعضهم حق بعض ، ولا أعظم من تكالبهم على حُطام الدنيا ، ولا أشد تهالكا منهم على أبواب الأمراء والحكام . ولقد رُويت لى عنهم روايات ما كنت أصدقها لولا أن رواتها ممن لم يعرفوا الغيبة والنميمة . ولما أخذت أتعرف إلى الرجال رأيت ما هالنى ، وآلمنى أن كان من يُطلب منهم الصدق هم من أول الكاذبين ، ومن تفترض فيهم الأمانة هم فى مقدمة الخائنين ؛ وأيقنت أن القليل منهم عرفوا الكرامة وعزة النفس . وهم هم جعلوا مسلكهم بضعتهم علامة ضَعَة وصَغار ، وكان علامة شرف وفخار . وأصيبوا بغرور وزهو ظنوا معهما أن سلطانهم القديم على الملوك ، فمن دونهم ، يبقى لهم بهذا الجهل وهذا الفساد

قلت يوماً لعالم درس تاريخ الإسلام درس تدبر ، وعرف استخراج عبره : « أما كان فى العصور الماضية قضاة جاهلون فاسقون سارقون ، فكتب الأدب تتعرض لذكر كثير مما كان يتهمون به ، أليس ما روى عنهم بصحيح أم صنعوه للنكتة ؟ » فأجاب : أكثر ما روى فى سيرة القضاة قديماً صحيح ، والجهل وسوء الخلق لا ينقطع دابرهما من الأرض ، ولكن إذا فرضنا أنه كان فى المملكة الإسلامية ألف قاض فى القرون الغابرة ، وألف مثلهم فى هذه الأيام ، فإن الألف السابقين كان فيهم عشرة فاسدون لا يصلحون ، أما الألف اللاحقون فالفاسدون منهم يعدون بالعشرات بل بالمئات . وأظن السلطان بيلدرم بايزيد العثمانى هو الذى جمع قضاة مملكته لما ثبت له قلة دينهم وتلاعبهم بالحكومة وأمر بقتلهم كلهم ؛ فلما حقت عليهم كلمة العذاب لجأوا إلى أحد حاشيته وندمائه ورشوه بمبلغ من المال « وداونى بالتى كانت هى الداء » ، فذهب إلى السلطان لابساً ألبسة السفر ، فسأله السلطان عن الداعى إلى اكتسائه هذه الكسوة ؛ فقال : إنه ذاهب إلى صاحب القسطنطينية – وكانت يومئذ بأيدى الروم – ليأتى من عنده بقسيسين يتولون القضاء فى بلاد السلطان . فضحك هذا وعفا عن القضاة على ألا يعودوا إلى سالف سيرتهم القبيحة

وما زالت حال القضاة فى تدهور العصر بعد العصر حتى كانوا هم السبب الأعظم فى إدخال قوانين الغرب على الدولة العثمانية والحكومتين المصرية والتونسية لكثرة ما أساءوا إلى الشرع الإسلامى وعبثوا بأصوله وفروعه ، فكانت المحاكم الشرعية بؤرة فساد ، وأحكامها سلسلة من الخلل والعلل ، فأكرهت أوربا الدولة على قبول قوانينها ، ظناً منها أن الفساد آت من الشريعة ، وما العيب إلا من جهل المنفذين لأحكامها وفساد أخلاقهم . وقد شاهدنا تحسناً ظاهراً فى قضاة الشرع لما أنشأت الدولة مكتب النواب فى الآستانة وكان المتخرجون على أساتذته إلى الاستقامة والعلم أكثر ممن سبقوهم بكثير . ومثل ذلك شاهدنا القضاء فى مصر يتولاه اليوم الأخيار وكان فى القرن الماضى يتولاه الأغمار والأشرار . بحثت سيرة من أعرفهم من القضاة فقلّ جداً من اقتنعت بذمته منهم ، ومن نعده مستقيماً قد لا يتعفف عن قبول الهدايا من أرباب المصالح

قصة لطيفة وقعت لقاض من أهل دمشق كان فى دومة من الغوطة ، وكان مضحاكا خفيف الروح يحفظ كثيراً من النوادر والفكاهات ، وهذا جل رأس ماله فى القضاء على ما يظهر . أتاه ذات يوم رجل اسمه محمد عبد النافع أحد ظرفاء دومة بكتاب يقول له فيه إن الله خلقه بغير إرادته ، وأتى به إلى هذا العالم ولم يستشره ، وزين له أن يتزوج ففعل ، ورزقه أولاداً ليقربهم عينى والديهم فكانوا علة إفلاس والدهم وشقاء والدتهم ، وإن فقره يزيد كلما زاد عدد أولاده ؛ فهو لذلك يلتمس من القاضى أن يجلب إلى محكمته العادلة المدعى عليه وهو الله سبحانه وتعالى ليتقاضى معه ؛ فرأى القاضى أن صاحب الدعوى من أصحاب النكتة ، فانتظر حتى أنجز أرباب الأشغال مراجعاتهم وأغلق باب المحكمة ولم يترك فيها غير الموظفين والقائم مقام ، وطلب المدعى وهو والحاضرون يصطنعون الجدّ ، فسأله عن دعواه على الحق تعالى ، فقال إن دعواه مكتوبة فى القصة التى قدمها . فقال القاضى للمدعى بعد أخذ ورد قليل : هل تسقط دعواك يا شيخ إذا أُعطيت من مال الله خمس ليرات عثمانية وكيس طحين ؟ قال :

أفعل . قال القاضي : أنا سائلك سؤالاً تجيبني عليه بصراحة . فقال : الأمر لسيدي . فقال القاضي : جاء هذه البلدة قضاة كثيرون قبلي فلِمَ لم تتقدم إليهم بهذه الشكوى لينصفوك ممن تدعى عليه سبحانه وتعالى ؟ فقال : لم يكن القضاة الذين يقدمون لتولى القضاء فى بلدنا مثلك ، كانوا يخافون منه . فصفق الحاضرون تصفيقاً شديداً استحساناً لهذا الجواب . وربما قال القاضي فى سره إنه والله لصادق ؛ فأنا أعلم من نفسى أن معظم القضاة لمهدنا لا يخافون الله ، هم لصوص على رؤوسهم عمائم بيضاء ، وإن طعامهم ولباسهم ومأواهم من أموال اليتامى والأيامى . وهكذا كان هذا القاضي يقول لزوجته مفاخراً ، وما أشك أنه من قضاة النار . . .

هزل مصر

ومنها من فصل عنوانه « هزل مصر » :

... فى مصر اليوم عدة جماعات ومجتمعات تظفر فى بعض حواشيها بأفراد ممتازين يختلفون إلى المقاهى ويزهدون فى الاجتماع فى بيوتهم ، وكذلك الحال فى بلاد الشام ، وكانت فيها الأندية الخاصة أو « البما كيك » فى كل حيّ من أحياء المدن والقرى الكبيرة . ولى جماعة فى بار اللواء أمام إدارة جريدة الأهرام بالقاهرة ، وهم بقايا صالحة من أرباب الثقافة العالية والوطنية الحقة الصامتة ، ومنهم صديقى القديم الأمير محمد بك على المهندس ، وقد وقع لى ، وأنا أسير معه فى بعض الشوارع ، وأمه سودانية وهو أسود البشرة محمود الصفات خدم السياسة المصرية بما يخدمها به الرجل الشريف أعواماً طويلة وما طلب على عمله لوطنه مكافأة ولا طمع فى مظهر من المظاهر التى يطمع فيها المتجرون بالوطنية

وقع لى أن لاقيت على الجادة صديقاً لى آخر اسمه صالح افندى السودانى وهو أسود أيضاً بلون محمد بك على ، وهو من أرباب الأقلام ومن المخلصين فى خدمة مصر ، فقلت لهما : خطرت ببالى الآن قصة وقعت لى فى بلدى وأنا فى صدر الشباب ، كان لنا جار وهو أخى من الرضاع اسمه رشيد المبل من أبناء البيوتات القديمة وقد خلف له أهله ثروة جيدة ، وكان أسود اللون قاتمه مثلكما ، ولكما المثل الأعلى ، فكنا يومئذ نركب الخيل وعنده وعند والدى منها عدة نمتطى بعضها عند الأصيل ونخرج إلى المتنزهات بين البساتين . فقال لى والدى يوماً : إنك يا بنىّ تثبت كل يوم حسن ذوقك ؛ أما رأيت فى هذه المدينة الكبيرة أجمل طلعة من جارنا ابن المبل تصحبه إلى نزهتك ؟ ودعا لى بالتوفيق والغبطة ! والتفت إلى الصديقين وقلت لهما من باب مطابقة الحديث للترجمة : أليس قول والدى يصدق علىّ الآن ؟ ولا شك أن الناس هنا أدق شعوراً فيضحكون إذ يروننى بينكما . فضحكنا ضحكاً كثيراً ... وتالله إنى لأفضل هذين الأسودين بما فيهما من صفات غرّ على كثيرين من البيض أصحاب الصحائف السود .

محمد كرد على

خواطر يثيرها سائل

للأستاذ عبد المنعم خلاف

— ٣ —

سنة الله — التحرر من التاريخ — الطفولة موضع أمل — عصر العمل — شرود النساك — عالم الأجسام — فلنعش هنا — معنى العبادة — الدين ابتهاج لا كآبة — دعوة الأغنياء للدين — الحياة لعب ولهو — جناية الدولة على حياة الروح

لا يزال أكثر الناس يجهل سنة الله واتجاه إرادته فى الطبيعة على الرغم من كثرة عدد العلماء الطبيعيين ، ولا يزال كثير من الأمم يأبى أن يبنى الحياة الإنسانية الفردية والاجتماعية كما بنى الله الطبيعة بقوانين لا تخطىء ولا تستثنى ولا تهمل ، مع أن الحل الوحيد الموفق السعيد لجميع المشكلات هو أن يبنى الفرد حياته وتبنى الجماعة حياتها كما بنى الله الحياة العامة على الحرص الدقيق واليقظة التامة والعلم الشامل والقوة القاهرة والتصميم النافذ والاستيعاب الكامل للجزئيات والتوزيع العادل للقوى والعناصر ؛ فبرزت فى هذا التناسق والانسجام والجمال

ومع هذا الجهل الفاضح من الناس « لسنة الله » نجدهم فى غاية الجرأة إذ يقدمون على محاكمة الله بعقولهم الصغيرة المحدودة التى لم تعرفه بعد ولم تعرف اتجاه إرادته الظاهر فى الطبيعة

إن الله احتجب عنا فلن ندركه بأبصارنا إذ لا قدرة ولا طاقة لنا على ذلك . ولكنه وضع أمامنا « خريطة » الكون مفصلة واضحة لنرى فيها تخطيطه وأسلوبه فى إيجاد الحياة وتنظيمها والقيام عليها

وقد وضع الله فى الإنسان قوة أشبه بمرآة تنطبع فيها جميع صور الطبيعة ونظمها وهى « العقل » ، وكان من المحتم لو سارت التربية سيرها الطبيعى أن ينتقل سنة الله فى الطبيعة إلى تلك القوة وينطبع فيها فتحفظه وتتنبه إليه دائماً وتسير بإرشاده فى بناء الحياة الإنسانية . ولكن قوة « الاختيار » التى فى الإنسان من جهة وحبه « لاختبار » كل أفق « واستطلاع » كل شىء فى الحياة هما السبب فى عدم تقيده بما يوحى إليه أسلوب الله ، وفى خلقه لنفسه جواً صناعياً جعله يبتعد بالتدريج عن الطبيعة التى هى كتاب الله إليه وصورة من علمه تعالى واتجاه إرادته

وشىء آخر غير « الاختيار » وحب الاستطلاع والاختبار يؤثر فى إدراك الإنسان وعقله تأثيراً رديئاً ... شىء هو كل شىء ... هو التاريخ المسطور فى الصحف الموروثة وأدمغة العجائز والشيوخ الذين هم قناطر وجسور دائمة تعبر عليها وراثات من الجاهليات الأولى متحدرة فى الدماء والأعصاب والألسنة هى آثار من المحاولات الأولى المغلوطة التى حاولها الإنسان لإدراك الله وإدراك اتجاهه فى الطبيعة

إن خمائر التاريخ السيئة هى التى تعوقنا عن رؤية الحق الصريح إنها جعلتنا أناسى صناعيين لا طبيعيين ... فلا نزال فى التاريخ كثير من الأمراض والظلمات التى كنا فيها قبل أن نشب عن الطوق وندرك الرشد ، إنه من أكبر أسلحة الشر لمقاومة تقدم الإنسانية ... إنه يربينا بما كان يربى عليه الأولون من العواطف والأفكار المغلوطة ، ومن العجيب أن الاحتفاظ بخرافات التاريخ وجد له شرعة عصرية تحلله بحجة الإبقاء على « التقاليد » حتى الدين العقلى الطبيعى وهو الإسلام لم يستطع أن يمحو مصائب التاريخ ومواريثه السيئة من الأمم التى تدين به فدخل كثير من الناس فيه من غير أن يغتسلوا غسلاً تاماً من مواريث الوثنيات والأباطيل واكتفوا بتغيير عنوان حياتهم العقلية القلبية من غير أن يحلوا ما وراء العناوين ، ولو ذهبت أتقصى بقايا الوثنيات فى ديار الإسلام وفى أفكار المسلمين لطال بى المقال ، وحسبى أن أحيل كل قارئ على علمه بما يجرى ، وإذا كان هذا فى ديار الإسلام فما بالك بما فى ديار غيره ... وقد انحدرت إلينا هذه المواريث سائرة مع أصول الدين جنباً لجنب ولم تنتبه إلى ازدواج شخصياتنا تبعاً لذلك ، وإنى أتخيل جيلاً من الأطفال ربى بأيدى حكماء تحرروا من كل باطل واسترشدوا بأسلوب الطبيعة وسلامة الفطرة ولم يأخذوا الأفكار العامة عن الحياة والدين من التاريخ والبيئة الملوثة . . أتخيل ذلك فتسطع أمامى فى هذه الأرض أنوار من الجنة الموعودة فى السماء ...

ولم يستطع نبى أن يتلقى الوحى عن الله إلا بعد هذا التجرد من التاريخ ... إن النبوة فى مبتداها تجرد من كل شىء موروث

ثم إيغال فى الوصول إلى أصول الحياة، ثم رؤية يد الله وهى تضع هذه الأصول وتحفظها، ثم سماع الله بعد ذلك ...

والطفولة هى موضع أمل الإصلاح ... ولكن هل تترك الإنسانية المصلحين يبنون مستقبلها ؟ هذا سؤال قبله سؤال آخر : هل هى تدرك المصلحين وتعرفهم ؟ نعم تدركهم ولكنها تحسدهم ؛ لأن الغرائز السفلى وقوى الشر دائماً تسلط الحسد ليكون طليعة فى الدفاع عنها وبقاء وجودها ...

قلوب الأنبياء والحكماء كقلوب الأطفال ... لأنهم يرتدون دائماً إلى مبادئ الطبيعة وأوليات الحياة البسيطة التى لم تلتو مع ميراث النفاق الاجتماعى والإثم الصناعى . فهم دائماً ينظرون بفرحة وبهجة إلى الشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكل شىء ... وكل شىء . وكأنهم فى ابتداء حياة جديدة كل يوم بل كل ساعة ... وتترقى نظرتهم بترقى إدراكهم حتى ينتهى بهم الأمر إلى أن ينظروا إلى الوجود نظرة خالق الوجود ! نظرة وراءها وصاية على كل شىء واهتمام به وحرص على استمرار نفاذ قوانين الحق على سنة الله وطريقته

***

قد كان من الواجب على الإنسان أن يقلد أسلوب الله منذ وجوده . وأسلوبه يتمثل فى العمل والصمت الدائم ... ولكن الإنسان أخذ يلهو ويعبث ويتكلم ! وفرح بالكلام وقضى فى علوم الكلام دهراً طويلاً من عمره ، حتى جاء العصر العملى الذى لا نزال فى فجره وبواكيره . وهذا العصر العملى كثير البركات على الإنسان ، إذ كشف له عن كثير من أبواب كنوز الطبيعة ومفاتيحها . وكان من أول الواجبات بعد هذا العصر أن يشرع الإنسان فى تعديل غرائزه السفلى وتهذيبها و « تطويرها » حتى لا تشغله بسفالاتها القديمة وصراخها الصبيانى

وإنى لأعجب من العلماء الطبيعيين الذين كشفوا عن كثير من الأسرار العملية فى الطبيعة ، ثم استمروا بعد ذلك خاضعين للغرائز السفلى ومواريث التاريخ الجاهلى ! كما أعجب من النساك والعباد الذين يتنسكون ويتركون الجهاد للحياة العملية والاندماج فى موجاتها !

إن الله بنّاء بنى السماء والأرض والجبال . . . وصانع صنع أجسام النبات والحيوان . . . وسقّاء يسوق السحاب الثقال ... وزراع يخرج نبات كل شىء ، ومعلم هدى كل شىء إلى طبيعته ... وفنان طرّز حواشى الوجود ، وصبغ الخدود ، وزركش الأرض بالورود ، ورقق أنفاس الرياح ، ونشر المطر الفياح ، ورقرق الأنهار ، وجلا النهار ، وزين الظلام بالمصابيح الوضاء...

« فالجمال هو توقيع الله على الأشياء » !

فكيف يأبى النساك أن يعملوا للحياة عمل الله ؟!

إنهم لم يعرفوه ! فلو عرفوه لساروا على أسلوبه ، ولأقاموا أسواق الحياة عامرة . . . لأنه خلقهم ليعمروها لا ليتركوها غامرة صامتة صمت الخراب والقبور ...

إن حياة التأمل فى الله بدون عمل قليلة المحصول جالبة للخبال « ولا تفكروا فى ذاته فتهلكوا »

الأجسام ! الأجسام ! هى أداة الحياة فى الدنيا ، فيجب أن نحيا بها حياة كاملة ، ولا نعطلها فى البحث وراء العالم الخفى ... يجب أن نخرجها إخراجاً جيلاً قوياً فإنها محاريب من محاريب الطبيعة أيضاً ... بل يكاد يكون الجسم الإنسانى الجميل المكتمل أجمل شىء فى الوجود ...

لعل النساك يحرمون أنفسهم هنا لينالوا ما هناك ؟ ... كلا ! ليس وجود الآخرة معناه ألا نحيا هنا حياة طيبة بقدر ما تسمح به طبيعة الحياة الدنيا . . . إن الآلام هى سبب الكفر والجرائم التى تحرم من جنة السماء فلنحاربها ولنمحها إذا استطعنا لنضمن الرضا عن الحياة والرضا عن الله

لماذا ننشد نعيم الآخرة بشقاء الدنيا ؟! ألا يجوز الجمع بينهما ؟ بلى ! وإلا فالحياة مأساة !

ويقينى أن صلاح الدنيا صلاح للآخرة

إن الدين لم يكلفنا بعمل أشق من الموت فى سبيل الله . وما معنى الموت فى سبيل الله ؟ إنه الموت لتكون كلمات الله هى العليا . ولن تكون كلماته كذلك إلا إذا سار الإنسان على أسلوب الله فى الطبيعة فضمن سلامة الحياة من إجرام الغرائز السفلى وظلمها ، فكأنه أشق عمل دينى فرضه الله وسيلة لإصلاح الدنيا . فصلاح الدنيا هو المطلوب الأول لأننا نحيا حياتنا هذه قبل حياتنا الأخرى

يقول النساك المنزلون للحياة : إنهم يطلبون وجه الله بالعزلة ... ولكن وجه الله الحقيقي لا يرى ... وفي الحديث : « إن الله احتجب عن الأنظار ، وإن الملأ الأعلى ليطلبونه كما تطلبونه أنتم » . ذلك قول قالته أعظم نبوة رأتها الأرض ، وعليه طابع جلالها وعمقها وصدق تجربتها في البحث عن وجه الله

ولكن صور وجه الله تظهر جلية رائعة في الطبيعة وفي آفاق الحياة الإنسانية ، فعلينا أن نبحث فيها عن الله وأسراره . وما خلقنا بالأجسام إلا لنعرفه في عالم الأجسام . . .

علينا أن نلبس الحياة لبساً واسعاً شاملاً وأن نحسها في كل شيء إحساساً عميقاً . وتلك هي حقيقة عبادتنا . فالدين هو الإحساس بالحياة إحساساً دائماً يكون معه الفكر في الله مبدع الحياة . وبهذا أجد تفسير « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » وبهذا التفسير تتبين غاية الخالق من خلق الناس متحققة واضحة جلية . أليس كذلك أيها الأخ البيروتي أوليس كذلك أيها الأخ الآخر « ح . م » ؟

فالإحساس الصادق بالحياة والعمل بمقتضى هذا الإحساس هو عبادة الله . وعلى هذا تكون كل حياة الإنسان في الأرض عبادة . . . حتى خدمته لنفسه وشعوره بلذاته المحللة وكشفه العلمي وعمله للرزق ما دام وراء كل أولئك فكر في الله وتنبه إلى سر إيجاده للحياة

وتبتدئ العبادة حين يحس الإنسان أنه دخل هذه الحياة مكرهاً من غير إرادة ، فصبر على ما فيها من آلام ومشقات حتى يتوفى الله نفسه من جسده ... فالمنتحر كافر لأنه لم يتحمل آلام التجربة والاختبار في هـذه الرحلة الأرضية التي لا بد أن يكون وراءها غاية عقلية عند الذي دعانا إليها وحملنا عليها . المنتحر شخص وهبه الله الحياة فردها في وجهه . فما دمت قد شعرت أني لست أنا الذي خلق نفسي ودفع بها إلى هذا البيت الهائل المظلم فصبرت وانتظرت وفكرت في صاحبه دائماً فأنا عابد لله ؛ لأنني سرت طائعاً مع أبناء الحياة ، ومواكب الطبيعة التي تسير أمام عصا القهر طائعة ساجدة

والفرق بين أعظم القديسين وأعظم الكافرين هو اتجاه الفكر والنية إلى رب الحياة في كل عمل وفي كل وقت ... فالقديس كل أعمال حياته مسبوقة باتجاهات ونيات منظور فيها إلى رب الحياة ... والكافر كل حياته غفلات يأخذ بعضها برقاب بعض فلا يفيق منها إلا عند الموت . مع أنه حين يدخل متحفاً أو بيتاً جيلاً يسرع فكره إلى السؤال عمن بناه أو نظمه ...

لقد أفسدنا المعاني الدينية بأخذها تقليداً من دون فكر وروح وإحساس بها وبتلقينها للأحداث قبل أوان تفتحها في أرواحهم وعقولهم بمناسباتها . فحسبنا العبادة هي أداء رسوم الصلوات والزكوات والصوم وغيرها ... كلا ! إن العبادة هي الإحساس الصادق بالحياة والشعور الملازم بالله والفكر فيه ، وفي أسلوبه وتقليد أعماله في الطبيعة من أول الوعي للحياة إلى أن تحين سكرة الموت ... وأما الصلوات وما وراءها مما يسمى عبادات ، فهي فيض النفس بتلك المشاعر والأحاسيس والأفكار فيضاً يتمثل ويتشكل ويظهر في عالم الأجسام بعد امتلاء الروح ...

والدليل على ذلك أن هذه الأعمال تكون باطلة إذا خلت من التوجه والنية ... فكأنها مواقف « استعراض » لأجسام الذين تمثلت فيهم الحقيقة الدينية كمواقف استعراض الجنود الذين يجيشون لغاية ما ، ولن يعد الجندي بلباسه وشاراته وسماته الظاهرة إلا إذا كان عامر القلب بمعاني الوطنية والغاية التي جند من أجلها .

***

شيء واحد ينبغي للانسان أن يحرص عليه ، حتى يحقق الغاية من خلقه : هو أن يحيي رب هذه الحياة بتحية بسيطة قبل أي عمل أو متاع ، ومع كل ألم ...

فإذا استطاعت التربية في بيوتنا ومدارسنا أن تجعل هذه الخاطرة الصغيرة عادة ملازمة للانسان ، فقد قام الدين وأقيم أساسه في النفس ، ثم تأتي سائر رسومه وأشكاله بعد ذلك فيضاً نفسياً وفعلاً اختيارياً

وإن إدراكنا لله في القرن العشرين يجب أن يكون أوسع منه عند جماهير الناس في القرون السالفة . وهذا منوط بالتربية ، والنشأة الطبيعية تحت التأثير المباشر للطبيعة أقل ضرراً وإفساداً لنفس الطفل من التربية المغلوطة التي فيها مواريث ومقاييس فاسدة

والدين يجب أن يعلم على أنه بهجة وفرح بالحياة التي أتاحت لنا أن نعرف الله في هذه الرحلة السعيدة التي دعانا إليها على الزورق الأرضي

ولشد ما يغيظ ويؤلم أن ترى حياة التدين عند أكثر الناس ملازمة للكآبة والضعف والحزن والفقر ! ... وسوء الطريقة في دعوة الأغنياء والأقوياء للدين ، هي التي حرمتهم منه وحرمته منهم ، حتى صار معلوماً عند الناس أن عبادة الله لا تكون من قوة ولا غنى ، وإنما تكون من الفقر والضعف الذى لا يملك في الأرض صرفاً ولا نصراً . وعدم التفريق بين ما لا بد منه في الدين لأنه ضرورى وبين ما منه بد لأنه كمالى هو مما جنى على حياة التدين بعدم انتشارها بين الأغنياء والأقوياء

ثم إن مفاجأة الأغنياء والأقوياء بألحان الكآبة والحزن والموت والقبر وجهنم ، وغمرهم بكثرة التكليفات التى لا يقوم بها إلا الورعون ، هى التى جعلت نفوسهم تضيق بهذه القيود القاسية التى تحبسهم عن حياة المتاع الحلال والحرام الذى لم يبين لهم سبب معقول لتحريمه إلا الخوف من عذاب جهنم . والدين إذا لم يبن على الفكر والتعليل أوشك أن ينهار بناؤه ، حتى فى نفوس الدعاة إليه . وخصوصاً إذا كان ديناً يهيمن على شئون الدنيا ويقيم لها حدوداً كالإسلام

أمن الحق أن يوجه فكر الإنسان دائماً إلى الموت على أنه هو المطلوب الأول من الحياة ؟

وهل من الحق أن نجعل المثل الأعلى للحياة الدينية هو التفرغ لما يسمى عند الناس بالعبادات ؟

قال الغزالى : « واعلم أن العلم غذاء والدين دواء ، فمن جعل الدواء غذاءه مرض ... »

وقول الغزالى هنا قول فصل ، لأنه قول خبير فى هذا المقام ومن قواعد الدعوة الإسلامية الأولى أن العامة والجماهير ينبغى ألا يحملوا على الورع والزهد والتزمت ...

والقرآن يعترف بسلطان الحياة على النفوس ويقول : « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث . ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب » . ويقول : « إعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد » . ويكرر هذا المعنى فى غير موضع . فلماذا نريد نحن أن نفرض للحياة صورة عقلية كلها جد مؤلم مستمر وصرامة . ونريد أن نحمل الناس عليها ، مع أن العقل والشرع والتجربة الأزلية تقرر أن هذا مستحيل ؟ وهل كل ما فى الحياة إلا تكوين وتخريب كلعب الأطفال ؟ وهل الرجال والنساء إلا أطفال كبار يلعبون فى الحياة لعبها المعهود بالجمع والطرح ؟

إننا نصنع من طين الأرض وموادها الميتة آلات تسمى وتطير وترى وتسمع ... ثم نخربها بالاستعمال والامتهان ونكون غيرها وهكذا . .

إننا نشقى فى جمع المال والاقتناء والاستكثار ثم نترك كل هذا لغيرنا يعبث فيه ويبدده . أليس هذا عبثاً أو شيئاً أشبه بالعبث فى نتائجه ؟ ولكننا محمولون على هذا من الطبيعة ولن نملك لأنفسنا غيره ، ورجال الدين مثلنا مع أننا نعلم ما تقول الحياة وما قال القرآن عن الدنيا من أنها « متاع الغرور »

فلماذا لا ننظر إلى الحياة على حقيقتها هذه ثم لا نتشاءم من كثرة ظواهر الشرور فيها ، حتى لا يحملنا التشاؤم على اليأس وترك الكفاح ، ثم نحاول أن نتلطف فى الدخول على الطبيعة البشرية اللاهية اللاعبة فنفتنها بواجبات الجد والعمل فى الأوقات القليلة التى لم يطلب الله فى غيرها من الإنسان أن يؤدى عملاً ؟

وكما تلطفت التربية فى الدخول على طبيعة الأطفال ، فعلمتهم مبادئ العلوم ، ودربتهم على مبادئ الأخلاق عن طريق اللعب من غير شعور ، ينبغى أن تفعل مثل ذلك مع الأطفال الكبار : الرجال والنساء ... وتلك هى رسالة رجال الروح ...

ولكن الدولة قد جنت على الحياة الروحية أكبر جناية حين أباحت الانتساب إلى الدين لمن لا تؤهله عقليته ، ولا ثقافته ، ولا تكوينه الجسمي أن يكون قائداً من قواد الروح ، وعنواناً جذاباً للدين ... وإلى الآن لم يتيقظ كبار رجال الروح إلى ضرورة وضع حد لهذه الحالة مع أنهم يدرسون فى علوم العقائد أن الله لم يرسل رسولاً إلا بعد الانتقاء والاصطفاء ، وأنه لا بد أن يتحلى بالصدق والأمانة والتبليغ والفطانة والخلو من العيوب المنفرة ...

ولنا فى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة فقد كان ذكياً قوياً جميلاً لطيف الروح دمث الأخلاق رحب النفس نظيف الجسم والثوب يمشط شعره ويعطر ثيابه ويخضب لحيته

ولقد عاش رسول الله بجسده عيشة رحبة كما عاش بروحه فسابق وصارع وركب وحارب ولبس الدروع واقتنى السيوف

الفقـــه الاسلامى
ورعاية الصالح العام

للأستاذ محمد محمد المدنى
المدرس بكلية الشريعة

« الفقه الإسلامى » مستنبط من الشريعة الإسلامية ، وهذه الشريعة تمتاز بأنها شريعة الفطرة ، وشريعة العقل ، وشريعة الرحمة :

فهى تعترف بالحقائق ، ولا تحاول الخروج على السنن الكونية ولا تصطدم بالعلم ، ولا تضيق صدراً بالإصلاح ، ولا تكلف الناس ما ليس فى استطاعتهم !

ذلك بعض ما كانت به الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان ، وجعل لها هذا الاعتبار العام ، ولم يكن فقهها معه شخصياً ولا موضعياً

وليس معنى هذه الصلاحية أن كل جزئية من جزئيات الفقه التى استنبطت لا تقبل التغيير ولا التعديل ، فإن ما صلح للأولين لا يعقل أن يكون هو بعينه ، وفى جميع جزئياته ، ما يصلح للآخرين ذلك أن شريعة العقل والرحمة لا تجهل أن الأحوال دائماً فى تغير ، والدنيا فى تقلب ، ولكل قوم عادة وعرف

ولو كان هذا هو المعنى المقصود من قولهم : « إن الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان » ، لوقعنا منه فى حرج عظيم ، وتكليف لا يحتمل

أيجوز مثلاً أن نرجع بالمساجد إلى حالتها الأولى ، فنجردها من الفرش والبسط ، ونكتفى بأن نفرشها بالرمل أو الحصباء ، لأن سنة السلف فى مساجدهم كانت كذلك ؟

أيجوز مثلاً أن نلزم القاضى بأن يكون له فى المسألة الواحدة قضاء واحد من غير تفرقة بين أحوال المتقاضين وبيئاتهم؟

لقد سمعت أن قاضياً شرعياً عُرضت عليه قضية أهان الزوج فيها زوجته بألفاظ جارحة — وهما زوجان من وسط راق — فطلبت الزوجة التفريق ، فقضى لها به القاضى

فهل يجوز للقاضى أن يقضى بمثل ذلك فى قضية يكون الزوجان فيها من وسط قد ألف ذلك فيه ، بل ألف فيه ما هو أشد منه كالضرب مثلاً ؟

أيجوز لنا مثلاً أن نلزم وزارة الدفاع أن تلبس جنودها العمامة البيضاء تحقيقاً للخبر الذى يروون : « تعمموا فإن الشياطين لا تتعمم » ؟

إن هذا وما يماثله هو الحرج الذى لا يرضى الله به ، ولا يرضى به رسوله ، ولا تقول به شريعة العقل والرحمة !

يقول ابن القيم « إن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد ، فى المعاش والمعاد ، وهى عدل كلها ، ورحمة كلها ، ومصالح كلها وحكمة كلها ، وكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور ، وعن الرحمة إلى ضدها ، وعن المصلحة إلى المفسدة ، وعن الحكمة إلى العبث ، فليست من الشريعة ، وإن أدخلت فيها بالتأويل ! »

فالمعنى إذن فى صلاحية الشريعة لكل زمان ومكان ، أن الشريعة قد بنيت أحكامها على رعاية المصالح ، ولما كانت المصالح تختلف باختلاف الناس ، وتتكيف بتكيف الظروف والبيئات ، وتتغير بتغير العوائد ، اعترفت الشريعة بذلك ففتحت باب الاجتهاد وأباحت للناس أن يستنبط أولو الرأى منهم ما يصلح لهم ، وينهض بهم فى حدود ما رسمت وبينت

وآية ذلك أن الشريعة الإسلامية تركت كثيراً من الفروع

والخيل وأكل من الطيبات وتمتع بالنساء ، وسمع الغناء وشاهد الرقص وسمح به فى المسجد ، وأمر بالهرولة فى السعى إظهاراً للقوة ، واستعرض الجنود ... ولذلك خضع لقوانين الأجسام ولم يشرد على المجتمع هائماً ولم يعش منطوياً على نفسه يأكل خواطره وتأكله خواطره

فكذابون أفاكون هم الذين يزعمون أن الله لا يريد أجسامنا ، إنه ما خلق أرواحنا إلا فيها ولم نعرفه إلا من نوافذها وحواسها وهى أدوات علومنا وإحساسنا بالحياة ، وهل نرى فى الحياة غير الأجسام ... إن حياة الروح الخالص لا تكون فى الأرض إلا كلمات البرق

لقد ضاع الحق من المسلمين لما أهملوا قوانين عالم الأجسام والتفتوا إلى عالم البدوات والأمانى والأحلام والكلام . فضاعت القوة لما ضاع الحق فهما صنوان متلازمان : فالحق قوة ، والقوة حق !

عبد المنعم خلوف

(القاهرة)

من غير نص على أحكامها ، وأنها تعنى - قبل كل شيء - بالأصول العامة والمبادئ الأساسية ، دون التفاصيل والجزئيات !

وفى هذا المعنى يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها ، وحد حدوداً فلا تعتدوها ، وحرم أشياء فلا تنتهكوها . وسكت عن أشياء رحمة بكم ، غير نسيان ، فلا تبحثوا عنها »

فهذه الأشياء هى موضع اجتهاد المجتهدين ، وقوله « فلا تبحثوا عنها » أى فلا تطلبوا فيها نصًّا فتحرجوا أنفسكم . وهذا معنى قوله تعالى :

« يا أيها الذينَ آمنُوا لا تَسْألوا عن أشياء إنْ تُبْدَ لكم تسؤكم ، وإن تسألوا عنها حينَ يُنزَّل القرآن تبد لكم ، عفا الله عنها ، والله غفور حليم . قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين »

وليس اعتبار الظروف والأحوال ، ورعاية الصالح العام ، فى الفقه والأحكام ، بالشيء المستحدث ، فقد وجد منذ وجد التشريع ، وكان حيث كان الفقه والاجتهاد

وإننا نسوق أمثلة لذلك من أحكام الرسول ، صلوات الله عليه ، وأمثلة من أحكام الصحابة ومن بعدهم من الفقهاء والأمراء

١ — فى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها ، أن قريشاً أهمهم أمر المخزومية التى سرقت ، فقالوا : من يكلم فيها رسول الله ؟ وهل يجترئ عليه إلا أسامة ؟ فلما كلمه أسامة قال : « أتشفع فى حد من حدود الله يا أسامة ؟ إنما هلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد . والذى نفسى بيده ، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها ! »

٢ — وروى أبو داود أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى أن تقطع الأيدى فى الغزو

فهذان حكمان لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى شيء واحد هو الحد : تراه فى الأول يصر على إقامته ، ولا يقبل تعطيله ، مع أن السارق امرأة من أكبر القبائل وأشرف البيوت ، ومع أن أمرها أهم قريشاً وأزعجهم ، ومع أن الشفيع صاحب من أحب أصحابه إليه !

وتراه فى الثانى ينهى أن تقطع الأيدى فى الغزو ، فهل كان إصراره فى الأولى إلا لأن أمراً كهذا لو دخلته الشفاعة ، وقبلت فيه الوساطة ، وفرق بين الشريف والوضيع ، لضاعت الحكمة المقصودة فيه ، وبطلت الغاية المرجوة منه !

وهل كان نهيه فى الثانية إلا خشية أن يترتب عليه ما هو أضر على المسلمين ، وأبغض إلى الله ، وهو لحوق المقطوع بالعدو حمية وغضباً . ولكن التشديد فى الأولى ، والتسامح فى الثانية ، يدعو إليهما أمر واحد وإن اختلفا ظاهراً ، وهو الحرص على أمور المسلمين ، أن يفضى إليها الخلل ، أو يلحقها الاضطراب والفساد .

وقد روى مثل ذلك عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم :

١ — قال علقمة : كنا فى جيش فى أرض الروم ومعنا حذيفة بن اليمان ، وعلينا الوليد بن عتبة ، فشرب الخمر ، فأردنا أن نحده ، فقال حذيفة : أتحدون أميركم وقد دنوتم من عدوكم فيطمعوا فيكم ؟

فهل ترى فهم حذيفة ، ونصيحته للمسلمين حين فهم ونصح إلا فقها تمليه السياسة الرشيدة ، والنظر الصحيح ؟

٢ — وشبيه بهذا ما روى من أن سعد بن أبى وقاص كان قائد المسلمين يوم القادسية ، فأتى بأبى محجن ، وقد شرب الخمر ، فأمر به إلى القيد ، فلما التقى الناس قال أبو محجن :

كفى حزناً أن تطرد الخيل بالقنا وأترك مشدوداً على وثاقيا !

ثم قال لامرأة سعد : أطلقينى ، ولك علىّ إن سلمنى الله أن أرجع حتى أضع رجلى فى القيد ، فإن قتلت استرحتم منى . فحلت وثاقه ، فوثب أبو محجن على فرس لسعد يقال لها البلقاء ، وكانت بسعد يومئذ جراحة فلم يخرج ، ثم أخذ أبو محجن رمحاً وخرج فجعل لا يحمل على ناحية من العدو إلا هزمهم ، وجعل الناس يقولون : هذا ملك ! لما يرون من صنيعه ، وجعل سعد يقول وهو يرقب المعركة : الضبر ضبر البلقاء والطعن طعن أبى محجن وأبو محجن فى القيد ! ! فلما هزم العدو رجع أبو محجن فوضع رجليه فى القيد ، وقصت امرأة سعد على سعد ما كان من الأمر ، فقال سعد : والله لا أضرب اليوم رجلاً أبلى هذا البلاء المسلمين ، فخلى سبيله ! فقال أبو محجن : قد كنت أشربها إذ يقام على الحد فأطهر منها ، فأما إذ أبطلته عنى فوالله لا أشربها أبداً

قال فى أعلام الموقعين « إن سعداً قد اتبع فى ذلك سنة الله تعالى فإنه لما رأى من تأثير أبى محجن فى الدين ، وجهاده وبذل

نفسه لله ما رأى درأ عنه الحد ، لأن ما أتى به من هذه الحسنات غمر هذه السيئة الواحدة ، لا سيما وقد شام فيه مخايل التوبة النصوح وقت القتال ، إذ لا يظن بمسلم إصراره فى ذلك الوقت الذى هو مظنة القدوم على الله ، وهو يرى الموت

وأيضاً فهو بتسليمه نفسه ، ووضع رجليه فى القيد اختياراً قد استحق أن يوهب له حده ، كما قال النبى صلى الله عليه وسلم للرجل الذى قال له : يا رسول الله ، أصبت حدا فأقمه على ، فقال : هل صليت معنا هذه الصلاة ؟ قال : نعم ، قال : فاذهب فإن الله قد غفر لك حدك ! »

وهذا هو الفقه !

٣ — ولقد كان عمر بن الخطاب ، وهو فى الفقه والعلم من هو ، يعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعطى المؤلفة قلوبهم ، وأن أبا بكر كان يعطيهم ، وأن الله يقول : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم ... الآية » ولكنه مع ذلك كله لا يعطيهم ، ويقول لهم : إن الله أعز الإسلام وأغنى عنكم ، فإن ثبتم عليه ، وإلا فبيننا وبينكم السيف !

فهو قد علل الإعطاء بالمصلحة ، إذ كان الإسلام بحاجة إلى استرضاء هؤلاء وتأليف قلوبهم ، فلما ارتفعت هذه الحاجة بعزة الإسلام ، لم يبق إلى استمرار الحكم من سبيل

٤ — ولقد ولى زياد بن أبيه إمارة البصرة من قبل معاوية ، فوجدها وكراً من أوكار الفساد ، وموطناً من مواطن الفجور ، فخطب فيهم خطبته « البتراء » التى كان بها أول من أعلن الأحكام العرفية فى الإسلام فقال : « وإنى أقسم بالله لآخذن الولى بالمولى والمقيم بالظاعن ، والمقبل بالمدبر ، والمطيع بالعاصى ، والصحيح منكم فى نفسه بالسقيم أو تستقيم لى قناتكم ... فإياى ودلج الليل ، فإنى لا أوتى بمدلج إلا سفكت دمه ... وإياى ودعوى الجاهلية فإنى لا أجد أحداً دعا بها إلا قطعت لسانه ... وقد أحدثتم أحداثاً لم تكن ، وقد أحدثنا لكل ذنب عقوبة ، فمن غرق قوماً غرقناه ، ومن أحرق قوماً أحرقناه ، ومن نقب بيتاً نقبنا عن قلبه ، ومن نبش قبراً دفناه فيه حياً »

وقد سكت معاوية عن ذلك فلم يعلم أنه راجعه فيه ، فهل كان هذا الفعل من زياد ، وهذا السكوت عليه من معاوية إلا اجتهاداً وسياسة ، استباحا بهما إحداث ما لم يكن من الأحكام

وفى مثل هذا يقول الخليفة الصالح عمر بن عبد العزيز : تحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا من الفجور

وإنك لتجد فى فقه المذاهب كثيراً مما علق الحكم فيه على العادة والعرف ، واعتبر فيه تغير الزمان

١ — يقول المالكية : إن المرأة إذا مات عنها زوجها يستحب لها أن تلبس السواد زمناً ، رعاية لحقه ووفاء له ، ثم يقولون : إلا إذا كان السواد زينة قوم والبياض حدادهم ، فإن حدادها عليه حينئذ لبس البياض !

٢ — إن النبى صلى الله عليه وسلم فرض صدقة الفطر صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير أو صاعاً من إقط ؛ وهذه كانت غالب أقواتهم بالمدينة . فأما أهل بلد قوتهم غير ذلك ، فإنما عليهم صاع من قوتهم ، كمن قوتهم الذرة أو الأرز أو التين أو غير ذلك . فإن كان قوتهم من غير الحبوب : كاللبن واللحم والسمك ؛ أخرجوا فطرتهم من قوتهم كائناً ما كان ، وهذا قول جمهور العلماء

وقد اجتهد علماء الأحناف إلى أبعد من ذلك ، فنظروا إلى العلة التى من أجلها فرضت الزكاة فى هذا اليوم ، وهى الترفيه عن الفقير وإغناؤه عن المسألة ، فأجازوا إخراج قدرها من المال ، لأنه أنفع له وأيسر لسد خلته !

٣ — وكثيراً ما تجد فى كتب الحنفية قولهم هذا : تغير عصر وأوان ، لا تغير حجة وبرهان . يقولون هذا تعليلاً لاختلاف المروى عن أمامهم أو أحد أصحابه فى المسألة الواحدة

فالمسألة إذن مفروغ منها ، والأمر فيها بين واضح ، وأساسها المصلحة التى جعلها الله أساساً لكل شىء !

ولقد جنى على الشريعة الإسلامية حملتها فى بعض ما مضى من الزمان ، فأظهروها للناس بمظهر الشريعة الجامدة فى أحكامها ، التى يضيق صدرها بما يحدث للناس من نظم ، أو يرون الأخذ به من أسباب ، ولم يحاولوا أن يدرسوا هذه النظم والأسباب ليتبينوا أمرها ، فإن وجدوا خيراً وصلاحاً فإن الله لا يأبى الخير والصلاح ، ولا بد أن يكون فى الشريعة السمحة منفذ إليهما ، وإن كانت الأخرى أنذروا قومهم ، وأقنعوهم بالضرر فيما هم عليه مقبلون ، أو به آخذون

لم يفعلوا ذلك ولكنهم اكتفوا بالصياح والشغب على الناس ، وتنكبوا طريق أهل العلم فى الإقناع أو الاقتناع ، والشغبُ والصياح لا يجديان شيئاً فى قضايا العلم ، ولا يصلحان أداة له فى هذا الزمان !

في الاجتماع اللغوي

نشأة مراكز اللغـــة

للدكتور على عبد الواحد وافى

يمتاز الإنسان بصدد التعبير عن بقية الفصائل الحيوانية بأمرين : أحدهما اللغة الصوتية ، وثانيهما المراكز المخية التى تشرف على مختلف مظاهر هذه اللغة (مركز إصدار الألفاظ ، مركز حفظ الكلمات المسموعة ، مركز الكلمات المرئية ... الخ) فقد ثبت أن هذه المراكز ليس لها نظير فى مخ أية فصيلة حيوانية أخرى حتى الفصائل العليا من القردة نفسها

فالبحث فى نشأة اللغة يتطلب إذن دراسة موضوعين اثنين : أولهما نشأة الكلام فى الفصيلة الإنسانية ؛ وثانيهما نشأة مراكز اللغة فى المخ الإنسانى

وقد درسنا أول هذين الموضوعين فى المقال السابق ، وسنعالج ثانيهما فى هذا المقال

اختلف الباحثون اختلافاً كبيراً فى نشأة مراكز اللغـة فى الفصيلة الإنسانية

فالقائلون باستقلال النوع الإنسانى فى نشأته عن الأنواع الحيوانية الأخرى يذهبون إلى أنه قد خلق مزوداً بهذه المراكز كما خلق مزوداً بخصائصه الأخرى كاعتدال القامة وإدراك المعانى الكلية ... وما إلى ذلك . ويرون أن هذه المراكز كانت فى مبدأ الخلق ساذجة قاصرة ؛ ثم ارتقت فى بعض الشعوب حتى وصلت إلى درجة كبيرة فى الدقة والنضج ؛ على حين أنها جمدت فى شعوب أخرى فلم تتزحزح كثيراً عن الحالة الساذجة التى خلقت عليها . ويرجع الفضل فى ارتقائها إلى عوامل كثيرة منها كثرة استخدامها فى وظائفها وما تمرن عليه من عادات مكتسبة واتساع الحضارة الإنسانية وارتقاء التفكير ... وهلم جرا . فشأن مراكز اللغة فى ذلك شأن أعضاء الحس وأعضاء الحركة فى الجسم الإنسانى : تخلق مزودة بالقدرة على القيام بوظائفها ، وتظل قابلة للارتقاء فى هذه الناحية ما أتيحت لها الوسائل المواتية ، فإن لم يتح لها ذلك قصرت عن القيام بوظائفها أو جمدت على الحالة التى كانت عليها فى نشأتها الأولى

وأما القائلون بمذهب الارتقاء وتفرع الإنسان عن غيره من الفصائل الحيوانية ، فيرون أن الفضل فى نشأة هذه المراكز عند الإنسان يرجع إلى الظروف التى أحاطت به فى مبدأ نشأته ، وإلى الأمور التى ألجأته إليها مقتضيات حياته ، وبخاصة ما يتصل منها بشؤون دفاعه عن نفسه . وقد اختلفوا فى تصور هذه النشأة على الرغم من اتفاقهم على الأسس السابق ذكرها . وأشهر نظرياتهم بهذا الصدد نظرية دارون التى تتلخص فى أن الإنسان كان فى الأصل من الفصائل المتسلقة الأشجار ؛ ثم اضطرته ظروف قاهرة إلى العيش على الأرض ، حيث تعرض لغارات الحيوانات القوية وسطوها عليه . فاستخدم فى مبدأ الأمر فى مقاومتها أنيابه وأعضاء جسمه كما كان يفعل من قبل وكما تفعل أفراد فصيلته . ولكن هذه الوسيلة كانت تضطره إلى الارتماء فى أحضان عدوه فتعرض حياته للخطر . فهدته غريزة المحافظة على الحياة إلى وسيلة أخرى تدفع عنه عدوان الحيوان بدون أن تضطره إلى الاصطدام به . وذلك بأن يقذف عليه عن بعد قطعاً من حجارة أو خشب أو معدن ، أو بأن يمسك بطرف عصا ويدفعه عنه أو يضربه بطرفها الآخر . وقد كان لهذا الأسلوب

على الأزهر الحديث إذن أن يرأب ما أثأت يد الغفلات إذا أراد أن ينظر الناس إلى الفقه فيما يأخذون به من تشريع ، ويسنون من قانون

على الأزهر الحديث أن يلبى مطالب الزمن ، وأن يعرف مواضع الحاجة القومية فيجتهد فى وضع حلول من الفقه الواضح الجيد لهذه المشاكل التى تعرض للناس فى حياتهم الاجتماعية : فى بيوتهم ، ومتاجرهم ، واقتصادهم ، وقضائهم ، وعقوباتهم !

عليه أن ينظر فيما جد من الأقضية والأحداث والنظم ، فيعرض كل ذلك على الفقه ليعرف الوجوه التى كانت بها مخالفة له ، والوجوه التى يمكن بهـا أن توافقه أو يقنع الناس بأنها أشياء فى غيرها غنى عنها وعوض منها

وها نحن أولاء نشهد طلائع ذلك على يد طائفة من مفكرى الأزهر وبقيادة شيخه المصلح المعظم

ولن يمضى زمان طويل حتى يكثر فينا هـذا الصنف من الفقهاء ، المنتجين المجددين ، وحتى يسحب الزمان ذيل العفاء على « فقهاء بيزنطة » الجامدين !

محمد محمد المدنى

الجديد أثران كبيران فى حياة الإنسان :

أحدهما أنه يضطره إلى الوقوف على رجلين اثنين فى أثناء دفاعه عن نفسه . ومن تكرار هذه الوقفة أخذت قامته تعتدل شيئاً فشيئاً حتى استوى القسم الأعلى من جسمه مع أطرافه السفلى ، وأخذت عادة المشى على أربع تضعف بالتدريج حتى انقرضت (وإن كانت تظهر فى بعض مراحل الطفولة الإنسانية وفقاً لقوانين الوراثة النوعية التى تقضى بأن يجتاز الطفل فى سبيله من الطفولة إلى الرجولة نفس المراحل التى اجتازها النوع فى سبيله من الحيوانية إلى الإنسانية ومن الوحشية إلى الحضارة)

وثانيهما (وهو الذى يهمنا فى موضوعنا) أن هذا الأسلوب الدفاعى قد أعفى الإنسان من استخدام فكه وأسنانه فى الدفاع عن نفسه ؛ فتعطلت هذه الأعضاء عن القيام بجزء كبير من وظيفتها ونجم عن ذلك تقلص العضلات والعظام الصدغية التى تتحرك مع الفم ؛ وترتب على هذا التقلص أن اتسع مجال النمو للجمجمة ، فزاد حجمها عما كان عليه ؛ وباتساع حجم الجمجمة اتسع مجال النمو للمخ ، فزاد حجمه ونشأت به مراكز جديدة لم تكن به من قبل ، من أهمها مراكز اللغة التى نحن بصدد الكلام عنها

ولتأييد هذا الأثر الأخير ، قام العلامة أنتونى Anthony بتجربة على عدد من الجراء (الكلاب الصغيرة) ؛ وذلك بأن استأصل جزءاً من عضلاتها وعظامها الصدغية ، وتتبع نمو جماجمها بعد هذه العملية ؛ فتبين له أنها أخذت تتسع أكثر من المعتاد .

وقد تصدى كثير من العلماء المحدثين للتحرى عن هذه الحقائق ، فثبت لهم فسادها من نواح كثيرة لا يهمنا منها الآن إلا الناحية المتعلقة بنشأة مراكز اللغة . فقد ظهر لهم بهذا الصدد أن تعطيل الفك والأسنان ، وإن نجم عنه اتساع فى الجمجمة ، لا يترتب عليه مطلقاً اتساع فى حجم المخ أو اختلاف فى تعاريجه أو شكل تكونه . والتجربة التى قام بها أنتونى تدل هى نفسها على صحة ذلك . فقد ظهر له أن جماجم الجراء قد انحسرت عن أمخاخها ، بدليل أن الآثار التى تنطبع عليها من ملاصقتها للمخ قد انمحت . فاتساع الجمجمة الناجم عن تقلص عضلات الصدغ وعظامه لا يتبعه إذن اتساع فى حجم المخ أو نشأة مراكز جديدة كما يزعم دارون

وكثيراً ما تتسع الجمجمة عند بعض الناس اتساعاً غير عادى لسبب آخر غير تقلص عضلات الصدغ وعظامه ، ولكن لم يحدث مطلقاً فى حالة من حالات هذا الاتساع أن زاد حجم المخ أو تغيرت صورته . وعلى العكس من ذلك نمو المخ نفسه ، فإنه يرغم الجمجمة على الاتساع ويشكلها بالشكل الذى يتفق مع نموه . فإن قاومته بأن كان عظم اليافوخ (حيث يلتقى عظم مقدم الرأس بعظم مؤخره ، وهو الذى يكون ليناً فى الصبى) قد اشتد قبل أوانه ، تغلب على مقاومتها ، وشق لنفسه طريقاً على أى وجه . فأحياناً يدفعها إلى الأمام فينشأ الشخص بارز الجبهة ؛ وأحياناً يدفعها إلى الخلف فينشأ الشخص أحدب الرأس ؛ وأحياناً يدفعها إلى أعلى فينشأ مُسَنَّم الرأس؛ وأحياناً يدفعها من ناحيتين أو أكثر فينشأ مُدَنَّخ الرأس[1]. وهكذا. فالطريق الطبيعى للارتقاء — إن كان ثمت ارتقاء — هو أن يتسع المخ أولاً وتوجد فيه مراكز لم تكن موجودة من قبل ، ويتبع ذلك اتساع فى الجمجمة ، لا أن تتسع الجمجمة أولاً ويتبعها اتساع المخ كما يقول دارون ومن نحا نحوه

على أن الارتقائيين لم يكونوا فى حاجة إلى هذه الفروض التعسفية لتعليل نشأة مراكز اللغة بطريقة تتفق مع مبادئهم . فقد كان فى إمكانهم أن يذهبوا إلى أن هذه المراكز لم تنشأ من العدم ، بل كانت نتيجة تطور لمراكز قديمة أو لأجزاء من مراكز قديمة . كان فى إمكانهم مثلاً أن يذهبوا إلى أن جزءاً من مراكز الحركة الخاصة بعضلات الوجه Centre des mouvements des muscles de la face قد تخصص فى حركة أعضاء النطق ، ومع تقادم الزمن وكثرة مزاولته لهذه الوظيفة تشكل بالشكل الذى يتفق معها واستقل عن غيره وأخذ يسير فى سبيل الارتقاء حتى وصل إلى الحالة التى هو عليها الآن ، كان فى إمكانهم أن يقولوا هذا بصدد مراكز الكلام ويقولوا مثله بصدد المراكز اللغوية الأخرى ، فيتقوا معظم ما وجه إلى فروضهم السابقة من اعتراضات ، ويكون مذهبهم أدنى إلى القبول وأكثر اتفاقاً مع حقائق الأمور ، وذلك أنه بالموازنة بين مخ الإنسان وأمخاخ الحيوانات القريبة منه ، يظهر أن مراكزه اللغوية — على فرض أنها لم تكن موجودة فى أصل خلقته — كانت نتيجة تشكيل جديد لبعض المراكز الموجودة فى أمخاخ هذه الحيوانات

على عبد الواحد وافى
ليسانسيه ودكتور فى الآداب من جامعة السوربون

(1) « رجل مدنخ الرأس أى فى رأسه ارتفاع وانخفاض » المخصص لابن سيده جزء أول ص٦٢ ، والعامة تقول شخص برأسين أو برءوس

الأزهر والحياة العامة

للأستاذ محمود الشرقاوى

كان مفيداً وقيماً ذلك الحديث الذى أفاض به صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ المراغى « للرسالة » منـذ أسبوعين ، واستطاع صاحب « الرسالة » أن يركزه وأن يلخصه لقرائها فى بيان واضح وفكر واضح

وكان قيماً ومفيداً ما كتبه صاحب « الرسالة » فى مقاليه عن الأزهر ورجاله وأبنائه وحاله فى القديم والجديد وما نرجوه ويرجو منه المسلمون فى العصر الحديث

وقد أثار حديث الأستاذ الأكبر وأثار مقالا الأستاذ الزيات مثاراً من المقالات والمناقشات فى الرسالة وفى غيرها من الصحف، وكان بعض ما نشر من ذلك فيه كثير من الشطط

وكان من أقوم ما كتب عن ذلك ما نشره صديقنا الدكتور زكى مبارك فى مجلة أسبوعية على طريقته من الصيال

وقد حرك فى نفسى حديث الأستاذ الأكبر ومقالا الرسالة وما نشر بسببهما من الآراء والمناقشات شوقاً لأن أكتب بعض الملاحظات عسى أن يجد فيها الأستاذ الكبير صاحب الرسالة شيئاً من الحق وشيئاً من الإفادة

ونحن الذين تعلمنا فى الأزهر وقضينا فيه خير الأشطر من شبابنا لا نفتأ نشعر بالحنين إليه ونديم التفكير فيه ، مهما تباعد بيننا وبينه الأيام

***

يكتب الكاتبون ويقول القائلون إن الأزهر الحاضر متأخر متخلف عن عصره وعن الحياة الجديدة فى العالم، وأنه قديم فى الفهم قديم فى التفكير . ويكتب الكاتبون ويقول القائلون يطلبون أن يخرج الأزهر علماء كرجال الدين فى أوربا ، ثقافة ذهن ، واستنارة فكر ، وسعة عقل، ومرونة تفكير ، ولباقة أداء ودعوة، وأن يكون طلبته على شاكلة ما يكون أندادهم فى بلاد الغرب تهيؤاً واستعداداً

وهؤلاء الذين يقولون ذلك لا شك فى أنهم مخلصون فى أمانيهم ، ولا شك فى أن الأزهر لن يقوم بما يجب عليه فى حياة مصر وتقدمها ، وفى حياة الشرق وتقدمه ، ولن يساهم بنصيبه وقسطه فى توجيه الحياة الروحية والدينية والخلقية فى الشرق [وأوشك أن أقول فى العالم كله] — إلا إذا كان علماؤه كما يكتب الكاتبون ، ويتمنى المتمنون ، وكان طلبته كما يكتب الكاتبون ويتمنى المتمنون

وقد روى عالم من أكبر علماء الأزهر كلمة للمغفور له الملك فؤاد هى نبراس ما يكتبه هؤلاء ولا نشك فى صوابهم فيه

روى أن الملك فؤاد حدثه بأنه يريد أن يرى علماء الأزهر كأندادهم رجال الدين فى أوربا ، وأن هذه أمنية من أعز أمانيه

ولكن هؤلاء الكاتبين والباحثين ينسون أن الأمنية شىء والحقيقة شىء . ويفوتهم أن المشتهى المرغوب والتمنى المطلوب شىء والأمر الواقع الذى لا مناص منه شىء

فالأزهر ليس كجامعة للاهوت فى أوربا ، وعلماء الأزهر ليسوا كرجال الدين فيها ، وطلبته ليسو كطلبة الجامعات أو الدراسات الدينية فيها . ولكن هذا لا دليل فيه على أن الأزهر رجعى وأنه قديم فى الفهم قديم فى التفكير

فإن هؤلاء الباحثين يقيسون الأزهر ورجاله وأهله على قياس أشباههم فى بلاد الغرب، ويقارنون بينهم وبين رجال الدين فيه ؛ ولا شك فى أن هـذا القياس شطط وأنه بعيد عن الحكمة وعن الصواب

فالحياة المصرية والحياة الشرقية كلها بعيدة عن الحياة الغربية: الحياة العقلية والحياة الثقافية والحياة الأدبية وكل نوع ولون من أنواع الحيوات وألوانها وشكولها ، شتان بين الشرق والغرب فيها

ومن الشطط والبعد عن الإنصاف أن نفصل بين الأزهر وبين أنواع الحياة المصرية والشرقية وألوانها وأن نقارن بينه وحده وبين أوربا . بل الإنصاف يقتضينا أن نقارن بين الأزهر وبين غيره فى مصر ، وأن نوازن بين الحياة العقلية والحياة الذهنية والحياة الأدبية فيه، وبين هذه الحيوات فى مصر

والذين يقيمون الميزان بين الأزهر وبين أوربا نقول لهم : هل يرضيكم أن نقيم الميزان بين الجامعة المصرية وجامعات أوربا ؟

وأن نقيم الميزان بين المدارس فى مصر والمدارس فى أوربا ؟ وأن نقيم الميزان بين الحياة الأدبية والذهنية والثقافية فى مصر فى أى مظهر من مظاهر نشاطها وبين نظائرها وأشباهها فى أوربا ؟

ليقل لنا الدكتور زكى مبارك ، وقد خبر الجامعة والتعليم فى المدارس ويعرف كلمة الحق : هل رضى عن شىء من مظاهر الحياة العقلية والأدبية والتعليمية فى هذه أو تلك ؟ وليقم لنا الميزان بين هذه الجامعة وهذه المدارس، أو ليقم لنا رجال الجامعة أنفسهم والناقمون عنها والمستطيلون بهـا الميزان بين الجامعة المصرية والمدارس المصرية وبين جامعات أوربا ومدارسها ، ليقيموا لنا ميزان العدل وقسطاس الحق ثم ليدلونا أيها الراجح وأيها المرجوح

فالأزهر يجب أن يحدد مكانه وأن يوزن نشاطه وأن تقوم المقارنة بينه وبين غيره فى مصر ، لأنه جزء منها ولا يستطيع أن يسير وحده ولا أن يتقدم وحده ولا أن يسبق فى جيش من المتخلفين ، والحياة الاجتماعية كعربة ذات عجلات أربع ، الأزهر واحدة منها، ولا يمكن أن تسير عجلة من العربة فتسبق، ولو كان ذلك لما استقامت العربة فى سير ولا حركة ، أو هى كالكائن الحى لا يمكن أن يسبق منه عضو عضواً فى النماء والحياة ، وإلا كان الكائن الحى كله منتهياً إلى الهلاك والموت أو للتشويه والنقص .

فإذا أقمنا بعد ذلك الميزان بين الأزهر وبين غيره فى مصر والشرق ، وإذا وازنا بين الحياة الثقافية والذهنية والتعليمية فيه وبين ذلك كله فى غير الأزهر من المعاهد فى مصر والشرق ؛ فعند ذلك يستقيم الميزان ولا نكون قد بعدنا عن شريعة الإنصاف ؛ وعند ذلك أيضاً لا نظن أن الأزهر كفته تشيل ، ولا أن كفة غيره تميل ، ولا أن يكون غيره الراجح وأنه المرجوح

ومن الإنصاف أيضاً أن نقارن بين الأزهر الجديد وبين الأزهر فى الماضى ، حتى القريب منه ؛ وقد أشار الشيخ الأكبر إلى هـذه الملاحظة فى حديثه للرسالة وفى غيره ، وهى مقارنة لا تحتاج إلى كثير من الكلام

ومن العنت أن نهمل التراث الزمنى والتقاليد القاسية عندما نتكلم عن تطور معهد هو بطبيعته ركن الأركان فى التقاليد ، بل هو الركيزة التى تثبت فيها الحيـاة العامة كلها فلا تنحرف ولا يجرفها التيار القوى من مغريات التجديد والاندفاع

ولا نريد بعد ذلك أن نقول إن الأزهر عظيم عظيم ، ولا إنه يقوم بواجبه ، ولا إن التفكير فيه والحياة الذهنية فيه والتعليم فيه مما تغتبط به النفس وينشرح له الصدر ويبشر بمستقبل الخير . لا نقول ذلك ولا شيئاً منه ؛ ولكنا نقول إلى جانب هـذا إن الجامعة المصرية والمدارس الحكومية ، وإن الحياة الذهنية والحياة العقلية والحياة الأدبية فى مصر والشرق، ليست مما تغتبط به النفس وينشرح له الصدر ويبشر بمستقبل الخير ما دام هذا الحال ، ونريد أن نتمنى بعد ذلك ما تمناه الملك فؤاد لرجال الأزهر ومساواتهم بأندادهم رجال الدين فى أوربا ، ونزيد على أمانيه التمنى بأن تستوى الحياة المصرية كلها والحياة الشرقية، وأن يتساوى الشعب المصرى والشرق بهذه الأمم ذوات السيادة فى الغرب ، وأن نكون لهم أنداداً فى حياتنا كلها وفى نشاطنا كله

* * *

وفى حديث الأستاذ الأكبر و « تصحيح » صديقنا الدكتور زكى مبارك له ، موضوع آخر نترك الكلام عنه إلى عدد قادم من « الرسالة » فقد طال بنا اليوم الحديث

محمود الشرقاوى
عالم من الأزهر



من وراء المنظار

صاحب الديوان المجد

مجد في عمله ، لا يعرف في جده هوادة ؛ فإذا رأيته يقرأ جريدة من الجرائد أو مجلة من المجلات ؛ فمن أعظم التجنى عليه أن تحمل عمله هذا على أنه مضيعة للوقت فى غير جدوى ، فما هو إلا استجمام لا بد منه لمن يعانى مثل عنائه المتصل ؛ وإذا رأيته يبدأ عمله عند العاشرة أو فى منتصف الحادية عشرة ، فاعلم أن ذلك من أثر إجهاده نفسه وتحامله على أعصابه فى اليوم السالف ، لا شىء غير ذلك ؛ وإذا رأيته يتزاور عن مكتبه ، فيحرق دخينة فى إثر دخينة ، أو يرتشف القهوة فى هدوء وسكون ، ويقضى فى ذلك ساعة أو بعض ساعة ، فترفق بهذا الجسم الذى أنهكه الجهد ، ولا تأثم فتظن بصاحبه الظنون

وصاحب الديوان هذا لا يطيق أن يرى وجوه الناس ، فإذا أبصر أحدهم مقبلاً ، أحس كأنما يقبل عليه مكروه من مكاره الزمن فيلقاه متأففاً متبرماً ، وإنه ليتمتم حين يراه بألفاظ لا أدرى أيسوقها ضد القادم الكريم ، أم ضد الزمن اللئيم الذى وضعه حيث يستقبل هؤلاء الذين يصرفونه عما هو فيه من جد لا يعرف معه هوادة ؟ !

دخلت عليه ذات يوم قبيل العاشرة ، فرأيته لسوء حظى أو لحسن حظى — لست أدرى أيهما الصواب — يترك مكتبه ليغادر الحجرة إلى حيث لا أعلم من الحجرات أو من الجهات ؛ فحاولت أن أستوقفه مترفقاً ، فاستمهلنى دقيقة واحدة وهو عابس ثم ازور عنى فى حركة سريعة خيل إلى معها أنه يخشى أن أرجعه بالقوة إلى مكتبه !

ولبثت أنتظره فى مقعد تفضل به على أحد زملائه ، ومرت اللحظات ثقالاً طوالاً ولم يعد ، حتى إذا يئست من رجوعه وهممت بالانصراف رأيته مقبلاً ، وجاء وفتح بعض أدراج مكتبه وأغلقها ولكنه لم يأخذ منها شيئاً ولا وضع شيئاً ، وفعل ذلك دون أن يجود بنظرة على أو أن يخطر بباله أن أحداً من عباد الله ينتظره لأمر متصل بعمله ولن يؤديه سواه !

واعترضت طريقه إذ رأيته يتأهب للخروج مرة ثانية ، وما التقت أعيننا وانفرجت شفتاى فى ابتسامة هادئة عن قولى : من فضلك ... حتى أشاح بوجهه عنى مقطباً قائلاً فى تبرم وضيق « عن إذنك دقيقة يا أفندم » ... ومضى وإنه لضائق بثقلى وثباتى فى موضعى ، وخيل إلى بل لقد أيقنت أنه عقد النية على ألا يكلمنى ما دمت هناك كأنه لا مفاوضة عنده هو أيضاً إلا بعد الجلاء !

وصممت من جانبى ألا أنصرف أو يكلمنى ، وإن أخذتنى الحيرة كيف أحمله ولو على أن يلتفت إلى فضلاً عن أن يحادثنى ؛ ولقد كنت أرجح عودته إلا إذا غادر الديوان إلى داره وترك طربوشه حيث كان على مكتبه يحدث كل سائل عنه أنه هنا وأنه قادم بعد دقيقة ، وإن تتابعت فى غيابه الدقائق بل والساعات !

وجاء أخيراً فاستوى على كرسيه وفتح دفتراً كبيراً وراح ينظر فيه وعلى وجهه أمارات الجد وأمارات تجاهله وجودى فى وقت واحد ثم قطع عليه جده المصمم زميل له فأخبره أن فلاناً وفلاناً من الرؤساء استفهموا عنه ، فأجاب متكلفاً عدم المبالاة أنه ما كان يلعب وأنه هلك من الجرى هنا وهناك فى « الأرشيف » و « المستخدمين » و « الحسابات » وتحت وفوق باحثاً عن أوراق تتصل بما فى يديه من المسائل

وظللت ساكناً لحظة ، فأقبل شخص بادى الوجاهة ، يطأ أرض الحجرة فى صلف وينظر نظرة ذى الجاه ، وفرحت إذ رأيته يتجه إلى صاحب الديوان المجد فيسأله فى لهجة الآمر عن مسألة طال به انتظار الإجابة عنها ؛ وتجهم له صاحب الديوان ولم يعبأ به ، ولما تهدده الرجل أن يرفع الأمر إلى رئيسه ، انطلق صاحب الديوان مزمجراً ونهض واقفاً يخبط المكتب بقبضة يده عدة مرات حتى لقد أشفق ذلك الرجل أن تمتد واحدة منها إلى صدره أو إلى بطنه فتراجع قليلاً ، وقد تطايرت الأقلام من مكامنها ، وسال المداد من المحابر ،وتناثرت الأوراق ، وزلزلت الدفاتر ، وخشعت الأصوات فى جوانب الحجرة ، والتفت أصحاب الديوان يتفرجون على عاصفة جديدة كم رأوا قبلها من عواصف ؛ وانطلق لسان المجد الثائر بعباراته المألوفة : « يا أفندى انت بتهددنى ؟ من فضلك ما تعطلنيش يا أفندى . . . أما شىء غريب والله . روح اشتكى زى ما انت عاوز ... هو أنا فراش عندك ؟ الواحد طول النهار هلكان من العمل وجاى حضرتك تفلقنا ؟ »

ولم يكن لى بعد هذا الذى رأيت إلا الجلاء بلا قيد ولا شرط ، وقد أصابنى من دوار العاصفة ما زعزع إيمانى بقوتى ، ولم لا أقرر الحق فأقول : إنى منذ أن رأيت أهاويل الشر فى وجه صاحب الديوان قد رضيت من الغنيمة بالإياب ؟

« عين »

فى سبيل الأزهر

للأستاذ عبد العزيز محمد عيسى

أعتقد أنى لا أتجاوز الحقيقة حين أقول إن كلمات الأستاذ الزيات تنزل برداً وسلاماً على قلوب المخلصين للأزهر ؛ وإنهم يرون فيها بريقاً من النور يضىء لهم سبيل الإصلاح فيما يبتغون للأزهر من إصلاح

والرسالة فى الأمة المصرية وفى الشرق الإسلامى جميعاً مكانتها السامية الممتازة التى تجعل لكل ما تعالج من موضوعات أهمية خاصة، لا يستطيع أحد معها ألا يعطيها ما هى حقيقة به من التقدير والعناية

لذلك كانت دعوتها لإصلاح الأزهر جديرة بألا تمر كغيرها من دعوات الإصلاح، وكانت جديرة بأن يتجاوب صداها فى أجواء الأزهر مدوياً عالياً ، فيردده رجاله عارضين صوراً من أدوائه راجين أن تعالج علاجاً ناجماً ، حتى تنحسر عنه ولا تنتقل عدواها إلى أبنائه الناشئين

الأزهر من غير شك محتاج إلى الإصلاح فى كثير من نواحيه، والأزهريون الآن متطلعون إلى من يداوى ما يحسون به من علل ليست من صنيعهم ولا يد لهم فيها ، وإنما انحدرت إليهم مع الزمن ميراثاً ثقيلاً ؛ وما دامت النفوس مستعدة والنيات خالصة فسيأتى اليوم الذى ينفض فيه الأزهر عن نفسه كل ما يشوه جماله أو يسىء رسالته

وإن من البشائر التى تطمئن على نجاح هذا السعى ونفاذ هذه الدعوة إلى القلوب ، اشتراك الأزهريين أنفسهم فى معالجة هذه العيوب ومحاولة التخلص منها ؛ ولن يقدر أحد على إصلاح الأزهر كما يقدر عليه أبناء الأزهر ؛ فقد حاولت ذلك حكومات فيما مضى فلم يتأت لها ما تأتى لابنه البار « محمد عبده » ولم يقدر أحد على ما قدر عليه فى هذا الشأن مع ما وضع فى سبيله من عراقيل وما أرجف به عليه من ترهات وأكاذيب ؛ لأن دعوة الحق لا بد أن تجد سميعاً ولا بد أن تتغلغل فى النفوس وأن ينصرها - من حيث لا يشعر - أولئك الذين يعملون جاهدين على كيدها والصد عنها ، ودعوات الإصلاح يخدمها خصومها كما يخدمها أنصارها

وها قد أصبح الأزهر يؤمن بمبادئ الأستاذ الإمام ويتتبع مناهجه ، ويدل بذلك حتى صار من فخر الرجل فى الأزهر الآن أن ينتسب إلى الأستاذ الإمام تلميذاً أو مسترشداً أو صديقاً ، بعد أن كان فى حياته هدفاً لسهام الطاعنين ونبال الحاقدين

وفى يد الأزهر الآن فرصة ثمينة لا يسوغ له أن يضيعها أو يهمل استغلالها، هى قيام الإمام الثانى الأستاذ المراغى على رياسته وتوجيهه ، ومن ورائه فى ذلك طائفة من المخلصين للأزهر المقتنعين بفكرة الإصلاح قرأت خطبه وأحاديثه ودرستها دراسة فاحصة ممعنة فاتخذت لنفسها وجهة الخير منها ، وحرصت أن تهتدى إلى طريق النجاح بها . ولست أحب أن أسمى هؤلاء كما سماهم الأستاذ الزيات « شباب المراغى » فإن روح المراغى لم تكن قاصرة على التأثير فى الشباب فحسب ، وإنها لأشد قوة وأبعد أثراً من ذلك ؛ فقد أثرت فعلاً فى شيوخ قد جاوزوا عهد الشباب وخلفوه ، فأجدر بنا أن نسمى هؤلاء وهؤلاء « مدرسة المراغى »

ولسنا نلقى هذا الكلام على عواهنه ، فإن الأستاذ المراغى حينما خطا خطوته الجريئة فى إصلاح بعض القوانين المتصلة بالأحوال الشخصية وقف فى طريقه إذ ذاك كثير من العلماء، وعلى رأسهم عالمان فاضلان ألفا رسالة ذكرا فيها أنه لا يجوز الخروج عن المذاهب الأربعة التى أجمعت عليها الأمة ؛ فهل تدرى أيها القارئ أنهما الآن يعملان عضوين بارزين فى لجنة الأحوال الشخصية التى لا تقف فيما تختار عند المذاهب الأربعة؟ أليس هذا أثراً لروح المراغى واستجابة لرجة الإصلاح التى يستوى عندها الشيب والشباب ؟

هذه المدرسة الصالحة يعلق عليها الأزهر الحديث آمالاً جساماً وتنتظر منها الأمة نهضة قوية تساير نهضتها فى كل نواحى التقدم ؛ تنتظر منها أن تخرج للناس كتباً واضحة الأسلوب جيدة المعنى خالية من التعقيد والغموض ، وأن تفهم الجو المحيط بها فهماً صحيحاً فلا تكتفى بالعيش فى ظلال كتب تمثل عصوراً خلت ، ربما كانت هذه الكتب صالحة لها موفية بحاجتها ، وهى الآن عاجزة عن حل المشاكل التى تعترض الناس فى معاملاتهم ونظم حياتهم ؛ تنتظر منها اشتراكاً فعلياً فى توجيه الثقافة القومية فى البلاد، فى الأحاديث التى تذاع، والمقالات التى تنشر، والمحاضرات التى تلقى، وفى تعليم الشعب وإرشاده بأسلوب لا يجافى روح العصر الذى نعيش فيه؛ فقد مضى عهد الجمود والوقوف عند النصوص من غير مراعاة لروحها وظروف أحوالها والعوامل التى أثرت فيها، تنتظر منها كذلك أن تبين بالعمل لا بالقول أن الشريعة الإسلامية صالحة

إذا شبت الحرب فى البحر الأبيض

للأستاذ فوزى الشتوى

خطوة متوقعة

لا تعتبر الخطوة التى اتخذتها الأميرالية البريطانية بإخلاء البحر الأبيض المتوسط من سفنها التجارية خطوة مفاجئة ، فقد تنبأ رجال البحرية منذ سنين بأن خطة انجلترا إذا اشتعلت الحرب لن تخرج عن ثلاث وسائل

أولها — إغلاق البحر الأبيض المتوسط إغلاقاً تاماً ومنع الملاحة فيه ، على أن تترك بعض السفن الحربية الخفيفة للدفاع عن شواطئ البلاد الموالية للحلفاء

وثانياً — أن تسير الملاحة فى طريقها الطبيعى ، على أن تقسم حماية طرق الملاحة بين الأسطولين البريطانى والفرنسى ، فيتولى الأسطول البريطانى حماية الجزء الشرقى ، ويتولى الأسطول الفرنسى حماية الجزء الغربى

وثالثاً — الالتجاء إلى خطة وسط ، وهى تقضى بإخلاء البحر الأبيض من الأساطيل التجارية وحدها ، مع إغلاق جبل طارق وقنال السويس وعدن فى البحر الأحمر ، وتوجيه قوات الحلفاء إلى القضاء على القوات المادية

ويظهر من التدابير التى اتخذتها انجلترا أخيراً أنها ستنفِّذ إحدى الخطتين الأولى أو الثالثة ؛ فإذا طال أمد الحرب أخليت جزيرة مالطة ؛ فإن قربها من مواقع إيطاليا الحربية مع صغر مساحتها يجعلها قاعدة جيدة للهجوم

اتفاقات سرية

ونظرة واحدة إلى خريطة البحر الأبيض المتوسط والمواقع الحربية التى تسيطر عليها الدول المتحاربة تبين خطورة الموقف

لكل زمان ومكان حتى ينخلع من أذهان الواهمين ما اعتقدوه من تنافر الدين مع ألوان الحضارة ومجافاته أساليب الرقى العلمى والفكرى

إن الأمة تضع الأزهر فى مكان القيادة منها ، أو هى ترجو ذلك فيه ؛ فليعرف الأزهر هذه المنزلة وليحرص عليها ، وليعمل على الاحتفاظ بها ، ولا يعتصم رجاله من كلمة الحق تقال فى صراحة سافرة على منبر عام أو خاص ، فإنها إنما تقال بإخلاص لمصلحة الأزهر وخيره ، والإبقاء على منزلته ومكانته

إن النفور من دعوة الإصلاح ، والهرب من مواجهة العلل وإغماض العين ولوى العنق سياسة غير صالحة فى هذا العصر ، وإنه لا يكفى أن تقنع فى نفسك بأنك خير الناس ليعتقد الناس فيك هذا ، ولكن يجب أن تبرهن لهم عملياً على ذلك وتشعرهم بأنك تحس بإحساسهم وتفكر فى حل مشكلاتهم ، ولعلنا ننتفع بما أرشد إليه أستاذنا الأكبر فى خطابه الأخير من قوله : « إنى أرحب بالنقد البرىء ، وأنصح لكم ألا تضيق به صدوركم ، فإن كان حقاً فاشكروا الناقد واعملوا على الخلاص من الخصال التى كانت سبب النقد ، وإن كان غير حق فادفعوه بالحسنى وأظهروا براءتكم مما وجه إليكم »

لقد كان للأزهر فيما مضى موقف سلبى فيما يتصل بتنظيم الفقه وتحويره وتمديله للانتفاع به فى القانون والتشريع ؛ وما زال هذا الموقف السلبى وصمة فى تاريخ الأزهر ، تغمض العين منها على قذى موجع ، وتنطوى الأحشاء منها على ألم ممض ؛ ولقد كان من أثر هذا الموقف المعيب الذى حرص أصحابه عليه « تورعاً » فيما زعموه أو فيما زعم لهم بعض الناس ، أن تحاكم المسلمون إلى غير شريعتهم ، وألزموا بغير قوانينهم ، وهو ما نأسف له جميعاً ؛ فهل يكون موقف العلماء اليوم كموقف أسلافهم بالأمس ؟ أو هم مستعدون لإصلاح هذا الخطأ وإقناع الناس بأن الشريعة الإسلامية السمحة غير عاجزة عن مسايرة المدنية فى أجلى مظاهرها ، وإدراك غاية الإصلاح الاجتماعى وتلبية حاجاته ومطالبه ، فيصدروا فى فقههم عن هذه الروح التى لا تغفل ما جدّ للناس من نظم ومعاملات ؟

إن اليوم الذى يخرج فيه العلماء للناس بهذه الفقه النافع لهو يوم النصر الذى يتمناه المسلمون جميعاً ؛ وهو اليوم الذى يصل فيه الأزهر — كما يقول الأستاذ المراغى — إلى الغاية التى يرجوها من أداء الرسالة الإسلامية على الوجه الملائم لطبيعة العصر وعقلية الناس

وكم نرجو أن يتحقق ذلك فى هذا العهد المبارك لنمحو من الأذهان موقف السلبيين ، وليشهد التاريخ أن الأزهر فى عصر فاروق غيره فى عصر إسماعيل ، وأنه على عهد المراغى غيره كذلك على عهود من سبقه من الشيوخ

عبد العزيز محمد عيسى
مدرس بمعهد القاهرة

وما يكلفه الصراع لتأمين مواصلاته من تضحيات غالية، فلانجلترا وفرنسا مواقع بحرية كثيرة انتثرت فى أخطر مواقعه ممتدة من شرقه إلى غربه ، ومن جنوبه إلى شماله ، بحيث يتيسر لقوات هذه الجهات التحكم فى جميع طرق الملاحة ، فضلاً عن سيطرة انجلترا على أبوابه فى جبل طارق وفى قنال السويس . أضف إلى ذلك ما يقال عن وجود اتفاقات سرية تضع موانئ الدول المحايدة تحت تصرف الحلفاء

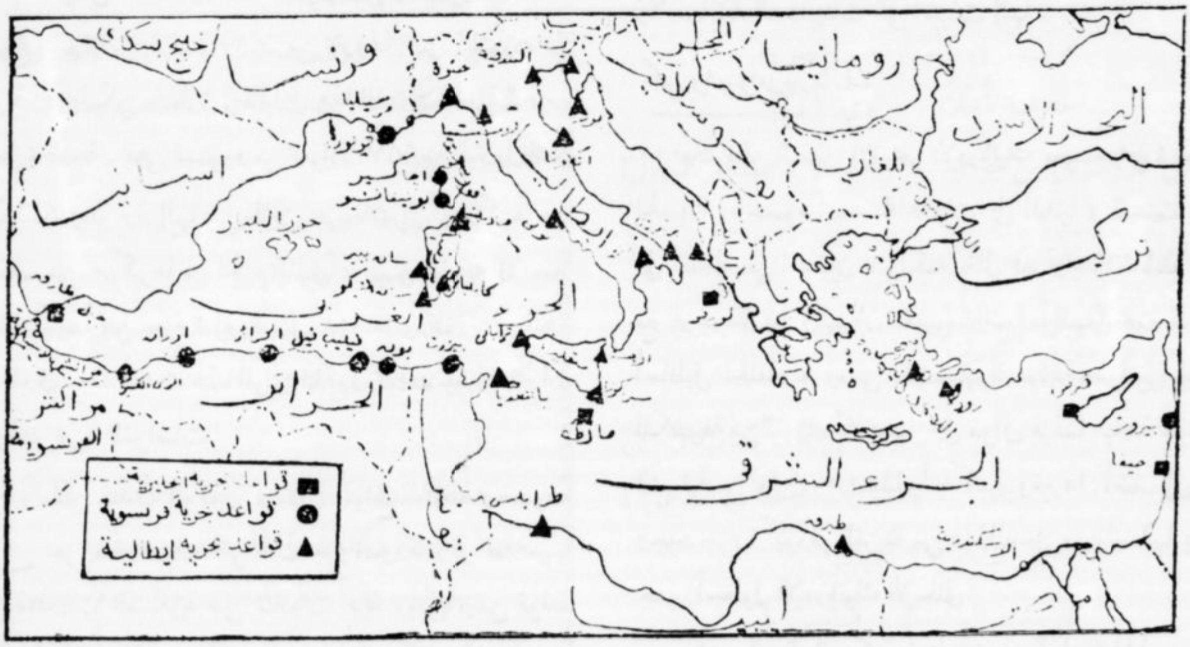
أما إيطاليا فطبيعة موقعها الجغرافى تشطر البحر الأبيض إلى شطرين : الجزء الشرقى والجزء الغربى . والقسم الأخير شديد الخطورة نظراً لكثرة مواقع إيطاليا البحرية عليه ، ولأن شواطئها تكون جزءاً منه يمتد من ميناء جنوة بطول الساحل الإيطالى حتى جزيرة صقلية إلى جزيرة بنتلاريا التى تقف فى وسط المضيق فتتحكم فى طرق الملاحة

تونس

ولا يضايق هذا الخط إلا الشاطئ الإفريقى فى تونس ، وقد أنشأت عليه فرنسا ميناء بيزرت ؛ ولعل هذا الوضع يوضح خطورة مطالبة إيطاليا بتونس التى تجعل خطها مقفلاً لو تيسر لها الاستيلاء عليه ، ويساعد هذا الخط المواقع البحرية التى أنشئت على جزيرة سردينيا الإيطالية ، فلا يقتصر تهديده على مواصلات البحر الأبيض بين شرقه وغربه ، بل يتعدى إلى تهديد خطوط المواصلات بين فرنسا ومستعمراتها فى أفريقيا

وهذه المواصلات هامة جداً فى نظر فرنسا ، لأنها الطريق القصير لنقل قوات المستعمرات إلى فرنسا لتغذية قوات خط ماجينو ، ولم تغفل فرنسا خطورة مواقع القواعد الإيطالية ، فأعدت فى قورسيقا مينائين خطيرين لها من حصانتهما ما يكفل إفساد الخطط الإيطالية . وقد اشتغل فيهما أمهر المهندسين الفرنسيين ، حتى جعلوهما من أمنع المواقع ؛ وما زالت أسرار دفاعهما وهجومهما سراً محفوظاً فى صدور منشئيهما ؛ ولم تتح زيارة بعض مواقعهما إلا لصحافى واحد لم يخرج من زيارته لها إلا ببعض معلومات زهيدة وصور شائعة .

ولا يسع الباحث أن يتجاهل موقف أسبانيا فى هذا الصراع فإن حكومتها الحالية وليدة الأطماع الدكتاتورية فى إيطاليا وألمانيا ولها جزر الباليار التى قيل أثناء الحرب الأهلية الأسبانية إن إيطاليا أعدتها لقطع مواصلات فرنسا مع مستعمراتها ؛ فإذا انحازت إلى جانب الدكتاتورية ، فإن الخط يتضخم، على أنه لن يحد من نشاط الحلفاء ، فيسهل تحويل طرق الملاحة إلى المحيط . ولن تستطيع القوات المعادية أن تقترب من الشواطئ الإفريقية لخطورة المواقع البحرية التى أنشئت عليها بطول الساحل من المرسى الكبير إلى بيزرت



الحصر الاقتصادى

ولاشك أن الحلفاء سيتخذون إقفال البحر الأبيض وسيلتهم لتجثو الدول المادية على ركبتيها ؛ وأول نتائج هذا الإقفال عزل إيطاليا عن مستعمراتها فى شرق أفريقيا وفى شمالها ؛ وبهذا الحصر تخسر إيطاليا ٨٦٪ من ملاحتها خسارة لا يمكن الاستعاضة عنها، لأنها لا تملك شواطئ على غير البحر الأبيض ، بينما تتمتع فرنسا بشواطئها على خليج بسكاى ، وعلى بحر الشمال

وعدد البواخر التجارية التي تصل أو تغادر انجلترا يومياً ٨١٥ سفينة، متوسط حمولة كل منها ثلاثة آلاف طن يخترق منها البحر الأبيض ٥٧ سفينة فقط يحول طريقها إلى رأس الرجاء الصالح . وتخسر فرنسا ٣٠٪ من بترولها الذى تستورده من العراق ، ولكن خسارة إيطاليا فى هذا المادة الأساسية للحرب خسارة فادحة . فهى تستورد من العراق ٧٠٪ من البترول الذى تستهلكه وهو يرد إليها عن طريق جزئه الشرق ومركزها فيه أضعف من مركزها فى الجزء الغربى ، فليس لها فيه إلا خط مشاغب يبدأ من جزيرة ليروش فى جزر الدودكانيز ، وينتهى فى طبرق . وقد أعدت هذه الموانى لتكون قواعد جوية للطائرات وقواعد بحرية للغواصات

ولكن هذين الموقعين مهددان بمواقع الحلفاء وخصوصاً من جزيرة قبرص ، التى فاقت جزر الدودكانيز فى صلاحيتها للاستعدادات العسكرية من مطارات برية وبحرية ومن قواعد للأساطيل البحرية . وهى لا تبعد عن جزر الدودكانيز إلا ٢٢٠ ميلاً تقطعها قاذفات القنابل فى أقل من ساعة

قبرص والاسكندرية

ولميناء حيفا أهمية خاصة فى نظر الحلفاء ، ففيها تنتهى أنابيب البترول العراق ، ولكن طبيعة أرضها لم تمدها لتكون ميناء حربياً جيداً . فاتخذت الاحتياطات للدفاع عنها من قبرص والاسكندرية فبعدها عنها قصير ، وهى تمثل الزاوية الثالثة من مثلث ضلعه من قبرص إلى الاسكندرية يواجه الخطر الأجنبى .

وإذا نشبت الحرب فإنه ينتظر أن تصبح الإسكندرية قاعدة الأسطول البريطانى ، فإن جزيرة مالطة لا تصلح فى رأى الخبراء البحريين لحرب طويلة الأمد ، وإن كانت فى أول الحرب تتخذ كقاعدة خطيرة للهجوم على مواقع الدول المادية ، فهى لا تبعد عن صقلية إلا عشرين دقيقة بالطائرات . وأكبر عيوبها ضيق مينائها مما لا يساعد على الحركات البحرية

ويختلف رجال البحر ورجال السياسة إزاء إخلاء هذه الجزيرة، فيدعى فريق أن إخلاءها يحط من هيبة انجلترا فى نظر حلفائها ، ويرى الفريق الآخر أن إخلاءها هو الخطوة الأولى لنصر محقق ، وخصوصاً إذا تم هذا الإخلاء من بدء الصراع ، لأن التجاء الأسطول إليها يجعله فى مركز حرج ويعرضه للهجات المادية، ويرون الاستعاضة عنها بميناء الإسكندرية التى تعتبر أصلح ، ولا سيا بعد التحصينات التى أضيفت إليها .

كورفو والأدرياتيك

وقد يظن البعض أن بحر الإدرياتيك يصبح بحيرة إيطاليا الحصينة ، وخصوصاً بعد ما استولت على ألبانيا ، فقبضت بذلك على مدخله من الجانبين ، ولكنه يقال إنه توجد اتفاقات سرية مع يوجوسلافيا واليونان تقضي بوضع موانيهما تحت تصرف أساطيل الحلفاء ، ومعنى ذلك سهولة مهاجمة سواحل إيطاليا المكشوفة من الغرب، كما يسهل على موانى فرنسا مهاجمة شواطئها الشرقية من تولون ومرسيليا وأجاكسيو وغيرها . أضف إلى ذلك وجود جزيرة كورفو القريبة من هذا الدخل ، وبواسطتها يسهل حصر أسطول الإدرياتيك الإيطالى

ويجمع الرجال العسكريون على أن دخول إيطاليا الحرب يفتح الطريق أمام قوات الحلفاء لمواجهة قوات ألمانيا، سواء من إيطاليا أو من يوجوسلافيا ، إذ يهاجمون النمسا من القاطمة المعروفة باسم سلوفانيا ، وحصون ألمانيا من ناحيتها أضعف منها فى أى مكان آخر . أضف إلى ذلك أنه يتيسر لهم جعل حصارهم الاقتصادى فعالاً ؛ فإن إيطاليا ودول البلقان هى أكبر ممول لألمانيا ، والغالب أن يجر دخول إيطاليا الحرب إلى حرب عامة تحرم المحور من خاماته سواء كانت حربية أم مدنية فتجوع بطون الرجال، ويبطل عمل الأدوات من مدافع وطائرات ومدرعات

فوزى الشتوى
بكالوريوس في الصحافة

ريفية!

عرافة الزهر ...

[السنبلة]

للأستاذ محمود حسن اسماعيل

سَمِعتُ مِنْ سُنْبُلَةِ القَمحِ
أُنشُودَةً تَبكِي عَلى السَّفحِ
لاَ دَمعُهَا دَمعِي ! وَلاَ نَوحِي

مِمَّا أَذَابَتْ فِيهِ حُزْنَ الحُقُولْ
وَأَترَعَتْهُ مِنْ شُجُونِ الأَصِيلْ

فَغَابَ فِي أَوتَارِهَا وَانطَوَى
حَفِيفَ أَحلاَمٍ بِوَادِي الهَوَى
اسْتَلَّ نَارَ الشَّوقِ مِنْ جُرْحِي وَبَعثَرَ الآهَاتِ فَوقَ السُّهُولْ!

***

فَقُلتُ : يَا مَخضُوبَةَ الرَّأسِ
بِذَائِبٍ مِنْ وَجْنَةِ الشَّمْسِ
يَا خَمرَةً مَخبُولَةَ الكَأسِ

دَارَتْ عَلَى الدُّنيَا بِعَذْبِ الرَّحِيقْ
وَخَلَّفَتْ عَاصِرَهَا فِي الطَّرِيقْ !

عَلاَمَ تَبكِينَ ؟ أَلِلبَائِسِ ...
غَارِسِكِ المُسْتَضْعَفِ التَّاعِسِ ؟
أَمْ قَدْ نَقَلْتِ الشَّجْوَ عَنْ نَفسِي وَشَجْوُهَا كَالبَحْرِ طَامٍ عَمِيقْ!

***

قَالَتْ وَلَمْ تَسْمَعْ صَدَى شِعْرِي :
إِنِّي هُنَا عَرَّافَةُ الزَّهرِ
أَبْحَثُ فِي الكُثْبَانِ عَنْ سِرِّ

أَشْقَتْ بِهِ الفَلاَّحَ كَفُّ الغُيُوبْ
وَهَا أَنَا يَطْوِي حَيَاتِي المَشِيبْ

وَلَمْ أَزَلْ أَبْحَثُ عَنْ حِكْمَتِهْ !
عَلاَمَ بَارِي الخُلْدِ فِي جَنَّتِهْ
يَأْبَى لَهَا عُرْيَانَ فِي الفَجْرِ وَيَرتَدِي الأَكْفَانَ عِندَ المَغِيبْ

سمفونية شعرية

مع الماضي ...

إنني أحلم ، وحلمي هو الماضي ...

لا زلت أذكرك ووراءك موسيقى آتية من مكان لا أراه ... أدواح متباعدة ، وأرض مخضوضرة . وليس هناك إلا أنا وهذه الموسيقى ، وخيالك بارزاً من الماضي إليّ !

أين ليالينا والظلام ...

إن صدرك ما زال يضطرب ، والهواء البارد يرطب وجهك وعنقك ؛ وصوتك الخافت اللاهث يردد أنشودة الحب فى الليل

إنني أحلم وحلمي هو الماضي

لقد عشنا معاً ، أياماً وليالي ...

كنت مني : شعرك المرسل يرف علي ، وبداك الدقيقتان تبحثان عن لا شيء

آه . . . .

رأيتك فى ثوبك الأبيض ذات أمسية بعيدة ؛ وكنت صامتة مجهدة ، وكان فى صمتك نداء يوم مقبل

وجاء اليوم بطيئاً كخطى العذارى . وكنت لا تتكلمين، فأخذت بيدك وسرنا جنباً إلى جنب حيث لا أدرى . ولم أسألك إلى أين . لقد كنت حالماً أسبح خلف الضباب .

إلى أين كنت ذاهبة يا ساحرة ؟ كنت مشغولاً بك عن كل شيء

جلسنا نسترجع حلماً حلمناه منذ أزمان

وتحت المصباح الخامد وصدرك إليّ سألتك: أتحبينني ؟

فقلت : نعم

وفى أذنيّ المفعمتين بألحان الناب وأنات السواق ، استطاعت كلمتك أن تحيا هادئة واضحة كماء البحيرة وسط الشجر الألف

(م . وهبة)



نجوى الرافعي

أيها العزيز !

« فى القلب تعيش الأرواح الحبيبة الخالدة التى لا تَفنَى
وفى القلبِ تُحفَرُ القبورُ العزيزة التى لا تُنسَى »

هكذا قلت(١) « وعواطفى تشيّع الميت الحبيب مطرقة صامتة » واليوم ماذا أقول ؟ أما إنك لتعلم – أيها الحبيب – أن الذى بينى وبينك دنيا تمشى الأحزان فى أرجائها نائحة باكية ... لستُ أكفر بأنعم الله علىّ أو عليكَ ... ، كلا ، كلا ! ! لقد ذهبتَ إلى ربك راضياً مرضياً فرحاً بلقائه ، مؤمناً بما زيّن فى قلبك من الإيمان ، وبقيتُ أنا لأبحث عن أحبابى بعدَك ، ... لأفقد لذة المعرفة التى يفيض فيضها من الصداقة والحب ، ... لأتلدّدَ ها هنا وها هنا حائراً أنظر بمن أثق ، ... لأجدَ حرقةَ القلب وكمد الرُّوح وألمَ الفكر من حبى وصداقتى ، ... لأسير فى أودية من الأحزان بعيدة : أمشى وحدى ، وأبكى وحدى ، وأتألمُ وحدى ... لا أجدُ من أنفضُ إليه سرّ أحزانى ، ...

ذهبتَ وبقيتُ ... لا تعلمُ كيف أنافق بصداقتى بعضَ النفاق لأنهم يريدون ذلك ، ... لأجيد مهنة الكذب على القلب لأنهم يجيدون ذلك ، ... لا تعلمُ كيف أنظر فى عيونهم بعينين لئيمتين يلتبس فى شعاعهما الحب والبغض ، لأنه هو الشعاع الذى يتعاملون به فى مودّاتهم ، ... لأفنىَ بقائى فى معانيهم المتوحشة إذ كانوا هكذا يتعايشون ، ... لأحطّم بيدىّ بنيان الله الذى أمرَنا بحياطته ، وأتعبّد معهم للأوثان البغيضة الدميمة التى أنشأتها أيديهم المدنسة القذرة ، ... لأجنى الثمار المرّة التى لا تحلو أبداً ، ولكنهم يقولون لى : هذا ثمرٌ حلوٌ ، فلماذا لا تأكل كما يأكل الناس ؟ ...

ذهبتَ – أيها الحبيب – وبقيتُ ... ، بقيتُ فى الحياة التى أوّلها لذةٌ وآخرها لذعٌ كأحرّ ما يكون الجمرُ حين يتوهج ، بقيتُ للحياة التى تريدُ أن تسلُبَ القلبَ براءةَ الطفولة لتملأهُ إثماً وخداعاً وشهوةً ... بقيتُ على الحياة فى الأرض التى تميدُ وترجفُ وتحتدمُ مَن تحتى ، لأنها تنكر الإيمان الذى يمد بسبب إلى السماء ... بقيتُ بقاءَ حبة القمح فى رمال الصحراء المجدبة لا أجدُ مائى ولا تربتى ... ولا من يزرعُنى ...

شدّ ما اختلفتْ علىّ أحداثُ الحياةِ من بعدِكَ أيها الحبيب !

كنتُ أشكو إليكَ ما ألاقى من ظمأ الروح الهائمة ، وهى تطوف بحسراتها على ينابيع الحياة لا تنتهى ولا تستطيع أن تَرِدَ ... كنتُ أبثك أحزانى وهى جالسة تو قد النارَ على نفسى وتؤرّثها بأفكارى القلقة التى لا تهدأ ولا تنقطع ... كنتُ أشكو إليك آلامَ الشوكِ الذى تنبتهُ فى قلبىَ الشكوكُ العاملةُ الناصبةُ التى جعلتْ همّها تعذيبى بالحيرةِ والخوفِ والحرمان ... والحقيقةِ المؤلمة أيضاً ... كنتُ أجدُكَ حين ينبغى أن أجدَك ، لأقول لك ما يجبُ علىّ أن أقول ...

شدّ ما اختلفتْ علىّ أحداثُ الحياة من بعدك أيها الحبيب !

وها أنذا أريدُ أن أجدَ بعدَكَ من أضع فى يديه الرفيقتين هذه الجروحَ الدامية النابضة التى أتعبها قلبى ... أريدُ أن أضع أفكارىَ التائهة فى بيداء الظنون المقفرة ، بحيثُ تجدُ مَن يتولى أمر إرشادها إلى روضة اليقين الناضرة ... أريدُ أن أجدَ مَلجئى المؤمنَ حين تطاردُنى من الظنّ صعاليكهُ الكافرة ... أريدُ أن أعرفَ لذّة الصداقة والحبّ حين لا أجدُ من الحياة إلاّ آلامَ صداقتى وحبى .. أريدُ ... أريدُ ! ... أريدُ مَنْ أقول له : ها أنذا بمذابى وضعفى وخضوعى ؛ فيقول : وها أنذا بصبرى وقوّتى وحبى لك ... أريدُ من أقولُ له : هذه جروحى التى تنفثُ الدمَ ، لا ترقأ ولا تستريحُ ولا تبرأُ إلاّ على وحى من دمِها ؛ فيقول لى : وهذا طِبّى الذى يحسم هذا الدم لتستريحَ وتبرأ من ألم النزيف ، يا بُنىّ ... !

(يا بنى ...) ، هذه طفولتى ، أريد من يحنو علىّ بها حنو الأم على صغيرها الذى هو كل أشواقها الرقيقة من قلب نبيل رقيق ... (يا بنى ...) ، هذه طفولتى ، أريد من يمسح بها أحزانى التى حيّرت بصرى لأعرف من بعد طريق رجولتى التى تريد أن تمتمل وأن تسير وأن تصل إلى سر أشواقها البعيدة الجميلة ... (يا بنى ...) ، هذه طفولتى ، أريد من يعرف أنى طفل وديع حين أؤوب من

(١) الرسالة : عدد (٢٠٢) فى ١٧ مايو ١٩٣٧

كدى وكدحى، فيتلقانى بين ذراعيه إلى قلبه لأشعر بحنان من الروح بطىءُ غُلتى، ويرسل فى أعصابى ريها من الحب، الحب الذى هو فجر الحياة بنومته ورقته وطهره، الحب الذى يرد القلب المكدود الظامئ زهرة تتفتح فى جو من النور والندى والشباب ... (يا بنى) من يقولها لى بعنع فى نبض أحرفها نبض الحب ...

أين أنت أيها الحبيب؟ كنتَ أخى وصديقى ومن أستودعه سر قلبى المعذب فى تنور الحياة الموحشة التى يضطرم جوها بالصمت المتوهج والوحدة المستعرة ... كنت أخى وصديقى، وأنا أبيد كما تبيد الأيام والليالى فى كهوف الحياة الدنيا ... كنت أخى وصديقى، وعواطفى تزأر وتجأر فى باطنى كأنها وحش جريح متألم ثائر لا يرى مَن جَرحه لينتقم ... فالآن وقد جددت الدنيا أساليب تعذيبى عذاباً ضعفاً من الآلام ... الآن وقد أوجدتنى الحياة ما أريده، ثم وضعت بينى وبينه سداً يصف ما وراءه من أشواق ويقف دونى فلا أنفذ منه ... الآن وأنا أشتعل وأتفانى من جميع نواحى ... الآن وأنا أتوثب فى قيود مرخاة تمنحنى الحركة وتمنعنى دون الغاية ... الآن وأنا أمزق جو حياتى بزئيرى وأنيابى ومخالبى، وأحرقه بوجدى ولوعتى واشتياقى ...

الآن أين أنت أيها الحبيب؟ يا أخى وصديقى

انظر إلىَّ — أيها الحبيب — من وراء هذه الأسوار المنيعة التى تفصل بين الحياة والموت ... الأسوار التى تمشى إليها الحياة كلها ساعة بعد ساعة دائبة ماضية لا تقف، فإذا بلغتها ابتلعتها من حيث لا تشعر ولا تتوقَّعُ ... انظر إلىَّ — أيها الحبيب — وتكلَّم بكلام من شعاع مضىء حتى يُفهمَنى حقيقتى الحية، ويضىء لعينى هذه الظلمات التى تعترك بين يدى فى مد عينى ... انظر إلىَّ — أيها الحبيب — واسكُبْ فى قلبى روحَ حقيقة الإيمان الحىّ الذى لا يموت ... انظرْ إلىَّ واصحبْنى فأنا الذى لا يصاحبُ الأحياء من الناس، لأنهم لا يعرفون معنى الحياة إلا فائدة تلد فائدة، كما يلد بعضهم بعضاً فى مَشيمةٍ من الكره والعنتِ وآلام المخاضِ وأمشاجٍ من الدم يشْخَب من حولها ويتضرَّجُ ويقبحُ بعضُه فى بعض

ولكن ... ولكن ما أكذب النفسَ على النفس! أنتَ هناك بحقيقتك الخالدة التى تحيا بأمر الله فى جو السماء، وأنا هنا بحقيقتى الفانية التى تموت يوماً بعد يوم بأمر الله فى جو هذه الأرض ... أنتَ هناكَ وأنا هنا، وبينهما البرزخ الذى لا يجوزه الروح إلا بعد أن تتطهر من أدران هذا الدم المتجسِّد فى أجلاد الإنسان ... أنت هناك وأنا هنا، فكيف أخلعُ من نُزُوتى التى أنا بها أنا؟ كيف أنخلع من جسدى؟ ومع ذلك ...

« فى القلب تعيشُ الأرواح الحبيبة الخالدة التى لا تفنى
وفى القلب ... تحْفَر القبُور العزيزة التى لا تُنسى
لم أفقِدْك – أيها الحبيب – ولكنى فَقدتُ نفسى »

ذكرى الرافعى

لستُ أدرى! فأنا أذكر الرافعىّ. أعرفهُ أديباً شاعراً فيلسوفاً ... رجلاً قد انصرف بهمّه إلى الأدب والفكر يجيدُ فيهما ما يجيد، ولكنى حين أذكره لا أجده فى نفسى إلا الصديق وحده. لم أعاشره طويلاً حتى أقول إنى أرعى للناس خبره وأعرف عنه ومن أمره ما لا يعرفه غيرى، كلا لست أدعى ما ليس عندى ولكنى كنت أبداً معه بحبى له وصداقتى، وكان هو أبداً يحوطنى بروحه فى أنفاس من حنانه وحبه. كنا روحين تناظرنا من بعيد وتناسمنا من قريب فعرفته وعرفنى. كان بيننا سرٌّ جامعٌ لا أدرى كيف أصفه، ولكن كان من يعرفنى ويعرفه يجد آثاره ويرى من بعض بيناته ما لا أحبُّ أن أحدِّثَ به. ومع ذلك فأنا أقصر فى حقه ما لم يقصِّر أحد ممن توجبُ عليه الصداقةُ بعض واجباتها، ولم يكن ذلك، لأنى لا أريد، بل لأنى لا أستطيع ولا أطيقُ.

فما زلتُ كلما ذكرتُ الرافعى — وقد مضت سنوات — أجد لذعةَ حُزْن فى قلبى تُرسلُ آلامها فى كلّ سانحةٍ من دمى

ولكن الله لم يُخلِ حقَّ الرافعى من رُجلٍ يقوم عليه ويُحسنُ النظر فيه، فهيأ له الأخ « محمد سعيد العريان » بردَّ — بوفائه لذكرى الرافعى — كل ما وجب على أصدقاء الرافعى وأبنائِه وتلامذته والمتَّبعيه. فقد بادر « سعيد » بعد وفاة الرافعى، فأنشأ يحدِّث الناس بأخباره ما دق منها وما جلَّ، ويضع بين أيدى الأدباء أكثر العوامل التى يتكوَّن منها تاريخ الرافعى، والتى كانت تعمل فى إنشاء أدبه وتوجيه بيانه. وفتح « الزيات » باب القول فى الرافعى له وعليه حتى اجتمعتْ من ذلك طائفةٌ من القول صالحةٌ لدراسة أدب الرافعىّ دراسة جيِّدة لمن ينصبُ نفسهُ لها. ولكن الأخ « سعيد » لم يرض أن يقنع بما كتب

هو عن الرافعى وجمه فى كتابه الذى طبعه بعد وسماه « حياة الرافعى » ، فدأب على إظهار ما لم يظهر من آثار الرافعى قديمها وحديثها ، وقد كان آخر جهد بذله فى ذلك سعيه لإنقاذ مؤلفات الرافعى كلها من الضياع . فانتدب لجمعها وتصحيحها ومراجعتها وطبعها بعد ذلك سلسلة واحدة تقوم بنشرها « المكتبة التجارية » وقد كاد يفرغ من طبع أكثرها ، وأنا أعلم أن بين يديه الآن كتاباً من كتب الرافعى التى لم يتمها وكان أصولاً مبعثرة رديئة الخط كثيرة الاضطراب ، وهى أصول الجزء الثالث من كتابه الجليل « تاريخ آداب العرب » ، واستخراج هذا الجزء وحده دون سائر كتب الرافعى يعد عملاً عظيما ووفاء نبيلاً لرجل هو كسائر الأدباء : حياته حياة أدبه ، فإذا مات لم يجد فى هذا الشرق الغافل من ينفخ الحياة فى آثاره الأدبية مرة أخرى

إن هذا التراث الذى خلفه الرافعى للأدب العربى ، قد جعله الله أمانة بين يدى « سعيد » فهو يؤدى اليوم إلى الناس هذه الأمانة وافية كاملة لم ينتقص منها شىء — إلا شيئاً يعجزه أن يهتدى إليه أو يقع عليه ، وغداً يجد الناس بين أيديهم كل ما كتبه الرافعى حاضراً لم يضيع شىء منه وكذلك يجد من يريد سبيله إلى معرفة الرافعى من قريب وتقديره والحكم إما له وإما عليه

مصر المريضة

ألقى الدكتور عبد الواحد الوكيل بك ، أستاذ علم الصحة بكلية الطب ، فى المؤتمر الحادى عشر للمجمع المصرى للثقافة العلمى — محاضرة هى تصوير للآلام التى تعانيها الصحة فى مصر ، وتمثيل للحقائق المؤلمة المخيفة التى تعمل عملها فى هدم البناء الصحى للأبدان المصرية . وقد نشر صديقى الأستاذ « فؤاد صروف » قسماً من هذه المحاضرة فى مقتطف مايو سنة ١٩٤٠ ، فأخذتها وقرأتها وأنا أرجف بالرعب والفزع لما مثل لعينى من تلك الحقائق البشعة الشنيعة ، وهى على بشاعتها وشناعتها متفشية منتشرة تغزو مصر من جميع نواحيها غزواً مهلكا مبيراً ، ثم لا تجد من يرده عنها من الجنود المجندة القاتلة التى هى كل صناعة الطب وأسباب صناعته

لقد عمد الدكتور الوكيل إلى الإحصاء الصحى فى مصر ، فبان منه أن البلاد إذا لم تتدارك أمر الصحة بأوثق العزم وأحكم التدبير وأسرع العمل ، فسوف تنتهى إلى فناء محقق يأكل القوة المصرية كما تأكل النار يبس الهشيم . ونحن فى فاتحة عصر رهيب قد بدأ بالحرب المجتاحة ، تأتى معها الأوبئة والأمراض وتجر فى أذيالها أوبئة أخرى وقحطاً ومجاعة — إلا أن يشاء الله — والعالم كله يخشى ويتأهب ويستعد ، فهل عمدتْ مصر إلى جعل الوقاية الصحية تدبيراً ممتداً مع أسوأ الفروض التى يمكن أن توحى بفرضها أوهامنا ومخاوفنا وتشاؤمنا من الأيام المحاربة والأيام التى تلقى عن عواتقها أوزار الحرب بعد أن تأكل القوة بعضها بعضاً فى ميادين البغى والقتال ؟

يقول الدكتور الوكيل : « ونحن إذا رجعنا إلى نسبة الوفيات العامة سنة ١٩٣٧ فى مصر وثلاثين دولة أخرى فى مختلف القارات متدرجين من الأسوإ إلى الأفضل ، اتضح لنا أن مصر فى رأس هذه القائمة ؛ ومن هذه البلدان : الهند واليونان وبلغاريا وفلسطين » ... لا ، بل أكثر من ذلك ، وهو أن الإحصاء يدل دلالة قاطعة على أن الأطفال هم ٥٥٫٨ ٪ من مجموع الموتى ، وأن هذه النسبة فى صعود متواصل حتى فى هذا العهد الذى نحن فيه . بل انظر إلى الأصل فالدكتور الوكيل يقول : إنا إذا أخذنا الأمراض التفشية كالبلهارسيا والأنكلستوما والرمد والسل والأمراض العقلية والملاريا والتيفوس والتيفود والدفتريا والانفلونزا الحادة والحمرة وغيرها ، ثم جمعنا بعضها إلى بعض مرضاً مرضاً كانت ما يربو على ٥٠ مليون مرض ، فإذا وزعت هذه الملايين على المصريين أصاب كل شخص ثلاثة أمراض فى وقت واحد

وهذه النتيجة المؤلمة قد أفضت إلى هذه الغاية باهتمام القائمين على أمر الصحة والتعليم بالحضر دون الريف ، وبالذى كان من طغيان الجهل واستبداد الفقر بطبقات الشعب التى يتكون منها السواد الأعظم . وقد وضع الدكتور الوكيل مشروعه لمكافحة هذه الحالة ، فهل يمكن أن تكون الوزارات المختصة قد عرفت حق مصر فهبت إلى القيام بواجبها فى الدفاع عن البلاد لإنقاذها من براثن هذه الأعداء المتمادية المتحالفة على قتال الروح والحياة فى الشعب المصرى ؟ ذلك ظننا ، والله خيرٌ حافظاً وهو أرحم الراحمين .

محمود محمد شاكر



بواطن وظواهر

عندنا فنانون ... ولكن !

للأستاذ عزيز احمد فهمى

٣ — من النقاد

الأستاذ بيرم التونسى :

كل ما يكتبه رائع ، ولكن أروع ما يكتبه هو النقد ، وقد كنت أقرأ النقد للأستاذ بيرم فأحسبه كتبه بعد كراهية عقلية لما ينقده ، واقتناع فكرى أو خيالى بأن هذا الأمر الذى ينقده قائم على أخطاء يجب أن تزال حتى لا ينهض عليها من الأخطاء ما يستدعى النقد . فلما لقيت الأستاذ بيرم رأيت فيه أنه يكره بقلبه كراهية التحريم كل هذه الأمور والشخوص التى ينقدها، وقد يعلم القارئ أن كثيراً جدا من نقد بيرم منصب على الرجال الذين يسميهم « خناشير » تذكيراً بغيضاً بخشونتهم وتبشيعاً لها وانتصاراً منها لرقة الأنوثة ودلالها ... قد يعلم القارئ هذا ... فهل يعلم القارئ أنى رأيت الرجل هكذا حقا يكره الرجال ويستثقل ظلهم ولا يكاد يطيق صحبتهم ، ويمقت من يقول إن فيهم حسناً وإن فى عشرتهم راحة . وهو لذلك يفر من الناس فراراً ويستخفى فى المشارب العامة فى زواياها على نواصى الشوارع المائجة ويجلس مغمض العينين ولكنه يرى . . . وهو يرى من ثقب فى إحدى عينيه — لعلها اليمنى — ولا أدرى كيف انثقب وإن كنت أراه تجويفاً استدار فى ملتقى الجفنين فى كل جفن منهما فراغ هو نصف الدائرة ... وكلما مر فى الطريق رجال هرب الأستاذ بإنسان عينه من وراء الثقب فلم يرهم ، فإذا مر فى الطريق غير الرجال تألق الإنسان من وراء الثقب وارتعد

ومن هذا الثقب يرى الأستاذ بيرم كل شىء ، ولعل هذا هو السر فى أنه يرى أبعد وأعمق مما يرى الناس ، فهو كعدسة الميكروسكوب تجمع الأشعة للعين فى مستقيم واحد حيزه مجموع وهدفه دقيق ...

وكما أن بصر الأستاذ بيرم مكرسكوب ، فإن بصيرته مكرسكوب أيضاً . . . فضاح لا يغيب عنه إلا ما يشاء الله أن يخفيه وإذا شاء الله أن يخفى على الأستاذ بيرم شيئاً حفز فيه قوة انتباهه ، فيستيقظ فى نفسه سوء الظن بما يسمع ويرى ، فيخطئ الحكم ... وسبحان الذى لا يغفل ولا يخطئ

الأستاذ محمد الههياوى :

أعوذ بالله من غضب الله ومن غضبه . هو صاحب القلم الذى كان سعد زغلول ينتظر قوله فيه أسبوعاً بعد أسبوع ، ليطمئن على كيانه أسبوعاً بعد أسبوع . فكما كان سعد أزهرياً فناناً عبقرياً ؛ فالأستاذ الههياوى أزهرى فنان عبقرى ، كانت وقفاته من سعد كوقفات سعد ، وكانت كلماته فى سعد من الرواج مثل كلمات سعد ؛ فلعله كان أشد الناس حزناً على وفاة سعد، إذ فقد الههياوى بوفاته قرينه وضريبه الذى كان يستنبع من زعامته مادة فنه ، والذى كان يستخلص بالبراعة والحدة من كلامه وفعاله أهدافاً لهجومه ونقده . بل لعله كان أشد الناس حباً لسعد وقلما كان يبدو للناس أنه أشد الناس مضياً فى خصومته وعداوته ، فأنا لا أستطيع أن أتصور فناناً عبقرياً يمقت فناناً عبقرياً ، والنبى كان يطلب للاسلام أن يعزه الله بعمر، فلم يكن سعد أيضاً يكره ناقده

الدكتور طه :

ويا لطول شقائى بالدكتور طه ! الناقد الجبار الذى لم يستطع أن ينقدنى أنا ! كنت أنقش وأنا فى العباسية الثانوية على أركان كراساتى وكتبى أربعة أسماء ... نقشتها على كل كراسة وعلى كل كتاب هى : « مصر . سعد . طه حسين . سيد درويش » وكان أساتذة اللغة العربية فى العباسية الثانوية ينهوننى عن الدكتور طه والكفر ، فكنت أثور وأعرض نفسى لسخطهم وعقابهم مالم تنقذنى شفاعة من أحد الأساتذة الثلاثة المستنيرين الذين كانوا يحبون مثلى الدكتور طه وهم: محمود مرعى، ومصطفى السقا ، وأحمد الشايب . وسمانى زملائى فى الثانوية باسمه من فرط ما كنت أقلده فى تفكيره وأسلوبه . وأحسب نفسى لا أزال إلى اليوم مطبوعاً بطابعه . ولما كنت فى كلية الآداب كنت أضع

على عينى منظاراً أسود إمعاناً منى فى « الطحسنة » . وفى معهد التربية كان زملائى وبعض أساتذتى يجلسوننى إليهم ويطلبون منى أن أحدثهم أى حديث وأنا الدكتور طه . . . وعند ما كان الأستاذ المهياوي مشرفاً على فى أول عهدى بالكتابة كان يقول لى: إنى أخاف عليك أن تكون نسخة ممسوخة من الدكتور طه .

وعاب على الأستاذ الزيات يوماً أننى أفقد توازنى أحياناً فيما أكتب للرسالة فأضمحل وأذوب ويتبلور من بقاياى بعد ذلك طيف من الدكتور طه يكتب هو ويقول ما يريد

والدكتور طه الذى غزانى هذا الغزو لا أدرى كيف لم يشعر بى ، وكيف لم يعطنى من نفسه ولو عشر ما احتل من نفسى ... كلما أقبلت عليه صدنى، وكل ما قيل له عنى فيه صدقه ... وإلا فأى شيء كان يبغضه فىّ ... لقد كان من أثر ذلك أنى تابعته بالذى تعلمته منه ... الصد بهجر ، والنكران بخدش

وأين أنا من أستاذى الذى إذا كره أمراً حرض الناس عليه حتى إذا رآهم أجمعوا على كراهيته معه ، عاد هو فكره أن يكون معهم فى إجماعهم فراح يعلن حبه لهذا الأمر ويحرض الناس على حبه حتى يعودوا إلى حبه معه، فيعود هو فيكرهه ويحرضهم على كراهيته ... وهكذا!

٤ — من الفلاسفة

لطفى السيد باشا :

هذا فيلسوف شرد عن نفسه بالفلسفة فلا هو يعرف أنه يعيش فى مصر وإنما هو يحسب أنه يعيش فى أثينا ، ولا هو يعرف أن الزمن دار ودار حتى وصل التاريخ إلى القرن العشرين بعد الميلاد وإنما هو يحسب أن العصر لا يزال عصر سقراط وأرسطو

رشح نفسه يوماً لانتخاب الجمعية التشريعية وقال للناخبين إنه رجل ديمقراطى . فسمع بذلك منافسه الفلاح فقال للناخبين : وأنا رجل مسلم . فسأل الناخبون منافس الباشا : وهل الديمقراطى غير المسلم فقال لهم: الديمقراطى كالماسوني، مبادئه الإخاء والمساواة بين المسلمين والنصارى واليهود ، والرجل والمرأة ، والسيد والخادم والكبير والصغير ، والعالم والجاهل ، والقادر والعاجز ، والسليم والأجرب ... وغيرُ ذلك وذلك أنه يفتح لكل إنسان أن يكون حراً فى حدود القانون ، فالذى لا يصلى حر ، والذى لا يصوم حر ، والذى يسكر حر ، والذى يفعل ويفعل حر مادام القانون محفوظاً لم يمس ... وقانوننا فى الأصل فرنساوى

وزار لطفى السيد باشا دائرته الانتخابية ، فسأله الناخبون : هل حقاً أنت ديمقراطى ؟ فقال لهم : نعم . فسألوه : أمساواة وأخاء وحرية كالماسون ؟ فقال لهم تماماً ولا فرق ! فسألوه : والمسلم كالمجوسى ؟ فقال لهم : سواء بسواء ! فسألوه : والمرأة كالرجل ، والسكران كالصاحى ؟ فقال لهم : أملم القانون لا كبير ولا صغير .. والسكران ما لم يؤذ أحداً فهو حر فى نفسه ... فقالوا له : عال ... إن فلاناً يتهاون فى الصلاة فلا يؤديها فقال لهم : هو حر ... فقالوا له : إنا نعوذ بالله من (ديمقراطكم) ... لكم دينكم ولنا دين ! ...

وفاز الفلاح منافس الفيلسوف فى الانتخاب . أما الفيلسوف المفكر فإنه لم يفز ، وكان عيبه عند ناخبيه أنه ديمقراطى !

فهل الذى لا يعرف كيف يتفاهم مع ناخبيه فيلسوف ؟

إنه فيلسوف ولكنه لا يعيش فى هذا البلد ولا فى هذا العصر

الأستاذ شهاب :

هو عبد السلام بن حسنين بن شهاب بن أبى شامة البشبيشى . واصل الدراسة فى الأزهر الشريف حتى أشرف على امتحان العالمية فتكاسل عنه . والتحق بفرقة تمثيلية يؤلف لها الأغانى والأناشيد وكان جمهور هذه الفرقة خليطاً من الناس ذوى المشارب المتباينة والأذواق المختلفة ، فكانوا جميعاً يجدون ما يرضون عنه فيما كانوا يسمعون . ثم شارك حلاقاً فى صالون ، لعبا برأس ماله فى « اليانصيب » فلم تصبهما ثروة ، فالتقطه واحد من أصحاب المجلات الأسبوعية كان يدير تجارة إلى جانب المجلة فعمل الأستاذ شهاب فى التجارة وفى المجلة حتى رأى صاحبه يسلمه يوماً لواحد آخر من أصحاب المجلات الأسبوعية ، ولم يعلم أنه باعه له بالمال إلا بعد زمن طويل ، وانتقل من المجلة القديمة إلى المجلة الجديدة يكتب فيها شعراً وزجلاً ونثراً مما يعيه الشعب ويفهمه ويتلذذ به وهو ما كث فى « الإدارة » لا يخرج منها ، يعمل ويأكل وينام على المكتب ... ثم طرأ له أن يخرج يوماً فخرج وغاب فلم يعد ، فدار صاحب المجلة يبحث عنه فى الأقسام والمستشفيات وهو متلهف عليه يقول : يا عالم إنه لا يعرف الطرق ولا الشوارع ، ولكنه كان قد عرف الطرق والشوارع ومن بينها شارع الأمير قدادار ، وهو الطريق إلى دار الهلال التى يعمل فيها الآن

محرراً لإحدى المجلات التي تصدرها ، يكتبها بعد أن يجمع له المندوبون معلوماتهم ، من أولها إلى آخرها

وهو أزهد من رأيت في الجاه والشهرة ، وأقدر من رأيت في الحكم على النفوس ، وأقوى من رأيت في إقامة الحق إذا أراد إقامته ، وفي إزهاقه إذا أراد إزهاقه ، وأشد من رأيت استسهالاً للعبث بعقول الناس ، فهو يبدأ يقص عليك القصة ، فلا تلبث بعد أن يقطع معك مرحلة طويلة فيها أن تفيق فتجد نفسك قد سمعت كلاماً كثيراً مرتبطة أجزاؤه بعضها إلى بعض ، ولكنه ذاهب إلى حيث لا تدرى ؛ فإذا أحببت أن تعود أدراجك إلى بدايته لم تعرف كيف تروح معه ولا كيف تجيء

يشترط عليه الأستاذ إميل بك زيدان إذا أراد أن يحادثه في أمر أن يمتنع عن مناقشته فيه ، لا لشيء ، إلا لأنه جرب مرات ومرات أن مناقشة الأستاذ شهاب تنتهى عادة بأن تقر دار الهلال نقيض ما تريده ، وما تكون قد أعدت العدة له

من آرائه أن مصر ستظل هكذا في انتظار زعيم لا بد أن يكون دينياً ، وأن اللحم سيد الطعام ، وأن أسعد الناس هم سكان التكايا ؛ وأن الأستاذ محمود حسن إسماعيل شاعر قبطي بدليل الرهبان والصلبان والأجراس التي ترن في شعره كثيراً ، وأن طلبة كلية التجارة يجب عليهم أن يقضوا مدة للتمرين في المذبح وعند أبي ظريفة وغيره من تجار الفول ، على أن لا تزيد مدة التمرين هذه على ثلاثة شهور يعطى الطلبة بعدها دبلوم التجارة ليغزوا هذين الميدانين من ميادين التجارة القومية الرابحة ربحاً مؤكداً ومركباً أيضاً ؛ وغير ذلك له آراء كثيرة كم اختلستها منه ونشرتها منسوبة إلى في (الرسالة) ، فأعجبت من قرأها

حفني محمود بك :

هو أيضاً عجيب في تفهمه للناس وإدراك تكوينهم النفساني . وهو يثأر للناس بعلمه هذا من الأشرار الذين يفتكون بهم . ولا تأخذه عند هذا الثأر رحمة ولا شفقة ، وجمهور من الناس يحسبون «حفني بك» مهذاراً ماجناً ، وهم يروون حوادثه على أنها نوع من العبث والمزاح ، وقد اصطنع بعض المتظرفين أسلوبه في السخرية من الناس ، ولكنهم لم يحرصوا على ما يحرص عليه هو وهو أن ترى كل نكته من نكاته إلى معنى حق ، وأنه لا يمكن أن يصيب بمزاحه ضعيفاً أو مسالماً ، وأنه لا يؤذى به إلا من هو جدير بالأذى ...

كان غني من أغنيائنا في أوربا في شهر يوليو . وهذا الغني صاحب ذمة واسعة

تقدم منه حفني بك وهو في بار اللواء وقدم إليه ورقة من ذوات الخمسة الجنيهات وهو يقول له : أشكرك كل الشكر يا سعادة البك . وهذه هي الجنيهات الخمسة التي أقرضتني إياها في عيد فرنسا في كازينو سان استفانو . فقبل الغني الورقة وهو يقول : العفو العفو !... من غير أن يفكر في أن عيد فرنسا لا يكون إلا في ١٤ يوليو ، وأنه كان في أوربا في ذلك الوقت ، فلم يكن من الممكن أن يلقى حفني بك في سان استفانو ولا أن يقرضه شيئاً ...

تلك كانت ضربة قضى بها حفني بك على المسكين من غير شك ... ولكن أليس هذا المسكين جديراً بهذه الضربة ... إنه على أي حال لم يتألم منها ولم يشكُ وجعها . فنفس كهذه لا يقتلها السم إذا نقع معه قرش لا جنيهات خمسة

الأستاذ محمود بسيوني :

صاحب البطاقة السهلة التي يستطيع أن ينالها منه كل قاصد تقديماً وتوصية . وصاحب الصدر الرحب الذي يفتحه لكل من يريد أن يرتمي في أحضانه . ولكن كم من الناس يستطيع أن يقول إن بطاقة بسيوني بك نفعته أو أن وساطته قضت له حاجة ؟

هذا رجل كاهن . استطاع أن ينجح في المحاماة إلى أبعد حدود النجاح لأنه استطاع أن يتغلغل في نفوس الفلاحين إلى أبعد حدود التغلغل ... رآهم يحبون الرجل الطيب فكان أطيب رجل ، ورآهم يأمنون الرجل الصالح فكان أصلح رجل

رأيته يوماً يدخل بنك مصر ومعه عميل من الريف ، فلم يصعد به السلم إلى المكتب الذي كانا يقصدانه ، وإنما طاف به في بهو « البنك » طوفة متأنية متريثة ، أخذت أعصاب الرجل الريفي تتفكك فيها وتنحل رويداً رويداً من أثر الروعة التي كانت تشع عليه من جدران البنك ... فلما تم له هذا أخذه وصعد به إلى حيث كانا يقصدان ؛ وقد آمن الرجل إيماناً بأن بنك مصر هو خير من ألف بنك

وهذه من غير شك أطيب دعاية وأكرم خدمة يؤديها محام وطني لعميله الوطني وللبنك الوطني ولإحساسه الوطني أيضاً ...

عزيز أحمد فهمي



أركان الحرب محور الدفاع الوطني

[من مجلة « لوا الفرنسية »]

يظن الكثيرون أن مهمة أركان الجيش محصورة في رسم خطط المعارك وإصدار الأوامر لقوّاد الجيوش ، ويتساءلون دهشين : « بأية وسيلة أو أعجوبة يتلقى قوّادنا في المكان المحدود والساعة المعينة القوات المستمدة والكميات المطلوبة من الذخائر والمؤن والملابس وسائر المعدات الحربية ؟ »

من المعلوم أن شعب فرنسا يعمل بأسره في سبيل الجنود الذين يحاربون من أجله ، ومن المجهول تلك القوة الخفية التي تمدُّ وتنظم الجنود وتجهّز وتوزّع المعدّات الحربية . وقد لا يخطر للكثيرين أن تلك القوة مصدرها أركان الجيش التي تتخذ باريس قاعدتها ووزارة الحربية مركزها . وإذا جاز لنا أن نشبّه القوى العسكرية بالجسم البشرى ، فالجنرال غملان يمثّل الرأس وأركان الحرب تمثّل القلب ، وإذا كان القلب هو مصدر الحياة في الجسم والمحرك الدائم الحركة الذي إن توقف لحظة شلّت كل الأعضاء حتى الرأس نفسه ، فأركان الحرب هي مبعث كل قوة ومصدر كل تنظيم في الجهاز العسكرى

لدى أركان الجيش جيش صغير من الكتّاب يعمل نهاراً وليلاً في ساعات معينة بإدارة بضع مئات من الضباط والاختصاصيين المسؤولين ، وفي مكتب رئيس أركان حرب الخرائط الحربية والخطط العسكرية والمعلومات الوافية التي تنبئ دائماً عن مواقف الجيوش في ساحات القتال وعما لديها من الذخائر والمؤن وغير ذلك مما يطول شرحه

ولنذكر الآن شيئاً مما تبذله أركان الحرب في إعداد المعدات الحربية . فمن المعلوم أن في فرنسا الآن بضعة آلاف من المصانع الحربية يعمل فيها نحو مليون عامل وعاملة ، وقد كان نتاج هذه المصانع في الحرب الكبرى يفوق نتاج أية دولة من الدول المحاربة والمحايدة ، وعلى رغم احتلال ألمانيا لمقاطعاتنا الصناعية في الشمال فقد كنا نمدّ حلفاءنا بما كان يعوزهم من المعدات . فإذا طلبت القيادة من أركان الجيش مثلاً بضعة آلاف من لوالب مدفع ٧٥ فما هي إلا دقائق معدودة حتى يُباشر تجهيزها في المصانع ، وفي أقل من يومين تتسلم أركان الجيش الطلب وترسله إلى القيادة . ولكن إذا روعيت هذه الدقة في الحرب الحاضرة التي لم يعرف جنودنا فيها حتى الآن المعارك الحامية والانسحابات القاهرة فكيف تراعى في مثل تلك الأيام التاريخية الحرجة حين انسحبت جنودنا من شارلروا أمام الزحف الألماني ووقت أن هجم الألمان بجحافلهم على باريس وبلغوا كمبيان وسان كنتن؟ لقد خبر جيشنا تلك الساعات المشؤومة التي كانت تهدد فرنسا بالهوان ولكن تنظيمه العجيب كان فوق كل ارتباك وتشويش . إن تقهقر الجيش يعني وقوع ألوف من الأسرى ومئات من المدافع في حوزة العدو ، إخلاء مراكز للمدفعيات والطيارات ، إهمال المستشفيات والنقالات ، وأخيراً ترك كل شيء أمام العدو الطارد . ومع ذلك كان جنودنا الذين شهدوا مثل هذه المآسي يعلمون جيداً أن وراءهم مدافع جديدة جاهزة بدل المفقودة وكميات هائلة من الذخائر والمؤن عوض المتروكة

وقد أطروا كثيراً التنظيم الألماني وأركان الحرب الألماني ، ولكن ذلك كان فوق الواقع . ولماذا لا يحق لنا أن نعجب بالتنظيم الفرنسي الذي برهن في أشد المواقف حرجاً على دراية وحسن إدارة نادرتين ؟

ومن مهام أركان الجيش تمهد طرق المواصلات والعناية بأسرى الحرب من جنود ومدنيين . أما المهمات الكبرى ، فهي تموين الجيش وكفى بها عبئاً ثقيلاً يقتضي الجهد الكبير والعمل المتواصل ، فإن تموين خمسة أو ستة ملايين رجل منتشرين في مئات من الكيلومترات لمن أشق الأمور وأعقدها

قد تستعظم المهمات المذكورة مع أننا لم نأت إلا على شيء منها ولم نذكر إلا بعض ما يفرض على أركان الجيش من الواجبات .

من السهل أن نطلع على ما يقال ويجرى عندنا وما تصدره أرضنا وتخرجه مصانعنا ، ولكن علينا في زمن الحرب أن نعرف أيضاً ما يقال ويجرى عند الآخرين من أعداء ومحايدين وما تنتله أرضهم وما تنتجه مصانعهم ، فكل حركة حربية يتوقف نجاحها غالباً على معرفة الحالة الاقتصادية والمعنوية في بلاد العدو . من ذلك أن المهجومين الظافرين على بلغاريا وتركيا في الحرب الماضية لم يفلحا

لولا التعليمات التى تلقتها من أركان الجيش ، ومنها عرف أن ليس فى طاقة الجيش البلغارى أن يواجه حملة عنيفة، وأن الشعب البلغارى قد سئم الحرب .

وعلى مكتب أركان الجيش أن يقدم تعليمات دقيقة عن الحالات المعنوية والاقتصادية والحربيــة فى بلاد الأعداء ، وأن يطالع الصحف الأجنبية ويستخلص منها ما يفيد القيادة العليا ووزارة الخارجية ، ثم يدرس أساليب التنظيم الحربى عند الدول الأجنبية ويستطلع مستحدثاتها الحربية . ومن شؤون هذا المـكتب إيفاد البعثات إلى الخارج ونقل البريد والاتصال الدائم بأركان جيوش الدول المحالفة والمحايدة وغير ذلك مما لا نذكره اجتزاء

وهناك مكتب آخر من مصلحته تقديم التعليمات السرية عما يجرى فى بلاد العدو ، وهو الذى أفادنا فى الحرب الماضية أن القروض الألمانية والنمساوية منيت بالفشل وإن تكن حكومتا برلين وفينا أذاعتا نجاحهما الباهر . ومن مصلحته أيضاً الإفادة عن نتائج الحصار ودرس الوسائل التى تضعف العدو

ومن المهام الخطيرة المفروضة على أركان الجيش نقل الجيوش وكلنا يذكر النظام التام الذى تم فيه نقل جيوشنا سواء فى أغسطس من سنة ١٩١٤ أو فى سبتمبر من هذه السنة . فلا اضطراب ، ولا فوضى ولا تشويش . وقد أدت سككنا الحربية خدمات جليلة ، وكانت من أهم أسباب انتصارنا فى الحرب الفائتة . ومنها توزيع الرسائل على جنودنا سواء فى فرنسا أو فى الخارج. ولكى يتصور القارىء مشقة هذه المهمة نقول إن ما يرسله جنودنا من الرسائل وما يرسل إليهم يومياً يملأ ثلاث مركبات

إن ما ذكرناه ليس إلا صورة مصغرة للخدمات الكبيرة والمهمات الخطيرة التى يؤديها أركان جيشنا محور الدفاع الوطنى وقلبه النابض

ممتلكات انجلترا

[من مجلة « العصبة »]

من الأقوال الشائعة أن الشمس لا تغيب عن أملاك انكلترا. وتلك حقيقة ليس فيها أقل مبالغة ، فأنى توجهت تر لبريطانيا العظمى علماً مرفوعاً ومدفعاً منصوباً وسفينة جارية . محطات حربية فى أهم وأمنع المواقع ، قواعد تجارية منتشرة فى كل صقع ، ممتلكات ومستعمرات لا تقل مساحتها عن خمسة وثلاثين مليون كيلو متر مربع ، عمارات من السفن الحربية والتجارية تنشى البحار ليل نهار . هذا هو المشهد الأول من عظمة الأمبراطورية البريطانية .

يخفق العلم البريطانى فى أوربا على : إنكلترا ، إرلندا ، مالطة ، جبل طارق

وفى أمريكا على : كندا ، الأرض الجديدة ، لبرادور ، أرخبيل برموداس فى الأطلانطيكى، أرخبيل باهاما فى الأطلانطيكى جزر برلافنتو ، جزر سوتوفنتو ، جزيرة جاميكا ، جزيرة باربادس ، جزيرة ترينداد ، جزيرة تاباكو ، هندوراس البريطانية ، غيانا البريطانية، جزائر فلكلان وجورجيا فى الأطلانطيكى الجنوبى

وفى أفريقيا على: الاتحاد الإفريقى الجنوبى، روديسيا الجنوبية، تانغانيكا، أوغندا ، زنجبار ، كينيا، الصومال الإنكليزى، السودان الإنكليزى المصرى، غامبيا، الشاطئ الذهبى، توغو (قسم منها)، جزيرة سانتا هيلانة ، جزيرة اسنسيون ، جزر سيشل ، جزر موريشاس ، جزيرة سوقطرا ، سيراليون

وفى آسيا على : الهند ، سيلان ، قبرص ، فلسطين ، شرق الأردن ، عدن ونواحيها ، سنغافوره ، ملقة ، هونغ كونغ ، بورنيو الشمالية ، ساراوك ، برونى ، واى هاى واى ، البحرين ، اندمان ونيكوبار

وفى الأقيانوسية على : أستراليا ، زيلاندة الجديدة ، فيجى ، غينيا الجديدة ، بابو ، سلمون ، تونغا ، ساموا الغربية ، نورو وغيرها من جزائر الباسيفيكى المديدة

٣٥ مليون كيلو متر مربع تتدفق خيراتهـا على الجزر البريطانية وخمسمائة مليون نفس يمتثلون لأحكام السلطة الإنكليزية. وقد بلغ التوسع البريطانى أشده فى القرنين الأخيرين؛ فى سنة ١٨٠٠ كانت مساحة الإمبراطورية البريطانية ٣٢٠ر٨٨٣ر٣ كيلو مترا مربعاً فبلغت سنة ١٩١٩ نحو ٦٥٦ر٤٦٧ر٣٥ كيلو مترا مربعاً وعدد سكانها ٤٧٥ مليون نفس

تبلغ مساحة كندا وحدها نحو تسعة ملايين كيلومترا مربعة يسكنها نحو عشرة ملايين نفس، وهى تشغل المرتبة الثالثة فى العالم بما تغله أراضيها من الحنطة ، وقد استخرجت فى سنة ١٩٣٦ نحو ١١٦ طنا من الذهب و٧٧ ألف طن من النيكل

والاتحاد الإفريقى الجنوبى مساحته ٠٠٠ر٢٢٥ر١ كيلو متر مربع وعدد سكانه ٨ ملايين ، وهو موطن الذهب فقد استخرج



وحي الرسالة

تفضل كاتب العربية الأستاذ الجليل عباس محمود العقاد فاخص فى هذا الكتاب البليغ رأيه القيم فى كتاب (وحى الرسالة) . وإنا لننشره شاكرين للناقد الكبير جيل رأيه فى الكتاب وصاحبه :

أخى الكاتب البليغ الزيات

وحى رسالتك أصدق ما قرأت فى الكتابة العربية الحديثة من مصداق لرأى القائلين : إن الرجل هو الأسلوب

فأنت أسلوبك وأسلوبك أنت : إتقان واستحياء وسلاسة ، صُوِّرتْ فى عالم الخلق فكانت إنساناً ، وصُورتْ فى عالم الفكر فكانت وحى الرسالة

إتقان صينة فى غير ظهور ولا ادعاء ، يوشك من يتبينه أن يلمسه ليعرف موضع الجودة فيه ، كما يلمس السوّم النسيج المتين الذى وهى المتانة سراً من أسرار منواله وخلا من الزخرف والبريق ، لأن إتقان تلك الصينة كإتقان هذا النسيج ، فى حقيقتها وليس على مرآها ، وعلى صفحة محياها دون سواها

واستحياء يخفى مزاياه ولا يفوته شىء بأن يخفيها ، لأنها أثبت من أن يحجبها الإخفاء

وسلاسة تطوّع العصىّ وتملك الزمام فى الوعر والسهل على السواء . فإن ما تصف من ألم نفسانى يلهب صراق الحشا ويَهُده الضعف الإنسانى بأقصى ما يطيق وفوق ما يطيق ، لـكالذى تصف من ألم يباشر الفكر قبل أن يباشر اللحم والدم ، ويحسب من قضايا الرأى كما يحسب من قضايا الفؤاد.

إتقان واستحياء فى المعنى لا فى اللفظ وحده ، وفى موضوع الكتابة لا فى بنيانها وتركيبها وكفى ، وعلى السيماء وفى الطوية سواء

وتلك هى الأساليب التى تضاف إلى لغة العرب فيقال معنى إنسانى فى كلام عربى ، ولا يرتد المعنى إلى بنى الإنسان حيث كانوا ثم لا يبقى منه للعربية ما تحرص عليه

وحى رسالتك فى كتاب أحمد

والسلام عليك وعلى من اتبع هداه

عباس محمود العقاد

مصر الحلوة Egypte la douce

تحت هـذا العنوان الجميل جمع الكاتب الفرنسى الكبير جان لوجول رئيس تحرير البورص إجبسيان طائفة من الفصول الفرنسية الرائعة القصيرة كان قد نشرها متفرقة فى مدى عشر سنين. وهى صور صادقة للحياة المصرية فى شتى مظاهرها ومناظرها وأحداثها وعاداتها، رسمها قلم فنان صَنَاع وجد إلهامه فى حب مصر وأهل مصر ، وقصد بعرضها فى هذه الألوان الجميلة أن يوثق بها التعارف والتآلف بين الصديقتين القديمتين فرنسا ومصر فى هذا العهد الذى قضى فيه إلغاء الامتيازات وما سيعقبه من إلغاء المحاكم المختلطة أن يعيش المصرى والأجنبى عيشة أهل الوطن الواحد لا تفرق بينهما فوارق السياسة والاجتماع

وقارئ هذا الكتاب القيم يستطيع أن يقول على الجملة إن مسيو لوجول من الكتاب الأجانب القلائل الذين فهموا مصر وعرفوا كيف يُفهمونها من يجهلونها بأسلوب يشرق فيه الحب والصدق والإخلاص

مصر المزدهرة L'Egypte florissante

وذلك عنوان آخر جعلته الكاتبة الفرنسية الشاعرة « فلنتين دى سان بوان » حفيدة « لامرتين » لمجموعة من المقالات الممتعة قصدت بها تصوير مصر الجديدة فى عهدها الفاروقى المبارك تصويراً دقيقاً يجلوها فى أوضاعها المختلفة من اجتماعية واقتصادية وفكرية ودينية وأدبية وفنية . وقد آثرت

منه فى سنة ١٩٣٦ نحو ٣٥٢ ألف كيلو . وأستراليا ومساحتها نحو ٨ ملايين كيلو متر مربعة يقدر عدد مواشيها بنحو ١٢٠ مليوناً استغلت منها فى سنة ١٩٣٦ أكثر من ٤٥٠ ألف طن من الصوف. والهند ومساحتها نحو ٥ ملايين كيلو مترا مربعة وعدد سكانها ٣٥٠ مليوناً أنتجت فى سنة ١٩٣٦ ما يزيد على ٥٧ مليون طن من الأرز وهى الأولى بين كل بلدان العالم بمحصول الأرز . وأنتجت أيضاً فى تلك السنة ٤ ملايين طن من السكر و١٠ ملايين طن من الحنطة ومليون طن من القطن ومليونى طن من الخيش أى ٩٩ فى المئة من محصول العالم كله ، وفى الهند من البقر ما يقدر بمائة وخمسين مليوناً

أن تكمل هذا التصوير لمن كان لهم يد فى التجديد والإحياء من المصريين وبعض الأجانب ، فاستكتبت أكثر من أربعين رجلاً من سراة الكاتبين والمفكرين ونشرت آراءهم وصورهم فى هذا الكتاب الأنيق بعد أن زينت صدره بطاقة من الشعر الفرنسى الرفيع قدمتها إلى صاحبى الجلالة الملك والملكة . وهذا الكتاب كسابقه دعاية وتعريف لمصر الناهضة . وهما فوق ذلك نموذج فريد من الفن العالى فى التحرير والتصوير والطبع، ودليل جديد على اعتراف الأدب الفرنسى بالجميل لوادى النيل .

حول الأزهر

أعيذ الرسالة وصاحبها أن يكونا كأصحاب صحف أخرى عرفت بأنها تنشر الخطأ فى الدين ولا تنشر الصواب وتنشر الطعن ولا تنشر الرد

وأعيذها مرة أخرى وقد تعرضت لنشر بحوث دينية أو علمية أن يفوتها فيما تنشر مغمز من قول أو فلتة من لسان ولا تعلق عليه كما هو شأن الصحف الراقية بعلمها الجم ومعرفتها القيمة، فهى غنية بمعرفتها عن اتخاذ إخصائيين لها فى هذه الشئون

جاء فى كلمة الأستاذ المدنى حول الأزهر أنه مدح أحد الشيوخ لقوله إن الشيطان إنما هو قوة الشر المنبثة فى العالم وأخذ يدبج لهذا الشيخ الثناء ، ويكيل له الإعجاب ، وينتقد الذين انتقدوه فى القول وحمل عليهم وقال كان من حق الأزهريين جميعاً أن يقابلوا هذا الرأى العجيب الذى يوافق الدين والعلم الحديث بالإعجاب إلى آخر ما قال من لون من القول كان الأولى بمن يكتب النزوع عن مثله فى التحدث عن فريقين

ومن الأسف أن الأستاذ المدنى وصاحبه إن كان لا زال مصمماً على ما قال مخطئان كل الخطأ فى الدين وفى العلم الحديث معاً. وما للعلم الحديث ومسائل لا تعرف إلا عن الوحى ؟

ذلك لأن الجن والشياطين والملائكة والجنة والنار حقائق إسلامية لا تعرف إلا من طريق الوحى ، وليست مجالاً للرأى ولا للعلم الحديث فى شىء ، ولا هى ضارة بالعلم الحديث فى شىء أيضاً ، فهمها العرب الذين نزل القرآن الكريم بلسانهم مؤمنهم وكافرهم كما عناها القرآن وأرادها . وهذه أوليات مسلمة فى الإسلام فى قسم الغيب الذى يجب الإيمان به كما جاء وليس للبحث العلمى إليه من سبيل ، ومنها الإيمان بالبعث والحشر والنشر وصورة ما تكون عليه تلك الشئون ، ولا يطلب فى ثبوت ذلك إلا صحة الدليل النقلى من كتاب أو سنة صحيحة . فالتحكك بخلق جدل وخلافات دينية فى موضوعات دينية ليست موضع جدل، هو فضول من القول وشغل للقراء بغير ما يليق بالكاتب الأمين أن يشغلهم به

وأولى بمن يتكلم باسم الدين فى الناس أن يشغلهم بالنواحى العملية منه ويبعدهم عن الجدليات ، لأن الدين نفسه ينهى عن الجدل والمنازعات كما ينهى عن المنكرات . وفى النواحى العملية الإسلامية ما يشغل ألف كاتب وكاتب أعماراً طويلة ، لأن هداية الناس وحملهم على العمل بالدين فى شئونهم اليومية والاجتماعية ، وتحليهم بأخلاقه ، واحترامهم لمبادئه وآدابه ، وخصوصاً بعد أن رأوا إله الحضارة الحديثة والمدنية الجافة قد سقط ، وأنه آن الأوان لسلطان الإسلام الحق ومبادئه العادلة أن يسود وأن يقود العالم مرة أخرى مديدة إلى حياة السعادة والهناءة والأمن على النفوس ، وأن ينقذهم من دبلوماسيات هذا العصر ويكبح جماح العلم الحديث فلا يستعمل إلا فى خير الإنسانية ، فلا بد للعلم الحديث من دين يكبح جماحه ، ولا بد للدول من أن تعترف بالإله الحق الذى سخر لهم الطبيعة وأنزل لهم الشريعة وأنذرهم من آلاف السنين فى كتبه المقدسة بما صدقه التاريخ وبما هو حاصل اليوم وواقع على رؤوسهم

فعلى رجال الدين الإسلامى أن يثبتوا فى مراكزهم ولا يتزحزحوا عنه بالتأويل والتحوير إرضاء لعدوهم فالعاقبة لهم إن كانوا مؤمنين حقاً بدينهم ... والله يدعو إلى دار السلام ويهدى من يشاء إلى صراط مستقيم

محمد عبد السلام القبانى

المدرس بكلية الشريعة

تعقيب على مآخذ

١ — ذكر الأستاذ القطان كلاماً حول لفظى تمبان وظمآن فقال إن تمبان تمنع من الصرف ، لأن مؤنثه تمبانة ولا يمنع من الصرف إلا ما كان مؤنثه على وزن فعلى وكان زائد الألف والنون . نعم إن القاعدة مسلمة ، ولكن هل وردت كلمة تمبان فى كتب اللغة أم هى كلمة عامية والعربى غيرها . أجمع أساس

البلاغة وتاج اللغة والقاموس وشرحه وأقرب الموارد واللسان والصحاح على أنه يقال : هو تمب ومتمب ولم يقولوا هو تمبان . إلا أن المنجد ذكر هو تمب وتمبان ، ولا ندرى من أى مصدر استقاها. من هذا يتبين لنا أن تمبان ساقطة من أساسها على الأصح لأنها لو كانت موجودة فى اللغة لذكرها الأشمونى مع الأربعة عشر لفظاً التى مؤنثها فعلانة وإذن نأخذها على الدكتور زكى مبارك غلطة لغوية . أما ظمآن فقد ورد فى القاموس ظمآن وظمآنة ، وفى أقرب الموارد هى ظمأى وظمآنة . أما فى اللسان وتاج اللغة والصحاح فهي ظمأى، وما دامت قد وردت ظمآنة فى بعض أمهات الكتب يصح قول الدكتور محمد عوض لم يزل ظمآناً .

٢ – الأبيات الحائرة : يذكر الأديب على محمد حسن أن كتب النحو والشواهد أجمعت على أن الأبيات الحائرة لمالك بن الريب ، ولا أدرى أين هذه الكتب التى أجمعت على أنها له ؟ فإن كتب النحو والشواهد أجمعت على أنها للفرزدق. فى حاشية الصبان على الأشمونى نقلاً عن التصريح، وفى فرائد القلائد فى مختصر الشواهد لمحمود العينى أنها للفرزدق. وقد ارتضى ذلك الأستاذ أحمد زكى صفوت فى كتابه الكامل فى النحو ، والأستاذ الشيخ محمد محيى الدين فى شرحه على ابن عقيل. أما فى شرحه على الأشمونى فقد ذكر ما ذكره العينى ثم أورد رواية ياقوت فى معجم البلدان . والذى يرجح أنها للفرزدق عدة أمور (١) إن ما ذكره ابن قتيبة فى الشعر والشعراء، والمبرد فى الكامل من أنها لمالك بن الريب خطأ محض، إذ أن مالكاً مات فى زمن معاوية ولم يدرك الحجاج (٢) شبه الإجماع من كتب النحو والشواهد على أنها للفرزدق (٣) إن رواية أبى تمام أقوى من رواية ياقوت التى تنسبها للبرج بن خنزير ، إذ أن أبا تمام توفى سنة ٢٣١ هـ ، فهو أقرب إلى الفرزدق المتوفى سنة ١١٤ هـ من ياقوت المتوفى سنة ٦٢٦ هـ . ولم نجد كتاباً آخر ينسبها للبرج غير ياقوت (٤) إن البيتين الآتيين من القصيدة نفسها :

فلولا بنو مروان كان ابن يوسف ... كما كان عبداً من عبيد إياد
زمان هو العبد المقر بذله ... يراوح صبيان القرى ويغادى

بالفرزدق ألصق لما له من اعتزاز وتيه وذكر للآباء والأجداد ، ولكثرة مناوشاته مع الولاة بل مع الخليفة أحياناً .

٣ – الآخر والثانى: يأخذ الأستاذ م. إبراهيم على الأستاذ أحمد أمين قوله: قال أحدنا: جزءاً من العقد الفريد، وآخر: جزءاً من الأغانى وثالث الخ ... ثم يقول: والمعروف فى اللغة أنه لا يسوغ أن تقول آخر إلا إذا كان هو الأخير فلا تقفى بعد ذلك بأعداد أخرى الخ .. وأظن الأستاذ قد خلط بين آخِر بكسر الخاء ضد أول وآخَر بفتحها بمعنى غير أو واحد . كما أحسب أنه لم يعرف أن ربيع الآخر وجمادى الآخرة بكسر الخاء فيهما، ولو كانت بالفتح لقالوا : جمادى الأخرى مؤنث الآخَر بالفتح لأن الآخرة مؤنث الآخِر بالكسر . فاللغة إذن لا تمنع أن يقال جاء رجل وغيره وثالث ورابع

عبد الستار أحمد فراج



عاصفة القدر

للمرحوم مصطفى صادق الرافعي

[عثر فى أوراق المرحوم الرافعى على أقصوصة نحسبها لم تنشر، فوجدنا من حسن المناسبة أن ننشرها فى يوم ذكراه]

على شاطئ النيل فى إقليم « الغربية » من هذا البر قرية ليس فيها من جبل ولكن روح الجبل فى رجل من أهلها ، فإذا أنت اعتبرته بالرجال قوة وضعفاً رأيته ينهض فيهم بمنكبيه نهضة الجبل فيما حوله، وهو بطل القرية ولواء كل معركة تنشب فيها بين فتيانها وبين فتيان القرى المتناثرة حولها ، ولا تزال هـذه المعارك بين شبان القرى كأنها من حركة الدم الحر الفائح المتوارث فيهم من أجيال بعيدة ينحدر من جيل إلى جيل وفيه تلك القطرات الثائرة التى كانت تغلى وتفور، وهى كعهدها لا تزال تفور وتغلى، ويلقبون هذا الرجل الشديد (بالجمل) لما يعرفونه من جسامة خلقه وصبره على الشدائد واحتماله فيها و كونه مع ذلك سلس القياد سليم الفطرة رقيق الطبع ، على أنه أبطاش ذى يدين إن ثار ثائره ، وله إيمان قوى يستمسك به كما يتماسك الجبل بعنصره الصخرى، إلا أنه يخلطه ببعض الخرافات ؛ إذ لا بد له من بعض الجرائم الشريفة التى يحمل عليها فرط القوة والمروءة فى مثله مع مثله . وليس فى تلك القرية من بحر غير أن فيها شاباً أعنف طيشاً وعتواً من الموجة على بحرها فى يوم ريح عاتية ، حلو المنظر لكنه مر الطعم ، صافى الوجه لكن له غوراً بعيداً من الدهاء والخبث ، وهو ابن عمدة البلدة وواحد أبويه والوارث من دنياهما المريضة بيسط يديه على خمسمائة فدان ، وقد أفسدته النعمة ، وأهانته عزته على أهله ، ولو اجتمعت حسنتان لتخرج منهما سيئة من السيئات بأسلوب من الأساليب لما وسعها إلا أسلوب نشأته من أبويه الطيبين ، تعلم وهو يعرف أنه لا حاجة به إلى العلم ، فجعلت تلفظه المدارس واحدة بعد واحدة كأنه نواة ثمرة إنسانية، فإذا قيل له فى ذلك قال إن خمسمائة فدان لا تسعها مدرسة ... وذهب إلى فرنسا يطلب العلم الذى استعصى عليه فى مصر ، فأرهف ذلك العلم ... خياله وصقل حسه، ورجع من باريس رقيق الحاشية خنثاً متظرفاً لا يصالح شرقياً ولا غربياً

... وليس فى تلك القرية غابة لكن فيها عذراء تلتف من جسمها فى رداء الجمال الطبيعى الرائع ، ولها نفس أشد وعورة مما تنطوى الغابة عليه ، ففى ظاهرها الرونق الذى يفتن فيجذب إليها ، وفى باطنها القوة التى تلتوى فتدفع عنها ؛ وهى ابنة عم (الجمل) واسمها (خضراء) ؛ وكأن فيها زهو خضرة الربيع ، ولم تكن تعشق إلا القوة ، فما يزين لها من الرجال إلا ابن عمها ، وهى شديدة الإعجاب به ، وإنما إعجاب المرأة برجل من الرجال مفتاح من مفاتيح قلبها

وكانت (خضراء) جاهلة كنساء القرى، بيد أنها تلميذة بارعة للطبيعة التى نشأت فيها وزاولت أعمالها ، فهى بذلك أقوى نفساً وأشد مراساً من الفتيات المتعلمات ؛ إذ اتخذت شكلا ثابتاً من أشكال الحياة ، والحياة هى صنعتها هذه الصنعة وأقامتها على هذه الهيئة ، على حين أن المتعلمات يمضين أيام النشأة وسن الغريزة فى التلقى عن الألفاظ والكتب ، وفى توهم الصور المختلفة للاجتماع دون مباشرتها ، وفى توقى أعمال الحياة بدلاً من مخالطتها ، فيؤول ذلك منهن إلى قوة فى التخيل قلما ترضى الحقيقة الإنسانية المؤلمة حين تصادمها يوماً ، وتتم الواحدة منهن ولكن باعتبار أنها تمت تلميذة للمدرسة ، لا امرأة للحياة بما فيها مما يعجب وما لا يعجب

وكانت خضراء أشبه بدودة النهار تفتح أجفانها على أشعة الفجر كل يوم ، ولا تزال نهارها فى دأب وعمل ، فنفى ذلك عن أخلاقها ما يجلبه السكون من الخمول والميل إلى العبث والدعابة ، وحصلت لها من الحياة حقيقة عرفت منها أن المرأة عامل من من أكبر العوامل فى النظام الإنسانى عليه أن يصبر على الكد والتعب إذا أراد أن يظهر بطبيعته الحقيقية لا بطبيعته المزورة المصنوعة ؛ ورأت الرجل يستأثر بجلائل الأعمال ولا يترك للمرأة إلا كما يترك عقرب الساعات لعقرب الثوانى فى الرقعة التى تجمعهما ، فهذا الصغير لا يبرح يضطرب فى « دائرته الضيقة » يهتز من جزء إلى جزء ، حتى إذا أتم الدقيقة فى ستين هزة كاملة ذهب الأول بفضلها كلها وخطا بها خطوة واحدة . ثم يعود المستضعف

المسكين إلى مثل عمله ، ولا يزال هذا دأبهما وإن أكثرهما عملاً وتعباً هو أقلهما قيمة وظهوراً . ولكن هـذا الضعيف المغبون لم ينله ما ناله إلا من كونه هو وحده الذى بنى فى هذا النظام على فضيلة الصبر والدقة ليكون أساساً للآخر . فعرفت (خضراء) كيف تقيـد طبيعتها من تلقاء نفسها وتقرها على الصبر والرضا والسكون إلى حظها الطبيعى والاغتباط به ، إذ كان فضل الرجل على المرأة ليس فى كونه أكثر منها فضلاً أو أسباب فضل ، بل فى كونها هى أكثر منه حباً وتسامحاً وصبراً وإيثاراً ؛ ففضائلها الحقيقية هى التى جملته الأفضل ، كما تجوع الأم لتطعم ابنها

***

ورآها ابن العمدة ، ولما تمض أيام على رجوعه من أوربا ، وقد لبث هناك بضع سنين ، وكان عهده بالفتاة صغيرة ، فوثبت إلى نفسه فى وثبة واحدة ، ورأى شباباً وجمالاً وروعة زينتها فى قلبه وسولت له مطمعاً من المطامع وجملته يرى ما يرى بمعنًى ويفهم منه ما يفهم بمعنى غيره

وكانت حين رآها واقفة على النيل تملأ جرتها مع نساء من قومها وهن يتمايلن ويتضاحكن ، كأن لخصب الأرض فى أرواحهن أثراً بادياً ، فإذا ما أقبلن على النهر لشأن من شؤونهن تندت روح الماء على ذلك الأثر فاهتز واهتزت المرأة به ؛ فإن كانت ذات مسحة من جمال رأيت لها رفيفاً كرفيف الزهرة حين يمسحها الندى ، وذهبت لتموج فى جسمها ، وقد حسرت عن ذراعيها ، ولمس الماء دمها الجذاب ، فأرسل فيه تياراً من العافية والنشاط يتصل منها بقلب من يراها إن هو كان شاعراً يحس ؛ فإن كانت روح الرجل ظمأى ورأى المرأة على هذه الهيئة، فما أحبه أن يشرب منها بعينيه شرباً يجد له فى قلبه نشوة كنشوة الخمر ... وكذلك وقعت الفتاة من نفس هذا الفتى ، فزينها له الخبث الذى فيه أضعاف ما زينها له الجمال الذى فيها ، وقذفها القدر إلى قلبه ليخرج من هذا القلب تاريخ جريمة ، فوقف يتأملها بعين أحدّ من آلة التصوير لا تفوتها حركة ، وسلط عليها فكره وذوقه ، وأيقظ لها فى نفسه المعانى الراقدة ، فنصبت فى قلبه عدة من تماثيل الجمال تجسّدت فى كل واحد منها على شكل كأنما أفرغت فيه أفراغاً

وكانت نفس ابن العمدة من النفوس الخيالية المتوثبة، إذ قامت من نشأتها على أن تطلب فتجاب، وتأمر فتطاع، وتشتهى فتجد، وكأنه ما خلق إلا ليستعبد قلبى والديه ، وكانا ساذجين لا يعرفان من علم التربية إلا أن للحكومة مدارس للتربية، وموسرين لا يفهمان من معنى الحاجة فى هذه الدنيا إلا أنها الحاجة إلى المال، ومنقطعين من النسل إلا منه ، فكأنه لم يولد لهما بل هما قد وُلدا له . . . فله الأمر عليهما من كونه لا أمر لهما عليه ، وبذلك أسرفا له من فضائل الرقة والحنان والإشفاق وما إليها ، وهى فى نفسها فضائل ولـكن متى أسرف بها الآباء على أولادهم لم تنشئ فى أولادهم إلا ما يكون من أضدادها ، كالشجر يفرط عليه الرى فلا يحدث فيه إلا اليبس والذوى ، وإنما أنت تسقيه الموت ما دمت ترويه بمقدار من هواك لا بمقدار حاجته

ونشأ الفتى فى أحوال اجتماعية مختلفة جعلت من أخص طباعه تمويه نفسه على الناس، والتباهى بالغنى والتنبُّل بالأصدقاء والحاشية من وزرائه وعماله، والتهيؤ بالثياب والأزياء ، فانصرف باطنه إلى تجميل ظاهره ، وردّ ظاهره على باطنه بالشهوات والدنايا ، وأعانه على ذلك أنه جميل فاتن ، كأنما خلقت صورته « للصفحة الحساسة » من قلوب النساء . وذلك ملك عظيم لم يكن أبوه الرجل الطيب منه إلا كما يكون وزير مالية الدولة ... ولما أرسلَ إلى باريس وقع منها فى بلد عجيب كأنه خيال متخيل، لا يؤمه رجل فى الدنيا من كامل أو ناقص ، وعالم أو جاهل ، وشريف أو ساقط ، إلا رأى فيـه ما يملأ كل مداخل نفسه ومخارجها ، فلو قامت مدينة من أحلام النفوس الإنسانية فى خيرها وشرها ، وطهرها وفجورها ، واختلالها ونظامها، لـكانت هى باريس. وانقطع الشاب هناك إلى نفسه وإلى صور نفسه من أصدقاء السوء، فلا أهل فيلزموه الفضيلة ولا إخوان فيردوه إلى الرأى، ولا خلق متين فيعتصم به، ولا نفس مرة فيفيء إليها ولا فقر ... فيحد له حدوداً فى الشهوات يقف عندها . وما هو إلا خيال متوقد ومزاج مشبوب وتربية مدلّلة وطبع جرىء ومال يعر فى إنفاقه ، ومن ورائه أب غنى مخدوع كأنه فى يد ابنه كرة الخيط : كلما جذب منها مدت له مدّا ، ثم ما هنالك من فنون الجمال ومتع اللذات وأسباب اللهو مما يتناهى إليه فساد الفاسد وما هو فى ذاته كأنه عقوبة مستأصلة للأخلاق الطيبة فـكان الشيطان الباريسىُّ ... من هذا المسكين فى سمعه وبصره ورجله ويده يوجهه حيث شاء . وبالجملة فقد ذهب ليدرس فدرس ما شاء ورجع أستاذاً فى كل علوم النفس المختلة الطائشة وفنونها، وأضاف إلى هذه وتلك كلمات يلوى بها لسانه من علوم وأقاويل ليس فيها إلا ما يدل الحاذق على أن هذا الشاب لم يفلح قط فى مدرسة

فلما وقعت (خضراء) منه ذلك الموقع وأخذت مأخذها في نفسه، اعتدها نزوة من نزواته، فما بمثله أن يحب مثلها ولا هي كفايته في شيء، إلا أن تكون لهو ساعة من ساعاته، أو حادثة تجرى فيها حال من أحواله الغرامية . وحسبها امرأة ليس لقلبها أبواب تمتنع على مثله ، فقدر أن غناه وفقرها يفتلمان باباً ، وعلمه وجهلها يحطمان باباً آخر ، وجماله وحده يضع ما بقي من الأقفال عما بقي من الأبواب ، وكان يحسب أن جمال المرأة من المرأة كالحلية من بائعها فكل من ملك ثمنها فليس بينه وبينها إلا هذا الثمن ؛ ولكن الأيام جعلت تأتى وتمر وهو لا يزيد على أن يعرض لها وهي ترميه من صدودها كل يوم بداعية من دواعي الهوى ، وكان لا يجد بنفسه قوة أن يزيدها على النظر شيئاً، وترك لوجهه وثيابه ونظراته وغناه أن تصل بين قلبه وقلبها بسبب، فلم ينل طائلاً وتمادى في حبه واستولت عليه فكرة غمرته بهذه المرأة ، أما هي فأشعرتها غريزتها بما في قلبه منها وكانت مسماة ، لابن عمها[1] ، فكانت تتحاشى هذا الشاب وتحذره حذراً شديداً، وتتوهم أن الناس يحصون عليها النظرة والالتفاتة ويحصون عليه من مثلهما ، ووقع في نفسها أن لهذا الرجل شأناً غير شأن الرجال الآخرين، فهم لا يستطيعون معها حيلة وهو يستطيعها بغناه ومنزلته

وكان للرجل خادم داهية قد تخرج في مجالس القضاء . . . من كثرة ما حكم عليه في تزوير واحتيال وغش وادعاء وإنكار ونحوها ، وقد استخلصه لنفسه واتخذه مؤانساً ورفيقاً وجعله دسيساً[2] إلى شهواته السافلة ، كان يسميه فيما بينهما (إبليس) فلما أراد أن يرميها به قال يا سيدى هذه قضية احتيال عليها ، فإذا دخل ابن عمها خصماً في الدعوى كانت قضية احتيال على عمرى أنا ! قال : ويحك أيها الأبله ! فأين دهاؤك ومكرك؟ وإنما أرسلك إلى امرأة فقيرة عيشها كفافها ، وأنت تمدها وتغنيها وتبذل عني ما شئت ، ومتى أطمعتها في المال فإن هذا المال سيوجد مالا يوجد في مكان فيشرى مالا يشرى ويبيع مالا يباع.

قال (ابليس) : نعم يا سيدى وكذلك هو ، ولكن خوف العار يطرد حب المال . قال : فأنت إذن لا تقبل . قال : ولا أرفض ··· قال الشاب : قاتلك الله لقد فهمت سأشتريها منك بثمنين أحدهما لك والآخر لها، ولكن أخبرني كيف تصنع معها ومن أين تبلغ إليها؟

قال (ابليس) : لما كنت في السجن عرفت لصاً فاتكاً أعيا قومه خبثاً وشراً ، وهذا السجن يحسبه الناس عقاباً وردعاً ومنهاة عن الإثم على أنه المدرسة التي تنشئها الحكومة بنفسها لتلقى علوم الجريمة عن كبار أساتذتها، إذ لا يمكن أن يجتمع كبارهم في مكان من الأرض إلا فيه . فالسجن طريقة من طرق حل المشكلة الإنسانية ولكنه هو نفسه يحدث للانسانية مشكلة لا تحل .

قال الفتى : ويحك ! أين يذهب بك ؟ إنما أرسلك إلى المرأة لا إلى السجن. قال: نعم ترسلني أنت إليها ولكن لا يعلم إلا الله أين يرسلني ابن عمها ، إلى السجن أم إلى المستشفى ··· فاسمع يا سيدى، كان من نصائح أستاذى في ذلك السجن أن الحيلة على رجل ينبغى لإحكامها أن يكون في بعض أسبابها امرأة ، والكيد لامرأة يجب أن يكون في بعض وسائله رجل ... صه . انظر ! انظر ! فالتفت الشاب فإذا (الجمل) مقبل يتكفأ في مشيته ، وكان غليظاً ، فإذا خطا شدّ على الأرض بقدميه ، وتكدس بعضه في بعض ، وكان منطلقاً وقتئذ إلى بعض مذاهبه ، فلما حاذاهما قال : السلام عليكم . فردا جميعاً ؛ ورمى ابنَ العمدة بنظرة ثم مضى لوجهه . فلم يجاوز غير بعيد حتى بلغه صوت الشاب يناديه : يا فلان ! فانكفأ إليه ؛ فقال له الشاب : لقد بعُد عهدك بالقوة على ما أرى . قال : فما ذاك ؟ قال : أما بلغك أن فلاناً في هذه القرية التي تجاورنا ، سيقترن بزوجته بعد أيام . وأنت تعرف الموقعة التي كانت بين بلدنا وتلك البلدة يوم عرس فلان في السنة الماضية ، وكيف اندفعوا على أهل بلدنا وحطموا فيهم تلك الحطمة الشديدة ، ولولا أنت أدركتهم ورميتهم بنفسك حتى دفعتهم عن الناس وسقتهم أمامك سوق النعاج ، لكانت بلدنا اليوم أذل البلاد، ولاستطالوا علينا بأنهم غلبونا. ولقد حدثني صاحبي هذا كيف تلقيت بهراوتك يومئذ خمساً وعشرين هراوة فأطرتها كلها في جولتك وهزمت أصحابها بعد أن أحاطوا بك وتكالبوا عليك ؛ فأنت فخر بلدنا وصاحب زعامتها ، وما أرى لك إلا أن تنتهز هذه الفرصة وتسرع الوثبة إليهم برجالك ، فتجزيهم في أرضهم صنيعاً بصنيع مثله

فهز الجمل كتفيه العريضتين وقال : بل سأنتظرهم في يوم عرسى بابنة عمى ··· قال الشاب: أبلغت؟ ما أرى فإنك لتخافهم ! قال: لا أخافهم ولكن أخاف الحكومة أن تؤخر يوم زواجى ··· سنة أو سنتين . قال الفتى : فإن عملك هذا لا يشد من نفوس

---

(١) معقدة خطبته ، أو كما يقولون : قرئت مع أهلها الفاتحة

(٢) جاسوسا وصاحب سر

رجالنا ، ولا بد أن أولئك سينتظرونكم ويعدون لكم ؛ فإذا لم تناجزوهم في بلادهم عدوها عليكم هزيمة من الهزائم وكأنهم ضربوكم بلا ضرب

قال الجمل : هم لا يعرفون معنى الضرب بلا ضرب لأنهم رجال ، والذي يضرب بلا ضرب لا يكون رجلاً ... والسلام عليكم . . . ثم انطلق . فلما أبعد قال الشاب : لقد بدأت الحرب ولا بد لي أن أحطم هذا الفلاح اللعين ، ولقد عرفت الآن من وجهه أن عينه عليّ ، ولست أشك في أن بنت عمه لا تمتنع بقوتها بل بقوته ، ولولا معرفتي أنه من انحطاط الغريزة كالوحش في الدفاع عن أنثاه لـ . . .

قال (إبليس) : لقد تأملت القصة فرأيت أنه لا سبيل لك إلى الفتاة وهي بعد فتاة ؛ فإذا هو وصل إلى امرأته قطعت أنت بهذه الخطوة نصف الطريق إليها . . . وستبلو هي من غلظته وخشونة طبعه ما يسهل لك أن تعلمها قيمة ظرفك ورقتك ؛ وستجد من سوء معاملته وقبح تسلطه ما يفتح قلبها لمن يأتيها من قِبل الرفق واللين ؛ وستصيب عنده من ضيق المعيشة وقلتها وبيسها ما يُفهمها معنى ذلك العيش الحلو الخضر الذي تعرضه عليها ؛ ثم إنه لا بد مبتليها بغيرته العمياء بعد ما عرف من حبك إياها ، والغيرة منك هي توجد بينهما دائماً وتنبه المرأة إليك كلما كرهت من رجلها شيئاً لا ترضاه

ولم تكن إلا مدة يسيرة ، حتى أهديت المرأة إلى زوجها ، وإنما تعجل الزفاف ليأتى له أن ينصب يده القوية حجاباً بينها وبين هذا المفتون ، وليكتسب من القانون حقاً لم يكن له من قبل إذا هو مد هذه اليد وعصر في قبضتها تلك الرقبة التي تتطلع إلى امرأته ، ورأى الشاب أن هذه الحال لا تعتدل به وبخصمه معاً ، وكانت الغيرة تأكل من قلبه أكلا ، وكان يعرض للمرأة كلما خرجت بعكتلها [1] إلى السوق ، أو بجرتها إلى الماء ، لأنه حينئذ يكون في الطريق الذي لا يملكه أحد ... فكانت إذا رأته لم تزد على ما يكون منها ، إذا هي أبصرت حماراً يمد عينه إليها . فعمد إلى امرأة مغنية تزف العرائس ، وهي التي زفت (خضراء) ، فأكرمها وأتحفها وسألها أن تسعفه ببعض ما تحتال به ، وأن تكون سبيله إلى المرأة ؛ وحمّل عليها (بإبليسه) حتى استوثق منها ، فكانت تتحدث عنه أمام (خضراء) ، تستجرّ بذلك أن تلفتها إلى نعمته

وجماله ، ولكن المرأة أغلظت لها وسبتها وحذرتها أن تعود إلى مثل كلامها ، وقالت لها آخر ما قالت : واعلمي أنني لو دُفعت إلى طريقين ، وكان لا بد من أحدهما ، ثم كان أحدهما حصباء الدنانير وهو طريق العار ، والآخر حصباؤه الجمر ، ويفضي إلى الشرف ، إذن لتنزهت أن أدنس نعلي بالذهب ولنثرت لحم قدمي على الجمر نثراً

وأما الحب فلا يبقى حباً أبداً ، فإما فاز فبرد ورجع سلواً ، وإما خاب فاضطرم وتحول إلى حقد ونقمة ؛ وكذلك انفجر الشاب غيظاً ، ووجد على الخيبة موجدة شديدة ، وأخذ يدير رأيه ، ففتقت له الحيلة أن يقتل الرجل الشهم بشهامته ، والمرأة العفيفة بعفتها ، فواطأ إبليسه على أن يدفع إلى تلك المغنية منديلاً من الحرير — عقد طرفه على دينار من الذهب — تلقيه في صندوق « خضراء » ، وتدسه في طي من أطواء ثيابها ، فذهبت المرأة وما زالت « بخضراء » تستصلحها وتعتذر إليها حتى استلت ضغينة قلبها ، ثم سألتها أن تأتيها (بالعيش والملح) لتصيب كلتاهما منه وتتحرم بحرمته ، فلما نهضت تأتيها أسرعت الخبيثة إلى الصندوق فدست المنديل في أبعد مواضعه وأخفاها ، وكان مندّى بالعطر لينم على نفسه إذا لم ينم أحد عليه ؛ ثم رجعت بما فعلت إلى الشاب فأطلق خادمه يهمس لبعض أصدقاء الجمل أنه رأى اليوم في يد (خضراء) ديناراً ذهباً على ندرة الذهب وعزته ، فجعل هذا الدينار يطير من نفس إلى نفس بقوة الذهب الذي فيه والحب الذي أعطاه والجمال الذي أخذه ، ثم انتهى إلى الجمل ، فكأنما حمله وطار به إلى داره كالمجنون ، وقد حمي دمه الحر وجاش جأشه العنيف ، ولم تكن امرأته في الدار ، فنثر ما في الصندوق وما كادت تفغمه رائحة العطر حتى نفخ الشيطان به نفخة الغضب الكافر ، ثم عثر على المنديل ورأى بصيص الدينار فدارت به الأرض وأيقن أن العار قد طرق بابه وأن الباب قد فتح له ؛ ثم رد نفسه على مكروهها ورد معها كل شيء إلى موضعه ، وتلفف رأيه على جريمتين ، وخرج وروحه تصرخ من ضربة بمنديل وهو الذي كانت تتهاوى عليه الضربات القاتلة تهشم منه ولا يتأوه

وذكر أن (حمانه) أثنت من عهد قريب على ابن العمدة ووصفته بالرقة والغنى ، فوجه إليها أن تأتي فتبيت عند امرأته لأنه على سفر ، وكان كالأعمى في ضلالته لا يرى الأشياء إلا كما يتخيلها في نفسه دون ما هي في نفسها ، فسألته زوجته : أين أزمعت وما تبغي من سفرك وكم تلبث عنا؟ فكأنه سمعها تقول : إرحل إلى مكان بعيد

(١) هو ما يسمى الفلق

وغب عنا زمناً طويلاً فبنا إلى غيابك حاجة شديدة ، وكاد يعاش بها ولكنه كاتم صدره اللوعة وذكر اسم جهة بعيدة ومضى والانكسار يعرف فيه

* * *

فزع الناس بعد أيام فى جوف الليل فإذا بيت الجمل يحترق من أرضه وسمائه، واقتحموه فإذا المرأة وأمها لحمتان، وانطلقت أسرار الألسنة وقبض على الرجل فى بلدة أخرى، وتولى ابن العمدة توجيه البينة عليه، وشهد الشهود على الدينار، وشهد الدينار على النار، وأنكر « الجمل » ولم يقصر فى إقامة الحجة ، ودافع عن امرأته وبالغ فى أمانتها وعفتها، وشهد أنه لا يعلم عليها من سوء وأنها أطهر النساء وأبرهن ، ثم كان الحكم أن قضى عليه بالموت شنقاً

فلما كان يوم إنفاذ الحكم سئل الرجل : هل من شىء تريده؟ فطلب دخينة [1] فقدمها له قيم السجن فأشعلها ونفخ من دخانها نفخة، ثم أخذ يتكلم وعمره يفنى مع الدخينة نفساً فى نفس، وعاد هذا الدخان المتطاير كأنه سحاب يسبح فيه الوحى بين حدود الدنيا وحدود الآخرة . قال المسكين : لم أتعلم، ولو تعلمت ما وقفت هنا، ولكن ربما كنت خرجت نذلاً كبعض المتعلمين الذين يعيشون أشرافاً وفيهم أرواح القتلة واللصوص

لم أقر لأحد بجريمتى خشية أن تذكر كلمة العار مع اسمى ، وآثرت أن أموت بالشنق على أن أحيا ويموت اسمى بالعار

ولكنى سأعترف الآن أمامكم، وأنتم الساعة على قبرى فكونوا كالملائكة : لا يشهدون بما عرفوا إلا عند الله وحده

أعترف أنى قتلت زوجتى وأمها، وقد تقولون إنه ليس من عمل الرجل أن يقتل امرأة فضلاً عن اثنتين . إننى رجل سأشنق ؛ أما النساء فلا يشنقن وإنما يُرسلن الرجال إلى المشنقة... لم أر أبى إذ تركنى طفلاً ، ولكن يقال إنه كان رجلاً ، فأنا رجل وابن رجل ولم يذلنى رجل قط ؛ ولكن لو خلق الله قوة مائة جبار فى جسم رجل واحد لأذلته امرأة

إنه ليس من شيمة الرجل أن يقتل النساء ؛ ولكن المرأة تذل الرجل ذلا يهوّن عليه قتل نفسه فكيف لا يهوّن عليه قتلها ؟

علموا المتعلمين ليصيروا فى الشرف والأمانة والعفة كرجل جاهل مثلى ، لا يرى للحياة كلها قيمة إذا كان فيها معنى العار ، ويقدم عنقه للمشنقة حتى لا ينكس رأسه للذل

أصلحوا القانون الذى يحكم بالموت شنقاً ويزهق الأرواح الكبيرة فى حين تفلته الأرواح الصغيرة بحيلها الدنيئة

ومع ذلك سألقى الله وهو يعلم سريرتى إن كنت بريئاً أو مجرماً

قيم السجن : ستلقاه طاهراً

السجين : أرأيتم منى خلق سوء . . . ؟ أتعتقد على ذنباً مدة سجنى ؟

القيم : كلنا راضون عنك

السجين : هـذا مَثَل من أخلاق والحمد لله على أن آخر كلمة أسمعها من إنسان على الأرض كلمة الرضا

... ...

أشهد أن لا إله إلا الله . وأن محمداً رسول الله

* * *

نظرت ريشة من زغب العصفور إلى النجوم فحسبتها ريشاً متناثراً، فامتطت العاصفة وقالت: إلى السماء، ودارت بها العاصفة ما شاء الله أن تدور ثم رمت بهـا حيث وقعت لم تبال فى موضع نفع أم ضير . فأقبلت الريشة تتسخط وتزعم أنها فوضى ثائرة لا حكمة فى خلقها، وأن الرياح بعثرة فى نظام العالم ... وكان إلى جانبها شجرة تهتز ولا تطير ... فلما وعت مقالتها أقبلت عليها فقالت : أيتها الريشة ! إن الرياح لا تكون بعثرة فى نظام العالم إلا إذا كان العالم ريشاً كله .

مصطفى صادق الرافعى

(١) وضعناها للسيجارة وهى أليق الألفاظ بها

فى ذكرى الرافعى

[بقية المنشور على صفحة ٨٠٤]

مثل الفهرست لابن النديم ، ووفيات الأعيان ، ونحوهما

وطريقته فى التحصيل من هذه الكتب ، أن يقرأ الكتاب ما بين دفتيه؛ ثم يكتب ملخصه بحيث يشمل من أسماء أهل الفنون الأدبية وامتياز كل منهم ، مثل الشعراء ، والخطباء ، والكتاب ، والرواة ؛ ثم أسماء الكتب ، وموضوعها ، وفنون العلم ، وممارضات العلماء بعضهم لبعض ؛ ثم الطرائف الأدبية التى تشير إلى معنى يتصل بشىء من موضوعه . وفى كتب التراجم من هذه الطرائف ما ليس فى كتاب

وأستطيع أن أقول جازماً : إن الرافعى اعتمد على كتب التراجم فى الجمع لكتابه « تاريخ آداب العرب » أكثر مما اعتمد على الكتب الخالصة للأدب ؛ وكان اتجاهه إلى ذلك سبباً فى توفيقه إلى مالم يوفق إليه غيره فى موضوعه

ويذكرنى اعتدادُه بكتب التراجم فى هذا الشأن ، ماذكرته فى كتابى « حياة الرافعى » عن استمداده منها أكثر ما كان يكتب لقراء الرسالة من قصص لم ينسج على منوالها كاتب من قبله ولا من بعده؛ فكأن هذه الكتب كانت عوناً كبيراً له على ما أبدع فى الأدب بنوعيه : الإنشائى والوصفى

* * *

لست أشك فى أن طريقة الرافعى هذه كانت ذات فائدة كبيرة، ولكنها كانت حقيقة بأن تكون أكثر جدوى وفائدة لو أن هذه الملخصات والفهارس التى صنعها ليستعين بها كانت على غير النظام الذى وضع، ليمكن انتفاع غيره بها ؛ فلو أنه عنى بأن تكون تلك الفهارس كاملة وعامة ، لكان بذلك قد كمل نقصاً فى تلك الكتب التى أخذ عنها وزادها فائدة ؛ ولكنه — رحمه الله — لم يكن له غاية من صنع هذه الفهارس إلا الاستعانة بها على الجمع لكتابه ، فبلغت به ما أراد ، ثم بطل عملها !

وقد يسأل سائل : كيف تهيأ للرافعى الزمن الذى قرأ فيه تلك الكتب التى أخذ عنها ولخصها ، ثم ألف منها كتابه ؟

وهوسؤال لا أجد جوابه ، على أنه مما يزيدنى دهشة أن الرافعى قد بدأ يعد لكتابه تاريخ آداب العرب فى سنة ١٩٠٩ وفرغ منه — بأجزائه الثلاثة — فى سنة ١٩١١ ؛ فانظر ما عسى أن تتسع له سنتان من عمر فتى لم يتجاوز الثلاثين وهو أب وزوج وله عمل فى الحكومة يشغل نصف نهاره ؟

وقد قال لى قائل مرة وقد جاء ذكر الجزء الأول من تاريخ آداب العرب : إنه كتاب يتحدث عن كل شىء إلا عن آداب العرب !

قلت : قد يكون ذلك رأيك ورأى طائفة معك ، ولكنه على كل حال كتابٌ يغنى عن مائة كتاب ؛ واسأل معلميك : من ألف فى تاريخ آداب العرب قبل الرافعى ؟

رحمه الله بما قدم لهذه الأمة وأجزلَ ثوابه

محمد سعيد العريان

M. Arab. 143

الشيطان ذو الأَجنحة

إن لسكان جزيرة سيلان أسطورة مقدسة تخبر بالشعر عن تاريخ سيلان مدة تزيد على أربعة وعشرين جيلا . ويستنتج من هذه الأسطورة أن الجزيرة التى زارها بوذا مراراً كى ينشر فيها تعاليمه بنفسه مرت بعهود من الرفاهية لم نعرف مثلها إلى ذلك الوقت ، ومن المحتمل أن يكون سكانها أكثر عدداً من الآن ، فآثار الهيا كل الكثيرة والبحيرات الاصطناعية التى أهملوها لاتزال برهانا على ذلك .

ولا داعى للبحث بعيداً جداً عن أسباب نقص عدد السكان فالجزيرة المباركة قد اجتاحها مراراً المرض الوبائى بقساوة فان أهالى الجزيرة وكذلك أيضا البرتغاليين الذين احتلوها فى الجيل السادس عشر والهولانديين الذين طردوا هؤلاء ، وأخيراً الانجليز الذين ملكوا بعد ذلك سيلان قد قاسوا كثيرا من تفشى هذا الوباء ، وقد نشر الهولنديون أيضا سنة ١٦٤٧ خريطة من سيلان وقد تركت مناطق كاملة بيضاء مع أنه لم يكن المقصود من ذلك أنها أراض مجهولة إذ كان الانسان يقرأ على هذه البقع البيضاء هذه الكلمات التى لاتدع مجالا للشك جهات أقفرها المرض .

فى سنة ٢٣٨ مسيحية على عهد « د هامابو » قد اجتاحت الحميات والأمراض هذه المناطق وأهلكت السكان على ما يؤكده الرواة فى سيلان بدرجة أنهم عجزوا من أن يزرعوا الأرز وقد نتج من ذلك مجاعة طويلة المدى فنسوا هذه البلية إلى خبث الشيطان ذى الجوائع وسعوا لتجنبه بواسطة الرقص حسب الطقوس الدينية ولكن الرواة يؤكدون أن سكان سيلان لم يجدوا السعادة مع ذلك طالما أن الشيطان ذو الأجنحة السوداء لم يقتل بعد .

وقد قامت الحكومة الانجليزية بمحاربة بعوض الملاريا بنشاط كبير فى سيلان يمكن الانسان أن يأمل الآن بعد ثمانية عشر جيلا بأن الساعة قد حانت أخيراً كى يرى نهاية حكم الشيطان ذى الجوائع كما يقول الرواة . وقد بنوا أيضا مستشفيات كثيرة . وفى بحر هذه السنوات الأخيرة عند ما عمت الملاريا بشكل وبائى قد وزعوا مراراً ألوف الجرامات من الكينا خلال ستة أشهر إما على سبيل الوقاية وإما على سبيل التداوى ، والطريقة التى تصفها لجنة الملاريا فى جمعية الأمم تلخص فى تطبيق العلاج السريع بالكينا أى مقدار جرام واحد أو جرام وثلاثين سنتجرام يوميا مدة خمسة أو سبعة أيام وهي سلاح قوى لشعب يجند بأكمله ضد الشيطان ذى الأجنحة وتوصى على سبيل الوقاية بأخذ ٤٠٠ ملليجرام من الكينا يوميا طول مدة موسم الحميات .

{ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى — عابدين }

8me Année No. 359 | Lundi - 20 - 5 - 1940

بدل الاشتراك عن سنة
مص
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع البدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٥٩ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٣ ربيع الآخر سنة ١٣٥٩ — الموافق ٢٠ مايو سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهـــرس

مصطفى كامل

بعد ثلث قرن

بمناسبة ازاحة الستار عن تمثاله



كل شىء فى مصر ينسى بعد حين كما قال شوقى وليست مصر بِدْعا من الأمم فى ذلك. فإن الرجل أو العمل لا ينطبع ذكره فى الذهن إلا إذا كان ندىّ الصوت قوى الأثر. ومصر فى عهدها القريب إنما كانت تجرى فى خلاء من التاريخ لا يكاد يظهر فيه إلا فقاعة تنفجر أو ومضة تنطفئ. وليس لهذه أو تلك من الأثر ما يملأ الشعور ويشغل الذاكرة

على أن السائر فى الصحراء مهما ضعف وعيه واشتدت غفلته

لا بد أن يذكر المنار الذى دله على الطريق، والواحةَ التى أعادته إلى الحياة. وهيهات أن تمرض القلوب عن ذكر محمد على ومصطفى كامل وسعد. وإذا جاز للزمن العابث أن ينال من رجل الدولة أو بطل الثورة فإن مصطفى كاملاً يظل على تراخى الحقب أنوط بالقلب وأعلق بالذاكرة. ذلك لأن زعامته كانت أشبه بالنبوة فى تهيئة الفطرة وثبات العقيدة وعصمة النفس واختيار القدر. وهو الزعيم الوحيد الذى لم تلده الظروف، ولم تبعثه المطامع: لم تلده الظروف لأن مصر كانت فى إبان حداثته قد استأمنت إلى الجهل والاحتلال فنامت فى ظلهما نومة الضاجع الأبله. وكانت دعوة الأفغانى قد جمت من ومضات الأذهان النيرة شعلة أضاءت جانب الطريق فسلكه العرابيون؛ ولكنهم لم يكادوا يمعدون حتى أدركهم الظلام فى التل الكبير. فلا يصح فى العقل إذن أن نقول إن مصطفى كان أثراً للأفغانى وعرابى، كما نقول إن سعداً بعد عبقريته كان أثراً لهؤلاء الثلاثة. إنما أرسل المصطفى على فترة من رسل الوطنية. وكان إرهاصه وهو فى المدرسة الثانوية أن الوزير على مبارك باشا زار مدرسته يوماً فسأله فيمن سأل من التلاميذ: ماذا اعتزم أن يعمل بعد الشهادة؟ فأجابه مصطفى اليافع فى خطاب طويل: «إن أرفع الرجال شأناً من يحرر بلاده. وسأكون أنا ذلك المحرر الذى يكتب ويخطب حتى تُرفع الأغلال عن عنق مصر». وكان إرهاصه وهو فى مدرسة الحقوق أن أنشأ مجلة سماها «المدرسة» أشرقت فيها نفسه الكريمة إشراق النفس الزعيمة، فتهافت على ضوئه طلاب المدارس العليا يؤيدون دعوته ويرددون كلمته ويترسمون خطاه، حتى نال إجازة الحقوق ففرغ لرسالته وخلص لوطنه. وحينئذ رأيناه يكتب إلى أمه الروحية مدام جولييت آدم يقول: «إننى لا أزال صغيراً، ولكن لى آمالاً كباراً. أريد أن أوقظ فى مصر الشيخة مصر الفتاة. هم يقولون إن وطنى لا وجود له؛ وأنا أقول إنه موجود بدليل ما أشعر له فى نفسى من الحب الشديد الذى سيتغلب على كل حب سواه. سأنفق فى سبيله كل قواى، وأفديه بشبابى، وأجعل حياتى وقفاً عليه ...»

ثم اضطرمت فى ذلك الجسد الناحل روح الله ففار فورة الجبارين، وثبت ثبات الرسل، وقام فى وحدة النبى وإيمان الشهيد يجاهد الإشراك بالوطن والكفران بالأمة، ويقارع بالحجج الثائرة الملزمة طغيان المحتل، وأمته يومئذ علة العلل ودولة الدول!

***

ومصطفى لم تبعثه المطامع، لأنه أدرك وهو فى طراءة الشباب زعامة الأمة وثقة العرش ورضى الخلافة وخصومة المحتل، وكان فى مقدوره إذا شاء أن يستغل هذه القوى العظيمة فى سبيل الثراء والحكم؛ ولكنه زهد فى ذلك كله زهادة الحكيم، فعاش للمبدأ والفكرة، ومات للقدوة والعبرة.

وهل أدل على نزاهة مصطفى ونبل نفسه من نبوه على عباس وانحرافه عنه حين رآه يستيئس ويستكين بعد الاتفاق الودى الذى أبرم بين انجلترا وفرنسا سنة ١٩٠٤؟ لقد كان فى مسايرة الخديوية ومياسرة الاحتلال ما شاء الطامع من جاه وألقاب وسطوة وثروة. ولكن مصطفى كان يريد أن يقود لا أن يسود، ويطلب أن يخدُم لا أن يحكم. والزعيم الحق هو الذى يدافع عن أمته ولا يحاول أن يحكمها. لأنه متى حكمها أدركته حقارة الإنسان فاستطال وترفع وفاش وطاش حتى يصعب عليه أن يوفق بين رغائب نفسه وبين مطالب الناس!

وهكذا قضى الصدق فى الجهاد والإخلاص للمبدأ على مصطفى العليل الواهن أن يحرك ساكن شعبه بوجيب قلبه، ويذكى خمود جيله بحرارة دمه، ويضىء ظلام وطنه بوميض روحه؛ ثم يموت رضوان الله عليه ميتة الأنبياء، لا (عمائر) تحجب سماء المدن، ولا (دوائر) تشغل أرض القرى.

لو أن زعيمنا الخالد كان قد سعى ما سعى لينال كرسياً فى (وزارة) أو مكتباً فى (شركة) لما أقمنا له هذا التمثال بعد ثلث قرن؛ فإن الزعيم الذى يجعل همه السياسى أن ينتفخ لُغدوده وجيبه لا يمكن أن يعيش فى ذاكرة الناس هذا العمر. ولكن مصطفى عاش كأصغرنا وسعى كأقدرنا ومات كأفقرنا، فكان حقاً علينا أن نقيم تمثاله رمزاً للوطنية التى لا تتاجر، وللوطنى الذى لا يداجى، وللزعيم الذى لا يخون

احمد حسن الزيات

الورق الأزرق

للأستاذ عباس محمود العقاد

إلى الورق !

إلى الورق مرة أخرى !

فلا وسيلة غيره على ما يظهر لحفظ النور ولو أطبق الديجور، وأحاط بالدور ظلام كظلام القبور

وقديماً عرف الناس الورق الذى يحفظ النور للعقول والسرائر

وها هم أولاء يعرفون الورق الذى يحفظ النور للعيون، حين يصبح النور خطراً من أكبر الأخطار

وهل كان النور قط إلا خطراً من أكبر الأخطار، وهدفاً للشياطين والفجار، وللجهلاء والأغرار، ولكل من يكره الإبصار، لأنه مخلوق لعالم العماية، غريب فى عالم الأبصار ؟!

***

من الذى ضربوه لأنه فى الظلام ؟ ومن الذى تركوه لأنه فى النور ؟

إن الذى فى الظلام لآمن مستور

وإن الذى هو هدف الرماة فى الحرب والسلم وفى الأرض والهواء وفى الغيبة والحضور، لهو الذى فى النور فى هذه العصور وفى جميع العصور

وما صنعت « وقاية المدنيين » فى أيامنا هذه إلا أن كشفت السر « للجمهور »، وهو أغنى الأسرار عن الكشف وأحقها بالظهور.

***

والأمر هين بحمد الله : لفة من الورق الأزرق أو لفتان أو لفات ثلاث، والنور محفوظ لعينيك من وراء الحجرات، محجوب عن طيارات الخيال وطيارات الواقع ... لا سمحت بها السماء، ولا اتسع لها الفضاء

وإنى لأحمد الله على تجارب الوقاية، لأنها خليقة أن تحبب الاعتكاف إلى أكثر الناس، وإن كان بعض الناس ليخافون العزلة أشد من خوفهم أخطار التجارب والغارات

ونحن المصريين محتاجون إلى تجربة الاعتكاف، لأننا من أقل الأمم طاقة به وصبراً عليه. وما ظنك بمصرى يمكث فى بيته ثلاثة أيام لا يريمه ولا يبرم بمكثه فيه ؟ ذلك فى رأى نفسه شهيد أعجب فى استشهاده من ماكسويني وصبره عن الطعام ستين يوماً أو تزيد !!

والاستقلال بالنفس نعمة من نعم الأخلاق نود لو وفر منها حظ هذه الأمة فى بداية استقلالها وفى تجاربها التى تجربها لحماية حوزتها ورد العادية عنها

لأن الرجل الذى يعيش بين الجماهير ولا ينعم بالوقت إلا وهو غارق فى غمارها مدفوع فى تيارها هو رجل ضائع فى الزحام، أو صفر لا ينفرد عما جاوره من الأرقام، أو هو شخصية بغير استقلال وبغير حدود، كأنه يأخذ حياته على المشاع ولا يأخذها مستقلة معروفة الحدود والأقسام

فمن الواجب أن يستطيع الإنسان الاعتكاف فى بيته والاعتكاف فى شخصه، وأن يكون مالكا لزمام نفسه ولا يكون مملوكا لزحام المجالس وضجة الرائحين والغادين على المشاع

وأعجب ما يلحظ فى هذا الباب أن الأمم التى تعرف العزلة وتطيق الانفراد هى أصلح الأمم للاجتماع وأقدرها على سياسة الناس

ونقول أعجب ما يلحظ ولا نعنى إلا العجب فى الظاهر دون الحقيقة الواقعة، وإلا فاستقلال النفس ضمان الحرص على الحقوق وأن يكون لكل حده الذى يقف عنده ولا يخطو وراءه، وأن يضن بحريته ولا يجور على حرية غيره، وتلك هى أكرم صفات الاجتماع والمقارنة، وهى هى لبابها صفة الاستقلال والقدرة على الانفراد ...

وفى العصر الحديث مخترعات كثيرة تعين على العزلة من يشاء أن يعان عليها

فالكتاب والصحيفة جليسان أنيسان، والمذياع ينقل العالم إلى البيت فينفى الوحشة ويعود من يصغى إليه أن ينفرد وأن يقنع بالقليل من الجلساء، ثم هذه التجارب التى نجرب بها قوة نفوسنا وقوة مدافعنا : أليس فيها معين على الاستقلال من غير ناحية الحرب والأهبة للدفاع ؟

بلى ! فإنها لتنقل الوحشة إلى الطريق أو إلى المجالس العامة، فينفر منها من تعوّد الأنس فيها وعز عليه أن يصيبه بمعزل عنها وتعلمنا أن نركن إلى نفوسنا، وأن نغوص فى أعماق ضمائرنا

وأن نجد فيها ذخيرة تغنينا وتشبعنا فلا نشكو الخلو في الخلوة ، ولا نبحث عن القوة في كل مكان إلا المكان الذي ننفرد فيه

***

ولعلنا إذ نتعود الخلوة ينتهي بنا الأمر أن نحسبها خلوة اطمئنان إلى النفس والأقربين ، لا خلوة الخوف من العدو المغير والفزع مما يضمره القضاء أو الفضاء

فمن الناس من يذكرون الغارات فيبالغون في الحذر والحيطة ويظنون أن الدنيا كلها خطر ذو عيون وأقدام ، وأن القنابل تبحث عنهم في كل مكان

ومنهم من يذكرون الغارات فيبالغون في التواكل ويقولون كما يقول المتواكلون في أوربا : إن يكن اسمك مكتوباً على قنبلة فلا فائدة من الوقاية ولا أمل في النجاة

ومنهم قوام بين ذلك لا ينزعجون ولا يهملون ، ولكنهم « يعقلون ويتوكلون » أو يحسبون الحساب وهم مطمئنون ، لأنهم فرغوا من واجب الاحتراس فلم يبق إلا واجب الاطمئنان

فالإهمال لا يليق بكرامة الإنسان ولا بالمزايا الآدمية ، لأنه أشبه بصفات الحيوان السائم الذي لا يدري ما يضره وما ينفعه ولا يتصرف في مقاومة الحوادث التي تهدده واجتناب الهلاك الذي يفرض عليه اجتنابه

أما المبالغة في الاحتراس والوسواس فهي الجبن الذميم بعينه ؛ وليس بين الصفات التي تشين الإنسان أقبح من صفة الجبان

***

ولقد دلت التجارب في أوربا على فائدة لهذه التجارب غير الفائدة المقصودة منها ، وهي نقص الجرائم والسرقات في هذه الأوقات خلافاً لما كان مظنوناً في البداية

وعللوا نقص الجرائم والسرقات بأمور كثيرة تشترك في بعضها وتنفرد الأقطار الغربية ببعضها الذي لا نجاريها فيه ، والحمد لله مرة أخرى

فمن هذه الأمور كثرة الحراس ورجال الأمن القائمين بالتجربة في الطرقات

ومنها شكوك اللصوص إذ يميزون في أوقات السلم بين البيت النائم والبيت اليقظان ولكنهم يعجزون عن تمييز هذا وذاك متى تساوى الظلام في جميع الأنحاء

ومنها — ولعله أهمها في أوربا وأضعفها عندنا — أن السراق يصعب عليهم الهرب بالسيارات بعد اقتراف الجريمة لتقييد حركة السيارات وتشديد الرقابة عليها

ولا ندري علام تسفر التجربة في بلادنا ولم يبلغ لصوصنا بحمد الله مبلغ اللصوص الموسرين الذين يعتمدون على الهرب في السيارات ، ولا يزالون يهربون على الأقدام كما كانوا يهربون قبل ألف عام ، في ظلام كان يخيم على الأيقاظ والنيام ، في أيام الحرب أو أيام السلام ؟

والذاكرون للحرب الماضية في بلادنا لا ينسون حوادث النشالين بالليل والنهار ، وقلما سلم منهم إنسان

ولعلهم أول من اخترع من زمرة اللصوص رد الأمانات إلى أصحابها متى استغنوا عنها ...!

فقد كانوا يأخذون لأنفسهم الورق النفيس ثم يلقون بالمحفظة أو الكيس في صناديق البريد ، فيعود ما فيه من المحفوظات إلى أصحابه ، ولعله أنفس لديهم من النقود

إلا مرة واحدة — أو مرة واحدة على ما نعلم نحن — أخذوا فيها المحفظة كلها وليس فيها نقود ولا ورق أنفس من النقود

وذاك أن صديقاً لنا أديباً خرج يوماً من عند المصور وفي جيبه محفظة — أو غلاف من الورق على الأصح — فيه اثنتا عشرة صورة شمسية لا تنفع أحداً غيره

قال لنا : سأذهب إلى مكتب البريد القريب فلا شك عندي في رجعتها

ولكنه ذهب وعاود الذهاب والمحفظة ذاهبة لا تعود

فحار في أمر هؤلاء اللصوص ، وسأل موظف البريد مرة وقد كان من الظرفاء : « عجبي لهم ما بالهم لا يردون هذه الصور التي لا قيمة لها عندهم وهم يردون الوثائق والسفاتج والأسانيد التي قد تشترى وتباع ؟ »

قال موظف البريد متظاهراً بالدهشة : « أتقول لا قيمة لها عندهم يا أستاذ ؟ كيف هذا ؟ إنهم لو وزعوها على زملائهم لأراحوا أنفسهم على الأقل من اثنتي عشرة محاولة أخرى بغير فائدة ! »

وهذه من طرائف النشالين في الحرب الماضية ، ولكن طرائف النشالين خاصة ليست بالتي يستحب فيها التكرار أو التي

في سبيل الأزهر أيضاً

فائدة الأربعـــــاء

للأستاذ محمد محمد المدني

أعتقد أن « الرسالة » لم تأت فيما مضى من تاريخها بمثل هذا العنوان ، ولولا أن أدخل في الحكومة بعض النيب — كما يقول الجاحظ — لزعمتُ أنها لن تأتي بمثله في مستقبل عمرها الطويل !

وأعتقد أيضاً أن كل معنى من المعاني التي يحتملها هـذا التركيب سيرد على الذهن إلا معنى واحداً : هو معناه المقصود !

« الأربعاء » ، يا سيدي القارئ ، هو اليوم الخامس من أيام الأسبوع كما تعلم ؛ أما الذي لا تعلمه — ولم أكن أنا أيضاً أعلمه — حتى علمته بالأمس القريب ، فهو أن لهذا اليوم فائدة ، وأن هذه الفائدة هي موضع تحقيق على من الطراز الأول ، لا يقوم به رجل من عامة العلماء ، أو من صغار رجال الأزهر ؛ ولكن يقوم به عالم خطير وفيلسوف كبير قد عرف بأنه فيلسوف الإسلام والمسلمين ، وتبوأ مقعده من جماعة كبار العلماء منذ زمن طويل !

وهي لهذا جديرة بأن نجعل منها مقال اليوم ، فنشغل بها قراء « الرسالة » هذا الأسبوع ، كما اشتغل بها في الأسبوع الماضي قراء مجلة أخرى حين نشر البحث فيها باحثه الجليل !

كتب كاتب من « قنا » إلى الشيخ الكبير قال :

« إن كثيراً من أهل قنا وضواحيها وغيرها من البلدان ، خصوصاً بعض أهالي جرجا ، قد اعتادوا أن يقوموا بعمل فائدة تسمى : « فائدة الأربعاء » ، وميعادها قبل الظهر بساعة تقريباً في اليوم المذكور من كل أسبوع بضريح سيدي عبد الرحيم القنوي رضي الله عنه ؛ والجميع — يا صاحب الفضيلة — يعتقدون نفعها ويرجون بركتها ، وهي مجربة بين الآلاف المؤلفة من المسلمين . وإلى فضيلتكم كيفية هذه الفائدة :

« يذهب من أراد قضاء حاجة (هكذا) ، أو تفريج كربة في اليوم والوقت المذكورين سالفاً ، ويجلس في ضريح سيدي عبد الله القرشي — وهو على مسافة قريبة من ضريح سيدي عبد الرحيم (رضي الله عنهما) — ويكون على وضوء ، ثم يقرأ سورة يس مرة أو ثلاث مرات ، بنية قضاء الحاجة ، أو تفريج الكربة ، وبعد ذلك يخرج من الضريح ، ثم يصلي ركعتين لله تعالى بنية قضاء الحاجة أيضاً ، وهو عاري الرأس ، في مكان متوسط بين الضريحين ، وبعد تمام هاتين الركعتين يأخذ عمامته في يده وحذاءه تحت إبطه ، ويتوجه إلى ضريح سيدي عبد الرحيم ، ثم يتجه إلى القبلة ، ويدعو بالدعاء الآتي عاري الرأس أيضاً : اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بحبيبك محمد صلى الله عليه وسلم ، وبأبينا آدم ، وأمنا حواء ، وما تناسل بينهما من الأنبياء والمرسلين ، والأولياء والصالحين ، وبعبدك هذا سيدي عبد الرحيم ، أن تقضي حاجتي ، وهي كذا ... »

قال السائل : ولـكن ظهر في هـذه الأيام عالم من المتصدين للوعظ والإرشاد ، ينكر هذه الفائدة قائلاً : إن هذه الفائدة لم تكن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا في عهد خلفائه الراشدين . ولقد حدثت فتنة كبيرة بسبب ذلك بين المعتقدين لها ، وبين العالم المذكور ، لذلك رأيت أنا ولفيف من إخواني المسلمين أن نلجأ إلى فضيلتكم لتفتونا في هذه الفائدة لنكون على بصيرة

تؤمن في جميع التجارب . فلا نخال أن أحداً سيتفقدها في الحرب الحاضرة ، أو يلوم الحكومة على وقاية المدنيين منها !

***

بدأت أكتب هـذا المقال من وراء الورق الأزرق الذي يحجب السماء وفيه شبه منها

ثم فتحت النافذة فإذا السماء تشاركنا في التجربة من طرفيها

فهي كالمدنيين تحجب ضياءها ، وهي كالمغيرين ترسل غبارها وحصباءها

قلت : الحمد لله مرة أخرى !

إذا اشتركت السماء في التجربة فلا خوف مما يرسله الفضاء ، وعسى أن تمضي التجربة وهـذه الغارات الوهمية أقصى ما نعانيه في بلادنا ، فنظل في حرز من الغارات الحقة إلى يوم السلام .

عباس محمود العقاد

منها لما نعهده فيكم من العلم ، والحرص على نفع المسلمين ، وتعريفهم أمور دينهم الخ »

هذه هي القضية ! فاذا قال فيها « أبو حسن ! » ؟

قال — نفع الله الناس بعلمه — :

« الجواب عما سألت عنه من فائدة يوم الأربعاء ، أن ذلك جائز لا شك فيه ، بل هو مرجو البركة ، وبركة الأولياء لا ينكرها إلا مخذول . ولست أدرى : أي شيء في ذلك ؟ وهل فيه إلا عدة أمور بعضها جائز ، وبعضها مندوب إليه ؟ ولا شك أن المساجد محل الرحمات والبركات ، والتوسل بالأولياء والصالحين جائز لا شيء فيه ، وقد ورد الأمر به ، في الحديث عن عثمان بن حنيف وأظنهم يعرفون ! » ولست أدرى من هم الذين يظنهم مولانا ؟ ؟ ولعله يريد الواعظ المسكين الذي يشير إليه صاحب السؤال !

قال الشيخ : وتوسل عمر بالعباس ، ولو كان الأمر على ما ظن هؤلاء ما صح أن يقول عمر : اللهم إنا نتوسل إليك بعم نبيك العباس ، والمتوسل طالب من الله ، مستشفع إليه بأحبابه فلا معنى لتلك الترهات ، لأن لهم منزلة عند الله ، وسيشفعون بمقتضاها في الآخرة ، والأولياء أحياء عند ربهم يرزقون ، ومن اعتقد أن من ينتقل من الدنيا يلتحق بالعدم فهو مكذب أو جاهل بما ورد في ذلك من المتواترات ... الخ ... الخ

ثم قال بارك الله للمسلمين في حياته :

« وبعد ، فلست أدرى لماذا لا يشنون الغارة على المنكرات المجمع عليها ؟ وما أجدرنا أن نخاطبهم بقول الشاعر :

أفتتركون المنكرات سَبهلَلاً ؟ وتحاسبون على اقتراف الذَّرَّةِ
أفتصلحون البيت من شرفاته ؟ ما أنتمُ إلا كأهل الكوفةِ الخ

***

عفواً ، يا قراء الرسالة وصبراً ، فإنما أردت أن أهدى إليكم طرفة من الطُّرَف التى وعدتكم بها يوم كتبت مقالى الأول « فى سبيل الأزهر » وقد أبى الله إلا أن تجيء هذه الطرفة من حيث لا أحتسب ، على يد أستاذ مبرّز من جماعة كبار العلماء فى الأزهر الشريف !

ولست أريد أن أنقد هـذه الفتوى ، لأنى رجل من صغار العلماء ، وليس من الأدب الذى درجنا عليه وأخذنا به أن يتطاول الصغير إلى مقام الكبير . وفى منصِب الإفتاء رجل علاَّمة ثَبَتٌ محقق ، هو صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ عبد المجيد سليم ، يعرفه الناس فقيهاً جيد الفقه ، بصيراً بما يتناول منه ؛ وعند جهينة الخبر اليقين !

ولكنى أقتصر فيما يتعلق بهذه الفتوى على تسجيل بعض « الظواهر » واستجلاء بعض « الغوامض »

السؤال الذى بنيت عليه الفتوى يعرض المسألة على أنها عقيدة لإقليم من أقاليم مصر العليا ، ويذكر أنها أمر من أمور الدين ، وأنه حدثت بسببها فتنة كبيرة بين عالم واعظ وبين معتقديها : هم يتمسكون بما يعلمون منها ، وهو يقول لهم : لم تكن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا خلفائه الراشدين

فكيف عالجَت الفتوى هذه النواحى :

إنها أقرت المتقدين على ما يعتقدون ، فذكرت لهم أن هذا جائز لا شك فيه ، واستدلت على ذلك بأن هـذه العملية ما هى إلا مركبة من أمور بعضها جائز ، وبعضها مندوب إليه ، وأن التوسل على هذا النحو وغيره مأمور به فى الحديث

أما ما يخص العالم الواعظ منها فهو قول الشيخ: « وبركة الأولياء لا ينكرها إلا مخذول » و « أظنهم يعرفون ! » و « لا معنى لتلك الترهات » و « من اعتقد كذا فهو مكذب أو جاهل بما تواتر...الخ »

وتخرج الفتوى بعد ذلك عن نطاق ما هى فيه ، فتنكر على الناس أن يتعلقوا بصغائر الأمور دون كبارها ، وأن يتركوا المنكرات المجمع عليها « سبهللاً » ويحاسبون على اقتراف الذرة . الخ

هذا ما أردت أن أسجله من ظواهر الفتوى . ويجب أن يفهم هنا أنه لا شأن لى بأن التوسل بالأولياء جائز أو غير جائز ، ولا بأنه قد أُمِرَ به فى الحديث أو لم يُؤمَرْ به فى الحديث

ولا شأن لى بحياة الأولياء عند ربهم ، ولا بكيفيتها ، ولا بنوع العمل الذى يدخل فى قدرتهم بعد موتهم ، أو الذى لا يدخل

لا شأن لى بشيء من ذلك كله ، فقد تكلم فيه الناس كثيراً وللشيخ فيه جولات ، ولخصومه جولات ! كما للشيخ فى حياة الأرواح وعجائب الأرواح جولات ، ولا نحب أن نشغل بشيء من ذلك قراء الرسالة

ولكنى أتساءل : أيكنى أن يكون شىء مركباً من أشياء بعضها جائز وبعضها مندوب إليه ليكون حقيقة معترفاً بها من الشرع ؟ حتى لو لفَّق مُلفق بين عدة مندوبات وعدة واجبات أو جائزات ، وأنشأ من ذلك عبادة يلتزمها ويتقرب إلى الله بها على وضع خاص لما كان فى ذلك ملوماً ؟

ثم ما هى المسائل التى هى منكرات مجمع عليها ، وقد تركت من غير بيان حتى صارت « سبهللا » بهذا التعبير الظريف ؟

وما الموازنة بين هـذه المسائل المعروفة التى أجمع الناس على تحريمها ، والمسائل التى شغف كثير من الناس أن يلبسوها ثوب الدين وما هى من الدين ؟

وإنى لأتوجه بعد ذلك إلى أستاذنا الكبير الشيخ محمد عبد اللطيف دراز مفتش الوعظ والإرشاد لأسأله : ماذا فعل الله بهذا الواعظ المسكين الذى أنكر « فائدة الأربعاء » ، وأثار عليه الشيخ هذه الحرب الشعواء ؟ أتركته إدارة الوعظ بين هؤلاء القوم محصوراً لعلهم يقضون عليه ، أو يسيئون إليه . أم أنقذت المسلمين فى قنا وضواحى قنا منه إن كانت تعتقد أنه شر ووبال ؟

أما بعد :

فإنى أقول لأصدقائى وشيوخى الذين أثارهم كلمتى السابقة ، فعلقوا عليها قولاً وكتابة بأقوال وألوان شتى من « التعليقات » : إنى أحب الأزهر كحبكم ، وأنا فيما أعتقد أشد له حباً ، ولكنى أكره هـذا اللون من الـ . . . ولا أقول كما قلت فى المرة السابقة من التسكع العلمى ، ولكنى أقول : من « التلطف العلمى ! » فى الوقت الذى يشتغل العالم فيه بحرب عامة ، أقامت الدول وأقعدتها ، ويوشك لظاها أن يأتى على الأخضر واليابس من الأموال والأنفس والثمرات

لا تشغلوا الناس بهذا النوع من الأبحاث فى الوقت الذى يستمعون فيه كل يوم إلى أخبار الطائرات التى تمخر عباب الجو ، والمظلات الواقية التى تتساقط بها الجنود جيوشاً من السماء !

إننا نسمع ذلك ، ونسمع من ورائه أحاديث الناس فينا ، وأقوالهم عنا ، فهل يجوز مع هذا وذاك أن نشغل الناس « بحديث الأربعاء » ؟

أستغفر الله العظيم ! فإن « حديث الأربعاء » عنوان قديم لكاتب لا أحبه ، كان يتحدث فيه عن الأدب والأدباء ، وإنما أردت أن أقول : « فائدة الأربعاء » فنسيت ، وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره !

وعلى ذكر الشيطان ، أهمس فى أذن الذين مازالوا يشغلون أنفسهم ويشغلون الناس بأمره : لست صاحب الموضوع ، وإن صاحبه لمعروف لكم غير مجهول ، فناقشوه صراحة ، ولا تجعلونى بينكم وبينه ترساً إن كنتم تجدُّون

محمد محمد المدنى

المدرس بكلية الشريعة

عن جريدة حشرة الملاريا

أنا أدعى أنوفيل ولست يونانيا أو مصريا بل أنا دولى ونحن نسكن فى جميع الأقطار ويخشى الناس بأسنا فى كل مكان

لقد مضى زمن كنا فيه أقوى من الملوك والقواد وكنا حال ظهورنا مرهوبين كالموت نفسه

آه كم كنت أتمنى لو كنت من جملة السرب الذى قهر بربروس فى إيطاليا وطرده الوغول الكبير بابار البنجابى .

فإن حشرة واحدة منا تكفى لكى تمحى تماما كل المشاريع الجليلة والسبب كان يبقى خفيا لأن هذه الحشرة كانت تعمل فى الظلام

ولكننا لم نركن إلى الهدوء حتى خلال هذه القرون الأخيرة فلا يمكن إحصاء المشاريع التى أخفقت بسببنا والسكان الذين محوناهم فنحن نعكر صفاء كل شىء . فلا يزال الانسان يبنى ويهتم بأشغاله وبملذاته وبغتة أظهر أنا أنوفيل وأنا أطن فرحا بهدوء مفتشا عن محل صغير جيل حيث أركز بسرور وأحفر حفرة صغيرة جداً فى جلد المسكين فامتص بعض نقط صغيرة من الدم وينتهى عملى فأعيد الكرة وأهدم فى ثانيه واحدة عملا دام سنين طوالا يظن أنى بعوض اعتيادى ولا يعرف أنى أنا الأنوفيل ولكن عندما يرتجف من الحمى حينئذ فقط يذكرنى

ولكن خطراً كبيراً يهددنا . فيكفى حسب رأى لجنة الملاريا فى جمعية الأمم ٤٠٠ ملليجرام يوميا مدة موسم الحميات حتى يقى الانسان نفسه من العدوى التى أحلها أنا وقد وصف هذه الجنة لمعالجة إصابة الملاريا كمية جرام واحد أو جرام وثلاثين سنتجرام من الكينا يوميا للأخذ منها مدة خمسة أو سبعة أيام فسبى ليس له هذه المقدرة كى يقاوم علاجا بهذه القوة .

نابليـــون الأديب

للأستاذ صلاح الدين المنجد

حدّثوا أن نابليون كان يرنو ذات يوم إلى البحر الساجى فى « سنت هيلين » ، يفكر فى أمره : كيف صفّق له النصر ، وابتسمت له الدنيا ، وكيف خانه الزمن فأودى به إلى هـذه الجزيرة الغرقى وسط البحار ... فابتسم وصاح : إن حياتى لرواية رائعة ، ما كان ضرنى لو كتبتها

على أن نابليون إن لم يسجل هـذه الرواية بنفسه ، فقد سجلها التاريخ ، وحفظها الناس فأكبروا منه ذلك الجبروت الطاغى وتلك العزّة الرفيعة . وكأن نابليون أراد أن يجمع إلى خلود البطولة والعظمة ، خلود الأدب والفن ، فودّ لو يكتب ويؤلف .

ولقد ذهب « سانت بوف » شيخ النقد فى فرنسة ، إلى أن نابليون كان أكبر أديب عرفه عصره . واحتج لذلك بروائع خطبه التى كانت تنعش الأمل الذاوى ، وتحيى القلب اليائس . ألم يغر جنوده العراة بكنوز إيطاليا ومحاسنها ؟ ألم يكلم الهرم ويجعل القرون تنظر إلى أشبال فرنسة الفاتحين ... ألم يسكب الحياة فى نفوس فرسانه ، هناك فى مهول أوسترليتز ... ؟ فلقد كانت فصاحة لسانه وبلاغة بيانه تؤثران فى كل قلب ، وتنفذان إلى كل روح ؛ والفصاحة والبلاغة بنتا الأدب البكر الجميل

ولقد ذهب « جاك بانفيل » الكاتب الفرنسى الكبير إلى ما ذهب إليه « سانت بوف » من قبل . ورَجَّعَ ذلك إلى أن آل بونابرت كانوا ذوى بلاغة تخلب ومنطق يغري ، وأن قلوبهم كانت ترفّ إلى الفنون والآداب . ولعل ذلك آت عن أصلهم الفلورنسى القديم — وفلورنسة كانت مهد الآداب فى حقبة من الزمن — ، ومن أبيهم شارل بونابرت الشاعر الأديب . فلما تسنموا العروش كانوا من حماة الآداب ومشجعى الأدباء . فلقد شجّع جوزيف بونابرت ولويس بونابرت ولوسيان بونابرت حملة الأقلام ، وإن كانوا وجّهوها وجهة خاصة وسخّروها لتوطيد سلطانهم . على أن نابليون وحده كان ذا موهبة قصصية رائعة . فقد كانت أفكاره تتدفّق ويومض كالبرق ، ملىء بالصور الأخاذة والتعابير الراقصة والألوان البارعة

ولقد كان ميل نابليون إلى الأدب يحبب إلى نفسه كل رقيق لطيف . فقد كانت تؤثر فيه الموسيقى الناعمة ، وتهزه أشعار « أوسيان » الحالمة ، وتعجبه مآسى « كورنيل » المترعة بالفخار المفعمة بالبطولة ، ويطرب « لهيلويز الجديدة » ؛ ويقول عنها : « إن هذا الكتاب سيبقى إلى الأبد كتاب الشباب . ولقد قرأته وعمرى تسع سنوات فأطار لبّي وأذهلنى ... »

وكانوا يقولون : إن لنابليون خيالاً جباراً ، وإنه كان يختلق الأقاصيص المرعبة ، أقاصيص الجان والشياطين ، والمغامرات والبطولات ؛ يُسمعها رفقاءه فى الليل ، أو زوجه وأولاده فى ليالى الشتاء .

وقد عُثر فى ثنايا الأوراق التى كتبها فى صباه ، والتى أودعها بعد واترلو الكاردينال فيش Fesch على أقاصيص ثلاث نشرت فى عام ١٨٩٥ فى فلورنسة تحت عنوان « نابليون المجهول » ، وقد كتبها فى عام ١٧٨٩ عندما كان ضابطاً فى « أوكسون » . أما القصتان الأولى والثانية ، فقد قبسهما من التاريخين العربى والإنكليزى . أما الثالثة ، فهى من تأليفه ، وفيها يصور كورسيكياً شيخاً فرّ مع ابنة له إلى جزيرة مصخرة تناطحها الأمواج هرباً من ظلم (قوم) ذبحوا أبناءه وذويه .

وتصرمت أعوام ... وإذا بالعالم البولونى سيزيمون اسكينارى يخرج للناس قصة كتبها نابليون فى عام ١٧٩٥ عنوانها « كليسون وأوجينى » : لها صفات القصة الوصفية التحليلية ، وفيها حقيقة يشوبها خيال ، وهى أشبه بما يكتبه الأدباء أول عهدهم بالكتابة .

كتب نابليون هذه القصة وهو يتخطى الخامسة والعشرين من عمره ، أوحاها إليه حبه لفتاة اسمها Desirée Clary وهى الفتاة التى عرف بها الحب الأول . وكان قد رآها فى مارسيليا ، إذ أتى إليها بعد أن ذاع اسمه فى حصار « طولون » فأحبها . وكان دقيق العود جيلاً ، فألهب خيال هذه الفتاة بعينيه الزرقاوين

وشعره الأشقر ، وكلامه المتدفق كالماء ، الملاهب كالنار ؛ وأسكرها بأقاصيصه الحلوة ، وأطربها بأشعار أوسيان الدائمة . ومحابا . . .

ولم يطل بقاء نابليون فى مارسيليا ، فاضطر إلى السفر إلى باريس ، تاركا حبيبته الصغيرة وحدها . وما وطأت قدماه باريس حتى أرسل إليها رسالة فيها الشوق والحب والحنين ، ولكن أهلها منعوها من الكتابة إليه . فاضطرب نابليون لصمت الحبيبة الصغيرة ، فكتب إليها كتاباً يصوّر لها فيه باريس الفاتنة ليثير شوقها إليه . ولكنها صمتت أيضاً فكتب يقول :

« إن الحياة حُلم رقيق لا يلبث أن يذوب كالضباب . إننى أشعر وأنا أكتب الآن بهياج فى عواطفى ما شعرت بمثله قبل هذا اليوم . ولئن طال هجرها لأقتلن نفسى ، ولأرمين بهذا الجسم تحت عجلات العربات . . . »

ثم عاوده الحنين. فكتب إليها مرة أخرى، ولكنها لم تحفل به وأعرضت عنه . عندئذ ضاق ذرعاً ... فكتب لنا قصته هذه ، وقص على الناس فيها نبأه ونبأ « أوجينى » النادرة، وكيف نشأ وترعرع ، وكيف أحب وكيف خان الحبيب ، وسمى نفسه « كليسون » وحوّل قليلاً وحوّر

لقد كتب فى قصته : « وُلد كليسون للحرب والنزال ، وكان يعلم سير القواد وهو ما يزال صبياً ، وكان يحب أن يتفقه فى فن القتال مذ كان فى المدرسة يافعاً ، على حين كان رفقاؤه يفتشون عن الفتيات يلهون بهن . فلما قارب السن التى تؤهله للقتال ، أقبل على الجندية مسرعاً . فبرع فى أمورها ، وناداه النصر ، فذاع فى الشعب اسمه ، ونظر إليه الوطن كبطل من أعز أبطاله ، ولكن روحه كانت ما تزال ظمآى للنصر والخلود ، ولقد كانوا يسمون طموحه كبرياء ، وقوة إرادته شدة ، وكان ينظر إلى نفسه البكر فيتأمل فيها ، فيرى أنه أبعد الناس عن الحب . فلقد كان له خيال مشبوب ، وقلب ملتهب ، وعقل راجح ، ولكن فكره كان « بارداً » لا يسعفه بالخاطرة البارعة والنادرة الفريدة فدفعه ذلك إلى الملل من دلال الفتيات والابتعاد عن التلطف والتظرف ، وعن تزوير الجمل واللعب بالكلمات لينال رضاهن وعطفهن

« وكان يحب أن يشرد فى الغابات الخضراء ، لا يحفل بالتعب ولا يخشى العناء ، ليبتعد عن جنون البشرية وانحطاط أهلها

« وكان يستسلم إلى أمانيه ، ويصغى إلى همس فؤاده ، فيخلد إلى العزلة ، وينظر إلى الليل الحزين الهادئ المزدان بأشعة القمر، ويستمع إلى صوت الطبيعة الخفى ، حتى إذا تنفس الصبح ، عاد حزيناً سادراً لينال قسطاً من الراحة التى ظمئ لها

« وكان يعجب باختلاف ألوان الطبيعة ، يهتز لميلاد النهار ، ويطرب لغروب الشمس ، ويصفق لأغاريد العصافير ، وخرير المياه ، ورفيف السهول . وكان ينفق الساعات فى تأملاته هذه فى أعماق الغاب ...

« على أن ميوله هذه أفهمته أنه بعيد عن الحرب وفنها ، وعن الدمار وأصوله . وكان يُخيّل إليه أن تهذيب الشعوب وإسعادها خير من قتالها وقتلها ... ولكنه كان يسعى إلى التخلص من هذه الفكرة التى لم تطرب نفسه لها

« وفى هذه الفترة يلقى كليسّون أوجينى مع ترب لها اسمها « إميليا » فمرفهما . وكانت إميليا كقطعة من الموسيقى الفرنسية ينصت الناس إليها بشوق، أما أوجينى فكانت كأغرودة المنداليب أو كقطعة من موسيقى « بازيللو » الإيطالى لا تعجب بها إلا النفوس الرقيقة الحساسة ... ...

« ولقد كانت إميليا توحى الحب بجمالها ، أما أوجينى فكانت تعجب الرجل القوى الذى لا يحب تحت سلطان الدلال والذوق ، ولكنه يحب لأنه يشعر بأنه بحاجة إلى الحب ...

« ومسح فؤاد كليسون — الذى اعتاد النصر والمغامرات — هواه مسحة جميلة ، وأكسبه قوة وصلابة ... فعلمت أوجينى أن عليها أن تتصل بهذا الرجل العظيم ، ليذيقها السعادة الخالدة . فيكتب لها الخلود

« وتزف أوجينى إلى كليسون ، ويرزقان أولاداً ، وبنتاً اسمها « صوفيا » ، وكانت أوجينى زوجة غيوراً ، تخشى شر الفتيات أن يغرين زوجها ... ولقد غضبت عليه يوماً ، وانفجرت باكية تقول : إذا كنت تريد أن تصدف عن حبى فخذ بهذه اليد التى كانت تداعب حبيبتك — حياتى ... ولكن نابليون يهدئ روعها، ويقسم لها ليبقين على العهد ، وليحفظن الود

« ... ويضطر إلى الرحيل ليقود كتيبة إلى المعركة ... فيترك أوجينى تنتحب وتذرف الدمع ، ويحرز نصراً بعد نصر ، وينال شهرة بعد شهرة ، وكانت زوجه ترسل الرسائل إليه كل يوم ، ولكنه كان لا يعبأ برسائلها ، ويحاول أن ينساها ، فيرسل إليها « بيرفيل » الضابط الجميل الذى كان فى فجر حياته ، يفتش عن فتاة يودعها قلبه ، فأحبته ، وكان الحب « باسم الصداقة » ، ثم ما لبثت أن نسيت حبيبها الأول كليسون ، وانقطعت عن الكتابة إليه

ويذكر كليسون حبه وهواه يوماً ... فيحن ... ويشتد به الحنين ... ويرى أن فتوره قد جنى عليه ، فيداخل اليأس قلبه ، ويقرر الانتحار ، ولكنه يرسل إليها رسالة يودعها بها ويقول :

« وداعاً أيتها الحبيبة التى قضيت معها أجمل أيامى ... لقد ذقت بين ذراعيك السعادة المسكرة ، وارتشفت لذات الحياة وأطايبها ترى ماذا بقى لأيامى المقبلة غير الملل والضجر ؟ ... لقد ذقت وأنا فى السادسة والعشرين من عمرى اللذات الفانية ... ولكنك أذقتنى بحبك الشعور العذب بالحياة ... إن هذه الذكرى لتمزق قلبى ... أتستطيعين العيش سعيدة دون أن تفكرى أبداً فى أمر كليسون البائس ؟ ... قبّلى أولادى يا أوجينى ... قبليهم ... ولا تجعلى إليهم روح أبيهم الملتهبة المتأججة ، لئلا يكونوا مثله ضحايا الرجال وضحايا النصر والحب ...

ويرسل الكتاب إليها ... ويقود الكتيبة بعزم ، وإذا به يسقط إلى الأرض « مثخناً بالجراح ... ويموت »

تلك هى القصة الرائعة التى كتبها نابليون وهو فى نعومة صباه . وفيها نجد بلاغة تخلب ، وصوراً تفرى ، وقسوة ترعب ، وحناناً يهز ولو أن هذا البطل لم يسلك طريق الحرب ، لكان له فى الأدب روائع وفرائد ... ولكان أدبه كالربيع الضاحك ، فيه زهور وعطور ، وفيه جمال وصفاء ، وفيه نغمات وقبلات .

(دمشق) صلاح الدين المنجد

مصطفى كامل بمناسبة تمثاله

له وجـــدان . . . !

للسيدة وداد صادق عنبر

حضرتني اليوم حاضرة من الخواطر المستمدة من فيض عاطفة لها دافع قوى ، وذلك لأنني استلهمتها ميراثاً عن أبي الراحل ؛ وكأنني منها في صدد واجب مقدس ألقته على نجامت كتحية قصيرة للزعيم الخالد مصطفى كامل باشا بمناسبة إزاحة الستار عن تمثاله .

فإذا كان قد قيل بالأمس إن الأبوة في هوى الأبناء ، فإني أعود فأتمم ذلك القول بأن البنوة أيضاً في هوى الآباء .

فإلى الزعيم الخالد أرسل هذه الكلمات ، إلى صديق أبي العزيز أرسلها تحية خالصة :

على روحك الطاهرة التي ترسل نور العظمة يشعُّ في عين كل مصرى عرف ما لمصطفى من أيادٍ على الوطن

على وجدانك الحي ، وكم من حيٍّ ليس له وجدان، أو ميت مات وجدانه قبل موته

على ذلك القلب الذى طالما نبض بحب مصر

على طيفك الذى كان أمناً للوطن وعصمة

وقلمك الذى ما أسال إلا كل حجى وحكمة

عليك أيها المثل الأعلى الذى جاهد حتى بلى في جهاده

سلام هذه الأمة وأبنائها

أى مصطفى ...

هـذا هو الوطن الذى كان كل أملك النهوض به أبداً في مراقى التقدم درجات حيًّا أصبحت أنت كل ذكره ميتاً

وهذه هي الأمة التي ألقت أعباءها على عاتقك بالأمس تحمل ذكراك في قلبها اليوم

وما هذا وتلك إلا شهود فضلك وشواهد إخلاصك

وهكذا كنت واليوم ذكراك تكون ...

وهكذا ظللت تكافح وتجادل ، حتى إذا استنفدك الكفاح ، ولم يدع من قوتك الجدال ، هويت في أرض الميدان . فإذا كانت حياتك عظة للموتى ، فإن موتك أيضاً عظة للأحياء

ولكن ، أين هم الذين يقدرون فضل المجاهد وحق المناضل الناهض برقي أمته الدافع ؟ ؟

وأخيراً ، أجيب نفسي : كيف أتساءل وهم كثيرون ؟

ها هم أولاء يقفون أمام تمثالك مهللين مكبرين بعد وفاتك بأعوام عدة ....

وها هم أولاء يسيرون في الشارع الذى أطلق عليه اسمك العظيم بعد اختفائه سنين طوالاً

أجل ، لقد عرفوك وقدروك وذكروك وعظموك بتلك الأكاليل المعقودة من الحمد على مفرقك عرفاناً لفضلك وإقراراً لجهودك . وها هم أولاء يهرعون إلى التمثال لينثروا حوله آيات الذكرى الطيبة

يا مصطفى :

حسبك فخراً أنك يوم ظهرت لم يكن في مصر سوى مصطفى واحد ...

ثم حسبك أنك نبغت حين كانت مصر تضرب من اليأس في ظلمات بعضها فوق بعض ، وقد تظاهر عليها عنت السياسة وفقدان العون وخذلان القدر ؛ فكنت الأمل الساطع الذى محا هذه الظلمات فصيرها نوراً من المجد والإسعاد . وكنت القوة المادية السارية على ذلك الضعف الذى زال . بل وكان عملك بعد ذلك نظاماً دار عليه فلك التاريخ المصرى دورة جديدة

فما كان أنشط كاهلك وما كان أثقل ما عليه من الأعباء ، وما كان أشق المهمة التي سهلها عليك مضاء عزيمتك وقوة ثباتك بل ما كان أقصر المدة وأبعد المدى

ثم حسبك فخراً يا مصطفى أن كل مصرى كاد يكون مصطفى في عقيدته

وحسبك أن مبادئك ملء النفوس وذكراك مقترنة بتاريخ مصرنا العزيزة

وإذا كنا اليوم نرى ثمرة الجهاد دانية فحرى بنا ألا ننسى من غرسها وتعهدها بالسقيا حتى أينعت الأثمار . ونحن بعد قد قطعنا وهى بأيدينا شوطاً بعيداً متفائلين ببشراها التي يعتذر لنا بها الدهر في كل حين

يا مصطفى :

الآن وقد آن لك أن تعود إلينا لا حيًّا تقام لاستقباله المواكب وتنظم لتحيته الكواكب . بلى ولكن لتعود تمثالاً ومثالاً أعلى لمجاهد في سبيل وطنه

مقارنة

فى سبيل إصلاح الأزهر

للأستاذ محمد يوسف موسى

لست فى حاجة للقول بأن الأستاذ الجليل الزيات قد أحسن كثيراً بفتح باب مسألة إصلاح الأزهر ؛ فتلك صيحة يدرك مداها البعيد وأثرها الكبير الأزهريون أنفسهم والذين يلابسونهم ويغشون أنديتهم ومجالسهم . وكان من آثارها الظاهرة ما قرأناه من كلمات ثائرة على الماضى وما ضم بين أطوائه ، وأخرى هادئة رزينة يمد صاحبها بصره قبل أن ينقل قدمه عالماً أنه لا جديد لمن لا قديم له ، ولا مجد لمن يتنكر لماضيه كله . ولعل أهم ما لفت النظر واسترعى الانتباه خاصًّا بهذا الأمر فى عدد الرسالة الماضى رقم ٣٥٨ كلمة الأستاذ المعروف محمود الشرقاوى . فقد تناول الموضوع بأناة ورفق شأنه فى أمره كله ، ونظر إلى الأزهر باعتباره وحدة من وحدات الثقافة العالية فى مصر والعالم الإسلامى ، وذلك شأن الباحث الذى لا يغفل عند بحثه الظروف والملابسات وسائر العوامل البيئية

ليس منا من لا يرجو مخلصاً أن يكون الأزهريون ، طلاباً وعلماء ، مُثُلاً عالية لما يجب أن يكون عليه رجل الدين الذى يعرف واجبه ويؤديه كاملاً ، لا يرجو عليه جزاء ولا شكوراً إلا إرضاء ضميره وإحساسه بأنه رجل يحترم ما فيه من الإنسانية والرجولة . وليس منا من لا يعترف — ولو بينه وبين نفسه — بأنه دون الوصول لهذا عقبات ليس من السهل تذليلها فى هذه الأيام ، لعوامل لا يخفى أمدها ، إلا إذا عمل كل فرد منا - بتكميل نفسه - على أن يكون من عمال الإصلاح فى ظاهر أمره وخافيه قبل أن ينادى به : فيساير النهضة العلمية ، ويعرف أبواب المكاتب الخاصة والعامة ، ويتعرف أحوال إخوانه المسلمين والشرقيين ليحس آلامهم ويفهم آمالهم ؛ وبكلمة واحدة يعيش فى هذا العصر لا فى العصور الخوالى وحدها . بذلك يستطيع أن يضع لبنة فى بناء الأزهر الجديد على ما يود المصلحون الغيورون

ولكن هل أمن العدل أن ننعى على الأزهر وحده تخلفه أو تريثه فى طريق الإصلاح ، وأن نقارن بينه وحده وبين أمثاله من جامعات أوربا فنخلع عليه ثوباً قاتماً بغيضاً يصرف عنه النفوس ؟ من الحق كما يقول الأستاذ الشرقاوى إن أردنا أن نقارن بين الأزهر وجامعات أوربا ، ألا ننسى أنه فى مصر التى لم تبلغ بعد شأو أوربا فى كثير من النواحى الاجتماعية والثقافية ، كما لم يبلغ متزعمو الحركة الفكرية هنا مبلغ رجالات العلم والفكر هناك . وإنى سأكتفى اليوم بذكر مثال واحد لعل فيه عظة وعبرة ، ولعله يكون حجزة دون من يود بجدع الأنف أن يمحى الأزهر من الوجود فلا يصبح له ذكر إلا فى التاريخ

عند ما كنت بباريس فى الصيف الماضى رأيت أن أتصل ببعض علمائها النابهين فى الدراسات الإسلامية الفلسفية ، فبدأت بالأستاذ ماسّينيون وهو من نعلم علماً ومكانة هناك ومن يفخر كبار خريجى جامعة باريس بالأخذ عنه والاتصال به . تفضل واستقبلنى فى مكتبه الخاص بمنزله ، وأعطانى من وقته الثمين أكثر من ساعتين ضاعتا فى حديث علمى رفيع ونصح وتوجيه وإرشاد بينما طلابه العديدون وعارفو فضله فى الانتظار ، وخرجت على أن أعود مرات أخرى . وما كان أشد عجبى

الآن وقد عدت إلينا — وشتان بين العودتين — عدت إلينا مثلاً حياً وفكراً دائماً

فاليك تحية الوطنيين

إليك أيتها القوة الوطنية التى رفعت رأس مصر عالياً

إلى العزيمة المصرية التى أضحى بها مجد الوطنيين حالياً

إلى المقدام البصير الذى أعلى قدر وطنه فأمسى فى الأقدار غالياً

إليك أيها المجاهد تحية أمتك أولاً وآخراً

وإنك لحى دائماً بذكراك — حى بآثارك — حى فى وطنك الذى يبكيك وتاريخه الذى يذكرك ويناجيك - حى بمواقف الصدق التى وقفتها ووطنيتك الصادقة وجهودك التى ضحيت لوطنك بها وبذلتها

فليحى ذكرك الذى لم يكد يخرجك لنا من الدنيا جسداً هامداً حتى أرجعك إلينا فكراً خالداً

ولتحى ذكراك حياة تكافىء جهادك المضنى فى سبيل الحياة

وداد صادق عنبر

أسلوب الرافعى

وطريقته فى كتابته

للأستاذ محمود أبو رية

حمد الناس للرسالة الغراء جميل وفائها لصديقها المغفور له « مصطفى صادق الرافعى » وشكروا لها احتفاءها بذكراه الثالثة فكتبت بمناسبتها ما كتبت ، ولا ريب فى أن صنيعها هذا مع إمام من أئمة الأدب إنما هو وفاء للأدب الذى وقفت نفسها على حياطته والقيام عليه

ولقد كان مما كتب فى هذه الذكرى مقال بليغ لصديقنا الأستاذ سعيد العريان كان مما جاء فيه أنه قال عن طريقة الرافعى فى تأليف مقالاته ما وسعه أن يعرفه ، وأن ذلك مبين فى كتاب « حياة الرافعى » وفى الحق أن ما ذكره صديقنا سعيد صحيح لا ريب فيه ، ولكن ذلك لم يكن شأن شيخنا الرافعى من يوم أن أمسك القلم للكتابة ؛ وإنما كان ذلك فى منتصف سنة ١٩٣٢ فحسب ، ذلك أنه لما كتب مقال (فلسفة الأدب) فى صيف هذا العام أخذ يسأل أهل البصر بالأدب عن قيمة هذا المقال وبالغ فى السؤال ، ولما سألته عن سر اهتمامه بمعرفة آراء الأدباء فيه أجابنى بخطاب تاريخه ٢٦ يولية سنة ١٩٣٢ قال :

« إنما اهتممت بمعرفة الرأى فى مقال فلسفة الأدب لأنى كتبته بطريقة لم تتفق لى من قبل فى غيره ، فإنى لما أردت كتابته بعد كتابة فصل ابن الرومى انتكست فجعلت أدون ما خطر لى وقتاً بعد وقت ثم أخرجت المقال من هـذه الخواطر واختصرت كثيراً ولم أزد شيئاً . وهذه هى الطريقة التى يكتب بها كبار العلماء فى أوربا ، ولـكن الوقت يسعهم ولا يسعنا »

من ذلك يتبين أن الطريقة التى بينها صديقنا الأستاذ سعيد فى كتابه « حياة الرافعى » عن كتابة الرافعى لمقالاته إنما كانت فى صيف سنة ١٩٣٢ فحسب ، وكان مقال (فلسفة الأدب) أول ما كتبه بهذه الطريقة

ولقد رأيت بمناسبة القول فى طريقة كتابة شيخنا الرافعى وأسلوبه أن أوافى قراء الرسالة بما قاله هو عن أسلوبه عند ما سأله العالم الجليل يعقوب صروف : لم لا يكتب بلغة سهلة يفهمها كل الناس كما كتب فى (تاريخ آداب العرب) :

فى صباح اليوم التالى حين أُخبر أن هذا الأستاذ الجليل جاء يرد لى الزيارة ! أى والله سيدى القارئ إنى لا أمزح ولا أتزيد ؛ فقد جاء الأستاذ ماسينيون للنزل المتواضع الذى كنت فيه ، ولم يمض على زيارتى له يوم وليلة ، شاكراً تفضلى - كما قال - بزيارتى له ! وأهدى إلىّ عدداً من مجلة علمية تعنى بالدراسات الشرقية والفلسفية الإسلامية تضمن الـكثير من بحوثه

لم أصل بعد لما أريد ، فهاك بقية الحديث : رأيت بعد هذا ، أو رأى رفيق سورى كان معى ، أن أسعى لزيارة الدكتور طه حسين بك رجاء أن أصيب من فضله وتوجيهه ما يساعدنى فى دراستى ، ولم يثننى عن الرغبة فى الاتصال بالأستاذ الـكبير ما أعلمه من العداء بين الأزهر وبينه ، وهو عداء ليس من صالح الأزهر ولا الجامعة أن يدوم

اتصلت إذاً بالمنزل الفخم الذى كان مقيما به بالتليفون فقيل لى إنه ليس موجوداً وكان ذلك قبل الظهر . عاودت الاتصال بعده فقيل إنه على المائدة . وأخيراً اتصلت مدة ثالثة ورجوت محدثى أن يبلغ حضرة الدكتور رجائى أن يتفضل باستقبالى فى الوقت الذى يحدده ، وتركت له رقم تليفون المنزل الذى كنت مقيما به . وهأنذا لا أزال أنتظر الرد من المواطن الجليل !

أرأيت إذاً ، قارئى العزيز أنه قبل أن تطلب من الأزهر أن يكون كأمثاله من جامعات أوربا ، يجب أن نطلب من كبار رجالنا وخاصة الذين عرفوا أوربا وتخرجوا فى جامعاتها ، أن يكونوا كرجالاتها !

ذلك خاطر أوحى إلىّ به كلمة الأخ الجليل محمود الشرقاوى . على أنى أرى أن ذلك ليس معناه ألا نطالب بإصلاح الأزهر ؛ بل على الضد من هذا أعتقد أن الأمر جد ، وأن الأزهر فى حاجة ماسة للاصلاح ، وأنه واجب دينى ووطنى أن يساهم كل قادر فى هذا السبيل برأيه وجهده . إن الأزهر إن تخلف طويلاً عن القافلة تناساه الناس وطواه الزمن فصار من أحداث التاريخ ، وحينئذ لا قدر الله يذهب آخر مجد من أمجاد مصر التالدة ويضيع المعقل المنيع الباقى للاسلام ، والله يهدينا طريق الرشاد

محمد يوسف موسى
المدرس بكلية أصول الدين

«... تمنيتم لو جريت في إنشائي كله مجرى أسلوبي في «تاريخ آداب العرب» ومقالاتي الأخرى ، ولوددت والله أن أرفه عن نفسي ، وأطرح عني الكد فيما عالجته من أسلوب : حديث القمر والمساكين ورسائل الأحزان والسحاب الأحمر ؛ ولكني أجدني كالمسخر في ذلك لقوة تساورني في أوقاتها وتهب عليّ كالريح من سكون وركود ، فلم أفكر قط في كتاب من هذه الكتب ، ولكن تقع الحادثة ، فيجيء بها الكتاب ، ثم أرى من بعد صوته وتعلق المتأدبين به ما لم أكن أقدر بعضه وتنتهي إلى آراء مشيخة الأدب وطلابه ؛ فإذا هم لا يعدلون بهذا الأسلوب شيئاً في نسقه وألفاظه ومعانيه ، ثم لا يعيبه إلا من قصر عنه وشق عليه النزوع فيه وكابر في الإقرار بعجزه ، فذهب يلتمس المعاذير والمعايب ، وأخذ في ذلك مأخذ فرعون إذ جاءته امرأة فقيرة كانت هي وأطفالها يعيشون على دَرٍّ (عنزة) لهم ، فماتت ، فأقبلت المسكينة بها على هذا الذي يدعي الألوهية ويقول أنا ربكم الأعلى وسألته أن يحييها ، فاعتذر بأن في السموات أعمالاً كثيرة أكبر من العنزة ...

أرى المتأدبين يعرفون لهذا الأسلوب ما يعرفه رجال التربية والتعليم من أساليب إنشاء التصور وإرهاف الذهن وتدقيق الخيال وقوة الطبع اللغوي وصقله وإدارة الحس عليه . ثم هم يقولون إن موضعه من هذا الكلام الخنث المتهالك الذي ترمى به الأقلام المريضة في هذا العصر موضع الفحولة التي لا بد منها في الخليقة لإيجاد القوة التي لا تكون إلا بالفحولة وإشمار الهيبة التي لا تكون إلا بالقوة . فنحن في زمن كل كاتب فيه قادر على أن يرسل مداده ، يعطر وحلاً لغوياً ، حتى كل من يعرف القراءة هو كاتب إن صحح أو أفسد ، وإن أصاب أو أخطأ ، وإن أخذ اللغة والكتابة عن معجماتها ودواوينها ومدارسها ، أو أخذها من الروايات والجرائد والأسواق

يقولون هذا ويضيفون إليه أن الفصاحة العربية كادت تنقطع أمثلتها العليا ، وأنه لم يعد يكمل أحد في صناعة الكلام وأن زمننا هذا حين ينقلب إلى مرآة التاريخ فينظر فيها ، سيرى وجهه متورماً مخدشاً مضمداً ملفوفاً بالجرائد ... وليس عليه سِمَة جمال ولا فيه من الأدب منظر قوة ، وأن اللغة أصبحت أشبه بالبيت المتداعي الذي يريد أن ينقض لا تسمع من أهله ولا من جيرانه ولا من السابلة في طريقه إلا «هدوا هدوا إلى الأساس»

عَلِمَ الله يا سيدي الشيخ أني ما كنت أصبر على مصيبة البلاغة ... لولا ثقتي بأجرها ولولا استئناسي إلى المعزين فيها ، وهم جمهور أهل الأدب إلا قليلاً يعزيني بأسلوب آخر يضحكني أحياناً

أما هذا الذي يسمونه غموضاً وتدقيقاً فما أنا بصاحبه ولا العامل فيه ، ولكنه طور من أطوار الزمن لا بد أن يسبق نهضة التجديد كما سبقها من قبل . فلقد كانوا يصفون به سيديْ شعراء العربية قاطبة أبا تمام والمتنبي ، حتى قالوا في أبي تمام إنه أفسد الكلام وأحاله وعقده بتعمله وصناعته ، وإنه أتعب الناس حتى صار استخراج معانيه باباً مفرداً في الأدب ينتسب إليه طائفة من العلماء ، وإن أعرابياً سمع قصيدته التي مطلعها : طَلَلَ الجميع . فقال : إن في هذه القصيدة أشياء أفهمها وأشياء لا أفهمها ، فإما أن يكون قائلها أشعر من جميع الناس ، وإما أن يكون جميع الناس أشعر منه . وهذه شهادة بأنه أشعر من جميع الناس ولا ريب إذ يستحيل أن يصح الشق الآخر . ثم كان جمع من كبار الرواة يتعصبون عليه كابن الأعرابي والرياشي وغيرهما ، بل قد بلغ من تعصب الرياشي عليه وعلى البحتري أن قلَّت نسخ ديوانيهما بالبصرة في زمنه لزهد الناس فيهما . ولقي المتنبي شراً مما لقي أستاذه ومثله الأعلى الذي يقلده ويحتذي عليه ! ومع ذلك انحدر الشعر كله في طريقتهما إلى عصرنا هذا

ولقد كان المتنبي يَخمُلَ اسمه ومُحي من لوح الزمن لو كان يعيب البلاغة عيب يكون معها . فقد قال فيه الإمام العسكري : لا أعرف أحداً كان يتتبع العيوب فيأتيها غير مكترث إلا المتنبي، فإنه ضمن شعره جميع عيوب الكلام ما أعدمه شيئاً منها. قلنا ولكن جميع عيوب الكلام (بهذا الحصر) لم تزد على أن كانت من أقوى الأسباب في تخليد حسنات الرجل

إن أرفع منازل البلاغة العربية ، كما قالوا ، أن يكون في قوة صائغ الكلام أن يأتي مرة بالجزل وأخرى بالسهل ، فيلين إذا شاء ، ويشتد إذا أراد . ولا يبلغ هذه المنزلة أحد فيحكمها ويعطيها حقها من التمييز إلا جعلته الأقدار وسيلة من وسائل حفظ البلاغة يتسلم الزمن ويسلم ، بل قل بالألفاظ الصريحة المكشوفة: يتسلم لغة القرآن ويسلمها. فأما أسلوب واحد وطريقة واحدة فهذا في قوة كل كاتب على تفاوت فيه ، ولن يكون الرجل

حق رجل إلا إذا كان له مع الظرف واللين والدمانة حديداً من المضلات وفولاذاً من المظام ، فإن لم يكن إلا اللين محضاً والاسترسال خالصاً فهذا أصلحك الله شيء سمّه ما شئت إلا أن تقول إنه رجولة . فإذا لم يبلغ كل الناس ولا أكثرهم هذه المنزلة فذلك أخرى أن يمد فى محاسن من يبلغها لا فى معايبه

ألا لا يحسبنّ أحد أن الفصاحة العربية هالكة بحياة طائفة من مرضى القلوب كهؤلاء الكتاب الذين يعملون جهدهم فى إفسادها، فهم مهما كثروا تنتظرهم قبور بمددهم. وفى هذه البلاغة العربية خاصة ينبغ الكاتب الواحد فى عصر من عصور الضعف. فإذا ألف كاتب يتساقطن حوله، وإذا الكاتب كان سنّة من سنن الكون تضرب ضرباتها بالقضاء والقدر »

هذا هو قول شيخنا الرافعى من خطه عن أسلوبه وطريقته فى كتابته نقلته للرسالة وهى أحق به ليعرف الناس هذه الطريقة من قوله هو ويكونوا على بينة من ذلك . ولعل فيما نقلناه إيضاحاً لناحية من دراسة أسلوبه وبياناً لجانب من ترجمته رحمه الله .

محمود أبو رية

رسالة كلية الشريعة

الى الأستاذ الأكبر

دعوة الاصلاح تتقلب فى الناهضين عملا وفى الجامدين جدلا . وفى هذه الرسالة وفيما تقرأه فى بعض الصحف لفقهاء بيزنطة مصداق ذلك . (الرسالة)

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى

السلام عليكم ورحمة الله وبعد فإن أبناءكم طلبة كلية الشريعة الذين يعيشون فى ظلال عهدكم السعيد قد تدبروا فيما يتصلون به من حياتهم العلمية وعلاقتهم العملية فاتفقوا على أن يتشرفوا برفع هذه الرسالة لفضيلتكم. يا صاحب الفضيلة – فى عصركم الذهبى الذى تبذلون فيه مجهوداً جباراً فى نفض غبار الخمول والكسل عن وجه الأزهر ليستطيع أن يطل برأسه على الحياة العامة فيستأنف رسالته ويؤدى أمانته على الوجه الذى ينبغى له، نرى فى الوقت نفسه أن جهوداً من جانب آخر تتضافر على الحيلولة بين الأزهر وبين رسالته وإبعاده عن الحياة العامة بشتى الوسائل ومختلف الطرق فتارة بتحصين دار العلوم وأخرى بإنشاء معهد للدراسات الإسلامية ، ولا يبعد أن نسمع بفكرة أخرى هى إنشاء قسم للوعظ والإرشاد بإحدى كليات الجامعة، كما سبق العمل على تحقيق ذلك لولا عناية فضيلتكم ، وطوراً بالعمل على إقصاء كلية الشريعة عن القضاء فى الأحوال الشخصية وهى البقية الباقية من التشريع الإسلامى وإحلال كلية الحقوق محلها بحجة توحيد القضاء، وطوراً بإنشاء عدة إدارات للشؤون الاجتماعية وحرمان الأزهر من إدارة للشؤون الدينية تكون مهمتها توجيه ثقافة الأمة من هذه الناحية مع أن الدين هو الأساس الذى يجب أن تقوم عليه ثقافة أمة هى حاضرة الإسلام والمسلمين ، ومن وراء العمل على إبعاد الأزهر عن نواحى الحياة العملية نرى حملة صحفية تنادى بوجوب التخلص من نفوذ رجال الدين ؛ وفيما بين جهودكم التى تبذلون والمناوءات التى بها يقومون ضد الأزهر ، نرى أن الأزهر نفسه قابع فى داره ماض فى طريقته القديمة التى تضعف صلته بالحياة العملية . أما هذه الجراثيم الفاتكة التى تنخر فى عظامه ، وأما هذه السهام القاتلة التى توجه إلى قلبه ، وأما الكشف عن أسرار التشريع الإسلامى وإقناع الأمة بصلاحيته لسعادة المجتمع حتى نستطيع حماية الأمة من نفثات الإباحيين وتحصين الأزهر من معاول الهدامين ؛ فكل هذا لا يخطر بمخيلة أحد من الأزهريين ، اللهم إلا بعض صيحات نسمعها فى سماء الجمعيات ودور المحاضرات وعلى أثير الإذاعة تنادى بالخروج من هذا الجمود ؛ وتحرير الفقه الإسلامى من هذه الأغلال والقيود التى شوهت جماله وحالت بين الناس وبين معرفة مزاياه

فى هذا الوقت الذى تتردد فيه فكرة الرجوع إلى التشريع الإسلامى تهب طائفة أخرى من الإباحيين اللادينيين لمناهضة هذه الفكرة والعمل على إماتتها

أمام هذا الصراع الذى تندلع نيرانه بين فكرتين خطيرتين : فكرة الرجوع إلى أحضان التشريع الإسلامى والتفيؤ بظلاله ، وفكرة التمادى فى ارتشاف سموم الحضارة الغربية والاندفاع

فى تياراتها لا نستطيع نحن طلبة كلية الشريعة أن نقف فى مهب هذه العواصف والنزعات موقف المتفرج أو الخائف النهيب ، وبهذا النزاع المحتدم يتعلق مصير الإسلام وهو مصيرنا . فما أحرانا بعد أن دوى فى سمعنا من قلبكم الطاهر صوت الإسلام الوديع ، وعصفت فى رأسنا نخوة الفقه الإسلامى الصريح ، أن نتيمم ساحتكم وأنتم قلب الإسلام الخافق ولسانه الناطق وعنوان نهضتنا ومعقد آمالنا لتضموا إلى برنامجنا الدراسى برنامجاً ثقافياً يمشى مع روح العصر ويساير النهضة حتى نقوى على خوض معارك الحياة الجادة وننهض بالفقه الإسلامى إلى مستواه الحق

يا صاحب الفضيلة

١ — على عاتق كلية الشريعة وحدها يجب أن يسترد الفقه الإسلامى شبابه ويستأنف ماضيه

٢ — على عاتق كلية الشريعة وحدها يجب إنقاذ الأمة من مخالب القانون الوضعى ببيان فشله فى قمع المجرمين والجناة

٣ — على عاتق كلية الشريعة وحدها يجب إقناع الأمة بأن الفقه الإسلامى هو دواء هذه الأمة المنكودة وبلسم جراحاتها .

٤ — على عاتق كلية الشريعة وحدها يجب أن تخفق للفقه الإسلامى القلوب وتهفو له النفوس وتنحنى له الرؤوس

٥ — على عاتق كلية الشريعة أخيراً يجب أن يبسط الفقه الإسلامى جناحيه على جميع مناحى الحياة التشريعية ويمد يديه فى كل ناحية تقنينية

هذه هى التركة المثقلة بالديون التى خلفها لنا الأقدمون ، وهذه هى المسؤوليات الجسام التى يجب أن تقوم بها كلية الشريعة خير قيام ؛ وهل هناك من يضطلع بهذه الأعباء إلا كلية الشريعة التى أنشأتموها لتقوم بهذه المهمة وسط هذه الزوابع والأعاصير ، ولكنها بحالتها الراهنة لا تستطيع النهوض بهذه الأعباء ، وذلك لما يأتى :

أولاً : إن دراستها للتشريع الإسلامى دراسة بعيدة عن روح التشريع وبيان أسراره فى كل باب من أبوابه

ثانياً : قصر دراستها للفقه الإسلامى فى صور تمثل حوادث وأحوال أناس خلقوا وعاشوا فى عصر غير عصرنا وزمان غير زماننا ، وعدم استعانتها فى دراستها بأساليب العرض العلمى الحديث

ثالثاً : عدم قيامها بدراسة القانون الوضعى

لذلك كان طبيعياً أن تشعر كلية الشريعة ببعد الشقة بينها وبين الأمة ، بينما تهيأ شقيقتاها عن طريق الوعظ واللغة لأخذ نصيبهما فى الحياة ؛ وإلا فأين منا الفقيه الذى يستطيع كما تذكرون فضيلتكم أن يحل مشاكل العصر ، وأين منا الذى يستطيع أن يسير على نهج فضيلتكم فى التفكير فينتج إنتاجكم فى القضاء والتشريع ؟

يا صاحب الفضيلة :

لعل الساعة تكون قد حانت لوضع حد لهذا النقص فى دراستنا بتحقيق هذين الطلبين فى أوائل العام الدراسى القادم وهما الطلبان اللذان نرى أنهما وحى من وحى روحكم وأمنية من أسمى أمانيكم

المطلب الأول : أن ينتظم برنامجنا الدراسى إلقاء سلسلة من المحاضرات الأسبوعية فى موضوعات لها صلة بدراستنا وبعثا كل الأمة ، تكشف لنا القناع عن كنوز الفقه الإسلامى الغنى بأعظم الثروات وأحدث المبادئ ووجه صلاحيته لإنقاذ الأمة من براثن الفوضى التى تعانى آلامها فى جميع مناحى حياتها الاجتماعية ، والسياسية والمالية ، على ضوء الحوادث المتجددة والنظريات الحديثة ، على أن يقوم بتنظيم هذه المحاضرات وإلقائها أكفاء نابهون من العلماء الذين لهم جولات فى هذه الأبحاث ووقفوا على أسرار التشريع ، وأحسنوا عرضها ، وعلى عيوب المجتمع ، ووضعوا علاجها .

المطلب الثانى : بعث فكرة دراسة القانون الوضعى مقارناً بالقانون الشرعى

بإجابة هاتين الرغبتين تستطيع كلية الشريعة أن تظهر نشاطها فى دائرة أبعد مدى وأوسع أفقاً ، فتشارك الأمة فى تشريعها وتقنينها بعد أن تظهر الفقه الإسلامى قانوناً محكماً يعالج مشاكلنا الحاضرة . فبالرغبة الأولى يمكن الوصول إلى النتائج الآتية :

أولاً : إقناع الأمة وعلى رأسها المتقننون الوضعيون بأن التشريع الإسلامى هو العلاج الوحيد الذى يشفى النفوس من عللها ، ويقى الجماعات من أمراضها ، وما أجدرنا بإحراز هذا النصر فى مصر بعد أن أحرزه الأزهر فى لاهاى

ثانياً : بتحقيق هذه الرغبة تستطيع تطبيق أحكام التشريع على كل ما جد من الحوادث والمعاملات التى لا تنتهى . وبالرغبة الثانية يمهد لنا الطريق للوصول للنتائج الآتية :

الى أخي الطنطاوى

ولكنها دمشق !...

للأستاذ شكرى فيصل

[سيلمح القراء فى هذه الكلمة بعض النواحى الشخصية .. ولكنهم سيجدون صورة من صور الصراع النبيل القوى فى الحياة ... وليس أحق من الدكتور « زكى مبارك » : شيخ الصاولات والطاولات فى عالم الأدب ، بهذه القطعة ... فليتقبلها فى معتكفه الهادئ ... على طرف الصحراء]

« شكرى »

أخى الأستاذ على :

الآن أرسلتُ يدى بعد أن مسحت بهما دمعتين اثنتين غشيتا عينى وانحدرتا على خدى كقطرات الندى الناعم حين يترقرق على أوراق الزهر الرفاف فى ربيع الغوطة الفاتن ... ولقد أخذت القلم لأكتب لك ، وأنا لا أدرى أى شىء كانت هاتان الدمعتان ... أكانتا تطفئان نار الوله والحنين ، أم ترثيان لوضع البلد المسكين ، أم تترجمان عن فرحة القلب بالأمل المؤيد والنصر المبين ؟ وهل كنت أملك إلا هاتين الدمعتين ، وإلا هذا القلم أفزع إليه كلما عبث بى الشوق ، أو ماجت بى الذكرى ، أو استثارنى الحب

لقد قرأت زفرتك هذه التى سطرتها بدم قلبك الثائر ، وعزم شبابك المضطرم ؛ فبعثت فى نفسى عالماً كبيراً ... بكل ذكرياته وأحاديثه ... ما كان أشد حرصى على أن أدفنه وأنطوى عليه ؛ وأثارت فى ذهنى صور الماضى البعيد بكل ما كان يصطرع فيه من آمال ، ويفيض فيه من خواطر . . . ونعمت حيناً بهذا الجو العبق الذى فتنت به ، وعشت معك من جديد ساعات تقلبت فيها مع الزمن الدائر ، وجريت مع الأيام المتعاقبة ، وقرأت هذه الصفحات المشرقة التى خططتها بيديك فى كتاب الحياة ، وعاودت قراءتها وانغمست فى نعيمها حيناً وفى شقائها أحياناً ... ومضيت مع فرحتها مرة ، ومع شكاتها مرات ، وخرجت وفى قلبى يقين ، وعلى شفتى ابتسامة ، وفى عينى بريق من الأمل الضاحك

لقد عرفتنى ناشئاً حين كنت أسير مع أخيك بين المدرسة والبيت ... صغيرين وادعين ... لا نعرف آلام الحياة ، ولا نفقه مصاعب الدنيا ، ولا ندرك من هذا العالم إلا جنة المدرسة ونعيم التلمذة وصفاء القلب ... فكنت تلقانا بالرعاية ، وتصلنا بالعطف ،

أولاً : معرفة العلل المختلفة للمجتمع المصرى والوقوف على موطن الضعف فى القانون الوضعى وكيف حاول المقنن المصرى وضع العلاج فلم يفلح فنستطيع أن نضع يد الأمة على مصدر دائها ومعين دوائها ونصف لها من التشريع الإسلامى علاجها على ضوء الظروف والبيئة المحيطة بها

ثانياً : نستطيع أن نحسن صوغ التشريع الإسلامى وتنسيقه، فمن المسلم به أن جمال الصيغة وحسن الترتيب لها دخل كبير فى إقبال الأمة على أحكام الشريعة وتعرف نواحى الفضل فيها . ولو أن سلفنا القريب قدرها فى هذا من خير وصاغ تلك الأحكام فى الثوب الذى يلفت الأنظار إليها ، ويتمشى مع طرق العرض الحديث لما وصلنا إلى هذا المصير المؤلم

ثالثاً : بتحقيق هذه الرغبة تستطيع كلية الشريعة أن تثبت أهليتها للنهوض بأعباء الحياة التشريعية وأن تشعر الأمة بحاجتها إليها وعدم الاستغناء عنها

مما تقدم يتبين أن تحقيق هذين المطلبين يمكن كلية الشريعة من الاضطلاع برسالتها التى فرضها الله عليها فتنشق من عناصر الفناء التى تحيط بها خلوداً وتتخذ من خصومها جنوداً وتشق طريقها فى الحياة وهى أقوى يقيناً وأصلب عوداً

لهذا رفعنا رسالتنا إلى ساحتكم وكلنا أمل فى أنها ستجد العناية من فضيلتكم وستظفر بالرضا من جانبكم ، لأنها ثمرة من ثمرات غرسكم وبريق من نور قلبكم . أبقاكم الله للاسلام ذخراً وللأزهر فخراً .

***

(الرسالة) : علمنا أن الأستاذ الأكبر قد وعد بتحقيق المطلب الأول . أما المطلب الثانى فوعد فضيلته بمفاوضة ولاة الأمور فى فتح أبواب كلية الحقوق أمام من يجيد الفرنسية من حملة الشهادة العالية من كلية الشريعة

وتفيض علينا ألواناً من الحنان ... فعرفتُ فيك الأخ البر، وقد حرمتُ فى الحياة من نسيم الأخوة ... وأفضيت إليك ذات يوم بكل ما فى نفسى ... بكل ما يموج فيها وما يضطرب عليها . فكنتَ بعدُ كثير السؤال عنى إن غبت ، كثير العناية بى إن حضرت، واقترنت صورة أخيك فى ذهنك إلى صورتى فجعلت منهما إنساناً واحداً تضمر له أنبل الشعور وأصدق العاطفة ... ثم كانت إرادة الله فانصرفت أنت إلى بغداد ، ومضى هو إلى باريس ، وسعيت أنا إلى القاهرة . وبقى « ناجى » وحده فى دمشق يرعى فيها عهود الصبا ومراتع الأنس ، وبعدنا منها بالروح والريحان

وفى خلال هذه السنوات كنت أتعرف إلى نفسك الكبيرة وكان يتفتح لى منها آفاق وعوالم ، ولقد أكبرت فيك هذا الجلد وهذا الصبر... فما بالك تشكو اليوم، وتنفث هذه الشكاة على حين احتملت من قبلُ الأهوال والمشقات ، ضاحك السن ، منطلق الوجه ، لا تأبه ولا تهتم ؟ ولكن سامح الله قاسيون ، وهذه السهول المنطلقة عند قدميه يدغدغها النسيم فقد شجعتك واستثارتك ...

***

... وهل كانت الأولى هذه المماية عن الأدب ، وهذا الإهمال للعلم ، وتلك الرعاية للجهلاء ؟ وهل كنت تأمل من هؤلاء الذين عاشوا فى الظلام أن يدركوا النور ، وأن يفتحوا عيونهم له ، وأن يغفلوا عن الوحى « الأرضى » الذى يسيرهم فى كل ناحية ، ويمضى بهم فى كل اتجاه ؟ وماذا كان حديثك لنا حين كنت تبعث فينا حمية الأدب ، وعقيدة العلم ، إلا أننا سنصادف غداً فى معترك الحياة هذا الإنكار وهذا الجحود . وأنه يجب علينا أن نصبر عليه ونصمد له ونمضى فى مقاومته ، وأننا سنحمل فى أيدينا مشاعل الدعوة الكبرى التى تريدنا دمشق أن ننهض بها، وستصيب النار المقدسة من أجسامنا فتكوى أكفنا وتنثر الشرر على أجسادنا وتنالنا بما تنال به جنودها المخلصين من الامتحان والابتلاء ... فلا يجب علينا أن نتخلى عنها ، لأنها دعوة الحق والصدق والخير تريد أن تنبعث من جديد فى دمشق لتعم الدنيا ، وتبهر العالم

إن دنيا الأديب لن تخلو من أنماط من الجحود ... هكذا قلت لنا ... وإن رسالته لتصادف ألواناً من الصعوبات ، وأصنافاً من المشقات ، حتى لكأن الله قد أراد له أن تصهره الشدائد ، وأن يصقله الحرمان حتى يكون إنساناً آخر فى إحساسه المرهف وشعوره النبيل ، وعواطفه المتدفقة

وهل تخلو حياة الأدباء من هذا الصراع المنيف بين النور المتدفق الثر ، وبين الجهالة الكابية المعتمة ؟ وماذا يريدون منك حين يحولون بينك وبين العدل ، ويحاولون أن يقصروك على منصب « الأستاذ المعاون » إلا أن يصرفوك عن الدعوة النبيلة التى قدحت شررها ، وأرّت نارها ، ونشرتها فى كل قلب ؟!...

نحن لم نخلق لهؤلاء البغاث ، وسيذهب أولئك الذين يتخذون منقار النسر وجناحه ومخلبه . وستبقى رسالة دمشق الغالية ، وسنحتمل الأذى ، وسنذوق مرارة الحرمان اليوم ، لنبلغ حلاوة الظفر غداً . وثق أنك لست وحدك فى هذا الاضطهاد والحرمان ، ولكنها سبيل مرسوم ، وسهم مسموم ، يقذفون به عباد الله الذين لا يستطيعون هز الرؤوس للمالأة ! وحنى الظهور للنفاق، وإلا فما تقول يا سيدى وماذا يقول الناس عنا نحن هنا ؟ يبعثون بنا إلى القاهرة : أروع بلدان الشرق وأزخرها بالحياة والنشاط لتمثل مدينة من أكرم المدن ، وأمة من أنبل الأمم ، ثم يبخلون أن يسووا بيننا وبين البعثات الأخرى التى يوفدونها إلى باريس وغير باريس ؟ فيقدمون لنا المرتب — والحياء يعقل لسانى عن أن أقولها — جزءاً من خمسة أجزاء من مرتب عضو البعثة ... كأن القاهرة بلد آخر غير باريس ... وكأن الطلبة يأكلون هناك ويصومون هنا ... أجل !... ولم لا يصومون ؟... فى جوار الأزهر ، وعلى مقربة من سيدنا الحسين ليتضاعف ثوابهم ، ويجزل أجرهم ؟ ..

***

وأحسب أن الحرمان سيمتد بك وبإخوانك ؛ فما يؤذى هؤلاء فى الدنيا أكثر من الصراحة والحق ... ولكنك لن تنى عن « رسالتك » ، ولن تتخلى عنها ... وإذا لم تجد فى جماعات الوزارة ، ورجالات الديوان ، من يمتّ إليك بسبب ، أو ينهض معك فى حق ... فتلك إرادة الله أن تكون صفحتك فى كتاب الحياة بريئة ، إلا من نصرته وتأييده ... لقد اقتحمت الحياة ، وصارعت أمواجها طفلاً ليس معك إلا والدتك عليها رحمة الله ... ولقد حملت إخوتك على كتفيك فى هذا الخضم الهائل ، وتعرضت لألوان من الشدة ومن النكد ، حتى صعدت بهم إلى هذه المنازل

السامية التي يتزلونها ... وأصبت بين هاتين المرحلتين ما لا يعلمه إلا الله ... وإلا هذا العدد اليسير من إخوانك ، وتقلبت بين بيروت وبغداد والقاهرة ... وحفظ لك الناس صورة بارعة تحوطها هالات الإعجاب والإكبار والتقدير ، فليهنك هذا ... وليهنك أنك ساهمت في كل مشروع ، وأنك تقدمت لكل عمل منذ كنت يافعاً في الثانوية ، وشاباً في الحقوق ، وقائداً وخطيباً في لهب الثورة وجحيم الاضطرابات ... فتاريخك — مع هذه الحفنة الصادقة من الشباب — أبعد من أن تحده بهذه الحدود الضيقة من الوزارة والديوان ، وما عليك أن تلقى اليوم هذا الضيق ، وهذا التجاهل ... فذلك تأريث لعزتك ، وإيقاد لشعلتك

* * *

أما الشهادات ... هذه الأوراق السحرية التي يحملونها حين يترجمون نصاً لابن المقفع ، أو يميزون بين مضارع « قال » ، ومضارع « وعد » ... ويعودون بعدها من أهل العربية ... فهي ليست أكثر من أن تكون بمثابة (الشيك) على (خزانة الحكومة) ... ولكنها لن تكون قط السبيل إلى قلوب الناس وضمير الزمن وسجل الخلود ...

* * *

لن تظلمك دمشق هذه المدينة الصابرة الوفية ... ولن تجزيك عن البر بالنكر ، وعن الإحسان بالإساءة ، فلقد خلدت منها كل صور الجمال ، ومواطن الجلال ، ومجال العظمة ... ولقد نشرت على الناس صورتها الرائعة في مآذنها المتألقة ، وقبابها الناهضة ، ومساجدها المترعة بالنور والفيض ، وبساتينها الملأى بالحسن والجمال ... وغوطتها الضاحكة على رغم هذا الزمن العابس ... وإن ما تلقاه الآن من أوضاع ، وتجده من أذى ، لا يتصل بدمشق ولكنه محمول عليها ... فدمشق مخلصة نبيلة ... آوت من قبل ألوان البشر ، وآلاف العلماء ، وفتحت صدرها للناس من كل مكان ، تلقاهم بالتحية الضاحكة ، وترعاهم بالود الخالص ، وتنزلهم منها منزلة الولد والصاحب والرئيس ! ... ولن تنسى أبناءها لأنهم كل ما أبقت لها يد الزمان النادر ... إن قلبها ليرعاهم ويحوطهم ، ويهتز لهم هزة الحب. ولئن عميت طائفة عن هؤلاء الأبناء، وعن هذا النور الذي ينسكب من وجوههم وقلوبهم ؟ فإن طوائف وطوائف أخرى تتطلع إليهم بأعناقها ... وإنها لتنظم لهم من حبات القلوب ، وأزهار الربيع ، وأغصان الغار ، تاج الحب ... وإنها لتوقع لهم مع نسمات الأصائل التي تزخر بالعبق نشيد الإعجاب. وإن أصوات المآذن التي تنادي: الله أكبر ، الله أكبر ، خمس مرات في اليوم ، إنما تنبعث من أعماق قلب هذه المدينة لتهيب بهؤلاء الأبناء أن يمضوا قدماً في دعوتهم وجهادهم لخلاصها من مفاتن الباطل والضلالات

* * *

لقد هدأ الليل ، وسكن الناس ... وأخذت أستشمر لهذه النسمات بعض القسوة ... وليس من حولي إلا حديث القمر ، وهمسات النجوم ... أحملها كل حنيني لك ، وللاخوان الساهرين ، وللجادة الخامسة ... وللغوطة الزهراء

... وألف تحية وسلام يا دمشق الحبيبة الوفية

(القاهرة) شكري فيصل

تأمـــلات

للأستاذ محمود الدسوقى

خابت آمالى إلى اليوم مرات ، فكانت كل مرة تذهب بقطعة من نفسى . وأمس تلقيت الدرس الذى لم يكن مفر من تلقيه ، فالحقائق تؤلم وتصدم وتدمى فى بعض الأحيان ، لكن فيها شفاء للنفس بعد حين ، وقد تركتنى صدمة الأمس صريعاً بين التى أحببتها حتى العبادة ، والتى وددتها حتى الحب ؛ وجرح مصاب الأمس كبريائى ، وعفرنى بالتراب ، وأطلعنى على الخفى الذى عز إلى الآن على الأوهام

أنت يا فتاتى قاسية لأنك قديسة ، رحيمة مع ذلك لأنك من بنات حواء ، وقد تركتك بالأمس لا أعلم ، ألى تلاق أم تطنى كبريائى على حبى فيكون الفراق ، والفراق مرٌ أمرُّ منه أن نلتقى بعد الآن

لقد حاولت جهدك أن تكونى مهذبة معى إلى غاية حدود التهذيب ، لكنك لم تحاولى مرة أن تكونى لطيفة

كان وجهك كقطعة من المرمر ، ناعم الملمس بارده ، وكان مثله تتخلله تلك المعانى الكامنة فيه ، ولا يدلنى على شىء يهدينى إلى الصواب . شئت به الإنذار فكان ، وشئت به الإخطار فكان ؛ ثم حاولت أن ألتمس فى معنى من معانيه عزائر ، فألفيته فيه ، لكنى لم أنته إليه ، فبينى وبينه ذلك السطح المتجمد من العاطفة الجائشة فيما يليه

هذا هو فن المرأة التى لم تتعلم ضبط النفس من أمها حواء ، وإنما تعلمته من غباوة الأبناء ، أبناء أبيها آدم ؛ وقد كنت معها غبياً إلى حد ، ذكياً إلى حد ؛ لكن الخرق يملق بالحكيم ، ولا تذهب الحكمة بالخرق العالق

ترى لو رأيتك اليوم ما أنا فاعل ؟ أكبر الظن أنى سأحاول أن أكون فظاً ، فلا أغدو أن أكون متهالكا ضعيفاً ، وسوف تعود المياه فيما أتوقع إلى مجاريها ، وأعاود خرقى ، وتعاودين دروسك ، ولن أفوز يوماً برضاك المحض ، ولن أعود أبداً بجفاك المحض ، وهذا مبعث تعاستى وهنائى

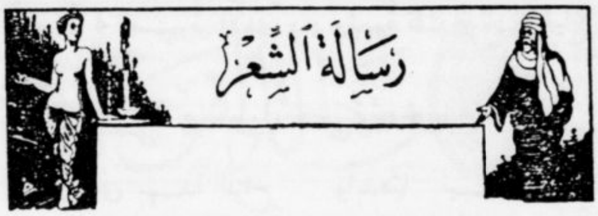
حاولت بالأمس ، وإنى لمنصرف عنك مطرق الرأس ، أن أرفع فيك عينى ، وفكرت فى تحيتك فلم أفعل ، وكنت أنت متفائلة عنى تأملين بقائى ولا تحاولين استبقائى حتى تواريت . وقد تواريت وأنا معتزم الرحيل إلى غير رجعة فلم يصبح الصباح حتى كان حديث النفس إلى ختام ، وكانت مشيئتى قد تبلورت فى عزم أكيد

حذار يا فتاتى أن تظهرى اليوم أو غداً فإنى قاس مع نفسى رحيم معك ، وأحب أن تفسحى لى الوقت ليقوى التصميم ، لا أعلم ما أنا فاعل ولكنى أعلم ما أريد ، والقطيعة شر مفض أحياناً إلى الخير ، وهو خير سوف أشتريه غالياً ، فأنكر فيه نفسى ، وأتنكر لماضى حبي المنكوب . وقد ذهبت آمالى فيك إلى الهوة التى يتردى فيها المحزونون لتضيف إلى تجاريبهم فى أنفسهم تجاريب أخرى بالسماع . وإنها فى هذه الهوة لتبقى وقد حالت يأساً قاتلاً ، كالقمح اليانع قد جف واسود من عصف الريح

وإذا جاز للعاصفة أن تهدأ فقد جاز لنفسى أن تستكن وأن تعود فتثور كما هو بالعاصفة خليق . وقد عصفت تجاربى بأحلامى غير مرة فلم تفن فيها إلا هذه المرة ، وكنت أجمع ما تفرق منها كل مرة لأعاود حبى فى أسر شديد ، فاليوم يضيق به الأنف ويضيق به الصدر ، ولا يجد متنفساً إلا فى أن يأكل النفس التى غذته وأشبعته حتى بات النهوم

إنه جارف ، وإنه ليحطم ، وإنه ليخلف ما تخلف العاصفة من أثر بعد عين ، فهو الحب اليائس وهو الحب المحروم .

محمود الدسوقى



رجال ونســاء

للأستاذ على محمود طه

[للشاعر المهندس الأستاذ « على محمود طه » ملحمة شعرية تقع فى نحو أربعمائة بيت من الشعر لم تنشر بعد. عنوانها « البعث الأول » يدور الحوار فيها بين شاعر وملك وأرواح حوريات فى انتظار البعث . أما موضوع الحوار فهو الفن وأثره فى العلاقة بين الرجل والمرأة ، وما أثر الغريزة فيه ، وكيف تلهم الأرواح قبل حلولها فى أطيافها الميل إلى الشر أو الخير . وننشر فيما يلى هذا الحديث الذى يسوقه الشاعر على لسان الأرواح] .

بليتيس :

هو الحسنُ فنَّاننا العبقرىُّ   هو الحبُّ سلطاننا القاهرُ
تمثلهم لُعْبَــةٌ فى يديهِ   ومثالُهم إصْبَعٌ فاجرُ
وألحانهم من نَحيبِ العروق   يُرَجِّعها الوتر الساخرُ
ورسّامُهم صَــنَمٌ مُبصِرٌ   فإن جُمِعوا فهمُ الشاعرُ

***

قلوبٌ مُدَلَّهَةٌ بالجمال   ترى فيه معبودَها المُلْهَما
هو الرجلُ القلبُ ، لا غيره   فأَوْدِعْنَهُ القَبَسَ المضرما
أَنِمْنَ به الشَّرِسَ المستخفَّ   وأيقظنَ فيـه الفتى المغرما
إذا ما اقتحمتنَّ هذا السياجَ   فقد خضع الكونُ واستسلما

سافو :

ولكنْ حَذَارِ ففى طبعنا   لِيانٌ يسمُّونه بالوداعه
وفيهم جــراءةُ مستأسدٍ   تَحدَّى المنيةَ باسمِ الشجاعه

بليتيس :

وَهِمْتِ فذلك هَزْلُ الرجال   وفنٌّ أجزنا عليهم خداعه
نُذيب به صُلْبَ أعصابهم   وفى رِقةِ العود سرُّ المناعه

سافو :

أطلنا الأحاديثَ عن عالمٍ   مُلثمةٍ أرضُــه بالخفاء
جعلناه مطمحَ أحــلامنا   كأنَّا شقينا بسُكنى السماء
طوانا على حُبِّــهِ شاعِرٌ   كثيرُ المجانةِ نزرُ الحياء
أثار الملائكَ فى قدسها   وأوقع فى سحرِهِ الأبرياء

بليتيس :

عجبتُ له كيف جاز السماء   وغرَّرَ بالمــلأْ الطاهرِ ؟
أيمرحُ فى الكون شيطانُه   بلا وازعٍ وبلا زاجرِ
دعى الوهم سافو ولا تَحقِرى   بليتس معجزةَ الشاعرِ
فما نتقيه بحيَّاتِنــا   إذا هو ألقى عصا الساحرِ !

نابيس :

بليتيسُ هَلْ هو ذاك الخيالُ   المُجَنَّحُ بين حواشى الغيومْ
عَشِيَّةَ صــاح بأترابنا   وقد أخطأته قِسِىُّ الرجومْ
وقيلَ لنــا مَلَكٌ عاشِقٌ   يُسرِّي الهمومَ بِنتِ الكرومْ
يجوبُ السماء إذا ما انتشى   يُعَرْبِدُ بين خدورِ النجومْ

بليتيس :

أعاجيبُ شَــتَّى لهذا الفتى   وأعجبُ منها الذى تذكرينْ
كأنَّ أحاديثَه بيننا   أساطيرُ آلهــةٍ غابرينْ
إذا كان للشعر هذا الصيالُ   فوارحمتا للجمال الغبينْ !
وَدِدْتُ لو أنىَ فى إثره   درجتُ على الأرض فى الدارجينْ

سافو :

أتغوين بالشعر شيطانَه ؟   خياليةٌ أنتِ أم شاعره !

بليتيس :

بل الشعرُ آمرُهُ المستبدُّ   فيا ليتَ لى روحَه الآمره
ويا ليتَ لى وثباتِ الخيالِ   وقوةَ أربابِهِ القــاهره
لصيَّرتُهُ مِثْــلَةً فى الحياةِ   وسُخريةَ البعثِ فى الآخره

نابيس :

صِفى لى بِلِيتيسُ هذا الأملْ   وماذا ابتدعتِ له من حِيَلْ ؟

بليتيس :

أُدَلِّهُ هــذا الفتى بالجمالِ   وأُسمِعُه من رقيق الغزلْ

وأورثه جُنَّـةً بالرحيقِ … وأحْرمه رَشَفَاتِ القُبَـلْ
إلى أنْ تحرّق أعصابُه … ويصرعه طائفٌ من خَبَـلْ

***

وأحفرُ بعـد الردى قبرَه … هناك على قِمَّـةِ الهاويه
وأغرس فى قلبـهِ زهرةً … من الشرِّ ريَّانةً ناديه
سَقتْهـا سمومُ شرايينه … ورفَّتْ بهـا روحُه العاتيه
تخفُّ إليها قلوبُ الرجال … وترجع بالشوكةِ الداميـه

***

إذا جَنَّها الليلُ لاحتْ به … كمينٍ من اللَّهَبِ المضطرمْ
تثور الشياطينُ من عطرها … كجمرةِ الكاهنِ الملتثمْ
إذا استافَهَا الرَّجُلُ العبقرىُّ … تحوّل كالحيوانِ الوخِمْ
تصيحُ البلاهةُ من حوله … فينظر كالصَّنَمِ المبتسم !

تاييس :

هى الشعرَ أولاكِ من مُلْكه … سماء الألوهةِ ذاتَ البروجْ
ونصَّ المعانى على جانبيكِ … فمنها السُّرى وإليكِ العروجْ
فما تصنعينَ إذا ما بُعثتِ … واحدةً من بناتِ الزنوجْ !
ألم تسمعى قِصَّـةَ السامرىِّ … وما صَنَع القومُ بعد الخروجْ ؟

***

نبا منطقُ الوحى عن سمعهم … وخفَّ عليـهِ رنينُ الطربْ
ومَدّوا العيونَ إلى دُميـةٍ … تَمَثَّـلُ فى حيوانٍ عَجَبْ
ترامى بأحضـانهِ غادةٌ … أفادَ صباها شبوبَ اللَّهَبْ
جنونُ الحياةِ وأهواؤها … أنوثتُها وبريقُ الذَّهَبْ ! !

***

فأينَ من القوم سحرُ البيانِ … وصيحةُ موسى قُبَيْلَ الوداعْ؟
هُمُ الناسُ لا يعشقون الخيالَ … إذا لمْ يكنْ حافزاً للطِّاعْ
همُ الناسُ لا يعبدون الجمالَ … إذا لم يكنْ نَهْـزَةً للمتاعْ
همُ الناسُ لا يألفونَ الحياةَ … إذا لم تكنْ مَعْرِضاً للخداعْ !

سافو :

تماثيـلُهُ بعضُ أجسامنا … وقد صاغها العبقرىُّ الصَّنَاع
ولوحاتُهُ صُـوَرُ العارياتِ … إذا مَزَّقَ الفنُّ عنها القناع
أبالشعر تُغوِينَ هذا الفتى ؟ … وَهِمْتِ إذنْ وجهلتِ الطباع !

أليستْ له صـبوةُ الآدمىِّ … وشهوةُ تلكَ الذئابِ الجياع ؟

بليتيس :

رجعتُ لنفسى فلا تغضبا … وكُفَّا العتابَ ولا تَسْهبا
لقد رُعْتُمانى بهـذا المزاحِ … وأبدعتما نبـأً مُغْرِبا
سَرَتْ بِىَ من ذكرهِ رعدةٌ … كأنى لبستُ به الغيهبـا
أتاييسُ ما كنتُ بِنْتَ الزنوجِ … ولا شِمْتُ أمًّا بهم أو أبا ! !

تاييس :

وَصَمْتِ الخليقةَ فى بعثهم … كأنَّهُمُ الحَدَثُ المنكرُ
وما أخطأ الطيفُ(١) ألوانَه … ولكنّه القَبَسُ الأحمر
أبوهم كما زعمـوا آدمٌ … وحـواء أُمُّهم المعْصِرُ
لهم أعينٌ تتملَّى الجمالَ … وأفئدةٌ بالهـوى تَشْعُرُ

***

لهم نارهم فى أقاصى الدُّجى … وأبياتُهم فى أعالى الكهوفْ
ورقصٌ يُمَثِّلُ قَلْبَ الحياةِ … إذا ما استُخِفَّ بنقرِ الدفوفْ
وناىٌ يُقَسِّمُ فيـه الربيعُ … ويسكبُ شجوَ الليالى الهتوفْ
وسـحرُ الطبيعةِ فى عُرْيِها … إذا هَتَكَ الفجرُ عنها الشفوفْ

***

تَفَرَّدَ فنُّهُمُ بالخـلود … وصيغَ بفطرتهم واتَّسَمْ
يعيش جديداً بأرواحهم … وإن عاش فيهم بروح القِدَمْ
له بأسُ « مانا(٢) » وإيحاؤه … إذا اضطربتْ رُوحُه بالألم
وَرِقَّةُ « هاوایَ(٣) » فى شدوها … إذا جاشَ خاطرُها بالنَّغَمْ

***

ألا فليَكُنْ لكِ من فنهم … سمُوُّ اللظى وعتوُّ الجبالْ
ألا فليَكُنْ لكِ من سحرهم … فنونٌ تُعَطِّلُ سحرَ الخيالْ
ألا فَلْيَكُنْ لكِ من نارهم … وشاحُ مُؤَلَّهَـةٍ بالجمالْ
إلى الأرضِ فانتقمى للنساءِ … وكونى بها مِحنةَ الرجالْ ! !

على محمود طه

---

(١) الطيف الشمسى وهو مؤلف من الألوان السبعة المعروفة وأحدها اللون الأحمر

(٢) مانا أعظم آلهة التابو المسيطرة على قبائل الزنوج وخاصة فى جزائر الهند الغربية ومعروف بشدة انتقامه من الرجل الذى يمس عذراء التابو ، ومن مظاهر غضبه ثوران البراكين وحصول الزلازل الأرضية

(٣) من جزائر أميركا مشهورة بموسيقاها الفطرية التى تستبد بالعواطف



بواطن وظواهر

عندنا فنانون ... ولكن !

للأستاذ عزيز احمد فهمى

٥ — من الموسيقيين

مصطفى بك رضا

الفنان المصرى الوحيد الذى له تمثال منصوب فى معهد رسمى من معاهد الحكومة . فهل الحكومة تسمع من الموسيقى ما لا نسمعه نحن الرعية ؟ وهل سمعت الحكومة فيما سمعت من هذه الموسيقى شيئاً لمصطفى بك رضا لم تستطع أن تمسك نفسها معه دون أن تقيم له تمثالا فى حياته مع أن هذا أمر شاذ جداً يكاد يكون منقطع النظر ... فإذا كان الأمر كذلك فأين هى ياحكومة هذه الموسيقى التى ينتسب مصطفى بك رضا إلى الفن بها ؟ ألم يكن الأجدر بهـا أن تكون أول ما تكون فى ذلك المعهد الرسمى الذى أقيم تمثال مصطفى بك رضا فيه ؟ ليس فى ذلك المعهد شىء من مصطفى بك رضا إلا التمثال ، فهل هذا التمثال يغنى فى وقت من الليل أو النهار لا يعرفه أحد غير الحكومة ، فتذهب إليه فى ذلك الوقت تسمع غناءه فى استخفاء ضناً منها به أن تختلس آذان الشعب منه آهة ، أو تنال أفئدة الشعب منه تنهيدة ؟ ! فهنيئاً إذن للحكومة ! ...

أو قل هنيئاً لمصطفى بك رضا ، واعلم أنه كما استطاع لنفسه أن يقيم تمثالاً فى معهد فؤاد الأول للموسيقى العربية من غير أن يكون له فى الموسيقى إلا أنه يعرف أن يعزف بعض المحفوظات على القانون ... فإنه يستطيع كذلك أن يقيم لك تمثالاً فى كلية الآداب مثلاً إذا ثبت لديه أنك تفك الخط فقط لا أكثر ولا أقل ... فإذا كانت لك رغبة كهذه فها هو ذا عندك ملء الدنيا كلها فاتفق معه على الأسلوب ، إنك تجده فيما بين المعهد ، ومحطة الإذاعة ، ووزارة الأوقاف ، ومسجد السيده نفيسة ... ومهما ينصحك بشىء فاعمل بنصائحه حتى لو رأيت نفسك ستضحى فى البدء بالقليل أو الكثير، فالرجل لا يتجه إلا إلى شىء واحد، وهو أن الآخرة خير ربحاً وأبقى كسباً

الأستاذ عبد الوهاب

مسكين هو مع مصطفى بك رضا . كلما رأى موسيقاه تملأ البلد ، ويغنيها الناس هنا وهناك ، ورأى الحكومة مع هذا كله تنكره فلا تنزع من معهد الموسيقى تمثال مصطفى بك رضا لتقيم مكانه تمثاله هو ، أو تقيم له تمثالاً مع تمثال مصطفى بك رضا — كلما رأى هذه الحال ضاق ذرعاً وعجب للموازين التى يوزن بها الناس فى هذا البلد

ولقد اهتدى أخيراً إلى فكرة نفذها فارتاح بعدها واطمأن، لأنه ساوى بها مصطفى بك رضا ، بل إنه وصل بها إلى حيث لا يستطيع مصطفى بك رضا أن يصل بتمثاله ، ذلك أن الأستاذ عبد الوهاب أقام لنفسه تمثالاً نصفياً ، ثم صوره بالسينما ولصقه فى أوائل فيلم يوم سعيد فهو يعرض على الناس كلما عرض الفيلم ، والفيلم كما تعرف يسافر داخل القطر وخارج القطر ، فيراه الناس هنا وهناك، بينما تمثال مصطفى بك رضا لا يراه إلا الذين يزورون المعهد الموسيقى فقط

صحيح أن الناس يرون الأستاذ عبد الوهاب نفسه فى الفيلم ويسمعونه ، وأنه لا لزوم مع هذا إلى التمثال ؟ ولكنه تنافس الموسيقيين فى تشجيع إخوتهم النحاتين !

الدكتور الحفنى

هو موسيقى من نوعى أنا ، ولكنه يعلم ما لا أعلم عن تاريخ الموسيقى، وآلاتها ، وأسمائها ، وشتى شئونها، وهو يشبهنى من حيث أنه لا ينتج شيئاً منها ، وإن كان يكثر من الحديث عنها إكثاراً نال به الدكتوراه فيها من ألمانيا لا من هنا ... من ألمانيا

٦ — من الشعراء

الأستاذ محمد الأسمر

كان ترتيبه الأول بين حضرات الشعراء الذين تقدموا لمسابقة الأناشيد الحماسية التي عقدتها وزارة الدفاع ، فنال الجائزة السنية

الأستاذ أحمد رامي

في يوم من الأيام قال في أغنية غناها الأستاذ عبد الوهاب :

تعالى نفنى نفسينا غراماً ونخلد بين آلهة الفنون
أرتل فيك أشعارى وأصغى إلى ترجيعك العذب الحنون

... فكان شاعراً رائعاً ، وهو اليوم يقول في أغنية للأستاذ عبد الوهاب أيضاً :

تنزل وادى وتطلع كوبرى !
محود مرة وبعدين دوغرى !
يا وابور ...

... إحترف ! نجاه الله ورده شاعراً رائعاً ... أو فليبقه الله هكذا فإن الشعر عذاب ! أو فليدع الله هو بما يشاء !

الأستاذ محمود اسماعيل

الشاعر الذى لا يزال مصرياً والذى أدعوه إلى أن يغزو بإحساسه ثم بشعره نفوس الناس حتى يكون شاعراً إنسانيا . وأنى وإن كنت أدعوه إلى هذا فإنى أعرف أنى أطلب منه ما يتعبه فهو لا يخالط الناس إلا ليسخر منهم ، لأنه يعتقد أن الناس لا يتعارفون إلا ليسخر بعضهم من بعض ، فلو ظل على هذا لظل شعره بعيداً عن الناس الذين لا يعاشرهم بنفسه فلا تشعر بهم نفسه ولا يدركهم شعره

فهل عقد العزم على أن يبقى هكذا شاعر القمح والنور والشادوف وعينيها وشفتيها وما يشبه هذا ؟

إن عليه أن يدرب نفسه منذ الآن على أن يحب الناس وحياتهم رغم ما فيها ؛ فهذا الذى فيها هو موضوع الشعر وموحى أخلده ، وهو شاعر

الدكتور ابراهيم ناجى

لم يكن هذا الشاعر يستطيع إلا أن يكون فناناً على أى وجه من الوجوه وفى أى فن من الفنون ، فله نفس تضطرب بالبهجة والرحمة والحب ، فهو على العكس من صاحبه محمود ... يبذل نفسه لكل ما حسن عنده ، وإنه ليحسن عنده كل ما يرى ، فهو فى شعره : إما محب هاتف للحسن ، وإما محب راث للحسن إذا مسه الأذى

٧ — من الرسامين

الأستاذ عبد السلام الشريف

عقله له أسلوب ، ويده لها أسلوب ؛ وأسلوب عقله يؤدى بفنه إلى مسرح لعواطف الإخلاص والوداعة والرضا ؛ وأغرب ما فيه هو الرضا ، فهو لا يسخط على ما اعتاد أهل الفن أن يسخطوا عليه . له رسم صور الدنيا أماً ذات طفلين ترضع أحدهما دون الآخر ، فالراضع يرضع هادئاً لا يشغله شىء إلا الرضاعة ، والآخر متبرم بهذا ، ولكنه لا يزيد فى تبرمه على أن يمط شفتيه... فلو كان الحقد يعرف قلب الأستاذ الشريف ، لكان قد صبه نقمة فى وجه من هذه الوجوه الثلاثة ، ولكنه نثرها جميعاً بوداعة ورضا وإخلاص للحق ، فالدنيا حين ترضع من ترضع من أبنائها ، وحين تنفل من تنفل منهم ، لا تفعل ذلك عن ميل إلى الجريمة أو الظلم وإنما هى أم ، والطفل الذى يرضع ... يرضع وهو لا يقصد أن يظلم أخاه الذى أهملته أمه ، والطفل المهمل نفسه كان عند الأستاذ الشريف حكيماً يمط شفتيه إذا أهمل، صابراً راضياً مؤملاً أن يشبع أخوه وأن تعطف عليه بعد ذلك أمه

هذا هو أسلوبه العقلى

أما يده ، فسريعة رشيقة خفيفة ، لا ترثرة فى خطوطها ولا زحمة ؛ وإنما هى أقواس تجرى بها يده على الورق فتضع الحدود اللازمة لحصر الفكرة التى يريد أن يؤديها ، وهو بعد ذلك يترك الناظر إلى رسومه يكمل من خياله ما كره هو أن يفصله ، فيرغم بتفصيله إياه قارئه أو الناظر فى صوره على أن ينحصر معه

٨ — من الخطباء

الأستاذ فكرى أباظة

يغيظنى من هذا الرجل تبعثره ، ولست أدرى متى يوحد نفسه ويتجه بمواهبه إلى هدف واحد ؟ هو الآن محام ، وصحفى ، ونائب، وهو فوق ذلك كله — كما قلت عنه مرة — أباظة؛ يتعهد بالدعاية لكل أباظة من أهله العاملين فى الحياة المصرية العامة

والشىء الذى لا أشك فيه هو أن أعظم ما وُهِبَهُ الأستاذ فكرى هو قدرته على الخطابة ، فإن له شخصية محببة ترتاح إليها النفس ، وإن له صوتاً مدوياً تهتف له الأرض، وإن له عقلا جارياً يسعفه بالفكرة، فإن قصر عنها أسعفه بالنكتة، وإن له لساناً ليناً يطاوعه ويتدفق بأمره فلا يتمتحو ولا يتوقف ، وإن له إلى جانب هذا كله قلباً يكدس عليه الأستاذ فكرى أثقالاً وأثقالاً من آماله المشتتة المبعثرة ، ومع ذلك فإنه لا يزال ينبض تحتها حياً

الأستاذ مكرم باشا

خطيب الجماهير بلا منازع . أول ما يعمد إليه إذا وقف للخطابة هو أن يسكر سامعيه ليقول لهم بعد ذلك ما يريد ، وهو يجد عنده من خمر البيان أو سحره ما يذهب بالمقول مالم تكن راكزة ركوز الأهرام ، وهو لا يدع مواقفه الخطابية للصدفة، وإنما هو يعد لها العدة إعداداً ، فيكتب خطبه وينمقها، ويقطعها ، ويلحنها ، ويقوم أمام الناس فيلقيها فإذا هم عواصف وقتما يريد لهم أن يكونوا عواصف ، وإذا هم نسائم وقتما يريد منهم أن يكونوا نسائم

الأستاذ توفيق دياب

مسرحى إلى حد كبير فى خطابته ... سمعته يوماً فى مسرح البلفدير فى الإسكندرية يرثى سعداً عقب وفاته ، فرأيته يقوم وهو بالمعطف و « التلفيعة » يشكو للجمهور المرض وعجزه عن القول ، ثم تحمس قليلاً حزناً على سعد فانطلق يقول ويقول حتى فرض الجمهور أن الدم جرى فى عروق الأستاذ فملأها حرارة وهنا خلع الأستاذ « التلفيعة » ومضى وحماسته تزداد، حتى استثقل الناس المعطف عليه فخلعه هو أيضاً ، ثم زاد فخلع الطربوش ، ثم أخذ يقفز بعد أن خف فى المسرح ويضرب أرضه برجله ، وأثناه بيده حتى هم بأن يختم الخطبة فخفف من حماسته قليلاً ووضع الطربوش على رأسه ، ثم خفف منها قليلاً وارتدى المعطف ، ثم فتر فلف « التلفيعة » على عنقه ، ثم تمايا وتراخى فما جلس حتى كان يشكو المرض فى نهاية خطبته كما كان يشكوه فى بدايتها ، فكان ختاماً فنياً مسرحياً كما رأيت ، وباهراً كما رأى الجمهور

٩ — من المعلمين

الأستاذ ابراهيم مصطفى

أستاذ النحو بقسم اللغة العربية بكلية الآداب . هذا المعلم وهب نفسه للنحو ، وهو يهب النحو الذى أودعه نفسه لتلامذته فإذا هم يتلقونه نحواً حياً فيه روح ، ولا ريب أن هذه أعجوبة من الأعاجيب ، فقد كان النحو ولا يزال من أثقل علوم العربية وفنونها على النفس ، ولكن الأستاذ ابراهيم مصطفى يحببه إلى النفس ، لأنه لا يرجها به رجاً ، وإنما يدسه عليها دساً ، فهو يعرف أن اللغة العربية مخلوق حى تطورت به الحياة حتى وصلت إلى ما هى عليه الآن من اختلاف اللهجات ، وتميز كل لهجة من هذه اللهجات بميزة خاصة أو بميزات . وهو يدع هذا حتى يمسك بطرف عربى فى نفوس تلامذته ، ثم لا يلبث يتابع بهم مسالك هذا الطرف مرتداً إلى الأصل العربى حتى يجد تلامذته لأشد عقد النحو تعقيداً، حلاً ميسراً تهديه إليهم لغة الخطاب المتداولة الآن

ولا يمكن أن يطمع معلم للنحو فى أكثر من هذا ، وفى أن يؤمن من يتعلم على يديه بأن النحو العربى هو الموسيقى المنطقية للذوق العربى .

عزيز أحمد فهمى



فى عالم الأمـــواج

للدكتور محمد محمود غالى

سبر العلماء لمراحل الاشعاع — طول الموجة وعدد الذبذبات — من الموجات اللاسلكية إلى الأشعة النافذة — أشعة الموت — الأشعة البينية وعمل « لاويه » — الضوء والكهرباء أنواع كونية واحدة

حدثنا القارئ عن الموجات الكهربائية التى نستخدمها فى الاستماع إلى الإذاعة اللاسلكية ، وعن الموجات الضوئية التى نرى بها صور الأشياء وذكرنا عقيدة « هرتز Hertz » من أنها أمواج واحدة لا يتميز فريق منها عن الآخر إلا باختلاف أطوالها ، فهى كأهل مدينة كبيرة بينهم من هو طويل القامة ومن هو قصيرها ؛ كلهم من البشر ويمثلون جنساً واحداً ولكن يتحتم أن يوجد بينهم الطويل والقصير

ونذكر الآن أنه كان للمصادفة شأن هام فى كشف « هرتز » لوحدة هـذه الأمواج ، ذلك أنه أراد أن يعرف ما إذا كانت للأمواج الكهربائية خواص الأمواج الضوئية كخاصية الانعكاس مثلاً ، وتصادف أنه استخدم أمواجاً قصيرة طول موجتها بضعة أمتار فكان هذا الاختيار سبباً فى نجاح تجاربه وفى نجاح نظريته الضوئية فى الكهرباء ؛ إننا لا نستطيع اليوم أن نعكس أمواج الراديو على مرآة لسبب واحد هو عدم استطاعتنا أن نصنع مرآة كبيرة تتناسب وأطوال الأمواج التى نستخدمها الآن ، ولم نستخدم فى الإذاعة الأمواج القصيرة إلا فى العهد الأخير ، وهى الأمواج التى أمكن عكسها بواسطة شبكة سلكية بدل المرآة ، وليس ثمة شك فى أن اختيار « هرتز » لنوع معين من الأمواج كان توفيقاً محمد الظروف عليه ، فقد تقدمت بذلك العلوم خطوة كبرى إلى الأمام

ولا نود أن نذكر للقارئ كلمة أمواج دون أن يتابعنا فى المعنى المراد من هذه الكلمة ونعيد عليه أن الأمواج التى نعرفها فى الظواهر المختلفة تنقسم إلى أمواج طولية وأمواج مستعرضة ، وتعتبر الأمواج الضوئية والأمواج الكهربائية من النوع الأخير فهى أمواج مستعرضة ، ومعنى ذلك أن الذبذبات تحدث عمودية على الخط الضوئى أو الكهربائى الواصل من المنبع إلى مكان وصول الشعاع ، ويسمون طول الموجة المسافة الواقعة بين قمتين للأوضاع المختلفة التى تأخذها نقطتان تتذبذبان على هـذا الخط ، ويحسن بالقارئ لكى يتخيل طول الموجة أن يتصور تلك الأمواج التى تحدث على سطح الماء فإنها هى أيضاً من النوع المستعرض ، وطول الموجة بالتعريف هو المسافة الواقعة بين قمة الماء عند مكان معين والقمة التى تليها ، وهذه المسافة فى حالة أمواج الماء تبلغ مثلاً متراً أو اثنين ولكنها تبلغ فى الأمواج الكهربائية الطويلة من ٢٠٠ إلى ٢٠٠٠ متر وفق طول الموجة التى تتخيرها محطة الإذاعة

وينبغى ونحن نتكلم عن طول الموجة أن نذكر للقارئ شيئاً عما يسمونه عدد الذبذبات . فثمة علاقة بين سرعة الضوء وطول موجته وعدد الذبذبات الحادثة ، ذلك أن سرعة الضوء تساوى عدد الذبذبات مضروباً فى طول الموجة فبمعرفة سرعة الضوء يمكننا إيجاد عدد الذبذبات إذا عرفنا طول الموجة أو نعرف طول الموجة من عدد الذبذبات ، وما يقال عن الضوء يقال عن الكهرباء لأننا نعرف أن سرعتهما واحدة

فإذا رمزنا بالحرف ع لسرعة الضوء و م لطول الموجة . و ز للفترة التى تستغرقها الذبذبة الواحدة

$$\text{فإن السرعة ع} = \frac{\text{م}}{\text{ز}}$$

وإذا رمزنا بالحرف ن للتردد أى لعدد الذبذبات الحادثة فى الثانية الواحدة فإنه من الواضح أن $\text{ن} = \frac{1}{\text{ز}}$

أى أن $\text{ع} = \text{م} \times \text{ن}$

ومعنى ذلك أن سرعة الضوء أو الكهرباء تساوى طول الموجة مضروباً فى عدد الذبذبات فى الثانية

وعلى ذلك ، فإننا نميز الظواهر الضوئية والكهربائية على السواء إما من طول الموجة أو من عدد الذبذبات الحادثة فى وحدة الزمن وهى الثانية ، ويبلغ عدد الذبذبات فى حالة الأمواج الطويلة

المستخدمة فى الراديو الملايين فى الثانية الواحدة ، ويزيد هذا العدد وفق القانون المتقدم كلما كانت الأمواج قصيرة

أما الأمواج الضوئية فتختلف فى أطوالها وبالتالى فى عدد ذبذباتها عن الأمواج الكهربائية رغم تماثل طبيعتها ، فبينما تبلغ أطوال الأخيرة فى كثير من الأمواج التى نستمع بواسطتها للاذاعة بضعة كيلو مترات ويبلغ ترددها الملايين ، فإن أمواج الضوء المرئى تختلف أطوالها من ٨/١٠٠٠٠ من الليمتر للضوء الأحمر إلى ٤/١٠٠٠٠ من الليمتر للضوء البنفسجى ويبلغ ترددها ألتريليونات من الذبذبات فى الثانية الواحدة

ومن السهل على القارئ أن يحسب عدد الذبذبات الحادثة عند نقطة معينة من شعاع مرئى معتبر بين الأشعة الحمراء والأشعة البنفسجية وليكن طول موجة هذا الشعاع ٦/١٠٠٠٠ من الليمتر ويمثل فى الواقع اللون الأصفر المائل إلى البرتقالى

فمن المعروف مما تقدم أن سرعة الضوء تساوى طول الموجة مضروباً فى عدد الذبذبات أى أن عدد الذبذبات يساوى سرعة الضوء مقسوماً على طول الموجة

ولكن سرعة الضوء تساوى ٣٠٠ ألف كيلو متر فى الثانية أى تساوى :

٣٠٠ر٠٠٠ × ١٠٠٠ × ١٠٠٠ مليمتر

ومن ثمّ يكون عدد الذبذبات يساوى ٣٠٠ر٠٠٠ × ١٠٠٠ × ١٠٠٠ مقسوماً على ٦/١٠٠٠٠ أى يساوي ٥٠٠ مليون المليون من الذبذبات فى الثانية

وإن نظرنا إلى مجموعة الأشعة التى نعرفها الآن أ كهربائية كانت أم ضوئية لوجدنا أن أسهل مراحلها فى الدراسة هو الأشعة المرئية التى ذكرنا أطوال أمواجها ، ولقد استخدم « نيوتن » وغيره أبسط الأجهزة ليقوم بتحليل أشعة الشمس أو عكسها أو كسرها ، وتسنى له بأبسط الوسائل أن يجوب هذه الدار من مراحل الإشعاع ، وزوّدنا باستخدام أشعة الشمس وبثقب كان فى نافذة معمله ومنشور من الزجاج بنصف علم الضوئيات الذى نعرفه اليوم ، ولكن لم تكن معرفة ما بعد الأشعة المرئية وما قبلها من الأشعاع بالشيء الهين إذ تطلب ذلك أبحاثاً طويلة ما زالت قائمة حتى اليوم ، ولا يتسع هذا المجال لنذكر الوسائل الطبيعية المختلفة والأجهزة المعقدة التى استخدمها الإنسان للتوصل إلى معرفة مراحل الأشعاع المختلفة ، فمادة الكوارتز حلت محل الزجاج كما حل اللوح الفوتغرافى والترمومتر وغيره من الوسائل محل العين لمعرفة وجود الأشعة ، وكان لهذه الأجهزة شأن كبير فى الكشف عن مراحل الإشعاع وقياس سلسلة الأمواج المختلفة التى تبدأ من أشعة الراديو التى تجهلها حواسنا وتنتهى بالأشعة النافذة أو الكونية التى لا تشعر بها هذه الحواس رغم مقدرتها على اختراق ما سمكه عشرة أمتار من الرصاص ، وهكذا كشف العلماء عن مراحل الإشعاع التى تقع فى منتصفها هذه المنطقة المحدودة ، والضيقة من الأشعة المرئية ، وهكذا تعرف العلماء على أنواع الإشعاع لمختلف الأمواج كما عرفوا أن سرعة الأشعة الكهربائية هى سرعة الأشعة الضوئيه ، وأن طبيعة الشعاعين واحدة

على أننا نقسم الأشعة التى نعرفها فى الكون إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول من الأشعة غير المرئية تبدأ من الأمواج الهرتزية أو اللاسلكية وتنتهى بالأشعة تحت الحمراء

القسم الثانى الأشعة المرئية وتبدأ بالأشعة الحمراء وتنتهى بالأشعة البنفسجية

القسم الثالث : وهو الطرف الآخر من الأمواج غير المرئية وتبدأ من الأشعة فوق البنفسجية وتنتهى على حد ما بلغنا إليه اليوم بالأشعة النافذة أو الأشعة الكونية ، وهى أغرب ما نعرفه من الإشعاعات[1]

ولم يكن التعرف على مراحل الإشعاع نتيجة لتتبع منتظم لأطوال الأمواج المختلفة والبحث عن الأطوال غير المعروفة بين الأطوال التى نعرفها ، لأن سبيل تقدير هذه الأطوال وقياس التردد سبيل وعر ألجأ العلماء فى كل مرحلة إلى فن خاص يختلف عن الفن المتبع فى المرحلة القريبة منها . إنما كان

(١) يراجع القارئ مقالاتنا الخمس عن الأشعة الكونية المنشورة فى أعداد الرسالة ٣٠٣ و ٣٠٤ و ٣٠٥ و ٣٠٦ و ٣٠٧ من ٢٤ ابريل سنة ١٩٣٩ إلى ٢٢ مايو سنة ١٩٣٩

التعرف على الإشعاع سابقاً فى العادة لدراسة خواص الإشعاع من طول موجته أو تردده أو خواصه الطبيعية ، وكان التعرف على الإشعاع فى كثير من الأحيان نتيجة لمصادفات علمية موفقة ، وقد ضربنا للقارئ مثلاً بكشف « بكارل » لأشعة الإيرانيوم ، ولولا أنه ترك غير عامد قطعة من الإيرانيوم فى أحد أدراج مكتبه على لوح فوتغرافى ، ولولا أنه لاحظ بعد ذلك على هذا اللوح أثراً مطبوعاً يدل على شكل هذه القطعة من الإيرانيوم لتعذرت على الإنسان معرفة هذه المرحلة من الإشعاع المادى ، ولما كشف الإنسان بعده إشعاع الراديوم العجيب

وليس المجال هنا لنعرف خواص الإشعاع المختلفة ، وما زال الإنسان دائباً وراء توسيع معارفه فى استخدام الأشعة فى أغراضه ، ففى الناحية الأولى من الأشعة غير المرئية التى تبدأ من الأمواج المرتزبة وتنتهى بالأشعة تحت الحمراء استخدم الإنسان مرحلة من هذه الأشعة فى الإذاعة ، وهو ما زال يسعى لمعرفة المرحلة الأخرى من هذه الأشعة ، وقد عثرنا فى كتاب لريشنباخ على أن الأشعة التى طول موجاتها من ثلاثة أمتار إلى خمسة تقتل بعض الحيوانات الصغيرة كالفيران وبعض الحشرات ، ولا شك فى أن ثمة أبحاث موجودة خاصة بهذا الموضوع لم تتح لنا فرصة الاطلاع عليها ، ولعل هذه الملاحظة الخاصة بالحيوان والحشرات سبب جعل فريقاً من الناس يتحدث أحياناً عن استخدام الإنسان يوماً لما يسمونه الأشعة القاتلة التى أطلق عليها البعض أشعة Z أو أشعة الموت ، وليس فى هذا الحديث إذن من سخف شديد ما دام أن هناك مرحلة من مراحل الإشعاع لها هذا الأثر على الحيوان الصغير ، ومع ذلك فإننا لا نعرف حتى الآن أشعة قاتلة للانسان سهلة الوجود والاستخدام ، وهو الكائن الذى تخترقه فى النهار يتبعه الليل كل أنواع الأشعة من أشعة الراديو الطويلة التى يبلغ طول موجاتها بضعة كيلومترات إلى أشعة الشمس المرئية وغير المرئية إلى الأشعة الكونية الخارقة ، وطول موجتها أجزاء من ملايين ملايين الليمترات ، ويعيش الإنسان تحت كل هذه الأنواع من الإشعاعات المختلفة ، يروح جيئة وذهاباً ، ينعم بالشباب بعد الطفولة ، ويتألم من الشيخوخة بعد الرجولة ، ويأخذ قسطاً وافراً من الحياة يلجأ خلالها إلى هذه الأشعة فى مراحلها المختلفة يستخدمها فى الإذاعة وفى نقل الصور الفوتغرافية باللاسلكى وفى التليفزيون ، ونأمل أن نستخدمها بطريقة عملية قريباً فيما نسميه « التحليل عن بعد » ، بل يستخدمها الإنسان فى العلاج دون أن يناله فى كل ذلك أثر مميت ، ولو أننا صعدنا اليوم الدرج إلى عيادة أحد الأطباء المشتغلين بالأشعة وفى جسمنا ألم فإنه يستطيع بين لحظة وأخرى أن يعطينا صورة واضحة لجزء دفين من أجسامنا وذلك باستخدام مرحلة من مراحل الأشعة التى لا نراها بالعين ، وهى الأشعة السينية Rayons X

فيمكننا أن نرى مثلاً حصوة فى الكلى يجب استئصالها أو نعلم مثلاً أن وراء هذا المرض خراجاً هو سبب مباشر لورم معين ، وهكذا أخذ بعض الكشوف العلمية الكبرى مرحلته التجارية ، فأصبح له أجهزة تباع فى الأسواق يستخدمها الإخصائيون ، وأصبحت بذلك نفعاً للبشر

ولقد كانت معرفة أطوال الأمواج من المسائل العلمية العويصة فى كثير من هذه المراحل ، وإننا نذكر للقارئ على سبيل المثال كيف عرف العلماء طول موجة الأشعة السينية المتقدمة ؛ فلقد كانت ظاهرة الحيود Diffraction الضوئية التى سبق أن تحدثنا عنها ، والتى قامت دليلاً على أن الضوء ظاهرة موجية ، بل قامت دليلاً على النظرية الحدَثيّة للضوء ، من الظواهر التى استخدمها الباحثون لمعرفة أطوال الأمواج الضوئية فى جزء هام من مراحل الإشعاع ، على أن هذه الظاهرة بذاتها لم تعد تصلح سبيلاً لدراسة الأشعة السينية ، إذ أن أطوال أمواج هذه الأشعة من الصغر بحيث أن أية فتحة نعمد إلى صنعها فى معاملنا مهما صَغُرَت تعتبر كبيرة بنسبة موجة الأشعة السينية ، فلا تصلح لترى بواسطتها ظاهرة الحيود اللازمة لنا لدراسة هذه الأشعة

ولكن العالم الكبير « ماكس لاويه » Max Von Laue استطاع أن يعرف بهذه الظاهرة طول الموجة السينية ، ويحصل على أشكال بديعة ناتجة من ظاهرة الحيود المتقدمة ، مستخدماً فيها تلك الأشعة ، وذلك باللجوء إلى البلورات ، فهذه تتكون



جوائز « مصطفى كامل » المالية

١ — المباراة الأدبية :

لمناسبة إزاحة الستار عن تمثال المغفور له مصطفى كامل باشا تبرع حضرة الأستاذ محمد محمود جلال بك نائب بني مزار وعضو اللجنة الإدارية للحزب الوطني بمبلغ ثلاثين جنيهاً ، تعطى مكافأة لمن يحوز قصب السبق في مباراة أدبية موضوعها : « جهود مصطفى كامل في نواحي النشاط الإنساني القومي ونجاحه في التعليم والاقتصاد والاجتماع وعلاقة ذلك بدعوته الوطنية »

وفيما يلي شروط المباراة :

١ — أن يكون المشترك شاباً مصرياً لا تزيد سنه على ثلاثين سنة

٢ — ألا تزيد الكتابة في موضوع المباراة على عشر صفحات من القطع الكبير

٣ — أن تقدم الموضوعات إلى لجنة المباراة المؤلفة من حضرات : أنطون الجميل بك ، وعبد الرحمن الرافعي بك ، والأستاذ فكري أباظة ، والأستاذ محمود العمري ، في مدة ثلاثة أشهر من اليوم إلى ١٤ أغسطس سنة ١٩٤٠ وتعلن اللجنة اسم الفائز في المباراة بعد شهرين من الموعد المذكور

وقد أودع الأستاذ جلال بك قيمة الجائزة وقدرها ثلاثون جنيهاً لدى الأستاذ أنطون الجميل بك بشيك على بنك مصر

٢ — جائزة كلية الحقوق :

وخصص الأستاذ جلال أيضاً جائزة سنوية قيمتها عشرة جنيهات تسمى « جائزة مصطفى كامل » تمنح كل عام لأول ناجحي الليسانس في الدور الأول لكلية الحقوق، وهي الكلية التي بدأ بها الفقيد دراسته العليا . وأرسل إلى حضرة عميد الكلية خطاباً بذلك، وأرفق به صورة الاعتماد الذي خصصه ببنك مصر عن قيمة الجائزة وبموجبه يصرف المبلغ في شهر مايو من كل عام . فورد إليه كتاب شكر رقيق من حضرة العميد مع قبول هذه الجائزة الكريمة .

في الواقع من جزيئات موضوعة في ترتيب خاص ، ومرصوصة بطريقة يوجد بينها هذه الثقوب الصغيرة التي لا نستطيع بوسائلنا الحصول على ثقوب في صِغَرِها ، وهي فتحات تصلح مصادفة لاستخدام الأشعة السينية ، وبذلك كان بجمع (لاويه) الأشعة السينية بعد اختراقها البلورة وبجعلها تقع على لوح فوتغرافي فتُحْدِث فيه بُقَعاً سوداء منظمة تنظيما عجيباً وجيلاً. ولقد كنا نود أن نعطي للقارئ إحدى هذه الصور البديعة فلم نعثر على واحدة منها اليوم ؛ وبدراسة رياضية عميقة استنتج « لاويه » طول موجة الأشعة السينية التي لا تراها العين والتي لا تحدث ظاهرة الحيود في تجاربنا العادية

وإذا كانت أطوال أمواج الأشعة السينية من المجموعة التي نعتبرها قصيرة القامة ، فإن أطوال أمواج أشعة الراديوم أقصر منها بكثير ؛ وليس المجال هنا لنذكر الطرق المختلفة لتحديد هذه الأمواج وتحديد التردد

على أن أقصر الأمواج هو ما نصادفه في الأشعة الكونية أو الخارقة ، وقد سبق أن حدثنا عنها بإسهاب ، وهذه تصل إلينا من جهات من الكون لا نعرفها وبسبب عمليات طبيعية لا نعرف الأصل فيها ، وهذه الجهات بعيدة بلا شك كل البعد عن مجموعتنا الشمسية ، إذ لا علاقة هناك بين شدة هذه الأشعة وبين وضع الأرض بالنسبة للشمس ، فأمريكا تأتي منها في الليل بقدر ما نلقاه في اللحظة ذاتها في رابعة النهار ، ويبلغ طول موجتها واحداً على تريليون من الليمتر

وهكذا تمتد مجموعة التموجات فتشمل كلها مجموعة واحدة كهربائية كانت هذه التموجات أو ضوئية ، ولا تشعر أجسامنا ولا تلمح عيوننا إلا جزءاً يسيراً منها، بينما امتدت أجهزتنا وامتد ذكاء الإنسان للكشف عن هذه السلسلة غير المحدودة من طرفي الإشعاع والأمواج ، الأمواج الطويلة في طرف والقصيرة في الطرف الآخر

لقد طوح بنا الحديث في مراحل الإشعاع بعيداً عن مسائل كان في برنامجنا أن نذكرها للقارئ اليوم ، ولكن الحديث ذاته يسوقنا إلى موضوعات أخرى، بعضها من صميم الخيال ، وبعضها في أعماق الحقيقة ، وعن هذه المسائل سيكون حديثنا القادم

محمد محمود غالي

دكتوراه الدولة في العلوم الطبيعية من السوربون

ليسانس العلوم التعليمية . ليسانس العلوم الحرة . دبلوم الهندسخانة

٣ – جائزة كلية تولوز :

وتبرع أيضاً بمبلغ ألفي فرنك لأول الفائزين في العام الحالي بكلية الحقوق بتولوز ، وهي الكلية التي أتم فيها الفقيد دراسته ونال منها شهادة الليسانس سنة ١٨٩٤ وكتب بذلك خطاباً إلى وزير فرنسا المفوض في مصر وأرفق به قيمة الجائزة فتلقى كتاباً من سعادة الوزير المفوض بقبول الجائزة وشكره على هذه المبرة

افتتاح المعرض الرابع لرابطة الفنانين المصريين

افتتح معالي محمود فهمي النقراشي باشا وزير المعارف ، في الساعة العاشرة والنصف من صباح الخميس الماضي ، المعرض الرابع لرابطة الفنانين المصريين بحضور الأساتذة حسن فائق بك ، ومحمد فهيم بك وأحمد شفيق زاهر بك وحسين فريد بك والمسيو جورج ريمون ومحمد حسن وسيد يوسف وأعضاء الرابطة

وقد أقيم هذا المعرض بالدور الأول من السراي الصغرى في أرض المعارض التابعة للجمعية الزراعية الملكية ، وعرض فيه أعضاء الرابطة حوالى مائة لوحة فنية رائعة بين تصوير ، وأعمال خزف ، وتماثيل . وقد جمعت هذه اللوحات ألواناً شتى من الاتجاهات الفنية ومثلت في مجموعها فكرة الجمال كما عبرت عن المشاعر المألوفة في الحياة المصرية . هذا وسيظل المعرض مفتوحاً حتى آخر هذا الشهر يومياً من العاشرة صباحاً إلى الواحدة بعد الظهر ، ومن الرابعة إلى الثامنة مساء .

جراحة الأسنان في المغرب

قرأت بمجلة الرسالة الغراء في العدد (٣٥٠) نبأ اختراع جديد في طب الأسنان نشرته المجلة الطبية الأمريكية ، وملخصه أن طبيب أسنان وفق بطريقة خاصة من اختراعه إلى إعادة الأسنان الفاسدة إلى أفكاك مرضاه بعد خلعها وإصلاحها إلى آخر ما هنالك

وقد أسفت كل الأسف أن يسبق طبيب مغربي متواضع إلى مثل هذا الاختراع منذ نحو أربعين سنة ثم لا يجد من أمته ولا من غير أمته من ينوه باسمه ، ويفتخر بعبقريته ، ويذيع خبره على أمم الشرق والغرب

حدثني الشيخ الجليل الثقة السيد عبد الكريم الدباغ قال : كان السيد عبد السلام الدرعاوي من الأطباء النطاسيين المهرة عندنا بفاس قبل عهد الحماية بسنين ، وكان يشتغل بالتجارة ولا يتقاضى أجراً على التطبيب والتمريض كجميع أطباء المغرب ، إذ كان عاراً أي عار أن يكون للمادة نصيب في مهنة الأطباء الذين يحتسبون أجورهم في سبيل الله . ومن ثم كان إخلاص الأطباء المغاربة في مهنتهم من أشد العوامل في تفوقهم ونجاحهم

قال محدثي : والطبيب عبد السلام الدرعاوي لم يدرس الطب في كلية باريس الطبية ، وإنما أخذه عن أشياخ هذا العلم هنا . ومع بساطة الأعشاب والعقاقير التي كان يستعملها في أدويته كنت تجده في علاج كل داء كأحسن ما يكون الطبيب حين يكون اختصاصياً فيه

قلت: وما شواهد عبقرية هذا الطبيب في جراحة الأسنان مثلاً؟

قال : لقد سقطت بها على خبير ، وحسبك من ذلك أن تسمع هذه القصة : كانت لي أخت فتاة سقطت صباح يوم من شرفة الجناح الأعلى إلى عرصة المنزل فانهشمت عظامها أو كادت ، وانخلعت أسنانها وانتثرت ، ولم يعد أحدنا يخطر له في بال أنها ستعيش ساعة أو ساعتين . وأسرعنا فأوصينا بصنع التابوت ، ثم نادينا الطبيب عبد السلام لننظر رأيه في الفتاة المتردية ، وبعد لحظات كان الطبيب قد أحضر أدويته ، وجاء فجردها ودهنها بدهان من فوق إلى تحت ، ثم أخذ كل سن من أسنانها فأعادها إلى التجويف (بطريقة خاصة من اختراعه) لم يحتج معها إلى جبيرة من الذهب قط . ثم وصف لنا طريقة تمريضها ووقايتها .

ثم قال محدثي : وأقسم لك يميناً صادقة لقد عاد للفتاة كامل صحتها بعد أيام قلائل ، أما أسنانها فيكفي أنها لا تزال حتى الآن صلبة متماسكة وقد أصبحت الفتاة أم فتيات .

ونريد أن نثبت هنا أن بعض ابتكارات الغرب إن هي إلا بعث جديد لنتاج عباقرة الشرق من غابر التاريخ . وأن بعضاً منها له أصول وأسس في تاريخ الشرق نعلمها حيناً ونجهلها أحياناً

فما عسانا نصنع بعد هذا وقد حكم الدهر الظلوم بأن تطمس معالمنا وتعفى مآثرنا بين ظلمات الجهل وغمرات الجحود ؟

(فاس) إدريس الكتاني

للتحقيق

تردد كتب الأدب ومذكرات تاريخه قصة عن الشاعر الطائي أبي تمام ، وخلاصتها أنه وقف ذات يوم يمدح الخليفة بقصيدة كان منها قوله :

إقدام عمرو في سماحة حاتم   في حلم أحنف ، في ذكاء إياس

فاعترض عليه أبو يوسف الكندي الفيلسوف وقال : الخليفة فوق من وصفت ، وما زدت على أن شبهت الأمير بأجلاف

العرب فأطرق أبو تمام ثم قال على البديهة :

لا تنكروا ضربى له من دونه مثلاً شروداً فى الندى والباس
فالله قد ضرب الأقل لنوره مثـلاً من المشكاة والنبراس

فأعجب به الخليفة وقال لوزيره : أعطه ما يطلب ، فإنه لا يعيش أكثر من أربعين يوماً ، لأن الدم بدا فى عينيه من حدة الفكر ، ومن كان هـذا حاله فهو لا يعيش أكثر من هذه المدة . فطلب أبو تمام الموصل فأعطيت له ولم ينقض عليه أربعون يوماً إلا ومات!

ذلك هو مجمل القصة ، وقد اعتمدها كل المؤلفين فى الأدب فى عصرنا هذا ، ولكنى وجدت صاحب الوفيات — الجزء الرابع ص ٢٩ طبعة الحلبى — يقول عنها ما نصه : « وهـذه القصة لا صحة لها أصلاً » ، وقال ابن خلـكان أيضاً عنها : « وقد تتبعتها وحققت صورة ولايته — يعنى أبا تمام — للموصل فلم أجد سوى أن الحسن بن وهب ولاه بريد الموصل ، فأقام بها أقل من سنتين ثم مات بها . والذى يدل على أن القصة ليست صحيحة أن هذه القصيدة ليست فى أحد من الخلفاء ، بل مدح بها أحمد بن المعتصم وقيل أحمد بن المأمون ، ولم يل واحد منهما الخلافة » . المصدر السابق ص ٣٠ ، وغلط ابن خلـكان أبا الفوارس المعروف بالحيص بيص وابن دحية ، إذ روبا ما يجعل لهذه القصة نصيباً من الحقيقة ! فما هى كلمة أدبائنا فى هذا الموضوع ؟

(البجلات) أحمد جمعة الشرباصى

حول خواطر يثيرها سائل

سرتنا هذه المقالات التى يكتبها الأسـتاذ عبد المنعم خلاف ويوالى نشرها فى مجلة الرسالة؛ إلا أنه قد استوقف نظرى وأنا أقرأ مقاله الأخير قوله « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع الغناء وشاهد الرقص وسمح به فى المسجد » ، وهذا القول على إطلاقه فيه شىء ، إذ الظاهر من الغناء هو ما نعرفه وما نسمعه ، وهذا لا يسمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا رضاه قط ولم يجز إلا الغناء العفيف فى زفاف العروس « إن الأنصار فيهم غزل فلو بعثتم معها من يقول أتيناكم أتيناكم فحيانا وحياكم » وأذن فى اللعب بالطبول ، وغير ذلك فى أيام العيد للصغار من الشبان والفتيات . مر عياض الأشعرى بالأنبار فى يوم عيد فقال : مالى لا أراهم يقلّسون ، فإنه من السنة (التقليس أن يقعد الجوارى والفتيان على أفواه الطرق يلعبون بالطبل وغير ذلك) وسمع الحداء بالشعر النبيل السامى (اللهم لولا أنت ما اهتدينا) وكان البراء بن مالك حسن الصوت وكان يرجز لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض أسفاره ، وكان عمر بن الخطاب إذا سمع الحادى قال : لا تعرض بذكر النساء . كما أن كلمة الرقص لا يفهم منها فى هذا الزمن إلا ما يعرف فى دور اللهو والحانات ، وحاشا أن يشهد ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو يسمح به لأى إنسان فى الخارج بله المسجد ، وإنما الرقص الذى سمح به هو الرقص الحربى الذى كان من الأحباش حين قدموا المدينة . والرقص الحربى يعرفه العرب إلى الآن فى بلاد الحجاز بسيوفهم وسلاحهم مما يشمل فى النفس الحميـة ويبث فيها الشجاعة ، ولا أعرف الأستاذ عبد المنعم خلاف إلا يريد هذا

عبد الستار أحمد فراج

حادث عجيب ! نداء إلى الأطباء العلماء

إلى كل طبيب يعتقد أن مهنته مهنة بحث وفحص وتضحية وإيثار ، أسوق مأساة فتاة فى ميعة الصبا وزهرة العمر ... فتاة رزئت فجأة فى جمالها وشبابها بنكبة (اللحية) الكثة والشارب الغزير ... ويا ليت هذه النكبة قد اقتصرت على الوجه فحسب ، فإن الشعر قد نبت فى صدرها فشوه نعومته وأنوثته ! !

كانت تظن أنها ستتحول كما تحولت غيرها ، وكانت تعتقد أن هذا الشعر بداءة لهذه المرحلة ، مرحلة التغيير والتبديل ، فذهبت إلى بعض المشهورين المعروفين من الأطباء تعرض أمرها وتبسط شكوكها وتأمل أن تجد الشفاء العاجل أو الآجل مما هى فيه من هم واصب . فحار الطب ولم يصل إلى العلاج المنشود

فهل عند الأطباء تعليل لهذا الحادث الشاذ وعلاج له ؟ ؟

محمد السيد المويلحى

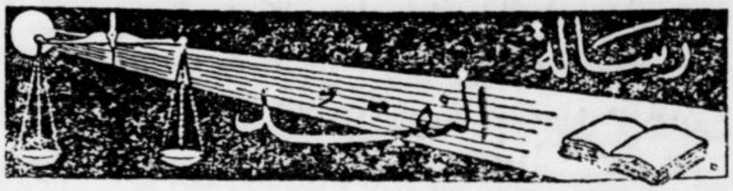
جمع مشكاة

ورد فى القرآن الكريم ذكر « المشكاة » وهى « الطاقة » أو « النافذة » . وقد بحثت عن جمعها فلم أعثر عليه بعد مراجعة عدة معاجم وتفاسير فهل لـكم أن تفيدونا بذلك (م . س)

(الرسالة) : لم يرد السماع بجمع مشكاة ، فلم يبق إلا القياس وهو : مشاك أو مشكيات

جريدة الوفاق

دخلت زميلتنا « الوفاق » فى عامها الثالث عشر من عمرها الطويل الحفل ، وهى أقوى ما تكون إيماناً بجهادها الموفق واطمئناناً إلى نجاحها المطرد . فنرجو لها دوام التوفيق واطراد التقدم حتى تبلغ الصحافة الإقليمية بها وبأمثالها الغاية المرجوة



في ليالي الملاح التائه

للشاعرة الفلسطينية الآنسة « دنانير »

شعر صاف صفاء الجدول النمير تنعكس فيه صورة نفس الشاعر، فتحس إذ تقرؤه بروح صاحبه تتغلغل في كل لفظة من ألفاظه، وتشعر بدمه يسري في كل بيت من أبياته. فإذا أنت تقرأ نفساً حية تتمثل في قصيدة، وإذا الشاعر يسمو بروحك معه إلى دنيا شعرية علوية تفيض بالجمال والجلال حتى لتنسى ما يحيط بك، وقد ملأت قلبك تلك الأخيلة البديعة التي ملأت قلب الشاعر، وأثر فيك ذلك الإلهام الذي صدر عن حسه المرهف الرقيق. وهذا هو الشعر، متى كان القلب منبعه فالقلوب مصبه.

وذلك هو شعر الأستاذ علي محمود طه في ديوانيه « الملاح التائه » و « ليالي الملاح التائه » وهذا الأخير هو موضوعنا الآن.

يهدي الشاعر شعره إلى الذين أطالوا التأمل في أسرار الكون، وأرهقهم التيه في مجاهل الحياة، وإلى العائذين بأنس أحلامهم إلى وحشة مضاجعهم بين اللهفة والحنين. وفي هذا الإهداء نستطيع أن نلمس تلك الروح النبيلة الهائمة وتلك النفس الرقيقة الشاعرة التي لا يفتر حنينها، نفس الأستاذ علي محمود طه.

أول ما يطالعك الديوان به هو تلك القصيدة التي شرق ذكرها وغرب. ومن منا لم يسمع بأغنية الجندول التي أوحتها إلى الشاعر زيارته لمدينة فينسيا أثناء احتفال الفينيسيين بليالي الكرنفال؟ ولعل من اللغو أن أذكر هنا هذه القصيدة لشهرتها البعيدة وذيوع صيتها

أثر في نفس الشاعر طوافه في أقطار الغرب، ونحن نسمع صدى هذا التأثير يتردد في قصائده التي يصف فيها ما شاهده هناك، أو بالأحرى التي يصف فيها تأثير تلك المشاهد في نفسه الصافية وخياله الخصب. نقرأ له مثلاً: « بحيرة كومو »، أو « الجندول »، أو « خمرة نهر الرين »؛ فإذا روح الشاعر وحسه وقلبه كل أولئك مذاب في قصائده يظهرك على مدى تأثير ذلك الطواف فيه. يقول في قصيدة عنوانها: « خمرة نهر الرين »:

كنز أحلامك يا شا   عر في هذا المكان

سحر أنغامك طوا   ف بهاتيك المغاني

فجر أيامـــك رفا   ف على هذي المجاني

أيها الشاعر، هذا الر   ين فاصدح بالأغاني

كل حي وجماد ها هنا   هاتف يدعو الحبيب المحسنا

يا أخا الروح دعا الشوق بنا   اسقنا من خمرة الرين اسقنا

وكأني بالشاعر يرى كل تلك المفاتن تتصدى له بسحرها وجمالها فلا يسعه إلا أن يتساءل في هذه الأبيات كأنه لا يصدق عينيه فيما تريان:

عالم الفتنة يا شاعر   أم دنيا الخيال

أمروج علقت بي   ن سحاب وجبال

ضحكت بين قصور   كأساطير الليالي

ثم ينثني، وقد رأى أن نهر الرين بجمال جناته وجلال قصوره إنما هو الجنة؛ فيهتف:

هـــذه الجنة فانظر   أي سحر وجمال

ويحس أن الطبيعة قد أخذت بسحر تلك الليلة، كما أخذت نفسه، حتى أنصت الغاب، وأصغى النهر؛ ويرى بعين الشاعر التي ترى ما لا يراه الناس أن هذه الليلة الشعرية على ضفاف نهر الرين قد أسكرت الدجى، وجعلت النجوم بعض الندماء، فيقول:

ليلة فوق ضفاف النـ   ـهر حلم الشعراء

أليالي الشرق يا شا   عر أم عرس السماء

الدجى سكران والأنـ   ـجم بعض الندماء

أنصت الغاب وأصغى النـ   ـهر من صخر وماء

فاسمع الآن البشير الملهما   حانت الليلة، والفجر دنا

فاملأ الأقداح من هذا الجنى   واسقنا من خمرة الرين اسقنا

ثم يقول لصديقته « فتاة رين » التي التقى بها في هذا الجو الشعري، فنذوق في قوله حلاوة تلك اللحظات السحرية في النفس الشاعرة، ومرارة الأسى على ما فات:

يا ابنة الآر حديث الا   أمس ما أعذب ذكره

كان حلماً أن نرى الر   ين وأن نشرب خمره

وشربنـــا فسكرنا   وأفقنا بعد سكره

ووقفنـــا لوداع   وافترقنا بعد نظره

أين أنت الآن أم أين أنا   ضربت أيدي الليالي بيننا

غير صوت طاف كالحلم بنا   اسقنا من خمرة الرين اسقنا

أي حسرة وأي لهفة تجدها في هذا التساؤل الذي تكاد كل لفظة من ألفاظه تقطر بدمعة مذابة من قلب الشاعر الفياض بالحنين والشوق:

أين أنت الآن أم أين أنا ؟ ضربت أيدى الليالى بيننا

نقرأ هذه القصيدة أو قصيدة « بحيرة كومو » أو « الجندول » فنتمثل فى أخيلتنا مفاتن الغرب ، وإن لم نرها ، من مناظر الطبيعة إلى ليالى الأنس والبهجة ، إلى مرح الشباب والصبى ، ونحس بتأثير تلك المباهج فى تلك الروح الرقيقة وذلك القلب الذى يهيم بحب الجمال أينما كان ، فى الماء والسماء ، فى القصور والرياض ، فى المرأة ، سواء أكانت سامية أو آرية أو غير هذه وتلك . فالشاعر موكل بالجمال يتبعه ، يملأ عينيه ومشاعره وقلبه منه ليتغنى به فى كل قصيدة من قصائده

هذا ونجيل الطرف فى « ليالى الملاح التائه » هنا وهناك فنقرأ له مثلاً « سيراناد مصرية » أو قصيدته التى عنوانها « مى » أو « حلم ليلة » أو « إلى راقصة » وغير هذا مما فى الديوان من الشعر الغزلى ، فترى أن المرأة قد شغلت حيزاً كبيراً من قلب الشاعر وفكره وإحساسه فأوحت إليه بأرق الشعر ، الحزين حيناً ، الباسم حيناً آخر . فالمرأة قد أذاقت الملاح التائه أفانين من حلوها ومرها ، وكل هذا يتجلى لنا فى شعره الغزلى

وهناك قصيدته فى مصرع ربان حاملة الطائرات كوريجس التى أغرقتها غواصة ألمانية فى أوائل الحرب الحالية . يسمع الشاعر بتلك النفس الكبيرة التى آثرت الموت على الحياة . يسمع بما كان من تضحية الكابتن ربان السفينة الغارقة إذ جاد بنفسه . والجود بالنفس أقصى غاية الجود ، فتوحى تلك البطولة النادرة إلى الشاعر بقصيدة من عيون الشعر يبدؤها بقوله مخاطباً الربان :

يا قاهر الموت كم للنفس أسرار ذل الحديد لها واستخذت النار
وأشفق البحر منها وهو طاغية عات على ضربات الصخر جبار

وكأنى بالشاعر هنا يظاهر الناس على ضعف الطبيعة مع جبروتها أمام عظمة النفس الإنسانية ، تلك العظمة التى تتجلى فى تضحيتها وعاطفتها ... ثم يقول معرضاً بالغواصة التى أغرقت السفينة :

رماك فى جنبات اليم محترب خافى المقاتل عند الروع فرار
ترصدتك مراميه ولو وقعت عليه عيناك لم تنقذه أقدار
يدب فى مسبح الحيتان منسرباً والغور داج وصدر البحر موّار
كدودة الأرض نور الشمس يقتلها
وكم بهـا قُتلت فى الروض أزهار

وفى هذا البيت الأخير تشبيه بلغ منتهى الجمال والروعة ، لم نسمع بمثله قبل الشاعر على محمود طه

ويذهب الشاعر فى فنون القول كل مذهب ، واصفاً ذلك الموقف النبيل الرائع ، حيث يلقى الربان بقبعته إلى البحر إجلالاً للموت . كل هذا فى أبيات تفيض بالشاعرية التى تسرى فى دم الشاعر إلى أن يقول :

ياعاشق البحر حدث عن مفاتنه كم فى لياليه للعشاق أسمار
ما ليلة الصيف فيه ما روايتها فالصيف خمر وألحان وأسمار
إذا النسائم من آفاقه انحدرت وضوأت من كوى الظلماء أنوار
وأقبلت عاريات من غلائلها عرائس من بنات الجن أبكار
شغل الربابنة السارين من قدمٍ تجلى بهن عشيات وأسحار
يترعن كأسك من خمر معتقة البحر كهف لها والدهر خمار
وأنت عنهن مشغول بجارية كأن أجراسها فى الأذن قيثار

انظر إلى هذه التورية المحببة فى ذكره الجارية :

صوت الحبيبة قـد فاضت خوالجها
ورنتها من الأشواق أسفار

وبعد هذا يأتى الملاح التائه بأجمل وأعجب ما يوحيه الخيال الخصب إلى شاعر . فيخرج عما ألف الشعراء أن يقولوه من استمطار الرحمة على الميت أو ما ماثل ذلك ويطلع علينا بقوله :

نزلتما البحر قبراً حين ضمكما رفت عليه من المرجان أشجار

تالله ، لا يقرأ المرء هذا دون أن يقف عنده متأملاً مأخوذ اللب بسحر هذا الخيال الشعرى . رفت عليه من المرجان أشجار

ونقرأ له قصيدة فى موسيقية عمياء ، وإذا بالشاعر ، دأبه فى نظمه ، قد ذوب نفسه وحسه فى قصيدته الجميلة ، متألماً لتلك الصبية ، أو الزهرة التى زواها الدهر لم تسعد من الإشراق باللمح فيقول لها مثلاً :

إليك الكون فاشتفى جمال الكون باللمس
خذى الأزهار فى كفيك فالأشواك فى نفسى

ويمضى الشاعر فى القصيدة على أروع ما يوحى به الشعور بالألم ، إلى أن يقول لها :

عرفت الحب يا حوا ء أم ما زال مجهولاً
ألمَّا تحملى قلباً على الأشواق مجبولاً
صفيه، صفيه فرحاناً ومحزوناً ومخبولاً
وكيف أحسّ باللوعة عند النظرة الأولى

* * *

ومن آدمك المحبو ب أو ما صورة الصب
لقد ألهمت والإلهام يا حواء فى القلب



من آداب الصين الحديثة

قصة الراعى المحزنة

للكاتب الصينى قو مو جو

— ١ —

استقدمتنى إلى كوريا من وراء البحار على بعد آلاف الأميال ، واستقبلتنى تلك الأرواح العلية لجبال كِنج كُنج الشامخة الكثيرة القمم ، فلما وصلت إلى كوريا نزلت فى قرية صغيرة على سفح كنج كنج مشرفة على البحر اليابانى اسمها « حى الأرواح والأولياء » وكان فى القرية بضعة عشر كوخاً مواجهة للبحر متكئة على الجبل ، ليست قديمة متهدمة ولا حديثة مزدانة ، وكان أمام كل بيت بستان جميل تتسلق على جدرانه الفروع ذات الأزهار الناضرة الزكية ، وتبدو من بين المنازل والحدائق أشجار عالية ، وكانت تحوط القرية غابات كثيفة من الصنوبر ؛ وثمت أراض قليلة على مقربة من القرية كانت مفروشة ببساط من شجيرات القمح والشعير ؛ وكان يجرى فى خلال الغابة الواقعة فى الجنوب الغربى من القرية نهر يسمى نهر الغناء ، يتجمع من السيول المنحدرة من قمم كنج كنج وله صوت حزين غاضب وهو يسير صوب البحر اليابانى .

ارتاب أهل القرية فى أمرى حينما بلغتها وظنوا أننى صينى مزيف فلم يرضوا أن أنزل عندهم . غير أن سيدة كريمة فى أقصى القرية أشفقت علىّ بعد ما سمعت كلامى وعرفت قصدى وأننى بعيد عن أهلى وأقاربى فأذنت لى بالنزول عندها ، وآنست وحشتى بكلمات وجدت لها برد الراحة بعد التعب الذى لقيت فى سفرى الطويل الشاق . وكانت السيدة بوذية تعيش فى وحدة تصوم وتصلى وقد جاوزت الخمسين من عمرها ، وكان على الباب شعر منثور مكتوب على ورق أبيض ؛ كما هى عادة الكوريين ؛ فلما دخلت الباب وجدت فضاء مسوراً مزيناً ببعض الأشجار والأزهار ومنزلاً مكوناً من ردهة واسعة على جانبيها حجرتان ، وللردهة باب جانبى ينفذ إلى المزارع التى خلف المنزل والتى تظهر لمن يراها كأنها متصلة بجبل كنج كنج ، وكانت فى وسط الردهة منضدة عالية عليها تمثال بوذا من الحجر الثمين . دعتنى السيدة الكريمة إلى النزول فى الغرفة اليمنى ، ولم يكن بها إلا سرير ونافذة مملوءة بالغبار كأن لم يسكنها أحد من زمن بعيد

مر بى أسبوع مرور الطيف وأنا فى بيت هذه السيدة الكريمة ، وكنت أخرج كل يوم للنزهة فى الجبال وزيارة الآثار الشهيرة من الصباح إلى المساء لا تعوقنى الشمس ولا المطر ووطئت جميع القمم إلا قمة واحدة ، وقد انطبعت فى ذهنى جميع المناظر الجبلية الجميلة الجذابة لا تفارقنى لحظة فإذا أغمضت عينى برزت لخيالى كما تبرز الصور على الشاشة الفضية . على أنى لم أكن أملك من قوة الكتابة أو التصوير ما يسمح لى أن أصف هذه المناظر الخلابة أو أصفها واحدة واحدة فأهدى صورها لجميع إخوانى وأصدقائى كى يتمتعوا بمشاهدتها

— ٢ —

جلست على حافة بئر عميقة على القمة الأخيرة ناظراً إلى الجبال

هو القلب هو الحب وما الدنيا لدى الحب
سوى المكشوفة الأسرار والمهتوكة الحجب

هذا وليس فى وسعى الآن أن أحيط بكل ما فى ديوان الشاعر من قصائد متنوعة الموضوعات . ولكنك أنى أجلت طرفك فى ليالى الملاح التائه وجدت الشعر بكل ما تضمنته هذه الكلمة من معنى . تقرأ القصيدة فترى القوة تسندها من أى ناحية جئتها ، وترى الرقة تبلغ نهايتها حتى تشف عن تلك النفس الهائمة فى عوالم الجمال والشعر والخيال . وترى الخواطر والمعانى الدقيقة وقد صبغها الشاعر بصبغة من فنه الرفيع وعبر عنها بأسلوبه الشعرى الخاص ، حتى لتكاد اللفظة الواحدة بحلاوة جرسها وسحر وقعها فى النفس تقول لك : أنا لست كلمة من الكلمات ولكننى نغمة من الأنغام . حتى إذا روّيت نفسك من هذه الشاعرية المتدفقة بأروع الشعر وأرقه رفعت عينيك الفياضتين بالنشوة وقد آمنت معى بأن الطبيعة التى قالت للشاعر الفرنسى لامرتين « سر فى طريقك ، ما أنبه شأنك ، إنه رآك » تعود اليوم فتقول مثل هذا للشاعر العربى المصرى على محمود طه .

« دنانير »

التي تسبح في السحاب والدخان على ضوء الشمس التي آذنت بالزوال ، فرأيتها شامخة ساكنة كشيخ ورع يحيط به عالم متحرك فانبعثت عاطفتي بتلك المناظر الجميلة سابحة كالطير في الجو متمتعة بالطبيعة، سكرى بما اشتملت عليه من الجمال ، وإذا غناء حزين من فتاة في سفح الجبل قد انبعث إلىَّ بين هبات الرياح ونفحات الرياحين فأيقظني ، فأصغيت إليه فإذا هو :

تستقبلني الشمس حينما أطلع ،

وهي تشيعني حينما أنزل .

للشمس بعد الغروب موعدٌ للطلوع

لكن الراعي ليس له وقت للرجوع .

ثغاء الغنم ،

صوتٌ حزين فزع !

إنها تشتاق إليك ، ألا تعرف أيها الراعي ؟ !

انقطع الغناء وثغت صغار الغنم بأصوات حزينة وقد اختلطت بأصوات الأجراس الضئيلة التي لا تكاد تُسمع

إن الأجراس في رقاب الغنم

معلقة كلها بيديك الكريمتين ؛

لكن الحبل الذي يمسكها يكاد ينقطع وتوشك أن تقع ،

والذي علقها قد ذهب وليس له وقت للرجوع .

ثغاء للغنم ،

صوت حزين فزع !

إنها تشتاق إليك ، ألا تعرف أيها الراعي ؟ !

أخذ الغناء يبتعد شيئاً فشيئاً ويتضاءل صوته في مسمعي ، ولكن تأثيره في نفسي كان عجيباً يبعث في العين الدموع

لست بمعدومة المقص ،

أقص به صوف الغنم ؛

ولكن عليه أثر مقصك المحبوب ،

إذا ذهب ذهبتْ روحي وحياتي !

... ...

لست بمعدومة الرباط ،

أربط به جرساً في رقاب الغنم ؛

ولكني أنتظر وقت انقطاعه ،

فأذهب إلى جانب المحبوب !

فلما سمعت هذا الغناء انحدرت دموعي من غير أن أشعر ، ثم وقفت على قمة الجبل تحت شجرة الصنوبر ونظرت إلى السفح فإذا قطيع من الغنم لا يزيد على بضع عشرة غنيمة ترعاه فتاة صغيرة وتسير به في ضوء الشمس الغاربة ذاهبة على مهل نحو المدينة ؛ وكان على رأس الفتاة لفاع أخضر يفيض على يديها ، ويبدو تحته لباس آخر أحمر ؛ وفي رجليها حذاء من النسيج وهي تسير بقطيعها مغنية منشدة مبتعدة عني شيئاً فشيئاً :

غنمي ، غنمي !

لا تخافي ولا تحزني !

إنه لا يجترئ حيوان مفترس أن يقترب منك

ما دمت موجودة معك .

فإن جاء ،

قاتلناه حتى نموت فيفعل بنا بعدُ ما يشاء .

غنمي ، غنمي !

ارجعي إلى البيت معي !

وخفت الصوت حتى تلاشى ، وغربت الشمس ، واحتجبت الفتاة عن عيني وراء الجبل ، وكنت غريقاً في نهر من الدموع . ولبثت واقفاً تحت الشجرة مدة لا أعرف قدرها ، والجبال كأنها نائمة ، وقد تلألأت النجوم في السماء وبرز الهلال من شرق البحر

— ٣ —

ألا تعرف أنها ابنة السيد مين الشريف ، أيها الضيف الكريم؟

جلست مع مضيفتي الكريمة خارج الردهة نتجاذب الأحاديث وقصصت عليها ما رأيته في النهار فأخبرتني باسم تلك الراعية الصغيرة

— إن كانت شريفة من بيت شريف فلماذا ترعى الغنم بنفسها هنالك؟

يظهر أن سؤالي هذا حرك في قلب السيدة الكريمة شيئاً كامناً فصمتت برهة وهي تحدق في القمر في وسط السماء ونظرت إليها فإذا عيناها مغرورقتان بالدمع، فندمت على ذلك السؤال الذي ضاقت به مضيفتي ، وذهب بي الفكر مذاهبه . ثم تحولتْ إليَّ مضيفتي الكريمة وقد جفت دموعها وقالت :

— كان في نفسي ألا أذكر شيئاً من ذلك الماضي الأليم المحزن ، لكنني لا أطيق أن أكتم عنك . غير أن الحديث طويل متشعب فلا أدري من أين أبتدئه ؟ وأردفتْ :

— لم تولد هذه الفتاة الشريفة هنا ، في هذه القرية ، لقد كانت تسكن في الشارع الرئيسي في العاصمة منذ عشر سنوات، وكان أبوها وزيراً في الحكومة ، ثم ترك الوزارة وغادر العاصمة

هو وأسرته ليقيموا هنا ؛ وإنما كان ذلك حين عرف أن بعض الخونة فى الحكومة اتفقوا مع دولة أجنبية ذات مطامع ، ولم يسمع الملك شكواه ولم يجبه إلى ما طلب من إعدام هؤلاء الخونة ليصون استقلال البلاد وسيادتها ويوطد سلامتها وحريتها

وكانت زوجته الأولى قد ماتت منذ ست عشرة سنة ، ولم يرزق من زوجته الثانية ولداً ولا بنتاً ، وكانت الفتاة فى الخامسة من عمرها حين ماتت أمها، وكان أبوها يحبها حبًّا جمًّا، فعهد إلىّ أن أقوم بخدمتها، وذلك عمل نتوارثه فى أسرتنا من زمان فى خدمة تلك الأسرة ، وكان زوجى شيخو خادماً له أيضاً، وكان لنا ولد ...

استمرت السيدة فى الحديث وقد شاب صوتها رنة حزن ، والبكاء يغالبها : وكان ابنى اسمه يين وهو الإسم الذى سماه به سيدنا أبو الفتاة وكان يحبه كثيراً ويناديه دائماً « يابنى يين » ، وكان أكبر من الفتاة بسنة واحدة فكانت تدعوه أخاها الأكبر، وكان ابنى يتجاوز فيدعوها أخته الصغيرة أيضاً ، وكان كلاهما يحب الآخر كأنهما أخوان شقيقان

وكانت زوجته الثانية السيدة لى من الأسرة الشريفة أيضاً ، وقد درست فى اليابان وهى صغيرة ، ثم سافرت إلى نيويورك ولندن وباريس وفينا بعد تخرجها فى اليابان فقضت أكثر أيامها فى الخارج . ولما رجعت إلى البلاد وهى فى الثانية والعشرين من عمرها ، طلبت أسرتها إلى السيد مين وقد مرت على وفاة زوجته الأولى ثلاث سنوات أن يتزوجها . وكانت ذات شخصية بارزة فى العاصمة ، معروفة فى المجتمع باسم الفتاة الحديثة . تصور أيها الضيف الكريم كيف يمكن سيدة متمدنة لطيفة نشيطة حديثة العهد بالزواج مثل هذه السيدة أن تحيا هنا هذه الحياة القروية الخشنة ؟!

انتقل السيد مين إلى هنا ، ونزل فى معبد فى تلك المدينة ، واعتكف فيه لا يهتم بالشؤون السياسية والاجتماعية ، وأمرنى أنا وزوجى أن نسكن هنا فى القرية لضيق المعبد ، واستبقى ابنى يين معه حيث يقيم ، واشترى له قطيعاً من الغنم يرعاه ، وكان ابنى فى الثانية عشرة من عمره يرعى الغنم بين الجبال فى الأيام التى لا تمطر فيها السماء، وفى بعض الأحيان كانت تصحبه الفتاة، وكثيراً ما كانا يضلان، فنخرج للبحث عنهما حتى نجدهما فى سلام وسرور.

أذكر أنهما مرة لم يرجعا إلى المعبد حتى منتصف الليل ، وظن السيد مين أنهما فى منزلنا ، فبعث إلينا يستفسر عنهما ، فجزعنا وخفنا أن يكون قد أصابهما شر وأسرعنا نبحث عنهما هنا وهناك ، فلما وصلنا إلى جبل كنج كنج البحرى رأينا القطيع على بعد نائماً على الشاطئ ، وقد اتكأ ولدى على صخرة كبيرة ، ونامت الفتاة متكئة على كتفه وقد استغرقا فى نوم عميق ، وكانت الليلة مقمرة ، كهذه الليلة ، والقمر ينشر ضوءه على الأرض والبحر تتجاوب أمواجه ، فكأنا فى مهد الطبيعة الكبير . إننى لن أنسى ما حييت تلك المناظر الجميلة التى رأيتها ليلتئذ

وكان ابنى يين يعالج بعض التمرينات الرياضية فى المعبد مع الرهبان فى الأيام الممطرة ، فلا يخرج ليرعى الغنم ، وكان يقرأ ويكتب مع الفتاة عند أبيها كل ليلة . وهكذا مرت أربع سنوات ولم يحدث شىء . وبلغ ابنى ست عشرة سنة من العمر ، وبلغت الفتاة خمس عشرة ، وكان السيد مين يقول دائماً : سأذهب بهما إلى المدينة لتزداد معلوماتهما ... أواه ! إن إرادة الله فوق إرادة الإنسان ، فقد حدث فى تلك السنة ... ...

وأمسكت السيدة وأخذت تبكى بكاء مراً شعرت معه برجفة وتوقعت أن نكبة شديدة قد أصابت هذه الأسرة ، وكان القمر فى تلك اللحظة محجوباً بسحاب كثيف فزادنا ذلك شعوراً بالحزن والكآبة ولم أجرؤ على السؤال عما حدث ، وانتظرت حتى عادت السيدة إلى نفسها وقالت والدموع فى عينيها :

« فقد قتله أبوه ... قتله أبوه فى تلك السنة ! ... »

ثم عادت السيدة إلى البكاء، فلم يلبث أن وقع حزنها فى قلبى وملكنى ألم شديد ، وكنت أود أن أجد كلاماً أعزيها به فلم يطاوعنى لسانى فوقفت وقدمت إليها فنجاناً من الشاى فأخذته وجرعت منه جرعات ثم قالت :

« القصة طويلة جداً فلآت بكتاب ابنى الأخير تقرؤه ، ثم أخبرك بالخاتمة »

— ٤ —

كان قد مضى من الليل نصفه والجو بارد ، فدخلنا الغرفة وجلسنا على الأرض الخشبية كما هى عادة الكوريين ، وجاءتنى السيدة بكتاب ابنها فأخذت أقرؤه تحت ضوء المصباح الضعيف :

أمى المحبوبة :

لقد عثرت برسالة كانت بجانب الحظيرة عند ما رجعت من المرعى . يظهر أن هذه الرسالة كانت سقطت من أبى ، وأخذت أقرؤها لأنها كانت مفتوحة ، أواه ! أمى ! ليتنى لم أقرأها فقد جزعت عند ما قرأتها وطار لبى !

لقد عزمت على أن أنقذ سيدنا وأختى وأبى ، لأنى لا أريد

أن يرتكب أبى تلك الجريمة الشائنة فيصير مذنباً عظيماً ، وأظنه الآن فى المعبد فإنى لم أجده بعد البحث الطويل . أمى ! إنى أعتقد أن هذا السر إذا شاع فإنه سيكون له شأن . إنه أمر لا يهم أبى وحده لذلك سأمضى لأبحث عنه فى الليل وأراقبه ، وسأحاول أن أمنعه عن ارتكاب ذلك الجرم العظيم وأقنعه أن ذلك عمل سيئ

أمى المحبوبة :

إن خذلنى الحظ وقُدِّر لى أن أموت فلا تحزنى ، فإنه خير للرجل أن يموت حراً من أن يبيع حريته وبلاده للأجانب ... ولقد ضاق الوقت فلا يسعنى أن أكتب أكثر من هذا . فإذا قرأت الرسالة السرية التى عثرت عليها فأحرقيها قبل أن يراها أحد وإذا حم القضاء فىّ فأرجو أن تقدمى نسختين من يومياتى المحفوظة فى الدرج إلى أختى المحبوبة ! ولدك « يين »

الرسالة السرية

شيخو ...

تعال إلى المعبد هذه الليلة وسأساعدك على دخول الحجرة ، فإذا أمكننا أن نبطش بهم جميعاً كان خيراً . خذ هذه الورقة التى فيها شِعره الثائر المثير ، واذهب بها إلى المعسكر ، واعترف بما فعلت ، فسيكون فى ذلك نجاتك ورقيك ! احذر ولا تنس !

(فى ١٦ يونية) السيدة « لى »

الشمس

من نظم السيد « مين »

ما أحمى الشمس النارية ! قد أحرقت زرع أراضينا الخصبة

جف التراب ومات الزرع فافتخرت الشمس النارية

ليتنى أجـــد سهم يى[1]

فأرميك به حتى تسقطى فى أعماق البحار

وليتنى أجـــد سيف يان[2]

فأقطعك به حتى تموتى وراء الجبال

لـكن السهم والسيف ليسا معى

وإنما أذرف الدم من عينى دموعاً على الجبال

ما أطول النهار ! فمتى يحين الليل ؟

ومتى المـــبدوء والنهـــاية ؟

انتظرتنى السيدة الكريمة حتى أتممت قراءتها كتاباً كتاباً ثم قالت لى بصوت هادئ حزين :

— لعلك قد عرفت القصة بوضوح أيها الضيف الكريم ؟ فقد مات ابنى الوحيد فى تلك الليلة المشئومة ، ليلة ١٦ يونية . وقد جاءنا فى ظهر اليوم التالى راهب صغير وقدم لزوجى رسالة ، فخرج من فوره ، وكنت أظن سيدنا استدعاه لأمر مهم فإذا به يعود بعد منتصف الليل متعباً سكران ، ثم لم يلبث أن جاء طارق يطرق بابنا ، فلما فتحته وجدت اثنين من الرهبان فصاحا قائلين :

— وا حزنا أيتها السيدة الكريمة ! لقد قتل ابنك الكريم !

فلما سمعت كلمهما أخذتنى رعدة شديدة . وخرج زوجى فجأة من الغرفة كأنه قد سمع ما أخبرانى به ، وصاح قائلاً :

— أواه ! لقد غلطت فى القتل ! لقد غلطت فى القتل !

ثم خرج من الباب مسرعاً !

وذهبت إلى المعبد عَدْواً ، فلما دخلت الحجرة التى ينام فيها ولدى ، وجدت على مكتبه رسالة مكتوباً فيها : « إلى أمى المحبوبة من ولدها يين » . فأخذتها ووضعتها فى جيبى ، وأسرعت إلى المكان الذى يزدحم فيه الناس حول القتيل ، فرأيت ابنى بين مخضباً وجهه بالدماء وقد سكن قلبه وبرد حسه ، فسقطت على الأرض مغشياً علىّ

ولما أفقت من الإغماء ووجدت السماء صافية والشمس ساطعة ، ظننت أنى كنت فى حلم مخيف ، وحدقت فيما حولى فوجدتنى نائمة فى حجرة الفتاة الصغيرة ، ووجدتها ساكتة بجانبى ؛ ولما رأتنى قد أفقت أحنت جسمها وأخذت تعزينى ، فازداد بذلك حزنى وبكائى ، وبكت الفتاة معى

وبعد قليل دخل السيد مين وزوجته السيدة لى وقال لى السيد :

« يجب أن ندفن ولدنا يين ؛ فلماذا لم يظهر أبوه إلى الآن ؟ »

لما سمعت ذلك عرفت أن زوجى لم يجئ إلى المعبد قط ، ثم تذكرت الكتاب الذى تركه ابنى على مكتبه فطلبت من الفتاة أن تخرجه من جيبى وتقدمه إلى والدها ليقرأه ؛ فما كاد يتناوله حتى سقط من يده كتاب آخر ، هو الكتاب السرى الذى كتبته السيدة لى إلى زوجى ، فلما رأته السيدة لى خرجت مسرعة وأخذ السيد يقرأ كتاب ابنى ، وخرجت الفتاة الصغيرة فقدرت أنها ذهبت لتأخذ اليوميات من درج المكتب . وقرأ السيد

---

(١) من الأساطير الصينية القديمة أن الشمس فى السماء كانت عشراً فأحرقت المزارع والناس يشكون من حرارتها ، فرمى يى بسهامه وأصاب تسعاً منها وأبقى واحدة حتى يعيش بحرارتها الانسان ، فكان يى مشهوراً برمى السهام

(٢) من الأساطير أيضاً أن يان أحد الصينيين كان مشهوراً بقوته وشجاعته وسيفه القاطع . لا يقدر أحد من معاصريه أن يصارعه أو يضاربه

عنــــان

للأستاذ مراد الكردانى

كن أربع غيد عذارى فاتنات ناعمات يتحدثن ويسمرن فى مجلس خامستهن ، وقد جئن يهنئنها بخطبتها وكن أخص صواحبها

قالت حورية — وهى غرة صغيرة ، خفيفة الظل — تخاطب العروس : فعلتِها يا عنان ؟

فابتسمت عنان بفمها وعينيها ابتسامة أشرق بهاؤها وقالت فى حياء وفرح : العقبى لكن جميعاً

فاندفعت ثريا — وهى محا كة تحب عنان وتؤثرها — تقول وتضحك : تلك حال الدنيا يا عنان ... وكلنا لها ، فضحكن جميعاً ضحكاً حلواً مرِ نًا كالنغم الأغن . وأجابتها عنان :

— هذا عزاء يقال للمسكين الذى يبتليه الله بك يا خرقاء

... ثم لما صفا المجلس من هَذَر ثريا ومجونها أقبلن على عنان ورجونها فى شغف أن تحدثهن كيف أتم الله نعمته عليها . فبدأت تقص عليهن وقلبها يقفز من الفرح ، فتساقط الألفاظ من فمها الصغير مبتورة ضائماً نصفها فى شهقة خفيفة ما كانت تقوى أن تخفيها من فرط ما تحس به من سرور وفرح ... ولم تفت حالها ثريا فقالت : ماهذا يا عنان ؟ ! اثبتى لو رآك خطيبك لطمع فيك ولا استثمر لنفسه تلك الفرحة التى تفيض من عينيك فَذَلكِ وخضّمك ... أنت فرحة أكثر من اللازم كل جارحة فيك تهتز حتى كلامك يخرج مهتزاً مدغوماً ... انظرن قلبها كيف يرقص من خلال عينيها، ووجها كيف يضحك كله كأن قد انتخبت نائبة فى مجلس النواب أو سفيرة لبلادها ! ! خففى عليك يا عنان فهو رجل ... رجل لا أقل ولا أكثر ...

فقالت عنان فى نشوة ظاهرة وإيمان صادق :

— اسكتى يا مجنونة اسكتى ... حين ذهب عنكن الرجل ، وحين تبيَّنْتن أنه جاد ولن يرجع ، رُحْتن تنشدن السلوى عنه فى السفارة والنيابة ... والله لو أتاكِ لبحثت أنت عنه فى النواب ثم خرجت به . ما كان أجدر أن يبحث هو عنك ... أما أنا فلقد ظفرت برجل يا ثريا

الكتاب السرى فازداد غضباً على غضب وسكت برهة ثم انفجر باكياً وصاح يقول : «ولدى بين ، ولدى بين! لقد كنت أرجو أن أراك رجلاً حتى تجاهد فى سبيل وطنك، لكنك قد مت من أجلى وأجل فتاتى آه ! آه ! أين أجد بعدك لذة الحياة ؟ ! ...

ودخلت الفتاة الصغيرة مسرعة وهى تقول فى ذعر : إن السيدة لى قد أزهقت نفسها وانتحرت فى غرفة بين ...

خَفَتَ ضوء المصباح لقلة الزيت ، فقامت السيدة الكريمة فعمرته بالزيت ثم رجعت لتتم حديثها :

قبر ابنى بين ، والسيدة لى ، كلاهما فى المعبد ، وقد قضيت أسبوعاً هناك مريضة . ولم أسمع خبراً عن زوجى منذ تلك الليلة فلا أدرى أهو حى أم ميت ! وكنت أود أن أبقى فى المعبد بعد ذهاب زوجى وأخدم السيد مين وفتاته ، لكنه رفض وترهب ، وبقيت الفتاة وحدها تخدم والدها وترعى الغنم التى كان يرعاها ابنى من قبل ... ذلك سبب ما سألتنى يا بنى . .

أليست فتاة مسكينة أيها الضيف الكريم ؟ وكثيراً ما تلقانى فتقول لى : إن الغنم بعد ما فارقها راعيها امتنعت عن الأكل وقد نفق أكثرها هزالاً ، وكلما مات واحد منها بكته الفتاة بكاء شديداً وأقامت له قبراً بجانب قبر ابنى ؛ فلذلك لا أظن ابنى بين يشعر بالوحشة والانفراد ، ولن يشعر بهما أبداً !

— ٥ —

أمسيت أتقلب على السرير بعد ما سمعت قصة السيدة مضيفتى فلم أنم إلا بعد ساعات . ولما أغمضت عينى رأيت كأننى قد ذهبت إلى ذلك المعبد الرهيب ، ورأيت ذلك القبر المكتوب على حجره « قبر الفتى بين » ورأيت حوله قبور الغنم ورأيت أيضاً تلك الفتاة التى رأيتها فى النهار فوق الجبال جاثية أمام القبر تدعو لصاحبه

ثم لم يلبث أن تحول منظر القبور إلى مسرح جميل فى وسطه فتى وفتاة عاريان يرقصان ويغنيان وحولهما قطيع من الغنم واقف وقفة الناس يرقص معهما ويغنى ، وثمت كثير من الأسد والنمور وصنوف من الحيوان ... وفجأة أبصرت إنساناً يدنو ، وفى يده سيف قاطع ، يهم أن يقتل به الفتى فأخذت عليه الطريق فأهوى على ثم استيقظت ، ولما هدأت نفسى وزال اضطرابى جلست فى فراشى أترقب مطلع الصبح حتى أستعد للسفر ؛ فمالى طاقة بعدُ على البقاء فى هذا المكان !

المترجم

أبو بكر هرفانيجى

فناصرت هدى — وكانت قد عنَّستْ — رأى عنان :

— ... فى زمن عز فيه الرجال يا ثريا

وكانت حورية قد تركتهن يصطخبن كما يحلو لهن ، وأعملت أسنانها فى الطبق المثقل باللذيذ من الحلوى ، حتى إذا أتت عليه رفعت رأسها وقالت لعنان ، ولا تزال تمضغ وتتمطق :

— أوَ يكون فى ليلة العرس عشاء ؟ لعله عشاء كامل مسمن ، لا أن ندور لنلتقم من كل صنف لقمة ، كأنما جئنا لنتسلَّف أو لنتقصى أنواع الطعام !

فالتفتت لها ثريا ودارتْ عينُها لما رأت الطبق فارغاً ، ثم نهضتْ فضربتها وجعلت تدسُّ لها الطبق فارغاً فى فيها تريدُها أن تمضغه هو الآخر . فانفجرن جميعاً ضاحكات ، ونهضتْ عنانُ فموضتهن وأجزلت

قالت هدى لعنان وكانت أشتَفهن بسماع الحديث :

— حدثينا كيف ظفرت برجلك ولا تلتفتى للمجنونة ولا للمهمومة ...

فقالت عنان :

— والله إن الأمر يا هدى عجبٌ من العجب ، لعله لا يصدق أو لعله هَيِّنٌ نادر ، ولكنه وقع لى على أى حال ... كان جالساً بجوارى فى مركبة عامة لا أعرفه ولا يعرفنى ، فَلَفَتَ فىّ فقبَّلنى فى زحمة الناس وعلى عيونهم ! ثم تبعنى لما نزلت ... ثم جاء فخطبنى !

فشُدِهن كلهن ، وشاع فيهن حنين خفيف ، وثارت فيهن أنوثتهن المحرومة والمنتظرة ... فأشْفَين إليها وأقبلن عليها وهى تفصِّلُ ما أجملت :

— كنت أرقب السيارة الصاعدة إلى « مصر الجديدة » وكانت الزحمة بالغة ، وتدافع الناس على باب الدرجة الأولى . فهدانى ربى أن أدلف إليها عن طريق الدرجة الثانية ، ولكنى — وقد استويت راكبة — عجزت أن أبلغها ، فوقفت أهتز وأتدافع وسط الرجال . فتضاغطَ الجالسون إلى يسارى ووسعونى ، فجلستُ خامسة فى مقعد يسع أربعة وكان هو إلى يسارى يتأملنى ويختلسنى بأطراف عينيه . أفجأه فيغض ، ثم يعود فأعود . . . ولما شعرتُ بدقِّ قلبه . إذ كان جسمه لصق جسمى تركته فلم ألفتْ نيه ... ثم بدا له أن يرسل عينه فى الطريق من ناحيتى فى نفس اللحظة التى بدا لى فيها أن أرسل عينى أنا الأخرى من ناحيته . فرَفَّ شفتى بشفتيه ! وتلاقت عينانا فى نظرة داهشة ثم عاتبة وغاضبة . وكانت قبلة ضاعت حلاوتها فى حرَّة الخجل التى تنفَّشتْ فىّ فأطرقت مضطربة محمومة

لم أدر ما حدث بعد ذلك ولكنه خبَّرنى . قال وهو يعيد الذكرى على سمعى :

... لم أستطع أن أواجه أعين الناس . وحنقت على نفسى أشد الحنق ، وأحسست أن الدم قد تصعد وف ...

وأمسكت عنان عن حديثها بغتة لأنهن لفتن نحو الباب ففوجئن — ما عدا عنان — برجل يقتحم عليهن فألفينه شاباً موفور الشباب رائع الرجولة ، فجأت رجولته أنوثتهن فتمنَّينَه ، وثار عليهن نقصهن فغبطن عنان التى وجدت كمالها

ونهضت تقدمه لهن وتقدمهن له ، فرحب وهو يبتسم ويجلس جنب عنان جلسة يزحمها بها ، كأنما يعاود على فؤاده منها ذكرى اللقاء الأول والقبلة الأولى . فتضاحكن من ظرفه ومن جلسته ثم اندفع هو مستطرداً كأنه الذى كان يتحدث :

— لقد حنقت على نفسى وأحسست الدم ...

فشرعت فيه عنان عينيها ، فغضَّ ، فقالت :

— من غير إذن ...! ثم من أدراك أنهن يسمعن لك ؟

فقال: من التوفيق وحسن الحظ أننى أقبلت حين بدأ الحديث يكون عنى ، أعنى فى شأنى ، فأنت التى يجب أن تتأذنى ، لأن الذى حنق هو أنا ، ودمى أنا — لا دمك أنت — هو الذى تصعَّد فى وجهى وفى قنة رأسى فجعل يخزنى كأن إبراً تتوالى على صفحة وجهى وفى هامتى ، فجعلت أتحسس مواضع الوخز وأنا مطرق لا أجسر أن أرفع ، ولكنى عدت فاختلستها — وهى مطرقة مثلى — فرأيت الوجه الجميل قد تورد كله . ثم تجمع ورده وزكا فى الخدين فوهجا وأضاءا . فسلبتنى روعة حيائها قسوة حيائى . فلم أعد أحفل بالناس ، إذ لم يعد فى وسع عينى ولا فى أقطار نفسى سواها

ثم تكشفت على فؤادى من عينيها — لحظة شرَّعتهما فىّ — فتنة جديدة أشد وأروع كانتا مسبلتين فنجلتهما فى ، فكأنما — والله — سلت الأهداب الطِّوال المشرَعَة فى كبدى فسيَّلتها !

لم أستطع أن أحتمل أكثر من ذلك . فهامستها — من غير وعى وأنا لا أعرفها — أن من الأوفق أن ننزل ...

فقطعت عنان حديثه قائلة فى تتايه ودلال :

— كنت وأياه كوسيط مسحور يصرفه النوم كيف شاء

فقال أأذنت لك أن تقاطعيني . اسكتي . فهذا حديث كبار فبسمن جميعاً وعاد يقول :

— نزلنا ولم يبلغ واحد منا وإنما هربنا من فضول الناس . لم ندر كيف ، ولم تدر هي كيف أطاعتني . فكلانا ذاهل غائب فتى يقبل فتاة لا تعرفه ولا يعرفها في جمع الناس وعلى عيونهم ثم ينهضان معاً ... إن هذا لشيء عظيم !

ولبثنا وقوفاً زماناً ثم جمت بدد ذهني قليلاً حين دار في أذني سبابها خفيفاً حلواً يتندى على فؤادي كحبات الماء على جبين محموم .

وقلت: إنها غلطة يا آنسة وإنها — ولا يد لي فيها — لأحب إلى نفسي من عملي كله

فعبس فمها ... فمها فقط ... عبسة أشهد ما رأيت أحلى ولا أروح منها ، وعاد سبابها العذب يتوثب حول شفتيها ثم يتسامى إلى قلبي نغماً قصيراً رقيقاً يحمل في وهن رقته قوة فتانه ...

فابتسمت ثريا وقالت :

— مرحى . مرحى . هذا منطق عاشق يسمع بقلبه سباب حبيبه نغماً كحباب الكأس ما تسمو واحدة حتى يماجاها فناؤها الكامن فيها

فأمّن على تشبيهها واستطرد عليه يقول : أي والله يا ...

ونسي فأدركته عنان قائلة ... يا ثريا

— أي والله يا ثريا إنه لكذلك على فؤادي كان يوقظ حنينه ولا يشبعه ! ولكنه لم يكن سباباً . إنه — يا آنسة — غضبةُ جمال شقّ عليه أن يُمتهن على أعين الناس

وكانت إفاقتي على حلو سبابها ردة على جمال جديد تجلى على فؤادي من قوامها المعتدل سحرتني وحيرتني فلم أدر أيّا أطيل فيه النظر ولا أيّا أقصر عنه ... كانت فتنة مجسدة ، وكنت من فمها وحده بين ثلاث فتن : أكبرها وأقتلها أنني قبلت هذا الفم وأوسطها أنني نعمت به حين عبس فبدا بشفتيه — العليا على السفلى — كفراشة حمراء قانية بسطت جناحيها الصغيرين ثم نامت على لفة وردة ترشف رحيقها . . . وأنني سحرت حين ترسّل على فؤادي منه نغم حبيب . وأهونها ـ وتلك من عجائب القلب ـ أنني فزت بعد ذلك برضاه . . . إنه حلو فاتن حين يرضى ، وإنه لأحلى وأفتن حين يعبس

فضحكت ثريا وقالت :

— الأمر بيدك ... اغنم لنفسك الأحلى !

فقال وهو يبتسم : هذه أمانيةٌ يا آنسة !

وقالت عنان تُتَم الحديث من حيث قطعته ثريا :

— ... وفرغَ سبابي فمدَّ إليَّ يده في ضراعة وقال لي :

— إنه خطأ هين ، وإني لمصلحٌ ما كان بجمال ما سيكون ، ولذلك لن أعتذر ، وعاد هو يتم لها :

— ... قلتُ لها : ولذلك لن أعتذر ؛ فعقدت حاجبيها وتغَضَّبَتْ بعينيها ، ولكنها ابتسمت على رغمها ابتسامة كانت تنمها جُهدها وتخفيها ، ففهم قلبي معاني قلبها ، وناجت روحها روحي ، وانسرقتْ حواسها بجملتها على غفلة منها فألفت في حواسي رسالة فرحتُ بها فاتزنت واطمأن قلبي

وجاءت سيارة فقفزت إلى الدرجة الأولى لتواصل طريقها وقفزت أنا في الدرجة الثانية ، ولما نزلتْ هي نزلتُ أنا وتحاشيتها وعرفتُ من بُعدٍ منزلها ... ثم ... ثم اقتحمت على أبيها فأسعدني وأسعدها

فبسمت عنان ابتسامة أشرقت في قلب خطيبها هذه المرة ، وقالت في دلال وتخابث : في «وأسعدها» بحثٌ وكلام

فأخذ وجهها بين يديه وقبّلها على مرآى منهن قبلة عاجلة وهو يقول :

— لا كلام ولا حديث لقد ظفرت بالدنيا يوم ظفرت بك يا عنان

وخرج يجرى فاتراً بقبضة يدها تهوى على ظهره جزاء ما فعل

— أما هن — كان الله لهن — فقد تخاجلن وتضاحكن . ثم نظر بعضهن إلى بعض ، وقمن لينصرفن . فقالت لهن والدنيا لا تسعها : إنه خفيف الظل وأنا أعبده

فقالت ثريا :

— إنه رجلٌ يُتَمنّى يا عنان ، وإنه لحقيق أن يحبّ ويعبد ، لو كنتُ مكانك . . .

وعَيَّ على المسكينة أن تزيد . تحَجّرتْ هدى وزاملتها وأرسلتا ـ حين صارتا في الطريق ـ زفرة حارة ، وزادت هدى أنّ عَبرَة فرّت منها برغمها

وقالت ثريا :

— تعالى يا هدى سنركب الدرجة الثانية من سيارة مزحومة وبعداً — منذ اليوم — لسيارتي وللدرجة الأولى ... ولتحرص كل منا أن تجلس — منذ اليوم أيضاً — خامسة في مقعد يسع أربعة ... لعل وعسى ...

مراد الكرداني

{ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولي — عابدين }

8me Année No. 360

Lundi - 27 - 5 - 1940

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع البدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـدد ٣٦٠ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٠ ربيع الآخر سنة ١٣٥٩ — الموافق ٢٧ مايو سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهـرس

الفكر والحرب ...

قال الأستاذ « دومينيك[1] » فى تحليله البليغ للكتاب القيم الذى ألفه السير « نيفل هندرسون » سفير انجلترا فى برلين بعنوان (سنتان عند هتلر) :

« إن المتمدنين الذين يعيشون فى هذا القرن بإنسانية القرن التاسع عشر ومسيحيته ليقضون من الدهش إذ يرون هذا « الهتلر » يرجع بالعالم إلى عهود الجاهلية القيصرية فيحمل أتباعه على أن يعتقدوا أن الله قد حل به وأن ألمانيا قد تجسدت فيه . وإن المفكرين ليفزعون فى وسط هذه الزعازع الهوج إلى الله جزعين أن يرتكس الفكر والحضارة فى مهاوى البربرية الأولى » .

وقال المستر « سمنر ولز » فى خطبته الختامية بالمؤتمر العلمى للأمم الأمريكية :

« ليس من الصعب أن نتنبأ بنكسة القرون الوسطى فى بلد أصبح التفكير الحر مستحيلاً فيه . وأى أمل يبقى للأخلاق بعد هذا الطغيان الذي موّه الباطل على الناس حتى اعتقدوا أنه الحق ؟ » . ثم دعا الولايات المتحدة إلى أن تذود عن المدنية التى تدين لها بأكثر مما تنعم به .

(١) النوفيل ليترير

وقال صديقنا الأستاذ « الحكيم » في (الأهرام) :

« إن نذير الدمار المسلط على شؤون الفكر والروح كفيل بأن ينهض برجال الفكر والأدب للدفاع بأقلامهم وقلوبهم عن حضارة ساهم أسلافهم في وضع أحجارها الأولى » .

وكلام هؤلاء السادة على اختلاف الموطن والمذهب ترجمة لطائفة من المعاني الخداعة التي قدمها الإنسان الحديث فأقام عليها ثقافة المدرسة ، وراض بها نفسية المجتمع ، وجمل منها خصائص لحيوانيته تميزه في زعمه على الإنسان القديم والوحش الآبد . وليس في منطق الطبع أن يكون أثر الفكر دائماً من الخير المحض ما دام مصدره الإنسان وهو يفسد ويصلح ويخبث ويطيب تبعاً لوحي غريزته وخضوعاً لهوى منفعته . أليس الفكر والأدب والعلم والمدنية التي يدعو الأساتذة الكتاب إلى النضح عنها هي نفسها التي جعلت ألمانيا الهتلرية جحيما يستعر باللظى والغاز والحمم ، فزلزل الأرض من القطب إلى القطب ، ورمى الدنيا جماء بغاشية من الموت الوحيّ والقلق المميت ؟

لو لم تعتمد النازية على الفكر الألماني القوى الخصيب لما استطاع ناسك « برجوف » أن يفجأ العالم الآمن بأهوال من الشر ينكرها الشيطان ، وأساليب من الموت يجهلها الموت

إن الفكر الفعال في الأرض لا ينفك عنه قصور الإنسان وضلاله ، فهو عاجز عن هداية الناس ما لم يهده الله بنوره . ولا يجرؤ المسكين ابن آدم على أن يزعم أنه استطاع بفكره أن يحل مشكلاته بالمفاوضة ، ويقسم أرزاقه بالعدل ، ويوثق علائقه بالمودة ، ويضع لدنياه أنظمة ثابتة تكفل له السعادة الخالصة والسلام الدائم

وإن الأدب المحرك لهوى النفوس لم يستطع الإنسان الأثر أن يسمو به على الأهواء النفسية والأغراض الحزبية والأطماع القومية ؛ فظل في كل أمة خاضعاً لمنهاج المدرسة وسياسة الدولة وطبيعة الشعب لا يتجاوز حدود المكان ولا فصول الزمن ، فكان عاملاً من أشد عوامل العصبية والوحشية والفرقة

وإن العلم الذي نيط به العقل كشف أسرار الكون لفهم الحياة ، وتسخيرَ قوى الطبيعة لخير الناس ، جاءه الضمير فاستبد به الشر وراح يستمديه على نتائج الخير وآثار الصلاح ، فرماها بآلات البوار والدمار من طائر يقذف الشهب وسائر يطلق السموم وزاحف يرسل اللهب !

وإن المدنية التي عمرت بها الأرض ، وتمت عليها الأنفس ، وزخر بها النعيم ، وتبجح بازدهارها الإنسان ، قد سطت عليها المادة القاسية فسلبتها الروح وحرمتها القلب ، فوقعت الجفوة بينها وبين الدين ، وانقطع السبب بينها وبين الحب ؛ فتشتت الأُلاَّف ، وتباعدت القُربى ، وتشعبت الحاجات ، وتنافست المطامع ، وتكاشفت الأحقاد ، واضطرب الناس في سبل الكدح ، وألهبتهم حوافز الهم ، حتى عجزوا بخلقهم وطبيعتهم عن مسايرة الحضارة فسموا بالطائرات ، وعملوا بالآلات ، ونظروا بالتلسكوب وسمعوا بالمكروفون ، وضاقت عليهم الأرض برحبها فضربوا في الآفاق ، واختصموا على ديار المستضعفين فحكموا بينهم السلاح . فكانت هذه المدنية المادية أشبه بسعير الآخرة تنضج الجلود ولا تزهق الأنفس ليستمر الاضطراب ويتجدد العذاب ويدوم للطبيعة الخداعة هذا الثوب الأنيق الموشى بفضل هذا الإنسان الأحمق الذي يعمل ولا يعرف لماذا ، ويسرع ولا يدري إلى أين !

* * *

هذا الفكر العاجز ، وهذا الأدب القاصر ، وهذا العلم المجرم ، وهذه المدنية الفاجرة ، لا تستحق الاحتفاظ بها ولا الذياد عنها يا زملاءنا الأعزة . لقد اشتد بأسها وعظم سلطانها في ألمانيا (الراقية) فولدت الهتلرية بوحشيتها وعصبيتها وبلاياها ؛ وإن من الخير للانسانية أن تذهب هذه العقلية مع الهتلرية إلى غير رجعة

إن الفكر الذي نريده هو الفكر المدبر النفاذ الذي يشرق في جوانبه نور الله فلا يشت به ائتلاف ولا يضل عليه سائر . وإن المدنية التي نرجوها هي المدنية الإنسانية التي ينبث في طواياها روح الله فلا يولد بها شقي ولا ينجم فيها ثائر

إن شمس المدنية الصحيحة قد أشرقت من الشرق ثم غربت في الغرب ، ولا بد أن يدور الفلك فتعود إلى مطالعها لتشرق على العالم من جديد !

احمد حسن الزيات

سيكولوجية الأديب

للدكتور ابراهيم ناجى

فى هذا الموضوع ناحية شخصية طريفة ، وطرافتها تغرينى بالثرثرة ؛ فإنى لا أرى الآن موضوعاً علمياً ، وإنما أرى أمامى شخوصاً وأسماء وصنوفاً من النفسيات تكون مجموعة مسلية تخمة .

ومع ذلك ، فسأتنكب هذا الجانب البديع ، وأتكلم كلاماً علمياً سيكولوجياً تكون فائدته أعم وأوقع

أجل ، من أهم الموضوعات الاجتماعية مسألة : « سيكولوجية الأديب »

ولما كان الأدب فرعاً من الفن ، كان الكلام الصحيح هو عن سيكولوجية الفنان . ومقال اليوم يتناول سيكولوجية الفنان المصرى ، لأن للفنان المصرى طابعاً خاصاً به لا تجده فى غير مصر ، وللثقافة الفنية فى مصر طرقاً لا تجدها فى غيرها من البلاد

ولما كان الجسم والنفس وحدة متماسكة ، فإن أمراضهما متصلة ، وإن كانت فى الجسم أعضاء تتأثر أكثر من غيرها . وفوق ذلك ، فإن للأدباء المصريين أمراضاً خاصة بهم وحدهم . نبدأ الآن بالتحدث عن نفسية الأديب المصرى :

الأديب المصرى يندر أن يكون رجلاً طبيعياً . فإننا إذا نظرنا إلى الحياة وتعريفها ، ثم إلى الأدب وتعريفه وخصائصه ، تبين صحة ما نقول

ما هى الحياة ؟

أصدق تعريف لها أنها تفاعل بين عوامل خارجية تتكون من البيئة والظروف والعادات والتقاليد ؛ وعوامل داخلية تتكون من العناصر التى بتفاعلها وتطورها وتماسكها أدت إلى المجموعة التى اصطلحنا على تسميتها « بالشخصية » . الحياة « ميزانية » بين دخل وخرج . الحياة موازنة بين قوتين وملاءمة بين دافعين ، وكل ما يعترى الحياة من اعوجاج أو شذوذ ، أصله اضطراب فى ميزان التفاعل ، وأصل ذلك الاضطراب اختلال فى عنصر من العناصر الداخلية أو الخارجية

وإذا سلمنا أن الدوافع الخارجية متساوية بالنسبة لنا جميعاً ، سلمنا كذلك أن الاختلال أكثره داخلى أى فى ذواتنا ، وفى صميم أنفسنا . ولنراجع الآن أهم العناصر الداخلية فى النفس بوجه عام ، ثم نراجعها فى نفس الأديب المصرى بوجه خاص

أهم العناصر الداخلية التى تكون « الذات » هى « العادة » و « الجنس »

ويدخل تحت حكم العادة ما نسميه « بالخلق » . ولا يخفى أن التربية « عادة » ، فخلقنا وتربيتنا أخيراً هما ما اعتدناه وصار طبيعة ثانية . ويدخل فى بناء الشخصية — بعد العادة — مواهب موروثة أو فطرية كالذاكرة والخيال والذكاء

ويتكئ ذلك كله على الغرائز الفطرية التى هى واحدة فى جميع البشر ، وإنما يختلف عملها بمقدار ما أطلقنا منها وما كبتنا .

وأما « الجنس » فيساوى « الحب » ويجب ألا يفهم من ذلك اللفظ حب الشهوة ، وإنما الحب على طول خطه المبتدئ بالوالدين المنتقل إلى المجتمع المنتهى بالزواج

ولعل ترتيب الأمور بأهميتها يكون على الوجه الآتى : الوراثة ، العادة ، الحب

إنى أعطى الوراثة المكان الأول لكى أؤكد أن هناك ذكاء مكتسباً موروثاً ، وآخر نحصل عليه بالمران . الأول عميق « عمودى » والثانى « سطحى »

ولا جدال فى أن الأدب يورث ، والمواهب الأدبية كالخيال ، والموسيقية وغيرها ، مواهب تورث أى تولد ولا تصنع

والأدب تنبت جذوره وعناصره فى الطفولة . فمن المألوف أن الطفل ينام على اللحن الموسيقى ، ويستأنس بالغناء ، ويحب القصة الخيالية ، وقد يؤلفها هو نفسه

فالواقع أن الأديب طفل لم يكبر . والأديب الصحيح من له خصائص الطفل ، فى فرحته بالأشياء ، وسذاجته ، وتهلله ، وضحكته ، وخياله ، وفرحه وابتهاجه بالموسيقى . والتربية الأدبية الصحيحة ، هى التى ترمى إلى شيئين : تربية الحواس ، فإن حدة الحواس هى الوسيلة التى بها يستعين الأديب على التقاط الصور وتذوق الأشياء . والشيء الثانى جو الحرية الذى فيه تترعرع شجرة الذات ، وتتغذى تلك الحواس النشطة المتقدة

والأديب المصرى محروم من الأمرين . ففى المنزل وفى المدرسة لا يجد من يتعهد تلك الحواس بالتغذية ، وفى المنزل يجد التربية قائمة على الزواجر والنواهى ، وتقتل حرية الاستطلاع التى هى أهم

خصائص الأديب . وفى المدرسة يجد سلسلة من « الكليشيهات » التعليمية التى تقتل المواهب وتقبرها وتدفن شجرة الحرية دفناً ! وكما ذكرت ، عندنا أديب بالسليقة ، وأديب بالاكتساب

أما الأول فيمر على تلك الأدوار ونفسه تشمر بالضيم ، وتنطوى نفسه على ثورة مكتومة . والثانى يتلقى تلك الأخطاء ، ويبتلعها بسهولة ، ويصل إلى عتبة المستقبل رجلاً عادياً يتميز عن غيره من الناس بقليل من المواهب الكلامية والبيانية وشىء من الحقد على العباقرة وأرباب النبوغ

ونتكلم الآن على مسألة «الحب» لما لها من الأهمية البالغة فى حياة الأديب ، ولما لها من الشأن فى مصر خاصة

الحب فى تعريف بلاتو وفى تعريف البيولوجيا « شطْر يبحث عن شطره الآخر الذى كان لاصقاً به ومكملاً فانفصل ... »

فالبيولوجيا تقرر أن المخلوق كان فى البدء وحدة ثم شُطر ، وكان الشطران فى البدأ على جذع واحد وكانا متساويين ، فلم يلبثا أن تميزا على الجذع ثم انفصلا ، ثم قضى الله عليهما أن يبحث كل عن الآخر ... فى سن المراهقة حيث تنشط الغدد وتتأجج الحواس وتتطلع النفس باحثة عن شطرها الضائع

وهذا الوقت هو أزمة الأزمات. وهو عندنا فى مصر ـ خاصة ـ عهدٌ خطر ، ومع الأسف يقل فيه الإرشاد وتندر الصراحة الواجبة ، مع أنه العهد الذى يبدأ فيه نضج الأديب ، وتزدهر مواهب الفنان وتتفتح

فإن النفس التى تتطلع إلى مثلها الأعلى ، أى إلى توأمها من الجنس الآخر ، قد تجده ، فإن وجدته قد لا تظفر به ، أو قد تظفر وتنتهى الرواية ، أو لا تجده ، فتتحول إلى خَلق شىء على مثاله ، أو التغنى بالحنين إليه ، أو رسمه على القماش أو الحجر ، وهكذا . أو تكون الأزمة النفسية من الشدة بحيث تحدث اضطراباً نفسياً كبيراً ، فإما أن يكون هذا الاضطراب تحدياً واعتداء ، أو تخاذلاً وانطواء ، وإما أبعد من ذلك ، وهو الجنون . فنحن الأطباء نعرف ما هو جنون المراهقة ونفهم أسبابه وعلته

قلت إن هذا العهد فى مصر أخطر العهود على الشاب الأديب فإما أن يكون أديباً عبقرياً ، فطامته الكبرى أن مثله الأعلى غير موجود أو مستحيل ، وكارثته الأخرى أنه إذا وجد خياله المنشود ، يخفق فى الحصول عليه أولاً ، لأنه ضال لا يعرف الطريق العملى إلى ذلك ، وثانياً لأنه شديد الحساسية متناه فى الاعتزاز بكرامته فيفر بها حتى من وجه الحبيب ! أما الأديب « المصنوع » فهو قد ركب فى « القالب » الخطأ وقبله وانصب فيه ، ومحنته أولاً فى « التركيب » الذى ركب فيه ، وثانياً فى الحقد المتأصل فى نفس صغيرة بالفطرة وبالتربية ، وثالثاً فيما يحاوله لبلوغ مرتبة العبقرية والعبقرية منحة من السماء

هذا فيما يختص بالعناصر الداخلية أو كما يسميه الدكتور جوردون صاحب كتاب «العصبى وأصدقاؤه» «ضغط الظروف» فهو الذى باصطدامه مع تلك العوامل التى ذكرناها يسبب المرض العصبى ، وذلك الاصطدام منشؤه عند العبقرى عظم الفرق بينه وبين البيئة ، وعند الأديب المصنوع الفرق بين ما يتعاطاه وما يحاول أن يصل إليه

هذا موجز لمرضى الأدباء مرضاً نفسياً ، أما أمراضهم الجسمية فسببة عن اضطراب ذواتهم وقلقلة حياتهم . فهم قوم مسرفون فى التفكير ، ينامون قليلاً ويأكلون قليلاً ـ وأكثر الأدباء فقراء ! وشذوذهم يدعوهم إلى تناول أطعمة شاذة ، وقد يستعينون بالمنبهات على إدمان العمل ووفرة الإنتاج

وهم فى مصر قليلو الرياضة ، ولذلك يمرضون بالكبد والمعدة وأكثرهم يأتوننا شاكين من اضطراب القلب ، وليس فى قلوبهم مرض . وإنما منشأ عللهم فرط ذكائهم واطلاعهم فهم يقلبون كتب الطب فيفهمونها نصف فهم ، ثم يتحسسون قلوبهم وأكبادهم ويتخيلون فى المرض كما يتخيلون فى الأدب .

ابراهيم ناجى

الأزهر والحياة العامة

مالك والجـــاحظ
فى العصر الحديث

للأستاذ محمود الشرقاوى

يقول الأستاذ الأكبر الشيخ المراغى فى حديثه مع الرسالة :

« بين أيدينا كل ما ورد عن الرسول من الأحاديث ، وما روى عن الأئمة من الأحكام ، وما أثر عن الفقهاء من الكتب ؛ وفى خزائننا كل ما خلّف العرب وغير العرب من لباب الأدب وعصارة الفكر . ومع هـذا اليسر فى الوسائل وهذه القوة فى الاستعداد لا نرى إلا فراغاً يثير الظنون ويغرى بالأزهر التهم »

ثم يتعجب الشيخ الأكبر كما يتعجب بعده الدكتور زكى مبارك متسائلاً : لماذا لا يظهر فى العصر الحديث مشرّع مثل الإمام مالك أو أديب مثل الجاحظ ... ؟

وهذه هى المسألة التى وعدنا قراء « الرسالة » أن نبحثها فى ختام مقالنا الأول [1]

* * *

صحيح ما يقوله الشيخ الأكبر من توفر ما روى عن الرسول من الأحاديث وما روى عن الأئمة وعن الفقهاء ، وتوفر ما فى خزائننا مما خلف العرب وغير العرب من لباب الأدب وعصارة الفكر . صحيح كل هذا ونحن أميز عن جميع العصور حتى عن عصر مالك وعصر الجاحظ فى توفر هذه المصادر كلها والمراجع كلها والكتب كلها وفى سهولة الوصول إليها والبحث فيها

ولـكن توفر هـذه المراجع والمصادر والـكتب لا يبرز من بيننا إماماً كمالك ولا أديباً كالجاحظ . وليس من العجب ألا يبرز ليست الـكتب وحدها ولا المراجع ولا الأصول هى التى تنشئ الأديب ولا هى التى تبرز العبقرى ، بل هناك أسباب أخرى يمكن أن نذكر منها البيئة العلمية والوسط الاجتماعى ، ومستوى الحياة الذهنية فى العصر الذى ينشأ فيه العالم أو ينشأ فيه الأديب

فهل نستطيع أن نزعم أن البيئة العلمية التى نشأ فيها مالك والتى تكوّن فيها تفكيره وتم نضوجه العقلى ، أو تلك البيئة التى نشأ فيها الجاحظ ، وتكون فيها تفكيره ، وتم نضوجه الأدبى . هل نستطيع أن نزعم أن هذه البيئة أو تلك شبيهة بما نحن فيه الآن أو قريبة منها ! ؟

كانت الحياة الاجتماعية والحياة السياسية فى عصر مالك والجاحظ تفور بالنشاط بل بالعنف ، وتضطرب بالحياة القوية المتجددة . وكانت الأحـداث السياسية والحربية والاجتماعية تجىء فى كل يوم بجديد . وكانت الأمة الإسلامية أو الأمة العربية فى عصر مالك والجاحظ هى صاحبة السيادة والسلطان المطلق على العالم كله « عالم ذلك العصر » ، وكانت حضارات الأمم القديمة العريقة وأموالها وآثارها العقلية والأدبية تنحدر كالسيل فى نهر الحياة الإسلامية أو العربية وعلأ ضفافها بالنشاط والحركة والحيوية . وكان المجتمع الإسلامى أو العربى فى عصر مالك والجاحظ يشعر بأنه صاحب السيادة على ما سواه من المجتمعات ، صاحب السيادة الذهنية والعقلية والأدبية . بل لم يكن يجـد أمامه نداً من المجتمعات يمكن أن يقارن به أو يوزن إلى جانبه أو تقام بينه وبينه المفاضلة والترجيح ، لأن الأمة الإسلامية أو العربية كانت لذلك العهد صاحبة السيادة السياسية والحربية وما سواهما من السيادات ولم تكن تجد أمامها من توزن سيادته بسيادتها أو تقام بينها وبينه المفاضلة والترجيح

وفى هذه البيئة وفى ظل هذه السيادة التى يشعر بها المجتمع وتشعر بها الدولة لأنها حقيقة واقعة . نشأ مالك والجاحظ فكانت لهما سيادة الذهن وسيادة الفكر والأدب والفن

وهذه الأشياء كلها : البيئة العلميـة ، والوسط الاجتماعى ، ومستوى الحياة الذهنية ، وشعور المجتمع بالسيادة أو بالهوان ، ومكان الدولة من القوة والضعف ؛ كل أولئك أشياء ليست هينة الشأن فى تكوين الأديب والعالم وفى تبريزه وحدة ذهنه وقيمة إنتاجه .

وبالمقارنة بين هذه الأشياء على عصر مالك والجاحظ وبينها فى مصر والشرق على عصرنا هذا نستطيع أن نضع علماءنا وأدباءنا حيث يكون موضعهم الطبيعى

(١) عدد ٣٠٨ من الرسالة

ولعل من المفيد أن نذكر هنا قول ابن دريد فى مقصورته :

وكل قرن ناجم فى زمن فهو شبيه زمن فيه بدا

وقد نجم مالك ونجم الجاحظ فى زمن كانت السيادة فيه لدولتهم ودينهم ومجتمعهم فكانوا شبيهين بزمنهم ، ونجم علماؤنا وأدباؤنا فى زمن فهم شبيهون به

ولا عجب فى ذلك ولا غرابة

***

ولكنا ننتقل من ذلك إلى مسألة أخرى نلخصها فى هذه الأسئلة وفى الإجابات عليها :

ما هى القيمة الحقيقية لمالك والجاحظ؟ وهل لا نجد فى عصر غير عصريهما من تكون قيمته مثل قيمتهم ؟ وهل لا نجد فى عصرنا هذا من يقرن إليهما ويوزن بميزانهما ؟

أما مالك فهو إمام مشرع نافذ البصيرة والذكاء فى فهم المسائل وفى التشريع ، ولكنا نستطيع أن نجد له نداً بل أنداداً كثيرين فى هذه الصفات كلها . وفى مسائل كثيرة نجد علماء متأخرين يناقشون مذهب مالك أو غيره من المذاهب ويفندون رأيه فى مسألة أو فى مسائل . ثم يقتنع الباحث المنصف بأن رأيهم أرجح من رأى مالك وأن فهمهم لهذه المسألة أو المسائل أدق من فهمه

ونستطيع أن نجد كثيراً من هذا فى مطالعاتنا لعلم الأصول وأن يجده غيرنا كذلك

ونجد فى عصرنا هـذا علماء يناقشون فى مذهب مالك وفى غيره من مذاهب الأئمة ويفندون رأيه فى مسألة أو فى مسائل ، ويكون رأيهم فيها أرجح من رأى مالك ، وفهمهم لها أدق وأصدق من فهمه

فى الأحاديث الدينية التى أذاعها الأستاذ الأكبر ، وفى دروسه التى ألقاها منذ سنين ، وفى أحكامه قبل ذلك فى القضاء آراء ومسائل خرج فيها عن رأى مالك وأبى حنيفة وناقشها وأقنع سامعيه وقارئيه بصواب رأيه على رأيهم . وكان فهمه لهذه المسائل أدق وأصدق من فهم مالك وأبى حنيفة

ونقرأ ونسمع لعلماء معاصرين آراء يخالفون بها هذا وذاك من الأئمة ومن الفحول ، ثم نجد من الإنصاف أن نقرهم وأن نشهد بأنهم أدق فهماً وأصدق رأياً من هـذا وذاك من الأئمة والفحول ولو خالفوا مالكا

ثم نقول بعـد ذلك فى الجاحظ مثل قولنا فى مالك بفارق بسيط ولكنه ضرورى . فإذا أردنا أن نضع الجاحظ وغيره من فحول الأدب القديم حيث يستحقون من تاريخنا الأدبى والثقافى، يجب أن نلاحظ الفرق بين « الأديب » فى العصور القديمة وبين « الأديب » فى عصرنا هذا ، وأن نلاحظ الفرق بين « الأدب » فى تلك العصور وبين الأدب فى عصرنا هذا

فالأدب عند العرب فى عصر الجاحظ وفى غيره من العصور (وإلى عهد قريب) كان أدب حفظ وجمع ورواية . وكان الأديب يوزن قدره ويلحظ مكانه بقدر ما يحفظ من الشعر ، ومن غريب الرواية ، ومن كلام السلف والأعراب ، ومن شعر الشعراء . وكان أكبر ما يمدح به الأديب أن يقال فيه إنه « بحر علم » و « خزانة أدب » وإن صدره « وعى علوم الأوائل والأواخر » إلى غير هذه النعوت التى تدور كلها حول محور الرواية والحفظ والجمع والاستيعاب

فإذا نظرنا إلى الجاحظ وإلى من هو أقل من الجاحظ مكاناً فإنا لا نجد فى عصرنا من يشابهه أو يقاربه ، ولا نريد أن نجده . والأدب والشعر ورواية الغريب التى هى بضاعة الجاحظ وغيره من فحول الأدب السوالف (إذا نظرنا للأدب هذه النظرة) هذه البضاعة لا تساوى شيئاً ، ولا نأسف لأنا لا نجد فى عصرنا من يوزن بالجاحظ فيها . فعندنا خزائن الكتب أرحب وأوسع وأصدق وأيسر من صدر الجاحظ ومن روايته

أما الآن ، فنحن ننظر إلى الأدب على أنه فن قائم على قواعد وأصول ، وعلى أنه أسلوب وفكرة ، أو على أنه أسلوب فقط . نحن ننظر إلى الأدب على أنه شيء من هذا أو هذا كله، أو على أنه شيء غير هذا وذاك . ولكنه مهما يكن ، فليس هو الجمع والحفظ والاستيعاب والرواية للغريب والشعر . فإذا وزنا أدب الجاحظ بهذا الميزان الجديد للأدب ، فقد خف وزنه ولم يبق منفرداً ولا فذاً منقطع النظير والأقران فى عصرنا

فمقدار الثقافة التى كان يتميز بها الجاحظ ونوع هذه الثقافة لا وزن له ولا قيمة فى عصرنا . وتلميذ فى الأزهر أو فى مدرسة

الأسماء تعـــلل

للدكتور مأمون عبـــد السلام

[وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة]
« قرآن كريم »

لكل كائن اسم يعرف به . هكذا جرت طبيعة الخلق ، وهكذا ستكون إلى أن يشاء الله . فمعنى كلمة آدم ، الرجل ، لأنه أول رجل خلقه الله ، كما أن حواء أول امرأة خلقت . وقد أنجبت قايين لأنها اقتنته رجلاً من عند الله . وسمى الله أبرام إبراهيم لأنه سيكون أباً لجمهور من الأمم . ودعا ساراى زوجة أبينا الخليل سارة لأنه سيسر بها قلبه ، وسمى ابنه منها إسحق لأن ابراهيم عليه السلام سقط على وجهه وضحك لأن الله أخبره بأنه سيولد له منها ولد وهى ابنة تسعين سنة . وقد قالت سارة عندما ولدته : « قد صنع الله إلىّ ضحكاً كل من يسمع بى يضحك » لذلك سمى إسحق من الضحك . وسمى يعقوب بذلك لأنه كان توأما لعيسو ، فخرج بعده وهو قابض بعقبه . هذه هى رواية التوراة فى تعليل أسماء الأنبياء عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام

فأسماء الأعلام فى الأصل إذن لها تعليل ومعنى . وقد جرت عادة بنى الإنسان فى كافة أنحاء الأرض أن يتبعوا قواعد فى تسمية أبنائهم تكاد تكون واحـدة . فتراهم ينسبون أسماءهم إلى معبوداتهم ، وإلى الملائكة والرسل والأنبياء والقديسين وأسماء الملوك والفاتحين ، وأصحاب الشهرة ممن خلدوا ذكرهم . فـكان قدماء المصريين مثلاً يسمون أبناءهم بالإضافة إلى آلهتهم مثل رعمسيس ، وتوت عنخ أمون ، وأخناتون . وكان العرب فى جاهليتهم يسمونهم بعبد مناة وعبد العزى . ويسمى أهل الكتاب أولادهم بأسماء الرسـل أولى العزم والنبيين كنوح إبراهيم ، يونس ، عيسى ، محمد . وبأسماء الملائكة مثل جبريل وميخائيل . وقد ورد فى الأثر : خير الأسماء ما عبدوما حمد . لذلك يكثر فى أسماء المسلمين عبد الله ، عبد الرحمن ، عبد الغفار ، وغير ذلك من الإضافة إلى أسماء الله الحسنى ، كما يكثر فيهم محمد ، محمود ، أحمد ، حامد ، حماد ، حمدين

ثانوية يعرف من الجغرافيا ومن حقائق التاريخ ومن علوم الطبيعة أكثر وأصدق مما نجد فى كتب الجاحظ من الحيوان إلى البيان والتبيين . بل يعرف من ذلك ومن حقائق العلوم أكثر وأصدق مما يعرف أدباء العرب جميعاً فى جميع العصور ، وليس ذلك عيباً فيهم ، فقد كانوا يعرفون أكبر قسط وأصدق قسط من علوم عصرهم ومعارفه

وليس مطلوباً منهم أكثر من ذلك ، ولـكنه لا يجعلهم أعظم شأناً ، ولا أكبر مكاناً من كاتب متوسط فى عصرنا

وأما أسلوب الجاحظ وبصره بالأدب على قواعده التى أشرنا إليها منذ قليل ، فهو الذى يصح أن نقيم له وزناً وأن نقارن بينه فيه وبين كتابنا وأدبائنا المعاصرين . وهذه المقارنة نرجو أن يسمح لنا فضيلة الأستاذ الأكبر ، وأن يسمح لنا صديقنا الدكتور زكى مبارك ، إذ نقول إنها لن تخرج بنا إلى النتيجة التى توافقنا عليها . فالجاحظ وغير الجاحظ من فحول الأدب القديم نستطيع أن نجد لهم شبيهاً وقريناً فى عصرنا هذا .

نستطيع أن نجد من يشبه الجاحظ فى فهمه للمسائل الأدبية وفى بصيرته بالأدب والشعر وفى « الذوق الأدبى » ، وأن نجد من يشبه الجاحظ أو يبرز عليه فى النقد الأدبى ؛ ولا أقدّم على ذلك دليلاً سوى تصحيح زكى مبارك نفسه لكتاب زهر الآداب وتعليقاته وتصويباته الأدبية والتاريخية عليه وعلى غيره من الكتب ورسالته عن كتاب الأم ونسبته للشافعى

وكذلك نستطيع أن نقول ذلك عن أسلوب الجاحظ وعن أساليب عدة من فحول الأدب القديم ، لا نستثنى من ذلك سوى أصحاب المقامات كالحريرى والزمخشرى .

وأسلوب الشيخ المراغى فى الكتابة والخطابة ، وأسلوب الزيات فى (الرسالة) ، وأساليب غيرهما من الباحثين والأدباء والمفكرين فى عصرنا ، نستطيع أن نقيم الميزان بينها وبين أسلوب الجاحظ وغير الجاحظ من أهل القديم . وقد نجد بالموازنة أننا خير منهم . وليس لهم إلا أن الزمن تقدم بهم فارتفعت بهم قداسة التاريخ

محمود الشرقاوى

ومن الأسماء ما يكثر محلياً بالنسبة لولى أو قديس محلى، فترى اسم عواد منتشراً فى مديرية القليوبية، وعبدالرحيم فى قنا، لوجود قبرى هذين القطبين فيهما، كما يكثر اسم موسى فى جنوب سينا

وكانت عادة العرب وغيرهم من الأمم قديماً أن يختاروا الذكور من أولادهم أسماء تشعر أعداءهم بالشدة والبأس والقوة والشجاعة لتلقى الرعب فى قلوبهم. فمن أسماء العرب معارك، محارب، حرب، شجاع، صنديد، شديد، دهشان، غضبان، هراس، ناعب، وحش، منصور، ولهذه الأسماء ما يقابلها عند الفرنجة مثل جيرالد، سافيدج، فكتور

كما أنهم يسمونهم بأسماء الحيوانات التى يعجبون بها لصفات يحمدونها فيها كالشجاعة والمكر والمثابرة، فترى كثيراً من المصريين والعرب يسمون الوحش، الوحيش، السبع، الضبع، النمر، الفهد، الذئب، الفيل، الجحش، الجدى، العجل، العجيل، الجمل، الحلوف، البغل، القرد، الفار. كما أن منهم من اسمه ثعلب، نمس، نميس، بعرور، قطة، بقر، بهايم، جربوعة، علوش، وهو الذئب أو ابن آوى بلغة بنى حمير، ومنهم من اسمه البدن وهو الماعز الجبلى

ويسمى كثير من سكان السواحل المصرية بأسماء الأسماك مثل: قرموط، شلباية، شال، زقزوق، كركور، شوبار، طومار، سحلول، حوت

كما أن منهم من يسمى بأسماء الطيور مثل الدقيش وهو نوع من الطير أغبر أربقط، وقد يكون الدقنوش المعروف بمصر. ومن الأسماء المعروفة بمصر حدايه، صقر، عصفور، شحرور، هدهد، غراب، فراخ، زرزور، بلبل، غر، ديك، بطة

ومنهم من يسمى بأسماء الحشرات والدبيب فهناك أشخاص يسمون نحلة، دبور، جعران، خنفس، برغوث، بقة، حنش، حنيش، حية

ومن الناس من يسمون بأسماء النباتات، فمنهم من يتخذ أسماء الحبوب مثل عائلات قمحة وشعير وذرة. ومنهم من يسمى بأسماء الخضر مثل: فلفل، قوطة، كوسة، جزر، فقوسة، بطيخة، بقلة. ومنهم من يسمى بأسماء الأشجار والفاكهة والنقل مثل: نخلة، شمروخ، خوخة، زيتون، لوزة، بندق، حب الرمان، برقوق، تفاحة، برتقالة، وردة، فلة. أو يسمون بأسماء الحشائش والنباتات الصحراوية؛ مثل: زربيح، شبحة، حنظل، حطب، زعتر، زعيتر، حشيش

ومن الناس من يغلب عليه لقب لصفة بارزة أو شهرة ذائعة فيصبح اسماً يتوارثه أولاده، فهناك من يسمون: النطاح، المفش، النتن، الدكر، الزفر، المبيط، اللطخ، الظابط، الجميص، الأقرع، الأعور، الماكع، الأجرب، السمران، الأطرش، الأعسر، الأحدب، الجارم، الحلو، الخشن، الناعم، الفللى، الدهل، الأهبل، المكورب، المجوز، السابح، المقدة، السيد، العبد، البربرى، الملوك، المتوق. كما أن منهم من يسمى ناعس، نعسان، مهاهل، غناجة، غندر، غندور، عشقوتى

ومنهم من يأخذ اسم عيب جسمانى أو أفراز مثل حدبة وقتب وبربور

ومن الناس من يكون لاسمه غرض صوفى خاص يدل على الزهد كأن يسمى الرجل ابنه باسم زعلوك، عاكف، مغيب، الماحى الضعيف، الخفيف، الذليل، الناقص، العريان، القشلان؛ ومنهم من يسمى باسم حنفى، شافعى، مالكى

ومن غريب أسماء الأشخاص ما يدل على مأكول، فهناك أشخاص يسمون باسم بصل، عجوة، عجور، كشك، ملوخية، سكر، قشطة، عسل، كمك، قراقيش، برغل، مش، لبن، لبنة. كما أن بعضهم يأخذ لأولاده أسماء الجمادات مثل: خشبة، لوح، قنديل، مصباح، فانوس، غربال، الدلو، الفلق، الزق، الصحن، زلط، صخر، شقرف، الدرس، الدرع، الزير، طبق، قلة، مغراف، دبشة، طوبة. ومنهم من يسمى بشىء يلبس مثل: الطرحة؛ أو يسمى بنفيس الأشياء: كذهب، مرجان، الماس، زمرد، لؤلؤ

ومنهم من يسمى بأسماء الأيام والشهور وفصول السنة مثل: خميس، جمعة، محرم، رجب، شعبان، رمضان، ربيع، شتا. ومنهم من يسمى: مطر، غيث، سحاب؛ كما أن منهم من لاسمه علاقة بالنور والنار والكواكب مثل: شعلان، لهلوبة، أتون، محروق، محروق، محاريق، نور، أنور، نوار، نور الظلام، شمس، قمر، نجم، ثريا، زهرة

ومنهم من يسمى بأسماء آلات القتال مثل دبوس وخشت وسيف وبمبة

ويدل كثير من ألقاب العائلات على أصل مواطنها الأولى مثل الشامى والمغربى ، الفرنسى ، التركى ، السودانى ، الحبشى ، الهندى كما أن منها ما يشعر بحرفة أو صناعة أو وظيفة أو مركز اجتماعى خاص كالجميدى ، الطبال ، الزمر ، الحمار ، القلفطى ، المراكبى ، العربجى ، النشار ، الحداد ، النحاس ، النجار ، الصباغ ، الصايغ ، الصبان ، الخادم ، الجمال ، السحار ، السحرتى ، الحانوتى ، القرابلى ، الصيرفى ، الزيات ، الدهان ، البستانى ، الجنايني ، الحاجب ، الشوا ، التراس ، السبحاوى ، البهلوان ، النشوقاتى ، الفسخانى ، الكنفانى ، المستكاوى ، السلكاتى ، الشبكشى ، الرماح ، السخرى ، المعجان ، الكحكى ، الحصانى ، القماش ، العسكرى ، الحرامى ، السقا ، الجزار ، الفولى ، الفوال ، القزاز . ومن الأسماء طحان ، عجان ، خباز ، زبال . ومنهم الزلبانى ، السلالى ، السكاكينى ، الحناوى ، القمص ، القسيس ، الجندى ، العمدة ، الشيخ ، الأفندى ، البيه ، الباشا الأمير ، البرنس ، مزارع

ويختار كثير من الناس غريب الأسماء لأبنائهم ليطيلوا بذلك أعمارهم ويدفعوا العين عنهم ؛ فمن أمثلة ذلك : فندى ، فانتى ، دقدق ، تهته ، شكمه ، حكشه ، خنجر (بضم الخاء والجيم) ، بلبع ، درع (بتشديد الراء) ، سنكحلو ، زملوط ، زعطوط ، شحوت ، شحات ، حنحوت ، شنن ، جماص ، كعبلها ، بخاطرها ، زعزوع ، جميصة ، الجميص ، سحبـل ، معيط ، عاشور ، دحروج ، عميرة ، دعبس ، زعير ، زعرب ، زعربان ، شلنوت ، حمروش ، حبروك ، نونو ، بنونة ، شرشومة ، بحبح ، شولح ، حتاته ، كانش ، بصيص ، تلكم ، بالى ، بابى ، حيدة ، حيدرة ، حزنبل ، بظاظة ، دقدوقة ، صلع (بتشديد الصاد واللام) ، سلطح ، حنبوط ، كرشة ، دلدل ، عيطة ، كمورة ، كشلة ، الدكش ، الدكس ، شلضم ، ضمضم ، مدبح ، زقلط ، بملط ، فلوسة ، حرحش ، زغلة ، شمردن ، طمواش ، خلطخ ، لاغا ، صوصى ، سنون ، الميت ، طبل ، سبل (بضم الطاء والسين وتشديد الباد المفتوحة) ، قزامل ، لهيطة ، الزقم

ومن الأسماء ما هو مركب مثال ذلك : عائلات ميتكيس ، قصير الذيل ، نقر الطين ، سبع الليل ، هب الريح ، سيف النصر

ومن أسماء الثانيات : ست من نده ، ست الدار ، أدوب انا (اسم بنت بالواحة البحرية) ، قدم خير

وكثير من الأسماء كنيات كنى بها أصحابها فى الأصل لصفة خاصة . ومن أمثلة ذلك : أبو شادوف ، أبو قورة ، أبو لبدة ، أبو طاقية ، أبو الروس ، أبو الريش ، أبو النيط ، أبو ورده ، أبو كرش ، أبو سنه ، أبو دراع ، أبو أصبع ، أبو حجر ، أبو جبل ، أبو لقمه ، أبو قلطه ، أبو دهينه ، أبو شبانه ، أبو زهرة ، أبو ريشه ، أبو النى ، أبو شنب ، أبو شنب فضه ، أبو هيف ، أبو حصيرة ، أبو ليفه ، أبو لحاف ، أبو اخربها ، أبو غنجة ، أبو قاعود ، أبو طاحون ، أبو طحين ، أبو جازية ، أبو سحلى ، أبو دراز ، أبو رمح ، أبو سيف ، أبو شجر ، أبو دومة ، أبو دوح . ومنهم من يكنى بأسماء أولاده مثل : أبو حسين ، أبو ليله ، أبو نفيسة ، أبو زهرة ، أبو ظريفة ،

ومن الأسماء ما هو مثنى لاسم علم مثل : محمدين ، حمدين ، حسانين ، بكرين

ولا تظنن أيها القارئ الكريم أن المصريين منفردون وحدهم بهذه التسمية ، فهناك ما يماثل هذه الأسماء فى كافة ممالك الأرض بلغات أصحابها مما يدل على أن العقل البشرى يفكر على نمط واحد مهما بعدت الشقة واتسعت المسافة .

مأمون عبد السلام
عضو نادى الصيد الملكى
ووكيل قسم أمراض النباتات

كتاب الأغانى

للأستاذ حسن خطاب الوكيل

طبع كتاب الأغانى بالمطبعة الأميرية فى عشرين جزءاً تنتهى بأخبار عمارة بن عقيل الخطافى . ومنذ خمسين عاماً ظهر فى عالم المطبوعات الجزء الحادى والعشرون من هذا الكتاب المستطاب . قام بنشره وطبعه المستشرق رودلف الأمريكى فى مدينة ليدن سنة ١٨٨٨ ، وحدث فى سنة ١٩٢٦ أن أديباً فاضلاً ونبيلاً من النبلاء رغب إلى دار الكتب المصرية فى أن تقوم بطبع الأغانى على نفقته ، فلما همت بتنفيذ هذه الرغبة النافعة لم تعترف بالجزء الزائد على العشرين للأسباب الآتية :

١ — أنه لم يصدره ناشره بمقدمة يبين فيها أصل النسخة التى نشره عنها ولا فى أى المكتبات عثر على هذه الزيادة

٢ — أن أسلوبه ضعيف لا يشبه أسلوب أبى الفرج فى العشرين جزءاً المتقدمة

٣ — أنه يشرح فى كثير من الأحيان الألفاظ الغريبة التى ترد فى أبيات الشعر ، وهى طريقة غير معهودة فى الكتاب . فالجزء الأول مثلاً على كثرة ما فيه من الألفاظ الغريبة لم يشرح منها إلا القليل النادر ، وقد لا يعدو ما شرح فى هذا الجزء من هذا القبيل أربع أو خمس كلمات

٤ — أنه فى هذا الجزء يشرح أحياناً المعانى التركيبية لبعض الأبيات ، ولم نعهد مثل ذلك فى الأجزاء الماضية

٥ — أنه يكتب كثيراً كلمة — صوت — على شعر لم يغن فيه ، وطريقة الكتاب ألا تكتب هذه الكلمة إلا على الشعر الذى يتحدث بعدُ أنه وقع فيه غناء ... الخ

ونحن نسلم بأن (رودلف) قد قصر فى أنه لم يصدره بمقدمة وأنه لم يذكر فى أى المكتبات عثر على هذا الجزء ... الخ ولكن هذا لا يكون حجة فى أنه ليس من الكتاب إذ كل هذه الاعتبارات إنما هى مجرد ملاحظات غير محدودة ، ولا تنهض دليلاً على أن الجزء ليس من الكتاب ، ومن المحتمل أن يكون لكتاب الأغانى بقية لم تظهر بعد ، أو تناولتها أيدى الضياع .

وها هو ذا ياقوت يتحدث إلينا فى كتابه معجم الأدباء عن الأغانى ويؤيد قولنا هذا حيث يقول : (وقد تأملت هذا الكتاب وعنيت به ، وطالعته مراراً ، وكتبت منه نسخة بخطى فى عشر مجلدات ، ونقلت منه إلى كتابى المرسوم بأخبار الشعراء فأكثرت ، وجمعت تراجمه فوجدته يعد بشىء ولا يفى به فى غير موضع منه كقوله فى أخبار أبى العتاهية — وقد طالت أخباره ها هنا ، وسنذكر خبره مع عتبة فى موضع آخر ولم يفعل . وقال فى موضع آخر — أخبار أبى نواس مع جنان إذ كانت سائر أخباره قد تقدمت — ولم يتقدم شىء، إلى أشباه لذلك. والأصوات المائة هى تسع وتسعون . وما أظن إلا أن الكتاب قد سقط منه شىء أو يكون النسيان قد غلب عليه والله أعلم)

هذا كلام ياقوت ، ومنه يحتمل أن الكتاب له بقية محتملة أو هو قد سقط منه شىء لطول العهد، وعليه فلا يبعد أن يكون الجزء المتحدث عنه هو منه ، وها هو ذا الإمام الجليل ابن منظور صاحب لسان العرب ينقل عن الجزء الحادى والعشرين فى مختصره مختار الأغانى فى الأخبار والتهانى منذ ستمائة عام مضت على مختصره هذا حديثاً طريفاً عن إسحاق الموصلى وغلامه زياد لم تذكر بعد إلا فى الجزء الحادى والعشرين .

حديث إسحاق وزياد

إسحاق الموصلى من مشاهير الأدباء وأهل الغناء ، وأخباره فى كتاب الأغانى قد لا يخلو منها جزء منه ، وله حكاية طريفة وأشعار ظريفة فى غلام له اسمه زياد لم تذكر إلا فى الجزء الحادى والعشرين من الكتاب ، وهذه الحكاية هى عماد بحثنا فى أن الجزء المشار إليه هو من الكتاب ، لأننا وجدنا العلامة ابن منظور نقلها عنه واختصرها منه

جاء فى أول الجزء الحادى والعشرين طبع ليدن والذى ادعاه رودلف ما نصه :

خليلى هيا نصطبح بسواد ونرو قلوباً هامهن صواد
وقولا لساقينا زياد يرقها فقد هز بعض القوم سقى زياد

الشعر والغناء لإسحاق ، ولحنه من الثقيل الأول بالبنصر — خبر إسحاق مع غلامه زياد — هذا الشعر يقوله إسحاق فى غلام له مملوك خلاسى يقال له زياد ، كان مولداً فى مولدى المدينة فصيحاً ظريفاً فجعله ساقيه وذكره هو وغيره فى شعره ،

فمن ذكره من الشعراء دعبل وله يقول : أخبرنى بذلك على بن سليمان الأخفش عن أبي سعيد السكرى قال : كان زياد الذى يذكره إسحاق فى عدة مواضع منها قوله : « وتولا لساقينا زياد يرقها » نظيف الدق لبقا . فقال فيه دعبل :

يقول زياد قف بصحبك مرة   على الربع مالى والوقوف على الربع

صوت

أدرها على فقد الحبيب فربما   شربت على نأى الأحبة والفجع
فما بلغتنى الكأس إلا شربتها
وإلا سقيت الأرض كأساً من الدمع

غنى فى البيت الثانى والثالث من هذه الأبيات محمد بن العباس ابن عبد الله بن طاهر لحناً من خفيف الثقيل الأول بالبنصر . قال أبو الحسن : وقد قيل إن هذين البيتين (يعنى خليلى هيا نصطبح بسواد) للأخطل . أخبرنى على بن سليمان قال حدثنى أبى قال : قال لى جعفر بن معروف الكاتب (وكان قد جاوز مائة سنة) لقد شهدت إسحاق يوماً فى مجلس أنس وهو يتغنى هذا الصوت (خليلى هيا نصطبح بسواد) وغلامه زياد جالس على مسورة يسقى وهو يومئذ غلام أمرد أصفر رقيق البدن حلو الوجه ، ولا أحد يراجعه ولا أحد يستطيع يقول له زدنى ولا أنقصنى . أخبرنى على بن صالح بن هيثم الأنبارى . قال حدثنى أحمد بن الهيثم (يعنى جد أبى رحمه الله) قال : كنت ذات يوم جالساً فى منزلى « بسر من رأى » وعندى إخوان لى ، وكان طريق اسحاق فى مضيه إلى دار الخليفة ورجوعه منها على . فجاءنى الغلام يوماً وعندى أصدقاء لى فقال لى : اسحاق بن ابراهيم الموصلى بالباب فقلت له : قل له ويلك : يدخل أو فى الخلق أحد يستأذن عليه لإسحاق . فذهب الغلام وبادرت أسعى فى إثره حتى تلقيته فدخل وجلس منبسطاً آنساً فعرضنا عليه ما عندنا فأجاب إلى الشرب فأحضرناه نبيذاً مشمساً فشرب منه ، ثم قال : أتحبون أن أغنيكم قلنا : أى والله أطال الله بقاءك إنا نحب ذلك قال : فلم لم تسألونى ؟ قلنا : هبناك والله قال : فلا تفعلوا ثم دعا بعود فأحضرناه فاندفع فغنانا فشربنا وطربنا فلما فرغ قال : أحسنت أم لا ؟ فقلنا : بلى والله جعلنا الله فداءك لقد أحسنت قال : فما منعكم أن تقولوا لى أحسنت قلنا الهيبة والله لك قال : فلا تفعلوا هذا فيما تستأنفون إن المغنى يجب أن يقال له غن ، ويجب أن يقال له إذا غنى أحسنت قال : ثم غنانا صوته « خليلى هيا نصطبح بسواد » فقلنا له يا أبا محمد من هو زياد الذى غنيته قال : هو غلامى الواقف بالباب ادعوه يا غلمان ، فأدخل إلينا ؛ فإذا هو غلام خلاسى قيمته عشرون ديناراً أو نحوها فأمسكنا عنه فقال : أتسألونى عنه فأعرفكم إياه ويخرج كما دخل وقد سمعتم شعرى فيه وغنائى . أشهدكم أنه حر لوجه الله وإنى زوجته أمتى فلانة فأعينوه على أمره قال : فلم يخرج حتى أوصلنا إليه عشرين ألف درهم أخرجناها له من أموالنا . أخبرنى يحيى بن على بن يحيى قال : حدثنى أبى قال توفى زياد غلام إسحاق الذى يقول فيه . وتولا لساقينا زياد يرقها ، فقال إسحاق يرثيه :

فقدنا زياداً بعد طول صحبة (كذا)   فلا زال يسقى الغيث قبر زياد
سنبكيك كأس لم تجد من يديرها   وظمآن يستبطى الزجاجة صاد

أخبرنى عمى قال حدثنى ابن المكى عن أبيه قال اصطبح محمد الأمين ذات يوم وأمر بالتوجيه إلى إسحاق فوجه إليه عدة رسل كلهم لا يصادفه حتى جاء أحدهم به فدخل منتشياً ومحمد مغضب فقال له : أين كنت ويلك . قال : أصبحت يا أمير المؤمنين نشيطاً فركبت إلى بعض المتنزهات فاستطبت الموضع وأقمت فيه وسقانى زياد فذكرت أبياتاً للأخطل وهو يسقينى فدار لى فيها لحن حسن وقد جئتك به فتبسم ثم قال هات فما تزال تأتى بما يرضى عنك عند السخط ، فغناه

صوت

إذا ما زياد علنى ثم علنى   ثلاث زجاجات لهن هدير
خرجت أجر الذيل زهواً كأننى   عليك أمير المؤمنين أمير

قال بل على أبيك . قبح الله فعلك . فما زال إحسانك فى غنائك يمحو أساءتك فى فعلك وأمر له بألف دينار — الشعر فى هذين البيتين للأخطل والغناء لإسحاق رمل بالبنصر — ورواية شعر الأخطل : إذا ما نديمى علنى ثم علنى ، وإنما غيره إسحاق إذا ما زياد

هذه حكاية إسحاق التى لم توجد إلا فى الجزء الحادى والعشرين من الأغانى وهى التى أقرها ابن منظور فى مختصره ونقلها عنه . فهل بعد هذه البيانات الأكيدة لقائل أن يقول إنه ليس من الكتاب فى شىء !

حسن خطاب الوكيل

الأزهر وتفسير القرآن

للأستاذ محمود حسن منصور
المدرس بكلية الشريعة

لسنا بحاجة إلى القول بأن القرآن الكريم هو دستور الدين والدنيا، وأنه ينبوع الشريعة الصافى الذى يصدر عنه كل ناظر فى التشريع، أو متعرض للأحكام، أو منتفع بما فيه من التعاليم والآداب

لسنا بحاجة إلى أن نقول ذلك فقد فرغ الناس منه، وآمنوا عن يقين به، وما تزال الحوادث تؤيده، والأيام تعززه وتزيده قوة فى النفوس، ومتانة فى القلوب

ولسنا نريد أن ننكر على المفسرين الأولين للقرآن الكريم جهودهم الجبارة، ومحاولاتهم الكبيرة، وعنايتهم بتفسير هذا الكتاب الكريم، وخدمته من نواحى الفقه والبلاغة والإعراب، وغير ذلك مما تعرضوا له فى تفاسيرهم، فلا شك أنهم أتوا من ذلك بما يفرضه عليهم واجبهم نحو دينهم وعلومهم، ولغة قومهم وكتاب ربهم، فأدوا رسالتهم وأبرأوا ذمتهم أمام الله والناس

ولو أن باحثاً عنى بأن يستعرض هذه الأسفار المختلفة، وأن يزنها بما توزن به الجهود العلمية والإنتاجات القومية لوجد من ذلك ما يملأ نفسه روعة ويملأ قلبه إعجاباً، ولجرى لسانه بألفاظ الثناء على هؤلاء العلماء، ولجزاهم عن دينهم وأمتهم خير الجزاء

كل ذلك حق لا ريب فيه تحدثت به آثارهم، وآمن به كل من تأتى له النظر فى كتبهم، والبحث فى مؤلفاتهم، كما آمن به علماء الأزهر

ولكننا مع ذلك لا نستطيع أن ننكر ولا يستطيع إخواننا من العلماء ولا شيوخنا منهم أن ينكروا أن لهذه التفاسير عيوباً قد أحسها الناس من زمن طويل. وقد ازداد إدراكهم لها فى ذلك العصر الذى تغيرت فيه طرق الإقناع، وتنوعت أساليب البحث والتفكير، وتهيأ للعقل فيه نوع من النضوج لاشتغاله بالعلوم الكثيرة، ونظره فى الثقافات المختلفة. فمن هذه العيوب:

أولاً: تفشى الإسرائيليات فى هذه الكتب المشهورة، كما تفشى الأوباء المهلكة حتى تجد الكثير من الآيات قد صنعت لها القصص، ودبرت لها الخرافات، فأصبح الناظر فى هذه الكتب مشغولاً بتنحيتها عن طريقه وإزالتها عن سبيله إن كان من العلماء، وجهدوا بأن تنزوه هذه الخرافات الباطلة فى قرارة نفسه وصميم عقيدته، إن كان من العامة، وذلك هو السر فيما نشاهده من صعوبة مهمة العلماء المفكرين فى توضيح هداية القرآن على وجهها الصحيح، وإيصالها سليمة إلى نفوس الناس

ثانياً: تخصص كثير من هذه الكتب فى نواح من التفسير هى فى نفسها صالحة وقيمة وطيبة ومحتاج إليها. فهذا تفسير يهتم بالنحو والإعراب، وهذا تفسير يعنى ببيان وجوه البلاغة والإعجاز، وهذا تفسير جعل مهمته التوفيق بين آيات القرآن ومذاهب الفقهاء

وقلما تجد تفسيراً يفسر القرآن على نحو يشعرك بمقصده السامى، وغرضه النبيل من عرض العقائد الصحيحة السهلة التى لا تعقيد فيها ولا غموض، وتبيين الأحكام الناصعة الواضحة التى لا تشديد فيها ولا تعسف، وعرض التربية القرآنية الروحية والعقلية عرضاً كريماً يتفق مع ما للقرآن من قيمة ذاتية وباعتباره كتاباً إلهياً خالداً صادراً عن الله الذى يعلم السر فى السموات والأرض

ثالثاً: اندفاع كثير من المفسرين بدافع الرغبة فى تأييد مذاهبهم وتوطيد عقائدهم وآرائهم إلى تخريج القرآن على آراء أصحاب المذاهب والمعتقدات، ولو كان فى ذلك الإخلال بالنظام والخروج به عن الأساليب العربية المألوفة، والنزول به إلى أدنى درجات الكلام

فتراهم يقولون مذهب أهل السنة كذا، فيجب أن تؤول الآية لتطابق هذا المذهب، ومذهب الحقيقة كذا، فيجب أن تفهم الآية على نحو يمدها من هذا المذهب، وهذه الآية تتفق مع مذهب الحنفية وتخالف مذهب المالكية، وهكذا، كأن القرآن إنما أنزله الله على حساب أهل المذاهب والمعتقدات الصحيحة والباطلة على حد سواء، وكأنه إنما جعل ليقاس على المذاهب لا لتقاس المذاهب عليه

٤ — هذا إلى ما تراه وتشعر به من غموض بعض التفاسير فى العبارة، وتكلفها فى تحميل الآيات ما لا تحمل من المعانى، وقصورها عن مجاراة العرض الحديث الذى أصبح له أهمية كبرى فى نظر العلماء والباحثين، والقراء والمثقفين

هذه عيوب نسمح لأنفسنا بأن نصفها بالخطر، ولا نظن أننا نبالغ إذا قلنا إنها نوع من الصد عن كتاب الله

وعلماء الأزهر قادرون على تلافى هذه العيوب، يستطيعون الاضطلاع بمهمة إصلاحها وذودها عن كتاب الله، وتخليصه من براثنها، وهم مطالبون بذلك بحكم عملهم، وطبيعة دراستهم، ولن تنفر لهم الأمة أى نوع من أنواع التقصير مهما قيل فى تبريره من الأعذار

فأين الأثر الذى سيتحدث التاريخ عنه إلى الأجيال المقبلة عن عمل رجال الأزهر فى هذه الناحية ؟ أين التفسير الذى يلائم عقول العصر ولا يتصادم مع حقائق العلم ، ولا يفرض فى الناس الذين يطلب إليهم أن يتقبلوه هذه السذاجة العقلية التى تفرضها فيهم تلك الكتب حين تقول فى تفسير قوله تعالى : « إلا إبليس كان من الجن » إن الملائكة قد اشتبكوا فى حرب مع الشياطين كانت لها مواقع ، وقد انجلت معركة من هذه المعارك عن إبليس أسيراً وهو صغير ، فأخذه الملائكة ، ونشؤوه نشأتهم وخرجوه فى دائرتهم ، فكانت النتيجة أن خاطبه الله خطابهم ، وكلفه تكليفهم فى كل الآيات الواردة فى أمر الملائكة بالسجود لآدم

ولا نفرض فى الناس هذه العقول التى تستسيغ الإمعان فى التخيل والإسراف فى مجاراة الأوهام حين تعرض عليهم قصة من ألذ ما يتخيل ، ومن أبعد ما يتصور حصوله ، وأشبه ما يكون بما يعرف بحكايات (أم الغول) تعرض هذا عند تفسير قوله تعالى : (ألم تر كيف فعل ربك بعاد . إرم ذات العماد . التى لم يخلق مثلها فى البلاد ...)

فتحدثك بأن شداد بن عاد سمع بالجنة وبنائها وما فيها فهب لبناء مدينة إرم فى صحراء اليمن ، وذلك بعد أن دانت له الملوك ، وتم له ملك الدنيا . ولما كان يريد أن تضارع الجنة إرم أو تضاريها، بناها من ذهب وفضة ويا قوت و و . . . ثم يخبرك بما كان بعد تمام بنائها الذى استمر ثلاثمائة سنة ، وما كان من أمر عبد الله ابن قلابة معها ، وما كان من حديث كعب مع معاوية فى شأنها

ويطول بى الحديث إذا عرضت لك غير هذا من تلك الخرافات والخيالات التى ملئت بها كتب المفسرين المشهورة

فإذا كانت الأمة قد أحست حاجتها الماسة إلى وضع معجم لغوى بسيط أو وسيط فكلفت بذلك مجمع اللغة الملكى ، فهو يحشد له قوته ويعد له عدته ، وسيخرج به على الناس إما قريباً وإما بعيداً ، فالأمة أيضاً بحاجة إلى من يسد مثل هذه الثغرة فى التفسير ، فيكون لها تفسير يرتضيه العلماء وتتداوله الأيدى ، ويحصل الناس منه على ما يبتغون من تفهم هداية القرآن واجتلاء محاسنه ، والانتفاع بتعاليمه ومبادئه

وللإمام المراغى فى ذلك ما يصلح بحق أن يكون نموذجاً يحتذى ومبدأ يتبع ، ظهر به على الأمة فى دروسه الدينية ، فقد تناول الآيات التى شرحها من جميع نواحيها الجديرة بالنظر ، فجلا معانيها وراض صعابها ، وكشف عن محاسنها وهدايتها ، وذلل مشكلاتها العلمية فأخرجها سائغة سهلة سليمة متقبلة ، وعرضها عرضاً يشرح النفس ويصل إلى القلب . إلا أن للأستاذ الإمام المراغى من مهام منصبه الخطير ما يشغله عن موالاة ذلك

إن اليوم الذى يقوم فيه العلماء بهذا العمل الجليل هو اليوم الذى يثبتون فيه للأمة عمليا جدارتهم برسالتهم التى يحملون ، والذى يدفعون به عن أنفسهم تلك السهام المصوبة إليهم من أصدقائهم وخصومهم

فإن لا يكن هذا فلا أقل من أن يختار من تلك الكتب أكثرها نفعاً وأدناها إلى الصلاح فيتقدم له من يعلق عليه بما يميز طيبه من خبيثه ، ويبين صالحه من فاسده ، وينبه على ما فيه من أخطاء علمية أو خرافات باطلة ، ويضمّن ذلك التعليق القول فى الناحية أو النواحى التى تتضمنها الآية وغفل عنها المفسر

وبذلك يبقى الأصل وينتفع الناس بما فيه من علم نافع ويتقون شر ما فيه من خرافات وأوهام تفسد دينهم ، وتضعف يقينهم .

إن التبعة الملقاة على علماء الأزهر خطيرة ، والمسؤولية التى عليهم أمام الله وللناس عظيمة، وواجبهم نحو كتاب الله غير هين، وذلك أقل مجهود يبرئون به ذممهم ، ويخدمون به دينهم وأمتهم

أما أن نكتفى بالقول بأنا أعلم الناس وكتبنا خير الكتب ، ودراساتنا أجود الدراسات، فهذا مالا تلق به التبعة، ولا تنتفع به الأمة . فالعمل العمل إن كنتم جادين .

محمود حسنى منصور

العُروب في العــــراق

للأستاذ ميخائيل عواد

في المؤلفات التاريخية والبلدانية نواح متعددة ما زال يستورها شيء كثير من الغموض، يعود بعض أسبابه إلى تساهل أصحاب تلك المؤلفات في تدوين الأخبار تدويناً يفي بالمرام ويدفع الشك، كأن يورد المؤلف أخباراً أو أوصافاً دون أن يتقصاها، لاعتقاده أنها من الأمور المعروفة التي لا تحتاج إلى الشرح والتدليل

من ذلك ما صادفناه لدى بحثنا في نوع من الطواحين القديمة، التي كانت تسمى « العُرُوب » وقد شاعت كثيراً في العراق والجزيرة وبعض ما يجاورها من البلدان. وكان البدء في استعمالها يرجع إلى ما قبل العصور الإسلامية، ثم رافقت هـذه العصور عدة مراحل حتى أدركت القرن السادس للهجرة، فقلَّ عددها لتواتر النكبات عليها وخف استعمالها فلم يبق منها إلا آحادٌ مبعثرة في الفراتين وبعض ما ينشعب منهما[1].

وقد أمكننا حين تتبعنا المراجع العربية القديمة الوقوف على بعض ما يوضح شيئاً من أمرها.

العروب في معاجم اللغة

لم يدر بخلد أحد من أصحاب المعاجم القديمة خاصة تحقيق منشأ كلمة عروب، إنما كان اتفاقهم على تعريفها فقط

فقد جاء في « تاج العروس » أن « العربات : سفن كانت بدجلة، النهر المعروف، واحدتها عربة[2] »

وماورد في «لسان العرب لابن منظور» لايتعدى ماذكره التاج وزاد صاحب القاموس عليهما في تعريفها بأنها : سفن « رواكد » كانت في دجلة[3]

وقال في مادة عربة إنها : « النهر الشديد الجرى »[1] وقوله هذا يتفق وما ذكره من كان قبله أي صاحب الصحاح[2]

هذا جل ما ورد في المعاجم القديمة بشأنها، وأما المعاجم الجديدة منها، فقد رأينا أن ما ذكره « محيط المحيط » و« البستان » و « أقرب الموارد » ، لا يتعدى التعريف المذكور في المعاجم القديمة[3]

وأحسن المعاجم الجديدة التي أعطت للكلمة ما تستحقه من العناية والدقة هو « المعجم المساعد » ؛ فقد جاء بأنباء جلية عن منشأ كلمة العروب ؛ فهو يقول : « العربة: بمعنى الرحى، إرَمية وتسمى (أسونا) ؛ ومنها أخذها عوام الموصل فقالوا أسناية[4] »

وقال في مكان آخر : الأسناية : بفتح الهمزة، وقد تكسر ؛ هي بالصابئية (أسنايا) ، وهي رحى الماء يحرك آلتها أجنحة[5] ، وكثيراً ما كانت تقام في جوار الفراتين أو ما ينشعب منهما، وهذه الكلمة من أصل عربي، من سَنيَت الدابة : استُقي عليها[6] »

ومما قاله أيضاً : ويحتمل أن تكون (عربة) معربة من اليونانية Atis و Harma وكذلك هي في الرومية[7]

ومما يحسن ذكره في هـذا الموضوع ما قاله صاحب التاج : « الفيلخ كصيقل، وهي الرحى أو إحدى رحيي الماء واليد السفلى منهما، ومنه قوله : ودرنا كما دارت على القطب فيلخ[8] »

وقد جُمعت عربة على عَربَات وعرب، وجمعت الأخيرة على عُرُوب وزان قُلوب، وهي جمع الجمع

العروب في كتب وصاف البلدان

قد يكون الرحالة بن حوقل هو الوحيد بين قدماء الكتبة الذين تكلموا بتفصيل عن هذه الطواحين بقوله : « ... وكان بالموصل

(١) يروى بعض شيوخ الموصل أنهم أدركوا حوالى سنة ١٨٨٠ طاحونة منصوبة في سفينة راسية على شاطئ دجلة ؛ موثقة بالحبال، ولا شك عندنا في أنها نوع من العروب التي عليها مدار بحثنا. وعلى ما يروون أيضاً أن استعمال هذه الطاحونة لم يدم أكثر من سنتين ثم تركت ولم يشاهدوا بعد ذلك غيرها

(٢) تاج العروس للزبيدي (١ : ٣٧٦)

(٣) القاموس المحيط للفيروزابادي (الطبعة الثالثة ١ : ١٠٣)

(١) القاموس (١ : ١٠٢)

(٢) الصحاح للجوهري (١ : ٨٠)

(٣) محيط المحيط لبطرس البستاني (٣ : ١٣٦٢) ، البستان لعبد الله البستاني (٢ : ١٥٤٤) ، أقرب الموارد لسعيد الشرتوني (٢ : ٧٥٩)

(٤) المساعد : وهو معجم للعلامة الأب أنستاس ماري الكرملي، لا يزال مخطوطاً عنده (ص ١٣٦٢ ، ٣)

(٥) راجع أيضاً دليل الراغبين في لغة الآراميين للقس يعقوب أوجين منّا (ص ٣٣ : اسونا = عروب ...)

(٦) المساعد (ص ١٠١٤ ، ٣)

(٧) المساعد (ص ١٣٦٢ ، ٢)

(٨) تاج العروس ولسان العرب في مادة (ف ي خ)

فى وسط دجلة مطاحن تعرف بالعُروب ، يَقلّ نظيرها فى كثير من الأرض ، لأنها قائمة فى وسط ماء شديد الجرية ، موثقة بالسلاسل الحديد ، فى كل عربة منها أربعة أحجار ، ويطحن كل حجرين فى اليوم والليلة خمسين وِقراً[1] . وهذه العُروب من الخشب والحديد ، وربما دخل فيها شىء من الساج . وكانت بِـبَلَدَ ، المدينة التى عن سبعة فراسخ منها عُروب كثيرة دارت أعمالاً وجهازاً إلى العراق فلم يُبْق منها شؤم ابن حمدان ولا من أهلها باقية[2] »

ثم تطرّق إلى الكلام على العروب فى غير مدينة الموصل ، قال : « وبمدينة الحديثة منها عدد تعمل فى وسط دجلة ، وقد ملك بنو حمدان متاعها حسب ما ذكرته من حال الموصل وسائر ديار ربيعة ، وارتفاعها نحو خمسين ألف دينار ، وكان بالفرات للرقة (وقلعة جعبر) مالا يدانى هذه العروب ولا كثرتها ، وبمدينة تفليس[3] فى نفس الكُر منها شىء به تقوم أقوات أهل تفليس ، وهى دونها فى الفخم والمعظم ، وبتكريت وعكبرا والبَرَدان منها شىء باق . ولم تبق بركة بنى حمدان بالموصل إلا ستة أو سبعة منها (كذا . والصواب ست أو سبع) ، وليس ببغداد شىء منها[4] »

ثم عاد إلى ذكر العُروب فى تفليس أثناء كلامه على هذه المدينة فقال : « تفليس ... وهى على نهر الكر ولها فيه عروب يطحن فيها الحنطة كما تطحن عروب الموصل والرقة وغيرهما فى الدجلة والفرات[5] »

وأشار ياقوت إلى العروب قائلاً : « العَرَبات ومفردها عربة ، وهى بلغة أهل الجزيرة : السفينة تعمل فيها رحىً فى وسط الماء الجارى مثل دجلة والفرات والخابور ، يديرها شدة جريه ، وهى مولدة فيما أحسب[1] »

وتطرق القزوينى إلى ذكرها بقوله : « ... وأهل الموصل انتفعوا بدجلة انتفاعاً كثيراً مثل شق القناة منها ونصب النواعير على الماء ، يديرها الماء بنفسه ، ونصب العَرَبات ؛ وهى الطواحين التى يديرها الماء فى وسط دجلة فى سفينة وتنقل من موضع إلى موضع[2] »

العروب فى كتب التاريخ والأدب

لعل أول نبأ بلغنا عن العروب فى المراجع التاريخية ، هو ما ذكره الشابشتى فى كتابه « الديارات[3] » لدى كلامه على دَيْر مارجرجس ، والدير الأعلى

قال فى الأول : « هذا الدير بالمزرفة (قرية كبيرة فوق بغداد على دجلة بينها وبين بغداد ثلاثة فراسخ ، وهى قريبة من قَطْرَبُّل) وهو أحد الديارات والمواضع المقصودة . والمتنزهون من أهل بغداد يخرجون إليه دائماً فى السُميريات لقربه وطيبه ، وهو على شاطئ دجلة . والعروب بين يديه ، والبساتين محدقة به ...[4] »

وفى الثانى : هذا الدير بالموصل ، يطل على دجلة والعروب ، وهو دير كبير عامر ...[5]

وفى حوادث سنة ٣٦٣ هـ حين استيلاء بختيار بن معز الدولة ابن بويه على الموصل ، يذكر ابن الأثير فى « الكامل » ما نصه : « ... فسار (بختيار) عن بغداد ، ووصل الموصل تاسع عشر ربيع الآخر ونزل بالدير الأعلى ، وكان أبو تغلب بن حمدان قد سار عن الموصل لما قرب منه بختيار ، وقصد سنجار وكسر العروب ، وأخلى الموصل من كل ميرة[6] »

وهـذه الرواية توافق ما نقله القلقشندى عن نسخة كتاب

---

(١) الوقر (بكسر الواو : الحمل الثقيل) وقيل هو الثقل ، يحمل على ظهر أو رأس . يقال : جاء يحمل وقره ، وجمعه أوقار (التاج ٣ : ٦٠٠) ، والمراد هنا بالوقر أربعة قناطير

(٢) صورة الأرض « المسالك والممالك » لابن حوقل (طبعة كراموز فى ليدن سنة ١٩٣٨ ، القسم الأول ص ٢١٩)

(٣) قال ياقوت فى معجم البلدان (طبع ليبسك ١ : ٨٥٧) : « ... ويجرى فى وسطها [تفليس] نهر يقال له الكر يصب فى البحر ، وفيها ضروب تطحن » وهذا تحريف ؛ صوابه عروب

(٤) ابن حوقل (ص ٢١٩)

(٥) ابن حوقل (القسم الثانى ص ٣٤٠)

(١) معجم البلدان (٣ : ٦٣٢ ، مادة عربات)

(٢) آثار البلاد وأخبار العباد للقزوينى (طبع غوتنجن ص ٣٠٩)

(٣) كتاب الديارات لأبى الحسين على بن محمد المشهور بالشابشتى ، المتوفى سنة ٣٨٨ هـ . يقوم بتحقيقه ونشره : أخى كوركيس عواد من النسخة الفريدة المحفوظة فى خزانة برلين

(٤) الشابشتى ورقة ٢٧

(٥) الشابشتى ورقة ٧٥

(٦) الكامل لابن الأثير (طبعة تورنبرغ ٨ : ٤٦٤)

كتبه أبو إسحق الصابئ عن عز الدولة بن بُوَيه إلى المطيع لله عند فتحه الموصل ، وهزيمة أبي تغلب بن حمدان — فقد قال : « وكان انهزامه (أبي تغلب) بعد أن فعل الفعل السخيف ، وكادنا الكيد الضعيف ، بأن أغرق سفن الموصل وعدوتها ، وأحرق جسرها واستذم إلى أهلها[١] ... »

وأورد الخفاجي في شفاء الغليل ما ذكره ياقوت ، ومما زاد عليه قوله : « ... وأنا لا أدرى هل المركب المسمى عربة[٢] أخذ من هذا ، أو هو غير عربي وهو الظاهر[٣] »

وجاء في حاشيته — لنصر الهوريني المعتنى بطبعه — قائلاً : « من معاني العربة في اللغة : النهر الشديد الجرية ، ففي هذا الإطلاق تجوز »

وقد أشار إليها الخوارزمي في مفاتيح العلوم بقوله : « العربة طاحونة تنصب في سفينة وجمعها عرب[٤] »

ومما ورد في ديوان الأدب للفارابي قوله : « لعروبة دوار ، أي ماء تدار به »

(١) صبح الأعشى للقلقشندي (٦ : ٤٨٧)

(٢) جوابا لهذا وإتماما للفائدة راجع : ١ — رحلة ابن بطوطة (طبع باريس ٢ : ٣٦١ — ٣٦٢) . ٢ — مجلة الضياء (السنة الأولى [١٨٩٨] ، ص ١٧٧) . ٣ — مجلة لغة العرب (٨ [١٩٣٠] ص ٢٨٥ — ٢٩٠ ، ٦١٣ — ٦١٩) . ٤ — مجلة مجمع اللغة العربية الملكي (الجزء الثاني ص ١٢٣)

(٣) شفاء الغليل للخفاجي (المطبعة الوهبية ص ٥٦)

(٤) مفاتيح العلوم للخوارزمي (طبع ليدن ص ٧١)

الخلاصة

نخرج من هذا المقال إلى أن هذه الطواحين كانت تقوم على سفن متجاورة يتخللها مضايق ينحبس فيها ماء النهر ، وقد نصبت فيها دواليب ذات عنفات[١] ؛ تدور بتأثير الماء الشديد الجرية وتقوم هذه الدواليب بتدوير دواليب أخرى متصلة بالضرائر أي أحجار الطواحين .

ويؤيد هذا ما ذكرته مجلة (لغة العرب) أن العربة هي الرحى التي تكون في السفينة في الماء ، ليطحن بها القمح أو يعصر بها البزر أو يستخرج بها الزيت ؛ ولها دولاب ، وللدولاب عَنَفات يضربها الماء فتدير الرحى ، وهي بالإفرنجية Pressoir Hydraulique[٢]

لا شك أن تلك السفن كانت كبيرة بحيث تستوعب المقادير العظيمة والحبوب ، وقد كانت الشبارات والزبازب والسميريات وغيرها من وسائل النقل النهرية وقتذاك[٣] في ذهاب وإياب ، تقوم بنقل الناس مع أوقارهم إلى هذه العروب . ولا غرو إن كان دجلة والفرات عند جريهما بين يدى تلك البلدان الشهيرة بهذه العروب ؛ يزدحمان بهذه السفن ويزخران بحركتها المتواصلة .

(بغداد) ميخائيل عواد

(١) العنفات هي أجنحة دواليب العربة ، مفردها العنفة

(٢) لغة العرب (٨ [١٩٣٠] ص ٢٨٧)

(٣) للتوسع في معرفة أنواع السفن والمراكب النهرية القديمة ، يراجع مقالة نفيسة نشرها الأستاذ حبيب زيات في لغة العرب (٥ [١٩٢٧] ٤٦١ — ٤٦٥) بعنوان : « السفن والمراكب في بغداد في عهد العباسيين »



صاحب الديوان المتمرد

لست أدرى أثورة روحه أعظم من ذكاء عقله، أم أن ذكاء عقله أرجح كفة من ثورة روحه ؟ فهو إن أردت فيه كلمة الحق ذكى ملتمع الذكاء، ثائر ملتهب الثورة ؛ وهو فتى فى ربيع الحياة لم يعد فيما أظن الثالثة والعشرين من عمره

رأيته أول ما رأيته هادئاً كالطفل الذى يحلم أحلام نفسه الغريرة ، ولكنى لم ألبث أن وقعت منه على ثائر تأكل ثورته أعصابه وتحرق دمه فى غير هوادة ولا إبطاء . على أننى رأيت من عذوبة روحه مع ذلك ما جعلنى أعجب كيف يجتمع مثل هذا التمرد الصاخب ومثل هذا الظرف الفكه فى نفس واحدة ! وإن أسارير وجهه لتتشكل بما يجرى فى نفسه فتكون صفحة محياه كسماء (أمشير) لا تصفو حتى تتجهم، ولا تتجهم حتى تنقشع من رقعتها الغيوم.

دنوت منه ألتمس حل مسألة عنده، وما أكثر ما تدفعنى المسائل دفعاً إلى أصحاب الدواوين ! وما يثقل شىء على نفسى مثل أن ألتمس معروفاً عند صاحب ديوان كبيراً كان أو صغيراً صديقاً كان أو لا يربطنى به سبب من معرفة . وأنا وإن كتبت عن أصحاب الدواوين ما أكتب وأنا مطمئن فى حجرتى ولدى مكتبى ، ليركبنى الخوف ويتملكنى الحياء وتأخذنى الربكة من جميع أقطارى كلما دخلت حجرة أحدهم لأحادثه فى أمر جل أو هان؛ حتى لو كان لتحية. وسبب ذلك لا يزال مجهولاً عندى، ولن يزداد على الأيام إلا غموضاً وخفاء!

وأقبل على صاحب الديوان هاشاً مرحباً ، وترك أوراقه كلها جانباً ، وأخذ يستمع إلىّ . ولم أكد أستعيد توازنى أو أسترد مواقف دفاعى كما يقول المتحدثون عن الحرب فى هذه الأيام ، حتى قطع على الكلام ومال بالحديث عن مجراه ودفعه في شؤون كثيرة لا علاقة لها ألبتة بما جئته من أجله . وأخذ يتحدث ثم يتحدث ، وكل حديثه شكوى ، وهو لا يكاد يقع على أمر حتى يطير عنه إلى غيره — لا يعنى متى يطير ولا أين يقع — فللمحسوبية نصيب من حملاته ، ولعدم إخلاص الناس فى أعمالهم بعض سهام لومه ، وللحرب القائمة والمسئولين عنها جانب من غضبه ، ولفوضى الأخلاق قدر كبير من صخبه ، ولتقلب الجو قسط من تهكمه تجلت فيه براعة مقارنته بين أخلاقنا وطبيعة جونا؛ وللفن والأدب والتعليم وغيرها من الأمور مما لا يسعنى حصره، كثير من غمزاته والتفاتات ذهنه ... كل أولئك وأنا مصغ أسلم إلى طول الخط بكل ما يقول ، لا أخالفه ولا أراجعه عله يفرغ فألتمس السبيل إلى موضوعى من جديد ، ولكن ثورته كانت كالسيل الجارف لا يلوى على شىء . . . وكان يدخل أثناء الحديث كثير من الخدم، فيقدمون إليه أوراقاً ، فيأخذها ويضعها على غيرها من الأضابير دون أن ينظر فيها؛ فاذا أشار أحدهم إلى أن فيها ما تستعجل الإجابة عنه صرفه بقوله: « قل له حالاً ... دقيقة واحدة » . ثم عاد إلى حديثه ، يجرى فيه على غير تحبس أو ملل

وجاء بعض زملائه يستعجلونه أوراقاً ، وكان يلتفت بعضهم إلى قائلاً : « لا مؤاخذة يا بيه » كأنما كنت أنا سبب ما يشكون من عطلة ؛ وهو منصرف عنهم بحديثه لا يزيد على أن يستمهل من يستعجله منهم دقيقة ؛ ثم يستأنف حديثه وهو أنشط وأهدأ بالاً مما كان ! وانتهزت فرصة فعبرت له عن اعتذارى ، وقد غالطت نفسى ونسبت إلى أنا السبب فى ضياع هذا الوقت كله ، وفهم صاحب الديوان إشارتى، فابتسم وقال: «لا ... العفو يا أخى ، لازم كلامى لم يتشرف برضاك » ... ونفيت ذلك بكل ما أملك من معانى التأكيد ومضيت أثنى على حديثه بكل ما وسعنى من عبارات الثناء ، فاطمأن قليلاً ، وسكت هنيهة ثم قال : « انت عاوز الحق؟ الواحد أهو بيشتغل على قدر القرشين بتوعهم » ولم أستطع أن أرد على ذلك القول الذي يتضمن السكوت عليه نوعاً من الاشتراك فى الأخذ بما يدعو إليه، وما كان سكوتى إلا لأعود إلى موضوعى، وقد عقدت العزم على أن أعود إليه بأى ثمن

وبلغت ثورته أقصاها إذ تداعت إليه من هذا الكلام قصة الأقدمية ، فراح يشكو فى ألم واضطراب من أن الترقى بالأقدمية معناه أن يتساوى المجدد والمتكاسل والذكى والغبى والكفء والعاجز. فالمسألة مسألة زمن فحسب ، ومتى مرت الأيام صار الموظف بحكم الزمن وحده كفؤاً مهما كان من عجزه وتقصيره. فما معنى أن يجهد المرء نفسه إلا أن يكون « عبيطاً » وهو لا يدرى « عبطه » ؟ وضرب المثل بنفسه : فهو يحمل شهادة عالية ورئيسه من حملة الابتدائية . وضحك صاحب الديوان وقال : « يعنى أبداً جحشاً ثم يمر الزمن فأصبح حماراً ، وعند ذلك أصير أهلاً للرقى »

وكان موعد انصراف أصحاب الدواوين قد حان فنهض ومد إلىّ يده ضاحكاً وهو يعبر عن أسفه لأن الوقت لم يتسع لموضوعى ويدعونى إلى الحضور مرة أخرى .

الخفيف

في سبيل الأزهر أيضاً

الصراحة لغة الحق

للأستاذ حامد عوني

لقد عودنا الأستاذ النابه صاحب الرسالة الغراء في مطالع رسالته المشرقة أن يميط لنا اللثام عن وجه الحقيقة، وأن يسمعنا من حين لآخر صيحة الحق في غير مواربة ولا مراءاة، وذلك ما دعاني أن أتقدم إليه بكلمة هي وليدة هذا المبدأ الكريم رجاء أن يفسح لها مكانها من رسالته كما فسح لغيرها من صيحات الحق وله بعد ذلك شكر الله والناس

***

كان العرب — وهم في جاهليتهم الجهلاء — قوماً شبوا في أحضان البداوة الجامحة، ونشأوا في كنف العيش الجاف والحياة الشاردة، وكانوا إلى ذلك لا يدينون بغير القول الصراح، واللفظ المحسور اللثام، لا يعرفون فيه زيفاً أو مراوغة، ولا في أدائه ليناً أو مهاودة حسبما تمليه عليهم طبيعة البادية، وتوحي به الشهامة العربية

وعلى هذا المنوال من القول نسج الإسلام رايته، وعلى غراره أدى رسالته، فعمت دعوته جميع الأرجاء

وهكذا كان القول الصريح في قديم العهد وحديثه مظهراً واضحاً في أكثر الأمر من مظاهر الحق، ومخباراً صحيحاً لصدق التعصب له والذياد عنه، ودليلاً ناصعاً على قوة الإيمان به وفناء العقيدة فيه، ومحك صدق للبطولة والشهامة

ولكن — والأسف يحز في الأحشاء — درج أناس على أن يساوموا في الحق، وشبوا يستمرئون حياة المداراة والمصانعة؛ ويستسيغون مخزاة التواري عن وجه الحقيقة السافرة. فإذا ما استعدت الحقيقة أحدنا على المساومين فيها فأعداها، وأهابت به أن ينافح عنها فأجابها؛ قالوا: هذا باطل من القول وزور، وقالوا: هذا دفع لم يقصد به وجه الحق، وقالوا: غيز ذلك مما أوحت به حفائظ الصدور لا لسبب — شهد الله — سوى التجرد لمواجهة الواقع الملموس، والجهر بما لم نستطع الهمس به، والإقرار في صراحة بما أعوزتنا الشجاعة فيه

أإذا لم يتهيأ لنا — ونحن نعاني كين الألم الصارخ — أن نضع أيدينا على الداء جزعنا أن نرى أحدنا يتوجع لنا، ويستصرخ الأساة لتضميد جراحنا. ومن ذا إذاً يرسل الآهة مدوية غير نفثة الصدور، وزفرة المكروب؟ وأي منا لم يقع في شرك هذا البلاء وتمنى الخلاص منه؟

ما كان لنا «علم الله» أن نستخذي أمام الحق ونتوارى عن الواقع المحس ما دمنا في البلية سواء

هذا لعمري موطن ضعف مجبنا منذ عهد بعيد. نحس بالألم ونتضور له ونحن مع ذلك نؤثر أن نستسلم للداء على أن نجار بالشكاية منه والتخلص من شره. يا للعجب! متى نتشجع فنثور على هذا الداء، ونطهر نفوسنا من أوضاره، ونكاشف العقول بويلاته فتتمكن يد الإصلاح من تعرف مواطن العلة فتضع الهناء مواضع النقب؟

قد يبدو لأحدنا أن في استقصاء بعض الداء وعرضه داعية للشماتة، ومثاراً للمتحفزين للوثبة، والقاعدين بكل مرصد؛ فنقول له: على هينتك. مرحباً بهذا الإشمات وأهلاً بهذه الإثارة؛ فكلاهما عامل من عوامل الإصلاح، وحافز من حوافز الأخذ بأسباب التفصي من العيب، والتبري من النقص. وها هي ذي معاهد العلم في مختلف الممالك لن تجد من بينها ما لا يشكو من عيب في بعض نواحيه مهما سمت مناهج التعليم فيه

فليس من العيب إذاً أن نكشف عن أدوائنا بغية العمل على استئصالها أو تخفيف ويلاتها. إنما العيب والعار، بل ومن الخطر أن نرحب بالداء ونحتضن به ونطوي عليه كشحاً وهو لا يألونا عنتاً، ولا يني أن يسومنا إرهاقاً، وقد قالوا: «من كتم الطبيب داءه هلك»

وبعد، فخير لنا أن نكون صرحاء فيما نقول، أحراراً فيما نرى، بواسل في مواجهة الحقائق فلا نستخذي ولا نستبطن ولا نرائي

ولا نصانع فتلك صفات لا يعترف بها دين . ولا يقرها عرف ، ولا يتسم بها فاضل

وإذا أعوزنا المثل الأعلى للرأى الحر والموقف الصريح الحازم فلنلتمسه فى « ساعة الأستاذ الزيات مع الأستاذ الأكبر » ففيها المثل الكامل والقدوة الصالحة

هذا ونحمد الله سبحانه أن وجد فى صفوفنا من برز إلى الميدان ، ورفع الصوت عالياً فى حزم واتزان . وهذا ما ينبغى أن يكون عليه حالنا ؛ فالصراحة سيف لا يرتفع الحق إلا على شباته ، ومرآة لا تنكشف الحقيقة إلا على شعاعها .

(مصر الجديدة) حامد عونى

المدرس بمعهد القاهرة

مسكن الفـــلاح

للأستاذ عباس قطر مصطفى

أستاذ هندسة الريف بمدرسة الزراعة بمشتهر

المصريون سليلة بنائية ، وآثارهم فى المهارة والإنشاء قبلة أنظار عناصر البشر المختلفة ... هى فتنة العلم والفن ، تكشف عن سحر عظمة مصر فى زمن مضى وتولى ... إنها توقظ الكبرياء القومية فى قلوبنا وتحيي الآمال فى نفوسنا

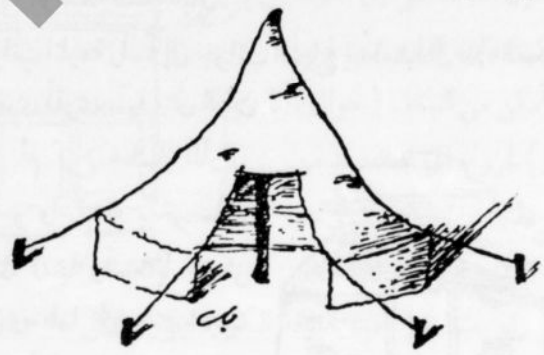
حقاً قد كانوا يوجهون الجزء الأكبر من مجهودهم الإنشائى نحو القبور والمعابد لاعتقادهم البعث والنشور ... ولكن ... لم يكن لأدق بل ولأبسط شئون الحياة أن تجد سبيلاً للهروب من بحثهم ودراستهم وتنفيذهم ... لذلك لم يفتهم أن كانوا العنصر البشرى الأول الذى اكتشف ماهية مبانى الريف من سكن ومخازن وحظائر للمواشى ومعامل للتفريخ الصناعى ... بل وعمل على التطور بها إلى حد يشعرنا بالعظمة ويدعونا للإعجاب

لنقصر موضوعنا الآن على مسكن الفلاح . . . ولنر أولاً ماذا فعل أجدادنا به ، وما هو عليه الآن ، ثم ما نحن به فاعلون

أولا — نشوء المسكن وتطوره :

فكر المصرى الفطرى الأول فى ضرورة الاحتماء بمأوى له ، فكان يجمع قطعاً من المواد الصلبة (كالأحجار وقطع الطين الجافة) على الأرض فوق بعضها البعض بشكل مخروط مفرطح ينام خلفها ليلاً لتحجب عنه تأثير هبوب الرياح





ثم وجد أنه من الأوفق أن ينام داخل هذا المأوى ، واستحال عليه ذلك بهذه المواد التى يستعملها لتعذر تجويفها مع احتفاظها بالتوازن وما لبث أن قادته عقليته إلى استبدال مثل هذه المواد بمادة أخرى لينة تشبه ما يصنع منه مأوى الأعراب الآن . وبذلك تكون أول شكل للخيمة ... ركز رأسها على فرع شجرة وشد جوانبها إلى الأرض بالحبال والأوتاد ، وجعل لها باباً فى اتجاه هبوب الريح



وكان تأثير هبوب الريح فى هذه الحال العبث بمأواه هذا ، فوضع حاجزاً من القصب أمام فتحة الباب ليكسر من حدة هذا الهبوب . تغلب بذلك على مقاومة الريح ، ولكن أطفاله وحيواناته الأليفة كانت تخرج من



المأوى وتضل الطريق ، فعمد إلى هذا الحاجز فجعله سياجاً يحوط مأواه من الجهات الأربع وجعل فيه باباً للدخول والخروج .



أراد بعد ذلك أن يستغل الفضاء بين محيط السياج وبين محيط مأواه لغرض توسيعه فشد الحبال جوانب الخيمة رأساً إلى جوانب السياج بعد استبدال مادته الضعيفة بأخرى أقوى منها وهي الطين .



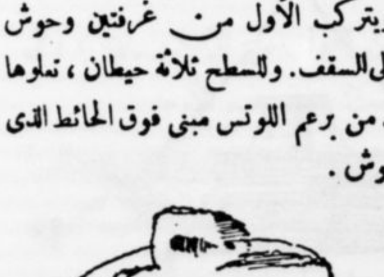
ثم نزع غطاء المأوى الرخو واستبدله بآخر صلب فجعله قصباً وأحطاباً ترتكز من وسطها على جذع شجرة فصار أشبه شيء « بالعرشة »

وبذلك اتخذ المأوى أول شكل عادي مألوف لمسكن الفلاح الحالي .



بالمتحف المصري

وهذان شكلان آخران أيضاً لمسكن فلاح مُحَسَّن ، منقول أحدهما عن نموذج موجود بالمتحف المصري ، والآخر عن نموذج موجود بالمتحف البريطاني . ويتركب الأول من غرفتين وحوش مكشوف به سلم يؤدي إلى السقف. وللسطح ثلاثة حيطان ، تعلوها تنطية ترتكز على عمود من برعم اللوتس مبني فوق الحائط الذي يفصل الغرفتين عن الحوش .



بالمتحف البريطاني

ويتكون الثاني من حوش مكشوف يطل عليه باب غرفة ونافذتها المحلاة بعمود من زهرة اللوتس ، وإلى اليسار بوابة مفتوحة تؤدي إلى سلم ينحصر بين الغرفة وحائط الحوش ، ويصل إلى سقفها حيث يوجد مقعد صغير له فتحة صغيرة أيضاً بمثابة نافذة لها .

ثانياً — حاله الآن :

وصل مسكن الفلاح على أيدي أجدادنا ومنذ آلاف السنين إلى هذه الحال ، فما هي التحسينات التي أدخلت عليه منذ هذا الأمد السحيق ؟ ! ... إذا استثنينا النادر – وليس للنادر حكم – فاللهم لا شيء ... ! !

المسكن الحالي للفلاح رديء بأوسع ما في هذه الصفة من معنى . ليس وافياً بالغرض المنشأ من أجله . لا تجد فيه أعمالاً صحية مناسبة للريف لتوفير السبل المعقولة للتهوية والإضاءة والتدفئة والنظافة والتصريف . فغدت صحة الفلاح تبعاً لذلك عرضة لكل مرض . ولم يراع في هندسته الترتيب والتنسيق المناسب للريف ، فغدا كتلة جامدة من الفوضى والتشويش لا تساعد على رفع المستوى الاجتماعي لساكنه ، بل هي لا تساعد إطلاقاً على تكوين أي مستوى اجتماعي

ثالثاً — ما يجب أن يكون عليه مسكن الفلاح :

لندع الآن دراسة تفاصيل المسكن الحالي للفلاح لنرى بإيجاز ما يجب أن يكون عليه مستقبلاً ؛ وسيكون ذلك من تلقاء ذاته نقداً وافياً لأي مسكن حالي

(ا) من حيث الوضع

يجوز بناء مسكن الفلاح منعزلاً عن مسكن جاره زيادة في قوة التهوية والإضاءة ؛ والأغلب بناء المساكن متلاصقة بهيئة صفوف توفيراً لمساحات الأرض وتكاليف الإنشاء، اتجاهها (بحرى — قبلى) حتى تتسلط أشعة الشمس على المسكن طيلة اليوم

(ب) من حيث مادة البناء

استعمل قدماء المصريين غنيهم وفقيرهم « الطوب الأخضر » في جميع مرافقهم الدنيوية لملاءمته لجو مصر، ولكونه موصلاً رديئاً للحرارة ، ولسهولة الحصول عليه ورخص تكاليف البناء به ، كما نستعمله الآن ، وتستعمله أيضاً بعض الولايات الأمريكية

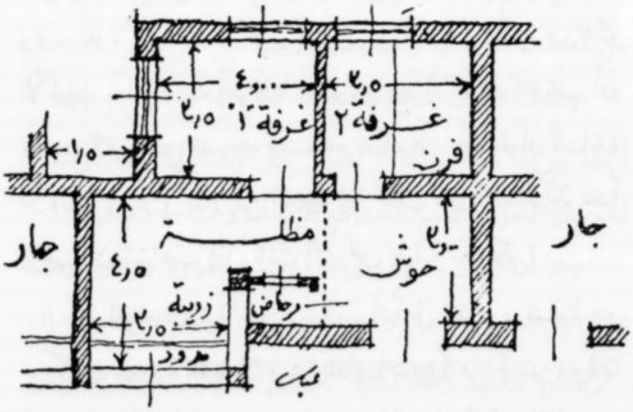
وفي الواقع يصح استعمال الطوب الأخضر كمادة بنائية للحيطان في الوجه القبلي وأغلب بقاع الوجه البحري لندورة الأمطار بشرط التأكد منه والعمل على عدم تأثير الرطوبة الأرضية فيها . بل ويمكننا القول مع شيء من الجرأة بجواز تعميم البناء بالطوب الأخضر حتى في شمال الدلتا بشرط عمل « رفرفة » مناسبة للأسقف و « لمروة » حائط الحوش مع تغطيتها « بدكة » جيدة للريف من خراسانة الجير والحمرة ، وبشرط طلاء الحوائط بمونة

جربتها بنفسى وهى «مونة» الجير والساس والتى أح فى طلاء جميع مساكن الفلاحين على الأقل بها فى أية بقعة . فهى نظيفة بقوية لا تحتاج إلى الترميم مثل «مونة» الطين ولا تمتص الرطوبة الموجودة فى الجو ولا تسمح كالطلاء بالطين ببقاء وتوالد البق والبراغيث على سطحه الخشن وبين الشقوق الدقيقة فيه خصوصاً أن البراغيث وسيلة لنقل الطاعون

هذا وتكون أرضية الغرف من «دكة» خراسانة الجير والحمرة أيضاً بارتفاع ١٥ سم عن سطح الأرض

ولا يفوتنا ونحن فى صدد الكلام عن مادة البناء أن نعنى بانتخاب أنواع الأخشاب المصرية الصالحة لأعمال الإنشاء الهندسية ، وبالعمل على الإكثار منها لنعتمد عليها فى عمل الأسقف والنوافذ والأبواب ليعتمد الريف على الأقل على مواده الخاصة من جهة ، ولزيادة التوفير من جهة أخرى ، خصوصاً والأحوال الدولية المضطربة تعوق دون وصول الكفاية منها بثمن يتناسب مع سياسة الاقتصاد فى الريف

(ج) من حيث الفكرة المعمارية



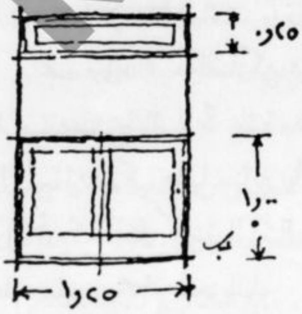
يتركب المسكن العادى للفلاح الذى له زوجة وطفلان أو ثلاثة من غرفتين، ويجوز إضافة غرفة أخرى إذا كان عدد أفراد الأسرة أكثر من ذلك . وأبعاد الغرفة حوالى ٣٫٥ متر فى الاتجاهات الثلاثة، بها باب ونافذة صحية واحدة على الأقل، وأمامهما حوش له باب عمومى نصفه مغطى بمظلة تحتها مرحاض (يجوز استعماله حماماً) ، ونصفه الآخر مكشوف

ولا مانع من الوجهة الهندسية الإنشائية من وضع حظيرة المواشى التابعة له بمسكنه . والشكل يبين قطاعاً أفقياً لأحد النماذج الاقتصادية ، والتى هى وسط بين النوع المتصل والنوع المنفصل

(د) من حيث السياسة الصحية

(١) التهوية الطبيعية :

يجب وجود نافذة واحدة على الأقل فى كل غرفة يكون الجزء السفلى منها قريباً ما أمكن من الأرضية (حوالى ١ متر) لدخول الهواء النقى إلى الغرفة ويكون الجزء العلوى منها قريباً ما أمكن من السقف (حوالى ½ متر) لخروج الهواء الفاسد من الغرفة إذ أن الثانى أخف فى الوزن من الأول ، ولا مانع من رفع مستوى نافذة الغرفة الكبيرة بعض الشىء ؛ وذلك لقربها من نافذة الغرفة الكبيرة للمسكن المجاور . وهذه الطريقة تجدد من تلقاء نفسها هواء الغرفة بانتظام وبصفة مستديمة



(٢) التدفئة :

تزود إحدى الغرفتين ولتكن الغرفة « ٢ » بفرن عرضه حوالى ٢ متر فتحته من الحوش للنظافة وهذا فضلاً عن استخدامه فى « الخبز » وفى مرافق المسكن الحيوية الأخرى ، يمكن تزويده بفرعين من مواسير الفخار المتين محكمة الاتصال ، أحدهما فتحته من الخارج ويمر « بالشاروقة » إلى أعلى حيث تكون فتحته الأخرى فى الحائط داخل الغرفة ، ويركب على كل من الفتحتين قرص ثابت مثقوب بشكل خاص ، وآخر خلفه يتحرك بمقبض صغير مثقوب أيضاً بنفس النظام، ويمكن بواسطتهما إغلاق الفتحة فى غير وقت الاستعمال . وبمرور الهواء الخارجى خلال هذا الفرع ترتفع درجة حرارته بمروره داخل الماسورة فى الشاروقة ثم يدخل الغرفة دافئاً . وبذلك يمكن تدفئة هواء الغرفة شتاء إلى الدرجة المطلوبة وبطريقة صحية

أما الفرع الآخر من المواسير فله شعبتان: أولاهما فى الشاروقة أيضاً ، وتنتشران داخل سقف الفرن أفقياً حتى نهايته حيث تتجمعان إلى شعبة واحدة تتجه رأسياً إلى أعلى حيث فتحتها خارج الغرفة مركب عليها مثل القرصين السابقين . ويخرج من

هذه الفتحة دخان الفرن . وبهذه الوسيلة يمكننا تدفئة سطح الفرن أيضاً للنوم عليه شتاء

ولا يفوتنا ونحن عند هذه النقطة أن نعمل على عدم وجود الأحطاب والقصب وما أشبه ذلك داخل المسكن أو على السطح منعاً للخسارة فى الأنفس والمتاع. وما حريق شباس وغيره منا ببعيد.

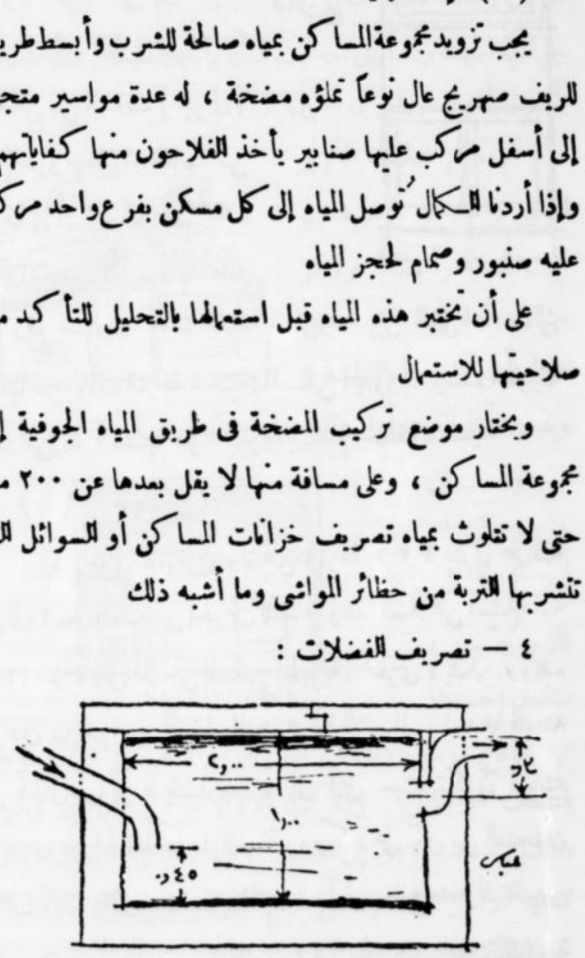
(٣) الإمداد بالمياه :

يجب تزويد مجموعة المساكن بمياه صالحة للشرب وأبسط طريقة للريف صهريج عال نوعاً تعلوه مضخة ، له عدة مواسير متجهة إلى أسفل مركب عليها صنابير يأخذ الفلاحون منها كفاياتهم . وإذا أردنا الكمال توصل المياه إلى كل مسكن بفرع واحد مركب عليه صنبور وصمام لحجز المياه

على أن تختبر هذه المياه قبل استعمالها بالتحليل للتأكد من صلاحيتها للاستعمال

ويختار موضع تركيب المضخة فى طريق المياه الجوفية إلى مجموعة المساكن ، وعلى مسافة منها لا يقل بعدها عن ٢٠٠ متر حتى لا تتلوث بمياه تصريف خزانات المساكن أو السوائل التى تتشربها التربة من حظائر المواشى وما أشبه ذلك

٤ — تصريف الفضلات :



لما لم يكن بد من تصريف فضلات السكان فإن أصح طريقة استعمال خزان التحليل Septic Tank

توجد فى الفضلات بكتريا ومكروبات متنوعة منها أنواع مفيدة لأغراض تحليل المادة العضوية، وهذه تعيش فى شروط غير هوائية ؛ فيجب إذاً توفير هذا الوسط لها ليتم التحليل من جهة وتتكاثر هذه الأنواع وتبيد الأنواع الأخرى الضارة من جهة أخرى وهى غالباً لا تعيش إلا تحت شروط هوائية ، لذلك يجب وضع تصميم الخزان بحيث يكون سطح السائل فيه قريباً ما أمكن من سقفه

ويعمل هذا الخزان من خراسانة السمنت ليبقى أمد الدهر سليما جيداً . ويجوز عمله بالطوب الأحمر البلدى على سبيل الاقتصاد مع تبطينه بطلاء من «مونة» السمنت والرمل. وتصمم سعة الخزان على أساس أن كل فرد يخصه منها ثلاثة أعشار المتر المكعب. وأقل أبعاد ممكنة له هى بالتقريب : طول ٢ متر وعرض ١ متر وارتفاع ١ متر وتكفى سعته لتصريف فضلات أسرة مكونة من ٦ أشخاص

تدخل الفضلات إلى الخزان بميل حوالى ٢ سم للمتر فوق القاع بحوالى ٤٥ سم حتى لا تضطرب الفضلات الموجودة ولترسب الفضلات الداخلة على القاع حتى تتحلل

وعلى بعد حوالى ٣٠ سم أسفل سطح السائل فى الخزان يوجد السائل الذى تم تحليل المواد العضوية الموجودة به ، وعند هذا البعد تركب أنبوبة التصريف Outlet Gipe . ويمتد من الخزان فى حفرة تحت سطح الأرض بأى نظام هندسى أنابيب فخار لتصريف المياه الخارجة من الخزان فى التربة . وهذه الأنابيب موضوعة بجوار بعضها البعض بدون لحام ، وبميل خفيف جداً لا يزيد على نصف سنتيمتر ، للمتر ولا يقل طولها عن ١٥ متراً، ويزاد ٢٫٥ متر بزيادة كل شخص عن الستة . وتصرف هذه الأنابيب مياهها عند أطرافها وعند مواضع الاتصال ؛ ويجب أن تكون التربة التى تصرف فيها غير متماسكة . والأطوال السابقة للأنابيب تعتبر أكثر من اللازم إذا كانت التربة مفككة جداً ويجب أن تضاعف إذا كانت الأرض طينية متماسكة

أما المواد الصلبة التى ترسب نهائياً فى القاع ، فعبارة عن مركبات معدنية فقط لا يزيد ارتفاعها سنوياً عن ½ سم ، ولهذا السبب ربما لا يطول عمر صاحب الدار ليرى فى حياته تنظيف مثل هذا الخزان مرة واحدة

أما حظيرة المواشى، فالعادة المتبعة إلى الآن أن تترك الحيوانات لتبول وتتبرز على التراب كوسيلة اقتصادية لتحضير سماد بلدى . والواقع أن جسم الحيوان يكون دائماً أبداً ملوثاً بهذه الفضلات لرقاده عليها . ويسبب ذلك المرض ونقل العدوى خصوصاً إذا كانت المواشى حلوباً كما هو الحال غالباً فى مسكن الفلاح

هذا علاوة على تصاعد الغازات الكريهة الرائحة وغاز النوشادر وثانى أكسيد الكربون وتوالد بكتريا التيتانوس وغرغرينا الغاز

فى الفضلات ، كذلك توالد البعوض والذباب ، وفى ذلك أيضاً خطر بليغ على الجهاز التنفسى والجسم والعين

ومن الغريب أن هذه الطريقة لا تنتج سماداً بلدياً جيداً لكثرة فقد المادة العضوية بشتى الأسباب

فن الوجهة الصحية إذاً يجب عزل الماشية عن مسكن الفلاح وترتيب حظيرة بشكل خاص لمواشى الفلاحين بحيث تكون فى أمان تام كماشية المالك ، وتكون كل ماشية تحت سيطرة صاحبها فقط

وعلى سبيل ذكر الشيء بالشيء نرى أن الفكرة الاجتماعية تأتى فتدعم الفكرة الصحية فى وجوب عزل المواشى ، لأن الفلاح بمعيشته دائماً فى مسكن واحد مع الماشية يتدهور مستواه الاجتماعى والخلقى كثيراً ، فهو لا يستحى مثلاً من التبول أو التبرز أو الاستحمام علناً أمام أى جنس أو عدد كان من عابرى السبيل علاوة على بطء فهمه وضيق مداركه وعدم تحليله لمسائل الجرائم تحليلاً إنسانياً معقولاً

(ﻫ) من حيث استغلال الفضلات

من المسلم به أن ملايين الأطنان من السماد يمكن استخراجها من فضلات الإنسان والماشية فى الريف

وهناك الطرق الكثيرة المتنوعة لذلك مما لا يخفى على أحد : أهمها طريقة العالم Krantz لعمل سماد الاصطبل ، والطريقـة الهولندية لعمل سماد من فضلات الإنسان وكناسة المسكن

وبما أن البول يحتوى على الأزوت فى صورة يوريا وغيرها ؛ وبما أن نسبتها فيه كبيرة جداً ، وبما أنها سهلة التحول إلى كربونات نوشادر لذلك فالقيمة السمادية له عالية وتساوى بالتقريب القيمة السمادية للأسمدة الأزوتية الكيماوية . فهى تتحلل فى ظرف أسبوعين فقط بنسبة ٨٠ ـ ٩٠٪ . إذاً فالبول الطازج يمكن استعماله مباشرة لسرعة هـذا التحول . هذا علاوة على التأثير الجيد الذى يعادل تأثير الأسمدة الكيماوية للعناصر الأخرى السمادية الموجودة فى البول كالبوتاسا وحمض الفوسفوريك

لهذا السبب يمكن تصريف بول المواشى كما الموجودة فى عزبة مثلاً ، وكذلك بول الإنسان حيث يحفظ فى خزانات مانعة لنفاذ السوائل لا يتسرب إليها الهواء وذلك بإحكام تغطيتها أو بإضافة زيت وسخ مثلاً إلى سطحه فلا يحصل فقد فى الأزوت الموجود به بالتحلل والتطاير . ويستعمل البول بعد ذلك فى تسميد الحقل فى وقت يكون فيه خالياً من أى سماد لمنع تحويل أزوت البول إلى أزوت بروتينى

أما براز الإنسان فى هـذه الحال ، وكذلك روث المواشى وما عساه أن يوجد من قش الحبوب ، والبقول ، أو عروش الخضروات وأوراق الأذرة الجافة أو مصاصة القصب وما أشبه ذلك على حسب النوع والكمية الموجودة بكثرة فى المنطقة، فيمكن عمل سماد جيد منها على طريقة خاصة من طرق العالم Krantz

وإذا أعددنا للفلاح الصغير قطعة أرض صغيرة مبلطة جيداً أو ذات « دكة » جيدة فإنها تكون بمثابة صندوق التوفير له ، إذ يمكنه بذلك أن يحول العلف التالف وبقايا الطعام وكناسة المسكن وغير ذلك من الفضلات المهملة إلى سماد صالح للاستعمال بعد حوالى ٤ أشهر خصوصاً للحدائق وحقول الخضروات

وبعد فمشكلة مسكن الفلاح مشكلة حالية ملحة من مشكلات الفلاح المصرى نرجو تذليل صعابها أمامه ... وما كفاحنا فى سبيل الأمة أيام السلم بأقل شأناً من كفاحنا فى سبيلها أيام الحرب .

عباس فطر مصطفى

الحرب فى أسبوع

للأستاذ فوزى الشتوى

بين الديمقراطية والديكتاتورية

إلى أى طريق تساق البشرية؟ وهل قدر أن تسود الديمقراطية، أو تسيطر الديكتاتورية ؟ وهل يستطيع العالم بعد ما ذاق طعم الحرية وتعود جنى ثمارها وتطبع بأخلاقها ، أن يتخلى عنها تحت ضغط الحديد والنار ؟ إن التاريخ البشرى حافل بقصص المجاهدين فى سبيل حرية الفكر ، مملوء بأحاديث الضحايا الذين فضلوا الموت على أن يتنازلوا عن مبدئهم

فإذا ذكرنا أن الحرية كانت فى مهدها فى تلك العهود ، وذكرنا أيضاً أن الناس ظلوا أجيالاً طويلة ورقابهم تحت السيف أدركنا أن الديمقراطية تنتصر حتما مهما طال عهد النضال وتأكد لنا أن الدكتاتورية لن تسيطر إلا إذا عبدت طريقها على رمم الديمقراطيين . فالحرب الآن نضال بين مبدأ الهمجية ومبدأ الإنسانية !

مأساة تتكرر

وإذا كانت جيوش ألمانيا الآن قد تقدمت فإنها تعيد ما حدث فى سنة ١٩١٤ عند ما وصلت على بعد ٧٠ ميلاً من باريس وجيوش الحلفاء لم تصب بعد بخسائر كبيرة ، بل هى تتقهقر بانتظام بكامل قواتها حتى تسنح الفرصة اللائمة ، وحتى تضعف عدة الهجوم الألمانى وتتوزع قواته؛ فإنه يلاحظ فى هذا الهجوم عدة أوجه : أولها أن قوات الحلفاء تتجمع بينما قوات الألمان تتوزع . وقوات الألمان فى مناطق ثائرة تريد الخلاص ، بينما قوات الحلفاء فى مناطق موالية تعمل للدفاع . وثانى هذه الأوجه اتساع جبهة القتال الألمانية وتخلخل قواتها ، تخلف جيوشها فى فرنسا قوات معادية كبيرة فى بلجيكا. فحكومة بلجيكا ما زالت قائمة فى ديارها تعتمد على جيوش بلجيكا وبريطانيا وفرنسا ، ومعاركها لم تنته بعد لتقرر سلامة النتوء الألمانى الذى يمتد من لونجوى إلى اميان ووجهته موانىء بحر الشمال . ويفهم من تغيير القيادة الفرنسية تغييراً جوهرياً فى الخطط العسكرية ، كما يفهم من تصريحات رئيسى وزراء فرنسا وانجلترا أن الحلفاء صمموا على النضال إلى النهاية حتى يضمنوا النصر . وهذا مؤكد بفضل اتساع مواردهما المالية ، وغنى الامبراطوريتين الانجليزية والفرنسية واتساع رقعتهما

اختلاف الخطط

وتقدم الجيوش الألمانية الحالى لا يدل على نصر أو خذلان لأى الجانبين ، بل يرجع فى حد ذاته إلى اختلاف فن القتال عند المتحاربين وتقديرها للرجال والخسائر . فبينما ألمانيا لا تتقيد بكثرة الضحايا وتقدم للميدان أعداداً كبيرة منها ، تحرص انجلترا وفرنسا على أن يكون عدد الضحايا أقل ما يمكن . بل إنه يبدو للمطلع أن قيادة الحلفاء تقدر قيمة الموقع الذى تدافع عنه أو تحتله وما يتكلف من خسائر ؛ ثم تقدر مكسبها أو خسارتها . وعلى هذا الأساس تقرر خططها ، وغالباً ما يعز عليها الضحايا فتوفرهم لفرصة أوفق وأقل ضحايا

وإذا عدنا إلى حوادث الحرب العظمى ووسائل الهجوم الألمانى أمكننا أن ندرك مبلغ حرص القوتين المتحاربتين على سلامة رجالها، ففى هجوم الألمان على خط كونديه – موتز – بنش، كانت قوات المشاة تتقدم فى جماعات غفيرة متراصة يسهل حصدها بالمدافع السريعة الطلقات أو البنادق ، حتى قال جنود الجيش البريطانى التى كانت تتولى الدفاع عن هذا الخط بقيادة الجنرال فرانش : « إنه كان يكفى أن تطلق البندقية فى أى اتجاه فنضمن استقرار الرصاصة فى جسم أحد الجنود الألمان »

هذا بعكس خطط الهجوم الإنجليزى أو الفرنسى ، إذ يتقدم الجنود فى خطوط رفيعة بين كل جندى والآخر متران تقريباً ، فيطيش عدد كبير من الطلقات ويقل عدد الضحايا إلى أقل نسبة ممكنة . وحقيقة أن هجوم قوات الحلفاء يحرز النصر بعد مدة أطول ، بينما يعطى هجوم الألمان نتائج سريعة ، ولكن بخسائر فادحة ؛ وهذا ما يحدث الآن . فلكى ينتصر الجيش الألمانى فى موقعة يجب أن تكون قواته ضعف قوات أعدائه فتتغلب عليه بالكثرة العددية

أخطاء خطيرة

وارتكبت فى الموقعة الحالية عدة أخطاء كبيرة استغلها الجيش الألمانى أحسن استغلال . فقد قررت قيادة الجيوش البلجيكية

أن تخلى خط دفاعها الأول الممتد على الحدود فى منطقة أردن إلى حصن ليبج ، وأن تبدأ عملياتها الحربية فى خط الدفاع الثانى على نهر الموز ، وهو نهر سريع الجريان وذلك ليتاح لها الاستفادة من نجدات جيوش الحلفاء . ولكن حدث مالم يكن فى الحسبان فإن القيادة الألمانية هاجمت بلجيكا من جهتين الأولى من لكسمبورج إلى منطقة أردن وكانت هذه الجبهة كما قلنا خالية من الجنود الدافعة . والثانية اجتاحت مقاطعة لامبرج الهولندية واستولت على ماسترخت ومنها اتخذت شكل مروحة فاتجه بعضها غرباً ، واتجه البعض الآخر جنوباً فى حوض نهر الموز وأرضه سهلة . وكان هـذا مقدراً لدى القيادة البلجيكية على أن يستمر الجيش الألمانى على الشاطئ الشرقى للنهر ويتعذر عليه المرور بفضل القوات التى ترابط على شاطئه الغربى بعد نسف الجسور القائمة على النهر

ولـكن خطأ ثانياً أفسد هذا التدبير فلم تنسف الجسور وتمكنت الجنود الألمـانية من اجتيازها لأسباب لم يكشف عنها بعد . ولـكن هـذا الخطأ كان على جانب كبير من الخطورة إذ أصبح هـذا الخط عديم الفائدة مما اضطر قوات الحلفاء إلى التراجع إلى خطوط خلفية أقل مقاومة فساعد ذلك جيوش الألمان على مهاجمة فرنسا بقوات كبيرة

ولنسف الجسور فى حالة وقف الهجوم أهمية كبيرة . إذ يتعذر بعد نسفها على الجيوش المهاجمة أن تنقل قواتها ويصبح النهر فاصلاً بين القوتين . وبينما يكون المدافعون محصنين خلف الحصون الطبيعية أو الصناعية يكون الجنود المهاجمون مكشوفين لنيران القوات المدافعة وخصوصاً إذا أرادوا اجتياز النهر لإنشاء الجسور العسكرية لمرور قواتهم

ولنقدر أهمية نسف الجسور نذكر أن عدة أوسمة رفيعة تمنح للأفراد الذين ينجحون فى نسفها . وفى الحرب الماضية منحت ستة أوسمة تقريباً من « صليب فيكتوريا » لمختلف الرتب العسكرية من الجنود إلى الضباط اعترافاً بما أدوه من خدمات بنسف الجسور فى جهة كونديه بنش ، وهذا الوسام هو أرفع الأوسمة العسكرية البريطانية ، ولم يحصل عليه إلا عدد قليل

بين حربين

والخطة الألمانية الحالية لا تختلف كثيراً عن الخطة التى نفذت سنة ١٩١٤ ، ووضعت قواعدها فى أواخر القرن الماضى . فهى تتكون من اجتياح هولندا فى مدة لا تتجاوز ثلاثة أيام ؛ ثم اجتياح بلجيكا للوصول إلى سهول فرنسا الشمالية عن طريق حوض نهر الموز : وهو سهل منبسط قليل العقبات الطبيعية التى تعتبر عقبة فى سبيل تقدم الجيوش . أضف إلى ذلك أن الحصون الفرنسية فى تلك المنطقة أضعف منها على حدود ألمانيا ، فعلى الحـدود الفرنسية البلجيكية كانت تقوم حصون متفرقة أقل مقاومة من خط ماجينو الذى ينتهى عند لونجوى



وتختلف خطة ألمانيا الحالية عن خطتها سنة ١٩١٤ فى اجتياحها لهولندا لغرضين عسكريين : الأول اتخاذ قواعد برية وبحرية وجوية تقرب بينها وبين انجلترا ، والثانى لتأمن على جيوشها هجوم قوات الحلفاء من هولندا فالمسافة بين شواطئ هولندا وانجلترا قصيرة لا تتجاوز ١٥٠ ميلاً تقطعها الطائرات فى أقل من ساعة ، كما تتخذ موانيها قواعد للغواصات ، وبهذا يتيسر لها استغلال أسطولها الجوى على أحسن وجه . وتتجه القوات الألمانية إلى الغرب للاستيلاء على موانئ فرنسا على المانش لقطع المواصلات بين فرنسا وانجلترا ليتعذر نقل القوات البريطانية إلى فرنسا

انهيار مفاجئ

ويبدو لنا أن خطط الحلفاء الجديدة قد نجحت فتيسر لها وقف التقدم الألمانى ، بل إنها تمكنت من طرد القوات الألمانية

من بعض المناطق التي سبق أن استولت عليها . ولعل هذا يوضح السبب فى التجاء الألمان إلى إنزال بعض جنود المظلات الواقية خلف خطوط القتال لتؤدى مهمة قطاع الطرق؛ فتعتدى على المدنيين لبث الرعب فيهم، ولتخلق لقيادة الحلفاء بعض المتاعب التى تصرفها عن العناية بجبهة القتال . ولكننا نعتقد أن هذه الوسيلة فاشلة مقدماً ، فقد عرفت وسائلها واستعدت لها البلاد ، ونظمت قوات خاصة لتطهير هذه الآفات الكثيرة النفقات التى إن تحملتها موارد ألمانيا الاقتصادية فترة من الزمن فلن تتحملها فترة أخرى

فإن جندى المظلات الواقية يتكلف بضع مئات من الجنيهات. فوزن المظلة الواقية وحدها ٢٢ رطلا من الحرير الطبيعى يضاف إليها نفقات معداته من دراجة بخارية ومدفع سريع الطلقات وأنصار سريين يشترون بالمال من داخل البلاد . فكل هذه النفقات لا تتحملها الموارد الألمانية. ولهذا يتردد كثير من خبراء الحرب فى اعتبار الخطوات التى اتخذتها ألمانيا خطوات موفقة ، بل يقول بعضهم إن حوادث سنة ١٩١٤ تتكرر فى هذه الحرب إذ تفوز فى أكثر الميادين العسكرية ثم تتحطم دفعة واحدة فى الميدان الاقتصادى ولا تجد الموارد اللازمة لإمداد جيشها

ولعل القارئ يذكر ما أصاب المالية الألمانية من إفلاس عقب الحرب الماضية ، إذ هبطت قيمة المارك الألمانى فلم يساو ثمن الحبر الذى طبع به حتى اضطرت إلى إلغائها فى آخر الأمر فإن ألمانيا تلجأ إلى طبع الأوراق المالية دون أن يكون لها الرصيد المعدنى الكافى الذى يحفظ لهذه الأوراق قيمتها فى السوق

هل هو تعديل ؟

ويرى بعض المفكرين من كثرة اعتداء ألمانيا على الدول الصغيرة المجاورة لها تعديلاً لخططها الاقتصادية الحربية . فهى فى عرفهم تحصل على موارد البلاد المحايدة آناً بالتهديد وآناً بالاجتياح . فإن الرعب الذى يستولى على دول البلقان يجعلها تقدم لألمانيا كل ما تطلب منها اتقاء لشرها . وقد ازداد رعب هذه الدول نتيجة لتقدم الألمان فى فرنسا وبلجيكا فأصبحت أقل مقاومة وأكثر ليونة تحت الضغط الألمانى

وكلما قصرت الموارد فى ألمانيا اجتاحت دولة لتحصل على مواردها ونقدها . ولكن من المشكوك فيه أن تظل الدول التى تجتاحها بقرة حلوبا بسبب تدمير الجيوش للمرافق العامة أثناء انسحابها ، ولأن أكثرها الآن يحفظ رصيد نقده فى أماكن بعيدة عن الخطر مثل أمريكا التى تحتفظ فيها أكثر الدول بأموال كبيرة

أمريكا تفزع

وكشفت حركات ألمانيا الأخيرة عن عدة مشاكل دولية قد تؤدى إلى اشتراك عدة دول فى الحرب . فإن اعتداءات النازية المتكررة أفزعت الأمريكيين، وبعد ما كانوا يقصرون أبحاثهم على خير الوسائل لمساعدة الحلفاء بالعتاد الحربى ، تبدلت النغمة وظهرت أصوات فى مجلس الشيوخ الأمريكى وفى الصحف تطالب علناً بوجوب اشتراك أميركا فى الحرب

فالأمريكيون يرون أن النازية مظهر من مظاهر الوحشية والهمجية ويرون أن انتصارها عدم للمدنية الحالية وقضاء على الديمقراطية يرجع بالإنسانية آلاف السنين ، حيث كان يخضع المجموع للفرد ، ويتحكم السيف فى رقاب الناس بدلاً من المنطق والعقل . والأمريكيون أكثر شعوب الأرض تمسكاً بالحرية ومبادئها ؛ وهم مستعدون دائماً لبذل دمائهم فى سبيلها

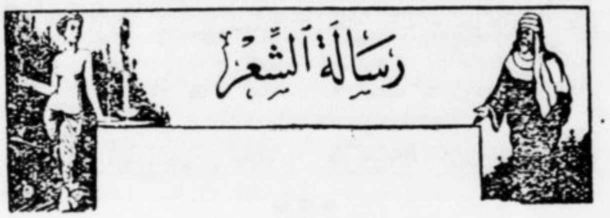
وسيطرة النازية على أوربا معناها عندهم تهديد لحريتهم ، ولا سيما بعد ما تكشفت عدة دسائس نازية ترمى إلى الاستيلاء على أمريكا بوسائل الدعاية وإثارة الحرب الداخلية . هذا فضلاً عن اشتراك الولايات المتحدة وكندا فى حدود واحدة ، ثم قرب جزيرة جرينلند من الشواطئ الأمريكية مما يسهل اتخاذها قواعد عسكرية . فاعتزال أمريكا لمشاكل أوربا نظرية لا تقرها العقلية الأميركية الآن

جيوش الشرق

ويحتفظ الحلفاء فى الشرق بقوات كبيرة انتظاراً لما قد تولده أطماع ألمانيا وغيرها من الدول الدكتاتورية فى البلقان . فإن إيطاليا والروسيا لم توضحا بعد موقفهما وتلوحان آناً بالحرب وأخرى بالحياد، فهذه النغمة تفقد الحلفاء ناحية التركز التى تستفيد منها ألمانيا. فبينما هى تركز أكثر قواتها فى الجبهة الغربية تتوزع قوات الحلفاء فى مصر وسوريا وفلسطين وتونس والجبهة الغربية

وتعمل الخطط الألمانية للقتال فى جبهة واحدة فقط ، ولكن الواجب على الحلفاء أن يشغلوها فى أكثر من ميدان حتى تتوزع قواتها فيخف الضغط عن الجبهة الغربية وتقع ألمانيا فى المأزق الذى تتحاشاه

فوزى الشتوى



لحــــن ...

للأستاذ أمجد الطرابلسي

في فمي لحنٌ ولكنْ لا أغنّي   وإذا غنّيتُ، من يفهمني ؟
أنتَ لا تستطيعُ أن تسمعَ لحني   وأخاف الكون أن يسمعني

***

يا حبيبي! كلّما جئتُ الخميلة   أنوارى في حناياها الظليلة
فرنتْ زنبقةٌ نحوي جميلة
أوسمعتُ الطيرَ في الأغصان غنّى   طرباً ينزلها غصناً فغصنا
شاقني أن أُسمِعَ الأطيارَ لحنا
ثم أمضي والأسى يغمرني ...
أنت لا تستطيع أن تسمعَ لحني   فلمن ـ غيرك ـ قيثاري وفنّي ؟

***

كلّما همتُ على الشاطئ وحدي   ورأيت الموجَ في جزرٍ ومدٍّ(1)
هاجتِ الوحدةُ آلامي ووجدي
فذكرتُ الليلَ، والأنجمُ ترنو   والهوى في الشطّ والبحرُ يُرِنُّ
فهفا في قلبي النشوانِ لحنُ
ثم أمضي والدجى يشملني ...
أنت لا تسمعني حين أغنّي   يا حبيبي! فلمن أعزف لحني ؟

***

يا حبيبي! كلّما رُدتُ الشعابا   كشفَ العُلّيقُ عن أمسي حجابا
فأحيّيـــه ذهاباً وإيابا
وأرى أثمارهُ ترنو إليّا   فإذا أدخلت في الشوك يديّا
لاحت الذكرى فغشّتْ مقلتيّا
فتحاملتُ وآثرتُ المضيّا ...
... ...
كلُّ ما حوليَ يستنشدُني
غيرَ أني إن تكن أقصيتَ عني   يا حبيبي! فأنا لستُ أغنّي

***

في فمي لحنٌ ولكن لا أغنّي   وإذا غنّيتُ، من يفهمني ؟
أنتَ لا تستطيعُ أن تسمعَ لحني   وأخاف الكون أن يسمعني !

(باريس)   أمجد الطرابلسي

(1) نظمت هذه المقطوعة في مدينة «دينار» الفرنسية على شاطئ المانش (سبتمبر سنة ١٩٣٩)

من وراء المنار

ليـــــلة الزفاف

للأستاذ ابراهيم العريض

حفّتْ بها النسوةُ في جلوةٍ   زيّنها الحبُّ لأسحارِهِ
كلُّ لسانٍ سالَ في غُنّةٍ   يلهجُ بالنُّعمى إلى جاره
هُنّ عصافيرُ الهوى كلّما   نوّرَ زغردنَ لنوّاره
في غرفةٍ تُدني مرايا على   سُدّتها الفارهَ للفاره
ضاحكةِ الأنوارِ ... لولا الذي   يُدخّن العودُ على ناره
وفاحَ منه أرجٌ ناعمٌ   أثقلَ جفنيها بأسراره
كأنما زفّ ربيعُ الصِّبا   لأنسِها أحسنَ أزهاره
وطافَ أترابٌ لها أربعٌ   بالدفّ، يوحين بأخباره
يعطفنَ للنقرةِ صدراً ... وكم   فزّ به ما تحتَ أزراره
يُظهرنَ باللمحةِ في الرقص ما   حالت أمورٌ دونَ إظهاره
من شاهدَ الطاووسَ يختالُ في   ألوانه ... لبعضِ أوطاره

***

وكانَ في كرسيّه جنبَها   حقيقةٌ قامتْ إزاءَ الخيالْ
ينازعُ الطرفَ ـ فلا ينتهي   إلا إليها ـ رغمَ طولِ المطال
وهل تملُّ العينُ من مشهدٍ   باركهُ في الخلدِ ربُّ الجمال
فتنسجُ الأنوارُ من عينه   خيوطَها في سُدفاتِ الظلال

وهِىَ عَلَى إطْراقِها لا تَنى تُصَعِّدُ الأنفاسَ وسْطَ الحِجال
تَكادُ لا تُبْصِرُ من حَوْلِها شيئاً سوى إحْساسِها بالجلال
وجىء بالوَرْدِ فمَدَّتْ له من بينها واحِدةً فى دَلال
فمَسَّها مسًّا رفيقاً ، وفى ناظِرِهِ البرّاقِ عينُ السُّؤال
وارْفضَّ من جرَّاءِ إشْفاقِهِ جبينُ كلٍّ منهما باللآل
حتى إذا أمْطرَها فِضَّةً على الوصيفاتِ فعمَّ النَوال
قُمْنَ إلي الأزهار ينثُرْنَها وهنَّ يُنْشِدْنَ نشيدَ الوِصَال :

نشــيد الوصال

« يا طائرَ البانِ عَلَى بانه قد حفَّكَ الرَّوْضُ بريْحانِهِ
فضاحِكِ الأيامَ فى ظِلِّهِ ما دامَ يغْلوكَ بأفنانه
لِلْحُسْنِ مِرآةٌ .. أتَرْضَى بأنْ يُصْدِئَها الدمْعُ بتَهتانه
فداعِبِ البُرْعُم حتى إذا تفتَّقَتْ أوراقُه . . . دانه
ونادِمِ البُلبُلَ ما دامَ فى نشوتِه يُفْضِى بِألحانه
نخيْرُ يوْمَيْك الذى ينقضى عرْبدَةً ما بين نُدْمانه
هَيْهات ! مادامتْ لِذى سَكْرَةٍ سَكْرَتُه إلا بإدْمانه
لا تَطْوِ بالصَّمْتِ ربيعَ الصِّبا فلَيْسَتِ العَوْدَةُ من شانه
عمَّا قليلٍ ينمحى كلُّ ما تراهُ من ثابتِ ألوانه
أعِندَكَ الجامُ ولا تقتنِى حرارة من ضَوْءِ نيرانه
فما الليالى فى سِنين الصبا إلا دُخانُ النَدِّ فى حانه »

* * *

وعِنْدَ ما أتمَمْنَ إنشادَهُ وفُزْنَ من ثغرَيْهِما بابتِسَامْ
وقُمْنَ صفَّيْنِ لِيَعْرِضْنَهَا فنانةٌ تُغْرِى بحُسْنِ القِوام
توسَّطَتْهُنَّ على غِرَّةٍ كَشُعْلَةٍ تلعَبُ وسْطَ الظلام
فى حُلَّةٍ خَضراء نمَّت على ما تحتَها من بشْرَةٍ كالرُّخام
ناهِدَةَ الثدْيَيْنِ . . . تعلوهُما جوْهرةٌ زانَتْهُما كالوِسام
وَرْدِيَّةَ البطْنِ ... سِوَى ظلَّةٍ وارَتْ عن العين بقايا الحزام
فلم تزَلْ تلوِى يدَيْها على صورةِ غُصْنٍ مالَ ثم استقام
تُزاوِجُ الخَطْوَ على هينة وتارةً تحْجِلُ حجل الحمام

وكلّما دارَتْ بمنديلِها ظلَّ كمَوْجٍ حوْلَها فى التِطام
والعِرْسُ يُلْقِى نحْوَها طرْفَهُ فيَرْشِفُ الصهباء من غير جام
حتّى أرتْهُ كيفَ تُطْوَى الحشا للرَّعْشةِ الكُبْرَى كمِسْكِ الختام

* * *

وانتبذتْ تدعُو شريكاتِها أن يُترَكَ المُغْنى لِعُشّاقِهِ
فسِرْنَ فى آثارِها زُمْرَةً وهنَّ يبْسَمْنَ لإطْرَاقه
حتّى تسلَّلْنَ جميعاً . . . ولم يبْقَ رقيبٌ غيْرَ خلّاقه
وانتدَبتْ للبابِ إنْسانةٌ لِتُحْكِمَ السِتْرَ بإغلاقه
فغُودِرَ النَجْمُ إلى نفسِهِ يسْبح فى ظُلْمَةِ آفاقه
ومدَّ يمناه إلى شَعْرِها يُمِرُّها فى طيبِ أعْراقه
مُسْتَنشِقاً جُمَّتها كلّما أنفاسُه ضاقَتْ بأشْواقه
ولم يزَلْ يَعْطِفُها ريْثما أنزَلَتِ الرّأسَ على ساقه
واستقبلَتْهُ بمُحَيّا بدا كالوَرْسِ فى حالةِ إشفاقه
مُضطرِبَ الجَفنِ حياء له مُغرَوْرِقَ العَيْن لإشراقه
فنالَ ما يشْعُرُهُ قلْبُها صَداه فى أعمقِ أعماقه

* * *

وضمَّها مثْنى إلى صدْرِه ضَمَّةَ من يَخْشَى عليها هواهْ
فاكتنفَتها غيْمةُ الحبِّ لا تُبْصِرُ فى عالَمِها ما عداه
وأُذْنُها فوْقَ حنايَاهُ لا تَسْمَعُ فى الدقّاتِ إلا صداه
وهَكَذا ظلَّ . . . بِمِنْدِيلِه يَمْسَحُ عن وجْنَتِها ما شجاه
وهامِسًا فى سَمْعِها بعْضَهُ و بعضه عند تلاقي الشفاه
« مالَكِ ـ ياخَوْلَةُ ـ تبكينَ فى ليْلةِ أُنْسٍ رجَحَتْ بالحياه ؟
ناشدْتُكِ اللهَ الذى ضمَّنا إلى حياةٍ باركَتْها يداه
إلاّ نفَضْتِ الجَفْنَ عن دَمْعِه لِتَسْتَطِيعى أنْ تَرَىْ ما أراه
وشاطِرى قلبِىَ إحساسَه لنرْفَعَ الروح معاً فى صلاه
أنتِ من الحبِّ جِنانى ... فلو دُفِعْتُ عنها لَطوانى لظاه
ما أرْخصَ العالَمَ فى ناظِرى مادُمْتِ قد حقَّقتِ أغلَى مُناه »

* * *

ومرَّ بالثغْرِ على جَفْنِها فأرْخَتِ الجفْنَ على مائِهِ



بعد الاستئذان :

اســـتنجلينا !

للأستاذ عزيز احمد فهمى

— مسكين أخى أصيب بحب ابنة الجيران فهو لا يأكل ولا ينام ، وقد حاولت كثيراً أن أجعله يفهم الحب لغواً وطيشاً وخيالاً ، ولكنى فشلت ، وظل يقول إنه يشعر بوجع صحيح فى قلبه وإنه لن يبرأ منه حتى ينال ابنة الجيران وهو ما يزال عند أبيه فى البيت بين العيال

— عندى دواء أخيك !

— والنبى ؟

وداعبتْ أنفاسُه خصلةً   من شَعرِها قامت لإغرائه
فأعرضتْ فى خَفَرٍ حيث لم   تقوَ على منظرِ إفلاته
وأشرقتْ في فَمِهَا بَسْمَةٌ   كالفجرِ فى مطلعِ أضوائه
ورنَّ في أعْطافِه صوْتُها   كالماءِ يجرى فوق حَصْبائه
«مالِكُ ! مارُوحى سِوَى مِعْزَف   بين يَدَىْ باعثِ أضدائه
لا أحَدٌ ـ حاشاكَ ـ أعْنُو له   إلا الذى يُدْعَى لأسمائه
دُونك قلبى خالِصًا .. فهْوَ إنْ   يَنْبـذُلْ فمِنْ كل سُوَيْدائه
لا خيْرَ لي بَعْدكَ فى لُؤْلُؤ   إنْ لم تفزْ أنتَ بِلَأْلَائه
إنْ ترَ دمْعى سائِلا فهْوَ لا   يُنْبِئُ إلا عن هوًى تائه
رَضِيتُ ما تشِمُّهُ فى الدُّجى   يا كوْكباً فى أوْجِ إسْرائه »

* * *

ثمَّ أدارَتْ مَبْسِماً ضاحِكاً   كالوَرْدِ فى أوّل إفضائه
يفتَرُّ لِلقُبْـلةِ فى وجْهِه   فضمَّها شوْقاً لِأحشائه

(البحرين)   ابراهيم العريض

— لا أقسم بفائدته لأنى لم أجربه ولكنى أكاد أومن بأنه نافع ...

— نجربه نحن ... ما هو ؟

— خذى مسماراً ، وضعيه فى النار حتى يحمر ، ثم اكحسى به صدر أخيك فوق قلبه ...

— تخسك النار فى أحشائك ... تريد أن تقتل الولد ؟ !

— ما كان الكى قاتلاً يوماً . العرب وأهل الصعيد جميعاً يعالجون أدواءهم به ، وانظرى إليهم تريهم أشد العالمين صحة ، وأقواهم أبداناً وأرواحاً ...

— ولكنهم يكوون أبدانهم عند ما يصيب المرض أبدانهم ، لا عند ما تبرح بهم العواطف ، ولا عند ما تصيبهن الهموم . كان فيهم من جن بحب ليلى ، قيس ، لم ينخسوه بمسمار ولم يطعموه الحر

— صحيح أنهم قعدوا عن علاج قيس وأمثاله ، وقد أقعدهم عنه وقوفهم بعلمهم عند حد رضوا به هم ، ولكن هذا لا يجبرنا على أن نقف نحن أيضاً عند هذا الحد الذى ارتضوه من العلم فلنا أن نمضى فيه ما دام طريقه مفتوحاً ... لقد أخذ العالم صناعة الورق عن الفراعنة ، فهل وقف العالم فى صناعة الورق عند ورق الفراعنة ، وأبى أن يمضى فيها لأن أهلها الذين أوجدوها قعدوا بها عند حد ؟ !

— طيب ! فإلى أين تريد أن تمضى أنت بخزعبلاتك هذى ؟

— لا أعلم . ولكن لك أن تسألى من أين أريد أن أبدأ ... فهذا وحده ما أستطيع أن أجيبك عنه !

— ابدأ أينما تبدأ ، ولكنى أرجوك أن تنتهى إلى شىء يقره العقل ...

— وما العقل ؟ أظنه يحسن بنا أن نتفق عليه ، وعما يصلح لأن يكون موضع إقراره ، حتى إذا ما وقفنا عند رأى لم نختلف عليه ؛ فتقولين: إنه غير معقول ؛ وأقول أنا : إنه معقول ؟ !

— ولكن هذه حكاية جديدة ، بل هى حكاية قديمة جداً فيما أظن ... ألم تعرف إلى الآن العقل ما هو ؟

— ومن عرف !

— الناس جميعاً ... اللهم إلا أولئك الذين لا يزالون يسألون عنه

— كان يخيّل إليّ أن هؤلاء الذين يسألون عنه هم الذين عرفوه مرة أو مرات ويريدون أن يعرفوه دائماً ...

— ما هذا الكلام ؟ الشيء إذا عرف مرة عرف دائماً

— إلا العقل ... فهو حين يعرف العقل يكون عارفاً ومعروفاً في الوقت نفسه ، وهذا يستلزم أن ينشق العقل على نفسه ، أو أن يتداخل في نفسه ، أو أن ينتفض عن نفسه لحة ، ثم يعود إلى نفسه ، فإذا عاد إلى نفسه عاد عقلاً هو الذي كان قبل أن تحدث له حادثة المعرفة هذه ، ولم يكن هو قبل هذه الحادثة يعرف شيئاً عن نفسه ...

— هذا فرض يحتاج إلى إثبات

— إذن ، أثبتيه أنت

— وأنا مالي ؟ هل أنا الذي فرضته ؟ ...

— ولكن ، ألا ترينه معقولاً ؟

— ومن كلام المجانين ما هو معقول

— فليسوا مجانين ، أو هم ساعة ما يقولون الكلام المعقول لا يكونون مجانين ... وما داموا يكونون مجانين أحياناً ، وغير مجانين أحياناً فهم إذن كبقية الناس ، فما من إنسان إلا ويحيد عن العقل وحكمه في كثير ... فإما أن يكون الناس على هذا مجانين جميعاً ، وإما أن يكونوا عقلاء جميعاً ، وإما أن يكونوا جميعاً في حالة ثالثة يصيبون فيها الحكمة حيناً ويخطئونها حيناً ، وهذا ما قدمته لك من أن العقل شيء إذا اهتدى إليه مرة لم يكن معنى ذلك أنه قد ربط وأنه لن يشرد ويتيه في وديان النسيان

— وقد قبلت أنا هذا الرأي ، وسأدعك تقول ما تشاء على أساس أنه لا عقل ولا جنون

— وأنا لا أرضى بهذا ، فالعقل شيء موجود بلا ريب ، وكل رأي لا يوافق العقل لن يكون إلا خبلاً ، وأنا لا أحب ابنة الجيران مثل أخيك حتى أسمح لنفسي أن أسايرك فيما تريدين أن تعربدي فيه من الحديث وأنت مترنحة الفكر ...

— فماذا تريد مني أن أصنع ؟

— أريد منك شيئاً لا بد أن أطلبه من نفسي كذلك حتى نكون نحن الاثنين عاقلين فنستطيع أن نتفاهم . خذي هذا الخيط وهذه الإبرة وهذا الثوب وخيطيه ، وأما أنا فسأرسم في هذه الورقة دائرة ، سأجعل نصف قطرها عشرة سنتيمترات ، وسأقسم محيطها إلى عشرة أقسام وسأجعل في كل قسم منها وتراً ، وسأجعل كل وتر من هذه الأوتار قاعدة لمثلث رأسه مركز الدائرة ، ثم سأرسم في كل مثلث دائرة يمس محيطها أضلاعه الثلاث ثم سأجعل كل نقطة من نقط التماس هذه رأساً لزاوية من زوايا مثلث آخر سأرسمه داخل كل دائرة من هذه الدوائر الصغار ... خذي ... ابدئي ... وهأنذا سأبدأ معك ولنتحدث ...

— ما شاء الله ! ولن أكون عاقلة حتى أخيط لك الثوب ، ولن تكون أنت عاقلاً حتى ترسم أنت بيت جحا هذا الذي وصفته ...

— نعم ... مثلما كان يفعل الكردينال دي ريشليه ...

— رحمه الله ... هو أيضاً كان يخيط الأثواب ويرسم المثلثات والدوائر ...

— بل كان يجمع على مكتبه جيشاً من القطط لا يفتأ يحادثهن في المشكلات التي تعرض له ويسألهن حلها ويتملقهن استجداء لحلول معضلاته ومشكلاته من عندهن ، فهو يمسح هذه ويداهن تلك ، ويهز بأصابعه شوارب ذاك ، ويهرش بأظافره رأس هذا ... ولا يزال هكذا حتى ينفلق عقله أو ينبلج ، فينكشف له عقله ويرى الحكمة ... إنه كان يشغل نفسه بعمليتين عقليتين : أولاهما المعضلة التي يروم حلها ، والثانية مناوشة القطط ، وهو لم يكن يفعل هذا إلا لكي ينتفض عقله على نفسه ثم ينطبق مرة أخرى فإذا به في هذه الانتفاضة قد ومضت فيه شرارة من نوره هو ، هي ما كان يبحث عنه ليسير على هديه ... ألم ترى مطلقاً أناساً يتشاغلون في أشد مواقف التفكير حرجاً برسم الخطوط ، أو بضرب الأرض ، أو بفك الأزرار وإعادتها ثم فكها وإعادتها أو بحك جباههم أو بأي مشغلة يتشاغلون بها أثناء ماهم يفكرون فيما يحرجهم ؟ ... كل هؤلاء مثل الكردينال دي ريشليه ، فهلا تحبين أنت أن تكوني مثله ؟ ...

— ولكن الكردينال كان رجلاً هرماً لا أظنني كنت أحبه إذا رأيته ... أفلا تعرف مثلاً آخر أرشق من الكردينال دي ريشليه ...

— فلتكوني مثل جاري كوبر ... ألم تشاهديه في « مستر ديدز الشاذ » ؟

— شاهدته . واتهموه بأنه « استنجلبنا »

— فأثبت لهم أن كل الناس « استنجلينا » خذى الثوب خيطيه لمل جارى كوبر يراك فيعجب بك فيكون يوم سعدك ...

— وأين أنا منه ، وهو فى هوليود وأنا هنا فى القاهرة ... هات الثوب هات وأمرى لله ، وابدأ أنت فى الرسم كما تشاء ، وقل ماتريد ...

— وهو كذلك ... ولكن فى أى شىء كنا نريد أن نتحدث ... لقد نسيت ...

— أظنك كنت تريد أن تعالج حب أخى لابنة الجيران بأن تكويه فوق قلبه بمسمار محمى فى النار ...

— صحيح ، وكنت أنت تنكرين هذا ، وكان إنكارك يعتمد على اعتراض قوى وهو أن الحب عاطفة وليس مرضاً بدنياً حتى يعالج علاجاً بدنياً صرفاً ... أليس كذلك ؟

— بلى ...

— أما كنت تستطيعين أن تقولى شيئاً غير « بلى » هذه فإنى لا أحبها ... على أى حال هى مسألة ذوق ، وعلاجها هى أيضاً مسمار محمى فى النار تنخسين به لسانك فلا تعودين إلى النطق بها وبأمثالها

— ما أحد لسانه فى حاجة إلى الكى غيرك ...

— إذن فقد آمنت بالنظرية ؟ !

— لا يا سيدى ... صحبتها ...

— حسن ... اسمعى ... ألا ترينه معقولاً أن تكون كل علة بدنية ظاهرة لعلة نفسية ... ثم ألا ترين أنه إذا كان الأمر كذلك فإنه يكون فيه توكيد لصلة البدن بالنفس

— ليس لى شأن بهذا التوكيد ، وإنما أريد منك ولو بعض الأمثلة التى تستطيع أن تتخذها عوناً لك على إثبات ما تقول ...

— لا بأس ... من تظنينه تصيبه التخمة إلا من أصابه الجشع والدناءة ؟ ومن تظنينه يصاب بالمرض الخبيث إلا الذى خبثت نفسه وانقاد لخبثها ؟ ومن تظنينه يصاب بالعرج إلا المشاء فى الضلال وفى الظلمة ؟ لست أريد أن أمضى معك إلى أكثر من هذا إلا أن أقول لك إن هذا الحكم يسمح لكثير من الأفراد والحوادث أن يشذوا عنه. ولكن هذا لا يعنينا ، فشذوذ الحوادث والأفراد يحتاج إلى تأمل خاص فى كل فرد وفى كل حادثة على أن يكون هـذا الدرس بعد اليأس من انطباق القاعدة العامة ...

— طيب ، وبعد هذا ؟

— ما دمنا قد اتفقنا على هذا فقد سهل الأمر . والعرب ، وأهل الصعيد — وهم منهم — عرفوا لكل داء مكمنه فى أعصاب الإنسان أين هو ، وهم يكوون هذا المكمن بالنار فتطهر الأعصاب من رذيلتها وضعفها ، ويزول المرض ، وهم بهذا قد فتحوا لنا الطريق كما قلت لك ، وعلى علماء النفس وأطباء هـذه الأيام أن يتابعوا السير فى هذا الطريق ، وعلى الخصوص بعد أن قال قائل منهم إن مخ الإنسان ينقسم إلى مراكز عقلية ، لكل مركز منها عمل خاص ، فهذا للتذكر ، وهذا للحساب ، وهذا للاستنباط ، وهكذا ، ولست أدرى لماذا لا يفكرون حين يصيب المرض مركزاً من هذه المراكز فى أن يكووه ليطهروه وينقذوه ، وليس ضرورياً فى أن يكون الكى بالنار ، فعندهم من وسائل الكى ما هو أشفق من النار وأرحم ، وإن كانت النار أبلغ منه وأفعل ، ثم مالنا نفرض أن كل مراكز العقل مجتمعة فى المخ ، ولماذا لا يكون بعضها فى أعصاب أخرى غير المخ تلتقى فيها الروح بالجسم أو تلامسها كما يلامس محيط هذه الدائرة زوايا هذا المثلث فى هذه النقط الثلاث .. فإذا جاز أن يكون هذا ، فلماذا لا يكون فى القلب مركز الحب وها هو ذا أخوك يقول لك إن قلبه يوجعه وجعاً مادياً حقاً ... انخسيه بمسمار ، أو إذا شئت أن تترأفى به فاحمى له « دبوساً » ...

— يا شيطان أخاف عليه أن يموت ...

— لن يموت ، فعمر الشقى بقى ، وإنما سيحدث بإذن الله أن يخرج أذى الحب من ثقب المسمار أو الدبوس ، آهات ، وشعراً ، أو غناء ندباً وبكاء ، ثم ينتهى الأمر ويبرأ أخوك من الحب ، ولى بعد ذلك الحلاوة ...

— هى هذه الحلاوة التى راح عقلك فيها ...

عزيز أحمد فهمى



قصة واقعية :

إنه أخى ...

للأستاذ محمد سعيد العريان

كان المطر ينهمر ، والريح العاصف تحمل قطرات الماء إلى وجوه المارة وثيابهم ، فتغمض عيونهم ، وهم يسيرون على حيد الطريق فى حذر ورقبة خشية أن تزلق أقدامهم فيتدحرجوا فى الوحل ، والسيارات منطلقة براكبيها من ذوى اليسار والنعمة ، فتقذف عجلاتها رشاش الماء على جانبيها فيصيب وجوه الناس وأرديتهم ، لا يكادون يدفعون عن أنفسهم شيئاً مما تقذفهم به الأرض أو تنالهم به السماء

وكان الليل فى أوله ...

وفى مُنعطَف يُفضى إلى أربعة بيوت فى حى « شبرا » كان فتى دون الثلاثين واقفاً تحت السماء وقفة مرتقب وعيناه معلقتان بنافذة مغلقة ، لا يزيد على أن يرفع إليها عينيه حيناً ، وإلى الطريق العام حيناً آخر ، وهو واقف ، والساعات تمضى ، والمطر ينهمر ، والريح تلطم وجهه بقطرات الماء ، وفى يده ورقة مطوية ...

وكان بوابو البيوت الأربعة مجتمعين وراء أحد الأبواب ، وبين أيديهم نار يصطلونها وهم يسمرون ، وكان لكل أسرة من سكان البيوت الأربعة حظ من حديثهم وسمرهم ؛ وهل يجتمع مثل هؤلاء إلا لمثل ذلك ؟ وكانوا فى غفلة عن الفتى ، والفتى عنهم فى غفلة ...

وطال الانتظار بالفتى ونال منه البرد القارس ، ونفذ الماء من ثيابه إلى جسده ، وكان شعره الأشعث يقطر ماء على جبينه ؛ فلم يتنبه إلا من بعد إلى هذه الشرفة التى تلقى ظلالها على جانب من الطريق ، فأوى إلى ظلها يحتمى من المطر والريح فى هذه الليلة الباردة ...

... لولا ثيابه الحائلة ، ونظراته الضارعة ، وذلك الفتور فى عينيه ، وهذا الشحوب فى وجنتيه ، ولولا هذه اللحية التى لم يمسسها حدُّ الموسى منذ أيام — لحسبه من يراه عاشقاً قد أضلَّه هواه فأخرجه فى هذا الجو العاصف، يرجو موعداً أو يتزود بنظرة ... ولكن على وجهه سمات ليس مثلها فى وجوه العشاق !

... ولكن ... ما هذه الورقة المطوية فى يده ... فلعله رسول ... !

وأخذته عيون البوابين وهم فى حلقتهم يصطلون ويسمرون ، فتهامسوا وضحكوا ؛ وأحس الفتى وقع نظراتهم ، فاستحيا ، ثم تغافل ولوى عنقه ...

***

لم يكن ذلك موقفه الأول . لقد طالما وقف « حسّان » هذا الموقف من قبل ، وطالما امتدَّ به الانتظار فى هذا المنعطف ساعات ؛ حتى إذا ما انفتحت النافذة المرموقة أسرع إلى الباب وصعد ، أو كتب ورقة فى حاجته فبعث بها مع البواب

من أجل ذلك كان مألوفاً لسكان الحى أن يروه فى موقفه ذاك ، وأن يسكتوا ، ولكن أحداً منهم لم يحاول أن يعرف ما وراء هذا الموقف من سر . ولكن بواب البيت كان يعرف فأسر النبأ إلى صفوته من بوَّابى الحىّ ...

وهجست المواجس فى ضمائر سكان البيوت الأربعة ، فكان لكل واحد مع أهله حديث ... وتناثرت الإشاعات ثم اجتمعت ، فإذا على ألسنة السكان جميعاً خبر واحد : هو أن للسيدة فلانة سرًّا تحاول أن تخفيه إلا عن الفتى وعن البواب ...

... لو وقف « حسان » مثل هذا الموقف كل يوم مرات فى غير هذا المنعطف ما أحس به أحد ولاسأل عن خبره سائل . كم فتى ، وكم فتاة ، وكم رجلاً ، وكم امرأة - يمشون كل يوم ، ويقفون ، ويتواعدون ، ويتلاقون على أعين الناس فى الشوارع الحافلة ، ثم يودع بعضهم بعضاً ويمضى لوجهه ؛ فلا يثير أحد منهم فضولَ عابر ولا يسأل عن خبره سائل . ولكن هنا ، فى هذا المنعطف الذى يُغْلق بابُه على بيوت أربعة قد تعارف

سكانها فرداً فرداً فلا يكاد يخفى على أحدهم خبر جاره - هنا فى هذا المنعطف كان وقوف حسان مثار فضول ومبعث ريبة

* * *

ولم يكن حسان عاشقاً ولا رسولاً ولكنه أخو السيدة فلانة زوج الطبيب فلان ...

هل يصدق أحد ؟ ولكنها الحقيقة ...

هذه السيدة التى يراها من يراها فى أبهتها كأنها أميرة ، أخت هذا الفتى البائس الشريد الذى يقف كل يوم هذا الموقف ساعات ، تحت المطر الهاطل ، وفى مهب الريح السافية ، وفى أتون الشمس المحرقة يترقب ، ينتظر اللحظة المناسبة ليكتب إليها فيعود له البواب فيضع فى يده بضعة دراهم ؛ ثم يمضى ، ليعود بعد يوم ، أو بعد ساعات فيقف موقفه يترقب ، وفى يده ورقة مطوية .... .

* * *

ماذا كان حسان فى أوليته وماذا صار ؟

لقد نشأ فى بيت رفيع العماد عالى الذرا ، ثم كان له ولأخته ما خلف أبوهما من ثروة ومال ، وكان تلميذاً فى المدرسة يوم مات أبوه ، وكانت أخته مسماة على الفتى الذى صارت له من بعد . . .

... وآلت ثروة أبيه جميعاً إليه ، وإنها لثروة . وهجر الفتى مدرسته ومضى على وجهه يبيع اللذات ويشتريها ، ونصب الشيطان له حبائله من الفراغ والشباب والمال ...

وانتقلت أخته إلى دار زوجها وخلفت قصر أبيها بما فيه ، ولكن قصر أبيه كان أضيق من أن يتسع له ، فأغلق بابه ومضى يتنقل بين أندية اللهو ومجالى الهوى ومسارح الشباب ، وبسط يده على موائد الشراب والقمار ، وتقاذفته الأقدار قدَرٌ إلى قدر ، وأغمض عينيه وسبح فى أوهامه ، وطارت به أمانيه ثم سقطت ؛ وفتح عينيه فإذا هو وحيد شريد صفر اليدين من المال والصحاب ...

وذكر أخته بعد سنين من القطيعة ، فراح يشكو إليها ؛ ودمعت عينا السيدة رثاء لأخيها وشفقة عليه ؛ ثم ذهبت إلى صوانها ففتحته وعادت له بما تملك ...

وخرج الفتى من مجلس أخته برأس مال صالح لو أنه أراد ... وكان يريد ، ولكنه رأى أن يودّع ماضيه بليلة ساهرة من ليالى الهوى والشباب ، ثم يُصبح ... ...

وأصبح ... وعاد كما بدأ ...

واستمرت الكرة تتدحرج ...

* * *

وعاد حسان إلى أخته بعد شهر ، وقال لها وقالت له ؛ ونهضت إلى صوانها ثم عادت فارغة اليد ... وعاد زوجها من عمله ، والتقى الثلاثة لقاء الأهل بعد فراق طويل ...

وأسرت الزوجة حديثاً إلى زوجها ، وباحتْ بما باحتْ وكتمت ما كتمت ... وأخذ الثلاثة فى حديث طويل ...

... وقال الزوج : ... نعم ، منى المال وعليك العمل ، إنها تجارة رابحة ، وإنكَ بها لخليق أن تبلغ الغِنى فى سنوات ، لو أنكَ ...

وتعاهدا على الإخلاص والصدق، ووثـّقا عقد الشركة بالأيمان ودفع الزوج المال ، وخرج حسان لأمره ... ولم يَعد ...

لولا الشهامةُ والبُقْيا لكانت القاصمةَ بين الزوجين ، ولولا دموع السيدة ...

وهمّ الطبيبُ أن يرفع أمره إلى القضاء ، ثم سكت ؛ وماذا يردُّ عليه القضاء من ماله وإن غريمه مفلسٌ لا يجد رمقه ... ؟

وصبر على غيظ ، وسكتتْ زوجه على حسرة وألم ! ...

* * *

وضاقت بالفتى أيامه ، فعاد يتذكر أخته ... وسعى إلى بابها وسأل ، وكان زوجها فى الدار ، فتوارى الفتى يترقب ، وطوى ورقة مكتوبة ودفعها إلى البواب ... وصار هذا شأنهما من بعد ...

وكان يقصدها كلما ضاق به أمره ، ليس بين المرة والمرة إلا أيام ، فتعطف عليه أختُه وتنيله ؛ ثم تقاربت مواعيده حتى صار له راتب مفروض فى كل يوم . وبَصُر به الطبيب مرة وهو خارج فأغضى كأن لم يره . وتجرأ الفتى من بعدُ فاستعلن ، وراح يطرق الباب حين يشاء من ليل أو نهار يطلب ما يطلب ، وترادفت مطالبه ...

وضاق صدر الزوج ونفد احتماله ، فتصبّر ... ثم علم من شئون حسان ما لم يكن يعلم ، فغضب لنفسه ...

لقد يكون من المحتمل أن يلقى الرجل ذا حاجة فيدفع إليه بعض ما يستعين به ، ولقد يؤثره على نفسه بما يمنحه ؛ ولكن متى تطيب نفسه بأن يكون ما يدفع إلى ذى حاجة من ماله وسيلة إلى اللهو الحرام ؟

هكذا قال الطبيب لنفسه فثارت ثائرته . إنه يشقى ما يشقى

فى تحصيل هذا المال ، ليسعد به وليسعد غيره ؛ لا لينفقه حسان على موائد الشراب والقمار !

وتحدث إلى زوجته بما فى نفسه وإن كلماته لترتجف من الغضب ، واستمعت زوجته إليه مطرقة ، ثم خلَت إلى نفسها لتبكى ...

* * *

ولم يكفّ حسان ولم تحرمه أخته ، وعاد الأمر بينها وبين أخيها سرا كما بدأ ، واستمرأ المرعى فكشف الحجاب ... وكان ما تنيله معروفاً ونافلة فعاد ضريبة مفروضة ، وتكررت مطالبه وكثر مطلوبه ، وألح إلحاح الجابى على مدين مماطل ...

وتعود سكان الحى أن يروه كل يوم مرة أو مرات فى موقفه ذاك ذليلاً ناكس الرأس ، وعينه إلى النافذة أو إلى الباب ، حتى إذا أمكنته الفرصة وثب فكان على باب أخته ، فحيناً يكون الأمر بينهما تشكّياً واعتذاراً ، وحيناً يكون تهديداً وصخباً وضجة ، وهمّ بأخته مرة يحاول أن يضربها لتعطيه .. تعطيه من مال زوجها ما يعينه على ثمن الشراب وتكاليف الشباب ، ثم يتركها لأحزانها ويمضى لهواه ...

وضاقت به أخته كما ضاق به زوجها من قبل ... !

وقالت له مرة وفى عينيها دموع : حسان ، ليتنى كنت أستطيع ، ولكنى لا أطيق أن أخون زوجى فى ماله ، وإنى لأستطيع أن أعطيك ما تستعين به على العيش ، ولكنى لا أعطيك للشراب والقمار !

وضحك الفتى ساخراً وقال : الشراب والقمار ! تريدين أن تربّينى ؟ ... إذن فأنت لا تمنعين المال عنى للعجز والحاجة ، ولكنك تحاولين تأديبى ... ؟

وبرقت عيناه وأطلت منهما نفس شريرة ، فتراجعت أخته مذعورة تطلب الحماية فى متاع الدار ، ووثب عليها فصرخت ... ثم خرج راضياً ... !

* * *

وطال حديث الناس عن السيدة المصونة ، وقالوا ما قالوا ، وتناولتها الرِّيب والظنون ؛ وبلغها ما يقول الناس فزادت هماً على هم ...

وأوصت البواب أن يردّه إذا رآه وأن يحول بينها وبينه ، وكانت فى حال من الغضب خيّلت إليها أنها تستطيع أن تنسى أن لها أخاً ...

... وجاء الفتى إلى موعده ، وكان زوجها فى الدار ...

* * *

كان المطر ينهمر ، والريح العاصف تلطم الوجوه بقطرات المطر ، وعجلات السيارات فى سرعتها تقذف رشاش الماء إلى وجوه الناس وثيابهم ... والفتى فى موقفه لا يحس برد الليل ، ينتظر غفلةً ليصعد إلى أخته

وكفّ المطر ، وهدأت الريح ، وانفتح الباب وخرج الطبيب لبعض عمله ؛ فتسلل حسان إلى الدار ...

ومضت لحظات قبل أن يسمع البواب من يناديه ، فصعد ؛ وقالت السيدة فى غضب وثورة : ألم أطلب إليك ... ألم آمرك أن تمنعه ... ؟

وأطاع البواب فهمّ بالفتى ليطرده ، ونشبت معركة ...

... وكنتُ خارجاً لبعض شأنى حين أخذ عينى هذا المنظر ...

وكان شرطىٌّ يسوق الفتى وقد اجتمع عليه البوابون الأربعة والفتى يتوسّل ، ودخلتُ فى الزحام أريد أن أعرف ، وكانت عينا حسان إلى النافذة ، وثمة سيدة تنظر . . .

ورأيت الفتى الذى أخذته عيناى من قبل مرات ، وكان يبكى وينظر إلى النافذة . . وكانت السيدة تبكى له ...

وقال البواب : لقد أمرتنى ... أمرتنى أن أدعو له الشرطة ، إنه لا يكف عن مضايقتنا ليل نهار...

وقال الفتى بذلة : اسألها يا سيدى إنها ... إنها لا تريد ...

وقالت السيدة وصوتها يقطر أسى : دَعُوه ... !

وغضبتُ وثارت غيرتى .. وذهبت نفسى مذاهب من الريبة وسوء الظن ، وأطلّ الفضول من نوافذ البيوت الأربعة ... وتوقع الجيران أن يشهدوا فضيحة ... وظنوا الظنون ...

وعاد الفتى يتوسل ، والبواب يتشدد ، ويد الشرطى فى عنق الفتى وعيناه إلى هناك ... وعادت السيدة تقول فى ضراعة : دعوه أرجو أن تتركه يا سيدى ؛ إنه ... إنه أخى ... !

وأُغلقت النوافذ المفتوحة ، وتوارت الرءوس المطلة ، ومضى الشرطى والبواب بالفتى ؛ وجلس الجيران يتهامسون ؛ وكانت سيدة تجلس وراء النافذة وحدها ، فى وجهها أظفار دامية ، وفى عينيها على الذى أدماها دموع ...

محمد سعيد العريان



« وحى الرسالة »

أخى الأستاذ الزيات

إليك أقدم أطيب الثناء على الهدية النفيسة التى تفضلتَ بها على أخيك وهى المجلد الأول من « وحى الرسالة » ، وهو مجموعة لمحات من بوارق فكرك الوثّاب الذى ترى به روح الشرق وعقل الغرب حين تشاء ، بفضل ما وهبك الله من البصر بأسرار البلاغة العربية والثقافة الفرنسية ، وتلك هِبة لا يتمتع بها من كتاب العصر إلا الأقلون

ويمتاز كتابك بميزة أصيلة هى تصويره لأكثر ما يحيط بهذا العصر من مشكلات عقلية ، ومعضلات ذوقية ، فهو سِجِلٌ صادق لحوادث عاناها المجتمع واضطرم لها روحك الأمين

وما عاودتُ النظر فى كتابك إلا تفزّعتُ إشفاقاً عليك ، فهو يشهد بأنك شديد الإحساس بالوجود . والذى يصف المجتمع وهو فى مثل حالك يستأهل الإشفاق ، لأنه يعانى البلاء بمحنة المجتمع وهو يحمل روح المصلح . ولا يعزّينى إلا الشعور بأن الذين يشقون فى الطب لأمراض المجتمع هم فى حقيقة الأمر من أعظم السعداء ، وأنت فى الطليعة بين كتابنا المصلحين ، وإنك لعزيزٌ علينا أيها الشقىُّ السعيد .

هذا وقد قال بعض الناس إنك كاتب متأنق ، وذلك باطلٌ يراد به حق ، فالكتابة الرفيعة فنٌّ جميل لا ينفع فيه الارتجال . ولا تحسبْ أنك خدعتنا حين قلت إن مجموعة « وحى الرسالة » لم تكن إلا ومضات يلمح بها الفكر من أسبوع إلى أسبوع ، فالكاتب الحق لا يعرف عفو الخاطر وإن أحب أن يوصف بذلك ، وإنما ينقل إلى سنان القلم لواعج عاناها الفكر والروح فى أعوام طوال . وهو كالشجرة التى تختزن ثمارها إلى أن يحين الموسم المنشود . فلا تحاول التعتب على من يصفك بالتأنق ، لأن التأنق من صور الاهتمام ، والاهتمام عملية جراحية تنقل الأفكار من عالم المعانى إلى عالم الشهود

أما بعد فأنا أرجو أن يسبغ الله عليك أثواب العافية وأن يجمل لمؤلفاتك حظاً من القبول تنسى به آلامك فى خدمة الأدب الرفيع ، إن جاز فى دنيانا الحاضرة أن ينال المؤلفون المتفوقون بعض الجزاء . . . والله يحفظك للصديق الذى يعطف على جهودك أصدق العطف :

زكى مبارك

تحرى الصدق فى النقد

أخى الكريم الأستاذ الزيات :

تحية خالصة وعرفاناً بمكانة « الرسالة » فى عالم الأدب الرفيع والنقد الشريف

والصدق — وهو من أخص صفاتك التى عرفتها فيك منذ عشرين عاماً أو تزيد — أول شرط من شروط النقد الشريف ، فإذا رأيت قلماً ينحرف عنه وهو يكتب فى مجلتك ، أسِفت أسفين — أحدهما للعيب فى ذاته ، والآخر لأنه يقع فى مجلة الرسالة ، وهى علينا عزيزة !

أقول كلمتى هذه على أثر ما قرأته فى عددها الأخير الذى صدر فى اليوم العشرين من مايو — لناقد يوازن بين الموسيقيين فى مصر وبين الشعراء ، وبين الخطباء ، وبين المعلمين ، وبين الرسامين — وفصله هذا لاحق لسابق تناول فيه المفاضلة بين طوائف أخرى ممن يسميهم الفنانين بلغ عددها أربعة لأنه يبدأ مقاله الذى يعنينى فيه ما يعنينى — بالرقم (٥) — وهو رقم الموسيقيين فى سجله الشامل

ونحن نغبط الأستاذ الناقد على ما وهبه الله من قدرة خارقة على أن ينصب نفسه حكماً بين الإخصائيين من رجال هذه الفنون المختلفة التى بلغ عددها تسعة (حتى الآن) ، ولعله لم يفرغ بعد من قضائه العالى فى أشتات أخرى من الفنون ، وأشتات آخرين من الفنانين

هـذا فضل من الله يؤتيه من يشاء . أو هو فضول من الدعوى الطويلة العريضة التى أصبحت مرضاً فى كثير ممن يحملون الأقلام ولا يحملون ما يضبطها ويكف غلواءها من الأفهام

ولست أعرض لسخرية هـذا الناقد ولا لحكمه لى أو علىّ بين الخطباء . فليس يهمنى أن « يقال خطيب » ، وإنما يهمنى أن أكون صاحب فكرة نافعة أحاول بثها فى العقول أو عاطفة طيبة أحاول غرسها فى النفوس

بل أعرض لشىء واحد — ذلك قول الناقد إنه سمعنى يوماً

فى مسرح البلفدير فى الأسكندرية أرثى سعداً عقب وفاته

تلك هى « الواقعة ! » التى بنى عليها الناقد حكمه

وإذن فليسمع الأستاذ تكذيبى الصريح لهذه « الواقعة » . فإنى لم أتشرف برثاء سعد قط فى الأسكندرية . ولم أتشرف برثاء سعد قط إلا فى القاهرة بعد مرور العام الأول على وفاته ، وكان ذلك فى حفل تاريخى عظيم أقيم له سرادق مترامى الأطراف فى جوار بيت الأمة

وإلا فليتفضل الناقد فيدلنا على شاهد واحد آخر غير شخصه يؤيد قوله إن سعداً رثى فى الأسكندرية فى مسرح البلفدير ، وإن توفيق دياب حضر أو خطب

أما بعد ، فإن رجلاً اشتغل بالتحدث إلى الجمهور منذ سنة ١٩١٦ إلى سنة ١٩٤٠ ، وكانت آخر محاضراته محاضرة ألقاها فى كلية العلوم منذ شهرين ، وأخرى ألقاها فى دار الشبان المسلمين منذ شهر ، فنهض للتعقيب على المحاضرة الأولى معالى ابراهيم عبد الهادى بك ، وحضرة الدكتور منصور فهمى بك بما يأبى التواضع مجرد الإشارة إليه لولا سخرية هذا الساخر

ونهض للتعقيب على المحاضرة الثانية أستاذ جليل من أساتذة دار العلوم ، وغيره من أساتذة الكليات الأزهرية بتحيات مباركات وتقدير مشكور . إن رجلاً هذا شأنه يقول فيه قائل : « إنه مسرحى إلى حد كبير فى خطابته » ، ويقيم حجته على صحة زعمه « بواقعة » مختلقة من جذورها لجدير به أن يبدى هذا الأسف ، لا لخسارة تصيب شخصه ، ولكن لخسارة تصيب الصدق والنقد الشريف

محمد توفيق دياب

حول الدكتور الحفنى

كتب زميلى وصديقى الأستاذ عزيز كلمة عن الدكتور الحفنى ظلم فيها الرجل لأنه لا يعرفه ولا يعرف عنه شيئاً إلا ما يشيعه عنه أعداؤه ! ! فالحفنى موسيقى بكل ما فى هذه الكلمة من معان ، والحفنى منتج مخترع فى فنه ولعل الأستاذ عزيز لا يعلم عنه أنه قد وفق إلى ما لم يوفق إليه غيره من موسيقيى الغرب فأخرج للموسيقى العربية (فلوت الحفنى) المتمم للأرباع والذى أثار دهشة وفرحاً ، والذى قدره جلالة الملك فأمر — حفظه الله — بضمه إلى الموسيقى الملكية ...

وقد أخرج الحفنى أيضاً (الكورية) النحاسية وأخضعها للأرباع العربية ... وكل هذا مسجل ومعترف به من أرقى الأوساط الموسيقية .. وهو الآن بسبيل اختراع جديد سيتمه قريباً ، وسيكون له من الضجة ما يحمل الأستاذ الصديق على الاعتذار — أو على الأقل — على فهم الرجل ! !

محمد السيد المويلحى

تقويم عن نشر التعليم والثقافة فى مصر

عزمت وزارة المعارف على إنشاء تقويم سنوى يتضمن بياناً مفصلاً عما يبذل من الجهود فى سبيل نشر العلم والثقافة فى مصر والمعاونة على انتشارهما فى الأقطار الشرقية ، وما هنالك من الصلات بينها وبين المعاهد المعتنية بالتعليم فى جميع الأقطار

وقد رأت الوزارة أن تخصص فى هذا التقويم مكاناً بارزاً للجامعة الأزهرية لما لها من الأثر العظيم فى هذه الناحية ، فكتبت إليها تطلب موافاتها ببيان واف عن مختلف جهودها الثقافية ، على أن يشمل ذلك عدد المدارس والمعاهد التى يؤهل لها الأزهر وعدد التلاميذ والطلبة ، ومدد الدراسة فى كل معهد أو مدرسة ، والدرجات والشهادات التى يمنحها ، وعدد الفرق والأقسام والأساتذة فى كل نوع من المعاهد مع ذكر أسماء رؤسائها ورؤساء أقسامها وأساتذتها ، مع بيان عن مكتبة الأزهر ، ثم عن الجهد الذى تبذله فى سبيل نشر الثقافة الإسلامية خارج الديار المصرية وبالجملة كل ما ترى إدارة المعاهد وجاهة نشره من البيانات فى هذا التقويم

هذا وستخصص الوزارة جزءاً آخر لجهود جامعة فؤاد الأول ، مع نشر بيان واف عن كلياتها وأقسامها وأغراضها الثقافية

احصاء الطلبة فى مدارس سورية

ثبت أن عدد الطلاب فى سنة ١٩٣٩ إلى ١٩٤٠ فى البلاد السورية ٤٢٨٠٨ تلاميذ موزعين على ٣٥٨ مدرسة ، و ١٦٩١٩ تلميذة موزعات على ٩١ مدرسة للأناث . وقد كان عام ١٩٣٨ — ١٩٣٩ (٣٨٨٧٠) تلميذاً و ١٥٤٨٣ تلميذة ، فتكون زيادة الطلاب بين العام المنصرم والعام الحاضر ٥٣٧٤ طالباً وطالبة

ومما هو جدير بالذكر أنه في عام ١٩٢٤ كان يوجد ٢١٢ مدرسة للبنين تضم ١٦٠٤٥ تلميذاً و ٥١ مدرسة للبنات تضم ٣٩٢٦ تلميذة

فيلاحظ الزيادة المحسوسة التي تزيد على الأضعاف خلال ١٥ عاماً مما يدل على إقبال الناس على العلم والثقافة

وقد رفعت مديرية المعارف العامة ذلك التقرير عن الإحصاءات إلى عصبة الأمم عن طريق دائرة المعارف في المفوضية العليا

جمعية المعلمين تعد كتاباً عن القاهرة

بدأت جمعية المعلمين العليا المشمولة بالرعاية الملكية في تأليف اللجان الفنية من بين أعضائها وهي اللجان التي ستتولى وضع مؤلف عن القاهرة يتضمن بحوثاً تعالج مختلف النواحي في تاريخ العاصمة المصرية، وذلك لمناسبة الاحتفال بالعيد الألفي لها

وستجتمع هذه اللجان اليوم لتحديد عدد الصفحات التي يحتاج إليها كل بحث، حتى يتيسر لكل منها البدء في عملها

قصة أبي تمام

في البريد الأدبي للعدد الأخير من الرسالة طلبٌ من الأديب أحمد جمعة الشرباصي موجه إلى الأدباء للتحقيق في قصة قول أبي تمام: « إقدام عمرو في سماحة حاتم »، وارتجاله: « لا تنكروا ضربي له من دونه - مثلاً ... ». وهل قيلت أمام الخليفة أو أحمد ابن المعتصم أو أحمد بن المأمون، وقد ذكر الأديب الشرباصي ما يفيد: أن القصة لا صحة لها أصلاً ناسباً في ذلك أقوالاً لابن خلكان، وزاعماً أيضاً أن كتب الأدب ومذكراته وكل المؤلفين في عصرنا هذا اعتمدوا أنها قيلت أمام الخليفة، فأعجب به الخليفة وقال لوزيره: أعطه ما يطلب ... فطلب أبو تمام الموصل ... الخ.

وأبادر فأقول: إن المؤلفين وكتب الأدب ومذكراته لم يعتمدوا القصة - كما رواها -، وإنما ذكروا أنه امتدح أحمد بن المعتصم أو أحمد بن المأمون بقصيدة سينية؛ فلما انتهى إلى قوله: « إقدام عمرو ... »، قال له الكندي الفيلسوف: الأمير فوق ما وصفت فأطرق ثم رفع رأسه وأنشد: « لا تنكروا ضربي ... »

ولما أخذت القصيدة من يده لم يجدوا فيها هذين البيتين فعجبوا من سرعة فطنته ولما خرج قال الكندي هذا الفتى يموت قريباً » ذكر ذلك أبو بكر الصولي في كتاب أخبار أبي تمام ثم قال بعد ذلك « وقد روى هذا على خلاف ما ذكرته وليس بشيء والصحيح هو هذا وقد تتبعتها وحققت صورة ولايته الموصل فلم أجد سوى أن الحسن بن سهل ولاه بريد الموصل » هذا ما نقله ابن خلكان بنصه. كما أن تغليط الحيص بيص وابن دحية إنما هو من الصولي. فالذي تتبعها إذن وغلطهما ليس ابن خلكان كما فهم خطأ الأديب الشرباصي. أما ما قاله ابن خلكان فهو « رأيت الناس يطبقون على أنه مدح الخليفة، وأن الخليفة أعجب به وقال لوزيره: أعطه ما يطلب فإنه لا يعيش أكثر من أربعين يوماً فطلب الموصل. ثم قال: وهذه القصة لا صحة لها أصلاً. وأورد بعد ذلك تحقيق الصولي، فنفيُ صحة القصة من ابن خلكان والصولي منصبٌّ على تولية أبي تمام الموصل وإنشاده القصيدة في الخليفة. ولم يذكر البستاني في دائرة المعارف إلا ما صححه الصولي، وهو المشهور في كتب الأدب. وحينئذ من هو الذي قيلت فيه القصيدة؟ الواقع أن ذلك أمر تحقيقه سهل ميسور! فإننا لو رجعنا إلى ديوان أبي تمام لعرفنا أن القصيدة ليست في الخليفة وإنما هي في أحمد بن المعتصم، وهو ابن الخليفة المعتصم الذي اتصل به أبو تمام ونال جوائزه في ذلك الوقت وفيها يقول:

هدأت على تأميل « أحمد » همتي وأطاف تقليدي به وقيامي

فالبيت نص في أن الممدوح اسمه أحمد؛ أما ما ذكر من أنها قد تكون قيلت في أحمد بن المأمون فليس بشيء. ذلك لأن أبا تمام المتوفى سنة ٢٣١ هـ قالها في أواخر حياته؛ والذي يكون في مجلسه الفيلسوف الكندي في هذا العهد ويقال له في القصيدة نفسها: « يا ابن الخلائف من بني العباس » هو ابن الخليفة أحمد بن المعتصم لا أحمد بن المأمون المتوفى أبوه سنة ٢١٨ هـ. وبشيء من التحقيق كذلك، نرى أن نسبتها إلى الخليفة في بعض الكتب إنما هي من سهو النساخ فربما كانت كما يأتي: « إن أبا تمام امتدح ابن الخليفة المعتصم بقصيدة سينية » فسقطت لفظة « ابن » وصار الكلام « امتدح الخليفة المعتصم ... » وهذا مما يؤكد أيضاً أنها قيلت في أحمد بن المعتصم لا أحمد بن المأمون. وللنساخ من أمثال ذلك كثير.

عبد الستار أحمد فراج



عبقرية الشريف الرضى

تأليف الدكتور زكى مبارك

بقلم الأستاذ محمد هارون الحلو

لأستاذنا الدكتور زكى مبارك قلب يزخر بالفتوة وينبض بالعافية على رغم ما فيه من هوى مكتوم ولواعج مضطرمة ، وقد يلازم هذا الشذوذ والتناقض كثيراً من الأدباء ورجال الحكمة وقد يكون ذلك لقدرتهم على الشكوى والأنين والتلهى أحياناً بالفلسفة أو التفلسف فى تشريح العواطف والوجدانات !

وهو يعيش فى أودية الفن ، الفن الروحى ، ويهيم أبداً فى ملكوت الخيال ولهذا كانت جل بحوثه من تيه عبقر ، ومن همسات الشياطين !

والدكتور زكى له طريقة فى البحث يكاد يستقل بها عن غيره من أعلام الأدب والكتاب الأفذاذ فهو حين يكتب لا يعدو أن يكون مترجماً لأشرف العواطف وأنبل الغرائز البشرية بصورة واضحة لا غموض فيها ولا تلبيس

تنطلق عنه الفكرة مستقلة ، تشرق فى آفاقها الحقيقة وتلمع فى أقطارها صورة تلك الروح التى انبثقت عنها تلك الفكرة ، فهو إذا بحث كان « فسيولوجياً » فى بحثه ، فناناً فى أسلوبه ، تلمح فى مأثوره قوة الانفعال ومدى خصوبة القريحة ؛ ويستوقفك فى تضاعيف بحوثه الطلية رشاقة الأسلوب وتأنق المعنى ووضوح الفكرة وترتيب المعانى وحسن السبك ... وغير ذلك من الصفات التى أعطت أدبه لوناً خاصاً يماز به عن غيره ، كما أنه ينفرد بين أدبائنا بجرأته ، وهو يعتمد فى ذلك على مواهبه وثقته بنفسه ؛ فهو يتوفر أبداً على نصرة فكرته ، لا يتقهقر ولا يتأخر

وكان له من نشوة الظفر ما يدلُّ به كثيراً على خصومه ، وكثيراً ما يعتد بنفسه شأن المتثبت المتمكن القوى الإيمان ؛ فإذا أراد أن يمرّض بخصم أو يمازح صديقاً ؛ فهو ذو دربة بأساليب الكيد وطرق الممازحة والمؤاخذة الأليمة والنيل من خصومه ومن أصدقائه أيضاً !

وثمّت خلّةٌ أخرى تكاد تكون من لوازم ذلك الأديب الكبير ، وهى صبرُه فى البحث وقوةُ روحه فى استقصاء المعانى فى الموضوعات التى يطرقها

ولقد كان وفاء زكى مبارك أبرز صفاته الشخصية ، فهو يذهبُ إلى العراق ليرفدَ أهلها من معينه السائغ ؛ فلو أنك أيها القارئ قد اطّلعت على ذلك السّفر النفيس (عبقرية الشريف الرضىّ) لجَاز لك أن تقول ما قاله أحد أدباء بغداد حينما قرأ ذلك الكتاب :« إن نثر زكى مبارك له روعة تفوق شعر الشريف الرضى فى بعض الأحيان »

لا يمكننى أن أصف ذلك السّفر الذى أقامه الدكتور زكى نصباً خالداً للشريف الرضى بقدر ما كتب هو عنه فى مقدمته إذ يقول : « إن القلمَ جرى فيه بأسلوب ما أحسبنى سُبقت إليه فى شرح أغراض الشعراء ، حتى كدت أتوهم أنى طفتُ بأودية لم تعرفها الملائكة ، ولا الشياطين »

ومن اعتداده بمؤلفه وتعريضه بغيره من المؤلفات ما يقوله أيضاً فى سياق حديثه عن الشريف : « سيرى قراء هذا الكتاب أنى جعلت الشريف أفحل شاعر عرفته اللغة العربية ، وقد سمع بذلك ناس فذهبوا يقولون فى جرائد بغداد : أيكون الشريف أشعر من المتنبى ، وأستطيع أن أجيب بأن الشريف فى كتابى أشعر من المتنبى فى أى كتاب . ولن يكون المتنبى أشعر من الشريف إلا يوم أؤلف عنه كتاباً مثل هذا الكتاب ! »

وله العذر فيما يقول فكتابه عن الشريف وعبقريته ، ضرب من السحر لم يشرع فى الكتابة من قبل ولم يأت على طريقة الأدباء بعد ، فهو توجيه جديد فى الدراسات الأدبية حيث يقف المؤلف من الشاعر موقف الصديق من الصديق ، ويحصى عليه ويحصى له ويتحدث إلينا بإخلاص وأمانة ، ويسجل رأيه الخاص فى كل ما يعرض له ، فالكتاب حافل بآراء جديدة وفلسفة فريدة

ولقد امتزج روح المؤلف بروح الشريف ، وتأثر به أعمق التأثر وانتقل معه إلى عصره الذى كان يعيش فيه ، وأحبه حبا عنيفاً ، حتى أصبح زكى خلاله مسرفاً فى التمدح بأفضاله ، فإذا مر بهفوة له فإنه يرفق به ويشفق عليه شأن ما يحدث عادة بين الخلصان من الأصحاب والأصدقاء

قصص العلماء والمخترعين

تأليف الأستاذ محمد عاطف البرقوقي

المفتش بوزارة المعارف

تحفزنا الرغبة فى تشجيع الآداب العلمية إلى التنويه بهذا الكتاب الجليل ، وهو باب من الأدب جديد يعنى بتبسيط حقائق العلم فى أسلوب أدبى يحبب إلى قارئه أن يقرأه فيجد لذة القراءة وفائدة التحصيل العلمى فى وقت معاً ؛ ومؤلفه حقيق بأن يبلغ بكتابه هذا المبلغ من الحرص على الفائدتين ، فهو قد نشأ نشأة أدبية فى ظلال أبيه الأستاذ عبد الرحمن البرقوقى صاحب البيان ، وصهره الأديب الكبير المرحوم مصطفى صادق الرافعى ؛ وهو إلى ذلك عالم قد تخصص فى مادته العلمية فى مصر والخارج ، وعليه التفتيش على دروس الطبيعة فى مدارس الحكومة — فاجتمع له بذلك الفضل من طرفيه

ولقد أربى البحث فى هذا الكتاب — وهو يقع فى جزأين كبيرين — على عشرين باباً ، احتفل فيها المؤلف بكل باكورة من بواكير الشريف العبقرى ، وعالج موضوعات دقيقة عميقة لها أكبر الأثر فى توجيه الشريف فى حياته

ولقد أجاد المؤلف وأفاد فى الحديث عن (أعوام البؤس فى حياة الشريف) و (العلا والمعالى فى قصائده) و (صلة الشريف بحياة خلفاء بنى العباس) وهى من موضوعات الجزء الأول

كما أنه برع فى الكتابة عن (غراميات الشريف) و (عفافه) و (حجازيات الشريف) وغير ذلك من النواحى والاتجاهات العميقة التى ضرب فيها فكر المؤلف وخياله بسهم وافر ، فنفذ إلى مكنونات وطرائف كان لها أثر كبير فى إخراج هذا السفر على آنق أسلوب وأرفع خيال ، حتى حقّ للدكتور زكى مبارك أن يستهل الكتاب بتعليقه على قول الشريف :

أنا النضار الذى يُضَنُّ به   لو قلّبتنى يمينُ منتقدِ

بعبارته : اشهد أنك وجدتَ المنتقد أيها النضار .

هذه كلمة قد عنّ لى أن أكتبها وفاء للأدب فى شخص الدكتور « زكى مبارك » مؤلف عبقرية الشريف جزاه الله عن الأدب خيراً .

محمد هارون الحلو

ونحن ننشر فيما يلى فصلاً من هذا الكتاب الممتع برهاناً على ما قدمنا من وصفه :

اختراع التلغراف

سنة التطور والارتقاء

لداروين Darwin العظيم مذهبه الشهير الذى يقول بسنة التطور والارتقاء ، حتى رد الإنسان إلى أصل من القردة ، وهذا الرأى لا يسرى على الكائنات فحسب ، بل إنه فى رأيى يمتد إلى الاختراعات أيضاً ، فكل اختراع يظهر أولاً ناقصاً مشوهاً ، ولكنه يتحسن ويرقى بالجهود المتتابعة التى يبذلها العلماء ، والأمثلة على ذلك عديدة ، فها هى ذى الكهربية بدأت ساكنة فتطورت إلى متحركة محدثة التيار الكهربى ؛ وهذه أبحاث فاراداى النظرية ، تتطور إلى أعظم المخترعات العملية ، ويحاول العلماء نقل الإشارات كما فى التلغراف ، فينجحون فيما بعد فى نقل الكلمات كما فى التلفون ، وينجحون فى اختراع التلغراف والتلفون السلكيين ، فتؤدى أبحاثهم وجهودهم إلى اختراع التلغراف والتلفون اللاسلكيين ، وهكذا سنة التطور والارتقاء فى الاختراعات ، ولن تجد لهذه السنة تبديلا . ويحكى عن فاراداى العظيم (ص ٥٥) أنه كان مرة يقوم بإجراء تجربة كهربائية فى الجمعية الملكية بلندن أمام بعض الشاهدين والشاهدات . وبعد ما أتم إجراءها وشرحها انبرت له إحدى السيدات وسألته : « يا مستر فاراداى . هل يمكنك أن تخبرنى ما فائدة ذلك ؟ » فأجابها على الفور ذلك الجواب المقنع المناسب : « وهل تستطيعين أن تخبرينى عن فائدة الطفل ساعة ولادته ؟ » فأسقط فى يدها ولم تحر جواباً

نشأة التلغراف

والتلغراف كان مطمح الآمال ، وغاية العلماء منذ نشأة الكهربية ، ففى عهد سكونها ، وبعد أن كشف جراى ودى فاى (ص١٦) أن من الأجسام ما هو موصل وما هو غير موصل حاول بعضهم مد عدد من الأسلاك بعدد الحروف الهجائية ، وهى تسعة وعشرون فى اللغة الانجليزية كل سلك فيها يقابل حرفاً من تلك الحروف فإذا أريد إرسال إشارة تلغرافية لكلمة معينة دلكت أطراف

الأسلاك الدالة على حروف هذه الكلمة على التوالى ، فتشحن هذه الأسلاك بالكهربية فتجذب إليها فى مكان الاستقبال كرات صغيرة من نخاع البيلسان فيؤلف المستقبل منها الكلمة المرسلة ، وقد أخفقت هذه الطريقة كما أخفقت محاولات أخرى لما قام فى طريقها من صعوبات : كبطء سير الإشارة أو ضعفها عن أن تصل إلى مسافات بعيدة ، ولكن الاتجاه الصحيح قد بدأ سنة ١٨٢١ ، بعد أن كشف أورستد (ص ٣٧) التأثير المغنطيسى للتيار الكهربى ، إذ اقترح أمبير (ص ٤١) عقب ذلك ، وفى نفس سنة ١٨٢١ استغلال هذا الكشف الجديد لتطبيقه فى التلغراف . ومن ذلك استطاع جاوس G. F. Causs العالم الطبيعى الألمانى وفبر Wilhelm Weber « أستاذ الطبيعة فى جامعة جوتنجن » سنة ١٨٣٣ من إقامة أول خط تلغراف فى العالم بين المرصد وقسم الطبيعة فى هذه الجامعة ، وكانت المسافة بين المكانين ٩٠٠٠ قدم ، وقد اشترك يوسف هنرى الأمريكى (ص ٧١) فى أبحاث التلغراف ، وهو الذى اقترح استعمال المغنطيس الكهربى الذى له الفضل فى تحسينه ، ورأى أن يوضع أمام قطبيه قطعة حديد تمس حافظة ، فإذا وصل التيار إلى ملف المغنطيس الكهربى انجذبت إليه الحافظة وحدث صوت « دقته » واقترح شتاينهيل Karl August Steinheil الألمانى بعد دراسة عميقة أنه يمكن استعمال الأرض موصلاً بدلاً من إقامة سلك آخر لإتمام الدائرة الكهربية وقد أعلن ذلك إلى أكاديمية العلوم بجوتنجن سنة ١٨٣٨ ، وقد حاول هويتستون فى إنجلترا أيضاً الوصول إلى اختراع التلغراف ، ولكن النصر الأخير والفوز الأعظم جاء على يدى مورس الأمريكى

مورس (١)

ومن ذا الذى لم يسمع بمورس ؟ أو من ذا الذى لم يسمع « بالنقطة » و « الشرطة » اللتين اتخذهما مورس نظاماً وجعل منهما رموزاً للحروف الأبجدية والأرقام وغيرها ، فجعل حرف الألف من نقطة وشرطة ، والباء من شرطة وثلاث نقط ، ورقم الخمسة خمس نقط وهكذا . إننا نسمع دقات التلغراف فى مكانها كأنها تنادى باسم مورس آناء الليل وأطراف النهار

(١) Samuel Fineley Breese Morse

وقد بدأ مورس حياته فناناً ، بل وفناناً عظيما ، ويكفيه فخراً فى هذا المضمار أنه الذى أسس أكاديمية الرسم الأهلية (١) فى نيويورك ، وقد تلقى أصول دراسة هذا الفن فى أوربا ، وأثناء عودته إلى بلاده سنة ١٨٣٢ ، خطرت له أول خاطرة فى التلغراف ، وتمكن من بناء أول تلغراف عقب ذلك فى نفس السنة ، ولكنه كان يعوزه المال اللازم لبنايته وعرضه على الناس ، واضطر إلى الانتظار ولكنه فى الوقت نفسه كان يعمل على إدخال التحسينات فى تركيبه ، حتى أوفى على الغاية من الاتقان ، وتسنى له أن يعرضه على الناس سنة ١٨٣٧ فى جامعة نيويورك ، وأرسل أمامهم الإشارات التلغرافية مسافة ١٧٠٠ قدم ونجح نجاحاً أثار الإعجاب ، فمنحه مجلس الأمة الأمريكى مبلغ ٣٠٫٠٠٠ ريال ، فأنشأ أول خط تلغرافى تجارى سنة ١٨٤٤ بين واشنجتن وبلتيمور

ذاع صيت مورس ، واشتهرت فكرته ، فذاع تلغرافه فى انجلترا وأوربا وأمريكا ، وأتقن إتقاناً عظيما فى بضع سنوات حتى صار فى الإمكان إرسال الرسائل التلغرافية مسافة مئات الأميال سنة ١٨٥٠

(١) National Academy of Design

M. Arab. 151

جيوفانى فركا يحدثنا عن الملاريا

عندما يقرع الجرس من جديد للتطبيق فى السكون العميق تهرب العصافير دون ضجة والراعى نفسه الأصفر من الحمى والأبيض من الغبار يفتح جفونه الوارمة برهة ويرفع الرأس فى ظل الخيزرانات اليابسة . لأن الملاريا هنا تدخل فى الخيزران الذى تأكله فالملاريا تفاجئ السكان بغتة على الطريق المقفرة وتفاجئهم أمام باب البيوت المحرقة بالشمس مرتجفين من الحمى تحت ملابسهم الواسعة مع الغطاء على الرأس .

والآن قد انقلب كل شيء فنجت مياه إيطاليا أقوياء البنية وهم لا يشكون الآن من مرض الملاريا . وهي السكينا التى سمحت بهذا التغيير السكينا الدواء المعروف منذ سنة ١٦٣٠ فلجنة الملاريا بجمعية الأمم التى تكرس نفسها خصوصا لدرس المسائل المتعلقة بالملاريا تنصح لدرء هذا المرض بأخذ ٤٠٠ مليجرام يوميا من السكينا طول موسم الحميات وإذا كان أصيب الانسان بالمرض فالدواء الموصوف يلخص فى علاج سريع المدة فيكفى أخذ جرام واحد أو جرام وثلاثين سنتجرام من السكينا كل يوم مدة خمسة أو سبعة أيام ولا داعى للمعالجة التكميلية ففى حالة الانتكاس يمكن تطبيق العلاج ذاته .

﴿ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى — عابدين ﴾

8me Année No. 361

Lundi - 3 - 6 - 1940

بدل الاشتراك عن سنة
ص
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع البدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

السنة الثامنة | « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٧ ربيع الآخر سنة ١٣٥٩ — الموافق ٣ يونيه سنة ١٩٤٠ » | العـــدد ٣٦١

الفهـــرس

الخصومة الأدبية فى الشرق

للأستاذ عباس محمود العقاد

كتب كثير من الأدباء فى الخصومة التى كانت بينى وبين الرافعى ، أو بينى وبين شوقى رحمهما الله . فلم أجد فيما كتبوه مدعاة إلى التعقيب أو المناقشة ، وآثرت السكوت عليه

وقرأت للأستاذ الصديق صاحب الرسالة مقالاً عن رأى الرافعى فىّ وفى الدكتور طه حسين ، فرأيت فيما رواه عن الرافعى رحمه الله مذهباً من الخصومة الأدبية يتبعه كثيرون فى الشرق خاصة ، ويأباه كثيرون ولا سيما فى البلاد الغربية . فكتبت هذا المقال لأبين به خطتى فى خصومة الأدب أو خصومة الرأي على الإجمال ، وألمع به إلى موضع الاستقامة وموضع الانحراف فيما قيل حول هذا الموضوع

وكنت أعلم أن الرافعى يقول عنى أحياناً غير ما يكتب . روى ذلك الأديب الكبير محمد السباعى ، ورواه صديقنا الكاتب المبين الأستاذ البرقوقى صاحب البيان ، وكله فى جملته يوافق ما رواه الأستاذ الزيات فى مقال الرسالة ؛ ومنه حرص الرافعى على كتمان هذه الشهادة !

ولم هذا الاختلاف بين السر والجهر ، أو بين القول الخاص والقول العام ؟

هذا هو أيضاً موضع الاختلاف بين خطتى فى الخصومة الأدبية والخطة التى كان يؤثرها الرافعى وبعض الأدباء

فأنا أقول الرأى بلهجة وأقوله بلهجة أخرى ، وهذا قصارى ما أستبيح من الفرق بين الرضى والغضب والصداقة والخصومة. أما الرأى فى لبابه فلا يتغير ولا يتناقض ، ولا يسعنى أن أجهر بغير ما أكتم ، وإن كنت لا أدين نفسى بنفخ الأبواق ودق الطبول تمظيما لمن يجيراه أن يتناولنى بالتصغير

روى صديقنا الزيات عن الرافعى أنه قال : « أما العقاد فإنى أكرهه وأحترمه : أكرهه لأنه شديد الاعتداد بنفسه قليل الإنصاف لغيره . ولعله أعلم الناس بمكانى من الأدب ؛ ولكنه ينفس علىّ قوة البيان فيتجاهلنى حتى لا أجرى معه فى عنان »

وهذا كلام فيه صواب وفيه خطأ . ونستطيع أن نتفق على موقعه من الصواب وموقعه من الخطأ إذا توخينا الإنصاف .

فاذا كان رأيى الذى كتبته فى الرافعى وأدبه ؟

إننى كتبت عنه مرات أن له أسلوباً جزلاً، وأن له صفحات من بلاغة الإنشاء تسلكه فى الطبقة الأولى من كتاب العربية المنشئين

وقلت إلى جانب ذلك إننى أنكر عليه فلسفة البحث وصحة المنطق ودقة القياس

فهل كان فى وسعى أن أرى فى أدب الرافعى غير هذا الرأى أو أشهد له غير هذه الشهادة ؟

كان فى وسعى نعم أن أقولها بلهجة غير التى كتب بها عنى وكتبت بها عنه

ولكن هل كان فى وسعى بعد قراءة أرسطو وأفلاطون وابن سينا وكانت وشوبنهور وهيوم أن أحسب الرافعى من كبار المناطقة مع حسبانى إياه من كبار المنشئين ؟

هبنا توافينا على المودة ولم نتفرق فى الخصومة ؛ فهل كنت أستطيع أن أسيغ القضايا المنطقية التى كان رحمه الله يستكثر منها ويمعن فى الاتكاء عليها ، وهى لا تحتمل الاتكاء ؟

فأنا قد شهدت له بالبلاغة الإنشائية وأنكرت عليه الفلسفة المنطقية ، لأننى أستطيع أن أسلكه مع الجاحظ وعبد الحميد ، ولا أستطيع أن أسلكه مع كانت وابن سينا وهيوم

ومن الذى يستطيع غير ذلك ولو كان من أصدق الأصدقاء ؟ بل من الذى يستطيع أن يدحض الأمثلة التى ذكرتها ورددت إليها إنكارى عليه ملكة البحث الفلسفى والمنطق الصحيح ؟

فمثل من تلك الأمثلة قول الأستاذ فى الجزء الثانى من تاريخ آداب العرب إن الحيوان لا ينطق من اللغة الإنسانية إلا بما فيه معنى الطعام «وبذلك تأتى لبعض الألمانيين أن ينطق كلبه بألفاظ خالصة من اللغة الألمانية ، ولكنها فى الجملة من حاجات الكلب الطبيعية كالأكل والشرب فلا تخرج عن معنى الإحساس أيضاً »

فقلت له إن كلمة الخبز بالألمانية تقابلها ألف كلمة فى لغات الناس كافة تؤدى معنى الخبز وتختلف فى لفظها أبعد اختلاف ، وعلى هذا يجوز أن ينطق الكلب بكل كلمة تجرى على لسان الآدمى لأن اختلاف الكلمات فى لغة واحدة ليس بأصعب على الحيوان من اختلاف ألف كلمة بمعنى الخبز فى جميع اللغات

فهل هذا قياس صحيح ؟ وهل هذا بحث فى أسرار اللغات ؟

وقلت له إن كلمة « سمك » تؤدى معنى الطعام ، ولكن السين والميم والكاف تدخل فى اصطلاح المهندسين والفلكيين . فلماذا لا ينطق الكلب بلغة الرياضة العليا كما ينطق بلغة الطعام ؟

* * *

ومثل آخر من تلك الأمثلة أنه تمرض لرأى ابن الراوندى فى إعجاز القرآن إذ يقول : « إن المسلمين احتجوا لنبوة نبيهم بالقرآن الذى تحدى به النبى ، فلم تقدر العرب على معارضته ، فيقال لهم أخبرونا لو ادعى مدع لمن تقدم من الفلاسفة مثل دعواكم فى القرآن ، فقال : الدليل على صدق بطليموس أو أقليدس أن أقليدس ادعى أن الخلق يعجزون أن يأتوا بمثل كتابه أكانت نبوته تثبت ؟ »

تعرض الرافعى لكلام ابن الراوندى ، فماذا قال فى الرد عليه ؟ ... إنه لم يكشف المغالطة الظاهرة فيه وهى أن أقليدس لم يخترع الحقائق التى أوردها فى كتابه ، وليس فى طاقته هو نفسه أن يبتدع كتاباً آخر أو يزيد قضية واحدة على تلك القضايا ، فالعجز يشمله كما يشمل الآخرين ، والدعوى لا تظهر فضلاً له غير فضل الاهتداء إلى الحقائق الموجودة قبله والتى لا يد له هو فى إيجادها بأى معنى من معانى الإيجاد .

لم يكشف الرافعى هذه المغالطة الظاهرة ، بل راح يقول :

« لعمرى أن مثل هذه الأقيسة التى يحسبها ابن الراوندى سبيلاً من الحجة وباباً من البرهان لهى فى حقيقة العلم كأشد هذيان عرفه الطب قط . وإلا فأين كتاب من كتاب ، وأين وضع من وضع ، وأين قوم من قوم ، وأين رجل من رجل ؟ ولو أن الإعجاز كان فى ورق القرآن وفيما يخط عليه ، لكان كل كتاب فى الأرض ككل كتاب فى الأرض ، ولا طرد ذلك القياس كله على وصفه كما يطرد القياس عليه فى قولنا : كل حمار يتنفس، وابن الراوندى يتنفس ، فابن الراوندى يكون ماذا ؟ »

كذلك خيل إلى الرافعى (رحمه الله) أنه رد على ابن الراوندى وما زاد على أن وصفه بأنه حمار . فمن شاء أن يحسب هذا قياساً فليفعل وله حكمه على عقله . أما أن يحكم على العقول جيماً بأن تقيس الآراء كما يقيسها ، فذلك هو الشذوذ

وقد نذكر هنا المثل الثالث والرابع والخامس والأمثلة الكثيرة لو كنا نريد الإحصاء والاستقصاء ، ولكننا نريد التدليل ولا نبغى غيره . وفيما تقدم الكفاية

فالذى قلته فى أدب الرافعى هو الذى اعتقدته ، بل هو الذى لا أقدر على اعتقاد رأى غيره إلا أن أنسى كل ما عرفت من كتب البحث والقياس

والذى قلته فى قياس الرافعى لا يقدر الصديق على أن ينفيه أو يقول بنقيضه ؛ إلا أن تكون الصداقة على غير الحق والإنصاف

ولو قنع منى الرافعى بأن أشهد له بالبلاغة وأن أنقد قياسه وبحثه على النحو الذى تقدم لما كانت خصومة ولا كان جدال . ولكنه اعتد رأيى فيه تجاهلاً وقلة إنصاف ، وزاد فاعتده من العداوة ورصد له ما يرصد للأعداء

وهذا هو أصل الخلاف

***

أما ما قيل ولا يزال يقال عن الخصومة الأدبية بينى وبين شوقى رحمه الله فبودى مرة أن أقرأ كاتباً واحداً يقول : « إنك نقدت الشاعر فى « كذا » وإن « كذا » هذه خطأ أقيم عليه الدليل ، وهذا هو الدليل »

بودى أن أقرأ هذا لكاتب واحد من الذين يخالفوننى فى الرأى وينهجون فى النقد غير النهج الذى أنتحيه

ولكنهم جيماً لا يزيدون على الصياح والاستهوال ثم الصياح والاستهوال : يا خلق الله الحقونا... يا خلق الله اسمعوا واعجبوا ... يا خلق الله تعالوا فانظروا من يقول إن شوقيا ليس بشاعر عظيم

وهذا كل ما يقال ، وهذا كل ما يعاد ، ولا مناقشة لرأى ولا استشهاد بمثال

ومنهم من يقوّلنى ما لم أقل ويخرج صارخاً على خلق الله ليزعم أننى عظمت الشعراء جيماً إلا شوقيًّا وحده فقد خصصته بقلة التعظيم

أكذلك حصل ؟ ... لا . كذلك لم يحصل !

وكل ما هنالك أننى يحق لى أن آكل الجبز الجيد وأن أعيب التفاح الذى يعاب والجبز بعد ذلك هو الجبز، والتفاح هو التفاح !

وأعجب العجب أن يبلغ الادعاء بهؤلاء أن يغلقوا كل باب للرأى غير رأيهم فلا يخالفهم أحد إلا كان تأويل المخالفة الوحيد ترة شخصية أو قلة إنصاف !

ولو أنهم طلبوا الحقيقة لسهل عليهم أن يعرفوا أن طريقتنا تباين طريقة شوقى ، وأن اختلاف المقاييس بيننا وبينه معقول وطبيعى ومردود إلى أسبابه التى لا نغفى عنها لو أردنا الإغضاء

وأن ترة شخصية بيننا وبين شوقى لم تكن على حال من الأحوال . وليس فى مقدور أحد أن يذكر سبباً لها لو اتجهت ظنونه إليها

فكل ما قلناه فى أدب شوقى فهو رأينا الذى اعتقدناه ، ولا نحب أن يشير أحد إلى اللهجة التى قلناه بها ، فإن بيان أسبابها وتسويغ موقعها لا يعسران علينا ، ولا يخفيان على من يعلم أو يريد أن يعلم ... فالإيجاز فى هذه الإشارة أولى من الإفاضة فيها

***

وبعد فالخصومة الأدبية لها مذهبان : مذهب الإيمان بالفضل وإخفائه على عمد ، ومذهب الرأى الذى يتفق عليه الأصدقاء والخصوم وإن اختلفا فى لهجة الأداء وعبارة الثناء

وهذا هو مذهبنا الذى ندين به ونجرى عليه فى كل ما اختصمنا فيه ... وعلى الذين يرموننا بقلة الإنصاف أن يرونا مبلغ إنصافهم لنا ، إن كانوا ... منصفين !

عباس محمود العقاد

حركات الإصلاح الإسلامية

أزمة إسلامية ؟

للدكتور على حسن عبد القادر

دكتور فى الفلسفة والعلوم الاسلامية من جامعة برلين
ومدرس بكلية الشريعة

أيوجد حقاً ما يسمى أزمة إسلامية ؟ وهل صحيح أن الإسلام يجتاز فى هذا العصر مرحلة اجتماعية خطيرة ، وأنه يقف الآن عند نقطة فاصلة ويمر بدور حاسم فى تاريخه ، وسيبرهن على استحقاقه البقاء والخلود إذا مر بها صحيحاً سليما ؟

كانت هذه الأسئلة تتردد فى نفسى وتضطرب وكنت أعالج منها ضيقاً وحرجاً عندما كنت أقرأ هذه الرسالة الصغيرة « الأزمة الإسلامية » للأستاذ ريشارد هرتمان[١]

تُرى هل أحس المسلمون بهذه الأزمة التى لم تنل بالطبع عقيدتهم القوية وإيمانهم الصحيح الخالص ، أجل . ولكنها نالت أمراً عزيزاً لديهم . نالت حياتهم فى أشكالها المختلفة ومست قوانينهم وشريعتهم ونظمهم الاجتماعية ، وأصبح المسلم مضطرباً فى حياته تتقاذفه أمواج شتى من حضارة جديدة وأفكار حرة وتقاليد موروثة ودين راسخ ، لا يجد التوفيق بين ذلك كله سهلاً ميسوراً ، وهكذا فإن المسلمين فى جميع البلدان الإسلامية يعانون أزمة وشدة تكاد تودى بحياتهم وقد أودت بها فعلاً فى بعض البلاد

لا شك أن الناس لا يقرؤون التاريخ الحديث للاسلام ، أو كأنهم لا يفكرون فيه كتلة تضم المسلمين فى أقطار الأرض ، فهم يغمضون أعينهم عما حصل وما يحصل فى تركيا وبلاد الهند الإسلاميتين من حركات وثورات ، بل وما يحصل بين سمعهم وبصرهم فى مصر حيث الحياة قلقة والنفوس ثائرة والإسلام ينقبض فى عقر داره يوماً عن يوم ، وحيث سلطان الشريعة الإسلامية ضعيف . أترى أن هذا لا يستحق النظر الجد والتفكير العميق ، أو أنه يكفى الصراخ والعويل كلما خرج خارج من أفراد أو دول ؟

حقاً أن رجال الأزهر وهم الذين يمثلون جبهة الدفاع عن الإسلام والذود عن حياضه بما عرفوا به من علم صحيح وفكر مستقيم هم وحدهم الذين شعروا بهذا الخطر الداهم الذى يهدد حياة المسلمين ، وهم الذين أدركوا المنحدر الذى قد ينحدرون إليه ، فهبوا يؤدون رسالتهم التاريخية فى شجاعة وصبر ، مضحين فى سبيل هذا الواجب بهنائهم وسعادتهم غير مبالين بما يقف فى طريقهم من صعاب لا يثنيهم عن عزمهم ما يبيته لهم الخصوم ، ولا يصدهم عن مهمتهم ما يرميهم به ضعاف الإيمان ، وهم من أجل ذلك فى أزمة شديدة قاسية مضطربة نفوسهم وحياتهم أيما اضطراب .

فى رسالة الأستاذ هرتمان بيان شامل دقيق لحركات المصلحين الذين تنوعت بهم طرق الإصلاح ، واختلفت لديهم سبل التجديد تبعاً للثقافات المختلفة التى عرفوها والبيئات التى اتصلوا بها ، فنهم من رأى الرجوع إلى القديم والتمسك بالإسلام الأول ، ومنهم من رأى الأخذ بالجديد كله ، ومنهم من سلك سبيل التوفيق . وعلى هذا يدور البحث فى هذه الرسالة القيمة التى سدت فراغاً كبيراً فى الأبحاث الإسلامية الحديثة . والأستاذ هرتمان عالم هادىء الطبع اتصلت به أثناء دراستى ببرلين فعرفته يمتاز عن غيره ممن بحث فى العلوم الإسلامية بنضوج الفكرة ، والرجوع إلى الحق إذا ظهر له ، لا يصدر حكمه إلا بعد تريث وترو وفى رفق وأدب . وهأنذا أعرض عليك فصولاً من هذا البحث :

— ١ —

يقول الأستاذ : قلما نجد بين الأديان الكبيرة ديناً ينفذ إلى حياة معتنقيه كلها فردية كانت أم اجتماعية مثل الإسلام . ذلك أنه من وقت النبى والخلفاء أخذت السلطة الدينية فيه شكل الدولة السياسى ، وبقى عدم التفريق بين أمور الدين وأمور الدولة — على الأقل فى المبدأ — قائماً إلى الوقت الحاضر . وهكذا ألبس الدين كل شىء ثوب التشريع والفقه ، وقد طور عمل القرون

(١) Rishard Hartmann, Die Krisis des Islam Leipzig 1928

المتوالية هذا الفقه إلى بناء هائل منظم لكل أنواع المعاملات والعلاقات الإنسانية تنظيما دقيقاً ، وأصبحت القوانين كلها ذات ثوب دينى تبعاً لهذا المبدأ الذى لا يفرق بين أمور الدين وأمور السياسة

حقاً إن مثل هذا القانون قد تكون فيه قوة ما دام حياً جديداً موافقاً للعصر المعمول به فيه ، ولكن هذا كان إلى حد محدود، فإنه فى أثناء تطوره لم يكن نافذاً معمولاً به على الإطلاق، لأنه فى الحقيقة لم يكن من عمل الدولة وأعضائها، ولكنه كان عملاً للمؤلفين . وأخيراً عند ما اقتنع الناس بأنه يجب متابعة الخلف للسلف الأول فى كل أمر ، وأن كل ما فصل فيه السلف الصالح مرة فى وقت يجب أن ترتبط به الأمة الإسلامية فى كل الأوقات . لما حصل هذا أصبح الفقه المحدد لكل حياة المسلمين فى ثوبه الدينى المقدس خطراً مهدداً يقف أمام كل إصلاح

ولم يشعر أحد بهذا الخطر ولم يكن حاداً ظاهراً ما دام العالم الإسلامى على قمة الثقافة . كان هذا فى العصور الوسطى ، وكانت الحياة المسيحية إذ ذاك تشبه هذا إلى حد ما ، حيث كانت حياة المسيحيين تحت سلطان الكنيسة ؛ وكانت هناك ثقافة ومدنية مسيحية كما كانت هناك ثقافة ومدنية إسلامية ، وكلاهما بالرغم من تخالفهما فى العقيدة كانا متقاربين ، ونشأ ومن ورائهما ثقافة وثنية . وبينما كان الدين فى الغرب يرجع إلى الوراء وتضيق حدوده أثناء مرحلة التطور من العصور الوسطى إلى العصور الحديثة ، وتحل محل المدنية المسيحية للعصور الوسطى مدنيةٌ وطنية ـ بقى الإسلام سائراً فى طريقه القديم القائم على الدين . ومن هنا كانت الثغرة بين الشرق والغرب واسعة ، وبقى الشرق والغرب كل له لغته الخاصة إلى يومنا هذا

وأخيراً نوقشت مسائل التاريخ ، وفتح المسلمون أعينهم على وضع المدنية الإسلامية للقرون الوسطى إزاء المدنية الحديثة . فماذا كانت النتيجة ؟

إن العالم الإسلامى يقف الآن عند نقطة فاصلة ، فهو فى أزمة ، فهل قطع الإسلام — الذى يظهر مرتبطاً بالعصور الوسطى — كل شوطه وأتم القيام بدوره ؟ وهل هذا المرض الباقى إلى الآن من الإسلام نفسه ؟ أو أن الإسلام كدين متفقٌ مع الإصلاح الحديث ؟ وهل يستطيع الإسلام أن يتخلص من تأخر العصور الوسطى التى ارتبطت به ؟ وهل هو فى نفسه صالح وقادر على التطور ؟

على جواب هذه الأسئلة يتوقف كيان الإسلام كدين ، بل حتى فى الأمور السياسية والاقتصادية بالنسبة لمستقبل الشعوب الإسلامية

ولقد كانت مسألة عدم استطاعة الإسلام لإصلاح حقيقى ، وعدم صلاحيته للتقدم ، عقيدةً سائدة عند الغربيين منذ عشرات السنين ، ولم تكن هذه العقيدة سائدة عند « أهل التبشير » ، وفى أوساط البشرين الذين لا يفهمون عن الإسلام إلا صورة ناقصة جداً وغير صحيحة ، بل إن الأمر تعدى إلى بعض مؤرخى الأديان مثل رينان الذى كان يقول : إن الإسلام عدو للعلم(١) . بل قد تعدى إلى بعض السياسيين العارفين بشئون العالم الإسلامى مثل اللورد كرومر الذى حكم على الإسلام حكماً قاسياً حين قال : إن إصلاح الإسلام يخرج الإسلام عن أصله(٢)

ونحن لا ننكر أن ما قيل من أن الإسلام عدو للاصلاح وليس ملاءماً للأفكار الحديثة ، قد يكون له بعض الأسباب ؛ ولكنا هنا لا نلقى الكلام على عواهنه ، ولا نعرض لأحوال غير مفهومة لعوام المسلمين الذين أثبتت الملاحظات شيئاً من تعصبهم ، فإن ذلك كله لا يرجع إلى الدين الإسلامى نفسه ، بل إلى العناصر والبيئات التى حل فيها ، أو إلى ما انتشر بين الناس من أن الإسلام ليس إلا تكراراً لليهودية والمسيحية ، فمثل هذه الأشياء قد تكون موانع للاصلاح ، ولكنها على أقصى حد أمور تبعية شكلية وليست أموراً أصلية . وأنه من البعد عن موضوع البحث أن نتكلم عن هذه الظواهر الشعبية فى الإسلام ، التى هى عبارة عن توفيقات بين تعاليم الدين وبين ما هو متأصل قديم فى الشعوب من أفهام ضعيفة وأخرى ساذجة . ولكى يحكم الإنسان على جماعة دينية لا بد له من أن يحكم على مبادئها الصحيحة ، وفى

---

(١) S. E. R. l'Islamisme et la science (Paris 1883) — Discours et Conférence (Paris 1889) p. 375 ff.

(٢) S. Modern Egypt II, 229 " Islam cannot be reformed; that is to say, reformed Islam is Islam no longer : it is something else ".

الإسلام يجب علينا أن نفهم مبادئه بكل وضوح ، وأن نستبعد عنه ما ارتبط به من أفهام العوام ، وحينئذ فقط يكون حكمنا صحيحاً سليما

ولسنا فى حاجة اليوم – لكى نفهم الإسلام فى أطواره التاريخية – أن نقرر أنه لا يجوز لنا أن نرجع مباشرة إلى صاحب الرسالة (ص) كما نعرفه تاريخيًّا ، فإن جاز لنا ذلك فإن الأمور تكون فى غاية البساطة ، لأنه ليس من شك فى أن النبى — الذى لم يكن نبيًّا فقط بالمعنى الذى يفهمه الأوربيون ، بل كان سياسيًّا يدير أمور الدولة — كان فى الحقيقة واسع الأفق فى دعوته ويحسب للأمور حسابها . وجوابه المعروف : « إعقلها وتوكل » كلام له مغزاه ؛ ويجب ألا ننساه فى مجرى التطورات الأخيرة فى الإسلام. ولكن الواقع أن الرجوع إلى ما كان عليه الرسول فقط لا يعرفه الإسلام التاريخى على ما هو عليه بجزء من حقيقته الصحيحة ، فإن الإسلام كما يعتقد أهل السنة ليس إلا نتيجة لتطور طويل كثير التقلب . ذلك أنه لم يكن الإسلام فى عهد الرسول إلا إيماناً سهلاً وقوانين للحياة بسيطة . وعند ما انتشر بهذه السرعة الفائقة فى بلاد ذات ثقافات مختلفة غير التى كانت فى مهده الأول ، دعا الأمر إلى تحوير وتشكيل . وهكذا تمّ للاسلام إضافة أشياء إليه أثناء امتزاجه بالتراث العقلى الذى كان عند سكان الأمم المفتوحة . حتى أمور العقائد التى بقيت بعد كفاح شديد مقصورة على مبادئ قليلة خضعت لجولات واسعة حرة من الشرح والتفسير . وكان أكثر شىء توسعاً وازدياداً هو تنظيم أمور الحياة أو بعبارة أخرى الفقه والقانون . ولكن هذا الفقه الإسلامى الذى كان فى نوعه دينياً سياسياً ثقافياً ، والذى كان منذ اللحظة الأولى أمراً لا يقبل التغيير ، أقفل نهائياً وختم فى نهاية القرن الثالث الهجرى تقريباً ، فوقف نشاط حركة دينية سياسية ثقافية نشيطة سنلم بأسبابها فى المقال الآتى .

علي حسين عبد القادر

إلى أرض النبـــوة !

[وصف وتأريخ لرحلة الوفد السورى إلى الحجاز ربيع ١٩٣٥ لفتح طريق الحج البرى للسيارات]

للأسـتاذ على الطنطاوى

حين تصل هـذه المقالة إلى الرسالة ، يكون الركب الذى خرج من دمشق منذ أسبوعين يؤم الحجاز قد شارف المدينة إن شاء الله . وهو أول ركب من الزوار يسير على الطريق الذى كشفناه ، وفيه قريب من ثلاثمائة رجل وامرأة ، ووصوله سالماً إلى المدينة ، وذلك بفضل الله مؤكد ، هو الثمرة الأولى لرحلتنا الكشفية التى رحلناها فى ربيع سنة ١٩٣٥ . ولقد كان أول ما خطر على بالى حين دعيت إليها وضع كتاب عنها ، فكنت أتأبط دفترى دائماً ، فلا نسلك طريقاً ، ولا نقطع وادياً ، ولا نرى جبلاً ، إلا كتبت اسمه وصفته ، وطبيعة أرضه ؛ ولا يمرّ علىّ قوم إلا سألت عن أنسابهم وأحوالهم ، ووصفت مساكنهم، وذكرت ما عرفت من عاداتهم ، وسمعت من لغاتهم؛ ولا بتنا ليلة إلا ذكرت كيف حططنا الأحمال ، وكيف نهضنا للارتحال ؛ ولا أرى منظراً ، أو أشهد مشهداً ، إلا ذكرت أثره فى نفسى ، وما أثار فيها من عاطفة ، أو هاج من ذكرى ، على ضبط فى الأرقام ، وتحرّ فى جمع الأخبار ، وتوثق من صدق الراوى وخبرته ، حتى إذا دنونا من المدينة وأوفى الكتاب على الكمال ، وقارب النهـاية ، امتدت إليه يد لا يعلمها إلا الله فذهبت به ، فأيست منه وأهملته ، وجعلت لا أكتب شيئاً ، ولا أدوّن خبراً ، إلا ما كان من وصف طريق العودة فهو مكتوب عندى ، وما كتبت من المقالات فى مجلة الرسالة أو فى غيرها . وعدت إلى دمشق فانغمست فى عملى ، ثم ضرب الدهر ضرباته فسافرت إلى العراق أولاً وثانياً ، وعملت سنة فى لبنان أدرّس فيها ، وحسبتنى نسيت الرحلة ونسيها الناس ، حتى كان هذا الشهر وحقق الله ما ذهبنا إليه ، ورأت دمشق اليوم الموعود ، فسافرت أول قافلة من الزوار ، وألح علىّ الأصدقاء ، وأعادوا الطلب منى أن أنشر وصف تلك الرحلة ، فأجبت مكرهاً ونفضت ذهنى ، فكتبت ما بقى عالقاً به وجعلت غرضى أن أدوّن ما رأيت وما سمعت ، وأسجل ما أحسست به وشعرت ، من غير أن أعمد إلى كتاب من كتب التاريخ أو رحلة من الرحلات ، فآخذ منها الفصول والأخبار والأرقام ، وأن أعرض على القارئ صورة من الحياة البدوية ، إذا هى لم تكن محيطة شاملة، ولم تكن كافية وافية ، فهى صحيحة ثابتة ، ليست متخيلة ولا مبالغاً فيها ، فإن أحسنت فلله الحمد ، وإن أسأت فالذنب على من سرق (دفترى) عفا الله عنه وسامحه

* * *

وبعد ، فهذه رحلة كشفية سلخنا فيها شهرين اثنين وقطعنا فيها خمسة آلاف كيل فى الصحراء ... وركبنا فيها من الأهوال ورأينا من العذاب ما لو سردناه وفصّلناه لكان أشبه شىء بالأساطير

ولم تكن هذه الرحلة من أجل التسلية أو النظر فى عجائب المخلوقات وغرائب البلدان ، ولا للكسب والتجارة ، ولا لشىء مما يرحل أفراد الناس من أجله عادة ، بل كانت لمصلحة عامة ، وغاية اجتماعية ، تعود على بلاد الشام وأرض الحجاز بالخيرات الجمة والفوائد الكثيرة ، هى فتح طريق للسيارات بين دمشق والمدينة يسهل على الناس أمر الحج ويرغبهم فى أدائه ويوفر عليهم صحتهم ومالهم . ولم تكن هذه الرحلة رحلة واحد يهتم به أهله وأصحابه ، ولا جماعة يعنى بهم أقرباؤهم وذووهم ، ولكنها رحلة وفد من وجوه الشاميين وسراتهم وتجارهم . وكان الشاميون جميعاً يتبعونهم بأفكارهم ويرافقونهم بقلوبهم وينتظرون البرقيات منهم ويتسقطون أخبارهم ، فإذا انقطعت أياماً انتشر القلق وساد الذعر وهاجت الجرائد ، وأقبل الناس يسألون عن أبنائهم وإخوانهم ... فتهتم لذلك حكومة الشام ومملكة الحجاز ، ثم لا ينقطع القلق ولا تسكن النفوس حتى يعرف خبر الوفد ويجىء منه برقية أو رسالة

* * *

وكان أول عهدى بهذه الرحلة أن لقينى الشيخ ياسين الرواف المعتمد السابق للملكة العربية السعودية فى دمشق ، فقال لى : لقد عزمنا على اختراق الصحراء إلى المدينة ، نكشف طريقاً للزوار بريًا ، فهل لك فى مرافقتنا ؟

قلت : نعم ، ومضيت فى سبيلى وأنا أراها أمنية من الأمانى وأعلم أن بضاعتنا إنما هى الكلام ، وأن الوفد لن يسافر ، والطريق لن يفتح ، ولذلك قلت له نعم ، وأجبته إلى السفر . وهل كان يسعنى أن أقول له غير ذاك ؟ تصوّرْ بالله مسلماً يستقبل البيت خمس مرات كل يوم ، ويحِنّ إلى هاتيك المعاهد ، ويرى زيارته منيته ومبتغاه ، وعربياً يحب الصحراء ويعرف أخبارها ، ويحفظ آدابها ، ثم يدعى إلى قطع الصحراء وزيارة الحرم ، هل يقول لا ؟ هل يرفض الوقوف أمام الحجرة الشريفة ، والقيام فى الروضة ، والصلاة حيال الكعبة ، والشرب من زمزم ، والسعى بين الصفا والمروة ، وزيارة هاتيك البقاع المباركة التى ولد فيها الإسلام ودرج ، وعاش فيها سيد العالم صلى الله عليه وسلم ، ويأبى أن يخالط العرب فى أرضهم ، ويعرفهم فى ديارهم ، ويرى عياناً ما كان يقرأ خبره فى الكتب ، ويعرف أخباره على السماع ؟

ولقد كنت أعلم أن هذه الرحلة جراءة على الموت واقتحام للخطر ، وهجوم على الصحراء الهائلة التى طالما ابتلعت من أمم وأبادت من جيوش ، ولكن ذلك كله كان يرغّبنى فى الرحلة ويحببها إلىّ ، لما ركّب فى طبعى من حب المغامرة والإقدام ، ولأنها درس من دروس الحياة لا أجده كل يوم ، هذا الدرس الذى من فصوله الصبر والجرأة والحزم والعزم والوحدة والنظام ، يحتاج إليه كل شاب ينشأ فى بلاد ليس فيها نظام عسكرى كالبلاد الشامية ؛ وأن الشبان الذين ولدوا فى الحرب العامة أو قبلها بقليل قد فقدوا لطول ما نشأوا على النعم وتقلبوا فى الترف طرفاً من الرجولة ، وغدوا لما وجدوا من السلامة وفقدوا من المصاعب يميلون إلى التطرّى والتأنث ، ويخشون الخروج من المدن ويهابون الحياة فى الريف ؛ حتى أن إخواننا من المعلمين إذا أمر أحدهم بالانتقال إلى قرية من القرى فكأنما أمر بالانتقال إلى جهنم . وما ذلك لسوء عيش القرى فليس فى القرى إلا صحة الأجسام وصفاء النفوس وجلاء النظر وراحة الفكر ، بل لأنه لا يجد فى القرية (قهوة) ندياً فاسد الهواء مسدود الأبواب ، يجتمع فيه مائتان أو ثلاثمائة على نفخ الدخان ، وقرع النرد ، وحديث كأنفه ما يكون من الحديث ، ونكات كأثقل ما يكون من النكات – ولو أن الشباب ألفوا المغامرة وركوب الأهوال ، لما كان من ذلك شىء

ومرت أيام ثم لقينى الأستاذ الرواف كرة أخرى فقال لى : هلم فقد تقرر موعد السفر

فأسقط فى يدى ووقعت بين مشكلتين : مشكلة الوعد ، ومشكلة الوظيفة . فلا أنا أستطيع أن أضحى بوظيفتى ومنها معاشى ومعاش أسرتى ، ولا أنا أستطيع أن أخلف وعدى . ولو أنى وعدت غير الشيخ ياسين لهان الأمر ، ولكن الرجل نجدى سلفى لا يعرف من كلمة نعم إلا أنها وعد مبرم لا يحله إلا الموت؛ فاخترت الوفاء ولو خسرت الوظيفة وقلت له : أنا حاضر !

ثم يسر الله فسمحت لى الوزارة بالسفر ، وذهبت أعد الجواز. وجعلنا كلما أزمعنا السفر ، وودعنا الأهل والأصحاب ، عرضت لنا الموانع ، فأخرتنا حتى ضجرنا واستحيينا من الناس لكثرة ما نعزم ثم نقعد ، وكان أكثرنا قد أقلع عن حلق لحيته ليوفرها ، ويجمع منها لحية كبيرة ، لما ظنوه من أن الرجل هناك بلحيته ، فكلما كان أطول لحية كان أعلى مقاماً . . . فكانوا يأسفون عليها ويضنون بها على الحلق ، ويستحيون أن يواجهوا الناس بها ، لأن هذا الزمان جعل المعروف من السنة منكراً يستحيا منه ، والمنكر من البدعة معروفاً يفتخر به . ولبثنا على ذلك أياماً ، ثم عزمنا العزمة الأخيرة ، فبيّتنا ثقلنا فى المرأب (الكاراج) حتى نغدو مسافرين . فلما حملناه وراءه أصحابنا وجيراننا ، جاؤوا يودعوننا الوداع السابع ونحن لا ندرى أهو الوداع حقاً ، أم سنقيم بعده أياماً وليالى أم لا نسافر أبداً

كنا فى المرأب مع الفجر ، وجعلنا ننتظر حتى طلعت الشمس ، وكان الضحى ، وأذن الظهر ، وكان العصر ، فأيسنا ، وهممنا بالانصراف ولكن السيارات حضرت ، وتحقق الرحيل ، وكانت أربعاً من طراز (البويك) وواحدة من (الناش) . وقد رفعوا على السيارة الأولى علماً سعودياً ، وعلقوا فى صدرها لوحة كتبوا فيها « الوفد السوري لاكتشاف طريق الحج البرى » . وسرنا وسار وراءنا المودعون فى قطار من السيارات الكبيرة ما له آخر يعرف ، حتى لقد ظننت أنهم لم يدعوا فى البلد سيارة إلا استاقوها ، واخترق الموكب المدينة مهللاً مكبراً تهتز له الأرض ...

ولم أكن قد أيقنت بالسفر إلا فى تلك اللحظة . فلما تصورتنى كيف أفارق أهلى وموطنى ، وأطوح بنفسى فى هذه الصحراء

النقـــد الرخيص

للأستاذ محمد محمد المدني

لا شك أن النقد أمر لا بد منه فى قضايا العلم والبحث ، وأنه ما دامت العقول المفكرة ، والأقلام الكاتبة ، فلا بد أيضاً من الآراء المتضاربة !

ذلك أن الناس يختلفون فيما يُصدرون عنه اختلافاً شديداً تبعاً لاختلاف حظوظهم من العلم والعقل والتفكير ودرجة التأثر « بالعرف الطائفى » و « البيئة الخاصة » :

هذا كاتب يستطيع ـ حين يعالج موضوعاً من الموضوعات ـ أن يُخلص للحق فيه أكثر من إخلاصه لأى شىء سواه ، فتراه يخلع ما عسى أن يكون له من آراء كوَّنها لنفسه باعتباره عضواً فى بيئة خاصة ، أو متأثراً بظروف معينة ، بل كوَّنتها له هذه الظروف وتلك البيئة من حيث لا يشعر ؛ فإذا خلع هـذه الآراء وتحلل منها — ولو مؤقتاً — ولم يجعل لها سلطاناً على تفكيره ، ولا أثراً فى طريقة بحثه ، استطاع أن يصل إلى النتيجة التى يبتغيها وهو أبعد عن مزالق الخطأ ، وآمنُ من مواقع الهوى !

أما إذا فرض الكاتب على نفسه ثقافة معينة أياً كانت قيمتها فسلَّم بقضاياها ، واطمأن إلى عرفها ، واستراح إلى أحكامها ، ثم تناول ما يريد من بحث على هذا الأساس ؛ فقلما يصاحبه التوفيق أو يصادفه النجاح ، لأنه إذا صادفه فى أثناء بحثه ما يخالف هذه القضايا التى آمن بها واطمأن مقدماً إليها ، نفر منه وضاق صدراً به فاضطرب لذلك ميزان تفكيره واختل معيار منطقه !

ولا تجد شيئاً أضر على العلم ، ولا أسوأ أثراً فى العقل ، ولا أشد إفساداً للرأى ، من التعصب وإدخال « الطائفية » فى مجال البحث والنقاش . ذلك أن العلم والعقل والرأى ليست وقفاً على طائفة من الناس دون طائفة ، وليس أحد أولى بأن يزعمها لنفسه من أحد ، وليس لمنصف أن يحكم فيها عرفاً دون عرف ، أو ثقافة دون ثقافة ، وإلا خرج عن دائرتها ، وتحلل من منطقها !

ومن هنا يأتى النقد ، ومن هنا أيضاً تختلف قيمته ، فيكون بعضه غالياً ثميناً ، وبعضه مبتذلاً رخيصاً . وتختلف كيفيته ، فيكون بعضه هادئاً نزيهاً ، وبعضه هائجاً سفيهاً ! وكل ذلك بحسب اختلاف معينه الذى فاض عنه ، أو إنائه الذى نضح به !

ففى ناحية التفكير الرشيد ، والعقل المتزن ، والعلم الموثوق به ، تجد النقد الهادئ ، والرأى السديد ، والأسلوب الراقى ، واللفظ المهذب ! وفى ناحية التفكير القاصر ، والأفق المحدود ، والعلم الذى هو أشبه بالجهل ، تجد النقد الهائج ، والرأى الفطير ، والأسلوب الوضيع ، واللفظ البذىء !

ولهذا وذاك أمثلة فيما يطلع به الناقدون على الكاتبين من نقد أو اعتراض ، وفيما تجرى به حركاتهم وألسنتهم من فعل أو قول . ولو شئنا لمثلنا هنا بما نعرف فلا سودت وجوه ، وابيضت وجوه ! ولكننا نعرف أن الموازنة على هذا النحو تؤلم نفوساً لا نحب لها أن تألمَ ، وتقضُّ مضاجع عزيزاً علينا أن تُقض ، فحسبنا أن نحمل على ذلك علامة يلمح بها ما نريد أن نصاحبه ، ولا نريد أن نفضحه ، من « النقد الرخيص »

إذا أردت ، أيها القارئُ الكريم ، أن تعرف قيمة النقد فانظر إليه ، فإن وجدت صاحبه يبحث فى الجوهر واللباب ، دون العرض والقشور ، ويطيق أن يشرح بالحق صدراً ، ويعترف به جهراً ، فى أسلوب عفيف ، ولفظ مهذب ، فذلك هو « النقد الثمين »

المخيفة ، استعبرت . وكنت أطلّ على بردى ، وهو يجرى زاخراً فأتأمله ، فأجده أحلى فى عينى مما كان ، وأحب إلى نفسى ، وعزّ علىّ أن أفارقه ، واستفاقت فى ذهنى مئات من الذكريات ، وكرّت علىّ حياتى كلها كأنها (فِلْم) أراه ، فأبصرت فى كل بقعة من دمشق ، وكل طريق من طرقها قسماً من حياتى ... وهل حياة المرء إلا فى قلوب أصدقائه ، ووجوه أصحابه ، وجوانب داره ، ومشاهد بلده ؛ فإذا فارق أهله ، وغادر بلده ، إلى بلد لا يعرفه ، وأهل لا يألفهم ، فكأنما مات نصف ميتة . ومن أجل ذلك كانت الهجرة جهاداً فى سبيل الله ، ذلك لأنها لون من ألوان الموت ، ولكن صاحبها ميت يعيش ليتألم ، والميت مات فاستراح

واستغرقت فى هذه الأفكار فما صحوت إلا والموكب قد بلغ (بوابة الله) ووقف فى ظاهر دمشق ، ولم يعد موكباً وإنما صار طوفاناً من البشر ، ولجّاً طامياً من الناس ، وكان من ثقله يزحف زحفاً ، ويكبر فيزلزل الأرض ، ويهتف فيشق عنان السماء ، فلما بلغ (البوابة) وقف للوداع ...

(لها بقايا)

علي الطنطاوي

وإن رأيت صاحبه يشغل الناس بغير الحديث، ويهرب من مواجهة الحق، ولا يُكرّم قلمه أن يسيل بالألفاظ النابية، والكلم الجافية، كأن يرمى الذى ينقده بالجهل، وسوء النية، والملق، والضعف، والعقوق، والفسوق، وغير ذلك من الأوصاف، فاعلم بأن هذا هو « النقد الرخيص »

وإنما كان كذلك لأنه لم يكلف صاحبه جهداً، ولم يتقاضه تفكيراً ولا تعباً، فقصاراه أن يكون مجموعة من القول السيئ لُزّت فى قَرَن، ثم قَذَف بها صاحبها فى وجوه الناس، فأبت إلا أن تعود إليه لتلتصق به!

وقد عنى القرآن الكريم بأن يرسم للناس طريق الأدب فى هذا المجال واضحاً، وأن يضرب فيه الأمثال، والله بكل شيء عليم!

« ولا تستوى الحسنة ولا السيئة، ادفع بالتى هى أحسن، فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم، وما يُلقاها إلا الذين صبروا، وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم »

« ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء. تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها، ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون؛ ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار »

« أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادلهم بالتى هى أحسن، إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين »

وينبغى على كل حال أن يغتبط الكاتب ذو الفكرة بما يتطاير حوله من سهام النقد، أو يثور عليه من غبار الاعتراض، فإن ذلك دليل واضح على أن فكرته قد وضعت موضع النظر، وأنها جديرة بالأخذ والرد والمناقشة والجدال

أما الفِكَرُ الهزيلة الساقطة فهى التى تولد فلا يحس بميلادها أحد، وتموت فلا يشعر بفقدها أحد، وصاحبها فى الحالين منمورٌ مغمور!

وينبغى أيضاً أن يكون الكاتب - مع اغتباطه بما يرى من الاهتمام بفكرته - مترفعاً محتفظاً بمستواه، فلا يغريه إخلاصه للفكرة، وتفانيه فى الذود عنها، بأن ينازل غير الأنداد، فيجادل فيها الوضيع كما يجادل الرفيع، ويناقش الجاهل كما يناقش العالم، ويعامل المكابر المعاند بما يعامل به المستوضح المتثبت، ويسوى بين « النقد الرخيص » و « النقد الثمين » فإن فى الناس من يجعل ذلك حيلة، ويتخذ منه وسيلة، ليطير ذكره ويذيع اسمه. فليحذر الكتاب هذا النوع من الناقدين وليفوتوا عليهم قصدهم، ويعكسوا - بإهمالهم - غرضهم!

وفى مثل ذلك يقول بشار بن برد: « هجوت جريراً فأعرض عنى واستصغرنى، ولو أجابنى لكنت أشعر الناس! »

وقد اعتذر مسلم بن الوليد عما ترك من هجاء دعبِل الُخزَاعى بأنه ليس كفئاً لهجائه، وأن عرضه أدقّ من أن يُهجى، فهو يتركه لهذا العرض الدقيق. قال:

أما الهجاء فدقّ عِرضُك دونه ... والمدح عنك كما علمت جليل
فاذهب فأنت طليق عرضك إنه ... عِرضٌ عَزَزْتَ به وأنت ذليل!

وكما ينبغى للكاتب أن يحتفظ بهذه المنزلة الكريمة لنفسه، ينبغى له أن يحتفظ بمثلها للمنبر الذى أشرف على الناس منه، فإذا كتب كاتب فى « الرسالة » مثلاً فعليه ألا يشوّه جمالها بما يَرُدُّ فيها على « النقد الرخيص » يُنشر فى غيرها

تلك شرعة النقد والكتابة عندى، وأنا أولى بأن أطبقها على كل من نقدنى فأسرف

فيأيها الذين نقدتم فأسرفتم، ويأيها الذين نبا بكم القلم حين كتبتم: اذهبوا جميعاً فأنتم الطُّلَقَاء!

محمد محمد المدنى

المدرس بكلية الشريعة

كفاءة هتلر الخطابية

للأستاذ عباس محمود العقاد

[يصدر فى هذا الأسبوع كتاب جديد لصديقنا الأستاذ الجليل عباس محمود العقاد عنوانه «هتلر فى الميزان» ، وهو دراسة تحليلية مستفيضة لهذا الطاغية الشاذ بلغت مائتين وأربعين صفحة فى خمسة فصول وعشرات من الموضوعات شملت نواحى هذه الشخصية التى بلبلت العالم وزلزلت الأرض. ويسرنا أن نبادر فنقدم إلى قراء الرسالة هذه الصفحات من هذا الكتاب القيم لنعجل لهم بعضاً من لذته ، ونعرض عليهم وجها من طريقته]

فى كل شهرة خطابية منافذ للمبالغة والإطناب لا بد منها فى كل زمان ، وفى زماننا الحاضر خاصة

ومنافذ المبالغة والإطناب هذه تأتى من مصادر متعددة : بعضها برىء وبعضها متهم ، ومنها المقصود المدبر ، ومنها الذى يحدث على غير قصد وتدبير

فأول مصادر المبالغة والإطناب جمهور السامعين ، وهم كدأب الجماهير يحبون أن يتأثروا وأن يخلقوا لأنفسهم دواعى الحماسة والمغالاة ، وأن ينوموا أذهانهم تنويماً يسهل لهم أن يعتقدوا ما يحبون اعتقاده ، وأن ينساقوا فى موجة من الشعور لا تطيق الحدود ، ولا تقف دون الإعجاب الكامل . لأن الوقوف عند حد من الحدود المعقولة يفسد الحماسة . وليس إفساد الحماسة مما تطيقه الجماهير

وهى ، أى الجماهير ، طبقات فى هذه الخليقة: ترتفع أو تهبط، وتعتدل أو تجمح مع الشطط ، على حسب موقفها من الخطيب وموضوع الخطابة

فإذا كان موضوع الخطابة نعرة قومية أو شهوة عدائية يشترك فيها الخطيب والسامعون ، فالجمهور فى هذه الحالة على استعداد للحماسة والإطناب بغير مقدرة كبيرة فى الخطيب

وإذا كان السامعون مرؤوسين لذلك الخطيب ، أو أتباعاً متشيعين لحزبه ، يكرهون النقض منه لأنهم يحسبونه غضاً منهم ، ويحبون إكباره لأن كبره منسوب إليهم ، فهم إذن أكثر استعداداً للحماسة والإطناب

وإذا كانوا فوق هذا صغاراً ناشئين يفورون بحرارة السن الباكرة فأحرى بهم وهم جماعات وجماهير أن يستسلموا لما يسمعون، وألا يجشموا الخطيب معجزة الإبداع ، ليستجيش بها قلوباً هى من قبل ذلك لا تهدأ من الجيشان

فأدنى الجماهير إلى التسليم هو جمهور صبية ناشئين يصغون إلى زعيم يفخرون به فخر العصبية ، ويسمعون منه صيحة الكبرياء الوطنية ... وهذا هو جمهور هتلر فى جميع المواقف ، إلا القليل الذى لا يذكر

وقد شهد الناس فى مصر مجامع يحتشد لها السامعون زرافات زرافات من جميع الطوائف والأسنان ، ليسمعوا كلاماً يملونه ويحفظونه ، من خطيب لا يعجب السامع بصوته ولا بإيمائه ... بغية الاجتماع فى الواقع لا بغية الاستماع

ثم تتكرر الدعوة ويتكرر الإقبال ويتكرر التصفيق الذى لا باعث إلا الرغبة فى شىء يثير الشعور ويدفع السآمة و « يبرر » للجمهور وجوده وسعيه وانتظاره ، ويريحه من الحكم على « وجوده » بالفناء . والفناء كريه إلى كل موجود ، جمهوراً كان أو غير جمهور !

وفى وسعنا أن نشهد كل يوم حشداً من الناس يبذلون من مالهم ليستمعوا إلى ممثل مضحك مشهور فى دور من الأدوار . فما هو إلا أن يلفظ الكلمة الأولى حتى ينفجر السامعون بالضحك والقهقهة . وربما سأل أحدهم جاره : ماذا قال ؟ بعد أن يكون قد ضحك مع الضاحكين !

فالمصدر الأول للمبالغة والإطناب فى شهرة الخطباء هو أبرأ المصادر وأخلاها من الغش وفساد الذمة ، وهو دفاع الجمهور عن وجوده حيث انتظم له وجود

* * *

والمصدر الثانى وسط بين البراءة والاتهام ، وبين الاندفاع والتدبير : وهو مصدر الرواة وكتاب الأخبار

فإن الصحيفة الإخبارية لتتعمد التهويل والإغراق فى وصف حادثة هينة لا تستحق الالتفات إليها . لأنها تريد من القراء أن يلتفتوا ؛ وتعيش من التفاتهم إلى ما تكتب ، لا من تعويدهم أن يهملوا الأخبار التى تستحق الإهمال

والكاتب الذى يسافر ألف ميل لينقل خطبة يلقيها أحد الزعماء فى يوم مشهود مرتقب المصير من الغرب إلى الشرق قد يفقد وظيفته إذا قنع بما دون السحر والإعجاز فى وصف ما سمع وما رأى،

وما لبث الناس ينتظرونه ويتكهنون به متشوقين متلهفين !

وقد تتفق الرواية الأمينة فى الصحيفة الرصينة فيقرأها العارف المسئول ويعرض عنها طالب المناظر والعناوين ، ممن ينظرون إلى مسرح السياسة كما ينظرون إلى مسرح التمثيل ، وهم جمهرة القراء والنظارة فى كل مكان ، فيتواتر النبأ المبالغ فيه ، وينقطع النبأ الذى يحرص على الصدق والأناة ، وينتهى الأمر برواج الكذب والتلفيق ، وبالشك فى الصدق والأمانة .

فبالغة السامعين ومبالغة الرواة ملازمتان لكل شهرة سياسية فى كل زمان ولا سيما زماننا الحاضر : زمان النشر والإذاعة ، وزمان التشوف إلى الجدة والغرابة ودفع الملل والسآمة

***

ويأتى بعد مبالغة السامعين ومبالغة الرواة مصدر آخر من مصادر التهويل فى الشهرة الخطابية قائم على النية السيئة والخطة المرسومة ، ونعنى به مصدر الدعوة المسخرة والأقوال المأجورة ، وهو سلاح يعتمد عليه النازيون خاصة فوق اعتمادهم على سلاح الميدان

وجميع هذه المبالغات قد بلغت فى تعظيم شهرة الزعيم النازى أقصى ما يتاح لشهرة أن تبلغ على الإطلاق : فاهتمام النازيين بالدعوة المسخرة قد جاوز كل اهتمام وجمهورهم أقرب الجماهير إلى التسليم والاستسلام ، وحملة الأقلام ما فتئوا عدة أعوام يتنافسون فى إشباع نهمة القراء بين جميع الأقوام

***

فمن الطبيعى إذن أن تكون حقيقة هتلر الخطابية أقل كثيراً من شهرته التى أذاعها الدعاة والصحفيون والسامعون من أتباعه ومريديه ، وأن يدخل فى حساب شهرته كثير من المبالغة والاختراع و « الإخراج »

ونحن فى عصر نسمع فيه الخطباء ونراهم على بعد ، ونحكم على المتكلم فى برلين أو موسكو أو واشنطون حكم راء وسامع ، فما على المذياع ولا على الصور المتحركة من بعيد

وقد رأينا هتلر وسمعناه

فهو ولاشك خطيب مبين ، ولكن لا شك كذلك أنه ليس من ملوك الكلام فى عصرنا الحاضر ؛ وأنه لا يعد من طبقة الخطباء الذين يخاطبون كل جمهور ويتكلمون فى كل قضية ويروضون عصى الأسماع ، ولا نخاله يحسن القول بضع لحظات فى موضوع غير الموضوع الذى يقلبه منذ عشرين سنة ، أو بين أناس غير الذين يوافقونه فى الجملة ، ولا يخالفونه ـ إن خالفوه ـ إلا فى التفصيل

فليس هو فى إفاضة بريان ، ولا فى بادرة لويد جورج ، ولا فى مهابة سعد زغلول

ولكنه أقرب إلى الممثل الذى كرر دوره حتى حفظه ووعاه ووقع فريسة له فلا يقدر على تبديله

تخيله مثلاً غير غاضب ، أو غير متكلم فى مظالم ألمانيا المزعومة ، أو غير مطمئن إلى آذان سامعيه

وتخيله واقفاً فى لندن أو فى موسكو أو فى القاهرة يفاجئ السامعين على غير معرفة باسمه ، ولا عهد بموضوع كلامه

إنه إذن ضائع لا محالة

وعيبه الأكبر أنه لا يُقنع ولا يقيم الدليل ، وأنه ما خرج قط على عادة واحدة تتردد فى جميع مواقفه وموضوعاته ، وهى إثارة الحفائظ وإضرام الكراهية ومواجهة السامعين من جانب الشعور المتفق عليه بينه وبينهم . . . وفيم اجتهاده فى إقناع من هو قانع ؟ وإيمان من هو مؤمن بغير برهان ؟

ومرجع هذه العادة عنده إلى علل كثيرة : بعضها أصيل عالق بطبعه ؛ وبعضها حديث طارئ عليه من حوادث حياته وعصره

فالحديث الطارئ عليه هو هذا الذى ذكرناه ؛ وهو أنه تعوّد فى أيامه الأخيرة على الأقل أن يخاطب أناساً لا يحاسبونه ولا يجسرون على حسابه ، ولعلهم لا يريدون أن يحاسبوه لاتفاق الشعور بينهم وبينه

والأصيل العالق بطبعه أنه فقير فى العاطفة الشخصية ، غنىّ فى العاطفة الشعبية أى العاطفة التى تربط بين الفرد والجماهير

والعاطفة الشخصية هى التى تربى عادة المساجلة والمحادثة ، ومواجهة العقل للعقل ، والنفس للنفس ، والإصغاء فى موضع الإصغاء ، والإثبات بالحجة الصادعة فى موضع الإثبات

فالرجل المفطور على عاطفة يساجل بها العواطف ، وفكرة يقابل بها الأفكار ، يقول ويسمع ، ويستميل الفرد بالوسائل التى يستمال بها الأفراد ، مرة بالإيحاء ، ومرة بالدليل ، ومرة بالشرح المفهوم ؛ وفى كل مرة بتبادل الثقة والاعتراف بحق المناقشة والاعتراض

أما الرجل الذى نضبت نفسه من جانب العاطفة الفردية ، والذى ليس عنده ما يتبادل به مودة بمودة أو فهماً بفهم أو خاطراً

بخاطر ، والذى انقطعت جميع الوشائج بينه وبين إخوانه من أبناء آدم إلا الوشيجة التى تكون بين الواحد والألوف أو بين الداعية والجمهور — فذلك رجل محدود القدرة على التحدث والتفاهم وعلى الإصغاء والإقناع ، محتومٌ عليه أن يجد جمهوراً يستمع له ويكتفى منه بالاستماع ، أو أن يتخيل نفسه قائماً بين جمهور وإن كان فى مجلسه أفراد قليلون

لهذا اشتهر هتلر بالتدفق فى أحاديث السياسة ساعة بعد ساعة دون أن يقف أو يتمهل أو يسأم التكرار . فإن لم يتدفق فى أحاديث السياسة ، فهو بين حكاية نادرة ، أو إعادة ملحة مطروقة أو سرد تاريخ قديم ؛ فإن لم يكن هذا ولاذاك ، فليس فى مجلسه إلا السكوت والوجوم

فهتلر الفَردُ « معدوم »

أما هتلر الموجود ، فهو البوق الذى ينفخ فى الجماهير أو يردد صدى الجماهير

وانظر إلى صوره وهو فى مواقف التفاهم والتحادث تر أمامك صوراً فاترة باهتة تنطق بالتكلف ونقص الحياة وتبث فى نفس ناظرها الريبة والنفور

أما الصور التى يحيا فيها وتلبسه الحركة والشدة ، فهى الصور التى ينقطع فيها التفاهم ويثور فيها الغضب وتتأجج فيها البغضاء .

وماذا ترى فى هذه الصور ؟

إن الخطباء الحاسيين جميعاً ليغضبون ، وأنهم جميعاً ليحركون الغضب فى الجماهير

إلا أن الفرق بين غضب وغضب لفرق عظيم ، وإن الاختلاف بين حماسة وحماسة ليفوق الاختلاف بين القوة والمرض ، وبين الجلال والهوان

رأينا سعد زغلول وهو غاضب فى خطبه ، فرأينا غضباً كأنه السيف يصول به الفارس على قرنه ، ويعرف كيف يصول

ورأينا هتلر وهو غاضب فى خطبه ، فماذا رأينا ؟ رأينا غضباً كأنه الدمل المفتوح ينفّس عن ضغينة كامنة كأنها القيح المحبوس ، فهو فرصة للألم والتذاذ الألم فى وقت واحد ، وهو علاج للتنفيس عن داء ، وليس بالسيف فى أيدى الأقوياء

هو نوبة مصروع وليس بوثبة صارع

وهو منظر تزورُّ منه العيون ، وليس بمنظر تود العيون أن تمتلئُ منه

وهو رقصة المهجى فى حومة الدم أمام أوثان النقمة والتشفى ، وليس برقصة الفارس فى حومة البرجاس

وقد جمعنا فى هذه الصفحات صوراً عدة لهتلر وهو يخطب ، أو وهو يغضب ، لأنه فى الحقيقة قلما يخطب إلا ليغضب . فأية صورة من تلك الصور يا ترى يستطيع القارئُ أن يكتب تحتها مثلاً : « هذه صورة هتلر يزأر أو يزمجر ؟ »

إن هـذا الكلام ليكتب تحت صور كثيرة لمصطفى كمال أو لسعد زغلول ، ولـكن هتلر — على عنايته بصوره واتخاذه رساماً خاصاً يتبعه فى جميع المحافل ويوزع فى أقطار العالم ألوف الصور بل عشرات الألوف منها — لا توجد له صورة واحدة تخيل إلى الناظر هيئة الأسد المزمجر أو الأسد الناضب ، وكلها بلا استثناء مما يصح أن يكتب القارئُ تحته : « هتلر يعوى » أو هتلر « يلطم » ... ولا جناح عليه

* * *

ومن المعقول أن رجلاً كهذا يحب حلقات الخطابة التى يتزين فيها الشياطين غروره وحقده كما تتزين المرأة المجنونة لشياطين الزار ، ويستريح فيها للهياج والتهييج كما تستريح تلك المرأة لصرعة الرقص وجلبة الطبل ورؤية الذبائح وهى تتخبط فى الدماء

ومن المعقول جداً أن يكره مواقف المفاوضة والتفاهم لأنها تطلعه على عجزه وتكشف له عن خواء طبعه ، وتخرجه منها وهو فى رأى نفسه أقل ممن حوله ... إلا أن يلجأ إلى التهديد بالحرب كما يفعل فى معظم أحاديثه ، فهو إذن فى موقف الإملاء وليس فى موقف المفاوضة والإقناع

وقد سجلت كلماته فى المفاوضات التى دارت بينه وبين سفراء الدول ورؤساء الحكومات ، فإذا هى عبرة العبر وأضحوكة الأضاحيك لا يكون فيها إلا ممثلاً يراوغ ، أو مهدداً يتوعد ، أو منكراً لما يقال على طريقة الأطفال والنساء الجاهلات : إنى أنكر هذا لأنى أنكر هذا ، ولا مزيد ...

ناقشه مستر شامبرلن رئيس الوزارة الإنجليزية فى الشروط التى فرضها على حكومة براغ ، وأوجب عليها فيها أن تخلى الأرض المطلوبة وأن تبدأ الإخلاء فى الساعة الثامنة من صباح السادس والعشرين من شهر سبتمبر (١٩٣٨) وأن تتمه عند انتهاء اليوم الثامن والعشرين

فقال له مستر شامبرلن إن هذا إملاء « إنذار نهائى » بغير حرب ، وبغير هزيمة على أمة قبلت المطالب وقبلت الاحتلال

واختار شامبرلن كلمة « إملاء » عمداً لأن هتلر يذكرها كلما ذكر معاهدات الصلح ومعاهدة فرساى على الخصوص ، ويعتبرها موجباً لفسخ تلك المعاهدات

فما زاد هتلر على أن قال : « كلا . ليس هو إملاء » . وأشار إلى رأس الورقة قائلاً : « أنظر ... إن الورقة مكتوب عليها كلمة مذكرة ... »

وهو كلام يقال للابسى القمصان فى ساحة الخطابة فيقبلونه ويسيغونه ، ولكنه لا يقال فى مفارضات وزراء وسفراء

فالخطابة هى الميدان الذى يغلب فيه هتلر بهذا الأسلوب ، ولن يغلب به فى ميدان آخر

وقد حذق من الخطابة ما يُحذق بالمرانة ومساعدة السامعين المستعدين للإصغاء والتصديق وأهمه تدفق الكلام وسهولة التعبير

ولم تزوّده الطبيعة من أدوات الخطابة الفطرية إلا بزاد واحد وهو انقطاع الصلة النفسية بينه وبين الأفراد واضطراره من أجل ذلك إلى مواجهة الجماهير للشعور بالحياة ونشاط الإحساس . ومتى نشطت نفسه ودبت الحركة إلى ذهنه فلا يندر أن يلهمه الموقف بعض الخواطر البارعة التى يمثل بها أعداءه فى صورة مزرية ، أو صورة تستفز السخط والامتعاض ، وكلها من ولائد الكراهية وليس فيها صورة واحدة وليدة عطف أو عناية بالآخرين

ويختلف الناقدون فى صوته اختلافاً لا يتبين الحقيقة فيه من يسمع الصوت منقولاً بالمذياع ، وهو ينقل بعض الأصوات على أصلها ويعرض بعضها للتحريف وبعضها للتحسين

فمن الناقدين من يعيبون على صوته خشونة تصك الآذان ، ويقولون إنه أجرى العملية الجراحية فى حنجرته لإصلاح هذا العيب

ومنهم من يعجب بما فى صوته من العمق ورنة التجويف ، ويعده من أصلح الأصوات الخطابية لنقل الشعور الجارف والتهويل على السامعين

وسواء كان العيب الذى يعيبه أولئك الناقدون صحيحاً أو غير صحيح فالمهم فى صفات الأصوات أن تؤلف بالتكرار ، وأن يكون لها طابع ولون معروف ، وعندئذ قد يصبح العيب حلية مرغوباً فيها مع النجاح والتوفيق .

عباس محمود العقاد

من أدب الحرب

جبان يصف معركة

للأستاذ محمود الدسوقي

« هذه القصة تصوير صادق لما يعتلج في نفس الجندي في غمرة الحرب ، وما يقع في سمعه وتحت بصره من هول وكرب ، يفقدانه شجاعته أحياناً ، ويشحذان عزيمته أحياناً أخرى ؛ فإما أن يهرب كما فعل راوي هذه القصة ، وإما أن يؤدي واجب الوطن على الوجه الأكمل كما فعل رفاق له . وهذه الصورة بعض ما وقع في أوائل حرب السنوات السبع التي شن غارتها فردريك الأكبر ملك بروسيا على ماريا تيريزا امبراطورة النمسا وحليفاتها فرنسا والروسيا والسويد وأسبانيا والريخ الألماني في سنة ١٧٥٦ ، وكانت سجالا في الغالب بينه وبين أعدائه »

قال البروسي الفار :

وأخيراً في الثاني والعشرين من سبتمبر (١٧٥٦) أعلن النفير وتلقينا الأمر بالمسير ، فسرت الحركة في كل شيء ، ونفض في بضع دقائق معسكر واسع مترامي الأطراف كالمدينة العظيمة بجوبه في ساعات . وشددنا الرحال وتأهبنا للمسير ، وصدر الأمر بالتقدم وانحدرنا إلى الوادي ، وأقمنا عند برنا[1] جسراً ، وشققنا فوق المدينة قبالة معسكر السكسونيين طريقاً ينتهي أحد طرفيه بباب برنا . وكان الكثيرون من أسرى السكسونيين يصعدون منه إلى الجبل متنزهين أربعة أربعة ، ويلقون على امتداد الطريق الطويل شتماً وتعريضاً لاذعاً لا مفر لهم من سماعه . وكان بعضهم يقبل من تلك الناحية حزيناً مطرق الرأس ، وآخرون يقبلون عليهم سيماء التحدي والقسوة ، وفريق غير هؤلاء وأولئك تعلو وجوههم ابتسامة تأبى أن تترك للبروسيين الساخرين ديناً بلا سداد . في ذلك اليوم قطعنا قطعة أخرى من الطريق وعسكرنا في ليلينشتاين

وفي الثالث والعشرين كلف آلايبنا بحماية عربات المؤن . وفي الرابع والعشرين قمنا بزحف مضاد ، وبلغنا ليلاً وفي الضباب مكاناً لا يعلمه إلا الله . وفي الخامس والعشرين استأنفنا المسير مبكرين وقطعنا إلى أوسيج أربعة أميال ، وهنا أقمنا إلى التاسع والعشرين نخرج كل يوم للاستطلاع ، وتهاجمنا غالباً في أثناء القيام بهذه المهام جنود الامبراطورة ، أو يدهمنا من كمين وابل من الرصاص فيسقط غير واحد قتيلاً ، ويتخلف جرحى كثيرون . فإذا ما صوبت مدفعيتنا بضعة مدافع نحو الكامنين ولى العدو الأدبار . ولم تكن هذه المصادفات تخيفني فسرعان ما ألفتها ، فكنت أقول لنفسي : إذا دام الأمر على هذا المنوال لا يكون علينا منه ضير يذكر . وفي الثلاثين عاودنا الزحف طيلة النهار فلم نصل إلا ليلاً إلى جبل لا يعرفه منا أحد ، ولا يدري من أمره من هم على شاكلتي إلا ما يدري الضرير . وتلقينا في تلك الأثناء أمراً بألا نقيم هنا خياماً وألا نلقي بنادقنا ، بل نظل متأهبين على قدم وساق ، إذ كان العدو على مقربة منا . فلما أصبح الصباح رأينا وسمعنا أخيراً ما كان يجري تحتنا في الوادي من ومض وقصف شديدين . وفي تلك الليلة المزعجة فرّ كثيرون من الصفوف وفي جملة من فروا الأخ بامخان . ولم تكن الفرصة قد سنحت لي بعد ، وإن كنت إلى ذلك الحين لم يزايلني الاطمئنان

واصطففنا في الصباح الباكر لننحدر من واد صغير ضيق إلى الوادي الكبير ؛ ولم نكن نستطيع تمييز الأشياء من كثافة الضباب . فلما بلغنا السهل أخيراً وتقدمنا إلى الجيش الكبير كنا نزحف في ثلاث كتائب . واستبنا من خلال الضباب المنتشر كالسحاب جنود العدو في هضبة فوق مدينة لوبوستس في بوهيميا وكانوا من فرسان الامبراطورة . أما مشاتها فلم تقع أعيننا عليهم إذ كانوا يرابطون في المدينة . وفي الساعة السادسة قصفت المدافع من كتيبتنا الأمامية كما قصفت بطاريات الامبراطورة قصفاً بلغ من شدته أن كانت قنابلها تصل إلى آلاتيا ، وكان في الكتيبة الوسطى . وكنت إلى ذلك الحين أمني النفس بالهرب ، فلما وقعت الواقعة عز عليّ الهرب وانسدت في وجهي المسالك جميعاً . وكنا نزحف في تلك الأثناء بلا انقطاع ، فلم تلبث شجاعتي أن زايلتني ، وكنت خليقاً أن أتسلل إلى بطن الأرض . ذلك أن خوفاً كالذي كان يتملكني كان يخلع على وجهي شحوب الموت ، وكان يُقرأ على سائر الوجوه حتى وجوه أولئك الذين عهدتهم مرحين لا يبالون . وكانت قناني الشراب الفارغة – ولكل جندي منها واحدة – تتطاير تحت وقع القنابل ، فإن أغلبنا كان قد أتى

(١) مدينة في مقاطعة درسدن من أعمال سكسونيا

على آخر جرعة فى قنينته واستمد منها شجاعته فى ذلك اليوم؛ أما الند فقد لا تكون به حاجة إليها . وتقدمنا الآن إلى مرمى المدافع إذ كان علينا أن نتبادل الموقف وكتيبتنا الأمامية . فيا هول ما شهدت ! كانت كتل الحديد تئز فوق رؤوسنا، وتقع تارة أمامنا وتارة تنفـذ إلى الأرض خلفنا، فيتطاير اليابس والأخضر والكلأ والحجر! وتدهمنا أحياناً فتمزق أجسامنا وتذرو أعضاءنا كما تذرو الهشيم الرياح . ولم نكن نبصر قدامنا إلا فرسان العـدو تأتى بمختلف الحركات، فتارة تستعرض وتارة تستدير، وآناً تؤلف مثلثاً وآونة مربعاً تنتظم فيه . وتقدمت فرساننا أيضاً وكرت على العدو . فياله من وابل من الضربات يسقط مقعقعاً، وبمض خاطفاً! ولم تمض ربع ساعة حتى ارتدت فرساننا مدحورة وقد هزمها النمسويون وتعقبوها حتى مرمى مدافعنا . وهذا مشهد ما أجدر المرء بأن يشهده ! خيول يعلق فرسانها فى الركاب، وأخرى تجر أحشاءها على الأرض . وكنا فى تلك الأثناء ما نزال تحت نيران العدو حتى بلغت الساعة الحادية عشرة وجناحنا الأيسر لم يطلق رصاصة، على حين كان الأيمن يخوض المعركة ويصلاها . وظن الكثيرون أنه لا بد لنا من الهجوم حيث يرابط جند الأمبراطورة . ولم أكن إذ ذاك جزوعاً كما كنت من قبل، وإن كانت عفاريت الجيشين لم تفتأ تقتل عن كثب والميدان مغطى بالقتلى والجرحى . وإذ ينتصف النهار أو يكاد صدر الأمر إلى آلايناو اثنين معه بالارتداد، فقلنا لعله إلى المعسكر فنكفى القتال! وصعدنا مرتفعات الكروم بخطى حثيثة ونفوس مستبشرة، وملأنا قلانسنا من دوالى الكرم وأكلنا من أعنابها هنيئاً، ولم يخطر لى ولمن هم إلى جانبى سوء على بال، وإن كنا ما زلنا نرى من القمة إخواننا فى المعمة تحت النار والدخان، ونسمع قصفاً مرعباً فلا ندرى على التحقيق لمن كتب النصر . وكان قوادنا يقودوننا فى تلك الأثناء مصعّدين فى الجبل، ممعنين فى التصعيد إلى قمة شُق فى صخرها ممر ضيق . فلما بلغت طليعتنا القمة سمعنا الرصاص يطلق إطلاقاً مرعباً. فخزرنا آنئذ جلية الخبر، فإن بضعة آلاف من جنود الأمبراطورة قد كانوا تلقوا الأمر بالصعود إلى الجبل فى الجانب الآخر لينقضوا على جيشنا من خلف، فاتصل الخبر بقوادنا فكان أن ارتددنا نحن لنسبقهم ونفسد تدبيرهم، ولو قد تأخرنا بضع دقائق لبلغوا القمة قبلنا ولكنا من الخاسرين. ونشبت مجزرة لا توصف قبل أن نتمكن من إقصاء البندوريين[1] عن الغابة . وتكبدت مقدمتنا خسائر فادحة وانقضت مؤخرتنا لنجدتها حتى تم لنا احتلال القمة . وكانت جثث القتلى وأجسام الجرحى تؤلف تلاً تحت أقدامنا تتعثر فيه . وسرنا فى أعقاب البندوريين نجليهم عن مرتفعات الكروم درجة درجة ونقفز خلفهم من صخرة إلى صخرة حتى بلغنا السهل . وأطبق البروسيون الأصليون والبراندنبرجيون على البندوريين كالجن، وكنت أنا حين حمى الوطيس كمن به مس لا يجد الخوف أو الذعر إلى قلبي سبيلاً، فأطلقت طلقاتى الستين فى شوط واحد، حتى إذا أتيت عليها سخنت بندقيتى وباتت فى يدى كالجمر؛ فذهبت أجرها من نطاقها، وأحسبنى فى تلك الأثناء لم ألق إلى جانبى نفساً حية إذ كان الكل قد هرعوا إلى الهواء الطلق . واتخذ البندوريون مراكزهم ثانية فوق السهل قبالة لوبوستس على مقربة من الماء، وجعلوا يطلقون بنادقهم مستبسلين على مرتفعات الكروم حتى عض غير واحد قدامى وإلى جانبى فى الكلأ . وكان البروسيون والبندوريون يختلط بعضهم ببعض فى كل مكان، فمن وجد من الآخرين لا يزال يتحرك ضرب بالكرنافة على أم ناصيته أو طعن بالسنان . واستؤنف القتال بالسهل . ولكن أنى لامرىء أن يصف ما حدث والدخان والبخار يتصاعدان من لوبوستيس، والهد والرعد يصمان الآذان، والسماء والأرض تكادان تنطبقان!

أنى لامرىء أن يصف ذلك القرع المتواصل لمئات الطبول وذلك العزف الذى يمزق القلوب أو يشدد العزائم من موسيقى الميدان المختلفة الألوان، وتلك الصيحات المنبعثة من كثير من القواد، والزمجرة المرعدة من مساعديهم، وتلك الاستغاثة وذلك الاستصراخ المتصاعدين من آلاف مؤلفة من ضحايا اليوم الأشقياء المدوسين بالأقدام أنصاف الموتى! لقد كان هذا كله يذهل الحواس وكانت الساعة الثالثة ولوبوستيس تحت النيران وجنود مقدمتنا يطبقون على البندوريين كالأسود الكاسرة، فيقفز مئات كثيرة منهم إلى الماء والمدينة نفسها مسرح للفتك والطعان . فى هذه

(١) فرقة فى جيش الأمبراطورة ماريا تيريزا كانت مؤلفة فى حرب السنوات السبع من المجر والدلماسيين والصرب .

اللحظة لم أكن بطبيعة الحال فى الطليعة ، بل كنت فى المؤخرة لا أزال على جبل الكروم ، بينا الكثيرون غيرى كما أسلفت القول يقفزون فى حمية من درجة فى الجبل إلى درجة يبادرون إلى نجدة الإخوان . وإذ كنت لا أزال فوق المرتفع أطل على السهل ، كما لو كنت أطلع فى جو حالك مرعد يتساقط فيه البرَدَ ، قلت لنفسى : هذا أوانك قد آن ؛ أو قال لى على الأصح الملك الذى كان يحرسنى : اركن إلى الفرار !

فتلفت من حولى فإذا كل شىء أمامى نار ودخان وبخار ، ومن خلفى جنود كثيرون ما يزالون يهرعون للانقضاض على العدو ، وعن يمينى جيشان كبيران على أتم الأهبة للقتال ، وعن شمالى مرتفعات الكروم وأدغال وغابات ، وهنا وههنا بضعة من البروسيين والبندوريين والهوسار قد أربى تتلاحم على جراحهم ، فقلت : هنا ! هنا ! فى هذا الجانب وإلا استحال الأمر علىّ

فتسللت يسرة أخافت أول الأمر فى مشيتى أخترق الدوالى . وكان بعض البروسيين لا يزالون يمرون بى مسرعين ، فكانوا يقولون لى : عجل ! عجل ! أيها الأخ فالفوز لنا ! أما أنا فلم أحر جواباً بل تصنعت قليلاً أنى جريح ، وواصلت السير أرتعش من الخوف ما فى ذلك شك . وإذ أبتعد فى تلك الأثناء حتى لا قبل لأحد برؤيتى ضاعفت من خطوى وأممنت فى سيرى وغززت فيه ، وأنا أتلفت يمنة ويسرة كالصياد . وتطلعت من بعيد لآخر مرة فى حياتى إلى حصاد الموت وحومة الفناء ؛ ثم أطلقت ساقى للريح بجانب الغابة ، وكانت ملأى بقتلى الهوسار والبندوريين وجثث الخيل ، وعدوت عدواً سريعاً إلى النهر ، ووقفت عنده . فإذا بضعة من جند الامبراطورة الصابين الذين تسللوا مثلى من المعركة يصوبون إلىّ بنادقهم عند ما أبصرونى ويعاودون إلىّ التسديد مرتين أخريين غير عابئين ببندقيتى التى طرحتها ، وبقلنسوتى التى كنت ألوح بها وأشير الإشارة المألوفة . على أنهم لم يطلقوا النار ، فاعتزمت أن أعدو إليهم ولو لم أفعل لكانوا أحرياء بأن يطلقوا على النار كما علمت بعد ذلك . ولما جئتهم وقلت لهم إنى فار من الجيش ، أخذوا منى بندقيتى ، ووعدونى بأن يردوها إلى فيما بعد . . . لكن الذى استحوذ عليها لم يلبث أن اختفى بها على الأثر ؛ واقتادونى إلى القرية التالية وكانت تبعد ساعة كاملة من لوبوسنس ؛ وكانت لنا فى خلال ذلك جولة فى الماء وليس من نقالة سوى زورق واحد ، وصراخ الرجال وعويل النساء والأطفال يرتفع كلاهما إلى أجواز الفضاء ، فكل يريد أن يعبر أولاً خوفاً من البروسيين ، وكلهم يتصورونهم جد قريبين ، أو لعلهم بثيابهم عالقون ، ولم أكن فى جملة المتأخرين بل قفزت إلى وسط زمرة من النساء ، ولولا أن الملاح قذف بالبعض إلى خارج الزورق لبتنا من المغرقين ، وكان فى الضفة الأخرى مخفر بندورى رئيسى قادنى إليه من رافقونى فتلقانى ذوو الشوارب الشقراء تلقياً حسناً ، وقدموا إلىّ التبغ والشراب على الرغم من عجزنا البادى عن التفاهم ، وأنفذوا معى صحبة إلى ليتميرتز فيما أظن ، حيث قضيت ليلى بين بضعة من أبناء بوهيميا ، وأنا غير آمن بينهم على رأسى . لكنه قد كان بلغ منى جهد النهار ومحنته مبلغاً دار منه رأسى فكانت هذه النقطة الهامة آخر ما فكرت فيه

وفى الصباح وكان الثانى من أكتوبر نقلت إلى بودين حيث مركز القيادة الأمبراطورية العامة . وهناك التقيت بمائتى بروسى كلهم هارب على طريقته ، وفى جملتهم صاحبى باخمان . ولشد ما ابتهجنا باللقاء على حين غفلة وفرحنا بالنجاة والحرية . وطفقنا نتحدث ونهلل كأننا بالبيت نصطلى ، ونذكر زيداً من الإخوان وعبيداً ، ونتساءل أين هما يا ترى ؟

وسمح لنا بالتجوال فى المعسكر ، ووقف الضباط والجنود حولنا زمراً يستزيدوننا من الحديث عن أشياء لا ندريها . وعرف بعضنا كيف يستميل مضيفه بالمداهنة واختراع مئات الأكاذيب عن البروسيين حطاً من قدرهم وتقليلاً من شأنهم

وكان بين جنود الأمبراطورة من هم على هذه الشاكلة فيشاً وغلواً ، فزعم أقصرقزم فيهم أنه حمل أطول براندنبرجى على الفرار ، واقتادونى بعد ذلك إلى قرابة خمسين أسيراً من فرسان بروسيا فكان منظراً أليما ! فإن أحداً منهم لم يسلم من جرح أو بجل . وبعضهم قد تهشم وجهه كله ؛ وبعضهم قد أصيب فى رقبته أو أذنه أو كتفه أو فخذه . وقد كانوا جميعاً يتأوهون ويئنون . وكم حمد الله أولئك البائسون أن جنبنا هذا المصير مصيرهم ! وكم حمدنا نحن الله على ذلك وأثنينا عليه ! وقضينا الليل فى المعسكر ثم نقد كل منا « دوكات » لسفره ، ثم بعثوا بنا إلى قرية بوهيمية

حيث غفونا قليلاً ؛ ثم رحلنا إلى « براغ » فى اليوم التالى . وهنا توزعنا وتزودنا بالجوازات كل ستة أو عشرة أو اثنى عشر معاً ما داموا يتبعون طريقاً واحداً . وكنا خليطاً عجيباً من السويسريين والشوابيين والسكسونيين والبفاريين وأبناء التيرول والوبلش والفرنسيين والبولاكيين والأتراك . وكانت براغ ترتعد خوفاً من البروسيين ويستولى عليها رعب لا مثيل له . وكان أهلها قد علموا بنتيجة معركة لوبوستس وأيقنوا أن الظافر لا بد أن يكون على الأبواب. وهناك أيضاً أحاطت بنا زمر الجنود والأهالى لنقص عليهم ما ينتويه البروسيون ؛ فكان بعضنا يطمئن تلك الأرانب الجازعة، وبعضنا يجد مسرته فى إرعابهم وفى القول بأن العدو قريب المزار وإنه محنق كالشيطان .

محمود الدسوقى

فى سبيل اصلاح الأزهر

للأستاذ محمد يوسف موسى

حمد الأزهريون ، ومن يعنيهم أن يسير هذا المعهد الجليل فى الجادة المستقيمة ، للأستاذ الكريم الزيات أن يخصص لمسألة إصلاحه شيئاً غير قليل من عنايته ، وأن يوسع للكاتبين فيها جانباً من رسالته ، رجاء أن نصل آخر الشوط إلى تحديد الغاية وتمهيد الطريق وتعيين الوسيلة . ولكنى — ويشاركنى فيما أخافه كثيرون — أخشى أن يلتوى علينا الأمر ، وأن ننحرف عن الطريق ، فيختلط علينا الرأى ، ويفوت الغرض ، وننتهى وقد صرنا أكثر مما نحن شيعاً وأحزاباً .

لهذا رأيت أن أكتب هذه الكلمة الأخيرة وأنصرف بعدها إلى غير ذلك من شئون

إنما ينجح الطبيب إذا صدق مريضه القول ومحض له الرأى وصارحه بدائه على جليته . وإنما ينتفع المريض متى وثق بطبيبه ، وأيقن بمرضه ، ووقف على خطورته ، وأحس بحاجته للعلاج . لهذا كان واجب الطبيب أن يعالن المريض بالداء وأن يباديه به ؛ لكن فى لغة لا تدعو لليأس ، ولهجة لا تميت الأمل ، حتى لا يكون كمن ينفض يديه من مدنف صار فى الاحتضار

من أجل ذلك كان لا بد فى رأيى لمن يدعو للاصلاح من أن يتأتى له ويلتمس له الوسائل ويستكثر له الأعوان ، وألا ينفر أحداً ممن إليهم يساق الحديث ويطلب الخير . ذلك أقرب إلى أن تصادف الدعوة قبولاً ، والكلام سميعاً ، وأعون على بلوغ الأرب واهدى لنيل الوطر . على أن الألم للمرض قد يكون بالغاً ، وفورة النفس قد تكون قوية ، فيند القلم أحياناً ويشتط أحياناً ، وهنا نلتمس للداعى سبيل العذر من خلوص النية ونبل القصد ، مادام لا يجعل دعوته ذريعة إلى حاجة وسبيلاً إلى مراد

ومهما يكن فلست ممن يرضون أن تتكشف المعركة القائمة الآن عن بضع مقالات لا تعدو أن تكون كصرخة الفنان وركضة الفرس ، أو مهلة المتنفس وحسو الطائر . أرجو أن ننتهى منها وقد وضحت الغاية ، وارتسمت الخطة ، واتحدت القلوب والعزائم ، وتواصى الجميع على ما فيه الخير المعهد الذى نشرف بالانتساب له ، وتوحدت الجهود للسير للأمام عملياً. ولعل من أجدى أسباب الإصلاح التى يجب أن نبدأ بها فيما أرى أن يكون ــ كما قلت فى كلمة سابقة ــ وكذا الواحد منا قبل كل شىء تكميل نفسه فى خلقه وعلمه حتى يصير مثلاً عالياً لطلابه ؛ يلهب عواطفهم ويسدد خطاهم ، ويشركهم فى خير ما يقرأ ويدفعهم للمطالعة والبحث والاتصال بالحياة العلمية الجادة التى لا تحد بالكتاب المقرر والمنهاج المرسوم ! بذلك يوجههم وجهة الخير فى غير عناء ويحتذونه فى غير تعمل . ثم يضيف لهذا أن يتآزر مع نفر ممن يقاسمونه الآلام والآمال فيكوّنوا جبهة تعمل فى غير ملل أو إعلان لبعث مجد الإسلام العلمى وما طواه الزمن من مؤلفات العلماء الأعلام فى القرون الأولى قبل تغلب العجمة وانغلاق التعابير .

وقبل هذا وذاك يكون رجلاً لا سلطان عليه لغير ضميره ، ولا سبيل للحزبية والهوى فيما يأخذ ويدع ، لا يجامل على حساب المصلحة العامة ، ولا يتحزب مع وضوح الحق. بذلك نجد الإصلاح المرجو يسير الملتمس دانى المتناول .

وقديماً قالوا : من برى القوس رمى ، ومن قدح النار اصطلى . وإلا إن كان قصارانا ثورة صحفية من فترة لأخرى دون أخذ بالعمل

المتج تعثر علينا الإصلاح وتأبى مقتربه واعتاص ذلوله

بقيت كلة وبتم الحديث ؛ هى ملاحظة صغيرة على الإشارة التى جاءت فى « رسالة كلية الشريعة للأستاذ الأكبر » إلى معهد الدراسات الإسلامية . إن هذه الإشارة تفهم أن هذا المعهد يزاحم الأزهر فى بعض ما نصب له نفسه من مهام ، وأظن أن هذا ليس من الحق فى شىء ؛ فهو على ما عرفت ـ من طول ترددى عليه وانتفاعى به انتفاعاً كبير الأثر ـ قسم من مكتبة الجامعة العامة ، جمعت فيه المؤلفات الخاصة بالعلوم والدراسات الإسلامية بوجه عام ، سواء أكانت باللغة العربية أم بغيرها . يرى الزائر له إذا أراد أن يبحث فيلسوفاً ، كالفارابى مثلاً ، مؤلفاته المطبوعة بمصر وغير مصر ، وقدراً كبيراً صالحاً مما كتب عنه بالعربية أو غيرها من اللغات . ذلك ما يزيد على أربعين مجلداً لجماعة من المستشرقين الفرنسيين ، فيها تعريف واسع بالمخطوطات الإسلامية الموجودة بمكتبة باريس العامة ، وعرض لبعض نصوصها ، وإلى فهارس المطبوعات والمخطوطات الإسلامية الموجودة بالمكتبات العامة بمصر وأوربا ، إلى كل هذا وما إليه منظم موضوع على حبل الذراع لمن يريد ؛ حتى إن الباحث وهو جالس إلى إحدى المناضد فى بهوه الرحب ، بين تلك الذخائر العلمية الإسلامية يشعر أنه لا يكاد ينقصه شىء فى سبيل الوصول لما يريد من بحث وتحقيق

أين هذا من مكتبة الأزهر التى لم أستطع ولا يستطيع غيرى أن ينتفع بشىء منها ما دامت على ما هى عليه من ضيق مكان ، ونقص موظفين ، وإهمال وعدم رعاية !

وكيف يعاب ذلك العمل الجليل ، وينظر إليه النظر الشزر ، على غير معرفة به ، بدل أن نشكر من كان له الفضل فى إنشائه !

أقول هـذا عن علم ؛ لأنى لا أعلم أن أحداً من الأزهريين — حتى شباب المدرسين — تردد على هذا المعهد للانتفاع به ، رغم دعوتى له وبهى عليه ، إجابة لرغبة حضرات الموظفين الثقات القائمين بشئونه .

لو أن إخواننا الذين اشتركوا فى صياغة « رسالة كلية الشريعة للأستاذ الأكبر » عنوا بالتعرف إلى ذلك المعهد الذى يؤدى الآن خدمة لا يؤديها غيره ، لما أشاروا إليه إشارة من يحب ويكره عن غير علم . ولعل منهم من كان ولا يزال فى أشد الحاجة له لتحضير ما يطلب منهم من بحوث ومحاضرات علمية فى الامتحانات !

***

وبعد فلعلّى وفقت بعض الشىء فيما نحن بسبيله ، والله المستعان .

محمد يوسف موسى
مدرس بكلية أصول الدين

الحرب فى أسبوع

للأستاذ فوزى الشتوى

مفاجأة . . . ولكن

كانت أبرز حوادث الأسبوع الماضى حادثة تسليم الجيش البلجيكى بأمر ملكه . وكانت الحادثة مفاجأة لم يتوقعها العالم ، بل لم تدر قيادة جيوش فرنسا وانجلترا من أمرها شيئاً . فهى مفاجأة لم يقل وقعها على نفوس القراء من المفاجآت الهتلرية .

واختلف الناس فى تقديرها ، فمن قائل إنها نوبة يأس استولت على الملك ليوبولد فى ساعة فزع واضطراب أعصاب ، ولا سيما بعد ما والى الجيش الألمانى هجومه فى الليل، فلم يخلد إلى الراحة كالمعتاد . ومن قائل إنها خيانة صريحة ارتكبها الملك بالاتفاق مع الألمان . ومن فريق ثالث يقول : كانت خطوة متوقعة سار فيها الملك ليوبولد الثالث على مثال قرار قيادة الجيش الهولندى عندما أمرت جيوشها بوضع السلاح

وليس لنا أن نقرر الدوافع لهذه الخطوة ، فعلمها كما قال المستر تشرشل رئيس الوزارة البريطانية عند الملك وحده ، ولا يجدر بنا الحكم على فعلته الآن ، ولكن هـذه الخطوة ترينا ظاهرتين مختلفتين فى أخلاق شعبين عظيمين . فبينما الشعب الفرنسى يقابلها بمرارة وغضب ظهرا فى حديث المسيو رينو ، قابلها الشعب البريطانى ببرود وثبات ظهرا فى حديث رئيس الوزارة البريطانية

والبرود والثبات فى قيادة الجيوش من أكبر وسائل تحقيق النصر ، فهما خلتان كبيرتان للاحتفاظ بالعقل والمنطق . وأذكر أن الجنرال فرانش قائد الجيوش البريطانية فى فرنسا سنة ١٩١٤ لم يجد كلمة يمدح بها أحد قواده فى أحد المعارك أبلغ من أنه كان مثال البرود والسكينة فى تلقى الأنباء وإصدار الأوامر

بين تسليمين

ويختلف موقف تسليم الجيوش البلجيكية الآن عن تسليم الجيوش الهولندية اختلافاً بيناً . فقد كان الجيش الهولندى يقاتل وحده ولا تحتل معه قوات الحلفاء مواقع تشد أزره أو يشد أزرها . ولم تكن المعركة حامية لم يتقرر مصيرها بعد كما هى الحال مع جيوش الحلفاء فى الشمال . ولم يكن قرار هولندا لا يؤثر إلا على موقف جيوشها وحدها، وهذا أمر لهم وحدهم حق تقريره . بينما انسحاب القوات البلجيكية من مواقعها قد أخلى ثغرات واسعة فى صفوف القوات المتحالفة

فإذا عرفنا أن من تقاليد الجيوش البريطانية والفرنسية ألا تلقى السلاح تبين لنا مقدار الخطأ الفادح الذى جره إلقاء الجيش البلجيكى لسلاحه . وإذا كان ثمة خطأ يسند إلى الملك ليوبولد ، فلأنه لم ينذر قيادة الحلفاء بالخطوة التى اعتزمها لتتخذ من التدابير ما يرأب الصدع الذى يحدثه انسحاب قواته

بين المساء والصباح

أضف إلى ذلك ما وافتنا به تلغرافات صباح يوم الثلاثاء من أنباء تهلل لها وجه الناس بالبشر والأمل ، فقد وصلت جيوش الحلفاء إلى باوم ، وهى تقع فى منتصف النتوء الألمانى بين حوض نهر السوم ومدينة أراس . ومعنى هذا أن جيوش الحلفاء تمكنت من الضغط على رقبة النتوء الألمانى الممتد من هذا المكان إلى سواحل البحر . ولو تيسر لها أن تصل خطوطها بين جيشى الشمال والجنوب من هذه الناحية لسهل عليها أن تحصر هذه القوات وتعزلها عن قواعد تموينها ، وبالتالى تقضى عليها قضاء مبرماً

وذهب بعض الناس إلى أن هذه الخطوة معناها انتصار الحلفاء وبدء الخاتمة . فقد سحبت ألمانيا كثيراً من قواتها من خط سيجفريد ومن على الحدود السويسرية لتعزيز أماكنها كما أيدت مواقعها بقوات ميكانيكية هائلة هى فى الواقع صفوة القوات الألمانية التى أعدت للمواقع الخطيرة الحاسمة . ويدلنا هذا على أن احتياطى القوات الهتلرية قد نفذ فاعتمدت على قوات رئيسية

وقد رأيت كثيراً من الناس يضمون دبابيس كبيرة فى هذا الموضع ويضغطونها بشدة على خرطهم كأنها مسامير توضع فى نعش الجيش الألمانى، ثم يوصلونها بمواقع الحلفاء بخيوط خضراء رمزاً للسلام يسود العالم . ولكن ما كادت تلغرافات الصباح تصل بنبأ تسليم الجيش البلجيكى حتى وجم محررو الجرائد ، ووقفوا أمام خرطهم مترددين أين يضعون دبابيسهم ، وكيف يفهمون الموقف على ضوء الحوادث الأخيرة

وأنعش خطاب المستر تشرشل وتصريحات وزراء بلجيكا كثيراً من الأفئدة فعادت لها ثقتها بالنصر . وإن كان كثيرون قد قدروا أن يطول أمد الحرب . بل قال بعضهم إنه خير يأتى

من الشر ، فتتركز قوات الحلفاء فى فرنسا ويستقر القتال فى ميدان واحد بدل تشعبه فى عدة ميادين ، وتقل خطوط مواصلات الحلفاء ، وتعود الحرب إلى جبهة واحدة بدل جبهتين فقد كانت بلجيكا عبئاً على الحلفاء

سياستنا

وإذا قارنا بين الحرب الحالية والحرب الماضية وجدنا وجوه الشبه فى أسسها واحدة . فألمانيا تبدأ الحرب بقوة هائلة تضعف على مر الأيام تبعاً لقلة مواردها واستعدادها ، بينما يبدأ الحلفاء حربهم بقوات قليلة تكبر كلما طال بها الأمد . تخلف انجلترا وفرنسا امبراطوريتان واسعتان تقدمان لهما الإمداد الذى تصقله الأيام وتزيد إنتاجه

فقد بدأت ألمانيا استعدادها لهذه الحرب منذ تولى هتلر الحكم سنة ١٩٣٣ . فأخضع جميع موارد ألمانيا لهذه اللحظة. بينما بدأ الحلفاء استعدادهم من سنة ١٩٣٨ . واتخذت الخطوات الحاسمة لهذا الاستعداد فى الأسبوع الماضى عند ما وضعت الأفراد والمصالح رهن الاستعداد العسكرى . ولعل البعض يرى فى هذه الحركة تمهلاً من الحلفاء. إلا أن من يدرس مشروعاتهم واستعدادهم وسياستهم لرفاهية شعوبهم يقدر خطورة هذه الخطوة الأخيرة ومدى ما تدره على الأداة الحربية من تحسين

فالحلفاء يضعون خططهم ويعدونها لوقت الحاجة حتى إذا احتاج إليها الأمر نفذت فى الحال . ولو عدنا بالذاكرة إلى بدء اشتعال الحرب ، وشاهدنا ما فعله الحلفاء فى تنظيم وزارة الحرب الاقتصادية عند ما نفذ الحصر البحرى رأينا مدى دقتهم فى وضع مشروعاتهم

ففى ٢٤ ساعة كان الحصر البحرى على ألمانيا نافذاً ، وفى ٢٤ ساعة تقدم ممثلو انجلترا السياسيين إلى الدول المحايدة بقوائم تبين حاجة كل منهم من الخامات المسموح لها بالمرور من الحصر البحرى والتي لا تترك لهم فائضاً يمكن لألمانيا أن تعتمد عليه . لو رجعنا إلى هذه الحوادث استطعنا أن ندرك كيف يسير المشروع الجديد وكيف يدعم إعداد الحلفاء العسكرى

كيف نساعدهم

ولا يفوتنا أن نذكر فى هذا السبيل الولايات المتحدة وما تمده لتموين الحلفاء . فإن الخطوات التى اتخذت حتى الآن لا تتجاوز أن تكون مناضلة لإقرار مبدأ المساعدة وعلى أية صورة يكون . وقد ينتهى بدخولهم الحرب بقوات حربية ، وليس بعتاد حربى فقط . وهى لم تقدم إلى الحلفاء مساعدة جدية حتى الآن بل أن مصانعها تستعد لمواجهة الحالة ، ولم يتعد إمدادها عدداً قليلاً من الطائرات . ومن يعرف براعة الأمريكيين فى تنظيم أعمالهم ، وتشغيل مصانعهم لإنتاج كميات وفيرة ، يدرك مدى السيل الذى يصل إلى الحلفاء كل فترة قصيرة

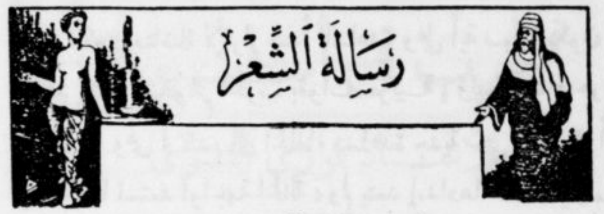
والغالب أن يستقر الموقف الحالى فى البلجيك على شيئين : فإما أن ينسحب الحلفاء ويخلوا البلجيك وينقلوا قواتهم إلى فرنسا عن طريق البحر ، وإما أن يستقروا فى هذا الميدان بعد أن يعدوا قواتهم هناك بقوات جديدة على أن تكون صلاتهم عن طريق البحر . وأعتقد من سير الأمور حتى كتابة هذه السطور أن الحلفاء ينسحبون من بلجيكا ويحولون ضرباتهم من فرنسا حيث أعدوا خطوط قتال قوية تسهل عليهم الاحتفاظ بمراكزهم إلى أن تتحطم ألمانيا اقتصاديًا أو عسكريًا

الخطوة التالية

أما فى الميدان الجنوبى فإن جنود الحلفاء فى حالة حسنة وفى موقف عسكرى قوى يعملون على تطهيره من القوات المعادية . ولا يمكننا أن نجزم بخطوة ألمانيا التالية بعد استقرارها فى الميدان الشمالى فى البلجيك : هل تهاجم الجبهة الفرنسوية الشمالية الممتدة على نهر السوم إلى لونجوى ؟ أم تهاجم فرنسا باختراق حدود سويسرا ؟ أم تتجه اتجاهاً آخر للاستيلاء على موارد جديدة بالهجوم على البلقان ؟

فالواضح من الاستقرار الأخير فى جبهة فرنسا الشمالية أن قتالها يطول وهذا ما لا تحتمله الموارد الألمانية . فإذا هاجمت فرنسا باختراق سويسرا عن طريق مقاطعة بازل فلا ينتظر أن تصيب فيها من التقدم ما أصابته فى بلجيكا، لأن الحلفاء لن يلدغوا من جحر مرتين . أما فى البلقان فقد أعلنت الروسيا حرصها على الاحتفاظ بالحالة الراهنة هناك وإلا فإنها تحارب المعتدى . ولهذا فينتظر أن نرى فترة هدوء ونضال سياسى لتحويلها عن رأيها ، وإن كنت أعتقد أنه ليس من مصلحة ألمانيا أن تشتبك فى جبهتين كما قلت فى مقالى السابق .

فوزى الشترى
بكالوريوس فى الصحافة



أنت وأنا . . .

للأستاذ أمجد الطرابلسي

إما رأيتِ الليلةَ الحالكة   تجلو دجاها البرقةُ الساطعة
والطفلةَ المُشرِقةَ الضاحكة   تحزنها لُعبتُها الضائعة
فإنني الليلةُ يا برقتي
وإنني الطفلةُ يا لُعبتي
يا فرحتي أنتِ ويا دمعتي !

إن تجدى الناسكَ فى دَيْرِهِ   تهزُّهُ نغمةُ أرْغُنِّه
والفاجرَ العِرْبيدَ فى سُكْرِهِ   تُرْعِشُهُ النَّظرَةُ مِنْ دَنِّه
فإنى الناسكُ يا نغمتى
وإننى السكرانُ يا خمرتى
يا سقرى أنتِ ويا جَنَّتى !

إما رأيت الشاعرَ السادرا   يقدسُ الحسنَ على سُبْحَتِهْ
والأهوجَ المضطرمَ الثائرا   تُهَيِّجُ الأجسادُ من نَهْمَتِهْ
فإننى الشاعرُ يا سبحتى
وإننى الأهوجُ يا نهمتى
يا جسدى أنتِ ويا فكرتى !

....

إن تجدى المبتهلَ المؤمنا   يصبو إلى (الحوريّةِ) الطاهره
والماجنَ المُسْتهتِرَ الأرعنا   يستعذبُ السمَّ من العاهره
فإننى المبتهلُ المؤمنُ
وإننى المستهترُ الأرعنُ
دَليلَتى (1) أنتِ وحوريّتى !

(باريس)   أمجد الطرابلسى

(1) دليلة صاحبة شمشون

وهفا قلبي إليك

للشاعرة الفلسطينية الآنسة « دنانير »

لحتَ فى أفق حياتى المظلمِ   لمحةً من نور
بدّدتْ آونةً يا ملهمى   ذلك الديجور
وهفا قلبى إليكْ
شـيّقاً يحنو عليك
يرتجى الزلفى لديك
لا تخيبْ يا حبيبى ما رجاه   قلبيَ المفتونْ
لا ، ولا ترجعْه من دنيا هواه   رجعة المغبون

***

يا خليًّا من عذابى شدّ ما   كنت شغلى
ليتنى سؤلكَ أصبحتُ كما   أنت سؤلى
حرتُ مما أنت فيه
بين إقبال وتيه
آه يا من أرتجيه
كل همى منك ، حتام أراكْ   غافلاً عني ؟
وبقلبي من تباريح هواكْ   علةٌ تضنى

***

أيها المرسل لي فى وحشتى   مؤنسًا قلبى
هجتَ لي الحبَّ ، فكانت سلوتى   نعمة الحب
أنت دنيا من فنون
تملأ الدنيا فتون
كيف لا تسبى العيون
هاك قلبي ، لا تدعْه يا مناه   هائمًا حائر
راعِه ، لا يهوِ من عليا سماه   إنه شاعر

(فلسطين)   « دنانير »

من اللهب !

للأديب عبد العلم عيسى

بكيت فلاموني... وماحيلتي إذا — بكيت وفي قلبي شجوني وآلامي

علام تلومون الجريح على البكا — أما كان أحرى أن تلوموا يد الرامي

نشأتُ فلم أنعم بصدر يضمني — إليه... فضمتني جروحي وأسقامي

كأنيَ لم أخلقْ لنعمايَ إنما — خلقتُ لأحيا باكياً طول أيامي

حياتيَ إعصارٌ عنيف وضجة — وعصف من البلوى يعكر أحلامي

هنا في فؤادي صرخة كم حبستُها — هنا في طريقي يعزفُ الهول قدامي

تجمعت الأخطارُ حولي... تخلتها — من الرعب جناً عاصفاً تحت أقدامي

أنا الشاعرُ الشادي أغاريدَ حزنه — ومن حزنيَ المشبوب نبعي وإلهامي

أسيتُ على قلبي فكم عقد الأسى — به مأتماً يُذكي هواني وإيلامي

كتمتُ الذي عندي فلستُ بصارخ — وأين الذي يحنو على قلبيَ الظامي؟

طربتم لأنغام الصفاء فما الذي — يضركمُ لو تطربون لأنغامي !

أنا راقصٌ في عرسكمْ غير أنني — غريبٌ بعيدٌ عن صفائي وإنعامي

ألا حينُ عودي باكيات على المدَى — فلن تسمعوا مني سوى لحنيَ الدامي

(دمياط) — عبد العلم عيسى

عبادة الأصنام

للأستاذ حسن كامل الصيرفي

أيُّها المُخلِصُ العِبادَةَ لِلصَّخْـ — ـرِ تحصَّنْ مِنْ مَوْجَةِ الإلحَادِ !

فغَـدًا تَفْقِدُ الشُّعورَ وَتَحيَا — كجَمَادٍ مُسَخَّرٍ لجمَـادِ

صَنَمٌ صامِتٌ من الحَجَرِ الصَّلْـ — ـدِ لَخَيْرٌ من نَاطِقٍ بالفسادِ

إنْ تَكُنْ نَائِماً عَلى ظُلَمِ الجَهْـ — ـلِ رَضِيًّا بِعِيشَةِ الزُّهَّادِ

فأنَا نَائِمٌ عَلَى كَتِفِ النُّو — رِ وَلـكِنْ بِظُلْمَةٍ فى الفؤادِ

صَنَمِى يقتلُ العقيدةَ وَالفِكْـ — ـرَ وَيُحْيِي عِبادَةَ الأجسادِ

إنْ تَكُنْ مُطْلَقَ العَقِيدةِ ياصا — حِ فإنى مُقَيَّدٌ فى اعتِقادِي

مَلْجَإِى السِّجْنُ إنْ دَعَوْتُ إلى الحَـ — ـقِّ مَسُوقًا فى مَوْكِبِ الأصْفادِ

الوشاياتُ والدسائسُ والرُّعْـ — ـبُ سِلاحٌ فى وَجْهِ كلِّ انتقادِ

وَهُبوطُ الأحْرَارِ مِنْ مِنبَرِ الحَـ — ـقِّ صُعُودٌ لِمنبَرِ الجَـلَّادِ

لَيْسَ إيمانُنَا عَقِيدَةَ تَفْـكِيـ — ـرٍ ، وَلـكِنَّهُ هوَى استِبْدَادِ

شُعْلَةُ النَّارِ فى يَدَىَّ قرَابِيـ — ـنُ لِفَرْدٍ مُسْتَهْزِئٍ بالسَّوَادِ

وَصَلَاتى لهُ دُعَاءٌ إلى الحَرْ — بِ وَإِشْعَالُ نَارِهَا فى البِلَادِ

وَانْتِهَاكٌ لِحُرْمَةِ الجارِ إشْبَا — عَ نَهِيمٍ لِشَهْوَةِ اسْتِعْبَادِ

أَزْرَعُ الشَّرَّ حَيْثُمَا سِرْتُ نُجْنَى — مِنْ ثَرَاهُ طَوَالِعُ الأحْقادِ

وَغَدِى مُبْهَمٌ وَرِجْلِىَ تَنقَا — دُ إلى حَيْثُ مَصْرَعِ الأحْفَادِ

التَّمَاثِيلُ وَالبُطُولَةُ وَالمَجْدُ — دَعَاوَى مَوْصُولَةُ الإنشادِ

نَعَمٌ يَنْحَرُ الضَّحَايَا فَتَنْسَا — قُ إلى المَوْتِ جائعاتٍ صَوَادِى

وَالجَمَاهِيرُ كالحَمِيرِ مَطَايَا — للزَّعاماتِ لَيِّنَاتُ القِيَادِ . . .

حسن كامل الصيرفى

من وحى الربيع الأحمر

قوس قزح . . .

للأديب حسن أحمد با كثير

أي جسر صيغ من ذوب الضياء — يعبر الزرقاء من أفق لأفق

عبقري الحسن سحري الرواء — مشرق يستأسر الطرف برفق

أصراطٌ مُدَّ في عرض السماء — لعبور الجن في غرب وشرق

أم مجازٌ يرتقيه الأتقياء — نحو كون خلف هذا الكون صدق

أي حسن فاتن عذب بنوره

أي سحر عبقري في سفوره

ليتنـــا نحظي جميعاً بعبوره

نحو كون جاثم خلف ستوره

وارف الظـــل بهيج بزهوره

نقطع العمر به فوق قصـــوره

رسالة الفن

بواطن وظواهر

عندنا فنانون ... ولكن !

للأستاذ عزيز احمد فهمى

١٠ — من الصحافيين

عبد القادر حمزة باشا

كان للحركة الوطنية فى مصر لسان وقلم ، أما اللسان فكان لسعد زغلول ، وأما القلم فكان فى يد عبد القادر حمزة . وقد قضى صاحب اللسان ، وظل صاحب القلم يكتب ، ولكن ظهرت عليه نوازع جديدة أخذت تتزايد وتتزايد حتى أصبحت أوجه الشبه بين آثار هذا القلم اليوم وبين آثاره فى البدء قليلة وغامضة ... ذلك أن الأستاذ عبد القادر حمزة باشا جنح إلى العقل والمنطق جنوحاً كاد يقطع الصلة بينه وبين الجمهور الذى رباه هو ، والذى فتح هو عيونه على الحقائق

طار الأستاذ عبد القادر باشا عن مستوى الصحافيين السياسيين وتحكمت فيه استقامة الفكر والأمانة عليه، حتى هان عنده الرواج الشعبي فلم يعد يجرى وراء القراء، وآثر أن يوجه القول لمن يريد أن يسمع وأن يفهم ؛ وقد تجلت التجربة على أنه يقول ما يجب أن يسمع وأن يفهم . فقد كان هو أول من نادى بوجوب تأليف الوزارة القومية منذ المناوشات الأولى فى الحرب الحبشية ، فأنكرت البلد رأيه حتى ألفت الجبهة الوطنية بعد أن تحولت المناوشات الحبشية إلى حرب ضروس ؛ وحين لم تجد مصر وانجلترا بدا من تنفيذ فكرته هو ، أو الفكرة التى آمن بها وتحمس لها وانفرد زمناً بالدعوة إليها .

الأستاذ طاهر الطناحى

العمود الفقرى فى دار الهلال . رباه على الصحافة الأستاذ إميل بك زيدان ، فأنشأه أعجوبة بين الصحافيين . الجمهور لا يعرفه كثيراً لأنه لا يوقع المقالات إلا قليلاً ؛ وذاك إذا كتب ، فليس عمله أن يكتب ، وإنما عمله أن يستكتب أولئك الأفذاذ الذين تطالع دار الهلال قراءها بنفثات أقلامهم ، ومن هؤلاء يكون ملوك فى بعض الأحايين ، وهذه مهمة خطيرة

زد على ذلك أنه يجمع أعصى المعلومات والبيانات والإحصاءات والصور التى أتقنت دار الهلال فتنة الجمهور بها

للأستاذ طاهر الطناحى هذا المجهود الجبار وينافسه فى دار الهلال زميل له هو الأستاذ يوسف أنكونا من غير أن يبذل مجهوداً جباراً ، ولكنه يعطى الدار أفكاراً ، فهو متخصص فى البحث عن أسباب رواج المجلات يستقصيها ويوفرها فى مجلة « الاثنين » التى يدير تحريرها ، فله فى هذا الأسبوع «يانصيب»، وفى الأسبوع المقبل «مسابقة» ، وفى تاليه حملة مصورة منظمة على موطن من مواطن الضعف فى الحياة المصرية ، وفى الأسبوع الرابع عدد خاص بمسألة من المسائل التى تشغل بال الجمهور ، وفى الأسبوع الخامس هدية رائعة ، وفى الأسبوع السادس صور تؤخذ للجمهور من قراء المجلة وهى فى أيديهم فمن وجد صورته له جائزة ، وفى الأسبوع السابع باب يفتح فى المجلة يتوسط للقراء فى الحكومة ، ويوظفهم إذا استطاع . . .

نرشف الأفراح من صفو نميره
ونصيب الأنس فى حسو خموره
ونرى النشــوة فى لثم ثغوره
إن هذا الكون ضقنا بشروره
وزهقنا من أباطيل أموره
وســئمنا وبرمنــا بغروره
وطوى أحلامنـا جور نسوره
وكوى أحشاءنا بطش نمــوره
وشجى أكبادنا مرأى قبوره
خلّنا يا جَسر نحظى بعبورك نحو كون ساطع خلف ستورك
يُذهب الآلام والآثام عنـا والشرور

محسن أحمد باكثير

أعجوبة هو أيضاً هذا الصحافى الذى لا يعرفه الجمهور . وهو شاب وعمله الأول المحاماة فى المختلط ، ولست أدرى كيف غاب هذا الصحافى الناجح هو وزميله عن ذهن الذين اختاروا المدرسين لمعهد الصحافة !

الأستاذ كريم ثابت

أول من اخترع لنا حكاية أن هذا الوزير يستيقظ فى السادسة صباحاً ويفطر فولاً وبيضاً مسلوقاً ، ويدخن سبعاً وثلاثين سيجارة فى اليوم ، وأنه يفضل السترة أم صفين من الأزرار على أم الصف الواحد ، وأن عنده قطة اسمها فلة يتفاهم معها بالعربية والفرنسية ، وأنه يسقى ضيوفه كراوية ولا يقدم القهوة إلا لمن يطلبها ، وأنه لا يقرأ إلا إذا جلس فاتكاً بذراعه اليسرى على المسند ووضع رجله اليسرى على رجله اليمنى ، وأنه إذا نام أغمض عينيه ، وإذا تكلم حرك لسانه ، وإذا مشى هز ذراعيه ...

الأستاذ عبد المنعم حسن

لا بد أن يصل بإذن الله إلى ما يصبو إليه من مجد صحافى . فهو يقفز من أوربا إلى أفريقية إلى آسيا بحثاً عن تحقيقات يسوقها لقرائه فى أحرج الظروف وأسوأ الأحوال . وهذه جهود لا يقوم من الصحافيين المصريين إلا هو والأستاذ محمود أبو الفتح ، ولا أذكر غيرهما

الأستاذ مصطفى أمين

من أسهل الكتاب المصريين هضما ؛ وعلى هذه الميزة فيه فهو يأبى إلا أن يكون مخبراً يغذى فضول القراء بينما هو يستطيع ما لا يستطيعه المخبرون من الترويح عن القراء وإمتاعهم . المادة تغريه ، ولكنى أرجو أن يغريه بالتخصص فى الكتابة مغر آخر ذو تأثير ينفذه ...

١١ — من المقرئين

الأستاذ محمود صبح

إذا قرأ القرآن مثل معانيه على قدر طاقته بالإلقاء والتنغيم . ولولا أن لكنة تركية تدركه أحياناً لشدة تأثره بالذوق التركى فى الموسيقى لما كان فى قراءته عيب ، وهو حساس مرهف الأعصاب . متدفق سيال النفس ينفذ إلى سامعه ويجرفه معه

ولكن عقله ملتو . أقولها على ما فيها من شدة ؛ لعله يراجع نفسه إليها فيراها حقاً فيعود إلى قراءة القرآن ، ويكف عن أدواره وطقاطيقه التى ثبت له أنه لن يجد من يغنيها له غيره لما فى تلحينها من التعقيد ، ولما يحتاج إليه إلقاؤها من الفتوة الغنائية ... وإن كان لا بد له من التلحين فليقنع بالموشحات فهو الأهل لها

الأستاذ على محمود

عنده ثروة موسيقية هائلة حفظها عن المغنين والمقرئين القدامى فهو يختزن لنفسه من فن الحمولى ، ومحمد عثمان ، وسيد درويش وسلامة حجازى ، ومحمد سالم العجوز ، وأبو العلا محمد ، والمناخلى وغيرهم ، وهو فى قراءته يعرض هؤلاء جميعاً وغيرهم ، فإذا تجلى الله عليه قرأ القرآن أو أنشد « المولد » بما يفتح الله به عليه من فن روحه هو؛ فمنذئذ تسمع صوتاً عالياً من غير شك يعلو فيرفعك وينخفض فيضمك ، وينساب فيملؤك ، فإذا هدأ عنك زفرت وارتحت إذا رد لك السلطان على ترديد أنفاسك بعد ما كان هذا السلطان معه

الأستاذ محمد رفعت

المقرئ الوديع الذى يزف القرآن إلى النفس « متمسكناً » فما تملك النفس إلا أن تحن له وأن تلين ...

الأستاذ عبد الفتاح الشعشاعى

فيه من الموسيقى أكثر مما فيه من التمثيل ، وفى موسيقاه من الطرب أكثر مما فيها من غيره ، وكثيراً ما يخرج بسامعيه عن وقارهم وإن لم يخرج هو عن وقاره . لعله لو غنى القصائد عرض لنا فقيد الموسيقى العربية الكبير الشيخ أبو العلا محمد

لست أدرى لماذا لا يجرب هذه التجربة ، ولست أدرى لماذا لا تشجعه على ذلك صديقته أم كلثوم بأن تسمعه فى قصيدة ثم تغنيها منسوبة إليه !

١٢ — من المحدثين

الدكتور محجوب ثابت

هذا رجل ضحى بنفسه فى سبيل إشباع رغبته فى الكلام . له ماض وطنى ملحوظ ، وجهاد لا يمكن أن ينكر ، ثم إن له علماً واسعاً واطلاعاً متشعباً ، وله بعد ذلك آراء وأفكار لا يزال

يقتدى بها المجتمع المصرى ، ولا يزال هـذا المجتمع يأخذها عنه ، ومع هذا كله فنصيبه من الجزاء الوطنى قليل . فأغلب الذين خدموا هذا الوطن وعرضوا أنفسهم للمحن من أجله قد كافأهم الوطن بالمناصب والألقاب والأرزاق ، ولـكنه كان بين القلائل المهملين على كثرة ما يتردد ذكره على الألسنة ، وعلى كثرة ما يتردد شخصه بين الناس ... فلماذا ؟

لقد أصيب الدكتور محجوب بهذا « التأخر » لأنه كثير الكلام ، ولأنه يخلط الجد بالهزل ، ولأنه لا يعرف مَن مِن الناس يصلح لأن يخاطبه الإنسان بالنكتة ، ومن منهم لا يصلح لذلك ، ومن من الناس يستطيع أن يستخلص من النكتة الحكمة ، ومن منهم لا يستطيع ذلك ... لقد اعتبر المصريون الدكتور محجوب فكاهة من الفكاهات ، حتى فى أشد مواقفه جداً يضحكون منه ... وهم معذورون ... فهو يتحمس لفكرته بعواطفه وأعصابه وجوارحه وشاربيه ولحيته ، بينما يكفيه أن يتحمس لها بعقله ولسانه ، وإنهما لجديران بأن يخضعا له اقتناع الناس ...

لست أدري إذا كان الدكتور محجوب يستطيع وهو فى سنه اليوم أن يعدل نفسه أو أنه لم يعد يستطيع ذلك ، ولكنى على أى حال لم أيأس منه ، ولا أزال أنتظر له خيراً ...

الشيخ عبد الحميد النحاس

وإذا كان الدكتور محجوب ثابت محدث المثقفين من الطلبة ومن هم أكبر منهم سناً وعلماً ودراية من أهل المدن ، فإن الشيخ عبد الحميد النحاس يعتبر محدث الأقاليم . وهو الصحافى الوحيد الذى يتقاضى من المعلنين أجوراً للإعلانات فى جريدته التى لا تصدر على أساس أنه ينشر هذه الإعلانات شفوياً فى المجالس والمجتمعات .

وله طوفات فى الريف المصرى ... يخرج من مديرية إلى مديرية ، ومن مركز إلى مركز ، ومن بلد إلى بلد تقام له الولائم ، ويجتمع له الناس ، وتعقد له المجالس ليتحدث فيها ، وليقول ما يقول ...

وهو يقول فى كل موضوع كلاماً يلذ للريفيين أن يسمعوه ، ويبلغ إعجابهم به إلى أن يحملوه على الأعناق وأن يهتفوا له كأنه غاز أو فاتح ...

الشيخ عبد العزيز البشرى

وهذا محدث الطبقة الراقية . وحديثه شيق سلس جذاب ، حاضر الذهن ، سريع الخاطر ، لاذع النكتة ، رائق البال . وهو إلى جانب ما يتقن من فن الحديث يتقن الكتابة أيضاً ، وكتابته فيها من أحاديثه ، فأحلاها ذكرياته ووصفه لمن قابلهم من الناس ، ونقده لما رآه فيهم من العيب ، وتسجيله لما وجده فيهم من الحسنات

ردان

فى العدد السابق من الرسالة طالع القراء الاعتراضين اللذين شرفنى بهما كل من الأستاذين توفيق دياب ومحمد السيد المويلحى بخصوص ما كتبته فى هذه السلسلة عن أولها وعن الدكتور الحفنى

أما الأستاذ توفيق دياب فقد كفانى الأستاذ محمد محمود دوارة الرد عليه بما يجده القارئ فى « البريد الأدبى » من الرسالة هذا الأسبوع

وأما الأستاذ محمد السيد المويلحى فقد قال إنى بخست الدكتور الحفنى حقه إذ أنكرت عليه إنتاجه فى الموسيقى بينما هو — فيما يقول الأستاذ المويلحى — قد اخترع آلتين موسيقيتين هما فلوت الحفنى والكورية النحاسية

وردى على هـذا هو أن اختراع الآلات الموسيقية من عمل علماء الطبيعة لا الفنانين الموسيقيين ، ولا غير

على أنى فيما أعتقد قد جاملت الدكتور الحفنى بعض المجاملة إذ قلت إنه موسيقى من نوعه ، وأنا لا أعتقد أننى إذا شبهت إنساناً بنفسى حططت من قدره ... هذا اعتقادى أنا ...

عزيز أحمد فهمى



حرب ونضال

تأملات فى مجاهل الكون

للدكتور محمد محمود غالى

عندما اندلعت ألسنة الحرب فى سبتمبر الماضى كتبنا مقالاً فى « الرسالة » تحت عنوان « فلنستمر »(1) ، اعتزمنا فيه مواصلة الكتابة رغم مجابهة العالم لمحنة قاسية لم يمهدها من قبل ، ورجونا ألا تصرفنا الحوادث عن أداء هذه المهمة ، وليست الكتابة بالأمر الذى يستطيع الإنسان المضى فيه وهو مشغول الفكر مضطرب البال ، وإنما لهدوء النفس والنزوع إلى الكتابة أثرهما الواضح فى النجاح والقدرة على التسطير . فالكتابة لا تُقصد لذاتها ، وإنما تقصد لما ترمى إليه ؛ وإن الذى تُترَكُ له صحيفة ليملأها ، يجب أن يكون أهلاً لأن يفيد القراء ، وإلا فليترك المجال لمن هو أقدر على أن يكون أكثر فائدة لهؤلاء الذين يهبون بعض أوقاتهم للمطالعة

ولقد خصَّصتْ « الرسالة » صفحة لمباحث علمية توخينا أن نخط فيها هيكل الكون ، وحاولنا أن نلفت النظر إلى ما فيه من تناسق ؛ ووالينا كتابة هذه المقالات العديدة التى نسرد فيها قصة التقدم ، فقطعنا فى ذلك شوطاً بعيداً ، واستعرضنا للقارئ بعضاً من الخطوات العلمية الكبرى التى توصل إليها العلماء فى العهد الأخير ، وفيها ما له علاقة بتقدم الإنسان فى حاضره ومستقبله

وقد تابعنا هذا الاستعراض وفق تفكيرنا ، فطفت مسائل أخرى عُنينا بشرحها أكثر من غيرها ، إذ كان لبعضها علينا أثر خاص ، وللبعض الآخر فى اعتقادنا سهم فى محور التقدم ، ولا شك فى أنه كان لما تملناه عن قصد أو غير قصد ، وما طالعناه عن رغبة أو مصادفة أثر فى هذا التكييف

وما كنت أعتقد أن الحوادث فى العالم الغربى الذى عنه ندرس وعلى ضوء مؤلفاته نتكون تتطور بهذه السرعة الخاطفة ، وما كنت أعتقد أن سرعتها هذه تؤثر على نفسى فى الأسبوع الماضى هذا التأثير الذى سلبنى فى تلك الآونة الصفات التى تجعل منى شخصاً مفيداً للقارئ ، لذلك تنحيت عن عمد ريثما تهدأ النفس ويستقر الفكر فأستطيع أن أتابع السير فى هذه السطور.

ولئن أسرعنا فى كبح جماح النفس عن الاسترسال فيما يسوقها إلى الاضطراب ويدفع بها إلى الوجوم ؛ فإننا نطلب من القارئ أن ينحو بنفسه هذا النحو ، وقد يكون له فى متابعة هذه السطور التى نستعرض فيها الناحية الإيجابية من عمل الإنسان خير عزاء عن الناحية السلبية التى يندفع إليها فريق من البشر ، وهى الناحية التى يستقى القارئ أنباءها فى الصحف اليومية ، عندئذ وكلما مر أسبوع يتصفح الرسالة ساعة يطالع فيها شيئاً غير الذى تنقلب على نفسه فى يومياته وتملك الكثير من أوقاته ، هنا يرى فى قصة العلوم وفى سير الفلسفة ، فى تطور التفكير وفى تقدم الإنسان ، فى ازدهار الميراث العلمى وارتقاء المعرفة ، أن الدنيا ما زالت بخير ، وأن الإنسان ما زال حياً يتوارث المعرفة ويعمل على تقدمها على كر الأيام

فلنستمر إذن فى عملنا وليستمر الذين يتابعون كتاباتنا فى مطالعة هذه المجالات التى نعالج بين ثناياها طرفاً من عظمة الإنسان كمخلوق راق لا كمخلوق تعس، والتى يتجدد بها الأمل فضلاً عما فيها من عزاء للنفس . ولا ريب فى أن المحنة ستنتهى يوماً وأن الإنسان سواء أكان من أهل ألمانيا أو من أهل فرنسا وانجلترا سيدرك أن من خطل الرأى محاربة أخيه الإنسان ، وأن النضال بالكلام خير من النضال بالحديد والنار فيطرح هذه الآلات التى لا تترك وراءها إلا أشلاء تتناثر وأجساداً تتحول قبل الأوان ، ونفوساً أشقها الحزن ، وقلوباً مزقها اليأس ، بل ويدرك أن توجيه الإنسانية صوب مدارج الرقى أولى من الرجوع بها القهقرى

ولو أن السلطات تركزت يوماً فى أيدى العلماء لانتظمت الحياة فى نسق يكفل سعادة البشر ، ولزال إلى الأبد كابوس هذه

(1) الرسالة العدد ٣٢٥ فى ٢٥ سبتمبر سنة ١٩٣٩ من ص ١٨٧٣ إلى ص ١٨٧٦

المجازر البشرية ، ولو أن ما أنفق على التسلح صرف فى رقى العلم ورفاهية الانسان لرأينا قبل أن نترك الحياة أو تتركنا مدنية أرقى من التى ننعم بها، ولمهدنا وسائل للعيش تختلف جد الاختلاف عما نمهده اليوم . فلنستمر إذن فى عملنا ولنتقدم نحو غايتنا مهما عاودتنا لحظات من الاضطراب ، فلا اضطراب لم يعقبه استقرار ، ولا حرب لم يعقبها سلم ، ولا عمل سلبى مهما طال لم يتله عمل إيجابى . ولنكن جميعاً معاول بناء لا معاول هدم ، بذلك نعاون فى بناء صرح المعرفة ونضيف إلى هيكل الحضارة

ولقد تركت عن عمد الجرائد اليوم لأتصل بالقارئ وتغلبت على نفسى بالاستماع إلى قطع موسيقية ، وكان فى « غابة فيينا لستراوس » ، وفى « الرابسودى المجرية » للحنها « ليست » Lizst ما استحثنى على الكتابة وشدد قواى على التفكير ، وستكون غايتى اليوم أن أرفه عن القارئ بكلمة من نسج الخيال ، ولكنه خيال جائز ، خيال له اتصال بالموضوعات الأخيرة التى تعرضنا لها

* * *

عند ما نتصفح أنباء المعارك الدامية بين البشر ندرس ناحية من صفات الإنسان الذى تطورت حالته على هذه الأرض من مخلوق عاجز عن القيام بتافه الأمور إلى مخلوق يستخدم ذكاءه فى ضرره مرة وفى نفعه أخرى . ثمة عقيدة بأن هذا المخلوق هو أرقى المخلوقات طرا لأنه سما على كل ما يدب على وجه الأرض بذكائه ومقدرته

وإن جاز لنا أن نعتقد أنه المخلوق الوحيد من نوعه فى الكون لتوافر اشتراطات طبيعية عديدة لاءمت وجوده على النحو الذى هو عليه لا يمكن أن تتوافر كاملة على غير هذه الأرض ، فلا يجوز لنا أن نجزم باستحالة وجود مخلوقات أخرى على الكواكب لها صفات تختلف عن صفات إنسان هذه الأرض

إنما يجيز المنطق إن لم يحتم على الباحث ألا ينفى وجود كائنات أخرى غيرنا على الكواكب ما دام الكون يشمل ملايين الكواكب السيارة ، وما دام بين هذه الكواكب حتما ما تسمح معه الظروف الطبيعية بإمكان وجود نوع من الحياة يشبه حياتنا ، أو نوع آخر من الحياة يختلف عنها ؛ على أن المنطق يدلنا أيضاً أنه لا يجوز لنا أن نعتقد بوجود أوجه شبه شديدة بيننا وبين هذه المخلوقات . وإذا كانت الأحوال الطبيعية الملائمة على سطح الأرض رغم تقاربها لم تكن كافية ليظهر فى نوع الإنسان رجال من شكل واحد ، فما أبلغ الفارق عند ما تختلف الأحوال الطبيعية بين ما فى الأرض وما فى غيرها من الكواكب وبالتالى بين سكان الأرض وغيرنا من الأحياء خارجاً عنها ؟ ، وإذا كان الرجل الجاوى أو الصينى الذى تنسم نسيم جاوه أو الصين يختلف كثيراً عن الرجل المصرى أو العراقى الذى يتنسم نسيم مصر أو العراق ، والذى تذوق ماء النيل أو الفرات ، ويختلف هذا وذاك عن الفرنسى مثلاً ، فما عسى أن يكون الفارق إن تحقق لنا ما يكون عليه مخلوق راق يعيش فى كوكب آخر غير كوكبنا وفى مجموعة شمسية غير مجموعتنا ؟

ونحن فى هذا تسوقنا فكرة الإشعاع إلى تصورات ينبنى التأمل فيها عندما نجيز لأنفسنا التحدث عن مثل هذه المخلوقات [1] التى نعتقد أن وجودها أقرب إلى الحقيقة منه إلى الخيال

* * *

ذكرنا فى مقالاتنا الأخيرة أن الكون زاخر بمختلف الإشعاعات التى لا تراها عين الإنسان ولا تشعر بها حواسه ، وأن الضوء والكهرباء نوع واحد من الإشعاع ، وإننا لا نرى من الأشعة إلا شيئاً طفيفاً إزاء ما لا نراه . ذلك لأننا خلقنا بحيث لا نرى من الكون إلا يسيراً من مكوناته العديدة الممتدة بعيدة عن حواسنا

ولو أن كائناً غير الإنسان تكونت عنده حاسة النظر بطريقة يرى الأشياء بطولها وبعرضها ، ولكن لا يستطيع أن يدرك منها ارتفاعها (هذا النوع من الكائنات يجوز وجوده أو هو موجود فعلاً) ، فإن صور الأشياء تختلف عند هذا الكائن عن صورها عندنا ، فإذا امتد نظره من علٍ إلى مركبة ترام رأى هذه المركبة مستطيلاً يسير بين خطين يمثلان حدى الطريق الذى تسير فيه ، ورأى « الكمسارى » والسائق دائرتين إحداهما مجاورة لأحد أضلاعه والثانية تتنقل على حافته طوراً تقترب من ضلعه الأعلى وتارة تقترب من ضلعه الأسفل ، ويرى الجمهور دوائر كثيرة

(١) هذا ما سنشرحه فى المقال القادم

متراصة فى صفوف متوازية داخل هذا المستطيل المتنقل

إن هذا الكائن المسكين لا يستطيع أن يرانا على حقيقتنا ، فلا تطابن إليه ، وهو لا يرى من مركبة الترام إلا هذا المستطيل المتنقل ، أن يستوعب ما فيها من مادة الخشب أو يذهب فى الفكر إلى أكثر من ذلك فيفهم ما يحمله الخشب من أجهزة الكهرباء أو يفهم خواص أو ماهية هذه الظاهرة

ثمة ثلاثة مراحل فى التطور أمام هذا المخلوق :

الأولى : وهى التى وصل إليها فعلاً أن يرى الأشياء بمساقطها فيرى فى المركبات هذه المستطيلات المتحركة

الثانية : أن يدرك هذه المركبات بارتفاعها ويستوعب أيضاً مادتها

الثالثة : وهى أصعب هذه المراحل ، أن يدرك أعجب ما فى تركيبها فيفهم أننا نستخدم فيها ظاهرة عجيبة هى ظاهرة الكهرباء فيعلم بذلك أمراً خافياً خارجاً عن تركيبها الظاهرى ، أمراً يحمل لها شيئاً شبيهاً بالحياة إن صح أن الحركة من أهم مميزات الحياة .

***

نقف الآن عند هذا الحد من المقال ، وما قصدنا من هذه السطور إلا لتكون مقدمة للمقال القادم

إنما نترك للقارئ فرصة يتأمل فيها لماذا اخترنا هذا النوع من المخلوق العجيب الذى لا يرى من مركبات الترام إلا مستطيلات تتنقل فى الطرقات التى يراها خطوطاً ممتدة فى المدينة ، ولا يرى من جمهور الراكبين وهو ينظر إليهم من مستو عال إلى دوائر متراصة فى صفوف متوازية ، ولا يرى من « الكمسارى » إلا دائرة تتنقل على حافة هذا المستطيل

ولم يكن مقالنا اليوم بالموضوع الذى يشق على الفهم ، ويحتاج إلى طرف يسير من المقدمات العلمية ، أفكان لموسيقى « ستراوس » و « ايست » سبب لكى ننحو هذا النحو من التأمل ! ربما كان لذلك أثر ؛ ولكن مما لا ريب فيه أننا كنا فى حاجة إلى هذه النغمات نستمع إليها بعد ما تملك النفس من الاضطراب المتوالى فى الأيام الأخيرة ، ولا شك فى أن القارىء كان هو أيضاً فى حاجة إلى هذا النوع من الترفية عن النفس وتسكين الخاطر

وإلى المقال القادم ، فإننا فى حاجة إلى هذا المخلوق العجيب لكى نشرح موضوعاً يلتمع فى الذهن ويجول فى الفكر .

محمد محمود غالى
دكتوراه الدولة فى العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية . ليسانس العلوم الحرة . دبلوم المهندسخانة



أندريه موروا يبحث عن شخصية جديدة

يبحث الكاتب الفرنسي أندريه موروا عن شخصية جديدة على غرار شخصية « كولونيل برامبل » التي ابتدعها أثناء الحرب الماضية وسجلها في كتابه المعروف « صمت الكولونيل برامبل »

ولقد زار موروا أخيراً أحد مراكز التدريب بسلاح الطيران الملكي في انجلترا ، وكان قد دعي لإلقاء خطبة على عدد كبير من طلبة الطيران . فقال : « لا مراء في أن يكون الكولونيل الأول قد ناهز السبعين من عمره ، وأنا اليوم أبحث عن حفيده . وسيكون بحثي عنه هذه المرة في سلاح الطيران الملكي . ولا شبهة عندي في أن الصفات التي جعلت من الشيخ ضابطاً ممتازاً ستجعل من الحفيد ضابطاً ناجحاً . فهل لي أن ألتمس منكم المعونة على العثور عليه ؟ »

والمسيو موروا ملحق بالقيادة البريطانية العامة في فرنسا ، كما كان في الحرب الماضية . وقد بذل جهداً جباراً ليسهل على الفرنسيين فهم الإنجليز وتقديرهم . ونال المسيو موروا وسام (ك . ب . ا) في عام ١٩٣٨ ، وهو يحمل وسام اللجيون دونير كما هو حاصل على درجات الشرف من جامعات اكسفورد ، وادنبرة ، وسانت أندروز

ومن مؤلفاته المعروفة : « آريل — أو حياة الشاعر شيللي » و « دزرائيلي » و « بيرون » و « فولتير » و « الملك ادوارد وعصره » و « ديكنز » و « تاريخ لانجلترا »

المعاهد الأجنبية في مصر

يبلغ عدد المعاهد الأجنبية في مصر ٤٠٠ معهد ، منها ١٨٥ معهداً فرنسياً ، و ٦٤ معهداً إيطالياً ، و ٦٢ معهداً يونانياً ، و ٤٢ معهداً انجليزياً ، و ٣٨ معهداً أمريكياً ، وأربعة معاهد ألمانية ، ومعهدان روسيان ، ومعهدان هولانديان ، ومعهد سويسري وآخر سويدي

ويبلغ عدد المعاهد التي أسست لأغراض دينية ٣٠٧ أي ٧٦ ٪ من مجموعها ، منها ١٦٣ لفرنسا ، و ٤٥ لإيطاليا و ٣٥ لليونان ، و ٢٤ لانجلترا ، و ٣٥ لأمريكا ، ومعهدان لألمانيا ، ومعهدان لهولندا ، ومعهد للسويد

ويبلغ عدد التلاميذ الملحقين بهذه المعاهد ٧٥ر٣٩٢ تلميذاً وتلميذة ، منهم ١٠ر٩١٥ من التلاميذ والتلميذات المسلمين ، و ٦ر٩٣٤ من اليهود ، والباقي من المسيحيين والأقباط

ويبلغ عدد المعاهد التي ليس بها مسلمون ١٠٣ ، وقد لوحظ أن أكثر المدارس الأجنبية غير الدينية ليس بها تلاميذ مسلمون

المعاهد الفرنسية

يبلغ عدد التلاميذ بهذه المعاهد ٣٤ر٥٠٨ منهم ٦٢١٤ من المسلمين أي بنسبة ١٨ ٪ . ويبلغ عدد المعاهد التي بها أقل من ٥٠ تلميذاً ٢٦ ، وأقل من ١٠٠ تلميذ ٦٥ ، وأقل من ٢٠٠ تلميذ ١٢١ ، وأكثر من ٥٠٠ تلميذ ١٣ ، وأكثر من ألف معهداً واحداً

المعاهد الإيطالية

يبلغ عدد التلاميذ بهذه المعاهد ١٢ر٧٦٩ منهم ١٨٠٤ من المسلمين أي بنسبة ١٤ ٪ ، ويبلغ عدد المعاهد التي بها أقل من ٥٠ تلميذاً إثنين ، وأقل من ١٠٠ تلميذ ٢٠ ، وأقل من ٢٠٠ تلميذ ٣٦ ، وأكثر من ٥٠٠ تلميذ معهدين

المعاهد اليونانية

يبلغ عدد التلاميذ بهذه المعاهد ١٢ر٣١٣ منهم ١٦٠ فقط من المسلمين أي بنسبة ١ ٪ ، ويبلغ عدد المعاهد التي بها أقل من ٥٠ تلميذاً ١٦ ، وأقل من ١٠٠ تلميذ ٢٨ ، وأقل من ١٠٠ تلميذ ٤١ ، وأكثر من ٥٠٠ تلميذ ٥ ، وأكثر من ألف معهداً واحداً

المعاهد الإنجليزية

يبلغ عدد التلاميذ بهذه المعاهد ٦٠٩١ منهم ٦٤٥ من المسلمين أي بنسبة ١٥ ٪ ، ويبلغ عدد المعاهد التي بها أقل من ٥٠ تلميذاً ٩ ، وأقل من ١٠٠ تلميذ ٢٢ ، وأقل من ٢٠٠ تلميذ ٣٣ ، وأكثر من ٥٠٠ تلميذ معهداً واحداً

المعاهد الأمريكية

يبلغ عدد التلاميذ بهذه المعاهد ٧٦٩٧ وإن كانت أقل عدداً من المعاهد الإنجليزية منهم ١٦٥٥ من المسلمين أي بنسبة ٢١ ٪ ويبلغ عدد المعاهد التي بها أقل من ٥٠ تلميذاً ٩، وأقل من ١٠٠ تلميذ ١٢، وأقل من ٢٠٠ تلميذ ١٩، وأكثر من ٥٠٠ معهداً واحداً

المعاهد الأخرى

يبلغ عدد التلاميذ بالمعاهد الألمانية ٥١٧ منهم ١٣١ من المسلمين، أي بنسبة ٢٥ ٪، وهذه المعاهد الأربعة موزعة بين القاهرة والأسكندرية وأسوان

ويبلغ عدد التلاميذ بالمعاهد الهولندية ٢٥٠ منهم ١٢٢ من المسلمين، والمعهدان الهولنديان في مديرية القليوبية

ويبلغ عدد التلاميذ بالمعهد السويسري في الأسكندرية ٧٠ تلميذاً منهم ثلاثة من المسلمين

ويبلغ عدد التلاميذ بالمعهد السويدي ٥٩ منهم ٤ من المسلمين وهذا المعهد في مديرية الدقهلية

ويبلغ عدد التلاميذ بالمعهدين الروسيين ١١١٨ تلميذاً منهم ١٧٧ من المسلمين

إلى الأستاذ عباس محمود العقاد

عزيزي الأستاذ الزيات

يسرني أن أنقل إليكم ما لمسته في أجواء الأدب عندنا من ارتياحها إلى مقالكم البليغ الشائق عن (رأي الرافعي في الأستاذين طه والعقاد)، وتشوقها إلى الاستزادة في تسجيل هذه الأحاديث الطريفة التي يتناقلها كبار الأدباء في مجالسهم الودية الخالصة حيث تتجرد النفوس من ملابسات الخصومة، وتبرأ من نزوات الضغينة، وتتخفف من أحقادها الطارئة وبدواتها العارضة ...

وفي الحق أنك كنت ظريفاً لبقاً في حديثك مع الرافعي فقد استطعت — في شيء من مكر الصحفي — أن تستدرج الرجل وتستخرج من فمه — في غفلة من غرائزه النائمة — هذا الحكم السديد الرشيد في أدب الأستاذ العقاد. وهنا أحب أن أوجه سؤالاً إلى الأستاذ الكبير العقاد أظنه يتردد على لسان كل قارئ عربي مثقف

قد رأيت يا سيدي، الأستاذ أن الرافعي قد استطاع أن ينسى الماضي بأحقاده وضغائنه فاعترف لصديقه الزيات أن كتابه «على السفود» لم يكن وحياً من الله وإنما كان رجساً من عمل الشيطان. ولم يقف اعترافه عند هذا الحد بل عمد إلى تحليل مذاهبك الأدبية بنزاهة عجيبة

فهل لنا أن نأمل منك أن تحدثنا بفصل تنشره في الرسالة عن رأيك الصحيح الصريح في أدب الأستاذ الرافعي فتنصف هذا الأدب من أن يتهجم عليه أولئك الذين ارتجلوا حرفة الأدب ارتجالاً وانتحلوها انتحالاً ... إن جمهرة القراء عندنا تستشرف نفوسها جميعاً إلى علالة منك تبل بها الصدى؛ وحديثك الصحيح الصريح في أدب الرافعي هي العلالة التي يرتقبونها من زمان بعيد

فهل يتحقق هذا الرجاء؟ وهل تصدق هذه الأمنية؟

إنا لمنتظرون ...

(حمص) عبد القادر جنيدي

رأي الأستاذ الشاعر «أبو شبكة» في ليالي الملاح التائه

هذا شاعر أحبه، وقد زاد حبي له منذ أن أقصى لقب مهنته عن اسمه الشعري، فلعهد خلا كان يدعى «علي محمود طه المهندس» فتذمرت من هذا اللقب في معرض حديث لي عن شعراء مصر، وهمست في مسمع الشاعر أن كلمة «مهندس» تنفر أذني الموسيقية بما تنطوي عليه من الخطوط والمنعرجات، وتشبكني بقضبان وحبال لا أطيقها. وكأنه يحبني هو أيضاً ويحترم أذني الموسيقية، فارتفع بين ليلة وضحاها من «علي محمود طه المهندس» إلى «علي محمود طه»

وعلي محمود طه من أجل شعراء مصر. فالجمال مزروع في جميع قصائده، حتى في «أفراح الوادي» منها. ولكم تمنيت لو أفرغ مجموعته الأخيرة «ليالي الملاّح التائه» من قصائد «أفراح الوادي» وأبقى هذه الأخيرة لمجموعة أخرى يوعيها ما يعرض لخاطره من أسباب التهاني والرثاء ...

* * *

استهل الشاعر مجموعته بـ «أغنية الجندول Gondole» وقد تكون هذه القصيدة أشعر ما في «ليالي الملاح التائه» وأجمل وأطرب، وكفى ... لا أعلم ما بي ... أتراني متبرماً هذه الليلة؟

فتعريف الشاعر لقصيدته الساحرة هذه بأنها « تغريدة الموسيقار الكبير الأستاذ محمد عبد الوهاب » لا يعلى مقامها فى نظرى . فعبدالوهاب يغرد لمن هب ودب من الشعراء فضلاً عن أنه لا يشرف شاعراً كعلى محمود طه

* * *

أما أعمق قصائد « ليالى الملاح التائه » فهى ولا شك قصيدة « كأس الخيّام » فقد قدر الشاعر فى قصيدته هذه على التسلل إلى خوابى نيسابور فشرب من الخمرة التى أسكرت عمر الخيام ، ورأى فى هذه الخمرة ما لم يره الدهماء من الناس :

قصة الزهد التى غنوا لها   عللتهم بالسراب الخادع
نشوة الشاعر ما أجملها   هى مفتاح الخلود الضائع

لقد سكر من خمرة الشاعر فجاء بشعر روحانى من نسيجه ، وغمرك بجو سرى يدرك بالحس إذا أرهف وعمق ، ويحملك - على غير هوى منك - إلى نعيم من الحياة لن تقدر لك متعة فيه إذا لم تكن شاعراً فى أعماقك

كأس الخيّام هى الحياة كما يجب أن تكون ، فيها الخمرة الخالدة ، هذه الخمرة التى فقدها الشعراء :

أيها الخالد فى الدنيا غراماً   أين نيسابور والروض الأنيق
أين معشوقك إبريقاً وجاما
هل حطمت الكأس أم جف الرحيق ؟

وكأنى بالشاعر قد فرغ الشعراء من حوله ، يقول لهؤلاء : « الكرمة ما تزال خضراء ، والمرأة ما تزال جميلة ، والطبيعة لم تخل عن عهدها ، فلمَ خثر فيكم الحس وجف الرواء ؟ أتراكم ضللتم طريق الخمارة الحبيبة ؟ »

كلما لألأ فى الشرق السنا   دقت الباب الأكف الناحله
أيها الخمار قم وافتح لنا   واسقنا قبل رحيل القافله

لزوال الحياة وأوهامها اللذيذة فى هاتين الكلمتين : « رحيل القافلة » ، وقعة فى نفسى كتلك « الكوكو » من مطوقة الخيام على طاق كسرى

وقد لا تشيع فيك الكآبة مما فى « ليالى الملاح التائه » ، حتى تشيع فيك غمرة من الطرب ، ويلتقى هذا الطرب وتلك الكآبة فى مزيج بلطف فى نفسك ويخلق حولك جواً يوحى إليك شوقاً وحسرة ، شوقاً إلى متع الحياة ، وحسرة على زوالها

ها هم العشاق قد هبوا إلى الوادى خفافا
أقبلوا كالضوء أطيافاً وأحلاماً لطافا
ملأوا الشاطئ همساً والبساتين هتافا

للصبا والحسن والحب هنا   يا حبيبى هذه الدنيا لنا
فاملأ الكأس على شدو المنى   واسقنا من خمرة الرين ، اسقنا

أجل ، أيها الشاعر ، إن الدنيا للشعراء ما بقى الحب فى قلوبهم

المكشوف   الياس أبو شبكه

تصويب

سيدى الأستاذ البليغ أحمد حسن الزيات صاحب الرسالة :

تحية وسلاماً . وبعد فقد رأيت فى العدد (٣٥٤) من مجلتكم الغراء تصويباً جاء فى صفحة البريد الأدبى بقلم الفاضل (محيي الدين اسماعيل) من البصرة يصحح فيه قول أستاذنا الطنطاوى : « يستقرى رمال الدأماء » الذى جاء فى مقاله بالعدد الممتاز . وقد استرعت هذه الكلمة نظرى بشكل خاص لأن هذا المعنى المبتكر فى الأدب العربى كان قد استوقفنى أيضاً حين قراءتى المقال منذ بضعة أسابيع . ولكننى لم أكتب شيئاً لعل الأستاذ يعود فيبين مرماه فى هذا التعبير . ولكنه لم يفعل ، والظاهر أنه أدرك أن هذا الأمر بيّن لا يحتاج إلى بيان . فأحببت بعد أن أعود إلى الموضوع — بإذنكم — وأنوّه عنه بكلمتين مخافة أن يخطئ فى فهمه بعض القراء كما حدث لصديقنا الأديب البصرى

لم يقصد الكاتب الصحراء (بالدأماء)، وإنما كان يعنى البحر الحقيقى ، ومن المعلوم أن رمال البحر لا تقل عن رمال الصحراء واستقراؤها أصعب . لذا كان التشبيه بها أبلغ ، ووجودها فى القعر لا يمنع ذلك ، ولا أزال أذكر جيداً ذينك المثلين المشهورين فى الأدب التركى : « أكثر من رمال البحر » و « فى البحر الرمال وعنده الأموال »

(بغداد)   فيصل صبيح نشأت

علاج للفتاة المنكوبة

حضرة الأستاذ الفاضل رئيس تحرير مجلة الرسالة الغراء

تحية واحتراماً وبعد ، فقد كتب الأستاذ المويلحي بالرسالة أخيراً يستنجد بأهل المعرفة لفتاة نكبت بلحية كثة للبحث عن علاج لهذه النكبة البدنية ، وفيما يلي ما يعرف عن الموضوع :

المعروف أن هرمون الغدة القشرية فوق الكلى له تأثير كبير فى خلق مميزات الرجولة المتعددة ، وما نكبت به الفتاة وما يحتمل أن يبدو عليها من مظاهر أخرى فى المستقبل يعود إلى نشاط هذه الغدة الزائدة، وهذا النشاط يعلل عادة بوجود أورام فى الغدة تسبب هذا الهياج ، وعلاج الحالة جراحى باستئصال الورم ، ولا تمس الغدة لأن فى استئصالها الموت فى التو واللحظة

وتصاب المرأة فى سن اليأس بشارب خفيف ومرجعه هو ضعف المبيض فى سن اليأس ، وهذه الحالة متداركة بالعلاج لهرمونات المبيض

ويلاحظ العلامة Binet أن الغدة الدرقية غدة نسائية ، أى أنها تكبر حجما عند النساء عن الرجال ، وقد يكون نشاط الرجل أكثر من المرأة راجع إلى كبر الغدد الأدرينالية (مجموع الغدد فوق الكلى) التى تعتبر غدد النشاط الإنسانى عند الرجال .

كامل يوسف

عضو المعهد الفلدى البريطانى بلندن

حول نقد

حضرة الأستاذ الفاضل صاحب الرسالة :

الأستاذ عزيز فهمى أخطأ فى روايته عن خطبة الأستاذ توفيق دياب خطأ طفيفاً لا يمس لب الموضوع حين ذكر أن خطبة البلاذر كانت فى رثاء سعد ، بينما هى لم تكن إلا لتأييد مرشحى الوفد بالأسكندرية وقد كنت من شهود الحفلة التى وصفها الأستاذ عزيز ، ولا تزال ماثلة فى ذاكرتى وذاكرة كل من حضر تلك الحفلة الانتخابية، وأظن أن الأساتذة: ممدوح بك رياض وعبد الفتاح الطويل وحسن مرور كانوا من شهود هذه الحفلة . . .

« السويس » **محمد محمود دراز**

آدم

حضرة الأستاذ صاحب الرسالة

تحية ... وبعد فقد قرأت فى العدد ٣٦٠ من الرسالة الغراء مقال (الأسماء تعلل) للأستاذ مأمون عبد السلام، وهو فى الحقيقة بحث قيم ودراسة ممتعة تعتبر خلاصة لتاريخ وضع الأسماء ومعانيها . ولقد أقام الكاتب الدليل على أن الأسماء تعلل . وبذلك هدم النظرية القائلة بأن (الأسماء لا تعلل) غير أنى أعتقد أن الكاتب أخطأ فى علة تسمية (آدم) إذ قال : « . . . فمعنى كلمة (آدم) الرجل لأنه أول رجل خلقه الله » والصواب عندى هو أن (آدم) سمى بهذا الإسم لأنه خلق من أديم الأرض ـ أى من قديمها ـ هذا ما أعتقده والسلام على الأستاذ

(ع . ع)

الكتب

وحى الرســالة

فصول فى الأدب والنقد والسياسة والاجتماع

[٤٨٠ ص من قطع الثمن . مطبعة الرسالة ١٩٤٠ . القاهرة الثمن ٢٥ قرشاً]

بقلم الدكتور إسماعيل أحمد أدهم

وهذا كتاب جديد تظفر به المكتبة العربية فى هذه الأيام . أخرجه للناس الأستاذ أحمد حسن الزيات صاحب مجلة الرسالة . والزيات — كما يعرفه قراء الأدب العربى — من أعلام النهضة الأدبية الحديثة ، ومن قادة البيان الصحيح . اشتغل زمناً بالتعليم ثم انقطع للصحافة الأدبية الخالصة ، فكانت له مجلة « الرسالة » وهى سجل الأدب وديوان العرب اليوم

وقد جمع الزيات بعض مقالاته الافتتاحية التى كتبها فى الرسالة على مدى ثمانية أعوام فى كتاب ، لأنها فى مجموعة أدل على الغرض والفكرة وأعم فائدة منها وهى متناثرة على صفحات الرسالة . ونظراً لأن هذه المقالات من وحى رسالته ، لهذا جاءت تسميتها « بوحى الرسالة »

وهى فصول متناثرة يتنازعها الأدب الصرف والفكرة الاجتماعية المصلحة والنظرة النقدية الصائبة . وهى كلها بعد ذلك تفيض من أصل أدبى وتاريخى من شخصية الكاتب متخذة لوناً خاصاً . والزيات أديب فنان ، يحسن إبراز الحياة التى فى الأشياء بالفكرة التى تنطوى عليها ، وبالعاطفة التى تحملها فى طياتها ، وبالخيال الذى تحتوى عليه . ومن هنا نجد التنوع فى جال كتابة الزيات التى تتوازن فيها الفكرة مع العاطفة مع الخيال ، والتى تتناسب كلها مع صناعة فنية بارعة تفرغ كل هذه الأشياء فى صورة أدبية وقالب فنى محكم . والحق أن الزيات هو الأديب العربى الوحيد بين كتاب اللغة العربية اليوم الذى تميزت فى ذهنه مدلولات الألفاظ فعرف دقائقها وأدرك الأسرار العربية المحيطة بها ، ومن هنا تراه يلبس فكرته وإحساسه وخياله اللفظة الخاصة بها ، التى تعطى لونها من لغة الكلام

ويستهل هذا الكتاب بفصل مستفيض عن الجمال ، ترى الكاتب بأسلوب المنشئ البليغ يعرض لماهية الجمال ، ولغلبة الأصل الفنى فى نفس الكاتب نجده يبتعد عن مناقضات الفلاسفة وعلماء الجمال (البديع asthetique) فالجمال عنده يقوم على القوة والوفرة والذكاء ، وينشئ فى الذهن فكرة سامية ، ويبعث فى النفس إحساساً وشعوراً صادقاً ، ويثير الخيال ويحرك التصور . وهو يتبسط فى شرح هذه المبادئ تبسط الأديب الفنان الذى لا يعنيه الأسباب قدر ما يعنيه الكنه والروح ، وينتهى من بحثه إلى نتائج مهما نازعته فى أمرها ، فلا يمكنك أن تنكر عليه بعد ذلك صفة العمق فى الفكرة والدقة فى التصوير والصدق فى التعبير . ثم هنالك فصل عن الرافعى يعتبر من خير الفصول الأدبية التى كشفت عن عبقرية هذا الأديب الذى لا نشك لحظة فى أنه سيخلد ما بقيت العربية وبقى إنسان يعرفها . وفى هذا الفصل يبين الزيات خصائص أدب الرافعى فى قصد واعتدال ، فالفكرة مبسوطة بقدر ، والتعبير نازل تماماً على قدر المعنى

والحقيقة أن الزيات قد خلف فى مدرسة البيان العربى المرحوم الرافعى ، وهما على ما بينهما من اختلاف فى الطبع وتباين فى المزاج وتفاوت فى الثقافة إلا أن قوة الفن وحركة الذهن تجمعهما . وإن كان ذهن الزيات يختلف عن ذهن صاحبه من جهة الصفاء وعدم انقطاع الصلة بينه وبين عقل الناس . فمعانيه مفهومة وهى ذات أصل دقيق من الفكر . وفكر الزيات ملتقى العقلين العربى والغربى ، العربى فى جلالته وروعته ، والغربى فى عظمته وترتيبه وانتظامه ودقته

* * *

وجملة القول أن هذا الكتاب من خير الكتب التى تمسك على الناشئة أسلوبهم وتميل بتعبيرهم إلى البيان الصحيح ، ومن هنا كان جديراً بالتقدير ، إذ يقف أمام عوامل العجمة والتضعضع الطاغية على أقلام الناشئين من كتاب اليوم

« أدهم »

وجيــــدة

قصة للأستاذ شعبان فهمي

[٢٧٦ صفحة من القطع الصغير . مطبعة صلاح الدين .
الاسكندرية ١٩٤٠ . الثمن ٨ قروش مصرية]

بقلم الدكتور إسماعيل أحمد أدهم

وهذه قصة جديدة هي باكورة آثار الأستاذ شعبان فهمي ، وهو أديب مصري شاب . أقام بفرنسا فترة من الزمن ، فاتصلت به الأسباب بالجهود الفنية القصصية الكبرى هناك ، فكان من ذلك أن اتجهت قابلياته الأدبية اتجاهاً قصصياً . تظهر فيما له من براعة في السرد وحبك الحوادث ، وهذه القصة على الرغم مما فيها من العيوب الفنية تعتبر النموذج الأول للقصة المصرية الواقعية ، وهي في الوقت نفسه باكورة طيبة للارتفاع بشأن القصة الطويلة في مصر . وهي على الرغم مما فيها قوية في روحها ، تمتاز بانفراج عنصر الحياة التي فيها واتساعها ، ولكن الحشد الكثير للوقائع والتفاصيل ، ثم الاقتصاد في الوصف والتحليل للوقائع الرئيسية وللمواقف المهمة ، ألقى على جوّها شيئاً من الضعف والفكرة التي تمسك على هذه القصة أسبابها متوافقة الأجزاء ، فيها تناظر وانسجام . فهذا منير حمدي شاب مصري يستقبل الأسكندرية بعد غيبة سنتين في فرنسا يدرس فيها الحقوق فلا ترى وصفاً للمشهد العام للأسكندرية من البحر ولا تحليلاً مسهباً للمشاعر التي استولت على نفس الشاب، وإنما تجد الكاتب يطوي الموقف بسرعة معتنياً بوصف تفاصيل لم تكن لازمة ليدنيك أخيراً من خاتمة المشهد المؤلم ، وهو لقاء منير حمدي لوالده بعد غيبته ، وهو على سرير الاحتضار ، ويصبح الفتى بعد وفاة والده موضع العناية والرعاية من عمه الذي يحب أن يظهر له عنايته ورعايته بأن يشجعه على المضي في دراسته حتى يستطيع أن يتزوج ابنته سنية، ويعلن منير الخبر لبعض معارفه ، فتنتهي إلى سمع سنية التي تثور لأنه لم يحدث أن أخذ رأيها في مسألة زواجها منه . غير أنها تظهر بعد ذلك تحفظاً واقتصاداً معه ، والفتى في تقلب من الحال تتنازعه إغراء الفتيات وقلبه متفتح لإغرائهن وفي يوم ومنير بصحبة «سنية» ابنة عمه في مرقص ، يحدث أن يتوعك مزاجها وتصاب بدوار ؛ فيخرج مندفعاً ليجلب لها قرص « اسبرين »

من صيدلية قريبة ، ولكنه لا يحس بنفسه إلا وهو في مفترق الطرق حيث سيارات تمر وعربات تجري وترام قادم ، فيجري ويغيب على الدنيا ، ويصحو ليجد نفسه في المستشفى وسنية إلى جواره . ويشعر بألم في طرف قدمه اليمنى فيلقي نظرة فلا يجد سوى قدم واحدة ، أما الأخرى فقد بترت . وتتغير العلاقة بين سنية ومنير ، فسنية ترى أنها مسؤولة عما أصاب ابن عمها منير، ويزيح منها إحساس العطف والحدب كبرياءها فتنكشف لما ما تكنه له من حب في أعماقها . غير أن منير يحمل هذا الحب على شفقتها عليه فلا يشجعها في حبها له ويعيل عنها ، وإن كان في صميمه يميل إليها . وهكذا يتغير الموقف في القصة . وفي هذا التغيير الذي أحدثه الكاتب ما يدل على براعة فنية غير أن منير تحت تأثير كبريائه يحاول أن ينسى سنية . وينساها بالانهار في شخصية وجيدة التي تحدب عليه وتعطف . ويسافر منير مع وجيدة إلى باريس ليكمل علومه ، وهنا يعقد عليها زواجه تحت تأثير ثورة من ثورات كبريائه أمام حب سنية له التي كتبت إليه تشكو تباريح غرامها له . والقصة في جزئها الأخير تفقد اتزانها وتناظرها الفكري ، إذ تزيح وجيدة شخصية سنية من جو القصة وتحتلها ؛ ولو كان الكاتب اتخذ من وجيدة شخصية عارضة تجيء لتحدث التوازن بين منير وسنية ، حيث ينزاح عن منير كبريائه وعن سنية شعورها بالمسؤولية فيما أصابه ، ويبدو حبهما لبعض خالصاً ، فإن القصة كانت تتخذ وصفاً أدق للكمال ؛ ومن هذا يمكن اعتبار استهلال القصة أبرع ما فيها من جهة الفكرة المتسقة المسيطرة عليها

وفي القصة مفارقات عجيبة ، فبينما تجد أن شخصيتي منير وسنية متميزتان ، تجد شخصية وجيدة عادية ، رغم ما حاول الكاتب أن يبسطه عليها من الإبهام . وهي برغم عادية شخصيتها ترتبط بشخص منير المتميز الذي ينفصل عن شخصية سنية المتميزة. ولا شك أن هذه المفارقة نتيجة ميل المؤلف مع الفكرة الرومانتيكية حيث الخروج على القواعد الكلاسيكية في القصة . كما وأنه من اللاحظ على شخصية منير اضطرابها وضعفها ، فهو لا يقدر على إثارة حب المرأة له إلا عن طريق إثارة شفقتها عليه ، وهو في الوقت نفسه ثائر لكبريائه ، وفي هذا الاضطراب تقوم شخصيته التي تخلق أعمال القصة بالتداخل مع الشخوص التي تقابله . غير أن الكاتب تمكن من إيجاد الموازنة بين شخصية منير وشخصية



قصـــــة أم

للكاتب الدانمركى « أندرسن »

« عالج أندرسن القصة الرمزية فبرع بها إلى حد بعيد . وقد لاقت أقاصيصه ومؤلفاته أنصاراً ومعجبين لا يكاد يحصيهم العد ، وترجمت مؤلفاته إلى كثير من اللغات ، فتناقلتها الأيدى وانكب عليها الأدباء والمتأدبون يقرأونها ويدرسونها ، وما يزدادون بها — على كر الأيام ومر الليالى — إلا إعجابا وافتتانا .

و « قصة أم » من أحسن أقاصيصه وأكثرها روعة وجمالا ؛ تصور عاطفة الأم المتوقدة ، وحنانها المشبوب ، وحبها الذى لا يدانيه حب . »

كانت الأم جالسة إلى جانب ابنها الطفل متجهمة الوجه مقطبة الأسارير ، يبدو على محياها الحزن بأجلى معانيه وأوضح صوره

لقد كانت تهاب الردى أن يمد إليه يمينه فينتزعه من بين أحضانها . أما وجه الطفل الصغير ، فقد كان شديد الشحوب كثير الاصفرار ، وعيناه الصغيرتان كانتا مغلقتين بهدوء ودعة، كان يتنفس ولكن بجهد وعناء ؛ وقد يتنفس مل‍ء رئتيه ويبعث مع أنفاسه أصواتاً غريبة ، حتى ليخال الناظر إليه أنه ينتحب بحسرة وألم . غير أن مرأى الأم الحزينة كان يدعو للشفقة والرحمة أكثر مما يدعو لذلك منظر الطفل المحتضر

ها هو الباب يطرق... ثم يدخل منه رجل فى خريف حياته يرتدى معطفاً من جلد الفرس الكثير الدفء ، وحق له أن يرتدى مثل هذا المعطف ؛ فإن الفصل فصل شتاء ، والبرد برد قارس . وفى خارج المنزل كانت الثلوج تجلل كل شىء ، والجليد يحجب عن الأنظار كل موطئ ، والرياح الهوج تزفر وتئن ، حتى لكأنها توشك أن تمزق الوجوه

كان الزائر المسكين يرتعش من البرد ويرتجف ، وبما أن الطفل قد أغمض جفنيه ليغفى بضع دقائق ، فقد ارتأت الأم أن تضع للعجوز إبريقاً من الجعة صغيراً ليدفىء به جسمه ، ويطرد البرد من كيانه ؛ فلما قامت الأم إلى ذلك دنا العجوز من سرير الطفل وأخذ يهزه برفق ... وعادت الأم بعد حين ، فتناولت كرسياً مفكك الأجزاء مضطرب القوائم ، ودنت به من مكان العجوز . وأمسكت يد الطفل الصغيرة بين راحتيها وأخذت تتأمله بحب وحنان ، بينما كان الطفل المريض يتنفس بجهد أكثر وعناء أشد

وجيدة بتداخل سنية بخطاب ترسله إلى منير تبثه حبها له . فتثور كبرياؤه ويرضى بالزواج من وجيدة . وفى ظله ما يجد راحته النفسية حيث حاجته للمرأة ، لم تكن لزوجته فحسب ، تشغل منه مكان النصف المكمل ، بل كانت حاجته للمرأة كزوجة وأم تشغل منه مركز الأنثى من الرجل، لا مركز الأم من وليدها حيث تحدب عليه . ووجيدة بشخصيتها فيها ما يشبع هذه النواحى من نفس الفتى ، وفى هذا سر تغلب دورها فى القصة على دور سنية

أما المميزات الفنية فى القصة فتظهر فى قوة السرد ، وسرعة الحركة ، والحشد للحوادث والوقائع ، وهذا يعطى القصة ما فيها من حياة ، غير أنها حياة عادية لا تميز فيها — وشرط من شروط القصص التميز — ولعل البساطة فى حياتها تعود إلى أن الكاتب يأخذ الأمور بالهوادة والملاينة ، ويتبسط مع الحوادث برفق وبطء ، مقيداً بالواقع المبذول للحس . ومن هنا فقصته نموذج طيب لما تكون عليه القصة المصرية الأصيلة . وهى من هنا تحمل أذهاننا إلى جو أقاصيص محمود تيمور . هذا والكاتب على جانب من الاقتدار فى رسم شخوص قصة من حركاتها وسكناتها . وهو يكتفى بتعريف الشخص بمميزاته الداخلية دون أن يحاول تكملتها بتكوينه الخارجى . وهذا يرجع لضعف الأصل التصويرى عنده . وهو بدوره عائد لبساطة الخيال

والبساطة والسهولة هى أبرز ما يميز أسلوب القصة، وإن كان للكاتب بعد ذلك قدرة على مسك أجزاء القصة وربطها ببعض وسلسلة حوادثها بحيث يتوالد بعضها من البعض ، غير أنها قدرة لا تتعدى محاكاة الواقع . ولعل هذا نقطة من نقط الضعف فيها إذا أردنا البروز والتميز القصصى ، وسبب من أسباب نجاحها إذا وقفنا عند حد الواقع واعتبرنا القصة محاكاة للواقع المبذول للحس . وهنا موضع الافتراق فى النظر لهذه القصة من ناحية فنيتها ... ويستحسن أن يتلو القارئ فصلاً قيماً كتبه الناقد الأديب صديق شيبوب (البصير ١٩ أبريل سنة ١٩٤٠) ، فهو فصل انتقادى جدير بالعناية، وهو يكمل ما جاء فى كلامنا عن هذه القصة من آراء ومطالعات .

(أدهم)

والتفتت الأم على حين بغتة إلى الرجل العجوز وقالت له تحدثه :

— ألا تعتقد أنه سينجو وأفوز به ؟ ... إن الله رؤوف بعباده وهو لن يفجعني فيه أبداً ... أليس كذلك ؟ ...

أما العجوز « المسكين ! » فقد كان ملاك الموت نفسه . وقد هز رأسه هزة واحدة كان فيها جواب النفى أو الإيجاب

وأحنت الأم رأسها ونظرت إلى الأرض بعينين أفعمهما الدمع السخين ، وسالت العبرات منهما على الوجنتين

وشعرت فجأة بثقل فى رأسها ، ونعاس فى جفنيها . لقد طوت ثلاث ليال كاملات لم تذق خلالها للكرى طعما . وهنا أخذ النعاس يداعب جفنيها ، فأغفت دقيقة واحدة فحسب ... ثم استيقظت وهى ترتجف من البرد وترتعش . وألقت حولها نظرات حائرة ، وصاحت بخوف وذعر :

— ما هذا ؟ ...

لقد ذهب الرجل ... والطفل الصغير لم يكن فى سريره ... إذاً لقد اختطفه العجوز ومضى به

وفى أحد أركان الغرفة كانت الساعة التى أكل الدهر عليها وشرب ، تحدث أصواتاً متمازجة مختلطة ؛ وكانت تروسها تصر وتزمجر ، وسقط على حين غرة رقاصها الرصاصى الثقيل ، ثم هدأت كل حركة ، ولم يعد يسمع أى صوت ...

لقد وقفت الساعة عن الدوران

وخرجت الأم المسكينة إلى الطريق تنشد طفلها العزيز وتناديه

وهناك بين الثلوج كانت تجلس امرأة عجوز ترتدى الثياب السود الطويلة ؛ فما إن رأت المرأة الأم حتى هتفت بها :

— إن ملاك الموت قد دخل دارك ، ولقد رأيته خارجاً منها وهو يحمل ابنك الطفل ، لقد ذهب بسرعة البرق وهو لا يعيد قط ما سلبه

فقالت لها الأم بتوسل وتضرع :

— ولكن أخبرينى بربك من أين ذهب ، وإلى أية ناحية اتجه . أتوسل إليك أن تخبرينى بذلك ، وسألحقن به وأجده

فأجابتها ذات الثياب السود :

— إننى أعرف الطريق التى سلكها ، ولكن قبل أن أرشدك إليها أريد أن تنشدينى كل الأغانى التى كنت تنشدينها ابنك الطفل . إننى أحبها كثيراً ، وأحب صوتك العذب أيضاً . إننى أنا « الليل » ولطالما سمعتك وأنت تنشدين ، ورأيت عبراتك تفيض على وجنتيك وأنت تغنين

— سأنشدك إياها بأجمعها ، ولكن فى غير هذا الوقت ، فلا تعيقينى الآن عن اللحاق بولدى والفوز به

فاعتصم « الليل » إزاء هذا الجواب بالسكوت ولم يحر جواباً . الوت الأم حينذاك يديها وأخذت تذرف الدمع السخين . ثم شرعت تنشد أغانيها الواحدة تلو الأخرى . إن أغانيها كثيرة ، ولكن الدموع التى ذرفتها كانت أكثر من عدد الأغانى كلها

وعند ما نفدت الأغانى وانتهت الأم من الإنشاد ، رفع « الليل » رأسه إليها وقال :

— إذهبى يميناً فى غابة الصنوبر المظلمة ، فمن هنا لاذ « الموت » بالفرار ومعه ابنك العزيز

فأسرعت الأم إلى الغابة وصارت تغذ الخطا فيها ؛ وما كادت تنتصفها حتى تشعب الطريق فلم تدر أى سبيل تسلك . ونظرت حولها فوجدت عوسجاً من الشوك ، ذهب برد الشتاء وجليده بأزاهيره وأوراقه ، وجعل أغصانه تتدلى فى الهواء وحدها . فدنت منه وقالت :

— ألم تر الموت حاملاً ولدى ؟

فأجابها العوسج بقوله :

— أجل لقد رأيته ، ولكنى لن أرشدك إلى الطريق التى سلكها إلا بشرط . ذلك أن تدنينى — أولاً — من صدرك كى أصيب بعض الدفء لأنى أوشك أن أجد وأفنى من شدة البرد ، أكاد أصبح قطعة من جليد

وأدنت العوسج منها ، وضغطته على صدرها لتنيله مبتغاه من الدفء ، وتذيب عنه الجليد المتجمد بحر صدرها ، فنفذ الشوك إلى لحمها ، وسال الدم القانى من صدرها بغزارة ، ونزف منها بكثرة ؛ فنبت للعوسج أوراق طرية خضر ، وجللت الأزاهير الناضرة عروقه وفروعه فى تلك الليلة الشديدة البرودة من فصل الشتاء ...

ولكم فى صدور الأمهات الحزانى من نار تستعر ولهيب يتأجج

ثم أرشدها العوسج إلى الطريق التى يجب أن تسلكها ...

ووصلت بعد حين إلى شاطئ بحيرة لا سفينة فيها ولا قارب ، ولم تكن البحيرة من التجمد بحيث يسهل المرور عليها دون أن يغوص فيها المرء أو يتكسر جليدها ، كما أنها كانت شديدة العمق ؛ فلم يكن من الممكن أن تقطعها الأم خوضاً . وكان لا بد لها من أن تصل إلى الضفة المقابلة إن كانت راغبة في الحصول على ابنها

وثار الحب في صدرها والحنين ؛ فارتمت على الأرض لترى إذا كان في مقدورها أن تبتلع ماء البحيرة كله ! ... فكان هذا ضرباً من التفكير العقيم ؛ ولكنها فكرت في أن الله رحمة منه وشفقة لا بد من أن يحدث لها معجزة تمكّنها من اجتياز البحيرة . فقالت لها البحيرة حينذاك :

— ولكن لا ... إن هذا لن يكون أبداً ... كوني أكثر عقلاً وأبعد نظراً ، وفكري فيما إذا كان في الإمكان أن نتراضى ونتفق . إصغي إلى ما سأقول :

أحب أن يكون في أعماقي جواهر ولآلئ ، وعيناك هاتان لهما بريق وضياء وسحر وبهاء أكثر من الدر الكريم نفسه الذي لم أملكه قط في ماضيات أيامي ، فإن شئت فاذرفي الدمع سخيناً وأكثري من البكاء كثيراً ، فإذا ما فعلت فإن عينيك ستخرجان من محجريهما ، وحينذاك أقودك إلى ملجأ النبات الكبير[1] على شاطئي الآخر ، وملجأ النبات هذا هو مقر الموت أيضاً ... الموت الذي يحصد الأزهار والأشجار ، وكل زهرة أو شجرة فيه هي رمز لحياة إنسان

فأجابتها الأم بحرقة والتياع :

— أفلا أجود بهما في سبيل استرداد ولدي ؟

من كان يحسب أنه مازال في مآقيها دموع ؟ ولكنها ذرفت الدمع السخين بحرقة والتياع لم تعرفهما قبلاً وخرجت عيناها من محجريهما ، وذهبتا إلى البحيرة حيث استقرتا في قاعها ؛ وانقلبتا إلى لؤلؤتين غاليتين لم تحز قط مثلهما ملكة من الملكات

ورفعتها البحيرة حينذاك ، كما لو كانت في أرجوحة ، وبحركة موجة واحدة نقلتها إلى شاطئها المقابل حيث يقوم هناك بناء كبير فخم ، يجاوز طوله مساحة فرسخ كامل . ولم يكن ليقدر على تمييزه من بعد أحد : أهو جبل بمغاوره وغاباته أم هو بناء للفن والجمال ؟

غير أن الأم المسكينة لم تستطع أن ترى مما حولها شيئاً ، لأنها جادت بعينيها في سبيل ولدها

وهنا علا صوت الأم وقالت بيأس شديد وألم مرير :

— ولكن كيف أعرف الآن الموت الذي انتزع مني ولدي واختطفه من بين يدي ؟

فأجابتها امرأة عجوز كانت تتمشى هناك جيئة وذهوباً ، وتحرس الملجأ وترعى الأزاهير والأشجار :

— إن الموت لم يأت بعد ... ولكن كيف وصلتِ هذا المكان ؟ وأي طريق سلكت ؟ بل من الذي أعانك على الوصول إلى هنا ؟

— إن الله عز شأنه هو الذي أغاثني وأعانني على ذلك ... إنه رؤوف رحيم . وأنت أيتها العجوز سترأفين بي وتشفقين عليّ . أخبريني أين أستطيع أن أجد مهجة نفسي وفلذة كبدي الغالية ؟

فقالت العجوز :

— ولكن لا أعرف ابنك ، وأنت — كما أرى — كفيفة البصر . وقد ذبل في هذه الليلة كثير من الأزهار والأشجار والنبات ؛ وسيأتي الموت بعد قليل كي يقتلعها من الملجأ . وأنت تعلمين دون ريب أن لكل كائن بشري في العالم شجرة أو زهرة في هذا المكان تمثل حياته وصفاته ، وهي تموت عندما تحين منيته والمرء حين ينظر إلى هذه النباتات يحسبها من النباتات العادية التي لا قيمة لها ولا شأن يذكر . ولكن عندما يلمس إحداها يشعر للحال بوجيب قلب وخفقات فؤاد ...

تعالي معي إلى الملجأ وجسي تلك الأزهار والنباتات ، فلعلك تهتدين إلى خفقات قلب ولدك . . . وماذا تعطينني إذا أرشدتك إلى ما يجب عليك صنعه أيضاً ؟ ...

فأجابتها الأم المسكينة بحزن وألم :

— لم يبق لدي شيء أمنحك إياه ، ولكني سأبحث لك عن شيء يدخل إلى نفسك الغبطة والسرور ؛ ولو كان ذلك من أقصى الأرض

ولكني لست بحاجة إلى شيء من خارج هذا المكان . أعطيني

(١) La serre هو مكان من الزجاج كله أو بعضه ، وهو مخصص لايواء بعض النباتات التي لا تستطيع مقاومة البرد في فصل الشتاء .

شعرك الطويل الأثيث؛ وأنت تعلمين دون ريب أنه جميل ساحر. إنه يعجبني كثيراً وسأستبدله بشعرى الأشيب

فقالت لها الأم :

— أما ترومين شيئاً غير هذا ؟ إنه لأمر سهل ! هاك ... إننى أمنحك إياه بملء إرادتى ، وكامل رغبتى

ثم اقتلعت شعورها الجميلة — التى كانت زينة شبابها الغض وصباها الناضر — واستبدلتها بشعر العجوز ، وهو قصير شديد القصر ، أبيض ناصع البياض

واقتادتها العجوز من يدها ... ثم دخلتا إلى الملجأ الكبير ، حيث كانت أجمل النباتات وأكثرها نضارة ، تنمو بشكل باقات متراصة . وكان يرى تحت أجراس بلورية أجمل أزهار السوسن وألطفها ، وإلى جانبها أزهار الفاوّيا[1] المنتفخة . وكان يوجد أيضاً نباتات مائية شديدة النضار ، وأخرى ذابلة أو شبه ذابلة ، وكانت جذورها محاطة بالأفاعى الرُّقط . وغير بعيد كانت أشجار النخيل الباسقة قائمة هناك، وإلى جانبها أشجار السنديان والدلب. وفى مكان آخر كانت تنزوى حديقة البقدونس والسعتر وبقية البقول الأخرى ، التى هى رمز العنصر النافع للحياة . وكان يوجد عدا ذلك شجيرات ولكنها كبيرة وضعت فى أوان ضيقة ، وهى تبدو فى أوانيها هذه وكأنها على وشك الانفجار . وكان يرى أيضاً زهيرات صغيرة رديئة فى بعض الأوانى الصينية تحيط بها أزهار البابونج ، وقد اعتنى بها كل الاعتناء . كل هذا كان يمثل حياة البشر الذين ما زالوا حتى الساعة أحياء يرزقون ، يقطنون الكرة الأرضية من بلاد الصين إلى جزيرة غرونلاندا[2]

وأرادت العجوز أن تشرح لها كل هاتيك النظم والترتيبات الخفية ، غير أن الأم رفضت ذلك وأبت أن تصغى إلى مقالتها ، وطلبت من العجوز أن تقودها إلى كل نبت صغير طرى العود . وأخذت الوالدة المسكينة تشم كل واحد من هذه النباتات بأنفها وتجسه بيدها ، لتحس نبضات قلبه وخفقات فؤاده . وبعد أن جست المئات والآلاف ، تمكنت من معرفة دقات قلب ولدها ، وما أن عرفتها حتى صاحت بفرح وابتهاج :

— « إنه هو ... »

ومدت يدها إلى نبت صغير تهدلت أوراقه ، وبدا عليه الذبول بأجلى معانيه وأوضح صوره فصاحت بها العجوز قائلة :

— حذار أن تلمسيه، وابقى هنا إلى أن يؤوب الموت ـ ولن يطول غيابه ـ وامنعيه من أن يقطف هذا النبت ، وهدديه باقتلاع جميع الأزهار المحيطة به إن هو فعل ذلك ، وسيخشاك ويرهب جانبك ، لأنه مسؤول عنها أمام الخالق العظيم ، ولا يجوز لنبت ما أن ينزع من مكانه قبل أن يأمره الله بذلك

وفى هذه اللحظة هبت ريح عاصفة شديدة البرودة ، فتنبأت الأم بأن الموت يدنو ويقترب

ووصل الموت بعد يسير من الوقت ، فلما رأى الأم نظر إليها شزراً وقال لها بغيظ :

— كيف تمكنت من الوصول إلى هنا ، ومن أرشدك إلى الطريق ؟ وسبقتنى أيضاً ؟ ماذا صنعت ؟ وكيف وصلت ؟

واكتفت الأم المسكينة بهذا الجواب المقتضب :

— « إننى أم .. »

ومد الموت يده الطويلة العقفاء إلى النبت الصغير ؛ ولكن الأم أحاطته بيديها ، وضغطتهما فى حرص شديد واعتناء زائد حذراً من أن ترضّه أو تلحق ببعض أجزائه الدقيقة أذى . فنفخ الموت حينئذ على يدى الوالدة المسكينة فشعرت بهما تسقطان خائرتين . وكانت نفخة الموت هذه أشد برودة من رياح أكثر فصول الشتاء برداً وزمهريراً

وقال لها الموت :

— إنك لا تستطيعين مماكستى فى شىء

— ولكن الله تعالى أقوى منك وأشد بأساً

— أجل . وأنا لا أفعل إلا ما يأمرنى به ... إننى مُزارعه ! إن هذه النباتات والأشجار والشجيرات عندما لا تجد سعادتها وهناءها فى هذا المكان أقتلعها لأغرسها من جديد فى حدائق أجمل وأروع ، وجنة الخلد الكبيرة إحدى هذه الحدائق ، إنها أمكنة مجهولة ولا أستطيع أن أخبرك بما يجرى هناك

وعادت الأم فصاحت من قلب جريح ونفس مكلومة :

— الرحمة ! الشفقة !... لا تقتلع غصن ولدى بعد أن وجدته

(١) نبات جبلى ، ذو أزاهير مختلفة الأشكال ، متباينة الألوان

(٢) Grœland جزيرة كبيرة تقع فى شمال أميركا يبلغ عدد سكانها ستة عشر ألف نسمة ، ومساحتها نسعون ألف كيلو متراً مربعا

وأخذت تتوسل وتتضرع ، وتنتحب وتتحسر ، غير أن الموت لم يصغ إلى بكائها ونحيبها ولم يُعر صنيعها اهتمامه أو انتباهه . وقبضت الأم حينذاك على زهرتين ناضرتين والتفتت إلى الموت وقالت له مهددة :

— أنظر ... إننى سأقطفهما مع جميع الأزهار التى تحيط بهما وسأتلفها كلها . إنك تدفع بى إلى اليأس المرير

فصاح بها الموت :

— لا تجذبيهما ! ... لا تتلفيهما ! ... تزعمين أنك تميسة شقية وفى نفسك رغبة فى سحق قلب والدة أخرى ؟ ...

— قلب والدة أخرى ؟

قالت المسكينة هذا وخلّت الأزهار من يدها حالاً

فقال لها الموت حينذاك :

— خذى عينيك ، إنهما تبرقان وتلمعان بصفاء ووداعة أكثر من الوقت الذى أخرجتهما فيه من البحيرة . لم أكن أعرف أنهما تخصانك . خذيهما وانظرى بهما إلى أعماق هـذه البئر ، فستريك ما كدتِ أن تهدميه فيما لو اقتلعت هذه الأزاهير ، وسترين فى انعكاسات الماء الحظ المقسوم لكل من هاتين الزهرتين يمر أمامك كالسراب ، وستريك أيضاً الحظ المقسوم لابنك فيما لو كتبت له الحياة

وانحنت الأم على البئر فرأت صوراً من السعادة الضاحكة وألواحاً من البشر والسرور . ثم مرت بعد ذلك مشاهد مخيفة من البؤس والحزن والكآبة . وقال الموت معلقاً على ذلك :

— هذا وذاك كله من صنع الله ومشيئته

فأجابت الأم بحزن وغم :

— ولكنى لم أتمكن من تمييز ما كان مقدراً لولدى ...

فقال لها الموت :

— لن أخبرك بشىء من ذلك ؛ غير أنى سأعيد مشهده أمام ناظريك ثانية بين جميع الصور والألواح التى مرت أمامك الآن ؛ وقد رأيت دون ريب ما كان ينتظر ابنك فى الدنيا

فجثت على ركبتيها وهى مضطربة حيرى ، وأخذت تصيح :

— أتوسل إليك ... قل لى أكان هـذا الحظ المخيف مقدراً له ؟ ولـكن لا ... أليس كذلك ؟ تكلم ... ألا تريد أن تجيب ؟ آه ... وقطعاً للشك خذه ... كى لا يعرض نفسه للخطر ، وكى لا يجابه مصائب وكوارث كالتى رأيت . إننى أكن من الحب لهـذا الطفل العزيز — البرىء من كل جرم ، والبعيد عن كل إثم — أكثر مما أكن لنفسى . خذه ... وليبق الحزن والأسى لى وحدى . إذهب به إلى عالم السماء والخلود . . . وانس الدموع الغزار التى سكبتها ، والتضرعات الحارة التى توجهت بها إليك ... إنس كل ما بدر منى من صنيع أو قول

فقال لها الموت :

— ولـكنى لا أفهم مبتغاك ! ... أتريدين استرداد ولدك ؟ أم تريدين أن آخذه إلى المكان المجهول الذى لا أستطيع أن أحدثك عنه ؟

فجثت الأم حينذاك على ركبتيها ورفعت يديها ، وجأرت إلى الله بدعائها :

— « رباه ! لا تصغ إلىّ إذا التمست فى أعماق نفسى ما يخالف إرادتك وينافى مشيئتك اللتين هما من أجل صالحنا ونفعنا أبداً . لا تصغ إلىّ ولا تستجب منى يا رباه ... »

وسقط رأسها بهدوء وبطء على صدرها ، وغرقت فى لجة من الحزن العميق والغم الشديد

ودنا الموت من النبت الجميل الصغير واقتلعه ... وذهب به إلى الحديقة المجهولة ليغرسه فيها ...

ترجمة

(دمشق) عبد الغنى العطرى

كراسى أحد غالبى الملاريا

٤ أيار سنة ١٩٢٥

فيرميشينو القرية الصغيرة قرب روما فى حزن كبير . فى حين أن الحياة تظهر فى كل مكان مع مجىء الربيع فان هذه القرية غمرها الأسف لموت شيخ خصص السنوات السبع الأخيرة من حياته المملوءة عملا كى يضمن رفاهيتها وهذا العالم اسمه جيوفانى باتستا كراسى فمن ١٩١٨ إلى ١٩٢٥ توصل إلى تقليل عدد إصابات الملاريا من ٥٨ فى المائة إلى ٢ في المائة .

لقد كان كراسى أحد مشاهير الأطباء الذين تستطيع إيطاليا أن تفتخر بهم . فقد كرس نفسه على الأخص لدرس مقاومة الملاريا فالفضل يرجع إلى رونالد روس وإليه فى اكتشاف أن عدوى هذا المرض تنتقل بواسطة البعوض من نوع أنوفيل . لـكن هذا غير كاف فالى جانب أعمال كراسي اللامعة لا يمكننا اغفال ذكر عمل لجنة الملاريا بجمعية الأمم التى تصف السكينا كدواء فعال وهو فى نفس الوقت واق وشاف ضد هذا المرض كما أنه لا ضرر منه ، فحسب رأى هذه اللجنة يجب أخذ ٤٠٠ مليجرام من السكينا يوميا طول مدة موسم الحميات لتجنب العدوى ويكفى جرام واحد أو جرام وثلاثين سنتجرام كل يوم مدة خمسة أو سبعة أيام لشفاء شخص مصاب ، ولا لزوم لمعالجة تكميلية وفى حالة الانتكاس يطبقون الطريقة نفسها وهى ناجحة .

{ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى — عابدين }

8me Année No. 362

Lundi - 10 - 6 - 1940

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

مـ	
٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

السنة الثامنة — « القاهرة فى يوم الاثنين ٤ جمادى الأولى سنة ١٣٥٩ — الموافق ١٠ يونيه سنة ١٩٤٠ » — العـــدد ٣٦٢

الفهـــرس

من مزايا عصر السرعة !

الحرب بين أمس واليوم

يقول الأغرار من الناس إن السرعة الخاطفة عبقرية هذا العصر ومزيته . فمن لم يجرِ مرّ على ظهره المتأخر وغبّر فى وجهه المتقدم . وواجب السرعة أن تعمل ولا تستريح ، وتفكر ولا تتأمل ، وتأكل ولا تتذوق ، وتنام ولا تحلم ، وتموت ولا تمرض . ونحن نقول لهم إن السرعة ليست عبقرية ولا مزية ؛ وإنما هى مس من الجنون أصاب العالم منذ اخترعت الآلة . ذلك أن الآلة مخلوق أرضى جهزه العلم بعشرات الأعضاء ليس بينها اللسان ولا القلب ولا العقل ولا الروح ، فهى تلد ولا ترأم ما تلد ، وتعمل ولا تضمن ما تعمل ؛ وهى تكون للشر كما تكون للخير ، وتنتج للموت كما تنتج للحياة . وطبيعة الآلة سرعة الحركة ووفرة الإنتاج ؛ فلم تكد تسيطر على مجارى العمل فى أقطار الأرض حتى دفعت العالم دفعاً عنيفاً إلى الاهتلاك والاستهلاك والتسابق والتنافس والاصطراع والكدح ، فهو دأب لا يفتر ، ونصب لا يستروح ، ونهم لا يشبع ، وعراك لا ينقطع . ولئن سألت المتبجحين بعصر السرعة على العصر الخوالى كيف يجد الجسم راحته فى هذا

الاضطراب الدائم ، وأين يلتمس القلب سعادته فى هذا الجحيم المستعر ؛ وماذا أدرك راكب السيارة أو الطيارة أكثر مما أدرك صاحب الجمل والحمار أو راكب الخطور والقطار ، لا تسمع منهم غير جواب أشعب حين أجرى الصبيان إلى الوليمة خادعاً بالحيلة ، ثم جرى هو معهم مخدوعاً بالوهم !

* * *

هذه هى الحرب التى عرفها العالم منذ خلق الله آدم وإبليس قد انقلبت فى عصر السرعة آلية لا تعتمد على فضائل النفس ولا على خصائص الروح، وإنما تعتمد على سرعة الدواليب فى الطيارة والسيارة والدبابة والدراجة والغواصة والبارجة . فأصبح الفرق بين الآلة والسيف فى حصد الأرواح كالفرق بين الماكينة والمنجل فى حصد الحنطة !

إن معركة الفلاندر التى شبت بين الألمان والحلفاء أهلكت فى أيامها المعدودة من الأنفس والأموال أكثر مما أهلكت حرب البلوبونيز التى نشبت ثمانياً وعشرين سنة بين إسبرطة وأثينا ، والحروب الميدية التى اشتبكت أربعين سنة بين الفرس والإغريق، وحرب البسوس التى اضطرمت أربعين عاماً بين بكر وتغلب، والحروب الصليبية الثمان التى ظل ضرمها يحتدم ويخبو قرناً وثلاثة أرباع القرن بين الغرب المسيحى والشرق المسلم !

اشتملت هذه الحروب بين المدن أو بين القبائل أو بين الأمم قبل أن يوضع القانون الدولى وتُنشأ عصبة الأمم ، ومع ذلك تكشّف عجاجها الأقتم عن خلال مشرقة من الفتوة والبطولة والنبل والإيثار والوفاء والتضحية كانت للأدب الإنسانى الخالد مصدراً لا ينقطع رفده ولا يفتُر وحيه

وكانت الحروب الإسلامية على الأخص فى الفتوح أو الفتن تجرى على سَنن مستقيم من الدين والخلق والأدب لا تزيغ عنه . فالقلوب التى تجيش بالغل لا تلبث أن تخشع للصلاة ، والألسنة التى ترتجز بالحماسة لا تنسى أن تتناشد الأدب . وماظنك بجيش يفرض عليه دينه أن يؤدى الصلاة جماعة فى المعركة ؟ أتراه حريًّا أن يجاوز الحد إذا قاتل ، أو يجانب الوفاء إذا عاهد ؟ وما رأيك فى جيشين يتهادنان ساعة ليحكم فارس بين رجلين اختلفا فى المفاضلة بين شاعر وشاعر ، وكان الحكم من جيش والمختلفان من جيش آخر ؟

لقد رووا أن رجلين تنازعا فى عسكر المهلب فى جرير والفرزدق وهو بإزاء الخوارج ، فصارا إليه ؛ فقال : لا أقول فيهما شيئاً ، ولكن أدلكما على من يهون عليه سخطهما : عبيد بن هلال ، وهو يومئذ فى عسكر قطرى بن الفجاءة . فأتيا فوقفا حيال العسكر ، فدعواه فخرج يجر رمحه وظن أنه دعى إلى المبارزة ، فقالا له : آلفرزدق أشعر أم جرير ؟ فقال : عليكما وعليهما لعنة الله : فقالا : نحب أن تخبرنا ثم ننصرف إلى ما تريد . فقال : من يقول:

وطوى القيادُ مع الطراد بطونَها ... طىّ التِّجار بحضرموت برودا

قالا : جرير . قال : هو أشعرهما !

فقل لى بربك: أين تلك الحرب التى كان يبرز فيها رجل لرجل فيتقاولان ويتصاولان على مسمع ومرأى من الجمعين المتقابلين ، حتى إذا حميت الصدور واحمرت الحدَق حمل بعضهم على بعض فيُقتل نفر ويجرح نفر — من هذه الحرب الميكانيكية التى يقف فيها المليون حيال المليون فتغشاهم ظُلل من السماء ترسل الشهب والصواعق، وتكر عليهم قُلل من الحديد تقذف اللهب والقنابل ! ثم يُرعد الجو والبر والبحر بآلات الموت والدمار ساعة من الليل أو النهار ، فإذا بك لا ترى بعد ذلك عشرات من البلدان عمرتها الحضارة فى دهر ، ولا ألوفاً من الشبان نشأتهم المدنية فى جيل!

لقد اتخذ الفرس يوم القادسية دبابات من الفيلة هولوا بها على المسلمين بعض الوقت ، ولكن العرب لم يلبثوا أن أصابوا مقاتلها فى الخراطيم فسحها الشهداء بالسيوف ، فانقلبت الفيلة إلى أهلها فمجنتهم بأرجلها وهى مولية . ولكن دبابات هتلر كضمير هتلر لا تحس الوخز ولا تحفل الصدام ولا تبالى العاقبة ؛ فهى تهجم هجوم الجراد الجهنمى على النبت المميم ، فلا تذر من شىء أتت عليه إلا جعلته كالرميم . فإذا أضفت إلى ذلك الويل أن الذين أوقدوا نار هذه الحرب حلوا أنفسهم من روابط الدين والخلق والقانون والعرف والشرف ، أدركت مبلغ ما تعانيه الإنسانية اليوم من يأجوج ومأجوج فى أمة بسمرك ونيتشة وغليوم وهتلر !

ليت للعالم يا رباه كرّةً إلى عصر الجمل والحصان ، وحرب السيف والسنان ، ومدنية القلب واللسان ، لينجو من هذا العلم الذى يدمر ما يعمر ، ويخلص من هذه الحضارة التى تأكل ما تلد!

احمد حسن الزيات

هزل مصر والشام

من مذكرات الأستاذ محمد كرد علي

تشهد في مصر ما تشهده في الممالك الكبرى من مظاهر الحياة ففيها الجدّ على أتم حالاته ، وفيها الهزلُ على غاية من الإتقان . ويُطربني جِدّها وهزلها . وأنا في مصر مصريّ ، وما أنا بمصريّ . فلئن تخطتني جنسيتها، فما حرمتني الفطرة مشاركة أهلها في عواطفهم وشعورهم وكثير من أطوارهم . كانت إقامتي في مصر منقطعة ، فلم أر أن أعرض لسياستها إلا بقدر معلوم ، وما عنيت العناية اللازمة بالوقوف على تراجم أهلها ، وتوخيت أن أعرف مجملات عنهم ، وذلك لتشعب أطراف موضوع لا يبرّز فيه إلا من تمحض له وانقطع إليه . وأحتاج على الأكثر أن أعرف من رجال مصر تراجم العلماء والأدباء ، أما تراجم السياسيين وغيرهم فشرح يطول

من الطبيعي أن يتآلف المتشاكلون في الفكر والثقافة ، وفي القاهرة من ذلك ضروب وألوان ، ولا يصعب كثيراً على النازل عليهم أن يصل إلى الطبقات المنوعة إذا كان أدلاؤه مهرة ما دام المصريون معروفين بهذا الظرف وهذا اللطف . وبعض سكان عاصمتها كأهل العواصم في الغالب تصدّهم متاعب الحياة فيها عن الافتكار فيما يفكر فيه الناس في العادة ، من مثل الوفاء وتمهد الصاحب ، فيصْدُق عليهم أنهم من الطبقة التي لا يسرّها من حضر ولا يسوءها من غاب ، أو أن هذا من خلق عدم المبالاة المتأصل في بعض أفرادهم

مصر من البلدان التي يعيش فيها الغريب خمسين سنة ولا يفتأ كل حين يقع فيها على شيء جديد ، ويظفر بموضوع طريف ما كان له به عهد بالأمس . عرفت صديقي وحيد بك الأيوبي ، وهو وأنا في مَيْعَة الشباب ، وكان من أبناء الأعيان المفكرين المثقفين . وتفارقنا زمناً ثم التقينا قبل اثنتي عشرة سنة ، وإذا به رئيس جمعية جهرية سماها اسماً غريباً (البُمكوكة) ، وبُمكوكة الناس مجتمعهم على ما في القاموس . وكانت هذه البمكوكة تلتئم كل ليلة في قهوة متواضعة من منعطفات شارع ابراهيم باشا ، ثم انتقلت إلى قهوة السلام (كافيه دى لابيه) في نفس الشارع . ويبدأ اجتماع أعضائها من بعد العشاء ، وينصرفون بعد منتصف الليل بساعة أو ساعتين أحياناً . وتتألف من محامين وأطباء ونواب وموظفين ورؤساء دواوين ومؤلفين وصحافيين وأعيان أصحاب أطيان موسرين وغيرهم ، ولا يقل المواظبون منهم عن ثلاثين رجلاً ، ما فيهم إلا الممتاز بأدبه وفضله . فإذا اجتمعوا تجردوا عن مظاهرهم ، وكانت اجتماعاتهم للمرح والتنادر وسماع الأخبار . ويجاهرون بأن بمكوكتهم فوق الأحزاب وفوق السياسة ، ولا غاية لهم إلا الضحك والإضحاك . والرئيس وحيد بك الأيوبي ، ونائب الرئيس إدوارد بك قصيرى من أكبر المحامين في مصر

هؤلاء الجماعة من العاملين في الحياة ، فإذا انتَدوْا كل ليلة — وقد يزورهم في بمكوكتهم إخوان لهم من حين إلى آخر — فللترويح عن نفوسهم ، وللخوض في لهو الحديث . ولك أن تصف جماعة البمكوكة بأنهم مجدُّون في أوقات الجد ، هزّالون في أوقات الهزْل ، ويا ما أُحَيْلى اجتماعاتهم ، وأوقعَ في الأذن أصوات مجادلاتهم . وشرفني الرئيس بعَدِّي في جملتهم ، وأمرني أن أنشئْ بمكوكات أو بما كيك في بلاد الشرق . فصدعت بأمره ؛ وأنشأت في داري بمكوكة يختلف إليها أخلص الاصدقاء ، ولكن خُلاّني بما ككة دمشق إذا شابهوا إخواني بما ككة القاهرة في دراساتهم وثقافاتهم ، فلن يشاركوهم بخفة أرواحهم وتنكيتهم .
بلاد الشام سهلية جبلية معتدلة يغلب الانقباض على أهلها ،
وبلاد مصر سهلية حارّة يغلب المرح والطرب على أهلها

ولله ما يجرى في هذه البمكوكة المصرية ، فإن كل أعضائها والرئيس على رأسهم يصطنعون المرح ويلتمسون الضحك ، وناهيك بجمعية فيها مثل الدكتور محجوب بك ثابت المشهور بعلمه وخفة روحه وحضور نكتته . وأذكر أني عدت من الشام في بعض السنين ، وكنت متلهفاً شوقاً إلى إخواني البمكوكيين فقصدت إلى البمكوكة لأستطلع طِلاع أحوالهم ، فرأيت بعضهم مكتئباً ، والرئيس مقطباً ، فسألت عن السبب فقيل لي : إن الرئيس مصاب بضعف بعض الأعصاب ، والأعضاء في حزن من جراء ذلك ، وكل منهم يكد قريحته ويستوحي علمه لإيجاد علاج

يُعيدُ إلى الأستاذ نشاطه وصحته ، ويتنافسون في هـذا الشأن ، ولا تنافس وزراء السلطان ابراهيم العثماني في إيجاد مقوٍّ لضعفه ، مع الفارق بين أعضاء البمكوكة وأعضاء وزارة الفاجر ابراهيم . وفي الحقيقة أن أعضاء البمكوكة كانوا يجدّون في شفاء رئيسهم مخافة أن يصاب الرؤوسون بمثل ما أصيب به رئيسهم ، ولا تسل عما ذكر خلال تلك الأيام من نكات وحكايات وأسمار وآثار ، وأكثرها مما يضحك الثكلى ، ويسلي الحزين ، الْتُزِم فيه جانب الأدب ، ورعاية آداب الاجتماع

رجعت إلى الشام وكتبت كتابين مطولين في فترة قصيرة إلى الرئيس ، أذكر له بعض ما فتح الله عليَّ من أدوية لدائه . فلما قرأهما الرئيس على الأعضاء تجدّدت لهم عناية بمداواته ، وبقي القوم يهتمون لذلك سنة لا تخلو ليلة من الإلماع إلى سير مرض الرئيس وإلى ما ظهر من الأدوية وإلى ما وفقوا لمعرفته من طلاسم وأدعية إلى غير ذلك مما ينجع في شفائه . والرئيس يشكو وهم يُخففون عنه آلامه ويسلّونه . ولما عدت في الشتاء التالي إلى القاهرة سألت الرئيس عن حاله فضحك وقال : وأنت أيضاً صدّقت ما زعمته لكم ؟ إني ادعيت هذه الدعوى لأُضحككم ، وقد حصل المقصود من هذه الفِرْية فضحكتم بها حولاً كاملاً ، وأنا بحمد الله ليس لي ما أشكو منه مما ذكرته لكم . فعجبت وأكبرت صفات الرجل وحبه لمرؤوسيه ، كما كنت أُعجب بكرمه على كل بائس مُمْلِق ، وقلت له : إن انتسابي إلى بمكوكته أحب إلى نفسي من كل لقب لُقِّبْتُ به ، ومن كل مجمع علمي شرفني بعضويته ، ففي جماعته السَّلْوَى والسرور ، ومع أولئك كدُّ الذهن وكرب الجد

يكتب رئيس البمكوكة الحين بعد الآخر في جريدة الأهرام قطعاً لطيفة في اللغة والأدب والسياسة . وجاء البرق ذات يوم ينقل كلام أحد رجال السياسة ويقول : إن الإنجليز يرابطون بجيشهم في مصر لحماية الاستقلال ؛ ومن الغد كتب الرئيس بضعة أسطر في الأهرام يُكْبِرُ هذه العناية بأمر مصر ويقول : إن عندنا الآن إذاً احتلال واستقلال ، فماذا نسميهما ؟ نسميهما (الاحتقلال) أخذ من الأول حرفين ومن الثاني ثلاثة . وسأله مكاتب التيمس في القاهرة : وماذا نسمي ذلك بالإفرنجية ؟ فقال على البديهة : Occupendance مأخوذة من Occupation الاحتلال و Indépendance الاستقلال . وكثر السائلون للرئيس عن هذا الاسم الجديد وعما إذا كان له أصل في اللغة وهنأوه على توفيقه للعثور على هذه اللفظة الجميلة . وعبثاً حاول أن يقنعهم أنها لفظة وضعها وضعاً ؛ وما كان بعضهم يرضيهم إلا أن يكون وجدها في معجمات اللغة

ورئيسنا يعطف على كل من يعدُّه الناس ثقيل الظل ، فإذا سمع بمن هذه حاله احتضنه وبرّه . وقد يصحب أحد الصعاليك المعدمين إلى مطعم الكونتيننتال يغدّيه أو يُعشّيه . وقد اعترض عليه مرة نائب رئيس البمكوكة ادوارد بك القُصيري قائلاً له : إن فلاناً في حاجة إلى « بنطلون » وأنت تنفق عليه في الوجبة الواحدة ما يزيد على الخمسين أو الستين قرشاً صحيحاً . أعطه ثلاثين قرشاً يشتر بها بنطلوناً بعشرين والعشرة ينفقها على عياله . فأجابه الرئيس : سبحان الله يا ادوارد بك ! ألا تعلم أني إذا عاونته على ابتياع بنطلون جديد أكون قد غيرت معالمه وأبدلت شكله ؟ وأظن الرئيس يقصد باستصحاب الفقراء إلى مطاعم الأغنياء ليقول لهؤلاء بلسان الحال إنه لا قيمة لما تتعاظمون به من البذْل ، وأن الفقير قد يشاطرهم هناءهم ببذل عَرَض قليل

وعقل رئيس البُمكوكة ، والحق يقال ، ليس من العقول المحدودة ، بل عقله مبتكر مبتدع ، فقد أصدر في صباه ثلاث جرائد في وقت واحد بأسماء مختلفة ، ومديرين ومحررين مختلفين ، جعلها كلها لمقاومة الاحتلال ، وأقام لها كتاباً ومراسلين ومحررين ، وكان يصدرها في أوقات مختلفة . وليس لها كلها إدارة غير جيب الرئيس وقمطره يكتبها أو أكثرها ، وينشرها على أنها ثلاث جرائد مختلفة الوضع والطبع ، متحدة النزع والغاية . ولم تُكشف هذه اللُّعبة إلا بعد مدة طويلة . وله من هذه الألعاب أشياء تَسر ولا تَضُر يَضحك منها ويُضحك

كان الشيخ طاهر الجزائري كثيراً ما يحدثنا بأخبار الدكتور حسين عودة نزيل صيدا ، يُلقيها علينا ممزوجة بهزل وغير خالية من جد . فامتلأت الرؤوس بأخبار صاحبه ، وود كل واحد منا

لو يطير إلى صيدا فيتعرف إلى هـذا الطبيب . وما كُتب لأحد من جماعتنا أن يقوم بهذا الغرض قبل صاحب هذه المفكرات . فإنى قصدت إلى صيدا لألتقى فيها جامعَ شتات الفضائل بلديّنا حسين عودة ، فأبلَّ غليلَ شوقى إلى رؤيته

وأريد أن يُعرف أولاً من هو الدكتور عودة . ولد الدكتور فى دمشق ، والتحق فى صباه بمدرسة القصر العينى فى القاهرة لأخذ الطب ، فرسب لشدة ذكائه عدة سنين ، وما زال يرسب فى صَفِّه حتى جاء مصر الأمير عبد القادر الحسنى الجزائرى يوم فتح قسم من ترعة السويس سنة ١٨٦٣ . وقد رجاه أهل حسين عودة أن يكلم الخديو اسماعيل ليسهل على ابنهم أخذ شهادة الطب . فصدر الأمر بمنحه شهادته فاغتبط واختار السكنى فى صيدا زاهداً فى سكنى بلدته الأصلية لئلا يكون موضع سخرية عند المزالين من أهل دمشق ، لأن خلقته وقيافته تضحكان حقيقة ، فهو مجدور ، فى عينه شتر ، وفى رجله عرج . ووفاء لمدرسته لم يرض أن يخلع بزّتها طول عمره ؛ فكان إذا بلىَ المعطف ، وقد كتب على أزراره (تلميذ القصر العينى) أوصى على معطف جديد من نمطه ، وذلك كل عشر سنين مرة ، ورفع الأزرار عن المعطف القديم ، وأناطها بالبذلة الجديدة ، يذكر الناس بأنه خريج كريم ، من ذلك المعهد العظيم

كانت هدايا الدكتور تترى إلى صديقه الشيخ طاهر الجزائرى بدمشق يحملها المكار كل مدة من عاصمة الفينيقيين إلى عاصمة الأمويين . أتدرون ما كانت تلك الهدايا النفيسة ؟ كانت قصاصات من جرائد مصرية وسورية قديمة وحديثة ، أقدمها لا يزيد على بضعة أشهر ، وعمر أحدثها شهر واحد فقط . وكان يقطع من كل جريدة ما راقه ، ويجمع الباقى ويضعه فى كيس نظيف أبيض ، ويخيطه جيداً حتى لا تمتد الأيدى إلى السرقة منه . وقد أتحفنى المُهدى إليه مرة بكمية منها . فلما رأيتها قديمة استعفيت من أخذ حصتى فى الدفعة الثانية ، وأحببت أن أخص بها من يحبون الجرائد ولو كانت قديمة بالية

كان الدكتور حسين عودة مولعاً بالحشائش ، ويطب مرضاه بها على الدوام . وقد ملأ المجلات الطبية فى عصره بفوائدها ، فأول ما وقعت عينى عليه فى داره مجموعات عظيمة من هـذه الحشائش مرتبة مصففة مجففة ، جعلت على مناضد ومقاعد ، وكتبت أسماؤها عليها مثل ما ترون من نوعها فى متاحف النباتات ومعارضها ، وألقيت نظرى على الحائط فإذا به عال جداً لا يقل عُلوه عن اثنى عشر متراً ، فسألته ولم هذا الحائط شاهق إلى هذه الدرجة ؟ فقال : لأن النظر إلى البحر يؤذينى ، ويحمل الكرب إلى قلبى ، ولذلك أقمت هذا السور ليحول دون نظرى وما يكره

كان الدكتور يُطبّ الأغنياء فى بيوتهم بقرش واحد ، فإذا زاروه فى عيادته أخذ منهم ربع قرش (متاليك) ، أما الفقير فإن قصده أو ذهب هو إليه بنفسه ، لا يقبض منه شيئاً ، ويعطيه ثمن الدواء ، والدواء بالطبع بعض تلك الحشائش . ولذلك يُعد الدكتور عودة من أبر الأطباء بيمينه التى أقسمها يوم خرج من المدرسة الطبية إلى مدرسة الحياة . ومررت مع الدكتور فى أسواق صيدا وضاحيتها فرأيت أهل البلد كبيرهم وصغيرهم، رجالهم ونساءهم، أطفالهم وبناتهم، يعرفون الدكتور ويعظمونه، ويسألونه فى الطريق علاج أسقامهم ، ويدعون له بطول العمر

ودّعت الدكتور وقد شفيت النفس من المتعة به ثلاثة أيام ، وكنت نازلاً فى الطبقة الثالثة من فندق المطران ، فقيل لى بعد الغروب بثلاث أو أربع ساعات : إن الدكتور آت لزيارتك ، فعجبت وخففت لألتقاه على السلم وقلت له : لماذا تصدّع نفسك يا سيدى ، وقد ودّع كلٌّ منا صاحبه فى النهار ؟ فقال : هذا واجب أقوم به ، فشكرت له أدبه وتفضله . ورأيته فى هذه الزيارة الليلية يحمل نبوتاً أطول منه وفانوساً صغيراً ، ويلبس فى رجليه قبقاباً عالياً . فسألته بأدب : لم يلبس القبقاب والوقت صيف ؟ فأجابنى بما معناه : إن دبابات الأرض كثيرة ، ولا يأمن السارى فى الليل من شرها ، فلكى يكون بمأمن من قرصها يحمل هذا المصباح يستصبح به عله يراها قبل أن تصل إليه ؛ فإذا اقتربت منه ضربها بالعصا ، وإذا حاولت الصعود إليه تعذر عليها الصعود إذ يقتلها قبل أن تصل إلى رجله ، وكان فى قوله جاداً ، وكان جداً كله ، وهذا وجه لطافته

ومن جملة جدّه أنه كان يعتقد أنه يعيش للعمر الطبيعى، والعمر الطبيعى عنده مائة وخمس وثلاثون سنة، أو مائة وأربعون لا أدرى،

حركات الإصلاح الإسلامية

٢ – أزمة إسلامية

للدكتور علي حسن عبد القادر
دكتور في الفلسفة والعلوم الاجتماعية من جامعة برلين
ومدرس بكلية الشريعة

هكذا نرى أن التشريع الإسلامي هو محور الدائرة التي تدور حولها حركات الإصلاح والتجديد في الإسلام ، والباب الذي ينفذ منه المصلحون لتجديد الحياة الإسلامية تجديداً عملياً، وأن مسألة كون الإسلام قابلاً للاصلاح والتجديد والرجوع به شاباً قوياً إنما تقوم على مسألة أخرى : وهي هل من الممكن التخلص من أشكال قديمة جامدة في الفقه الإسلامي ؟

وإذا ما أردنا أن نحدد البحث تحديداً أدق لنتعرف العامل الأول الذي أملى على المصلحين إصلاحهم وجرهم إلى التفكير في ذلك فلا يسعنا في حدود المؤرخ الديني أن ننكر أن ذلك يرجع إلى الأصل المعروف « الإجماع » ذلك الأصل الذي صبغ الفقه الإسلامي بما لم يصبغه به غيره ، ودعم به أهل السنة وجهات نظرهم تدعيما لم يقبل النقض . وهو في حقيقة الأمر المفتاح الذي نفهم به تطورات الإسلام في علاقاته المختلفة في العقائد والتشريع والسياسة، فما تقبلته الأمة حقاً وصدقاً فهو حق وصدق، وما لا فلا؛ ويكون صحيحاً فقط في الشكل الذي يعطيه له الإجماع ، حتى تفسير القرآن الكريم والسنة يكون صحيحاً منه ما يقبله إجماع الأمة ، والعقائد – تلك التي خضعت لكفاح قاس في أول الأمر – أصبح موافقاً للدين منها ما ختم عليه الإجماع بخاتمه النهائي . وهؤلاء الرجال وهذه الكتب تعتبر إمامتها إذا اعتبر هذه الإمامة إجماع المسلمين . وهكذا نرى أن الإجماع قد لعب دوراً هاماً في الإسلام بما لم يقم به مبدأ مثله . ومن المعروف أن هذا الإجماع لم يأت نتيجة اجتماع منظم ، وإنما كانت دائرته أول الأمر الإحساس الجمعي والرأي العام وصوت الأمة

وقد حاول العلماء حدّه زماناً ومكاناً أو ردّه إلى إجماع الصحابة أو علماء السلف من أهل المدينة أو الحرمين؛ ولكن هذه المحاولات شيء ومظاهره المختلفة التي رأيت شيء آخر . وأهم من هذا هو أن الإجماع الذي حقق في الماضي قوة التعادل ومطابقة العصر ليس بعيداً أن يكون نواة قوة لمكافحة الجمود والنفوذ الشخصي إذا ما استغل استغلالاً مرضياً وهو ما نتركه للمستقبل .

وقد يظهر غريباً إذا قلنا إن عوامل التجديد قد أظهرتها وحددتها طريقة أهل السنة نفسها ، ذلك أن طريقة أصول الفقه إن تكن لا خلاف فيها في أوساط أهل السنة ، فقد وجد من العلماء المفكرين من لم يقبل البقاء بعيداً عن دائرة الاجتهاد . وظهر له أن التقليد والتمسك بمذهب بعينه أمر لا يحتمل ، وعند ذلك حدد هؤلاء العلماء من أول الأمر – شعروا أم لم يشعروا – دائرة هذا الأصل الخطير – أعني أصل الإجماع – وضيقوا من نتائجه . فالإمام الغزالي نادى بالاجتهاد وكثير ممن جاء بعده فعلوا ذلك أيضاً مثل ابن تيمية والسيوطي[1] . وقد استند المصلحون من ناحية أخرى في مناهضتهم للإجماع إلى أن تحديده بقي وقتاً طويلاً مجالاً للأخذ والرد حتى استطاع آخر الأمر أن يأخذ هذا المحيط الواسع الذي انتهى إليه[2]

وقد جاهد الحنابلة من بين المذاهب الأربعة جهاداً كبيراً في سبيل الاجتهاد لأجل مصلحة السنة نفسها التي عرفوا بأحيائها. فابن تيمية وتلميذه ابن القيم استعملا هذا السلاح ضد البدع الكثيرة المنتشرة[3] . وقامت على هديهم وفي روحهم حركة

(١) S. Goldziher, Die Richtungén der islamischen Koranauslegung, p. 329, Anm. 3.

(٢) قارن على سبيل المثال : Khuda Bukhsh, Essays I indian and Islamic, S. 290.

(٣) قارن على الأخص مقال محمد بن شنب في دائرة المعارف الاسلامية جزء ٢ ص ٤٤١ وما يليها

ولما كان هو على غاية من التقوى ولم يسيء استعمال قوته قط، فانه بالغ بحول الله هذا العمر لا محالة . أما هو فعاش في هذا الأمل اللطيف نحو تسعين سنة . ومن أخبار جدّه ، وهو معتقد بما يقول ويفعل ما حدث له مرة ، وهو يتنزه على شاطئ البحر مع صاحبه الشيخ طاهر، وقد لحق بهما أحد الطلبة ، وكان هذا لا يخلو من جذب على ما يظهر . وبعد مضي أربع ساعات على اجتماعه إليهما التفت إلى الدكتور وقال له : يا سيدي الدكتور أرجو ألا يكون في حضوري ما ينغص عليك خلوتك إلى الشيخ. فأجابه الدكتور بدون توقف : يا بني نحن لم نحس أنك معنا ، وإنا في شاغل عنك نحن الآن ندبر أمر ثلاثمائة مليون من المسلمين ، وهكذا كان وما شاء الله كان

محمد كرد علي

الوهابية بجزيرة العرب أثناء القرن الثامن عشر الذين حاربوا البدع وأزالوها من البلاد المقدسة ، وتعاليم محمد بن عبد الوهاب مؤسس هذه الحركة متفقة تماماً مع تعاليم ابن تيمية[1] ، فقد كان يدعو إلى التمسك بالدين في الشكل الذي كان عليه في حياة النبي وصحابته ، وكان غرضه الرجوع إلى الإسلام، في الصدر الأول، وذلك إنما يتم بالرجوع إلى الكتاب والسنة وحدهما . وإذا ما اتهمه خصومه بأنه مخالف للاجماع حدد سلطان الإجماع وحصره مخالفاً في ذلك جمهور أهل السنة . ولا يخفى أن هذه البدع التي حاربها بشدة وعدها كفراً كانت في الواقع مقبولة بإجماع المسلمين

وقد بلغت درجة الكفاح أشدها عند ما اتهم ابن تيمية والوهابيون بأنهم خارجون عن الدين وعلى جماعة المسلمين وتعاليم أهل السنة السائدة[2]، ولكن الوهابيين وقفوا في مكانهم ثابتين متمسكين بمذهب الإمام أحمد . وكما أن مر الأيام قد خفف من الحكم على ابن تيمية ، فكذلك أخذ كثير من المسلمين بعد زوال الخطر الوهابي يغيرون من رأيهم في هؤلاء العرب الهاجين

ولم تنته آثار حركة الوهابيين بسقوطهم السياسي وهدم عاصمتهم الرياض سنة ١٨١٨ ، وذلك أن تعاليمهم وآراءهم بقيت منتشرة في الجزيرة العربية . وفي سنة ١٩٢٤ ضموا إليهم بلاد العرب وأصبح قائدهم الملك عبد العزيز بن سعود الزعيم المعترف به في البلاد المقدسة

وإذا كان رجوعهم لم يقابل بشدة كما قوبل به منذ مائة عام ، وإذا كانوا لم يرفضوا بقوة إزاء تيارات التجديد الحديث ، فإنهم مع ذلك لم يتركوا تعاليمهم ، وأصبح القول بخروجهم عن الدين غير موجود الآن عند جمهور أهل السنة

وأهم من هذا كله في هذه الكلمة الإجمالية ، هو أن هذه الحركة الوهابية أخذت تدب في أثناء القرن التاسع عشر إلى بلاد إسلامية أخرى ، وعلى الأخص بلاد الهند ومصر ، ومن بين كل هذا قد أحدثت دعوتهم بالرجوع إلى الإسلام الأصلي الخالص وترك البدع التي حدثت بعد ذلك ، والبعد عن تعقيدات الفقهاء ومماحكاتهم ، قد أحدثت هذه الدعوة تذكيراً للمسلمين ومفكريهم الذين لم يبدوا معاداة أي حركة إصلاحية في الإسلام

ومن هنا نستطيع أن نقرر أن الحركة الوهابية كان لها أهمية كبيرة بعيدة الأثر في هذه الحركات الإصلاحية الإسلامية التي ظهرت أخيراً ، وإن يكن الاتصال بينها وبين هذه الحركات غير مباشر وغير واضح كل الوضوح . ومن هنا يجب أن نحسب لها حسابها في الكلام على هذه الحركات التي سنلم بها بعد إن شاء الله

علي حسن عبد القادر

(١) راجع في هذا مجلة المستشرقين الألمانية جزء ٧٨ (١٩٢٤/٢٥) صفحة ١٧٩ وما يليها

(٢) Goldziher, Vorlesungen, S. 294; 2. A. S. 277

إلى أرض النبـــوة !

[وصف وتأريخ لرحلة الوفد السوري إلى الحجاز
ربيع ١٩٣٥ لفتح طريق الحج البري بالسيارات]

للأستاذ علي الطنطاوي

— ٢ —

تركنا الموكب ، وقد وقف في ظاهر دمشق ، حول قبة (العسالي) ، وقد ملأت وفود المودعين تلك الساحة على رحبها ، وقام الخطباء يخطبون ، وقمت أشكرهم باسم الراحلين وأودعهم ، وأشرح الغرض من هذه الرحلة . وكانت الشمس قد جنحت إلى المغيب ، فزاد شحوبها الموقف رهبة وجلالاً ، وأقبل الناس علينا يودعوننا ؛ فلم تكن ترى إلا عناقاً أو تقبيلاً وإخلاصاً متجلياً ، وحباً وعطفاً ، فلم يبق في الناس من لم تسل عبراته ...

وإن أنس لا أنس مشهد حفيد تركي آغا سكر من وجوه الميدانيين ، ورفيقنا في سفرنا ، وقد تعلق به لا يريد فراقه ، ويبكي فيبكينا ؛ فما كان أبلغ من بكاء الطفل الحفيد ، إلا بكاء الجد الشيخ ، وما تركه حتى انتزعوه منه انتزاعاً ، وإن صوته ليرن في آذاننا ينادي : جدي جدي

وغادرنا دمشق ، وكان الليل قد أسدل ستاره على السكون ، وما زلنا ننأى عن هذه الجموع الهاتفة لنا، الداعية بالتوفيق والنجاح، ونبتعد عن هذا الحشد ، حتى ابتلع صوته الليل وطواه سكونه ، وغاب سواد الجمع في سواده الشامل ، ولم يبق من حولنا إلا السهول الفيح ...

وكان صمت بليغ ، فلم ينبس واحد منا ، واستسلمنا جميعاً إلى عواطفنا وأحلامنا ، وقد هاجها موقف الوداع ، وأثارها هذا المستقبل المجهول الذي نقدم عليه ، وهذه الصحراء الرعيبة التي نسعى إليها ، وهذه البقاع المقدسة التي نقصدها . وكنا نتلفت بين الفينة والفينة ، فنملأ العين بمرأى أضواء (المهاجرين)[(١)] ، وهي تسطع على نفوسنا المظلمة ، كما تسطع النجوم الهادية في الليلة الداجية ، على الضال الحائر ؛ ولم نكن ندري ، أنعود إليها فنراها كرة أخرى ، أم ستأ كلنا الصحراء فيكون ذلك آخر العهد بها ؟ وكنا نحدق فيها لتنتقش صورتها في نفوسنا ، حتى نأنس بها في ليالي البعاد ، ونذكر فيها آخر آية من آيات دمشق (البلد الحبيب)

وكانت السيارات تسير متعاقبة يكاد ينوء بها ثقل ما تحمل[(١)] وكانت تحمل فوق طعامنا والشراب الفرش والخيام ، والقدور والطباق ، ومائتي (صفحة) بنزين ، وعدداً هائلاً من آلات السيارة وأدواتها ، وراديو (رادّ) وغير ذلك مما نسيته الآن ، فكنا نعوّذها بالله ، ونرجو لها التوفيق ، وليس فينا من يتحدث أو يتكلم إلا قائلاً كلمة ، وسامعاً جواباً . ثم يرجع الصمت حتى طلعت علينا أضواء أذرعات (درعا) قصبة حوران ...

* * *

بلغنا أذرعات(درعا) عقب العشاء. فلبثنا فيها ريثما نظروا في جواز سفرنا وريثما صلينا. وأذرعات اليوم بليدة جميلة ذات قسمين — قسم جديد منظم بني على المحطة ، وقسم قديم ينأى عنه قليلاً — وفيها سوق كبيرة، وأبنية جيدة، وهي قديمة ذكرتها العرب في أشعارها لأنها — كما قال ياقوت — لم تزل من بلادها في الإسلام وقبله ، وأنشد لبعض الأعراب :

ألا أيها البرق الذي بات يرتقي ... ويجلو دجى الظلماء ذكرتني نجدا
وهيجتني من أذرعات وما أرى ... بنجد على ذي حاجة مدنف بعدا

وذكرها امرؤ القيس ، وعد ياقوت جماعة من العلماء خرجوا منها ، وليس فيها الآن من العلماء أحد (فيما نعلم) يذكر . وعالم حوران وفقيهها اليوم الشيخ التقي الصالح الشيخ الطيبي الدمشقي وهو فوق الستين، وهو بقية السلف الصالح — وفارقنا أذرعات نسير شرقاً إلى بصرى بعد ما هتفنا[(٢)] بآل المقداد أعيان وجوهها ننبئهم بوصولنا ، فلم نبلغ نصف الطريق إلى بصرى حتى رأينا أضواء كثيرة ومصابيح تجيء وتروح . فعجبنا أن يكون في البرية مثلها ، ودنونا منها فإذا هي أضواء المستقبلين الكرام ، هجروا مضاجعهم وأقبلوا يتلقوننا من نصف الطريق . فحيونا ومشوا بين أيدينا يهزجون الأهازيج البدوية حتى بلغنا بصرى

(١) الحي الدمشقي الذي يقوم على سفح قاسيون وفيه «الجادة الخامسة» ذات الجلال والجمال

(١) هذا هو التعبير الصحيح وإن كان عكسه هو الشائع

(٢) أي تكلمنا بالتلفون واسمه في الشام الهاتف، وهو اسم معروف عند الخاصة والعامة

ولبصرى ذكر فى التاريخ مستفيض ، ومجد مؤثل ، وفيها كثير من آثار الماضى ، ولم أكن قد دخلتها من قبل ، فما استطعت رؤيتها فى الظلام ، ولم ألمح من آثارها إلا صفين من الأعمدة الضخمة ، قائمين عند مدخل البلد ، على طرفى الطريق الذى سلكناه إلى منزل آل المقداد حيث رأينا الكرم الذى لا كرم بعده

وبصرى مذكورة فى الشعر قديماً وحديثاً ، ولكنهم لم يذكروها إلا ليذكروا نجداً ، ويعلنوا شوقهم إليها ، وكأنهم لم يروا فيها ولا فى الغوطة ولا وادى بردى ما ينسيهم تلال نجد ورماله ، وذلك من حكمة الله فإنه لولا حب الوطن ما سكن البلد القفار ! فمن قولهم فيها :

أيا رفقة من آل بصرى تحملوا　　رسالتنا لقيت من رفقة رشدا
إذا ما وصلتم سالمين فبلغوا　　تحية من قد ظن ألا يرى نجدا
وقولا له ليس الضلال أجازنا　　ولكننا جزنا لنلقاكم عمدا

ولبثنا فيها إلى موهن من الليل[1] ثم خرجنا يصحبنا دليل من أهلها ليسير بنا إلى (قريات الملح) القرية التابعة لابن سعود من غير أن نمر على المخفر الانكليزى فى (الأزرق) لأننا لم نستأذن من القنصل الإنكليزى لنمر على بلد من بلادنا . . . وكان اسم الدليل الحاج نمر ، وقد زعموه خبيراً بالطرقات ، عارفاً بالأرض ، خرّيتاً حاذقاً . . فتوكلنا على الله ، ثم على هذا الدليل الحاذق !

* * *

سرنا إلى الجنوب ، نخبط فى ظلام الليل ، لا نتبع جادة مسلوكة ، ولا طريقاً واضحاً ، يقودنا الحاج نمر . ويا ليت اسمه الحاج غراب ، فقد أضلنا ، كما (قد ضل من كانت الغربان تهديه) ... حتى بلغنا قرية كبيرة اسمها (أم الجمال) فيها بنيان كثير ، وأزقة وطرقات ، وفيها برج عال قديم ، ولكنها مهجورة منذ قرون ... ليس فيها ديّار ولا نافخ نار ، وهى موحشة فى رأد الضحى فكيف بها فى الليلة الظلماء ؟ فما كان من صاحبنا الحاج غراب إلا أن دير به وغثت نفسه وجعل من الدوار والغثيان يقىء وفقد رشده ، فصبرنا عليه حتى أفاق فسألناه عن أمره ، فإذا هو لم يركب فى عمره سيارة قط ولذلك دار رأسه ، فعالجناه حتى برئ ، فلما برئ رأى الطريق مختلطاً عليه ، فأمرنا بالوقوف فى هذه البليدة الموحشة التى لا يسكنها إلا الجن ... وذهب فى سيارة يكشف لنا الطريق ، فانتظرناه إلى الفجر فلم يرجع ، وكانت ليلة ما أذكر أنى رأيت مثلها برداً ، ونحن فى العراء فأحسست والله كأن عظامى ترتجف من البرد ، وبلغ منا النعاس وما نطيق أن ننام ، وأين وكيف ننام ؟

فلما طلع النهار ، وتعارفت الوجوه ، رأينا الحاج غراب على بعد خمسين متراً منا ، وإذا المحترم ينتظر أن نأتى إليه ...

وأردناه على الإسراع قبل أن يبصرنا بعض أعوان المستر كلوب ، ملك البادية المسمى (أبو حنيك) لأن رصاصة كانت قد أصابت حنكه فتركت فيه أثراً . وسألناه ، هل يعرف الطريق أم يخبط بنا خبط أعشى ، فعجب من سؤالنا وأكد لنا أنه يعرف البلاد كلها شبراً شبراً ، وأنه سلك هذه الطرق بعدد شعر رأسه ، فاطمأننا وسرنا معه ، وكانت الشمس قد طلعت ، وانقضت أول ليلة من ليالى الرحلة

فاطمأننا وسرنا معه ، فصعد بنا جبلاً وعراً فيه أحجار وحفر ، فسرنا فيه ساعة كاملة وهو لا يزداد إلا وعورة . فقلنا له : ويحك يا هذا ، إلى أين تمشى بنا ؟ قال : إن علينا أن نجاوز هذه الوعرة ، كى نبلغ قريات الملح من غير طريق الأزرق فقلت له : ويحك ، هذا والله البلاء الأزرق والموت الأحمر . وإنه ليوشك إذا أوغلنا فى هذه الوعور ألا نخرج منها ، فعد بنا ولو إلى الأزرق ، فماذا فى الأزرق إلا الجزاء النقدى ؟

واختلفت الآراء وتجادل القوم ، ثم اتفقوا على العودة ، فعاد بنا الدليل من حيث جاء ، حتى إذا هبطنا الجبل سار بنا فى طريق معبدة فسرنا فيها ، ثم سرنا وهى لا تنتهى حتى كاد النهار يزول ، ثم وجدنا مركزاً من مراكز البترول فيه ضابط انكليزى ، فسألناه : إلى أين تؤدى هذه الطريق ؟ قال : إلى العراق ، وقد اقتربتم من الحدود

فوثب أصحابنا على الدليل يوسعونه سباً وشتماً على أن طوّح بهم حتى كاد يهلكهم بجهله ، وهو صابر ساكت لا ينطق بحرف ، فتركه القوم وائتمروا بينهم فقال قائل منهم : إنى لأعرف طريقاً فى الحرة يصل بنا إلى القريات ، وقد جزته فوجدته سهلاً . فقالوا له : سر بنا إليه ، فمال بهم ذات اليمين ، ثم دار دورة فإذا نحن فى حرة من أصعب الحرار واسعة ممتدة الجوانب ملتوية مفروشة بحجارة سوداء لامعة ، كأنما قد صبّ عليها الزيت ، حادة الجوانب كأنها السكاكين ، فلما بلغنا وسط الحرة رأينا

---

(١) منتصف الليل

الجادة متروكة مهملة قد تخربت وغطتها الحجارة ، فكنا ننزل من السيارة فننزع الأحجار من طريقها لتمشي ؛ وكنا إذا بلغنا هضبة لم تقوَ السيارة على تسنمها نزلنا فربطنا السيارات بالحبال فجررناها بأكتافنا واحدة واحدة كما تجر الدابة الحرون ، واستمر بنا ذلك إلى الغروب ، وامتدت بنا هذه الطريق تسعين كيلاً رأينا فيها الموت مما تعبنا ، ولم نقف إلا ساعة أكلنا فيها وصلّينا ، فلما أن غابت الشمس يسّر الله لنا الخروج من هذه الحرة ؛ فلما خرجنا منها إذا نحن حيال قصر الأزرق ليس بيننا وبينه إلا أربعة أكيال أو أقل منها ؛ وكان إلى يسارنا أدغال وعرة فيها نبت من نبت الصحراء ، فلم نجد بدًّا من دخولها ، فدخلناها مكرهين تقوم بنا السيارة وتقعد وتميل وتعتدل حتى أظلم الليل ، وبلغنا قاعاً مستوياً فوقفنا وأنخنا للمبيت ؛ وكنا حين انتهينا إلى الأزرق بعد هذا الأذى كله ، كالذي (فرّ من الموت وفي الموت وقع) !

(لها بقايا) **علي الطنطاوي**

إلى أين . . . ؟

للأستاذ محمود محمد شاكر

جلست وصاحبي تحت جنح من الليل كأنه باز أسود قد طوى أفقاً من السماء في كهف من جناحه . وطمس هذا الليل الدامس ذلك الشعاع الذي لا يزال يبرق به وجه صاحبي كلما سكن ظاهره واطمأن ... وبقيت نفسه من وراء ذلك السكون الوديع تتوقد بأفكارها المشتعلة ، وترسل لهيبها يتلألأ على محياه ويتموج . وكان إحساسنا يمنى المنارة الجوية ، يثير النفس ثم يجثم عليها متثاقلاً بوطأته ، فلا هو يجعلنا نثور فيخف ما نجد من ثقلته ، ولا هو يتركنا نهدأ

وبقي صاحبي صامتاً لا يتكلم ، ولكني كنت أكاد أجد الألفاظ والمعاني وهي تعترك في داخله وتتشاجر . أما إني ما رأيته — أو قل ما أحسسته — كاليوم . لقد كان كالعاصفة من الغيب مكفوفة في محيطها ، تدور وتتراكض ، وكان هو هذا المحيط . لقد رحمته حتى كدت مرات أقوم إليه أضع يدي على رأسه ، أقول : ذلك مما يخفض عنه بعض ما يغتلي فيه من سعير الفكر . ولكني كنت أهاب أن أشعره أني قد نفذت إلى بعض أسراره التي يريد كتمانها . فسكت معه ساعة أحتال في خواطري لفض هذه الأغلاق التي يضربها على ضمير نفسه ، فلست أشك أن بعض الحديث إذا اشتكى خفف وأراح

لم تكن لي حيلة معه ، ولكن طول الصمت بيني وبينه في ظل هذا الليل الأسود كان هو مفتاح هذه الأقفال الكثيرة . وكان الحجاب الذي أسدله دجى الليل هو الحيلة التي جملته يقلق ويتململ في مجلسه يريد أن يستكتمني وهذا الليل سرًّا من القدر

ثم سكت سكتة ظننت معها أن أنفاسه قد أبت عليه أن يتنفس بها . لقد كان يجاهد نفسه : كان هو يأبى أن يتكلم ، وكان الذي يجده في صدره من الضيق يأبى عليه إلا أن يتكلم . كان نزاعاً هائلاً بين قوتين متحاربتين صارمتين عنيدتين متكافئتين ؛ لقد أثبته ذلك حتى كاد يتمزق . إني لأحس بل أسمع صوت التمزيق الذي يحدثه في نفسه هذا الصراع المخيف الرائع بين إلحاح هاتين القوتين في تنازعهما . ومضت الدقائق وأنا أعدها ساعات من عجلة النفس إلى تخفيف العذاب عن هذا الصديق البائس المحطم ، والذي يأبى عليه عناده إلا أن يتجلد

ولكنه ما لبث أن شق كثافة هذا الصمت المبهم بكلمة ضربت فيه :

لست أدري ! ! لست أدري ! !

لقد سمعت لكلماته في أذني صليلاً كما يصل الحجر الصلد على ضربة معول من الحديد الصلب . لقد بغتني بصليلها حتى نسيت أفكاري فيه منذ أول الليل . ولكني سرعان ما اجتمعت لحديثه وأردت أن أحتال للتخفيف عنه ما استطعت فقلت : وكأني أعلم خبء ما يشير إليه :

كلنا ليس يدري . وهذه هي الحياة . إنك لا تستطيع أن تعرف الحقيقة حتى تخوض إليها الباطل خوضاً . إن الشك هو أعظم أعمال النفس الإنسانية ، فإذا ما ابتُلي به الإنسان فهو بين نهايتين : بين أن يهتدي فيلحق بالذروة فيستوي على عرش من عروش الحكمة ، وبين أن يضل ويتزايل فيتدهدى على هذه

الصخور الفكرية العاتية فيتحطم . وأيٌّ ذلك كان ، فالمسألة كلها قدر محتوم يا صديق ! رُفعت الأقلام وجفَّت الكتب

لقد رأيت شرارتين تتطايران من عينيه فى جوف هذا الظلام، ولكأنى اقتدحتُ بكلماتى من النار التى تكمُن فى تلك الصخرة الفكرية الملمة التى انطوت عليها ضلوع هذا الصديق المسكين...

ثم رأيته يرتد مرة أخرى إلى صمته وصراعه ، ولكنى كنت أشعر به وهو يلين ويتخشع من كل ناحية . لقد كان هذا الصديق قاسياً عنيفاً ، ولكنه كان رقيقاً أيضاً . وكان صبوراً ، ولكنه ربما استكان للجزع . وكان مستوحشاً آبداً ، ولكنه ربما ألف وطاوع وانقاد ، وكأنه لم يجمح مرة . وكان راسخاً شامخاً وطيد الإيمان ، ولكنى كنت أنفذ إليه أحياناً فأجد الزلزلة التى فى قلبه قد جملته يتزعزع ويتطامن ويضطرب بعضه فى بعض اضطراب الموج فى تياره :

لست أدرى ! ولكنى أريد أن أحدثك ، أريد أن أنبذ إليك من القول لتشركنى فى بعض الفكر ...

ثم سكت وسكن ، ولكنه أقبل على وقد جمع أطراف نفسه المبعثرة ، يقول :

... كانا صغيرين ، وكانت أيامهما الصغيرة لا تدرك معنى النظرات التى تلتقى فتتعانق ، فتنعقد عقدة لا تحل . وهكذا نسيهما الزمن فى معبده الآمن ، ثم انتبه يوماً فزفر بينهما زفرة واحدة فتفرقا . لم يدركا يومئذ شيئاً من معانى الفراق المهلكة التى تمحق النفس بالتأمل واللهفة والحنين ، بل نظرا ثم توادعا ، ثم افترقا ثم نسيا . أو هكذا كان ، ولكنه لم يكن فى الحقيقة نسياناً ، بل كان عملاً من أعمال القدر الغامضة ، كان تعبئة للأحداث العظيمة التى تهيأ فتصنع النفس الإنسانية صنعة جديدة لقد عرفت ذلك فيما بعد . وتسحَّبت حواشى الحياة بينهما ، حتى رقت أيامهما الأولى ثم جعلت ترق حتى استحارت أحلاماً من الذكرى المبهمة ترف على القلب رفيف النسمات : لا ترى بل تحس ، ولا تمسك ولكنها تلق عطرها فى القلب وتمضى . نعم لقد نامت تلك العواطف الناضرة الصغيرة فى مهد من النسيان ، ولكنها كانت تنمو أيضاً فى جو هذا المهد

ومشى الزمن بينهما يقيم سدوداً وأسواراً من السنين وأحداثها ، وكما كبرا وامتدا من أيام العمر ، كبرت السماء التى تظلهما وترامت آفاقها ، واستحالت الأيام الصغيرة الأولى أشباحاً ضامرة لا تكاد تبين من دقتها وخفائها

ثم لجَّهما القدر فتلاقيا بعد دهر طويل كما يتلاقى نجمان فى ظلمة الليل ، يتناظران لمحةً وشعاعاً من بعيد لبعيد . هكذا عرفتُ . لقد كان هو يحسُّ فى بعض أيامه قبل ذلك اللقاء ، أن الفلك قد دار دورته فى القدَر ، وأن القوة المسخِّرة قد قذفت به فى نظام من الجذب جديد ، فلم يكد حتى لمح له شعاعها من بعيد يليح إليه بأضوائه وكأنما يقول : أقبل . . . هلم إلىَّ . . . هأنذا ، هأنذا !

ولم يلبث أن أتم هذا الفلك دورته ، فإذا هما يتناسمان فى جوٍّ عطرٍ تنفح من أردانه أنفاس الأيام الصغيرة الأولى . . . أيام الطفولة التى تنمو فيها عواطف القلب وتتفتح ، كما تنمو الزهرة فى أكمامها تحت السَّحر فى مهد الفجر بين روح وشعاع وندًى واجتمعا . . . فإذا هى غادة مضيئة تزهر . لكأن الزمن اختطفها كل هذا الدهر وتسالى بها فى بعض مصانعه العجيبة ، وجعل يجهد جهده بأنامله النابغة الدقيقة ، فهو يجلوها ويصقلها حتى إذا فرغ من فنه الذى احتفى لها به ، ردَّها إليه ينبوعاً من النور الضاحك المرح يترقرق لعينيه ممثلاً فى صورتها ... لقد شبت الصغيرة ، ولكن شبابها كان رقَّة وحناناً فى أنوثتها ، واستوت فكان استواؤها دقَّة فى فن من جمالها ، ونمت نموًّا وضَّاحاً ، وكأنما كان يَغْذوها نور الكواكب ويُرْضعها روح الزهر ... لقد وجدها وهى تضوع وتتلألأ من جميع نواحيها ... لقد كان يخيَّل إليه أن النسيم من حولها يطوف بها متعبِّداً خاشعاً ثم يسمو إليه حاملاً نفحة من نفحات الجنة . فكان يحس دائماً أن جوها ينتقل إليه فينفذ إلى قلبه ، فيقعد هناك يتمتم يحدِّثه بأخبارها أو يصفُ له منها ما يُورِث هذا القلب الحزين افتتاناً ولوعة وحنيناً

لقد شبَّتِ الصغيرة . . . ، فنَفَضَتْ عنها كل مطارف الطفولة ، وتجلَّت جَلْوة العروس فى زينة من الصبى والشباب . لقد خلعتْ كل قديمها ، ولكن شيئاً واحداً بقى كما هو ، لا بل بقى أقوى مما كان وأصفى . تلك هى روحها ، الروح القوية

الآمرة المتسلطة . تغيَّر كل شيء إلا عيونها التي تشفُّ عن هذه الروح التي لا تتغير . فالنظرة الباسمة الخاطفة التي كانت تخضع بها تمرد ذلك الصبي العارم الصغير ، هي هي النظرة الباسمة الخاطفة التي هجمتْ منه على الرجل فأضاءت وميضها له الطريق ، وحبسته بأمرها وسلطانها على هذا الطريق نفسه وفي وقت معاً ...

ثم نحا صاحبي ببصره إلى قطع من الليل جاثم من عن يمينه وأطال النظر في جوفه . ثم خيل إليَّ أنه قد جعل يصغي إلى همس الليل ، ويتسمع وسوسته الخافتة إلى رمال الصحراء ، وبقي زماناً لا يكاد يتحرك ، ثم انتفض في مكانه انتفاضة خفيفة — ما رأيتها ولكن رعدتها جرت في دمي وأوصالي قشعريرة عرفتها

ثم عاد إليَّ يتنهد ويقول :

هكذا هي ... أو هكذا كانت ... أما هو ...

وارتعشت الكلمات في نبراته وعلى شفتيه فأمسك وسكت ، وكأنه عزم ألا يتم ما بدأ من حديثه عن الرجل . فخفت أن ينقطع عني دون خبره ، وأردت أن أستفزه من حيث أعلم كيف أستنبط نبع حديثه ، فعجلت إليه أقول :

أما هو — يا صاحبي ! — فقد كان مجنوناً تنثنيْ له أعصابه المريضة الهالكة معانيها التي لا حقيقة لها في حقيقتها هي ، و ...

فانقض على بصوته يقول :

كلا ، كلا ! لا تقل هذا . ليس الأمر كذلك لا تعجل عليه . إنك لا تعرفه ، ولو عرفته لما أظنك تحسن فهم حياته التي يعايش بها الناس . سأحدثك عنه ، لقد علمت أنك تريد أن تحملني على ذلك ، ولا بأس إذن . لا أقول لك إني فهمته ، واستطعت أن أكشف لنفسي عن سر طبيعته ، كلا ! بل أقول لك إني لأحس بكل ما يعتلج في قلبه من آلامه ، وكأنها عندي هي كل آلامي

إنه رجل قد امتلأ حكمة من طول ما جرب ، ومن عنف ما لقي من الأحداث التي نقضت بناء حياته مرة بعد مرة . نعم إنه لملء رجولته تجربة ، ولكن ... ولكني سأصفه لك على كل حال . سأحاول أن أعبر لك عن حقيقة معرفتي به . نعم ! هو إنسان غامض مبهم محير ، إذا صحبته رأيت من نقائضه التي تجتمع لك من أعماله وظواهره ، ما يلتوي بفكرك فيه من هنا إلى هناك ، حتى تجد وكأنما أنت تمشي منه في غمض من الأرض منكر قد درست صواه وعفت رسومه وجهلت معالمه . لا تهتدي فيه أبداً إلى شيء تستطيع به أن تقول : هـذا هو ! ! هذه هي الفكرة ... ، هذا هو الطريق ! !

سكت صاحبي قليلاً وقد طرح فكره في مذاهبه ثم عاد يقول :

فلنعد إلى حديثنا إذن ، لقـد حملتني على أن أذهب بك بعيداً ... كذلك كانت هي كما وصفتها لك بل أروع مما وصفتها ، حين التقيا على غير موعد يتوقعه أحدهما ... أما هو فكان يومئذ رجلاً ضرباً متوقداً ثائراً عنيفاً ، لا يزال يتمزع من جميع نواحيه كأن في تجاليد شخصه روح وحش شارد لا يألف الحياة ولا هي تألفه . كان فكرة شامخة عاتية عضلة تأبى أن تنهضم لأحد أو تستذل . كان كالبركان في عنفوان فورته تتقلع به صواعقه وزلازله . وهكذا كنت أبداً أعرفه ، ولكنه كان مع كل ذلك يحب أن ينطوي على هذه العواصف التي تتقصف برعودها بين جنبيه . ومن أجل ذلك كنت أجد في عينيه أحياناً بارقاً ساطعاً يتداركُ ويتلهّبُ ، حتى يجعل نظراته كأنها سياط من الأشعة يتضرم اللهب على عذباتها ... لا تعجب ، فأشهد لقد خيل لي مراراً أن نظرته هذه إنما تكوى من يتعرض لها أو من يجلده بها ، حتى لأخشى أن تكون تترك فيه من آثارها أخاديد تنتفض كلذع النار على الجسد

لا تعجل ، ولا تشطط . لقـد تعلم أنه كان — مع كل هذا الذي وصفت لك إنساناً وديعاً رقيقاً . كان قلبه خلاصة صافية ممثلة من الحنان والشفقة . ولكنه أصيب بأحداث كثيرة جعلته ظنوناً حزيناً ، فهو لذلك يضن بما في قلبه أن يطلع على حقيقته الكاملة أحد من الناس . لم أر — فيمن رأيت من الناس — من هو أبعد منه مذهباً في الاحتراس والحذر ، ومع ذلك أيضاً ، فلو أنك رأيته في بعض ساعاته لظننت أنه رجل غمر يختدعه عن نفسه كل أحد ، ولكنه ليس كذلك . نعم ، لقد كان هشا أحياناً بين يدي من يتناوله ... فإذا أخذ بالاعتساف والقسر ، انقلب الذي فيه ضارياً لا يطيق ولا يطاق

هكذا كان أول ما تلاقيا ...

ثم صمت صاحبي ، وخيل إليَّ أنه يضحك . لقد كان يخافت من ضحكه ، كأنما هو يسخر ، ورجع إليَّ بعد قليل فواصل حديثه :

النقابات الإسلامية (*)

للأستاذ برنارد لويس

ترجمة الأستاذ عبد العزيز الدوري

[تتمة]

يأتي مصدرنا الثاني من النصف الثاني للقرن التاسع عشر . ففي سنة ١٨٨٤ م قدم إلياس قدسي (وهو سوري) إلى مؤتمر المستشرقين الدولي نتائج بحثه في السنة الفائتة عن طوائف « دمشق [(١)] » ويجب اعتبار هذا البحث مصدراً تاريخياً وإن كان حديث العهد، لأن معظم ما يصفه قد اختفى دون أن يدرس ثانية

يخبرنا قدسي أنه كان على رأس جميع طوائف المدينة (شيخ المشايخ) وكان هـذا المنصب وراثياً في عائلة خاصة ، ولا يمكن انتخابه أو إقالته أو استبداله بشخص آخر . وكان دوره قابلاً للانتهاء إما بوفاته أو باستقالته (ويكون ذلك أحياناً بتأثير السلطان) وقد كان في زمن أقدم الحاكم الأعلى في جميع شؤون الطوائف . ويحدث المحدثون أن سلطته (أي شيخ المشايخ) كانت في زمن ما واسعة جداً تمتد حتى إلى حق الحكم بالموت . وعلى كل فقـد احتفظ لزمن طويل بحق سجن أو تقييد رجال الحرفة أو ضربهم بالسياط . وكان يعيش على وقف وراثي . وقد أنقصت سلطته إلى حد كبير بعد « التنظيمات » أي الإصلاحات العثمانية في القرن التاسع عشر وأصبح مركزه رتبة شرف فقط . وكان شيخ المشايخ في زمن بحث قدسي عالماً كبيراً ولكنه يجهل تماماً جميع الحرف . وكان عمله الوحيد المصادقة على تعيين رؤساء الطوائف الذين يعينهم الأساتذة

ويظهر أن رتبة شيخ المشايخ كانت مختصة بدمشق فقط إذ لا يوجد لها أثر في أية مدينة أخرى . لم يكن باستطاعة شيخ المشايخ حضور جميع اجتماعات الطوائف شخصياً . لذلك كان يرسل موظفاً خاصاً يسمى (النقيب) في حالة وجود اجتماع لترقية بعض الأعضاء إلى صناع أو أساتذة أو لأي شيء يخص المجموع . وعند ما كانت وظيفة شيخ المشايخ مهمة وذات نفوذ كان له عدة نقباء . لـكن قدسي وجد نقيباً واحداً (زمن بحثه) له معرفة بالحرف وبشؤون الطوائف وهي الصفة التي كانت تنقص الشيخ

ويلي شيخ المشايخ — شيخ الحرفة — ينتخبه أكبر أعضاء النقابة من بين أبرع ماهري الحرفة ، ولم تكن تتبع أية قاعدة في الأولوية سواء أكان ذلك من جهة السن أم طول زمن العضوية فقد يكون الشيخ ، وقد كان كذلك في كثير من الحالات ، شاباً حدثاً، بل كان يطلب فيه أن يكون فاضل الأخلاق ، عاملاً ماهراً محترماً بين رجال الطائفة قادراً على تمثيلهم أمام السلطان . كان منصب الشيخ وراثياً في بعض الطوائف ، ولـكنه خاضع دائماً لمصادقة المنتخبين . ويعين الشيخ لـكبر سنه ، ويمكن استبداله إن وجد أنه غير جدير بمنصبه . وكانت واجباته : دعوة الاجتماعات وترأسهـا ؛ وملاحظة المحافظة على مستوى الطائفة ، ومعاقبة مخالفي قواعد الحرفة ، وتنظيم شئون العمل (وكان هذا يفوض إلى الأساتذة) ؛ والأجازة إلى درجة صانع أو أستاذ ، وأن يكون رأس الطائفة المسئول في كل العلاقات مع الحكومة . أما فيما يخص انتخاب الشيخ فقد لا حظ قدسي أنه لم يكن ينتخب بالأكثرية ، فعنـد خلو كرسي الرئاسة

(*) راجع الأعداد : ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ من الرسالة

(١) راجع بحث إلياس قدسي عن النقابات في دمشق في أبحاث مؤتمر المستشرقين الدولي في جلسته السادسة ١٨٨٤ ص ٣ وما يليها ، والبحث بالعربيـة .

كيف قلت في نعته ؟ كان مجنوناً تنشيء له أعصابه المريضة الهالكة معانيها التي لا حقيقة لها في حقيقتها هي ... ! ! نعم ، ربما كان ذلك صحيحاً من بعض وجوهه ، ولـكني على يقين من أنك لا تكاد تعرف وجه الحق في تأويل هذا الوصف . لا بأس ومع ذلك ، فأي هذا الناس ليس مجنوناً على الحقيقة من بعض نواحيه ؟ إنك لو جهدت فتتبعت تاريخ الإنسانية كله لم يخلص لك من أصحاب العقل الكامل إلا أفذاذ قلائل . ومع ذلك ، فليس أحد من هؤلاء الأفذاذ قد نجا من قذف الناس إياه بالجنون . ألا تخبّرني أي الأنبياء — وهم فضائل الإنسانية الكاملة — بريء أن يقول فيه أهله وعشيرته : « إن هو إلا رجل به جِنة » أو « ساحر » أو « مجنون » ؟

إن من أعظم حقائق الحياة الدنيا أن العقل لا يستطيع أن يدرك حقيقة العقل، أي أنه لا يستطيع أن يدرك حقيقة نفسه ! و ...

وصدَع السكونَ صوت صفير الغارة الجوية ، فانتزع صاحبي ثم قال :

— أليس هذا هو صوت جنون سكان العالم ؟ أليس كذلك ؟

« لها تتمة » محمود محمد شاكر

يجتمع الأساتذة المتقدمون ، ويتناقشون فى المرشحين القابلين للانتخاب فإن لم يتفقوا على شيء يمين شيوخ المشايخ شيخاً على كل حال . ثم يثبت شيخ المشايخ الشيخ الجديد فى حفلة خاصة . كان للشيخ مساعد يسمى شاويش ، وعلاقته بالشيخ كعلاقة النقيب بشيخ المشايخ مع هذا الفرق الهام وهو أنه بينما كان النقيب يعين بواسطة شيخ المشايخ كان الشاويش لا يعين إلا بموافقة المنتجين . ولم تكن للشاويش سلطة خاصة . بل كان ممثلاً ، وضابط تنفيذ لشيوخ الحرفة . ويخبرنا قدسى أن منصب شاويش قديم جداً ولكن الاسم حديث

يشتغل المبتدئ من غير أجرة لمدة سنوات حتى يصل إلى سن الرجولة ، وتصبح له مهارة فى الحرفة (على كل كان البعض ينال أجراً أسبوعيا زهيداً حسب ما يستحق) . ثم يصبح بعد ذلك صانعاً ، فإذا لم يتقن حرفته ويتقدم إلى أستاذ بقيت أجوره واطئة ومنع من الاشتغال لحسابه الخاص

كان الصناع فى زمن قدسى يشكلون هيكل الطائفة ، وكانوا أكثرية عظيمة . ويخبرنا أنهم كانوا حافظى سر الطائفة وناقلى أسرارها إلى ما يليهم

ثم يعنى قدسى فى وصف مطول لحفلات الإجازة . يدخل فى ذلك اليمين بالمحافظة على أسرار الطائفة والصنع الجيد ، وكذا الرسوم والقوانين المتقنة التى تنظم كل مظهر من مظاهر حياة رجال الطائفة مع كل العلامات والإشارات المعمول بها . وأخيراً يشير قدسى إلى التشابه بين هـذه الحركة وبين الماسونية الحرة فى أوربا متسائلاً عما إذا كانت هناك علاقة بين الاثنين[1]

يكفى ذكر بعض الملاحظات عن الطوائف المصرية حيال هذا الوقت لنتبين بعض الاختلاف ، فشيخ المشايخ غير معروف هنا . وإنما نجد الطوائف تحت رئيس البوليس ... كان لرئيس الطائفة (ويدعى هنا شيخ الطائفة) سلطة نظارة العمال وتسوية الخلافات فيما يتعلق بعملهم ومعاقبة المخطئين[2] وكان يدعو مجلساً من المختارين

(١) بهذه المناسبة لا نجد مانعا من ذكر علاقة غريبة بين الماسونية الحرة والنقابات الاسلامية . ففى أوائل القرن التاسع عشر ادعى بعض الفرنسيين فى سوريا بأنهم اكتشفوا شبهاً بين رسوم الماسونية الحرة وبين رسوم الدروز ، ولما كان الدروز من أصل إسماعيلى وتأثير الاسماعيلية على النقابات الاسلامية عظيم كما ذكرنا نجد العلاقة ذات أهمية ، بينما يعتبر (فون همر) نظام النقابات الأوربية مشتقا من نظام النقابات الاسلامية

(٢) ص ١٠ ينكر ملاحظ آخر لنقابات القاهرة وجود هذا الشرط لاحظ Martin Les Bagares du Caire, Paris, 1910

(نواب رئيس الطائفة) عند الضروريات يشكل محكمة قضاء لرجال الطائفة . ولم تكن توجد درجة صانع ، بل كان المبتدئ عند إجازته يرفع إلى منزل أسطى أو أستاذ رأساً . وكان يطلب منه صنع شيء نموذجى

ويهمنا بصورة خاصة معرفة أنه كان فى طوائف القاهرة نوع من أنواع التأمين ضد البطالة والمرض يتعاون فى ذلك جميع الأعضاء

لم تستطع كل هذه التشكيلات التى دامت دون تغير تقريباً حتى القرن التاسع عشر ، وأحياناً حتى القرن العشرين مقاومة هزة الفتح الأوربى ، ففى كل محاولة فى البلاد الإسلامية أخذت طرق الإنتاج القديمة تفسح المجال لطرق جديدة ، وهكذا بدأت الطوائف تنحل . وتحولت هذه التشكيلات فى أغلب الأحيان إلى اتحادات تجارية Sindicats من النوع الأوربى كما اشتركت بعض نقابات تونسية وسورية ، ومن الهند الصينية الهولندية فى اتحادات العمال الدولية ، وهناك نقابات أخرى فى دور انتقالى

بقى علينا أن نذكر ناحية غريبة من حياة الطوائف الإسلامية (أى ما يعرف بالطوائف الوضيعة)[1] ، فمن أزمان متقدمة نجد فى البلاد الإسلامية طوائف منظمة كاملة فى مراسيمها ونظمها وتقاليدها من نوع آخر من الحرف كاللصوص وقطاع الطرق فكانت (لبنى ساسان) أو (نهابى القاهرة) المنظمين سطوة عظيمة لمدة طويلة . وفى دور الفوضى فى عصر الخليفة العباسى المقتفى ١١٠٦ — ١١٣٦ م سيطرت طوائف اللصوص فى بغداد على هذه المدينة[2] وهذه الطوائف التى لم تكن لها دون شك أية علاقة بطوائف الصناع الحقيقية ساعدت على حط سمعة هذه الطوائف ؛ وكانت يتخذها أعداء الطوائف وسائل للتهجم عليها

ما هى النتائج العامة التى تستخلص من هذا العرض للطوائف الإسلامية ؟ يظهر لى أننا نستطيع أن نستخلص أربع خصائص تميز تنظيمات النقابات الإسلامية من تنظيمات النقابات الأوربية كما يلى :

أولاً : على العكس من النقابات الأوربية التى ظهرت لخدمة عامة معترف بها ولها امتيازاتها وتدار من قبَل السلطات العامة للأمير أو البلدية أو الملك نشأت النقابات الإسلامية من تلقاء

(١) يلاحظ المسعودى وجود نقابات لصوص في بغداد ٩٥٩ م ، أنظر مروج الذهب طبعة باريس ١٨٩١ ج ٨ ص ١٨٩

(٢) ابن خلدون باريس ج ٣ ص ١٥٣ ، أنظر تلبيس إبليس لابن الجوزى طبعة القاهرة ١٧٤٠ هجرية ص ٤١٥ وما بعدها . قال لى البروفسور Coornaet بأن مؤسسات من هذا القبيل ليست خاصة بالاسلام لوجود نقابات مشابهة لها فى فرنسا فى القسم الأخير من القرون الوسطى

نفسها ، من الشعب ، وتكونت لا إجابة لحاجة الدولة ، بل إجابة لحاجات كتل العمال أنفسهم ، كما أن النقابات الإسلامية اتخذت ، خلا فترة قصيرة ، إما عداوة مكشوفة للدولة ، وإما عدم ثقة . وقوبل ذلك بالمثل من قبل السلطات العامة سياسية أو دينية. ويظهر مدى هذا الشعور ضد السلطات الحاكمة من بروزه المفاجئ في القرن العشرين فى الدور الهام الذى لعبته النقابات فى الثورة الإيرانية ، ومن التطور المريع للنقابات الإسلامية إلى كتلة ثورية فى الهند الصينية . وفى الرابطة القوية بين هذه النقابات وبين الشيوعية الأوربية[1] . ولا ينقص قيمة هذا الاستنتاج منح بعض الأمراء السنيين وضعاً مقيداً للنقابات للحصول على تأييدها كما لا ينفى وجود خلافات فى بعض الأحيان بين الحكام الأوربيين والنقابات كون هذه المؤسسات أميرية

ثانياً : تنتج الخاصة الثانية لحياة النقابات الإسلامية أولا مما ذكرناه الآن، وثانياً من حالة طرق الإنتاج التى لم تتغير فى الأراضى الإسلامية منذ القرن الثانى عشر حتى القرن التاسع عشر . فلا يوجد فى تاريخ النقابات الإسلامية ما يماثل الازدهار العظيم فى النقابات الأوربية فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر ، الذى انتهى بانقسام هذه النقابات إلى سادة وصناع : (طبقتين مختلفتين ومتعاديتين) . وفى ارتفاع السادة السياسى والاقتصادى العظيم ، وفى تنظيم نقابات خاصة للصناع كسلاح فى نضال الطبقات العنيف الذى نتج[2] . أما فى الإسلام، فقد بقى الأستاذ والسيد والصانع والمبتدئ طبقة واحدة فى المجتمع على اتصال شخصى قريب فرتبة الصانع وهى مؤقتة وانتقالية دائماً ، وفى أكثر الأحيان غير موجودة[1] ، لم تتطور أبداً إلى منزلة اجتماعية دون أمل فى الارتقاء إلى رتبة أستاذ . فالنقابة الإسلامية لخلوها من التفريق الاجتماعى الداخلى[2] الذى يقسم النقابة الأوربية ، حافظت على خاصتها التى انطبعت بها عند ما ظهرت فى القرنين العاشر والحادى عشر، وهى المساواة بين أفرادها كطبقة فى المجتمع فى شكلها الخاص كثورة للعمال ضد ارتفاع الرأسمالية الاقتصادية والتجارية عندئذ.

ثالثاً — والميزة الثالثة فى الطوائف الاسلامية : هى كونها تضم أفراداً من مختلف الطوائف ؛ فبينما أبعدت الطوائف الأوربية من صفوفها حتى المسيحيين المختلفى المذاهب ، نجد الطوائف الاسلامية مفتوحة لليهودى والمسيحى والمسلم على السواء ، بينما نجد بعض الطوائف الاسلامية تسودها الأغلبية الغير مسلمة

رابعاً — وختاماً يجب أن نلاحظ أهمية الحياة الداخلية الروحية فى النقابات الاسلامية؛ فعلى العكس من الطوائف الأوربية لم تكن النقابة الإسلامية تشكيلاً مهنياً فقط ، فمنذ أن كانت النقابة تشكل جزءاً من نظام الدعاية الاسماعيلية حتى الوقت الحاضر احتفظت هذه النقابات دائماً بمثلها المتأصلة فيها قوانينها الأخلاقية والأدبية التى كانت تدرس لكل المبتدئين فى نفس الوقت الذى تعلم فيه الحرفة .

عبد العزيز الدورى

(الرسالة) : عالج الأستاذ برنارد موضوع الطوائف الاسلامية علاجاً حسناً ، ولكن ضعف المترجم فى اللغة العربية وجهله ببعض المصطلحات التاريخية أصابا المقال بشئ من التفكك والغموض .

---

(١) أنظر Revue du monde Musulman lviii, lii, li ولاحظ الأستاذ ماسينيون أن النقابات في فارس تحتفظ بروح انتقاد خاصة ضد السلطة الحاكمة

(٢) يوجد استثناء لذلك فى أناضوليا فى القرنين الثالث والرابع عشر فهنا نجد قسما من الأساتذة فى جمعيات الأخوة (كما لاحظ كوبرولو وتشنر) ظهر أنهم تطوروا إلى نوع من الرأسماليين يتمتعون بنفوذ اقتصادى واجتماعى . وهذا الاتجاه يعطى شيئا يوازى التطور البلدى فى أوربا ، ولكنها على كل حال كانت محدودة الاتساع ولم تتطور إلى درجة التصادم بين العمال والأساتذة ج . وهى خاصة بأناضوليا حيث خلقت قوة النفوذ البيزنطى والهجرة التركية ظروفا خاصة ، وحتى هنا (أناضوليا) قضى على هذه الحركة حالما تقوى مركز السلالة العثمانية لذا فلا شيء ، فالشيء للوقت المحلى لا يفسد صحة المبدأ العام بينما يعتبر — (تشنر) — حركة الأخوة كحركة الطبقة المتوسطة صاحبة رأس المال بدل أن يعتبر ظهور طبقة متوسطة من بين النقابات ، ويضم اتحاد الفتوة والنقابات عدة قرون بعد ذلك

---

(١) بالرغم من أن قدسي يقول أن الصانع يشكل هيكل النقابة تجب ملاحظة أن قدسى شاهد متأخر كتب بعد أن طرأ تغير كبير على النقابة . أما (أوليا) و (صدقى) — صدقى كاتب عن النقابات فى القاهرة — فلا يذكران هذا المنصب

(٢) لاحظ Billioud من خصائص النقابة الاقطاعية المحتكرة فى فرنسا فهنا يشكل الأساتذة صنفا إقطاعيا وراثيا يعادى كل العناصر الجديدة الغريبة من صنفه. قارن هذا بنظر الأساتذة المرشحين للأستاذية فى النقابات الاسلامية

من نواحى المجتمع

بين مفتش وموظف

للأستاذ محمود محمد سويلم

حدثنى من أثق به أيام مقامى « بمنفلوط » أن مفتشاً تردد على موظف حتى أضجره وضايقه ، وكان ضرورياً أن يقصر الموظف أو تقصر يده عن إجابة رغبات رئيسه الذى لا تكاد تنتهى له زيارة حتى تبدأ أخرى ، فأحس المفتش بهذا التقصير وكبر عليه وصوره له شيطانه بصورة مثيرة فأضمر الشر لصاحبه ؛ وانطبعت دخيلة نفسه على محياه فقرأ الموظف المسكين هـذه الآيات الصامتة التى تفصح فى غير عبارة عما انطوت عليه نفس رئيسه من ضغينة لا يدرى إلا الله مداها ، وكأنه فى موقفه هذا جهد نفسه على أن يخفى ما ألم بها فيقابل رئيسه بشىء من المداراة والابتسام المتكلف . وكيف يتهيأ ذلك لنفس ساذجة لم تألف هذا التلون ولم تعتد هذا النفاق ؟ فلم يفلح فى هذه المحاولة وظهر على وجهه من العبوس ما ظهر على وجه رئيسه ، فتهاجرا وتدابرا ووجد الشيطان الفرصة سانحة فأغرى كلاً بصاحبه ؛ فكتب المفتش والموظف إلى الرياسة جميعاً

فماذا كتبا

قال محدثى : لقد طلب المفتش عزل الموظف لأسباب أبداها يالله ! ألم يقدر هذا المفتش مآل أسرة تحيا فى ظلال عيش آمن إن لم يكن ناعماً ولا مترفاً ، يريد نقلها إلى بؤس الحياة ألم يقدر وهو المؤمن بالله واليوم الآخر موقفه بين يدى جبار الأرض والسموات موقف الظالم من المظلوم (يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم) ؟ نعم لم يقدر شيئاً من ذلك ؟ لماذا ؟

أما الموظف فما عسى أن يكتب وهو لا يطمع فى انتصاره على رئيسه ، حتى ولو كان محقًّا ، ولا فى السلامة من شره وإن قام بأعباء وظيفته على خير حال ؟

لـكنه برغم ذلك أبى إلا أن يكون جريئاً وإلا أن يقابل الشر بالشر فكتب إلى الجهة نفسها يقول :

« إما أن تزيدوا فى مرتبى حتى يكفينى والمفتش جميعاً ، وإما أن تزيدوا فى مرتب المفتش حتى يعف »

نتيجة محزنة ومأساة مروعة فى الأخلاق وفى الفضيلة

لقد كان من عادة الخليفة الثانى عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن يبعث مندوباً إلى عماله الذين تمولوا على حساب العمل فيقاسمهم أموالهم مناصفة ليأخذ نصفها فيضمه فى بيت مال المسلمين . فاتفق له مرة أن أرسل مندوباً إلى كبير من ولاته لهذا الغرض ، وكان هذا الوالى داهية ، فحاول أن يخدع مندوب الخليفة كى يتغاضى عن بعض المال ، فأمر بإعداد مائدة من أشهى الأطعمة وأفخر الألوان ؛ فلما مدت المـائدة ورأى مندوب الخليفة ألوان الطعام أدرك على الفور أنها خدعة ؛ فثارت ثائرته ، وقال للوالى فى صراحة الحق وشجاعة الإيمان : أكل ضيف تقدم له مثل هذا ؟ والله لا آكل من طعامك شيئاً . هات مالك أقاسمك إياه ! ... فلم ير الوالى بدا من الخضوع للأمر . ونعود فنقول ما قال الأول :

فأين الـثريا وأين الـثرى وأين الحسام من المنجل ؟

نعم شتان بين من هـذبهم الإسلام فزكى نفوسهم وطهر جوارحهم ، وأشربت قلوبهم محبته ، فلا سلطان إلا سلطان الله ، ولا فكر إلا فى دين الله ، ولا عمل إلا بوحى الله الذى أرسل به رسوله .. وبين من تملكت المادة نفوسهم ، وطرفت الدنيا عيونهم ، ولعبت الشهوات بقلوبهم وعقولهم

ماذا ينتظر الرئيس من مرؤوسه ؟ أينتظر منـه أداء مهمته على الوجه الأكمل ليرضى ربه وضميره والناس ويأكل رزق الله الذى أفاض عليه حلالاً طيباً ، أم ينتظر منه أن يحسن الملق والدهان والسير فى الركاب ... وإن ترك أعمال وظيفته جانباً وأكل مال الدولة سحتاً حراماً ؟

محمود محمد سويلم
واعظ سمالوط

كتاب رسوم دار الخلافة

لهلال بن المحسن الصابئ

للأستاذ ميخائيل عواد

استوطن بغداد فى صدر الدولة العباسية فئة نحلتها الصابئية، نزحتْ إليها من حَرّان والرقة المشتهرتين بمنازل الصابئة . تلك الفئة هى آل زهرون وأنسباؤهم آل قرّة

أصابت هذه الجماعة الصابئية فى بغداد نصيباً وافراً من العلم والأدب والطب ، فمهرت فى كلياتها وجزئياتها ، ودفعتها فطنتها وتوقد ذكائها إلى تقلد جلائل الأعمال بخدمة خلفاء بنى العباس وأمرائهم ووزرائهم ، فسار ذكرها فى الآفاق ، وكان عليها المعاد لطائفة من الأعمال التى قامت بها خير قيام

ومما زاد فى علو شأن هذه الأسرة أن جماعة من أفرادها خلّفوا مؤلفات جليلة فى بحوث نافعة كالأدب والتاريخ والطب والفلك وغيرها . وسيكون مدار كلامنا[1] على أحد أعلام هذه الأسرة وهو : « هلال بن المحسّن الصابئ » .

مولده ونشأته

هو أبو الُحسَين [وقيل أبو الحسن] هلال بن المحسن[2] ابن أبى إسحق إبراهيم بن هلال بن إبراهيم بن زهرون ابن حيّون[3] الصابئ[4] الحرّانى[5] ، لقّب بالرئيس ، كان مولده ببغداد فى شوال سنة تسع وخمسين وثلثمائة للهجرة ، ونشأ بها . وكان أبوه المحسّن صابئياً ، وأمه أخت ثابت بن سنان بن قرّة

(١) إن جميع ما ذكرناه فى هذا المقال مستخلص من المقدمة المسهبة التى وضعناها لكتاب : « رسوم دار الخلافة » الذى نعنى بنشره الآن

(٢) المحسن كمحدث ، وغلط من ضبطها كمكرم (عن المساعد : وهو معجم للاب أنستاس مارى الكرملى ، لا يزال مخطوطا)

(٣) حيون كقيوم (المساعد)

(٤) الصابئ مهموزة الآخر ، وأخطأ من كتبها بالياء ، لأن المعنى يتغير تغيراً عظيما (المساعد)

(٥) هكذا اشتهر عند العوام . والاصح الحرنانى ؛ لأن النسبة إلى حران للعاقل حرنانى ؛ ولغير العاقل حرانى (المساعد) ، وانظر الزبيدى فى تاج العروس (٩ : ١٧٣ مادة حران)

الطبائى المؤرخ الشهير . وقد أسلمَ هلال فى أواخر أيامه ، وحسن إسلامه[1] . ويُعَدّ أوّل أبناء بيته الذى ترك نحلته القديمة ليسلم

تنقلل هلال فى دار الخلافة العباسية ببغداد ، فعرف نواحيها ورسومها وأسرارها، وبرع فى آداب الخلفاء ومجالسهم حتى فاق جده إبراهيم ؛ ذاك الذى خنق التسمين فى خدمتهم . وتولّى هلال أموراً عديدة منها ديوان الإنشاء[2] ، وعُيّن حيناً كاتباً لأسرار فخر المُلك أبى غالب محمد بن خلف الذى ترك له مبلغاً كبيراً من المال عند وفاته، غير أن هلالا امتنع عن التصرف فيه، لأنه كان يتقاضى ما يمكّنه من العيش من الدولة فترك الإرث لابنه غرس النعمة[3]

اشتهر هلال بتاريخه ، كما اشتهر جدّه ابراهيم برسائله . وقد أدرجه القفطى فى كتابه « تاريخ الحكماء » فى سجل من اشتهر بتدوين التاريخ . فهو يبتدئ بذكر الطبرى ، وينتقل إلى ذكر أحمد بن أبى طاهر وولده عبيد الله فالفرغانى ، إلى أن قال: « فإن قرنت به [أى كتاب التاريخ لثابت بن سنان] كتاب الفرغانى الذى ذيل به كتاب الطبرى فنعم الفعل تفعله ، فإن فى كتاب الفرغانى بسطاً أكثر من كتاب ثابت فى بعض الأماكن، ثم كتاب هلال بن المحَسّن بن ابراهيم الصابئ، فإنه داخل كتاب خاله ثابت وتمم عليه إلى سنة سبع وأربعين وأربعمائة [أى قبل وفاته بسنة واحدة] ، ولم يتعرض أحد فى مدته إلى ما تعرض له من إحكام الأمور والاطلاع على أسرار الدول ، وذلك أنه أخذ ذلك عن جده لأنه كاتب الإنشاء ويعلم الوقائع ، وتولى هو الإنشاء أيضاً ، فاستعان بعلم الأخبار الواردة على ما جمعه ثم يتلوه كتاب ولده غرس النعمة محمد بن هلال ، وهو كتاب

(١) سبط ابن الجوزى فى مرآة الزمان : ــ ينقل ما رواه هلال عن قصة إسلامه ــ مخطوط ذو رقم (١٥٠٦ عربى) من دار الكتب الأهلية بباريس ، ورقة ١١ ، ١٩ ، ٢٠) [عن الدكتور مصطفى جواد]

(٢) مجلة الجمعية الآسيوية الملكية البريطانية ، سنة ١٩٠١ (ص ٥٠١ و ٧٤٩)

(٣) راجع المجلة الاسلامية (٤ : ٢١) ، ومقدمة تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء ص ٦

حسن إلى بعد سنة سبعين وأربعمائة بقليل ، وقصر فى آخر الكتاب لمانع منعه الله أعلم به ...(١) »

ثم شهد له مرة أخرى حيث قال : « ولولاهما [ثابت وهلال] لجهل شىء كثير من التاريخ ...(٢) »

وهذا السخاوى نجده يذكر هلالا فى ثبت من ألف فى التاريخ العام ، ثم يعود إليه ثانية فيذكره ضمن مَنْ اشتهر فى كتابة تواريخ الوزراء(٣)

سمع هلال قبل أن يسلم جماعة من مشاهير النحاة وتأدب بهم، منهم : أبو على الفارسى النحوى ، وعلى بن عيسى الرمانى ، وأبو بكر أحمد بن محمد بن الجرّاح الخراز . فنبغ فى علمه وأدبه حيث قال فيه سبط ابن الجوزى : « ... كان هلال من الفصحاء وله الكلام الفصيح والنثر المليح »

اشتهر بالصدق والأمانة ، كما شهد له بهذا فريق من مشاهير الكتبة . منهم الخطيب البغدادى الذى كان معاصراً له قال فيه : « ... كان هلال ثقة صدوقاً »(٤) . وذكره آخرون بكل ثناء وتقدير فى مناسبات مختلفة : كياقوت الحموى ، وابن أبى أصيبعة وابن عبد الحق ، والسخاوى ، وحاجى خليفة ، وغيرهم ...

توفى هلال ليلة الخميس سابع عشر رمضان سنة ثمان وأربعين للهجرة عن تسع وثمانين سنة . قال فيه ابنه : « توفى والدى الرئيس أبو الحسين هلال ... فانتقض السؤدد بمصابه ، وانثلم الفضل بذهابه »

وتوفى هلال عن بعض الولد، أخصهم بالذكر أبو الحسن محمد « غرس النعمة » رزقه سنة ٤١٦ للهجرة بعيد انتقاله إلى الإسلام حيث قال عن نفسه فى قصة إسلامه : إن النبى (ص) قال له فى المرة الثانية : وتحقيق رؤياك إياى أن زوجتك حامل بغلام ، فإذا وضعته فسمه محمداً . فكان كما قال . ولد له ذكر فسماه محمداً وكناه أبا الحسن . وكان هذا الأمر من جملة ما رآه هلال فى المنام ومجىء النبى (ص) إليه ثلاث مرات يدعوه بها إلى الإسلام .

نشأ محمد غرس النعمة فى كنف أبيه وفى رعايته ، فأخذ عنه العلم والأدب فنبغ فيهما . وقضى بعض الزمن فى دار الإنشاء للخليفة القائم . قال سبط ابن الجوزى فى أول حوادث سنة ٤٤٨ :

(١) و (٢) القفطى فى تاريخ الحكماء (ليبسك ص ١١٠ ، ١١١) وانظر حاجى خليفة فى كشف الظنون (طبعة فلوجل ٢ : ١٢٣)

(٣) السخاوى فى الاعلان بالتوبيخ (ص ٩٧ ، ١٥٩)

(٤) الخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد (١٤ : ٧٦)

« من أول هذه السنة ابتدأ أبو الحسن محمد بن هلال بن المحسن ابن ابراهيم الصابىء الكاتب ، ويسمى غرس النعمة تاريخه وذيّله على تاريخ أبيه هلال ، وزعم أن تاريخ أبيه انتهى إلى هذه السنة(١) » . وصنف كتباً أخرى نفيسة كان مصيرها الضياع(٢)

وكانت وفاة محمد غرس النعمة سنة ثمانين وأربعمائة ، فزال مجد بيته بموته(٣)

* * *

وضع هلال طائفة من الكتب الجليلة فى بحوث منوعة ، سطت على أغلبها يد الزمن العاتية ، فلم يسلم منها إلا النذر اليسير

وقد اقتصرت المراجع القديمة على ذكر بعض من مؤلفاته فابن خلكان يقول : « ... ورأيت له تصنيفاً جمع فيه حكايات مستملحة وأخباراً نادرة ، وسماه كتاب الأماثل والأعيان ومنتدى المواطف والإحسان ، وهو مجلد واحد ، ولا أعلم هل صنف سواه أم لا ...(٤) »

وذكر هذا الكتاب ياقوت الحموى قال : « ... وصنّف [هلال] كتاب الأماثل والأعيان ... جمع فيه أخباراً وحكايات مستطرفة مما حكى عن الأعيان والأكابر ، وهو كتاب ممتع . ومما يستحسن من تلك الأخبار ، قال : حدث القاضى أبو الحسين عبد الله بن عياش [عباس بالأصل] أن رجلاً انصلت عطلته وانقطعت مدته ...(٥) »

وقد جاء باسم « الأعيان والأمثال » فى كتاب بدائع البداءه لعلى بن ظافر الأزدى المصرى

أولاً — قلنا : هذا الكتاب هو تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء ، وهو تكملة لتآليف الصولى والجهشيارى ، ولم يبق لنا منه إلا البداءة التى نشرت ، حيث أن تراجم بعض الوزراء قد فقدت . ذكر فيه أخبار وزراء بنى العباس وشرح أحوالهم ومجارى أمورهم . ابتدأه بأخبار أبى الحسن على بن محمد بن موسى بن

(١) سبط ابن الجوزى فى المرجع الآنف الذكر ، وحاجى خليفة (٢ : ١٣٨)

(٢) القفطى ص ١١٠ ، وابن خلكان فى وفيات الأعيان (بولاق ٢ : ٣٠٠) ، وحاجى خليفة (٦ : ٥٠٣)

(٣) المكتبة الاسلامية (٤ : ٢٢)

(٤) ابن خلكان (٢ : ٢٩٩ — ٣٠٠) ، وابن العماد الحنبلى فى شذرات الذهب (٣ : ٢٧٩)

(٥) ياقوت الحموى فى معجم الأدباء (طبعة مرجليوث ٧ : ٢٥٥) ، وهذه الحكاية التى نقلها ياقوت توافق ما ورد فى ص ١١٣ من تحفة الأمراء

الفرات نشره المستشرق الإنكليزي آمدروز Amedroz (بيروت مطبعة الآباء اليسوعيين ، ١٩٠٤) ووضع له مقدمة وملاحظات باللغة الانكليزية في نحو ٤٠ صفحة ، وفهرساً لأسماء الرجال وآخر لأسماء الأماكن . وفي أوله نبذة في ترجمة هلال الصابئ ومؤلفاته ، نقل أغلبها عن سبط بن الجوزي ، وورقتان بالفتغرافيه[1] في جانب من ترجمة أبي إسحق الصابي[2].

ثانياً — كتاب التاريخ : ذيل به تاريخ خاله ثابت[3] بن سنان — كما صرح بذلك القفطي في تاريخ الحكماء ص ١١٠ — ويحتوي على الحوادث التي وقعت من سنة ٣٦٠ — ٤٤٧ هـ . والقطعة التي نشرت تحوي حوادث السنوات (٣٨٩—٣٩٣ هـ) وإن الأخبار الصادقة في هذه القطعة لخير برهان على نفاسة الكتاب . نشره أيضاً آمدروز مع تحفة الأمراء بعنوان : « الجزء الثامن من كتاب التاريخ » (ص ٣٦٦ — ٤٨٤)

ثالثاً — غرر البلاغة في الرسائل : وهو مقتطفات من رسائله الخاصة به . ذكره القلقشندي حين كلامه على نسخ الأيمان المتعلقة بالخلفاء ، واقتطف منه نسخة يمين[4]

رابعاً — كتاب الرسالة عن الملوك والوزراء : وهو مجموع رسائله الرسمية ، وتذكرنا رسائل جده أبي إسحق إبراهيم الصابئ

خامساً — كتاب أخبار بغداد : وهو تاريخ جليل لمدينة بغداد يشهد بذلك ما نقله ياقوت عنه في معجمه البلداني[5]

سادساً — كتاب مآثر أهله : وهو تاريخ لأهل بيته . ولا شك أنه حوى معلومات طريفة عمن نبغ من أهله في مختلف النواحي العلمية والأدبية والسياسية

سابعاً — كتاب الكتاب : وهو تأليف يخص كتبة الأسرار والظاهر أنه على غرار مصنف الصولي واسمه كاسمه

ثامناً — كتاب السياسة : لم يصل إلينا منه شيء

---

(١) تقابلان الصحائف : ٤٣٠ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ من تحفة الأمراء

(٢) فهرس دار الكتب المصرية (٥ : ١٢٦)

(٣) حاجي خليفة (٢ : ١٢٣)

(٤) القلقشندي في صبح الأعشى (١٣ : ٢١١)

(٥) ياقوت الحموي في معجم البلدان (ليدن ١ : ٥٠٨ و ٢ : ٢٥٥ ، ٥٤٢ ، ٥٦٥ و ٤ : ١٢٣)

تاسعاً — كتاب رسوم[1] دار الخلافة : وهو الذي نعنى بتحريره وتعليق حواشيه ونشره[2]

وقبل البدء في وصف هذه المخطوطة نقول[3] : إن مؤلفات هلال هي تسعة ، عرف منها حتى الآن : (١) تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء ، (٢) قطعة من كتاب التاريخ ، (٣) رسوم دار الخلافة .

وصف شامل لمخطوطة رسوم دار الخلافة

١ — عثر عليها في دار الكتب الازهرية بالقاهرة ، وهي خالية من الرقم

٢ — عنوانها مثبت بمفرده على الصفحة الأولى وبالصورة التالية : « رسوم دار الخلافة تأليف أبي الحسين هلال بن المحسن ابن ابراهيم الصابئ »

٣ — تشتمل المخطوطة على ٢٠٣ صحائف في كل منها بين ٨ — ١٤ سطراً

٤ — كتابتها يغلب على نوعها الخط الديواني ، صعب القراءة وقد استعمل الناسخ لألفاظ الأعداد كتابة ديوانية أيضاً لكنها في منتهى الغرابة ، إذ يصعب حلها وقراءتها ، وقد يحار بين يديها الكثير من النساخ والكتاب ، حتى من تضلع من قراءة المخطوطات المغلقة .

٥ — المخطوطة حافلة بالكلمات المغلقة ، قليلة التنقيط ، خالية من الحركات وعلامات الوقف . وهذه النواقص وغيرها جعلت كثيراً من الكلمات تقرأ على غير وجه واحد

---

(١) الرسوم ومفردها الرسم ويراد بها في هذا السفر معنيان ، نوردهما هنا بوجه الاختصار للتعريف بهما دون التفصيل

الأول : مجموع العادات التي يجري عليها في مقابلة الناس أو معاملتهم في شؤون الألفة . وهذا ما يعرف في الفرنسية بإتيكيت Etiquette

والمعنى الثاني : مجموع الاحتفاء بالناس في الأمور السياسية والقيام بها وفي مقابلة الملوك وعظام الدول وهذا يعرف بالفرنسية بالبروتوكول protocole

وهذان المعنيان يتضحان كل الاتضاح من عناوين فصول الكتاب وشروحها (المعاهد)

(٢) بسطنا في مقدمة هذا الكتاب وهي التي أثبتناها في موطنها ، قصة العثور على هذه المخطوطة الفريدة واقترن ذلك بالشكر لمن كان سبب الخير في بعثها من التلف . ثم الاعتراف لأولئك العلماء المحققين الذين جاهدوا معنا في كشف كثير من معمياتها ، وإمدادهم لنا بتعاليقهم الطريفة

(٣) استعنا في سرد مؤلفات هلال بما كتبه المستشرق فريتس كرنكو F. Krenkow في مجلة الاسلام (٤ : ٢١ — ٢٢)

٦ — فى بعض مواطنها شىء من الخرم ، كما أن الأرضة لعبت لعبها فاستساغت أكل بعض المواضع فغاب رسمها

٧ — وردت كلمة « رحمة الله عليه » ٤٦ مرة ، فكتبت ٤٥ مرة بالتاء المبسوطة أى « (رحمت) الله عليه » ، ومرة واحدة بالهاء المربوطة أو المعقودة

٨ — استعمل المؤلف كثيراً من الكلمات الفارسية التى شاع استعمالها فى الدولة العباسية ، وكان قد ألفها الناس وجرت على ألسنتهم ، وغالب هذه الكلمات هى أسماء لآلات الحرب ، وطائفة من أسماء اللباس والطعام

٩ — جاء فى الصفحة (٢٠٣) وهى الأخيرة العبارات التالية: « عورض به الأصل بخط المصنف وصح والحمد لله رب العالمين » وأعقبها : « الحمد لله وصلواته على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما وحسبنا الله ونعم الوكيل » ، ويتلوهما ما نصه : « كان الفراغ من نسخه يوم الثلاثاء التاسع من رجب سنة خمس وخمسين وأربعمائة من الأصل بخط الأستاذ أبى الحسين هلال بن المحسن بن ابراهيم رحمه الله » ا هـ

وهذا النص يبيّن لنا قدمها ، وكانت استنسخت عن نسخة المؤلف بعد وفاته بسبع سنوات ، وعلى ما بدا لنا ، فإن هذه النسخة فريدة ، لأن فهارس المخطوطات العربية فى خزائن كتب أوربة والشرق لم تشر إلى وجودها فيها

يتقوم الكتاب من تسعة عشر فصلاً عدا المقدمة والخاتمة وهى كما يلى :

(الصفحة ٢ — ٨) المقدمة ، (٨ — ٣٧) ذكر أحوال الدار العزيزة [دار الخلافة] ، (٣٨ — ٩٨) آداب الخدمة ، (٩٨ — ١٠٩) قوانين الحجابة ورسومها ، (١٠٩ — ١١٧) من الرسم أن يلزم الناس فلا يسمع لهم صوت ولا لغط ، (١١٨ ـ ١٢٤) آداب مسايرة الخلفاء فى المواكب ، (١٢٥ـ١٢٧) جلوس الخلفاء وما يلبسونه فى المواكب ، (١٢٧ — ١٣٣) خِلَعُ التقليد والتشريف والمنادمة ، (١٣٣ ـ ١٣٧) ما يحلف به الخليفة عند التقليد والتشريف بالتكنية واللقب ، (١٣٧ ـ ١٤٤) رسوم المكاتبات عن الخلفاء فى صدورها وعنواناتها والأدعية فيها وما يعاد منها فى أواخرها ، (١٤٤ـ١٤٨) خطاب الخلفاء فى الكتب والأدعية (١٤٨ — ١٥١) رسوم الكتب عن الخلفاء (١٥٢ — ١٧١) الدعاء للمكاتبين عن الخلفاء وما كان الرسم أولاً جارياً به وانتهى أخيراً إليه ، (١٧١ـ١٧٤) الانتساب إلى مولى أمير المؤمنين (١٧٤ — ١٧٧) ما يذكر فى أواخر الكتب ... (١٧٧ — ١٧٩) الطروس التى يكتب فيها إلى الخلفاء وعنهم ؛ والخرائط التى تحمل الكتب صادرة وواردة ، (١٩٢ — ١٩٤) ضرب الطبل فى أوقات الصلوات ، (١٩٤ — ١٩٦) خطب النكاح ، (١٩٦ — ٢٠٣) خاتمة الكتاب

ويؤخذ من كلام هلال فى مقدمة الكتاب وخاتمته أنه ألفه فى زمن الخليفة العباسى القائم بأمر الله ، وأنه استفاد كثيراً من خبرة جده إبراهيم فى مثل هذه الشؤون التى ينطوى عليها الكتاب

(بغداد) ميخائيل عواد

الحرب فى أســبوع

الأســتاذ فوزى الشتوى

التاريخ يسجل

لم يشهد التاريخ انسحاباً موفقاً مثل انسحاب قوات الحلفاء من بلجيكا ، ولم يشهد التاريخ أيضاً تقهقرا أكسب القوات التراجعة روحاً معنوية كالذى كسبته جنود الحلفاء فى معركة الفلاندر . فقد عملت الحوادث على إرسال موجة شديدة من اليأس والتشاؤم فى صدور العسكريين ، حتى رأى بعضهم أن الانسحاب لا يتم إلا بمعجزة . وها نحن أولاء نرى المعجزة تم ، ونرى جنود الحلفاء فى بلادهم بعد ما تسلحوا بعزم جديد وروح جديدة هى الاستخفاف بالقوة العسكرية الألمانية

نخبرها جنود الحلفاء وهى فى أحسن أحوالها وأقوى مواقعها بينما كانوا هم فى أسوأ أحوالهم ، وأحرج موقف يمكن أن يوضع فيه جيش . إذ يفاجأون بانسحاب القوات البلجيكية التى كانت تحتل مواقع هامة ؛ ويؤدى إلقاؤها لسلاحها إلى كشف ظهر قوات الحلفاء . فإذا هى تسعى لضم جموعها ، وإذا هزيمتها محققة .

ومع هذا ، فعزيمتها لا تلين ، وأملها فى النجاة لا يضعف ، وصبرها على أهوال القتال لا يتضعضع . فلم يفت فى عضدها القتال المستمر عشرين يوماً ليل نهار . ولم يوهن من قوتها وروحها المعنوية انقلاب المآل من حال إلى حال . فأى عزيمة وأى صبر وأى احتمال سلحت بها قيادة الحلفاء جيوشها ؟ لا شك أن القيادة الرشيدة كانت عاملاً فعالاً فى إقرار هذه الروح فى الجنود ، ولا شك أيضاً أن أخلاقاً قوية ساعدت القيادة على تحقيق أغراضها والوصول إلى أهدافها . لقد خسر الحلفاء هذه المعركة بالخيانة ، ولكنهم كسبوا نصراً عسكرياً وتعلموا كيف يواجهون الألمان ليحرزوا النصر النهائى

الشجاعة تفوز

أما عوامل اليأس من إنقاذ هذه القوات فكانت كثيرة أهمها :

١ — تسليم الجيش البلجيكى

٢ — إغلاق طريق الانسحاب لضيق البقعة الأرضية فلم يبق إلا منفذ البحر مع وعورة مسالكه

وتم استسلام الجيش البلجيكى فى ظروف غريبة شاذة ، فبينما كانت قوات الحلفاء تواصل قتالها يلقى ملك البلجيك سلاحه دون إخطار ، ويضع جيوش الحلفاء فى مأزق حرج . فقد كانت قواته تقاتل فى مراكز رئيسية كانت جيوش الحلفاء لها بمثابة احتياطى يسد العجز الذى يطرأ على بعض نقطها

ولهذا توزعت فرق الحلفاء بين القوات البلجيكية ، فلما ألقت هذه السلاح انعدم الترابط بين قوات فرنسا وانجلترا . ووجدت نفسها محاصرة بقوات ألمانية تحتل مواقع الجيش البلجيكى الذى كان بالأمس ظهيرها وعمادها .



الجنرال اللورد جورت قائد الحملة البريطانية وهو يراقب جنوده وهم يعدون الخنادق فى بلجيكا

ثمن الخيانة

لقد تورعنا فى مقالنا الماضى عن التصريح بأن عمل ملك البلجيك كان خيانة مقصودة ؛ أما الآن فإننا إزاء ما عرف من تصرفاته قبل التسليم وبعده ، وعن الثمن الذى تقاضاه لا نجد مفراً من التصريح بما أخفينا . فقد خان القوات التى آزرته خيانة أدت إلى قلب الموقف العسكرى انقلاباً كبيراً أفسد جزءاً هاماً من خطط الحلفاء

أما الثمن الذي تقاضاه ليوبولد الثالث فهو حكم بلجيكا وهولندا والمناطق المحتلة من شمال فرنسا . وليته تقاضى هذا الأجر حراً أو بشرط الاستقلال ، ولكنه يتقاضاه وسيف هتلر مصلت على رأسه ، فبعد ما كان ملكاً مستقلاً شريفاً أصبح تابعاً خائناً لقضية الديمقراطية بزعامة هتلر

ضيق الميدان

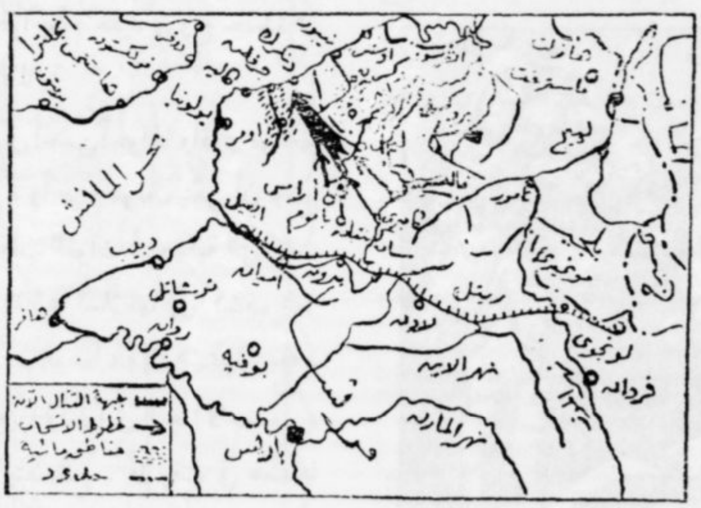
ننتقل بعد هذا إلى النقطة الثانية، وهي ضيق مجال الانسحاب فقد كانت جيوش الحلفاء تقاتل في رقعة صغيرة من الأرض يليها البحر . فكان مجال التراجع ضيقاً لا يعطي للقوات المنسحبة الميدان الكافي لإنشاء خطوط قتال جديدة . ولم يكن هناك مفر من إخلاء الميدان والاستعانة بالأساطيل البحرية لنقل الجنود ، وهي مهمة شاقة محفوفة بالأخطار تستلزم تجمع القوات في بقاع صغيرة. فيسهل الفتك بالقوات سواء بالطائرات أو بالمدافع البعيدة المرمى .

ومن مبادئ العلوم العسكرية ألا تتجمع القوات بأعداد كبيرة في بقعة محدودة حتى لا تكون هدفاً سهلاً لطائرات العدو وتكون خسائرها كبيرة ، ولكن تحقيق هذا المبدأ لم يكن سهلاً في هذه الحال ولا سيما بعد ما أغلق بعض الموانى بإغراق بعض السفن المحملة بالأسمنت فيها فسدت مسالكها وتعذرت الملاحة فيها فاضطر الحلفاء إلى الاعتماد على ميناء دنكرك وحده

القوة الكامنة

وتيسر تذليل هذه العقبة بتعاون وحدات الطيران والبحرية في إبعاد قوات العدو وتدمير خطوط مواصلاته . فوجهت انجلترا عدداً هائلاً من سفنها الحربية والمدنية ، وعبأت جميع قواتها البحرية من سفن صيد ونوادي تجديف وغيرها لنقل الجنود وحمايتهم . فتم الانسحاب بنجاح كبير وخسائر قليلة مني الألمان بأضعافها . ودلت هذه الحركة على ما في الأمة الانجليزية من قوة كامنة تظهر في وقت الشدة

واستغل الحلفاء طبيعة الأرض حول ميناء دنكرك لإبعاد قوات الألمان عنها فغمروا الأراضي في شمالها وجنوبها بماء البحر واضطرت قوات الألمان إلى وقف تقدمها خلف حواجز الماء ، بينما ترك طريق التقهقر مفتوحاً من الشرق لقوات الحلفاء التي استمرت في قتالها أثناء انسحابها النظامي . فليس معنى الانسحاب ترك الميدان دفعة واحدة ؛ بل إنه يتناول عدة حركات عسكرية . فبينما يهاجم جزء من القوات الجيوش المعادية يتراجع الجزء الآخر وهو يحمي مؤخرة القوات المقاتلة ؛ وهكذا يستمر الحال فيتيح الفرصة للجزء الأكبر من القوات للوصول إلى أهدافها



وفي الحرب الماضية

وإذا عدنا إلى سنة ١٩١٤ حين انسحبت الحملة البريطانية من خط بنش كونديه إلى جنوب نهر المارن نجد المجال الواسع الذي كان أمام تلك القوات ، إذ كان ميدانها عريضاً تحمي جانبيه قوات فرنسية ولا تقلقه قوات الطيران كما هي الحال الآن. فكانت القوات تتراجع بنظامها العادي دون أن تلجأ إلى التجمع ودون أن تكون هدفاً صالحاً؛ واعتبرت حركة انسحاب الجنرال فرانش عملاً عسكرياً بارعاً نظراً لكثرة القوات التي كان يحاربها

وفي الانسحاب الأخير توفر للألمان الكثرة العددية واستغلال الطائرات والموقف الحربي الممتاز . يضاف إلى ذلك ضيق مجال تراجع الحلفاء واقتصارهم على إنزال قواتهم من ميناء واحد تتعذر فيه الحركات البحرية لسببين: ضيق مدخله، وعوامل المد والجزر، وهما يستلزمان براعة كبيرة في القبض على دفة السفن

ولا تعتبر موقعة الفلاندر نصراً كبيراً للألمان ، لأن قوات

الحلفاء خرجت منها سليمة ولم تخسر إلا ٢٠٪ منها ، وهذه القوات ستعود إلى ميدان القتال فى فرنسا بعد أن تأخذ قسطها من الراحة . ولا تعتبر الموقعة حاسمة إلا إذا انتهت بتشتيت شمل قواتها على الأقل أو إبادتهم وهذا ما لم يحدث فى معركة الفلاندر بل بالعكس أن الجنود الإنجليزية والفرنسية عرفت أثناءها فقط الضعف فى القوات الألمانية بحركاتها العسكرية الحديثة وستستغل هذا الضعف فى المواقع المقبلة. وكفى أن يؤمن الجندى بأنه أبسل وأقوى من عدوه ليقهره . وشعرت ألمانيا بفشلها فأسرعت فى صباح يوم الخميس بتوجيه هجومها إلى جبهة السوم لتحصل على ما فقدته فى الفلاندر . والمعروف أن معركة الفلاندر أتاحت لقوات السوم أن تحصن مواقعها

وإيطاليا ؟ !

ومن الواجب أن نناقش مسألة حربية ذات أهمية خاصة بالنسبة لنا ، وهى مسألة دخول إيطاليا الحرب . فقد أصبح من المقطوع به اشتراكها فيها . ولكن هل من مصلحة إيطاليا أولاً والمحور ثانياً اشتراكها فيها ؟ هذا سؤال لا يتردد الخبراء العسكريون فى الإيجاب عنه بالسلب . فليس من مصلحتهما لا من الناحية العسكرية ولا من الناحية الاقتصادية أن تلج هذا السبيل

أما من الناحية العسكرية فقد ناقشنا موقف إيطاليا فى البحر الأبيض المتوسط فى مقال سابق تبعاً لمواقعها العسكرية والقواعد البحرية التى تسيطر عليها . وبقى أن نتكلم عن قواتها العسكرية وموقعها الجغرافى ومقارنة هذه القوات بقوات الحلفاء مع ملاحظة تشتت الأمبراطورية الإيطالية فى بقاع يسهل عزلها. فمستعمراتها فى شرق أفريقيا محاطة بالممتلكات البريطانية فضلاً عن سهولة قطع مواصلاتها بإيطاليا بإغلاق قنال السويس فى الشمال والبحر الأحمر من الجنوب ، ثم فرض الرقابة البحرية على خطوط المواصلات البحرية عن طريق رأس الرجاء الصالح

وفى الشمال توجد تونس وهى محاطة بقوات الحلفاء من جميع جهاتها. والغالب أن يتم الاستيلاء عليها فى فترة قصيرة من الزمن. وقد نعود إلى الحديث عن هذا الموضوع فى مقال آخر

ومن الناحية الاقتصادية فإن إيطاليا بلد فقير بدأت عمرانها بطيئاً عقب استيلاء الفاشست على كراسى الحكم . وقد استنفدت كثيراً من مواردها فى حرب الحبشة وحرب إسبانيا ولم يتح لها الوقت الكافى لاستغلال موارد مستعمراتها الحبشية، بل أن القلاقل ما زالت تنبئ بعدم الاستقرار فى الحبشة نظراً لبداوة سكانها ، وصعوبة أراضيها ، وحاجتها إلى كثير من أوجه الإصلاح والرقى التى تعتبر الحجر الأول للاستغلال المادى

حرب الكلام

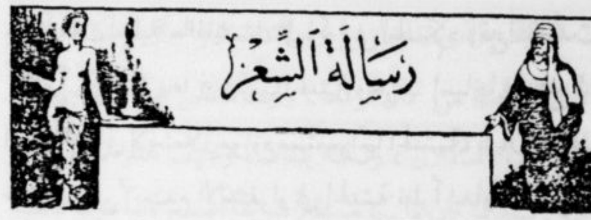
وتعتمد الحرب الحالية على عامل جديد هام هو العامل النفسى أو إلقاء الرعب فى نفوس المتحاربين والمحايدين على السواء. ووضعت خطط السيطرة على أوربا على أساس ألا تدخل إيطاليا الحرب إلا بعد أن تنتهى ألمانيا من القضاء على دول أوروبا الشمالية والغربية أى بعد أن تنتهى مقاومة فرنسا وانجلترا . على أن تكون إيطاليا فى هذه الأثناء مبعث اضطراب للحلفاء فيقسمون قواتهم ، ويتركون منها ما يلزم لمقاومة الاعتداء الإيطالى والتغلب عليه ، وهذا هو السر فى «تهويشها» الحالى، فهى تهدد بدخول الحرب وتؤلف شبابها المظاهرات ويصيح ساستها أن الساعة قد دنت ، فتقف قوات الحلفاء المعبأة على قدم الاستعداد بعيدة عن ميدان القتال الحقيقى فى الشمال

وهذه الخطة تضمن للمحور فى الوقت نفسه قتال قواتها فى ميدان واحد وتجزئة قوات الحلفاء ومقاتلتها جزءاً جزءاً بدلاً من تركز مقاومتها فى ميدان واحد . فما لا شك فيه أن قوات الحلفاء متجمعةً أقوى بكثير من قوات ألمانيا وإيطاليا ، ولكنهما يستفيدان من هذه التجزئة فائدة عظيمة تمدهم بالأمل فى النصر ، ولكنه أمل بعيد

فإذا دخلت إيطاليا الحرب الآن فإنها تدخلها مكرهة لظروف خارجية طارئة ، قد تكون ضغط ألمانيا عليها لشعورها بالحاجة إلى مساعدة جديدة وقوات كاملة ، وقد تكون دفاعاً عن هيبتها نتيجة لإغراقها فى الدعاية وحرب الكلام، وقد يكون خوفها من نفس حليفتها إذ تقف هى متفرجة بينما تفوز ألمانيا بنصيب الأسد، أو غير ذلك من العوامل التى يصعب الخلاص منها

فوزى الشتوى

بكالوريوس فى الصحافة



يا شبابي ...!

للأستاذ حسن بك حمدى

يا شبابي يا شبابي آه ما آلم فقدك
كل حلوٍ صار مرًّا ليتني ما ذقت شهدك
يا شبابي يا شبابي كيف لا أندب عهدك
كل سهل صار صعباً ليتني ما عشتُ بعدك
يا فؤادي يا فؤادي كل شيء صار ضدك
أيّ شيء أي شيء يستحق اليوم حمدك
لستُ أدرى كيف أُجرى عبرةً تطفئ وجدك
عدمت عيني بكاها فابكِ يا مسكين وحدك

حسن حمدى

في موكب المحرومين

بيداء ...!

الأديب محمود السيد شعبان

[الحب يشهد أنى إنما أغنى لك وحدك يا « بيداء » ...
وحسب قلبي عزاء أن يكون أغنية تبدأ منك ولا تنتهى
إلا إليك ... أنت يا من أسعدت روحى بنعيم الحرمان !]
« هو »

بَيْدَاء ! ... يا لحنَ الْـ ـهُدَى وَالطُّهْرِ فى أعماقِ قلبى !
يا سِرَّ أشواقي وَمَبْـ ـدَ لهفتى وَمَرَادَ حُبِّي
فى صَمتِكِ الهادِي قلوبَ الْـ ـحائرينَ عَبَدْتُ رَبِّي !
أَهْوَاكِ يا بَيْداء ... لَـ ـكِنِّى أخافُ عليكِ جَذْبى !

***

بَيْداء ! ... يا مَهْدَ الهَوَى الْـ ـعُذْرِيِّ أهْوَى فيكِ لَيْلَى !
أنا لَمْ أَكُنْ قيسًا وَلَا كِنِّي لقيسٍ كنتُ ظِلَّا
صَاحَبْتُهُ وَسَبَحْتُ فى مَلَكُوتِهِ قلبًا وعقلَا
فأخذتُ عنهُ الحبَّ تقـ ـديسًا وتضحيةً وَنُبْلَا

***

بَيْداء ! ... يا مِحْرابَ أوْ هامِي وَإلْهامي وَقُدْسِي
شَيَّعْتُ آمالى إِلَيْـ ـكِ فليتنى شَيَّعْتُ نفسى
وَنَسِيتُ عندكِ يا صَفَا ءَ الرُّوحِ حِرْمَانى وَتَعْسى
وَحَيِيتُ لِلغَدِ مِثلما أحْيَا عَلَى الدُّنيا لأمسى

***

يا مَعْبَدِى ! ... كم فوقَ هَـ ـذا التُّرْبِ طالَ بِيَ السُّجُودُ
وَالْحُبُّ دُنيا لِلسَّعادَةِ ما لَهَا أبداً حُدودُ ... !
أنا إنْ رَجَعْتُ إليْكِ يا بَيْداء طابَ لِيَ الوُجُودُ
لَكِنَّ دِينَكِ أنَّ حِرْمَانى مِنَ الأوهامِ جُودُ !

***

بَيْداء ! ... هأنذا سَكَبْـ ـتُ عَلَى ثَرَاكِ دِمَائِيَهْ !
ضَيَّعْتُ عُمْرِى فيكِ لَـ ـكِنِّى وَجَدْتُ بَقَائِيَهْ ... !
سِرُّ الْحَياةِ هو الفَنَا ءُ ! ... وأنتِ سِرُّ حَيَاتِيَهْ
وَالجَذْبُ يَبْقَى كالخلو دِ لَهُ الحياةُ الثانِيَهْ !

***

أنا فى هَوَاكِ مُشَرَّدُ الآ مالِ ... لَكِنِّى أُغَنِّى !
جِئْنا إلى هَذا الوُجُو دِ مَعاً فكيفَ كَبِرْتِ عنى ؟
تَسْعَيْنَ أوْهامَ الحياةِ وفى غَدٍ تَسْعَيْنَ فَنِّى !
إن كُنْتُ مِنكِ فأنتِ يا بَيْداء - لوْ تدرينَ - منى !

***

ما كُنْت فى ماضيكِ إلاّ فِكْرَةً فى الغَيْبِ مِثْلى
ألْقَتْ بِنا الأقدارُ فى الدُّنيا معاً فوَصَلْتِ قبلى !
وَسَبَقْتِنِي لَمَّا تَنَكَّرَ لِلْحَياةِ دَمِي وَعَقْلِي ...
هَلْ كانَ عِلْمُكِ - يا ابنةَ الأحْقابِ - إلا بَعْضَ جَهْلى !

***

يا مَنْ بَدَأْتِ مِنَ الفَنَاءِ   سَتَنْتَهِينَ إلي الخُلُودِ !
صَانَتْكِ كَفُّ اللهِ مِنْ   بَطْشِ الرَّدَى وَأَذَى الحُقُودِ
مُتِّعْتِ بالجَدْبِ العَقِيمِ   وَإِنَّهُ بَدْءُ الوُجُودِ !
وَالعُقْمُ فى دُنيا الهوَى   العُذرِىِّ غايةُ كلِّ جُودِ !

* * *

هَلْ تذكُرِينَ حياتَنا الـ   أُولى وصُحْبَةَ مُهْجَتَيْنَا ؟
أيَّامَ كانَ الغَيْبُ يَحْنُو   رِقَّةً وَهوًى علينـــا
وَالعَقلُ طِفلٌ هَدْهَدَتْهُ   أَكُفُّنَا فَسَعَى إلينا
وَدَّعْتِـــهِ وَمَضَيْتِ مُسْـ   رِعَةً ، وَسِرْتُ أنا الهُوَيْنَى !

* * *

أَدْعُوكِ يا بيداءُ والآ   دارُ تَسْخَرُ مِنْ دُعَائى !
أَخُلِقْتُ فى وادِيكِ لِلأَشْـ   ـوَاكِ تَشْرَبُ مِنْ دِمَائى ؟
أَرْجُو لهـا العَيْشَ السَّعِـ   ـيدَ وَتَرْتَجِى أبدًا شقائى
دُنيا الطُّمُوحِ ! أنا الذى   ضَيَّعْتِ لى دُنيا عزائى !

* * *

بيداءُ ! كَمْ يَبْنِيكِ قَلْبٌ   طالما أَحْبَبْتِ هَدْمَهْ !
ما كُنْتُ أخْشَى حَرْبَ هذا   الدَّهْرِ لكِنْ خِفْتُ سِلْمَهْ
فالجَدْبُ فى دُنيايَ مَعْنًى   ذُقْتُهُ وَعَرَفْتُ طَعْمَهْ !
هُوَ نِعْمَةٌ قَدْ ظَنَّها مَنْ   لَمْ يَسَعْهُ الحُبُّ نِقْمَهْ !

* * *

بيداءُ ! ... هأنذا أَسِيرُ   مَعَ الحيـــاةِ إلى تُرابى !
وَغَـــدًا سَأَزْوِى يا ابنةَ   الأوْهامِ خِصْبَكِ مِنْ يَبَابِى
يا لَلسَّعَادَةِ فى الشَّقَاءِ !   أَلَيْسَ ما بِكِ بَعْضَ ما بِي ؟
يَكْفِيكِ يا بيداءُ أنَّ مُصَا   بَ رُوحِكِ مِنْ مُصَابِى

* * *

بيداءُ ! ... ما ذُقْتُ السَّعا   دَةَ فى حَيَاتِى غَيْرَ مَرَّهْ
يَوْمَ التَقَيْتُ بِها وَكُنَّا   فى ضَمِيرِ الغَيْبِ فِكْرَهْ !
يا لَلْهَوَى مِنْ ذَرَّةٍ قُدْ   سِيَّةٍ هامَتْ بِذَرَّهْ ... !
أنا لِلشَّقَاءِ ... وَإِنَّمـــا   هِىَ لِلسَّعَادَةِ وَالمَسَرَّهْ !

* * *

يا لَيْتَنِى أَدْرِى بِمَـــا بيْـ   ـنِى وَبَيْنَكِ مِنْ سُدُودِ !
أَفْنَيْتُ عُمْرِى فيــكِ أَجْـ   ـمَعُهُ لِأَطْرَحَ مِنْ قُيُودِى
فَعَرَفْتُ فيكِ حَقِيقَةَ الدُّ   نْيـــا وَفَلسفةَ الوجُودِ
لكنَّنِي لمَّا اهْتَدَيْتُ   فَقَدْتُ مِنْ وَلَهِى حُدُودِى !

* * *

مَنْ عَاشَ لِلحِرْمَانِ لَمْ   يَحْفِلْ بما سَكَبَ السَّحابُ
وَلَقَدْ يُصِيبُ المرءَ فى   الدنيا فيُطرِبُهُ العَذَابُ
شَرُّ الهِدَايَةِ ما أَضَلَّـ   ـكَ السَّبِيلَ إليْــهِ صَابُ
فتعالَ يا حِرْمَانُ لِى . . .   أنتَ الحِجَا وَأنا التُّرابُ !

* * *

بيداءُ ! . . . يا لَحْنَ الهُدَى   وَالطُّهْرِ فى أعمـــاقِ قلبى
يا سِرَّ أَشْـــوَاقِى وَمَعْـ   ـبَدَ لَهْفَـــتِى وَمَرَادَ حُبِّى
فِى صَمْتِكِ الهادِى فَلَوْ   بَ الحائِرِينَ عَبَدْتُ رَبِّي
أَهْوَاكِ يا بيــداءُ لـكِنِي   أَخَافُ عَلَيْــكِ جَدْبِى !

(القاهرة)   محمود السيد شعبان



تأملات

التفـــاحة

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

— ما هذه الهدية السخيفة التى أرسلتها إلىّ فى خطابك الأخير ؟ ؟

— أصورة « التفاحة » سخيفة ؟ أو لا ترى فيها معنى ، أو لا تثير فيكَ شيئاً ؟ حقاً ، إنكَ متأخر

— ولماذا لا تقولين إننى شبعان ؟

— وهلا يعجب بصورة التفاحة إلا الجياع ؟ ! إنها يا هذا رمز لما لا يؤكل ولا يشرب

— يا للتمقيد ! ولأى شيء ترمز التفاحة ؟ لقد كنت أحسب إحساساً فنياً الذى بمثك على رسمها ، وكنت أحسبك مخلصة فى تصورها وتصويرها ، ولم يكن يخطر فى بالى أنك تجعلين منها ستراً تسدلينه على أسرار فى نفسك …

— ولكنه ستر خفيف شفاف ، لا أظنه يحجب السر عن العين … إلا إذا كانت عيناً بلهاء تصدق ما ترى

— فهذا الستر إذن كغلالة الحرير التى تتشح بها الإبليسة تزعمها أمام الأتقياء البلهاء حشمة ، وتقول بها لكل جارحة من الأعين هأنذا !

— يا للفراسة ! هو هذا الذى تقول … فهل تستطيع بعد أن عرفت هذا أن تقرأ التفاحة ؟ …

— بل قولى رسم « التفاحة » ، فإنى مع التفاحة لا أستطيع إلا أن آكلها …

— فليكن … ماذا تقرأ فى رسم التفاحة … ؟

— يجب أن تساعدينى بأكثر من هذا … فإنك إلى الآن لم تقولى لى من أين أبدأ القراءة … من اليمين أم من الشمال ؟ …

— يمين ماذا وشمال ماذا ؟ ألهذا الرسم يمين وشمال ؟ كل ما فيها ألوان … حمرة مفردة ، وصفرة مفردة ، وحمرة وصفرة ممتزجتان : تخف إحداهما فى المزيج مرة وتثقل مرة ، وتخف فى ناحية أكثر مما تخف فى الأخرى ، وتثقل فى ناحية أكثر مما تثقل فى الأخرى … فهلا يحدثك هذا كله بشيء ؟ …

— إنتظرى قليلاً ، ففى درس القراءة الأول يغفر الهجاء … لنبدأ بهذه الحمرة … هى لون الدم ، وهى لون اللحم ، فيها من الحياة ، وفيها من الفحش ، وفيها أيضاً من النار لذة الدفء وعذاب الحريق ، وفيها من الورد شعر ، وفيها من الخد صبا ، وفيها من الشفاه حنين ونداء … وكلام … ، وفيها من الخجل ، وفيها من الغيظ منذ النفرة إذا استحيت إلى الحنق إذا اضطرم … فى الحمرة هذا ، وقد يكون فيها غيره … فهل هـذا يكفى الآن ابتداء أسايرك به …

— بداية لا بأس بها … فماذا ترى فى هذه الصفرة …؟

— يا سبحان الله لا أدرى لماذا أكره الصفرة … لست أرى فيها إلا الموت

— وهل تكره الموت ؟ إنه علينا حق

— على العين والرأس نؤديه طائعين ومكرهين ما دامت أمك حواء قد اشتهت الكارثة للتفاحة …

— ليست حواء أمى أنا وحدى فهى أمك أنت أيضاً … أما تحب أنت التفاح

— لا أحبه ولا أكرهه ، أو أنا أحبه وأكرهه …

— لعلك تحب حمرته وتكره صفرته ، ما دمت تخاف من الموت … ولكن ألست ترى فى الصفرة أيضاً لون الذهب … أو لون بعض الشعر …

— أما الذهب فشغلة يلاعب العابثون عقول النساء بها وهن يحببنه وهم يحبونه من أجلهن … وأما ذلك الشعر الأصفر فلا أكتمك أنى أحس فيه بشيء من البرودة لا تنزع نفسى إليه كثيراً … وهو عندى كالعيون الزرق والعيون الخضر ربما لاح لى فيها صفاء وبراءة ولكنى لا أغفل فيها عن لين ونزق وتكبر وهذه لا تشجع المتعطش إلى الوفاء الراغب فى التحكم …

— لو أنك تستطيع أن تحفظ على هذى العيون صفاءها

وراءتها ، وأن تحفظها من نزقها وكبريائها لذقت من وفائها ما يرضيك وابسطت عليها ما شئت من حكم وسلطة ... ولكنك كسلان ومثلك جدير به أن يعيش فى مصحة يسقيه أطباؤه الحب ، ويحقنونه بالراحة والسعادة ...

— الله يسمع منك !

— فأنت معذور حين سخرت من صورة التفاحة

— بل كنت بسيطاً لم أر فيها إلا أنها طعام

— ولى عليك الآن أن تشكرنى فقد علمتك أن ترى فيها أكثر من ذلك

— بل إنى أرى هذا الذى علمتنى إياه شيئاً تستحقين عليه اللعنة لا الشكر . فأنت قد فتكت بعقلى ، وأنا أشعر أنى سأصبح بعد هذا الذى تعلمته منك إنساناً موسوساً كلما رأيت شيئاً حاولت أن أعرف له معنى من وراء معناه البارز ، وهذا أمر سيهدينى من غير شك إلى حقائق هى غائبة عنى اليوم ، ولكنه فى الوقت نفسه سيرمينى إلى أوهام وخيالات قد أحسبها حقائق إذ يركن عندها عقلى بينما هى ليست فى الحق إلا عوارض ... فما نجاتى من هذا وأنا لا أحب إلا أن أرسو عند حق أطمئن إليه ؟ وقد كنت مرتاحاً يوم كنت راضياً عما كان يواجهنى من أبسط الحقائق ...

— إنما كنت راضياً عن البلاهة

— وكنت أجد فيها كل المتعة . ألست ترين الزنجى الذى إذا رأى التفاحة على الشجرة قطفها ونهشها أسعد حالاً من ذلك المتحضر المترف الذى يراها فيستغرق فى النظر إليها هذا الاستغراق الذى تريدينه ، ثم يقوم آخر الأمر فيرسمها ... لماذا يرسمها ؟ ... هل هو إذا أتقنها مهما أتقنها استطاع أن يجعلها تفاحة ؟ ... والله ليست هذه إلا خيبة !

— بل هو الفن ...

— فن الضعف ... وهو كذلك الضعف الذى يأخذ نفس الشاعر حين يلقى محبوبه فيتركه أمامه ويغمض عينيه ليتصوره ، أو يقضى معه الساعات ثم يغادره لكى يحلم به ، فإذا واتاه فى المنام لم يكن بينهما إلا كلام تافه لا يغنى ولا يقنع به عاشق من غير الشعراء ...

— وكل العشاق من غير الشعراء إن نعموا بالحب فنعيمهم به زائل إلى جانب أنه نعيم نازل ؛ أما الشعراء فنعيمهم بالحب خالد إلى جانب أنه نعيم سام

— هذا هو الكلام الذى تقوله كل حواء للضعيف المتخاذل من عشاقها تواسيه فتعترف له بأنه صاحب فن ، وتسخر منه عند نفسها لا لنقص فيه إلا أنه صاحب فن ... أو تريدين أنت أن تنكري هذا ؟ هل ترضى المرأة عن الرجل الذى إذا أحبها قال فيها كلاماً أو صورها أو تغنى بها ، أو لا يكون رضاها إلا عن الرجل الذى إذا أحبها مد إليها يده وجرها ..

— ليست النساء سواء ...

— بل إنهن سواء ...

— إذا زعمت أنهن سواء فعليك أيضاً أن تقول إن الرجال سواء ... ولكنك قلت إنهم ليسوا كذلك وإن منهم من يأكل التفاحة ومنهم من يصورها ... فكذلك النساء .

— فيهن من تأكل ، وفيهن من ترسم ؟

— ألم أرسم أنا ؟ وهل فى رسمى عيب إلا أنى أهديته إليك ؟ يا ضيعتى معك !.. كنت أحسب الرسم سيبهرك فتقول فيه كلمة طيبة ... ولكنها توبة من اليوم

— الذنب ذنبك لأنك اخترت لهديتك موضوعاً لا يؤديه الرسم أداء كاملاً ... فللتفاحة طعم ، ولها رائحة ، ولها نعومة حسناء ؟ وهذا كله يقعد الرسم عن تصويره .

— ومن قال لك إنى كنت أريد أن أصور شيئاً من هذا ... إنه لم يكن يدور بخلدى إلا ما توحيه الألوان

— فلماذا لم ترسمى دائرة حمراء ودائرة صفراء ودوائر أخرى فيها أمزجة من اللونين ؟

— وهذا ما صنعت ، وكل ما فى الأمر أنى اختصرت الرسم فى دائرة واحدة ...

— وهـذا هو الذى بعثنى على أن أنكر تفاحتك . فلو أنى أحسست بها تفاحة حقة لـكنت أعجبت بها ، ولـكنت قضمتها أيضاً ، ولـكنها كانت عند ما ألقيت عليها النظرة الأولى زوراً وباطلاً ، كالقصة الملفقة المتنافرة الحوادث التى يريد ساردها أن يبرىء نفسه من تهمة فلا يؤدى سرده إياها إلا إلى تعزيز الشك فى نفس سامعه ... والآن اسمحى لى أن أسألك سؤالاً ... هل يقصد كل أولئك الرسامين الذين يرسمون الموز ، والطماطم

والبطيخ والشمام وسائر الفواكه والخضر إلى معان بعيدة كهذا المعنى البعيد الذى قصدت إليه حين رسمت التفاحة ؟

— أظن ذلك

— فما معنى البطيخة ؟ وما معنى الخيارة ؟

— انتظر حتى أفكر ...

— يخيل إلىّ أنك ستفكرين طويلاً جداً ولن تهتدى إلى معنى لكل ثمرة ...

— ولكن التفاحة ليست ثمرة عادية . إن لها قصة قديمة مع الإنسان ...

— قد تكون هذه القصة هى المبرر الوحيد لاهتمام الرسام بها. أما غير ذلك فلا أظن شيئاً يبرر رسم الثمرات إلا الجوع ، فالله خلقها للأكل لا للزينة ولا للتفلسف ...

— وهل هناك ما يمنع من أن تكون موضعاً للتفلسف ومطلباً للزينة إلى جانب ما هى بغية للبطن ؟

— لست أرى ما يمنع ذلك، ولكنى لا أرى أيضاً ما يدعو إليه

— ألم يرسم الفراعنة القمح ؟ لماذا رسموه ؟ ... هل كانوا جياعاً وما أكثر القمح فى مصر ؟

— رسموه تقديساً !

— وأنا أرسم التفاحة تقديساً أيضاً ...

— أعوذ بالله ... قد يكون للإنسان عذر إذا قدس القمح فهو غذاؤه الأول ... ولكن هذه التفاحة التى كان الجحيم فيها وكان العذاب ... هل تقدسينها ؟ ...

— فيها النار وفيها العذاب هذا حق ، ولكن فيها أيضاً ما ذكرته أنت أولاً ... فيها الدنيا ، ونحن فى الدنيا ولا طاقة لنا أن نقفز فيها إلى السماء ...

— غيرك من الرسامين يستطيع أن يقفز بالتفاحة إلى السماء

— ولكن السماء لم تعد تثمر التفاح ...

— من قال لك ذلك؟ إن من السماء صفرة التفاحة وحمرتها، ومن السماء فجورها وتقواها

— فكيف كنت تريدنى أن أرسمها

— إنى أعرف وجهاً هو التفاحة؛ ولو أنى رسام لصورته لك ولدفعتك إلى الإيمان به من نظرة واحدة ...

— وجه من ؟

— وجهك أنت ... ألست ترينه فى المرآة ... ولكن كيف ترينه وأنت لم تنظرى إليه يوماً بنفس مفتوحة وإن كنت تنظرين إليه دائماً بالعين المفتوحة ...

— ماذا تقصد ...؟

— أصحيح أنك تريدين أن تعرفى ماذا أقصد ، أو أنك تريدين أن نطيل هذا الحديث لأنه عنك ، وعن وجهك ، وأنت قليلاً ما تظفرين منى بحديث كهذا ...

— لا وحياتك ... فأنت تعرف أننى غبية إلى حد كبير وأنى بطيئة الفهم ، كما تعرف أنك خائن الحديث لا يسلم كلامك من الظلمة حتى عند ما تصدق وعند ما تصارح

— سامحك الله! فليس أبشع من هذا إزهاق لاستقامة نيتى وسلامتها ... الذى أريد أن أقوله يا « مدموازيل ديليشس » أنك كلما نظرت إلى وجهك فى المرآة بحثت فيه عن علائم الصحة وعلامات الجمال التى تعارف الناس عليها ، فأنت تفتشينه تفتيشاً دقيقاً ، فإذا أرضاك خرجت به بعد تزيين بسيط ، وإلا فأنت تزيدين التزيين حتى يكون مكياجاً وتنكراً تطالعين به الناس وفق ما يهوى عيناك ...

— وهل كنت تريدنى أن أرى وجهى بغير عينىّ ...

— نعم . كنت أريد أن تريه بعينى أنا ، فما كانت تمتد إليه يدك بدهان ولا بمسحوق

— ولكنه عندئذ قد ينم عما أحب أن أخفيه ...

— بل إن ذلك كان سيحميه دائماً منك ، فيلزمك أن تبعدى عنه ما تحبين اليوم أن تخفيه أحياناً ... كفى عن هذه الخفايا تستغنى عن الأحمر والأبيض ... ازهدى فى الرموز تصلى فى الحق وفى الفن إلى الأصدق والأجمل ... أقلعى عن التكتم تصلى فى الحياة إلى أبعد ما ترومين بأسرع مما تظنين ...

— وماذا أيضاً ...؟

— خذى صورة التفاحة هذه ، فأنا أرفضها شاكراً ... وأطلب صورة التفاحة الأخرى ...

— التفاحة لا تستطيع أن تمزج الألوان ولا أن تقبض على الريشة ...

— ذلك خير وأحب ... فعلى التفاحة أن تبقى تفاحة ... ولنطمئن كل الاطمئنان فإبليس حاميها وآدم لا يزال يسيل عليها لعابه

عزيز أحمد فهمى



الموت ليس نهاية الحياة

[عن مجلة « باريد الانكليزية »]

قد يحدث أحياناً في جلسة خاصة لمناجاة الأرواح ، حيث لا يحضر غير الوسيط وشخص آخر أو شخصان ، أن روحاً مجهولة تتصل بالوسيط وتطلب منه إبلاغ رسالة أو تحية إلى أحد أقربائها الذين لا يزالون في قيد الحياة ؛ وربما تذكر له أيضاً من هي وأين كانت تعيش . وقد يظهر أحياناً أن الروح تمثر على الوسيط مصادفة ثم تعجب لما تشعر به من قدرة على مخاطبته ، فتبرهن بجلاء لا يقبل الجدل أنها روح حقيقية لإنسان ميت لا شخصية وهمية من اختلاق العقل الباطن

إن قصة « أرثر فريزر » التي نقصها عليك اقتبسناها من كتاب صدر حديثاً عنوانه : « إلى اللقاء لا وداعاً » تأليف « والترا بليارد » المحلف القضائي والمحافظ السابق لمدينة « شفيلد » . إن هذا المؤلف كان يخاطب دائماً روح زوجته المتوفاة فتجيبه هي بلسان الوسيط ، بنفس اللهجة التي كانت تتكلم بها في حياتها ، وكانت تبرهن له على شخصيتها بالبراهين القاطعة . وكانت وهي على قيد الحياة تهتم بالأبحاث الروحية اهتماماً عظيماً ، فكانت بالطبع مطلعة على الانتقادات التي توجه غالباً إلى مناجاة الأرواح ، لذا كانت تحاول في كل مرة أن تقدم لزوجها عند مناجاتها براهين لإقناعه لا يمكن دحضها أو الشك فيها ، إذ تأتيه بأرواح أشخاص لا يعرفهم هو ولا أحد من الحاضرين.

يحدثنا المؤلف فيقول : بعد أن أدينا التحيات المعتادة وعبارات المجاملة نحو زوارنا الذين هم وراء الغيب ، جاءتنا روح غريبة تطلب الإذن منا بالحديث ، ثم قالت إنها روح شاب اسمه « أرثرايم » :

« مت منذ ثلاث سنوات بمرض ذات الرئة في مستشفى محلي ، وكان عمري إذ ذاك ثلاثة وعشرين عاماً . وكنت أسكن في منزل رقم ١٨ « كلايف رود » ، وقد تركت حبيبة لي اسمها « مس كارول » وهي تسكن في رقم ٢٢٩ في « فلينت ستريت » ، فأرجو منكم أن تخبروها بأني لست ميتاً وبلغوها عني سلام الحب فإني أظن ذلك يسري عنها ، ثم أرجو أن تخبروا والدي بأن أمي معي وهي تهدي إليه تحيتها القلبية ... »

أما أنا فقد اهتممت بالأمر واتصلت في الصباح التالي تلفونياً بالطبيب الذي يدير المستشفى الذي ذكره ورجوته أن يبحث في سجلاته عما إذا كان فيها اسم « أرثرايم » ، شاب مات بذات الرئة قبل ثلاث سنوات . فأجاب الطبيب : « لقد مات عندنا رجل بذات الرئة قبل ثلاث سنوات ، ولكنه لم يكن شاباً ، إذ كان عمره فوق الأربعين . . . » أخذت مني الحيرة في هذا مأخذاً عظيماً ، لأني لم أعهد من « الأرواح » قبل ذلك كذباً ولا افتراء . استنجدت بزوجتي طالباً منها التوضيح ، فأجابت : « سوف تكتشف السر قريباً » فعزمت عندئذ أن أذهب إلى رقم ١٨ « كلايف رود » في الطرف الشرقي من المدينة حيث تسكن الطبقة العاملة . فلما بلغت هنالك وجدت ساكن البيت له اسم غير الذي ذكر ، وهو كذلك لا يعرف عن صاحب الإسم شيئاً . وبعد أن قضيت طويلاً في البحث والتحقيق رجعت يائساً متعباً

بعد هذا سافرت خارج البلاد في عطلة وعند رجوعي عزمت على إعادة البحث ، فقررت أن أزور بيت الحبيبة « مس كارول » لعلني أجد لديها بعض الايضاح . ذكرت عزمي هذا للوسيط فأخبرني بأنه خلال الأيام القلائل الماضية قد سمع لفظة « فريزر » تتكرر على مسمعه مرة بعد أخرى بصوت امرأة أول الأمر ثم بصوت رجل بعد ذلك . إنه لم يسمع غير ذلك ولم يدر ماذا يراد به . ظننت أن ذلك له صلة بالأمر فادخرته في حافظتي إلى حين

ذهبت إلى رقم ٢٢٩ « فينت ستريت » وطرقت الباب فلما فتح ظهر من ورائه شابة فسألتها : « هل أنت مس كارول ؟ » فأجابت : نعم

— هل تعرفين شاباً اسمه « أرثر ايم ؟ »

— أنا لم أسمع بهذا الاسم

فانحنيت احتراماً وسألتها سؤالاً آخر : « هل تعرفين (أرثر فريزر) »

— ماذا تعنى بذلك ، وماذا تبتغى منه ؟

— حسن ! حسبى أن أعرف أنك تعرفين هذا الشخص

— لقد كان حبيبى ولكنه مات بذات الرئة قبل ثلاث سنوات .

وهنا أجهشت الشابة بالبكاء ، ثم ذهبت إلى منضدة كانت فى وسط الغرفة فألقت عليها ذراعيها ، واعتمدت رأسها بيديها أخذت تمول . أخذت أنا أهدئها ، ثم شرعت أحدثها بقصة حبيبها وتحيته لها، فرفعت رأسها قليلاً ثم شرعت تقص علىّ كيف عاشا معاً حبيبين ، ولكنه ذهب أخيراً للحرب فى سبيل وطنه ، ثم رجع محطما فقضى بقية حياته فى المستشفى

إنها مأساة كغيرها من آلاف المآسى التى أنزلتها بنا الحرب ولقد وجدت صعوبة فى تفهيم الفتاة كيف استطعت أن آتى لها برسالة من حبيبها المتوفى . ولكنى حاولت ذلك جهدى

أرشدتنى الشابة إلى دار حبيبها الفقيد الذى يبعد عن دارها مسافة خمس عشرة دقيقة على الأقدام ، وإذ ذهبت هناك وجدت رجلاً يكسر خشباً فى المطبخ فسألته :

— هل اسمك «فريزر» ؟

— نعم

— هل زوجتك ميتة ؟

— نعم

— هل فقدت ولداً فى الحرب ؟

— نعم

— هل كان لولدك حبيبة اسمها « مس كارول » ؟

— نعم

وعندئذ تناول صورة شمسية من الجدار وأرانى إياها . حقًا كان الرجل ذكيا محترماً فى طبقته ، وحين أوضحت له غرضى من زيارته ، وقصصت عليه حديث ابنه وزوجته التى أرسلت إليه تحية الحب، كنت كأنى قد لمست وتراً حساساً من قلبه فقال :

« قد قرأت مؤخراً عن السر أرثر كونان دويل » . وعلى هـذا كان الرجل مهيّأ بمض التهيؤ لفهم الحقائق التى أدليت بها إليه

وبعد أن دخنّا وتحدثنا رجعت إلى دارى شاعراً ببعض الاطمئنان لما قمت به فى ذلك الصباح ، ولكنى ما زلت أحس بقية شك فى حنايا النفس . كان علىّ أن أعرف سبب ذلك الخلط فى الأسماء ، إذ كيف أعطانا الشاب اسم « أرثر ايم » ثم انقلب الاسم بعد ذلك إلى « أرثر فريزر » . سألت زوجتى فأجابت بأنها لا تعلم ولسوف تبحث الأمر ... وبعد لأى جاءتنى بالتفسير التالى أنقله بدون تعليق : « إن اسم الشاب هو « أرثر فريزر » ولكنه حين كان يخاطبك جاء رجل آخر يقال له « ... ايم » فوقف إزاءه . لقد كان هذا الرجل الأخير متحمساً لتلك الصدفة لأنه مات بنفس الداء وفى نفس اليوم ونفس المكان ، ولم يكد « أرثر فريزر » ينطق بشطر اسمه الأول حتى تدخل « ... ايم » فى الحديث ونطق بشطر اسمه الثانى، وعلى هذا اكتمل الاسم لديكم كأنه « أرثر ايم » من غير انتباه لما بين الصوتين من اختلاف »

أما أنا فقد اعتبرت هذا الحل ممكناً ، ولكنى لم أزل أشعر ببعض الحاجة إلى دليل أوضح ، ولذلك ذهبت إلى الطبيب فى المستشفى مرة أخرى فذكرته بزيارتى الأولى له وقصصت عليه القصة كلها ، ثم رجوته أن يرجع مرة ثانية إلى سجله فاستجاب لى وأخذ يبحث ، ولكنه سرعان ما تملكته الدهشة حين رأى ما يلى :

الاسم	العمر	المرض	تاريخ الوفاه
ارثر فريزر	٢٣ سنة	ذات الرئة	٢١ / ٩ / ٢٠
جيمس هنرى آيم	٤٦ سنة	ذات الرئة	٢٢ / ٩ / ٢٠

حقاً إنها شهادة عظيمة ، ولكن لم يزل ثمة شىء ضئيل من التناقض ، ذلك أن زوجتى قالت إن الرجلين ماتا فى يوم واحد . وقد فسر الطبيب ذلك بأن أحدهما ربما مات فى منتصف الليل ومات الآخر بعده بنصف ساعة ، ولاشك أن زوجتى قد أخبرت بيوم الوفاة لا بساعتها

لقد عجب الطبيب من هـذا الأمر لأنى لم أكن أعرف قبل ذلك عن هذين الميتين شيئاً .

(م)



البعث

للأستاذ محمد سعيد العريان

جلس « أحمد » على مقعد فى جانب من غرفته الخاصة وارتفق بذراعه على النضد الصغير أمامه وراح يفكر ...

إن بعض الصور التى تتناولها العين فى نظرة عابرة قد يكون لها من التأثير فى حياة بعض الناس ما لا تؤثر الأحداث العظيمة التى تهز العالم . هذا أحمد ، شتان بين ما هو الساعة وما كان منذ ساعات . لقد عاد لتوه من السينما حيث كان يشهد رواية عن حياة الأديب الفرنسى الكبير « إميل زولا » ... فأين هو الساعة مما كان قبل ساعات ؟

لقد رأى وسمع وعرف ، ونظر إلى نفسه ، وحضرته ذكرياته وأمانيه ، وراح يحاسب نفسه على ما أدى من عمل وما نال من جزاء ، واستغرق فى تفكيره ...

منذ بضع عشرة سنة لم يألُ أحمد دأباً إلى غاية يستشرف إليها ؛ فأين بلغ مما أراد؟ هذه حياته التى يحياها منذ كان، لم يتغير منها شىء يشعره شيئاً من الأمل فيما يستقبل من أيامه ؛ ففيمَ كان جهاده ودأبه وما بذل من أعصابه ومن دمه فى بضع عشرة سنة ؟

أتراه يستطيع أن يقنع نفسه بأنه قد بلغ شيئاً ؛ فأين ... ؟

وتراءت له صورة « سعدية » الفتاة التى وهب لها نفسه ووقف عليها أمانيه ، وتذكر شيئاً من ماضيه القريب ومن ماضيها

لقد تعارفا منذ سنوات ، بل لقد عرفته هى قبل أن يعرفها ، فسعتْ إليه ، فالتقيا ، فما افترقا بعدها إلا على ميعاد ؛ ولكن سعدية اليوم غير ما كانت ، لأنه هو هو لم يتغير ولم يزد شيئاً على ما كان يوم عرفته !

أيكون ذلك هو السبب الحق لما بينهما اليومَ من الجفاء والمباعدة؟ ذلك ما خُيّل إليه هو حين افترقا لآخر مرة منذ قريب فهجرها وإن فى قلبه من الشوق إليها لهيباً يسعر !

***

لقد كان « أحمد » أديباً موهوباً. إنه ليعرف ذلك من نفسه، وإنه ليؤمن به إيماناً لا سبيل إلى الشك فيه ؛ وكان حقيقاً بهذا الإيمان أن يبلغ به المنزلة التى يهدف إليها منذ بدأ ليتخذ مكانه بين أدباء الجيل . وكان على إرث من الأدب هيأ له الجو الذى يعينه على استكمال وسائل الأديب وتحصيل مادته ؛ واتخذ طريقه إلى الغاية التى يؤمل ...

كان ذلك منذ بضع عشرة سنة ، ولم يألُ دأباً من يومئذ ؛ وعرفتْه سعدية مما قرأتْ له ، وكانت رسالتها إليه أولَ الصدى الراجع ، وكانت هى أولَ من عرف من قرائه ؛ وتوثقتْ بينهما الصلة ، وكانت فى أولها إعجاباً بالعقل الجميل فعادتْ أملاً يأمله وحلماً يتراءى لها . . . ومضى الفتى إلى غايته والحياة تُجِدُّ له فى كل يوم أملاً وتوقظ عاطفة !

وكتب وخطب ، ونظم وألّف ، وراح يناضل فى جهد الجبابرة ليشق طريقه إلى المنزلة التى يتنوّرها من بعيد ؛ وقالت له فتاته : « متى أراك يا حبيبى هناك ؟ » ولم يجبها فتاها ، لأن عينيه كانتا تنظران إلى هناك !

ومشيا ذراعاً إلى ذراع بين الحدائق الضاحكة صامتين ، أما هى فكانت تبحث بعينيها بين الفروع الراقصة عن زهرة نضرة تقطفها عن أملودها لتجعلها فى صدرها زينةً تتيه بها على لداتها وصواحبها ، وأما هو فكان فى إطراقه وصمته يتسمَّع نجوى الغصون وهمس الزهر لينظم منهما قصيدة ترفّ رفيفَ الغصن وتنفح نفحَ الزهر ! وطال عليها الطريقُ وما بلغتْ ، فقالت : متى يا حبيبى . . . ؟ وقال . . . ولم تَعِ ما قال ولم يعِ ما قالت ؛ وتدابرا ومضى كلٌّ منهما لغايته ، وراحت تبحث عن الزهر وراح يبحث عن معناه ... وكان فراقَ بينهما !

***

وعاد إلى داره فى المساء وما فى الدار غير خادمته العجوز ، وجلس إلى المائدة ينتظر عشاءه ، وأبطأت الخادم لأن الدار لم يكن فيها عشاء فتأتى به ... وضحك حين عرف ، وعبّث فى جيبه قليلاً ثم أمسك ، وآثر أن يطوى ليلته بلا عشاء ؛ فإن ذلك أخلق أن يجمع له نفسه ويوقظ حسّه !

وجلس إلى مكتبه لحظاتٍ يقرأ بريد المساء ؛ وكان بينه رسالةٌ تنفح عطراً ، وقرأ ...

« سيدى ...

« ... وإنى أرسل إليك تحياتى على البعد ...

« إنها لحظاتٌ سعيدة حين أقرأ لك فأشعر أنى منك على مقربة وأنك منى ...

« وإنه ليخيّل إلىّ أحياناً أننى وأنك ...

« إنك لست بعيداً منى؛ أفتُراك تعرفنى؟ ولكنى أعرفك، و ... وأحبك !

« ومعذرة ... ! »

وابتسم الفتى ثم عبس ، وذكر سعدية ... ثم طوى الرسالة وأودعها غلافها ؛ وقال وكأنما يتحدث إلى شخص يجالسه : ليتك تعرفين يا فتاة وليتنى أعرف ! بل إننى لا أريد أن تعرفى ! إنك تنشدين الزهر ليكون لك زينة تباهين بها فى المحافل ، وإننى أنشد معناه لأتخذه وحياً أتصل بأسبابه إلى السماء ... كذلك كانت أختٌ لك من قبل !

***

ولكنه كان راضياً ...

لم يبلغ المجدَ الأدبى الذى يناضل له منذ بضعَ عشرة سنة ، ولم يبلغ الغنى ، الغنى الذى يكفيه حاجةَ الحىّ إلى وسائل الحياة ؛ ولكنه كان راضياً ، لأنه كان مؤمناً بنفسه ، ومؤمناً بغده ! ومضى على وجهه ...

... وراح إلى السيما عشيةً يتزوّد لفنه وأدبه ويستجمّ ، ثم عاد ...

لقد رأى وسمع وعرف ، ونظر إلى نفسه ، وحضرته ذكرياته وأمانيه ، وراح يحاسب نفسه على ما أدى من عمل وما نال من جزاء ، واستغرق فى تفكيره ...

وكان عليه أن يعدّ الخطبة التى طُلب إليه أن يذيعها بعد أيام، احتفالاً بذكرى الأديب الراحل فلان ؛ ذلك واجب لا يعفيه من إغفاله أن يعتذر ؛ فإنه لصديقه ، وإن له عليه ديناً يقتضيه الوفاء أن يذكره به فيتحدث عنه حديثاً فى يوم ذكراه !

وشرع قلمه ، وهم أن يعد الخطبة التى ينبغى أن يذيعها عن صديقه الأديب الراحل فى يوم ذكراه . واستجمع فكره ، وتذكر شيئاً ...

يا عجبا ! ذلك الصديق الذى يهم أن يتحدث عنه ، ماذا كان فى حياته ، وماذا هو اليوم عنـد الناس ؟ لقد عاش حياته يجاهد لأمته ما يجاهد صابراً محتسباً قانعاً بالكفاف ، لا يذكره أحدٌ بحق ولا يعرف له يداً ... فلما غاله الموت — لما غاله الموت فقيراً معدماً بعيد الدار كثير الولد — تدانت الرءوس ، واختلجت الشفاه ، وسحّت العبرات ، وصاح الصائح فى الأمة يدعوها لتخليد ذكراه، فإن حديثه اليومَ على كل لسان، وإن ذكره فى كل قلب ... كذلك كان حياً وميتاً ، فما متاعُه بما صار وما عزاؤه عما كان ؟

ماذا ؟ ... أليس يعرف الناس للأديب حقه إلا أن يموت ؟ ما أغلاه ثمناً للمجد !

وابتسم الفتى ساخراً ، ثم سكت ، وعاد إلى نفسه يؤامرها ... وانصرفت نفسه عما هو فيه ؛ وتناول حزمةً من الرسائل لم يقرأها بعد ، وفض منها رسالة ، وقرأ :

« سيدى ...

« ... فلماذا؟ ولماذا لا نجد فى الأمة العربية شعراء وكتاباً ومنشئين كبعض من نقرأ لهم من أدباء أوربا ؟ »

وطوى أحمد الرسالة وهو يتمتم : نعم ، لماذا ... ؟ لا لا ، إننى أكاد أعرف ... ولكن ، لماذا ... لماذا لا يزال – مع ذلك – فى ناشئتنا النافلة من يرجو الخلود فى الأدب ويلتمس به المجد والغنى ؟ هذا هو السؤال الذى يحق !

وتذكر الرواية التى شاهدها فى السيما منذ ساعات ، وتذكر صديقه الذى يهم أن يعدّ حديثاً عنه ليوم ذكراه ... وصمت

برهة ، ثم وقف ، وراح إلى المصباح فأطفأه ، وقصد إلى فراشه ، ولكنه لم ينم ... واستغرق فى تفكير عميق ... وأحس برد الراحة على قلبه حين انتهى من تفكيره إلى حد ...

* * *

... وأصبح أصدقاء أحمد يسألون عنه فلا يجدونه ، ومضت أيام ولا حس ولا خبر ، إلا رسالة موجزة تلقاها بعض صحبه ، وليس فيها إلا هذه الكلمات :

« إننى ذاهب ... لقد برمت بدنياى ... وداعاً يا أصدقائى ! »

وجد أصدقاؤه فى الطلب فلم يقفوا له على أثر ، وظنوا الظنون ... ثم استيقنوا ، حين عثر بعض الرواد فى صحراء الجيزة على أشلاء آدمية تكاد تواريها الرمال فى قعر هوة سحيقة من هُوى الصحراء . لم يكن ثمة وجه يبين ، ولا لسان ينطق ، ولا أثر يدل ، إلا قميصاً خلقاً قد حال لونه وتمزقت حواشيه ، لقد أكل الوحشُ من ذلك الجسد ما أكل وأبلى الرمل ما بقى ، فما هو إلا عظام نخرة وأنابيب جوفاء وأديم ممزق !

وقال واحد من صحابته : لقد توقعت له هذه الخاتمة منذ بعيد ، ويا طالما حذرته من ارتياد الصحراء وحيداً فى غبشة الصبح وفى ظلمة الغسق فلم يسمع لى ؛ يزعم أنه يجد هنـاك مهبط الوحى ومنبع العبقرية !

وقال الثانى : وكذلك زعمت لنفسي حين جاءتنى رسالته يودعنى ويستودعنى ؛ لم يقع فى نفسى إلا أنه ذاهب إلى الصحراء ؛ لقد تحدث إلىّ مرة ... وكان يتشوف إلى اليوم الذى يفارق فيه دنيا الناس إلى معتزَل هادئ على حدود الصحراء يأنس فيه إلى الوحش فلا يرى أحداً من الناس ولا يراه أحد ! فلعله ... !

وقال الثالث : يرحمه الله ! وانحدرت على خده دمعة تجاوبتها أخواتها من عيون أصحابه ؛ وعزى بعضهم بعضاً ؛ ثم انصرفوا يحملون رفات الشاعر الشهيد إلى مثواه ؛ وتداعى الناس إلى مأتمه محزونين وإن حديثه ليرطب كل لسان ؟

وكتب اسم أحمد فى سجلّ الراحلين من أدباء الأمة . . . وصاح الصائح فى الأمة يدعوها لتخليد ذكرى الأديب الراحل ، وطفحت أنهار الصحف الأدبية بالحديث عنه وتمجيد ذكراه !

وانعقدت جماعات ، وتألفت كتب ، وبذل مال ؛ وتزاحم الناشرون يزايدون بالمال لشراء مخلفاته الأدبية ... وجدّ البُعداء من أهله يطلبون نصيبهم فى تركته !

* * *

ومضى عام قبل أن يحدّد يوم يقوم فيه الخطباء والشعراء لتأبينه ، وكان يوماً مشهوراً ...

كان المدرج الكبير غاصا بأهل الأدب ، وسروات المدينة ، وذوى الجاه والرياسة ؛ وقد نُصِبَتْ فى صدره منصّة عالية عليها كراسى مذهبة ، يشرف عليها صورة مكبرة للفقيد العزيز مجللة بالسواد ، تطل منها عينان ساخرتان على تلك الجموع الحاشدة؛ وكان فى ركن من القاعة فتاة ذات جمال قد انتقبت بنقاب أسود شفيف مبتلّ بالدمع ، وإلى جانبها فتيات . تلك هى سعدية ؛ وجلس فى الصف الأخير بضعة فتيان شُعْث غُبْر قد تأبطوا كتباً وصحفاً ومجلاّت قديمة ، تدل ثيابهم وهيئتهم على الفقر والقناعة و ... والعبقرية ، وتنطق سِيماهُم وشارات الحداد فى وجوههم بأنهم أكثر أهل الحفل إخلاصاً لذكرى صاحبهم الذى مات ...! أولئك أسرة الفقيد من أهل الأدب !

وكان على الباب بوابون من ذوى اليسار والنعمة ، يستقبلون القادمين ويدعون كلا منهم إلى مجلسه الذى يوائمه . وتدلّت الأنوار ثريات تكسف الشمس وتبهر النظر . وكانت حفلة ، لو أحصى ما أنفق فى إعدادها لكان حياةً من موت وغنى من مَتْرَبة !

وغص البهو والشرفات بالوافدين على الحفل من أهل الوفاء والأدب ؛ وحل الموعد ، وصَفَقَتْ القلوب وأرهفتْ الآداب !

ووقف الخطيبُ الأول يذكر تاريخ الفقيد ؛ وكان يلبس حلةً سوداء غالية ، وقد أحكم المنظار على عينيه وتدلّت سلسلته الذهبية على كتفه ، وبَرَق الماس فى إصبعه ؛ وبدأ يخطب :

« أيها السادة ! »

وكان السادة منصتين فى لهفة وتأثر ...

وتتابع الخطباء والشعراء يذكرون ما يذكرون من فضل الفقيد وعبقريته وعلمه وخسارة الأمة بفقده

وقال قائل لصاحبه : « يرحمه الله ! »

فقال صاحبه : « أما إنها لخسارة ! »

وكان ثمة فتى رث الثياب ، مخرَّق النعل ، مرسل اللحية ، يقتحم الصفوف صفًا صفًا يقصد إلى المنصة التي يتبارى عليها الخطباء ...

وتأفَّف الناس وزمُّوا شفاههم استكراهاً وغيظاً ، لكنهم صمتوا إجلالاً للحفل ، وبلغ الفتى حيث أراد وهمَّ أن يصعد ، فاعترضته الأكفّ ؛ ولكنه صعد ...

وأخذته العيونُ من كل جانب ، وكان يبتسم وفي عينيه سخرية وشماتة !

وفرغ الخطيب من خطبته فتنحَّى عن موقفه ، وتقدم الفتى إلى موضعه ، وهمَّ أن يتكلم ...

وتدافعته الأيدي ... ونظر إليهم ونظروا إليه ... وتعارفت وجوه وتناكرت وجوه ؛ ووقف الفتى ثابتاً في مكانه ، وارتفع صوته يُبثُّ جلاجل نفسه ، وهتف :

« أيها السادة ... ! »

وسمعها السادة وقوفاً وأبصارهم إليه ، ومضى يقول :

« أشكركم ... ! »

وعرفه من عرف ولم ينكره من جهل ، وتدافعوا إليه ... إنه هو ... إنه أحمد !

«ذلك يوم البعث ولا ريب» : قالها كل مستمع لصاحبه ... لم يمت أحمد ، ولم تأكله وحوش الصحراء ، ولم يحمله من حملوا إلى قبره يوم حملوا الرفاتَ المجهول النسب من مجهل الصحراء إلى معلمها ؛ ولكنه كان حياً يرزق . كان يهيء نفسه ليلقى أبلغ خطبة جهر بها خطيب ، وأبين قصيدة نظمها شاعر ؛ وأبرع سخرية أبدعها أديب ؛ لخطب ونظم وسخر ... واستمع لرأي الناس فيه مرتاحاً ، وأسمعهم رأيه . وبلغ المجد الذي أراد ، وبلغ ما شاء من الانتقام لنفسه ومن السخرية بالناس ! وعاش !

محمد سعيد العريان



حول آية إطعام الطعام

حضرة الأستاذ الكريم صاحب مجلة الرسالة الغراء

تحية واحتراماً وبعد:

قرأت في العدد (٣٥٥) من الرسالة تحت عنوان (العقيدة الساذجة) جواباً لمحمود محمد سويلم واعظ (سمالوط) وهو ينكر نزول (ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً) في أهل البيت عليهم السلام وينكر صومهم. ويقول إنها قصة موضوعة؛ ولا ينبغي أن يحمل كلام الله تعالى على قصة هذا شأنها، وأن أقل تأمل في هذه القصة يدل على أنها مصطنعة

إن إنكاره لم يكن بشيء جديد. فقد سبقه بعض أسلافه من إنكار نزول هذه الآية في أهل البيت عليهم السلام، وادعوا بأن السورة مكية. على أنها مدنية وقد ذكرها الرازي في أربعينه، وابن المرتضى، والزمخشري، والقاضي في تفاسيرهم، والفراء في معالمه، والقنوى في شرح مطالعه، والواحدي، وعلى ابن ابراهيم، وأبو حمزة الثمالي، واحمد الزاهد، والحسكاني، وأبو القاسم الحسين (وهو من شيوخ أهل السنة) في كتاب التنزيل. إن تسعة وعشرين سورة مدنية وذكر منها (هل أتى) ولم يذكر خلافاً فيها. وعن عكرمة، وابن المسيب، والحسن بن أبي الحسن البصري، وخطيب دمشق للشافعي والثعلبي. وقد أورد القضية كما هي في التفاسير وذكرها هبة الله المفسر البغدادي في الناسخ والمنسوخ. ومما أنشد في هذا المقام:

أنا مولىً لفتى أنزل فيه هل أتى

وقال آخر:

إلام ألامُ وحتى متى أعنف في حب هذا الفتى
فهل زُوجت فاطمٌ غيره وفي غيره هل أتى هل أتى

وقال ديك الجن:

شرف محبة معشر شرفوا بسورة هل أتى
وولاء من في فتكه سماه ذو العرش الفتى

ولما علم الله تعالى صدق نياتهم بإيثارهم الطعام المسكين واليتيم والأسير أنزل على نبيه (ص): (ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً).

وقال مجاهد وابن جبير والفخر الرازي في تفسيره:

(ذكر الواحدي في كتاب البسيط أن آية ويطعمون الطعام نزلت في علي). وروى نزولها في علي رضي الله عنه صاحب الكشاف، وقد ذكر القصة بكاملها. وهكذا رواها العلامة أبو السعود في تفسيره المطبوع بهامش تفسير الفخر الرازي. وفي كتاب ينابيع المودة (ص٩٣) عن موفق بن أحمد أخرجه بسنده عن مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى: (يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً، ويطعمون الطعام ... الخ) مرض الحسنان عليهما السلام فعادهما جدهما صلى الله عليه وسلم ... وروى القصة أيضاً ونزول (هل أتى) على النبي (ص). وذكرها القاضي البيضاوي في تفسيره، وروح البيان والمسامرة، وفي لباب التأويل في معاني التنزيل للعلامة علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي (المعروف بالخازن) وعلى هامشه الكتاب المسمى مدارك التنزيل وحقائق التأويل تأليف العلامة أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي. أما الخازن فقد ذكر عن ابن عباس أن الآية نزلت في علي بن أبي طالب، ثم ذكر القصة الخ. وقال النسفي: (نزلت في علي وفاطمة وجاريتهما فضة)، وذلك لما مرض الحسنان وعوفيا وقد نذروا صوم ثلاثة أيام، فاستقرض علي ثلاثة أصوع من الشعير فطحنته فاطمة كل يوم صاعاً وخبزته. وآثروا بذلك على أنفسهم مسكيناً ويتيماً وأسيراً. ولم يذوقوا إلا الماء في الإفطار، فأنزل الله فيهم هذه الآية. وقال عبد الباقي الفاروقي العمري:

وسائلٌ هل أتى نص بحق علي أجبته (هل أتى) نص بحق علي

وهذا قليل من كثير ذكرناه ليطلع عليه من يقرأ رسالتكم الغراء. ولعل حضرة الواعظ يطلع على كلمتي هذه فيرجع عن رأيه الأول، وفي هذا خدمة للحق

«العراق» كاظم الشيخ سلمان آل نوح
خطيب الكاظمية

إلى الدكتور علي حسن عبد القادر

كان خبراً ساراً في الأوساط الأزهرية أن اشترك في أسرة التحرير بمجلة «الرسالة» الغراء في هذا الأسبوع كاتب أزهري جديد هو الدكتور علي حسن عبد القادر الحاصل على الدكتوراه في العلوم الإسلامية من جامعة برلين، والمدرس بكلية الشريعة

الآن ، وبكلية أصول الدين من قبل . فأعطى هذا الكاتب مع إخوانه الأساتذة : محمد المدني ومحمد يوسف موسى ومحمد عرفة وعبد الجواد رمضان وغيرهم ممن يخصون الرسالة بأبحاثهم القيمة ، الدليلَ الواضحَ على أن النهضة الأزهرية لم تتمثل فى « شباب المراغى » فحسب ، بل وفى « رجال المراغى » تمثلت أيضاً بصورة تدعو إلى الإيمان بمستقبل الأزهر السعيد ! ...

ولكنى أحب أن أوجه إلى الدكتور سؤالاً يدفعنى إلى توجيهه الحرص على طلب الحق وذلك أننا سمعنا وقرأنا فى غير صحيفة أن الدكتور ألقى منذ حين على فريق من طلبة كلية أصول الدين درساً فى « مصطلح الحديث » ؛ فعرض خلال هذا الدرس بالتابعى الجليل والمحدث الصادق الإمام « ابن شهاب الزهرى » ووصفه بالاختلاق والكذب على رسول الله (ص) ، وبأنه كان ممالئاً للأمويين ولذلك اخترع جملة أحاديث تخدم قضيتهم وترفع من شأنهم ؛ ومن أمثلة ذلك أن الزهرى لما رأى عبد الله بن الزبير يستقل بأمر الحجاز ، وأن عبد الملك بن مروان يستولى على بيت المقدس ويرفع فى المسجد الأقصى قبة الصخرة ليصرف الحجيج إليه ؛ لما رأى الزهرى ذلك اخترع أحاديث شتى فى فضل بيت المقدس ، ومن ذلك قوله على لسان الرسول صلوات الله عليه : « لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد: مسجدى هذا ،ومسجد مكة، والمسجد الأقصى » !

قال الدكتور ذلك مع إجماع العلماء على أمانة الزهرى وصدقه وورعه ؛ ومع أن التاريخ يروى أن عبد الملك بن مروان سأل الزهرى ذات يوم عن المعنىّ بقوله تعالى : « والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم » . فقال الزهرى : « هو عبد الله بن أبى ابن سلول » فقال عبد الملك : « لا . بل هو على بن أبى طالب » فاشتاط الزهرى منه غيظاً ، وقال له : « لا أبالك ! . . . أعلىّ تفترى أم على الله ؟ ! »

ونحن نرجو الدكتور أن يتفضل بكلمة موضحة فى هذا الموضوع وظنى أن مجلة « الرسالة » التى تخدم الدين والأزهر لن تضيق بكلمة أو كلمات حول هذا الموضوع الخطير ، فهل يجيب سؤلنا الدكتور عبد القادر ؟!

(البجلات) أحمد جمعة الشرباصى

الكتاب المتفرنسون فى لبنان

استفتت جريدة « الأنباء الأدبية » الفرنسية جميع الأدباء الذين يكتبون بالفرنسية مستقصية عن الدافع الذى يحدو غير الفرنسيين للكتابة بالفرنسية ، وكان بين هؤلاء فرج الله الحايك مؤلف « برجوت » وهاك جوابه :

« تسألوننى لماذا آخذ اللغة الفرنسية كأداة للتعبير. وجوابى على ذلك جواب الأكثرية الساحقة من اللبنانيين ، وحالتنا هذه خاصة بنا ، فنحن لا نستطيع أن نفصل بين محبتنا لفرنسا ، وبين تأثيرها الثقافي علينا . فنحن نعيش فى وسط فرنسى ، فرنسى فى روحه ولغته »

« ورغم التباين العميق بين لغتنا الأولى العربية ، وبين اللغة الفرنسية ، فنحن نهضم هذه إلى درجة أننا أصبحنا نفكر بالفرنسية. إن اللغة العربية غنية جيلة وسائغة ، ولكن هذه العقبة القائمة بين اللغة المحكاة واللغة التى نكتبها تولد للسامع نوعاً من التشويش »

ونحن لا يسعنا أمام جواب الأستاذ فرج الله حايك إلا أن نهنئه بهذه المكانة الأدبية التى جعلته كاتباً مرموقاً فى لغة أجنبية إلا أننا نستأذنه بأن نصحح ماجاء فى جوابه عن معدل اللبنانيين الذين يفكرون ويكتبون بالفرنسية فهو دون شك لا يؤلف أكثرية كما يقول بل هو عدد محدود جداً ولا سيما بعد النهضة الحديثة التى أوجدتها البكالوريا اللبنانية فى معاهد التدريس وبين النشء الطالع . هذا مع العلم بأن التفكير والكتابة بالفرنسية شىء ومحبة فرنسا شىء آخر (الجمهور البيروتية)

محاضرة فى الموسيقى بالمعهد الليلى البريطانى

ألقى الدكتور كيناستون سنل مدير المعهد الليلى البريطانى بالإسكندرية محاضرة فى هذا المعهد تحدث فيها عن فن الموسيقى

وقد استمع لهذه المحاضرة كثير من محبى هذا الفن وغيرهم من الطلاب ، وكان بحث الدكتور فى هذا الموضوع دالاً على خبرته واقتداره . وقد عرف الدكتور سنل الموسيقى بأنها فن تأليف الأصوات لإثارة النبطة فى النفس . وقال إنه لما كانت اللغة لا تفى بالتعبير عن العاطفة أحياناً ، فإن المرء يعمد إلى إبرازها بإضافة الصوت والحركة إليها

وكان مما قاله عن الموسيقى الأوربية أنها نتجت من تمرين الأفراد على تعرف نظام الجمع بين الأصوات . على أن القليلين من الناس — حتى بين ممارسي الموسيقى — يستطيعون تعرف مقام الربع في النغم

أما الموسيقى العربية فقال عنها : إنه ليس فيها شيء من نظام الموسيقى الأوربية من حيث التأليف بين الأصوات ، وإنما هي « خط واحد » . والأذن العربية مهما قل حسها تستطيع أن تتعرف الأرباع. ويميل الموسيقيون في مصر الآن إلى إدخال بعض التراكيب الموسيقية الأوربية على الموسيقى العربية

وختم المحاضر بحثه بذكر ما يجب على السامعين في الحفلات الموسيقية من الأمور كالإصغاء للتوقيع وتجنب الحديث وعدم الاتيان بحركات تؤثر في صفاء جو الغناء والموسيقى وجلاء روح الفن

وفاة الأستاذ عبد الحميد بن باديس

نعت أخبار الجزائر الأستاذ عبد الحميد بن باديس رئيس جماعة العلماء وزعيم الصحفيين والأدباء توفاه الله يوم ٨ ربيع الأول الموافق ١٦ إبريل. وقد كان رحمه الله من رجالات الشرق الأفذاذ نفسية وعلماً وخلقاً

ولد في قسنطينة سنة ١٣٠٩ ، وأتم دروسه في الزيتونة ، وطوف في بلاد الشرق ، ثم عاد إلى وطنه فأنشأ مجلة الشهاب ، واجتمع عليه نخبة من الطلبة في الجامع الأخضر (الذي أصبح فيما بعد موئل الثقافة الدينية بالجزائر) فصال وجال في دروسه وخطبه ومقالاته نيفاً وربع قرن يدعو إلى الإصلاح الديني والاجتماعي والسياسي ، فأوذي وفتن ، ولكنه خرج من فتنته كالتبر لم تزده النار إلا صفاء وإخلاصاً . عند ذلك اتجهت إليه الأنظار في شمال أفريقية ، فتبوأ عرش الزعامة في كل مجمع والمحبة في كل قلب

اسماعيل محمد عزمى

رأى الأستاذ ميخائيل نعيمة في ليالي الملاح التائه

طالعت في ديوان « ليالي الملاح التائه » شعراً متين الحبك ، مشرق اللون ، قوي النبرة ، مؤمناً بذاته ، وطلعت عليّ منه عاطفة لا تتستر بخيال إصبعها ولا تتلبس غير لباسها . وكنت أود لهذه الشاعرية ألا تغرق في لجج الوطنيات ، ولا تفرغ حماستها في كؤوس الخيام ، أشكر لك يا أخي هديتك المسلوخة عن قلبك ، وأتمنى لقلمك فتوة لا تشيخ ...

تيسير الفقه

كنت أقلب صفحات « وحي الرسالة » للأستاذ الكاتب الكبير صاحب « الرسالة » أعزّ الله يراعته ، فوقعت عيني على ما في أدنى الصفحة التاسعة والعشرين وأعلى الصفحة الثلاثين من كلام جرى بين الإمام الشيخ محمد عبده طيب الله مضجعه وبين شيخ من رجال المحكمة الشرعية . سأله الأستاذ الإمام فيم يشتغل ؟ فقال : نعلم النصارى الذين يدخلون الإسلام أركان الدين . فقال له : يكفي أن تقول صل وصم وزكّ وحج . فقال : ولا بد أن نعلمهم الوضوء . فقال : قل له اغسل وجهك ويديك إلى مرفقيك وامسح رأسك واغسل رجليك . فقال : ذلك لا يكفي ولا بد أن نعلمه حدود الوجه من أين يبتدئ وإلى أين ينتهي . وقد أجابه الإمام بحدة قائلاً : قل له يغسل وجهه ، كل إنسان يعرف حدود وجهه من غير حاجة إلى مساح .

شعرت بعد قراءة هذه الجمل بحاجة الفقه الإسلامي إلى تيسير ، وهذا يكون بتأليف كتاب ينطوي على المباحث الفقهية كافة ، يستغنى به عن كل مطوّل ومختصر ، ويقرر تدريسه في الأزهر وفي سائر البلاد الإسلامية ليكون الفقه مألوفاً للناس على اختلاف معارفهم ومداركهم ، وعائشاً مع الثقافات كملَم ثمين

وأما أسس التيسير فينمّ عنها التيسير نفسه ، ومع ذلك فلا بد من الإشارة إلى بعض هذه الأسس والطرائق والأشكال :

١ — حذف الزوائد الفقهية من مستحسنات وآداب وإساءات (وعلل غير معقولة)

٢ — استعمال اصطلاحات جديدة منظمة وإلغاء الاصطلاحات القديمة — فيما إذا تحقق اضطرابها —

٣ — الأخذ بأسهل الأحكام وأيسرها للناس . فمثلاً يقضي الحنفية بوجوب الوتر ونقض الدم للوضوء . والشافعية



تعقيب على تصحيح

للأستاذ محمد محمود رضوان

ذكر الأستاذ عبد القادر المغربي فى العدد ٣٥٦ من الرسالة عدداً كبيراً من المآخذ التى رآها فى الجزء الثالث عشر من كتاب نهاية الأرب للنويرى ، ولا يسع كل أديب وباحث إلا أن يحمد للأستاذ تلك الغيرة على تصويب كتاب له قيمته الأدبية كنهاية الأرب خصوصاً وقد وفق إلى حد كبير فى كثير من تلك التصويبات وإن أخطأه التوفيق أيضاً فى كثير منها

وللنويرى صاحب نهاية الأرب فى قلبى مكانة لم يحتلها أديب غيره من أدباء العصر التركى فهو أحبهم إلىّ وآثرهم عندى ، إذ أن بينى وبينه — فوق إعجابى بمجهوده الجبار فى تصنيف موسوعته العظيمة — آصرة الوطن وهى فوق كل آصرة[1]

ولعل من القراء من يذكر مقالى الذى كتبته منذ عامين فى جريدة الأهرام عن النويرى، ودعوت فيه إلى إحياء ذكرى هذا الأديب المنسى ، ونوهت بفضل موسوعته وما أشاد مؤرخو الأدب بها ، وكان أن أخرجت دار الكتب المصرية بعد ذلك الجزء الثالث عشر من نهاية الأرب مشكورة ، وإن كانت لا تسير فى إحياء هذا الكتاب إلا كما تسير السلحفاة

وإذن فقد حق علىّ وقد رأيت الأستاذ المغربى يتسقط الخطأ تسقطاً ، ويلتمس الزلل التماساً أن أنافح - بالحق - ما وسعنى النفاح عن المؤلف تارة ، وعن المصححين أخرى ، وها أنذا مورد ما كتب الأستاذ ثم أتبعه نقاشى له

١ — (ص ١١ س ٢١) قوله «ففتحها» صوابه «ففتحهما» إذ أن الضمير يرجع إلى العينين

هذا ما قاله الأستاذ الناقد وأقول : إنه ليس على ذلك التعبير غبار ، والعرب كثيراً ما تذكر الإثنين - وخصوصاً إذا كانا لا يكاد أحدهما ينفرد وذلك كالعينين واليدين والرجلين - وتعبر

(١) ولد النويرى بالنويرة من أعمال بنى سويف

يجعلون الوتر سنة ولا ناقضية للدم ؛ فيؤخذ بأحكام الشافعية

ومثلاً يقضى الشافعية بأن الصلاة الابراهيمية فرض فى الصلاة وتركها مبطل للصلاة ويعتبرون مس الرجل للمرأة ناقضاً لوضوئه . والحنفية يجعلون الصلاة الابراهيمية فى الصلاة سنة لا تبطل بتركها ، ولا يرون فى مس المرأة نقضاً للوضوء ، فيؤخذ بأحكام الحنفية

وهذا التمازج المذهبى ضرورى للعالم الإسلامى الذى هو وحدة دينية لا تتجزأ ، وقد أشرت فى كتابى (التشريع الإسلامى)[1] إلى بعض هذه المعانى بشكل فيه نوع وضوح

ولا مانع من مراجعة آراء الظاهرية والزيدية والأباضية وبعض فرق الشيعة للاستفادة من ملاحظتهم والاستنارة بآرائهم

وهذه عملية فيها صلاح للمسلمين كثير ؛ فقد أثخنتنا الخلافات أذى وأشبعتنا هواناً . وأرجو أن أسمع من الأساتذة الذين بحثوا أخيراً فى موضوع الأزهر وإصلاحه رأيهم فى هذا الأمر

(القاهرة) مجهول الحنفى

(١) سيصدر هذا الكتاب قريباً

تخليد ذكرى المرحوم مصطفى صادق الرافعى

رغب بعض حضرات الأدباء والشعراء تأخير يوم الاحتفال بتخليد ذكرى المغفور له الأستاذ مصطفى صادق الرافعى وتحقيقاً لرغبتهم قررت لجنة الاحتفال إقامته الساعة السادسة من مساء الخميس ٢٠ / ٦ / ١٩٤٠ بدار مجلس مديرية الغربية بشارع المدرسة بطنطا . وترجو اللجنة حضراتهم أن يتصلوا بحضرة سكرتيرها الأستاذ أمين حافظ شرف بطنطا إلى يوم الجمعة ١٤ / ٦ / ١٩٤٠

رئيس اللجنة

الدكتور عبد العزيز العجيزى

عضو مجلس الشيوخ

تصويب

جاء فى مقال الأستاذ محمد يوسف موسى المنشور فى العدد الماضى ثلاث كلمات محرفة وهذا صوابها :

صفحة	عمود	سطر	خطأ	صواب
٩٣٨	٢	١٧	وكذا الواحد	وَكَدُ الواحد
٩٣٩	١	١٢	ذلك ما يزيد	ذلك إلى مايزيد
٩٣٩	١	١٦	إلى كل هذا	إلى ... كل هذا

عنهما مرة وبأحدهما مرة ، قال الفرزدق :

ولو بخلت يداى به وضنّت لكان علىّ للقدرِ الخيارُ

فقال يداى ، ثم قال ضنت وهو يعنى اليدين .

وقال آخر :

وكأن فى العينين حبّ قرنفُل أو سنبل كحلت به فانهلّتِ

فقال العينين ، ثم قال كحلت فانهلت ، وقال بعض المحدثين :

فدتك بعينيها المعالى فإنها بمجدك والفضل الشهير كحيل

ومن ثم فتعبير نهاية الأرب صحيح ليس عليه مأخذ ...

٢ — (ص ٢٥ س ١٤) : ونادى إلى ذات اليمين وهو يقول : أنا أول من يشهد لك بالتوحيد الخ

قال الأستاذ الناقد : فقوله « ونادى إلى ذات اليمين » صوابه « وأوى إلى ذات اليمين » — أى مال ولجأ إلى الجهة اليمنى —

وأقول : لو أن « نادى » قريبة من « أوى » خطأً ، لكان ذلك كلاماً حسناً ، أما وبينهما ما بينهما ، فى ذلك التخريج من التعسف ما فيه ، على أنه ليس ما يدعو إلى تخطئة نادى وتبدل غيرها بها ، ويظهر أن ذكر فعل القول بعد فعل النداء — وهما متقاربان معنى — هو الذى أشكل على الأستاذ ، فجعله يفضل الاجتزاء بواحد منهما ويتبدل أوى بنادى ، مع أن ذكر القول بعد النداء كثير سائغ . ورب العالمين يقول « فحشر فنادى ، فقال أنا ربكم الأعلى » ؛ ويقول « ونادى نوح ربه فقال رب إن ابنى من أهلى » . فليس من غضاضة إذن فى قول النويرى : « ونادى إلى ذات اليمين وهو يقول ... الخ » . إذا أعربت الجار والمجرور — إلى ذات اليمين — حالا من الضمير المستتر فى نادى

٣ — (ص ٦٧ س ١١) : قوله : « فقال فتى منهم حدث السن » خطأ ، وصوابه : « حديث السن » ؛ وعبارة المصباح : « يقال للفتى حديث السن ، فإن حذفت السن ، قلت : حدثٌ بفتحتين » ، أى من دون إضافة حدث إلى السن ...

وأقول : لا محل لهذه التخطئة ، وإن كلام المصباح الذى استشهد به الأستاذ ، ليس فيه دلالة قاطعة على أن قولك « حدث السن » خطأ ، وإنما يدل على أن قولك (حدث) يساوى فى معناه قولك « حديث السن » ، على أنك لو أضفت « حدث » إلى « السن » إضافة توضيح ما بعدت ولا تجنيت ، وكيف وعبارة القاموس تؤيد ما أذهب إليه وهى (ورجل حدث السن وحديثها بين الحداثة والحدوثة فتىٌ) وذلك واضح

٤ — (ص ١٢٧ س ٧) : قوله « حتى بلغ بها إلى البحر » صوابه « بلغ بها البحر » من دون حرف الجر لأن فعل البلوغ يتعدى بنفسه

وأقول : لا أدرى كيف يمنع الأستاذ تضمين الفعل معنى فعل آخر وهو مطرد على ألسنة الفصحاء وأئمة البيان واللغة ، ولست أستشهد بفعل غير الذى معنا — وذلك كثير — ولكنى أذكر عبارة وقعتُ عليها فى كتاب (فقه اللغة) لأبى منصور الثعالبى أورد فيها الفعل بلغ معدى بإلى ، وكأنه ضمنه معنى وصل أو انتهى ، والثعالبى هو الثعالبى . قال ص ٥٧٨ : « ومثله قوله عز وجل (ومنكم من يرد إلى أرذل العمر) وهم لم يبلغوا إلى أرذل العمر فيردوا إليه »

٥ — (ص ١٣٩ س ٧) : « وقيل إن النساء خلون به ليعدّلنه لها » يعنى أن نسوة المدينة لما بلغهن خبر جفوة يوسف لزليخا امرأة العزيز خلون به ليعدلنه ، وقد ضبط فعل (يعدلنه) بالدال المهملة المشددة من فعل عدّله إذا أقامه وسواه . قال الأستاذ المغربى : « إن الأصوب والأليق بالمقام أن تكون (يعذلنه) بالذال المعجمة من العذل على معنى أن النسوة خلون بيوسف وأخذن فى عذله ولومه على ما كان من جفوته لسيدته وإنه لامعنى للتعديل والتقويم هنا إذ ليس المقام مقام تربية ولا تقويم ، وإنما المقام مقام حب وجفاء »

وأقول : إنه ليس ثم داع لهذا التصويب ، وإن الكلمة لا هى يعدّلنه كما ضبطها الشارحون ولا يعذلنه كما يرى الأستاذ المغربى ؛ وإنما هى يَعْدِلنه بغير تشديد من الفعل الثلاثى عدل بمعنى عَطَفَ ، والمعنى أنهن خلون به ليجعلنه يعدل إليها وينعطف ، والدليل على ذلك ما يقوله صاحب الأساس فى مادة عدل (وعدلته عن طريقه وعدلت الدابة إلى طريقها : عطفتها) ؛ وهذا الطريق يعدل إلى مكان كذا . وفى حديث عمر رضى الله عنه : « الحمد لله الذى جعلنى فى قوم إذا ملت عدلونى كما يُعْدَل السهم » .

٦ — (ص ٢٤٢ س ٢) « فعرفوا الخضر فحملوه بغير نول » قوله (فحملوه) لعل صوابه (فحملوهما) ، أى حملوا كلاً من الخضر وموسى وإن كانوا لم يعرفوا إلا الخضر ، ويشهد لما قلنا قوله بعد (فلما ركبا فى السفينة) بألف التثنية أى الخضر وموسى

وأقول : إن ذكر الإثنين ثم إعادة الضمير على أحدهما دون

الآخر مما جرى عليه العرب فى تعبيرهم كما استشهدت فى أولى هذه التصحيحات ، وخصوصاً إذا كان ثم مسوغ بلاغى أو معنوى لهذا الحذف ؛ وهذا المسوغ ذكره الأستاذ الناقد نفسه فى خلال كلامه ، وذلك قوله : (وإن كانوا لم يعرفوا إلا الخضر) . على أن الحذف باب من أبواب البلاغة المشهورة ، فقوله (تحملوه) يتضمن محذوفاً أى (وموسى) وذلك مطرد فى كثير من كلام العرب وفى كلام الله ، ألم تسمع إلى قوله تعالى « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله » ؛ قال بعض المفسرين : « إن الضمير فى ينفقونها عائد على الفضة ، واستغنى بذلك عن عود الضمير إلى الذهب والفضة معاً للدلالة »

والعرب تخاطب الإثنين أيضاً ، ثم تنص على أحدهما دون الآخر فتقول : ما فعلتما يا فلان ؟ وفى القرآن (فمن ربكما ياموسى) وأغفل هرون ، وفيه (فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ، خاطب آدم وحواء ، ثم نص فى إتمام الخطاب على آدم وأغفل حواء ، فلا فرق بين عبارة النويرى وهذه الشواهد إلا أن هذه للخطاب وتلك للغيبة ، وسبب الحذف واحد فى الجمع وهو التنويه بالأهم غيبة أو خطاباً

وقريب من هذا — أو عكسه — ما تفعله العرب من نسبة الفعل إلى الإثنين وهو لأحدهما كقوله تعالى فى قصة موسى نفسها (فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما) مع أن النسيان كان من أحدهما لأنه قال (فإنى نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان) وكقوله تعالى : (مرج البحرين يلتقيان) وأحدهما عذب والآخر ملح ، ثم قال : (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) ، وإنما يخرج اللؤلؤ والمرجان من الملح لا من العذب

وهكذا يجد المتأمل فى لغة العرب غير قليل من السعة والمرونة لا محل للتزمت فيه ...

٧ — (ص ٢٧١ س ٥) : « قال موسى يا رب بما سمعت دعاء بلمام على فاسمع دعائى عليه قوله : « بما سمعت » لعل صوابه : « كما سمعت » أى اسمع دعائى كما سمعت دعاءه ...

وأقول : إن فى هذه التخطئة غير قليل من التجنى على اللغة إذ أن مثل هذا التعبير عند من تذوق أساليب العربية وقرأ كلام الله وأحاديث رسوله صحيح سائغ رائع ، ولأقرب المعنى المراد أستعدى الإعراب فهو رائدنا إلى الصواب . وذلك أن (الباء) فى عبارة النويرى للسببية و (ما) مصدرية ، والمعنى : « يارب ، بسبب سماعك دعاء بلمام على فاسمع دعائى عليه » . وذلك كثير فى كلام الله وإليك الشواهد :

(ا) قوله تعالى : « إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون) أى بسبب فسقهم

(ب) قوله تعالى : « قال لا تؤاخذنى بما نسيت » أى بنسيانى

(ج) قوله تعالى : « ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون »

(د) قوله تعالى — وشبيه به عبارة النويرى لفظاً ، وليس كمثله شيء — : « فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون » أى بسبب كفركم

وبعد : ففى تصويبات الأستاذ المغربى ـ غير ما ناقشت ـ كثير لا محل له ، كتصويبه (المضيق بالمطبق) وهو سجن ابراهيم تحت الأرض مع أن المضيق كما فى القاموس هو المكان الضيق . وقد خصصت عبارة النويرى بأنه تحت الأرض ، وذلك هو المراد ففى كل ذلك غناء عن (المطبق) التى يأبى الناقد إلا أن يدسها دساً ، وكتصويبه (النحيب بالنحيت) والأولى صحيحة تؤدى المعنى كما اعترف ، وكتصويبه (تفوهت بنوهت) والأولى تؤدى المعنى مع زيادة اقتضاها المجاز الخ ...

(القاهرة) **محمد محمود رمضان**

مدرس بالجمالية الأميرية

8me Année No. 363 — Lundi - 17 - 6 - 1940

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع البدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
م
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٣٦٣ « القاهرة فى يوم الاثنين ١١ جمادى الأولى سنة ١٣٥٩ — الموافق ١٧ يونيه سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهـــــرس

صفحة

العـــلم المسكين !

للأستاذ عباس محمود العقاد

إذا غضب الإنسان التمس لغضبه هدفاً وإن ارتد إلى نفسه وأحب الناس إليه ، لأن الغضب حركة ولا بد للحركة من اتجاه

وهكذا صنع صديقنا الزيات وهو غاضب على الحرب وأدواتها الجهنمية فى عصرنا الحديث . فنظر إلى أقرب ما يرميه فإذا هو العلم المسكين : العلم الذى علّم الناس أن يصنعوا البركان والإعصار، وأن يسلموا زمامهما للقاذف والطيار !

غضب الأستاذ غضبته تلك فتمنى لو أن للعالم « كرة إلى عصر الجمل والحصان ، وحرب السيف والسنان ، ومدنية القلب واللسان ، لينجو من هذا العلم الذى يدمر ما يعمر ، ويخلص من هذه الحضارة التى تأكل ما تلد »

ولو كرّ العالم إلى عصر الجمل والحصان وحرب السيف والسنان لما رضى صديقنا الأستاذ ، لأن هولاكو وتيمور قد صنعا بالحصان والسنان ما لم يصنع قواد هذا الزمان بالإعصار والبركان، وزادا على ذلك بلاء الطواعين يضيفانها إلى بلاء الطعان، فأين يذهب العلم المسكين مع هذا الإنسان !

كلما أنبت الزمان قناة ركب المرء فى القناة سنانا

بل ركب سناناً فوق السنان ، وأتى معه إلى الميدان بالحيوان . . . وبالجان !

ولو تمثل العلم شخصاً يتكلم لاستغاث من هذا المخلوق الذى شوه جمال كل جميل حتى المعرفة والنور

وهل المعرفة إلا نور ؟

وهل يأبى النور أن ينير إذا « اهتدى » به اللص فى طريق الشرور ؟

وهل يرتفع العلم بالإنسان إلى مكان أرفع وأطيب من فراديس الجنان ؟

فاذا صنع فى فراديس الجنان ؟

سمع وحى الثعبان ولم يستمع إلى وحى الرحمن

فويل لهذا الإنسان !

* * *

لقد ظهر الاختراع مع العلم فاذا صنع الإنسان قبل أن يخترع فى العصر الحديث اختراع العلماء ؟

اخترع الحصان أداة للكر والفر والطعان !

جاء به من الأجمة والجبل أسلم ما يكون بين فصائل الحيوان ، وقذف به إلى الميادين أخطر من النمر والثعبان ... بل أخطر من المارد والشيطان !

وقبل الحصان حملته قدماه !

وقبل القدمين ركب رأسه وهواه

ولولا رأسه وهواه لما ضاقت به دنياه ... كان له الله !

* * *

أخى الناضب على الحرب ! دع العلم فى مكانه منها ، فوالله إنه لرحمة بالإنسان حتى مع هذا الشر الذى يتفجر به طبعه ويتدفق به نبعه إنه لأرحم به من الجهل يوم كان الطاعون يقتل مائة إلى جانب كل قتيل واحد يسقط فى حومة القتال ، ويوم كان كل قتيل واحد بؤرة يجتمع فيها ملايين الملايين من جراثيم الحيات والأهوية الوخيمة لتتفرق بعد ذلك من جبل الأطلس إلى أقصى الصين .

ولقد مات فى الحرب الأمريكية مائة وثمانون ألفاً فى حومة القتال وضعف هؤلاء القتلى ماتوا بالأوبئة والأمراض

وأحصوا فى حرب القريم خمسة وعشرين ألفاً من الإنجليز والفرنسيين ماتوا بالرصاصة والسيف ، ونيفاً وتسعين ألفاً ماتوا بطعنة مكروب صغير لا تراها العين ولا يعلم بوجودها القاتلون .

لا بل هذه السرعة التى تنعاها أيها الأخ على العصر الحديث هى التى تعجل بالسلم وقد كان بطيئاً من قبل كالبطء فى كل شىء من أشياء الزمن القديم

فأين هى الحرب التى تدوم اليوم ثلاثين سنة كما دامت حرب الثلاثين ؟

وأين هى الحرب التى تعود اليوم فى كل موسم كما كانت حروب القبائل البادية تعود فى كل مرتبع أو كل مصطاف ؟

أما عدد القتلى فما كان أكثره بالأمس ، وما أقله اليوم بالقياس إلى عدد الأمم المشتركة فى الحروب

لقد مات فى حروب جنكيزخان نحو عشرين مليوناً ، واشتركت أمم الأرض فى الحرب الماضية فكان القتلى فيها أقل من تسعة ملايين

ودارت معركة بين الإنجليز والإيقوسيين فى أوائل القرن السادس عشر ، فبلغ القتلى من هؤلاء الأخيرين عشرة آلاف، ولم يكن سكان انجلترا وإيقوسية يومئذ يزيدون على أربعة ملايين

وسر ذلك أن القوة قد اشتدت فى سلاح الفتك وسلاح الوقاية على السواء ؛ فالمدفع الذى يقتل ألفاً تخيفه طيارة يديرها رجل واحد ؛ والأسلحة التى تبذل فيها الأمة ألف مليون يصدها الحصن الذى تبنيه الأمة بمائة مليون ، واللغم الذى يودى بالدرعة العظمى يلقطه وعشرات معه زورق صغير

ولكل شىء آفة من جنسه !

والفضل للعلم الحديث الذى صدم الشر بالشر فوقفا متكافئين ، ولو انطلقا بغير رادع لهلكا متسابقين إلى الهلاك

* * *

فالحق أننا لنتخيل الدنيا وقد احتشد فى جانب منها عشرات الملايين ، وترامت بينهم ألوف الجثث وهم بعيدون من المعقمات التى اخترعها العلم والمطهرات التى صنعها العلم ووسائل العلاج التى استنبطها العلم ، ثم نتخيل ما وراء ذلك من أوبئة وطواعين ، ومن حميات وأدواء ، ومن صرعى لا يجدون القبور ولا القابرين ، فلا يسعنا إلا أن نغضب كما غضب الأستاذ من الحرب ، وإلا أن نثور كما ثار الاستاذ على البناة الآثمين ، ثم نخالفه بعد ذلك فننادى بالعلم جهد ما نستطيع من نداء : مكانك فينا أيها العلم فلا رحمة لنا فى عهد الحصان والسنان ، وإنما الرحمة لنا فى عهد الإعصار والبركان ، ومن يلجم الإعصار والبركان . لأننا

إذا رجعنا كرة أخرى لم نفقد الشر الذى يغرى بالقتال ويغرى بالعدوان ، بل فقدنا الضياء الذى يرينا الشر والخير يتصاولان ويتكافآن ، أو فقدنا شراً يدفع شراً فلا يبغيان ولا ينطلقان

***

أذكر كلمة للعالم الكبير « أوليفر لودج » يقول فيها إن خلقة « الميكروبة » مكسب كبير لعالم الحياة ، فلو فرطت فيه الدنيا لبقيت عند المادة الصماء ، ولم تتجاوزها إلى ما وراءها من عالم الأحياء

وهذا الذى قاله أوليفر لودج حق عظيم

فلو أننا استطعنا أن نتخيل أنفسنا فى مطلع الخليقة ، وأن نتخيلنا مسؤولين : هنا مادة صماء تبقى أبد الآبدين مادة صماء ، وهنا جرثومة حية صغيرة تنمو وتنمو معها الحياة ولكنها لا تؤمن على سائر الأحياء ، ولا بد لها من دواء يطول فيه العناء ، فماذا أنتم مؤثرون يا معشر الخلق بين هذا البلاء وذاك الفناء ؟

هنا يبدو لنا أن خلقة « الميكروبة » مكسب كبير كما قال « أوليفر لودج » الذى يقدس الجرثومة لأنه يقدس الحياة ويقدس الروح

وهنا يبدو لنا أن علاج « الميكروبة » مكسب آخر قد ارتقينا به فى مراتب الفهم والمعرفة وكبحنا به كثيراً من شرور العجز والجهالة

وعلى هذا النحو تقترن المحنة بكل منحة ، ويقترن العناء بكل نماء :

يبكى الطفل حين يولد ، ويمرض حين تنبت له أسنان ، ويختل ميزانه زمناً حين يدرك المراهقة ، ويشقى بالتبعة زمناً حين يخرج من وصاية الأب إلى رشد الرجولة ، ويعطى كلما أخذ مادام مرتقياً فى مراتب الحياة

فمن يدرى ما تشترى « الإنسانية » غداً وقد بذلت الثمن الفادح فى الحرب القادمة ؟

إنها مشترية شيئاً لعله يجمع بين فضيلة الفطرة وفضيلة الحضارة ، وبين مزية الأناة ومزية السرعة ، ولعله أن يفيض على بنى الإنسان طمأنينة الواجد الذى يحمى ما يجد فهى خير من طمأنينة المعدم الذى لا يملك ما يفقد ، وهى حالة يرضاها صديقنا الأستاذ إذا أغضبته الحروب ، أو هى حالة أقرب إلى الإمكان من كرة أخرى إلى عصر الجمل والحصان ، وحرب السيف والسنان

عباس محمود العقاد

في حياتنا الوجدانية (*)

[مهداة إلى الأستاذ عبد المنعم خلاف .. الكاتب الذي أحب عالمه الوجداني]

للأستاذ حسين مروة

ما الكرامة وما الشرف ؟

ما الحرية وما المجد ؟

أسماء فخمة رائعة ، ذات أجنحة سحرية عجيبة ننجذب إليها طائعين مسحورين ، فتحلق بنا في سموات من الخيال موّاجة بالأنوار والألحان والمباهج ...

أسماء ذات أبعاد ضئيلة ، محدودة ، ناقصة ، يكمن في أطوائها سر من الأسرار لا تحده الأبعاد الواسعة ، سرٌّ يُفيضُ الخيرَ على جوانب الحياة كلها ، ويطوف بالنفوس الإنسانية جميعاً فيثير في الضعيف العاجز مجرَّد الحنين واللهفة والألم ، ويحمل القويَّ القادرَ على ركوب الأخطار والأهوال والمكاره ، وقد ينفخ في الضعيف الحي الطموح قوة تكتسح بذورَ الضعف ، وتصرع عواملَ العجز والخنوع والاستسلام ...

ما هي هذه الأشياء الحبيبة للانسان تبهره أضواؤها ومباهجها وتشتدُّ لهفته إليها كلما اقترب منها ، ويتغنى بوجده بها في سره وجهره ، في صحوه وسكره ، في كوخه الوضيع وقصره الرفيع ، سواء أكان غبياً أم ذكياً ، ضعيفاً أم قوياً . أكان بادياً في الصحراء القاحلة ، أم حاضراً في المدينة العامرة ؟ أكان فلاحاً يتصبب عرقه في حقله ، أم عالماً يجرب في مخبره وينقب في كتبه ؟

ما هذا الهوس المحموم يدفع الإنسان ـ أفراداً وجماعات ـ إلى غمرات الموت بين اللظى المستعر والحديد الحاصد ، فيندفع راضياً مستعذباً لقيا الشدائد في سبيل ما يدعوه الكرامة والشرف أو في سبيل الحرية ومجد الأوطان ، لكأنما هو — حين يلقى الشدائد في هذا السبيل — إنما يلقى أحبَّة أعزة في ظلال أمن وارف ودعة ظليلة ناعمة ... ؟

ما هي الكرامة والشرف ؟

وما هي الحرية والمجد ؟

هل هي حقائق ذات قرار في عالم الحس والواقع : العالم الذي نتعرف إلى حقائقه الموجودة بإحدى هذه الأدوات الخمس : العين التي تبصر الألوان والأنوار والظلال ، والأذن التي تسمع الأصوات ، والفم الذي يذوق الطعم ، والأنف الذي يحسُّ الرائحة ، واليد التي تلمس الحرارة والبرودة والخشونة والنعومة ؟

هل الكرامة والشرف ، وهل الحرية والمجد حقيقة من هذه الحقائق المحسوسة في هذا العالم الواقعي الذي لا يعترينا الريب بوجوده ؟

كلا : ليست هي شيئاً من هذا كله ـ كما نعلم جميعاً ـ

أتكون ـ إذن ـ معدومة لا قرار لها في هذا الوجود الواسع ؟
أتكون ـ إذن ـ غارقة في بحر العدم اللانهائي ؟

ولكن : كيف تكون الكرامة والشرف ، والحرية والمجد ـ عدماً من الأعدام وها هي أضواؤها الباهرة تبهر عيون الشعوب الضعيفة والقوية على السواء ، وها هي أنغامها الصارخة تدفع بالإنسانية اليوم إلى المجزرة الهائلة الطاحنة ، وها هي الدماء البريئة تراق على جوانبها ، وقد كانت كذلك من قبل أن يقول الشاعر العربي العظيم :

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى
حتى يراق على جوانبه الدم

وستظل كذلك حتى ينتصب ميزان العدل أمام الديان الأعظم ...

كيف تكون الكرامة والشرف والحرية والمجد عدماً من الأعدام وهي نفسها تلف سبعين مليوناً ونيفاً من العرب بشملة واحدة وهم في رقاع من الأرض متباعدة ؛ وهي : هي نفسها تشد الأواصر وتجمع القرابات ، وتوحد المشاعر بين شعوب العربية على اختلاف الديار والأحوال . وهي نفسها — كذلك — تدفع

(*) مثلت « لجنة الخطابة والتمثيل » في ثانوية الناصرية (العراق) في شهر أبريل الماضي رواية (الاستعباد) للمؤلف المسرحي والممثل المعروف الأستاذ يوسف وهبي ، وهي مسرحية تدور حوادثها في مراكش إبان ثورة الزعيم عبد الكريم الريفي ، وهي تصور جانباً من هنجهية المستعمر ، وجانبا من إباء العربي الضيم ، ومن هذه المناسبة استوحى الكاتب كلمته هذه

يضمه نفر من هؤلاء الشباب المتحمسين إلى المسرح يمثلون — أمام جمهور عربى متحمس — دوراً من أدوار جهاد العرب المقدس فى سبيل الكرامة والشرف وفى سبيل الحرية ومجد الوطن؟

إذن : لا سبيل للشك فى أن هذه المعانى الوجدانية السامية ليست هى من الأشياء الغارقة فى بحر العدم المطلق ، ولا سبيل للشك — إذن — بأنها فى قرار مكين من هذا الوجود

نعم : هى موجودة دون شك ولكن ... ولكن أين يقع محلها فى بحر هذا الوجود الأوسع مادامت لا قرار لها ـ كما قلنا ـ فى عالم الواقع المحسوس ؟

وهنا يبدو لنا سؤال هو مفتاح السر فى هذا الموضوع :

تُرى : أكان الإنسان إنساناً بمجرد هذا الوجود الحسى الواقعى وحده ؟ إذن : فما معنى هذه الإنسانية المتبجحة بأسرارها الخطيرة ؟ ما معنى هذه الإنسانية المفضَّلة — تفضيلاً مطلقاً — على كل شىء وهب نعمة الوجود ؟ ... ما معنى هذه الإنسانية المزهوة بعظمتها إذا كان وجودها قائماً على جانب واحد هو الجانب الحسى الواقعى ، الجانب المادى دون غيره ؟ وأين يمتاز الإنسان ـ إذن ـ عن الحيوان الأعجم إذا كان يشاركه فى هذا الجانب المادى من الوجود ثم لا يزيد شيئاً بعد ذلك ؟

اللهم لا : إن هذا الإنسان العظيم لأرفع شأناً ، وأجل خطراً من أن تكون إنسانيته العظيمة قائمة على وجودها المادى مجرداً ، لا يسنده جانب آخر من جوانب الوجود ... لا : ليس الإنسان كائناً حياً وكفى ... بل إن الإنسان : كائن حى ، أعلى ، فهو إنسان — إذن — لأنه ذو جانبين اثنين يشارك بأحدهما سائر الكائنات الحية فى هذا الوجود ، ويتفرد بالجانب الآخر واقفاً على قمة الهرم : هرم الحياة

فما هو الجانب الآخر الذى يصعد بالإنسان إلى قمة الهرم ؟

هو لون من الوجود أفاضته الطبيعة على هذا الكائن الحى فصار إنساناً ، وصار الإنسان سيد الوجود على الإطلاق

هو لون من الوجود غريب يأبى التعريف والتحديد ، لأنه يسمو فوق الحدود وفوق القيود ، وإنما نعرفه بمظاهره وآثاره ليس غير

هو الآية الكبرى من آيات الطبيعة جاءت بها لتقيم البرهان على عظمة الخلق والإبداع الإلهى

هو الكوة التى يطل منها الأنبياء والمصلحون على الناس لينفذوا عليهم أنوار الإيمان والفضيلة والرحمة والعدالة فتتفتح له عيون ، وتعشو منه عيون ...

هو المنظار السحرى العجيب الذى يتطلع منه الشعراء ، والفنانون الملهمون إلى الوجود ، فيكشف لهم أسرار الوجود وخفاياه ، ويلون لهم الحياة بألوان من الجمال وألوان من القبح ، ويصور لهم الناس صوراً من الملائكة وصوراً من الشياطين ، ويخلق لهم عالماً من السعادة يموج بالعطر والنغم ، أو عالماً من الشقاء تفح فيه الأفاعى ، وتضرى الذئاب ...

هو مصباح الفلاسفة والمثاليين يدورون به فى مجاهل الكون وخباياه يبحثون عن الحقائق الكلية المطلقة ، ويتغلغلون به إلى مكامن السر المحجب يستكنهون معنى الإرادة العليا فيما وراء المحسوس ، أو يسيرون به على الأرض فى دنيا المطامع والشهوات يبشرون برسالة الحق والخير والجمال الأسمى

هو العالم الجميل الذى يعيش به المحبون فى سبحات من النور تصور لهم كل لمحة من جمال الطبيعة معنى من معانى الحبيبة أو الحبيب

ذلك هو عالم الخيال والذهن والإدراك ، أو هو عالم «الوجدان» كما يسميه العلم

فللانسان ـ إذن ـ وجودان لا وجود واحد : هما الوجود الواقعى المحسوس ، والوجود الذهنى غير المحسوس ، أو فلنقل : إن للانسان حياتين : حياة مادية ، وحياة وجدانية ، وكلما كانت حياته الوجدانية أوسع أفقاً ، وأكثر إشراقاً — كان أقرب إلى الإنسانية الصحيحة أو كان أقرب إلى معنى الكمال الإنسانى وكلما ضاق به أفق الحياة الوجدانية ونظر إلى دنياه من نافذة الحياة المادية وحدها — كان أبعدَ ما يكون عن الحقيقة الإنسانية بمفهومها الأعلى ، وأقرب ما يكون إلى حقيقة هذا الحيوان الأعجم يشاركه كل المشاركة فى ماديته العمياء المجردة ، بل قد يفضله الحيوان الأعجم فى هذه الناحية المشتركة

وشعور الإنسان بالكرامة والشرف ، وشوقه إلى الحرية

والمجد — هما المظهر الأسمى لإنسانيته الصحيحة ، لأن الشعور بالكرامة والشرف ، والشوق إلى الحرية والمجد — هما أقوى مظاهر الحياة الوجدانية ، وأدل على خصب الخيال ، وسعة آفاق الذهن ، وغزارة ينبوع الجمال النفسي ، وقوة إشعاع الروح — هذه الأمور التي تنبع رأساً من دنيا الوجدان في حياة هذا الكائن الحي الأعلى ... الإنسان

ولا فرق في هذا كله بين شعور الإنسان بكرامة نفسه وشرفها ، وشوقه إلى حريتها ومجدها ، وبين شعوره بكرامة قومه وشرفهم ، وشوقه إلى حرية أوطانه ومجدها ، بل : لعل هذين أمران متلازمان لا ينفكان كما يبدو لدى النظر العميق

وعلى ضوء هذا التحليل الصادق نعتبر الأمة العربية في مقدمة أمم العالم رسوخاً في الحياة الوجدانية السامية ، لأن تاريخها المجيد طافح بآثار قوة الشعور بالكرامة والشرف ، وشدة الظمأ إلى الحرية والمجد ، وأيامها التاريخية اللامعة حافلة بالأمثال العالية لحب الكرامة والشرف ، وحب الحرية والمجد إلى حدود الغلو ، وهي حافلة كذلك بالشواهد العجيبة على التضحية والفداء في سبيل هذه المعاني الوجدانية سواء في الماضي والحاضر ، وستكون للعرب مثل هذه الشواهد والأمثال في المستقبل — كذلك — حتى ينقذوا كرامتهم من الهوان ، وشرفهم من الامتهان ، وحتى يدركوا حريتهم الغالية السليب ، ويؤثلوا مجدهم الرفيع الذي كاد يصبح خبراً من أخبار الغابرين الداثرين .

(العراق) حسين مروه

إلى أين ... ؟

للأستاذ محمود محمد شاكر

— ٢ —

قال صاحبي بعد قليل من سكتة صفير الإنذار بالغارة الجوية :

الآن وقد صم صدى هذا النذير البغيض ، ومات صوت البومة الدميمة التي قامت تنعق على الوضع الخراب من عقل هذا العالم ، فأسرعت الأيدي وتناهضت الأقدام ، وخفت الأحياء ليطمروا أشلاء النهار التي كانت مبعثرة في طرقهم وبيوتهم على معركة الليل البهيم ، إنهم يدفنون هذه الأشلاء الوهاجة خشية أن تراها عيون العافية من سباع الجو المنقضة بأنياب كرجوم الشياطين . آه ياصديقي ! ما أقبح هذا وما أفجره. ولكن دعني من هذا ، فالآن أعود إليك

لقد مثلت لك بعض صورتها هي وبعض صورته عند أول اللقاء . لم أكشف لك بعد عن حقيقة النفسين وهما تمتلان بأسباب من القدر ، إن هذه الأسباب التي لا ندري متى أولها ، قد أخذت تلتوي عليهما فيما يستقبلان من أيامهما ، وثمت بدأ الإشكال ، وتراكبت العقد الجديدة على تلك العقدة القديمة التي التبست عليهما في الطفولة ، فلست أدري ، ولا هما أيضاً يدريان ، إلى أين المصير !

لمحها ولمحته في يوم اللقاء الأول ، فوقفا طويلاً ينظران . وشخص البصر وكفت العين لا تطرف ، وكأن العين قد أرسلت إلى العين رسلاً من أشعتها لتبحث في أعماقها عن معانيها الحائرة التي لم يستقر بعد على قرار مؤمن ، تتبين فيه كلتاهما صورة كلتاهما القلبية التي تنبض في موج الدم

أما هو ، فقد أخذه ما يأخذ الغريق الشفى على هاوية من الهلاك الرطب الندي ، ثم يفتح عينيه ، فإذا هو ملقى على الشاطئ قد انتشلته من فزع الردى نجاة برحمة من روح الله . ولكنه لا يدري من الذي رده إلى الحياة بعد ملابسة الموت ؟ ولا كيف كان ؟ ولا أين هو ؟ ولا أي مكان هذا ؟ ...

وأما هي ، فقد أنكرته بادئ اللحظة ، ثم انكشف لعينيها الحجاب الكثيف الذي أرخاه الدهر الماضي بين أيامها وأيامه ... لقد عرفته وأثبتته معرفة ، فأقبلت عليه تندفع بقوة الرد المتفلت من شد عشرين عاماً كانت تجاذبها دونه :

أنتَ ، أنت ! ! أين كنت ؟ !

آه ، لقد نسيَ المسكين عندئذ أين كان ! إنه هنا ... ! أليس هذا كافياً ؟ أليس هو كل شيء؟ ... أما الماضي ، أما الحياة التي عملت في بنيانه أعواماً طوالاً كلها جهد وإرهاق ... ، كل ذلك ذهب وباد وامحى ، وكأن اليد التي تمحو ما تشاء وتثبت في تاريخ الإنسان ، قد أمرت صفحتها على رقمة أيامه الماضية فغسلتها وطهرتها من سوادها ، وردت إليه وإليها صحيفة أيامه بيضاء نقية قد تهيأت أن ينمنم فيها القدر تاريخه الجديد ... أجل ! كان هذا هو الإنذار الأول من القدر لهذا المسكين أنه سينسى معها كل تجاريبه في الحياة ، وأنها هي التي ستكتب له هذا التاريخ الجديد من القدر خيره وشره

ومضت الأيام الأولى بعد هذا اللقاء البغت على ذكرى حاضرة تصارع وحوش الماضي التي وطئت بأقدامها عهود الصغر وملاعب الطفولة فطمست معالمها ومحت بعض آياتها . جعلت هي تتكلم ، وكأنها ذاكرة التاريخ الواعية التي لا تكاد تفلت شيئاً إلا أحصت دقيقة وجليلة . حدثته وذكرته وأعادت عليه زُخرُفَ الصِّبا ووشيه من نسج حديثها ، أما هو فبقي صامتاً ينصت لها خاشعاً ضارعاً يسمع صدى الماضي الذي يتكلم في سراديب النفس العميقة الممتدة الذاهبة بأساليبها الغامضة في أقصى غيب الحياة

كيف تدب الحياة في أشياء الطبيعة التي تخيل للناس أوهامهم أنها موات ؟ كيف تستيقظ الأرواح النائمة في غار مظلم قد أطبقت على منافذه صخور صم من جبال الزمن ؟ كيف تستقبل النفس — التي أحرقها الظمأ المتضرم — شؤبوباً من الغيث يهمي عليها بارداً عذباً زلالاً سائغاً يترقرق ؟ كيف وكيف ؟ لقد عرف هو كيف يكون ذلك كله حين تكلمت روحها في ثنايا روحه المتغضنة بأحزانها ، وحين أخذت تناجيه بالذكرى ... ، ويتحدر في صوتها ذلك اللحن الخالد الذي يتحدر مع الغيث من السماء يناجي الأرض الظامئة المقشعرة المجدبة ، فكذلك تهتز وتربو على مد أنغامه التي تفجر في ذرات الثرى كل ينابيع الحياة

واستجاشت هذه الساحرة الجميلة التى خرجت عليه من لفائف الغيب المحجب تلك النفس المصممة المنيدة فما زالت حتى انقشعت الغمامة الغبية التى كانت تحيط بنفسه عمراً من قبل . إنه الساعة يسمع ويرى ويحس ، ويتغلغل فى الحياة بيأس شديد . لا ، بل كان فى أول أمره هذا مضطرباً حائراً يذور بقوته حيث دارت به على غير هدى ولا صراط ، كان ربمـا خلا فاستوحش فارتاع ، فيحتمل كل أعباء الهم الذى يجده فى نفسه ، فيخرج يضرب فى البيداء المقفرة البيضاء فى مدا البصر ، حيث لا يرى إلا صفاء السماء وبحر الرمل الساكن فى مهاد الأرض ... ، حيث لا يسمع إلا حنين الرياح ونجوى أشواقها الأزلية فى المهمه القذف . يمشى ثم يمشى حيث يتصرف به القدر الغالب ، وهو لا يسمع مع ذلك إلا أنغام صوتها من حوله يتردد : أنت ، أنت ! ! أين كنت ؟

اشتمل القلب وفارت الروح ، فانطلق بعد الحيرة والضلال فى طريق سوى مؤيداً بهذه الروح القوية التى سيطرت على كل روحه بالحب والحنان ، ومضى يعمل لها وبأسبابها نافذاً مقدماً لا يعلى . ولـكن سمعه لم يزل على حالة من الإصغاء ثابتة ، كأنها إغماء أخذه كما تأخذ غمية الوحى إذا نزل فاشتد فاستبان ، ثم تنحدر رنات صوتها إلى قلبه فتجرى فى أنهار الحياة المتدفقة فى جثمانه بدمه ، فيرجع الدم ألحانها ترجيعاً موسيقياً هفافاً آتياً من أغوار القدر العميقة . نعم ، إنه لا يزال يسمع فى مخارم نفسه ومهاويها صدًى يتردد :

أنت ، أنت ! ! أين كنت ؟

فتجيبها الروح من أعماقها :

أنا هنا ، أنا هنا ! ! أيتها العزيزة !

***

هكذا بدأ بدؤه وقد نام كل ما فيه وخضع لسلطانها الذى لا ينتهى ولا يفتر ، ثم دبّت فى روحه اليقظة الجديدة فتجددت النفس المتغضنة ورقّ شبابها ، واستجمت قواها الشاردة بعد فترة كإغفاءة النائم فى أنفاس الفجر الندى المتروّح بعطر الرياض النضرة . ولـكنه عاد ــ بعدئذ ــ برجولته يتوحش ، فارتدّ إليه حذره الوحشى يتوجس خيفة ، وأخذه بذلك الرعب من كل مكان أين أنا ؟ وكيف كان هذا ؟ ولم خضعت ؟ وإلى أين أسير ؟ كل هذه أسئلة جعل صداها يتردد فى نفسه ، ثم يلقيها على الدهر الأصم ، فلا يجد جوابها جيماً ولا تأويلها . ويومئذ جعل يصول صيال الوحش يريد أن يجد الفيل المفقرد الذى يفرض فيه سلطانه على جوه وغابه ... ولكن وارحمتا له ! لقد حق ما قلت يا صديق : المسألة كلها قدر محتوم ! رفعت الأقلام وجفت الـكتب !

أرأيت إلى ما وصفت لك من أول ما تلاقيا ؟ أرأيت إلى ذلك الوحش الآبد الحذر الذى لا يألف الحياة ولا هى تألفه ؟ أرأيت إلى تلك الفكرة الباذخة المعضلة التى تأبى أن تذلّ أو تهتضم ؟ أرأيت إلى البركان المتقلع فى عنفوان فورته ؟ كل ذلك قد استحال بين يديها ، وتحت أشعة عينيها ، وفى مس أنفاسها ، شيئاً غير هذا كله . فـكل ما توحش منه فهو عندها يألف وادعاً يلوذ بها خاشعاً متضرعاً ، وكل ما بذخ وسما وتمضّل فهو يتطامل لها ويرق ويتلين ، وكل ما تقصف منه وفار وغلى فهو ينساب إليها صبابة وحنيناً ولوعة

***

وعندئذ سكت صاحبى بغتة كأن لسانه قد عقد عقداً على ألفاظه ، ثم تنهد واحدة كأنما انهدّ بها ركن من جبله القائم فى ضمير نفسه . ورمى ببصره فى هـذا الركام المتكاثف بعضه على بعض من ظلام الليل . لم أرد أن أستثيره من هدأته التى يستريح إليها بعد هذا الجهد الهائل الذى كان يتدفق به فى حديثه . لقد كان يعانى من هذا الحديث أشد مما يعانى الهارب السائر فى وحشة الليل الصامت فى غول الصحراء ، وهو هائم على وجهه تطارده من ورائه شياطين العذاب التى تريد أن تنتشطه إليها بخطاطيف هائلة من الرعب والفزع

كنت أرق له وآسى عليه ، ويمنعنى من الحديث معه مخافتى أن يكون ذلك مما يصرفه عن بعض الفكر الذى يتعذب به وبوساوسه وخطراته . نعم ، إنه عذاب عقلى أليم ، ولـكنه على ذلك مما يعطى النفس بعض راحتها من عذاب الشك والقلق والحيرة والحياة كلها صروف متعاقبة يراد بها السمو بالنفس على وجه من وجوه الألم . والألم وحده هو الذى يستطيع أن يصقل النفس

الإنسانية صقلاً رائعاً ، وبذلك يرد إليها حقيقة الإيمان المشرقة بالاطمئنان والتسليم . إنه حائر يشك في حقيقة ما يقع عليه فكره ولكن هذا الألم الذي يصارعه صراعاً عنيفاً لا رحمة فيه ، هو نفسه الرحمة المهداة إليه ، ليؤمن بعد ذلك إيماناً لا يداخله شيء من الشك أن قلبه لم يخطىء ، وأن أفكاره القلقة هي التي تخطىء وأنه ينبغي أن تقيد أفكار العقل الحائر بأغلال متينة من أفكار القلب المؤمن

وتضربت في همسات الليل أفكاري فيه ، وجعلت أستعيد في نفسي كل ما قاله لأرى من تحته المعاني التي تتهارب وتختنق بطبيعتها في ظل الألفاظ اللغوية المحدودة بمعانيها . كنت حائراً في فهم هذا الصديق الذي يحدثني عن صديقه ، وما صديقه إلا هو وكنت ألمح هذا الجبل وهو يتخلع من أعضاده التي ينهض عليها ثابتاً قارّاً متسامياً يهزأ بالتلال القصيرة التي تطمح إليه بأبصارها ، وجالت في نفسي أفكار وأسئلة لا جواب لها . يارب ! أهكذا يضمحل الرجل ؟ وارتفع صوتي بهذا السؤال غير متعمد لذلك . فما هو إلا أن هبّ صاحبي من غفوة الفكر التي غشيته ، فابتدرني يقول :

نعم ، هكذا يضمحل الرجل ! وما تريد أنت إلى ذلك ؟ إنك دائماً تفجؤني بتمثال يتكلم بأفكاري التي أتكلم بها في غيب نفسي أي شيء هو الرجل ؟ هل تستطيع أنت أو من سواك أن يقرر للعقل حقيقة الرجل ، وأن يمّهد لفكرته أصلاً لا يزول ، فإن يخرج عنهما أو عن أحدهما اختفى في العقل أن يكون رجلاً حق رجل ؟ هذا هو الغرور الذي يتهاوى فيه الناس ما داموا ناساً يزِني بعضهم على بعض ، فطرة ركبت في سر طبائعهم . إن هذا ليس اضمحلالاً وضعفاً بالمعنى الذي تتوهم ، إنه ليس من قوة في الطبيعة إلا وفوقها قوة تحكمها وتصرفها ، وخضوع قوة لقوة أعضل منها ليس يعرف ضعفاً فيمن يخضع ، وإنما هو القانون الطبيعي الذي يستقيم به نظام العالم . إنه لا يقال للدوحة الفينانة العظيمة : أيتها المسكينة ، لماذا تخضعين لسلطان الفصل الذي تساقط به أوراقك ؟ أو لماذا هذا الحنين الدائب إلى قطرات من الغيث ، وهذا الجبل أمامك يسفح عليه ماء السيل ثم ينقطع أعواماً فلا يظمأ إليه فيحن كمثل حنينك إلى قطرات من الماء انقطعت بضعة أشهر ؟ هذه طبيعة الدوحة ، فإذا انقلبت طبيعتها إلى غير هذا الناموس قتلها الظمأ وتركها حطباً يابساً لمن يستوقد

آه أيها الصديق ! إنك لن تعرف الحقيقة حتى تستشعر قوة الآلام الملتهبة التي تترك الرجل يتزايل على الشوق والوجد واللوعة كما يتزايل جبل من الفولاذ قد تجوفته نار متضرمة من لهب جهنم . أبغني قليلاً من الماء ثم أحدثك كيف اضمحل الرجل !

(لها تتمة) محمود محمد شاكر

في سبيل الأزهر أيضاً

فتوى ... وفتوى ...

للأستاذ محمد محمد المدنى

المدرس بكلية الشريعة

لست أدرى : أيغفر لى قراء « الرسالة » الغراء أن أعود بهم مرة ثانية إلى « فائدة الأربعاء » بعد أن كتبت فيها مقالى الأول[1] ؟

« وفائدة الأربعاء » فى نفسها لا تستحق شيئاً من العناية ، ولا تستحق أن نشغل بها قراء « الرسالة » فى الحين بعد الحين ؛ وإنما أعود إليها لأنها تمثل ناحية من نواحى التفكير فى الأزهر ، نبغى أن يتناولها الإصلاح ، وأن تمحى منها العقول والأفكار ! وقد جدَّ فى شأن هذه الفائدة جديد ، ومن حق قراء « الرسالة » أن يطلعوا على هذا الجديد ، ليتابعوا دعوة الإصلاح فى كل خطوة من خطواتها ، ويدركوا كل طور من أطوارها !

كان حديثنا الماضى عن « فائدة الأربعاء » تسجيلاً لفتوى غريبة أصدرها عالم جليل من جماعة كبار العلماء ، وقرر فيها : « أن فائدة الأربعاء جائزة لا شك فيها ، بل هى مرجوة البركة ، وليس فيها إلا عدة أمور بعضها جائز وبعضها مندوب إليه ، وأن من يكذب بشىء منها ، فهو منكر أو جاهل بما ورد فى الدين من المتواترات ... الخ »

ولم نشأ يومئذ أن نعلق على هذه الفتوى التى كنا أول من لفت الأنظار إليها ودل على مواطن الخطأ فيها ، ولكننا اقتصرنا على أن نسجل منها « بعض الظواهر » ، ونستجلى « بعض الغوامض » ، ثم طلبنا من فضيلة الأستاذ العلامة الشيخ عبد المجيد سليم مفتى الديار المصرية أن يُدلى إلى الناس برأيه فيها ، وقد علمنا أن فضيلة الأستاذ الكبير قد اهتم بالأمر ، وأن فتواه فيه على وشك الصدور إن لم تكن قد صدرت بالفعل قبل أن يصدر هذا العدد من الرسالة

(١) عدد ٣٥٩ من الرسالة

ولكن فتوى أخرى فى الموضوع قد صدرت فعلا ، من جهة لها قيمتها العلمية ومكانتها الرسمية ، تلك الجهة هى « لجنة الفتوى بالأزهر » ؛ التى تتألف من علماء كبار يمثلون المذاهب الأربعة ، بينهم اثنان من جماعة كبار العلماء : هما فضيلة الأستاذ الكبير ، وكيل الجامع الأزهر ، وفضيلة الأستاذ المحقق شيخ السادة المالكية ، وبينهم أيضاً مفتشان رسميان يقومان بمهمة التوجيه العلمى والإشراف الفنى ، فى جميع المعاهد الدينية التابعة للأزهر ، وقد أصدرت اللجنة فتواها « بالإجماع » الصحيح ، الذى هو نتيجة اجتماع فى مكان واحد ، وتشاور ونقاش ومراجعة وإقناع واقتناع شأن المؤتمرات العلمية التى يُطمأن إلى إجماعها ، ويؤخذ به !

ونحن نضع هذه الفتوى بين يدى القراء ، قبل أن نعقب بما نريد . قالت اللجنة — بعد أن ساقت نص الاستفتاء ، وهو لا يخرج عما أثبتناه فى مقالنا الأول — ما يأتى :

« هذه الفائدة — وإن احتوت على صلاة ، وقراءة قرآن ، ودعاء — قد حدد لها ولأجزائها التى تركبت منها زمان ومكان ، والتزمت فيها كيفية معينة : يتجه صاحب الحاجة إلى ضريح معين ، ويقرأ فيه سورة يس بالنية التى يريدها ، ثم يمشى فى طريق ضريح آخر ، حتى يصل إلى مكان مخصوص بين الضريحين ، فيصلى فيه ركعتين وهو حاسر الرأس ، ثم يمسك عمامته بإحدى يديه ، وحذاءه تحت إبطه ، ويتمم شوطه إلى الضريح المقصود ، وهو على هذه الحالة ، ثم يدعو هناك بدعاء خاص ، يتوسل فيه بالأنبياء ، وبسيدنا آدم وحواء وصاحب الضريح الثانى ، وقد اقترنت هذه العملية فى نفوس الناس باعتقاد أنها إذا أديت على هذا الوجه كانت مرجوة النفع ، وإذا لم تؤد على هذا الوجه لم يكن لها الأثر المطلوب

وهذه العملية بما قارنها من هذه العقيدة ، وبما فيها من الترتيب والالتزامات المذكورة ، لم يرد بها كتاب ولا سنة ولا يشهد بها أصل صحيح ، وذلك فضلاً عما يصحبها من مظهر لا يتفق وجلال الدين ، وروعة العبادة ، فهى بدعة منكرة . وإن الابتداع فى الدين كما يكون بأحداث عبادة لا أصل لها ، يكون بتحديد زمان

أو مكان أو كيفية للعبادة التي شرع أصلها ، فما جعل الشارع له كيفية خاصة ، أو حدد له زماناً أو مكاناً كصلاة الجمعة والاستسقاء والحج وجب اتباعه فيما حدده ، وما لم يحدد له شيئاً من ذلك ، كالنوافل المطلقة كان التحديد فيه ابتداعاً وإحداثاً في الدين ، لا يصح عمله ولا ينبغي اعتقاده . أما قراءة القرآن ، وصلاة النافلة والتضرع إلى الله في المهمات والكرب من غير التزام شيء مما ذكر ، ومع مراعاة الآداب الشرعية ، فهي أمور ندب إليها الشرع الشريف ، وصحت فيها الأحاديث

واللجنة تنصح للمسلمين أن يلتزموا في عقائدهم ، وعباداتهم ، وتضرعاتهم إلى الله حدود ما شرع الله ، وألا يزيدوا من عند أنفسهم شيئاً من كيفية أو التزام زمان أو مكان ، فإن ذلك أسلم لدينهم ، وأبعد من مقت الله وغضبه « تلك حدود الله فلا تعتدوها ، ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون » والله أعلم

* * *

هذه هي الفتوى الرسمية التي أصدرتها اللجنة الأزهرية وانعقد عليها إجماعها الصحيح ، وهي تناقض الفتوى الأولى التي أصدرها أحد أعضاء جماعة كبار العلماء مناقضة صريحة من وجوه :

١ — الشيخ يقرر أن « فائدة الأربعاء » جائزة لا شك فيها بل هي مرجوة البركة ، واللجنة تقرر أنها بدعة منكرة ، لم يرد بها كتاب ولا سنة ولا يشهد بها أصل صحيح

٢ — الشيخ يستدل على ما يقرر بأن هذه الفائدة مركبة من أشياء بعضها جائز وبعضها مندوب إليه ، وما كان كذلك فهو جائز شرعاً ، واللجنة تخالفه لهذا السبب نفسه ، وتقرر أن الابتداع في الدين كما يكون بإحداث عبادة لا أصل لها يكون بتحديد زمان أو مكان أو كيفية للعبادة التي شرع أصلها ، وأن هذا التحديد ابتداع وإحداث في الدين ، لا يصح عمله ، ولا ينبغي اعتقاده

٣ — الشيخ ينصح المسلمين والعلماء خاصة بعدم معارضة هذه الفائدة وأمثالها مما ألف أن يدافع عنه ، ويحض عليه ، وأن يلتفتوا إلى محاربة المنكرات المجمع عليها التي تركت حتى صارت كما يقول الشيخ « سبهللاً ! » واللجنة تنصح المسلمين أن يلتزموا في عقائدهم وعباداتهم حدود ما شرع الله ، وألا يزيدوا من عند أنفسهم شيئاً من كيفية أو التزام زمان أو مكان ، وإلا كانوا داخلين في قوله تعالى : « ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون »

وقد قلت من قبل مثل ما قالته اللجنة ، ونبهت إلى مواطن الخطأ في فتوى الشيخ الكبير ، فبماذا استقبل الجامدون قولي ؟ لقد هاجت منهم هوائج ، وثارت نفوس ما عرفت الثورة في حياتها لشيء قط ، واهتزت لذلك أيد ، وتزلزلت أقدام : قالوا : ما لهذا العالم الحدث يعرض للكبار من شيوخه ، ويتحدى علمهم ؟ وقالوا : ما أخطأ الشيخ الكبير ، ولكن أخطأ العالم الصغير ! وقالوا : لا تصبروا على هذا الغلام الخف فيكبر أمره ، ويستدرج الناس إلى شر يصيبكم عظيم ، ثم هموا بما لم ينالوا وكف الله أيديهم وقذف في قلوبهم الرعب ، وكان الله بما يعملون بصيراً !

وأنا أريد الآن أن أقولها كلمة صريحة خالصة ، لا أريد بها إلا وجه الله ، ولا أبتغي بها مصلحة إلا مصلحة العلم والعقل والدين ، ولا أصدر فيها عن روح إلا روح الإخلاص للأزهر الذي يحمل لواء الشريعة المطهرة ، بين متربصين به ، حاقدين عليه مترقبين أن ينكل عما يحمل فيتلقفوه من دونه

يا قوم : إن جماعة كبار العلماء هي « أكاديمية العلوم والمعارف الإسلامية » ، فإذا اختلف أعضاؤها هذا الاختلاف ، وكانوا في الشيء الواحد على « طرفي نقيض » دل ذلك من غير شك على فساد ، ودل ذلك على اضطراب ، ودل على أن الموازين والمقاييس التي يحملها بعض الناس في أيديهم ، ليزنوا بها ما حرم الله وما أحل ، ويقيسوا عليها الكفر والفسوق والإيمان ، موازين أقل ما يقال في شأنها : إنها تنقصها الدقة ، وتحتاج إلى « الضبط الصحيح » !

إن « فائدة الأربعاء » قد وزنت بميزانين ، تمسك بكليهما أيد من جماعة كبار العلماء ، فسجل أحد الميزانين إيجاباً مطلقاً وسجل الثاني سلباً مطلقاً ، وقد سمعنا من شيوخنا المنطقيين أن السلب المطلق والإيجاب المطلق لا يجتمعان في مادة واحدة ، فلا بد إذاً أن يكون أحد الميزانين مختلاً ، فنحن باسم العلم والدين

حركات الإصلاح الإسلامية

٣ – أزمة إســــلامية

للدكتور علي حسن عبد القادر
دكتور في الفلسفة والعلوم الاسلامية من جامعة برلين
ومدرس بكلية الشريعة

تقوم على قمة حركات الإصلاح الحديثة شخصية ليس لها في الواقع دخل أو اتصال مباشر بالحركة الوهابية التي أسلفنا الكلام عنها ، وقد وصف هــذه الشخصية بحق جولد زيهر « بأنها صورة غريبة ظهرت في الإسلام أثناء القرن التاسع عشر » . ذلك هو جمال الدين الأفغاني (١٨٣٨ — ١٨٥٧) « الذي كان فيلسوفاً ، أديباً ، خطيباً ، صحافيًّا ، وفوق هــذا كله كان ... سياسيًّا »(١) والذي قال عنه براون في كتابه الثورة الفارسية : « بأنه أثر خالد باق على الأجيال »(٢)

ولقد رحل جمال الدين من أفغانستان وجاب العالم الإسلامي وأوربة ؛ بل ومن الممكن أيضاً أن يكون قد جاب بلاد أمريكا !

(١) دائرة المعارف الاسلامية جزء ١ ص ١٠٥٢ . وراجع أيضاً كتاب الخلافة للدكتور السنهوري بك La Cabhot. P. 506

(٢) E. J. Broune, The Persian Revolution

نطلب أن يصادر الميزان المختل ، وأن يحجر على الناس استعماله ، وندعو « جماعة كبار العلماء » أن تصطلح على ميزان صحيح مضبوط ، من كتاب الله وسنة رسوله « وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان ! »

ولــكن عفوا فقد نسيت ! نسيت إني عالم صغير ، ولا يجوز أن يتطاول الصغير إلى مقام الكبير ! . فهل من عالم كبير يحمل عنى لواء هذه الدعوة فيأخذها بقوة ، ويأمر قومه أن يأخذوا بأحسنها ، قبل أن تأخذنا الأحداث ، وتأتينا سنة الله في النافلين ؟!

« ربنا ظلمنا أنفسنا ، وإن لم تغفر لنا وترحمنــا لنكونن من الخاسرين »

محمد المدني

وهو يعتبر – بدون شك – أباً لأفكار الجامعة الإسلامية : Panislamamische Jedanken على ألا نخلط بين أغراض هذه الجامعة وبين ما كان يحاوله عبد الحميد من انقلاب في السياسة العملية . ومن الحق أن نقول : إنه كان أول من دعا إلى اتحاد ساسة للمسلمين في وجه أطماع الغرب . ولكنه كان مع ذلك يحس في قرارة نفسه بالحاجة الماسة لبناء جديد من العالم الإسلامي تدخل فيه عناصر حرة ، ويقطع ما بينه وبين التقاليد الموروثة من صلات وأواصر . ونظراً إلى أن جمال الدين الأفغاني كان ذا نزعة صحافية ، وكانت له وجهة نظر سياسية في الغالب تؤثر فيه ، ونظراً إلى أنه لم يكتب كثيراً ، فإنه من الصعب أن نحقق تأثير هــذه الشخصية الهائلة فيمن حولها . ورغماً مما أثاره في الغرب من ضجيج(١) ، فإنه من الصعب أن نستشف دخيلة نفسه ولن يحصل هذا أيضاً ، فإننا لا نعرف من أين جاءته هذه الدوافع . بل إنه لم تصلنا تأثيراته في شكل محدد لأن تأثيره كان في الغالب في ثوب المعلم والمحرك أكثر مما هو في ثوب الكاتب ؛ ولهذا فإنه من الخير لنا أن نحكم على الثمار التي نضجت على يديه . وهنا يثبت لنا أنه يرجع إليه الفضل في تلاميذه الذين هم كبار رجال الإصلاح وذوو اليد الطولى فيه وهم يشكرون له كل ما عندهم من خير

وعند ظهور جمال الدين الأفغاني كانت تتردد في الهند بعض أصوات ، ويدور القول حول إصلاحات آخذة في النهوض في وجهات وأشكال مختلفة ، ولكنا لا نعرف بالدقة مدى ارتباط جمال الدين بيده هذه الحركة في الهند وهل كان له فيها يد أو كان الأمر بالعكس ، فهما من ناحية التأثير يتلاقيان معاً عند خطر واحد ، وفي العصر الحاضر مع هذا يعتبر جمال الدين عند الشباب في الهند المهد العظيم للطريق

وكانت تربة الهند في أوائل القرن التاسع عشر قد مهدت من ناحية تأثرها قليلاً أو كثيراً بالوهابية العربية ، وكانت الحال في الحقيقة تبدو متفقة معها ، ولو أن شكل الحركة الوهابية الشعبية

(١) راجع على الأخص محاورات رينان في ختام كتاب (الاسلام والعلم) R. l'Islamisme et La Science

المتحنثة لم تكن هى التى غذّت الحركة الهندية الإصلاحية فى روحها فإن حركة التجديد فى الهند صدرت عن طبقة غير متفقهة تثقيفاً عالياً ، وكل ما هنالك أن هـذا التقابل بين هذه الحركة والحركة الوهابية يمكن أن تشرحه وتفسره هذه اليقظة التى جاءت من تلك الهزة العنيفة التى صدرت من المركز الإسلامى بالبلاد العربية

وقد ظهرت حركة الإصلاح فى الهند للعيان فى شكل حركة عقلية على رجال مثل سيد احمد خان مؤسس مدرسة عليكره (المتوفى سنة ١٨٩٨) قديماً، ومن أمثال أمير على وخودا باخشا حديثاً ، وقد تأثر هؤلاء الهنود تأثراً عميقاً بما هو ظاهر ملموس فى وطنهم على الأخص من تأخر المسلمين وما أصيبوا به من ضرر بالغ من جراء جمودهم إزاء المدنية الحديثة ، وهم على العموم — مخالفون فى هذا رجال الدين — لم يندفعوا بدافع سياسى ، بل أنهم اعتبروا خضوع الهند للانجليز أمراً ضرورياً وأمراً مرغوباً فيه لذلك ؛ كما أن حركتهم لم تصدر أولاً وبالذات عن أفكار دينيه اقتنعوا بها . وكل ما هناك أنهم عرفوا الثقافة الغربية واتصلوا بها ، فقاموا بحركتهم تحت تأثير تأخر المسلمين . وإنهم كمسلمين محبين للاسلام — كما أحسوا — كانوا يرون أن الإسلام الصحيح الخالص لا يقف فى طريق الثقافة الحديثة بأى شكل ، وأنه فى الأصل هو الدين الوحيد صديق العلم والتقدم . وعنوا « الإسـلام الصحيح » ولم ينكروا أن الإسلام على ما هو عليه فى الوقت الحاضر فيه ما يجانب الإصلاح .

وقد جاء هـذا كما قالوا من أن البحث المستقل فى مراجع الدين الأصلية — يمنون الاجتهاد — غير جائز ، وأن الناس خاضعون للتقليد الأعمى من جراء الإجماع الذى طغى على الإحساس وجعل الفقه جامداً مقيداً، وأن أفكار المتأخرين سويت بتعاليم الرسول[1] ، وقد رفضوا الأخذ بأحاديث كثيرة وتمسكوا بشدة بالقرآن الكريم

وقد اعتقد المصلحون بالهند — وليس ذلك بصحيح دائماً من الناحية التاريخية — بالمعتزلة الذين صوروهم بأنهم المفكرون الأحرار واتخذوهم كمثل عليا فى التجديد . وسموا أنفسهم أحياناً بطيبة خاطر « بالمعتزلة الحديثة » لأنه فيهم قد ظهرت إلى الحياة أغراض هذه الفرقة الإسلامية الحرة وجودها

ويظهر من طبيعة الأشياء أنهم أخذوا تعاليم من طريقة هذه المدرسة القديمة مما لم يفكر فيه بعد فمن هذا فكرة « تطور الفقه » التاريخية « فهم — أى المعتزلة — يرون بالنسبة للأعمال الإنسانية أنه لا يوجد قانون دائم وإن النظام الإلهى الذى ينظم سلوك الإنسان نتيجة للتقدم والتطور ، وأن الله نظم أوامره ونواهيه فى شكل متدرج متطور من القانون »[1] ، وقد بحثوا باجتهاد وذكاء فى شرح المعانى والأغراض فى القرآن والحديث الذى يستعملونه إذا خالف ذلك أفكارهم فى سبيل التدليل على أن الإسـلام الصحيح يحض على العناية بالعلم بلا قيد ولا شرط ولا يخالف نتائجه ، وهنا أظهروا حقاً صورة الاسلام كمثل أعلى .

على أن هذه الطريقة التى استعملها رجال الإصلاح وإن كانت لا تقوى أحياناً على النقد التاريخى ، فإنه مما يستحق التقدير حقاً كفاح هؤلاء الرجال فى قضية أضاءت فى نفوسهم، والمهم فى الحكم إنما هو الغاية لا الطريقة ، وهى ليست إلا محاولة لتحرير الإسلام من قيود المدنية للقرون الوسطى

والأمر الغريب هنا هو أن الخطوة الأولى لهذه الغاية الجريئة وهى رفض الفقه الإسلامى لم يقم بها على أساس ثابت مأمون ولم تأخذ اهتماماً عملياً ؛ ويظهر أن حالة التقوى تمنع من ذلك

ولـكن بجانب هذا قد مهد الطريق الآن لفهم التاريخ فهماً واضحاً لتقبل الفكرة التى تقول أن النظم المعتبرة تاريخياً لا يمكن أن تبقى سائدة دائماً ، وفى آخر الأمر يكون قد تم الاقتصار على مبادئ الضعف ، وأكملت على الأقل خطوات خطاها المدافعون الأحرار عن المعارف الدينية التاريخية[2]

هذه هى كلمة الأستاذ هرتمان عن حركة الإصلاح فى الهند ، أما حركة الإصلاح بمصر فوعدنا بها المقال الآتى إن شاء الله تعالى

على حسن عبد القادر

---

(١) S. Ameer Ali. Sprit of Islam (Ausgabe Vou 1923) S. 183 u. 237

(١) راجع فى ذلك ما قاله أمير على فى : Religion Ancient And Modern (London Archibald Constable & Co. 1906

(٢) Becher, Islam, 3, 198

التعليم المختلط

للأستاذ رفعة الحنبلي

أجابت الأمم العربية ، فى الآونة الأخيرة ، لنوازع التجديد الأوربى الحديث من نواح عديدة ، سياسية واجتماعية ، أدبية وعلمية ، فأخذت بالبعض منها وهمت بالبعض الآخر ؛ وأبعد هذه النواحى أثراً فيها الناحية العلمية التربيوية التى أخذت بها ، إذ أنها استبانت طريقها على ضوئها ، وبدأت تتمشى حسب أنظمة التعليم الحديثة فى معاهدها وكلياتها وجامعاتها ، بعد أن بقيت ردحاً من الزمن محافظة على القديم منها ، وراحت تتفهم مبادئها السليمة وتتلمس طرقها القويمة ، وتزاوج بين القديم منها والحديث إلى أن أسبلت عليها رداء جديداً ، وأسبغت عليها لوناً طريفاً؛ وكان أن ارتاحت إلى هذه الأنظمة وصادفت هوى فى نفسها ، فرضيت به كبدأ يستحثها على مماشاة النهضات العلمية العالمية ، ويدفعها إلى تبوء مركزها الرفيع بين الأمم

وفى الواقع نرى الأمم العربية قد أعدت نفسها إلى الأخذ بهذه المبادئ التربيوية — التى اعتكف علماء التربية على دراستها دراسة وافية شاملة ، والتفقه فيها تفقهاً عميقاً ، طوال سنين عديدة — فأقبلت عليها وسارعت إلى إقرارها ؛ وكان أن تبدلت الأنظمة ، وتغيرت الأسس ، وتلونت المناهج وفقاً للمبادئ التعليمية الحديثة التى تتلاءم مع احتياجات المجتمع وتطور البيئات ؛ ومن أهم تلك المبادئ مبدأ التعليم المختلط Coéducation الذى كثر الجدل حوله بين كبار المربين ، واحتدم الكلام بين علماء النفس فى منافعه ومضاره ، فنهم من أقره ورغب فيه ، ومنهم من أنكره وصدف عنه ، ولكل منهم أنصاره وأعوانه وحججه وتجاربه

على أن الأمم العربية لم تأخذ بهذا المبدأ — مبدأ التعليم المختلط — فى جميع مراحله من ابتدائية وثانوية وجامعية ؛ بل اقتصرت على الدراسات العالية ، أو بالأحرى اقتصرت على الدراسة فى الجامعة وحسب ؛ ولذا نشاهد ارتياد الفتاة الجامعات دون غيرها

لنتصفح أوجه الرأى المختلف عليه فى قضية هذا التعليم المختلط ، ولندرس عناصره وعوامله ولنقف على ظاهره وخافيه ، ولنرسم خطوطه الكبرى كى نتفهم خصائصه ونستبطن دخائله

إن أول أمة أخذت بالتعليم المختلط هى الأمة الأمريكية ، وهو طريقة تعليمية جديدة من مبادئه أن يتلق الفتيان والفتيات التعليم والتثقيف معاً فى معهد واحد وفى وقت واحد ، مع مراعاة درجة معارفهم ومستوى معلوماتهم وتفاوت أعمارهم دون النظر إلى الفارق الجنسى ، على أن يشرف على هذا التعليم أساتذة من كلا الجنسين

والتعليم المختلط على أنواع ثلاثة : نوع يعرف بالتعليم المطلق أو التام Coéducation intégrale والغاية منه تهيئة الطلاب من كلا الجنسين للعلم وإعدادهم للحياة الاجتماعية التى تستدعيها البيئة وتقضى بها الحضارة ؛ ونوع آخر يعرف بالمدرسة المختلطة école miscte وفيها يجتمع الجنسان فى الفصول وحسب ؛ والنوع الأخير هو ما يطلق عليه التعليم المختلط المقيد Coéducation restreinte وهدفه تهيئة الطلاب والطالبات للعلم وإعدادهم للحياة الاجتماعية على شرط أن ينظر إلى خصائص هاتين الفئتين من عقلية ونفسية حتى تتلاءم مع استعداد الأفراد من الجنس الواحد وميولهم ورغائبهم ومع بعض الاعتبارات والعوامل مادية كانت أو معنوية

ولتحقيق فكرة التعليم المختلط وجب تحقيقها ، فى بادىء الأمر ، على الأساتذة الذين يشرفون عليها أو بالأحرى وجب أن تكون الهيأة التعليمية — كما يقول الدكتور Burness فى كتابه القيم « التعليم المختلط فى المدارس الثانوية » — مؤلفة من مربين ومربيات ليتلق الطلاب ، على المعلمات ، بعض الدراسات كما تتلمذ الفتيات على بعض المربين

وإذا ما أهملنا الجانب المادى الذى يتحكم فى مصير هذه الفكرة تحكماً شديداً ، والذى من شأنه أن يدفعها إلى التقدم دفعاً سريعاً ، ويدنيها من غايتها المثلى . على نحو ما يذهب إليه بعض علماء التربية ، وجدنا أن البعض الآخر يتساءل عما إذا كانت هذه الفكرة تتفق والتطور الطبيعى من حيث القابلية والاستعداد لكل فئة من هاتين الفئتين من الجنسين؟ ... ربما يتعلق جواب هذا التساؤل بدراسة نفسية كل منهما من النواحى التى تتصل

اتصالاً وثيقاً بعلم النفس : كتطور الميول ، وتباين الرغائب ، واختلاف القوى واحتمال التعب وغيره

ولكن هل يصح لنا أن نرد تباين هذه النواحي إلى التربية العائلية وخصائص البيئة ومزايا الفرد ، أم أنها تتعلق بالجنس من حيث هو جنس ؟

في الواقع أن هذه النواحي ترجع إلى اختلافات جنسية ذات تأثير كبير يجعل التباين بينهما إلى أبعد حدوده

قلت : إن أول أمة فكرت في هذا النوع من التعليم المختلط هي الأمة الأمريكية ، وما أن استهل القرن العشرون حتى فشا هذا النوع في جميع معاهدها من ابتدائية وثانوية وجامعية ؛ وبلغ عدد المعاهد الثانوية بحسب إحصاء رسمي قامت به حكومة الولايات المتحدة عام ١٩٠٩ — ١١٠٧٥ معهداً مختلطاً يؤمها ٩٢١٧٣٦ طالباً وطالبة تتراوح أعمارهم بين الثالثة عشرة والثامنة عشرة منها ٩١٩ معهداً خاصاً بالطلاب عدد أفرادها ١١٠٧٢٥ طالباً ؛ مع العلم أن هذا الإحصاء لا يشمل العدد الوفير من المعاهد المختلطة التي تشرف عليها الجمعيات الخيرية والدينية ، وبلغ عدد الجامعات في إحصاء آخر ٦٢٢ جامعة منها ١٥٨ جامعة خاصة بالفتيان و١٢٩ جامعة خاصة بالفتيات و ٣٣٥ جامعة مختلطة ؛ فالفتيات إذاً يختلفن إلى المعاهد الثانوية بنسبة ثمانين في المائة ، وهي نسبة جد مرضية أما المدارس الابتدائية فيتردد عليها مئات الألوف من كلا الجنسين على السواء ...

ولم يقف هذا التجدد عند الأمة الأمريكية فحسب ، بل تعدى إلى الأمم الأخرى أشهرها التي تقطن شبه جزيرة اسكندينافية ، وكذلك الأمة الفرنسية والألمانية والأسبانية وسواها . واجتاحت موجة هذا التجدد الأمة الإيطالية أيضاً فأصدرت قانوناً في الرابع من شهر حزيران عام ١٩١١ أحالت بموجبه جميع معاهدها إلى معاهد مختلطة ، وكذلك دور المعلمين أيضاً حيث كان الانتساب إليها مقصوراً على الطلاب

وأبدلت الحكومة الإنكليزية بدورها منذ مدة غير بعيدة ولأسباب اقتصادية جميع معاهدها الابتدائية والثانوية إلى معاهد مختلطة ، إلا أنها قيدت التعليم المختلط بما يختص بالتعليم الثانوي حيث يجتمع الجنسان في بعض المواد وفي المختبرات وعند تناول الطعام على أن يسمح لهما في الاجتماع في الأمسيات التي يقضونها معاً يستمعون إلى محاضرات في شتى العلوم والآداب والفنون

من هذا يتبين لنا أن التعليم المختلط قد فشا بين أكثر الشعوب المتحضرة والأمم المتمدينة وعم الأصقاع الأوربية والأمريكية وتناول بعض الأصقاع الشرقية أيضاً

غير أن هنالك نظريات متباينة ، في صدد هذا التعليم ، من حيث منافعه ومضاره ، أثارها علماء النفس والاجتماع والتربية ، اضطربت فيها عناصر مختلفة من القيم ، واحتربت فيها مذاهب كثيرة من التفكير فنرى الأستاذ Henning ، أحد المربين الأمريكيين ، لم يتوان عن إبداء رأيه العنيف فيما يتعلق باختلاط الجنسين في معهد واحد ، بعد اختبار نيفت مدته على خمسة عشر عاماً . فإذا به يقول : « لمست في المدارس الابتدائية Public Schools الصداقة العميقة والحب العنيف بين طلابها وطالباتها وقلما تشاهد فتى لا يفزع إلى رفيقة له ، حيث يختلفان معاً إلى دور الخيالة « السينما » — على حد تعبير الأستاذ البشرى — وإلى المتنزهات العامة ، وكثيراً ما تتوافر الهدايا على الطالبات من الأيفاع المحبين ، وكثيراً ما تتعدد زيارات الفتيان المولهين للفتيات. » ويقول أيضاً : « أما في المعاهد الثانوية High Schools فيكفي أن تصيخ السمع قليلاً لتتأكد أن المحاورة التي يأخذ بها الطالب مع صديقته الطالبة بعيدة أقصى درجات البعد عن حل مسألة جبرية أو إعطاء رأي في قيصر أو إنعام نظر في مذهب من المذاهب الأدبية أو العلمية أو غيرها . . . » وقد لا نستغرب من الفتاة ، في هذه الحالة ، تغيبها المتواصل عن المعهد أسبوعاً أو أسبوعين بسبب هذه النوازع العاطفية ، وبفضل هذه الأحاسيس العنيفة

حمل المربي الكبير العالم Stanly Hall على التعليم المختلط ، في مرحلة التعليم الثانوي ، حملة عنيفة ، استند فيها على اختباراته الخاصة التي قام بها طوال أعوام عديدة ، إذ أنه يرى الفتى يفقد شيئاً من رجولته ، والفتاة شيئاً من أنوثتها ، وكذلك يرى أن الخصائص الفردية والمزايا الشخصية ، لكل من الجنسين ، تنحدران إلى هاوية سحيقة قد لا يسلم من خطرها الفتى أو الفتاة وقد ينتج من هذا الخطر نقص في الزواج في المستقبل القريب

أو البعيد ، ولا أدل على ذلك من أن معهداً كان يضم بين جدرانه ٥٦٠ فتاة تأهل منهن أربع وستون منهن اثنتا عشرة فتاة تزوجن زملاءهن فى الدراسة

لذلك نجد أن Hall و Henning حملا على التعليم المختلط فى هذه المرحلة حملة فيها كثير من العنف والخشونة على الرغم من اعتراف الأول ببعض حسناته ؛ وتذهب السيدة Hosch Ernest إحدى المربيات العالمات مذهب زميلها ، وهى بعد تعتقد بأن تأثير التعليم المختلط هو أبقى أثراً على الفتيان منه على الفتيات ، فأولاء يحتفظن بأنوثتهن بينما أولئك يفقدون شيئاً من رجولتهم ، ودللت على صحة ما ذهبت إليه بما قامت به من الاختبارات فى عدة مدارس مختلفة الأنواع ، حيث رغبت إلى الطلاب أن يعرّفوا لها « الحب » ؛ فكانت أجوبة الطلاب الذين لم يختلطوا فى يوم من الأيام تتناول الحب الأبوى والحب الأخوى والحب الإنسانى وسواه ... أما أجوبة طلاب المدارس المختلطة فكانت تتضمن الحب الوجدانى والحب العاطفى وغيره ...

والواقع الأليم أن الفتاة لا تستطيع أن تحتفظ بأنوثتها فى اختلافها إلى المعاهد المختلطة ، بل لا بد لها من أن تفقد شيئاً منها كما نوه بذلك العالم الكبير Hall بل لماذا لا نذهب إلى أبعد من هذا الحد فنقول أن الفتاة قد تخسر شيئاً من خصائصها وتفقد قليلاً من مزاياها ، وقد يتلون قسم من عواطفها ويتبدل كثير من نفسيتها ... عوامل قد يكون لها أسوأ الأثر ليس على حياتها الحاضرة فحسب بل وعلى مستقبلها أيضاً . فالصداقة التى تتأصل فى أطواء نفسها ، وهى على مقعد الدراسة تدفعها للتعرف على الفتى من ناحية تتباين والناحية التى تتعرف عليها وهى على غير مقعد الدراسة ، أو بعبارة ثانية أنها تتقرب إلى الفتى عن طريق الصداقة لا عن طريق الحب الذى تنشده ليلها ونهارها إذ تفتقر بذلك إلى الرجل المثالى Homme idéal التى تسمى وراءه

وهى إلى ذلك تتأثر إلى أبعد حدود التأثر بمعاشرتها الفتى ، فتتغير عقليتها ، وتتبدل نفسيتها ، وتتلون عواطفها ويتحول طراز معيشتها إلى حد تلتزم فيه تقليد الفتى تقليداً قد يكون تاما أو لا يكون ، فى معاملته أو فى حديثه أو فى خشونته أو فى لباسه أو غير ذلك ، وهكذا نراها تتسم بمزايا الرجولة التى كثيراً ما يحمل الرجل يصدف عنها ويعزف عن الحياة الزوجية إذا ما فكر فى الزواج ، وقد يثور الرجل على هذا التطور فى أخلاق الفتاة ، وعلى هـذا التبدل فى نفسيتها بعد أن يكون قد قبله ورضى عنه حينما كان طالباً

ونصيب الفتى من هذا التطور فى الميول والعادات لا يقل أثراً عن نصيب الفتاة منه ، بل ربما كان أبعد مدى فيه منها ، فإذا هو مائع الرجولة ، أنثوى الأخلاق ، فقير الخصائص ، فاقد المزايا . .

فالتقارب إذاً بين الفتى والفتاة يحور بعض مزاياه الطبيعية ويضعف بعض خصائصه الجنسية ، وإن كانت بعض هذه الخصائص ترتفع وتسمو ، وبعض هذه المزايا تنبل وتعلو

على أن بعضاً من العلماء يقولون إن التعليم المختلط هو من أحسن الأنظمة التعليمية الجديدة وأرقاها ابتكرتها عقول جبارة نيرة ، فيعترفون بأفضليتها ويقرون بحسناتها ويرتاحون إلى نتائجها على أن يقتصر هـذا التعليم على الابتدائى والجامعى ؛ أما التعليم الثانوى ، فأشد ما يكون خطراً على أخلاق الناشئة وآدابها ؛ غير أن البعض الآخر يقول بالتعليم المختلط فى أدواره الثلاثة : الابتدائية والثانوية والجامعية

(البقية فى العدد القادم) رفعة الحنبلى

فن يستيقظ

للأديب نوري الراوي

فهم العربي جمال الـكون بكل حواسه فأطلقه شعراً يفيض باختلاج حسه القصيّ ، ثم أنفذه نغماً في صميم الليالي الأندلسية البيضاء ... وعاد فمات في عتمة الغسق التركي ، فـكانت بقيته اليوم بين حشرجة الماضي ويقظة الحاضر نسيساً في نفس مجروح ، ونسمة من نسماته الندية تنطلق اليوم بعد فترة جمام كادت تطمس على خصائصه الأصيلة فتحيلها إلى العدم أو النسيان ، ولكن الله الذي حفظ الروح العربية الإسلامية دهوراً طوالاً أراد أن يوقظها في صفوة أبنائها اليوم فكان ما أراد الله

وشهدت العصور الحديثة أكل القوى في ثورة تشمل الروح والجسد ، يدعمها الإيمـان ويشدها الحق وتظللها الحرية ، فأدركت أن وراء هذه الأنفاس المقهورة نفساً يريد أن يكون لهيباً من جهنم ، وشواظاً من بركان

ولـكن الزمن الذي اتسع لأمجاد الفن العربي في مختلف عصوره ، زحف زحفته المدوية ، فطوى بين أثنائه أياماً كانت شجىً في الحلق ، ليلبس ثوب هذا اليوم الحديث في صورة من التأريخ . إن وراء المجد الذي كان بالأمس، قوة من المعنى أدارت رحاه، ونواة من الفن حفظت نوعه، فمضى يخط تاريخه في جلال الظافر وكبريائه ، حتى دهمته الذئاب الدخيلة ! فعبثت بروحانيته كما تعبث الريح بالرمال وأجهزت على فنيته لحظاتها

وبين عصرين من عصور التاريخ ، تقلبت فيها الأحداث ، وتخبطت فيها الحظوظ ، وتعاقبت على صفحاتها الأيام ، مني الفن العتيد بخطوب جسام كادت تشرف به على الهلاك ... ولـكنها الروح التي لزمته في صحارى الحجاز ودللته في بلاد المجد المفقود وهدهدت أعطافه على ضفاف بردي والفراتين عادت فاندفعت بين أضلع سادها الهدوء أزماناً ...

لقد كان الفن العربي يوصل الأمة بمعنى من الجلال يسمو بها عن المدارك الدنيا إلى أجواء أمتع وأمنع حتى إذا ما رفعت أبصارها عن الأرض ... حتى إذا ما انعتقت من أسر المادة ، فهمت الفضيلة ؛ فسادت بالرحمة وحاربت بالأيمان ... وكان هذا سر الخلود

حينما تكن الأمة من المـكانة يكن حبها للفن ، لأن النغميات مطلب من مطالب الحياة الوضيعة التي تعيش لتموت ، لا الحياة التي تعيش لتدوم ... لتخلد ... لتقول للتأريخ ها أنذا فاكتب ...

ولـكنه الفكر العربي الجبار يبرهن على وجوده ، يبرهن على قوته ، يوم يعرف أن للحياة منازع غير ما علمته إياه البهيمية الأولى في الغابات والكهوف ! ... ليكون أستاذاً في تلقين المثل العليا لـكل من يلوك اللفظ فلا يقع لسانه إلا على الأكل ... والنوم .. واللباس ..

هنا يقف الفكر الحديث عند حد تنتهي به سياحته ، الفكر الحديث الذي يعبد الآلة ويمجد المـادة ويستعذب الوقوف أمام الصنم الجبار ؛ ليجد أن العربي سبقه في الحياة وسبقه في الفكر وسبقه في التأسيس

برهان واحد من براهين أشتات نقف منه على حياة أجيال ماتت ... لنكون نحن بقيتها على الأرض نوطن النفس على حمل هذا العبء الذي حمله الجدود أزماناً

في هذا المدى الوسيع الذي يشمل الصين في أقصى الشرق ويقف عند أزباد بحر الظلمات ! بذر العربي بذور فنه الأولى ، فكان الجامع الأموي في الشام يطاول بمآذنه السماء ، وكان المسجد الأقصى يهزأ بالدهر الغلاب ، وكانت معجزات الأندلس وعظائم بغداد شاهدة على ذاك الخلود . هو الغرس العربي ، يثمر رجالاً يمجدون الله ، ينتج مآذن تجلجل فوق سامقات رؤوسها كلمة : « الله أكبر » . . .

ينتج فناً روحياً لم تسبقه إليه جهالات الأوربيين . . .

هناك في الصحراء ... الصحراء التي يضيع البصر في مهامه مداها الوسيع ، ويسبح الفكر على منكب لجتها السمراء ، فما زال يطفو ويرسب حتى يبلغ محجة تنقطع عندها أسبابه : تمخض الزمن الولود عن دين العلم والفن ، فكانت أول بسمة من بسماته الندية ترف على روابي الحجاز وترتمش فوق بطاح الجزيرة ، ثم لا تقف عند هذا حتى تفيض على العالم القديم

بأسره فتشمله . هنا يبدأ بنا السبيل فى سياحة مضنية طويلة ، تريد جهداً ودأباً واصطباراً ...

لقد جاء الإسلام ، وفى النفس الجاهلية اعوجاج وعنجهية ، فأقام الأول وأغرق الثانية حتى هيأها لأن تتقبل المعانى الجديدة وتستوعبها . فيقودها إلى غاية أبعد منها وأسمى ألا وهى : الفتوح ونشر الرسالة . ولقد كان للفتح أول الأسباب غير المباشرة إلى نضوج الذوق العربى لاختلاط البادية بالمدينة والشمس بالظل وتكوين لون جديد له سمة الميشتين وطابع الحيانين ، وكذلك أجزل الفتح النال والمال وسيلة الفن إلى الكمال ، حيث أثمر هذا الاختلاط فكانت ثمرته تلك الحضارة الراسخة التى قال عنها بعض الإفرنج : إنها وليدة الحضارتين اليونانية والرومانية وماهى إلا عربية أصيلة الدم ؛ لها لفحة الشمس وثورة الرمال التى لا تهدأ ولا تثوب ...

هنا يدخل الدين بروحانيته فى عداد هذه الأسباب التى أسبغت على الفن لوناً من ألوان الجمال الراكد والتأثير العميق ... الدين الذى ارتقى بمعنويته إلى الله فعرفه ، وغار فى الأعماق فوقع على أسرار الكون وحقيقة الوجود ، ثم تلمس الخلود عن المادة فطاوعته فإذا هى ريازة تبهر العقول ، وإذا هى قباب تترق فى اللازورد ، وإذا هى جوامع تبقى على الدهر باسم الله ...

أما النفسية الطليقة ... النفسية التى تجاذبتها عوامل البيئة الصحراوية الدينية ، فرسمت على أديمها صفاء السماء وكدرتها ، وخطت على صفحتها هدوء الطبيعة وثورتها ، فقد تغنت بلسان حسان ، وابن أبى ربيعة ، والمتنبى ، والمعرى ، وأبى تمام . فرجعت صدى هذه الأغنيات للسنون ...

ما كان للعربى الأول أن يبرع فى فن التصوير ليعبر به عن خوالجه وآماله ومثله ، ولكنه تكلم فصدق ، وقال فكانت أقواله لوحات ترسم ألوان مشاعره منطلقة ، حرة ، عارية ؛ وهذه وسيلة واحدة يتوسل بها ربيب الصحراء للتعبير عن خوالجه ونزعاته ... لينقل كل ما يجيش به وجدانه من العواطف إلى أسماع تستلذ هذا الوقع الجميل وتستعذب هذه النغمة المطردة بلونها الزمن من حين إلى حين

على أن هذا الفن العريق الذى تتصل جذوره بأعماق الخيال البدوى كان أسبق وجوداً من بقية الفنون الأخرى

وعلى هذا السبيل الممهد تساوقت الفنون إلى البعث بعد أن كانت تثوى فى ركن من أركان العقل البدوى ساكنة سكون البركان الذى يحمل معانى الثورة والاندفاع

لقد كان للطبيعة العربية القابلية الكبيرة على الأحداث والتوليد ، وما الشعر إلا صورة من تلك الصور الممتعة التى عرفها العرب باسم « الآداب الرفيعة » ، وذلك حينما تركز المجتمع فى ظل المدينة وامتزج بعضه ببعضه ليكون هذا الفن الذى نشاهده فى قصور الحمراء وبرج الذهب وجنة الريف . ليكون هذه الموسيقى الساحرة ترجعها نغمات « بلنسيا » ، على أسماع اللاتين من أبناء الغرب ، وفيها تتجلى الروح العربية الصافية بتأثيرها وعذوبتها وجمالها . .

* * *

ومشى الزمن بوسع الخطى ؛ فإذا بعبد الله الصغير آخر ملوك الأندلس يقف على ربوة عالية ، يستشرف مملكته الضاع من خلل الهدب الرقاف بالدمع ... وإذا ذلك الخلود بجنانه وقصوره ، وأبهائه ومدارسه ، ومحاريبه وجوامعه ، يستحيل شيئاً فشيئاً إلى حلم ينطوى كلمح السراب ... ويهيم الشراع فى الفضاء :

ألا انقضى آخر أمل للعرب فى الفردوس . . . ثم تبقى تلك الجلائل شاخصة إلى السماء كأنما هى تستغيث بالله ... حتى يدركها الآن فتهوى صريعة الزمن العسوف ركاماً يسابق ركاما ... ولكن قنابل فرانكو تريد ولا يهمها أن تكون صفحة سوداء فى وجه التاريخ .

* * *

إن الاتجاه القوى فى العراق بادرة من بوادر اليقظة فى الأمة العربية فيجب أن يكون له نصيب من الروح كما يجب أن يكون له نصيب من المادة

وها نحن اليوم على وشك الدخول فى حياة جديدة مغايرة لتلك الحياة التى تصرمت بين جهل الرعية وظلم السلطان واستبداد الدخيل . وآن للفن أن يستيقظ وينشط فيأخذ مكانه كسبب خطير من أسباب الحضارة الكاملة ، وعامل من عوامل النهضة القوية ...

ولكن فى الشباب من ينكر هذا ولا يرضاه، وفى الشباب من يستخف به ويجتويه. وفى الشباب مراجل يجيش فيها المتناقضات، فلا تعرف فيهم الثابة اليوم إلا وتجدها غيرها التى كانت بالأمس

ولكننا رغم وجود هذه النفوس المتماوتة، سنتم بناء أنشأته الجهود وبنته العزائم وأقامته التضحيات ...

إن كان الكلام وسيلة من وسائل الجهاد الأعزل فلا نريده إلا مقروناً بالعمل والدأب، وإن وجد فينا من يئست روحه وتصاغرت معنويته عن إدراك هذه المعانى الجديدة فلا نرضاه باسم العروبة. ولذا حق لنا أن نوجه الخطاب إلى الشباب فنقول:

أيها الشباب العامل: ما جمال الجسم إن لم يعزز بفضائل الروح؟ وما نفع هذه الرؤوس المملوءة بالخيالات إن لم تكن قادرة على ولادة الأعاجيب!

أيها الشباب العامل: روضوا نفوسكم على فهم الفن تدركوا جمال الحياة

(بغداد — الرستمية) نورى الراوى

الحرب فى أسبوع

للأستاذ فوزى الشتوى

ازاحة الستار

وأخيراً أزاح موسولينى الستار عن موقف إيطاليا، وأعلن اشتراكها فى الحرب، دون أن يذكر سبباً معقولاً يبرر به إسالة الدماء عندما يسجل عليه التاريخ فعلته. فقد كانت شكواه من الحصر البحرى الذى حد من النشاط الإيطالى

ويعرف العالم أجمع إلى أى مدى عاونه الحلفاء على تحقيق أغراضه، حتى أصبح موقفه وهو خارج الحرب أشد خطورة على المدنية منه وهو داخلها، إذ كانت مساعداته المادية لألمانيا النازية تتجاوز الحد المعقول

وبالرغم من أن الحلفاء عرضوا عليه التسوية، وأن المفاوضات سارت شوطاً بعيداً لإزالة عقبة الحصر البحرى. فإن الأطماع الدكتاتورية ثارت دفعة واحدة، فإذا المفاوضات توقف فجأة دون سبب معقول

أما الأسباب الحقيقية لدخول إيطاليا الحرب فيسهل لمسها فى رد الكونت شيانو وزير خارجية إيطاليا على سفير فرنسا، إذ قال ما معناه إن إيطاليا تعلن الحرب تنفيذاً لاتفاق موسولينى وهتلر. إذن فلم يكن الحصر البحرى سبب شكوى إيطاليا! ولم يكن الضغط الاقتصادى سبب تمردها على أساليب الحضارة وخروجها على أسس المدنية، بل الأطماع الشخصية الدكتاتورية هى التى جعلت هذين الفردين يلقيان بالعالم فى أتون الحرب

إيطاليا لم تتغير

وإيطاليا سنة ١٩٤٠ هى إيطاليا سنة ١٩١٤ لم تتغير أخلاق أهلها أو طرق معاملاتهم بتغير نظام الحكم، ولم يتغير حكمهم على الحوادث بتقدمهم فى مرافق المدنية. فلم يتحكم فى حالتها إلا الطمع والرغبة فى الاستعباد. ففى سنة ١٩١٤ كانت إيطاليا حليفة لألمانيا والنمسا، وفى سنة ١٩٤٠ نراها حليفة ألمانيا التى ابتلعت النمسا. وفى سنة ١٩١٤ دخلت إيطاليا الحرب بعد تردد طال عشرة أشهر حصلت فى أثنائها على معاهدة لندن فخانت من أجلها حليفتيها السابقتين وأعلنت عليهما الحرب. وفى سنة ١٩٤٠ تكرر إيطاليا نفس الموقف ولكن بصورة أخرى، فتدخل الحرب بعد تردد استمر تسعة أشهر، وتدخلها فى ظروف غريبة لا لتحقق للعالم سلاماً، ولا لتضمن للناس طمأنينة، بل لتزيد فى دمار العالم مستغلة الظروف الحرجة لتحاول القضاء على دولة طالما مدت لها يد المعونة، وكانت سبباً فى جمع شملها وتحقيق وحدتها واستقلالها

وقد قلنا فى مقالنا السابق إن إيطاليا لن تدخل الحرب إلا مكرهة، لضعفها العسكرى والاقتصادى. وها نحن نستعرض أمام القارئ مقارنة بين قواتها وقوات الحلفاء فى البحر الأبيض الذى يحتم أن يكون عماد القتال فيه على القوات البحرية والجوية أما القوات البرية فليس لها مجال للعمل إلا من جهة فرنسا وليبيا وفى كلا الميدانين ما يقطع بأن قوة إيطاليا البرية ستصادف عقبات كبيرة تحول دون تحقيق أغراضها

عالم عربى

فجبال الألب فى فرنسا سد منيع يصعب اختراقه ويسهل الدفاع عنه. وتقع ليبيا بين مصر من الشرق وتونس من الغرب، وليس فيها قوات إيطالية كبيرة، ولذا يسهل الاستيلاء عليها إذا هوجمت من الناحيتين، ولا سيما أن عربها يحفظون لإيطاليا ذكريات أليمة عندما أعملت فيهم قنابل مدافعها ورصاص بنادقها

ولها فى ذلك قصص منكرة من أعمال الوحشية والهمجية ، وما زالت عدة قبائل عند الحدود تنتظر ساعة الانتقام . وهناك فضلاً عن ذلك صلة الرحم بين سكان ليبيا ومصر وصلة الدين وصلة اللغة ، وهى صلات يحرص العربى عليها مهما كلفته من تضحيات . فما إن تبدأ المناوشات حتى تصحو هذه العوامل ، فيشمر المسلم بعوامل الدين تناديه ، ويحس ابن العم بصلات الدم تمنعه من إهدار دم ابن عمه ، فلا تلبث ليبيا أن تخرج من الامبراطورية الايطالية لتنضم إلى العالم الاسلامى

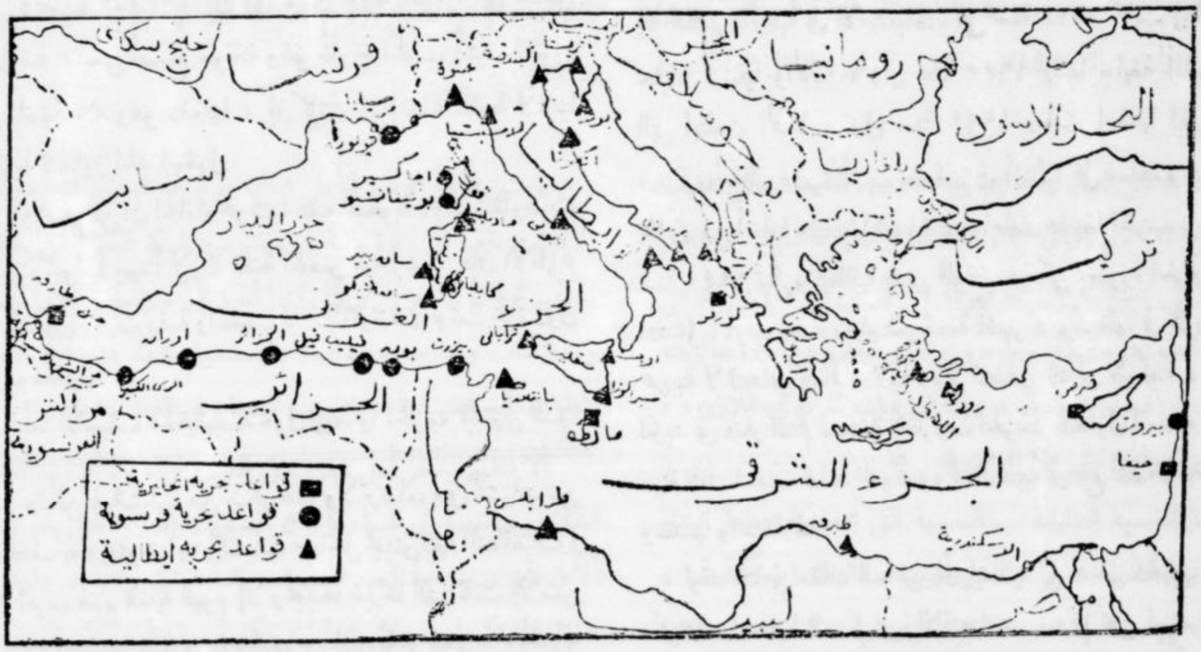
هذا فى ميدان البحر الأبيض ، أما فى ميدان شرق أفريقيا فلايطاليا هناك ثلاث مستعمرات هى الأريتريا والحبشة والصومال الإيطالى، وتحيط بها الممتلكات البريطانية من جميع الجهات، تلك الممتلكات التى استقر فيها نظام الحكم ودانت بالولاء للامبراطورية البريطانية ، بعكس الحالة فى الحبشة مثلاً ، فهى قريبة العهد بالغزو ، وما زال أهلها يقاتلون الإيطاليين فى أكثر من بقعة واحدة ، ويشنون الغارات على حامياتها كلما وجدوا إلى ذلك سبيلاً . وها هو امبراطور الحبشة يظهر فى الميدان ليستغل الفرصة السانحة ، وسيمده الحلفاء ولا شك بالعتاد الحربى الكفيل بخلاص بلاده من نير الحكم الإيطالى

الامبراطورية الإيطالية

ورغم اتساع رقعة الممتلكات الإيطالية فعدد سكانها قليلون ، وهم على درجة كبيرة من التأخر . ويبين الجدول الآتى مساحة كل مستعمرة وعدد سكانها مضافاً إليها إيطاليا نفسها :

اسم البلد	المساحة بالميل المربع	عدد السكان
إيطاليا	١١٩ر٧٤٤	٤٣ر٦٤٠ر٠٠٠
ألبانيا	١٠ر٦٠٠	١ر٠٠٠ر٠٠٠
ليبيا	٤٠٦ر٠٠٠	١ر٠٠٠ر٠٠٠
أريتريا	٤٥ر٠٠٠	٥٠٠ر٠٠٠
الحبشة	٣٥ر٠٠٠	٧ر٦٠٠ر٠٠٠
الصومال	١٣٩ر٤٣٠	٦٥٠ر٠٠٠
المجموع	٧٤٥ر٧٧٤	٥٤ر٣٩٠ر٠٠٠

هذه هى الإمبراطورية الإيطالية التى لا تلبث الحرب أن تفصلها عن إيطاليا ، لا سيما أن أسطول الحلفاء مرابط عند قناة



السويس ليمنع وصول القوات الإيطالية بأفريقيا الشرقية الإيطالية وهذا العزل سيؤدى بلا شك إلى خضوع تلك البلاد للحلفاء بعد أن تفنى القوات الإيطالية المرابطة هناك أو تقع فى الأسر

ولم تكن هذه العوامل خافية على موسولينى ومستشاريه ، ولكنها تدل دلالة واضحة على سوء نيته قبل دول البحر الأبيض فسياسة المحور القضاء على فرنسا وانجلترا ثم يتحول إلى الدول الصغيرة ، فلا تقوى واحدة منها على مقاومة الاستعمار الإيطالى أو الألمانى ، وعندئذ تتحكم الهمجية فى العالم أجمع ، ويخضع العالم لانتقام الدكتاتوريين . ولكن هيهات أن يتحقق هذا الأمل ، فقوات الحلفاء فى فرنسا ما زالت بكامل عددها ومعداتها ، ولن يؤثر فيها تقدم الزحف الألمانى وتوغله فى البلاد

وسواء بقيت باريس بيد الحلفاء أم سقطت فى يد الألمان ، فسيأتى اليوم الذى تتلقى فيه جيوش ألمانيا الضربة القاطمة، فالعبرة فى الحروب ليست فى الاستيلاء على المواقع والمدن ، ولكن العبرة بالقضاء على الجيوش . وإذا اتخذنا من التاريخ مثلاً ، فأمامنا نابليون وحروبه ، فقد استولى على أوربا كلها تقريباً . وظلت انتصاراته سنوات طويلة تدوى فى آذان العالم . فلما نضبت موارده وحانت الساعة الفاصلة هزم فى واترلو هزيمة لم يقم له بعدها من قائمة . وكانت ختام ذلك النزاع الطويل

سواحل مكشوفة

ومن عوامل ضعف إيطاليا انكشاف سواحلها وخلوها من العقبات الطبيعية التى تمنع الاعتداء، فليست للبلاد عريضة يتعذر على الطائرات اجتيازها ، وليست صخرية أو صحراوية يتعذر على الجيوش عبورها، بل هى سهول ضيقة، تجد فيها القوات مؤونتها بسهولة فضلاً عن قربها من مواقع الحلفاء العسكرية، فلا تبعد روما عن مينائى طولون أو أجاكسيو سوى ٢٠٠ ميل تقطعها الطائرات الحديثة فى ٤٠ دقيقة ، ولهذا عجل موسولينى بنقل قيادته منها

وتيسر لإيطاليا فى الحرب الماضية أن تجند ٥٠٠ر٥٠٠ر٥ جندى. وتستطيع الآن أن تجند ثمانية ملايين جندى بفضل النظام الفاشستى . ومجال هذه الجيوش محدود كما رأينا ، كما أن الجندى الإيطالى لا يمكن أن يقاس بالجندى الألمانى أو الفرنسى أو الإنجليزى ، خصوصاً أن معداته أقل بكثير من معدات أقرانه . فإذا أمدته ألمانيا بالعتاد والقيادة كما جاء فى التلغرافات برزت عقبة أخرى وهى ضيق موارد الدولتين الدكتاتوريتين ، ولا سيما أن ألمانيا وضعت فى الموقعة الحالية جميع مواردها أملاً فى نصر سريع

القوات الجوية

وتقدر قوات إيطاليا الجوية بخمسة آلاف طائرة أعدت على أساس هجومى وهى أقل متانة من الطائرات الفرنسية أو الإنجليزية ، وتستورد ٢٣ ٪ من معادن طائراتها من الخارج ؛ ولم تتقدم صناعة الطائرات هناك فى المدة الأخيرة ، بل يقول الإخصائيون إن تقدمها بطىء لحاجتها إلى الفنيين والمعادن . وفرض الحصار عليها معناه زيادة هذه الصعوبات . فإنها تفقد ربع إنتاجها بفقد المعادن المستوردة من البلاد الأخرى . ومراكز الطيران الإيطالية موزعة فى الحبشة وليبيا وألبانيا ، وأنبأتنا التلغرافات أخيراً بتدمير قوات الطيران البريطانية لعدد كبير منها مما يضعف من شأنها، ويقابلها عند الحلفاء ٢٢ ألف طائرة فى ازدياد

وفى البحر

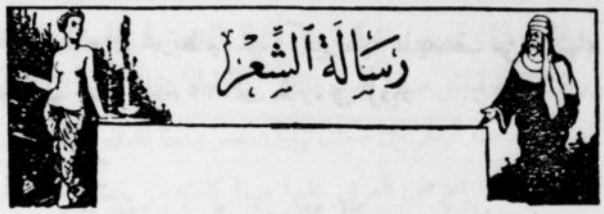
ويمتاز الأسطول البحرى الإيطالى بسرعة سفنه ، وهو أسطول حديث تصل سرعة بعض وحداته إلى ٤٥ عقدة فى الساعة أى أكثر من ٥٠ ميلاً ، ويقابله فى الجانب الآخر زيادة عدد الوحدات البحرية للحلفاء والجدول الآتى يبين وحدات القوتين :

نوع السفن	الحلفاء	إيطاليا
سفن قتال كبيرة	٢٥	٦
مدرعات ثقيلة	٢٢	٧
حاملات طائرات	١١	—
مدرعات خفيفة	٦٩	١٤
مدمرات	٢٣٠	٨٢
قوارب طوربيد	١٢	٧٠
غواصات	١٣٧	١١٢
المجموع	٥٠٦	٢٩١

وتعمل قيادة الحلفاء البحرية على الاشتباك مع هذا الأسطول فى معركة بحرية، ولذا أسرعت ببث الألغام فى مدخل بحر الأدرياتيك حتى لا تدع له مجال الالتجاء إليه ، فيضطر إلى قتالها ، فإذا تيسر إغراق هذا الأسطول أو الخلاص من بعض وحداته كما حدث مع الأسطول الألمانى ، تم للحلفاء جانب كبير من النصر؛ فبرغم صيحات هتلر وأتباعه بتفوق السلاح الجوى على السلاح البحرى ؛ فإن موسولينى لم يأخذ برأيه . والدليل على ذلك أنه أنزل إلى البحر فى الشهر الماضى سفينتى قتال كبيرتين

وقد منى الأسطول التجارى الإيطالى فى اليومين الأولين للحرب بخسائر فادحة فقضى على ٤٠ سفينة منه، بعضها بالانتحار وبعضها الآخر بالأسر . وهذا تصرف غريب من إيطاليا ، فبرغم أنها أرادت الحرب وأنها تجد الفرصة لإنقاذ هذه السفن، تركتها فى أماكن خطيرة . والأغرب من هذا أن بعض السفن كان فى مالطة، وهى تبعد عن صقلية بمسافة بسيطة، ومع هذا تتركها لتؤسر؛ ومن هذه التصرفات يبدو مدى حزم القيادة الإيطالية ، ومدى إحكام تصرفاتها الذى ينبئ بأن كوارث شديدة ستحل بقواتها

فوزى الشتوى
بكالوريوس فى الصحافة



رجال ونســـاء

للأستاذ على محمود طه

[ننشر فيما يلى جزءاً ثانيا من ملحمة الشاعر « على محمود طه » وهو يلى الجزء الذى نشرناه منها فى عدد سابق من «الرسالة» ويدور الحوار في هذا الفصل المتمم على الفنان الأول ، وأثر المرأة فى فنه واتجاهاته ، وفيه أيضا حديث مؤثر من الفنان الأعمى ، والأسماء التى يجري الشاعر الحوار على ألسنتها تقع فى عالمى الحقيقة والخيال . فهرميس إله الوحى والشعر فى الميثولوجيا ، وبليتيس الشاعرة الخرافية التى بعثها الكاتب الفرنسى « بيير لويس » على غرار الشاعرة اليونانية اسبازيا . أما تاييس وسافو فأمرهما معروف فى القصص والتاريخ]

(الملك وقد عاد فى طريقه إلى حيث الحوريات بعد أن ودع روح الفنان على أفق الأرض)

الملك :

سلامَ الملائكِ روحَ الجمالِ

الأرواح :

سلامٌ لهرميس روح الآلهْ

الملك :

أرى وَمْضَةَ الشرِّ فى جوِّ كَنّْ وأسمعُ صوتاً كأنّى أراهْ
يلاحقنى في رحابِ السماءِ ويرتجُّ فى مِسمعىَّ صداه
« لقد فارقَ البشرُ غُرَّ الوجوهِ وشاعَ الذبولُ بوردِ الشفاه ! »

الأرواح :

أجلْ أيها الملكُ المجتبي صدقتناكَ فاغفر عذابَ الضميرْ
لقد مرَّ كالطيرِ من قربنا فَتًى فى رعاية ربٍّ خطيرْ
رآنا فأعرَض عنّا ولمْ يُحَيِّ السماءَ بروحٍ قريرْ
تعاظم محتقــراً أمرنا وأمعن فى شَرَهِ المستطيرْ !

هرميس :

ظلمتنَّ هذا الغلامَ البرىء وقد غَضَّ من ناظريهِ الحذَرْ
أهَلَّ بقلبٍ كفرخِ القطا يرفرفُ تحتَ جناحِ القدَرْ
رَآكنَّ فيــهِ وحيًا بهِ فلم أدرِ حاجتَه للنظرْ !

الأرواح :

وكيف تكلّمَ قلبُ الفتى وما هو إلاّ سايلُ البشرْ ؟

هرميس :

هُوَ ابنُ السماءِ ولكنّهُ من النقصِ تركيبُه والتمامْ
صَنَاعُ الطبيعَةِ بلْ صُنْعُهَا فمنها دمامتُــهُ والوسامْ
يُسِفُّ إلى حيث لا ينتهى ويسمو إلي قمّـةٍ لا تُرامْ
ويُسْقَى بكأسِ إلهيــةٍ مُرَنقــةٍ بالهوى والأثامْ

***

نقيضانِ شتَّى فما يستقرُّ على غضَبٍ منهما أو رضاءْ
تحدَّى الحيــاةَ وآلامَها بيأسِ الجبابرةِ الأعلياءْ
يزيدُ عُتُــوًّا على نارها ويلمعُ جوهرُهُ مِنْ صَفاءْ
وينشقُّ عن نَضْرةٍ قلبُــه وإنْ طمَرَتْهُ ثلوجُ الشتاءْ

***

هو القلبُ محتشــداً بالمنى هو العقلُ مُتَّقِدًا بالذكاءْ
حَبَتْهُ الألوهَةُ روحًا يَرَى وينطِقُ عنها بوحى السماءْ
يَحُسُّ الخيالَ إذا ما سَرَى ويلمسُ ما فى ضميرِ الخفاءْ
ويبتدرُ النجمَ فى أفقــهِ فيرشُفُهُ قطرةً من ضِياءْ

***

أرَتْهُ السماءُ أعاجيبَهــا وَرَوَّتْهُ من كلِّ فَنٍّ بديعْ
فضنَّ بلألاءِ هــذا الجمالِ وخافَ على كنزه أن يضيعْ

أَبَى أَن يُبدّدَهُ ناظراه   فأطبقَ جفنيــهِ ما يستطيع
فإن شارفَ الأرضَ نادتْ بهِ   فَفَتّحَ عيناً كعينِ الرّبيع

الفنان الأول

هنالكَ حيث تَشبُّ الحياةُ   وحيث الوجودُ جنينُ العَدَمْ
وحيثُ الطبيعةُ جبــارةً   تشقُّ الوهادَ وتبنِى القِمَمْ
وحيثُ السعادةُ بنتُ الخيالِ   ولذّتُهـا من معانى الألَمْ
وحيثُ الطريدانِ شجّا الكؤوسَ   ومَجّا صُبـابَتَها من قِدَمْ

* * *

رَنَا ، والطبيعةُ فى حليها   وحواءُ عاريةٌ كالصَّنَمْ
فمن أينَ سارَ وأنّى سرَى   تَصَدّتْهُ مُقْبِــلةَ من أَمَمْ

* * *

هنالك أول قلبٍ هفــا   وأولُ صوتٍ شــدا بالنَّغَمْ
وأولُ أنمُـلَةٍ صــوّرَتْ   وخطّتْ عَلَى اللوحِ قبل القلَمْ

* * *

فما لكِ حواءُ أغويتِــهِ   وأعقبتِهِ حَسَراتِ النَّـدَمْ
لقد كان راعيَكِ المجتبَى   فأصــبحَ راميَكِ المتَّهمْ
ولولاكِ ما ذرفتْ عينُــهُ   ولا شـــامَ بارقةً فابتَسَمْ
وعاشَ كما كانَ آباؤه   يُغَنِّى النجومَ ويرعى الغنمْ !

الفنان الأعمى

لأجلكِ يَشْقى بلمحِ العيونِ   ويُصْرَعُ بالنظرةِ العــابره
لَوَدَّ إلى الأرضِ لو لم يُصِخْ   أو ارتدَّ بالمقْـــلةِ الحاسره
وكم من فتى عزّها سمعُـهُ   وغضٌّ عَلَى رَهَبٍ ناظره
عصاها ، فنادتْ ، فلم يَستَمِعْ   فحلّتْ به لعنـةُ الفاجره !

* * *

له مِحجرانِ على ما وَعى   من الألَقِ الطُّهْرِ مختومتانْ
ففى عقلِهِ حركاتُ الزمان   مُصَوَّرَةً وحدودُ المكان
وفى قلبــهِ أعينٌ ثَرّةٌ   بها النارُ طاغيةُ العنفوان
وفى كلِّ خاطرةٍ نيزكٌ   يشقُّ سناهُ حجابَ الزمان

* * *

إذا ما هَوَتْ وَرَقَاتُ الخريفِ   أحسَّ لها وَخَزاتِ السِّنانْ
وإن سَكَبَتْ زهرةٌ دمعةً   فمن قلبــهِ انحدرتْ دمعتان
ومن مَجَبٍ شَدْوُهُ للربيع   وقد يُخْطِئُ الطيرُ شدوَ الأوان
كقيثارةِ الرّيحِ(١) ما لحنُها   سوى الريحِ فى جفوةٍ أو حنانْ

* * *

عوالمُ جَيّاشةٌ بالمــنى   ودنيا بأهوائها تضطربْ
من اللانهاية ألوانُها   مشعشعةٌ بالندى المنسكبْ
ففيها الصباحُ ، وفيها المساء   وبينهما الشفق الملتهبْ
تطوفُ بها صَدَحَاتُ الطروب   وتسهو بها أنَّةُ المكتئبْ !

علي محمود طه

(١) قيثارة كان الاغريق القدماء يعلقونها على الشجر فتصدح أوتارها بمرور الرياح أو هبوب النسيم عليها ، وكأن أنغامها صوت الطبيعة الناطقة بأحاسيسها



تأملات

فى الأنتراكت

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

يقضى الأستاذ عزيز عيد فى هذه الأيام فترة من حياته تشبه فترة « الأنتراكت » فى عمله . وهو لا يقضيها متكاسل العقل راكد الحس ، وإنما هو يشغل نفسه فيها بالإقبال على معاشرة حيوان ، والتأمل فى شعوره وأسلوبه ، وتعبيره عن هذا الشعور وطريقته فيه ، وما قد يصاحب هذا من تفكير يسير أو كبير

وهذا الحيوان الذى يعاشره الأستاذ عزيز ويدرسه فى هذه الأيام كلب اسمه « بوى » وهو يربيه منذ سنوات ويعزه ويحبه حبه لأوفى ربيب كفله

والوقت الذى يقضيه هذان الصديقان الصدوقان معاً لا يختلف فى شىء عن الوقت الذى يقضيه كل صديقين صدوقين فهما يجلسان معاً يتسامران ، وهما يخرجان معاً يتريضان ، وهما يتشاغبان ويتصارعان ويتلاكمان ، وهما أيضاً يتصالحان ويتخاصمان ، ويتعاتبان ويتقابلان ويتعارضان ... أما (بوى) فهو مع صاحبه مخلص صادق نقى الإخلاص والصدق ، وأما صاحبه فلا يقل عنه إخلاصاً وصدقاً وإنما هو يريد عنه التفاتاً إلى ما بينهما من الإخلاص والصدق ، وإلى ما هما فيه من عناء الحياة والأحياء

يجلس الأستاذ عزيز مع صاحبه يحدثه عن آلامه مما فات وعن آماله فيما هو آت ، والكلب قاعد ينظر إليه مصغياً منتبهاً إذا رأى صاحبه طرب فقد طرب معه ، وإذا رآه أسف فقد يأسف معه حتى يمل الأستاذ عزيز عيد فيستأذن (بوى) فى أن ينصرف ، أو يرجو (بوى) لينصرف هو ، وما أسرع (بوى) إلى أن يطيع وأن يلبى الرجاء كما يلبى النداء

فيه كل معانى الحياة ودلائلها ، وليس ينقصه إلا أن يعرف النريب المقدم منها كى يساوى الإنسان فى موقفه فيها

خرج يوماً مع صاحبه إلى رياضة فى الخلاء على مقربة من طريق القطار ، ولم يكن قبل ذلك قد رأى قطاراً . ويروى الأستاذ عزيز هذه القصة فيقول : « سمع (بوى) صوت القطار وهو مقبل من بعيد يصفر ويرعد فبدا عليه الذعر وصاح فىّ ينبهنى كأنما حسبنى فى غفلة عنه ، وكأنما حسبه وحشاً ضارياً جباراً يعدو إلينا ليفتك بنا ، وكأنما هالته قوة ذلك الوحش كما هاله ضعفنا جنبه ، وكأنما كان بصراخه يريد أن يقول لى : خذ حذرك واتق هذه النازلة ، وأنقذنى معك إذا استطعت ، فلست بقادر على صده عنه ولا دفعه عن نفسه ، حتى ولا عرقلته عنك ريثما تفر ... لقد كان (بوى) يقول لى هذا كله فى صراخه فقلت له : لا تخف يا (بوى) فهذا قطار ... ورآنى (بوى) مطمئناً فاطمأن إذ أدرك أنه لا يمكن أن يملأنى هذا الاطمئنان كله لو كان هذا القطار المقبل وحشاً ضارياً مفترساً . ولكن القطار اقترب وضجته تعالت فتوسط (بوى) ما بينى وبين القطار وهاج وجن نباحاً ، فاضطررت إلى أن أقف وأن أضمه إلى ريثما يمر القطار ، فضممته ونظرت فى عينيه أؤكد له الأمان والسلامة ، فاذا بعينيه ترسلان إلى نظرة معناها : هأنذا معك ، وإن كنت ترانى خائفاً فإنما خوفى عليك أكثر من خوفى على نفسى » ... ويسترسل الأستاذ عزيز فى وصف نظرات (بوى) بما لم يصف به نظرات ممثل ولا ممثلة

ويروى الأستاذ عن صاحبه قصة أخرى فيقول : « كان لنا جار وكان لجارنا كلبة ، وكان بين بوى وبين هذه الكلبة غزل وغرام لم يرض عنهما الجار ، فكان يطرد (بوى) كلما رآه يحوم حول معشوقته ، حتى كان يوم ضرب فيه الرجل (بوى) بعصاه ضربة قاسية آلمته ولم يستطع معها إلا أن يفر هارباً ، وليس من عادة (بوى) أن يهرب ولا أن يفر . ومضى الرجل إلى حاله فى ذلك اليوم . ولكن بوى كان يعرف مواعيد دخوله

وخروجه، فبدأ ينتظره ويتعمد انتظاره ليفجأه يوماً فينهشه نهشاً، ولـكن الرجل كان يتقى دائماً هجمات بوى بعصاه يلوح له بها، والعصا أداة كفاح إنسانية يخشاها كل كلب ويعجز حيالها. وشكا لى الجار (بوى)، وقال لى: صحيح إن العصا تقينى هجماته ولـكنى قد أغفل يوماً عنها فلا أسلم منه، فأرجوك أن تنتبه إليه وأن تمنعه عنى، فقلت لجارى: أنت الذى وقفت نفسك هذا الموقف، فقد كان عليك أن تعرف أن لهذا الـكلب كرامة، وأنه يعلم تمام العلم أن الذى يعلقنا به هو رغبتنا فى حمايته، فإذا ثبت لنا وله ولك أنه عاجز عن حماية نفسه فقد نتخلى عنه وهو يكره هذا، لأنه عاشرنا مدة ما فأحبنا كما رأى أننا نحبه... فعليك إذن أن تحمى منه نفسك، لأنى لو نهرته عنك بعد الذى كان منك أغراه ذلك بقبول الذل والضيم، وكنت أنا محرضه ودافعه إلى هذا... فقال لى الرجل: إن هـذا لا يمنعك من أن تحول بين كلبك وبينى ... وكنت من يومها أنتظر خروج الجار ودخوله مع كلبى لأشغل الـكلب عنه ولأمنعه من الفتك به أو الهجوم عليه، وكنت أرى فى الـكلب تعجباً من موقفى هذا ودهشة لو كان ينطق لعبر لى عنهما بقوله: فيم حيلولتك بينى وبين هذا القاسى، وقد رأيت أنه ضربنى ولو رأيت أنا أحداً ضربك لما حلت بينك وبينه وإنما كنت عليه معك؟... ثم خطر لى أن أصلح ما بينهما، فانتظرت مرور الرجل يوماً فاستوقفته وناديت (بوى) وأخذت أربت على كتفى الرجل، وأربت على كتفى الـكلب، وأقول لـكل منهما إن الصلح خير، وأقول لـكل منهما إن الصفح والعفو من شيم الكرام، وأقول لـكل منهما إنه من الممكن أن يتناسيا الماضى وأن يستأنفا الصداقة من جديد، ثم أشرت إلى الرجل فبدأ يمسح للـكلب ظهره، فراغ الـكلب فى أول الأمر رافضاً هذا الصلح، ولكنه لما رآنى أستحسنه وأطلبه منه مسح رأسه هو أيضاً فى ساق الرجل ثم نظر إلىّ يقول بنظرته: لقد صفحت عنه لـكى ترضى...

وتجر هذه القصة إلى ذاكرة الأستاذ عزيز قصة أخرى فيقول: وقد تخاصمت أنا ذات مرة مع بوى، فقد كنا نلعب معاً، ومن عادتنا إذا لعبنا معاً أن أضربه ضرباً خفيفاً وأن يعضنى عضاً خفيفاً، وأن يسامح كل منا الآخر فيما يناله من ألم الضرب الخفيف أو العض الخفيف، لأن كلا منا يعلم أن هذا مزاح ولعب ولا أكثر، غير أنى فى تلك المرة برعت فى مشاكسة (بوى) حتى اغتاظ غيظاً شديداً فعضنى عضة أسالت الدم من إصبعى... فرأيت هذا ذنباً لا يمكن أن يغتفر لأنى إذا اغتفرته فقد لا يحسبه (بوى) ذنباً، وقد لا يجد بعد ذلك مانعاً من أن يعضنى عضة أقوى من هذه العضة، وقد يكون فى ذلك ضرر من الخير أن أتقيه وألا أنتظر حتى يحدث فأعالجه... فأمسكت فى يسراى بكرسى جعلته درعاً، وفى اليمنى عصا انهلت بها على (بوى) ضرباً موجعاً مبرحاً علم الله أن كل ضربة منه كانت تنزل على قلبى قبل أن تنزل على جسمه، ولـكنى كنت أرى أنه لا مفر من هذا الضرب عقاباً وردعاً ... وبعدها خاصمت (بوى) وخاصمنى (بوى) أيضاً ... خاصمته: فلم أعد أكلمه، ولم أعد أناديه، ولم أعد أسامره، ولم أعد ألعب معه. وخاصمنى: فلم يعد ينتظرنى ليلاً، ولم يعد يدنو منى نهاراً، ولم يعد يمس طعامه الذى كان يوضع له ... وصام هكذا ثلاثة أيام، كان خلالها كلما رآنى ألقى إلى نظرة معناها عند من يفهمون النظرات: لا تكلمنى، ولا أكلمك، وأنت تعرفنى وأنا أعرفك ... أنت لم تسامحنى ولـكنى سامحتك ... وكنت أنا أنظر إليه وأقول له بعينىّ: الذنب ذنبك والبادئ أظلم ... ومع هذا الخصام، وفى عزه وشدته، كنت ألمح (بوى) وأنا أرتدى ملابسى أمام المرآة، يدنو من باب الحجرة مخفياً جسمه كله ويطل إلىّ بعينيه كمن يريد أن يرانى صحيحاً سليما معافى، وكمن يكفيه أن يرانى كذلك .. وكنت أنا أتغاضى عن نظرته هذه ولا أبدى له التفاتى إليها ... حتى كان اليوم الثالث، فالتقت أعيننا، فإذا بهذا الذى كان فى عينيه يذوب ويتلاشى، وإذا بعينيه تلمعان عوضاً عنه بقوله: أما اكتفيت خصاماً؟! إنه ليس لى أن أبدأك بالصلح فربما كنت لا تزال غاضباً أو مستاء...! عندئذ انخذلت أمام هذا الوفاء الصامت، وابتسمت وناديته وقلت: لقد كانت عضة مؤلمة يا (بوى)، وأظنك لا تذكر أنى ضربتك قبلها ضربة مؤلمة ... صحيح أن (بوى) لم يكن ليفهم معانى هذه الـكلمات جيماً مفصلة ... ولكن (بوى) أدرك من صوتى ومن بريق عينى

— كما يدرك دائماً — أى حالة نفسية أنا فيها . وفى هذه الساعة أدرك (بوى) أنى أعاتبه ، كما أدرك أن الموقف يقتضيه الاعتذار عما بدر منه ، فأطرق برأســه وبعينيه البليغتين إلى الأرض ، واقترب منى متباطئاً متذللاً مسترضياً فمسحت له ظهره بيدى ، فقبل يدى بلسانه ، فعانقته وعانقنى وعدنا صديقين حبيبين »

* * *

بهذا الوضوح ، وبأكثر منه تفصيلاً يتحدث الأستاذ عزيز عيد عن كلبه (بوى) ، وهو كلب من ذلك النوع الضخم الذى يسمونه « وولف » والذى كان منه فقيد السينما « رن تن تن »

وليس (بوى) ولا « رن تن تن » بمفردين فى الكلاب فهما يدركان ما لا يدركه غيرهما من أفراد جنسهما ، بل ولا جنس الكلاب بمفرد فى الحيوان فهو وحده الذى يشعر بالحياة ، والذى يعبر عن شعوره فيها والذى يتفهمها فهماً يسيراً أو فهماً كبيراً ، وإنما كل الكلاب مثل (بوى) و « رن تن تن » وكل الحيوانات مثل الكلاب وإن كانت تختلف فى أنصبتها من الحياة . وإذا كان الناس متشاغلين عن الحيوانات ، فإن لها من الشعراء والفنانين نصراء وأصدقاء يعاشرونها ويتفاهمون معها ، ويدرسونها الدراسة الحية القائمة على المعاشرة وتبادل العواطف ، وهذه الدراسة أشرف بكثير من تلك الدراسة التى يعمد إليها العلماء مع الحيوان

وقد يعانى الفنانون استهزاءً كبيراً من العامة والمثقفين لهذه النزعة ، وهذه النزعة وحدها هى التى ستكشف للبشرية بعد جيل أو أجيال عن حقيقة موقف الإنسان من هذه الأحياء التى شاء الله أن تعيش معه على ظهر هذه الأرض . وإذا كان الإنسان يدعى أن له فى هذه الأرض السيادة ، فإن عليه أن يستكمل لهذه السيادة شروطها ، وأول شرط منها أن ينظر فيما سخره الله له من الخلائق ، وأن يفهم طبائعها حتى يستطيع أن يركن إلى كل منها يطلب عنده علماً بما يجهله وبما آتاه الله الحيوان من قوى

وإذا كان الإنسان يرى فى بعض الحيوان بأساً وقوة يخشاهما فكل حيوان يرى فى الإنسان دهاء وخبثاً يخشاهما هو أيضاً ويتقيهما ويتقاسى منهما الأمرين ، وعندما يأمن الحيوان جانب الإنسان فإنه من غير شك يوليه بذلك أماناً وصداقة ، والإنسان يستغل فى نفسه هذا الامتياز منذ القدم ، ولقد استأنس به أسوداً وفيلة وطيراً ووحشاً ، ولعل القدماء كانوا أحسن عشرة للحيوان منا ، فنحن قد غرتنا مدنيتنا وشغلتنا حتى لم نعد نعبأ إلا بأن نكون سادة ، ولو كنا الطغاة الجاهلين ...

عزيز أحمد فهمى



قصة الإمام الزهري

شكرت للكاتب الأديب أحمد جمعة الشرباصي الفرصة التي هيأها لي للكلام في مسألة دار حولها قول كثير، ونقلت عني نقلاً غير صحيح، وهي تجريح الإمام ابن شهاب الزهري أثناء محاضراتي بكلية الشريعة الإسلامية. وحقيقة الأمر هو أني كنت أعنى في محاضراتي عن تاريخ علم الحديث بتعريف الطلاب طريقة البحث الحديث في نقد الأحاديث، وأضرب لهم في ذلك الأمثال، وكان من هذه الأمثلة ما ذكرته لهم من نقد بعض المستشرقين، وهو جولدزيهر للإمام الزهري وأحاديثه التي رواها في فضائل الشام وبيت المقدس، وخلاصة هذا النقد هو أن الإمام الزهري كانت له صلات وروابط بالبيت الأموي، وأن عبد الملك ابن مروان كان منع الناس من الحج أيام فتنة الزبير، فبنى عبد الملك قبة الصخرة في المسجد الأقصى ليحج الناس إليها، ثم أراد أن يبرر عمله هذا، فوجد في الزهري — ومقامه الديني معروف — آلة لوضع أحاديث مثل الحديث المشهور: « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى »[1]. ولكن رأى هذا المستشرق قد فند بعد ذلك، وخُطّئ بشدة من المستشرقين أنفسهم الذين رأوا فيه مخالفة تاريخية واضحة. وإليك مايقوله المستشرق فينسنك في ذلك: « وقد زعم بعضهم — يعني جولدزيهر — وضع حديث « لا تشد الرحال ». وهو حديث مذكور في جميع كتب السنة المعتبرة، وذلك لكي يجعل الحج إلى بيت المقدس مثل الحج إلى الكعبة، ولكي يحمي الخليفة عبد الملك في حربه ضد ابن الزبير الثائر عليه بالبلاد المقدسة ». ولكن هذا الاتهام لمثل هذا المحدث الكبير تسقطه الأدلة التاريخية، فإن خروج ابن الزبير كان في سنة ١٤ — ٧٣ هـ، والزهري الذي ولد سنة ٥١ هـ أو بعدها كان في هذا الوقت شاباً لا أهمية له، ولم يكن قد بلغ بعد شهرته في الحديث، ومثل هذا الوضع لا يمكن أصلاً أن يكون لأن الإمام الزهري من الرجال الثقات. وكان سعيد بن المسيب الذي روى عنه هذا الحديث لا يزال حياً فإنه توفي سنة ٩٤ هـ. وبالطبع كان لا يمكن أن يقبل أن يستعمل اسمه استعمالاً سيئاً، خصوصاً إذا عرفنا أن الزهري ليس هو وحده الذي روى هذا الحديث عن سعيد ». هذا هو كلام فينسنك (راجع مجلة المستشرقين الألمانية عدد ٩٣ ص ٢٣)[1]

فهل تراني بعد هذا أشك ذرة في ثقة الإمام الزهري بعد أن شهد له الأصدقاء والأعداء، وتضافرت على إمامته الأبحاث القديمة والأبحاث الحديثة؟ أم ترى أن ما نقل عني قد حرف تحريفاً أبرأ إلى الله منه « يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة »

وختاماً لا أجد بداً من الإشارة بهذه المناسبة إلى أن أبحاث المستشرقين تثق ثقة كبيرة بالأحاديث النبوية بعد أن خبرتها بكل مقاييس البحث، بل إنها سارت شوطاً كبيراً في الثقة بأحاديث شك فيها علماء الجرح والتعديل المتقدمين، وهي مسألة سأتناولها ببحث خاص في فرصة أخرى إن شاء الله.

علي حسن عبد القادر

استئصال داء الزهري

لم ير العالم عهداً كهذا العهد وُفق فيه رجال الطب إلى إنقاذ البشرية من عدد كبير من الأمراض المضالة. فقد اكتشفت طريقة جديدة لاستئصال داء الزهري، وهو الذي حير الأطباء قروناً طوالاً، وكان وما برح من أكبر بلايا الجنس البشري. وذلك بمركب الدكتور بول أرليك الكيميائي المشهور الذي أعلن أمر اكتشافه منذ ثلاثين سنة مضت، وعالج الأطباء مرضاهم به فلم يكن الشفاء يتم إلا بعد عام أو عامين

أما الذين وفقوا إلى ابتداع طريقة جديدة للمعالجة بهذا المركب

(١) Goldziher, Muhammadanische Stuedien, 2, 38-39

(١) Z. D. M. G, Bd-93, 5. 23

ذاته فهم الأطباء هرالد توماس ، ولويس شارغين ، ووليام لا يفر ، وجيمهم من رجال مستشفى « جبل سينا » فى نيويورك . وقد جربوا طريقتهم فى غضون ست سنوات ، فى ذلك المستشفى ، فجاءت تجاربهم محققة لاعتقادهم بصحة الطريقة التى تقتل جراثيم هذا الداء العياء فى خمسة أيام ، وتطهر دم المريض به من أدرانها نهائياً . وقد عالجت المستشفيات الأخرى بها تحت معاينة الإخصائيين ، فاتضحت صحة ما قيل عنها وأن ٨٥ ٪ من الذين عولجوا بها طهروا من جراثيم الزهرى التى كانت متغلغلة فى دمائهم وأنهم أمنوا خطرها أو العدوى بها

أما الباقون الذين تملكهم الداء فأصبح عضالاً فقد استغرقت معالجتهم لاستئصاله بالكلية حوالى الشهرين . ومركب الدكتور أرليك يعرفه الأطباء ، وهو فيما يقال يعطى للمريض حقناً على التوالى مدة خمسة أيام بمقدار لم يعلن بعد . ولا تكون هذه الطريقة فى متناول الأطباء قبل انقضاء بضع سنوات ، كما يقول مكتشفوها الذين لم يوضحوا أسباب هذا التأخير . والمساعى مبذولة الآن لحمل الحكومة الأمريكية على تعميم استعماله ومعالجة جميع المصابين بالزهرى ، الذين كان عددهم فى العام الماضى نحو نصف مليون

غلطة شائعة

قرأت أكثر ما كتبه الناقدون عن الجزء الثانى من كتاب الدكتور طه حسين بك : « على هامش السيرة » الذى صدر منذ أمد بعيد ، فلم أجد ناقداً منهم نص على الأخطاء النحوية واللغوية المتكررة التى وقع فيها الدكتور طه . ومن أظهر هذه الأخطاء أنه فى عبارة له بالكتاب المذكور يقول : « وما أحسب إلا أن الأيام ستترى » فجعل كلمة « تترى » فعلاً بإدخاله حرف السين الخاص بالأفعال عليها ، مع أن هذه الكلمة اسم لا فعل ، وإليك الدليل :

قال صاحب القاموس فى مادة (الوتر) : « وجاءوا تَترى وتنوّن ، وأصلها وَتْرَى : متواترين » . فلو أن الدكتور قال : « وما أحسب إلا أن الأيام ستمر تترى » لاستقام تعبيره على سنن العربية ، ولكن ...

ولن أنسى النص على أن كثيرين من ناشئة الكتاب يخطئون فى استعمال هـذه اللفظة ، وهم يحسبونها فعلاً بمعنى « تَتابَع » والصواب ما قدمنا .

أحمد جمعة الشرباصى (البجلات)

كتاب جديد لابن حزم الأندلسى

هذه رسالة للإمام ابن حزم فى (المفاضلة بين الصحابة) نشرها اليوم على غلاء الورق وصعوبة النشر صديقنا الأستاذ سعيد الأفغانى ، فجاءت فى نحو مائة صفحة ، فقدم لها مقدمة فى دراسة حياة ابن حزم دراسة كاملة ، وضم إليها ذيلاً يشتمل على تراجم مطولة وفهارس مفصلة لأسماء الأعلام الواردة فى الكتاب ، فبلغت المقدمة مع الذيل ثلاثمائة صفحة ، كلها بحث وتحقيق فى لغة سليمة وديباجة صافية . وقد قام بهذا كله على صمت وتوار من الناس ، وبعد عن الادعاء الذى اكتفى به هؤلاء الذين جاءوا بعلم العربية من ديار العجم . والأستاذ الأفغانى أحد أربعة هم بين أدباء الشام الدائبون على العمل (والإنتاج) المثابرون على الكتابة والتأليف والنشر ، وهم الأستاذ الجليل العلامة محمد كرد على بك ، والكاتب الأكبر معروف الأرناءوط ، والأستاذ الأفغانى ، ورابع أستحى أن أسميه . اثنان منهم للبحث والتحقيق والعلم ، واثنان للأدب الخالص . هذا ولا بد من عودة إلى الكلام على هذا الكتاب ، وإنما عجلنا للأستاذ الشكر كما عجل لنا الهدية .

على الطنطاوى

وفاة عالم جليل

استأثرت يد المنية بالعالم الجليل ، شيخ القراء فى القطر الشامى المرحوم الشيخ عبد الله المنجد ـ والد الأستاذ صلاح الدين المنجد . فكانت وفاته فاجعة كبرى اهتزت لها أرجاء دمشق ومشت بشيبها وشبانها فى جنازته العظيمة ، يتقدمهم سعادة مدير المعارف ورجال

التعليم وسماحة رئيس جمعية العلماء وإخوانه العلماء الأجلاء ، وقد أبَّنه على القبر بعض أعلام المسلمين

وقد كانت للفقيد منزلة سامية بين المسلمين لما اتصف به من العلم الغزير ، ولأنه شيخ القراء والحافظين لكتاب الله عز وجل ، ولما عرف عنه من دماثة الأخلاق ولين الجانب والتواضع والقيام بواجبات العلم ، وقد تخرج على يديه طلاب لا يُحصى عددهم كلهم يشهد بفضله وعلمه . وخسارة المسلمين به وبمن سبقه من علماء دمشق الأجلاء لا تعوّض

أسأل الله أن يلهم آله وذويه جميل الصبر ، وأن يوفقني لكتابة فصل عنه فى هذه المجلة الغراء ، أبيّن فيه سيرته وفضله ومزاياه

(دمشق) « م . ط »

وأسرة (الرسالة) تتقدم إلى الأستاذ صلاح الدين المنجد خالص العزاء

المفاضلة بين الصحابة

للأستاذ الأديب السيد سعيد الأفغانى همم مشكورة فى طبع بعض الكتب القديمة . وآخر ما طبعه رسالة ابن حزم المسماة (المفاضلة بين الصحابة) وهذه الرسالة موجودة برمتها فى كتاب (الفصل فى الملل والنحل لابن حزم) من الصفحة ١١١ إلى الصفحة ١٥٣ من الجزء الرابع من طبعة الخانجى ، وأما الطبعة الثانية فليست تحت يدى لأشير إلى مكان الرسالة منها . فلعل أحد الناسخين (من الناصبة) جردها من كتاب (الفصل) فحسبها بعضهم كتاباً جديداً . وفى الخزانة التيمورية نسخة منها كان الأستاذ كرد على أخذ صورتها الشمسية . فالجدوى من نشر هذه الرسالة مستقلة هى للطابع لا للباحث .

فضيل سالم المهدى

(الرسالة) : لا ندرى كيف غفل الكاتب عن الجهد العظيم الذى بذله الأستاذ الأفغانى فى التحقيق والتعليق والفهرسة والترجمة حتى أصبح الكتاب بمقدمته وذيله كتابين لا جدوى لأحدهما بغير الآخر . ولو كان يدرى الكاتب شروط النشر الحديث لعلم أن هذا الكتاب ما كان يفيد الباحث لو لم يبذل هذه العناية من الأستاذ سعيد .

حول آية إطعام الطعام

إنها ليد طولى للرسالة تقابلها بالشكر أن أتاحت لنا الاتصال بإخواننا فى العراق نبادلهم الرأى ونساجلهم البحث ؛ فقد نشرت فى عددها الماضى رد الأستاذ الشيخ كاظم سليمان خطيب الكاظمية بالعراق على إنكارنا صحة ما روى الرواة فى سبب نزول آية إطعام الطعام من صوم الإمام على رضى الله عنه إلى آخر ما زعموا. وقد حاولت أن أظفر بدليل فى كلام الأستاذ فلم أنل

وغير خاف أن الإمام كرم الله وجهه فى سابقيته وهجرته وبلائه ومناقبه وعلمه وفضله وفتوحاته وقرابته لا يرفع من شأنه رواية لم تثبت

على أن المفسرين بإزاء هـذه القصة فئات منهم من ضرب عنها صفحاً ، ومنهم من رواها من غير بحث ، ومنهم من نقدها. فقد جاء فى تفسير الطبرى

« والصواب من القول فى ذلك أن يقال إن الله وصف هؤلاء الأبرار بأنهم كانوا فى الدنيا يطعمون ... » . فتراه ارجع ضمير يطعمون إلى الأبرار ولم يشر إلى قصة صوم الإمام أقل إشارة، وقال الخطيب الشربينى بعد أن ساق القصة : « حديث موضوع »

وفى الشهاب على البيضاوى : « هو حديث موضوع مفتعل كما ذكره الترمذى وابن الجوزى ، وآثار الوضع عليه ظاهرة لفظاً ومعنى »

وقال الألوسى بعد أن ساق القصة : « وتعقب بأنه خبر موضوع مفتعل ... » إلى آخر عبارة الشهاب السابقة

وقال الفخر الرازى والقول ما قالت حزام : « إنه تعالى ذكر فى أول السورة أنه إنما خلق الخلق للابتلاء والامتحان ، ثم بين أنه هدى الكل وأزاح عللهم ، ثم بين أنهم انقسموا إلى شاكر وإلى كافر ، ثم ذكر وعيد الكافر . ثم أتبعه بذكر وعد الشاكر فقال : « إن الأبرار يشربون » ، وهذه صيغة جمع فتتناول جميع الشاكرين والأبرار ، ومثل هذا لا يمكن تخصيصه بالشخص الواحد لأن نظم السورة من أولها إلى هذا الموضع يقتضى أن يكون هـذا بياناً لحال كل من كان من الأبرار والمطيعين ، فلو جعلناه

مختصاً بشخص واحد لفسد نظم السورة . والثانى أن الموصوفين بهـذه الصفات مذكورون بصيغة الجمع كقوله : إن الأبرار يشربون، ويوفون بالنذر، ويخافون، ويطعمون وهكذا إلى آخر الآيات. فتخصيصه بجمع معنيين خلاف الظاهر، ولا ينكر دخول على بن أبى طالب عليه السلام فيه، ولكنه أيضاً داخل فى جميع الآيات الدالة على شرح أحوال المطيعين وكما أنه داخل فيها ، فكذلك غيره من أتقياء الصحابة والتابعين داخل فيها، فحينئذ لا يبقى للتخصيص معنى ألبتة » اه . كلام الرازى

أما من نقل القصة من المفسرين بلا بحث فليس فى مجرد النقل حجة

ومن العجيب أن ابن عباس الذى رويت عنه هـذه القصة من القائلين بأن سورة (الإنسان) مكية نزلت قبل زواج الإمام بالزهراء عليهما السلام ، فكيف يصح ما رووه أم كيف يستقيم

محمود محمد سويلم

إلى الأستاذ محمد سعيد العريان

جاء فى كتابكم القيم « حياة الرافعى » أن والد فقيدنا الغالى هو الشيخ عبد الرازق الرافعى ؛ فالتبس على الأمر بعد أن كنت أعلم أن اسم أبيه « صادق » نسبة لما يطلقه على نفسه : « مصطفى صادق الرافعى »

فهل لك فى إزالة هذا الالتباس وإيضاح الحقيقة ؟ بعـد أن تقبل تحية صدق من أخ يقدر فيك ـ على البعد ـ الإخلاص والوفاء

(دمشق) بشير العوف

الأمة الإسلامية ونادى المراسلات الإسلامى

تتكون من العالم الإسلامى الممتد فى كل بقعة من بقاع الأرض أمة تخالف فى نظامها ومقوماتها الشخصية الأمم ، فمن المألوف فى كل أمة أن تكون الوحدة بين أفرادها وحدة الدم أو اللغة. ولكن الأمة الإسلامية التى تتألف من أجناس متعددة ولغات متباينة ، وتقيم فى قارات الدنيا الخمس، هذه الأمة تتألف من كل مؤمن صادق الوعد قوى النفس حى الضمير، من كل أمة تربط بين أفرادها العقيدة بدلاً من أن يربط بينها الدم ويوحد بينها الفكر ما فرقته اللغة

هذه الأمة العظيمة تتلاقى بقلوبها وأبصارها عند كعبة واحدة كل يوم خمس مرات، وتهتف بنداء واحد كل يوم مئات المرات كانت ، حفنة من الرجال خرجوا من جوف الصحراء ينشرون كلمة التوحيد ، ويرفعون اسم الله قد دانت لشجاعتهم وإيمانهم جبابرة الأرض ، وفرضوا على كل الأمم أنبل التقاليد وأفضل الأخلاق وتركوا وراءهم مجداً خالداً باقياً ما بقيت الأرض

إلا أن روح الجمود والتفرقة والجرى وراء الأغراض ما فتئت تنخر فى عظام هـذه الأمة حتى وصلت إلى حالتها الحاضرة من التقهقر والضعف والانحلال ؛ هـذه الحالة التى تثير فى النفوس كوامن الألم وتدفعنا دفعاً إلى أن نفكر فى مجدنا التالد وتقاليدنا النبيلة التى يكاد أن يمحى عليها الزمن

إن نادى المراسلات الإسلامى الدولى الذى هو عبارة عن هيأة إسلامية دولية مركزها الرئيسى بالمملكة المصرية يشترك فى إدارتها وتنظيمها نخبة من شباب الإسلام فى مختلف بلاد العالم يدعو مسلمى الدنيا بأكملها للانضمام إلى عضويته وبذل أقصى الجهد فى نشر فكرته ومبادئه والدعاية إلى الانضمام إليه سعياً وراء تحقيق أغراضها التى تألف من أجلها، والتى تقوم على خلق علاقة وطيدة تتناول كل أمور الدنيا والدين بين مسلمى الدنيا بأكملها مهما اختلفت اللغات أو تباينت الأجناس أو بعد المزار

إن الاشتراك فى نادى المراسلات الإسلامى الدولى لا يكلف الأعضاء مالاً ولا وقتاً ولا جهداً ، ولكنه وسيلة لا تدانيها وسيلة فى تحقيق الوحدة الإسـلامية وبعث القوى الكامنة فى نفوس الأمة الإسلامية

فإلى مسلمى ومسلمات العالم نسوق هذه الدعوة راجين أن تصل إلى كل مسلم ، وأن يعمل الجميع على نشرها فى جميع أنحاء العالم

تقدم طلبات الانضمام وتطلب الاستعلامات بلا أى مقابل من السكرتير العام لنادى المراسلات الإسلامى الدولى صندوق البريد رقم ٩٣٩ بالقاهرة بمصر .

رسالة النقد

ليالى الملاح التائه

للأستاذ الشاعر على محمود طه

بقلم الأستاذ خليل هنداوى

ليس أحب على النفس التى تحيا فى هذا الجو الضيق الذى حل فيه الربيع بمواكبه عابساً يائساً من أن تنطلق فى الحياة انطلاقة « الملاح التائه » الذى يخبط على غير هدى ، لا غرض له من هذا الخبط إلا أن ينطلق وينطلق ! فيضيع عن الشاطئ عبر هذا اليم الذى تلاشى عن عينيه شاطئه ، وأصبح يحمل الموج لمن يسأل عنه صدى ألحانه ، وفى هذه الألحان شوق غلاب ووجد ملح

حياة هذا « الملاح التائه » ، هى ذات حياة ذلك البوهيمى الذى انطلق من قيود الحياة ، وراح يطلب لذتها للذتها . إلا أن البوهيمى قريب منا حينما نطلبه ؛ أما ذلك « الملاح التائه » ، فقد انفصل عنا حتى ضنت الأمواج علينا بالإبقاء على آثار زورقه ! فنحن نسمع أصداءه ، ولكن لا نعرف مصدر تلك الأصداء ؛ ونطرب لألحانه المقبلة مع الموج المتهدل ، ولكن هذه الألحان تبقى مجهولة الإيحاء !

أين صاحبها ؟ وأية موجة تلفُّ الآن زورقه ؟ وأى شاطئ مرصّع تفتّح أمام عينيه ؟ أذكر أننى تلوت نقداً لديوانه الأول يلوم الشاعر على أنه يهمل مشاهد بلاده ، ويمعن فى وصف مشاهد غريبة عنه وعن أهله ؛ ولكن عزب عن الناقد أن — شاعرنا ملاح تائه — يعبر كل البحور، ويرف ناظره على كل الشواطئ ، ويكحل جفنه بأى نوع من الجمال . ومتى انطلق الشاعر من هذه الحدود ، ترامى أمام طرفه ، لا نهاية فسيحة تبدو عليها حدودنا خطوطاً تكاد تلوح كباقى الوشم إزاء عالمه الفسيح !

وفى « ليالى الملاح التائه » مشاهد غريبة — عن غير هذا الشاعر — توحى إليه عاطفة شديدة الإحساس ، لكنها فى هذه المرة لا تكاد ترتدى — الإنسانية — رداء حتى يردها إلى الأرض التى انفصلت عنها نوازع فيها الوجد والحنين والاضطراب والكآبة ... وكل هؤلاء نعم القرين للشاعر ! وإذا كان لا بد من النقد ، فإننى آخذ على صاحب الليالى حشده لبعض مقطعات ليست من وحى الملاح التائه ! وليست أخوات تلك الرعشات التى تأتى متآخية مع رعشات الأمواج ! وأولى بمثل هذا الشاعر الصافى أن يتجرد كثيراً من شعر المناسبات . ومن أولى من الملاح التائه بالتجرد من هذا ؟ وهو الذى وقف حياته على الشعر الصافى ... ؟

أول ألحان « الملاح التائه » أغنية سامية أعدها فتحاً جديداً فى عالم الشعر والغناء ، هى « أغنية الجندول » التى نظمها خير شاعر ولحنها خير فنان ، قد امتزجت فيها عبقرية الشعر وعبقرية الفن ، حتى لتحار فى هذا الامتزاج الغريب الذى ترك للقطعة قيمة خاصة تذكرنا بالشعر العربى الوجدانى ، ولعلها تمت بصلة أو صلات إلى الموشحات ؛ ولكن تلك الأغنية أصدق عاطفة ، وأبعد تأثيراً فى النفس ، لأن العاطفة المجردة بعثت بها دون أن تترك مجالاً لتغلب الصبغة الكلامية ... ولعل هذه الأغنية هى أروع أغانى « الملاح التائه » لأنها تصور حياة هذا البوهيمى الذى يعالجه حنينان : حنين إلى مجالى الهوى ، وأين تلك المجالى ! وحنين إلى أرضه المتواضعة التى يصارعه الشوق إليها . حنينه الأول إلى كأس يتشهّى الكرم خمره ، وحبيب يتمنى الكأس ثغره ... هذا الحنين عاوده وأنساه كل شىء ... وبات من أجله يضيّع فى الأوهام عمره! ولكن الذكرى تناديه، والشوق إلى وطنه يهتف به ... فيشعر بغربته شعوراً كاملاً ، ولا يزيد على شعوره هذا شيئاً

قال من أين وأصغى ورنا   قلت من مصر غريب ههنا !

هذا البوهيمى نفسه يمر على الخيام فيقف عنده ، وهو الذى لا يقف فى مكان، وهنالك يرسل لحناً يعد أعمق ما أرسله من ألحانه

فى لياليه ، وأنى لنا أن نتمثل هذا البوهيمى الذى أضناه جوب البحار وشق القفار ، حتى وقف عند باب هذا الخمار !

كلما لألأ فى الشرق السنا   دقت الباب الأكف الناحلة
أيها الخمار ! قم وافتح لنا   واسقنا قبل رحيل القافلة

وما عسى يسقيه هذا الخمار الذى جمع خمره من كرم غريب من الكروم وعصرها من عناقيد ترى فيها :

كل عنقود دموع جمدت   وقلوب فنيت فيها شعاعا
ما احتواها الفجر إلا اتقدت   جمرة تذكو حنيناً والتياعا

وبعد السكر يناجى الخيام بمثل ما عاوده فى حياته ، وفى هذه النجوى صمود شاعر :

صرخت آلامه فى كوبه   فهوى يثأر من آلامه
إنما البعث الذى تشدو به   يقظة المفجوع فى أحلامه !

لله ما أروع هذا البعث ؟ ولكن حسبه تعزية :

... ... أنا سنحيا   فى غـــد ، مثل حياة الزهر
وسنطوى الأبد المجهول طيا   جدد الأطياف شتى الصور
حسبها تعزية أن نحلما   بأناشيد الصباح المنتظر
ونشق الأرض عن وجه السما   حيث نور الشمس أو ضوء القمر
ربما جـــدد أو هاج لنا   نبأ ، أو قصة من حبنا
نوح ورقاء أرنت حولنا   أو صـــدى قبرة مرت بنا
... ...

فى الديوان شعر كثير ، وخطرات تدل على قلب شاعر : وللشاعر قدرة عظيمة بنقل الحوادث الخاصة بروح إنسانية كاملة فى قصيدة «مصرع الربان» . ولعل بين هذا الربان وهذا اللاح نسباً . هذا الربان هو الكابتن (ما كيج جونس) ربان حاملة الطائرات كوراجيوس التى أغرقتها غواصة ألمانية فى بدء الحرب الحاضرة ، فآثر الموت غريقاً مع سفينته على الحياة بعدها . ولما بلغ الماء هامته ، ألقى بقبعته على الموج إجلالاً للموت وإكباراً للبحر الذى حمله حياً وضمه ميتاً ! ولم يجد الشاعر فى هذه الحادثة مهرباً من وصف ذلك العدو الخافى القاتل ... وهو وصف دان جداً من وصف شوقى للغواصة . وما أدنى المشابهة حين يقول :

رماك فى جنبات اليم محترب   خافى المقاتل عند الروع قرار
ترصدتك مراميه ولو وقعت   عليه عيناك لم تنقذه أقدار

وأبدع بتلك الصورة التى خلدها الشاعر

وغاب كل مشيد غير قبعة   ذكرى من الشرف العالى وتذكار
ألقيتها ، فتلقى الموج معقدها   كما تلقى جبين القائم النار

وهذه قصيدة وليدة البحر ، لو لم يقع عليها الملاح التائه أثناء تطوافه لم يلقها ، لكن الباعث عليها يختلف عن جملة البواعث الأخرى، لأنه باعث الحياة التى تهتز بانفجار، وتأبى الحياة إلا نجاءة واقتحام أخطار

* * *

شعر فيه جميع عناصر الشعر !

زودينا من مثل هذا الشعر يا مصر !

وهل الشعر إلا نشوة علوية وشعاع كأس لم يقبلها فم ؟!

خليل هنداوى



الرجل الذي لا يقاوم

للأستاذ نجيب محفوظ

في تلك اللحظة التي لا تنسى حين وجه المأذون سؤاله الفاتن إلى صابر افندي عبد الخالق : «هل تقبل نكاحها؟» . ثم عطفه إلى الآنسة حياة الخضيرى قائلاً: «هل تقبلين نكاحه؟». في تلك اللحظة التي لا تنسى تنهد قلبان ارتياحاً وغبطة بعد أن احترقا شوقاً وجوى عشرة أعوام تساوى مائة عام مما تعدون . وقد لهجت الألسن بالخبر السعيد أكثر مما ألفت أن تلهج بنبأ زواج . لأن الحب الذى آلف بين هذين الشخصين عشرة أعوام طوال كان ذاع أمره ، وجرى مجرى الأمثال ذكره ، فغدا نادرة يطرب لها الكواعب ويستدفئ بها العجائز في أحياء غمرة والسكاكيني والظاهر وغيرها من الأحياء القريبة التي شاهدت من آياته ما تهتز له النفوس وتخفق القلوب . وقد نمى هذا الحب واستبد . فهزء بالكبرياء ، وأزال الفوارق واستأدهما ما يطيقان وما لا يطيقان من التصبر والتجلد والإخلاص والوفاء ، فأدياها إليه عن طيب خاطر ، وقدما على مذبحه القرابين عاماً بعد عام . أما حياة فهي كريمة السيد شلبي الخضيرى تاجر الأخشاب ذى الثروة الواسعة والجاه العريض ، والمكانة الملحوظة في أسواق التجارة وميادين السياسة والحياة النيابية ، وكانت إلى هذا حسناء في مقتبل العمر مشهوداً لها بالجمال الفائق والرشاقة الفاتنة . وأما صابر فمن أسرة فقيرة من عامة الشعب ، ارتقت به مدرسة الصنائع إلى وظيفة مهندس كهربائي بمصلحة الميكانيكا بمرتب ستة جنيهات . فوهبته قلبها وجمالها وصدقته المودة والإخلاص ، وأعرضت وفاء له عن عشاق ملحين عنيدين ، ورفضت أيادى شبان ذوى حسب ونسب وجاه ، منهم طبيب وجيه ، وضابط بوليس يبعث شريطه الأحمر بالأفئدة . فلم تطع سوى قلبها العاشق المفتون . وحافظ هو من ناحيته على عهدها ، وأخلص لها الحب ، وليس هذا بالشيء الذى يستهان به في مثل عصرنا هذا . وتحمل في سبيلها أذى كثيراً دأب والدها على توجيهه إليه قبل أن يسلمه اليأس من إذعان كريمته إلى قبوله . وفوق هذا ، فلم يكن مما يجذبه إليها جاذب الطمع في مال أو جاه أو ترق ، فكان حبه خالصاً نقياً . على أنه لم يعرف عنه مع ذلك أنه كان يغض الطرف قط عن حسان السكاكيني أو الظاهر ، وما كان يستطيع ذلك ، ولكن الحق الذى لا مراء فيه أنه احتفظ بقلبه وحبه لها دون بنات حواء جميعاً ... وشاء الحب أن يختتم ألم السنين بهذا الزواج . فقال أناس : إنه إذا كان الحب قد حكم أن يدعوهما دواماً إلى حدائق القبة وبساتين غمرة، فالزواج لا شك محتبسهما في بيته إلى الأبد، وأنه لن يرى بعد ذاك اليوم صابر أفندى إلا حين ذهابه إلى مصلحة الميكانيكا والكهرباء ، أو عند أوبته منها . وصدقت فراستهم ، ولكن شهراً واحداً رؤى الشاب بعده ذات مساء يغشى قهوة كان دائم التردد عليها أيام عزوبته ، وقد نفخت فيه الحياة الجديدة نضارة وسعادة ، فبدأ أنيقاً جميلاً ، فلم يدهش لذلك رفاقه وتلقوه فرحين ... فغدى يغيب حيناً ويعاود أحياناً ، ثم اختفى ردحاً طويلاً فظنوا جميعاً أنه آثر هدوء البيت على ضجيج القهوة ، ولكن واحداً ممن يتطوعون لإذاعة الأخبار قال إنه يراه كل مساء يجلس أمام « صالون الكمال » في شارع قمر لا يبرح مكانه حتى يغلق « الصالون » أبوابه حوالى الساعة العاشرة . فوقع القول من النفوس موقع الدهشة وتساءلوا عما يغرى صاحبهم بتجنبهم وملازمة صالون الكمال . وكان بينهم خبثاء متطفلون فلم يهدأ لهم بال حتى أرسلوا رسولاً منهم يستطلع الخبر . وعاد الرسول بما هو ادعى إلى الدهشة ، والإنكار قال : إن صابر عبد الخالق يسعى وراء حب جديد ، وإن التي شغفته حباً هذه المرة معلمة بروضة الأطفال تقيم بشقة في العمارة رقم ١٠ بشارع البستان المواجه لصالون الكمال ...

كيف أمكن أن يحدث هذا التحول الغريب ؟ هل خبا الحب الذى صمد للشدائد عشر سنوات بهذه السرعة ؟ . . . ترى هل خنقه الملل في شهر وبعض شهر ؟ . . . أم بددته الخيبة وانقشاع الأوهام ؟ ... وكيف مكن أن ينزع قلبه إلى

امرأة أخرى بهذه السهولة بعد أن تعود على حب زوجه ذاك الدهر الطويل ؟!

قبل أن نجيب على هذه الأسئلة ينبغي أن نعرف أكثر مما عرفنا إلى الآن من هو صابر عبد الخالق ؟

هو شاب فى الثلاثين له فضائله وله رذائله مثل جميع الناس . فمن فضائله احترامه لنفسه وحرصه على كرامته ومحافظته على آداب البيئة وتقاليدها المتوارثة ، وإن كان يشوب حماسه لهذه الفضائل ضيق آفاقه وانحصار ذهنه وضحل ثقافته مما يجعله ينحدر فى كثير من الأحايين إلى الصلف والتعصب . وأما رذائله فهى أدنى إلى الفكاهة منها إلى الشر وتدور جميعها حول الغرور ، والغرور الموجه إلى مزاياه الجسمانية قبل كل شىء . نعم لا أنكر أنه عظيم الثقة بمواهبه العقلية وقدرته الفنية كمهندس قليل النظير، ولكن تيهه بحسنه واعتداده بجماله يفوقان كل تقدير . وليس ثمت شك فى أنه يحظى بقسط من الوسامة والجمال فقد خلق الله له عينين سوداوين يظلهما حاجبان مقرونان ، وأنفاً مستقيماً . ولكن عجبه فاق حسنه كثيراً وغلب أثره على فعاله وأقواله، وكان أمراً ملحوظاً لدى رفاقه منذ الصغر فاستبقوا إلى العبث به تارة بإطراء جماله ، وتارة بإبداء إشفاقهم على الحسان من وقعه وفعله . فما خطر له على بال أنهم يهزأون به؛ وازداد عجباً وما عتم أن غدا عجبه داء لا شفاء منه . ولذلك كان أحب الأشياء إلى نفسه أن يقف أمام المرآة يطالع صورته المحبوبة وقوامه الرشيق ويطيل النظر إلى عينيه الدعجاوين وثغره المليح المفتر عن ابتسامة وضاءة، المكلل بشارب « كلارك جابل » . كما كان أشق الأمور على نفسه أن يسعى إلى اقتناء بذلة يلف بها حسنه وشبابه . فما كان يطمئن ذوقه حتى يطوف بمحلات القاهرة التجارية جميعاً فاحصاً مفاضلاً بين الأصناف والألوان ، ومتى وفق إلى اختيار لون منها واجه متاعب التفصيل ، وتجاذبت عقله المودات الحديثة ، وأنهكت قواه البروفات المتتابعة ؛ ثم يمضى فى تخيّر القميص الموافق للبدلة ، ورباط الرقبة الملائم للقميص ، والمنديل الموائم لرباط الرقبة ، ولا ينسى — إتماماً للتناسق العام — الحذاء والجورب المناسبين . كان متأنقاً شديد الحساسية إلى حد الإرهاق . فكان المكواه يوجه إلى ثيابه عناية لا يوجهها لثياب أحد من زبائنه الآخرين . ويحلف الحلاق أنه يلاقى فى ترجيل شعره وتطرية شاربه من الجهد ما لا يلقاه طبيب يتصدى لحالة وضع خطير

لهذا لم يكن عجباً أن يستهين بتضحية زوجه فى سبيله ، وأن ينكر على القائل قوله : إن إخلاصها له نعمة يحسد عليها . بل كان فى أعماقه يعتقد أنه صاحب الفضل وأنها صاحبة الحظ التى يحسدها عليه بنات حواء جميعاً . كيف لا وقد وقف عليها جماله الذي تقتتل عليه أجمل الحسان ؟!... وقصة حبه الجديد آية على غروره قبل كل شىء . فلم تكن إلا أنه رأى فتاة تعبر شارع السلحدار ذات أصيل فراقه منظرها ، لأنها كانت ذات قد رشيق ووجه خمرى مستدير رقيق القسمات . يولد تناسقها فى النفس اشتياقاً ويورث فى الصدر حرارة. فتبدى على وجهه الرضا، وهز رأسه طرباً كأنه يتابع لحناً شجياً . وكان إلى جانبه ساعتئذ شاب من معارفه لم يفته ما بدا عليه. فأدنى رأسه من أذنه وقال بلهجة ذات معنى:

— حذار فالنظرة إلى هذه تعقبها حسرة

فأنكر صابر قول صاحبه وسأله ببساطة وعيناه تتعقبان الفتاة المجدة فى السير :

— وله ؟

فقال الشاب بخبث :

— لأنها فتاة جد ، لا تلوى فى سبيلها على شىء ولا تعير النازلات أدنى التفات . وما تزال تتردد كل صباح وكل مساء ما بين بيتها فى شارع البستان وروضة الأطفال بشارع السلحدار مقتحمة أنظار المتطفلين كأنما تحتفظ بقلبها فى صندوق مغلق ضائع المفتاح

فساءه هذا الوصف وأحس بمرارة لما آنس فيه من تحد. وقال متفلسفاً على قدر عقله :

— قلب أى امرأة فى صندوق ضائع المفتاح كما تقول ، والعبرة بالرجل الأريب الذى يقدر على الظفر بهذا المفتاح . وهز منكبيه باستهانة وابتسم ابتسامة ساخرة مشبعة بالثقة والطمأنينة ، وودع الفتاة التى شارفت نهاية الطريق بنظرة وعيد . ولم يكن يداخله أى شك فى قدرته وفنه ، ولا تزعزعت ثقته بنفسه قط ، ومع

ذلك لم يرَح قلبه ، ووجد فى كلام صاحبه تحدياً صريحاً لا يجوز السكوت عليه ؛ وجعل يتساءل فى غيظ وحنق : ترى هل يمكن حقاً أن تقتحمه هذه الملمة إذا تصدى لها ... ؟

هل يستعصى عليه العثور على المفتاح الضائع ؟ وتكدر صفوه تلك الليلة . وفى أصيل اليوم التالى قصد إلى شارع السلحدار ، ومن الإنصاف أن نقول إنه لم يدفع بنية يتحرج لها ضمير زوج مخلص مثله، وإنما ساقه انفعال غضب وعاطفة لا تتنكب الحق إذا قلنا إنها علمية إلى درجة ما ، لأنها كانت تتشوف إلى التحقق والتجريب . قصد إذاً إلى شارع السلحدار وانتظر . ثم رآها تبرز من باب المدرسة بقدها الممشوق . فوثب وتحفز حتى إذا صارت منه على مرمى نظرة سدد إليها عينين فاتنين، ولكنها سارت لا تلوى على شيء كما قال صاحبه، وضاعت النظرة فى الفضاء منضمة إلى أسرتها من الأنوار الكونية . فأحس بخيبة وأحنقه جفاؤها السكونى ، فصرّ على أسنانه وسار فى أعقابها . ومضى يشاهد خصرها الدقيق وردفها المستوى ويقول لنفسه متعزياً « لو أصابتها النظرة لذاب جفاؤها كما يذوب الثلج تحت أشعة الشمس » . وأراد أن يلفتها إليه ، وتنحنح وسعل سعلة مؤدبة ، ولكنها لم تبد أدنى اهتمام ، فأوسع الخطى حتى حاذاها ، وكاد أن يلمس كتفها، فأوسعت الخطى بدورها لتسبقه فاستبقا. وأدركت بلا ريب أن شخصاً يطاردها فالتفتت نحوه بغضب، وكان يتربص للفرصة السعيدة فصوب إليها نظرته المشهورة، فردت عليها بنظرة عنيفة كأنها تقول له : « مكانك يا هذا » . وتنحت عن سبيلها منعطفة إلى اليسار ثم انتهت المطاردة بانتهائها إلى العمارة رقم ١٠ بشارع البستان وتردد أمام العمارة مرتين، ولم يجد بداً من العودة فقفل راجعاً . وكان مهموماً مغتماً كمن يقفل من معركة دامية لا مطاردة غرامية . وما كان يشعر بأى إحساس من أحاسيس الحب أو الفتنة، ولكن كانت تضطرم فى قلبه عواطف الكفاح والقتال وبات ليلته وقد صدقت عزيمته على الجهاد إلى النهاية

وتوجه فى أصيل غده إلى المكان نفسه ـ وانتظر حتى رآها تسير نحوه فى مشيتها التى تجمع بين الرشاقة والشدة فتبعها على الأثر، وأدرك لأول وهلة أنها لا تجهل تعقبه لها وأنها برمة ضيقة به، ولكنه سار فى طريقه غير حافل بتذمرها ، لأنه كان عنيداً مثابراً ملحاحاً ؛ فكان جزاؤه نظرة أشد من نظرة الأمس . وفى اليوم الذى بعده خرجت عن صمتها بأن قالت له بلهجة خشنة صارمة : «من فضلك بلاش قلة أدب» . وفى اليوم الرابع قالت له بنفس اللهجة « شيء بارد » . وقالت له فى اليوم الخامس وهى تحدجه بنظرة وعيد « إذا لم ترتدع عن هذا السلوك الشائن ناديت الشرطى » ، ولما كانا فى اليوم السادس لاذت بالصمت يأساً وتجاهلته ، ولكنها لم تناد الشرطى ، فتنهد ارتياحاً وعد سكوتها فوزاً مبيناً . وأخذته نشوة طرب فسال لسانه بكلام ـ وإن يكن مبتذلاً غاية الابتذال ، ويحفظه جميع من هم على شاكلته عن ظهر قلب ـ إلا أنه كان يحسبه من الرقى الغرامية كنظرة عينيه سواء بسواء . قال لها : « يا معجباً بنفسه يا شديد الجفاء بغير سبب . يا تياها بجماله، هل ذنبى أنا أنك جميل ولا نظير لك فى الكائنات . وهل جرى أن لى قلباً يشعر ويهيم بالجمال . أيصح أن تنذرينى بالأمس بالشرطى . وهل ينادى الشرطى للعاشقين ... الشرفاء ... أمثالى، ومع ذلك نادى الشرطى، بل نادى الموت نفسه فلن أبرح حتى أسمع من الفم الصغير هذا — الذى يحاول خنق ابتسامة بريئة بغير ذنب — ما يدنينى إلى أملى ... »

ولم يعد يقنع بالمطاردة القصيرة التى تبدأ فى شارع السلحدار وتنتهى فى شارع البستان ، ووجد فى موقع صالون الكمال من العمارة رقم ١٠ ما يشفى شوقه وطمعه . فانضم إلى زبائنه وتودد إلى صاحبه وجعل منه ناديه المفضل على كل مكان

وكان يندفع بادىء الأمر — كما قلنا — بقوة غضب ورغبة فى الغلبة . وكان يعتزم أن يقف ويتراجع حين تلين وتراخى . وكان يعود من كل مطاردة ـ فى أول عهده بها ـ ولا فكر له إلا عنادها وصلفها وغضبه وحنقه . ثم أخذت صور أخرى منها تتسلل بمهارة فائقة إلى مخيلته مثل قدها الرشيق وعنقها الطويل وقسماتها الصغيرة المتناسبة . ومضت هذه الصور تزحف على وجدانه من سراديب حواسه وتندس إلى زوايا قلبه وهو لاه عنها بحنقه وكفاحه . فغدا يتعرض لها مسوقاً بأشواق وحنين . وملبياً نداء يصعد من أغوار نفسه حتى أقر أخيراً فى إشفاق وقلق وذعر

أنه يحبها . وأن الداء يبرح به مرة أخرى . وصادف اكتشافه لحقيقة عواطفه تراخى الفتاة واستسلامها فلم يقف ولم يتراجع كما كان اعتزم . بل شد على يديها فى حماس دافق واندفعا معاً فى سبيل الحب . وفتحت له نفسها وبسطت أمام ناظريته صفحة حياتها البسيطة فعلم فوق ما كان يعلم عنها أنها تعيش مع أمها وخالتها ، وأنهما فى غير حاجة مادية إليها وقد أكدت له ذلك تأكيداً لم يخف عليه مغزاه . أما هو فأخفى عنها جل نفسه فلم يدر لها بخلد أنه زوج وأنه إلى درجة ما عريس . وكان هـذا ما يكدر صفوه وينتزعه من سكرة أحلامه ، فثل الصلة التى بينهما لا يمكن أن تدوم قائمة باللقاء صباح الجمعة بحديقة الوطن بهليوبوليس ، ومساء الأحد بسينما ركس . وفضلاً عن ذلك لا يمكنه أن يتغاضى طويلاً عن تلميحها المستمر إلى موضوع الزواج . فلم ير بداً — حرصاً منه على الاحتفاظ بها — من مجاراتها فى أحاديثها فما لبث أن جرى ذكر الزواج على لسانيهما وناقشاه على اعتبار أنه النهاية التى تهفو إليها نفساهما

وخطت درية خطوة أخرى فدعته إلى زيارة بيتها لتقدمه إلى أمها وخالتها . هنالك أسقط فى يده لأنه ما كان يستطيع أن يلبي الدعوة ولا كان يدرى كيف يرفضها ، والاعتذار لا يغنى عن حالته طويلاً . فما عسى أن يفعل ؟ أيلوذ بالفرار ويختفى من أفقها إلى الأبد ؟ قد يبدو هذا الحل على ما فيه من نذالة أوفق الحلول ، ولكنه لم يستطع على شدة حرجه أن يأخذ به ، لأنه كان انفعالى المزاج لا ينزع نفسه عن هوى . وكان فى الحق قد غدا مستهاماً بها كلفاً . فألف صورتها وحديثها وإيماءاتها ألفة مازجت روحه وسعادته . فهل يعترف لها بالحقيقة ويسألها المغفرة ... ولا هذا استطاع لأنه أشفق من أن يأخذها الارتياع فتنفر من خداعه . أو تيأس منه فينصرف قلبها عنه . واشتدت به الحيرة وساورته الهموم وتشتت عقله بين شعاب مظلمة . وما فتئ يماطل ويسوف . وما يدرى كيف يوفق بين هواه الجامح وظروفه القاسية .. حتى تبرعت المصادفات بالحل الوفق

وكان اليوم الجمعة وقد عاد إلى بيته ـ وكان يساكن حماه ـ فى الساعة الرابعة مساء . وكان يترنم بأغنية بصوت خافت متناسياً أشجان قلبه إلى حين ، وفتح باب شقته فى هدوء وهم بالدخول ، فوجد نفسه وجهاً لوجه مع الآنسة درية . وخفق قلبه خفقة شديدة انخلعت لها ضلوعه ، وصاح وهو لا يدرى : « أنتِ » . ولم تكن أقل منه دهشة ، فرددت قوله : « أنتَ » ! وعنـد ذاك فقط أدرك أن زوجه تقف إلى جانبها ، وإلى يمينها أخوها الصغير « توتو » ممسكا فى يده بكراسة ... ومرت به لحظة رهيبة أحس بأن الأرض تميد به ، ولفه ذهول قهار ، فلم يستطع أن يكتم عواطفه ولا أن يدارى افتضاحه ، وكانت الزوجة تراقبهما بعينين مرتابتين وقد امتقع وجهها وارتعدت شفتاها ، ثم ارتسمت على فمها ابتسامة صفراء وسألت المعلمة قائلة بصوت متهدج :

— هل تعرفين زوجى ؟

ولم تدر الفتاة بماذا تجيب ، وقد دوت فى أذنيها كلمة « زوجى » دوياً مزعجاً ، فرددت عينيها بين صابر وزوجه ثانية ، ثم خفضت عينيها الزائغتين واستولى عليها اليأس والغضب وانفلتت إلى الباب لا تلوى على شىء ، ولم تنبس بكلمة ولم تترك وراءها مكاناً لشك أو ارتياب

وكانت الزوجة تشعر بالفتور الذى اعتور علاقتهما وتتحير فى تعرف أسبابه ، فعلمت أن لهـا غريمة وأن غريمتها هى معلمة « توتو » الجديدة ، فغضبت غضبة نفست عن صدرها الكظيم . وغت الفضيحة إلى أمها ، فاستفحل الخطب ، ولم تنته الليلة حتى حمل صابر حقيبته وعاد إلى بيته وحيداً كئيباً ... ولـكن الله سلم ؛ ولم يبخل عليه بالغفران القلب الذى صدقه الحب عشرة أعوام فقفل إلى بيت الزوجية تائباً . وتراه الآن إذا ظهر فى الطريق يسير متأنقاً مزهواً كعادته ، فإذا وقع بصره على وجه نضير أو قد رشيق ابتسم ابتسامة الزهد والـكبرياء . فإذا خطر لأحد من صحبه أن يداعبه أو يتحداه ابتدره قائلاً : « حسبى ... حسبى ... لا أريد أن أجرح قلوباً بريئة »

نجيب محفوظ

{ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى — عابدين }

8me Année No. 364

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

Lundi - 24 - 6 - 1940

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٦٤ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٨ جمادى الأولى سنة ١٣٥٩ — الموافق ٢٤ يونيه سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

فرنسا تنهـــار ؟!

سبحانك اللهم مالك الملك وصاحب القدرة ! أفى أقل من دورة القمر تخشع باريس محراب الأدب للقوة ، وتخضع فرنسا منجم الذهب للمادة ؟

أفى أسرع من كسرة بولندة والنرويج وهولندة والبلجيك ينهزم أبسل جيش على الأرض ، وتنهدم أرفع أمة فى التاريخ ؟

أبعد القارعة الكبرى ونجاة (فوش) من (فون كلوك) بالمعجزة الفاجئة يُخلد (بيتان) و(فيجان) إلى الدعة، ويسترسلان إلى النعيم، ويطمئنان إلى الأمن ، ويسالمان الأحداث فى أفياء «ماجينو» ، ويهملان الشباب فى أفناء (سان سير) ، فلا يهتمان بسلاح ولا يفكران فى خطة ؟

لقد كانت سيدان فى جسم الدفاع الفرنسى عرقوب أخيل : جثا فيها نابليون الثالث أمام بسمرك ، فلم يستطع (تيير) و (غمبتا) أن ينقذا شرف فرنسا ويفديا عاصمتها إلا يبذل الألزاس واللورين وخمسة مليارات من حُر الذهب . وانخرع فيها جيش (كوراب) فانثغر عندها خط الدفاع الرئيسى فوقعت الكارثة التى لا حيلة فيها ولا نجاة منها . وليس يدرى إلا الله ماذا يملى الدكتاتوران على فرنسا الضارعة من شروط الصلح فى (فرنكفورت) الثانية .

فكيف غفل القواد الفرنسيون عن هذا الثغر فلم يحصنوه ويؤمنوه ؟

الفهـــــرس

صفحة

لقد قال رئيس الحكومة الفرنسية : إن القيادة ارتكبت أخطاء لا يتصورها العقل ؛ وأشار رئيس الوزارة الإنجليزية إلى تهم لا يرى الوقت ملائماً للافضاء بها . ونحن نعيذ فرنسا مثل الوطنية العالية ونموذج العسكرية الرفيعة أن تكون ميداناً لجيش المتارية الخامس ؛ فما علم الناس على ضميرها الوطنى من سوء ؛ وإنما نعتقد أن الديمقراطية دهاها ما دهاها من بطر الغنى وغرور الأمان واعتقاد السلامة . فلو أن الحلفاء يوم صرعوا الأفعى قطعوا ذنبها ورأسها لما تفتحت الجحيم عن شياطين النازية الذين زلزلوا الدنيا وبلبلوا العالم . ولكنهم دوخوها وسلخوها وتركوها فى فجوة من الأرض تتحوى وتتقوى وتستمد ، وانطلقوا فى جنتها الفيحاء ينعمون ويقصفون حتى أذهلتهم نشوة الفوز عن كيد الموتور وحنق المقهور ، فأغفلوا الحيطة وأهملوا العدة إلى أن انفجرت عليهم السموم من كل وجه . والدولتان الحليفتان قد اعترفتا بهذا الخطأ الذى جر عليهما هذه النكبة . فقد قال المستر تشرشل فى خطبته الأخيرة : « لقد انهارت قوى العدو فى سنة ١٩١٨ فجأة . فشاءت حماقتنا أن نلقيه جانباً ثم نستنيم إلى سكرة الفوز » . وقال المرشال بيتان فى ندائه الأخير : « بعد انتصارنا على الألمان فى سنة ١٩١٨ تغلب فينا مرح السرور على روح التضحية ، وحرص الناس أن يأخذوا أكثر مما أعطوا ، واستشعروا برد الراحة فأراحوا أنفسهم من عناء الجهد »

لذلك لم يكن بالعجيب أن تعقم فرنسا أم الأبطال فلم تنجب فى زهاء ربع قرن من القادة العباقر من يخلف جوفر وفوش ، فاضطرها الأمر أن تلقى بمقاليدها إلى رجال المدرسة العسكرية القديمة كغاملان وبيتان ممن أوهنت السن العالية عواتقهم فلا يقوون على حمل النجاد

كذلك لم يكن بالعجيب أن يفجأهم النازيون بالخطط المبتكرة والأسلحة الحديثة، فيقفوا حائرين ذاهلين أمام الدبابات التى تقذف اللهب وتعبر النهر ، والطيارات التى تنقض كالصاعقة وترتفع كالقذيفة ؛ فيذهب غاملان ويجىء فيجان ، ويستقيل رينو ويتولى بيتان ؛ ولكن القدر القاهر فوق الناس يأبى إلا أن يكفّر المخطئ ويخسر الناقل

ليت شعرى ماذا قال الفرنسى الحزين المهان المحطم حين سمع المرشال بيتان يقول ليلة الأمس فى أول ندائه : « إننا فى قلة من الجنود ، وقلة من الأسلحة ، وقلة من الحلفاء ، ولذلك انهزمنا »

لعله قال : وأين إذن يا مارشالى العزيز السمى الذى سميته والمال الذى أديته ؟ إن فرنسا وانجلترا ومستعمراتهما يبلغون ستمائة مليون نسمة ، فهل يجوز على مثل هذا العدد القلة والضعف لولا أن هناك خطأ من الإنسان أو خذلاناً من الله ؟

لقد برهن الفرنسيون فى معركتهم الخاسرة: أنهم جديرون بمكانهم من ثبت الشرف وتاريخ البطولة . وما غلبوا إلا لأن الديمقراطية التى يعتقدونها لا تفكر إلا فى السلم ، ولا تتسلح إلا بالعهود والمواثيق والقوانين والشرف ، وأن الدكتاتورية التى يعادونها لا تفكر إلا فى الحرب ولا تتسلح إلا بالحديد والنار والدعاية والخيانة والكذب

على أن الله عوّد فرنسا العريقة أن يحفظ عليها الشرف إذا شاء أن تخسر المعركة. وبقاء الشرف ضمان لبقاء العزة. والعزة حافز دائب الوخز يدفع إلى الحياة بالموت ، ويرفع إلى السيادة بالتضحية ويقيننا أن هذا الصلح الذليل الذى طلبه العسكريون عارض من اليأس أصابهم فى حال سيئة . أما سائر الفرنسيين فى القارة وفيما وراء البحر فسيختارون المنية إذا خُيِّروا بينها وبين الذلة

* * *

إن فرنسا المنكوبة ضحية جديدة لجبروت العلم الفاسد . والعلم الفاسد هو الذى قصدناه بالنضب فى مقالنا الذى عقب عليه صديقنا الأستاذ العقاد . وهو الذى عناه المستر تشرشل فى بيانه بقوله : « إننا إذا انهزمنا سقط العالم كله فى عصر من الظلام سيكون أطول العصور وأشأمها بفضل العلوم الفاسدة »

وفساد العلم أن يضع الإنسان فيه شهواته الدنيا فيجعله شراً خالصاً لا خير فيه

ورحم الله جان جاك روسو فقد أجهد قريحته فى التدليل على أن العلم يفسد الإنسان[1] ؛ ولو تنفس به العمر إلى عهد النازية لأيقن أن الإنسان هو الذى يفسد العلم!

احمد حسن الزيات

(١) Discours sur les sciences et les arts

مدينــــة النور

تعانى ظلام الخطوب

للدكتور زكى مبارك

قُضِىَ الأمر وسقطت باريس بين أيدى الألمان !

فمن كان يستبعد أن تميد الجبال فليعرف اليوم أن الوجود لا يعرف المستحيل . ومن كان يرتاب فى « يوم القيامة » يوم « الفَزَع الأكبر » فليتصور الساعة التاريخية التى اعترف فيها الجيش الفرنسى بأنْ لا فائدة من الدفاع عن باريس

ولكن أى جيش ؟

هو جيش صام عن النوم والطعام سبعة أيام إلى أن لم يبق من قُواه غير أشلاء ، وكان مع ذلك يحب أن يقاتل إلى أن يبيد وهو يذود عن باريس ، ولكنه خاف على ذخائرها الغالية فقرر أنها « مدينة مفتوحة » ومضى يقاتل قتال اليائس المستميت فى مواضع لا قِلاع فيها ولا حُصُون

إذاً حقت المخاوف وسقطت باريس ، باريس صاحبة الحق على جميع الشعوب بفضل ما علمت الناس أصول الثورة على الظلم والاضطهاد

فإن قال قائل إن باريس هى عاصمة فرنسا الاستعمارية، فليذكر أنه لم يَثُر ثائرٌ على الاستعمار فى مَشرق أو فى مغرب إلا وفى روحه جذوة من النار التى أوقدتها باريس للغضب على استعباد الشعوب

أقول هذا وقد لامنى صديقٌ على التوجع لمصير فرنسا فى مقال نشرته بجريدة الأهرام منذ أسابيع ، وكانت حجته أن فرنسا صنعتْ فى الشرق ما صنعتْ ، وأنه لا يجوز الحزن على أمة تحملها القوة على أن تبغى وتستطيل

وهل كنت أجهل عيوب الأمم الاستعمارية حتى يدلنى عليها ذلك الصديق ؟

إن الأسد هو الصورة الفظيعة للبطش والفتك والافتراس، ولكن هل يشمت الحرُّ بالأسد حين يراه فى مدارج الضيم والاستذلال ؟

ذلك حالى فى التوجع لفرنسا الجريحة ، وقد حاربتها بقلمى مرات حتى صح لوزير الخارجية الفرنسية أن يعارض فى منحى وسام الأكاديمى سنة ١٩٣١ وهو سرٌ لم أذعه قبل اليوم ، وما أذيعه الآن إلا ليعرف الصديق المتعسّب أنى لا أهتم بغير المعانى . وقد مُنِحتُ ذلك الوسام بعد تلك الجفوة فى سنة ١٩٣٦ فلم أر فيه إلا تحية لرجل يصادق فرنسا صداقة علمية لا سياسية .

ومن كان فى مثل وطنيتى فهو فوق الشُبهات والظنون ، والصدق فى الوطنية من أشرف الأرزاق

إن الضعيف هو الذى يشْمتُ بالقَوِى حين تزلّ قدماه ، فليعرف ذلك من يحس الشماتة بمدينة النور ، على عهودها الزواهر أطيب التحيات !

وهل أملك إخفاء حسراتى على ما صارت إليه باريس ؟

وهل يستطيع أديبٌ ألمانىٌّ أن يُخفى لوعته على مصير تلك المدينة وهو عدوٌّ حتى يستطيع أديبٌ مصرىٌّ أن يخفى لوعته وهو صديق ؟

حدثتنا البرقيات أن الجنود الألمان طافوا بشوارع باريس وهى خالية ، فأىُّ أديبٍ لا يتفطَّر قلبه حُزْناً حين يسمعُ أن شوارع باريس عرفت الهدوء لحظة من زمان ؟

هى لفتة من لفتات الدهر الغادر الذى يرى كسوف الشمس وخسوف القمر ضرباً من ضروب المزاح

هى وثبة من وثبات القدر الذى يزلزل الوجود حين يشاء

فمن كانت عنده بقية من الصبر على مكاره الأيام فليتفضل علىّ بكلمة عزاء لأتناسى أصدقائى فى باريس ، أصدقاء العهد الجميل يوم كنت طالباً فى السوربون ، السوربون التى صارت اليوم قفراً يباباً لا يطوف بأركانه غير الشامتين من غُلْف القلوب

باسم القوة غُزِيت باريس ، وذلك جزاء وِفاق ، فليس فى باريس مكان إلا وهو ندِىٌّ الثرى بالدماء المسفوكة فى سبيل الحرية ، والحرية من أسماء القوة ، والرجل الحرُّ لا يرضى الموت بغير السيف ، وكذلك تستشهد باريس . فإن استطاع الألمان أن يخمدوا اللهب الذى يتوقد فوق قبر « الجندى المجهول » تحت « قوس النصر » فسيذكرون بعد حين أن تلك الجذوة ستنقلب إلى سعير يفتك بمجامع الأضغان ، ويرد الدنيا إلى عهدها القديم يوم كانت دار علوم وآداب وفنون ، كما كانت لعهد باريس قبل أن يحولها الغزو إلى أشباح لا تملك الجواب بغير الصمت البليغ !

إن لبست باريس أثواب الحِداد فى سنة ١٩٤٠ فقد ألبست برلين أثواب الحِداد فى سنة ١٩١٨ . والحروبُ قصاص ، وكما

يَدين الفتى يُدان . وهنيئاً لمن يحمل السيف فينتصر فى وقائع ويهزم فى وقائع ، فما الحياة الحق إلا عراكٌ ونضال وقتال

ومن ظنّ ممن يلاقى الحروب   بأن لا يصاب فقد ظنّ عجزا

وهل كفت باريس عن الدعوة إلى الحرب حتى تنكر عواقب الحرب ؟

فى باريس مئات من التماثيل لعظماء الرجال الذين كافحوا فى مختلف الميادين ، وفى كل خطوة يخطوها زوّار باريس أثرٌ ينطق بأن مدينة النور لا تعرف الحياة فى غير الصراع والصيال ، فما جَزَعُك يا باريس وأنت صيرت الحرب من شرائع الوجود ؟

إن قوة الألمان فيضٌ من قوتك يا باريس ، فأنت غرستِ الحقد فى صدورهم ، وأنت قهرتِهم على أن يتربصوا بك الدوائر عشرين سنة ليلقَوك بأفئدة موتورة لا يشفى غليلها غير الولوغ فى دماء الرجال

فبفضلك استطال الألمان يا باريس ولولا خشيتهم مما تملكين من عظمة وجَبَرُوت لما وصلوا فى التسلح إلى الحد الذى يسمح بأن يقهروك على إلقاء المقاليد

وانهزامُك يا باريس سيكون درساً لأبناء الجيل الجديد ، وبه يعرفون أن لا قيمة للاعتماد على التاريخ ، وأن لا قيمة للتمدح بالفضائل الإنسانية ، فما زال أبناء حوّاء يخضعون لفطرتهم القديمة يوم كانوا من جيوش الغريزة قبل أن يصيروا من رجال الوجدان

ألم أشهد العجائب فى الأعوام التى قضيتها فى السوربون ؟

كان شبان فرنسا فى ذلك العهد يرون الحرب من بقايا الوحشية ، ويَتواصَوْن بأن يكونوا أنصاراً للسلام مهما تقلبت الظروف ، ثم سمعتُ بعد أن فارقت باريس أن أقطاب فرنسا يختلفون حول فكرة التسلح وأن فيهم من يرى أن ترصد جميع أموال الدولة للمنشآت العمرانية والمدنية

وذلك ذنبك يا باريس ، فأنت وثقت باعتدال الموازين قبل أن تستعد فطرة الإنسان الحيوانية للترحيب باعتدال الموازين

ولو كانت باريس غير باريس لعرف أهلها أن فى الدنيا خلائق تعيش بغرائز موروثة عن العهود التى سبقت التاريخ

إن الورد يعتصم بالشوك ، فكيف فات باريس أن تعتصم بالسلاح ؟

تلك هفوة سيكفِّر عنها أبناء الجيل الجديد فى باريس يوم تنجلى الغُمّة بعد أن تضع الحرب أوزارها الثقال

ولكن متى ؟

إن انتظار السلام قد يطول !

***

فى أى المحامد والمحاسن والمناقب يفكر الرجل حين يجزع لهواك يا باريس ؟

أيذكر أن مطابعك كانت تخرج نحو سبعين كتاباً فى اليوم الواحد ؟

أيذكر أن مكاتبك مرجع لجميع ما أبدعت العقول الإنسانية فى القديم والحديث ؟

أيذكر أنك صورة الإنسانية ، الصورة المجسّمة التى تمثّل ما تملك الإنسانية من آراء وأهواء ، وحقائق وأباطيل ؟

أيذكر أنك أرحب ميدان للصراع بين الحلم والجهل ، والشك واليقين ؟

أيذكر أن معاهدك العلمية والأدبية والفنية كانت النِّبراس لأهل العقول والأفكار والأذواق فى أكثر بقاع الأرض ، وأن برلين نفسها لم تنجُ من الافتتان بسحرك القهار ؟

أيذكر أن النشوة الروحية لا تقع إلا لمن يفتح عينيه على نورك الوهّاج أول مرة ؟

وما أسعد من يراك يا باريس أول مرة قبل أن يألف مناظر الفردوس ! وهل تحقّ السلوة لمن يطول عهده بجمالك الفتّان ؟

قد ينسى الناس محامدك يا باريس ، إلا محمدةً واحدة ستبقى فى ذاكرة الخلود

فأعداؤك يا باريس لم يكونوا يجدون الأمن والعافية إلا فى ربوعك الضواحك ، وما استطاعت المطابع فى أى أرض أن تذيع المطاعن فى فرنسا كما استطاعت مطابع باريس ! وما شُتِمتْ فرنسا فى أى بلد كما شُتِمتْ فى باريس !

لم تكن باريس وطناً خالصاً للفرنسيين ، وإنما كانت أوطاناً لطوائف من المفكرين والثائرين يفدون إليها من كل فج ويطعنون أهلها إن أرادوا بلا رقيب ولا حسيب

كانت باريس هى المنفَى الأمين لمن تلفظهم حكوماتهم من أصحاب المبادئ والمذاهب ، وكانت منتدياتها مجالاً للثائرين على موروث الأفكار والتقاليد من سائر أبناء الشعوب

كانت باريس هى الملعب الذى تراض فيه عضلات الأفكار على المُرونة والعُنف

كانت باريس حرباً على أهلها بفضل تلك الحرية ، ولكنها كانت تشعر بالأبوّة الرحيمة لكل من يلجأ إليها ، ولو كان من دعاة الهدم والتخريب

كانت باريس تعرف أن نشر المعاد من الأفكار الموروثة لا يحتاج إلى حماية ، فنى مقدور كل مخلوق أن يذيع الآراء التقليدية حيث شاء ، وكذلك رأت باريس أن تكون حامية الفكر المحرَّر من جميع القيود ، وفى رحابها ترعرعت المبادئ الجوامح التى صارت عدة أعدائها من الروس والألمان والطليان

فكيف صِرتِ اليوم يا باريس ؟ وكيف تصيرين بعد اليوم ؟

أنا أعرف أن جراحك لن تندمل فى يوم أو يومين ، واللحظة الواحدة من آلام الأحرار تُقدَّر بأعوام طوال ، فماذا تنوين وقد قهرك بَنِىُ الأعداء على اعتناق مبدأ الحقد الأسود ؟

فى رحابك اليوم شيوخ وأطفال لا يفتحون عيونهم إلا على ظُلُمات من فوقها ظُلُمات ، فهل تختفى البشاشة الروحية والوجدانية من أدبك الرفيع ؟ وهل يَحُلّ النفاق محل الصراحة بعد أن دفعت الأثمان الغالية فى عقوبة الترحيب بالرأى الصريح ؟

وهل تصيرين مثل موسكو وروما وبرلين فى خضوع الأفكار والمذاهب للسلطة العسكرية ؟

أنا لا أخاف أن تموت باريس ، وإنما أخاف على باريس عادية الجمود

إن أبناء باريس حاولوا تخريبها مرات كثيرة بسبب المداوات الحزبية ، ولم يُفلحوا ، فكيف يُفلح فى تخريبها الأعداء ؟ وهل خُلِقت باريس للموت ، وهى أسطعُ جذوات الخلود ؟

أحب أن أعرف ما الذى ستصير إليه باريس بعد اليوم ؟

أحب أن أعرف مصير الحرية الفكرية فى هذا الوجود الموبوء بأنفاس المُرائين والمخادعين ؟

لم أتفجّع على باريس لقرابة أو جِوار ، وإنما أتفجع على باريس لما بيننا وبينها من أنساب علمية وروحية ، فإليها يرجع الفضل فى تخريج من عرفنا من كبار الأدباء والزعماء ، وتلك وشائج لا ينساها إلا من ابتلاه الله برذيلة الجحود

سيعضُّ قومٌ بنان الندم على الشماتة بمدينة النور ، يوم يعرفون أنْ لم يبق فى الدنيا مكان تذاع فيه آراء الأحرار بلا تهيب ولا إشفاق بعد خمود باريس

لا بُدَّ للفكر من مدينة فى مثل صراحة باريس وسماحة باريس ، فإلى أين يذهب الفكر وقد ضُرِب الحرَج على باريس ؟

إن الفكر هو أثمن ما غنِمت الإنسانية ، وبفضل الفكر الحرّ عرف الإنسان قيمة الوجود

لا بدّ للعالم المفكِّر من باريس ولو رُفعت فوق ذراها راية الصليب المعقوف !

وهل أُطفِئت أنوار أثينا الفكرية بعد أن دحرها الرومان ؟

وهل أُطفئت أنوار بغداد الفكرية بعد أن غلبها التتار المجرمون ؟

وهل استطاع الذين حاربوا القاهرة مئات السنين أن يحجبوا أنوارها عن الشرق ؟

المدُن الفكرية لا تموت ، وكيف يموت الفكر وهو أطول عمراً من الزمان ؟

***

أما بعد ، فهذه كلمة فاض بها قلبٌ يتوجع لأحزان باريس ، وطن أساتذتى الأماجد من أمثال مورنيه وتونلا وشامار وميشو وديبويه ومَرْسيه وديموبين ولالاند وماسينيون ، وطن المكاتب التى كنت أقضى فيها سهراتى بالمجان حين كان يُعوزنى المال لقضاء السهرات فى مراتع اللهو والفُتون

هذه كلمة فى التفجع لمصير المدينة التى قضيت فيها أطيب الأعوام من شبابى ، المدينة التى أوحت إلى قلمى كتاب « ذكريات باريس »

فإن ترجع الأيام بعد الذى مَضى
بذى الأثْل صيفاً مثل صيفى ومَرْبَعى
شددتُ بأعناق النوى بعد هذه
مَرائرَ إن جاذبتها لم تقطَّع

وسنلتقى يا باريس ولو بعد حين وقد طَبَّ الزمان لجراحك الداميات !

كيف الحال فى بُولَيْش يا باريس ؟

وكيف الحال فى الشانزليزيه ؟

وكيف الحال فى فرساى وقد قيل فيه ما قيل ؟

وكيف الحال فى دار المكتبة الأهلية ؟

وكيف حال الساهرين على شواطئ السين ، إن بَقِىَ للسمر مجالٌ على شواطئ السين ؟

وكيف حال اللاهين واللاعبين بين القصر الكبير والقصر الصغير فى الطريق إلى ميدان الأنفليد ؟

وأين مواعيد الصبابة والوجد فى ساحاتك الفيحاء ؟

وأين استقبال الناديات والرائحات فى الضحى والأصيل حول مخازن السماريتين ؟

وأين صبح الأحد فى متحف اللوفر وعصر الأحد فى حديقة النّبات ؟

وأين الصوت On ferme ! ليرجع العشاق إلى مخادعهم بعد العبث بأزهار البساتين ؟

وأين ؟ وأين ؟ وأين ؟

هى دنيا تذوقين من بأسائها بعض ما ذقتُ بعد فراقك الأليم

فيا مرجع روحى بعد القاهرة وبغداد وسنتريس ، ويا صاحبة الفضل على أكثر ما نظمتُ من قصائد وما نشرتُ من مؤلفات ، ويا وطن الجنرال بونال الذى كانت داره مَلاذ عزيمتى ، ويا وطن الكوليج دى فرانس ومدرسة اللغات الشرقية والسوربون ، ويا وطن الصديق الحيم دى كومنين أقدم إليك أصدق التحيات وأنا واثقٌ بنصيبك الأعظم من الخلود

زكى مبارك

حركات الإصلاح الإسلامية

٤ ـ أزمة إسلامية

للدكتور على حسن عبد القادر

أما حركة التجديد الإسلامية بمصر فقد صدرت عن عوامل وأسباب أخرى غير التى ذكرناها عن حركة الهند ، وإن كانت قد سلكت نفس الطريق ، وجاءت بنتائج متشابهة . ونحن لا نستطيع أن نجزم بأن الحركة الهندية كان لها أثر فى حركة الإصلاح المصرية . وإذا ما تصفحنا ما كتبوه من رسائل وكتب فإنا لا نجد بينهما أى ارتباط . ويظهر لنا واضحاً ما بينهما من فرق إذا عرفنا أن الروح التى سادت الحركة الهندية كانت « روحاً ثقافية » جاءت من التفكير والنظر الذى كان نتيجة اتصال الإسلام بالحضارة الأوربية ، وجهودهم الإصلاحية كانت تحت تأثير أوربى ، أما الناحية الدينية عندهم فكانت أمراً ثانوياً . والحركة المصرية كانت ، على الضد من هذا ، حركة دينية نتيجة تفكير ونظر دينى ، وسلكت طريق الإصلاح مستقلة عن أى نفوذ أجنبى ، فهى عند ما ترفض أعمالاً أو بدعاً لا تردها على أساس أنها « معادية للتمدن والحضارة » بل لأنها « معادية للاسلام » مخالفة للقرآن والسنة الصحيحة ، كما أن البدع القائمة على الحديث كانت ترد على أساس من علوم النقد الإسلامى فى الجرح والتعديل . وهى تهتم من ناحية أخرى بخلقية الإنسان كمسلم وكشرقى ، وتكره التقليد الأعمى للأوربيين ، وتحذر من أضراره ، حريصة جد الحرص على « الخلقية العربية الإسلامية »

وهنا فى مصر حيث يقوم منذ قرون الجامع الأزهر ، هذا المركز العالمى العظيم للعلوم الإسلامية ، والذى كان يسير على طريقة قديمة جامدة ، ترتبط حركة الإصلاح باسم الإمام محمد عبده تلميذ جمال الدين الأفغانى المتلئ به إعجاباً (١)

وقد كان محمد عبده من طلاب الأزهر ومن علماء الدين ، ثم صادفته أزمات داخلية طويلة حتى عرف جمال الدين أثناء مقامه بمصر فرسم له الطريق الذى سار عليه فيما بعد ، وسلكه وسط زعازع ومنازعات داخلية وخارجية انتهت به — مع الارتباط بالحركة العرابية — إلى النفى من مصر . وبعد ذلك وصل إلى مركز الإفتاء ونال اعترافاً عاماً ونفوذاً كبيراً ، وكان ولا يزال موضع عداوة قاسية من طبقة المتزمتين الجامدين

وإنه وإن كان فيما انتهى إليه قد صبغ الإصلاح بمصر بلون خاص ـ مع العلم بأنه كان ضد النفوذ الغربى ـ فإن الاسم الذى أطلقه عليه جولدزيهر بأنه « ذو ثقافة وهابية » أقرب الأسماء إليه وأولاها به . فمن الحق أن نقرر أن هذا العامل هو الذى يفسر لنا إصلاحات محمد عبده الدينية التى لا ارتباط بينها وبين الحركة الهندية . وأن ما أسماه جولدزيهر « ثقافة وهابية ليس معناه أن هذه الخطة قد جاءته مباشرة من الوهابيين ، وإنما غرضه التفريق بين حركة الثقافة فى الهند والحركة المصرية التى تسودها العوامل الدينية وترفض مالا يقره الدين ، الأمر الذى لا شك فى كونه أثراً جاء من العربية الخالصة

---

(١) راجع على الأخص عن الحركة المصرية : Goldziher, Die Richtungen dès islamischen Koranauslegung, S. 320 ff.

وراجع أيضا من حياة محمد عبده وأعماله مقدمة : Mohammed Abdou, Rissalat al Tawhid, Exposé de la religion musulmane, trad. par B. Michel et Mostafa Abdel Razik (Paris 1925)

وكان لسان حال مدرسة الإمام محمد عبده مجلة المنار التى يحررها رشيد رضا السورى التى أخذت تنازع فى الإجماع المنعقد على المذاهب وتقليدها وتطالب بالاجتهاد على أساس القرآن والسنة. فقد رأت هذه المدرسة، مثل مدرسة الهند، أن الإسلام دين عالمى موافق لكل الشعوب وكل العصور؛ متفق مع الحضارة، ولكن على شرط ألا يأخذ بمذهب واحد من المذاهب، بل يجب الرجوع إلى القرآن والسنة الصحيحة، فهى ترى مثل الإمام الغزالى الذى صرح بهذه الفكرة منذ ثمانية قرون أن المفتاح لشرح الحالة التى طغت على الإسلام، إنما هو فى جمود المذاهب الأربعة وانحصار العلم فيها وحدها؛ تلك المذاهب المتخالفة، وما فيها من تكرر عتيق، ومماحكات غير نافعة، وما تلاها من فقه المتأخرين، ليست هى الإسلام والدين، وإنما ذلك فى القرآن والسنة. وأغلب ما فى هذه المذاهب إنما يقوم على الاشتغال بفروع جزئية تتغير بتغير البلاد والأوقات وتخضع للتغيير تبعاً للعلاقات الاجتماعية، ومثل هذا لا يصح أن يسلك به فى سلك دينى ثابت لكل زمن غير قابل الأخذ والرد. وكان من أثر هذه المذاهب الاختلافات التى حدثت فى الإسلام مما وقف ازدهاره. وهكذا رفضت هذه المدرسة أساس المذاهب الفقهية القائم على (اختلاف أمتى رحمة)؛ وقالت: إن الأمر بالعكس. وطعنت فى صحة هذا الحديث الذى يخالف آيات كثيرة من القرآن. وقالت أيضاً: إن الوحدة والمرونة إنما تكون بالرجوع إلى القرآن والسنة وحدهما حيث توافق الشريعة الحياة فى كل وقت وكل حال، وبهذا يمكن الرجوع بالإسلام إلى حالة القوة والشباب[1]

كما رأت هذه المدرسة أن باب الاجتهاد لم يقفل بل إنه مفتوح على مصراعيه لبحث كل المسائل الطارئة. وليس الحكم فيها خاضعاً لحرفية النصوص، بل يجب اعتبار مصلحة العالم الإسلامى أولاً وقبل كل شىء «وليس الشرع محصوراً فى جلود كتب الحنفية». فإذا ما قام الفقه على هذين الأساسين: الاجتهاد والمصلحة؛ فإنه يكون صالحاً لكل زمان ومكان، وقابلاً لما تقضى به الضرورة من أمور تدعو إليها المصلحة وموافقة العصر. وحينئذ يمكن الرد على الذين يزعمون أن الفقه الإسلامى إنما هو لزمن خاص ومكان خاص، وليس عاماً لكل الشعوب وفى كل الأوقات

ونظراً لأن الإمام محمد عبده كانت له شخصية دينية عميقة لأنه كان من مدرسة صوفية، فإن الإصلاح الإسلامى بمصر كان — مخالفاً فى هذا الحركة الهندية — يمتاز بأساس من الإيمان والمحافظة وبروح حارة من التقوى. ولما كان يسود الاعتقاد بسمو الوحى ورفعته، جاء الاقتناع القوى بأن العلم والدين عند الفهم الصحيح أخوان لا يختلفان، وعلى هذا الأساس لم يرفض محمد عبده الأخذ مع الحرية الكاملة بالإصلاح العلمى

حقاً إنه لا يمكن أن يكتم أنه عند ما يحدث فى بعض الأحيان خلاف بين العقل والسنة فإنه يجب الأخذ بالأول، بل إنه زيادة على هذا تجب مراعاة حالة الأمة والظروف، فيقدم ذلك على النص الصريح. أما مماحكات الفقهاء فقد رفضت بشدة من محمد عبده ومدرسته، ووضع بدلاً من ذلك القديم المتعفن جديد مأخوذ من الاجتهاد فى الأصول موافق للعلاقات الحاضرة. وفى هذا الطريق سارت هذه المدرسة — مثل الوهابية المعتمدة على ابن تيمية — فى رفض الخرافات والبدع، ولكن فى الوقت نفسه — موافقة فى ذلك للغزالى — حاولت إدخال المبادئ الخلقية والأعمال القلبية فى الفقه، مع اقتناع عميق بأن بساطة الإسلام الصحيح التى لم يمسها تغيُّر الأيام تجعله قابلاً لكل حركات التقدم والتطور

ومن هنا نرى أن كلتا الحركتين الهندية والمصرية تنتهيان تقريباً عند غاية واحدة، وهى أن الإسلام عند الرجوع به إلى شكله الأصلى، وعند الأخذ بروحه ولبه، وبعد أن ينقى من الأدران التى لصقت به، ومن جمود العصور المتأخرة، لا شك أنه يصبح موافقاً لطلبات الحياة العصرية. وإذا ما تأملنا قليلاً، فإننا نجد أن الطريق الذى يمكن أن يسلكه الإصلاح الدينى من الحركتين سواء.

إلى هنا يقف الأستاذ هرتمان فى تأريخه للحركة الإصلاحية فى مصر والحكم عليها ولم يتناول بعد الحركة التى تلتها وشخصيتها القوية الجبارة وأسلوبها الحاسم الدقيق. وهو ما سنتناوله تذييلاً وتعليقاً على هذه الرسالة آخر الأمر.

علي حسن عبد القادر

(١) المنار ج ١٣ ص ٣٩، ٤١ و ج ١٤ ص ٨٧١ و ج ١٢ ص ٢٣٩ و ج ٥ ص ٦٧٤

إلى أين . . . ؟

للأستاذ محمود محمد شاكر

[تتمة]

أخذ صاحبي كأس الماء في يده، وجعل يرشقها ببصره رشقاً حديداً يلمح لمحاً تحت حواشي الليل، فكنت أرى وهج مقلتيه يكاد يتطاير تطاير الشرار بينهما وبين الكأس. وأدام نظره طويلاً إلى الماء وهو يقر شيئاً بعد شيء ويسكن، فكأنى به كان يغمس نظراته الملتهبة في برد الماء، ليبترد من وقدة العاطفة التي تضطرم في داخله. وبعد فترة عب من كأسه عب الظمآن استحر على كبده المعطشى، ثم فرغ فوجه إلىّ، وقد برق وجهه، أو هكذا تخيلت ثم قال:

آه ... ! ما كان أبصر ذلك الأعرابي الظريف الذي عطش وضل عن الماء في بيدائه، فلما رمى به السير فأفضى إلى بئر عميقة عادية قد بعد ماؤها، أجهد أن ينزف بدلوه من بعض مائها حتى بُلغ به وكاد يهلكه غؤور الماء، وبعد لأى ما استطاع أن ينزح من مائها ما يرويه، حتى إذا شرب وارتوى وأطفأ غلة الظمأ، حمل تلك الدلو بين يديه ينظر إليها ويقلبها كأنها بنى من صنار بنيه يرقصه ويداعبه ويقول:

أى دلاة نهـل دلاتى ! !   قاتلتى وملؤها حيـاتى ! !

كأنها قَلْتٌ من القـلات

فانظر كيف يفرح الرجل بأديم جاس غليظ متغضن موات! إنه يحبه، ويحرص عليه، ويرق له، ويدلله دلالاً كأنه طفل يطفله ويرعاه. وما ذاك إلا أنها أداة يتخذها ليعاقر بها الغلة التي يؤرثها حر الظمأ، لو هو فقدها في مجاز البيداء الجدبة الظامئة، فقد معها القدرة على الحياة، ومع كل ذلك فما هي إلا أديم أصم، وأداة لا خير فيها إذا لم يكن كل الخير من قوة الساعد التي تمتد في رشاء يتطوح بين أرجاء البئر

ما أبلغه من أعرابي، لولا نقل حديثه من الدلو إلى المرأة!

« قاتلتى وملؤها حيـاتى ! ! »

إنها المرأة يا سيدى هي وحدها التي تستطيع أن تكون القاتلة المحبية في وقت واحد. إن كل ما فيها هو حياة محبها، وكل ما يكون منها — إذا أرادت — هو سبب من أسباب سلب هذه الحياة سلباً جباراً لا رحمة معه ولا هوادة فيه

إن المرأة الحبيبة هي النبع الصافي النمير الذي يرى المحب الصادق في كل قطرة منه حياة تتلألأ في روحه بالمنى، فإذا أرسلت هذه الحبيبة في دمه قطرة واحدة من مائها — أي من حبها — أطفأت هذه الواحدة كل النيران الملتاعة التي تجفف بحرُّها ماء حياته. فإذا منعتْ عنه غيثها جعلتْ كل أفكاره وأحلامه وأمانيه تحتطب من الحياة ما تؤرّث به تلك النار المبيدة التي لا تنفح نفحها على شيء إلا جعلته رماداً أغبر. ويومئذ تتحول الحياة فيه إلى خمود بليد، أو إلى حماقة مجنونة كما يمترض الرماد للريح العاصف تطير به في كل وجه حتى يتفرق ...

ثم سكت صاحبي ... ، وخيّل إلىّ أن غمامة سوداء داجية من ذكرى أحزانه وآلامه، قد أظلّت عليه وتدانت أهدابها، فهو يرفع يمينه إلى جبهته، ثم يُمرها إلى ناصيته، إلى يافوخه يضغط عليه. ويتنفس خلال ذلك أنفاساً جاهدة ينتزعها انتزاعاً من أقصى منابع الحياة في قرارة نفسه ... ما أقسى الذكرى إذا ضربت في القلب بفأسها تحطمُ وتدمّر وتنقضُ بناء الأيام الماضية! إن غبار هذا الهدم ليرتفع ويثور حتى يملأ الجو النفسي بما يضجر ويخنق من ترابها، وما أضعف الرجل إذا أخذت الذكرى تلح عليه إلحاح الكبرياء، تتحدى الإنسانية والرجولة بأوهن الفكر! الذكرى ... ! هذا شيء مخيف مفزع. إنها الشبح الذي يدب من بين القبور المهجورة التي تناثرت فيها أشلاء الموتى. إنها تقتل بالرعب، فإذا أنت المحب ذكرى حبيبه، فذاك شبح هائل يقتله بالرعب والحنين معاً

أقول لنفسي: أيها الصديق البائس! لماذا لا تعرف طريقك إلى النسيان؟ لماذا تقف في مقبرة أفكارك دائماً فترتاع وتتألم؟ لماذا لا تحاول أن تسخر من الحياة التي سخرت منك؟ لماذا أنت حائر أيها الصديق؟ وبقيت أتداول الهاجس من أفكاري فيه، حتى شُغِلتُ به عنه. ثم جاءني صوته من بعيد كأنه كان يتكلم في بعض أحلامي تحت النوم:

إسمع ... ! إسمع يا صديق! لقد كنت أفكر في بعض ما شغلني عن تمام حديثي قبلُ. لقد سألتني وساءلت نفسك: أهكذا يضمحل الرّجل؟ أما إني لا أستطيع أن أضع لك اللغة وضعاً جديداً حتى أعبّر لك عن كل خالجة من خوالج النفس

الانسانية حين تضطرب فتهتز فتطير هزاتها على مساقها ومجراها ، ثم تنشعب فتنتشر فتعمل عمل الجيش المحارب فى هدم صفوف العدو وتفريقها وبعثرة قواها المحتشدة للقاء احتشادَ البنيان المرصوص بعضه على بعض

نعم ... لن أستطيع ذلك ، ولكنى سأصف لك بعض الصفة واستشعر أنت كيف يعمل ذلك فى هدم الرجل ويسرع فى تدمير رجولته أمام أنوثة طاغية تتحدى وتأخذ سلاحها الذى تتحدى به من رجولة عواطف الحب الذى يرى أن تماونَ القلبين بالحب ، وصبابة النفس إلى النفس الأخرى ، هو تمام رجولته وتمام أنوثتها

كان لقاؤها تجديداً غريباً فى قديم نفسه ... لقد استطاعت هذه الساحرة الجميلة الفتانة — كما وصفت لك — أن تمحو ماضيه كله ، وأن تمزق صحُفَ أيامه المهملة التى كان القدَر يكتب فيها تاريخه الأول . مزقت هذه الساحرة تلك الصحف ، وألقت بها فى النار التى أشعلتها فى قلبه بالحب . بدأ يحيا بها وبسحرها حياة رائعة فاتنة من أحلام الحب ، وجعلت هى ... وجعلت هى ... آه يا صديقى ! هذا كثير كثير ، إن ذكرى ذلك كله تؤلمنى ... إنها تعذبنى ... إنها تخز قلبى بمثل السنان الحديد بقع وخزاً متتابعاً شديداً يتفجر فى نزعه بالدم ... كيف أستطيع أن أقول لك الآن ما الذى كانت هى تفعل ! وماذا أقول لك ؟ آه ... إن أنوثتها ، بل رقتها ، بل حنانها ، بل رحمتها ، بل إخلاصها ، بل حبها ... كيف يكون هذا ؟ بل ذلك الصوت المنغم الروى الممتلىء صوت الحنين المتعذب ... صوت القدر الآتى من بعيد بأفراح السعادة ... صوتها ... صوتها ... ذلك الصوت المعبر عن نفسها بألحان تتجاوب وتسرى وتموج فى كل غيب من غيوب نفسه المتراحبة ... !

إن كل هذه العواطف التى يرسلها إليه صوتها وهى تتكلم كانت تعبُّ فيه عبابها ، حتى يجد الأمواج النفسية تتقاذفه فى فرح بعد فرح ، ومن سعادة إلى سعادة ، ومن حلم إلى حلم ؛ كأنه ماض إلى جنة الخلد فى زورق من اللذات الطاهرة الجميلة ، تحف به الملائكة تغنى لقلبه أناشيد المجد والخلود ... ! إنه سوف يسمو بروحه إلى ذلك الجو الذى يعطّره النبل ، ويفيئه الحب ، وينديه الحنان ، وتضيئه هى بسنتها المشرقة ، وتسبح فيه النجوى أنغاماً حرة تهيم وتتعانق

جعلت أيامه معها تتهدل ثمارها الناضجة المغرية ، وجعل يقتطف منها حيث أراد ، وجعلت هى تغذوه كل يوم غذاء جديداً هنيئاً يملأ روحه قوة وشباباً وعزماً . وجعل إحساسه بسحرها وفتنتها يغلو به فى إيمانه بعبقرية أنوثتها الكاملة . أجل ...، إنها أرسلت فى دمه الحياة الجديدة ، الحياة التى تجدد فكره فى أشياء الدنيا ، وتستفزه إلى فرض سلطانه على هذه الأشياء . وكانت هى تنشىء لعينيه فى كل يوم بل فى كل ساعة دنيا مائجة من فنها البليغ الذى يعبر عن ضميره تعبيراً بليغاً كبلاغة أنوثتها ، فانبثقت فى عينيه وفى قلبه ينابيع متفجرة من الأحلام الرقيقة والأمانى الطائرة ، تلك الأمانى التى تتنهد دائماً على قلبه بأنفاس الفجر ...

امتلأت عيناه الحائرتان بأحلام الشباب ، وانبعثت القوة المتلهبة بالرغبة ، فهو ينظر ثم يندفع إلى أمانيه يريد أن يختطف حظه من السعادة السانحة سنوح الصيد المستطرد ، قبل أن تسبقه إليها أنياب الشقاء والألم والبؤس فتفترس منها وتنتهش . إنه يريد أن يظفر بسعادته ليتمتع بالحياة بعض المتاع ، ولكن ياصديق ...، إن هذه الغريزة المتحكمة فى الإنسان وفى أعماله — غريزة التمتع بالحياة — هى التى تذهب بالإنسان فى القدر مذهباً بعيداً ... إنها هى التى تجمل الحياة لعينى كل حى ، ولكنها هى هى نفسها التى تعمى المحب فلا يبصر تلك الهوة السحيقة التى فغرت له أشداقها وأحدت أنيابها ، فلا يزال — إلا أن يعصم الله — يتهاوى فيها ما اندفع به إليها هواه

ولكن كيف كان يملك صاحبى إرادته فى البصر ؟ إنها كانت تعمل أبداً — وهو لا يستطيع أن يدرك — على أن تبقى حبيبة أحلامه ولو قتلته . نعم إن بعض ضحكها كان يصفق بدلالها كأن أمواج شبابها تتلاطم فيه وتزخر . شبابها ... ! ! شباب امرأة جميلة متكبرة معجبة ، شباب أنثى تحب ، وتريد أن تبقى أبداً محبوبة يهيم فى أوديتها المسحورة من يحبها . ومع ذلك فقد كان يجد لما يلقاه منها فرحاً فى نفسه ، ونشوة فى روحه ، وعربدة فى دمه ، كان كالسكران بحبها لا يستطيع شيئاً ولا يملك إلا أن يخضع لذلك السلطان المرح الظافر المبتسم ، السلطان العنيف الذى يقبض على روح المحب بحنان طاغ من روح من يحب

وعلى ذلك فإن هذا الرجل المسكين — على عنفه وصلابته وفحولته — لم يجد بدًّا من أن يسلم لها قياد عواطفه التى تصبو صبواتها إلى أناملها الرخصة الساحرة . كيف يقاوم الرجل الصب

— مهما استصعب والتوى — امرأة مقدسة يحبها ، فهو يتصبب بروحه فى روحها ؟ استسلم لها ، ولكنه كان يشعر بعد هذا الاستسلام أن ليس فى هذه الدنيا شىء يستطيع أن يقهر إرادته ، أو أن يحول بينه وبين ما يرى إليه من أغراضه وإن بعدت . كان معنى خضوعه لها أنه يستطيع إذن أن يخضع الأشياء كلها لسلطانها ... ما أعجب هذا الحب ! أرأيت إلى ذلك الضرس الفولاذى الصليب المتكبر من الجبل الإنسانى فى صاحبى ذاك ... ؟ لقد كان يُرَى وهو يذل لهذه الساحرة أيامه ولياليه خاشعاً مستكيناً كأنه يهودى منبوذ فقير فى غربة موحشة !

ولكن لا تخطئ معنى الذل فى نحوى حديثى ، اعرفه صورة أخرى من الكبرياء المأسورة فى سجن امرأة محبوبة . إن إحساسه بحبه لها كان ضروباً من فن الروح العاشقة . لم يكن يراها امرأة مجردة يحبها بحرارة القلب الملتهب بالرغبة أو بالحب . كلا ، كلا ، لقد كان يجدها أحياناً فى أوهام عواطفه ومدّها أمّاً ، فهو يريد من أمومتها المحبوبة أن تمهّد له فى قلبها تلك العاطفة الوثيرة اللينة من الحنو والعطف . وهو يراها مرة أختاً يلتمس فى مس يديها ، وفى نبرات صوتها ، تلك العاطفة الساكنة ذات الأفياء والظلال ، عاطفة الأخت التى تضحى فى سبيل أخيها المنكوب ، ثم يرق بها إحساسه فينظرها أخاً مخلصاً يشد أزره إذا انطبقت عليه لُجَم العيش ومتالف الحياة . ثم إذا هى تارة أخرى روح من الأبوة المسددة ، الحازمة المصممة البليغة ، لا تزال تجد الرجل مهما أناف به العمر وشمخ ذلك الطفل العابس الغرير الطياش

وهى مع ذلك كله الصديق الذى يحامى عنه إذا تمادت عليه الدنيا بأسرها ، الصديق الذى تبقى صداقته تطوف عليه بحرسه وترعاه . أتدرى بعد إلى أين تنتهى به هذه الألوان المختلفة من إحساسه بها ؟ لقد تنتهى فى بعض ساعاته مهما أن يراها أستاذه ، فهو كأنما يجلس بين يديها ليأخذ عنها روائع الحكمة ، ويسألها عن سر الأبدية المحجب بالغيب ، ويلقى عندها كل أفكاره المعقدة فى الحياة ، يلتمس عند حكمتها الخالدة حل ما تعقد ، وأن تمنح أفكاره ذلك الهدوء الفلسفى الذى تسبغه الحكمة العالية على سدنتها وحفاظها

ثم سكن صاحبى وغشيته فترة الحديث إذا تطاول به وامتد ولكنه ما لبث أن أقبل علىّ يتدفع :

أنظر ... أنظر الآن كيف يضمحل الرجل . هذا هو فى مد عواطفه وهى تفور وتتثوّر بأمواجها فى الحب العنيف المتلاطم ، ثم إذا هى تطير عن أحلامه وتنفر من مجثمها السحرى ، وإذا هو منفرد لا يدرى كيف كان هذا ؟ ولِمَ ؟ ومن أين ؟ وإلى أين ...؟

إنها ذهبت وتركت الدنيا التى أنشأتها له مشرقةً زاهيةً ، ناضرة فإذا هى تطفأ وتخبو وتذبل . إن قوة رجولته قد ذهبت تطلبها عند قبور الذكرى ، فكيف لا يضمحلُّ الرجل ؟ كيف لا يضمحلُّ ؟!

محمود محمد شاكر

صدر حديثاً كتاب :

من الأدب الفرنسى

قصائد وأقاصيص

لأمراء الشعر والنثر

لامرتين وهوجو وشاتوبريان وموسيه ودى موباسان

بقلم

احمد حسن الزيات

يقع فى زهاء ٣٠٠ صفحة وثمنه ١٥ قرشا ، ويطلب من إدارة الرسالة ومن جميع المكاتب الشهيرة .

كنت على وشك أن أتزوج

للأســتاذ توفيق الحـكيم

[فى هذا الأسبوع أخرج صديقنا الأستاذ توفيق الحكيم كتابه (حمار الحكيم) . وهو كتاب قصصى طريف ، أخذ اسمه من جحش رضيع اشتراه وأنزله معه فندق (. . . .) ، ثم أدار فيه الحديث على اتفاقه مع شركة شريانتيه السينمائية على أن يضع لها حوار قصة مصرية . ثم شقق الحديث وشعبه فتناول الأدب والفن والمرأة والزواج بأسلوبه الفكه الطلى . وفيما يلى فصل قيم من هذا الكتاب يصور قطعة جميلة من حياة الكاتب]

رفع صاحبى رأسه والتفت إلىّ فجأة قائلاً :

— ألم يخطر ببالك أن تتزوج ؟

فقلت وأنا أحاول التذكر :

— نعم ، كنت موشكاً على الزواج منذ عشر سنوات ... لكن ...

ثم كررت بفكرى راجعاً إلى ذلك العهد وابتسمت ، فقد مرت برأسى صورة ما حدث وما ثنى عزمى عن المضى فى ذلك الأمر

كنت ذات عصر راكباً عربة يجرها حصانان ، وإلى جانبى أحد المهتمين بشئونى ، فرأينا السائق يهوى بسوطه على أحد الجوادين ، فمال من الألم على شريكه كأنه يشكو إليه ، والتقى رأسا الجوادين كأنهما يتساران . فجعلنا نتحدث فى ذلك ونقول : إن مركبة الحياة كذلك لا يهوّن من أوجاعها غير أن يربط إليها شريكان يشدان عجلاتها ويشجع أحدهما الآخر كلما سلط عليه القدر سوطاً من سياطه . ثم قلنا : من يدرى ؟ لعل هذا سر ذلك الخطر الذى نراه فى بعض المدن على من يستعمل مركبة ذات جواد واحد . ثم مضينا فى الاستطراد حتى قلنا : ولماذا لا يسرى الحظر على مركبة الحياة ؟ وعند ذلك اتجه الكلام إلى ، وصارحنى من معى بأن مركبة حياتى لا ينبغى بعد اليوم أن أجرها بمفردى . فإنها قد تحمل فوق ما أطيق ، وأنا رجل غريب الأطوار قد أسير بها سيراً غير مألوف فأتخبط بها فى طرقات غير ممهدة لا أحفل بسوط سائق . بل من يدرى لعلى جمحت مرة فأسقطت سائقى فى الأوحال ، وجعلت أنطلق منفرداً بمركبة بلا نور ، أركض بها على غير هدى حتى أرتطم فى جدار ... وانتهى الأمر بصياح ذلك المهتم بشأنى :

— لا بد من زواجك

فقلت له :

— فى الحالة الحاضرة ... وقتى ضيق ...

فقاطعنى صائحاً :

— اترك لى المسألة ...

ولم يمض شهر حتى وجدت ذلك الشخص الكريم قد خلا بى ووضع فى يدى صورة فتوغرافية لفتاة طريفة وقال لى :

— تعجبك ؟

فتأملت الصورة ملياً ثم قلت :

— من أى وجه ؟

فصاح بى :

— اعمل معروف لا داعى للفلسفة . إن كان شكلها مناسب ؟

— مناسب ...

— انتهينا ...

ثم مد يده إلىّ وقال :

— وصورتك بسرعة . آخر صورة لك

— الصورة الوحيدة الموجودة عندى هى صورة جواز السفر

— ما تنفعش ؟ قم بنا نعمل لك صورة « جواز » فقط ؟

وسحبنى من يدى ، وذهب بى إلى محل « مصور فتوغرافى » معروف . فوضعنى ذلك المصور أمام لوحة من قماش تمثل ستارة سوداء ، وأراد أن ينزع من يدى العصا ، ليضع هذه اليد فوق « درازين » مزيف قد أتى به ، فأبيت ذلك عليه ، فرد على عصاى ، ونظر من معى إلى وقفتى ، فلم ترقه ، فصاح فى المصور :

— هو واقف على إيه ؟

فقال المصور :

— على سلم

فصاح به :

— وإيه مناسبة السلم والدرازين ! اجعل وقفته فى جنينة

مطبعة التوكل — ٢١٠ صفحة ١٥٠ مليم

وحط الورد حواليه ، وارفع الستارة الحزنة من جنبه وانصب بدلها خميلة ياسمين أو تكعيبة عنب ! بالاختصار مناظر مفرحة ...

ثم مال على المصور ، فأسر فى أذنه كلاماً

فتهلل وجه المصور وقال :

— فهمت الطلب

ثم أسرع فأحضر ستاراً حمراء ومناظر خضراء وأصص أزهار ورياحين وهو يقول :

— إن شاء الله أطلعه يحاكى البدر فى سماه !

فأردت أن أظهر عجبى لهذه المعجزة إذا صحت ، فأسكتنى وأوقفنى بين المناظر الرائعة والخضرة الزاهرة ... ودخل هو فى شىء يشبه « البطانية » السوداء يغطى جهاز تصويره ، ولبث فيه لحظة ثم خرج بصيح :

— واحد ... إتنين ... تلاتة ... مبروك !

فتركت موقفى وأقبلت على المصور أوصيه :

— الصورة تكون طبيعية . إياك تعمل « رتوش » !

فما شعرت إلا والمتولى شأنى قد انتزعنى انتزاعاً من بين يديه ودفعنى بعيداً ، وأقبل على المصور يقول له :

— إياك أن تسمع كلامه !

ثم التفت إلىّ قائلاً :

— حد فى الدنيا يقول للمصوراتى ما يعملش « رتوش » ؟ خصوصاً لحضرتك !

فقلت :

— على كل حال لا بد من كونى أطلع على « البروفة » قبل كل شىء

فقال المصور : إن تجارب الصورة يمكن الاطلاع عليها فى صباح اليوم التالى . فغادرناه على أن نعود إليه فى الغد . ومضى النهار ، وجاء الغد ، فانسللت بمفردى إلى حانوت المصور أطلع خفية على تجارب الصورة . فعرضها علىّ ، فتأملت وجهى فيها ، فلحظت أن شاربىّ غير متساويين فى الطول ، وأن شارباً أقصر من شارب ، فتباحثنا فى علاج ذلك ، وقلت له : إن « الرتوش » الوحيدة التى آذن بها هى أن يمد ريشته إلى الشارب القصير فيطيله حتى يساوى أخاه . وانصرفت وانتصف النهار ، وقابلت بعد ذلك المهتم بشأنى ، فقصصت عليه ما حدث من أمر الشارب ، فما راعنى إلا قوله إنه مر هو الآخر بحانوت المصور عقب انصرافى ، فلما علم بمسألة الشوارب ، أمر المصور أن يزيلها كلها وكفى الله المؤمنين القتال . فما إن سمعت منه ذلك حتى صحت فى وجهه :

— يزيلها كلها !

— إيه المانع ؟

أنا بشوارب تعملونى من غير شوارب! هذا العمل اسمه تزوير

— يعنى لا سمح الله قمنا زورنا فى كمبيالة !

— هو التزوير لا بد أن يكون فى كمبيالات

كان غرض حضرتك أن أهل العروسة يقولوا مقدمين لنا عريس « بشنب وذقن » !

— نقوم نلجأ للغش !

— وأنت فاهم أن صورة العروسة خالية من الغش ؟

— شىء عجيب !

— مؤكد شىء مفهوم مقدماً . وفى المستقبل يتضح لك أن ما عملناه أقل مما عملوه بمراحل ، اطمئن !

فقلت من فورى :

— الحمد لله اطمأنيت . إذا كان مجرد « الشكل » وضمناه على هذا الأساس ، يبقى « الموضوع » ...

فقاطعنى :

— لا ... « الموضوع » مضمون أربعة وعشرين قيراط . ثروتها معروفة وتحرياتنا صحيحة ، وأنت حالتك المالية واضحة ...

— دا كل قصدكم من « الموضوع » ؟

— طبعاً . فيه شىء غيره ؟

فلم أطق صبراً ، فقمت دون أن أجشم نفسى مشقة الجواب وذهبت ، وقد ذهبت عنى فكرة الزواج إلى اليوم . ولم يعد شبحها يظهر إلا مقترناً بذكرى هذا الحوار بنصه وألفاظه كما سمعتها ، فكانت ذكراه تقصينى من فورى عن المضى فى التفكير . فهذه الشركة النبيلة بين روحين تعاهدا على السير جنباً إلى جنب فى طريق الحياة الشاقة الطويلة ، ما زالت تقام فى أغلب الأحيان على هذا النحو المخجل ، وإذا صلحت هذه الطريقة لكثير من الناس فهل تصلح لشخص مثلى قد تتأثر حياته الفكرية وإنتاجه الذهنى

إلى حد كبير بشخصية الشريك . لذلك آثرت السلامة وأحجمت عن المناصرة ، خشية الوقوع فى غلطة تفسد على الحياة كلها

ورجعت إلى وحدتى ... تلك الوحدة الباردة التى تحيط بى من كل جانب فما أنا فى الحقيقة دائماً سوى كوخ مقفر وسط صحراء من الجليد ، وضمت داخله يد المصادفة إناء يغلى ويتصاعد منه بخار ، هو تلك الأفكار التى تخرج من نافذتى إلى حيث تصل أحياناً إلى جموع الناس . فإذا دخلت امرأة هذا الكوخ فمن يضمن لى ما سوف تلقيه فى هذا الإناء وما يتصاعد من جوفه بعد ذلك ! ...

ا أنفقت حياتى متنقلاً ، تائهاً ليس لى مكان معروف ولا عنوان دائم . فما تركت فندقاً لم أنزله ، ولا نزلاً لم أهبطه . حتى ضجرت ذات يوم وتبرمت بهذه الحال واستنكفت أن أعيش هكذا كما تعيش الفكرة الهائمة والروح الحائرة . . . فأردت أن أجرب الحياة المستقرة فى مسكن ثابت اخترته فى بقعة جميلة من بقاع القاهرة ... يشرف على النيل ، وترى من نوافذه القلعة والأهرام وعنيت بأثاثه ، وأعددت فيه مكتباً أنيقاً وخزائن للكتب ، واقتنيت سيارة ، وأقمت بمفردى وحولى خادم وطاه وسائق ...

فاذا حدث ؟ لم أتحمل الحياة فيه عاماً . فقد كاد الخدم الثلاثة يذهبون البقية الباقية من عقلى ، فالخادم النوبى جعل يكسر «اسطواناتى» الثمينة؛ وتحريت أمره فعلمت أنه يتربص بى حتى أخرج فى الصباح ، فيدير «الجراموفون» ويضع ما يقع فى يده من أعمال «بيتهوفن» و «موزار»، ولا يحلو له تنظيف «الباركيه» وطلاؤه إلا على هذه الأنغام

أما الطاهى فقد كان يبدى الابتكار فى ألوانه أول الأمر ، ثم قصر وتراخى حتى صار الطعام ضرباً من (الروتين) لا طعم له . فكنت أحياناً أترك المنزل بما أعد لى فيه وأذهب إلى مطاعم المدينة. ولقد كان للخدم دائماً طعام غير طعامى ، هو فى أكثر الأحيان ألذ وأمتع . ولطالما أمرت الطاهى أن يحضر لى مما فى قدورهم ويحمل كل هذه الألوان التى نسقها تنسيقاً ظاهراً دون أن يضع فيها روحه وقلبه ...

وليس هذا كل شىء . فقد علمت أن الطاهى يعد على حسابى قدراً كبيراً من الطعام يقدمه بالأجر إلى بوابى الجيران ؛ وأن الخادم يدعو جميع زملائه النوبيين كل عصر عقب انصرافى إلى تناول الشاى

ولم يدهشنى ذلك فإن نفقاتي بمفردى كانت دون أن أدرى نفقات أسرة مكونة من عشرة أعضاء، وما نبهنى إلى ذلك إلا ضيف عابر . على أن كل هذا لم يغضبنى كثيراً . إنما الذى أثارنى حقاً هو مسمار صغير وجدته يوماً فى لون من ألوان الطعام ، كدت أزدرده ... هنالك لم أطق صبراً . وعلمت أن الخدم بلا رقابة هم خطر من الأخطار العامة ... وما ملكت نفسى عن الصياح فيهم يوماً (والله لأتزوج لكم وأمرى إلى الله)

أما السائق فلا يريد أن يصغى إلى رجائى كلما طلبت إليه ألا يسرع . فأنا أبغض السرعة. إنها تمنعنى من التفكير، ولطالما أكدت له أنى لست متعجلاً شيئاً . ولا شىء فى الوجود يستعجلنى، فأنا عدو الزمن والوقت ، ولم أحمل ساعة قط ، فالوقت عندى ليس من ذهب بل من تراب كأجسامنا ... ولكنه ينطلق بى رغم ذلك ، كأنما يريد أن يطرحنى فى أسرع وقت ، ليخلص منى وينصرف إلى شأنه . فكنت أتركه أحياناً يقف منتظراً فى جانب الطريق وأسير مفكراً حراً حيث أشاء . ثم أدرك أخيراً أنى لا أحب السهر وأنى شديد الكسل وأنى أكتفى بعبارة أقولها له كل عصر : « اطلع جهة فيها هواء نقى » « فين ؟ » (أى جهة تختارها) ، فيمضى بى حيث يريد هو دون أن أعترض ويقف بى أحياناً حيث يشاء ويقدر أن المناظر جميلة والهواء منعش فلا أتكلم ، فإن فكرى منصرف دائماً عنه ، ما دام لا يسرع بى ولا يقول لى : « تفضل » . إلى أن يرى أن الأوان قد آن للتحرك فيقودنى إلى حيث أتناول الشاى أو العشاء فى الأماكن المعتادة . فإذا أمرته أن يذهب بى إلى السينما ... فقد عرف ألا يسألنى أيها . بل يمضى بى طائفاً على جميع الدور ، فيقف أمام كل باب من أبوابها لحظة ، فإذا نزلت فقد انتهت مهمته . وإذا لم أنزل فإنه يتحرك إلى غيرها ... وإذا مر بجميعها فلم أغادر السيارة فإنه يعود بى من تلقاء نفسه إلى المنزل ويقول لى : « تفضل » . فأنزل فى صمت ، وقد شعر بقدر هذه السلطة الواسعة فى يده فاستغلها آخر الأمر استغلال الطغاة لحرية الشعب . فكان

إذا أراد أن يفرغ من عمله مبكراً أو يخلص إلى شأن من شؤونه طاف بتلك الأماكن طوافاً سريعاً لا يكفي لإيقاظي من تأملاتي أو إخراجي من ترددي ، ثم ردني إلى منزلي ، ولما تدق التاسعة قائلاً : « تفضل » فأنزل دون أن أنتبه لما حدث . وفطنت ذات ليلة إلى إرادته . وكانت بي رغبة في السهر . فما تمالكت أن ثرت لحريتي المسلوبة وصحت : (أنت غرضك تنومني المغرب ! قسماً بالله العظيم ما أنا نازل)

هكذا كان شأني في المسكن الخاص بين أولئك الخدم . وقد لبثت على هذه الحال زمناً اختمرت فيه داخل نفسي جراثيم الثورة الكبرى على هذا النظام فبيت النية ذات ليلة على خلع نير هؤلاء الذين يسمون أنفسهم خدماً لي . فلما كان الصباح أعددت حقائبي ، واستدعيت البواب وطلبت إليه أن يبحث عمن يحل محلي في هذا المسكن بأثاثه ورياشه . فأتى إلى برجل انجليزي وزوجته فتركت في عهدتهما كل شيء حتى كتبي ، وغادرت ما في البيت من أشياء خصوصية ومن مؤونة حتى زجاجات المياه المعدنية وعلب الجبن والمربة والزبد والبن والشاي والفطائر ، وطردت خدمي ، واستغنيت عن سيارتي ، وانطلقت بمفردي حراً من جديد ، أتنقل في الفنادق وأطوف بالشوارع ، وأقفز إلى عربات الترام وسيارات الأوتوبيس ، وأختلط بالناس ، وأمتزج بالجماهير . فأحسست كأن الدم يعود حاراً إلى عروقي . وأن قدمي قد فرحتا بلمس الأرض من جديد ، وأن فكري قد عاد إلى انطلاقه ونشاطه ، مع السير الحر بالأقدام في كل مكان ، وملاحظتي الناس في الطرقات قد أخصبت ذهني الذي حبس طويلاً خلف الزجاج ، وجعلت أقف على بائع الذرة وهو يشوي كيزانه على عربته الصغيرة فأحادثه وأباسطه لا يتعجلني سائق ولا تنتظرني سيارة ، وأصغي إلى حديثه الطويل في ذلك الليل مع كناس الجهة . فأشترك معهما في الحديث والسمر ، ورأيت الكناس يساوم البائع طمعاً في كوز ، والبائع لاه عنه لا تخطر له المزومة على بال « فإن الشغل شغل » في عرف التجار ، فشريت أنا كوزين أعطيت الكناس واحداً واستبقيت لنفسي الآخر . فدعا لي الكناس الدعوات الصادقات ، وجعل يأكل ويقص علي مما عنده من أحاديث العامة البريئة اللذيذة ...

عرض هذا الشريط كله في رأسي عند ما سألني المخرج ذلك السؤال . ولم أجبه بشيء غير تلك الابتسامة التي أثارتها هذه الذكريات ...

توفيق الحكيم

٣ – إلى أرض النبوة !

[وصف وتأريخ لرحلة الوفد السوري إلى الحجاز ربيع ١٩٣٥ لفتح طريق الحج البرى بالسيارات]

للأستاذ على الطنطاوى

تركنا القراء فى « المخفر السعودى » على الحدود . وأشهد أنى لم أذق طعم الأنس والاطمئنان مذ فارقت دمشق إلا فى هذا المخفر ، ومهما نسيت من المشاهد ، وأضعت من الذكريات ، فلن أنسى تلك الساعة ، ولن تضيع من نفسى ذكراها ، وإننى لأتخيلها الآن ، وقد مر على تلك الزيارة خمس سنين ، ولم يبق فى يدى منها إلا ما علق بذهنى ... أتخيل تلك الخيمة الشَّعرية الشَّعرية ، الجاثمة على ذلك التل العالى ، تطل على التلال التى لا يحصيها عد ، وقد اتكأت فيها على جنبى ، ونظرت إلى أسفل منى فرأيت السلوك الشائكة ، فعجبت منها سلكة لا يعبأ بها تفرق الأخ عن أخيه — وتجعل الشعب شعبين — ثم مددت بصرى حتى ضل فى ثنايا السراب المتألق فى وهج الظهيرة ؛ ثم بلغ « دمشق » ، دار الأحبة ومثوى الأمانى ، فهزنى الشوق إليها والفخر بها ، والأسى عليها لما أصابها ... ثم رجعت البصر إلى البادية من حولى ، فسرَتْ فى روحى روحها ، فشعرت كأن قد صهرتنى شمسها ، فغدوت كأولئك الذين خرجوا منها جنًّا فى النهار ، ورهباناً فى الليل ، وموتاً للظالمين والمبطلين ، وحياة للشعوب ورحمة للناس ... وتمنيت لو كان اليوم إلى اليرموك أو القادسية طريق ، حتى أسلكه كما سلكه أجدادى الأمجاد ... وهيهات أن يكون للشباب الذى أضاع روح الصحراء إلى مثلها طريق ...

إنما الإسلام فى الصحرا امتهد ليجىْ كل مسلم أسـد

* * *

وأكلنا من طعام الجند وهو الزبد والرز والتمر ، وشربنا من ألبان النياق وما ألذه من شراب ... وتبادلنا أطيب الحديث فكان بشرهم وحديثهم قرى حلواً كتمرهم ، سائغاً كلبنهم . ثم سألونا عن الطريق الذى نسلكه فأشرنا إلى الدليل ؛ فحدثوه فوجدوه أجهل بالبادية من (الكنانى) وأصحابه بلغة العرب ، ووجدوه يضرب بنا على غير هدى ويسير على عشى . فأتمّوا صنيعهم معنا ، فبعثوا واحداً منهم يصحبنا إلى (القريات) يرشدنا ويهدينا ، وكان هذا الواحد فتى حلواً جميلاً ولكنه على حلاوته وجماله أمضى من السيف الباتر ، وكان اسمه (سلامة) فتفاءلنا به خيراً . وكان صلى الله عليه وسلم يتفاءل ، وقلت : رافقتنا السلامة إن شاء الله ، والحاج غراب صامت لا ينطق ...

وودعنا القوم الكرام وسرنا نخرق صدر البادية المهولة وأرواحنا معلقة بيد سلامة ، وسلامة يشير إلى السائق ويلقى عليه أوامره : يمين . شمال . اصعد التل . تجنب الرملة . والسائق يسمع ويطيع ، والسيارات تتغلغل بين هذه التلال ، ولبثنا على ذلك إلى العصر ، عصر اليوم الثانى من أيام الرحلة ، فرأينا رملة بيضاء فسيحة لها منظر البحر فى سعته وتموجه واستوائه ، تملأ العين جمالاً والقلب من خوف سلوكها فزعاً ، يلوح من ورائها سواد قليل كأنه النخيل أو خيال البنيان . فقال سلامة سلّمه الله : « هذه هى القريات »

والرمال التى رأيناها فى البادية على نوعين : رمال منبسطة بيضاء دقيقة كالغبار ، لاطية بالأرض ، يتخللها نبات من نبات الصحراء (وسأصف فيما يأتى من الحديث أنواعاً منها خبرناها) ورمال حمراء حباتها أكبر ، وامتدادها أكثر ، وهى تلال يأخذ بعضها بأعقاب بعض ، تشبهها العين بأمواج البحر ، لو كانت تجمد أمواج البحر ، وإذا أنت تأملتها وجدتها فى حركة دائمة لا تستقر حباتها ، وبذلك ينتقل التل العظيم من مكان إلى مكان فى الشهر مرة أو الشهرين ، ولقد رأينا فى عودتنا مناطق كانت سهلة ما فيها حبة رمل ، فصارت بعدنا آكاما من الرمال

وهذه الرمال آفة السيارة ، وعلتها التى لا دواء لها ، فإنها للينها وتهافتها لا تثبت تحت دواليب السيارة ، فتغوص فيها كما تغوص فى الماء ، وتلبث فيها كأنما دفنت وهى فى الحياة

* * *

ولقد لقينا من هذه الرملة عناء تقل فى وصفه مبالغات الشعراء ... غرقت فيها السيارات ، وما لها لا تغرق وقد قلت لك إنها رملة كالبحر ، أفتمشى سيارة على وجه البحر ؟ ولقد لبثنا إلى الليل نزيح الرمل من حول السيارة ، ونرفعها رفعاً ، ثم ندفعها بعواتقنا دفعاً ، ثم نجرها بالحبال ، حتى إذا قلنا سارت عادت فغاصت ، فلم نقطع الرملة حتى تقطعت أعمارنا ، ولم نخرج

منها حتى شهدنا أنه لا إله إلا الله !

* * *

وقريات الملح قرى ست متقاربة أكبرها قرية (كاف) ، ولكنها لا تحوى على نصف سكان (حلبون) أخس قرى الشام ولا تبلغها كبراً واتساعاً ، وهى فى غور من الأرض ، وكان أول ما استقبلنا منها الحصن ، وهو حصن كبير من الحجر الأبيض المسنون ، علمت أن الأمير نواف بن النورى بن الشعلان هو الذى بناه أيام تسلطه على تلك الديار ، منذ خمس وعشرين سنة ، ولم أجد من استزيده من خبره ... والقريات اليوم إمارة ، وهى مقر الأمير . ومما رأينا فى الحكومة السعودية أنهم يسمون كل من يلى مدنية مهما صغرت أميراً ، لا فرق فى ذلك بين أمير القريات ، هذه ... وبين أمير المدينة المنورة ...

وكان الأمير يومئذ غائباً فى مكة يشهد الموسم ، يقوم مقامه ابن أخ له ، وهذه العادة فاشية فى الحجاز ، إذا غاب الأمير أناب عنه ولداً له أو قريباً ، وكان نائب الأمير فى قرية أخرى من القرى الست ، فلم نلقه ، ولكنا لم نعدم من يستقبلنا ويكرمنا ، وغاية الإكرام (كما رأينا) أن ندخل القصر ، وتوقد النار فى زاوية البيت الذى جلسنا فيه ، ويشعل فيها الغضا هـذا الذى يضرب بحره المثل والذى ذكره الشعراء فأكثروا ، وكنوا به عن نجد ، مهوى الأفئدة منهم ، وقد رأيته مراراً فوجدته كثيراً فى البادية وهو كالشمش غير أنه أجمل شكلا وأدق ورقاً ، وهو أشد شجر رأيناه فى البادية اخضراراً ، أما جره فكالفحم الحجرى ولا مبالغة ، وقد عرفه الشاعر حين زعم أنهم (شبوه بين جوانحه وضلوعه) ، أما نحن فعرفناه فى هذا البيت حين أشعلوه وزادوا فى إضرامه حتى بلغ لهيبه السقف ، ثم قربونا منه وأجلسونا إلى جانبه ، فلما (تقهوينا) ونلنا حظنا من الإكرام البالغ ... سألونا سيارة تأتى بالأمير ، ودعينا إلى دار أخلوها لنا ، وكانت دار مفتش الحدود (عبد الرحمن بن زيد) وهى أكبر دار فى القريات وأجلها إلا أنها خالية لا شىء فيها ، ففرشنا فيها ما كنا نحمل من بسط وفرش وإحرامات ولم أبتئس أنا بخلوها ، فقد كان بساطى وإحرامى أحب إلىّ من كل ما يمكن أن يفرشوه فيها . ولما اطمأننا على أمتعتنا وعلى مكان مبيتنا خرجنا نجول فى القرية فإذا هى بيوت من الطين قائمة على (شاطىء) الرملة يحف بهـا نخل قليل وفيها حقول تزرع فيها بعض الخضر ، وتسقى من عين جارية وفيرة تقوم برى قسم كبير من الأراضى لو كان هناك مال وكان هناك أيد عاملة تسعى فى توسيع الأراضى الزراعية وتحسين زراعتها . ويحيط بالبلدة وبساتينها ورملتها صخور أهرامية هائلة رهيبة المنظر تمتد من حولها كأنها سور إلٰهى ... وحياة هذه القرى من الملح الذى يستخرج من السباخ الكثيرة القريبة من البلد ، ويصدر إلى حوران وشرق الأردن .

* * *

بتنا فى دار ابن زيد هذا خير مبيت ، وقد جاؤونا بالعشاء من قصر الأمير ، فلما أصبحنا غدونا عليه ، فرأيناه شاباً ذكياً ليس بالمتعلم ولكن له مشاركة فى بعض علوم الدين ، ويحفظ شيئاً من أحاديث النبى صلى الله عليه وسلم ، تلقاها فى مجالس العلم ، وتلك سنة حسنة استنها الإمام عبد العزيز حفظه الله . فجمل ليله كله للعلم يأتى مجلسه العلماء فيقرؤون فيه كتاباً ، فإذا أتموه شرعوا فى غيره ، وتكون مناقشات علمية يشترك فيها بنفسه ، وقد قلده الأمراء جميعاً فى ذلك ؛ فمن هنا ما يحفظ هذا الشاب نائب أمير القريات ...

استقبلنا بنفسه على عتبة الباب ببشر وإيناس ، وجلس معنا يحدثنا ونار الغضا تلفح وجوهنا . ولبثنا على ذلك ساعة لم يدع فيها الأمير دقيقة واحدة قَوْلَةَ : قَهـوَة . شاهى . شاهى . قَهـوَة . يدور علينا بها عبد أسود كأن شفتيه غطاء ووطاء ، وكأن جسمه الحمل ، ثم أديرت علينا المجمرة وفيها البخور ، بخور العود ، فلم ندر ما نصنع بها ؟ ثم وجدنا الأمير يضم عليها طرف كوفيته أو عباءته حتى يتعشق الطيب ثيابه ، ثم يدعها فصنعنا مثله ، وانتهى العبد من إدارة المجمرة ، فرأيت الأمير ينظر إلينا ، فقام الشيخ الرواف واستأذن ، وقمنا معه على أن نجتمع الظهر بالأمير على الغداء ...

فلما خرجنا ، قال الشيخ الرواف : ألم تسمعوا المثل النجدى ؟ قلنا : وما ذاك ؟ قال : « إذا دار العود فلا تعود » . فعلمت سر نظر الأمير إلينا ، وتمنيت لو دخل هذا المثل بلادنا ، حتى عرفه الناس ؛ ثم ذكرت أن عندنا بحمد الله من لا يفهم بالعود ولا بالعصا ولا يخرج من زيارتك ، حتى تخرج غيظاً من جلدك ...

(لمـا بقايا) علي الطنطاوى

التعليم المختلط

للأستاذ رفعة الحنبلى

[بقية ما نشر فى العدد الماضى]

المحبذون لهذا التعليم يلفتون النظر إلى ظاهرتين اثنتين جديرتين بالاهتمام :

أولاهما أن البيئة والتقاليد والعادات هى عوامل قوية تدفع إحدى الأمم فى الإقدام عليه إقداماً تاماً ، وتجعل الأمة الثانية تحجم عنه إحجاماً كلياً

وثانيتهما : شخصية المربى التى تقوم بدورها التربيوى الرفيع فى تمهد الطلبة تمهداً فيه كثير من الحذر واليقظة والرفق واللين تبعدهم عن تسرب المساوئ إليهم – إن كان هنالك مساوئ – وتوجههم نحو المثل الأعلى للحياة الإنسانية الفاضلة ؛ هذه الشخصية هى بمثابة الملجأ الأمين من الأخطار التى قد تهدد حياة الطلبة من جراء الاختلاط ، ولا تنال الغلبة فى هذا الأمر ما لم تتصف بالصفات الجيدة والمبادئ القويمة والخلق القوى والذكاء الحاد والفطنة الملتهبة ، كى تتفهم نفسية الطالب ورغائبه وميوله ...

ولكن أين هؤلاء المربون الذين ينممون بمثل هذه الصفات جيمها ؟ وأكبر الظن أنهم قليل ... والقلة ما كانت فى يوم ما لتقوم مقام الأكثرية فى تأدية رسالة أو إيفاء واجب

يذهب الدكتور Burness إلى أن التعليم المختلط فى المعاهد الثانوية يقوى العلاقات الاجتماعية ويمكن الصلات الأدبية ، فينشأ الفتى والفتاة فى بيئة تختلف عن البيئة الخاصة التى كانا فيها ، وإنها لأجدى على الفتى والفتاة من أية بيئة أخرى ، إذ يتجه الاثنان فى اتجاه خاص هو من مصلحتهما ، وهى إلى ذلك تضعف فى الفتاة تلك الرقة والحياء والدعة ، فى الوقت الذى يتقوى عندها الشعور النفسى بأنها والرجل سيان فى الحقوق والواجبات

وإذا ما تعمقنا فى دراسة نفسية كل من الجنسين ، وجدنا أن لكل منهما خصائص فردية تختلف فى كل منهما عن الآخر جد الاختلاف ، على أنها تتحد فى الأصل وتختلف فى الفروع بمعنى أن للفتى من الوظائف الفردية الخاصة ما للفتاة ، على أن هذه الوظائف لم تكن لتمنع كلا منهما من أن يتلقى نوعاً واحداً من التعليم أو أنواعاً مختلفة ، فضلاً عن أنهما ذوا قابلية لتعليم خاص . وقد تتباين الاستفادة عند مباشرة الفتاة هذه الوظائف ، فتتجه إلى ناحية غير الناحية التى يسير الفتى إليها

فهناك إذاً خصائص نفسية نسوية type psychologique feminin وخصائص نفسية رجولية type psychologique masculin تمضى بهما إلى غايتيهما ؛ ولكن لا بد من التساؤل عما إذا كانت هذه الخصائص المتباينة لها من المزايا ما يساعد على التعليم المختلط أم أنها تقف دونه ؟

كثير من علماء النفس يعتقد أن هذا التباين فى الخصائص مما يساعد على التعليم المختلط مساعدة قوية فعالة ، فالفتيات والفتيان ما كان كل منهما ليكتسب مزايا وفضائل الآخر التى يفتقر إليها لو لم تمهد أمامه سبل الاختلاط سواء فى المعاهد أو فى المجتمعات . ويرى الدكتور Burness أن مراتب التفكير Ordre des idèes فى الرجل هى غيرها فى المرأة ، والتعليم المختلط يحمل كليهما على الاقتباس عن الآخر ما تحتاج إليه الحياة وما تتطلبه منه البيئة ، وبالتالى فإن أفق تفكيرهما ينبسط ويمتد إلى أقصى حدود الانبساط والامتداد . تلك متعة من متع الحياة تتفتح معها النفس لصنوف المؤثرات وشتى ألوان الأحاسيس .

ويعترض البعض الآخر على هذا الرأى بأن الخير كل الخير للمجتمع وللجنسين معاً فى ألا تضعف هذه الخصائص النفسية الخاصة — إذ أن فى ذلك ما يفقدها ، ولو إلى حد ما ، شيئاً من حيويتها وفاعليتها — وأن يحتفظ كل منهما أيضاً بمراتب تفكيره لا يتعداها إلى مراتب غيره ، فبقدر ما يكون الرجل تام الرجولة والمرأة كاملة الأنوثة تكون الجماعة الإنسانية غنية بالوسائل الفعالة التى من شأنها أن تؤثر فى المجتمع وتدنيه من غايته المثلى ، فالواجب على المربين أن يؤدبوا الفتى تأديباً يصبح معه ، فى المستقبل ، رجلاً تام الرجولة ، وأن يتمهدوا الفتاة تمهداً تمسى بعده كاملة الأنوثة ، على ألا ينظر إلى المرأة نظرة ضيقة حقيرة تنال من كرامتها وتحط من شأنها بل نظرة رفيعة تدفعها إلى الاستفادة من خصائصها الخاصة

ويعتقد المربى الكبير Hall أن خصائص ومزايا الجنسين هى غريزية بمعنى أنه لا ينالها تغيير ولا يمسها تطور — فى جوهرها على الأقل — وهى تخضع لنظام يختلف فى كل منهما عن الآخر

اختلافاً كلياً ؛ ويضرب لذلك مثلاً أن الفتاة تفهم من كلمات الوطنية والشرف والعائلة والشجاعة غير ما يفهمه الفتى منها ، فلكل من هذه الكلمات جرْس خاص عند كل منهما ، هذا إلى أن الفتى قد لا يتأثر بخصائص ومزايا الجنس النسوى — إن قدر له أن يتأثر — دون أن يزاوج بينها وبين ما بنفسه من مزايا وخصائص

وهناك عيب لمسه الأستاذ Neff بنفسه بعد اختبار طويل ... هذا العيب يتعلق بالمربى الذى يؤثر فئة من طلابه على فئة ثانية ، أو بالأحرى يعطف على طالباته أكثر مما يعطف على طلابه ، بل ويتحيف حقوقهم أيضاً ، إذ يلمس فى الفتاة دماثة الخلق ، ونعومة الحديث ، وإشراق النفس ، ورقة الشعور كما يدرك فيها مزية الإذعان والامتثال والخضوع ، فتنعم بالعطف والإيناس ، وتتمتع بالرفاهة والدعة ، فضلاً عن أن التنافس الذى يحصل بين هاتين الفئتين له من التأثير القوي على الفتاة ما يدفعها إلى الانكباب على الدرس حتى تفوز على زملائها وتحوز الدرجة الأولى دون تعمقها فى الدراسات وتفقهها فى المذاهب ، وهذا ما يفقر تكوينها العقلى ويضعف تفكيرها ويفسد تصوراتها ، لذلك يقول الأستاذ Rugg إن التنافس يجعل التعليم أقرب تناولاً وأدنى منالاً وأكثر سهولة ولكنه أقل عمقاً وأهمية

ويأخذ بعض علماء النفس على التعليم المختلط ، فى مرحلة التعليم الثانوى ، أنه مباءة للفساد ، إذ أنه يثير النعريزة الجنسية ، فتعصف بالنفس ، وتحرك العواطف فتنفعل الأحاسيس ، ويفقر الخصائص فتضعف الشخصية ؛ وهذا ما يكون خطراً مباشراً على الأخلاق والآداب ؛ وقد تكون الفتاة أقرب إلى هذه المؤثرات من زميلها الفتى وأدني منه إليها

ويرد البعض الآخر على هذه المآخذ المتنوعة بأن الطبيعة الإنسانية تستدعى هذا الاختلاط ، وتتطلب هذا النظام لما لها من الأثر القوى فى حياة الناشئة ، فتوجه العواطف توجيهاً سليما ، وتوحد العلاقات على أساس الثقة المتبادلة ، وتمهد السبيل إلى رفعة الأخلاق وتقرب من الزواج ...

والفتاة نفسها ترغب فى هذا الاختلاط إلى حد بعيد ، وتتوق نفسها إليه ، وتندفع وراءه ؛ فالفتاة كالفتى ، يعتلج فى أطواء نفسها الحب العنيف ، وتتأجج فى صدرها الأهواء ، ويتفتح قلبها إلى الصداقة ، وما عساها تفعل بهذه النوازع ؟ ... إن حبها لشديد ، وإن عواطفها لمنيفة ، وإن خيالها لواسع ، وإنها لتفتش عن أميرها المنتظر ، عن فتاها ، قبلة أنظارها ومحط آمالها ورجاء مستقبلها ، والتى تأمل أن تكون له زوجة فى المستقبل لتنعم بجانبه وتطيب نفسها به ، ولكن أين تبحث عنه ، وفى أية بيئة تجده ، وفى أى وسط تحظى به ؟ ...

إنها قد تجد فتاها الجميل ، الذكى الفؤاد ، الدمث الأخلاق ، الكريم الشمائل ، فى البيئة التى تختلف إليها ، وما هى إلا بيئة المعاهد المختلطة التى تدنيها من غايتها وتحقق أحلامها وآمالها

والفتى ، أليس ينشد مصاحبة الفتاة ، ويميل إلى معاشرتها ويتمنى صداقتها ، إنه ليتلهف إلى اختيار فتاته ، وتصبو نفسه إلى الزواج منها ولا سبيل إليها إلا فى تلك البيئة المختلطة أيضاً .

ويقول العالم الكبير Jourdan « إننا نحصل على أحسن النتائج حينما يجتمع الجنسان فى معهد واحد إذ نرى الفتى أكثر إقبالاً على العمل وأحسن خلقاً ، ونرى الفتاة تؤدى أعمالها فى جو طبيعى وبدوافع أرق وأفضل »

يؤخذ مما تقدم أن الفصل بين الجنسين ليس فى مصلحة النشء ولا المجتمع فى شىء بل ربما كان سبباً قوياً فى تداعى الروابط الاجتماعية وفى تفسخ العلاقات الأدبية

وكما يؤخذ على التعليم الثانوى يؤخذ أيضاً على التعليم الابتدائى ولكن هذا لا يدانى الثانوى فى الخطر ولا يجاريه فى العيوب ، وما ينسب إليه من حسنات ينسب إلى الآخر على السواء

أما فى صدد التعليم الجامعى فيقول الدكتور Joteyko الأستاذ بجامعة بروكسل « إن من الواجب ألا نستنتج استنتاجات هزيلة من الملاحظات التى يبديها البعض ممن يقاومون هذا التعليم ، وألا نرد التأثيرات السيئة التى تحدث عنه إلى هذا النظام بعينه . إن الوقائع التى نلمسها يومياً فى أجواء المعاهد المختلطة تدفعنا إلى الاعتقاد بفساد هذا النظام ، وكثيراً ما تتألم الفتاة من مسلك زملائها الطلاب الظرفاء ، ذلك المسلك الذى يسبب لهن كثيراً من الإيلام ، مما يدفع المرء إلى التفكير فى إقصاء الفتيات عن التعليم المختلط . . . ولكن لو أنعم هذا البعض الفكر فى أسباب هذه الوقائع ، لرد دواعيها ومسبباتها إلى نقص فى بعض الأنظمة التعليمية الحديثة ، أو بالأحرى إلى تخلف الفتاة عن المعاهد الثانوية

الحرب فى أسبوع

للأستاذ فوزى الشتوى

فرنسا تسلم ؟ !

قابل العالم طلب المارشال بتان رئيس وزراء فرنسا لشروط عقد الهدنة بكثير من الحسرة والألم، فقد عقد العالم أمله على المعارك الدائرة فى فرنسا لإقرار السلام، وإزاحة كابوس الدكتاتورية ومخاوفها . وظل الجيش الفرنسى يقاتل بعزيمته التى عرف بها إذا دهم وطنه خطر، ولكن الخسائر التى منى بها، والقوات الألمانية التى هاجمته كانت كبيرة العدد كثيرة العتاد، تجاوزت فى كثرتها جميع فنون القتال

ففى سنة ١٩١٤ كان عدد الرجال المقدر فنياً للقتال فى الميل الواحد عشرة آلاف جندى. ودرس أحد الاقتصاديين العسكريين فى سنة ١٩٣٨ عدد الرجال اللازمين للاشتراك فى معركة، سواء فى حالة الهجوم أو الدفاع، فقدر أن جبهة القتال تشمل ميداناً طوله ١٠٠٠ كيلومتر (٦٠٠ ميل) . وانتهت أبحاثه المبنية على الحساب والفن العسكرى إلى أن عدد الرجال اللازم لهذه الجبهة فى حالة الهجوم مدة سنة، هو تسعة ملايين جندى، تهبط إلى ستة ملايين فى حالة الدفاع، أى أن الميل الواحد يحتاج إلى ١٥ ألف جندى تهبط إلى عشرة آلاف فى حالة الدفاع

استخفاف بالأرواح

ودرس هذا الإخصائى العسكرى ما تحتاجه الجبهة من سيارات مدرعة ودبابات فقدر للميل الواحد ٢٠٠ منها طول السنة. ولكن القيادة الألمانية خالفت فنون القتال المألوفة معتمدة على ضربات خاطفة، تقصد من ورائها أن تنهى الحرب فى أشهر قلائل، ويؤازرها فى ذلك سياستها التى جرت عليها من الاستخفاف بأرواح رعاياها، ووضعها فى المرتبة الأخيرة أمل الحصول على أغراضها

فوضعت فى جبهة طولها ١٥٠ ميلاً مليونى مقاتل و ٤٠٠٠ دبابة يضاف إليها سيارات النقل والجنود الاحتياطية، فخص الميل الواحد ١٣ ألف مقاتل تقريباً، وإذا قسمنا عدد الدبابات على عدد الأميال يظهر لنا قلة عددها، ولكننا لو ذكرنا أن هذه الدبابات لم تتوزع على طول جبهة القتال، بل قصرت عملها فى ميادين خاصة، فكانت الوحدة منها تتكون من ٢٠٠ دبابة لعرفنا قسوة الهجوم الذى وجه إلى القوات الفرنسية، ولوجدنا أن ما قدر له أن يعمل سنة كاملة وضع فى الميدان دفعة واحدة

ومعنى هذا أن الحرب إذا طالت سنة احتاجت ألمانيا إلى مثل هذه القوات ثلاثين أو أربعين ضعفا، وهذا مالا يتيسر لألمانيا تحقيقه لضعف مواردها

ومن هنا يرى الخبراء العسكريون أن حرب ألمانيا مع انجلترا ستكون وبالاً على النازية، لأن الحرب ستطول بحكم موقع الجزر

المختلطة، بل والابتدائية منها أيضاً . إذ أن ارتياد الفتاة هذه المعاهد يمكنها من دخول الجامعة بعد أن تكون ماشت الفتى فى دورى الطفولة والمراهقة، وهى أشد ما تكون اطمئناناً على نفسها وأخلاقها وآدابها، فتضطرم نفسها بحياة مليئة بالسعادة والهناء والرفاهية والنعيم » لذلك يطلب الأستاذ الكبير Ferrier ألا يقبل فى الجامعات من الفتيات إلا من أتممن دراستهن الابتدائية والثانوية فى المعاهد المختلطة

ويرى الأستاذ Rouma من شتى الملاحظات التى جمعها أثناء إدارته دار المعلمين فى جمهورية بوليفيا الأمريكية أن الفتيان، فى اختلافهم إلى تلك الدار، قد تهذبت نفوسهم وأخلاقهم، وصقلت شجاعتهم ورجولتهم، وسمت أخلاقهم وعواطفهم، وجعلتهم اجتماعيين، فإذا بالفتى منهم أنيس الألفة، كريم الشمائل حر الخلال، رفيع التهذيب، أديب المعاملة، أنيق الملبس ؛ وإذا بالفتاة قد انتفى عنها الخوف، وتلاشى الجبن، وزال منها الضعف فأصبحت ناعمة بالاستقلال الذاتى، متلذذة بالحياة، واثقة من المستقبل فضلاً عن أن كلا منهما يجد فى نفسه مزايا خاصة تسهل التعاون بينهما فيما بعد

* * *

هذه أوجه الرأى المختلف فى هذا الموضوع الجليل، رسمنا خطوطه الكبرى رسماً موجزاً وأوضحنا حسناته وفضائله، وكشفنا عن سيئاته ونقائصه، نلقى بها لدى أرباب العقول النيرة علهم يوازنون بين الرأيين ويرجحون الكفة التى يكون بها الخير للأمة العربية .

(بيروت) رفعة الحنبلى

البريطانية الجغرافى ، وبحكم توفر المواد الأولية فى أمبراطوريتها الواسعة .

لماذا استقال رينو

ومن الجدير بنا أن نقف لحظة إزاء ما قبل الظروف التى أعلنت فيها فرنسا طلبها لشروط الهدنة . ففى ساعات قلائل تستقيل وزارة المسيو رينو ، وتؤلف وزارة المارشال بتان ، وتصبغ بالطابع العسكرى ، ويشترك فيها جميع قواد القوات الفرنسية من برية وبحرية وجوية . فهل يدل هذا على أن المسيو رينو رفض أن يتولى إصدار قرار طلب شروط الهدنة الخطير ؟ وإذا كان هذا صحيحاً فما هى الدوافع لاستقالته ورفضه ؟ هل هى اختلافه فى الرأى مع العسكريين ؟ أم أنه فضل أن يتاقى الشعب الفرنسى النبأ السيء من القادة أنفسهم ؟

فالشعب الفرنسى معروف بحبه للحرية ، معروف بتقاليده الوطنية التى لا تقبل الهزيمة ، معروف بتضحياته السامية وبسالته التى لا تقهر ، مما يدعو الساسة إلى التردد بل والامتناع عن إصدار مثل هذه القرارات المؤلمة

ويبدو لنا أن الاختلاف هو فى الرأى أيضاً ، فقد غضب بعض كبار القواد العسكريين لطلب الهدنة ، وطالب الجنرال ديجول الشعب الفرنسى الحر بأن يتصل به فى انجلترا ليواصل القتال ، ولينزع عن بلاده ألم الهزيمة ، وليخلصها من القيود التى قد يفرضها عليه الأعداء . ورأى هذا القائد له قيمته إذ كان أحد مساعدى المسيو رينو ، وكانت له يد فى توجيه السياسة العسكرية والاقتصادية

فإذا قبلت فرنسا شروط ألمانيا فلن يعنى هذا أن رجال فرنسا ستغادر الميدان ، بل إنهم سيواصلون الكفاح . وسيلحق بهم فى هجرتهم عدد كبير من الفرنسيين الذين لن يطيقوا أن يعيشوا تحت شروط الألمان والذين لن يطيقوا أن يتركوا بلادهم وسيادتها تحت رحمة النازيين . فقد ظلت فرنسا عدة قرون وهى دولة من المرتبة الأولى ، لها صوتها المسموع ، ولها إرادتها المحترمة ، فهل يقبل شعبها أن تصبح من المرتبة الثالثة ، بينما حليفتهم تقاتل فى الميدان ؟ إن العصبة الفرنسية تقول محال ، أو كما قال الجنرال ديجول « إن شعلة المقاومة الفرنسية لن تنطفئ . لن تنطفئ »

مناورة بارعة

ولقد كان اقتراح بريطانيا اتحاد الجمهورية الفرنسية بالأمبراطورية البريطانية مناورة سياسية وعسكرية بارعة ، فهى تمطى لفرنسا مضماراً جديداً لاستئناف نشاطها ، وتدل على حسن النية والتضامن فى السراء والضراء مما يجلب عطف العالم على قضية الحلفاء ، ويدل دلالة مادية أن الطمع ليس العامل الحقيقى فى هذا القتال ، بل هو سعادة العالم . وإلا فما الذى يدفع بريطانيا بامبراطوريتها العظيمة ، لأن تقدم مواردها لإصلاح أضرار فرنسا ولأن تشاركها فى مصابها الحالى ؟

ولو تم هذا الاتحاد ، لكان له أثر عظيم فى سياسة العالم المقبلة ، ولكان فتحاً جديداً لتكوين اتحاد أوربى عام ، يعمل على إقرار السلام ، فتزول الأحقاد ، وتحد المطامع ، ويشعر العالم برباط المصلحة المتبادلة

هذا بين نارين

وكان هذا التصريح بارعاً كما قلنا لأنه وضع ألمانيا بين نارين ، فإذا هى غالت فى طلباتها من فرنسا رفضت فرنسا الصلح واتحدت مع انجلترا واستمر القتال إن لم يكن فى فرنسا ففى المستعمرات ، ولمستعمرات فرنسا شأن كبير فى معركة البحر الأبيض ، ففى تونس والجزائر ومراكش موانٍ وقوات فرنسية لها قيمتها فى الجزء الغربى للبحر

ومن الناحية الثانية يفيد عدم غلو ألمانيا فى طلباتها ، فإذا احتفظت فرنسا بقواتها البحرية والجوية ، ولم تضم إلى الدكتاتورية ولزمت الحياد تضمن انجلترا سيادتها البحرية على القوات الإيطالية ، كما تضمن أن تظل القواعد الفرنسية فى غرب البحر الأبيض فى أيد محايدة تعطف على قضية بريطانيا

ويصعب علينا الآن أن نقدر أثر هذا التصريح ، ولكنه يدل على شعور الديمقراطيات بعطف متبادل ، ومشاركة فى الآلام ، أو كما يقول المثل العربى « عند الشدائد تعرف الإخوان » وهل بعد محنة فرنسا الحالية شدة ؟

إذا قبلت الشروط

وإذا انسحبت القوات الفرنسية من الميدان ، فإن ميدان الحرب يتحول من البر إلى البحر والجو ، وهما الميدانان اللذان يمكن أن تشتبك فيهما القوات الديمقراطية مع القوات الدكتاتورية ، اللهم إلا إذا حولت ألمانيا قواتها لغزو البلقان ، فعندئذ يتغير الموقف تغيراً بسيطاً ، ولكن النصر النهائى يتقرر فى هذين الميدانين ، ولإنجلترا فيهما التفوق العسكرى

فشل الحرب الخاطفة

ويتغير موقف ألمانيا قِبل انجلترا فتضطر إلى الانتظار مدة يتاح فيها لأميركا تقديم معاونة جدية ، وإعداد مصانعها الإعداد المنشود ، فلا مفر إذن من فشل خطط ألمانيا في الحرب الخاطفة ، ولا سيما أن قوات انجلترا ما زالت سليمة ، ففي الجزر البريطانية وحدها مليونا جندي بعضهم جنود نظامية ، وبعضهم للدفاع المدني

فإذا عمدت ألمانيا إلى مهاجمتها عن طريق الجو ، فإن القوات الجوية ليست عاملاً فعالاً في الاستيلاء على البلدان ، بل يجب الاستناد إلى قوات برية ، وهنا تبرز معضلة ألمانيا الكبرى . فكيف تنقل قوات تقاتل هذه قوات انجلترا الكبيرة ؟

كيف تغزو انجلترا ؟ ؟

أمامها في هذه الحال طريقان : وهما البحر والجو ، فإذا سلكت طريق البحر احتاجت إلى أسطول ضخم لحماية السفن من الأسطول البريطاني ، وهي لا تملك من السفن الآن ما يضمن لها تحقيق هذه الغاية ، فإذا لجأت لحمايتها بالأسطول الجوي ، فإن الطائرات البريطانية تنازعها السيطرة على بحرها ، ولا سيما لقرب قواعدها وتفوق طائرات القتال البريطانية

فإذا قلنا يمكنها أن تفعل ما فعله الحلفاء في دنكرك عندما أنزلوا قواتهم من منطقة الفلاندر ، فإن الموقف متغير لعدة عوامل :

١ — تفوق أسطول انجلترا البحري

٢ — تفوق أسطول انجلترا الجوي وخصوصاً طائرات القتال

٣ — المدافع الساحلية ، وهي من القوة بحيث تكفي لصد أساطيل حربية

٤ — حقول الألغام المبثوثة حول الشواطئ البريطانية ، وهي تحتاج إلى قوات كبيرة لانتشالها

٥ — وجود قوات كبيرة في بريطانيا

فهذه العوامل متجمعة تجعل من المستحيل على ألمانيا إنزال قواتها في انجلترا عن طريق البحر ، فضلاً عن أن قوات الحلفاء التي نقلت من دنكرك لم تحمل معها أسلحة تذكر ، ومن البديهي أن نقل الرجال أسهل بكثير من نقل الأسلحة

غزو انجلترا جواً

وناقش أحد رجال انجلترا العسكريين احتمال غزو انجلترا عن طريق الجو على هدى الخطط العسكرية الألمانية ، فقال إن ألمانيا تحتاج في هذه الحالة إلى ألف طائرة تسع كل منها أربعين جندياً بعددهم من الأسلحة الخفيفة ، فتحمل هذه الطائرات حمولتها من الرجال من قواعد قريبة من انجلترا كميناء كاليه مثلاً ، فتهبط الدفعة الأولى بالمظلات الواقية وتحتل بعض المواقع وخصوصاً المطارات ، وتحتفظ بها فترة من الزمن حتى يتاح للطائرات أن تعود بأربعين ألف جندي آخر

وعمل الدفعة الأولى أن تحتفظ بمواقعها إلى أن تأتيها الدفعة الثانية فالثالثة فالرابعة ، إلى أن تستقر القوات في مكان يتيسر للطائرات الألمانية الهبوط فيه . ومن ثم يبدأ الغزو الحقيقي للجزر البريطانية

وإذا قلنا إن هذا المشروع مشروع انجليزي ، أدركنا أن الإنجليز أعدوا له العدة اللازمة من جنود إقليميين ونظاميين ، وأن الألمانيين لن يجدوا الجزر البريطانية لقمة سهلة الهضم ، وفضلاً عن هذا فإن الطائرات لا تستطيع حمل الأسلحة الثقيلة من دبابات ومدافع ميدان لتجابه بها المعدات الإنجليزية

بريطانيا وألمانيا

أما كيف تقضي بريطانيا على قوات ألمانيا ، فلها في ذلك وسيلتان :

١ — الحصر البحري

٢ — استغلال فرص القتال

فأما الحصر البحري فأمره معروف ، وهو يقضي بمنع المواد عن ألمانيا إلى أن تنهار حياتها الاقتصادية وبالتالي قواتها العسكرية

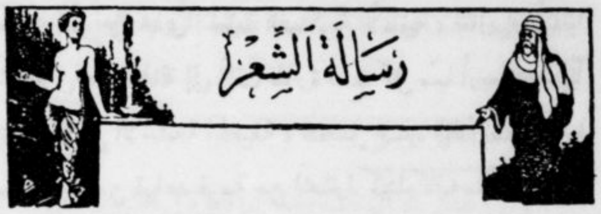
وأما استغلال فرص القتال فهذا موضوع يعود بنا إلى أيام نابليون ، فقد ظلت العداوة قائمة بين فرنسا وانجلترا من سنة ١٨٠٣ إلى سنة ١٨١٤ استولى أثناءها نابليون على أوربا كلها تقريباً ، وكانت انتصاراته المتتابعة تملأ آذان العالم . وكانت انجلترا تستغل تمرد الدول المختلفة

فقد فرض نابليون سيطرة أسرته على جميع الممالك من أسبانيا إلى قلب أوربا ، وعين إخوته ملوكا على إيطاليا وأسبانيا ، وحالف تركيا والروسيا في أدوار مختلفة ، ولكن الدول الأوربية ما لبثت أن تمردت عليه وهاجمته قواتها من جميع الجهات حتى استولت على باريس . وكانت انجلترا في هذه الأثناء لا تترك له فرصة

يستقر فيها ، فهاجته فى تركيا ، وأسبانيا ، وفى البرتغال ، وفى بلجيكا إلى أن استنفدت جميع موارده وهزم الهزيمة النهائية فى واترلو

ولا يختلف موقف هتلر عن موقف نابليون ، فهو يحتل بلاداً نعم أهلها برحيق الحرية ، وتأصلت فى نفوسهم روح الوطنية ، فإذا كبتوا شعورهم تحت ضغط الحديد والنار لحظة ، فلن يلبثوا أن يتمردوا لحظات ، فتذكى انجلترا شعورهم وتأخذ بيدهم ، وتمهد السبيل للقضاء على الطاغية .

فوزى الشترى
بكالوريوس فى الصحافة



صاحب البعثة الكبرى

[إلى القطيع المشرد التائه ، المتمدن الوحشى ، السابح فى الدماء . . .]

للأستاذ محمد بهجة الأثرى

خلتِ الدُّهورُ وأنت أنت الأوحدُ ... ذِكرى مُقدَّسةٌ ومجدٌ سرمدُ !
تتضاءلُ العُظَماء عندكَ والكُنَى ... وتحطُّ شاهقةٌ ويصغرُ سُؤددُ
كالطَّودِ تضربُ فى السماءِ شِعافُه ... وعلى قواعدِهِ المنازلُ ترقدُ !
قُدسُ النُّبوَّةِ من يطاوِلُ سَمْكَهُ ... أو مَنْ يرومُ سماءهُ أو يصعَدُ ؟
هي مَظهرٌ لله جَلَّ جـلالُهُ ... لم يُعْطَها غاوٍ ولا مُتمرِّدُ
قد كنتَ صَفوةَ خَلقِهِ نجباً كها ... شرَفاً . فأنت المُصْطفى المتفرِّدُ
وَقَفَ الفلاسِفةُ الكبارُ تخشعاً ... مِنْ دُونِ بابكَ ظامئينَ لِيجتَدوا
رادُوا الينابيعَ التى فجَّرتَها ... ماءً وَظِلاً بارداً واستَوْرَدُوا
ما كلُّ ماءٍ كالفُراتِ مَذاقُه ... كلاَّ ، ولا كلُّ المراعى يُحْمَدُ
كَمْ مِنْ زَعامةِ سَيِّدٍ مَحَّصْتَها ... فأتى عليها النَّقدُ لا تتجلَّدُ
يَبْنُونَ مَجْدَهُمُ على قهرِ الوَرَى ... والمجدُ يَبرأُ منهمُ والسُّؤددُ !
ألفتحُ عندَهُمُ هوىً وتَعَسُّفٌ ... ومَمالِكٌ تَهْوِى وأُخرى تُخمَدُ
أُمَراءُ أهواءِ النفوسِ تَخِذْنَهُمْ ... يومٌ ، وأما ذَمُّهُمْ فمؤبَّدُ
لم يَظهرُوا إلا لِيَخْفَوْا مِثلَما ... تَبْدُو فقاقيعُ السُّيُولِ وتَهْمُدُ
وظَهَرْتَ مِثلَ الشَّمْسِ إلا أنها ... تَخفَى ونورُكَ فى الخليقةِ سرمَدُ !
وبَنَيْتَ بالحقِّ المبينِ فلا هوًى ... يَطغَى عليكَ ولا مُنًى تترَصَّدُ
ألفتحُ عِندَكَ شِرْعَةٌ وعقيدةٌ ... وأُخُوَّةٌ وتَراحُمٌ وتَوَدُّدُ
دُستورُكَ الفُرْقانُ : أمَّا وَعْظُهُ ... فهُدًى ، وأمَّا حُكمُهُ فمُسدَّدُ
عالٍ على الأهواءِ لا مُتَملِّقٌ ... أحدًا ولا مُتَعسِّفٌ يتمرَّدُ !
كالسَّرْحةِ الغَيناءِ غُصْنٌ مُثْمِرٌ ... وَخَميلةٌ تَنْدَى وظِلٌّ أبرَدُ !
تأسُو جِراحَ الخَلقِ بالخُلُقِ الذي ... تَروَى القُلوبُ بهِ وتَشفَى الأكبُدُ
ولكَ السَّماحةُ والسَّجاحةُ والنَّدَى ... وهُدَى النُّبوَّةِ والفِعالُ الأرْشَدُ
نَسَقٌ مِنَ الخُلُقِ العَظيمِ كأنَّهُ ... فَلَقُ الصَّباحِ وَحُسْنُهُ المُتَوَقِّدُ
تدعو إلى أدَبِ الحياةِ وَعِلْمِها ... وَتُنِيرُ دُونَهُمَا السَّبيلَ وَتُرْشِدُ
تَسَعُ الأنامَ جَمِيعَهُمْ لَكَ مِلَّةٌ ... غَرَّاءُ تَهْدِى العالَمِينَ وَتُسْعِدُ
أزَلِيَّـةٌ أبَدِيَّةٌ لاَ سِرُّها ... يَخبُو وَلاَ إشْعاعُها يَتَرَبَّدُ !
يَزْكُو عليها الرُّوحُ فهْوَ مُنَزَّهٌ ... عَمَّا يَشِينُ وَجَوْهَرٌ يَتَوَقَّدُ
الوَحْيُ أُسُّ بنائِها العالى الذُّرَا ... وَالحقُّ حَائِطُ رُكْنِها وَالمُحْتِدُ
وَالفَتحُ وَالعُمْرانُ من آرابِها ... وَالعَدْلُ والعَيْشُ الرَّخِيُّ الأرْغَدُ
دُنْيا أقمْتَ عَلَى العَقِيدةِ رُكْنَهَا ... ومن المقاندِ مَا يَشِيدُ وَيُخْلِدُ
هِيَ هَيْكَلٌ فانٍ ، فإنْ حَلَّتْ بِهِ ... رَفَّتْ بها الحَوْبَاءُ وَهْيَ تَرَأَّدُ
يَنْبوعُها التوحيدُ : مَشْرَعُ مائِهِ ... لِلْوارِدِينَ ، وَنَبْعُهُ لاَ يَنْفَدُ
جَمُّ الأيادِى فالأنامُ بخَيْرِهِ ... وَبِخِصْبِهِ مُتَقَلِّبُونَ وَهُمْ يَدُ
ما الناسُ ـ لولا البَغْىُ ـ إلاَّ أُمَّةٌ ... وَالدِّينُ ـ لولا الجهلُ ـ إلاَّ أوْحَدُ
ما أحْسَنَ التَّوْحِيدَ يَجْمَعُ شَمْلَهُمْ ... فَيَعُودَ وَهْوَ مُنَظَّمٌ وَمُوَحَّدُ !
بِسَناهُ أخْرَجْتَ الشُّعُوبَ من العَمَى ... وَهَدَيْتَها لِلنَّهْجِ وَهْوَ مُعَبَّـدُ

فاستُؤْصِلتْ فوضى وقامت دولةٌ   وخَبتْ هَيا كلٌ واستنارَ المسجدُ
وَمَشَتْ عَلَى يَبَسِ الصَّعيدِ حَضارةٌ
بالْيُمْنِ تُشرقُ وَالْهَناءةِ تَرْغدُ
إنّ الجمالَ خَفِيّـهُ وَجَلِيّـهُ   إكسيرُها وَشُعاعُها الْمُتجسِّدُ!

* * *

بُعْدًا لِمفتُونينَ لم يُعْرَفْ لهُمْ   رأىٌ يُجِلُّ وَلاَ مَقالٌ يُحْمَـدُ
نَفَوا الرِّسالةَ وَارْتأَوْها دَعْوَةً   زَمَنِيّةً أفلَتْ وَليْسَ لها غدُ
خُصَّتْ بجيلٍ قدمَضَى،وبحِقْبةٍ   طُوِيَتْ ، وَأمرٍ رَثٌّ لاَ يتأبَّدُ
خسِئوا. فماعَرَفَ الحقائقَ ماجنٌ   خلعَ العِذارَ ، ولا غبيٌّ مُلْحِدُ
البِعْثةُ الكُبرى حياةٌ لِلْوَرَي   أبدَ الزمانِ وَنِعْمَـةٌ تَتجدّدُ
عَمَّتْ ولكن قدخُصِصْتَ بِفَضْلِها   يا آخِرًا هُوَ أوّلٌ مُتفرِّدُ !
إنّ الأُلَى زَعَمُوكَ سَيِّدَ قومِهِ   كَذَبُوا . فإنّكَ لِلْبَرِيّةِ سَيِّدُ !
شمسٌ ، وَهل تختصُّ ناحيةٌ بها   وَشُعاعُها فى كل أُفقٍ عَسْجَدُ ؟!
الْمُرْسَلونَ، وأنتَ دُرّةُ عِقْدِهِمْ   خُتِمُوا بِسِرِّكَ فى الزمانِ وَمُجِّدُوا
أيّدْتَ دَعْوَتَهُمْ وَصُنْتَ جلالَهُمْ   فأرَيْتَنا كيفَ الإخاءُ يُوَطَّدُ!
يارائِدَ الإصلاحِ يَلْتَمِسُ الْهُدَى   هذِى مَنابِعُهُ ، وَهذا المَوْرِدُ !

* * *

ومن العجائبِ مَعْشَرٌ أنجبْتَهُمْ
نَبَغُوا بِدِينِكَ فى العُلَى وَاسْتَمْجَدُوا
من بَعْدِرَعْيِ الشاءِ قدرَعَوُا الْمَلاَ   فَانْصاعَ جَبّارٌ ، وَدَانَ مُسوَّدُ !
أطلَعْتَهُمْ غُرَرًا بآفاقِ العُلى   يَمْشِى بنورِهِمِ الزمانُ وَيُسْنِدُ
تتَخايَلُ الدُّنيا بِعِزّةِ مُلْـكِهِمْ   وَتكادُ مِنْ فَرَحٍ بهم تَتَمَيّدُ!
مِنْ مُعْجِزَاتِ الدِّينِ فى أخلاقِهِمْ   خُصُّوا بصُنْعِ المعجزاتِ وَأُفْرِدُوا
من كلِّ وَضّاحِ الجَبِينِ كأنه   يَنْشَقُّ فى الظَّلْماءِ عنه الفَرْقَدُ
جَمُّ الجلالِ تَكادُ تَسْتَذْرِى به   شُمُّ الجِبالِ وَيَتَّقِيهِ الْمُزْبِدُ
يَمْشِى بهم للفَتْحِ يَحْدُو شوقَهُمْ   دِينٌ يَثُوبُ لِآيِهِ الْمُتَشَدِّدُ

أذْكَى عَزَائِمَهُمْ وَأوْرَى زَنْدَهُمْ   فَاسْتَفْتَحُوا مُرَّ البِلادِ وأبْعَدُوا
نَظَمُوا الممالِكَ بَيْنَ قُطْبَيْها ، ولو   وَجَدُوا وَرَاءَ البحرِ أرضًا أوْرَدُوا
فى حِقْبَةٍ قَصُرَتْ كأنّ زَمانَها   يومُ الوِصالِ وَحُسْنُهُ الْمُتَوَرِّدُ !
حَفَلَتْ بآياتِ الجلالِ زواهرًا   يَفْتَنُّ فيها الناظِرُ الْمُتَصَعِّدُ

* * *

تلكَ الحضارةُ لامظاهِرُ زُخْرُفٍ   تُغْرِي وَ باطِنُها العذابُ الأسْوَدُ!
نَارٌ ولا نورٌ ، وَطُغْيَانٌ وَلاَ   زَجْرٌ ، وَأهْواءٌ وَلاَ مُسْتَرْشَدُ !

* * *

يا رَبِّ ! أهْلُ الغَرْبِ جُنَّ جُنُونُهُمْ
وطَغَى القويُّ على الضعيفِ يُعَرْبِدُ
الأرْضُ نَارٌ ، والسَّماءُ جَهَنَّمٌ   والبَحْرُ بُرْكانٌ يَثُورُ ويُزْبِدُ
لم يَبْقَ شِبْرٌ لم يُصَبْ بِمَجَازِرٍ   أوْ لا يُرَاعُ بِمِثْلِهَا وَيُهَدَّدُ
عَزَّ السَّلامُ وأنذرتْ غاراتُهُمْ   أنّ القِيامَةَ حانَ منها مَوْعِدُ !
يا رَبِّ ! والقَوْمُ الْهُداةُ تَعَسَّفُوا   سُبُلَ العَمايةِ خَلْفَهُمْ وتَوَرَّدُوا
هَجَرُوا سَبِيلَكَ ظالمينَ نفوسَهُمْ   فتفكّكتْ أوصالُهُم فاسْتُعْبِدُوا
سَلَبَ الطَّغَامُ دِيارَهُمْ وتأسَّدُوا   و بَغَى اللِّئامُ جَلاءَهُمْ وتَوَعَّدُوا
وهُمُ شَتاتٌ : دِينُهُمْ مُتفرِّقٌ   سُبُلاً ودُنْياهُمْ شَقاءٌ أنكَدُ
شِيَعٌ تَطاعَنُ بينها ومذاهِبٌ   شَتَّى وأحوالٌ تُقِيمُ وتُقْعِدُ
قومٌ وراءَ الغَرْبِ فى آثامِهِ
رَكَضُوا خُيُولَ المُوبِقاتِ وَأطْرَدُوا
وَمُصَرَّعُونَ من الضَّلالِ كأنّما   أوهامُهُمْ سُمٌّ يَدِبُّ ومَرْقَدُ
هِيَ أزْمَةٌ يا رَبِّ لُطفُكَ وَحْدَهُ   يُرْجى لها فَلَعَلَّ لُطْفَكَ يُنْجِدُ
النُّورُ أُطْفِئَ والزَّعامَةُ أخفقَتْ   والبَغْيُ طَبَّقَ وَالقَطِيعُ مُشَرَّدُ
يارَبِّ ! فَلْيَطْلُعْ (كتابُكَ) بالهُدَى
يا رَبِّ ! وَلْيَقُمِ النبيُّ (مُحَمّـدُ)

(بغداد)   محمد بهجة الأثري



تأملات :

اللهم احفظنا !

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

— عينا من هاتان القاسيتان اللتان أخفيت وجههما لتنظر فيهما ؟ ... أرنى هذه الصورة ... بيلالوجوزى ؟! دراكولا ؟! لم أكن أحسب أن هناك من يجد المتعة فى النظر إلى عينى دراكولا ... مصاص الدماء

— لك الحق ! فمن كان مثلك ، فإنه لا يستطيع أن يفتح عينيه فى عينى دراكولا

— مخيفتان ! !

— من غير شك ، ولكن لماذا هما مخيفتان وهما ، مهما كانتا ... عينان ...

— لا أدرى ، ولكنه يخيل إلى أننى لو قابلت دراكولا ، والتقت عيناه بعينى لما استطعت إلا أن أمد له عنقى ليمتص من دمى ما يشاء ...

— فإذا قابلت لاندرو ؟ !

— ومن لاندرو ؟

— سفاح فرنسى كان يصيد الفتيات والنساء الصغيرات بنظراته ، حتى إذا تملكهن انفرد بهن وقتلهن واستولى على حليهن ودفنهن

— يا حفيظ ! وكيف كان يصيدهن بعينيه هذا الرجل البغيض المجرم ؟ .. ماذا كان يجذبهن إليه ؟

— شىء مثل الذى فى عينى دراكولا ، وقد قلت : إنك لو رأيت عينى دراكولا ورأى عينيك لما استطعت إلا أن تسلمى له جيدك هذا المرمر ، ليمتص ما شاء من دمك ...

— وما الذى فى عينى دراكولا ؟ ! أرنى الصورة ... أرنى ... قسوة ! ...

— وهل تغرى القسوة بالإقبال عليها وبذل الدماء لها ؟

— إذن فما الذى فى هاتين العينين ؟ إنه على أى حال شىء كريه ، ومع ثقله على النفس له سيطرة وسيادة وأمر لا مفر من طاعته ...

— فبأى الأسماء تسمين هذا ؟

— إنهما عينان تطمئنان نفس الذى تنظران إليه ...

— ولكن المطمون لا يزحف إلى طاعنه ...

— لولا أنهما تؤذيان لقلت إنهما جذابتان

— ولماذا تخلقين التناقض بين الجذب والأذى ؟... أما يجذب العنكبوت الذبابة وفى انجذابها إليه هلاكها ؟ أما يجذب الفسفور الأكسجين ، وفى انجذابه إليه احتراقه ؟ إن عينى دراكولا جذابتان ومؤذيتان ... ولم لا ؟ !

— إنهما حقاً عجيبتان ... قل لى ما هما ؟

— ها هما ذان أمامك ... أنظرى إليهما تعرفيهما ... بل إنك تعرفينهما وتخافينهما كما قلت ، فماذا تريدين منى أن أقول لك عنهما ... إنى أستحى ...

— أنت تستحى ؟! صحيح مؤدب جداً، تقى جداً، تقى ورع ...

— أنظرى إلى عينى ... عينى أنا ؟ ...

— ها أنا ذى نظرت ... هيه ... «إخص» عليك! تلعب لى حاجبيك ؟ ! ... أما إنك مسخرة !

— أأنا المسخرة أم المسخرة أنت ؟ أنا نظرت إليك ورقص حاجباى فوق عينى أثناء ما كنت أنظر إليك ، فلماذا ضحكت ، ولماذا قلت ما قلت ؟ ألأن حاجبى رقصا ؟ هبيه زر طربوشى أرقصته نسمة وأنا أحدثك ! أفكنت تضحكين ؟ أو هبينى نظرت إليك وعبثت بأصابعى و « طقطقتها » ... أفكان هذا يضحك ؟

— ولكن تلاعب الحواجب له معنى ...

— وأين رأيت هذا المعنى ؟ فى قاموس ؟ أم فى جامعة أستاذها كشكش ؟

— ليس حتماً أن تكون كل المعانى التى يدركها الناس مسجلة فى كتب وقواميس أو مما يلقى عنه الأساتذة دروساً ومحاضرات فى الجامعات ... بل إن هذا المسجل فى الكتب والقواميس ، وهذا الذى يلقى فى الجامعات والمدارس لهو الأقل من العلم ، والأبعد عن حاجة الحياة ...

— أنا معك فى هذا ... والآن قولى لى ... لماذا أنت إذا نظرت إلى عينى دراكولا خفت منهما ومع هذا الخوف انجذبت إليهما ... ولماذا أنت إذا نظرت إلى عينى أنا ضحكت ومع هذا الضحك انجذبت عنهما ... تفرين مما يضحكك وتندفعين إلى ما يخيفك ! لماذا ؟

— أنا التى أريد أن أعرف السبب ، بل إنى قبل أن أعرف السبب أريد أن أعرف ما هذا الذى فى العيون ينتقل منها إلى العيون الأخر فينتقل معه أشياء من النفوس إلى النفوس الأخر ...

— أما هذه فإشعاعات ... هى انعكاسات نورانية أو نيرانية تنبعث من نفس إلى نفس عن طريق منافذ النفس والعيون من هذه المنافذ ...

— وهل غير العيون للنفس منافذ ؟

— الفم وإن كان لا ينشط فى هذا كثيراً إلا عند النساء والمغنين ، واليدان ، والجلد ... وغير ذلك ... وغير ذلك ...

— دعنا من ذلك فإنى أريد أن نبقى الآن فى حديث العيون

— قبل أن أدعنا من هذا أقول لك للمرة الألف امسحى هذا الأحمر من فوق شفتيك فإن المعبر فيك عن نفسك يا هذه هو فمك ... هو الجذاب فيك

— ولا شىء غير فمى ؟

— الآن حلا لك أن نترك حديث العيون لنتحدث عن ذاتك الكريمة ؟ ... دعينا من هذا وعودى بنا إلى العيون وقولى لى بأى شىء تفسرين ما يفعله النساء فى مصر من تبخير اللواتى تصيبهن الأعين منهن ؟ ...

— هذه خرافة من خرافات الجاهلات العجائز ليس لها شأن بما نحن فيه

— بل هى علاج مما تعلمه هؤلاء الخبيرات العجائز وهى ليست شيئاً غير ما نحن فيه ...

ألا تعرفين متى يقولون إن فلانة أصابتها عين ؟

— عندما يعتقدون أن حاسدة حسدتها. والذى أعرفه أنا عن الحسد هو أن يتمنى إنسان زوال النعمة عن إنسان آخر ، ولكن لست أدرى كيف يتصورون أن أمنية خاطئة شريرة كهذه إذا ثارت فى نفس إنسان حاسد كان لثورتها هذه أثر حق فى المحسود. ولأنى أعجز عن تصور هذا أقول إن حديث الحسد والعين خرافة وإن المشتغلات به من الكوديات ، والمشتغلين به من مشايخ الزار دجالون بضاعتهم وتجارتهم التى يروجونها بين الناس أوهام وأباطيل .

— إنك مخطئة ، فالحسد والعين ليسا خرافة ، ومشايخ الزار و « الكوديات » ليسوا جميعاً دجالين ، فمنهم الدجالون حقاً ، ولكن منهم أيضاً علماء النفس المتمكنين منه علماً وعملاً و كهانة وسحراً ... تصورى « بهلواناً » ...

— ماذا ؟

— البهلوان الذى يمشى على الحبل ويقفز فى الجو من عقدة إلى عقدة ، ومن حلقة إلى حلقة ... ألا تعرفين ؟ ... هذا « البهلوان » يقوم بألعابه هذه كل ليلة ، وهو لأنه مدرب عليها وحاذقها يوفق فيها دائماً كما يوفق دائماً كل عامل مدرب وكل لاعب مدرب . وإذا نظرت إلى هذا « البهلوان » ، وهو يقوم بألعابه هذه ترين أنه يأبى أن يسلم عينيه لنظرات الناس ، فهو دائماً متجه بنظره إلى لا شىء ، أو إلى عينين يحبهما ويطمئن إلى إيمانهما به ؛ أما غير ذلك ، فهو يخشى لو أنه تلقى نظرات الناس أن يتلقى فيها نظرات شكاكة ينبعث منها الحذر عليه من الفشل فى لعبه ، والفشل فى لعبه معناه الموت . والذى يخشاه من هذه النظرات الشكاكة ، هو أن ينتقل شكهما فيه إلى نفسه ، فيشك فى نفسه ، فيتردد فى حركاته ، فيختل توازنه فى قفزة ، أو فى همة أو فى هبطة ، فيضيع ، وكما يخشى هذه النظرات الشكاكة يخشى أيضاً النظرات الحاسدة التى ينعكس منها بصراحة تمنى زوال هذه البراعة عنه ، وهذا شىء يبعث فى نفسه قوة تتجه إلى إقناع عقله بأن هذه البراعة لن تزول عنه ، هذا إذا كان قوياً ، أما إذا كان فى نفسه شىء من الضعف ، فإنه قد يسائل نفسه : أليس ممكناً أن تزول هذه القوة عنى ... وماذا أصنع إن هى زالت ؟ ! ... ثم من يدرينى إذا كانت قد زالت فعلاً ، أو أنها لا تزال باقية ؟ ... وهذه الاضطراب وهذا الانشغال يستنفدان كثيراً من قوة « البهلوان » ومن جهده بعد أن كان يتجه بقوته كلها وبجهده كله إلى إتقان ألعابه ... فلا عجب بعد ذلك إذا هو فشل وهو غارق فى هذه الزلزلة ، فإذا فشل قالوا أصابته العين والعين أصابته فعلاً ، وهم يعالجونه بالتبخير والترنح والفوضى الحركية التى يمارسونها فى الزار لأنه بهذا يخدر أعصابه ويكف إرادته عن السيطرة على تفكيره ، فيوحون إليه وهو فى هذه الحال

بأنه مصون ، وبأن الله حافظه ، وبأن الصلاة على النبى واقيته ، وبأنه عن أى سبيل من سبيل الاطمئنان قوى قادر بارع له أن يثق بنفسه وألا يعود مطلقاً إلى الشك فيها ، وألا يعود مطلقاً إلى الخضوع لنظرة شكاكة أو نظرة حاسدة . . . وكما تصيب العين الإنسان الفرد فإنها أيضاً تصيب الإنسانين ، فمهما إذا تحابا وتبادلا الإخلاص والتقيا وهما فى حالة من حالات الغموض المريح الذى يسعدان به ورأيا عيناً تنظر إليهما نظرة مستفسرة عن هذا الغموض مصرة مصممة على ألا تفرض فيه خيراً ثار فى نفس كل منهما الشك فى صاحبه والشك كسر يصيب ما بين المخلصين من ود ، وجبره صعب ... والأصل نظرة تنطبع فى عقل المصاب فيلازمه الضعف والفشل

— هذا كلام طيب ، ولكنه لا يزال بعيداً عن نظرة درا كولا ، ونظرة لاندرو ، ونظرتك أنت المضحكة السخيفة...

— بعد كل هذا اللت والعجن لا أزال بعيداً... إن نظراتنا جيماً : أنا ودرا كولا ولاندرو تسأل وتجيب عما تسأل عنه وتطلب وتأخذ الذى تطلبه فى آن واحد ... وكل ما بينها من فرق يعود إلى اختلاف الموضوعات التى تهتم بها ... فدرا كولا ينظر إلى فريسته وهو يقول أنا قوى ، وإلى جانب قوله هذا يسأل : وأنت ؟ وإلى جانب سؤاله هذا يجيب : ضعيفة . وإلى جانب إجابته هذه يطلب : هات دمك لى لحياتى أغنى من حياتك وأبقى وأشد امتلاء ، وأظهر وأنفع ، وهو إلى جانب ما يطلب هذا يأخذ ... وهو يأخذ لأن فريسته لا تستطيع أن تكذبه ... كنظرة القط إلى الفأر ؛ فالقط يقول بنظرته للفأر أنا أقوى منك وحياتى أظهر من حياتك وأنت غذائى فتعال إلى لآكلك فأنا جائع ، فيقف الفأر ، أو لعله يدنو إلى القط بنفسه ... كلمة النار أمام الفراشة تقول لها أنا وضاءة لماعة حية ظاهرة متألقة فماذا أنت ؟ تعالى إلى واحترقى فى لثمى لمة ، ولتومضى ومضة ولتكونى لى طعاماً ... فتأتيها الفراشة مقتنعة ... هى سيادة وهبتها الطبيعة لمخلوقات تفرضها على مخلوقات ترضى بها ...

— ولاندرو ؟

— لاندرو يهتك فريسته بعينيه ، يقول لها : أنا ميال ، وأنت ميالة ، فتعالى نتعاط ما نميل إليه ... لا تكذبى ولا تمرضى فأنت تريدين مثل الذى أريد ... تعالى ...

— يامنيث ! وأنت تستمين بتلعيب حاجبيك لعجزك فتضحكنى

— ليس هذا لعجزى ، وإنما لأفهمك أنه عندى نوع من العبث ، لا أجد الجد كله فيه ...

— من خيبتك ...

— هذه الخيبة أدعوها أنا تسامياً ... وثق يا حضرة الدرة المصونة ، والجوهرة المكنونة ، أننى لو لم أر فى هذه الخيبة حسناً وإحساناً ، وأنى لو عمدت إلى الإصابة بعينى وفى

— ويديك وجلدك وغير ذلك وغير ذلك ...

— نعم ... لكنت وحشاً لا أحب أن أكونه ...

— اللهم احفظنا ... الآن فى عينيك بريق كالذى فى عينى دراكولا ...

— والآن فى جيدك حنين يسبح تحت جلده ... تعالى ... ولا تقاوى لئلا تجمد عيناك ويغلظ جلدك

— يا أمه ! ...

عزيز أحمد فهمى



محاكمة بدوية أمام الأمير نوري الشعلان (*)

— السلام على الأمير

— وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته

— أنحن بحضرة النوري بن شعلان ؟

— إي بِلله ، وأنتم من ؟

— نحن من جبل الدروز ووجهتنا الحجاز

— الله محييكم ، أنتم ولد عمنا ، كيف حال الأطرش (يريد أبا علي مصطفى الأطرش)

— هو بخير ، وهذا تحرير منه لكم

— تحرير ؟ إيه أبو علي والله إنك لحافظ العهود وإيش تبغون بالحجاز ؟

— نؤدي الفريضة

— الله محييكم ، يا نواف ، يا ولدي أكرم الضيوف ، وتعيدون عندنا إن شاء الله

— العفو يا زين ، وقتنا قصير ، ويلزم أن نعود بسرعة للشام

— لا لا ، تعيدون رمضان عندنا ، ومن يوم للثاني قريب ، غداً عندنا قضوة (محاكمة) تجي البدو من كل ناح ، وبعد غد العيد ، وعيدكم مبارك عليكم

— علينا وعليك يا الأمير

المحاكمة

المدعي — صبحكم الله بالخير ، اليوم يوم الله ، اليوم يوم الحق ، اليوم يوم اليمين ، إبشر يا مذبوح ، احلف يا ذابح ، اليوم يوم الله السلام على الأمير ، السلام على ابن شعلان ، السلام على قاضي العرب

الأمير — وعليكم السلام يا لعرب ، الله أكبر ، الله أكبر ، نقلوا حججكم (أي قدموا براهينكم)

(*) الأمير نوري الشعلان أمير قريات الملح ، والحديث بلهجة البدو

المدعي — يا قاضي بعدل الله . جيتك جدي ، وامشي هدى ، ومصلي على الله والنبي . ودي (أريد) منك الحق ، والحق فوق الكل والحق من الله ، لنا بذمة هذا — وأشار إلى بدوي آخر — دم . قتل ابني وفقدنا الشاهد ، ولزمته اليمين ، فإما بريء ، وإما قاتل ، والقاتل مقتول

الأمير — وإيش اسم غريمكم ؟

المدعي — جديع ابن سمير

الأمير — انهض يا وليدي ، ادفع عن نفسك ، أنت شاب ، وشيخ الفريق ، ولزمك الدين (اليمين) إن كنت بريئاً برّاك الله ، وإن كنت قاتلاً قتلك العدل ، احلف احلف

المتهم — والله يا لنوري ، الحق من الله ، واليمين وزر ، اعفوني منها وأنا أعطي الرجل مية بعير

الأمير — قودوا العير يا لربع ، واعفوا الراجل من الدين واحجبوا دم العباد

المدعي — لا لا ، نريد اليمين حتى نعرف الصح (الصدق)

المتهم — يا لربع ، بالله ومحمد رسول ، إني مؤديكم ميتان بعير وجوزوا عن تحليفي وتموضوا الله ، والذي مات مات ، ونحن أقارب وإخوان

الأمير — وإيش عندكم يا لعرب ؟ ميتان بعير تساوي ألفين جنيه . جوزوا عن الدين ، واعقدوا الراية حفار ودفان (أي سماح عن الماضي والحاضر)

— وإيش تقول يا ساير ؟ المقتول ابنك ، والله فوقك ، والخطة قدامك (يريدون بالخطة دائرة يرسمها أحدهم على الأرض ليقف المتهم داخلها ويحلف ، ويسمونها خطة سليمان بن داود)

المدعي — والله يا لعرب ما أنا بائع دم ابني بجمال ، أريد من غريمي دين فأما يكون بريئاً فأطلب حقي من قاتل ولدي ، وإما يكون القاتل فأقتله بيدي ، (واليمين عندهم فريضة متى فقد الشاهد)

المتهم — يا شيخ ، جز عن تحليفي ، وخذ العير ، فأنا بريء من دم ابنك ، ولو كنت أنا القاتل لما خفت منك ، وورائي كما تعلم عرب الشرارات وأنت أخبر بالشرارات وبأسهم

المدعي — جديع ، تهددني بالشرارات ؟ أنسيت من هم

الحسن؟ ويوم اللى هزمنا كم مثل النمل الهامل، والله لا أرضى منك بغير اليمين ولو ملكتنى كل حلال الشرارات

المتهم — وإيش عليه ، أنا أحلف ، خطو الخطة ، أنا رايح أحلف ، أنا على باب الخطة ، يا عونة الله أنا رايح أحلف ، يا ساير خف الله . يا خوى وخذ البعران وجز عن محليق وأنا برى

المدعى — اليمين اليمين

المتهم — اشهدوا يا لعرب، اسمعوا يا لربع ، أنا بالخطة، وهذه عصاتى وهذه يمينى :

« وحق هالعود ، والرب المعبود ، وخطة سليمان بن داود ، أنا رميت والله قتل » وأنا بوجه ابن شملان

(أى أنه هو أطلق النار ، والله قتل ، وهو بحماية النورى ابن شعلان والحماية عندهم ثلاثون يوماً فقط ، وبعدئذ إما أن يدفع جنية القتيل ، وإما أن يقتل)

نجيب الصمراوى

الأمية فى العالم

يؤخذ من دائرة المعارف الانجليزية الحديثة أن عدد الأميين فى مصر ٩٢ فى المائة (الصواب : ٨٢) ، وفى الهند الانجليزية ٩٢ ، وفى الصين ٨٠ ، وفى سيلان ٦٦ ، وفى غواتيمالا ٦٥ ، وفى أسبانيا ٦٣ ، وفى البرازيل ٦٠ ، وفى كولومبيا ٦٠ ، وفى البورتغال ٦٠ ، وفى شيلى ٣٩ ، وفى الأورغواى ٣٩ ، وفى الأرجنتين ٣٧ ، وفى فنزويلا ٣٧

وفى الولايات المتحدة وزيلانديا الجديدة وكندا وفرنسا واليابان واستونيا وبلجيكا يتراوح عدد الأميين بين واحد وعشرة فى المائة

أما فى سويسرا والدانمرك وألمانيا وأسوج ونروج وفنلنديا وهولندا وانكلترا ، فعدد الأميين أقل من واحد فى المائة

مستعمرات فرنسا

لفرنسا من الممتلكات ما تبلغ مساحته ١٢ مليون كيلو متر مربع ، تضم نحو ستين مليون نفس . ففى أفريقية الشمالية : مراكش ، الجزائر ، تونس ، أفريقية الغربية ، وتشمل : السنغال ، غينة ، الشاطئ العاجى ، الدهومى ، السودان الفرنسى ، موريتانيا ، نيجر . وفى أفريقية الاستوائية : توهاد ، أوبنغى شارى ، توغو ، كرون ، كونغو . ثم جزيرة مدغشقر والصومال الفرنسى ، وجزيرة رنيون

وفى آسيا : الهند الفرنسية وتشتمل على : بونديشارى ، شاندر ناغور ، يا نون ، كاريكال ، ماهه . والهند الصينية وتشتمل على كمبودج ، أنام ، تونكين ، لوس . ثم كونتشو

وفى أمريكا : جزائر سان بيسار وميكيلان ، جزائر الأنتيل غينيا الفرنسية

وفى الأقيانوسية : جزر كالدونيا الجديدة ، جزر هبريداس الجديدة وغيرها من الجزر الصغيرة

وإذا جمعنا عدد سكان الممتلكات البريطانية والفرنسية بلغ ٦٠٠ مليون نفس أى نحو ثلث سكان العالم ومساحتها أيضاً تشغل ثلث مساحة اليابسة

فون كلوك وسقوط باريس

كان فون كلوك قائد الجيش الألمانى الذى زحف إلى باريس فى أوائل الحرب الماضية ، وكاد يدخلها لولا واقعة المارن التى قطعت أمله . وقد اطلعنا فى إحدى الصحف الفرنسية على التصريحات التى فاه بها بعد هزيمته فى تلك الواقعة التاريخية ، قال :

« أنا لم أضع خطة الزحف إلى باريس كما قيل ، إذ لم يخطر على بالى أن سقوط العاصمة الفرنسية يؤدى إلى إخضاع فرنسا وإجبارها على التسليم ، بل كنت أعتقد أن عزل فرنسا عن حلفائها هو السبيل الوحيد إلى إخضاعها ، وأن عزلها لا يتم إلا باحتلال سواحلها

كان الامبراطور غليوم يحضنا على الزحف المتواصل ، لكى نستولى على باريس ونضرب معنويات الحلفاء فى الصميم ؛ وقد أعد علم ألمانى كبير مساحته ٤٠٠ متر مربع ليرفع على برج إيفل بعد احتلال باريس، وكان الموعد المقرر لدخولها فى الثانى من سبتمبر غير أن أعجوبة ظهرت فى الجيش الفرنسى أنقذت عاصمته وأبطلت خطتنا ، فقد اكتشف طيارونا وكشافتنا أن ذلك الجيش الذى كنا نظنه ممزقاً عاجزاً عن الدفاع قد أعيد تنظيمه بسرعة غريبة واستعاد عزيمته ووقف مكانه وقفة المستقتل الذى يؤثر الموت على التراجع

ما كنا نتوقع قط أن رجالاً يتقهقرون أمامنا عشرة أيام متواصلة يتحولون بين يوم وآخر إلى جلاميد لا تزحزح عن أماكنها . تلك هى العجيبة التى لم يرو مثلها التاريخ الحربى ! »

من ذكريات الحرب الماضية — داء فرنسا قديم

كتب مسيو بوانكاريه فى مذكراته اليومية بتاريخ ١٣ أغسطس ١٩١٤ ما يلى : « عرفت اليوم من الجرائد أن مدافع الألمان ما برحت منذ صباح أمس تضرب بون آمسون. ويظهر أن وزير الحربية يجهل ذلك . وقد ألححت عليه أن ينبّه باسمه واسمى أركان الحرب إلى إهمالها »

وكتب بتاريخ ١٦ أغسطس : « ما أزال بين الشك والقلق والانتظار فلا أعرف عن الحركات الحربية فى جبهة القتال إلا النزر اليسير مما ينقله إلىّ الضباط . ولما أشير علىّ بزيارة خطوط النار استشرت وزير الحربية فاستصوب فكرتى، ولكنه رأى من واجبه أن يستشير أولاً أركان الجيش العليا التى لم تر زيارتى فى الحالة الحاضرة مناسبة فعدلت عنها ممتثلاً . وأرانى كأحد أولئك الملوك الكسالى الذين يقضون أيامهم فى الخمول والدعة فالجيش اليوم هو صاحب الكلمة العليا ولا مندوحة لى عن السكوت والامتثال »

وفى تلك الأثناء جاء كليمنسو رئيس الجمهورية وشكا إليه أن أركان الجيش تخفى اندحار الجيوش الفرنسية وتذيع انتصارا وهميا ، وأبلغه أن الألمان أسروا طابوراً فرنسياً بأسره ونكلوا بآخر . فقال بوانكاريه إنه يجهل كل ذلك ، لأن أركان الجيش لا تمده بشيء مما يجرى فى ميادين القتال ، ثم قال : « لقد طالبت مراراً فما كنت أجاب إلا بالسكوت »

وكان موقف فرنسا يزداد حرجا بين يوم وآخر ، فالألمان فى بلجيكا كانوا يتقدمون بسرعة ، والإنكليز تراجعوا حتى فالنسيان موبوج ، والجنرال جوفر أمر جيوشه بالانسحاب . وفى ذلك يقول بوانكاريه فى يومياته : « أردت وأنا بعيد عن خطوط القتال أن أسمى إلى « الاتحاد المقدّس » بتأليف وزارة جديدة فصدمتنى المنازع الشخصية والمشاكسات السياسية . إن فيفيانى (رئيس الوزارة يومئذ) محاط بجيوش من المطامع ، وقد ذكر لى فى جملة المرشحين للوزارة الجديدة بعض أسماء يستحيل قبولها لأنها تدعو إلى الخجل . عاد إلىّ ميلران وصرّح بأنه لا يقبل وزارة الحربية إلا إذا خوّل حق الاتصال مباشرة بالجيش المحارب »

وأراد أوغانجر وزير البحرية أن يحمل مسيمى على الاستقالة من وزارة الحربية ، فتظاهر بالإشفاق على صحته قائلاً له بلهجة تجمع بين الجد والدعابة : « إن دلائل الجهد ظاهرة عليك ، فأنصح لك نصيحة طبيب أن تترك مهمتك الشاقة التماساً للراحة ، وإلا اعترتك السوداء » . فوقع هذا الكلام فى نفس الجنرال مسيمى موقع الرضى ، فاستقال من منصبه ، وذهب إلى ساحة القتال يقود أحد الجيوش

وذكر بوانكاريه أيضاً فى يومياته : « طالب المسيو بريان بوزارة العدل ، فتخلى له عنها المسيو بينفينى مارتان مثال الوداعة والإخلاص . وطالب دلكاسه ، وهو أكثر تمنتاً من بريان بوزارة الخارجية ؛ وقد أسمعنى الكلام التالى : « إن لاسمى تأثيراً كبيراً لا يستطيع أحد إنكاره . لقد طالما سفهوا سياستى التى رمت إلى تطويق ألمانيا، ولكنها انتصرت أخيراً . فأنا الذى أوجد الاتفاق مع انكلترا ، وأنا الذى عقد المحالفة مع روسيا . ولا شك أن العالم يتوقع أن يرانى فى كى دورسى » . إن لدلكاسه خدمات وطنية جليلة لا تنكر ، وكان خليقاً به ألا يذكرها فى ذلك الموقف الحرج الذي كان يتطلب التضحية قبل كل شيء . ولكنه أبى إلا وزارة الخارجية التى كان يديرها بمهارة فائقة المسيو غاستون دومرغ الفرنسى الصادق . وشاء ڤيڤيانى إزاء تصلب دلكاسه أن يتنزل له عن رياسة الوزارة ، فقال له دومرغ :

— ابقَ فى مركزك

فأجاب فيفيانى :

— إنى أتخلى بملء إرادتى لدلكاسه عن مركزى. ولا بأس أن يعزى ذلك إلى عدم كفايتى؛ ففى الحالة الحاضرة لا يهمنى نوع الخدمة ولا مجالها »

وقد أثّر فىّ كلام فيفيانى كثيراً إذ دل فيه على شخصية كبيرة وإخلاص وطنى بالغ فلم أتمالك أن صافحته معجباً مهنئاً



عرس القرية

للأستاذ محمد سعيد العريان

كانت «راجية» تعلم أنها مفارقة المدينة غداً ، ما من ذلك بدّ ؛ لقد حاولت ما حاولت أن تنسأ الأجل إلى الرحيل فلم تظفر بطائل ، وافتنّت فى الاحتجاج لرأيها ما افتنّت فلم يستمع لها أحد ؛ وأجمت الأسرة أمرها على السفر إلى الريف لتكون بمنجاة من ويلات الحرب ... حقاً؟ أيكون الريف أبعد من المدينة عن ويلات الحرب ؟ هكذا زعم أبوها وأخوها وليس لرأيهما معقب . . .

وراشت راجية آخر سهم فى كنانتها؛ فاصطنعت العزم والقوة، وتماسكت من ضعف ورخاوة ، وقالت : ولكن ، يا أبى ، إن للوطن علىّ حقاً يقتضينى الوفاء . ليس من المروءة أن أفرّ والوطن يدعونى إليه ... ينبغى أن أبقى لأقوم بواجبى فى التمريض والإسعاف إذا لم تكن لى طاقة بحمل السلاح للدفاع والمقاومة ؛ ينبغى . . .

وقاطعها أبوها : نعم ، ينبغى ، ولكن واجبك هناك ، فى القرية ؛ إن إخوتك وأخواتك هناك فى حاجة إلى التمريض والإسعاف أكثر من جرحى الحرب !

وابتسم ابتسامة عابسة ؛ لقد كان يعلم أى فتاة هى فى رخاوتها وضعف احتمالها ، ولكنه يقاوم حجة بحجة . . .

وصمتت الفتاة برهة وهى تنقل النظر بين أبيها وأخيها وأمها ، ثم همّت أن تتكلم حين ارتفع صوت المذياع يعلن أنباء الحرب فى الميدان القريب، ثم سكت ، وتلاشى الصّدى فى الغرفة المغلقة على أربع أنفس قلقة مضطربة تتنازعها أهواء وعلل وآمال على خشية وحذر ورِقبة . وقال الفتى بعد صمت : لقد بدأت البادئة فما بدّ من الخاتمة ... !

وحدّقت أمه فى وجهه مذعورة ، وهتفت : صلاح ، أتعنى . . . ؟

قال « صلاح » : نعم يا أمى ؛ إنه فرض علىّ يجب أن أتهيأ للوفاء به

وأطرق أبوه وشفته تختلج، وعمّ الجميعَ الصمت ... وشعرت راجية لأول مرة أنها بإزاء أمر خطير يقتضيها أن تفكر فى هدوء وروية . . . وعادت تنظر إلى أبيها وأخيها وفى عينيها سؤال ليس معها جوابه ، وأحست إحساس المفارِق يودّع أحبابه إلى حيث لا يدرى متى يكون اللقاء ؛ ووجدت حاجتها إلى الدمع فأسرعت إلى خلوتها !

***

وأغفَت راجيةُ لحظاتٍ واستيقظت ذكرياتُها وأمانيها ، فتعاقبت عليها الرؤَى والأحلام ، ثم أصبحت ... ونسيت ما كان من حديث الأمس ومن خبره ؛ فلم تعد تذكر شيئاً إلا أنها مفارقة المدينة بعد قليل لأمرٍ لا تكاد تعرف له وجهاً ولا علة ، وأنها لن تذهب إلى السيما بعد اليوم ، ولن تلقى أصدقاءها وصديقاتها ، ولن تستمتع بما كانت تستمتع من اللهو حين كانت تخرج كل يوم إلى رياضتها بين حدائق الجيزة والجزيرة ومصر الجديدة ، وحضرتها صور عدة ، وانثالت عليها ذكريات ... وذكرت ... إن ثيابها الجديدة ما تزال عند الخيّاطة لم تفرغ منها بعد ، وقد كانت حقيقةً بأن تفرغ منها منذ أيام ، لولا أن راجية كانت تؤثر الروّية فى تفصيل ثيابها ريثما ترى أحدث الأزياء فتقيس عليها . ماذا تفعل اليوم ؟ أفّ للحرب ! لولاها لكانت اليوم ـ على عادتها فى كل سنة ـ جالسةً تحت الشمسية الظليلة على شاطئ سيدى بشر ، أو رائحة غادية فى معرض زينتها بين كليوباترا وخليج ستانلى ؛ ولكن الإسكندرية اليوم منطقة حرام ، فمَن ذا يخاطر بعمره بين الموت الأحمر من أجل ساعة على الشاطئ العريان ؟ ومَن ذى تحاول أن تشترى بعمرها كلمةَ إعجاب من شاب طائش تستهويه بزّيها وزينتها ؟

... ثم ذكرَت القرية ... ياه ! مُنذ كم لم تذهب راجية إلى القرية ؟ القرية التى غَذَتْها وغذَت أباها وما تزال تغذوهما بخيرها وبرّها الدائم على عُنف ما تلقى منهم من العقوق ونكران الجميل ! لقد فارقت راجية القرية منذ سنوات بعيدة، لعلها لا تذكرها،

أو لعلها تذكرها وتنكرها لئلا يكون ذلك نميمةً على عمرها الذى تحرص على كتمانه ... ولم تذهب راجيةُ بعد ذلك إلى القرية التى فارقتها طفلة، إلا مرة ، مرة واحدة صحبتْ أباها فى موسم الحصاد ؛ وكانت يومئذ فتاةً فى أول صحْوة الشباب ، فما كادت تهبط القرية حتى لمت متاعها للرحيل ، ثم لم تعد ؛ فكيف يريدونها اليوم أن تهيئ نفسها لإقامة طويلة هناك ، لا تدرى متى تنتهى ، وكيف تنتهى ؟

وضاق صدر الفتاة ، وخيل إليها أن يداً تشد على رقبتها فتمنعها أن تتنفس ؛ وكانت أمها فى حجرتها تمد حقائب السفر !

* * *

وأخذت الفتاة زينتها وخرجت لأمر من أمرها ، ولم تنس أن تنظر فى صندوق البريد قبل أن تجتاز الباب ! وكانت الظهيرة حامية ، والشمس تفرش الشوارع من أشعتها الحمراء ، وقد خلتْ مركبات الترام إلا من الموظفين العائدين إلى بيوتهم يتأبطون صحفاً وأضابير من أوراق الحكومة ، أو يحملون إلى أهليهم من الفاكهة والحلوى ، أو من الفجل والجرجير ... !

واتخذت الفتاة مقعدها فى الترام ، وثمة عينان تلحظانها من مقعد قريب ، وكانت فى غفلة بنفسها وما يصطرع فى قلبها من ألم ... هاتان عينان تعرفهما وتعرفانها

ولما همت الفتاة أن تهبط من الترام عند بيت الخياطة، نظرتْ، فعرفتْ ، فقنعت رأسها وتضرجت وجنتاها حياء ؛ ثم مضت فى طريقها لا تكاد تحملها رجلاها ...

وأجدَّت لها عيناه ذكرى وألماً ، وأطاف بها همٌّ جديد ...

وحاولت الفتاة أن تمحو صورته من خيالها فما أطاقت ؛ وكأنما تراءى لها فى تلك اللحظة على غير ميعاد ليكون آخرَ ما يصحبها إلى القرية من صور المدينة !

... لم يكن «عابد» فتاها الذى تؤمل، ولكنها كانت فتاته ؛ لقد كانت تعلم من أمره ما يحسبه هو سراً من سره ، فإن له عينين لا تستطيعان الكتمان ، تعبّران عن معنًى لا يبوح به لسانه ولا طاقة له به ؛ على أنه لم يستطع بكل ما أطاق من قوة الحب أن يشغلها بأمره ، ولا هو حاوله ؛ ولكنها كانت تعرفه ، وتحس وقع نظراته ؛ وكان ذلك حسْبها وحسبه ؛ فإنها لتُكبِر نفسها وهى مَن هى وحيث هى - أن ينتهى أملها عنده، وإنها لترى كل يوم من ترى وتسمع ما تسمع، فإن لها فى كل يوم أملاً تأمله بالنهار وتحلم به فى الليل ... كان ذلك وهى فى المدينة التراحبة التى لا يغيب نهارها حين تغيب الشمس ... أين هى غداً من أمانيها ؟ وا أسفا ! لكأنما ارتكبت إثماً جوزيت عليه بالسجن إلى أجل غير مسمى !

* * *

لم تكن راجية تعرف من الفرق بين القرية والمدينة إلا هذه الأضواء الساطعة ، وتلك الملاهى الساهرة ؛ ثم صديقاتها اللائى تراهن كل يوم ويرينها ، ليس لهن من حديث إلا عن الأزياء والسهرات وأخبار الفتيان والفتيات ؛ وأنشأت لها هذه الحياةُ التى كانت تحيا أمانىَّ وأحلاماً تراوحها وتناديها فى يقظتها وفى منامها ؛ وحين جاءتها « الخاطبة » بأول خاطب يطلب يدها أيقنت أنها من الذاية التى تهدف إليها على مقربة ، فراحت تبالغ فى الطلب وتشتط فى الشرط ؛ وحرصت من يومئذ على أن تعرف ما لا يعرف إلا القليل عن طبقات الموظفين ودرجات الوظائف وسلالم الترقية لكل طبقة ؛ ثم مضتْ تسترسل فى أمانيها وحلّقت فى أفق بعيد ؛ وراحت تُتبع عينيها كل منظر، وتُرعى أذنيها كل نبأ ، فاجتمع لها من المعارف بشئون الطبقة العليا من أهل المدينة ما خيَّل إليها أنها أوشكت أن تبلغ ...

... وعلى حين غفلة صلصل الجرس يدعوها إلى الرحيل ... !

* * *

وعادت الأسرة إلى القرية التى هجرتها منذ بضع عشرة سنة تلتمس حياة جديدة بين أنوار المدينة ؛ لقد هجروا القرية يوم هجروها أربعةَ نفر ، وعادوا إليها ثلاثة ، وخلفوا رابعهم هنالك مرابطاً ينتظر الآونة التى يدعوه فيها الوطن ليبذل شبابه !

واستيقظت راجية على صياح الديكة من وراء جدار ؛ فنهضت من فراشها وفتحت النافذة تستروح روْح النشاط والقوة ... ومرَّ الراعى بنافذتها يسوق ماشيته ... فما إن رآها حتى طأطأ رأسه وأوفض فى السير ، ونظرت فى أعقابه ، ثم ارتدّت عن النافذة ...

يا لله ! وفى القرية كثير من مثل هذا المسكين ؟ عظم معروق فى ثوب خلق يوشك أن يحطمه عصفُ الريح ، يقود ماشية تكاد تنشق شبعاً ورِيًّا ؛ إنه يؤثر ماشيته على نفسه لتعيش فيعيش بها !

ثم تتابعت أفواج الفلاحين سارحين إلى حقولهم يتبعهم

ولدانهم ، قد أوقرت ظهورهم بما يحملون ، ومضى النساء إلى عملهن ...

ووجدت راجية ما يشغلها ، فنسيت شيئاً بشيء . ومن يومها الأول وهي ترى وتوازن وتحكم ؛ ولما جلست في المساء على حافة القناة بين رفيقات من بنات القرية يسامرنها ويتحفين بها ، أحست في نفسها عاطفة جديدة تنموشيئاً فشيئاً ، ورأت في حديث هؤلاء القرويات روحاً ومعنى غير ما كانت تجد من حديث صواحبها في المدينة ...

وأشرق القمر عليها وعليهن وذاب في ماء القناة شعاعه ، ونظرت إلى صواحبها ونظرن إليها فكأنما سكب القمر على قلبها من شعاعه الطهور فغسله مما فيه ؛ وأحست فيضاً من الحنان والحب يغمرها فيدنيها إلى رفيقاتها قلباً إلى قلب وروحاً إلى روح ؛

وذكرت كلمة أبيها :

« نعم يا بنيتي ... ولكن واجبك هناك ... إن إخوتك وأخواتك في القرية أحوج إلى التمريض والإسعاف من جرحى الحرب ! »

بلى ، وإنها لتشعر الساعة بثقل هذا الواجب على عاتقها أكثر ما شعرت في حياتها منذ كانت . إن عليها لهؤلاء المساكين حق الإرشاد والمعونة بكل ما تملك يدها من مال وما يملك قلبها من الحب

وتبدلت راجية مذ طرقها هذا الشعور الجديد ، فعادت فتاة غير من كانت !

وأحبت القرية أكثر مما كانت تبغضها ، حتى لو أن أحداً راودها أن تعود إلى المدينة لتأبت ، وتزينت لها القرية زينة عروس ؛ فكل ما فيها جميل فاتن !

ومضت أيام ، وبعث « صلاح » إلى أبيه :

« أبي !

« ... وكل شيء هادئ ، فليس ثمة خطر مما توقعتَ أن يكون ...

« وإني لأخشى أن تكون حياة القرية بحيث لا تطيب لكم فيها الإقامة ؛ فإن رأيت ... »

وقرأ الأب رسالة ولده فصبا ؛ لقد كان يقدّر – وهو ربيب القرية منذ كان – أنه يستطيع أن يعود إلى ماضيه فيعيش في الريف عاماً أو بعض عام حتى تهدأ العاصفة ويعود السلام والطمأنينة إلى المدينة ؛ ولكن ... ها هو ذا يحس السأم والملالة ولما تمض أيام ... !

واجتمعت الأسرة حول عميدها تفكر وتدبر ، وقالت راجية : أبي ... ولكن المدينة ...

وقاطعها أبوها : لا يا بنيتي ؛ لقد كنا مغالين في تقدير الأمر ، وأظن خيراً لنا أن نعود ... !

* * *

ولكن راجية لم تعد إلى المدينة ، ولم يعد أبوها ، لأن ضيفاً عزيزاً هبط عليهم في القرية فتلبثوا لاستقباله ...

لقد أجمع « عابد » رأيه على أمر ، فكتب إلى الأسرة يستزيرها في القرية ، وكان معه صلاح

وتحلق حول المائدة ثلاثة نفر يتشاورون في أمر ذي بال .

وقال عابد ، وقال صلاح ، وقال أبوه ؛ وتركوا لراجية أن تقول الكلمة الأخيرة ؛ وقالتها ، وانتهى النبأ إلى الجيران فتجاوبت الزغاريد من طاق إلى طاق

وقال الفتى لفتاته : والأمر لك يا عزيزتي من بعد ؛ فإن شئت كان العرس في المدينة ، فإني لأعرف كيف تريدينه أن يكون ، وإني ليسرني أن أرضيك ...

وابتسمت راجية وقالت: شكراً يا عزيزي، ولكن، إنني حريصة كل الحرص على أن تكون صديقاتي جميعاً إلى جانبي ، هنا ، وأن يشاركننا جميعاً في الفرح والمسرة !

قال عابد : يسرني ... ولكن ... أين ... ؟

قالت : لا تبعد يا عزيزي ! ماذا فهمت ؟ ... إن صديقاتي اللاتي أعني لَيُلبِّين الدعوة مسرعات ولو كان موعدها غداً !

قال : غداً ؟

قالت : نعم ، والليلةَ إن أردت ، إنهن غير بعيد !

* * *

واحتفلت القرية كلها بعرس راجية ، لم يتخلف منها أحد ! لم تكن هناك ثريات ، ولا أعلام ، ولا سرادق منصوب ، ولا موسيقى تعزف ، ولا مطرب يغني ؛ ولكن رجالاً أربعة كانوا جلوساً إلى نضد صغير في دوار العمدة ينظرون في توزيع خمسين جنيهاً على أهل القرية ، احتفالاً بزفاف راجية . أولئك أصدقاؤها وصديقاتها ، لم تنس أحداً منهم ، ولم يتخلف عن دعوتها أحد !

محمد سعيد العريان

فهرس الموضوعات للمجلد الأول من السنة الثامنة

فهرس الكتاب المجلد الأول من السنة الثامنة

8me Année No. 365

Lundi - 1 - 7 - 1940

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٣٦٥ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٥ جمادى الأولى سنة ١٣٥٩ — الموافق أول يولية سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهـــرس

العلم أو الأدب ؟ !

للأستاذ عباس محمود العقاد

جاءنى من الأديب « عبد القادر دوير » خطاب يسألنى فيه أسئلة متعددة عن رأيى فى خسارة العالم بفقد أديسون وماركونى، وخسارته بفقد شكسبير وبرنارد شو

وعن رأيى فيما هو الأسبق : « العلم أو الأدب ؟ ! » . وهل خلق الإنسان بطبيعته عالماً يتجه فكره إلى تهيئة أسباب معيشته، أو خلق بطبيعته أديباً يميل إلى الشعر والفنون ؟

ثم يسألنى : « ما رأيكم فى كلمة الأستاذ أحمد الصاوى المنشورة فى الأهرام يوم ١٧ يونيو التى يناشد الشباب المصرى فيها أن يهجر الأدب والشعر وينصرف إلى العلم والاختراع ليكون رجلاً عملياً عاملاً . وختمها بقوله : « أسكتى إذن يا آلهة الشعر لقد ذهب أوانك وتلاشى سلطانك ، وأخرجى أيتها الأرض شباباً واقعياً قوياً يفل الحديد بالحديد والنار بالنار لا بالقصائد والأشعار »

وقد قال الأديب : « أرجو — إذا تكرمتم بالرد — أن ينشر بحثكم على صفحات مجلة « الرسالة » الحبيبة إلى قلوبنا كل الحب »

***

وقد رجعت إلى أعداد « الأهرام » منذ السابع عشر من شهر يونيو ، فقرأت فيها حوار الأستاذين الصاوى والحكيم عن

الشعر والسلاح ، وتتبعت ذلك الحوار إلى أن بلغت به : « مربط حمار الحكيم » و « فيرانَ السفينة » ؛ وانتهيت منه وأنا أقول :

« الحق على أساتذة الإنشاء منذ نيف وأربعين سنة فى الديار المصرية ... فلولا موضوعات المقابلة بين الصيف والشتاء ، وبين الذهب والحديد ، وبين العلم والمال ، وبين العلم والأدب ، لما وقع فى الأذهان ذلك الخاطر الذى نعود إليه فى مصر فترة بعد فترة لنقضى للعلوم على الفنون ، أو للفنون على العلوم ، أو لنوحى بهذه دون تلك فى تثقيف الأمة وتعليم الشباب

فما معنى هذه المقابلة ؟

هل النفس الإنسانية صهريج من المدن يزيد فيه من العلم بمقدار ما ينقص من الأدب ؟ هل العلم والأدب ضرتان تلقى إحداهما من الحظوة والزلفى بمقدار ما تلقى صاحبتها من الهجر والإعراض ؟ هل الجمع بين العلم والأدب فى الأمة الواحدة مستعص أو مستحيل ؟

فإن لم يكن شىء من ذلك كما يحسبه الحاسبون ، فما معنى هذه المقابلات ، وماذا نجنى من الإزراء بالعلوم محاباة للآداب والفنون ، أو من الإزراء بالآداب والفنون محاباة للعلوم

ماذا نجنى من هذا وذاك ونحن فقراء فى هذا وذاك ؟

وماذا أصبنا من الفن والأدب حتى يقال إننا قد شغلنا به عن العلم والاختراع ؟ بل ماذا عندنا مما اخترعه الآخرون حتى نبحث فى اختراع الجديد، ونزعم أننا لولا الفن والأدب لاخترعنا نحن أيضاً مع المخترعين ؟

أما إذا أغضينا عن أنفسنا ونظرنا إلى أحوال غيرنا ، بل إلى الأحوال التى دعت إلى كتابة ما كتب فى تفضيل السلاح على الشعر ، أو تفضيل القوة على الذوق ، فماذا نحن واجدون ؟

نجد أمة غلبت بالدبابات والطيارات وهى لم تخترع الدبابات والطيارات ، ونجد أمة لها مهندسون غلبت أمة لها كذلك مهندسون لعلهم أفضل من أولئك المهندسين ؟

فالمسألة ليست مسألة اختراع الدبابة والطيارة ، ولا هى مسألة الهندسة والصناعة ، ولكنها مسألة « الباعث النفسى » الذى يكمن وراء علم العلماء واختراع المخترعين وهندسة المهندسين

وهذا « الباعث النفسى » هو الحقد الذى تأجج فى صدور الألمان فجعلهم يطلبون من الدبابة مالم يطلبه منها أصحابها الأولون

فإن كان رأى الأستاذ «أحمد الصاوى» أن يملأ النفوس بالحقد لأنه صنع من الدبابة مالم يصنعه منها الاطمئنان والرضى فله رأيه الذى يرتضيه بمعزل عن الشعر والفن ، أو بمعزل عن المفاضلة بين المهندسين والشعراء

أما إن كان يريد بما كتب شيئاً غير هذا فليس فى المقدمات ما يبنى عليه نتيجة غير تلك النتيجة . وليس فى انتصار مقاتل على مقاتل من جديد يمحو ما كتبته الإنسانية إلى الآن ، ويخط فى مكانه سطوراً أخرى لم يكتبها التاريخ

قال الأستاذ أحمد الصاوى : « ... المهندس هو الذى جلس أمام لوحه الخشبى ورسم على الورق أقصى ما يخطر بالبال من خيال الأهوال : تصور الموت نفسه أمامه وتحداه بالحديد والنار ، فرسم الطيارة ورسم الدبابة ورسم الغواصة ، ثم عاد فرسم لكل آلة من هذه عناصر دمار جديدة . فلم يكتف بنوع واحد من الطيارات والدبابات »

« ... هذه هى رسالة المهندس والكيميائى يعملان جنباً إلى جنب . هذا هو الحاضر ، وهذا هو المستقبل . فالى الشباب المصرى الذى يريد الأدب ويتعلق بالقصص ويحب الشعر نقول : استيقظ . لقد دقت ساعة الحقائق ، فانصرف إلى العلم بكل قواك ... »

فهل الهندسة هى التى صنعت هذا الصنيع ؟

لو كانت الهندسة هى التى صنعته لكان أولى المهندسين به هم أصحاب الاختراع من الإنجليز والفرنسيين ، هم الذين اخترعوا الدبابة وشغلوا بتحسين الطيارة فى الوقت الذى أقبل فيه الألمان على المناطيد من أيام زبلين وخلفاء زبلين

فعند الإنجليز والفرنسيين مهندسون كالمهندسين الذين عند الألمان ، بل هم المهندسون السابقون المتفوقون فى هذا الميدان

ولكن « البواعث النفسية » هى التى جلست وراء المهندس فأوحت إلى الهندسة فى أمة حاقدة مالم توحه إلى الهندسة فى أمة مطمئنة راضية

والبواعث النفسية هى كل شىء

هى الحياة . وكل ما عدا ذلك فهو أدوات وآلات .

***

والآن وقد ظهرت الدبابات الفخام هل يستطيع قائل أن يقول :

إن قلة الهندسة عند الفرنسيين والإنجليز هى التى أقلت نصيبهم من تلك الدبابات الفخام ؟ أو هى التى تمنعهم أن يخترعوا مثلها ، أو يخترعوا لها آفة تقضى عليها وتفلها على نحو ما يقولون : إن الحديد يفله الحديد ؟

كلا !

ليست قلة الهندسة هى العلة . . . فالهندسة هنا كثير

وإنما العلة « فرصة الوقت » إذا اتسعت أو ضاقت للمخترعين. ولن تكون الهندسة هى الباعث على اغتنام الفرصة المنشودة ، وإنما هى البواعث النفسية التى أسلفنا الإشارة إليها ، وهى فى الحرب والسلم أمضى سلاح

وهل يعلم الأستاذ الصاوى كم من الملايين الثلاثة أو الملايين الأربعة الذين زحفوا على فرنسا من الشباب الألمان يدرسون العلم ويقرأون الهندسة ؟ وكم منهم يقرأون القصص والروايات ؟

كلهم قراء روايات وقصص كما ظهر من إحصاء الكتب التى كانت ترسل إليهم فى الميادين ، فإذا طلبوا مع الروايات والقصص كتباً أخرى فذلك هو كتاب هتلر الذى يفرضونه هناك على جميع الشبان ، وليس هو بهندسة ولا بعلم واختراع ، ولكنه شىء أقرب إلى الأحاجى والأساطير !

***

فالهندسة ليست مصدر القوة الألمانية

والأدب لم يكن مصدر ضعفهم يوم انهزموا فى الحرب الماضية

لا شأن للهندسة والأدب هنا أو هناك ، بل الشأن كل الشأن للبواعث النفسية، ثم تكون هندسة القوم أو يكون أدب القوم على حسب تلك البواعث من الحركة أو السكون ومن الخير أو الشر ومن الصلاح أو الفساد

ويح الإنسان . . . كم تروعه الضجة وكم تخلبه قعقعة السلاح !

وماذا لو طبقنا رأى الأستاذ الصاوى على العلم نفسه ولا نقول على الفن والأدب والقصة والرواية ؟

يوم أن هزمت فرنسا فى حرب السبعين كان اسم بسمارك ومولتكه يدوى فى كل زاوية من زوايا الأرض، ويجرى على كل لسان فى المغرب والمشرق

وكان فى زاوية من زوايا فرنسا رجل يدعى لويس باستور يكشف جراثيم الأوبئة وأسرار التعقيم ، ويعرض نفسه كل لحظة لهلاك لم يتعرض له بسمارك فى العمر الطويل

فما رأى الأستاذ أحمد الصاوى فى رجل غاضب مثله متحمس مثله ناصح لبنى الإنسان مثله يدخل على الشيخ باستور فيقول :

قم أيها الشيخ الفارغ ولم قواريرك وأنابيبك ؟! الوقت وقت نار وحديد وليس بوقت ماء وزجاج !

وأين مع ذلك حرب السبعين كلها بما انطلق فيها من المدافع وانصهر فيها من الحديد إلى جانب تلك الأنبوبة التى لم يسمع بها ساكن الحجرة المجاورة فى بيت باستور ؟

لكنها الضجة التى تروع الإنسان . ويح الإنسان ، ثم ويح الإنسان !

ولو سألنا له جزاءه الحق لسألنا له طوفاناً من الطغيان يغرقه إلى آخر الزمان ، ويشبعه ما استطاع الشبع من الحدائد والنيران ولكنه مخلوق غافل ، تشفع له نية مصلح أو نفحة فنان .

وقد نعلم رأى الصاويين جميعاً فيما يقولون الآن ، إذا نسيت الحرب القائمة ، وبقيت صرخة من صرخات النفس الإنسانية ، لعلها تنظم اليوم فى قصيد أو تثبت فى لوحة فنان أسوان

عباس محمود العقاد

الحديث ذو شجون

للدكتور زكي مبارك

الصداقة الروحية — الطلبة والجاموس ! — ابن الحبر ! — معركة في غير ميدان — حمار الحكيم ! — الرفيق قبل الطريق — عشنا وشفنا فقد اكتوينا بنار الحوادث في حربين .

الصداقة الروحية

كانت قسوة الشواغل قضت بأن أحرَم أنس الحديث مع قراء « الرسالة » نحو شهرين ، وهي شواغل متصلة بخدمة اللغة العربية في آفاق لا يساير ما فيها القراء لأنها متصلة بحياة التعليم ، وهي حياة لا يُنشر من أخبارها شيء إلا بعد أن يستوثق الباحث من أنه وصل فيها إلى آراء تستحق التسجيل بطريقة علنية ، وذلك لا يتيسر إلا بالجهاد العنيف في الأعوام الطوال ، كالذي تيسّر في الأبحاث التعليمية التي نشرتها في الجزء الثالث من كتاب « ليلى المريضة في العراق » وفي كتاب « البدائع » وكتاب « وحي بغداد »

وأنا بهذا الكلام أعتذر عما قيل من أنني جنحتُ إلى الراحة في الأسابيع الماضية ، فما كان من ذلك شيء ، وإنما حرصتُ على تأدية واجباتي الرسمية تأدية ترفع عن صدري كرب الغيظ من أن يكون في الزملاء مَن هو أحرص مني على تأدية الواجب ، فقد قلت مرة على صفحات « الرسالة » إن في وزارة المعارف رجالاً يجري في خواطرهم أنهم ليسوا موظفين ، وإنما يدبّرون ملكهم الخاص ، وأنا من هؤلاء مكروبٌ مَغيظ ، ومع ذلك أتمنى أن يُكثر الله من أمثالهم في الدولة المصرية . والفُرص أمامي لأسبقهم في ميادين الكفاح الصادق حين أشاء

انتهى العام الدراسي بخير ، ولم تبق إلا أعمال خفيفة لا تستنفد الوقت ، فما عسى أن أصنع ؟

هل أذهب لقضاء الصيف في باريس ؟

وكيف وقد انقطع بيني وبينها الطريق ؟

هل أمضي لقضاء الصيف في الإسكندرية ؟

وكيف وقد انفضّت الملاعب حول الشواطئ ، وضاعت الفرصة على مواعظ الشيخ أبي العيون ؟ وما أسخفَ الحياةَ التي تستقيم استقامة مُطْلقة فلا يثور عليها واعظ ، ولا يتطاول في تثريبها عاذل ، ولا يشقَى في تعقُّبها رقيب !

هل أذهب لقضاء الصيف في سنتريس ؟

وكيف وهي تضيق عني ، وأخشى أن أكدر صفو أهلها بأحاديثي عن معضلات الحياة الدولية ؟ وهل تتسع الحياة في الريف لرجل يريد أن يشهد أعنف قَلقلة من قلقلات التاريخ ؟

لم يَبق إلا المقام في القاهرة فأقضي صدر النهار في الاستفادة من خِبرة من ألقاهم في وزارة المعارف ، ثم أقضي بقايا الوقت في تحبير الكلمات التي ألقى بها القراء من يوم إلى يوم ، أو من أسبوع إلى أسبوع ، في الجرائد والمجلات

والحقُّ أننا من الفِكْر في كرب ، فالحوادث التي نعانيها في هذه الأيام لا تكفي لتغذية مطامعنا الفكرية ، فنحن نفزع إلى الأدب لنملأ به فراغ الأرواح والقلوب والأذواق ، ومن هنا تفهمون كيف اتفق في أحيان كثيرة أن تقام الحفلات لذكريات الأدباء والمفكرين في ميادين القتال

لا سبيل إلى تخفيف مكاره هذه الأيام « البيض » إلا بالأنس إلى الصداقة الروحية ، الصداقة التي يعقدها الأدب بين الكاتب والقارئ ، وهي أثمن ذخائر الوجود

وفي ظلال هذا الأمل الجميل أقضي هَجير هذا الصيف ، فأحادث قرائي ، وقد رفع بيني وبينهم التكليف ، فقد ضقت ذرعاً بما في الدنيا من قيود ، واشتقت إلى تنسم هواء الحرية بين صرير القلم وزئير الروح

الطلبة والجاموس !

كنت نشرت مقالاً في المقطم موضوعه « التصوف في الوطنية » سردت فيه بعض الأسباب التي أحب من أجلها وطني ، ومن تلك الأسباب أن أرض مصر تصلح للزراعة أربع مرات في العام الواحد ، فكتب إليّ حضرة « م . ع . ف » خطاباً يُنكر فيه أن تكون مصر كما وَصَفتُ ، ويؤكد أن أهل مصر لا يعرفون غير سوء الحال ، وأن في مصر آلافاً من الأعيان حُكِم عليهم بالسجن لعجزهم عن سداد المال (؟!)

والظاهر من خطاب هذا السيد أنه يتعقب أعمال الحكومة ، فقد ذكر أشياء تشهد بأنه يُساير خطوات الحكومة فى جميع الميادين ، ويتناولها بالثناء واللام على حسب الظروف !

وأقول بصراحة إن الأمة التى تنتظر من الحكومة كل شىء وتطالبها بكل شىء هى أمة فى دَوْر الطفولة ، والطفل يعتقد أن أباه على كل شىء قدير ! وأقول أيضاً إنه ليس من المعقول أن يكون فى مصر آلاف من الأعيان حكم عليهم بالسجن للعجز عن سداد الضرائب . وإذا صح ذلك فهو شاهد على أن الأعيان فى مصر لا يصلحون لتدبير ما يملكون من الأموال والأطيان

وهذا السيد له منزلة فى الصعيد ، ولم أصرح باسمه إلا خوفاً عليه من النقد الذى سأسوقه إليه بلا ترفق . فهو يرى من الإسراف أن يكون فى الميزانية مال مرصود لجسر شبرا وجسر سمنود ، وهو ينكر أن يكون للأوبرا وحمام السباحة فى أسيوط نصيب من أموال الميزانية ، وهو فى النهاية يَعجب من أن تنفق الدولة ثلاثين ألفاً من الجنيهات لتحسين نسل الجاموس مع أن فى طلبة الجامعة من عجز عن دفع المصروفات !

تحسين نسل الجاموس ؟

يا سلام ! يا سلام !

كيف يليق بحكومة رشيدة أن تفكر فى تحسين نسل الجاموس مع أنها تعرف أن بعض طلبة الجامعة عجزوا عن دفع المصروفات الدراسية ؟ !

ذلك منطق هذا السيد الذى يَشغل مكاناً مرموقاً فى الصعيد !

وعُذر هذا السيد أنه قرأ فى مجلة « آخر ساعة » كلمة جَرَت مجرى الدعابة ، فظنَّ أن من العيب أن يهتم وزير الزراعة بتحسين نسل الجاموس ، وهو جاموس !

هو حقيقة جاموس يرعى البَرسيم ويأكل الفول ويشطح وينطح بلا فهم ولا تمييز ، ولكن هذا الجاموس الأعجم هو من صميم الثروة المصرية ، والاهتمام به لا يقلّ خطراً عن الاهتمام بالقطن والقمح والعنب والتين والبطيخ

فكيف يجوز لرجل أن يعدّ الاهتمام بتحسين نسل الجاموس عيباً من عيوب الحكومة ، إلا أن يكون هذا الرجل من الصالحين للسجن بسبب العجز عن تسديد الضرائب ؟

المَقتل الخطير لأهل مصر هو الغرام بالنكتة ، ومن هنا جاز أن ينتهزوا الفرصة فيعيبوا على حكومتهم أن تهتم بتحسين نسل الجاموس

ويقول هذا السيد إن اشتغالى بالأدب صرفنى عن مواجهة الواقع . وأقول إنه لو اشتغل بالأدب كما اشتغلتُ لقرأ فى كتاب البيان والتبيين كلاماً معناه أن أحد العرب قال : لو كان لى ألف بعير فيها بعيرٌ واحد أجرب لقمتُ عليه قيام من لا يملك غيره !

ومعنى ذلك أن الاهتمام بالبهائم والأنعام لا يغضّ من أقدار الرجال ، وإنما هو دليل على العناية بأصول الاقتصاد

أيها الغافلون من أهل هذه البلاد

راجعوا وزارة الصناعة والتجارة تخبركم عما نستهلك فى كل عام من الواردات المصنوعة من الألبان ، وعندئذ تعرفون أنه ليس من العيب أن نهتم بتحسين نسل الجاموس

اللهم ارزقنى جاموسة أو جاموستين لأنسى مرارة الإفطار على الشاى الأسود فى كل صباح

وأنت أيها الجاموس

هل تحفظ هـذا الجميل فتذكر أنى دافعت عنك فى مجلة الرسالة الغراء ؟

لقد ضاع الجميل عند الحيوان الناطق ، فهـل تحفظه أنت يا جاموس ؟ !

وكيف نطالبك بحفظ الجميل ، وما حفظنا لك الجميل ؟

كانت فِطرة العربىّ فى الصحراء ألطف وأصدق ، فقد نظم فى ناقته أعظم القصائد ، أما المصرىّ فقد ظلم جاموسته أقبح الظلم ولم يذكرها بغير السخرية والاستهزاء

فهل تكون للبداوة تلك المحاسن وتكون للحضارة هـذه العيوب ؟

كان الفراعنة أعرفَ الناس بأصول المنافع فعدُّوا البقرة من المعبودات لأنهم رأوها من صُوَر الحنان ولأنهم عرفوا ما يصدُر عنها من الخيرات

والجاموسة أغزرُ نفعاً من البقرة ، ومع ذلك صح لأدبائنا أن يَسخروا من الوزير الذى اهتم بصحتها الغالية !

ولكن لا بأس فنحن فى زمن تَغلِب فيه السخرية من المنافع ، وهو زمنٌ مقلوب الأوضاع ، ولولا ذلك لرُسِمت الجاموسة بجانب الفلاح على ورق « البنكنوت »

لبن الحمير !

ومن جناية النكتة على أهل مصر نُفرتهم من شرب لبن الحمير ، مع أنه بشهادة الطب أطيب أنواع الألبان ، وهو فى أمان من الجراثيم التى يتعرض لها لبن البقر والجاموس

ومن المؤكد أن هذه الكلمة ستفوز بطوائف من النكت حين تظهر فى مجلة الرسالة ، كما ظفرت الكلمة التى نشرتُها عن فضائل الحمير فى كتاب « ذكريات باريس »

والمهمُّ عندى أن يعرف المصريون خيرات بلادهم ، وأن يذكروا أن الحمير كانت ولا تزال من أطايب الثروة المصرية ، وإليها يرجع الفضل فى خدمة الفلاّح الذى يذرفون من أجله دموع التماسيح !

وقد ورد التنويه بالحمار المصرى فى كتاب الأغانى ، وهو أصبر من الحمار الحَسَاوى ، المنسوب إلى الحَسَا من بلاد البحرين ، وهذه فائدة قد يذكرها بعض من يحفظون الجميل

ولا مؤاخذة يا أرباب الذوق المصقول من أعداء الحيوان !

معركة فى غير ميدان

دهش الناس للمعركة الحاميــة التى ثارت فوق صفحات « الأهرام » بين الصديقين أحمد الصاوى وتوفيق الحكيم حول الفكر والحرب ، وقد وقعت فى تلك المعركة ألفاظ غلاظ لا يسوّغها صديق إلى صديق

وخلاصة رأى الصاوى أن زمن الشِّعر قد ولّى وفات ولم تبق إلا دولة الطيارات والدبابات

ويقول الحكيم إن الأمم القوية من الوجهة الحربية هى الأمم القوية من الوجهة الفكرية

والرأيان يلتقيان بكل رفق ، فما الموجب للتراشق بالألفاظ الغلاظ ؟

وقد فصل الأستاذ ســعد اللبان فى هذه القضية حين قال : أولئك قوم يتجادلون فى البديهيات !

ولعل الأستاذ توفيق الحكيم يعترف اليوم أنى هديته إلى أصل الفكرة حين حاورته فى جريدة الأهرام ، فقد كان يتوهم أن الفكر منفصل عن الحرب كل الانفصال

لعله يذكر أنى قلت وأنا أحاوره :

« إن الحرب الدموية رَجّ الأذهان والعقول ، ولكنها فى الأصل من صنيع الأذهان والعقول . والعالم غير مُقبل على الخراب ـ كما نقول حين نقرأ أخبار الحرب ـ وإنما هو مُقبلٌ على يقظة روحية وعقلية واقتصادية سيعرف مَداها من يشهد تطوّر الوجود فى المستقبل القريب ، وهو مستقبل نشهد تباشيره منذ اليوم برغم ما نعانى من الضجر والاكتئاب كلما طالعنا أخبار التدمير والتخريب فى الصُّبح والظُّهر والمساء

الإنسانية اليوم فى حومة هائلة من يقظة الفكر والرأى ، فليس القتال نزاعاً بين جنود وجنود ، وإنما هو صراع بين آراء وآراء ، كما كان فى العصور الخوالى نزاعاً بين دِين ودِين ، وما تغيرت المعانى وإن تغيرت الأشكال »

ذلك ما قلته فى الحادى والعشرين من شهر مايو ، وهو أصدق من آراء الصاوى والحكيم ، على ودهما القديم ألف تحية وألف سلام !

كنت أظنهما صديقين ، ثم عرفت — مع الأسف — أنهما من إخوان الزمان :

نعيبُ زماننا والعيبُ فينا وما لزماننا عيبٌ سوانا

« حمار الحكيم »

وفى هجوم الصاوى على الحكيم وردت عبارات مقتبسة من كتاب « حمار الحكيم » ، وهى عبارات يقول فيها المؤلف : إن الوقت عنده ليس من ذهب ، وإنما هو من تراب . ويقول إنه يخاف من العفاريت

وأقول : إن الصاوى لم يدرك ما فى هــذه الكلمات من السخرية ، السخرية من المجتمع الذى نرى صوره فى بعض البيئات ، وهى سخرية رأينا صداها فى مقال نشره سعادة الأستاذ مصطفى عبد الرازق بك فى مجلة الصاوى

وقد آن لبنى آدم من أهل هذه البلاد أن يفهموا أن المؤلف لا يُسأل عما يَرد فى كلامه من العبارات التى يديرها حول نفسه ليتمكن من السخرية بالمجتمع ، فقد آذتنى جريدة لا أسميها فى بلد لا أسميه ، لأنى قلت فى كتاب « ليلى المريضة فى العراق » :

« أنا رجل لئيم ، ويجب أن أستفيد من فساد المجتمع »

فقد قالت تلك الجريدة : كيف يجوز لحكومة رشيدة أن تعتمد على هذا الرجل فى تثقيف الشبان ، وهو يعترف بأنه لئيم يستفيد من فساد المجتمع ؟

وإذا جاز لصديقنا الصاوى أن يؤول كلام صديقه الحكيم بلا فهم لغرضه الصحيح ، فقــد جاز لى أن أصفح عن ذنوب الجاهلين ممن فاتهم سر التأليف يوم قرأوا كتاب « ليلى المريضة فى العراق »

الرفيق قبل الطريق

تلك حكمة عربية أوحتها ظروف الحياة البدوية ، فقد كانت المسالك وعرة ، ولم يكن للمسافر بدٌّ من رفيق يعينه على متاعب الطريق .

وطريقنا فى هذا العهد هو الكتابة والتأليف ، والرفيق هو رئيس التحرير ، أو القارئ ، أو الرقيب فى الأيام التى تُفرَض فيها الرقابة على الكتابة والتأليف

ولى فى هذه النواحى تجارب ، وأستطيع أن أقول إن أعظم من عرفت من رؤساء التحرير هم عبد القادر حمزة وخليل ثابت وأميل زيدان ومحمود أبو الفتح وأحمد حسن الزيات ، فهؤلاء نشروا لى مقالات لم يكن يجوز أن تُنشر لولا إيمانهم بقيمة الحرية الفكرية

ولم أكن أعرف الرقيب الذى كنت أصطدم به يوم كنت رئيس تحرير جريدة الأفكار فى سنة ١٩٢١ فقد كان يفصل بينى وبينه فقيد الوطنية عبد اللطيف الصوفانى بك ، طيَّب الله ثراه

أما الرقيب فى هذه الايام فهو الأستاذ محمود عزمى، وأستطيع أن أقول إنى كنت أملك نشر ما أشاء بدون تهيب ولا تخوف ، لأنى كنت أملك الاحتكام إليه حين أريد

وفى الأستاذ محمود عزمى عيب فظيع هو الخضوع للحرية الفكرية ، وهو عيب جميل ، أكثر الله من أمثاله بين الرقباء !

بَقِى الرقيب الأعظم وهو القارئ

وأستطيع أن أقول إن رقابة القارئ لم تكن رفيقة فى أكثر الأحايين ، فقد كان يفهم عنى غير ما أريد ، وكان يرانى بعين الحقد والمقت فى بعض الأحيان

ومع ذلك بقيت صداقتى للقارئ كما كانت ، فلم أتحوَّل ولم أتبدَّل ، ولم أستبح الرياء لأظفر منه بالإعجاب ، لأنى أعتقد أن الكاتب الذى يتلمس المواقع من هوى القارئ ليس بكاتب ، وإنما هو مأجور ، والكاتب المأجور لا يصلح لشىء ولو استمدَّ بيانه من وحى السماء

الكاتب الحق هو الذى لا يخاف غضبك ولا يرجو رضاك

الكاتب الحق هو الطبيب الذى لا يتزعج من صُراخ المريض

الكاتب الحق هو الذى يفزع إلى القلم والقرطاس كما يفزع الجائع إلى الطعام والظامئ إلى الشراب

الكاتب الحق هو النهر الذى يحمله الطغيان على الهدير ، أو الأسد الذى يحمله الغضب على الزئير

الكاتب الحق لا يعرف قراءه أبداً ، وإنما يعرف أنه يتنفس عن صدره بالتعبير ، كما ينفِّس الوجود عن صدره بسعير الحروب

فمن كان يظن من القراء أننا اشتقنا إليه فهو مخطئ ، فما بنا شوق إلى أحد ، إلا أن تَصلُح الدنيا فترجع الأنوار إلى بُوليش فى باريس ، وشارع فؤاد فى القاهرة ، وشارع الرشيد فى بغداد

أفى الحق أن الدنيا ردَّتنى إلى هذا الحد من القسوة والعُنف ؟

أفى الحق أنى أمسيت لا أهتم بعواطف قرائى ؟

هو ذلك ، فمنذ أسابيع وأنا جاثمٌ بالدار التى بنيتها على حدود الصحراء

وعن الرمال التى يُلهبها القيظ، يتحرك القلم الذى يُلهبه الغيظ

فإن عشت وعشتم إلى عودة السلام فسيكون لى معكم حديث غير هذا الحديث . ألم تسمعوا أنى كنت شاعر الصباحة والجمال ؟ ألم تلومونى على عُنف الهيام بالعيون والقدود ؟

ذوقوا بأس الحرب يا عُشاق الحرب ، ذوقوا بأس البلاء يا عشاق البلاء ، فلن أنسى أنكم سَخِرتم منى حين كنت أتغنى بالجمال فى أيام السلام !

متى تعود أيامى وأيامكم ؟ متى تعود ؟ متى تعود ؟

عشنا وشفنا

شهدت حربين فى حياتى : الحرب الماضية والحرب الحاضرة

فمن كان يعجب من أنى قضيت حياتى فى حرب فليعرف أنى أخذت الوقود لأدبى من سعير هاتين الحربين ، ولا يملك الفرار من حوادث زمانه غير المزوَّد بالغفلة والجمود ، وما كنت من الغافلين ولا الجامدين

فى الحرب الماضية كنت طالباً بالجامعة المصرية ، وكانت أملاكى بالقاهرة لا تزيد عن مكتبة صغيرة سارعتُ بنقلها إلى سنتريس ورجعتُ لأشاهد تلك القلقلة التاريخية

وفى هذه الحرب ، الحرب التى يقال إنها قد تؤذى مصر بعض الإيذاء ، صار لى فى مصر الجديدة منافع هى المكتبة التى

ويلك آمن . . . !

للأستاذ محمود محمد شاكر

أيام من الدهر حائرة في أودية الزمن ، وساعات تخاع المصائب وتلبسها بين الثانية والثانية ، ورعب مظلم خيَّم على الأرض فلا تضيئه إلا شقائق النار وهي تفرى الجو ذاهبة وآيبة، وحيرة سابحة فيها عقول البشر لا تدع قراراً لفكر ولا خيال ، وسهام نافذة من البلايا تفتق نسج النفس الإنسانية فتقاً رغيباً يتمايا على الراقع والمصلح . . . فيا له من بلاء مطبق على العالم إطباق اليوم الصائف يسد بحره منافذ الأنفاس

ما الحياة ؟ ما الإنسان ؟ ما العقل ؟ ما الحضارة ؟ إلى أين نسير ؟ كيف نعمل ؟ لماذا نعيش ؟ فيم نتعب ؟ تبًّا لكل هذه الضلالات الداجية التي لا يبرق فيها نجم واحد يقول للانسان : اتبعني ، سوف تهتدي ! !

هذه هي الحضارة الأوربية الحديثة قد انتهت بالناس إلى خلق هذا الإشكال الدائم الذي لا يحل ، وساقت الناس إلى مرعى من الشك وبيء ، كلما ازدادوه غذاء زادهم بلاء ، فلا ينتهي من ينتهي إلا إلى هلكة تدع فكرة الحياة خرافة عظيمة قد اتخذت لها أسلوباً تتجلى فيه ، فكان أبلغ أسلوب وأفظع أسلوب ، هذا الإنسان الذي يحمل من رأسه قنبلة حشوها المادة المتفجرة التي تهلكه وتهلك ما يطيف به أو يقاربه ، فلا هو ينتفع بنفسه ، ولا ينتفع العالم به

لو سئل إنسان هذا القرن : ما أنت ؟ لقال : أنا اللامنة الملونة التي تشأم نفسها وتشأم من يعترض انصبابها وسيلها . أنا الناب الذي ينقع في الإنسانية سمه حتى تبرد حياتها في عضته . أنا المالك المهلك ، هذه حياتي ، وهذا عقلي ، وهذه حضارتي ، ومن أجل هذا خلقت ، وفي سبيله أعيش ، وعلى قضائه أعمل ... ! !

ولو نشر اليوم فيلسوف من محبي الحكمة والعاملين عليها الذين أفنوا أعمارهم في طلب الخير والفضيلة والحق والجمال ، وجعلوا عملهم هداية الإنسان إلى أسبابها وسلكوا له سبلها ، ثم نظر إلى هذه الحقبة من عمر الإنسانية فما تراه قائلاً في صفة الإنسان وما فيه من العون على درك هذه الحقائق ، والتحلي بها في حياته ؟ أم تراه يعرف الصورة وينكر المعنى ؟

المدنية الأوربية الحديثة هي التي استطاعت أن تنفذ بالعقل في ضمير الحياة تستنبط منه ناموس الحياة التي تدب على الأرض ومع ذلك فهي التي سلبت هذا العقل قدرته على الخضوع للروح لتمده بالنور المشرق الذي يستضيء به في رفع الإنسانية درجة بعد درجة إلى مراتب الملائكة — أي إلى مرتبة الروحانية الصافية التي تنهل أضواؤها على النفس والقلب والروح ، فتروى من فيضها ، وترث من ذلك نوراً ورحمة وسكينة ، وتنبت غرسها الإلهي الذي يجنيه الإنسان هداية وعدلاً وسعادة ، فتتضاعف به الحياة حتى يقوى الخير فيها ويضوى الشر

لقد أخفقت هذه المدنية في سعيها لخير الإنسان ، وأثبتت بكل دليل أنها مهما تكن أحسنت إلى الإنسانية فلم تحسن مرة واحدة أن تضبط نوازع النفس ، وتردها إلى الطريق الواحد الذي ينبغي أن تصدر عنه ، حتى تكون كل أعمالها نقية طاهرة متشابهة . ذلك الطريق هو طريق الروح الذي لا يتم لعمل تمام ولا يظفر بخلود أو بقاء ، إلا أن يكون فيه مس الروح وطهارة الروح ، وقدس الروح

لا يمكن نقلها إلى سنتريس، فأنا معها إلى أن يقضي القَدَر بما يشاء

وأقسى ما أعانيه هو الفزع الذي يقاسيه جيراني حين تولول صَفَّارة الإنذار بغارة جويّة في أعقاب الليل ، فهم ينزعجون ويتواصَون بالنزول إلى السراديب ليأمنوا شر الوبل ، فأنزعج لانزعاجهم لحظة ثم أسلم جفوني إلى النوم العميق

الحياة ليست غالية جدًّا ، يا جيراني ، فلا تخافوا ولا تجزعوا فأينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في أعماق السراديب !

وما قيمة الحياة وهي دُنيا بحق ؟

ألم نشهد فيها غدر الصديق بالصديق ، ونوم الحليف عن نصرة الحليف ؟

لن أقبل النزول إلى السرداب ولو سقطت السماء فوق الأرض ! ولو كان أبنائي في مثل عزيمتي لأبيت عليهم الرحيل إلى مرابع السلامة في سنتريس

وما الذي فاتنا من نعيم الحياة أو بؤس الحياة حتى نحرص عليه ؟

أنا باقٍ في داري على حدود الصحراء إلى أن ينفد زاد الموت ، والمستميت لا يموت .

زكي مبارك

أطلقت هذه المدنية فى الدم الإنسانى كل ذئاب الشر والرذيلة ، فخرجت من مكامنها جائعة قد سلبها الجوع كل إرادة يحملها على بعض الورع الذى يكف منها ، فعاثت فى إنسانية الإنسان حتى جُنَّ ، وتنزى فى الأرض وحشاً يجعل شريعته المقدسة تنبع أحكامها من معدته، ومن أحكام هذه المعدة ومطالبها، وكذلك انقلب النظام الاجتماعى فى العالم من نظام روحى عقلى سام ، إلى نظام اقتصادى تجارى ضار ، الآكل والمأكول فيه سواء . لأن النية انعقدت فى كليهما على الافتراس ، وما فرق بينهما إلا فرق القوة التى أعدت هذا للظفر ، وأسلمت ذلك إلى العجز ، فدفعت به إلى رحى تدور بأسباب من الطغيان والفجور

وما هى شريعة المعدة فى هذه المدنية الاقتصادية التجارية ؟ هى شريعة السوق التى لا تعرف قيمة الشىء إلا فى ميزان من الطلب . فما طُلب فهو الجيد، وما عُمِّىَ على الطالب فهو الردىء الذى لا قيمة له ، وكل شىء قائم فى جوهره على النزاع الذى لا تسامح فيه ، والأمر كله للغلبة : غلبة الأقوى ، لا غلبة الأعدل ، غلبة الحيلة لا غلبة الصدق ، غلبة البراعة لا غلبة الحق

فهذه الشريعة هى شريعة إعزاز القوىّ، لأن القوة تسوّغه أن يتسلط ، وإذلال الضعيف، لأن الضعف تهالك به أن يتحكم، وليس بين هذين معدلة ولا نصفة ، وليس أحدهما من الآخر إلا كالثعبان من العصفور إذا عرض له ، فسلط عليه الرعب من عينيه ، فينتفض فى قبضة أشعتهما المفترسة المسمومة حتى يبرد دمه فلا يستطيع حركة ، ولا ينتفش بدنه بذماء من الحياة. هى الشريعة التى تجعل إنسانها القوى مقبرة لإنسانها الضعيف ، فالقوى أبداً آكل قد أرمّت فى نفسه تلك الجيف التى انتهشها وألقى بها فى معدته ، فتجيفت وتعفنت ، وتصاعدت أرواحها المنتنة فى حياته ، فجملته متسرّعاً نفّاذاً كأنما يريد أن يهرب بنفسه من نفسه التى لا يطيق جوها ، لأنه جو خانق ، تطوف فيه أشباح الفرائس المسكينة التى بطشت بها أنيابه ومخالبه

هذه الحضارة القاهرة التى تدنست روحها بالرم التى ضعفت أن تقاوم القوة ، لن تستطيع إلا أن تفسد العالم وتدنسه كما تدنست ؛ فإنه محال أن تكون الشريعة مدنّسة نجسة ، وتأتى الناس بخير طاهر مبارك يغسل أدران الإنسانية التى تتجمع عليها يوماً بعد يوم ، ولا أن تخرج نفس الإنسان فيها مع الفجر ندية مشرقة رفافة تستقبل بفضائلها أعمال نهارها

إن شريعة إعزاز القوىّ وإعلاء الأقوى ، وإذلال الضعيف وإسقاط الأضعف ، هى الشريعة الحيوانية التى لم تمل إلا بإذلال الروح والعقل وإسقاطهما ونبذهما ، هى شريعة البغى والعدوان على الروح بالروح الشيطانية ، وعلى العقل بالعقل المتمرد ، وكلما استحكم أمرها كانت الإنسانية ذاهبة إلى نبع نجس تنغمس فيه لتصدر عنه أقوى مما وردت ــ أى أنجس مما وردت

إن الكون لا يصلح إلا على معنى الأقوى والأضعف . هذا حقٌ لا يمارى فيه إلا مكابرٌ أو مبطل أو أحمق . ولكن يبقى ذلك العمل الإنسانىّ الذى يثبت للانسان معانى النبل المنحدرة فى روحه من نبل النور الأزلىّ الذى بث الحياة بثاً فى نفسه وفى أعماله ، وبهذا العمل وحده يعرف الإنسان معنى السعادة فى السراء والضراء ، وفيما أرضى وما أسخط ، وتكون حاله فى الحالين واحدة ، وذلك بأن تتسع روحه بالواجب الاجتماعى الروحى الذى يتراحب بإنسانيته فى الكون كله ، فتقع اللذة منها موقع الألم ، وينزل الألم فى منزل اللذة ، وتمسح النظرة السامية عن الوجود كل الغبار الأرضى الذى يغطى محاسن الحياة وتنير الكلمة ظلمة النفس : الحمد لله فيما سر وما ساء

والعمل الإنسانى المستمد روحه من الجزاء الإلهى فى الإنسان هو العدل والمساواة ، وقد جعلت الحضارة الحديثة معنى العدل والمساواة صدقة يتصدق بها أغنياء قوم على فقرائهم ، وأقوياؤهم على ضعفائهم ، لا على معنى الصدقة فى إخلاصها لله ثم للانسانية ولكن على معنى التخفف من تعب الغنى وتعب القوة

أما حقيقة العدل والمساواة ، فهى عمل الإنسان الأقوى فى رفع الإنسان الأضعف إلى مرتبته، فلا يزال هو يرتفع بقوته، ولا يزال الضعيف يسمو معه لأنه معقود الأواصر به . وإذا كان ذلك هو القاعدة فالاجتماع كله سام ذاهب إلى السمو ، ولا يكون فيه معنى للطبقات إلا على معنى التدرج ، ولا يكون التدرج إلا على تماسك وتواصل ، وليس تماسك ولا تواصل إلا على حرص الأعلى على التعلق بالأدنى ، وكذلك لا يرتفع شىء من المجتمع لأنه أعطى القدرة على الارتفاع ، ولا يسقط الشىء الآخر منه لأنه لم يجد ما يتعلق إذ حرم هذه القدرة أو زويت عنه أسبابها

وقد جعل الإسلام من أول أمره غرضاً للمسلم لا يرضى منه غيره ، ورد معنى الإسلام إليه ، فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقاعدة وقال للناس : اعملوا : فالمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه

أزر بعض . والإيمان لا يعرف الغنى والفقر ، والقوة والضعف ، والمراتب الحيوانية التى طبعتها الطبيعة على تنازع البقاء وغلبة الأقوى ، بل هو معنى يوحد الناس حتى ليس لأحد فضل على أحد إلا بقدر منه ، وحتى إن العبد المملوك العاجز ليرفعه إيمانه على من ملكه واستبد به واعتقد رقبته بماله ، إذا لم يكن هذا المالك قد استحق بإيمانه مرتبة هذا العبد

وفى بعض الصحيح من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء هداية إلى هذا الأصل ، فقد روى عن المعرور بن سويد أنه قال : لقيت أبا ذرّ بالربذة ، وعليه حلة وعلى غلامه حلة ، فسألته عن ذلك فقال : إنى سابيتُ رجلاً ، فعيّرته بأمه ، فقال لى النبى صلى الله عليه وسلم : يا أبا ذرّ ، أعيّرته بأمه ؟ إنك امرؤ فيك جاهلية !! إخوانكم خوَلكم ، جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ، وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم ، فإن كلفتموهم فأعينوهم

ولا ينتهى عجب متعجب من بلاغته صلى الله عليه وسلم ، وكيف ينزل كلامه تنزيلاً فى معانيه ، تدور بها دورة دائمة لا تنتهى على نظام ثابت لا يتبدل . فقدّم صلى الله عليه وسلم الأخوّة بين المؤمنين لأنها هى الأصل الذى لا يتم معنى الإيمان ولا معنى الإنسانية إلا به ، وردّ على هذه الأخوة ما يوجبه المجتمع من مراتب الناس على الغنى والفقر ، والقوة والضعف ، ألا وهى الخدمة التى يقوم بها النظام الاجتماعى فقال : « إخوانكم خولكم » ولم يقل : « خوَلكم إخوانكم » ، هذا مع أن أصل الخطاب إلى أبى ذر يتوجه إلى مقصود بذاته ، وهو خادمه أو غلامه الذى سبّه ، فكان أول ما يسبق إلى اللسان ، وأقرب ما يسرع إليه الوهم ، أن يتعين خادمه بالابتداء

ثم انظر كيف قال : « جعلهم الله تحت أيديكم » ، « فمن كان أخوه تحت يده » ؟ وكيف حرّر الإنسان من رقبة العبودية القابضة على عنقه ، فجعله تحت يده يستظل ويتحرك فى هذا الظل ، ولم يجعله فى يده يتصرف فيه ويقبض عليه ويستذله ، فإن شاء حطمته قبضته . ثم درّج على هذا الأسلوب البليغ حرفاً بعد حرف حتى قال : « فإن كلفتموهم فأعينوهم » ، وذلك زكاة القوة التى بها ملك المالك ، واستخدم المستخدم . فإذ كان المؤمن قد قوى على تكليف ضعيفه أن يعمل ، فهو أقوى على أن يشاركه إذا عجز أو قعد به الضعف الذى أصاره إلى أن يرضى أن يخدم نفسه من كان أعلى يداً وأقوى قوة

فهذه هى شريعة الروح الطاهرة التى تقطر من نواحيها رائحة جنة الخلد ؛ فانظر ما بينها وبين شرائع المعدة التى جعلت أحشاءها مقابر للضعفاء تأكل منهم لتتسع بمعنى الجريمة الحيوانية ، وتنقبض عن معنى الرحمة الإنسانية الإلهية

فهل يمكن أن يتطهر العالم فيما يستقبل من أيامه على أساس هذا الهدْى النورانى الذى جعل النظام الاجتماعى سموًّا بالإنسان كله على مراتبه كلها ؟ هل يمكن أن يفهم العالم حقيقة هذا التطهير التى أشار إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : « لا قدّست – أى طهّرت – أمةٌ لا يؤخذُ لضعيفها من قويها » ؟

ويلك آمن ... ! إن وعد الله حق

محمود محمد شاكر

٤ ـ إلى أرض النبوة !

[وصف وتأريخ لرحلة الوفد السورى إلى الحجاز ربيع ١٩٣٥ افتتح طريق الحج البرى للسيارات]

للأستاذ على الطنطاوى

إن من دأب العادة أنها تضعف الحس ، وتذهب بالانتباه . فالغنى الذى يلبس الحرير ، وينام على السرير ، ويركب السيارات ، ويملك (العمارات) لا يجد لذلك كله من اللذة ما يجد الفقير المعدم ، والبائس المحروم إن نال مثله ، والشبعان لا يدرك اللذة التي يتوهمها الجائع ، والصحيح لا يعرف لنعمة الصحة قدرها إلا إذا مرض ، فلا لذة فى الدنيا إلا فى التنقل والتبدل ، وألا تحمد على حال مهما حسنت فى ذاتها . وهذا ما أراده الشاعر حين قال :

ولذيذ الحياة ما كان فوضى ليس فيه مسيطر أو نظام

من أجل ذلك أحسسنا حين ذهبنا إلى غداء الأمير ، ورأينا عادات لم نألفها ، وطرائق فى الطعام لم نعرفها ، بلذة التبدل ، والاستمتاع بالجدة ، فما كاد يستقر بنا المجلس حتى أقبل العبيد فمدوا سماطاً على الأرض ، ووضعوا عليه قصعة هائلة كان يحملها منهم اثنان ، وقد ملئت رزاً وألقى فوقه خروف كامل بيديه ورجليه ورأسه ، إى والله . . . كأنهم (والله أعلم) خافوا أن نشك فيه فنحسبه دباً أو فيلاً أو قطاً ، فأبقوا على الرأس دليلاً قاطعاً على أنه خروف أصيل من أمة الضأن

وكان الخروف مفتوح العينين ، ناعس الطرف ، فأخذتنى الشفقة عليه ، وتوهمت أنه ينظر إلينا ، وأنه ... ... ثم رأيت أن لا مجال للوهم ولا للخيال ، وأن الوقت لا يتسع للأدب ، لأن القوم أحدقوا بالقصعة وشمروا عن سواعدهم ، ونظروا شزراً فعل من يقدم على معركة ، فخشيت أن يذهبوا بالرز واللحم ، ويبقى لى الخيال والوهم ، ومتى أفاد الخيال جائعاً ، أو أجدي الأدب على إنسان ؟

وكان أصحابنا يدورون بعيونهم يفتشون عن ملعقة أو سكين أو شوكة فما وجدوا شيئاً من ذلك ؛ وأبصروا القوم يأخذ أحدهم قبضة من الرز ، فيديرها فى كفه ، ويعصرها ، حتى يقطر منها السمن ، ويحركها كما يحرك اللاعب الكرة قبل قذفها ، حتى إذا اطمأن إلى أنها صارت كالقنبلة ، قذف بها فى حلقه ، فما استقرت بإذن الله إلا فى معدته ، لا تقف فى الفم ، ولا تمسها الأسنان ... وطفق أصحابنا ينظرون إليهم ويعجبون ، ثم أقبلوا يأكلون كما يأكلون ، ولبثت منتظراً أقول لنفسى وأنا أحاورها لأقنعها : من أين تأكلين إذا لم تجارى وتماشى ، وتستعدى لقبول كل ما تأتى به الحال ؟ وأنى لى تفكيرى ، إذ حانت منى التفاتة ، فوجدت القصعة قد تكشفت ، والخروف المسكين قد تناثر لحمه ، وبدت عظامه ... فمددت يدى آكل كما يأكلون ، وقد علمت أن شر طعام خير من الجوع ، والرز يتفلت من بين أصابعى ، والسمن يملأ كفى ، فإذا رفعتها إلى فمى ، نقط من مرفقى ، ولم يكف القوم ما كانوا قد وضعوا من السمن ، بل عمدوا إلى كؤوس يحملونها ، فملؤوها وصبوا ذلك أمامنا ، حتى ما نستطيع من كثرة الدهن أن نأكل ، ولم يكن الرز ليستدير فى يدى استدارته فى أيديهم ، بل كان يدخل بين أصابعى ، حتى أضطر إلى إدخالها جميعاً فى فمى ، وغسل وجهى كله بالسمن ...

وانقضى الطعام . ولا تسألنى : أشبعت أم لم أشبع ، كيلا يطول سؤالك كما طال فى هذه الرحلة عطشى وجوعى

ثم جاؤونا ونحن فى مجالسنا بطست عليه مصفاة قد وضعوا فوقها قطعة صابون وإبريق يصبون منه على أيدينا ، على نحو ما كان يصنع فى دمشق قبل عشرين سنة ، ولم تكن تلك طريقتهم فى الغسل ، وإنما يكون مثلها فى مجالس الأمراء والمتحضرين من العرب . أما البدو ، فيجزئهم الرمل . وقد بلغنا عن بعض البدو فى جهات الشام ، أنه إذا كانت وليمة أو غداء كالذى نصف ، خرج الضيوف فمسحوا الدهن الذى فى أيديهم بباب الخيمة . وعندهم أنه كلما ازداد عليها من الدهن ازداد كرم الرجل وفخاره ...

* * *

ثم خرجنا نجول فى البلد ، وقد علمت أى شىء هـذا البلد فاستقريناه كله فى ساعة ، ثم دخلنا المسجد ، فرأيناه دانى السقف قائماً على عمد دقاق من جذوع النخل ، جدرانه من الطين ، وأرضه مفروشة بالرمل ، لا بساط ولا (سجادة) ولا حصير ، فسألنا متعجبين ، فعجبوا من عجبنا ، وأنكروا سؤالنا ، وكأنهم استخفونا واستجهلونا ، لأن من المقرر عندهم (كما علمنا بعد) ، أن هذه هى سنة السلف ، وعليها مساجد نجد كله اليوم . وأنا رجل سلفى وهابى ، ولكننى لست من المتمسكين بحرفية النصوص ، ولا ممن يأخذها بلا فكر . وأنا أفهم أن المسجد فى الإسلام

يستحب فيه الخلو من الزخارف التى تشغل عن الصلاة ، وتطلب فيه (البساطة) ، ولكن البساطة مردها إلى العرف ، وليس مدارها على الرمل والطين . والذى أفهمه أن فرش المسجد بالبسط النظاف ، وتحوير جدرانه أو دهنها بلون واحد ، واتخاذ مكان فيه للأحذية حتى لا توضع حيث توضع الجباه ، ومدافىء للشتاء إذا كان البلد بارداً ، ومراوح كهربائية فى البلد الحار ، وإقامة مكبر للصوت فى مثل مسجد دمشق الذى يجتمع فيه اليوم لصلاة الجمعة أكثر من عشرين ألف مصلٍّ . كل هذا لا ينافى سنة (البساطة) ، وإن لم يفعله السلف للجهل به أو لعدم الحاجة إليه .

ومصيبتنا نحن المسلمين فى هذه الأيام أننا لا نعرف التوسط ولا الاعتدال ، فمنا من ينطلق وراء عقله وحده لا يتقيد بوحى ولا كتاب ، ومنا من يدع العقل والكتاب والسنة ليفكر بعقول من مضى من فقهاء القرن التاسع والعاشر ، أو يأخذ من الكتاب والسنة ، ولكنه يفهم بالحروف والألفاظ ويدع ما وراءها من المجاز والإشارة والحكمة والمصلحة ...

***

عدنا إلى الدار التى منحونا مفتاحها ، نتحدث ونسكت ، وننام ونفيق ، ونقرأ حتى نمل ، ونمل فنعود إلى القراءة حتى تصرّم النهار ونحن نظنه من ثقله شهراً . وقد عرضت مرة فى بعض مقالاتى إلى تحليل الحس بالحياة ، فكان من رأيى أن الحياة أصعب شىء على الإنسان ، وأنه لا يستطيع أن يحملها ، فهو يقطعها أبداً بحديث أو مطالعة أو عمل ، أو ما هو من ذلك بسبيل ، فإذا خلت حياته من شىء يشغلها عادت هماً وحملاً ثقيلاً . وكذلك كانت حياتنا ذلك اليوم فى (قريات الملح) . وكنا قد سألنا الأمير دليلاً ، وأقمنا ننتظره حتى جاء ، وإذا هو سيد من سادات (الشرارات) ، عُمَّار تلك الديرة ، والعشيرة صاحبة النفوذ فيها اسمه (صَلَبى) ؛ ولى فى صفته كلام فى أول قصة (أعرابى فى حمام) ما زدت فيه على الحقيقة وإن كنت قد أتممت القصة على الخيال ؛ فليرجع إليه من شاء ثمّة .

وقد أبدلنا الله بدرهمنا ديناراً حين صرف عنا الحاج غراباً الجاهل الجامد ، الحضرىّ الثقيل ؛ وجاءنا بهذا الأعرابى الفكه الظريف الذى أخذنا منه فوائد كثيرة ولمسنا فى صحبته السلائق العربية لمساً : الذكاء والوفاء والإباء ، والمنطق البليغ والذاكرة القوية والجواب الحاضر والصبر والإيثار . وأشهد لقد أحسن إلينا أمير (القريات) حين اختاره لنا ، فلما حضر تجددت عزائمنا ، فأعددنا ثقلنا ، وذهبنا نودع الأمير ونستأنف السفر ، وكان أهل البلد مجتمعين حول الدار التى نزلناها ، وكأن مجيئنا من الحوادث الكبرى فى تاريخ البلد . فمشينا بينهم ، ودخلنا الحصن ، فوجدنا الأمير قد أعد لنا مجلساً فى رحبته ، يشرف على الفضاء ، ودعانا إلى المبيت ، وألحف علينا ، وذهب يلتمس إلى إقناعنا الطرق ، ونحن نعتذر ونتملص ، لا أدرى أكان ذلك حياء من الأمير أن نطيل المكث فى ضيافته ، أم كراهية البقاء فى هذه البليدة الساكنة سكون المقبرة ، الخالية من كل شىء يشغل أو يسلى ، أم حماقة وطيشاً ولعل ذلك هو الأقرب ... فلما يئس منا عرض علينا العشاء فأبينا واجتزأنا بالشاهى نشربه إذ لم يكن منه بد ، وأخرجنا مما كان معنا حلوى من حلويات دمشق التى ملأت شهرتها الآفاق ، وعجزت عن صنع مثلها أيدى الطهاة ، فعرضنا منها على الأمير فطعمها فأعجبته وقال لنا ، إنه ما ذاق مثلها ، وخير ذلك ألا يذوقها فيعوده مذاقها الترف والنعيم ، ويسلبه روح الصحراء

وانتهى المجلس مع الغروب فقمنا إلى الصلاة ، ثم استقبلنا البادية القاحلة حيث لا نجد حاشا تبوك والعلا ، داراً مأهولة ، ولا منزلاً معموراً ، ولا نجد إلا الرمال والصخور والشمس الملتهبة ، والفضاء الأرحب ، حتى نصل بمشيئة الله إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم .

***

سرنا فما جاوزنا غير ساعة حتى أظلم الليل ، وتوعرت الأرض ، وتعذر السير ، فأمرنا الدليل بالنزول ، فنزلنا وجعلنا من عادتنا بعد ذلك ألا نسير إلا نهاراً ، وإن اضطررنا إلى مشى الليل اخترنا الإدلاج من آخره على السرى من أوله ...

وكان نزولنا فى أرض رخوة ما ألفينا لها إلاًّ ، فلما نصبنا الخيمة وبسطنا البسط وقعدنا إذا بها تعصر ماء ، وإذا هى سبخة من تلك السباخ التى يستخرج منها الملح ، فتفرقنا وأبعدنا رجاء أن نصيب أرضاً خيراً منها فما وجدنا ، فاسترجعنا وندمنا على ترك البلد ، والسفر ليلاً ، والإعراض عن دعوة الأمير ، وأمضينا الليل على شر حال ، منا من نام وسط الوحل ، وما السبخة إلا وحل . فأصبح يشكو الرثية (الروماتزم) أو يحس الأذى فى ظهره ، ومنا من لبث الليل كله فى السيارة لا يستطيع أن يتحرك أو يمد رجله ، ولقينا من الشدة ما ذكرنا معه بالخير ليلة (أم الجمال)

من فن

هذا الانسان ... أوجد الحضارات

« السمك والوحش والطير يأكل بعضها بعضا ، لأنها حرمت العدالة ، أما الانسان فقد منحه زيوس إياها وهي خير ما يمنح . . . »

أما أنا فأقول لكم لم لا يأكل الناس بعضهم بعضاً

في زمان سلف ، قديم كل القدم ، وفي مكان لا أعرفه تماماً ، كان يعيش أبو البشرية آدم وأمها حواء والابن البار هابيل ، والابن العاق قابيل

وفي يوم من الأيام ، بعد أن مل قابيل العمل وزهدته نفسه ، واستصغرته ، جلس على مرتفع من الأرض ، ومرفقه إلى ركبته ، وقد أسند رأسه إلى قبضته الضخمة . جلس قابيل مهموماً قبل أن تخلق الهموم ، مفكراً قبل أن يخلق التفكير . لقد مل العمل ومل الحياة ، وضاقت الدنيا على سعتها ، فلم تعد تحقق شيئاً مما يريد قابيل . ها هو ذا يعمل كل يوم . يذهب في الصباح إلى الأرض يصلحها ويبذر الحب فيها ، وإذا أعوزها الماء حمله إليها من أماكن بعيدة ، ثم إذا هو رأى حيواناً يعبث بماشية يرعاها أخوه ، سعى إليه وأرداه

كل شيء أمام قابيل سهل ميسور . إنه ما حاول يوماً عملاً واستعصى عليه . كل ما يراه خاضع ليده القوية . الأرض تتفتت في يسر وهو يضربها لتفلح . والحيوانات باتت تخاف رؤيته . والأمطار إذا شحت استطاع أن يحمل الماء من أماكن سحيقة دون أن يتعب ... كل شيء سهل ميسور إذا تناوله قابيل . فأية حياة فارغة هذه ؟

وفي تلك اللحظة مر هابيل يسير كعادته دائماً في سكون وبطء ، لاهياً عن كل شيء بشيء لا يفهمه أخوه ؛ إنه يأخذ الحياة كما وجدت ، لا يطلب جديداً ولا يتعب نفسه في هذا الطلب ، ولا يحس مللاً كما يحس قابيل

ثم هناك كبش هابيل ، لقد قبل عند ما قدمه قرباناً ، فنزلت النار من السماء والتهمته ، بينما لم يرفع زرع قابيل الذي قدم كما رفع كبش أخيه

وبعد ! فلابد إذن أن يكون هابيل شيئاً عظيما ، فقربانه قد قبل بينما لم يقبل قربان أخيه ؛ وكلاهما ابن لآدم وحواء . وهو لا يفكر كما يفكر قابيل وإنما هو لاه راض . إنه إنسان

رب ليل بكيت منه فلما صرت في غيره بكيت عليه

***

تبدل عليَّ كل شيء مذ فارقت (القُريَّات) ، فلقد كنت قبل أن أصل إليها أفكر فيها وأراها غاية سفري ، فصرت أمشي من بعدها لا أعرف لي غاية إلا تبوك ، وأين نحن من تبوك حتى نفكر فيها ؟ وكيف وبيننا وبينها أيام وليال ؟ وكنت آسف على فراق دمشق فصرت لا أفكر فيها إلا لماما ، وأحسست كأني منقطع حقاً عن العالم ، فلا بشر إلا الرفقة التي أصحبها ، وليس إلا الرمل والتلال والسراب مشهد نراه ، وكان عملنا كله التدقيق في الأرض ، والانتباه إلى الدليل ، لنجتنب الخوض في رملة ، أو المرور على شِعب ، أو الالتقاء بصخرة . ولقد كنت أنظر تارة إلى هواننا على الصحراء ، وأفاضل بين صغرنا وجلالها ، وفنائنا وبقائها ، فأحس الصغار ، وأشعر بالعجز ، ثم أنظر فلا أرى فيها إلا إيانا قد انفردنا بين شرقها والمغرب ، وانبسطت تحت أرجلنا وامتدت إلى الأفق البعيد ، ونحن نغزوها ونوغل فيها ، ونحمل حرها وبردها ، ولا نبالي شمسها ولا رملها ، فتغمر نفسي القوة ، وأرفع رأسي فخاراً ، وأتيه زهواً . . .

وكنا نسير النهار كله ، سيراً بطيئاً . وما أكثر ما نقف نخرج سيارة غاصت في الرمل ، أو نتحرى خير الطرق ، أو ننظر في (الموصلة) لنتبع أبداً الجنوب ، وكنا أبداً على استعداد للوثوب من السيارة . فإذا مالت الشمس واصفرت ، نزلنا فنصبنا خيمتنا وأكلنا وشربنا الشاي ... وأنا أحلف أني على ولعي بجمال الطبيعة ، وارتيادي الجبال والأودية ، ووقوفي بالعيون والينابيع ، ومقامي على الشواطئ وحيال الشلالات ، ما رأيت منظراً أجل ولا أجمل ولا أحفل بالعظمة والمتعة من أماسي الصحراء ، حيث تضطجع على تلة من التلال ، ثم تمد بصرك إلى الجهات الأربع فلا يحجزه حاجز ، ولا يقف في سبيله شيء ، فترى الشمس وهي تغيب في الأفق الغربي ، وظلام الليل وهو (يشرق) من الأفق الآخر ، والنجوم وهن يطلعن في السماء الصافية ، وتحس بلطف الليل ورقة نسيمه ، كما أحسست بجلال النهار وحدة شمسه ، ثم تقوم مع الفجر قوياً نشيطاً ، قد قبست من روح الصحراء روحاً جديداً ، لتستقبل الحياة بعزم جديد !

علي الطنطاوي

الفروق السيكلوجية
بين الأجناس
(RACES)

للأستاذ عبد العزيز عبد المجيد

تمهيد

قصدت بهذا التمهيد أن أقدم مجالة عامة عن مشكلة الأجناس البشرية والمفاضلة بينها، وألا أتعرض للبحوث العلمية التي أجريت منذ أواخر القرن الماضي لمعرفة الفروق بين الأجناس. وقصدت أيضاً أن أجمل موضوع اليوم ذا صبغة تاريخية اجتماعية حتى أريح القارئ قليلاً من مطالعة الحقائق العلمية الجافة، ولكنني إن أعفيته هذا الأسبوع من عرض الحقائق العلمية التجريبية فلن أعفيه منها في الأسابيع القادمة

ومشكلة الفروق الجنسية مشكلة قديمة كقدم آدم. لا بل إنها تبدأ به، وبالخلاف بينه وبين إبليس اللعين، فإنه لم يتحرج من إعلان احتقاره للجنس البشري حين أبى أن يسجد لآدم كأمر ربه. فقال الله تعالى: « ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي؟ أستكبرت أم كنت من العالين؟ قال: أنا خير منه، خلقتني من نار وخلقته من طين » ومن هذا اليوم ظهر الخلاف بين الجنس الناري والجنس الطيني، وهو خلاف جر مصائب على إبليس ومن تبعه، وعلى آدم وذريته من بعده، ولا يزال مثل هذا الخلاف الجنسي مبعث المحن بين بني آدم أنفسهم

ثم هبط آدم إلى الأرض وتفرق أبناؤه شعوباً وقبائل، واختلفت ألسنتهم وألوانهم، وبعدت صلتهم بأبيهم الأول، فتنافسوا وتحاسدوا، ووقعت بينهم العداوة والبغضاء، وذهب كل شعب يُدِلُّ بعَدده وعُدده، وحضارته وثقافته، ويفخر على الشعب الآخر، ويعيره قلة العديد وتأخر الحضارة. وكان ما كان مما حفظه لنا التاريخ والكتب المقدسة وما لم يحفظ

أقام بنو إسرائيل في مصر القديمة، وفلحوا الأرض، ورفعوا البنيان، وكثر عددهم، وقوى ساعدهم، وأصبحوا ذوى نفوذ وسلطان. فخشيهم فرعون ومن معه، ونظروا لهم شزراً واحتقاراً « واستعبد المصريون بني إسرائيل بعنف، ومرروا حياتهم بقسوة، واستعبدوهم واستخدموهم في الطين واللِّبِن، وفي كل عمل في الحقل. وكان كل عمل عملوه بتأثير الضغط والعنف ...[1] » ولم يكن مِنْفتاح بألين جانباً مع الإسرائيليين من سلفه رمسيس الثاني، فأذاقهم الأمرين لا لسبب إلا لأنهم غير مصريين، ومن جنس أجنبي، حتى إذا بلغ بهم البؤس مبلغه جاءهم موسى بعصاه، فأنقذهم من جناية جنسهم عليهم، ولاقى مِنْفتاح حتفه شر لقاء

ثم سار التاريخ سيرته في الشرق والغرب، فظهر الإغريق بحضارتهم وفلسفتهم وآدابهم، تلك الحضارة الإغريقية التي يعزى إليها — وإلى الرومانية أيضاً — فضل النهضة العلمية الأوربية

وحسب الأغريق أنهم شعب مقدس لا يصح أن يتزاوج مع غيره، ولا أن يختلط غيره به[2]. وسموا غيرهم من الشعوب همجياً ووحشياً. ولم يذكروا أن حروفهم الأبجدية إنما كانت عارية فينيقية، وأن مبادئهم الفلسفية نشأت في مصر. فتعصبوا

(١) سفر الخروج الاصحاح الأول الآيتين الثالثة عشرة والرابعة عشرة

(٢) أنظر جمهورية أفلاطون

آخر غير قابيل، إنه شيء غامض محاط بالسر ...

وتنهد قابيل تنهدة المحنق وظل يتبع أخاه النظر يسعى إلى الكوخ بجسمه الطويل المعروق والماشية تسعى من أمامه

هذا الإنسان الغريب الغامض لم لا يسبر غوره ويقيس قوته إليه؟

... ورويداً رويداً نزل الظلام؛ ورويداً رويداً امتد الزمن به. فقام أخيراً وقد أزمع أمراً

لقد وجد ميداناً جديداً تبرز فيه قوته. ولقد كان الظلام حليفه هذه المرة، لأن قابيل لم يستطع أن يبلغ مآربه إلا في الظلام!

ومضى الليل إلا أقله، وبينما كان آدم وحواء نائمين، وقف قابيل خلف أخيه، ثم رفع يده وهوى بها، فسقط هابيل، دون أن يتهيأ لهذه الفاجأة، لأن أخاه استعان بها كما استعان بالظلام!!

وهكذا استطاع قابيل أن يجرب قوته من جديد وقد نجح في ذلك

وبعد، أفتقدرون لم لا يأكل الناس بعضهم بعضاً؟ ذلك لأنهم يجدون ما يأكلون

« م . وهبة »

ضد غيرهم من الأجناس ، ودعوهم برابرة . وكانت كلمة Bàrbaros أول ما ظهرت ظهرت فى لغتهم [(١)] ، فأطلقوها على الرومان جيرانهم ، لأنهم كانوا من جنس غير جنسهم ، ولأن لغتهم اختلفت عن لغتهم ، ولأنهم كانوا دونهم فى الحضارة والثقافة ، ولم تلبث هذه الكلمة أن دخلت اللاتينية فاستعملها الرومان بدورهم ، وأطلقوها على الشعوب الأوربية التى كانت تتاخمهم كالصقلب والسكت والجرمان . وهكذا اعتبر الرومان — الذين كانوا يسمون برابرة — كل من لم يدخل ضمن نفوذ الإمبراطورية الرومانية بربرياً لأنه غير متحضر ، ولأنه من جنس دون الرومانى

لم تكن الحال فى بلاد العرب قبل الإسلام بأحسن منها عند الأمم الأخرى ، فبا الرغم من أن العربى يعتز بجنسه العربى كانت المنافسة بين عرب الجنوب وعرب الشمال تصل إلى العداء والقتال ، بل كانت الحروب بين العدنانيين أنفسهم لا تطفأ لها نار . وكان التعصب للقبيلة — التى هى الجنس بمعنى ضيق — من أهم أسباب هذه الحروب . وكان الفرد من البطن يفخر على ابن عمه من البطن الآخر بنبل أسرته وكرم محتده . وظل أثر ذلك إلى الإسلام . وها هو ذا جرير يهجو نميريا بقوله :

فغض الطرف إنك من نُمير   فلا كعباً بلغت ولا كلابا

مع أن كلاباً ونميراً كلاهما ينتمى إلى أصل واحد هو عامر ابن صعصعة الهوازنى

ما كان الإسلام دين تعصب أو جنسية . فقد كان الناس فيه سواسية كأسنان المشط . ولم يكن بين المسلمين فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى . وقد حافظ الخلفاء الراشدون على هذه المبادئ السامية ، فلم ينظروا إلى الشعوب المفتوحة نظرة الغالب القوى ، ولم يحطوا من شأن الأجناس التى خضعت لهم . بل لقد كان أول الشروط التى قدمها عمرو بن العاص إلى مقوقس مصر هو « إما دخلتم فى الإسلام ، فكنتم إخواننا وكان لكم ما لنا وعليكم ما علينا » . غير أن النعرة العصبية القديمة بُعثت فى عهد الأمويين الذين اعتقدوا أن العرب هم أفضل الأجناس ، وأن لغتهم أرق اللغات . ونظروا إلى الموالى وأجناسهم نظرة احتقار وازدراء . وكانت هذه سياسة خاطئة أثارت حروباً جدلية شعواء ، وكرهت الأجناس غير العربية — ولا سيما الفرس — فى حكم الأمويين فأخذوا يتلمسون الفرص للثورة والخروج على الولاة ، فانضموا إلى الخوارج والشيعة ، وآزروا دعاة بنى العباس ، فكان لهم النصر

ولم تكن هذه المفاضلة الجنسية بين العرب والفرس فقط ، بل كانت بين العرب أنفسهم عدنانيين وقحطانيين فى الشرق وفى الأندلس . وكانت اليقظة الشعوبية (فى بلاد فارس) أيام حكم العباسيين ، هى التى مهدت وجود تلك الدويلات التى مهدت لزوال الخلافة

وقد أسرف الشعوبيون فى الحط من شأن العرب ، فرموهم بالتأخر ، وأنه لم يكن لهم ملك يجمع سوادهم ، ويضم قاصيهم ، وينهى سفيههم . ولم تكن لهم قط نتيجة فى صناعة ، ولا أثر فى فلسفة ، إلا ما كان من الشعر ، وقد شاركهم فيه العجم . ورماهم ابن خلدون بالتوحش وتخريب العامر ، واستباحة أموال الناس نهباً ومغرماً

وفى أوربا استمرت الحروب الجنسية أثناء القرون الوسطى بين القوط والوندال ، وبين الجرمان والغال ، وبين السكسون والسكت ، وبين الاسكتلنديين والإنجليز . وهذه الحروب وإن كان بعضها للغزو والغنيمة إلا أن الجنسية كانت تشملها ، لأن الجنسية أو العصبية كانت دائماً العامل المشترك بين أفراد الفريقين المتحاربين

وفى أوربا الحديثة شاعت نظرية الجنس الأبيض والأجناس الملونة Coloured races ، واعتقد العامة — والمتعلمون أيضاً — أن الأجناس الملونة أحط من الجنس الأبيض فى الذكاء والاستعداد الفطرى للانتاج ، والاستعداد لتلقى الحضارة . ولعل الذى ساعد على انتشار هذه النظرية الحقيقة الماثلة ، وهى سيادة الجنس الأبيض الأجناس الملونة

وفى أمريكا — بلاد الديمقراطية — نجد الزنوج فى ولايات الجنوب موضع احتقار مواطنيهم البيض ، وهذا بالرغم من تفوقهم فى الزراعة والصناعة والرياضة

ثم ما هى تلك الحمى الجنسية الطائشة التى عبثت بعقول العلماء والساسة من النازيين فألفوا الكتب ووضعوا القوانين ليثبتوا

---

(١) أصل كلمة Barbarian عند الاغريق القدماء الأجنبى . ومنها كلمة بربر لسكان شمالى أفريقية . ويزعم بعض المؤرخين أنها من وضع العرب عند فتحهم لهذه البلاد ، والحقيقة أن الكلمة كانت مستعملة قبل الفتح العربى . فقد وجد فى النقوش المصرية القديمة التى يرجع تاريخها إلى سنة ١٧٠٠ وسنة ١٣٠٠ ق م كلمتان هما : بارابارا ، وبارابراتا ، وكل منهما اسم قبيلة من سكان ليبيا

أن الجنس الآرى أو الجرمانى هو أفضل الأجناس البشرية ، وأن الشعوب السامية — وهى مهبط الوحى ومنبع العرفان — شعوب منحطة لا حضارة لها ولا فن ؟

إن هذه الدعاوى العريضة بانحطاط بعض الأجناس وتفوق البعض الآخر ، وما ترتب على ذلك من كرب وحرب ، ومطاردة وعداء ، ما كانت لتستند إلى دليل من العلم أو برهان من التجربة ، اللهم إنها السياسة هى التى أحلت ذلك . والسياسة والعلم لا يتفقان . لأن العالم Scientist يحترم الحقائق لذاتها ، فلا يحابى ولا يتأثر بناية ، فهو فى أحكامه موضوعى objective بينما السياسى ذاتى subjective يضحى بالحقائق العلميـة فى سبيل مبدئه وغايته . ولذلك لا يكون — ولن يكون — العالم سياسياً إلا إذا طلق العلم

وسنستأنف حكم السياسة السابق على الأجناس أمام قضاة العلم فى المقالة القادمة إن شاء الله

(بخت الرضا — السودان) عبد العزيز عبد المجيد

إرادة الطفـــل

لجان جاك روسو

ترجمة الأستاذ عبد الكريم الناصرى

تكفلت فى إحدى السنين بتربية طفل « شقى » تعود تنفيذ كل ما يضطرب فى عقله الصغير من رغبات ، وما يجول فى قلبه البرىء من أمانى ، كما تعود أن يحمل غيره على تنفيذها إن لم يستطع هو. وقد عرفت فيه تلك العادة منذ اليوم الأول لتكفلى تربيته ، إذ أراد أن يجرب خلقى وذوقى ومجاملتى، فرأى أن ذلك لا يتم له إلا بمضايقتى وتكدير خاطرى . وبينما أنا غارق فى نوى فى منتصف الليلة الأولى ، إذا به يستيقظ من نومه ويجلس تحت سريره ، ثم يلبس (الروب دى شامبر) ويدعونى . فنهضت وأشعلت الشمعة، وسألته عن أمره وماذا يريد، فلم يطلب شيئاً، ولم يبد سبباً لنهوضه ؛ بل عاد إلى سريره واحتواه النوم بعد ربع ساعة ، راضياً عن تجربته ، مقتنعاً بحسن مجاملتى ، مبتهجاً لقوته وسلطانه ! وبعد يومين أعاد تلك التجربة بنفس النجاح ،

أما أنا فلم أبد أية إشارة إلى الضجر ، أو علامة على نفاد الصبر ، ولكنى قلت له حين عانقنى عند عودته إلى النوم : « إسمع يا صديقى الصغير . إن هذا حسن جداً منك ، ولكن لا تكرره ثانية »

وقد أثارت هذه الكلمة فضوله وهيجت منه حب الاستطلاع وأراد أن يرى كيف أجرؤ على عصيان أوامره السامية . لذلك لم يفته فى الليلة التالية أن ينهض فى منتصفها ويدعونى .. سألته ماذا يريد . فأجاب إنه لا يستطيع أن ينام . فأبديت أسفى الشديد وسكت. ثم رجانى أن أشعل الشمعة، فاستوضحته السبب، وصمت. عندئذ هب يدور حول الغرفة راكضاً ، صائحاً ، مغنياً ، ضاجاً صاخباً ، قالباً المناضد والكراسى، كل ذلك لإزعاجى والانتقام منى . ومع ذلك ، فقد نهضت بصمت وسكون ، وأشعلت الشمعة ، ثم تناولت صاحبى الظريف بيدى ، وأدخلته حجرة له مجاورة لحجرتى وتركته هناك بدون ضوء ، بعد أن أغلقت الباب عليه بالمفتاح ؛ ورجعت إلى فراشى بدون أن أتفوه بكلمة واحدة . ولا حاجة إلى القول بأن الضجة لم تنقطع بسرعة ، ولكنى أصغيت — بعد هدوئها — فعلمت أنه يرتب فراشـه ويستعد للنوم ، فاطمأننت وهدأ روعى . ولما كان الصباح دخلت غرفته فرأيته مستلقياً على فراش صغير وغارقاً فى نوم عميق

ولا تظن أن هذا الطاغية الصغير لم يكن يحسن من أنواع الشاغبة والمشاكسة إلا هذا النوع . كلا ، ففى أية ساعة يحلو له الخروج فيها ، يجب على المربى المسكين أن يكون مستعداً لاصطحابه — أو بالأحرى لمتابعته والجرى وراءه — وكان يُعنى عناية فائقة ويحتفل احتفالاً خاصاً باختيار الوقت الذى يكون فيه مربيه منهمكا فى أعماله أشد الانهماك ، كأنه يريد أن ينتقم منه على الراحة الذى اضطر فى الليل إلى تركها له

* * *

... لذلك لم يفته فى اليوم التالى أن يقطع على عملى ويطلب منى أن أصحبه ، وأترك ما أنا فيه من عمل بمزيد السرعة. فرفضت، ولـكن رفضى لم يزده إلا إلحاحاً وإصراراً ...

وأخيراً قلت له : كلا ! إفهم أنى حين أنفذ إرادتك ، فإنك تعلمنى أن أنفذ إرادتى أيضاً ... إنى لا أريد الخروج ! فأجابنى على الفور : حسن ! فإنى خارج وحدى !

قلت : « كما تريد » . . ورجعت إلى عملى متغافلاً عنه ... أخذ يلبس ملابسه مهموماً لأنى لم أنهج سبيله وأسلك مسلكه . ولما انتهى من لبسها حيانى تحية الخروج ، فرددت التحية ، وأراد أن ينذرنى الإنذار الأخير ، فأخبرنى صارخاً بأنه ذاهب إلى آخر الدنيا . فأجبته بأنى أتمنى له سفراً سعيداً وعوداً حميداً ... عند ذلك ازدادت دهشته ، وعظمت حيرته ، واشتد ارتباكه ، وطلب من خادمه أن يتبعه ، ولكن الخادم — الذى كنت قد حذرته من مرافقته وتنفيذ أمره هذا — قال إنه لا يملك من الوقت ما يسمح له بمصاحبته ، وإنه يراعى مصلحتى وينفذ أوامرى قبل أن يعنى بمصاحبته وأوامره ...

وكيف يعقل أن نترك طفلاً يخرج وحده وهو يعتقد أن الناس جميعاً مهتمون بأمره ، حريصون على إرضائه ، مستعدون لخدمته ؛ ويظن أن السماء والأرض مكلفتان بصيانته وحمايته . لقد أخذ يشعر بضعفه ويحس بعجزه ، ويفهم أنه وحيد وسط أناس لا يعرفونه ، ولا يقدرونه ، ولا يحفلون به . ويتمثل المخاطر التى سيلاقيها ، والعقبات التى ستعترضه فى طريقه ... ومع ذلك فقد ظل يلح فى الخروج

... نزل الدرج ببطء وذهول . ودخل الشارع ، معزياً نفسه بأن ما قد يصيبه من سوء تقع مسؤوليته علىّ . وبقيت أنا أراقبه وأتابع حركاته . وما كاد يتقدم بضع خطوات حتى سمع أصواتاً تتحدث عنه وتصل إلى أذنيه عن يمين وعن شمال

— إلى أين يذهب هذا السيد الجميل وحده ؟

— إنه تائه يا صديقى . أريد أن أرجو منه الدخول إلى بيتنا

— أنظر يا صاحبى إليه جيداً ! ألا ترى أنه (شقى) طرد من بيت أبيه لشقاوته وعناده ؟ دعه يذهب إلى حيث يشاء

— حسن ! ليصحبه الله ! إنى خائف عليه من المصير !!...

وما كاد سيدنا المتمرد يسير قليلاً حتى التقى بطائشين فى مثل سنه تقريباً ، راحا يغيظانه ويبهرانه ويضحكان منه ... وهكذا ، كلما تقدم وجد أصنافاً من المربكات وضروباً من المعرقلات ... لقد وضحت لديه قيمته عند الناس ، وعلم أنه وحيدٌ معدوم الحماية محروم السند ، ورأى سخرية الناس منه ، واحتقارهم له ، وأدرك مع الدهشة العظيمة أن عقدة كتفه الثمينة ، وحاشية كمّه الذهبية ، لم تنفعاه كثيراً أو قليلاً ، ولم تحملا الناس على احترامه وتقديره ، أو تضطرهم إلى مراعاة رتبته ومقامه !...

وكنت فى أثناء ذلك قد أرسلت صديقاً لى لا يعرفه ، ورجوته أن يتبعه على ألا يشعر به ، فاقتفى أثره مدة ، ثم استوقفه وراح يعظه ، ويهوّل له خطورة عمله ، ووقاحة فعلته ، ووخامة عاقبته حتى لان وارتدع ، وأحس بالخوف وشعر بالندم ، ورجع إلىّ مرتبكا مذهولاً خائر العزم مطأطىء الرأس تعلوه صفرةٌ وترهقه ذلة

ولكى يتمم أبوه الدرس ، ويجعله قاسياً لا يُنسى ، نزل فى الدقيقة التى رجع فيها ابنه بحجة الخروج ، والتقى به على الدرج ؛ وأدرك الطفل أنه لا مناصَ من أن يقول من أين جاء ، ولماذا لم أكن معه ... لقد كان المسكين يود فى تلك الدقيقة لو تفور به الأرض وتبتلعه ، على أن يجيب على تلك الأسئلة المحرجة ... ولكن أباه لم يطل فى تعنيفه ولومه ، بل قال له : « عند ما تريد الخروج وحدك ، أخبر مربيك . وإن عدت إلى فعلتك التى فعلت فإنك ظالمٌ نفسك – لأنى سأعدّك لصاً حقيراً ولن أقبلك ولا أسمح لك بالدخول فى بيتى ! »

عبد الكريم الناصرى

مسلمو رومانيـــا

للأستاذ يوسف ع . ولى شاه

مما يشرح صدر المسلم الناهض أنه إذا أطلق عنان تفكيره فى مجال شئونه الاجتماعية يشعر بوجود أخ محبب إليه يجرى فى عروقه دم يحمل عقيدته ؛ فإذا صح هذا الإطلاق يرى أمامه مسلمى العالم ، ويبين هذا التخيل بوضوح كيفية انتشار الإسلام فى كل بقاع الأرض

فمن نظر إلى خريطة القارة الأوربية مثلاً يلاحظ المسلمين فى كل مكان فيها ؛ ويرى من الإحصاء أن عددهم يزيد تدريجياً يسار الخط المستقيم الذى ينزل من فنلاندا مخترقاً أوربا الوسطى إلى قرية سنت نجير بأسبانيا

يسر المرء حينما يرى أن مسلمى أوربا قد شاركوا أهلها مدنيتهم وجروا معهم فى حياتهم النافعة المتمدينة مع محافظتهم على أصول الإسلام وروح التعاليم الخاصة به . ولكنه يأسف من جهة أخرى ، إلى حد كبير ، حينما يرى قوماً يريدون أن يهدموا حقوقهم مكتسحين حرية الفرد والجماعة . هذه مسألة تختص بالإمبراطورية الروسية وسنتناول بحثها فى دورها

ومن بين هؤلاء الذين رقوا إلى مستوى المدنية الأوربية مسلمو رومانيا الذين يقطنون فى منطقة اسمها دوبروجه موضع النزاع طوال عصور التاريخ

لمحة جغرافية عنها

هـذه المنطقة المزدهرة التى يسكنها الأتراك المسلمون فى رومانيا هى أحسن أرض وأوسع باب للحكومة الرومانية ، فتحت مصراعيها للعالم الشرقى والغربى معاً ، وهـذه البقعة قلما يوجد لجمالها الطبيعى ضريب فى جهة أخرى من أوربا ، على حين أن الشرق لا يعلم عن جمالها كثيراً ولا قليلاً ، وهى محاطة من ثلاث جهات بالماء ، ومن الجهة الرابعة تتاخمها هضبة كوادرى لاتر وغابتها ، ومحاطة بمياه الدانوب التى تحمل تحيات البلاد التى تخترقها ابتداء من منبعها الطبيعى فى الغابة السوداء ، ومغمورة بمياه الدانوب التى تكسوها هى والبحر معاً لباس الزينة الطبيعية ، وتبـدو كأنها نجمة نزلت ثم منطقت خصرها ترغب فى استقبال كل غريب شحب لون وجهه

أما أهميتها لرومانيا فهى كأهمية جزيرة القريم للامبراطورية الروسية ، تجرى بين عشبها الطبيعى الأنهر الصغيرة التى تزيد البلاد جمالاً ؛ وهى : طاش آولى ، إسلاوا ، تايتا ، وتليتا . فيها البحيرات الخمس الكبيرة بمجموعها مكان واحد مثل : رازيم ، غولوويشا ، إسمه يكا ، سينويه ، وكيثوك ، وفيها أيضاً بحيرات أخرى : طاهش آولى ، مامايا ، مانغاليا ، تكير كول ، وهذه الأخيرة بحيرة معدنية تستقبل كل عام عشرات الألوف من الأجانب المرضى يقصدونها للاستشفاء ... يفصلها عن البحر ممر إيفوريا بلدة جديدة أنشئت على أحدث طراز بشاطئ البحر الأسود للاصطياف فيها

فيها أيضاً جزائر مثل جزائر شاريه له ، بوكين ، داله رسكا ، إيفانه شت ، ومه لينوو . أما أهم المدن التى تواجه الأمواج المائجة للبحر الأسود فهى من الشمال : سولينا ، سنت جورج ، مامايا ، كوستنجة ، إيفوريا ، طوزلا ، منغاليا وبالجيق . ثم تنتهى حدود رومانيا جنوب بلدة نه كره نه بحوالى ثلاثة كيلات

الموارد الطبيعية للبلاد

يستخرج من أرضها الجير ومقره صراد خان وقانارا ، والرخام والأحجار المتينة لتشييد الأبنية ومقرها مورفاتلار ، طوبجا ، ماجين إغليتا وإيساجة

الثروة الزراعية

هى منطقة سهلة معدة للزرع من أولها إلى آخرها ، يساعدها المناخ ، ككل مكان فى أوربا الشرقية الجنوبية ، على نمو جميع النباتات . وأكثر ماينبت فيها من المزروعات القمح ، الشمير ، الشوفان الذرة ، الدخن ، الخردل ، الباقلاء ، عباد الشمس ، الدباء ، البنجر ، الجزر ، الخيار ، البطيخ ، الشمام ، البطاطس ، وسائر أنواع الخضروات . ومن كثرة اعتناء السكان بهذه المنطقة قد حالت اليوم إلى حديقة بجانبها بلابل تطرب وتتغنى لجمالها . ليس هذا نتيجة العمل فقط ، بل الفضل يرجع أيضاً إلى تربة هذه المنطقة لأنها ليست إلا امتداد التربة السوداء من سهول كه رسونه ى ، جزيرة القريم وآسترخان

الحرب فى أسبوع

للأستاذ فوزى الشتوى

ماذا بقى لفرنسا ؟

من كان يصدق أن فرنسا تقبل مثل هذه الشروط ؟ ومن كان يصدق أن وزارة المارشال بتان العسكرية تعتبر مثل هذه الشروط التى فرضتها ألمانيا على فرنسا شروط صلح شريف ؟ ولعله يتيسر لنا أن نقدر فداحة النكبة الفرنسية إذا فرضنا أسوأ الفروض ، ثم قارنا بين ذلك الفرض السيء وبين ما قبلته فرنسا الآن

وأكبر النكبات القومية إطلاقاً هى احتلال أرض الدولة ، ونزع السلطة من يد حكومتها . وهذا ما فعلته ألمانيا مع فرنسا . ألم تحتل ثلثى أرضها وجميع شواطئها الغربية

فماذا بقى لفرنسا ؟ أهى تلك الرقعة المحدودة المحاطة بجيوش الاحتلال من جميع جهاتها ؟ أم هى السلطة التى منحت لوزرائها على أن يعملوا تحت المراقبة الألمانية النازية ؟ أم هى المستعمرات التى فصلت عن أمها ولم يبق بينهما من رباط ؟ أم هى القيود التى فرضت على الصناعة والتجارة والحرية فى القول والعمل ؟ ماذا بقى لفرنسا إلا موجة الحزن والأسى وندب الماضى المجيد والكرامة المهدرة ؟

أنصار الهزيمة

لقد بكى الكتاب فرنسا ممثلة فى باريس ما وسعهم البكاء ، وشكوا إلى العالم ما أصاب عاصمة النور والحرية ما وسعتهم الشكوى ، ولسنا أنصار هزيمة ، ولا شكوى ، ولا أنين ؛ ولكننا نتعلق بحبال قوية من الأمل ، لا بخيوط ضعيفة من الرجاء ؛ فلم تضع الحرب أوزارها ، ولم يمل العدو شروطه بعد ، بل إن الأمر ما زال تحت حكم الجنيه الذهبى ، والعزيمة الصادقة

وإذا كانت دعوة أنصار الهزيمة قد طغت على بتان وفيجان ودارلان ، فألقوا بسلاحهم ، فما زالت دعوة أنصار النصر تطغى على دى جول وبلانشار وتشرشل . فالأولون شيوخ من أبناء المدرسة القديمة التى حطم من عزمها الفشل القريب ، والأخيرون من أبناء المدرسة الحديثة التى يقوى من عزمها ما تجد فى متناول يدها من موارد هائلة تكفى لكسب النصر ، وما تجد فى دمائها من قوة تحبب إليها الموت على حياة تخسر فيها شرف بلادها وكرامتها

وإذا كان الاحتلال مسلماً بأمره اليوم ، ومفروضاً فيه أن يستمر إلى نهاية الحرب ؛ فلسنا نجد مبرراً واحداً يتيح لوزارة بتان أن تتخلى عن القتال ؛ اللهم إلا إذا كانت شهوة الحكم بضعة شهور ، وهى شهوة لا تلبث أن تموت فى نفوس أصحابها إذا انقضت

فى روسيا . هذه التربة لها أكبر فضل فى إنماء النباتات ، لأنها تحتفظ بالمياه من فصل المطر إلى فصل الجفاف ، وهذا الجفاف يعوض قلة المطر فى هذا الفصل الأخير

أما الثروة النباتية فنجد الغابات ولا سيما فى هضبة كوادرى لأر أى ده لى أورمان كما يسميها الأتراك ؛ ونجد الأشجار على اختلاف أنواعها والحشائش التى ترعاها الماشية فى جميع أنحاء المنطقة

قيمة الثروة الاقتصادية : يستغل الشعب كل ثروتها ، ويديرها ويتصرف فيها كما يشاء يستخرج من كل قسم فى دوره مادة أخرى وتباع بثمن يساوى ثلاثة أضعاف ثمن أصله . وتجار البلاد يصدرون كل سنة ملايين من الأطنان إلى خارج القطر من ميناء كوستنجه ، لأنه تخزن فيها كل ما يحمل إليها القطار من داخل البلاد والبواخر من الدانوب ومن الأنهر الأخرى

هذه المنطقة التى تلخص البلاد الرومانية فى نفسها تبلغ مساحتها ٢٣٫٢٨٥ كيلومتراً مربعاً ، وهى مقسمة إلى شطرين قديم وجديد

وكل شطر من القديم والجديد فى دوره مقسم إلى قسمين ، أى سنجاقين

فدوبروجه القديمة مثلاً لها سنجاقان : الأول طولجا ، والثانى كوستنجه ، وهما فى الشمال . ودوبروجه الجديدة أيضاً لها سنجاقان ولكنهما فى الجنوب ، الأول كاليافرا ، والثانى دور وستور . ومراكز هؤلاء السناجق كالآتى : طولجا مركزه مدينة طولجا ، وكوستنجة مركزه مدينة كوستنجة ، وكاليافرا مركزه مدينة بازارجمة ، ودوروستور مركزه مدينة سلسترة . وهذه مدينة محصنة لها تاريخ مجيد مع الأتراك إذ اشتركوا فيها والجنود المصريون فى الدفاع عن هجوم الروسيين عليها

« يتبع »

يوسف . ع . ولى شاه

ساعة الشهوة وأنت ساعة التفكير في المصير، ولا تلبث هذه الشهوة أيضاً أن تنقلب إلى ندم وتكفير، حيث لا ينفع ندم ولا تكفير

شهوة الحكم

ونستطيع أن ندرك أثر هذه الشهوة في نفس بتان إذا عدنا إلى ماضيه. فقد حصل على مجد كبير، وتمتع باحترام لم يتمتع به فرنسي آخر، فهو البطل الذي احتفظ بفردان في أيدي الفرنسيين طول حرب سنة ١٩١٤ فكانت أخطر نتوء في صفوف الجيوش الألمانية، وكانت بمثابة المركز الذي أفسد عليهم سيطرتهم على خطوط مواصلاتهم. فهو رجل عظيم حقاً، ولكن عظمته عسكرية فحسب، فلم يتقلد مناصب الحكم، ولم يكن رئيس وزارة مرة واحدة. أفلا يتوق مثل هذا الشخص إلى أن يربط عظمته العسكرية بعظمة سياسية، ولا سيما وهو في آخر أيامه؟ أولا يتوق مثل هذا الرجل أيضاً إلى تخليد اسمه باشتراكه في هذا الحادث الفريد في تاريخ فرنسا؟ وهو تخليد مؤلم ولكن له مبرراته وخصوصاً في نظر الشيوخ.

فقد أصيبت الجيوش الفرنسية بخسائر فادحة، وانقضى الأمل في الدفاع عن فرنسا

وهو عذر كاف يرضي الشيوخ. ولكننا واثقون أن بيتان سنة ١٩١٤ لو وضع في مكان بيتان سنة ١٩٤٠ لما قبل هذه الشروط.

فالعزيمة التي ثبتت أربع سنوات وهي ترى بوادر الانحلال من حولها، والعزيمة التي قضت على مائة ألف ألماني في سنة ١٩١٤ ترفض رفضاً باتاً أن تخضع لانحلال يصيبها في ثلاثة أسابيع. ولكن هي الشيخوخة البالية، وحياة الرفاهية التي قضاها بتان في العشرين سنة الماضية بعيداً عن الحياة العسكرية جعلتاه ينظر إلى الموقف الحالي بمنظاره الأسود

الرأي العام الأمريكي

فالامبراطورية الفرنسية غنية ومازالت سليمة، والامبراطورية البريطانية غنية وما زالت سليمة، وأمريكا غنية، وإذا لم تدخل الحرب اليوم فستدخلها غداً؛ فإعداد الشعب الأمريكي للحرب يحتاج إلى سنوات، والشعب الأمريكي الآن مستعد لقبول فكرة الحرب أكثر منه في سنة ١٩١٤، وهو لم يدخل الحرب الماضية عقب هزائم الحلفاء الأولى، بل استمر بعيداً عن ميدان القتال سنتين تقريباً، فهل انقضت هذه الفترة ليقطع بتان الأمل؟

والمعروف أن نقطة الضعف في المحور الديكتاتوري هي إيطاليا فإن قوتها العسكرية، ومعداتها الحربية، وصبر جنودها على متاعب القتال، وانكشاف سواحلها لا تقاس بمثلها عند الألمان، ولهذا كان من القدر أن تصاب قواتها بخسائر فادحة تقضي على مقاومتها نهائياً وترغمها على التخلي عن ميدان القتال



تبين هذه الخريطة الممتلكات الفرنسية وما يجاورها من ممتلكات الدول المتحاربة

ما خسرته الحرب

أدى تسليم فرنسا إلى تغيير كبير في الموقف، فلو استمرت في الحرب لنقلت قواتها البرية إلى ممتلكاتها في شمال أفريقيا، وهي تقدر بالملايين مما يسهل الاستيلاء على ليبيا وحصر إيطاليا في الشمال وألمانيا في أوربا، وتنفذ سياسة الحصر البحري والمناوشات الحربية البرية والجوية كلما سنحت الظروف إلى أن تنهار قوات المحور؛ وعلى العموم لم يؤد تسليمها إلى تغيير خطير. فقد أعلنت الممتلكات الفرنسية تصميمها على القتال، مخالفة بذلك قرار حكومتها، فإن الجندي الفرنسي يأبى التسليم بمثل هذه الشروط ولا سيما إذا كانت قواته سليمة كما هي الحال في تونس ومراكش وسوريا ولبنان

وخسرت انجلترا بقبول فرنسا الشروط الصلح شيئاً واحداً، وهو القوات المحاربة الموجودة في فرنسا، ولكن المستعمرات

لا تلبث أن تمد قوات غيرها ، وقد أعلنت بريطانيا استعدادها لإمدادها بالعتاد الحربى اللازم ، ومن مصلحة انجلترا أن تضم إليها فى القتال هذه البقاع من الأرض لتحتفظ بمركزها العسكرى فى البحر الأبيض المتوسط ، فإن الشاطئ الأفريقى فى غربه فى يد الممتلكات الفرنسية ، وضمان موالاته لبريطانيا له أهميته لثلاثة أسباب

أولاً — الاستناد إلى قواعده فى تونس والجزائر

ثانياً — ضمان حياد طنجة ، وهى البقعة المواجهة لجبل طارق وقد احتلتها أسبانيا فى المدة الأخيرة بالاتفاق مع فرنسا ، وكانت من قبل بقعة محايدة

ثالثاً — تونس ، ولها أهمية ممتازة لأن استيلاء إيطاليا عليها معناه شطر البحر الأبيض إلى قسمين ، وبالتالى منع المواصلات بين شرق البحر وغربه ، أو منع الصلة بين قنال السويس وجبل طارق

الأسطول البحرى

ويلى المستعمرات الفرنسية فى الأهمية الأسطول البحرى الفرنسي ، ولم ترد إلينا حتى الآن أخبار عما حل به ؛ وإن كان الجنرال دى جول صرح بأنه تلقى وعداً من قادته بمواصلة القتال . والمعروف أن هذا الأسطول لم يكن وحيداً ، بل كان موزعاً فى عدة أماكن مع الأسطول البريطانى ؛ فإذا حاولت قطعه الانسحاب وتنفيذ أوامر حكومة بوردو ؛ فإن الأسطول البريطانى يتولى إغراقها حتى لا تكون تحت سيطرة الأعداء

وفى اعتقادنا أن ربابنته لا يقلون وطنية عن الألمان ، فإذا كان الألمان قد فضلوا إغراق أسطولهم فى حياة سكابافلوا فى سنة ١٩١٤ ، عند ما شعروا بأنه سيسلم إلى انجلترا ، فإن الفرنسيين لن يتركوه غنيمة سهلة لأعدائهم . ولاشك أنهم يفضلون القتال إلى جوار حلفائهم الإنجليز على إغراقه أو تسليمه ؛ ولهذا فمن السهل أن ندرك أنه سينضم إلى الأسطول البريطانى فى دفاعه عن قضية الديمقراطية ، ولإعادة حرية فرنسا إليها ، فإن نصر بريطانيا الآن هو الأمل الوحيد للفرنسيين الأحرار

والأسطول الفرنسى أسطول قوى حديث تمتاز وحداته بسرعتها ، كما يمتاز رجاله بفهم دقيق لفنون القتال البحرية . به مدرعات خفيفة لا يوجد ما يماثلها فى أساطيل الدول الأخرى ، وبه غواصات ضخمة تستطيع تحمل السير فى المحيطات ؛ ويكفى أن نذكر أن حمولة الغواصة سيركوف مثلاً ٢٨٨٠ طناً بينما الغواصات الأخرى قد لا تصل إلى نصف هذه الحمولة

ويتكون الأسطول الفرنسى من القطع الآتية :

سفن قتال	٧
حاملات طائرات	١
مدرعات ثقيلة	٧
« خفيفة	٤٣
مدمرات	٦٩
غواصات	٨٧
المجموع	٢١٤

وعد بالنقض

وأشرنا فى مقالنا الماضى إلى المناورة البارعة التى أذاعتها الحكومة البريطانية حينما أعلنت استعدادها لاتحاد الجمهوريتين البريطانية والفرنسية ، وقد أنتجت هذه المناورة، فلم يتيسر لمندوبى هتلر أن يعلنوا فرنسا بعزمهم على الاستيلاء على الأسطول الفرنسى ، بل اكتفوا بإعلان تجريده من السلاح ، كما أعلنوا أنهم سيتركون بعض قطعه للدفاع عن المستعمرات الفرنسية

وبديهى من تتبع الوعود والاتفاقات النازية أن هذا الكلام لا يتجاوز الورق الذى سطر عليه ، ولكن الغرض الأساسى منه هو استدراج هذه الوحدات إلى مناطق السيطرة الدكتاتورية ، فإذا أصبح فى متناول يدهم تأتى قصاصة الورق ويشترك الأسطول فى الأعمال الحربية الدكتاتورية ، فإن ألمانيا وإيطاليا فى أشد الحاجة إلى مثل هذا الأسطول لتعزيز قوتهم البحرية ، وليس من المعقول أن تهددهم بريطانيا بأسطولها ويكون تحت سيطرتهم أسطول يتركونه تنفيذاً لاتفاق لا يوجد ما يرغمهم على تنفيذه ، ولاسيما أن سوابق هتلر تدل على أنه إذا وعد اليوم وعداً ينقضه غداً

ويمكننا أن نرى فى شروط الهدنة نفسها بوادر هذا النقض فهى تقول فى المادتين الثامنة والتاسعة : إن الأسطول يستخدم فى الرقابة الساحلية والتقاط الألغام .

ومعنى هذا عسكرياً أن الأسطول الفرنسى يستخدم فى الأعمال الحربية لسببين :

١ — إن شواطئ فرنسا كلها فى أيدى الألمان ، فهو فى هذه الحالة يدافع عن قواعد ألمانية من حق بريطانيا ضربها ومن واجب الأسطول الدفاع عنها

٢ — تتجاوز الرقابة الساحلية الأعمال الإقليمية لأن أحد أركانها مراقبة حركات القوات المادية وتدميرها كلما سنحت الظروف .

وهذا يفسر أن ألمانيا وضعت شروطاً مطاطة تبيح لها استخدام الأسطول على أوسع صورة ممكنة .

الأسطول الجوى

ننتقل بعد هذا إلى أداة قتال أخرى يسهل نقلها ، وهى الأسطول الجوى الفرنسى . فمن الراجح أن كثيراً من أسرابه ستغادر قواعدها للانضمام إلى قوات بريطانيا ، ولا نكون مغالين إذا قلنا إن بعضها قد غادر مطاراته فعلاً . فإن تمرد الضباط الفرنسيين على قرارات حكومة بوردو شمل جميع القوات والساسة وتناول المسيو رينو رئيس الوزراء السابق مما لا يدع مجالاً للشك أن كثيرين تبعوه مقتنعين بصحة رأيه

وفى شمال أفريقيا ؟ !

ويجدر بنا ألا نختم هذا المقال قبل أن نقول رأينا عن الموقف العسكرى فى شمال أفريقيا ، فهو موقف يستدعى التفكير . فالوعود الدكتاتورية لا يحدها اتفاق ولا قانون ، وأحلام موسولينى بالأمبراطورية الرومانية حية زادتها الانتصارات الأخيرة قوة ، فإذا كانت حركاته العسكرية فى أفريقيا نائمة الآن ، فلسببين :

أولهما : ضعف استعدادها فى ليبيا بسبب اشتغالها فى الحرب فى أوربا ، ووجود جماعة العرب المتمردين فى ليبيا

ثانيهما : حر الصيف وطول الصحراء ، وخلوها من الماء مع شدة الحاجة إليها لرى عطش الجنود ، وكثرة المقادير اللازمة لرى هذا العطش فى الصيف عنه فى الشتاء

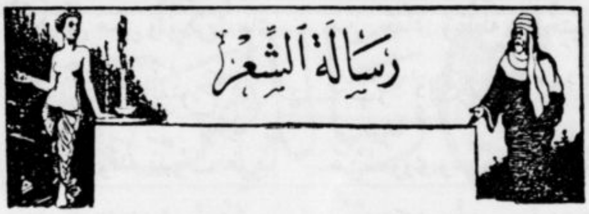
فإذا زال هذان السببان فلن نلبث أن نرى الحركات على أشدها فى شمال أفريقيا مستندة إلى قواعد إيطاليا فى ليبيا . وهذان السببان لا يلبثان أن يزولا بزوال الصيف وقدوم الشتاء

فقد خلا الميدان الأوربى من القتال ، فيسعى الأسطول الإيطالى لنقل القوات الألمانية والإيطالية إلى ليبيا بتلك الأعداد الكبيرة والمعدات الهائلة .

وطبعاً يحرص الأسطول البريطانى على عرقلة هذه الصلات ، ومنع وصول القوات إلى ليبيا

فإذا تيسر لقوات الحلفاء الاستيلاء على ليبيا قبل قدوم الشتاء فإن الموقف العسكرى فى شمال أفريقيا يصبح مضموناً ولا يقلق الناس إلا إغارات الطائرات وهى كما قلنا لا توصل إلى نصر عسكرى حاسم .

فوزى الشتوى
بكالوريوس فى الصحافة



أنشـــودة

للأستاذ خليل شيبوب

سَكَنَتْ مابين جفنيكِ السماءْ   وَكَسَتْ خدّيكِ أنوار الشفقْ
فإذا وجهُك رفّافُ الضياءْ   بُهِتَ القلبُ إليـه وَخَفَقْ

راعَ قلبى الحزينْ
فرطُ هذا الحنينْ
آه لو تعلمينْ

حسنُكِ المُبْدَعُ من سحرٍ ونورْ   عطرَ الدنيـا وحلاّها ليا
فإذا غيرُ الهوى فيها غرورْ   وسوى حسنِكِ يبدو داجيا

هُوَ لحنُ السنا
أنشـدته المنى
فسبى الأعينـا

أنصِتى فالليـلُ يهفو عاطراً   ويموجُ الصمتُ فيه والصدى
واسمعى رفرفةَ القلبِ به   طائراً بالدمعِ غنّى وشـدا

خافقاً فى الظلامْ
حائراً مستهـامْ
يكتوى بالغرامْ

كلُّ من يهوى سوى قلبى يرى   فى الورى معبودةً يألفُهـا
فتعالَيْ إنّ لى أمنيةً   أتُرَى قلبُـكِ لا يعرفها

أنتِ روحى والرجاءْ
أنتِ دائى والدّواءْ
وشـقائى والهناءْ

إيه يا مُنيـةَ عمرى حقِّقِى   مرّةً فى العمر لى حُلْمَ الحياه
آه من عينيكِ كم قطّعتا   مهجتى، أوّاهُ من عينيكِ آه

سأموت... اسلَمِى
فاسمعِـى وافهَمِى
وانظُـرى وارحمى

خليل شيبوب

بين عهـــدين

الأديب فؤاد بلبيل

يا زَمانَ الهوَى وعهدَ الوِصالِ   مَنْ مُعِيدٌ تلكَ الليالى الخَوالي
حينَ كانَ الفؤادُ حُرًّا طَليقاً   نَاعِمَ البالِ خالِيَ البَلْبَالِ
طائرٌ وكرُهُ على كلِّ غُصْنٍ   وَهوَاهُ مِلءُ الرُّبى والتّلال
غَيْرُ وَقْفٍ عَلَى غرامٍ وحيدٍ   أوْ أليفٍ فرْدٍ وَحُبٍّ حلاَل
أوْ مِثالٍ مِنَ الجمالِ فَريدٍ   فَلَهُ فى الجمالِ ألفُ مِثال
شاعِرٌ هامَ بالمحاسِنِ حتى   باتَ فى الوَجْدِ مَضْرِبَ الأمثال
يَنْشُدُ الحُسْنَ حَيْثُ لاحَ لِعَيْنَيْـهِ أفى البِيدِ أو أعالى الجبال
يتصدّى لهُ ولو صِينَ بالبِيـضِ سَناهُ وَحُفَّ بالأهوال
يتصدّى لهُ على كلِّ صَدْرٍ   كاعِبِ النهدِ غيرِ سَهْلِ المنال
وعلى كلِّ مَبْسِمٍ يَشتهيهِ   أوْ قَوامٍ مُرَنَّحٍ مَيّال
سابحٌ فى الفضاءِ يَمْرَحُ زَهْوًا   بين حلٍّ على الهوى وارتحال
يتغنّى على الأراكِ طَرُوباً   مَرِحَ النَّفْسِ مُطمَئِنَّ البال
هَمُّهُ فى الحَياةِ أن يَطْرَحَ الهـمَّ بعيداً لِعابدى الأموال
مُسْتَخِفًّا بالعَيْشِ جدَّ قنُوعٍ   فَهْوَ فى عُسْرِهِ سَعيدُ الحال
يَشْتَكِى الفقْرَ والكَفافَ سِواهُ   وَهْوَ بالفقرِ والكَفافِ يُغالى
تَمْلِكُ الأُفْقَ والنُّجُومَ يَداهُ   فلِماذا يَشْكُو مِنَ الإقلال ؟
كلُّ ما فى الوُجودِ يَدْعُوهُ لِلصَّفْوِ وَيَحْدُو على الهوى والوصال

فَجَمالُ الرَّبيعِ والزَّهْرُ والدفْـ ـء وسِحْرُ الأسْحَارِ والآصال

وخريرُ الغُدْرَانِ وَهْيَ شَوَادٍ واعْتِنَاقُ الأدْوَاحِ والأدْغال

كلُّ ما فى الوُجُودِ مِلْكُ يَدَيْهِ مِنْ جَمَالٍ وَرِقَّةٍ وَكَمَال

فَلِمَنْ هذه النُّجومُ الدَّرارى ؟ وَلِمَنْ تِلْكُمُ الشُّمُوسُ اللآلى ؟

وَلِمَنْ هذه الوِهادُ الزَّواهى ؟ وَلِمَنْ تِلْكُمُ الجبالُ العَوَالي ؟

وَلِمَنْ هذه السَّواقى السَّواقى دافِقَاتٍ بالسَّائغ السَّلسال ؟

وَلِمَنْ ذلك الفَضا المُتَرَامى وَمُحَيَّا الضحَى وَوَجْهُ الهلال ؟

وَلِمَنْ هذه النَّسَائمُ تَسْرى سَرَيَانَ الحَياةِ فى الأوْصال ؟

وَلِمَنْ هذه الطُّيورُ الشَّوادى ؟ كلُّ هذا لهُ فَكَيْفَ يُبالى !

هكذا كان فى عهود صِبَاهُ ذَا خِلالٍ أَعْجِبْ بها من خلال

ذهبىُّ الأحلامِ غيرُ جَزُوعٍ رَابِطُ الجأْشِ عبقرىُّ الخيَال

كلُّ يومٍ لهُ غَرَامٌ جَدِيدٌ وَجُنُونٌ بِبَارِقٍ مِنْ جَمَال

وَفَضَاءٌ مِنَ الأمانِىِّ عَذْبٌ يَتلاَقَى فيه الهدَى بالضَّلاَلِ

وَعُهُودٌ مِنَ الهَوَي خالداتٌ وَلَيالٍ أَخْبِبْ بها من ليال

وَمجَالٌ مِنَ المُجُونِ ظَرِيفٌ أين منه بَهَاءُ كلِّ مَجَال

وَرَنِينُ الأوْتَارِ تَحْسَبُهُ السِّحْـ ـرَ، وَسِرْبُ المَهَا وَوَحْيُ الدَّلال

وَنُزُولٌ فى كلِّ يومٍ بِرَوْضٍ عَطِرِ الزَّهرِ سُنْدُسِىِّ الظِّلال

وَفُؤَاد بما يكنُّ سعيدٌ صادقُ الوَجْدِ باسِمُ الآمال

واصْطِحَابُ الكِعَابِ مِن كل خَوْدٍ جَمَّةِ اللُّطفِ مِنْ ذَوَاتِ الحِجَال

يتناقلْنَ شِعْرَهُ هَزِجَاتٍ هَزَجَ الوُرْقِ فى ظِلاَلِ الدَّوَالى

وَكئُوسُ الطِّلاَ تُدَارُ عَلَيْنَا مُشْرِقَاتٍ بالبَابِلِىِّ الزُّلاَل

وَعُيُونٌ صَوَامِتٌ نَاطِقَاتٌ وَقُدُودٌ مَيَّاسَةٌ فى اعْتِدَال

وَنُهُودٌ وَلاَ تَسَلْ عَنْ جَنَاها مُثْقلاتٌ بالحُسْنِ غيرُ ثِقَال

ذَاكَ عَهْدٌ مِنَ الشبابِ تَوَلَّى لَيْتَهُ لَمْ يكنْ رَهِينَ زَوَال

وَفَتًى صِيغَ من شُعَاعٍ ونُورٍ فبَغَى ، فاغتَدَى من الصَّلْصَال

وإذا بى قد استَحَلْتُ إلى غَيْـ ـرى وَجُرِّدْتُ مِنْ قَدِيمِ خِلاَلى

أنكَرَتْنى نفسى وَأنكَرْتُ مابى مِنْ جَفَاءٍ وَغِلْظَةٍ وَاخْتِيَال

لمَ أَعُدْ ذَلِكَ القَنُوعَ عَلَى الْـ ـحُبِّ ولا ذلكَ الطَّرُوبَ الخالى

وإذا بى وَقَدْ غَدَوْتُ غَرِيباً عَنْ شُعُورى وعن رَقِيقِ خِصَالى

وإذا المالُ لا يُعِيدُ قُنُوعى مِثْلَمَا كان أَوْ يُزِيلُ مَلالى

وإذا الدَّهرُ لا يردُّ صفائى وانقيادى لِصَرْفِهِ وَامْتِثَالى

وإذا الكَسْبُ لا يُخَفِّفُ مَابى وإذا اليُسْرُ لا يُحَقِّقُ فالى

وإذا النهرُ لا يَبُلُّ غَلِيلى لا ولا الكونُ كله لو غَدَا لى

وإذا الهَمُّ يَحْتَوِينى وَيَأْبَى طَمَعى الجمُّ أَنْ يَفُكَّ عقالى

وإذا الرَّوْضُ قد تَعَرَّى مِنَ الْـ ـحُسْنِ فلا يرتدى سِوَى الأسْمَال

وإذا الفَجْرُ لَمْ يَعُدْ فيه ما كنـ ـتُ أَرَاهُ مِنْ رَوْعَةٍ وَجَمَال

وإذا الأُفقُ ضَيِّقٌ مُكْفَهِرٌ وإذا البدْرُ شَاحِبٌ فى هُزَال

وإذا الزهرُ والخمائِلُ وَالوُرْ قُ تَنَكَّرْنَ لِلفُؤَادِ السَّالى

وإذا الكونُ خِسَّةٌ وَرِياءٌ وَمَيَادِينُ شَهْوَةٍ وَاخْتِيَال

وإذا لم يَعُدْ يُشَنِّفُ سَمْعى مِنْ غِنَاءٍ سِوى رنينِ (الرِّيال)

وإذا بى وقد رجعتُ إلى الطيـ ـنِ وَأَصْبَحْتُ مِثْلَ باقى الرجال

حَدَّثُونَا عَنِ الزْواجِ حَدِيثاً حَسَنَ السَّبْكِ شَائِقَ الأقْوال

فَأَخِذنَا بِبَارِقٍ من سَنَاهُ وَسُحِرْنَا بِمَنْطِقٍ خَتَّال

وَبُهِرْنَا بِمَظْهَرٍ مِنْهُ عَذبٍ وَمُنِينا بِمَخْبَرٍ قَتَّـال

فَوَقَعْنَا فيما خَشِينا وكنَّا عَنْ مَرامِيهِ فى غِنًى واعتزال

فاضطُرِرْنا إلى الخضُوعِ وَبُؤْنَا مِنْهُ بالهمِّ والأسَى والنَّكال

قَدْ طَمِعْنَا فى كلِّ شىءٍ رَخِيصٍ فَفُجِعْنَا بكلِّ شيءٍ غال

(دار الأهرام) فؤاد بليبل

حكم استئنافياً بتغريم عبد العزيز شحاته البقال بالسيدة بالقضية نمرة ١٨٨ تسميرة نمرة ٤٠ استئناف ١٦٨١٩ بجلسة ٤ يونية جنيهاً لبيعه كبريتاً بأزيد من التسميرة



بواطن وظواهر

... وعندنا فنانات أيضاً

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

لا شك في أن المرأة إذا أخلصت للفن سادت فيه، ولكن المرأة تدخر فنها دائماً لنفسها، فهو سلاحها في الحياة لا تلقيه للناس لأنه لا سلاح لها غيره. ولكن الحياة ترغم بعض النساء على الفن، فمن رضي الله عنها عندئذ أخلصت لفنها وأطلقت نفسها فيه فسمت، وإلا فهي مذبذبة بين الفن وحياة الواقع، فهي كمثل من يحترف حرفة يأكل منها الرزق حلالاً وإن كان يرجو النجاة منها ...

وفي مصر — كما في كل بلد — كثيرات من محترفات الفن وإلى جانب هؤلاء قليلات من المخلصات

السيدة منيرة المهدية

حرفتها الغناء وفنها التمثيل. وأستطيع أن أقول بلا تحفظ إنها الممثلة الأولى في مصر. وليس عجيباً أن تكون كذلك، فقد قضت منيرة زمناً كانت فيه السادة المصرية الأولى، وكان سعيداً من يحظى منها بتحية، ومحسوداً من تناجيه بكلمة راضية. ولم يكن جمهور منيرة من التلاميذ ولا الصبيان، وإنما كان من كبار الناس الظاهرين في البلد، الناجحين في أعمالهم المفروضة أشخاصهم على الشعب. وكان على منيرة أن تسوس جمهورها ومن وراء جمهورها من أفراد الشعب، وكان عليها أن تكسب رضاءهم جميعاً، وعطفهم جميعاً، وإعجابهم وتحمسهم. ولم تكن منيرة لتستطيع هذا إلا بالتمثيل، فهو الذي كان يمكنها من أن تضحك للنكتة السخيفة إذا ألقاها باشا من الباشوات جبراً لخاطره وستراً لسخفه، والتمثيل هو الذي كان يمكنها من أن تلتوي تدللاً على مثر من الأثرياء إذا هجر صالتها أو مسرحها زمناً فلم يتردد ولم ينفق في البار ما يقوم بنفقات الفن ... فإذا هو بعد التوائها مقيم في البار، آناء الليل وأطراف النهار ... يريد أن يسترضيها

منيرة ممثلة هائلة: وهي مغنية ممتازة إذا غنت، ولكنها لا تغني كلما غنت

سمعتها يوماً في رواية «الغندورة»، وكانت تنشد اللحن الأخير من ألحان الرواية، وقد عرف الجمهور أن هذا اللحن هو اللحن الأخير فأخذ الناس يتسللون مغادرين المسرح، ووقف بعضهم يستمع اللحن متهيئاً للخروج بعد الفراغ منه ومتحرجاً من الخروج قبل الفراغ منه ... وإذا بمنيرة «تنسجم» فجلس الذين كانوا واقفين، وعاد الذين كانوا يتسللون خارجين، وفاضت في الحضور جميعاً نشوة من الطرب نفثتها منيرة سحراً ... وكنت أنا من أشد المنتشين بغنائها، وكنت أحملق فيها وأنا أسمعها فكنت أراها كأنما هي سكرى تترنح في ثبات رهيب ... إي وحياة تلك الليلة كان ثباتها في سكرتها تلك رهيباً ...

الآنسة أم كلثوم

فتاة حادة النفس كأنها فتى، هبطوا بها من الريف إلى القاهرة ليستغلوا مواهبها، فتيقظ عقلها، والتهب تفكيرها رغبة منها في المحافظة على كيانها، وفي تحقيق أحلامها، وكان من آثار هذا أن اختلق عقلها سوء الظن بالناس دفاعاً منها عن مجدها واسمها ونفسها، وصاحبَ هذا شيء من الحرص الشديد على مالها، كما داخلها بعد ذلك شيء من الاعتداد بمكانتها

هي فنانة بالفطرة، تحب الجمال على نحو ما يحبه الرجال الفنانون، وهي تنحدر في ذلك إلى ما فوق نزعات المرأة حتى لترنح ارتياحاً وانبهاراً إذا رأت فتاة حسناء. وليست النساء هكذا، فالمرأة تغار من المرأة، ولكن أم كلثوم قد قتل شغفها بالحسن هذه الغيرة في نفسها ...

مغنية شجاعة لا تهيب من ألحان القصبجي على ما فيها من قفزات وتسلقات وانحدارات وتعقيدات جبارة

وهي مغنية طيعة، إذا ساقها فنان فياض مثل زكريا أحمد، أدت له بصوتها الممتاز الكامل كل ما يجول في خاطره من صوت

بكل ما يضطرم في نفسه من إحساس وعاطفة

ولكنها مغنية مستخفة بكل شيء ، إلا صوتها ، فكم أذاعت على الناس أخيراً من ألحان ليس فيها إلا زعيق وصراخ ، معتمدة في ذلك على أن الناس يسممونها حتى إذا قالت « ريان يا فجل » !

حرام عليها أن تفعل هذا ، ولكنها تفعله لأن بعض الملحنين غال ، وبعضهم رخيص ، والرخيص يسد أحياناً مسد الغالي ، وأين هم الناقدون والذين يفهمون ؟

وهي أيضاً ممثلة خفيفة الروح، غنية المشاعر، مجتهدة الحس... وهي أيضاً نافذة سريعة الفهم صادقة التعبير عما تفهمه ... ولها استعداد جامح نحو الفلسفة والتعمق في التفكير ، ولكن الظروف لم تهيء لهــا من يعاونها في هذا الاتجاه . وهي تشعر بتعطشها إلى هذه الناحية ، فتقرأ وتحفظ وتطلع ... ولكن قراءتها وحفظها واطلاعها أشتات ، وإن كثرت ، فلا رابط بينها على أي حال . إنها فنانة مشبعة

الآنسة سهير القلماوي

صورة نسوية جامعية للأستاذ محمد عبد الوهاب : هو له فن ، وهي لها فن ؛ ولكن لكل منهما نفساً تشبه نفس صاحبه ، وروحاً تشبه روحه

الآنسة « مي »

لم أرها إلا مرة واحدة، سمعتها فيها تلقي محاضرة بالفرنسية عن الشرق والغرب ، وأنا محصولي من الفرنسية تافه ، ولكني مع هذا كنت أفهم ما كانت تقول الآنسة مي ، ولم يكن هذا ليحدث ، إلا لأنها كانت تقول كلاماً خارجاً من أعماق نفسها ، فهو إذا قيل لم يكن اللسان وحده هو الذي ينطق به ، وإنما كانت تقوله مع لسانها عيناها وجوارحها جميعاً ، وأعصابها وروحها جميعاً

ولا ريب أن لهذا الانحراف الروحي وراء الأفكار والخواطر أثراً في النفس والأعصاب . ولا ريب أن الآنسة مي تعاني آلاماً كثيرة يجرها عليها هذا الصفاء وهذا التدفق ...

كان الله في عونها من أحلامها ووثباتها ، وانحباس الفكر في نفسها ، وانطلاق الفكر من نفسها ...

أين هي الآن ؟ !

الآنسة جميلة العلايلي

كاتبة وشاعرة وقصاصة حارة هي أيضاً ، وصادقة ، ولكنها عاصفة صغيرة ... وهذا شأن الهواة جميعاً .

الآنسة ابنة الشاطئ

استطاعت أن تلفت الأنظار إليها بسرعة . فملأت الدنيا كتابة عن الريف والفلاحين وحياتهم . وهذا الموضوع لا شك في أنه أشد الموضوعات المصرية خطورة ، وقد كان لابنة الشاطئ فيه جولات مجيدة

ولكني سمعت أنها « دحلابة » وأن لها برنامجاً رسمته لحياتها وهي تريد أن تحققه، وهي تستعين على تحقيقه بالكتابة . وهذا إذا صح آخذه عليها ، لأن من عادة البرامج دائماً أن تكتف الفن وأن تقيده ، وأن تطمسه أحياناً ، وأن تدس إليه الأباطيل و « التزاويق » الفارغة ...

اسمها « عائشة عبد الرحمن »

السيدة أمينة محمد

ليس في مصر راقصة مقتنعة بأن الرقص فن جميل إلا أمينة محمد . فكل الراقصات المصريات يحسبن الرقص احتيالاً على تعرية البدن وإظهار محاسنه وتناسقه وليونته ، ولكن أمينة تتخذ من جسمها وسيلة تعبر بها عن معان يندر أن تكون بينها وبين الغريزة الجنسية صلة . وكما أنها تستعين على هذه المعاني بجسمها فهي تستعين عليها أيضاً بوجهها

وإن لها عينين تقول بهما كل ما يجول في نفسها ، كما أن لها شفتين تؤكد بهما ما تقوله عيناها . ولو كان جمهورنا في مصر ينظر إلى الراقصة من أولها إلى آخرها ولا يقف نظراته على مواطن خاصة منها لانفردت أمينة محمد بالرقص في مصر . ولكن جمهورنا كما نعرف

ولست أدري لماذا لم يفكر نجيب الريحاني في أن يضم إلى فرقته هذه الفنانة التي تملأ مكان الراقصات الأوربيات اللواتي يعرضهن أحياناً ، كما أني لا أدري كيف تهمل الفرقة القومية الرقص فلا تدخر فتاة مثل أمينة تمثل فيها هذا الفن

ولكني نسيت أن الفرقة القومية لهــا ناسها ، وبعثاتها ، وهي لا تعترف بأمينة ولا غيرها ممن كافحن في مصر وأوربا وأرغمن أهل الغرب على احترامهن وتقديرهن

السيدة فردوس محمد

أستاذة لها دراستها الخاصة فى الحياة ، ولها من وراء هذه الدراسة فنها الخاص وأسلوبها الخاص

لا أذكر أنى رأيتها قبل «هوجة» الأفلام المصرية الأخيرة، ولا أذكر أنى رأيتها فى دور إلا وامتلأت اقتناعاً بها

مصرية صميمة فى نظراتها، وفهمها وتعبيرها. لا أظنها تفشل عن دور مصرى عصرى، إن لم يكن تمثيلاً فتدليلاً ... أى أنها تملحه لغيرها إذا لم يكن الدور يليق بها

السيدة احسان الجزايرلى

« أم احمد »

ممثلة كوميدية يقول النقاد عنها إنها شعبية، ويقصدون من وراء قولهم هـذا أنها ليست أرستقراطية . والواقع أن الأرستقراطية فى الفن ليست شيئاً غير ثقل الدم والظل . وقد أنقذ الله «أم احمد» من هذا، فهى تمثل كما تنطلق القنبلة، فتنفجر فى النفوس ضحكات وقهقهة

وهى لا تريد من الناس شيئاً أكثر من ذلك . وقد تركت الأرستقراطية لغيرها .

السيدة مارى منيب

معلمة إحسان الجزايرلى . أو هى « أم أحمد » القديمة

وهى تعمل اليوم عند الريحانى، وهو يعرف كيف يستغلها، وهى تعرف كيف ترضيه على ما فيه من قسوة فى عمله وملاحظاته، كما أنها تعرف كيف ترضى جمهوره على ما تربى فيه من براعة الذوق فنها غير محدود لأنها لا تقلد ولا تتقيد، وإنما هى تلون نفسها حسبما يتطلب دورها ، وهذا أقصى ما يطلب من الممثل أو الممثلة

ميمى وزوزو شكيب

لم أكن أصدق أن هاتين السيدتين ستستطيعان أن تحتفظا بمكانتهما على المسرح أكثر من موسم واحد . ولكن الريحانى ثبتهما فكانتا من كراماته

هما فى الأصل تنيظان وتكيدان ... ولكنهما اليوم تضحكان ... على أن الذى يتأملهما ويتأمل ضحكه منهما يرى أنهما لا تزالان ...

الآنسة أمينة رزق

بطلة الأستاذ يوسف وهبى وتلميذته وذراعه اليمنى . فتاة لها « شخصية » تجبر على الاحترام . فيها براءة ظاهرة تمازجها أمارات الحكمة

لا بد أن تكون أمينة رزق فيلسوفة إلى جانب ما هى ممثلة

السيدة علوية جميل

سيدة مصرية ناضجة، رزينة، عميقة هادئة، وأخلاقها هذه تظهر فى تمثيلها، والأستاذ يوسف وهبى يعرف فيها هذه الأخلاق فهو يسند إليها ما يلائمها من الأدوار فتؤديها على خير ما يمكن أن تؤدى به ...

يراد بها أحياناً أن تمرح، ولكنها إذا مرحت ظهر لمن يرى أنها تستثقل المرح . وقد يرجع ذلك لسبب لعله من خصائصها هى ...

فتحية ومفيدة أحمد

أختان مغنيتان . فتحية الكبيرة ومفيدة الصغيرة . كلما رأيتهما أو سمعتهما حسبتهما أزهريتين، مع أنى أعلم أنه لا صلة للأزهر بالنساء . وقد يكون ذلك لأن أباهما كان شيخاً وأنهما استقتا فنه وروحه وحركاته وإشاراته

وهما قريبتان جداً من كل روح مصرية . وهما تصدقان كثيراً فى غنائهما لأنهما تحبان الغناء حقاً ؛ وقد كانت كبراهما فتحية من ربيبات سيد درويش اللواتى كانت تهتز لهن روحه ...

عزيز أحمد فهمى



بعيداً عنا

في مجاهل الكون

للدكتور محمد محمود غالى

الموجات الكهربائية وباطن الأرض — الحواس أجهزة طبيعية — الكلب هول — الحمام الزاجل — فى طريق تعرفنا صفات محتملة لغيرنا من الأحياء على الكواكب .

لو أن أحداً من الناس قال لنا إنه يستطيع ، وهو فى طائرة ، أن يعرف هل يُخفى باطن الأرض التى يعلوها بترولاً أو ماء ، ويعرف عمق الطبقة الموجود فيها هذا البترول أو هذا الماء ، ويعرف، فوق ما ذكرنا، أيكون الماء الموجود تحت طبقة الأرض التى يطير فوقها ملحاً أم صالحاً للشرب ، دون أن ينزل من طائرته على سطح الأرض ، ودون أن يلجأ إلى حفر آبار فيها ، لقلنا فى أنفسنا إن قوله هذا حديث خرافة

ذلك أننا معتادون دائماً أن نصدق ما هو فى حدود حواسنا وأن نؤمن بما تستطيعه هذه الحواس، فتفكيرنا مرتبط بمقدرتها واستيعابنا الكون متعلق بعملها ، وكثيراً ما ننسى أنه بدراسة طبيعية فى الكون ، وما ينتج عنها من ابتكار أجهزة دقيقة ، نستطيع أن نجد وسيلة لامتداد حواسنا وسبيلاً لاتساع نطاق أعمالها ، بحيث نصبح فى ظروف عديدة قادرين مثلاً على أن نرى ما كنا عاجزين عن أن نراه، ونسمع ما كان يستحيل علينا سماعه .

ولا يدهش القارئ بعد ذلك من استطاعة الطائر أن يعرف ما هو دفين فى باطن الأرض ، فى هذه المسألة بالذات وفيما يخص البترول أو الماء نجح العلماء فى ظروف خاصة نجاحاً يبعث على الدهشة ، وبوسائل علمية حديثة وأجهزة طبيعية دقيقة توصل العلماء إلى معرفة ما تخفيه الأرض من بترول أو ماء دون اللجوء إلى وسائل الحفر المعروفة ، وليس المجال هنا لندخل فى تفاصيل هذه المسألة التى يتوافر على دراستها بالتفصيل كل من أتيحت له فرصة دراسة علوم الطبيعة الأرضية Physique du Globe فقد بات من المعروف أنه يمكن بدراسة خاصة ، يقوم بها المهندس وهو على سطح الأرض أو بعيداً عن سطحها ، أن يستنتج الشيء الكثير عن باطنها ، بمعنى أن دراسة طبيعية فوق الأرض تؤدى إلى معرفة جيولوجية فى جوفها ، تكون فى كثير من الأحيان عظيمة الأثر

إنما أحدث القارئ فى هذا عندما ننتهى من استعراض الحلقات العلمية الكبرى التى توصل إليها الإنسان فى عصرنا الحديث مما له اتصال بتفكيره ، عندئذ أحدثه فى مسألة أتاح لنا الفلاح المصرى معرفتها ، وذلك بالإنفاق على بعثتنا فى الخارج ، وأتاحت لى الظروف بعد العودة القيام ببعض الأبحاث[1] عنها ، وذلك مع أحد المؤسسين للطريقة المعروفة باسم : « الطريقة الألكتروديناميكية » الخاصة بالتنبؤ بما فى باطن الأرض

وهذا الباحث الذى صادفته فى مصر منذ أربعة أعوام ، واشتركت معه فى القيام بأبحاث علمية تدور حول هذا الموضوع هو « هنريش لوفى » Heinrich Lövy من « فينا » ، وهو الذى قام بتجارب علمية قيمة أجراها من منطاد « زبلن » المعروف حيث كان يقوم ببعض التجارب الكهربائية الخاصة بهذا الموضوع فى أثناء رحلات هذا المنطاد المتعددة بين ألمانيا وأمريكا

***

إنما ذكرنا هذه الأبحاث التى قام بها « لوفى » Lowy منذ سنة ١٩١٠ والتى ساهمنا فيها بقسط يسير فى السنين الأخيرة لغرض واحد ، ذلك أننا نريد من القارئ أن ينظر إلى ما نملكه من الحواس النظرة العلمية الصحيحة التى نفهمها منها ، وألا ينسى - كما يحدث لكثير منا - أننا وإن كنا فى حاجة إلى هذه الحواس لمعرفة كنه العالم الذى نعيش فيه أو معرفة شيء عن العوالم البعيدة عنا ، فإنها لا تكفى بذاتها للقيام بشتى هذه المعارف ، وأن هناك من العلوم عامة والعلوم الطبيعية خاصة سبيلاً نستطيع به أن

(١) نشرنا هذه الأبحاث في « الجرلاند بتراج زير جيوفيزيقا » التى تصدر فى ميونيخ ، ويجد الذين يهتمون بهذه المباحث الطبيعية بعض النتائج العلمية والعملية التى توصلنا إليها فى العدد ٥٢ من ص ٣٣٤ إلى ٣٤٣ سنة ١٩٣٨ كما يجد أبحاثنا هذه فى أعداد أخرى من الجرلاند وفى المجلة الفلسفية الانجليزية .Phil. mag العدد ٤٥٧ مجموعة ٢٦ ص ٤٠٣ بتاريخ أكتوبر ١٩٣٨ Gerlands Beiträge Zur Geophysik, vol. 52, p. 334 — 343, 1938 Akademische Verlagsgesellschaft m. b. H. in Leipzig.

نُـعَـدِّل فى مقدرة هذه الحواس ، فتصبح بما نضيفه إليها من أجهزة طبيعية أكثر استطاعة على استطلاع حقائق الوجود ، وأعظم شأناً فى معرفة أسرار الكون

ثمة مسألتان نود أن يتأملهما القارئ : الأولى أن الحواس فى ذاتها أجهزة طبيعية يمكن بذكاء الإنسان أن تمتد كما ذكرنا فتصبح أقوى على المعرفة وأقدر على الاستنباط ، والثانية أن الحواس ذاتها تختلف عند المخلوقات الحية التى نعرفها فى قدرتها ومواهبها اختلافاً بيناً ؛ ومنها ما هو ليس بحاجة لهذا التحايل الذى يمد إليه الإنسان وهذا الامتداد الذى يجعل منه مخلوقاً أقوى من طبيعته ، وعن المسألة الأولى ذكرنا أننا لسنا فى حاجة إلى حفر بئر عميقة لنعرف مقدار مستوى الماء أو البترول تحت سطح الأرض ، وعن الثانية نذكر القارئ بمثالين طالما سمعهما وقد لا يكون أعارهما الالتفاتة التى نرجوها الآن

الأول : كلنا سمع بالكلب « هول » الذى استطاع البوليس المصرى بعد تدريبه أن يجعله قادراً على أن يتعرف الجناة من آثارهم ، وهو حيوان لا يخطئ عادة فى القيام بهذه المهمة ، مهما كان الأثر ضعيفاً ، ما لم تمر مدة كافية بين حدوث الأثر وبين إحضاره

وإنى أقص على القارئ حادثة وقعت لى شخصياً مع الكلب « هول » ؛ فقد أردت بتجربة بسيطة أن أتعرَّف مدى قدرته على معرفة صاحب الأثر ، فأخرجت « البيبة » التى أدخن عادة بها ، ولمست بها الحائط بعيداً عن الكلب وبحضور جمهور كبير من الناس ، بحيث لم يشاهدنى عند لمس الحائط بطرف هذه « البيبة » ، بعد ذلك ، ودون أن يرانى ، أعطيت « البيبة » إلى أحد الأشخاص العديدين الذين حضروا هـذه التجربة ، ولم يخفها فى جيبه ، بعـد ذلك وجه « الصول » المكلف بتدريب الكلب هذا الحيوان نحو الأثر ، وتركه يشم الموضع من الحائط الذى لمسته « البيبة » ، ولم يمض بضع دقائق حتى سعى الكلب إلىَّ يتعرفنى رغم الازدحام ، ولم يَسْعَ إلى صاحبنا حامل « البيبة » ، ذلك أن فى هذه « البيبة » آثارى لا آثار من حملها أخيراً فى جيبه ، وذلك أن فى « البيبة » شيئاً منى يشعر به الكلب ، ولا تستطيع حواسنا الضعيفة أن يكون لها هذه القدرة من الشعور

الثانى : كلنا سمعنا بالحمام الزاجل ، إننا نستطيع أن نأخذ واحداً من هذا الطير العجيب من قفص مقفل، لا يرى منه ما هو حوله ، ونسافر به من مكمنه الأصلى إلى بلدة بعيدة عن البرج الذى تَعَوَّده ، ويصح أن تبتعد هذه البلدة بضع عشرات الكيلومترات عن برجه الأصلى ؛ ومع ذلك لو أننا تركنا ذلك الطائر حرًّا بعد ذلك السجن وذلك الابتعاد لعاد أدراجه إلى حيث موطنه الأصلى ؛ ويمكن أن نستدل من الحساب على أنه يعود فى وقت يتفق مع السرعة المعروفة عن طيرانه ، وبعبارة أوضح يعود الطائر إلى مكانه الأول ، دون إجراء بحث جدِّى عن هذا المكان ، أو إضاعة وقت فى سبيل العثور عليه غير الوقت اللازم للقيام بهذه الرحلة الطويلة

ترى ما هى تلك الصلة الموجودة بين الطائر وبين المكان الذى اعتاد أن يعيش فيه ؟ ترى هل هذه المقدرة على العودة ترجع إلى تركيب خاص فى حواسه ، أو إلى أسباب طبيعية أو كهربائية تربطه بهذا المكان بالذات ، ولا نزال نجهلها ؟ . كل هذا حدس وتخمين ، وليس المجال هنا لندخل فى تفصيلات هـذه المسألة ، وليس المجال لنردد للقارئ بعض الآراء التى استعرضها لنا مسيو « بيلان Belin » ، مخترع البيلانوجرام ، أو جهاز نقل الصور باللاسلكى ، عند زيارته معى لأحد أبراج هذا الحمام فى ضَيْعَة قضينا فيها يوماً من أيام مارس سنة ١٩٣٨ فى ضواحى القاهرة

وإنمـا أريد أن أخرج من هذا بشىء واحد ، ذلك أن للكلب هول وللحمام الزاجل ولغيرهما من المخلوقات التى نعرفها والتى لا نعرفها مقدرة تفوق مقدرتنا فى تعرف بعض المسائل الخاصة بالكون الذى يحيط بنا أو الذى نحن جزء منه

وأمل القارئ يتفق معنا الآن على مسألتين يصح أن يتذكرهما

الأولى : هى ضعف حواسنا ، واستطاعتنا أحياناً اللجوء إلى امتداد عملها بما نضيفه إليها بذكائنا من أجهزة طبيعية تصبح متممة لهذه الحواس . والثانية اختلاف هذه الحواس فى المقدرة اختلافاً كبيراً عند الكائنات الحية

نعود مع القارئ بعد هـذه المرحلة التى ذكرناها إلى ذلك المخلوق الذى تكونت عنده حاسة النظر بحيث يرى الأشياء المجسمة بطولها وبعرضها ولا يستطيع أن يُميِّز منها ارتفاعها ، وهو المخلوق الذى قلنا عنه فى مقال سابق[1] إنه يرى الأشياء

(١) الرسالة مقال « حرب ونضال — تأملات فى مجاهل الكون » العدد (٣٦١ — ٣ يونيو سنة ١٩٤٠) ص (٩٤٧ — ٩٤٩)



حركة النشر فى دمشق – عتب وبيان

حضرت مجلساً فيه جماعة من المؤلفين والناشرين ، فكان من حديثهم أن دمشق ضائعة بين مصر ولبنان ؛ فلا هى ترتضى مذهب لبنان فى الأدب ، ولا مصر تلق لها بالاً وتحفل بها ، وساقوا على ذلك أمثلة كتباً كثيرة أهديت إلى المجلات المصرية وإلى كبار نقاد مصر ، فأهمل أكثرها فما كتب عنه حرف واحد ، وكتب عن بعضها ما لا يكفى ولا يفى ؛ فرأيت أن أذكر لقراء الرسالة بعض هذه الكتب ليطلع عليها من يهتم بحركة النشر فى دمشق ، ويعلم أصحابها أن العرف لا يذهب بين الله والناس ، وليكون ذلك عتاباً لإخواننا نقدة الأدب فى مصر وذكرى

فنها (سيد قريش) للأستاذ معروف الأرناؤط ؛ وهى من أجل ما أخرج أدباء القصة العربية فى زماننا . ومنها روايته الأخرى (عمر بن الخطاب) ، فإنهما على انتشارهما فى الشام والعراق ودخولهما كل منزل ما كتب عنهما فى مصر ولا تعرض لهما النقاد . ومنها (المتنبى) و (الجاحظ) للأستاذ شفيق جبرى ومنها الكتاب القيّم (جولة أثرية فى سورية الشمالية) للأستاذ وصفى زكريا ، حتى أن منها كتاب (الإسلام والحضارة) للأستاذ الكبير كرد على ، لم أقرأ لناقد من النقاد المعروفين شيئاً عنه ولا عن كتابه الآخر (أمراء البيان) . ومنها (سيرة أحمد بن طولون) للبلوى ، وهو كتاب جليل نشره الأستاذ كرد على وعلّق عليه وقدّم له ، ومنها (أعلام النساء) لعمر رضا كحالة فى (١٦٦٨) صفحة ، جمع فيه من تراجم النساء ما لم يجمعه كتاب قبله ، ومنها كتب أساتذة الجامعة ، ولا سيما أساتذة كلية الطب ، الذين قاموا بأعظم عمل يمكن أن يقوم به أمثالهم لخدمة اللغة ، فوضعوا المصطلحات العربية لكافة الأمراض وما يتصل بها ، والأدوية وأعضاء الجسم ، ومن كتبهم (فن الجراثيم) للطبيب اللغوى الأديب الدكتور حمدى الخياط فى (١٨٦٠) صفحة معها لوحات فنية كثيرة ، و (صحة الأسرة) له

فى صور تختلف عن الصور التى نراها عليها ، فهو يرى من عَل مركبة الترام مستطيلاً ، ويرى الكمسارى والسائق دائرتين إحداهما ثابتة والأخرى متحركة على حافة هذا المستطيل ويرى الراكبين دوائر متراصة فى صفوف متوازية

هنا نذكر للقارئ شيئاً ذكرناه من قبل ، ذلك أننا فى حاجة إلى ذكر هذا المخلوق العجيب لكى نشرح موضوعاً يتراءى لذهننا ويجول بخاطرنا ، موضوعاً كان استعراضنا لمظاهر الإشعاع سبباً لالتماعه فى الذهن واقترابه فى الفكر ؛ وقد وجدنا ونحن نخاطب القارئ أننا فى حاجة قبل المضى فى هذا الموضوع إلى الرجوع رويداً إلى معرفتنا لحواسنا وفهمنا لقدرتها ، وإلى ذكر ارتباط بينها وبين ما يستنبطه الإنسان كل يوم من أجهزة طبيعية دقيقة

وسيرى القارئ ، أن بين الإنسان الحاد الذكاء والكلب هول العجيب ، والحمام الزاجل ، وهذا المخلوق الذى يرى من الكمسارى دائرة تنتقل ، وبين ما نريد أن نتخيله أو نفترض وجوده من مخلوقات على الكواكب السيارة (سواء أكانت هذه المخلوقات موجودة على الكواكب التى تدور حول شمسنا أم كانت حول غيرها من الشموس) نوعاً من الارتباط ، نود أن نتبينه عند ما نجيز لأنفسنا التحدث عن مخلوقات غير تلك التى عهدناها على الأرض

وما مقالنا السابق أو مقال اليوم إلا نوع من الدعابة العلمية السائغة ، كانت النفوس فى حاجة هذه الأيام إليها ، وذلك للترفيه بعض الشئ عن القارئ إزاء ما يحدث فى العالم من تغييرات سريعة ، وما هو واقع اليوم من تطورات ربما كانت أكبر ما عرفناه فى التاريخ ؛ تلك التطورات التى تجرى اليوم فى أوربا ، والتى يحتمل أن يكون لها أثر على حياتنا فى مصر

وإذا كنا قصدنا هذا النوع من الترفيه أو الراحة مع القارئ فى مقالين متتابعين ، وإذا كان هذا سيظل رائدنا فى المقال القادم أيضاً ، فإنما ذلك لكى ننشط إلى عمل ، أكثر إلى الجد منه إلى الدعابة ؛ عند ذلك نعود إلى حظيرة العلم الذى لا يعرف فى البحث غير التقرب من حقيقة الكون

محمد محمود غالى
دكتوراه الدولة فى العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية . ليسانس العلوم الحرة . دبلوم الهندسخانة

فى (٤٠٠) صفحة، و(الصحة العامة والاجتماعية)، (١٠٠٠) صفحة، وكتاب (فلسفة الطب) للدكتور حسنى صبح عميد كلية الطب، وهو سبعة أجزاء صدر منها ثلاثة فى (٢٧٠٤) صفحة، وله كتب أخرى، و(علم الأمراض الجراحية) للدكتور مرشد خاطر فى نحو (٤٠٠٠) صفحة، ومنها كتب أساتذة الحقوق، فارس بك الخورى، وله (علم المالية) و(شرح أصول المحاكمات الحقوقية)، وسعيد محاسن بك نقيب المحامين، وله الشرح القيم على مجلة الأحكام العدلية، وله (القانون المدنى الإسلامى)، وشاكر بك الحنبلى، وله (الحقوق الأساسية) والمباحث القيمة فى الحقوق الإدارية

ومن الكتب التى نشرت فى دمشق (فتاوى شيخ الإسلام زكريا الأنصارى) و(ديوان الكاظمى) و(أصول التفسير لابن تيمية) و(بحر العوام لابن الحنبلى) و(البخلاء للجاحظ) و(المنقذ من الضلال للغزالى) و(إصلاح ما تغلط فيه العامة للجواليقى) و(الإجابة للزركشى) و(المفاضلة لابن حزم) و(طوق الحمامة له أيضاً) و(روضة المحبين لابن القيم) وهما كتابان فى الحب لإمامين من أعظم أئمة الدين و(فتاوى الإمام النووى) و(الرسالة المستطرفة للعلامة جعفر الكتانى) فى تاريخ علم الحديث و(الصبح المنبي للبديعى) و(ذكرى الشاعرين) و(تهذيب تاريخ ابن عساكر) و(عبد الله بن المقفع للأستاذ الجندى) و(الجاحظ) و(ابن العميد) و(الصاحب) و(ابن المقفع) للأستاذ خليل مردم بك، و(امرؤ القيس) للأستاذ الجندى و(أبو بكر الصديق) و(عمر بن الخطاب) للطنطاوى، و(خالد بن الوليد) لكحالة، و(أسواق العرب) للأفغانى.

وأنا أظن أن هذا كله، وهذا بعض ما نشر فى دمشق لم يحفل به، ولا يمعضه ناقد من كبار نقاد مصر، أفلا يحق لنا أن نعتب، وأن نذكر، وأن نرجو، وأن ننتظر؟

على الطنطاوى

فتوى لجنة الإفتاء بالأزهر فى فائدة الأربعاء

لا أنكر أن فتوى لجنة الإفتاء فى هذه الفائدة خطوة موفقة فى سبيل الإصلاح الدينى، والقضاء على ناحية من نواحى الفساد فى البلاد، ولكنى آخذ على اللجنة أنها اهتمت فى هذه الفائدة بناحية الشكل، ولم تهتم بالأصل الذى تقوم عليه من جواز التوجه إلى أصحاب الأضرحة فى قضاء الحاجات، بقطع النظر عما يلجأ إليه فى ذلك من تحديد زمان أو مكان أو كيفية للعبادة لا أصل له وقد أفتى العالم الكبير فى هذه الفائدة بجواز التوجه إلى أصحاب الأضرحة فى قضاء الحاجات، ولا شك أن فتوى لجنة الإفتاء جاءت رداً على فتواه، فلم يكن من اللائق مع هذا أن تهتم فتواها بما اهتمت به، ولا تعطينا حكما صريحاً فى ذلك الأصل الذى قامت عليه تلك الفائدة، فهل يليق أن يبقى عامة المسلمين على ما هم عليه الآن من الاعتقاد فى تأثير أصحاب هذه الأضرحة فى أمور دنياهم، وتجاهل الأسباب المشروعة التى سنها الله تعالى، وهل قامت هذه الأضرحة على أساس صحيح، وهل قيست ولاية أصحابها بمقياس الولاية فى الشرع؟ ورأيى أنا أن كل هذا لا يصح أن يبقى بيننا، وأنه يجب أن نتخلص منه، ولنا فيما فعلته بعض الحكومات الإسلامية أحسن أسوة (عالم)

١ — حول آية المعام الطعام

اطلعت على ما كتب فى «الرسالة الغراء» فى هذا البحث، فأرجو أن يتذكر الأستاذ محمود محمد سويلم أن (خصوص السبب لا ينافى العموم) فسيدنا على رضى الله عنه داخل فى هذا العموم دخولاً أولياً بالنظر إلى أنه سبب نزول الآية

وأول من ضرب على هذا الوتر بتوسع هو الحافظ بن تيمية فى كتابه (المنهاج) وكون السورة مكية ليس بأمر مقطوع به

٢ — نيف

كنت أرى بعض الكتاب الناشئين يستعملون كلمة «نيف» قبل العدد، ثم رأيت الأستاذين العقاد وكرد على يستعملانها كذلك فوجب التنبيه على صحة استعمالها:

قال فى القاموس المحيط (والنيف ككيس: الزيادة، يقال عشرة ونيف)، وقال فى المصباح المنير (ولا يقال نيف إلا بعد عقد نحو عشرة ونيف ومائة ونيف وألف ونيف)، وكذلك فى كتب اللغة الأخرى

عفيفى على موسى



من أثر الوعيد

مترجمة عن الانسكليزية

بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار

ركب الضابطان : « كامبل » و « هاريس » جواديهما واتجها إلى الغابة ، وكان الفصل فصل الربيع ، والجو دافئاً ممطراً ، وكان يلذ لهما إمتاع النظر فى ألوان الطبيعة والسكون فى الغابة البعيدة عن جلبة الحياة وضوضائها . ولما ابتعدا عن المدينة رأيا أبنيتها الضخمة كأنها قطع من الأحجار الملوّنة ، وبجانبها نهر الرين ، وقد انعكست عليه أشعة الشمس ، فبدا كأنه خط من النور

وأشعل كل من الصديقين لفافة ، وألقى « كامبل » عود الثقاب وراقبه وهو يسقط على الأرض ، فرآه قد وقع على كثيب من الحشائش الجافة المتروكة فى الصيف الماضى

وسرعان ما اشتعلت هذه الحشائش ، وكان الرجل طيب القلب ، فلم يترك النار تلتهم الغابة ، فنزل هو وصاحبه فأطفآها . ورأيا فى هذه الأثناء وراء الكثيب المحترق طريقاً ضيقاً بين الأشجار ، فقال كامبل :

— ألا ترى هذا الطريق ؟ أتعرف إلى أين يؤدى ؟ دعنى أمر منه ...

فأجابه :

— بل تعال نركب ، لأن الجوادين يتصببان عرقاً ، وقد يضربهما الوقوف الآن

ولكن « كامبل » أصر على الذهاب وقال : إنه سيعود سريعاً . ثم اختفى بين الأشجار التى وراء الكثيب ، وامتطى هاريس جواده ، وظل يدخن لفافته ، منتظراً عودة « كامبل »

وكان كامبل كثير التطلع إلى شئون الغير يحب أن يعرف كل شيء ويتدخل فى كل أمر . وبعد دقائق سمع صوت صاحبه يناديه ، وكان الصوت ضعيفاً ، فنزل عن جواده وجرى نحوه بعد أن ربط الجوادين . ولم يزل يجرى حتى رأى كهفاً متسعاً ، وسمع صوت كامبل آتياً منه ، فدخل الكهف محترساً وهو يشم رائحة غريبة ، وقال كامبل : « هل تشم شيئاً ؟ إننى أشم رائحة ميت ؟ هل معك كبريت ؟ إننى لما جئت تذكرت أن ما معى منه قد نفد »

فقال هاريس : « ليس معى غير عيدان قليلة » ، ثم أخرج علبة الثقاب وقال : « ليس فيها غير عودين فخذها »

أشعل كامبل أول عود فلم يحترق ، وأشعل الثانى فرأيا على نوره الضئيل كتلة سوداء لم يتبيناها ، وتصاعدت من جهتها رائحة كريهة ، ثم انطفأ العود وأظلم المكان ، فلم يعد كل منهما يستطيع رؤية الآخر

فخرجا من الكهف متجهين إلى مربط الجوادين ، ولم يكد هاريس يرفع رجله ليضعها فى الركاب حتى صاح كامبل : « أنظر إلى حذائك ! »

فنظر وقال : « هذا دم ، ولست أعرف ما الذى كان فى الكهف ! »

وقال كامبل : هل تتذكر (إدى ماك جارى) الذى كان ضابطاً معنا واختفى فى الشهر الماضى ؟ »

فقال هاريس : « نعم أذكره ، وكان قبل اختفائه قد تخاصم مع أناس فى مقهى ، وقيل إنهم تضاربوا ثم اختفى ، فهل تظن أنه بهذا الكهف ؟ »

قال كامبل : « لست أعرف » ؛ ثم مشى الصديقان فى صمت . وبعد مدة قال كامبل : « لا تقل شيئاً يا هاريس حتى نتبين الحقيقة ، وسنتقابل غداً فأخبرك بنتيجة بحثى »

وكان كامبل يتردد على حانوت رجل خمار اسمه فرانز شافر ، وقد اشتهر هذا الرجل بمعرفته كل مكان فى المدينة وأكثر من فيها من الناس . وكان بينه وبين كامبل صداقة نشأت منذ جاء إلى هذه المدينة فى أول الحرب . وكان هاريس يعرفه أيضاً ويتردد على حانوته

فى هذه اللحظة ذهب هاريس إلى الحان وأخذ معه مقداراً من التبغ فأهداه إلى الخمار الألمانى الذى أبرقت عيناه ، وقام إلى زجاجة من أجود النبيذ فقدمها إلى الضابط وأخذ يصف شوقه إلى اليوم الذى تعود فيه ألمانيا إلى مكانتها الأولى بين الشعوب ويسود فيه الإخاء بينها جميعاً ، وقال إن الحرب الأخيرة كانت حرباً بشعة أثارتها العداوة من الجانبين ولكنها انتهت بحمد الله فانتهت معها كل الحروب . ثم سأل الضابط : أليس من رأيه أن الحروب لن تعود ؟

فهز هاريس رأسه . وكان فى هذه اللحظة يفكر فى الكهف ويغلب على ظنه أن كامبل مخطئ فيما توهمه . لأن ماك جارى وإن كان ضيق الخلق سريع الغضب ، فهو لا يترك نفسه لمن يقوده إلى كهف فيقتله فيه

واستمر الخمار يتدرج فى حديثه السياسى إلى أحاديث مختلفة عن أشخاص يعرفهم هاريس ، فتردد الأخير فى إخباره بأمر الكهف . وبعد قليل قال :

« هل تعرف الطريق إلى جبل « برج الزر » يا هر شافر ؟ »

فقال الخمار : « كيف لا أعرفه وأنا كثيراً ما أذهب منه وصهرى مقيم فى « نيدورف » عند نهايته »

ثم تنهد وشرع فى وصفه ولكن هاريس قاطعه بقوله : « وهل تعرف الطريق الضيق القريب من نهاية الغابة ؟ »

فحملق الألمانى فى وجه الضابط وراعه منه رنة غريبة فى صوته وتغير فى لهجته، فقال الخمار : « لماذا يا سيدى الهر ؟ لماذا يا سيدى الضابط ؟ »

ولكن هاريس استمر يسأله بلهجة المحققين : « وهل تعرف المكان الذى على بعد مائة متر على يمين هذا الطريق ؟ »

فلم يجبه الخمار ولكنه ظل واجماً فاتحاً فه لاعقاً شفتيه بحالة عصبية ، وكان هاريس فى هذه اللحظة يتذكر ضابطاً عظيما استجوب أمامه أحد الحراس فشعر بالسرور لأن مهارته الآن فى التحقيق لم تكن أقل من مهارة ذلك الضابط الكبير بدليل ما ظهر من التأثر على وجه الخمار

ولقد كان الإجرام بادياً على الخمار فى هذه الساعة ، وكانت عيناه تدوران كأنما تبحثان عن منفذ تركان منه المحاجر وكانت خياشيمه تنتفخ والعرق يتندى من جبينه . ثم قال بعد ارتباك شديد : « لست أعرف هذا المكان »

فقال هاريس وهو يدق على المنضدة ليؤكد سؤاله : « ولماذا لم تقل ذلك من أول الأمر ؟ »

وكان الخمار يحارب نفسه ليحملها على كتمان العواطف ، وتظاهر بالغضب على كرامته تظاهراً جعل شكله مضحكا وقال : « لا تؤاخذنى يا هر إذا احتددت فإنى لم أنم جيداً ليلة الأمس ، وأنت قد غيرت مني لهجتك فاضطربت »

فقال هاريس بلهجة الساخر : « لم تنم جيداً ليلة الأمس ؟ »

قال الخمار : « نعم وقد فهمت . إنك تريد اتهامى بمعرفة شىء عن هذه المسألة ، عن هذا الكهف . ولكننى أؤكد لك أننى لا أعلم وأنا مستعد للذهاب معك إلى الغابة فى عصر الغد »

ثم هدأت أعصاب الخمار وعاد إلى خديه احمرارهما ، ونظر إليه الضابط مبتسما وقال : « لا تنكر يا شافر ! لا تنكر ! فأنت تعلم الحقيقة بغير شك ، إن لم تكن شريكا فيها . وأنت تريد أن تذهب منى إلى الغابة ... هذا حسن والله يا شافر ! تريد أن تأخذنى أنت وصهرك إلى الكهف فتقتلنى كما قتلت « إدى ماك جارى »

ثم تغيرت لهجته من الهدوء إلى الحدة وقال : « سأمهلك إلى الغد لتعترف وإن تركت منزلك الليلة فسيراك رجالى، وإن لم تعترف غداً فإنك ستعتقل وتقدم للمحاكمة العسكرية ، ومن يدرى ؟ لعله يحكم عليك بالإعدام »

فارتمش الخمار وتصور منظر المحاكمة والإعدام ورأى القبر مفتوحاً أمام عينيه، وتذكر زوجته وأولاده وما يصيبهم من البؤس بعد موته ، وفتح فمه وظل يقول : «لست أعرف! لست أعرف!» وتركه هاريس على هذه الحالة وذهب وهو يعتقد أنه وفق إلى اكتشاف جريمة، وأن جبن الخمار كان دليلاً قوياً على أنه المجرم.

وفى الصباح التالى ذهب هاريس إلى كامبل فأخبره ، وكان كامبل قد سمع خبراً لم يشأ أن يطلع صاحبه عليه حتى يلهو قليلاً ببساطته ، فأظهر له الاهتمام وقال : «هلم مع حارس إلى الخمار» .

وذهبا مع الحارس إلى الحانة فوجدوا الخمار وزوجته وأولاده

يبكون . وأعاد هاريس استجوابه ، والخمار يتنصل وهو يتوعده بأقسى العقوبات إذا لم يعترف، ويعده بتخفيف العقوبة إذا اعترف

فلما لم يجد ذلك جلس هاريس أمام المنضدة وكتب بلاغاً وسلمه للحارس وأمره بأن يذهب به إلى رئيس البوليس

عند ذلك تبادل الخمار وزوجته نظرات ثم همس فى أذنه فقال : « لا ترسل البلاغ وأنا أعترف لك »

فأخر هاريس إرسال البلاغ ، وجلس بهيئة جدية ، وصار يصغى إلى الاعتراف ، واعترف الخمار بأنه هو وصهره قتلا (أدى ماك جارى) وتركاه فى الكهف

عند ذلك ضحك كامبل ضحكة عالية وقال : « لقد قبض بالأمس على ماك جارى فى باريس »

فدهش هاريس وقال : « إذن فما الذى رأيناه فى الكهف ؟ »

فقال كامبل : « هو خنزير ميت »

ثم خرج من الخان .

عبد اللطيف النشار

الأب ...

مترجمة عن الفرنسية

بقلم الأستاذ محمد محمد حمدى

هو كاتب فى وزارة المعارف ومنزله فى إحدى ضواحى باريس ، ولذلك كان يركب عربة « الأمنوبيس » فى صباح كل يوم من منزله إلى الوزارة ؛ وكان يجلس دائماً أمام فتاة يشعر نحوها بعاطفة الحب

وكانت الفتاة تذهب إلى المحل الذى هى عاملة به ؛ وهى سوداء العينين بيضاء الجسم ناصعة البياض كأنها تمثال من العاج . وكان يراها تقبل كل يوم من منعطف فى نفس الطريق ، وكثيراً ما كانت تجرى لتدرك العربة وهى سائرة وتتعلق بها قبل أن يقف الجوادان ، ثم تجلس فى المكان الخالى وهى تلهث من التعب وتدير لحظها فيما حولها

ومنذ رآها « فرنسوا تاسيه » أعجب بجمالها ، وكانت الفتاة وفق أمانيه ورغائبه وصورة لخيال الحسن المنطبع على قلبه فأحبها من صميمه قبل أن يتعارفا

كان لا يستطيع أن يرد بصره عنهـا ، وكانت تخجل من من نظراته وتضطرب ، وقد أدرك ذلك فحاول أن يغض من بصره ولـكنه على غير إرادته كان يعود بين لحظة وأخرى فينظر إليها . وبعد أيام قليلة عرف كل منهما الآخر وإن لم يتكلما . وكان يترك مكانه ويقف خارج العربة إن أقبلت الفتاة والعربة مزدحمة . وكانت الفتاة إذ ذاك تحييه وهى مرخية أهدابها حياء من نظراته ولـكنها مع ذلك لم تكن تغضب من هذه النظرات

وأخيراً تحادثا ونشأت بينهما مودة سريعة ، وكان يقضى أمامها نصف ساعة فى كل يوم . ولكن هذه الأنصاف من الساعات كانت فتنة العمر . وكان يفكر فيها بقية يومه ويرى طيفها ماثلاً أمام عينيه ، لأن حبها كان مستحوذاً على خياله متسلطاً على قلبه باعثاً فى نفسه تلك السعادة الجنونية التى يخال صاحبها أنه فى عالم غير عالمنا الإنسانى

وصارت تصافحه كل يوم فيحتفظ بالإحساس الذى تثيره هذه اللمسة الرقيقة من أصابعها الصغيرة فيظل ناعماً بإحساسه هذا إلى الصباح التالى وكان يقضى يومه وليلته فى انتظار الساعة التى يركب فيها الأمنوبيس ، وما كان شىء أبغض إليه من أيام الآحاد لأنه لا يستطيع فيها أن يراها . وكانت الفتاة تحبه بغير شك . وفى يوم سبت من أيام الربيع وعدته بأن تتمشى معه فى اليوم التالى بمطعم فى ضاحية أخرى

* * *

التقيا فى صباح الأحد عند المحطة ففاجأته بقولها : « أريد أن أكلك قبل أن نذهب ، لقد بقى عشرون دقيقة على سفر القطار وهى كافية لـما أريد أن أقوله »

وكانت ترتعش وهى تقول ذلك ، وتعلقت بذراعه وقد اصفر لونها ونظرت إلى الأرض واستمرت تقول : « أريد ألا تنخدع بى ، ولن أذهب معك حتى تعدنى وتقسم بأن تكون شريفاً معى »

ثم اصطبغ وجهها احمراراً ولم تزد ، ولم يعرف بماذا يجيب

لأنه كان مضطرباً رغم شعوره بالسعادة فى هذا الحين ، وربما كان يتمنى من صميم فؤاده أن يكون كما ترجو ، ولقد كان يعرف أن حبه لها سيقل إن وجد منها خفة وطيشاً ولكنه كان أنانياً كسائر الرجال فى الحب

ولـما لم يقل شيئاً عادت الفتاة إلى الـكلام بصوت مضطرب وعيناها مغرورقتان بالدموع وقالت : « إذا لم تعدنى باحترامى فـأعود إلى المنزل »

فضغط على ذراعها برفق وأجاب : « أعدك بأن أسير على ما تريدين »

فزال اضطرابها وقالت وهى تبتسم : « هل تقسم على ذلك ؟ »

فقال : « أقسمت »

قالت : « تعال إذن نشتر التذاكر »

ثم ركبا القطار ولم يتكلما إلا قليلاً لأن العربة كانت مزدحمة فلما وصلا إلى الضاحيـة مشت معه إلى شاطئ السين ، وأطلت على مائه المنعكسة عليه أشعة الشمس ، وقالت : « ما أراك تظننى إلا حمقاء » . قال : « لـماذا ؟ » . فقالت : « لأننى جئت معك وحدى إلى هذا المـكان »

قال : « كلا . كلا . بل هذا شىء طبيعى ! »

فقالت : « إنه ليس طبيعياً بالنسبة لى ، ولكنه من الملل أن تتشابه الأيام والأسابيع والشهور ، فإننى أعيش مع أمى معيشة لا تجديد فيها ولا تغيير . وهى عابسة دائماً لكثرة ما تعانيه من السأم ، وأنا أحاول التغلب على نفسى وأضحك لأقل مناسبة . ولكن لا فائدة من ذلك . وقد أخطأت إذ جئت وما كان تخلق ليحزنك »

عندئذ قبلها فرانسوا قبـلة حارة ، فغضبت فجأة وصاحت : « ما هذا يا مسيو فرانسوا ! أبعد أن أقسمت ؟ »

ثم مشيا إلى المطعم وهو بناء صغير منخفض عن الأرض ، أمامه أربع شجرات . وبعد أن تمشيا فى صمت وشربا القهوة عادت الفتاة إلى المرح ، ومشت معه على شاطئ السين ، وسألها عن اسمها فقالت : « لوسى » فأعاد اسمها « لوسى » ولم يقل شيئاً . وأخذت الفتاة تجمع الأقحوان النابت على الشاطئ ، وظل يغنى فى طرب كالنشوان ، وهما يمشيان تحت الكروم حتى ابتعدا نحو ميلين عن المدينة ، ولاح لهما بساط سندسى من الخضرة ، فأشار إليه، وقالت : « ما أبهجه ! » ثم مشيا نحوه فجلسا على العشب ، وكان يتضوع حولهما عبير الأزهار التى أكسبها شعاع الشمس ألواناً مختلفة

وأغمضت عينيها وهى لا تعلم شيئاً غير تلك القبلة ولا تفكر فى شىء آخر ، وهى شاردة اللب مهتاجة الشعور من الرأس إلى القدم . ولكن سرعان ما شعرت بالخطب وبكت من الحزن وهى تستر بيديها وجهها، وحاول أن يعزيها وهى تأبى إلا العودة فى الحال وصار يستمهلها وهى تأبى ، فلما نزلا من المحطة فى باريس تركته بغير أن تحييه .

***

ولما رآها فى الأمنوبيس فى الصباح التالى خال أنها أشد نحولاً وقالت : أريد أن أكلمك ، فتعال ننزل . ونزلا ، فقالت له : يجب أن نفترق ، فما أستطيع رؤيتك بعد الذى حدث

فقال : لـماذا ؟

أجابت : لأنى لا أريد ، وقد أصبحت خاطئة وما أحب أن أعود

ولـكنه توسل إليها ، وقد اشتدت به الرغبة فى امتلاكها . فقالت : كلا . كلا . فلا أستطيع ...

فألح ووعدها بالزواج ، ولـكنها رفضت وتركته ، ومضى أسبوع لم يرها فيه ، ولم يكن يعرف عنوانها . وفى اليوم التاسع دق باب غرفته ، ففتحه ورآها تلقى بنفسها بين ذراعيه ، ولم تعد تقاومه . ومضت ثلاثة أشهر ، وهى تعيش معه معيشة الخليلة ، وبدأ يسأم منها . فلما أخبرته أنها حامل ، عزم على هجرها وقطع صلاته معها ، ولـكنه لم يعرف الوسيلة إلى ذلك ، حتى جاء فى ليلة من الليالى ، فترك ذلك المسكن ، ولم يخبرها بمسكنه الجديد . ولقد كان وقع هذا شديداً على نفس الفتاة ، ولكنها ذهبت إلى أمها باكية وركعت عند قدميها واعترفت بالأمر كله . وبعـد أشهر وضعت طفلاً

***

مضت سنوات وأصبح فرانسوا كهلاً ولم يتغير شىء من

نظام حياته بل ظل على المعيشة المملة بلا أمل ولا أمنية ؛ وكان كل يوم يمشي من طريق واحد ، فيجلس على مكتب واحد ويؤدي عمله الواحد . وفي أول كل شهر يتقاضى مائة من الفرنكات يستعين بها على شيخوخته . وفي أيام الآحاد يذهب إلى « الشانزليزيه » ليراقب المتنزهين فيها

وفي يوم من هذه الأيام بهت لما رأى سيدة تتنزه ومعها صبيان ، أحدهما يبلغ العاشرة والثانية تبلغ الرابعة . وكانت هذه السيدة هي صاحبته ، فمشى نحو مائة متر ثم ارتمى خائر القوى على كرسي ، ولم تكن السيدة قد لاحظته . وبعد قليل عاد لكي يراها مرة أخرى ، وكانت قد جلست والصبي واقف بجانبها في سكون والطفلة تجري وتلعب

ونظر إليها فلم يشك في أنها هي وكانت نظراتها نظرات حزن وثيابها بسيطة وكان يراها عن بعد لأنه لا يجرؤ على الدنو منها ولكن نظره قد وقع على الصبي فارتعش وعرف أنه ابنه لأنه يشبه صورته وهو في ذلك العمر . ثم اختفى وراء شجرة حتى تقوم فيتبعها إلى منزلها

ولم ينم في تلك الليلة وكاد يجن من التفكير في ابنه وسأل أهل الحي عنها فقيل له إن أحد جيرانها قد أخذته الشفقة عليها بعد ذلك الحادث فتزوجها وربى ابنها ، ثم ولدت له البنت

صار فرانسوا يتردد على الحديقة كل يوم من أيام الآحاد . وكان في كل مرة يكاد يجن شوقاً إلى عناق ابنه وتقبيله والعودة به ، ومن ذلك العهد صار يتألم من الوحدة وأحس إحساساً مضاعفاً بالغيرة والندم والحاجة إلى النسل . ثم عزم على خطة لا يقدم عليها غير اليائس ، فذهب إليها ووقف أمامها وقال وشفتاه ترتعشان : « ألا تعرفينني ؟ » فنظرت إليه وصاحت صيحة رعب وفزع ، ثم أخذت ابنها وخرجت من أمامه ، وعاد هو إلى المنزل باكياً ، ومضت أشهر لا يراها ، وكان ألمه يزداد يوماً فيوماً حتى تمنى الموت على أن يقبّل ابنه قبل أن يموت ، وكتب إليها فلم تجبه حتى بلغ ما كتبه عشرين خطاباً . ثم بدا له في حالة من اليأس أن يكتب إلى زوجها واستعد لأن يكون الجواب رصاصة من مسدس ، وكان هكذا خطابه : « سيدي ! لا شك أن اسمي يزعجك ولكنني في أشد البؤس والتعاسة ، ولذلك أجرؤ على استئذانك في مقابلة قصيرة »

وفي اليوم التالي وصل إليه الرد وهو هكذا : « سأنتظرك غداً في الساعة الخامسة »

* * *

ذهب إليه وهو خافق القلب حتى اضطر إلى الوقوف في السلم عدة مرات . ثم فتح له الباب ودخل حجرة الاستقبال ، فوجد الزوج جالساً في صدرها ، وهو طويل القامة عريض المنكبين ، وقد بدا عليه أنه يتوقع خطباً ، وأشار الزوج له بالجلوس فجلس وقال : « لعلك لا تعرفني ولم تسمع اسمي ... »

فقاطعه الزوج قائلاً : « بل عرفت كل شيء من زوجتي » قال فرانسوا : « أنا يا سيدي لم آت إلا لأقول لك إنني أسفت وندمت وحزنت ولا أطلب غير أن أقبل ابني ... »

فدق الزوج الجرس وأمر بإحضار الصبي (لويس) فدخل الغرفة صبي في العاشرة مندفعاً لرؤية الذي اعتقد أنه أبوه فوجد معه رجلاً أجنبياً فقبله الزوج ثم قال له : « إذهب فقبل هذه اليد » فذهب الصبي ونظر إلى الضيف وكاد ينحني على فرانسوا . وقام الزوج فأطل من النافذة . وفي هذه الأثناء سقطت القبعة من يد الضيف فتناولها الصبي وأعادها إليه .

وعند ذلك أخذه بين ذراعيه وبدأ يقبله فوق خديه وعينيه وعلى جبينه وفمه وشعره ؛ فانزعج الصبي من هذه القبلات ودفع وجه الرجل بكلتا يديه ، فقام الرجل المسكين ووضع الصبي على الأرض وقال : « وداعاً ! »

ثم خرج متسللاً من الغرفة كأنه لص . محمد محمد حمدي

﴿ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولي — عابدين ﴾

8me Année No. 366

Lundi - 8 - 7 - 1940

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع البدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
م
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

السنة الثامنة « القاهرة فى يوم الاثنين ٢ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٩ — الموافق ٨ يولية سنة ١٩٤٠ » العـــدد ٣٦٦

الفهـــــرس

صفحة

على ماهر باشــــا



ألآن وقد انفك عن صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا سلطان الحكمين: المدنى والعسكرى، وأصبحت الكلمة فيه للحق الخالص الذى لا يرغب ولا يرهب ولا يجامل، نحاول أن نرسم هنا ظلال الرأى الذى ارتأيناه فيه على قدر ما تسمح به حال الصحفى الأدبى الذى يواكب من جانب ويراقب من بُعْد، ولا يتصل بأولى الحكم اتصال دعاية، ولا بذوى الرأى اتصال مشايعة

لم أر على ماهر باشا فيما مضى من حياتى غير مرة واحدة منذ عشرين سنة فى مطبعة الاعتماد حيث كان يطبع كتاباً فى القانون وأنا أطبع كتاباً فى الأدب . وعلى الرغم من جلوسنا ساعة من النهار جنباً لجنب فى ذلك المكان الخشن الضيق الذى

كان يجمع يومئذ بين مكتب الإدارة وصناديق الحروف، لم تتناول غير النظر الفارغ، لأنه على ما يظهر من نفسه رزين متحفظ، وأنا على ما أعرف من نفسى حيى منقبض

وتولى على ماهر باشا الحكم فكان لكل أديب ولكل صحفى من رعايته عون على الجهاد والاجتهاد إلا (الرسالة)، فقد عاقبها وقساعليها فى العقاب حتى لم تنل فى عهده من المعارف والداخلية إلا شيئاً يشبه الظلم إن لم يكنه. فأنا حين أكتب عنه لم أجد فى نفسىَ منه إلا ما يجده المصرى الفلاح أو العامل من أثر الرجل الحكومى فى عمله، ومن نتيجة العمل العمومى فى حياته. وألذ الأشياء فى ذوق الضمير أن تشهد شهادة الصدق فى رجل لا تربطك به علاقة من العلائق الحريرية أو الحديدية

* * *

على ماهر باشا رجل هيأته طبيعته وعقليته وعمله للمواقف الجلّى فى عهدنا المستقل الحر. تولى رياسة الحكومة فى وزارة المائة يوم فكان مثلاً عالياً للحكم المناسب فى النشاط الشامل والتوجيه البصير والإصلاح المبتكر والنزاهة المكنة. وكان الغيب فى هذه المدة قد تكشّف عن طور من أطوار العرش والدستور لا يؤمَن فيه الضلال على غير الإرادة الحازمة الرشيدة، فكان من توفيق الله أن تقلد الأمر هذا الرجل العظيم فى تلك الساعة العصيبة فساسه على نهج واضح مأمون من اللقانة والأمانة والقدرة

ثم عاد فتولى الحكم حين أخذت العالمَ كله هذه الرجفةُ النازية الكبرى، فسحقت الجيوش، وثلت العروش، وغيرت وجوه الأرض، ونقضت أحكام الناس، وقلبت أوضاع المجتمع، وأصاب مصرَ منها ما لم تره فى عمرها الحفيل الطويل، فصرّف الأمور فى هذه العاصفة الراجفة بالذهن الثاقب المحتال، والرأى الجميع الموفّق، واليد القادرة الحازمة، والسياسة المتيقّظة المستبصرة، والخطة الصريحة الجريئة، حتى اطمأن الناس إلى مصاير الأزمة، وأمِنوا شر العاقبة

فأنت ترى أن اختيار القدر لهذا الرجل فى هاتين المحنتين من غير سعيه ولا استشرافه لا بد أن يكون لسر من أسرار الطبيعة فيه تعلنه عند إعضال الأمر أو استفحاله

والواقع المأنوس أن على ماهر باشا فذٌّ بين ساسة هذا البلد فى وسيلته وغايته وحكمه؛ فهو لا يعتمد فى ولايته على عصبية الأحزاب المتغالبة، ولم يجر فى حكمه على نمطية الوزارات المتعاقبة، ولم يجعل همه أن يدغدغ جسمه فى كرسى الوزارة المخملى الوثير؛ وإنما بلغ الزعامة بالكفاية المحض، وعالج الحكم بالتدبير المبتدَع، وسما بنفسه عن سفساف الأمور ومحاقر الأغراضِ، وألقى باله للكبيرة والصغيرة، وأخلص رأيه للحميم والخصيم، وتعهد الأداة الحكومية فى أوضاعها المختلفة ومواضعها المتعددة فجلا عنها الصدأ وعالج فيها الاضطراب، حتى نشطت لعملها الدائب فى اطراد واتساق ووحدة

ومن مزايا على ماهر باشا أنه رجل قانون ومنطق. وصاحب القانون يغلب عليه العدل والمساواة وهما روح الحكم؛ وصاحب المنطق يغلب عليه الرأى والشورة وهما أصل الدستور. لذلك تهيأت له الفرص النوادر للاستبداد فأبى أن يعمل إلا على هَدىْ طبعه ووحى ضميره

لقد كان موقف صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا من سياسة الحليفة العظيمة موقفاً يتمناه كل زعيم عظيم بما بقى من عمره. ولولا أن حليفتنا الكريمة لا تزال تجرى فى سياستها الشرقية على موروث من سوء الظن لوجدت فى ماهر باشا أصدق حليف وأوفى معاهد يسلُها من أخلاق قومه ما تجهل، وينيلها من عواطف شعبه ما تريد. ولكنها أتاحت بهذا الموقف الأخير لعلى ماهر باشا أن ينقش فى ذاكرة الزمان الواعى أنبل ما صدر عن وطنيته وعبقريته من البراعة والشجاعة والإخلاص لوطنه ومليكه

* * *

لقد رفع ماهر باشا مستوى الحكم وأعلى مثَله. ومن البعيد أن ينزل خَلفُه عنه أو يترخص فيه؛ ولكن الاضطلاع به والمحافظة عليه فى هذه الزلزلة العامة من المشقات التى تُمتحن بها أقدار الرجال. ويقيننا أن الروح المصرية التى انتعشت فى على ماهر وإخوانه الذين اعتزلوا الحكم، ستشيع فى ساستنا الذين خلَفوهم عليه، فتميت فى أذهانهم معانى الفردية والحزبية، وتدفعهم متكاتفين إلى إنقاذ الوطن عن طريق الجهاد والإيثار والتضحية

إن القدر المتصرف يخطط اليومَ الممالك على نظام جديد. والإيمان وحده هو الذى يملك على القدر اللطف فى التغيير. فآمنوا يا رجال الساعة بقدرة الله وقوة الحق وقيمة الحرية وسلطة التاريخ وعظمة مصر، فإن الإيمان ولا ريب دِرع الأمان

(المنصورة) احمد حسن الزيات

الحديث ذو شجون

للدكتور زكي مبارك

أوهام أدبية تخلقها الحوادث — أسرار الجزع على باريس — الأدب هو سفيرنا فى الشرق — الهجرة إلى الريف — ابدأ بنفسك — الأحزاب السياسية والأدبية

أوهام أدبية تخلقها الحوادث

للحوادث العنيفة تأثيرٌ شديد فى تلوين الحقائق والأباطيل، وفى خلق الآراء والأضاليل ... والمرء حين تصدمه الحوادث، يتلفت ليرى كيف صار إلى ما صار إليه من بؤس وشقاء، وكيف استهدف للمعاطب وتعرّض للأرزاء، وذلك هو الفرق بين اليقظ والغافل من الرجال. وحكاية «السمكات الثلاث» فى كتاب «كليلة ودمنة» تؤيد هذا الرأى، إن كان يفتقر إلى تأييد

أقول هذا، وقد قرأت فى هذه الأيام كلمات نفيسة لجماعة من أدبائنا فى تعليل الهزيمة التى مُنيتْ بها فرنسا، وهم يكادون يُجمعون على أن تلك الهزيمة ترجع إلى ما درَج عليه الفرنسيون بعد انتصارهم فى الحرب الماضية من إيثار الدّعة والسلامة والإقبال على الخلاعة والمجون

والأدباء الذين قالوا هذه الكلمات لم يقولوها إلا لغرض شريف، هو تحذير أمتهم من عواقب البطالة والفراغ، ومآثم الترف واللين. والأديب ينتهز الفُرص ليضرب لأمته الأمثال

ولكن تلك الكلمات النفيسة وقعتْ فيها أغلاط تستوجب التصحيح

فهل من الحق أن فرنسا كانت فسقتْ عن أوامر الأخلاق؟

هل من الحق أن باريس لم تكن إلا ملاعب صبابة ومدارج فُتُون؟ هل من الحق أن الأندية الفرنسية لم تكن تعرف غير قول السوء ولغو الحديث؟

تلك أوهام يقول بها من لم يعش فى فرنسا زمناً يسمح بالتعرف إلى أخلاق أولئك الناس، ليدرك المستور من شمائلهم الصّحاح.

تلك أوهام يقول بها من يعرف فرنسا بالسماع لا بالعِيان

ولو كانت فرنسا كما وصفوا، لكان من المستحيل أن تملك السيطرة الأدبية والحربية فى تلك الأزمان الطوال التى سبقت محنتها الدامية فى هذه الأيام السود

إن الخُلُق الفرنسى نموذجٌ للخُلُق الصحيح، فالرجل الفرنسى يلعب فى حين، ويجِدُّ فى أحيان، وهو فى لعبه وجِدّه مثالٌ للرجل الذى تنأى به رجولته عن اصطناع أخلاق الضعفاء الذين يرون سلامتهم فى التستر والتصنع والرياء

والأدب الفرنسى هو فى جوهره صورة صحيحة للأدب الإنسانى، لأنه ينزع إلى الصدق فى تصوير ما تخضع له الإنسانية من قوة وضعف، ويقين وارتياب، وهدًى وضلال

وإذا انحدرت فرنسا السياسية فلن تنحدر فرنسا الأدبية

ولو صدقت فرنسا فى السياسة كما صدقت فى الأدب لكانت هزيمتها من المستحيلات. وقد قلت فى مقال قدمته لمجلة الهلال إنى أنتظر اليوم الذى تسمح فيه الظروف بأن أعلل هزيمة فرنسا السياسية

فهل أجد اليوم منفذاً لكلمة وجيزة بعد أن استباح المسيو بيتان ما استباح فى تعليل تلك الهزيمة النّكراء؟

إن المسيو بيتان ردّ أسباب الهزيمة إلى ما تخلّق به الشعب الفرنسى بعد الانتصار فى الحرب الماضية من إيثار المرح على التضحية وتقديم الحقوق على الواجبات

فما الذى يمنع من تصحيح رأى المسيو بيتان؟

ما الذى يمنع من القول بأن ساسة فرنسا كانوا أضعف بصراً من ساسة الألمان؟

إن السياسىّ الألمانى قدّم لجنوده قضية تستوجب الاستقتال

فهل قدّم السياسى الفرنسى لجنوده قضية تستوجب الاستقتال؟

قال السياسى الألمانى لجنوده: أنتم جِياع ويجب أن تقاتلوا لتجدوا القوت

أما السياسى الفرنسى فقال لجنوده: هَلُمُّوا للدفاع عن الشعوب الصغيرة

وكذلك شبّت الحرب بين جنديين أحدهما جائع موتور، والثانى شبعان ريّان يتكلف الغيرة على مبدأ لا يفقه ما يعبّر عنه من ألفاظ وحروف

فإلى متى تؤذون شعوبكم بلا موجب أيها الساسة «المحنّكون»؟

لو أعلن ساسة فرنسا أنهم يدافعون عن بلادهم ومستعمراتهم لاستبسل الجندى الفرنسى واستمات، لأنه عندئذ يعرف أنه يدافع عن الشرف والقوت؛ ولكنهم ساقوه إلى الميادين لاعتبارات

مِثالية لا تثير النخوة فى أشجع الجنود

وقد قال الفرنسيون ما قالوا فى غدر ملك البلجيك ، وفات ساستهم أن الوقوف على الحدود كان أنفع وأمنع ، ولو فعلوا ذلك لكان من الجائز أن يتغير مصير الحرب ، ولكان من المحقَّق أن يستبْقوا من الجيش قوةً يدفعون بها شرّ العدوّ المجتاح

ولكن من الذى يملك القدرة على توجيه آراء الساسة والزعماء؟

أما بعــد فلهذا الحديث حواشٍ وذيول سنَعرِضُ لها بالتفصيل بعد حين

والمهمُّ هو تذكير بعض الأدباء بحق الأدب ، فما نريد أن يخضع الأدب لأى اعتبار من الاعتبارات ، وإن كان من واجبه أن يتعرض لجميع الشؤون

الأدب لا يزدهر إلا إذا تحرَّر من جميع القيود

الأدب هو الترجمان الصادق للغرائز الإنسانية ، ولا يجوز أن نطالب الأديب بأن يكون عبداً لزمانه وأهل زمانه ، وإنما يجب أن يُسيطر الأديب على الزمان وأهل الزمان ليؤدى رسالته فى قوة وصراحة وإخلاص

الأديب أقوى من الناس ومن الزمان ، وإنه لا يصوِّر غاية زمنية أو محلية ، وإنما يتسامى إلى غايات تُشرِف على طوائف الإنسانية ومراحل التاريخ

ليس الأديب مِزماراً مأجوراً يترنم بما توحى أحوالكم من أطراب وأشجان ، وإنما هو قيثارة سماوية يحقّ لها أن تصدح بغير ما تشتهون فى أيام الفَرَح وما تبتغون فى أيام البكاء ، وإن كانت أُخُوَّته لكم تفرض عليه أن يكون سناداً لآمالكم فى جميع الأحايين

ألحان الأديب كأزهار الربيع

فإن كنتم سمعتم أن أزاهير التفاح فى نورمنديا تلفَّتت إلى المعارك الدموية بين الفرنسيين والألمان فانتظروا أن يكفّ الأدباء عن التغريد فوق أفنان الوجود ، لأن دنيا كم عجزتْ عن تذوُّق المَرَح الذى يتموَّج فى أعطاف الوجود

أيها الناس

اسمعوا ، وعُوا ، وإذا وعيتم فانتفعوا

الأديب يُسيطر على الحوادث ، ويرفض الاستعباد للحوادث. والأديب أشجع منكم جميعاً لأنه لا يبالى متى يموت . وهل نسيتم أن الأديب هو الذى صنع بقلبه ولسانه وقلمه حوادث التاريخ ؟

ستذكرون يوماً أن أعظم المعارك قامت أو كُسِبَتْ بسبب لفتة ذوقية صَدَرتْ عن شاعرٍ مُجيد أو كاتب بليغ أو خطيب صَدَّاح . وستعرفون يوماً أن ضمائر الأمم لم تخلقها غير أفكار الأدباء الموهوبين .

الأديب ليس جنديًّا يتلقَّى الأوامر، وإنما هو بَطَلٌ مُطاع.

فليكُفَّ قومٌ عن التنديد بأهل الأدب ، وليذكروا أنهم لم يكونوا إلا حاكين لأقوال أهل الأدب فى الوطنيـة . ولولا أقلامنا لعجز أولئك اللاغون عن صياغة عبارات الملام

أسرار الجزع على باريس

وبهذه المناسبة أذكر أن فى أهل مصر من شكت جفونهم قسوة الأرق حين سمعوا بسقوط باريس بين أيدى الألمان

فبأى حق جزع الجازعون على باريس وهى المدينة الوحيدة التى يموت فيها الرجل من الجوع حين يعوزه القوت ؟

جزع المصريون على باريس وليس لهم فيها أعمام ولا أخوال، لأنهم سمعوا أنها كانت مثابة للحرية الفكرية والروحية والذوقية.

جزعوا على مدينة سمعوا أن أهلها فى أمان من أوزار النفاق .

جزعوا على المدينة التى سمعوا أن الرجل قد يعيش فيها طول عمره بدون أن يتعرض للهوان ما دام معتصما بالأدب والحياء

وتلك معان لم يسمع عنها الناس فى غير باريس

وإلا ففى أى أرض يستطيع الرجل أن يعيش وهو فى أمان من أهل اللغو والفضول ؟

فى أى أرض يستطيع الرجل أن يعيش وهو من أدبه فى حصن حصين ؟

باريس هى البلد الوحيد الذى لا يجازَى فيه الرجل بغير ما تجترح يداه

الرجل المهذَّب يعيش ويموتُ فى باريس بدون أن تتعرَّض سمعته للزور والبهتان

فمن أين نشأت هذه المعانى ؟

أليست من ثمرات الأدب الرفيع ؟

باريس هى البلد الوحيد الذى يتجاور فيه حزب الله وحزب الشيطان بلا بغى ولا عدوان . باريس هى البلد الذى لا يتقدم فيه رجل بغير حق إلا فى النادر القليل

فى باريس يقوم الملعب بجانب الكنيسة ، ثم يلتقى اللاعبون والمصلون وهم يتبادلون تحيات المودة والاحترام

فإن كانت باريس ضيمت بجناية الأدب والذوق فهى ضحية كريمة للأدب والذوق

وهل يكون الانتصار فى الغزو دلالة باقية على شرف المنيرين ؟ إن كان ذلك فهل عدّ التاريخ من الشرف أن ينتصر التتار على بغداد ؟ وهل عدّ التاريخ من الشرف أن ينتصر أعداء العرب على إطفاء نور الحضارة الإسلامية بالأندلس ؟

وهل عدّ التاريخ من الشرف أن ينجح نيرون فى إحراق ذخائر الرومان ؟

المعانى الروحية والأدبية هى الباقيات على وجه التاريخ . فمن كان يرى الفضل كل الفضل فى أن ينتصر جيش على جيش بقوة النار والحديد فستريه الأيام عواقب ما رأى فكره المنخوب ، والزمنُ كفيلٌ برفع الغِشاوة عن بعض القلوب

الأدب هو سفيرنا فى الشرق

ويتحدث قومٌ عن صوت مصر فى الشرق ، وأقول إن الأدب هو سفيرنا فى الشرق ، ولكن أىّ أدب ؟

هو الأدب الرفيع الذى يشرّح جميع الأهواء الإنسانية بحيث يشعر كل امرئٌ فى الشرق أن له نصيباً من العواطف التى يهتف بها أدباء وادى النيل

ولست بهذا القول أعادى أنصار الفكرة المصرية الذين يرون أن تكون مصر مثابة أفكارهم فيما ينظمون ويكتبون ، فمن حق المصرى أن يجعل مصر قِبلة هواه ، ولكن من واجبه وهو أديب أن يذكر أنه أديب ، والأديب أعظم وأرفع من أن يَقْصر أهواءه على الشؤون المحلية . الأديب المصرىّ مسئول عن الطب لأدواء مَن وثقوا به من أهل الشرق . الأديب المصرىّ مطالَب بأن يكون صوته صدًى لجميع آمال الشرق ، ولجميع آلام الشرق . الأديب المصرىّ هو الآسِى لجروح الشرق ، وهو القيثارة التى تصدح بأفراح الشرق

وهذا واجب كفاية ــ كما يقول الفقهاء ــ فلست أطالب كل أديب بأن تكون نوازعه شرقية ، وإنما أستنكر أن يعاب على رجل مثلى أن تكون له سياسة أدبية تتجه نحو الشرق ، ولمصر فى الشرق أهلٌ وأصدقاء

والواقع أنى أتهم قوى بلا موجب ، فأدباء مصر جميعاً يضمرون أصدق العواطف للشرق ، ولكن يُعوزهم التعبير المقبول ، فهم يُوهمون قراءهم أنهم لا يعرفون غير مصر ، ولو نطقت الضمائر لقالت إن عواطف أدباء مصر لم تكن إلا جوارح تحسّ آلام الشرق

وهل يلام أدباؤنا على إعلان هواهم لمصر فى أوقات الشدائد والخطوب ؟ نحن نغار على مصر لغرضين : لأنها مصر ، ولأنها مفتاح الشرق . فإن أمدّنا الله بالقوة والعافية والتوفيق فسنجعل من مصر قاعدة حربية تدفع عدوان الغرب على الشرق

آه ثم آه ! !

إنى أخاف طغيان الحوادث على مصير اللغة العربية ، وعلى العقيدة الإسلامية . وأنا مع ذلك غير يائس ، لأن مصر باقية ، ولأن الشرق لن يزول . والله هو المستعان ، على مكاره هذا الزمان

الهجرة الى الريف

الهجرة فى أصلها اللغوىّ تدلّ على معنى المَشقّة ، فهى تشهد بأن المُهاجر ينتقل من حال الاستقرار إلى حال القلَق ، فهل يكون الأمر كذلك فى الانتقال من المدن إلى الأرياف ؟

أعترف مع الأسف بأن الأمر صار كذلك ، لأننا بالغنا فى تجميل الحواضر المصرية مبالغة مُرهقة ، بحيث صار المسكن الواحد يتكلف من الماء والنور ما يكفى لتموين أسرتين من أهل الريف . وقد زادت الأمور الكمالية زيادة لا تطاق ، ثم أمست تلك الكماليات وهى من الضروريات . فنحن اليوم بفضل الحضارة فى شقاء وعناء

وكنت لأول عهدى بحياة القاهرة أعيش عيشة بسيطة ، فلم أكن أشعر بفوارق كثيرة حين أنتقل لقضاء الصيف فى الريف . ثم تحضّرت رُويداً رويداً إلى أن صرت لا أستطيع قضاء ليلة واحدة بمنزلنا القديم فى سنتريس . ولولا الأموال التى خاطرت بتبديدها فى بناء منزل جديد هناك لكان من العسير أن « أهاجر » من وقت إلى وقت لزيارة أهلى

الحق أن الحواضر المصرية شلّت قدرتنا على الأُنس بالريف . فالأنهار الجارية فى الأرياف لا تغنينا عن صنابير المياه التى ننعم بها فى الحجرات والغرفات . والقمر الذى يسطع بأنواره الفضية فى سهول الريف لا ينسينا جاذبية النور الذى نتلقاه عن مصابيح الكهرباء. ومن هنا صح القول بأن الذهاب إلى الريف هِجرةٌ فيها ما فيها من القسوة والعنف . فهل تكون هذه « الهجرة » فرصةً للتداوى من أمراض المدنية ؟

إن كنتم سمعتم أن الترف يقتل الممالك والشعوب فقد آن الأوان لشرح تلك النظرية . فالحضرى الذى يعجز عن المبيت بديار الريف هو أعجز الناس عن تحمُّل العيش فى ميادين القتال

ولو شئت لاقترحتُ أن يُمنَع النوم فوق الأسرَّة فى المعسكرات حتى لا يعرف الجنود طعم اللين . فمن الصعب على من تعوَّد النوم فوق الحشايا أن يفترش الأرض الصمَّاء حين تقهره على ذلك ظروف الهيْجاء

يرحم الله أيامى حين كنت فلاحاً لا يؤذيه النوم فوق الأرض الجرداء !

فقد وَقَذتنى الحضارة وأضرعتنى حتى صارت جُنُوبى لا تطمئن إلا إلى حشايا تُنَجَّد فى العام الواحد مرتين أو مرات، وذلك داء عُضال

لا فائدة من الندم على ما فات . ثم أوجِّه الكلام إلى أولئك المهاجرين فأقول :

أنتم تفِدون على أقوام تحصنوا بالقناعة، فما يعرفون من ألوان الطعام غير لون أو لونين ، فلا تفتنوهم برؤية الموائد المثقلة بأطايب الطعام والشراب ، ولا تحملوهم على أن ينظروا إليكم نظر المحروم إلى المطعوم . فلذلك عواقب يخشاها من تهمهم سلامة القلوب فى الريف

أنتم تفِدون على أقوام لا يملك الشخص منهم غير ثوب أو ثوبين ، فلا تفتنوهم بكثرة الأثواب ، ولا تشعروهم بأنكم أقدر منهم على الزينة ، فلذلك آثام ستسوؤكم أوزارها بعد حين

وما الموجب لأن يتخطَّر بعض الشبان « المهاجرين » فوق شطوط الجداول وقد لبسوا « البيجامات » وتركوا رؤوسهم العارية تداعب النسيم بالشعر المعطَّر المشكول ؟

ألا يعرف هؤلاء الشبان أن أهل الريف لن يلقوهم بغير السخرية والازدراء ؟

يجب أن تعيش فى الريف بأخلاق أهل الريف، فتحلق رأسك وتكتفى فى مطعمك وملبسك بما يتسق مع المأثور من شمائل أولئك الناس ، فإن خالفت هذه الوصية فلست أهلاً لنعمة الله عليك ، ولن تترك فى الريف غير ذكريات لا يسرُّك أن تعاد

هل عندك من قوة الأخلاق ما تقدِّم به لأهل الريف زاداً جديداً من أدب النفس ؟

هل تستطيع أن تروض أهل الريف على الاقتناع بأن لأهل المدن شمائل هى السبب فى سبقهم إلى أطايب المنافع وكرائم الطيبات ؟

هذا يومٌ من أيامك ، أيها المهاجر إلى الريف ، فكن قَبَساً من الهداية يدفع ما فى الريف من ظلمات . وكن فى سيرتك مثالاً يحتذيه مَن رحَّبوا بقُدومك أجمل ترحيب

إن الذين يهاجرون إلى الريف بالألوف سيعرِّضون الريف لرجَّة اجتماعية ؛ فما عسى أن تكون تلك الرجَّة ؟ أتكون خيراً ؟ أتكون شرًّا ؟

عندك — أيها المُهاجر — جواب هذا السؤال . لطف الله بك وهداك !

ابدأ بنفسك

كَثُر التواصى بالوطنية فى هذه الأيام ، وأصبحت الجرائد والمجلات ميداناً لأقلام أهل الحَميَّة من أبناء الوطن العزيز

وهذه فرصة لامتحان النفوس والعزائم والقلوب ، فكل امرىء يعرف ما يملك من زاد الوطنية، وكل امرىءٍ يعرف ما عنده من عناصر الأمانة والصدق والإخلاص

والمهم هو أن تبدأ بإعداد نفسك لدعوة الواجب ، وأن تؤمن بأنك المسئول الأول، وأنك وحدك المعنى بالنداء يوم يدعو الوطن أبناءه لتفديته بالأموال والأرواح

ويلى ذلك فى الأهمية أن تشعر بمعنى الأخوَّة الوطنية ، وأن تثق بأن جميع من تصادفهم فى غُدُوِّك ورواحك هم إخوتك وأنصارك ، وإن لم تعرفهم من قبل ، وأن تعرف فى قرارة نفسك أن منافعهم هى بعض منافعك ، وأنك عن تفديتهم مسئول

التماسك الأخوى هو الحجر الأول فى بناء الوطنية ، ويوم يصح هذا التماسك لا يضيرنا أن تفسُد الدنيا يوماً فينفرط عقد الأمان

هل سمعت بالقوانين التى تشرع للطوارىء ؟

إن كنت سمعت فاعلم أن الأمة الكريمة هى التى لا تفتقر إلى مثل تلك القوانين فى غياهب الأزمات وظلمات الخطوب

نحن لا نحتاج إلى أدب النفس فى أيام السلام ، وإنما نحتاج إلى أدب النفس فى أيام الحرب ، فمن أنت بين أصحاب النفوس ؟

الوطن يعتمد بعد الله على نفسك العالية ، فكن عند ظنه الجميل

الوطن يرجو أن تفى له فى أيام الشدة كما وفى لك فى أيام الرخاء

الوطن هو أنت ، فمن أنت ؟

إن فى الدنيا ناساً يتخذون أيام الحرب وسيلةً لِوَرَم الجيوب، وأعيذك أن تكون من أولئك الناس

لمثل هذه الأيام تُدَّخر الأخلاق، فكن من أقطاب الأخلاق إبدأ بنفسك فنزِّهها عن مآثم الجشع والخيانة والبهتان ، فإن فعلت فستظفر بثروة روحية تدفع عنك ظلمات الحوادث ، وتمنحك القدرة على الاستهانة بالخطوب

العاقبة للصادقين
العاقبة للصادقين
العاقبة للصادقين

فكن فى جميع أحوالك من أهل الصدق . واحذر أن يكون أحد فى الدنيا أصدق منك ، فما يليق برجل كريم أن يكون من أهل الطبقة الثانية فى الصدق

الأحزاب السياسية والأدبية

فى أعقاب الأزمة الوزارية الأخيرة أدركت قيمة الحياة الحزبية إدراكاً أوضح من الإدراك الذى كنت أتمثلها به من قبل ، فقد صح عندى بصورة صريحة أنها تعاون على إظهار أقدار الرجال

ومن المؤكد أن فى كل أمة رجالاً يصلحون للحكم بأفضل مما يصلح بعض رجال الأحزاب ، ولكن حرمانهم من الأنصار يحول بينهم وبين أداء واجبهم عن طريق المناصب الوزارية ، وهى مناصب تمكِّن الرجل المخلص من أداء الواجب الوطنى على الوجه المنشود

قد يتفق فى بعض الأحيان أن يصل الرجل المستقل إلى تلك المناصب ، ولكنه مع ذلك يظل مقلقلاً مزعزعاً بسبب عُزلته عن الأسندة الحزبية ، وهى دعائم تحول الضعفاء إلى أقوياء . والمرء كثير بأخيه ، كما قال الرسول :

من حق الرجل أن يتحزب ، بل من واجبه أن يتحزب ، على شرط أن يكون صحيح النية فى خدمة المبدأ الذى ينتمى إليه ، وعلى شرط أن يكون التضامن الحزبى وسيلة لغرض سليم هو استعجال الفرصة للاضطلاع بحمل الأعباء الثقال فى خدمة الوطن عن طريق الوزارة أو طريق البرلمان

ولا يعاب التحزب إلا بآفة واحدة هى ما يقع من السَّرف فى اللجاجة والعنف ، كالذى نراه من بعض الأحزاب على بعض من حين إلى حين

ولكن من السهل على الرجل الحكيم أن يتجنب هذه الآفة فلا يَشتِم ولا يُشتَم ، ويظلّ محترماً من الجميع ، كأن يكون مِثل مصطفى عبد الرازق بين الدستوريين، ومثل زكى العرابى بين الوفديين ، ولهذين الرجلين أمثال فى سائر الأحزاب ، وإليهم تتجه الأنظار فى الظروف التى توجب أن يتقدم لحمل أعباء الحكم رجالٌ ليس فى مسلكهم الحزبىّ ما يهيج الخصومة ويثير الخلاف

تلك هى الحال فى الحياة السياسية ، فكيف تكون الحال فى الحياة الأدبية ؟

الواقع يشهد بأن النجاح فى الأدب قام على أسناد من العصبيات المتمثلة فى الأندية والجمعيات ، فعندنا فى مصر أحزاب أدبية ، وإن لم تصطبغ صراحة بالصبغة الحزبية ، وبفضل ذلك التحزب المستور لَمَعتْ فى عالم الأدب أسماء كانت أهلاً للخمول لو واَجهت الحياة الأدبية بلا أسناد من الأصدقاء والُحلفاء

أقول هذا وقد فاتنى التحزّب فى السياسة والأدب ، فأنا صديق الجميع ، وعدو الجميع ، ومن كان كذلك فهو خليق بأن يعيش بلا أنصار ولا أصفياء

سمعت أن فى مصر حزباً يسمى حزب المستقلين ، وهم الذين قرروا الاجتماع فى حديقة الأزبكية ليعلنوا رأيهم فى الصورة التى تؤلَّف بها الوزارة الجديدة . ثم سمعت أيضاً أن الوزارة ألِّفت قبل أن ينفضّ اجتماعهم « المفقود »

وأنا فى الأدب من حزب المستقلين ، فليس من العجب أن تؤلَّف اللجان وتُعقد المؤتمرات بدون أن أخطر فى البال ، فتلك مزية الاستقلال !

سأتحزّب ، سأتحزب ، سأتحزب
ولكن كيف ؟

سأعقِد محالفة بينى وبين قلبى ، وهو أقوى وأنفع من ألوف الأصدقاء

قضيتُ دهرى بلا نصير ولا مُعين ، وسأظل كذلك طول حياتى ، لأقيم الدليل على أن من يستنصر بالله لا يَخيب ولا يضيع فإليك يا فاطر الأرض والسموات ، وأنت وحدك الولىُّ النصير ، أقدم واجب الحمد والثناء

زكى مبارك

الفروق السيكلوجيـــة

بين الأجناس البشرية

للأستاذ عبد العزيز عبد المجيد

قد لا يكون من الحكمة أن نتعجل بحث الفروق السيكلوجية بين الأجناس البشرية من قبل أن نعرف : ما هو المقصود بالجنس ؟ وما هي أنواع الأجناس المختلفة التي يدور البحث حولها ؟

والموضوع من التعقيد بمكان ، فقد شغل فقهاء اللغة، وعلماء الأجناس Ethnologists ، وعلماء الاجتماع والسياسة ، ولا يزال يشغلهم حتى الآن ، ولم يوفقوا بعد إلى رأى نهائى . وكل ما وصلوا إليه إنما هو حدس وفرض . وسبب ذلك أن موضوع الأجناس البشرية يبحث فى القديم من التاريخ وفيما قبل التاريخ .

وليس ثمة من الوثائق التاريخية أو الأثرية ما يكفى لتحقيق فرض أو إثبات نظرية، كما يبحث أيضاً فى الأجناس الحاضرة . وما قام به العلماء من محاولات لكشف ما عسى أن يكون من صفات جسمية وعقلية وخلقية مشتركة تميز طائفة من البشر عن غيرها لم يؤد بعد إلى حكم جازم بأن هذه الطائفة — مثلاً — متميزة كل التميز عن تلك . وذلك لما حدث فى الماضى من هجر بعض الشعوب مواطنها الأولى واستقرارها فى مواطن أخرى وامتزاجها بسكان هذه المواطن الأصليين بالتزاوج والتناسل ، حتى أصبح من العسير علمياً أن يقال إن هذه الطائفة من الناس نقية الجنس لم تختلط بغيرها . وهذا ما جعل تعريف الجنس نظرياً فقط لا واقعياً . وهم يقولون إن الجنس من الأجناس البشرية هو جماعة كبيرة من الناس تنتمى إلى أصل واحد قديم ، وتتميز بخواص جسمية وعقلية وخلقية مشتركة تميزاً وراثياً

والمتأمل فى هذا التعريف لا يستطيع أن يجزم بالحد الذى تكون به الجماعة « كبيرة » بحيث تكوّن الجنس . فجماعة سكان استراليا الأصليين مثلاً لا تعتبر كبيرة إذا قارناها بالترك ، مع أن علماء الطبائع البشرية Anthropologists يعتبرون السكان الأصليين لأستراليا جنساً مستقلاً ، بينما الترك فرع من الجنس المنغولى . وعلماء النفس لا يُقرون — كما سنرى — القول بوجود تلازم بين الخواص الجسمية والعقلية أو الخلقية . فإن وجود أنواع من الأجناس البشرية ، تتميز بصفات جسمية خاصة ، لا يدل مطلقاً على وجود تميز عقلى أو خلقى لهذه الأجناس، لأن ذكاء المرء أو خلقه لا يمكن أن يحكم عليه عادة بشكل جسمه ، ولأنا إذا سلمنا بوجود اختلاف بين الأجناس فى العقل والخلق كنتيجة ملازمة لاختلافها فى الشكل والمنظر ، كان معنى هذا أن الأفراد يختلفون بالضرورة عقلاً (أعنى ذكاء) وخلقاً باختلاف مناظرهم وأشكالهم . وقد أثبتنا فى المقالات السابقة أنه لا توجد علاقة تلازمية بين الخواص الجسمية وبين الذكاء ، ولا بينها وبين الخلق

ولقد كان الرأى السائد حتى منتصف القرن الماضى أن الأسرة البشرية إنما تنقسم إلى ثلاثة أجناس: سامى وحامى، ويافثى. وهذه هى نظرية التوراة المذكورة فى قصة نوح ، فإنه لما استوت فلكه على الجودى كان معه من أبنائه الناجين سام وحام ويافث « وكان بنو نوح الذين خرجوا من الفلك ساما وحاما ويافث . وحام هو أبو كنعان . هؤلاء الثلاثة هم بنو نوح . ومن هؤلاء تشعبت كل الأرض »[1] . ولقد شك كثير من العلماء فى صحة رواية التوراة ، وأبدوا شكهم هذا بحجج منها أن التوراة تجعل الكنعانيين من الحاميين مع أنهم أقارب الإسرائيليين وتربطهم بهم روابط عنصرية ودموية ولغوية وثيقة[2] . كما تأثر فقهاء اللغات بهذه النظرية فقسموا لغات البشر إلى ثلاث طوائف : السامية والحامية واليافثية. ولكن العلماء الآن لا يرون ضرورة وجود علاقة بين اللغة والجنس . فالعرب — كما يقول الأستاذ مرجليوث — ليسوا ساميين لمجرد أن العربية هى إحدى اللغات السامية ، فقد يشترك فى تكلم اللغة الواحدة أكثر من جنس واحد[3] . وإلى هذا يشير الكاتب الإنجليزى العالمى هـ . ج . ويلز بقوله : « وقد حدث أن خلط فقهاء اللغة بين اللغات والأجناس فافترضوا أن الأقوام الذين يتكلمون لغة واحدة مشتركة لا بد

(١) الإصحاح التاسع ، الآيتان الثامنة عشرة والتاسعة عشرة من سفر التكوين

(٢) راجع كتاب Sprachwissenschaft للأستاذ Brocklemann

(٣) انظر كتاب The Relation between Arabs and Israelites prior of the rise of Islam.

أن يكونوا من جنس واحد مشترك، وهذه ليست الحقيقة . ومن السهل على القارئ أن يعرف هــذا إذا عرف أن زنوج أمريكا يتكلمون الآن الإنجليزية ، وأن الإيرلنديين — إذا استثنينا استعمالهم للغة الإيرلندية القديمة لأسباب سياسية — يتكلمون الإنجليزية أيضاً كما يتكلمها سكان ويلز ببريطانيا بعد ما فقدوا لغتهم الكلتية القديمة . وكل ما تدل عليه اللغة المشتركة بين الأجناس المتباينة هو حدوث اختلاط اجتماعى فى الماضى بين متكلميها مختلفى الأجناس ، واشتراكهم فى مستقبل واحد ، ولا تدل على أصل مشترك واحد[1]

لم يتفق علماء الطبائع البشرية على الخصائص التى تميز جنساً من الأجناس البشرية عن جنس آخر ، ولكنهم متفقون على أنه قد وجد فى العصور القديمة جداً أجناس بشرية أولية متميزة ، وقد انتشرت هذه الأجناس فى الأرض وارتحلت من مكان إلى مكان ، ومن مناخ إلى مناخ ، ومن بيئة إلى بيئة ، فخضعت لاختلاف البيئة الجديدة ، وتأثرت بما فيها من رخاء وشدة ، ومن طعام ومأوى مغاير ، فتكيفت الأجسام والعقول تكيفاً يناسب البيئة الجديدة . وتطور هذا التكيف خاضعاً لقانون التنازع الدائم بين الإنسان وبين الطبيعة : يريد أن يخضعها وتريد أن تخضعه . فجدت أقوام تخالف أجناسها الأصلية ، وامتزجت هذه الأقوام بغيرها من أقوام ذوى جنسيات أخرى . وهكذا استمرت الأسرة البشرية فى تغير وتطور حتى صارت إلى ما هى عليه الآن . فلم تبق إذاً تلك الأجناس البشرية الأولية محافظة على وحدتها وكيانها ، ولكن جماعات أخرى جديدة تأثرت بعوامل البيئة المستمرة وتميزت عن غيرها ، وإن كانت هــذه الجماعات الجديدة لم تحتفظ بدمها الجنسى الأصلى . من أجل ذلك نجد اختلاطاً كبيراً فى صفات الأجناس البشرية الحالية ، فسكان استراليا الأصليون سود البشرة بينما شعرهم مستقيم ، وتقاطيع وجههم تشبه تقاطيع وجوه الأوربيين . وكذلك نجد بين سكان الأقاليم الشمالية Nordic races من له شعر أسود ، وبشرة ورقاء ، وبين سكان أقاليم البحر الأبيض المتوسط بيض البشرة وسمرها

وبالرغم من هذا كله فقد حاول علماء الطبائع البشرية أن

(١) راجع كتاب The Outline of History, H. G. Wells صفحة ١٤٦ .

يقسموا الأسرة البشرية الحالية إلى جماعات جنسية وفقاً لصفاتهم الجسمية الظاهرة : كشكل الجمجمة ، وتقاطيع الوجه ، ولون البشرة ، ولون الشعر ولون العيون . وعلى أساس هذه الصفات الجسمية تنقسم الأسرة البشرية إلى ما يأتى :

الجنس القوقازى : وهو يشمل سكان أوربا والبحر الأبيض وغربى آسيا ، وهو جنس أبيض . وهذا الجنس ينقسم إلى جنسين أو ثلاثة أجناس[1]: الجنس الشمالى، ويمتاز بالشعر الأصفر وبياض البشرة بحمرة وطول الجمجمة[2]. وجنس البحر الأبيض المتوسط ، ويمتاز بالشعر الأسود والبشرة البيضاء بسمرة والجمجمة المدورة ، وبين هذين الجنسين جنس ثالث هو الجنس الألبى Alpine race وهو وسط بين الجنسين[3]. ومن الجنس القوقازى بعض السكان الأصليين للهند وإيران وما بينهما . شكل (١) ، (٢) ، (٣)

الجنس القوقازى



شكل (١) بربرى من شمال أفريقيا — شكل (٢) يمثل سكان الشمال — شكل (٣) يمثل يهوديا من الجزائر

الجنس المنغولى : ويمتــاز بصفرة البشرة وسواد الشعر واستقامته ، وارتفاع عظام الخد ، وتوسط القامة . ويشمل سكان آسيا الوسطى والشرقية ، والأمريكيين الأصليين (الهنود الحمر) ، وجنساً يسمى الكالموك كان يسكن هضبة التبت حتى القرن السابع عشر الميلادى حين ارتحل إلى شواطئ الفلجا . وقد اختلط الجنس المنغولى بالجنس القوقازى فى أواسط آسيا وشرقيها . شكل (٤) ، (٥) ، (٦)

(١) الجنس فى علم المنطق قد يكون بعيداً وقد يكون قريبا ، فالجنس القوقازى مثلاجنس بعيد، بينما الأجناس الأخرى التى ينقسم إليها أجناس قريبة

(٢) إذا نظرنا إلى الجمجمة من أعلى فإن طولها هو امتدادها من الأمام إلى الخلف وعرضها بين الجانبين ، فإذا كان عرضها $\frac{4}{5}$ الطول أو أكثر فهى مدورة ، وإن كان العرض أقل من $\frac{4}{5}$ الطول فهى مستطيلة

(٣) يرى بعض العلماء تقسيم الجنس القوقازى إلى جنسين فقط : الجنس الشمالى وجنس البحر المتوسط

الجنس المنغولي



شكل (٤) يمثل الهنود الحمر — شكل (٥) امرأة صينية — شكل (٦) كالموكى من سكان الصين الشمالية

الجنس الزنجي : ويمتاز بسواد البشرة ، وتفلطح الأنف ، وثخن الشفتين ، وتجعد الشعر . ويكون هذا الجنس سكان إفريقيا الأصليين . وقد تأثر هذا الجنس بما جاوره من الأجناس الأخرى . شكل (٧) ، (٨) ، (٩)

أشكال زنجية



شكل (٧) — شكل (٨) — شكل (٩)

الجنس الاسترالي الأصلي : ويمتاز بسواد البشرة ، وقد تكون حواء ، وبسواد الشعر واستقامته وكثافته ، وبطول الجمجمة ، وتفلطح الجبهة وانحدارها إلى الخلف . ويشمل سكان استراليا قبل كشفها ، وسكان جنوبي الهند وسيلان وشبه جزيرة الملايو شكل (١٠) ، (١١)

الجنس الاسترالي الأصلي



شكل (١٠) — شكل (١١)

ويذهب بعض علماء الطبائع البشرية إلى القول بوجود جنس آخر أقدم من الأجناس السابقة كان موطنه منطقة البحر الأبيض المتوسط الأفريقية ، ويمتد شرقاً إلى الهند فالمحيط الهادي ، ثم يعبره إلى المكسيك وبيرو . ويمتاز بالبشرة البرنزية وهو صاحب أقدم الحضارات المسماة بالحضارات الهليوليتية Heliolithic ولعل الحضارات الأولى التي ظهرت في وادي النيل والفرات ودجلة كانت على صلة بتلك الحضارة الهليوليتية ... ويظهر أن سكان صحراء الجزيرة العربية البدو كانت لهم حضارة هليولوتية[1] .

هذا وتقسيم الأجناس الذي ذكرناه إنما هو رأي طائفة من العلماء . والحقيقة أن هذه الأجناس قد اختلط بعضها ببعض لدرجة يصعب معها أن نجد جميع مميزات كل جنس باقية من غير تغير . بل إن بين بعض أفراد الجنس الواحد من الفروق الجسمية ما هو أكثر من الفروق بين فردين من جنسين مختلفين .

وسنعالج موضوع الفروق العقلية بين الأجناس في مقال قادم

(بخت الرضا — السودان) عبد العزيز عبد المجيد

(١) صفحة ١٤٠ من كتاب The Outline of History, H. G. Wells

هذه هى الساعة ...!

للأستاذ محمود محمد شاكر

قامت الدنيا وأخذت تمد زينتها لأمر غير ما مضى من أمرها . إنها لا بد أن تتبرج لعيون عشاقها ، ممن كتب لهم أن يشهدوا مشهداً آخر من فصول الرواية الإنسانية التى تمثل فى ساحاتها . نعم ، فإن الحرب المهلكة التى لا تزال تقعقع من شواهقها حين تنقض ، أو تزحر وتئن تحت أثقال الوقائع — لا تلفت الحياة الدنيا عن عملها فى تلبيس العيش بالفتنة لمن يعيشون ، ولا عن تقديم اللذة لمن يشتهون . وكأن هذه الحرب إن هى إلا تضخيم عظيم لعمل العامل فى إزالة النطرية (التواليت) عن وجه الغانية ، ونسف التطريف (المانوكير) عن بنانها ، وما سوى ذلك من إعداد الغانية الحسناء لتبدو مرة أخرى فى حلى وبهاء وزينة

لا أتشاءم ولا أتفاءل ، فالقدر قد قضى على الدنيا قضاءه ؛ وما ندرى ما يراد بنا منذ اليوم ! فرب شر نتوهمه كذلك قد احتقب الخير ، ليرمى فى أرجاء الدنيا غرساً جديداً فى أرض جدد ثراها ما أصابها من تدمير وهدم . إن بعض القسوة فى الحياة يكون كتشذيب الشجر فى إبانه ، يقطع منه ليزداد قوة على إثبات وجوده وتقرير حقه فى البقاء نامياً فينان يسمو وينتشر ويخضر ويثمر . وقانون الفطرة الذى تجرى أحكامه على الطبيعة لتتجدد ، لا يخطئ ابن الطبيعة يعمل فيه ، ليصنع له حياة جديدة تثبت أن وجوده على الأرض حقيقة نامية أبداً ، إن يكن الماضى قد باد فى التاريخ ، فإن الحاضر يثبت إثباتاً عملياً أنه مستمر فى الحاضر ، ويكون استمراره فى الحاضر دليلاً على امتداده إلى المستقبل . ويكون من جميع ذلك أن الحياة الدنيا مهما أصابها من شىء باقية ، لا يمحوها إلا القانون الآخر الذى يجعل لكل أول نهاية ينتهى إليها . فإذا جاء أوان هذا القانون فقد بطلت حيلة المحتال

إن الزمنَ الذى يمشى فى الأرض فتتخضرُ منها مواطئُ أقدامه ، هو نفسه الزمن الذى يدب عليها فيُسمع لدبيبه دمدمة مما يتقصف تحته من عمارة الدنيا وبنيان الحضارة ، وعلى مواطئ الزمن تتنزل الحضارات كلها أو تتهَدَّم . ومن يوم أن تمهَّدت الأرض بالحياة يبيدُ شىء ويقومُ شىء ، وما يزول منها ما يزول إلا ليحل عليها ما يحل ، لأن الحركة دليل الحياة ، فلا يثبت معنى الحياة إلا بها ، وما يتحرك من متحرك إلا لتكون لانتقاله نهاية إليها يتوجه ، وعندها يقف . فإذا وقف فهذا آخر أنفاسه ، ثم يسكن سكون الموت

فما بنا على ذلك أن نتشاءم أو نتفاءل ، وما التشاؤم والتفاؤل إلا حركة النفس الفارغة التى لا تجد عملها ، فهي تعمل فى إرهاق نفسها بما لا ينفعها ولا يعنيها ؛ وليس من عمل الإنسان ما هو أضر عليه من إجهاد نفسه فى باطل ، والجهاد بها فى غير طائل . فإذا أردنا اليوم أن ننظر فما ننظر إلا لنعرف الطريق التى يجب أن نقرر لجهودنا أن تمهدها لنا ولمن يأتى بعدنا على تدبير وسياسة

والقــدرُ اليومَ قد قضى بين الناس ، ووضع القضية لمن يختار ، فمن شاء أن يدخل فى عقد هــذا وعهده دخل فيه ، ومن شاء أن يتخلَّف فقد رضى لنفسه على مَيْزة وبصيرة ، وما ينقض القدر قضاءه الذى أبرم ، فيأتى من يأتى ينوحُ بما ظُلم ، ويتوجَّع بما غُبِنَ !!

ونحن قد لقينا من أحداث الدهر ما ردَّنا بعد عزة إلى قرار هوان . وقد أنَى لنا أن نرفع أنفسنا من وهدة واطئة قد ربضت بنا فيها سلاسل من حديد الذل ، وقد حضرت ساعة ينبغى أن نفصل فيها بين عهد مضى وزمن يستقبل ، فإذا قعدت عزائمنا ، وعميت أبصارنا ، فأنفسنا نضيع ، وأرواحنا نزهق

جاءت هذه الحرب لتنسف تاريخاً شامخاً ثقيلاً قد اضطجع على حياة الشرق كما يضطجع الجبل على سفحه الرَّحْب ، فإذا تأخر الشرق وتهاون وتكاسل على ما عوَّده الموت الروحىُّ الذى كان فيه ، فقد سَنَحتْ له الفرصة ثم ولَّت عنه ، وتركتْ يدَه ممتدَّةً لا تمسكُ إلا أذيالَ الريح التى استَرْوَحتْ عليه بأنفاس الصيد وراحته

إن فى هــذا الشرق لميراثاً نبيلاً من الأعمال والأخلاق والآداب والسياسات ، ولــكن هذا الميراثَ المضيَّع المنسى لا يجدى من خير على نائم قد أغمض عينيه عن الحياة ، استمتاعاً

بحياة أخرى تعرضها له أحلام رخية تختال فى خياله . هذا الميراث المجهول فى حاجة إلى من ينفض عنه غبار القدم ، وأتربة الإهمال ، ويزيل عنه أدران الجهل والخمول ، ويجلوه مرة أخرى على أعين الناس مضيئاً مشرقاً يتوهج بأنواره كأحسن ما يتوهج

لقد كانت الحضارة الأوربية الماضية ، وقامت على روح من الأثرة والبغى والاستبداد ، وفقدت كل معانى الروح السامية التى تبذل أكثر مما تأخذ ، وتمتد الغنى من الاستغناء لا من الجمع والتعديد ، وتجعل حرية النفس فى ضبطها وإمساكها على المصاحة لا فى تسريحها وإرسالها على مد الشهوة . وقد كان للشرق مجد وحضارة ومدنية ، وتم الإسلام كل الكمال لهذه الحضارة بما أقام للناس من شعرائه وآدابه ، وجاء على الشرق زمان كان الإصلاح فيه ضرباً من إفساد الصالح ، وزيادة الفاسد فساداً وخبالاً . وكذلك ضاع كل شىء ، ورجع بنا الزمن إلى جاهلية جهلاء ، تقوم على التقليد لا على الإبداع ، وعلى المتابعة لا على الاستقلال ، وبالكبرياء لا بالتواضع ، وحتى ذكرى مجدنا السالف قد صارت عندنا نخوة جاهلية فى التعظم بالآباء والأجداد ، لا عملاً عظيماً تمظمه أعمال الآباء والأجداد والوراثة القومية النبيلة

والحضارة ليست هى العرض الظاهر من قوتها وبنيانها وفنونها وكل ما يقوم به نعت الحضارة ، بل الحضارة هى السر الذى يعمل فى إيجاد ذلك واستنباته ، وإخراجه على الأرض واستثماره : هى سر الحبة التى تنبت الدوحة ، والذرة التى تقوم بها المادة . فكل حضارة لا بد لها من روح تعيش بها وتنمو ، وعلى ما فى هذه الروح من النظام والتدبير والنبل والسمو ، تنشأ الحضارة منظمة مدبرة سامية نبيلة . ونحن لا نشك فى أن الروح التى ورثها الشرق فى نواحيها ، والتى طهرها الإسلام من نواحيها وأتمها ، وأحسن سياستها ، ونفى عنها خبثها ـ هى التى تستطيع أن توجد على الأرض حضارة تملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً ، وتفيض بها رحمة كما فاضت غلظة ، وتجعلها طريقاً للإنسانية تخرج به من ظلمات الباطل والبغى والغرور إلى نور الحق والتواضع والمساواة . ويومئذ لا يقتتل الناس من أجل سلب الحق للزيادة فى أنفسهم وجنسياتهم ، بل يقتتلون ـ إن هم اقتتلوا ـ من أجل إعطاء الحق ورده على أهله مهما اختلفت جنسياتهم ، ولا فضل لأحد على أحد إلا بما يحسن هذا ويسىء ذاك ، ويصبح القانون العالمى ، قانون الحق يستقر حيث ينبغى أن يستقر

إن العالم الآن ليقتتل على غير غرض إنسانىّ كامل مقرَّر لا يشذ على غاياته ومبادئه أحد . إنه يقتتل على طعام يؤكل ، بل على هـذا الطعام كيف يُؤكل . فليس لهذه المدنية الأوربية إلا معنًى جنسىٌّ مُتَعصِّبٌ تدافع عنه لنفسها لا للإنسانية كلها ، لا يشك فى ذلك إلا من طمس الله على بصيرته ، وقادته أهواؤه وغرائزه دون عقله وواجبه . وما هذا التوحش الحيوانىُّ فى هذه الحرب إلا نتيجة طبيعية للفكرة القومية المستقلة التى لا تريد إلا أن تستولى على أعظم ما يمكن أن تضع يدها عليه لتستمتع بالحياة والشهوات والسلطان

أما الإسلام — وهو روح الشرق من أقدم عصوره على اختلاف أديانه وأجناسه — فقد وضع كل مأثرة قومية جاهلية تحت قدمى صاحب الرسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، وسوّى بين الناس من أهله وبينهم وبين أهل ذمته وعهده ، واختار المسلمين ليكونوا شهداء على الناس ، فيكونوا قضاة يحكمون بالعدل لا يبغون ولا يجورون ، وجعلهم دعاة يدعون إلى مبدأ يتساوى عليه الناس ، فمن دخل فيه فهو منه ، له ما للمسلمين وعليه ما عليهم ، وكتب عليهم القتال وأمرهم بهم ، وعظم الجهاد فى نفوسهم ، ولكنه قتال على دعوة إلى هذا المبدأ وجهاد فى سبيله وحرم عليهم العدوان ابتغاء عرض الحياة الدنيا وزينتها وشهواتها

فالمسلم من دينه فى قانون إنسانى كامل ، لا يعمل للجنس أو الفرد أو السلطان والسيطرة ، بل يعمل لإعطاء العالم كله روح المساواة ، قد تحاجزوا بينهم فى الشر ، وانطلقوا فى أيامهم يعملون على إثباتها فى تاريخ الدنيا بجودها لا باستبدادها ، وبنائها دون لذاتها ، وبالسمو بها إلى الإشراف على نظام الدنيا والسمو بها ، لا بسيطرة القوة على إخضاع الدنيا وإذلالها ، وجعلها كالبقرة يُحلب درُّها لمن يملكها . فالقانون الإسلامى العظيم هو روح الحضارة التى يجب أن تسود العالم ، فإنها حين تسود عليه تجعل الحق هو السيد الذى تخضع له أعناق الناس ، لا يبغى بعضهم على بعض فى سبيل شهوات غريزية حيوانية مفترسة ، يغذوها الدم ويهيجها الدم ، فهى آكلة لا تشبع وثائرة لا تقر

والمسلمون اليوم هم جل الشرق ، وروح الشرق ، ولكنهم مسلمون قد أفرغوا من معانى الإسلام وبقيت ألفاظه تعيش بهم. إن كل فضيلة من فضائل هـذا الدين ، وكل عمل من أعماله قد انتزعت منه روحه ، فتعامَل الناس على ما خيَّلت ، لا يبالون ما أمروا به ولا ما نهوا عنه ، ففقد هـذا الشرق الرأى العام الإسلامى الذى يكون تعبيراً صحيحاً عن إرادة الإنسانية فى الاستعلاء والسمو . ولكن هذه الحرب قد تثير هذا العـالم الراكد ، وتدفع فيه أمواجه الأولى التى غسلت وجه الأرض وطهرته من دنس الحياة المـادية العابثة المربدة ، فإذا كان ذلك فإن هذا الشرق قد أعد اليوم لأمر جلل ، وقد حفظ الله له تاريخه الذى ورثه كاملاً فيه الأسوة وفيه العبرة ، وفيه فلسفة الحياة الاجتماعية التى تجعل الفرد الواحد أمة كاملة لأنه هو ممثل الأمة ، وتنصبه حاكما لأنه يحكم نفسه أول ما يحكم ، وتهيئه جيشاً محارباً فى سبيل الحق الأعلى للانسانية ، لأنه يحارب نفسه أول ما يحارب فى إقرارها على إعطاء الحق لمن يستحقه من حقيقة نفسه

فاليوم يوم الشرق إن اختار أن يبدأ حركته إلى الغاية التى أمر بالبلوغ إليهـا والوقوف عليها شاهداً قاضياً ، يدبر الأمر ويصرفه فى سيادة الحق كله على الباطل كله . ونحن لا ننسى ما صرنا إليه ، ولا نغفل عما فرغت منه أيدينا من أسباب الغلبة التى تتحكم اليوم فى مصير الدنيا ، ولـكن الإرادة التى تحكم الرجل الواحد ، تستطيع أن تحكم العالم كله ، وسبيل ذلك أن يكون كل رجل مريداً إرادة صارمة لغرض مقصود بعينه ، فهذه الإرادة هى التى تفتق له الجو الإلـهى الذى يمد الإرهاص للمعجزة الإنسانية

ستكون أحداث ، وتتجدد على الناس نوازل ، وتسيل الـكوارث من كل مسيل ، ولـكن الشخصية الاجتماعية التى لا تختلف ولا تتدابر ولا تتعادى ، تستطيع أن تغرس فى أيام المحن غرس المجد الإنسانى السامى ، لتنبت شجرة يمتد ظلها ، ويترامى فيئها ، ويطيب ثمرها ، ولا يكون ذلك إلا بعد جهد ومشقة وعنت ، ومصابرة للنفس على لأواء الحياة التى فرضت علينا أن نتألم ، وأن نصاب ، وأن يبلغ منا العذاب مبلغاً يجهد ويؤود

فهذا أوان يستطيع الشرق أن يضرب الاستحكامات فى أرضه وفى أوطانه بأخلاق سامية عانية ، فيها القدرة على النمو ، والقوة على البقاء ، وأن ينظم لحياته نظاماً يهدف بغاياته إلى مستقبل يبعد عنه أو يقرب على حياطة تحفظه أن يقع فيه ما وقع فى أيام البلبلة الأخيرة التى تبعت الحرب الماضية . نعم ، إن الشرق يفقد اليوم زعيمه الذى يهب من جاعاته كالأسد تنفرج عنه الأجمة الكثيفة عالىَ الرأس حديد النظرة ، تتفجر القوة من كل أعضائه ولـكن ، أيمنع هذا أصحاب القلوب الحية التى تشعر بحاجتها إلى هذا الرجل أن تهز شعوبها هزاً عنيفاً متتابعاً ، حتى ينفلتَ إلى المقدمة ذلك الأسد الرابض إلى الأرض فى قيوده الاجتماعية التى تقعد به عن الحركة للوصول إلى المـكان الذى أعده له القدر ، ليبدأ بدأه فى إعداد الدنيا لاستقبال الدين الذى سيتجدد فى الدنيا ، لأنه هو سر الدنيا وسر القدر

إن علينا أن نعمل ، فإن كان ما أردناه وما نتمناه ، فذاك عز الإنسانية ورضوان من الله ، وإلا فقد أدينا ما وجب ، ولله الأمر من قبل ومن بعد

محمود محمد شاكر

حركات الإصلاح الإسلامية

٥ ـ أزمة إسلامية

للدكتور على حسن عبد القادر

لم تبق حركات الإصلاح محصورة فى الهند ومصر ، ولكنها تعدتهما إلى البلاد الإسلامية الأخرى ، وذلك أن حركة التبادل الفكرى فى العالم الإسلامى قوية عنيفة لا يمكن معها أن تبقى مثل هذه الحركات مقصورة على مكان واحد . وعلى الأخص إذا كانت أفكاراً لذوى الشخصيات القوية مثل جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده ممن تعدت أفكارهم وآراؤهم الحدود ووجدت صدى بعيداً وتأثيراً مباشراً

وقد ظهرت فجأة وعلى غير انتظار حركة إصلاح دينى هى حركة الإصلاح فى تركيا ، ذلك الشعب الذى لعب دوراً فى قيادة العالم الإسلامى عدة قرون . وقد جاءت هذه الحركة متأخرة عن الحركات الأخرى ، ولكنها كانت مع هذا التأخر أشد من أولئك فضلاً وأنفذ عملاً . أما السبب الذى جعل تركيا التى كانت تسير فى الإصلاحات السياسية والثقافية فى المقدمة وعلى قمة الناهضين — لا تهتم اهتماماً استقلالياً بالإصلاح الدينى إلا آخراً ، فإن ذلك يرجع إلى أسباب من أنواع مختلفة ، فمن ذلك أن الأتراك بطبيعتهم لم يكونوا باحثين منقبين ، ولم يساهموا فى تطور الإسلام بسهم ملحوظ ؛ فإنهم عند ما دخلوا الإسلام كان الدين والتفكير فيه قد انتهى إلى شكله النهائى الذى وصل إليه. وكما أنهم لم يساهموا فيه أولاً، كذلك لم يساهموا فى نهضته آخراً ، لما هو فيهم من ميل وسنى لاقتباس المدنية الغربية ، وكلما ظهر تأثرهم بهذه المدنية قوياً ظهر إمكان إيجاد الاتصال بين الإسلام وبين العقلية الحديثة للشباب التركى أمراً بعيداً وتطور التركية الحديثة يسير منذ زمن طويل قليلاً أو كثيراً فى طريق لا يقوم على أساس أو خلق بل هو عار عن كل وطنية أو دين ، وهو ما يسمى فى الشرق بالنزعة الغربية أو الأوربية occidentalismus على أننا لا ننسى أمراً مهما وهو أن عصر طغيان عبد الحميد كانت تمجد فيه مذاهب السنة والتمسك بها فى الآستانة . ومن الحق أن جمال الدين كان قد أثر هناك، ولكن تأثيره كان ضعيفاً من سوء ظن السلطان به؛ وكانت أفكاره قد طبعت من جانب عبد الحميد بطابع سياسى عملى. وفى هذه الفترة التى اشتد فيها النزاع الداخلى بين الإسلام والتقدم الأوربى كان لا يمكن أن تأتى هذه الأفكار بثمرة . وهكذا نرى أنه بعد ثورة ١٩٠٨ أخذت مسألة الدين مكاناً واهتماماً بنفس الشكل الذى كان عبد الحميد يحاول بشدة تنفيذه ، وأخذت الحركة الروحية النائمة التى كان يحاول إيقاظها تدب فيها الحركة

وفى يدنا الآن بحث قيم وضعه عن تطور حركة التجديد فى تركيا تركى مثقف ثقافة غربية كاملة ، ولكنه فى الوقت نفسه ذو إحساس دينى حار ، وهو أحمد محي الدين الذى مات مع الأسف فى سن مبكرة[1] أما كيف سار التجديد بسرعة قبل أن يقطع طريقه مرة واحدة فيتبين لنا ذلك من هذه الحقيقة وهى أن محي الدين استطاع أن يكتب فى سنة ١٩٢١ هذه العبارة : « إن طريقة أهل السنة التى غرضها التمسك بالإسلام بشكله التاريخى الحاضر قد أصبحت اليوم مغلوبة مهزومة » . ففى هذا الوقت (١٩٢١) كان يتنازع الغلبة مذهبان مختلفان أشد الاختلاف : المذهب الوطنى die onationalistische Richtungen الذى كان يتزعمه الشاعر المفكر ضياء جك ألب . والمذهب الآخر الذى سماه محي الدين « المذهب الإصلاحى » Reformation والذى كانت تقوم عليه شخصية الشاعر الواعظ محمد عاكف ، وعمل برنامجه الأمير المصرى والوزير العثمانى محمد سعيد حليم[2] . ومن الممكن على احتمال قليل أن نميز أولهما بأنه سياسى ثقافى والآخر بأنه دينى إصلاحى والمهم هنا هو أن كليهما قد وضع لمسألة الدين طريقاً واحداً للسير فيه . فكل منهما — كما يقول محي الدين — يرفض الإسلام التاريخى ويطلب الرجوع إلى الإسلام الأول ، وكل منهما يرفض اعتبار الشريعة للوقت الحاضر ويطلب

---

(١) Ahmed Muhiddin, Die Kulturbewegung un modernen Türkentum (Leipzig 1921)

(٢) راجع عن برنامج محمد سعيد حليم وضياء جوك الب ترجمة فيشر : Fischer, Aus der religiosen Reformbewegung in der Turkei (Leipzig 1922)

حرية الاجتهاد . فهما ـ كما يرى ـ قد رسما خطة للتجديد واسعة . ونستطيع أن نتبين من غير صعوبة أن برنامجهما المشترك يتفق في أهم نقطة مع برنامج الإصلاح المصرى . وفي الحقيقة أن الارتباط الشخصى ظاهر بين « المذهب الإصلاحى » التركى ، وحركة الإصلاح المصرية ، وأمور الإصلاح فيهما متفقة

وقد وضع المذهبان التركيان لهما شعاراً للاصلاح الديني كلمة « إسلام أشمق » بمعنى الرجوع إلى الإسلام . وعند تفسير هذه الكلمة عند كل من المذهبين يتبين لنا الفرق الأصلى بينهما

ومعنى هذه الكلمة يرجع في مرحلتها الأخيرة إلى جماعة المؤمنين المتمسكين بالقديم ، إزاء المصريين المندفعين في تيار الأوربية المنكرين للإسلام . ثم لما كشف القناع عن دخيلة هؤلاء الأتراك الذين لا دين لهم ولا وطنية أخذ هذه الكلمة الوطنيون أصحاب المذهب الوطنى في برنامجهم الثلاثى : (ترك — إسلام — تجديد) وأراد به هؤلاء الوطنيون تحرير الإسلام من أعمال أهل الدين المتأخرين ، ومن أمور زمنية ومكانية التصقت به من أول الأمر ، ولكن كما يظهر من البرنامج الثلاثى فإن هذه الكلمة تصور طلباً من طلبات الوطنية ؛ والنقطة الرئيسية والعماد الأهم إنما هو الناحية السياسية الثقافية ، فكلمة « الرجوع إلى الإسلام » هي على الأكثر القالب الذى يصب فيه البرنامج ما يحس به من مسألة الدين كنقطة هامة . وهكذا حدد هذا البرنامج الدين في مجاله الضيق وفصل عنه الجانب الآخر من الحياة الإنسانية ؛ فهو يطلب مباشرة فصل الدين عن الدولة ، وغايته حياة دنيوية غير روحية

وعلى الضد من هذا « المذهب الإصلاحى » فهو مع إحاطته على العموم بالحياة الثقافية والسياسية يتعمق من الوجهة الإصلاحية في الدين وما يعنيه من « الرجوع إلى الإسلام » . فهو يعنى الرجوع إلى الإسلام القديم ؛ لا بإبعاد الأمور التى غيرت منه أثناء تطوره التاريخى فحسب ، بل أيضاً وقبل كل شيء يريد الوقوف ضد هؤلاء المصريين المندفعين في تيار الغرب وضد دعاة المذهب الوطنى ، فهى حركة دينية تريد أن يكون الدين قوة تخضع لها كل الحياة المدنية من غير إضرار بحرية الفرد ، وهى في هذا متفقة مع الحركة المصرية مختلفة مع المذهب الوطنى أصلياً في مسألة الدين

وقد يختلف المذهبان اختلافاً جزئياً في طلباتهما ، ولكنه أقل من اختلافهما في الدوافع ، وكما يتحدان في نقدهما للاسلام التاريخى في كل الأمور ، يتحدان أيضاً في كثير من المسائل العملية ، فالفرق بينهما ليس فرقاً ظاهراً للعيان ، ولكنه فرق كامن في الأساس . ومن الحق أن نقول من جانب آخر إن عدم اهتمام المذهب الوطنى بالدين لا يصح أن يؤخذ على معناه الواسع ، فإن شعر ضياء جوك ألب الدينى يرينا بوضوح أنه ذو شخصية دينية محافظة عميقة

إلى هنا قد تعرفنا أهم أشكال الحركات الإصلاحية الحديثة في الإسلام ، أما حركات هؤلاء الوافدين على أوربا وأمريكا مثل الحركة البهائية الفارسية أو الأحمدية الهندية ، فهى حركات منفصلة لا تمت كثيراً إلى الحنيفية الإسلامية

وأخيراً يتبادر لنا هذا السؤال : هل تلك الحركات إذا ما أمكن تحقيقها تستطيع إلى مدى بعيد أن تحقق الاتفاق مع التفكير العصرى والأخذ بحركات التقدم العلمى والمادى ؟ وجوابنا على هذا السؤال بالإيجاب بدون قيد ولا شرط ، فإن العقيدة الإسلامية لا تمنع أى تطور تجديدى ، بل هى في أصلها أشد مرونة وأسلس قياداً من العقيدة المسيحية . والذى يظهر أنه مانع لا يذلل هو الفقه المكون من تفصيلات تافهة ، فإذا ما ترك هذا كما هو الأساس في كل حركات الإصلاح فإن التقدم العصرى — حتى بمعناه الأوربى — يكون بابه مفتوحاً على مصراعيه .

على حسن عبد القادر

أنا ... والقلم

الأستاذ على الطنطاوى

[بين يدى الآن رسائل من بيروت وحمص وبغداد والأسكندرية وأم درمان من إخوان كرام ما كان لى شرف الاتصال بهم ، كلهم يسألنى لم لا أكتب فى الرسالة فى هذه الأيام ، ويشفق أن تكون الأرزاء قد هدت ركنى وكسرت قناتى .. فكتبت هذا الفصل هدية إليهم وجواباً]

« ع »

أعترف أنها قد جفّت قريحتى فما تبضّ بقطرة ، وكلّ ذهنى ، ومات خيالى ، ومرت علىّ أيام طوال لم أستطع أن أخط فيها حرفاً ، وعدت من العىّ والحصر كأول عهدى بصناعة الإنشاء ، وأصبحت وكأنى لم أكن حليف القلم وصديق الصحف ، وكأنى لم أجر للبلاغة فى مضمار ... وما أدرى أأرانى الله من حرفة الأدب التى ابتلانى بها وابتلاها بى ، أم هى سكتة عارضة وعُقلة مؤقتة ، كالذى يعرض للشعراء والكتاب ، ثم تزول السكتة وينطلق اللسان ، ويعود أحدّ مما كان ؟ . وما أدرى أعلّة ذلك الزواج ، وقد قالوا إن زواج الأديب يؤذيه وتغور منه ينابيع فكره ، أم هى الرزايا والآلام ، وما يغيظ الأديب من انحراف الأمور عن صراطها ، وتقدم من حقه التأخر ، وتأخر من يستأهل التقدم ، وضياع الحقوق وغلبة الجهال ، أم هذه العزلة الحسية والروحية التى أبت إليها طوعاً أو كرهاً ، فجعلت حياتى كالبركة الساكنة ، لا يسقط فيها حجر فيثير أوحالها ويخرج دررها ؟

إنى كلما أخذت القلم لأكتب ، أحسست أنه يحرن ولا يملكنى زمامه ، وأنه يستعصى علىّ ويستعصم منى ؛ وأجدنى أميل إلى مطالعة كتاب ، أو أنظر فى صحيفة . فأقبل على القراءة ، وأعوض على ذهنى ما فاته منها فى هذا الزمن الطويل ، وإنى لا أزال أحتاج إلى تعلم كثير مما أجهل ، ولا يزال فى الكتب ما لا أستوعبه فى شهرين أو ثلاثة ، ولست قائلاً مقالة ذلك الدعىّ الذى زعم أنه قرأ ديوان الفرزدق فى خمسة عشر يوماً ، ولا والله ما يفهم قصيدة منه واحدة فى شهر ... ولا الذى ظن أنه علم كل شىء حتى ما يسائل واحداً عن علم مسألة لكى يزدادها ! فأسلمتنى المطالعة إلى الزهد فى الإنشاء ، ومال بى الزهد إلى إيثار الدعة وابتغاء السلامة ومحبة الخمول ، بعد الرغبة فى الذكر ، فسبحان مقلب القلوب ...

ولقد كنت أشكو الغربة وأضيق بها ، فصرت أشكو فقدها . ويا حبذا الغربة ، وأنعم بها مثيراً للشعور ، موقظاً للهمم . كنت أتألم منها فأصف ألمى ، وأشتاق فأصور شوقى ، وأرى فيها جديداً فأنتبه إليه ، فأكتب فيه ؛ فرجعت أمرّ على المشاهد غافلاً عنها لأنى آلفها كلها وأعرفها ، ورجعت لا آلم ولا أسر ، ولا أقول إنى راض ولا مبتئس — وهذا لعمرى شرّ ما يمر على الأديب من الأحوال ، وهذا هو الموت ... ولربما شغلنى سفساف الأمور ، وأضاع علىّ الكثير من وقتى . وهل ينفع القراء أن يعلموا أن عملى منذ شهر الطواف فى أحياء دمشق من شرقها إلى الغرب ، ومن شمالها إلى القبلة ، أفتش عن دار أستعيض بها عن دارى (فى الجادة الخامسة) ، لأن حماقة صاحبها كرهت إلى جمال مستشرفها ، وطيب موقعها ... وأن أعصابى فى ثورة دائمة ، عفت معها الحياة ، من صبية عشرة — أحيامم الله لأبويهم — يسكنون الطبقة التى تحتنا ، لا يهدؤون لحظة ولا يسكنون ولا يفترون عن بكاء أو صياح أو غناء ، أو قرع باب أو كسر شباك ؛ وقلبى يخفق وأعصابى تتمزق ، ولا أنتفع من نفسى بشىء . وإن شكوت إلى أحد سخر منى وضحك علىّ . فليتصور القراء مبلغ ما أجد من الضيق والأذى ، فياليت أنى لم أعط ملكة الكتابة ، أو ليتنى إذ أعطيتها عرفت كيف أستفيد منها ، فما شىء أصعب على الرجل من أن يريد ولا يقدر أو يقدر ولا يريد ...

وليثق القراء أن يوماً يمرّ علىّ لا أكتب فيه شيئاً أو أعد فى نفسى شيئاً لأكتبه لهو يوم بؤس علىّ لا يوم نعيم ، وأن أول ما أفكر فيه إذا سرنى أمر أو ساءنى ، أو أعجبنى أو راعنى ، كيف أصوره وأعرض على الناس صورته كى أنقل إليهم شعورى ، وأقاسمهم عواطفى ، لا أفعل ذلك للشهرة والمجد الأدبى ، ولا للنفع ولا للضرر ، فقد بلغت من الشهرة ما يصح الوقوف عليه لو كانت الشهرة أكبر همى ، ولكنى رغبت عنها لأنى وجدت ما نلت منها لم يُنلنى خيراً قط . ثم إنه ليس بين الرجل وبين أن يشتهر فى بلادنا بصفة الأدب إلا أن يكتب فصلاً أو فصلين ؛ فإذا هو ومن ملأ الأسماع أدباً حقاً وبلاغة باقية سواء ، ولكنى أكتب — علم الله — لأدفع عن نفسى الملل وما يصيبها من الألم إذا أنا لم أكتب ، فكأننى

أعمل بالغريزة التى تدفع النحل إلى اتخاذ العسل والعقارب إلى نفث السم ، وكل حى من الحيوان إلى ما سخر له من نفع أو ضرر . ولا أعلم أأحسن أم أسيء، ومتى يكون الإحسان وكيف يجيء، وكل ما أعلم أن فكرة تخطر على بالى تأتى بها نظرة أو سمعة ، فتنمو فيها حتى تملأ ذهنى وتسيطر علىّ ، فلا أملك عن تدوينها تأخراً ، فآخذ القلم فإذا هى تجر وراءها أخوات لها ، وإذا أنا أمضي فى الكتابة لا أكف حتى يكون القلم هو الذى يقف ، ثم أبعث بذلك إلى المجلة أو الجريدة ، فإذا أبطأت بنشره أو أهملته سخطت وثرت ؛ وإن نشرته فرحت به وقرأته بلذة ، فإذا مضى عليه يوم عدت إليه فرأيت عيوبه . فقلت ليتنى نقصت من هنا وزدت من هناك ، وحذفت هذا أو أثبت ذاك . . . ثم لا يمنعنى ذلك أن أعود إلى خلقى من الإسراع كرة أخرى . ولقد حاولت التنقيح والصناعة مرة فأفسدت من حيث توهمت الإصلاح ، فعدت إلى طبعى . فإذا كان فى الناس من يعجبه ما أكتب فالحمد لله . . .

وما سكت لقلة فى الموضوعات ، ولكن لجفاف فى القريحة . ولو كان بى أن أكتب لوجدت فى كل شيء موضوعاً لفصل ، غير أنه لا بد من العاطفة والفن ، ولو كان الأدب الواقعى أن تسرد كل ما (وقع) لك لكان الناس كلهم أدباء ؛ ولكن الأدب الواقعى أن تأتى بالصورة الجميلة ، قد صقلها الطبع ، وبرقشها الخيال ، وزانتها العبارة الصحيحة ، والسبك الدقيق . لكنك لا تخرج فيها عما (يمكن أن) يقع . . .

ولو أسعدتنى القريحة لكتبت فى وصف هذا الفتى الذى صحبنا فى لجنة من لجان الامتحان كان فيها عالم الشام الشيخ بهجة البيطار ليصحح معنا أجوبة التلاميذ فكان كلما وجد استعارة أو مجازاً خط تحته خطاً ، وكلما وجد ترادفاً من اللفظ أو مزدوجاً من الجمل مد مدّة فوقه ، ثم نقص عليه من درجات التلاميذ درجة . فحاورناه فى ذلك فكان من رأيه الذى تعلّمه فى باريز وعلّمه التلاميذ الذين جعلوه معلمهم، أن المذهب الجديد ينكر ذلك ويعده غلطاً ، وكانت حجته القاطعة على صحة رأيه أنه رأيه . . . وبذلك دفع كل ما ردّ به عليه الشيخ ، وما بيّن له من سنن العرب فى كلامها ، وما جرى عليه بلغاؤها وما نزل به الكتاب . . . ومال ناظر المدرسة إلى (رأيه ...) لأنه هو وحده بيننا الذى يحمل شهادة التخصص فى اللغة العربية من ... باريز !

ولو أسعدتنى القريحة لكتبت فى التعليق على الامتحانات وما يكون فيها من الوساطات والشفاعات والالتماسات وما نالنى منها ، وكم أبصرت فى دارى من وجوه ما كانت لتكون فيها لولا الحاجة . . . وطلب (الشفاعات) . . . وما يحيق بالمدرس المستقيم الشريف من عنت ومشقة ، وما يقال عنه وما يلقى . . . وما يتخذ التلميذ من طرق الغش والحيل ، فإذا أظهرتها وعاقبته عليها زعم أنك ظلمته، وتمسكن وجعل نفسه ضحية فأثار عليك الناس ، أو (تنمرد) واستكبر فبطش بك ، أو شتمك أو وكل بك من يقوم بـ (الواجب) !

ولو أسعدتنى القريحة لكتبت فى تاريخ الأدب فصلاً أجعل إهداءه للدكتور صِلبا ليرى أن الله لا يستحيل عليه أن يمنح ملكة الأدب من لا يحمل شهادة اختصاص فيه . . . وأن الشهادة بلا علم ليست دائماً أفضل من العلم بلا شهادة . . .

ولو أسعدتنى القريحة لوصفت هذا المشهد الذى يملأ النفس ألماً ، ويفجر القلب أسى ، منظر زميلنا المعلم الشاب (مصطفى شكرى خسرو) الذى كان موعد زفافه اليوم ، وكان صحيحاً معافى ، فرئى اليوم نعشه يمشى إلى المقبرة وعليه غطاء سرير العرس ووقفت زوجته التى كانت ترقب الزفاف ، تشهد الدفن ...

مثل هذا الموضوع ينشد الأديب ويبتغى ، ينشد لحظات الإشراق والتجلى ، إذ يحس بأنه خرج من ذاته ، فدخلتها روح أخرى ، فطارت به إلى الملأ الأعلى ، فأرته ما لا تراه عين ، ولا تحيط بوصفه لغة بشر ، وإنما يصور بإشارات ورموز ترفع قارئها إلى هذا العالم النورانى العجيب

* * *

أما المشفقون على ، الخائفون أن تلوى الحادثات قناتى ، وتهد ركنى ، فليعلموا أنى فى أمان ، وأن رسالة الأديب أن يطاعن عن الحق ويناضل حتى تعلو كلمته ، أو يصرع دونه ، ولينظروا أيهما أسير فى الناس وأشهر ، أورقة الشهادة الناطقة بفضل صاحبها ، أم مجلة يكتب فيها الأديب فيقرؤها مائة ألف ؟ وأيهما أقوى وأمتن، أهذا القلم الدقيق أم أرجل الكراسى التى يثبت عليها (أولئك) ويعلون بها ؟ وأيهما أحد وأمضى ، ألسان البليغ المفوه أم ألسنة بيغاوات الليسانس والدكتوراه ؟

إن لكل أديب رسالة ، فليقوّنا الله على تأدية الرسالة

على الطنطاوى

أضرار التشجيع

للأستاذ سعيد الأفغاني

إن من عادتي إذا حل الصيف ونفضت عني عناء التدريس وذيوله من امتحانات ومراقبات أن أفيء إلى قاعة المجمع العلمي العربي ، فأسرح الطرف بما يرد إليها من الكتب والمجلات النوبية . وكان أن وقع في يدي عدد من مجلة « العصبة[1] » الصادرة في المهجر ، فطفقت أطالع فيها ، فوقفت عند هذا العنوان « ذلك الأمي اليتيم . بحث أدبي لا ديني » وإذا بالكاتب يسيء فهم النصوص ويغمز الأئمة الذين أجمعوا على أمية الرسول صلى الله عليه وسلم منذ صدر الإسلام حتى يوم الناس هذا ، ويعجب من غفلتهم ، ثم يتلطف بهم ويعتذر لهم بأن الخطأ أتاهم من حيث إن النبي كان أمياً ثم زالت أميته !

يتساءل حضرته : هل زالت عنه الأمية كما زال عنه اليتم بعد أن تقدمت به السن ؟ هل تعلم القراءة ؟ (وهو يعني طبعاً القراءة في الصحف التي لا يعرفها إلا من تعلمها مع الكتابة تعلماً) . ثم قال : « نجيب بكل جرأة (هكذا والله بالحرف) إنه تعلمها وبز الأولين والآخرين ! » انتهى وما شاء الله كان

ويأبى بعد ذلك إلا أن يسرد ما يراه حججاً من مثل : « أنا أفصح من نطق بالضاد » ، « أنا مدينة العلم . . . » ، « اطلبوا العلم . . . » ، « اقرأ باسم ربك الذي خلق »

لست أريد الرد على هذا الكلام ولا أنا بصدد شرح أمية الرسول فمن العبث المخجل أن أشغل القراء بما هو معلوم من التاريخ بالضرورة ، وإن مما يفهمه الصغير قبل الكبير أن القراءة معناها مطلق التلاوة ، و (اقرأ) الواردة في الآية معناها (اتلُ) عن ظهر قلب لا أن يسرد ما في صحيفة أو كتاب . وإن حض الرسول على طلب العلم ، وكونه أعلم الناس لا ينافي أميته ، وكل ما في الأمر أن هذا الناشئ جهل الفرق المقرر بين (الأمية) و (العامية) فتوهم تناقضاً بين النصوص ، وأن هذا التناقض عمي عنه الأولون والآخرون حتى طلع حضرته ببصيرته النافذة ونظره الثاقب فأزال لبسه وحل تناقضه بقوله : كان أمياً ثم تعلم وزالت أميته . دع عنك ما يعرفه كل مطلع على سيرة النبي من اتخاذه كتاب الوحي ومن استعماله الرجال ليكتبوا عنه إلى الملوك ومن الحادث المشهور في الحديبية حين سأل علياً عن مكان كلمتي (رسول الله) من الصحيفة ليمحوها بيده الشريفة إذ أصر رسول المشركين على محوها وامتنع علي . . . إلى آخر القرائن التي لو لم يكن غيرها لما ساغ لأحد عنده شيء من الفهم أن يذهب إلى نفي أميته ، فكيف ونصوص القرآن نفسها مصرحة بأميته في آيات مكية ومدنية ، ولو لم يكن إلا هذا التواتر الصارخ لكان لعاقل أن يتهم عقله إذا تطرق إليه في هذا الأمر شك مهما ضؤل

أم كان من الحتم إذا قرر كاتب أن بحثه غير ديني أن يركب رأسه فيه فينقض المبرم ويبرم المنقوض ، ضارباً بالعلم والتاريخ واللغة والنطق والعقل عرض الحائط : يأخذ ما شاء ويدع ما شاء ويستنبط ما شاء كيف شاء بلا سناد من برهان ولا رابط من فهم ولا ضابط من منطق

* * *

أنا لا أشك في أن إفساح مجلة (العصبة) صدرها لمثل هذه الآراء الفطيرة ضرب من التشجيع ، وأننا باسم هذا التشجيع نُقذي عيون القراء بما يزهدهم في سمين الأدب تحامياً لغثه

وقد آن للمفكرين أن يوازنوا بين مساوئ التشجيع وما يذكر من حسناته ، حتى إذا رأوا الشر فيه أربى على الخير نبذوه غير مأسوف عليه

على أن أول الأضرار حائق بالذين نشجعهم : لأن أحدهم حين يرى سخفه مذيلاً باسمه في صحيفة سيارة ، يداخله من الصلف والغرور ما لا يقوّمه مهذب بتهذيبه ولا ناصح بنصحه ، ثم يترفع بعد هذا عن كل درس ومطالعة ، ذاهباً إلى أنه شب عن الطوق وأن بوسعه أن يأتي بخير مما في الكتب ، فقد صار كاتباً محرراً وأديباً كبيراً ؛ وهذا ما يعوق كثيراً من ناشئتنا عن التعلم والتأدب الصحيحين ، وهو هو ما يشكو تفشيه فيهم كثير من العقلاء

لست أنكر أن التشجيع قد يكشف عن بعض المواهب ويسلك بها السبل المجدية التي تؤتي فيها أكلها ، لكنه إلى ذلك يدفع إلى الحياة بخلق كثير من أنصاف العوام الذين انتفخوا غروراً واعتداداً وكانت أنوفهم في السماء وهممهم في الحضيض وقلوبهم هواء

ولأن نصد بتثبيطنا اثنين أو ثلاثة نأمل فيهم النجاح خير لنا

(١) العدد (٢٢١) السنة السادسة ص ٩٢

وأبق من أن نفتح الباب على مصراعيه فنشجع كل جاهل ودعى وغبى ، ونملأ صحفنا ومجلاتنا جهلاً وسخفاً ونعيش فى جو مشبع غثاثة وابتذالاً

وبعد فماذا على المرء أستاذاً كان أم أديباً أم صاحب صحيفة ، إذا قال للشادى : يا بنى محتاج إلى أن تتعلم كثيراً وتتعب طويلاً قبل أن تحدثك نفسك بدفع ما تخط إلى المطابع ؟

وإذا كان فى كل حكومة إدارة خاصة لمراقبة المطبوعات من الناحية السياسية ، فلم لا يكون فى كل إدارة جريدة ومجلة وفى كل مطبعة مراقبة فنية دقيقة ترفض كل رخيص مبتذل من المقالات ؟

إن من الواجب على المطابع أن تكف عن طبع كل كتاب ليس فيه سد ثغرة فى المكتبة العربية أو إضافة خير أو إحياء تراث قيم ... وحينئذ يستريح الناس من هذا الهِتْر الذى تدفعه المطابع إلى الأسواق حتى سَئِمَتْ النفوس الكتب والمجلات لما فى أكثرها من غثاء وهزال

والحاجة إلى هذه المراقبة أمسّ لأن فيها وقاية للملكات من الابتذال والركاكة والفساد ، وذلك أجدى على الثقافة من كثرة المعاهد والكليات ، إذ أن الصحف والمجلات والكتب مدارس ميسرة لكل قارئ مهما ضؤل حظه من المعرفة . ومن أول الواجبات على هذه المدارس العامة أن تكون رافعة لمستوى قارئها لا خافضة له

* * *

فى الأقطار العربية ظاهرة ثانية للتشجيع المجرم لا تقل عن هذه فتكا ونكاية ، وليس بناصح من عرف موطن الداء فلم يدل عليه مجاملة أو إشفاقاً . عنينا بهذه الظاهرة داء الشهادات التى يحصل عليها حاملها بأرخص ثمن وأيسر سبيل

ومع أنى أعرف أن الجامعات ليست سواء فى التساهل (أو الغش إذا شئت الصراحة) أعرف كذلك أن بعضها قد تدنى — وخاصة مع الغرباء — إلى درجة لا يصح السكوت عليها، بل يجب على كل حكومة تحررت من أن يفرض على مصالحها هؤلاء المزورون فرضاً — أن ترفض هذا الضرب من الشهادات صيانة لمصالحها من عبث الجاهلين وحفظاً للأمة أن تنحدر إلى الهاوية إذا تولى أمورها المدلسون

يذهب الشاب العربى إلى إحدى ممالك أوربة ، فلا يكاد يهبط عاصمتها حتى تراه مهرولاً إلى مكتبة مشهورة أعطى عنوانها قبل سفره ، فيقفها على أن مراده الحصول على شهادة (الدكتوراه) فتتفق معه على مئات من الفرنكات تتناسب مع وعدد الصفحات المطلوبة ، فتجمعه بأحد عملائها من الأساتذة الذين يرتزقون من التزوير ، فيكتب له الأطروحة ويمليه إياها تمليا ، ويقومان معاً بتجربة المناقشة ، ثم يتقدم بها الطالب إلى الجامعة فيفوز بالشهادة ومعه درجة (مشرف جداً très honorable) ويعود إلى بلاده فيمهد إليه بمنصب علمى أو إدارى يشرف منه على كثير من المتعلمين ليس فيهم إلا من هو أعلم منه ومن أستاذه وأشرف

وقد بلغت الوقاحة ببعض الجامعات أن تعطى الدكتوراه لمن قدم إليها أطروحته بلغة يجهلها هو كل الجهل . فإذا أنت عجبت لهذه الجامعة كيف تترخص هذا الترخص ، وهى فى أرقى البلاد المتمدنة ، أجابك المنافحون عنها : إن هذا شأنها مع الغرباء فقط ، وهو من قبيل التشجيع لا غير ، وليس على الجامعة من ضير ، لأن هذا الجاهل لن يضر وطن الجامعة ، وإنما الضرر منه على وطن آخر قد تكون سياسة الدولة التى تنتسب إليها الجامعة تتعمد هذا الإضرار تعمداً . والأمر بعد هذا على شاكلة كل البضائع المغشوشة التى تصدر هناك ، ويكتب عليها : « بضاعة للتصدير إلى الخارج »

ولست أدرى، هل فى هذا الذى ذكروا ما يبرر الغش والتزوير؟ وهل يستبيح العلم تسمية الجاهلين علماء لوجه التشجيع فقط ؟

ولما رأى الكثيرون هذه السبيل المعبدة لنيل الشهادات تهافتوا عليها وهجروا الطرق المشروعة من التعلم الصحيح والدأب المتواصل والعمل الجاهد ؛ وصار الذى يطلب الشهادة من طريقها الحلال مثلاً شروداً بين أصحابه فى الغفلة والغباء

ألا أخبرك ، يا سيدى القارئ ، بأشد من ذلك كله وأنكى ؟ أتريد أن تعرف كيف آل الأمر بهذا التشجيع ؟ فاستمع إذن لما أقصه عليك :

لقينى منذ سنوات خمس شاب من حملة (الليسانس) هبط دمشق فجال جولة فى أروقة الحكومة فيها ، وتكفل دهاؤه وشطارته ووسائطه أن يمهدوا إليه بتدريس اللغة العربية فى إحدى مدارسها . فبعد أن عرفنى بنفسه بلطف متناه واحترام قلبى ، خدّرنى بمجاملته الساحرة ، ثم قال :

إن أولى أمانيه فى مجيئه إلى دمشق أن يجد السبيل لإنقاذ مخطوط عربى نفيس من الضياع ، وإنه لقى كثيراً من علماء

العاصمة وأدبائها ، وارتاد أبهاءها الثقافية (صالوناتها) ، متعرفاً لرجالاتها ، ثم خاطبهم بمراده ، فكلهم أشار عليه بأن يلقاني ... وإن الغيرة على العلم والأدب هي التي تحفزه لهذا الأمر الجسام ، وهو مستعد أن ينفق على مشروعه النفقات الباهظة ... وليس يعوزه إلا أستاذ ضليع محقق ... عنده من الغيرة على لغة العرب وتراثها ما يستحلي من أجله كل صاب وعلقم ... وإنه يحمد الله على أن هداه إليَّ ووفقه إلى إنجاح المسمى بي ... الخ

كل ذلك يقوله بنبرة متحمسة ولهجة عصبية تعطف عليه الصخر الأصم . ولم يكن من هذا العاجز إلا أن وقع في الشراك قائلاً في نفسه : إن من الفرض على المرء أن يشجع من نصب نفسه لخدمة العلم مهما كلفه التشجيع من الجهد والوقت

وعدته أن أهب له فراغي الوحيد كل أربعاء من الصباح حتى الظهر ، ولبثت على ذلك حتى انتهى العام المدرسي : يقرأ علي في قاعة المكتبة الظاهرية نسخته التي نسخها بمصر من كتاب (سر الصناعة لابن جني) وبيدي النسخة الخطية التي تملكها دار الكتب الظاهرية من هذا الكتاب ، وأنا أصحح وأقابل وأضبط وأعلق وأرجع إلى مصادر كثيرة في القاعة وهو يكتب ما أملي عليه . فما سلخنا العام حتى أتممنا من العمل قسما صالحاً لست أدري مقداره الآن بالضبط ، ولكن الخطة شرعت والعمل وضح ، والعقبات اجتيزت ، والحزون سهلت ، وبقي من العمل ما لا خطر له . كل ذلك على ملأ من الناس ، وعلى عين من موظفي المكتبة ومناوليها وروادها لأن قانون دار الكتب يحظر إخراج المخطوط منها تحظيراً باتاً

ثم تعاقبت الأيام يلقاني فيهن هذا الشاب كلما هبط دمشق بظاهرة حافلة من البشاشة والشوق والتعظيم والاحترام ... إلا أنه لا يذكر الكتاب بحرف طول هذه المدة ، فظننت أنه ناء بالشروع وعجز عن نفقاته فأهمله لسوء حاله ، ولم أجد من المروءة أن أنكأ فيه جرحاً داملاً ... وكرت الشهور وإذا بي أجد في دار الكتب قبل شهرين رسالة صغيرة بالفرنسية نال بها هذا الشاطر الدكتوراه ، بعد أن عرضها - فيما بلغني - بالعربية على الجامعة المصرية فلم تر فيها شيئاً فرفضتها . قلبت الورقة الأولى من الرسالة فإذا خلفها : (سيصدر للمؤلف بالعربية : كتاب سر الصناعة لابن جني) فدار رأسي والله ، لا حسرة على الوقت الضائع والجهد المسروق ، ولا خشية أن يكون عبث بالعمل فأفسده ثم هيأه للطبع ، ولكن فوجئت بما لم أكن أتصور أن الحياة تنطوي عليه من وقاحة وصفاقة ، وعرفت أن ذلك التهافت من شبابنا على نيل الشهادات بأرخص الوسائل وأبعدها عن الشرف ، قد دخل في طور آخر أدنى وأحط ، هو ما قصصت عليك من أمر هذا الشاب

وعلم موظفو المكتبة بالأمر فتعجبوا وشُدهوا وقال أحدهم : « هلا انتظر هذا المزور موت الشهود عليه وهم كثير » . ثم بلغني أنه يريد أن يتقدم بهذا الكتاب إلى الجامعة المصرية لنيل دكتوراه ثانية ؛ فهان الأمر عليَّ لأن أقل مناقشة من أساتذة الجامعة المختصين في موضوع الكتاب وتعليقاته تطلعهم على التزوير فيه وعلى أن البضاعة المعروضة هي لغير عارضها

أحسب والله أن هذا الشاب — ولعل أمثاله في المجتمع كثيرون — لا يرى أنه أتى أمراً إدّا ، وأنه فعل فعله أكثر من سبقوه بنيل الدكتوراه من بعض الجامعات الأجنبية ، فقيم يفرد دونهم باللوم ؟

وإذا كان أولئك الدكاترة نقدوا من صنع لهم أطاريحهم الثمن من الفرنكات فلأن هؤلاء الصانعين غربيون ماديون مرتزقون ؛ وأساتذة دمشق بحمد الله مثاليون يحتقرون المادة ، وحسب أحدهم من تعب السنين وسهر الليالي أن ينقذ تراثاً من الضياع وليس يهمه أن ينسب إلى سواه

* * *

وبعد فهذه أنماط مختلفة من أضرار التشجيع ، عرضتها ليعالجها وأمثالها المطلعون من الكتاب ، حتى يحذرها الناس

وإن أختم بشيء فهو قولي للمسؤولين من علماء وأدباء وأصحاب صحف ومجلات ورجال جامعات :

احرصوا على تثبيط الدجالين والمغرورين حرصكم على تشجيع الأكفياء الصالحين ، وما أنتظر لكم من ثواب الله وشكر العلم وامتنان الناس على تثبيط الأولين أضعاف ما لكم على تشجيع الآخرين .

وإذا لقيتم هذا الضرب الوبيل من الناس وجاؤوكم بغشهم وتزويرهم وغرورهم وجهلهم ، فثبّطوا ثم ثبطوا ثم ثبطوا

(دمشق) سعيد الأفغاني

الحرب في أسـبوع

للأسـتاذ فوزى الشتوى

الهدنة الإيطالية

اختلفت شروط الهدنة الإيطالية الفرنسية اختلافاً بيناً عن الشروط الألمانية ، فالفرق بين القيود الألمانية والقيود الإيطالية فرق كبير ، يستنتج منه الباحث عدة نتائج ، فهى تدل على ظاهرتين هامتين :

١ — التعاون بين الحكومتين : الإيطالية والألمانية ، فكلا الشروط الألمانية والإيطالية يتفق فى مبادئ عامة ، كشرط نزع السلاح ، وشرط وقف القتال

٢ — التحفظ من جانب الحكومة الألمانية ، فبينما شروط الهدنة الألمانية مؤكدة التحقيق فى أكثر بنودها ، نجد شروط الهدنة الإيطالية صعبة التحقيق إن لم تكن مستحيلة بغير قتال

فالهدنتان تطالبان حكومة بتان بوقف القتال فى فرنسا ، وفى المستعمرات وفى البحر وفى الجو ، وهـذا سهل مؤكد فى الشروط الألمانية ، ومشكوك فيه أو من المؤكد عدم تنفيذه فى الشروط الإيطالية . فقد احتلت ألمانيا أكثر الأراضى التى نصت عليها الهدنة قبل وقف القتال ولم يبق إلا جزء ساحلى صغير فى الجنوب ، يقابله من ناحية ألمانيا احتلال مناطق داخلية تمتد إلى ليون

وأنبأتنا البرقيات أخيراً أن إخلاء هـذه المناطق الواقعة خارج نطاق الهدنة يقيد باحتلال المناطق التى لم يصل إليها بعد ، ويعضد تنفيذه رغبة حكومة بتان فى الوصول إلى وضع حد للقتال ، ووقوع هذه الأجزاء الساحلية تحت تهديد الغزو الألمانى ، فلا مفر إذن من تسليم حكومة بتان باحتلالها

تفسير إيطاليا

فإذا تركنا الجانب الألمانى وانتقلنا إلى الجانب الإيطالى نجد أن إيطاليا لا تطالب باحتلال شواطئ البحر الأبيض المتوسط الفرنسية خلافاً لما توقعناه وتوقعه كثيرون ، فهى تكتفى باحتلال المناطق التى حصلت عليها أثناء الحرب . ولعل هـذا يفسر لنا السبب الذى من أجله اشتد الهجوم الإيطالى بينما كان المندوبون الفرنسيون يفاوضون المندوبين الإيطاليين ، فقصدت القيادة الإيطالية احتلال أكبر جزء من الأرض ولكن الجيش الفرنسى لم يترك لقواتها الطريق حراً ، بل وقفها عند المخافر الأمامية ، أى أن إيطاليا تسيطر على جانب لا يستحق الذكر من الأراضى الفرنسية لا يتجاوز بضعة كيلو مترات فى أراض لا أهمية لها من الوجهة العسكرية ، فالحصون الفرنسية الإيطالية تقع على جبال الألب وهى خارج المناطق المحتلة

ومن المعروف أن شروط الهدنة الإيطالية اتفق عليها موسولينى وهتلر ، أو هى بطريق أوضح من وضع هتلر لا من وضع موسولينى ، ومنها نستنتج ثلاثة أمور :

١ — إيجاد قواعد فرنسية يلجأ إليها الأسطول الفرنسى إذا قبل قادته شروط نزع سلاحه : فلا يتكلف اجتياز مضيق جبل طارق ويتعرض للصدام بالأسطول البريطانى . فالمعروف أن أكثر قطع الأسطول الفرنسى موجودة فى غرب البحر الأبيض المتوسط

٢ — تهديد حكومة بتان باحتلال الشواطئ الفرنسية للبحر الأبيض فى حالة عدم تنفيذ شروط الهدنة فيما يختص بوقف القتال فى المستعمرات ، فإن هتلر وموسولينى يعرفان جيداً تقاليد الفرنسيين ووطنيتهم وعدم خضوعهم لأعدائهم ، فتهديد هـذا الجزء بالاحتلال يدفع بالمارشال بتان إلى بذل أقصى ما لديه من جهد لإكراه رجال المستعمرات على تنفيذ شروط الهدنة

٣ — وضع إيطاليا تحت إبهام هتلر بطريقة لا يتيسر لموسولينى التملص منها . فقبل أن تعلن المستعمرات الفرنسية موقفها حيال الهدنة كان من المقطوع به أن تسليمها قليل القيمة ، أو ليست له فائدة عسكرية ، فمثلاً أعلنت حكومة سوريا ولبنان أنها وقفت القتال ، فهذا كلام لا تستطيع ألمانيا أو إيطاليا تنفيذه . فإن القوات الموجودة هناك لم تشترك فى القتال لتقفه ، فضلاً عن عدم وجود قوات ألمانية أو إيطالية بالقرب منها لتلاحظ تنفيذ هذه الشروط ، فإن الجزء الشرقى للبحر الأبيض المتوسط والأراضى المحيطة بسوريا ولبنان مناطق نفوذ إنجليزية

حالة غامضة

وما يقال عن سوريا ولبنان يقال عن تونس والجزائر وجيبوتي. ومازالت هذه الأجزاء الأخيرة صامتة لم تعبر عن موقفها بصورة قاطعة انتظاراً لما تبرزه الظروف . ويختلف موقف القوات في تلك البلاد عنه في سوريا ولبنان فيجاور كل منها ممتلكات إيطالية ، فالصومال الفرنسي هو المنفذ البحري للحبشة ، وتونس تجاور ليبيا؛ ولكن الممتلكات الإيطالية هناك مرتبكة بانشغالها في الحرب مع قوات الممتلكات البريطانية ، وقد لا يمر زمن طويل حتى تتجلى حقيقة موقف المستعمرات الفرنسية ، فما قيل حتى الآن لا يوضح اتجاهها الصحيح

وهذه الحالة الغامضة ترغم موسوليني على مؤازرة هتلر والرضوخ لأوامره ، في مقابل إمداده بالمعونة العسكرية سواءاً كانت رجالاً فنيين أم معدات قتال ، أو بعبارة أخرى يعطى هذا الموقف لهتلر ضماناً باستمرار موسوليني في ميدان القتال. فطلبات إيطاليا لم يتحقق منها شيء ، ولم تحصل على ضمان يسهل لها الحصول على أحدها

وإذا حاولت إيطاليا أن تتدخل في شئون سوريا ولبنان بأية وسيلة ، فإن تركيا تدخل الحرب ، تنفيذاً لتعهداتها للحلفاء ومحافظة على مصالحها ، فلن تقبل تركيا أن تجعل إيطاليا البحر الأبيض المتوسط بحيرة إيطالية كما يريد موسوليني ، فيهدد مواصلات الدردنيل والبوسفور ، وتصبح مجاورته للأراضي التركية خطراً يهددها . وأعلنت بريطانيا أخيراً أنها تقاوم بالسلاح كل عمل حربي يرمي إلى احتلال هذه الأجزاء أو التدخل في شؤونها لغير فرنسا بأية طريقة كانت

في البلقان

واستغلت الروسيا فرصة انهيار فرنسا واستولت على مقاطعتي بساراببا وشمال بكوفينا الرومانيتين ، وهو ما توقعناه في مقال سابق ، إذ قلنا إن الروسيا لن تدخل الحرب بصفة جدية ، وإنها ستكرر ما فعلته في بولندا ، فتستغل ضعف مقاومة الفريقين المتقاتلين وتستولي على الأراضي التي تهمها في البلقان أو في البلطيق

ويلاحظ في تصرفات الروسيا أنها تتبع سياسة روسية محضة غير مقيدة بأي فريق ، فاحتلالها العسكري لبعض مناطق بحر البلطيق يهدد مصالح ألمانيا التي حرصت على أن تجعل بحر البلطيق منطقة نفوذ ألمانية حتى تضمن سهولة حصولها على خامات السويد، وتحكم السوفيانيين في هذا البحر يهدد هذه المصالح ، فهي خطوة لا ترضى ألمانيا ، ولكنها مضطرة إلى قبولها الآن لاشتباكها مع انجلترا في القتال ، فإذا وضعت الحرب أوزارها أو تناولتها فترة انتظار ؛ فنتوقع أن يكون بحر البلطيق مثار نزاع بين الدولتين

ومن الناحية الثانية ضمن الحلفاء سلامة رومانيا، ولألمانيا وإيطاليا فيها مصالح حيوية لمسناها في الحرب الحالية، فلولا بترول رومانيا لما استطاعت ألمانيا الاستمرار على القتال إلى الآن. وأعلنت إيطاليا مراراً أن البلقان مناطق نفوذ إيطالية ، وأن أي اعتداء على إحدى دوله تقابله بالسلاح؛ ولكن الفترة الحالية لا تسمح بامتشاق الحسام في وجه الروسيا وإكراهها على احترام مصالحه أو تصريحاته



خريطة رومانيا وهي تبين حدودها قبل الحرب الماضية
والبلاد التي ضمت إليها والمناطق التي احتلتها الروسيا أخيراً

منذ ٢٠ سنة

ومسألة بساراببا مسألة طال النزاع عليها ، فقبل سنة ١٩٢٠ كانت إحدى مقاطعات الروسيا ، واستغلت رومانيا فترة الثورة الروسية الشيوعية ، وانحلال قوة المقاومة فيها وضمتها إلى أراضيها ومن ذلك الوقت لم تصل الدولتان إلى اتفاق عليها

ورومانيا بلد كثير الأعداء والخلافات الخارجية ، ويعتبر استيلاء الروسيا على بساراببا ثغرة لتدفق هذه المشاكل ، ففي

سنة ١٩١٢ اشتعلت الحرب بين رومانيا وبلغاريا وأخذت منها الأخيرة جزءاً من مقاطعة دوبروجا ، فلما كانت الحرب الكبرى وانحازت رومانيا إلى جانب الحلفاء ، وانحازت بلغاريا إلى جانب ألمانيا ، استعادت رومانيا الأجزاء التى فقدتها بمقتضى معاهدة نويلى سنة ١٩١٩ ، وخسرت بلغاريا فى هذه المعاهدة أيضاً مقاطعتى مقدونية وتراقية وقد ضمتا إلى اليونان وفقدت بفقد هاتين المقاطعتين منافذها الساحلية على البحر الأبيض

وحصلت رومانيا من المجر (هنجاريا) بمقتضى معاهدة تريانون التى عقدت فى ٤ يونيه سنة ١٩٢٠ على ترنسلفانيا وجزء من مقاطعة بانات التى قسمت بينها وبين يوجوسلافيا ، وتطالب هذه الدول الآن بالأجزاء التى اقتطعت منها ، ولهذا ينتظر أن تكون خطوة الروسيا فى الوقت الحالى بمثابة شعلة من النار ألقيت على دول البلقان ، فيكفى أن تتحرك إحدى هاتين الدولتين لاستعادة أراضيها لإشعال نار الحرب فى البلقان . ولولا ضغط دول المحور عليهما لأعلنتا الحرب من مدة على فوهة بركان

وإذا اشتعلت الحرب بين دول البلقان ، فلا شك أن ألمانيا وإيطاليا ستضطران إلى دخولها دفاعاً عن الدول المنحازة إليهما ؛ فإن المجر وبلغاريا من الدول الموالية لمحور برلين روما ، وستدخل انجلترا هذه الحرب أيضاً تنفيذاً لسياسة مناوشة ألمانيا ومهاجمتها كلما سنحت الفرصة ، وتنفيذاً لتعهداتها حيال اليونان وتركيا

أما موقف انجلترا الأخير حيال رومانيا ، إذ اجتاحت الروسيا جزءاً من أراضيها فلم ترسل قوات لنجدتها ، فيفسره أن رومانيا لم تدافع عن نفسها ، بل قبلت شروط الروسيا وتخلت عن الأرض ، ولو قاومت الجيوش الرومانية تقدم الجيوش السوفياتية لتغير الموقف ولأرسلت إليها انجلترا القوات اللازمة . وإذا كانت رومانيا لم تتحرك للدفاع عن نفسها ، ولم تطلب معونة انجلترا ، فهل يحق لمنصف أن يطالب انجلترا بالتصرف بينما صاحبة الشأن الأول لم تدافع عن نفسها ؟

وتعود حركة الروسيا الأخيرة بخسارة كبيرة على ألمانيا وإيطاليا ، كما أثرت على هيبة بريطانيا ، لأنها لم تستطع الوفاء بعهودها . أما خسارة دولتى المحور فترجع إلى استيلاء الروس على مناطق كان أكثرها يزرع لحساب ألمانيا ، فيمدها بالمواد الغذائية ، وترجع أيضاً إلى اقتراب الروسيا من مناطق البترول الرومانية .

نحو البترول

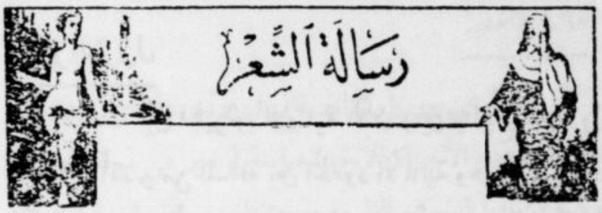
فالمسافة بين الجيوش الروسية الآن وبين ينابيع البترول الرومانية أقصر من المسافة بين الحدود الألمانية وهذه الينابيع ، وكذلك طبيعة الأرض من ناحية الروسيا أسهل منها من ناحية ألمانيا ، فالمناطق التى تقابل الروسيين سهول، ولكن جبال كرابانيا تقف فى منتصف الطريق بين ألمانيا ومناطق البترول . فإذا حان وقت تمزيق رومانيا فالغالب أن تستولى الروسيا على هذه المناطق

ويظهر أن الروسيا تتبع سياسة بعيدة الغرض منها السيطرة على جميع دول أوربا . فيلاحظ عند احتلالها لبولندا أنها استولت على مناطق البترول فيها ووضعتها تحت سيطرتها ، وتركت لألمانيا المناطق الأخرى . ويلاحظ أيضاً فى حركتها الأخيرة أنها اقتربت من مناطق البترول الرومانية ولم تقصر استيلاءها على بسارابيا ، بل احتلت شمال بكوفينا ، حتى تجد منفذاً للالتفاف حول جبال كرابانيا فيتاح لها الدفاع عن مولدافيا وفلاكيا اللتين بهما أغنى مناطق البترول فى أوربا

ويستنتج من هذا أن الروسيا وضعت سياستها على أساس السيطرة على بترول أوربا، والبترول مادة أساسية من المواد الحربية، وبعد الحصول على حقول البترول الرومانية تصبح منابعه كلها تقريباً فى قبضة الروسيا ، وبالتالى تتحكم فى مصير الدول لأنها تكون الدولة الوحيدة التى تستطيع إصدار الأوامر وإكراه الدول الأخرى على إطاعتها . ولكن حركتها هذه موجهة إلى دول وسط أوربا أكثر مما هى موجهة إلى دولها الغربية، فانجلترا وفرنسا وأسبانيا والبرتغال تستطيع الحصول على هذه المواد من بقاع أخرى ، بينما دول المحور محصورة وخصوصاً فى حالة الحرب الحالية والحصار البريطانى المفروض على المحيطات، فهل يتجاهل النازيون هذه الحقيقة ؟ وإلى متى يمكنهم الصبر ؟

إن الموقف الحالى وتوجه حكومتى روما وبرلين بكل قواتهما لمهاجمة بريطانيا لا يتيح لهما اتخاذ قرار فى هذا المصير المقبل ، ولكن حركات الروسيا الأخيرة سببت ولا شك متاعب كثيرة لدول المحور ، وأوجدت لها مشاكل خطيرة يجب حلها بسرعة ، وهى لا تستطيع الآن دفع البلقان إلى الحرب حتى لا تخسر موادها وهى عمادها الوحيد، واشتراك هذه الدول فى الحرب معناه خسارة هذه المواد .

فوزى الشتوى



إليهـــا . .

للأستاذ حسن حبشي

إطلعي في شفوفك الخضراء   يا مثال الدلال والإغراء
ودعي العين لحظة تتملى   فاتن الحسن والهوى الوضاء
ما ألذ الحياة في ظلك العذ   ب وفي فيض نورك اللألاء
ما ألذ الحياة في كنف الحسـ   ن طليقين من إسار القضاء
كلما شاهدتك عيناي دبت   نشوة الحب في صميم دمائي

***

ربة الحسن والمفاتن حسبي   طيفك العذب فهو كل عزائي
فيك أبدعت كل لحن حنون   ساحر الجرس، فاتن الأصداء
آه يا دميتي الجميلة لو تد   رين ما بالفؤاد من أهواء
قد بنى فيه حسنك الساحر الفتـ   ان دنيا من الأماني الوضاء

***

لست يا فتنتي من الأرض لكن   أنت علوية السنا والسناء
أنت حكمت في الفؤاد فأضحى   طوع هذي البدائع الغراء

***

أينما كنت لم أشاهد سوى حسـ   ـنك يجري في النفس مجرى الدماء
في الدجى والصباح والشفق الدا   مي، وسحر الطبيعة العذراء
وغناء الطيور والسحب والرو   ض ضحوكا وفي خرير الماء

حسن حبشي

من وحي الربيع الأحمر

قوس قـــزح

للأديب حسن احمد باكثير

أي قوس بسنى الشمس تحلت   وبأطياف الدراري والبدور
أخذت من كل لون فتجلت   جمة الألوان تزري بالزهور
أترى قوس «كيوبيد» استهلت   لاصطياد القلب من بين الصدور
أم ليهدي كل نفس قد تخلت   عن هداها بسناها المستطير

ليته يرسل وبلاً من سهامه
يترك الأكباد صرعى بغرامه
ويزيل الحقد منها بضرامه
إن من في الكون عاثوا بنظامه
وأثاروها حروباً في سلامه
كل فرد منهم رهن حسامه
أصعر الخد نخور بوسامه
تغتلي في صدره نار انتقامه
ضلة يسعى حثيثاً لحمامه
ويخوض الحرب زهواً بعرامه
وسدى يخفي أساه بابتسامه
ويواري كربه خلف لثامه
إن سهم الحب شاف لسقامه
ينزع الأحقاد منه بمدامه
ويصب الحب وهاجاً بجامه

أرسلي ياقوس وبلاً من سهامك   واتركي أكبادنا صرعى غرامك
إن مهما منك يردي كل شر في الصدور

حسن أحمد باكثير

صرخـــة روح

للأديب عبد العليم عيسى

مشعلى غاب عن عيونى وما زا ... ت غريباً لا أنتهى من مسيرى

وتهاويلُ ظلمتى أفزعَتْ رو ... حى فأضحيت بينها كالضرير

أين تمضى يا زورقى أين تمضى ... هل لمسراك فى الدجى من مصير؟

تتخطَّى المدى وأنتَ ضَلولٌ ... وحَواليك كل شىء خطير!

وهزيزُ الرياح ينـذر بالويـ ... ـل المعمَّى والهول والتدْمير

قف تمهل فليس يجديك شىء ... قف تمهل فأنتَ رهن العثور!

***

رقصَ الجن فى طريقى فأحجمـ ... ـت عن السَّيْر فى طريق النكير

غير أنِّى لا أستطيعُ وقوفى ... رَغمَ هولى وعِلتى وضمورى

أى حلم يُغرى فؤادى المدمَّى ... يا ترى .. أى كامنٍ مقدور؟!

***

حجبتْنى الأوهامُ عن فتنةِ الـ ... ـكوْنِ فغلغلتُ فى ضلالى العسير

ورميتُ الأقداحَ من كفِّى الدا ... مِى وحَطَّمْتُ فى فَمى مزمورى

والأزاهير بعثرتُها على الطِّـ ... ـين يدى فى هناءة وحبور

جفَّ نبعى بها .. فلستُ أبالى ... أن أراها فى روضها المنضور

ما الذي غيَّر الوجودَ بعينى ... فغدا مَعْبد الدجى المنشور

وأنا الشاعر الذى يعشق النُّو ... رَ ويعنو لحسْنه المسحور؟

أى دنيا ملأتُها بغنـائى ... فوق شط منضَّر بالنور!

أى عودٍ حملته ذاهلَ الرو ... ح وحَوْلى أحبَّتى وزهورى!

ذهبَ الأمسُ مثلما يذهَبُ الـ ... ـحلم بكاساتِ لذَّتى وخمورى

فإذا بى على ضفاف حياتى ... مثقـل بالهمومِ والتكدير

آه ما أثقل الحياة عَلَى الشَّا ... عِرِ لَمَّا يجفوه فَيض الشعور

(القاهرة)

عبد العليم عيسى



تأملات:

ذات اليمين وذات الشمال

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

أوى الفتية إلى الكهف

قالوا إنهم سبعة وثامنهم كلبهم

وقد لجأوا إلى الكهف هاربين من الدنيا يستعجلون الآخرة . والآخرة عندهم جميعاً نهاية نيرة يستطيع كل إنسان أن يصل إليها إذا سلك لها طريقها

ولما كانوا في المدينة بحثوا طويلاً عن هذه الطريق حتى أعياهم البحث ، وكانوا يتفرقون ثم يتجمعون ويسأل بعضهم بعضاً هل اهتدى أحدهم إلى طريق النهاية النيرة ؟ فما كانوا يجيبون وما كانوا يهتدون

وأخيراً قال قائل منهم : ما أظننا واجدين شيئاً ولو قضينا العمر كله هنا في هذا المكان المنحرف عن مسرى النور ، وتحت هذه الجدران الجاثمة فوق الأرض بأثقالها والقاذفة الأرض بظلالها ، ظلالها المظلمة المعتمة ، التي لا يحب أهلها أن تشف ، ولا أن تلطف ... فتعالوا بنا إلى هذا الكهف الذي فوق هذا الجبل فإنه أكثر تصدياً للنور ، وأبعد عن حلبة الصراع المخبول ، ولعلنا هناك نهتدي إلى شيء ...

فأوى الفتية إلى الكهف ، وتبعهم الكلب

وكانوا وهم في الطريق إلى الجبل يسيرون جميعاً صامتين خاشعين مطرقي الرؤوس ، شاهدين على أنفسهم بعجزهم وضعفهم ، مؤملين أن يتاح لهم ما يرجونه حتى إذا ما رحلوا عن هذه الدنيا غادروها وهم أكبر مما كانوا يوم وردوها ...

إلا أحدهم ، فقد كان يضحك . فسألوه عما يضحكه فأشار إليهم ثم أشار إلى نفسه وظل يضحك ، فتركوه يضحك

ولما انتهوا إلى الكهف قال قائلهم : نستطيع الآن أن نتفرق في أركان هذا الكهف وزواياه ومنافذه ، ولنجتمع بعد يوم كامل لينبئ كل منا صحبه عما رأى ...

فتفرقوا أفراداً ، إلا أحدهم فقد اصطحب أحدهم

أما الكلب فقد جلس حيثما كان وبسط ذراعيه

وذلك الذي كان يضحك ، ظل يضحك ولم يرض أن يتجه إلى ناحية ما يستقر فيها ، وإنما أخذ يطوف بهم ، فكلما رآهم واجمين زاد ضحكه ، فإذا رآهم منبسطين تضاعف ضحكه ، حتى الكلب لم ينج من ضحكاته ، بل إنه هو نفسه لم ينج منها ، فقد مر وهو في تلافيف الكهف بنبع نظر في مائه فرأى صورته فما استرسل إلا ضحكاً ...

حتى إذا جاء إلى الاثنين اللذين تصاحبا سمعهما يتناجيان ، فتخفى وراء صخرة يستزيد سمعاً ... وأرهف للسمع نفسه كمن يستجدي السمع مهرباً من ضيق وأزمة ... مع أنه كان يضحك !

كان الصغير يسأل الكبير قائلاً :

— الآن وقد جئنا إلى هذا الكهف لنبحث عن ذلك الذي دخنا في البحث عنه لما كنا في المدينة ، ماذا ترانا صانعين ، وأين ترانا سنبحث ؟ لقد كانت في المدينة حياة متلونة ، وكنت ترسلني منها وتقول لي : ابحث . فإذا سألتك عن أي شيء أبحث ؟ قلت لي : سر متيقظاً ، فإما رأيت أو سمعت شيئاً فاسأل نفسك ما هو ؟ وكيف كان ؟ ومن أين جاء ؟ وإلى أين هو ذاهب ؟ فإذا وجدت الجواب عند نفسك فامض بحثاً حتى تقف أمام ما يعجزك تأويله . فكنت إذا أعجزني تأويل شيء جئت إليك فأولته لي ، وعرفتني أصله وفصله ، ولم أرك يوماً حرت في أمر ولا استغلقت عليك مسألة ، بل إني على العكس من ذلك كنت أرك تجيئني أحياناً بأحاديث عما رأيت أنت وسمعت مع تفسيره وتأويله ، وما كنت أنا لأخرج منه بشيء إن كنت رأيته أو سمعته ... هذه كانت حالنا في المدينة ، فكيف تريد بحالنا أن تكون هنا ، ونحن لا نرى شيئاً ولا نسمع شيئاً ، وليس أمامنا إلا هؤلاء الذين جاءوا معنا ، وها هم أولاء كما تراهم متفرقين يبحثون مثلنا عن شيء لا أراه أنا فدلني عليه إن كنت تراه ...

— هأنذا معك يا بني ، لا أرى إلا ما ترى ، ولا أسمع إلا ما تسمع

— وهم جميعاً هكذا ، وسنقضي العمر هنا أضيع مما كنا سنقضيه لو أننا بقينا في المدينة ، فهيا بنا نعد فهناك من غير شك أوفى حياة وأحلى

— صحيح . ولكن أمامنا الآن ونحن هنا في هذا الكهف شيء ليس في المدينة ما يشبهه ، وإنه من الخير لنا أن نبقى هنا لنراه

— أما فرغنا من رؤيته بعد ، هذا الكهف وما فيه ؟

— ربما كنا قد فرغنا من استعراض الكهف حقاً ، ولكننا لم نفرغ بعد من استعراض الذين فيه نحن ومن معنا . أما قلنا إننا سنجتمع بعد أن يمضي يوم ؟ أو لا يمكن أن تحدث في هذا اليوم حوادث لنا وللذين معنا ؟ أو لا يمكن إذا انتهى هذا اليوم أن يقول لنا واحد منا إنه رأى شيئاً أو سمع شيئاً ، ولو في المنام رؤيا ؟ ثم أليس أمامنا الآن نفسانا ونفوس هؤلاء الذين معنا وقد اعتزموا أن يقضوا يوماً في الكهف بحثاً . . . ألسنا جميعاً أهلاً لأن يرانا راء وأن يسمعنا سامع ونحن على هذه الحال التي لو علم بها أهل المدينة لجعلونا بها سخرية وهزؤاً ؟ ألست تحب أنت أن تسخر وتهزأ . . . هيا اسخر واهزأ إن لم تجد أمامك جداً . . .

. . . وهنا قصفت من وراء الصخرة ضحكة انفجرت في صدر المختفي وراءها لم يستطع أن يحبسها ، فلما دوت الضحكة وفضحته أطل من وراء الصخرة وقال لهما وقد استرسل يضحك :

— لقد سبقتكما ، فأنا أضحك منذ كنا تحت . . . سنلتقي في آخر اليوم ، وسأقول ، وستقولان ، وسيقولون ، وسنسمع . وأما أنا فسأظل أضحك ، وأما أنتم . . . فمن يدري

فقال الصغير : نحن الذين سنضحك في الآخر وأنت ستبكي

وقال الكبير : من يدري . . .

. . . وهنا . . . تثاءب الكاتب . . .

. . . فلما تثاءب الكاتب تثاءب بعده أقربهم منه ... وكان شاباً صادق الوجه ، فيه ملاحة وفيه خفة وفيه دلال بعثه في نفسه حب الناس له وإقبالهم عليه ... وكان فيه إلى هذا إهمال ظاهر في إهماله لنفسه ، ولمحاسنه ولعقله ...

رأى الكاتب يتثاءب ، فالتقط منه تكاسله ، وتثاءب هو أيضاً ، ثم طرح نفسه على الأرض ، وقال للكاتب :

— أتكون أنت أهدأ مني بالاً ؟ ... لماذا ؟ ... أنا جالس إلى جانبك أحرق نفسي بحثاً عن هذا الذي يبحث عنه هؤلاء جميعاً ، والذي لا أعرف ما هو ، وأنت جاثم نائم مرتاح ؟ لماذا لا أرتاح مثلك ؟ ألأني أريد مثلهم نهاية نيرة ؟ إن عندي ألف نهاية نيرة ! جلسة عند الراقصات الحور في جنة قطوفها دانية بين ذراعي تلك التي . . . هل تعرف يا أيها الكاتب « تلك التي . . . » ؟ أو لست تعرفها ... ؟ تعرفها أو لا تعرفها ، فإنني أنا أعرفها ، وسيزورني الآن طيفها ومعه قطعة من الجنة ، فأحسن استقباله يا صديقي الكاتب ، ودله عليّ إذا تاه عني ، وها أنذا راقد إلى جانبك ... أسعدت مساء ...

... قال هذا ونام ... نام بعد أن غنى لنفسه ما شاء ، وما استطاع ... ومر به الضحاك ، فإذا به نائم ؛ فبانت عليه أمارات الغيظ وانحنى عليه يسأله :

— أنائم أنت ؟ ... فإذا استيقظت في آخر اليوم ، فماذا أنت قائل لهم إن سألوك عما رأيت وعما سمعت ؟ سنرى ...

... وانصرف الضحاك عنه إلى واحد من أصحابه رآه يثقب سقف الكهف بمثقاب نحته من الحجر . فهم الضحاك بأن يشكو لهذا الصاحب صاحبهما الذي نام ، ولكنه آثر أن يستتر خلف منعطف في الكهف ، ليرقب هذا الذي يريد أن يخرق الحجر ، وليس شيء وراء الحجر إلا الفضاء

وسطع من جوف الحجر بريق ، فانبهر الثاقب ، وجفل الضحاك . أراد أن يضحك ، ولكنه أمسك عن الضحك ، وآثر مرة أخرى أن يظل يرقب صاحبه ، وهذا البريق الذي لمع من حرف الحجر ، وما عساه أن يحدث بينهما ...

ظل الرجل يثقب ويثقب حتى استخرجها من جوف الحجر حصاة كبيرة شفافة براقة متألقة ، استقبلت النور فعكسته أنواراً ، فراح يتأملها في إعجاب وفرح ، وأخذ ينفخ فيها ويمسحها بأنامله وهو يقول :

— أظنهم مهما جدوا فلن يعثر واحد منهم على ما يشبه هذه ؟ ولكن ما هذه ؟ على أي حال إنه لا يعنيني كثيراً أن أعرف ما هذه ، ما دمت بهذه أستطيع أن أمتاز على الناس وأن أخلب أنظارهم ؛ فلأخفها ولأكتم أمرها

... وبعد أن كان الضحاك الذي كف الآن عن الضحك ... بعد أن كان يريد أن يشكو صاحبه الذي نام لصاحبه الذي اهتدى إلى قطعة النور المتجمدة ، مضى وفي عزمه أن يشكو صاحبه هذا الأخير لأول من يلقاه من أصحابه ...

فأخذ يتسلل بين منعطفات الكهف حتى أشرف على صاحب آخر رآه ينبش الأرض وينكثها ، وينبش وينكث حتى تفجر من الأرض ماء ، مد الرجل إليه فمه فشرب منه رشفة ، فإذا به

يترنم ترنماً خفيفاً وإذا به يقول :

— ما في الحياة خير من هذه لذة ... ولا أمتع منها راحة ... سأملأ من هذا الماء قدحاً، وسأسق كلا من أصحابي رشفة فيهدأون ويرتاحون، ويدعون بحثهم واستقصاءهم، فأبحث أنا وأستقصى أنا فإن وجدت بعد ذلك شيئاً أعطيتهم منه القليل ، وادخرت لنفسى مصدره ... لن يكون غير هذا ، ولست ظالمهم ، ولا هم ظالمى ، وإنما لكل منا حظه ...

وكان الضحاك قد نسى الضحك ، واعتراه هم لم يكن يتوقعه واعتراه يأس لم يعرف منشأه ، فأطرق برأسه إلى الأرض ، وسار بخطوات عمياء إلى حيث لا يدرى ، وانتهى به المسير إلى حيث كان الكلب راقداً فرقد إلى جانبه هو أيضاً ، ولكنه لم يرقد كما يرقد الناس ، وإنما انبطح على وجهه كالكلب ، وبسط ذراعيه أيضاً كالكلب ...

***

كانوا سبعة وثامنهم كلبهم . أما الكلب فهو الكلب

وأما هم فأولهم هذا الضحاك الذى اغتم ونام فى آخر الأمر ، وثانيهم هذا الذى غنى ونام من قبله ، وثالثهم صاحب قطعة النور، ورابعهم صاحب الماء اللذيذ، وخامسهم صاحب سادسهم، وهما اللذان أرادا منذ أول الأمر أن يريا فى هؤلاء الجماعة جداً أو هزؤاً وسخرية إن لم يريا الجد

فأين كان سابعهم ؟. .

سابعهم كان جالساً على حجر عند مدخل الكهف يتمتم قائلاً :

— هو . هو . هو . هو . هو

***

وانقضى اليوم . واجتمعوا عند مدخل الكهف حول هذا المتمتم ، فسأل أولهم : ماذا وجدت ؟ فضحك . فقال له : أمجنون أنت ؟ لقد سكتنا عن ضحكك هذا عند ما كنا فى الطريق ، ولكننا الآن لا نستطيع أن نسكت عنه بعد أن قضينا يوماً بحثاً ...

فضحك ... فقالوا جميعاً : دعه ، إنه مجنون . فتركه يضحك ثم سأل الثانى : ماذا وجدت ؟ فقال له : غادة هيفاء ، وروضة فيحاء ، ونسيم عليل ، وخمر وغناء ، ورقص وتسابيح ، ودنيا أخرى غير هذه ما فيها إلا السعادة والنعيم ...

فسأله : أين هى ؟ فقال : ها هى ذى ... أما تراها ... إن كنت لا تراها فهى إذن قد ولت ... يا خسارة ...

فقال له : إذا عدنا إلى المدينة فصفها للناس يرحبوا بك شاعراً

ثم سأل الثالث : وأنت ماذا وجدت ؟

فقال له : هذه ... تلمع فى النور ، وتلمع فى الظلام ، لها أنوار مختلفة الألوان ، حمراء وخضراء وزرقاء وصفراء ... أنا لا أدرى ما هى ولكنى أحبها ، وأنت أيضاً تحبها ، والناس جميعاً يحبونها ، أليس كذلك ؟

فقال له : نعم ، فإذا نزلت إلى المدينة فاخلب بها الأنظار والألباب إنها السحر ... ولكنى أوصيك ألا تؤذى بريقها امرأة ولا طفلاً ولا رجلاً ضعيفاً ، فما كل عين تطيق هذا التألق الخطاف ...

ثم نظر إلى الرابع وسأله : وأنت ماذا وجدت ؟

فقدم له القدح وقال له: اشرب ، فقال له : ما هذا الذى تريدنى أن أشربه ؟ فقال له: ماء وجدته . فسأله: أين ؟ فقال : لن أقول، فإن لى به سلطاناً لو شاع بين الناس فقدته ... إنه شراب لذيذ ومسعد

فقال له : لا ريب إن كنت لا تزال صادقاً ... فارجع به إلى أهلك فاسقهم منه يقيموك فيهم كاهناً يطلبون عندك الراحة كلما تعبوا ... ولكن لماذا لا تدلهم على سر هذا الشراب حتى إذا مت وجدوه من بعدك ...

فقال : من بعدى ؟ ما لى أنا والذين بعدى ، والذين قبلى ؟ هل عطف على من أهل هذه المدينة أحد ... لا يا سيدى ، لكل منا سره ..

... ثم نظر المتمتم للصاحبين المتلازمين وسألهما : ماذا رأيتما ؟

فقال الصغير : رأينا كم أنتم ، وقد عرفتكم جميعاً إلا أنت يا من تسألنى .. وتسأل الناس لم أعرف ماذا وجدت أنت ؟ ولا ماذا ستصنع عند ما تعود إلى المدينة ...

فقال الكبير من الصاحبين : هذا يا صغيرى رجل ، له ولى ، كلما فرغ نصب وذكره ، فهو دواماً معه ...

فسأل الصغير — ومن وليه ؟

فأجاب الكبير — هو ...

فسأل الصغير مرة أخرى — ومن هو ؟ !

فأجاب الكبير مرة أخرى — اسأله هو ...

فسأله الصغير — قل لى من هو ؟

فقال له — عند ما أستطيع الكلام سأقول لملمك ...

ثم نزلوا إلى المدينة ... ووراءهم كلبهم . فلما تشتتوا كان الكلب يعود إلى الكهف وحده بين الحين والحين لينام ، فقد استطاب الهواء الذى هناك .

عزيز أحمد فهمى



الذرة وبناؤها الكهربائى

THE ELECTRICAL STRUCTURE OF THE ATOM

للدكتور إسماعيل أحمد أدهم

يكاد يكون اتجاه علم الطبيعيات الحديثة فى مبحث الذرة أن اللبنات الأساسية التى تبنى منها الذرة موجية ، وذلك من بعد ما نجح العالم الفرنسى « لويس دى بروجلى » Louis De Broglie – والأستاذ « هيزنبرج » Heisenberg – فى وضع مبادئ الميكانيكا الموجية . فنحن نعلم أن نظرية « نيلز بوهر » Niels Bohr مع نظرية المقدار القديمة The Old Quantum thèory كانت تستحكم فى الأذهان حينما تقدم للملأ « لويس دى بروجلى » عام ١٩٢٣ م مقرراً أن الألكترونات وهى دقائق كهربائية مادية ذات شحنة سالبة تحمل ما يتبين فيه نبض موجى ، وأن أشعة « إكس x » تظهر فى شكل من القوة خاص بالذرة غير أن ملاحظة « لويس دى بروجلى » لم تحظ بتأييد أحد غير العلامة « ستروديجر » Erwin Schrodinger ولكن حدث أن نجح الأستاذ « دافسن » Davisson وزميله « جرمر » Germer فى إثبات أن الألكترون وهو دقيقة مادية يخضع لقوانين التفرق الموجى . فنحن نعلم أن مرور موجة ضوئية فى ثقب دقيق يتمخض عما يعرف باشتباك الأمواج وتفرقها – إذ بدلاً من أن تسير الموجات الضوئية فى خطوط مستقيمة فإن أجزاءها تشتبك . ومثل هذا يحدث إذا مرت فى معدن متبلور أو صفائح فلزية حيث تقوم دقائق المعدن أو الفلز مقام الحائل فى الضوء المرئى . وقد نجح هذان العالمان فى إمرار ألكترونات من خلال صفائح فلزية من الذهب ومعادن متبلورة ، فكانت النتيجة التى انتهينا إليها أن الألكترون يتصرف تصرف الأمواج ، إذ تشتبك أجزاؤه وتتداخل . ومن ذلك الحين احتلت الميكانيكيات الموجية مكانها اللائق فى عالم الفكر العلمى الحديث

وقد استند « لويس دى بروجلى » إلى ظاهرة تصرف الألكترون كموج وقرر أنه عبارة عن موجة كهربائية تجمعت فى حيز صغير ، ورغم أن فرضيته كانت توافق النتائج التجريبية التى انتهى إليها الأساتذة « دافسن » و « جرمر » و « طمسن الصغير » M. G. p. Thomson فإن مبدأ « عدم التثبت » uncertainty الذى كشف عنه « هيزنبرج » كان يقف عقبة دون قبول هذا الرأى

فنحن نعلم من نظرية المقدار القديمة أن إطلاق المادة لفوتونات الطاقة يكون كاملاً وكذلك امتصاصها لها ، وأن عملية امتصاص الفوتونات وإطلاقها تسير متقطعة غير متصلة ، وذلك يرجع إلى أن نظرية « ماكس بلانك » Max Planck قامت تستمد كل قوتها من التحولات الدورية periodic فى الاهتزازات التى تعين خط شعاع الموجة ، معتبرة هذه التحولات غير مستمرة بل هى وثبات متماثلة متساوية المسافة الفاصلة بينها ، كما أن الزمن الفاصل متساو ، فتكون بناء على ذلك هذه التحولات الدورية راجعة لوحدات ثابتة لا تنقسم اصطلح على تسميتها بثابت بلانك أو H = هـ فى الرمز الرياضى . فإذا أخذنا موضع النظر الحقيقة التى قررها « جيمس كلارك ماكسويل » James Clearck Maxwell من أن الأمواج أياً كانت تتسع فى دوائر باستمرار فى كل الجهات ، فكأن موجة ضوئية تصدر من أحد السدم تصل إلى الأرض بعد سنين من صدورها، ورؤيتها تحمل فى «علم المقدار على أن مقداراً Quantum أصاب العين ، مع أن المقدار المنطلق من إحدى ذرات السديم يجب أن تتوزع طاقتها على صدر قوس موجتها ، حتى أن السنتيمتر من سطح الأرض الواقع فى دائرة شمول الموجة لا يصيبه إلا جزء صغير جداً من المقدار وهذا يستلزم انقسامها وهى لا تنقسم ، وهذا خلف contradiction

ولقد افترض « هيزنبرج » لحل هذا الإشكال أن الأمواج لا تحمل كميات من الطاقة متساوية فى صدرها ، إنما تحمل احتمالات متساوية بوجود الطاقة ، متجمعة فى إحدى النقط الواقعة على صدر الموجة . والمذكرة التى قدمها « هيزنبرج » فى هذا الشأن خريف عام ١٩٢٥م تنطوى على هذا المبدأ الذى يستتر وراءه حقيقة من أهم حقائق الكون الخفية

وقد نجح العلماء من بعد « هيزنبرج » فى إثبات هذه الحقيقة وقد كنت أنا من أوائل هذا النفر ، فقد بينت تجاربنا بمعامل البحث الطبيعى فى موسكو أننا لو أسقطنا حزمة من أمواج الحرارة على طبقة معدنية من المغناسيوم ، فبطبيعة الأمر سيتطاير عدد

من الكهارب ، وعن طريق قياس سرعة سقوط أمواج الحرارة وعدد الكهارب المتطايرة وعرض الموجة ، أمكننا حساب مسئلة تركز الطاقة فى نقط معينة من صدر الموجة أو توزعها ، وكانت نتيجة هذه التجارب أن الطاقة فى أمواج الحرارة متجمعة فى أجزاء على صدر الموجة ، وبذا تؤثر فى الكهارب التى تصدمها

وإذاً يمكننا أن ننقح رأى « لويس دى بروجلى » ، وأن نفترض مع الأستاذ « أروين شرودنجر » أن الكهربائية فى الذرة ليست مركزة فى نقط معينة من الذرة ، هى الكهارب ، إنما هى موزعة على السواء فى محيط كرة الذرة . وتفسير هذا التوزيع يشكل أهم مسألة فى الطبيعيات الحديثة

§ ٢ : —

لقد كان أثر نظرية المقدار فى تفكيرنا العلمى عن بناء الذرة كبيراً ، إذ لم نعد نعتبر سير الألكترون فى فلكه حول النواة مستمراً بل متوثباً ، ويكون بذلك شكل الذرة الخارجى متعدد الأضلاع نظراً لأن الألكترون يرسم حدود الذرة وثباً فى سيره من حول النواة ، وهكذا نقترب من التصوير الذى وضعه للذرة « جلبرت نيوتون لوس » G. V. Lewes عام ١٩١٦ ، والتى اعتبرت أساساً لبناء الذرة المستقر

وهذا التفكير وضع حداً لذرة « بوهد » وخصوصاً أنه كان يرى المسارعة فى الذرة ، مسارعة الألكترون ترجع لقوانين النشاط الكهربائى — Electrodynamic — الكلاسيكية ، بينما إشعاعات الذرة للفوتونات ترجع لقاعدة « ثابتة بلانك » فى « علم المقدار » . ومن المعلوم لنا عن طريق التجربة أن المسارعة من جهة وإطلاق الذرة للفوتونات من جهة أخرى يمكن أن يخضع لقوانين النشاط الكهربائى الكلاسيكية ، ولكن ... ذلك إذا بلغت عدد المقادير ـ ثوابت بلانك ـ اللانهائية أو قاربتها

هـذا إلى أنه من المتعذر على الباحث فى الدقائق الذرية Sub - Atomic أن يعين مكان دقيقة ذرية وسرعتها فى آن واحد ، فإذا عرف المكان تعذر على الباحث تعيين السرعة ، وإذا عرف السرعة تعذر عليه تعيين المكان ، وقد كان تأثير هذا المبدأ — مبدأ عدم التثبت — كبيراً فإنه هدم ثقة العلماء بالجبرية determinism فى علم الطبيعة غير أنه من المهم أن نلاحظ أن عدم التثبت كان ينعكس فى المقادير الكبيرة إلى نوع من التثبت والحقيقة.

وهذه الحقيقة بجانب أوليات حسابات الاحتمال مهدت السبيل للعلامة « أورين شرودنجر » أن يضع نظرية جديدة فى « علم المقدار » تضافر معه على تحقيقها « ماكس بورن » Max Born و « جوردان » Jordan و « ديراك » Dirac وفى هذه النظرية الجديدة لم يعتبر « شرودنجر الإلكترون دقيقة مادية ركزت فيها الشحنة الكهربائية ، إنما اعتبرها شحنة كهربائية موزعة على فلك الإلكترون على السواء ، والتوزيع هنا معناه احتمالى محض ، وقد اختلفت وجهات النظر فى تفسير الاحتمال ، فهو عند شرودنجر ليس فى ساحة فراغية إنما هو فى ساحة رياضية صرفة ، بينما هو عند جوردان وماكس بورن مقياس لا لكم واحد أو عدد من الكميات وإنما هو مظهر من قياس عدد لا متناه من الكميات الممكنة المنتظمة ؛ أما « ديراك » فيرى التوزيع رمزاً symbol ولكن بدون أى إمكان لتفسير عددى إذ يأخذ بالوجهة التى تربط سرعة الإلكترون بمقدار طاقة حركتها

إن فكرة الاحتمال التى دخلت ساحة الطبيعيات الحديثة نبتت من الحقيقة التجريبية فى أنه إذا بلغ عدد المقادير أعنى ثوابت بلانك اللانهائية أو قاربها ، فإن مسارعة الإلكترون وإطلاق الذرة للفوتونات يخضعان لقوانين النشاط الكهربائى الكلاسيكية ، ومن المعلوم من حسابات الاحتمال أن اتساع الدائرة التى تخضع للاحتمال يؤدى إلى تكييفات حتمية أو شبه حتمية ، وذلك راجع إلى أنه فى حالة اتساع الدائرة تتساوى نسبة مجىء الحادثات واطرادها فى تتابعها . وبيان هذا :

لو افترضنا أن معنا قطعة من النقد ، فهذه القطعة لها وجهان بطبيعتها ، واحتمال مجىء أحد هذه الوجهين معادل لاحتمال مجىء الوجه الآخر . فالحالات الممكنة أعنى المحتملة هنا هى :

١ ، ٢ ز ٢ ، ١

ويكون احتمال هاتين الحالتين بنسبة بعضهما لبعض :

$$\text{ح}_1 \text{ ، } \text{ح}_2 = 1 - \text{ح}_1$$

باعتبار أن الوضع ١ ، ٢ = ح_1 والوضع ٢ر١ = ح_2 فإذا تكررت هذه الأوضاع ىه من المرات ، فالحالات الممكنة ثابتة فى التعاقب ويكون وجه احتمال مجىء الوضع ح_1 راجعاً للمعادلة

$$[\text{ح}_1 - \text{ح}_2] \text{ ىه}$$

التى تحدد من إمكان الوضع الأول

وهنا التفاضل بين $\text{ح}_1 - \text{ح}_2$ أصغر من الواحد ، فإذا كان

مقدار به بالنا الحد الأعظم فإن إمكان الوضعين يقترب من التعادل حتى يساويه فى اللانهائية

واستناداً إلى هذه الفكرة الرياضية المحضة أمكن تفسير غامض انطلاق الفوتونات وتغيير الذرة لموازنتها الكهربائية ، فنحن نعرف أن كهربا ينطلق من الذرة إذا بلغ عدد المقادير اللانهائية وذلك فى صورة متجانسة مع المبادئ الكلاسيكية ، وانطلاق كهرب أو تغييره لفلكه يحدث اختلالاً فى موازنة الذرة ويحدث فى بناء الذرة رد فعل ينجم عنه موازنة جديدة ، لا تأتى إلا بإطلاق مقادير من الطاقات تعرف بالفوتونات . وإطلاق الذرة لهـذه الفوتونات يرجع لحلها حالة طقس جديدة تقوم على عدد لانهائى من المقادير . وهذه اللانهائية فى عدد المقادير هى التى تعطى الاطراد فى انطلاق الفوتونات بالنسبة لتغيير الشحنات الكهربائية موازنتها فى الذرة ، لأنه فى الوضع اللانهائى يتساوى كل الحالات الممكنة واطراد انطلاق الفوتونات فى تتابعها

ونفس النظر الاحتمالى فسر مفهوم مبدء عدم التثبت لأن هـذا المبدأ فى أبسط صوره لم يخرج عن استحالة تعيين دقيقة ذرية فى مكانها وسرعتها فى آن واحد ، فإذا أمكن تعيين السرعة استحال تعيين المكان ، وإذا أمكن تعيين المكان استحال تعيين السرعة. ولكن هذه الاستحالة وعدم التثبت سرعان ما ينعكسان — كما قلنا فى المقادير الكبيرة — ولبيان هذا نقول :

إن قطعة النقد المؤلفة من وجهين : وجه عليه رسم الملك ، ووجه آخر عليه الفيئة ؛ ونرمز إلى الوجه الأول بالرمز (ع١) ، وللوجه الثانى بالرمز (ع٢) ؛ فإن إمكان تعيين أحد الوجهين متعادل واحتمال مجيئه متساو بحكم الطبيعة ، فإذا رمينا قطعة النقد عدداً من المرات ، فمن المحتمل فى هذه المرات أن يأتى كل وجه فى دورة واحدة ، كما أنه لا يستبعد أن يأتى أحد الوجهين عدداً من المرات ، ولا يظهر الوجه الآخر إلا مرة واحدة ...

ولكن هذا التخالف سرعان ما يتناقص مقداره ويأخذ فى الاقتراب من الصفر إذا رمينا قطعة النقد ٥٠٠ ألف مرة ، لأنه فى هذه المرات الكثيرة يعطى اتساع المدى تساوياً لتتابع واطراد الأوجه الممكنة ـ التى هى وجهان هنا ـ فيأتى معنا الوجه الذى يحمل رسم الملك ٢٥٠ ألف مرة ، وكذلك الوجه الآخر

ونفس هذا يحدث معنا فى ساحة «علم الذرة» وعلم «المقدار» ولشرح هذا نقول :

إن المشاهد فى عالم الذرة أن النتيجة التى يخلص بها الباحث من تعيين أوضاع لبناتها غير حتمية ، لأن النتيجة التى يخلص بها الراصد والباحث فى زمن ووضع معين يخرج بغيرها باحث آخر فى غير الوقت والوضع ولو جرت التجربة فى عين الشرائط التى جرت وفقاً لهذه التجربة الأولى . ولو أجريت التجارب عدداً من المرات فعلى عدد هذه المرات تكون النتائج معنا ، غير أن هذا العدد إذا بلغ حدًّا كبيراً فسنجد أن النتائج الجزئية تعطى وجهاً عاما فى احتمال لا نهائى . وهذا الاحتمال يمكن الباحث من من حساب النتيجة التى تأتى معه فى وضع رياضى ولكن يحمل عنصر اللزوم والحتم فى طياته

وهذا نفس ما يحدث معنا إذا رمينا قطعة النقد مرات فإن النتائج تتباين فى كل رمية ، ولكن هنالك فى اتساع المدى تساوياً فى تتابع واطراد هذه النتائج

هذه الأوليات تفسر لنا أوجه تفسير « التوزيع » عند كل من (شرودنجر) و (جوردان) و (ماكس بورن) و (ديراك) من وجهتيه الطبيعية والرياضية

§ ٣ : —

لقد انتهى « ديراك » بمباحثه النظرية فى تفسير التوزيع ، إلى أن هذا التوزيع رمز ولكن بدون أى إمكان لتفسير عددى أخذاً بالوجهة السلبية من المعادلة الأساسية لنظرية الكوانتا الجديدة ، أعنى الوجهة التى تربط سرعة الألكترون بمقدار طاقة حركته ، وكان نتيجة ذلك أن انتهى إلى أن هنالك ضربين من الكهارب موجبة وسالبة الشحنة الكهربائية ؛ والكهارب ذات الشحن السالبة من الكهربائية هى الألكترونات ، أما الموجبة فهى وراء تناول تجاربنا ، فكأنها والخلاء سيان

وامتحان نظرية « ديراك » من الوجهتين الرياضية والفيزيقية عن طريق دراسة تدفق الإشعاع المادى واستناداً إلى معادلتى كلاين Klein و « نشينا » Niskina ينتهى بالباحث ، كما انتهى بنا ، إلى حقيقة فوزيقية مهمة: هى أن الطاقة السالبة، والطاقة الموجبة التى ترتبط بدقيقة الكهربية متساوية ، وأن الاختلاف فى دلالة الإشارة الجبرية على نوع الشحنة، وهذا يؤدى حتما إلى افتراض كهرب موجب الشحنة الكهربائية يقابل الألكترون السالب الشحنة الكهربائية . وهذا التنقيح فى نظرية « ديراك » يجعلنا ننجح حيث فشل غيرنا ، مثل أوبنهمير Oppenheimer ، ومن الحتم أن نقول إن « لويس دى بروجلى » يوافقنا على هذا التعديل

وقد كشفت الباحث الفيزيقية الأخيرة عن وجود دقيقة



بين الدكتور زكي مبارك وصديق له

رأيت في الرسالة الغراء كلمة وفاء ورثاء يبني بها الدكتور مبارك لفرنسا ، ويرثو لما أصابها . وجميل بالرجل أن يكون وفياً رقيق القلب ، ولا سيما في مثل موقف فرنسا ونكبتها التي حلت بها من انحلال الأخلاق واللهو واللعب مكان الرجولة والتضحية ، كما قال المارشال بيتان ، وهذا من أعظم مواضع الرثاء والأسف

وقد أعجبني من صديقي مبارك أنه متفق مع الجميع في التأثر والألم لما أصاب مدينة النور « باريس الجميلة » فإن لكل متعلم في باريز عهداً لا ينسى ذكراه . وللمدينة الخالدة « باريس » فضل على كثير من الشرقيين والغربيين لا تبلو جدته

غير أني رأيت الدكتور يرد على صديق عاتبه في الإفراط بمحبة فرنسا ، بينما فرنسا الدولة المستعمرة التي أرهق استعمارها عشرات الملايين وإخوان زكي مبارك

ورأيت الرد خلط بين أمرين كان يجب التفريق بينهما

الأول: فرنسا العالمة مبعث النور والحرية ومهد الاختراعات

الثاني: فرنسا المستعمرة بكل ما في معاني الاستعمار من استبداد

وفي الحالة الأولى يجب على كل إنسان أن يحب فرنسا ويرثى لنكبتها

وفي الثانية على كل حر في العالم وكل من ذاق استعباد فرنسا في مستعمراتها ألا يجزع لما حل بها

نعم ، إن الشماتة لا تليق بالرجال ولكن حب الانتقام ، ولا سيما في المظلوم من الغرائز البشرية التي اعترفت بها الشرائع والقوانين ، وهي صفات إذا فقدتها الجماعات والأمم أصابها هذا الانحلال ...

فالإنسانية تتألم لفرنسا والحرية تبكيها ، والأمم التي أصابها ظلم فرنسا تصمت أمام انهيار السياسة الفرنسية ، وتعد انهيارها نذيراً لكل أمة تظلم الإنسانية أيّاً كان مذهبها وملتها

فالأولى بالصديق مبارك أن يفرق بين فرنسا وفرنسا ؛ وعندها ينصف نفسه وينصف من يعتب عليه

« صديق »

مادية ذات شحنة موجبة تقابل الألكترون اصطلح على تقريبها بالبوزيتون . وكان زميلنا العالم الروسي سكوبلنز Skobelzien أول من انتبه إلى هذه الحقيقة أثناء تصويره مسارات الأشعة الكونية Cosmic Rayo عن طريق ما تتركه من الأثر في المسار الذي تسلكه خريف عام ١٩٢٩ . وكانت تجارب الأساتذة : أندرسون Anderson وبلاشيت Blachett وأُشياليني Occhialini في الذرة المتهيجة تحت تأثير الأشعة الكونية قد انتهت لحقيقة تجريبية في أن كتلة هذه الذرات المتهيجة تحت تأثير الأشعة الكونية تعادل كتلتها في حالتها الأولى . وقد تبيّن خلال هذه التجارب أن هنالك خطوطاً مزدوجة أحدها منحرف لليمين والآخر لليسار، أعني أن أحدها موجب والثاني سالب، وتبين من مباحثهم أن الخط الموجب هو صنو للالكترون نظراً لأن الخط السالب هو الإلكترون نفسه ، وأن كتلة الدقيقة الموجبة معادلة لكتلة الدقيقة السالبة ، فكأن البوزيتون صنو الإلكترون وليس البروتون هو صنوه

ونحن نعلم من نظرية « نيلز بوهر » العالم الدانمركي أن النوية في الذرة تعادل كتلتها كتلة الذرة وأنها مكونة من بروتونات ، غير أن الميكانيكا الموجية وتجارب « دمبستر » A. J. Dempster بينت أن البروتون لم يخرج عن كونه موجة كهربائية ولكنها ليست مركزة في قلب الذرة كما ارتأى « دي بروجلي » وإنما هي موزعة توزيعاً رياضياً في كرة الذرة الداخلي

هذه الحقيقة التي تنسجم مع المبادئ النظرية في الفوزيقا الحديثة لها ما يسندها في عالم التجربة، وقد كان لي عام ١٩٣٣ فكرة في أن كرة الذرة الداخلية متوزعة فيها الشحنة الموجبة توزيعاً رياضياً ، وأن هذه الشحن تتجمع في بعض النقط ، وهذه النقط هي الإلكترونات الموجبة أو البوزيتونات حسب الاصطلاح الحديث

وفي مستهل عام ١٩٣٨ حملت أنباء التجارب العلمية الحديثة أن البروفسور سكوبلزن قد نجح في تخليص بيروتونات من تيار من البوزيترونات تحت ضغط عال ، فإذا صح هذا ، فسيكون معنا في الذرة لبنتان أساسيتان - الألكترون والبوزيتون وهكذا يتحقق معنا الفرض القديم الذي قلت به منذ خمس سنوات في مذكرتي إلى معهد الطبيعيات الروسي ، وهي أن الذرة مكونة من موجتين : ذات شحنة موجبة وذات شحنة سالبة ، وأن هاتين الموجتين في توزيعهما الرياضي في عالم الذرة يخلقان لنا ذلك الشيء الذي نصرف إليه اصطلاح الذرة

اسماعيل احمد أدهم

من الأستاذ القاياتي الى الدكتور عزام

أرسل الأستاذ السيد حسن القاياتي إلى الدكتور عبدالوهاب عزام هذين البيتين على أثر قراءته كتاب « رحلات » :

ظمئت لتصلح لب القسيم وعدت لتكتب رأى الحكيم
بيانك والشرق أغلاهما جمال الجديد ونبل القديم

حسن القاياتي

المقنع لأبي عمرو الداني

أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني الأندلسي عصري ابن حزم المتوفى سنة (٤٤٤) إمام من أئمة علم القرآن ، وله فيه تصانيف كثيرة منها (التيسير) ، وهو اليوم أقدم مرجع للبحث في القراءات السبع . وكتابه « المقنع » أقدم مرجع في رسم القرآن وكتابته ، (والنقط) في نقطه وإشاراته ، وكان بعض المستشرقين قد نشره ونشرت ترجمته إلى اللسان الفرنسي — فأعاد الأستاذ المحقق الشيخ محمد أحمد دهمان نشره مقابلاً على ثلاث نسخ مخطوطة قديمة بتحقيق وعناية وطبعه على ورق جيد جداً ، قلما يطبع على مثله كتاب: فلما بلغ إلى المقدمة التي أعدها وهي تبلغ ثلث الكتاب (الكتاب مع فهارسه يقع في ١٨٠ صفحة) لم يجد في السوق من هذا الورق وكره تشويه الكتاب بتنويع ورقه فأرجأ نشرها إلى طبعة أخرى، ولعله ينشرها في الرسالة مستقلة أو مختصرة

والأستاذ « دهمان » مؤسس مكتب الدراسات الإسلامية في دمشق ، وقد نشر كتباً قيمة منها : « كتاب النشر في القراءات العشر » — وهو أول من نشره — و « البدع والنهي عنها » لابن وضاح وهو أقدم كتاب في موضوعه ، و « سنن الدارمي » وغيرها

ونحن نشكر للأستاذ جهده وننبه المشتغلين بهذا الفن إلى صدور هذا الكتاب القيم « ع . ط »

للتاريخ — لماذا هزمت فرنسا ؟

أذاع المارشال بيتان البيان الآتي :

أيها الفرنسيون في فرنسا وفيما وراء البحار ، أخاطبكم اليوم لأوضح لكم الأسباب التي دعتنا إلى عقد اتفاقيتي الهدنة الأولى مع ألمانيا منذ ثلاثة أيام والثانية مع إيطاليا أمس

إن الأمر الذي يجب التنويه به قبل كل شيء هو الوهم الخادع الذي بنت عليه فرنسا وحلفاؤها آمالهم بشأن قواتهم العسكرية الحقيقية وأثر السلاح الاقتصادي وحرية البحار والحصار والموارد التي كانوا يستطيعون الحصول عليها . فاليوم — كما في الأمس — لا تكسب الحرب بواسطة الذهب والمواد الأولية فقط . إن النصر يتوقف على القوات والمعدات وكيفية استخدامهما . وقد دلت الحوادث على أن ألمانيا كانت متفوقة في هذا الميدان في مايو سنة ١٩٤٠ تفوقاً ساحقاً كنا لا نستطيع أن نواجهه عندما دارت رحى المعركة إلا بعبارات التشجيع والأمل

وقد انتهت معركة الفلاندر بتسليم الجيش البلجيكي وسط القتال ومحاصرة الفرق الإنجليزية والفرنسية . وقد قاتلت هذه الفرق الأخيرة قتال الأبطال ، وكانت مؤلفة من خيرة قوات جيشنا . وبالرغم من مقدرتها لم نتمكن من إنقاذ جانب من رجالها إلا بالتخلي عن معداتها . ودارت المعركة الثانية على نهري الأين والسوم ، وللثبات في هذا الخط قاتلت ٦٠ فرقة فرنسية لا تحميها التحصينات ولا تؤيدها الدبابات — تقريباً ١٥٠ فرقة ألمانية من فرق المشاة و١١ فرقة من الفرق المصفحة . فاخترق العدو خطوطنا في بضعة أيام ، وجعل قواتنا أربعة أجزاء واجتاح القسم الأكبر من الأراضي الفرنسية، وكانت ألمانيا في حكم المنتصرة عندما دخلت إيطاليا الحرب ، وأقامت ضد فرنسا جبهة جديدة صمد لها جيش الألب . وعندئذ اتخذ نزوح اللاجئين شكلا يفوق ما يتصوره العقل ، فقد انضمت عشرة ملايين من الفرنسيين إلى مليون ونصف مليون من البلجيكيين وأخذوا يتدفقون على مؤخرة جبهتنا في أحوال اختل فيها النظام وسادها بؤس لا يوصف

وابتداء من ١٥ يونيه اجتاز العدو نهر اللوار وانتشر في بقية أنحاء فرنسا . فأمام مثل هذه المحنة كان يجب أن تكف مقاومة الجيش ، وكان على الحكومة أن تختار بين أحد أمرين : إما البقاء في مكانها أو مغادرة البلاد . فتداولت في الأمر وقررت البقاء في فرنسا للمحافظة على وحدة شعبنا وتمثيله أمام العدو، ذلك لأنها رأت أن واجبها في مثل هذه الأحوال يقضي بالحصول على هدنة مقبولة باستثارة روح الشرف والعقل لدى العدو . وقد عقدت الهدنة وانتهى القتال . وفي يوم الحداد الوطني هذا تتجه أفكاري إلى جميع القتلى ، وإلى جميع أولئك الذين تألموا في أجسادهم وعواطفهم من جراء هذه الحرب . إن تضحيتهم قد احتفظت بسمو علم فرنسا وطهارته فهم لا يزالون أحياء في ذكرياتنا وقلوبنا

أما الشروط التي اضطررنا إلى قبولها فهي قاسية . فسيحتل



جندى مرابط

للأستاذ محمد سعيد العريان

« راجح ! حبيبى ! أرجوك ... إن العدوّ لا يرحم، ولا يعفو ؛ فلا ترمِ بنفسك إليه .. احرص على حياتك من أجلى يا حبيبى ! عِش لى، أوْ لا، فاقتلنى واسدِل بيديك أجفانى قبل أن أرى فيك مصارعَ أهلى وأهلاءِ يا راجح ! »

كانت « بدرية » تتحدث إلى فتاها وقد أمسكت بيديه، ورفعت إليه عينين مخضلّتين بالدمع وفى صوتها نبرة يأس وأسى. كانت موقنة بأنه لن يستمع إليها، ولن يجيب ؛ ولكن جذوة الحب التى تؤج فى صدرها كانت تبعث فى نفسها أثارةً من الرجاء !

واستمع إليها الفتى صامتاً وفى قلبه عواطف تصطرع، وفى رأسه خواطر تموج وتتدافع ؛ وأوشك أن ينتكث عزمه، حين التقت عيناه بعينيها الدامعتين وأحسّ شدَّ يديها على يديه كأنما تخشى أن يفر إلى أجله قبل أن تُلقى إليه كلمة الوداع !

وبرز القمر من خلل أعذاق النخيل، فألقى شعاعه على وجه الفتى والفتاة جالسين مجلسهما على مقربة من مضارب الحىّ، وقد سكن كل شىء منهما ومما حولهما، إلا قلباً يجف وأنفاساً تتردّد . . .

وثابت إلى الفتى نفسه حين أذكرَتْه صاحبته مصارع أهلها وأهله ؛ لقد كان موشكا أن يخور وتضعف عزيمته، ولكن ذكرى أهلها، وأهله ... ووطنه ... قد ردّته إلى رأيه، فأفلت من يدى صاحبته ووقف، وهتف :

« نعم ... ولكنَّ دم آبائى يا بدرية، ودم أبيك، وشرف الوطن ... يناديني ؛ لقد أقسمتُ أن أنتقم أو أموت، وسأنتقم، أو أموت ... ويومئذ ألقى آبائى، وآباءك، رافع الرأس فخوراً بما بذلت لأهلى ووطنى، من دمى ... ! »

جزء كبير من أراضينا مؤقتاً وتقيم ألمانيا حاميات فى شمال بلادنا وغربه من بحيرة جنيف حتى تور ثم على طول الساحل من تور، حتى جبال البيرينيه . ويجب أن تسرح جيوشنا وأن تسلم معداتنا وتحصيناتنا وأن يجرد أسطولنا من سلاحه فى موانينا . وستجرد القواعد البحرية من سلاحها فى البحر الأبيض المتوسط

أما الشرف فلا يزال سليما . فلن يستخدم أحد طائراتنا ولا أسطولنا . ونحن نحتفظ بالوحدات البرية والبحرية اللازمة للمحافظة على النظام فى فرنسا ومستعمراتها، وستظل الحكومة حرة ولن يدير شؤون فرنسا إلا الفرنسيون

لقد كنتم على استعداد لمواصلة القتال — إنى أعلم ذلك — ولكن الحرب كانت لا محالة خاسرة فى فرنسا

لا تنتظروا كثيراً من الدولة فهى لا تستطيع أن تعطى إلا ما تتلقاه . اعتمدوا فى الوقت الحاضر على أنفسكم وفى المستقبل على الأبناء الذين ستربونهم ؛ وعلينا أن نجدد فرنسا، فأظهروها للعالم وهى ترقب خصمها وتعمل فى هدوء وكرامة . لقد أتت الهزيمة من الانحلال فدمرت روح الملذات واللهو ما شيدته روح التضحية، فإنى أدعوكم قبل كل شىء أن تنهضوا بأخلاقكم .

أيها الفرنسيون، إنكم لقادرون، وإنى أقسم لكم أنكم سوف ترون فرنسا جديدة تنبعث من حرارة إيمانكم

رد الجنرال دى جول على بيانه

قال الجنرال دى جول فى إذاعة له رداً على بيان المرشال بيتان :

« فى ساعات الخجل والغضب هذه، يجب أن يرتفع صوت واحد للرد عليك

« لقد ضربت فرنسا بقوات العدو الميكانيكية، فإذا كانت فرنسا لا تملك هذه القوات الميكانيكية، فغلطة من هذه ؟

« لقد كنت ترأس هيئاتنا الحربية بعد انتهاء الحرب فى عام ١٩١٨، وكنت قائداً عاماً حتى سنة ١٩٣٢، وكنت وزيراً للحربية فى عام ١٩٣٥، وكنت أكبر شخصياتنا العسكرية . ولكنك لم تطالب أبداً إدخال الإصلاح اللازم لهذا النظام البالى

إن قبول العبودية لم يكن يتطلب بطل فردون، بل أى إنسان كان يستطيع عمل هذا . إنك رفضت موارد الإمبراطورية البريطانية والمساعدة الأمريكية الكبيرة، وقد لعبت لعبة فاشلة وألقيت بالأوراق وكأنه لم يبق فى أيدينا أية ورقة نافعة

كيف تنتظر من فرنسا النهوض مرة أخرى وهى تحت أحذية الألمان الثقيلة وأحذية الرقص الإيطالية ؟

« ألا إن فرنسا ستنهض مرة أخرى فى الحرية والنصر

« إن أسلحتنا منضمة إلى أسلحة حلفائنا ستعود بالنصر، وسنعيد خلق فرنسا ... »

وراح يدبّ على رمال الصحراء ، تحت ضوء القمر ، وبندقيته على كتفيه ؛ لم يحاول أن ينظر إلى وراء فيودّع الفتاة التي كان كلّ شيء في دنياها وكانت ؛ ومضى ليجيب داعي الوطن !

***

كان ذلك منذ بضع عشرة سنة ، حين زحفت الجنود المغيرة من مربضها الذي ترابط فيه منذ سنوات على ساحل برقة ، تحاول أن تبسط سلطانها على الجنوب كما بسطته على الشمال لتميد مملكة الرومان في جوف الصحراء وتنشئ لها عرشها من جريد النخل في ظلال أغصان الزيتون ...

واصطرعت قوتان ، أما إحداهما فكانت تملك الحديد والنار وفي يدها السيف والذهب ، وأما الأخرى فكانت تملك الإيمان بالله ، والإيمان بالوطن ... وترامى الفريقان بنبالهما ، وسال الدم ، وعقد الدخان ضبابة سوداء فوق رءوس المسكرين ، ودارت رحى المنون !

وانتبه الفتى والفتاة من سكرتهما وحيدين قد فقدت أباها وفقد أباه وعمه ؛ فأقسم من يومئذ قسمه وأبرم عزمه ...

... وخلف الفتاة في الحي تنتظر مآبه !

***

لم تهدأ ثائرة البادية حين خيل للفاتح المغير أن قد غلب وتسلط ، ولكن جمرات تحت الضلوع تبص بصيصها ثم تختنق ، ولا تخبو وقاد « راجح » فرقته الصغيرة فمضى بها حتى أوى إلى غار في طريق الرائد والسابل والقافل ، يتربص على حذر ورقبة ؛ فما يمر به وليّ ولا عدوّ إلا عرّفه نفسه وخيّره بين عاقبتيه ...

وشَرِيَ أمرُ الفتى وعزّ جنده ، ووفدت إليه الوفود من أبناء البدو وأفلاذ الصحراء مذعنة لأمره مطيعة ، وعقدوا له اللواء ؛ وحار العدو حيرته فما عرف سبيلاً إليه ولا منجاة منه ، وإن له العدد والقوة والعتاد !

وترامت أخبار الفتى إلى فتاته ، فرفعت عينيها إلى السماء تدعو الله مشفقة راجية !

وبثّ العدوّ سراياه بين الكهوف والوديان يطلب أثره ويلتمس غرّته ، وراحت الدبابات تطأ الأخبية وتجوس خلال الديار ، وحلقت الطيارات تقذف اللهب وترمي بالصواعق ، ومضت الكتائب المكتّبة تحاصر القرى وتقطع الطريق ؛ وانكشف المخبأ ، ونشبت المعركة في ضوء الصبح ؛ وكان ما لا بد أن يكون ، وأمعن العدوّ قتلاً ومُثلة حتى بلغ مبلغه ؛ وتبدد الجيش الصغير الباسل وتقسمته بطونُ الأرض أشلاء وجماجم ...

وحلقت طيارات الجيش الظافر ترسل تحيتها إلى القرى المغلوبة قذائف من جماجم بنيها الشهداء ؛ ولبس الحدادَ شعب بأسره ؛ وأحدّت « بدرية » على فتاها كما أحدّت على أبيها وأهلها من قبل !

***

وفي بيت من الشَّعر إلى جانب الصحراء في غرب الأسكندرية ، رأيت بدرية منذ ثلاث سنين ...

كنت أصطاف يومئذ هناك ، وكان بيتها على مقربة ، فإنها لتغدو عليّ وتروح كل يوم لحاجتها بين السوق والبيت ؟ فأراها ... لم أكن أعرف شيئاً عن ماضيها ، ولم يحدثني أحد بخبرها وإنها لواحدة من كثيرات من الأعراب قد ضربن خيامهن هناك ؛ ولكن مرآها كان يثير في نفسي فضولاً عجيباً ؛ فما أكاد ألحظها قادمة من بعيد حتى تطيف بي خواطر وأسئلة لا أجد في نفسي جوابها ؛ فأتبعها عيني حتى تغيب ...

كانت بزّتها ، وعينها ، وشفتيها المطبقتين أبداً على ابتسامتها العابسة - تمثالاً صامتاً يرمز إلى أبلغ معاني الوحشة واليأس والحرمان ، حتى لا يملك من يراها إلا أن يتخشع ويصمت ؛ وكان لها جمال ، وفي عينيها وداعة ، وعلى جبينها طهر ؛ وعلى أنها فيما تبدو لمن يراها جاوزت الأربعين فقد كان لها روح الطفل وخفته ... وعرفتُ خبرها من بعد ، فأعظمتُ وفاءها ، ورثيت لها .

***

لقد مضت بضع عشرة سنة ، منذ تلك الليلة التي خلّفها راجح ومضى لأمره يحاول أن يثأر لقومه ؛ ولكنها ما تزال بعدُ كأنها منه على ميعاد ، وكأنما كان ما كان منذ أيام . لم يزدها مرُّ السنين وحادثاتُ الليالي ، وفراقُ الوطن ، إلا وفاء لذكراه وجَلَتْ عن أرضها مكرهة فيمن جلا من عمومتها وبني أبيها ، ولكن قلبها بقي هناك ، حيث وقفت لآخر مرة تُتبعه عينيها وهو ماض لأمره تلفّه ريح الصحراء في الليل القر !

وقنعتْ بذكراه عن الأمل في لقياه منذ جاءها النبأ الفاجع ! ونذرت نفسها للوفاء بعهده ، فلم تتزوج ، ولم تخلع الحداد !

ونسيتْ ما كان من ماضيها ومن أيامها ، إلا صورته وذكراه ؛ ونأيْت العذراء ، ولما تخلعْ أبراد الشباب !

***

وكانت بدرية فى فراشها حين دوّتْ صفارةُ الإنذار لأول مرة فى الإسكندرية ، تنذر أهلها ليأخذوا أهبتهم للكفاح ؛ وأشرق الصبح وقد هجر المدينةَ نصفُ أهلها فراراً من الموت ؛ فحملتْ بدرية متاعها ومضتْ مع الناس تلتمس سبيلاً إلى النجاة !

يا رحمتا للمسكينة مما يطاردها من أحداث الليالى !

وأعياها السير ، فحطّتْ متاعها عن كاهلها وجلست تستريح على حيد الطريق ، حين مرّ بها فوجٌ من الجند فمدّتْ عينيها تنظر ...

ونظرتْ ، فعرفت ، فهتفت ...

ولكن هتافها تلاشى فى ضجة الناس وزحمة الطريق ؛ ومضى الجند ومضت تعدو فى آثارهم وتركت متاعها تتقاذفه أقدام السابلة ...

وانقطع بها الطريق فما بلغتْ ولا بلغ صوتها إلى من يَسمع ، وكأنما كانت تنادى مُنادًى من التاريخ يفصلها منه بضعة عشر عاماً من عمر الزمان !

وهامت المسكينة على وجهها ذاهلة لا تكاد تعى شيئاً مما ترى أو تسمع ، ليس لها هدف فيما تسعى ولا غاية إلى ما تسير !

وأعيتْ بعد جهد فسقطت فى الطريق لا حسٌّ ولا حركة ولا حياة ؛ ثم أفاقت لتسأل نفسها ويسألها الناس فلا تجد الجواب !

وتتابعت على عينيها ذكريات الماضى يوماً يوماً منذ كانت حتى صارت ؛ ونظرت يمنة ويسرة ، ثم انطلقتْ تعدو ... !

***

وعرفتْ بعد لأى أين تقصد ، فمضت فى طريقها . . .

. . . والتقى فى خيمة الضابط المشرف على فرقة المتطوعين من أعراب الصحراء شخصان لم يلتقيا منذ بضع عشرة سنة ، أما أحدهما ففتاة فى الأربعين قد تقنعت بلفاع أسود حائل ، وعليها ثوب أسود مرقوع ، وترف على شفتيها ابتسامة لم تنفرج عن مثلها شفتاها منذ سنين . وأما الآخر فرجل أشمط مخدّد الوجه فى جبينه شجّة ملومة ، يلبس حلة عسكرية وعلى رأسه طربوش بدوى غليظ يكبس أذنيه ويتدلى زره على قفاه . . .

وقالت الفتاة : راجح ! . . .

وغصت بريقها وتسابقت بوادرها على خديها !

وقال الرجل : لم أكن أظن يا بدرية !

وكان الضابط جالساً إلى منضدة فى صدر الخيمة يسمع وينظر ويبتسم ابتسامة الغبطة والرضا !

وعادت بدرية تقول : راجح ... !

وربت راجح على كتفيها وهو يبتسم ، وقال : لا تخشى بعد اليوم شيئاً يا بدرية ؛ لن نفترق بعد ؛ لقد دنا اليوم الذى أرتقب يا عزيزتى من زمان ، لأغسل الدم بالدم ، وأنتقم ؛ فنعود أعزّة إلى الوطن الذى أكرهنا على هجرانه ، ويومئذ ...

وطأطأت بدرية رأسها من حياء ، واسترجعت أمانى عاشت بها حيناً وعاش فتاها ؛ وسرحا بأفكارهما إلى بعيد ؛ إلى حيث كانا يلتقيان كل مساء تحت ضوء القمر فى ظلال النخيل القائمة على مقربة من بيوت الحى ، يتساقيان المنى ويتناجيان نجوى الشباب ؛ وابتسم ، وابتسمتْ ...

ودوى بوق المعسكر يدعو فرقة المتطوعين من أعراب الصحراء إلى نَوبتهم فى العمل ؛ فهب راجح واقفاً ومضى إلى واجبه ، تتبعه عينان تفيضان بالحب والحنان ، ولسان يُخافِت بالنجوى والدعاء !

محمد سعيد العريان

﴿ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى — عابدين ﴾

8ème Année No. 307

Lundi - 15 - 7 - 1940

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٦٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ٩ جادى الآخرة سنة ١٣٥٩ — الموافق ١٥ يولية سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهـــــرس

لا نخدع أنفسنا حتى يخدعونا

للأستاذ عباس محمود العقاد

لم نخدع أنفسنا حتى خدعنا الأوربيون عنها فانخدعنا !

ثم صدقنا أننا أهل عاطفة ولسنا أهل عقل ، وأننا أهل خيال ولسنا أهل حس ، وأننا أهل روح ولسنا أهل مادة ، وأننا لذلك مخفقون

وأنا مع الذين يقولون : إننا لسنا أهل عقل ولا أهل حس ولا أهل مادة ، ولكنى لست ممن يقولون : إن هذه « الليسية » توجب لنا نقيضها وتعطينا ما يقابلها ، فنصبح أغنياء فى الروح لمجرد أننا فقراء فى المادة ، ونصبح نفاذين فى الخيال لمجرد أننا محجوبون عن الحس ، ونصبح و « العاطفة » فياضة من نفوسنا لمجرد أننا مستريحون من العقل أو واقفون منه عند ينبوع جديب

لجائز جداً أننا لا عاطفيون ولا عقليون ، ولا روحيون ولا ماديون ، ولا خياليون ولا حسيون ؛ وأننا على نصيب نزر من جميع هذه الصفات لا تستلزم القلة فى إحداها كثرة فى نقيضها ، لأن الصفات الإنسانية لا تمشى عِدلين عدلين متلازمين يعلو أحدهما حيث يهبط الآخر ضربة لازب . بل قد ينعدم العدلان والبمير معهما فى كثير من الأحيان ... !

* * *

والبقين عندى أننا منذ زمن طويل فقراء فى العاطفة محتاجون إليها أشد من حاجتنا إلى العقل والعلم والحكمة وسائر مشتقاتها.

وكان هذا رأيي يوم ناقشني فيه فقيد العراق الأكبر جميل صدقى الزهاوى الصالح الحكيم ، وكان — رحمه الله — يسألنى : بماذا عبر لندنبرج المحيط الأطلسى : أبالعقل أم بالعاطفة ؟ فأجيبه : « بالعاطفة » ... فإن العاطفة لا العقل هى التى أركبته الطيارة بعد أن فرغ العقل من تركيبها فى المصنع وتركها حديدة لا تتحرك ولا تأتى بالفلق إلا أن تقدم بها عاطفة مجازفة لا تبالى العقل ولا تحفل السلامة

والذى كان يسمعه رحمه الله يقسم حسبة الطيارة إلى كومين: كوم العاطفة وكوم العقل، يخيل إليه أننا نحن الشرقيين قد ظفرنا منها بكل ما فيها من عاطفة وهمة وطموح ومناصرة واستطلاع ، ولم يبق منها للغربيين غير حفنة من مسامير ومطارق وأرقام ، هى التى يرتع فيها العقل ما يشاء !

* * *

والآفة كلها من أوربا نفسها

فقبل اتصال أوربا بالشرق لم يقل أحد من الشرقيين إن الشرقيين أهل أحلام وخيالات ، وأنهم من رجال العاطفة وغيرهم من رجال العقل والواقع

ولكن الأوربيين وصفونا هذه الصفة فاغتررنا بها ومضينا فيها ، ولا سند لها على الأرجح أقوى من ألف ليلة وليلة وما جرى مجراها من القصص والنوادر ، وهى كما نعلم ليست « بالخيال » فى أى سمة من سماته ولكنها « واقع » مع إيقاف التنفيذ كما يقولون فى لغة القانون ! أو هى أحلام الجائع فى سوق الطعام ، لا فرق بينها وبين الواقع إلا أن يستطيع الأكل فعلاً ، وهو عاجز عن الأكل لأن الأكل غير موجود !

فالخيال المزعوم عند الشرقيين هو « واقع ناقص » لا يحسب له فضل الواقع ، ولا يحسب له فضل الخيال

ولو كان خيالاً حقاً لكان ابتكاراً وخلقاً وسمياً إلى عالم جديد ولم يكن واقعاً فى كل شىء إلا فى أنه غير موجود

فنحن واقعيون مفرطون فى الواقعية

وكل الفرق بيننا وبين الأوربيين أن الأوربيين واقعيون يجدون المائدة التى يأكلونها ، ولكننا نحن واقعيون نمضغ مائدة من الهواء ... ومن الخطأ جد الخطأ أن نسمى من أجل ذلك خياليين أو حالمين

أخياليون وحالمون لأننا نعيش فى عالم ألف ليلة وليلة ؟ فما عالم ألف ليلة وليلة إذن ؟ عالم قصور وموائد وكنوز وفتيات حسان ... عالم واقع ملموس تراه العيون وتذوقه الأفواه إلا أنه لا ينال ، وليس هذا هو الخيال

بل الخيال هو فكرة يبيع الإنسان فى سبيلها متاع الدنيا وكنوز الأرض وبهرج الحياة

أو هو مثل أعلى لا تعرفه شهرزاد ، ولا يتبعه صائغ البصرة ، ولا تراه فى ديوان من دواوين تلك القصص التى هى وسوق الرقيق سيان

وبودنا ألف ود لو يعظم نصيب الشرق من هذا الخيال

* * *

وقريب من هذا اعتقادنا أننا نحن المشارقة أهل السماحة والبر لأننا لا نصول ولا نجول ، أو لا نصنع اليوم السلاح الذى نصول به ونجول !

فماذا يوم كنا نصنعه ، أو يوم كان سلاحنا الذى نصل إليه كفيلاً بالنصر على أعدائنا وعلى العزل المستضعفين من جيراننا ؟

كنا نتغنى بالسيف كما لم تتغنَّ أمة قط بسلاح ، وكنا نعيب « رذيلة » السلم كما يعيبون اليوم رذيلة الكفاح

ولعل الأموال التى بذلت فى الخير بين الغربيين لا تقل عن الأموال التى بذلت فيه بين الشرقيين . ولعل جهودهم فيه لا تقل عن جهودنا ، وثمرات أعمالهم فيه لا تقل عن ثمرات أعمالنا ، وعلامات البر فى عصرنا الحديث لا تقل عن علاماته فى سائر العصور فالإنسان إنسان حيث كان

ذلك أصدق ميزان للخلائق الإنسانية فى كل أمة وفى كل أوان

* * *

وأحرى بنا فيما نعتقد أن ننجو بعقولنا من أحلام الأوربيين التى أفرغوها علينا لا من أحلامنا نحن فليست لنا بحمد الله أحلام من القوة بحيث تتقاضانا النجاة منها

إن أناساً من هؤلاء الأوربيين أفزعتهم بلادهم فى القرن الثانى عشر وما بعده فحلموا بالشرق كما يحلم آكل الأفيون بما يراه فى غيبوبة الخدر والجمود ، ونحلوه صفات ليست منه وليس منها فأعجب الشرقيون بما كتبوه

أو أن أولئك الكتاب الأوربيين قد تخيلوا أبطالهم من الشرقيين كما نتخيل الأبطال الذين نتحلهم فى الروايات شمائل نتمنى أن نراها فى عالم الحس فيعيينا طِلابها

أما الواقع فلا

الواقع أننا نحن الشرقيين لسنا عاطفيين ولسنا مأخوذين بالروح ولا مفتقرين إلى من يسوق لنا المواعظ بالإقبال على المادة والانصراف كما يقولون عن الخيال . ونحن أفرح من طفل بالدرهم وأعجز من طفل عن كسبه فى سوق الابتكار

أنحن أهل خيال ؟

سمع الله منكم أيها القوم !

لقد عشنا عصرنا الحديث نضرب المثل « بالجرسون » الرومى فى الحرص على الملیمات ، ولو رأينا مساعده فى بلاده وفى بلادنا لعرفنا مَن صاحب الحرص ومن صاحب الأريحية وإن اختلفت العوارض والأشكال

وربما ألقينا بقطعة اللحم من الفم لنزدرد قطعة اللحم التى فى المـاء . . . !

أخيال هذا ؟

كلا ! ولا النحاس الذى يستحيل ذهباً ولا الصفقة التى يدركها الصمود فى سوق القطن فتفتح الـكنز كله بعد يوم

ما فى شىء من هذا خيال وإنما هو كله واقع العاجزين

* * *

وبعد فنحن فى عصر اضطراب الثقافات وارتجاج الأخلاق والمزايا لا جرم يخطر لنا أن ننظر فيما يصلح وفيما لا يصلح ، وفيما تعز به النفوس وفيما تهون ؛ وأن نسأل أنفسنا ماذا نأخذ وماذا ندع مما يتمخض عنه عراك الأمم والدولات

فلنكن على يقين سواء كنا من طلاب الحرية أو طلاب القوة أن النخوة مطلب لا غنى عنـه فى الحالتين وأننا محتاجون إليه ، وأن الخيال عدة لا محيص عنها فى المعسكرين ، وأننا نحن الشرقيين عزل منها ، وأن أمة من الأمم لن تصاب فى سلمها ولا فى حربها بمصاب هو أفدح عليها وأقبح بها من مصاب الانحصار فى واقعها ، لأن الانحصار فى الواقع خلة حيوانية وليس بخلة إنسانية ، وكلما ضاق أفق النفس عز عليها أن تخرج من الواقع القريب إذا أرادت الخروج منه ، ولا مناص لها أن تريد ذلك فى بعض حالاتها

تريد ذلك لتعلو على أزمتهـا ولتعلو على ضنكها ولتعلو على حاضرها فى انتظار مستقبلها أو مستقبل بنى قومها ، وتريده لتشعر بأن الواقع الذى هى فيه دون الواقع الذى تبغيه

وهذا هو الخيال الذى يرتفع بالنفس عن واقعها

أما الخيال الذى هو ظل اللحم فى الماء فذلك هو الواقع مشوباً بالعجز والغفلة

وأما « الواقعية » التى يقولون إنهم ينقذون الشرق بها ويردون الشرق من أحلامه إليها فحذار حذار منها ... هى داء الشرقيين أجمعين ، وإنهم لأئمة الواقعيين بين العالمين .

عباس محمود العقاد

تصويب

وقع فى المقال الافتتاحى للعدد الماضى فى السطر الأول من العمود الأول من الصفحة الثانية خطأ مطبعى وهو : نتناول النظر ، والصواب نتبادل .

في ظلول الذكريات

أحمـــــد الله إليك !

للدكتور زكي مبـارك

في شهر يولية سنة ١٩٢٨ تلقيت وأنا في باريس خطاباً من الأستاذ الدكتور طه حسين بك جاءت فيه عبارة : « أحمد الله إليك » ؛ فالتفت ذهني إلى هـذه العبارة ، لأنها لم تكن من العبارات المألوفة في رسائله إليّ ، وقلت لنفسي : من أين وصل هذا التعبير إلى الدكتور طه حسين وهو في هذه الأيام يعيش في جيرار بير ؟

وصح عندي بعد التأمل أن الدكتور طه قد يكون مشغولاً بمراجعات متصلة بالسيرة النبوية ، لأن عبارة « أحمد الله إليك » تكثر في الرسائل المأثورة عن عصر النبوة وعصر الخلفاء

وبعد أعوام أخرج الدكتور طه كتابه « على هامش السيرة » وتفضل فأهداني نسخة ممهورة بعبارة كريمة من عبارات الإهداء، وكنت حينئذ أحرر الصفحة الأدبية بجريدة البلاغ ، فرأيت أن أتحدث عنه إلى قرائي بعناية تحملهم على اقتناء ذلك الكتاب ، تحقيقاً للتضامن بين المؤلفين

فاذا قلت ؟ قلت : إن الدكتور طه يجيد أعظم الإجادة حين يتروى في التأليف، وكتابه الجديد أثرٌ من آثاره الجيدة في ترَوّيه، فهو مشغول بموضوعه منذ سنة ١٩٢٨ ، وإن لم يقل ذلك ، فقد كتب إليّ خطاباً في شهر يولية من تلك السنة يقول فيه : « أحمد الله إليك » ، وقد فهمت من هذه العبارة أنه كان مشغولاً بدراسات متصلة بالسيرة النبوية ، وكذلك عرفت أن الظن قد يبلغ درجة اليقين ، وقد يقوم مقام المعاينة عند صدق الإحساس

فكيف استقبل الدكتور طه هذا التقريظ الطريف ؟

مضى يقول : هذا اختراع جديد من اختراعات زكي مبارك في الأسمار والأحاديث ، فليس من المعقول أن أكتب إليه خطاباً أقول فيه « أحمد الله إليك » ، وهي ليست من عبارات هذا الجيل !

ولقيني بعد ذلك ، ليجدد استغرابه من العبارة التي نسبتها إليه ؛ فقلت : إنها حق ؛ فقال : إنها من المستحيلات !

ومضيت أبحث عن ذلك الخطاب ، فلم أهتد إليه ، لأن الدنيا كانت أسرفت في اللجاجة واللدَد، فنقلتني من أحوال إلى أحوال، وبعثرَتْ ما كنت أحرص عليه من رسائل الأهل والأصدقاء ، وعَدَتْ على مكتبتي بالقلب والإعلال ، فلم يبق أمل في الوصول إلى نص الخطاب المنشود

ثم أخذت أتحدث في مقالاتي ومؤلفاتي عن أشياء وقعت بيني وبين الدكتور طه حسين ، فكان إذا سئل عن بعض تلك الأشياء أجاب بأنها اختراع من نوع « أحمد الله إليك » ! !

ومنـذ أيام مضيت لمقابلة سعادة الأستاذ الجليل الدكتور السنهوري بك وفي يدي نسخة مهداة إليه من كتاب « الأسمار والأحاديث » فوجدت الدكتور طه بك هنـاك ، وسألني السنهوري بك عن بعض أغراض الكتاب ، فقلت : فيه أقوال فاه بها الدكتور طه ولم ينشرها ، فنشرتها بالنيابة عنه على نحو ما كان يصنع أفلاطون مع سقراط !

واللطف الملحوظ في هذه العبارة لم يمنع الدكتور طه من أن يقول : لا بد أن تكون اختراعات من طراز « أحمد الله إليك »

وسألني السنهوري بك عن القصة فأجلتها في كلمات قصار فراراً من الدخول في جدل جديد مع الدكتور طه حسين ، فقال وهو يبتسم: يجب أن يكون الخطاب صحيحاً ما دمت تحدثت عنه في البلاغ!

فقلت : وإن وجدت أصل الخطاب ؟

فقال الدكتور طه : إن وجدته فسيكون بخطك ؟

فقلت : وإن كان بخط « توفيق » ؟

فقال : هذا مستحيل !

فقلت : وهل عندك مانع من أن تحمد الله إليّ ؟

فقال : أنا أحمد الله في كل وقت ، ولكنني لا أذكر أني حمدته إليك !

ثم انصرفت وقد اطمأن مَن حضروا هذا الحوار إلى أني أتزيّد على الناس حين أشاء

***

أين ذلك الخطاب ؟ وأين أنا من سنة ١٩٢٨ وقد شرّقتُ وغربت ، وانتقلت من دار إلى دار ، وبعثرت أوراقي مئات المرات ؟

أما تسمح المقادير بأن أصل إلى أصل ذلك الخطاب ليعرف الدكتور طه حسين أني لم أتزيد عليه ؟

إلى يا أوراق ، إلىّ ، إلىّ ، فقد طالَ عهدكِ بالحجاب ، واشتقتُ إليك أشد الاشتياق !

ورجعت إلى تلك الأوراق ، الأوراق التي سبقت هجرتى إلى بنداد ، رجعت إليها فى حذر وخوف ، لأنها تذكرنى بعهود سيطول عليها بكائى إن فكرت فى أيامها الطيبات

فاذا رأيت ؟

رأيت ألوفاً من أطياف الشباب ، الشباب الذى أبليته فى الدرس بلا ترفق ولا استبقاء

ورأيت قصائد منسية كنت نظمتها أيام كنت أومن بأن الدنيا أهل لأن يعيش فيها الرجل وهو مُرهَف الحس خفاق الفؤاد

ورأيت رسائل مهجورة أملتها قلوبٌ خوافق لا أعرف مصيرها اليوم ، ولا أدرى مكانها بين الحياة أو الموت

ورأيت مواعيد وفيتُ منها بما وفيت ، وأخلفتُ منها ما أخلفت ، يوم كانت الدنيا تسمح بأن أتخيّر من المواعيد ما أشاء . ومن أخصب تخيّر . فيا زمن الخصب أين أنت ؟ وكيف ألقاك ؟

ورأيت صوراً غالية كادت تبليها الأنفاس والمدامع ، لطول ما عانت من لوعتى وأساى ، قبل أن يروضنى الدهر على اصطناع الصبر الجميل :

وإن أكُ عن ليلَى سلوتُ فإنما
تسليتُ عن يأس ولم أسلُ عن صبر

ورأيت خطابات لا تستحق الحفظ ، لأن أصحابها ضيعوا العهد ، وأخلفوا الميعاد

وقد مزّقتُ تلك الخطابات شر ممزّق ، ثم رجعت فجمعت أوصالها بترفق وتلطف ، لأنى تخيلتها جثثاً هوامد لأرواح قتلها الغدر والجحود ، ولا يباح التمثيل بجثث الأموات

ورأيت رسائل من هند ، فعرفت أن بلائى بها قديم العهد ، وكنت أحسب هواها ابن أمس !

ورأيت ما دلنى على أن فلاناً كان ينزعج حين تخلو حياته من وجهى يوماً أو بعض يوم ، وقد صار إلى ما صار إليه ، فلا ألقاه إلا بعد استئذان

فيا فلان ، كيف حالك ، فلست أنت الذى أراه حين أستأذن فى الدخول عليك ، وإنما هو خيالك ، خيال الصديق العزيز الذى كنت أعهد ، وما هو خيالك ؟ إنما هو الهيكل الذى احتل روحك اللطيف بغير حق ، فأين أنت يا صديق لأقدم إليك تحية الوجد والشوق ؟ أين أنت ، فما تخيلتُ فجيعتى فيك إلا طار صوابى ؟ !

ورأيت عناوين محفوظة لأحباب أوفياء ، فأين أولئك الأحباب لأكتب لأحدهم خطاباً أقول فيه : « أحمد الله إليك » ؟

ومن يضمن بقاء تلك العناوين ، وخرائطُ البلاد تُتغيّر من يوم إلى يوم ؟ وهل تسمح الدنيا مرة ثانية بأن نأخذ المواعيد فى القطارات لعام أو عامين ثم نفى بتلك المواعيد كما كنا نصنع ؟

هى دنيا قد تولتْ فعلى الدنيا السلامْ

إلىّ يا أوراق ، إلىّ ، فقد بقيت مآرب يعزّ علىّ أن تضيع

وما هذه الأشياء ؟ ما هـذه الأشياء ؟ وبأى حق حفظتها فى أضونة الأوراق ؟

هذه كِسرات من آنية مصدوعة ، فما تاريخ تلك الآنية ؟

أسندتُ رأسى بيدىّ وفكرت عسانى أذكر ذلك التاريخ

ثم تذكرت بعد لأى أنى كنت ذهبت إلى الهافر لأشهد الاحتفال بعيد « المنصرة » هنالك فى سنة ١٩٢٧ ونفدت نقودى فرجعت إلى باريس بدون أن أشترى شيئاً من طرائف ذلك الثغر الجميل

وسألتنى ربة البيت الذى كنت أقيم فيه عن رحلتى إلى الهافر فذكرتُ أنى متوجع لأن النقود خانتنى فلم أشتر شيئاً من طرائف تلك المدينة ، فنظرت إلىّ ابنتها بطرف غضيض وهى تقول : سأعوّض عليك ما ضاع منك ، ثم أتحفتنى بزهرية جميلة كانت اشترتها من هناك

وانصدعت الزهرية بعد أحايين فجمعت كِسراتها وضممتها إلى ما أحفظ من رسائل ذلك العهد ، فهى اليوم روح من أرواح تلك الذكريات

فما أخبار صاحبة الزهرية ؟ وكيف حال طرفها الغضيض ؟

أفى الحق أن باريس عانت مخاوف الحرب وإطفاء الأنوار بالليل ، ثم انتهتْ بها الخطوب إلى الاشتمال بأثواب الحِداد ؟

متى نلتقى وفى جيبى كسرات تلك الزهرية التى عاشت بين أوراقى وهى مصونة فى مدة زادت على أربعة عشر عاماً ؟

متى نلتقى لتحدثنى وأحدثها عما صنع الزمان بأحلامها وأحلامى ؟ وهل أعرفها حين أراها أو تعرفنى حين ترانى بلا بشير بالتلاق ؟

عندى صورتها وعندها صورتى ، ولـكن أين نحن مما كنا

عليه سنة ١٩٢٧ وقد تبدلنا أحوالاً بأحوال ؟ ومن ذا الذى لا يتغير ، يا ربة الطرف الغضيض ؟ !

أنا بخير وعافية ، وإن صنع الدهر ما صنع ، فكيف أنتِ ؟ ومتى تعود ليالينا بمطالع الأقمار فى باريس ؟ ومتى نعود سيرتنا الأولى ، سيرة الأطفال الذين يرضَون ويَغضبون فى اللحظة الواحدة عشر مرات ؟

حدثينى متى أردّ إليك أصداع الزهرية ومعها أصداع قلبى ، القلب الذى أخذ عنك درس الثقة بالقلوب ، فلم يعرف بعدك غير الأسف على حُسن الثقة بالقلوب ؟ !

كنت نسيت أنى أخذت الدرس عن طفلة ، وكذلك يندم من يأخذ الدروس عن الأطفال !

ولكن أين خطاب الدكتور طه حسين ؟ وأين عبارة « أحمد الله إليك » ؟

إن أسفارى فى البحث عن هذا الخطاب ستطول ، وقد لا أصل إليه أبداً ، وما قيمة التعلق بتاريخ قديم تنكَّر له عارفوه ؟ وما الفائدة فى رَجْع هذا الدكتور إلى حسابٍ تمتْ تصفيته منذ أعوام طوال ؟ وهل أقدر على بعث الأموات من الذكريات ؟ تلك معجزة صحّت لبعض الأنبياء ولن تعود ، فليقل الدكتور طه إنى افتريت عليه وليُسرف فى اتهامى كيف شاء ، فحسبى من الطمأنينة أن أعرف أنى كنت من الصادقين

ولكن ما هذه الخريطة ؟ ولأى سبب حفظتُها فى أوراق ؟ هى خريطة لمقبرة پير لاشيز فى باريس

فكيف عرفتُ تلك المقبرة وكيف احتفظتُ بالخريطة فنقلتها من باريس إلى مصر الجديدة بلطف ورفق لأرجع إلى درس معالمها حين أريد ؟

كنت فى درس المسيو « تونلا » أستاذ الأدب الألمانى بالسوربون ، وكانت دروس هذا الرجل تستهوينى كل الاستهواء ، فقد كانت تنقلنى إلى آفاق من الفكر لا أصل إلى مثلها فى صحبة رجل سواه ، وفى دروس هذا الرجل عرفت سيدة ألمانية لم تكن مع زوجها على وفاق ، وكانت فيما حدثتنى من شواعر برلين ، وكانت ملامحها وشمائلها تشهد بأنها على صلة وثيقة بشياطين الشعر الجميل . ويظهر أن الزوجية قيدٌ لا يستريح إليه بعض هذا النوع من الجنس اللطيف .

ولم يكن للشاعرة بُدٌّ من رجل تشكو إليه جهالة زوجها الغبيّ البليد ، فهدتها الفِراسة إلى أن أذنىّ أصلح الآذان للترحيب باغتياب الأغبياء والبُلَداء ، وكذلك أخذتْ تصبّ فى أذنى شكايات هى أعذب وأخطر من صهباء الرُّضاب

كنت أعرف أن الغِيبة من الكبائر ، وأن السامع شريك القائل فى الإثم ، ولكنى نسيت الأدب مع الشرع ، لأن تلك الكبيرة كانت تساق إلى أذنى فى لغة فرنسية ملحونة ، وأنا أعبد اللحن فى اللغة الفرنسية إذا صدر عن الألمانيات الملاح ، وهل فى الدنيا لغة أحلى وأعذب من لغة باريس حين تمضغها ظبية من برلين ؟

واتفق فى تلك الأيام أنى كنت مشغول الفكر والقلب بدرس طوائف من الشعراء العشّاق منهم ألفريد دى ميسّيه ، وقد كُتِب فى تاريخ هواه عشراتٌ من المؤلفات الجياد ، فحدثتنى النفس بأن أحجّ إلى قبر ميسّيه مع تلك الألمانية الحسناء ، لأذوق حلاوة النجوى فى رحاب ذلك « الشهيد »

وكذلك مضينا إلى مقبرة پير لاشيز فى صباح يومٍ مَطير لا يَدفع غيومه الثقال غير ما فى قلوبنا من صفاء

وأسرع البواب فقدّم إلينا خريطة المقبرة بثلاثة فرنكات ، ولم يكن بدٌّ من الاهتداء بالخريطة ، لأن تلك المقبرة فيها ألوف من المقابر ، ولن نصل إلى قبر ميسيه بغير دليل

وماذا تقول الخريطة ؟

إنها لا تسمّى غير أسماء العلماء والشعراء والكتاب والمجاهدين ، وهى أسماء معدودات ، فأين أسماء المجهولين والمنسيين بتلك المقبرة الفيحاء ؟

أولئك أقوامٌ دفنوا همومهم فى صدورهم فلم يتحدث عنهم شاعرٌ ولا كاتبٌ ولا خطيب

أولئك أقوام كانوا أحجاراً فى بناء الوطنية الفرنسية ، ولو كانوا من أصغر الطبقات ، فكيف نسيهم الناس فلم يُحفظ لهم فى الخريطة مكان ؟

تلك حظوظ من يعملون وهم صامتون ، وقد يكون فيهم من أدى لوطنه خدمة منسية ، وقد يكون فيهم من حفظ العهد

لإخوانه الناسين، وقد يكون فيهم من شرب من رحيق الوجود أكثر مما شرب كبار الشعراء

وما هي إلا لحظات حتى التفتتْ رفيقتي فرأت عينيَّ مغرورقتين بالدمع، ورأتني لا أطيق الجواب من فرط الحزن والذهول

وصَوَّبت الرفيقة بصرها إلى ما صوَّبتُ إليه بصري فرأتني أحدّق في لوحة رُقِمت فوقها هذه العبارة الصارخة:

فرنسا! تذكري! France ! Souviens - toi !

وهي عبارة مسطورة فوق قبر رجل استشهد في الدفاع عن الألزاس أيام حرب السبعين

فقالت: وماذا يهمك من هذه العبارة؟

فأجبت: أشتهي أن أوجّه مثل هذه العبارة إلى وطني

وكنت في صبيحة ذلك اليوم تلقيتُ من مصر خطاباً يشهد بأن وطني لا يحفظ الجميل. فما هو ذلك الخطاب؟

هو خطابٌ له تاريخ يضيق عنه هذا الحديث

وفي طريقنا إلى قبر ميسيه مررنا بقبر حوله أحواض من الأزهار، فأخذتْ رفيقتي تجمع الزهر الذي تساقط على الأرض. ونظرتُ فرأيتُ أحد الحراس يراقبها من بعد، ثم انقض كالصاعقة يسألها عما جنتْ يداها، فأجابت: هذه أزهار ذوابل أسقطتها العواصف. فانصرف الحارس وهو مُجلّل بالخجل والكسوف!

ثم وصلنا بعد لأْيٍ إلى قبر ميسيه وبجانبه تمثال الشاعر وهو كهلٌ لا تنطق معارف وجهه بأنه كان حُلم الغانيات في باريس

أما شجرة الصفصاف التي أوصى الشاعر بأن تُغرس بجانب قبره فقد رأيتها في صُفرة الموت

ثم قضينا بقية اليوم في تدوين ما كُتِبَ فوق القبور لأقارنه حين تسنح الفرص بما يُكتب فوقَ المقابر المصرية، وهو مقال لم أكتبه بعد، وقد كان في بالي حين زرت مقابر الكرخ ومقابر بغداد

والكاتب قد يُجيل فكره في الموضوع الواحد عدداً من السنين

* * *

أين خطاب الدكتور طه؟ أين؟ أين؟

ولكن ما الموجب للحرص على خطاب صديق لم تصحّ لي صداقته غير عشرة أعوام كانت أقصر من عشر دقائق؟

وماذا يهمني من أن يعرف أني لم أتحدث عنه بغير الصدق ولم تبق له ذكراه في قلبي غير أطلال؟

هـذا الصديق يهمني جداً، لأنه لم يعرف بعد فراق كيف يكون صدق الإخاء

هذا الصديق يهمني جداً، لأنني خلقت منه عدواً عظيما، وأنا أتخيَّر أعدائي كما أتخير أصدقائي. ولكن أين الخطاب؟

هذه أوراق وأوراق وأوراق. هذه مئات من الرسائل التي تشهد بأني كنت على صلات مع أرواح جاذبتُها زمناً أطراف المحبة والعتاب

رباه! متى تعود أيامي؟ متى تعود؟!

ثم تشاء الأقدار أن أجد الخطاب المنشود، وبخط «توفيق» الذي صار من أيام دكتوراً في الحقوق من الجامعة المصرية

تشاء الأقدار أن أجد الخطاب الذي يقول:

«أحمد الله إليك على ما أنت فيه من رضاً بالإقامة في باريس، وأتمنّى لك المزيد من هذا الرضا، كما أتمنى أن تنتفع بأيامك في فرنسا إلى أبعد حدّ ممكن، وتقبَّل من السيدة ومني تحية خالصاً وشكراً جيلاً»

وتاريخ الخطاب ٢٦ يولية سنة ١٩٢٨

وقد ابتسمتُ حين وجدت «تحية خالصاً» فهي غلطٌ من «توفيق» لا من الدكتور، إلا أن يكون لها وجه ضعيف!

ثم ماذا؟

ثم تشاء الأقدار أن أجد خطاباً للدكتور طه كتبه إليّ من الإسكندرية، وفيه يقول:

«صديقي العزيز الدكتور زكي مبارك

أنا مَدينٌ لك بشُكرٍ كثير: فقد قرأت كتابيك وتسلمتُ السِّفرين اللذين تفضَّلت بإرسالها إليّ. ولست أدري كيف أشكر لك عنايتك بفلسفة ابن خلدون، وأنا مقتنعٌ فيما بيني وبين نفسي بأنها لا تستحق هذه العناية. ومع ذلك فسأشتري «المقطم» منذ اليوم لأقرأ ما تكتُب لأنك أنت الذي سيكتبه لا لأني أنا موضوعه. وكل ما أرجوه لك أن تصدر فيما تكتبه عن الحرية الصادقة القاسية، لا عن الإخاء والمودة اللذين يدفعان

في كثير من الأحيان إلى شيء من الرفق لا يخلو من إثم .

وأنا أعيذ أصدقائي من أن يتورطوا من أجلي في إثم الإسراف في البِرّ ، كما أكره أن يتورطوا في إثم العقوق . وقد كنت أحب أن يقف كتابي عند هذا الحد ، ولكن الله يأبى إلا أن يضاعف دَيْني لك حتى يتجاوز قدرتي على الأداء ، فأنا أريد أن تتكلف السعي إلى إدارة السياسة حيث تلقى صديقنا المرصفي وتطلب منه أصول الجزء الثاني من حديث الأربعاء فقد كلفته أن يجمعها لك ، وأشكرك إن دفعتها إلى مصطفى أفندي محمد ليبدأ في طبعها . وأنا أرجو أن تكون بخير مطمئن النفس ، وأن تكتب إلي في شيء من الإطالة والحرية ، فإن كتبك وأحاديثك تقع من نفسي دائماً موقعاً حسناً . وليس لدي الآن ما يشغلني عن قراءة كتبك ، فأنا أقضي من بقي من أيام الراحة في قراءة متفرقة لا نظام لها ولا نفع فيها ، وأرجو أن أراك بخير حين أعود إلى القاهرة في الأسبوع الأول من الشهر المقبل ، إن شاء الله ، وتقبل تحيتي الخالصة » طه حسين

وتاريخ هذا الخطاب (٢ أغسطس سنة ١٩٢٥)

وفيه غلطة نحوية وقعت من « توفيق » لأنه أساء النقل عن الدكتور ، كما كان يتفق له في بعض الأحيان

فإن قيل : وكيف أمكن بعد ذلك الوداد الوثيق أن تَفسُد العلائق بيني وبين الدكتور طه حسين ، فإني أجيب بأن لله حكمة فيما وقع بيني وبين هذا الصديق

لم يكن لي بدٌّ من خصومة أتخذ منها فرصة لتوجيه الجمهور إلى الحقائق الأدبية ، وكذلك خاصمتُ عدداً من رجال الأدب كان أظهرهم الدكتور طه حسين

وأنا اليوم في حياد ، أو غير محارب ، وهما حالتان متقاربتان ، فمتى أخلق خصومات جديدة أذكي بها نار الأدب من جديد ؟

أنا حاضرٌ للخصومة ، على شرط أن أجد خصماً في مثل مواهب الدكتور طه حسين ، فما أرضى بمنازلة الشادين في الأدب من الذين لم يأخذوا زادهم الأدبي إلا من قراءة الهوامش بالجرائد والمجلات

***

يا دكتور طه

إن كنت أنكرت أن تحمد الله إليَّ فخطابك تحت يدي أقدمه إليك حين تشاء ، فإن لم تحمد الله إليَّ فأنا أحمده إليك !

وإن أذن الله بانقشاع ظلمات الحرب فستراني حيث تحب أو حيث تكره بأبحاث طوال عراض تعود على الأدب بأجزل النفع ، وتملأ مسامع الزمان

والله يحفظك للخصم الذي يتمنى لك دوام العافية والتوفيق

زكي مبارك

البلهبــــذ

للأستــاذ حسن السندوبى

للأمير شكيب أرسلان كتاب قيم وضعه حديثاً عن «شوقى» وجعله تذكاراً لصداقة أربعين سنة . وقد حفل بالطريف من المعلومات ، والجليل من الموضوعات ، كما رد فيه كثيراً من الحقائق التاريخية التى غمرتها الحوادث ، وأبعدتها عن أصولها الكوارث، فى العصر الحديث . فكان كتاباً فريداً فى بابه ككل ما يعرض له الأمير من أبحاث وشؤون ، ولا سيما ما كان منها متعلقاً بالعالم الإسلامى والعربى فى بقاع الأرض

وقعت لى نسخة من هذا الكتاب القيم فمنيت بقراءته عنايتى بكل ما تجود به قريحة الأمير ويسيل به قلمه الكريم . ولى منذ الصبا ولع شديد بتتبع آثاره، واستيعاب أفكاره، واقتطاف أزهاره، فله عندى منزلة من الحب قوامها الاحترام

وبينا أردد نظرى فى صحائف هذا الكتاب استوقفنى قوله وهو يقارن بين سينية البحترى التى يصف بها إيوان كسرى ، وبين سينية شوقى التى يعارضه بها ، عند قول البحترى :

قد سقانى ولم يصرد أبو الغو ... ث على العسكرين شربة خلس
من مدام تقولها هى نجم ... أضوأ الليـل أو مجاجة شمس
وتراهـا إذا أجدت سروراً ... وارتياحاً للشارب المتحسى
أفرغت فى الزجاج من كل قلب ... فهى محبوبة إلى كل نفس
وتوهمت أن كسرى أبرو ... يز معاطى والبُلَهْبُذَ أنسى

قال الأمير : ما اهتديت إلى الآن إلى معنى « البلهبذ » الذى هو لفظ فارسى فيما يظهر

فلما رأيت ذلك دهشت وأكبرت ذكاء الأمير وفطنته عن أن يفوتهما المعنى من هذا اللفظ . ولا سيما بعد أن وضعه البحترى فى مكان لا يحتمل لبساً ولا إبهاماً . فالبحترى يذهب به خياله إلى أن كسرى يعاطيه الخمر والبلهبذ يؤانسه بصوته الرخيم . إذن فالبلهبذ كان من ندماء كسرى ذوى التطريب والتغريد ، ومن الذين يحيون مجالس الشراب ، وينعشون محافل المنادمة بأصواتهم الحسنة ، وأنغامهم العذبة فالبلهبذ على هذا كان المغنى الخاص لكسرى ، والمطرب المفرد فى مجلس شرابه

ولقـد أذكر بهذا أن الشيخ الشنقيطى اللغوى الكبير قال قصيدة فى رحلته إلى الأندلس ، وصف فيها الباخرة وصفاً سلبياً إلى أن قال فيها :

لا تحسبن عراب الخيل تشبهها ... ولا المهملج شبديزاً ولا عدسا

ثم علق على هـذا البيت بقوله : إن شبديز فرس كسرى المشهور . كان من خصائص كسري أبرويز أن الناس لم يروا أحداً فى زمانه قط أمد منه قامة ولا أتم ألواحاً ولا أوفر جسامة ولا أبرع جمالاً منه ، فكان لا يحمله إلا فرسه شبديز ، وكان فى الأفراس ككسرى فى الناس ، يضرب به المثل فى عظم الخَلق وكرم الخُلق وجمع شرائط العتق . ولما مات شبديز لم يجسر أحد على نعيه إلى كسرى ، فضمن صاحب الدواب « للفلهيد » المغنى مالاً وسأله أن يعرض لأبرويز بموت شبديز ! فقال ـ وهو يغنيه بمجلسه ـ : « شبديز لا يسمى ولا يرعى ولا ينام »

فقال أبرويز : « قد مات إذن » !

فقال الفلهيد : « من الملك سمعت »

وليس من شك فى أن « البلهبذ » فى بيت البحترى هو نفسه « الفلهيد » فى رواية الشنقيطى ، وعليه يجب تصحيح رواية الشنقيطى بقول البحترى . والظاهر أن الشنقيطى نقل روايته عن كتاب أعمل فيه الناسخ يد المسخ والتحريف والتصحيف ، ولم يفطن لهـا الشيخ ولم يتكلف تحقيق صحتها إذ لم تكن الفارسية من شأنه ، ولا خفاء أن النقلة عن اللغات الفارسية والسريانية والعبرية وغيرها من اللغات القديمة طالما وضعوا « الفاء » فى مكان « الباء » ، كما عكسوا ذلك . وكثيراً ما أعجموا الدال وأهملوا الذال ، وهكذا فى المتشابه من الحروف . وهذا كثير غاص فيما وصل إلينا من آثار السلف

على أننى لم أرد بذلك نقد الأمير أو الغض من عالى منزلته وراسخ علمه ، فهذا ما لم يخطر لى ببال ، وإنما أردت الإيماء إلى شىء لا أشك فى أنه مر كثيراً بالأمير أثناء مطالعاته ولكنه سها عنه عند إيراده بيت البحترى . والكمال لله وحده

حسن السندوبى

الفروق السيكلوجية

بين الأجناس البشرية

للأستاذ عبد العزيز عبد المجيد

عرضنا فى المقال السابق نظرية تقسيم الأسرة البشرية إلى أجناس رئيسية ، والمميزات الجسمية العامة لكل منها . وقلنا : إن وجود هذه الفروق الجسمية بين الأجناس لا يستلزم بالضرورة وجود فروق عقلية بينها ، فقد يتساوى اثنان فى نسبة الذكاء ، ويختلفان فى الصفات الجسمية الجنسية بأن يكون أحدهما زنجياً والآخر أوربياً (قوقازياً)

والتاريخ والواقع يثبتان أن النقاوة الجنسية لا توجد إلا بين جماعات منعزلة بحكم الطبيعة أو الاجتماع . فأمريكا خليط من كل الأجناس ، وآسيا الصغرى تواردت عليها أجناس مختلفة . ومصر غزاها الهكسوس والفرس والإغريق والرومان والعرب والترك والفرنسيون ، وامتزجت هذه الدماء قليلاً أو كثيراً بدم السكان الأصليين . وإذاً ، فقد انمحت إلى حد ما خواص الأجناس البشرية الرئيسية، ولم يعد لعلماء النفس مجال للبحث العلمى التجريبى على أساس الجنسية ، اللهم إلا بين بعض الجماعات التى لا تزال تحتفظ بنقاوتها نسبياً كزنوج أمريكا والهنود الحمر

تعرض الأستاذ وُدْوِرْث بإيجاز لموضوع الفروق الذكائية بين الأجناس فى كتابه « دراسة الحياة العقلية » . وكان فى كل ما كتبه عن هذا الموضوع حريصاً حرص العلماء المدققين . وهو يحدثنا أن تجارب « أجريت » فى ولاية « أكلاهوما » بأمريكا الشمالية على تلاميذ المدارس الأولية الريفية ببعض المدن الصغيرة . وكان هؤلاء التلاميذ يمثلون ثلاثة أنواع جنسية وهى : هنود حمر خلّص ، وأمريكيون خلص ، وخليط من الدمين الهندى الأحمر والأمريكى . وقد اختُبرَ ذكاء ثلاثمائة تلميذ من النوع الأول ، وأربعمائة من النوع الثانى ، وثلاثمائة من النوع الثالث . واستعملت فى هذه التجارب « المقاييس الجمعية » group tests فكانت النتيجة ما يأتى :

الهنود الحمر الخلّص : متوسط نسبة الذكاء ٧٣
الأمريكان الخلص : « « « ١٠٠
الخليط منهما : « « « ٩١

والتأمل فى هذه النتيجة يرى أن نسبة ذكاء الهنود الحمر الخلص أقل بكثير من نسبة ذكاء الأمريكان الخلص ، الذين يمثلون مزيجاً من الأجناس الأوربية أو الجنس القوقازى . كما يرى أيضاً أن نسبة ذكاء الخليط من الجنسين هى نسبة وسط بين النسبتين السابقتين . فإذا علمنا أن البيئة المدرسية لهؤلاء التلاميذ واحدة جاز أن نستنبط أن هذا الفرق فى نسبتى الذكاء بين الهنود الحمر وبين الأمريكان الخلّص إنما يعزى للفرق الجنسى ، والأستاذ يقول فى حيطة : « على أنه يجب أن نذكر فى نفس الوقت أن هذه المقاييس إنما تناسب ثقافة التلاميذ الأمريكان الخلص ، ولذلك فالهنود الحمر يجدونها غريبة عليهم . هذا والتلاميذ الخليط أكثر تأثراً بالثقافة الأمريكية من الهنود الحمر » وليس معنى هذه النتيجة أن كل فرد من أفراد الهنود الحمر أقل ذكاء من كل أمريكى ، فالنتيجة تشير إلى المتوسط فقط ، وعلى هذا قد يوجد من بين الهنود الحمر الخلص من هو أكثر ذكاء من الأمريكان الخلص

وثمة تجارب أجريت على بعض الأطفال الزنوج فى جنوب الولايات المتحدة وأسفرت عن أن متوسط نسبة ذكائهم هو ٧٥. وفى مدينة ناشفيل فى شمال الولايات المتحدة أجريت تجارب أخرى على بعض الأطفال الزنوج ، وكان متوسط نسبة ذكائهم يعادل ٨٥ ولهذا الفرق بين نسبة ذكاء الزنوج فى الجنوب والزنوج فى الشمال مغزاه . فإن زنوج الشمال أصلهم من الزنوج سكان جنوب الولايات المتحدة وإنما هاجروا إلى الشمال لأنهم أكثر طموحاً وأقوى استعداداً على التكيف باختلاف البيئات من الزنوج الذين آثروا الإقامة فى الجنوب. وهذا يدل على أنهم أذكى من الزنوج المقيمين، ويفسر ما أظهرته التجارب من زيادة نسبة ذكائهم . ونعود فنسمع الأستاذ وودورث يعلق على نتيجة هذه التجارب بقوله : « إن ذلك الضعف الواضح فى نسبة ذكاء الأطفال الزنوج يمكن أن يعزى إلى الجنس ، أو إلى بيئتهم الثقافية الأولى غير المنشطة ، أو إلى خطأ فى الاختبارات نفسها . ولم نصل حتى الآن إلى رأى

جازم يعزو ضعف الذكاء إلى واحد بعينه من هذه العوامل الثلاثة »

تطورت كلمة « الجنسية » حتى أصبحت تستعمل فى الوقت الحاضر — كما فى جواز السفر مثلاً — بمعنى النسبة إلى الوطن السياسى الذى ينتمى إليه الفرد ، أو ما يقابل الكلمة الفرنسية Nationalité . وهذه الكلمة مأخوذة من كلمة Nation بمعنى أمة أو جماعة سياسية خاضعة لنظام حكم واحد مقرر ، على حين أن كلمة « الجنسية » العربية مأخوذة من « الجنس » التى يقابلها فى الفرنسية La race . ومن هذه المقارنة يظهر التساهل فى استعمال كلمة « الجنسية » بالمعنى السياسى فى اللغة العربية ، ودقة استعمال كلمة Nationalité أو ما يشبهها فى اللغات الأوربية . ولعل سبب هذا التساهل فى استعمال كلمة « الجنسية » هو أن الأصل أن الأمة أو الوحدة السياسية إنما كانت تتكون من أفراد ينتمون إلى جنس واحد ، فأطلق العام وهو الجنس على الخاص وهو الأمة مجازاً . وإلا فقد تتكون الأمة من عدة أجناس مختلفة كما ذكرنا

ذهب علماء النفس خطوة أبعد من بحث الفروق السيكلوجية بين الأجناس البشرية الرئيسية ، فقد رأوا أن الأمة الواحدة — ولو أنها تتكون من أجناس مختلفة — قد تحمل طابعاً خاصاً يميزها عن غيرها جسمياً وعقلياً وخلقياً . ذلك لأن وحدة الأمة السياسية إذا طالت عليها المدة ، واستقر السكان ، وقل الطارئون عليهم من الأمم الأخرى ، وربطتهم لغة واحدة ، وثقافة واحدة ، وخضعوا لظروف مشتركة ، فإن هؤلاء السكان مختلفى الأجناس — كما فى مصر وأسبانيا مثلاً — يمتزج بعضهم ببعض بالتزاوج فتختلط الدماء ، ويتكون من أمشاجها المتباينة نوع جديد a new pattern ودم جديد ، نتيجة لهذا الاختلاط المستمر الكثير الذى قد يتغلب فيه جنس خاص ويسود . وبهذا تمتاز الأمة — بمرور الزمن وتعاقب أجيالها — بخواص جسمية وعقلية وخلقية قد تختلف عن خواص غيرها من الأمم وتختلف أيضاً عن خواصها هى قبل هذا الامتزاج والانسجام الجنسى « وقد حدث هذا الاختلاط الجنسي والامتزاج بالضبط فى كل الوحدات السياسية والأمم التى على ظهر البسيطة الآن . فكلها من غير استثناء نتيجة امتزاج عناصر جنسية مختلفة . وكل واحدة منها تكاد تصل إلى المرحلة التى تتميز فيها بخصائص أمّيّة (نسبة إلى الأمة) تجعل منها طرازاً جنسياً جديداً ، كأسبانيا ، وإيطاليا ، وفرنسا ، وألمانيا ، وانجلترا ، وأمريكا . وترتيب الأمم هكذا إنما هو وفق لتطورها التاريخى وتكوينها الجنسى . ولو أن هذه الأمم استمرت على ما هى عليه الآن بضعة آلاف من السنين من غير امتزاج بأى عنصر آخر من الخارج لتكوّن من كل منها جنس جديد[1] »

ولا نريد أن نتعرض هنا للفروق الجسمية بين الأمم لأنها موضوع يطول شرحه من غير جدوى ، ولأنها تستدعى دراسة كل أمة أو وحدة سياسية على انفراد ، ومعرفة الخواص الجسمية والعضوية التى تمتاز بها . وإنما يهمنا أن نذكر بعض التجارب التى أجريت لمعرفة الفروق الذكائية بين بعض الأمم . وهنا يجدر بى أن أشير مؤكداً أن نتائج هذه التجارب ليست نهائية أو قاطعة لأنها ما زالت فى مرحلة النظريات ، فهناك صعوبات كثيرة تحول دون الوصول إلى النتائج النهائية ، منها تعذر وجود « عينات » ممثلة تمثيلاً صحيحاً لأفراد الأمم التى ندرس ذكاءها ، ومنها صعوبة وجود الاختبارات التى تلائم فى لغتها ووضعها عقليات الأمم المختلفة . وفيما يلى نتائج لتجارب أجريت فى أمريكا فى مقاطعة ماساشوستز على أطفال ولدوا بها ، وآباؤهم من أمم أوربية مختلفة ، وقد هاجروا إلى أمريكا طلباً للرزق . وهى تدل على متوسط نسبة الذكاء لأطفال كل أمة

أطفال آباؤهم من السويد	متوسط نسبة الذكاء ١٠٢
» » انجليز	» » » ١٠١
» » يهود	» » » ١٠٠
» » ألمان	» » » ٩٩
» » أمريكان	» » » ٩٨
» » لتوانيون	» » » ٩٧
» » إيرلنديون	» » » ٩٦
» » سلاف	» » » ٩٠
» » إغريق	» » » ٨٨
» » إيطاليون	» » » ٨٦
» » من كندا الفرنسية	» » » ٨٥
» » برتغاليون	» » » ٨٣

(١) صفحة ١٤٨ من كتاب Individual Differences, by Freeman

ويقول الأستاذ ودورث الذى اقتبسنا من كتابه هذه الأرقام « وهذه النتائج يجب ألا تؤخذ على أنها تدل قطعاً على الفروق الموجودة بين ذكاء الأمم التى يمثلها المختبرون . لأن أسباب الهجرة لها أثر فى اختيار نوع من الناس دون الآخر . فالإنجليز والسويديون جاءوا فى الغالب من طبقة مثقفة يبحثون عن أعمال يحتاج لثقافة أعلى من ثقافة تلك الأعمال التى ينشدها الإيطاليون أو البرتغال »

وقد حاول علماء النفس التغلب على صعوبة اللغة فى اختبارات الذكاء فاستخدموا « اختبار [1] الرسم المقنن » لمعرفة نسبة الذكاء عند أفراد يمثلون أمماً مختلفة . وهذه هى النتيجة :

أطفال آباؤهم يهود	متوسط نسبة الذكاء	١٠٦
أطفال آباؤهم من اسكاندنافيا	متوسط نسبة الذكاء	١٠٥
« « صينيون	» » »	١٠٣
« « أمريكان	» » »	١٠٠
« « يابانيون	» » »	١٠٠
« « ألمان	» » »	٩٩
« « أرمن	» » »	٩٢
« « إيطاليون	» » »	٨٨
« « مكسيكيون	» » »	٨٧
« « هنود حمر	» » »	٨٦
« « زنوج	» » »	٨٣

هذه نبذة عامة عن الفروق الذكائية بين بعض الأمم ، وهى نتيجة تجارب ما زالت موضع بحث ونظر ، وسنعود لتحقيقها فى مقالات قادمة إن شاء الله .

(بخت الرضا — السودان) عبد العزيز عبد المجيد

(١) مقياس الذكاء بواسطة الرسم هو نوع من الاختبارات غير اللفظية يستعمل مع الأطفال من سن الرابعة إلى العاشرة ، وفيه يطلب إلى الطفل أن يرسم إنساناً ، وتعطى الدرجة على عدد الأعضاء المرسومة ، ونسبها وتناسقها .

أخوك أم الذئب ... ؟

للأستاذ محمود محمد شاكر

أجل ! ! هذا هو العالم المغرور الذى ظن خير الظن بمدنيته ، وأثنى عليها ثناء الأم على عذرائها ، ونفض عليها من محاسين الخيال فنوناً كذُنابَى الطاووس ، وأدارعليها مجامر الندِّ والمندل والعود من عطر الشهوات واللذات ، وأحاطها بالعبقرية العلمية التى توجد فى كل شىء شيئاً جديداً يدخل على العقل إبليساً صغيراً ليُضل عن سبيل الحق ، ويضع فى الثمرة حلاوة تلذ ونشوة تسكر ، ثم زاد فأعطى المادة المتبدلة الفانية تدليساً يجعلها فى فتنة الرأى ثابتة خالدة ثم غلا فجمل النفس تطلق أهواءها جيعاً لتحرز من لذات الحياة كفايتها ، إن كان لأهواء النفس كفاية

هذا العالم المغرور يقف اليوم فى فئتين التقتا للقتال فى سبيل الأهواء الغالبة والشهوات المستحكمة . وفى هذا القتال تتكشف لمن أبصر حقيقة هذه المدنية ، وحقيقة أغراضها التى عملت لها وعمدت إليها ، وحقيقة الروح التى يتعامل بها الاجتماع الإنسانى الذى تعيش به هذه المدنية الأوربية التى تنكر من الحياة وتعرف وتدعى لنفسها إسقاط ما أنكرت وإقرار ما عرفت

وفى كل يوم تتجدد أحداث الحرب ، فتتجدد معها أساليب الغرائز الوحشية المصبوغة رحمتها بأصباغ الافتراس ، وفى كل يوم يخلع الوحش عن مخالبه ذلك المخمل الناعم الذى دسها فيه ، ويهجم بطبائعه على فريسته ليعلن بذلك أنه هو الوحش : قانونه المنفعة ، وشرفه المنفعة ، وصداقته المنفعة ، وأدبه المنفعة ، ودينه المنفعة . فهو لا ينفك من منفعته فى مثل السعار إذا أخذ الوحش فاستكلب فهاج فعاثى ، لا يهدأ حتى يطفىء هذا السعارَ ما يشفيه أو يرده أو يقدعه ، وهو لا يرعى فى ذلك حرمة ، ولا يكفه شرف :

وكان كذئب السوء لما رأى دماً   بصاحبه يوماً أحال على الدم

وقبيح بنا – نحن الشرقيين – أن نغمض أعيننا عن النظر إلى هذه المدنية التى أخذت تنهار تحت قصف المدافع وهد القنابل وزلازل الحرب ، وأن ننام عن مستقبل أيامنا ، وألا ننفض هذه المدنية نفضاً لنأخذ منها وندع ، ولنعرف سوء ما تركت أنيابها فى جسم أوطاننا ، ونتبين حقيقة النفوس المسمومة التى أصبحت فى الشرق فاشية تعمل على إدماجه فى حضارة غريبة عنه ، لا يطيقها إلا على نكد ولا يحتملها إلا عنتاً وإرهاقاً وغروراً

إن رؤوساً من الناس فى هـذا الشرق قد طالت بهم أيامهم حين أقبلت عليهم الدنيا ، فأخذوا على الرأى العام منافذه كلها ، وصرفوه ما شاءوا بما شاءوا كما شاءوا ، لم يغلب عليهم إلا ذلك الداء الوبيل الذى قبسوه من مدنية الغرب ، داء المنفعة . طلبوا المنافع لأنفسهم ، فاستبدوا فى غير ورع ، وتجبروا فى غير تقوى ، وعملوا على أن يكون سلطانهم فى الأرض كسلطان الله فى السماء : يمحو ما يشاء ويثبت ، علوّاً فى الأرض واستكباراً ، قاتلهم الله أنى يؤفكون ؟

إن الشرق لا يؤتى ولا يغلب إلا من قبل أهله . هذه هى القاعدة الأولى فى السياسة الاستعمارية الماضية ، فعملت هذه السياسة على أن تنشر فى الشرق عقولاً قد انسلخت من شرقيتها وانقلبت خلقاً آخر ، وقلوباً انبتت من علائقها ولصقت بعلائق أخر ، وبهذه العقول المرتدة والقلوب المرتكسة استطاع الاستعمار أن يجد للشرق طريقاً محفوفاً بالكذب والضلال والفسوق ، يختدعه عن الصراط السوى الذى يفضى به إلى ينبوع القوة الذى يتطهر به من شرور الماضى وأباطيل الحاضر ، فيمتلك من سلطان روحه ما يستطيع به أن يهدم الأسداد التى ضربت عليه ، ويجتاز الخنادق التى خسفت حوله

لقد لقينا بهؤلاء العنت حين استحكم لهم أمر الناس فتسلطوا عليهم بالرأى وأسبابه ، فخلوا بسوء آرائهم على الشرق ليلاً من الاختلاف لا يبصر فيه ذو عينين إلا سواداً يختنق إذ يستبين . وكانوا له قادة فاعتسفوا به كل مضلة مهلكة تسل من قلب المؤمن إيمانه ، وتزيد ذا الريبة موجاً على موجه . فلما كتب الله أن يدفع مكر هؤلاء بقوم جردوا أنفسهم للحق ، رأوا أن يلبسوا للناس لباساً من النفاق يترقون به إلى التلبيس عليهم بما حذقوا من المداورة ، وما دربوا عليه من فن الرأى ، وما أحسنوا من حيلة المحتال بالقول الذى يفضى من لينه إلى قرارة القلوب ، حتى إذا استوى فيها لفها لف الإعصار ، واحتوشها من أرجائها ، ثم انتفض فيها انتفاض الضرمة على هبة الريح فى هشيم يابس .

وقد أقبلت اليوم على الشرق أيامٌ تتظاهر فيها الأقدار على أن تسلم إليه قيادة مدنيته الجديدة بعد طول الابتلاء وجفاء الحرمان ، وجاءت مع هذه الأيام فتنٌ يُخشى أن تضرب أوله بآخره حتى لا يقومُ شيءٌ هو قائمٌ ، ولا يبقى من أعلام الماضى إلا آثار التاريخ التى تقف شواهد على ما مضى وآيات لما يستقبل . فإذا كان ذلك ، فإن الحكمة والحزم والجد أن نميز الخبيث من الطيب ، وأن نختار لأنفسنا قبل البدء ، وأن يلى منا أمر القيادة من هو حق صاحبها والقائم عليها والمحسن لتصريفها وتدبيرها وسياستها ، وإلا انفلتت من أيدينا حبال الجمهور المتحفز ، فانتشر على وجوهه وتفرق ، وكأن ما كان لم يكن ، وكأن الفرصة قد عرضت لنا لتدع فى قلوبنا بعد ذلك حسرة لا تزال تلذع بالذكرى .

إن أكثر هؤلاء الذين وصفنا قد وجدناهم يمدون أعناقهم يتطاولون مرة أخرى للوقوف فى مقدمة الطلائع الشرقية ، ورأوا — من أجل ذلك — أن يماسحوا الرأى العام على بعض أهوائه وعلى طائفة من أغراضه ، ليستمر لهم ذلك المكان الذى حازوه من قبل ، وليكونوا فى الشرق الجديد ما كانوا فى أيامه السالفة . فهم يبدون له ما لا يعتقدون عليه نياتهم ، ويحدثونه حديث من طب لمن حب ، وهم كانوا قبلُ أعانوا عليه ، إذ أفسدوا صالح أعماله بالآثم من أعمالهم وآرائهم ، وهم كانوا عليه حرباً ، إذ نزعوا من يديه سلاح القتال فى سبيل حريته واستقلاله وانفراده بخصائصه التى ورثها وخص بها ، وعمل الجيل بعد الجيل فى تنقيتها له تنقية الدَّرة من بين الَحب

ليس اليوم أوان يترك الشرق عنانه فى الأيدى التى لعبت به وغررت ، ولا هو يوم التهاون فى القليل لأنه قليل ، ولا هو يوم إحسان الظن بمن يحتال للظفر بحسن الظن ، ولكنه اليوم الذى يتفلت فيه من كل ضلالة وعبث ، ومن كل مرتفق للنفع متشرف للمصلحة ، ومن كل سبب من أسباب التدمير . فإذا فعل ذلك ، وأعطى كل ذى حق حقه ، وامتاز المجرمون ، وخلص له المخلصون واستمان بحرية اختياره على إقرار الناس فى مواضعهم وعلى مراتبهم ، فيومئذ يجد القدرة على انتزاع حريته من أنياب الناصبين ، ويصيب مهاد الطريق إلى الغاية التى ينظر إليها بآماله وأشواقه نظرة العامل لا نظرة الحالم المتخيل

وأخوف ما نخافه هو ما أوتى هؤلاء من الرفق واللين وحسن المجاملة ، وأنهم قد أحكموا معرفة الأسباب التى بها يأخذون بأيدى الناس وعقولهم ، وأنهم قد أوتوا نصيباً من الصيت يتغلب بهم على ما يعترضهم أو يردهم ، وأن الناس أسرع اتباعاً لما ألفوا وحنيناً إليه ، وأن البلبلة التى تأتى مع الحروب وتمتد فى أذيالها ، تدع الناس حيرى غرقى يتلمسون فى كل شىء شيئاً يتعلقون به ، فإذا لم نأخذ من الآن فى جد من الأمر ، ولم نصرف جهودنا إلى اختيار الأصلح فى كل شىء ، فما بد من أن تنجلى العمايات بعد عن الدنيا لتطبق علينا عماية مصفقة كالظلام المصمت . ويومئذ نرتد على أعقابنا حسرى عناة كأسوأ ما مر بنا من زمن ، وتضيع الفرصة السانحة ونحن غرقى فى بحر طام قد نزح عنا شاطئه بعد الدنو

فعلينا الآن أن نثق بأنفسنا غاية الثقة ، لأن الثقة بالنفس هى جيش الحرية ، وأن نشك كل الشك فى أصحاب الرأى ومن يتعرضون للامارة عليه ، لأن الشك فى هؤلاء هو حارس الحرية ، وأن نشتد فى مطاردة الضلال والعبث ، لأن هذه الشدة هى سلاح الحق وسلاح الحرية . فإذا غلب علينا التهاون فى شىء من ذلك ، فإنها ثغرة تتدفق منها على الشرق مرة أخرى ضلالات وفتن كقطع الليل المظلم ، ويعجز أهله عن حمل أعباء الحضارة الجديدة التى اختارهم الله مرة أخرى للعمل عليها والقيام بها . فما بد من أن ينفض الشرق بعينيه ورأيه كل بارقة وكل غمام ، مخافة أن تنزل الصواعق عليه من حيث ظن الغيث

ليس فى الشرق قوًى تضارع تلك القوى الهائلة التى صبت من الحديد والنار وأسرار الكون ، وليس فيه ذلك الغنى غنى الاستبداد والجبروت والسياسة ، وليس فيه ذلك الجمهور المظيم من العقل العامل لإيجاد القوة فى كل شىء لاستخلاص المنافع من كل شىء ، ولكن هذا الشرق لا يزال يحتفظ بأعظم قوة تخضع كل هذه الأشياء لسلطانها الذى ينال النصر ما تعاون ولم يتفرق . وتلك هى قوة الروح ، وقوة الخلق ، وقوة الاستمرار إلى النهاية مصابرة لا ذلاً ، وإيماناً لا عناداً ، وتسليما لا غفلة . فعلينا أن نعرف فضائلنا التى توارثناها ، وأن ننفى عنها ما خالطها من خبث الجهالات القديمة التى تراكمت عليه فقعدت به أزماناً

طوالاً ، حتى استرخى نائماً والناس يقظى

إن الشرق إذا خلص من شر النفايات الطافية على سطحه ، وإذا وثق بسلطان الروح السامية التى لا تذل ، وإذا نهج النهج لا يتهيب ، فما بدٌّ من أن يحوز من القوة ما يضارع قوة المدنية الأُوربية المتهالكة ، وأن يجعل فى هذه القوة من النظام الروحى النبيل ما يرد كل غائلة ويمنعها كل عدوان ، ويرفع الإنسانية درجات فى طريقها إلى السماء . وهـذه أيامٌ فيها عِبَرٌ كثيرةٌ لمن يعتبر ، فإن حقائق المدنية الأُوربية تستعلن كلها فى هذه الرجة العظيمة التى ترجف بالعالم ساعة بعد ساعة

ولـكن علينا أن نثق ، وعلينا أن نشك ، فإذا رفعت الثقة أسباب الشك ، فإن الخير كله آت على طول الجهاد وترك التهاون وعلى استجادة العمل ومرابطة النفس عليه ، وعلى الأناة دون العجلة ، فإن الفرس الصغير يكبر على التعهد حتى يؤتى الثمرة ، ومن استعان بأسباب الحق أعين ، ولا يهلك الناس إلا من هيبة أو تهود

محمود محمد شاكر

الحرب في أسبوع

للأستاذ فوزى الشتوى

سكون الميادين البرية

سألنى بعض القراء من أيام عن مدى التغير الذى حل بالموقف العسكرى منـذ تسليم فرنسا « وهل يضعف تسليمها انجلترا أم يقويها ؟ » وردنا على هذا السؤال بنعم ولا ؛ فهذا التسليم يضعفها ويقويها ، كما ترتبت عليه نتائج لها خطورتها . فبعد ما كانت نهاية الحرب رهن معركة برية وانهزام برى ، يعقبه انحلال ألمانيا السريع ، لم يبق تسليم فرنسا من مجال يؤدى إلى هذا الغرض ، وتبعاً لذلك يرى بعض العسكريين أن الحرب قد تطول فيمتد زمنها إلى عدة سنوات

أما الأسباب التى يستندون إليها لإطالة الحرب فهى :

أولاً : سكون القوات البرية ، فلم يعـد من صلة مباشرة بين قوات انجلترا وقوات المحور فى أوربا ، فلا توجد منطقة تعتبر معاركها حاسمة وتقرر النصر والهزيمة ، فإن السلاح الجوى وحده ليس كفيلاً باحتلال البلاد ، ويقتصر عمله على إضعاف الروح المعنوية فى الشعوب ، وعلى تدمير المرافق الحيوية التى تغذى الجيوش .

ثانياً : اتساع موارد دولتى المحور ، مما يتيح لها إطالة زمن الحرب ، فهما تسيطران الآن على جميع موارد أوربا من صناعية وغذائية ، ونضوب هـذه الموارد ليس من الأمور اليسيرة ؛ فموارد بلدان أوربا عظيمة ، وبهذه البلدان أكبر مصانع العالم ، وضعفها الوحيد ، هو حاجتها إلى بعض المواد الأولية التى تستورد من أمريكا أو من المستعمرات كالقطن والمطاط والبترول وغيرها من المعادن التى تدخل فى صناعة الطائرات والذخائر .

موطن قوة ألمانيا

وإذا كان اختفاء الميادين البرية من الحرب الحالية يطيل الحرب ، فإنه قد قوى مركز انجلترا قوة لا يستهان بها وجعلها حصناً منيعاً ، فإن استعداد ألمانيا البرى والجوى استعداد لم يسبق للعالم أن رأى شبيهاً له ، فهى تمتاز بمعدات برية سلم قادة الحلفاء أنفسهم بأنها معدات ساحقة . ومن حسن حظ انجلترا أنها جزيرة لا تستطيع ألمانيا أن تنقل إليها هذه المعدات فبطل عملها .

فالموقف الحالى إذن وفر على انجلترا الاصطدام بنقط ألمانيا القوية ، وأتاح لها تدميرها شيئاً فشيئاً ، كما أتاح لها الوفرة من الزمن إذ تستطيع أن تعد ما يضارعها ويفوقها

حكم تسليم فرنسا على قوات ألمانيا البرية بالنوم ، ولم يبق لها إلا القوة الجوية ، وهى تفوق القوة الجوية البريطانية من الناحية العددية ، ولـكنها فى الوقت نفسه تعتبر أضعف من القوة الجوية البريطانية إذا نظرنا إلى مجال كل من القوتين ومدى تأثيرها . ونستخلص هذه النتيجة من ثلاثة عوامل :

١ — اتساع رقعة الأراضى التى يحتلها الألمـان

٢ — صغر رقعة الجزر البريطانية

٣ — استعداد انجلترا للدفاع الجوى

فأما اتساع رقعة الأراضى التى يحتلها الألمـان ، فنستطيع إدراكه من نظرة واحدة نلقيها على خريطة أوربا فنرى المساحة العظيمة التى يضطر الألمان للدفاع عنها ، وصغر الرقعة التى يدافع عنها الإنجليز . وفيما يلى بيان تقريبى لمساحات هذه الأراضى التى يحتم موقف ألمانيا العسكرى الدفاع عنها

الدولة	مساحتها بالميل المربع
ألمانيا	١٨٥ر٩٩٨
النمسا	٣٢ر٠٠٠
دانزج	٧٤٥
تشيكوسلوفاكيا	٤٠ر٨٦٥
بولندا (الألمانية)	٧٠ر٠٠٠ (؟)
بلجيكا	١١ر٧٥٢
هولندا	١٢ر٥٨٢
دنمرك	١٦ر٥٧٠
النرويج	١٢٤ر٩٦٤
فرنسا (المحتلة)	١٤١ر٩٧٢ (؟)
إيطاليا	١١٩ر٧٤٤
ألبانيا	١٠ر٦٠٠
المجموع	٧٦٧ر٧٨٤

ويقابل هذا مساحة الجزر البريطانية وهى ١١٥ر٣٣٨ ميلاً مربعاً . أى أن مساحة الأراضى التى تدافع عنها دولتا المحور ستة أمثال مساحة الجزر البريطانية . فلتساوى قوات الدولتين الجوية يجب أن تكون قوات ألمانيا ستة أمثال قوات انجلترا وهذا يخالف الواقع

سلاح الطيران

فقد كان مجموع الطائرات الألمانية فى سبتمبر سنة ١٩٣٩ ٣٢ ألف طائرة يضاف إليها سلاح الطيران الإيطالى وعدد طائراته خمسة آلاف طائرة. وكان عدد الطائرات البريطانية فى ذلك الوقت ١٧ ألف طائرة يضاف إليها ما اجتلبته من الولايات المتحدة وكان مجموعه إلى الشهر الماضى ٢٥٠٠ طائرة ، وقد تدرج هذا المجموع فى النمو تدرجاً مطرداً بفضل نشاط المصانع الإنجليزية حتى أصبح التفوق العددى لدولتى المحور تفوقاً غير مذكور

ولا ننس فى هذا المجال جرأة الطيارين البريطانيين وحسن مرانهم ، مما يتيح للسلاح البريطانى التفوق الفنى على السلاحين الألمانى والإيطالى ، مما ألقى الرعب فى قلوب الطيارين النازيين ودفع بإذاعة برلين إلى الشكوى من قسوة الإغارات البريطانية على ألمانيا

أما العامل الثالث وهو استعداد الجزر البريطانية للدفاع الجوى ، فقد ثبت أن الطائرات الألمانية تجد صعوبة كبيرة فى مهاجمة انجلترا وخصوصاً المرافق العسكرية فيها ؛ فلندن مثلاً تحاط بسور من المناطيد الجوية التى ترتفع إلى طبقات الجو العليا وتهبط منها أسلاك متينة مشدودة إلى الأرض ، فإذا حاولت الطائرات اختراق هذا السور فإنها تصطدم بالأسلاك وتتحطم ، فإذا أرادت التحليق فوق المناطيد ، استحال عليها ذلك نظراً لتخلخل الهواء فى تلك المناطق وقلة الأكسيجين اللازم للجسم ، فيموت الطيار قبل أن يصل إلى ارتفاعها

وأفاد تسليم فرنسا من جهة أخرى ، فإن معدات الدفاع ضد الغارات الجوية من طائرات مطاردة ومدافع مضادة للطائرات بعد ما كانت موزعة فى فرنسا للدفاع عن القوات والبلاد الفرنسية عادت إلى الجزر البريطانية وتركزت فى رقعتها الصغيرة لاستقبال الطائرات المعادية ، فازداد عددها وأصبح مجموع النيران التى تقابل بها الطائرات المغيرة أكثر مما كان قبلاً ، ففشلت الطائرات الألمانية فى الوصول إلى أهدافها

ولسنا فى حاجة إلى تكرار القول بأن قوات بريطانيا البرية أصبحت الآن مركزة فى الجزر البريطانية لاستقبال ما قد يرسله هتلر من قواته إليها مما يضمن لها التفوق على ما قد تنقله الطائرات ، أو ما قد يفلت من حصار الأسطول البحرى ، إذا تيسر لبعض السفن الإفلات

وكان من نتيجة تسليم فرنسا زيادة أعباء الأسطول البريطانى واتساع مساحة المناطق المحصورة بحرياً ، فبعد ما كانت مناطق الحصر قاصرة على بحر الشمال مرتكزة إلى القواعد الفرنسية ، شملت جميع سواحل أوربا مرتكزة على جبل طارق ، وهى مهمة قاسية خبر الأسطول البريطانى تنفيذها فى تاريخ انجلترا وحروبها الطويلة

لأسباب عائلية

وكنا نأمل أن تنضم قوات المستعمرات الفرنسية إلى الجانب البريطانى ، ولكن يظهر أن حال الفرنسيين تغيرت ، وأن دعاة الهزيمة فى فرنسا غلبوا على ما فى القواد الفرنسيين من وطنية وحب للحرية ؛ فأعلنت قوات الجزائر وتونس وسوريا تسليمها لأسباب مضحكة ، فقال الجنرال ميتلهوزر إن له عائلة فى ستراسبورج فهو يخشى إذا استمر على القتال أن تضطهد ، فهو على رأى أحد القراء الكرام : يقف القتال « لأسباب عائلية »

فهذا السبب يدعو إلى الضحك ، وشر البلية ما يضحك ، فهل هؤلاء قادة ؟ ألم يكن فى استطاعته أن يستقيل بدل أن يقول مثل هذا اللغو ؟

في المستعمرات

وخسرت انجلترا في المستعمرات الفرنسية القوات القاتلة في تونس والجزائر ، فإن وجودها كان عاملاً له أثره في القتال في ليبيا ، لأنها كانت تضطر القوات الإيطالية هناك إلى القتال في جبهتين ، فتقاتل من الغرب القوات الفرنسية ، ومن الشرق القوات البريطانية ؛ ولكنها الآن تستطيع أن توجه جهودها إلى الميدان الشرقي وحده . وأدى تسليم قوات سوريا ولبنان إلى فائدة تلك البلاد، فاتفقت تركيا والعراق على استقلالها، وهي بشرى حسنة للأقطار الشرقية . أما في الصومال الفرنسي فقد رفضت القوات الفرنسية وقف القتال ، ولهذا القرار أثره ، فإن جيبوتي هي المدخل البحري المتصل بالحبشة

وتنبأنا منذ توقيع الهدنة أن الأسطول البحري الفرنسي سيخير بين شيئين ، فإما أن ينضم إلى الأسطول البريطاني في كفاحه وإما أن يغرقه ، وقد تحقق ما تنبأنا بوقوعه ، فمنذ ما عارض قادة الأسطول الفرنسي الطلبات البريطانية وجهت الوحدات الإنجليزية نيرانها إليه فأغرقت بعض قطعه ودمرت قطعاً أخرى حتى أصبح استعمالها متعذراً ، إذا قدر لها أن تقع في أيدي الأعداء

موقف حازم

وأعجب العالم بحزم الحكومة البريطانية في هذا الموقف ، إذ ضمنت بتصرفها حرمان دولتي المحور من أسطول بحري كبير، يفوق في استعداده وعدد قطعه الأسطول الإيطالي ؛ فلو وقع هذا الأسطول في يد هتلر وموسوليني لسببا لانجلترا كثيراً من المتاعب سواء في البحر الأبيض أو في المحيطات ، إذ تستغل قطعه في أعمال القرصنة ، ولا عبرة بما وعدا به من عدم استعماله ، فإنهما يدفعان بفرنسا الآن إلى إعلان الحرب على انجلترا مستغلين ضعف وزارة بتان

ولا ندري بالضبط مدى التهديد الذي يوجهه النازيون إلى قادة الفرنسيين ، ولا مدى الوعود المعسولة التي يمنونهم بها ، ولكنه مما لا شك فيه أن الوزارة الفرنسية واقعة تحت ضغط شديد يفقدها حرية التفكير والعمل . ويقال إن الألمان يهددون الفرنسيين بنسف مدن كاملة إذا لم تنفذ الهدنة تنفيذاً دقيقاً ، وإذا لم يخضع الفرنسيون لجميع طلباتهم ، ومثل هذه الوحشية ليست بعيدة عن الألمان

في البلقان

كتبنا في مقالنا الماضي في حركة الروسيا في رومانيا ، واستنتجنا منها أن الروسيا تتبع سياسة خاصة لا تتقيد فيها بدولتي المحور ولا بالحلفاء، مستغلة الظروف الحالية ، وأنها تتجه في سياستها إلى الاستيلاء على بترول أوربا وتقوية مركزها العسكري . فالروسيا مشتركة في المؤامرة الديكتاتورية على الدول الديمقراطية ، ولكنه اشتراك ظاهري كما يبدو لنا ، الغرض منه حصولها على أهدافها على حساب غيرها ، دون أن تكلف نفسها خسائر حربية . وقد تم حتى الآن كما نرى نصف المؤامرة ولم يظهر بين المتآمرين خلاف كبير أو تعارض في المصالح، وبدأنا نشعر بأن تحقيق مؤامرتهم على وشك أن يفشل ، لأن الروسيا هددت باستيلائها على بسارابيا وشمال بكوفينيا مصالح دولتي المحور في البلقان . فإن المدى الذي تهدده الروسيا لا يمكن أن يكون داخل نطاق المؤامرة ، فالتسليم به بمثابة تسليم رقبة دولتي المحور للروسيا الشيوعية التي تخالفهما في المبادئ والمصالح ، والتي طالما نعتوها بأقبح النعوت .

في أحضان النازية

وظل الشك يخالجنا في موقفها في الفترة الماضية ، ولكن حوادث رومانيا الأخيرة أزالته ، وأكدت لنا أن علاقاتها بهما ليست صافية ، وأن حركاتها ليست متفقاً عليها كما يتوهم البعض. فبعد استيلائها على مقاطعتي بسارابيا وشمال بكوفينيا يذاع أن وزارتها أعيد تشكيلها وأن بعض أعضائها من حزب الحرس الحديدي ، وهو حزب نازي المبادئ والميول ، ثم يعلن أيضاً أنها ارتمت في أحضان ألمانيا

وليس لهذا الموقف إلا تفسير واحد ، وهو أن رومانيا تطلب حماية ألمانيا من الروسيا ، فليست بسارابيا وبكوفينيا إذن هما كل ما تريده الروسيا، بل إن رومانيا تشعر بأن جعبة الروسيا لم تفرغ فهي تسعى وراء شواطئها الساحلية ومنابع بترولها ، وإذا قبلت ألمانيا شرط الحماية فهي تقبل تبعاً لذلك موقف معارضة الروسيا ، وتلوح لها بأنها تعارض تحقيق مطامعها ، ومعنى ذلك انهيار جزء كبير من المؤامرة الدكتاتورية

فوزي الشتوي
بكالوريوس في الصحافة

تفاريق الحيـــاة

للأستاذ إيليا أبو ماضى

إذا جدَّفت جوزيت على التجديف بالنار
وإن أحببت عيرت من الجارة والجار
وإن قامرت أو راهنت فى النادى أو الدار
فأنت الخاطئ الآثم عند الناس والبارى
وإن تسكر لكي تنسى هموماً ذات أوقار
خسرت الدين والدنيا ولم تربح سوى العار
وإن قلت إذنْ فالعيش أوزارٌ بأوزار
وإنَّ الموت أشهى لى إذا لم أقض أوطارى
وأسرعت إلى السيف أو السم أو النـار
لكى تخرج من دنيا ذووها غير أحرار
فهـــذا المنكر الأعظم فى سر وإضمار
إذنْ فاحيا ومتْ كالناس عبداً غير مختار

إيليا أبو ماضى

أغنيـــة حزينة !

[مهداة إلى شاعر الحب والجمال « على محمود طه »]

للأستاذ إبرهيم محمد نجا

دنا الليل ، وما الليل سوى أطياف آلامى !
دنا الليل ، وما الليل سوى أشباح أيامى !
دنا الليل ، وما الليل سوى يأسى وأوهامى !

فهاتى خمرة اليأس وهيا أترعى كأسى
وعبى منه يا نفسى ولا تبكى ولا تأسى
فما يومى سوى أمسى

دنوت الآن يا ليلى فأيقظت كآبانى !
ورعت فؤادىَ الغافى وهيجت جراحاتى !
وأترعت بخمر الوحشة الخرساء كاساتى !
وأطلقت بأفق الروح أشباح خيالاتى !
أتسمع أيها الليل صدى شجوى وأناتى ؟
أتبصر أيها الليل سكونى وارتعاشاتى ؟
أتبصر فى محياىَ تهاويل التعاسات ؟
شكوت إليك يا ليلى فما أجدت شكاياتى !
فعدت أعلل النفس ، فلم تنفع تعلاتى !

فهاتى خمرة اليأس وهيا أترعى كأسى
وعبى منه يا نفسى ولا تبكى ولا تأسى
فما يومى سوى أمسى

زرعت الحب والأحلام فى بستان أيامى
وقمت الليل أرويه بماء سحابىَ الهامى
وأعزف عنـده فرحًا على القيثار أنغامي
وقلت : « إذا أتى الفجر بنور منه بسام
سألقى الحقل – وافرحا – يرف بزهره النامى »
فلما أقبـل الفجر يفيض بنوره السامى
رأيت الشوك فى حقلي يماثل أسهم الرامى !
فعدت لكوخىَ النائى بقلب حائر دامى !
أوقع لحن حرمانى ، وأحزانى ، وأسقامي !

فهاتى خمرة اليأس وهيا أترعى كأسى
وعبى منه يا نفسى ولا تبكى ولا تأسى
فما يومى سوى أمسى

(دمنهور) إبرهيم محمد نجا

هكذا الدهر . . .

للأديب بدوى سليمان

نُحْ مَعى يا شاكى الأيْـــكِ فقد صوَّح روضى :
خبتْ الشـــعلة فى رو حى وقـد أطفأ وَمْضى
فرْعك الغض سيذوى مثلما قد كان غَضَّى
فانعم من قبل أن يُذْركه الصيف بأرضى
كل من طال به العَيْـــشُ فلا بد سيمضى
زمرٌ في إثر أخرى لاحقاتٍ إثرَ بعضِ

بدوى سليمان



بواطن وظواهر

... وعندنا فنانات أيضاً

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

السيدة روزاليوسف

جاء عليها يوم كانت فيه الممثلة الأولى فى مصر ، وجاء عليها يوم بعد ذلك كانت فيه الصحافية الأولى فى مصر ، وهى لا تزال إلى اليوم تحتل مكانها الملحوظ فى عالم الصحافة

أظهر ما فيها طيبة قلبها ، حتى ليمدها الإنسان بلهاء ؛ فهى بعد الوقت الطويل الذى انغمست فيه بين أهل الفن والصحافة ، وما أدراك ما أهل الفن والصحافة ، وما نعومتهم وما دهاؤهم ، مع طول ما جربت هؤلاء وقارفت عشرتهم وقارفوا عشرتها ؛ فإنها لا تزال إلى اليوم على استعداد لأن ترحب بكل من قال لها « إنى صديق » ، وبكل من قال لها « إنى صادق » ، على شرط ألا يقول لها هذا تصريحاً ، فإنه لو فعل ذلك لشكت فيه

تتعرف إليها الساعة ، فتراها انطلقت إليك بروحها كلها غير متحفظة وغير متريثة ، فإذا كنت ابن حلال قدّرت هذه البراءة وصنت لها رجاءها فيك . أما الجاحدون فيخدعونها ويجمعون من حولها الرزق والشهرة ، حتى إذا شبعوا هجروها ، وربما آذوها

وهى لا تزال صابرة سليمة النية ، والله يسلمها من كل كرب ومن كل ضائقة

أنشأت منذ سنوات صحيفة يومية تطاولت إلى مقام الأهرام وقد تصدت بصحيفتها هذه لأزمة كانت مستحكمة فى البلاد ، فكانت من أقوى الأسباب التى حطمت هذه الأزمة ، ولكن هذه الأزمة كانت العامل القوى الوحيد الذى حطم صحيفة روزاليوسف

ولكن السيدة روزاليوسف لم تتحطم ، وإنما رعاها الله بضعفها وسلامة نيتها

السيدة فاطمة رشدى

ليلى ، كليوباترا ، سميراميس ، النسر الصغير ، غادة الكاميليا ، نجف ، إيميلى

كل هذه أدوار أشبعتها فاطمة رشدى حياة ، مع أنى أستطيع أن أراهن بكل (السجائر) التى منى على أنها لم تدرك من أسرار هذه الأدوار إلا أيسر الإدراك ، ولم تلم بدقائقها النفسية إلا أهون الإلمام

فكيف إذن كانت تجيد فاطمة رشدى هذه الأدوار ، وكيف كانت توفق فيها التوفيق الكبير ؟

إنها كانت تجيد وكانت توفق ، لأنها كانت تتصور وكانت تحس ، ولأنها كانت تبنى بخيالها نماذج لهذه الشخصيات التى كانت تمثلها ، فكان طبعها السليم يهديها إلى أصدق النماذج مشابهة لهذه الشخصيات ، فكانت تمثل كما لو كانت رأت اللواتى تمثلهن

ولكنها على الدوام كانت تنفذ بروحها إلى أرواح بطلاتها ، فإذا بالشخصية المسرحية التى كانت فاطمة رشدى تتقمصها ، لا يزال فيها من فاطمة رشدى نفسها ، حركات قاهرية عذبة ، وإشارات بلدية لذيذة ، وتنهدات وتكسرات نعرفها نحن فى مصر وفى هذه الأيام ولكنى لا أظن أن كليوباترا ، وسميراميس ، وليلى ، وغيرهن من بطلات فاطمة رشدى قد عرفنها ...

وتلاشى هذا العيب من فاطمة رشدى وتمثيلها حين ظهرت فى فلم العزيمة ، فقد أخرجت فى هذا الفلم دور فتاة قاهرية بلدية فانطلقت فى التمثيل على أساس من سجيتها وعلى عون من ذكائها وبراعتها ، فتساند فنها بعضه إلى بعض واكتمل لها النجاح على نحو متألق رائع

الآنسة نبوية موسى

مربية تحترمها الأسر احتراماً كبيراً ، وتعترف لها وزارة المعارف بجلال العبء الذى تحمله على عاتقها

وكاتبة قصدت فيما تكتبه من مذكراتها لأخطر ما يمكن أن يكتب فيه المربى ، وتعرضت فيه لخفايا يتهرب أشجع الكتاب

من التعرض لها مع أن أمرها معروف ، وخطرها ظاهر ، ونتائجها بينة ، وعلاجها أمر تفتقر إليه بيئات التمثيل وغيرها من البيئات افتقاراً ملحاً عنيفاً ، ومع هذا فنحن نتحامى عنها على قسوة ما يترتب عليها

فإذا لم يكن للآنسة نبوية موسى غير مالها من فضل الشجاعة الأدبية التي دفعتها إلى معالجة هذا الموضوع ، واحتمال ما قد ينشأ عن ذلك من سخف القول لكفاها هذا فخراً ، فإن هذا الموضوع لم يتعرض له حتى اليوم في مصر من الكتاب المعاصرين رجل .

السيدة بديعة مصابني

لها ابتسامة لا أدري كم تجهد أعصابها . حاولت أن أقلدها فيها مراراً ، فكنت أضحك أنا من نفسي قبل أن يضحك الذي كنت أتصنع هذه الابتسامة معه

ولكن بديعة مرنت على هذه الابتسامة ، واعتادها الجمهور منها وأصبحت لها أمارة وعلامة

هي مديرة مدبرة تحسب الحساب ، وترتب النتائج على الأسباب ، وتأخذ عملها بالحزم والجد ، وهي لذلك تنجح وتواصل العمل

وهي أيضاً فيلسوفة صاحبة حكمة . أرادت الرقابة أن تمنعها عن أغنية « لا والنبي يا عبده » فضحكت وقالت : إذا منعت هذه الأغنية عندي فسيغنيها الشعب في الطرقات والبيوت لأنها « نشيدنا القومي ... ! »

في هذا التعبير قسوة من غير شك . وفيه لطمة لحشمتنا . ولكن بديعة على أي حال صدقت ، فالأغنية راجت رواجاً لم ترج مثله أغنية أخرى منذ « يا عزيز عيني » و « زوروني كل سنة مرة » !

الآنسة روحية خالد

كانت وهي في فرقة رمسيس كالمصفورة ، وربما كان التحاقها بالفرقة القومية من العوائق التي عرقلت نموها الفني ، فهي تشعر اليوم بأنها موظفة حكومة ، تقبض مرتبها آخر كل شهر ، فهي لا تحاول الاستزادة من الإجادة في عملها ، وإنما التفتت إلى الاستزادة من دواعي راحتها

لا ريب في أن استعدادها الفني جارف ، ولكن منذا الذي سيتعهدها في الفرقة القومية ؟ إن العمل في هذه الفرقة يسير على نمط عجيب ، فلكل رواية مخرج ، وكل مخرج ينتقي من الممثلين والممثلات من يرى صلاحهم لروايته وأدوارها ، وأغلب ما يهتم المخرجون في الفرقة القومية بالمناظر والملابس والإضاءة . أما أرواح الأشخاص الذين يظهرونهم على المسرح فأمر يتركه المخرجون للممثلين ؛ والممثلون أنفسهم يحبون من المخرجين هذا ، والمخرجون أنفسهم راضون عن أنفسهم في هذا ، وعلى هذا الأساس فإن ممثلة ناشئة مثل روحية خالد سيقف تقدمها الفني عند المرحلة التي انتهت إليها وقتما فارقت فرقة رمسيس حيث كان الأستاذ يوسف وهبي يعلمها بإخلاصه لفرقته ونفسه كل ما يعلم من تجاربه واطلاعه

ويوسف وهبي — على الأقل — أكبر سناً من المخرجين في الفرقة القومية وأغلبهم تلاميذه ...

السيدة خديجة حافظ

أخت السيدة بهيجة حافظ . وخديجة الكبرى

موسيقية كأختها ، ولكنها ليست ممثلة ، لا أعرف من أخبارها اليوم شيئاً ، ولكني أذكر لها « تانجو أورينتال » وضعته منذ عشرين سنة تقريباً ، وكنت أسمعه وأنا صغير فيخفق له قلبي غراماً وحباً ، وحناناً ووداعة ...

ولا أزال أترنم بهذا اللحن إلى اليوم كلما هفت نفسي إلى ذلك العهد .

السيدة بهيجة حافظ

هي أيضاً موسيقية ممتازة ، وموسيقاها عندي أحب من تمثيلها . لها قطعة اسمها « أنت » أعوذ بالله من الآلام التي تتدفق فيها

متوثبة . ذات آمال فنية عريضة ، ولكن هناك عائقاً شديداً يحول بينها وبين تحقيق هذه الآمال ، إن هي تخطته فقد يسهل عليها جداً أن تتخطى بقية العوائق ...

ذلك أنها لا تنسى في أي لحظة من اللحظات أن أباها كان باشا ، وأنها بذلك من طبقة غير طبقة هؤلاء الممثلين وهؤلاء الممثلات ، وهؤلاء الموسيقيين وهؤلاء الموسيقيات

وفكرة الأرستقراطية هذه كفيلة بتحطيم الفن ونسفه فى أى نفس مهما تأصل فيها الفن ومهما تمكن منها . . .

السيدة زينب صدقى

وهذه لم يكن أبوها «باشا» ولا غير ذلك من حملة الألقاب، ومع هذا فهى تحب أن تظهر بمظاهر الأرستقراطية ، وتحب من دعاتها دائماً أن يقولوا عنها إنها أرستقراطية . وقد تأثر كثيرون من الناس بهذه الدعاية وأنا من بينهم ، وكانت نتيجة هذا التأثر عندى أنى حسبتها أرستقراطية حقاً أو قريبة من الأرستقراطية فنفرت منها ونفرت من فنها

أقول هذا ، وأقول أيضاً إلى جانبه إنى كثيراً ما كنت أنسى هذه الدعاية وأنا أشاهد زينب فى تمثيلها فكنت أهتز لها وأعجب بها

فإذا كانت تريد أن تبرأ من عتمة الجمود التى نسبها إليها دعاتها فلتطالبهم بأن يكفوا عن دعايتهم الخاطئة

الآنسة أسمهان

إذا لم يكف عنها أخوها الأستاذ فريد الأطرش ، وإذا لم تبدأ منذ اليوم بالبحث عن ملحن يربى مواهبها ، فإنها بعد ثلاثة أعوام أو أربعة على الأكثر ستتحول إلى مغنية « ميكانيكية » يسمعها الناس بآذانهم بينما قلوبهم منصرفة عنها وعما تغنيه ...

كل عمل فى الدنيا يقبل « الشركة » و « المساهمة » إلا الفن

السيدة زوزو الحكيم

فيها الشاعرية والأسى اللذان أراهما فى « كاى فرانسيس » وعلى الرغم من أنها قضت وقتاً طويلاً على المسرح المصرى فإنى لا أزال أنتظر لها دوراً يشبعها ويشبع معها الذين يثقون بها والفرص مقبلة ، وفى الله الأمل

أظنها فى الفرقة القومية ، وأظنها لهذا فقط لا تزال مغمورة ... ولكن أين تذهب ، وفى أى فرقة أخرى تعمل ، وحال المسرح كما نعرف ! ...

الآنسة فردوس حسن

فيها ميل ظاهر إلى المرح واللعب والضحك ، لست أدرى إذا كان طبعاً فيها أو درعاً لها ، ولكنها به على أى حال تستطيع أن تكون فى طليعة ممثلات الكوميدى ، وإنها لكذلك ولو لم تتح لها فرصة التخصص

السيدة نرجس شوقى

لم نعد نسمع عنها شيئاً فى هذه الأيام ، ولست أدرى أين هى ولا ماذا تصنع ، ولكنى لا أنسى أنها كانت « المونولوجيست » المصرية الوحيدة الرشيقة الخفيفة ، التى كانت ترتجل مواقفها وحركاتها وإشاراتها على المسرح ارتجالاً ، معبرة بذلك عما تلقيه أنفذ التعبير وأبلغه ؛ كما كانت المرحومة امتثال فوزى

لم ترق كثيراً فى عملها من الناحية المادية ، لأنها فنانة كانت تعتمد على فنها وحده كما كانت تعتمد على الله فى حفظ حياتها يوم كانت « بهلوانة » فى سرك تقفز فى الفضاء قفزات ثمن الغلطة فى إحداها كارثة أقل ما فيها من شر هو تحطيم العظام وتكسير الضلوع

هى

التى ربت أذنى ، وعينى ، وقلبى ، وعقلى ، ولسانى ، وقلمى والتى غذت روحى ونفسى

والتى تسلمتنى من فاطمة بنت حواء وآدم التى احتضنتنى بعد ما احتضنت أبى من قبلى ...

والتى رفعتنى ، وخفضتنى ، وقومتنى وعوجتنى ، والهبتنى وأثلجتنى ، وأروتنى وأظمأتنى ، وأصلحتنى وأتلفتنى ، وعلمتنى وخبلتنى ...

سألتها أن تقرأ الفاتحة مع للسودانية التى فتحت لله منذ الطفولة نفسى

ولنا جميعاً من الله الرضا والرحمة

ولكن ... من الذى سيترجم لها هذا ؟ وكيف ستقرأ الفاتحة ؟

عزيز أحمد فهمى



تأملات:

فى مملكة الحيـــوان

للأستاذ محمود الدسوقى

فى إحدى السنين التى كان خلو الذهن فيها ظاهرة بادية فى الشعوب ، وإشغاله ظاهرة تبدو على الحكومات ، والتى كانت فيها الطبيعة آمنة ، وكان الناس من نحوها آمنين مطمئنين – فى إحدى هاته السنين زرت أوربا ، وأوربا كعادتها جمة النشاط ، منصرفة إلى التجديد ، والطبيعة باسمة حالة يفيض قلبها بالحب وتزخر على جوانبها الأمانى ، فلم يرعنى شىء كالألفة القائمة بين الحيوان والإنسان تقليداً ترعاه التربيـة العامة ، ولا يغفل إلا بمقدار

وقد كان بينى وبين الطير والحيوان حديث ما أعذبه ، فلم يكن فى الجو ما يقصى الطير عن شجره والحيوان عن مأمنه . والطير والحيوان أحب الرفاق إلى الإنسان إذا أعوزته الرفاق ، فهما أحفظ لسره ، وأبقى على عهده ، وأطوع لإرادته ، ما دام كل شىء يجرى معهما على سجيته

لم أقصد إليهما كما فعل التاجر هورن ، فأقتحم عليهما الغاب والآجام ، فأنا أعرف بالحدود من ألا أقف عند حد . بل إنى حاولت أن أجتمع بهما وأنا آمن ، وهما عديما الحيلة عديما الأذى . وهل فى غير حدائق الحيوان ينشد المرء مثل هـذا اللقاء ؟ وإنه لمتعة للنفس ، وفرصة للنظر والدرس ، وساعة للتحصيل لا تجلب السآمة

وقد كنت أغشى حديقة الجيزة فيما مضى من الزمان ، فإذا الظاهرة التى تسترعى انتباه من يعنيه الانتباه إلى علاقات المخلوق الطليق بالمخلوق الحبيس هى اضطهاد وتحفظ ، اضطهاد من الزوار الذين لا ينون عن مضايقة الطير والحيوان كل فى قفصه ، وتحفظ من الطير والحيوان ، إذ هو لا يقترب إلا حذراً ، ولا يبتعد إلا متوجساً

وغشيت فى تلك السنة التى ألمت إليها إحدى حدائق أوربا العامة المترامية الأطراف التى يضل فيها السائر من دون خريطة ، وتسعف فيها المركبات من كلت قدماه قلت : غشيت تلك الحديقة ، فإذا الكلفة التى ألفنا أن تكون فى حديقة عامة بين الطليقين من الإنسان والحيوان مرفوعة ، وإذا ألفة معقودة بين المخلوقات تجعل من الحديقة سفينة أخرى لنوح عليه السلام . وقد لفت نظرى عند جزع شجرة أطفال دون العاشرة « وسنجاب » فى أعلى الشجرة ، والسنجاب حيوان خفيف الروح ، تملكه بالإحسان والدعابة ، لكن قبضك الريح كقبضك عليه . وقد ناداه طفل بالاسم الذى آثره به فأحس فى الحال أنه المعنى بالنداء ، فدلف من فرع إلى فرع ، ووقف عند متناول اليد ، فمد إليه الطفل يده بالغذاء غير باغ ، فتناول « السنجاب » حاجته منـه وارتد . وجعلت طفلة تستهويه بشىء جديد ، وتناديه كذلك باسم جديد ، فإذا السنجاب دالف على عادته ، مؤدٍّ مهمته ، والأطفال بين ضاحك وباذل ومتحبب « والسنجاب » فى تلك الأسرة الصغيرة ابنها المدلل العزيز

ولقد خطرت لى فكرة التحدث إلى السنجاب ما دام من سجاحة الخلق بهذا القدر فحاولت أن أختلى بأخ له بعيداً من مجمع الأطفال إذ كنت قد نسيت فنونهم من قديم ، وأنى إلى ذلك لأتحاشى أن يذكرونى بهذه الفنون ؛ فكان أن لقيت سنجاباً فدعوته إلى ناحية فتطلع إلىّ ولم يزد إذ كانت يدى خالية مما يطمع فيـه ، وانطلق ليستروح طيب الشمائل من غيرى

والعصافير فطينة أليفة فى تلك الحديقة تتصيد المارة . وكثير من الناس يطوفون بالحدائق العامة وفى ميزانياتهم رصيد محترم للطير والحيوان . فالحب دائماً على أكفهم لا يبذرونه ، ولكن يقع الطير عليه فيلتقطه غير هياب . وقد لقيت غير بعيد عصفوراً جاثماً على فرع شجرة ، فما إن اقترب منه عابر سبيل باسطاً يده بالنثر اليسير حتى هبط على يده والتقط الحب فى لمح البصر ثم عاود الجثوم ، وعاود المار الكرة وعاودها العصفور ، حتى إذا خرجت يد العابر من هذه المعاودة وهى خالية إذا بالعصفور يميل

يمنة ويسرة ، ويصل بين ذنبه ورأسه . ولا أدرى أكان يبنى بما فعل أن يرد الحسنة بعشرة أمثالها أم كان يبنى المزيد

وجلست فى حديقة للحيوان غشيتها بعد ذلك بأيام على مشرب أستريح . وعلى كثرة أقفاص الحديقة وحظائرها ، والمواطن التى أنشئت فيها على غرار الطبيعة ، ليحس فيها الطير والحيوان أنه فى بيته — كنت أجد الطاووس يخطر فى طرقاتها ومماشيها مع الزوار جنباً إلى جنب أو معترضاً طريقهم ، وكنت ألقى الدجاج الزاهى الألوان البديع الريش يسرح بين الناس فى طلب الرزق . وليس فى هذا ما يستحق الذكر ، لكن حين جلست إلى مائدة المقهى أقبل على الدجاج فى رهطه ومنه طائفة من الديكة الرومية أحاط بى جميعها فى انتظار ما يكون . وكان أن طلبت فنجاناً من القهوة يعيد إلى رأسى بعض ما انتهب التعب ، فأدرك الدجاج أن ليس ما يطلبه عندى فلا فطيراً رأى ولا كعكا ، ولا قراطيس مما يحمل المحسنون ؛ ولم يشأ أن ينصرف مع ذلك عنى فلعله خشى أن أتهمه بالنفعية أو لعله لم يكن قد يئس بعد من كرمى وأنا رجل غريب لا علم لى بتقاليد الحديقة

واستأنفت المطاف فى الحديقة ووقفت أمام حيوان صغير لطيف يشبه النمس ويدى فى جيبى ، فتبعها بنظره شأن الترقب حتى إذا خرجت وألفاها فارغة رمانى بنظرة لم يفتنى ما فيها من ازدراء .

* * *

تعرف الحرية القيود جد المعرفة ، وقد لا تعرف غير القيود؟ فليس ثمة إباحة إلا ولها شرط . وقد كنا إلى عهد قريب نسرف فى تقييد حرية الطير والحيوان فى حديقة الجيزة، ثم احتذت مثال حدائق الحيوان فى الغرب فى كثير ؛ لكنا لا نرى فيها ما رأيت حين تابعت المسير فى الحديقة الأوربية من قطمان الحمير التى لا تعرف الحظائر أو تعرفها ولا تحتاج إليها . ولعل من الخير أن تترك الحمير تسرح فى الحدائق وتمرح على هواها فقد ترتفع من هذا قيمتها ويرتفع سعر ذكائها المشهور ، فهى تحسن جرش السكر فوق ما تجيد من طحن الفول ومضغ التبن وحصد البرسيم، وهى تعرف كيف تعترض سبيلك لتنال بغيتها منك ، وكيف تدفع ظهرك بأشفارها لتلفتك إليها . وقد تسير فى الحديقة فى حاشية طيمة من البرازين تتبعك كظلك إلى حيث تشاء فى داخل الحديقة طبعاً إذا كنت رجلاً كريماً ، وكان السكر بعض ما عندك

والحيوانات جميعاً حبيبة إلىّ ، لأنها على الفطرة ، وفطرتها سليمة لم تتلف على نقيض الإنسان الذى تستنفد فيه المدنية هذا الزخر الطبيعى ، وفصيلة القط أجمل الحيوانات طراً ، لأن لها شخصية قوية ، ولأنها قادرة على النضال ، ولأن كل حركة من حركاتها جذابة فيها ظرف كثير . وهذه الفصيلة بالذات هى التى يخشاها الإنسان لأنه يتوجس منها الشر ولأنها فى يقينه غادرة خائنة وقد لا تكون أغدر من الإنسان ولا أخون ، وهنا نتساءل لماذا نحبو بالعطف غير هذه الفصيلة من طير وحيوان ونأباه على الوحش الذى ينتمى إليها ، والجواب الذى تنتظره منى أيها القارئ غير الجواب الذى أعده لك ، فليس كون هذه الوحوش تفترس فى جوعها سائر المخلوقات هو الذى يحبس عنها عطفنا وإلا فما الذى لا يفعله زعيم المخلوقات الإنسان العاقل النبيل فى جوعه ؟ وإنه ليقال إن الإنسان ليفترس أخاه الإنسان فى مسة الجوع الجنونية حين تجنح به سفينة إلى شاطئ قفر أو تتحطم به فى البحر

إن المرء ليتوجس من الوحش ويتوقع دائماً أذاه لأنه كثيراً ما يغفل من حسابه حساسية الحيوان فى حالات كدره . فقد يقربه بشىء من الملاطفة فلا يجنى إلا عكس ما ينبغى أن تثمر الملاطفة ، وكذلك يفعل الإنسان حين ينحرف مزاجه ويضيق صدره . أفلا يضيق هو أيضاً ذرعاً بالتربيتة على كتفه والمسحة الرقيقة على خده وأحياناً بالكلمة اللينة ؟ فالحيوان والإنسان فى هذا سواء وإن اختلفا فى المظهر وطريقة الأداء أو إن شئت فقل أدب السلوك . فالنمر والأسد والسنور تدهم فى استيائها ملاطفها بعضة دامية ؛ والإنسان يجبه ملاطفه فى فترة كدره بكلمة نابية أو دفعة غير لطيفة سواء فى ذلك الرشيد وغير الرشيد ، وصغار الحيوان والإنسان وحدها هى التى لا تملك فى تلك الحالة أذى لكنها تطيق الملاطفة على مضض . فالغدر والغش والخيانة صفات يشترك فيها الحيوان والإنسان ، غير أنها تصدر من الأول عن ضرورة غالباً ويرتجلها الثانى فى أغلب الأحيان . والطبيعة التى سلحت الوحوش الضارية بأنياب أنفذ من السنان وأحد من الخنجر لا يمكن أن تتطلب منها ما تتطلب من أسنان اللبن ، ولا أن تجمل مهمة الحوافر والأظلاف كمهمة المخالب والأظفار . ولولا أن للثور قرنين ما فكر فى النطح ، ولولا أن للحيــة سماً زعافاً للزمت الأجحار ؛ لكن للمخلوقات جميعاً

— والإنسان على رأسها — أوقات صفاء وفترات كدر ؛ فالنمر الذى يفترس الإنسان وهو يطلب الصيد قد يمسح خده فى كمك ويطيق أن تربت على جلده فى ساعة الرضا . بقى أن تعلم متى يكون راضياً ومتى تكون غمضة عينه ورقدته الساكنة على كدر . وكذلك هـدأة الإنسان كثيراً ما تكون خطراً أى خطر ، وكثيراً ما تنطوى على أسوأ المفاجآت ؛ وهذا على فهمك الإنسان وجهلك الحيوان

* * *

إن القلق الذى يساور بعض أكلة اللحوم غريب مُسَلٍّ ، والغريزة التى تحرك صغارها أعجب وأغرب ، فقد مررت بقط السرفال المستوحش فى حديقة حيوان الجيزة ، فألفيت وجبته من اللحم النئ بين فكيه وهو مقبل مدبر ، يساوره القلق الدائم من مزاحم ينجم له من بطن الأرض ، أو لعله كان يأمل أن يتاح له من القفص مخرج فيفلت بوجبته إلى حيث يأمن الازعاج

وتربض النمرة تتناول مخصصاتها وهى لا تقل عن صـدر ثور ويأبى لها حنان الأم إلا أن تنزل عن ضلع للصغار وهى ثلاثة ذكر وأنثيان فينقض الذكر على الضلع يحاول نهشه فلا يعدو جهده سلوخاً رفيعة ينسرها بشق الأنفس ، وتجتمع عليه أختاه تحاولان صرفه عن هذا الجشع وحب الذات ، فينهرهما ويلطمهما بمخلبه فتبتعدان تمويان . لقد آثر بغريزته هـذا الجهد على الرضاع المهين ، وترك اللبن لأختيه ، وأعمل هو أسنان اللبن فى الضلع وحده بلا شريك

وهناك ظاهرة ملحوظة هى الشبه بين الإنسان والحيوان فى المنطقة الواحدة ، للمناخ وطبيعة الأرض وظروف الحياة أثرها البالغ فى إحداث هـذا الشبه بلا مراء . فقد مررت بالدب الأسود والدب الأبيض فى وقت كان السلام يسود فيه ربوع العالم فلم أفطن إذ ذاك إلى شىء ، ودارت رحى الحرب بين الروسيا وفنلندة ، فإذا بالدبين ماثلان أمامى أفطن هذه المرة إلى ما بينهما من فرق وأعمد إلى المقابلة ، الدب الأسود أو الدب الروسى يحاول أن يعض قضبان القفص فيمض يده ، فيئن ويتأوه ولا يبرح موضعه ، وإنما يدور فى باطنه حول نفسه فى ضجر وبرم شديدين ، لا ينقطع له تأوه ولا أنين . والدب الأبيض أو دب الشمال أنيق ، سامى المظهر ، رشيق الخطو ، يدور فى قفصه فى خطى ثابتة متزنة ، ويلتمس المخرج فى كل مكان ، فإذا عز لم ييأس ولم يحاول أن يقبع نهباً للقنوط كجاره الروسى

كذلك البينغاوات شريكة الإنسان فى البيان والمكان ، تغرى بالمقابلة ، لحظها فى حدائق الحيوان كحظ مناطق الانتداب تستمتع بقسط كبير من الحرية ، وترسف مع ذلك فى القيود

و « البوم » محببة إلى الحكماء تشبههم فى رصانتهم وتحفظهم وتعاليهم واستصغار شأن من عداهم ، والانصراف عن التفكير فى المادة إلى التفكير فيما وراء المادة . وهى كالحكماء لا تلفيها فى مجلسها إلا صامتة ، اثنين اثنين أو ثلاثة ثلاثة ، تطيل التأمل والنظر

* * *

هذا قليل من كثير مما يعرض للمرء من أمور الحيوان . وقد نكون تناولناه فى شىء كثير من العجلة وقليل من التعمق ، والأناة والغوص من صفات العلماء ، ولسنا فى هذه العجالة منهم

محمود الدسوقى



مصطلح التاريخ

تفضل الصديق الكبير الدكتور أسد رستم أستاذ التاريخ في جامعة بيروت الأميركية فأهدى إلى كتابه الجديد « مصطلح التاريخ » (الثودولوجية) ، وهو أول كتاب في موضوعه في اللغة العربية ، وقد نحا فيه المؤلف إلى تطبيق هذا العلم الجديد على قواعد « مصطلح الحديث » واستعمال طرائقه ، فكان هذا الكتاب تلخيصاً وافياً لمصطلح المحدثين ، فضلاً عن أنه ينقل إلى العربية علماً جديداً ، وكان عمله فيه سنة حسنة يكون من نتائجها وصل نهضتنا الجديدة بنهضة أجدادنا ، وإقامة بنائنا الحاضر على أساس متين مما بنوا ؛ وقد بحث فيه المؤلف في التقميش (أي جمع الأصول) والعلوم الموصلة (ويعني بها وسائل المؤرخ) ونقد الأصول (وهو باب طويل يشتمل على فصول) وتنظيم العمل ، وتفسير النص ، ثم بحث في العدالة والضبط ، وتكلم بإسهاب عن سبق علماء الحديث في هذا المضمار ، وإثبات الحقائق المفردة ، والربط والتأليف ، والاجتهاد ، والتعليل والإيضاح ، والعرض .

وأنا مع إدراكي جلالة هذا البحث من الناحية العلمية الخالصة ومن الناحية التوجيهية ، وفضله في نشر « مصطلح الحديث » ، وبيان ما وفق إليه رجاله — لا أستطيع أن أنقد الكتاب أو أحكم عليه ، لأني لست من رجال هـذا الفن ؛ وأنا أشكر لصديقي الدكتور رستم هديته ، وآمل أن يتولى بعض زملائه (أساتذة التاريخ في جامعة القاهرة) الكلام على هذا الكتاب في الرسالة وأن يسارع إلى اقتنائه المشتغلون بالتاريخ

علي الطنطاوي

١ — لجنة لفهرسة المخطوطات في المكتبة الظاهرية

عقد في دار الكتب الظاهرية بدمشق اجتماع حضره بعض أعضاء المجمع العلمي العربي ، ورئيس المطبوعات الفرنسية وبعض حملة الشهادات الأجنبية ، لتلخيص المخطوطات الثمينة العربية التي ترقد تحت الغبار فوق قبر الملك الظاهر . وقد حضر الاجتماع الأستاذ أنور افندي حاتم الدكتور في الآداب الفرنسية ، لاطلاعه الواسع على المخطوطات العربية ، كما حضرته الآنسة فلك طرزي ، والأستاذ يوسف افندي العش حامل أجازة صف الكتب وتنظيمها من باريس . فنرجو لهذه اللجنة التوفيق الباهر لما سيبذله أعضاؤها الأعلام من خدمات

٢ — أصحاب العاهات ونوادرهم

تقوم نخبة من الأساتذة الأدباء بجمع أخبار أصحاب العاهات ونكاتهم . وقد توفر لديها قسم كبير منها . على أنها لم تعثر إلا على القليل من أخبار العوران ومُلحهم . فمن كان لديه شيء منها فليتفضل بنشره أو بالإشارة إليه على صفحات الرسالة ، أو بإرساله إليّ وله الشكر الجزيل .

(دمشق) صلاح الدين المنجد

برنارد شو بعد بلوغه الثانية والثمانين

كتبت بعض الصحف الإنجليزية أن جورج برنارد شو اعتزل كتابة المسرحيات بعد بلوغه الثانية والثمانين من عمره فكذب هو هذه الإشاعة وكتب يقول :

« إنني سكير مدمن من أسرة مدمنة ، ولكن بينما أسرتي قد فتنت بالكحول فإني ترديت في شيء أردأ من جنون السكر هو جنون العمل

إني لأشعر بتعس لا حد له إذا انقطع عملي . إني لأحس بصداع خفي بعد سكرة كل شهر ، وقد عاهدت نفسي على تحريرها منه وقررت بيني وبينها ألا أشتغل بعد الغداء ، وأن أشتغل ساعتين فقط في اليوم ؛ ولكن هذا كان عبثاً فكل يوم جديد يأتي بإغراء جديد وشهوة جديدة ؛ وفي كل مرة يشتد بي الشوق ويستأثر بي الحنين ؛ وأنا أفزع من البطالة أكثر مما أفزع من أي شيء في العالم ... »

الامبراطورية العربية

نشر أحد الكتاب الأوربيين سلسلة مقالات في إحدى الصحف الأمريكية عن « الامبراطورية العربية » و « حلم العرب الأكبر » خلاصتها أن الناطقين بالضاد يحلمون بتأسيس امبراطورية عربية عظيمة تضم شمل العرب وتجعل منهم امبراطورية

كبيرة تواجه العالم الغربي مواجهة الند للند

وقد نشر الكتاب قائمة بأسماء هذه الأمم وعدد سكانها ننشرها فيما يلي ، ونلاحظ أن بعض الأرقام الخاصة بعدد السكان أقل من العدد الحقيقي ، ويرجع ذلك إلى أنها مأخوذة من إحصاءات قديمة :

الأمــة	عدد السكان
مراكش الفرنسية	٦٫٠٠٠٫٠٠٠
مراكش الإسبانية	٨٠٠٫٠٠٠
الجزائر	٧٫٥٠٠٫٠٠٠
تونس	٢٫٥٠٠٫٠٠٠
ليبيا	٧٥٠٫٠٠٠
مصر	١٥٫٠٠٠٫٠٠٠
الحجاز ونجد	٥٫٠٠٠٫٠٠٠
العراق	٣٫٥٠٠٫٠٠٠
اليمن	٦٫٥٠٠٫٠٠٠
سوريا	٣٫٠٠٠٫٠٠٠
لبنان	٩٠٠٫٠٠٠
فلسطين	١٫٥٠٠٫٠٠٠
شرق الأردن	٣٠٠٫٠٠٠
الكويت	٥٠٫٠٠٠
جزائر البحرين	١٢٠٫٠٠٠
قطر	١٥٠٫٠٠٠
عمان	٥٠٠٫٠٠٠
عدن وحضرموت	٥٠٠٫٠٠٠
المجمـوع	٥٤٫٦٠٧٫٠٠٠

مؤلف كتاب المقنع

تفضل الصديق الكريم الأستاذ الشيخ محمد أحمد دهمان فقدّم لي نسخة من كتاب المقنع في مرسوم كلمات القرآن الذي نشره بعد أن صححه وعلق عليه وحققه حسب عادته في جميع ما ينشر من كتب ، ومؤلف الكتاب هو الإمام أبو عمرو عثمان ابن سعيد الداني المتوفى سنة ٤٤٤ هـ وألحق به رسالة في النقط والتشكيل تتمة للكتاب للمؤلف نفسه . ولقد كنت أطالع أمس فصلاً في كتاب « ألف باء » للامام يوسف بن محمد البلوي فرأيته يذكر كتاب المقنع ويعزوه إلى الإمام أبي عمرو المقرى وينقل عن الكتاب فصلاً في نقط المصاحف هو نفس الفصل الموجود في كتاب الداني ، فكان ذلك باعثاً لي على الشك في اسم المؤلف . فأنا أشكر للصديق الكريم هديته ، وأرجو منه إيضاح هذه الناحية وله مزيد الشكر

(دمشق) ناجي الطنطاوي

الجمعية الملكية للدراسات التاريخية

أقر مجلس الوزراء المرسوم الخاص بإنشاء الجمعية الملكية للدراسات التاريخية ، وهو مكون من عشرين مادة تتلخص فيما يلي :

تنشأ بمدينة القاهرة جمعية تاريخية تسمى « الجمعية الملكية للدراسات التاريخية » ويكون غرضها تنظيم الدراسات المتعلقة بالتاريخ وتشجيعها ، وخاصة التاريخ المصري من نواحيه المختلفة ولتحقيق أغراض الجمعية :

١ — تقوم بجمع الأوراق والمذكرات الرسمية وغير الرسمية الخاصة بالتاريخ المصري في مصر والخارج وتنسيقها ووضع فهرس عام للمؤلفات والمطبوعات ذات الاتصال بتاريخ مصر ، وعمل مصورات لمصر في عهودها المختلفة ومعجمات تاريخية للمدن والآثار والوقائع الحربية والرجال الذين امتازوا في مختلف نواحي الحياة المصرية

٢ — تنشر مؤلفات وأبحاثاً في الأغراض السابقة وتصدر مجلة دولية تتضمن مباحثها ونواحي نشاطها

٣ — تبذل المساعدات المادية لتشجيع البحث التاريخي والرحلات المتعلقة بالدراسات التاريخية

٤ — تنظم في مصر مؤتمرات ومعارض ، وتشترك في مثل هذه المؤتمرات والمعارض في الخارج

٥ — تنظم محاضرات ومناقشات في موضوعات تاريخية

عبد الله بن المبارك في كتاب « فجر الإسلام »

جاء في كتاب فجر الإسلام ص ٢٦٠ في صدد الكلام عن الوضاعين في الحديث : « وبعضهم كان سليم النية يجمع كل ما أتاه على أنه صحيح وهو في ذاته صادق فيحدث بكل ما سمع فيأخذه الناس عنه مخدوعين بصدقه كالذي قيل في عبد الله بن المبارك ؛ فقد قيل :

إنه ثقة صدوق اللسان ، ولكنه يأخذ عمن أقبل وأدبر » وجاء في هامش الكتاب أن هذا القول في عبد الله بن المبارك وارد في صحيح مسلم

وهنا أخطأ المؤلف في موضعين ، الأول : أن الوضّاع في الحديث هو من ينسب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم قولاً لم يقله ، أما سليم النية الذي يجمع كل ما أتاه على أنه صحيح وهو في ذاته صادق ، فهذا رجل ذو غفلة لا يدخل تحت الوضاعين بحال من الأحوال ، فحشره بينهم كما صنع الأستاذ أحمد أمين خطأ بيّن

الثاني : أنه جعل عبد الله بن المبارك من المحدثين ذوي الغفلة الذين يحدثون بكل ما سمعوه من غير تمييز بين الصحيح والموضوع والغث والسمين ؛ واستدل لذلك بالعبارة التي نقلها عن مسلم . وعبد الله بن المبارك من أوائل المحدثين الذين عنوا بنقد الرجال ولم يرووا إلا عن الثقات من الشيوخ ، وفي مقدمة صحيح مسلم أمثلة متعددة لعنايته بالنقد وبلائه الحسن فيه . وفي تذكرة الحفاظ للذهبي : « عن ابراهيم بن اسحق قال سمعت ابن المبارك يقول : حملت عن أربعة آلاف شيخ فرويت عن ألف منهم » ، فرجل يسقط من شيوخه ثلاثة أرباعهم لا يروى عنهم لا يصح أن يقال فيه إنه يجمع كل ما أتاه على أنه صحيح . ومن هنا أجمع الأئمة ونقاد الحديث على إمامته وجلالة قدره ، يعلم ذلك من يرجع إلى كتب الرجال . أما العبارة التي نقلها عن مسلم فهي محرفة تحريفاً شنيعاً وأصلها كما في جميع النسخ المطبوعة من صحيح مسلم : « حدثني قهزاذ قال : سمعت وهباً يقول عن سفيان عن ابن المبارك قال : « بقية » صدوق اللسان ولكنه يأخذ عمن أقبل وأدبر » فالكلام عن بقية وهو بقية بن الوليد المحدث الحمصي المشهور ، والمتكلِّم عنه هو عبد الله بن المبارك . وبقية هذا مشهور بما ذكره عنه ابن المبارك ، ففي مسلم بعد هذه العبارة بقليل « عن أبي إسحق الفزاز » : اكتب عن بقية ما روى عن المعروفين ولا تكتب عنه ما روى عن غير المعروفين . ونقل الذهبي عن ابن المبارك نفسه أنه كان يقول في بقية : إنه يدلس عن قوم ضعفاء ويروي عمن دب ودرج . فانظر بعد ذلك هل الأستاذ أحمد أمين قرأ عبارة مسلم بنفسه فأخطأ في فهمها ونقلها وبنى عليها هـذا الرأي الخاطئ في رجل كعبد الله بن المبارك ؟ أم هنالك شيء آخر ؟ !

مصطفى حسني السباعي

ذكرى سيد العاشقين

نشرت إحدى المجلات الأسبوعية المصورة فصلاً عنوانه : « ضريح سلطان العاشقين » قالت فيه ما خلاصته :

لعل الكثير من المصريين — إن لم نقل كلهم — لا يعلم أن ضريح الشاعر العظيم عمر بن الفارض موجود في جبل المقطم بالقاهرة قريباً من جامع الجيوشي المعروف في هذا المكان

وذكرت المجلة أن مندوباً لها ذهب إلى هناك فعلم أن المرحومة الأميرة جميلة اسماعيل أرادت قبل وفاتها أن تبني لها ضريحاً فوق الجبل ، ولما اختارت المكان لذلك ، وجدت أن ضريح ابن الفارض مجاور لهذا المكان ، فأمرت بتجديده وتشييده ، حتى صار عنواناً على الروعة والجلال !

ومن الطريف أن جميع الذين يزورون هذا الضريح من العاشقين المحترقين بنيران الصبابة ، وهناك يشكون إلى إمامهم ما يلقونه في سبيل الحب والهيام ، ويرددون ما يحفظون من أشعاره ويكتبونها على جدران الضريح ، ويوقعون ذلك بأسمائهم الصريحة

ولا ينسى بعض المستشرقين الهابطين القاهرة أن يزوروا الضريح وينشئوا عنه الأحاديث ، ويأخذوا له مختلف الصور ...

وقد رجت المجلة في نهاية المقال « أن يعنى الأدباء والموسيقيون بالعمل على إحياء ذكرى ذلك الشاعر المتصوف »

فيا ترى ، هل تجاب هذه الدعوة الطيبة ، وهل يعمل أدباؤنا وموسيقيونا على تحقيقها ، فيقضون الواجب عليهم نحو هذا الشاعر الذي خلق أناشيد الغرام ، وأنغام العشق والصبابة ؟

لقد أحببت الإشارة إلى هذا الموضوع في مجلة « الرسالة » الغراء لأنها مجلة الآداب والفنون ، وهي أسير من غيرها بين أهل الفن والأدب . قد يقال إن الحرب تلفتنا عن الاهتمام بمسائل الأدب وشئون الروح والفن ، ولكن الواجب أن يعنى بهذه المسائل في مثل تلك الظروف وأمام تلك القلقلات العالمية لنلفت الناس ولو بعض اللفت عن أحاديث المدفع وأخبار القنبلة والطيارة ، وقد ذكر أستاذي الدكتور زكي مبارك أنه كثيراً ما احتفل بذكرى الكتاب والأدباء في ميادين القتال نفسها ...!

فيا ترى ... هل نشهد عناية من أهل الأدب ورجال الوفاء بهذا الشاعر العاشق المتصوف ؟ وهل نراهم يخصون ضريحه — بعد أن عرفوه — بالزيارة والحديث ؟ !

أحمد جمعة الشرباصي



حلم ساعة

للأستاذ نجيب محفوظ

من عجيب الأمور أننا قد نحيا حياة سعيدة نخالها طويلة فى حلم قصير الأجل . وما تمتم أن تطرق اليقظة مغلق الأجفان ، فينتقل النائم من عالم الأحلام المخدرة إلى دنيا حقائق شديدة الجفاء ، وما يجد يده قابضة إلا على هواء . على هذا المثال مضى ذلك اليوم من حياته ، كان يوماً أو بعض يوم، ولكن قلبه ذاق فيه سعادة وغبطة ، وحلق فى آفاق بعيدة من أحلام المنى ، وخفق خفقة فرح سماوى جاز به عالم الزمان والمكان. ثم أدركته يقظة منكرة اغتصبته من عالمه الحنون السعيد ، على نحو بالغ فى القسوة والوحشية ... كيف كان ذلك ؟ ! ...

كان اليوم السعيد يوم الخميس ، وكان الأستاذ بهاء الدين علما عائداً من سماع محاضرة علمية فى الجمعية الجغرافية الملكية عن الغدد الصماء ؛ وكان يسير فى ميدان الاسماعيلية متفكراً فى تلك الأدوات الإنسانية العجيبة المسيطرة على الفرد أيما تسيطر ، وكيف يزعم العلماء أنهم بالتحكم فى إفرازاتها يستطيعون أن يحولوا الطيب إلى شرير ، والشرير إلى طيب ، والشاعر إلى رياضى ، والرياضى إلى شاعر . وكيف يفسرون أخيلة جيتة وأحلام شيلى بعصاراتها المتدفقة فى الدم ؟ ... وكان رأسه لا يكاد يخلو من أمثال هذه الأفكار ، فهى مادة عمله ومادة حياته معاً . وفى الواقع يندر أن تجد بين الشباب المعيدين بكلية العلوم من يناظر الأستاذ بهاء الدين فى حبه العلم وحرصه على تحصيله

وكأنما أرهقه القعود والسكون — فى أثناء إلقاء المحاضرة — فأحس بارتياح إلى المشى واعتزم السير على قدميه إلى شارع فؤاد الأول ، واتجه إلى شارع قصر النيل فى خطى وئيدة يدخن لفافة من التبغ ويجتر أفكاره وتأملاته فى لذة ويسر ، وصادف بلوغه مدخل المكتبة الفرنسية بروز فتاة منها تندفع فيما يشبه العدو، فتوقف بحذر ووجل وتراجع خطوة على عجل، وتوقفت مثله وتراجعت ، والتفت نحوها فرآها ترمقه بنظرة ارتباك واعتذار ثم مضت فى سبيلها حتى إذا ما حاذته عطفت رأسها إليه بغتة وقد بدا على وجهها التساؤل والحيرة وكأنها تحاول تذكره ولا تدرى كيف ، ثم أدركت ما فى نظرها إليه هكذا من الغرابة ، فأدارت رأسها عنه وما روت غلة ، وقصدت إلى سيارة تنتظر إلى جانب الطريق، فأدرك من أول وهلة أن صورته اشتبهت عليها وعلت لذلك فمه ابتسامة ، وأراد أن يستوثق من رأيه فألقى بنظرة إلى السيارة — وكان جاوزها بأمتار — فرآها تتابعه بنظرتها تعلو وجهها آى الحيرة والغرابة . فغمرته موجة انفعال مضطرب لذيذ وتعثر بأذيال الارتباك والحيرة . ثم تحركت السيارة مندفعة فى الاتجاه الذى يسير فيه وما تزال صاحبتها ترنو إليه خلل زجاج النافذة بنظرة تحير بماذا يصفها ... ودية ! حنون ؟ ... حتى باعدت بينهما المسافة ...

وعجب الأستاذ أيما عجب ، على أن عجبه كان شيئاً يسيراً إلى ما أحس به ساعتئذ من ثورة الوجدان ، وكانت الفتاة شابة حسناء مدمجة الخلق ، مرتوية الساقين ، فاتنة القسمات ، يزين وجهها عينان زرقاوان لنظرتهما وقع السحر فى الحواس والقلب والأعصاب . فانبعث فى قلبه خفقان واضطراب ، وشعر بنشوة رائعة ، ثم لسعته حسرة أليمة ، حسرة محروم طال عهده بالحرمان وكانت حياته فى الواقع خالية من الحب مثل كهف رطب لا تزوره الشمس ، لأن تفانيه فى طلب العلم لم يدع له وقتاً لشىء سواه ، ولعيبين طبيعيين كبرا فى وهمه واشتدا على نفسه ، إذ كان يترامى إلى أذنيه أنه ثقيل الظل ، وكان إلى هذا عيياً حصوراً لا يكاد يبين، فلم يكن فى وسعه قط أن يحسن خطاب فتاة فضلاً عن أن ينازلها . ودعاه هذا وذاك إلى النفور من الحسان . وإلى ما يشبه الخوف منهن . وحز لذلك الألم فى نفسه وسكب فى قلبه امتعاضاً ومرارة ، فتبدى عليه الجفاء والوحشة ، واضطرب عهداً طويلاً يائساً بين الرغبة فى الحب والخوف من المرأة ، والتشوف إلى النساء والحقد عليهن . فكانت تلك النظرة الحلوة أول نسمة تهب عليه من دنيا الوجدان فترتوى بها نفسه الظمآنة ويندى بها قلبه الجاف ولكنه ارتواء كالظمأ ونَدى أشد حرقة من الجفاف . فتحير

وتعجب وتساءل وهو يقلب كفيه: ترى ما خطب هذه الفتاة ؟...
وما معنى هذه النظرة الفاتنة التى أذابت الوجد والهيام والحنو المتجمدة فى قرارة نفسه ؟ ... إنه لا يعرفها على وجه اليقين ولا يذكر أنه رآها من قبل ، وهى بغير ريب لا تعرفه أيضاً ، فلا هى قريبة ولا جارة ولا طالبة بكلية العلوم ، ولعله التبس عليها شبهه ، ولكن كيف طال بها الشك تلك المدة السعيدة التى أدامت فيها النظر إليه ؟! ... ومضى يتفكر تنقله الحيرة من فرض إلى فرض وقد انشغل عن العدد والكيمياء جميعاً ...

وكان فى عزمه أول الأمر أن يعود إلى بيته فيستمع إلى المذياع ساعة ويطالع ساعة قبل النوم . ولكن عافت نفسه ذلك ومضى يضرب فى الأرض على غير هدى تاركا محرك خياله للخواطر السعيدة والأحلام اللذيذة والأوهام المخدرة حتى أعياه التعب وتعناه المشى ؛ وكان سرى عنه بعض الشىء وأخذ يفيق من أثر النظرة، فاتجه إلى قهوة روجينا وجالس بعض صحبه حتى شارفت الساعة التاسعة . ثم خطر له أن يقضى سهرة المساء فى سينما رويال ـ وكان قليلاً ما يجذبه مزاجه إلى ذلك ـ فسار بلا تردد إلى السينما وابتاع التذكرة . وكان يكره الانتظار جالساً فدلف إلى الصور الملقة بالردهة الخارجية وقلب فيها عينيه ، ثم أولاها ظهره ملالاً وأرسل بناظريه إلى مدخل السينما يشاهد جمهور الداخلين . فرأى سيارة فخمة تقف أمام مدخل السينما، وفتح بابها ونزلت منها سيدة بدينة بادية النعمة والثراء تبعتها على الأثر فتاة حسناء انخلع لرؤيتها قلبه فى صدره وأحس بفرح عجيب تمازجه دهشة، فلم تتحول عنها عيناه. وفاته فى ذهوله أن يرى ضابط بوليس شاب يبرز من الباب الثانى للسيارة ويدور حولها بسرعة ويلحق بالسيدة والفتاة . وانعطف رأس الفتاة إليه — وكانت فتاته دون سواها — كأنما جذبتها قوة بصره المشوق فالتقت عيناهما ، ولاح على محياها الجميل الاهتمام والدهشة ورقت نظرتها بالحنان الذى حيره وفتنه منذ حين . فتبعهما فى خطى مضطربة ملبياً نداء قوة عاتية . وصعدت الفتاة مع الصاعدين إلى الطابق الثانى فوقف فى الردهة يتابعها بعينيه . ورآها قبل أن يغيبها عن ناظريه منعطف السلم تلقى عليه نظرة أخرى ... يالها من نظرة ... فاستخفه طرب جنونى عذب لا يتأتى لغير الموسيقى وصفه . واندفع إلى الداخل لا يلوى على شىء ، فلما اطمأن به مقعده مضى يصعد نظره فى (الألواج والبناوير) باحثاً عن الوجه الحبيب ذى النظرة الفاتنة الحنون. حتى وجد ضالته فى (البنوار) رقم (٣) ، وكانت تتقدم السيدة بقامتها الهيفاء . والتقت نظرتها بوجهه هذه المرة أيضاً ، وكأنها كانت تتوقع أن تجده مجداً فى العثور عليها فارتسم على شفتيها القرمزيتين شبه ابتسامة أضاء لها وجهها بنور بهى . وجلست وهى ترنو إليه بعينيها فبدت وهى تنحنى قليلاً وكأنها تحنو عليه . وأنقذه من سعادته ، التى لا تحتمل ، انطفاء الأنوار وانهماك الشاشة فى عرض أخبار الدنيا ... كان قلقاً مجنوناً إلى غير حد ، فرحاً سعيداً بغير حساب ، يشعر برغبة عنيفة لا يدرى ما كنهها إلى القتال أو الرقص أو الصياح أو البكاء ، وتندت أهدابه بدمعة أحس بتفجرها من أضلعه . كان بمعنى آخر عاشقاً يتلقى قلبه لأول مرة أمواج الحب الكهربائية الغامضة غموض الأثير . وأغمض عينيه فى الظلام وهو يتنهد فى ارتياح وغبطة مستسلماً للذة الأحلام . وتساءل فى استسلامه السعيد : ترى ما الذى ساقه هذا المساء إلى السينما ولم يكن أعد نفسه لذاك ؟ ... إن كل شىء يبدو وكأنه يؤكد أن القدر يرسم خطة رائعة بدأها فى شارع قصر النيل ومازال ينسج فصولها فى سينما رويال . نعم إنه لم يرها عبثاً، ولم تلتق عيناهما مصادفة ؛ كلا، ولم يأت إلى السينما اتفاقاً . ولكن الحب يخلق الحوادث والظروف ، وإلا فما معنى هذه هذه الحلقة المتقنة ؟ ! وما معنى هذه النظرة الحنون المذيبة التى دل تكرارها على أنها مقصودة؟! أليس هذا الذى يسمونه الحب من أول نظرة؟ ... بلى، هو هو... ويشهد عليه قلبه ومشاعره ونظرتها الفتانة النافذة التى لن يمحى أثرها من نفسه . كيف حدث هذا ... هل كان القدر فى قسوته عليه وازوراره عنه يدخر له هذه المفاجأة السعيدة وهو لا يدرى ؟ .. وهل وُجدت أخيراً من لا تستثقل ظله كما يستثقله كثير من الناس ... ومن تعرف نفسه بالنظرة الملهمة لا بتغرير الألفاظ وسحر البيان ؟ ... كم سخط على الدنيا ظلماً ؛ وكم أدان القدر جهلاً ... والساعة الساعة ينتهى الجفاء وتتبدد الوحشة ، وينـدى قلبه المحروم ويرطب قلبه اليابس . وفكر الأستاذ بهاء الدين مع ذلك فى أمور غاية فى الأهمية والجد تناولت حاضره ومستقبله ، ولم يفته أن يحسب حساب الوسيلة إلى التعرف والخطبة، ولا فاته — فى تلك الساعة — أن يقدر المهر ويحدد تاريخاً للزواج السعيد ...

ولم يحس بالوقت كالسعداء. وجعل يتأمل بعين مخيلته الوجه النضير والنظرة النافذة إلى القلوب، مستسلماً للأحلام استسلام الحران إلى برد النسيم حتى ظن أن أشهى الأماني دانية لا تكلفه إلا أن يمد يده فيقطفها في يسر واطمئنان

وانتهت الشاشة من عرض فصولها الأولى، وأضيئت الأنوار، ففتح عينيه وكأنه يصحو من نوم سعيد. وصعد رأسه إلى (البنوار) رقم ٣، فرأى فتاته في أجمل صورة ترمقه بنظرتها الفاتنة كأنما كانت تنتظر انقشاع الظلمة مثله، ورآها تميل برأسها نحو السيدة البدينة — التي تدل الظواهر على أنها أمها — وتهمس في أذنها، ثم شاهد السيدة تنظر إلى أسفل باحثة بعينيها حتى استقرتا عليه... فارتبك وتعجب وتساءل ترى لماذا تدل أمها عليه؟... على أن عجبه ازداد إلى غير حد، لأنه رآها تعطف رأسها إلى الوراء وتحادث شخصاً لا يرى سوى أعلى طربوشه. ومال هذا الشخص إلى الأمام ونظر صوبه وكان ضابط البوليس. فلم يستطع أن يديم النظر إلى أعلى وأدار رأسه إلى الأمام. ولكنه تذكر هذا الضابط، وذكر أنه كان من زملاء فرقته في الخديوية، وأنه يدعى على سالم، وأنه كان مبرزاً في الألعاب الرياضية، وظن أنه أخو الفتاة، ولكنه تحير في فهم الدواعي التي بعثتها إلى توجيه الانتباه إليه بكل جسارة، وفيما عسى أن تكون حدثتهما به عنه... وغلبه الشوق وحب الاستطلاع فرفع بصره إلى (البنوار) مرة أخرى فرأى الوجوه الثلاثة محدقة فيه. وخيل إليه أن زميله القديم يحييه، فلم يصدق بصره وظل جامداً لا يتحرك، فأعاد الضابط تحيته برفع يده إلى رأسه ورد عليه الأستاذ التحية مرتبكا، وشاهده يدعوه أن يصعد إليه، فخفق قلبه خفقة عنيفة وقام واقفاً وقد لفته الدهشة والارتباك، وغادر المكان في ذهول شديد، وصعد السلم والتقى بصاحبه عند مدخل (البنوار) واستقبله هذا استقبالاً ودياً وشد على يده بحرارة — ولعله فعل ذلك ليطرد عنه الدهشة والارتباك — ثم أوسع له وهو يقول هامساً: «تعال أقدمك إلى أهلي» ووجد نفسه في البنوار أمام السيدة والفتاة الجميلة. وقال الضابط يقدمها له وهو يشير بيده:

«حرم الأميرالاي محمد جبر بك. الآنسة زينب كريمتها وخطيبتي»

ثم التفت إليه وقدمه لهما مكتفياً بذكر اسمه وزمالته القديمة لأنه كان يجهل حاضره. ودوت كلمة «خطيبتي» في أذنيه دوياً مزعجاً أطفأ نشوة الفرح في حواسه جميعاً وسكب مكانها خيبة مرة، فجلس كما طلب إليه ذاهلاً مرتبكاً قانطاً عاجزاً العجز كله عن حصر انتباهه فيما حوله، وكانت السيدة ترحب به وتشارك الضابط في التودد إليه ومجاملته ولكنه لم يدر مما قالا شيئاً، واكتفى بانتزاع ابتسامة مغتصبة من شفتيه يرد بها عليهم رداً صامتاً كئيباً. وكان يتخبط في حيرة عمياء، لا يدرى لماذا دلت الفتاة عليه، ولا كيف دعاه زميله، ولا لأى سبب عرفه بهما وعرفهما به... ولاحت منه نظرة إلى الفتاة، فوجدها تبسم إليه ابتسامة حزينة، فشعر بامتعاض، ووجه عينيه إلى أمها كأنما يفر منها فراراً، فرأى المرأة ترنو إليه بعينين مغرورقتين بالدمع، فازدادت دهشته وبدا عليه الانزعاج، والتفت إلى صاحبه متسائلاً متحيراً. ودق الجرس في تلك اللحظة منذراً بإطفاء الأنوار، فقام الشاب واقفاً وأحنى رأسه محيّياً، ودعته السيدة إلى زيارة البيت، فوعدها قائلاً: «إن شاء الله» وهو لا يعني ما يقول. وغادر (البنوار) ولحق به صاحبه، وكان يدرك ما يقوم بنفسه من الدهشة والانزعاج، فقال له وهو يشد على يده مودعاً:

«إني آسف جداً على ما أحدثته دعوتي لك من الارتباك والانزعاج، وحقيقة المسألة أنك تشبه شبهاً عجيباً ابناً شاباً فقدته هذه الأسرة منذ عامين. ولعل هذا يفسر لك كل شيء أيها الصديق... ...»

وهبط السلم في خطى بطيئة جداً. وكان يتوقف كل درجتين ويتأمل فيما أمامه بعينين لا تريان شيئاً، وعلت شفتيه الشاحبتين ابتسامة هازئة مريرة وقد بدا له كل شيء كريهاً كئيباً تعافه النفس... ...

نجيب محفوظ

نهاية التنكر

بقلم استيفن ليكوك

ترجمة الأستاذ عبد اللطيف النشار

كان رئيس البوليس السرى جالساً إلى مكتبه ، وأمامه وجوه مستعارة وشوارب ومناظير مستعارة كذلك مختلفة الأشكال فهو فى أقل من ثانية يستطيع التنكر

ووضع قليلاً من مسحوق أبيض فى كوب من الماء وتجرعه، وفى هذه اللحظة طرق باب حجرته طارق، نخبأ المسحوق فى درج مكتبه ووضع على شفته العليا شارباً أسود ، وأذن للطارق بأن يدخل ، ولكنه لما رآه وتبين أنه سكرتيره أعاد الشارب إلى مكانه وهو يقول :

— أهذا أنت ؟ ماذا لديك من الأخبار ؟

فأجابه سكرتيره :

— عندى مسألة فى نهاية الغموض وفى نهاية الأهمية لعلاقتها بدولة أجنبية ، ويخشى إذا لم يستطع البوليس حلها أن تنشب حرب طاحنة

قال رئيس البوليس السرى :

— وهل تكون المسألة بهذه الدرجة من الأهمية ويعجز بوليس لندن عن حلها ؟ قل لى ، هل تتعلق بالبرلمان أم بالوزارة أم ماذا؟ فأجابه سكرتيره: «هى تتعلق بمن لا نكاد نجرؤ على النطق بأسمائهم ولها مساس بالسياسة الدولية وأخشى أن تحدث بشأنها حرب عالمية »

قال رئيس البوليس : « إذن فأخبرنى بما عندك من التفاصيل »

فأجابه السكرتير : « لقد اختطف البرنس ورتمبرج »

وقف رئيس البوليس السرى منزعجاً وقال : « لقد سمعت كثيراً عن هذا الأمير وأعتقد أنه من أسرة البوربون . إنك محق بلا شك فإن وراء اختطاف الأمراء أمراً شديد الخطورة »

فأخرج السكرتير من جيبه رسالة برقية وقدمها لرئيسه وهو يقول : « هذه رسالة رئيس البوليس فى باريس »

فتناولها وقرأها وهذا نصها : « لقد اختطف البرنس ورتمبرج والأرجح أنه نقل إلى لندن . يجب أن يعاد إلى باريس قبل يوم المعرض . الجائزة ألف جنيه »

قال الرئيس : « لا بد أن يكون المعرض دولياً ولا بد أن يكون لاشتراك البرنس فيه مغزى سياسى، فهم لذلك يختطفونه. أكتب برقية فى الحال إلى باريس طالباً وصفاً دقيقاً للبرنس »

فأحنى السكرتير رأسه وخرج . وفى اللحظة نفسها طرق الباب طارق ولكنه دخل بغير استئذان

ولما التفت رئيس البوليس كان الزائر قد توسط الغرفة . ولما عرفه وقف مذعوراً وقال :

— رئيس الوزارة الإنكليزية ! ما الذى تأمرون به يا صاحب الدولة ؟ أظنكم جئتم من أجل البرنس ورتمبرج ؟

قال رئيس الوزارة : « كيف عرفتم ؟ لقد أتيت من أجل هذا السبب فابحثوا عن الأمير ولكم جائزة غير التى تعرضها فرنسا ولكن أهم من العثور عليه ومن إعادته ألا يمس أحد شعره أو أذنيه فإنه لا فائدة من إعادته إذا قص شعره أو قطعت أذناه »

دارت رأس الشرطى ولم يكد يفهم معنى لهذا التحذير . ولكنه أجاب على وجه التأكيد : « يا صاحب الدولة سيعاد دون أن يمس بسوء »

وهنا طرق الباب ودخل زائر آخر بغير استئذان ، وهو كبير البطن عليه عباءة حمراء ، فاشتد انزعاج رئيس البوليس ووقف وهو يقول : « رئيس أساقفة كونتربرى ! تفضلوا بالجلوس يا صاحب النيافة ... لا بد أن يكون مجيئكم من أجل البرنس ورتمبرج ؟ »

فأشار رئيس الأساقفة على نفسه إشارة الصليب ، ولم يسره كثيراً أن يعرف رجل البوليس السرى الأمر الذى جاء من أجله كأنه من المشتغلين بالسحر . وقال : « نعم لقد جئت من أجله لأن أختى مهتمة أشد الاهتمام بالعثور عليه ، فقد راهنت عليه بعشرة آلاف جنيه . على أن أهم من وجوده فى نظرها ألا يقص شعره ولا تشوه خلقته ولا تزال العلامات الخاصة به ... »

أظهر رئيس البوليس اهتماماً شديداً لما سمع أن الكونتس داسليغ أخت رئيس الأساقفة مهتمة بالبرنس ووعد بأن يبذل كل عنايته . وفى الحال دق الباب مرة ثالثة ودخلت الكونتس فابتدرها رئيس البوليس بقوله : « ... وأنت أيضاً أتيت من أجل البرنس ورتمبرج ؟ »

فقالت : « لقد اختطف هذا الكلب المسكين وأنا مهتمة به أشد الاهتمام »

ارتاع رئيس البوليس من ذكر كلمة «كلب» ولكنه تذكر أنها دوقة تحاول إنقاذ حياة أمير فلا بد أن تكون العلاقة بينهما علاقة حب، وقد يكون من مقتضيات هذه العلاقة فى بعض الأحيان أن تصف المحبة حبيبها بأنه كلب. وقال ليتعرف كنه العلاقة بينهما: «هل أنت محتفلين به كثيراً؟»

قالت بلهجة التعجب: أحفل به؟ إننى ربيته

فغير رئيس البوليس السرى رأيه فى الحال وقام بروعه أنه ابنها وليس حبيبها كما كان يظن. وقالت الكونتس: «وفضلاً عن ذلك فإنى راهنت عليه بمبلغ عشرة آلاف جنيه، ولكن أحذرك من أن يقصوا شعره أو يغيروا شيئاً من صفاته»

كان رئيس البوليس لا يزال فى حيرته من كون هذه الدوقة أماً لأمير من أمراء البوربون، ولكن كل شىء محتمل فى الحياة وأدرك أن المؤامرة لابد أن تكون كبيرة الأهمية لأن فى نجاحها كشفاً لأسرار خطيرة بين الأسر المالكة

وخرج رئيس الوزارة ورئيس الأساقفة وأخته معاً. وبعد لحظات من خروجهم تلقى رئيس البوليس برقية من باريس بصفات الأمير المفقود، فلم تزده هذه البرقية إلا ارتباكا، وفيها أن جسمه طويل وإن شعره أسود كثيف وأن أذنيه طويلتان وأن صوته عميق

قال لسكرتيره: «قل لى بالله كيف يمكن أن نهتدى إليه، وهذه صفاته كلها مبهمة؟»

وقبل أن يجيب السكرتير على سؤال الرئيس وردت برقية من باريس لم تزدها إلا ارتباكا، وفيها أن أهم صفة بارزة للبرنس ورتمبرج أن فى وسط ظهره خصلة بيضاء من الشعر

قال الرئيس: «على كل حال يجب أن نبحث عنه على أساس هذه الصفات، ولا بد أن يكون الأمير شاباً أولاً، لأن الدوقة دعته كلباً، وثانياً لأنها ربته فلنبحث عنه فى مجتمعات الشبان.

وتنكر رئيس البوليس وبدأ بحثه

وفى الأربعة الأيام التالية زار كل مكان فى لندن ودخل كل مشرب وكل مكان عام. وكان فى بعض المشارب يدخل متنكراً فى زى بحار، وفى البعض الآخر يدخل متنكراً فى زى جندى، وفى غيرها يتنكر فى زى قسيس، وفى غيرها يتنكر فى زى أجنبى ولم يعبأ أحد به، ولم تسفر مباحثه عن نتيجة

وألقى القبض على رجلين لاعتقاد أن كلا منهما هو الأمير، ولكن أطلق سراحهما فى الحال لما ثبت من أنهما سواه

واستأنف رئيس البوليس السرى مباحثه وزار بعد منتصف الليل سراً منزل رئيس الوزارة وفحصه غرفة غرفة، وزار بيت رئيس الأساقفة وبيت الدوقة، وهناك وجد ما حل الألغاز التى كانت مستعصية على كل طرق الحل ... وجد صورة معلقة على الحائط، وقد كتب تحتها اسم الأمير ورتمبرج، ولكن الصورة كانت مع الأسف صورة كلب حقيقى، وقد توافرت فيه كل العلامات التى ذكرت فى برقيتى باريس

صاح رئيس البوليس بسكرتيره: إن البرنس ليس إلا كلباً

ثم هرع كلاهما إلى خارج المنزل والسكرتير يقول لرئيسه: «ألم تصرح لنا الدوقة بأنه كلب؟ ... على أن كل الصفات لم تكن لتنطبق إلا على الكلاب ... أليس فى وسط ظهره خصلة من الشعر الأبيض بين شعره الأسود؟ أليس يراد قبل المرض؟ أليس هو موضع المراهنة؟»

وفى اليوم التالى ذهبا إلى الدوقة فوجداها على أشد حالات الانزعاج وقالت: «هل علمتما؟ لقد عرفنا مكانه ووجدناهم قد قصوا شعره وقطعوا أذنيه وغيروا علاماته التى كان ينتظر أن ينال بواسطتها الجائزة الأولى، وقد ضاع المبلغ الكبير الذى راهنت به عليه»

قال رئيس البوليس السرى:

— لا تحزنى يا سيدتى فإنى سأحصل على الجائزة الأولى فأتنكر وفقاً للوصف الذى وصل إلينا فى شكل كلب فأحصل على تلك الجائزة. إننى سأحضر المعرض فأربح الرهان، ومن أمهر منى فى التنكر؟!

وفى الليلة التالية أرسل رئيس البوليس السرى إلى باريس متنكراً فى شكل كلب تنطبق عليه جميع العلامات المميزة للبرنس ورتمبرج

قال كل من فى المعرض: «ما أجمل هذا الكلب وما أذكاه!» وكان الشبه شديد الإحكام بينه وبين الكلب المفقود ونال الجائزة الأولى. ولكن فاته مع الأسف أن يحصل لنفسه على رخصة كلاب من بلدية باريس فلم يكد يخرج من المعرض حتى التقطته عربة الكلاب فأعدم عصر ذلك اليوم

على أن هذه النهاية بالطبع ليست ضرورية فى صلب القصة وإنما هى عرضية يجب أن تذكر على أثر نجاحه فى نيل الجائزة.

عبد اللطيف النشار

﴿ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى — عابدين ﴾

8ème Année No. 368

Lundi - 22 - 7 - 1940

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع البدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٦٨ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٦ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٩ — الموافق ٢٢ يولية سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهـــــرس

بين المهاجرين والأنصار

كان من أثر الفزعة الشديدة التي نالت الناس من الغارات الجوية الإيطاليـة أن لجأ سكان العاصمة والثغور ، إلى القرى والعزب والكفور ، يلتمسون الأمن فى ظل الريف الوريف ، وينشدون الهدوء فى حِضن الطبيعة المشبِل

وكان الطيار الذى يحلق ذات صبح من هذه الأصباح المضطربة ، فى سماء مصر المشرقة المخوفة ، يرى الطرق الرئيسية تسيل بحاملات الأنفس وناقلات المتاع بين القاهرة والإسكندرية والإسماعيلية وبورسعيد ، فلا يجد نوعاً ولا شكلا من عربات النقل أو الركوب التى تسيرها الأحصنة الحيوانية أو الميكانيكية إلا جمع لهذه الهجرة التى لم تر مثلها مصر فى ماضيها الطويل !

هذه سلاسل من عربات النقل تجرها الخيل أو الحمير فتسير على يمين الطريق وئيدة الكرّ تقعقع عجلاتها مخنوقةً فى التراب ، وتجلجل أجراسها خافتة فى الجو من ثقل ما تحمل من الأثاث و (الكرار) والماعون ...

وهذه قوافل من اللوريات المكشوفة والمغطاة موقرةً بالأثاث الفخم والرياش الثمين ، تهتلك دُروجاً فى وسط الطريق الترب فتثير غماماً من الغبار الخانق يحجب وراءها الأشخاص والأشياء إلى مسافة بعيدة

وهذه أرتال السيارات المملوكة أو المأجورة تَشْرَق بمن فيها من النساء والرجال والأطفال ، وهي تنتقل من الوسط إلى الشمال ، لتخطف طريقها من الكمبونات المنيدة

ولدى كل نقطة من (نقط المرور) ، وعلى كل رأس من رءوس الجسور ، طوائف من القرويين والقرويات ، يُلوِّحون بالفواكه والرطبات ، فلا يكاد المهاجرون المفزَّعون يحسونهم ، لتوزع قلوبهم بين أهوال الحرب المتوقعة ، ومخاوف الحياة الجديدة

***

أشرقت القرى العوابس بألوف من ناشئة النعيم المدنى ذوى الوجوه الرقاقة والأطراف الناعمة والطرر المصفوفة والبنائق المفوّفة والطرابيش القانية ؛ وألوف من نابتة المطبخ الحضرى ذوي الوجوه المطهمة واللغاديد الضخمة والبطون الشحيمة والجسوم الرهلة ؛ وازدانت الأكواخ والمصاطب وحواشى البرك وحفاف السكك برواد الكنتننتال والكرسال وسان جمس ؛ واعترى القرى بادئ الأمر من التزايل والازوراء ما يعترى القروية إذا رأت أحد الأفندية على حين فجأة . ثم أدرك القرويون أنهم ملاذ هؤلاء الضيوف فاستشمروا قليلاً من الجرأة ، فخالطوهم وباسطوهم حتى ارتفعت الكلفة بين أهل المهجر وأصحاب الدار ، وأصبح بينهم من التعاون والألفة ما كان بين المهاجرين والأنصار

وفى سقيفة من شجر الصفصاف وحطب القطن ، بين تل من تلال السماد الطرى ، ومستنقع من آسن الماء الوَحِل ، جلس ذات يوم جماعة من المهاجرين بعد شهر من الهجرة وقد حف من حولهم رجال القرية بين مضطجع فوق الحصا ، ومحتبٍ بحضيض التل ، ومستند إلى جذع الشجرة . وكان كل رجل من هذه الجماعة قد نال من جسمه الشحوب ، وشاع فى نفسه السأم ، وانتشر على جبينه الأبلج حَبَر البراغيث والبعوض ، فهو يتكلم من غير شهوة للكلام ، ويجيب من غير تفكير فى الجواب ، ثم يذهل ذهول شارب الأفيون فلا كلمة ولا حركة .
ولكن الشيخ السنطاوى ، وهو رجل أزهرى الثقافة سليط اللسان جرىء القلب ، أراد أن يشفى صدور الفلاحين من هؤلاء المترفين الذين سلبوهم نعمة الله وراحة الدنيا وحق الحياة ؛ فقال فى خبثه المعهود يسأل أحدهم وهو من الملاك الغلاظ المتأبهين :

— لعلك سعيد يا بك بجمال الطبيعة وبهجة الحقول وصفاء الهواء وهدوء القرية !

ولم يكد الشيخ يتم جملته حتى تحرك ساكن القوم ، ثم جاشت حركتهم حتى فارت على ألسنتهم خليطاً من الكلام فيه الضجر والسخر والملام والسب ، قالوا :

— أين الجمال وهذه المزابل والزرائب والخرائب والبرك تقذى الأعين ؟ وأين البهجة وهذه الأجسام الضاوية والثياب البالية والمساكن التى فى بطنها الوحل وعلى ظهرها الروث تقبض الأنفس ؟ وأين الصفاء وهذه الدور المنتنة والأزقة القذرة والمراحيض المكظومة تسم الأبدان ؟ وأين الهدوء وطنين البعوض والذباب ، ومجاوب الكلاب والذئاب ، ونقيق الضفادع ، ونهيق الحمير ، وصراخ الأطفال ، تؤلف جوقة من الموسيقى الشيطانية تحطم الأعصاب ؟

إن القرية الأوربية خميلة من خمائل الفردوس فيها متعة الحس والعقل والجسم ؛ وكان الظن بالقرية المصرية أن تكون قريبة الشبه بتلك . فلما رأيناها أنكرنا أن يكون سكانها من الناس ، لأنهم يأكلون ما تعافه الكلاب فى المدن ، ويشربون ما لا يجوز أن تغسل به الأقدام فى المدن ، ويعانون من مختلف الأمراض فى القرية الواحدة ، ما لا يجتمع مثله إلا فى المستشفيات المتعددة . فنحن بهجرتنا إلى القرية قد فررنا من موت متوقع إلى موت محقق . لذلك عقدنا العزم على أن نعود إلى القاهرة ؛ فإن الموت بالشظايا على دفعة ، أخف من الموت بالجراثيم على دفعات

فما كان جواب الشيخ والذين معه إلا أن قالوا بلسان واحد : الحمد لله الذى أراكم بعد العمى ، وأنطقكم بعد البكم ! لقد خطبنا حتى نشف الريق ، وكتبنا حتى جف الحبر ، فلم تصدقوا أنكم عمرتم المدينة وخربتم القرية ، وأبطرتم الباشا وأفقرتم الفلاح ، واتخذتم من عرقنا ودمنا أفناناً من لذائذ البطن أعلاه وأسفله ، حتى ضوينا وسمنتم ، وفزعنا وأمنتم ، وكانت بلية كل أولئك على الإنتاج والدفاع !

ثم افترقوا ، هؤلاء ساخطون ، وأولئك قانطون ! فعسى أن يلتقى هذا السخط وذلك القنوط عند معالى وزير الشؤون الاجتماعية !

(المنصورة) احمد حسن الزيات

الحديث ذو شجون

للدكتور زكى مبــارك

الكتيبة الأدبية — دمياط والمنصورة — ا حلوا مين الزمان بمرود الحياة — ياليل ياعين ، ثم ياليل ياعين ، وللأستاذ فكرى أباظة أن يقول ما يشاء !

الكتيبة الأدبية

فى اليوم الثالث من شهر يونية قدّمتُ إلى وزير المعارف السابق معالى النقراشى باشا اقتراحاً أدعو فيه إلى تأليف « كَتِيبة أدبية » من رجال المعارف يتطوع فيها المدرسون والمفتشون ، وتكون مهمتهم تقوية الروح القوى وحراسة العزيمة الوطنية من عدوان الأراجيف ، بما ينشرون على صفحات الجرائد والمجلات ، وبما يذيعون من خطب ومحاضرات . ثم قلت :

« ولى مَطلبٌ أوجهه إليك : وهو أن تدعو رجال الأقلام من وقت إلى وقت ، لتشير عليهم بما تراه فى تسديد العزائم الوطنية ، ولتشعرهم بأن الدولة ترى أن القلم من أدوات الجهاد »

وقد أشّر النقراشى باشا على هذا الاقتراح بعبارة كريمة من عبارات التأييد والتشجيع

ومضيت أفكر فى تكوين تلك الكتيبة على مَهَل ، ولكنى سارعتُ فنشرت فى المقطم والأهرام مقالات حماسية فى نطاق الغرض الذى دعوت إليه ، راجياً أن يكون فى ذلك تمهيد لتكوين « الكتيبة الأدبية » وتذكيرٌ لأهل الأدب بواجبهم فى هذا الميدان

فى الأسبوع الماضى وجه الأستاذ أحمد أمين دعوة إلى الكتّاب على صفحات « الأهرام » يقول فيها إنه يرجو من أرباب الأقلام أن يتناولوا بعض المشكلات الحاضرة بالدرس فيتحدثوا عن الهجرة إلى الريف ، وتنظيم الشؤون الاقتصادية بما يضمن السلامة من القلقلة التى تحدثها الحرب ، إلى آخر ما نص عليه من المسائل التى تستوجب الدرس ، فردّ عليه الدكتور طه حسين فى اليوم التالى بمقال صرح فيه بأن الجرائد تحت رقابة الأحكام العرفية ، وأن الكاتب لا يملك من الحرية ما يساعد على درس تلك المشكلات بصراحة ، وعدّ السكوت تضحية ! فعجب الأستاذ توفيق الحكيم من ذلك وكتب يقول : إنه لم يكن يعرف قبل اليوم أن السكوت من التضحيات . فوخزه الدكتور طه وخزة أليمة جاء فيهـا أنه يدعو إلى الأدب الرخيص فى حين أن الأستاذ أحمد أمين كان يدعو إلى الأدب الثمين ! وانزعج الأستاذ توفيق الحكيم فكتب يرجو الدكتور طه أن يمد الكتابة فى تقوية الروح الوطنى من الأدب الرفيع ، لأنها على كل حال ممـا يدعو إليه الواجب فى هذه الظروف !

أولئك كتّـابنا الأماجد ، وهم قومٌ يمزحون فى غـير أوقات المزاح !

فالأستاذ أحمد أمين فى يده مجلة أسبوعية وكان يقـدر على معالجة تلك الشؤون منذ اليوم الذى نصب فيه نفير الحرب ، وقد كان مفهوماً أن الحرب لن تترك مصر بلا إيذاء ، فما الذى قهره على السكوت إلى اليوم ، إلا أن يكون تذكر فجأة أن الدنيا فيها أشياء غير الحديث عن أدب المعدة وأدب الروح

وأحمد أمين الغيور على الريف هو نفسه أحمد أمين الذى صرح فى إحدى مقالاته بأن الموت بالقنابل فى القاهرة أفضل من الموت بالميكروبات فى الريف ، وذلك إيحاءٌ أثيمٌ سيَلقى عليه « أطيب الجزاء » بعد حين

أفى الحق أن الريف ليس فيه غير الميكروبات ؟ وكيف أمكن إذاً أن تعيش كل تلك الخلائق فى الريف ؟ وكيف عاش آباؤنا وأجدادنا جميع تلك العصور الطوال ؟

تلك وسوسة سخيفة لا تبلبل غير المتحذلقين . ولو أنصف أحمد أمين نفسه وقلمه لقال إننا فرطنا كثيراً فى حق الريف ، ومن الواجب أن ننتهز هذه الفرصة لنرجع إليه بالتحسين والتجميل ، عساه ينسينا ما تعودناه من الفرار الراكد فى الحواضر أيام الصيف

والدكتور طه حسين أمره عَجَب : فهو يدّعى أن الرقابة لا تسمح له بشىء ، ويدافع عن كسله بأن البرلمان يلجأ فى بعض الأحايين إلى عقد جلسات سرية ، فمن حقه أن ينتظر إلى أن تنتهى الحرب ويستطيع الكتاب أن يقولوا ما يشاءون !

ومن الذى يضطر الدكتور طه إلى الوقوف عنـد درس المسائل التى لا يعرض لمثلها البرلمان إلا فى جلسات سرية ؟

أتكون كل مشكلاتنا القومية من اقتصادية واجتماعية وسياسية مشكلات لا يتحدث عنها الناس إلا فى الخفاء ؟

أيؤمن الدكتور طه بأن من المحرّم عليه أن يتحدّث فى الشؤون التى تصور مستقبلنا بين أمم الشرق وأمم الغرب ؟

أيعتقد أن الحديث عما نفترض لمصر من المصاير الاجتماعية والاقتصادية بعد الحرب أمر قد يستوجب الوقوف أمام المحكمة العسكرية ؟

وما هذا الذى يدّعيه الدكتور طه حين يقول بأن الكتابة فى تقوية الروح الوطنى من الأدب الرخيص ؟ ومن الذى أوحى إليه هذه الحكمة « الغالية » ؟ وعمن أخذ القول بأن الحديث فى تقوية الروح الوطنى هو المقصود بالحديث المعاد الذى نهى عنه الحكماء ؟

لقد دافع توفيق الحكيم عن هذه القضية ، ولكن توفيق الحكيم رجلٌ قصيرٌ نحيل ولا يقدر أبداً على صدّ غارات طه حسين

للدكتور طه أن ينسحب من الميدان بحجة أنه مشغول بشواغل أدبية تصرفه عن الحرب وأخبار الحرب وما يجب على مصر أيام الحرب . ولو قال ذلك لكان له عذرٌ مقبول ، فالدولة تُطالب كل رجل بالتفرغ لما يصلُح له من الأعمال ، والأديب الذى يُشغل بالأدب المحض أيام الحرب هو أيضاً من المجاهدين ، لأن الجهاد فى سبيل الوطن له ميادين مختلفات ، منها ميدان الأدب المحض الذى يُنسى صاحبه أنه يعيش فى غَمَرات الحرب . وقد اتفق للدكتور طه فى أحيان كثيرة أن يتناسى المكاره القومية ليتفرغ لعمله الأدبى بالجامعة المصرية ، فما لامَه على ذلك لائم ، ولا اتّهمه أحد بالجبن عن الاستجابة لنداء الواجب الوطنى ، لأن الوطن يعرف أن المتفرّغ للأدب المحض هو أيضاً جندىٌّ فى الميدان ، وإن لم يحمل السلاح ويتقدم للقتال

ولكن الدكتور طه يأبى إلا أن يقع فى خطيئتين : خطيئة الدعوة إلى السكوت عن درس المشكلات القومية إلى أن تنتهى الحرب ، وخطيئة السخرية من الكتابة فى تقوية الروح الوطنى بحجة أنها من الأدب الرخيص !

ألا يَفتح الله عليك مرةً واحدة يا دكتور طه فتكتب مقالاً واحداً يَسلَم من إثم المغالطة والتلبيس ؟

بقيت حكاية توفيق الحكيم ، الكاتب الذى يجمع بين الظَّرف والضَّعف ، وأنا أقترح أن يُمحى اسم هذا الكاتب من سِجِلّ الوطنية المصرية

هذا كاتبٌ خفيف الروح فى بعض نواحيه ، ولكن روحه يثقُل جداً حين يتحامل على القومية المصرية ، وحين يتوهم أنه من المصلحين ، ومن خلفاء قاسم أمين !

وما ظنكم بكاتب يزعم أن الفكر لا يساوره فى مصر ، وإنما يساوره حين ينتقل إلى الهضاب السويسرية أو الفرنسية ؟

العفو ، يا سيد المِلاح !

فمصر يا أخى فيها منادح للفكر والبيان ، ومصر بشهادتك قد عزّت على عُدوان الغرب وطغيان الشرق ، وقد عجزت المصائب والويلات عن قتل مواهبها الذاتية ، فكيف يجوز لك أن تسخر منها أقبح السخرية فى بعض مؤلفاتك وأنت تعجز عن الرد على كاتب مثل طه حسين ؟

أما بعد فأنا ما زلت أدعو إلى تأليف كتيبة أدبية تجرّد ألسنتها وأقلامها لتقوية الروح الوطنى لتحوّل الوطنية إلى عقيدة راسخة لا تزعزعها النوازل والخطوب

وفى الأدب المحض نفسه يتسع المجال لتأييد العقيدة الوطنية ، فالشاعر الذى يتغنّى بجمال الليل حين يتموّج نور القمر فوق صفحات النيل هو شاعر وطنىّ ؛ والكاتب الذى يتأنق فى وصف ملاعب القاهرة والإسكندرية ودمياط هو كاتب وطنىّ . والباحث الذى لا يَعنيه غير درس مشكلات التعليم هو باحثٌ وطنىّ . واللاعب الذى يقضى أوقاته فى التأهب للاشتراك فى مباراة رياضية هو لاعبٌ وطنىّ . والتاجر الذى يُغلق أذنيه عن الحوادث اليومية ليتفرغ لمصاعبه التجارية هو تاجر وطنى . وطه حسين وأحمد أمين وتوفيق الحكيم يستطيعون أن يكونوا من الوطنيين إذا قَصَروا جهودهم على ما يحسنون من الأعمال

اللهمّ يا بنى آدم أن تعاونوا على إيقاظ الروح الوطنى فى أية ناحية من نواحيه ، وأن يكون لكم شأن فى تحرير البلاد من قيود الركود والجمود

دمياط والمنصورة

وهَتف سائل يقول : ما الذى أوجبَ أن نرى فى مؤلفاتك ومقالاتك إشارات رقيقة إلى دمياط ؟

وأجيب بأنى لم أزُر دمياط إلى اليوم ، ولكنى مُوَكَّل بالحديث عن البقاع الكريمة من وطنى ، فدمياط من ثغورنا البواسم وكان لها مقامٌ محمود فى صدّ الغارات الصليبية . وما تزال دمياط مرجع طوائف كثيرة من كرائم الأفئدة والقلوب ، ولن أنسى أبداً طغيان البحر والنيل حول دمياط حيثُ غرق الروح الشفّاف الذى أوحى إلى خاطرى بعض القصائد الجياد

وأخونا الزيات يقيم اليوم بالمنصورة ليتقى الغارات الجوية ،

وأنا والله فى خوف عليه ، وما أخاف الميكروبات التى يخافها أحمد أمين ، وإنما أخاف على الزيات غارات العيون ، العيون الفواتك التى تصاول الآمنين والغافلين ، فتحوّل أرواحهم إلى أقباس أقسى وأعنف من طغيان السعير

وكيف يذوق العذاب من ترحمه المقادير فلا تدله على الطريق إلى المنصورة أو دمياط ؟

إرجع إلينا ، يا أحمد ، قبل أن تمضغ سمكة من سمكات النهر الذى أعرف وتعرف ، وإلا فانتظر قدومى إليك لأشاطرك النشوة بغناء الملاّحين فى غفوات الليل

ولكن هل عندكم ملاح تذكر أغاريده بأغاريد الملاح الذى سمعته مرة وهو يَصدَح فوق متن النيل فى الأقصر بهذا النشيد :

فايتْ على جِسر النيـل
قابلونى اثنيـن حـلوين
آخذ مِين وأسيِّب مين ، يا بُوىْ !

وحدثتنا الجرائد بأن النيل يهدر بعنف فى أعالى السودان ، فانتظرنى عندك لأرى معك بعد شهر واحد كيف يَسهُل صيد السمك فوق ذلك الشط بأيسر عناء

أتخاف الحرب ؟ لا تخف ، فأعمار الأشقياء باقية !

وإن عشنا فسنقضى بقية العمر فى التغريد فوق أفنان الجمال

إرجع إلينا يا أحمد ، قبل أن تمضغ السمكات بشط المنصورة فقد عرفتُ بالتجربة أنها أفتك من سمكات شط العرب . حرسك الله وحماك !

أمِن الإثم هُتافى بالجمالْ — فى بلاد كلُّ ما فيها جميلْ
لو بعينى نظر اللاحى وجالْ — لرأى الفتنة فى كل سبيل

اكحلوا عين الزمان بمرود الحياة

أنتم تسمعون أن الدنيا كلها فى حرب ، أليس كذلك ؟

بَلَى ! ولكن الحياة لها مطالب روحية وعقلية تنسى الناس أحياناً مخاطر الحرب ، والرجل الضعيف هو الذى تقهره الظروف على أن يكون ريشة فى مهبّ الخطوب . أما الرجل القوى فتصطدم به المصاعب كما تصطدم الموجة العالية بالصخرة العاتية

لقد قَذِيتْ عين الزمان فاكحلوها بمرود الحياة ... كونوا أحياء فى كل وقت ، واحذروا أقوال المرجفين الذين يزعمون أن الدنيا لم يبق فيها مجال لطرب الأفئدة وجُنوح القلوب

لا تصدقوا الأستاذ فكرى أباظة حين يحدثكم فى المذياع عن عجبه من أن تعجز أعوام الحرب عن قتل تغريدة « يا ليل يا عين » فهذا الأستاذ نفسه لم ينقطع عن الغناء وإن كان صوته « أرخم » الأصوات !

هذه الحرب التى تعانون بلاءها من قرب أو من بعد هى أيضاً شهوة إنسانية أو حيوانية كسائر الشهوات ، والمحرومون من حب الدنيا ومن الهيام بما فيها من نعيم لا يصلحون أبداً للتمرس بالمخاطر فى ميادين القتال

يجب أن تبقى حواسكم كلها سليمة ، حتى حاسة الذوق وحاسة الجمال ، لأن هذه الحواس هى « الجوارح » التى تصولون بها فى ميدان الوجود . وهل يصلُح إنسان للتفكير فى المنافع القومية حين يُشَل تفكيره فى المنافع الذاتية ؟

الجندىّ لا يصلح أبداً للاستماتة فى الدفاع عن الوطن إلا إذا كانت له فيه مآرب وأهواء ، أما الجندى الفارغ الرأس والقلب من المطالب الذاتية فهو أداةٌ عاطلة لا نفع فيها ولا غناء

زادكم الأول هو مطامعكم ، وزادكم الثانى هو مطامعكم ، وزادكم الثالث هو مطامعكم ، وأزوادكم الأصلية والفرعية هى مطامعكم ، فلا تعيشوا فى دنيا كم بلا أطماع لئلا تنعدم قدرتكم على الجهاد

لا تصدّقوا الذين ينهونكم عن الابتسام للدنيا والوجود

لا تصدّقوا من يزعمون أن مَرَح النفوس فى أيام الحرب من نُذُر الفناء

الدنيا لكم ولسائر المزوّدين بالحيوية والأريحيـة والجذل والابتهاج

فما سكوتُ الشعراء وما سكوتُ المغنّين عن التغريد فوق أفنان الجمال ؟ وما الموجب للدعوة الأثيمة التى تريد أن تحوّل دنيانا إلى ملاطم ومناحات ؟

عزائمكم وأرواحكم وقلوبكم هى الذخائر الباقيـة ، وهى أسلحتكم فى مقارعة الخطوب ، فلا تضعفوها باستماع الأراجيف ، ولا توهنوها بالخضوع لخداع الأباطيل

ودّ أعداؤكم لو تنقلبون إلى أشباح بلا عواطف ولا أحاسيس

فاحذروا الفتنة ، فتنة الدعوة إلى تسريح الأمانى والآمال

واعلموا أن الرجل الحق هو الذى يعيش فى كل وقت بعواطف الأقطاب من الأحياء .

زكى مبارك

٥ – إلى أرض النبوة

للأستاذ على الطنطاوى

قرأتَ فى المقالة الماضية وصفاً للصحراء ليلها ونهارها وشدتها إذا اشتدت ولينها إن لانت ، على أنها تختصر صفتها ، ويوجز تاريخها فى كلمتين اثنتين هما : الحب والحرب ، فليلها للحب ، ونهارها حرب ، حرب مع الشمس اللاهبة والرمال المشتعلة ، والضلال والموت ، وحرب مع الناس ؛ فإذا أدركك المساء ، ولا يدرك مساءها إلا كل بطل صبار قوى متين ، تفتح للحب قلبك ، فأحسست فيه بشوق إلى الهيام كشوق الظمآن إلى الماء الزلال ، وشعرت كأن البادية كلها ملكك ، فأنت منها فى روضة وغدير ، تعانق بدرها إن لم تجد من تعانقه ، وتسامر نجمها إن أعوزك من تسامره ، ويقبل عارضيك نسيمها الرخى الحبيب الذى يصور لك أنفاس الأحبة ...

أشهد لقد نقّت ليالى الصحراء نفسى ، وصفّتها ، وعلمتها الشعور بجمال القبيح وأنس الوحشة وأغانى الصمت ، فعرفتْ جمال الكون ، فأوصلها إلى معرفة كمال المكوّن ، كما صهرت أنهار الصحراء عزيمتى فألقت عن نفسى أوضار الخوف والجبن والضعف والتردد ، وأشعرتها عظمة الطبيعة وقوتها ، فشعرت بعظمة الطابع ، ولم أكن أعدم النظر فى الآفاق الواسعة ، ولا حرمت التحديق فى المناظر البعيدة ، وإنى لأبصر من شباك دارى دمشق كلها وغوطتها والقرى المنثورة فيها ، لا يغيب عنى من ذلك شىء فأرى فيها نهاية الجمال والرواء ، ولكنى لا أرى فيها طهر الصحراء ولاصفاءها. الصحراء مبسوطة مكشوفة كالرجل الصريح الشريف ظاهرها كباطنها لا تخفى سراً ، ولا تبطن دون ما تظهر أمراً... ليست كالمدن ولا كالرياض ، والله وحده يعلم كم يتوارى خلال تلك الأشجار الزاهرة المخضرّة ، وتحت تلك السقوف المزخرفة والقباب والسطوح من رذائل ورزايا ، وكم يسكنها من عوالم الكذب والنفاق والحسد

إن الله حرم الصحراء رواء المدن ، وروعة السهول ، وفتنة الأنهار ، ولكنه عاضها عن ذلك ما هو أحلى وأسمى : جمال الصدق وبهاء الصراحة ، وسناء الإخلاص ، ليس فى الصحراء مثل النيل ولا الفرات تأوى إلى ضفافه ، وتبصر غروب الشمس فى مائه ، وتمخر بالزورق عبابه ، وما فيها إلا برك وغدران قليلة الماء غير دائمة ولا باقية ، ولكنها على ذلك أجل من النيل ، وأجل من الفرات لأنها فى .. الصحراء !

* * *

لست أستطيع أن أترجم لك عمّا لليالى الصحراء من معنى فى نفسى ، لأن لغة الألسنة لا تترجم عن القلوب . ويا ليتنى أقدر أن أصف لك تلك الكائنات الخفية التى تعيش فى ليالى الصحراء فتخاطب القلوب بما لا تنقله الأقلام

واشهدوا على أنى أوثر الصحراء على كل مظاهر الطبيعة المطبوعة ، إلا الأودية والجبال ، فإن للجبال السامقة ذات الصخور الماثلة كالجبابرة لا تبلغ هامها النسور ولا العقبان ، ولا يسكنها إلا الثلج الأبيض ... والأودية العميقة التى لا يبلغ قرارتها إلا الشلال المنحدر من أعالى الجبال ، ولا يعيش فيها إلا السواقى الحائرة التى تهيم على وجهها ذاهلة لا تصحو إلا على جرجرة أمواج البحر الذى يفتح فاه لابتلاعها ... وإن فى التواء الوادى حتى يضيع الطريق فيه ، وفى اختفاء الشِّعب الضيق خلال الصخور ، وفى ضلال الساقية بين الحشائش والحجارة، لمعنى من معانى المجهول لا ألقاه فى الصحراء المكشوفة العارية ؛ ولكن للصحراء سحرها وجمالها وإنى لأفضلها على السهول والبساتين ...

* * *

سلكنا بعد القُريّات مهامه وفلوات لا يعرف لها أول ولا آخر . ولا أدرى ولا يدرى أحد ممن كان معنا أين موقعها على المصوّر الجغرافى . وكنا كلما زدنا إيغالاً فى الصحراء زادت بنا بعداً عن مظاهر الحياة ، حتى أحسسنا كأن قد ودّعنا هذا العالم ، وكأن دمشق وبغداد والقاهرة صور شعرية تخطر على البال ويدركها الخيال ولكن الواقع خلوٌ منها ، واسترحنا من هموم الاجتماع ومشاغل السياسة وأعباء الفكر واستسلمنا إلى المقادير ، فغدا شعورنا بالحياة كشعور من يرى فى نومه أنه سائر على وجه الريح ، أو مضطجع على صفحة الماء يحمله إلى حيث يشاء ، فإما أن يغرق وإما أن يبلغ ما يريد ، ولكنه على الحالين راضٍ قانع لا يشكو ولا يتبرم

وكان همنا الأكبر أن نتأمل الأرض أو ننظر فى الفضاء لنأمن عثرة السيارة وننجو من الضلال ، وما فى البرية علامة يهتدى بها إلا النجوم ، فعرفت بذلك معنى قوله تعالى : (وبالنجم

هم يهتدون) . وعرفت سرّ اعتماد العرب عليها فى تحديد مواقع البلدان حتى أن الشاعر المحتضر ليسرّه أن يرى سهيلاً لأنه يذكره بلاده وأرضه ...

وكنا نمر على الأرض المتماسكة الصلبة فنحمد الله عليها ونسرع . ثم نمر على القاع ، والقاع فى عرف البدو أرض طينية كان فيها غدير من ماء المطر فجف وترك فيها شقوقاً وغادرها مستوية كالطبق ، ويسمى القاع فى بادية الشام (على طريق بغداد) طليحة ... ونمر على مسيل قد جرف الماء ترابه وأبقى فيه حجارة كباراً وصغاراً ، وهو والشعب شر ما نمر عليه ، والشعب فى عرفهم أرض فيها رمل قليل هش ونبات صحراوى ... أو نصعد رابية أو تلة ، وامتدت هـذه المرحلة (من القريات إلى تبوك) أربع ليال ، مررنا فيها على مياه من مياه العرب ، وهى آبار منتنة خبيثة الطعم واللون والرائحة ، تضع المنديل بين فمك ومائها فتاقى عليه مثال الوحل أو ما هو أخبث ، تسمى غطى والميساوية والفجر ، ولم نصادف فى هذه المرحلة ماء غير ذلك ...

ولا تسألنى أين هذه المياه ، ولا تطلب إلىّ تحديداً ولا يقيناً فلست أعرف ذلك ، وإنما أعرف أننا تركنا وادى سرحان عن شمائلنا وسرنا قِبَل الجنوب حتى لاحت لنا عن اليمين جبال عالية ، فأممناها حتى إذا اقتربنا منها سرنا بحذائها على أرض ما رأينا أعجب منها ، فهى أرض سوية متسعة مشينا فى ظرفها تسعين كيلاً ، فيها حجارة سود دقاق مرصوفة رصفاً كأنها أرض ميدان واسع فى مدينة كبيرة فرشت وثبتت بالداحل ، وهم يسمونها (بسيطة) بصيغة التصغير . وسلوا أهل الجغرافيا يعرفوكم موضعها على المصور ، حتى وجدنا ثغرة فى الجبل فدخلنا منها ، فإذا نحن فى واد ما رأيت فى عمرى مكاناً أوحش منه ، وكلما أبعدنا فيه ازدادت وحشتنا ، ولم يكن حولنا إلا الصخور والتلاع والقلل الشامخة ، والوادى يتشعب بنا ويتفرع ، ونحن منفردون بين ذلك كله ، وطال الوادى حتى أمسى علينا المساء فبتنا فيه ، ولم ندر أننا ضالون حتى أصبحنا غداة الغد ، فخالط قلوبنا الرعب من أن تكون خاتمة مطافنا أن ندفن فى بقعة لا يمر فيها إنسان ومحرم قبراً يستوقف السالكين ، ويستجديهم دعوة صالحة .

وكانت ساعة يأس أحيت فى نفوسنا الماضى الذى ظننا أنا نسيناه فتلفتنا بالقلوب إلى دمشق فإذا نحن منها على مسيرة سبع ليال بالسيارة ، ولكن ما إليها من سبيل ، فجعل كل منا يذكر أهله وأحبابه ، ويتخيل ماذا يحل بهم من بعده ، ويتصور بردى يجرى زاخراً دفاعاً ونحن نكاد نموت عطشاً لأن الماء الذى معنا قد شح ونفد إلا الأقل منه احتبسه الأقوياء منا ، وبلغت المسألة مبلغ التنازع على الحياة ، ولم يبق إلا الأثرة الشنيعة أو الإيثار البالغ . وحار الدليل وأظهر حيرته حين لم يعد مكان لإخفائها . وكان يدع السيارة فى قعر الوادى ويصعد قمم الصخور ينظر فلا يرى شيئاً ، فيعود فيسير بنا على غـير هدى ، حتى نظر مرة وكان ذلك فى مساء اليوم الثانى لدخولنا وادى الموت هذا ... فلمح جبلاً فهلل وكبّر وقال : وصلنا . . . هذا شَرَوْرى !

وشرورى جبل قريب من تبوك أظن أن (ياقوت) قد ذكره . فسرنا إلى الليل وشرورى مكانه عند الأفق لا يدنو ولا يريم ، فنزلنا للمبيت ... وعاودنا السير من الصباح فاختفى الجبل وهبطنا إلى جوف الأرض حتى وصلنا إلى موضع رأينا فيه جبلاً عظيماً يسد الوادى فتشاورنا فلم نجد بداً من صعوده بالسيارات وما تحمل من الأثقال ، فجعلنا نصعد وندور ونحتال على الارتقاء حتى إذا بلغنا القمة بعد مخاوف ومتاعب لا ينفع معها وصف . نظرنا تحت أرجلنا ، فإذا فى الحضيض الأوهد البعيد فضاء فسيح كالبحر ، فى وسطه سواد ، كأنه باخرة ماخرة ، فقال الدليل مشيراً إليه . هذه تبوك !

على الطنطاوى

***

حاشية : لعل فى القراء من أحس أن بين المقالة المنشورة المرقومة بـ (٣) والتى قبلها كلاما منقطعا ، فليعلم أن بينهما مقالة لم تنشر . وأكبر الظن أنها قد قطعت عن الوصول . « الرسالة » : نعم ، لم تصل

يوم البعث ...

للأستاذ محمود محمد شاكر

إن أحدنا لتستبد به فى بعض عمره فترات يجد فيها الحياة قد وقفت فى دمه كالجدار المصمت لا تميل ولا تنثنى ولا تتحول ، ويجد النفس متماوتة لا ترف رفة واحدة تشعر العقل أن الحى الذى فيه لا يزال حياً يعمل ، ويجد الدنيا كأنها بساط ممدود يمشى فيه بعينيه ، ولكن البساط لا يمنحه حركة من هموده وسكونه وانعدام الحياة ذات الإشعاع فيه . ويتمنى أحدنا يومئذ أن تحل بأيامه قارعة تملأ عليه الزمن ضجيجاً ونزاعاً ، عسى أن يتحول كل ما يجده من الفتور إلى نشاط ويقظة وخفة تبعث ميت نفسه من رمس الحياة الخاملة

وهـذا العارض إذا ألم جعل الأيام مقعدة تزحف فى زمانه زحفاً بطيئاً مرهقاً كأنها أمسكت على مرفأ الحياة بسلسلة ربوض ، ويجعل الحى يعيش فى كذب وباطل وفراغ من الروح ، أى فى حيرة وقلق وملل ، فإذا حار وقلق ومل ، جاءت أعماله كلها جسداً لا ينبض نبض الحياة ، وكذلك يختلف ما بين الحى وعمله ، ويقف أحدهما من الآخر موقف المثّال العاجز من تمثاله ، يقول له : أين أنا فيك أيها التمثال الغبى ؟ فيجيبه الصامت البغيض : أين أنت فى نفسك أيها الأحمق ؟

الحياة هى حركة الروح فى العمل ، فإذا خلا العمل ، فلم تتمثل فى كل أحنائه حركة الروح العاملة ، فذلك دليل على أن الروح مضروبة بالموت أو ما يشبهه ، وأنها قد فقدت شرطها ونمتها وحقيقتها ، وأنها إن عاشت على ذلك فستعيش فى قبر منصوب عليها فى تمثال إنسان . وإذا بلغ الإنسان ذلك أربقت كل إنسانيته على أيامه المقفرة فلا يثمر ، فإن يثمر فما يطيب له ثمر ، وإنما هو حسَك وأشواك وحطب وكل ما لا نفع فيه إلا أذىً وبلاءٌ عليه وعلى الناس

وكما يكون ذلك أمر الفرد الواحد ، يكون هو أمر الأمة من الناس ، والجيل من الأمم ، فإن الفرد هو خلاصة الجماعة وأصل الجماعة . فالأمة تصاب بمثل الفترة التى يصاب بها الواحد منها ، ولا يمنع ذلك أن يكون فى بعضها ما يخرج على ضرورة هذا العارض من الفتور الذى وصفناه . وعندئذ تتمنى الأمة أن تنزل القارعة لتهز الجو الذى تعيش فيه هزة مدوية مجلجلة ، ترى فى سمع أبنائها الصوت الموقظ الذى يفزع عليه النائم ينفض عن نفسه الخمول والأحلام الهائمة والأمانى الباطلة المكذوبة

وقد عاش الشرق من قرون طويلة وهو يجد الحياة من حوله فاترة ساكنة بليدة ميتة الظلال عليه ، وجاء بعض أبنائه من سراديب الفكر البعيدة يصرخون ليوقظوا الأحياء الذين ضرب على آذانهم بالأسداد ، وغشاهم النعاس عجزاً وذلاً ومهانة ، ولكن هؤلاء رجعوا وارتدوا ، ولم يسمع الناس ، وإنما سمعوا هم صدى أصواتهم وهى تتردد فى قفر خراب موحش

أما اليوم الذى نحن فيه ، فقد جاءت الشرق القارعة التى حلت بديار الناس وبدياره ، وهو يسمع صليل صواعقها بأعصابه كلها لا بآذانه وحدها ، وهو يفيق من نومة طويلة على ما لا عهد له بمثله . فهل يحق لنا أن نؤمل أن هذا الصليل المفزع سيجعل الشرق يلمُّ ما تشعث من حياته ليستقبل حياته الجديدة قد جمع قواه للنهضة والوثبة والانقضاض على أوثان المظالم القديمة التى نصبت فعبدها من عبد ممن خشعوا وذلوا ، وطمعوا فى رحمة الطواغيت فما نالوا — على أوهامهم — إلا فُتاتاً من موائد هذه الطواغيت المتوحشة المستبدة الطاغية ؟

إن الشرق اليوم يجب أن يسأل سؤالاً واحداً يكون جوابه عملاً صارماً نافذاً لا يرعوى دون غايته ، وهذا السؤال هو أول سؤال ينتزع إنسانية الحى من الموت الفادح ، إذا كان الدافع إليه هو رغبة النفس فى تحقيق إرادتها تحقيقاً لا يبطل . من أنا ؟ هـذا هو السؤال ؛ فإذا أخذ الشرق يسأل يحاول أن يصل إلى حقيقته المضمرة فى تاريخه ، فهذا بدء النصر على الأيام الخاملة التى غط غطيطه فى كهوفها المظلمة

ولكن البحث عن الحقيقة هو أبداً أروع شىء وأخوف شىء ، فإن السائل شاك حائر ، فإذا لم يستعن فى حيرته بالسداد فى الرأى وطول التقليب وحسن الاختيار وبالله التوفيق ، فإن السؤال سوف ينزع به وينبث عليه ويأخذه ويدعه حتى تتحطم قوته على جبل شامخ قد انغرست فيه أشواك صخرية من الحصا

السنون ، ويرجع مجرَّحاً ندى جروحه ، يتألم ويتوجع ويشتكى قد أعياه الصبر على الذى يلقاه من أوجاعه

فحاجتنا فى البحث عن الحقائق التى يتطلبها هذا السؤال ، أن نتدرع بقوة اليقين مما نحن مقبلون عليه من مجاهله ومنكراته ، وأن نستجيش للنفس كل ما يزعها ويكفها عن الشك والتردد ، وأن نقبل على دراسة أنفسنا بفضيلة المتعلم المتواضع ، لا برذيلة المتعالم المتشامخ ، فإن بلاء التعلم والدرس هو كبرياء الحمق وغرور ذوى العناد والمكابرة

والأمر كله الآن بيدُ الشعب أفراداً أفراداً ، فإن العادة المستقبحة فى هذا الشرق أنه يكل كل أمره إلى حكوماته التى أثبتت بوجودها إلى اليوم أنه لا وجود لها فى حقيقة الحياة الشرقية . فالحكومات لا تستطيع أن تضع فى روح الشعب هذا الإلهام الإلهى السامى الذى يشرق نوره على الإنسانية فيجلى لها طريقها ، وينفى عنها خبثها ، ويغسلها بأضوائه المنهلة من أعراض البلادة وجراثيم التفانى والانقراض

ليس لشرقى أو عربىٍّ بعد اليوم أن يقف مستكيناً يقول لحكومته : إفعلى من أجلى يا حكومتى العزيزة !! بل يجب أن تكون كلمته : اعملى يا حكومتى فإذا أسأت فأنا الذى سيصحح أخطاء أعمالك الرديئة ! ويجعل كل أحد منا همه سامياً إلى غاية ، وأمله معقوداً بغرض ، ويبيت ليله ونهاره يتدارس فى نفسه وفى أهله وفى عشيرته وفى شعبه ، وفى التاريخ النبيل ، وفى التراث المجيد — حقيقة ما يجب أن يتعرَّفه من شُعَب هذا السؤال الواحد : من أنا ؟ ؟

والدعوة الجديدة إلى اليقظة الشرقية والعربية والإسلامية يجب أن تقوم على إثارة الشعب كله ليسأل كل أحد نفسه هذا السؤال : من أنا ؟ فالعالم والأديب والشاعر والفيلسوف والعامل والصانع وأعضاء الأمة على اختلاف منازعهم ونوازعهم يجب أن يشعروا فى قلوبهم بحاجتهم إلى هذا السؤال ، وأنهم موكلون به لا يهدأون ، وأنهم دائماً فى طريقهم إلى جمع الحقائق للجواب عن هذا السؤال الواحد

أما قيام الدعوة على البحث عن طرق الإصلاح وأساليب الإصلاح وتحقيق ذلك بالطرق العلمية . . . إلى آخر ما يقال فى هذا الباب من القول ، فما يجدى على الأمة شيئاً إلا ما أجدى قديم ما رددوه ولاكوه ومضغوه من الآراء التى عانوا وضعها ، فلما وضعوها ماتت فى المهد . وليس يمنع البحث عن مثل هذه الأشياء أن نكون أول ما نكون سباقين إلى الأصل الذى يجب أن تقوم عليه هذه الأشياء كلها

إن الأمم لا يُصلحها مشروع ولا أسلوب من الحكم ، ولا بابٌ من الإصلاح ، وإنما يحييها أن يكون كل فرد فيها دليلاً — بما فيه من الحركة النفسية — على أن الحياة التى يعيشها هى إثباتٌ لوجوده . ولا يثبت الوجود للحىّ إلا بقدرته على الاحتفاظ بشخصيته ، ولا يحتفظ المرء بشخصيته إلا أن يكون قد استوعب فهم ما يستطيع من حقيقة هذه الشخصية ، وهو لا يفهم هذه الشخصية إلا أن تكون كل أفكاره متنبهة لتحليل كل شىء يعرض له ، وذلك حين يكون كل همه فى البحث عن أشياء هذا السؤال الواحد : من أنا ؟

فإذا استطعنا فى هذه الساعة الهائلة من تاريخ العالم وتاريخ الإنسانية أن نجعل طبقات الشعوب الشرقية تثور ثورتها على الفتور والجهل والغباء والبلادة وقلة الاحتفال بالحياة ، وأن نجعل سلاح الثورة على أحسنه وأجوده وأمضاه فى هذا السؤال ، فقام كل أحد يسأل بمن أنا ؟ فتجديد الحياة فى الشرق حقيقةٌ لا مناص للعالم بعدها من الاعتراف بأنها واجبة الوجود على الأرض . وأما إذا انطلقت مع أحلام النوم وفلسفة الأحلام ، وجعلنا نلبس مُسُوح العلماء والمفكرين ، وجلابيب الوقار والسمت ... أى البلادة ! فقد هلك على أيدينا من كان حقه علينا أن نجعل هذه الأيدى خدماً فى حاجاته ومرافقه

إن من المراء أن تأتى مجلس قوم من بلداء المهندسين قد اختلفوا فى الأرض : هل تصلح لوضع الأساس أو لا تصلح ؟ فتحدثهم أنت أن الرأى أن يتحولوا إلى مكان آخر من صفته ومن نعته ... مما يصلح عليه البناء ! فإن هؤلاء إذا بدأوا أمرهم بالاختلاف على ما يجدون عنه مندوحة ، فاعلم أنه لا فلاح لهم ، وإنما الرأى أن تتحول أنت عن هؤلاء البلداء إلى من تجد عنده من الانبعاث إلى العمل ما لا يجد معه وقتاً يضيعه فى ترجيح بعض ما يختلف عليه على بعض آخر

فالطريق الآن إلى الحياة الجديدة أن يتحول الشرق عن

أصحاب الاختلاف والمنابذة وعلم الآراء التى يضرب بعضها وجوه بعض تناقضاً وتبايناً وافتراقاً ، وأن يصغى إلى حنين النفوس المتألمة التى تحن وتئن من أشواقها ، فيتجاوب حنينها نغماً روحياً فيه حركة الحياة ، وحرارة الوجد ، وأضواء الأمل . وعندئذ يستجيب القلب للقلب ، وتستمد الروح من الروح ، وتثور الأشواق الخالدة فى القلوب الطامحة والأرواح السامية ، وبذلك تستحث الحياة إلى الغاية التى يرمى إليها الشرق بأبصاره من تاريخه ومن وراء التاريخ

إن عمل العامل فى أول الطريق غير عمله فى آخره ، فنحن سوف نبدأ — وسنبدأ بإذن الله — ، فعملنا الآن هو إنقاذ أرواح الملايين من الموت ومن الفتور ومن الكسل ، وليس عملنا أن نضع الأسس العلمية أو السياسية أو الأدبية لأرواح موات لا حركة فيها ولا انبعاث لها . وما جدوى علم لا روح فيه ؟ أو سياسة لا نشاط فيها ؟ أو أدب لا قلب له ؟

إن عمل من يريد أن يعمل اليوم هو أن ينفخ فى صور جديد يكون صوته فزعاً جديداً مع الفزع الأكبر الذى نحن فيه ، حتى تنبعث الأمم الشرقية من أجداثها ثائرة حثيثة قد احتشدت فى ساحة الجهاد تلمع قسماتها بذلك اللهيب المتضرم الذى يتوقد بالأشواق ، وتلمح نظراتها لمحاً بالشعاع الظامئ المتوهج بالأمانى المرهقة المتسعرة ، وتتجلى فى كل عضو منها تلك القوة المعروفة فى العضلات المفتولة ، يخيل لمبصرها أنها تكاد تنفجر من ضغط الدم فى أنهارها وأعصابها لو لا ما يمسكها من جلدة البدن

يومئذ يكون جواب الشرق عن سؤاله : من أنا ؟ عملاً صامتاً لا يتكلم ، لأنه لا يضيع أيامه فى إسماع الزمن الأصم أساطيره الباطلة التى يرويها عن أحلام البلادة والجهل والخمول .

محمود محمد شاكر

الفروق السيكلوجية بين الأمم

للأستاذ عبد العزيز عبد المجيد

الفروق الذكائية

فى سنة ١٩٢٨ دعت وزارة المعارف المصرية الدكتور كلاپاريد أستاذ علم النفس بجامعة جنيف لدراسة حال التعليم فى مصر ومعرفة مواضع النقص فيه ، واقتراح الإصلاحات الضرورية للمناهج وطرق التدريس ونظام المدارس على أسس من التربية وعلم النفس . وكان مما قام به الأستاذ هو إجراء بحوث اختبارية فى الذكاء على طوائف من التلاميذ فى جميع مراحل التعليم لمعرفة مستوى ذكاء التلميذ المصرى واتجاه نموه العقلى . وقد أجرى الأستاذ فعلاً عدة تجارب — بمساعدة عدد من الأساتذة المصريين — لقياس الذكاء ، واستخدم أنواعاً مختلفة من المقاييس من بينها مقياس(1) الدكتور بالارد . وكان هذا المقياس قد جرب فى انجلترا وفى البلجيك وقُنِّن . ولكن الأستاذ أدخل عليه بعض التعديلات ليناسب الناشئة المصرية . وقد أظهرت النتائج التى أسفرت عنها اختبارات الذكاء أن مستوى الذكاء عند التلاميذ المصريين — ما عدا البنات اللواتى تتراوح أعمارهن بين الثامنة والعاشرة — أقل بكثير من مستوى الذكاء عند التلاميذ البلجيك والإنجليز

وقد استرعت هذه النتيجة انتباه الدكتور واهتمامه ، فجملته يحاول معرفة هذا التأخر الذكائى ، فذهب يفرض له فروضاً ، وشرع فى درسها ، وكان من بين الفروض التى افترضها ورفضها أن سبب هذا النقص هو انحطاط فى فطرة الطفل المصرى . وهو يقول فى تقريره : «هذا وليس فى الأسباب ما يحدو بنا إلى الاستناد إلى الغباوة الفطرية كخصيصة فى الطفل المصرى ، لأننا إذا راعينا النتائج الفردية ، ولم نقتصر على المتوسطات وحدها ، فإنا واجدون فى جميع أدوار أعمار الأطفال طائفة من نتائج اختبارهم أحسن ما تكون . وفى هذا ما لا يبرر الاستناد إلى الانحطاط الفطرى » ثم هو يذهب فيبحث فروضاً أخرى ويرى « أن تأثير الوسط المحيط هو ما يصح الاستناد إليه فى كثير من الوثوق والتأكد لتعليل ذلك الانحطاط . فقد دل عدد كبير من البحوث التى أجريت على أن مستوى عقل الطفل يترتب إلى حد ما على الوسط الاجتماعى الذى يمت إليه بصلة ما ، وعلى وسطه العائلى الخاص أيضاً . وبدهى أن الأطفال الذين فى أسرة مثقفة يعلو مستواهم على مستوى غيرهم » ثم يعود الدكتور فيؤكد أن الوسط تقع عليه إلى حد كبير مسئولية رداءة النتائج العامة التى وصل إليها فى اختبار ذكاء الطفل المصرى ، ومقارنتها بذكاء الطفل الأوربى ، ويشير إلى سبب آخر من أسباب الانحطاط الذكائى خاص بالتجارب التى أجراها ، ويقول : « إن نصف النتائج التى حصلنا عليها عن أطفال وشبان من تلاميذ المدارس الأولية والفنية أو مدارس المعلمين الأولية ، أى من وسط اجتماعى متواضع . وقد قلنا إن نتائجهم أحط بكثير من نتائج المدارس الابتدائية والثانوية باعتبار التساوى فى السن بينهم جميعاً ، وأنها كانت لهذا السبب باعثاً على هبوط المتوسط العام . ولا شك فى أن ما أبدته اختباراتنا من نقص النمو العقلى يعزى فى بعضه إلى هذه الحال . والواقع أن الأطفال والشبان المصريين من الطبقات الدنيا تنقصهم الأسباب المنشطة للعقل ، والبواعث التى تستثير دفين الذكاء ، كما تنقصهم لتفتيق أذهانهم تلك الفرص التى كثيراً ما تسنح للأطفال الصغار الأوربيين فى حياتهم »

ساهم الأستاذ القبانى بنصيب وافر فى إجراء الاختبارات التى قام بها الدكتور كلاپاريد ومراجعة نتائجها ، ولكنه لم يقتنع بصحة هذه النتائج ، لأنه كان شاكا فى صلاحية مقياس بالارد لاختبار ذكاء التلاميذ المصريين ، للاختلاف الكبير بين البيئة المادية والاجتماعية المصرية وغيرها من البيئات الأوربية ، وهذا ما يجعل الأسئلة التى يختبر بها ذكاء التلاميذ الإنجليز أو البلجيك لا تناسب بالضرورة التلاميذ المصريين . من أجل هذا اتجهت عناية الأستاذ لدراسة الذكاء المصرى ، فأجرى عدة بحوث كانت أغراضها : التحقق من صلاحية كل سؤال من أسئلة بالارد لاختبار الذكاء فى مصر ، وحذف الأسئلة التى يثبت عدم صلاحيتها وإضافة أسئلة غيرها لتكوين مقياس مصرى للذكاء ، وإجراء هذا المقياس الأخير على تلاميذ المدارس الابتدائية ومن فى مستواهم للوقوف على حقيقة عقليتهم (1) . وقد نجح الأستاذ فى تحقيق هذه

(1) Group Tests of Intelligence, by P. B. Ballard

(1) هذا اقتباس من كتاب « مقياس الذكاء » فى المدارس الابتدائية بالقاهرة للأستاذ اسماعيل القبانى

الأغراض ، وكأنه بعمله هذا أراد أن يختار من التلاميذ المصريين من تشابه بيئته — المدرسية والاجتماعية إلى حد ما — بيئة التلاميذ الأوربيين ، حتى تكون المقارنة بين متوسط الذكاء المصرى والذكاء الأوربى مقارنة عادلة . وقد كشفت اختبارات الأستاذ عن متوسط ذكاء تلاميذ المدارس الابتدائية أرق من ذلك الذى وصل إليه كلاپاريد ، كما أيدت اختباراته نظرية تأثير الوسط فى الذكاء ، فقد وجد أن المدارس التى يغلب على تلاميذها أن يكونوا من أوساط اجتماعية راقية تتفوق فى الذكاء فى كل عمر على المدارس التى يغلب على تلاميذها أن يكونوا من أوساط اجتماعية متواضعة ، وأن الفرق بين ذكاء هذين النوعين من المدارس ليس كبيراً إذا قيس بالفرق بين متوسط ذكاء كل منهما ومتوسط ذكاء المدارس الأولية

رأينا إذاً كيف تتعسر المقارنة بين متوسط ذكاء أمة ومتوسط ذكاء أمة أخرى لاختلاف البيئات ، هذا الاختلاف الذى له أثره فى تنشيط الذكاء الفطرى وشحذه ، ولصعوبة إيجاد « عينات » ممثلة كل التمثيل لأفراد الأمة وأوساطها المختلفة تجرى عليها اختبارات الذكاء . وعلماء النفس يدركون هذا التعسر ويُقرّونه ، ولكنهم بالرغم من ذلك حاولوا التغلب عليه ودراسة الفروق الذكائية بين الأمم ، فالتجارب التى أجريت فى الولايات المتحدة لقياس ذكاء الزنوج ومقارنته بذكاء الأمريكيين البيض أسفرت عن أن الزنوج أقل ذكاء من الأمريكيين فى كل المقاييس التى تتطلب حل معضلات معنوية مجردة abstract بينما يقربون من الأمريكيين أو يشابهونهم فى الذكاء الذى يحتاج إليه فى حل المعضلات العملية أو المحسوسة ، كما تدل على ذلك نتائج المقاييس العملية Performance Tests ومما لا جدال فيه أن القدرة على التفكير المعنوى المجرد والحكم تتأثر إلى حد كبير بالتربية والثقافة العامة ، ونوع العمل الذى يقوم به الفرد . ومهما يكن السبب — وراثياً أو بيئياً — فالحقيقة الواقعة هى أن الزنوج أحط ذكاء كجماعة من الأمريكان البيض

فى أثناء الحرب الكبرى الماضية قيس ذكاء أفراد الجيش الأمريكى، وكان من بينهم جماعات ذوو جنسيات أوربية مختلفة: انجليز، وهولانديون ، ودنماركيون، وإيطاليون الخ. وقد استغل علماء النفس نتائج اختبارات الذكاء فى معرفة ما إذا كانت هناك فروق ذكائية بين الأمم الأوربية ممثلة فى جماعات الجيش الأمريكى. درست النتائج دراسات إحصائية مطولة ، وكان ترتيب الأمم ترتيباً تنازلياً بحسب الذكاء هو(1) :

(١) انجلترا (٢) اسكوتلندا (٣) هولندا (٤) كندا (٥) ألمانيا (٦) الدانمراك (٧) السويد (٨) النرويج (٩) إرلندا (١٠) النمسا (١١) تركيا (١٢) الروسيا (١٣) البلجيك (١٤) اليونان (١٥) إيطاليا (١٦) بولندا

والمتأمل فى هذا الترتيب يرى أن سكان الأقطار الأوربية الشمالية (الجنس الشمالى) أذكى من سكان الأقطار الأوربية الوسطى (الجنس الألبى) وهؤلاء أذكى من سكان أقطار البحر الأبيض المتوسط . وقد وجِّهت انتقادات كثيرة لهذه النتيجة السابقة ، أهمها هو أن هذا الترتيب لا يصح أن يؤخذ على أنه ترتيب للذكاء الفطرى عند هذه الأمم . وهذا انتقاد وجيه ، ولكن أقل ما يدل عليه هذا الترتيب هو مقدار تأثير التربية المدرسية والثقافة الاجتماعية فى إظهار ذكاء الأمم

وثمة اختبارات أخرى أجريت على صبيان ولدوا فى الولايات المتحدة وآباؤهم من جنسيات مختلفة ، وكانت أعمارهم تتراوح بين الخامسة والنصف وبين الثامنة عشرة . وكان هؤلاء الصبيان يتعلمون فى المدارس العامة Public Schools (2) . وقد بلغ عدد من اختبر ذكاؤهم ٥٥٠٤ تلميذ ، وكانت تربيتهم المدرسية متشابهة بصفة عامة ، كما كانوا يعيشون فى بيئات متجاورة ومتقاربة الثقافة . وكانوا جميعاً يعرفون اللغة الإنجليزية بجانب لغتهم الأصلية . وقد رتبت نتيجة ذكائهم ترتيباً تنازلياً ، فكان الترتيب كما يأتى :

اليهود البولنديون ، السويديون ، الإنجليز ، اليهود الروس ، الألمان ، اللتوانيون ، الإرلنديون ، الكنديون البريطانيون ، الروس الخلص ، البولنديون الخلص ، الإغريق ، الإيطاليون ، الكنديون الفرنسيون ، البرتغاليون . وسأترك للقارئ المقارنة بين هذه النتيجة ونتيجة الاختبارات السابقة لها

هذا وخلاصة القول هى أن علماء النفس متفقون على أن الاختبارات التى أجريت حتى الآن تدل على وجود فروق ذكائية بين الأمم المختلفة . ولكنهم مختلفون فى سبب هذه الفروق ؟ أهى فطرية جنسية ، أم بيئية ثقافية ، أم هما معا ؟ والجمهور على الرأى الأخير .

عبد العزيز عبد المجيد

---

(١) هذا الترتيب مقتبس من كتاب A Study of American Intelligence, by C. Brigham

(٢) الاصطلاح Public schools فى انجلترا يعنى مدارس أولاد الأعيان ، وفى أمريكا يعنى مدارس أولاد العامة

لمح وجيزة عن

كتاب الديارات

لأبي الحسين علي بن محمد الشابشتي

للأستاذ صلاح الدين المنجد

... وبعد فهذا كتاب جليل، حوى ما طَرُف من أخبار الأُدباء وما لَطُفَ من سِيَر الشعراء وما فُقد من أحاديث الندامى وأفاكيه الأمراء في العصر العباسي الأول، سمّاه صاحبه «كتاب الديارات»[1]، وجعلها سبيلاً إلى سرد ما حفظه من أخبار أهل الأدب وطرائفهم؛ فجمع فيه ما لا تجده في غيره من الكتب. فهو مؤلف ثمين جدير بأن ينوّه به ويكتب عنه

كيف عثرنا عليه

عنيت منذ زمن طويل بدراسة أثر الأديار في الأدب العربي، فقد كان أهل بغداد يعيشون في عالم مِلؤه الهدوء والسلام، ساجين في النعيم، غارقين في اللذائذ واللهو والمجون. وكانت الديارات من المواطن التي يحلو فيها الغناء والشراب، وتصفو بها القلوب والنفوس. وكان يرتادها خلعاء الشباب ومترفو الناس، ومُجّان الأمراء والشعراء؛ يجدون فيها ما تشتهي الأنفس من خمر ولذة وجمال. وكان أهل هذه الديارات يرحبون بالطُرّاق: يهشون لهم ويأنسون بهم، ويعطونهم من أنفسهم وأموالهم ما يشتهون، ليفتنوا المسلمين عن دينهم ويوجهوهم وجهة كلها فتون ومجون وإغراء، فكان الشعراء ومن اتبعهم يهتزون لمرأى الراح والريحان والبيض الحسان، فيجيش في صدورهم الشعر، ولكنه شعر رقيق فيه صفاء وملؤه أنغام، وصفوا فيه الدير والديار، والقسّان والغلمان، والعذارى والمتبتلات، والصليب والناقوس، والخمر والنديم، والمسوح والصلاة. فقد وجدوا في هذه الأديار عالماً جديداً فيه بشر وانطلاق وسرور وحبور وسع الأخيلة وأبهج النفوس

وقد أورد ياقوت في معجمه طرفاً من الأشعار التي قالها روّاد تلك المواطن. وقد نقل عن «الشابشتي» مؤلف هذا الكتاب كثيراً. ثم جمعت ما ذكره صاحب مسالك الأبصار في الديارات وأهلها، ووددت لو أقع على نسخة من كتاب الشابشتي، حتى زرت مكتبة المجمع العلمي العربي بدمشق، وعثرت فيها على نسخة فوتغرافية له، أخذت عن نسخة مصورة أخرى في الخزانة التيمورية. وكان أحمد تيمور باشا قد أرسل فصوّرها عن نسخة خطية فريدة موجودة في خزانة برلين تحت رقم (١١٠٠)

قرأت الكتاب فأغرتني طريقته ونوادره وأخباره، وما ضم من أحاديث مفقودة وأشعار رقيقة مجهولة، وتراجم شعراء جمعوا بين الرقة والعذوبة فأتوا بشعر منه المطرب ومنه الراقص، فنسخت الكتاب، وعزمت على تحقيقه وفهرسته وشرحه وجمع ما ضاع منه وحفظته الكتب الأخرى، وبدأت العمل منذ شهور وشهور، ووضعت للأديار مخطَّطاً يبيّن مكان كل منها. على أني لاقيت في تحقيقه العناء والبلاء، ولا يعرف الجهد إلا من يعانيه، ولن يمضي إلا القليل — إن شاء الله — حتى يكون الكتاب جاهزاً

أول من نوه بالكتاب

وأول من نقل عن هذا الكتاب ونوه به هو السيد حبيب الزيات، فقد أخرج للناس في تموز من عام ١٩٣٥ عدداً خاصاً من مجلة «المشرق» الكاثوليكية في بيروت عن «الديارات النصرانية في الإسلام»، فنقل عنه نقولاً كثيرة وبحث في الديارات ونشأتها وأهلها. ولكنه لم يتجرد في بحثه عن تعصب وافتراء، شأنه في مباحثه التي يديرها حول النصرانية وأهلها وأمورهم في الإسلام. على أنه نوّه بالكتاب وقال عنه: إنه جدير بالخدمة وجدير بالتحقيق

وصف الكتاب

والكتاب يقع في (١٣٥) صفحة فوتغرافية، كل صفحة ضمت صفحتين من صفحات الكتاب الأصلية، فيكون عددها إذن (٢٧٠) صفحة، في كل صفحة — على الغالب — خمسة عشر سطراً، وقد كتبت بخط شديد الشبه بالنسخي، مضبوط قليل

---

(١) الديارات والأديار والديرة ج دير؛ قال اللسان: والدير خان النصارى. وقال ياقوت ج ٢ ص ٦٣٩: والدير بيت يتعبد فيه الرهبان

الأخطاء ، أسقطت منه الهمزات ، كما أسقطت منه « التعقيبة »[1] فى كثير من الصفحات ، وما وضع منها فهو بخط يختلف عن خط الناسخ . وقد سقطت من أوله أوراق كثيرة فيها ذكر ديارات الشام . على أن فى ياقوت ومسالك الأبصار نقولاً عن الشابشتى تتعلق بها

أما الصفحة الأولى منه فلم يظهر فيها إلا :

بسم الله الرحمن الرحيم . وصلى الله على سيدنا محمد

ثم يلى ذلك جمل مضطربة سقطت بعض كلماتها ، وحروف وأرقام ، ثم يبتدأ الكتاب بما يلى :

« الدار التى بناها الديلمى أحمد بن بويه بباب الشماسيَّة . وموقعه أحسنُ موقع ... وهو نَزِهٌ كثير البساتين والأشجار ... الخ »

وفى آخر صفحة منه :

« تمَّ كتاب الديارات بحمد الله وعونه وقوته وحسن توفيقه . ووافق الفراغ منه فى ليلة صباحها يوم الخميس السادس عشر من شهر ربيع الآخر سنة إحدى وثلثين وستماية » .

« كتبه العبد الفقير إلى رحمة الله عبد الحليم بن محمد ابن عبد الوهاب بن أحمد بن عربى الدمشقى ، المعروف جده بالنحوى . وهو يسأل الله أن يغفر ذنوبه ويستر عيوبه . والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد سيد المرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، وسلم تسليما كثيراً إلى يوم الدين » .

نسخ الكتاب

وفى دار الكتب المصرية نسخة مخطوطة من هذا الكتاب . وقد أخبرنى صديقى الأستاذ شكرى فيصل بأنها رديئة قليلة الضبط لا يستطيع المحقق أن يعتمد عليها . وكنت أخبرت بذلك صديقى الجليل سيد النثر الأستاذ أحمد حسن الزيات بغية أن يطلعنى شيئاً عن الكتاب ، ولكنه تكرم فطلب أن « أنشر فصلاً منه وأن أكتب كلمة عنه » فخصصت هذه الكلمة بالرسالة ، ومن أحق من الرسالة بهذه البشرى وهذه المباحث ؟

وقد ذكر الأستاذ حبيب الزيات فى رسالته « الديارات النصرانية فى الإسلام » :

« إنه كان من هذا الكتاب نسخة ثمينة مزوقة Illustrée وقف عليها شمس الدين محمد بن طولون الدمشقى فى القرن العاشر للهجرة (عن ذخائر القصر فى تراجم نبلاء العصر لابن طولون الحنفى ، رقم ١٤٢٢ من الخزانة التيمورية) ولا يخفى مافاتنا بفقدها من الفائدة الجُلَّى ، لإمكان دلالة مافيها من الصور والأشكال على رسوم الديارات وضروب أبنيتها » (الديارات النصرانية : مقدمة)

فالكتاب إذن قيم ذو شأن لما جمع وحوى . ترى من هو مؤلفه الشابشتى ... ؟

والشابشتى هذا نديم بارع وأديب فاضل ، ولاه العزيز صاحب مصر خزانة كتبه . ولعله ألف هذا الكتاب وهو قائم عليها ، وله تآليف كثيرة ضاع أكثرها ، منها « اليسر بعد العسر » نهج فيه نهج القاضى التنوخى فى كتابه « الفرج بعد الشدة » وما ندرى أيهما أخذ عن صاحبه نهجه فقد كانا معاصرين ولكن توفى القاضى التنوخى قبل الشابشتى بأربع سنوات (توفى الشابشتى سنة ٣٨٨ هجرية ، وتوفى القاضى سنة ٣٨٤) والمرجح أن الشابشتى أخذ عن التنوخى

طريقة الكتاب

قلنا إن المؤلف قد جعل الديارات سبيلاً إلى ذكر أخبار الشعراء والأمراء ، فهو يذكر الدير وموقعه وما يحدُّه وما يتصف به ، ثم يذكر من زاره من الشعراء ، ثم يستطرد إلى الشاعر فيورد ما قاله فى الدير من الشعر ، ثم ينتقل إلى سرد أخباره ، فإن كان الزائر من الندامى ذكر الخلفاء الذين نادمهم واستطرد إلى ذكر بعض نوادرهم ، وإن كان من الأمراء ذكر بذخه وترفه ومجونه ولهوه وكل ما يتصل بحياته الخاصة بسبب ، وهو بطريقته هذه قد ترجم لكثير من الشعراء والندماء والمغنين والولاة والخلعاء والأمراء والخلفاء وما بنوه من قصور وما أقاموه من حفلات وما أنفقوه من أموال . وفى الكتاب فصل فريد لم أعثر عليه فى كتب الأدب وهو وصف حفلة أقامها المتوكل لإعذار[1] المعتز وهو فى منتهى الطرافة ، وسننشره إن شاء الله فى العدد القادم .

(دمشق) صلاح الدين المنجد

---

(١) التعقيبة فى اصطلاح الناسخين القدماء : هى الكلمة التى تكتب فى أسفل كل صفحة لتدل على أول كلمة تأتى فى رأس الصفحة التالية

(١) جاء فى الأساس : عذر الصبى : طهر ، وكنا فى إعذار فلان وفى عذيرته وهو طعام الختان .

من عجائب الاجتهاد ...!

« لناقد أديب »

منذ عامين رأى الدكتور بشر فارس أن يخرج للناس مسرحية رمزية يثبت بها اتجاهاً جديداً فى عالم القصص الرمزى وبعد التحصيل والروية والاجتهاد ، كما يقول الدكتور الفاضل فى مستهل توطئته ، صنع هذه القصة أو المسرحية الرمزية وعنوانها (مفرق الطريق) وقال فى تبيين موضوعها وتوضيح فكرتها : إنه مفرق طريق ينحدر يساراً إلى ظلمة ، حيث الشعور ، ويمتد يميناً مناراً فى صعود مثلوجة ، حيث العقل . وفى هذا المفرق الصراع بين العقل والشعور ، فإما أن ينتصر الشعور فينحدر المرء فى ظلمة تحترق عندها النفس ، وإما أن ينتهى الصراع بانتصار العقل فيسلك المرء فى صعود مثلوجة يحيا عندها بنجوة من الاحتراق . ثم يقول « على ما هو مبين فى رسم الغلاف »

ورسم الغلاف هذا صورة رمزية أيضاً من تصميم المؤلف نفسه ، تمثل جبلاً عالياً ذا قمة مغطاة بالثلوج ، ومنحدراً ينتهى إلى غور مظلم يتضرم بحرارة الحياة

ومنذ اثنتى عشرة سنة أنشأ الأستاذ عباس محمود العقاد قصيدة رمزية فى ديوانه صفحة (٢٠٦) عنوانها : «القمة الباردة» حيث يعيش العقل متجرداً من الشعور فى عالم ثلجى لا يشعر فيه بحياة

ومن عجائب التحصيل والروية والاجتهاد أن الفكرة التى جعلها الأستاذ العقاد لباب موضوعه ، والموضوع الذى بنى عليه قصيدته هما نفس الفكرة وذات الموضوع الماثلتان فى مسرحية بشر فارس !

ومن عجائب التحصيل والروية والاجتهاد هذه أن يقول العقاد فى مقدمة قصيدته : « إن الحى لا يعرف الدنيا إلا بالظواهر التى تقع عليها الحواس وتدركها البديهة » . فيقدم بشر فارس لمسرحيته بنفس المعنى ويقول بلسان صورة من صنع الشعور : بينى وبين بصرك صلة اليقظة والإحساس بالوجود . ويقول عن رسم من صنع العقل : أفلا تقبض صدرك البرودة المنسابة فيه !

ومن عجائب التحصيل والروية والاجتهاد أن تكون (القمة الباردة) فى قصيدة العقاد هى (الصعود المثلوجة) فى المسرحية ص ١٤ ، وأن يكون الطريق الذى يسلكه العقل فى الصعود المثلوجة مناراً ، لأن القمة البلردة فى قصيدة العقاد لا تعرف اختلاف الليل والنهار

هنا لك لا الشمس دوّارة   ولا الأرض ناقصة زائده

وأن تكون (القمة الباردة التى تملوها الثلوج و (ثلوج الذرى) التى (تفتر عندها الحياة) والتى (لا يشعر عندها بحياة) كما كتب العقاد فى قصيدته ـ هى فى مسرحية بشر فارس (الآن أعيش فى الثلج ص ٢٥) و (إنما أحيا والثلج من حولى ص ٢٥) و (إنما حياتى فى الثلج ص ٢٧) و (بينى وبينك الثلج لا يبرح قائماً ص ٢٧) و (أحرقته وهو يثلجنى ص ٣٦) و (سيثلج بعضى بعضاً منذ الآن ص ٣٧) فهذه مسرحيته طمرتها القمة الباردة بثلوجها كما قدمنا فى هذه الكلمة

ومن عجائب التحصيل والروية والاجتهاد أن تدور هذه المسرحية حول الفكرة التى تدور حولها القصيدة وأن يكون ختام المسرحية والقصيدة واحداً لا تباين ولا خلاف ؛ فإذا دعا العقاد إلى النزول من هذه القمة والانحدار إلى النور المتضرم بحرارة الحياة

إلى النور ! أما ثلوج الذرى   فلا خير فيها ولا فائده

ختم بشر فارس مسرحيته أيضاً بالدعوة إلى النزول من الصعود المثلوجة بقوله : (خذا هذا الطريق، الذى لا نور فيه، الذى ينحدر)

من عجائب التحصيل والروية والاجتهاد أن يقع هذا كله ، وأن تأتى عجائب أخر فى التحصيل والروية والاجتهاد أيضاً من قصيدة للشاعر على محمود طه عنوانها « قلبى » (ديوان الملاح التائه طبعة عام ١٩٣٤) . فى ختام هذه القصيدة يصف الشاعر الصراع بين القلب والعقل أو الشعور والعقل فيقول مخاطباً قلبه :

ووشيت حين أخبَّك الليلُ   متمرداً تجتاحك النارُ
وبدا صراعك أنت والعقلُ   ولأنتما بحرٌ وإعصارُ

ما بين سلمكما وحربكما كونٌ يبين ويختفى كونُ
وبنيتما الدنيـــا وحسبكما دنيا يقيم بناءها الفنّ

فيجيء الدكتور بشر فارس فى عام ١٩٣٨ ليقول فى هذا المعنى « يلتقى العقل والشعور فيتجاذبان المرء ، ولكل منهما حظه من القوة والغلبة ، وأما الجانب المظلم فحيث يقهر الشعور العقل ، فينحدر المرء وقد عمى رشده إلى غاية تحترق عندها النفس الخ ... »

فتجاذب الشعور والعقل القوة والغلبـة هو فى قصيدة على محمود طه « وبدا صراعك أنت والعقل »

والقلبُ الذى أَجنَّهُ الليلُ فى القصيدة هو « الشعور فى الجانب المظلم » ، والقلب الذى تجتاحه النـار فى قصيدة على محمود طه هو النفس التى تحترق فى مسرحية بشر فارس .

وهكذا ترى هذا الصراع الذي يبدو محدداً بخطوطه ، مصوراً بألوانه ، فى قصيدة الشاعر ، منقولاً بإطاره فى مسرحية الكاتب ، كما رأيت النغمة الباردة فكرة وموضوعاً ماثلة بذاتها فى المسرحية وتوطئتها حتى بعض العبارات ودلالاتها وإن اختلفت لفظاً وتركيباً ، كأن يقول الأستاذ العقاد : (التى لا يشعر عندها بحياة) فيقول الدكتور بشر : (يعوزه لهب الحياة)

وبعد فهذه مسرحية رمزية من فصل واحد صفحاتها معدودة وألفاظها معدودة ، لم يبق منها لكاتبها التحرير سوى زهرة تضوع ، ونهر يهدر ، وإضافات تائهة فى منعطفات الروح ومثانى المادة (كذا) ، وراقصة متشنجة تكـنى بالتلوّى والتوتر (كذا) وتنفرف بذراعيها طرائف من الهواء (كذا) ، وغير إنسان أبله يعوى مقلداً الكلاب (كذا) ، ثم كاب مسكين يتهمه المؤلف بامتصاص القصب ! ! (كذا)

وهذا ولا شك كما قلناه وأثبتناه وأعددناه من عجائب التحصيل والروية والاجتهاد فى زمن اصطناع المسرحيات الرمزية من قصائد الشعراء .

(ناقد أديب)

الحرب في أسبوع

للأستاذ فوزي الشتوى

المؤامرة

يرى كثير من الناس أن الصراع الحالي مؤامرة سياسية عسكرية نظمتها الدول الدكتاتورية بمهارة وإتقان منذ سنوات، ويرون أيضاً أنها تسير بخطوات متزنة، فلم يطرأ عليها حتى الآن خلل يستحق الذكر. أما رأس هذه المناورة فألمانيا، وأطرافها إيطاليا والروسيا واليابان وأسبانيا

ويستدلون على ذلك بتسلسل عدة حوادث أدت إلى انهيار فرنسا، وإذا صادفها النجاح إلى النهاية فقد تؤدي إلى انهيار انجلترا أيضاً. فقد وضعت فرنسا سياستها عقب الحرب الكبرى على تطويق ألمانيا بالدول الصغيرة التي تعتمد على ولائها لفرنسا مثل بولندا وتشيكوسلوفاكيا والنمسا وبلجيكا

فعمدت ألمانيا من جانبها إلى تحطيم هذا النطاق، فنجحت رغم معارضة خططها لما كان معروفاً من قبل لخطط إيطاليا والروسيا؛ فكانت الأولى تحرص على استقلال النمسا، ومع ذلك سمحت لألمانيا باحتلالها؛ وكانت الثانية تشتهي من زمن طويل أن تحصل على مرافئ حرة على بحر الشمال، ومع ذلك سمحت لألمانيا باحتلال النرويج

وأخيراً، دخلت إيطاليا الحرب تنفيذاً لاتفاقات موسوليني وهتلر، عندما كانت فرنسا في النزع الأخير، وبعدما أفادت ألمانيا بموقفها غير المحارب فائدة كبيرة

الفرص المناسبة

ومعنى هذا أن دول المؤامرة — في عرفهم — تنفذ الجزء الخاص بها عندما تتوفر ظروف خاصة، كما حدث مع إيطاليا التي يعتبرون دخولها الحرب بمثابة بدء الجزء الخاص بانجلترا، وبمثابة عامل يمنعها من وقف القتال إذا أرادت عقب تسليم فرنسا؛ فلن ترضى بريطانيا مثلاً أن تتجاوز عن حقها في البحر الأبيض وهو طريقها الطبيعي إلى امبراطوريتها إذا طالبت إيطاليا ببعض هذه الحقوق، وهذا ما كان منتظراً لو استكانت بريطانيا لأعدائها

أما متى تدخل الدولة التالية ومن تكون فهذا أمر رهن الظروف، وإن كان بعضهم يرجح أنها تكون أسبانيا، فلدول المحور فيها نفوذ كبير، بل إن حكومتها الحالية تدين لدولتي المحور بالبقاء. ولأسبانيا أهمية خاصة إذ يسهل من أراضيها سواء في أسبانيا أو في مراكش الأسبانية من كونا ضرب جبل طارق، وإطلاق سراح الأسطول الإيطالي ليوالي أعماله في البحار، وينقل الجنود لمهاجمة انجلترا. ولعل انتظار هذا الظرف هو السبب في هرب الأسطول الإيطالي من مواجهة الأسطول البريطاني

الصخرة

ويعتبر جبل طارق أقوى حصون العالم وأمنعها، فهو لسان دقيق من الصخور المرتفعة ينساب من الشاطئ الأوربي، ولا يتجاوز طوله ثلاثة أميال وعرضه ميلاً واحداً، وهو متصل بجنوب أسبانيا برقبة ضيقة من الأرض السهلة. وفي شمال الصخرة من جهة أسبانيا سهل يمتد ربع ميل به خطوط الدفاع البريطانية، ويليه الأرض المحايدة وهي رملية تمتد ١٥٠٠ ياردة بطول الأرض وعرضها يختلف من ٩٠٠ — ١٨٠٠ ياردة، وفي نهايتها مدينة لا لينيا الأسبانية

وترتفع الصخرة من الناحية الأسبانية عمودياً، ثم تتدرج إلى ناحية البحر، وارتفاع أقصى قممها ١٤٠٠ قدم فوق سطح البحر. كان سطح الصخرة في أول الأمر مكوناً من الرمال والصخور في أوضاع غير منتظمة، ولكن أعمال الهندسة تناولته فبنت فيه طرقاً دائرية من الأسمنت المسلح يتجمع فيها ماء الأمطار وينساب إلى أحواض عظيمة لحفظه. وبهذه الطريقة حلت معضلة ماء الشرب، وأصبح خلو الصخرة من الأنهار أو الآبار أمراً لا أهمية له

واستغلت الصخرة نفسها فعملت فيها عدة أنفاق عسكرية يوصل أحدها بين البحر الأبيض والمحيط، كما جهزت بالمدافع والحصون والمخابئ. وشيد على الشاطئ الغربي للصخرة ميناء بديع يرجع عهده إلى القرن الثامن عشر، وله شهرة تاريخية يمجدها الإنجليز فهو أول ميناء رست فيها السفينة «فيكتوري» وهي تحمل جثمان «نلسن» عقب موقعة الطرف الأغر التي

دمر فيها الأسطول الفرنسي ، ومنها أذيع النبأ في جميع أنحاء الامبراطورية ، ومساحة المنطقة المائية لهذا الميناء ٤٤٠ فداناً مربعاً ، وأطول أرصفتها ٨٥١ قدماً

منذ قرنين

وبلغ عدد سكان جبل طارق سنة ١٩٣١ : ٢١٫٣٧٢ نسمة لا يحق لأحدهم امتلاك قطعة من أرضها ، بل يعيش فيها الجميع بتصاريح خاصة من حاكم المنطقة ، ويتضمن هذا العدد العسكريين منهم والمدنيين

بدأت سيطرة انجلترا عليها سنة ١٧٠٤ ، وحاولت فرنسا وإسبانيا نزعها منها ، ولكن جميع الجهود التي بذلت لم تأت بأية نتيجة . في سنة ١٧٧٩ حاصرتها الدولتان ، وكان عدد الجنود البريطانية ثلاثة آلاف جندي يقابلهم ١٧ ألف جندي فرنسي وإسباني ، واستمر الحصار ستة أشهر خسر فيها المهاجمان عشرة آلاف مقاتل مقابل ٤٠٠ بريطاني ، وتوالى عليها الحصار في هذه الحرب مدة ثلاث سنوات وسبعة شهور ولكنها ظلت أمنع حصون العالم

ولا نستطيع أن نتكهن من الآن عن المصير الذي تواجهه فقد صقلت الأسلحة الحديثة إلى حد بعيد ، وأصبح من السهل قذفها بقنابل المدافع من كوتا في الساحل الأفريقي ، فهي لا تبعد عنه إلا ١٢ ميلاً ، كما يمكن ضربها من أسبانيا ؛ فإذا حاولت دولتا المحور مهاجمتها فسنرى لجبل طارق تاريخاً جديداً ، فقد جهزه الإنجليز بأحدث الأسلحة وأبعدها مرمى ، واستعدوا لجميع الظروف من تخزين مؤن وذخائر مما يجعل اقتناصها أمراً بعيد التحقيق

ومنذ سنة ١٧٨٣ لم تحاول أية دولة دخلت الحرب مع انجلترا أن تطمع في مهاجمة جبل طارق أو تنازع بريطانيا العظمى السيادة فيه . ولهذه الصخرة أهمية ممتازة وخصوصاً في الحرب الحالية ، فهي مفتاح البحر الأبيض المتوسط ، ويتحتم على كل سفينة تحاول دخول هذا البحر المرور في مياهها الساحلية لضيق المسافة بين الشاطئين الأفريقي والأوربي . فإذا حاولت العصيان فإنها تتعرض لقنابل مدافع الصخرة المركزة في أماكن حصينة

حلقة الحصر

ويؤدي جبل طارق في هذه الحرب مهمتين :

الأولى : حبس الأسطول الإيطالي في حوض البحر الأبيض فيتعذر عليه الخروج إلى المحيط لعرقلة الملاحة البحرية ، فإن رجال البحرية الإيطالية يعرفون مقدرة الأسطول البريطاني فلا يفكرون في الاشتباك معه في معركة بحرية ، وظهر هـذا التصرف واضحاً عند ما التقى الأسطولان في البحر الأبيض فلجأ أسطول إيطاليا إلى الهرب

والثانية: حصر إيطاليا وتعطيل تجارتها فيستحيل على سفنها أن تنقل إليها المواد الخام أو الأغذية اللازمة لسكانها . ولجبل طارق ميزة أخرى أشرنا إليها في مقالنا السابق ، فهو القاعدة التي تكمل حلقة الحصر البحري على ألمانيا، وبهذا أصبحت دولتا المحور محصورتين في حلقة مقفلة ، فإن نشاط الأسطول الإيطالي محصور في غرب البحر الأبيض ، أما في شرقه فلبريطانيا سيادة كاملة عليه . أضف إلى ذلك قنال السويس وهو يعزل إيطاليا عزلاً تاماً عن مستعمراتها في شرق أفريقيا

وبهذا الوضع يتيسر لبريطانيا السيطرة البحرية التامة على المحيط الأطلنطي ، فلا توجد فيه أساطيل تنازعها سيادته بعد ما أصيب الأسطول الألماني بخسائر فادحة في النرويج جعلته مشلول الحركة

فإذا انتقلنا إلى باقي أطراف المؤامرة وهي الروسيا واليابان فقد وضحنا في مقالاتنا السابقة أن الروسيا تتبع سياسة خاصة لا تهتم فيها إلا بتحقيق أغراضها ، وإن هذه السياسة لا تلبث أن تفصم العلاقات التي بين هذه الدول ، فضلاً عن عداوتها واصطدام مصالحها بمصالح اليابان في الشرق الأقصى

بين الروسيا واليابان

فالروسيا تعتبر الصين وآسيا من مناطق نفوذها ، واليابان تعتبرهما من مناطق نفوذها ، وهي التي أصدرت المبدأ القائل : « آسيا للأسيويين » فإذا تجاوزنا اختلافهما في المبادئ إذ الروسيا بلشفية تسعى لبلشفة العالم ، واليابان ملكية وللامبراطور فيها نفوذ الآلهة ، وإذا اقتصر بحثنا على اصطدام مصالحهما تبين لنا أن اتفاقهما متعذر

فإذا قلنا إن ما حدث بين الروسيا وألمانيا يمكن أن يحدث بين الروسيا واليابان وجدنا أن القياس متعذر ، فإن المناوشات لا تكاد تنقطع بين قوات الفريقين ، لحدودهما متجاورة وبحارهما واحدة ، بل إن بعض البحار التي في شمال الجزر اليابانية والتي تحيط الأملاك الروسية فيها مصالح رئيسية لليابان ؛ فهي مورد رزق لعدد كبير من صيادي السمك اليابانيين ، ومصدر صناعات كبيرة في اليابان ، وفي هذه البحار يتقابل الفريقان ويتناوشان .

فهذا الاختلاف البارز في علاقات الدولتين يفسر لنا الجزع الذي بدا في أوساطهما عند ما ظهرت مساعي انجلترا للاتفاق معهما ، فكل منهما تخشى الأخرى ولا تريد أن تقوى جبهتها بالانحياز إلى جانب قوي يستطيع أن يفض خلافاتها ، ومن ثم يعتبر اشتراكهما في المؤامرة الدكتاتورية اشتراك المصلحة فحسب، فإذا تيسر لانجلترا تحقيق هذه المصالح، وهو في استطاعتها بما لها من نفوذ في الشرق فلا يوجد ما يستدعي استمرار المؤامرة ولا سيما أن الروسيا واليابان تطمئنان إلى التوسع البريطاني أكثر مما تطمئنان إلى التوسع النازي ، فقد خبرا الأول وعرفا ميوله ووسائله ، ولكن الثاني مجهول . وإن رجحت فيه كفة الخيانة والغدر ، فالاتفاق مع انجلترا خير من الاتفاق مع ألمانيا ، لأنه اتفاق مأمون العاقبة

السياسة تعمل

أما كيف يتم هذا الاتفاق وعلى حساب أية دولة فهذا أمر ليس في استطاعة الباحث أن يجيب عليه ، فقد دخلت الحرب الآن في فترة تعمل فيها السياسة والمعاهدات أكثر مما تعمل القوة العسكرية. فالحرب الآن حرب حياة أو موت تكثر فيها المفاجآت، وتكثر فيها المعاهدات السرية الوقتية التي تعمل المعجزات

فمعنى أن انجلترا تسعى لفض منازعات اليابان مع الصين أنها رأت في سكون هذا النضال مصلحة تريد استغلالها ، فساستها ليسوا من الغفلة بحيث يفضون مشاكل اليابان في الصين إذا عرفوا أن اشتراكها في مؤامرة ألمانيا وإيطاليا ما زال معقول التنفيذ

وتعرف انجلترا ما بين الروسيا واليابان ، فتلويحها بالاتفاق مع إحداهما إضعاف للمؤامرة النازية ، وإنذار للأخرى ، ولا سيما لما بينها وبين أمريكا من اتفاق على إنقاذ العالم من شرور النازية وأطماعها ، وخصوصاً لما بين اليابان وأمريكا من اختلافات قد تؤدي إلى الحرب بينهما

واتفاق الحلفاء مع الروسيا مع ملاحظة سياستها الحالية التي تسعى إلى الحصول على أغراضها كلما سنحت الفرصة سواء كانت هذه الأغراض ضمن الاتفاق أو خارجة عنه كما شاهدنا في تصرفاتها مع ألمانيا — اتفاق لا يطمئن إليه الحلفاء. فللروسيا أطماع كبيرة في تركيا ، فسياستها في جميع مراحل الحكم من قيصري وشيوعي كانت مبنية على الاستيلاء على مداخل البحر الأسود في البسفور والدردنيل، فإنه يلاحظ إذا نظرنا إلى خريطتها أنه رغم الرقعة الواسعة التي تشغلها في القارتين الأسيوية والأوربية ، يلاحظ أن منافذها البحرية الهامة محصورة وتحت تصرف غيرها من الدول ، أو معطلة في جزء من السنة

الروسيا تنتظر

فموانيها في بحر البلطيق تقفل أثناء الشتاء بفعل تجمد الماء ، وكذلك موانيها في البحر الأبيض الشمالي بعيدة قليلة الأهمية . ويلاحظ في موانيها في البحر الأسود أن منفذها إلى البحار الواسعة تحت سيطرة تركيا ، فهي تسعى للاستيلاء على البسفور والدردنيل ليكون منفذها إلى البحر الأبيض المتوسط حراً ، ولتأمن الاعتداء على سواحلها في البحر الأسود من اعتداء أساطيل الدول البحرية ، فإنها إذا سيطرت على هذين الجزأين أصبحت سيدة البحر الأسود وهددت البحر الأبيض المتوسط

ومن يتتبع سياسة الروسيا يشاهد أنها توفر قواتها إلى وقت تستطيع فيه استغلالها في ظروف أكثر ملاءمة ، فقد احتلت نصيبها من بولندا ورومانيا دون أن تبذل أي مجهود حربي يؤثر على الجيش السوفياتي

فهي في الغالب تنتظر أن تنهك الدول المحاربة ثم تبدأ بنشر الدعوة البلشفية بين الأمم، مستندة إلى قوة الحديد والنار، ولعل هذا مما يدعو الدول الأخرى إلى التفكير في ذلك المصير إذ يهدد الخطر الشيوعي الدول المنتصرة والمنهزمة ، ولا شك أن ساسة الدول فكروا في هذا المصير طويلاً وقدروا له العلاج اللازم

فوزي الشتوي
بكالوريوس في الصحافة

سبحي معي . . . !

أنا يا أختُ شاعرٌ قَستِ الدّ   يا عليه فعاشَ فيها شقيا
وأنا ابن الخيالِ والفنِّ والحبِّ   نغني السماء روحًا بهيا
فتعالَيْ نعزفْ على العودِ لحناً   يدع الكونَ مستهامًا زكيا
سبِّحي سبِّحي مَعي للذى أوْ   دَعَ قلبينا حبَّنا العذريا
يسمع الله يا حبيبةَ قلبي   لحبيبيْن ينشدان سويا
أنتِ أسكرْتني وأنسيْتِ قلبي   كُرُباتٍ تركْنَ فيه دويا
أنت فتَّحت في عيونِيَ آفا   قَ وأبصرْتني جمالاً خفيا
أنت أجرَيْتَ جدولي بعدأن كا   نَ حبيساً مغلقاً منسيا
أنت أذهلْتني فسِرْتُ وما أدْ   رى على كونِيَ المنوَّر شيا
أنت عودتني احتقار الأناسِيِّ   وأحلَلْتنى مكاناً عليـا
فتساميتُ عن وجودي وغنَّيْ   تُ غنـاءً مخلداً سحريا
أنت أرقصتِ حولَ روحي أغاريـ   دَ فصارتْ دنيايَ لحناً شجيا
أنت أسمعْتني من الغيب أصوا   تاً وهمساً محبباً علـويا
أنت صيرتني طروباً يغنى   ذاهلا عن حياته قدسيا
فاسمعيني يا أختُ في عشك النّا   جي وروِّي فؤادكِ العبقريا
ألهميني أغانيَ الوترِ الشّا   كي ومدِّي شعاعَكِ الكوكبيا
واسكبي النورَ صافياً في عيوني   وافتحي قلبي الرحيبَ الصبيا
واخلقيني كما خلقتكِ في فنِّـ   يَ وخلَّدْتُ حسنكِ الأبديا
العناياتُ أبدعتْكِ لأنغا   مي وشِعْري لجئتِ سحراً شهيا
فاصطفيني كما اصطفيتك قلباً   صافياً ، زاهراً ، طهوراً ، نقيا
واتركيني في حضنك الشاعرِ الحا   ني وليـداً مدللا قريا
حوله ترقصُ الملائكُ نشوى   وتغنى الأقدار لحناً سنيا
طهرتني السماء حتى تمنَّيْـ   تُ لوانَّ الوجودَ مثلى نقيا
ورعتْني الغيوبُ فانسابَ قلبي   جدولاً ، ناغماً ، رقيقاً ، نديا
إيه من تلهم الأناشيدَ كالعطـ   رِ تعالَيْ نسكرْ على الكونِ هيا
أنت للفنِّ صاغكِ الله يا رو   حى فلا تعنى عن الفن ريا
وأنا الفنّانُ الذى يَهتفُ الطيـ   ـر حواليه حين يسرى هَنيا
وتغنى الأمواجُ سكرى من الشوْ   ق وتلهو على الضفاف مليا
وتفوحُ الأزهارحتى يُرى الكوْ   ن نسيماً معطراً عنبريا
هكذا جئنا للحياة ... فلِمْ لا   نتغنَّى على الحياةِ سويا ؟

عبد العليم عيسى

رباه . . .

يا طلعةَ النورِ في ظَلماءِ أحزاني !
يا بسمةَ الأمنِ في أمواج حرماني !
يا هَدأةَ الروح في أهوال عاصفةٍ
يا نغمةَ الطُّهرِ في سرِّي وإعلاني !
يا شُعلةَ الخير في صدري موَجَّجةً
ويا صدى الحقِّ في أحناء وجداني !
رباهُ صوتُكَ في الأعماق رَجَّعَهُ
قلبي الضعيفُ بترتيلٍ وألحانِ
رباه هــذا كياني رمزُ مقدرةٍ
يَضجُّ بالحمـدِ والتسبيح للباني
رباهُ إنَّ لهيباً ثائراً أبداً
أذكى دمائي بوقدٍ ليس بالفاني
رباهُ منك اقتبستُ الشعرَ مؤتلقاً
بكلِّ معنًى رفيع القـدرِ فتَّانِ
رباهُ لولا جمالٌ منك مطلعُهُ
يوحى البـدائع لم أُهمِمْ بتبيانِ
رباهُ طهِّرْ فؤادى أن يُلِمَّ به
إثمُ الضلالةِ من إغواء شيطانِ
رباهُ إنَّ سبيلي شائكٌ وَعِرٌ
فاشدُدْ قُوايَ بلطفٍ منك معوانِ
وافتحْ لروحيَ آفاقاً مُزَوَّقةً
من الخيالِ بأضواء وألوانِ



طبع الأصيل

معــــركة ...

للأســتاذ عزيز أحمد فهمى

نشبت فى الأسبوع الماضى على صفحات «الأهرام» معركة بين فريق من كبار الكتاب المصريين ، كان مثار الخلاف فيها أن بعضهم أراد أو تمنى أن يعالج مفكرونا وأصحاب القلم عندنا شئوننا الاجتماعية والاقتصادية والقومية والحربية وغيرها من شئوننا الفقيرة إلى التفكير والتدبير ، بينما رأى البعض الآخر أن هذا الوقت العصيب الذى نجتازه ليس أنسب الأوقات لمعالجة هــذه الشئون التى لا ريب تحتاج فى دراستها إلى أعصاب مستريحة وعقول مطمئنة . وأين هى اليوم هــذه الأعصاب التى لا تتحفز فى اليوم الواحد مرات لا مرة واحدة ، والتى لا تشرئب إلى الغيب تريد أن تستخلص منه الحادثات وما يتبعها من النتائج ، وما هى مستخلصة شيئاً إلا هذا الجهد الذى تبذله . وهذا الشرود الذى تعانيه . وأين هى اليوم هذه العقول التى تستطيع أن تتلقط مادة الفكر ومادة النطق فى خلال هذه المفاجآت المنهارة على الناس من حيث يعلمون ومن حيث لا يعلمون ...

هذه كانت معركة الأسبوع الماضى

وستنشب فى الأسبوع القبل معركة أخرى بين هؤلاء الكتاب الكبار وسيدخلها غيرهم ، وقد جاءتنى أنباؤها ، واطلعت على ما أعد هؤلاء الكتاب لهــا من وسائل الهجوم وعدد الدفاع فآثرت أن أستعجل الزمن وأن أطلع قرائى على ما أطلعتنى عليه الصدف ، أو الملائكة .

ما قل ودل

لــا كنت فى باريس ، فى المرة الأخيرة ، ألقى صديقى الأستاذ مارسيل دوديه محاضرة قيمة فى دار جمعية (الشمس والقمر والنجوم) كان أهم ما جاء فيها قوله المأثور : « إن الإنسانية يجب عليها أن تفكر منذ الآن فى البحث عن وطن جديد غير الأرض تكون نسبة الأكسجين فى مناخه أقل من نسبته فى مناخ كوكبنا هذا ، فإنه لا شىء يساعد على إشعال النفوس بالغيرة والحقد والغيظ مثلما يساعد الأكسجين على ذلك » ... وقد أثبت الأستاذ مارسيل دوديه نظريته هذه بصور كثيرة عرضها بالفانوس السحرى كما أنه قام أمام النظارة بعدة تجارب أجراها على الأرانب والجرذان وعلى نوع خاص من الحشرات لا يوجد مثله فى مصر ويوجد منه كثير فى فرنسا واسمه اللاتينى (سانكا مانكا هوساروم) وقد دلت كل التجارب التى ألقاها الأستاذ مارسيل دوديه على أن نظريته صحيحة كل الصحة ، ولكن الحرب لم تمهله حتى يتم أبحاثه فقد فوجئ بصفارات الإنذار وهو فى معمله . ولست أدرى ماذا حدث له بعد ذلك وإن كنت آسفاً كل الأسف على أن بحثاً جليلاً كهذا وئد وهو فى طفولته ... أ ...

البحث مستمر

كتب صديقنا الأستاذ الصاوى يقول : إنه كان فى باريس حين ألقى العلامة الفرنسى الجليل الأستاذ مارسيل دوديه محاضرته الخالدة عن (المسكن الجديد) وهو الكوكب الذى كان هذا العلامة الفذ يريد أن ينقل الجنس البشرى إليه فراراً من

واسكبْ عليها نَدى الآمالِ ممتزجاً
بنشوةِ الحسنِ من أعطافِ نَيسانِ

وانثرْ ورودَ الأمانى فى بواكرها
على ربيعِ صِباىَ الضاحكِ الهانى

رباهُ هذى صلاةُ الشعرِ حاملةً
نجوى يقيني وتقديسى وإيمانى

ما قيمةُ الشعرِ إن لم ينتظمْ سُوَرًا
تدعو إلى الحقِّ ما كرَّ الجديدانِ

(العراق — العمارة) أنور خليل

الأكسجين الأرضى الذى يشمل فى النفوس النيرة والحقد والغيظ فيسبب بها الحروب والويلات والأهوال ...

والحقيقة هى غير ما قال الأستاذ الصاوى ، فأنا الذى كنت فى باريس فى ذلك الوقت ، وأنا وحدى الذى حضرت هذه المحاضرة القيمة ، ولقد رويت ما استقيته منها للأستاذ الصاوى عند ما قابلته فى اليوم التالى فى مطعم «سان سوسى» حيث قال لى إنه هبط باريس منذ ساعتين فقط ، وما كنت أظن الأمانة العلمية تهون على الأستاذ الصاوى إلى حد أن ينسب لنفسه الاستماع إلى ما لم يسمعه ، وادعاء العلم بما لم يأخذه بنفسه على أهله

وإنى أستحلف الأستاذ الصاوى بالضفدعة التى أكلناها معاً فى ذلك اليوم أن يعود إلى الحق فينسب الفضل إلى أهله وذويه على أنه لا يهمنى كثيراً أو قليلاً أن يأخذ عنى الأستاذ الصاوى هذا الذى أخذه ، فكم أخذت منى معلومات نسبها الآخذون إلى أنفسهم وهى لى أنا تعلمتها فى رأسى هذا الذى أحمله فوق كتفى والذى كدت أنوء بأثقال العلم التى احتواها .

ومع هذا فإنى سعيد . ومن أسعد من العالم الذى يرى علمه يتفشى فى الناس ، ويروج ويذيع ؟

هذه كلمة عاجلة أردت بها أن أضع الحق فى نصابه ، وكفانى الحق وكيلا .

زكى مبارك

(حاشية) : نسيت أن أقول إنه بلغني أن الأستاذ مارسيل دوديه لا يزال مستمراً فى أبحاثه .

موضوع للتفكير

كثر اللغط فى هذه الأيام حول موضوع الهجرة من الكرة الأرضية إلى كرة أخرى من هذه الأكر المنثورة فى الفضاء .

والواقع أنه موضوع جدير بالتفكير، وإن ظهر لنا اليوم أنه قد يكون بعيد الحدوث . ولكن كل الاختراعات التى حققها العلم فى هذا العصر كانت فى العصور السابقة أحلاماً اعتبرها الناس إذ ذاك بعيدة الحدوث

والذى يراجع التواريخ ويقلب الكتب يجد أن رجال الآداب والفنون عادة هم الذين يسبقون رجال العلم فى تخيل هذه الأحلام ، ويجىء رجال العلم بعدهم فيحققونها

والأستاذ مارسيل دوديه رجل من كبار الأدباء والفنانين والمفكرين لا فى باريس وحدها ، وإنما فى أوربا كلها ، وهو شيخ تجاوز التسعين من العمر ، وقد كان هو أول من فكر فى اختراع الدبابات ، وإن لم يكن تفكيره قد اتجه إليها مباشرة ، ففى نهاية الربع الثالث من القرن الماضى كتب الأستاذ مارسيل دوديه قصة « السلحفاة الحديد » ونشرها فى جريدة « العقل الجديد » . فاستغل العلماء هذه الفكرة واخترعوا بها الدبابة

وعلى هذا الأساس أستطيع أن أدعو الأدباء والكتاب والفنانين والمفكرين المصريين إلى أن يسرحوا فى عالوت الخيال ما استطاعوا عسى أن يوفق أحدهم إلى فكرة يمكن تحقيقها مادياً. وعندئذ يكون لمصر فخر المهاجرة بالبشرية من هذا الكوكب الذى قضى ربك أن ترتفع فيه نسبة الأكسجين ارتفاعاً يسبب الحروب والكوارث

فما رأى الكتاب عموماً ؟ وما رأى أخى طه على الخصوص ؟

أحمد أمين

أوهام

لست أدرى كيف جاز على الأستاذ أحمد أمين أن هناك أستاذاً فى باريس اسمه مارسيل دوديه ، وأن هذا الأستاذ عضو فى جمعية اسمها جمعية الشمس والقمر والنجوم ، وأن هذا الأستاذ ألقى فى هذه الجمعية محاضرة عن الأكسجين فى الأرض والأكسجين فى السماء ، وأن هذه المحاضرة خرج منها السامعون أو السامع الواحد الذى يؤكد أنه سمعها ورأى فيها صوراً بالفانوس السحرى وتجارب على الأرانب والجرذان ، وعلى تلك الحشرة العجيبة التى اسمها « سانكا مانكا هوساروم » ... بفكرة هى أن الناس يستطيعون أن يعيشوا فى أرض غير هذه الأرض وفى جو غير هذا الجو ... مع أن قصة هذه المحاضرة كلها من أولها إلى آخرها ليست إلا مزاحاً أراد به صديق عابث أن يلهو مع الدكتور زكى مبارك الطيب القلب السليم النية ، فقدمه إلى شاب من هواة التمثيل فى باريس ، بعد أن تنكر هذا الشاب فى زى شيخ من العلماء الطاعنين فى السن . وقد اختلق هذا الشاب الماجن الساخر كل ما حسبه الدكتور زكى مبارك حقاً ، وألقى عليه

المحاضرة الساخرة فى نادى التمثيل الذى ينتسب إليه ، وقد حسبه الدكتور المبارك جمعية علميـة يعمل أعضاؤها على هجرة الأرض وسكنى السماء ...

وقد كنت أربأ بصديقى الأستاذ أحمد أمين عن تصديق مثل هذه الأشياء ، ولكن يظهر أن الذين قالوا : إن لكل عالم هفوة لم يكونوا كاذبين .

طه حسين

ولكنى مسرور

بعـد أن فضح أستاذنا الدكتور طه حسين ذلك الشاب الفرنسى الخبيث الذى ادعى أنه أستاذ علامة ، وأن اسمه مارسيل دوديه ، وأنه يبحث عن سعادة البشرية واطمئنان الإنسانية ، فحملنى الخبيث على تصديقه والإيمان به ...

بعد هذه الفضيحة ، قد يحسب القراء أننى أريد السفر إلى باريس الآن لأبحث عن هذا الشاب وأخنقه وأشرب من دمه ...

ولـكن لا ...

فما هذا والله إلا من ظرف باريس ، ولطف باريس

وإنك لا يمكن أن تجد هذه الدعابة العذبة الحلوة الشهية إلا فى باريس

رعاك الله يا باريس ، وجدد شبابك ، وأعاد لك البهجة والحبور ، ولتمزحى معى بعد ذلك كيف شئت ...

يا باريس ...

زكى مبارك

وأخـيراً

تيقظت من تأملاتى العميقة التى يسبح فيها فكرى فى سماء الفن البنفسجية المتماوجة الأضواء ، على صوت شاب من جماهير المعجبين بى الذين يضايقوننى بزياراتهم وأسئلتهم التى يوجهونها إلىّ بالتليفون وبالبريد ، وبالتلغراف أحياناً، ظناً منهم أننى ما دمت مفكراً وفناناً وفيلسوفاً فإننى أستطيع أن أصغى إلى أسئلتهم وأن أجيب عنها مع أننى أتعب نفسى كثيراً فى عملية الإصغاء والفهم ، فعقلى الطائر وراء الحقائق المتراقصة فيما بعد آفاق الإدراك لا يستطيع أن يغوص إلى حيث تدب المخلوقات العادية على أرض العقل الناعس المتهدل

تيقظت على صوت ذلك المعجب وهو يسألنى رأيى فى مسألة الأستاذ مارسيل دوديه ؛ فطلبت منه أن يقصها علىّ بمنتهى الإيجاز حتى أستطيع أن أحصرها فلا تفلت منها شاردة ولا واردة ، فلما فرغ منها طلبت منه أن يعطينى مهلة يوماً أو يومين حتى أفكر فى هذا الموضوع

وبعـد طول التفكير نتأت فى عقلى فكرة جديدة ، وهى : لماذا لا نتخلص من هذه الأبدان التى تحتاج إلى الأكسجين والهيدروجين وسائر هذه المواد التى تحجب عنا أنوار الأفراح المقامة فى السماء ؟

وأخيراً اعتزمت أن أبدأ بهذه التجربة ...

وكما طلبت من ذلك الشاب المعجب بى أن يمهلنى فأمهلنى حتى اهتديت إلى هذه الفكرة ، فإنى أطلب من القراء أن يمهلونى هم أيضاً حتى أهتدى إلى الطريقة التى يمكن بها أن نتخلص من أجسامنا الكثيفة

توفيق الحكيم

***

... وهذه « هدنة » تقف عندها المعركة

« عزيز أحمد فهمى »



الوضع الحقيقي لمشكلة

جابر بن حيان

للأستاذ أحمد زكي صالح

الباعث على نشوء مشكلة جابر

نحن الآن أمام شخصية فذة ، ذلك لأن « جابراً » هو شخصية العلم ، لا في العصور الوسطي الإسلامية فقط ، ولكنه شخصية العلم في القرون الوسطى الأوربية .

ومنذ عام ١٩٢٢ ، احتلّت مشكلة جابر بن حيان الصدر والمكانة الأولى بين أهم المسائل التي عالجها العلماء المستشرقون في أوربا بوجه عام وفي ألمانيا بنوع خاص

ويمكن أن نقول : إن من أهم الأسباب لنشوء مشكلة جابر بن حيان وجود عدد معين من الكتب الكيميائية اللاتينية التي ينسب أصل تأليفها العربي لجابر بن حيان العربي المسلم

وهذه الكتب تعرف في الأدب اللاتيني الكيميائي بالأسماء الآتية :

1. Summa Perfectionis Magesetri
2. De Investigatione Perfectionis
3. De Investigatione Ueritatis
4. Liber fornacum (١)

ولعل أهم باعث على الشك في صحة نسبة هذه الكتب لجابر بن حيان ، هو هذه اللغة الواضحة ، وذلك الأسلوب الجميل ، وهذا العرض المنسجم العالي ، وغير ذلك من ظواهر الوضوح الفكري التي كتبت بها هذه الكتب . ذلك في حين أن التراجم اللاتينية لبعض المؤلفات العربية الأخرى كانت في لاتينية مضطربة وأسلوب مشوه قبيح ، ولهذا السبب خيّل لبعض العلماء المستشرقين غموض أصل هذه التراجم وأنها مدخولة على جابر بن حيان

ولكي نعرض المشكلة عرضاً حسناً ، ونضعها في وضعها الصحيح يجب أن نعرضها على شكل أسئلة نحاول أن نجاوب عليها ، فإذا استطعنا ذلك سهل علينا إصدار الحكم الصحيح في هذه المشكلة ، فنتساءل :

أولاً : هل يمكن أن تكون الكتب الكيميائية التي عرفت في الأدب الكيميائي في القرون الوسطى تحت اسم Gèbèr من أصل أوربي ؟

ثانياً : إذا لم تكن هذه الكتب من أصل لاتيني فهل يمكن أن تكون ذات أصل عربي ؟

ثالثاً : هل حقاً أن هذه الكتب كتبها جابر بن حيان العربي المسلم ؟

رابعاً : إذا كان كذلك ، فمن هو جابر إذن ؟

ولكن في عرضنا للمشكلة ، لن نعرض لها جزءاً جزءاً ، ولكن سنعرضها ككل ، وبعد ذلك نناقش ما وصلنا إليه من نتائج

شخصية جابر بن حيان

جابر بن حيان من تلك الشخصيات التي عاشت في صدر الإسلام ، وكلنا يعرف أن أهم ميزة يمتاز بها رجال هذا العصر هي العقلية الجامعة العامة ، وأعني بها تلك التي يطلق عليها Mentalité encyclopidíque ، وجابر خير من كان يمثل هذه العقلية ، إذ أنه جمع بين العلم والأدب ، وكان فيلسوفاً ومتكلماً شيعياً ، وكيميائياً ، ومنطقياً ، وإماماً للشيعة ، وطبيباً ، وإذا عرفنا شيئاً عما يذكره (الفهرست) من مؤلفاته أمكننا أن نتصور على أي شكل وصورة كانت عقلية جابر

فنحن نجد في (الفهرست) إلى جانب ما يذكره له من كتب الكيمياء وهي حوالي ٢٥٠ كتاباً ، نجد كذلك ٣٠٠ كتاب في الفلسفة و ٥٠٠ في الرد على الفلاسفة ، و ١٣٠٠ في العلوم الآلية والحيل ومثيلها في عدد الحروب ، و٥٠٠ ونيفاً في الطب ، وعدداً كبيراً من الكتب في علوم التنجيم والفلك والسحر والتمويذ والعلم الإلهي

---

(١) الأصل العربي لهذه الكتب مفقود ، ومن بحثنا خلال مؤلفات جابر بن حيان التي أوردها الفهرست نستطيع أن نقول إن أصلها العربي يعرف بالأسماء الآتية على التتابع : الجمع ، الاستتمام ، الاستيفاء ، فكتاب التكليس .

ونحن لا نذهب إلى القول بصحة ما جاء في هذا الثبت ، فقد يكون ابن النديم قد فهم (الرسالة) على أنها كتاب أو أراد التهويل ، ولكن الذي يعنينا هنا أن ابن النديم يريد أن يصور لنا عقلية جابر بن حيان على أنها عقلية جبارة

أصول التراجم اللاتينية لمؤلفات جابر

ليس من شك في أن اتحاد شخصية Gèbèr التي يقول بعض المؤرخين إنها الشخصية اللاتينية المؤلفة للكتب السابق ذكرها مع شخصية جابر بن حيان — يكون عديم القيمة إذا كانت نسبة المؤلفات اللاتينية لجابر محض انتحال ، وفي نفس الوقت تقدم البرهنة على ذلك مفتاحاً لمصادر هذه المؤلفات . وفي اختبارنا إياها كي نرى هل هناك احتمال يمكن أن يدل على أصلها العربي يتحتم علينا أن ندرس الكتب العربية لجابر بن حيان التي وصلت إلى أوربا ؛ ولكن الأهم من هذا كله هو أن ندرس محتويات هذه الكتب الأربعة التي سبق أن أشرنا إليها

فكتاب «الجمع» Summa Perfectionis Magestri الذي يعد بحق أعظم وأهم مؤلفات جابر كلها ، قسم إلى كتابين : الكتاب الأول مقسم إلى أربعة أبواب ؛ والثاني إلى ثلاثة :

فأما الباب الأول من الكتاب الأول فإن المؤلف يعالج فيه الصعوبات التي يقابلها الكيميائي في تحضير الأكسير . وفي الباب الثاني يدحض جابر براهين وأقوال أعداء الصنعة وخصومها . واختص الباب الثالث بمناقشة خصائص عناصر الكبريت والزرنيخ والزئبق التي منها تتكون المعادن في نظر جابر بن حيان . ويبين في الباب الرابع الكيفيات التي بها تعالج المعادن والكحول والتبر ووصف التجارب الخاصة بكل معدن ؛ ثم تحدث بعد ذلك عن العناصر الهامة والأجهزة اللازمة لكل تجربة

وفي الباب الأول من الكتاب الثاني عالج تحضير الكحول وبعض المعادن ، ثم في الباب الثاني ذكر عدداً من الوصفات الطبية لا بأس بها ، وفي الباب الثالث ذكر بعض التجارب التي لا تحتاج إلى شرح طويل

وسنقتصر هنا على ملخص هذا الكتاب لأهميته ولإحرازه قصب السبق على الثلاثة الآخرين ، إذ أن هذا الكتاب أخذ منزلة إنجيل الكيمياء في العصور الوسطى فضلاً عن أنه نشر مرات باللاتينية منذ العصور الوسطى حتى الآن

مناقشة آراء المستشرقين في جابر ومؤلفاته

ولقد عزّ على بعض المستشرقين أن يوجد مثل هذا الفكر الجليل الشأن في الشرق خاصة وفي الإسلام عامة ؛ فأخذوا يبتدعون أساليب الشك ، ويحاولون بمعاول الهدم أن ينالوا من جابر بن حيان ، ولكن هل قُدر لهم النجاح فيما أرادوا ؟

هذا ما سنحاول الإجابة عنه !

وضروري جداً ، لمن كان في سبيل بحث كبحثنا هذا ، أن يؤرخ تأريخاً بسيطاً لحركة الاستشراق العلمي

كانت دراسة المستشرقين للناحية العلمية في العالم الإسلامي عديمة القيمة في القرنين : الثامن عشر والتاسع عشر ؛ ولكن منذ خمس وعشرين سنة ظهرت حركة جديدة في محيط الاستشراق لتبيّن أصول العلم العربي الذي يوجد بين طيات تلك المخطوطات العربية العديدة الموجودة في دور الكتب الشرقية والغربية ، والتي يرجع الفضل في نشر بعضها إلى : برجستراسر وبراون وتكاتش وسوتر ومسبيرو

وهناك مدارس كثيرة من تلك التي اختصت بالكيمياء والطب والفلك والرياضة والطبيعة والفلسفة صبغت نفسها في نفس الوقت بصبغة استشراقية ، نذكر من هؤلاء : رسكا وودمان وستشو وكروس وبلسنر وسرطون وريتو وغيرهم

تقرير الأستاذ شميدر Chr. Schmieder [1]

الأستاذ شميدر له صولة وجولة في تاريخ الكيمياء ، وبطبيعة الحال اتصل بحثه بمشكلة جابر بن حيان ومؤلفاته ، ونحن نقتطف بعض عبارات مما كتبه :

قال : إن أشهر الكتاب العرب الذين عالجوا الصنعة (أي الكيمياء) هو جابر بن حيان الذي عاش حسب تقدير ليوافريكانس Leo Africanus في القرن الثاني الهجري ، ويمكن أن يقال بالدقة في النصف الثاني من القرن الثامن للميلاد . وليس ثمة عربي قبل جابر استطاع أن يكتب مثل ما كتب جابر . وليس ثمة عربي بعده استطاع أن يصل إلى مثل ما وصل إليه

(١) ذكره رسكا في مقاله في Jolamic iu lture 1937

جابر ، الأمر الذى ترتب عليه أن أطلق على جابر بن حيان فى التراجم اللاتينية اسم (ملك العرب) ، وإنه ليظهر لى غريباً وبعيد الاحتمال أن أولى محاولات التأليف فى موضوع معين فى شعب من الشعوب قد تبلغ هذه المرتبة من الناحية العلمية ، ولكن المشكلة زال ما كان يعتريها من غموض بفضل استكشاف ليوافريكانس الذى ذهب إلى القول بأن جابر لا يمت إلى العرب بصلة ، وإنما هو منحدر من سلالة إغريقية . فلقد عاش جابر فى إشبيلية Seville بأسبانيا حيث ألم بكل فروع الفلسفة اليونانية العربية ، وربما يكون جابر هذا هو الذى أنشأ الجامعة العربية هناك ، أو على الأقل يمكن أن يعتبر مؤسس مدرسة فلسفية انتشر تلاميذها فى القارات الثلاث ، وأخذوا ينشرون العلم باسم جابر بن حيان. ولما كانت كل مؤلفات جابر بالعربية فإنه اكتسب لنفسه الجنسية العربية وكذلك اكتسبها لمله

ولكن إذا أنعمنا النظر فى هذا الرأى الذى يأخذ به الأستاذ شميدر وجدناه مليئاً بالأغلاط التاريخية ، وذلك أن جابراً لم يذهب إلى إشبيلية ، وما عاش بها قط ، إنما عاش متنقلاً فى بلاد المشرق بين الكوفة وبغداد ، وأن جميع كتب التاريخ العربية تثبت لنا ذلك بشكل قاطع ، هذا أولاً ، وثانياً : إذا كان صحيحاً ما يقول به شميدر من أن جابراً معتنق جديد للدين الإسلامى ، فما هو اسم جابر الأصلى ؟ ولِمَ لَمْ تذكر فى كتب التاريخ هذه الحقيقة ؟ وهبنى سلمت بصحة مايقول به شميدر فكيف يمكن التوفيق بين ما يقول به وبين ما تقول به كتب التاريخ الصريحة من أن جابراً تولى إمامة الشيعة ، بعد موت جعفر الصادق ، وهم على ما هم عليه من تطرف وغلو شديدين فى الدين الإسلامى ؟

ولهذا كله لا يسعنا إلا أن نرفض ما يقول به الأستاذ شميدر

تقرير الأستاذ مايرهوف Max Meyerhaf(1)

يرى الأستاذ مايرهوف أن تلك الكتب التى تنسب لجابر هى فى ذاتها مشكلة ، إذ كيف يتيسر أن نفهم أن رجلاً عاش فى القرن الثامن وله كل هـذا الاطلاع على الأدب اليونانى الكيميائى ؟ ولكن يظهر أن هذه المؤلفات من أعمال جمعية فى القرن العاشر من الميلاد أى القرن الرابع الهجرى شبيهة بتلك التى أطلقت على نفسها (إخوان الصفاء) . وأسماء المؤلفين اليونان هى التى تذكر فقط فى أعمال جابر الطبية ، ولكن النصوص بعيدة عن أصحاب هذه الأسماء جد البعد ، وتدل على روح مدرسية صريحة ، ففى حين أنه قليلاً ما يأتى ذكر الأعلام السريانية والهندية ، نجد كثيراً ما وردت الأعلام الفارسية ... وعلى أية حال فمن الشكوك فيه أن نعدها الحلقة الأخيرة من سلسلة تقدم علمى امتد من عصر ما قبل الإسلام إلى العصر الإسلامى

ولكن رأى مايرهوف لا يعدو أن يكون تقريراً ساذجاً ، فالأستاذ رسكا يقول : إن المسألة لا يمكن أن تفسر هذا التفسير البسيط الساذج من أن أعمال جابر بن حيان إنما هى أعمال مدرسة استمرت عدة قرون(1)

ولكن ، فلنتوسع قليلاً فى مناقشة ما يذهب إليه مايرهوف : فمايرهوف يبنى أساس برهانه على أنه لا يمكن لجابر أن تكون له هذه المعرفة الواسعة المدى بالكيمياء ، وهو الذى عاش فى القرن الثامن للميلاد ، ولكن أنسى الأستاذ مايرهوف وهو الفطن اللبيب الذى بحث فى الأصول التى استقى منها الإسلام العلم وبين بكل وضوح وجلاء أنه ما أتى القرن الثانى من هجرة الرسول ، أى القرن الثامن من الميلاد ، حتى كان لدى المسلمين معرفة حسنة بل جيدة بالعلوم ، وخاصة الطبيعية منها التى كانت لدى الفرس والسريان والهنود والمصريين واليونان(2)

ولكن يمكن أن نلتمس له عذراً إذا عرفنا أن المدة بين رأيه الأول ورأيه الثانى تقرب من ثمانى سنوات . فإذا كان مايرهوف سنة ١٩٣٧ يهدم الأساس الذى بنى عليه مايرهوف تقريره سنة ١٩٣٠ فلا يسعنا إلا أن نرفض النتيجة المترتبة على رأيه الأول ، وهى أن أعمال جابر من أعمال مدرسة امتدت حوالى ثلاثة قرون

(يتبع) أحمد زكى صالح

(١) من مقال له فى pegaey of Islam

(١) Ruska : Alchemy in Islam. Isl. cul. 1937

(٢) M. Meyerhaf : on the transmission of Greek & Indian Science to the arabs



الى الدكتور زكى مبارك

قرأنا حنقين مقالك الذى تبكى فيه بلدة آثرت صلة هواك بملاهيها وحبك لماهدها على صلتك باخوانك الذين جرّعهم أبناء النور الصاب ، وأوردوهم شرّ مورد ، صلة الدم واللسان والإسلام ما كان لك أن تنساها

ولولا أن الفم فيه ماء ، لعاتبتك عتاباً يتحدث به الركبان .

ولـكن يشفع لك ما قدمت إلينا من جميل ، وما أسلفت من إحسان

وإن يكن القول الذى ساء واحداً
فأقوالك الـلائى سررن ألوف

وأرجو ألا يمنع الأستاذ الزيات من نشر هـذه الـكلمة أنه شريكك فيما أعاتبك عليه وألوم ...

والسلام عليكما ورحمة الله وبركاته

(دمشق) على الطنطاوى

(الرسـالة) : كان الأستاذ الطنطاوى حرياً أن يفرق بين فرنسا السياسية المتعمرة وفرنسا الأدبية المتمدنة ، فانه لو فعل ذلك لوافقنا على أن فرنسا الروحية هى الوطن الفكرى لـكل أديب .

أصحاب العاهات ونوادرهم

ذكر الأستاذ صلاح الدين المنجد فى العدد الماضى من الرسالة أن نخبة من أدباء دمشق عنوا بجمع أخبار أصحاب العاهات ونوادرهم وأنهم لم يعثروا إلا على القليل من أخبار العور وملحهم . ويسرنى أن أرشد هذه اللجنة الموقرة إلى كتاب يفيدها فى هذا الموضوع ، وهو « الشعور بالعور » للعلامة صلاح الدين خليل ابن أيبك الصفدى ، وهو كتاب جامع فى أخبار العور من صحابة وتابعين وعلماء وأدباء ، وهو علىَ مثال كتابه فى العميان المسمى « نكتُ الهميان فى نكتِ العُميان » . والشعور بالعور من الكتب التى نقلها المرحوم أحمـد زكى باشا بالتصوير الشمسى عن مخطوط فى بعض مكاتب الأستانة . وهو يوجد الآن فى خزانته الزكية بدار الـكتب المصرية . وعسى أن يجده الأستاذ فى مكاتب دمشق الخاصة أو العامة فانه فريد فى بابه .

محمود حسن زناتى
أمين الخزانة الزكية سابقا

(الرسالة) : جاءنا مثل هذا البيان من الأديب رشاد عبد المطلب ، وقد زاد على ما قال الأستاذ الزناتى أن من هذا الـكتاب نسخة خطية فى الخزانة الخالدية فى القدس، وأن للصفدى كتابا فى العمش وآخر فى الحدبان ذكرهما السخاوى فى كتابه (الاعلام بالتوبيخ لمن ذم التاريخ) .

دعاء : شيئاً لله يا مرسى !

يا أبا العباس لقد كنت تقياً ، وقد كنت ولياً ، وإن لك عند الله كرامة، وهو مجيبك إذا دعوته، فهلا دعوته اليوم للاسكندرية!

لقد دعا الشيخ المراغى للقاهرة فادع أنت للبلد الذى أسكنك الله إياه كما دعا إبرهيم للبلد الآمن ، الذى أمنه الله بدعائه

قل يا رب صن الإسكندرية من شر عبادك ، كما صانت الإسكندرية عبادك من شر بلادهم ، فكم جاءها من فقير ، وكم جاءها من يائس ، وكم جاءها من مؤمل ، وكم جاءها من مجاهد ، وكم جاءها من عالم ، وكم جاءها من عابد ، وكم جاءها وكم جاءها . جاءوها من هنا وجاءوها من هناك ، ففتحت لهم جميعاً ذراعيها ، وأحسنت وفادتهم ، وآخت بينهم ، وحنت عليهم أماً رؤوماً ، وعلمتهم ، وشدت أزرهم ، وصرفتهم من كتمة الغل إلى براح الرجاء ، وطهرتهم من وخامة الحقد لما كوتهم بالملح . . . فصنها يا رب صنها فما كانت تتوقع من إنسان غدراً ، وما قدمت يداها سيئة ، وما انطوت نفسها على ضغينة . . .

ليس فى الإسكندرية جبن يا رب وليست فيها ذلة ، وأنت أعلم بمن فيها من عبادك الذين يصارعون التحجر فى الصحراء والتجبر فى البحر والتناحر فى التجارة ... أيكون هؤلاء جبناء أنذالاً أذلة ، أم هم الأحرار الكرام الأعزة ... ؟ إنهم الأحرار الكرام الأعزة يا رب ، إذا هبط لهم العدو وصادمهم وجهاً لوجه ، وفرداً لفرد ؛ أما أن يتحجب فوق السحاب ويقذف بالنار وهو فوق ، فالأسود يا رب تحرقها النار إذا انقذفت عليها من فوق ... فصن اللهم الإسكندرية

وإذا كانت الإسكندرية قد فسقت يوماً عن أمرك يا رب حين تولتها المرأة كيلوباترة فقد أزلت بعد ذلك عليها من غضبك

ونقمتك ما ردها لصوابها فتابت إليك يا رب وأنابت واحتملت عن مصر بعد ذلك ويلات الحروب المتوالية ، وهجمات الطامعين المتعاقبة . فهلا تبت عليها بذلك فغفرت لها الهينات من سيئاتها ، وما سيئاتها إلا مجون الطيش وعبث الخفة ، وهي بريئة بعد ذلك من الطغيان ، بريئة من الكفر ... وهي لا تزال إلى اليوم تخشاك وتخافك ، إن أذنبت استغفرتك ، وإن زلت استنجدتك ، فإن استمرأت الخطيئة ، واستغرقت فيها ذكرتك ، وإن في الأدنس من أحيائها صلاة لك ، ومسجداً تهوى إليه أفئدة الأشقياء المحرومين ، أو أسماعهم أو أنظارهم ، فما يلبثون حتى يقولوا وهم في سكرة الرجس : اللهم يا رب ... يرجونك ويسألونك الهدى ... يا رب ...

... قل لربك هذا يا موسى ، وقل من عندك ما هو خير

« عزيز »

عطف ملكي كريم

رفعت إلى السدة الملكية العالية نسخة من كتابي الجديد « بين صديقين » فكان من فضل حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول ، أن تلقيت كتاباً كريماً من ديوان كبير الأمناء ، أتشرف بنشره في مجلتنا « الرسالة » الغراء ، ونصه :

حضرة المحترم الشيخ أحمد جمعة الشرباصي :

أتشرف بإبلاغ حضرتكم الشكر السامي ، على النسخة التي قدمتموها إلى « حضرة صاحب الجلالة الملك » من كتابكم « بين صديقين »

وتقبلوا وافر الاحترام ؟ كبير الأمناء

تحريراً في ٩ يوليو سنة ١٩٤٠ منه : أحمد محمد حسنين إمضاء

وإني لأبتهل إلى الله العليّ القادر أن يؤيد مُلك الفاروق وأن يعز دولته ، وأن يحفظه قائداً للشباب وقدوة للملوك ! ...

« البجلات » أحمد جمعة الشرباصي

الشيخ الأكبر

يطلق كثير من المسلمين لقب « الشيخ الأكبر » على الشيخ محيي الدين بن العربي اعتقاداً منهم بولايته ومنزلته عند الله؛ وضريحه في دمشق محطّ للمئات منهم كل يوم يطوفون حوله ويتمسحون به تبركاً وربما دعاه بعضهم لقضاء حوائجه بدلاً من أن يدعو الله .

وإذا أنكر هذا عليهم منكر اتهموه بالزندقة، وقد أحببت أن أعرض للقراء بعض ما يقول هذا الرجل، وأن أترك لهم الحكم في «ولايته»

قال في كتاب اليواقيت والجواهر : إعلم أن عدد الأنبياء والمرسلين من بني آدم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً ، كما ورد في الحديث (!) ولا بد من هذا العدد في الأولياء في كل عصر وقد يزيدون . وقد جمع الله بيني وبين جميع أنبيائه في واقعة صحيحة حتى لم يبق منهم أحد إلا وعرفته، وكذلك جمعني على من هو على أقدامهم من الأولياء فرأيتهم وعرفتهم كلهم . وقال : رأيت في كشفي جميع الأنبياء والمرسلين ، وأممهم مشاهدة على من كان منهم ومن يكون إلى يوم القيامة أظهرهم الحق تعالى في صعيد واحد ! قال : وصاحبت منهم غير محمد صلى الله عليه وسلم جماعة منهم الخليل عليه السلام قرأت عليه القرآن كله باستدعائه ذلك مني فكان يبكي عند كل موضع ذكره الله تعالى فيه من القرآن وحصل لي منه خشوع عظيم .

وأما موسى عليه السلام فأعطاني علم الكشف والإفصاح عن الأمور وعلم تقليب الليل والنهار . وأما هود عليه السلام فأخبرني بمسألة كانت وقعت في الوجود وما علمها إلا منه . وأما عيسى عليه السلام فتبت على يديه أول دخولي في طريق القوم .

وقال في الفتوحات (الباب الثالث والسبعين): ما اجتمعت بأحد من الأنبياء أكثر من عيسى عليه السلام، وكنت كلما اجتمعت به دعا لي بالثبات حياً وميتاً ، وكان يقول لي : يا حبيبي ! وقال فيه (الباب الخامس والستين) : قد شاهدت في واقعة نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم وشاهدت جميع الأنبياء وأشهدني الله تعالى جميع المؤمنين بهم ، حتى ما بقي منهم أحد لا من كان ولا من يكون إلى يوم القيامة ، وعرفت خاصهم وعامهم ، وعرفت جميع السعداء الذين كانوا في ظهر آدم وعددهم ، فلا يخفى عليّ الآن منهم أحد من أهل الجنة ولا من أهل النار، لكن لم يعطني الله تعالى معرفة عدد أهل النار لكثرتهم . ويقول فيه (الباب الثامن والتسعين) فإن قلت . فهل اطلع أحد من الأولياء على عدد الحوادث التي كتبها القلم الأعلى في اللوح إلى يوم القيامة ؟ فالجواب نعم ومائة نعم ! وأنا ممن أطلعه الله على ذلك . فإن قيل لكم : فكم عدد ما سطر في اللوح من آيات الكتب الإلهية ؟ فالجواب : عدد ما سطر في اللوح من الآيات التي أنزلت على الرسل: مائتا ألف آية وتسع وستون ألف آية ومائتا آية ! !

فما رأي سادتنا العلماء في هذا الولي العظيم والشيخ الأكبر؟

(دمشق) ع . ط

حديث صحيح

جاء فى كتاب « فجر الإسلام » ص ٢٦٧ : أن البخارى على جليل قدره ودقيق بحثه أثبت أحاديث دلت الحوادث الزمنية على أنها غير صحيحة . واستشهد لذلك بحديث : « لا يبقى على ظهر الأرض بعد مائة سنة نفس منفوسة » اهـ

هذا الحديث أخرجه البخارىَ كاملاً فى باب السمر فى الفقه والخير بعد العشاء من كتاب الصلاة، ونصه : عن عبد الله بن عمر قال : صلى النبى صلى الله عليه وسلم صلاة العشاء فى آخر حياته ، فلما سلم قام النبى (ص) فقال : أرأيتكم ليلتكم هذه فإن رأس مائة لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد . فوهل الناس فى مقالة رسول الله عليه السلام إلى ما يتحدثون من هذه الأحاديث عن مائة سنة ؛ وإنما قال النبى صلى الله عليه وسلم لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض يريد أنها تخرم ذلك القرن . ورواه مختصراً — على عادته من تجزئة الحديث فى مواضع متعددة — فى باب السمر من كتاب العلم ، ونصه كما نقله الأستاذ أحمد أمين . وفى هذا المقام نبه الشراح — ابن حجر والقسطلانى والكرمانى — على أنه جزء حديث ، وأنه ذكر كاملاً فى باب السمر فى الفقه ، وأنه مقيد بقيد « اليوم » . ورواه مسلم من طرق متعددة إحداها عن جابر أنه عليه الصلاة والسلام قال لهم قبل وفاته بشهر : « ما من نفس منفوسة اليوم تأتى عليها مائة سنة وهى حية يومئذ » . وقد نص النووى وغيره على أن هذا الحديث علم من أعلام النبوة إذ أخبر فيه بأن كل نفس كانت تلك الليلة على الأرض لا تعيش بعدها أكثر من مائة سنة ، وكان الأمر كذلك ، وليس فيه نفى عيش أحد يوجد بعد تلك الليلة فوق مائة سنة ، ولا إخبار عن فناء الدنيا بعد مائة سنة كما فهمه الأستاذ أحمد أمين . وقال ابن حجر بعد شرح الحديث المذكور : « وكذلك وقع بالاستقراء فكان آخر من ضبط أمره ممن كان موجوداً حينئذ أبو الطفيل عامر بن واثلة وقد أجمع أهل الحديث على أنه كان آخر الصحابة موتاً ، وغاية ما قيل فيه أنه بقى إلى سنة عشر ومائة ، وهى رأس مائة سنة من مقالة النبى صلى الله عليه وسلم » . فكيف أقدم الأستاذ على الحكم بوضع هذا الحديث ، وهو كما رأيت من أخبار الرسول التى وقعت كما أخبر !

وقد عدّ الأستاذ فى آخر فصل الحديث مراجع ذكر فى مقدمتها فتح البارى والقسطلانى على البخارى والنووى على مسلم فإن كان قد اطلع على روايات الحديث، وما كتبه الشراح، فكيف حكم بكذبه ، وإن كان لم يطلع إلا على الجزء المختصر من متن البخارى فكيف عدّ تلك الشروح من مراجع بحثه ؟ !

مصطفى حسنى السباعى

* * *

فى الكلمة الماضية جاء لفظ « قهزاز » وصوابه « قهزاذى » . « والفزار » وصوابه « الفزارى » .



عودة الماضى

للأستاذ محمد سعيد العريان

خلَتْ «هُدَى» إلى نفسها تتدبَّر أمرها وتزن ماضيها وحاضرها؛ كانت تشعر أنها قادمة على أمر ذى بال، وأنها الساعةَ فى مرحلةٍ بين مرحلتين من حياتها، وثمَّة طريقان عليها أن تختار أيَّهما تسلك؛ فإما إلى سعادةٍ تُنسيها الماضى بما فيه من لذة ونشوة وسحر، وإما ...

ولكنها لا تعرف السعادةَ إلا ما كانت فيه قَبل؛ فما هذا الجديد الذى يحاول أهلها أن يزيِّنوه لها ويحبِّبوها عليه؟

الزواج! والبيت! والأسرة!

ما أجمل هذه الأسماء وألطفَ موقعَها من قلب كل فتاة! ولكن ما بال «هدى» إذ تسمعها الساعةَ كأنما تحزُّها وخزَ السنان، فما تطرق أذنَها إلا فارغةً من معناها أو معدولاً بها عنه، فليس لها فى نفسها إلا معانى القلق والوحشة والحرمان!

أتراها وقد جاوزت العشرين لم تفكر فى الزواج والبيت والأسرة قبل اليوم؟ بلى! ولكن ... لو أن أحداً غير أبيها وأمها ألقى إليها هذه الكلمات قبْل، لكان لها معنى حقيقٌ بأن يسرَّها ويملأها سعادة ومرحاً؛ أعنى لو أنه هو ... ولكن، أين هو؟ وهل يدرى ...؟

وطارت خواطرها سريعاً إلى «ماجد»، وتمثلته جالساً مجلسَه ينتظرها لموعدها الذى طالما التقيا فيه منذ سنواتٍ ... يتلفّت ويمدّ عينيه يتنوَّرها قادمةً من بعيد، فيلقاها مبتسماً ويبسط لها يمينه!

آه! ماذا تُراه يفعل حين يبلغه النبأ، فيعرف أن «هدى» لن توافيه لموعده منذ اليوم، ولن تلقاه، ولن يراها؛ لأن حياةً جديدة قد باعدت بينهما فلا سبيل إلى اللقاء!

ورانت على عينيها غشاوة من الدمع، وتدحرجت على خدها عبرة؛ وامَّحى خياله من خيالها، ثم عاد، ورأته - كما نظرتْ فى مرآتها - عابساً مقطِّباً، فى جبينه ذلة المخذول وفى عينيه ذبول السهر ولهفة الحرمان!

وغلبتْها نفسُها فأرسلتْ عينيها، وأطرقتْ، وأصابعُها تعبث بمنديل بللته الدموع!

ورنَّ جرس المِسرَّة، فهبّتْ واقفة كأنها من رنين الجرس على ميعاد، ثم ذكرتْ موقفَها، فقمعتْ فى صدرها رغبة تختلج وعادت إلى مجلسها. لا ينبغى أن يسمع «ماجد» صوتها فى المسرة بعد اليوم!

***

لم يحسب ماجد وهدى حساباً لهذا اليوم من قبل، ولم يدُر فى خاطر واحد منهما لحظة أن هذه الساعة آتية؛ لقد كانا من الحب فى سكرة ذاهلة لا تدع لهما سبيلاً إلى الفكر والتدبير وتَوَقُّع ما لم يقع بعد ... وفجأة تغيَّر الموقف وكان ما لا بد أن يكون؛ وطرق الباب طارقٌ مجهول يطلب يد هدى ...

... وسأل أبوها وتقصَّى أمرَه، فرضِيَه لفتاته، ولكنه تلبَّث حتى يسمع رأيها، وسألها فلم تُجب، وفزعت إلى خلوتها تتدبَّر أمرها وتزن ماضيها وحاضرها، وتبكى ...

أكانت تبكى حُباً لماجد أم شفقة عليه؟ مَن يدرى؟ ولكنها ظلت تبكى؛ وماذا تملك أن تفعل غير البكاء؟

أتُراه يعرف؟ ياليت ...! إنه هو وحده الذى يستطيع أن يفعل أشياء كثيرة غير البكاء! لو أنه جاء الساعةَ يطلب يدها! إذن لاستطاعت أن يكون لها رأى، وأن يكون لرأيها اعتبار ومكان ...!

ولكنه جالس مجلسه هناك، ينتظرها لموعدها؛ فمَن له بأن يعرف؟ مَن له بأنه لن يرى هُدى بعدُ، ولن تراه؟

... أم تراه لو عرف يسرع إلى بابها فيزحم هذا الخاطبَ المجهول بما له من سابقةٍ وصلةٍ قريبة؛ فما منعَه من ذلك قبلُ لو أنه كان يريد؟

... ومضت أيام قبل أن تعلن هدى رأيها إلى أبيها؛ لقد حاولتْ فى هذه الأيام أشياء كثيرة ولكن محاولاتها جميعاً لم

تستطع أن تحمل فتاها على ما أرادتْ ؛ ليت شعرى أكان ذلك منه غباء أم تغابياً ؟

ولم تجد الفتاةُ سبيلاً إلى الخلاص بعد ، فرضيتْ !

***

لم تكن هدى من الغفلة بحيث تجهل أنها مقبلة على عهدٍ جديد ليس بينه وبين ماضيها سبب ، وأن ذلك الماضى بما فيه من أمانى وذكريات قد ذهب إلى غير رجعة ؛ فإن هى لم تستطع أن تنزع من نفسها كل ما يربطها به ، فقد ضلَّتْ وأثمتْ وبذلتْ ما لا تملك لمن لا يملك — فراحت من أول يوم تحاول أن تدفن ذلك الماضى فى أعمق أغوار النسيان ، فلا تدع سبباً يذكِّرها به إلا أبعدته وعفَّتْ آثاره ؛ فلا رسالة ، ولا صورة ، ولا جريدة فيها شىء من معناه أو ممن يتصل به إلا أحرقتها وأذْرَتْ رمادها ، وحتى المخدع الذى كانَ يُلِمّ بها طيفُه إذ تأوى إليه ، لم تَدَعه فى موضعه ؛ والصورة التى تصوَّرتها يوماً لتهديها إليه حين يطلبها — ولم يطلبها — ، لم تُبقِ عليها ؛ والسرة التى طالما تحدث فيها إليها وتحدثت إليه فى غفلة من أهلها وأهله ، لم تحاولْ أن تمسك سمَّاعتها بعدُ مرةً واحدة لتنادى أحداً أو تجيب نداء …

ولكن هدى مع كل ما فعلتْ وما غيَّرتْ من نظام حياتها كانت من أوهامها ووساوسها على حذر ورِقبة، تخشى يوماً يستيقظ فيه ذلك الشبحُ الراقد فى قلبها فيفسد عليها حياتها ويُزِلّها !

وتركتْ ما كانت فيه من أسباب اللهو ومتاع الشباب إلى الصلاة والعبادة ، لعل الله أن يجدد لها السعادة ويهب لها السلوان ؛ وجلست فى مُصَلاَّها ورفعتْ يدين ضارعتين إلى الله تدعو : « يا ربّ ! هذه طاقتى فيما أملك ؛ فجنِّبنى الإثم والخطأ فيما لا أملك ! »

ولما حُدِّد يومُ العُرس بعد أيام ، رَجَتْ أباها وخطيبها أن يَنْسَآ الأجل ؛ فما تريد أن تذهب إلى زوجها إلا فارغة القلب له ، مغسولة الصفحة من ذكريات الماضى جميعاً ! . . .

***

وجلست هدى إلى خطيبها وجلس إليها ، ورأتْ فتًى يستحق الحبّ لو أنها تملكه ؛ فمنحته الاحترام والطاعة !

وكثر لقاؤها خطيبَها ، وطالت مجالسهما وطابت . وخلا إليها ذات مساء يحدثها وتحدثه ، ومضى الحديثُ فنوناً ، وكشف لها عن صدره ووضع بين يديها أمانيه ؛ ونظر إليها بعينين صافيتين فيهما طهر وبراءة ، ونظرت إليه فأغضَتْ من حياء ، ونهضت معتذرة فأوت إلى مخدعها تبكى !

أرأيت دموع الندم فى عينى فتاة قط !

لكأنما كانت تحاول أن تغسل بالدموع سرًّا أطلّ عليه من عينيها حين نظرتْ ونظر ، فلم ترقأ دمعتُها ليلتئذ !

ولما جلست إليه فى الزورة التالية بعد أيام ، حاولتْ أن تقول شيئاً ثم أمسكتْ ؛ لقد خُيِّل للمسكينة أنها تستطيع أن تتخفف من وقر ذلك الماضى الذى تثقل ذكراه على ضميرها لو باحتْ به بين يديه ؛ ولكنها لم تقدر ، فسكتتْ على ألم !

… وراحت الأيام تدنيهما قلباً إلى قلب وروحاً إلى روح حتى صفا الود بينهما ، وتراءيا نفساً لنفس ، وكشفت لها الأيام منه كنزاً من الإخلاص والوفاء والرجولة ؛ فمنحته الإعجاب إلى الاحترام والطاعة !

وأخذ الماضى يتلاشى من خيالها ويستتر فى حجاب وراء حجاب من فضائل خطيبها ، حتى نسيت ؛ فلم يعد شىء من ذلك الماضى يلم بها أو يخطر لها ، وأنست إلى حاضرها وسعدت به !

***

وصحبتْ زوجها إلى داره ، والتقيا روحاً وجسداً وعاطفة ، وثابت نفسها إلى الاطمئنان والرضى ؛ فراحت تبذل لزوجها ما تستطيع أن تبذل وراح زوجها يبذل لها ، ورفرف طائر السعادة على عشهما يغرّد ألحانه . ومضى عام ، وصار الاثنان ثلاثة ؛ واجتمع شمل الأسرة السعيدة على الوفاء والحب والإيثار ؛ وكما يشرق الصبح فى أعقاب ليل داج فيغسل ظلماته بفيض من النور ويمسح على وجه السماء فإذا هى مشرقة تتألق ـ كذلك كان حاضرها من ماضيها ، وتلفَّف الماضى فى أكفانه ودفنته الأيام فى أعمق أغوار النسيان !

***

ثم كان مساء ، وكانت هدى تسابق طفلها فى شارع خالد على شط النيل حين برز لها شبح فألقى ظلاله فى طريقها ثم تراءى لها . وانبعث الماضى إنساناً حياً يحدق فى وجهها بعينين فيهما ظمأ وجوع ، وانطوى الزمان فكأنّ ما مرّ من سِنيه لم يكن

إلا خفقة طرف سافرت فيها النفس ثم آبت ؛ وطفت الذكريات الراسبة في أعمق الأغوار بسمات على الشفاه تختلج وتناجياً في العيون تتلاحظ ؛ وهتف ماجد في همس : هُدى !

وهمّت هدى أن تجيب النداء فما أطاقت ، ورانت على عينيها غشاوة من الدمع ، ودار رأسها فأوشكت أن تسقط ، فاستندت إلى جذع شجرة قائمة وأغمضت عينيها ، وتعاقبت على الواعية الباطنة صورٌ وذكريات ، وخيل إليها أن أصواتاً كثيرة تهتف بها ، وأن متكلماً يتكلم ويسأل ويجيب ولا سميع ، وأفاقت على على صوت ناعم يناديها ويجذب ثوبها : ماما ! ماما ! أنا سبقتك ! وانحنت على طفلها فحملته بين ذراعيها وكرت راجعة ، وأوت إلى مخدعها تبكي !

***

وكعهدها في ليلة منذ سنوات — كانت في تلك الليلة ؛ وخلت إلى نفسها تتدبر أمرها وتزن ماضيها وحاضرها ؛ وشعرت كما شعرت مرة من قبل ، أنها قادمة على أمر ذي بال ، وأنها الساعة في مرحلة بين مرحلتين من حياتها ؛ ولكنها هذه المرة لم تكن في شك من الطريق الذي ينبغي أن تسلكه وإن كانت تطأ فيه الشوك وتدوس على الجمر !

ودنا الطفل من أمه وعلى شفتيه كلمة صامتة وفي عينيه سؤال... ومدت أمه إليه يداً فضمته إلى صدرها وانحنت عليه وراحت تبكي بلا دموع !

« يا ولدي ! ... »

ولم تتم حديثها ! ترى بماذا كانت تريد أن تحدث طفلها ؟ أتراها كانت تريد أن تتخفف من ثقل يئودها فتفضي إليه بالسر الذي عجزت عن الإفضاء به إلى أبيه ...

وذكرت الرجل الذي وضع أمانيه بين يديها وأخلص لها ؛ لقد منحته من نفسها الاحترام والطاعة حين عجزت أن تمنحه الحب ؛ ولقد خُيل إليها في فترة من حياتها أنها تحبه ؛ فما بالها اليوم قد صبأتْ حين ذكرت ذلك الماضي الذي كانت تظنه قد غاب في مَدْرَجة النسيان ؟

***

وتعاقبت الأيام ، وهُدى من داء قلبها في همّ وأوصب ، والزوج يرى ويحس ولا يكاد يدري ، والطفل يذبل ويذوى عوده ؛ إذ كانت أمه في شغل عنه بما تصارع في نفسها من هم !

وعاد الزوج إلى الدار ذات مساء ومعه ضيف ... وكان الماضي طيفاً أَلَمّ فعاد ضيفاً يزور !

واستقبلته هدى بشعور بين الأنس والوحشة ، واتخذت مجلسها بإزاء الرجلين اللذين فرض عليها القدر أن تكون منهما بين شِقَّي مقص لا يجتمعان إلا على فرقة وشتات !

ونهض الزوج لبعض شأنه ، فهمّت أن تلحقه حين ناداها ماجد ، ونظر إليها ونظرتْ ؛ وكان في عينيه نظرة ضارعةٌ ، وفي عينيها نظرةُ تساؤل ، وتحركت شفتاه هامساً : « هدى ! لقد التقينا أخيراً ... »

وفي نبرة صارمة متكبّرة أجابته ووجهها إلى الباب : « خيرٌ ألا نعود ... ! »

***

ولما خلت إلى نفسها بعدُ وتمثّلتْ صورته في خيالها ، كان رجلاً آخرَ غير مَن كان ؛ بلى ، إنها كانت تحبه ، وكانت تحفظ له في أعماقها أجلَّ الذكرى ، ولكنها لم تعرفه على حقيقته إلا الساعة ؛ لقد كانت له يوماً بقلبها وعواطفها تحفظ له غَيْبَه ومَشهده ؛ فما له يحاول اليومَ أن يكون له منها غيبٌ ومشهد ؟ أتراه لم يصحب زوجها إلى داره إلا ليقول لها في همس : « هدى ! لقد التقينا أخيراً ... » أم تراه يحاول أن يُزلّها بالمكر والخديعة لتمنحه في غفلة من زوجها بعضَ ما لا تملك !

ونبذته مُذ عرفته وسقط من حسابها، وتحطم التمثالُ الجميل الذي أقامته في قلبها تقدّسه وتتعبّد له ؛ ومحت كلمةٌ من شفتيه ما لم تمحه السنون من ذكريات الماضي فصار هباء وعاد كما بدا !

ووازنتْ بين رجل ورجل فشالت موازينُ ورجحتْ موازين ، وانجابت الغشاوة عن عينيها فبعداً لأيّ ما أبصرتْ ، وعرفتْ ...

... وشيعه زوجها إلى الباب وقفل إليها كأنه عائد من سفر طويل ، ودفنت وجهها في صدره لتذرف آخر دمعة على الماضي الذي ذهب ولن يعود ؛ ورفعت إليه عينين مخضلّتين بالدمع وعلى شفتيها كلمة حب لم يسمعها قط ولم تقلها منذ أظلهما سقف .

وكأنما كان قلبها في سجن فحطم أقفاله وانطلق ، وبدأ الحب يكتب تاريخاً جديداً في صفحة بيضاء !

محمد سعيد العريان

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولي — عابدين)

8me Année No. 369

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

Lundi - 29 - 7 - 1940

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

السنة الثامنة « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٣ جادى الآخرة سنة ١٣٥٩ — الموافق ٢٩ يولية سنة ١٩٤٠ » العـــدد ٣٦٩

الفهـــــرس

تقـــــديم السنين

« على طريقة المقامات »

للأستاذ عباس محمود العقاد

قلت ونحن نقدم الساعة : غير هذا التقديم كنت أريد . فنحن لم نقدم الساعات ولكننا سمينا الحادية عشرة ثانية عشرة وانتهينا عند هذا التبديل ، وإن هى إلا أسماء !

وإنما التقديم الحقيق بمعناه أن تتقدم الساعة فى الزمان ، فيصبح ما سيكون فيها وقد كان

فمن ركب الطيارة من القاهرة يصبح « على جناح السرعة » وهو فى الأسكندرية

ومن أخذ فى قراءة فصل من كتاب يصبح وقد فرغ من القراءة ووعى ما قرأ ، أو فى كتابة مقال يصبح وقد فرغ من كتابته كأنه قد جهد له طوال الدقائق الستين من تلك الساعة .

ومن غلبه الغضب يصبح وقد سرى عنه ، أو من اطمأنت نفسه بالغبطة يصبح وقد تهيأت نفسه لغبطة جديدة

فهكذا يكون تقديم الساعات ، أو هكذا يكون التقدم فى الزمان

***

ثم قلت وقد سنح لى الخاطر وتمثلت الأمنية : أمن أجل ساعة واحدة تريد هذه الخارقة ؟ كلا ، هذا إسراف فى التمنى وافتيات على الخوارق . وساعة واحدة لا تستحق هذا الإسراف ولا هذا الافتيات . فما أيسر انتظارها على المتشوف ، وما أسهل إغفالها أو نسيانها على المستطلع ! إنما يستحق هـذه الأمنية تقديم سنين لا تقديم ساعات ، فمن لنا بمن يقدم الزمان فى مجاهل المستقبل عشر سنين ؟ ومن لنا بمن يميط هذا الحجاب الكثيف لعيون المتلهفين ونفوس المترقبين ؟

عشر سنين فإذا الغد أمس والمجهول معلوم

عشر سنين فإذا الحرب الحاضرة وقد سماها الكاتبون حرباً ماضية ، وإذا الناس قد عرفوا الغالب والمغلوب ، وكشفوا الغشاوة عما وراء هذا الستار المضروب ، من غبار الوقائع وعثير الحروب

عشر سنين فإذا بلاد قد طويت وبلاد قد نشرت ، وإذا أعلام قد برزت وأعلام قد اندثرت ، وإذا مذاهب من الإصلاح أو من الإفساد قد جربها المجربون ، فمنهم راضون ومنهم ساخطون ، ومنهم من يحكم على أصحابها بالحكمة ومن يحكم عليهم بالجنون

وفى مصر كم ذا يحدث فى عشر سنين ؟

وكم جاهل بحاضره اليوم يصبح وهو من علم الغد وبعد الغد على أتم اليقين

عشر سنين !

فمن ذا الذى يدير لنا لوالب الزمان عشر سنين ؟ !

* * *

قال الراوى : وكأنما كانت أمنيتى هذه أمنية مرقوبة فى العالم المجهول ، فما سنحت فى خاطرى حتى تكشفت لبصيرتى ساحة فسيحة كأرحب ماتكون الساحات ، مكظوظة باللوالب والتروس ، مزحومة بالمحركين والمحركات ؛ وعلى مقابض تلك اللوالب مردة أشداء ، ظهر عليهم السأم ولا أقول ظهر عليهم الإعياء ، وكبيرهم الذى يقبض على أكبر اللوالب يسألنى سؤال العارفين : أأنت المقترح علينا تقديم الزمان عشر سنين ؟

قلت : نعم . وإن شئت فعشرين أو خمسين !

قال : على رسلك . فما أجبت إلى الصغير حتى تطلب العظيم ، فهل أنت وحدك طالب هذا التقديم ؟

قلت : أحسبنى وحدى ، فما زاد الأمر على أمنية فى خلدى

قال : جزاك الله الحسنى ، فليس أحب إلينا من إجابة ما تتمنى ، فقد سئمنا والله وبرمنا ، وشقت علينا الإدارة والدوران ، وتاقت نفوسنا إلى اختزال واختزان ، على شكل من الأشكال ولون من الألوان

إلا أنك وحيد . وماذا تغنى أمنية الوحيد بين المدد المديد ؟ فهلا ضممت إليك جماً من الطلاب ، وحشداً من الزملاء والصحاب ، فنسأل لك ولهم ونطمع إذن فى أن نجاب ؟

* * *

قال الراوى : ولم يكن أيسر علىّ من جمع الألوف والمئين ، ممن يشتهون تقديم السنين ، فخرجت فناديت : إلينا يا طلاب الغيب المكنون ، الذين يودون لو يعرفون ما أضمرت الدنيا سنة ألف وتسعمائة وخمسين ، فى لمحة واحدة تبصرونها اليوم فيما تبصرون ، وتسمعونها اليوم فيما تسمعون . فما أتممتها حتى كان معى فى الساحة الكبرى ملايين من ورائهم ملايين ، يوشك أن يضيق بهم المكان ، فلا تدور المحركات ولا يتحرك المحركون . وقلت لصاحب اللولب الكبير : دونك اللوالب فأدرها ، فهؤلاء هم الراغبون المؤيدون

فنظر إلىّ كالمتهكم وهو يقول : لوالبى فأديرها ؟ ! أهكذا بغير شرط وبغير قبول ؟

فاستغربت مقاله ، وأعدت عليه سؤاله : بغير شرط وبغير قبول ؟ فماذا تشترطون ؟ وماذا وقد وصلنا إلى الساحة الكبرى يحول بيننا وبين الوصول إلى الغد المأمول ؟

قال : الشرط معقول ، والشرح لا يطول ... !

قلت : هات ما عندك ، فقد يهون الشرط المعلوم فى سبيل الغيب المجهول

قال : إن هذه السنين تحسب من أعمار الناظرين

قلت : كيف ؟ ألا تبين ؟

قال : بلى ، وإليكم البيان . فمن أباه فلينصرف ومن ارتضاه فليبق فى هذا المكان

أيها المستطلعون والمستطلعات : إذا دارت اللوالب فمن بقى له من العمر خمس سنوات ، فهو إذن مطوىٌّ فى غياهب القبور

منذ خمس سنوات ، ومن بقى له من العمر اثنتا عشرة سنة فغايته بعد إدارة اللوالب سنتان ، أو عشر محرّمات فهو ميت عند بداية الدوران

ثم نظر إليهم كما ينظر دلال المزاد ، ونادى فيهم : أقابلون ؟ « أنضبط » اللوالب على الميعاد ؟

فما أتمها أو كاد ، حتى خلا المكان إلا من خمسة أفراد : صاحب الأمنية ، وفيلسوف ، ومخترع ، وفنان ، ورجل من الزهاد

***

قال الراوى: فعجب أصحاب اللوالب من هذا الحشد الصاخب، والجيش اللاجب، ما بين زائغ ورائغ وهارب ، وطفقوا يعجبون من قلة من يعيش للمعرفة والحكمة ، وكثرة من يعيش للنفس واللقمة ، وشاقهم أن يسألوا أولئك الخمسة ما بالهم قد طاب لهم المقام ، فلم يتفرقوا مع الزحام ؟

ومال صاحب اللواب على الفيلسوف يسأله : ما بالك لم تذهب مع الذاهبين ؟

قال : إذا جمعت خلاصة العمر فى لمحة فما أنا من الخاسرين

وسأل المخترع : وأنت ما بالك لم تذهب مع الذاهبين ؟

قال : إذا حكيت لوالب الزمن فقد عفيت على المخترعين ، وقبضت على زمام القرون ، فإنى إذن لمن الخالدين

وسأل الفنان : وأنت ما بالك لم تذهب مع الذاهبين ؟

قال : لعلى أستخلص زبدة البقاء، من هذه السنين الجوفاء، فأصوغها فى رمز ثمين ، أو تمثال مبين

وسأل الزاهد : وأنت ما بالك لم تذهب مع الذاهبين ؟

قال : لأن تذهب بى أقدام الزمن خير من أن تذهب بى هذه القدم الواهنة وهذا القلب الحزين

وسألهم جميعاً : ومن أدراكم وقد دارت اللوالب أنكم ستعيشون ولا تذهبون مع الغابرين ؟

قالوا : هذا الذى نسألك عنه

قال : وهذا الذى أجهل سره

ثم عاد سائلاً : فهل قبلتم ما يكون وقد جهلتم أين تذهبون ، يوم يدور دولاب السنين ، وتطلع على الدنيا سنة تسعمائة وخمسين ؟ فتلفتوا ثم تفلتوا

وانجلى الحشد الحاشد، عن شبح جامد، كأنه الجسد الهامد، لا يقارب ولا يباعد

... اذهب أيها الزاهد ، أو اقعد حيث أنت قاعد ، فما دارت طاحون من أجل واحد ، فتدور من أجلك دواليب الزمن الخالد والأبد الآبد

***

قال الراوى : وإذا صدّقتم هذه المقامة ، فلا تقديم للسنين حتى القيامة ، وعلى الله السلامة ! . . .

عباس محمود العقاد

الحديث ذو شجون

للدكتور زكى مبارك

إليك أعتذر ، أيها الغزالى ، فما كنت أحسب أن السياسة ستجنى علينا كما جنت عليك — حصار مزعج ! — اللهم اجعل هيكل باشا هو الدكتور هيكل — عواطف نبيلة من شعب نبيل

إليك أعتذر ، أيها الغزالى !

فى سنة ١٩٢٢ كنت أقضى أكثر الوقت فى تحرير كتاب « الأخلاق عند الغزالى » وكان ذلك فى أعقاب أعوام ٍ شداد واجهتُ بها نار الثورة المصرية ، واكتوت يدى بلَهب الجدل والصيال حول المطالب الوطنية ، فأثر ذلك فى عقلى وتفكيرى إلى أبعد الحدود ، وحملنى ذلك التأثير على السخرية من اعتزال الغزالى المجتمع السياسى وابتعاده عن الضجيج الذى كانت تثيره الحروب الصليبية فى ذلك الحين

ثم مرَّت أعوامٌ راضنى فيها الدهر بعد الُجموح ، فعرفتُ أن الغزالى لم يكن من الجبناء ، وإنما كان من الحكماء

وهل أخطأ ابن خلدون حين نهى العلماء عن الاشتغال بالسياسة ؟ وهل أخطأ محمد عبده حين استعاذ بالله من مادة : ساس يسوس ؟

دلونى على رجل واحد غمس يده فى السياسة ثم سلم من الأقاويل والأراجيف ؟

لا بأس من تجريح الرجل الآثم ، ولكنى أستطيع أن أذكر عدداً من الرجال أهينوا فى السياسة بغير حق . وأعجب من ذلك أن أستطيع الإشارة إلى عدد من الرجال أهينوا بسبب الانسحاب من ميدان السياسة ، فهى عقربٌ تلسع بلا تمييز بين الغوىّ والرشيد

إن أقطاب السياسة فى مصر هم عيون الأمة من الوجهة القومية ، وهم أيضاً من الأقطاب فى ميادين العلم والأدب والذكاء، ولكن ما نصيب الأديب من الاستفادة بعقول هؤلاء الزعماء ؟

الرِّيبة تُلاحقك إن فكرت فى زيارة هذا الزعيم أو ذاك ، والشبهات تحيط بك إن رأيت أن تزوِّد عقلك بمعرفة أهل زمانك فتزور الأندية السياسية من وقت إلى وقت ، وسمعتُك غرضٌ رجيم لأهل الظنون إن طاب لك أن تحفظ الأدب مع أقطاب عصرك فتؤدى واجب التهنئة أو واجب العزاء فى بعض الظروف

لك أن تجالس الفارغين من أحلاس القهوات ، وليس لك أن تظفر بمجالسة رجل كبير له منزلة سياسية ، فإن فعلت فأنت وصولىٌّ ينتظر الجزاء القريب أو البعيد

أليس هذا هو الواقع فى هذه البلاد ؟

بأى حق يُحرم الأديب فى مصر من التعرف الصحيح إلى من يسيطرون على السياسة المصرية ؟

وممن يأخذ معانى التفكير فى مصاير الأمور الوطنية إذا حُرم التزوّد بأفكار أولئك الرجال ؟

لو اتصل أدباؤنا بالزعماء لوجدوا لأدبهم آفاقاً أوسع من الآفاق التى يعرفون ، الآفاق المحدودة التى لا تُمتّع غير البصر الكليل ، الآفاق المزدحمة بأهل العقم والنضوب من الأشباح التى تغدو وتروح وليس لها زاد غير مضغ الحديث المعاد من فُتات الزور والبهتان

كيف يجوز لأديب أن يقول إنه عاش فى هذا العصر مع أنه لم يعرف أحداً من أمثال مصطفى النحاس ومحمد محمود وعلى ماهر وحلمى عيسى وعلى الشمسى وعبد الفتاح يحيى ومحمود النقراشى ومحمد هيكل ومصطفى عبد الرازق وحسن صبرى وعبد الرحمن عزام وحافظ رمضان ولطفى السيد وأحمد ماهر ومكرم عبيد وصبرى أبو علم ونجيب الهلالى ومحمود بسيونى ، ومن إلى هؤلاء من الوزراء والنواب والشيوخ ، فإنما نريد التمثيل لا الاستقصاء ؟

الأديب الذى لا يعرف أمثال هؤلاء معرفة صحيحة ليس بأهل لمعرفة روح العصر الذى يعيش فيه ، وهو أيضاً أكذب الكاذبين حين يدّعى أنه أثّر فى عصره تأثيراً قوياً أو ضعيفاً ، فما يمكن لأديب أن يكون من أصحاب السُّلطة الأدبية إلا حين يستطيع بلسانه أو بقلمه أن يوجه المسيطرين على مصاير البلاد إلى غاية سامية أو مطلب شريف

ثم ماذا ؟

ثم تقع البشاعة التى نشهد آثارها فى كثير من الأحايين

فالزعماء ناس كسائر الناس ، وعندهم أوقات يزجونها بالسمر والحديث ، فماذا يصنعون وقد غاب عن ناديهم كبار الأدباء ؟

يلتفتون فيرون أنديتهم قد اكتظت بأهل اللغو والفضول من الذين يؤذيهم أن يكون لرجل من أهل الأدب أديم صحيح ،

وعندئذ يصحّ عند الزعماء أن دنيا الأدب دنيا حقد وغيظ وليس فيها مجال للفكر الثاقب والرأي الرشيد ، فيكتفون بالزاد الخبيث الذى يقدمه إليهم الأفاكون من أشباه الأدباء . قاتَلَهم اللهُ أنى يؤفكون !

سعد زغلول أعزّ أدب مصطفى المنفلوطى

وعبد الخالق ثروت أعزّ أدب طه حسين

ومحمد عبده أعزّ أدب حافظ ابراهيم

فهل تعرفون بعد هذه الأسماء أن زعيما مصريا عاوَنَ على خلق الفرص لأديب جديد ؟

وكيف نصل إلى التعاون المنشود والموانع تقوم من الجانبين؟

فالأدباء ينفرون من الاتصال برجال السياسة خوفاً من تهمة الوصولية

والساسة لا يعرفون من الأدب إلا أنه وسيلة للدعايات الحزبية

وبين خوف أولئك وغرض هؤلاء تضيع الفرص على الأدب الصحيح الذى يمثل ما فى المجتمع من آراء وأهواء ، وحقائق وأباطيل .

أما بعد فالأدب فى خطر ، لأن أصحابه فى عزلة عن الساسة ، والساسة يملكون أكثر الوسائل فى توجيه المجتمع ، لأن الحاكم يملك فى اليوم الواحد ما لا يملك الأديب فى الأعوام الطوال

فإن كنتم فى ريب مما أقول فتذكروا حوادث التاريخ ، فقد كان الناس منذ أقدم العصور يعرفون أن الأدب لا بدّ له من سناد ليؤدى واجبه على الوجه الصحيح ، وسناد الأدب هو الدولة ، والدولة هى الساسة الذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه ، وأحسنُ القول هو التوجيه الذى يصدر عن كبار الأدباء

أليس من العجب أن يكون قدماء اليونان أعقل منا وبيننا وبينهم أجيال وأجيال ؟

ومن أجل هذا كان الأدب اليونانى القديم غنيًّا بالحديث عن سياسة الأمم والشعوب ، وكذلك كان الأدب العربى فى العصور التى ازدهرت فيها الحضارة الإسلامية ، فلما خمدت جذوة العرب تخاذل الأدب وترك الحديث عن السياسة العالية ليتحدث عن المنافسة بين الربيع والخريف ، وليكثر القول فى الألغاز وخصائص الأيام والأسابيع

أين ما دعوتُ إليه ألف مرة من خلق الصلات الروحية والذوقية والقومية بين الساسة والأدباء ؟

إن طالت هذه الجفوة بين هاتين الطائفتين فسيكون مصير الأدب من أقبح المصاير ، فسيُحصَر وهو راغم فى الحديث عن مشكلات الحاجّة خدّوجة والمعلّم مشحوت !

وأين الأديب الذى قضى سهرته فى منزل سعد زغلول ليلة الحادث الذى خرج به الجيش المصرى من السودان ليخلق منه قصة أروع من قصة الزوج الذى خانته زوجته الحسناء ؟ !

وأين الأديب الذى قضى سهرته فى منزل على ماهر فى الليلة التى مات فيها جلالة الملك فؤاد ليصور عواطف الوزراء فى قلقلات التاريخ ؟

وأين ؟ وأين ؟

تلك أيامٌ خَلَتْ ، فليستعدّ الأدباء لفهم هذا القول ، فقد ينفعهم فى الأيام المقبلات

حصار مزعج

ويمكن بعد هذا أن ندرك بوضوح أن الأدباء يعانون ضرباً من الحصار المزعج ، فهم بعيدون عن الأوساط السياسية خوفاً من تهمة الوصولية ، وهم بعيدون من الأجواء الشعبية خوفاً من تهمة الإسفاف ، وهم بعيدون من الأوساط الفنية خوفاً من تهمة النزق والطيش ، فقد شاع صدقاً أو كذباً أن للفنانين لهم بدوات تخرج عن الوقار فى بعض الأحيان

نحن إذاً فى حصار . ومع ذلك يُطلَب منا أن نصف جميع طبقات المجتمع ، وأن يكون أدبنا صورة صحيحة لما يثور فى ضمير المجتمع من عواطف وآمال

وأنا أشهد على نفسى بالمرض من هذه الناحية ، فأنا أجانب رجال السياسة مجانبة مقصودة ، لأنى أتوهم أن اتصالى برجال السياسة قد يصورنى أمام الجمهور بصورة من يطلب الصيد . وقد حاولت إبراء نفسى من هذا المرض فلم أفلح ، وكان من آثار هذه العلة أن تمضى الأعوام ولا أنتفع بمحادثة زعيم أنقل عنه وينقل عنى ، فعندنا بالتأكيد آراء وأفكار قد تنفع الزعماء بعض النفع ، وقد توجههم إلى التعصب للأدب الرفيع ، وهو فى حاجة إلى عصبية قوية ترفع ما يعترض طريقه من عقبات وأشواك

وقد أزعجت قراء الرسالة مرات كثيرة باقتراح لم أجد من

بصنى إليه ، وهو أن يكون للأدباء مكان فى الحفلات الرسمية ، فجميع الطوائف تمر فى خواطر رجال الدولة عند المناسبات الخطيرة ولا ينسى غير الأدباء . وإلا فأين الأديب الذى دعى بصفته الأدبية إلى حضور إحدى الحفلات فى قصر عابدين أو قصر الزعفران ؟

ويزيد الحرج حين يكون الأديب موظفاً ، فهو لا يدعى لأية حفلة رسمية إلا حين يصل إلى درجة مالية تضيفه إلى طبقات الأعيان ، والعياذ بالذوق !

والدرجات المالية للموظفين هى الميزان فى كثير من الشئون ، ولا سيما شئون التشريف . ويكاد يكون من المستحيل أن يمرّ الموظف فى خاطر أية جهة رسمية إلا بعد أن يصل مرتبه إلى كيت وكيت ، ولو كان من أقطاب الأدب والبيان

وكان المأمول أن يعتدل الميزان فى وزارة مثل وزارة المعارف وقد تولى شؤونها وزراء من رجال الأدب أمثال : محمد على علوبة ، ومحمود فهمى النقراشى ، ومحمد حسين هيكل . ولكن الأمور ظلت تسير فى طريقها القديم ، فلم يستفد الأدب شيئاً من الوزراء الأدباء ، وإن كنت أذكر بالخير الكثير أن بعض هؤلاء راعى منزلتى الأدبية فتناسى أني تطاولت عليه فى إحدى المجلات !

قد يقال : إن الدولة تفتح باباً من الشرحين تفكر فى الاعتراف الرسمى بالقيمة الأدبية ، فكل إنسان يدّعى أنه أديب ، وأن له حقاً فى حضور الحفلات الرسمية !

وأجيب بأن الأدب لم يعد فوضى كما كان فى الأزمان الخوالى ، فالجمهور يكاد يتفق على الإعجاب بأفراد معدودين هم عنده الطبقة الأولى من الأدباء ، وهو كذلك يعرف من هم رجال الطبقة الثانية ومن هم رجال الطبقة الثالثة ، فما الذى يمنع من أن يكون فى ذهن الدولة صورة لأدباء الطبقة الأولى لتفكر فى دعوتهم إلى الحفلات الرسمية ، كما تفكر فى دعوة من يمثلون بعض الجوانب من حياة المجتمع ؟

أليس من العجيب أن يشهد الحفلات الرسمية بعض المجهولين من موظفى السفارات والقنصليات ، ثم يُحرَم رجال الأقلام من شهود تلك الحفلات ، ولهم فيها زادٌ نفيس هو تذوُّق ما فى المجتمع العالى من دقائق تعود على القلم بأجزل النفع ؟

إن وزير المعارف اليوم هو صاحب المعالى محمد حسين هيكل باشا ، وقد سألت عنه زملائى بالمعارف فأكدوا لى أنه الدكتور هيكل ، الأديب المشهور الذى كان يحامى عن الأدب وأهله فى جريدة السياسة ، وأجمعوا على أنه هو بعينه صاحب كتاب « ثورة الأدب »

والحق أن وزيرنا الجديد فيه مَشابه من الدكتور هيكل ، وإن كنت أخشى ألا يكون إياه ، فمن واجبى نحو الأدب الذى أتشرف بالانتساب إليه أن أطلب من الوزير الذى يُشبه الدكتور هيكل أن يتفضل فيخص الأدب بنظرة من نظراته الثواقب ، ونحن بكل تواضع نقترح أن يكون لكبار الأدباء بعض ما لكبار العلماء من منازل التشريف . فإن كان العلماء — وهم اصطلاحاً رجال الدين — أولى منا بالرعاية لأنهم من أهل الآخرة ، فنحن أحق بالعطف العاجل لئلا يُكتب علينا الحرمان فى الدارين !

وليكن مفهوماً جداً أنى أقول هذا الكلام وأنا أتوهّم أن هيكل باشا هو الدكتور هيكل ، فإن ثبت أن زملائى بوزارة المعارف خدعونى وأن هيكل باشا شخص غير الدكتور هيكل ، فأنا أعتذر لمعالى الوزير عن هذه الكلمات الجافية ، وأرجوه أن يثق بأنى برىء من الأدب والأدباء !

لو صح أن هيكل باشا هو الدكتور هيكل لكانت فرصة ذهبية لنصرة الأدب الرفيع ، فقد نغريه بالوعود فنزعم أن أهل الأدب يحفظون الجميل ، وأنهم لن ينسوا فضله فى إعزاز الشخصية الأدبية بالديار المصرية

اللهم اجعل هيكل باشا هو الدكتور هيكل !

عواطف نبيلة من شعب نبيل

فى صباح اليوم السادس عشر من حُزَيران تلقيت إشارة تليفونية من وزارة الخارجية المصرية تسألنى عن اسمى الكامل وعن منصبى بوزارة المعارف ، وأردت أن أعرف الموجب لهذه الأسئلة المفاجئة ، فقيل : إن أجوبتها ستقدّم إلى قصر جلالة الملك تمهيداً لوسام سأتلقاه من حكومة العراق

وفى صباح اليوم الخامس عشر من تموز تلقيت برقية من الصديق الكريم السيد عبد القادر أحمد الوظف بمديرية الدعاية فى بغداد يهنئنى بوسام الرافدين

ومعنى تلك الإشارة وهذه البرقية أننى خطرت فى بال أهل الصدق والوفاء من أقطاب بغداد

على هامش الحرب

الطابور الخامس فى القرآن

للأستاذ عبد الرازق إبراهيم حميدة

— ١ —

امتلأت الصحف بحديث الطابور الخامس، وتناقلت الألسنة خبرهم، وتحدث الوزراء والقواد يحذرون الأمم منهم. والمقصود بالطابور الخامس تلك الفئة التى تظهر أو تستتر فى أمة من الأمم المشتبكة فى حرب مع أخرى، فتوالى الأعداء، أو تعمل على خذلان قومها بنشر الأراجيف وإذاعة الأخبار الكاذبة أو الضارة عن ضعف قومهم، وقوة أعدائهم، أو عن نتائج الحرب بما لا يفيد أبناء وطنهم، أو أنهم مسوقون إليها خدمة لمطامع أمة أخرى تحت ستار المحالفات، ومبادئ الشرف، والدفاع عن مبادئ الديمقراطية

وقد يكون عملهم إرشاد الجند الفاتحين إلى مواطن الضعف فى البلد المغزو وإلى ما يدبر من خطط ترد كيد العدو وتصد زحفه

وشاعت هذه الكلمة أخيراً وصفاً لأعوان هتلر فى النرويج وفى هولنده وبلجيكا، وفى فرنسا نفسها وجد هذا النوع من الناس فكان سبب نكبتها، وعاملاً من أكبر العوامل فى هزيمتها، ففنى رجالها وضاع استقلالها، ووطئ الألمان بلادها يحكمون فى أرضها وديارها وأموالها، ويغيرون على نظمها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، ويبدلون دستورها وحكومتها، ويفعلون بها ما يشاءون

والغريب أن هتلر ينفى وجود أعوان له مأجورين فى بلد من البلاد التى غزاها، ويقول إن وجود هذا الطابور الخامس فى البلاد المفتوحة راجع إلى فساد النظام فى تلك البلاد ورغبة فريق من أبنائها فى الاستعانة به على إصلاح الأحوال لتكون كألمانيا قوة واتحاداً

والحق الذى لا مرية فيه أن فى كل أمة من الأمم - القديمة منها والحديثة حتى ألمانيا نفسها - اختلافاً فى الرأى، ودعاة لمذاهب سياسية تخالف مذهب أمتهم، وغيرة من الطبقة الحاكمة وتشيعاً لنظم اقتصادية أو اجتماعية غير السائدة فى بلادهم. وهذه الاختلافات تضعف وتقوى تبعاً للعوامل التى تساعد على قوتها أو ضعفها؛ فإذا كانت الأمة متحدة الجنس، متشابهة البيئة،

وأنا مع ذلك لا أعدّ «وسام الرافدين» تحية شخصية، وإنما أعده رمزاً لتوكيد الصلات الأدبية والعلمية بين مصر والعراق، وقد جاهدت فى ذلك جهاد الصادقين

وإذا كان الله أراد أن أتشرف بعضوية نادى القلم العراقى، وأن أتشرف بعضوية نادى المثنّى، وأن أتشرف بهدية من جلالة الملك غازى الأول، وأن أتشرف بحمل وسام الرافدين، فإن الله تباركت أسماؤه خصّنى بمزية جليلة هى وسام الود الصحيح الذى شرفنى به الشعب العراقى، الشعب النبيل الذى قيدنى فى هواه بقيود متينة من شرف الحب وكرم الإخاء

وإذا قيل إن العراق يجزينى وفاء بوفاء، وإخلاصاً بإخلاص فأنا أقول إنى سأقضى دهرى كله مَديناً للعراق. ولن أستطيع أداء ما للعراق فى عُنق من ديون، ولو بذلت دمى وروحى فى حب العراق وأهل العراق

ومن واجبى فى هذا المقام أن أقدم واجب التحية لحضرة صاحب السمو الأمير عبد الإله، الرجل العظيم القلب والروح، وقد عرفته معرفة صحيحة فى جلال شخصيته الذاتية قبل أن يضاف إليها جلال الوصاية على عرش العراق، ثم زرته بعد ذلك فلم أره زاد إلا كرماً إلى كرم، وصفاء إلى صفاء، وكذلك تكون المعادن الكريمة لعظماء الرجال

ومن واجبى أيضاً أن أقدم التحية لفخامة رئيس الوزراء ومعالى وزير المعارف، وفخامة وزير الخارجية وسعادة رئيس الديوان الملكى فى بغداد، راجياً أن يكون عهد جلالة الملك فيصل الثانى من العهود البواسم فى بلاد الرافدين، بلاد دجلة والفرات

المرء كثيرٌ بأخيه، ولى فى العراق إخوة يُعدُّون بالألوف فلله الحمد وعليه الثناء.

زكى مبارك

قوية الأخلاق ، مُربَّاة على حب الوطن والتفانى فى سبيله ، وكانت الحكومة قوية يقظة كانت جماعة الطابور الخامس محدودة العدد قليلة الأثر ضعيفة النشاط .

وخير مثال لذلك انجلترا التى أخذت حكومتها بالشدة أنصار الفاشست فيها ، وقبضت على زعيمهم سير « أزوولد موزلى » هو وزوجه واعتقلت من تشك فى أمرهم من رعايا الأعداء كذلك

أما الدول ، أمثال تشيكوسلوفاكيا التى اختلفت عناصرها ، وهولندا التى ضمت عدداً غير قليل من أنصار النازى داخل حدودها ، وفرنسا التى تشعبت أهواء الناس ومذاهبهم فيها ، فقد قضى هتلر على استقلالها ، وأصابها بنكبة الهزيمة ، وألبسها ذل الاحتلال وفقدان الاستقلال

***

وقد كان لمثل هذه الجماعة وجود ونشاط فى عهد النبى (ص) وعنى القرآن بأمرهم ، وكشف أسرارهم ، وحذر النبى منهم ، ونزلت السور تنبئه بما فى قلوبهم ، وسماهم « المنافقين » وخصهم بسورة من سوره ، وتحدث عنهم فى غيرها من السور الكريمة تارة بصفهم وصفاً عاماً ، وتارة يذكر مواقفهم فى ظرف من الظروف التى أحاطت بالنبى ، وأحياناً يأمره أن يتخذ منهم موقفاً خاصاً ، أو يحرضه على إنزال نوع من الأذى بهم

وكان ظهورها وعملها والقضاء عليها بعد الهجرة بالمدينة وما حولها ، وكان القائمون بهام اليهود من بنى قينقاع وبنى قريظة وبنى النضير . وكان هناك رءوس للضلال من الأوس والخزرج أمثال عبدالله بن أبى بن سلول

وكانت هاتان القبيلتان الأوس والخزرج فى حرب دائمة قبل الإسلام وبعده إلى ما قبيل الهجرة . كانت الخزرج أكثر عدداً ، ففكرت الأوس فى محالفة قريش عليهم ، وأرسلوا لذلك رسلاً إلى مكة ، فلما علم الرسول بأمرهم — وكان قد يئس من قريش أو كاد ، وأخذ يعرض نفسه ودينه على القبائل وفى مواسم الحج — دعاهم إلى خير مما جاءوا له ، دعاهم إلى الإسلام وإلى عبادة الله وحده ، فأبوا ثم عادوا إلى يثرب

عقب انصراف الوفد من المدينة حدثت موقعة « يوم بُعاث » بين الأوس والخزرج ، وانتصرت الأوس . وفى الموسم الذى تلا يوم بعاث أقبل جماعة من الخزرج إلى مكة للحج ، فدعاهم الرسول إلى الإسلام ، فآمنوا من فورهم ، وكانوا من قبل يسمعون بقرب ظهور نبى فى بلاد العرب . ثم أخبروا الرسول بما فى المدينة من تنازع وشحناء ، ورجوا أن يصلح الله أمر يثرب على يديه ، ولما عادوا إلى قومهم ذكروا لهم حديث الرسول والإسلام ، فلم تبق دار فى يثرب إلا وفيها حديث عن الرسول وعن الإسلام

وفى موسم الحج الذى قبل الهجرة بايع النبى قوم آخرون من أهل يثرب وتسمى بيعة العقبة الثانية أو بيعة النساء ، وأرسل النبى معهم مصعب بن عمير يعلمهم الدين . فأسلم على يديه كثير من أشراف يثرب منهم سعد بن معاذ وأُسَيْد بن حضير ، ودعا سعد عشيرته إلى الإسلام أو يقاطعهم فأسلموا جميعاً

وفى عام الهجرة جاءه من يثرب ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان وبايعوه على أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم ، وأقسم سيدهم البراء بن معرور فقال: والذى بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا . ثم قام أبو الهيثم بن التيهان فقال : إن بيننا وبين الرجال (يعنى يهود المدينة) حبالاً وإنا قاطعوها . وأعرب عن خوفه منهم إذا تركهم لليهود بعد أن يظهره الله على أعدائه ، ففهم النبى الكريم مراده ، وتبسم وقال : بل الدم الدم ، والهدم الهدم . يعنى أنا منكم وأنتم منى أحارب من حاربتم ، وأسالم من سالمتم

علمت قريش بما كان فأرسلت وفداً منها إلى منازل الحجاج من أهل يثرب ، وأخبروهم بما حدث ، وقالوا إنكم جئتم إلى صاحبنا تستخرجونه من بين أظهرنا ، وتبايعونه على حربنا ، وإنه والله ما من حى من العرب أبغض إلينا أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم . فحلف نفر من مشركى يثرب أنه لم يكن شىء من هذا ، وكانوا صادقين لأنهم لم يعلموا بما كان فى الليلة السابقة . وقال لهم عبد الله بن أبى بن سلول ، وهو رأس النفاق فيما بعد : إن هذا الأمر جسيم ، ما كان قومى ليتفوتوا علىّ بمثل هذا ، وما علمته . فانصرفوا عنه وأخيراً تأكد لدى قريش ما كان من بيعة العقبة الثالثة ، ولكن بعد أن نَفَر الناس من مِنًى وفاتهم أهل يثرب

***

كان إسلام أهل المدينة نصراً للإسلام والمسلمين ، وكان فرصة طيبة لأصحاب النبي في مكة ، فقد وجدوا مهاجراً جديداً يفرون إليه بدينهم ويقيمون بمنأى من أذى قريش في حماية إخوان لهم في الدين ، وجعل الله المدينة دار أمن لهم يلجئون إليها ؛ نخرجوا مهاجرين أرسالاً ، نساء ورجالاً ، إلا من حيل بينه وبين الهجرة من المستضعفين

خافت قريش تلك الحركة ورأوا فيها خطراً يتهددهم ، وصمموا على أن يحولوا بين النبي وبين دعوته بكل ما وسعهم من قوة وحيلة ، واجتمعوا للتشاور في دار الندوة ، وتشاوروا في واحدة من ثلاث كما حدث القرآن الكريم بذلك في سورة الأنفال : « وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » وقر رأيهم على قتله ، وذلك بأن يجمعوا من كل قبيلة شاباً فتياً نسيباً ، ويعطوه سيفاً صارماً ، ثم يقف هؤلاء الفتيان على بابه ليلاً ، ويضربوه ضربة رجل واحد وهو خارج لصلاة الفجر فيتفرق دمه في القبائل ، ويرى بنو عبد مناف أن لا قدرة لهم على حرب جميع القبائل ، فيرضون بالدية

أخبر الله الرسول بما كان وأمره بالهجرة ، فذهب إلى أبي بكر الصديق — وكان من قبل يمنعه حتى يأذن الله لهما — وأخبره الخبر وأعدا الرواحل والدليل . وفي الليلة الموعودة التي عينتها قريش لتنفيذ مكرها أمر النبي علياً أن يبيت في فراشه لئلا يرتاب أحد في وجوده ، وخرج النبي من بيته في آخر الليل وهو يقرأ « وجعلنا من بين أيديهم سداً ، ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون » ، فألقى الله النوم على الفتيان ، وأخذ النبي الكريم حفنة من تراب رمى بها في وجوههم وهو يقول : شاهت الوجوه

ثم ذهب إلى أبي بكر ، وسارا حتى وصلا إلى غار ثور بأسفل مكة ، واختفيا فيه ثلاثة أيام حتى انقطع رجال قريش عن طلبهما ، ثم جاء الدليل وخادم وركبوا جميعاً وساروا في طريق المدينة حتى وصلا إلى « قباء » في اليوم الثامن من ربيع الأول لثلاث وخمسين سنة من مولده صلى الله عليه وسلم . وذلك في اليوم العشرين من سبتمبر سنة ٦٢٢ من ميلاد السيد المسيح

أقام النبي بقباء أربعة أيام وأسس مسجد قباء ، ثم ارتحل إلى المدينة يحيط به أنصاره من أهل يثرب ، وكان كلما مر بقبيلة ناداه رئيسها أن ينزل عندهم ، وأخذ بخطام ناقته ، ولكنه كان يقول : دعوها فإنها مأمورة . ومشت الناقة حتى جاءت إلى موضع مسجده الآن فبركت ، ثم قامت وبركت ، فنزل النبي ووضع الرحل عند أبي أيوب الأنصاري واشترى مكان المسجد والدور التي بناها له ولزوجاته

ومن ذلك اليوم تبدأ حياة جديدة تختلف عن حياة مكة له ولأصحابه ولأهل المدينة أنفسهم ، وبدأت عوامل النفاق تبدو ، وتحركت العداوة والبغضاء في نفوس المنافقين ، ولقي النبي من مكرهم وسوء أعمالهم ومؤامراتهم هم واليهود شيئاً حتى أراحه الله منهم جميعاً

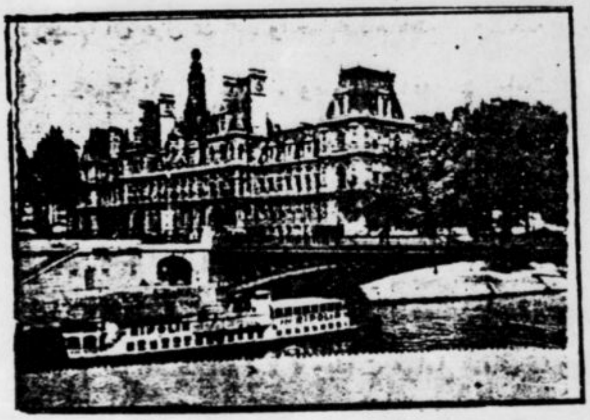
وذلك هو موضوع الحديث التالي إن شاء الله .

عبد الرازق ابراهيم حميده

محنة باريس

بمناسبة ذكرى عيد الحرية — ١٤ يوليو سنة ١٩٤٠

للأستاذ على محمود طه



سألونى عن بيانى وقصيدى
أسَفاً ... باريس ! قد ماتَ نشيدى !

شهدَ الحبُّ ذكرناكِ ولمْ   أنسَ نجواكِ ولم أخفرْ عهودى
أنا لا أنسى ليالىَّ على   روضكِ الرفافِ بالزهرِ النضيد
ثمر الفكر ومجنى نُورهِ   ومراحُ العينِ والقلبِ العميد
خطرةٌ عابرةٌ عدتُ بها   عودةَ الغوّاص بالدرِّ الفريد
فاعذرى المِزهرَ فى كفِّى إذا   أخرسَتْهُ ضجَّةُ الرُّزْءِ الشديد
يوم قالوا جلَّل القيدُ يداً   حطمتْ بالأمس أصفادَ العبيد
حملتْ مِشْعَلَ حُرِّيَّاتهم   فى شُراةٍ[1] من شباب الجد صيد
كيف يا باريس بالله هوى   ذلك النجمُ من الأفق البعيد ؟
إن يَنلْ منكِ المغيرون فما   فتحوا غيرَ تخومٍ وحدود !
لستِ بنياناً ، ولا أرضاً ، ولا   غابَ آسادٍ ، ولا جَنَّةَ غيد
أنت معنى عالمُ الفكر به   يتحدَّى قبضةَ الباغى المريد
كعبةَ الأحرار ! هذى محنةٌ   راعتِ الأحرارَ فى أكرمِ عيد

(١) الفدائيون

صُرِعَ النورُ به وانحسرتْ   جبهةُ الشمس عن النور الشهيد
وأتى الليلُ ، ومِنْ أهوالِهِ   أنْ تُرَىْ بين ظلامٍ وقيود
أين من فِرساى[1] أفقٌ ضاحك   مشرقٌ عن أملِ الشعبِ السعيد
وعلى كلِّ طريقٍ موكبٌ   صادحُ الأبواق خفَّاقُ البنود
لكأنى اليوم ألقى مأتماً
وأرى الكُنْكُرْدَ[2] كالقبر الحريد[3]

حالَ شدوُ الماءِ فى أحواضهِ   نَفْثَةَ الغرقى ببحرٍ من صديد
وقفتْ مصر[4] به صامتةً   تتقرَّى الغيب، طلَّسْمَ الوجود
غلبتْها حكمةُ الدَّهرِ ولو   نطقت لم تأتِ بالمعنى الرديد
ساحةَ الباستيل[5] ! حانَ الملتقى   وتعالتْ صرخةُ الفجر الوليد
أين أبطالكِ ؟ ماذا ! أتُرى   ضربَ الليلُ عليهم بالوصيد ؟
أغمدوا أسيافهم ؟ وَيْحَ ! وما   عوَّدوا أسيافهم حبسَ الغمود
ويحهم قد شيَّعوا أعيادهم   بين عصفِ النارِ وقصفِ الحديد
فوق أرضٍ صُبِغَتْ من دمهم   وتحدَّتْ كلَّ جبَّارٍ عنيد
فوق أحجاركِ صرعى أمسهم   فلذاتٌ كَتَبَتْ سِفْرَ الخلود
فاذكريهم بالذى مَرَّ بهم   واقرئى تاريخهم ، ثم أعيدى !

***

أيها العائدُ من غاراتهِ   راقداً تحت قباب (الأنْفَليد[6])
تلك راياتُك ، فانظرْ ! أتَرى   من سيوفٍ تحتها أو من جنود ؟
أين من برلين أو آفاقها   جيشُك الظافرُ بالحشْدِ البديد
تطأُ الأرضَ إلى مَشْرِقها   موغلاً فى أثَرِ الدُّبِّ الشريد

(١) قصر فرساى العظيم ، وقد شهد الشاعر فى حدائقه المشهورة الاحتفال الباهر بليلة عيد الحرية

(٢) ميدان الثورة التاريخى من أجل ميادين باريس ، تقوم به المسلة المصرية وتماثيل رائعة ونافورتان عظيمتان

(٣) المنعزل أو الوحش المنفرد   (٤) المسلة المصرية

(٥) الحصن الرهيب الخالد بفجائعه ، وقد اقتحمه الثوار يوم ١٤ يوليو فكان عيد الثورة   (٦) قبر نابليون

لفرنسا هِمَّـــةٌ لا تنثنى   أَمَشَتْ فى النارِ أم تحت الجليد
بالقليـــلِ الجمعِ من أبنائها   تنزعُ النصرَ من الجمع العديد
أمْ ترسُفُ فى أحقـادها   دِنْتَها بالصفح والصنع الحميد
لم تســـيِّرْ فوقها دبَّابةً   أو تباغِتْها بطيرٍ من حديد
يقتلُ الولدان والشِّيبَ ولا   يرحمُ المرضَى وربَّاتِ المهود
شَرَفُ الحرب كما لقَّنتَـــه   ملتقَى سيفين فى ظلِّ البنود
فاعـذرِ اليوم فرنسا إنَّها   وثقتْ بالعهد فى دنيا الجحود
قَرَعَتْ للنصرِ كأْسًا ! ويحها !   صَرَعَتْها خمرةُ النصر التليد !
رَقَدَتْ عن غدِها وانتبهتْ   حيث لا ينفعُ صحوٌ من رقود
أسفرتْ سِيدَّان(١) عن مأساتها   وتهاوى حجرُ الحصن المشيد
ثغرةٌ أنفَـذَ منها خنجرٌ   قد تَلَقَّتْهُ على حزِّ الوريد
شهدَ المجدُ لها باسـلةً   خُضِّبتْ بالدم من نحرٍ وجيد
فابعثِ العزَّةَ من تاريخها   وتألَّقْ بسناهُ من جديد
واطلَعِ اليوم عليها سيرةً   وكنِ الشاعرَ واهتفْ بالقصيد:
... أيُّها الفاتحُ لا يغررْكَ ما   سِرْتَ فيه من حصونٍ وسدود
لكَ فى العِـبرةُ المثلى فلا   تأمنِ الزلَّةَ فى أوجِ الصعود !

***

ربَّة النور سـلامًا كلما   هتفَ الشعرُ بماضيك المجيد
لكِ فى كلِّ خيالٍ صورةٌ   بَرِئَتْ من وصمةِ العصر الجديد
غير ذكرى يرجعُ الفكرُ بها   لليالٍ من عصورِ الظلم سُود
لَهْفَ نفسى لدمشقٍ(٢) ولمنْ   خرَّ فيها من جريحٍ وشهيد

من شواظٍ يقذفُ الموتَ على   رُكَّعٍ فى ساحةِ الله سجود
فأنا الشرقُ لا أنسى الذى   حاقَ من حكمكِ بالشرقِ العتيد
المساواةُ التى أعلنتِهـــا   أعلنَتْهُ بنـــذيرٍ ووعيد
والإخاءُ الحرُّ ما كان سوى   مدفعٍ يرمى بمُرْدٍ ومبيـــد
وطنِى الروحىُّ ، إن أغضَبْ لَهُ   فلآباءٍ كرامٍ وجـــدود
وتراثٍ خالدٍ من أدَبٍ   أنا فاديهِ بروحى ووجودى
كفَرَتْ ثورتُكِ الكبرى بهِ   وهوَ المحسنُ يجْزَى بالكنود
سار بالإسلام نوراً ، وهَدَى   بسنا عيسى خُطَى الحقِّ الطريد
النبيُّون همـو ثُوَّارهُ   حاملو الشُّعلة ، أعداء القيود
نحذى بالحقِّ والرُّوح الذى   هزَّ بالثورة أركانَ الوجود
وابعثيها ثورةً أخرى فما   يعرفُ الأحرارُ معنى للجمود !

(رأس البر)   علي محمود طه

(١) المدينة الفرنسية المشؤومة ، فى ساحاتها انهزم جيش نابليون الثالث وانهارت امبراطوريته ، وقامت الجمهورية الثالثة ثم جددت مأساتها فى الحرب الحاضرة بهزيمة الجيش الفرنسى فيها وانهيار الجمهورية

(٢) إشارة إلى نكبة عاصمة الأمويين ، ضربها الجنرال الفرنسى « سراي » بقنابل مدافعه عام ١٩٢٥

من وحي الحرب

وداعـــاً ...!

للأستاذ كامل محمود حبيب

وداعاً ، يا عزيزتي ، وداعاً !

بين هذه الزعازع التي تلف العالم في ثورتها ، وهذه العواصف التي تصعق الأمم في شدتها ، وهذه النزوة الطائشة التي تبتلع الشعوب في احتدامها ... وقفتُ أنا أهتف بك : وداعاً ، يا عزيزتي ، وداعاً !

وانسرب بك القطار إلى الريف الجميل ، إلى حيث تنعمين بالهدوء والراحة ، إلى حيث تجدين لذة الأمان والطمأنينة ؛ وخلفتني ألوّح لك بمنديل أبيض قائلاً : وداعاً ، يا زوجتي ، وداعاً ! ...

ووجدتُ فقدك ، فغمرتني لجة من الخواطر السود ، وأنا في مكاني أشهد القطار وهو يتوارى خلف الأفق ... ثم عرتني نكسة الفراق ، فتراءت لي من خلالها أنانيتك ، وأنت تسدلين عليها — في ساعة الوداع — سجفاً من عبرات خادعة كاذبة ، هي صورة من قلب المرأة الفارغ

ورجعت أتخبط في أرجاء الأرض ، وقد لمع الحزن فؤادي ؛ تضيق نفسي بالوحدة ، ويتحرّق قلبي بالوحشة

***

ودخلت الدار وحدي فأحسست مقتها وخيل إليّ أنها تكاد تلفظني لأنني غريب عنها وهي غريبة عني . لقد امتدت حماقتك إلى أثاثك فحملته — من قبل — إلى دار أبيك

ورحت أطوّف في أنحاء الدار فما أجد بعض آثارك ، فعلمت أنك أردت أن تمسحي تاريخك من عمري وألفيت كتبي وحدها تناديني فجلستُ إليها ألتمس السلوة

آه لو ألقيتُ إليك السّلم فقذفت بكتبي حيث طوّحتِ أنت بأثاثك ، إذن لاستشعرت فقدك مرتين

إن حرصك على حاجاتك انتزع منها الحياة فهي لُقيً في ناحية من دار ، أما اعتزازي بكتبي فما انفك يبعث فيها الحياة

***

لا جرم ، قد انخذلت أوصالك وانخلع قلبك ، أول ما دوت صفارة الإنذار ، فانبعثت تبحثين عن نفسك وقد تبعثرت في صلصلة الصوت

ثم تطاير الحمم من فوهات المدافع يزلزل الأرض والقلب في وقت معاً ، فاندفعت تصرخين ، وأنا أهدىء من روعك فما أصنع شيئاً

وهالني ما رأيت فتركت لك الخيرة من أمرك لأنني أشفقت عليك ، فآثرت الرحيل

لا بأس ، فقد خشيت أن ينالك بعض غضب الإنسان الوحشي الذي لا يفترس — حين تتأجج حيوانيته — بالناب والظفر ، بل بالقنبلة والمدفع والرصاصة و ... مما لا يسمع ولا يرى ولا ... ولا يعي

وغرّكِ شبابك الغض وجمالك الخلاب وأملك الباسم ، فضننت بها جميعاً أن تكون طعمة لثورة الإنسان

وحرصت الحرص الذي ينزع بالمرأة دائماً إلى أن تنسى كل شيء إلا أن تكون عالة تتدلل

وتركتني من ورائك جندياً في الميدان ، أحمل عبء نفسي وعبء عملي وعبء الدار وعبء الفزع الأكبر الذي يتهددني ، وأنت بين أهلك لا تحتملين شيئاً من كاف الحياة

هذا ، يا عزيزتي ، هو الإخلاص الذي تغنيت به زماناً فانخدعتُ له ؛ والآن — حين مرج الأمر — تبعثر في دوي الصيحة الكبرى

***

إن المرأة ، يا سيدتي ، معمل تفريخ فحسب ، فإن هي عجزت عن أن تكونه فقد تعطلت وظيفتها ، وبطل عملها في الحياة

وأنا عشت معك عمراً من عمري ، أصفيك محض الود ، وأحبوك خالص العطف ، على حين قد لبثت سنين أنتظر ... غير أنك كنت جرداء قاحلة لم تتفتح حياتك الجافة عن نبتة واحدة

أستمتع فيها بنور الحياة الجميلة ، فما ضاقت بك دارى ولا غصت بك أيامى ...

يا عجباً ! لقد نسيت أنك كنت وأنى ... فنزعت عنى أحوج ما أكون إليك ، وطرت بملك الجاهل وعقلك المأفون ، وفى رأيى أن المرأة المتعلمة العاقلة ليست فى الميدان أماً لطفل فحسب ، بل هى أم ذلك الجندى الذى تحركه الحادثات وتصعقه النوازل ، وهى ... وهى رأب صدعه ، ولكنك عجزت عن أن تكونى واحدة منهن

وثقلتْ عليك أيامى وأحلامى معاً فانفلت إلى أهلك ، ولكن جشعك الوضيع كان يبعث بك إلىّ أول كل شهر لتحبطى حجتك الواهية وتفتدى رأيك الخاوى

***

لا ضير ، يا سيدتى ، فإن طرفى النقيض لا يتلاقيان إلا فى شرع امرأة

فى الريف ، أخذ عقلك الفج يفتن فى الزينة والتطرية و ... تباهين بها فتيات من أهلك هن دونك لأنك أنت زوجى

ورحت تتبذلين فى دار الاحتشام ، وتنفثين عطرك الذكى بين الحظائر والترب ، وتتأنقين فى ربى الطبيعة الساذجة ، وتنشرين ثراءك فى بلاد المتربة والفقر ، ونسيت أنك تؤرثين نار الحقد فى قلب الفلاح المسكين ، وتبذرين غراس الطمع فى وطن القناعة والرضا بالله لقد عجزت عن أن تلدى طفلاً فرحت تلدين فى مأساة الحياة مهزلة تسخر منك

فهجرت المدينة والمدنية ما تبرح تتوثب فى دمك وتتناثر حواليك سموماً تلتهم قلب الريف الطاهر النقى

آه ، لقد خفت أن تمر يدك الغضة الناعمة على جنة الريف النضيرة فتذرها جحيما تتسعر

فذهبت إليك أخفف من غلوائك وأسكِّن من حدّتك فابتسمت فى فتور وقد طمت بك شيطانيتك التى لا ترعوى

وآذنى أن أرزح تحت حماقتك وجهلك وغباوتك وأنانيتك فأسدلت على أيامك ستراً ، ثم انطويت وأنا أهتف بك : وداعاً ، يا عزيزتى ، وداعاً !

***

وشملنى ظلام الدار وظلام الحياة وأنا ما أزال فى فرحة العمر وربيع الشباب ، فانطلقت أفتش عن قبس من نور

لا تحزنى يا زوجتى ، فأنت ... أنت دفعتنى

وتلمست ، فإذا فتاة فى ريق العمر ونزوة الشباب ، تبذك جمالاً وفتنة ، وتفوقك علماً وأدباً ، وتعجزك حسباً وثراء ...

وتلاقينا على ميعاد

ووصلت حبلاً بحبل ، ونعمت ، من بعدك ، بالحياة بعد إذ أمضّنى ملمسها الخشن

واطمأنت نفسى إليها واطمأنت هى

وجلسنا فى خلوة ، ثم ... ثم دوت صفارة الإنذار ، فانخذلت أوصالها وانخلع قلبها ، وانبعثت تبحث عن نفسها وقد تبعثرت فى صلصلة الصوت

وانكشفت لى عن امرأة مثل من أعرف : امرأة فيها روح الثعلب أو شيطانة فى مسلاخ امرأة

فطرحتها جانباً وانطلقت وأنا أهتف بها : وداعاً ، يا عزيزتى وداعاً !

« مشهر » كامل محمود حبيب

من ثنايا «كتاب الديارات» للشابشتي

يوم من أيام المتوكل (*)

للأستاذ صلاح الدين المنجد

... ذكر [عبيد الله بن احمد] بن خرداذبه (١) أن المتوكل (٢) أنفق على الأبنية التي بناها وهي : بركوارا ، والشاة ، والعروس ، والبركة (٣) ، والمختار ، والجوسق ، والجعفرى (٤) ،

(*) كتاب الديارات ص ٦٨

(١) فارسى الأصل ، بغدادى المسكن . اشتهر بالتاريخ وبالجغرافيا . وكان جده خرداذبه مجوسيا أسلم على يد البرامكة . واتصل عبيد الله بالمعتمد العباسى فولاه البريد والخبر بنواحى الجبل ، وجعله من ندمائه . له من التصانيف : « جمهرة أنساب الفرس » و « المسالك والممالك » و « اللهو والملاهي » وغيرها . توفى سنة ٢٨٠ هـ (الأعلام)

(٢) جعفر (المتوكل على الله) ابن محمد (المعتصم بالله) من الخلفاء العباسيين . ولد ببغداد سنة ٢٠٦ هـ وبويع بالخلافة بعد وفاة الواثق أخيه سنة ٢٣٢ هـ . وكان جواداً محباً للعمران — وسترى مبلغ حبه له — أعرض عن السيرة التى استار بها المأمون والمعتصم فى القول بخلق القرآن فأحبه الناس . نقل مقر الخلافة من بغداد إلى دمشق فأقام بها شهرين ، ثم عاد منها وأقام فى سر من رأى ، واغتاله فيها غلام تركى اسمه (باغر) سنة ٢٤٧ هـ . (فوات الوفيات — زهر الآداب)

(٣) البركة لغة المكان الذى تبرك به المياه وتجتمع . وهذه بركة الجعفرى ، وهي بركة ما رؤى أروع منها . وقد وصفها البحترى فى قصيدة من أرق الشعر وأدنه وأولها :

يا من رأى البركة الحسناء رؤيتها … والآنسات إذا لاحت مغانيها

وفيها يقول :

ما بال دجلة كالغيرى تنافسها … فى الحسن طوراً وأطواراً تباهيها
لحاجب الشمس أحيانا يغازلها … وريق الغيث أحيانا يباكيها
إذا النجوم تراءت فى جوانبها … ليلا حسبت سماء ركبت فيها
كأنما الفضة البيضاء سائلة … من السبائك تجرى فى مجاريها

... وقد ذكرها بعض كتب الأدب فلتراجع ثمة

(٤) قصر عظيم بناه المتوكل قرب سامراء سنة ٢٤٥ هـ واستحدث عنده مدينة وانتقل إليها ، وأقطع القواد منها قطائع فصارت أكبر من سامراء . ثم شق إليها نهراً يسقيها . قالوا : إنه أنفق على القصر ألفى ألف دينار . ولما انتقل المتوكل إلى الجعفرى انتقل أهل سر من رأى معه وأضحت المدينة خلاء . وقد وصفها أبو على البصرى (ياقوت ٨٧ ج ٢) . وقد وصف البحترى الجعفرى فى قصيدة رنانة أولها :

قد تم حسن الجعفرى ولم يكن … ليتم إلا بالخليفة جعفر

(ياقوت)

والبديع ، والصبيح ، والمليح ، والسندان ، والقصر ، والجامع ، والقلاية (١) ، والبرج (٢) ، وقصر المتوكلية (٣) ، والبهو ، واللؤلؤة ... (٤) مائتى ألف ألف وأربعة وسبعين ألف ألف درهم (٥) ومن العين ألف ألف دينار ؛ [فـ] تكون قيمة الورق (٦) بصرف الوقت (٧) مع ما (٨) فيه من العين ثلاثة عشر ألف ألف دينار وخمسمائة ألف دينار وخمسة وعشرين ألف دينار (٩)

قال [المؤلف] : شرب المتوكل يوماً فى بركوارا فقال لندمائه (١٠) : أرأيتم إن لم تكن أيام الورد لا نعمل نحن شاذ كلاه (١١) ؟ قالوا : يا أمير المؤمنين لا يكون الشاذ كلاه إلا بالورد ، فقال : بلى ، ادعوا إلى (١٢) عبيد الله بن يحيى (١٣) ،

(١) القلاية صومعة تبنى فى جوار الديارات على شرف من الأرض تطل على ما حولها من البساتين والرياض والغدران . وكانت تزخرف ويتأنقون فى صنعها ؛ يأتى إليها المتطربون والخلعاء ليرشفوا الخمر فيها (تاج العروس — الديارات النصرانية لحبيب الزيات) . قلت : ولعل المتوكل كان قد بنى قلاية لنفسه لتكون موطن شربه وأنسه

(٢) سيمر بك وصف بارع لهذا البرج بعد قليل

(٣) قصر من أفخم قصور المتوكل . وقد جعله ياقوت قصر الجعفرى نفسه على أنهما مختلفان ، وقد وصفه البحترى فى إحدي قصائده فقال :

أرى المتوكلية قد أضاءت … محاسنها وأكملت التماما .
قصور كالكواكب لامعات … يكدن يضئن للسارى الظلاما

(الديوان) .

(٤) هذه كلها أبنية بناها المتوكل ولم نستطع أن نعلم إلا صفة بعضها . على أن هذه الأبنية كانت مثار دهشة أهل ذاك الزمان وإعجابهم . ولعلى ابن الجهم قصيدة ينوه فيها بهذه الأبنية وأولها :

وما زلت أسمع أن الملوك … تبنى على قدر أخطارها

(زهر الآداب)

(٥) ذكر ياقوت (ج ٢ ص ٨٨) أن كل خمسة وعشرين درهما كانت تساوى فى زمن المتوكل ديناراً فانظر

(٦) الورق بفتح ثم كسر الدراهم المضروبة (القاموس) . وفى القرآن : « ابعثوا أحدكم بورقكم هذا »

(٧) بصرف الوقت تعبير جميل معناه باللغة العامية : « بسعر البورصة »

(٨) فى الأصل مما وهو خطأ

(٩) أنت ترى هذا العدد من الدنانير الذى أنفقه المتوكل . وقد ذكر صاحب زهر الآداب أن ما أنفقه المتوكل على أبنيته وقصوره كان ثلثمائة ألف ألف (ج ١ ص ٢٣٠)

(١٠) فى الأصل : لندماه . ويلاحظ أن الناسخ قد أسقط كل همز

(١١) شاد بالفارسية فرح وكلاه ما يوضع على الرأس ، ولعل معناها « فرح التاج » ، وكأنه مهرجان أو يوم عيد

(١٢) فى الأصل : ادعوا لى

(١٣) هو عبيد الله بن يحيي بن خاقان ؛ كان ذا شأن في العصر العباسى ، استوزره المتوكل والمعتمد . وكان عاقلا حازماً (الأعلام)

لحضر ، فقال [له المتوكل] : تقدم[١] بأن تضرب لى دراهم ، [زنة] كل درهم حبتان[٢] . قال : كم المقدار يا أمير المؤمنين؟ قال : خمسة ألف ألف درهم . فتقدم عبيد الله فى ضربها فضربت وعرفه الخبر فقال : اصبغ منها الحمرة والصفرة والسواد ، واترك بعضها على حاله . ثم تقدم إلى الخدم والحاشية — وكانوا سبعمائة — بأن[٣] يعد كل واحد منهم قباء[٤] جديداً وقلنسوة على خلاف لون الآخر وقلنسوته ففعلوا . ثم عمد إلى يوم تحركت فيه الريح فنصبت له قبة لها أربعون باباً فاصطبح فيها ، والندماء حوله ، ولبس الخدم الكسوة التى أعدها ، وأمر بنثر الدراهم كما ينثر الورد ؛ فنثرت أولاً أولاً ؛ فكانت الريح تحمل الدراهم فتقف بين السماء والأرض كما يقف الورد[٥] فكان [هذا اليوم] من أحسن أيام المتوكل وأظرفها[٦] ، وكان البرج من أحسن أبنيته فجعل فيه صوراً عظاماً من الذهب والفضة ، وبركة عظيمة جعل فرشها — ظاهرها وباطنها — صفائح الفضة ، وجعل عليها شجرة ذهب فيها كل طائر يصوت ويصفر ، مكللة بالجوهر وسماها طوبى ؛ وعمل له سرير من الذهب كبير ، عليه صورتا سبعين عظيمين ودرج[٧] عليها صور السباع والنسور وغير ذلك، على ما يوصف به سرير سليمان بن داود عليهما السلام؛ وجعل حيطان القصر من داخل وخارج ملبسة بالفسيفساء والرخام المذهب فبلغت النفقة على هذا القصر ألف ألف وسبعمائة ألف دينار. وجلس [المتوكل] فيه [يوماً] على السرير الذهب وعليه ثياب الوشى المنقشة[٨] وأمر ألا يدخل عليه أحد إلا فى ثياب وشى منسوجة أو [ثياب] ديباج ظاهرة[١] ، وكان جلوسه فيه سنة تسع وثلاثين ومائتين . ثم دعا بالطعام وحضر الندماء وسائر المغنين والملهِّين[٢] وأكل الناس، ورام النوم فما تهيأ له، فقال له الفتح[٣] يا مولاى ليس هذا يوم نوم، فجلس للشرب. فلما كان الليل رام النوم فما أمكنه ، فدعا بدهن بنفسج فجعل منه شىء على رأسه وتنشقه فلم ينفعه ، فمكث ثلاثة[٤] أيام بلياليها لم ينم ، ثم حُمَّ حمى حادة فانتقل إلى الهارونى[٥] قصر أخيه الواثق[٦] فأقام به ستة أشهر عليلاً وأمر بهدم البرج وضرب تلك الحلى عيناً[٧] (انتهى)

(دمشق) صلاح الدين المنجد

(١) جاء فى الأساس : وتقدمت إليه بكذا . أمرته به

(٢) كان فى مكان « زنة » كلمة شوهت ولم يبق منها إلا ما يشبه الياء . فاما أن تكون الكلمة (فى) وإما أن تكون الكلمة التى قدرناها أو ما هو فى معناها

(٣) فى الأصل : أن . والصواب كما ذكرنا

(٤) فى الأصل قبا بدون همزة

(٥) كان المتوكل على الله مفتونا بالورد ، بلغ من فتنته به أنه كان يلبس فى زمن الورد الثياب الحمر ، ويأمر بالفرش الأحمر ، وكان الورد لا يرى إلا فى مجلسه . وكان يقول : أنا ملك السلاطين والورد ملك الرياحين وكل منا أولى بصاحبه (الأعلام)

(٦) فى الأصل وأظرفه وهو خطأ

(٧) معطوف على سرير ، ج درجة

(٨) فى الأصل المنقلة ، ومعناها المبالغ فى ترقيها ، ولعل الصواب ما ذكرنا .

استدراك :

١ — ذكرت فى العدد الماضى أن أول من نوه بكتاب الديارات هو السيد حبيب الزيات فى عدد خاص من مجلة المشرق أصدره فى تموز سنة ١٩٣٠ ، والصواب أن هذا العدد صدر فى تموز سنة ١٩٣٨

٢ — مر معك أن المتوكل قد بنى قصر « بركوارا » ومعنى ذلك بالفارسية « قصر الهناء » (المنجد)

(١) أى تجذب العين (القاموس واللسان)

(٢) فى الأصل الملهيين

(٣) الفتح بن خاقان أديب شاعر فصيح ، كان فى نهاية الفطنة والذكاء . فارسى الأصل من أبناء الملوك ، اتخذه المتوكل العباسى أخاً له واستوزره وجعل له إمارة الشام على أن ينيب عنه . وكان يقدمه على جميع أهله وولده ، واجتمعت له خزانة كتب حافلة من أعظم الخزائن ، وله تصانيف كثيرة . مات سنة ٢٤٧ هو والمتوكل (الأعلام)

(٤) فى الأصل : ثلثة

(٥) الهارونى : قصر عظيم قرب سامراء وهو على دجلة ، بينه وبين سامراء ميل واحد ، وفوقه قصر الجص الذى بناه المعتصم للنزهة (ياقوت)

(٦) أبو جعفر هارون بن محمد المعتصم بالله ؛ ولد ببغداد وولى الخلافة بعد وفاة أبيه المعتصم سنة ٢٢٧ هـ ؛ ومات بعلة الاستسقاء فى سامرا . وكان كريماً حازماً (الأعلام)

(٧) العين : الدنانير

في الأدب الإنجليزي

دراسة شاعر قصصي

للأستاذ أحمد الطاهر

لنتخلف عن قافلة الزمان ، ولنرجع إلى الوراء خمسة قرون أو ستة ، ولنحط الرحال في لندن ، ونتخير أحد فنادقها ، وليكن فندق « تابارد » في حي « سوث وارك » . وما كنا لنهبط لندن في غير الربيع ، فالأشجار وارفة غيناء تلتف أفنانها وتتلاقى خصلاتها وترف ظلالها ، وهي لا تزال ملمة لم يحن وقت أثمارها وإن بكر بعضها ، فما يزال الثمر أكماماً ونَوْرَا ، والطير يدوّى في الأرض ويدوّم في السماء ، ثم يدفّ ولا يزال يواتر ذلك أبابيل ووحداناً تشدو بين إرنان شجى ، وهزج دقيق ، وترجيع شجى

يطرأ على الفندق جماعات من الناس مثنى وثلاث ، يلقون عصا التسيار ، وقد بدا على وجوههم أن تحلّل بهم السفر فأعياهم : فيهم الرجال الأشداء ، وفيهم النساء الضعيفات . ولكن لا يكاد أن يلتئم جمعهم حتى يشيع في وجوههم البشر ، وتنطق قسماتهم بالسرور ، ثم تغريهم كثرتهم فتنسيهم النصب والتعب ، ثم يغرقون في اللهو والعبث ؛ إن رأيتهم حسبتهم أطفالاً قد استخفهم الفرح وازدهاهم الطرب

هذا خليط من الناس فيهم الطغام والهباء ، وفيهم السادة والأحبَار . أما هذا الرجل الأنيق البدين فهو أحد الفرسان ، كميّ جسور ، مغوار مشهور ؛ وأما هذا الذي وراءه فهو سيد من سادة الريف لعله صاحب القرية أو ذو الشأن فيها ؛ وهذا الزرى الضامر النحيف قس قد قنع بالكتاب عن فاخر الثياب ، يلبس الأسمال والأخلاق ، ويعلم الحكمة والأخلاق ؛ وهذا الذي يرفل في الديباج الأحمر طبيب يلهج لسانه بالحمد والثناء ، حين يذكر أيام الطاعون والوباء ، إذ امتحنت المدينة عامين تماون فيهما على الناس الطاعون والطبيب : ذلك يحصد الأرواح ، وهذا يجمع الأرباح . وهذه الفتاة الناعمة الرقيقة راهبة من الرهبان ، تتكلم الفرنسية بلهجة ظريفة سليمة ، ولكنها لا تفهم لغة باريس ؛ وحسبك أنها تعلمت الفرنسية في بلاد الإنجليز ! أما الذي خلفها فراهب متعبد غير متأبد ، لا يتذمم مع رهبنته من اقتناء الخيل والخروج للصيد ، وهو ليس بالرجعى الذي يلزم القديم ، بل هو مجدد كأهل هذا الزمان ، لا يحبس روحه في القُوس والصومعة ، ولا عقله في الكتب والصحائف ، ولا يكد بدنه بالزرع والحصاد ، إنما همه في الحياة أن ينمى اثنين : كلب صيده ولحم بدنه . وبجواره شماس خبير بأهل المدينة ونواديهم وحاناتهم وخاناتهم ، قد وهب جمال الصوت وحسن التوقيع والبداهة في الداعبة الحلوة والمحارزة المرة . وهذا رجل من عامة ذوى الأملاك مرح طروب يشغله في الحياة شيئان : الطعام المرىء والخمر العتيق . وهذا كاتب قد ملأ رأسه من اكسفورد لا فرق بينه وبين جواده : كلاهما هزيل ناحل ما أغنى عنه علمه وماوعى ، فهو لا يزال حائراً يتخبط في غيهب الحياة ، ينام الليل متوسداً أرسطو وفلسفته ويصبح خالى الوفاض لا يملك شيئاً ، حتى إذا يَسّر له صديق هرع إلى المكاتب يلقى إليها بالمال ، ويعود منها مثقلاً بأحمال ؛ وهذه ربة دار امرأة صناع قد أبلت في عمرها خمسة أزواج أوردتهم جميعاً موارد العذاب ، ولا تزال تتربص بسادس فهى تنصب للزوج شركا من الحب الزائف والود المصطنع حتى يقع فيه فترديه ، وهذا نجار وهذا صباغ ، وهذا فلاح ، وهذا حباك ، وهذا نجاد

كل أولئك الذين رأيت لهم قبلة واحدة هى الحج إلى بيت الشهيد توماس في كانتربرى . فبيته مثابة المؤمنين ومقصد المخلصين

ولعلى قد أنسيت أن أحدثك عن صاحب الفندق فهو رجل حلو الفكاهة رقيق الحاشية يرى أن الحج ركن من أركان الدين، حكمة شرعته أنه سبب رزقه ومورد الخير له ، وهو لا يدخر وسعاً في إيناس الحجيج وتيسير السبل لهم . وقد تراءى له أن يحج هذا العام فما فصلوا عن الخان حتى بدا له أن يجد سبيلاً للترفيه عنهم ودرء أوصاب السفر، قال : يا قوم نحن ثلاثون فعلى كل واحد منا أن يقص على إخوانه قصتين في الذهاب ومثلهما في الإياب، فمن فازت قصته بالإعجاب فله عشاء في فندق يدفع ثمنه بقية الصحاب

ولست أدرى هل كانوا جميعاً قد قصوا ما قضى عليهم، ولكنني أعلم أن رجلاً منهم قد وعى ما سمع من القصص أو هو أجرى على أفواه الحجيج قصصاً تخيلها وأسماها « قصص كنتر برى » !

هذا الرجل هو « جوفرى شوسر » أبو الشعراء الإنجليز وزعيم قصصيهم

ولقد أدرك القراء أن وصف الحجاج والفندق ووصف المدينة في الربيع ، وكل ما قرءوا من أول هذا المقال ، إنما هو مقدمة قصص « كنتربري » للشاعر الذي ندرسه ، نقلتها عنه في أمانة ووفاء ، لنتبين أسلوبه ، وندرس حياته وآراءه ، وما تأثرت به كتابته من آراء غيره ومما أحاط به من ظروف وأحداث كان لها الأثر في تفكيره وبيانه

فالشاعر كما ترون خلال هذه السطور القليلة التي قرأتم والتي أرجو أن أوفق للمزيد منها في مقال آخر ، لا يحاول أن يبسط سلطانه على عقل القارئ ولا يختار موضوعاً اجتماعياً بعينه ليدلي فيه برأي قوي عنيف يفزع به القارئ أو يجذبه إليه ، ولكنه يعمد إلى الحقائق المجردة والمشاهد المألوفة فيدعها تسيطر على عقله هو ثم يصفها لك كما أثرت في نفسه وكما يراها هو ، فلا يلبث القارئ أن يؤخذ بالصورة التي رسمها له ، ويتأثر بالعوامل التي تأثر بها الشاعر ، فيرى بعين الشاعر ويفهم بعقل الشاعر في غير عناء ولا كلفة . وإنك لتدرك بعد هذا أن شاعرنا قوي السلطان على قرائه، ولكنه لا يقسرهم على طاعته، شديد التأثير فيهم ولكنه لا يسلط عليهم قوته ، وإنما هم القراء الذين يهرعون « لبضاعته » ويخضعون لطاعته والتأثر به. قال فيه أحد المترجمين له : «لم تكن هناك أخيلة قد ألقى عليها الشعراء ضوءاً يمكنه أن يختار منها ويقتبس ، ولكنه كان يفحص الأشياء في حدود ضيقة لنفسه وبنفسه حتى يستطيع وصفها وصفاً لا يفترق عن صنعة المثَّال ، فوصفه للطبيعة يشمرك بهبوب الريح ورطوبة الثرى وبرودة الجو »

وأحسب أن مما ساعده على هذه القوة الوادعة وهذه السطوة الهادئة أسلوبه التهكمي وسخريته الحلوة المرة إن جاز هذا التعبير ، فأسلوبه حلو يستسيغه القارئ ولا يستطيع أن يعبس له ، بل لا يسعه إلا أن يضحك منه ويتأثر به ؛ وهو مر لأنه يكشف عن العيب الذي يريد الشاعر الكشف عنه ، فيريك منه أبشع صورة وأشدها إيلاماً للنفس . أنظر إليه حين يصف أطباء عصره كيف يضحكك من وصفهم ، وكيف يؤلمك من جشعهم وما نال الناس منهم ومن الطاعون : فطبيبه الذي يصف رجل يلهج لسانه بالحمد والثناء حين يذكر أيام الوباء، وهو والطاعون إذا اجتمعا على المدينة أفنياها ، هذا يحصد الأرواح ، وهذا يجمع الأرباح .

وانظر إليه حين يصف المرأة المزواج يعبر عن ذلك بأنها « أبلت » في عمرها خمسة أزواج ، ثم يدعها ويسخر من الرجال الذين يقعون في حبائلها ...

ولعلك لمحت فيما قرأت له أن أكثر سخريته وأشدها منصب على رجال الدين من قساوسة وشمامسة ورهبان ؛ ونحن نبادر قبل أن نعرض لهذا البحث — إن أتيح لنا أن نعرض له — فنقول إنه متأثر في هذا بعاملين : أولهما حال رجال الدين في ذلك العصر وما كان بينهم وبين الملوك والأمراء من تحاسد وتباغض وتنازع في السلطان ، والملوك والأمراء هم أرباب الفضل والنعمى على شاعرنا ؛ وثانيهما خضوعه في هذا وفي غير هذا لما تأثر به في آرائه وأسلوبه من كتابات الشاعر الإيطالي بترارك وغيره من شعراء الطليان الغابرين وكتابهم

* * *

ولد هذا الشاعر في لندن منذ نحو ستمائة سنة . وقليل ما عرف عن فجر حياته ، بل لم يسمع اسمه في لندن إلا عند ما كان موظفاً في بلاط الدوقة كلارنس التي كانت زوج ابن إدوارد الثالث

وكان شوسر لا يزال شاباً في طراءة السن ، ثم انخرط في سلك الجندية وحارب في حروب فرنسا المعروفة بحروب مائة العام. قيل إن الفرنسيين أسروه وطلبوا له الفداء وبهظوا واشتطوا على أهله وصحبه في الفدية، فاكتتب أولئك في جمعها وساهم الملك بماله في ذلك . ولما عاد إلى بلاده استخدمه الملك خاصة له وأصبح له في الأسرة المالكة منزلة محترمة. فكان موضع الثقة في السفارات، والرسول المجتبي في الملمات . سافر إلى فرنسا وإلى إيطاليا فحذق اللغتين وقرأ شعرهما ولقي شعراءهما . وشغل بعد هذا مراكز حكومية كإدارة المكوس وعضوية مجلس الشورى ورياسة القاطعات ، ولا تزال جامعتا اكسفورد وكيمبردج تتنازعان بنوة هذا الشاعر

ولعله لا يتعاظمنا أمر فقره في أخريات حياته ، فهذا شأن الكثيرين من الكتاب والشعراء حتى اليوم ، ولعل هذا هو ما أوحى إليه وصف الكاتب بقوله : « ما أغنى عنه علمه وما وعى — حائر يتخبط في غيهب الحياة ، ينام الليل متوسداً

أرسطو وفلسفته ، ويصبح خالى الوفاض لا يملك شيئاً » لعله كان يصف نفسه ، فكذلك كان شاعرنا، عاش على قليل من المال رتبه له هنرى الرابع ابن صديقه جون أوف جونت ، واتخذ له مسكناً فى وستمنستر فى بقعة منها يشغلها الآن جزء من كنيسة وستمستر المعروفة ببيعة هنرى السابع ومات بها عام ١٤٠٠ م ودفن فى زاوية الشعراء من هذه الكنيسة . وكان أول شاعر نال هذا الشرف

ولنا عود إن شاء الله إلى قصصه وآثاره .

«الأسكندرية» الصاغ

أحمد طاهر

الحرب في أسبوع

للأستاذ فوزى الشتوى

أى الصلح يريد ؟

عرض هتلر فى حديثه إلى مجلس الريشستاغ الألمانى إلى موضوع الصلح مع انجلترا ، فأبدى استعداده للدخول فى مفاوضاته ؛ ولكن أى صلح يريد هتلر ؟ ولماذا يبدى استعداده اليوم بعد مضى شهر على تسليم فرنسا ؟ الحقيقة أن هتلر لا يريد الصلح ، وهو لم يكن فى يوم من أيام حياته من مريدى السلام ؛ بل هو فى حالة حرب دائمة ، فإذا كانت ألفاظ السلام على شفتيه ، فعقله وقلبه يعملان للحرب ، وإذا طالب بالسلام ، فلأنه يريد أن يضمن النصر فى الحرب ؛ فصلحه وسلامه يقومان على الغدر والخيانة واستغلال الفرص للقضاء على سلام غيره

فتاريخ هتلر مملوء بالصفحات السوداء من تغرير ، وخيانة ، وغدر ، وخديعة ؛ ولم يتورع فى تصرفاته عن استعمال أسلحة القتل والجريمة ، فعندما أراد ضم النمسا دفع رجاله لاغتيال دلفوس زعيمها ، فلما خاب مسعاه فى المرة الأولى كرره فى المرة الثانية ، إلى أن تمكنوا من قتله ، وعندئذ بدا هتلر على حقيقته زعيماً للمجرمين ، فحمى القتلة ، بل وزاد أن مجد ذكراهم لأول مرة فى تاريخ الإنسانية ، فوضع على قبور من اقتصت منهم العدالة أكاليل الزهر ، وأقام نصب التخليد . فيالها من أكاليل ويالها من نصب !

الاختطاف الدولى

وعندما أراد أن يضم إلى بلاده مناطق السوديت توطئة لوضع تشيكوسلوفاكيا تحت سيطرته تبع نفس الوسائل ، ولكن بطرق أخرى ؛ فبدل أن يقتل اختطف ، فاستدرج الرئيس هاشا بحجة المفاوضة ، فلما وصل إلى ألمانيا أحاطه بالحرس المسلح ، وألقى إليه بشروطه ، على أنها شروط لا تقبل المفاوضة ؛ فلما رفضها ، برزت المسدسات من مناطق الرجال ، وحيل بين هاشا والنجاة وجعلت شروط الصلح شروط الفدية ، مذكراً بمصير « شوشنج » وما يعانيه من آلام الأسر ، وعذاب رجال الجستابو

وعبثاً حاول هاشا الخلاص من التهديد أو الإكراه إلى أن نفد احتماله وأغمى عليه مرات ، ولكن الأطباء المعدين فى حجرة مجاورة كانوا يسعفونه بالعلاج حتى يتمكن من إمضاء الاتفاق ؛ وبعد ساعات من الاضطهاد المتواصل خارت قوى الشيخ فسلم الفدية وأمضى الاتفاق

فأى فرق بين هتلر وعصابات الاختطاف والسرقة ؛ فالأول يقتل الزعماء ليتخلص من عزيمتهم ، ومن منافستهم ، ليسلب بلادهم حريتها ، وليبعث الرعب فى قلوب غيرهم ؛ والآخرون يقتلون منافسيهم وغرماءهم ليسلبوهم أموالهم ؛ والأول يختطف رؤساء الدول مستغلاً قواعد المعاملات الدولية ، ويجعلهم رهينة ترهب وترغب ، إلى أن يكرهوا على تسليم الفدية ؛ والآخرون يختطفون الأثرياء طمعاً فى فدية يحصلون عليها من ذويهم

أى فرق بين هاتين العصابتين ؟ وإذا كانت الأمة لا تسمح لمثل هذه الطائفة بالعيش ، وتسلط عليها رجال الأمن للقضاء عليهم ، فهل يحق للعالم أن يترك هتلر يقتل الزعماء ويختطف الساسة تحت ستار السلام ؟

وإذا أردنا أن نذكر تصريحات هتلر ووعوده مع بولندا والدانمارك والنرويج وبلجيكا وهولندا ، ضاق نطاق المقال ، وأعدنا على القارئ سيراً مؤلمة

وشعر هتلر بأن النصر بعيد ، وأن الهزيمة أقرب منه ، فأراد أن يهرب من مصيره ، ولوح للعالم بالسلام ، ولكن العالم يعلم ما يخبئ لهم هذا السلام ، فإن هى إلا فترة من الزمن يبث فيها رجال الطابور الخامس فى انجلترا فينشرون الرعب والخيانة بين رجالها ، وإن هى إلا فترة من الزمن يستعد فيها هتلر بقوات

تمكنه من غزو انجلترا حتى يبدأ الحرب الفعلية من جديد ، وهذا هو السلام الذى يريده هتلر

ولم الآن ... ؟ إن الشهر الذى انقضى منذ توقيع الهدنة الفرنسية لم يمض عبثاً ، فقد خبر فيه هتلر قواته ، وشاهد نتائج إغاراته على انجلترا ، فعرف أن بريطانيا العظمى بعيدة المنال ، وأن سلاح العنف لن يصل به إلى غرضه ، فعاد إلى سلاح الخديعة ليوهم أنصار السلام بأنه ملاك ، وليحمل انجلترا تبعة استمرار الحرب ، فيشتد عضد أنصار الهزيمة فيها ، وتسرى فى الرأى العام لهجة الصلح ، ولكن هيهات ! فنى تاريخ انجلترا كله ما يدل على أنها إذا عزمت على أمر فلا مفر منه إلى النهاية

وهى خلة فرضتها عليها الظروف ، فهى تبدأ الحرب متراخية ضعيفة ، ولكنها لا تلبث أن تحشد جهودها ، وتوجه قوتها إلى الغرض المنشود ، وهى تتكلف فى هذا التحول كثيراً من الخسائر المادية والأدبية مما يعز عليها أن تتخلى عنه وهى فى منتصف الطريق

سياسة الأمبراطورية

فهى تضع خطة نضالها على حرب طويلة الأجل ، تكون فى نهايتها أقوى منها فى أولها ، وقد فرضت عليها سياستها الأمبراطورية هذا السبيل حتى لا ترهق شعوبها بالاستعدادات الحربية فى زمنى الحرب والسلم ، وتكتفى بالسيطرة على جميع الموارد فى زمن الحرب ؛ وغنى عن القول أن مواردها تنمو فى فترة السلم نمواً كبيراً بفضل تقدم العمران ، وأن شعوبها إذا أحست بالخطر ضحت فى سبيله ، حرصاً على رفاهيتها من أن تهددها دولة أخرى ؛ وعلى هذا الأساس تدخل الميدان واثقة من قوة عزيمة رجالها ، واثقة من اتساع مواردها

عرف هتلر كل هذا واختبره ، ولهذا السبب يعرض الصلح الآن . فخير له أن يحل مشاكله وهو قوى من أن يحلها وهو ضعيف ، فالحالة الأولى تتيح له التهديد بالرفض أما الثانية فلا يسعه فيها إلا القبول ، فقد أدرك الآن أن خطة الحرب الخاطفة التى بنى عليها سياسة انتصاره يرجح فشلها على نجاحها

فى الشرق الأقصى

وثمة ميدان آخر بدأت الحياة تدب فيه ، وبدأ الناس يتكهنون بما قد يجرى فيه ، فسألنى عدة أصدقاء ما هو الموقف فى الشرق الأقصى ؟ وماذا ينتظر أن يجد فيه من الأحداث السياسية والعسكرية ؟

فهناك أمريكا واليابان والروسيا والصين ؛ وهناك أيضاً أملاك لهولندا وقد احتل بلادها الألمان ، وأملاك لفرنسا وقد سيطر على فرنسا النازيون ، فانقطعت الصلة العسكرية بين هذه الممتلكات وبين أمها ، بحيث يتعذر عليها وحدها الوقوف أمام غزو يابانى سياسى أو عسكرى

والموقف فى الشرق الأقصى دقيق لا يتيح للباحث أن يقطع فيه برأى ، وأمريكا هناك هى قطب الرحى ، وهى أقدر دولة على حفظ التوازن والسلم ولو إلى حين . وقد ناقشنا فى مقالنا الماضى ناحية من العلاقات وتضارب المصالح بين الروسيا واليابان

ونناقش الآن موقف أمريكا فى هذا المجال ، فإن كانت مصالحها فى أوربا لا تدفعها إلى دخول الحرب والاقتصار على امداد انجلترا بالعتاد الحربى فإن مصالحها فى الشرق الأقصى رغم اتساع المحيط الهادى تدفعها إلى الاحتفاظ فيه بالتوازن الدولى بجميع الوسائل ومنها الحرب

المصالح الأمريكية

فقد تضاعفت تجارتها فى الصين قبل حربها مع اليابان حتى بلغت ستة أمثال ما كانت عليه ، فأصبحت ٢٥٠ مليون دولار ؛ فإذا اعتبر هذا المبلغ بسيطاً بالنسبة لأمريكا ، فإن زيادته المطردة وتضاعفه فى فترة قصيرة مما يبعث كبير الأمل فى نفوس الأميركيين ولا سيما أن الصين بدأت تأخذ بأساليب الحضارة الحديثة من صناعية وزراعية

واستيلاء الروسيا أو اليابان على الصين يقضى على التجارة الأميركية فيها ، ويهدد أميركا ودولها بالغزو ، فبنت أمريكا سياستها فى الشرق الأقصى على ألا تكون لإحداهما فيه أمبراطورية واسعة تضم إليها الصين ، ومن ثم يسهل عليها الاستيلاء على الجزر الواقعة فى المحيط الهادى وأهمها الفلبين وهاواى ، وعندئذ يتاح لها أن تغزو أية دولة شرق المحيط الهادى ، وتتخذها قاعدة لتهديد الولايات المتحدة تهديداً مباشراً

ومن سياسة أميركا فى الشرق أيضاً أن تثبت أقدام الدول

الأوربية فيه ، حتى لا تكون مهمة حفظ التوازن واصطدام المصالح قاصرة عليها ، فعند ما اشتدت حركة الحصار اليابانى على تيانتسين ، واتخذ اليابانيون مع البريطانيين وسائل قاسية تدخلت أميركا وهددت اليابان بقطع العلاقات التجارية

ولتهرب اليابان من المسئولية الدولية بنت سياستها على المكر والدهاء ، فألفت حكومة صورية فى منشوكو لتنفذ بها سياستها ؛ فعلى حكومة منشوكو أن تزرع وعلى اليابان أن تجنى الثمر ناضجاً ، فمنطقة شنغهاى مثلاً منطقة دولية موزعة على الدول ، فتلبس حكومة منشوكو قفاز اليابان وتطالب الدول بإخلائها ، فإذا احتجت الدول إلى اليابان على أنها المحرك الأصلى قالت إنها غير مسئولة عن تصرفات حكومة أخرى مستقلة

أمريكا تعمل

ولهذا برزت فى الدوائر الأميركية فكرة تضع اليابان فى وسط المعضلة ، فتخطر بأن كل حركة أو عمل ينفذ من جانب حكومة منشوكو تعتبر اليابان مسئولة عنه ، وتتخذ قبلها العقوبات أو التصرفات اللازمة

أما هذه التصرفات فهى :

١ — عرقلة التجارة اليابانية فى أمريكا وهى أكبر عملائها ، فتفرض الضرائب على الواردات اليابانية

٢ — عرقلة مساعى الصين فى اليابان وإفساد خططها

ويؤيد هذين التصرفين الموقف الدولى الحاضر وحالة الحرب الناشبة فى الميدان الأوربى والميدان الصينى ، وقد نتجت عنه ثلاثة عوامل

ا — تعتمد اليابان على التجارة الأمريكية ، فلم يبق لها من أسواق سواها

ب — ضعف اليابان نتيجة لحربها مع الصين وصعوبة تخلصها من هذه الحرب

حـ — ضرورة احتفاظها بقوات بحرية وبرية كبيرة لتدافع عن ممتلكاتها إذا نشبت الحرب بينها وبين انجلترا

ولا تعتمد أمريكا على اليابان اعتماداً كبيراً فى تجارتها ، فالأقطار الأمريكية من أغنى أقطار العالم ، وهى البلاد الوحيدة التى تستطيع الاستغناء عن الدول الأخرى لاتساع رقعتها وتوفر خاماتها

وقلنا فى مقالنا السابق إن مساعى انجلترا للصلح بين الصين واليابان على وشك النجاح ، ومعنى هذا إضعاف هذه العوامل وخصوصاً العامل الثانى ، ولكنه يلاحظ أن صلح الصين واليابان لا يعيد للأخيرة ما فقدته من عتاد وقوات حربية ، ولكنه يعطى لهذه البقعة السلام ، وهو ما ترجوه الدول ذات المصالح فيها ، حتى تعود تجارتها واطمئنانها إلى سابق عهدها

وهناك عامل آخر يحبذ وقف القتال بين الصين واليابان ، فالخطر الأكبر هو أن تسيطر الروسيا على الصين ، وهذه نتيجة طبيعية لاستمرار الحرب ، فإن أمل الصين فى الانتصار ضعيف نظراً لتفوق اليابان العسكرى وموقعها الجغرافى الحصين ، فهى جزيرة كانجلترا ؛ فكل أمل الصين هو وقف الزحف اليابانى أو إخلاء بعض المناطق الصينية المحتلة

وبعض المقاطعات الصينية خاضعة للنفوذ السوفياتى ، فإذا طالت الحرب وتدخلت قوات هذه المقاطعات فيها ، فإن النفوذ السوفياتى ينتشر فى الصين كلها ، ويتدرج من السلطة العسكرية إلى السلطة المدنية ، وتصبح الصين بلاداً بلشفية ، أو بعبارة أوضح تتكون الأمبراطورية الشرقية بزعامة الروسيا ، وهو الخطر الذى تخشاه دول أمريكا وأوربا

ويخيف هذه النتيجة اليابان ، لأنها إذا تحققت قضت على جميع أحلامها فى الصين ، وحققت أحلام الروسيا ، وهو خطر يهدد جزر اليابان نفسها إذ توضع الأراضى الصينية تحت تصرف الروسيا ، أو تصبح جزءاً منها كما حدث فى ليتوانيا واستونيا ولتفيا ، فقد بدأ النفوذ الروسى فيها صغيراً ، ثم تدرج إلى أن أعلنت انضمامها إلى الاتحاد السوفياتى

فمن مصلحة اليابان إذن أن تضع حداً لحربها مع الصين اتقاء لشر الروسيا ، ولا سيما أن فقر الصين مرعى خصيب للمبادئ الشيوعية ومنها تنتقل العدوى إلى اليابان ، فمستوى المعيشة فيها ليس أكثر ارتفاعاً منه فى الصين ، ولا يصد اليابانيين عن الشيوعية إلا بعض المعتقدات الدينية والتقاليد التى لا تلبث أن تنهار أمام شظف العيش وغريزة حفظ النفس

ولهذا فلا يستبعد أن يكون الصلح بين اليابان والصين صلحاً شريفاً يقبله الطرفان ويحفظ كرامة المتحاربين .

فوزى الشتوى
بكالوريوس فى الصحافة



تأملات :

التقليـــــد والتمثيل

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

عندنا عامل فقير مرح ، فجأته ثروة ضخمة ، فانكب على إنفاقها ، فأصابته أمراض وعلل ، فانقلب صاحب هم وغم ولم يجد خلاصاً من همه وغمه إلا أن يفر من ثروته

هذا الرجل نريد أن نمثله فكيف نمثله ؟

الممثلون ينقسمون حيال هذا الرجل — كما ينقسمون حيال غيره — إلى قسمين : قسم يقول لك : أنا إذا أردت أن أمثل دوراً كهذا فإنى أبحث بين الناس أو فى ذاكرتى عن رجل يشبهه أكون قد رأيته أو أكون قادراً على رؤيته ، ثم أدرس هـذا الشبيه فى فقره ومرحه فأرى أثر الفقر فيه ، وتأثيره فى صوته ، وفى مشيته ، وفى حديثه ، وفى إصغائه ، وفى إشاراته ، وفى إقباله على الناس ، وفى تركه للناس ... وما يفعله الفقر بعد ذلك كله فى نفسه ، ثم أدرسه بعد ذلك فى مرحه ، ثم أدرسه بعد ذلك إذا اغتنى ، فإذا رأيته يبذر القرش فى طعام ، فهو سيبذر الجنيه فى طعام أيضاً إذا أتاه جنيه ، وإذا رأيته يبذر القرش فى زينة ، فهو سيبذر الجنيه أيضاً فى زينة ، وإن اختلفت زينة القرش عن زينة الجنيه ؛ ثم أدرسه بعد ذلك وهو مريض معتل ، فأراه إذا كان يصبر ويحتمل أو يتبرم ويتململ ؛ ثم أدرسه بعد ذلك فى همه وغمه ، فأراه كيف يشكو أو كيف يكتم الشكوى ، وأراه لمن يشكو إذا شكا ، ألكل من هب ودب أمامه ، أم لعاقل ترجى عنده النصيحة ، وأراه بعد ذلك كيف يقطع الرأى فيما يهمه ويغمه ، أيتردد طويلاً أم قصيراً ، أم يبت فى الأمر بالفكرة الأولى ، أم يستقصى ما يتوارد إلى ذهنه من الأفكار ، أم يستسلم فلا يفكر ؛ ثم أدرسه فى آخر الأمر وهو فار هارب من همه وغمه ، وأراه كيف يكون حين يشعر بالنجاة ، أراضياً مرتاحاً ، أم ساخطاً ، أم مشتاقاً إلى الرجوع إلى النكد عند ما يذكر أن هذا النكد كان فيه مال ، وكانت فيه ثروة

فإذا درست هذا كله وإذا رأيته استطعت بعد ذلك أن أمثله وأنا أضمن أن أخرجه صورة طبيعية صادقة رائعة ...

هذا كلام يقوله ممثل من القسم الأول ، أما الممثل من القسم الثانى فيقول : « ومالى أنا أجرى وراء الناس ، أو أجرى وراء الأشباح فى ذكراى ؟ أنا سأفرض أنى هذا العامل الفقير وسأرى أى أثر يؤثر هـذا العمل فى النفس وفى الجسم : أهو يعطى صحة أو يعطى سقماً ، أهو يورث الهدوء أم يبعث فى الأعصاب الفزع ، أهو ينشط العقل أم يعلمه النوم والكسل ... فإذا علمت أى شىء يصنعه هذا العمل بالعامل استطعت أن أعود إلى نفسى أنا فأراها كيف تكون عندما تنطبق عليها الأوصاف المترتبة عن هذا العمل ، وليس على بعد ذلك إلا أن ألزم نفسى اتخاذ هذه الأوصاف وأنا أمثل هذا الدور ، فإذا فرغت من هذا الأساس رجعت إلى نفسى مرة أخرى فرأيتها فى الفقر ورأيتها فى المرح ، ورأيتها حين تبذر وتسرف كيف تلقى المال وكيف تنفقه إذا كانت بهذه الأوصاف الجيدة ، ثم أرى نفسى بعد ذلك كيف أهتم وكيف أغتم ، وكيف أفر من الهم ومن الغم ...

فإذا رأيت هذا كله وإذا درسته استطعت بعد ذلك أن أمثله وأنا أضمن أن أخرج الدور لك صورة طبيعية صادقة رائعة

وتسمع أنت كلام الممثل الأول ، وكلام هذا الممثل الثانى ، وتريد أن ترى أيهما الأضمن طريقاً ، وأيهما الأمكن فناً ، أهذا الذى يتلقط مادة فنه من صورها الطبيعية ، أم هذا الذى ينفخ نفسه فى الطبيعة فيخرجها مخلوقاً جديداً ؟

فإذا طلبت من هذين الممثلين أن يمثلا هذا الدور ، رأيت الممثل الأول يسرع إلى الإجادة ، فلا يحتاج إلى تدريب ، وإن احتاج فإلى تدريب قصير يتمكن بعده من الدور تمكناً ملحوظاً

أما الممثل الثانى فإنك تراه يتسكع نحو الإجادة تسكعاً ، ولـكنه كلما أصاب تصوير حالة ما استمسك بها ، وراح يبحث عن غيرها ، فكلما طال تدربه على الدور وانشغاله به زاد إتقانه له

واندماجه فيه ، على العكس من الممثل الأول الذى يقف فى الإجادة والإتقان عند حد خاص ، هو الذى رآه فى الطبيعة ونقل عنه .

وليس هـذا وحده هو الفرق بين هذين الممثلين ، فثمة فرق آخر كبير ، ذلك أنك تجد فى الممثل الأول الذى يأخذ عن الصور الطبيعية ملامح هذه الصور الطبيعية ولا ترى ملامحه هو، كما أنك ترى نفوس هـذه الصور الطبيعية ولا ترى نفسه هو؛ أما الممثل الثانى فإنك ترى ملامحه ونفسه فى هذا الدور ، فكأنه هو قد انصرف عن التمثيل فعلاً واشتغل عاملاً وافتقر ، وحدث له وحدث ...

فأى واحد من هذين الممثلين أمكن فناً من صاحبه ؟

أغلب الممثلين المجيدين فى الغرب من النوع الأول ، وقليلون جداً فيهم الذين من النوع الثانى وأذكر منهم شارلى شابلن

وأغلب الممثلين المجيدين عندنا هنا من النوع الأول أيضاً ، وقليلون جداً فيهم الذين من النوع الثانى وأذكر منهم نجيب الريحانى

ولعل القارئ يلحظ أن شارلى شابلن منـذ استقب أخذ يتباطأ فى إخراج الروايات ولم يعد يلاحق بعضها ببعض ، كما أن نجيب الريحانى قد أخذ هو أيضاً يتباطأ ولم يعد يخرج فى العام الواحد أكثر من روايتين

ولعل القارئ يعرف أن شارلى ونجيب يقضيان ما بين الرواية السابقة والرواية المقبلة تهيؤاً وتربصاً ، وإن كان شارلى يستمتع بحرية أوسع بكثير جداً من الحرية التى يستمتع بها الريحانى

وشارلى ونجيب لا يتشابهان فى هذا فقط ، وإنما هما يتشابهان أيضاً فى أن كلا منهما يؤلف رواياته لنفسه ، ويعلم ممثليها بنفسه ، ثم إن كلا منهما يضم حوله مجموعة من الممثلين لا يكاد الجمهور يعرفها إلا حوله هو ، فإذا بعدت عنه ثقل التمثيل عليها وثقلت عليه ، زد على ذلك أن شارلى شابلن بدأ أخيراً يضع الموسيقى التى تصاحب التمثيل فى رواياته ، وقد سبقه الريحانى إلى هـذا وإن لم يكن قد سبقه بنفسه ، فزكريا أحمد الملحن الكبير الذى اختصه الريحانى برواياته يقول إنه تعلم من الريحانى ألواناً من الموسيقى شرحها له معانى فنفذها هو بالنغم

فهل هناك علاقة بين أوجه الشبه هذه ، وبين الطريقة التى يسلكها هذان الممثلان فى فنهما ؟ وهل نستطيع أن نقول إن هذه الطريقة هى التى ارتقت بهذين الممثلين حتى ميزتهما هذا التميز على الممثلين المجيدين ؟

الواقع أن هناك علاقة وصلة بين هذه الطريقة وبين هذا التمكن الفنى الذى وصل إليه كل من الأستاذين شارلى شابلن ونجيب الريحانى

فنحن إذا رجعنا إلى طريقة التمثيل الأولى رأيناها أقرب إلى ما تمارسه القردة من التقليد ، فالقرد كلما رأى حركة قلدها ، وكلما رأى حالة نفسية تنضح على صاحبها أثراً جسمانياً بادياً تصنع هذا الأثر الجسمانى البادى وإن لم يقدر على أن يقنع الناظر إليه بأن نفسه من الداخل قد تحولت إلى هذه الحال التى من عادتها أن تنضح بهذا الأثر ، ولـكن الممثل الذى من نوع شارلى ونجيب أصدق تصويراً للنفس الإنسانية فى حالاتها المختلفة ، وإن كان يتقيد فى هذا التصوير بطبيعة نفسه هو تاركا ما عداها من النفوس ، ونفسه مهما كانت غنية ومهما كانت مهلة طيعة فهى نفس مفردة واحدة بينا الحياة فيها ملايين اللايين من النفوس والصور ...

وهذا عيب قد يؤخذ على هذا النوع من الممثلين ، ولـكنه فى الحقيقة غير عيب ، وإنمـا هو فضيلة . فـكل نفس إنسانية فى حقيقتها المجردة لا تفترق فى شىء عن غيرها من النفوس ، وإنما تختلف النفوس بعضها عن بعض تبعاً لمؤثرات عارضة بعضها موروث وبعضها مكتسب ، وبعضها تمكن ، وبعضها لا يزال مزعزعاً ، وهكذا ، والفنان الذى يتخذ الحق طريقة إلى الفن يبدأ أول ما يبدأ بمراقبـة نفسه ومتابعة فضائلها ورذائلها ، ثم يعكف على توطيد الفضائل ، ومكافحة الرذائل ، فإذا لم ينجح حيال شر من شرور نفسه لم يخفه عن الناس ، وإنما أعلنـه مع ما يعلن من نفسه فيعرف عن الناس أسراره ودخائله وشروره وآثامه وعيوبه وأخطاءه ومساويه ورذائله ، وهو أول من يعرفها من الناس ، وهو أول من يكرهها وإن استسلم لها وعجز حيناً عنها ، ولـكنه لا يزال يتربص بها الفرص ويرجو النجاة منها ويطلب من الحق أن يعينه على هذه النجاة . . .

وهذه نزعة من نزعات التصوف ، وهى انطلاقة جريئة نحو الحق ، وهى وحدها التى تمكن صاحبها من الإلمـام بنفسه



الوضع الحقيقى لمشكلة:

جابر بن حيـــان

للأستاذ أحمد زكى صالح

تقرير الأستاذ برتلو Berthelot

وبرتلو هذا هو أول من تعرض لبحث مشكلة جابر بن حيان على منهج علمى منظم ، وذلك فى ثنايا عرضه لتاريخ الكيمياء فى كتابه La Chemie de Moyen Age، حيث يعرض برتلو منهجه قائلا : « ولكى نجزىء هذه المشاكل المسيرة ، ونعين بها مشاكل كتب جابر بن حيان ، التى تعانيها هذه المرحلة العلمية ، فإن الدراسة المباشرة للنصوص أو للتراجم اللاتينية تفيدنا أكثر إفادة ، ولكن هذه الدراسة النقدية لا تكفينا تماماً ، إذ أنه يبدو لى أنه من الضرورى أن نستعين بدراسة المؤلفات العربية نفسها ، وأن نقارنها بالنصوص اللاتينية المعروف أنها ترجمة لها . ولكن هذا ليس بالأمر اليسير ، ذلك لأن معظم النصوص العربية فقدت فى ركاب الدهر ، ولكن يوجد بعضهـا فى المكاتب الأوربية مثل ليدن وباريس ، وإن نشر هذه المخطوطات من الضرورة بمكان كبير ، حتى تتم الدراسة المقارنة ذات الأثر الفعال فى تاريخ العلوم . وحتى يتيسر لنا أن نضع تاريخ الكيمياء فى وضعه الصحيح[1] »

ثم بعد أن ... ، برتلو كتب جابر بن حيان التى لا يشك فى أنها من تصنيفه يقول :

يسمح لنا تحليل هذه الكتب بأن نكون الفكرة العامة لميزات جابر ، وأن نتبين كيف أن هذه الكتب ترتبط ارتباطاً مباشراً مع عدد معين من الأفكار والآراء والنظريات التى تبسط فى التراجم اللاتينية للكتب العربية مثل كتب أفلاطون وأرسطو والرازى وابن سينا وغيرها من الآراء والنظريات التى انتقلت عن طريق الكيمياء العربية إلى الكيمياء اللاتينية فى القرن الرابع عشر من الميلاد . وفى حركة النقل هذه ظهرت قيمة جابر بن حيان وكيف عُد أستاذ الكيمياء فى الإسلام

ويمكن أن ترد بعض هـذه النظريات إلى أصول يونانية ، ولـكن الأعمـال العربية لجابر تختلف تماماً من حيث عرض الأفكار وأسلوب البحث ومنهجه أو إثبات الظواهر ووضوح النظريات عن تلك الكتب التى ألفها منتحل اسم جابر Psuedo - gébèr ليس فقط فى أن الظواهر الجديدة التى يشرحها هذا المؤلف كانت مجهولة تماماً عند العرب بل إنه من المستحيل أن نجد فى المؤلفات التى تحمل اسم جابر Gébèr فى اللاتينية صفحة حتى ولا فقرة يمكن أن تعتبر ترجمة لنص عربى

ولـكن هذا كله لا يمكن أن يقلل من شأن الكيمياء العربية التى أثارت تاريخ العلوم إثارة كبيرة إذ أنه عن طريقها أمكن معرفة تاريخ الكيمياء عند المصريين واليونان ثم فى بيزنطة وعند السريان ، ثم عند العرب أنفسهم[2]

ثم إن كتاب الـ Summa لا يحتوى أى دليل يشير إلى أصله العربى سواء فى منهجه أو فى حقائقه أو فى كلماته أو الأشخاص المذكورين فيه ، ولا فى الخرافات الإسلامية التى هو خلو منها تماماً

وليس شكى فى أن كتاب السوما Summa قد أُلف قبل القرن التاسع بأقل من شكى فى أنه لا يوجد ثمة أصل عربى هو ترجمة له فى مثل هذا التنظيم البديع وتلك الإبانة الوافية . إذ أن مؤلفات

(١) Traité d'alchemie arabe V. III. P. 8.

(٢) نفس المصدر السابق ص ٢٣ — ٢٤

والإحاطة بما فيها ، فإذا بالذى فيها كنز لا يفنى ، ككل كنز فى كل نفس ، غير أن هـذا كنز مفتوح لم تتكدس عليه الأكاذيب والأباطيل

فليس عجيباً بعد هذا أن تتاح صحبة من الفنون الجميلة للفنان الذى نفسه هى هذه النفس ، فيكون أديباً وممثلاً ومغنياً وراقصاً ومعلماً وغير ذلك

وإذا كان الفرد يقلد وينجح فى التقليد نجاحاً خفيف الروح بهيج الظل لأنه يتطلع إلى غيره ، فإن للانسان أن يكون فناناً إذا تطلع إلى نفسه وهى أقرب إليه من غيره .

عزيز أحمد فهمى

جابر العربية وأبحاث ابن سينا لا يمكن أن تملى علينا التسليم بأن كتاب السوما Summa ترجم عن أصل عربى

ونحن لا ننكر أن بعض العبارات قد اقتبست من مؤلفات جابر العربى، الذى لا زال وجوده غ ى. ولكن على الرغم من ذلك لا نستطيع أن نقول بإمكان ان يكون مؤلف هـذا السفر الجليل عربياً مُسلماً ، إنما الافتراض الذى يبدو لى معقولاً هو أن مؤلفاً لاتينياً لا زال مجهولاً لنا تماماً كتب هذا الكتاب فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر من الميلاد ونسبه إلى جابر كما فعل الكيميائيون اليونان فى مصر القديم وضعوا اسم ديمقريطس على مؤلفاتهم كى تشتهر وكما فعل الكيميائيون السريان فى نحلهم مؤلفاتهم لديمقريطس كذلك

وقصارى القول إذن أن المؤلف اللاتينى Psuedo - gébèr «المدعى الجابرية» قد احتل مكانة سامية فى العالم الكيميائى بفضل وضوح منهج الـ Summa وبامتيازها عن غيرها من المؤلفات العربية البحتة حتى صار هـذا المؤلف فى القرن الرابع عشر من الميلاد أساس الدراسة الكيميائية فى العالم أجمع ، ولكن نسبة هـذا الكتاب للعرب أنفسهم أفسد كل تاريخ العلم لمنحه لهم هذه القدرة العلمية الإيجابية التى ما وجدت لديهم يوماً ما » (١)

مناقشة تقرير برتلو

يرى الأستاذ برتلو أن وضوح كتاب السوما Summa وأسلوبه وتنظيم أبوابه وقوة نظرياته ومنهجه الخاص تكفل لهذا السفر الخروج عن دائرة التآليف الإسلامية ، والدخول فى دائرة التآليف اللاتينية ، ولـكن لِمَ لا يكون جابر هو الذى كتب هذا المؤلف ، بالعربية طبعاً ، فى أخريات حياته ، بعد أن اكتمل له حظ كبير من المؤونة العلمية ومن الآراء والنظريات السابقة له ؟ ولـكن هبنى سلمت بأن جابراً لا يعرف التنظيم فى مؤلفاته ، وهذا بعيد جداً ، فلم لا يكون هذا التنظيم وذلك الأسلوب اللذان ركز عليهما برتلو نقده الطويل ، من عمل المترجم ؟ وكل ما هنالك أن هذا السفر الكيميائى كان حظه أوفر من حظ غيره من الـكتب ، إذ وُهب مترجماً ميالاً للأدب ، ضليعاً فى لغته ، فاهماً تمام الفهم ما هو فى سبيل ترجمته . وأؤكد أن هذه الأمور لو توافرت فى أى مترجم لخرجت الترجمة وهى تضارع الأصل فى وضوح الفكرة وجمال العرض

فالأساس الذى يعتمد عليه برتلو فى نقده كتب جابر بن حيان أساس خاطئ ، حظ الشك فيه راجح على حظ اليقين .

ونحن نكتفى بأن نسأل سؤالين :

أليس من اليقين القاطع أن أعمال جابر العربية التى فى متناول أيدينا تدل على نبوغ وعبقرية ؟؟ ولم لا تكون هـذه الـكتب اللاتينية الأربعة التى سبق أن أشرنا إليها فى بدء المقال ، قد ترجمت عن أعمال أخرى لجابر بن حيان ؟

أما السؤال الأول فإن برتلو يسلم بأن الـكتب العربية لجابر ابن حيان تدل على نبوغ وعبقرية

ولقد لاحظ الأستاذ رسكا Ruska ، خليفة برتلو فى الاهتمام بمشكلة جابر بن حيان ، أن عملين من المؤلفات التى نشرها برتلو إنما تدل على سمو وامتياز ، وعلى عقلية نامية نابغة

أما السؤال الثانى : فإن إجابة برتلو عليه كما سبق أن بينا ، لا تلزم الباحث بضرورة الاقتناع برأيه

وعلى ذلك فإن القول بأن هناك أسباباً وجيهة جعلت كيميائياً لاتينياً ينسب أعماله لجابر بن حيان لشهرته التى لم تأت فقط عن طريق التراجم المرضية كدكراته ورسائله ، إنما كذلك عن طريق التراجم اللاتينية لبعض المؤلفات العربية لجابر بن حيان الدالة على نبوغ وعبقرية ، والتى أكثرها أهمية بدون شك هو كتاب السبعين الذى نشره برتلو وهوداس Haudas فى سنة ١٩٠٣ حسب مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس

ولما كان من المستحيل أن يكون لدينا رأى جازم فى مستوى الأسلوب العلمى فى ذلك الوقت فإنه ليس من الممكن أن نسلم بأن كتبا كتبت على أسس جديدة غير الأسس القديمة ليست من أعمال جابر بن حيان

ونحن لا نكتفى هنا ببيان استحالة صحة رأى برتلو من الناحية الأسلوبية فقط ، إنما كذلك تحت أيدينا من النصوص ما يثبت قطعاً أن رأى برتلو فى معالجته لمشكلة جابر بن حيان من الناحية الموضوعية خاطئ كل الخطأ كذلك

والآن فلنقارن بعض النصوص اللاتينية التى يذهب برتلو أن جابراً لم يفطن إلى معانيها ، أو إلى التجارب التى تشرحها ، ببعض النصوص المسلم بأنها من عمل جابر بن حيان ، من جميع العلماء المستشرقين :

---

(١) راجع Berthelot : Traité d'alchemie arabe

أولاً : كتاب الاستمام ، هذا الكتاب ذكر فى الفهرست لابن النديم ، ويذهب المستشرقون إلى أن هذا الكتاب ، أعنى ترجمته باللاتينية التى نقلت بدورها إلى الإنجليزية تحت عنوان Book of seaich of Perfectoin إنما هى منسوبة إلى جابر بن حيان انتحالا ، ويذهب برتلو إلى أن هذا الكتاب يحتوى على نظرية الكبريت Sulphur mecury التى لم يحاول العرب التفكير فيها . ونحن الآن نقتطف نصاً من هذه الترجمة اللاتينية ونصاً آخر من كتاب لجابر بن حيان بالعربية وهو « الإيضاح » ونرى بعد ذلك هل حقاً يوجد تباعد بين الفكرتين ؟

يقول كتاب Book of Seaich of Perfection ما ترجمته « تتركب جميع المادن من أصل واحد هو الكبريت سواء كان نقياً أم لم يكن »

ويقول كتاب «الإيضاح» (مخطوط بدار الكتب بالقاهرة): «تتكون جميع الأجسام المعدنية فى جوهرها من الكبريت الممتزج مع الزئبق ... وأنها إن يختلف بعضها عن بعض فما ذلك إلا لسبب اختلاف خواصها العرضية »

فأين إذن هذا التباعد بين النظريتين ؟

ثانيا : كتاب السوما Summa أى الجمع :

ولعل هذا البرهان الذى سنسوقه الآن هو الذى سيضع الشكلة فى وضعها الصحيح ، فقدمة الكتاب اللاتينى ترجمت عن العربية ، إذ جاء فيها ما ترجمته « إن ما ذكر غير كامل فى كتبنا السابقة قد أكملناه فى كتابنا هذا »

وهذا ما يتفق تماماً وملاحظات جابر وتعليقاته فى أنه قد فرّق براهينه فى كتب مختلفة . وهو قد قال : « إن البحث ينبغى أن يُعمل بالشكل الذى يوافق الطبيعة » ؛ كما يذكر أن الكيميائى يريد أن يقلد الطبيعة بوسائل مصطنعة . كما يذكر أيضاً أن الكيميائى ينبغى أن يكون مجتهداً فى عمله مواظباً على الوصول إلى نتيجة نهائية ، وألا يسلم لنتائج سريعة وظواهر خداعة

فنى كتاب الجمع Summa ، أتى ذكر عملية التكليس فى الفصل الرابع عشر ؛ فبالرغم من أن التعاليم والأوصاف التى أعطاها جابر اللاتينى فى وصفه لجهات التجربة وخطوات العمل فيها تتفق تماماً مع تلك التى قال بهـا جابر بن حيان فى كتاب الخواص ، الذى لا يشك أحد أنه من عمل جابر ، فإن الأستاذ برتلو يعترف بأن عملية التكليس هذه لا نظير لها فى الكتب العربية ، ولكن من حسن الحظ ، أو من سوئه ، لا أدرى ، أن جابر بن حيان قد أفرد كتاباً لهذا الموضوع فقط هو كتاب « التكليس » ، ولا يشك أحد أنه من عمل جابر بن حيان

فلنقارن النصوص ، ونتركها تتكلم :

جاء فى كتاب الجمع Summa فى النص اللاتينى ما ترجمته : « التكليس هو تأكسد المادة بواسطة التسخين ، وذلك أنه يسلب الماء والرطوبة منها فتتجمع أجزاؤها ، والسبب فى ذلك هو أن تجفيف الكبريت وتلوينه وإفساده يمكن أن تمنع بواسطة التسخين ، ولكن هذا المنع يختلف باختلاف الأشياء المتكلسة إذ أن الأجسام تكلس كما تكلس الأرواح ، ولكن رغم ذلك توجد بعض الأشياء الخارجة عن طبقة هذه وتلك ...[1] »

وقد جاء فى كتاب التكليس لجابر بن حيان : «الغرض من تكليس المعادن هو إزالة عدم صفائها وعدم نقاوتها »

« وكل معدن يكلس بطريقة تختلف عن الطريقة التى يكلس بها معدن آخر ، ذلك لأنه يوجد بعض المعادن النقية الصافية بطبعها وفى هـذه الحالة يكون الغرض من التكليس هو تحويل المعدن إلى مسحوق نهائى . أضف إلى هذا كله أن الحقيقة القائلة بأنه إذا طرقت الفضة حتى صارت صفائح رقيقة ثم سخنت بعـد ذلك فى درجة الحرارة اللامعة يمكن سحقها بعد ذلك مباشرة كالزجاج تماماً ، ثم إذا صهرت مع البورق Borak ، ترجع ثانياً إلى حالتها الأولى أى على صورة سبائك غير مطروقة». أقول إن هذه الحقيقة إنما وجدت فى كتاب الخواص قبل غيره من الكتب ، وهو كتاب لا يمكن أن يتطرق شك إلى أنه من عمل جابر بن حيان

وآية ذلك كله أن محتويات الكتب اللاتينية لها شبيه فى محتويات الكتب العربية إن لم نقل إنها هى نفسها ، وهو القول الأقرب إلى الحقيقة والصواب

« يتبع » أحمد زكى صالح

* * *

وقعت بعض أخطاء مطبعية فى المقالة السابقة نكتفى بالاشارة إلى صحيحها :
هامش ص ١٢٠٥ — العمود الثانى : (١) ذكر رسكا فى مقاله فى Islamic culture 1937 ، وفى هامش ص ١٢٠٦ — العمود الأول : (١) من مقال له فى Legacy of Islam

---

(١) يلاحظ أن النظرية غريبة بعض الشىء ، وذلك لأنها نظرية مر عليها الآن ستة قرون



الحزن على باريس

قرأت ما نُشر فى « الرسالة » بإمضاء « صديق » وما نشر بإمضاء الأستاذ على الطنطاوى ، وكذلك قرأت ما نشر فى جريدة « الدستور » بإمضاء الأستاذ محمود محمد شاكر ، والأستاذ محمود حسن إسماعيل ، وما نشر فى جريدة « منبر الشرق » بإمضاء الأستاذ أحمد جمعة الشرباصى ، وسمعت الملام من بعض الأصدقاء ، وذلك كله كان تعقيباً على المقال الذى نشرتُه فى « الرسالة » بعد سقوط باريس تحت أيدى الألمان

ويظهر أن أولئك الأصدقاء تناسَوْا أنى حددت فكرتى بأوضح بيان حين قلت : إنى جزعت على مصير فرنسا الروحية لا فرنسا السياسية ، فقد حاربتُ الاستعمار بقلمى أعواماً طويلة ، وقمت بحملة قلمية ضد فرنسا وأنا فى باريس بمناسبة الحوادث التى أُريدَ بها تنصير البربر ، وخطوتُ خطوات فى أندية باريس لصدّ ذلك العدوان

فما الموجب للقول بأنى أتوجع لأمة صنعتْ ما صنعتْ فى الشرق ، وقد وضحتُ غرضى تمام التوضيح ؟ وما الموجب لأن يتفضل كاتب كبير مثل الأستاذ المازنى فيغمز جميع من توجعوا لباريس بمقال لاذع من مقالاته القيمة فى البلاغ ؟

أيجوز أن يقع حادث مثل سقوط باريس ولا يتوجع له روح الأديب ؟

وكيف جاز إذاً لكبار شعرائنا أن يتوجعوا للأمم التى آذتها الزلازل من أمثال الطليان واليابان ؟

وما قيمة الأديب إن لم يتأثر بالحوادث الخطيرة فى هذا الوجود ما قيمة الأديب إن لم يتوجع لمصاب العدوّ كما يتوجّع لمصاب الصديق ؟

فى تاريخنا الإسلامى نقطة بيضاء هى ما صنع صلاح الدين حين جزع لمرض عدوه وهو ملك نصرانى قاد جيشاً لمحاربة المسلمين فى فورة الحروب الصليبية ، فقد سجل التاريخ أنه اهتمّ بمداواة ذلك الملك النصرانى ، وكانت مكرمة مأثورة من مكرمات صلاح الدين

فكيف يعاب علينا أن نجزع لنكبة الفرنسيين ولو صحّ أنهم فى جميع أحوالهم أعداء ؟

وأقول للمرة الأولى بعد الألف إننى لا أصدُر فيما أكتب إلا عن وحى القلب والضمير ، ومن الصعب أن ألتفت إلى النصائح الثمينة التى يوجهها الأصدقاء من حين إلى حين ، والخطأ المبتكَر هو عندى أفضل من الصواب المنقول

وهل كان من الكثير أن أكتب مقالاً فى التوجع لما صارت إليه باريس ؟

تلك والله إحدى الأعاجيب ، ومن الخير أن تقع فى دنيانا أعاجيب ، فقد عرفت أن فى الدنيا ناساً يرون الشماتة من كرم الأخلاق ... عفا الله عنهم وهدانى !

زكى مبارك

حول العتب والبيان

كتب الأستاذ على الطنطاوى فى العدد الصادر أول يولية سنة ١٩٤٠ كلمة عن أدب دمشق ، وأنها — أى دمشق — « ضائعة بين مصر ولبنان ، فلا هى ترتضى مذهب لبنان فى الأدب ولا مصر تلقى لها بالاً وتحفل بها » فعجبت من مساق هذا الرأى ورضا الكاتب عنه ، فأنا أربأ بدمشق الخالدة ، بلد العلم والثقافة ، ومثابة الشعر والجمال ، أن تكون مُتَّبِعِةً فى أدبها لا مُتَّبَعة ، مقلدة لا مبدعة ، راجية فى أدبها الاقتداء لا السيادة ، وذلك على الرغم من سماتها السادرة ، وطوابعها الحائرة ، وما يعتور أدباءها من قلق ووجوم وفتور . إن دمشق الشام لها كيان أدبى مرموق ، وفيها أهل معرفة وثقافة ، فينبغى أن تفرض أدبها فرضاً ، وأن تسم آثاره بمياسم خاصة تميزها من غيرها ، وتكون دليلاً عليها

قد تكون مصر الأدبية والعلمية بحكم أهلها الكرام وجيرانها الخلصاء ، لا تعبأ بأدب الأقطار العربية التى تعتز بها وتؤمن بزعامتها ، فقد سبق لكثير من أهل هذه الأمصار أن عتب على مصر العزيزة لتفريطها فى الحديث عن ثقافة الإخوان والجيران ، ورعاية الإعجاب الذى يحسه نحوها كل أديب ومتأدب فى هذه الديار ، على أن مما يسكن نأمة العتب أن قادة الأدب فى مصر

وكتابه الفضلاء كالدكتور عبد الوهاب عزام ، والدكتور طه حسين ، والأستاذ سعيد العريان ، يعترفون بهذا التفريط فى حق من يولونهم هـذه المودة الصريحة والثقة الغالية اللتين تتجليان فى أقوال العاتبين وأفعالهم ، وإن المجال ليضيق الآن عن تعداد ما كتب أولئك المصريون الفضلاء ، وترداد ما أعلنوا بصدد العتاب والاعتراف

والواقع أن على مصر الناهضة تبعات ثقالاً وأن لها رسالات أشتاتاً ، فهى آخذة فى توحيد الشعور والتفكير ، جاهدة فى سبيل الحرية والتعاون والمعاش ، متلاقية بأمصار العرب والإسلام تحت راية القرآن وفى حمى الفصحى والجوار ، ولسوف تفيض لها الأيام أن ترى ألوان الأدب فى كل بلد من بلاد الشام وتلمس مبلغ قوته أو ضعفه فتتعاون والإخوان على ازدهار الحياة الأدبية عندنا إن كانت متينة مشرقة ، أو على تغذيتها وتقويتها إن كانت كامدة موهونة .

أما العتب الذى وجهه الأستاذ الطنطاوى بشأن منشورات دمشق العلمية والأدبية وإهمال الكتاب المصريين واجب نقدها والإشارة إليها ، فمن ذلك النوع العاتب على نية خالصة بريئة ولوجه الأدب فحسب

ولو أنصفنا لقلنا إن أكثر تلك المؤلفات التى أومأ إليها الأديب الفاضل كتبت عنها «الرسالة» و «الثقافة» الكريمتان ، وقد نشرتا من بعضها فصولاً طوالاً . ولعل قارئ المجلتين يتذكر ما سبق إذاعته عنها . وأما كتب أساتذة الجامعة السورية من طبية صحية وحقوقية قانونية ، فليس من اختصاص أهل الأدب وكتاب النقد فى مصر أن يلموا بهـا ويكشفوا عن محاسنها ومساويها ، فإذا كان ثمة عتب من أجلها فينبغى أن يوجه إلى أنداد أولئك الأساتذة من علماء القانون والطب فى مصر

ومن الحق أن نعترف أن مجلات مصر الكبريات كالمقتطف والهلال والرسالة والثقافة تشير فى كثير من الأحيان إلى ما يرد عليها من آثار القلم فى بلاد العرب وإن تكن إشارتها محدودة ضئيلة ، على أنها لا تحجم أحياناً عن نشر دراسات مفصلة لتلك الآثار

على أن هنالك كتباً قيمة صدرت عن دمشق تجاوز عن ذكرها الأستاذ الطنطاوى سهواً ونسياناً ، وكان يجدر بها ألا تحرم إعجابه وتنويهه بها ، فقد اقتصر على ذكر طائفة معينة من المؤلفات الدمشقية طالما أشاد بها وأكبر أصحابها ، فرأيت من العدل أن آتى على ذكر ما يحضرنى من الكتب التى لم يشر إليها الكاتب العاتب ، منها :

ديوان النقى : للأستاذ أديب التقى

الزراعة العملية : للأمير مصطفى الشهابى

فن القصص عند الجاحظ : لمحمد المبارك

الحجاج : لإبراهيم الكيلانى

آرائى ومشاعرى : لفلك طرزى

أخطاؤنا فى الصحف والدواوين : لصلاح سعدى

غزل البحترى : لياسين الحموى

صريع الغوانى وجرير : لجميل سلطان ... وغيرها ...

وأما كتب الأستاذ محمد كرد على فإنها فى مصر تكاد تكون أشهر وأذيع منها فى ديار الشام ، ومؤلفاته الحديثة المطبوعة فيها من مآثر « لجنة التأليف والترجمة والنشر فى مصر » مما ينطق ألسنة الشاميين بالشكر والإعجاب .

« دمشق » وداد سكاكينى

من عجائب الاجتهاد

قرأت البحث القيم المنشور فى عدد الرسالة الأخير تحت هذا العنوان عن مسرحية الدكتور بشر فارس واقتباسه موضوعها وفكرتها من قصيدة الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد « القمة الباردة » ومن أبيات للأستاذ على محمود طه من قصيدة « قلبى » المنشورة فى ديوانه « الملاح التائه » فوجدت فى هذا البحث هُدىً للمطلعين . وقد لاحظت خطأ مطبعياً فى صدر أول بيت من أبيات الشاعر على محمود طه أرى تصحيحه كما هو مثبت فى ديوانه بالنص الآتى :

وصرختَ حينَ أجنَّكَ الليلُ متمرداً تجتاحكَ النارُ

ولا شك أن هذا النقد القوى الدقيق هو من مقومات حياتنا الأدبية .

سالم العطار
مدرس ثانوى

الى علماء التاريخ

لما كنت فى كركوك من مدن العراق وجدت البلد قسمين: المدينة الجديدة وهى فى السهل وبحذائها (مدينة النفط) والمدينة القديمة ويدعونها القلعة لأنها قائمة على قلعة عالية منشأة على هضبة مصنوعة وحولها خندق ولها أبواب . أما سورها فلم أجد منه إلا بقية لا يكاد يتبينها الناظر، فلما خرجت منها متوجهاً إلى دمشق عن طريق الهلال الخصيب مررت بإربل (ويسمونها اليوم أربيل) فوجدت فيها قلعة مثل قلعة كركوك ولكنها أكبر وأظهر وأبقى أثراً وحولها خندق عميق وفيها بيوت سراة القوم والسوق والمسجد الجامع . ثم بلغت الموصل فوجدت فيها قلعة مثلها ولم أستطع أن أراها ، ثم دخلت حلب فوجدت قلعتها على مثال القلاع التى ذكرت غير أنها مبنية بالصخر وهى أكمل وأجمل ، وحيال بابها جسر يجتاز عليه الخندق كجسور قلاع القرون الوسطى. ثم أتيت حماة فوجدت فيها وفى حمص قلعتين على هذا الشكل فاستوقفنى هذا الخط من القلاع وأحببت أن أعرف تاريخه فرجعت إلى (ياقوت) وغيره وسألت من أعرف من المشتغلين بفن التاريخ فلم يشف لى أحد منهم غلة، فعرضت السؤال على قراء الرسالة راجياً ممن له معرفة بالجواب نشره فيها ، لأستفيد منه أنا وغيرى ممن لم ينقطع للتاريخ ومباحثه

(دمشق) « سائل »

قصتان والفكرة واحدة

منذ أشهر قرأت للأستاذ محمد سعيد العريان قصة « من أدباء الجيل » بالرسالة العدد (٣٤٥) ولقد أعجبت هذه القصة كل من قرأها لقوة فكرتها وروعة أسلوبها ، ولكنى بعد انتهائى من قراءتها أخذت أشعر بأنى قرأت مثل هذه القصة من قبل . ثم تذكرت أنى قرأتها فى العدد الخاص بـ « أحسن القصص » من مجلة « كل شىء والدنيا » ، ولقد أفضيت بما يجيش فى نفسى لبعض الأصدقاء ، ولكن كان جواب أحدهم : يجوز أن يكون الأستاذ العريان نشرها من قبل وعلى ذلك يكون المؤلف واحداً . فكان جوابي : نعم يجوز

واليوم بينما أنظم مكتبتى — المتواضعة — عثرت على مجلة « كل شىء والدنيا » العدد (٤٩٨) الأربعاء ٢٢ مايو ١٩٣٥ . ولقد تصفحت هذا العدد ، فوجدت القصة التى هى بيت القصيد للأستاذ « محمد أبو طائلة » وعنوانها « الشهرة » ولقد قرأت هذه القصة مرة أخرى ، فوجدت أن فكرة هذه القصة هى بلحمها ودمها فكرة قصة « من أدباء الجيل » وإن اختلف الأسلوب والعنوان وبعض الحوادث الثانوية

هذا ولست أقصد من وراء قولى هذا أن أعتبر هذا الاتحاد فى الفكرة من السرقات الأدبية . كلا . . . فإنى أحترم أدب الأستاذ « العريان » وأنزهه عن ذلك . وإنما أعتبر اتحاد الفكرة فى القصتين من توارد الخواطر . والذى دعانى إلى تسجيل هذه الكلمة هنا هو أنى أريد أن أضع الحق فى نصابه ، وحتى تكون للأدب (كما قال الدكتور زكى مبارك) رقابة أدبية ، تراقب الإنتاج الأدبى الجديد وتزنه بميزان الحق والعدل . ومن العدل أن نقول إن الأستاذين « أبو طائلة والعريان » كتبا قصتيهما فأجادا . ولكن للفضل الأكبر للسابق لأن الفكرة واحدة .

(دمنهور) حسين الحوفى

ارتجال المصادر

ذكر الأديب السيد ميخائيل عوّاد العراقى فى ثنايا حواشيه على مقالة « العروب فى العراق » فى العدد الستين بعد الثلاثمائة من الرسالة النيّرة ، أن للسيد حبيب الزيات مقالة نفيسة فى مجلة « لغة العرب » (٥ [١٩٢٧] ٤٦١ — ٤٦٥) بعنوان : « السفن والمراكب فى بغداد فى عهد العباسيين » وقد رجعنا إلى مجلة لغة العرب ، وبحثنا عن هذه المقالة فلم نجدها ، كما فتشنا فى مجموعة المجلة المحفوظة فى المجمع العلمى فلم نرها . فهل للأديب السيد عوّاد أن يزيدنا من الإيضاح، ويعلمنا مكان المقالة بالضبط ؟

(دمشق) صلاح الدين المنجد

استفهام

وقع نظرى فى مقالة الأستاذ محمود شاكر فى العدد ٣٦٤ على قوله : « وجعل يقتطف منها حيث أراد » فكان من الحتم علىّ

— وأنا من المعجبين بأسلوبه ولغته واطلاعه — أن أسأله هل يسوغ استعمال (اقتطف) ومعجمات اللغة كاللسان والأساس والقاموس والنهاية والمصباح لم تذكر غير (قطف)؛ على أنها نصت على استعمال (قبس واقتبس)

وإذا كان استعمال (اقتطف) من الخطأ الذي لا يجوزه القياس ولا السماع فقد قال العلامة ابن الأثير في المثل السائر: «ليس الفاضل من لا يغلط، بل الفاضل من يعد غلطه»

رشاد عبد المطلب

انتحار الدكتور اسماعيل أحمد أدهم

روت الصحف أن الدكتور اسماعيل أحمد أدهم الباحث المعروف قد انتحر غرقاً في البحر الأبيض في الساعة السابعة من مساء يوم الثلاثاء الماضي يأساً من الحياة وزهداً فيها. وقد عثر البوليس في معطفه على كتاب منه إلى رئيس النيابة يخبره بأنه انتحر لزهده في الحياة وكراهته لها، وأنه يوصي بعدم دفن جثته في مقبرة المسلمين، ويطلب إحراقها وأن يشرح رأسه

والدكتور أدهم أعزب في الثامنة والعشرين من عمره ينتسب إلى أصل تركي، ولم يكن له عمل أو وظيفة، بل كان يعول في الحياة على إيراد منزل يمتلكه بالاسكندرية. وقد كان يجيل في بحوثه إلى الفلسفة اللادينية

مصير المبادئ في فرنسا

تعجبني هذه الروح التي بدت في الشرق على أثر انهيار فرنسا ورددت صداها مجلة الرسالة الغراء في مقالات الأساتذة: الزيات، وزكي مبارك، وصديق، هذه الروح التي التفتت إلى الشرق لترى ماذا أصابه من فرنسا المنهزمة

صحيح أننا إذا أردنا أن نحكم على أمة عظيمة مثل فرنسا لا يمكننا ذلك إلا إذا عشنا في فرنسا نفسها وفي مستعمراتها لنرى كيف تتصرف في كل من البلادين. وعند ذلك نستطيع أن نحكم، وعند ذلك نستطيع أن نعلل هزيمتها تعليلاً منطقياً صحيحاً. ولو عاش الدكتور زكي مبارك في مستعمرات فرنسا كما عاش في باريس لعرف أن الحرية التي تحمل رايتها فرنسا، وأن الديمقراطية التي حاربت الألمان من أجلها هي أفكار قد سمدت بها فرنسا يوم كانت تؤمن بها أشد الإيمان وشقيت بها يوم أصبح إيمانها بها ضعيفاً وأصبحت عندها كتقاليد لا كمبادئ...

لقد علل المريشال بيتان هزيمة فرنسا بالضعف الخلقي الذي أصابها بعد الحرب العظمى والذي صحبه انحلال في المبادئ التي ورثها الفرنسيون عن الثورة الفرنسية الكبرى وآمنوا بها، فلا الحرية بقي لها المعنى السامي الذي عرفها به الذين أعلنوا «حقوق الإنسان»، ولا الديمقراطية نفذت في فرنسا كمبادئ سامية يدين بها الشعب والزعماء والأحزاب. ولكن فرنسا — بعد الحرب العظمى — تسترت تحت هذه الكلمات: «الحرية، الديمقراطية، العدل» ولم تعمل بها كمبادئ ولكن كأفكار فقط

وهذا سر ما نري من أنها ما كادت تسلم لأعدائها حتى محت من دستورها كلمات «الإخاء، الحرية، المساواة» وأخذت تعمل على تغيير دستورها ونظام الحكم فيها، وما كان للحرية والديمقراطية اللتين يؤمن بهما شعب عظيم أن ينهارا بهذه السرعة

وإذا كانت فرنسا تمثل ركناً عظيماً من أركان الديمقراطية فكيف نفسر الاتفاق بين سياستها وسياسة إيطاليا الفاشستية مثلاً: إن الفكرة التي أوحت إلى إيطاليا الفاشستية أن تقذف بزعماء العرب في طرابلس من الطيارات هي التي أوحت إلى فرنسا الديمقراطية — وفي عهد الجبهة الشعبية — أن تجرد على قرية من قرى المغرب الأقصى سرباً من الطيارات ليهدمها على أهلها لأنهم طالبوا بحقوق حيوية لهم كعدم صرف مياههم التي يستغلونها في الشرب والسقي إلى المعمرين الفرنسيين

والفكرة التي أوحت إلى هتلر أن يسجن شو شنج زعيم النمسا في قصر عظيم من قصور فيينا لأنه عارض في استعمار بلاده، هي التي أوحت إلى فرنسا أن ترسل الزعيم علال الفاسي إلى «ليبرفيل» — مقبرة الرجل الأبيض — ليستنشق من هوائها العذب الموت الزؤام، لأنه عارض في سياسة القمع والإرهاب التي يساس بها المغرب الأقصى

الحق أننا يجب أن ننتبه إلى ما يجري في الشرق فإنه قد يكشف لنا عن أسرار الحوادث الجسام التي تجري في الغرب

(ع ك)



زينوبيا

للأستاذ محمد محمد مصطفى

[لا تزال أطلال مدينة « تدمر » قائمة بالقرب من دمشق ينقب فيها العلماء عن الآثار ، وقد حكمت هذه المدينة من سنة ٢٦٧ إلى ٢٧٢ بعد الميلاد فتاة تدعى « زينوبيا » فاتنة عنيدة شديدة المراس لاقى منها الرومانيون الأهوال ، وقصتها ممتعة شائقة]

— مولاتى ... مولاتى ... أين مولاتى ؟

— ما وراءك يا مرندا (١)

— إنه بيلنوس يا مولاتى ... تالله لقد رأيته بعينى هاتين . أنصتوا ... ألا تسمعون قرع الطبول ؟ ... لقد عاد بيلنوس من مصر على رأس جيشه الظافر

— لئن كان ذلك حقاً فلن يضع أحد سواك على رأسه الغار

* * *

ودنت كتائب الجيش من المدينة فقامت « تدمر » بأسرها تحيي الظافرين ، وغص قصر المليكة بزرافات الشعب ترقب عود الفاتحين ...

وتحدج المليكة بنظرها قائدها بيلنوس وقد نال منه الونى ، وبدا عليه الوهن لفرط ما بذل فى دحر الرومان ، فتهتف : يا ابنة ناديوس ضعى على رأسه الغار

ويفتر ثغر مرندا لهذا الشرف ويهتز له قلبها وتطوق رأسه بالغار ، وتسأله فى خفر : كيف وجدت مصر ؟

— لقد عاث فيها الرومان الطغاة وأنزلوا بها الهوان ، فانقضت جيوشى عليهم فروعتهم وملأتهم رعباً وتساقط جنودهم تحت أقدام فرساننا كالذباب واندفعت وراء فلولهم حتى انجلى آخر رومانى عن أرض وادى النيل

وتبسم المليكة فيميد لابتسامتها قلبه ، وتقول له : لقد أعجبت بما جندلت من جنود العدو مشاة وفرسانا ، وقد وليتك أرض مصر فكن بأهلها رحيما ، واعلم أن بها أناساً يكنزون المال وآخرين لا يجدون إلى القوت سبيلاً ، فخذ من غنيهم وأعط فقيرهم ، فإن أبوا فخذ رقابهم من أموالهم بديلاً ، فإن جئتك زائرة لا أجد فيها معوزاً ولا ذليلاً

واهتز جسم القائد وشحب لونه شحوباً عظيما وتمتم فى صوت خافت :

— أفيكون جزاء بلائى وما أكنه لك من بالغ الوجد إقصائى ؟ فتدرك مرماه وتهمس له مؤنبة :

— ما رأيت أشد منك هولاً فى الحرب وأوهى جلداً أمام النساء

فتفصد جبينه عرقاً ولوى عنانه وانسل بين جموع الجنود

* * *

أخذ الكرى بأجفان الجنود إلا بيلنوس ، فقد أمضه السهد ، ورانت على نفسه الأحزان ، فانطرح على الرمال يؤرقه الشوق إلى وجه مليكته التى أرسلته إلى مصر وهو الذى كان يستمد السعادة من النظر إلى عينيها

وفى ذات ليلة هاجه إليها الوجد ، فجلس يقلب فى السماء عينيه السادرتين ، وذكر أنها تنبم الآن بالحياة ، لا يخطر اسمه على بالها ولا تفكر إلا فى شن الغارات على ممتلكات الرومان ، أما قلبها فلن تهبه له ولا لسواه ، لأنها تهيمن عليه وتخضعه لإرادة من فولاذ

وأحاط به اليأس ، فقام يمشي كسير النفس جريح القلب ، ذاهلاً ، لا يشعر إلا بألمه . وفى منعطف الطريق رأى سائلاً ، فتحسس جيوبه ليعطيه شيئاً فلم يجد ، وأراد قتل الوقت فسأل السائل عمن يكون ، فتكلم السائل أو تحدثت الفتاة التى تمد يدها فى الطريق ، فكأنما كانت تسكب فى روحه نغما موسيقياً يسحره ويسلبه . وقالت : إنها رومانية فقدت ذويها فى الحرب ، فلبست مسوح الرهبان ، ووقفت تستندى الأكف لتطعم أبناء جلدتها الجائعين

ويشفق بيلنوس لهذا الجمال يهصره برد الليل ويقبره الدير ، ويأسى لهذه الفتنة يدب فيها الذبول ، وهذه العيون ينطفىء فيها البريق ، وتراه « دورا » مقبلاً عليها بنفسه وبقلبه ، فتسكن إلى حديثه ، وتنصت له بسمعها وقلبها ، حتى إذا ما كشف عن نفسه

(١) ابنة ناديوس كبير الكهنة

وعلت فيه الببدد لجيوش وطنها القاتل فدوبها نارت نفسها سخطاً عليه

***

نحن فى القصر الامبراطورى بروما وقد جلس الامبراطور أورليان على عرشه يحف به الجلال، ونراه يستبطئ قدوم شخص دعاه فيزلزل البهو بصوته الجهورى :

— أين مارسيوس ؟

— هوذا أنا يا مولاى

ونرى فتى مديد القامة يهش الامبراطور لقدومه ويبش ويسأله عما إذا كانت السفن قد أعدت للرحيل، فيجيب: نعم، فيقول: ألم يصل بعد أوكتاف ، فينبئه أنه وصل الآن وأن الراهبة ستعمل بمشيئة الامبراطور

— حسن . ستكون أنت إذاً يا مارسيوس على رأس الجيش المغير على أرض تدمر، وعليك أعتمد فى محو هذه المملكة، وعليك أن تولى وجهك إذا ما حالفك النصر شطر مصر ، ولدى دورا أوامرى المشددة بإقصاء القائد بيلنوس عن مركز رياسة جيشه

***

— مالى أرى وجه الحبيبة كالحاً كالظلام ؟

— قد تركنى حبك يا بيلنوس نهباً بين نداء القلب ونداء الدير، ولى الآن شهور انقطعت فيها عن جمع الإحسان لأنعم بقربك وترانى أذوب كمداً كلما ذكرت أهلى الذين جندلوا فى الحرب ، ولم يبق منهم غير شقيقى الذى لاذ ببطن الصحراء وركب النيل إلى بلاد النوبة

— جعلت فداك ، فما تشائين ؟

— أريد اللحاق به فما يهنأ لى عيش بدونه

— وأنا يا دورا ... أفتتركين هذا الحب يعبث بقلبى لا ينفعنى طب ولا رقى ؟

— فلم لا ترافقنى فى رحلتى نبحث عنه ونعود به فأعيش بينكما ؟

— ومصر يا دورا ؟

— ليقم عليها لبيد بن عبد الله حتى تعود

ونجحت دورا فى إقصاء القائد عن جيشه ، وتوغلت به فى ذرا الهضاب وبين النجود والوهود تسأل الغادين والرائحين عن شقيقها المزعوم ، وشغله هواها عن مليكته وجيشها الذى ائتمنته عليه .

***

أبحر مارسيوس وألقت سفنه مراسيها، ووثب جنوده إلى شاطئ «تدمر» كأنهم موج يتلوه موج ، وساح جيشه فى أرض تدمر كأنه الطوفان ، وأفل نجم زينوبيا فلم تصمد لهجومهم المنيف

وصعدت الملكة إلى مخدعها حيث كانت خادمتها تمسح عن سيفها ودرعها دماء الأعداء

وتهالكت على مقعد وقد بدا على وجهها الجميل الغضب فزادها جمالاً وغمغمت : كيف يكون هذا يا رب ؟

أين أنت يا بيلنوس ... يا خائن ؟

تالله لو رأيته لأجعلن جسده طعاماً للنسور

واقترب مارسيوس من القصر الملكي وملكه العجب لهذا الفردوس وهذا الدوح المحيط بقصرها الممرد المنيف . وما كاد يطأ وصيد البهو حتى رأى زينوبيا جالسة على عرشها وقوراً

وسمرت قدماه وقد شدهته هذه الفتنة ، وسبته عيناها الفيروزيتان ، وراعه جمالها فزلزل كيانه وانعقد لسانه فما كاد يبين

ووقر فى قلبه أن هذا الجسد الفتان سيكون هدفاً للسهام إن أرسلها أسيرة حرب إلى روما

وهتفت نفسه: ماذا أفيد من دك هذا العرش وموت هذه الفتاة؟

ودنا منها متوسلاً إليها أن تفر من وجهه إلى حيث يحلو لها المقام

واستضحكت زينوبيا وقالت :

— أما وقد ثل عرشى واجتاحت جيوش الرومان بلادى فليس لى رغبة فى الحياة

وحلق فيها مارسيوس وأخذ يعبث بيده فى قوسه وسهامه ورأسه يفور كبركان أوشك أن ينفجر

قال وهو يرسف فى إسار سحرها :

— لا شك أننى أخطأت بلقائك يا زينوبيا بعد ما انتهى إلىّ من فعل سحرك بمن يراك ، ولقد غلبنى هواك فما أستطيع إرسالك إلى روما ليعجل الامبراطور أورليان بك إلى الموت

— أتخاف الموت أيها الشاب ؟

— كنت لا أخافه قبل أن أراك ، أما الآن فقد تبدل الحال وأحببت الحياة لأنك معنى كبير من معانيها

— إنك تجيد الغزل إلى حد ما ... ولكن قلبى منيع لم يتطرق إليه يوماً عبث الحب وسفاسف العشق التى أودت بقائدى الخائن بيلنوس الذى شغفته الرومانية حباً ، وتوغلت به

فى الجبال ، فلم يعثر عليه رسولى ولا سمع استغاثتى

إفعل ما توحى به إليك وطنيتك وما أمرك به امبراطورك أيها الشاب فتكسب احترامى وتقدير مواطنيك

فما سمع منها ذلك حتى ذهب لونه وتفصد جبينه عرقاً ، حتى لقد ظنت الملكة أن فالجاً قد عاجله ، واقتلع قدميه اقتلاعاً حتى دنا منها وسلك يديها البضتين فى سلسلة من ذهب

وحالف النصر مارسيوس فاجتاح مصر وثأر لمواطنيه، وغدرت « دورا » بيبلنوس فأسلمته إلى مارسيوس

***

وهبت روما تستقبل من عجلت بفناء فلذات أكبادها أعواماً تلى أعواماً ، وكان الناس يؤذونها بما يرمونها به من فاحش القول وبذىء الفعال ؛ على أنها كانت وسط هذا الضجيج رافعة الرأس هادئة البال ، فكانت فى محنتها ملكة لم يغير من أبهتها ما لاقته من هوان ، فإذا ما بلغوا بها السجن ألقوها فى قبو منه يعاف النوم فيه الكلاب ...

***

قال الامبراطور فى مجلس الأعيان :

— سأرمى بها للأسود فى ملعب الأولمبياد لتخف لوعة المحزون على ولده من شعبى

فضج المجلس بالاستحسان ، واسترسل الامبراطور :

— وسيكون يوم موتها عيداً تقام فيه الصلوات للآلهة شكراً ، وسأضع بيدى هاتين الغار على رأس مارسيوس العظيم !

وعجل مارسيوس العودة إلى روما إذ دعاه امبراطوره . ولما علم بالعزم على طرح زينوبيا فريسة للأسود اشتد وجيب قلبه ، حتى خيل إليه أن صوت هذا الوجيب قد طغى على أصوات الجماهير التى تزخر بها جوانب الطرق . وكان يبسم للشعب وقلبه يقطر كمداً . وقبله الامبراطور فأحس كأن عقرباً قد لدغته ، ووضع على رأسه الغار فشعر كأن ناراً توضع على جبينه ...

وأحنى مارسيوس هامته حتى كادت تلامس الأرض ، وطلب إذن الامبراطور له بالكلام فأذن :

— خدمت مولاى ثلاثين عاماً أو تزيد لم ألتمس فيها شيئاً ولى الآن حاجة ...

فقاطعه الامبراطور :

— كل خزائن الدولة رهن رغبتك

— ليس لى بها حاجة

— فما حاجتك ؟

— حياة زينوبيا

فتجهم وجه الامبراطور وتمتم :

— هى ملك الشعب وقد خرجت من يدى

ووقعت الكلمات على قلب مارسيوس فدكته بين ضلوعه ، ومشى مستأنيا والناس من ورائه ذاهلون، وسقط فى فراشه يقبض بأصابعه على بطنه فيكاد يفريها، ويشد شعره فيكاد يقتلعه ، وينتابه اليأس فيومئ إلى بعض أنصاره لإنقاذها فيصرع حرس السجن منهم كثيراً ومن يبق يبتلعه السجن

***

وجلس الأمبراطور فى الحفل الهائل يضحك حيناً ويشير حيناً إلى الأسود التى تزأر فى ساحة الملعب ، فيتردد صدى أصواتها فى جنبات القصور ، وغص الأولمبياد بمن جاء من القرى والحضر ليرى المشهد المروع

ويؤتى بالملكة إلى ساحة الموت فتقترب منها الأسود فى بطء كأنها ترهب هذا الجمال وتدوى أصواتها كالرعد فيغشى على النساء ويخفى بعضهن عيونهن بأيديهن ، وكلما ضاقت المسافة جفت الحلوق وذهبت الألوان حتى الامبراطور لم يملك نفسه فهتف : « يا لهذا الجمال ! »

ووقفت الملكة يتدلى شعرها الأسود اللامع على كتفيها العاجيتين تنظر إلى الأسود لا تجفل ولا تفزع كأنها مقبلة منها على صديق ، فإذا لم يبق بينها وبين أول أسد إلا عشرون متراً رأته يقفز وبين عينيه سهم رائش نفذ فى رأسه وراح يتخبط فى الأرض ، وذعر الأسود فتفرقوا شذراً . وبسرعة خاطفة سقط مارسيوس إلى جانب الملكة ، وأخذ يذود عنها الأسود بالسيف ، ويدفع زينوبيا إلى الوراء حتى إذا اقتربت من الحاجز رفعها أنصاره ... وتراجع المنقذ ليلحق بها فأنشب فيه أسد جريح أظفاره وراح يعمل فيه

صرخ الإمبراطور : أليس لك رغبة تنفذها يا مارسيوس ؟

فهتف بما وسعته قوته : زينوبيا

محمد محمد مصطفى

﴿ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى — عابدين ﴾

Lundi - 5 - 8 - 1940

8me Année No. 370

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع البدولي رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٣٧٠ « القاهرة في يوم الاثنين أول رجب سنة ١٣٥٩ — الموافق ٥ أغسطس سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهـــــرس

نهـــاية أديب . . .

في الساعة السابعة من مساء يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من شهر يولية ، لفظ البحر على ساحل « جليم » بالإسكندرية جثة كانت في رونق العمر وإن بدا على محاسرها مسحةٌ من شفوف الهم وشحوب الألم . لم يكد يلقيها الموج الصاخب المتعاقب بالرمل المستوى المنضوح حتى أخذتها عيون الحرس الساحلي ، فظنوها لأول وهلة ضحية من ضحايا الحرب الإنجليزية الإيطالية في هذا البحر المسجور بالعذاب والموت ؛ ولكنهم علموا من بذلة الغريق ومعطفه وسلامة بدنه أنه مدني سقط في البحر أو أُلقي فيه. فلما فتشه رجال الشرطة ليكشفوا عن هويته عثروا في جيب معطفه على كتاب منه إلى رئيس النيابة يقول فيه :

« إنه قتل نفسه بالغرق يأساً من الدنيا وزهادة في العيش ، ويوصي بأن يحرق جسده ويشرّح رأسه »

إذن هو رجل من رجال الفكر والرأي ، جعل للحياة مثلاً لم يحققه فهو يجتويها ، ورأى في العقيدة رأياً لم يرقه فهو لا يرتضيها ، واعتقد أن في مخه عبقرية فهو يرجو أن يظهر بالتشريح خافيها .

فهل تدري من هو ؟

هو الدكتور « إسماعيل أحمد أدهم » عضو أكاديمية العلوم

الروسية ، ووكيل المعهد الروسى للدراسات الإسلامية ، كما كان يخبر عن نفسه ؛ وهو صاحب المقالات العلمية والنقدية فى الرسالة والمقتطف، ومنشط الحركة الأدبية فى الإسكندرية وجمعية الثقافة. نجله أبوان مختلفان : تركىٌّ وروسية ، ثم غُذى فى يفاعته بثقافة البحر الأسود ، فتأثر بنفسية الترك الجمهورية ، وعقلية الروس الشيوعية . وتزوج أبوه مرة أخرى من مصرية فعاش معه فى الإسكندرية حيناً من الدهر تعلم فيه العربية . ثم ترك له بعد موته بيتاً صغيراً كان يعيش على أجرته هو وأخته عيش الكفاف الضيّق . واعتراه داء السل فكان يراوغه بالسكنى فى جفاف (أبو قير) ، ولكنه كان مضطراً إلى أن يشق طريقه فى زحمة الحياة بسن القلم : فكتب وألف وحاضر وناظر ، حتى كان له فى كل كتاب رأى ، وعلى كل مسألة اعتراض ، ومع كل كاتب موقف . وأعانه على هذا الجهد العظيم قريحةٌ طيعة وبصيرة ناقدة وعزيمة نافذة وطبع عمول ؛ ومع ذلك ظل فى عزلة عن القلوب المؤاسية أو المشجعة من جمهرة القراء وقادة الأدب ، لأن نشأته اللادينية ، ونزعته العلمية ، وطبعه الجرىء الحر ، وأسلوبه الجاف القلق ، كانت تجعل لسطوره ظلالاً من الإلحاد والمادية والنشازة تبغّضها إلى صاحب الدين وصاحب الفن . ثم وصل أسبابه ببعض ذوى القلم النابه فاستخدموه فيما لا يكسبه المودة والعطف . وجابه قوماً من المتصوفة وطلاب العلم بوقاح الرأى فى الدين فآذوه فى بدنه وسمعته . ووجد رضى نفسه وراحة عقله فى تسليط الطبيعة على العقيدة وتحكيم الفلسفة فى الشعور ، فساءت ظنون الناس فيه ، وأرهفت الألسن عليه ، حتى عجز أن يعيش على ثمرات فكره

وكان المرحوم إسماعيل أدهم عفيف النفس يتقنع بميسور الرزق، ويتكرم عن طلب المعونة ولو كانت جزاء على عمله . وكان مرضه الدخيل المزمن يقتضى وفرة الغذاء وجودة الهواء وراحة الجسد، ولكنه كان لا يجد الكفاف لضيق مضطربه ، ولا ينال الدعة والجمام لقوة عزمه ؛ فتظاهر عليه الداء والشقاء والإباء واليأس من روح الله حتى زلزلت هذه المحن فى نفسه الثقة ، وأذهبت عن قلبه السكينة

ونُكبت الإسكندرية الجميلة بالغارات الجوية الإيطالية ، فجلا أكثر الساكنين عن الثغر المروَّع ، فأقفرت المنازل حتى منزل أدهم وهو مرتزقه الوحيد ، فلم يكن بد من هذه النهاية المحزنة التى انتهى إليها هذا الأديب البائس

* * *

كان الدكتور أدهم – غفر الله له – شديد الذكاء أصيل العقل رياضى الفكر واسع الثقافة لا يؤمن إلا بالعلم والمنطق . وقد أضاف إلى ثروة الأدب العربى الحديث جهداً مهما اختلفت الآراء فيه فإن له قيمته . وكان من الممكن أن يعيش فى ظلال أدبه رخى البال مكفول الرزق لو أنه وصل ما بينه وبين الله . ولكنه خضع لسلطان طبيعته ونشأته فعالج الموضوعات الإسلامية معالجة الملحد الخالص الذى يجد سعادته فى الكفر ورسالته فى التكفير . ولو أنه خادع الناس عن عقيدته كما يفعل بعض الأكياس من الأدباء ، لأدرك السلام فى الأرض وإن لم يدركه فى السماء ؛ ولكنه كان أشبه بشهداء الكفر الذين يجدون اللذة فى الألم ، ويتمنون الخلاص فى الموت !

* * *

رحم الله الدكتور أدهم ! حسب أن أرقام العلم وأقيسة المنطق هى كل شىء فى تقدير المعلوم واكتناه المجهول ، فاعتمد فى أدبه على العقل القعيد الذى يرى ولا يطير ، واتكأ فى فلسفته على الفرض البعيد الذى يطير ولا يرى، وتحامل فى مُعتقده على الضمير البليد الذى خبا وهَجُه بين فتور الخيال وخمود العاطفة . ثم غره أن معارضة الدين سبيل من سبل الشهرة فأوغل فيها بعنف حتى انقطع فى صحراء الحياة عن الله والناس ! فهو لا يملك النور الذى يضىء ظلمة القلب، ولا الرجاء الذى يخفف وطأة الكرب، ولا الحب الذى يؤنس وحشة الطريق . وحكم القدر على السائر فى الظلام والوحدة أن ينزلق من صخرة الحرمان إلى لجة العدم ؛ وهناك لا يدركه إلا رحمة الله التى وسعت كل شىء وشملت كل شخص !

إن الأدب الملحد قد يعيش فى الغرب لأن الظلام يمدّه الظلام ، ولكنه لا يستطيع أن يعيش فى الشرق لأن الظلام ينسخه النور !

(المنصورة)

احمد حسن الزيات

الحديث ذو شجون

للدكتور زكى مبارك

موجة صوفية تثيرها رحلة الموسيقار محمد عبد الوهاب
إلى سنتريس — بين القناطر الخيرية وسدة الهندية —
خطاب ضائع — ثمرة شهية من ثمار المطابع

موجة صوفية

فى عصرية الاثنين « ٢٢ / ٧ / ١٩٤٠ » توجه جماعة من الأصفياء إلى سنتريس ، وفيهم المسيو دى كومنين والمسيو جوزيه كانيري والدكتور ابراهاميان والمسيو بوندريني والموسيقار محمد عبد الوهاب وسرب من كرائم الفرنسيات

ولم تكن تلك القافلة تحتاج إلى دليل (١) فقد شرفت سنتريس بزياراتها مرات كثيرة ، ولا سيما مدام دى كومنين التى تأنس كل الأنس بزيارة سنتريس ، والتى تعد زيارتها الدارى من مواسم للفرح عند أبنائى

إنما يحتاج إلى الدليل ذلك الموسيقار السابح فى لجج الأحلام محمد عبد الوهاب ، وكذلك أتيحت الفرصة لأن يترفق فيدعونى لمرافقته فى طريقنا إلى سنتريس

وماذا أستفيد من مرافقة عبد الوهاب ؟

وهل يفيق هذا الحالم حتى يعرف رفيقه فى الطريق ؟

ابتدأ صاحياً فى المرحلة الأولى ، فسأل عن منازل الكتاب المصريين وعن مبلغ تأثيرهم فى مصر والشرق ، وما كدنا ننتهى من الكلام عن طه حسين والزيات والعقاد وتوفيق الحكيم حتى أسلم خياله لأحلام أوابد لا يقتنصها غير القلب الذى راضه الحب على التمرس بملاحقة أبكار المعانى . ومحمد عبد الوهاب قناص أحلام وألباب ، وإن كان أرق من الزهر المطلول

ونظرت إليه فى غيبوبته الروحية فرأيته يغمغم بأجراس صوتية لا تبين عن لفظ معين أو غرض محدود

وفى لمحة من لمحات الوجد تمثلت لى شفتان ورديتان لو سبح لله بهما مسبح لكان فيهما غناء عن تسبيح كل ما حوى الملكوت من أرواح وأشباح

أيصير عبد الوهاب إلى مثل هذا الحسن الفاتن كلما نقله الخيال إلى عالم الروح ؟

ثم انتبه بغتة ، وقد وخزته نظراتى فقال : أتزور سنتريس فى كل أسبوع ؟

فقلت : وما الذى يهمك من ذلك ؟

فأجاب : إن هذا إن صح قد يفسر نزعتك الصوفية ، فما شعرت بمثل هذه الأقباس الروحية إلا فى هذا الطريق الذى يصل بالأفئدة إلى سنتريس

وما كاد يتم هذه الجملة حتى هوى إلى الغيبوبة من جديد ، وحتى عدت إلى التأمل فى أسارير ذلك الوجه الذى خلق ليكون مصدر هداية ومبعث فتون

وبعد لحظات كانت أقصر من ومضة القلب بالتشوف إلى موعد غرام وصلنا إلى القناطر الخيرية ، ثم وقفنا عند قنطرة الرياح المنوفى لننتظر سيارات الأصفياء قبل أن ننفذ السير إلى سنتريس . وهنالك وجدنا على غير موعد جماعة من الشبان الفنانين يترنمون بأغاريد عبد الوهاب ، وهم ينتظرون وفود القمر لمصافحة النيل ؟

ثم وصل الأصدقاء الفرنسيون فطربوا لذلك المنظر الجذاب ، وسرهم أن يكون فى مصر فنان يرى طلائع فنه فى مكان يتوجه إليه على غير ميعاد

ودخلنا سنتريس والشمس تجنح للغروب والناس يرجعون إلى دورهم وفى أيديهم مقاود المال الناطق ، وتلك طلائع نعيم تكون أوفر ما تكون فى سنتريس : فأخصب أقاليم مصر هو إقليم المنوفية ، وأخصب مراكز المنوفية هو مركز أشمون ، وأخصب البلاد فى مركز أشمون هو سنتريس ، وأخصب بقاع سنتريس هو ما ورثته عن أبى وجدى ، وأجمل دار فى سنتريس هى دار شاعر سنتريس

فإن ضاق بعض الناس صدراً بهذا الازدهاء ، فليذكر أنى تحدثت عن الريف وجمال الريف قبل أن تخلق وزارة الشؤون الاجتماعية بأعوام طوال . يضاف إلى ذلك أن بلدى أجمل البلاد حقاً وصدقاً ، وهو الشاهد على أن مصر موطن الخيرات والثمرات ومهد الأفئدة والعقول . ولو قلت : إن بلدى يفوق جميع البلاد

(١) لم يصب أبو على القالى فى تخصيص « القافلة » بالراجعة من سفر . وأكثر اللغويين على أن القافلة هى الرفقة ، ويقال للمبتدئة بالسفر قافلة تفاؤلا لها بالرجوع

من الوجهة العلمية لكنت أصدق الصادقين

ثم جلسنا نتجاذب أطراف الأحاديث مع الأهل والأصدقاء ، وقد ذاع فى أرجاء البلد أن عبد الوهاب حضر ومعه عوده الحنّان فأقبلوا يتسابقون لتزويد أفئدتهم بأطايب البواكير من أغاريد الخلود

ثم وقع ما لم يكن فى الحسبان : فقد قيل إن فى سنتريس مغنين يغنّون أصوات عبد الوهاب بأطيب وأوقع مما يغنيها عبد الوهاب

وتنادى أولئك المغنّون ليُباروا مطرب الأمراء والملوك ، وليروضوه على الاقتناع بأن التواضع خُلقٌ جميل ، فانسحب من الميدان قبل انتهاء السهرة ليرجع إلى القاهرة بحجة أن عنده موعداً فى منتصف الليل !

وعند باب الحديقة سأل عبد الوهاب عن العود ليكون رفيقه فى الإياب ، ثم سارت به السيارة وهو يترنم بقول أحد الشعراء :

تنظُر الساعةَ من حين لحين ليت شعرى ما الذى يستعجلُكْ
إن هذا الوصل أحلامُ سنينْ فاتق الحب ودَع ما يَشغَلُكْ

وانصرف جمهور المعجبين بالموسيقار عبد الوهاب وبقيتُ مع الضيوف الأعزاء نتحدث عن الآداب والفنون ، ونسمع مداعبات من كان فى السهرة من الجنّيات

ومضينا نواجه النيل وقد طلع القمر وطاب النسيم فرأينا طوائف من أدباء سنتريس يَسمُرون هناك كما كنت أسمُر مع أصفيائى قبل أن يصنع الدهر بقلبى ما صنع ، وقبل أن أحرَم من قضاء ليالى الصيف فى سنتريس ، فما ذقت طعماً للحياة الهادئة منذ قضت الأيام بألا أزور سنتريس إلا كما يزور طيف الخيال

ثم هتف هاتفٌ بأن الليل قد انتصف وآن أوان الرحيل عن سنتريس

وفى القناطر الخيرية وقفنا مرة ثانية نشهد صراع الأمواج فى قنطرة الريّاح المنوفى ، فأخذتُ المسيو كارى من يده ، واقتربت به من معركة تلك الأمواج

ثم وَثب القلب وهو يسأل : أين الوعد ، موعد فلانة ، الوعد الذى عقدته فوق « سَدّة المندية » منذ أكثر من عامين ؟

فأجبتُ : تلك يا قلبى مواعيد البنان المخضوب !

وتلفتُّ إلى المسيو كارى وأنا أقول : ألا يكون النوم فى ضيافة هذه الأمواج الصواخب أطيب من النوم فى الغُرف المغلقة النوافذ ؟

فأجاب : ذلك نعيمٌ خاصٌ بأهل الشرق

فقلت : ومن أجل هذا النعيم يوصى بعض الفلاسفة بأن تكون مدافنهم فى ثنايا الأمواج

ثم رجعنا إلى القاهرة لنأنس بالعيش الرّتيب من جديد

فإن سألتمونى : أين كنا ؟

فأنا أجيب : كنا فى رحلة صوفية ، وكان معنا عقل دى كومنين وبلاغة كارى وعُذوبة عبد الوهاب ، وكانت معنا أشياء ، فلا تسألوا عن أشياء إن تُبدَ لكم تزدكم أسفاً على الحرمان من أطايب الوجود . . . وهل كانت تلك الأشياء إلا القلوب الأواهل بأرواح الصفاء ؟

خطاب ضائع

كان صديقنا الأستاذ صادق عنبر — طيب الله ثراه ! — قد نشر فى مجلة « النهضة النسائية » سنة ١٩٢٧ خطابات غرامية قال إنه وجدها مُلقاة فى الطريق ، وصحّ عندى يومئذ أنه ابتدع تلك الخطابات ، فكتبتُ إليه من باريس أهنئه على ذلك البدع الطريف ، فأجاب بأنه لم يبتدع تلك الخطابات ، وإنما وجدها مصادفةً فى شارع الدواوين وهو ذاهب إلى جريدة الأهرام ، ولم أصدّقه فيما ادعاه فتعقبتُه فى جريدة البلاغ بمقال لاذع بدّد ما كان بينى وبينه من وداد

ثم تشاء الأقدار أن تصحح رأيى فى ذلك الصديق المظلوم فقد وجدت أنا أيضاً خطاباً ضائعاً ، وجدته فى شارع فؤاد وأنا ذاهب للسَّمَر مع الأستاذ « وحيد بك الأيوبى » فى قهوة السلام بميدان إبراهيم ، وأطلعتُ عليه جماعة من الفضلاء الذين صادفتهم هناك

وإلى القارئ فقرات من ذلك الخطاب الضائع ، ستر الله كاتبه وهداه ! :

« تعاتبين ؟ تعاتبين ؟ وما الموجب للعتاب وقد صدّ قلبٌ عن قلب ، وزهد روح فى روح ؟ !

ومن تعاتبين ، يا شقية ، وقد انتهى عهد العتاب ، ولم يبق من الذكريات غير أطلال ؟

لا أراك الآن إلا حجراً أصم أبكم ، لا يسمع ولا يتكلم ، وإن كنتِ تحسنين زُخرفَ القول حين تكتبين إلىّ من حين إلى حين ...

وتقترحين أن أزورك فى مدينة ... فهل تظنين أنى أطرب لزيارة مدائن الأموات ؟

تلك غمرة من غمرات الكرب عانيتها حين توهمتك إنسانة لها وعى وإحساس ، ثم لطف الله فأفقت ، وما كنت أحسبنى أفيق كان غرامى نزوة من نزوات الطيش ، وقد عقلت ، والحمد لله على نعمة العقل !

أمثلكِ يُزارُ بوحىٍ من القلب ، وأنتِ رسمٌ من الرسوم الهوامد ، وقد انتهى عهد البكاء على الرسوم والطلول ؟

ما أبكى عليك ، يا شقية ، وإنما أبكى على النعيم الذى ذهب منذ اليوم الذى انزاحت فيه الغشاوة عن قلبى

كنت توهمت أنى عشقت ، وكانت الدنيا لا تسعنى كلما خطر فى البال أنى أملك قلب امرأة لها فى دولة الحسن تاريخ

ثم انجابت ظلمات الغواية فرأيتك مخلوقة من خزف ، مخلوقة غبية بليدة حرمتها الأقدار نعمة الفهم لسرائر الأرواح والقلوب

خرجتُ من هواكِ كما دخلتُ ، فما أمدّنى هواكِ بقصيدة رشيقة ولا مقال بليغ . والأديب لا يعشق ليقال إنه عشق ، وإنما يعشق الأديب ليطلع على الآفاق المجهولة من ضمائر الوجود .

وأنت أنت ، أنت الأنثى الغبية البليدة التى لا ينتفع الأديب من صحبتها بشىء ، إلا أن يصير اسمه إعلاناً عن جمالها المظنون ، وأنت والله جميلة ، ولكن جمالك لا يزيد عن جمال التماثيل !

إنما أبكى على نفسى ، فقد كنت أحسبنى أهلاً لغرام أقوى وأعنف من الغرام الذى عانيت ، ثم عرفت مع الأسف الموجع أننى شغلت قلبى بإنسانة ضعيفة لا تقدر على نقل القلب من مكان إلى مكان . فتى تزحزح من مكانك يا قلبى؟ ومتى تعرف أن الهدى ليس أكرم عنصراً من الضلال ؟

لا تكتبى إلى بعد اليوم ، يا شقية ، فقلبك أصغر من قلبى ، ولم تكونى إلا طفلة نضجت قبل الأوان فتوهمت أنها قادرة على مساورة الرجال »

تلك فقرات من ذلك الخطاب الضائع ، الخطاب الذى وجدته فى شارع فؤاد

فهل رأيتم أسخف من كاتب هذا الخطاب ؟

الدنيا فى حرب وشقاء وبلاء ، فكيف يجوز أن يكون فيها من يعشق ويلتاع ؟

وفى قهوة بالميرا بمصر الجديدة صادفت الدكتور مشرّفة بك عميد كلية العلوم فعرضت عليه هـذا الخطاب على أنه نموذج من السفاهة والُحمق فابتسم ، وقال : العواطف من القُوى الأساسية فى حياة الإنسان ، ولا ُبدّ لتلك القوى من غذاء . واستطرد فحدثنى أنه طرب حين رجع إلى معاهد الطفولة بدمياط ، يوم كان يتقرب إلى الله بتقبيل ضريح الشيخ مظلوم !

العواطف تحتاج إلى غذاء كما تحتاج العقول ؟

هذه فلسفة لم أسمع بها من قبل

فإن صحت هذه الفلسفة فهى سِنادٌ لكاتب الخطاب الضائع ، الخطاب الذى وجدته فى شارع فؤاد

الدنيا فى حرب ، فلا تصدّقوا الدكتور مشرّفة ، وإن كان عميد كلية العلوم ، واقضوا أوقاتكم كلها فى متابعة أخبار الحرب بين الإنجليز والألمان ، فأخبار الحرب هى زاد العواطف والعقول فى هذه الأيام العِجاف !

ثمرة شهية من ثمار المطابع

اليوم عرفت أن الأستاذ محمود بك تيمور وأخاه المرحوم محمد بك تيمور ورثا فنّ القَصَص عن أبيهما العظيم أحمد باشا تيمور

أقول هذا وقد فرغت من قراءة كتاب نفيس اسمه « أعيان القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر » تحدث فيه تيمور باشا عن جماعة من الشعراء والعلماء والأعيان بأسلوب هو القَصَص الحق ، أو هو أحسنُ القَصَص ، إذا صح الاستئناس بعبارة القرآن المجيد

كتابٌ كله أقاصيص ، ولكنه حقائق ، وله جاذبية تجعله فوق القَصَص المعطَّر بأنفاس الخيال

فى الاجتماع اللغوى

تطور اللغـــــة وارتقاؤها

للدكتور على عبد الواحد وافى

مدرس العلوم الاجتماعية بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

انتقال اللغة من السلف إلى الخلف : التطور الجبرى ؛ مظاهره فى لغة الحديث ولغة الكتابة

تتأثر اللغة فى تطورها وارتقائها بعوامل كثيرة يرجع أهمها إلى أربع طوائف :

(إحداها) انتقال اللغة من السلف إلى الخلف

(وثانيتها) تأثر اللغة بلغة أخرى

(وثالثتها) عوامل اجتماعيـة ونفسية وطبيعية ، كحضارة الأمة ونظمها وعاداتها وتقاليدها وعقائدها ، وثقافتها واتجاهاتها الفكرية ، ومناحى وجدانها ونزوعها ، وبيئتها الجغرافية .. وما إلى ذلك[(١)]

(١) تشترك هذه العوامل جميعا فى أنها من مقومات الحياة الاجتماعية ، ولذلك جعلناها طائفة واحدة على الرغم من اختلافها فى نوعها .

(ورابعتها) عوامل أدبية ، تتمثل فيما تنتجه قرائح الناطقين باللغة ، وما تبذله معاهد التعليم والمجامع اللغوية وما إليها فى سبيل حمايتها والارتقاء بها[(١)]

وسنعالج بإجمال فى هـذه الكلمة الطائفة الأولى من هذه العوامل ، مرجئين الكلام عن العوامل الأخرى إلى المقالات التالية

* * *

على الرغم من أن الطفل يأخذ اللغة عن أبويه والمحيطين به ، فإن لغة الخلف فى كل أمة تختلف عن لغة السلف فى كثير من المظاهر ، وبخاصة مظاهر الصوت

ويرجع جزء يسير من نواحى هذا الاختلاف إلى أمور خاصة مقصورة على بعض الأفراد كالعيوب الصوتية التى يصاب بها بعض الناس ، وضعف السمع ، واختلال أعضاء النطق ... وما إلى ذلك ؛ وليس لمثل هذه الأمور شأن كبير فى تطور اللغة ؛ لأن آثارها مقصورة على أصحابها ، تبقى معهم وحدهم فى حياتهم وتختفى بموتهم

(١) ترجع فى الواقع هـذه الطائفة من العوامل إلى الطائفة الثالثة ، لأن آداب الأمة ليست إلا مظهراً من مظاهر حياتها الاجتماعية . ولـكننا آثرنا فصل الطائفتين لاختلاف آثار كل منهما بهذا الصدد عن آثار الأخرى

فى هـذا الـكتاب أربع وعشرون ترجمة لبست جميعاً ثوب الصدق فى حدود ما وصل إلى المؤلف من أخبار مَن ترجم لهم .

ومن المؤكد أن هذا الـكتاب يسد فراغاً فى تصور بعض معالم العهد الذى عاش فيـه المؤلف ، ففيه أخبار سياسية وأدبية واجتماعية لم يتحدث عنها أحد من قبل بهذه الدقة وبهذا التفصيل

ونحن نأسف على أن لم يُكتَب لتيمور باشا أن يقف جهوده على هذا اللون من التاريخ ، فلو أن الله كان وفقه إلى ذلك لأتى بالأعاجيب فى تسجيل الحوادث وترجمة الرجال

وقد التزم تيمور باشا فى هذا الـكتاب التواريخ الهجرية أو كاد، والتزم العبارات القديمة فى وصف بعض الأشياء ، فالعِزبة هى الضَّيعة ، والجنيه هو الدينار ، ودخول الإنجليز مدينة القاهرة كان يوم الخميس مستهلّ ذى القعدة سنة ١٢٩٩ . وتلك من لوازم تيمور باشا الذى كان يريد أن يجعلنا عرباً ومسلمين فى جميع الشؤون ، أحسن الله إليه بقدر ما أحسن إلى العروبة والإسلام !

وتيمور باشا فى كتابه يجسِّم الحسنات ويتغافل عن السيئات. وإذا قهره التاريخ على تسجيل سيئة أحاطها بعبارة من عبارات التشكيك ، أو اعتذر عنها بلطف ورفق ، حتى ليمكن الحكم بأن الرجل أراد أن يكون كتابه من كتب الأخلاق الصِّحاح . وكيف لا يكون مراده كذلك وقد شهد عارفوه وشهدت آثاره بأنه كان من أرباب القلوب

ولا تجد فى هذا الكتاب عبارة تشير إلى أن تيمور باشا كان يرتب ويصنف ويؤلف ، فهى أحاديث أخذ بعضها برقاب بعض فى يسر وسهولة واتساق ، وذلك شاهد القدرة على التعبير الخالى من التكلف والافتعال

وقد أكثر تيمور باشا من الترحم على من ترجم لهم ، فعليه رحمة الله ، وعلى المراوى رحمة الله، وعلى عبد المطلب رحمة الله ، فقد كانا يريانه إماماً فى الأدب واللغة والتاريخ ، ولهما فى البكاء عليه قصائد جياد

زكى مبارك

أما معظم نواحي هذا الاختلاف وأكبرها أثراً في تطور اللغة فترجع إلى أمور عامة يشترك فيها جميع أفراد الطبقة الواحدة ويمتازون بها عن أفراد الطبقة السابقة لهم، كالارتقاء الطبيعي لأعضاء النطق في الفصيلة الإنسانية (لأن أعضاء النطق في تطور طبيعي مطرد، فتختلف في كل طبقة عنها في الطبقة السابقة لها) والارتقاء الطبيعي لظواهر النفسية (فالقوى العقلية بمختلف أنواعها في تطور طبيعي مطرد، شأنها في ذلك شأن أعضاء النطق. ومن الواضح أن كل تطور يحدث في هذه القوى ينبعث صداه في اللغة) والأخطاء التي تنتشر بين الصغار في طبقة ما ولا يفطن لها الكبار لدقتها وخفائها أو يهملون إصلاحها ولا يعنون بالقضاء عليها. فالفروق اللغوية الناشئة عن هذه الطائفة من العوامل يشترك فيها جميع أفراد الطبقة الواحدة وتمتاز بها لغتهم عن لغة الطبقة السابقة لهم

ومن هذا يظهر أن ناحية هامة من نواحي التطور اللغوي ترجع إلى عوامل جبرية لا اختيار للانسان فيها، ولا يد له على وقف آثارها أو تغيير ما تؤدي إليه

ومن هذا يظهر كذلك أنه ليس في قدرة الأفراد أن يقفوا تطور لغة، أو يجعلوها تجمد على وضع خاص. فمهما أجادوا في وضع معجماتها وتحديد ألفاظها ومدلولاتها، وضبط قواعدها وأصواتها ...، ومهما أجهدوا أنفسهم في إتقان تعليمها للأطفال قراءة وكتابة ونطقاً وفي وضع طرق ثابتة سليمة يسير عليها المعلمون بهذا الصدد، ومهما بذلوا من قوة في محاربة ما يطرأ عليها من لحن وخطأ وتحريف، فإنها لا تلبث أن تحطم هذه الأغلال، وتفلت من هذه القيود، وتسير في السبيل الذي تريدها على السير فيه سنن التطور والارتقاء الطبيعيين

حقاً إنه يمكن أحياناً التحكم في لغة الكتابة والجمود بها زمناً طويلاً على أصولها القديمة أو ما يقرب منها؛ ولكن لغة الكتابة التي تجمد بهذا الشكل لا تمثل تمثيلاً صحيحاً حالة الحياة اللغوية في الأمة، وتتسع كثيراً مسافة الخلف بينها وبين لغة المحادثة، لأن هذه اللغة الأخيرة في تطور مطرد، ولا تستطيع أية قوة إلى تعويق تطورها سبيلاً. فلا تنفك تبعد عن لغة الكتابة الجامدة، حتى تصبح كل منهما غريبة عن الأخرى، ويصبح تعليم لغة الكتابة في الأمة أشبه شيء بتعليم لغة أجنبية. وهذا هو ما كان عليه الحال بفرنسا وإيطاليا ورومانيا وإسبانيا والبرتغال أيام أن كانت لغة الكتابة هي اللاتينية، وكانت لهجاتها المحلية مقصورة على شئون المحادثة؛ وما عليه الحال الآن في مصر وبلاد العرب وشمال أفريقيا بصدد العلاقة بين لهجات المحادثة واللغة العربية الفصحى المتخذة لغة كتابة في هذه الممالك

على أن ظاهرة كهذه لا تكاد تبدو إلا حيث تكون لغة المحادثة غير تامة التكون ولا كاملة النمو؛ ولا تبق إلا ما بقيت لغة المحادثة على هذه الحال. فإذا ما بلغت هذه اللغة أشدها، وتم تكونها، واكتمل نموها، واتسع متنها، ووضحت دلالة مفرداتها ووجوه استخدامها، وتشعبت فيها فنون القول، ودقت مناحي التعبير، وقويت على تأدية حقائق الآداب والعلوم، أخذت تطارد لغة الكتابة وتستلبها وظائفها وظيفة وظيفة حتى تجردها منها جميعها، فتصبح هي لغة الكتابة، وتقذف بلغة الكتابة القديمة في زوايا اللغات الميتة. وهذا هو ما انتهى إليه أمر اللاتينية مع لغات المحادثة بفرنسا وإيطاليا ورومانيا وإسبانيا والبرتغال.

فما أشبه لغة الكتابة الجامدة، في حالات كهذه، بجبل ثلج ثابت على سطح البحر؛ ولغات المحادثة المتطورة بالتيارات المائية التي تموج من تحته. فمهما طال بقاء هذا الثلج، فإن مصيره إلى التحطم والذوبان، وحينئذ تطفو تلك التيارات إلى سطح البحر، وتميد إليه ما كان مستوراً تحت هذا الجبل الجامد من مظاهر النشاط والحياة: «سنة الله التي قد خلت في عباده ولن تجد لسنة الله تبديلا».

علي عبد الواحد وافي
ليسانسيه ودكتور في الآداب من جامعة السربون

الحضـــــارة المتبرجة

للأستاذ محمود محمد شاكر

أعطيت هذه الحضارة الأوربية الحديثة أعظم روح من الفن كان فى الأرض من لدن آدم إلى يوم الناس هذا . وهذه الروح الفنية — على سموّها فى بعض نواحيها إلى غاية ما يتسامى إليه الخيال الفنى — تتساقط وتتدنى وتنحدر من جوانبها إلى أدنأ ما يبتذل من الفن العامى المثير لأشأم الغرائز الحيوانية فى الإنسان . وبهذه الرّوح الفنية عالجت الحضارة الأوربية مشكلة الحياة السريعة الدائبة المثقلة بأعباء العمل ، فاتخذت لكل مَلَل راحة واستجماماً بلغت بهما غاية اللذة الفنية ، تلك اللذة التى تجعل الأعصاب المجهدة إذا أوت إليها كأنما تأوى إلى بيت ذى رونق وزخرف وعطر وضوء ينمنم ألحاناً من الفن الموسيقى ، فإذا بلغته استنامت بإجهادها على حشايا الخز والديباج ، نمومة وليناً ترسل فى الأعصاب لذة تمسح الجهد حتى يسكن ويخف ثم يتبدد

وكانت المرأة هى فنّ الفنّ للانسانية ، وهى الشاطئ الوادع لبحر الحياة المتموج ، وكانت الظل الرطيب فى بيداء موقدة تحت أشعة الشمس المحرقة ، وكانت هى السكن للقلب المسافر دائماً فى طلب أسباب العيش والحياة . فجاء فن المدنية الحديثة فجعل الشاطئ بحراً آخر يموج موجاً فنياً مغرياً يجعل السباحة المجهدة فيه ضرباً من الراحة ، وتركت الظل الرطيب حرارة مستعرة تحرق ، ولكنها تحرق بلذة ، وفرشت السكن حتى مدته طريقاً بعيداً مترامياً يسافر فيه القلب سفراً بعيداً فى أحلام وفتنة وجديد لا يتقادم

وبدأت المرأة بدءها لتجعل الحضارة فناً جديداً من تجميل الحياة للمكدودين . ثم جاءت الحرب الماضية ، فخرجت المرأة من وطيسها المتوقد قد استوت ولذّت وطابت ، وتجدّدت عقلاً وروحاً وجمالاً ، وشاركت أسباب الحضارة فى إيجاد حل جديد لمشكلة الإنسان العامل المنطلق فى أعماله بسرعة وكدٍّ وإرهاق وعناء ، فاتخذت فن العقل السامى عبداً تصرّفه فى إنشاء لذات الحياة إنشاءً عبقرياً تخشع لسلطانه النفس خشوعاً راضياً ، ثم تمشى فى جنّاته : تأبى أن تجد راحتها إلا راحة فيها ذلك السحر الناعم الرقيق الفاتن ، الذى يصنعه بنان مؤنث يقول للأشياء : كونى جميلة ، فتكون

وأعطت العين للمرأة أشواقها المستبدة ، وزَينت المرأة للعين متاعها المتجدد ، فاستيقظت الغرائز كلها من هزة الأشواق وحب الاستمتاع ، وانحدرتْ فى دم الرجل قطرات الفتنة المؤنثة ، وسطعت فى كيانه كله نفحات العطر المربد ، وألقت المرأة ظلها على كل شىء ألواناً تتخايل بالفن المنسّق البديع ، وصبغتْ كل شىء فى حلاوة أنوثتها ، حتى لم يبق للرجولة ولا للإنسانية هوًى فى الحياة إلا وهو من المرأة وإلى المرأة وفى سبيل المرأة .

وصارت المرأة هى المحور الذى تدور عليه الإنسانية فى فلك الشهوات الضارية التى تنزع منازعها فى حياة الإنسان باقتدار وقسر ، وسار العالم كله على ذلك حتى ما يُحس ذو شعور أنه يعمل من أجل المرأة ، مع أنه ما يعمل عامل إلا من أجلها . فهو فى نشوة متصلة لا تنقطع فى عمله ، لأن الغرائز المنتشية هى التى تحكم وتصرّف ، وبذلك لم يبق له من الفكر ما يستطيع به فى هذا الأمر أن يتبين حقيقة التيار المسكر الذى يتدافع به فى حياته

أصبحت الحضارة الأوربية بعد ذلك فناً جميلاً يتوالى فيه زخرف الحسن مبعثراً ومنتظماً ، لأن الأعمال كلها قد احتملتها إرادة واحدة ، هى إرادة جعل الحياة أجمل مما هى لتكون أمتع للعين والقلب والنفس والغريزة ، مع إسقاط مطالب الروح السامية المتحررة من استعباد الشهوات

ومن عجيب تصريف القدر فى الحياة أن يجعل أعظم شىء فيها هو أقل الأشياء حظاً من الحياة ، فالروح التى هى أعظم ما وجد فى الحياة ، ترجع فى غمرة اللذات والشهوات وأمواج الغريزة الطاغية ، أقل ما وجد فى الحياة ، حتى ما يكون لها نصيب منها إلا ذلك الجو الأغبر القاتم فى عزلة موحشة ، بعيدة عن تحقيق لذاتها الروحانية الحلوة التى تبقى حلاوتها خالدة فى الهرم بعد الشباب ، وفى العجز بعد القدرة ، وفى السكون بعد الحركة ، وفى الموت بعد الحياة . وتقف الروح متنفضة جافة متكسرة تنظر نظرة متألمة إلى ما يصيب الإنسان من اللذات الطارفة الطارئة التى تتحول فى نار الشهوات رماداً بعد توقد واشتعال

فاعتزال الروح فى هذه المدنية الأوربية قد جعل العالم يعيش ليحترق بأسرع ما يمكن أن يحترق ، وهـذا هو العلة فى امتياز هذه المدنية بالسرعة والنشاط والتوقد ، واحتمالها متاعب الجهد المضنى فى سبيل استغلال أقصى ما يستطيع الإنسان من الإنتاج فى العمل ، ثم امتيازها بنظام الطبقات الذى تجهد جهدها أن تستره بتلك الزينة الفنية العلمية الظاهرة ، لئلا يكون معنى ذلك أن المدنية تريد أن ترتد بالناس إلى الحالة الطبيعية الوحشية اللئيمة التى ينتجها اجتماع همجى مستبد لا يعقل ، وإنما يكون فيه اللذة التى تسكر العقل ، والظلم الذى يثير العقل ، والأثرة التى تطغى العقل

وجاء اشتراك المرأة اشتراكاً عملياً فى الحياة الأوربية العامة ليقذف الروح بعيداً فى عزلتها ، ويدنى غريزة تشتاق إلى غريزة تشوق ، فكذلك بدأت الأنظمة الأدبية والاقتصادية والمدنية تخضع لسلطان الأشواق وحدها دون سلطان الروح والعقل ، وسلطان الأشواق هو الذى يكون غرضه دائماً أن يضيق ويتخصص وينفرد بأسباب شوقه ، وسلطان الروح والعقل هو الذى يتراحب ويشمل ويعم ويوجد المساواة بين الناس ، مهما لقى من العنت والقسوة والشقة فى وضع النظام الذى يريد أن يجعل به الناس أحراراً فى قيود من الإنسانية السامية المترفعة عن الذل كما تترفع عن بغى السطوة ، والتى تستنكر العبودية الخاضعة كما تستنكر الحرية الفوضى ، والتى تأبى تحكم طبقة فى طبقة كما تأبى ثورة طبقة على طبقة

ولكن تبرج الحضارة الأوربية فى ذلك الخَلق الجميل الفتان ذى الحيلة والفتنة والسحر الذى يعيش فى صورة الأنثى ، قسر هذه المدنية على الخضوع لسطوة الشوق المتمرّد ، فقام النظام كله على هوى واحد إلى المرأة . فالعامل الذى يعمل يريد أن يستقل الحياة بين يديه لا ليعيش ويعيش معه أهله وبنوه وتلك الدولة الصغيرة التى تسمى البيت ، بل هو يعمل ليجد أولاً تلك اللذة الحاكمة المتحكمة التى يستمتع بها فى ظل تلك الدولة العظيمة التى تسمى المرأة

وإذا بدأت الطبقة العاملة من الشعب تجد حوافز أعمالها فى شىء بعينه ، كانت كل أعماله من الأدنى إلى الأعلى لا تجد فى أعمالها إلا هذا الحافز الواحد ، وإذا تشابهت الحوافز تشابهت الغايات ، وما يفترق هذا عن ذاك إلا بأن لكل شىء أسلوباً ، ومهما اختلفت الأساليب فى هذا فلن تختلف فى الدلالة إلا بمقدار الأصل العملى الذى يوجب هذا الاختلاف

والمكان الذى نصت عليه عروس النفس الإنسانية فى هذه المدنية الحديثة ، هو الحافز وهو الغاية ، ولذلك تجد هذه المدنية قد تبرجت لأبنائها تبرج الفن العبقرى الحافل بأسباب التحكم المستمر فى أعمال كل حى . ولما كانت هذه الحوافز على تعددها إنما هى فى الحقيقة اختصاص فردى لكل واحد من الناس — لأن اللذة لا تقبل الشركة والتعدد — ولكل اختصاص عيب هو الأثرة ، والإصرار على التفرد ، ومعاندة الناس بعضهم بعضاً فى سبيل هذا التفرد ـ وقع التضارب والتعادى والانتقاض فى كل عمل ، وصار ما يبنى لا يكاد يتم حتى يلقاه ما يهدمه ، وبذلك كان نظام هذه الحضارة مع روعة ما يبنى يقابله نظام آخر فى الهدم والتدمير ، يخيف هذا بقدر ما يروع ذاك

ولولا هذا التبرج الفاجر فى هـذه المدنية ، ولولا هذه الشهوات التى انطلقت ترشف من مسكرات الفن المتبرج ، ولولا هذه الغرائز الجامحة فى طلب السيطرة لإدراك غاية اللذة ، لما كان النظام الاقتصادى الحاضر فى هذه المدنية هكذا مهدِّماً مستعبداً مستأثراً باغياً ، ولما تعاندت القوى الدولية هذا التعاند الذى أفضى بالعالم إلى الحرب الماضية ثم إلى هذه الحرب المتلهبة من حولنا اليوم ؛ وذلك فى مدى خمسة وعشرين عاماً ، لم يستجمع العالم خلالها قوته ، ولم يتألف ما تفرق ، إلا ليضيع قوته مرة أخرى ويتفرّق

إن الحضارة فى هذه السنوات التى تبعت الحرب الماضيـة كانت ترفه عن المكدودين بالعمل ترفيهاً الحلو الغنى المتبرّج لتعطى القُوى العاملة نشاطاً جديداً من النشوة ، أى من الحالة التى يفقد فيها العقل والروح قدرتهما على التحكم فى نظام الحياة . وأقدمت المرأة الأوربية إقدامَها الجرىء فجلبت زينتها من كل خيال ومن كل فن ومن كل سحر ، لتعين الحضارة على الحياة والبقاء فى هذا الجوّ الذى اختارته وعملت له . وكان هذا الإقدام ضرورة طبيعية للمقدمات التى سبقت عصر الحرب الماضية ، ثم للحرب نفسها . فإن المرأة التى فقدت زوجها ، والفتاة التى أضلت حبيبها ، والبنت التى أضاعتْ قَيِّمها من أب أو أخ أو عم ، ... وبقيت فى موج الحياة حَيرى متلدّدة ، لم تجد بدّاً من الإقدام على الطريق المجهول بجرأة واندفاع وتهور ، فلما

أوضعت في الطريق المجهول وأسرعت خطاها جرى العالم وراءها يطلبها ؛ فلم تجد بداً من أن تأخذ منه أكثر ما تستطيع لتجتلب لزينتها أحسن ما تستطيع ، وتطارد الصيدُ للصائد في كل وجه حتى اصطدم العالم كله هذا الاصطدام الهائل الذي لا يدرى إلى أين ينتهي ولا كيف ينتهي

وستخرج المرأة من هذه الحرب أيضاً كثيرة فاتنة حائرة لا تجد أباها ولا زوجها ولا أخاها ولا حبيبها ، وستكون في عينيها تلك النظرة الحزينة الضارعة التي تقول لك : أنقذني ! أنقذني ! ! أنا وحدى ، لا أجد من يعولني ! وسينظر العالم الجديد إلى هذه المرأة بالرحمة والعطف والحنان ، كما نظر للّواتي كنّ بعد الحرب الماضية . وستعمل المرأة يومئذ لتكتسب الرجل في كل وجه ، ثم لا تلبث أن توجد من بقايا العالم المتحطم سحراً جديداً لمدنية ساحرة ، وبذلك يرتد العالم إلى النظام الاقتصادى الفاجر المبنى على اللذة وطلبها والبحث عنها ، فتكون أنظمته كلها قائمة على الاستبداد والفجور في الاستبداد

ويومئذ يبدأ تحقيق نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أشراط الساعة وما يكون في أعقاب الدهر ، إذ « يرفع العلم ، ويكثر الجهل ، ويكثر الزنا ، ويكثر شرب الخمر ، ويقل الرجال ، ويكثر النساء حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد » ، وحتى « ترى الرجل الواحد يتبعه أربعون امرأة يلذن به » . وما يكون ذلك إلا يوم يتحقق للحياة المعنى الفنى المحض الذى لا يعرف قاعدة اجتماعية يحرص على تحقيقها للاجتماع ، والذى يرى الحرية انطلاقاً من قيد الأخلاق التي تقسره على مصلحة الجماعة دون لذة الفرد ، وتتبرج الحياة تبرجاً هائلاً يجعل العقل غريزة جديدة تشتهى ، والروح خلقاً منبوذاً حائراً يطوف على هذه الفتن كما يطوف الصعلوك على مائدة ملكية . ويومئذ يرفع العلم لأنه سيُستعبَد في إيجاد اللذات ، وتفارقه الروح النبيلة التي لا يكون العلم إلا بها علماً ، ولا يبقى في الأرض إلا الجهل الأحمق الذى لا يعرف إلا السيطرة بحماقة ، والأثرة بكلب ، وتكون المرأة هي علم الحياة الجديدة الذى يمزق الرجولة القليلة في جذب الشهوات العنيفة ، ويغرق الفضيلة في طوفان المتعة الجيلة التي تبعث في الأعصاب المجهدة نشوة مسكرة .

محمود محمد شاكر

محل الحضارة العربية

للدكتور جواد علي

هل هنالك حضارة عالية اشترك فى تكوينها جميع أفراد البشر على اختلاف أشكالهم وأجناسهم ؟ أم هل هنالك حضارات مختلفة لكل حضارة ميزة وعقلية تمثل عقلية الجيل أو الأمة؟ أم هل هنالك حضارة واحدة تغذى العالم كله وتشع عليه كما تشع الشمس على الأرض ؟ تلك نظريات مختلفة تمثل نزعات علمية وسياسية متضاربة وغايات متباينة . غير أن الرأى السائد اليوم بين جمهور المؤرخين ومنقبي تأريخ الحضارة هو أن هنالك تفاوتاً بين البشر ، كما أن هنالك تفاوتاً بين الحيوان أو النبات ، وأن الحضارة التى هى إنتاج البشر العقلى تختلف لذلك تبعاً لاختلاف المجموعات البشرية [١] ، وهذه النظرية على طرفى نقيض مع نظرية هيردر J. G. Herder (١٧٤٤ — ١٨٠٣) ، ونظرية التطور التاريخى [٢] للفيلسوف هيكل G. W. F. Hegel (١٧٧٠ — ١٨٣١) ، ونظرية (« الانسانيين » Humanismus) [٣] ، وأتباع الكنيسة من المؤرخين

والمسألة لم تقف عند هذا الحد مع ذلك بين أصحاب نظرية تمدد الحضارات ، إذ أن من بين هؤلاء من يدين بفكرة تأثر الحضارات بعضها ببعض ، كما هى نظرية الفيلسوف الألمانى Graf Keyserling مؤسس « دار الحكمة » فى مدينة Darmstadt الألمانية والمستشرق C. H. Becker ، وجمهرة من المستشرقين ، كما أن هنالك مثل الفيلسوف O. Spengler من يقول بتمدد الحضارات مع وجود نفسية خاصة لكل حضارة ، أو استقلال تام كما هو رأى الفيلسوف Ernst Troeltsch [٤]

(١) انظر كتاب Ernst Troeltsch المنون Kulturgeschichte فى مجموعة Schmollers ص ٦٣٣ من المجلد XL IV

(٢) Entwicklungsgeschichte انظر Schmidt قاموس الفلسفة ص ١٥٨

(٣) انظر Schmidt أيضاً ص ٢٧٢

(٤) انظر C. H. Becker فى كتابه Islamstudien جـ ١ ص ٢٤ طبعة ١٩٢٤

أما أصحاب فكرة وجود حضارة واحدة هى سبب هذا التطور العالى والتقدم البشرى المطرد فهم أصحاب العواطف المتطرفون من الأوربيين كالفرنسي رينان Renan فى محاضراته التى ألقاها فى عام ١٨٨٣ فى كتابه تاريخ الحضارة السامية و Jehering و كرافر كوبينو والنازيين الألمان وفاشست إيطاليا. ولكن معظم أصحاب هذه النظرية هم أناس ليسوا ذوى اختصاص فى الموضوع ولا دراسة ناتجة عن استقراء على محدود ، بل هم من ذوى الطريقة الفلسفية العامة التى تحاول الإلمام بكل شىء وتضع القوانين حسب قواعد رأتها صالحة لذلك . والحضارة العربية فى نظر هؤلاء حضارة سطحية ظاهرية أنتجتها عقلية آرية ومنابع يونانية فارسية هندية غوطية . وحيثما وجد الإنسان ظاهرة من ظواهر الحضارة فى البلاد العربية فلا بد من إرجاعها إلى عقلية آرية وإنتاج غير سامى [١] . ودوزنبرك الدكتاتور النازى للشؤون الثقافية الذى لم يسلم إلا بالزخارف المعروفة باسم Arabeska يحاول الحط من قدر هذه ، فيجعلها تمثل عقلية ساذجة لا غير [٢]

غير أن النظريات لا قيمة لها أبداً إن لم تدعم بالنصوص والبراهين ، كما أن الاستشهاد بحادثة أو رواية لا يتخذ حجة للحكم به على أمة . وإنى أستطيع أن أجعل من الأمة الجرمانية أمة همجية بربرية مادية خاملة لم تنهض إلا أخيراً ، كان يحاول زعماؤها إيقاظها، بالاستناد إلى النصوص الجرمانية نفسها المجموعة فى المصادر والمنابع عن التأريخ الجرمانى [٣]. ويستطيع كل مؤرخ أن يفعل ذلك فى تأريخ أى أمة كانت ولا سيما إن كانت أمة ضعيفة فى وقته منحطة . وأستطيع أن أقول إن الأمة العربية لو كانت فى الوقت الحاضر قوية لكانت النظرية على العكس تماماً وفى المصادر

(١) انظر خلاصة آراء هؤلاء فى كتاب H. S. Chamberlain بعنوان Die Grundlagen des Neumehnten Jahrhunderds ص ١٢٤٠

(٢) انظر كتاب Alfred Rosenberg المسمى Der mythebs طبعة ١٩٣٠

(٣) انظر كتاب Reichmann المنون Ein Jahrtausend Deutscher Kultur المطبوع فى لايبزك حيث تجد نتفاً ومنابع مستقاة من كتب التاريخ والأسفار المختلفة فى عصور مختلفة وكذلك المنابع المطبوعة فى اللغة الانكليزية أو الفرنسية من حياة هذه الأمم، وإنى كفيل بأن القارئ سيعرف تاريخ أوربا تماما .

والنقوش الأثرية ما يبرهن على أن وضع حدود وحواجز بين حضارة وحضارة ومحاولة عزل الحضارات بعضها عن بعض أمر غير ممكن . حتى فى المسائل الروحية تتأثر الأمم بعضها ببعض . فمحاولة كتابة تاريخ أوربى فقط لا تنجح تماماً إن لم يتطرق المؤرخ فى بحثه إلى الحضارة الإسلامية ، كما أن محاولة كتابة تاريخ عربى مجرد عن ذكر أى تأثير للحضارة الغربية محاولة فاشلة غير علمية(١)

ولو درس التاريخ العربى كما يدرس التاريخ بجميع فروعه فى الجامعات الأوربية، أو لو انصرف المؤرخون إلى دراسة النصوص الأوربية على العلاقات بين أوربا والشرق الأدنى لتغيرت نظرية أصحاب العزلة تماماً. وهناك مؤثرات أثرت تأثيراً شديداً من جانب العرب ليست فى الحياة المادية بل فى الحياة الروحية الأوربية التى هى من أصعب الأشياء لما بين المقايتين من فروق . ومن أمثلة ذلك الشعر فى القرون الوسطى وظهور نوع جديد منه هو الشعر الغزلى على الطريقة الشرقية والروايات العربية والتصوف الذى أطلق عليه اسم « التصوف الألمانى » وكان زعماؤه يجيدون اللغة العربية ودرسوا وترجموا الكتب إلى اللغة اللاتينية(٢)

وقد غير كثير من أصحاب نظرية « الشرق شرق والغرب غرب » نظريتهم حين توغلوا فى البلاد العربية وجابوا البلاد الأفريقية، وتوصل بعضهم إلى أن الحضارة العربية تعود إلى الحضارة الأوربية لا الحضارة الأسيوية، وأن السيد أمير على المسلم الهندى أقرب جداً إلى أوربا عقلاً وثقافة من الفيلسوف طاغور الأسيوى فكراً وعقلاً(٣). كما لاحظ الأوربيون الذين ذهبوا إلى السودان وأعالى النيل أن التفاهم مع المصريين المسلمين كان يزداد يوماً فيوماً كلما تقرب هؤلاء من العالم الأسود ، وكذلك كان الحال فى نواحى أفريقية الأخرى . كما لاحظ المستشرقون أن اللغات الهندية الأوربية تتقارب مع السامية جداً بالنظر إلى اللغة السودانية أو لغة البانتو مثلاً . وقد ظهر أن الأتراك أقرب إلى أوربا عقلياً من اليابان ، مع أن اليابان هى فى مدنيتها أوربية محضة ، ولكنها فى حضارتها أسيوية محضة ، وقد جعلوا سبب ذلك تأثير الحضارة الإسلامية(١) . وأغرب من ذلك هو أن القبائل الإفريقية أو قبائل الهند الهولندية حينما تسلم تسرع إلى لبس الملابس وإلى التقرب من الأوربيين أكثر من الوثنيين الابتدائيين. وهذه المسألة كانت من أهم المسائل التى درستها الحكومة الألمانية قبل الحرب لتعيين سياستها تجاه الإسلام(٢)

يرجع بيكر Becker ذلك إلى الأصول التى تتألف منها كل من الحضارتين الأوربية والعربية ، فبينما نجد الحضارة اليونانية الرومانية والحضارة المسيحية والحياة اليومية الأوربية هى الأسس التى تكون الحضارة الأوربية نرى الحضارة العربية متأثرة بالعاملين الأولين مضافاً إليهما العقلية السامية الخاصة ، وهذا هو سبب التقارب الموجود بين الحضارتين(٣) ولكن ذلك لا يعنى أن الحضارة العربية مشتقة أو هى جزء من الحضارة الأوربية، بل هى وسيلة بين الحضارة الأوربية والحضارة الأسيوية(٤) لما مميزاتها الخاصة ومثلها العليا ، ونظرتها العالمية

هنالك حضارة كما أن هنالك مدنية، ومن الخطأ عدم التفريق بينهما، كما أن من الخطأ تفضيل حضارة على حضارة بصورة مطلقة دون قيد أو شرط ، إذ أن كل حضارة تمثل نفسية خاصة هى وليدة عوامل مختلفة ، ومن الخطأ كذلك أن نتكلم عن حضارة أوربية بصورة عامة ، إذ أن بين شعوب أوربا من البون الشاسع كما فى شعوب البلقان ما لا يسوغ لنا إطلاق هذا التعبير . كما أن من الخطأ نكران الحضارات الأخرى، ولدينا أمثلة من الحياة اليومية لا تنكر

ميرا د هلى
خريج جامعة هامبرك بألمانيا

(١) Becker فى كتابه دراسات إسلامية ص ٤٢ Islamstudian

(٢) انظر كتاب S. Singer Arabische und Europaische Poe-sie in mittelalter المطبوع سنة ١٩١٨ وكذلك كتاب Burdachs المعروف بـ Über den Ursprung des mittelalterlichen minnesan-ges و Liebesromans und Frauendienstes المطبوع سنة ١٩١٨ كذلك كتاب الاسبانى Miguel Asin Palacios المعنون La Esca-tologia muslimana en la Divina Comidia. Madrid 1919

(٣) انظر كتاب الفيلسوف Graf Keyserling الذى ألفه عن سياحته حول العالم بعنوان Das Reisetagebuch lives Philosophen المطبوع سنة ١٩١٩ فى Dartmstal جـ ١ ص ٢١٣ — ١٠ وكذلك Becker جـ ١ ص ٢٤

(١) انظر Becker جـ ١ ص ٢٧

(٢) انظر كتاب — Prof. Pfannmüller Handbuch der Islam Literatur Berlin 1923 فى الفصل الثانى عشر منه

(٣) Becker ص ٢٨ (٤) كذلك ص ٣٥

للنقد الخالص

من عجائب الفهم ...؟!

للأستاذ زكي طليمات

مفتش شؤون التمثيل بوزارة المعارف

للنقد الأدبي اليوم في مصر حركة ونشاط ، وكأن الأدب في مصر ، وقد تأثر بالهزة المنيفة التي أنزلتها الحرب القائمة بالنظم والأوضاع في حياة العالم بأسره ، يختلج اليوم اختلاجات عنيفة ويتحوى وينقبض شأن كل كائن يتهيأ لحركة عنيفة ، أو يتحفز لوثبة قادمة

والحرب والنقد شيء واحد ، فالحرب — كما قرر بعض علماء الاجتماع — وقفة تقفها الإنسانية تراجع فيها نظمها وما كانت عليه ، لتتــدارك ما « تضخم » من طفيليات المذاهب ، وتفتح عروقها لتتفصد بما طغى عليها من الأوشاب والفضول ، والنقد في طبيعته ووسائله ومقاصده لا يختلف عن هذا

وقيام هذه الحركة النقدية في مصر اليوم جدير بالاهتمام حرى بالتأمل ، يبعث الارتياح في نفس كل تواق إلى أن يرى الأدب في مصر يقتحم مناطق جديدة من النشاط الذهني ، ويعمل على أن يتخلص من علله وأمراضه . فالنقد شاهد على حيوية الأدب ، وفيه ما ينهض دليلاً على أن الذهن يتطلع ، ويؤمل ، ويراجع ، ويتبصر ، وينصب الميزان الصحيح

وآخر ما قرأناه في هذا الموضوع نقد بعنوان « من عجائب الاجتهاد » بإمضاء (ناقد أديب) ، تناول في نقده هذا مسرحية « مفرق الطريق » للدكتور بشر فارس

و « مفرق الطريق » مسرحية أخرجها مؤلفها إلى الناس منذ عامين فدوّت في عالم التأليف المصري دويًا واسعاً ، دفع الأقلام إلى تناولها بين مادح ومستغرب ، وكانت (الرسالة) الغراء معرضاً لما دبجته هذه الأقلام ، وقد كان لي سهم في الكتابة عن هذه المسرحية ، فبسطت دقائقها ، وكشفت عن مغاليقها الخفية ، وبينت أصالتها في الرمزية المستحدثة ، وقررت جدتها في عالم التأليف المصري للمسرحية

قرأت نقد (الناقد الأديب) وكان أول ما عجبت له أن يخرج ذلك المقال متأخراً ، بعد أن مضى على ظهور المسرحية أكثر من عامين ، وبعد أن خبت النار التي اشتعلت حولها . عجبت لهذا ثم عجبت لما هو آخذ من هذا ... مما يصح أن يقف القارئ عليه خلال مطالعة مقالي هذا ليشاطرني عجبي ، ولينتهي إلى ما انتهيت إليه

* * *

يزعم (الناقد الأديب) أن الفكرة التي تقوم عليها (مفرق الطريق) توافق في جوهرها فكرة فلسفية أوردها (الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد) في قصيدة له عنوانها « القمة الباردة » ويحاول تأييد زعمه هذا بإيراد جمل وألفاظ غير مفهومة ، مقتطعة عمداً من المقدمة التي قدم بها الأستاذ العقاد قصيدته ، ومن التوطئة التي مهّد بها الدكتور بشر فارس لمسرحيته ، عبارات ملتقطة في تعسف واقتضاب يجعلها تحتمل وجوهاً من التأويل اللفظي فقط ، قد ينغلق معها المعنى الصريح ، فتنبعث شكوك القارئ . وكأن « الناقد الأديب » ينسى أو هو يتناسى أنه لا يجوز الحكم في قضية بإيراد بعض ألفاظها المنسلخة عن قصد مرسوم

ما هي الفكرة الفلسفية التي تقوم عليها قصيدة القمة الباردة ؟

إلى القارئ نص تقديم القصيدة كما أورده الأستاذ العقاد :

« للجبال قمة باردة تعلوها الثلوج ، وللمعرفة كذلك قمة باردة تفتر عندها الحياة . فإذا نظر الإنسان إلى حقائق الأشياء لم ير شيئاً ولم يشعر بشيء ، لأن حقيقتها كلها ذرات ترجع إلى حركة متشابهة في كل ذرة ، فخير له ألا ينظر إلى الحقائق كل النظر ، ولا يعرض عن الظواهر كل الإعراض ، لأن الحيّ لا يعرف الدنيا إلا بالظواهر التي تقع عليها الحواس وتدركها البديهة ، فإذا تجاوز ذلك فقد ارتفع من المعرفة إلى قمتها الباردة التي لا يشعر فيها بحياة »

وجاءت القصيدة بعد ذلك ، وأبياتها في وصف هذه القمة :

هنالك لا الشمسُ دوّارةٌ ... ولا الأرض ناقصــةٌ زائدة

ويابؤس فانٍ يرى ما بدا ... من الكون بالنظرة الخالدة

فذلك رب بلا قــدرة ... وحيّ له جثــة هامدة

إلى النور ، أما ثلوج الذرى ... فلا خير فيهــا ولا فائدة

والمقصود بثلوج الذرى : حياة الفكر المجرد ، والمقصود بالنور حياة الفكر العملي

وهكذا نرى أن القصيدة ، تقديماً وشعراً ، ما هي إلا عرض وتحليل لمذهب من مذاهب المعرفة . ومسألة المعرفة

La connaisasnce تتعلق بالفلسفة العامة أو ما وراء الطبيعة ، بل إن هذا المذهب الفلسفى بالذات هو مذهب مشهور وصاحبه الفيلسوف الألمانى (كانت Kant) الذى قيد الوصول إلى اليقين بنظريته (النسبية Relativisme) أو (المقيسة)[1] القائمة على تحديد إدراك العالم الخارجى ، وهو ينفى أن تستطيع الحواس إدراك الأمور المطلقة أو الحقائق فى ذاتها ، فالمعرفة فى نظر (كانت Kant) نسبية وظاهرة ، قوامها الفهم أو البديهة ، وأدواتها الحواس ؛ فالفكر يُلبس المعرفة شكلها دون المادة ، وأما المادة نفسها فهى فوق إدراكنا وإن كانت موجودة حقاً[2]

وهذا ما فسره الأستاذ العقاد بالذات فى مقدمته بقوله :
« لأن الحى لا يعرف الدنيا إلا بالظواهر التى تقع عليها الحواس وتدركها البديهة » !

وأما ما وراء ذلك من طلب المعرفة — وطريقة الفكر المجرد الخالص من عمل الحواس — فيلقى بالمرء فى قمة لا متسع فيها لعمل الفكر ، خارجة عن الحياة « لا الشمس هنالك دوّارة ، ولا الأرض ناقصة زائدة » فإذا المرء : « ربٌّ بلا قدرة ، وحىٌّ له جثة هامدة »

وخير للمرء أن ينزل إلى النور ، أى إلى الأخذ بظواهر الدنيا ليستطيع أن يلمسها ويدركها ، فيحيا على قدر ما ركب فيه من إدراك وفهم

هذا ما أراد قوله أستاذنا الكبير العقاد ، وهو من أحسن الشعر وأجوده وأبعده معنى

وبين هـذا المذهب وما نزع إليه فى بعض مسرحياته (هنريك إبسن) زعيم المسرحية الحديثة وشائج قربى ونسب . ومن درس (إبسن) يعرف (قممه المثلوجة) أو قممه الباردة

ولا لوم ولا تثريب على أستاذنا العقاد أن يورد قصيدة من شعره تحمل فى طياتها نزعات فلسفية لمدرسة معروفة . فليس كل شاعر أو أديب مهما نبه ذكره وعلا شأنه بصاحب مدرسة فى الفلسفة système phylosophique والأدب الذى تجفوه لمسات المذاهب الفلسفية الرفيعة هزيل فى كيانه قريب فى معانيه . وإنه لأمر مقبول – بل وواجب – أن يعتنق الكاتب والفنان مذهباً من المذاهب الفلسفية الرفيعة ؛ وهذه هى حالة كبار الأدباء فى أوربا ، فالكاتب ويلز من الآخذين بفلسفة النشوء والارتقاء كما بيّن ذلك الأستاذ (على أدهم) فى عدد قريب من أعداد « الثقافة » ؛ و (بيراندللو) متأثر بأعمال (فرويد) وكذلك (ليوتورمان) و (أندريه جيد)

(١) والنسبية هنا هى غير نظرية النسبية Relativité عنـد العلامة (أينشتين) طبعا .

(٢) راجع لـكل هذا أى كتاب فى الفلسفة ، مثلا (دروس فى الفلسفة ، الجزء الثانى) (نظرية المعرفة واليقين) للعلامة A. Rey الأستاذ بكلية باريس . الناشر Reider بباريس ١٩٢٧

***

ولنر الآن ما ذا أراد أن يقرره بشر فارس فى مسرحية :
« مفرق الطريق »

تقوم هذه المسرحية على معالجة حالة نفسية غامضة ، أو على تعقيد نفسى complexe psychologique ، كما يقول علماء النفس اليوم ، مُفادُها : المرأة التى يجذبها الحب وتخاف منه ، والرجل الذى يريد الحب ولا يعرف قدره ، ثم الرجل الذى يريده ولا يستحقه . وهذه قضية من قضايا النفس البشرية ، لا علاقة لها بالمسائل الفلسفية الصرفة اللاحقة بنظرية المعرفة واليقين ، وما يدخل فى باب ما وراء الطبيعة[1] الذى أورده الأستاذ العقاد فى قصيدته ، ومرده إلى فلسفة (كانت)

والمذهب الذى نزع إليه بشر فارس فى مسرحيته ، قد بسطه فى توطئة مسرحيته بسطاً محكما ، إذ قرر أنه آخذ بالطريقة الرمزية. فلسفة وأدباً وفناً ، فقال فى صحيفة ٦ : « وليست الرمزية ههنا بموقوفة على الرمز بشىء إلى شىء آخر ، ولكنها فوق هذا استنباط ما وراء الحس من المحسوس ، وإبراز المضمر ، وتدوين اللوامع والبوادة بإهمال العالم المتناسق ، المتواضع عليه ، المختلق اختلاقاً بكد أذهاننا ، طلباً للعالم الحقيقى الذى نضطرب فيه ، رضينا أو لم نرض ، عالم الوجدان المشرق والنشاط الكامن والجماد المتأهب للتحرك ، إلى ما يجرى بينها من العلاقات الغريبة والإضافات التائهة فى منعطفات الروح ومثانى المادة ، يشترك فى كشفها الإحساس الدفين والإدراك الصرف والتخيل المنسرح »

فالمذهب الفلسفى عنـد بشر فارس غير المذهب الفلسفى عند الأستاذ العقاد

(١) métaphysique

(العقاد) مذهبه النزول إلى ظواهر الدنيا والاطمئنان إليها من غير أن يهمل الحقائق كل الإهمال ، و (بشر فارس) مذهبه الاعتماد على البصيرة والإحساس الدقيق والإدراك الصرف مع إهمال ظواهر العالم وطلب خفاياه وبواطنه ، وهذا من المذهب الباطني أو التصوفي ، وهو مذهب معروف عند أفلاطون وبلوطنيوس والمتصوفة على أشكالها ، وقد أحكم أمره أخيراً الفيلسوف الفرنسي (برجسون Bergson) وأيدته تجارب عدد من العلماء والأطباء فيما يتعلق بالعقل الباطن . وقد أسهبت في تبيين هذا المذهب في المناقشة التي دارت بيني وبين بشر فارس نفسه في (الرسالة) منذ عامين

وقد أحدثت آراء (برجسون) بدورها تيارات واسعة تأثر بها كثير من الكتاب ، وأحدثت نوعاً من أنواع الشعر الرمزي في فرنسا

فأين بصيرة (برجسون) التي أخذ عنها بشر فارس في معالجته قضية من قضايا النفس البشرية ، وذلك في مسرحية (مفرق الطريق) ، من المسائل الفلسفية الصرفة اللاحقة بنظرية المعرفة واليقين للفيلسوف (كانت Kant) التي تأثر بها الأستاذ العقاد في قصيدته (القمة الباردة) ؟

إذن يكون حقاً من عجائب الفهم أن يتهم (الناقد الأديب) بشر فارس بأنه أخذ مسرحيته هذه من تلك القصيدة

ويكون أيضاً من عجائب الفهم ومدهشاته أن يلج (الناقد الأديب) في اتهامه هذا ، محاولاً أن يقيم الشواهد على ما ذهب إليه ، فإذا هو يتعسف ، بل هو يغالط ولا يبالي أن يحرف المسائل عن مواضعها ، فقال إن في قصيدة العقاد يعيش العقل متجرداً من الشعور في عالم ثلجي لا يشعر فيه بحياة . فأين ورد هـذا في قصيدة العقاد وتقديمها ؟؟

كذلك أورد (الناقد الأديب) ألفاظاً كالعقل والشعور والثلج ، وقد غاب عن ذهنه أن الثلج عند (العقاد) رمز إلى ابتعاد المرء عن ظواهر الدنيا وتقربه من الحقائق وتمسكه بالفكر المجرد . هذا في حين أن (الثلج) عند بشر فارس ، رمز إلى خلاص النفس من ألم الإحساس البشري

وتورط (الناقد الأديب) فيما هو أدهى من هذا ، وهو يحاول أن يقرب مسرحية (مفرق الطريق) من قصيدة (القمة الباردة) للعقاد فنسب تصميم رسم غلاف المسرحية إلى بشر فارس نفسه ، والواقع أن صاحبة الرسم فنانة باريسية اسمها «سوزان جوفروا» كما هو موضح في الصفحة الأولى من المسرحية المطبوعة .

وقد شرح المؤلف وضع المسرح في (التبيين) الذي صنعه للمسرحية (ص١٤٠) مشيراً إلى رمز الغلاف ، ولم ترد في تبيينه كلمة «قمة» ولا «غور»

بعد هـذا يأتي اتهام آخر له وزنه فيقول (الأديب الناقد) إن الصراع «بين العقل والشعور» وهو مما ورد في مسرحية بشر فارس ، منقول بإطاره من قصيدة للشاعر علي محمود طه المهندس عنوانها «قلبي»

والرد على هذا أن الصراع بين العقل والشعور حقيقة من حقائق النفس البشرية ، فهي عامة ومبذولة لكل كاتب ، وما نعرف كاتباً أو شاعراً — إلا فيما ندر — لم يبن على هذه الفكرة بعض مؤلفاته . وإلى القارئ أعمال (راسين) الفرنسي و (شاكسبير) مثلاً شاهدة على ذلك . وما (الشاعر المهندس) إلا واحد ممن أخذوا بهذه الفكرة العامة . وستبقى هذه الفكرة ، كما كانت دائماً ، معيناً يأخذ منه الكتاب ما دامت النفس البشرية لم تتغير ، وما دام الكتاب يعنون بتسجيل خفايا هذه النفس

وإن صح ما ذهب إليه (الناقد الأديب) في هذا الصدد ، يكون الأستاذ الكبير توفيق الحكيم الذي أقام مسرحيته الرفيعة «شهر زاد» على فكرة الصراع بين المادة والروح قد سلخ هذه الفكرة ممن سبقه إليها في الأدب العالمي ويكون الحال كذلك في مسرحيات (إبسن وشكسبير وبيراندللو) الذين أقاموا مؤلفاتهم على حقائق النفس البشرية

إن المعاني والفكر المتداولة أشياء يشترك فيها جميع الناس فهي دوارة في نفس الجاهل والسوقي ، والمتعلم والأديب ، وإنما العبرة بطرائق معالجتها وبالكسى التي تضفى عليها من حيث حسن التأليف وجودة التركيب والابتداع ، والنفس المبتكر الخلاق ، وهنا مجال التفاوت بإبراز الشخصية الكاملة المستقلة ؟ ومن هنا يتأتى الخلود الذي يتوج أعمال الشعراء والكتاب والفنانين .

زكي طليمات

الحرب في أسبوع

للأستاذ فوزى الشتوى

البلقان

يجتاز الحرب الآن فترة هدنة قصيرة ، تنتظر فيها الأداة الحربية نتيجة الباحثات السياسية ، فهى فترة صراع عقلى قاس ، يتناول خريطة العالم بأجمعها ، فالباحثات السياسية دائرة فى روما وبرلين وطوكيو ولندن وموسكو ووشنجطن ، وتتناول موضوعاتها مستقبل الدول فى العالم القديم والجديد

ولكن أبرز هذه المباحثات وأكثرها جذباً لأنظار العالم ما يدور حول البلقان ، تلك البقعة التى تنبأ لها العالم قبل أن تنشب الحرب بأنها ستكون مسرح نضال عنيف ؛ ودامت الحرب عشرة شهور والبلقان تترقب ما تكشف عنه الأيام والحوادث. فهل تكشف الحوادث الأخيرة عن مصير (نصف دستة) من الدول؟ وهل ينتقل ميدان الحرب إليها أم تتولاها يد الاتفاقات السياسية بالبتر والترقيع ؟

هذه أسئلة لا تسهل الإجابة عنها ، فالسياسة تلد كل غريب، والمناورات الحربية تخلق المتناقضات ، ولا نستطيع أن نجزم إذا كانت المناورات السياسية الحالية مناورات عسكرية يقصد بها شغل الرأى العام عن حركة عسكرية تمد ، أم أنها مباحثات سياسية فعلاً ؛ فالحرب الآن لا تقتصر على البندقية والمدفع ، ولكنها تمتد إلى الحالة المعنوية للشعوب

نصيب الأسد

وعلى أية حال ، فالبلقان الآن فى كفة القدر ، تتطاحن من أجلها دول أوربا الدكتاتورية علناً، وإن كانت تذيع فى الوقت نفسه أنها متفقة كل الاتفاق ، وقد تتفق سياسياً كما قالت الأنباء البرقية ولكنه سيكون اتفاق الإكراه ، لأن الروسيا سواء اتفقت أم لم تتفق ستخرج من الغنيمة « بنصيب الأسد » ، وستضطر إيطاليا إلى ابتلاع أمانيها والتخلى عن أطماعها التى طالما رددها موسولينى ، وسترغم ألمانيا على نسيان وعودها . فالموقف الآن غير ما كان من سنة ، فقد رق الآن قناع ستالين وبانت من خلفه أنياب أقسى مما كان موسولينى وهتلر يظنان ، وأصبح لروسيا وحدها تقرير مصير تلك الدول

أما انجلترا فيبدو للناس أنها تتفرج ، وربما كان هذا صحيحاً ، فالانتظار فى مثل هذه الأحوال أصلح من التسرع ، لتكشف كل من هذه الدول عن نياتها ، حتى يتاح لانجلترا أن تعمل ، وعندئذ تضرب ضربتها فى الصميم ؛ فقد تأخرت دول البلقان فى العمل ، وكم نادى ساسة الإنجليز باتحاد تلك الدول ، ولكنها ظنت سلامها فى الحياد وتمسكت به ، إلى أن حانت اللحظة التى صار الحياد فيها انتحاراً ، وأصبح اتحادها قليل القيمة ، بعد زوال القوة العسكرية الفرنسية من الميدان ، وبعد ما فرغ الجيش الألمانى من أعماله البرية ، واستتب له الأمر فى ميدان أوربا الغربى ، فأصبح جزء كبير من وحداته مطلق السراح

وبرغم الأحداث الأخيرة ما زالت مصالح انجلترا فى البلقان راجحة ، وما زالت تركيا واليونان مواليتين لها ، ووقفت يوجوسلافيا صامتة

رنين النقود

وما كادت الروسيا تستولى على بسارابيا وشمال بكوفينيا حتى هبت « بلغاريا » و « هنغاريا » تطالبان بنصيبهما ؛ الأولى تطالب بترانسلفانيا ، والثانية تطالب بدوبروجة ؛ فقد صبرتا طويلاً وضحتا كثيراً ، وهما فى معاملاتهما تحدوهما غاية واحدة تنطبق على مثل بلغارى يقول : « إن أحب الموسيقى إلىّ هو رنين النقود التى تملأ كيسى »

فهل ملأت معاملات ألمانيا مع هاتين الدولتين فى الفترة الماضية كيسهما نقوداً ؟ الحقيقة أن الفترة الماضية كانت فترة تضحية من جانب الدولتين ، فكانتا تقدمان لألمانيا محصولات بلادهما مقابل بعض المنتجات الألمانية الناقصة أو القليلة القيمة ، وكانتا ترسلان إليها المواد الغذائية وتستوردان مدافع تنقصها الذخيرة ، وآلات كاتبة أو أدوات تصوير ، فقد تحفظت ألمانيا فى تسليح هاتين الدولتين حتى لا تكونا خطراً يهددها إذا حانت ساعة الفصل

وها هما تان الآن تطالبان بالثمن ، ولا شك أن الفترة الحالية أحسن فترة تتاح لهاتين الدولتين لمواجهة ألمانيا التى من مصلحتها أن يستقر السلام فى مخزن مؤونتها فى البلقان ،

فرومانيا متأثرة بصدمة الروسيا وألمانيا تريد التفرغ لانجلترا ولا تريد شغل نفسها فى ميدانين ، والروسيا متحفزة لتنفيذ خططها غير مقيدة باتفاق أو تمهد إلا مصلحتها الخاصة

وتنتهز الروسيا — كما شاهدنا حتى الآن — الفرص للعمل فتترك الدول تتطاحن حتى إذا قررت عملاً سبقتها إلى الحصول على ما تريد وتضعها أمام الأمر الواقع ، وأهم أغراض الروسيا فى البلقان أولاً : الاستيلاء على آبار البترول فى رومانيا ، وثانياً : الوصول إلى مضيق البوسفور والدردنيل كما قلنا من قبل ، ونجاحها فى الحصول على هذه الأغراض رهن بالظروف التى تمدها الدول المتطاحنة

نصيب إيطاليا

وانحط مركز إيطاليا فى التطاحن الحالى ، فبعد أن كان لها صوت مسموع ومركز محترم فى البلقان أصبحت كلمتها ثانوية ومن قبيل الاستشارة فحسب ، إذ أصبحت تابعة لهتلر تستمد من خططه خططها ، واضطرتها ظروف الحرب الحالية إلى الخضوع للخطط الألمانية خضوعاً تاماً

وقبل أن تنتمر إيطاليا فى سياسة المحور كانت ذات أطماع كبيرة ، ولم يكن استيلاؤها على ألبانيا إلا خطوة لاعتبارها من من دول البلقان ، فمن ألبانيا فتح أمامها الطريق إلى بلاد اليونان ويوجوسلافيا ، فضلاً عن أنها أتمت سيطرتها على بحر الأدرياتيك ووضعت منافذ يوجوسلافيا البحرية تحت سلطتها ، فإن مضيق أترنتو لا يتجاوز طوله ٤٠ ميلاً يسهل إقفاله بالألغام أو السيطرة على منبع مائه بالمدافع الساحلية

ويرجع اهتمام إيطاليا بالبلقان إلى ما قبل الحرب الماضية ، فكانت المنافسة بينها وبين الامبراطورية على أشدها فى البلقان وخصوصاً فى ألبانيا ؛ فأنشأت كل منهما عدة مدارس لنشر ثقافتها فى تلك البلاد ، وكانتا تتنافسان فى جذب الطلبة إلى معاهدها فتقدمان لها الملابس والغذاء مجاناً ، وكانت كل منهما تحرص على عدم إغضاب الطلبة وتوقيع العقوبة القاسية عليهم حتى لا ينتقلوا إلى مدارس الأخرى

ولسياسة إيطاليا القديمة يفضلها البلقانيون على ألمانيا ولكن ضعف إيطاليا الحالى واعتمادها على ألمانيا دفعا بالدول البلقانية إلى الارتماء فى أحضان ألمانيا لحمايتهم من أطماع الروسيين

ولا نستطيع أن نجزم الآن بما سينتج من المحادثات الدبلوماسية التى تدور الآن، ولكنه من الواضح أن الدولتين اللتين تسميان لسيطرتهما على دول البلقان هما الروسيا وألمانيا ، فرومانيا تستغيث بألمانيا وتقدم لها فروض الطاعة ، وتيسر لها التجارة أملاً فى حمايتها ، ولإيجاد مصالح قوية تحتم على ألمانيا الدفاع عنها

ولا نعتقد أن أنباء الاتفاق الأخير بين رومانيا من ناحية والمجر وبلغاريا من الناحية الأخرى على إعطاء الدولتين الأخيرتين بعض ما تطمعان فيه فى رومانيا اتفاقاً نهائياً ، فهو كما يبدو لنا مجرد تهدئة أعصاب لا يلبث أن يمحى عند ما تضع الحرب أوزارها، لأن معناه أن تخرج ألمانيا من البلقان صفر اليدين وهذا ما لا ترضاه، إذ من الراجح أن تكون يوجوسلافيا من نصيب إيطاليا بحكم قربها منها ولطول سواحلها على بحر الإدرياتيك مما يهدد سيادة إيطاليا البحرية فى الصميم ؛ والغالب أن تنقض ألمانيا هذه الاتفاقات عند ما تسنح لها الفرصة لتحقق أطماعها فى البلقان سواء بالسيطرة التجارية أو العسكرية

***

فرنسا تعتنق الهتلرية

ثم فرنسا التى كانت تدين منذ عهد الثورة الفرنسية بمبادئ الحرية والمساواة والإخاء ، تقبر الآن الحرية والمساواة والإخاء لتقلد الهتلرية ، فينادى قادتها بالديكتاتورية ويدعون إلى ترك المبادئ التى طالما كانت تضيء للعالم سبل المدينة والتقدم ، لترجع إلى مبادئ القبيلة ، لتقدس الأسرة بعد ما كانت تقدس المالية ، وتعمل للفرد بعد ما كانت تعمل للعالم ، فتنكمش مثلها العليا من التعميم إلى التخصيص ، وتنحصر أفكارها فبعد ما كانت تقود العالم بآراء مفكريها ، ومبادئ أهلها ، تزول عنها الصبغة الدولية لتحل محلها صبغة الأسرة

وسبقتها ألمانيا فى هذا السبيل من قبل ، وفى مثل ظروف الهزيمة واليأس التى تعانيها فرنسا الآن ، ولكن ألمانيا فى عهد غليوم الثانى كانت أقرب إلى الدكتاتورية منها إلى الديمقراطية ؛ تكونت فى عهد ولهلم الأول وبسمارك دولة حديثة العهد لم تتم وحدتها إلا بعد حرب الأمم ، فلم يتعاقب على وحدتها جيلان حينما حلت بها كارثة الحرب العظمى ، ولم يشعر أهلها حتى ذلك الوقت بثقل وطأة النظام الفردى ، فلم يقدموا لمبادئ الديمقراطية

ما قدمت فرنسا من ضحايا ، ولم يحطموا من مظاهر الظلم والجور ما حطم الفرنسيون فى سجن الباستيل ، ولم تمر بهم خطوات التقلب من الملكية المطلقة ، إلى حكومة الإدارة ، إلى الإمبراطورية إلى الجمهورية

لم تتقلب ألمانيا المتحدة فى تجارب أنواع الحكم من جمهورية وامبراطورية كما تقلبت فرنسا ، فلم يتول حكم ألمانيا إلا عاهلان فتيسر لولهلم الأول بناء وحدتها ، وجاء غليوم الثانى فكان نكبة عليها ، وظل الاتحاد الجرمانى طول عهده بالحياة فى ظل الحرب وللاحتفاظ بالوحدة ، ولم يفكر أهله تفكيراً جدياً فى نظام الحكم الملائم

تقليد غير موفق

فهل ينطبق هذا على فرنسا التى عاشت القرون الطويلة متحدة تجرب ألوان الحكم من فردية مطلقة ، إلى فردية مقيدة ، إلى حكومة شعبية ؟ وهل يستطيع الفرنسى أن ينزع من قلبه حب الحرية ليعيش مقيد الحرية ، محصور التفكير ، تعد عليه أنفاسه وتفرض عليه تصرفاته كما يريد هتلر ونصيره بتان ؟

كلا . إن حب الحرية فى دم كل فرنسى ، فإذا شغلته النكبة الحالية عن مبادئه ، فلن يلبث أن يعود إلى رشده ويذكر حريته عند ما تستقر الحال ، فالصدمة الحالية لن تسلب الفرنسى الحقوق التى سطرها بدمه ، فهو الآن فى نوبة من الغيبوبة التى تزول عند ما تزول الصدمة

وهذه المظاهر التى أعلنها المارشال بتان إنما هى تقليد أعمى يخالف الثقافة الفرنسية ، ويتنافر مع طريقة المعيشة الفرنسية ، ولعل الدافع للمارشال بتان على هذا التقليد ما يراه من تشابه بين حال فرنسا الآن وحال ألمانيا عقب الحرب الكبرى ، من انهيار استقلال أمته وتغير أقيسة المعيشة فيها ؛ فإذا كانت هذه نظرته ، فقد فاته ما بين الشعبين من اختلاف فى التقدير والحالة العامة

فقد خرجت ألمانيا من الحرب الكبرى بعد نضال دام أربع سنوات أكل الأخضر واليابس ؛ فأنهكت موارد البلاد حتى عم الجوع وتضخم النقد حتى فقد قيمته الشرائية ، وأصبحت ألمانيا فى حالة إفلاس ، وانتشرت البطالة والشيوعية بين الشعب ، فلم يجد الناس عملاً يكتسبون الرزق من ورائه ، وظهرت الفتن والثورات

تشغيل العاطلين

فى هذه الظروف برز هتلر فوزع الوعود ما وسعه الكلام ، وما سمحت به الاستعارات ؛ وكان الشعب فى حالة اضطراب ، لا يصدق أنه خسر الحرب بعد ما بذل من جهد ومال ، فقال لهم : ما جذبهم إليه إذ اتهم اليهود بأنهم سبب خسارة الحرب بما نسجوا من دسائس ومؤامرات

وزاد على ذلك أن استدرج الشعب لجمل من حزبه مكتباً لتشغيل العاطلين ، وعلى هذا الأساس بنى حزبه ، متوسلاً إلى تحقيق برنامجه باضطهاد اليهود وفصلهم وإحلال الألمان محلهم ، وبتكوين فرق مقاتلة تحمى المصانع الكبيرة من جهة ، وتكره أصحاب الأعمال على إطاعته من جهة ثانية

فهل هذه حال فرنسا الآن ؟ هل عمت البطالة فرنسا وانهار نقدها وجاع أهلها ؟ إن فترة الحرب كانت قصيرة فلم تمهد لهذه الأحداث ؛ وفرنسا دولة قليلة السكان لم يشك أهلها كما شكى العالم من أزمة البطالة الحادة فى السنوات الماضية

استقرار الحكم

فليس للشعب الفرنسى من الأسباب ما يدفعه إلى كره مبادئه والسخط عليها ، وإذا كانت هناك أخطاء فهى أخطاء القادة من أمثال بتان ؛ أضف إلى ذلك أن نصر ألمانيا لم يتم ، وما زالت انجلترا فى الميدان ، وما زال دى جول يمثل الشعب الفرنسى ، وفى نصر انجلترا خلاص فرنسا من كارثتها الحالية

فتجربة بيتان تجربة وقتية لن تلبث أن تزول ، لأنها لا تقوم على أسس صحيحة ، ولم يبلغ بأس الشعب الفرنسى حده ليترك مبادئه السامية ويشايع المنازية ؛ وإن كانت هناك أخطاء فى عدم استقرار الحكم

فليحاول هتلر أن يقلب رجال الحكم ويضع مكانهم رجالاً نازيين ، وليحاول بيتان أن يجاريه فى تنفيذ هذه السياسة ما وسعته المجاراة فإن فرنسا لم تصدم الصدمات التى تنسى شعبها حبه للحرية والمبادئ التى ضحى من أجلها

فوزى الشتوى
بكالوريوس فى الصحافة

من نار الوطن

يا « مصـــــر » ...

... يا أنشودة الدنيا !

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

ناداكِ مجدُكِ فاستجيبي ! وامشى لهُ فوقَ اللهيبِ !
وتجشّمى لِعُلاهُ نيرانَ الشدائدِ والخطوبِ
وثِبى لهُ أيّانَ شا ءَ، ولوْ على كبدِ الغيوبِ
صفًا منَ الأبطالِ يزْ حفُ تحتَ ألويةِ القلوبِ
نشوانَ يهزأُ بالمنا يا الحُمرِ فى اليومِ العصيبِ
ويُزلزلُ الأيامَ إنْ لقيتْهُ عاديةُ الكروبِ ...
هُبِّى كطاغيةِ الريا حِ، وثورةِ البحرِ الغضوبِ
يا « مصرُ » قدْ دوّى النفيـرُ على ضفافِكِ فاستجيبى
واستنهضى النُّوّامَ فى زمنِ التحفُّزِ والوثوبِ
زمنٍ نرى الدُّنيا بهِ سبّاحةً بدمٍ صبيبِ
والدهرَ مثلَ سريرةٍ ناءتْ بأعباءِ الذنوبِ
غشَتْ على أرجائِها ظُلَمُ التشكّكِ والرّيوبِ
والشرُّ، والقلقُ المفزّ عُ لِلمضاجعِ والجنوبِ !
والأرضَ مثلَ سفينةٍ رعناءَ فى يمٍّ قطوبِ
حيرَى تُضلّلها الريا حُ عن المسالكِ والدروبِ
فى الشرقِ، فى الغربِ المروّ عِ، فى الشمالِ، وفى الجنوبِ
ليلٌ ترصّدَ أفقَها الدّا جى بإعصارٍ رهيبِ
وردَى يقولُ لها: أثمـتِ فأقبلى عندى وتوبى
هاتى الدمَ المسفوكَ منـكِ وأترعى قدحى وكوبى !
فمضتْ تخبّطُ فى القتا مِ بحيرةِ الطفلِ الغريبِ

رُبّانُها « عزريلُ » فانـ ظرْ هولَ مصرعِها العجيبِ !

***

يا « مصرُ » حولكِ مرجلُ الـ آفاقِ مضطرمُ الشبوبِ
ريحُ الحروبِ عليه فى الدُّنـيا مُجلجلةُ الهبوبِ
مَعتوهةُ الخطواتِ تعـصفُ بالخصيبِ وبالجديبِ
هبّتْ وشمسُ العصرِ فى سربالِ بهجتِها القشيبِ
فإذا بها أشلاءُ ليـلٍ فاجعِ الرؤيا كئيبِ
حفرتْ له قبرَ الحضا رةِ فتنةُ العقلِ المريبِ ! !

***

يا « مصرُ » يا أنشودةَ الدُّ نيا وأغنيةَ الشعوبِ
يا أمَّ أبطالِ الفنو نِ وأمَّ أبطالِ الحروبِ
يا أرغنَ التاريخ، يا نغمًا منَ السحرِ المهيبِ
يا جنةً تهتزُّ بالـ أسرارِ بينَ شذًى وطيبِ
منْ كلِّ معجزةٍ ينو ءُ بوحيِها قلمُ الغيوبِ
وتميلُ عنها حكمةُ الـ كهّانِ شلّاءَ الدبيبِ ...
والسحرَ تفزعُهُ طلا سمُها فيمعنُ فى الهروبِ
والشمسُ تخشعُ فى ثرا ها فى الشروقِ وفى الغروبِ
آثارُ قومٍ أذهلوا الدُّ نيا بفنّهِمُ العجيبِ
وبما أفاءوا من ظلا لِ المُلكِ والمجدِ الرحيبِ
وبما بنَوا للنيـلِ منْ عزٍّ بموجتِهِ خضيبِ ...
النيـلُ ! مرآةُ النجو مِ وكهفُ عالمِها الرهيبِ !
بلْ قصةُ الشمسِ التى تتلو بها شجنَ المشيبِ
وتذيبُ أحزانَ الأشعـةِ فوقها عندَ المغيبِ ...
وقصيدةُ الشرقِ المعطّـرةُ المطهّـرةُ الطيوبِ
جمعتْ على أنغامِها شتّى منًى وأمَى قلوبِ
وتنفّستْ بالحبِّ بيْـنَ شذى رُبًى وهوى شعوبِ
النيـلُ ! غابُ الفاتحيـنَ الصِّيدِ غيلانِ الحروبِ !

يا خَيْلَ « رَمْسِيسَ » اصْهَلِي وَبِجَيْشِكِ العاتى أهِيبِي
قُومِي اذكُرِى أهْوالَ جُنْدِكِ فَوْقَ نيرانِ الشُّهُوبِ ...
يا سَيْفَ « إبْرٰهِيم » عُدْ فَوْقَ الحِمَى أمْضَى خَطِيبِ
فاليَوْمُ يَوْمُكَ يا حَدِيدُ ، وَيَوْمُ فُرْسَانِ اللَّهِيبِ
يَوْمُ الجِبَالِ الزّاحِفاتِ مِنَ المَنَايَا وَالكُرُوبِ
يَوْمٌ جَهَنَّمُ لَوْ رَأَتْهُ لَرَاعَها هَوْلُ الوَجِيبِ ...
قِفِي لَهُ يا « مِصْرُ » واصْطَرِعى بِأرْزَاءِ الخُطُوبِ
ضُمِّي يَدَيْكِ عَلَى الجِرَاحِ وَأَلْقِي بَيْنَ القُلُوبِ !
وامْشي عَلَى البَأساءِ سَاخِرَةً بِأهْوالِ الحُرُوبِ
وامْضى ... فَتَاجُكِ فى السَّماءِ مَنارَةُ الوَطَنِ الحَبِيبِ
يا كَعْبَةَ الأحْرَارِ رَنَّ هُتَافُ شَاعِرِكِ الطَّرُوبِ
« وَدَعَاكِ مَجْدُكِ فاسْتَجِيبى وامْشى لَهُ فَوْقَ اللَّهِيبِ »
« يا « مِصْرُ » يا أُنْشُودَةَ الدُّنْيا وَأُغْنِيَةَ الشُّعُوبِ !! »

(القاهرة)

محمود حسن اسماعيل
مراقبة الثقافة — بالمعارف

هذا العالم المجنون

للأستاذ يوسف أسعد

إلى السِّلم يُدعى فلا يسمعُ ويُعطى الكثير فلا يقنعُ
وتأبى سياستُه أن تعفَّ ففى كل غنمٍ لها مطمع
تدبُّ دبيب الكرى فى الجفون ومن خلفها عقرب تلسع
وتصحو على الدَّم ظمأى إليه وبالدَّم تحلم إذ تهجع
فلا قيمة عندها للعهود ولا رحمة بالورى تشفع
ومن ألِفت نفسه الموبقات فهيهات عن غيّه يرجع
لذا كان عدّته فى الحياة وشاغلَه « التفنك » والمِدفع
فللحرب أزواجها الأمهات وأرحامهنّ وما تدفَع
وللحرب ما يُنتج الزارعون وللحرب ما يُخرج المصنع
ومن بعدُ فليُنكب الأبرياء وتُنتزَع الهامُ والأذرع
ويكتسح الخوف دُور الأمان فلا يستقرُّ بها مضجع
علا الأرضَ فى الجوّ فوق الخضم ومن تحت أسلحةٌ شُرَّع
جنونٌ فشا فى جميع الجهات فلم يخلُ من شرِّه موضع
وماضاقت الأرض بالساكنين ولا غاض من رزقها منبع
ولو سبر الناس غور الأمور لما فاتهم أيُّها الأنفع
ولكنها نزوةُ الفاتحين طغى جارفاً سيلُها المترَع
فظيع من الناس سفك الدماء وإصرارهم حدَث أفظع
وشرُّ الخلائق حوت يعبُّ من البحر عبًّا ولا ينقع
وأفقدهم للشعور بصير يمرُّ على الدَّم لا يخشع
فيا مذكياً نارها فى الضلوع وما لك فى نارها أصبع
إذا شَبع الوَحشُ عفَّت يداه وبالضدِّ وحشك إذ يشبع
ستدرى فظاعة ما قد جنيت متى سكن العاصف الزعزع

(المنصورة)

يوسف أسعد

البلبل

[مهداة إلى نجىِّ « البلبل » الأستاذ حسين حفيف]

للأستاذ حسن كامل الصيرفى

بُلبُلَ الوادى استَفِقْ فالدِّيكُ قد نَبَّهَ فَجْرَكْ
الربيعُ الطَّلْقُ قد آبَ وما بارَحْتَ وَكْرَكْ
والرِّياضُ الغِينُ قد أطْلَعْنَ للفتنةِ زَهْرَكْ
وحَمامَاتُ الحِمَى ينْقُلْنَ للأنسامِ شِعْرَكْ
والنسيمُ العَذْبُ قد أفْشى إلى العالَمِ سِرَّكْ
عِطْرُكَ الحبُّ ... فَصُبَّ الآنَ فى الأرواحِ عِطْرَكْ !

* * *

بلبلَ الوادى تنبَّهْ ... ! لِمَ لا تُطرِبُ صُبْحَكْ ؟



متفرقات

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

من أيام الفاروق

احتفلت مصر يوم الإثنين الماضي بالعيد الدستوري للملك فاروق. وللملك فاروق فضل على الفنون الجميلة فيما له من أفضال على سائر نواحي الحياة في مصر. ومن أنصع أياديه البيض على الفن تشجيعه للتمثيل والشعر تشجيعاً ملحوظاً رائعاً

وإني أسجل بالفخر لجلالته عدة حوادث لها دلالاتها المسعدة التي تنتعش بها نفوس الفنانين

أما الحادثة الأولى فقد كانت يوم وقف الفاروق في مقصورته بعد ختام الفصل الأخير من رواية « لو كنت حليوة » التي مثلتها أمام جلالته فرقة الريحاني في دار الأوبرا، فقال جلالته لشعب الريحاني الذي هو من شعبه: « أرجو أن تكونوا جميعاً قد أفدتم من هذه الرواية ما يجب أن يفاد منها » ...

وقد كانت هذه الرواية تصور أخلاق نظار الأوقاف، وبلايا المستحقين في الأوقاف، كما كانت تعرض إلى جانب هذا ألواناً من الدس الشنيع والتآمر الخاطيء في ثوب مكروه بغيض ...

فكان لكلام جلالته على أثر هذه الرواية معنى، وكان من هذا المعنى أن جلالته يحب من شعبه أن يعدل إذا حكم، وأن يزن الحق بقسطاس الله، وألا يطلب الحق إلا طلباً صريحاً لأن الحق لا يطلب إلا صراحة، والدس والتآمر للزور

وكان لهذه الحادثة بعد ذلك معنى آخر، وهو إعجاب جلالته بفرقة الريحاني، وهي الفرقة التي ظلت تحمل السنوات الطوال في صبر واجتهاد كانت تنتزع بهما صفوة المصريين نفراً نفراً وهم متحرجون من الاعتراف بالتفوق الفني « لكشكش » لا لشيء يحرجهم إلا أنه « كشكش » وليس « عطيلا » ولا « هملت »

ولكن بعد كلمة الملك رفع « كشكش » رأسه بالحق

وأما الحادثة الثانية فقد كانت تمثل فيها فرقة أنصار التمثيل والسينما رواية نسيت اسمها ولكني أذكر أن موضوعها كان يدور حول الصدق، وأن أبطالها التزموا الصدق فيها يوماً من أيام المسرح ... وبين فصلين من فصول هذه الرواية تشرف الأستاذ سليمان نجيب بالمثول بين يدي الملك فسأله جلالته: « هل تستطيع

قُمْ إلى الدَّوْحِ وَغَرِّدْ فَلَكَمْ هَدْهَدَتَ دَوْحَكْ
قُمْ إليه فَخُيوطُ الشمـ ـس قد داهَمْنَ صَرْحَكْ
غَرِّدِ الآنَ فقد أَنْـ ـمَتَ للأصداءِ نَوْحَكْ
بَلْسَمُ الأيامِ يا بلـ ـبلُ قد مَرْهَمَ جُرْحَكْ
فَعَلامَ الصمتُ والحزْ نُ ووجهُ الأرضِ يَضْحَكْ؟

***

الربيعُ الطَّلْقُ قد آ بَ، ولكنِّي مَهِيضُ
لم يَضِقْ وَكْرِي وقد ضا قَ بِيَ الكونُ العريضُ
جَدْوَلُ الرحمةِ فيـه أوْشَكَ الآنَ يَغيضُ
نَضَبَتْ فيـه الأماني بعد أن كانت تَفيضُ
إنَّ في الوَكْرِ هَناءا تٍ يُلاشيها النُّهوضُ
أنا إن غَرَّدْتُ أو نَوَّ حْتُ لن يُغْنِيَ القريضُ

***

الربيعُ الطَّلْقُ قد آ بَ فَمَنْ لي بربيعي؟!
بَسَماتُ النُّورِ في عَيْـ نَيَّ وارَتْها دموعي
وظِلالُ الراحةِ السَّمْـ حَةِ مالت عن رُبوعي
وَنُهاةُ الطيرِ قد غَصَّـ تْ بِمُهْراقِ النَّجيعِ
فدعوني صامتاً أَدْ فِنُ في الصَّمْتِ نزوعي
ما الربيعُ الحقُّ إلاَّ خَفَقاتٌ في الضُّلوعِ!

حسين كامل الصيرفي

أن تقول لى وأنت بطل من أبطال الصدق اليوم من هو الذى يصلح لأن يحكم مصر ؟ » فأجاب الأستاذ سليمان نجيب بقوله : « هو الرجل الذى تختارونه جلالتكم » ... وهى إجابة مؤدبة من الأستاذ سليمان نجيب، ولكن جلالة الملك كان من غير شك يريد فى ساعة الصدق هذه أن يسمع رأى رجل من الرجال المنتسبين إلى الفن ، والفن هو أصدق الصادقين ، وقد شرفه الملك بتوجيه هذا السؤال إليه ولكن ممثل الفن الذى تلقى هذا السؤال كان مؤدباً

وأما الحادثة الثالثة فقد كانت فى حفلة من حفلات الجمعية الخيرية ، وقد ألقى فى هذه الحفلة الشاعر النابغة محمود حسن اسماعيل قصيدة ، فدعاه جلالته إلى مقصورته وحياه ولاطفه ، وكان محمود إذ ذاك لا يزال يتسلق المجد بعشقة وتعب ، فلما ظهر بإعجاب المليك به قفز إلى القمة ولم يعد شاعر فى مصر يستطيع اليوم أن يطاوله

من هـذه الحوادث نستطيع أن نقول إن لجلالة الفاروق فضلاً على الفن فيما له من أفضال ، فهو راعيه وهو موئله

الدكتور أدهم

اللهم ارحم الدكتور أدهم ، فقد كان يريد أن يعرفك ، وكان يريد أن يصل إليك ، ولكنه ضل الطريق ، وكفاه شقاء أنه قتل نفسه حين ضل

وقصة الدكتور أدهم مأساة قد يحسن عندها الصمت الحزين ولكنى أوثر أن أقول فيها كلمة لأنها فرصة مناسبة ـ وإن كانت مؤلمة ـ يمكن أن تقال فيها كلمة من كلمات الإيمان والرضا

مما هو ملحوظ أن أغلب الذين ينتحرون علماء ومفكرون يجرهم العلم والتفكير إلى الإلحاد

ومما هو ملحوظ كذلك أن أغلب الفنانين يشقون فى حياتهم شقاء مريراً ومع هذا فهم لا ينتحرون وإنما يصبرون ، ويعيشون ، ويحتملون ولا يشكون

ومما هو معروف ثابت إلى جانب هذا وذاك أن الموت ضد الحياة ، وأنه لا حى يطلب لنفسه الموت

هذه حقائق كل منها مرئى على انفراد ، فإذا ألحقنا بعضها على بعض استطعنا أن نقول إن الفن يورث الإيمان والحياة ، وإن من العلم ما قتل كما يقول الأستاذ بشارة الخورى

فلماذا ؟

الواقع أن هذا يرجع إلى أن الفنان يرى بالتجربة أنه لا ينتج شيئاً يروقه هو ويعجبه إلا على عجز منه ، لا تدبير له فيه ولا إرادة. ومن هذا يتعلم الفنان أنه فى هذه الدنيا مرزوق يعطيه الله ما يريد ، ومحروم يمنع الله عنه ما يشاء . وبهذا العلم يعيش الفنان ويصبر ويشيخ وهو يرجو السعادة وينتظرها ، بل إنه لينعمن بالسعادة فى أرذل أوقات الشقاء ، تلك الأوقات التى يراها الناس شقاء ، والتى يستشف الفنان فيها من لطف الله وكرمه وإحسانه ما لا يستشف غيره ممن ربطوا عقولهم على صنوف خاصة من الحاجات والنعم فهم لا يرون غيرها ، ولا يرضون عن غيرها ، بينما الحياة المجردة نعمة

أما رجال العقل والفكر ـ العقل الأوربى والفكر الأمريكانى ـ فأولئك الذين يكرهون الحياة لأنهم يحصرون تفكيرهم فى نوع خاص من الحقائق المجردة يريدون أن يعوها وعياً منطقياً معقولاً بينما هى أعز من أن ينالها هذا الوعى ، وبينما هى تتطلب ممن يحب أن يصل إليها أن يعزز عقله إذا ارتقى بخلق مرتق ، وبأفعال مرتقية ، وبحياة ينسجم فيها الارتقاء الإنسانى من كل نواحيه . وبهذا فقط تستطيع النفس أن تصل إلى الحقائق العليا

والعجيب أننا حين نحدث أصحاب العقل والفكر هؤلاء بمثل هذا الحديث يقولون لنا : وما دخل الأخلاق والعبادات التى لا نعدها إلا شعوذات فى الوصول إلى الحقائق المجردة ؛ وأذكى ذكى منهم يسألنا قائلاً : هل يلزم أن أكون رجلاً فاضلاً كى أعرف أن المغناطيس يجذب الحديد ، وأن الأرض تدور دورة كاملة فى اليوم ، وأن لها قمراً واحداً بينما لزحل أو عطارد أكثر من قمر ... ؟!

وجوابنا على هـذا الذكى الأذكى هو أن الشر إذا لم يكن يؤذى نفس صانعه فإنه يؤذى نفس من يقع عليه ، فهو إذن شىء تكرهه النفس ، وهو إذن عدو لها ، فيجب على النفس التى تريد أن تعرف نفسها أن تتخلص أولاً من هذا الذى تكرهه ، عدوها الكامن فيها ...

وبعدئذ حين تعرف النفس نفسها ... وترى نفسها ... تستطيع أن تسأل : من أين هى ؟ وإلى أين هى ؟ وستعرف أنها من الله وأنها إليه راجعة ، كما عرف ذلك كل مؤمن ، وكل فنان ألهمه الله فنه . وبعد أن تعرف النفس نفسها تستطيع أن تعرف غيرها ...

رحم الله الدكتور أدهم مرة أخرى

وإنى أعود فأنتهز هذه الفرصة لأنصح شبابنا الحائر وراء المعرفة بألا ينتر بعقله ، وبأن يعتمد فى المعرفة على خلقه كما يعتمد على تفكيره

اللهم وفقنا جميعاً ، واللهم ارحمنا جميعاً . . . يا أرحم الراحمين يارب ... هداك

هل هو انتقام ؟

الأستاذ عزيز عيد من أشد الناس صبراً على المكاره ، فهو فى أوقات المحنة لا يشكو ، ولا يكفر بالله ، ولا يتملق أحداً ، وإنما ينتظر ، ويظل ينتظر حتى يأتيه فرج الله من حيث لا يحتسب أو من حيث يحتسب

ولكن ليس معنى هذا أننا إذا كنا نملك إسعاد الأستاذ عزيز عيد أن نمسك عنه ما نستطيع أن نقدمه إليه لا لشىء إلا لأنه قوى النفس صلب الكرامة

لقد سمعت أن الأستاذ عزيزاً يفكر فى أن يؤلف فرقة صغيرة يمثل بها فى الاستراحات التى تتخلل الروايات فى دور السينما

وهذا عمل كان يقوم به الفقير حسن بك ، كما كانت تقوم به فرقة الحلو البهلوانية وغيرها ، وإذا أقبل الأستاذ عزيز عيد على عمل كهذا فإنه لن يقوم به إلا لأنه رأى مجال الفن قد ضاق عنه

فهل صحيح أن مجال الفن قد ضاق فى مصر عن عزيز عيد ، وفى مصر فرقة قومية ترعاها الحكومة وتنفق عليها ؟

إن هذا يكون صحيحاً إذا كان أقل فرد من أفراد هذه الفرقة له دراية فنية ، وتجربة مسرحية تفوق ما للأستاذ عيد

فهل تستطيع الفرقة القومية أن تدعى هذا ؟

إن كل ما يعيب الأستاذ عزيز عيد هو شدة طموحه الفنى ، فهو لم يخرج من الفرقة القومية فى هذه المرة إلا لأنهم عهدوا إليه بإخراج « مجنون ليلى » فأراد أن يكرمها ، وطلب من الفرقة أن تنفق عليها نفقات رأتها هى باهظة فأمسكت عن إنفاقها

ولقد كان من الممكن أن تقف المسألة عند هذا الحد ، ولكنهم شاءوا فى الفرقة القومية أن يشملوا عزيزاً فلم يعتذروا له بالفقر وإنما سخفوا فكرته ، فتحمس هو لها ، فاتسعت شقة الخلاف بينهما ، فانفصل الأستاذ عن عمله

وإنى أتجه الآن بهذه الكلمة للشاعر الفنان الأستاذ خليل بك مطران . ولا أريد أن أزيد . . .

عزيز أحمد فهمى



الوضع الحقيقي لمشكلة

جابر بن حيــــان

للأستاذ أحمد زكي صالح

تقرير الأستاذ رسكا Ruska (١)

يتساءل الأستاذ رسكا: كيف وأين نظمت وألفت هذه الكتب المنسوبة إلى جابر؟ هل هي أعمال فرد واحد أم من أعمال مدرسة؟ هل حدث تأليفها وتطورها وتقدمها في مدى وقت قصير أم انتشر على بساط قرن كامل؟ كل هذه أسئلة لا زالت أجوبتها غامضة، بل قل لا زالت غارقة في بحر من الغموض والإبهام

وتلك النصوص التي نشرت بإشراف الأستاذ هوداس (٢) لا تكفي تماماً كي نصدر حكماً صحيحاً على مميزات أدب جابر بن حيان الكيميائي

ويجب أن أعترف أن « كتاب الرحمة » بمحاوراته المضحكة بين جابر بن حيان وجعفر الصادق ما هو في الحقيقة إلا قصة ملفقة، و « كتاب الملك » يفشي سر نفسه بنفسه حينما يرجع أصله إلى جعفر الصادق، وبعض النتائج يمكن استنتاجها في شأن « كتاب الموازين » لأنه عنوانات بعض أعمال أرسطو في المنطق التي ابتدأت معرفة العالم الإسلامي لها بعد أواخر القرن التاسع من الميلاد. ولكن إذا سلمنا بصحة نقد هذه الكتب الثلاثة، فهل يؤثر هذا بقليل أو كثير في المشكلة ككل؟ وبالأحرى هل يمكن أن نفصل المؤلفات الكيميائية مسلمين بأنها من عمل جابر عن قائمة الفهرست الثانية (٣)؟ أليس من المعقول أن مؤلف الكتب الكيميائية ينتمي إلى زمن وإلى بيئة مدرسية يختلفان كل الاختلاف عن هؤلاء الذين ألفوا الكتب الطبية والفنية والرياضية والإلهية؟

من الجلي الواضح أن ذلك الذي يستطيع الأخذ بيدنا إنما هو البحث خلال المخطوطات التي عثر عليها أخيراً، وإني لموفق إذ استطعت الحصول بمساعدة الأستاذ ماكس مايرهف Max Mayerhof لا على صور النصوص العربية للسبعين كتاباً التي ذكرها ابن النديم فحسب، بل أيضاً على بعض النصوص غير المعروفة ككتاب « السموم » و « الملك النوعي » وغيرها من المؤلفات التي جمعت لأجل « مجمع برلين للدراسات الطبيعية »

وهذه المؤلفات قد فتحت مدى أوسع في الأبحاث في هذا الموضوع لم يتحقق من قبل، فكتاب السموم أصبح اليوم أمنع من أن يناله هجوم، وهو يبين مقدار معرفة جابر الطبية، أما الفصول المتعددة من كتاب « الخواص النوعية » فيمكن النظر إليها على أنها مقتطفات من كتب مختلفة المقرر أن جابر كتبها في هذا الموضوع، ويمكن أن نقول إن كثيراً من البحث والاجتهاد يحتاج إليه ذلك الذي يريد الكشف عن حقيقة هذه المؤلفات والإجابة على السؤال الآتي: كيف جاءت مؤاتي هذه الكتب فكرة نسبة هذه المؤلفات إلى الإمام جعفر الصادق (١) أو تلميذه المدعي جابر ... نقول إن الإجابة على هذا السؤال تقهقرت كثيراً ...

وأولى الملاحظات التي يمكن استفادتها من نتائج أبحاث مجمع برلين في النصوص الجديدة هي: أن ارتباط الحقائق المختصة بالكيمياء وعلم البحث عن الصنائع technologie والطب لازم كما هو في نفسه ولكنه لا يعين ولا يقدر الغرض الأخير لهذا الأدب؛ إذ أن كل التفاصيل العلمية إنما تتحرك في اتجاه مذهبي واحد، وأن المتأخرين هم الذين أعطوها المعنى والتحقيق. والسبب الفلسفي هو نقطة البدء في هذه المؤلفات كلها، وهذا السبب الفلسفي إنما ترجع إليه قيمتها، وكثيراً ما كان يتكرر بشكل يقيني في هذه الأعمال أن العلم لا يمكن أن يكون إلا إذا كانت هناك نظرية خاصة يضعها نصب عينيه. وهذه المشكلة تمت لأول

---

(١) نشرت هذه المخطوطات بإشراف هوداس في كتاب الأستاذ برتلو Berthelot: Traité d'alchemié arabe

(٢) Ruska. J. : The history of Jabir Problem Islamic culture 1937 P. 303 — 312

(٣) هذه القائمة ذكر فيها ابن النديم أعمال جابر في غير الكيمياء كالعلم الإلهي، والطب، والفلسفة، والمنطق ... الخ

---

(١) جعفر الصادق إمام السنية عاش على ما نعتقد في أواخر القرن الأول وأوائل الثاني للهجرة، ونظن أنه مارس الصنعة أعني الكيمياء، ولقد كان علاوة على ذلك متكلماً شيعياً، صوفياً، زعيماً دينياً. كما يقال إن جابر بن حيان تتلمذ عليه في الكيمياء.

وهلة لمشكلة السببية . وتبعاً لذلك فإن مفهوم « الميزان » الذى يعد من أهم مميزات مؤلفات جابر بن حيان ، ونظرية الخصائص النوعية للأشياء المتعلقة بمدى التحول الكيميائى يعتمدان على أسس عددية دقيقة

وربما لا يبدو هذا فى الكيمياء الحديثة شيئاً يذكر ، ولكن العجيب حقاً هو ذلك التيار الذى واظب عليه العقل البشرى ، واجتهاده فى تبيان أن القانون الطبيعى إنما يعتمد فى أساسه على أسس عددية ثابتة . ونحن أصبحنا اليوم ، بعد هذه الأبحاث ، نعتقد أنه نجح تماماً فيما كان يصبو إليه ؛ فإن قانون الأعداد هذا فى نظر جابر بن حيان يضع كل شىء فى الوضع الحقيقى له فى العالم

ودراسة بعض النصوص التى ذكرت آنفاً تقودنا خطوة أخرى نحو الغرض الفلسفى للبحث لهذه الأعمال . أقول إن هذه الدراسة تقودنا خطوة أخرى حين تطلعنا على الصلات والعلاقات بين هذا الغرض الفلسفى وبين النظريات الجابرية فى العلم الإلهى التى هى الغرض والغاية النهائية الحقيقية لهذا الأدب الجابرى

فالنظريات العلمية التى احتوت عليها هذه المؤلفات قيل إنها ليست شيئاً آخر غير معلومات محمد « صلى الله عليه وسلم » و « على ابن أبى طالب » وأستاذ جابر « جعفر الصادق » ، وهذه الخرافة تذهب إلى حد أنها تفسر بعض نصوص القرآن على ضوء الكيمياء كما ينسب لعلى بعض المحاضرات فى موضوعات كيميائية، وفى بعض هذه النصوص يظهر بعض المذاهب التى تتفق تماماً وما تقول به فرقة الاسماعيلية [1] من الناحيتين الفلسفية والعملية ، ومن ثنايا أفكار هذه المدرسة الدينية التى رئيسها وإمامها وأستاذها الإمام جعفر ، يمكن أن يفهم المعنى الكامن فى نظريات جابر ابن حيان ، وهذه الحقيقة تثبت عرضاً أى فى كل هذه المؤلفات إنما ترجع أصولها إلى النصف الأخير من القرن التاسع أو النصف الأول من القرن العاشر الميلاد أى القرنين الثالث والرابع من الهجرة ، أو قل فى ذلك الوقت الذى بلغ فيه الإسلام الذروة فى هضم الفكر اليونانى ، وهكذا يمكن أن ترد تلك الثروة العلمية والفكرية التى توجد فى مؤلفات جابر بن حيان .

مناقشة رأى الأستاذ رسكا

الأستاذ رسكا فى نقده لكتب جابر الثلاثة : الرحمة ، الملك ، الموازين، لايحتاج لكثير عناية لتفنيده، إذ أن رسكا يتناول الموضوع من ناحية سلبية بحتة ، مثل الأستاذ رسكا فى ذلك كمثل اثنين يتحاوران، بعد أن عرض أحدهما رأيه قال له الآخر كلا إنك مخطىء وتركه ومضى فى طريقه ، فهو لم يبين له لماذا هو مخطىء وما هو صواب هذا الخطأ، كذا الحال فى نقد رسكا لهذه المؤلفات الثلاثة ، فهو يقول إنها ليست لجابر بن حيان ، فهل ينتظر منا الأستاذ رسكا أن نحنى هاماتنا لرأيه سامعين طائعين مختارين ؟ وحتى هبنى سلمت بصحة هذا النقد الضعيف فأى قيمة تكون له فى إخراج هذه الكتب الثلاثة عن دائرة مؤلفات جابر الكيميائية وهى تبلغ سبعين مؤلفاً ؟ هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن الأستاذ رسكا فى القسم الثانى من كلامه ينحو نحو الجدليين ، إذ أنه يلتجىء إلى أسلوبهم وأعنى بذلك أسلوب « المعقول وغير المعقول » .

إن الأستاذ رسكا عالم له أسلوب العلماء وطبعهم وروحهم ونحن لذلك نسمو به عن أسلوب الجدل ، إذ أن العلم ليس أمامه معقول وغير معقول ، إنما أمامه حقائق يسلم بها ، أو لا يسلم بها ، حقائق يبرهن على وجودها أو يبرهن على عدم وجودها ، فالقول بأنه من المعقول أن تفصل كتب جابر الكيميائية عن غيرها قضية كاذبة علمياً ، هـذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى : هل نسى الأستاذ رسكا أن التفكير الإسلامى كان فى هذه المرحلة الزمانية أو الفكرية تفكيراً عاماً شاملاً أى تفكير encyclopodique ، وأن التخصص فى التفكير وفى البحث لم يعرف فى الإسلام إلا بعد ذلك بقرن من الزمان على الأقل ؟ ؟

أما القسم الثالث من رأيه وهو تفسير الانتحال لجابر بن حيان فهو يستعيره من أبحاث مجمع برلين ، وسنتركه الآن ونعرض هذه الصورة بشكل أوسع لدى الأستاذ ب كراوس P. Kraus الذى كان مساعداً بهذا المجمع إذ ذاك

رأى الأستاذ كراوس P. Kraus [1]

يرى الأستاذ كراوس أن هذا الأدب العظيم يبين لنا كل مادرس فى الإسلام من العلم اليونانى لا يمكن أن يكون بأية حال من عمل مؤلف واحد ، ولا يمكن كذلك أن يصعد إلى النصف الثانى من القرن الثانى من الهجرة ، إذ أن جميع الظواهر التاريخية تدلنا على أن هذا الشكل corpus كان من إنتاج أخريات القرن

(١) الاسماعيلية فرقة شيعية وجدت فى القرن الرابع الهجرى ، ولازالت موجودة إلى اليوم فى الهند

(١) انظر ملحق دائرة المعارف الاسلامية : Ency. de l'Isl. article D. Jabér par P. Kraus 1934

الثالث الهجرى وأوائل القرن الرابع

وإن كتابات جابر بن حيان لتضع لنا بادىء ذى بدء أساس مشكلة دينية تاريخية، فكما أن الكيميائين القدماء قد اتجهوا إلى الأجنوزية المسيحية[1] La gnose chrétienne كذلك جابر يقدم فى مؤلفاته العلمية أجنوزية الإسلام ، ولم تكن آراء جابر ابن حيان كتلك الآراء الساذجة الأولية التى وجدت فى محيط الشيعة فى القرن الثانى من الهجرة، إنما كانت أقرب إلى تلك التى كان يتردد صداها فى محيط غلاة الشيعة فى القرن الثالث من هجرة الرسول . وهذه الآراء كانت ذات صبغة سياسية وثورية خطيرة عرضت الإسلام نفسه للخطر ، إذ أن جابراً أعلن قرب قيام الإمام المنتظر الذى سيبطل حكم الإسلام ويحل محل القرآن نور العلم والفلسفة الإغريقيين ، وكان محل عرض هذه الآراء هو نظريات جابر فى مؤلفاته حيث عرض هذا الوحى الروحى الخالص الجديد والذى أوحى به الأئمة العلويون

ووجهة نظر جابر بن حيان فى العلم الإلهى تقترب من القرامطة الذين ابتدأوا يلعبون دورهم فى العالم الإسلامى منذ سنة ٢٦٠ هـ . ودرجات العلم مقسمة عنده نفس التقسيم الموجود عند القرامطة والاسماعيلية

ونظرية امتداد الأمامية قد تقدمت بنفس الخطوات التى تقدمت بها الأمامية ، فالأماميون يقسمون تاريخ العالم من حيث الوحى إلى مراحل سبع يكون آخرها بث الإمام الجابرى ، وعلى ذلك فإن الأئمة الذين تبعوا علياً ، حتى الإمام القائم الجديد يكون عددهم سبعة وهم على التوالى : الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية وعلى بن الحسين بن محمد الباقر وجعفر الصادق واسماعيل الإمام المنتظر أو القائم . ونحن نلاحظ أن جابراً فى تعداده للأئمة على عكس القرامطة والاسماعيلية لم يعتبر علياً إماماً من هؤلاء السبعة ، وأن هذا السانيت ، الذى يسمو عن الناتيك هو الذى يكون به تجسد الأئمة السبعة الأرضى ، وفى هذه النظرية يقترب جابر من تلك التى يقول بها النصيرية[2] الذين يعتقدون أن هناك ثلاثة أقانيم : « ع » أى على ، « م » أى محمد « س » أى سلمان ، والسين فى نظر جابر سابقة ومتقدمة على الميم ، وفى هذا المذهب يسمى الإمام جعفر « بالإمام المجيد » أو « اليتيم » الذى له تفضيل مباشر على « ع » كما أن له الحظوة على « م » ، « س » . وهنا يقبل جابر القول بنظرية التجسد empsycose والتناسخ والأدوار ، والإكرار ، والنسخ ، والفسخ ، والمسخ .

وإن جابراً ليعلن على رؤس الأشهاد أن علمه إنما هو وحى أستاذه جعفر الصادق ، وإلى هذا « المنبع من الحكمة » mène de sagesse ترجع كل معرفة جابر ، وما هو إلا جامع ومعلق على مؤلفات أستاذه . وربما كان ذلك راجعاً إلى أن جابراً نفسه يأتى فى التسلسل الدينى فى مرتبة تلى مرتبة جعفر الصادق مباشرة ، أضف إلى ذلك بعض أساتذته مثل حاربى حميرات ، أرهون الحمار ، جعفر البرمكى . ولكن نحن نرى أن كل هذه التأكيدات ما هى إلا افتراءات باطلة إذ أنها متناقضة تماماً مع ما كتبه جابر نفسه فى مؤلفاته . وعلى ذلك فإن تلميذ جعفر الصادق المسمى جابر بن حيان يظهر أنه محض اختراع ، ونحن ندرك تماماً لماذا تنسب كتب كهذه إلى الإمام جعفر الصادق الذى يعتبر فى الأدب الشيعى خير مصدر للعلم اليونانى وخاصة للعلوم السحرية ولعلم الفلك ، أضف إلى هذا كله أن جعفر هذا والد الإمام السابع إسماعيل الذى نص على ظهوره فى هذه المؤلفات

ويشير الفهرست إلى بعض الشك الذى يخالج نفراً من الشيعة المعاصرين لأحد أصحابه فى صحة نسب هذه الكتب لمؤلفها[1] ، وثمة رجل آخر هو أبو سليمان السجستانى المنطقى ، يذكر فى كتابه « التعليقات » ملاحظة يستنتج منها أنه هو نفسه يعرف المؤلف الحقيقى للكتب التى تنسب لجابر بن حيان ، ويسمى أبو سليمان باسم الحسن بن النقاد الموصلى ، ولكن على رغم هذه الرواية فإننا نعتقد أن مؤلفات جابر لا يمكن أن تكون من إنتاج رجل واحد رغم تطور التفكير المنسجم فيها . ونحن نعتقد كذلك أن هذا التفكير لم يصل إلى هذا الحد الذى وصل إليه إلا فى سنة ٣٣٠ هـ .

(البقية فى العدد القادم) أحمد زكى صالح

(١) الاجنوزية Gnosticisme هى مذهب دينى فلسفى ، يدعى أصحابه أنهم على معرفة تامة وكاملة بطبيعة الله وصفاته .

(٢) هم أتباع ناصر بن خسرو ، فرقة متكلمة

(١) نص عبارة ابن النديم فى الفهرست : « وقال جماعة من أهل العلم وأكابر الوراقين إن هذا الرجل يعنى جابراً لا أصل له ولا حقيقة ، وبعضهم قال إنه ما صنف ... الخ » . ولكن ابن النديم يسفه هذا الرأى ولا يأخذ به كما سيأتى بعد .



١ – اقتطف !

قرأت سؤال الأخ الفاضل « رشاد عبد المطلب » ، وكنت أرجو أن أكون مخطئاً ، كي أقرّ له بخطأ ما جاء في قولي : « وجعل يقتطف منها حيث أراد » ، وذلك لحسن أدبه ، ولطف سياقه

والقول في « اقتطف » إنها خطأ ، وإنها لم ترد في كتب اللغة : كاللسان والأساس والقاموس والنهاية والمصباح ... إلى آخر هذه الجملة — قول قديم، قد ذهب إليه المتأخرون من فضلاء المشتغلين باللغة في عصرنا وما قبله بقليل

ولو لم يرد هذا الحرف في اللغة لوجب أن يوجد للغة وجوباً بيانياً من عدة وجوه، وليس هذا موضع تفصيل ذلك ولا هذا أوانه. وأنا لا أستطيع الآن أن أقف في الطريق لأتلفت إلى ما ورائي مما قد مضى زمنه . وإذ كان لا بد في إقامة الدليل على صواب هذا الحرف ، من شاهد عربي ، فنحن نأتي به ، وذلك من قول نابغة بني شيبان « عبد الله بن مخارق » :

تسبي القلوب بوجه لا كِفاء له ... كالبدر تمَّ جمالاً حين ينتصف
تحت الخمار لها جَثْل تكنّفه ... مثل المثاكيل سوداً حين تقتطف
لها صحيفة وجه يستضاء به ... لم يعل ظاهرها بثر ولا كلف

وفي قديم الشعر من الرجز ما أحفظه ولا أثبت موضعه : « يقتطِفْنَ الماما » ، يصف السيوفَ . وبيت النابغة كافٍ في الدلالة والشهادة ، وأدع ما وراء ذلك لمن يجعل همَّه اقتناص الكلمات الهاربة من معاجم اللغة

وما دمنا في ذكر شاهد من شعر نابغة بني شيبان ، نقول : إن أبا الفرج الأصفهاني زعم أنه نصرانيٌّ ، لأنه زعم أنه وجده في شعره يحلف بالإنجيل والرهبان وبالأيمان التي يحلف بها النصارى ، وذلك كله وهمٌ فاسدٌ ، استغرّ به صاحب شعراء النصرانية لويس شيخو اليسوعيّ ، فاحتمله فيمن احتمل من شعراء العربية . وشعر النابغة ليس فيه حرفٌ واحدٌ مما زعم أبو الفرج

هذا ، وأبوه « مخارق بن سليم الشيبانيّ » صحابيٌّ جليلٌ روى له أحمد بن حنبل في مسنده ج ٥ ص ٢٩٤ ، والنسائي ج ٧ ص ١١٣ ، وروى عبد الله (هذا الشاعر) وأخوه « قابوس بن مخارق » عن أبيهما . وكان عبد الله يكثر رواية الحديث ، ثم انصرف إلى الشعر ، وله في انصرافه إلى الشعر خبرٌ .

٢ – باريس !

قرأت في عدد الرسالة الماضي كلمة يذكرني فيها صديقنا الأخ « زكي مبارك » ويزعم أنه قرأ في « الدستور » كلمة بإمضائي ، عدها هو تعقيباً على المقال الذي نشره في « الرسالة » بعد سقوط باريس تحت أيدي الألمان

ولو أحسن الدكتور زكي فأخرجني من عداد من ذكر لكفى نفسه مؤونة الفكر في أني أتعقب كلامه . ولو كان ما قاله الدكتور زكي صحيحاً لكان للسان مقال غير الذي قلت . والذي كتبته كان حديثاً عاماً لم أرد به أحداً بعينه وخاصته ، وكثير غير الدكتور بكي باريس وناح ، فكيف يريد أن يخص نفسه دون سائر من أعول على هذه المدينة ؟

وإذن فسائر ما جاء في كلمة الدكتور زكي ليس يعنيني ، ولا هو مما أستطيع أن أشتغل به ، والمذهب الذي يجري فيه الدكتور غير مذهبنا ، وبينهما من الفرق ما يوجب عليَّ أن أصرف خطابه — في هذا المكان من الرسالة — إلى من شاء غيري . وللدكتور مني تحية ، وعليه سلام .

محمود محمد شاكر

ملاحظات علمية

١ — كثيراً ما أجد فيما أقرأ من المباحث التاريخية مطاعن في بني أمية منقولة عن المسعودي ، وينسى هؤلاء الباحثون (ومنهم من هو عميد كلية أو أستاذ في جامعة) أن المسعودي على جلالة قدره ورفعة مكانه بين المؤرخين لا يحتج به في مثل ذلك ، لأنه شيعي متهم ببغض الأمويين والطعن فيهم . وقد نص على شيعيته الأستاذ الكبير آل كاشف الغطاء في رسالته أصل الشيعة وأصولها ؛ كما أنه لا تقبل رواية السني المتعصب في الطعن على الشيعة ، وهذا معروف عند العلماء

٢ — ذكر الأستاذ أحمد أمين فى فجر الإسلام (ص٢٤٨) دليلاً على كثرة الوضع فى الحديث أن البخارى اختار كتابه الصحيح وفيه سبعة آلاف حديث منها نحو ثلاثة آلاف مكررة من ستمائة ألف حديث كانت متداولة فى عصره

وهذا الدليل مردود من وجوه :

أولها — أن البخارى لم يستوعب الصحيح كله فى كتابه ، وروى عنه أنه قال : ما أدخلت فى كتابى إلا ما صح وتركت من الصحاح لملال الطول ، وقد استدرك الحاكم أبو عبد الله على الصحيحين شيئاً كثيراً تكلم فى بعضه وسلم أكثره

ثانيها — أنهم كانوا يعدون الحديث الواحد حديثين إذا كان له سندان وروى من طريقين ؛ ومن هنا جاءت هذه الأعداد الكبيرة . ذكر ذلك ابن الصلاح

ثالثها — أنهم كانوا يدرجون تحت اسم الحديث آثار الصحابة والتابعين . ذكره ابن الصلاح أيضاً

على الطنطاوى

رأى الأستاذ أحمد أمين فى واضع علم النحو

المعروف بين جمهور النحاة أن واضع النحو هو أبو الأسود الدؤلى ، ولكن دائرة المعارف الإسلامية تخالف جمهور النحاة فى ذلك ، وترى أنه ليس حقاً ما يقال من إن أبا الأسود الدؤلى واضع أصول النحو العربى (دائرة المعارف الإسلامية ج ١ ص ٣٠٧) وقد ذكر صديقى الأستاذ محمد طنطاوى المدرس بكلية اللغة العربية فى كتابه نشأة النحو (ص ١١) أن الأستاذ أحمد أمين أراد أن يوفق بين الرأيين ، وأن يتلمس وجهاً لنسبة وضع النحو إلى أبى الأسود الدؤلى ، فقال فى كتابه ضحى الإسلام (ج ٣ ص ٢٨٦ وما بعدها) : ويظهر لى أن نسبة النحو إلى أبى الأسود لها أساس صحيح ، وذلك أن الرواة يكادون يتفقون على أن أبا الأسود قام بعمل من هذا النمط ، وهو أنه ابتكر شكل المصحف ، وواضح أن هذه خطوة أولية فى سبيل النحو ، تتمشى مع قانون النشوء ، وممكن أن تأتى من أبى الأسود ، وواضح كذلك أن هذا يلفت النظر إلى النحو فعمل أبى الأسود يسلم إلى التفكير فى الإعراب ، ووضع القواعد له ... وأن هذه الأمور لما توسع العلماء فيها بعد ، وسموا كلامهم نحواً ، سحبوا اسم النحو على ما كان قبل من أبى الأسود ، وقالوا إنه واضع النحو ، لشبهه فى الأساس بين ما صنع وما صنعوا وربما لم يكن هو يعرف النحو بتاتاً ، ثم رأى بعد كلام طويل أن واضع النحو الذى نعرفه إنما هو الخليل بن أحمد

وكأنى بالأستاذ أحمد أمين قد خيل إليه أنه أتى فى هذا الرأى الأخير بالقول الفصل فى واضع علم النحو ، مع أن الأمر قد اشتبه عليه فى ذلك اشتباهاً ظاهراً ، لأن أصل الخلاف فى واضع علم النحو إنما هو فى أصوله الأولى ، لا فى هذا النحو الذى نعرفه ؛ لأنه لا يمكن أن يختلف أحد فى أن هذا النحو الذى نعرفه يرجع إلى كتاب سيبويه ، وقد أخذ سيبويه كتابه عن الخليل ابن أحمد، بل قيل إن هذا الكتاب للخليل لا لسيبويه، فليس بشىء بعد هذا أن يقال إن الخليل واضع هذا النحو

وقد ذكر الأستاذ محمد طنطاوى فى كتابه نشأة النحو (ص ٢٠) أن عيسى بن عمر الثقفى — وهو من الطبقة الثانية والخليل من الطبقة الثالثة — ألف كتابين فى النحو : أحدهما مبسوط سماه الجامع ، والآخر مختصر سماه الإكمال ، وأن الخليل قال فى إطرائهما :

ذهب النحو جميعاً كله غير ما أحدث عيسى بن عمر
ذاك إكمال وهذا جامع فهما للناس شمس وقمر

ويؤخذ من هذا أن اسم النحو كان معروفاً قبل الخليل ، وأن كتباً جامعة ألفت فيه قبله ، فكيف يقتضب الأستاذ أحمد أمين ذلك كله ؟ (عالم)

قصتان والفكرة واحدة

قرأت فى العدد الماضى من الرسالة كلمة بهذا العنوان للأديب حسين الحوفى بدمنهور ، يقول فيها : إن فكرة قصتى « من أدباء الجيل » المنشورة بالعدد ٣٤٥ من الرسالة تشبه قصة للأستاذ محمد أبو طائلة عنوانها « الشهرة » نشرت بالعدد ٤٩٨ من مجلة كل شىء والدنيا « وإن اختلف الأسلوب والعنوان وبعض الحوادث الثانوية »

وأحسب أنه مما يهم قراء الرسالة أن يعرفوا أننى لم يكن لى حظ قراءة تلك القصة المشار إليها حتى اليوم ، وقد تكون الفكرة فى القصتين واحدة — كما يقول الكاتب — أو لا تكون ؛ ولكن ذلك لا يطعن فى عمل أدبىّ لم أستلهمه إلا من وجدانى الخاص لحادثة بعينها قد يكون مثلها مما مر على الأستاذ أبو طائلة

فى بعض أيامه ، فألهمه فكرة قصته وألهمنى . وإذ كان الأمر على ما زعمتُ — وعلى ما يؤكد الكاتب من احترامه لأدبى وتنزيهه عن الانتحال — فإنى أحسب أن ذلك خارجٌ عن نطاق ما يسميه « الرقابة الأدبية » ، ولا معنى معه للحديث عن السابق والمسبوق

وثمة بديهية أخرى يعرفها كل من عالج فن القصة دراسةً أو عملاً ، هى أن الفكرة الواقعية فى القصة غيرُ القصة نفسِها ؛ وخاصة حين تكون فكرتها منتزعة من الحياة العامة التى يحسها كل من يتصل بها من أبناء الجيل . ولا حاجة بى إلى تعداد الحوادث التى تقع كل يوم فى حياتنا الأدبية العامة مما يصلح أن يكون كل منها موضوعاً لمثل قصة « من أدباء الجيل » . وأدع تفصيل ذلك لموضعه من كتاب « الأدب المنحول » الذى أُرجىْ نشره حتى تأذن الرقابة الأدبية العامة !

محمد سعيد العريان

من الشعر المنسى لحافظ

« لما أخرجت وزارة المعارف ديوان المرحوم حافظ إبراهيم ، لاحظ كثير من الأدباء أن قصائد عدة للشاعر الكبير نسيت فلم تدرج في هذا الديوان ؛ وقد نشر بعضهم شيئاً من هذه القصائد فى الرسالة الغراء ، ويسرنى ونحن فى الذكرى الثامنة لحافظ أن أذكر للقراء مقطوعة من شعره فى وصف الطيارة لم تنشر فى ديوانه »

قال رحمه الله :

يجرى بسابحة تشقُّ سبيلها شقَّ الإزار
وتكاد تقدح فى الأثير فيستحيل إلى شرار
مثل الشهاب انقضَّ فى آثار عفريت ، وطار
فإذا علت فكدعوة المُضْطَر تخترق السِّتار
وإذا هَوَتْ فكما هَوَتْ أنثى العُقاب على الهزار
وتُسِفُّ آونة ، وآونة يحيد بها ازورار
فيخالها الراءون قد قرَّت ، وليس بها قرار
لَعِبَ الجواد أقلَّ لَيْثاً من قُضاعة ، أو نزار
أو كالقَلوب من الحمام فوق ملعبه استطار
وكأنها فى الأفق حين يميل ميزان النهار
والشمس تلقى فوقها حلل اصفرار واحمرار
مَلَكٌ تُمثله لنا السما فيأخذنا انبهار

« البجلات » أحمد جمعة الشرباصى

الدكتور اسماعيل أحمد أدهم

روت الصحف المصرية — نخبر تافه — موت فقيد العلم والأدب الدكتور اسماعيل أدهم الكاتب الناقد المعروف نجل أحمد بك أدهم الضابط التركى وحفيد أدهم باشا وزير المعارف التركية سابقاً.

وقد عرفه قراء (الرسالة) شارحاً لنظرية النسبية لأينشتين، ومساجلاً للمرحوم فليكس فارس عن الشرق والغرب، وأخيراً مناقشاً للدكتور بشر فارس فى كتابه (أبحاث عربية) كما طالع له قراء (الرسالة) بعض أبحاث متفرقة آخرها (عام الفيل) الذى اشتغل بالرد عليه الأستاذ عبد المتعال الصعيدى

ويغلب على أبحاثه الصبغة العلمية الجافة، فإذا أضيف إلى ذلك ضعف بيانه العربى عرفنا جهل الكثيرين بعلمه وأدبه ، لأنه لم يكن له أسلوب جزل يخلق المحبين ، إذ أن الناس بطبيعتهم يصدفون عن الحقائق الجافة التى لا يموهها الخيال ، لذلك كان محرر مجلة المقتطف يراجعه راجياً فيما يكتبه لما زيادة الإيضاح، وكان يشكو لى من ذلك الدكتور أدهم . ومن هذه الناحية أيضاً حيث موطن ضعفه ، كان يغزوه الأستاذان فليكس وبشر فى مساجلاتهما معه

وعرفه قراء المقتطف من أبحاثه المتوالية التى كان يوالى نشرها فيها ، آخرها دراسته طيلة هذا العام لخليل بك مطران. وهى دراسة لا يسلك فيها طريقة التراجم المعروفة ، بل الدراسة التمحيصية الاستقرائية على الطريقة الاستشراقية ، لذلك كانت فريدة فى العربية ، وعدها بعض المستشرقين ثروة أدبية ، وقال فيها الرافعى : (دراسة لا أشك لحظة فى أنها لو وجهت وجهة صحيحة لقومت النقد العربى) وقال فيها بشر فارس (دراسة تعتمد على الاستقراء والتثبت أكثر مما تعتمد على الظن والتخمين) وقال فيها سلامه موسى. (لو أردنا أن نجازى فناناً لحق لنا أن نجازى الدكتور أدهم بأكرم مما يجازى به عالم فنان) ومما أذكره أن الدكتور أدهم كتب غير مرة فى المجلة الجديدة التى كان يصدرها الأستاذ سلامه موسى ، وعرَّفه الدكتور أبو شادى بأنه أكثر من شخصية ، ومما أعرفه أنه كان من أول المكتشفين لشخصيته العظيمة ، فشجعه على المضى فى أبحاثه وأفسح له صدر مجلاته التى كان يصدرها ، رغم تطرف رأيه وحرية فكره حرية غير معهودة فى حياتنا الأدبية ، ومن أهم ما نشره رسالته (لماذا أنا ملحد) التى رد عليها الدكتور أبو شادى برسالته « لماذا أنا مؤمن » ، والتى شغلت الكثيرين من رجال الدين وقتاً غير يسير . ونشرت



رجـــلان وامرأتان

للأستاذ محمد سعيد العريان

لم يكن من طبيعتها الزهو والمباهاة ، ولكنها تشعر الليلةَ بين لِداتها وصواحبها أنها قد بلغت مرتبةً من حقها أن تُزهى بها وتفتخر ؛ إنها خطيبة « سامى » ، وهذا خاتم الخطبة فى إصبعها يزهو ويتألق شعاعه ؛ وأى صواحبها لم تعرف « سامى » أو تسمع به ، وإنه من الشهرة وذيوع الصيت حديثُ كل فتًى ونجوى كل فتاة !

وراحت « رشيدة » تخطر بين رفيقاتها تتقبل التهانى وتوزّع الابتسامات مغتبطةً سعيدة ، لا تكاد تستقر على مقعد من خفة الفرح ونشوة المسرة ...

... ثم انفضّ السامر وخلت « رشيدة » إلى نفسها تحلم بما كان وبما يكون ، وتتهيأ لليوم السعيد المنتظَر !

***

فتى فى ربيع العمر ، لم يفتنه الشباب ولم يبطره الغنى ، تنوّر أملاً بعيداً فمضى يشق الطريق إليه فى عزم وقوة ، وبلغ ؛ وبرز اسمه فى الطليعة من أدباء الجيل ولم يزل فى أوّل الطريق ، وذاع اسمه كما ينفذ شعاع الصبح فتكتحل كلُّ عين من نوره ويصحو كل نعسان ؛ وشدَت القمارِىّ بأغانيه فى الرياض ، وهتفتْ بها العذارى ، وتغنّى الفِتيان ...

... ودُق الجرس ذات مساء فى دار رشيدة ، وجاء سامى يخطبها ... ، وتوافد لِداتها وصواحبها يهنئنها ويتمنَّين لها ...

... وراحتْ تتخيّل نفسها إلى جانبه يمشيان ذراعاً إلى ذراع تحدّثه ويصغى لها ، والناس تهتف باسمها واسمه ، والعيون تتبعهما حيث ينتقلان من روض إلى روض فى طريق مفروش بالزهر ، والأصابع تشير إليهما فى همس : أتُنه لَهُوَ ، وإنها ...

ولذّها الُحلمُ السعيد ، فطارت بغير جناح تحلّق فى وادى المنى سكرَى !

وتتابعتْ على عينيها صُور ؛ وأفاقتْ من سكرتها مذعورة

لأول مرة فى مجلة « الإمام » ، ثم أفردت فى كتاب ، وذلك عمل ينطوى على جرأة كبيرة من المؤلف والناشر ، لأن الرسالة صودرت عقب تداولها . وأول كتاب أصدره فى مصر هو كتابه « مصادر التاريخ الإسلامى » الذى صودر بمرسوم ملكى من جلالة الملك فؤاد ، وهو آخر مرسوم صدر من جلالته قبل وفاته .

ومن هنا يعرف أن حياته الأُدبية كانت قصيرة إلا أنها كانت ملأى بنشاط جدير بالإكبار والتقدير ، فقد كان يعتكف الأيام المتوالية حتى ينتهى من وضع كتاب ، أو إخراج بحث ، أو يستوعب عدة مؤلفات قراءة ودراسة ؛ ومن نتاج ذلك الاعتكاف كتابه « الأنساب العربية » ، و كتابه « الزهاوى الشاعر » . وقد اهتم الأُستاذ سامى الكيالى صاحب مجلة « الحديث » السورية بدراسات أدهم فرحب بها وأصدر بها أعداداً ممتازة ، كدراسته للدكتور طه حسين ، والشاعر التركى عبد الحق حامد ، وأخيراً الأستاذ توفيق الحكيم ، ومن أظرف ما يروى بهذه المناسبة أنه كان مختلفاً مع صاحب الترجمة على مولده ، إذ كان توفيق الحكيم يذكر أن مولده فى عام ١٨٩٨ ، ولكن أدهم يصر على أنه ولد فى عام ١٩٠٣ ؛

ومما يدهش القارئ إيراد أدهم لأدلة منطقية لا يملك الإنسان معها إلا أن يسلم بخطأ توفيق الحكيم نفسه فى معرفة مولده

وكانت إدارة « الحديث » تستعد لإخراج عدد خاص بدراسته لميخائيل نعيمة ، كما كانت تستعد إدارة المقتطف لإخراج دراسته لخليل مطران لتهديها إلى مشتركيها هذا العام ، ولا أدرى ماذا تم فيها ، وإن كنت أعرف أن المؤلف كان يستعجلها فى إخراج كتابه قبل وفاته ، لأنه كان يريد أخذ نسخة معه إلى أوربا ، إذ كان يعتزم السفر بعد تغير الموقف الدولى ؛ واشتدت الرقابة عليه لشبهات لا محل لها من الصحة ، إذ أنه كان فى أيام السلم يرسل بعض أبحاثه لتذاع من محطة بارى العربية ، كما أنه كان ينشر بعض أبحاثه فى مجلة (المستشرقين الألمانية) منها نقده لكتاب حياة محمد ، وقد أشار إلى ذلك النقد الدكتور هيكل فى مقدمة الطبعة الثانية من كتابه بعد أن أغفل اسمه .

ولما لم يتمكن من السفر والهروب من قفص الرقابة ضاقت به الحياة فودعها ومضى

(لنا عودة)

عبد الحفيظ نصار

لصورةٍ عرضت؛ وتخيلته يحف به فتيات يسألنه ويجيب وفي عيونهن معانٍ وفي عينيه معنى؛ ولذعتها نار الغيرة وساورها القلق، وراحت تسأل نفسها: أتراه - وهو من هو - لم يفتح قلبه لفتاة قبلها ولن يفتحه؟ فكيف، ومن أين لها، وإن اسمه لحديث على الشفاه ونجوى في القلوب! ... أم تراه يخلص لها فلا يغلبها على قلبه أحد؟

وابيضّت ذؤابة الليل وما تزال أحلام اليقظة تراوح بين جنبيها في الفراش!

***

ومضت ليال، وأنست رشيدة إلى فتاها وأنس بها؛ وتتابع اللقاء بينهما في الحلم حيناً وفي اليقظة؛ وتكاشفا نفساً لنفس فاطمأنت وزال ما كان يساورها من هم، واسترسلت في أحلام السعادة والمجد، وهي تحصى ما بقي من أيامها حتى يكون لها

وجاء اليوم الموعود وزُفّت رشيدة إلى سامي ...

***

« يا هناها! »

ذاك حديث كل صواحبها؛ أفتراها كانت تسمع ما يتحدثن؟

أما هو فكان من شأنه في شغل عما يتحدث الناس؛ لقد وجد الاستقرار والراحة منذ وجد رشيدة؛ فانصرف إلى غايته دائباً لا يشغله من شئون الحياة إلا فنه والأمل الذي يتنوّره على مبعدة

وأما هي ... أين هي من أحلامها التي كانت تداعبها في اليقظة وتُلِمّ بها في المنام؟

هذا عام مضى منذ دخل سامي في حياتها وشاركته في داره؛ فماذا تحقق من أمانيها وماذا بقي؟ وماذا يجدي عليها صيته ومجده وشهرته وإنها لحبيسة الدار لا تتحدث إلى أحد ولا يتحدث إليها أحد؛ وزوجها الذي خلق لها دنيا عريضة من الأوهام والأماني حبيس في غرفته مكبّ على أوراقه ودفاتره!

هذه الصحف التي تتحدث عنه، وهذه الكتب التي تصدر باسمه، وهذه الجماعات التي تدعو دعوته وتشيد به ... كل هذه أوهام وخداع وتلبيس على الحقيقة. لقد حسبت يوماً أنها ستكون أسعد زوجة فيمن تعرف من صواحبها؛ لأن هذه الأوهام المكتوبة كانت تخيل لها وتخدعها عن الحقيقة؛ أما اليوم، وا أسفا!

إنه ليحبها وإنها ... نعم، لقد كانت تحبه؛ ما في ذلك شك؛ أما اليوم ... آه! ليتها تستطيع أن تقول ... ليتها تستطيع أن تعرف ...!

إنها لتحس في بعض الأحايين أنها تكرهه، شوقاً إليه ...!

ليت شعري، ما الحب؟ وما البغض؟ ... أهما معنيان متناقضان أم هما اسمان لمعنى؟

وما الحقيقة؟ أهي شيء واحد أم شيئان، ولون واحد أم ألوان؟

إنه هو هو، وإنها هي هي؛ لم يتغير شيء منها ولم يتغير شيء منه؛ ولم يزل هو كل شيء في حياتها ولم تزل؛ وهذه الأشياء التي كانت تحببه إليها يوماً هي هي التي تبغّضه إليها اليوم إن الباطل الصُّراح أحبُّ إلى النفس من الحقيقة المتلونة!

***

واحتوشتها الأفكار فلم تعرف ماذا تأخذ وماذا تدع؛ فأطرقت، وأرسلت عينيها؛ وكان سامي في غرفته يكتب ويؤلف!

... وفرغ من موضوعه بعد هدأة من الليل، فرفع أوراقه بين عينيه والمصباح وراح يقرأ، وأعجبه عمله؛ فهتف: رشيدة، تعالي اسمعي!

وماذا يجدي عليه رضا الناس إن لم ترض رشيدة؟ ولكن رشيدة كانت مطوية على نفسها في الفراش تبكي؛ ودنا منها، فجففت دموعها واعتدلت؛ وجلس على حافة الفراش محزوناً أسوان يسألها عن علتها؛ وما كانت علتها غيره!

وطوى أوراقه صامتاً، وأوى إلى الفراش منكسراً ذليلاً؛ وأصبح كما يصبح كل يوم، وكما أمسى؛ وأصبحت كما أمست!

***

وجاءت صديقتها « سعاد » لزيارتها؛ وما زارتها في بيت زوجها قط؛ وخلت رشيدة إلى صديقة صباها تحدثها وتستمع إليها، وخلا سامي إلى نفسه يعمل ...

وقالت سعاد: وإني لأسمع عنك وأعرف، فيسرني هناؤك ... وإنك لحقيقة أن تسعدي بسامي ... !

وابتسمت رشيدة وسكتت!

ونهضت الزائرة فشيعتها صديقتها على ميعاد

وذهبت رشيدة لترد الزيارة لصاحبتها؛ ولقيتها سعاد في غلائل وشفوف وجلوة عروس؛ وأحسنت استقبالها؛

ثم وَدَّعَتها لحظة لتُسِرّ إلى زوجها حديثاً وعادت ، وأحست رشيدة أن صديقتها فى شغل ؛ فأوجزتْ ، وسألتها : أرجو ألا يكون في زيارتى ما يشغلك عن شىء !

وابتسمت سعاد وأجابت : ليس شيئاً ذا بال ؛ كنا على أن نشاهد رواية فى السينما ، فطلبتُ إليه أن يذهب وحده إذا أراد ! لقد شاهدناها مرة منذ يومين !

وغمغمت رشيدة بكلام ، ثم أطرقت ؛ أتراها كانت تحدّث نفسها أم تحدّث مُضيفتها ، وماذا همّتْ أن تقول ؟

وخفّفتْ فنهضتْ ، وفى قلبها حسرة ، وفى صدرها غيرة ، وفى رأسها فكر !

وقالت سعاد لزوجها وقد ذهبت رشيدة : « زوجة سامى ! »

واستطردت : « إنها صديقتى منذ الطفولة ! ألا تقرأ له ؟ قل لى : لماذا لا تحاول أنت . . . ؟ إن له مستقبلاً عظيما ! لقد بَلغ . . . هل سمعْتَ . . . وله جاهٌ وشفاعة . . . إننى ورشيدة صديقتان ، لم نفترق منذ كنا ، حتى تزوّجتْ ، وخطبَها على غفلة . . . ! »

***

. . . وأدارتْ رشيدةُ مفتاح المذياع وجلستْ مرتقفةً إليه تنتظر ؛ إن زوجها هناك ؛ وما بها شوق إلى أن تستمع إليه ، لولا أن صوته فى المذياع يردُّها لحظاتٍ إلى ماضيها ، أيام كانت فى بيت أبيها مُسمّاة عليه ؛ تلك أيامٌ خَلَتْ ؛ وكان صوته يلذها ويبعث فيها نشوة . . . أوه ! أين اليقظة من الحلم ؟ أ كُتِبَ علينا ألا نرى السعادة إلا طيفاً فى المنام أو حُلماً فى اليقظة ؟

وتَسرَّحت رشيدةُ فى أوهامها . . .

. . . وكأنما أحسّ سامى من رشيدة فتوراً وانقباضاً ، فأهمّه ما أحسّ ، وراح يحاول أن يصلح ما بينه وبينها ، وعطف عليها يسألها فى رقة : ماذا بك يا رشيدة ؟

وانفجرت رشيدة غاضبة صاخبة ، وكشفت الحجاب ، ونفضت عليه ما تكظم من الغيظ منذ عام ؛ وطأطأ رأسه يوازن ويقدّر ويحكم ؛ وبدت له الحقيقة سافرة وانكشف عنها غطاؤها ؛ وآثرها بالرِّضا فقدّم لها معاذيرَه !

وتغيّر سامى منذ اليوم ، فأغلق دار كتبه وأقبل على زوجته ؛ وفى المساء كانا يمشيان ذراعاً إلى ذراع فى الطريق على أعين الناس ؛ وصحبها إلى السينما ، وسهرا معاً فى الأوبرا ، وتمشّى معها فى مطعم ؛ وراقصها على نغمات الموسيقى فى الحديقة ، وعاد معها إلى الدار مخموراً قبيل الصباح !

وعرف سامى منذ الليلة أن فى الحياة ألواناً من اللذة لم يذقها بعدُ وقد أوشك شبابُه ؛ فاشتهى وتمنّى . . .

وفاءت رشيدةُ إلى الرضا وسَرّتها حياتها الجديدة فطلبت المزيد !

***

وكانا يمشيان على ضفاف النيل حين اعترض سبيلهما سربٌ من الحسان . وقالت إحداهنّ وأومأت إلى سامى : أتنه لَهُو ! فأحنى رأسه مبتسما وأتبعها عينيه ؛ وأغضتْ زوجتُه !

ولم تجد رشيدة من نفسها فى الليلة التالية رغبة فى الخروج ؛ فخلفها فى الدار ومضى وحده ؛ وأشرقت الشمس قبل أن يعود ، وهمّت زوجته أن تتكلم فتركها وما تريد ومضى إلى فراشه . . .

وعرف عنوانَه من لم يكن يعرف من عشاق أدبه ؛ فكثر زائروه وزائراته ؛ وراح يقتضى للناسَ ثمنَ إعجابهم بفنه لذائذَ وشهوات . . .

وتدحرجت الكرةُ على المنحدر المائل واستمرتْ تهوى . . .

. . . وجاءت سعاد لتزور صديقتها ، وقالت : أين سامى ؟ منذ بعيد لم نسمع ولم نقرأ . . . !

وابتسمت رشيدةُ وسكتتْ ؛ شأنها فى يوم مضى ؛ ثم أطرقت وعضت على شفتيها تحاول أن تحبس زفرة ألم !

ونهضتْ الزائرة وخلت رشيدة إلى نفسها تبكى ؛ وخيّلتْ لها أمانيها أنه هناك ، فى غرفته ، يكتب ويؤلف ، وأنه يوشك أن يفرغ من موضوعه فيهتف بها : رشيدة ! تعالى اسمعى ! كما كان فى ليلة منذ ليال ! . . . ولكنه لم يفعل ، لأنه ليس هناك !

. . . .

***

. . . ثم استيقظت وهى مرتفقة إلى المذياع ، ورنَّ صوته فى مسمعيها قادماً من بعيد ، صوت ندى رطب ، يتحدث فى وداعة ولين . لم يكن حديثه إليها ، ولكنها وجدت بَرْدَه على قلبها ، فدمعتْ عيناها فرحانة ؛ وهتفت : سامى ! عُدْ إلىّ !

ولم يسمع نداءها ، ولكن خاتمة حديثه فى المذياع كان جواب النداء . . .

محمد سعيد العريان

﴿ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى — عابدين ﴾

8me Année No. 371

Lundi - 12 - 8 - 1940

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٧١ « القاهرة فى يوم الاثنين ٨ رجب سنة ١٣٥٩ — الموافق ١٢ أغسطس سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهـــــرس

تأخير السنين

للأستاذ عباس محمود العقاد

أما تأخير السنين فهو الرجوع بها إلى الوراء

يكون الرجل مثلاً فى سنة أربعين فيرجع إلى سنة عشر ، أو يكون فى القرن العشرين فيرجع إلى القرن الأول ، أو يكون فى أيام التاريخ فيرجع إلى ما قبل التاريخ

ولذلك ثلاث وصفات على طريقة المعجزات ، ووصفة واحدة على طريقة المعجزة أبناء الفناء

فالوصفة الأولى على طريقة المعجزات أن تقبض على دولاب الزمن فتديره إلى الأمام أو إلى الوراء حين تشاء وكيفما تشاء . ولا بد قبل ذلك من معركة فاصلة بين المرء وبين الزمن ينكسر فيها الزمن فيلقى بدواليبه ومقاليده ومفاتيحه ثم يلوذ بالفرار

وأنا قد حاربت الزمن فى معارك شتى ، ولكننى لم أصل معه إلى المعركة الحاسمة ، ولا علمت بمستودع الدواليب والمفاتيح . فليس فى الوصفة الأولى رجاء

والوصفة الثانية على طريقة المعجزات هى وصفة أينشتين فى بعض الفروض الرياضية والألغاز « النسبية »

وذلك أن أشعة الأرض تصل إلى بعض الكواكب فى مائة

سنة ، وإلى بعضها فى مائتين ، وإلى بعضها فى ألف أو ألوف

فن صعد إلى كوكب من تلك الكواكب ، ورصد أشعة الأرض على أسلوب من أساليب الصور المتحركة ، فهنالك يرى اليوم حروب نابليون أو حروب فردريك الكبير أو حروب هنيبال لا تزال فى البرنامج ولا تزال تجرى على حقيقتها كما كانت تجرى فى هذه الأرض منذ كذا من السنين

وبينى وبين هذه الوصفة أن أصعد إلى الكوكب بأسرع من صعود الشعاع إليه ، أو أن أصعد إلى الكوكب على جناح فرض من الفروض الرياضية فى مثل لمح البصر أو خطرة الخيال

فإذا جاء اليوم الذى يطير فيه الإنسان على أجنحة الفروض فهنالك نؤخر الزمان الأرضى كما نشاء ، ولكننا نصعد إلى الكواكب فنجد فيها الحاضر حاضراً لا يقبل التأخير

والوصفة الثالثة على طريقة المعجزات هى وصفة على لسان « أولاد البلد » فيما يتحدثون به عن فعل الحبوب والعقاقير

فقد زعموا أن حبوباً تعيد الشباب ، وأن الحبة منها ترد من يتناولها عشر سنين ، وأن رجلاً بالغ فى التصابى فتناول خمس حبات فعاد رضيعاً على كفوف بناته وأبنائه

وصيدلية هذه الحبوب لا تدين بمذهب الأمريكان فى حب الدعوة والإعلان ، فما اهتديت إلى مكانها حتى الساعة ، ولعلها تدين بتأخير المكان

فدعونا إذن من الوصفات الثلاث على طريقة المعجزات وهلموا بنا إلى وصفة المعجزة من أبناء الفناء

ووصفة المعجزة من أبناء الفناء هى كتب التاريخ ، أو هى الصحافة التاريخية على التعبير الصحيح فيما نحن فيه

فإذا رجعت إلى سجلات الصحف فأمامك حوادث الأيام يوماً بعد يوم ، وخبراً بعد خبر ، وفى وسعك أن تقفز إلى الوراء مائة سنة أو أكثر من مائة حسب تواريخ الصحف التى تقرأها ، دون أن تتجشم المرانة على براعة القفز إلى الوراء

ومن سجلات الصحافة القيمة سجل يجمع فصول « التيمس » الافتتاحية فى جلائل الأحداث من سنة ألف وثمانمائة إلى ما قبل اليوم بثلاث سنوات

ففى أى يوم من أيام تلك الأحداث تريد أن تجلس إلى قهوتك وتفتح صحيفتك وتأمر بأمر الفضول ، فتستطلع الغيب عن الحادث المجهول ؟

معركة ترافلجار أو الطرف الأغر ؟ معركة واترلو ؟ تسليم نابليون ؟ موت نابليون ؟ أحاديث العلماء والجهلاء عن الاختراع الجديد المسمى بالتليفون ؟

أنت لا تعلم شيئاً من هذه الأشياء ، ولكنك تفتح الصحيفة لتقرأ آخر الأنباء

٧ نوفمبر سنة ١٨٠٥ — يوم ترافلجار

« فى مكان آخر من عدد اليوم نص التقرير الرسمى عن المعركة البحرية التى انتهت بأحسم انتصار ظفرت به الفطنة والبسالة البريطانيتان . وهو انتصار على ما فيه من العظمة والمجد قد اشتريناه بثمن غال ، وكفى دليلاً على شيوع هذه العقيدة ورسوخها فى الأذهان ذلك الحزن البالغ العميم الذى قوبل به موت اللورد نلسون . فلم يكن للنصر صدى الحماسة والطرب الذي تردد به كل نصر فى معاركنا البحرية السابقة ، وليس فى البلاد فرد لا يرى أن حياة بطل النيل أنفس جداً من أن تقوّم بعشرين سفينة فرنسية وإسبانية بين ضائعة ومأسورة ، فلا مظاهرات فرح شعبي ولا أصداء نشوة قومية صحبت هذا الحادث الخطير . وإنما ظهر شعور الأمانة والرجولة فى نفوس الأمة كما ينبغى أن يظهر : رضى عميق بانتصار سلاحهم المحبوب ، وحزن خالص أليم كحزن المرء فى أسرته على البطل الصريع »

* * *

وتقدمْ ثماني سنوات فأنت فى انتظار الأخبار عن معركة « واترلو » وهى تتوالى متناقضة متفرقة ، يقول بعضها بانتصار نابليون ويقول بعضها بانتصار الحلفاء . وتروى عن ولنجتون كلمته المشهورة : « ما رأيت كاليوم غباء فى سبيل النصر ، ولا رأيت كاليوم اقتراباً من الهزيمة »

وتقدمْ أياماً أخرى فإذا بنابليون أسير لم تتحقق أنباء أسره ، وإذا بالناس مختلفون هل يجوز الحكم عليه فى محكمة دولية ؟ هل يسلم إلى ملك فرنسا ليعقد له محكمة فرنسية ؟ هل يحاسب على من قتل من الأسرى والسجناء فى غير ميدان القتال ؟

ثم تحقق نبأ الأسر وجيء بالأسير إلى الشواطئ الإنجليزية، وانعقد مجلس الوزراء للبحث فى مصيره. فهل تعلم ماذا قرر مجلس الوزراء؟... كلا ... أنت لا تعلم ذلك فى أثناء انعقاده ولكنك تقلب الصفحة فتعلم بالقرار

وتستمع فإذا الصبية فى الطرقات ينادون بنفى نابليون إلى جزيرة القديسة هيلانة، وإذا بالتيمس تقول بعد السفر به إلى تلك الجزيرة:

« الآن نحسبنا على يقين أننا سنفرغ من شأن نابليون بونابرت فلا نعود إلى ذكره إلا أن نتخذ منه مثالاً لكل جريمة عبرة للآخرين. ولئن كانت يد الإنسان قد رفقت به فى جزاء آثامه فلا يفهمن من هذا أنه نجا من كل عقاب غير هذا العقاب. وما ندرى بأى عقيدة من العقائد يدين الآن. فقد جهر بالإلحاد مرة وبالإسلام مرة أخرى وبالكثلكة مرة ثالثة حسبما لاح له من بوادر المصلحة فى كل حين، وكان على ما رزق من الملكات العظيمة والنشاط الدائب عريقاً فى الخسة، تلك العراقة التى لا يبالى معها أى ضرب من ضروب الغش والرياء تزجية لمآربه فى غير خجل من افتضاح أمره أو عواقب خداعه ما دام قد نفذ إلى مراده. ولكنه — إن يكن إنساناً — فلا لا محالة وقد أوى إلى العزلة والفراغ عقيدة يركن إليها وتلمج فى ضميره مضيض الألم ووجيع الندم مما اقترف من المساوئ والشناعات »

وتقدمت ست سنوات فأنت تقرأ نعى نابليون كما تقرأ الذكرى المنسية قد انبعثت من قبور النسيان

* * *

وعلى هذه الشاكلة يرجع المدبرون إلى الماضى من طريق الصحافة، وهى طريق معبدة يهتدى إلى معالمها كل عابر سبيل

فإن لم تعجبك طريق الصحافة فللشعر والأدب طريقهما إلى كل ماض وإن لم تكن بالطريق المعبدة لجميع العابرين

ومن مصادفات الأيام أنهم احتفلوا فى يونيو الماضى بانقضاء مائة عام على مولد الشاعر الإنجليزى الكبير توماس هاردى صاحب قصيدة « المواهل » أو قصيدة نابليون

وظهرت الصحف الأدبية وفيها شذرات من تلك الملحمة الفخمة كأنما تقال فى هذه الأيام، ومن أجل هذه الحرب، وعلى نغمات الحوادث العالمية التى تصلصل الآن فى الآذان

وأى وصاة فى حروب نابليون لا يوصى بها فى الحرب الحاضرة؟

قال هاردى على لسان ولنجتون وقد سئل فى اليوم المرهوب بماذا توصى إذا وقعت فى حومة الوغى؟

قال هاردى أو قال ولنجتون: « بالثبات إلى أقصى مداه... فحيثما بقى فى الميدان رجل واحد على قدم عرجاء فى حقيبته رصاصة واحدة فليلقنه فى النهاية كما انتهيت »

ولكن نابليون هو الذى انتهى فوقف بلسان الشاعر يقول:

« الآن كل شيء ضاع ... فيا ساعات الأرض جميعاً دقى لسلطانى دقة الختام »

ووقف الزمن يقول لذلك السلطان المخذول: « ما أمثالك من الرجال الذين يخوضون غمار الدنيا محدثين فيها الأحداث مقلبين السعود والنحوس إلا حشرات على صفحة الأجيال كحشرات النبات على صفحة الأوراق، ينشرون ما تطوى أخاديد التراب »

* * *

أترانا على هذا النهج قد رجعنا فى طريق الماضى، وأفلحنا فى تأخير السنين؟

كلا، بل نحن فيما أرجو قد تقدمنا أمام الزمن، ونظرنا إلى المستقبل، ورأينا على صخور القديسة هيلانة مكان ضيف جديد!

عباس محمود العقاد

الحديث ذو شجون

للدكتور زكي مبارك

العمر الضائع بين المداراة والرياء — الأندية الصحفية — نادى المعارف — الاذاعة اللاسلكية — إذاعة وزارة المعارف

العمر الضائع

هو عُمرى وأعمار أكثر الأدباء فى الشرق ، فأعمارنا تضيع بين المداراة والرياء ، ومن أجل هذا يقلّ فى أدبنا ذلك الجوهر النفيس : جوهر الصراحة والصدق . ومن أجل هذا أيضاً يقلّ السائلون عنا والراغبون فينا ، لأنهم يعرفون أنهم لن يطّلعوا على أفق جديد من آفاق القلوب والعقول حين يقرأون ما نطالعهم به من حين إلى حين

أقول هذا وقد وَأدتُ صفحتين كتبتهما بالأمس ، صفحتين صوّرتُ بهما من عرفتُ من الوزراء تصويرًا يُعيّن بعض الملامح من تاريخ العصر الحديث

ومن أعجب العجب أن نعجز عن قول الصدق ، حتى فى الأحوال التى يكون فيها ذلك الصدق خيراً محضاً ، لأن الجمهور الذى نعاصره يتأذى من الصدق الذى يسرّ أكثر مما يتأذى من الصدق الذى يسوء . وإنما كان الأمر كذلك لأن هذا الجمهور لا يرضيه أن يكون الصدق وسيلة لتوكيد بعض الحقوق التى غنِمها بعض الناس بصدق الجهاد

ويجب أن نسجل أن النوابغ فى الشرق لهذا العهد لم يصلوا إلى ما وصلوا إليه بفضل تشجيع الجمهور أو تشجيع الوزراء والأمراء ، فما نبغ نابغٌ فى الشرق لهذا العهد إلا بقوة ذاتية حَمَته وعصمتْه من كيد المخذّلين والموهّنين ، فهم كالأشجار التى تنبت فى الصحراء ثم تصير بواسق برغم الظمأ والأعاصير

وهنا تظهر العلل الأساسية لغضب الجمهور من الصدق الذى ينفع ، هنا يظهر السبب فى أن الفضل أصبح من أكبر الذنوب ، لأنه من صور الانتصار على الجمهور ، والمنتصر لا يقابَل بغير الموجِدة والنيظ . وهل كانت شماتة الناس بالمتلويين إلا تعبيراً عن هواجس الدفين فى أن تدول دولة القوة والتفوق ؟

فالذين يغضبون من الصدق المؤذى لا يغضبون لمن آذيت ، وإنما يغضبون عليك ، لأنك ملكت من القدرة أكثر مما يملكون ، وكانوا يتمنّون لو كان إليهم المرجع فى القدرة على الإيذاء . والذين يغضبون من الصدق النافع يُعبّرون بغضبهم عن علة خفية هى بغض الخير للناس ، ويزيد ألمهم كلما تذكروا أن جودك بالكلمة الطيبة قد ينفعك . وهذا يشرح أسباب حرصهم على تزييف المجاملات بحجة أنها من وسائل النفع ، كأنه لا يجوز أن يقصد الرجل بمجاملة النافعين من الرجال غاية شريفة هى رفع العوائق من طريقه والاتسام بسمة التلطف والترفق والتوق

وكنت قلت فى حديث سلَف إنه يجب على الأديب أن يتعرف إلى من يعاصر من الوزراء والزعماء ليساعد على توجيه الحياة الاجتماعية وليكون له مكان فى تسديد خطوات الجيل ، فرأى بعض الصحفيين أن يقول إنى أشرت إلى أسماء كان أكثرها من وزراء المعارف السابقين واللاحقين

فما معنى ذلك ؟ معناه أنى ألاطف قوماً قد أحتاج إلى معونتهم فى بعض الأحيان !

والذى قال هذا الكلام صديق ، وقد نشره فى جريدة هى أيضاً صديق . نسأل الله الحماية من الأصدقاء !

وأقول بعبارة صريحة إنى غير راض عن نفسى ، لأن جوانب الهجوم لها الحظ الأوفر من أدبى ، وذلك باب من الشجاعة بالتأكيد ، وهو يعرّضنى لكثير من ألوان المكاره والمتاعب ، ولكن هناك شجاعة أعظم من هذه الشجاعة ، وهى التى تنبعث عن القدرة على كلمة الإنصاف والتأييد فى المواطن التى يحتاج فيها من نعاصرهم إلى الجهر بكلمة الإنصاف والتأييد

فأنا حين أهجم على رجل أقيم الشاهد على الزهد فى المنافع الشخصية ، وقد أتلقى كلمات الإعجاب بلا حساب . وهذا المذهب لا يضمن الخلاص من هوى النفس

وأنا حين أتردد فى إزجاء كلمة الصدق لمن تنفعهم كلمة الصدق إنما أخدم نفسى بإبعادها عن المواطن التى قد أُتهم فيها بالتزلف ؛ وهذا فى رأيى جبن بشع لأنه من صور الخوف من تزيّد الناس ، ولا يخاف تقوُّل المرجفين إلا الجبان

وخلاصة القول أنه يجب أن ندرس نفوسنا دراسة عميقة لنعرف إلى أى حد نتأثر بالجمهور فى غضبه ورضاه ، فهذا الجمهور كالطفل المدلل ، ورأيه أضعف من هواه ، ولا يخضع الرجل فى تفكيره إلى هوى الجمهور إلا حين يكتب عليه الخذلان

الأندية الصحفية

يظهر أن الحرب الحاضرة سيكون لها تأثير فى مصاير الأندية الأدبية : ذلك بأن الظلام الذى يغمر شوارع القاهرة فى هذه الليالى قد أضاع بهجة القهوات ، وصرف روادها إلى أماكن جديدة هى إدارات الصحف والمجلات

فقهوة نيوبار بميدان إبراهيم لم تعد أمسياتها ملتقى السامرين من أهل العلم والأدب والذوق ، وكذلك صارت قهوة السلام بذلك الميدان محفوفة من روّادها بمض الجفاء ، ومشرب سيسل جفاه أصدقاؤه الأقدمون ، وقهوة ريجينا صدّ عنها من كانوا يجعلونها ندوة الصيف ... وهكذا صار من العسير أن نجد الفرصة للأنس برؤية بعض الإخوان على غير ميعاد فى تلك القهوات كما جذبنا الشوق إلى أطايب الأسمار والأحاديث

ومع ذلك عوضنا الله خيراً ، فقد انتقلت تلك الأندية إلى إدارات الصحف ، وصار من السهل أن نجد من نحب من الإخوان حين نريد . ولكن ما خصائص تلك الأندية الصحفية ؟

أرجو أن تسنح فرصة قريبة لتفصيل الكلام عما يقع فى إدارات الصحف والمجلات من العناية بتعقب أخبار الآداب والفنون

نادى المعارف

وما أريد « نادى المعارف » فى بغداد الذى يلتقى فيه جمهور المعلمين كل مساء ، وإنما أريد النادى الذى أنشأناه بوزارة المعارف فى المنطقة الشمالية من الديوان

ونواة هذا النادى كانت بمكتب تفتيش اللغة العربية ، وكان وقوده من المجادلات النحوية والصرفية واللغوية ، ثم انتقل إلى البهو الفسيح الذى يجتمع فيه كاتمو أسرار الوزير والوكيلين ، إن صحّ أن لوزارة المعارف أسراراً لا تذاع !

ولنادينا بوزارة المعارف محاسن وعيوب ، فهو يقرّب بعض الإخوان من بعض ، وينفّر بعضهم من بعض ، وإن دام الحال على هذا المنوال ... ؟ !

هو نادٍ مبعثَر ، ولكنه جذّاب ، لأنه يجمع أشتات الألوان ولأن أعضاءه جميعاً من أهل البصر بالأدب الرفيع ، وإن كان فيهم من لا يقرأ المجلات الأدبية إلا بالمجّان ، وحجتهم أن وزارة المعارف لا تشترك فى بعض المجلات الأدبية إلا لتوفر على موظفيها من الأدباء بضعة قروش فى كل أسبوع ، وهى حجةٌ من الوجاهة بمكان !

وليس لهذا النادى مواعيد ، فأنا أذهب إليه حين يخفّ ضجيج الجدل بمكتب تفتيش اللغة العربية ، وعبد الرحمن صدقى يخفّ إليه حين يحتاج إلى استعارة جريدة أو مجلة من أحد الرفاق ، وعلى أدهم يقرّ فى مكانه إلى أن تنزل عليه نازلة من بعض من يسألون عن مصاير الأدب حين تصطلح الحيتان فى بحر الشمال ، وسيد نوفل يتلبث ويتمكث إلى أن يجىء من يحدثه عن مدارج البلاغة فى غياهب التاريخ

وسيقوى هذا النادى بعد البشاشة التى شاعت بوجه الأستاذ فريد أبو حديد ، وقد تطيب الدنيا فينضم إلى نادينا فريق من الذين كانوا يظنون أن جوّ وزارة المعارف لا يساعد على خلق الروح الأدبى ، لأن وزارة المعارف فيما يزعمون ليس لها أثرٌ مذكور فى تشجيع الأدباء

وزارة المعارف ؟ ذلك هو اسمها ، والأسماء لا تعلَّل ، كما كان يقال . وإلا فكيف جاز ...

لقد أنسانى الشيطان ما كنت أحب أن أقول !

الإذاعة اللاسلكية

لا تنقطع أصوات الاعتراض على ضعف مناهج الإذاعة اللاسلكية ، ولا يكون من المغالاة أن نقول إن فى الناس من نسى أن فى مصر إذاعة تواجه الجمهور بالطيبات من الأحاديث الأدبية والعلمية والاجتماعية ، فصار من المألوف أن تُلقى فى محطة الإذاعة بعض المحاضرات الجيدة بدون أن يتنبه لها جمهور المتشوفين

فما علة هذا النقص ؟

لا ترجع العلة إلى ضعف من يسيطرون على محطة الإذاعة ، وفيهم أدباء فضلاء ، من أمثال فلان وفلان وفلان ، وإنما ترجع العلة إلى كسل أولئك الأدباء الفضلاء

ولكن كيف ؟

لم يتفق للمشرفين على محطة الإذاعة أن يفكروا فى الانتفاع بمواهب الأدباء الكبار انتفاعاً يشهد بأنهم يحرصون على تزويد الجمهور بأطيب ما فى مصر من ثمرات العقول والقلوب والأذواق ، وإنما يقبع المشرفون على المحطة فى مكاتبهم لفحص ما يَرِد عليهم من طلبات الشادين والمبتدئين من الذين لا يعرفهم الجمهور أول مرة إلا عن طريق المذياع

من حق محطة الإذاعة أن تشجع بعض المبتدئين ، ومن حقها أن ترفع إصر الخمول عن بعض الخاملين ، ولكن هذه النية

الطيبة ستعود عليها بالضرر البليغ ، وسيكون حالها كحال المجلات التى تسقط جدرانها فوق رءوس من تشجّع من التلاميذ

ويظهر أن محطة الإذاعة تنسى أن لها جماهير فى أقطار الشرق ، وأن تلك الجماهير لا تنظر بعيون الارتياح إلى عنايتها بتدريب المبتدئين ، وتشجيع الخاملين

أكتب هذا وقد سمعت أن المشرفين على محطة الإذاعة أقسموا بالله جهد أيمانهم ليُغلقُنّ آذانهم عن كلمات النصح ، حتى لا يقال إنهم ضعفاء تخيفهم أسواط النقد الأدبى

وأنا أحترم هذا النوع من الشجاعة ، وأرجو أن يعرفوا أنى يائس من آذانهم كل اليأس ، وما حملنى على تسطير هذه الكلمة إلا الرغبة فى أن تعرف جماهير الأمم العربية أن مصر بخير وعافية ، وأن محصول محطة الإذاعة لا يمثل ما فى مصر من حيوات القلوب والعقول

اذاعة وزارة المعارف

زعموا أن وزارة المعارف نظمت دروساً للراسبين فى امتحانات الثقافة العامة وامتحانات القسم الخاص

وما يهمنى إلا الدروس الخاصة باللغة العربية ، لأنها تصوّر مواهب المدرسين بالمدارس الثانوية . وأنا أقترح أن تسجّل تلك الدروس لنستطيع مؤاخذة أصحابها حين نشاء ، فبعض من يُلقون تلك الدروس يقعون فى اللحن الفاحش ، ويسقطون فى تفسير النصوص سقطات لا يتردى فيها العلماء، فإن اعتذروا بأن بعض من يفسرون القرآن عن طريق المذياع يقعون فى أغلاط أبشع من أغلاطهم فذلك هو العذر الذى قيل إنه أقبح من الذنب !

ولو تفضلت محطة الإذاعة فسجلت طوائف من الأحاديث لاستطاع النقد الأدبى أن يطوّق بعض أصحابها بأطواق من حديد

ولكن متى تصنع وهى تزعم أنْ ليس فى الإمكان أبدع مما كان ؟ ! ومع ذلك يعاب علينا أن نثور من وقت إلى وقت ، كأن من الواجب أن نفرح بكل ما يصدر عن أبناء الوطن الغالى !

أيكون من حق بعض الناس أن يصدّعونا باللحن والخطأ فى جميع الأوقات ، ولا يكون من حقنا أن نمرك آذانهم فى بعض الأوقات ؟

ستزجى أيام هذا الصيف بتعقب أولئك « الفضلاء » إلى أن يصدر الأمر بأن محطة الإذاعة محطة حكومية وأن توجيهها إلى السّداد من الممنوعات . فتى يصدر ذلك الأمر ليعرف الجمهور أن سكوت النقد الأدبى عن محطة الإذاعة ليس إلا فنّاً من الطاعة لأولى الأمر منا ؟

عفا الله عمن حرّضونى على هذا النقد اللاذع من القارئين والقارئات والسامعين والسامعات ، وإن كان تحريضهم شاهداً على أن فى مصر ناساً يقرأون ويسمعون ! وهل من القليل أن أن يكون فى مصر من يرجو أن تُفرض « الرقابة الأدبية » على من يكتبون ويخطبون ؟

زكى مبارك

الى الباكين على فرنسا

مقتول يبكى على قاتله !
وفى غير الحب ... !

للأستاذ عبد المنعم خلاف

عجيب هذا التفريق والتمييز بين فرنسا السياسية وفرنسا الأدبية والروحية — إن كان لها روح — من أقلام طائفة من كتابنا ، بينما فرنسا لا تفرق بين الإسلام والعروبة السياسيين والإسلام والعروبة الروحيين !

أصحيح أنه ليس فى مواريثنا ولا فى أفكارنا ولا فى إنسانيتنا شىء ذو قيمة يستحق الإبقاء عليه والاحتفال به وإمداده بعوامل النمو والحياة ؟

وإلا فما بال فرنسا فى كل ديار العرب والإسلام التى وقعت تحت سلطانها السياسى أو الأدبى تكيد للإسلام والعروبة وتحاول تجريد أهلهما من القوة والمقومات والجنسية واللغة والدين ؟

لو فرقت فرنسا وهى القوية بين شخصيتنا السياسية وشخصيتنا الروحية والأدبية ما كان فى ذلك خطر عليها مثل الخطر الذى على أممكم الضعيفة أيها الكتاب من هذا التفريق الذى تفرقون

« إن أول الشر استظراف الأشرار » تلك مقالة صحيحة فى علم الأخلاق . وأنتم استظرفتم أعداءكم أعداء الحرية والحق الذين زعموا أنهم أول من أعلن حقوق الإنسان ، ومددتم أعينكم إلى ما عندهم من زينة الحياة وأعجبتم بجمال اليد التى تضربكم بالسيف وتأخذ منكم أقواتكم وأرزاقكم وغلات أرضكم ومجهود عمالكم وجنودكم لتصنع من كل أولئك أدوات زينتها ووسائل ترفها ، وتقيم بها أسواق فنونها وأنسها وبهجتها ومعارض قوتها ، ثم لا تذكر هى فقركم وعيلتكم وحرمانكم وضعتكم وهوانكم وجهلكم حين تذكرون أنتم باريس التى قام بنيانها على أنقاضكم وفتوتها على أطلال هداكم

إنكم أخطأتم فهم وضع الإنسان فى الحياة ونسيتم الوضع القدسى الذى وضعه فيه الإسلام ، وكان هذا الخطأ وهذا النسيان السبب الأول فى تنازلكم عن حقوق حياتكم الكاملة وحقوق حياة الآخرين من عباد الله واغتفاركم لفرنسا جناياتها السياسية على صميم الحياة الإنسانية فى ملايين عدة من أرواح الإنسان فى مقابل تمتعكم بترفها العقلى والأدبى وألوان فتونها التى لم تغن عنها شيئاً غداة نكبتها الكبرى تحت أقدام الألمان

لقد أنذرتكم الأقدار فى سقوط فرنسا بأن هذا الترف العقلى والبدنى الذى فتنتم به وأعجبتم بعدوكم له ونسيتم حقوق نفوسكم ونفوس أبناء عمومتكم ودينكم من أجله — إن هو إلا فقاقيع صابون جميلة براقة تنفجر لأقل نسمة تلامسها

الأدب والفلسفة والفن فى فرنسا زور وبهتان وهذيان ، لأنه لم يرفع النفس الفرنسية إلى درجة الوصاية الرشيدة على ميراث الفضائل الإنسانية ، ولم يجعلها نفساً رحيبة سمحة مع من اغتصبت حرياتهم وحقوقهم بل لم يجعلها نفساً سمحة مع ذاتها هى . وأكبر الدليل على ذلك تلك الأسس الاقتصادية الفاسدة والبراكين الداخلية والانحلال والتفكك الذى انتهى بها إلى نهايتها العجيبة

لو حكموا الناس حكم الإبقاء والاستحياء لا الإبادة والإفناء والإهدار والتحقير والحرمان من نور العلم وهدى الدين لقلنا خلفاء فى الأرض يعمرونها وينمون مواردها ويحترمون إنسانها كما يسمنون حيوانها ، ولكنهم لم يفعلوا هذا بل جشموا وهم الأغنياء ، وحرموا المحكومين العلم وهم العلماء ، ولم يحاولوا رفع النفوس الإنسانية ، بل على الضد كادوا لها ودسوا سموم الضعف والفساد إليها ، فليس لنا أن نقول إن لهم روحاً تحب وسياسة تكره لأن التفريق بين الفضيلة والسياسة إلى هذا الحد الفاحش لا يستقيم فى معرض انتحال الأعذار وتلمس المنادح إلا إذا حرفنا القلب الإنسانى عن موضعه الإلهى ... ليس لنا أن نقول فيهم غير نتيجة أعمالهم

إن هذا التفريق بين السلوك السياسى والسلوك الروحى قد صار أمره عجباً من أعاجيب الحياة الأوربية ! وقد بات خطراً على الحياة الإنسانية الشخصية لأنه تسرب إلى موازين الحكم على الأفراد فهم يحترمون الذكى ويقدرونه ولو كان شيطاناً شريراً مفسداً ويقولون هناك حياة خاصة يحل للانسان فيها ما يحرم عليه فى الحياة العامة ... حتى تعددت الشخصيات بين ازدواج وتثليث وتربيع إلى ما لا نهاية ... وبات الإنسان بهذا متعدد النواحى

تصطرع فيه الأضداد وتحترب المتناقضات

هذا كذب وتدليس على الطبيعة والفطرة كما أرادها الله فاحذروه ! « ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه . . . » إن الحياة الشخصية إذا لم تكن بريئة نظيفة معتصمة بعروة الحق الواحد الذى لا يتعدد فهيهات أن تصفو لها وبها الحياة العامة . فإن النوازع النفسية هى الروافد للأفكار والأعمال . وإن الحق لا يعترف بسلطان الهوى « ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض » فلا غفران من الحق لنسيانكم آلامكم وآلام أبناء جنسيتكم ودينكم فى الجزائر وتونس ومراكش الذين جعلتهم فرنسا أمكم الروحية متخلفين عن قافلة الحياة العالمة العادلة بمائة وخمسين سنة . . .

إنهم ضربوا مدينتكم دمشق ظئر الإسلام الفاضلة الأصيلة العامرة بآثار مجدكم — بالمدافع فى الثورة السورية الكبرى ؛ ومع ذلك لم يبك عليها منهم باك ، ولم يرث لها قلب راث . . . فلماذا تبكون أنتم على باريس حينما جرعتها الأقدار غصص القصاص العادل والثأر لكم ولغيركم من عبيد الله المستضعفين ؟ !

ليست هـذه شماتة ، ولـكنها أيضاً ليست صوفية بلهاء فى الوطنية والجنسية ، ترحم الجانى وتبكيه يوم ينزل به قصاص العدالة التى قامت بها السموات والأرض

أجل ، ليست ضعفاً وفسولة من « مقتول يبكى على قاتله ... » وفى غير الحب !

لا تنسوا آلامكم إلا إذا تحررتم من أعدائكم ، ولـكن ما دمتم تحت النعال فلا تمسحوها وتجملوها بأيديكم ... وما دامت النصال تنوشكم فلا تـحدُّوها وتشحذوها وتسددوا السواعد التى تضربكم بها ... وتسديدها هو أن تتغنوا بأى مجد لمن بها تجنوا عليكم ما داموا مصرين على تعذيبكم بمجدهم

ذلك هو منطق الطبيعة الصحيحة المزاج البريئة من التدليس وخديعة الضعف والعجز ونسيان القدر الضرورى اللازم من الوحشية لـكل إنسان يحرص على الـكرامة الإنسانية التى لا تساوى الحياة تكاليفها إذا جردت منها ...

***

هذا كلام يساق لمن يعتقد أن عالم الفكر والفن والأدب هو العالم الأصيل فى حياة النفس الإنسانية ، وأن ما عداه فهو على هامشها ؛ وعلى هذا الأساس ، إذا لم يؤثر هذا العالم الرفيع فى النفس ويوجهها للخير ، ويجعل حياتها وحدة متناسقة بريئة من التناقض ، فلا جدال فى أنه قد قام على أساس فاسد يجب تعديله وتصحيحه وعدم اللجاجة فى الدفاع عنه

أما من يظنون أن الأدب والفن حديث بدوات ونزوات وعربدات وألاعيب ذكاء مسجلة تسجيلاً جيلاً جيلاً ببيان براق يسحر النفس ويخيل إليها أخيلة الأحلام المنفصلة عن حياة الواقع فى السياسة والمعاملة ... فهؤلاء سيظل الأدب والفن بهم فى درجة متخلفة أمام جماهير الإنسانية الحكيمة الواقعية عن درجات صناعة الأحذية ودبغ الجلود وكنس الطرق ...

وسيظلون عائشين على هامش الحياة منظوراً إليهم من الناس على أنهم يحيون فى نطاق عالم آخر مملوء بالشذوذ والعقم والفراغ والحيرة والخيبة وعلك الـكلام ومضغ الأحاديث والاكتفاء من الحياة بأيسر ما فيها وأهونه ...

(القاهرة) عبد المنعم خلاف

تعليق على :

«فائدة الأربعاء!»

للأستاذ على الطنطاوى

هذه كلمة صغيرة من باب ما نشره الأستاذ المدنى فى «فائدة الأربعاء»، وما أفتى فيها ذلك (العالم الكبير) الذى أولع — غفر الله له — بتبرير كل ما تفعل العامة، والاستدلال عليه، والدفاع عنه، ولو كان خطأ محضاً، ولو كان ظاهراً فيه الخروج على مبدأ التوحيد الذى جاء به الإسلام نقياً واضحاً، دأبه فى ذلك دأب زميله الشيخ يوسف النبهانى رحمه الله رحمة واسعة، فإنه كان على علمه وأدبه يذب عن عقائد العامة، ويسخر للدفاع عنها قلمه البليغ، ويناضل عنها ويهجو العلماء المصلحين بالقصائد الطوال، حتى إنه تطاول على علامة العصر السيد رشيد رضا، وعلى شيخه مربى الجيل الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده رضي الله عنهما

وسبب ذلك كله ابتغاء الحظوة عند العامة، والرغبة فى نيل احترامها وتقديرها، وإلا فكيف يخفى على مثل الشيخ يوسف النبهانى والشيخ يوسف الدجوى، وهما ما فى سعة العلم، وبلاغة القلم، وحدة الخاطر، أن الذى يدعو إليه السلفيون من لدن شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى الشيخ محمد عبده والسيد رشيد رضا والشيخ جمال القاسمى — أن الذى يدعون إليه إنما هو الرجوع إلى الكتاب والسنة، ونبذ البدع والخرافات، وطرح الأحكام الاجتهادية التى لم يرد فيها نص ولم يبق إليها من حاجة، وليس على شىء من ذلك رد، ولا للجدال فيه مجال؟

وكيف يخفى على عالم أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يمنعه ما كان يقاسى من آلام المرض الذى قبض فيه من أن يبيّن أن الله لعن قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد — وأن المسلمين أمسوا اليوم، وما مسجد من مساجدهم إلا وفيه قبر أو أقيم على قبر، وأكثر هذه القبور لم تصح نسبته إلى صاحبه. هذا مسجد دمشق الكبير، من يستطيع أن يثبت أن القبر الذى فيه هو قبر سيدنا يحيى عليه السلام، وقبر سيدنا الحسين فى القاهرة من يثبت أنه فيه مع أن رأسه فى المشهد المعروف باسمه فى مسجد دمشق وجسده فى كربلاء؟ وكيف يكون فى بيروت مقام سيدنا يحيى وليس فى هذا المقام قبر ولا شبهه؟ ولكنهم كرهوا أن يكونوا بمنجاة من مخالفة الحديث، فأقاموا هذا المقام على غير شىء.... وما الفرق بين وجود القبر وعدمه ونحن نعتقد أنه لا يضر ولا ينفع؟ وكيف يخفى على عالم أن فى الحديث الصحيح الذى رواه على رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم أمره ألاّ يدع صنماً إلا كسره، ولا قبراً مشرفاً إلا سوّاه بالأرض؟ فما بالهم أحرص الناس على تشييد القبور وتعظيمها والوقوف بأعتابها؟ وهل يفعلون ذلك إلا استرضاء للعامة وابتغاء الحظوة عندها؟ فأين إذن أمانة العلم وكرامة العالم، وأين إرث الرسول؟

وأغرب من ذلك وأبعده عن الحق أن من العلماء من يستدل على الخرافة بأحاديث لا أصل لها إرضاء للعامة. حدث من أسابيع أن قدم دمشق عالم تركى من علماء اسكندرون، فدخل المسجد فرأى حلقة نبيلة فجلس فيها، وكان المدرس من علماء دمشق المعدودين الذين يقرؤون بين العشاءين، فسمعه يقول: إن النبى صلى الله عليه وسلم يخرج كل ليلة من قبره بلحمه ودمه فيدور دورة فى الأرض يرى فيها كل شىء ثم يعود إلى قبره. فقال له الشيخ التركى: من أين جئت بهذا؟ فأظهر المدرس الغضب وصرخ: ألمثلى يقال من أين؟ إذا شئت أن تتعلم فتعال إلىّ فى دارى أعلمك. فجاءه فى داره، فبحث ونقب ثم أتاه بحديث ليس له سند معروف. فقال له: هذا حديث موضوع، فقال المدرس: لا بل هو صحيح، وصرفه من داره. فلما كان الغد دخل الشيخ التركى المسجد ومعه طائفة من الكتب المعتبرة التى تنص على أنه حديث موضوع، فكان جواب الشيخ أن صرخ: نحن ما عندنا وهابية... نحن ما عندنا وهابية... نحن من أحباء الرسول. وكرر ذلك حتى جمع عليه العامة فكادوا يبطشون به

وأشد غرابة من هذه القصة ما أسمعه كل جمعة على كثير من منابر دمشق، من التصريح بأن النبى صلى الله عليه وسلم حىّ فى قبره. وما أدرى كيف يكون حياً فى قبره والحىّ عندنا هو الذى يأكل ويشرب ويتنفس؟ فهل هو صلى الله عليه وسلم حىّ فى قبره بهذا المعنى؟ وإذا كان حياً فكيف نعتقد أنه مات سنة كذا، وكيف قام من بعده أبو بكر وعمر وبقية الخلفاء؟ وإذا

ثبت أنه قد عاش كما يعيش الناس ومات كما يموتون فكيف يكون حياً في قبره إلا أن تكون حياة روحية برزخية لا نفهم ما هي؟ ولا ندرك صلتها بحياتنا الأرضية؟

أما إنه لا بد من تصحيح عقيدة المسلمين بالنبي صلى الله عليه وسلم. والصحيح أنه ليس بشراً كسائر البشر أو فيلسوفاً أو مصلحاً فحسب، كما يريد أن يصوره بعض المستشرقين وأذنابهم من الملاحدة الذين تخرجوا على أيديهم فجاءوا منكرين للوحي، لا يرون فرقاً بين النبي وبين العلماء المصلحين، ويزعمون أن الإسلام إنما خرج من رأس محمد وقلبه

وليس فوق البشر، كما يتصوره بعض المسلمين القائلين بخرافة حياته في قبره، وعلمه بكل شيء، وقدرته بعد موته على النفع والضرر

ولكنه بشر مثلنا بنص القرآن، وإنما يمتاز بالعصمة وبالوحي، وبقيامه بالتبليغ عن الله، وقد انقطع الوحي والتبليغ بموته، فمن ادعى أنه رآه صلى الله عليه وسلم في نومه فأمره بكذا أو نهاه عن كذا، يكون إما مجنوناً أو معتقداً نقص الشريعة، أو متلاعباً بالدين ... ومن حسب أنه يمدحه بمثل قوله:

يا أكرم الرسل مالي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم

فهو على ضلال، لأنه يمدحه بما يهدم التوحيد من أساسه. وإذا كان كفار قريش الذين سماهم الله مشركين وأوجب قتالهم، يدعون الله مخلصين إذا ركبوا في الفلك، ورأوا الشدة، فاذا يكون هذا الرجل الذي يحيق به الحادث العمم فلا يجد من يلوذ به إلا الرسول؟ وينسى الله؟ ونحن نعلم أن النفي والاستثناء من طرق القصر ولذلك كانت كلمة التوحيد لا إله إلا الله؟

وماذا نقول للعلماء الذين يفهمون هذا الأمر الواضح، ثم يقرؤون هذا البيت ويتواجدون عند سماعه لأن العامة تعتقد به وتقدسه؟

وماذا نقول للعلماء الذين يحضرون الموالد وأشباهها فيسمعون المغني يتغزل بالرسول، ويذكر الوصال، أي والله، والعين والفم وهاتيك الوقاحات، ويسكتون خوفاً من العامة؟

والذين يجلسون في حفلات الرقص التي تسمى ذكراً، ولا ينكرونها وهم يعرفون بطلانها خوفاً من العامة؟

* * *

يا سادتنا العلماء الأعلام، إننا لا نحتاج إلى علم، فإن عندكم منه ما يزيد على الحاجة، ولكنا نحتاج (ولا مؤاخذة) إلى إخلاص وإلى جرأة، وإلى تحرر من التعبد لجماهير الناس، وتخلص من الخضوع للعامة، فإذا وصلتم إلى ذلك لم نختلف ولم نتجادل، لأن المسألة ترد إلى الدليل وأنتم أعرف به منا

إننا نشكو أموراً كثيرة، وأنتم تعرفون دواءها ولكنكم تخافون العامة ...

منها العقيدة بالقبور، وسؤال أهلها، والتوجه إليها، وهي عقيدة لا يعرفها الإسلام، بل يعرفها اليونان الأقدمون ويسمونها عبادة الأبطال. ومن شاء فليرجع إلى كتاب تاريخ الحضارة لشارل سينوبوس الذي عربه أستاذنا كرد علي بك وليقابل بين العقيدتين وليقل لي: أما هما من جنس واحد؟

ومنها مسألة السفور، هذه المسألة الاجتماعية الخطرة، التي تعد من الأدواء المعضلة، والعلماء واقفون منها شر موقف، وبيان ذلك أن النساء يمشين نحو السفور بل الحسور والتهتك والعلماء ساكتون لا يعالجون المسألة ولا يحسنون علاجها، فإن تصدى لها مصلح فأحب أن يجد لها دواء، كالسفور الشرعي المحتشم مثلاً — أثاروا عليه العامة، وخطبوا به على المنابر، واتهموه بأنه سفوري مفسد، فإذا كف عن بحثه الإصلاحي عادوا إلى نومهم وتركوا حبل التهتك على غاربه ... فلا هم يصلحون ولا هم يتركون الناس يصلحون، وأظنهم لا يفكرون في الإصلاح تفكيراً جدياً، وإنما يبتغون الحظوة عند العامة

ومنها مسألة الطرق الصوفية وما فيها من منكرات

ومنها خرافات المتصوفة وضلالاتهم كالقول بوحدة الوجود، والقطبانية، وأهل الديوان

ومنها مسألة المذاهب الفقهية والاجتهاد، والكلام فيها يحتاج إلى فصل بل إلى فصول طوال

ومنها الرد على الشبه التي يوردها المستشرقون وأمثالهم

فمن لهذه المسائل إلا أنتم يا سادتنا العلماء؟ من يعالجها؟ من يدرسها؟ وكيف تدرسونها وأنتم تحرصون على رضا العامة أكثر من حرصكم على الحقيقة؟

هذه هي المسألة يأيها الأستاذ المدني، ليست محصورة في فائدة الأربعاء ولا فائدة الخميس! فسل إخوانك علماء الأزهر ما هو جوابهم عليها وقل لي، ولك الشكر وعليك السلام.

علي الطنطاوي

من وحي الحرب

يا سـيدى ...

للأستاذ كامل محمود حبيب

[تلقى أحدهم أبيض بضاً ، يملخ فى الباطل ملخاً ، ينفض مذرويه ، ويضرب أسدريه ؛ يقول : هاأنذا فاعرفونى . قد عرفناك فمقتك الله ومقتك الصالحون] الحسن البصرى

أهلاً بك ، يا سيدى ، وسهلاً !

الآن أشرق ظلام القرية بنور وجهك البهى ، فافتح أمامى بابك المغلق وقلبك الموصد ، ودعنى أجلس إليك ساعة أبثك هماً من همى ، وأشكو إليك شجناً من شجونى ؛ فأنا عبدك وخادمك منذ أن كان أبوك وأبى ...

دعنى أجتلى طلعتك الوضاحة علّها تزحزح عن صدرى بعض ما فدحه

لطالما طلبت إليك أن تسكن إلينا يوماً أو بعض يوم لتنفث فينا الحياة ، فرميتنى بالنظرة الشزراء والكلمة القاسية ، تشعرنى خيبة الرجاء وضيعة الأمل

وتصرمت سنوات ، يا سيدى . والآن ، جزى الله الشدائد كل خير ، فهى أرسلتك إلينا لتسكن القرية وترى ... فأهلاً بك ، يا سيدى ، وسهلاً .

* * *

ماذا ، يا سيدى ، ماذا ؟

ماذا وراء هذه السحابة السوداء التى تظلل وجهك الصبوح؟ وماذا وراء هذا الفتور الذى يغمر جنبات حياتك ؟ وماذا وراء هذه النظرة الفاترة الحائرة ، وهذه الإطراقة الطويلة الصامتة ؟

إنك تأخذ وتذر فى صمت ، وتجادل وتناقش فى ملل ، وتأمر وتنهى فى تكسر ، وتعمل وتدع فى ضيق ؛ فماذا ... ماذا أصابك ، يا سيدى ؟

أتضيق نفسك بهذا الفضاء المنفسح وهو مسرح القلب ومراحه ، وتنزعج أذنك من خرير ماء الغدير المنساب خلال الوادى وهو النغم الساحر توقعه الطبيعة على قيثارتها الإلهية ؛ ويرتد طرفك دون هذا البساط السندسى الجميل فى ضجر وهو روح الجنة على الأرض ؛ وينغلق صدرك دون هذا الهواء النقى وهو معنى من معانى الشباب الدائم ؛ وتتململ وأنت فى ثوبك الفضفاض وهو يشعرك بحلاوة الحرية ؟

لا جرم ، فأنت لا تجد هنا بهجة الروح ، ولا هوى النفس ولا نور العين ، ولا ... ولا شفاء القلب

غير أنك ، يا سيدى ، حللت أهلاً

* * *

برغمك هبطت بيننا لتعيش عمراً من عمرك ، فهل ترسل نفسك على سجيتها لتشعر ببعض ما أقاسى ؛ فأنا الفلاح الصغير الفقير ، أكابد شدة الحياة ، وشظف العيش ، وذلة الإهمال ، وحيرة الضياع

منذ سنوات ، وأنت تقسو على ، فتنتزع منى قوت عيالى ومساك روحى فى غير رحمة ولا شفقة ، لتشبع رغبات الدنية الجائعة وحاجات الحضارة المزورة ، وأنا أحمل ثقل ظلمك فى صبر لأنك أنت سيدى

منذ سنوات ، وأنا أقف بباب قصرك ساعات « كالشحاذ » أطمع أن أفوز بكلمة ، فلا أجد السبيل إليك ، لأن حاجزاً من الرفاق يحول بينك وبينى

واندفعتَ فى سبيلك ، فركبك الدَّين ؛ وأنا أنادى ، فلا يبلغك صوتى الضئيل ، لأن فنوناً من الشهوات تشغلك عنى وصهت الأيام ، وقصر أبيك المشيد فى الضيعة يتداعى رويداً رويداً ، وأنا أناشدك أن تمنحه فضل مالك ، فأعرضت عنى فى أنفة وكبرياء ؛ وشمخت بأنفك ، فقلتُ : يا سيدى ، إن الغيب مستور ، ومن يدرى ، لعلك تحتاج إليه فى وقت ما . فقلتَ : هيه ، أيها الغبى ، أفتبتغى أن أسكن القرية وأنا هو أنا ... فسكت وفى قلبى حسرات على أن ينهد هذا الجمال الرائع

لقد تأنق أبوك فيه ، فكان فناً من الفن ، وكان مشرق العز ومهبط النعيم ؛ فلما سيطرت عليه اطّرحته ، وطرت إلى بلاد تسميها أنت بلاد النور ، تضيف إلى جهلك جهلاً آخر ، وتركتنا هنا نتكفأ فى بلاد الظلام والفاقة

إن الذى دفعك إلى هناك هو العلم الذى يعلم الجهل ، وهو العقل الذى يعلم الجنون

والآن جئت ، يا ابن القرية ، برغمك لتتردى فى قرار مكين وثارت بك سورة السلطان فرحت تتسخط على هذا الجهل الشامل ، ونسيت يوم أن ذهبتُ أستجدى جاهك على ابنى يجد مكاناً فى المدرسة ، فهررتَ فىّ وأنت تقول : حتى أنتم ... حتى أنتم ، أيها الفلاحون ، تريدون أن تتعلموا ... ؟ فرجعت والخيبة تشيع فى جنبات نفسى

فهل يسرك الآن هذا الجهل الذى تفهق به القرية ؟

* * *

أتحس فى قرارة نفسك أننى إنسان مثلك ؟ كلا

بل أنت كنت خاوياً نفخت فى إهابك الرتبة وسما بك اللقب هذا اللقب غرسته يد الكبرياء ، وسقته نزوة الخنزوانة ، وتعهدته ثورة النعرة

هو النبتة اللئيمة التى خلقتها أيام الاستعباد ، وترعرعت فى حضن الاستبداد

هو القيد البغيض والغُل القَمِل

هو العصا السحرية التى تخضع لها الأعناق ، وتتملقها الألسن ، وتهفو نحوها الرغبات ، وترنو إليها الأبصار ، وينفتح أمامها الباب المغلق ، ويذل لها القلب المتغطرس ، و ...

واللقب هو سيما الخسف والهوان ، وعلامة الغشم والحيف ، فتى ... متى الخلاص ؟

لا تلمنى ، يا سيدى ، فاللقب هو عدوى الذى أفرق منه : لأنه بث فيك العظمة والكبر ، وعلمنى الصغار والضعة ، ونفث فيك الغطرسة والعجب ، وأوحى إلىّ بالاستكانة والاستخذاء ، وسما بك إلى الخيلاء والصلف ، وانحط بى إلى التصاغر والخنوع . وهو فتح أمامك مغاليق الحكومة وأوصدها فى وجهى ، وهوّن عليك أمر الرزق وأعضله علىّ ، وألان لك الحياة ورمانى منها فى مهمه حَزن

فلا تلمنى إن أنا مقتُّه من جماع قلبى

ولكنك أنت ، يا سيدى ، حللت بيننا أهلاً

* * *

تعال معى ، يا سيدى ، نجلس هناك على الحصباء تحت الظل الوارف ، إلى جانب الساقية . تعال علَّك تجد فى نواح الساقية وأنين الثور وشكواى أنا الفلاح برداً يطفئ ثورتك

تعال واشهدنى وأنا بين الطين والماء ، بين الفأس والمحصدة ، بين الساقية والطنبور ، بين أرجاء أرضك التى تسعد بمحصولها ، أسهر الليل وأقوم النهار ، أعنّى النفس لتجد أنت لذتك . تعال علّ قلبك يتفتح لى فألمس بعض عطفك

تعال واقترب منى . لا تخش جسمى القذر ولا ثيابى الرثة الوضيعة

تعال ، انزل عن كبريائك ساعة واجلس إلىّ وذق طعامى ونم إلى جانبى ، ولا تأنف ولا تمتعض ولا تدع الحسرة تتسرب إلى قلبك فأنت رجل عظيم تستطيع أن تصنع شيئاً

ثم تعال إلى دارى وتأمل أهى خير أم حظيرة البهائم ؟

إن شيئاً من هذا لا يؤلمنى بقدر ما آلمنى أن أراك تشكو الريف وتضيق بالقرية وتفزع عن ضيعتك التى تنلّ عليك الآلاف ولكنك الآن ، يا سيدى ، حللت هنا أهلاً

* * *

هذا هو وطن الشدة فاحبه بعض رعايتك ، وهيىء منه فى شتائك لصيفك ، ولا تدع صمرك يطغى على عقلك

إن الريف يمرح بك ويبسم لمقدمك ويتلقاك بين ذراعيه فى فرحة ، فليكن له منك حسن الجزاء

لقد تفتق ذهنك ، وأنت بيننا ، عن ألف مشروع ومشروع ، ورأيتك تمسك بالقلم - تارة - ترسم على القرطاس ، وتمسك بالعصا - تارة أخرى - تخط على الثرى ، فهل تعمل أم هو الرخاء يمحو آثار الشدة ، فتنطلق - بعدُ - على سننك يجرفك الترف الذى أفسدك وأفسدنا

* * *

وأنت - أيتها الحرب - رعاك الله وأدامك لأنك علمت سيدى أن له داراً وأهلاً وضَيعة يطمئن إليهم ساعة من زمان ، وأنت أزحت الغشاوة التى كانت تحجب بصره عنى ، وأنت ... وأنت ...

فرعاك الله - أيتها الحرب - وأدامك

(مشتهر) كامل محمود حبيب

على هامش الحرب

الطابور الخامس فى القرآن (*)

للأستاذ عبد الرزاق ابراهيم حميدة

— ٢ —

أهل الكتاب

أعمالهم فى السلم : التشكيك فى الدين ، محاولة فتنة المؤمنين ، تحريف كتابهم إذا كان فيه ما ينفع المؤمنين ، محاولة التفريق بين الأوس والخزرج

قدمنا فى المقال السابق كيف اضطر الرسول الكريم إلى الهجرة من مكة إلى المدينة ، وكيف يسر الله له أسباب هذه الهجرة الشريفة بدخول كثير من أهل المدينة ، وبخاصة أشرافها ، فى دين الله ، فكانوا عزاً للاسلام ، ولمن هاجر إليهم من مسلمى مكة ، وعندهم استراح المسلمون المهاجرون من أذى قريش ، وتهيأت لهم الفرصة فى يثرب ليقتصوا من الذين أخرجوهم من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله . واستمر النضال بين المسلمين ومن تخلف عن الدين الجديد إلى أن ظهر الإسلام فى جزيرة العرب على الدين كله

ولكن انتصار المسلمين على قريش خاصة وعلى بقية المشركين عامة ، لم يكن أمراً مهلاً ؛ فقد كان العدو الخارجى قوياً ، وكانت جماعة الطابور الخامس فى المدينة وما حولها خطراً شديداً ، إذ كانت تخفى عداوتها وتبدى مودتها وتتربص بالمؤمنين الدوائر وتمين عليهم إن سرا وإن جهرا كل من يغير على المدينة أو يريد بالإسلام سوءاً

ولما كان عدد المسلمين كثيراً بالمدينة ، وكان النبى الكريم أكبر عامل فى حياة يثرب ، وله الرأى الأعلى فى إدارتها وحربها وسلمها ونظامها الاجتماعى والاقتصادى والسياسى ، كان لابد من استخفاء جماعة الطابور الخامس فى المدينة ، وكان لا بد لها من إظهار الإسلام ، أو الارتباط بالرسول بعهود وثيقة أن تنصره وتشد أزره ولا تمين عليه مُغيراً ، حتى تسنح الفرصة لإظهار الكفر أو لنقض العهد ، وحينئذ تسارع هذه الجماعة فى الكفر وتخلف النبى ما وعدته

وأهم طوائف هذه الجماعة — جماعة الطابور الخامس — هم أهل الكتاب والمنافقون من أهل المدينة وممن حولها من الأعراب ، ويكاد اليهود يكونون هم وحدهم دعامة الطابور الخامس من أهل الكتاب ، ولنبدأ بحديثهم :

اليهود

كان اليهود فى بدء الإسلام ينزلون بالمدينة وما حولها ، وكانت لهم سيطرة ونفوذ فى المدينة قبل الإسلام ، وبخاصة من الناحية الروحية ، وكانوا يتلون كتابهم ويرون فيه أن رسولاً من غيرهم قرب ظهوره . وكانت صفاته عندهم تدل على أن « النبيّ الأميّ الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل يأمُرُهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويُحِلُّ لهم الطيبات ِ ويُحَرِّمُ عليهم الخبائث ، ويضع عنهم إصرَهم والأغلال التى كانت عليهم » هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، العربى القرشى ، الذى ظهر بمكة وأخرجه قومه منها ، وهاجر إلى المدينة ؛ « فلما جاءهم ما عَرَفوا كفروا به ، فلعنة الله على الكافرين » . وكان الذى دفعهم إلى الكفر به هو حسدهم له وغيرتهم من أن يكون خاتم الرسل رجلاً من غير اليهود ، فقال الله فيهم : « بِئسَما اشتَرَوْا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزَلَ اللهُ بَغياً أن يُنزِّلَ اللهُ من فضله على من يشاء من عباده ، فباءوا بغضب على غضب ، وللكافرين عذابٌ مهين »

موقف اليهود من الرسول فى السلم

كانت لليهود مواقف بعد الهجرة لا تمت إلى الشرف بسبب سواء ذلك فى السلم أو الحرب ، والذى يعنينا اليوم هو موقفهم فى السلم ، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم آخى بين المهاجرين

(*) طلب منى الدكتور الفاضل زكى مبارك أن أختار لفظاً عربياً لهذه الكلمة ، وأخبرنى أن أهل الفرق يستعملون « الرتل الخامس » فأخبرته أن أصح كلة فى نظرى هي « الصف الخامس » فوافق عليها . غير أني آثرت العنوان السابق لشيوعه وكثرة استعماله ، ولا مانع عندى من استعمال اللفظة الشائعة لأنها تجرى الآن مجرى الأعلام .

والأنصار بعد وصوله إلى المدينة وأذهب الله به ما كان بين الأوس والخزرج من عداوة ، وكان من أول ما عمله أن عاهد اليهود على أن يعيش وإياهم فى أمن لا ينصر أحدهم عدواً على الآخر ، ومن عهده لهم : « وإن من تبعنا من يهود فله النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم » ولكن الحوادث التى سنقدمها تدل على أنهم لم يوفوا بعهدهم ، بل أخذوا يحاربون الرسول الذى أقرهم على دينهم وأموالهم ، وأخذوا يحاربون دينه بوسائل شتى

ومن تلك الوسائل التى اتبعوها طريقة التشكيك فى الدين ، وذلك أنهم كانوا يؤمنون حتى يطمئن إليهم المسلمون ثم يرتدون كفاراً ، كى يظن المسلمون بدين الرسول ظنونا ، ويقولوا ما كفر هؤلاء وهم على بينة من أمر الأديان إلا لعلة . ففضح الله هذه اللعبة الخطرة إذ يقول : « وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون »

وكانوا « إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا ، وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا » عاتبين على من يخبر المؤمنين منهم بصفات الرسول فى التوراة : « أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليُحاجُّوكم به عند ربكم ؟ أفلا تعقلون ؟ »

وكانوا يرسلون طائفة منهم إلى الرسول بعد أن يسمموها أحكام التوراة محرفة ، ويوصون تلك الطائفة ألا تقبل من التعاليم والأحكام إلا ما يوافق أهواء مرسليهم سواء وافقت الحق أو خالفته وكانوا يتحاكمون إليه ، لا رغبة فى حكومته العادلة ، ولكن رجاء أن يحابيهم فيحكم بما يوافق هواهم ، ثم ينقلبون عليه ، ويشيعون عنه السوء من أجل هذه الحكومة : روى أن شريفاً زنى بشريفة بخيبر ، وهما محصنان ، وحَدُّهما الرجم فى التوراة . فكرهوا رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطاً منهم يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، وقالوا لهم : إن أمركم بالجلد والتحميم فاقبلوا ، وإن أمركم بالرجم فلا تقبلوا . فأمرهم بالرجم ، فأبوا أن يأخذوا به ، فنزل قوله تعالى : « ومن الذين هادوا سماعون للكذب ، سماعون لقوم آخرين لم يأتوك ، يحرفون الكلم من بعد مواضعه ، يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه ، وإن لم تؤتوه فاحذروا » وأمر الله نبيه الكريم أن يحكم بينهم بالقسط أو يعرض عنهم ، وبين له أنهم إنما احتكموا إليه هرباً من حكم كتابهم ، فقال له : « وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ؟ ثم يتولَّون من بعد ذلك ، وما أولئك بالمؤمنين » ثم حذره أمرهم فقال : « وأن احكم بينهم بما أنزل الله ، ولا تتبع أهواءهم ، واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك »

وكان علمهم بدين موسى سبباً فى مغالطات منطقية سخيفة يريدون بها أن يبطلوا دين محمد ، وأن يصرفوا العرب عنه ؛ فمحمد يقول لقومه عن الإسلام : « مِلّة أبيكم إبراهيم » وهم يقولون إن إبراهيم كان يهودياً ، وهو أبو العرب فواجب على أتباع محمد أن يتبعوا اليهودية التى هى دين إبراهيم ، لا أن يتبعوا الإسلام ، فنفى الله وصفهم لإبراهيم باليهودية فى قوله : « ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ، ولكن كان حنيفاً مسلماً ، وما كان من المشركين » ثم وبخهم على هذه المغالطة بقوله : « يا أهل الكتاب لم تحاجُّون فى إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده ، أفلا تعقلون ؟ »

وبلغت بهم الجراءة أنهم أرادوا تهويد جماعة من كبار الصحابة منهم حذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر ومعاذ بن جبل ، ولكن الله عصمهم ، وفى ذلك يقول الله تعالى : « ودت طائفة من أهل الكتاب لو يُضِلُّونكم وما يُضِلُّون إلا أنفسهم وما يشعرون »

وكان فى التوراة آيات تدل على صفات محمد وفضله ، وكان فيها أحكام توافق القرآن ولا توافق هواهم ، فعمدوا إلى تحريفها ليبطلوا حجة المسلمين وبرهانهم على رسالة محمد من هذه الناحية ، وكان على رأس هذه الطائفة المحرفة كعب بن الأشرف ، ومالك ابن الصيف ، وحُيَيُّ بن أخطب ، وهم الذين قال الله فيهم : وإن منهم لفريقاً يَلوُون ألسنتهم بالكتاب ، لتحسبوه من الكتاب ، وما هو من الكتاب ، ويقولون هو من عند الله ، وما هو من عند الله ، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون »

وكانوا يحاولون التفريق بين الأنصار من الأوس والخزرج

بتذكيرهم بحروب الجاهلية ، والعداوة التي كانت بين القبيلتين ومحاها الإسلام : قيل مَرَّ شاس بن قيس اليهودى على نفر من الأوس والخزرج فى مجلس لهم يتحدثون ، فغاظه تحدثهم وتآلفهم ، فأمر شاباً من اليهود أن يذكرهم يوم بعاث لعلهم يغضبون ، وكان يوماً اقتتلت فيه الأوس والخزرج ، وكان الظفر فيه للأوس ، ففعل الشاب ما أمر به ، فتنازع القوم عند ذلك ، وقالوا : السلاح السلاح . فبلغ النبى عليه السلام ، فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين والأنصار ، فقال : أتدعون الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد إذ أكرمكم الله بالإسلام وألف بينكم ؟ فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان ، فألقوا السلاح وعانق بعضهم بعضاً باكين . فنزل قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين ، وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ؟ ومن يعتصم بالله فقد هُدِىَ إلى صراط مستقيم ، يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تُقاته ، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء ، فألف بين قلوبكم ، فأصبحتم بنعمته إخواناً »

تلك خلاصة أعمالهم فى السلم وتتجلى فى أنهم كانوا يريدون فتنة المسلمين عن دينهم بطريق التشكيك أو المغالطة أو التحريف ، وكانوا يودون التفريق بين المؤمنين بإثارة أحقاد الجاهلية ، فكان الله لهم بالمرصاد يكشف حيلهم ، ويفضح أسرارهم ، وينهى عن مودتهم ، ويبين مبلغ عداوتهم ، فقال فيهم : لتجدنَّ أشدَّ الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا . وقال تهديداً لهم : « يأيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقاً لما معكم من قبل أن نطمس وجوهاً فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت ، وكان أمر الله مفعولاً »

أما مواقفهم فى الحرب ، ومحاولتهم هدم الإسلام بالسيف والقتل فهو موضوع الحديث التالى إن شاء الله

(القاهرة) عبد الرزاق ابراهيم حميدة

نجوى !

فى غدير السُّكون ...

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

تَعَالَيْ نَذبْ فى غديرِ السُّكونِ ... وَنَحْرِقْ أسانا عَلَى ضِفَّتِهْ
تَعَالَيْ نَكُنْ صَمْتَةً فى دُجاهُ ... وَذِكْرَى هَدِيرٍ على مَوْجَتِهِ
تَعَالَيْ نَسِرْ فى جِنازِ الغروبِ ... شُعاعاتِ ثُكْلٍ على صَفْحَتِهِ
تَعَالَيْ ... فإنا بقايا لهيبٍ ... حَشا الدَّهْرِ يَفْزَعُ مِنْ وَقْدَتِهِ
فما نَبْتَغى مِنْ رَمادِ الزَّمانِ ؟ ... ومِنْ لَغَطِ النَّاسِ فى ضَجَّتِه ؟
حَضِيضٌ حَياةُ الوَرَى كُلُّها ... وإنَّهُمْ يَهِيمُونَ فى لَوْثَتِهِ
فَطِيرِى بِنا عَنْ سَماوَاتِهِم ... إلَى أُفُقٍ هِمْتُ فى عُزْلَتِهِ
بَرِيءِ الحَوَاشِى كَقَلْبِ النُّجُوم ... وكالْمَلَاكِ الطِّفْلِ فِى غَفْوَتِهِ
عَفِيفُ الخَيالِ كأنِّي بِهِ ... تَهادَيْتِ وَالفَجْرَ فِى رَبْوَتِهِ
تَعَالَيْ فَإِنِّي سَئِمْتُ الحَيَاةَ ... وَعِفْتُ الشَّبابَ عَلَى نَضْرَتِهِ
نُطِلُّ بِعُشِّى نُجومُ السَّماءِ ... جِرَاحًا تُوَلْوِلُ فى ظُلْمَتِهِ
وَيُلْقِى حَوالَيْهِ لَيْلُ الوُجودِ ... خُطَا مَارِدٍ لَجَّ فِى ثَوْرَتِهِ
وَقَلْبِي بِهِ وَتَرٌ أَشْعَلَتْ ... خَيالَ السُّكُونِ رُؤَى نَغْمَتِهِ
تَعَالَيْ نَغِبْ فِى تَهاوِيلِهِ ... وَنَفْنَى مَعَ الصَّمْتِ فِى نَشْوَتِهِ

محمود حسن اسماعيل
مراقبة الثقافة — بالمعارف

الحرب في أسبوع

للأستاذ فوزى الشتوى

اضطراب سياسى

أبرز بقاع النشاط السياسى الآن الشرق الأقصى والبلقان ، فهما المنطقتان الوحيدتان التى لألمانيا فيهما مجال للمناورات ، فهى تحاول فى البقعة الأولى أن تضم اليابان إلى صفها لتربك بريطانيا العظمى فى الميدان الشرقى ، ولتوزع أسطولها للدفاع عن ممتلكاتها فى آسيا والمحيط الهادى ، وتحاول فى البلقان أن يستتب السلام مؤقتاً بأى ثمن

أما أمريكا فمعروف أمرها ، ومعروف أن تأييدها لبريطانيا العظمى أقوى من أن تضعفه المناورات السياسية ؛ فأمريكا تعتبر انجلترا وأسطولها خط دفاعها الأول ، فانهيارها يعرض أمريكا للخطر ، وإذا كانت أمريكا تحرص على حفظ قوة انجلترا البحرية فى المحيط الأطلنطى ، فإنها تحرص أيضاً على ألا تنتقص هذه القوة بانتقالها إلى المحيط الهادى لتواجه اليابان

وحاولت انجلترا بقفل طريق بورما ، ومنع توريد الأسلحة إلى الصين، أن ترضى اليابان وتضع حداً لنزاعهما ، ولكن الحزب المسكرى فى اليابان ثار فأعلن رؤساؤه عدم رضاهم عن الحكومة فاستقالت ليشكل غيرها على هواه ، وكانت باكورة أعمال تلك الوزارة أن قبضت على بعض الرعايا الإنجليز مما أثار الحكومة البريطانية ، ووقف عقبة فى سبيل مفاوضات انجلترا واليابان

انقلاب عسكرى

ولعل السر فى هذا الانقلاب اليابانى عقلية حزبها العسكرى الذى يصبو إلى السيطرة على جميع آسيا ، فهو يريد التخلص من منافسة انجلترا لليابان اعتماداً على قوته ، وقد أنبأتنا البرقيات أن حركة الحزب العسكرى لا يقرها قادة اليابان البحريون الذين يعرفون مدى قوة الأسطولين البريطانى والأمريكى، وهم يعرفون أن الحرب مع انجلترا وأمريكا صدام بين قوات بحرية أكثر منه بين قوات برية ، فإن تردد أميركا فى دخول الحرب ينتهى بمجرد أن تدخلها اليابان ، ويتولى أسطولها وقواتها العبء الأكبر من الحرب فى الشرق الأقصى

وتدل حركة اليابان الأخيرة على الوسائل التى تلجأ إليها ألمانيا لتحبط حركات انجلترا وخصوصاً إذا أضفنا إليها ما أذاعه مدير قسم الأبحاث السرية فى أمريكا عن عمل الجواسيس ومحاولتهم إفساد خطط الدفاع الأمريكية بتدمير الطائرات بوضع الرمل فى محركاتها ، أو بنسف المنشآت العامة وتسميم الماء ، وغير ذلك من الوسائل التى يرتكبها الجواسيس

الروح الوطنية

أما فى البلقان فقد تطورت الحوادث الأخيرة تطوراً كبيراً نشك إذا كان هتلر نفسه توقعه ، فإنه كان يعتمد اعتماداً كبيراً على تأييد رجال الحرس الحديدى لمشروعاته ، فلما ظهرت نياته بالموافقة على ضم جزء من ترانسلفانيا إلى المجر تمرد رجال الحرس الحديدى وتكاتفت طبقات الشعب وزعماؤه ، فأعلنوا توحيد صفوفهم بزعامة مانيو زعيم الفلاحين ، وقالوا إنهم يفضلون أن تضم بلادهم إلى الروسيا على أن تقتطعها المجر أو بلغاريا

فإذا لم يتمكن النازيون من إيجاد صدع بين أحزاب رومانيا فإن ضم أحد أجزائها إلى دولة أخرى يتعذر حتى إذا وافقت الحكومة الرومانية على هذا الضم بإكراه ألمانيا ، لأن الشعب فى هذه الحالة يثور ، وتجد الحكومة الرومانية نفسها فى مركز ضعيف ، وكل حكومة تفضل فى مثل هذه الحالات أن تقاتل على أن تسلم ، ولاسيما أن المجر وبلغاريا ليستا من القوة حتى تتمكنا من إكراه رومانيا على تلبية طلباتهما ، فرومانيا هى أقوى دولة فى البلطيق فلديها أقوى جيش ، وأقوى سلاح طيران ، وكانت تعرف أطماع هذه الدول من قبل فأعدت العدة لصد عدوانها

واتحاد كلمة زعمائها وتمسك شعوبها وخصوصاً سكان الأجزاء التى يراد ضمها إلى الدولتين الأخريين — عقبة كبيرة فى سبيل تحقيق السلام الذى ينشده هتلر فى البلقان ويضع خططه فى مركز حرج ؛ أضف إلى ذلك ظهور الخلاف بين ألمانيا والروسيا على ألسنة الساسة الرومانيين بعد رجوعهم من مقابلة هتلر ؛ فقد كثر الكلام أخيراً عن الخطر الشيوعى وعن مساعى ألمانيا لوقفه ؛ فهل تكشف حوادث البلقان الأخيرة نقاب الزعيمين

اللذين يتظاهران بالصفاء والاتفاق رغم تنافر طباعهما واختلاف ميولها وأطماعهما ؟ هذا ما تكشف عنه الأيام قريباً

***

دروس الحرب

ولا يقتصر الاضطراب على أوربا والدول المتحاربة وحدها بل يشمل الأرض بأجمعها ، فمهما تباعدت حدود الدول عن ميدان الخطر فهي تشعر به في مناورات جاراتها للاستيلاء على بعض أجزائها حرصاً على فائدة عسكرية ، وهي تحسه فيما أصاب تجارتها من كساد ، وما أصاب أهلها من ضيق في العيش تبعاً للرقابة على الصادر والوارد

فلا يقتصر الحصر الإنجليزي البحري على الدول المتحاربة ، بل يتعداها إلى الدول المحايدة البعيدة ؛ فلكيلا تحصل ألمانيا على الواردات يجب أن تمنع الدول الأخرى من تصدير منتجاتها إلى ألمانيا ؛ وهذه الفترة من الفترات التي يشعر فيها العالم أجمع بما بين دوله من رباط وثيق ؛ وهي ليست التجربة الأولى من نوعها ولكن لها أشباهاً في الحروب الماضية ، وإن كان العالم قد خبر أقسى تلك الدروس في الحرب الماضية عند ما فرض نفس الحصر على تجارة ألمانيا

وتكرار هذا الدرس من شأنه أن يوحد بين أمم العالم ، ويجعلها تتنازل عن عصبيتها ، فتوحد قانونها وتجعل له من القوة ما للقوانين المحلية التي تقيد مطامع الأفراد وتنظم معاملاتهم على أساس العدل والمنفعة المتبادلة في ظل السلام ، وإذا كان الأفراد قد شعروا بوجوب احترام قوانين الدولة فإن أمثال النضال الحالي والنضال السابق هي خير معلم للدول لتشعر نفس الشعور وتحترم القوانين الدولية ؛ وقد فشلت عصبة الأمم في العهد الماضي في تحقيق هذه الوحدة لأن الدول لم تكن أعدت الإعداد الكافي من الناحية العقلية ، ولأن بقايا النظم القديمة وأطماعها أثرت في نفسية الشعوب

ولسنا نعني أن هذه الحرب ستكون الحد الفاصل للمنازعات الدولية ، وأن العالم سيصبح إذا انتهت دولة واحدة ينظم معاملاتها قانون واحد ، ولكننا نرى أن النضال الحالي وما جره من مصائب يضع أحد أحجار ذلك الاتحاد ؛ ففكرة اتحاد دولي عالمي ليست بنت اليوم فقد نودي بها من زمن طويل وكان أول حاكم دولي أراد إحياءها بصورة جدية اسكندر قيصر الروسيا فوضع في سبتمبر سنة ١٨١٥ أسس اتحاد مقدس يحكم الدول على ضوء التعاليم المسيحية ولكن مشروعه قبر لأسباب كثيرة

جغرافية الحرب

وكما تعطينا هذه الحرب فكرة واضحة عن ارتباط مصالح العالم بعضها ببعض ، فإنها تعطينا دروساً أخرى في الجغرافيا ، فقارن بين معلوماتك عن بلدان العالم الآن وبين معلوماتك عنها قبل الحرب ، تجد أنها تضاعفت عدة مرات ، دون أن يكرهك أستاذ على دراستها ، ودون أن يضطرك امتحان إلى مذاكرتها

وعلمتك هذه الحرب كثيراً من المميزات الإقليمية للبلاد من جبال وأنهار وسهول ، وما تضمه أرضها من ثروة معدنية وزراعية ، وما اتصف به أهلها من قدرة على تحمل شظف العيش ومرارة القتال ، كما عرفت مدى حاجات الدول بعضها إلى بعض

ثورة صناعية

والحرب ثورة صناعية تحفز الحكومات والمخترعين على ابتكار معدات جديدة في الميدانين المدني والعسكري ، فكلاهما مكمل للآخر ، ولا نستطيع أن نضع حداً فاصلاً بينهما ، فالجندي يحتاج إلى وسائل مدنية وعسكرية ، فيجب العناية بطعامه وصحته وملابسه ووسائل راحته ، كما يجب العناية بإعداده وإمداده بأدوات القتال

ومن أمثلة تقدم المخترعات « الطيران » ، فإن ما وصل إليه من طول مدى الطيران وقوة الحمولة يدلان على ما فعلته فيه الحرب ، فلم نعرف من قبل أن الطائرة تحمل أربعين جندياً بمعداتهم كما هي الحال الآن ، ورحلات سلاح الطيران في إغاراتها على ألمانيا وعودتها دون توقف ؛ هذا تقدم كبير يربحه العالم من الحرب عندما تضع أوزارها ، ومثله كثير في الطب والصناعة والزراعة

وليس معنى هذا أننا من مؤيدي الحروب فإن المصائب التي تحل بالعالم من قتل الأنفس وتدمير البلاد وانتشار الأمراض ،

خواطر في الحرب

للأستاذ محمد عرفة

لم يبق ريب فى أن من أعظم الأسباب فى سقوط الدولة الفرنسية الترف

اعترف بذلك الباحثون والكتاب ورجال السياسة ، قال بيتان رئيس الوزارة الفرنسية :

« لقد دمرت روح الانغماس فى الملذات ما شيدته روح التضحية ، أصلحوا من أخلاقكم ودعوا الترف والملذات ، وأقبلوا على العمل بصبر وتضحية »

ليس فى ذلك كله شك ، إنما الشك فيما أعرضه على نظر القراء : أيمكن للأمة تجنب الترف ، أم أن الترف أمر لازم يتبع الغنى والثروة ، والزهد والحرمان يتبع الفقر والإملاق ، فالأمم الغنية حتما تنغمس فى الترف والنعيم ، والأمم الفقيرة تكون بمنجاة منهما ، ولذلك لا يفلّ حدها ، وتبقى لها قوة الصبر والمجالدة ؟

حوادث التاريخ تنبئنا أن المذهب الثانى هو الحق فإذا صحّ هذا كان الوجود مقسما قسمة عادلة ؛ فما خسره الفرد من ذات يده ربحه من ذات نفسه ، وما ربحه من ذات نفسه خسره من ذات يده ؛ أى أن الفقير المعدم وإن خسر المال يربح قوة العزم والقدرة على المقاومة ، فهو يخسر الكنوز فى المال ، ويربح الكنوز فى الأخلاق والقوى ، والغنى القادر — وإن كسب المال — يخسر القوة والقدرة على المقاومة فهو يكسب كنوز المال ويخسر كنوز الخلق والقوة والنفس

عدل فى القسمة ، وكنوز بدل كنوز ، بل ربما كان حظ الفقراء أوفر من هذه القسمة ، فإن الكنوز النفسية أثمن من كنوز الذهب والفضة بما لا يقدر

وإذا صح ذلك أيضاً كان التاريخ متشابهاً ، وهو يتكون من دورات رحوية ، لا تبدأ حتى تنتهى ، ولا تنتهى حتى تبدأ فأمة تتغلب على أمة ، فتغصبها خيراتها ، وتتمتع بهذه الخيرات دونها ، فإذا فتحت عليها كنوز الأرض ، وانغمست فى النعيم ، ضعفت شوكتها ، ولانت قناتها ، وتغلب عليها من هم أقوى منها ، ممن لم يفسدهم الغنى والترف والنعيم ، وممن ازدادوا حصانة بالفقر والإقلال .

محمد عرفة

تفوق بمراحل هذه المكاسب الزهيدة التى يصل إليها العلم أثناء السلم بعد فترة أطول من الزمن، فتقدم العالم مطرد سواء فى السلم أو فى الحرب إلا أن فترة الحرب فترة انقلاب وسرعة

الخسائر والأرباح

وهى فترة انقلاب ضرورية إلى أن تصفو الضمائر وتقتنع العقول بأن الحرب مهما أكسبت من أسلاب وغنائم ، فلن توازى ما يخسر العالم من أموال ومن أرواح ، وبلغ عدد القتلى والجرحى فى الحرب الماضية ٣١ مليون نفس ، وتكلفت ٦٧ر٥٩٨ مليون جنيه؛ وبديهى أن هذه الأنفس والأموال لو وضعت تحت تصرف العلماء والمخترعين لأنتجوا أضعاف ما أنتجت الحرب من تقدم

وها هى ذى الحرب الحالية تنفق عليها انجلترا وحدها ٥٢ مليون جنيه فى الأسبوع الواحد ؛ فإذا قلنا إن ألمانيا تنفق نصف هذا المبلغ عرفنا كم تتكلف الحرب من أموال تضاف إليها خسارة الأرواح وكساد بعض نواحى الحياة المدنية مما لا تتلاءم طبيعته وطبيعة الحرب

ولا يسعنا أن نقول إن الفنون والعلوم توقف تماماً ، ولكنها تتحول إلى الناحية العسكرية ، فيشتغل القصصيون بالقصص العسكرية ، ويرسم الفنانون الصور العسكرية ، وتتحول العقول الهادئة إلى عقول مدمرة عملها شحذ عزائم أهلها ؛ فكل أديب أو فنان لا يعمل الآن من أجل الحرب يموت جوعاً ، ولا يتيسر له إبراز إنتاجه لأنه يعيش فى وادى غير وادى الناس ويفكر فيما لا يفكر فيه الناس ، ويبتدع ما لا يقره الناس

فالقتال إحدى الغرائز الإنسانية ، صقلتها القوانين والنظم ، وكبتت فى الفرد ، ولكنها ما زالت بارزة فى الجماعة ، فإلى أن يتاح للجماعة أن تكبت هذه الغريزة وتحولها إلى غريزة أصلح ، فإن الحرب لن تزول

وإذا كانت الحكومات وفقت فى ضبطها عند الأفراد ، فمصيرها غامض عند الأمم لاختلاف أمزجتها وميولها اختلافاً بيناً وإن كانت نهايتها المحتومة عند ما تعقل الدول

فوزى الشتوى
بكالوريوس فى الصحافة

يا شاعر ...!

أيها الشاعرُ قُمْ وانْـ   ـصَبْ على تلك الحقولِ
وتنقَّـلْ بين هاتيـ   ـكَ السَّواقى والنخيل
طلَعَ الفجرُ على الوا   دى طروباً والسهول
فلماذا ... لا تغنِّى   غنوةَ الفجرِ الجميل ؟!

***

أترك الغـرْفَةَ يا   شاعرُ واسبح فى الفضاء
نَسَجَ الفجرُ على الكوْ   نِ جلاَبيبَ الصفاء
والشعاعُ السَّمْحُ صلَّى   فى خشـوع للسماء
فلماذا ... أنتَ لا تخـ   ـلعُ أشجانَ المساء ؟!

***

أذَنَ الفجرُ ... فقمْ يا   شاعرَ الحبِّ وغَنِّ
صَـوتُك المطرابُ يا   شاعرُ فنٌّ أى فن
شـد أوْتارَك واسكبـ   ـها أغاريدَ تهنِّى
واجمع الطـيرَ حواليـ   ـكَ وأسْمِعْها بلحن

***

جئتَ يا شـاعرُ للريـ   ـف فلِمْ لاَ تتغنَّى ؟!
هـذه التُّرْعة كانتْ   فى صباكَ الحلوِ لحنا
طالما مررْتَ عليهـا   فى صـفاء تتغنَّى
والعـذَارى رائحاتٍ   غادياتٍ تتثـنَّـى

***

ذلك الجـدولُ يا   شاعر كم غنَّى طروبا
والأزاهيرُ عَليـهِ   تملأ الوَادى طيوبا
وصَبَايا الحقلِ يرْقصْـ   ـن صـباحًا وغروبا
شاديات غنْـوةَ القطـ   ـن فيطربْن القـلوبا

***

هـذه يا شَاعِرَ الحبِّ   مغـانيكَ الحبيبَهْ
عصرَ الله عَليْهـا   حسْنه الباهى وطيبَـه
وكسَـاها بُرْدَةً سحـ   ـريَّةَ النُّور عجيبـه
كم تنعمْتَ عليهـا   والمنى منكَ قريبـه

***

أيها الشاعرُ قمْ وامر   حْ على تلك القنـاةِ
أنتَ كم نحتَ وفجَّرْ   تَ ينابيعَ الشكاة !
فرصَـةٌ حانتْ نخذْها   طربًا قبـل الفوات
إنَّ للشـاعرِ دون النا   سِ بخسًا فى الحيـاة !

عبد العليم عيسى

على قيثارتى ...

لحن اليـأس ...!

اتركونى .... لشجونى !   وليأسى المظـلم !
ودعـونى .... وسفينى !   لرياح العـدم !

قد شربت الكأس ما أبقيت فى كأْسىَ شيا !
وطويت الأمل المجروح فى صـدرىَ طيا !
وبعثت اليأس فى قلبي فعاد اليوم حيا !
آه ! قد أصبحت فى دنياى حيرانَ شقيا !
زورقى ضلَّله الليـلُ وأعشى ناظريا !
ورياح الموت تدنو ، توسع الخطو إليا !

فاتركونى .... لشجونى !   وليأسى المظـلم !
ودعـونى .... وسفينى !   لرياح العـدم !

إننى أحيا كما يحيـا الشريد الهائم !
لست أدرى أين أمضى ؟ كل أفق مظلم !
عصر اليأس فؤادى والحنين المبهم !
فهو فى خدىَّ — واقلباه ! — دمع ودم !
وهو فى أنفاسىَ الحرَّى لهيب مضرم !
وهو فى القيثار لحن شاع فيـه الألم !

فاتركونى .... لشجونى !   وليأسى المظـلم !
ودعـونى .... وسفينى !   لرياح العـدم !



كأنها ذكرى :

أستاذها يوحى لها

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

في المرقص ، جئن يتبارين ، لتفوز المجيدة منهن بالعمل . فقد كن راقصات معطلات ، وقد أعلن هذا المرقص عن يوم قريب حدده ليبدأ فيه العمل بأبطال وبطلات جدد

وكان يومنا هذا اليوم المختار لانتقاء الراقصات المتهافتات على هذا المجال الجديد الطلق

وراحت كل واحدة منهن تعرض أبهى ما عندها ، وأحيى ما عندها ، وأشد ما عندها أخذاً ، وأقواه أسراً ، وأحلاه فجوراً ، وأشهاه فتكا

وكلما كانت واحدة منهن تفرغ من جولتها كانت تجلس إلى جانب أخواتها اللائى فرغن لتشاهد أخواتها اللائى يتتابعن على الحلبة يذوبن أنفسهن حركات ونظرات وتشمماً . فمن أساءت حيينها ، ومن أحسنت حيينها أيضاً

وكانت صاحبة المرقص هي والأستاذ جالسين في ركن يتذوقان كل راقصة من هؤلاء كما يمضغ الأهتم التفاحة ، يمصها مصاً في تريث وفي تأن ، فما تفوته من حلاوتها ولا من نكهتها نسمة

حتى انطلقت عذراء لترقص

كان الرقص ملهاتها في المدرسة ، وكانت تتشرف به ، وكانت تمنح عليه الجوائز دون أن تفكر يوماً في أنها ستستنجده العيش ، ولكن أباها لما مات ، وأمها المنهوكة ترملت ، وإخوتها الصغار تيتموا ، لم تجد مفراً من أن تعرض في السوق نفسها في أفضح ما تكون نفسها ، ألماً وفرحاً ، راحة وتعباً ، رغبة وإعراضاً ، تماسكا وتحطما ... لتكون راقصة

عذراء ، لا يزال يفيض منها الحياء ، انطلقت بين الأستار والأنوار ، ونهشات الأنظار ، فانعقدت ، عقلها راح . انصدمت فوقفت ، وتدلت ، فتساقطت ، ولو أنها عصرت ألمها دمعاً لما اختنقت ، ولكنها ضعفت فلم تقو حتى على أن تبكي

هذه ... تريد أن تكون راقصة . من الذين رأوها من تألم ، ومنهم من ضحك ، ولكنهم جميعاً أسرعوا إليها ، وحملها بعضهم ، وأمرت صاحبة المرقص أن يذهب بها إلى حجرة ما تسعف فيها ثم تأخذ ملابسها وتمضي ، فذهبوا بها ، وعادوا عنها إلى ما كانوا فيه ، ولكن صاحبة المرقص ألفت نفسها في ركنها قد طال مكثها وحدها ، لم يرجع الأستاذ لها فسألت عنه فعلمت أنه لا يزال عند البنت التي أغمى عليها

وكان وقت الراحة قد جاء فقامت السيدة إلى الأستاذ لتراه ماذا يصنع عند تلك البنت

فلما جاءتهما وجدته يقول لها : « هذه الأنوار أنوار ، فإذا كنت تكرهينها أطفأناها ، وهذه الأستار أستار قطع من القماش مدلاة بحبال ومرسوم عليها صور وأشكال ، فإذا لم تكن تعجبك رفعناها ، وهؤلاء الناس الذين ينظرون إليك ناس مثلى أنا ومثلك أنت ومثل كل الذين عرفتهم وعرفوك ، فإذا كنت تبغضينهم طردناهم ... أيرضيك هذا ؟ ولكن لماذا يرضيك ؟ أما كنت ترقصين في المدرسة أمام أنوار وأستار وأنظار ؟ هذه كتلك ، فلم التخاذل هنا والشيطنة هناك ؟ قومى ... أعيدى الكرة ... فإنى أضمن لك في الرقص مستقبلاً قريباً ربما لم يكن أتيح مثله لراقصة من قبل ... يا لله يا ماما ... وهاك الشوكولاتة ! ... »

ها أنا أطفأت مصباحي ، وحطمت قناتى !
ها أنا شيعت أحلامى إلى وادى الممات !
ها أنا ألقيت قيثارىَ في تلك الفلاة !
ها أنا أمضي إلى قبرى سريع الخطوات !
لا تقولوا : واهنُ القلب ضعيف العزمات !
ماتت الآمال فى قلبى فما معنى حياتى !
فاتركونى .... لشجونى ! وليأسى المظلم !
ودعونى .... وسفينى ! لرياح العدم !

(دمنهور) ابرهيم محمد نجا
الشاعر الحائر

ومصت العجوز التصابية صاحبة المرقص شفتيها عجباً واستهزاء وقالت : اسمعى الكلام يا روحى وقوى أرينا البشائر وأشهدينا الفتح ... يالله يا ماما ، وهاك أيضاً من عندى شوكولاته

وأصرت الصغيرة على أنها تكره الرقص، وتنفر منه وتخشاه وتضرب عنه ... وجمعت أشياءها فى حقيبتها وتمتمت بكلمات شكر مما تحفظه وترويه بدون أن تتدبره أو تفكر فيه ، واستأذنت لتمضى ، ولكن الأستاذ وقف فى طريقها وأقسم ليحبسنها ، فلا تخرج إلا إلى الأنوار والأستار والأنظار

الرجل أحبها ، هذا المغمور فى منابع الهوى ، المنغمس ليله ونهاره بين أذرع الغيد ، المنطبق بروحه على أرواحهن ، المتقبل بحواسه نفثاتهن وصرخاتهن وهمهماتهن وغلياتهن ... هذا العليم الخبير، الغنى الوفير الصيد إذا أراد صيداً، كان يزهد فى كل ما كان يرى ، لأنه لم يكن يرى إلا صنعة هو أستاذها . . . أما هذه فقد رأى فيها أشياء أخرى ، ولم يكن ينقصها إلا هذه الصنعة التى هو أستاذها ، رآها الراقصة التى ظل يحلم بها ليحبها وليعلمها ولترقص له فتلهبه ، وتلهمه ، فيعود يوحى لها ... الأخريات لم يقبلن على الرقص إلا حين أردن أن يسفكنه ذهباً ، وهذه حين أرادت العيش من الرقص استعصى عليها واستعصت عليه ... الأخريات عيونهن مفتحة وأرواحهن غائبة ، وهذه عيناها محتشمتان مغضوضتان ، وروحها هى العاصفة ...

هذه هى الفنانة الراقصة

قالت صاحبة المرقص للأستاذ : « ما دامت الآنسة مصرة على الذهاب فدعها تذهب ، وإنى أصدقها النصح وأؤكد لها أنها غير مخلوقة لهذه الحياة الصاخبة التى نحياها ، وأنه من الخير لها أن تعمل فى متجر أو مصنع فهو أليق بها وأوفق لها » . . . فما عارضت هذا الآنسة وإنما هزت رأسها . وقالت : « شكراً ، وإن هذا ما اعتزمته ، ثم شكراً للأستاذ فقد كان رؤوفاً رقيقاً »

فضحك الأستاذ وقال : « إذا خرجت فأنا معك »

وترك عمله وخرج معها ، وصحبها إلى بيتها ، فاستقبلته أمها وإخوتها وكانوا ينتظرون عودتها فى اشتياق وإشفاق ، وكانوا يرجحون أن تزف إليه خبر فوزها فى المباراة واضطلاعها بالعمل ، فلما دخلت هى والأستاذ أسرعت إليها أمها وسألتها : « ما الخبر ؟ » فأسرع الأستاذ بالإجابة قائلاً : « إن هى إلا سنة ، إن لم تكن بعدها ابنتكم هذه سيدة الراقصات فإنى لست إياى » ... فقالت الأم : « على الله، ولكن أما انفقتم معها لتعمل عندكم هذه السنة؟ » فقال الأستاذ : « سأعمل معها أنا » ...

وأخذ الأستاذ بعد ذلك يهرج مع الصغار ويداعبهم ويضحك معهم ويلعب ، ثم أولم لنفسه وليمة عندهم فآكلهم وشاربهم ومازحهم، وما غادرهم حتى كان قد أشاع فى نفوسهم جميعاً الفرح، والأمل ، والإيمان بأن رضواناً من الله قد انساق إليهم ...

إلا الراقصة فقد كانت تسايرهم بما يبدو فرحاً وأملاً وإيماناً، ولكن نفسها كان فيها غير هذا يأس وقنوط وظلمات ووحشة . وكان الأستاذ يحس هذا كله ولكنه لم يكن يعبأ به ولا يخاف منه على صغيرته فقد كان يعد هذا كله من علامات التوفيق الذى كان يتوقعه

وانتهت زيارة اليوم ، وعاد إلى الزيارة فى الغد وقال لها : « أما رأيت فروجاً يخرج من بيضة ؟ » فقالت : « رأيت » فقال لها : « وكيف رأيته ؟ » فقالت له : « هكذا رأيته ، بمنقاره ينقب البيضة وهو فيها ، فإذا انفتحت فيها ثغرة أطل برأسه منها، فإذا رأى الدنيا أمامه نظر إليها عن يمينه وعن يساره ، ثم إذا حات له الدنيا عاد إلى البيضة ، فإذا كره الحبسة فيها عاد فنقبها ، حتى يتسع له فيها مخرجه منها ، فينطلق من محبسه ، جرياً ، وقفزاً ، لا ينظر إلى مثواه القديم ، وإنما ينساه ، وينجذب إلى أمه ، يعرف أنها أمه ، وهكذا يخرج الكتكوت من البيضة » فقال لها الأستاذ : « لو أنك انتبهت إلى نفسك وأنت تقصين على هذه القصة ، لعلمت أنك قد ابتدعت رقصة ، هى رقصة بريئة طاهرة ترضيك وتوافقك ، وقد أخذتها أنا الآن عنك ، وسأعود إليك بها غداً ، مقسمة ، منظمة ، منغمة ، مزيداً عليها تزاويق من عندى على الأصل الذى كان عندك ، فإلى اللقاء غداً ...

وفى الغد عاد الأستاذ بالراقصة . . . وليس فى البيت أنوار ولا أستار ولا أنظار إلا أمها وإخوتها ، وهؤلاء جميعاً يفيض من أعينهم الحب والإعجاب والتشجيع ... فرقصت وأحسنت

فلما رآها أحسنت قال لها : « الآن تستطيعين أن تقصدى المرقص ، وأن تتحدى الراقصات فيه بهذه الرقصة ، فإذا كنت ستشعرين بشىء من التهيب أو شىء من الوجل فإنى سأقف على قرب منك تجاه عينيك ، فانظرى إلى ، وارقصى لى ، ولا ينشغل

بالك بمن هم حولك ، وانسيهم ، وازعمى لنفسك أنى سألتك ثانية كيف يخرج الكتكوت من البيضة وأنك تجيبين عن سؤالى هذا رقصاً ... يالله ياماما ... وهاك الشوكولاته ...

اضطربت قليلاً ، ولكنها قامت معه

ولم يكن باقياً على موعد البدء فى العمل إلا يوم ، ولم يكن عند صاحبة المرقص من الصبر ما تحتمل به اختبار راقصة جديدة بعد ما أعدت برنامجها واطمأنت لما نظمت به عملها ... ولكن تحمس الأستاذ ، وإصراره ، وأيمانه التى كان يقسمها يؤكد بها نجاح راقصته ... كل هذا حمل العجوز على أن ترضخ وأن تصبر وأن ترى ... فرأت عجباً ... فناً رشيقاً بريئاً حلواً مبعوثاً من نفس بكر خالصة صادقة ساذجة ذكية ناعمة ، موشى بحلى صاغتها روح هذا الأستاذ العارف المدرك الدقيق المتأنق ...

فرضخت العجوز واعترفت ...

وبدأت الراقصة العمل ... ونجحت فى الليلة الثانية ، وواصلت النجاح بعد النجاح ، وبدلت الرقصات رقصة بعد رقصة ، وتفتحت نفسها بعد ما كانت مظلمة معتمة وبارحها اليأس ، وتبدل قنوطها فرحاً ومرحاً وبهجة وإيماناً ورضى ...

ولكنها لم تنتبه إلى الأستاذ ، لم تكن تطلق إليه روحها إلا وقتما كان يعلمها ، ووقتما كان يقف لها على بعد أو على قرب لترقص له ... أما فى غير هذين الوقتين فقد كانت تنشغل بالدنيا ، وبما فيها ، وبمن فيها ... كلما قال لها واحد من الناس كلمة إعجاب صدقت أنها كلمة إعجاب ، وما بالها لا تصدقها والأستاذ نفسه معجب بها ... كان عليها أن تسأل نفسها : هل هؤلاء الذين يبدون الإعجاب بها يعرفون أين موطن الحسن فيها ، وما مبلغ هذا الحسن وما مبعثه ... ولكنها لم تفكر فى شىء من هذا ، ولكنها تلقت إعجاب الناس كما تلقت إعجاب الأستاذ ، وحسبت أن الناس كلهم مثله ، ثم راحت تحسب بعد ذلك فيهم ميزات ليست فيه هو ، فهذا غنى ، وهذا وجيه ، وهذا شباب ، وهذا صحة ، وهذا اسم ، وهذا مجد ، وهذا ظرف ، وهذا تودد ، وهذا هدايا ، وهذا ولائم ... وهذا وهذا ...

أما الأستاذ فإنه لم يزد عندها على أن يكون معلمها وهدف فنها ...

لم تفكر فى أنه يحبها . انفرد بها يوماً وقال لها كلاماً كثيراً دس فيه أنه يحبها فسمعته منه كما كانت تسمع منه كل شىء : حقيقة تتلقاها خالصة ، وتستغلها . فلم يعد يعيدها

ومرت السنة .

وكان اسمها قد لمع . ولم يعد أحد يجهلها . الجمهور يتهافت عليها ، والصحافة تتلقف أخبارها ، والمراقص تتنافس لتتعاقد معها . وهى ناعمة راضية ...

والأستاذ عاشق يكتم العشق ، صابر راض بأن تكون تلميذته الموفقة إن لم تكن له أكثر من ذلك

وأقاموا لها حفلة يكرمونها . واحتشدت الدنيا فى هذه الحفلة : العشاق، والهواة، والمعجبون، والمتطفلون، والزملاء، والأستاذ ... وألقيت الخطب ، والقصائد ، ونثرت الزهور والرياحين ، وطالبوها برقصة « الكتكوت » فقال لها الأستاذ : « لا ترقصى » فقالت : « عجباً ! ولماذا ؟ لا بد أن أرقص ، هؤلاء جميعاً جاءوا ليكرمونى فلا أقل من أن أكرمهم برقصة ... وهى بعد ذلك وقبل ذلك رقصتك التى علمتنى إياها ، ثم إنى أريد أن أرقص »

— إذا كنت تريدين أن ترقصى فهيا إلى البيت ارقصيها بين أمك وإخوتك ، وإنى أذهب معك

— وهؤلاء الناس ؟

— هؤلاء الناس ليسوا شيئاً . إنهم ناس ! بشر لا أكثر ولا أقل

— وأنت ألست من الناس ؟ ألست من هؤلاء البشر ... هذه غيرة وغرور

— قد تكون غيرة ، ولكن أين منها الغرور ؟ أنسيت أنك حتى الأمس لم ترقصى إلا لى ...

— ومنذ اليوم سأرقص للناس لا أريدك أن تقف فى طريق

— O. K. ... أوروفوار !

... ولم يستغرق هذا التهامس إلا دقائق قليلة مرت بسرعة ... ثم أشارت بعدها إلى العزاف فبدأوا اللحن ، واعتدلت للرقص ... وبدأت ... وأخذت تطرد من مخيلتها صورة هاتين العينين اللتين اعتادت أن تسيل بفنها فيهما ... وأخذت تسفك فنها فى الفضاء وتنثره على عيون منها البلهاء ، ومنها المتلصصة ، ومنها السفاحة الخاطئة ...

اضطربت المسكينة . وعاودتها تلك الرجفة التى دهمتها فى ليلة المباراة الأولى ، فسقطت كما سقطت إذ ذاك . وانقلبت حفلة التكريم إلى مأساة



الوضع الحقيقى لمشكلة

جابر بن حيان

للأستاذ أحمد زكى صالح

(تتمة)

مناقشة رأى الأستاذ كراوس

الأستاذ كراوس حيران بين أمرين: أولهما أنه يريد أن يثبت أن جابراً إنما عاش فى أواخر القرن الثالث وأوائل الرابع من الهجرة، والأمر الثانى هو البرهنة على عدم وجود هذه الشخصية العلمية الإسلامية التى تسمى جابر بن حيان؟ ولكن هل تأتى له أن يصل إلى نتيجة أحسن مما وصل إليه أساتذته وغيره من المستشرقين؟

هذا ما نرى الجواب عليه فيما يلى:

يريد الأستاذ كراوس أن يبين أولاً أن جابراً إن كان له وجود فهو إنما عاش فى النصف الثانى من القرن الثالث وأوائل الرابع الهجرى، معتمداً فى ذلك على الدراسة المقارنة، فهو أولاً يقارن آراء جابر الكلامية الشيعية بآراء غيره من رجال الفرق الشيعية الأخرى، ويخرج من هذه الدراسة المقارنة بأن آراء جابر بن حيان إنما تشابه وتماثل آراء القرامطة والاسماعيلية اللتين ابتدأتا تلعبان دورهما منذ سنة ٢٦٠ ﻫ أى فى النصف الثانى من القرن الثالث، ولكن نحن نسلم بكل ما جاء فى هذه الدراسة المقارنة بين الآراء الكلامية والفلسفية لجابر بن حيان، وبين تلك التى قالت بها فرقتا الاسماعيلية والقرامطة، ولكن الذى لا يمكن التسليم به هو أن وجود هذا التشابه بين الآراء يصح دليلاً على أن جابراً معاصر لهما، بل الأقرب إلى العقل أن جابراً وضع أسس النظريات الكلامية والفلسفية والإلهية التى توسعت فيها فيما بعد الاسماعيلية والقرامطة

ومن الجلى الواضح لدى كل من درس علم الكلام أن فرق الشيعة كانت أنشط الفرق الإسلامية حركة، وكانت أولى من أسس المذاهب الدينية على أسس فلسفية، حتى أن البعض ينسب فلسفة خاصة لعلى بن أبى طالب

وعلى هذا فنحن لا نسلم برأى الأستاذ كراوس، وهو أن جابراً عاش فى أواخر القرن الثالث وأوائل الرابع من الهجرة، وعلى ذلك فنحن ننتقل إلى مناقشة رأيه الثانى، وهو عدم وجود

حملوها إلى البيت، وأرقدوها فى الفراش، وتسللوا وتركوها بين أمها وإخوتها، ومعها مندوب من الرقص ليقف على خدمتها ريثما يطمئن على صحتها ... ولكنها ظلت فى غيبوبة تائهة ... ولم تفق وإن كانت تردد نداءها للأستاذ

ولم يكن أحد قد علم بشىء مما دار بينهما، فلم تر أمها إلا عجباً فى انقطاع أستاذها عنها، فأرسلت إليه تستدعيه، ولكن الرسول عاد يقول لها إن الأستاذ مريض هو أيضاً وإن لم يكن طريح الفراش. فعادت وأرسلت إليه فجاءها ...

دخل إلى تلميذته المريضة متثاقلاً من تعبه، محطماً من تلك اللطمة التى تلقاها إذ اعتبرته واحداً من الناس، من هؤلاء الناس

جلس إلى جانبها، ومد يده فأمسك بيدها، ففتحت عينيها فلما رأته قالت له بصوت متكسر:

— سامحنى يا أستاذ

— إنك لم تسيئى إلىّ، فليس ما حدث إلا قضاء الله، وأنا الذى أرجو أن تسامحينى أنت

— إذن فقبلنى ...

فقبلها ... ولكن فى جبينها، ومكث عندها ما مكث ثم مضى ولكنه لم يمض إلى بيته، ولم يعرف بعد ذلك أحد إلى أين مضى ثم أذيع أنه مات

أما هى ... فقد انهارت بعد ذلك وأصبحت راقصة كبقية الراقصات ...

غير أنها كانت تسكر أحياناً، وتمعن فى السكر، وعندئذ كانت إذا رقصت نظرت إلى فضاء ما

وعندئذ كانت تلم بها أطياف من المجد القديم، وعندئذ كان يتهامس المقربون منها والذين عرفوا قصتها قائلين: « أستاذها يوحى لها »

عزيز أحمد فهمى

شخصية جابر بن حيان ، وأن المؤلفات المنحولة لجابر بن حيان ، إنما هي من أعمال مدرسة في القرن الرابع للهجرة

يقول الأستاذ رسكا : « إن المسألة لا يمكن أن تفسر هذا التفسير البسيط الساذج وهو أنها أعمال مدرسة استمرت عدة قرون » . ولكن يظهر أن الأستاذ كراوس أخذ بشطر من هذا التفسير على الأقل ، إذ أنه فسرها على أنها من أعمال مدرسة وجدت في القرن الرابع ، ولكن هذا التفسير كذلك ينطبق عليه قول رسكا من أنه تفسير بسيط ساذج ، ونحن نسأل الأستاذ كراوس : هل يمكن لهذا التفكير المنسجم المطرد أن يكون تفكير أفراد كثيرين ؟ ؟

نحن نفهم من المدرسة عدة أشخاص معتنقين مذهباً واحداً واضعين نصب أعينهم أغراضاً واحدة يعملون على تحقيقها ، يقسمون العمل فيما بينهم فلا يخرجون كتاباً إلا إذا بحث ومحص من كل الوجوه كما هو حال « إخوان الصفاء » ، ولكن هل نلاحظ هذا في أعمال جابر بن حيان ؟ ؟ كلا فكثيراً ما عاد جابر في مؤلفاته يشرح بعض النظريات التي سبق أن قال بها ويكمل بعض الآراء التي وصل إليها . أضف إلى هذا أن تفكير جابر بن حيان لا يدل على تفكير مدرسي ولا يمكن بأية حال أن يدل على ذلك، إذ أن شخصية جابر تظهر في جميع مؤلفاته على السواء بنفس الروح وبمظهر واحد وأسلوب فذ . على عكس التفكير المدرسي فإنه إما أن يكون خلواً من الروح المميزة له على الإطلاق أي يتلاشى الفرد في الجماعة ، وهذا بعيد جداً عن مؤلفات جابر ، أو أن تظهر فيه شخصية الأفراد المؤلفين فتختلف روح العمل والإنتاج تبعاً لكل كاتب ، وهذا ما لا نجده في مؤلفات جابر

جابر الحقيقي

بعد ذلك نخرج بالنتائج الآتية :

أولاً : إن كلمة Gèbèr في الكتب اللاتينية قد استعملت ترجمة لاسم جابر العربي

ثانياً : إنه وجد فعلاً شخص عربي كيميائي مسلم هو جابر ابن حيان .

ثالثاً : إن الكتب الكيميائية العربية لهذا المؤلف قد نقلت إلى اللاتينية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر من الميلاد

رابعاً : كثيراً ما كان المترجم اللاتيني يستعيض عن الترجمة الحرفية للكتب العربية بترجمة مع تصرف

خامساً : قسطاس الأصل العربي للكتب المفقودة ، يجب أن يكون عن طريق البحث في المحتويات أولاً وفي الأسلوب ثانياً

من هو جابر إذن ؟

قال ابن النديم : « هو أبو عبد الله جابر بن حيان بن عبد الله الكوفي المعروف بالصوفي ، واختلف الناس في أمره : فقالت الشيعة إنه من كبارهم وأحد الأبواب ، وزعموا أنه كان صاحب جعفر الصادق رضي الله عنه ، وكان من أهل الكوفة . وزعم قوم من الفلاسفة أنه كان منهم . وله في المنطق والفلسفة مصنفات . وزعم أهل صناعة الذهب والفضة أن الرياسة انتهت إليه في عصره وأن أمره كان مكتوماً ، وزعموا أنه كان يتنقل في البلدان ولا يستقر في بلد خوفاً من السلطان على نفسه ، وقيل إنه من جملة البرامكة وكان منقطعاً إلى جعفر بن يحيى ، فمن زعم هذا قال إنه عنى بسيده جعفر البرمكي وقالت الشيعة إنما عنى جعفر الصادق ...

« وقال جماعة من أهل العلم وأكابر الوراقين إن هذا الرجل يعني جابراً ، لا أصل له ولا حقيقة ، وبعضهم قال إنه ما صنف ، إن كان له حقيقة ، إلا كتاب الرحمة وإن هذه المصنفات صنفها الناس ونحلوه إياها ، وأنا أقول إن رجلاً فاضلاً يجلس ويتعب فيصنف كتاباً يحتوي على ألفي ورقة ، يتعب قريحته وفكره لإخراجه ويتعب يده وجسمه لنسخه ثم يحله لغيره إما موجوداً أو معدوماً ضرب من الجهل ، وإن ذلك لا يستمر على أحد ، ولا يدخل تحته من تحلى ساعة واحدة بالعلم ، وأي فائدة في هذا وأي عائدة ؟ والرجل له حقيقة وأمره أظهر وأشهر وتصنيفاته أعظم وأكثر ، ولهذا الرجل كتب في مذاهب الشيعة أنا أوردها في مواضعها ، وكتب في معاني شتى من العلوم قد ذكرتها في مواضعها من الكتاب ، وقد قيل إن أصله من خراسان والرازي يقول في كتبه المؤلفة في الصنعة[1] : قال أستاذنا أبو موسى جابر بن حيان[2] »

---

(١) الصنعة يعني الكيمياء

(٢) ابن النديم : الفهرست ص ٣٥٤ ط فلوجل

وقال القفطي : « جابر بن حيان الصوفى الكوفى كان متقدماً فى العلوم الطبيعية بارعاً فى صناعة الكيمياء وله فيها تآليف كثيرة ومصنفات مشهورة ، وكان مع هذا مشرفاً على كثير من علوم الفلاسفة ومتقلداً للعلم المعروف بعلم الباطن وهو مذهب المتصوفين من أهل الإسلام ... وذكر محمد بن سعيد السرقسطى المعروف بابن المشاط الاصطرلابى الأندلسى أنه رأى لجابر بن حيان بمدينة مصر تأليفاً فى عمل الاصطرلاب يتضمن ألف مسألة لا نظير لها »(1)

ونحن إذا سلمنا بوجهة نظر ابن النديم ؛ فإننا نستطيع أن ننسق من جديد ما يقوله « الفهرست » ، وأن نعيد مبنى هيكل حياة جابر بن حيان ؛ فإذا كان جعفر الصادق الذى عاش من ٦٩٩ — ٧٦٥ م أى ٨٩ — ١٥٥ هـ هو أول أصدقاء جابر ومعلميه ، فإن تاريخ ميلاد هـذا الأخير حوالى سنة ٧٣٠ م أى حوالى ١٢٠ هـ وهكذا يمكن أن يكون قد ارتبط ، وهو فى سن الستين أو السبعين ، بعلاقة ما مع البرامكة . ولا يجد الجلداكى ثمة غرابة فى أن يكون لجابر نشاط أدبى عظيم لأغراض علمية وفلسفية وإلٰهية

والبرهان على حياة جابر وتنظيمها أثبت فى كتاب الجلداكى « البرهان فى أسرار علم الميزان »(2) . جاء فى هـذا المخطوط : الأستاذ الكبير جابر بن حيان ولد فى الكوفة ، وهو من قبيلة أسد فهو طوسى الأصل صوفى المذهب ، تتلمذ فى صباه على حرابى حميرات أحد المعمرين . ويذكر لنا جابر أن حميرات هذا قد عاش أربعمائة سنة ؛ أى أنه ولد فى سنة ٢٠٠ قبل الهجرة وعاش حتى حكم هارون الرشيد ، أى أنه مات سنة ١٧٠ هـ تقريباً . وعن هذا المعمر أخذ جابر العلم فى صباه ؛ ثم رحل إلى حيث يوجد الإمام جعفر الصادق رضى الله عنه وتتلمذ عليه وصار بعده إماماً . ثم اتصل بعـد ذلك بالبرامكة ومارس تحت ظلهم الكثير من التجارب ، وعن طريق جعفر البرمكى اتصل اتصالاً مباشراً بهارون الرشيد وأهدى إليه الكثير من كتبه

وعلى هذا الأساس فإن جابراً يعد أستاذاً للكيمياء . ومما ساعده على ذلك أنه أحضر فى أيامه الكثير من المؤلفات الكيميائية اليونانية من بيزنطة إلى بلاط الخليفة فى بغداد . أضف إلى ذلك أن جابراً نفسه قد انهمك فى الفلسفة حيناً من الزمن ثم مات وله من العمر تسعون عاماً أى حوالى سنة ٢١٠ هـ أى ٨٢٠ م . بعد تصنيفه لثلاثة آلاف رسالة وكتاب

الخواص العلمية لكيمياء جابر

كان جابر بن حيان أول من فطن إلى الناحية التجريبية الخالصة فى الكيمياء ، وبهذه الوسيلة تيسر له أن يأخذ بيد هذا العلم الناشئ فى ناحيتيه النظرية والعملية ، ويمكن أن نتتبع أثر جابر هذا فى كيمياء وكيميائيي أوربا

فمن الناحية العملية يصف لنا جابر طرق التبخير ، والتكوير والترشيح ، والذوبان والتصعيد والتبلور ! كما وصف أيضاً الكثير من طرق التحضير الكيميائى ، كالزنجفر وأكسيد الخارصين ، كما عرف تماماً كيف يُحضر حامضا الكبريتيك والأزوتيك ، وحجر السنب ، والقلوى والسلمونيك وملح البارود

ولقد اقتبست اللاتينية عن العربية بفضل مؤلفات جابر ابن حيان الكيميائية بعض الاصطلاحات الكيميائية التى لا زالت تستعمل فى اللغات الأوربية مثل البوتقة Aludel والأنبيق Alimbic والتوتيا Tutia التى هى أكسيد الخارصين ، والقلوى والرهجار Realgar الذى هو كبريت الخارصين

الأسس العامة التى قامت عليها كيمياء جابر

بينا كيف أن كيمياء جابر إنما تقوم على أسس تجريبية ؛ ويرى الأستاذ كراوس أن كيمياء جابر مؤسسة كذلك على أسس فلسفية ، ويقرر أن هـذه النظرية الفلسفية قد اقتبست إلى حد كبير من طبيعة أرسطو ، وجابر نفسه يعيد ذكر الكثير من عبارات أرسطو كما يذكر بعض فقرات وتعليقات على : الإسكندر الأفروديسى ، وطيمسطس وسمبليكيوس ونورفوريوس وغيرهم . وكذلك نرى فى مؤلفات جابر ذكراً لمؤلفات أفلاطون وبقراط وجالينوس وأقليدس وبطليموس وأرشميدس ، وبين هؤلاء المؤلفين الكثيرون ممن لم تفقد أصول مؤلفاتهم اليونانية ، وبالدراسة المقارنة أثبت أنه ليس هناك مؤلف كيميائى فى الإسلام على معرفة واسعة النطاق بالأدب العلمى القديم ، ومؤلفاته لما صبغة دوائر المعارف إلا جابر بن حيان ومؤلفاته ، هـذه

(1) القفطى : أخبار الحكماء ص ١١١ ط القاهرة

(2) الجلداكى توفى سنة ١٣٦٠ م وكتابه السابق الذكر مخطوط

المؤلفات التى تقرب من أن تكون دائرة معارف إسلامية تعبر عن معارف عصره تماماً. وأساس العلم الجابرى هو الميزان، وهو فى نفس الوقت الذى يبيّن لنا وحدة العلم الجابرى ، ولكى نستطيع فهم هذا الأساس وهذه الوحدة ، يجب أن نعدد المعانى المختلفة لهذا الميزان :

أولاً — الوزن النوعى

ثانياً — وزن الكيميائيين القدماء الذى يحدد امتزاج العناصر بعضها ببعض

ثالثاً — ميزان الحروف : كان يرى أن حروف اللغة العربية على صلة بالخواص الأربع : الحرارة والبرودة والرطوبة والجفاف، وهو يرى أن ميزان الحروف هـذا لا ينطبق على عالم ما تحت القمر فقط إنما كذلك على الـكائنات الميتافيزيقية مثل العقل والروح والمادة والمكان والزمان

رابعاً : والميزان هو المبـدأ الميتافيزيقى للواحدية العلمية monisme scientifique ، ويظهر هنا أن تصور أفلاطون للواحد لا يمكن أن يكون إلا ذا أثر

خامساً : وأخيراً فإن الميزان يتفرع عن تفسير مجازى طويل لآيات القرآن عن ميزان الحكم فى العالم الآخر، وهذا هو ما يوجد إجنوزية الإسلام التى حاول جابر أن يربط بها مذهبه فى الدين

أثر جابر فى الدراسات الـكيميائية

جابر فى نظر كيميائيي الإسلام أستاذ الصنعة الأكبر ، ولقد ترك جابر أثراً ليس من السهل الإقلال من شأنه، ونكتفى بأن نشير إلى أنه من خيرة تلاميذ مدرسة جابر بن حيان فى الـكيمياء: الخرق، ابن عياض المصرى الإخميمى ، وذو النون المصرى ، وأبو بكر محمد بن زكريا الرازى ، ومسلمة بن أحمد المجريطى ، والطغرائى وابن وحشية ، والإكيمى المصرى ، وأبو القبردان النصيبى(؟)

أما فى العالم الأوربى فأغلب أعمال جابر الكيميائية إن لم تكن كلها مترجمة إلى اللاتينية مطبوعة فى المجموعات التالية :

1. Treatrum chemicum
2. Bibliothecae chemia
3. Artis auriferae quam chemicam vacant. [Bâle
4. Artis chemical principes. [Bâle.

وهذه التراجم اللاتينية تنقسم إلى قسمين :

قسم أخذ فيه بمنهج الترجمة الحرفية فخرج غير متين الأسلوب ولا قوى التركيب . وقسم أخذ فيه بمنهج الترجمة مع تصرف فجمع فيه بين دقة التعبير العلمى وبين متانة الأسلوب الأدبى ، وبين وضوح الفكر ورونق التنسيق وجمال التقسيم

وهـذه التراجم اللاتينية لـكيمياء جابر إنما سادت التفكير الأوربى العلمى فى القرنين الثالث عشر والرابع عشر حينما عرفت كتب جابر العلمية ، وإن كان بعض المغرضين قد انتهزوا فرصة فقد الأصول العربية لهذه التراجم اللاتينية وضياعها ، فحاولوا أن يخرجوا بهذه التراجم عن دائرة الفكر العربى الاسلامى ، فإن هذه المحاولات مقضى عليها بالفشل ، وهى إن دلت على شىء فإنما تدل على قيمة هذه المؤلفات وعظيم تأثيرها على الفكر اللاتينى فى القرون الوسطى .

وإنى لا أعدو أن أكون مقرراً للواقع حين أقول إن كيمياء جابر يمكن أن نعدها إلى حد ما أساساً للـكيمياء الحديثة ؛ ذلك لأن التراجم اللاتينية لأعمال جابر بن حيان طبعت فى القرن السادس عشر ، ثم أعيد طبعها فى القرن الثامن عشر ، ولا بد لهذه الأعمال العظيمة أن تؤثر فى عقليات المفكرين سواء أكان هـذا التأثير من ناحية سلبية أم من ناحية إيجابية أم هو بين السلب والإيجاب

***

هذه هى مشكلة جابر بن حيان فى وضعها الصحيح ، وبهذا نكون قد أزحنا بعض العبء الثقيل الذى يبهظ أعناقنا نحن دارسى التراث الإسلامى ، وفقنا الله جميعاً لإحياء هذا التراث الخالد .

(تم البحث)

أحمد زكى صالح



الى الأستاذ الشاعر على محمود طه

قرأنا بإعجاب كبير ديوان « ليالى الملاح التائه » ، وفى مطالعتنا لمقدمات القصائد مررنا بمقدمة القصيدة التى عنوانها « خمرة نهر الرين » وقد جاء فيها :

« يتفرد نهر الرين بجنات أعنابه ، وأشجاره الباسقة ، وقصوره التاريخية ، ذلك النهر الذى ينبع من سويسرا ويمر بين فرنسا وألمانيا ويخترق هولندة حتى مصبه فى بحر الشمال . وقد تغنى بجماله وفتنته شعراء مبدعون ، احتفل الأدب بآثارهم ومنهم الشاعر الإنجليزى جون كيتس الذى أودع قصائده الأخيرة إلى محبوبته أرخم ما غناه عشاق نهر الرين ... »

واعتماداً على ما نعلمه من دراستنا لأخبار الشاعر المبدع جون كيتس وأشعاره لا نجد فى ديوانه كله أية قطعة تغنى فيها بنهر الرين مباشرة أو عرضاً ، وليس فى قصائده المعروفة إلى محبوبته « فانى براون » أى تغن بنهر الرين

وزيادة فى الايضاح نذكر أن الشاعر المذكور لم يترك انجلترا فى حياته إلا مرة واحدة ، وذلك فى عام ١٨٢٠ تلبية لدعوة الشاعر « شلى » الذى كان فى إيطاليا فى تلك السنة . وكانت الطريق التى سلكها « كيتس » بحرية . ومنذ اليوم الذى ترك فيه انكلترا حتى وفاته بعد ذلك بزمن يسير لم يقل غير قصيدة واحدة وهى مشهورة فى الأدب الإنكليزى بعنوان « النجم الساطع » Bright Star مهداة إلى « فانى براون » ، وليس فيها إشارة إلى النهر المذكور الذى لم تقدر له رؤيته فى حياته

أما الشاعر الإنكليزى الذى تغنى بنهر الرين فهو « اللورد بيرون » فى قصيدته الطويلة Childe Harold وذلك فى المقاطع (٤٦ — ٥٥) من الفصل الثالث ؛ وهى من أجل ما قيل فى التغنى بجمال نهر الرين وعظمته

وختاماً تقبل أستاذى هذه الملاحظة ، وليس يقلل من شأن شاعر الحب والجمال « جون كيتس » ألا يتغنى بجمال نهر الرين وكفاه ما تغنى به . ودم للمعجب

على كمال

(فلسطين)

حول أخى اسماعيل أدهم

قرأت جل ما كتب فى المجلات والجرائد المصرية خاصاً بأخى المرحوم « اسماعيل أحمد أدهم » وقد رأيت أن بعض الكتاب قد وقعوا فى بعض الأخطاء ، ورأيت من الواجب أن أنبه إلى تلك الأخطاء إحقاقاً للحقيقة ، وخدمة للتاريخ

ولقد كتب صديقى الأستاذ « عبد الحفيظ نصار » مقالاً فى العدد الأخير من مجلة (الرسالة) فوقع فى بعض الأخطاء منها أنه ذكر أن أخى اسماعيل حفيد أدهم باشا وزير المعارف التركية سابقاً . والحق أن ابرهيم أدهم باشا كان وزيراً للمعارف المصرية — أى مدير المدارس المصرية — على عهد ساكن الجنان المغفور له « محمد على الكبير » وخلفه المعظم الخديو « اسماعيل »

وقد أشار إلى هذا الأستاذ الأديب « صديق شيبوب » فى المقال المنشور له فى جريدة البصير بتاريخ (٢ أغسطس ٩٤٠) نقلاً عما كتبه المرحوم على باشا مبارك فى خططه

وذكر الأستاذ نصار أن أخى نشر أبحاثاً متفرقة فى الرسالة كان آخرها بحثه عن (عام الفيل) والحقيقة أن آخر مقال له فيها هو (الذرة وبناؤها الكهربائى)

وذكر أيضاً أن أول كتاب صدر له فى مصر هو (مصادر التاريخ الإسلامى) والصواب (من مصادر التاريخ الإسلامى) وقد صودر — كما أذكر — بقرار من مجلس الوزراء وليس بمرسوم ملكى كما قال الأستاذ

وقال أيضاً إن له كتاباً اسمه (الأنساب العربية) والصواب (علم الأنساب العربية) وقد نشرته مجلة (الحديث) الحلبية

هذا ، ولى عودة — إن شاء الله — لتصحيح أخطاء بعض الكتاب .

(الاسكندرية) ابرهيم أحمد أدهم

مأخذ طائش

قال الأديب أحمد جمعة الشرباصى : لما أخرجت وزارة المعارف ديوان المرحوم حافظ إبراهيم لم تنشر به عدة قصائد له ، وذكر مقطوعة من شعره فى وصف الطيارة لم تنشر بديوانه وهى :

يجرى بسابحة تشق سبيلها شق الإزار

والحقيقة أنها موجودة بالجزء الثانى صفحة ٧٧ فى استقبال الطيار العثمانى فتحى بك ، وكانت طائرته قد سقطت به ومات قبل إتمام رحلته إلى مصر ، فرأى حافظ من الوفاء نشر هذه القصيدة بعد موته لتكون له حياً وميتاً . فهل اطلع الأديب الشرباصى على الديوان ؟

أحمد حسين حسنين

تصحيح بيت فى ديوان (حافظ) بمناسبة ذكراه

إلى حضرات الأساتذة المحترمين الذين ضبطوا وصححوا ديوان شاعر النيل « أحمد حافظ إبراهيم » رحمه الله

جاء فى الجزء الثانى من الديوان مطلع قصيدة (تصريح ٢٨ فبراير) :

مالى أرى الأكمامَ لا تُفَتِّحُ والروضُ لا يزهو ولا يُتَفَتِّحُ

وذلك بتشديد الكلمة الأخيرة من صدر البيت ومثلها من عجز البيت ، وعلى هذا فوزن البيت لا يستقيم مطلقاً مع وزن القصيدة . إذاً فالأصح أن يكون بيت المطلع بلا تشديد هكذا :

مالى أرى الأكمامَ لا تُفتَحُ والروض لا يزهو ولا يَنفَحُ

هذا ما خطر لى لدى مطالعتى ديوان حافظ بجزئيه منذ أمدٍ بعيد ، وقد سجلت هذا الخاطر ... والآن بمناسبة ذكرى هذا الشاعر العربى العظيم أعرض ملاحظتى المتواضعة على البيت المذكور أمام الأساتذة المصححين للديوان ليقولوا كلمتهم ، كذلك أعرضها لقراء الرسالة ليتدبروها جيداً ويُبدوا آراءهم فيها ، والله أسأل أن يهدينا إلى الصواب

أنور خليل

(العراق — العمارة)

نوّت بالحمل وناء بى

نشر الأستاذ الطنطاوى فى العدد (٣٦٢) مقالاً جاء فيه تلك العبارة :

« ... وكانت السيارات تسير متعاقبة يكاد ينوء بها ثقل ما تحمل ... » . وقد أشار فى الهامش إلى أن هذا هو التعبير الصحيح رغم شيوع عكسه ، وهذه الإشارة إن أفادت شيئاً ، فإنما هى تفيد أن العكس خطأ

وقد قرأت فى كتاب الأمالى ما نصه[1] : « يقال : نؤتُ بالحمل أنوء به نوْءاً ، إذا نهضت به ، وناء بى الحمل ينوء بى نوءاً ، إذا جعلنى أنهض به » اهـ

وقد دفعنى ما قرأته فى الأمالى إلى أن أرجع إلى القاموس ، فأدهشنى أن كلا الكتابين متفق ، وذلك بعد أن أرجعت البصر فيهما مرات ، وهاك الدليل : يقول القاموس فى مادة (ناء) : « ناء نوْءاً وتنْواءً : نهض بجهد ومشقة ، و (ناء بالحمل) : نهض به مثقلاً ، و (ناء به الحمل) : أثقله وأماله كأناءه » اهـ

ولو تلمسنا وجاهة كل من التعبيرين ، لوجدنا أن قولنا نؤتُ بالحمل أوجه بكثير من قولنا ناء بى الحمل، والتعبير نفسه ينطق بذلك فما رأى الأستاذ الطنطاوى ؟ ؟

« كفر المياسرة »

عوض عوض الدهن

مغالطات

أستاذى الكبير الزيات

قرأت للأخ الأديب أحمد جمعة كلمة فى الثقافة عدد ٨٣ حول ترجمة لابن الفارض فى كتاب (تاريخ الأدب العربى) إذ نقل منه هذه العبارة :

ومن أشهر شعره — يعنى ابن الفارض — تائيتاه الكبرى والصغرى ، تبلغ الأولى ٦٠٠ بيت ، والثانية ١٠٣ أبيات ، قد استوعبتا أغراض الصوفيين وأسرارهم ولا يقرأهما إلا من رزق الصبر والجلد على حل تلك الرموز ، يقول فى مطلع الكبرى :

نعم بالصَّبا قلبى صبا لأحبتى فياحبذا ذاك الشذا حين هبّت

تذكرنى العهد القديم لأنها حديثة عهد من أُهيل مودتى

نقل هذه العبارة ، وقال إن فيها عدة أخطاء :

١ — فى عدد أبيات التائية الكبرى ، فهى ليست ٦٠٠ بل ٧٧٩ بيتاً كما عدها بنفسه مراراً

٢ — إن التائية الكبرى ليست مبدوءة بما ذكرتم من قول ابن الفارض :

« نعم بالصبا قلبى صبا ... » البيتين

---

(١) الأمالى : جـ ٢ ص ١٣١ — طبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٢٦ م

٣ — فى إتيانكم بالبيتين متعاقبين والحقيقة أن البيت الثانى « تذكرنى العهد القديم ... » الخ جاء فى التائية الصغرى ـ لا الكبرى ـ بعد أربعة أبيات ... الخ، وأنا أعجب للأخ أحمد جمعة، كيف جشم نفسه هذا الجهد الكبير، والأمر أسهل مما يعتقد ؟!

أما عن عدد الأبيات فقد صدق أستاذنا الزيات، فلقد رجعت إلى طبعات ديوان ابن الفارض المختلفة، فوجدت اختلافاً كبيراً فى عدد الأبيات، أبيات هذه القصيدة. فبعض الطبعات ذكرت هذه القصيدة فى نحو ٦٠٠ بيت، وعلى هذه الطبعة اعتمد أستاذنا الزيات فى كتابه (تاريخ الأدب العربى) صفحة ٢٢٩ من الطبعة الخامسة كما ذكرت، وصفحة ٣٥٢ من الطبعة السادسة وكذلك اعتمد عليها أيضاً الدكتور زكى مبارك فى كتابه التصوف الإسلامى ج ١ ص ١٣٠ حيث يقول: « ولا يسع من يهتم بدرس ابن الفارض أن يغفل التائية الكبرى، وهى نحو ستمائة بيت، وقد نظمها تحت وحى صوفى. الخ ». وطبعة أخرى ذكرت هذه القصيدة نفسها فى ٧٥٨ بيت، وطبعة ثالثة ذكرت هذه القصيدة أيضاً فى ٧٦٢ بيت، وأحمد جمعة يقول إنها تبلغ ٧٧٩ بيتاً كما عدها بنفسه مرات فلا يصح له بعد ذلك أن يخطئ الأستاذ فى عدد الأبيات قبل التثبت فى حين أنه أخذ بأكثر هذه الطبعات دقة وعناية هذه واحدة. وأما الثانية: فأنا معه فيها، إذ أن التائية الكبرى مبدوءة بقول ابن الفارض:

سقتنى حُميَّا الحب راحة مقلتى ... وكأسى محيا من عن الحسن جلّت
فأوهمت صحبى أن شرب شرابهم ... به سُرّ سرى فى انتشائى بنظرة

ولعله يرى معى أن هذا لا يعد خطأ، وإنما هو سهو، وكان الأجدر به أن يعطيه اسمه الصحيح ... ! وأما الثالثة: فهى مغالطة صريحة ولا تجدر بطالب الحقيقة والناقد المنصف.

ألم يقل أستاذنا: « يقول فى مطلع الكبرى: « نعم بالصبا قلبى صبا ... » البيتين ؟ أليس البيت الثانى: « تذكرنى العهد القديم ... » الخ خامس أبيات القصيدة ؟ وهل ترى أن الإتيان ببيتين متعاقبين يدل على أنهما كذلك فى أصل القصيدة ؟؟

اسمع يا أخى كلمة الحق: كان يكفيك أن تقول: « وقع سهو فى كتاب (تاريخ الأدب العربى) حين ذكر مطلع التائية الصغرى، على أنها الكبرى. » . إنك لو فعلت ذلك لكنت من القسطين

عبد الحفيظ أبو السعود

الى الدكتور زكى مبارك

لاضيرَ أن يلحق التأخير تهنئتى ... ما العبرةُ الحقُّ إلا بالخواتيم
كمثل فعلك: مجهودٌ وتضحيةٌ ... يتوّجان بتقدير وتكريم
إن الوسام الذى أعطيته ثقةٌ ... الرافدين وحقٌّ غير مهضوم
سفارةٌ لك فى الأقطار يحمدها ... ساعٍ يؤالف ما بين الأقاليم
مِزاجُ أكؤسها من كوثرٍ شَبِمٍ ... وورد أنهارها من عذب تسنيم
الفكر والقلم المفتول ساعِدُه ... قد أولياها بمشبوبٍ ومضروم
فانهض (مبارك) للجُلّى بلا وَهَنٍ ... ما كان مقتحمِ الجُلَّى بمهزوم
واقبل كأصدق ما هُنّئت تهنئةً ... ممن قصائدُه وحى الحواميم

عامر محمد بحيرى

استدراك

سقطت عبارة من مقال « من عجائب الفهم ...؟ » المنشور بالعدد ٣٧٠ صفحة ١٢٥٩ عند السطر ٢٦، وها هي ذي:

« وقد بينت أن الحياة عند الأستاذ العقاد فى قصيدته هى النزول إلى ظواهر الدنيا للاتصال بها وإدراكها، وليست الحساسية النفسية كالتألم والفرح وسائر حركات النفس »

الامام أبو هريرة فى كتاب « فجر الاسلام »

تحدث الأستاذ أحمد أمين فى كتاب فجر الإسلام عن أبى هريرة كما تحدث عنه (جولدزيهر) وأمثاله، ومما قاله: « والحنفية يتركون حديثه أحياناً إذا عارض القياس كما فعلوا فى حديث المصراة، فقد روى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « لا تصروا الإبل والغنم من ابتاعها بعد ذلك فهو بخير النظرين بعد أن يحلبها فإن رضيها أمسكها وإن سخطها ردها وصاعاً من تمر » قالوا: (أبو هريرة غير فقيه، وهذا الحديث مخالف للأقيسة بأسرها، فإن حلب اللبن تعد وضمان التعدى يكون بالمثل أو القيمة والصاع من التمر ليس بواحد منهما) » اه (ص ٢٦٩)

كلامه هذا يفهم شيئين: الأول أن الحنفية يقدمون القياس على حديث أبى هريرة إذا عارضه. الثانى أنهم يرونه غير فقيه؛ ونسبة الأمرين إليهم نسبة غير صحيحة. أما فى تعارض الخبر والقياس فالامام وصاحباه وجمهور الحنفية على أن الخبر

مقدم على القياس مطلقاً سواء كان الراوى فقيهاً أو لا ، وذهب فخر الإسلام — واختاره ابن أبان وأبو زيد — إلى أن الراوى إن كان فقيهاً قدّم خبره على القياس مطلقاً ، وإن كان غير فقيه قدم خبره أيضاً على القياس إلا إذا خالف جميع الأقيسة وانسد باب الرأى ؛ وبهذا تبين أن الحنفية لا يقولون بتقديم القياس على الخبر ومن ذهب منهم إلى تقديمه عند انسداد باب الرأى يعممه فى كل خبر راويه غير فقيه لا بخصوص أبى هريرة ، وأما أن أبا هريرة غير فقيه ، فهذا لم يقل به غير فخر الإسلام وصاحبيه المذكورين ، وقد شنع الحنفية عليهم قولهم هذا وردوه أبلغ رد كما هو معلوم لمن يطالع أصولهم ، فنسبة القول بذلك إليهم نسبة باطلة

ولك أن تتساءل كيف نسب الأستاذ إلى الحنفية كل هذا وهم منه براء ؟ والجواب أنه قد اعتمد فى كتابة فصل الحديث فى فجر الإسلام على « مسلم الثبوت وشرحه » ، أكثر من أى كتاب آخر ، وشارح المسلم لما تعرض لقول فخر الإسلام وموافقيه وأبان عن وجهة نظرهم قال : « ومثلوا لذلك بحديث المصراة ، وهو ما روى أن رسول الله الخ الحديث . قالوا أبو هريرة غير فقيه وهذا الحديث مخالف للأقيسة كلها إلى أن قال : وفيه تأمل ظاهر فإن أبا هريرة فقيه مجتهد لا شك فى فقاهته الخ . . . » . ولا يخفى أن الضمير فى قالوا راجع إلى فخر الإسلام ومن وافقه ، ولكن الأستاذ أحمد أمين حول الضمير إلى الحنفية ، ونسب قول فخر الإسلام إليهم . ولا أدرى كيف تغاضى عن سياق الكلام ، وكيف تغاضى عن اعتراض الشارح على القول بعدم فقاهة أبى هريرة ، وكيف تغاضى عما فى كتب الأصول من النص على فقه أبى هريرة والرد على فخر الإسلام ومن تابعه فى قولهم ذاك ؟

وصفوة القول أن ما نسبه الأستاذ إلى الحنفية فى هذه المسألة غير صحيح وإنما هو لفخر الإسلام لم يوافقه عليه غير اثنين ، وهو قول مردود من الحنفية أنفسهم .

مصطفى حسنى السباعى



عقيـــدة الشيطان

عن الانجليزية

بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار

فى العهد الذى كان فيه السيد المسيح والقديس بطرس يمشيان على الأرض مرَّا بحداد اتفق مع الشيطان على أن يكون عبداً له إذا استطاع الشيطان أن يجعله فى مدى سبعة أعوام سيداً على جميع الحدادين . وقد وقع الحداد والشيطان على وثيقة بهذا المعنى ، ومن أجل هذا السبب علق الحداد على باب حانوته لوحة كتب عليها « سيد الحدادين »

ولما رأى المسيح هذه اللوحة ذهب إلى الرجل وسأله : « من أنت ؟ » فأجابه الحداد : « اقرأ اللوحة التى على الباب وإذا كنت لا تستطيع القراءة فانتظر حتى يمر بك من يعينك على فهمها . وقبل أن يجيبه المسيح جاء رجل على ظهر جواد وطلب إلى الحداد أن يضع حدوة فى رجل جواده فقال المسيح للحداد : « أتأذن لى فى أن أقوم بهذا العمل بالنيابة عنك ؟ »

قال الحداد : « جرب وإذا أسأت وضع الحدوة فإنى سأعيد وضعها» . فوضع المسيح قدمى الجواد فوق الفرن ونفخ فى النار . وبدلاً من أن تحترق أقدام الجواد أصبحت مكسوة بطبقة لامعة معدنية وانتعلت بحدوات متينة ، فدهش الحداد وقال للمسيح : « أنت حداد بارع »

وفى هذا الحين جاءت أم الحداد لتخبر ابنها بأن طعام الغداء قد أعد ولتدعوه إلى تناوله ، فتأهب الحداد للذهاب معها . وطلب إلى المسيح أن ينتظره هو وصاحبه بالحانوت حتى يعود . فأذن له بذلك . ونظر المسيح إلى وجه أم الحداد فألفاها مجعدة الجلد عجوزاً شوهاء ، فحملها ووضعها فى الفرن فأصبحت فتاة جميلة . وأخذها ابنها وذهب معها إلى المنزل وهو ضاحك مسرور . وكانت كلمته للمسيح : « على الرغم من أنى كتبت على لوحة حانوتى أنى سيد الحدادين ، فإن المرء ما عاش قابل للتعلم ولم أر قبلك حداداً يعيد العجائز فتيات »

ولما عاد الحداد بعد الغداء كان المسيح والقديس بطرس ينتظرانه . وجاء رجل على ظهر جواد ليطعم أقدام جواده فأراد الحداد أن يجرب الطريقة التى رأى المسيح يعمل بها ووضع أقدام الجواد فى الفرن ؛ فكانت النتيجة كما ينتظرها كل إنسان ، واحترقت أرجل الجواد . وفى الحال مرت عجوز فقال الحداد : « إذا أنا لم أفلح فى إحدى الأعجوبتين فقد أفلح فى الأخرى » وقاد العجوز إلى النار وهى تستغيث وهو يقول : « سأعيدك فتاة جميلة ولن أطلب منك أجراً على ذلك . تعالى إلى الموقد »

وحملها إلى الموقد وهى تصرخ من الألم فنظر الحداد إلى المسيح وقال : « ليس فى العالم ما هو أدعى إلى الخجل » فقال المسيح : « ما هو الذى يخجلك ؟ »

قال الحداد : « الشيطان هو الذى من حقه أن يخجل فإنه لم يف بوعده لى ولم يجعلنى سيداً للحدادين مع أنه هو الذى كتب اللوحة التى على الباب »

فقال المسيح : « هبنى أستطيع أن أحقق لك ثلاث أمان فماذا تريد تحقيقه من أمانيك ؟ »

قال الحداد : « أريد أن يكون لى نفوذ على كل من آمره بأن يتسلق شجرة الكمثرى التى أمام الحانوت فلا يستطيع أن يخالفنى ولا يستطيع أن ينزل إلا إذا أمرته ، فهذه أمنية ؛ والأمنية الثانية أننى كلما أمرت إنساناً بأن يجلس فى حانوتى فلا يستطيع الامتناع ولا يستطيع القيام إلا إذا أمرته ، والأمنية الثالثة أن من آمره بالجلوس فى كيس نقودى يضمر حتى أضمه فى الكيس ولا يخرج إلا إذا أخرجته »

قال القديس بطرس : « هذه أمان حمقاء وقد كان عليك أن تتمنى محبة الله ورحمته »

فقال الحداد : « إننى لا أجرؤ على تمنى أمنية كبيرة مثل هذه »

وعند ذلك ودعه المسيح والقديس بطرس وانصرفا ، وأجابه المسيح إلى أمانيه

وانقضت الأيام سراعاً فتمت السنوات السبع المتفق عليها بين الحداد وبين الشيطان ، وجاء الشيطان يتقاضاه الشرط وبدأ

بأن سلم إليه مسماراً مكسوراً ليصنع له رأساً . فقال الحداد :

« سأفعل ولكنك على ما يظهر متعب من طول المسافة التى قطعتها إلىّ ومن الجوع ، فتسلق هذه الشجرة ريثما تأكل من ثمرها وتستريح وأكون فى هذه الفترة قد صنعت رأس المسمار »

فتسلق الشيطان الشجرة ولكنه وجد نفسه عاجزاً عن النزول ؛ وأخذ الحداد يضحك منه ويقول : « إن رأس المسمار ستستغرق منه أربعة أعوام » . فتوسل إليه الشيطان أن يأذن له فلم يقبل إلا عند ما وعده الشيطان بأن يذهب عنه فلا يعود إلا بعد أربعة أعوام . فأذن له على هذا الشرط . وانطلق الشيطان وبعد أربعة أعوام أخرى عاد الشيطان فقال : « لقد غبت أربعة أعوام ولا بد أن تكون قد فرغت من رأس المسمار »

فأجابه الحداد : « لقد صنعته ولكنك مع ذلك أتيت مبكراً فهو لا يزال محتاجاً إلى السن ، فاجلس فى هذا المقعد حتى أفرغ من سنها »

فجلس الشيطان ، ولكنه عاد فأدرك أنه لا يستطيع القيام ، وأخذ يتوسل إلى الحداد ، وهذا يختلق له المعاذير ، وأخيراً وعده بألا يعود قبل أربعة أعوام أخرى يكون الحداد فى أثنائها قد فرغ من سنه المسمار

مضت أربعة أعوام أخرى وجاء الشيطان فقال له الحداد : سأذهب معك الآن حيث تريد ، ولكنى أريد أن ألقى عليك سؤالاً واحداً وهو : هل صحيح ما يقولون من أن الشيطان يستطيع أن يضمر جسمه إلى أى حجم يريد ؟ فقال الشيطان : هذه حقيقة لا تحتمل الشك

فطلب إليه الحداد أن يضمر حتى يدخل كيس نقوده ، وأن يستمر فى الكيس حتى لا تسرق أمواله مدة السفر ، ففعل الشيطان ذلك

ولما صار الشيطان فى داخل الكيس ، ألقى الحداد بالكيس فى الفرن ، فصاح الشيطان : هل أنت مجنون ؟ لماذا تلق بالكيس فى النار وأنا فيه ؟

قال الحداد : إننى أريد أن أعيد صنعه بحيث تضيق فتحاته ، وها هو ذا قد احمارّ والمثل يقول : لا تضرب الضربة إلا إذا حمى حديدك ، ثم أهوى بالمطرقة فوق الكيس ، فتوسل إليه الشيطان أن يتركه على ألا يعود إليه مدى الحياة

وتركه الشيطان ، ولكن الحداد ندم وقال : « إذا فاتتنى الجنة الآن وقد سدت دونى أبواب النار بما فعلته مع الشيطان ؛ فسوف أصير فى الآخرة بغير مأوى . وكان الأفضل أن أظل مصاحباً للشيطان ليكون لى مسكن فى النار إن فاتتنى فى الجنة المسكن » . وعزم على أن يتابع السير حتى يعثر على الشيطان فيسترضيه ، حتى لا يكون فى الآخرة من المتشردين . فلما صار فى مفترق الطرق بين الجنة وبين النار . لقى خياطاً وسأله إلى أين يريد الذهاب ، فقال الخياط : « إننى أبحث عن الجنة »

قال الحداد : « إذن فطريقى غير طريقك وسأذهب لأبحث عن النار وذلك لأنى عرفت صاحب الأمر فيها منذ عهد الشباب »

وتفرقا فذهب كل فى طريقه ، وكان الحداد سريع المشية طويل الخطوة ، فوصل بعد مدة وجيزة إلى باب النار ، وطلب إلى بوابها أن يخبر الشيطان بأن رجلاً ينتظر بالباب

وقال الشيطان للبواب : « اذهب فاسأله من هو ؟ » فقال الحداد : « قل له إنى صاحب الكيس وسيعرفنى . وتوسل إليه أن يأمر بدخولى لأنى فى تعب شديد فقد ظللت أشتغل إلى الظهر وبدأت السير بعد ذلك »

فلما عرف الشيطان من هو الزائر أمر البواب بأن يغلق أبواب الجحيم التسعة ويحكم الرتاج « فإن هذا الرجل إن دخل الجحيم فسيزيد أهلها شقاء »

قال الحداد فى نفسه : « لا فائدة من التسكع هنا فسأذهب وأجرب الجنة »

وعاد إلى المكان الذى ترك عنده الخياط وتبع الطريق الذى سار فيه فلحق به ساعة كان القديس بطرس يفتح أبواب الجنة ولكن أبواب الجنة ضيقة لا تسمح إلا بدخول الرجل الهزيل الجسم فتردد الحداد ثم قال فى نفسه : « لا ينبغى أن أضيع الوقت »

وفى اللحظة التى كان الخياط فيها يدخل من الباب ضرب الحداد بمطرقته الدلفة المتحركة من ذلك الباب

ولست أعرف إذا كان الحداد لم يدخل من الفرجة التى أنشأها بمطرقته فى سور الجنة ففى أى طريق سلك ...

عبد اللطيف النشار

﴿ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى — عابدين ﴾

8me Année No. 373

Lundi - 26 - 8 - 1940

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مص
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٣٧٣ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٢ رجب سنة ١٣٥٩ — الموافق ٢٦ أغسطس سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهـــــرس

الاصــــلاح ... !

للأستاذ عباس محمود العقاد

كثر فى هذه الأيام حديث الريف وإصلاح الريف لكثرة الرائفين من الحضريين الذين رهبوا الغارات فى المدن فالتمسوا الأمان فى القرى، ثم هربوا من أمان القرية إلى مخاوف المدينة، وهم الراجعون!

ومنذ عام أو قرابة عام سمعنا من يسأل: « أليس الأجدى على الفلاح أن تطعمه وترفه عنه بهذه الأموال التى تنفقها على تعليمه إلزاماً وهو مفتقر إلى الطعام النافع والماء النظيف » ؟

وقال لى زميل فى مجلس النواب ممن يملكون عشرات الألوف من الأفدنة وقد رأى اهتمام فريق من النواب بنشر التعليم: « ما هذا التعليم الإلزامى الذى تحسبونه خيراً وبركة على الفلاحين ؟ إن هؤلاء الفتيان الذين ينتشرون فى القرى لتعليم أبنائها لا يعلمونهم إلا الحذلقة وفتنة البطالة ... وأقسم ما عرفت أنا أن للجورب حمالة إلا من هؤلاء الفارغين المتبطلين الذين يقضون الساعات فى التصدى للغاديات الرائحات ... ثم تنظر إلى ابن الفلاح فلا تراه قد أفاد منهم إلا الشوق إلى اليوم الذى يغدو فيه مثلهم لابس رباط فى الرقبة وحمالة فى الساق » !

قال لى الفلاح الـكبير ذلك وهو يرى أن حالة الجورب هى رمز الفساد الذى ينقله « هؤلاء الأولاد إلى أهل البلاد »

وأنا لا أقول إن التعليم الإلزامى هو التعليم المنشود للفلاح ، ولا أقول إنه هو التعليم الذى يفسده ويشغله عن المصالح والصالحات، ولكنى أقول إن الإصلاح كله عبث ما لم يبدأ بإصلاح العقول والأذواق ، وإن إرادة المصلح وحدها لن تحقق له ما يريده من الخير ما لم تقترن بإرادة المحتاجين إلى الإصلاح

عرض لى ما دعانى إلى البحث الطويل عن ماء الشرب فى الريف : كم من السواقى المرشحة أقامتها الحـكومات المتعاقبة هناك ؟ وكم منها أفاد وماذا أفاد ؟ وكم من الفلاحين تعود النظافة فى العيش بما تعوده من شرب الماء النظيف والاستحمام بالماء النظيف ؟

فعلمت المضحكات المبكيات

كان المظنون أن السقى المرشح لا يقام فى القرية حتى يتهافت عليه أهلها وتتسابق القرى من أهل الجيرة القريبة إلى المطالبة بمثله فينتشر فى أنحاء القرى قاطبة خلال أشهر معدودات ، أو خلال سنوات على الأكثر إذا لم يسعف الماء

كان هذا هو المظنون وكان عجيباً ألا يكون

إلا أن العجيب هو الذى حدث ولم يعجب له أحد ، وغير العجيب هو الذى دق عن الأفهام

شاع بين جمهرة من أهل الريف أن الماء النظيف ماء لا خير فيه ولا دسم فيه فهو مضعف للرجال ... !

أما الماء الذى فيه الخير والدسم فهو المـاء العكر الذى يجلب البركة إلى الأرض فتنبت ويجلب البركة إلى أصلاب الرجال فينبتون

وسألت غير واحد من الثقاة فأكدوا لى ما سمعت ، وقال لى أحدهم إنه وقف بنفسه على طريق الماء المرشح فرأى الفتيات يتخطينه إلى مساقى الماء العكر وهى بعيدة من دورهن ، وسألهن ماعيب هذا الماء النظيف ؟ أليس أصلح للشرب وأسوغ فى المذاق ؟

قال: فتضاحكن وملن بعيونهن وهن يقلن: ولكنه ردىء !

قال فسألتهن : وما رداءته ؟

فلم يزدن على أن قالت إحداهن : أنا عارفة ؟ كلهم يقولون إنه ردىء وإنه يهد الحيل

ثم علم بعد الاستيضاح ما هـذه الرداءة وما هذا الحيل الذى يهده ذلك الماء المسكين !

أيها المصلح الغيور دونك فأصلح !

ولـكن قل لنا بحقك ماذا أنت مصلح فى الريف : مضخات الماء أو تلك العقول فى رؤس الرجال والنساء ؟!

وأرى أن سوء الفهم آفة يبتلى الفلاح من قبلها بأعظم البلاء ، ولـكنها دون الآفة الـكبرى فى الضرر والإيذاء ، وهى فيما نعتقد سوء الظن والمبادرة إلى تصديق قالة السوء

يستقرئك الفلاح رسالة فتقرأها له بغير جزاء ، ولا يخطر ببالك أن فى الأمر ما يدعو إلى إساءة ظن أو تشكك فى صواب القراءة .

ثم ترقبه فتراه قد حمل الرسالة إلى ثان وثالث يستعيد قراءتها ليوقن أنك لم تخدعه ولم تهزأ به ، وأن القراء جميعاً مخلصون لأنهم متفقون

ويسألك الطريق فتهديه ، ثم يمضى خطوات فإذا هو قد استوقف غيرك ليعيد عليه السؤال

وهكذا فى كل ما يسمع من النصائح ويتلقى من الإرشاد ولو لم يكن ثمة قط سبب للريبة والتردد فى التصديق

هذا الظن السيىء حائل دون الثقة بالمصلحين وحائل دون النجاح فى الإصلاح . فليس من اليسير أن تدخل فى روع فلاح جاهل أن إنساناً من الناس يعنّى نفسه ويطيل همه بإسداء الخير إلى إنسان آخر ، ولـكنه يسير كل اليسر أن تقنعه بنية السوء واتهام المقاصد والسهر على الـكيد والخديعة

فإذا قيل مثلاً إن الماء النظيف يضعف الرجال ، وقيل بعد ذلك إن إضعاف الرجال مقصود فى سياسة من السياسات الخفية التى يدبرها بعض الأجانب ، فقد ضمنت للاشاعة سرعة السريان وسرعة الإصغاء والقبول . وإذا حاولت بعد ذلك أن تنفى هذا الهراء فها هنا الصعوبة جد الصعوبة فى استرعاء الآذان والأذهان ، وها هنا الشك فيك أنت واتهامك أنت بأنك المريب المتواطىء مع الـكائدين بأجر معلوم ... وإلا فما يفيدك ؟ وماذا يعود عليك ؟ ولماذا تشغل بالك بتبرئة أولئك الـكائدين الذين لا شك فى أنهم كائدون ؟ أليس للناس عقول ؟ أليس التواطؤ بادياً لـكل

ذى عينين ؟... بلى .. وما من حاجة بعد هذا الوضوح إلى دليل !

ومن النقائض الظاهرة أن هذا الفلاح الذى يسترىب هذا الريب بالمصلحين يقع فريسة هينة سهلة القياد لكل دجال أومشعوذ يدعى له من الدعاوى ما يوجب الاتهام ويثير الشكوك

لماذا ؟

أفى الأمر تناقض بين ذلك الحذر وهذا الاستسلام ؟

كلا ... لا تناقض إلا فى الظاهر دون الحقيقة ، لأن الحرص هو العلة الغالبة فى كلتا الحالتين

فالحرص الذى يشكك الفلاح الجاهل فى المصلحين هو الحرص الذى يخيل إليه أن الدجال قادر على تعويذه وتعويذ أبنائه وماشيته وغلاته بالرق والعزائم والطلاسم والدعوات

والحرص الذى يوحى إليه أن أحداً من الناس لا يعنّى نفسه ولا يطيل همه من أجل أحد آخر لا قرابة بينهما ولا مودة، هو هو الحرص الذى يوحى إليه أن الدراويش ومصطنعى التقوى يفعلون الخير لأنهم باعوا الدنيا واشتروا الآخرة ، وهى تجارة غير خاسرة ولا بائرة ، وكثيراً ما يتفق أن « المتدروش » من هؤلاء يظهر له الزهد فى ماله وما عسى أن يكافئه به من زاد أو مؤنة ، ثم يتسلل إلى جيبه أو خزانته من سراديب الغش والملق والمراوغة بعد الظفر بطمأنينته والنفاذ إلى مكامن سره ومواطن ضعفه وجشعه

فالآفتان الكبريان الرابضتان فى طريق الإصلاح هما سوء الظن وسوء الفهم، وكلاهما حجاب حائل بين الناصحين والمنصوحين

وليس العائق كله من جانب القادرين على النفع فإن العاجزين عن الانتفاع يقيمون فى وجه الإصلاح عائقاً لا يجدى فيه الإقناع ولا الإرغام ؛ وماذا يصنع القادرون على النفع بمن لا يريدون نفعاً أو بمن يريدونه ولكنهم يخطئون السبيل إليه، ويصرون على الخطأ ولا يستمعون إلى من يعالج هذا الإصرار بالبيان والبرهان ، بل يسرعون إلى اتهامه هو فى أكثر الأحيان ؟

وما نبغى بهذا أن نيأس أو أن ننفض الأيدى من هذا الواجب الذى لا يعفينا منه عذر ولا تعلة . فالإصلاح فرض لا يرفعه عن الكواهل أنه عسير ، بل لعل هذا العسر مما يوجبه ويستحث العزائم على النهوض بتكاليفه وأوقاره

ولكننا نبغى الدلالة إلى مواضع الصعوبة ومواضع التقصير ، ونعتقد أن المزيد من التفاهم والتقريب بين الحضريين والريفيين ، والمزيد من المثابرة على إزجاء الأمثلة المحسوسة والبينات المقنعة ، والمزيد من الدقة فى اختيار الوعاظ والمرشدين ، والمزيد من التعليم والتهذيب — خليق كله أن يروض ما جمح ويذلل ما استعصى من العيوب والآفات ، ويغرينا بالرجاء أننا صنعنا شيئاً بما بذلنا من الجهود ولم نضيعها كلها سدى كما يلوح لبعض المتشائمين

وأصاب صديقنا الأستاذ صاحب الرسالة حين قال : « إن هذا الفلاح لا يصلحه تنظيم قريته ولا تجميل داره . إنما يصلحه تربية ذوقه وإرهاف حسه »

نعم ، فأنت إذا أنشأت فلاحاً سليم الذوق مرهف الحس مفتوح العقل مستجيب السليقة ، فسيجرى وراءك لتعطيه الماء النظيف والغذاء الجيد والأدوية النافعة والنصائح القويمة ، ولا يجشمك كما يجشمك اليوم أن تعدو وراءه لتقصيه عن موارد الماء العكر « بدسمه وخيره » وتدنيه من مساقى الماء المرشح وموائد الغذاء المفيد

عباس محمود العقاد

بعض مآثر سعد زغلول

للدكتور زكي مبارك

امتاز سعد باشا — طيب الله ثراه ! — بميزات كثيرة جداً منها غزارة العلم وفصاحة اللسان وقوة الشخصية ، وكانت له مآثر كثيرة جداً ، منها المآثر الآتية :

أولاً — استطاع سعد بشخصيته العاتية أن يغزو ملايين القلوب بالحب والبغض ، فأحبه ناس إلى حد الجنون وأبغضه ناس إلى حد الحمق . ومن عجيب أمره أن الذين أحبوه كانوا صادقين والذين أبغضوه كانوا صادقين ، وكانت الوطنية الصحيحة مصدر العواطف التي تفجرت في قلوب أصدقائه وأعاديه . وما أذكر أني عرفت أحداً يبغض سعد باشا حسداً ، لأن سعداً كان أهلاً للعظمة ، وما كان يخطر في بال أحد أن سعداً ينال من سمو المكانة مالا يستحق ، وإنما أبغضه مبغضوه وطنيةً كما أحبه محبوه وطنيةً ، وقد جُنّ أحد أعدائه فأطلق عليه الرصاص ، كما جُنّ أحد محبيه فودّع العقل إلى غير رجعة يوم مات

وقد كنت في مطلع الحركة الوطنية من أنصار سعد ، ثم تمردت عليه تمرداً عنيفاً ، فكتبتُ في الهجوم عليه ما كتبت وقلت ما قلت وأنا موقن بأني أخدم وطني بمحاربة ذلك الرجل المسيطر الجبار ، ولم يصدني عنه إلا الائتلاف الذي نمت به مصر في سنة ١٩٢٦. فلما قضى نحبه بعد ذلك عرفت أني فقدت باباً من أبواب الثروة الروحية هو المعاداة في سبيل الوطن بلا ترفق ولا استبقاء

ماذا أريد أن أقول ؟

أريد أن أقول إن سعداً قد استطاع إيقاظ الأفئدة المصرية فلم يمش أحدٌ في عهده بلا روح ثائر أو قلبٍ خفّاق

كان المصريون لعهد سعد متحزّبين بحماسة وصدق ، ولم يكن فيهم رجلٌ واحد يواجه الشؤون الوطنية بلا اكتراث . فكان لأصدقائه جميعاً ولأعدائه جميعاً أقباس روحانية تشهد بأنهم لمبادئهم أوفياء. وأنصار الوفد وخصوم الوفد من الذين لهم في هذه الأيام قوة ذاتية قد تخرجوا جميعاً في مدرسة الحب ومدرسة البغض لعهد سعد ، وكذلك نفع الرجل أعداءه كما نفع أصدقاءه ، وبهذا صح القول بأنه أجج الجمرات التي صهرت أرواح الجيل الجديد .

ثانياً — اتفق لسعد أن يؤدي للغة العربية خدمة عظيمة لا يتنبه لقيمتها إلا من يعرف ما كانت تتعرض له لغة العرب بعد الحرب الماضية

كان الأدعياء كثُروا ، وكانت بدعة القول بأن العناية بالأسلوب ليست إلا حذلقة لا تليق بأبناء العصر الحديث ، وكانت هناك فتنة يَنجُم قرنها من وقت إلى وقت ، وهي فتنة الرجم بأن اللغة الفصيحة لغة أجنبية وأن اللغة العامّية هي لغة المصريين . وقد وُئدتْ تلك البلايا وهي في المهد بفضل سعد ، ولكن كيف ؟

كان سعد من أبناء الجيل الماضي ، وهو جيل سليم ، ويشهد بسلامته وعافيته ما نهض به من جلائل الأعمال ، فذلك الجيل هو بطل الثورة على الظلم والاستبداد ، وذلك الجيل هو الذي قاومَ طغيان الغرب على الشرق ، وذلك الجيل هو الذي عاونَ على قوة الشخصية القومية ، وذلك الجيل هو الذي خلق مُنشَآت عظيمة منها الجامعة المصرية

من ذلك الجيل السليم كان سعد ، وكان ذلك الجيل يؤمن بأن اللغة العربية هي أكرم ذخائرنا الوطنية ، وكان يرى أن متانة الأسلوب هي العنصر الأول من عناصر البيان

وكذلك يفهم من لم يكن يفهم كيف كان سعد يُعنّي نفسه ويعذّبها في سبيل الظفر بالأسلوب الرصين

هل تذكرون كيف كان سعد ينظم خطاباته الرسمية وهو يتوجّه إلى جلالة ملك مصر أو إلى الأمة أو إلى النواب والشيوخ؟

لو صح القول بأن الجهد الشاقّ يقصّر الأجل لقلت إن عناية سعد باشا بالأسلوب قد نهبت من عمره نحو عشر سنين ، وإلا فكيف جاز أن يموت قبل أن يصل إلى السن التي يموت فيها رجلٌ في مثل هامته العالية وبُنيانه المتين ؟

إن اهتمام سعد بالأسلوب خلق في القلوب فكرة الحرص على كرامة اللغة العربية ، وكان ذلك بداية انهيار جيش الأدعياء ، من الذين كانوا يرون أن من السهل أن يكون الشخص أديباً بدون أن ينفق من عمره سَنةً واحدة في الاطلاع على ذخائر اللغة العربية . ومن حظ مصر أنْ كان خصوم سعد باشا يرون هذا الرأي، فكانت جريدة السياسة وجريدة اللواء وجريدة الأخبار تحارب جرائد الوفد بأساليب ظل أثرها باقياً إلى هذه الأيام

وماضى سعد باشا فى صباه يوم كان محرراً فى « الوقائع المصرية » يشهد بأنه كان من الذين يستهويهم القول الجزل والتعبير المصنوع ، وقد لزمته هذه الخصلة طول حياته فكان يرى البلاغة ضرباً من الفن الجميل لا يصل إليه الرجل إلا بعد أن يتمرّس بأساليب الفطاحل من القدماء

وكان سعد خطيباً من الطراز الأول بشهادة الأكثرين ، وقد حضرت له خطبتين إحداهما فى بيت البكرى بعد رجوعه من باريس عقب انفضاض مؤتمر الصلح ، والثانية فى مصر الجديدة أيام ثورته على المرحوم عدلى يكن ، ثم حضرت له خطبة ثالثة فى مجلس الشيوخ يوم احتل الإنجليز الجمارك بعد مقتل السردار فى سنة ١٩٢٤ ، وفى هذه الخطب الثلاث لم أصدّق أن منزلته الخطابية تساوى شهرته الشعبية ، ومع هذا لا يمكن التغاضى عن سعد الخطيب ، فقد كان أقدر الناس على خلق الانقلابات ، وخطبته بشبرا أيام « وزارة الثقة » هى مصدر التقلبات السياسية التى ظلت تقلقل حياة مصر إلى هذا اليوم . وعلى الرغم من أنه لم يرضنى خطيباً فما أزال أذكر كيف كان يخرج الحروف بأصوات ونبرات هى الشاهد على أنه كان فى الخطابة من الفنانين

ثم حضرت خطبه مرة رابعة وخامسة فلم يتحسن رأيى فيه ، فهل كان للعداوة السياسية تأثير فى حكمى على ذلك الخطيب الذى بهر الجماهير زمناً غير قليل ؟

المهمّ أن نسجل أن سعد باشا عاون معاونة جدية على صيانة اللغة العربية من عبث الجاهلين بأصول الأدب وأسرار البيان

ثالثاً — ترفق سعد بالتقاليد حتى ليمكن الحكم بأنه كان يكره الانقلابات الاجتماعية ، وهو الذى صدنا عن لبس القبعات سنة ١٩٢٧ ، ولولا مقاومته ومقاومة الأمير عمر طوسن لجرينا فى الطريق الذى جرى فيه الأتراك . وهذه المسألة تبدو فى صورة المسائل الشكلية ، ولكن لها جذوراً أعمق من ذلك ، فلو أننا كنا جارينا الأتراك فى ترك الطرابيش لكان من الجائز أن نجاريهم فى كتابة اللغة العربية بحروف لاتينية ، ولكان من الجائز أن نسايرهم فى اضطهاد رجال الدين ، وهذا وذاك من الأغلاط التى وقع فيها الأتراك مجذوبين بتيار الانقلاب

كان سعد من المحافظين ولم يكن من الرجعيين ، وكان على محافظته حر الفكر إلى أبعد الحدود ، وهو الذى مدّ يده فنزع نقاب امرأة وقفت تخطب بين يديه ، لأنه شعر بأن منطق العصر لا يقبل أن تُلقى المرأة خطبة وهى فى حراسة النقاب

رابعاً — كان الجوّ فى أيام سعد مشبعاً بهواء ثقيل هو الدعوة إلى عزلة مصر عن الأقطار العربية والإسلامية ، وقد انتبه سعد إلى خطر ذلك الهواء فصدّه بحزم وعنف . ولما وقع الزلزال بفلسطين فى صيف سنة ١٩٢٧ تبرع سعد بمئة جنيه لمنكوبى الزلزال وتبرع المرحوم عوض بك عريان المهدى بتسعة وتسعين جنيهاً فكانت نكتة لطيفة من نكت الذوق . وعواطف سعد من الوجهة العربية والإسلامية كانت عواطف الزعيم الذى يؤمن بأن العروبة والإسلام هما سنادا مصر فى الشرق

خامساً — كان سعد أقوى نصير للمواهب الأدبية ، وكان ينظر إلى القلم نظر الخوف والرجاء ، ولم يكن يجد المتعة الروحية إلا فى محاورة أهل الفكر والبيان

كان سعد يحب أنصاره من الكتّاب فيقرّبهم ويشجّعهم ، وكان يبغض خصومه من الكتّاب بغضاً شديداً ، فلا يأوى إلى فراشه إلا بعد أن يطمئن إلى أنه سيقرأ فى غده ما ينقض تحاملهم عليه ، وكان يتقدم بنفسه من حين إلى حين فيخوض غمار المعارك القلمية بإمضاء مستعار ليشفى صدره من المتطاولين على مقامه الجليل

سادساً — كان سعد من أرباب القلوب ، وتتجلى عظمة سعد من هذه الناحية إذا تذكرنا كيف نسى ما كان بينه وبين خصومه من الأحقاد السُّود بعد إذ منّ الله بنعمة الائتلاف ، فقد كان سعد يبكى لفراق عدلى يكن وعبد الخالق ثروت ، وكان صدقه فى مودة هذين الخصمين من أكرم ما صدر عن قلبه السليم

سابعاً — كان لسعد فضلٌ عظيم فى تقوية الشخصية الحزبية ، وهى أساسٌ لجميع الأعمال الوطنية ، حين تحسُن النيات ، وتصفو الضمائر ، وتطيب القلوب

كان سعد رئيس الأمة ، ولكنه لم ينس أبداً أنه رئيس الوفد ، فكان يجاهد فى تقوية ذاتيته الحزبية بعزيمة قهّارة وقلب صوّال ، وهو الذى رفض السماح لأحد أنصار الوفد بالاعتراض على الحكومة الوفدية فى مجلس النواب

وهنا ندرك أن سعداً كان يعرف قيمة المبادئ ، وما كانت تجوز عليه الحيلة الطريفة التى تقول بالتفرقة بين المبادئ والأشخاص ، والتى تبيح للرجل أن يخرج على حزبه بحجة أنه

من أنصار الحق ! ومعنى هذا الكلام أن الرجل يجب عليه أن ينصر حزبه ظالماً أو مظلوماً ، وأن يؤازره فى جميع الأحوال ، ولو اعتقد أنه على ضلال .

وبهذا الحزم الصارم نجح سعد ، ولعله كان يفهم جيداً أن العضو فى الحزب كالجندىّ فى الكتيبة ، فما يجوز له أن يتحدث فى تبديل خطط القتال

أما بعد ، فهذه لمحات من مآثر سعد ، وما أريد بها التكفير عن الأعوام التى قضيتها فى الهجوم عليه ، فما كان لى من غاية ولا غرض فى ذلك الهجوم الذى شببتُ ناره فى جريدة الأفكار وجريدة المحروسة وجريدة اللواء ؛ وإنما كنت جندياً من جنود الحزب الوطنى ، وكنا نرى صادقين أن هدم سعد من أوجب الفروض

فإن قيل إن جهادنا فى تحطيم سعد قد ذهب أدراج الرياح ، فأنا أجيب بأن هذا من حظ مصر ومن حظ الحزب الوطنى ، لأن الحزب الوطنى يسره أن يكون فى مصر رجال ترضى عنهم الأمة وتقيم لهم التماثيل

الحزب الوطنى ينتظر خصوماً من طراز سعد ، خصوماً أقوياء لا تهدمهم معاول الحق ، وما أعظم الرجل الذى تعجز عن هدمه معاول الحق !

وهل كان عبد العزيز جاويش على خطأ فى محاربة سعد زغلول؟

وهل كان مصطفى الشوربجى آثماً فى تفنيد المطالب الوفدية ؟

إن انتصار الوفد فى عهد سعد وفى عهد النحاس لن ينسينا مبادئنا ، ونحن مع ذلك نرحب بانتصار الوفد ونرجو أن يطول بيننا النزاع والشقاق ، لأننا نؤمن بأن السلام ضرب من الموت

كانت لنا مبادئٌ وكانت لنا ميادين قتال

فتى يرجع ذلك العهد ، العهد الذى كنا نشتجر فيه حول المقاصد الوطنية ونحن فى غياهب الاعتقال ؟

أيقضَى علينا أن نعيش فى أمان فلا نعرف غير مصاولة الكاتبين والباحثين ؟

ولكن لا بأس ، فما كان النقد الأدبى إلا خدمة وطنية ، لأن الأدب هو سفير مصر فى الشرق

وسلام الله على شهداء الوطنية فى جميع الصفوف .

زكى مبارك

خواطر فى الحرب

عـــبرة الزمن

للأستـــاذ محمد عرفة

انجحْ فى الحياة ولا تفشل ، وتوخَّ أسباب النجاح ، وتوقَّ أسباب الفشل ، فإنك إن تنجح عدَّ الناس ذنوبك حسنات ، وإن تفشل عدَّ الناس محاسنك مساوىء

هذه فرنسا كانت فى رأى كثير من الناس أم المدنيات ، وما من حضارة إلا وهى مقتبسة منها ، وما من خير إلا إليها مرجعه ؛ فلما اجتاحها الألمان ، وسقطت تحت كلكل القوة ، انقلب مدح الناس ذماً ؛ والفضائل التى كانوا يعدونها لها صارت رذائل . . .

كانت ترى أن يربى الفرد لنفسه ، ولا يعطى للدولة إلا ما فضل عنه ، فكانوا يرون ذلك معها ، ولا يرون أن يربى الفرد للأمة كما يرى الألمان

وكانت ترى الحرية فى أوج مداها ، فكانوا يرون ذلك معها ولا يرون أن أناساً قد تفسدهم الحرية كما تصلح قوماً آخرين

وكانت ترى إشباع الشهوات ، والأخذ بأكبر قسط من ملذات الحياة ، فكانوا يرددون هـذا ، ويرون أن الأخذ بضد ذلك سجن للحرية ، وشقاء للنفس والمجتمع

وكانت ترى تضييق حدود النسل ، فكانوا يرون أن الحق معها وأن المرء لم يخلق ليكون عاملاً غير مأجور لأولاده وأسرته

وكانت وكانوا إلى ما شاء الله من هذه الآراء . فلما هزمت فى الحياة صار هذا الجلال صغاراً ، وذلك النور ظلاماً ، وانقلبت كل هذه المحاسن والمحامد آثاماً وعيوباً فى أقل من طرفة عين .

ما هذا الذى بدَّل هذا الحسن ، وشوَّه ذاك الجمال ، وأحال الأمور إلى أضدادها ؟ . . . إنه الفشل ، وقاتل الله الفشل

والناس من يلق خيراً قائلون له ما يشتهى ولأمّ المخطىء الهبل

محمد عرفة

في الاجتماع اللغوي

تطور اللغة وارتقاؤها

تأثر اللغة باللغات الأخرى : تبادل المفردات بين اللغات

للدكتور علي عبد الواحد وافي
مدرس العلوم الاجتماعية بكلية الآداب

عالجنا في المقال السابق عاملاً من عوامل تطور اللغة ، وهو انتقالها من السلف إلى الخلف ، وسندرس في هذا المقال عاملاً آخر من هـذه العوامل وهو تأثر اللغة باللغات الأخرى

من المقرر أن أي احتكاك يحدث بين لغتين أو بين لهجتين - أيًا كان سبب هذا الاحتكاك ، ومهما كانت درجته ، وكيفما كانت نتائجه الأخيرة - يؤدي لا محالة إلى تأثر كل منهما بالأخرى

ولما كان من المتعذر أن تظل لغة بمأمن من الاحتكاك بلغة أخرى ، لذلك كانت كل لغة من لغات العالم عرضة للتطور المطرد عن هذا الطريق

وأهم ناحية يظهر فيها هذا التأثر هي الناحية المتعلقة بالمفردات . ففي هذه الناحية على الأخص تنشط حركة التبادل بين اللغات ، ويكثر اقتباسها بعضها من بعض . وقد تذهب بعض اللغات بعيداً في هذا السبيل ، فتقتبس معظم مفرداتها أو قسماً كبيراً منها عن غيرها : كما فعلت التركية مع الفارسية والعربية ، والسريانية مع اليونانية ، والفارسية مع العربية ... وهلم جرا .

وأما القواعد وأساليب الصوت فلا تنتقل في الغالب من لغة إلى أخرى إلا بعد صراع طويل بين اللغتين ؛ ويكون انتقالها إيذاناً بقرب زوال اللغة التي انتقلت إليها واندماجها في اللغة التي انتقلت منها

ولهذا تخضع في الغالب الكلمات المقتبسة للأساليب الصوتية في اللغة التي اقتبستها ، فينالها كثير من التحريف في أصواتها وطريقة نطقها ، وتبعد في جميع هذه النواحي عن صورتها القديمة . فالكلمات التي أخذتها العربية مثلاً عن الفارسية واليونانية قد صبغ معظمها بصبغة اللسان العربي حتى بعد كثيراً عن أصله .

ومن ثم نرى الكلمة الواحدة قد تنتقل من لغة إلى عدة لغات ، فتتشكل في كل لغة بالشكل الذي يتفق مع أساليبها الصوتية ومناهج نطقها ، حتى لتبدو في كل لغة منها غريبة عن نظائرها في اللغات الأخرى . فالكلمات العربية مثلاً التي انتقلت إلى اللغات الأوربية قد تمثلت في كل لغة منهـا بصورة تختلف اختلافاً غير يسير عن صورتها في غيرها

وكثيراً ما ينال معنى الكلمة نفسه تغيير أو تحريف عند انتقالها من لغة إلى لغة أو من لهجة إلى أخرى : فقد يخصص معناها العام ويقصر على بعض ما يدل عليه ؛ وقد يعمم مدلولها الخاص ؛ وقد تستعمل في غير ما وضعت له لعلاقة ما بين المعنيين ؛ وقد تنحط إلى درجة وضيعة في الاستعمال فتصبح من فحش الكلام وهجره ؛ وقد تسمو إلى منزلة راقية فتعتبر من نبيل القول ومصطفاه ... وهلم جرا

ويختلف مبلغ ما تأخذه لغة عن أخرى باختلاف العلاقات التي تربط الشعبين وما يتاح لهما من فرص للاحتكاك المادي والثقافي . فكلما قويت العلاقات التي تربط أحدهما بالآخر ، وكثرت فرص احتكاكهما ، نشطت بينهما حركة التبادل اللغوي ولذلك تبلغ هذه الحركة أقصى شدتها حينما يسكن الشعبان منطقة واحدة أو منطقتين متجاورتين ؛ فالإنجليزية قد أخذت عن النورماندية أكثر مما أخذته عن أية لغة أخرى ؛ لأن الغزاة من النورمانديين قد استقر بهم المقام في نفس بلاد الإنجليز المغلوبين . واللاتينية قد اقتبست من الإغريقية أكثر مما اقتبسته من أية لغة أخرى ؛ وذلك لتجاور منطقتيهما وشدة الامتزاج بين الشعبين الناطقين بهما . ولهذا السبب نفسه بلغت حركة التبادل اللغوي أقصى شدتها بين العربية والفارسية والتركية . وما اقتبسته ألمانية سويسرا من اللغة الفرنسية لا يذكر بجانبه ما اقتبسته منها ألمانية النمسا مثلاً ؛ وذلك لأن القسم الألماني اللغة في سويسرا متاخم للقسم الفرنسي اللغـة ولشدة الاحتكاك بين سكان القسمين ، على حين أن النمسا غير متاخمة لمنطقة فرنسية اللسان . وقد تسرب إلى لغة رومانيا عدد كبير من مفردات الشعبين الصقلبية والمجرية ، على حين أن أخواتهـا اللاتينية الأصل (الفرنسية والإيطالية والإسبانية والبرتغالية) لم تكد تتأثر بهذين اللسانين ؛ وذلك

لأن رومانيا قد انعزلت عن أخواتها اللاتينية وأحاط بها من جميع جهاتها أمم صقلبية اللسان أو مجريته

والمفردات التي تقتبسها لغة عن غيرها من اللغات يتصل معظمها بأمور قد اختص بها أهل هذه اللغات، أو برّزوا فيها، أو امتازوا بإنتاجها أو كثرة استخدامها ... وهلم جرا . فمعظم ما انتقل إلى العربية من المفردات الفارسية واليونانية يتصل بنواح مادية أو فكرية امتاز بها الفرس واليونان وأخذها عنهم العرب[1] . ويتألف معظم المفردات التي أخذتها الإنجليزية عن النورماندية من كلمات دالة على معان كلية وألفاظ تتصل بشئون المائدة والطهي والطعام ؛ وذلك لأن النورمانديين كانوا يفوقون الإنجليز كثيراً في هاتين الناحيتين ، فعززت مفرداتهما في لغتهم بيناً قل ورودها في لغة الإنجليز القديمة . وقد انتقل إلى اليونانية ، ومنها إلى اللاتينية ، كثير من الكلمات الفينيقية المتصلة بشئون الملاحة والبحرية ؛ وذلك لأن الفينيقيين قد سبقوا غيرهم من الشعوب في هذا المضمار . وانتقل إلى اللاتينية كثير من الكلمات الإغريقية المتعلقة بالمصطلحات الفلسفية والدينية ؛ وذلك لبراعة الإغريق في ميدان الفلسفة ، ولأن الدين المسيحي قد انتشر بفضلهم في شرق الإمبراطورية الرومانية ووسطها . وقد أخذت اللغات الجرمانية عن اللاتينية كثيراً من المفردات المتصلة بالقضاء والتشريع ونظم الاجتماع والسياسة ... وما إليها ، وذلك لأن الرومان كانوا مبرزين في جميع هذه الشئون ، ولهذا السبب نفسه انتقل إلى الفرنسية كثير من الكلمات الجرمانية المتصلة بشئون الحرب ، ومنها كلمة الحرب نفسها La guerre وكثير من الكلمات الإيطالية المتعلقة بالموسيقى وآلاتها والفنون الجميلة ؛ وانتقل إلى معظم اللغات الأوربية وغيرها المفردات الإنجليزية المتصلة بالألعاب الرياضية ، والمفردات الفرنسية المتعلقة بالأزياء وألوان الطعام

ومن أجل ذلك تنتقل مع المنتجات الزراعية والصناعية أسماؤها في لغة المناطق التي ظهرت فيها لأول مرة أو اشتهرت بإنتاجها أو تصدر منها في الغالب ، فتنتشر عن هذا الطريق في لغات البلاد الأخرى . فكلمة الشاى قد انتقلت إلى معظم لغات العالم من لغة جزر ماليزيا Malaisie التي كانت المصدر الأول لهذه المادة (« شاى » في العربية « thé » في الفرنسية « tea » في الإنجليزية ... الخ) ، وكذلك كلمة الطباق ؛ فقد انتقلت إلى معظم اللغات الإنسانية من لغة السكان الأصليين لأمريكا حيث كشفت هذه المادة لأول مرة (« طباق » في العربية tabac في الفرنسية tobacco في الانجليزية ... الخ)

وعن هذا الطريق انتقل إلى اللغات الأوربية كثير من الكلمات العربية الدالة على منتجات زراعية أو صناعية : كالليمون ، الموصلي (وهو نسيج خاص ينسب إلى الموصل) ، الزعفران ، الشراب ، السكر ، الكافور ، القنوة (عسل قصب السكر المجمد) ، القهوة ، القطن ، القرمزي ، الكمون ، الدمسق (نسيج ينسب إلى دمشق)

في الانجليزية lemon, muslin, saffron, sherbet, surup, sugar, camphor, candy, coffet, cotton, crimson, cumin, damask.

في الفرنسية limon, mousseline, safran, sorbet, surop, sucre, camphre, candi, café, coton, cramoisi, cumin, damas.

علي عبد الواحد وافي
دكتور في الآداب من جامعة السربون

---

(١) من أشهر ما أخذته العربية من اليونانية أسماء بعض آلات الرصد والجراحة ، وبعض مصطلحات الطب والفلسفة والمنطق والعلوم الطبيعية وغيرها . وأخذت منها كذلك أسماء بعض المعادن والوظائف والمنشآت المعمارية وغيرها ، وأدوات البناء والموازين والأمتعة ... الخ : كالقبرس (وهو أجود النحاس) ، والبطريق ، والقيطون (وهو البيت الشتوى) ، والقنطرة ، والفردوس (البستان) ، والقراميد (الآجر) ، والقسطاس (الميزان) ، والقنطار ، والبطاقة ، والسجنجل (المرآة) . وهلم جرا . . .

ومن أشهر المفردات التي انتقلت إلى العربية من الفارسية : الكوز ، الابريق ، الطست ، الخوان ، الطبق ، السكرجة ، السمور ، الخز ، الديباج ، السندس ، الياقوت ، الفيروزج ، البلور ، السميذ ، الكعك ، الفالوذج ، الفلفل ، الكرويا ، القرفة ، الزنجبيل ، الخولنجان ، الدار صيني ، النرجس ، البنفسج ، السوسن ، الياسمين ، الجلنار ، المسك ، العنبر ، الكافور ، الصندل ، القرنفل ... الخ

انظر في ذلك « فقه اللغة للثعالبي » الباب التاسع والعشرين . وانظر كذلك « المزهر للسيوطي » الجزء الأول ، النوع التاسع عشر .

أوراق مبعثرة

من ظـــلال الهوى (*)

[مهداة إلى الدكتور زكي مبارك]

للأستاذ صلاح الدين المنجد

... قلت لها ونحن نعشى على رَوْدَريِن الكروم : « ما ذا تريدين يا نشْوى ... وما ذا تودين ؟ أتريدين ثوباً مذهباً يلمع ، أم طيباً ناعشاً يسطع ، أم تودين سماع الأقاصيص الناعمة التي ترقص فيها البطولة ، ويغنى في ثناياها الحب ... أم يهفو قلبك إلى أحاديث الغزل ، وتتلمظ شفتاك لحر القبل ... ؟ »

قالت : « لا ... ولكني أريد فتى يكون لي وحدي ؛ يموج قلبه بحبي ، وتصفقُ روحه لجمالي ... ولا يرى في الوجود سواي

ما نفعُ الثوبِ اللامع إذا كان الحبيب الذي يراه لا يسكر لمرآه ...

وما غناء الأقاصيص والأحاديث إذا كان القلب الذي ينظمها لا يتدفق بالحنين ولا يغنى للحياة ...

نعم متى جاء الحبيبُ ... جاء كل شيء ... !

ثم انطفقت تقطف أوراق كرمة نعسى ... فقلت لها :

— ألستُ فتاك الذي تودين ... ؟

قالت : لا ...

قلت : بلى ... أنت تحبينني يا نشوى ... اذكرى الدمعَ الذي ذرفته من أجلي ، إذ مستنى الحمى فأصبحت ساهما واجماً ... واذكرى الفرحَ الذي يطل من نظراتك ، ويلهبُ أعطافكِ وقسماتك إذا مالقيتني . لا تنكرى يا نشوى ... أرأيت تهيامى بكِ وتحنانى إليك فجئت تدلين وتمبئين ... ؟ أرودى في مشيتك ... وتعالى إلى أحضان هذه الأعشاب ، أسمعك النشيد الذي نظمته أصيل الأمس .

فقفزت فوق كرمة متراخية، وارتمت بين أوراقها، وجلست أنا أمامها، وأنشدتها قصيدتي التي أولها :

يا سادراً هيمان يبكى ولا يصحـــو

(*) انظر العدد ٣٢٢ من الرسالة

وكان الدمُ الدفّاق في خديها، والفرحُ الراقص على وجنتيها، يكسبانها وضاءة ونضارة ، فاقتربتْ مني ، واستراح رأسُها على صدرى ، وسرحت بصرها في جنبات السهل الساجي تحت أقدامنا لحنوت عليها ، وضممتها إلى صدرى ، كما تضم الأم وليدها ، وراحت شفتاى تسكبان على سحرها حنيناً لاذعاً وحباً نامياً ، وشعوراً مُترعاً بالحماسة واللذة والفرح

ما أروعَ لياليك أيها الحب !

لقد كانت ليلة نديانة بالقبل نشوانة بالغزل، وكان يخيل إلينا أن الحبّ الذي جمع قلبيْنا بالمودة، ورُوحيْنا بالوئام، يجوبُ السفوح، ويرف في أشعة القمر الصبوح ، ويخلع على الدنيا السناء والبهاء .

وكان القمرُ كالأمير الغُرانق الجميل ، حفّت به الغيومُ البيضُ لترقصَ أمامه عرايا بدلال وفتور ... وكان يريق أشعته على قمم الجبل فتنير تلك السنديانات الهاربة نحو السماء ، ثم تزحف نحونا بهدوء لتسمعَ أناشيدَ الهوى وترى جنون الصبا ؛ حتى غمرتنا ، وطفَتْ على الحاني والرُّبى فحسبنا أننا في بحيرة من الأنوار السُّمر والفاترة ، وأن الكرمات زوارق سكرى ، وأننا غريقان في اللجج ، تائهان فوق الثبج ، نتلمسُ الشاطئْ فلا نجده ، ونتقرّبُ من الضفّة فلا نلقاها ... !

وسمعنا الشلاّلَ يغنى لنا ، وانتشر العبيرُ حولنا ، وضحك السهلُ والجبلُ لمرآنا ، ورفعتْ الصخورُ رؤوسَها لترانا ... وسكرنا سكرَيْن : سكرَ هوى وسكرَ جمال ...

بوركتَ أيها الجبلُ القائمُ كالفارسِ الأسمرِ الجميل ... !

لقد قال لي بالأمس وأنا أرنو إليه في شحوب الأصيل :

« لقد حفظت ذكرى الحبيبة بين صخورى ، وجاء البشر يرتع فوق حدورى ، وتمايلت الأعاشيب على صدرى ، وتزاحمت الأزاهير لتطرز سفوحى ، وغنت الرعاة باسم فتاتك في متوع الأصابيح وسجوّ الأماسيّ

لقد حفظت ذكراها ... لأن تلك الدموع التي ذرفتها أصبحت منبت الأزاهير ، ولأن تلك القبلات التي غنت رنينها النسمات أضحت ينبوعاً للأغاريد ، ولأن حنين الشفاه ونجوى القلوب عادت أناشيد الرعاة ! »

(دمشق) صلاح الدين المنجد

قصة كتاب الديارات للشابشتي

للأستاذ كوركيس عواد

إن كان لكل شىء قصة ، فلكتاب الديارات الشابشتى قصة ، أرويها فيما يلى ، وذلك على أثر المقال الذى نشره عنه الأستاذ صلاح الدين المنجد ، فى العدد ٣٦٨ من الرسالة الغراء :

لقد رغبت فى نشر « كتاب الديارات » للشابشتى ، منذ سبع سنوات ، حينما أخرجت للناس فى سنة ١٩٣٤ كتابى المسمى « أثر قديم فى العراق : دير الربان هرمزد » القائم بجوار الموصل . فقد كان صاحب المعالى الأستاذ « يوسف غنيمة » ، نبهنى حينذاك إلى أهمية كتاب الشابشتى ، بالمقدمة التى وضعها لكتابى المذكور . فازدادت رغبتى فيه يوماً بعد يوم ، وقد مضت سنة ونصف سنة منذ اختمرت عندى فكرة نشره . فأقدمت على العمل بعد أن أعددت له عدته ، ليكون ما أقوم به على الوجه الملى الذى يستحقه هذا الكتاب الجليل ، ويرتضيه أرباب البحث من الأدباء والمؤرخين

وكتاب الديارات للشابشتى لم يبق منه اليوم سوى نسخة وحيدة فى خزانة برلين برقم (٨٣٢١) . وإن تحرينا وجه التدقيق قلنا إن هـذه النسخة البرلينية ما هى إلا قسم من الكتاب الأصلى ، فهى مخرومة من أولها بمقدار لا يمكن معه معرفة عدد أوراقه الذاهبة ، كما أنها ناقصة من وسطها بعض النقصان . على أن كافة النسخ المعروفة اليوم لكتاب الديارات ، سواء المصورة منها والمخطوطة ، مصدرها هذه النسخة الفريدة التى كتبت سنة ٦٣١ هـ . فهى ، ولا مراء ، أمهن جميعاً ، ولولاها لكانت خسارة الأدب فادحة

أما حصولى على نسخة هذا الكتاب ، فكان على يد العلامة الأب أنستاس مارى الكرملى ، فإنه فى إحدى كينُونَاته فى مصر وذلك فى سنة ١٩٣٨ ، حصل على النسخة المصورة التى كانت بيد المستشرق الدكتور أ . فيشر A. Fischer وكان قد صورها قبل حرب سنة ١٩١٤ ليتولى طبعها هو بنفسه ، لكن لما تعددت أشغاله وأحب أن يقدّم على طبع كتاب الديارات معجمه الملحق بمعاجم لغويى العرب ، دفع النسخة المصورة إلى الأب المذكور ، لعلمه أنه قد عزم على طبعه . وبعد ذلك نقل الأب نفسه وبقلمه نسخة ثانية معتمدة ، فصارت النسخة بهذا نسختين . ثم لما توافرت شغاله ناط بى نشر الكتاب بعد أن علم مبلغ رغبتى فى ذلك ، فدفع إلى نسختيه المذكورتين ، قبل سنة ونصف سنة ، فاعتمدت عليهما فى كتابة نسخة ثالثة بيدى ، كانت عنايتى بنقلها وضبطها تفوق حدود الوصف ، ثم أعدت مع الشكر النسختين المصوّرة والخطية إلى صاحبهما . وأكببت بعد ذلك على دراسة نسختى ، واجتهدت بروية دقيقة فى ضبط ألفاظها وتحقيق ما فيها من أعلام الأشخاص والمواقع والشؤون العمرانية والأخبار التاريخيـة والروايات الأدبية والأشعار وما إلى ذلك . وأفرغتُ كنانة وسعى فى الرجوع إلى عشرات من الكتب العربية وكنت قد خصصت بضع ساعات من كل يوم ، مدة سنة وبعض أخرى ، لخدمة هذا الكتاب ، وتصحيحه ، والتعليق عليه بما لا مزيد عليه من العناية به

وقد وجدت من الخير لهذا الكتاب أن أعود إلى المؤلفات الأرَمِيّة أيضاً ، وقد مكنتنى معرفتى لهذه اللغة من الوقوف على عدد منها أربى على الثلاثين ، وكلها ذات مساس بموضوع الديارات؛ والحق أننى خرجت منها بفوائد جليلة . ورأيت من الضرورى الرجوع إلى طائفة صالحة من المؤلفات الأفرنجية فضلاً عن المؤلفات العربية الحديثة

وكان الأب أنستاس ، قد سلّم نسخته المكتوبة ، بعد انتساخى عليها نسخة ، إلى صديقنا المحقّق الدكتور مصطفى جواد ، ليطّلع على هذا الكتاب ، ويقيّد فى أثناء مطالعته له ما يعنّ له من الملاحظات والتصويبات على هوامش النسخة . فطالعها الدكتور مطالعة مدققة ، وذلك شأنه فى كل ما يطالع ، فصحح من أغلاطها ، وكشف وجه الصواب عن تحريفاتها ، وقوّم ما أتآد منها على أيدى النسّاخ ، كما حقق أموراً جمّة من أعلامها ، وحل كثيراً من مغلقاتها . وقد سمح لى كل منهما بنقل هذه الملاحظات الثمينة ، لأنهما يرقبان الكتاب ويأملان أن يخرج فى أتم ما يمكن من الإتقان . وقد نقلت تلك الملاحظات شاكراً فضلهما ، وأدخلت كل واحدة منها مقرونة باسم صاحبها الدكتور مصطفى ، فى محلها من حواشى الكتاب

فأنت راء أن كتاب الديارات للشابشتى ، قد انتقل بعد كل هذه الجهود من عالم إلى عالم ، وأضحت أخباره ومروياته مدعومة بما يؤيدها من الأسانيد الواردة فى المراجع القديمة الأخرى

وقد أضفتُ إلى الكتاب ملحقات جمّة ، فى أحدها معلومات طريفة بتلك الديارات الساقطة تراجها من مخطوطة برلين ، وذلك بعد أن ثبت لى لزوم اشتمال الأصل عليها . كما وضعتُ ملحقاً ثانياً مطولاً ، يكون « مستدركاً » على الشابشتى ، وفيه أخبار الديارات التى لم يتطرق إلى ذكرها ، وبينها ما هو من الخطورة الأثرية والتاريخية والأدبية بمكان رفيع . ويلى ذلك ملحقات أخرى عمرانية وتاريخية وبلدانية أضرب عن ذكرها الآن صفحاً قصداً إلى الاختصار . وأخيراً جعلت « الفهارس » المتنوعة ، وكلها فى غاية الضبط ، بحيث تكشف عن مكنونات الكتاب المختلفة ، وتيسّر للقارئ مراجعة مضموناته . وكان قصدى من كل ذلك ، أن يكون كتاب الشابشتى ، مع المستدرك الذى وضعتُه عليه وسائر الملحقات والتعاليق ، أتمّ وأوفى كتاب للديارات

وقد أنهيتُ عملى قبل أشهر ، ونويتُ إذ ذاك عرض الكتاب على الطبع ؛ غير أنه قد صدمنى غلاء الورق وكثرة النفقات ، وهما أمران ناشئان عن قسوة الأحوال الحاضرة ، فاضطررت إلى تأجيل نشره إلى فرصة ثانية

هذا ولعل من القراء من يذكرون أنه مرت فى هذه المجلة قبل ما يقرب من ثلاثة أشهر (أنظر الرسالة « العدد ٣٦٠ » ، حاشية ٣ من الصفحة ٨٩٥ ب) إشارة صريحة تذكر أننى عازم على إخراج هذا الكنز من مدفنه . ثم إن عندنا فى العراق عدداً كبيراً من المؤرخين والأدباء وأولى البحث يعلمون الشىء الكثير من أمر اشتغالى بتحقيقه والعناية به

وفى هذا اليوم وصل إلىّ العدد ٣٦٨ من الرسالة الغراء ، وإذا فيه مقالة وجيزة للأستاذ صلاح الدين المنجد ، عنوانها « كتاب الديارات » للشابشتى . فاستبشرتُ بها واندفعت إلى مطالعتها حرصاً منى على الوقوف على كل ما من شأنه أن يكشف لى شيئاً جديداً من أمر هذا الكتاب أو مؤلفه . غير أننى وإن لم أخرج منها بما كنت أنتظر ولا بأقل من ذلك ، قد سرنى منها أن كاتبها ينوى نشر هذا الكتاب بعد أن ظلّ مدفوناً فى زوايا الخزائن ، كما سرنى أنه سينشر منه نبذة فى العدد القادم من الرسالة الغراء

وإن من طريف الاتفاقات أن يُقدم باحثان على نشر كتاب واحد ، دون أن يعلم أحدهما بما يعمله الآخر ، وهذا سيكون من مصلحة الثقافة ، وهل ذلك إلا دليل واضح على خطورة ذلك المصنف الجليل وأهميته البالغة ، التى أغرت اثنين بخدمته وإعداده للنشر ؟ فإن كان الأمر على ما ذكر ، فما عسى أن يمنعنى عن نشر الكتاب بالوجه الذى رسمتُهُ لنفسى ، سواء أَعمِلَ غيرى على نشره أم لا . هذا وإنى موقن أن ما بذلته من العناية وطول البحث فى سبيل هذا المؤلف يتطلب منى ألا أهمل نشره ، بل لا أتردد فى ذلك مهما كان من الأمر ، ما دامت غايتى من ذلك كله خدمة العلم لذاته

ثم إن ملاحظات عنّت لى فى أثناء مطالعتى لمقال الأستاذ المنجد ، أرجو أن يتغاضى عن بيانى لها هنا ، جلاء للحقيقة وحباً للفائدة

أولاً : ذكر أن نسخة المجمع العلمى العربى بدمشق مصورة على نسخة أحمد تيمور باشا ، المصورة على نسخة خطية فريدة فى خزانة برلين برقم ١١٠٠ ، والصواب أنها برقم ٨٣٢١ كما يلاحظ فى قائمة مخطوطات برلين العربية[1]

ثانياً : وقال أيضاً : « وأول من نقل عن هذا الكتاب [يقصد كتاب الديارات] ، ونوه به هو السيد حبيب الزيات ، فقد أخرج للناس فى تموز من عام ١٩٣٥ [كذا ، والصواب عام ١٩٣٨] عدداً خاصاً من مجلة المشرق الكاثوليكيه فى بيروت عن الديارات النصرانية فى الإسلام ، فنقل عنه نقولاً كثيرة . »

قلنا: الذى نعلمه يخالف ذلك كثيراً ؛ فقد تتبعنا من نَقَلَ عن هذا الكتاب من المعاصرين ، وتعقبنا نقولهم ، فوجدنا أن أقدمهم فى النقل المستشرق السويسرى متز Adam Mez

(١) يلاحظ أن واضع هذه القائمة ، المستشرق هلوردت Ahlwardt قد نسب هذا الكتاب إلى أبي الفرج الأصفهانى. وتابعه في شىء من هذا الوهم جرجى زيدان فى تاريخ آداب اللغة العربية (٢ : ٢٨٣) والمعروف أن لأبى الفرج كتاباً فى الديارات ، أقدم من كتاب الشابشتى ، أخفته يد الزمان . وقد وقفنا على طرف منه فى النقول المتفرقة فى بعض المؤلفات العربية القديمة

المتوفى سنة ١٩١٧ ؛ فقد اقتبس فقرات عديدة منه فى كتابه « الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى » ، ولقد أحصينا فى الجزء الأول فقط الذى نقله إلى العربية الأستاذ محمد عبدالهادى أبو ريدة تسعة عشر موضعاً اقتبس فيها من كتاب الديارات

وتلاه المستشرق الألمانى سخاو Eduard Sachau فنشر سنة ١٩١٩ بالألمانية رسالة ثمينة تقع فى ٤٣ صفحة من القطع الكبير ، عنوانها « كتاب الديارات للشابشتى » Vom Klos-terbuch des Sabusti وصف فيها هذا الكتاب ، كما أتى على خلاصة بحوثه ، ثم ترجم منه نبذاً مختلفة ، بينها تلك الحفلة العباسية الرائعة التى جرت فى قصر بركوارا فى سامراء فى عهد المتوكل الخليفة العباسى

وتلاهما الأستاذ المحقق حبيب زيات فنقل من كتاب الديارات هذا ، سنة ١٩٢٧ ، فقرتين فى بحثه المنون « السفن والمراكب فى بغداد فى عهد العباسيين » المنشور فى مجلة لغة العرب (٥ [١٩٢٧] ص ٤٦١ — ٤٦٥) . ثم نقل عنه ثانية سنة ١٩٢٨ نقولاً كثيرة فى بحثه النفيس « نقد كتاب الديارات الوارد فى الجزء الأول من مسالك الأبصار » المنشور فى لغة العرب أيضاً (٦ [١٩٢٨] ص ٣٢٢ — ٣٤٢) . وفعل ثالثة سنة سنة ١٩٣٥ ، فنقل منه فى كتابه « الصليب فى الإسلام » مرتين ، وكان آخر نقوله عن الشابشتى ما أورده فى كتابه القيم « الديارات النصرانية فى الإسلام » وهى التى أشار إليها الأديب المنجد بكونها أقدم النقول التى وقف عليها !

ولنا أن نضيف إلى ما ذكرنا ، تلك الفقرات الكثيرة التى نقلها الأستاذ محمد كامل حسين فى كتابه « فى الأدب المصرى الإسلامى »

إن كان الشىء بالشىء يذكر ، فنقول إن هنالك جهوداً مختلفة بُذلتْ فى سبيل إخراج هذا الكتاب إلى حيز النشر . أقدمها يعود إلى همة المستشرق هير F. J. Heer حسبما أشار إلى ذلك البحاثة لسترنج G. Le Strange فى حاشية الصفحة ٢١١ فى كتابه Baghdad During the Abbasid Caliphate وكان قد سبق له فى سنة ١٨٩٩ أن وصف هذا الكنز الثمين فى بحث له فى المخطوطة التاريخية والبلدانية لمعجم ياقوت الحموى .

وعلى ما يظهر لنا لم يوفَّق المذكور لنشره حينذاك ، لأسباب لا أعلمها

ثم تلتها جهود المستشرق سخاو فى نشر رسالته المنوه بها آنفاً . فقد عرف بها كتاب الديارات للعلماء ومتتبعى الآثار القديمة العربية ، ووقفهم على خلاصة مضموناته، غير أنه لم ينشر الأصل بكماله

وكان المستشرق فيشر قد عزم ـ على ما أخبرنى به الأب أنستاس ـ على نشر هذا الكتاب أيضاً وسبقتْ منا الإشارة إلى ذلك ؛ غير أنه عدل عن ذلك للأسباب التى ذكرناها فى صدر كلامنا

هذا ولدينا فى هذا الشأن تفاصيل أخرى كثيرة نرجئ نشرها إلى المقدمة المسهب فيها التى صدّرنا بها هذا المؤلف النفيس

ثالثاً : قال الأستاذ المنجد ما نصه : « ووضعتُ للأديار مخططاً يبين مكان كل منها ... »

قلنا : إن فى هذا القول شيئاً كثيراً من التجوّز ، إن لم نقل من الادعاء ! فإن كتاب الديارات للشابشتى يتناول ـ بحسب النسخة الوحيدة البرلينية ـ أخبار خمسة وخمسين ديراً . منها : ثمانية وثلاثون فى العراق ، وثلاثة فى سورية ومثلها فى فلسطين ، وثلاثة أخرى فى تركية ، والباقى وهو ثمانية فى مصر . ومعلوم أن أغلب هذه الديارات عراقية

فأنا مع تتبعى لموضوع الديارات ، منذ أكثر من عشر سنين ، وكونى امرأً عراقياً لا يدع الفرصة تفوته دون الوقوف على ما يتعلق بشؤون بلاده من الوجهات الأثرية والتاريخية والبلدانية . . . أزيد على ذلك أنى أحد موظفى دار الآثار القديمة فى العراق ، وهذه الدار أولى من غيرها بتعقب أمثال هذه المواقع الأثرية ، بل هى صاحبة الدراية بها . . . نعم ، مع كل ذلك ، لم أستطع بعد الجهد تعيين « المواقع الحقيقية » إلا لعشر ديارات عراقية من تلك الثمانى والثلاثين التى تكلم عليها الشابشتى ! أما ما تبقى منها ، فلا أثر لها ألبتة اليوم ، كما لا يمكن الاهتداء إلى مواقعها وتعيينها بصورة علمية خططية مضبوطة يصح الركون إليها . وبعد هذا لا ندرى كيف أمكن للأستاذ المنجد أن يضع « مخططاً يبين مكان كل منها » ؟

بين الفهم والاجتهاد

المعـــانى شائعة ولا تجوز الملكية فيهـــا

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

كتب ناقد أديب فى الرسالة الغراء مقالاً عنوانه من عجائب الاجتهاد ، يسجل فيه بعض المعانى التى أخذها الدكتور بشر فارس لمسرحيته من ديوان الأستاذ العقاد ، وديوان الشاعر الأستاذ على محمود طه المهندس

وهذا الاتهام — وأعنى اتهام الشعراء بالسرقة والأخذ — قديم منذ اللحظة التى نشأت فيها حركة النقد الأدبى . وهى حركة ترجع إلى العصر العباسى حينما استطاع الذوق الأدبى أن يتكون . ومن أبطال هـذه الحركة الآمدى صاحب الموازنة وابن رشيق صاحب العمدة وقدامة بن جعفر صاحب نقد النثر ونقد الشعر وغيرهم

ولما استوت علوم البلاغة ووضعت لها القواعد والأصول ، استطاع النقد الأدبى أن يجد فيها مستنداً يستند إليه . وأفردت فصول خاصة بالمعانى والسرقات الشعرية

والواقع أنه من الصعب أن يستقصى المعنى الواحد ويُتتبع ويرد إلى مخترعه أو مفتض عذرته . وقد حاول هذه المحاولة أبو هلال العسكرى فى كتابه ديوان المعانى ، ونجح — إلى حد ما — فى جمع المعانى الواحدة فى سمط واحد مع التدرج فى استعمالها ، ووجوه الحسن فى ذلك الاستعمال وهل كان الآخذ مُفضِلاً على المأخوذ منه أم مساوياً له أم مقصراً عن بلوغ شأوه

واشتط بعض البلاغيين فى هـذا الباب فوضعوا للسرقات الشعرية أسماء كثيرة كالمسخ والسلخ والنسخ وغيرها . وكأنهم — سامحهم الله — جعلوا أسبقية الزمان سبباً فى الاتهام . فالشاعر التالى يعد فى نظرهم آخذاً أو سارقاً إذا اتفق له معنى مما يكون قد اتفق لشاعر سابق . وقد يكون الشاعر المتهم بالأخذ أو السرقة أو السطو — أو ما شئت أن تسميه — بريئاً من ذلك كله . وقد يكون للمصادفة وحدها فضل اتفـاق الخاطرين وورودهما على معنى واحد

ومثل الذى يقال فى الشعر يقال فى النثر ؛ فمن الظلم أن يتهم دانتى صاحب الكوميديا الإلهية بالسطو على رسالة الغفران للمعرى لاتفاقهما فى كثير من الأفكار وأسلوب التحليق فى السموات ، كما أنه من الظلم أن يتهم قصصى بالسرقة من قصصى آخر لمجرد اتفاق الفكر بين الـكاتبين

نعم فى الأدب العربي كما فى أدب كل أمة جماعة من اللصوص الذين يحبون أن ينسب دائماً فضل غيرهم إليهم . وهذا النوع من اللصوصية جرىء كل الجرأة ، لأنه لا يستحى ولا يخشى النقد إذا ما ضبط ... ولـكن الغالب فى هذا النوع أنه يتوارى متى كشف للناس أمره وتبين للناقدين زيفه

وهذا النوع لا يعنينا أن نكتب عنه لأنه لا يستحق الكتابة قدر استحقاقه العقاب . أما ما نقصد إليه فهو هذه المعانى الزاخرة المشتركة بين النفوس الإنسانية التى تعد بالملايين ... هذه المعانى التى تدور على بعض النفوس ، وتشترك فى بعض الخواطر ، ويختلج بها بعض الصدور ، فإذا ما سجلها بعضهم بالكتابة سمعت صيحات عاليات تنادى أن هذه سرقة ، وأن هذا المعنى لفلان دون فلان

رابعاً : لم يشر ألبتة إلى الاختلاف الواقع فى تعيين سنة وفاة الشابشتى . فبينما نرى أن ابن خلـكان (وفيات الأعيان ١ : ٤٨١ بولاق) يقول إن وفاته كانت سنة ٣٨٨ هـ ، إذ نجد ياقوتاً الحموى (معجم الأدباء ٦ : ٤٠٧ طبعـة مرجليوث) يقول : إنه مات سنة ٣٩٩ هـ . والفرق ، كما لا يخفى ، ظاهر بين هذين التاريخين ولا يصح السكوت عنه

هـذا وأسأل الله تعالى أن يوفقنى فى القريب العاجل إلى إخراج هذا المصنف الجليل ، الذى هو جدير بكل عناية وأهل لـكل خدمة علمية ، ومن الله الفلاح

(بغداد) كوركيس عواد

وليس غريباً أن يتفق الشاعران أو الكاتبان فى الفكرة الواحدة أو أن يقع فى بعض النفوس ما يقع فى البعض الآخر . وهذا النبع العظيم من التفكير الإنسانى لا بد أن يجد له مسيلاً فى نفوس كثيرة متشابهة . فكثيراً ما نرى بعض الناس فى أحاديثهم الخاصة تتفق أفكارهم الخاصة فى لحظة معينة بذاتها ، كأنما ألهم كل منهما الرأى إلهاماً

وكثيراً ما نسمع بين المتحادثين هذه العبارة المألوفة (عمرك أطول من عمرى) وهى عبارة لا نحاول أن نثبت بها قضية نذهب إليها ؛ وإنما نسوقها فقط لنبرهن بها على ما يجرى بين المتخاطبين من توافق فى الأفكار أو الألفاظ ، كما يقع فى كثير من الأحيان

والسرقة هنا أمر عظيم وحادث جليل ؛ والاتهام بها ليس من السهولة بحيث يستطيع توافق الأفكار أن يؤيده . أما سرقة الماديات فمن السهل إثباتها وإقامة الدليل عليها ، لأنها فى أبسط تعبير انتقال شىء من يد مالكة إلى يد مغتصبة . فملكية المالك هنا ظاهرة واضحة مشهود عليها بألف دليل ودليل ... واغتصاب السارق لها واضح ظاهر مشهود عليه بألف دليل ودليل

أما ملكية الأفكار فمن الصعب إثباتها لوقوع الفكر دائماً على الشيوع لا على الاختصاص . والذين يضيقون علينا سبل التفكير والإنتاج والاجتهاد إنما يضيقون على أنفسهم ، لأنهم فى كثير من الأحوال غرض يُرمَى كما يَرمُون . والواقع أن السرقة – بمعنى اتفاق الأفكار – موجود فى كل نفس ، لأن كل نفس بشرية يجرى عليها الإحساس والعواطف والانفعالات وهى أمور مشتركة فى الإنسانية جميعاً

وقد يكون وقع فى مسرحية بشر فارس من الأفكار ما وقع فى إحدى قصائد العقاد . وليس فى ذلك مطعن على بشر ولا مفخر للعقاد

وقد وقع أكثر من هذا للفحول من كتاب الغرب فلم ينتقص ذلك من مقامهم العلمى أو الأدبى ، ولم يحجم التاريخ عن وضعهم فى أماكنهم الصحيحة من سجل الخالدين . ولعلك تعجب إذا علمت أن موليير القصصى الفرنسى العظيم اتهم – فى حياته – بالسطو على قصص غيره من المعاصرين والسابقين ، فكان رده اعترافاً منه بالسرقة إذ يقول : « إننى إذا وجدت شيئاً نافعاً فلا أحجم عن أخذه للانتفاع به » . كما كان « تشسترتون » زعيم الحركة الرجعية فى انجلترا فى العصر الحديث يُتَّهَم من برنارد شو وويلز بالسطو على معانى الصغار من كتاب الصحافة البريطانية

والعقاد فى شعره وفى كتابته غنى بالمعانى ، إلا أن هذا الغنى لم يكن ميراثاً خاصاً به ؛ فهو ولا شك قرأ كثيراً وأفاد كثيراً مما قرأ . ولا شك أن رأسه يزدحم بكثير من المعانى التى تعرض له فى مطالعاته .

فليس ينقص من قدر العقاد أنه يشترك فى كثير من معانيه مع كثير غيره من كتاب الإنسانية الذين يحسون إحساسه ، ويتأثرون تأثره

وعبد الرحمن شكرى يعترف فى مقال له بمقتطف مايو سنة ١٩٣٩ بأنه كان يحتذى شعراء الصنعة العباسية . فما قال منصف إنه سارق ، ولكن قال المنصفون إنه متأثر . ولم يعب عليه المرحوم حافظ ابراهيم هـذا التأثر (الاحتذاء) وهذه المعارضة بل أثنى عليهما . ولما سافر شكرى إلى انجلترا كان احتذاؤه للشعر الإنكليزى فى توليد الموضوعات الجديدة لا فى أساليبه على أن الشاعر أو الكاتب لا يستغنى فى إنتاجه عن التأثر – المقصود أو غير المقصود – بما يقرؤه ، ولا يسلم من ذلك التأثر فحل من الشعراء أو مبرز من الكتاب . فالأستاذ أحمد حسن الزيات قد تأثر فى مقاله « بين المهاجرين والأنصار » (الرسالة عدد ٣٦٨) بفكرة للأستاذ أحمد أمين فى مقال سابق بالثقافة . فأحمد أمين يصرح بأن الموت بالقنابل فى القاهرة أفضل من الموت بالمكروبات فى الريف ، والزيات يجري على لسان المهاجرين هذه العبارة (إن الموت بالشظايا على دفعة ، أخف من الموت بالجراثيم على دفعات) [1]

وقد يكون – والعلم عند علام الغيوب – أن الزيات لم يطلع على مقال أحمد أمين المنشور بالثقافة

***

(١) هذا معنى من المعاني الواقعة أحسه كل مهاجر فى كل قرية ، ولكل لسان فى التعبير عنه صورة خاصة ؛ والصورة التى كتبناها قد صمناها فلم نقرأها ولم نبتكرها (الزيات)

السيد محمد رشيد رضا

بمناسبة مرور خمسة أعوام على وفاته

للأستاذ محمود أبو رية

من حق شيخنا الإمام السيد محمد رشيد رضا علينا أن نؤدى بعض ما يجب له من التنويه بفضله ، والإشادة بذكره ما أتيحت لنا الفرص وما واتتنا المناسبات . وكذلك من الحق على الرسالة الغراء وقد حملت علم العربية فى لغتها ودينها أن تتحفى بهذا الإمام الجليل فتخصه بجانب من عنايتها ، وتجمل لآرائه نصيباً من صفحاتها ، ومن أولى بهذه الحفاوة منها وهى أحق بها وأهلها ؟

هذا ما يجب علينا وعلى الرسالة ، لأن هذا الحجة الثبت ليس من كبار علماء عصره فحسب ، وإنما هو ولا ريب من كبار أئمة الإسلام على مد عصوره ، خدم دينه وأمته بما لم يخدمها أحد قبله منذ قرون طويلة ، وخلف آثاراً خالدة فى دراسة الدين الإسلامى لم يكتب قلم عالم من قبل مثلها – ونحن نعرف ما نقول – وفسر كتاب الله تفسيراً هو معجزته فى هذا العصر . إذ لكل عصر تفسير يكشف لأهله عما فيه من أسرار رائعة وآيات بينة حتى تظل حجة الله قائمة ومعجزة رسوله دائمة ؛ ونحن فيما نكتب عنه اليوم لا نحاول أن نترجم له ترجمة تحليلية مفصلة تحيط بنواحى عبقريته وتنفذ إلى أقطار إمامته ؛ فإن ذلك يحتاج إلى مؤلف كبير برأسه نرجو أن نوفق فيه ويعيننا الله عليه ؛ وإنما ننشر بمناسبة مرور خمسة أعوام على وفاته صفحة من تاريخه تصور ناحية من فضله وتظهر قبساً من أعماله يضيء جانباً من علمه

نبت شيخنا الجليل ونشأ فى قرية (القلمون) من قرى الشام ؛ ولما قرأ القرآن والخط وقواعد الحساب أُدخل معاهد العلم بمدينة (طرابلس) ، وبعد أن أتم الدراسة فيها على ما يجرى عليه نظام التدريس فى هذه المعاهد واستوفى كل العلوم الدينية والأدبية على أكابر شيوخ الدين والأدب فيها هاجر إلى مصر فجاءها فى رجب سنة ١٣١٥ عالماً دارساً . وكان الذى ساقه إلى الهجرة إلى مصر أن آنس فى نفسه أنه يستطيع خدمة دينه وأمته بما أوتى من حدة الفؤاد واستقامة الفكر وما وهب من قوة الإرادة وكمال الاستعداد ، وأن ذلك غير مستطاع فى بلاده إذ كانت يومئذ بين ماضغى الظلم التركى ، قال رحمه الله فى ذلك :

« فعزمت على الاتصال بالسيد جمال الدين لتكميل نفسى بالحكمة والجهاد فى خدمة الملة ، فلما توفاه الله تعالى إليه واشتهر أن السياسة الحميدية هى التى قضت عليه ضاقت علىّ المملكة العثمانية بما رحبت وعزمت على الهجرة إلى مصر لما فيها من حرية العمل واللسان والقلم ، وكان أعظم ما أرجوه من الاستفادة فى مصر الوقوف على ما استفاده الشيخ محمد عبده من الحكمة والخبرة وخطة الإصلاح التى استفادها من صحبة السيد جمال الدين ، وأن أعمل معه وبإرشاده فى هذا الجو الحر »

وقد اتصل بالأستاذ الإمام محمد عبده من أول يوم هبط فيه مصر وكان معه كما قال رحمه الله : « كاللازم والملزوم اللذين لا ينفك أحدهما عن الآخر » يستزيد من علمه ، ويستضىء بحكمته إلى أن صار ترجمان أفكاره والمعبر عن آرائه ، ولم يلبث قليلاً فى حياته الجديدة حتى أخذ نفسه بما جاء من أجله ، فأنشأ مجلة (المنار) وصدر أول عدد منها فى اليوم الثانى والعشرين من شهر شوال سنة ١٣١٥ وقد جعل غرضها الأول :

« الحث على تربية البنات والبنين ، والترغيب فى تحصيل

والشاعر على محمود طه قد تأثر فى قصيدته محنة باريس المنشورة بالرسالة عدد (٣٦٩) بمقال للدكتور طه حسين بك فى الثقافة عنوانه باريس (عدد ٧٧) فالدكتور طه حسين بك يقول : (ليست باريس رقعة من الأرض) ، والشاعر على محمود طه يقول مخاطباً باريس :

لست بنياناً ولا أرضاً ولا غاب آساد ولا جنة غيد

هذه كلمة أحببت أن أقولها بمناسبة كلمتين نشرتا فى الرسالة بعنوانين هما « من عجائب الاجتهاد » و « من عجائب الفهم » . وما أود أن أغمط بها فضل ذى فضل ؛ وإنما هى كلمة حق لعلها تضع حداً لأمور ليس من مصلحة الأدب كتمانها والسلام .

(المنصورة) محمد عبد الغنى حسن

العلوم والفنون ، وإصلاح كتب العلم وطريقة التعليم ، والتنشيط على مجاراة الأمم المتمدنة في الأعمال النافعة ، وطروق أبواب الكسب والاقتصاد ، وشرح الدخائل التي مازجت عقائد الأمة ، والأخلاق الرديئة التي أفسدت الكثير من عوائدها ، والتعاليم الخادعة التي لبست الغي بالرشاد ، والتأويلات الباطلة التي شبهت الحق بالباطل ، حتى صار الجبر توحيداً ، وإنكار الأسباب إيماناً ، وترك الأعمال المفيدة توكلا ، ومعرفة الحقائق كفراً وإلحاداً ، وإيذاء المخالف في المذاهب ديناً ، والجهل بالفنون والتسليم بالخرافات صلاحاً ، واختبال العقل وسفاهة الرأى ولاية وعرفاناً ، والذلة والمهانة تواضعاً ، والخشوع للظلم والاستسلام للضيم رضى وتسليما ، والتقليد الأعمى لكل متقدم علماً وإيقاناً الخ »

كان الذى يرمى إليه شيخنا المحدث الفقيه ويدأب عليه فى عمله هو « الإصلاح الدينى والاجتماعى وبيان اتفاق الإسلام مع العلم والعقل وموافقته لمصالح البشر فى كل قطر وفى كل عصر »

وكان رأيه الذى لا ينفك يجاهر به من يوم أن أنشأ فيه مجلته أن الدعوة إلى هذا الإصلاح لا تكون إلا « بهداية الكتاب والسنة ، لأنهما مشتملان على كل ما نحتاج إليه لأجل الهداية والنهضة الاجتماعية »

وهذه الطريقة فى الإصلاح هى التى وضع أساسها موقظ الشرق السيد جمال الدين ، وعممها تلميذه الأكبر الأستاذ الإمام محمد عبده رحمهما الله ؛ ثم جاء شيخ الإسلام السيد رشيد فرفع قوائمها وأتم بناءها ، ولولاه لا ندك هذا الأساس وغطاه تراب النسيان ...

ولم يكن ما دعا إليه شيخنا رحمه الله مهلاً ولا طريقه ميسرة ، وبخاصة فى مثل الزمن الذى ظهرت فيه دعوته ، فقد وجد فى سبيله ما يجده المصلحون فى أممهم من العنت والأذى ، فحورب من نواح متعددة لا يصمد لمثلها إلا كل مصلح قوى ، وشجاع كمى . وقد بيّن رحمه الله تلك النواحى التى عادت المنار فقال :

« عاداه المرتزقون بالخرافات والبدع من أهل الطريق وغيرهم ، وعاداه علماء الجمود ، وعاداه النفوذ الاستعمارى الدولى ، وعاداه دعاة التنفير والتفرنج الإلحادى » وقبل ذلك عادته الدولة العثمانية من أول ظهوره وآذته فى أهله ببلاده

وكان الذى أثار عليه أعاصير هذه العداوات لتزعزع من أركانه ، وتهدم من بنيانه ، أن كان لا يألو جهداً فى الدعوة إلى حرية الفكر ، والاستقلال فى فهم العلم الذى لا ينال العلم الصحيح بدونه ، وترك التقليد وعدم التقيد بمذهب من المذاهب لأن التقيد بالمذاهب يدعو إلى التعصب لها؛ والتعصب، وهو مفض إلى التباغض ، ينافى الوحدة الإسلامية ، ويخالف نصوص القرآن . وكان هو العالم الوحيد بعد عصر الأئمة المجتهدين الذى يجاهر بأنه لا يقلد فى عقائده ولا فى عباداته أحداً من الأئمة ، فكان لا يعبد إلا الله ولا يعبده إلا بما أمر، وإذا تنازع مع أحد فى شىء لا يرد التنازع إلى أحد من الأئمة والمشايخ وإنما كان يرده إلى الله والرسول أى إلى الكتاب والسنة . ولقد كان أشد الناس عداوة له دجاجلة القبوريين من الشيوخ الرسميين الجامدين ومن يتبع نعيقهم من الإمعات الجاهلين الذين هم بلاء الأمم وأرزاء الشعوب

وإذا كان الكلام عن نواحى الإصلاح التى ضرب فيها شيخنا السيد رشيد متعددة والحديث عنها يحتاج إلى مقالات طويلة ودراسة مستفيضة كما أبنّا من قبل، فإنا نقصر كلامنا اليوم من ترجمته على ما سعى فى سبيل إصلاح الأزهر وتجديد الدين الإسلامى . وما انتحينا هذا النحو إلا لمناسبة حركة الإصلاح القائمة بهذا المعهد اليوم، ولأن مجلة الرسالة الغراء قد جعلت تجديد الدين من أهم أغراضها ، وجرت الأقلام بهذا الأمر على صفحاتها لعل فيما نذكره تبصرة للمصلحين ومعيناً للمجددين

ولا يفوتنا أن نذكر أن الذى دعا شيخنا رحمه الله إلى ذلك أن وجد هذا المعهد الكبير لا يدرس فيه الدين وعلومه كما يجب أن تكون الدراسة الحق بل كان « التقصير فى دراسة الإسلام فيه أمر ظاهر » كما بين ذلك أبلغ بيان أديب العربية الكبير « محمد إسعاف النشاشيبى » فى كتابه النفيس الممتع (الإسلام الصحيح)

ولقد كان أول نقد صريح وجهه (المنار) إلى علماء الأزهر الذى صدر فى شهر شعبان سنة ١٣١٦ عن بدعة احتفالهم بمولد

الإمام الشافعي الذي يسمونه (الكنسة) إذ كانوا يكنسون قبة الضريح ويقسمون كناستها بينهم للتبرك بها ويكون نصيب كل واحد منهم في هذه الكناسة بمقدار درجته العلمية ، وكذلك كانوا ينقلون العمامة التي على المقام من رأس عالم إلى رأس آخر ليستزيدوا من البركات ويستكثروا من النفحات . ورحم الله شيخنا المحدث اللغوي الكبير الشيخ محمد محمود الشنقيطي فقد سحت قريحته بقصيدة رائعة في هاتين العبادتين الوثنيتين اللتين يقترفهما علماؤنا مصابيح الظلام ، وأئمة الهدى الأعلام ؛ ولو كان المجال ذا سعة لأوردنا هنا هذه القصيدة العصماء ، ليعجب القراء بها ، ويتندروا بما جاء فيها

وكان أول انتقاد على علماء الأزهر أن أحد أعضاء مجلس إدارة الأزهر وهو الشيخ أحمد الرفاعي كان يجادل يوماً الأستاذ الإمام محمد عبده في أمر علم السنة وتعليمها ، فكان مما قال هذا الشيخ : « إن علم السنة لا حاجة إليه ، ولا يجوز لمسلم أن يأخذ بالحديث ، بل (الواجب) الأخذ بكلام الفقهاء ، ومن يترك فقهاء مذهبه للأخذ بحديث يخالف فهو زنديق » !

ثم أخذ المنار يبين لشيوخ الدين أنهم أبعد الناس عن معرفة فن التعليم ، وأنهم لا يقرنون العلم بالعمل ، وكان يحثهم دائماً على العناية بعلم الأخلاق . ولما وجدهم يصدون عن تعليم العلوم الرياضية والطبيعية ، وأن كبارهم يفتون بأن هذه العلوم لا لزوم لها ، صاح فيهم : « إن الإصلاح الإسلامي يتوقف قبل كل شيء على إقناع العلماء ورجال الدين بأن العلوم الرياضية والطبيعية التي هي محور الثروة والقوة لازمة لا مندوحة عنها ، ويجب أن تعلم مع الدين »

ومما عابه عليهم وآخذهم به أنهم يشاركون العامة في الخرافات والبدع ولا يكتفون بذلك بل يدعون الناس إليها ويحضونهم عليها بما جعلنا ضحكة بين الأمم وسخرية بين الشعوب ، ولأن هذه الكلمة لا تحتمل تفصيل القول في جهوده لهذا الإصلاح فإنا نأتي بها مجملة وهي :

١ — استقلال الفكر وحرية العقل في العلم واجتناب تقليد العلماء والكتب فيه

٢ — إبطال البدع والخرافات ، والتقاليد والعادات التي أفسدت العقائد والأخلاق والأعمال وروّجت في المسلمين أسواق الدجل والخرافات ... ولا سيما بدع الموالد وعبادة القبور والمشاهد ، وأكبر مفاسدها اشتراك علماء الأزهر فيها وسكوت غير المشتركين فيها عن إنكارها فكانوا بذلك قدوة سيئة للعوام ، وفتنة منفرة للمتعلمين عن الإسلام ، وحجة للكافرين على المسلمين

٣ — الرجوع إلى هداية القرآن العليا وهدى السنة النبوية المثلى في تصحيح العقائد وتزكية الأنفس وتهذيب الأخلاق ، والاتباع المحض في العبادات على منهاج السلف الصالح وهو يتوقف على إحياء علوم التفسير والسنة وآثار السلف

٤ — إصلاح نظام التربية والتعليم والتصنيف بالأساليب العصرية

٥ — إدخال علوم البشر في الجامع الأزهر ومعاهد التعليم التابعة له

٦ — اتباع سنة التخصص (أو الإخصاء) في العلوم والفنون

٧ — إعادة ثقة الأمة بالعلماء إلى ما كانت عليه في عصور الإسلام الحية

٨ — الدفاع عن الإسلام بالرد على الملاحدة ودعاة النصرانية ودحض شبهاتهم

٩ — الوعظ والإرشاد العام للمسلمين

١٠ — الدعوة إلى الإسلام في الشرق والغرب بعد الاستعداد لها

هذه هي خلاصة جهاده رحمه الله في سبيل إصلاح الأزهر

وإذا كان رحمه الله قد ذكر في آخر حياته أن كليات الأزهر قد اقتنعت بأكثر ما دعا إليه وأنها ستأخذ به كله واطمأن بذلك فإنا إن شاء الله لمطمئنون كذلك بأن الأزهر سيبلغ المنزلة التي يستأهلها في العالم كله على مد أقطاره ما دام الذي يقبض على زمامه اليوم هو الإمام المراغي وما دام شبابه من حوله يؤيدونه ويتبعون سبيله

وإلى هنا نقف في القول في ترجمة شيخنا المحدث الفقيه السيد محمد رشيد رضا ، ولكيلا يرمينا أحد بالغلو فيما تحدثنا به عنه نطرز ما قلنا بعبارة رائعة في وصفه للأستاذ الأكبر شيخ الجامع

الأزهر، ذلك الإمام الجليل الموصوف بسعة العلم وبعد النظر ودقة التعبير ، نجعلها مسك الختام

قال حفظه الله فى خطاب بليغ ألقاه فى حفلة تأبينه :

« كان فقيد الإسلام السيد محمد رشيد رضا محيطاً بعلوم القرآن ، وقد رزقه الله عقلاً راجحاً فى فهمه ، ومعرفة أسراره وحكمه ، وواسع الاطلاع على السنة وأقضية الصحابة وآراء العلماء عارفاً بأحوال المسلمين فى الأقطار الإسلامية ، ملماً بما فى العالم من بحوث جديدة ، وبمـا يحدث من المعارك بين العلماء وأهل الأديان ؛ فهو ممن أوتي الحكمة ورزق الخير الكثير

وقد كان — بلا شبهة — أكبر المدافعين عن قواعد الإسلام وأشدهم غيرة عليها ، فنى فى خدمة دينه وجاهد فى الله حق جهاده وأوذى فى سبيل مبادئه وصبر وصابر إلى أن توفى رحمة الله عليه

كان مبدؤه مبدأ جميع علماء السلف: التحاكم إلى الله ورسوله عملاً بقوله تعالى (فإن تنازعتم فى شيء فردوه إلى الله والرسول)

وكان مبدؤه مبدأ علمـاء السلف أيضاً : تخيّر الأحكام المناسبة للزمن والنافعة للأمم فى مواضع الاجتهاد

وكان مبدؤه مبدأ علماء السلف فى كل ما يتعلق بذات الإله سبحانه وصفاته ، وكل ما يتعلق باليوم الآخر ؛ فهو رجل سنى سلفى يكره التقليد وينادى بالاجتهاد ويراه فرضاً على نفسه وعلى كل من قدر عليه

من الحق أن نعد السيد رشيد من المجددين ، وأن نعده من المجاهدين فى إحياء السنة ، ومن الحق أن نعتبر بما كان للسيد رشيد من أناة وصبر فى البحث والقراءة ، والتأليف والفتوى والمناظرة ؛ ومن الحق أن نذكر أن هذه الأعمال الصالحة قام بها احتساباً وأدّاها فى سبيل الله

فرحمة الله على السيد رشيد وجزاه الله فى الإسلام أحسن ما يجازى به رجل وهب حياته للعلم والدين » . ونحن نكرر طلب الرحمة والرضوان من الله تعالى عليه ، إنه سميع الدعاء .

(المنصورة) محمود أبو رية



ما أشبه الحال هناك بالحال هنا !

الرجوع إلى القرية

للأستاذ بشارة الخورى

أبنى أبينا طال نومكمُ   تشقى النفوس وينعم البدن
لا الحقل يبسم عن معاولكم   فيـــه ولا تترنم المهن
ذوت الرياض وماؤكم عَمَمٌ   وتعطلت من حَليها القنن
وخوت زرائبكم وكان على   جنباتها يتـــدفق اللبن
محراثكم صدئ الحديد به   والفأس ملء عيونها الوسن
عودوا إلى تلك القرى فلقد   ساختكم عن قلبها المدن
الذكريات على مقادمها   الأم والأخوات والسكن
قبـــل الطفولة فى ترائبها   ليت الحياة لبعضها ثمن
تحت الدوالى ملعب بهج   عند الظهيرة والربى وُكن
فدت العيونُ النجل أجمعها   عيناً تدفق ماؤها الهتن
تأوى الطيـــور إلى أظلتها   ويظل يلثم كفها الغصُن
تَرِد الصبايا بالجرار وقد   عادت على أكتافها المُزُن
تلك اللبوات التى عمرت   بشبولهـا الآجات والعُرُن
لبنان لبنان الحبيب خوى   لا البيت لا البستان لا العطن
خلت المرابط من سوابقها   وتثاءبت بمجالها الأُتُن
الجانيان القاسيان على   (شيخ الربى) بيروت والسفن
قالوا السياسة قلت هل نبتت   إلا على لهواتهـــا المحن
قالوا الوظائف قلت هل نحرت   إلا بها الأخـــلاق والفطن
قالوا المدارس قلت ثابتة   خضراء إلا أنها دمن
أين الألوف من الشباب وما   قبسوه من علم وما خزنوا
ماتوا بعلمهمُ فما طبخوا   منه ولا طحنوا ولا عجنوا
الأرض أطهر والمحارث من   عيش على أدرانه الدرن
عودوا إلى تلك القرى فعلى   بسماتها يتمرغ الحزَن
لبنان ما فعــل الزمان بنا   ســله أما لحروبه هدن
يغدو عليـــه بأوجهٍ كلحت   فمتى ينوّر وجهك الحسن

يا حبيبى ...!

للأستاذ أنور خليل

لم تَزلْ فى لُجةِ الغيـ   ـبِ خيالاً يتدفقْ
لم تزلْ حُلمًـا على مَهـ   ـدِ شبابى يترفّقْ
لم تزلْ فى جانبِ الأفـ   ـقِ سراباً يترقرقْ
فمتى فجـــرُك ينسا   بُ وحلمى يتحققْ ؟
من وراءِ الغيبِ نادى   تُكَ : أقبلْ وتألقْ !

***

يا حبيبى أنتَ فى رو   حى وقلبى ودمائى
أنتَ أنشودةُ أشوا   قى ودنيـــا كبريائى
أنتَ نايٌ أبديُّ الشـ   ـدوِ سحريُّ الغناء
نفحةٌ أنتَ من اللـــهِ   ومن عطرِ السماء
يا حبيبى ! كم أُنادي   ـك فهل يجدى ندائى ؟

***

صورةٌ منكَ تناجيـ   ـنى على طول الليـــالى
ومُحيَّـا رائعُ الفتـ   ـنةِ وَضّـاء الجمالِ
يا حبيبى قد تَعَشّقْـ   ـتُكَ لكن فى الخيالِ
ليتنى ألقاكَ فى الأر   ض على أبهى مِثالِ !
ليتنى ... أوّهُ لا ... بل   إننى أخشى انخذالى !

***

أنا فى أمواجِ حِرما   نى ، وأشجانى غريقُ
فى حيــاةٍ لم يُهَوِّنْـ   ـها خليلٌ أو رفيق
أنا فى دنيًا بها الشـ   ـرُّ سلطانٌ عريق
وبنو الدنيـا قطيعٌ   لِهَوَى الموتِ مَسوق
ضَـــلَّ راعيهِ وغامَ الـ   ـأفقُ والتاثَ الطريقُ !

***

يا حبيبى قيلَ عنّى :   بالخيالاتِ غنائى ...
صَدَقوا إذ لستُ بدعًا   بَينَ رَهطِ الشعراءِ

كلنا نهتفُ بالحُبِّ ونشدو بالإخاء
قد بعثناها مَزاميـ ـرَ سلامٍ وصفاء . . .
لَهفتا !! ضاعَ صداها في ضجيجٍ وازدراء !

***

يا حبيبي آهٍ لو أَ مَّاكَ إنساناً سَوِيًّا !
تتخطَّى حُجُبَ الغيـ ـبِ وتنصِبُ عليًّا . . .
فأرى فيكَ الأماني والنعيمَ الأبديَّا
وحياتي تكتسي منـ ـكَ جمالا عبقريًّا
. . . .
يا حبيبي آهٍ لو أَ مَّاكَ إنساناً سَوِيًّا !

الجنـــدى المجهول

« المدرس »

للأستاذ على شرف الدين

صَلَى حرَّها والموتُ يقظانُ جاثِمُ وَخاضَ رَحاها والمَنايا حَوائِمُ
وَكَمْ رَكزَ الراياتِ في رأسِ شامخٍ مِنَ المجدِ لم تنهضْ إليهِ القشاعِمُ
وَسَجّلَ مِنْ خُضْرِ الفُتُوحِ لِسانُه بما قصّرتْ عَنْهُ السُيوفُ الصَّوارِمُ
بَرَاعتُهُ فيها سِنانُ قَناتِهِ وَأسْفارُهُ الغُرُّ الجِيادُ الكَرائِمُ
وكم فكَّ عَنْ أعناقِ جيلٍ مَذلّةً وَحرّرَ شَعْبًا أرهقَتْهُ المظالمُ
فلمَّا أفاءَ اللهُ ضَنُّوا بحظِّهِ وَلوَّوا رُءوسًا أشرَعَتْها الأَراقِمُ
يقومُ عَلَى أكتافِهِ النَّصْرُ باهِرًا وتُخطِئُهُ أسلابُها والغنائمُ
وَيمضي بحِمْلِ الطَّوْدِ في كلِّ أُمّةٍ وَمَا أحدٌ مِمَّا يُعانيهِ رَاحِمُ
وَيَهْدِمُ مِنْ أعصابِهِ لِبِنائِها فتَسْمُو بهِ أرْكانُها وَالدَّعائمُ
وَيَدْفَعُ عَنْ أكبادِها جَهْدَ نفسِهِ كما دافعَتْ دُونَ العَرِينِ الضَّراغِمُ
وَيُنشِي لها الجِيلَ الأغرَّ جَبينُهُ عَلَى مِثْلِهِ في الدَّهْرِ تُبْنَى العظائمُ

***

فتى أنشأَ الأجْيالَ غَيْرَ مُدافعٍ وفي كلِّ شَعْبٍ فَضْلُهُ لا يُزاحَمُ
تَسيرُ بهِ الأيّامُ تَرْنُو لِحَظِّهِ وَتَنْدُبُهُ في شَجْوِهِنَّ الحَمائِمُ
يُساقُ إلى الإرْهاقِ والسَّوْطُ خَلْفَهُ وَيَحمِلُ مُرَّ العَسْفِ والأنفُ رَاغِمُ
إذا ما بكى كَفَّ الوعيدُ بُكاءَهُ وَإمّا شكا شُدَّتْ بفِيهِ الشَّكائمُ
جِهادٌ وَلاَ مَجْدٌ وَسَعْيٌ كما سَعَى إلى الماءِ مَخْدُوعٌ بصَحْراءَ هائِمُ
ولوْ أنَّ عَدْلاً يَشمَلُ الأرضَ ظِلُّهُ لَما باتَ مَظلومٌ عَلَيها وظالِمُ

***

حَلَفْتُ لأطْوِي عَهْدَها غيرَ نادِمٍ فما تَرْكُها فيهِ تَعَضُّ الأباهِمُ
وَأخلَعُها خَطْمًا لأنفِي وَمِقْوَدًا فلاَ يَقبَلُ الأرْسانَ إلا البَهائمُ
تَعالَى شَبابي أنْ يُراضَ إباؤُهُ عَلَى شِرْعَةٍ فيها تُصَكُّ اللَّهازِمُ
وَإنّا وَإنْ لَمْ تَكْتَنِفْنا نَباهَةٌ أَتَشْغَلُ بُرْدَيْنا المُلوكُ الخَضارِمُ

***

فيَا أيُّها المَغْبُونُ والعَدْلُ شامِلٌ وَيا أيُّها المَحْرُومُ والخَيْرُ زاخِرُ
وَمَنْ باتَ يُخْفِي في حَنَاياهُ صارِخًا مِنَ اليأسِ تَطْوِيهِ الحَشَا والحَيازِمُ
أيادِيكَ بِيضٌ يَبْهَرُ الشَّمْسَ نُورُها وَحَظُّكَ مُسْوَدُّ الجَوانِبِ قاتِمُ
وتَشقَى بِعيشٍ ضَيِّقِ الكَفِّ مُجْدِبٍ وَغيرُكَ مُخْضَرُّ العَطيّةِ ناعِمُ
وَتَبذُلُ مِنْ نُورِ العُيونِ مُسَهَّدًا وَغيرُكَ مِلءَ الجَفْنِ وَسْنانَ نائِمُ
وَمَا فائِزٌ إلاّ الغَصُوبُ لِحَقِّهِ وَمَا خائِبٌ إلاّ الوَدِيعُ المُسالِمُ
وَما شَجَنِي أنْ كانَ حَظُّكَ تافِهًا فما كلُّ شيءٍ في الحياةِ الدَّراهِمُ
وَلـكِنْ عُقُوقٌ وَاضطهادٌ حَمَلْتَهُ وَإنكارُ مَجْهُودٍ وَبُؤْسٌ مُلازِمُ



ذكريات:

لن أنسى ...

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

لست أدرى ما الذى ذكرنى الآن بهذا الموقف لشارلى شابلن فى رواية البحث عن الذهب تضرب المحبوبة لشارلى موعداً، فيعد العدة له ويزين البيت له بالزهر والورق الملون، ويهيء مائدة يقدم عليها كل ما يمكن أن يقدمه عاشق فقير مثله لمحبوبة صغيرة مثلها، فى صحراء ألاسكا التى أرضها ثلج وسماؤها ثلج وهواؤها ثلج

ولم يكن شارلى يشك مقدار ذرة من الشك فى أن محبوبته موافيته راغبة مشوقة كما أنه انتظرها راغباً مشوقاً، ولكن ميعادها أزف، ثم فات، ثم بعد، فيئس شارلى، فاعترته لوثة، فأخذ يقفز فى الحجرة ويرقص كما يرقص الطير المذبوح، ولكنه مع هذا كانت تصدر منه حركات تضحك إلى جانب ما تثير فى النفس من الوجع

والذى لا أنساه هو أنى كنت وأنا أشاهد شارلى فى هذا الموقف أضحك وأبكى معاً

وليس هذا الموقف وحده هو الذى استطاع شارلى فيه أن يخبلنى هذه الخبلة، وأن يوقظ فى نفسى ما لا يتفق بعضه مع بعض من الإحساسات والعواطف، وإنما كان له موقف آخر يشبهه فى رواية أنوار المدينة، فقد كان اعتاد أن يمين صغيرة فقيرة ضريرة تبيع الورد، بأن يشترى منها فى كل حين زهرة، وما كان شارلى يحصل على ثمن الزهرة إلا عفواً، أو بعد عسر يطول، وبحرجات تتراكم بعضها فوق بعض، وما كان شارلى يقنع بأن يشترى الزهرة من هذه الفقيرة بالثمن الذى يدفع الناس مثله، وإنما كان قد عوّد صغيرته على أن تأخذ من يده التى عرفتها نفحة تسد الكثير من حاجتها ...

وفى مرة من هذه المرات التى كان شارلى يطير فيها إلى صغيرته طيراناً ليضع فى يدها ما رزقه الله ليأخذ الزهرة — وقعت له واقعة من هذه الوقائع التى تتوالى عليه، فأبكانى أيضاً عندئذ وأضحكنى ...

وبهذين الموقفين آمنت بأن شارلى شابلن هو أعظم الفنانين فى الأرض، ولا أقول أعظم الممثلين فقط، وإنى أعتقد أنه قد شاهد بنفسه موقفه الأول فى «البحث عن الذهب» ثم درسه ثم استخرج منه موقفه الثانى فى «أنوار المدينة» فدبره تدبيراً ونسجه نسجاً، ثم حققه تحقيقاً نجح فيه إلى أقصى حدود النجاح ...

وشارلى شابلن يمتاز باطلاعه على أسرار النفوس وتمكنه من قوانينها. فهو يضع مواقفه التمثيلية ويعرف ما سيفعله كل منها فى نفوس النظارة لا تفوته فى ذلك فائتة، وإذا كانت عبقريته هى التى تساعده فى غربلة رواياته وتنقيتها من المواقف الباردة المتكلفة وإذا كانت هى التى تهيء له كمال الدقة فى تصوير النزعات الإنسانية وحركات العقل الإنسانى فى المواقف المختلفة تصويراً يكون مؤلماً أحياناً ويكون مضحكا فى أغلب الأحايين، وإن كان هذا لا يبرئها من معانى الألم والشقاء ... إذا كانت عبقريته هى التى تهيء له هذا الكمال وهذه الدقة فى تصوير كل عاطفة وكل نزعة وكل حركة من حركات العقل ... فأى شىء هو الذى يمكنه من أن يصل إلى الكمال والدقة فى خلط العواطف المتناقضة بعضها ببعض حتى ليخلط فى نفوس الناس البكاء بالضحك فإذا بهم يجنون وهم يشاهدونه

أعبقرية هذه هى أيضاً؟

كلا. وإنما هو الجنون. فشارلى شابلن لا بد أن يكون قد جن فى حالة من حالات حياته جنوناً ربما لم يكن استغرق

إلا مقـدار ومضة من ومضات الروح تشمت فيها نفس شارلى من ناحيتين متضادتين ، فاختبل ، إذ أحب وكره فى آن واحد ، وإذ غضب ورضى فى آن واحد ، وإذ أحسن وأساء فى آن واحد ، وإذ حزن وفرح ، وإذ تقدم وتأخر ، وإذ شبع وجاع ، وإذ ثار وهو منهد ...

وأمثال هـذه المواقف والأحوال لا تحدث للناس عامة وإنما هى تحدث للأرهف منهم حساً ، وللأذكى منهم عقلاً ، ولأشدهم انطلاقاً نحو الحق . وحتى هؤلاء فإنه لا يحدث لهم هذا إلا قليلاً . ولو أنه كثر عليهم أو أطال بهم لفقدوا توازنهم ولاختلط عليهم أمرهم ، ولاختل تكييفهم لأنفسهم بحسب الظروف العارضة لهم ، ولقعد الجنون بهم عن تذليل المواقف العسرة التى تعترض حياتهم كما يقعد بهم عن الاستمتاع بالمواقف الحلوة التى تتفق لهم .

ويظهر أن هذين الموقفين أغريا نجيب الريحانى بأن يكون له موقف يشبههما . فقد عرض فى رواية « حكم قراقوش » نفسه وهو محكوم عليه بالإعدام ، ووقت التنفيذ لم يبق عليه إلا دقائق فهو مشفق على نفسه جزع من الموت ، ولكنه مع هذا يضطر إلى أن يدافع عن نفسه بسرد حقائق مضحكة يعرف النظارة أنها لفقت على هذا المسكين تلفيقاً ، وأنه كان يجب عليه أن يدرك هذا من قبل أن تفوت عليه فرصة النجاة

بهذا الموقف أراد الريحانى أن يضحك الجمهور وأن يبكيه فى آن واحد ، ولكن الذى حدث هو أن الجمهور كان يضحك فقط ، ولم يبك منه أحد . ففات على الريحانى بهذا مأربه الفنى السامى الذى كان ينشده ، ولست أظن الريحانى كان عاجزاً عن الوصول إلى ما وصل إليه شارلى ، فإن فيه من صفاء النفس وذكاء العقل وطواعية الروح ما يستطيع أن يحقق به كل الذى يحققه شارلى شابلن ، أو أغلبه على الأقل ؛ وإنى أعتقد أن الريحانى فشل فى إدراك هذه الغاية البعيدة لأنه لم يوفق إلى التمهيد الكيس الذى كان يجب عليه أن يأخذ به نفوس النظارة قبل أن يعرض عليهم هذا الموقف ، فالذى أذكره هو أن هـذا الموقف قد جاء فى « حكم قراقوش » عقب موقف آخر كان النظارة فيه منطلقين ضحكا ومعربدين مرحاً ، فلم يكن من السهل بعد ذلك أن ينقلوا من هذا الضحك وهذا المرح ليستقبلوا هذا الموقف المعقد المؤلم المضحك فى آن واحد

وعندى أن الريحانى لو أنه نثر فى المواقف السابقة لهذا الموقف بعض المؤلمات المتميزة الواضحة ليتخذ منها بعد ذلك قواعد يقيم عليها أعمدة الألم فى الموقف المعقد الذى قصد إلى إبرازه ... أقول لو أن الريحانى فعل هذا ، فإنه كان من غير شك يصل إلى ما وصل إليه شارلى ، ولو فى بعض الليالى التى يمثل فيها « حكم قراقوش » إن لم يكن فيها كلها ، فالواقع أن موقفاً معقداً كهذا يرتاح ممثل السينما بعد تسجيله ، ويشقى ممثل المسرح كل ليلة فى تحقيقه ، وهو دائماً معرض للفشل فيه كما أنه معرض للنجاح . . .

ثم إن الكلام نفسه فى هذه المواقف مما يدعو إلى تبريدها وتخفيف حدتها والتهوين من عنفها ، ولاريب فى أن صمت شارلى هو الذى ساعده على النجاح فى هذين الموقفين ، كما أن ثرثرة الريحانى فى موقف قراقوش هى التى عطلته

ذلك لأنه ليس من السهل أن يهتدى الكاتب أو المؤلف إلى كلمة مجنونة يعبر بها عن حالة مجنونة فيها الألم والراحة معاً إلا أن يكون ذلك الكاتب مجنوناً ، أو يكون قد جن فى حالة من الأحوال ، وروايات الريحانى يكتبها اثنان : الريحانى نفسه وهو يكتفى برسم معانيها لأنه أميل إلى الصمت والتعبير بإطلاق الحس كما يفعل شارلى شابلن . . . ويعاونه الأستاذ بديع خيرى وهو الذى يصوغ الكلام له ، وهو رجل عاقل جداً لا أظنه جن يوماً حتى يستطيع أن يؤدى مع الكلام وثقله مايريد الريحانى أن يؤديه على نحو الذى أداه شارلى بالصمت

على أنى لم أيأس من أن تتاح للأستاذين المصريين فرصة قريبة فى رواية قريبة يقدمان فيها مثل هـذه الدرة الفنية العاتية الجبارة ، فأنا أعرفهما يهيمان بكل ما هو عات من الفن جبار

***

وما دمت فى معرض الذكريات فإنى أسجل مع التقدير ليوسف وهبى دوره فى كرسى الاعتراف ، فقد كان عليه فى هذا الدور أن يتصنع الجنون ، وكان أشق ما عليه هو أن يوحى إلى النظارة أنه يتصنع الجنون من غير أن يكون فى هذا الوحى شىء يصح أن يقول فيه أحد إنه كان من الممكن أن يلتفت إليه بطل من أبطال الرواية أو بطلة من بطلاتها

وما كان يوسف وهبى إلا لينجح فى مثل هذه الرحلة المعقدة من هذا الدور ، فهو أقدر ما يكون على الأدوار المعقدة لا الأدوار السهلة . . .

وذلك لأنه فى حياته الخاصة لا يحب أن يترك نفسه على سجيته ، لكثرة ما لاقى من متاعب فى حياته ، ولكثرة ما تعرض لأذى الناس وهجماتهم ، فهو دائماً منكمش فيما بينه وبين نفسه ، مطل على كل إنسان بناحية يعتقد يوسف أنها هى الصالحة لمواجهة هذا الإنسان ، وهو بهذا يمثل دائماً ، فإذا كان له دور سهل يراد منه فيه أن ينطلق على سجيته لم يجد سجيته ، فهو مضطر بعد ذلك إلى أن يبحث عن سجية ما يتظاهر بها ، وعندئذ ينكشف يوسف وهبى للعين النافذة ويظهر كأنه ممثل ضعيف ، بينما هو حين يتقمص الأدوار المعقدة التى يعجز عنها كثير من فحول الممثلين ينطلق فيها متدفقاً كأنما يوحى إليه وحى ، وكأنما يلهم التمثيل إلهاماً .

والذين شاهدوه فى أدواره الأولى التى ظهرت بها فرقة رمسيس أول ما ظهرت لا يستطيعون إلا أن يشهدوا له بأنه ممثل مجيد ممتاز ، وإذا كان النقاد فى ذلك الحين قد اتهموه بالتهويش فإن هذا « التهويش » لم يكن مطلقاً إلا مبالغة فنية مقبولة استساغها الجمهور وأقبل عليها إقبالاً شديداً

وإنى أنتهز هذه الفرصة لأسأل يوسف وهبى عن هذه الأدوار لماذا تركها ؟

يخيل إلىّ أن الجواب عندى . وهو أن هذه الأدوار ورواياتها تحتاج إلى تشجيع ورعاية ، وأن الحكومة قد خصت بتشجيعها ورعايتها الفرقة القومية وهى مجموعة الممثلين الذين تتلمذوا على يوسف وهبى ، أو عاونوه الزمن الطويل . . .

* * *

وهذه حالة عجيبة لم تكن تحدث إلا فى مصر . فلم يكن معقولاً أن تأخذ الحكومة فرقة من صاحبها ثم تتركه فى الميدان يعتمد على الهواة والممثلين المبتدئين ، ثم تتركه بعد ذلك من غير تشجيع مادى يعوض عليه ما بذله فى تدريب فرقته التى أخذت منه .

عزيز أحمد فهمى



الحياة على الكواكب

للدكتور محمد محمود غالى

من طرق التفكير الحديث — أهل المريخ وهندسة إقليدس — حساب الاحتمال والحياة على غير الأرض — سكان الأرض وجرام الراديوم — العثور على شيء يشمل العثور على غيره — من الفيزيقا إلى النجوموفيزيقا — ومن الاحتمال إلى التحتيم

لا يعتقدن القارئ وهو يطالع عنوان هذا المقال أننا نخرج بكتاباتنا من الفيزيقا Physique إلى الميتافيزيقا Métaphysique، فليس هذا الذى قد يتبادر إلى ذهنه بصحيح ، فإن ما نكتب لا يمكن أن يخرج عما تعلمناه أو تأثرنا به ، وعلاجنا لما يعرض لنا من مسائل يستند إلى العلم التجريبى الذى لا يعتمد إلا على التجارب العلمية التى يستطيع أن يقوم بها الإنسان ، أو العلم النظرى الصحيح الذى يقبله المنطق السليم ، والذى يتفق والعلم التجريبى أو يقترب منه . فإذا أراد أن يقنعنا باحث بوجود إنسان مماثل لنا فى القمر ، فإننا نميل إلى مطالبته بأن يرينا فى المنظار الفلكى أثراً من عمل هذا المخلوق القمرى مادام قد فرض أنه مماثل لنا ، كنشأة له مثلاً ، وإننا نميل إلى ذلك ما دمنا نعرف أن منظارنا الفلكى بلغ حداً من الإتقان يمكن معه أن نرى المنشآت التى من حجم الجامع الأقصى فى القدس أو الرفاعى فى القاهرة . وإذا أراد باحث آخر أن يقنعنا أن هذه المنشأة التى تصادف أن رأيناها هى صدفة من عمل الطبيعة ، وأن القمر ، وهو يتقلص تحت عامل البرودة خلال الملايين من السنين التى يبرد فيها ، تكيف على سطحه ذلك الشكل الذى يختلط فى المنظار بإحدى منشآتنا ، وأضاف هذا الباحث أمراً جديداً يدل عليه التحليل الطيفى الذى يثبت خلو أجواء القمر من الهواء ومن الأكسيجين مثلاً ، هذا الخلو الذى يقوم دليلاً على عدم إمكان وجود مخلوق شبيه بنا على سطحه ، فإن هذا دليل عندنا يرجح الرأى الثانى .

بهذا الروح نتعرض لمثل هذا الموضوع الخاص بمناقشة وجود الحياة على الكواكب ، فليس من عملنا أن نشغل صحيفة العلم بغير العلم ؛ والعلم عندنا هو البحث عن الحقائق بالطرق العلمية . ومع ذلك فإننا نسخر من هؤلاء الذين فكروا فى التعرف على أهل المريخ بأن يرسموا فى إحدى صحراواتنا بالحب وبالحجم الكبير البرهان على نظرية فيثاغورث المعروفة التى يبرهنون فيها على أن مساحة المربع المقام على وتر المثلث القائم الزاوية تساوى مجموع مساحتى المربعين القائمين على ضلعيه ، بحيث إذا أبصروا بالمنظار الفلكى وبعد فترة كافية ، على سطح المريخ الرسم ذاته ، كان ذلك برهاناً على أن المريخ مسكون بمخلوقات شبيهة بنا على الأقل فى صفة الذكاء ، مخلوقات تدرجت بدورها فى العلم فعرفت هى أيضاً هندسة إقليدس

إنما نسخر من مثل هذه الوسيلة القاسية ، فقد يكون هناك مريخيون ، ولكنهم لم يتجهوا فى فهم الكون اتجاهنا ، ولم يفكروا فيه على طريقتنا ، مما قد يجعل فلسفتهم فى الحياة لا تتسق مع فلسفتنا ، وأغراضهم لا تمت بأية صلة إلى أغراضنا

إنما نذهب فى افتراض وجود هؤلاء أو غيرهم مذاهب أخرى متأثرين فى ذلك بما يفرضه « حساب الاحتمال » Calcul de Probabilité من إمكان وجود مخلوقات غيرنا ، وليس عدم وجود أهل للمريخ ، إذا قام يوماً برهان على ذلك ، بدليل عندنا على عدم وجود أجناس حية أخرى فى مجموع الكون ، وما المريخ فيه إلا حبة رمل من رمال الصحراوات المديدة ؛ إنما تستمد عقيدتنا فى وجود الحياة على غير الأرض قوتها من وجودنا وغرابة أمرنا ثم من حساب الاحتمال السالف الذكر ، وهو رياضة لا يدل اسمها على ما تعنيه اليوم ولا على ما تقوم به للعلم من خدمات ، رياضة يتحتم بواسطتها وقوع مسائل معينة إذا توافرت اشتراطات معينة ، ومع ذلك فلسنا فى حاجة هنا إلى استعراض علم من أهم العلوم الحديثة ، وكل ما نرغب فيه أن يدرك القارئ أننا نقصد من الاحتمال التعيين ؛ وإننا لنستعين فى ذلك بمثال سبق أن تقدمنا به فى مناسبة أخرى ، عند ما ذكرنا للقارئ أنه يتحتم أن يموت من أهل القاهرة فى كل أسبوع عدد يتراوح بين الخمسمائة والألف مثلاً . هذا حساب محتمل من أرصاد ماضية وطويلة

يصبح حساباً حتمياً للشهر الذى نعيش فيه . إن حياتنا ومايكتنفها من غموض ، وعظمة الكون واتساعه وعدم استقراره ، ووجود الكواكب العديدة، لا حول شمسنا فحسب بل حول ملايين غيرها من الشموس ، ووجود جميع الأقدار فى المسافات ، ثم اتساع نطاق العلم فى معرفة خواص الكون ودرجة انتشاره وعظم مسافاته وطول زمنه ومعرفة قوة شموسه وكثرتها ، والوقوف على حقارة أرضنا التى نلعب فيها دوراً غير ملحوظ ، دوراً لا يُؤثر فى هذه المجموعة الكبيرة التى تحيط بنا ، كل هذا يجعل وجود الحياة على النحو الذى ألفناه أو على نحو آخر فى أماكن أخرى فى غياهب الكون المنتشر — من الأمور الحتمية لا من المسائل الاحتمالية

* * *

وأود لو أطمئن إلى أن القارئ قد أدرك غايتنا على النحو الذى قصدناه ، ففهم كيف يصبح الاحتمال أمراً حتمياً إذا لم نتعمد الوصول به إلى تعيين دقيق فى الموضوع الذى يتناوله الاحتمال ؛ ونعيد القول بأننا نستطيع أن نعرف العدد التقريبى لمن سيقضون نحبهم من سكان القاهرة فى شهر سبتمبر القادم بمقارنته بشهور سبتمبر من السنين الماضية ، وذلك بعمل امتداد رياضى لهذه المسألة البسيطة Extrapolation ، ولكننا لا نستطيع أن نكتب لوحة عليها أسماء الذين سيموتون . ومهما يكن من الأسباب فإنه من المحال أن يمر شهر سبتمبر القادم ولا يحدث فى القاهرة هذا العدد المحتمل من الوفيات

كذلك لو وضعنا جراماً من الراديوم فى صندوق متروك فى المعمل، فإننا على ثقة بأنه ستخرج منه، بالتفتت الذرى والإشعاع الذاتى، آلاف معينة من ملايين الُحبَيبات الراديومية فى كل ثانية تمر من الزمن ، وإننا على ثقة بتناقص هذا الجرام إلى نصف وزنه بعد مرور ألف وخمسمائة سنة ، كما أننا نستطيع أن نُعيِّن مقدار ما يخرج يومياً من هذه الوحدات التى لا تعود بحال إلى جسمها الأصلى ، ونعرف كيف يتغير هذا المقدار بعد ذلك العهد الطويل وبعد أن يكون قد فقد نصف وزنه أى نصف سكانه ، ولكننا لا نستطيع أن نُعيِّن بالذات الوحدات التى شاء لها القدر أن تخرج اليوم من بين بلايين الوحدات التى يحتويها هذا الجرام

هذا الجرام من المادة المشعة يشبه فى الواقع الألفى المليون نسمة الذين يسكنون الأرض . إننا واثقون بأن نصفهم سينقرض بعد نصف قرن مثلاً ، ولكننا لا نستطيع أن نعين أسماء هؤلاء الذين يشاء لهم القدر أن ينقرضوا فى النصف الأول من هذه الحقبة . كذلك الكون ، كل شىء يدل على ضرورة وجود الحياة فى بعض أنحائه المترامية ، ولكننا لا نستطيع أن نعين الأمكنة أو الكواكب بالذات التى عليها هذه الحياة

وعندى أن الذين يريدون أن ينكروا وجود الحياة بأية صورة فى الكون المنتشر ، الكون الذى عرّفناه للقارئ وفق «أينشتاين» (Einstein) ووفق «دى ستير» (De Sitter)، الكون الذى له شكل كرة زائدة (Hypesphère) ذات حدود مختلفة فى المكان والزمان ، الكون الذى يكبر وينتفخ يوماً بعد يوم[1] — لا يختلفون عن هؤلاء الذين يحاولون إقناعنا بمرور شهر سبتمبر القادم دون حدوث وفاة شخص واحد فى القاهرة . إننا نرد على هؤلاء بقولنا إننا واثقون بوفاة عدد كبير فى الشهر القادم لا يمكن أن ينقص عن حد معين ، وإننا فى هذا ننتقل من مسألة احتمالية إلى مسألة حتمية . إننا واثقون من العدد التقريبى للذين سيفارقوننا ، ولكننا عاجزون عن إدراك أسمائهم ، ونحن فى ذلك نتبع الطريقة ذاتها التى نثق فيها بوجود الحياة على كثير من الكواكب فى الكون دون أن نعين هذه الكواكب بالذات بين حدوده الفسيحة

* * *

ولا تحسَبنّ إذن أنك قد تميزت بحياة تعتقد أنها الوحيدة فى الوجود، وأن كل ما عداها موت فى موت وجود فى جود ، ولا تعتقدن فيما تعتقد أنك الوحيد فى الكون العظيم ، تمرح على هذه الأرض بين أشجارها الفيحاء وورودها الجميلة ، تتغذى من

(١) راجع بالرسالة مقالاتنا : رسالة من العوالم البعيدة تنبئنا أن الكون ينتشر ص ٤٦٣ — ٤٦٦ — ٦ مارس سنة ١٩٣٩ الكون يكبر ص ٥٩٢ — ٥٩٦ — ٢٠ مارس سنة ١٩٣٩ — وزن الكون — ص ٦٤٠ — ٦٤٣ — ٢٧ مارس سنة ٩٣٩ — ترى ما وراء هذا الكون — ص ٧٨٠ — ٧٨٣ — ١٧ إبريل سنة ٩٣٩

مملكة نباتية بديعة ، وتستمتع بأخرى حيوانية رائعة . إن هذه الحياة لا يمكن أن تختص بها حبة الرمل الحقيرة التى نعيش عليها، وليس ما يمنع أن تتكرر عملية الحياة فى غيرها من الحبات العديدة المتناثرة فى الكون على هذه الصورة أو على غيرها

ولو خلت الأرض من الإنسان الفخور بذاته المعجب بذكائه لظلت الأشجار والورود والحيوان باقية ما بقيت الشمس ؛ فهى تعيش عليها بقدر ما نعيش نحن ، وتنعم بفعلها بقدر ما ننعم ، وليس ما يمنع أن يكون حول الشموس الأخرى حياة كحياتنا أو تختلف عنها ، بل إن كثرة هذه الشموس فى الكون المنلق على نفسه تحتم وجود هذه الحياة

***

ولو أنك دخلت حديقة متسعة بدأ نضوج نوع من الفاكهة فيها ، وليكن البرقوق مثلاً ، فإنه من غير الممكن أن يكون قد نضج فى اللحظة التى تتجول فيها برقوقة واحدة بين ملايين البرقوق الموجود على الشجر ، بحيث لو عثرت على برقوقة ناضجة فإننا واثقون أنك إذا تجولت كثيراً وجدت غيرها من البرقوق الناضج ، ولو أنك بادرتنى بقولك إنك وجدت برقوقة واحدة ناضجة لم تجد غيرها فإننى لا أميل إلى تصديقك ، أو أعتقد أن حديقتك صغيرة ، وأنها لا تحوى سوى بضع شجرات من البرقوق ، ولو أنك بادرتنى أنك على العكس تملك حديقة فسيحة الأرجاء متسعة بحيث لا تكفى أيام عديدة للتجول فى أنحائها المختلفة ، فإننى واثق إذن أن هذا النضوج قد حدث فى أماكن عديدة ، وأنك حتما ستعثر على كثير من البرقوق الناضج كلما تجولت فى الحديقة

كذلك الكون ننظر إلى الحياة فيه لا كعملية محتملة ، بل كواقع موجود

***

وها نحن أولاء ننتقل بالقارئ قليلاً قليلاً ، لا من الفيزيقا إلى الميتافيزيقا ، وإنما من الفيزيقا إلى النجموفيزيقا[1] ، وهى من الموضوعات العلمية الصحيحة التى تتصل بحقائق الكون

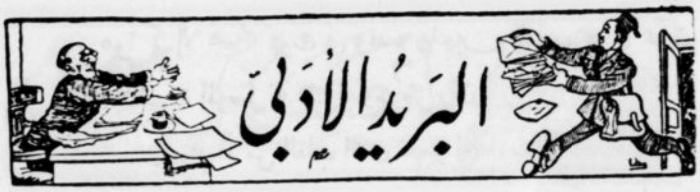
وفى هذا نقترب من المخلوق العجيب الذى لا يرى من الترام إلا مستطيلا ومن « الكمسارى » إلا دائرة تنتقل على حافة المستطيل ، ونقترب من بعض الفروض التى نريد بها أن نضع أنفسنا وجنسنا البشرى فى جدول المخلوقات فى الكون العجيب ، وبهذا نقترب من مسائل بدأت فى ذهننا كمسائل احتمالية وانتهينا فيها بعد طول التأمل إلى أنها حوادث حتمية . وفى مقالنا القادم نصف كوناً حياً مقفلاً على نفسه ، وما نحن فى ذلك إلا محاولون .

محمد محمود غالى

دكتوراه الدولة فى العلوم الطبيعية من السوربون

ليسانس العلوم التعليمية . ليسانس العلوم الحرة . دبلوم المهندسخانة

(١) النجموفيزيقا كلمة نقصد بها العلوم التى تربط العلوم الفلكية ، وما يتصل منها بالعلوم الطبيعية ، والكلمة الأفرنجية « أسترونيزيك » Astrophysique من كلمة Astre أي نجم و Physique أى طبيعة ، ويحسن أن نعمد فى ترجمة أسماء العلوم المختلفة إلى اختيار الكلمات القصيرة فلا نترجم هذه المسميات بجمل طويلة وهذا ما عمدنا إليه فى نحت كلمة « نجموفيزيقا » التى تدل بلفظها على هذا العلم .



الحركة الأدبية فى العاصمة السورية — تعليق ونقد

منذ أسابيع خمسة ، قرأنا فى بريد الرسالة الأدبى كلمة العتب والبيان التى أطل بها علينا الأستاذ الأديب الشيخ على الطنطاوى وبها يعتب على أدباء مصر ونقادها لإهمالهم واجب النقد والتقريظ لعشرات المؤلفات التى صدرت فى العاصمة الأموية

وبقدر ماسرنا عتب الأستاذ وتذكيره ، كان عجبنا بالغاً أشده ، ذلك أن الأستاذ غاب عن باله — فيما أعتقد — أنه أنكر على دمشق العزيزة وجود حركة أدبية فيها[1] لذا فنحن نقف اليوم تجاه رأيين متضادين لكاتب فاضل واحد ، لا ندرى أيهما نصدق ، ولا بأيهما نأخذ ، فإذا كان الأستاذ ينكر وجود الحركة الأدبية فى دمشق ، فقد نقض « بعتبه وبيانه » رأيه الأول ، إذ كيف يصح أن تنشر دمشق الحبيبة هذا العدد الضخم من الكتب والمؤلفات ، ثم يُنكر عليها الأدب ؟ ...

بين يدىّ الآن عدد الرسالة الأخير ذو الرقم ٣٦٩ وبه تناقش الأديبةُ الكبيرةُ السيدة وداد سكاكينى بعضَ أقوال الأستاذ الطنطاوى فى « عتابه وبيانه » .

والسيدة وداد من أديباتنا النوابغ ذوات العواطف الوطنية المرهفة ، يدل على ذلك كتابها « الخطرات » ، وهى بحكم هذه العاطفة الوطنية المستعرة تأبى أن يقول الطنطاوى عن دمشق إنها « مُقتبِسة فى أدبها لا مُتَّبِعة ، مقلدة لا مبدعة » وتقول السيدة وداد :

« إن دمشق الشام لها كيان أدبى مرموق ، وفيها أهل معرفة وثقافة ، فينبغى أن تفرض أدبها فرضاً ، وأن تسم آثاره بمياسم خاصة تميزها من غيرها وتكون دليلاً عليها »

ودمشق العزيزة يا سيدتى ، كما يشاء الواقع والحقيقة ، مقلدة متبعة — وأقولها بكثير من الأسف والألم — تقتفى خطوات المصريين ، وأبناؤها يقرأون على الدوام آثارهم وينهجون نهجهم . ونحن وإن كنا نعجب بالثقافة المصرية ، وبكثير من الأدباء المصريين ، ونقر لمصر بالزعامة والتفوق ، ولكننا — إلى ذلك — نرغب فى استقلال أدبنا وثقافتنا ، ونحب أن يكون أدبنا ذا كيان خاص ، ومياسم تميزه من غيره

أما أن نفرض أدبنا فرضاً — ولا ندرى على أى قطر تريد السيدة أن نفرضه ! — فهذا أمر يحتاج يا سيدتى إلى عشرات من السنين ، إذ ليس فرض الأدب والثقافة من الأمور الهينة السهلة كما تخالين ، ولا سيما لبلد له شأن كشأن دمشق . وبالرغم من ذلك كله فما أغنانا عن هذا « الفرض ! »

ولقد ذكرت يا سيدتى ، وذكر الأستاذ الطنطاوى قبلك عدداً من الكتب كبيراً ، أهمله كتّاب مصر ونقادها . ولكن « التواضع » أبى عليكما أن تشيرا إلى مؤلفاتكما ! . وإذا كان الطنطاوى قد أشار إلى كتابين من تأليفه بصورة خاطفة ... فقد أهمل كتابين آخرين ربما كانا من أحسن ما أنتج وهما : « فى بلاد العرب » و « من التاريخ الإسلامى » والأول كتاب ثمين ضمنه صاحبه قطعاً بارعة من أدبه ، وبه صور ومشاهد طيبة لكثير من بلاد العرب ، والثانى مجموعة من القصص ، قبس الكاتب موضوعاتها من التاريخ الإسلامى المجيد ؛ وقد أجاد فى كثير منها

وهناك كتاب « الخطرات » للسيدة وداد سكاكينى وقد حوى موضوعات فى الأدب والاجتماع قيمة

وكما خجلت السيدة وداد من الاشارة إلى « خطراتها » فقد أبت الإشارة إلى مؤلَّف زوجها الصديق الأستاذ زكى المحاسن وهو « النواسى شاعر من عبقر » درس فيه أدب الشاعر الماجن أبى نواس وأخرجه للناس فى حلة قشيبة وشكل حسن .

وأما كتاب « آرائى ومشاعرى » للأديبة النابهة الآنسة فلك طرزى الذى ذكرته السيدة وداد فى معرِض التذكير ، فقد سبق لكاتب مصرى معروف أن نقده وقرَّظه فى حينه على صفحات الرسالة الزهراء ، فلم تكن ثمة حاجة لذكره ، إلا أن تكون الذاكرة قد خانت السيدة وداد فى هذه المرة .

هذا ما أردت أن أقوله فى معرض التصحيح والتذكير ، وللأستاذ الطنطاوى والسيدة وداد أذكى التحية وأطيب السلام .

(دمشق) عبد الغنى العطرى

(١) مجلة المكشوف عام ١٩٣٧

مواعيد البنان المخضوب

قرأت فى جريدة الدستور كلمة كريمة لأديب كريم اسمه « إبراهيم » وهو كاتبٌ لم أعرفه من قبلُ ، ولكن شمائله تنمّ عليه كما ينمّ الدُّخَان على الجمر المشبوب

وهذا الكاتب يتوجع للنعيم الذى ضاع بين سَدّة المندية والقناطر الخيرية ، ثم يُطلب على وقاره فيذكر أن له نعيماً ضاع فى ظلال « الجيزة الفيحاء » وأنه تأسّى بقول أحد المتيمين :

« تلك يا قلبى مواعيد البنان المخضوب »

ذلك عزاؤك ، أيها الزميل ، فأين عزائى ؟

هل تظن أن « خواطر مهاجر » التى قرأتها فى الطريق مرتين حتى كدتُ أصطدم بالجدران تُنسينى عن « خواطر مهجور » التى أدرتها فى خاطرى مئات المرات ولم أجرؤ على صبها فوق صفحات القرطاس ؟

وهل ترى أن أداوى همومى بالتفكير فى بلايا المجتمع كما يصنع جليس « الكافورة الغيناء » ؟

وكيف وما حماتُ القلم إلا وثبَ القلب وثبة المسعور وقد تألق أمامه السراب وهو يظن ويتوهم ويخال أنى سأكتب إلى الذين لا يصل إليهم خطابى إلا بعد أن يمرّ بثلاثة رقباء ، أولهم فى القاهرة وثانيهم فى فلسطين وثالثهم فى ... (؟)

إن سمح الدهر بيوم العتاب فسأقول وأقول وأقول

وإن ضنّ الدهر بيوم العتاب فسأرسل إلى الغادرين جذوة من جَذَوات قلبى ليعرفوا أن دمى لا يذهب هدَرًا فى دنيا النفوس النوادر والقلوب الشّحاح

بتذكرة بريد تكاليفُها أربعة فلوس تداوَى جراح قلبى

فهل رأى الناس أبخل من الذين يستكثرون أربعة فلوس على من جاد فى هواهم بالعافية والأمان ؟

ويزيد بلائى كلما تذكرت أن الخلاص من أسرهم هو رابع المستحيلات ، وكانوا أوهمونى أن دنيا الوجد لا تعرف المستحيل ، يوم كنا نتناجى بنبرات أرقّ وألطف من وسوسة الأزهار فى أسحار آذار

لا تحسبونى نسيت العهد ، يا أصفياء روحى ، فما الدنيا بدون هوا كم إلا هجيرٌ تموت فى وقدته رياحين القلوب ، كما تموت أعشاب « الموصل » عند قدوم حُزَيران

وآه ثم آه من القلب الذى تعجز الخطوب والصُّروف عن وأد ضلاله القديم !

زكى مبارك

حول ارتجال المصادر

قرأت الكلمة التى وجهها إلىَّ الأستاذ صلاح الدين المنجد فى العدد ٣٦٩ من الرسالة الغراء ، تلك الكلمة التى يزعم فيها أننى ارتجلت مصدراً أوردت ذكره فى مقالى المنون « العروب فى العراق » المنشور فى العدد ٣٦٠ من الرسالة

إن المصدر المنوّه به هو : « السفن والمراكب فى بغداد فى عهد العباسيين » للأستاذ حبيب زيّات . وقد رجعت إلى المجلة ، فوجدت ما ذكرته فى مقالى صحيحاً لا شبهة فيه . وعليه أعود الآن ثانية فأؤكد ما ذكرته هناك من أن المقال منشور فى مجلة « لغة العرب » ، التى كانت تصدر فى بغداد : (٥ [١٩٢٧] ٤٦١ — ٤٦٥)

وإذا كان الأديب المنجد لم يجد تلك الأرقام فإننا نفيده أن الرقم (٥) يعنى المجلد الخامس من مجلة « لغة العرب » ، والرقم (١٩٢٧) يشير إلى سنة صدور ذلك المجلد ، والرقمين (٤٦١ — ٤٦٥) يشيران إلى الصحائف التى نشر فيها مقال « السفن والمراكب » المشار إليه فى نفس المجلد والسلام .

(بغداد)

ميخائيل عواد

كتاب الشعور بالعور

إلى الأستاذ محمود حسن الزناتى

قرأت الكلمة التى تفضل الأستاذ الزناتى أمين الخزانة الزكية ومحقق كتاب « الفصول والغايات » لأبى العلاء المعرى فكتبها عن كتاب « الشعور بالعور » لصلاح الدين خليل ابن أيبك الصفدى الذى جمع فيه أخبار العور من صحابة وتابعين وعلماء وأدباء ، وقد طلبناه فى مكاتب دمشق الخاصة والعامة فلم نعثر عليه ؛ فنحن نشكر للأستاذ إشارته هذه ، ونود لو تكرم بتلخيص طرف من ملح الكتاب ونوادره لنقف على بعض ما تضمنه الكتاب

صلاح الدين المنجد



قصيدة غرام ...

للقصصي الفرنسي جي دي موباسان

بقلم الأستاذ عبد الغني العطري

غادر القطار مدينة جنوا متجهاً نحو مرسيليا ، ومتقفياً تعرجات الشاطئ الصخري الطويلة ، وأخذ يسلك سبيله - بخفة وسرعة ونشاط ، كثعبان أسود نحيف - بين اليم والجبل ، زاحفاً فوق الشواطئ ذات الرمال الصفر التي تدغدغها الأمواج الصغيرة بخيوط دقيقة لجينية ، ثم يدخل - دون تمهل - فوهة النفق الأسود ، كما تدخل البهائم في أجحارها ، أو الطيور الفَـردة في أوكارها

وكان في العربة الأخيرة من القطار ، شاب في ريعان صباه ، وامرأة أوتيت من السمن حظاً وفيراً . جلسا متقابلين وجهاً لوجه ، دون أن ينطقا بحرف ، أو ينبسا ببنت شفة . وكان كلاهما يختلس من صاحبه النظر ، بين الفينة والفينة . أما المرأة فكان لها من العمر نحو خمس وعشرين ربيعاً ، وكانت جالسة قرب النافذة تمتع ناظريها بمناظر الطبيعة المُرَنَّية(١) وهي إلى ذلك امرأة قروية صلبة العود ، قوية البنية ، من مقاطعة بيدمون الإيطالية ، ذات عينين سوداوين ، وصدر ناهد جسيم ، ووجنتين مكتنزتين باللحم والشحم ، وقد ألقت تحت مقعدها الخشبي عدة حُزم ورِزم ، واحتفظت فيما بين ركبتيها بسلة

أما هو ... فقد كان في نحو العشرين من عمره ، وكان نحيلاً مهزولاً مسفَّعاً(٢) بصبغة سمراء قاتمة ، وهي من علامات الرجال الذين يعملون في الأرض ، خلال فصل الصيف ، وفي حر الهاجرة وكان إلى جانبه منديل حوى كل ما ملكت يمينه من « ثروة ! » ونشب : حذاء وقميص ، وسروال وصدار . وقد أخفى عدا ذلك تحت المقعد أشياء أخرى : مِجرفة ومعولاً ، رُبط بعضهما إلى بعض بحبل . لقد كان ذاهباً إلى فرنسة ليبحث فيها عن عمل يمتاش من ورائه

أخذت الشمس تتسلق القبة الزرقاء ، بخطوات متئدة رزينة ، وأخذت تقذف من برجها العاجي البعيد وابلاً من أشعتها النارية المستعرة على الشاطئ الهادئ الوديع .

(١) كلمة جديدة رقيقة ، بمعنى معجب شديد الاعجاب ، وضعها الأستاذ الأديب الشيخ عبد القادر المغربي ، وهي تقابل كلمة Pittoresque الفرنسية ؛ وفي اعتقادنا أنها خير ما يعبر به عن هذه الكلمة الأعجمية ، فلعلها تقابل من كتاب مصر بالاستحسان ، كما قوبلت في دمشق من كتابها

(٢) يقال سفعته النار إذا لفحته لفحاً يسيراً فغيرت لون بشرته

مولد الدكتور إسماعيل أدهم ونسبه

اقتصر الأديب إبراهيم أدهم أخو الدكتور إسماعيل أدهم على أن يخطئ ما قيل عن نسب أخيه من جهة أمه دون أن يذكر الحقيقة . فرأينا أن ننقل في ذلك ما كتبه الدكتور زكي أبو شادي صديق الفقيد عنه في مجلة (أدبي) :

« ولد إسماعيل أحمد أدهم في ١٧ فبراير سنة ١٩١١ بمدينة الإسكندرية من أب تركي وأم ألمانية . فأما والده فهو أحمد بك أدهم الأميرالاي في الجيش التركي سابقاً ، وجده إسماعيل بك أدهم أستاذ الأدب التركي بجامعة برلين ، وجدُّ أبيه إبراهيم أدهم باشا ناظر المعارف المصرية على عهد ساكن الجنان محمد علي باشا ، وقد شغل أيضاً من المناصب منصب محافظ القاهرة وناظر الأوقاف وناظر الحربية في مصر . وأما والدته فهي السيدة إيلين فانتهوف كريمة البروفسور فانتهوف الشهير عضواً كاديمية العلوم البروسية »

نوّت بالحمل وناء بي

بهذا العنوان نشرت الرسالة للأستاذ عوض عوض الدحة كلمة يناقش فيها الأستاذ الطنطاوي حول تعبيرين هما : « نوّت بالحمل ، ناء بي الحمل » فالأستاذ الطنطاوي يرجح الأخير ويومئ إلى أنه هو الأصح رغم شيوع عكسه ، بينما الأستاذ عوض يستملح التعبير الأول ويستدل على هذا بما عثر عليه في بطون المعاجم وأسفار الأدب

وليسمح حضرة الناقد بالانتقال معي إلى خير حَكم ، وهو الكتاب المبين فقد ورد فيه حكاية عن قارون في سورة القصص « وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة » أي لتُنيء العصبة بثقلها ، ومن الواضح أن هذا التعبير أنسب وأوجه ليتحقق المعنى المقصود .

أبو الفضل السباعي ناصف

كان ذلك فى أواخر شهر أيار ، وأريج الزهر العطارى يعبق فى الجو ، ويدخل العربات ، التى ظلت نوافذها مفتحة ، وكان شجر البرتقال والليمون فى إبان إزهاره ، وأريج زهره الناضر يعبق فى الجو ويتطاير مع النسيم برقة وعذوبة وقوة ، فيفعم الأنوف ، ويملأ الخياشيم ، ويمتزج برائحة الورود الفواحة العطرة التى كانت تنبت على طول الطريق بكثرة مفرطة كما ينبت العشب أو الكلأ فى البساتين وأمام الخرائب المتهدمة ، وفى الحقول والمزارع أيضاً

لقد كانت هذه الورود والأزاهير فى المكان اللائم لها على هذا الشاطئ الوديع ، وكانت تملأ جو البلدة بشذاها الفواح ، وأريجها المتضوع ، حتى إنها تجعل النسيم حلواً طيباً كقطعة من حلوى ! وليس ذلك ما تصنعه فحسب بل كانت تجعل من النسيم شيئاً ألذ من الخمر ، ولكنه مسكر كالخمر !

أما القطار ، فكان يسير الهوينى ، كما لو أنه ينوى عامداً أن يطيل مشيته فى هذه الحديقة الحالمة ؛ وكان يقف بين الآونة والأخرى فى المحطات الصغيرة أمام بعض المنازل البيض ، ثم يستأنف مسيره الهادئ الوانى ثانية بعد أن يصفر طويلاً ، لم يكن أحد يركب القطار من تلك المحطات ، ولم يكن يُرى أحد أيضاً ؛ حتى إن المرء ليحسب أن الخليقة ناعسة بأسرها ، وأن أحداً لا يجد القوة والنشاط لتغيير موضعه فى ذلك الصباح اللاهب من فصل الربيع

وكانت المرأة البدينة تسبل جفنيها بين الآونة والأخرى ثم تفتحهما على حين غرة ، عند ما تشعر بأن السلة التى وضعتها بين قدميها على وشك السقوط ، فتمسكها بحركة سريعة نشيطة ، وتمد رأسها إلى النافذة ، وتمتع ناظريها بمشاهد الكون المرئية ، ثم تعود إلى إغماض جفنيها من جديد ، وكانت بعض قطرات من العرق تلتمع فوق جبهتها ، ثم تتنفس بجهد وعناء ، كما لو كانت تعانى ضغطاً شديداً

أما الفتى القروى فقد أحنى رأسه ، واستسلم لنوم عميق لذيذ

وعند ما كان القطار يغادر محطة صغيرة ، استيقظت المرأة على حين غرة ثم أخرجت من سلتها رغيفاً من الخبز وبيضاً مسلوقاً وقارورة من الخمر وأجاصاً جيداً مورَّد الخد وشرعت تأكل

واستيقظ الشاب فجاءة أيضاً على صوت حركاتها الأخيرات وأخذ يرنو إليها ويطيل النظر إلى كل لقمة تَطعَمها وتذهب بها من بين ركبتيها إلى فمها . ومكث كذلك : مشبك الذراعين ، محلق العينين ، بارز العارضتين ، مغلق الشفتين

وكانت المرأة تَطعَم غداءها برغبة ملحة ونهم شديد ، وتحسو مع كل لقمة جرعة من صهبائها كى يسوغ طعامها ويسهل عليها ابتلاعه . وكانت تمتنع هنيهة عن طعامها بين الفينة والفينة لتستجم أولاً وترسل نفَساً طويلاً ثانياً

لقد أتت على كل ما لديها من طعام وشراب ، فلم تبُق شيئاً من الخبز أو البيض أو الأجاص أو الخمر . وما أن انتهت القروية البدينة من غدائها حتى أغمض الفتى جفنيه . ولما شعرت المرأة بالشبع ، وامتلاء المعدة ، نزعت أزرار ثوبها من عراها ، كى تصيب بعض الراحة بعد هذا الشبع المفرط . ونظر إليها الفتى من جديد ، ولكنها لم تضطرب من نظراته ولم تقلق ، بل ثابرت على فك أزرارها ، وكان ضغط نهديها التوثبين الشديد ، يبعد القماش بعضه عن بعض ، ويظهر من الفرجة — التى أخذت تتسع — شيئاً من قميصها القطنى الأبيض ، وقليلاً من بشرتها

ولما وجدت القروية البدينة نفسها أقر عيناً ، وأهدأ بالاً ، وأكثر راحة وسروراً ، رفعت رأسها إلى الفتى ، وقالت له تحدثه بالإيطالية :

— لقد بلغت شدة الحر حداً تعسر معه التنفس وضاق

فأجابها الشاب ، باللغة نفسها ، واللهجة ذاتها :

— إن الطقس حسن ، ملائم للسفر والسياحة كل الملاءمة

والتفتت إليه فسألته :

— أأنت من مدينة بيمون ؟

— بل من آستى

— أما أنا فمن كازال

لقد كانا من بلدتين متجاورتين ، فألف ذلك بين قلبيهما ، وجمع بين روحيهما ، فأخذا يتجاذبان أطراف الأحاديث . تحدثا طويلاً ... وطويلاً جداً ، عن أمور وأشياء مبتذلة ، لا قيمة لها ولا شأن يذكر ؛ أشياء تعيد العامة ذكرها ، وتكررها فى كل ظرف أو مناسبة . وهى فى الحق أقصى ما يصل إليه تفكير هذه

الطبقة الضيق . تحدثا عن البلدة ، وعن أخبارها وطرائفها . لقد كان لديهما معلومات مشتركة غزيرة ، يعرفها كلاهما بالتفاصيل والدقائق . وأخذا يذكران الأشخاص ، ويعددان الأسماء التي يعرفان أصحابها . وكانت أواصر الصداقة والمودة تزداد توثقاً بينهما كلما ذكرا شخصاً جديداً رأياه ، أو صحباه ، أو عرفاه . وكانت الكلمات تنطلق من ثغريهما بقوة وحماس ، وسرعة ونشاط ، مع نهاياتها الموسيقية الرنانة ، ونغماتها الإيطالية الحلوة .

ثم أخذ كلاهما يعرّف صاحبه إلى نفسه :

أما المرأة فقد كانت متزوجة ، ولها من الأولاد ثلاثة تركتهم إلى أختها لترعاهم ، وتقوم على خدمتهم ، لأنها أخذت تشغل منصب مرضع وفير الربح ، لدى سيدة فرنسية في مرسيليا

وأما الفتى الشاب فقد كان يبحث عن شغل ، وقد قيل له : إنه سيجد — دون ريب — عملاً في مرسيليا ، لأنهم يكثرون من البناء والعمار هناك

وما أن بلغا هذا الحد من الحديث حتى اعتصما بالسكوت

وأخذت الحرارة تزداد ، والنهار يَرْمض[1] ، وذكاء يشتد سعيرها كلما غذّت الخطا في تسلق القبة الزرقاء ، وكانت أشعة الشمس اللاهبة تسقط على عربات القطار فتزيد في شدة الحر ، وتضاعف أواره المتسعر ، وأخذت غمامة من الغبار الكثيف تتطاير خلف القطار ، وتدخل العربات . وكان أريج زهر البرتقال والورود يزداد تضوعاً وانتشاراً ، فيملأ الخياشيم ، ويفغم الأنوف

واستولت على المسافرَيْن الفتيَّيْن من جديد رغبة ملحة في الرقاد ، فاستسلما طائعين لسلطان الكرى القاهر

وعادا بعد حين ، فنفضا عن عيونهما بقايا النوم ، في وقت يوشك أن يكون واحداً . وتضيّفت الشمس[2] أخيراً ، وأخذت تدنو من البحر ، وهي تنير صفحة الماء الأزرق ، بأشعتها الأرجوانية اللألاءة ، فيزداد بريقه ، ويشتد تألقه والتماعه . وبدا الهواء الطريُّ الرطب ، أخف وطأة ، وأقل ضغطاً .

وأخذت المرضع تلهث ، وكان صدارها مفتوحاً ، وخدّاها مسترخيين ، وعيناها كامدتين ... ثم قالت بصوت ينم على الإعياء البالغ ، والأين الشديد :

— منذ نهار أمس لم أدن ثديي من طفل ، وها أنا ذي بسبب ذلك مضطربة الفكر ، مشتتة القلب ، موزعة الفؤاد ، كما لو كنت مقدمة على إغماء شديد

ولم يحر الشاب جواباً ، لأنه لم يدر ما يقول ، ولا بماذا يجيب

واستمرت المرضع في حديثها فقالت :

عند ما تملك المرأة لبناً بالقدر الذي أملك ، من الواجب عليها أن ترضع ثلاث مرات في النهار ، فإن لم تفعل أصيبت بضيق عظيم ، وغم شديد . إنني أشعر بعبء ثقيل يرزح فوق صدري ، ويكاد يحبس عني الأنفاس ، ويحطم مني الضلوع . من الشقاء والتعاسة أن تملك المرأة لبناً بهذه الغزارة والكثرة

فأجابها الفتى بنغمة الموافق الآسف :

— حقاً إنه من الشقاء يا سيدتي ... إن هـذا اللبن يقض مضجعك ويزعجك دون ريب ...

وفي الحق كانت تبدو على محياها أمارات المرض ، ويظهر في عينيها بريق التعب والإعياء . ثم جمجمت في صوت خفيض :

— يكفي أن يضغط المرء ثديّيَّ قليلاً كي يتفجر منه اللبن ، كما لو كان ماء ينبجس من نبع ، حقاً إن هذا منظره مروع ، حتى إن المرء لا يكاد يصدقه لمجرد السماع ، وفي « كازال » يتقاطر الناس عليّ كي يروا ثدييّ

— أحقاً ذلك ؟

— أجل ، إن هذا حق ، لا غبار عليه ، ولا لبس فيه ، وسأريكهما ، غير أن هذا لا يفيدني في شيء ، لأني لن أستطيع أن أفرغ شيئاً من محتوياتهما على هذه الصورة

قالت ذلك وسكتت من جديد

ووصل القطار بعد حين من الوقت ، إلى إحدى المحطات ، فوقف عن المسير . وكان في المحطة — خلف الحاجز القائم بين القطار والجمهور — امرأة هزيلة الجسم ، رثة اللبوس ، تحمل بين ذراعيها طفلاً يبكي

ووقع نظر المرضع على المرأة ؛ فقالت بصوت تمثل فيه العطف والإشفاق والرحمة :

— هذه امرأة يمكنني أن أخفف عنها ما تعاني من ضيق ، كما أن الطفل بإمكانه أن يخفف عني هـذه الأثقال التي ينوء بها صدري . إسمع يا صديقي لست غنية — لأني أترك منزلي وذويّ وابني الأصغر ، كي أعمل كمرضع ، بعيدة عن الوطن والأهل — ولكني على استعداد لدفع خمسة فرنكات في سبيل الحصول على

(١) يقال رمض النهار إذا اشتد قيظه . (٢) مالت إلى الغروب .

هـذا الطفل وإرضاعه مدة عشر دقائق ؛ إن هذا دون ريب يعيد الهدوء والسرور إلى نفسينا . يخيل إلىّ أنى سأبعث من جديد حين أفعل ذلك ، وإن الحياة ستسرى فى عروق

قالت ذلك ، ولجأت إلى أحضان الصمت تعتصم به من جديد وأخذت تمسح بيدها اللاهبة ـ حيناً بعـد حين ـ جبينها فيسيل العرق منها ويندى

— ثم قالت بصوت موجع حزين :

— لم أعد أستطيع الاحتمال أكثر من ذلك ... لم أعد أستطيع ... يخيل إلىّ أنى أوشك أن أموت

وبحركة لاشعورية أطلقت لأزرار ثوبها العنان فتفتح كله !

وبدا ثديها الأيمن للعيان، فكان ضخماً كبيراً ينتهى بحلمة سمراء ... شديدة السمرة . وقالت المرضع المسكينة شاكية متألمة :

— آه يا إلهى ! ماذا أصنع ؟ ماذا أفعل ؟ لم أعد أستطيع !..

وكان القطار قد عاد لاستئناف السير بين الأزاهير الفواحة التى تنشر شذاها العبق الذى يشتد تضوعه فى الأمسيات الدافئة . وفى بعض الأوقات كان يخيّل إلى المرء أن زورق صيد وقف هادئاً فوق صفحة الماء الأزرق الساجى بشراعه الأبيض الساكن ، وكانت صورته تنعكس فى الأمواه ، كما لو أن زورقاً آخر كان فى المكان نفسه ولكن باتجاه معاكس ، أى رأسه إلى أسفل ! ...

ورفع الفتى القروى رأسه إلى المرضع وقال لها مضطرباً مغمغماً :

— ولكن يا سيدتى ... يمكننى أن ... أن أريحك مما تعانين ! ...

فنظرت إليه المرضع بطرف مريض كليل ؛ وأجابته بصوت خفيض ذليل :

— أجل ... إن أردت يا سيدى . إنك تسدى إلىّ يداً لا أنساها . لم أعد أستطيع الاحتمال أكثر من ذلك ! لم أعد أستطيع ...

وجثا الفتى على ركبتيه أمامها ، وانحنت المرضع نحوه مقدمة إلى فمه ، بحركة من حركات المرضعات المألوفة لديهن ، حلمة ثديها الدكناء . وخلال الحركة التى قامت بها المرضع ، والتى أمسكت بها ثديها بيديها ، كى تدنيه من الرجل الشاب ، ظهر على الحلمة نقطة من اللبن ، فامتصها هذا بسرعة ورغبة ونهم ، وهو يقبض بشفتيه على الثدى الثقيل المنتفخ ، كما لو كان يقبض على ثمر شهى ! . أو فاكهة طيبة لذيذة . وأخذ الرجل يرضع لبن هذا الثدى بشره ورغبة ، ونظام ودقة .

وطوّق الشاب بذراعيه خصر المرأة ، وأخذ يضغطها كى يدنيها منه أكثر ، وكان يتناول لبنه بجرعات متباطئة متزنة ويميل برقبته يمنة ويسرة ، كما يفعل الأطفال الرضّع على التمام !

وفجأته المرأة بعد حين بقولها :

— يكفى هذا المقدار من هذا الثدى ، خذ الآخر الآن

وتناول الثدى الآخر بإذعان وطاعة وخضوع . ووضعت المرأة يديها على ظهر الشاب ، وأخذت ترسل أنفاسها ، بهدوء نفس ، وانشراح صدر ، وهى تنشق عبير الورود والأزهار الممتزج بنسمات الهواء الرقيقة التى كانت حركات القطار تقذف بها إلى العربات . وقالت له على حين غرة :

— أعتقد أنه يكفى هذا المقدار الذى ارتضعته

فلم يحر الشاب جواباً ، واستمر يحسو من هذا النبع الذى لا ينضب ، مسبلاً جفنيه ، كى يشعر بلذة أكبر ، وسعادة أعظم ولكنها أبعدته برفق وهى تقول :

— كفى ... كفى ... أشعر بتحسن شديد . إن صنيعك يا سيدى قد أعاد روحى إلى الجسد ، وبعثنى بعثاً جديداً

وانتصب الفتى واقفاً ، وهو يمسح شفتيه بظاهر كفه . فقالت له المرأة حينذاك ، وهى تُدخل فى ثوبها ، ثدييها الكبيرين اللذين ينفخان صدرها :

— حقاً لقد أسديت إلىّ يا سيدى يداً لن أنساها، إننى أشكر لك هذه المنة ، وأحفظ لك هذا الفضل

فأجابها الشاب بغنّة فيها امتنان وشكر ، وعرفان للجميل :

— ولكن عفوك يا سيدتى وغفرانك ! ... أنا الذى يجب علىّ أن أشكرك من صميم الفؤاد ، وسويداء القلب . لقد انقضى علىّ يومان ، يا سيدتى ، لم أطعم خلالهما شيئاً ...

(دمشق) عبد الغنى العطرى

{ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى — عابدين }

8ème Année No. 374

Lundi - 2 - 9 - 1940

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٣٧٤ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٩ رجب سنة ١٣٥٩ — الموافق ٢ سبتمبر سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهـــــرس

خواطر مهـــاجر ...

— ٢ —

كأنما أقبل فيضان النيل فى هذا الموسم متلكئاً مزوراً ليوائم طبع هذا العام فى خصومة السلام وعداوة الخير !

وكأنما كانت كل سنة من عمُر الدنيا نشيداً من ملحمة القدَر تتألف أبياته من تفاعيل الخير أو من تفاعيل الشر ليصح منطق الكون فيما ينتج من أفعال الناس ومنطق الطبيعة !

كل شىء من الأشياء قد انحرف اليوم عن وضعه أو خرج عن مداره ؛ لأن زلزلة الشر للأرض ، وانفجار الدواهى على الناس ، لا بد أن يحدثا الفساد فى كل معنى ، ويبعثا الاضطراب فى كل ذات . فمن توقع فى هذه السنة النازية الجهنمية خيراً أو سكينة كان كمن يتلمس الصلاح فى عمل الشيطان ، ويتحسس الطرب فى لحن الحزن !

يُخيَّل إلىّ وأنا أقرأ أنباء الحرب وأطالع أحوالَ الناس أن وشائج الإنسانية قد تقطَّعت بين بنى آدم فوقعوا فى فَترة منكرة من فترات الوحشية الأولى ، فلا وفاء بين الآحاد ، ولا ثقة بين الأمم ، ولا حِجاز بين النفوس ؛ وإنما يعيشون على الترصد والغيلة فى فزع لا يغبّ وحذر لا يغفل . فإذا أخلف النيل بعض الإخلاف — وهو فى رأى مترجمه « إميل لدوج »

معروف بخصائص الإنسانية العليا من الوفاء والسخاء والعدل — فإن ذلك لا يتنافر مع هذه الفوضى العامة المهلكة التى أصبح فيها الكذب سلاحاً مشروعاً يسمى الدعاية ، والغدر سياسة مرسومة تسمى الوقاية ، والخيانة خطة مدبرة تسمى الطابور الخامس !

* * *

على أن النيل أوفى منذ أيام فطمّى وزخر ! ففى ذات بُكرة من بُكر المنصورة الغريقة فى النور والفتور والهدوء والعطر، رأيت من مشرف القهوة شاطئيه الظامئين قد شرقا من فيضه بدم الحياة أو بذوب النضار فهما يفهقان كما يفهق اليهودى ذو الربو الهرم ! وأبصرت الزوارق التى كانت تجرّ بالأمس على رمال القاع قد غدت على صفحته الذهبية المتموجة أشبه شىء بالحمام الطائر على حقول القمح إذا استحصدت ، أو بالفراش المبثوث على رياض الشقائق إذا توردت . ثم صُوِّرَ لى أن المدينتين المتقابلتين على ضفتىْ النهر المقدس الخالد قد صمّتا إليه بوجوههما وقلوبهما كأنهما تؤديان إليه تحية العرفان ، وإلى الله صلاة الشكر ! حتى الكافورة بالغت أغصانها الشمالية فى التدلى حتى أوشكت أن تقبّل أمواجه المسلسلة وهى تنساب فى ظلها الظليل شادية بالثراء والغبطة !

حينئذ وجدتنى على الرغم منى عانىَ الوجه له مستغرق الفكر فيه ، يتردّد فى خاطرى ما ردّده الحيوان والشجر من تقديسه وتمجيده . ثم قرّ فى نفسى أن بينى وبين هذه الشجرة الغريبة وذلك الرجل البعيد قرابة شابكة ، لأنى شعرت أن بينى وبين من يسقيه النيل إخاء من رضاع الماء كما يكون بين الولد والولد إخاء من رضاع اللبن ! ووضح فى ذهنى الآن معنى ما يقول الناس من أن علاقة الفرد بالأمة هى علاقة الأخوّة ، وعلاقة الأمة بالوطن هى علاقة الأمومة . وكما يتجه فى لحظات الصفاء الروحى فكر الأخ الممنوح إلى أخيه المحروم ، اتجه فكرى فى هذه الجلوة النفسية إلى ثرانا المكروب وأكبادنا الحرّى فى صحارينا الشرقية والغربية. فقلت لنفسى وأنا أردد الطرف الساهم فى تيار النهر الجارف ودواماته المدوّمة ولججه الفائرة : كيف خفىَ على ضمائر ذوى العلم والرأى فى وزارة الأشغال أن يدعوا هذا الفيض الحيوى العظيم يتدفق أربعة أشهر فى لهوات البحر الأبيض دون أن يحبسوه بحيلة من حيل الفن الهندسى ليحيوا به موات الناس والأرض !

لو كان لمهندسى الرى فى بلادنا مطمح تُشرف نفوسهم عليه غير أن يكونوا موظفين يسجلون المناسيب ويضبطون المناوبات ويتعهدون الجسور ويترقبون العلاوات ، لوصلوا ما انقطع من أبحاث (ولكوكس) و (مسرى) حتى يبلغوا بها الغاية التى يكون بعدها كل سهل واحة وكل تل غابة . ولكن مهندسينا كسائر أهل الفكر فينا لا يعملون إلا للعيش ؛ فإذا ضمنوه هدهدوا كسلهم الرخى اللذيذ على كرسى العمل الدوار فى المكتب ، أو على كرسى الهضم الهزاز فى المنزل !

* * *

قالت نفسى وقد ساءها أن أتهم العلماء والمفكرين بقلة الوفاء بعهد الضمير : لعلهم لا يوفون بعهود الوطن والفكر إلا إذا قدّمت الأمة إليهم العرائس كما كانت تقدمها إلى النيل من قبل

فقلت لها : لا جرم أن العرائس أو الجوائز هى أقوى الحوافز لقرائح العلماء والأدباء والفنانين ، لأنهم خُلقوا لأنفسهم قبل أن يخلقوا للعلم والأدب والفن ، فإذا لم يجدوا الجزاء على ما يبذلونه للناس ضنوا به أو أنزروه ، ولكن النيل خلق لغيره كما يخلق النبي المرسل والزعيم الملهَم ؛ فوجوده أن يفيض ، وعمله أن يعطى . ومن ذلك كان أصدق خلائقه الوفاء والكرم ، فهو منذ اتصلت منابعه بعيون السماء ، وانشقت مجاريه فى صدور الأرض ، لا يزال يفى بوعده ويجود برفده على القدْر الذى يريده الله لا يملك زيادته ولا نقصه . وما كان الوفاء والسخاء غريزتين فى المصرى الحر إلا لأنه خلق من غرين نهره الحبيب ومائه . فهو لا بد موفٍ بما عاهد عليه وإن تثاقل . والتثاقل مثبّط عارض ينشأ من غفوة الضمير أو من كلال الذهن ، فتى نبه الدين الضمير وشحذ العمل الخاطر ، عادت النفوس إلى جوهرها الخالص فسخت بما تملك ؛ ويومئذ لا تجدن عالماً يكسل ، ولا غنياً يبخل ، ولا سياسياً يكذب ، ولا زعيماً يخون ، ولا صانعاً يغش ، ولا عاملاً يهمل ؛ وإنما يجرى أبناء النيل على أعراق النيل ، ينشأون أطهاراً ويشبون أحراراً ويعملون أخياراً ، ثم يذهبون أبراراً كما يذهب هذا النهر العظيم بعد أن يُخصب الجدب ويُنبت الحب ويرفع الحضارة ويقر السلام .

(المنصورة)

احمد حسن الزيات

الحديث ذو شجون

للدكتور زكى مبارك

عبد الوهاب عزام — ذكرى سعد — بين الدين والوطنية — سلامة موسى رجل غير موفق — نكتة أدبية — على هامش التاريخ المصرى القديم ، لسعادة الأستاذ عبد القادر حمزة باشا

عبد الوهاب عزام

قلت مرات كثيرة : إن الشجاعة الأدبية لا تقف عند القدرة على أن تقول للمسىء أسأت ، وإنما تسمو الشجاعة الأدبية فتصل إلى القدرة على أن تقول للمحسن أحسنت ، لأن ذلك يشهد بأن الناقد يملك السيطرة على هوى النفس

وأنا أحب أن أقول كلة فى الدكتور « عبد الوهاب عزام » بعد أن سمعت المحاضرة التى ألقاها فى المذياع عن « أخلاق القرآن » فقد بهرتْ قلبى وعقلى ، وأشعرتنى بأن من العقوق أن أسكت عن توجيه القراء إلى متابعة هذا الباحث المفضال

وإنما وجب ذلك التوجيه لأن مباحث الدكتور عزام تتسم بالدقة وتخلو من البريق ، فهو لا يجذب إليه من القارئين والسامعين غير طلاب المعانى ، من الذين يعرفون من قبل أنه باحث على جانب عظيم من الدقة والعُمق

فإذا استطعت بهذه الإشارة أن أدل قرائى على فضل هذا الباحث وأن أجذبهم إليه فسيذكروننى بالخير حين ينتفعون بما ينشر من مقالات أو يذيع من محاضرات

شعرت وأنا أسمع محاضرته عن أخلاق القرآن أن القرآن نزل أمس فهو يحدثنا بما نرى وما نسمع من معضلات الوجود ، ومع أن الدكتور عزام أضاء روحى بهذا المعنى فما أحسست أنه تكلف أو تعسف أو حاول الظهور بمظهر الغيرة على الشريعة الإسلامية ، فهو يُلقى كلاماً فِطرياً سمحاً لا زُخرف فيه ولا تنميق ، وهو ينقل إلى سامعيه آيات القرآن فى لطف ورفق حتى لتكاد تحسب أنه وجدها مسطورة فى صفحة واحدة من صفحات المصحف الشريف

فإذا أضفنا إلى هذا أن الدكتور عزام رجلٌ أريحىّ النفس ، عذب الفُكاهة ، مصقول الحديث ، حضرىّ الشمائل ، أدركنا أنه من أعيان أهل الفضل فى هذا الجيل

ولو شئت لمضيت إلى آخر الشوط فقلت : إن محبتى لهذا الصديق قد اتصلت بالفكر والروح أكثر من عشرين سنة ، وما أذكر أبداً أنى أحصيت عليه هفوة واحدة من هفوات الفكر والروح

فى الدكتور عبد الوهاب عزام عيبٌ واحد هو الهدوء ، ولكنه هدوء الطمأنينة لا هدوء الجمود ، فأرجو من القراء ومن المستمعين أن يذكروا أن هـذا الرجل لا يكتب أو يتحدث إلا ليواجههم بأشياء من المعانى الصِّحاح فى الأدب والخُلُق والدين والتاريخ .

ذكرى سعد

من تحصيل الحاصل أن أقول إنى لم أكن وفديًّا فى يوم من الأيام ، والوفد يعرف ذلك ، ومن أجل هذا كان يتغاضى عما أبثه فى مقالاتى من الدعوة إلى مبادئ الحزب الوطنى حين كنت أشتغل بالتحرير فى الجرائد الوفدية

وكنت أحضر الحفلات التى يقيمها الوفد لذكرى سعد تأييداً للمعنى الجميل الذى تنطوى عليه ، ثم هجرتُ تلك الحفلات بعد أن صارت تقام فى مكانين : أحدهما للهيئة الوفدية ، وثانيهما للهيئة السعدية ، تجنباً للظهور بمظهر التحزب لأحد الفريقين ، ولى فيهم أصدقاء أعزاء

وفى اللحظة التى أكتب فيها هـذا المقال تقام حفلتان لذكرى سعد ، وكان فى نيتى أن أحضر هاتين الحفلتين بلا تفريق لأواسى أصدقائى هنا وأصدقائى هناك

فما الذى صدنى عن حضور هاتين الحفلتين ؟

أذكر السبب فأقول :

لما مرض رفعة النحاس باشا ترفق سعادة الدكتور ماهر باشا ومضى لعيادته ، على ما كان بينهما من ضغائن سود وقفتهما حاقدَين أمام محكمة الجنايات

ولما عُوفى النحاس باشا مضى لزيارة من عادوه من الكبراء ،

واتفق أن لم يجد الدكتور ماهر باشا فى داره فترك له بطاقة وانصرف ، وإلى هنا أدى النحاس باشا واجبه تأدية صحيحة ، ولكنه رأى أنه كان يجب أن يُشعر الدكتور ماهر بزيارته لينتظره ، فترفق وأخبره بأنه سيزوره مرة ثانية ، ثم كان تلاقٍ كريم بين صديقين قديمين فرّقت بينهما اللجاجة الحزبية ، وهى خلاّقة المآثم والعيوب

هذا تصرُّفٌ نبيل من هذين الرجلين ، فهل تعرفون كيف كان تأثير هذا التصرف النبيل فى الجرائد الوفدية والسعدية ؟

ظل التلاحى على ضِرامه بين جريدة المصرى وجريدة الدستور ، ولسان حالها يقول :

إذا ما الُجرح رم على فسادٍ تبيَّن فيه تفريط الطبيب

فهل يُلام مثلى إذا أحزنته هذه الحال فلم يشترك فى الاحتفال بذكرى سعد ؟

للسياسة فنون ، ومن فنون السياسة أن يكون الرجل أخاً صادقاً لجميع المواطنين ، وكذلك تتحول السياسة إلى وطنية صحيحة تكره الهدم والتجريح

اختلفوا ما طاب لكم الخلاف ، يا بنى وطنى ، فالخلاف دليل الحيوية ، ثم احذروا العداوة والبغضاء ، لأنهما لا يصدُران عن أرباب القلوب

بين الدين والوطنية

يظهر أن مقالى فى نقد الأستاذ سلامة موسى لم يُرض جميع القراء ، فقد تلقيت خطاباً صدَر عن مدينة فارسكور ، وهو خطاب لم يخلُ من تحامل ، وإن كانت عبارات كاتبه تشهد بأنه من المطلعين ، وكيف لا يكون كذلك وهو « ضبع » ؟!

وأنا أحرص أشد الحرص على إزالة ما قد يقع بينى وبين قرائى من أسباب الشقاق ، لأنى طيب القلب إلى أبعد الحدود ، وإن قال قوم بأنى سأكون من حطَب جهنم ، لطف الله بهم وهدانى !

فما الذى كنت قلت فى ذلك المقال ؟

أذكر أنى قلت إن من واجب كل مصرى أن يعطف على العروبة والإسلام ، لأنهما سناد مصر فى الشرق ، وأذكر أنى قلت إن اهتمام الأستاذ مكرم باشا عُبيد بحفظ القرآن هو مظهر من مظاهر الوطنية ؛ فجاء كاتب الخطاب من فارسكور يقول :

« أهذه هى مقاييس الوطنية ؟ »

وأقول : نعم ، هذه مقاييس الوطنية ، بشهادة الأستاذ مكرم باشا عبيد

ولكن كيف ؟

ظهر الأستاذ مكرم عبيد على مسرح السياسة سنة ١٩١٩ قبل أن يولد كاتب الخطاب من فارسكور ، وكنت أنا يومئذ من المكتوين بنار الثورة المصرية ، فهل يعرف الناس كيف التفتنا إلى مكرم عبيد فى ذلك العهد ؟

كان مكرم سكرتيراً لأحد المستشارين الإنجليز ، ثم اندهش رئيسه من أن يشترك مع الموظفين المُضربين ، وكان اندهاشه لأنه يعرف أن مكرم عُبيد قبطىّ ، ولأنه يتوهم أن الأقباط لا يشاركون المسلمين فى الثورة على الاحتلال

ورأى مكرم أن يصحح موقفه أمام رئيسه فكتب إليه خطاباً يشرح له فيه كيف استجاز لنفسه أن يُضرِب مع المضربين ، وساق فى ذلك الخطاب حديثاً لأحد القسيسين الأقباط قال فيه : « إذا صح أن الأقلية القبطية ستكون عقبة فى طريق الاستقلال فسندعو الأقباط جميعاً إلى الإسلام لتسقط حجة المحتلين »

وقد طبعنا خطاب مكرم عبيد إلى رئيسه الإنجليزى ومضينا فوزّعناه على الجماهير لنذكى به روح الوحدة القومية

ثم ماذا ؟

ثم نظر مكرم فرأى أن أبويه كانا سمّياه « وليم » فاستغنى عن اسمه الأجنبى واكتفى باسمه الوطنى ، وهو اسمٌ عربىٌّ صريح كان علماً لأحد أقطاب الأشراف بهذه البلاد

ثم ماذا ؟ ثم ماذا ؟

ثم صرح مكرم باشا فى خطبة شهيرة بأنه مسلمٌ وطناً ، وأزهرىٌّ ثقافةً

فما معنى ذلك يا كاتب الخطاب من فارسكور ، عليها أطيب التحيات ؟

معناه أن مكرم باشا يرى الإسلام من أكبر عناصر الوطنية المصرية ، وأن الثقافة الأزهرية من مظاهر تلك الوطنية

وإنما استبحت لنفسي أن أخوض في هذه الأحاديث الشوائك لأني واثق بأني لن أجد من يتهمني بالتعصب الديني ، فأصدقائي الحقيقيون في مصر أكثرهم من الأقباط ، ولي بين نصارى الشام والعراق إخوان أوفياء يرونني أكرم صاحب وأوفى صديق ، وأراهم من أطيب الذخائر في حياتي ، ومن مسالكهم النبيلة أستمدّ التأييد لهذا الرأي الصريح

سلامة موسى رجل غير موفق

الأستاذ سلامة موسى صديق عزيز ، وقد تحدثت عنه في مقالاتي ومؤلفاتي بما هو له أهل ، وقد دفعت عنه قالة السوء حين كنت في العراق ، فقد كتب الأديب مشكور الأسدي خطاباً وجّهه إليّ في جريدة « الكلام » عن حقيقة سلامة موسى

ثم شاءت المقادير أن تعطّل الجريدة قبل أن تنشر جوابي وهو ثناء مستطاب على الصديق الذي كنت أحاربه بقلمي وأصافحه بقلبي

والحق أن الأستاذ سلامة موسى رجلٌ غير موفّق ، فهو يغمز العروبة والإسلام من وقت إلى وقت بلا موجب معقول ، وما ذكّرناه بسلامة الأستاذ مكرم عبيد إلا لندله على أن عقلاء الرجال لهم مسالك غير التي يسلكها ، وهل كان مكرم باشا أول قبطي هدته الفطرة السليمة إلى أن القومية المصرية قومية إسلامية ؟

أذكر في هذا المجال الأستاذ وهبي بك مدير المدارس القبطية في الجيل الماضي القريب ، فهو الذي عرّب أسماء تلاميذ من الأقباط ليزج بهم في غمار المجتمع الإسلامي

وأذكر الأستاذ وهيب بك دوس أحد خطبائنا الكبار ، وأحد المتفوقين في الأدب العربي ، وأحد العارفين بأسرار الشريعة الإسلامية . أنا المسئول عن حقيقة هذا الثناء ، فما رأت عيني أديباً في مثل براعة وهيب دوس ، مع استثناء أفراد قلائل يسيطرون على الحياة الأدبية ، ويذيعون الثقافة المصرية في الشرق

وأذكر القس ابراهيم لوقا راعي الكنيسة القبطية بمصر الجديدة ، وهو الذي اتهمته جريدة المكشوف بأنه ينقل عن بعض قساوسة لبنان ، ولو رآه حاسدوه وهو يهدر باللغة الفصيحة لأيقنوا أنه في غنى عن انتهاب الأفكار والآراء

وأذكر جريدة الإنذار بالمنيا وكدت أحسبها جريدة إسلامية لحرص صاحبها على نشر محاضرات الوعاظ من المسلمين

وخلاصة القول أن جمهور الأقباط في مصر لهم نزعة إسلامية عميقة ترجع إلى صدقهم في الوطنية . وقد كان الأقباط أصهار الرسول ، وهي وشيجة يحفظها الكرام من جيل إلى جيل ، وكذلك يصنع جميع الأفاضل من الأقباط ، إلا رجلاً واحداً يتجنى على العروبة والإسلام من حين إلى حين ، وهو الأستاذ سلامة موسى على أرجح الأقوال !

نكتة أدبية

قيل إن الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده كان يلام على اصطفائه للشاعر حافظ ابراهيم ، وكان شاعرنا حافظ فيما يذيع المرجفون رقيق الخُلُق والدين ، فقال الشيخ محمد عبده : لقد صحبني حافظ ابراهيم عشرة أعوام فما استطعت أن أهديه ولا استطاع أن يضلني !

وأقول إنني صحبت الأستاذ سلامة موسى عشرة أعوام فاستطعت أن أهديه قليلاً ، وما استطاع أن يضلني ؟

وهل ترجع أيامنا بجريدة البلاغ وكنا شباناً نضطرم بجذوة الحرية العقلية ؟

كنا نجلس في مكتب واحد وجهاً إلى وجه نتساق حلو الأحاديث ومرّ المقالات

وهل فر الأستاذ سلامة موسى من وجه ناقد كما فر من وجهي ؟

ومع ذلك كان هذا الرجل أول من يتقدم لنصرتي في أيام الشدائد ، لأن سلامة رجل والرجال قليل

إليّ يا صديق ، فما يستطيع الخلاف في الرأي أن يفسد ما بيني وبينك ، لأن الصداقة رأي يفوق جميع الآراء ، ونحن أولياء الصداقة في هذا الجيل المرتاب

التاريخ المصري القديم

كنت قلت في العدد الصريح الذي أخرجته مجلة « الإثنين » : إن الأستاذ عبد القادر حمزة باشا إمام من أئمة العقل ، ولكنه لا يجيد إلا حين يغضب ، وقد قلّت غضباته منذ عامين

كذلك قلت ، ولم أكن أعرف أن عبد القادر باشا سكت عامين ليستعد لإخراج كتابه النفيس « على هامش التاريخ المصرى القديم »

فما هذا الكتاب ؟

هو تحفة من تحف المنطق والعقل والذوق

هو سلسلة ذهبية تربط حاضر مصر بماضيها فى ترفق وتلطف ، وتروض المصرى على الاقتناع بأنه نشأ فى بلد كان المصدر الأصيل لجميع المدنيات

كان ابن العميد يقول : كُتُب الجاحظ تعلم العقل أولاً والأدب ثانياً

وكذلك أقول فى كتاب عبد القادر حمزة أو كتب عبد القادر حمزة ، لأن له أبحاثاً تاريخية سبقت كتابه الجديد ، وهى نماذج حية لقوة الأدب وسيطرة العقل

لا تجد فى هذا الكتاب عبارة تشعرك بأن المؤلف يتعسف فى تفسير النصوص ، أو يحاول إعطاء مصر ما ليست له بأهل ، وإنما تشعر بأنه باحث صادق يحاول تبيين ما لمصر من مزايا ذاتية بلا تزيد ولا إسراف

ويظهر من كتاب عبد القادر باشا أن المؤرخين متفقون على أن مصر هى مهد المدنية فى التاريخ ، وأن هناك آراء فى المفاضلة بينها وبين وطن الكلدان الذين كانوا يسكنون أحواض الفرات

معنى ذلك أن الحضارة القديمة مدينة لبلدين اثنين هما مصر والعراق .

ومعنى ذلك أيضاً أن المنافسة بين دجلة والفرات والنيل منافسة أزلية ، وأن التشابه بين المصريين والعراقيين فى الألوان والوجوه ومخارج الحروف له أصول ترجع إلى مئات الأجيال

كنا وكان العراقيون فى التاريخ القديم

فمتى نرجع إلى السيطرة على العالم فى التاريخ الحديث ؟

« لا حياة مع اليأس ، ولا يأس مع الحياة »

ولا بد يوماً أن تُرَدّ الودائع ، ولو طال مطال الزمان

زكى مبارك

خواطر فى الحرب

للأستاذ محمد عرفة

حدثتنى من لا أبهمها فى الحديث أن زوجها بنى بها قبل الثورة العرابية بقليل ، وكان صغيراً وقد ترك له والده ضيعة واسعة ، فلما كانت الثورة العرابية وهاجر الأسكندريون إلى البلاد التى يظنون فيها الأمن نزح كثير منهم إلى بلده وكان منهم فقراء ومعوزون فرأى حاجتهم ، ففرق فيهم البر الذى أغلته ضيعته حباً ودقيقاً وخبزاً ، فدخلتْ علىَّ جاراتى وذكرن صغر زوجى وما يُستلزمه الصغر من السفه ، وأنه فرّق غلة العام على المهاجرين فاعذليه فى ذلك ، فإن لم يصخ فاشكيه إلى أبيك .
قالت : فعذلته ، فقال : ويك لا أسمع قول العاذلين

فشكوته إلى أبى فقال : يابنيتى قدّرى أنك المهاجرة فهل كنت تودين أن يمنع ذوو المعروف عنك معروفهم . أو كنت تودين أن يعطوك الفضل من مالهم وتحقدين على من لم يعط . يا بنيتى إن فى هؤلاء المهاجرين من كان آمناً فى سربه ، مُعافىً فى بدنه ، واجداً قوت عامه ، فكفى عن عذله ، فلم يفعل إلا الصواب.
هذا رأى أبى فما رأيك أنت ؟ ، فقلت : هى رفقة قد ضلوا فى صحراء موحشة وقد فقدوا ماءهم إلا واحداً قد بقى معه فضل من مائه ، أيجوز له أن يمنعه رفقته حتى يهلكوا عطشاً ، أم يلزمه أن يعطيهم من فضل مائه ليستعينوا به على قطع الطريق حتى يصلوا إلى العمران ؟ قالت : يلزمه ألا يمنعهم ماءه لئلا يهلكوا عطشاً ، قلت : وهذا ما فعله زوجك

وقد دار الدهر دورته وجاءت هذه الحرب واضطر بعض أهل المدن إلى الهجرة إلى الريف ، وإن منهم صناعاً تركوا صناعتهم ، وعمالاً تركوا عملهم ؛ فهل من أغنياء الأمة من يكونون لهم كما كان ذلك المحسن العظيم ؟ قد كان فى الإمكان أن نقول للحكومة افعلى ، ولكننا اغتنمناها فرصة لنربى فينا خلق المحبة والإيثار ، والكرم والإعطاء وروح التناصر والتعاون

إذا كنت رباً للقلوص فلا تدع صديقك يمشى خلفها غير راكبِ

أنخها فأردفه فإن حملتكا فذاك وإن كان العقاب فعاقب

محمد عرفة

الى الباكين على فرنسا أيضاً

بين أبراج العاج وأكواخ الطين

للأستاذ عبد المنعم خلاف

أننظر للحياة من أفق بعيد نظرة سكان الأبراج العاجية من الفلاسفة والصوفيين والعلماء المنتهين الراصدين للحياة من بعد ، والذين هم فى راحة بعالمهم الرحب الذى فيه لكل خطأ تصحيح ولكل إثم غفران ... وحينئذ فلا علينا إن سقط وطن أو أهينت عقيدة أو هيض جناح قوم أو هضم حق ؛ فإن هذه ظواهر أبدية للحرب بين الخير والشر ، وهذه هى شئون الدنيا وسير دولابها : « فالكلاب على البقر » والذئاب على الغنم...؟

أم ننظر للحياة من قرب نظرة سكان الأكواخ من العبيد والمساكين والمضطهدين الذين يعيشون بغيظ المحروم ، وحقد المغصوب ، وشعور الذى يجد الحياة مباحة لكل نفس دخلت رحابها ، ولكن يد الظلم هى التى قيدتها وضيقتها ووزعتها بموازين مختلة ومعايير قاسطة ... فلسنا بعد هذه النظرة بمحتفلين لشىء من دنيا الظالمين المترفين ، ولا بباكين عليها حين تتحطم بعلومها وآدابها وفنونها وتهاويلها وتزاويقها : « فإذا مت ظمآناً فلا نزل القطر » ، « وعلىّ وعلى أعدائى يا رب » ؟

إن الأبراج من طبيعتها العلو ، والعلو من طبيعته كشف ما حوله فى محيط أوسع ، وهو دائماً يجعل الأشياء الأرضية صغيرة حساً ومعنى . ومن طبيعته أيضاً البرودة والتجمد ... ولكن الأكواخ من طبيعتها الالتصاق بقرار الأرض والإحساس بحرارة معترك الحياة فيها ، والاختلاط والانبهام والتداخل بين مشاهدها ؛ فلا تمييز فيها بين كل حق وكل باطل ، وكل بر وكل إثم ، وخصوصاً فيما يتصل بالعداوات والحزازات

أما والله لو كان الذين يبكون على فرنسا من أمة غير العرب الذين ذاقوا من كيد فرنسا فى مختلف بقاعهم وبخاصة شمال أفريقية ، لكان لهم بعض العذر فى أن ينظروا لحياة قوميتهم وحياة أعدائها نظرة ساكنى الأبراج العاجية الذين لديهم لكل إثم غفران ، وعندهم المقدرة على رحمة أعدائهم ومباركة لاعنيهم ...

ولكن هؤلاء الباكين من أمة يضرها ويخزيها أن ينظر فريق من أبنائها فى غير الأفق الطبيعى الذى يليق بأمثالهم . يضرها أن ينظروا نظرة الباردين الذين ذهبت منهم « الوحشية » التى لا بد منها لكل إنسان يحرص على حقه فى الحياة الكريمة التى تحفظه حراً لا يستعبد روحه وإن استعبد جسمه

إذاً فلننظر للحياة نظرة المدركين لوضعهم فى الحياة، المحرومين من الحرية واجتماع الشمل ، بل فلننظر للحياة نظرة المدركين لوضعهم فى عين فرنسا نفسها ؛ فهى تنظر إلينا كأعداء ... وإن هذا الإدراك يدعونا دائماً إلى الكفاح لاستكمال سيادتنا ورفع النير الثقيل عن عاتق قوميتنا

ولنحذر من الإسراف فى شهوات العقل والتمتع بالترف العقلى والبدنى الذى هو لدى أعدائنا حتى لا يصيبنا التخدر والذهول عن وضعيتنا الراهنة ، وإن للعقل لشهوات تخدر الروح وتقعد بها عن الكفاح للحرية كشهوات البطن والفرج سواء بسواء !

هى فى ميزان الأخلاق كالرشوة بالدينار والمرأة والكأس . فكل من خدرته دنيا الغاصبين لحقوق قوميته أو عقيدته فنسى وضعه فى أعينهم ، ومد عينه إلى ما عندهم من زينة الحياة وأحبهم من أجلها ، ونسى مرارة العداوة ، ولم يقف فى صفوف المألومين من قومه ، فهو لا شك مرتش قبض رشوته من شهوات عقله ونفسه

إننا الآن نشاهد أمماً حرة عالة مثقفة تحطم حياة أمم أخرى عالة مثقفة حرة مثلها فى سبيل إرضاء ما تعتقده كرامتها وكمال وجودها ، ولا تبالى فى هذا التحطيم بروح تلك الأمة المحطومة ولا مواريث ثقافتها ولا متاحفها التى تبين عن « روحها الحلوة » الحاطم والمحطوم من أرق شعوب الأرض وبينهم رحم فى التاريخ والجنس والعقيدة ... ومع ذلك لا يفرقون فى حربهم بين السياسة والفضيلة ؛ فكيف يطلب منا نحن المغيظين المحنقين المحرومين من كل شىء المنظور إلينا كأننا من أفق حيوانى دنىء ، أن نفرق بين أساليب أعدائنا الاستعمارية وبين روحهم الحلوة وثقافتهم الممتازة التى لم يقدموا لأبناء عقديتنا وقوميتنا شيئاً منها إلا ما هو بمثابة السروج واللجم التى تمكنهم من ظهورهم ؟ !

بل أدهى من ذلك وأمر : يضع فلاسفتهم – وهم من سكان الأبراج العاجية التى توحى بسمو النظرة – الخطط لتحديد ما يقدم لأبناء قوميتنا من العلم وما يمنع عنهم : فهذا « غوستاف لوبون »

الفيلسوف الفرنسى الذى لم ير العرب مثله إلا قليلاً فى دفاعه عنهم وبيانه لتاريخهم وفضائلهم ووقوفه على أسرار فكرهم وروحهم ؛ تراه فى كتابه « روح التربية » يعقد فصلاً للبحث فى تربية أبناء المستعمرات - ومنهم العرب الذين تحت حكم فرنسا - ينادى فيه بوجوب تحديد ما يقدم لهم من الثقافة بما لا يخرج عن نطاق التعليم الأولى ... !

فأنت تراه حين تدور مصلحة قومه ووطنه ينزل من برجه العاجى ، ويخلع ثوب الفيلسوف المنصف ، ويلبس ثوب المستعمر الظالم والوصى الحريص الذى لا يريد للقاصر بلوغ رشده أبداً ... وبهذا تلتقى نظرته بنظرات ساكنى الأكواخ ورجال الشوارع وأرباب المال والأعمال وحمى استذلال الشعوب من الفرنسيين الذين يعيشون فى نطاق المصلحة المادية والأنانية الشعبية ولا ينظرون لمبادئ ثورتهم التى ملأوا الخافقين دعاية لها

والأمة التى يريد « لوبون » تقييد عقولها هى التى أخرجت « ابن خلدون » أبا فلسفة التاريخ والاجتماع اللذين نبغ فيهما « غوستاف » ... فيا للعقوق !

وعلى هذا فلا ضير على ولا جناح ولا ملام حين أطلب من الباكين لما نزل بفرنسا أن يبكوا عليها وحدهم بصوت خفيض لا يسمعه إخواننا العرب الباكون ليل نهار لما ينزل بهم من فرنسا ... وإلا كان هذا البكاء منا شماتة بالعرب أنفسهم أو تبجحاً بجرح شعورهم الذى يتألم منذ مائة وخمسين سنة غداة احتلت فرنسا ديارهم ولم تسمح لهم بحرية العلم الذى هو وطن الإنسانية جميعها

وهل من الشماتة يا صديقى نجيب أن أفرح لضعضعة سلطان غاشم جاثم على صدر بنى دينى ودمى ، لا يسمح لهم أن يتنفسوا أنفاس الحرية ويتمتعوا بالعلم والثقافة والنتاج العقلى الفرنسى الذى فتنك حتى أحببتهم ودافعت عنهم وبكيت لهم ؟ ! وإذا كانت هذه شماتة فكيف يكون الشعور بالوطنية ووحى الدم المتحد ؟ !

إن كانت هذه شماتة فأنا أول الشامتين ! وأنا بها إنسان موزون القوى صحيح الطبيعة ، لم تخدرنى عن واجباتى صوفية صناعية ومجاملة بلهاء فى تغطية مشاعرى نحو بنى دينى ودمى .

وأنا بها أيضاً برىء من طفولة النظرة إلى ما عند أعداء قومى ودينى ، ومن الانخداع فيهم ، ومن نسيان أول حق يجب أن يراعى ، وهو حق الحياة والحرية والعلم

ونحن إذا طاوعنا أنفسنا فى الافتتان بما عند الأوربيين من الفن والأدب خيره وشره ، وألقينا إليهم السلم ، ونسينا أنهم غصبوا حقنا الأول فى الوجود ، فأولى بنا أن نترك لهم أوطاننا ، وننحاز بحضارتنا الروحية التى من شأنها أن تمدل ماديتهم ، وتكسر من شرتها وحدتها ، إلى الصحارى لننجو بصحة العقائد فى الحياة وربها ، والقيمة السامية للانسانية فيها

نعم ، ذلك أولى من الفناء فيهم والإعجاب بهم إعجاباً يحملنا على نسيان نظرتهم إلينا ، وعلى اغتفار جناياتهم على أرواحنا وعلى كرامتنا

إنهم يا نجيب هم الذين صيرونا كما ترى وكما تنى « نعيش عليهم كما تعيش الطفيليات عبثاً على غيرها »

وإنك لتذكر أننا سبقنا اليابان فى نهضتها المضارعة لنهضتهم الآن ، وذلك بقيادة محمد على ذى العمامة المجراء والجبة القوراء ... ولكنهم هم الذين اشتركوا فى تحطيم نهضتنا لنعيش عالة عليهم ... فتنتفخ جيوبهم وتمتلئ ديارهم بألوان الترف والنعيم

إنهم جعلوا أهمهم أن نكون سيئى الظن بأنفسنا ، حتى أوشكنا أن نصدق دعاويهم فينا أننا أحط منهم بحيث لا يمكن أن نرق إليهم .

والله الذى خلق الناس أنواعاً يشهد ويشهد معه أولو العلم ، أن جوهر ابن آدم واحد ولكنها التربية والعلم هما (الحجران السحريان) اللذان يرفعانه إلى أعلى عليين أو يخفضانه إلى أسفل سافلين ...

* * *

حين تكفر فرنسا بأغلى مواريث حضارتها ، وهى مبادئ ثورتها ، وتعذب الإنسان وهى التى زعمت وزعم لها أبواقها أنها معلنة حقوق الإنسان ووطن الأحرار ، فكيف تطلب منا يا نجيب أن نصدق فلسفاتها الفردية وأن نمشق روحها الحلوة التى تبين عنها فنونها ؟ ! إنها كفرت بفلسفتها الإجماعية التى لم ترق لها مداداً على ورق بل أراقت لها دماً غزيراً وأزهقت فى سبيلها أرواحاً لا عدد لها ، وحطمت من أجلها ملكاً كبيراً فى ثورة جنونية ... فكيف تريدوننا أن نبكى على شىء من ميراثها بعد ذلك ولو كان أصفى ما أنتجه العقل وأروع ما أخرجه الفن ، مادامت الفلسفة الفردية والإجماعية لم تؤثر فى نفوس من يحكمون الناس باسمها ؟

إذا كفر رسول برسالته فهو دجال مشعوذ لا يؤمن به إلا الحمقى والمغفلون وتابعو كل ناعق ممن تنزلت عقليتهم عن مقام أهل الفكر الذين وكل الله إليهم إدراك وجهة الحياة وإقامة الأحكام بالقسط على الناس ...

إذا كان حقاً ما تقول من أن أبناء جميع المستعمرات يأملون

فى فرنسا على قدم المساواة مع الفرنسيين ... فهل نطلب من أبناء المستعمرات جميعاً أن يرحلوا عن أوطانهم ويسكنوا فرنسا ليحظوا بالحرية والكرامة والعلم والوقوف على قدم المساواة مع الفرنسيين ؟

كلا ! لن يبيع عرب الجزائر وتونس ومراكش وطنهم بوطن آخر ولو كان فرنسا إلا إذا باع الفرنسيون الآن وطنهم للألمان لأنهم احتلوه بالقوة والطغيان ، وإلا إذا ذهبوا أوزاعاً وأخلاطاً ليسكنوا ألمانيا ويندمجوا فيها وينزلوا عن جنسيتهم ليحظوا بشرف المساواة مع السادة ...

ويح عقول مثقفينا ! بل ويلها ! إنها فى ضلال وخديعة ما يغنى لها أسف ذوى القلوب البسيطة التى تصدر عن سلامة الفطرة وبراءة الفكرة ...

وبعد هـذا ، أنحن الذين « لم يقوموا بهذه الحركة الشامتة وهم متبينون ما يجرى فى نفوسهم ، وأن بعضهم لم يكتب ما كتب مخلصاً لفكرة أو مؤمناً بحقيقة » ؟

* * *

أنا ما « شهدت متاحف فرنسا ولا تلك اللوحات التى تصور بألوانها وظلالها جمال النفس ولا حلاوة الروح » ، ولم أحبب كما تريدنى يا نجيب هذه الروح الممتازة ... إذ لا يمكن أن أحب جلادى قومى ومعطلى روحهم وقواهم وذكائهم الممتاز الذى حفظ شعلة الثقافة والعلم ونماها حتى أسلمها لهذه الأيدى العاقة الجاهلة بسير التاريخ وتقلباته بالدولات والأمم . . . فلا أفتتن بالأصباغ والألوان الزاهية وأنسى الحقائق القاتمة المنتنة ...

ولم أشهد كذلك تلك اللوحات التى فى « قاعة الوقائع » فى فرساى ، إذ ينبغى أن نكون فى شغل عنها برؤية الوقائع السود الدائمة والمعارك الظاهرة والخفية التى تشنها فرنسا على قومك فى الشرق والغرب : فى سوريا ومصر وشمال إفريقية ...

لو سقطت فرنسا تحت أقدام قومى لخشعت فى حضرتها « فما أنبل أن تخشع فى حضرة عدوك يوم يسقط صريعاً تحت قدميك ! » كما قلت يا نجيب . . . ولكن فرنسا حطمت وهى لا تزال جاثمة على صدر قومى . . . وقد فرحت لصرعها أملاً فى أن يزحزحها قومى عن صدورهم ثم ينهضوا ليؤدوا لها تحية الخشوع التى تراها الأخلاق من النبل

أما الآن وفرنسا لا تزال سجانة فى ديار العرب ، وإن كانت سجينة فى ديارها فكيف تطلب منى أن أبكى عليها وهى لا تزال ثقيلة الوطأة ثقل جثث الأموات ... ؟!

أولى بسكان الأبراج العاجية من كتاب العرب أن ينزلوا إلى منطق أهل الأكواخ المكتوين بنار الحياة حين يتحدثون عن قوميتهم وعقيدتهم كما يفعل أمثالهم فى جميع الأمم قويها وضعيفها ، وأن يتكلموا فى هـذه الحقبة من تاريخ الأمة العربية بلسان بنى قومهم المحكومين المحرومين فى أفريقية وآسيا ، الذين لم يزوروا باريس أو غيرها ولم يفتتنوا بدنياها . . . فإنهم لو تكلموا بلسان غير هذا ، لكذبتهم الملايين التى استهلكت فرنسا قواها وتركتها تدخل إلى الحياة وتخرج منها ، وهى على جهل وفقر وألم وسخط .

وطبيعى أن الإنسان الإفريقى والأسيوى المحكوم بفرنسا هو أولى الناس بالحكم على النفس الفرنسية ، لأنه هو الذى احتك بها وخبرها خبرة عملية فى مجال وصايتها عليه ، وعرف كذب فلسفاتها وفنونها وإفلاسهما فى تهذيب أفضل عمل للانسان : وهو الرياسة والسياسة

ولن يبالى هذا الإنسان المحكوم أكانت فرنسا حقيقة بلاد الفردوس المفقود فى المساواة والعدالة والفن والعلم كما أراد أن يصورها الباكون عليها ؛ أم كانت بناء قائماً على براكين اجتماعية وأنانية وتفسخ عائلى وتدليس اقتصادى كما يصورها عارفوها الذين لا يفتنون بالظواهر والقشور ، وكما صورتها أحداثها الأخيرة التى رأينا فيها أكبر قائدين فيها كأنما يقولان للفرنسيين قبل الهزيمة : « قاتلوا من أجل روح فرنسا ! » ينقلبان بين عشية وضحاها بوقين يصبان اللعنات كل يوم على روح فرنسا ... ويديران دفة الحكم تحت وصاية عدو فرنسا الأبدى إدارة ينظران فيها إلى اتجاهات أنظاره ومواقع رضاه . ولو انتصر «فيجان» و «بتان» على الألمان لهتفا وهتف معهم الناس « المجد لروح فرنسا ... »

فى جميع الممالك التى أخضعتها ألمانيا من ابتداء الحرب ، لم يسر الناس فى موكب ألمانيا بمثل ما سار الفرنسيون ، بل جميعهم قالوا لألمانيا : دونك فاحكمينا باسمك كما تشائين ، ولكننا لن نحكم أنفسنا باسمك وبأسلوبك فى الحكم

تلك ظاهرة تبين لنا أن فرنسا لم تكن مؤمنة بروحها ، ولم تكن ممتلئة به . بل لا نبالغ إذا قلنا : إنها ليس لها روح يسيطر على أفرادها ويجعلهم يمثلون مثلاً أعلى يلمس فى أغلبيتهم كما يلمس المثل الأعلى الإنجليزى فى أغلب الإنجليز ...

وخير ما نختم به هذا الحديث هو تلك النبذة التحليلية التى نشرها الأستاذ الصاوى صاحب « ما قل ودل » وصديق فرنسا المشهور قال : « وإذا عدنا إلى الفرنسيين ـ الذين ألقوا سلاحهم ـ

الغنـــاء المريض

ينخر الخلق المصرى والمجتمع

للأستاذ سيد قطب

ليست تهمنى الأخلاق التقليدية فى أوضاعها الشكلية التى تتبادر إلى أذهان العامة أو أشباههم عند ذكر كلمة الأخلاق . ولست أتصور الفضيلة فى هذه الأوضاع المتعارفة ، فالباعث على هذا العمل أو ذاك هو موضع التقدير لا العمل نفسه

فالذى يجتنب الشر مثلاً لأنه يخشى عذاب الآخرة فحسب لا يرتفع مستواه الخلقى فى اعتقادى عن الذين يجتنبون الجرائم لمجرد خوفهم من قانون العقوبات ، فالمسافة قصيرة بين من يخاف عذاباً مجهولاً ومن يخشى عقاباً معروفاً ، بل ربما كان المجهول مهولاً مخوفاً أشد من المعلوم ، وأكثر ردعاً للنفوس الشريرة !

وعندى أن الرجولة الصحيحة وفضائلها الذاتية كالمروءة والنجدة والعطف والاعتداد بالكرامة والإيثار وتحمل التبعات ، والأنوثة السليمة وفضائلها الكامنة من حياء ورحمة وتضحية . وكذلك الفضائل المشتركة كحساسية الضمير وسمو النفس وطهارة الإحساس ونظافة القاموس الشخصى بترفع الأذن واللسان عن الاستماع والنطق بالمعانى النازلة والتعبيرات الفاحشة والألفاظ المرذولة . . . كل أولئك وأمثاله من صميم الأخلاق

بل إن الذوق الراق ، وتذوق الجمال ، والحس المرهف ، من صميم الأخلاق . لأن النفس الإنسانية لا ترتفع لتقدير الجمال فى المنظر الجميل أو اللحن الجميل أو الوجه الجميل حتى تكون قد خطت فى مدارج الرق الإنسانى ، والتهذيب العقلى والنفسى خطوات تضمن لها مستوى راقياً من الخلق السليم

وليست الفضيلة عملاً سلبياً بالامتناع عن الرذائل المتعارفة ، ولكنها فى صميمها أعمال إيجابية أو شعور يدفع إلى أعمال إيجابية . فحسباننا الرجل الذى لا يعمل كذا ولا كذا من الرذائل المشهورة رجلاً فاضلاً هو خطأ فى تصور الفضيلة وغبن لها

كما أن هناك نقائص لا نعيرها حقها من العناية فى تقدير الناس لدينا ، نخلائق : كالحقد أو الشماتة أو نضوب العطف الإنسانى وبلادة الإحساس بآلام الناس ، أو عدم الترفع عن الملق والرياء ، أو سرعة اليأس والعجز عن مواجهة التبعات ، هى من صميم الرذائل الإنسانية ولو لم يأت صاحبها رذيلة إيجابية واحدة

وكل ما يعمل لهدم فضائل الرجولة أو فضائل الأنوثة أو فضائل الجنس الإنسانى المشتركة التى سبقت الإشارة إلى بعضها إنما هو عمل شرير تنبغى مقاومته لأنه هدم للخلق وللمجتمع

وإذا نظرنا إلى الأخلاق من هـذه الوجهة أمكننا أن نقدر أن الغناء المريض — وأغلب ما يذاع فى هذه الأيام كذلك — هو أكبر معول يهدم بناء المجتمع المصرى ويحطم الخلق الشخصى ، لأنه يحارب فضائل الرجل وفضائل المرأة وفضائل الجنس كله على الوضع السالف . ولما كنت لا أبتغى تجريح أشخاص بالذات من المؤلفين أو المطربين والمطربات ؛ فإنى أكتفى بالإشارة إلى بعض الأغانى المتداولة فى هذا السياق

لا يمارى أحد فى أن الرجولة وكل فضائلها تتأذى أشد التأذى من أغنية مثل : « يا لوعتى ياشقايا . يا ضنى حالى » أو « راضى بلومه وكلامه . ولو أنى مظلوم معاه » أو « الهوان وياك معزة » أو « ميّلت بخنى فى الحب بخنى ! »

فماذا نجد فى تحليل الخلق الفرنسى السياسى كما وصفه الداهية المجرى « كورنيس » ؟

نجد فرقاً شاسعاً بين الخلقين الفرنسى والانجليزى . فهما طرفا نقيض . ليس الفرنسيون شعب التطور التاريخى البطىء ، ولكن شعب التغييرات الثورية الفجائية ، شعب شديد التأثر قوى الاندفاع بلا « فرامل » ولا « صواميل » . شعب « المأساة » لا « الرواية » ، وخط تطوره ليس مستقيما ولكنه كثير التعرج والمنعطفات . فنى آخر القرن الثامن عشر قلبت الأمة الفرنسية الحكومة الملكية باسم الديمقراطية والحرية ، ومع ذلك لم تمض عشر سنوات حتى عادت فرنسا أمبراطورية مطلقة ! ثم ارتدت فصارت ملكية محافظة ! ثم تحولت إلى ملكية بورجوازية حرة ! ثم كانت ثورة أخرى ردت الجمهورية الثانية ! ثم انقلاب حكومى أعاد للسلطة أمبراطوراً ! ثم سقط هذا الأمبراطور فى ١٨٧٠ وعادت فرنسا إلى ما كانت عليه فى ١٧٣٩ إلى الجمهورية ! فلا توجد على هذا أمة كفرنسا فى اندفاعها وتحولها وانقلابها ... » ثم قال الصاوى : « هل ترانا نفهم الآن بعض الفهم السر فى أن الفرنسيين قد قالوا لهتلر « نعم » وأن الإنجليز قد قالوا « لا » ؟

عبد المنعم خلاف

ولا شك أن الأنوثة وكل فضائلها تخدش أشنع الخدش من أغنية مثل : « يا حبيبي تعال الحقنى شوف اللى جرى لى من نار حبك » أو « إمتى أنول وصلك وأقول : راح المذول مالوش أثر » وأن فضائل الجنسين جميعاً تشمئز من أغنية مثل « تعالى بين أحضانى »

وليست الألفاظ وحدها فى مثل هذه الأغانى هى التى تؤذى فضائل الجنسين وسلامة الفطرة فيهما ، فإن النغمة والأداء قد تكون أشد إيذاء من الألفاظ . وهناك أغنيات تذاع قد لا يكون فى ألفاظها شىء فاحش ، ولكن الميوعة فى التلحين والتخلع والتكسر فى الغناء أفحش من الألفاظ ، مثل اسطوانات : « ياعرقسوس » و « هعمل إيه » و « ياماما » ! وهى لا ترتفع كثيراً عن « والنبي يا عبده » الممنوعة

ولا يقف ضرر مثل هذه الأغانى عند فحش اللفظ وتكسر الأداء وما يشيعه هذا فى نفوس أبناء الجيل وبناته من انحلال . ولكنه يتعداه إلى مسخ الفطرة الإنسانية ، وتشويه العواطف الراقية ، والهبوط بالذوق العام ، وهو إحدى الفضائل كما أسلفت

فالحب الذى تهبط به هذه الأغانى ذلك الهبوط الشين عاطفة إنسانية من أجمل العواطف ، وهو مثار كل نشاط إنسانى فى هذا الكوكب الأرضى، وهو غير مقصور على الحب الجنسى ، وحتى هذا الحب لا يمكن أن يهبط فى فطرة آدمى سليم إلى هذا المستوى الذى تصوره الأغانى المصرية ويصوره التلحين والأداء، لأنه فى صميمه فورة فى الشعور وفيض فى الضمير وامتلاء بالقوى الحيوية يدفع إلى النشاط والتعمير ، لا إلى الذل والترهل والبكاء والعويل

على أن وراء هذا وذلك شيئاً خفياً مؤذياً فى تصوير العواطف الإنسانية هذا التصوير ، وفى هذه الأساليب من ناحية التأليف والتلحين والأداء، فالذوق الذى يسيطر على هذا كله هو « الذوق البلدي » بأفصح تعبير . فلا يبدو فى هذا الغناء أثر للثقافة الذهنية أو الخلقية أو الاجتماعية، والمستمع الراقى لا يجد ما يرتفع إلى مستواه أو يعبر عن شعوره الذى تولده عواطفه المهذبة . والشعب المصرى مهما ظلمناه لا يخلو من المثقفين ولا من الوسط النفسى المهذب ولا من الشعور العالى ، فأين يجد هؤلاء غذاءهم الروحى من الموسيقى والغناء

فليس كل رجل فى مصر يحب فتاة فيناديها بأعلى صوته « تعالى بين أحضانى » وهذا تعبير طبقة معينة من الشعب ؛ فأين تعبير الطبقات المهذبة ؟

وليست كل فتاة تحب شاباً فتهتف من أعماقها : « امتى أنول وصلك وأقول : راح المذول مالوش أثر » فهذا تعبير طبقة خاصة من النساء ؛ فأين تعبير العفيفات من العذارى والسيدات ؟

على أنه لو صح أن الشعب المصرى كله من أمثال هؤلاء السادة والسيدات ، لكان على الموسيقى والغناء أن يرتفعا رويداً رويداً بهذا المستوى ، حتى يصلا به إلى الرفعة اللائقة بالفنون

ولعل منشأ هذا أن طبقة المؤلفين المحترفين والمشتغلين بالغناء فى مصر هم من بيئة اجتماعية خاصة ، لا تؤهلها ثقافتها العقلية ولا تربيتها النفسية ولا وسطها الاجتماعى من الالتفات لغير ما التفتت إليه حتى الآن من ألوان التعبير والموسيقى والغناء . ولكن ما ذنب هذه الأمة يهتفون لها بأحط غرائزها ، وينادون فيها أردأ إحساساتها ، ويلفتونها عن كل ما هو راق وجميل فى هذه الحياة ؟

ثم ما ذنب الأسر والبيوت تصل إليها أصوات هؤلاء الناس وتكسراتهم الخليعة وتأوهاتهم المريضة آناء الليل وأطراف النهار، وفى مصر وزارة للشئون الاجتماعية ورقابة أدبية فى وزارة الداخلية لا يبلغ من نفوذها أن تكون لها السيطرة التامة على كل ما يذاع !

إن الرقابة على الموسيقى والغناء سواء فى محطة الإذاعة أو الصالات أو الاسطوانات ينبغى أن تسند إلى هيئة من مثقفى العقول والنفوس ، واسعى الاطلاع على نهضات الفنون ، ذوى أذواق خاصة ممتازة ، وهذه الهيئة تملك أن تمنع إذاعة كل أغنية وإعدام كل فلم أو أسطوانة أو شريط مسجل لا يتفق مع توجيهاتها ، على أن توضع عقوبات لمن يترنم بالأغانى الممنوعة حتى من الجمهور ، عملاً على إسكات هذه الأصوات الغريزية الواطئة ، وترقية للذوق العام والخلق المهدد بالانحلال

ولا يفهم من هذا أننى أريد الغناء المصرى مواعظ خلقية ودعوات اجتماعية ووطنية ؛ فأنا قليل الثقة بجدوى الفنون حين تسلك هذا المسلك الجاف ، وإن لها سبيلاً أقوم من هذا وأنفع ؛ فالفكاهة العالية ، والنقد اللاذع ، وتصوير العواطف الإنسانية الراقية المهذبة ، وتفتيح الإحساس على مباهج الكون وخفايا النفس وجمال الطبيعة — كل أولئك من خصائص الموسيقى والغناء ، وخصائص الفنون جميعاً ، وهى أولى بها من الدعوات

على هامش الحرب

الطابور الخامس فى القرآن

المنافقون

للأستاذ عبد الرزاق إبراهيم حميدة

— ٤ —

لم ظهر النفاق بالمدينة ؟ — رأس المنافقين — أعمالهم وصفاتهم زمن السلم — إظهار الاسلام وإخفاء الكفر الطعن فى النبي وآله — السعى فى التفريق بين المسلمين

قدمنا فى المقال الثانى والثالث أن الجماعة الأولى من الطابور الخامس فى القرآن هم اليهود، وذكرنا بتفصيل مقدار خطرهم وضررهم على النبي ودينه وأصحابه، والنوع الثانى أو الجماعة الثانية هم المنافقون :

كان بجانب اليهود جماعة من أهل المدينة وممن حولها من الأعراب تعمل جهدها سراً وجهراً على إضعاف الإسلام وتود أن يفنى المسلمون وتذهب ريحهم . أولئك هم المنافقون الذين لم يكن لهم وجود وعمل إلا بعد الهجرة ، ويقول اللغويون إن النفاق كلمة لم توجد فى الجاهلية ، وإن القرآن قد جاء بها وصفاً لطائفة تُبْطِنُ الكفر وتُظْهِرُ الإيمان رغبة فى الاستفادة من مغانم المسلمين ، وفراراً من أثر الهزيمة إذا دارت على المؤمنين دائرة الحرب ، وأملاً فى استئصال النبي ودينه بطريقة مستورة

أما سبب ظهورهم بالمدينة دون مكة ، فهو أن النبي قام يدعو إلى دين الله بمكة وهو وحيد ، فعارضه أكثر أهلها وبخاصة الأشراف منهم حتى أشراف عشيرته الأقربين ، فلم تكن بالدين تخلّفوا عنه — وهم أهل الشرف والعزة بمكة — حاجة أن ينافقوا ؛ وباعد بينهم وبين الدخول فى الإسلام سراعاً خوفهم من ضياع مركزهم الأدبي وسلطانهم القَبَلِي وتمسكهم بما كان عليه آباؤهم من دين وعادات

وكان الأمر على العكس من ذلك بالمدينة ، فقد أسلم الكثيرون من سادتها وكبرائها وتبعهم أكثر أهلها ، وزاد الإسلام فيها قوة بمن هاجر إليها من السابقين الأولين من المهاجرين ، وربا عدد المسلمين فيها على من عداهم ، فشعر المتخلفون عن الدين الجديد بضعفهم وعدم استطاعتهم المجاهرة بما فى قلوبهم ، ورأوا أن النفاق أسلم عاقبة وأشد خطراً وأعظم أثراً ، ورأوا من الحكمة أن يقولوا : « آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم » ، وأن ينتظروا الفرص السانحة لطعن المسلمين كلما كان ذلك ممكناً

الاجتماعية والخلقيـة والوطنية المباشرة ، التى لا تتفق وطبيعة الفنون الحرة

وعلى ذكر الدعوات الوطنية ألاحظ أن أغانينا وأناشيدنا الوطنية التى تذاع جميعاً وبدون استثناء تدل على فقرنا فى الروح الوطنية العالية من حيث يريد مؤلفوها وملحنوها ومغنوها إظهار هذه الوطنية . فهى فى ألفاظها ومعانيها وتلحينها ضجيج أجوف يدل على وطنية « قشرة » ليست مطمئنة إلى عمقها وهدوئها و « طبيعتها » . والوطنية الرشيدة العميقة المطمئنة لا تحتاج إلى كل هذا الضجيج فى اللفظ والمعنى ، ولا تستمد القوة من الصياح والزعيق ، إنما هذه الأشياء أشبه بقوة الضعيف الذى الذى يحس ضعفه فيملأ الدنيا صياحاً ، وينفخ أشداقه ، ويطوح ذراعيه فى الفضاء لإرهاب خصمه قبل أن يشتبك معه فى نضال يشعر بضعفه عنه . وهى لا تزيد على قول « فتوة الحارة » : « والله ما تقرب لى لأخرشمك » .

والرجل القوى حقاً لا يحتاج إلى هذا التهديد !

ولم ألمس فى أغنية واحدة مما أذيع حقيقة الوطنية التى لا يحسها صاحبها لفرط تغلغلها فى نفسه ، وعمق جذورها فى شعوره ، حتى لكأنها طبيعة كامنة فيه ، إنما هى ألفاظ محشودة ، كما يجمع الخائف جميع أسلحته ويكومها أمامه ، بدل أن يدعها فى مكامنها ويأخذ منها ما يحتاج إليه فى اللحظة المناسبة

وإن أغنية واحدة يحدث فيها المترنم بها نفسه عن ملاعب صباه فى وطنه ، ومطارح أمانيه ، وذكريات أجداده ، ويتغنى بطبيعة بلاده الجميلة وشمسها وخضرتها ، لأفعل فى غرس بذور الوطنية وإنمائها فى نفسه وإحساسه بمعنى الوطن من السيوف والبنود واللهيب . . . إلى آخر هذا الضجيج !

ولن يفهم مثل هذا التوجيه إلا القليلون ، وإنما كل رجائنا متعلق بهؤلاء القليلين !

(حلوان) سيد قطب

وكان رأس المنافقين بالمدينة عبد الله بن أُبَيّ بن سلول ، وكان شريفاً من أشراف يثرب ، يطمع فى أن تكون له السيادة والحكم فيها ؛ فلما جاء النبي إليها وخضع أهلها لسلطانه ودانوا بعبادته وعقيدته ، ضاعت الفرصة من ابن أُبَيّ ، وأحزنه أن يكون ضياع سلطانه المنتظر ، وخيبة أمله فى السيادة ، آتياً من رجل غريب عن يثرب ، أخرجه قومه ، وشردوا أصحابه فى الآفاق . ورأى من الحكمة أن يُدارى ، وأن يدخل فيما دخل فيه الأكثرون ظاهراً ، وإن لم يستطع أن ينزع من قلبه المرض الخفى الذى ملأه نفاقاً ، وسالَمَ الرسولَ ، وآمن بلسانه وفى نفسه ما فيها ، حتى إذا حدث ما يدعو إلى إظهار الكفر سارع فيه ونال من المسلمين بلسانه ومكايده ، وخذلهم فى الحرب ووقت الشدائد .

وقد بين القرآن صفات المنافقين عامة ، وهى صفات تدل على أنهم كانوا من أشد أنواع الطابور الخامس أذى ، وكان منهجهم فى السلم أن يظهروا الإيمان ، وأن يطعنوا فى النبي وآله وينفروا من حكومته ، ويرفضوها ، وأن يفرقوا بين المؤمنين

أما الأمر الأول ، وهو حقيقة نفاقهم فمذكور بتفصيل فى الآيات الكريمة : « ومن الناس من يقول آمنّا بالله وباليوم الآخر ، وما هم بمؤمنين ، يخادعون الله والذين آمنوا . وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون . فى قلوبهم مرضٌ فزادهم الله مرضاً . ولهم عذاب أليم بما كانوا يكسبون . وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس ، قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ؛ ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون . وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا ، وإذا خلَوْا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون »

وكانوا إذا جاءوا رسول الله أقسموا أنهم يشهدون أنه مُرْسَل من ربه ليستروا نفاقهم بهذا القسم . وكان ابن أُبَيّ رجلاً جسيما صبيحاً فصيحاً ذلق اللسان ، وكان قوم من المنافقين فى مثل صفته ، يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيستندون فيه ، ولهم جهارة المناظر وفصاحة الألسن ، فكان النبي ومن حضر يعجبون بهيا كلهم ويسمعون إلى كلامهم ، فنزل قوله تعالى فى السورة المسماة باسمهم : « إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسولُ الله ، والله يعلم إنك لرسوله ، والله يشهد إن المنافقين لكاذبون . اتخذوا أيمانهم جُنّة فصدُّوا عن سبيل الله إنهم ساء ما كانوا يعملون . ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطُبِعَ على قلوبهم فهم لا يفقهون . وإذا رأيتهم تعجبُك أجسامهم ، وإن يقولوا تسمعْ لقولهم كأنهم خشب مسنَّدة ، يحسبون كلّ صيحة عليهم ، هم العدوُّ فاحذرْهم قاتلَهم اللهُ أنى يؤفكون »

وأما طعنهم فى النبي فكان كثيراً ، وكان من الطعن الذى لو ثبت لكان هادماً للرسالة ، وقاضياً على صاحبه ، فكانوا يتهمونه بأنه يأخذ بعض المغانم خفية ويستأثر به على غير علم من أصحابه . روى أن قطيفة حمراء فقدت يوم بدر مما أُصيبَ من المشركين ، فقال بعض المنافقين : لعل رسول الله أخذها ، فنزل قوله تعالى : « وما كان لنبي أن يغل ، ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ، ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون »

ولم يسلم آل البيت من مطاعنهم ، فقد اشتركوا فى حديث الإفك ، وادعوا على عائشة أنها خانت النبي ، وكان الذى تولى كبر هذا الإفك من المنافقين ، وهو ابن أبى

أما حديث الإفك فهو أن الرسول الكريم كان يأخذ معه بعض نسائه فى الغزوات ، وكانت عائشة معه فى غزوة بنى المصطلق ، وكانت صغيرة السن ، خفيفة الجسم ، فنزل الجيش ذات ليلة ، ثم ارتحل ، وحمل هودج عائشة على جملها ، ولم يدر حاملوه إن كانت فيه أم لا .

وكان يجيء وراء جيش المؤمنين صفوان بن المعطل يحمل ما يكون قد تخلف من الجيش ، فلما رآها غض بصره ، وأركبها ناقته ، وعاد بها إلى المدينة . فلما مر بابن أبى قال : من هذه؟ قالوا عائشة . فقال : والله ما نجت منه ولا نجا منها ، ثم قال : امرأة النبي باتت مع رجل ثم جاء يقودها ! وانتشرت مقالته ، وسمع النبي الخبر ، فأحزنه ذلك أشد الحزن ، لأنها كانت أحب نسائه إليه ، فهى بنت الصديق صاحبه فى النار ، ورفيقه فى الهجرة ، وهى التى اختارها الله لنبيه ، وزوجها له بوحيه . فما هذا ؟ سبحانك ! هذا بهتان عظيم !

استشار النبي أصحابه فى الأمر ، فأشار بعضهم بطلاقها ، وظن بعضهم خيراً ، ولم يشك فى طهارة بيت النبوة ، ومرضت عائشة زمناً وهى لا تدرى من أمر هذا الإفك شيئاً . وحزن أبو بكر أشد الحزن ، وحزن المسلمون حزناً عظيما ، وتطرق الشك إلى نفوس بعض الناس . فكيف يكون الموقف إذا تطرق الشك إلى بيت النبوة ؟ وما يكون مركز المسلمين ، وهم عرب ، للعرض عندهم شأن أى شأن ؟ وهل يبقى ضعاف الإيمان أتباعاً

لمحمد إذا ثبت على زوجته ما رُميَتْ به من زور وبهتان ؟ لا بد من وحى يبرئها ، ويثبت طهارتها ، ويلعن من افترى عليها ، وبخاصة رئيس العصبة التى جاءت بالإفك ، وهو رأس المنافقين ، ونزل قوله تعالى : « إن الذين جاءوا بالإفك عُصبةٌ منكم ، لا تحسبُوهُ شراً لكم ، بل هو خير لكم ، لكل امرئٍ منهم ما اكتسب من الإثم ، والذى تولّى كِبْرَهُ منهم له عذابٌ عظيم » فثبتت عفة عائشة وطهرها ، وحُدَّ الرسول من جاءوا بالإفك حد القذف ، ولعنهم الله فى الدنيا والآخرة ، إلا الذين تابوا . ورد الله كيد ابن أبى فى نحره ، ونجا الإسلام من الفتنة التى أرادها بالطعن فى الصديقة بنت الصديق .

وكانوا يأبون الاحتكام إلى النبى وإلى كتابه إلا إذا كان على وفق هواهم . وفى ذلك يقول الله تعالى : « وإذا قيل لهم تعالَوْا إلى ما أنزلَ اللهُ وإلى الرسول ، رأيتَ المنافقين يَصدُّونَ عنك صدوداً » . وأبى الله أن يقبل منهم إيماناً إلا إذا قبلوا حكومة الرسول عن طيب خاطر . فقال : « فلا وَربِّك لا يؤمنون حتى يُحكّموكَ فيما شجَرَ بينهم ، ثم لا يَجِدُوا فى أنفسِهم حَرَجاً مما قضَيْتَ ، ويُسلّموا تسليماً » .

وكانوا يستمعون من المؤمنين ويعرفون أسرارهم وخططهم الحربية ، وما فى نفوسهم من ثقة بالفوز أو خوف واستشعار ، ويذيعون ذلك ويتحدثون به ، فيبلغ الأعداء ، فيكون فى ذلك مفسدة ؛ قال الله سبحانه : « وإذا جاءهم أمرٌ من الأمن أو الخوف أذَاعوا بهِ ، ولو رَدُّوه إلى الرسول وإلى أُولِى الأمرِ منهم لَعلِمَهُ الذين يَستنبِطونه منهم » .

وكان من أسباب نفاقهم أنهم كانوا يودون الربح من وراء هذا النفاق ؛ فإن انتصر المؤمنون قاسموهم فى المغانم ، وإن انتصر المشركون انحازوا إليهم ، وبينوا أن ذلك كان بفضل نفاقهم ، وأولئك هم الذين وصفهم الله للنبى الكريم فى سورة النساء فقال : « الذين يتربصون بكم ، فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم ؟ وإن كان للكافرين نصيبٌ قالوا ألم نستَحْوِذْ عليكم ونمنعكم من المؤمنين ؟ » .

وكانوا « يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة ؟ فإن العزة لله جميعاً » ويمدون الذين كفروا من أهل الكتاب أن يكونوا معهم على النبى وأن يخرجوا معهم من المدينة إذا أخرجهم المؤمنون منها ، كما بين الله سبحانه ذلك فى سورة الحشر ، قال سبحانه « ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب » وهم بنو النضير « لئن أُخرجتم لنَخرُجَنّ معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً ، وإن قوتلتم لننصرنكم . والله يشهد إنهم لكاذبون » فقد أُخرج بنو النضير من المدينة ولم ينصرهم المنافقون ولم يخرجوا معهم بل بقوا فى المدينة يخذلون المؤمنين فى الحرب كما خذلوا بنى النضير ، ويلتمسون المعاذير لقعودهم عن الجهاد فى سبيل الله كما سيأتى بيانه

وكانوا « لا يأتون الصلاة إلا وهم كُسالَى ، ولا يُنفقون إلا وهم كارهون »

ولم يَسْلَمِ النبى من سخطهم عليه فى توزيع الصدقات . فكانوا يتهمونه بعدم العدالة فى تفريقها إذا لم ينلهم منها شىء « ومنهم من يَلمِزُكَ فى الصدقات . فإن أُعطوا منها رَضُوا وإن لم يُعطَوْا منها إذا هم يسخطون » .

وكانوا يتهمون النبى بالغفلة ، وأنه يصدق كل ما يسمع ، ويقبل قول كل أحد ، وهم الذين قال الله فيهم : « ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو أُذنٌ ، قل أُذنُ خيرٍ لكم ، يؤمنُ بالله ويؤمنُ للمؤمنين ، ورحمة للذين آمنوا منكم ، والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم » .

وكانوا يسمعون آيات الله ويهزءون بها ، كما كان يفعل أهل مكة من المشركين . وكانوا يفعلون ذلك على مسمع من المؤمنين وفى مجالسهم ، فنهى الله المؤمنين عن مجالستهم ما داموا على هذا الاستهزاء ، وأوعد الكافرين والمنافقين أن يجمعهم فى جهنم ، وقال للمؤمنين : « وقد نزَّلَ عليكم فى الكتاب أنْ إذا سمعتُم آيات الله يكفر بها ويستهزأُ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره ، إنكم إذاً مثلهم — فى الإثم لا فى الكفر — إن الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعاً » .

وكان منهم قوم ماهرون فى إخفاء النفاق وستر الكفر إلى درجة عظيمة ، تخفى أمرهم حتى على النبى ، وهو اللبق الفطن ، الذى لا يعدله أحد ذكاء وقوة فراسة ، وشدة فطنة ، وخاطبه الله فيهم قائلاً : « وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق ، لا تعلمهم نحن نعلمهم ، سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم » .

وفى غزوة بنى المصطلق أرادوا أن يفرقوا بين المهاجرين والأنصار ، وأوعد عبد الله ابن أبى المهاجرين أن يخرجهم من

المدينة . وتفصيل ذلك أنه بعد انهزام بنى المصطلق بقيادة رئيسهم الحارث بن ضرار عند ماء يقال له « المريسيع » فى السنة السادسة من الهجرة ، تزاحم مهاجرٌ وأنصارى على ماء ، فلطم المهاجرُ الأنصارى ، وكان هذا حليفاً لابن أبى ، فلما سمع ابن أبى الخبر أخذته حَمِيّة الجاهلية ، وأراد أن يغرى الأنصار بالمهاجرين ، وقال : والله ما صَحِبْنا محمداً إلا لنُلطمْ ! والله ما مثلُنا ومثلُهم إلا كما قيل : سَمِّن كلبَك يأكلك . أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرِجنّ الأعزُّ منها الأذلّ . وعنى بالأعز نفسه ، وبالأذل رسول الله . ثم قال لقومه : ماذا فعلتم بأنفسكم ؟ أحللتموهم بلادكم ، وقاسمتموهم أموالكم ، أما والله لو أمسكتم عنهم فضل الطعام لم يركبوا رقابكم ، ولأوشكوا أن يتحولوا عنكم ، فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد . فسمع بذلك زيد ابن أرقم وهو حَدَث ، فقال له : أنت والله الذليل القليل فى قومك ، ومحمد فى عز من الرحمن وقوة من المسلمين . نخاف ابن أبى العاقبة . وأخبر زيدٌ رسول الله الخبر ، فأراد عمر أن يضرب عنق ابن أبى ، فقال رسول الله : إذن ترعد أنف كثيرة بالمدينة . أليست هذه النتيجة التى تحاشاها الرسول هى ما يسعى إليه المنافقون ؟ فاقترح عمر أن يقتله رجل من الأنصار . فقال النبى الكريم : فكيف إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه ؟ ثم قال الرسول لعبد الله : أأنت صاحب هذا الكلام ؟ فحلف بالله ما قال، وإن زيداً لكاذب . ولكن الله كذبه وصدق زيداً بقوله : «هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى يَنْفَضُّوا ولله خزائن السموات والأرض ، ولكن المنافقين لا يفقهون . يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذلّ . ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين، ولكن المنافقين لا يعلمون»

هذه أعمال المنافقين ومكايدهم ، وغايتهم منها استئصال الإسلام وطرد النبى من المدينة ، وتنفير الناس من دينه بإشاعة السوء عنه وعن أهله ، وإنشاء ذلك المسجد آخر الأمر ليدبروا فيه دسائسهم، ولكن الله كان لهم بالمرصاد، وانكشفت حقائقهم ونجا المسلمون من شرهم ؛ ثم نُهُوا عن مصافاتهم والانخداع بأقوالهم . أما أعمالهم التى رغبوا أن تجر الويلات على المسلمين فى الحرب فوعدنا بها العدد القادم .

عبد الرزاق ابراهيم حميدة

نجوى !

عاصِفُ مَلال . . . !

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

سَئِمْتُ مُقامِي فَوْقَ الذُّرَا . . .
فَأَيَّانَ أَمْضِي غَدًا يا تُرَى ؟!
سَئِمْتُ وَدَوَّى بِقَلْبِي المَلَالُ
كَمَا عَاصِفٌ فِى الدُّجَى زَمْجَرَا
أَمَامِي ضَبَابٌ ، وَخَلْفِي ضَبَابٌ
وَأُفْقِيَ غَشَّى عَلَيْهِ الكَرَى
فَلَا فِى السَّمَاءِ أَرَى وَمْضَةً
تُعَزِّى أَسَايَ ، وَلَا فِى الثَّرَى
وَحَوْلِي حَضِيضٌ ، بِأَوْحَالِهِ
تَخَبَّطَ فِى الإِثْمِ رَكْبُ الوَرَى
وَحَتَّى ضِفَافُ الرُّؤَى عِفْتُهَا
فَمَا فِى حِمَاهَا لِرُوحِي مُرَى
وَحَتَّى الخَيَالُ الَّذِي هَزَّنِي
وَأَرْعَشَ لِي سِحْرُهُ المِزْهَرَا ؛
تَبَرَّمْتُ يا جِنُّ ، فَامْضِى بِهِ
رُفَاتًا مِنَ الصَّمْتِ لَنْ يُنْشَرَا !
وَمَا عَالَمُ الشِّعْرِ هٰذَا الفَسِيحُ
سِوَى طَيْفِ حُزْنٍ بِعُمْرِي سَرَى
سَئِمْتُ ! وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا سَنًا
عَلَى ظُلْمَةِ الرُّوحِ قَدْ نَوَّرَا
مِنَ الحُبِّ ! أَوْ مِنْ فَتَاتِي الَّذِي
يُغَمْغِمُ لِي فِى سُفُوحِ الذُّرَا . . .

من عجائب الفهم أيضاً !

للأستاذ زكي طليمات
مفتش شئون التمثيل بوزارة المعارف

كتب « الناقد الأديب » مقاله الأول في العدد (٣٦٨) فساق القول من أطرافه ، ولم يعرج على المذاهب الفلسفية ألبتة ، حتى بما يصح أن يدعّم به اتهاماته ويقوّم دعواه ، فلم يفطن إلى أن قصيدة الأستاذ العقاد عرض وتحليل لنظرية (كانت) في المعرفة ، ولم يرد توطئة « مفرق الطريق » إلى فلسفة ما . ولكن ما إن تحدثنا في الفلسفة ، وذلك في الرد على ذلك المقال الأول ، وتحدثنا فيها بالقدر الذي لا يثقل على القارئ لتنزل الأمور منازلها الصحيحة وتوجه القارئ إلى الحق ، حتى أخذ « الناقد الأديب » بأسباب الفلسفة ، وحديث الفلسفة متمعج لزج ، وله أرض رخوة تنزلج القدم عليها ، أو هي تسوخ فيها ، فلا تقتلع إلا لتزداد بعد ذلك سوخاً ، ما لم يضرب السائر في الدرب الأمين . فساق في مقاله الثاني في العدد (٣٧٢) أقوالاً وأصدر أحكاماً يغلفها التعسف الواضح ، والنقد المتعسف ، كما هو معلوم من أسوأ النقد ، وهو مطية للخطأ .

***

زعم « الناقد الأديب » في مقاله الأول أن مسرحية « مفرق الطريق » إنما تقوم على الفكرة الفلسفية التي أنشأ عليها الأستاذ العقاد قصيدته « القمة الباردة » ؛ فكان أن قررنا في الرد على هذا الزعم — وذلك في مقالنا السابق — أن الأمر غير ذلك ، لأن قصيدة « القمة الباردة » تقديماً وشعراً ، ما هي إلا عرض وتحليل لمذهب الفيلسوف « كانت » في مسألة المعرفة ، والمعرفة هي الفحص عن الصلة بين الذات والموضوع ، هذا في حين أن « مفرق الطريق » تعالج حالة نفسية غامضة ، معالجة تمت بوسائلها إلى المذهب الباطني الذي أحكم أمره الفيلسوف « برجسون » . وهو مذهب يعتمد على البصيرة والإحساس الدفين — لا الدقيق — والإدراك الصرف مع إهمال ظواهر العالم وطلب خفاياه وبواطنه ، وأيدت ذلك بالبرهان القاطع

فماذا كان رد « الناقد الأديب » على ذلك الإيضاح ؟ لم يدحض ما أيدناه بالبرهان ، بل إنه لم يتصد له وجهاً لوجه بل راوغ وداور ليعبر عنه عبراً

فإذا هو يومئ إلى أن قصيدة العقاد في « القمة الباردة » ترجع إلى أصول من فلسفة « كانت » ، يصنع ذلك في نفس الوقت الذي يصرح فيه بأن « مفرق الطريق » إنما تقوم على خليط فلسفي ، خليط فيه من « كانت » ومن « برجسون » وفيه أيضاً من « إبسن » ومن أشياء أخرى

إذن « فالناقد الأديب » يعترف مكرهاً بأن مفرق الطريق ليست من « كانت » وحده ، أي ليست من المعين الفلسفي الذي اغترف منه دون غيره الأستاذ العقاد في قصيدته « القمة الباردة » وهو يعترف بهذا ولكن يتوارى في اعترافه وراء أقوال أخرى — هي من الدخان الذي يطلق لينشئ ستراً يمهد لنقلة عاجلة من وضع إلى آخر في غفلة من العين — فيزعم أن « مفرق الطريق » فيها أيضاً من « برجسون » وفيها من « أبسن » يزعم هذا وهو لا يدري أن أقواله هذه تناقض ما قاله في مقاله الأول ، وأنه ينزل مكرهاً على ما قررناه من أن « مفرق الطريق » تمت إلى فلسفة « برجسون » بل هو يتورط في خطأ جديد ، أو يدس اسم « إبسن » في معرض حديثه عن الفلسفات مع « كانت » و « برجسون » في حين أن ليست « لإبسن » مدرسة فلسفية قائمة بمعالمها وحدودها ، إذ أن كل ما لهذا المؤلف النرويجي العظيم أسلوبه الخاص في التفكير ومعالجة الشئون الاجتماعية !

كيف تأتى إذن أن تكون مسرحية « مفرق الطريق » في زعم « الناقد الأديب » من « كانت » مقتبسة من قصيدة العقاد — وهو ما صرح به في مقاله الأول — ثم كيف تأتى أن تكون المسرحية نفسها من « كانت وبرجسون وأبسن » — وذلك في مقاله الثاني — ولما تلبس المسرحية لبوساً غير لبوسها الأول ! !

ويعتد بنا التساؤل فنقول : كيف يتأتى أن يجتمع « كانت » و « برجسون » في صعيد واحد ، ولكل من الفيلسوفين مذهبه الخاص ، ولكل وسائله ، وهي لدى كل منهما متغايرة متباينة ؟ ؟

***

وما دمنا فى صدد الفلسفة نرى لزاماً علينا أن ننبه « الناقد الأديب» إلى أن إقحامه اسم الأستاذ Le Roy[1] فى رده، تهويل محض ، لا يؤخذ به من فقه « برجسون » . وأغلب الظن أن « الناقد الأديب » ركب هذا الحرج ليوهم بأن مذهب « برجسون » لا صلة له بالمذهب التصوفى من حيث المنهج ، وقد اعتمد فى هذه النقطة على « بحوث الأستاذ لوروا الأخيرة عن برجسون » . وفى هذه الدعوى انحراف عن الصحة ، فقد ورد فى الجزء الأول من بحوث الأستاذ لوروا[2] أن البصيرة عند « برجسون » إنما هى انطواء النفس على ذاتها وتوحيد الروح كلها ، توّاقة إلى المعرفة التأملية[3] . كذلك قرر لوروا « أنه لا يرى شيئاً أشبه بطريقة « برجسون » القائمة على البصيرة والتأمل من طريقة المتصوفة[4] من غير اتحاد تام » وعلل ذلك بقوله : « إن مصدر الشبه كائن فى توافق المقصد ، وهو الرجوع إلى الأمر المباشر »[5]

***

ولا يسعنا مع ذلك إلا أن نقرر أن هناك قصداً مرسوماً من جانب « الناقد الأديب » فى أن يورد معارض من القول التى يمت إلى حديث الفلسفة ، فيه كثير من الخلط واللبس ، أو الخلط المتعمد واللبس المقصود ، إرادة صرف الأذهان عن جوهر الموضوع

إذن فنلخص الدعوى فى مرحلتها الأولى لنطالعها فى مراحلها التالية :

حاول « الناقد الأديب » فى مقاله الأول أن يتهم بشر فارس بأنه اقتبس الفكرة الفلسفية التى تقوم عليها مسرحيته من قصيدة العقاد ، فلما رددنا عليه اتهامه قام يناشد الفلسفة أن تمده فلم تواته الفلسة بشىء . ولما أيقن أنه لم يوفق فى إقامة دعوى الاقتباس ، خرج علينا بتهويل جديد ، مجمله أن ليس فى مسرحية « مفرق الطريق » شىء يستحق النظر ، وأن المذهب الرمزى فى الأدب ، وهو المذهب الذى تمت إليه المسرحية ، ليس إلا ضباباً كثيفاً من « الإيهام والإبهام » يضفى على الكائنات مسحة من الروعة والهول ، ولكن كلما اقترب منها الإنسان تضاءلت هذه الكائنات

أما أن هذه المسرحية ليس فيها ما يستحق النظر فأمر مرده إلى أحد شيئين : إما أن « الناقد الأديب » ينظر إلى المسرحية بعين واحدة ويسمعها بأذن واحدة فهو يصدف عن كل ممكن للحس فيها ، وإما أن الفهم لم يواته بما يجب أن يواتيه لعلة لا نعرفها

وأما أن الرمزية لا تروق الناقد الأديب ؛ فهذا شىء يخصه ، ولا شأن له بالجودة الذاتية للمسرحية

***

وختاماً نهمس فى أذن الأستاذ « الناقد الأديب » :

إلى متى يطول أمر هـذا التستر فيما ينشره ، ولماذا لا يذيّل ما يكتبه باسمه الصريح ، وقد نزلنا إليه سافرين غير مقنعين ، وتبادلنا أنخاب الرأى فى شئون تبعث الرغبة فى نفس القارىء على أن يعرف حقيقة الطرف الثانى ؟

لهذا نقول للأستاذ « الناقد الأديب » ، إننا له فى كل ما يريد على شريطة أن يكشف عن وجهه ، وإلا فإننا لن ننزل إلى ميدان الرد عليه بعد ذلك .

زكى طليمات

(١) وليس Leroy كما وهم (الناقد الأديب) فى رسم الاسم .

(٢) اسم الكتاب La Pensée intuitive ، ويقع فى جزأين ، وطبع بباريس ١٩٢٩ — ١٩٣٠

(٣) ص ١٨٩ الجزء الأول

(٤) ص ١٩٤ الجزء الأول

(٥) ص ١٩٧ الجزء الأول

٧ – إلى أرض النبوة !

للأستاذ علي الطنطاوي

كان أجدادنا الشاميون المتمسكون بالسنة ، إذا دخلوا تبوك أخذوا (كما يزعم ابن بطوطة) أسلحتهم ، وجردوا سيوفهم ، وحملوا على المنزل ، وضربوا النخيل بسيوفهم ... يقولون هكذا دخلها رسول الله[1]

ولو كان أجدادنا (أعقل) من ذلك ، لضربوا بسيوف كسيوف خطباء المنابر فى مصر ، التى وصفها الإمام الرافعى رحمه الله فى تلك المقالة (المَسّاعة) ، لتكون آية أخرى على أنهم يفهمون (السنة ...) كفهم الشيخ الدمشقى الذى خرج مرة من باب الجامع يمشى فى الأسواق حافياً ومن ورائه تلامذته يحملون نعالهم بأيديهم، نشراً للسنة ... وكفهم كثير من المسلمين اليوم!

أما نحن فلم نكن قد تعلمنا هـذه البطولة (الدنكشوتية) ، فدخلنا تبوك كما يدخل عامة إخواننا من بنى آدم بلداً من البلدان ولم نضرب النخل البرىء بسيف أبى حية النميرى الذى أخذه من وزارة أوقاف مصر لما ولى الخطابة فى مساجدها ، وإنما ضربنا بأكفنا فى قصاع الرز واللحم التى كان يكرمنا بها أمير البلد .

ولبثنا فى تبوك يومين أنسنا فى اليوم الأول واطمأننا وتفيأنا ظلال الأمن والدعة ، بعد ما صلينا بشمس الصحراء أياماً اكتوينا فيها بنار الجوع والعطش والخوف والتعب فأحببنا تبوك، وتمنينا لو أقمنا فيها الدهر فما فارقناها ، وعشنا فى كنف أميرها المهذب الكريم العمر كله ... ننعم بيمن نقيبته ، ونور طلعته ، وخصب مائدته ... ولكنه لم يأت اليوم الثانى حتى مللناها ، ورأيناها من ضيقها آخذة بمخانقنا . وقال قائلنا : أهذه هى تبوك التى طالما شوقنا إليها الدليل ، وطالما مناّنا الوصول إليها ، وحط الرحال بفنائها ؟ أمن أجل هذه القرية ذات الستين بيتاً حملنا ما حملنا من الأين والعناء ... ؟

لقد جلنا أنحاء (البلدة ...) ورأينا نخيلها الذى كان يقطعه أجدادنا الأبطال بأسيافهم ! ! فلم يبقوا منه إلا بمقدار بستان صغير من بساتين البصرة ! وزرنا قصر الأمير المبنى بالآجر المطلى بالطين ، ودخلنا المسجد الذى فرش بالرمل ، حتى ليغوص فيه أنف الساجد ويدخل فى خياشيمه ، ووقفنا على المحطة الخالية الخاوية ، فبكينا فيها (السكة) التى أنشأناها بأموالها ، ثم خربناها بأيدينا وأيدى القوم الذين أثاروها بيننا جاهلية جهلاء ، فكان لهم ثمارها، وكان أن حرقتنا نارها ... رأينا ذلك كله فما ثواؤنا فى تبوك ، وعلام نقيم فيها ؟ ألنأ كل على مائدة الأمير ، ونثقل عليه ؟

وتهيأنا للرحيل ، لنقطع النصف الثانى من الطريق ، وهو النصف الصعب المتعب ، الذى وصف ابن بطوطة ومن كان قبله ومن جاء بعده صعوبته وهوله ... وسرنا متوكلين على الله .

***

قال ابن بطوطة :

« يرحل الركب من تبوك ويجدون السير ليلاً ونهاراً خوفاً من هـذه البرية وفى وسطها الوادى الأخيضر كأنه وادى جهنم أعاذنا الله منها ، وأصاب الحجاج به فى بعض السنين مشقة بسبب ريح السموم التى تهب ، فانتشفت المياه وانتهت شربة الماء إلى ألف دينار ومات مشتريها وبائعها . وكتب ذلك فى بعض صخر الوادى ومن هناك ينزلون بركة المعظم وهى ضخمة نسبتها إلى الملك المعظم من أولاد أيوب، ويجتمع بها ماء المطر وربما جف فى بعض السنين »

أما نحن فلم نخش هذه البرية خشية البطوطي، بل وجدناها هينة بالنسبة لما مر علينا قبل تبوك ، ولم نعرف شدتها وقسوتها حتى ضربنا فيها أياماً ؛ فأدركنا أن ابن بطوطة كان صادقاً

ولقد كنا خرجنا من دمشق بشىء عظيم من الزاد ، وبمائتى صفيحة من البنزين ، فنفد كله قبل تبوك فجددناه فيها ، وحملنا ما استطعنا حمله من الماء ، وصحبنا دليلاً جديداً (اسمه محمد الأعرج) طويلاً نحيفاً شيطاناً من شياطين البادية ، خبرونا أن له عند الإمام عبد العزيز منزلة دانية ، وودعنا دليلنا الثانى صلبى الذى حدثتك عنه من قبل

ومن أغرب ما شاهدت فى هذه الرحلة ، أنه لما اجتمع الدليلان ، وكلاهما شيخ قبيلته ، طفقا يذكران الماضى ،

(١) لا أصل لذلك فى السنة .

ويستعيدا أخباره . ففهمنا أنهما كانا عدوين يتقاتلان ويتنازيان ؛ فلما تدينا (أى تبع الشيخ ابن عبد الوهاب مصلح الجزيرة) نبذا ذلك كله ، وتمسكا بالأخوة الإسلامية ، وألّف الله بين قلوبهم بالإسلام كما ألف بين أجدادهم عرب الجاهلية ، فرحم الله ابن عبد الوهاب ورضى عنه وعن كل قائم لله بحجة ، داع إلى دينه بالحكمة والموعظة الحسنة ، آمر بالمعروف ناه عن المنكر ، ناصر للسنة قامع للبدعة

ومشينا فخرجنا من تبوك سبعين كيلاً لم نجد فيها ما نتحدث عنه ، أو نشكو منه ، فقد كانت الأرض متماسكة شديدة درجت عليها السيارة بسهولة ، وكل ما وجدنا فيها من الصعاب ثلاثة شعاب رملية لا يتجاوز عرض الواحد منها كيلاً ونصف كيل ، ورياح شديدة خبرنا الدليل أنها لا تكاد تنقطع من ذلك المكان ، ثم بلغنا أوائل الجبال ، فدخلنا وادياً متسعاً فيه تلال من الرمال ، فلم نسر فيه إلا قليلاً حتى كثرت فيه الصخور ، وازداد ارتفاع الجبال من حولنا ، وكانت الصخور هرمة بالية مؤلفة من صحائف رقيقة كصحائف الكتاب ، تتفتت من مس الأيدى ، والوادى ممتلئ بفتاتها ، ثم ظهرت فى الوادى تلال من الرمل الأحمر الناعم المتموج ، لها منظر أخاذ . واستمرت هذه المشاهد من حولنا مسيرة ثلاثين كيلاً ، ثم عرضت لنا جبال فيها الصخر الأسود تخالطه بقع حمراء ، وصلنا بعدها إلى أرض مستوية تشبه (بسيطة) التى مررنا عليها قبل أن نصل إلى جبال الطبيق فى طريقنا إلى تبوك ، ثم أمسى علينا المساء فى بقعة اسمها (ساح الغزوان) فبتنا فيها ، وبينها وبين تبوك (١٤٤) كيلاً ، سجلها راقم السيارة (الكيلو متراج) ومعنى (ساح الغزوان) عندهم ميدان المعركة

نزلنا نشهد الشمس وهى تجر ذيلها الذهبى على الوهاد والنجاد ثم تتوارى وراء الأفق البعيد ، فجلسنا نمتع الطرف بمحاسن السماء فى الصحراء ونريح النفس إلى سكونها وصفائها حتى إذا لف الكون الظلام أوقدنا النار وأشعلنا المصابيح وفرشنا الفرش ، وكنا فى أول الرحلة ننصب سرادقاً نبيت فيه فصرنا ننام تحت السماء بين أحدنا والآخر أكثر من عشرين متراً لا نخاف وحشاً ولا نخشى لصاً ، فقد أمّن الله الجزيرة بابن السعود حتى صار أمنها حديث الناس ، وانعقد عليه إجماع من أمّ الحجاز أو جال فى بواديها ، ولقد ترك أصحابنا التجار (وقد كانوا يسيرون على أثرنا بيننا وبينهم مسيرة ثلاث) سيارة مترعة بالثياب والطعام وكل ما يرغب فيه البدوى ، ويسيل لتصوره لعابه ، ورجعوا إليها بعد شهر فما وجدوا شعرة منها أزيحت عن مكانها على كثرة من مرّ بها من الأعراب !

وما أذكر أننا خفنا أو ارتمنا إلا ليلة واحدة نزلنا فيها على طرف واد ، وكانت ليلة حالكة السواد فما شعرت إلا الدليل محمداً الأعرج يجر بيدى ، فتبعته حتى ابتعدنا عن الرفقة ، فأشار إلى جهة رأيت فيها كمثل المصباحين ، فارتعت ودنوت منه فقلت : ما هذا ؟ فقال وهو غير مكترث ولا مبال : هذا نمر ! فنظرت إليه فإذا هو ساكن الطائر ، هادئ الجوارح كأنه حين يقول نمر يقول كلب أو قط ، ولم أكن رأيت نمراً من قبل إلا فى حديقة الجيزة بالقاهرة . فخفت والله وشعرت من الفزع كأن المقال طار عن رأسى ورجع ، وما أنا بالجبان ولا الرعديد ، ولقد عرضت لى الضبع مرة ، فما رأيت فيها كبير شىء ، ولكن النمر فى البادية فى الليل لا يرى منه إلا عينان كأنهما جمرتان ؛ لا ، إن هذا مخيف !

أما الأعرج فما كان منه إلا أن مدّ بندقيته وأطلق رصاصها على عينى النمر فأخطأهما وانتقل ضوؤهما المرعب إلى جهة أخرى ، فعاد فأطلق ناره فأخطأه ، وابتعد النمر ... فالتفت الأعرج ليعود فقلت : ويلك ماذا تصنع ؟ فقال : وماذا تريد أن أصنع ؟ لقد ذهب ! قلت : أفلا أوقظ الركب ؟ قال : لا ، بل نم أنت أيضاً . وتركنى الخبيث وذهب فنام وأنا أسمع غطيطه ؛ ومرت على ليلة وأين منها ليلة النابغة ؟ كاد يقتلنى النعاس ، وكلما غفوت توهمت النمر يحملنى بين أسنانه كما تحمل الهرة الفارة ، فأفيق مضطرباً أنظر حوالىّ وأنا أتعوّذ حتى طلع الفجر وما أدرى كيف طلع !

هذه هى ليلة الخوف عندى ، فمن سخر من خوفى فأنا أسأل الله أن يريه نمراً فى المنام لا فى اليقظة لينظر ماذا يكون من أمره .

قمنا — على عادتنا — فى الغلس فشهدنا طلوع الفجر ونحن نعد الطعام ونتهيأ للرحيل ، ولقد كنا نسمع بالفجر سماعاً ونقرأ صفته فى الكتب ، ونعلم أن فى الدنيا فجراً كاذباً وفجراً صادقاً ، ولكنا لم نره عياناً ونعرف صادقه وكاذبه إلا فى الصحراء ؛ وتركنا ساح

النزوان قبل أن تطل الشمس على الدنيا متوجهين إلى الجنوب . فلم نسر إلا قليلاً حتى كثرت من حولنا الهضاب ، فكنا نوالى الصعود والهبوط ، واستمر ذلك نحو تسعة أكيال ، ثم انقطعت الهضاب وابتدأت القور وهي كالآكم ولكنها مؤلفة من الصخر الأسود ، وربما كانت القارة صخرة واحدة عظيمة أشبه شيء بالمخروط الناقص (عند أهل الهندسة) ، وكانت هذه القور صخوراً مطبقة هرمية كالتي وصفنا آنفاً ، فكنا ندور بالسيارات فيما بينها ونمشي خلالها ، وامتدت بنا ستة أكيال ، ثم انتهينا إلى سهل مبسوط كالكف سرنا فيه كيلين ، ثم عادت الهضاب والقور تتخللها أراض منبسطة وامتد بنا ذلك عشرة أكيال ، ثم عرضت لنا حجارة كبيرة ملأت الأرض ولقيت منها السيارات شدة وبلاء ، ثم أخذنا بالصعود ، نرتقي سفوحاً وعرة صعبة ، إلى أن غبنا بين جبلين عاليين صخرهما من ذلك الصخر المطبّق المهرم الذي يتفتت ، فسرنا خمسة أكيال فانتهينا إلى بقعة قال الدليل إنها ملتقى طريق الجوف (أي دومة الجندل) بطريق المدينة

خلفنا طريق الدومة عن شمائلنا وواليـنا الصعود خمسة وثلاثين كيلاً أخرى ، فالتقينا بمدها بالخط الحديدي ، ووقفنا قبالة محطة صنعاء ، وهي قائمة وحدها في البادية ، قد نزعت منها أبوابها وشبابيكها ولم يبق منها إلا جدرانها ماثلة تستبكي من كان له قلب ، وكان في قلبه إيمان ... وماذا لعمري يجدي البكاء ؟

(لها بقايا) علي الطنطاوي

الى معالى وزير المعارف

التعليم الزراعى

دعونك لما براني البلاء وأوهن رجلى ثقل الحديد
وقد كان مشيهما فى النعال فقد صار مشيهما فى القيود
وكنت من الناس فى محفل فها أنا فى محفل من قرود
فلا تسمعن من الكاشحين ولا تعبأن بمجل اليهود
وكن فارقاً بين دعوى أردت ودعوى فعلت بشأو بعيد
(المتنبي)

مضى ربع قرن والتعليم الزراعى فى مصر – عدا الجامعى منه – واقف فى مكانه لا يتحرك ولا يتزحزح ، ولا يشعر بأن الحوادث حواليه تنطلق إلى غايتها فى عنفوان وتشتد إلى غرضها فى عزم . أما هو فقد تخلف فى سبات عميق لا يخضع لسنة الطبيعة ولا ينزل على حكم التطور . ولشدّ ما آلمنى – حين قُدِّر لى أن أغتمر فى غمار هذا النوع من التعليم – أن أجده متفككاً يتداعى من هوان ومن ضعف ؛ ولبثت ما لبثت أسوق النفس سوقاً إلى غاية ، وأنا أرى وأحمل النفس على الصمت ، ثم أنشر رأيى على صحابتى – بين الحين والحين – فلا أجد إلا الجمود الذى نفثه الاستسلام ، والجمود الذى ولدته سخرية الرئيس من آراء مرءوسيه والتهكم بها والامتهان لها ، نتيجة التزمت والكبرياء . والآن هبت الوزارة ، أو بالأحرى مراقبة التعليم الزراعى ، تسعى إلى تهذيب هـذا النوع من التعليم وتريد إصلاحه ، فأردت أن أتغلغل إلى قراره عَلى أستطيع أن أبدى سوءاته أو أن أنقى عنه خبثه ، وما لى بعد ذلك إلاّ أجر العامل المجد أو جزاء الناصح الأمين

والتعليم الزراعى فى مصر – عدا الجامعى منه – يتكون من المكاتب الزراعية ومن المدارس المتوسطة ، وسأحاول جهدى أن ألم شعث الموضوع فى نظرة فاحصة سريعة .

أولا : المكتب الزراعى

فكرة الإنشاء

نشأت فكرة المكتب الزراعى – أول ما نشأت – سنة ١٩٣٥ ، وابتدأ تنفيذ هذه التجربة فى سنة ١٩٣٦ . وفى الحق لقد كانت الفكرة جميلة تختلب النظر والقلب معاً وتستحق الثناء والشكر ، لأنها تحقق غرضاً سامياً ، وتملأ فراغاً استشعرته مصر الزراعية منذ زمان . وهى فى لبها ترمى إلى أن تنشئ طائفة من أبناء صغار الزراع تنشئة تتفق والنهضة الحديثة التى قطعت البلاد فيها شوطاً غير قريب ، ثم تدس بهم بين آبائهم وأهليهم لينهضوا بهم وليكونوا نواة للعمل العظيم الذى ينتظرهم بعد ، وهو اطّراح الطرق الزراعية العتيقة والأخذ بالحديث منها . غير أن شيئاً عدل بالغرض عن وجهته الأولى فأصبح يرمى إلى تخريج فئة من أشباه الموظفين والعمال يقومون على إدارة الدوائر والضياع والبساتين . واتخذت التجربة سبيلها فى مكتبين ملحقين بمدرستى الزراعة المتوسطة بالمنيا ودمنهور ، والتحق بالمكتبين صبيان أتموا التعليم الإلزامى ليتخرجوا بعد سنوات ثلاث

وارتطم المشروع بالصدمة الأولى ، بقلة عدد التلاميذ ، فكاد يهوى ، لولا أن حكمة القائمين على العمل تداركته ففتحت أبواب المكتبين على مصاريعها لأبناء الفعلة والعمال والصناع والزراع على السواء ، فتم عدد التلاميذ عشرة فى كل من المكتبين وسار دولاب العمل ...

نظام الدراسة وصدتها

الآن حقّ لابن الصانع والعامل و ... أن يلتحق بالمكتب الزراعى ليخرج بعد ثلاث سنوات عاطلاً لا يستطيع أن يجد عملاً أو أن يعين أباه أو أن يفيد وطنه أو يحقق الغرض الذى من أجله أنشئ المكتب . وماذا يفيد الصانع أو العامل أو الزارع نفسه أن يأتى ابنه – وقد شب وترعرع – يغدو إلى المكتب ويروح إلى الدار وهو فى حاجة شديدة إليه ، فراح كل منهم يحول بين ابنه وبين المكتب ؛ فأوشك هذا العمل – وهو جليل – أن يتوارى عن الأنظار لولا أن أدركته حكمة الرؤساء مرة أخرى ، فخولوا للتلاميذ أن يحضروا متى شاءوا وأن يمتنعوا عن الدراسة متى أرادوا ، دون أن يبدى الواحد منهم عذراً ، أو أن يحتمل لوماً وتأنيباً ، أو أن يؤاخذ أبوه ؛ فانطلق التلميذ إلى غيّه يهرب حين يلذ له الهرب ، ويسكن إلى أمه أو أبيه حين يطيب له ذلك . وهكذا تداعت أبسط مبادئ الأنظمة ، واختل نظام العمل ،

وانهد الركن الركين فى سير الدراسة ، ولست أدرى ، ماذا عسى أن يكون هذا الطفل بعد حين وهو قد درج على ألا يأبه لنظام ولا أن يهتم بميعاد ! واندفع الصبى وأبوه يتغاليان — وقد نام الرقيب — فينطوى العام الدراسى كله ولمّا يحضر التلميذ غير شهر أو بعض شهر، ثم هو لا يحمل مئونة الاختبار ولا نصب الاستذكار والمطالعة ولا يصبر على قسوة العمل ، فهو منقول إلى السنة التالية بدون شرط ولا قيد ، وتنقضى السنوات الثلاث فإذا الصبى المتخرج فى المكتب جاهل يرتدغ فى جهله

وتساهل القانون مرة أخرى وأغضى ، فصرح للتلاميذ أن يحضروا دروسهم فى أسمال بالية ، حفاة عراة الرءوس ، تأكلهم الوساخة و ... على حين أن الصوت قد بُحّ من طول ما نادى بوجوب تنظيف الفلاح وترتيب حياته على نسق ، أما هنا فأصبح الإهمال والقذارة قانوناً ...

وانطوت السنون فإذا المكتب كله ينضم على أحد عشر بينهم الناظر وليس بينهم أى مدرس، فمدرسو المكتب هم بعض مدرسى مدرسة الزراعة المتوسطة

ومن غريب ما يروى أن ناظر هذا المكتب كان يقضى يومه لا عمل له إلا أن يكتب الرسائل إلى الوزارة ويستقبل الرسائل منها . ولِمَ ؟ لأن الصبية يقضون يومهم فى الحقل أو فى مدرسة الزراعة المتوسطة ، فهناك يشهدون التجارب العملية ويعملون بأيديهم ، وهنا يتلقون دروسهم على أساتذتهم

عجيب أن نخطئ فنقول إن التلميذ فى هذه السن الصغيرة يستطيع أن يدرك التجارب الزراعية الحديثة ، أو أن يطبقها ويقارن بينها وبين القديمة ليعرف الغث من السمين ، وعجيب أن نخطئ - مرة أخرى - فنقول إننا نستطيع أن نهيئ هذا الصبى فى ثلاث سنوات ليكون زارعاً من الطراز الأول !

وإذن يتراءى لنا — لأول وهلة — قصر مدة الدراسة ، فلا التلميذ يستطيع أن يستوعب شيئاً ، ولا المدرس يستطيع أن يحشو ذهنه النض

منهاج الدراسة

هذا الصبى الصغير قد تثقف ثقافة أولية بحتة لم يلمس فيها رهقاً ولا عنتاً ، وهو حين التحق بالمكتب الزراعى لم يقدر أن يحمل ما لا طاقة له به

هنا ، فى هذا المكتب ، يرزح الصبى تحت ثِقل ينوء به ، فالعلوم كثيرة متراكبة ومتشابكة ، ومواد العلم الواحد أو فرع العلم طويلة مملة ، فماذا وراء أن يدرس التلميذ فى المكتب - مثلاً - منهجاً طويلاً فى مسك الدفتر فيه : اليومية ، واليومية الزفرة ، والأستاذ ، وحساب الأرباح والخسائر ، والميزانية ، والأوراق المالية و ... مما يبهظ عقل التلميذ ويتركه فى حيرة من أمره ويطغى على وقته ؟ وماذا وراء أن يتلقن الصبى فى مكتبه ما يتلقاه طالب الزراعة المتوسطة سواء بسواء ؟ وهكذا نرى المنهاج فى كل فروع الدراسة طويلاً ومعقداً ومملاً ، حتى منهاج الزراعة نفسها ؛ وقد لا يرتبط فى كثير من الأحايين بالناحية العملية ، وهو إن مَتّ إليها بسبب فلكى يرى التلميذ التجربة مرة واحدة ثم لا يعود ؛ فى حين أن ما نبتغى هو أن يشهد التجربة ويعملها بيده مرة ومرة ثم لا يبتعد عنها ، وأن يعرف أشياء كثيرة عن منتجات الألبان وتربية الماشية ودودة القز والنحل ثم الصناعات الزراعية مما يجهله الزارع أو يهمله أو لا يعترف بفائدته الحيوية والمادية

ثم كيف يأخذ المدرس على عاتقه تدريس مادة لهؤلاء التلاميذ الصغار إن لم يكن بين أيديهم مراجع يرجعون إليها إن أعوزهم الأمر أو خانتهم الذاكرة ؟ لا ريب أن التلميذ لا يستطيع أن يحفظ كل ما يلقى عليه وهو كُثْر ؛ والمدرس لا يستطيع أن يرهق التلاميذ بالشراء أو الطبع وهو يعلم أنهم فقراء يجدون مس العوز، وأن المكتب يقوم على تربيتهم مجاناً ، بل ويحبوهم بالمأكل والملبس . إذن لا بد أن يجد أسهل سبيل يبلغ به غايته ، وهو الإملاء

وهنا ... هنا فقط شغلت الإملاء — دون الشرح — كل وقت الصبى ، وانمحى كل مبدأ أو مذهب يرتكن إليه التدريس الفنى ؛ وإذن ذهب التلميذ يكد ذهنه ليحفظ تجارب وعمليات وأسماء وموضوعات سطرت على القرطاس وعمى بصره عن أن يراها فى الحقل . وانتهت الحياة به إلى ما ينتهى إليه كل طالب حين يخرج من مدرسته ، لا يتعلم إلا أنه فوق مستوى الفلاح ، فهو يأبى أن ينزل إليه وهو لا يعرف أن يسمو عنه .

« للموضوع تكملة »

(*)

بمناسبة الأربعين

الفكر الهـــــامد

مرثية المرحوم الدكتور أدهم



عَجَّلْتَ رَحْلَكَ دُونَ أنْ تَلْقانى   يا أطيبَ الإخوانِ والخُلّانِ
ما كنتُ أحسبُ أنَّ وَعْدَكَ باللِّقَى   وَعْدُ الرُّؤى خُدِعَتْ به العَيْنانِ
نَبأٌ فُجِعْتُ بهِ ، وأىَّ فجيعةٍ !   ألْقَى عَلَىَّ كَلاكِلَ الاحزانِ
مازِلْتُ أقرأُهُ وأخدعُ ناظِرى   حتّى تحطَّمَ فى الشجونِ كِيَانى
أنا مَنْ فقدْتُ بكَ الوفاءَ مُجَسَّماً   وَفَقَدْتُ بعدَكَ راحةَ السُّلْوانِ
عُمْرٌ كلَمّاعِ الشِّهابِ طَوِي الدُّنى   حتى تعثَّرَ فى دُجَى الأشجانِ
لو مُدَّ فيهِ أنى بأرْوَعِ آيهِ   لكنَّهُ قدرٌ مِنَ الرحمٰن ...
لِي فيكَ أخلاقٌ كَسِيماءِ الضُّحَى   وَشمَائِلٌ وَزِدِيَّةُ الأَرْدَانِ
وَإباءُ نَفْسٍ لم يُطَأْطِئْ هامَهُ   عَنَتُ السَّقامِ وَغارَةُ الحَدَثَانِ
وَذَكاءُ ذِهْنٍ كالأشعَّةِ نافذٌ   فيما وراءَ دَقائقِ العِرْفانِ
وَطُمُوحُ نفسٍ فِي توقُّدِ خاطِرٍ   وَصَفاءُ فِكرٍ فِي اتِّقادِ جَنَان
وَصَراحةٌ كالشمسِ تلْقِي رَأْيَها   حُرًّا بغيرِ تملُّقٍ وَدِهان
مَا قُلْتَ فى السِّرِّ الحَصِينِ مَقالةً   غير الذى تُبْدِيهِ فى الإعلانِ
مَجْدٌ بَنَيْتَ وما انتظرْتَ تَمامَهُ   هذا البناءُ .. فأين أينَ البانى؟
لي فيكَ هاتيكَ المَوَاهِبُ كلُّها   أمّا العقائدُ فهىَ الدَّيَّانِ ...
فى ذِمّةِ القَدَرِ المعجَّلِ هِمَّةٌ   جَبَّارَةٌ فى هَيْكلٍ مُتَفانى
السُّقْمُ نَاوَأَهُ فَمَا اسْتَخْذَى لَهُ   والسُّقْمُ جبّارٌ عَلَى الأبدانِ
ضاقَتْ بهِ الدُّنيا وضاقَ خِضَمُّها   عن ضَخْمٍ بَحْرٍ دائمِ الفَيَضانِ
لمّا اقتحمْتَ على العقائدِ بابَها   وَبَسَطْتَ رأىَ الباحثِ الحَيْرانِ
قامتْ عليكَ قيامةُ الدنيا لهُ   والدِّينُ أثمنُ ثَرْوَةِ الإنسان
رَأْىٌ رَأيْتَ وللوَرَى هَفَوَاتُهُمْ   والمرءُ مهما اشتدَّ فى النَّزَوَان
فهو الضعيفُ أمامَ قُدْرَةِ خالِقٍ   وَسِعَتْ جَلالَتُهُ مَدَى الأكوان
وهو الفقيرُ إلى مَرَاحِمِ رَبِّهِ   ما أحْوَجَ الإنسانَ للغُفْرَان !
لوْ ناقَشُوكَ وجادَلوكَ بحِكْمَةٍ   وَهَوَادَةٍ ، وَتَرَفُّقٍ ، وَلَيَان
لَرَجَعْتَ عن رأىٍ تَبَيَّنَ خِطْؤُهُ   وَنَزَلْتَ عن دَعْوَاكَ بالإذعان !
لكنَّهمْ شنُّوا عليكَ حروبَهم   وَلَقُوكَ بالإيذاءِ والعُدوان
ما الشكُّ شَكُّكَ إنّما هي نَزْعَةٌ   من عالِمٍ باغٍ على الأديان
وجَدَتْ إلى النَّفْسِ الطَّرِيئةِ مَنْفذاً   فَتَسَلَّلَتْ منه إلى الوِجدان
والشكُّ سُلطانٌ إذا ماشَيْتَهُ   سُدَّتْ عليكَ منافذُ الإيمان
والنفسُ فى فَجْرِ الشبابِ صَنيعةٌ   لجديدِ رأىٍ أو لِسِحْرِ بيان
سابقْتَ حَيْنَكَ يا ضَحِيَّةَ فِرْيَةٍ   وَأَدَتْ شَبابَكَ وهو فى الرَّيْعانِ
هاجتْ شُعورَكَ واستثارَتْ حُرَّةً   ثارت عَلَى القُضْبانِ والسَّجّان
ما ضاقَ صَدْرُكَ والسَّقامُ يَهُدُّهُ   إلاّ بِقَوْلِ مُنافِقٍ أو شانى
قَوْمٌ أثارُوها عليكَ نِكايةً   لِشِفاءِ ما فى النفسِ مِنْ أضغان
زَعَمُوكَ داعِيَةً ... وأنتَ مُبَرَّأٌ   عن كلِّ ما زَعَمُوا مِنَ البُهتان
الحِقْدُ داءُ الشرقِ أعيا بُرْؤُهُ   طِبَّ الأُساةِ وَحِكْمَةَ الكُهّانِ
العبقريةُ من أذاهُ جريحةٌ   فى كلِّ مَرْحَلَةٍ ، وكلِّ زمان
مَنْسِيَّةُ الآثارِ ، ضائعةُ الصَّدَى   مَخذولةُ الأنصارِ والأعوان ...
جَحَدُوا نُبُوغَكَ وادَّعَوْهُ خُدْعَةً   وَالسِّنُّ بعضُ وَسائِلِ النُّكران

ما السِّنُّ مِيزانُ النُّبُوغِ وَإنما هو نِعْمَةٌ تَسْمُو عَلَى الأَوْزَانِ
كم فى الشيوخ المعرِقينَ سَذَاجَةٌ وَرَجَاحَةٌ فى الفِتْيَةِ الشُّبَّان !
خَذَلوكَ والدنيا إذا لم تُسْقِها كأْسَ الرِّيَاءِ جَزَتْكَ بالخِذلان
مَنْ لى بِلَيلاتِ المَصِيفِ وأُنْسِها وظِلاَلِ أيَّامٍ خَلَوْنَ حِسَان
ومَجالِسِ اللَّهْوِ البرىءِ يَزِينُها عَقْلُ الحكيمِ وَرَوْعَةُ الفنَّان
وَمَطارِحِ الحُلْمِ البعيدِ تَرُودُها مِنَّا رَغائِبُ فى غَدٍ وأمانى !
كأْسانِ من صَفْوِ المُنَى سُقِيَاهُما قَلْبَانِ فى الإحساسِ مُؤْتَلِفَانِ
مَرَّتْ ليالى الصيفِ وهى سريعةٌ ومضى ربيعُ العُمْرِ دون تَوَان
وَتَفَرَّقَ الأحبابُ عن أحبابهم فإذا الذى كانوا رُؤًى وَسْنَان
طُوِىَ البساطُ وغُيِّبَتْ أحلامُهُ فاليَوْمَ لا كأْسى ولا نَدْمانى !

حسين كامل الصيرفى

من كبرياء الحب !

وَيَا أَنْتَ . . . !

« ... وهذه يا أنت تحية على الفراق الذى لا لقاء بعده ؛ فقد وضعت بينى وبينك سداً ما ينفك قائماً حتى أموت ... ... وهنيئاً لى !! » « هو »

سَئِمْتُ الهناءَ فلا تَعْجَبى ! فَإنَّ شَقاءَ الهوَى مَطْلَبِى !
وَأَحْبَبْتُ فيكِ جَفافَ الحيا ةِ وَبطْشَ القَضَاءِ فلا تَغْضَبى
وَمَا حَاجَتى لِلنَّعِيمِ المُقِيمِ إذا لم أَكُنْ فيهِ بالمُتْعَبِ ؟
خُلِقْتُ لِأعشقَ فيكِ البَغِيضَ وَأتْرُكَ ما فيكِ مِنْ طَيِّبِ
وَكُلٌّ لهُ مَذْهَبٌ في الغَرَامِ فلا تَسْخَرِى أنتِ مِنْ مَذْهَبِي
أَخَذْتُ لِنفْسِيَ ما تَكرَهِينَ وَمَالِيَ بالفَاتِنِ المُعْجِبِ ؟
وَخَلَّفْتُ لِلنَّاسِ ما يَشْتَهُونَ وكم فيكِ لِلنَّاسِ مِنْ مَأْرَبِ
شَقِيتُ لِأُسْعِدَهُمْ بالجَمالِ وَلَكِنْ سَعِدْتُ فلا تَعْجَبى
فَقُلْتُ : وَدَاعًا زَمَانَ الرَّخاءِ فما هِمْتُ فى العَيْشِ بالمُخْصِبِ
أُحِبُّ الجَدِيبَ وَرَعْىَ الجَدِيبِ فَأُنْزِلُ قَلْبِيَ بالمُجْدِبِ
فَيَا أنتِ ! أَيْأَسْتِ بى شاعِرِى وَحَيَّرْتِ لِى فى الدُّجَى كَوْكَبِى
وَهَبْتُكِ لِلْبِيدِ أُنْشُودَةً فَمَا كانَ لَحْنُكِ بالمُطرِبِ !
وَأَنتِ تَنَكَّرْتِ لِى بَعْدَ مَا تَفَرَّدْتُ فى قَفْرِكِ المُلْهَبِ !
تَعِيشِينَ لِلْجَدْبِ لَكِنَّنِي أُرِيدُكِ لِلْوَحْيِ فِي مَوْكِبِى !
هَنِيئاً لِيَ القُرْبُ لاَ يُرْتَجَى ! فَبُعْدُكِ إنْ طَالَ مِنْ مَكْسَبى
وَيَا أَنْتِ ! إنِّي مَلَلْتُ الضَّلاَلَ وَحُبُّكِ هَذَا الذي ضَلَّ بى !
أَسِيرُ بِهِ فِي ضِيَاءِ الحيَاةِ فَيُلْقِي بِقَلْبى إلى غَيْهَبِ
وَأَشْدُو لهُ فِي سَمَاءِ المُنَى فَيَمْزُجُ بالْيَأْسِ لِى مَشْرَبى
بَرِئْتُ مِنَ الحُبِّ يا تَوْبَتِى فَهَيَّا بِرَبِّكِ عَنِّى اذهَبِى

(القاهرة) محمود السيد شعبان

هُنـــا . . .

هُنـــا يا روض أحلامى أذاب العطر أنفاسِى
هنا يا نبع إلهـــامى شربتُ صُبابة الكاسِ

هنـــا قابلتُ حوائى على أعشابك الخُضر
وعند الظل والمـــاءِ وبين خمائل الزهرِ

هنـــا كانت أمانينا ترفُّ كنفحة الوردِ
هنـــا كانت تغنينا طيورٌ من ربى الخلدِ

ولكن ... آهِ من دهرى هوَى بالسوسن الغضّ
وأذوى زهرة العمـــرِ وأخرس بلبـــل الروض

فوا لهفى على صـــوتٍ شجىٍّ كان يشجينى
أصابته يد المـــوت فكاد الحزن يبلينى

ســأبكى والربى تبكى معى بفـــؤادٍ مفطور
أبعـــد الزهر والأيكِ يضم القـــبر عصفورى

(محلة مرحوم) حامد الشريف



قصة الفيتامين

تجربة غذائية عرضية

في ربيع عام ١٩١٥ قبيل دخول الولايات المتحدة الأمريكية الحرب الماضية ألقت الباخرة البرنس ولهلم الألمانية مرساها أمام الساحل الشرقي لأمريكا الشمالية . وكانت تعمل هذه الباخرة قبل الحرب في خدمة المسافرين والنقل ، فأصبحت بعده تؤدي واجبها في البحرية الألمانية كطراد تجاري وأجري تعديلها تبعاً لذلك فحوّلت ردهاتها وأبهاؤها الفاخرة إلى مستودعات للذخيرة والوقود ونُصبت فوق ظهرها المدافع الضخمة

تغلبت البرنس ولهلم على الكثير من البواخر المعادية واستولت منها بحكم الغلبة على وافر من المواد الغذائية من دقيق وزبد وخبز جاف ولحوم وخضر جافة ومحفوظة . وبهذا أصبح الذين على ظهرها في سعة ومتعة غارقين فيما استولوا عليه من غذاء

ظهرت بعدئذ على رجالها حال مرضية لم تكن منتظرة لمثلهم في هذه السعة والوفرة الغذائية ، وطرأت على الكثير منهم أعراض مرضية غريبة كنوبات عصبية تصيب البعض ، واضطرابات في القلب والتنفس ، وتضخم في المفاصل عند البعض الآخر، ووقفت إصابتا كسر في العظام بلا شفاء يرجى رغم العناية والمحاولات التي بذلت في هذا السبيل . وذكّرت صورة المرض هذه بالأقصوصة الشائعة حينذاك عن مرض البري بري الذي أصاب رجال المركب الشراعي الذين كان قوام غذائهم المواد المحفوظة . ولكن شتان بين وجهي الشبه في الحالتين ولا سيما أن رجال البرنس ولهلم يتمتعون بغذاء منوع وعلى حساب العدو هانئين بوافر من الدقيق والبسكويت والبطاطس والزبدة وأنواع الجبن حتى البن والشاي كان في متناولهم بلا حساب

ذهبت محاولات طبيب الباخرة وقائدها في علاج المرضى أدراج الرياح حتى امتلأت بهم عيادة الباخرة التي تحولت إلى مستشفى عائم في أمد وجيز . وعند ما طوّح المرض بمائة وعشرة من ملاحي الباخرة البالغ عددهم خمسمائة لم يجد طبيب الباخرة ولا قائدها بدا من اللجوء إلى أقرب ميناء محايد . وفي ١١ إبريل من نفس العام ألقت الباخرة مرساها أمام ميناء نيوبورت نيوز الأمريكي

سرى خبر هذا المرض العجيب في الأوساط العلمية الأمريكية مسرى البرق وتقلب على ظهر السفين الكثير من العلماء والأطباء كي يشاهدوا هذه الحالة الشاذة عن قرب ويتبادلوا الآراء والتعليلات الممكنة ، وجاء على لسان بعضهم مرض البري بري الذي سبق ذكره وتعليل أثره في السطو على الأعصاب بكائنات صغيرة حية ، وهكذا تضاربت الآراء واختلفت الأفكار حول إمكان انتشار هذا المرض بالعدوى أو غيرها . ولم يهتد طبيب أو مفكر إلى أية نتيجة تفيد الموقف ، لأنه ما من أحد حتى هذه السنة كان ليهديه التفكير إلى أنه قد ينقص الغذاء الكثير المتنوع تلك المركبات الدقيقة اللازمة لإتمام عمليات التفاعل الكيميائي في الجسم

كان أسبق الناس في التفكير والتطلع إلى هذا النحو الجديد الفسيولوجي الإنجليزي هوبكنز Hopkins إذ ذكر في محاضرة له في مؤتمر الطب العالمي الذي عقد في لندن في عام ١٩١٣ نتائج تجارب غذائية قام بها في كمبردج على الفيران ، وكان قد قدم لها غذاء خاصاً يحتوي على جميع المواد اللازمة التي يُقرها علم التغذية من مواد زلالية ودهنية ونشوية ومعدنية بنسب مضبوطة وفي شكل واحد، وبالرغم من هذا نفقت الحيوانات في وقت قصير

ولقد جاءت آراء هوبكنز هذه سابقة لأوانها لأن الأذهان لم تكن لتفقه وتعي بعد ارتباط نتائج تلك التجارب الغذائية بتلكم المواد التي ما زالت مجهولة . ولم تُجْد زيارات الأطباء والعلماء المرضى نفعاً ، وعجز الجميع عن تقديم أية مساعدة فعالة تقي هؤلاء البحارة مصرعهم البطيء المؤلم

وفق بعدئذ الكيميائي النيويوركي ألفرد ماك كان Alfred W. McCann في تتبع آثار النكبة التي حلت برجال الباخرة .

وساعده على ذلك قراءة ما تركه هوبكنز عن اختباراته ، وبفضل اختباراته الشخصية ودراساته لسلم التغذية ظهر له ما قد ينقصه غذاء هؤلاء المرضى ويقض مضاجعهم . وبجهود أمكنه الاتصال بطبيب الباخرة، ودعا طاهيها إلى الحديث، فظهر له بالتحرى والسؤال أنه برغم توفر اللحوم المحفوظة والدقيق ولبن العلب والخضروات الجافة لم يحصل البحارة المنكودون على فواكه طازجة ولم يتذوقوا خضراً نيئة، عندئذ صاح مظفراً وقال مخاطباً طبيب الباخرة الذى وقف مشدوهاً : لقد سلبت القوة الحيوية الطبيعية من جميع أنواع الغذاء الذى قدّم لهؤلاء البحارة التعساء، فاللحوم المجففة والبطاطس قد فقدت أملاحها الفوسفورية عند تحضيرها للتعبئة ومعالجتها بماء الأملاح الحمضية لحفظها ، كما فقدت الخضروات قوتها الحيوية بمعالجتها بالقواعد ، كما فصل الدقيق من أغلفته ونزع من الأرز قشوره ، وبهذا لم تكن التغذية على ظهر السفين طبيعية مستوفاة متنوعة ، ونصح بتغيير قائمة الطعام وإضافة الخضر الطازجة والفواكه الطازجة وعصيرها واللبن الكامل واللحوم غير المحفوظة . تبادل طبيب الباخرة وطاهيها النظرات مستبعدين صحة ما يدلى به هذا الشاب ولكن ما يمنعهم من تجربة ما يقول وقد أعيتهم الحيل ، ولتكن محاولة أخيرة علّ فيها الشفاء

وباتباع قائمة الغذاء الجديدة تبدل الحال وسرى فى المرضى تيار الصحة وظهرت عليهم أعراض الإبلال فهبطت أورام المفاصل وخف ضغط الأعصاب وزحف الذين أقعدهم المرض . وبانقضاء أسبوع واحد على نظام التغذية الجديد الذى أشار به ماك كان غادر مستشفى الباخرة الفوج الأول من المرض، وبمضى أسبوعين وقف المقعدون ومن حل بهم المرض ودب فى الجميع دبيب الحياة

***

لقد كان فى المأساة التى حلت برجال الطراد وأودت بأرواح مائة وعشرة من الأنفس الخاطرة للقوية أسى وعبرة ومثل واضح لقوم لم تمنعهم وفرة الغذاء ولا ترف العيش من التعرض لأصناف الهلاك والضعف إذا ما سلب من هذا الغذاء القوة الحيوية الغامضة التى أودعتها الطبيعة إياه، وكم كان جيلاً وطبيعياً من الإنسان الأول الذى عاش على الفطرة ونما مع الطبيعة أن كان يحصن نفسه ضد هذه الدوارض إذا أقبلت عليه بمضغ الخضروات وتبلع الأعشاب كى يقاسمها بعض ما أودعتها الطبيعة من قوى حية كامنة

أما بعد ذلك وبدافع التطور والمدنية فقلما يفعل الإنسان ما كان يفعله السلف النابر ، بل قد ادعى الأفضلية على الطبيعة فعمل على تهذيب ما تهبنا من غذاء عالجه للحفظ تارة بالتسخين وأخرى بالغلى أو التعقيم أو التمليح أو الغسل بالحوامض والقلويات حتى التكرير والتبييض والتلميع . وبهذه العمليات القاسية أبعد الإنسان من غذائه هذه المواد التابعة التى لم يعرها أى انتباه ما دام يرضى بالغذاء الذى يستسيغه وبروقه ، والذى يعتقد احتواءه على النسب اللازمة من المواد الغذائية والوحدات الحرارية (الكالورى) (يتبع)



ما أسعد الأشقياء فى الحب !

لا أعرف من هو الأستاذ صلاح الدين المنجد الذى يكتب إلى « الرسالة » من دمشق ، ولا أعرف كيف فاتنى التعرف إليه وقد زرت دمشق أربع مرات وشربت فيها أكواب الرحيق

وهل يهمنى من أمره أكثر من العرفان بأنه استجاب لدعوة الوجود فهتف بالحب ؟

تلك وثيقة روحية تصل بينى وبينه على بُعد ما بين القاهرة ودمشق ، فإن كنت لم أره بعينى فقد رأيته بقلبى . وإن أخطأ القلب فى وزن مزاياه فلا ندم ولا أسف ، لأنه على كل حال قد نشأ فى رحاب « جَيْرُون » وإن كان فى روحه وقلبه أعظم مما قدّرت فما ذلك أول حظ يفوتنى فى دنياى ، فقد فاتنى الأنس بملاعب الأسكندرية فى هذا الصيف ، وفاتنى النعيم برؤية اللؤلؤ المنثور فوق مرابع دمياط ، وحرَمتنى المقاديرُ نعمةَ العتب على « عيون المها وراء السواد »

وماذا يريد هذا الأديب من توجيه القول إلىّ وهو يتحدث عن ظلال هواه ؟

لعله سمع أن فى مصر كاتباً فضحه الحب فلم يَعُد يبالى أكاذيب اللائمين ، وأقاويل العاذلين ، فحدثته النفس بأن يوجه إليه القول ، والعاشقون رفاق

هو ذلك ، يا رفيق ، ولكن دنيا القاهرة غير دنيا دمشق ، ورحم الله الشاعر عبد الحليم المصرى إذ يقول :

مصرٌ بنا ضاقت فما حالكم   فى قطركم يا شعراء الشآم

فأنت فى بلدك يهتف بك الشوق فتذكر بلواك بالحب ثم لا تجد من يعذلك فيقول : هـذا كاتب يمزح فى أوقات الجد فيتحدث عن الصبابة والوجد فى أيام الحرب

وحالى غير حالك ، يا رفيق ، فدنيانا فى مصر تخضع لخطوب وصروف خلقها الحقد على البلابل والعنادل ، ليخلو الجوّ لنعيب البُوم ، مع أن البُوم قد انعدم فى مصر منذ أجيال طوال ، كما انعدمت الثعالب والذئاب ، ولم يبق فى بلادنا ما يلهو به الصائد غير تعقب أسراب الظباء فى طريق الهرم أو طريق السويس

وقد أردت أن أتغنّى بأزهار الصباحة فى وطنى ، الوطن الذى لا تقع فيه العيون على غير ما يُزيغ البصائر ويُضل العقول ، فلم أظفر مع طهارة القلب بغير الاصطباح باللوم والاغتباق بالتثريب ، مع أن وطنى هو الذى ابتدع النشيد المحبوب :

«صيد العصارى يا سَمَك» ، ومع أن الجمال فى مصر لا يقاس إليه الجمال فى أى أرض إلا حين تذكر مسارح الغزلان فى الشام وفلسطين ولبنان والعراق

فإن باركتم « الجبل القائم كالفارس الأسمر الجميل » فهى عُلالة تنسون بها أن مصر لها فى دولة الحسن سلطان لن يزول ، لأنه المحور الذى ترتكز إليه « وحدة الوجود »

كل ما فى مصر جميل ، ولكن أين الشعراء ؟

كان للشعر الوجدانى دولة أيام الوزير محمود سامى البارودى بطل القلم والسيف ، ثم صار الحديث عن الحب بدعة لا تليق برجل من الوزراء ، فأين من يُبلغ أهل مصر أن الحديث عن الحب لم يغضّ من قدر وزير المعارف الأسبق فى العراق وهو معالى الأستاذ محمد رضا الشبيبى ، على أيامى فى صحبته أطيب التحيات ؟

لا بدّ لى من يوم أغرّ فى خدمة وطنى ، وهو اليوم الذى أهتف فيه بأن مصر هى الوطن الأول للشعر والجمال والفُتُون

بأى حق يهتف الهاتفون بالحسن فى دمشق على حين يخرس الشعراء عن الهتاف بالحسن فى القاهرة ، وهى بلا جدال عاصمة الشرق ؟

أيكون بلدك أجمل من بلدى يا صلاح الدين حتى يصح لى أن أسكت ويجب عليك أن تنطق ؟

نهركم هو بَرَدَى الذى يُصفّق بالرحيق السلسل

وأين بردى من النيل ؟ وهل فى الدنيا كلها نهر سبق النيل إلى المدنية وإلى الحديث عن أوطار القلوب فى الغسق والشفق ؟

وهل يكون الفرات فى الطغيان أعظم من النيل فى الوفاء ؟

وهل ترى جمال العراق ينسينى جمال وطنى ، الوطن الذى أجد الظلم فيه أعذب مذاقاً من العدل ، مع الاعتراف بأن شعراء

العراق سبقونا إلى وصف النشوة برحيق الوجود ؟

وأين الأرض التي تخرج الثمرات أربع مرات في العام الواحد كما تصنع أرض مصر ، مصر التي وُلد فيها موسى ونشأ بها عيسى وصاهرها محمد ، عليهم أفضل الصلوات ؟!

هي مصر التي تجهل عذابي في هواها ، وهي غادرة ظلوم

فلا تحسبوا هنداً لها الغدر وحدها سجيَّةَ نفسٍ كلُّ غانيةٍ هندُ

وإن عشت فسأنتقم للوطن الذي يظلمني من الذين يجورون عليه فيزعمون أن للحسن دولة في غير شارع فؤاد بالقاهرة أو طريق فاروق بالأسكندرية أو شارع عباس بمصر الجديدة أو طريق البحر في شبين الكوم أو شارع الحمراء في أسيوط

زكي مبارك

١ — حول كتاب « الديارات » للشابشتي

ذكرت في تضاعيف الشروح التي علقت بها على مقالتي « يوم من أيام المتوكل » في العدد ٣٦٩ من « الرسالة » ، أن « الشاذ كلاه » معناها « مهرجان التاج » وذلك نقلاً عمن يفقه اللغة الفارسية عندنا . على أنني عثرت في مجلة المجمع العلمي العربي (ص ١٣٧ من الجزء الخامس من المجلد الثالث) على مقالة لأحمد تيمور باشا عن الألفاظ العباسية التي ذكرها صاحب « نشوار المحاضرة » ، ذهب فيها إلى أن معنى « شاد » بالفارسية «الفرح المسرور» وأن معنى « كل » ، وأصلها « جل » الورد . فيكون معنى « الشاذ كلى » : « نوع من أنواع الدوكان يُعمل سروراً بالورد » وضبطها « شاذ كلى » بألف مقصورة ، وما أدري ما الفرق بين « شاذ كلى » و « شاذ كلاه » من حيث انتهاؤها

وما ذهب إليه العلامة تيمور باشا هو أصوب وأقرب ... مما ذهبت إليه فأثبته إقراراً للصواب

٢ — « أجهل من الكناني »

قرأت في « ثنايا » مقالات الأستاذ علي الطنطاوي — التي يصف بها رحلته إلى الحجاز وصفاً ممهلاً رائعاً — مثلاً استشهد به وما أدري من أين جاء به . فقد قال : « إن دليلهم كان أجهل من الكناني وأصحابه في اللغة العربية ... » . فهل للأستاذ أن يبيّن لنا سيرة هذا الكناني ، ويدلنا على مصدر هذا المثل ، ويجلو لنا الوقائع التي دفعت العرب إلى القول « أجهل من الكناني » فأنا لم أجد فيما بين يديّ من كتب من يذكر مثل هذا الاسم وهذا المثل . وله مني الشكر والإعجاب

(دمشق) صلاح الدين المنجد

إلى الأستاذ صلاح الدين المنجد

سلام الله عليك ورحمته . وبعد فإني الآن مهاجر من القاهرة إلى المنصورة . ولو كنت في القاهرة لما استطعت أن ألخص شيئاً من « كتاب الشمور بالعور » للصلاح الصفدي لأنه من نفائس دار الكتب المصرية وذخائرها التي حفظتها الدار الآن في مكان حصين صيانة لها من « الغارات الجوية » .

وموعدنا إن شاء الله زوال الحالة الحاضرة

محمود حسني زناتي
أمين الخزانة الزكية

هي كنية الإمام الصادق

جاء في كتاب (نقد النثر) لأبي الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي في الصفحة السادسة : (وروى عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال لهشام : يا هشام إن لله حجتين حجة ظاهرة وحجة باطنة ، فأما الظاهرة فالرسل ، وأما الباطنة فالعقل) .

غير أن الشارحين الدكتورين أو الأستاذين — على التغليب فيهما — طه والعبادي علقا في أسفل الصحيفة المذكورة على كنية (أبي عبد الله) بأنها كنية الحسين بن علي عليهما السلام ، والحق أنها هنا كنية الإمام جعفر بن محمد الصادق، إذ نجد الخطاب في هذه الرواية لهشام ، وهشام هذا هو ابن الحكم أحد متكلمي الشيعة ، وكان معاصراً وتلميذاً للامام الصادق

على أن ما تحمله الرواية من أسلوب ومن تقسيم للحجة إلى ظاهرة وباطنة ومن بيان حجية العقل ، كل هذا مما يلائم العصر الذي عاش فيه الصادق لا العصر الذي عاش فيه الحسين عليه السلام

(بغداد) « ع »

كتاب قصص القرآن

ظهرت الطبعة الثانية من كتاب « قصص القرآن » لبعض الأفاضل من المدرسين بقيادة الأستاذ الأكرم محمد أحمد جاد المولى بك . وقد أُهْـدِيَ إلى فقرأته فأعجبت به إعجاباً شديداً وحمدت لهؤلاء الإخوان عاطفتهم النبيلة التي حدت بهم إلى إبراز مثل هذا السفر . وأي عمل أنبل من تحبيب القراء — والناشئين منهم خاصة — في قصص الرسل الكرام . وقصص غيرهم ممن ذكرهم القرآن للعبرة والموعظة ؟

لقد وفق الكرام الكاتبون في عرض كل قصة مستقلة غير مفرقة ، وحالفهم النجاح في معظم القصص من حيث طريقة العرض ومن حيث الأسلوب العربي الخالي من شوائب العجمة ، والدقة في العبارات ، وتحرى الصواب والمعقول من آراء المفسرين وذلك جدير بمن كان مثل الأساتذة علماً وفضلاً وخلقاً

غير أني أرى في الكتاب مآخذ لا تؤثر كثيراً في قيمته وأثره . من ذلك أنه خال من مصور تبين فيه الأماكن التي وردت في القصص ، ومقدمته خالية من آراء المستشرقين في قصص القرآن ، مع أن جاد المولى بك عليم بمـا في هذه الآراء الغربية من مغالطات ، فلِمَ لم يرد عليها وهو خير من يستطيع ذلك ؟

وقد خلت المقدمة من ذكر الغاية التي من أجلها وردت في القرآن أنباء الرسل ، وهي تثبيت فؤاد النبي ، ولتكون له أسـوةٌ حسنة في إخوانه من رسل الله : « وكلاً نقص عليه من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك » . ومما بدا لي فيه أن القصة قد تذكر في أكثر من سورة فيكتفى من ذلك بسورة واحدة في الذيل ، مثل قصة سيدنا صالح

هذه بعض هفوات قد لا يراها غيري كذلك وأرى تلافيها أولى من تركها ، وكفى هذا السفر جودة أن تعد عيوبه

وليقرأ القارئُ قصة طالوت مثلاً أو قصة موسى أو عيسى أو شعيب ، فسيجد لساناً عربياً مبيناً ، وقصصاً مرسلاً محبوباً شائقاً سائغاً وحكمة عالية بالغة ، وعبرة لأولى الألباب

(القاهرة) عبد الرزاق ابراهيم حميدة

حول مقال

سيدي وأستاذي :

جاء في مقالة الدكتور زكي مبارك التي نشرت « بالرسالة » في العدد ٣٧٠ تحت عنوان « الحديث ذو شجون » ، أنه حين عرض على الدكتور مشرّفة بك عميد كلية العلوم الخطاب الضائع قال له هـذا العميد : العواطف من القوى الأساسية في حياة الإنسان ، ولا بد لتلك القوى من غذاء

فقال الدكتور المبارك :

العواطف تحتاج إلى غذاء كما تحتاج العقول ؟ هذه فلسفة لم أسمع بها من قبل ، وأوحى إلى القراء بما يأتي :

الدنيا في حرب فلا تصدقوا الدكتور مشرفة وإن كان عميد كلية العلوم ، واقضوا أوقاتكم كلها في متابعة أخبار الحرب بين الإنجليز والألمان ، فأخبار الحرب هي زاد العواطف والعقول في هذه الأيام العجاف

ففهمت من هذا القول أن العواطف تحتاج إلى غذاء كما تحتاج العقول ، وهذا ما صرّح به الدكتور مشرفة وأنكره عليه الدكتور مبارك وحث القراء على عدم تصديقه . وكل ما هنالك أن الغذاء في الأول لم يعين ولم يقصر على نوع ، وفي الثاني بينه الدكتور زكي بأنه أخبار الحرب في هذه الأيام

فما هذا الإشكال ؟ آمل أن يفسره لنا أستاذنا صاحب الفكرة تفسيراً يطل بنا على مقصده السامي ، ويهدينا سواء السبيل ، ولا زلت عند حسن ظنه بي ، والسلام عليكم ورحمة الله

« الزيتون » فرقية كامل

كتاب الشعور بالعور

قرأت في الرسالة عدد (٣٦٧) كلمة للأستاذ صلاح الدين المنجد من دمشق بعنوان « أصحاب العاهات ونوادرهم » يقول فيها إن نخبة من الأدباء تجمع الآن أخبار أصحاب العاهات ونكاتهم وإنها لم تعثر إلا على القليل من أخبار العوران وملحهم . ويسرني أن أنقل إلى حضرة الأديب المنجد أن في المكتبة الخالدية في بيت المقدس مخطوطاً فريداً اسمه « كتاب الشعور بالعور » تأليف صلاح الدين أبو الصفا خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي



همام

للأستاذ محمد سعيد العريان

[أشكر للآنسة الأديبة « قدرية ف » رأيها في قصة «البعث» المنشورة بالعدد ٣٦٢ من الرسالة، وأرجو ألا يقع في وهمها أنني أصف بها أحداً بذاته من أدبائنا، وإن كان موضوعها يتصل بحياة كثير من أدباء العربية يعرفهم القراء بآثارهم ويجهلون كثيراً من شئون حياتهم]

عند ما يهم قطار الصعيد أن يجتاز النيل من شاطئ إلى شاطئ عند قناطر نجع حمادى في طريقه إلى القاهرة — يرى الراكب عن يمينه قرية صغيرة يطيف بها الجبل الشرقي من ثلاث جهات ثم ينفرج عن سكة متعرجة تصل بين القرية والنهر، وتقوم على جوانبها باسقات النخل حداً فاصلاً بينها وبين الصحراء الشاسعة الممتدة بين النيل والبحر الأحمر

في هذه القرية كان يعيش «همَّام» يكدح لنفسه ولزوجه عاملاً في مزرعة العمدة، كما يعيش عشرات مثله قانعين من العيش بالكفاف، راضين من متاع الحياة بنعمة الحياة نفسها!

ولكن همَّام لم يكن من القناعة بحيث يرضى من الحياة بما يرضى سواد الفلاحين الذين يعملون معه أُجَراء في مزرعة العمدة؛ فقد كانت له نفس طُلَعة تتسامى بها أمانيُّ جسام؛ وكان من المنزلة عند سيده بحيث يتهيأ له أن يكون أقرب إليه؛ فرأى ألواناً من العيش وفنوناً من اللذة خيَّلتْ له ما خيَّلت من الأوهام وأنشأتْ في نفسه ما أنشأت من المنى

ولم يكن قد مضى على زواجه «بمسعدة» غير بضعة أشهر حين جلس إليها ذات مساء يحدثها وتستمع إليه:

«مسعدة!... وسيكون لنا دارٌ ونخيل، ومزرعة على الساحل إلى جانب مزرعة العمدة، وسأكون وتكونين...!»

واستمعت إليه زوجته فرحانة، وحلَّقتْ بجناحيه في وادي المنى، وراحت تمدُّ له عدة الرحيل إلى القاهرة حيث يهاجر ليلتمس الغنى ثم يعود...

***

وخرج همام من القرية يحمل على كتفه خُرْجاً فيه زاده

الشافعي وهو صاحب كتاب نكت العميان الذي نشره المغفور له العلامة أحمد زكي باشا في مصر سنة ١٩١٠

أما المخطوط الذي نحن بصدده فعدد صفحاته ١٩٠ وقد كتب سنة ٨٤١ للهجرة ونسخ بخط الرقعة بالحبر الأسود وهو يشتمل على ست مقدمات ونتيجة ويقول المؤلف «إنني سميته كتاب الشعور بالعور ورتبته على مقدمات ونتيجة، المقدمة الأولى فيما يتعلق بذلك من اللغة، المقدمة الثانية فيما يتعلق بذلك من حيث التصريف والإعراب، المقدمة الثالثة فيما يتعلق بحديث الدجال وكونه أعور، المقدمة الرابعة فيما له بالأعور علاقة من الفقه، المقدمة الخامسة فيما جاء من الأمثال والنوادر في حق الأعور وغير ذلك، المقدمة السادسة فيما جاء من الشعر في العور والعوران، النتيجة في سرد من كان أعور على حروف المعجم» انتهى. هذا وقد ترجم المؤلف في هذا الباب سيرة سبعة وسبعين أعور

ولد المؤلف سنة ٦٩٦ هـ وتوفى بدمشق سنة ٧٦٤ هـ وقد ترجمه السبكي في الجزء السادس صفحة ٩٤ وجاء ذكره في الدرر الكامنة لابن حجر الجزء الثاني في حرف الخاء صفحة ٨٧. وللمؤلف تآليف كثيرة بعضها مطبوع وبعضها مخطوط ومن أهمها كتاب الوافي بالوفيات وهو لم يطبع بعد.

(بيت المقدس) احمد سامح الخالدي

***

(حاشية): وبهذه المناسبة أرجو أن أجد من القراء الأدباء من يتكرم بإفادتي عن مؤلف الكتب الآتية:

١ — القلائد في أخبار مستظرفات الولائد
٢ — الابتهاج في الصبر المؤدي إلى الانفراج
٣ — حسن عفو الأدباء عن هفوات الأخلاء
٤ — أخبار بني هاشم
٥ — بلاغة المعجم

ومتاعه حتى بلغ شاطىء النهر، وخلف زوجته فى القرية تنتظر. وكان ثمة رَمَتٌ من جرارٍ مشدودة عُنقاً إلى عنق يتأهب لرحلة نهرية إلى القاهرة، فوضع همام متاعه عن كاهله واتخذه مركباً إلى حيث ينشد أمانيه

وأرسى المركبُ بعد أيام على ساحل « الفسطاط »، فنزل همام يضرب فى شوارع القاهرة ومتاعه على ظهره، حتى انتهى إلى مستقرِّه فى غرفة من دار فى حيّ « بولاق » يساكنه فيها بضعة نفر قدموا لمثل غايته من بلاد متفرقة فى الصعيد الأعلى فألّفت بينهم الغربة وجمعتهم وحدة الأمل.

ومضى يلتمس الرزق بساعدٍ قوى وعزمٍ صليب، فلم يلبث أن انضم إلى جماعة من الفَعَلة فى أعمال البناء، يمضى شطر نهاره يحمل مِكتل الآجُرّ صاعداً هابطاً على خشب مشدود من أسفل البناء إلى أعلاه ومن أعلاه إلى أسفله، ينضح العرق جبينَه ولسانه لا يفتر عن الغناء، يصف أشجان الغريب النازح إلى أمل يرجوه ومن خلفه حبيب ينتظر؛ فإذا حميت الظهيرة فاء إلى ظل جدار قائم يتناول طعامه لقمة من خبز قديد وملح جريش وماء؛ ثم يستأنف عمله ...

لم يكن العمل الذى يزاوله همام مما أَلِفَ حين كان يعيش بين أهله فى القرية المطمئنة فى أحضان الجبل الشرقى، ولكنه كان أحبّ إليه لأنه كان أكثر جَدْوى عليه. واستطاع أن يجمع من فضل أجرته بعد شهرين جنيهاً وبعض جنيه، أرسل منه ما أرسل إلى زوجته وادّخر الباقى لنفسه، ودأب على ذلك من بعد؛ فكان لزوجته من فضل أجرته كل شهر نصيب معلوم، ولصندوق الادخار ما بقى ... ولما جاءه النبأ أن زوجته قد وضعتْ، أرسل إليها بهدية وعلاوة تشترى بها كسوة للصبى، ولكنه لم يُغفل أن يضع فى صندوق الادخار ما يضع فى كل شهر، رجاء أن يكون له يوماً دار ونخيل، ومزرعة على الساحل إلى جانب مزرعة العمدة، هناك، حيث تنتظر زوجته وأمُّ ولدِه ...!

لقد مضى عام منذ هجر همام القرية يسعى إلى الغنى، وإنه هنا وزوجته هناك، وولده؛ أما هو فكان له شأن يشغله عن الفكر والحنين، وأما هى فكان لها أمل تأمله فى يوم قريب — يربط على قلبها ويزيل وحشتها، وأما الصبىّ .. وماذا يدرى الصبى بَعْدُ؟

... وتتابعت الأعوام وشب الغلام، لم يرَ أباه ولم يره أبوه؛ وماذا يهم الفتى من ذلك وليس بدعاً هناك، وفى كل قرية من قرى الصعيد عشرات من مثل همام نزحوا عن أهليهم وولدانهم يلتمسون مثل ما يسعى له، لا يتواعدون على لقاء ولا يتراءون منذ الشباب إلا على هرم ... !

ومضت بضع سنين، قبل أن يفكر همام فى زيارة زوجته وولده؛ وراحت « مسعدة » تستقبله على شط النيل حيث ترمى به السفينة؛ وقال الفتى لأمه وهو يشير إلى رجال على ظهر المركب: أيهم هو؟ ونظر همام إلى غِلمان وقوف على الشاطئ وقال لنفسه: أيهم هو؟ ... ثم التقيا فتعارفا وحنّ الدم إلى الدم ...

... وعاد الزوجان إلى حديثهما، وعاد همام يقول: « بَلَى، وسيكون لنا دار ونخيل ... وسأكون ... »

وهمّتْ المرأة أن تقول شيئاً ثم أمسكتْ، ورفعت إليه عينين فيهما ظمأ وشوق، وفيهما إعجاب وزهو، وأُنْسَتْها حلاوة اللقاء مرارة الفراق، وعادت الأمانىّ تخيَّل لها، وحلّقتْ بجناحيه فى واديه، وقالت لنفسها هامسة: « سيكون لنا دار ونخيل ومزرعة، وسيكون وأكون ... » ثم قامت تنظر إليه وفى عينيها لهفة وحنين!

... وقضى همام فى القرية أياماً، ثم استأنف رحلته يسعى إلى أمله، وخلّفها وخلف ولدين: أما أحدهما فغلام لم يكد يرى أباه حتى فقده، وأما الثانى فإنه لم يره قط، لأنه لا يزال بينه وبين الحياة تسعة أشهر ... !

***

لم يكن عبثاً ما تحمل همام من مشقة البعد سنين وما لقى من جهد الحياة؛ فلم يكد يمضى عليه فى القاهرة بضع عشرة سنة حتى تغير من حال إلى حال؛ فلم يَعد العاملَ الذى يمضى بياض نهاره حاملاً مكتل الآجر، صاعداً هابطاً على خشب مشدود بين السماء والأرض، ليس له إلا وجبة واحدة من طعام؛ إنه اليوم رجلٌ غيرُ مَن كان؛ لقد عاد ذلك الثوب الخلق جديداً على جسد ناعم، وعاد البطن الخاوى شبعانَ ريّانَ من طيّب الطعام والشراب، وعادت الغرفة المشتركة بين بضعة نفر يفترشون الأرض شقة

ذات أثاث ورياش ؛ وعاد الأجير الفقير سيّداً يُجري النفقة على أُجَرائه وخَوَله ؛ وتلاحقت دراهمُه فنتجت وأصبح ذا مال !

وتصرّمت بضع سنين لم تره زوجته ولم يرها ، أما هي فعاشت هناك صابرة قانعة بما يرسل إليها كل شهر من نفقة ، تمسي وتصبح حالمة بالدار والنخيل والمزرعة ، ويوم تكون ويكون ؛ وأما هو ، فتبدّلت حياته بما تبدّل من حاله ، وأجدّت له النعماء أمانيّ فأنسته أمانيّ ، وعاش لنفسه ولماله !

وشب الغلام واخضر شاربه ، ونهدت البنت وكعب ثدياها ، وشابت الأم وتخدّد لحمها ، وما زال شباب قلبها يجدّ لها أملاً بعد أمل ، وينشئ لها في كل مشرق شمس ومغربها حنيناً ولهفة ؛ والرجل هناك يبيع ويشتري ويتعوّض ويراوح بين جنبيه من فراش إلى فراش !

وفجأة ، أظلمت القاهرة بعد نور ، وهمدت بعد نشاط ، وسكنت بعد حركة ، ونعب النذير يوقظ النائم ويحرّك الساكن ويبدّد الشمل المجتمع ليجمع الشملَ المتفرق ؛ وكسدت سوق همام بعد نفاق ، فأزمع الغريب الإياب !

لم يعد همام في هذه المرة إلى القرية على رَمَث في البحر تدفعه الريح ، ولم يكن على كتفه خرج فيه زاده ومتاعه ، ولم تكن رحلته طويلة موحشة تقاس بالليالي والأيام ؛ ولكنه عاد في القطار السريع يؤنسه أنيس غير مملول ؛ في يمناه حقيبة سفره وفي يسراه زوجته الحضرية المصقولة !

وكانت « مسعدة » وولداها ينتظرونه لميعاده ... ونظرت امرأةٌ إلى امرأة ثم أغضتا ؛ أما واحدةٌ فصبرت وشكرت ؛ لقد سلخت شبابها متزوجة ولا زوج لها ، فإنها لنعمةٌ أن تظفر اليوم بنصف زوج ! ... وأما الأخرى فحنقت وسخطت ؛ لقد كان لها زوج يؤثرها ففقدت نصفه !

وأغلق الباب على رجل وامرأتين ؛ وعرفت كل واحدة منهما مكانها من صاحبتها ومن صاحبها ؛ أما مسعدة فراحت تتحبب إلى صاحبتها وتتعبّد لها لتنال رضاها ورضا همام ، وأما صاحبتها فراحت تشمخ وتتأمر لتتسلّط وتحظى ؛ واقتسمت المرأتان الدار فواحدة لها الفراش وواحدة للمهنة والعمل ؛ وقالت المرآة لكل منهما : لقد عرفتِ مكانك ! ... ولكن أحظاهما كانت أسخط لحظها وأشقى ؛ لأنها لم تألف الحياة في القرية ولم ترض الشركة في رجل ...

وأصبح همام ذات صباح فإذا امرأة واحدةٌ في الدار وقد فرّت الأخرى ... وثارت نخوةُ الرجل وغضب لِعِرضه غضبة أهله ، فأزمع أمراً ؛ وغضب الولد لأبيه وأقسم ليغسلن العار بالدم ...

... وعاد « حمدان » بن همام من القاهرة بعد أيام وسكينُه يقطر دماً ... واستقبله أبوه مزهوّاً فخوراً فضمه إليه وقبل جبينه ، واستقبلته أمُّه وأختُه ...

وجلست الأسرة الأربعة مجلسهم لأول مرة، مجلساً لم يجمعهم مثلُه منذ كانوا على صفاء ومودة ، وقالت مسعدة : « همّام ! » وكان في عينيها عتاب وفيهما رضاً واطمئنان

وقال همام : « مسعدة ! معذرة إليك ؛ إنك أنت وحدك ... وكانت غلطة ... ! »

وابتسمت مسعدة وعاد الشباب يتألق في جبينها بشراً ومسرة ، وانبعثت الأماني تحدثها حديثها ، وحلقت بجناحين في وادي المنى، وقالت : « ... ويكون لنا دار ونخيل، ومزرعة ! »

وافترت شفتاه وقال : « ذلك أولى لك يا مسعدة وأنت له أهل ؛ وهذا المال ... »

ودق الباب فانقطع الحديث ، ودخل الداخل ثم خرج ، وخرج وراءه همام وزوجته وابنته يشيعون حمدان وفي يديه الحديد مسوقاً إلى السجن !

* * *

لم يشتر همام داراً ولا نخيلاً ، ولا مزرعة على الساحل ؛ ولم يبق له من ماله باق ، وأنفق ذخيرة العمر ليفتدي ولده من زلة ساعة فلم يُجْدِ عليه !

وعاد همام كما بدا ، أجيراً يكدح لنفسه ولزوجته وابنته عاملاً في مزرعة العمدة ، قانعاً من العيش بالكفاف ، راضياً من متاع الحياة بنعمة الحياة نفسها ...

وخرج حمدان من السجن بعد عشر سنين لتستقبله أمُّه الأيّم العجوز وحيدة فتصحبه إلى قبر أبيه يترحّم عليه ، أبوه الذي لم يره إلا مرة ثم مضى كل منهما لوجهه ، كما يلتقي اثنان اتفاقاً في طريق ثم يتدابران فلا لقاء !

محمد سعيد العريان

{ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولي — عابدين }

8^me Année No. 375 — Lundi - 9-9-1940

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مصـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـدد ٣٧٥ « القاهرة فى يوم الإثنين ٧ شعبان سنة ١٣٥٩ — الموافق ٩ سبتمبر سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهـــــرس

تصحيحاً لتاريخ الزعيم

للأستاذ عباس محمود العقاد

قرأت نخبة من المقالات التى نشرتها مجلة « الثقافة » الغراء إحياء لذكرى سعد — رحمه الله — فى هذه السنة

ولى عناية خاصة بأمثال هذه المقالات ، لأنها تتصل بترجمة رجل عظيم أجللته وانعقدت الآصرة بينى وبينه فى الجهاد الوطنى بضع سنوات فضلاً عن سنين عدة كنا ننظر إليه فيها قبل ذلك نظرة الوثوق والإعجاب ، ولأن هذه المقالات تتصل من جهة أخرى بموضوع كتاب ألفته فى تاريخ ذلك الرجل العظيم ، فيعنينى أن أراجع فيه كل ما عسى أن يصحح رأياً أو واقعة أو خبراً مما ورد فى الكتاب لاستدراكه فى أوان الاستدراك

ومن المقالات التى اتجه إليها نظرى أول ما اتجه مقال العالم الفاضل الأستاذ أحمد أمين لأنه كتب عن مدرسة القضاء الشرعى وهو أحد الأعلام الذين أنجبتهم تلك المدرسة القصيرة الأجل ، الطويلة النفع والذكرى

ولكنى عجبت لأننى رأيت الأستاذ ينساق إلى خطأ شائع من الأخطاء الشائعة الكثيرة التى ذاعت عن مدرسة القضاء فى بعض الفترات .

وذلك إذ يقول : « ... لم يرض الخديوى ولا الأزهر عن

المشروع ، ولكن سعداً أصر وعرض الأمر على مجلس النظار برياسة الخديوى ، وعارض فى الجلسة من النظار من أوعز إليهم أن يعارضوا ، فاتخذ سعد المسألة قضية يترافع فيها كما كان يترافع أيام عهده بالمحاماة ، ونسى المجلس ونسى الخديوى وضرب بيده على المائدة كما كان يضرب أمام القضاة ، وتخاذل المعارضون ووافق على المشروع الذى كان يحلم ببعضه الشيخ محمد عبده ، وتم وفى نفس الخديوى منه شيء بل أشياء ، وهمس الخديوى فى أذن مصطفى باشا فهمى رئيس مجلس النظار : يظهر أن نسيبك لم ينس المحاماة ... »

فهذه القضية قد راجت زمناً لأنها تحمل عنصراً من عناصر الرواج بين الجمهور ، وسمعناها من مصادر عدة قبل التقائى بسعد وبعد التقائى به فى أيام الحركة الوطنية ، وهى مع ذلك « مؤلفة » أو مخترعة سمعنا نفيها من سعد نفسه وذكرنا ذلك فى مقالنا الذى نشرناه بمجلة « الهلال » الغراء على أثر وفاته ،وذكرناه بعد ذلك فى كتابنا عن سعد حيث نقول فى الصفحة العشرين بعد المائة :

« . . . كان الخديو حريصاً على استبقاء الأزهر فى قبضته لإطلاق يديه فى اختيار القضاة الشرعيين والإشراف على المجالس الحسبية وما يمهد إليها من محاسبة الأوصياء على التركات والنظار على الأوقاف ، ولكنه كان يعارض فى إصلاح الأزهر وتمكينه من إعداد القضاة والمعلمين والمحامين على الوجه المطلوب . وقد تعب الشيخ محمد عبده فى علاج هذا الإصلاح العسير حتى نفض يديه آخر الأمر واضطر إلى اعتزال منصبه فى مجلس الأزهر الأعلى . فلما تصدى سعد لهذه المضلة العصيبة هاجته الاغراض والسعايات والعراقيل من كل جانب ، فعزم عزمته ونكب عن ذكر العواقب جانباً كعادته حين يتصدى لأمر هو على يقين من صلاحه ومن وجه الحق فيه ، وجاء إلى مجلس الوزراء وهو معول على أمر من أمرين : إما مدرسة القضاء ، وإما الاستقالة وهو غير آسف

« قال سعد فى بعض أحاديثه عما جرى فى تلك الجلسة بينه وبين الخديو : إن الأقاويل اختلفت فى المناقشة التى دارت بينى وبين الخديو فى ذلك اليوم . فقال أناس : إننى ضربت على المنضدة بيدى وقلت فى وجه الخديو : دعنى أدافع عن مشروعى ! وأن الخديو أجابنى حينذاك ساخراً : يظهر أن الباشا لم ينس بعد صناعته القديمة ... يعنى المحاماة ، وقال أناس غير ذلك مما يجرى مجراه ، والصحيح أننى لم أضرب على المنضدة بيدى ولم يعرِّض الخديو بسابق عملى فى المحاماة ، وإنما شاهدت فى سموه ميلاً ظاهراً إلى رفض المشروع بعد ما شجعنى على المضى فيه ، ورأيته يأبى علىَّ المناقشة والشرح أمام زملائى الوزراء ...

« قال رحمه الله بفكاهته المعهودة : وكنت قد انتقلت من القضاء إلى الوزارة « ببلى » فدأبت على الشرح والاستدلال وقلت : إننى أفهم أن المناقشة حرة ، وأود أن أعرف المانع من تنفيذ المشروع . ولا أدرى أن هذا الكلام يغضب الخديو ويثقل وقعه على سمعه . فاحمر وجهه كلون طربوشه ، وسمع أصحابنا الوزراء منى هذه اللهجة فأيقنوا أننى لا أقدم عليها إلا وأنا مؤيد بقوة خفية ، ووهموا أن لورد كروس يريد إنشاء المدرسة على الرغم من جميع العقبات ، فأجازوا المشروع بالإجماع وبقى الخديو وحده معارضاً فيه ! والحقيقة أن لورد كروس لم يفاتحنى فى المسألة إلا بعد أن سمع بما دار بينى وبين الخديو من المستشار المالى ، وقد كان يحضر جلسات مجلس الوزراء »

هذه رواية سعد كما سمعناها منه ، وثبت لنا مرة أخرى أن أصلح الإشاعات للرواج هى أولاها بحذر المؤرخين

ومن الذين علموا بتصحيح هذه الإشاعة فيما أذكر كاتب سعد وملازمه فى وزارتى المعارف والحقانية فؤاد كمال بك رحمه الله ، ولعله أشار إلى ذلك فى مذكراته

* * *

وقرأت فى مقال الدكتور محمد حسين هيكل باشا وزير المعارف « أن سعداً وهو فى وزارة المعارف قد اضطر فى بعض الظروف لمصانعة السياسة التى كانت متحكمة فى ذلك الوقت ، ومن ذلك ما كان من رأيه الذى دافع عنه خاصاً بالتعليم باللغة العربية ، ولكنه فى هذا إنما جرى على المثل المأثور : لا تكن صلباً فتنكسر ولا ليناً فتعصر »

والذى نعلمه أن سعداً لم ينكر أن التعليم باللغة العربية واجب مطلوب ، ولكنه كان يرى أن التعليم باللغة العربية لا يتم ولا يعم قبل تحضير كتبه وإعداد مدرسيه ، وهذا رأى متفق عليه لا ضرورة فيه لمصانعة الأقوياء أو لاجتناب الصلابة ، وفى وسعنا أن نقول إن قوة الاحتلال كانت تصانع سعداً أضعاف ما كان يصانعها ، وكانت تحتمل منه أضعاف ما كان يحتمل منها ، وهذا غاية مايطلب من وزير مصرى لم يؤيده فى ذلك الوقت برلمان ولم يكن

الخديو من الراغبين فى بقائه ، ولا سند له إلا ما وقر فى نفسه من القوة وصلابة الشكيمة

***

وقرأت من مقال مكرم عبيد باشا « ... إن سعداً العظيم كان كسعد الرجل ، إذا ما أحس إحساساً فلا توسط فى حساسيته المرهفة . إذا ما بكى أو ضحك تشاركه عيناه بالدمع المنسجم – يبكى فيتطاير الدمع كالشرر المستعر ، ويضحك فيتساقط الدمع كالماء المنهمر ... ولا يهولنك أن يبكى سعد العظيم أو سعد الرجل فلعل أجل آية فى الإنجيل هى تلك الآية الحلوة القصيرة : بكى يسوع »

والواقع أن البكاء كان « تعبيراً » قوياً فى نفس سعد زغلول لا يدل على ضعف ولا استكانة ، ولكنه لم يكن من الانطلاق والمعاودة بحيث يفهم من هذه العبارة . فملى طول رؤيتى له لا أذكر أن عينيه فاضتا بالدمع الغزير غير مرتين ، أما تناثر الدمع من عينيه حين يطيل الضحك فأمر طبيعى فى تركيب العيون يزيده فى سعد أنه احتفظ – على خلاف كثير من الشيوخ – بنعمة الضحك القلبى إلى ما قبل وفاته بأيام . وكان رحمه الله يجتنب البكاء ما استطاع ويشيح بنظره عن رؤية الضعفاء الباكين ، وقلنا من الكتاب فى هذا المعنى : « إن هذا المناضل المكافح طول الحياة لم يكن أبغض إليه من رؤية العنف ولا مشاهدة الحزن والمحزونين. ذهب بعد الإفراج عنه فى جبل طارق ليشهد صراع الثيران على الأرض الإسبانية ، فلم يطق ما رآه من تعذيب هذه الحيوانات وانصرف بعد فترة وجيزة وهو يتأفف من هذا اللعب الممقوت . وعرف عنه ذووه أنه لا يطيق أن يرى البكاء لأنه يؤذيه ويستبكيه فكان يقول لهم : لا تبكوا أحداً أمامى ، وإذا مت تخذوا ثأركم منى ولا تبكونى . ومن عادته ألا يظهر أمام الناس فى موقف يخشى فيه من جيشان نفسه وغلبة دموعه ، ولهذا لم يستقبل أم المصريين على المرسى فى جبل طارق واكتفى بأن ينتظرها فى حجرة الاستقبال ... »

فبكاء سعد كان فى تعبيرات نفسه فى أمثال تلك المواقف المعدودة ، وكان مع هذا يجتنبها ما استطاع

***

وجاء فى مقال صاحب العزة « فخرى عبد النور بك » : « ثم ركبنا البحر وعدنا أدراجنا إلى القاهرة ، وكان الزعيم الخالد يبدى جلداً وصبراً ، وكثيراً ما كان يردد هذا الشطر :

لو بغير الماء حلقى شَرِقٌ . حتى وصلنا إلى بيت الأمة »

والذى أذكره أن سعداً رحمه الله تمثل بذلك الشطر وهو فى حجرة مرضه بمسجد وصيف بعد أن روى لى أشياء عن أناس من أنصاره كتموا عنه أموراً كان يود أن يطلعوه عليها ، وهذه المناسبة ظاهرة من معنى الشطر المفهوم

***

وفى عدد الثقافة مثل على اتفاق الرواية إذا اتفقت الملاحظة الطبيعية كما يلحظها الرواة خالصة من الحواشى والأغراض

فقد كتب الكاتب الأمين الأستاذ « كامل سليم بك » عن « حالة الزعيم النفسية » عقب مقتل السردار . فقال مما وعاه فى مذكراته : « وقد مرت بسعد وهو زعيم أزمات حادة أقضت مضجعه . ولأذكر على سبيل المثال ما حدث له أيام وزارة زيور باشا التى ألفت عقب مقتل السردار ، فقد ساد البلاد جوٌ خانق لجو الأحكام العرفية ، وقبض على الأبرياء وزجوا فى السجون لأتفه الشبهات ، وفى طليعتهم الدكتور ماهر والأستاذ النقراشى ، وكان سعد يحبهما ويثق بهما أخلص حب وأكمل ثقة ، وحزن لسجنهما أشد الحزن وأخذ كثيرون من أنصاره ينفضون من حوله أو ينقطعون عن زيارته ؛ فدخلت على سعد يوم ٣٠ يوليه سنة ١٩٢٥ وهو فى هذه الحالة النفسية المتعبة ووجدته وحده فى مكتبه الداخلى فى بيت الأمة يطالع كتاباً ؛ ولن أنسى ما حييت ما لاحظت عليه من الحزن الأسود والألم الأليم . سألنى عن الحالة العامة فحدثته بما أعرف وتعمدت أن أضمن حديثى ما يدعو إلى الأمل والتفاؤل حتى أدخل على قلبه الكبير شيئاً من الطمأنينة والسكينة ، فابتسم ابتسامة فاترة كانت على الألم أدل منها على أى شىء آخر ، وقال : « اسمع يا كامل ! لقد ألم بالناس هزال شديد ، وهو أشد لدى من كانوا أكثر الناس حماسة وأشدهم غيرة ، ومن بقى منهم موجودون إما حياء أو تورطاً وإما لعدم وجود وسيلة أخرى ، وهى مصيبة ليس لها إلا ربك »

والواقع أننى لم أجد سعداً فى حالة من الغم كالحالة التى وجدته عليها فى تلك الفترة ، ولاحظت ذلك فى كتابة تاريخه فقلت : « ما أعرف وقتاً تسرب فيه السأم والتعب إلى بنيته وإلى نفسه كما كان يتسرب أحياناً خلال الفترة من مقتل السردار إلى عودة الحياة النيابية ... وذات ليلة كان يسأل : ما الذى يبعث القوة فى الشعب ؟ وكنا ثلاثة على مائدته : محامياً معروفاً والأستاذ

عبد القادر حمزة وكاتب هذه السطور ، فقال المحامى وظن أنه يرضيه بما قال : يا باشا كلمة منك تبث فيه الحياة الفتية . واسترسل فى مثل هذا الكلام ، فنظر إليه سعد هنيهة ثم قال : ما هذا ؟ أتريد أن تخطب ؟ أتريد أن تتحمس ؟ طيب ... تفضل اخطب وتحمس وانتظر من يسمع

وكانت نفسه برمة جداً بمن يعبثون بهذا الموضوع لأنه كان مهموماً به لا يطيق الهزل فيه . بل كثيراً ما سمعته يتضجر فى تلك الأيام من حب النكتة فى الطبيعة المصرية ويقول : لولا أن المصريين يضحكون من زيور وغرائبه لما احتملوه هذا الزمن الطويل »

***

وبعد فانى أسجل هذه التعقيبات على ما قرأت فى فصول الثقافة وفى اعتقادى أن إخواننا الذين احتفلوا بذكرى الزعيم العظيم يرحبون بما فيها من تصحيح لبعض الوقائع والأخبار ، إذ كانوا ولا ريب إنما يقصدون إلى تمحيص الحقائق عن ذكراه .

عباس محمود العقاد

الحديث ذو شجون

للدكتور زكى مبارك

سعد زغلول خطيباً — الخطابة والحديث عند جماعة من رجال هذا العصر : طه حسين ، عبد اللطيف الصوفانى ، على فهمى كامل ، عبد العزيز جاويش ، مكرم عبيد ، مصطفى النحاس ، محمد حسين هيكل ، محمود فهمى النقراشى ، محمد محمود ، عبد الخالق ثروت ، حافظ عفيفى ، طلعت حرب ، حلمى عيسى ، عبد الحميد بدوى ، على ابراهيم ، نجيب الهلالى ، ابراهيم عبد الهادى ، أحمد لطفى السيد .

عجب فريق من القراء من حكمنا على الزعيم (سعد زغلول) خطيباً ، وهددنا أحد الرفاق الأعزاء بكتابة فصل ينقض به حكمنا من الأساس ، وعاتبنى بعضهم على ذلك الحكم الصريح فقلت : إنما سجلتُ إحساسانى بصدق ، ولا موجب للمواربة فى الحكم على خطيب لم تكن الخطابة إلا عنصراً واحداً من عناصر كثيرة تألفتْ منها قوته الذاتية ، فجده لا يقف عند القول بأنه كان أخطب الخطباء .

وأواجه الموضوع مرة ثانية خدمة للتاريخ الأدبى فأقول :

كان يهمنى من عهد بعيد أن أدرس العصر الذى أعيش فيه دراسة صحيحة ، وأن أزن المواهب عند من ألاقيهم من أهل الفكر والرأى والبيان ، وقد يتفق أحياناً أن أشغل نفسى بدراسة الوجوه والملامح ، وربما توغلت فدرست الصلات المجهولة بين ما يُظهر الناس وما يُضمرون ، فإن رأى بعض القراء خطأً فى بعض ما أصدر من الأحكام الأدبية على أهل هذا الجيل ، فلا يرجع ذلك الخطأ إلى المسارعة فى الحكم بلا روية ، وإنما يرجع إلى أنى قد لا أوفق إلى الصواب مع الحرص الشديد على النظر والتدقيق

والحق أنى مفتون بنفسى من هذه الناحية ، ولا أعترف بأنى قد أخطئ إلا تجنباً للوقوع فى اللجاجة مع بعض القراء ، مع أنى أومن بأن الكِبْر المطبوع أخف روحاً من التواضع المصنوع . وأقول بعبارة صريحة إن التعبير اللسانيّ له فنون ، وقد تدقّ الفروق بين تلك الفنون ، ثم تدِقّ حتى يصبح من العسير أن نضع لها الموازين ، ومن هنا ينشأ الخلاف فى الحكم على طبقات المتحدثين والخطباء

وأضرب المثل بالفرق بين المحاضر والخطيب ، فالمفهوم أن المحاضرة والخطابة فنّان يقتربان أشد الاقتراب ، لأنهما فى ظاهر الأمر يرجعان إلى أصل واحد ، ومع ذلك نرى القدرة على المحاضرة والخطابة تتفاوت أشد التفاوت عند الرجل الواحد فى بعض الأحيان

فالدكتور طه حسين محاضراً يُعدّ فى الطبقة الأولى بين المحاضرين ، ولو راعينا أن الدكتور طه لا يستطيع أن يهيئ كلاماً يأخذ بعضه برقاب بعض فى دقائق تقارب الستين لجاز الحكم بلا مجاملة بأن الدكتور طه هو المحاضر الأول فى هذا الجيل

ومالى لا أقول الحق كل الحق فأصرح بأنى لم أشهد فى مصر محاضراً يماثل الدكتور طه فى جهارة الصوت ونصاعة الأداء ؟

ولكن طه حسين خطيباً مخلوق آخر : فهو فى الطبقة الحادية والعشرين بين خطباء هذا الزمان ، وما سمعت الدكتور طه يخطب إلا أشفقت عليه ، فمن العجيب أن الرجل الذى لا يتحبّس ولا يتوقف وهو يحاضر قد يتعرض لأبشع ضروب العيّ وهو

يخطب ، فمن أين جاءت هذه الفروق بين الموقفين مع قرب الصلة بين موقف المحاضر وموقف الخطيب ؟

أيرجع السبب إلى أن الدكتور طه محدّثٌ بارع ، والمحاضرة فنٌّ من الحديث ؟

أم يرجع السبب إلى أن الدكتور طه يجرى على فطرته وهو يحاضر فيتسلسل له القول ، ويتكلف وهو يخطب فيُمتّع « بمزايا » المتكلفين من الفضلاء ؟

هذا موضوع يصلح للدرس ، وهو من الدقة بمكان . وأذكر شاهداً آخر يوضح هذه القضية بعض التوضيح

كانت صحبتى طالت لفقيد الوطنية والدين عبد اللطيف الصوفاني ، وكنت أراه أفصح الناس حين يدور الحديث حول المطالب القومية ، ثم سنحت فرصة وجب فيها أن يقف ليخطب ، فرأيت البون شاسعاً جدًّا بين الصوفانى المحدّث والصوفانى الخطيب ، ولعل شاعرنا شوقى راعى هذا المعنى حين قال وهو يرثيه :

ما كان قُسًّا ولا زيادًا ولا بسحر البيان جاء
لكن إذا قام قال صدقاً وجانبَ الزُّور والرياء

وعرفت خطباء لا يجيدون إلا حين يحفظون خطبهم عن ظهر قلب ، ومن هؤلاء المرحوم على فهمى كامل الذى مات فى رثاء شهيد الوطنية محمد فريد

وإنما قضيت بهذا لأنى سمعته مرة يخطب نحو ساعتين بلا تلعثم ولا تردد ، وكان ذلك فى كاية مصطفى كامل فى إحدى ذكريات الزعيم الأول ، وبعد انفضاض الاحتفال بوقت قصير ظهرت جريدة اللواء وفيها خطبة على فهمى كامل ، فرأيت النصّ المكتوب عينَ النص المسموع ، بلا تقديم ولا تأخير ، وبلا زيادة ولا نقصان

ويؤكد من عرفوا الزعيم الخالد مصطفى كامل أنه كان يحفظ خُطبه عن ظهر قلب ، ويؤيد هذا خطبته التاريخية على مسرح زيزينيا بالأسكندرية ، وهى أعظم خطبه ، وبها ختم حياته الخطابية ، وأسلوبها يشهد بأنه نظمها نظماً ثم حفظها قبل أن يلقيها على الناس

فكيف كان على فهمى كامل وهو يتحدث ؟

كان أعجوبة الأعاجيب فى قوة الأداء ، وكان يطابق أسنانه بعنف فى المواطن التى تحتاج إلى تأكيد ، وكان يحفظ الأرقام مهما بعد عهدها فى التاريخ ، فلم يكن من الصعب عليه أن يذكر اليوم الذى وقع فيه حادثٌ مأثور فى أى عهد من العهود

وقد حملته الثقة بالنفس على أن يتقدم للانتخابات فى دائرة السيدة زينب منافساً للزعيم سعد زغلول ؛ فلما راجعته فى ذلك غضب وثار وأعلن أن انتصار سعد عليه أبعد تصوراً من المستحيل !

والمهم هو النص على أن على فهمى كامل المحدّث غير على فهمى كامل الخطيب ، لبعد ما بين الحالتين من العنف واللطف والفطرة والطبع . ولم أشهد على كامل يرتجل الخطابة إلا مرة واحدة فى نوفمبر سنة ١٩٢٠ وقد وقف يخطب على قبر محمد فريد وهتف هاتف : يحيا سعد ! فاغتاظ الرجل واندفع فى تجريح سعد بقوة قهارة فرضت على السامعين أن يلوذوا بالصمت والخشوع ، فى وقت لم يكن يجرؤ فيه أحد على أن يذكر سعداً بغير الجميل

أما الشيخ عبد العزيز جاويش فكان يلقى خطبه بأسلوب المدرّس المتمكّن ، وكان يغلب عليه أن يرد يده إلى أذنه بصورة من يدعو فكره إلى التجمُّع ، وكان يهتف بكلمة « وَىْ ! » حين يرى المعانى تَشرُدُ أمام فكره القنّاص فترجع إليه وهى أوانس خواضع !

وكان الشيخ جاويش حين يتحدث فى لحظات الصفاء أحيا من الفتاة البتول ، وكان لصوته فى أوقات اللطف نبرات عذاب ، وكانت له ابتسامة حلوة إلى حد يفوق الوصف ، وكان لعينيه بريق جذاب ، فإذا غضب فحديثه ونظراته رعد وبرق وصواعق

كنت أدخل عليه فى وزارة المعارف بلا استئذان ، وكانت الفرص كثيرة لمقابلته ، لأنه كان يمكث فى مكتبه كل يوم نحو عشر ساعات ، فيتغدى فى الوزارة كيفما اتفق ، ويصلى فيها الظهر والعصر والمغرب ، وقد يحلو له الأنس بالواجب فيبقى فى الوزارة إلى أن يصلى العشاء

دخلت عليه مرة فوجدت عنده إنساناً منزوياً فى إحدى نواحى المكتب ورأيت الشيخ غضبان والشرر يتطاير من عينيه ، فسلمت تسليما مختصراً وجلست

وما هى إلا لحظات حتى انفجر الشيخ كالبركان فى وجه ذلك الجليس ، فقد صرخ :

« من يتزوّج بناتنا إذا جاز لكل شاب مأفون ألا يزور أوربا إلا عاد ومعه زوجة فرنسية أو انجليزية أو ألمانية ؟

إن الأتراك لا يتزوجون بناتنا غطرسة منهم وكبرياء ، والمغاربة وهم فى مثل حالنا لا يتزوجون بناتنا إلا فى قليل من الأحوال

فكيف يجوز لشابٍّ أن يترك بنات وطنه للبوار ، وهو يعرف فى سريرة نفسه أن الفتاة المصرية معدومة النظائر فى الجمال وأدب النفس ؟ وما الذى بهرك من الفتاة الأوربية حتى تنسى بها بنت وطنك ؟ ومتى يصير أمثالك رجالاً يعتمد عليهم الوطن وقد حرمكم الله نعمة الوطنية ؟ »

وخرج الشاب وهو آسف . وكانت لحظة صمت توهمتُ فيها عينى الشيخ جاويش مغرورقتين بالدمع ، فطلب فنجان قهوة ، ثم تكلف الابتسام ، وقال : « لا تؤاخذنى ، فذاك فتًى كان أبوه من أعز أصدقائى ، وما كنت أحب أن ينسلخ من وطنه بالزواج من امرأة أجنبية »

ومع أن المسألة فيها نظر ، ومع أنى كنت أراجع الشيخ فى كثير من الشؤون ، فقد تخوفت عواقب غضبه إن راجعته فى ذلك الشأن الدقيق ، ثم انصرفت وقد عرفتُ أن الشيخ لا يَرقّ ولا يلطف إلا فى ساعات الصفاء ، وأنه أخطب ما يكون وهو غضبان

أما مكرم باشا عبيد فلم أسمعه يخطب إلا فى الحفلات ، وهو يحفظ خطبه عن ظهر قلب

وقف يخطب فى ذكرى ١٣ نوفبر أيام الائتلاف ، وبعد مدة تزيد على عشر دقائق دخل عدلى باشا يكن ومعه جماعة من الوزراء ، فرجع مكرم باشا إلى مطلع الخطبة من جديد فأعادها حرفاً حرفاً بلا تغيير ولا تبديل

أما مكرم باشا محدِّثاً فلم أعرفه إلا فى لحظات قضيتها معه بشارع ريفولى فى باريس سنة ١٩٢٩ ، وهو يُقبل عليك حين يحدثك إقبال من يهمه أن يظفر بثقتك ، فيترفق ويتلطف ، وينتقل من فن إلى فنون ، وهو فى جميع أحواله خفيف الظل والروح

ولم أسمع مكرم باشا وهو يرتجل لأعرف الفرق بين حالَيْه فى الأداء ، ولكن من المؤكد أن حالَيْه يختلفان بسبب غرامه بالزخرف والتنميق ، ومن كان كذلك فأمرُه فى الروية غير أمره فى الارتجال

ولم أسمع النقراشى باشا خطيباً ، ويقول الذين سمعوه إنه ليس من الخطباء

أما النقراشى المحدِّث فهو آية فى حلاوة التعبير وسلامة النطق ، على شرط أن يكون الحديث فى داره لا فى وزارة المعارف أو وزارة الداخلية

وهو مرهف العقل حين يتحدث ، ولكلامه مَذاقٌ خاصٌّ لأنه لا يتكلم إلا وهو مبتسم ، وقد تعجب حين يحادثك بأن يكون لمثله أعداء ، لأنه ينقل أحاديثه عن قلب يفيض بالشهامة والصدق والإخلاص ، وإن كَثُر القول بأنه مفطور على العنف والاعتساف

والنحاس باشا خطيباً لا يرضينى ، وإن كنت أول من تنبأ بأنه سيكون خليفة سعد ، يوم رأيته يصاول زغلول باشا فى مجلس النواب ، وكنت مضيت مع الأستاذ محمد الههياوى لشهود بعض المواقف المهمة قبل أن يموت سعد بمامين

والعيب فى خطابة النحاس باشا يرجع إلى الأداء ، لأنه يؤدى المعانى بأسلوب رَتيب ، ولا يفرق بين مقامات الكلام إلا فى قليل من الأحايين ، ولو جاز أن نقدم نصيحة لرجل فى مثل مركز النحاس باشا لرجوناه أن يرجع إلى باب من أبواب العربية اسمه الوقف !

أما النحاس باشا متحدثاً فهو على جانب عظيم من الجاذبية فى أوقات الصفاء ، فهو يرسل النكتة المستعذَبة بلا تكلف ، وهو لكرم طبعه يُنسيك أنه من الزعماء ، وهو أولاً وآخراً رجلٌ له قلب ، على قلة أرباب القلوب فى هذا الزمان

فإن تحدث النحاس باشا وهو غضبان فلا تعجب حين يقع منه مالا يرضيك ، لأن الغضب يحوّله إلى رجل يُنكر أن فى الدنيا كلاماً يقال وكلاماً لا يقال !

أما موهبة هيكل باشا خطيباً فليست بشىء بالإضافة إلى موهبته فى الحديث

يحدثك هيكل باشا وهو « ابن بلد » فتستظرفه إلى أبعد الحدود ، لأنه من هذه الناحية موهوب . فإذا خطب وأراد أن

يكون « ابن بلد » ضاقت به نفسك ، لأن الخطابة لها وقار لا يسمح بالعبارات البلدية ، وقد يعدّها من الابتذال

ويروعك من هيكل باشا صفاء عينيه حين يتحدث ، حتى لتكاد تجزم بأنه الشاب الذى ترفق فأشار فى كتابه عن « جان جاك روسّو » إلى أنه كان من أهل الفتون يوم كان طالباً فى باريس . أما مقام هيكل باشا فى الصحافة والتأليف فهو أوضح من أن يحتاج إلى بيان ، لأنه فى هاتين الناحيتين من أقطاب هذا الجيل

أما زعيم الدستوريين محمد باشا محمود ، فلم أشهده خطيباً إلا مرة واحدة فى الخطبة التى قال فيها وهو غضبان :

« نريد أن نعرف لمن الأمر اليوم : ألسعد أم للأمة ؟ »

وكنت سمعت أنها عرضت قبل إلقائها على الدكتور طه حسين والعُهدة على الشخص الذى صحب الدكتور طه أيام سكناه بحى قصر النيل ، فهو الذى زعم فى جريدة « الإنذار » أن الدكتور طه هو الذى أنشأ تلك الخطبة التاريخية

والذى يرى محمد باشا محمود وهو يتحدث يؤمن بأنه من أفراد الأدباء فى اللغة العربية ، وكيف لا يكون كذلك وهو من أسلم الناس ذوقاً فى الحكم على الأدب القديم والحديث ؟

ولم يكن صوت ثروت باشا فى الخطابة بالصوت المقبول ، كان صوته لوناً من (الصرصعة) ، وكان يقرأ خطبه فى أوراق مكتوبة بطريقة تشهد بأنه يخشى عادية اللحن والتصحيف

وأعظم خطب ثروت باشا هى خطبته فى الرد على معارضيه سنة ١٩٢٢ ، وقد صححها المرحوم محمد المرصفى ، فشهد التصحيح بأنها استهدفت لطغيان قلمه البليغ

أما ثروت باشا المحدّث ، فكان من الآيات فى عذوبة الروح وقد استطاع بلباقته أن يسيطر سيطرة روحية على الزعيم سعد زغلول قبل رحيله عن هذا الوجود، فلما وقف يرثى سعداً بعد ذلك ، قهره القلب الطيب على أن يضيف إلى خطبته سطوراً من الدمع المسكوب

ولم أسمع حافظ باشا عفيفى وهو يخطب ، أما أسلوبه فى الحديث فقد بهر قلبى وعقلى

وطلعت باشا حرب ليس بخطيب ولم يخلق للخطابة ، وهو مع ذلك محدّث جذاب ، وحاله فى ذلك يشبه حال الدكتور على باشا ابراهيم ، أو حال عبد الحميد باشا بدوى

ولا أعرف أين يقع مكان نجيب بك الهلالى بين الخطباء ، ولكنى أعرف أنه محدّث ظريف

أما حلمى باشا عيسى ، فهو فيض من القوة والفتوّة حين يتحدث ، وإن كنت لم أرض عن أسلوبه الخطابى حين سمعته فى مجلس النواب ، ولعل ذلك لأن موقفه كان موقف المقرر لا موقف الخطيب ؛ والأستاذ ابراهيم عبد الهادى كان من خطباء الثورة المصرية ، وكان يومئذ فصيح اللسان ، وكان صدرى ينشرح حين أراه على حداثة سنه يتسامى إلى منازل الخطباء القدماء فى تخيّر اللفظ الفخم والمعنى الوهّاج ، ثم ضاق به صدرى حين سمعته يخطب فى مسرح الأزبكية بعد الثورة بأعوام ، فقد سلك فى التحريض على أعضاء الحزب الوطنى مسلكا غير مقبول ، ومع ذلك كان يستنفر الجمهور بشواهد من القرآن والحديث ! !

وكذلك انصرفت عنه وانصرف عنى فلم نكن نتبادل التحيات إذا التقينا مصادفة فى الطريق ، ثم تعارفنا بعد طول التناضى حين تلاقينا فى الفوضية المراقية منذ أكثر من شهرين فكيف صار إبراهيم عبد الهادى الخطيب ؟ أهو كعهدى به قبل عشرين عاماً حين كان يرصّع خطبه بالحكم والأمثال والآيات والأحاديث ؟ أم تكون الدنيا راضته على فنون من سرعة القول وبديهة الارتجال ؟

يشهد ما أقرأ من خطبه المنشورة أنه لا يفرق كثيراً بين مقامات الكلام : فهو يخطب فى مجلس النواب كما يخطب فى الحفلات ، مع أن الفرق بين المقامين بعيد . فإن سنحت فرصة لشهوده خطيباً ومتحدثاً فقد أرجع إلى هذا الرأى بشىء من التعديل ، ولكن ما أهمية الخطابة والحديث فى حيوات الرجال ؟

لذلك أهمية عظيمة جداً ، فأستاذنا أحمد لطفى السيد باشا مَدين لمواهبه فى الحديث أولاً وفى الخطابة ثانياً ، وأكاد أجزم بأنه يراعى التعبير كلما تحدث ، ولو كان الحديث أمراً بتقديم القهوة للضيوف ، والحديث عنده ألوان : فهو تارة بالعامية الشرقاوية ، وتارة بالفصحى البدوية ، تبعاً لاختلاف المقامات ، ولهجته البلدية عذبة حلوة تقع من آذان السامعين أجمل موقع ، فإذا بدا له أن يُغرب فهو أعرابىّ من مجاهيل البيداء ، وهو فى حاليه يتكلم بصوت رنان يذكّر بألحان يوسف المنيلاوى ، إن رضى عن هذا الوصف

أخـــلاق القرآن

للدكتور عبد الوهاب عزام

– ١ –

أعرض فى مقالات قليلة أمهات الأخلاق فى القرآن ، كيف بينها الكتاب الكريم وكيف دعا إليها بعد أن أقدّم مقدمة وجيزة تبين المقصد الآخر الذى قصد إليه القرآن من تربيته وتعليمه :

سئلت عائشة رضى الله عنها عن الرسول صلوات الله عليه ، فقالت : كان خلُقه القرآن . فأخلاق القرآن هى التى تجلت فى محمد خاتم النبيين وأصحابه ومن تبعهم وسار على نهجهم من بعد . وإنما يظهر صلاح القانون حين إنفاذه ، ويتبين سداد الرأى حين يختبره العمل ، ويُعرف رشاد الطريقة حينما تهدى السائرين عليها إلى الغاية المثلى . فإذا أردنا أن نقدر أخلاق القرآن فإنما نتبينها فى سيرة من عملوا بالقرآن

كل ما يزدان به تاريخ الإسلام من سير الملوك والولاة والقواد والقضاة والعلماء والصالحين وغيرهم ، فهو أخلاق القرآن تتجلى فى صور مختلفة . فإن رأيت ملكا من المسلمين ملك الدنيا ولم تملكه ، وسيطر على الأرض ولم تسيطر عليه، فساس عباد الله بعدل الله ، وأنصب نفسه ليريح رعيته ، وراقب فيهم ربه ليله ونهاره ، فهذا من أخلاق القرآن . وإن رأيت واليا دخلت الدنيا يده ولم تدخل قلبه وكفّ يده عن المحارم ولم يأل جهداً فى العمل لخير الناس، فهذا من خلق القرآن كذلك . وإن رأيت قائداً يحتقر المهالك ، ويقذف بنفسه فى المعارك ، يفتح البلاد ولا يُعنت العباد، قد ملكت القناعة قلبه ويده، وكفّه العدلُ عن العدوان، فهذا خلق القرآن فى أحد مظاهره . وإن رأيت قاضياً كدّ عقله فى معرفة الحق والتثبت ، وآثر العدل وجانب الجور وأخلص لله فكره وحكمه ، وأقضّ مضجعَه عظمُ التبعة ، فذلك من قضاة القرآن . وإن رأيت عالماً توجه إلى الله بفكره ، وأدام النظر فى ملكوت السموات والأرض ، ودأب فى البحث ابتغاء الحق لا يميل مع الهوى ولا يرجو إلا وجه الله فهو من علماء القرآن

عدلُ أصحاب السلطان ، وجهاد المجاهدين بالحق ، وإحسان المحسنين فى كل عمل ، وطلب الحق والصبر عليه ، ودفع الظلم والنفور منه ، والاضطلاع بأعباء الحياة ، والصبر على المكاره والثبات فى الشدائد ، كل ذلك من أخلاق القرآن . والخلاصة أن الحياة فى أقوى مظاهرها ، وأحسن وجوهها ، وأعدل سيرها ، وأرحم قوانينها ، وأجل أعمالها ، كل أولئك تقصد إليه أخلاق القرآن

من يتدبر القرآن يعرف أن المقصد الآخر الذى ترمى إليـه تربية القرآن هو أن يُحرِّر الإنسان من أهوائه وشهواته ، وأن تقوى نفسه بالأخلاق القوية القويمة ، وأن يزوّد عقله بالمعرفة ، ثم أن يعمل بهذه النفس المحررة القوية وهـذا العقل القويم فى معترك الحياة مبتغياً الخير لنفسه وللناس كافة . ذلكم مقصد القرآن فيما يعلّم من الأخلاق

يريد القرآن نفساً محررة من الأهواء والشهوات ، وسأبين هذا من بعـد ، ولكنى أسارع فأقول هنا : ليس معنى التحرر من الشهوات الحرمان منها ؛ فإن القرآن يريد للناس أن يستمتعوا بهذه الحياة ، ولا يزورّوا عنها ويتجنبوها : « يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب

ولطفى باشا له تاريخ فى الدعوة إلى العامية ، ولـكنه مع ذلك يكره التبذل والإسفاف فى الخطب والمحاضرات ، ولو سمعته وهو يخطب لعرفت أن دعوته إلى العامية لم تكن إلا دعابة أراد بها أن يشغل الجمهور عن المناوشات التى كانت تقع بين أرباب الأقلام أيام الصيال بين الجريدة والمؤيد واللواء ، فلما جدّ الجِد وصار مديراً للجامعة المصرية أعلن أن اللغة العامية لغة العوام وأنها لا تملك القدرة على التعبير عن أفكار الخواصّ ، فى حديث أذيع باسمه فى مجلة الهلال

أما بعد فإنى أنا مما ابتدأت به هذا الحديث

كنت أريد أن أشرح كيف اختلفت الآراء فى سعد زغلول خطيباً ثم اندفعت إلى شجون من الأحاديث شغلتنى عن الموضوع الأصيل ، وإن كانت تتصل بى أوثق اتصال . فإن استطاب القراء هذا الفن من التشريح فسأرجع إليه بعد حين

زكى مبارك

المسرفين » . « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ؟ قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة » « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله إليك ، ولا تبغ الفساد فى الأرض ، إن الله لا يحب المفسدين »

القرآن لا يدعو إلى الرهبانيــة ولا يرضاها ، وإنما يدعو الإنسان إلى أن يرمى بنفسه فى معارك الحياة مزوداً بالأخلاق القوية الفاضلة ، مريداً الخير لنفسه وللناس حتى يعيش راضياً مرضياً . فمن اعتزل معارك الحياة فقد فرّ من الواجب ، وجنح إلى الراحة ، وآثر البطالة . وليس تمسكه بالأخلاق الفاضلة بعد هذا إلا كما يتسلح الجندى ثم يترهب فى دير . العبادة الحق فى شرعة الإسلام هى الجهاد فى هذه الحياة . كل عمران فى الأرض ، وكل إحسان إلى النفس أو الأقرباء أو الأصدقاء أو عامة الناس أو إلى الحيوان الأعجم ؛ كل هذا عبادة يأمر بها الإسلام بل يعدها أفضل العبادات . وقد قال أحد صوفية المسلمين : « ليست الولاية أن يمشى الإنسان على الماء أو يطير فى الهواء ، ولكنها أن يعمل الإنسان فى الأرض فيزرع أو يتجر وينعم بالعيش وهو لا يغفل عن الله طرفة عين » ومن أجل هذا كانت المرابطة فى الثغور ، أى حماية حدود البلاد ، من أفضل العبادات عند المسلمين . وكم يحدثنا التاريخ عن علماء أتقياء أقاموا فى الثغور ورابطوا العدوّ ، يرون أن عبادتهم وورعهم لا يغنيان عن هذه المرابطة شيئاً . ولأن المرابطة عبادة سمىّ الصالحون فى بعض البلاد الإسلامية مرابطين وسمىّ رباطا المكان الذى يعتكف فيه المتعبدون

إنما يريد القرآن من التحرير من الشهوات أن يسيطر الإنسان على نزعاته فيلائم بينها وبين الحق والخير ويفعل أو يكف حرًّا بعقله لا عبداً بهواه

مقصد الإســلام الأخير هو تحرير النفس من الأهواء والشهوات وتقويتها بالأخلاق الفاضلة وتحرير العقل من الأهواء كذلك ، وتقويته بالمعرفة ، ثم العمل بنفس محررة قوية ، وعقل حر واسع ، فى أرجاء هذه الأرض لخير الناس . فأما التحرر من الهوى فقد أمر به القرآن فى آيات كثيرة وافتنّ فى الدعوة إليه بأساليب مختلفة . يقول القرآن الكريم : « يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله . » ويقول : « أفرأيت من اتخذ إلاهه هواه وأضلّه الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ؟ » ويقول : « أفمن كان على بيّنة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم . » ويقول : « وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى . »

أرأيت كيف ينهى القرآن عن الهوى ويعده معطلاً لمدارك الإنسان وعقله وسمعه وبصره ويراه رأس كل ضلالة ؟

اشتد القرآن فى النهى عن اتباع الأهواء ، حتى نهى عن الأخذ بالظن ، لأن الإنسان إذا لم يسر على بينة مال به الهوى الخفى وأوحى إليه الظنون المختلفة : فيظن الحق باطلاً ، والباطل حقاً ، والخير شراً ، والشر خيراً ، كما ينزع هواه وتميل نفسه . وما أكثر ما نهى القرآن عن الظن ، قال : « يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم » ، وقال : « إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس » ، وقال : « وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغنى من الحق شيئاً » . بل بيّن القرآن أن ضلال الناس ناشئ عن اتباع الظن فقال : « وإن تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن »

هكذا يشتد القرآن الكريم فى الدعوة إلى تحرير النفس والعقل من الأهواء وتبرئتهما من الظنون ، ليقارب الإنسان الصواب جهده ، وتستقيم له طريقة الفكر فطريقة العمل

وأما تقوية النفس وتهذيبها بالأخلاق الفاضلة ، فسيأتى بيانه حين نفصل الكلام فى الأخلاق التى دعا إليها القرآن . وأما تقوية العقل وتقويمه وتزويده بالمعرفة ، فقد دعا القرآن إلى الانتفاع بالعقل والنظر فى ملكوت السموات والأرض وجعل الذين لا ينتفعون بعقولهم كالأنعام أو أضل ، وقال : « قل انظروا ماذا فى السموات والأرض — أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شىء — قل سيروا فى الأرض فانظروا » ولفت القرآن الناس إلى مظاهر الكون ودعاهم إلى التفكير فيها ليتعرفوا أسرارها « إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار ، والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس ، وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة ، وتصريف الرياح ، والسحاب المسخر

بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون » وكثير فى القرآن مثل هذا ، وما هذا النظر إلا وسيلة المعرفة ، وهل أنتج معارف البشر إلا النظر فى ملكوت السموات والأرض ؟ وقد أمر القرآن بالاستزادة من العلم فقال : « وقل ربى زدنى علما »

وأما العمل فهو المقصد الذى يقصد إليه القرآن من تعليم الأخلاق الفاضلة، فالقرآن كما قدمنا لا يريد رهبانية ولا فراراً من الجهاد ولا خوراً وإشفاقاً من الاضطلاع بأعباء الحياة، وإنما يريد العمل والدأب والجهاد . أمر القرآن بالعمل وأشاد بذكر العاملين فى آيات كثيرة ، وبين أن تدافع الناس سبب لعمران الأرض، «ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض » وبين أن الخير لا يدوم إلا بالدفاع عنه والاجتهاد فى حمايته « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيهـا اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره »

ولم يقبل القرآن عذر الأذلاء الذين يعتذرون بالعجز عن العمل أو بتغلب الأقوياء عليهم ، وصدهم إياهم عن الخير فقال : « الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم ؟ قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟ » . فهو يدعو إلى الهجرة حيث يستطيع الإنسان العمل «ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغماً كثيراً وسعة »

ذلكم إجمال الكلام فيما يقصد إليه القرآن من تهذيب النفس وإصلاح الخلق والجهاد فى الأرض . وهو الذى بينته أفعال الرسول وأصحابه ومن تبعهم باحسان ، فقد خلق القرآن الجماعة الفاضلة، وخلقت الجماعة الدولة، وأيدت الدولة الحق والعدل، وسيطرت على الأمم تسومها بعدل الله طوعاً أو كرهاً . ولا تزال دعوة القرآن مسموعة، ولا يزال المثل للناس مضروباً ، ولا يزال الأمل معقوداً بأن تحيى هذه الدعوة الأخلاقية الأمم مرة أخرى . لا يزال فى هذه الأرض خصب وبركة، ولا يزال فى هذا السحاب برق ورعد ومطر، لا تزال فى هذه النفوس حياة وفى هذه القلوب خير . وإن مع اليوم غداً

وسأبين فى المقالات الآتيـة أمهات الأخلاق فى القرآن إن شاء الله .

عبد الوهاب عزام

من الأدب الوجدانى

« نفثة » ... أخرى !

للأستاذ على الطنطاوى

توالت علىّ الذكريات ، فألقيت كتابى ، وأقبلت على ماضىّ أفتش فى حدائقه القاحلة عن وردة أخطأتها رياح الشتاء العاتية ، وثلوجه وأمطاره ، فتوارت فى كنف صخرة ، أو فى حمى جدار ، تكون صورة من الربيع الغابر ، فلم أجد إلا رفات الأوراق التى كانت مخضرة زاهية ، وهيا كل الأشجار العارية التى كانت تلبس من حلل الربيع سندساً وحريراً ، قد خيّم عليها الموت ، وشملها برده القارس ؛ فحولت وجهى شطر المستقبل ، فلم ألق إلا ظلاماً فوقه ظلام ، ووجدت حاضرى راكداً ركود الفناء ، ساكناً سكون العدم ، فضاق صدرى ، وأغرقتنى فى بحرها الهموم ، فجعلت أفتش عن رفيق يأخذ بيدى ، وصديق أبثه همى ، وأشكو إليه بثى ، فلم أجد لى صديقاً إلا القراء ، أولئك هم أصدقائى الذين لا أعرفهم ، ولا أنتفع منهم بشىء ، وما لى منهم إلا اعتقادى بأنهم يعطفون علىّ ، ولا يشاركون الحاسدين المؤذين حسدهم إياى وإيذاءهم لى ، فكتبت إليهم أحدثهم بشكاتى ، وأروى لهم ذكرياتى . ولعل هؤلاء القراء يضيقون بحديثى صدراً ، ويعرضون عنه ويستثقلونه ، ولعل اعتقادى بصداقتهم وهم من الأوهام ، غير أنى لا أحب أن أرزأ هذا الوهم ، ولا أن أتيقن فساده ، لأنى أعيش به فى دنيا الحقائق المرة ...

ومن كان مثلى غريباً فى بلدته التى يعرف نصف أهلها ويعرفه ثلثاهم ، يمشى فى المدينة الحافلة بالناس مستوحشاً منفرداً كأنه فى صحراء ، لا يلقى إلا رجالاً ، لا يثنى تعدادهم أصابع اليدين ، يجول فى هذه الحلقة المفرغة ، لا منفذ له منها ولا مخرج ، قد خلت حياته من الفرح والألم ، وغدت كالماء الآسن ، لا تموج فيه موجة ولا تحركه ريح ؛ ومن كان يتمنى أن يجد ما يشغله ، ويحرك سواكن نفسه ، وما يدفعه إلى الفكر والعمل ، ولو كان البلاء النازل ، أو الحريق المشبوب ، أو النفى أو السجن ... ومن كان يصبح فلا يدرى ماذا يعمل فى يومه ، وكيف يدفع هذا اليوم ، ويمسى فلا يعرف ماذا يصنع فى مسائه ، وكيف ينام ذلك الليل ، ومن يحس بثقل الأفكار على عاتقه ، ولكنه لا يجد إلى بثها سبيلاً ، ويرى الوقت طويلاً والقوة حاضرة ، ولكنه لا يعلم فيم ينفق وقته ويصرف قوته ؛ ومن كان متعزلاً مثلى ، لا زهداً فى الحياة ، ولا هرباً من معاركها ، ولكن يأساً من مقبل أيامها ، وقنوطاً من خيرها ، فهو يخلو إلى ذكرياته يتململ بها ويتمززها ، ويحادثها ويناجيها ، ويحيا فى خيالات ماضيه حين عجز عن الحياة فى حقيقة حاضره ؛ ومن كان مثلى لا يشكو الفقر فى اليد ولا فى النفس ، ولكن الفقر فى الأمل ؛ ومن كان يجد بحمد الله من المال ما يكفيه فى يومه ويفضل عن حاجته ، ولكنه لا يدرى ما يكون فى غده ؛ ومن كانت شكواه فرط الحس ، وحدة الشعور ، وجحود الناس وكان يشكو دنيا يتقدم فيها الهجين ، ويتأخر الجواد الكريم ، دنيا فسد فيها كل شىء حتى غدا عقلاؤها ينتظرون الساعة من كان كذلك ، أدرك حقيقة حالى ، وفهم مغزى مقالى ، ولم يلمنى مع اللائمين ، ولا كان على مع العداة الحاسدين

* * *

وكم قائل لى : ألا تنسى هذا الماضى وتستريح من ذكراه ؟ ألا تدع المستقبل وتطرّح التأميل فيه ؟ ألا تعلم أن ما مضى فات والمؤمل غيب ، ولك الساعة التى أنت فيها ؟فأقول : بلى ، إنى لأعلم ذلك ، ولكن أين السبيل إلى النسيان ؟

وإذا أنا نسيت كل شىء ، فكيف أنسى أياماً عشتها لم أكن فيها الطائر المقصوص الجناح ، ولا الغصن الذى قصفته الرياح ، بل كنت أواجه العاصفة أستند إلى الجذع المتين ، جذع السنديانة الراسخة ، وأطير فوقها بجناحين قويين ، فهاض الدهر جناحى ، وكسر جذعى ، حين أفقدنى أمى ، وصيرنى عرضة للعواصف ، وجعلنى معها كالريشة لا تستقر على حال من القلق والذعر والاضطراب ...

وكيف أنسى أنه لو عاش أبى العالم الوجيه ذو المرتب الضخم ولم تخترمه المنية شاباً ، لاحتمينا به من كيد الحياة ، ولنشأنا فى ظله كما ينشأ الفرع اللين وسط الدوحة القوية الممتدة الأفنان ، ولما اضطررنا إلى مواجهة الدنيا ، والترس بنكباتها ،

ومعرفة لؤم أهلها ، ونحن فتية صغار ، أطهار القلوب ، مبرؤون من الذنوب ، لا نلبث حتى نتلوث بأوضار الكيد والمكر ، ونتلقف مبادئ (علم الحياة ...) كما يتلقف الصبي المخطيء مبادئ (فن الجريمة) في السجن الأول ، فلا يخرج منه حتى يحمل شهادة البكالوريا في الإجرام

وكيف أنسى ما نثرت من قطع قلبي ، وفلذات كبدي ، في أرض الله الواسعة التي لا ترعى حق العواطف ، ولا تحفظ عهد القلوب ، في سفح قاسيون الحبيب ، وفي الغوطة الغناء...

وفي حرش بيروت الذي يميس صنوبره ميسان الغيد الحسان ، وقد خرجن متبرجات ، ينظرن إلى مياه البحر بعيون لها زرقة مائه ، وله سرارها بعد قراره ... ذلك الحرش ... لي تحت كل شجرة منه ذكرى لا يدريها إلا الله وقلبي وذلك القلب الذي سلا وقلي ... وما سلوت ولا قليت ، وما أذعت له سراً ولا أفشيت

وفي طريق صيدا ، كم صببت من العواطف ، واستودعت من الذكر ؟ سلوا تلاميذي طلاب الكلية الشرعية في بيروت ، ألم يشهد لنا هذا الطريق أنا كنا خير من مر به من إخوان متوادين ، قد جمعت صداقتهم قلوبهم فمزجتها كلها ، ثم قسمتها ، ثم أعادتها إليهم ، فعاشوا جميعاً بقلب واحد ، والأصدقاء يعيشون بقلوب شتى

هؤلاء الإخوان الذي وفيت لهم فوفوا لي ، وأحببتهم فأحبوني ، ورأيت منهم لما مرضت فيهم ما لو تخيله القصصي الأديب لاستكثر وعدّ مبالغة من المبالغات

وفي العراق كم خلفت من حياتي ، وما الحياة إلا خفقات القلوب ، وتردد الأنفاس ، ومظاهر العواطف

على طريق الأعظمية ، وفي الكرخ الأقصى في حي الجعيفر ، وعلى الجسر وفي الأعظمية ، وفي البصرة ، وفي كركوك ، بقع أعزة علي ، وقوم أحبة إلي ، لولا خوفي من ألا يصدقوني لحلفت لهم أنه لم يطب لي بعدهم عيش ، فهل يكتب الله عودة لتلك الليالي ، فيجتمع الشمل ، ويلتئم الصدع ، وتلتقي الذكريات بالآمال ؟

إني أسأل الله ، فنبئوني ، هل مد يديه أديب ببغداد الأسعاد الأثرى ، فقال : آمين ؟

يقولون لي : انس ، ولكن كيف السبيل إلى النسيان ؟

وكيف أنسى أيامي في مصر ، مصر التي محت صورها السنون من نفسي ، فلم يبق منها (ويا أسفي !) إلا صورة ميدان باب الخلق بجازي في غدوي ورواحي ، وحديقة الاستئناف التي كنت أتأملها وأنا في المطبعة (السلفية) عند خالي ، والتي استودعتها من العواطف عداد أوراقها وأزهارها وحبات ترابها ، ودار الكتب التي كان بها الشاعر الكبير حافظ رحمه الله ، وشارع محمد علي ، والعتبة الخضراء (الضيقة) التي لم تكن تخلو يوماً واحداً من ميت مدعوس ، وصورة زقاق حوله أنقاض مهدمة ومنازل حقيرة بالية ، كنت أمر به كل يوم في ترام السيدة ، في ذهابي إلى دار العلوم وعودتي منها ، يسمى شارع الخليج ، زعموا أنه صار اليوم شارعاً عظيماً ، وصار فيه بنيان ... وجسر الزمالك حيث كان يطيب لي الوقوف بإزائه كل مساء ، أتبع ببصري الشمس الغاربة ، علّي أرى فيها صورة بلدي دمشق ، فلا أرى إلا بريق الشعاع الحاد يتكسر خلال الدموع التي تملأ عيني ، دموع ابن العشرين ، وقد هاج في نفسه الشوق الذي يسميه لامرتين «مرض السماء» لو كان في السماء أمراض

وصورة حديقة الجيزة ، التي كنت أقضي فيها الساعات الطوال ، آنس بوحوشها وهوامها ، وصورة بستان إلى جانبها فيه عمال يبنون ، قالوا : وقد تم البناء ، وصار شيئاً عظيماً يدعى جامعة فؤاد الأول ، والله أعلم بصحة ما قالوا

صدقوني إذا قلت لكم إني لم آسف على شيء مما صنعت في حياتي أو تركت أسفي على ترك مصر ، ولا أطمع في شيء طمعي في العودة إليها والحياة فيها ، فهي التي سددت خطواتي في طريق الأدب ، وهي التي علمتني ، وهي بلد أسرتي ، وهي التي جعلتني قبل اثنتي عشرة سنة أكتب وأنشر الفصول في أكرم المجلات ، حين كان هؤلاء المحترمون من تلاميذ الشيخ مارسيه على مقاعد المدرسة الابتدائية

أفليس عجيباً أني على حبي لمصر كنت في نظر بعض زملائنا المدرسين المصريين في العراق ، عدو المصريين رقم (١) ؟ سامح الله زملاءنا هؤلاء ، وغفر لهم ما كادوا لي ومكروا بي ، وغفر لي ما آذيتهم بلساني السليط !

وكيف أنسى ما أضعت على نفسي من خير ، وما عرض لي من فرص فما افترصتها ؟

إن من رفاق في كلية الحقوق من هو اليوم من كبار المحامين الذين يشار إليهم ، ومن ينال على وقفة واحدة في المحكمة مائة جنيه في دمشق الفقيرة ، فلماذا أعرضت عن المحاماة لم أشتغل بها ، وأقبلت على مهنة آخذ فيها خمسة جنيهات على مائة درس ألقيها على أربعين طالباً ، يحتاج إسكاتهم وضبطهم إلى شرطيين مسلحين بالبنادق الرشاشة ...

وإن من رفاق في الثانوية من هو اليوم ناظر ثانوية كبيرة، وأنا أستاذ معاون ، فلماذا درست الحقوق إذا كانت الوزارة لا تعرف أقدار الرجال إلا بما يحملون من شهادات الاختصاص ، وكان صاحب اللسانس في الحقوق لا يعد أديباً في نظرها ولو كان شوقي زمانه ، أو رافعي أوانه ، وترى صاحب اللسانس في الأدب أديباً ولو كان أعيا من باقل ، وأجهل من جاهل ؟ ...

وكيف أنسى أني كنت من عشر سنين أقود طلاب دمشق كلهم ، وأغامر بهم في ميادين السياسة ، وأني لو شئت لكنت نائباً من زمن طويل . إن الناس لم ينسوا ذلك فكيف أنساه أنا ؟ إنهم يعلمون أن في قميصي خطيباً ما يقوم له أحد في باب الارتجال والإثارة ، وإيقاظ الهمم وصب الحمم ، ولكن من الناس من يعقل الحسد ألسنتهم عن شهادة الحق

أستغفر الله فما أحب الفخر ، ولكني اضطررت فقلت ، وهل أسكت إذا سكت الناس عن بيان حق ؟

إن للمظلوم كلمة وهذه إحدى كلماتي ، فإن كانت فخراً فقديماً كان الفخر من فنون الأدب العربي ، وإلا فهي ذكرى وتأريخ لأخلاق الناس وأطوار المجتمع

وكيف أنسى أني بين ماضٍ أضعت فرصه ونسيت ذكرياته وفقدت فيه ذخراً من العواطف الجياشة والشعور المضطرم ، وحاضر بددت أيامه بالرجوع إلى الماضي ، وصرفت بكره وعشاياه في نبش الذكريات والبحث في أطلالها عن الجواهر والكنوز ... فما كان إلا أن دفنت فيها كنز حياتي وجوهر عمري - ومستقبلاً لم أعد أرجو منه شيئاً ، لأني يئست من أن يأتيني منه خير

ومن يصدق أني أتمنى لو كنت غبياً جاهلاً عيياً لأستريح وأهنأ ، لأني وجدت الذكاء يدفع إلى الألم ويؤدي إلى الشقاء ؛ وأني لأهمل القراءة عمداً كي أنسى ما علمت فأغدو جاهلاً فلا آلم إن تقدمني الجهال من أمثالي ، ولا ألوم الحياة على ظلمها إياي، فلا أستطيع، وأراني مدفوعاً إلى الازدياد من هذا العلم . . . كأن القدر يسوقني بعصاه إلى الاستكثار من القراءة فأزداد بذلك علماً فأزداد بالعلم ألماً حين أرى علمي وبالاً علي وأرى الجهال يسبقونني ويسرقون منزلتي ؛ ولو أني استبدلت بإحياء الليالي في المطالعة والدرس وثني الركب بين أيدي العلماء رحلة واحدة إلى (تلك) الديار أعود منها بعد شهرين بشهادة في اللغة العربية لم تكتب سطورها بالعربية لكان ذلك خيراً لي وأجدى عليّ من علوم الأرض كلها لو حصلتها

ولكني كرهت أن أتوكأ في سيري إلى غايتي على غير أدبي ، ونزهت نفسي عن أن أجعل عمادي ورقة صار يحملها الغبي والدعي والجاهل واللص الذي يسرق مباحث الناس ويسطو على آثارهم

إن عمادي هذا القلم ، وإنه لغصن من أغصان الجنة لمن يستحقها ، وإنه لحطبة مشتعلة من حطب جهنم لمن كان من أهل جهنم . . .

ولكن ما الفائدة من هذا الكلام ؟

ما الفائدة وقد ولى ربيع حياتي ، وأدبرت أيامي ، واستبدل قلبي بالأصيل المذهب ليلاً حالك السواد ؟ لقد شخت حقاً ، وصرت كالعجوز الذي حطمه الدهر ، وفجعه في أولاده فسيّره في مواكب وداعهم الباكية ، وما أولادي إلا أماني ، وما قبور الأماني إلا القلوب اليائسة

فيا رحمة الله على تلك الأماني !

يا رحمة الله على الأيام التي كنت فيها غراً مغفلاً أصدق كل خداع كذاب يزعم أن في الدنيا فضيلة وخلقاً وأن قيمة الإنسان بما يملكه منهما ... لقد خدعني المعلمون والأدباء ، فلماذا أخدع تلاميذي ؟ لماذا لا أقول لهم : إن المكر والكذب والنفاق هي في شرع الحياة فضائل ، فأعدوا قوا كم لإصلاح المعوج من شرائعها، أو فانزلوا على حكمها ، فخاطبوها بلسانها ، وادخلوها من بابها ؟

إن المربين والمعلمين سينكرون ذلك ويكبرونه ويرونه إفساداً لعقول الناشئة ، فليكن إذن ما يريد المربون والمعلمون !

كلمة أخيرة

من عجائب الاجتهاد

« لنــاقد أديب »

كتبت عن عجائب التحصيل والروية والاجتهاد فى مسرحية مفرق الطريق ، فكان من عجائب الفهم الذود عنها بمثل ما كتبه الأستاذ طلبات . وهو يعتذر عن المؤلف بقوله : إن المعانى والفكر المتداولة أشياء يشترك فيها جميع الناس ، وإنما العبرة بطرائق معالجتها ، إلى آخر ما كتبه فى هذا المعنى

وقد حمدنا للأستاذ هذا الرأى لأنه اعتراف مهذب بما كتبناه عن هذه المسرحية المصنوعة من قصائد الشعراء، لولا حديث عن المذاهب الفلسفية موسوم بطريقــة المؤلف وأسلوبه فى اللف والدوران ، رأيت أن من حق القراء علىّ ألا أخدعهم به عن الموضوع ، وألا أخدع نفسى به عما سقت الدليل القاطع عليــه من كلام المؤلف نفسه، وكيف أن مسرحيته (تخريجة) فى الفلسفات وحشو من عفو التآليف

فلما تحدث الأستاذ الـكاتب عن « كانت » و « برجسن » قلت : إن غاية هذين المذهبين فى الفلسفة هى الوصول إلى المعرفة وحقائق الأشياء وما وراء الطبيعة ، وإن الخلاف بينهما فى الأداة أو الوسيلة ، فإذا كانت بصيرة « برجسن » قد عملت عملها فى المسرحية كما يقول الأستاذ طلبات ، فإن القمة الباردة التى تدور حول فلسفة « كانت » قد عملت عملها الواضح فى هــذا السبيل ، وأبرزت أثرها الملموس حتى طمرت المسرحية بثلوجها .

وقلت أيضاً إن بصيرة برجسن تستعين بالعقل وليست ضرباً من الهذيان الذى يضطرب فى جوانب المسرحية ، ودللت على هذا الخلط فعرضت للمؤلف كلاماً بنصه ، فإذا هو مذهب فلسفى آخر ، وإذا هذه المذاهب الثلاثة تتلاقى على غير هدى وإتقان ، ويقوم إلى جانبه رأى آخر يعتذر فيه الـكاتب عن المؤلف فى اقتباسه صورة الصراع بين العقل والشعور فيشير إلى ذلك وإلى الصراع بين المادة والروح ، ويعرض أسماء بيراندللو وإبسن وشكسبير وراسين ؛ فرأينا أن نكتفى بواحد من أولئك الأعلام نضمه إلى كانت وبرجسن والسولبزم إرضاء للأستاذ طلبات وتخريجاً لمنطقه ؛ فإذا هذا الخليط العجيب مصدر إزعاج للـكاتب ، وإذا به يتهمنا بما لم نقله إلا إرضاء له وإعجاباً به وهو يتشبث بما يظن فيه النجاة من هذا المضطرب

وجاء الـكاتب فى مقاله الأول يقول : إننا حاولنا أن نقرب المسرحية من قصيدة العقاد فنسبنا تصميم غلاف المسرحية إلى بشر فارس وهو من صنع فنانة باريسية ؛ فقلنا : إن فى هذا الرأى المعتذر الدليل كل الدليل على صحة ما ذهبنا إليه ، لأن الفنانة الباريزية بعد أن قرأت هذه المسرحية العجيبة وهضمتها وتأثرت

يا رحمة الله على تلك الأيام ومن بعيدها إلى ؟ من يرجع إلى ثقتى بالحب واطمئنانى إلى الـكتب وسكونى إلى الناس ؟

كنت أرى الحب أساس الحياة ، عليه قام الكون ، وبه استمر الوجود ، وكنت أومن به فغدوت لا أومن إلا بالبغض ، وصرت أحب أن أبغض ، وأبغض أن أحب

فمن يدلنى على مصنَّف فى أساليب البغض حتى أتقنها وأفهمها فأبغض الناس كلهم ؟ أبلغ الجفاف فى القرائح والجدب فى العقول ألا يصنف كتاب واحد فى (البغضاء) ، وقد ألف السخفاء ألف ألف كتاب فى الحب ؟

لا ، بل من يرشدنى إلى الفرار من مهنة الأدب والتخلص من الحب والبغض والعواطف كلها ؟ من يحسن إلىَّ فيدعو لى بظهر الغيب أن يصحح الله عزيمتى على ترك الأدب ، أو ينقص من شقائى به ؟ لقد أعطيت عدة الأديب ، ولـكن الناس آذونى حتى أعملت عدتى فأسلمتها إلى الصدأ ، فأكلها ، ففنيت غير مأسوف عليها ، لا يأسف الناس لأنهم هم الأُلى أفنوها ، ولا آسف أنا لأنى لم أنل منها خيراً

فلا يغضب القراء إذا أنا ودعت الأدب بالتحدث عن نفسى ، فإنما أرثيها قبل موتها ، أرثى مواهبى المعطلة ، لقد مت ، فدعونى لا تؤذونى بالانتقاد البارد ، أذكروا محاسن موتاكم ، وإذا لم تكن لهم محاسن فعفوا عن ذكر مساويهم

ولا تنفسوا على أخيكم « نفثة » يزيح بها عن صدره هماً ثقيلاً !

علي الطنطاوي

بها وأرادت إبراز فكرتها مصورة ، لم تجد غير قمة باردة منارة ، وطريق صاعد بين الصخور ومنحدر إلى غور ؛ وإذا قصيدة العقاد مصورة على غلاف المسرحية ، وإذا المؤلف فى ختام مسرحيته يقول بمثل ما قال به الأستاذ العقاد فى ختام قصيدته ، وهو يدعو إلى النزول والانحدار وترك هذه الثلوج

وقد يلذ لحامى المسرحية أن يسوق دعواه بأنه يقرر مذهباً فلسفياً فأنكرنا عليه هذه الدعوى ، لأن المسرحية جاءت خليطاً من فلسفات شتى كما أسلفنا القول على ذلك ؛ وهكذا اطّرد سياق المسرحية فى أسلوب من التعسف إلى غير هدف صميم من المذاهب الفلسفية التى اقتحم عليها فظلمها وإن كانت قد تأبت عليه فلم تنزل إلى مستوى القضية البسيطة التى يعالجها ، وهى إحدى قضايا النفس البشرية المشتركة بين جميع الأحياء ، ولا يستعصى فهمها على الدهماء

هذا من حيث الفكرة ! فاذا من ناحية الأسلوب ؟

لقد نهج المؤلف نهجاً ساذجاً فى الاقتباس : فهو من الجهة الواحدة قد اقتطع طريقة الأستاذ العقاد فى إيراد فكرته بقصيدة القمة الباردة ، فعالج موضوعه على نفس الأسلوب صاعداً إلى القمة المثلوجة وهابطاً إلى النور المظلم ، ولو أنه كان مبدعاً فى نهجه لاتخذ سبيلاً آخر وراح يناوح جنبات فكرته بين الشاطئ المؤنس وبين مضارب الصحراء مثلاً ! بل إنه أمعن فى هذا الاقتباس الغريب المريب فراح يعرض فكرة الصراع بين العقل والقلب على النمط الذى نهجه الشاعر على محمود طه فى قصيدة قلبى إذ صب معانيه فى قالب ألفاظها دون أن يصوغها فى قالب آخر ؛ فهو يعمد إلى قوالب النار والظلمة والاحتراق دون أن يلجأ إلى صيغ جديدة تضفى على فكرته مسحة الأصالة شأن من يمتازون بشخصيتهم الأدبية المستقلة ، وفضلاً عن ذلك كله فقد أثقل المؤلف بأسلوبه على مذهب الرمزية ، وطغى عليه حتى مسخ طبيعته وشوه فضيلته وأفسد غايته . ذلك أنه تطاول على هذا المذهب إلى حد المواءمة بين المطبوع والمصنوع ، ولقد وضحنا أن الأصل فى الرمزية أن تنشأ مع النفس وفى التفكير ، لأنها التعبير عما وراء الطبيعة ، أو ما وراء أفق الشعور بما تعجز الألفاظ عن إبانته والإفصاح عنه ، بينما تعالج المسرحية قضية بسيطة ومعانى عادية يجب أن تلتزم مكانها من التعبير المباشر الصريح دون إبهام أو إيهام ، وضربنا لذلك المثل بالمقبرة البحرية

ويمعن الكاتب فى التطبيق الأعرج ، فيعكس على نفسه النائية إذ يصعد إلى الثلج مريداً خلاص النفس من ألم الإحساس البشري قياساً على الفكرة التى رمز العقاد إليها بالثلج مريداً « الإدراك المجرد » فأخذنا عليه اعتسافه فى التطبيق على « النفس » هكذا إذ يحرمها بطريقة « استبدادية عرفية » حظها المقسوم المحتوم من الشعور باللذة أو الشعور بالحياة

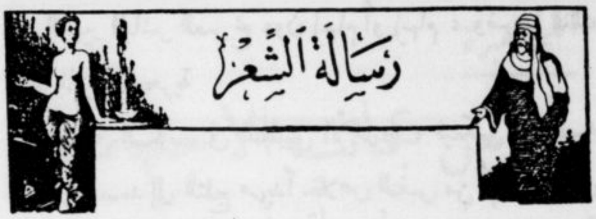
ذلك شأن المسرحية وشأن الدافع عنها ، وقد عز علينا أن يخونه التوفيق فى محاولاته المعجبة فى نواحيها الأخرى ، من ذلك أنه انتهج طريقة المداورة فأسرف على نفسه حين تكلم عن حظ الأدباء من الفلسفة وما يجب أن يأخذوا به أنفسهم ، وتلك بديهة لا خلاف عليها ، وإن كنا نعجب له بعد ذلك حين أخذ نفسه بالاعتذار عن الأستاذ العقاد قائلاً : « لا لوم ولا تثريب على أستاذنا العقاد أن يورد قصيدة من شعره تحمل فى طياتها نزعات فلسفية لمدرسة معروفة » كأنما العقاد قد أتى بهذا ما يعاب ، ولكنه الخلط وعجرد الكلام بما لا يجدى فى دفع الإفحام

وزعم الأستاذ طليمات أننا قلنا إن المذهب الرمزى فى الأدب ليس إلا ضباباً كثيفاً من الإبهام والإيهام ، وتلك دعوى باطلة مردودة لم نقل بها وإنما هى من بدائع مخيلته ، وهو يعود فى مقاله الأخير إلى بصيرة برجسن بكلام لا يخفى مغزاه على المشتغلين بالأدب والفلسفة . ولقد عجبت له وايم الحق وهو يشفق « أن تسوخ قدمه » فينكر الفلسفة على « إبسن » بحجة جريئة هى أنه « ليست له مدرسة فلسفية بمعالمها وحدودها » ورحم الله فلسفة الاجتماع !

ولسنا من أصحاب الدعوة السياسية نريد أن نؤلب بها الجماهير أو نقود الدهماء ، وإنما نتحدث إلى العقول والقلوب ونسوق الدليل ونأتى بالبرهان ، وإنما هو حديث الأدب الخالص الذى يتناول الدرس والاستقراء بالبينات دون الشبهات ويعرض لآثار الأدباء دون ذواتهم

فالذاتية لا اعتبار لها فى هذا المجال ، وهى لا ترفع من قدر الكاتب إلا بمقدار ما يصيبه القراء فى بحثه من الأدب الخالص والفكر الناضج والعلم الصحيح

ناقد أديب



ثلاث عشرة حجة

للأستاذ الكبير عباس محمود العقاد

مرّت بنا الأيامُ وثبًا   سِلمًا كما شاءت وحربا
لا أحسنتْ حربًا ، ولا   فى السِّلم ، طاب السلمُ غِبّا
ضَمِنتْ لجيشَيها معًا   غصبًا كما اشتهيا ، وغَلبا
فإذا الحوادثُ أقبلت   أو أدبرتْ ، فالخَلقُ نُهْبَى
ألعامُ من أعوامنا   يحوى ـ جزاه الله ـ حُقْبا
وثلاثَ عَشرةَ حِجّةً   قلبتْ طِباقَ الأرض قَلْبا
سَلها عن الدنيا وما   صنعتْ بها شرقًا وغربا
سَلها عن الوادى وما   صنعتْ به دفعًا وجذْبا
لا ضَيْرَ بالماضى إذا   دارَ الزمانُ فطاب عُقْبَى

***

فألاً من الذكرى ، وكم   فألٍ طوى فى الغيب حُجْبا
وهِدايةً منها وقد   تَهديك فى الظلماء قُطْبا

***

يا سعدُ يومك ، فاستجب   قلبًا لمن يدعوك قلبا
جرّد عزيمتك التى   أغنت عن الصمصام غَرْبا
وابعث نصيحتك التى   أغنت عن التِّرياق طِبّا
وانشر فرائدك التى   أغنت عن العِقيان كَسْبا
هـذا نذير الشر هَبّا   وإلى حِمَى مصرَ اشرأبّا
وسَرَتْ إلى إفريقيا   عَدْوَى الجهالة من أُرُبّا
طمعوا بحَوْزة أمةٍ   ظنوا لها الغفلاتِ دأبا
إن قيل لا خطرٌ غفتْ   عينًا ، وتاهت عنه لُبّا
أو قيل لا طمعٌ فلا   طمعٌ ، وقرّت مصرُ سِربا
أو قيل يا أمم انهضى   نهضت وراحت مصر تأبى
مجرى المخاوف حولها   وتخاله الأمن استتبّا

***

يا سعدُ أنت إمامُها   فاهتِف بها مَلأً وشَعبا
صدَعَ الشقاقُ صفوفَها   وجمعتَها بالأمس حِزبا
فاجمع جوانبَ رأيها   شِعَبًا على الحُسنَى فشِعْبا
قل أنتمو أعلى يداً   من عابِدِى الإنسان رُهْبَى
ذلّوا فلما استرسلوا   تاهوا بقيد الذل عُجْبا
وإذا أتوا عددَ الحصى   فرمالُكم أوفَى وأربَى
جَذْبٌ من الصحراء أغ   لى من جَحيمِ الرَّوض تُرْبا
ظمآنُ يشرب كلٌّ من   يُغرى بكم أكلاً وشربا
وقل استعدوا واسلكوا   فى مفرق الحدين دَرْبا
لا تُصْغِروا هَوْلاً ولا   تستكبروا الأهوال رُعْبا
وتبينوا أين الفر   قُ الحرُّ فاتخذوه صَحْبا
دارُ الذين سَبَتْهمُ   حريةٌ ـ هيهات تُسْبَى
ضنوا بمصر على العدى   وعلى الذى يحتال خِبّا
وحَذَارِ دعوى معشرٍ   لم يؤمنوا بالحق رَبّا
لا رحمةً عرفوا ولا   عرفوا لغير الشر حُبّا
القدوةُ العُليا لهم   وحشٌ على العُدوان شَبّا
عقدوا على البغى العُرَى   تبّتْ يَدُ الباغى ، وتبّا

***

يا آل مصرَ تذكروا   سعداً ففى التذكار قُرْبَى
إني استعرت بيانه   فعليّ إن قصّرتُ عُتْبَى
إلا اللبابَ ، فإننى   فى الرأى ما أخطأت لُبّا
سعدٌ إذا أمضى مضى   وإذا دعاه الهول لبّى

عباس محمود العقاد

نجوى !

مَرْثِيَةُ زَهْرَة !!

« عثر الشاعر فى رسائلها الحزينة على زهرة ذابلة عادت بها سنين الفراق وهى هامدة مفطورة ينفح رفاتها عطر الفناء !! »

يا ابنةَ الماضِى وما الماضى سِوَى   نَعْشِ أحْلامِى إلى القَبْرِ يَسيرُ !
إنْ يَكُنْ ماتَ بِدُنْياكِ الهوَى   فَهْوَ فى دُنْيايَ لَفْحٌ وَسَعِيرُ
فى دَمِى مِنْهُ عَذابٌ وَجَوًى   وَعَلَى الأنفاسِ وَجْدٌ مُسْتَطِيرُ
وَعَلَى أيامِىَ السُّودِ فُتُورُ   كالذى نَفَّضَهُ المَوْتُ عَلَيْكِ
فاسْأَلى عَنْهُ تُناجِيكِ العُطُورُ   إنْ يَكُنْ فيها بَقِيَّاتٌ لَدَيْكِ

ما لأوْرَاقِكِ فى الصَّمْتِ حَزَانى   ثاكلاتِ العِطْرِ شَلَّاءَ الرَّفيفِ
غارِقاتٍ فى الضَّنَى تَبْكِى حَنانا   وَبُكاءُ الصَّمْتِ سُلْوانُ الضَّعيفِ
أتُرَاهَا نَقَلَتْ عَنِّى الهَوَانا ؟   واسْتَعارَتْ شَجَنَ القَلْبِ اللَّهيفِ
أمْ تُراها شَرِبَتْ كأسَ الخَريفِ   حِينما طافَ بها ساقى الرِّياحِ ؟
حَشْرَجَتْ منها وذابَتْ فى شُفوفِ   خَضَبَتْ أسْتارَها كَفُّ الجِراحِ

اذكُرى يا زَهْرَةَ الذِّكرى غرامِى   وَهْوَ دُنْيايَ وَدِينى فى الحياةِ
يَوْمَ فَتَّحْتِ لِصَفْوِى وابْتِسامِى   وَتَطَهَّرْتِ بِنارِ القُبُــلاتِ
وانْتَشَى عِطْرُكِ مِنْ سِحْرِ الهُيامِ   فَغَدَا أحْلامَ نُسْكٍ فى صَلاةِ
طاهِرَ الأنْفاسِ عَفَّ النَّفَحاتِ   أيْنَ مِنْهُ رَشْفَةٌ لِلظَّامِئِينَ ؟
أنا والشِّعْرُ وَحُبِّى وَفَتاتى   قَدْ حُرِمْنا كأسَهُ خَمْسَ سِنِينَ

قد حُرِمْناها ! ولم يَبْقَ لَدَيْنا   غَيْرُ طَيْفٍ مِنْ رُفاتِ الذِّكْرَياتِ
كلما أوْمَا إلى الماضِى بَكَيْنا   وَدَفَنَّا حَظَّنا فى العَــبَرَاتِ
ثم عُدْنا والهوى بين يَدَيْنا   كَجِنازِ الصَّمْتِ بين الفلَواتِ
عودةَ العِطْرِ لتلكَ الورقاتِ   هُوَ حَيٌّ وهى فى الأكْفانِ غَرْقَى
فازْفِرِى يا زَهْرَةَ الذِّكْرى مَماتى   نَضَبَتْ روحى وذابَ العُمْرُ شَوْقا !

محمود حسن اسماعيل

خواطر فى الحرب

للأستاذ محمد عرفة

ذكرنا فى كلمة سالفة أن الترف مفسد للأمم ، وأن التقشف مقوٍّ لها ، وأن الترف نتيجة طبيعية للغنى ، وأن التقشف نتيجة طبيعية للفقر . ونريد الآن أن نعلم لماذا كان الترف مضعفاً للأمة كاسراً لحدها ، ولماذا كان التقشف مقوياً لها . لعل ذلك يرجع إلى ما يأتى :

١ — إن المترفين لا يباشرون حاجاتهم بأنفسهم بل يتولاها لهم غيرهم ، والعضو الذى لا يعمل يفقد قوته ، وربما مات . لذلك تضعف أعضاؤهم وتفتر قوتهم ؛ وقد قال بعض العرب : ماوددت أنى مكفى المؤونة . قيل له : ولم ذاك ؟ قال : أخاف عادة العجز . أما الفقراء فهم لحاجتهم يتولون الأعمال الجالبة للرزق فتقوى بذلك أجسامهم وعقولهم ، فحيث ترى قوماً يعملون رأيت السواعد القوية ، والصحة والعافية والعقول الخصبة والأفكار المنتجة . وحيث رأيت قوماً مكفيى المؤونة رأيت الأجسام الضعيفة والفتور المقلى

٢ — إن المترفين ينغمسون فى الشهوات ، ويكرهون المشقة ، ويخافون الخروج من عيشة الدعة ؛ فهم دائماً مخلدون إلى الأرض ، لا يرفعون رأساً ، ولا يسمون إلى مكرمة ؛ فإذا رأوا طريقين : أحدهما شاق وعلى رأسه العزة ، والثانى سهل وعلى رأسه الذلة ، اختاروا أسهل الطريقين ونفوسهم دائماً تكذبهم وتختار الأسهل ، وتزعم أنها اختارت ما فيه الخير ؛ فإذا توقفت حياتهم وعزتهم على حرب يخوضونها عللوا نفوسهم بالأمانى وسوفوا ، فإذا اضطروا إلى خوضها ورأوا طريقاً للنجاة منها ولو بوعود كاذبة يبذلها العدو ، صدقوا هذه الوعود وخدعوا أنفسهم . أما غير المترفين فهم لا يبالون الشدائد لأنهم أبناؤها ، فإذا رأوا طريقاً للمعالى سلكوه ولو كان فيه الموت جاثماً ، وإذا رأوا طريقاً للمخازى نبذوه ولو غرست فيه الورود والرياحين

من أجل ذلك ترى الذين يخافون عاقبة الترف يكلفون أنفسهم أعمالا جسدية شاقة لتقوى أبدانهم

روى أن عمر بن الخطاب قدم إليه فرسه وعليه الركاب فنحاه عن فرسه وكان يقفز من الأرض ، فإذا هو على ظهر فرسه ، فكأنما خلق عليه .

محمد عرفة



في الفن والتربية

مدرس الرسم

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

لي صديق زرته ، فرأيت ابنه يرسم باذنجانة ؛ فسألته لماذا يرسمها فقال لي :

— أستعد لامتحان الملحق

— وهل وقعت في الرسم ؟

— نعم

— وحده ؟

— وحده

— مسكين . على أي حال الرسم هين ، وتستطيع بالمثابرة الخفيفة أن تتقنه بالقدر المطلوب منك

— إني أرسم كل يوم مائة باذنجانة ، ومائة قلة ، ومائة طربوش ، ومائة صندوق مفتوح ، ومائة صندوق مقفل ؛ ومع هذا فإن أبي لم يرض عن رسم واحد مما أرسم ، فاصنع فيّ أنت معروفاً ، وقل لي كيف أرسم وكيف أتقن الرسم

— ألم يقل لك معلمك الذي كان يعلمك الرسم في المدرسة كيف ترسم

— قال كثيراً ، ولا زلت أحفظ ما قال حتى إني لأضمن النجاح في الرسم لو أنهم امتحنوني فيه امتحاناً شفوياً

— أسمعني ما قال لك معلمك ...

— قال لي يا سيدي : إن الشكل إما أن يكون في مستوى النظر وإما أن يكون فوق مستوى النظر وإما أن يكون تحت مستوى النظر ، فإذا كان في مستوى النظر رسمناه مستقيماً ، وإذا كان فوق مستوى النظر جعلنا جزءه الأسفل هو القاعدة واتجهنا بخطوطه بعد ذلك إلى نقطة تقع فوق هذه القاعدة وتلتقي فيها هذه الخطوط ، وإذا كان الشكل تحت مستوى النظر جعلنا جزءه الأعلى قاعدته واتجهنا بخطوطه بعد ذلك إلى نقطة تقع أسفل هذه القاعدة وتلتقي فيها هذه الخطوط...

أرأيت الآن أني أحفظ الرسم عن ظهر قلب . . . وليس هذا فقط . . . وإنما قال لنا أيضاً : إن الضوء إذا كان آتياً من اليمين فإن الظل يكون في الشمال ، وإنه إذا كان آتياً من الشمال فإن الظل يكون في اليمين ... فماذا تريد أكثر من ذلك ...

— لا شيء ... وإن معلمك لم يقصر ، وكان عليك أن تطبق في رسمك هذه القواعد فتنجح ...

— صدقني أني أطبقها ، ولكني لا أدري لماذا لا أنجح في الرسم ... لقد كرهته حتى لم أعد أطيق دروسه

— لماذا ؟

— أليس في الدنيا شيء نرسمه غير الباذنجانة والطربوش والقلة والصندوق المفتوح والصندوق المقفل ... كل هذه أشياء ثقيلة الظل مثل صاحبها

— ومن صاحبها ؟

— الأفندي الذي يعلمنا الرسم . يدخل الفصل ومعه المنظور ويضعه أمامنا ، ويقول لنا : هو الآن فوق مستوى النظر أو تحت مستوى النظر ، والضوء آت من اليمين أو الشمال ، فارسموه ، ثم يبدأ يطوف بنا ليصحح لنا الأشكال السابقة ، وليلقي نظرة على الشكل الجديد ، وليس عنده غير الضوء والظل ومستوى النظر ...

— وماذا كنت تريد منه أكثر من ذلك ؟

— أنا ؟ ... لا أدري ، ولكن ابن خالي يقص لي قصصاً لذيذة عن معلم الرسم الذي يعلمهم ، يقول لي إنه رجل خفيف العقل ، وإنه يضحكهم كثيراً ، وإنه يخرج لهم من جيبه لعباً غريبة ؛ ويقول لهم : أنظروا إليها قليلاً . ثم يقول لهم : أغمضوا أعينكم قليلاً وارسموها بأصابعكم في الهواء وأنتم مغمضون ، ثم يقول لهم : افتحوا أعينكم وارسموها بالأقلام على الورق . وقد أصبح ابن خالي الآن يستطيع أن يرسم رسماً حسناً أحسده عليه

— ولماذا لا تتبع أنت هذه الطريقة ...

— إنني لم أر هذه اللعب ؟

— ليست هذه اللعب ضرورية ، فأنت تستطيع أن تستبدل بها أي شيء ... وتستطيع أن تبدأ منذ الآن ... أنظر إلى هذه الشجرة قليلاً . . ثم أغمض عينيك ... ارسمها فى الهواء بأصبعك ... هذا حسن ... والآن ارسمها على الورقة بالقلم ... عال ، عال ... تكاد تكون هى ، أما كان يصح أن تقتبس هذه الطريقة من تلقاء نفسك ...

— كنت أظنها لا تنفع إلا فى اللعب ...

— لا ... إنها تنفع فى كل شيء ، وهى وحدها مفتاح الرسم ... وانطلق الولد مسروراً لأنه اهتدى إلى مفتاح الرسم ، وبقى أبوه معى وقال لى :

— أنا أيضاً كنت أرسب فى الرسم لما كنت تلميذاً

— وأنا أيضاً

— ولنا وللولد العذر ، فالرسم موهبـة من الله ولا يصح أن نطالب به كل إنسان ، ولست أدرى لماذا تصر وزارة المعارف على أن تجعله مادة إجبارية ...

— صحيح أن الرسم موهبة ، ولكن ليس معنى هذا أن تنفل وزارة المعارف تعليمه تلاميذها ، وإنما الواجب أن تعلمهم إياه ، فالموهوب منهم تنكشف بالتعليم موهبته وتنصقل ، وغيره يتمكن بالإرشاد والممارسة من الإقبال عليه فى غير كراهية ولا تذمر ، وليس هناك شك فى أن الرسم يربى الذوق البصرى ، وليس هناك شك فى أن كل مبصر محتاج إلى تربية هذا الذوق فى عينيه إن لم يكن للرسم فللملاحظة والإدراك ، وتمييز الأشياء ، وإدراك المنظورات ... وهذا هو الذى يحمل وزارة المعارف فى الدنيا كلها على الاهتمام بالرسم والعناية به . وكل ما فى الأمر أننا هنا لا نزال فى حاجة إلى معلم الرسم الصحيح ، كما أننا لا نزال فى حاجة إلى المعلمين الحقيقيين فى غير الرسم ... وقد يؤلمنى أن أقول لك إن قليلين جداً من المعلمين هم المولعون بما يعلمون ، وإن أكثر المعلمين فى مصر يؤدون عملهم على أنه عمل يرتزقون منه لا أكثر ولا أقل ... وإلا فقل لى كم من معلمى الأدب فى مصر أدباء ، وكم من معلمى الجغرافيا فى مصر غادروا القطر أو المدن التى يعملون فيها ، وكم من معلمى الكيمياء فى مصر انشغل بتركيب أو بتحليل خارج المدرسة ، وكم من معلمى الرسم فى مصر لهم عمل يعرفه الجمهور أو لا يعرفه ...

— إن لمعلمى الرسم اتحاداً ، وقد أقام اتحادهم معرضاً زاره وزير المعارف منذ شهور وأثنى عليه ...

— لم يكن فى هـذا المعرض إلا أشكال بعضها تحت النظر وبعضها فوق النظر وبعضها فى مستواه . ولم يكن المقصود من هذا المعرض إلا أن يلتفت وزير المعارف إلى معلمى الرسم فيرعاهم قليلاً لأنهم فى الحقيقة مغبونون ومظلومون أكثر من غيرهم من المعلمين

— إذن فقد أعجبتك طريقة المعلم الخفيف العقل

— من غير شك ، لأنها التدريب الطبيعى للتصور ، والتصور هو أول ما يتطلبه الرسم

— ولكنى لا أزال أطمع فى أن يرتقى تعليم الرسم عندنا إلى أكثر من هذا ، حتى نرى من تلاميذنا اهتماماً بالجمال وإدراكاً له كما نرى ذلك فى أبناء غيرنا من الأمم

— أنا لا أشك فى أن الاهتمام بالجمال موجود عندنا كما أنه موجود عند كل الناس ، ولكن شعبنا لا يزال ينطلق إلى الجمال فى مطارحه الطبيعية كلما حن إليه ... والذى ينقصنا حقاً هو التفكير فى اختزان صور من الجمال نفزع إليها كلما اشتقنا لها ... وقد يكون السبب فى امتناعنا عن هذا هو فقرنا وعدم ظهور الفنان المصرى الذى يخلد فى صورة من الصور منظراً يشتاق المصريون إلى النظر فيه باستمرار ... وأنا لا أزال أجهل هـذا المنظر ...

— لا أظنه منظراً واحداً هو الذى يجذب المصريين ، فكل منظر يصح أن يجذبهم

— ولم لا ؟ ولكنى أظنهم لا يزالون فى حاجة إلى من يلفتهم إلا مواطن الحسن فى المناظر الطبيعية وفى المناظر المرسومة ... وهذا من عمل معلم الرسم ، وهو لا يستطيع أن يؤديه إلا إذا كان فناناً حساساً يتذوق هو نفسه الجمال ، ويستطيع هو نفسه أن يعبر عنه ، وهذا المعلم هو الذى يجب على وزارة المعارف أن تبحث عنه أو أن تكونه ... وأظنها قد بدأت تبحث عنه كما أنها قد بدأت

تكونه ... فقد بدأت تأخذ معلمى الرسم لمدارسها من خريجى مدرسة الفنون الجميلة العليا بعد أن تعلمهم أصول التربية فى معهد التربية ...

— وهل تحسن الظن أنت بمدرسة الفنون الجميلة العليا وبمعهد التربية ؟

— المدرسة والمعهد فيما أرى يتبعان أضمن الطرق لتخريج الفنانين والمعلمين ، غير أنهما يسمحان لكثيرين من غير الفنانين والمعلمين الموهوبين بالانخراط فى سلكهما ، ويظهر أنهما لا يستطيعان أن يفعلا غير ذلك ، لأنهما لو دققا التدقيق المطلوب فى الاختيار ، فإنهما قد لا يقبلان فى العام الواحد أكثر من طالب أو طالبين ، وعندئذ تواجه البلاد أزمة فنانين ومعلمين لا قبل لها بها ...

— قد يكون التساهل معقولاً فى قبول المعلمين غير الموهوبين لأن البلاد فى حاجة إلى عدد كبير منهم ، وهذه الحاجة تتجدد وتزيد كل عام ، ولكن ما هو العذر فى أن تقبل مدرسة الفنون الجميلة العليا شباناً استعدادهم الفنى فقير ، أو عادى ؟

— ذلك لأنها مفتوحة الأبواب ، وأنها مادامت كذلك فهى تنفق على نفسها ميزانيتها المربوطة لها ، فسواء كثر الطلبة فيها أم انفضوا عنها فهى مضطرة إلى المضى فى عملها ، وما دام الأمر كذلك فهى تقبل كل عام عدداً ممن يتقدمون إليها حتى لا تغلق أبوابها ...

— ولما كان مستقبل هذه المدرسة مبهماً وغامضاً فإنه لا يقبل عليها إلا من يئس من غيرها سواء أكان موهوباً أم كان غير موهوب ، وهذه طريقة لا تؤدى إلى الخير بأى حال من الأحوال

— من غير شك ...

— أو ليست هناك طريقة يمكن أن تؤدى إلى الخير ...

— إن لم تكن هناك طريقة فمن الممكن استحداثها ... نحن الآن فى المدرسة الابتدائية ، ولكل تلميذ من تلامذة المدرسة ملف ، هذا الملف لا تجد فيه شيئاً عن التلميذ إلا أنه غاب فى يوم كذا ، وحبس فى يوم كذا ، وتغدى خبزاً قفاراً فى يوم كذا . أما أخلاقه ، وأما عقله ، وأما مواهبه فهذه جميعاً أشياء لا تجد لها أثراً فى ملفه ، بينما لو اهتمت كل مدرسة بكل تلميذ من تلاميذها ودرست أخلاقه وعقله ونفسه ، وسجلت من حوادثه وأخباره ما يدل على روحه شهراً فشهراً أو عاماً فعاماً ، فإن التلميذ ما يكاد يفرغ من مرحلة التعليم الابتدائى حتى يكون فى ملفه صورة ولو غامضة تحدد اتجاهه فى الحياة الذى هيأته له طبيعته ، فإذا اتبعت هذه الطريقة فى المدرسة الثانوية فإنه ما يكاد يفرغ من التعليم الثانوى حتى يكون ملفه ناطقاً بصراحة ووضوح بالعمل الذى لا يصلح أن يختار لنفسه غيره . فهذا يثبت الملف أنه سريع الخاطر سليم المنطق ، قوى الفراسة ، صبور ، جذاب يرتاح إلى الناس والناس يرتاحون إليه ، مرشد بطبيعته إلى ما يراه لا يخفى شيئاً مما يعلم فهو إذن يصلح لأن يكون معلماً ، والثانى ذرب اللسان جرىء على المغالطة ، لبق فى إظهار الحق متى يشاء وكتمانه متى يشاء ، قوى الحجة . . فهو إذن يصلح لأن يكون محامياً ... وهكذا ... لو اتبعت مدارسنا هذه الطريقة فإنها من غير شك تفلح فى تعليم تلاميذنا وتوجيههم ، ولكن مدارسنا لا تهتم بشىء أكثر من الامتحانات المتوالية ونتائجها ، ونسبتها المئوية ... فقط لا غير

عزيز أحمد فهمى



قصة الفيتامين

تجربة غذائية عرضية

– ٢ –

لقد أثبت قديماً أفذاذ علماء التغذية مثل ليبج Liebig وڤويت Voit بناء على تجارب صحيحة أن المواد الثلاث الزلالية والدهنية والنشوية ، زد عليها الأملاح المعدنية والماء هي مقومات الحياة . فالمواد الزلالية تقوم ببناء الجسم وما يتطلبه من النمو ، بينما المواد الدهنية والنشوية تبعث القوة وتدعو للحركة والإنتاج الحيوى عند احتراقها . ونشير في هذه المجالة إلى المجهودات العظيمة الدقيقة التي قام بها ڤويت في هذا السبيل ، والتي أثبت فيها بالوزن مقدار الكميات اللازمة من المواد الغذائية لحفظ الجسم ودولاب الحياة بلا اضطراب ، فقدر للشخص العادى الذى يزن ٦٥ كيلو جراما ويقوم بمجهود متوسط مقدار ١١٨ جرام من المواد الزلالية ، و ٥٠ جراماً من المواد الدهنية ، و ٥٠٠ جرام من النشويات ككميات يومية ضرورية لحفظ حياته .

بهذا القدر قد يكتفى علم التغذية في تأدية رسالته ولا يبقى بعدئذ إلا التفكير في جمع هذه المواد الغذائية بالنسب المعينة وإمداد الجسم بها بطريقة ملائمة ، ولكن لم يَرُق هذا بعض المفكرين والمشتغلين بفن التغذية في هذا الوقت ، كما استبعدوا حل المشكلة الغذائية بهذه الطريقة الكيميائية السهلة . وكان جوستاف بونج Gustav Bunge الفسيولوجي الكيميائى أول من حاول تطبيق هذه النظرية ، فارتأى أن الحيوانات التي تعيش على المواد الغذائية الطبيعية أكثر صحة وأوفر نشاطاً من مثيلاتها التي يُقدم لها الكميات من المواد الغذائية التي أقرّها العلماء . ففي سنة ١٩٠٥ قام بتجارب غذائية على فيران هيأ لها أسباب الغذاء من مواد زلالية ونشوية ودهنية وأملاح معدنية بنسب ثابتة لا ينقصها شيء . فبدا على الحيوانات الضعف والهزال وتساقط شعرها ، والتهبت عيونها اللامعة ، وما لبثت طويلاً حتى نفقت

لم يساور أحداً شك في النتائج التي وصل إليها بونج ، بل اتجهت الشكوك نحو طريقة التغذية وإجرائها

أوشك أن يُسدل على هذه النتائج ستار النسيان ، وحاول الإنسان أن يُدخل في روعه وقتذاك أن لا بد هناك من سر عويص الفهم ، ولكنه بمضى أربع سنوات على هذه النتائج أى عام ١٩٠٩ أقدم العالم ستيب Stepp على تجارب غذائية لها قيمتها ، فهيأ لمجموعة من الفيران غذاء طبيعياً – غير صناعى – عادياً يحتوى على جميع المواد الغذائية اللازمة ، قد نُقع قبل تقديمه لها في الكحول والإيثر ، وانتهت هذه التجربة أيضاً بهلاك الحيوانات

استنتج ستيب من هذا أن وجود جميع المواد الغذائية الأساسية وحدها لا يكفى لحفظ حياة الحيوان عند غياب مواد أخرى ربما تكون تلك التي تأثرت في تجربته عند معالجة الطعام بنقعه في الكحول . لم تتحسن الحال عن ذى قبل حتى بظهور نتائج ستيب في الميدان بجوار نتائج بونج ، وخالج الإنسان الشك حتى امتعض من هذا الاهتمام الزائد الذى يقوم حول تغذية الفيران

اتجه الاهتمام بعد ذلك إلى إجراء هذه التجارب على الحيوانات المنزلية النافعة فقام بابكوك الأمريكى Stephan Babcock (الذى تتلمذ على يدى العالم الجليل ليبج الألمانى) بدوره في هذا المضمار . ففي إحدى محطات التجارب الزراعية التابعة لجامعة ماديسون Madisson أتى بمجموعتين من الأبقار أطعم أولاها القمح الخالص والثانية الذرة . ففي بحر السنة الأولى ظهر على نتاج المجموعة الأولى الضعف وعدم تهيئها لأسباب الحياة بينما لم تظهر على أمهاتها أعراض مرضية ذات بال . أما نتاج المجموعة الثانية فلم يلاحظ عليها شيء ، وكانت صحيحة قوية ، فحمل هذا على الاعتقاد بأن الذرة لا بد تحتوى على مواد مجهولة تلزم للحياة

وقد لا تتهيأ لكل عالم هذه الظروف الحسنة التي هُيئت لبابكوك الأمريكى في إجراء تجاربه الكثيرة التكاليف ، فاكتفى الكثير من علماء التغذية بتجارب أقل نفقة في البلاد الأخرى ، فقام في النرويج البحاثة آرل هولف Arl Holst بإجراء تجاربه على الخنازير ، فقدم لها غذاء واحداً لا يتغير من الحبوب النباتية فتأثرت به وظهرت عليها عوارض تضخم المفاصل وإدماء اللثة

وسقوط لحمها ، ولكنه أضاف بعد ذلك إلى الطعام نفسه بعض الدرنات كالبنجر ، فزالت تماماً هذه الأعراض وانعدم ظهورها في الحيوان

جاءت هذه النتائج مدعمة لبيانات الفسيولوجي هوبكنز الذي سبق ذكره والذي أعد لفيرانه غذاء خاصاً مكوناً من النسب المعروفة اللازمة من المواد الزلالية والدهنية والنشوية النقية مع الأملاح فظهرت عليها الأعراض المرضية التي ما لبثت أن زالت تماماً وبسرعة عند ما أضيفت بعض نقط من اللبن إلى غذائها

فتقت هذه النتائج المتعددة الأذهان وشحذت العزائم وضاعفت من الجهود لكشف القناع عن هذا السر الذي بدأ يتهتك حجابه، وذكر فضل السابقين في البحث الذين كاد يسدل عليهم ستار النسيان . وأثبت بعض الباحثين الهولنديين أن بعض الطيور المنزلية كالحمام والدجاج ظهرت عليها أعراض مرضية غريبة عند ما كان غذاؤها مقتصراً على حبات الأرز الأبيض وزالت هذه الأعراض بإضافة ردة الأرز

يمكننا أن نتصور دهشة العالم حينذاك حول هذا « الشيء » الذي صادفه العلماء تارة في الذرة وأخرى في الأعشاب الخضراء أو في الدرنات وحيناً في اللبن وحيناً آخر في ردة الأرز — ولكن شيئاً واحداً بقي راسخاً في الأذهان ، وهو أن دولاب الحياة لا يلزمه فقط ليدور ما عرف للآن من المواد الزلالية والدهنية والنشوية بل يلزمه أيضاً لحفظ دورانه منتظما وبلا اضطراب مواد غذائية أخرى خاصة ذهبت في التعرف عليها جهود العلماء والبحاثين السابقين هباء

وفي عام ١٩٣١ أطلق عالم بولوني يدعى كازمير فونك Casimir Funk على هـذا الشيء العجيب الذي شخصه بجسم أو بمادة كيميائية أو بمجموعة مشابهة للزلال أو الدهن أو النشا لفظ (فيتامين) بدون أن يفكر جدياً فيما سيكون لهذه التسمية بعدئذ من أهمية قصوى ؛ وحتى هذه التسمية الخاطئة — من الناحية الكيميائية — لهذا الشيء العجيب لم تفقد الموقف كثيراً

وينقسم لفظ فيتامين إلى شطرين : الأول (فيتا) ومعناه الحياة ، ومما لا يختلف عليه اثنان أن هذه المواد هي من أسباب الحياة . أما الشطر الثاني وهو (أمين) فهو يدل على مجموعة من الكربونات العضوية تتركب من الآزوت والإيدروجين ، أي مجموعة الأمينات (زيدم) ولم يثبت إلى الآن انتماء هذه الفيتامينات إلى مجموعة الأمينات

وبرغم التخبط في التسمية ومحاولات الاستدلال على هذا الشيء فقد وضع له الحجر الأساسي، وقامت بعدئذ مجهودات عنيفة وعديدة في المعامل المختلفة في شتى البلاد لكشف سر هذه الفيتامينات ، فهوبكنز الإنجليزي قد رسم طريق البحث عنها في سنة ١٩١٣ في مؤتمر الطب بلندن . وخط ستيب الألماني اتجاه الكشف عنها بالاستدلال بنتائج تجاربه ، واستمر البحث وراء الفيتامينات حتى قبيل نشوب الحرب الماضية . وكان من الصعب في البلاد المتحاربة أن يستمر علماؤها وراء الفيتامينات باحثين ، وكان أمام علماء الألمان مشكلة نقص الطعام ، غير أن الإنجليز والأمريكيين استمروا في أبحاثهم فسبقوا الألمان ، ولكن الأخيرين لحقوا بهم ، وكان لعلمائهم البرزين فضل كبير في بعض نواحي الأبحاث وراء الفيتامينات . (يتبع)

الحيوان يتخاطب ويغازل ويحلم

للأستاذ أحمد علي الشحات

لو أنك سرت في مجالي الطبيعة تتأمل ودلفت إلى مجموعة من الأشجار الباسقة لراعتك الطيور وهي أزواجا أزواجاً تغني ألحان غرامها، وينصت بعضها لبعض على أفنانها . ولو أنك انتقلت من عالم الفكر وسألت أحداً من أهل الذكر : هل للطيور لغة تتخاطب بها وإن لم ندرك كنهها، وإن كانت لها لغة فهل ما نسمعه منها من شدو صوتي ورجع محكي هو الغزل، وإن كان هناك غزل في الطيور فهل عند سائر الحيوانات غزل؟ لأجابك عالم ممن درسوا طبائع الحيوانات أن لها لغة تتعارف بها ، وأن بين الجنسين غزلاً .
فأما لغة الحيوانات فقد نسمع بعضها وقد لا نسمع ، وتتمثل لك لغة الحيوان بالأصوات المتباينة التي تصدر من الحيوانات حين تعبر عن شعور خاص كرغبتها في الأكل أو خوفها من عدو يهاجمها أو حين تغضب ، ويتمثل لك ذلك في الكلاب والقطط مثلاً، كما يتمثل لك استدعاء الجنس للجنس الآخر في نقيق الضفادع الذي لا يصدر منها إلا في موسم التناسل وحين الرغبة في الإخصاب ، وقد أثبت العالم ج . أرثر طومسون من علماء الحيوان أن عند

بعض الحيوانات لغة للتفاهم وإن لم تكن بالنطق فهى بالحركات، فقد استنتج أن العناكب تتخاطب باهتزاز الخيوط التى تفرزها والتى تكون منها بيوتها، كما أن النحلة إذا عثرت على رحيق شهى فى بعض الأزهار ذهبت تبشر زميلاتها فى الخلية بذلك برقصات مخصوصة فتسرع إليها تأخذ نصيبها .

وهناك بعض الطيور كالببغاء والزرزور، وهو طائر يعيش فى مصر والشام على شجر التوت، تستطيع أن تنطق ببعض الألفاظ التى نلقنها إياها، ولكن هل تنطقها عن إدراك، وهل تستطيع أن تنطق بجملة بمحض تفكيرها ؟ هذا ما نشك فيه، وأغلب الظن أن هذه الطيور « عقلها فى أذنيها »، ولكن لما كان فى استطاعة مثل هذين الطائرين النطق بألفاظنا فاقد حدا هـذا بالعالم يركس أن يحاول تجربة ما إذا كان فى استطاعة الحيوانات التى فى المرتبة العليا بعد الإنسان أن تتعلم النطق بألفاظنا، فأجرى تجاربه على الشمبانزى لأنه أيضاً قد حبته الطبيعة جهازاً صوتياً يماثل جهاز الإنسان من حيث الحنجرة والأحبال الصوتية، وكذلك لقدرته المشهود بها على التفكير؛ فكان إذا أراد أن يطعمه نطق بلفظ بسيط مثل « با » أو « كو »، ثم يقدم له موزاً

واستمر يلقنه الدرس أسابيع متتالية، فكان القرد يطير فرحاً حين ينطق أستاذه أمامه، لأنه عرف أن هذا معناه الفوز بالأكل، ولكنه للأسف لم يحاول أن يتعلم النطق ولو استطاع القرد أن يقلد الأصوات كالببغاء أو كما يقلد هو أفعالنا لسمعنا منه العجب نظراً لقدرته على التفكير

وخلاصة ما تقدم أنه ولو أننا لا نستطيع أن نجعل الحيوانات تنطق بلغاتنا إلا أن لها لغة تتعارف بهـا فيما بينها سواء بالنطق أو بالحركات .

الغزل عند الحيوان

يتجلى الغزل عند الحيوانات بأظرف المعانى وأسماها فى الطيور على الأخص حيث الوداعة والحنان ورقة العاطفة، وفى الغالب يبدأ الذكر بالمنازلة إلا فى حالات خاصة كما فى طائر phalarope الذى يعيش فى القطب الشمالى حيث الأنثى هى التى تبدأ المنازلة والذكر هو الذى يتدلل

ومظاهر الغزل عند الطيور عديدة تبعث فى مشاهدها البهجة والانشراح . فإن ضاق بك الصدر يوماً أو عافت نفسك الكتاب فسر عنها برؤية ذكر الحمام وهو يبث أنثاه أشجانه وألحانه . أو الطاووس أو الديك الرومى وكل منهما يزهو أمام أنثاه فيبسط ريشه وتنتفخ أوداجه، وكذا فى ذكر الغواص وأنثاه حين يسبحان فى المـاء معا ويرفعان الرأس ويخفضانه ثم يدفع أحدهما الآخر تحت الماء حيث يسمع لهما صوت أجش صادر منهما . وتقيم بعض الطيور حفلات رقص وتؤدى الذكور والإناث رقصات جنونية تفعل فعلها فى الجنسين وتصرخ صرخات عالية ثم ينفرد كل ذكر بأنثاه

ومن الطيور ما يألف أحد جنسيها الآخر بحيث يقيمان على عهد الوفاء حتى إذا مات أحدهما فقد يموت الرفيق الآخر كمداً عليه

وتخفت حرارة الألفة بين الجنسين إذا انتقلنا من الطيور إلى الحيوانات الأخرى كالثدييات ولو أن لبعضها مظاهر غزل كما فى القطط إلا أنها لا تذكر بجانب الطيور التى قد لا يكون الغرض من غزلها إلا التسامر وازدياد الألفة . وفى الحيوانات ذوات الدم البارد كالتمساح يتلوى الذكر ويقفز فى حركات بهلوانية أمام الأنثى ويصيح وينفخ فى الماء ويعطره بإفراز ذى رائحة طيبة من غدد جلدية فى فكه الأسفل وذلك حتى يجذب الأنثى إليه

وسام أبرص يبدى ارتياحه للأنثى بأن يفتح فمه بأعظم ما يمكنه، وأما فى الضفادع فنقيقها هو استدعاء للجنس الآخر . وفى الأسماك ذوات الأشواك الظهرية كثيراً ما تلتحم الذكور بعضها مع بعض أمام الإناث، حتى إذا انتصر أحدها دفع إحدى الأناث أمامه إلى عشه لتضع فيـه بيضاً، فتسبح السمكة وخلفها زميلاتها متخذة لنفسها مركز القيادة، ثم تقف فجأة وتقلب نفسها رأسياً بحيث يكون الرأس إلى أسفل فتحاكيها الزميلات ثم تدفع هى المـاء فتتفرق الأفراد الأخرى لحظة ثم تجتمع ثانية وتعيد السيرة الأولى إلى أن تصل إلى العش، وهذا معناه فى نظر العلماء الغزل عند الأسماك

وفى النحل تطير الملكة فى الجو فيتبعها جميع ذكور الخلية كل يحاول أن يفوز بها، والمنتصر هو أسرع الذكور فى اللحاق بها ويلقحها فى الجو ثم ترجع الملكة إلى خليتها، حتى إذا رأت الشغالة وهى التى تقوم بأعباء الخلية أن عملية تلقيح الأنثى قد تمت أخذت تلاطفها وتحتفى بها كأنها عروس، وأما الذكور



الى ممثل فرنسا فى سورية ولبنان

بعد تقديم واجب التحية أذكر أنى علمت أنكم أصدرتم أمراً بمنع مجلة (الرسالة) من دخول البلاد السورية واللبنانية لعبارات ظننتموها تثير البغض على فرنسا فى تلك البلاد

ولو كانت مجلة (الرسالة) صحيفة سياسية يهمها أن تصول فى المعترك السياسى لعددنا هـذا المنع وسيلة تصان بها المصالح الفرنسية فى البلاد السورية واللبنانية واتخذنا منه فرصة للهجوم على فرنسا من جديد

ولـكن الأمر يختلف عما تظنون كل الاختلاف ، فمجلة الرسالة صحيفة أسبوعية لخدمة الآداب والعـلوم والفنون ، وقد حزنت لمحنة فرنسا بست صفحات فى عدد واحد : صفحتين بقلم الأستاذ الزيات وأربع صفحات بقلمى ، وما خطر فى بالنا يومئذ أننا نحزن لفرنسا الاستعمارية ، وإنما تصوّرنا فرنسا التى أنجبت باستير صاحب الفضل على الإنسانية ، والتى أنجبت شامبوليون صاحب الفضل على المدنية المصرية ، والتى دانت الأدب والعلم بحياة السوربون

ولم يكن بدٌّ لمجلة تعلن حزنها لمحنة فرنسا بست صفحات من السماح لبعض معارضيها بنشر فقرات كانت على خشونتها مما تبيحه المجادلات الأدبية، وقد تولينا الرد على تلك الفقرات بما يبيّن غرضنا من العطف على فرنسا ، ثم نشرت « الرسالة » بعد ذلك مقالاً يفيض بالعطف من أديب عرف بلادكم وهو الأستاذ البهبيتى

فأرجو ـ حين تطلعون على خطابى هذا ـ أن تُلغوا الأمر الذى أصدرتموه بمنع « الرسالة » من دخول البلاد السورية واللبنانية ، وأن تذكروا أن لنا مبادئ إنسانية تصرفنا عن الشواغل المحلية لأن لنا ساسة ينوبون عنا فى تدبير تلك الشؤون ، وإليهم يرجع الأمر فى الاهتمام السياسى بمركز مصر فى الشرق

وأرجو أن تذكروا أيضاً أن بلادكم لم تستوجب العطف من أمثالنا إلا بفضل ما يؤثر من تشجيعها للحرية ، ومن أجل ذلك استباحت الرسالة أن تنشر عن بلادكم رأيين مختلفين ، وفقاً لما تعلمناه فى السوربون من عرض ما للرأى وما عليه

وسبحان من لو شاء لهدانا جميعاً إلى سواء السبيل

زكى مبارك

خريج السربون

وصاحب « ذكريات باريس »

فلم يبق لها فائدة فى الخلية، عندئذ تقوم الشغالة بقتلها وإلقائها خارج الخلية ، وأما الذكر الذى فاز فإنه فى مقابل انتصاره يسقط ميتاً من الجو بمجرد إتمام تلقيح الملكة، ويسمى طيران الملكة والذكور فى الجو « طيرة العروس » nuptial Jiight ولكنها حفلة عرس ثمنها أرواح جميع الذكور ، وهكذا الدنيا تدور !

الحلم عند الحيوانات

قد ينشط العقل والجسم نائم فيوحى بمختلف الأفكار وتمر عليه مختلف الصور، وهذا ما يعبر عنه بالحلم. ولقد شوهدت هذه الظاهرة فى الحيوانات العليا كالحصان والـكلب والقط وهى فى سباتها ، فقد يصهل الحصان، وقد يقوم الـكلب بحركات تشبه التى يقوم بها فى الصيد وهو فى اليقظة ، بل قد تستطيع أن تجعله يسبح فى الأحلام إذا قدمت لـكلب صيد وهو نائم قطعاً من الأخشاب أو أعشاب ذات رائحة اعتادها فى أحراج الصيد فسرعان ما يخيل إليه أنه فى تلك الأحراج فيقوم ببعض حركات الصيد وهو نائم

أحمد على الشحات

نعم هى كنية الامام الصادق

إن الأديب البغدادى « ع » لعلى حق فيما كتبه فى ص ١٤٠٠ من العدد ٣٧٤ من الرسالة الغراء خاصاً بكنية أبى عبد الله المذكورة فى الصفحة السادسة من كتاب « نقد النثر » وبأنها للامام جعفر الصادق وليست للحسين بن على عليهما السلام كما ذكر سهواً فى هامش الصفحة المذكورة

ولا شك أن حضرته اطلع على طبعة متقدمة من كتاب « نقد النثر » وقع فيها مع الأسف السهو المذكور ، ولو رجع إلى الطبعة الحديثة الصادرة عن مطبعة مصر فى عام ١٩٣٩ لوجد ناشرى الكتاب قد تداركا هذا السهو فكتبا فى هامش الصفحة السادسة تعليقاً على تلك الكنية ما نصه بالحرف الواحد :

« هى هنا كنيـة جعفر الصادق ، وهو الإمام السادس

من أئمة الشيعة الإمامية ، المتوفى عام ١٤٧ هـ . وهشام المذكور بعد فى المتن هو هشام بن سالم ، وكان من وجوه أصحاب الإمام جعفر الصادق ـ كتاب (فرق الشيعة) للنوبختى ص ٦٦ »

(القاهرة) عبد الحميد العبادى

إلى الأخ الدكتور زكى مبارك

السلام عليكم :

اطلعت اليوم على الكلمة التى كتبت عنى فى مجلة الرسالة فشكرت لك مرتين : شكرت حسن ظنك وثناءك علىّ ابتغاء مرضاة الله ، وشكرت لك المسارعة إلى إعلان ما يجول فى سريرتك إيثاراً للحق ، وحرصاً على مجازاة من أحسن فى رأيك

وقد تبينت فى كلمتك خلقاً من أخلاق القرآن الذى يقول : « يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله . »

ثم رأيت أن آداب القرآن تأمرنا أن نشكر من أحسن إلينا بالقول أو الفعل فكتبت هذه الكلمة شاكراً داعياً الله أن يرزقنا السداد والإخلاص فى الرأى والقول والعمل والسلام

عبد الوهاب عزام

ديوان مجنون ليلى

اطلعت أمس على هذا الديوان وقد طبع فى مصر سنة ١٩٣٩ ، وكتب على غلافه أنه جمع وترتيب عالم زمانه وفريد عصره وأوانه أبى بكر الوالبى وأنه بتحقيق وشرح جلال الدين الحلبى ، وفى آخره إمضاء أحمد سعد على من علماء الأزهر تحت اعترافه بأنه صحح بمعرفته

والديوان فى ٩٢ صفحة من القطع الصغير ، أكثر ما فيه من الشعر المنسوب إلى المجنون هو لغيره ، ومن ذلك ما هو مشهور معروف صاحبه ، كقطعة (ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد) وهى ليزيد بن الطثرية ؛ وقطعة (عجبت لسعى الدهر بينى وبينها) وهى لأبى صخر الهذلى ؛ وقطعة (تمتع من شميم عرار نجد) وهى للصمة بن عبد الله القشيرى

ومن ذلك قطعة (ألا هل إلى شم الخزامى ونظرة) وهى ليحيى بن طالب الحنفى ؛ وقطعة (اقرأ على الوشل السلام وقل له) وهى لأبى القمقام الأسدى ؛ وقطعة (بينما نحن بالبلاكث بالقاع) وهى لكثير عزة ؛ وقصة بيت (ألا أيها النوام ويحكم هبوا) نسبت إلى جرير وليست له ، وروى البيت للمجنون وهو لجميل بثينة

ومن ذلك شعر ضعيف لبعض المتأخرين ، ومنه ما تبدو حقيقته لكل ذى عينين ، كالقصيدة التى يقول صاحبها :

لعمري ما لاقى جميل بن معمر ... كوجدى بليلى لا ولم يلق مسلم
ولم يلق قابوس وقيس وعروة ... ولم يلقه قبلى فصيح وأعجم

أفيكون قيس هو قائل هـذا عن نفسه ؟ ومن القطع المنسوبة فى الديوان إلى المجنون ما أقطع بأنه ليس له ، ولكنى لا أذكر الآن صاحبه ، كالقصيدة التى يصف فيها أعضاء المحبوبة عضواً فعضواً (ص ٣٢) ومثلها فى (ص ٢٦) والقصيدة التى ذكرت فيها قصة الذئب والحمل (وكنت كذئب السوء إذ قال مرة) — (ص ٤٣) ، والتى يذكر صاحبها جبل الثلج (؟) ويتغزل باثنتين يسمى إحداهما أم عمرو (ص ٤٧)

أما التحقيق فليس منه فى الديوان شىء ألبتة ... أما الشرح فلا يتجاوز جيده بضعة عشر سطراً أكثرها تفسير كلة عويصة أو مقابلة بعض الأبيات على الأغانى ، أما الضبط « الشكل » فأغلاطه أكثر من أن تحصى وليس يعتدّ به أصلاً

والعجيب فى الأمر أن تكون مقدمة الديوان بقلم الدكتور زكى مبارك ، وأن يكون فيها ثناء على الأستاذ جلال الدين الحلبى وشهادة له بالقدرة على فهم أغراض المجنون !

على الطنطاوى

الشعرى اليمانية Sirius

نقرأ دائماً المقال الذى تدبجه يراعة الدكتور النابغة محمد محمود غالى بلذة وإعجاب ، فهو يسبغ على الآراء العلمية الجافة حلة من السهولة والطلاوة والطرافة تسمو بها إلى مرتبة الموضوعات الأدبية الشائقة

وعلى عادتنا قرأنا له بحثه الأخير « الأحياء فى غير الأرض » فوقفنا على العبارة التالية : « ثم جل بنظرك بعد ذلك بعيداً عن النجم القطبى وجهة اليمين تر (دينب Deneb) العظيم ويسمونه بالعربية « الشعرى اليمانية » فى مجموعة ذنب الدجاجة تصطدم فوتوناته بشبكة العين بعد تسع سنوات ضوئية ... »

فى هذه العبارة خطأ لا ننكر أن الدكتور وقع فيه على سبيل السهو أو عدم التأكد من المصادر المسئولة ؛ فإنه ليخيل للقارئ لأول وهلة أن الكلام يقصد به حقيقة (دنيب Deneb) فهو

قريب من النجم القطبي يقع تقريباً على امتداد الخط الواصل بين صدر النعش فى كوكبة بنات نعش الكبرى والنجم القطبى ، (وليس من ضرورة – كما أرى – لذكر اليمين أو الشمال) إلا أن هذا النجم لا يسمى بالعربية الشعرى اليمانية كما ذكر الدكتور ، وإنما هو الردف أو ذنب الدجاجة ، إذ هو فى مجموعة (الدجاجة أو الأوز العراقى Cygnus) وبعده عنا أضعاف البعد الذى ذكره الدكتور فلا يصل إلينا منه النور إلا بعد ستمائة واثنتين وخمسين سنة من وقت مغادرته مصدره

أما الشعرى اليمانية ويقال لها العبور أيضاً فهى نجم Sirius فى مجموعة (الكلاب الأكبر Canis Major) وهذا النجم أقرب إلى القطب الجنوبى منه إلى القطب الشمالى ، وهو أسطع النجوم نوراً ، ولذا كان من أكثر النجوم شهرة ؛ و « تصطدم فوتوناته – حقيقة – بشبكة العين بعد تسع سنوات ضوئية – تقريباً – » . ومن هنا يظن القارئ أن الكلام خاص بالشعرى اليمانية وليس بالردف ...

على أن مثل هذه الهينات لا تغض من قيمة البحث، ولا تقلل من إعجابنا الكثير بالدكتور الكبير .

(الحصن) خليل السالم

السجع فى كتاب النثر الفنى

عزيزى الدكتور زكى مبارك

كنت أقرأ كتابك (النثر الفنى فى القرن الرابع) فوقفت منه فى صفحة ٢٥ على العبارة الآتية :

وقد أذكر أننى كنت أحاور المسيو مرسيه فى تطور السجع فأخرج رسائل الجاحظ وفيها العبارة : « إن معاوية مع تخلفه عن مراتب أهل السابقة أملى كتاباً إلى رجل فقال فيه : لهو أهون علىّ من ذرة ، أو كلب من كلاب الحرة . ثم قال . امح (من كلاب الحرة) واكتب (من الكلاب) كأنه كره اتصال الكلام والمزاوجة وما أشبه السجع ، ورأى أنه ليس فى موضعه »

وكان المسيو مرسيه يظن فى هذه العبارة دلالة على أنهم كانوا إذ ذاك لا يستحبون الكلام المسجوع ، فوجهت نظره إلى أن لهذه العبارة معنى آخر : ذلك أن السجع فن رقيق ، لا يصلح فى ذلك المقام وهو مقام تهديد ووعيد . (اﻫ كلام الدكتور مبارك)

لم أرتح لهذا التعليل – يا دكتور – من عدم ملاءمة السجع لمقام التهديد ، لأن رقة السجع لا تنسجم مع شدة التهديد . وإنى أرى فى هذا الموضوع خلاف هذا الرأى لأدلة عقلية ، وأخرى نقلية :

أما العقلية فلأنا إذا سلمنا برقة السجع لأنه الكلام المقفى ، والتقفية نوع من الترديد الموسيقى الذى يخف به الكلام على السمع فالشعر أولى بالرقة من الكلام المسجوع لما فى الشعر من الوزن والتقفية . فإذا جعلت السجع غير لائق فى مقام التهديد والوعيد كان الشعر أولى بعدم اللياقة فى هذا المقام . وهى نتيجة لا يثبتها الأدب العربى المملوء بشعر الحروب وأيام العرب

وأيضاً فالحماس الذى يكون فى مقام الفخر والتحدى هو نوع من الشدة شبيه بتلك الشدة التى تكون فى حال التهديد والوعيد . وأنت جد عليم بما تحويه خطب الثورات السياسية التى تشعل نار الحمية ، وتوقظ الغيرة الوطنية ، من السجع والمزاوجة

أما الأدلة النقلية ففى طليعتها كتاب الله الكريم وما يحويه من آيات التهديد والإنذار ذات السجع المعجز . كالآيات : (ويل للمطففين ، الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون ، وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون . ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ، ليوم عظيم . يوم يقوم الناس لرب العالمين) والآيات (كلا سوف تعلمون . ثم كلا سوف تعلمون . كلا لو تعلمون علم اليقين ، لترون الجحيم ، ثم لترونها عين اليقين . ثم لتسألن يومئذ عن النعيم) . والقرآن مملوء بشبيه هذه الآيات

وقد ورد فى كلام المتقدمين من الكتاب والخطباء كثير من العبارات المسجوعة فى مقام الشدة والتهديد . مثال ذلك خطبة زياد بالبصرة حيث قال :

« إن الجهالة الجهلاء ، والضلالة العمياء ، والغى الموفى بأهله على النار ، ما فيه سفهاؤكم ، ويشتمل عليه حلماؤكم »

وقد كتب سيدنا على إلى معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما فى مقام التحذير والتهديد فقال : « إنك إذ تحاولنى الأمور وتراجعنى السطور ، كالمستثقل النائم تكذبه أحلامه ، والمتحير

القائم بهيطله مقامه، لا يدرى أله ما يأتى أم عليه ، ولست به غير أنه بك شبيه

ويقول الحجاج بن يوسف فى خطبته لأهل العراق : « ألستم أصحابى بالأهواز حيث رمتم المكر ، وسعيتم بالغدر ، واستجمعتم للكفر . ثم يوم الزاوية وما يوم الزاوية ؟ بها كان فشلكم وتنازعكم وتخاذلكم وبراءة الله منكم ، ونكوص وليكم عليكم ، إذ وليتم كالإبل الشوارد إلى أوطانها ، النوازع إلى أعطانها ، لا يسأل المرء عن أخيه ، ولا يلوى الشيخ على بنيه ، حتى عضكم السلاح ، وقعصتكم الرماح . ثم يوم دير الجماجم ، وما يوم دير الجماجم ، بها كانت المعارك والملاحم ، بضرب يزيل الهام عن مقيله ، ويذهل الخليل عن خليله » والخطبة مملوءة بالتهديد والوعيد والسجع المقبول

فما رأيك فى هذا ؟

(بخت الرضا . السودان) عبد العزيز عبد المجيد

مولد الدكتور اسماعيل أدهم ونسبه

اطلعتُ على ملاحظتكم المنشورة فى العدد رقم ٣٧٣ من « الرسالة » ، وقد يتصل بها وبسيرة الفقيد ما نشرته جريدة « البصير » اليومية التى تصدر عن مدينة الأسكندرية بتواريخ ٢ أغسطس و ٩ أغسطس و ١٦ أغسطس و ٢٤ أغسطس الجارى للأستاذ صديق شيبوب ولكاتب هذه السطور وللأستاذ البحيرى عبد الرحيم

والنبذةُ التى أشرتم إليها مستمدَّةٌ من بيان للفقيد نفسه ، (وقد أشرتُ إلى ذلك من قبل) ، ويعززها ما ذكره فى توطئة رسالته التاسعة الموسومة « لماذا أنا ملحد ؟ » فليُرجعْ إليها جميعاً

« الأسكندرية » أحمد زكى أبو شادى

عدد خاص من « الحديث » عن الدكتور أدهم

كتب إلىّ الأديب السورى المعروف الأستاذ سامى الكيالى صاحب مجلة « الحديث » الحلبية بأنه قرر إصدار عدد خاص من مجلته فى منتصف سبتمبر عن أخى فقيد العلم والأدب المرحوم الدكتور إسماعيل أحمد أدهم ، وفاءً له وتخليداً لذكراه

هذا ، وسيشير الأستاذ الكيالى فى هذا العدد إلى كافة كتب الفقيد ، وإلى دراساته الأدبية ، وآثاره العلمية ، وسينوه بمواهبه ومزاياه

وسيشترك معه فى تحرير هذا العدد نخبة من كبار الأدباء فى الشرق العربى ، وسيكون العدد حافلاً بالصور الشمسية للفقيد فى مختلف أطوار حياته

والمرجو ممن يحب المساهمة فى هذا العدد بكتابة شىء عن الفقيد من أصدقائه ومريديه ومحبى أدبه ، أن يبعث ما يكتبه إلى الأستاذ الكيالى (بحلب سورية) ، أو يرسله إلى بعنوانى : ٢ موطش باشا

« الأسكندرية » ابراهيم أحمد أدهم

جواب سؤال

كتب إلىّ أديب فاضل من اليمن يسألنى عن اسم قائل بيتين من الشعر ذكرهما ولم يكتب إلىّ بعنوانه لأبعث إليه بالجواب ، فرأيت أن أجيبه على صفحات الرسالة الغراء . سألنى عن قائل هذين البيتين :

بذكر الله تزداد الذنوبُ وتحتجبُ البصائر والقلوبُ
وترك الذكر أفضل منه حالاً فإن الشمس ليس لها غروبُ

ففتشت عنهما كثيراً إلى أن عثرت عليهما فى ديوان محيى الدين ابن عربى الصفحة الرابعة .

(دمشق) ناجى الطنطاوى

حول مقال « فى سبيل الاصلاح »

حضرة المحترم الأديب الأستاذ الكبير صاحب (الرسالة)

اطلعت فى عدد الرسالة (٣٧٣) على هذه المقالة للأستاذ العبقرى العقاد ؛ وإنه ليسرنى أن أذكر أنه بحث فى هذا الموضوع بحثاً طريفاً شائقاً يستحق التقدير والإعجاب . غير أنه كان الأجدر به ومداد قلمه من بحور الأدب ألا يسوق إلينا فكرة صاحب الأفندنة التى ترمى إلى إصلاح المعلم الإلزامى ، لأنه إذا سئل عن العيب الذى يراه لا يجد ما يقوله سوى أنه يعلم النشء التبطل والحذلقة وكيفية وضع حمالة الجورب وإحسان رباط الرقبة ، وهلم جرا . فياليت شعرى ماذا جنى هذا الجندى المجهول حتى يصمه نائب محترم بهذه الوصمات ؟

أما كفى المعلم الإلزامى فخراً أن لا عيب فيه سوى عنايته بحسن هندامه وأنه الأساس الأول للثقافة ؟

(منفيس) عبد الله عبد التواب



المقامر ...

للكاتب الروسى ألكسندر بوشكين

ترجمة الأستاذ حلمى مراد

— ١ —

كانت إحدى ليالى الشتاء الطويلة ... وقد تراجعت فلول الظلام كسيرة ، وأقبلت طلائع الفجر الباسم ... حين التف المدعوون إلى مأدبة ناروموف — اللازم في فرقة الحرس — حول مائدة القمار يلعبون الورق ويتبادلون شتى الأحاديث ، فقال المضيف وهو يعطى ورقة اللعب لأحد مدعويه :

— كيف حالك هذا المساء يا سورين ؟

فرد هذا : « لقد خسرت كالعادة منذ بدأ الحظ يدبر عنى ، ولكن ... ماذا ترون فى « هرمان » الذى لم يشترك معنا قط فى اللعب ؟ حقاً ، إن أمره لعجيب ، فهو يسهر معنا طوال الليل يرقب عجلة الحظ تدور وتدور بيننا مع أنه ما من داع يدفعه لذلك » وهنا تدخل هرمان فى الحديث فقال : « الأمر بسيط أيها السادة فاللعبة تعجبنى ، ولكنى لا أود المقامرة فى سبيل الكسب ، فقد أخسر بعض مالى » . وأردف شخص ثالث :

— لا تعجبوا ! فهرمان ألمانى وقومه معروفون بالميل إلى الاقتصاد ، ولكن . . . ألم تلحظوا أن الكونتس أنا فيدروفنا لا تلعب قط ... هذا هو الذى يستحق دهشتنا حقاً ، فإن عجوزاً فى الثمانين لا تلمس الورق لهى شاذة بالتأكيد

ثم أطرق تومسكى — وكان هو المتحدث — قليلاً واستطرد: « ألم تدركوا السبب ؟ » فأجاب اثنان بصوت واحد :

— كلا ، فهل هناك سبب خاص يدعوها لذلك ؟

فرد تومسكى بقوله : نعم ... فأصغوا إلى :

منذ نحو ستين عاماً كانت جدتى (الكونتس أنا فيدروفنا) معبودة باريس وموضع إعجاب قاطنيها ، حتى أطلق عليها لقب (فينوس الروسية) فأخذ ريشيليو يتودد إليها ، ولما يئس من مبادلتها له حباً بحب حاول الانتحار أكثر من مرة، وذات ليلة لعبت الورق مع الدوق دورليان وخسرت مبلغاً كبيراً، ولما لم يكن معها المبلغ كله فى ذلك الحين فقد حاولت عند عودتها إلى المنزل إقناع زوجها بدفع المبلغ ولكنه أصر على الرفض متخذاً من إسرافها مبرراً لقراره هذا . وإذ ضاقت بها الدنيا طرقت باب الكونت دى سان جرمان الذى قيل إنه ذو موهبة خارقة فى كسب المال ، ولما جاءها الكونت وحدثته بالمأزق الذى لم تستطع الخلاص منه قال : « سيدتى : إنى على تمام الاستعداد لإعطائك أى مبلغ تطلبين ، ولكنى لما كنت أعلم عن يقين أنه لن يهدأ لك بال حتى أسترد ما أقرضت ، فقد رأيت أنه يحسن بك أن تعاودى اللعب لتربحى ما خسرت »

وما إن وصل تومسكى إلى هذا الحد من الحديث حتى كان الجميع متلهفين إلى سماع بقية القصة ، فتوقف قليلاً ريثما أشعل غليونه، ثم استطرد قائلاً : «وأسر الكونت إلى جدتى بضع كلمات يتمنى كل منكم لو سمعها ... وفى تلك الليلة بعينها عاودت جدتى اللعب على مائدة الدوق دورليان معتذرة عن عدم دفع المبلغ بما اعتورها من النسيان ، وأخذت ثلاث ورقات ، راهنت على الأولى فكسبت ثم ضاعفت الرهان على الثانية فكسبت ، وكذلك كان حظها حين لعبت الورقة الثالثة ... »

وهنا صاح أحد الضباط مقاطعاً : مجرد حظ ! وقال هرمان : يا لها من قصة . بينما سأل ثالث : وهل كانت الورقات مرقومة ؟ فأجاب تومسكى :

— كلا ، ولكن استمعوا للبقية ، فقد كان لجدتى ثلاثة أبناء أحدهم والدى ، ومع هذا لم يتمكن أحدهم من استخلاص سر الثلاث الورقات منها حتى الآن ... والأعجب من ذلك أنها قابلت ذات يوم فيما بعد صديقاً لها خسر كل ثروته فى ليلة واحدة ؛ وحين علمت بالأمر ووجدته غارقاً فى اليأس أعطته وريقات ثلاثاً كى يلعب بها بعد أن أخذت منه وعداً قاطعاً بألا يجلس إلى مائدة القمار بعد أن يستعيد ثروته . وفى اليوم التالى عرض الشاب على غريمه أن يلاعبه فقبل ، وإذ ذاك بدأت المقامرة بأن راهن الأول على إحدى الورقات بخمسين ألف روبل ، فكسب ... وعندما ترك المائدة الخضراء كان قد استعاد ضعف ثروته

وتوقف تومسكى عند هذا الحد من حديثه ثم قال :

— هيا بنا إلى النوم أيها الأصدقاء فقد حانت الساعة السادسة

— ٢ —

فى الوقت الذى كان تومسكى يقص فيه حديث جدته كانت هذه تجلس أمام المرآة لتصلح من هندامها وتستكمل زينتها ، فإنها رغم كبر سنها كانت تحرص على حضور جميع المراقص والحفلات باذلة عناية فائقة فى اختيار ملابسها حتى أصبح منزلها كعبة الزوار يؤمه أناس من أرقى الطبقات لقضاء بعض الوقت فى تسلية ومرح ولكن رغم هذا كانت الكونتس عصبية المزاج شاذة الأطوار ، لا تهتم إلا بملذاتها ولا تغفر لوصيفتها (ليزابيتا إيفانوفنا) أصغر هفوة ، بل إنها كانت إذا أمرتها بإعداد الشاى انتهرتها على تبذيرها فى السكر ، وإذا طلبت منها قراءة فصل من كتاب عدتها مسؤولة عن السخف الذى يجرى به قلم المؤلف ، وإذا خرجت معها فى نزهة لامتها على سقوط المطر أو هبوب العواصف ، وإذا اصطحبتها لمرقص أقصتها عن مجلسها إلى ركن تظل المسكينة منفردة فيه ، لا يشاركها أحد حديثاً أو يدعوها لرقصة

ورغم ما امتازت به ليزابيتا من جمال فاقت به سيدتها ، بل وكثيرات من النبيلات لم يكن أحد ليلقى إليها نظرة أو يعيرها أى التفات، فثارت كرامتها لذاك الوضع المزرى الذى اكتنف حياتها وصارت إذا اشتد بها الألم وعصفت بين جوانحها ريح الهموم ، أسلمت عينيها للدمع تذرفه وقلبها للزفرات يرسلها ...

جلست ليزابيتا بعد يومين من مأدبة نارو موف بجوار النافذة تطرز ، فحانت منها التفاتة إلى الطريق دون قصد ، وإذ ذاك وقع بصرها على ضابط وقف بلا حراك مثبتاً عينيه تجاهها ، فغضت من نظرها وعادت إلى التطريز . . . وما مرت بضع دقائق ، حتى أطلت من النافذة بحركة آلية ، فإذا الضابط لم يبرح مكانه ... وكان ردها على هذا أن ابتعدت قليلاً وعادت إلى التطريز إذ لم يكن من عادتها مبادلة الشبان النظرات والبسمات ... وبعد ساعتين قامت للعناية بشؤون سيدتها فلمحت على الرغم منها ذاك الضابط فى مكانه

بدا لها كل ذلك غريباً فلم تدر كيف تعلله إلى أن عادت بعد الغداء إلى عملها ، ولكن الضابط كان قد ذهب فلم تنشغل بالتفكير فى أمره ... ومر يومان غادرت الكونتس بعدهما قصرها بصحبة وصيفتها، وما كادت الأولى تتخذ لها مقعداً فى العربة حتى أبصرت ليزابيتا الضابط عينه واقفاً عن بعد ، وقد التف بمعطف حجب نصف وجهه ولكنه لم يحجب عينيه المتقدتين ، فاضطربت الفتاة دون أن تدرى لذاك الاضطراب سبباً

وواظب الضابط على الحضور إلى نفس المكان كل يوم يسدد إليها بصره، فكانت إذا ما رأته انسحبت على الفور والفضول يقتلها وشعور غريب يضطرم فى أعماقها بشكل لم يسبق لها أن أحست بمثله . ولم يمض وقت طويل حتى نشأت بين الاثنين صداقة جعلت الفتاة تحس بوجوده حين تجلس إلى النافذة فتحدق فيه بضع لحظات ثم تعود لعملها وقد كست الحمرة وجنتيها ، بينما ينصرف الشاب مغتبطاً بتلك اللحظات التى تفضلت بها عليه

. . . ومر أسبوع تبادلت فيه ليزابيتا مع الضابط البسمات البريئة الساذجة ، وكان قلبها يخفق كلما رأته وخاصة عند ما دخل تومسكى يلتمس من جدته الإذن بأن يقدم لها أحد أصدقائه إذ ظنت الفتاة أن صديقها الضابط هو المعنى بالكلام .

* * *

كان هرمان من أسرة ألمانية أقامت فى روسيا فلما مات والده ورث عنه بعض المال ولم يشأ أن يقامر به خوف فقدانه فظل قنوعاً بما يدر عليه من ريع كان يكفيه ، بل ويسمح له أحياناً بالإنفاق على أصدقائه إذا خرجوا يتنزهون ، ولكنه رغم إحجامه عن المقامرة لم يجد بأساً من قضاء السهرات مع خلانه يراقبهم وهم يلعبون ... وحين انتهى تومسكى من قصة الوريقات الثلاث كان الفضول قد تملكه والدهشة قد عقدت لسانه ، فلم يكف عن التفكير فى محيطها طوال تلك الليلة ... وفى الليلة التالية خرج يتريض فى شارع سانت بطرسبرج وهو يمنى نفسه بالتقرب من الكونتس كى تبوح له بسرها ، ولا سيما أنها فى الثامنة والسبعين من عمرها فوتها متوقع من يوم لآخر ...

ولم يكن يقطع على هرمان حبل أفكاره أحياناً إلا الشك الذى نسج خيوطه فى مخيلته فبات يخشى أن تكون قصة تومسكى دعابة جادت بها قريحته ولكنه ما لبث أن سمع هامساً يهتف فى أعماق قلبه مذكراً إياه بأن وريقاته الرابحة هى الاقتصاد والعمل والمثابرة فليقصر جهوده عليها ليتضاعف دخله ويغدو من ذوى اليسار

مرت هذه الخواطر بذهنه وهو يتنزه إلى أن استرعى نظره قصر تجلت فيه آيات الفن وازدحمت أمامه العربات بعد أن قذفت

إليه بمن فيها من رجال وسيدات وضباط وآنسات فرقوا جيماً من بابه وسرعان ما احتوتهم قاعاته ...

اقترب هرمان من الحارس سائلاً عن رب القصر ، وما أن رد هـذا ناطقاً باسم الـكونتس أنافيدروفنا حتى اشتمل هرمان الذهول فهتف فى نفسه : « تا الله ! ؟ إنها جدة تومسكى ... إنها صاحبة الوريقات الثلاث » ووقف لحظة مشدوهاً ثم خط طريقه إلى المنزل حيث تملكه القلق ففارقه النعاس ، ولـكنه حين قهره بعد طول عناء أخذت الأشباح تتراقص أمام عينيه ... رأى المائدة الخضراء تملوها أوراق النقد وأكوام من (الروبلات) ... ورأى نفسه جالساً إليها وقد غمره فيض من الربح زخرت به جيوبه ثم استيقظ متنهداً فإذا بكنوزه ليست إلا ثمرة كابوس مضطرب

خرج إلى الطريق ليزيح تلك الخيالات التى أقضت مضجعه ، ولـكنه وجد قدميه تقودانه ناحية القصر ... كان يبدو أن قوة خارقة قد اجتذبته إلى هناك ، فوقف يتطلع إلى النافذة وما لبث أن رأى فتاة يزين رأسها شعر أسود متهدل قد أكبّت على كتاب تقرؤه أو حرير تطرزه ... وتحركت الفتاة تجاهه فأخذت عيناه وجهاً جميلاً وعينين نجلاوين يشع منهما بريق خاطف

... وفى تلك اللحظة تحدد مصيره وكتب القدر نهايته

— ٣ —

كانت ليزابيتا قد أنهت عملها حين نادتها الكونتس لتؤنس وحدتها فى نزهة قصيرة ؛ وبينما كانت تساعد سيدتها على ارتقاء العربة رأت الفتاة ذاك الضابط ... رأته بجانبها يدس ورقة بين يديها فأخفتها بين طيات قفازها وبدأت تفكر ، فلم تر أو تع شيئاً مما مرّ حولها . وزادتها حيرة وارتباكا أسئلة الـكونتس المتوالية التى اكتفت فى الرد عليها بأجوبة مقتضبة مما دعا سيدتها إلى القول :

« ماذا بك اليوم ؟ فيم تفكرين ؟ ألا تسمعيننى ؟ ... إننى لا زلت أتكلم بوضوح . أليس كذلك ؟ »

... ومرة أخرى لم تصغ ليزابيتا إلى كلامها ، وحين عادت إلى حجرتها أقفلت بابها وشرعت تقرأ فى الورقة المطوية أرق عبارات الحب التى صيغت فى قالب عاطفى ، فتملـكها شعور من الفرح ... ولكنها وقفت بعد حين تحدق فى الفضاء . لقد كانت هذه أول مرة يحس فيها أحد بوجودها بل ويظل ساعات طويلة فى انتظار ابتسامة عذبة يفتر عنها ثغرها ، أو نظرة تتجلى بها عيناها ... فكيف لا ترتبك ... وأخيراً وبعد لأى كتبت له هذه الـكلمات بيد مرتعشة : « أؤمل أن تكون نواياك طيبة نبيلة ... وإنما يجدر بك أن تعرف أن علاقتنا لا يمكن أن تبدأ عن هذا الطريق ، وها أنا ذى أعيد إليك خطابك راجية ألا تلجئنى للندم على تسرعى »

ثم قذفت بالرسالة من النافذة فالتقطها الضابط وما أن أتم قراءتها حتى شاع البشر فى قسمات وجهـه فبدا قانعاً بأولى خطوات مغامرته ...

مضت أيام وأسابيع كان هرمان خلالها يتوسل بمختلف الطرق لإيصال رسائله لمحبوبته ... كان يكتب تلك الرسائل بعبارات أخاذة لم تستطع الفتاة مقاومة إغرائها فاضطرت للرد عليها ومبادلة الشاب وداً بود ؛ وكان الرد يطول يوماً بعد يوم إلى أن احتوى ذات يوم هذه الـكلمات :

« سيقام مرقص الليلة فى دار السفارة وستحضره الكونتس فتمكث هنالك حتى الثانية صباحاً ، فعليك – إذا أردت مقابلتى – أن تقبع فى مكانك حتى تطفأ الأنوار فى الساعة الحادية عشرة وإذ ذاك وجه خطواتك نحو باب القصر وادخله بلا تردد لأن الحارس سيكون غارقاً فى غطيطه ؛ ثم ارتق الدرج بسرعة حتى غرفة الـكونتس حيث تجد خلف الأستار بابين يقود الأيمن منهما إلى حجرتى وانتظرنى هناك ... »

وحوالى الساعة العاشرة من ذاك المساء كان هرمان واقفاً أمام القصر ينتظر ... كانت الليلة رهيبة ، والريح تعصف بشدة ، والثلج يتساقط بفيض زاخر بينما انبعث من المصابيح نور خافت ، نخلا الطريق من المارة وعم السكون ... مرت لحظات سمع بعدها صوت عجلات العربة يردده الفضاء وهى تبتعد بالكونتس ووصيفتها فى طريقهما إلى المرقص . ثم كرت الدقائق وأطفئت الأنوار ، فانتظر هرمان بعض الوقت ، ومن ثم يمم شطر القصر فعبر بابه وصعد السلم بخفة النمر حتى وصل إلى غرفة الـكونتس حيث رأى على ضوء مصباح صغير قطع الأثاث الفاخر منثرة فى أرجائها وبضع صور زيتية تزين جدرانها فوقف يتأملها فى صمت وسكون وما لبث أن عبر الغرفة إلى الممر الذى تقع فى نهايته غرفة الفتاة فولجها وأقفل خلفه الباب فعمها الظلام ... وجلس ينتظر

مر الوقت بطيئاً وكان الهدوء ناشراً ظله على القصر ثم دقت الساعة اثنتى عشرة دقة وعاد السكون الذى لم يعكره سوى ضربات

قلب الشاب تطرق أذنيه ... وبعد وقت سمع دقة واحدة ... ثم دقتين . ولم تمض لحظات حتى عادت العربة ترسل صوتها فيشتد خفقان قلبه ويزداد اضطرابه . ولما شعر بخطوات على السلم ركز بصره فى ثقب الباب فرأى الكونتس تخلع ملابسها وترفع عن رأسها إكليل الورد والشعر المستعار ثم تجلس إلى مقعد بجوار النافذة تناضل الأرق دون جدوى

رفعت الكونتس رأسها حين سمعت حركة خلفها فرأت رجلاً منتصباً أمامها . وما لبث هرمان أن قال : « لا تنزعجى يا سيدتى بحق السماء . إنى لا أود لك ضرراً وإنما جئت أنشد منك مطلباً هيناً » .

نظرت إليه المرأة العجوز وهى صامتة كأنها لا تعى ، فأعاد قوله بصوت عال إذ ظنها صماء . ولكنها لم تتحرك فاستطرد يقول : « إنك تملكين أن تسعدينى طوال حياتى دون أن يكلفك الأمر شيئاً سوى ثلاث ورقات »

وهنا فهمت الكونتس كل شىء فأجابت على الفور : « أوه . إنها مزحة ... أقسم لك على ذلك » . ولكن صوت هرمان قاطعها بقوله : « كلا يا سيدتى ، ألا تذكرين الرجل الذى أعطيتها له فضاعف ثروته »

بدا الاضطراب على وجهها . ولكن هرمان عاود القول : « هلا ذكرت لى ذاك السر ... لِمَ تحفظينه لأحفادك ؟ إنهم فى غنى عن مزيد من المال ... أما أنا فلن تأسفين على إسعادى لأنى كفيل بالإنفاق على خير الوجوه ... هيا بربك تكلمى ... أفصحى ! »

وقف ينتظر الرد وقد عيل صبره ، ولما لم تجب انحنى متوسلاً وهو يقول : « ألا تعرفين الرحمة والحب ... إذا كنت تذكرينهما فإنى أستحلفك باسم الأبوة والأمومة وبكل ما تقدسين ألا تخيبى أملى ... اذكرى أنك كبيرة السن وأن أبنائى وأحفادى سيباركون ذكراك »

ولكن الكونتس لم تجب ، وحينئذ نهض هرمان واقفاً وسدد غدارة نحوها ثم أردف : « إذاً سأضطرك إلى الكلام ! »

اشتد اضطراب المرأة فاهتز رأسها بقوة ، ومدت يديها كأنها تبغى أن تبعد شراً يوشك أن ينقض عليها ، ثم تراجعت إلى الوراء بلا حراك

« هيا لا تكونى كالأطفال ... إنى أمهلك لآخر مرة ... ما هى الورقات الثلاث ؟ ... »

ولما لم يسمع رداً أو حركة أمسك هرمان يدها فوجدها قد فارقت الحياة حاملة سرها معها

— ٤ —

حينما دخلت ليزابيتا إلى حجرتها سرها أن لم تجد فيها صديقها الضابط ، إذ أن شعوراً من الندم غمرها فأخذت تلوم نفسها على تسرعها فى استدعائه . وبينما هى سابحة فى بحار الفكر فتح الباب فإذا بهرمان واقفاً تجاهها . فارتعدت الفتاة وقالت : « أين ... كنت ؟ »

فرد مطرقاً : « فى غرفة الكونتس ... لقد تركتها منذ لحظة ... ميتة »

« يا للسماء ! ! ماذا تقول ؟ » فاستطرد هرمان : « وأخشى أن أكون سبب موتها » . ثم جلس بجوار النافذة وشرع يقص عليها أنباء مغامرته ، فأدركت أن عبارات الوجد والهيام التى كتبها والساعات الطويلة التى قضاها واقفاً أمام نافذتها لم يُمْلِها الحب الصادق بل حب المال ... المال الذى سيطر على قطب تفكيره لجعله يستخدمها أداة طيعة فى يده ... المال الذى صيره مجرماً أثيماً

ولم تتمالك الفتاة نفسها من البكاء فى مرارة وألم ، ولكنه أخذ يراقبها فى سكون دون أن تلين قلبه دموعها التى ذرفتها ولا جمالها الذى زاده الحزن سحراً وفتنة ، ولم يُلق بالاً إلى موت الكونتس فى ذاته ، وإنما أحزنه أنها دفنت سرها معها

وعاد إلى الصمت فلم يتبادلا كلمة ولا نظرة حتى بدت طلائع الفجر فانسحب الضابط من حيث أتى وما لبث أن احتواه الطريق

— ٥ —

مضت أيام ثلاثة دخل هرمان بعدها الدير الذى رقدت فيه الكونتس ليؤدى لها واجب الاحترام الأخير ... ولكن هذا لم يكن قصده الحقيقى ، وإنما كان ـ ككل رجل لم يتسرب إلى قلبه شعاع من الإيمان ـ شديد التشاؤم والتطير ، فخيل إليه أنه لو قصَّر فى أداء هذا الواجب لحلَّت عليه لعنة روحها واستحق غضبها ، وإذ ذاك رأى أن يرضيها من هذا الطريق

دخل هرمان القاعة فوجد جسدها مسجى على فراش من المخمل الأسود وقد احتاطه خدمها حاملين الشموع ... وبدا المكان رهيباً . ولما حان دور الضابط تقدم منها فانحنى قليلاً ، وفجأة صور له الوهم أن عينى المرأة تتطلعان إليه وأنهما فتحتا

فتطاير منهما الشرر ... ارتعد هرمان واختلج جسمه ثم ارتمى على من خلفه وقد غمر وجهه الشحوب ، وفى نفس اللحظة كانت ليزابيتا فى أقصى المكان قد أغمى عليها

خرج هرمان وقد تملكه الرعب والفزع فتوجه إلى حانة حيث جلس يحتسى كؤوس النبيذ ليرفه عن نفسه المكروبة . ولما حان المساء عاد إلى بيته فاستلقى على الفراش وغرق فى نوم عميق لم يصح منه إلا والليل يغمر الكون فلا يبدد ظلمته سوى نور القمر المنبعث من النافذة ...

ولم يكد ينفض الكرى عن عينيه حتى اعتدل جالساً ومكث بعض الوقت على تلك الحال ، وما لبث أن سمع خطوات شخص يمر بنافذته ويتطلع إلى داخل الغرفة ثم يواصل سيره ... لم يلحظ الأمر فى البداية باهتمام ولكنه ارتعد حين سمع باب منزله يفتح ، والممر يردد صوت تلك الخطوات ، وأوشكت صرخة أن تفلت منه حين رأى امرأة فى ملابس بيضاء منتصبة أمامه ... عرف فيها الكونتس أنا فازداد اضطرابه وازدرد لعابه بصعوبة إذ سمعها تقول: «لقد جئتك رغم إرادتى لأشكر لك احترامك لذكراى ولأكافئك بذكر الوريقات الرابحة ، إنها : الثلاثة والسبعة والآس . ولكن احذر أن تعاود اللعب بعد أن تجمع لنفسك ثروة معقولة . وإذا تزوجت وصيفتى ليزابيتا غفرت لك كل ما بدر منك »

نطقت بهذه الكلمات بين دهشته وذهوله ، ثم خرجت من حيث أتت وردد الطريق وقع أقدامها ...

لبث هرمان مشدوهاً بعض الوقت ، ثم اجتاز الغرفة وأيقظ خادمه ولكنه عبثاً حاول أن يعرف منه شيئاً عن الأمر ؛ فقد كان هذا مستغرقاً فى النوم لحظة أن دخلت الكونتس

* * *

لم يغمض للرجل جفن طوال تلك الليلة ، إذ أخذت الأفكار تطارده والأحلام تذكره بالثلاثة والسبعة والآس ؛ فحصر مخيلته فى البحث عن مكان للمقامرة، وحين علم بنبأ عزم فريق من الأثرياء على الالتفاف حول مائدة القمار بأحد الأندية يمم شطره وريح الأمل تدوى بين جنبيه ، وهناك وجد علية القوم وكبار الضباط يلعبون

جلس هرمان يشاركهم، وما لبث حين مر به الدور أن أخذ ورقة وراهن عليها بمبلغ ٤٧ ألف روبل فتركزت حوله الأبصار وأخذ الجميع يتطلعون إليه ثم قال تلروموف وهو يغمغم « لقد فقد الرجل عقله » وتلاه أحد اللاعبين بقوله :

« أتسمح لى يا سيدى أن أحذرك مغبة المراهنة على مثل هذا المبلغ الجسيم .. إنها مغامرة مميتة فنحن لا نراهن عادة على أكثر من مائتى روبل »

ولكن هرمان قال فى إصرار : « إنى أعلم ذلك فهل تقبلون لعبى أم لا ؟ » وإذ ذاك قال صاحب النادى : « لا بأس فقد أردنا تنبيهك فقط »

وأخرج هرمان من حافظته عدداً من أوراق البنكنوت سلمها لمحدثه ثم بدأ اللعب فكشف الورقة التى بيده وكانت الرابحة

سرت موجة من الدهشة بين الحاضرين وتسلم هرمان ماربح ثم انصرف تاركا الخاسرين فريسة للذهول ، وفى الليلة التالية عاد إلى اللعب والتأم الجمع حول المائدة الخضراء فقامر الضابط كالليلة السابقة وما أن كشف الورقة التى بيده وكانت السبعة حتى تبين أنها الرابحة ... ومرة أخرى جمع أرباحه ولم ينس أن يحيى الحاضرين عند خروجه بانحناءة وابتسامة

ظهر هرمان فى الليلة الثالثة والأخيرة ، وازدحم حول المائدة أفواج من المتفرجين واللاعبين وقد اشتد بهم الحماس والتشوق ثم بدأ اللعب ... فأخذ هرمان (الآس) واستعد الكل للحظة الفاصلة فخيم الصمت على أرجاء القاعة ... ثم أخذ الرئيس الورق بيد مضطربة ودار اللعب برهة ثم تبين أن الورقة الرابحة هى الآس وإذ ذاك كشف هرمان ورقته وهو يكاد يفقد عقله من الفرح والغبطة ... ولكنه وجدها (دام) Dame (سباتى) ... اشتد به الذهول وزاغت عيناه وتصلبت أطرافه وهو يحدق فى الورقة إذ خيل إليه أن (الدام) تفتح عينيها وتغمضهما بينما ارتسمت على شفتيها ابتسامة هازئة ... شعر بالرعب يلجم لسانه ، فقد كانت (الدام) شديدة الشبه بالكونتس

— ٦ —

وبعد يومين كان زائر مستشفى أبو كوف يقع نظره فى إحدى الحجرات على رجل فاقد العقل والشعور ، لا يجيب عما يوجه إليه من أسئلة وإنما يظل يتمتم بصوت خافت :

« ثلاثة ... سبعة ... آس »

حلمى مراد
المحامى

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى — عابدين)

8me Année No. 376 — Lundi - 16 - 9 - 1940

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
ص
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٣٧٦ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٤ شعبان سنة ١٣٥٩ — الموافق ١٦ سبتمبر سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهــــــرس

درس ينفع أبناء هذا الجيل

للدكتور زكى مبارك

يختلف الناس اختلافاً شديداً فى قوة الحس ويقظة الروح. والحس والروح جارحتان من أعظم الجوارح الإنسانية، وهما السناد الأعظم للكاتب والشاعر والمفكر والفيلسوف، وبقدر اختلاف هؤلاء فى النصيب الموهوب أو المكسوب من هاتين الجارحتين تختلف حظوظهم فى السيطرة على أهواء السامعين والقارئين. والذى يقرأ تراجم الأكابر من الكتاب والشعراء والوزراء يرى أنهم كانوا فى الأغلب أصحاب شهوات. وهنا يشتبه الأمر على القارئ المبتدئ فيسأل: كيف تجتمع العظمة والشهوة؟ وهل تكون الشهوة من وسائل العظمة؟ ونجيب بأن الخضوع للشهوة عيب نهى عنه الحكماء، والذى يقترف الفجور تشبهاً بما وقع فيه عظماء الرجال هو مخلوق سخيف، ومَثَلُه مَثَل «فلان» وهو شخص جيِّد الخط، وقد شهد له بذلك أساتذته يوم كان تلميذاً فى المدارس الثانوية، فلما سمح له الدهر بأن يكون أستاذاً فى أحد المعاهد العالية، صار يقبِّح خطه عامداً متعمداً ليندرج فى زُمرة العلماء، فقد كان سمع أن خطوط العلماء مَضرِب المَثَل فى القبح والغموض والاعوجاج!

ولا مؤاخذة يا فلان، فأنت تعرف مبلغ حرصى على الجهر

بكلمة الحق . ومن هنا أشفق أشد الإشفاق على الشبان الذين يستهينون بالآداب والتقاليد ، لأنهم سمعوا أن عظماء الرجال لم يكونوا يقيمون وزناً لمأثور الآداب والتقاليد . والفرق بين الحالين كالفرق بين إناء تملأه فيفيض وإناء بتلى فيغيض . فالرجل العظيم لا يقع — حين يقع — فى الخضوع لإحدى الشهوات إلا وهو مغلوب على أمره بقوة الإحساس ، وهو لذلك يظل سليم الشخصية الخُلُقية ، ولا كذلك الشاب السخيف الذى يخضع للشهوات تشبُّهاً بالعظماء ، فإن شخصيته الخُلُقية تنحلّ أبشع انحلال ، لأنه لم يخضع لهواه طاعةً لقوّة قهارة من الحس المشبوب ، وإنما يخضع لهواه طاعةً لنزعة مرذولة من نزعات التقليد الممقوت

يضاف إلى ذلك أن الشهوات المنسوبة إلى العظماء يغلب عليها التزوير والاختلاق ، لأن واضعيها يرجعون إلى فريقين : فريق الفَجَرة الذين يهمهم أن يشاع أن الخُلُق السليم ليس حجراً أساسياً فى بناء العظمة الذاتية ، وفريق الحاقدين الذين لا يتورعون عن خَلْق التهم فى التشهير بمن يعادون من العظماء . ولو صح أن الشهوات المنسوبة إلى بعض أكابر الرجال حقيقية لوجب القول بأن الأخلاق ليست إلا كلاماً فى كلام ، وأن الشهرة والجاه يُنالان بالتحكم والسيطرة كما تُنال بعض الثروات بالغش والتدليس ، وذلك قولٌ مردود . والذى يقف فى التعرف إلى شخصيات العظماء عند ظواهر الهَنَوات محكومٌ عليه بالخذلان ، لأن العظماء لهم قُوًى خُلُقية لا يفطن إليها عوامّ الناس ، وتلك القُوَى الخفية هى السرّ فى نجاح أولئك العظماء ، وهى ليست قُوًى عادية مِن التى يتمدح بمثلها مَن لا يملكون من المواهب غير الاستقامة وضبط النفس فى حدود المبتذَل من الشهوات ، وإنما هى قوًى عارمة تمكِّن أصحابها من الجهاد بأمن وعافية فى مكافحة الضغائن والحقود ، والشدائد والخطوب

وأذكر فى هذا المقام ثورة بعض الناس على السيد جمال الدين الأفغانى وقد عابوا عليه أن يجلس فى القهوات يوم كان ذلك من العيوب ، فأولئك القوم لم يكونوا يرون قوة الخُلُق فى غير البعد عن مواطن الشبهات ، وفاتهم أن الجلوس على القهوة بالرغم من استهجانه فى ذلك الوقت لم يكن فى نظر السيد جمال الدين الأفغانى إلا حسنةً من الحسنات ، لأنه كان فرصة لدرس أحوال الجمهور والوقوف على ما اختلف وائتلف من نوازع الناس

وأين الجلوس على القهوة من الشمائل الحقيقية لجمال الدين الأفغانى ؟ وهل عرف المتألبون عليه لذلك السبب الحقير كيف استطاع بقوته الذاتية أن يكون حديث الوزراء والملوك فى الشرق والغرب ؟ وكيف استطاع بعظمته الروحية أن يتغلب على مصاعب الفقر والاغتراب ؟ وكيف فرض عليه روحه العظيم أن يرفض معونة رفيقيه العظيمين محمد عبده وسعد زغلول وهو خارج خروج الطريد من الديار المصرية ؟؟؟

وأذكر أيضاً شيخ الشيوخ محمد عبده فقد ألحّ حاقدوه فى اتهامه بترك الصلاة ليجوز لهم الرجم بأنه لا يصلح لتولى الإفتاء ، ولو فطن الجمهور إلى أن قالة السوء هى التى منعت الشيخ محمد عبده من الصلاة فى العلانية لأدركوا أنه كان يخشى الوقوع فى هُوّة الرياء ، ولعله كان يريد أن يعرف كيف ينصره علام الغيوب على من يغتابونه ظالمين

ومن هم أعداء محمد عبده ؟ هل كانوا حقيقة من أحلاس المساجد ؟ وهل كانوا غاية فى الحرص على الصلاة والزكاة والصيام والقيام ؟ إنما كانوا طلاب صيد ، وكانوا بتجريحه يتقربون إلى إحدى الجهات ، فحل عليهم غضب الله ، ولم يبق لهم من الغنيمة إلا الإشارة من وقت إلى وقت بأنهم قالوا فى ذلك الإمام كيت وكيت . وبعض الناس ينحصر مجده فى الشهرة باتهام الأبرياء !

ولو سلّمنا جدلاً بأن الشيخ محمد عبده كان تارك الصلاة — ورحمة الله على العهد الذى كان فيه ترك الصلاة من العيوب ، فقد خفتُ أن تصبح فريضة الصلاة من المجهولات عند أبناء هذا الجيل — لو سلمنا بذلك لكان الأمر عجيبا كل العجب ، لأن الشيخ محمد عبده كان يملك من القدرة على أهواء النفس ما يمكنه من أن يجود بثلاثة أرباع مرتبه على المعوزين والبائسين من الذين يمنعهم الحياء من إعلان الاحتياج ، ولولا شهامة الشاعر عبد المحسن الكاظمى لما تعرضت مكارم الشيخ محمد عبده إلى الافتضاح ، فكيف يجوز لرجل يُذِلّ ماله هذا الإذلال أن يضعف عن أداء الصلاة وهى من وسائل المرائين فى كسب ثقة الجماهير ، إلا أن تكون صلته بربه أعظم من أن تحتاج إلى إعلان ؟

لقد كان المصلون من الأزهريين يعدون بالألوف فى عصر

الشيخ محمد عبده ، ومع ذلك لم نسمع بأنهم تنازلوا عن شيء من أرغفتهم فى مواساة المحتاجين ، وإنما سمعنا أن الشيخ محمد عبده مات فقيراً وأن منافسيه ماتوا وهم أغنياء

وهل فكر أحد فى القيمة الصحيحة لرجل يتغلب على الجدْب والإمحال فى الحياة الأزهرية لعهد مضى عليه أكثر من نصف قرن فيكون الفيصل بين الهمجية والمدنية ، ويكون صلة الوصل بين القديم والحديث ، ويفسّر جزأين من القرآن وهو فى رياض سويسرا حيث يطيب لسواه أن يأنس بحياة اللهو والفتون ؟

هل فكر أحد كيف جاز أن يسيطر محمد عبده على تلاميذه تلك السيطرة العاتية ، فيقضى السيد رشيد رضا عمره فى شرح آرائه العلمية ، وينفق الشيخ مصطفى عبد الرازق أطيب أوقاته فى توضيح مذاهبه الاجتماعية ، ويتأثر الشيخ محمد المراغى خطواته فى الإصلاح الدينى وفى سائر الشؤون حتى صار من العجب أن يكون خط الشيخ المراغى صورة من خط الشيخ محمد عبده مع صعوبة التشابه فى الخطوط ؟ ... كيف أمكن ذلك أيها الناس ؟

ألا يكون ذلك دليلاً على أن الشيخ محمد عبده كان يعيش فى حماية حصانة خلقيــة لم يدرك أسرارها الثالبون عليه من الزملاء الأغبياء ؟

وقد أشرت فى الطبعة الثانية من كتاب « عبقرية الشريف الرضى » إلى ما صنع الشيخ المراغى مع علماء الأزهر الشريف ، فقد كان شاع أن الشيخ المراغى نسى علوم الأزهر لبعد عهده بالحياة الأزهرية ، فرأى الرجل أن يلقى دروساً علنية فى علم الأصول ليريهم أن الذهن الثاقب كالسيف لا يضرُّه طول العهد بالإضمار فى غياهب القراب

وما قيمة العلوم النقلية بجانب العلوم المكتسبة من فهم سرائر المجتمع ؟ ... وأين الأزهرى الذى يملك القدرة على محاورة مدير الجامعة المصرية فى الحفلات كما يقــدر الشيخ المراغى على ذلك بسهولة لا تعرف التكلف والافتعال ؟

كنا مرة فى المفوضية العراقية بالقاهرة ، والتقى لطفى باشا بالشيخ المراغى ، وأقبل الشيخ رشيد رضا يقول : هذا لطفى باشا مدير الجامعة المدنية ، وهذا الشيخ المراغى مدير الجامعة الدينية ، والدين فوق المدنية . فابتسم لطفى باشا وقال : هــذا حق ما دام الشيخ هنالك . وأجاب الشيخ المراغى : مادام لطفى باشا فى الجامعة المصرية فهى الشقيقة الرءوم للجامعة الأزهرية ، وما كان الدين إلا رسول الحضارة والفهم والعقل . ثم تواتر الحديث بين الرجلين فى غاية من التلطف والترفق والعطف

ومن مزايا هذا العصر فى مصر أن تكون الجامعة الأزهرية ـ وهى على الضفة الشرقية للنيل ـ تحت رياسة رجل يتجه أحياناً نحو الغرب ، وأن تكون الجامعة المصرية ـ وهى على الضفة الغربية للنيل ـ تحت رياسة رجل يتجه أحياناً إلى الشرق

وبذلك لا يكون من الشر أن يقال إن مصر بلد الغرائب ، لأن الغرائب لا تجتمع فى مصر إلا وهى صورة من الانسجام المقبول فى شرعة الأدب والذوق

ماذا أريد أن أقول ؟ أنا أريد القول بأن الأخلاق الحقيقية للعظماء هى أجلّ وأدقّ من أن يفهمها عوام الناس ، وما تملّق متملقٌ بهفوة صورية لرجل من الأكابر إلا وهو غافلٌ جهول ، فما تسمح قوانين الحياة بأن يسود رجل إلا وهو على جانب من متانة الخُلُق ، وسجاحة النفس ، ورصانة الطبع ، وطهارة القلب ، ولو كره المتزلفون إلى المجد بالوصولية والضِّعة والاستخذاء

دلونى على عظيمٍ واحد أُثِر عنه الانقياد لهواه فى صباه

ما نبغ فى الدنيا نابغٌ إلا بعد أن قدم شبابه قُرباناً للمجد .

وكان أشياخنا يقولون : « أعط العلم كلك يعطك بعضه » .

فما بالُ بعض الشبان فى مصر أو فى غير مصر يعرفون مراتع اللهو قبل الأوان فتزدان بوجوههم مقاصير الملاعب والمراقص ، ويكون لصباهم تاريخ فى حياة الفتون ؟ وما بال بعض الشبان يعرفون سُكْر الخمر وهم على خطر من سكر الشباب ؟

أنتم لا تعرفون نعمة الله عليكم ، أيها الجهلاء ، والجهل هو الشباب فى لغة أهل العراق

من ألفاظ مصر كلمة « الفَنْدَرة » والفندرة الحقيقية للشاب هى أن يكون بين الأوائل فى الدراسة الابتدائية والثانوية والعالية. الفندرة الحقيقية للشاب هى أن يكون قرة عين لوطنه ولأبويه ، ولن يكون كذلك إلا إذا تفوق فى جميع الشؤون. الفندرة الحقيقية للشابّ هى أن يفوز فوزاً مطلقاً بثقة أساتذته وزملائه بحيث يتقدم إلى معترَك الحياة وهو مرفوع الرأس وضّاح الجبين

ما بال بعض الشبان يسابقوننا إلى المشارب والملاعب ؟

نحن نغشى تلك الأماكن من حين إلى حين لندرس أخلاق الجيل ، فلا تكونوا موضوع الدرس ، ولا تعرّضوا سمعتكم لسهام الأقلام ، فما يبقى على نوشها أديم صحيح

إن كان غرّكم أن يتظرف رجلٌ مثلى فيقول إنه دخل الملعب الفلانى أو الحانة الفلانية ، فأنا أتحداكم أن تثبتوا أنى شربت فنجان قهوة فى غير دارى قبل أن أظفر بإجازة الدكتوراه أو قبل أن أبلغ الثلاثين

وما أقوله عن نفسى أقوله عن الأدباء الذين يسيطرون على عقولكم وأفهامكم فى هذا العهد . فالدكتور طه حسين فى صباه لم يعرف من النعيم غير كَرْع ماء النيل . والأستاذ عباس العقاد لم يعرف فى شبابه غير مقارعة الأحاديث فى سهرات أسوان ، وقد زرته قبل عشرين سنة فى دار تواجه المقابر بحيث لا يجد الماء إلا بفضل السقّاء . والأستاذ ابراهيم المازنى قضى طلائع شبابه فى دار جافية لا تعرف الأنس بغير سحالى الصحراء . والأستاذ عبدالعزيز البشرى شهد على نفسه بأنه كان يتغدى بخمسة ملاليم مع أن أباه كان عمدة حىّ البقّالة وكانت إليه مشيخة الأزهر الشريف

لا تخدعوا ، أيها الشبان ، بالأدباء الذين يتحدثون عن هوام الأثيم فى باريس ، أو غير باريس ، فلن يكونوا ألأم منى ، ونحن لا نسمح لأحد بأن يكون أحرص منا على الواجب ، ولو خطر فى البال أن فى الشبان من يحاول سبقنا إلى المجد بقوة الكفاح لقطعنا رأسه بلا ترفق ، ولو كنت أتوهم أن فى أبناء هذا الجيل من يسدّ المسالك فى وجهى بالسباق فى ميادين الدرس والبحث والتنقيب لطويت عنه هذا النصح ، فما أحب أن يكون لى فى هذه الميادين خصم أو قريع

فى سنة ١٩٢٧ خطر للدكتور طه أن يغمز أساتذة اللغة العربية فى أحد دروسه بالجامعة المصرية فقال : كيف يجوز لهؤلاء أن يتولوا تدريس الأدب فى المدارس الثانوية أو العالية وليس فيهم من تصفح ديوانين اثنين من دواوين الأدب العربى ؟ ! فنهضتُ وقلت : « أرجو استثنائى من هؤلاء ، فأنا أحفظ ثلاثين ألف بيت من الشعر العربى وأستطيع إنشادها جميعاً فى أى وقت »

فابتسم الدكتور طه وقال : أنا لا أقصد أساتذة الجامعة المصرية . ولم يكن كلامى ضرباً من التحدى المؤقت ، وإنما كان حقاً من الحق . وما اكتفيت بالثلاثين ألفاً إلا إشفاقاً على طلبة الجامعة ، فقد كانت مختارات البارودى من بعض محفوظاتى ، وكنت أحفظ دواوين برمتها من الشعر الفرنسى ، وقد حفظت معظم كتاب تلماك عن ظهر قلب فى سنة ١٩١٩ وكان المسيو كليمان حدثنى أن أسلوب فنلون هو المطمع الممتنع . ولم أكن أعرف نظام الجذاذات عند الشروع فى تأليف كتاب « الأخلاق عند الغزالى » فكنت أرجع إلى الشواهد فى مؤلفات الغزالى بغير احتياج إلى دليل ، فقد كانت مؤلفاته مسطورة فى ذهنى بأبوابها وفصولها وصفحاتها بحيث أجد الشاهد حين أشاء ، بلا عناء

وما استطعت ذلك كله لأن ذاكرتى أقوى من سائر الذاكرات ، أو لأنى أذكى من سائر الناس ، وإنما استطعت ذلك لأنى لا أعرف المسامحات فى صيف أو شتاء . وما أذكر أبداً أنى انقطعت عن الدرس فى يوم من أيام المواسم والأعياد ، حتى أيام البواخر قرأت فيها أشياء وكتبت أشياء . وهذا بالتأكيد حال كثير من الأدباء فى هذا العهد ، وقد يكون فيهم من يفوقنى فى الصبر على مكاره الدرس والتأليف ، فليست الحظوظ أو الظروف هى التى جعلت بعض أدبائنا أئمة مرموقين فى الأقطار العربية والإسلامية ، وإنما هو الكدح الدائم والكفاح الموصول

أما بعد فبأى حق يجوز لطالب العلم أن يجلس فى أحد المشارب وفى يده كأس ؟

وبأى حق يتسامى الشبان الظرفاء إلى السيطرة الأدبية والعلمية وهم يدفعون مهرها من الكسل والجمود والاعتماد على وساطة الشفعاء ؟

من حق كل إنسان أن يتخير مصيره كيف شاء ، فلن يكون الناس جميعاً نوابغ وعبقريين . أما طالب العلم فلا يملك هذا الحق ، لأن الأمة تفرض عليه أن يكون مضرب المثل فى الحرص على الفهم والاجتهاد والتحصيل ، وهى لن ترضى منه بالقيمة الصغيرة فى مغانمه العلمية ، لأن مصر فى هذا العهد لم يبق فيها مكان لغير المتفوقين ، ولكن أين من يفهم هذه الحقيقة من أبناء هذا الجيل ؟

لقد كثرت الشكاية من وقف صفحات الجرائد والمجلات على طائفة معروفة من الباحثين ، وكثر تضجّر الشباب من طغيان الكهول . وهذا حق ، ولكنه سُنّةٌ طبيعية ، والأحمق هو الذى يطمع فى تبديل نواميس الوجود بالتوسل والرجاء

وأنا أكشف الستار عن بعض الدسائس الأدبية فأقول : فى مصر اليوم إصرارٌ عنيف على الاستبداد بمغانم الحياة

الفكرية ، وأولئك المستبدون يَصِلُون النهار بالليل فى تزويد عقولهم وأفهامهم بما يجدّ فى عالم الآداب والفنون ، ولا يمكن زحزحة هؤلاء المستبدين بالتشكى والتوجع ، وإنما يزحزَحون بمناكب أضخم من مناكبهم ، وتلك المناكب هى العقول العاتية التى تأنف من الاكتفاء بالزاد القليل ، وترى القناعة من صور الفناء . وقد علّل أحد الشبان نفسه فقال : سيأتى يوم يموت فيه هؤلاء الكهول ويخلو الميدان

وهذا أيضاً حق ، ولكن خيبة مصر فى أبنائها ستكون فظيعة حين يصح أن موت المتفوقين هو الفرصة لتقدم المتخلفين

إن مصر تنتظر شباناً أقوياء لا يطيف بأذهانهم مثل ذلك الخيال السقيم . مصر تنتظر شباناً يعيشون عيش التبتل والتنسك والاعتكاف فى زوايا المدارس والمكاتب . مصر تنتظر شباناً لا يعرفون من أدوات الزينة غير القلم والكتاب . مصر تنتظر شباناً يؤمنون بأن المجد الأدبى لا ينال بالتشهى والتمنى ، وإنما ينال بالصبر على إقذاء العيون تحت أضواء المصابيح

زكى مبارك

في الاجتماع اللغوى

تطور اللغة وارتقاؤها

للدكتور على عبد الواحد وافى

مدرس الاجتماع بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

تتأثر اللغة أيما تأثر بحضارة الأمة ، ونظمها وتقاليدها ، وعقائدها ، واتجاهاتها العقلية ، ودرجة ثقافتها ، ونظرها إلى الحياة ، وأحوال بيئتها الجغرافية ، وشئونها الاجتماعية العامة وما إلى ذلك . فكل تطور يحدث فى ناحية من هذه النواحى يتردد صداه فى أداة التعبير . ولذلك تعد اللغات أصدق سجل لتاريخ الشعوب : فبالوقوف على المراحل التى اجتازتها لغة ما ، وعلى ضوء خصائصها فى كل مرحلة منها ، يمكن استخلاص الأدوار التى مرّ بها أهلها فى مختلف مظاهر حياتهم

فكلما اتسعت حضارة الأمة وكثرت حاجاتها ومرافق حياتها ورقى تفكيرها ، وتهذبت اتجاهاتها النفسية ، نهضت لغتها ، وسمت أساليبها ، وتعددت فيها فنون القول ، ودقت معانى مفرداتها القديمة ، ودخلت فيها مفردات أخرى عن طريق الوضع والاشتقاق والاقتباس للتعبير عن المسميات والأفكار الجديدة ، وهلم جرا . واللغة العربية أصدق شاهد على ما نقول ، فقد كان لانتقال العرب من همجية الجاهلية إلى حضارة الإسلام ، ومن النطاق العربى الضيق الذى امتازت به مدنيتهم فى عصر بنى أمية إلى الأفق العالمى الواسع الذى تحولوا إليه فى عصر بنى العباس ، كان لهذين الانتقالين أجلّ أثر فى نهضة لغتهم ورقى أساليبها ، واتساعها لمختلف فنون الأدب ، وشتى مسائل العلوم

وانتقال الأمة من البداوة إلى الحضارة يهذب لغتها ، ويسمو بأساليبها ، ويوسع نطاقها ، ويزيل ما عسى أن يكون بها من خشونة ، ويكسبها مرونة فى التعبير والدلالة . وإن موازنة بين حالة اللغة العربية فى عهد بداوة العرب قبل الإسلام وحالتها فى عهد حضارتهم الإسلامية ، أو بين ما كانت عليه عند أهل البادية فى عصر ما وما كانت عليه فى الحضر فى نفس هذا العصر لأصدق برهان على ذلك . وإن البدوى الذى لم يلهمه شيطانه فى مدحه للأمير أحسن من قوله :

أنت كالكلب فى حفاظك للعهـ ـد وكالتيس فى قراع الخطوب

قد استطاعت قريحته بعد أن هذبتها حضارة بغداد أن تجود بمثل قوله :

عيون المها بين الرصافة والجسر

جلبن الهوى من حيث أدرى ولا أدرى

وما يحدث بين حضارة الأمة ولغتها من توافق وانسجام ، يحدث مثله بين لغتها ومظاهر بيئتها الجغرافية . فجميع خصائص الإقليم الطبيعية تنطبع فى لغة سكانه . ومن أجل ذلك نشأت فروق كبيرة فى مختلف مظاهر اللغة بين سكان المناطق الجبلية وسكان الصحراء وسكان الأودية ؛ وبين سكان المناطق الشمالية والوسطى والجنوبية . ومن ثم كذلك نشأت فروق غير يسيرة بين أفراد الفصيلة اللغوية الواحدة ، بل بين لهجات اللغة الواحدة

ففى كل لغة من لغات الفصيلة السامية مثلاً ، تتمثل حالة البيئة التى سكنها الناطقون بها . فالآرامية التى نشأت فى الشمال

جافة الألفاظ ، قليلة المفردات، ثقيلة التراكيب، مضطربة القواعد، لا تكاد تواتى الأساليب الشعرية الراقية . والعربية التى نشأت فى الجنوب أعذب اللغات السامية ألفاظاً ، وأغناها مفردات ، وأدقها قواعد ، وأكثرها مرونة واتساعاً لمختلف فنون القول . والعبرية التى نشأت فى منطقة متوسطة بين هاتين المنطقتين تمثل فى رقيها منزلة بين منزلتى الآرامية والعربية ؛ فقد فاقت الأولى ولكنها قصرت عن أن تدرك شأو الثانية ، فألفاظها وأساليبها تتسع لكثير من مناحى القول ؛ ولكن العربية تفوقها فى مرونة التعبير والترف اللغوى وسعة الثروة فى المفردات ، وقواعدها سهلة مضبوطة ، ولكنها لا تبلغ فى دقتها وتنوعها مبلغ قواعد اللغة العربية . وتظهر هذه الفروق حتى فى ناحية الأصوات ، فالآرامية حوشية الأصوات ، صعبة النطق ، تلتقى فى كلماتها المقاطع المتنافرة والحروف الساكنة ؛ والعربية عذبة الأصوات سهلة النطق خفيفة الوقع على السمع ، تقل فى كلماتها الحروف غير المتحركة[1] ، ولا يكاد يجتمع فى مفرداتها ولا فى تراكيبها مقاطع متنافرة ، ولا يلتقى فى ألفاظها ساكنان . والعبرية وسط بين هذه وتلك : فهى لم تصل فى سهولة اللفظ إلى درجة العربية ولا فى صعوبته إلى درجة الآرامية ؛ يتخلل كلماتها حروف المد فى نطاق أوسع من الآرامية ، وبدرجة تذلل كثيراً من ظواهر الصعوبة فى النطق ، ولكن بدون أن تصل فى هذه الناحية إلى الشأو الذى وصلت إليه لغة القرآن[2]

ولهذا السبب نفسه اختلفت اللهجات الإغريقية القديمة . فعلى الرغم من أن بلاد الإغريق كانت تشغل منطقة ضيقة فإن الاختلاف اليسير الذى كان بين أجزاء هذه المنطقة فى طبيعتها الجغرافية قد أحدث بين لهجات سكانها فروقاً ذات بال . فاللهجة الدورية مثلاً خشنة الألفاظ ، حوشية المخارج ، صعبة النطق ، ثقيلة الأصوات ، على حين أن اللهجة اليونانية رخوة الكلمات ، سهلة النطق ، عذبة الأصوات ، يتخلل كلماتها كثير من حروف المد وأصوات اللين

ومظاهر النشاط الاقتصادى تطبع اللغة كذلك بطابع خاص فى مفرداتها ومعانيها وأساليبها وتراكيبها . ومن ثم اختلفت مظاهر اللغة فى الأمم والمناطق تبعاً لاختلافها فى نوع الإنتاج ، ونظم الاقتصاد ، وشئون الحياة المادية ، والمهنة السائدة (الزراعة ، الصناعة ، التجارة ، الصيد ، رعى الأنعام ... الخ) . وقد تؤثر هذه المظاهر فى أصوات اللغة نفسها . فقد يؤدى نوع العمل الذى يزاوله سكان منطقة ما إلى تشكيل أعضاء نطقهم فى صورة خاصة تتأثر بها مخارج الحروف ونبرات الألفاظ ومناهج التطور الصوتى

واللغة مرآة ينعكس فيها كذلك ما يسير عليه الناطقون بها فى شئونهم الاجتماعية العامة ، فعقائد الأمة ، وتقاليدها ، وما تخضع له من مبادىء فى نواحى السياسة والتشريع والقضاء ، والأخلاق والتربية وحياة الأسرة ، وميلها إلى الحرب أو جنوحها إلى السلم ، وما تعتنقه من نظم بصدد الموسيقى والنحت والرسم والتصوير والعمارة وسائر أنواع الفنون الجميلة ... كل ذلك وما إليه يصبغ اللغة بصبغة خاصة فى جميع مظاهرها فى الأصوات والمفردات والدلالة والقواعد والأساليب ... وهلم جرا[1]

وتتشكل اللغة كذلك بالشكل الذى يتفق مع اتجاهات الأمة العامة ومطامحها ونظرها إلى الحياة . فاتجاه الإنجليز مثلاً إلى الناحية العملية قد صبغ لغتهم بصبغة مادية فى مفرداتها وتراكيبها ؛ حتى إنه ليقال فيها : « دفع زيارة أو تحية أو انتباها » و « أنفق وقته فى كيت وكيت » "to pay visit, compliments, attention... etc" "He spent his time in...". بدلاً من « أدى زيارة » و « قدم تحية » و « أبدى انتباها » و « قضى وقته فى عمل ما »

وما يكون عليه الأفراد من حشمة وأدب فى شئونهم ومعاملاتهم وعلاقاتهم بعضهم ببعض ينبعث صداه فى لغتهم ألفاظها وتراكيبها ، فاللغة اللاتينية لا تستحيى أن تعبر عن العورات والأمور المستهجنة والأعمال الواجب سترها بعبارات مكشوفة ، ولا أن تسميها بأسمائها الصريحة . على حين أن اللغة العربية بعد الإسلام تتلمس أحسن الحيل وأدناها إلى الحشمة والأدب فى التعبير

(١) تكثر فى الكلمات العربية أصوات المد الطويلة (الألف والياء والواو) والقصيرة (الفتحة والكسرة والضمة) ، حتى أنه ليقل وجود حرف غير متبوع بواحد منهما .

(٢) V. Renan : L'Origine du Langage, p.p. 188,189.

(١) من أجل البحوث فى هذا الموضوع وما يتصل به ما كتبه العلامة « فانييه » فى المجلد الثانى من مجلة « التربية » سنه ١٩٠٧ صفحات ٤٣٤ — ٤٦٣ تحت عنوان : « روح الأمة وطباعها ممثلة فى لغتها »
V. Vannier : « L'Esprit et les Mœurs d'une nation d'après sa langue; » Revue Pédagogique 1907 - T. II. P.P. 434 — 463.

عن هذه الشئون ، فتلجأ إلى المجاز فى اللفظ وتستبدل الكناية بصريح القول : القبل ، الدبر ، قارب النساء ، لمس امرأته ، قضى حاجته ... الخ ، ولقد كان لها بهذا الصدد فى ألفاظ القرآن الكريم وعباراته أسوة حسنة : « نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم » ؛ « واهجروهن فى المضاجع » ؛ « لمستم النساء » ؛ « وقد أفضى بعضكم إلى بعض » ؛ « أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم » ؛ « فاعتزلوا النساء فى المحيض » ؛ « والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة مؤمنة من قبل أن يتماسا » ... وما إلى ذلك من كريم العبارات ونبيل الألفاظ . وما يبدو فى اللغة العربية بهذا الصدد يبدو مثله فى اللغات الأوربية الحديثة وخاصة الشمالية منها ، وأكثرها تحرجاً فى هذه الناحية اللغة الإنجليزية ، فالبطن مثلاً لا يعبر عنه باسمه الصريح بل يطلق عليه فى الغالب Stomach (أى المعدة) وسراويل الرجل يطلق عليها Inexpressible (أى ما لا يمكن التعبير عنه) ؛ وسراويل المرأة تطلق عليها كلمة معناها الأصلى « الجمع أو التركيب » Combination ... وهلم جرا

وخصائص الأمة العقلية ومميزاتها فى الإدراك والوجدان والنزوع ، ومدى ثقافتها ومستوى تفكيرها ومنهجه ، وتفسيرها لظواهر الكون ، وفهمها لما وراء الطبيعة ـ كل ذلك وما إليه ينبعث كذلك صداه فى لغتها[1] . ففى الأمم الأولية الضعيفة التفكير ، المنحطة المدارك ، تغزر الكلمات الدالة على المحسات والأمور الجزئية ، وتنعدم أو تقل الألفاظ الدالة على المعانى الكلية ، وتخلو دلالة المفردات من الدقة والضبط ، فيكثر فيها الخلط واللبس والإبهام ، وتعرو القواعد أو تكاد تعرو من ظواهر التصريف والاشتقاق وربط عناصر الجملة والعبارة بعضها ببعض ، ويضيق متن اللغة فلا يتسع لأكثر من ضروريات الحياة . ومن هذا القبيل الشعوب الصينية : فلغاتها أولية ساذجة فى نواحى الألفاظ والدلالة والقواعد ، تكفى للتعبير عن ضروريات الحياة ، وشئون الصناعة اليدوية ، والأدب السهل ، والتأمل الضحل ؛ ولكنها لا تتسع لعلم ولا لفلسفة ولا لدين بالمعنى الصحيح لهذه الكلمات ، حتى إنه لا يوجد فيها اسم للإله ؛ ويعبر فيها عن مسائل ما وراء الطبيعة بعبارات ملتوية مبهمة مضطربة الدلالة فى أذهان أهلها أنفسهم

(1) V. Vannier op. cit

وفى الشعوب السامية القديمة ، إذ كان يسود التفكير الدينى ، وتفسر شئون الحياة تفسيراً مهلاً ، وتنسب جميع الظواهر الطبيعية إلى تدخل الأرواح والآلهة ، ويسيطر على المدارك الكسل والخمول ، وتنفر الأفكار من البحث العلمى ، وترغب عن التأمل الفلسفى — فى مثل هذه الشعوب ترى اللغات سهلة المأخذ ، ساذجة الدلالة ، ضحلة المعانى ، قصيرة الجمل ، قليلة الروابط : تضع أجزاء الجملة وفقرات العبارة بعضها بجانب بعض ، معتمدة فى بيان وظيفة الألفاظ والجمل وعلاقة كل منها بما عداه على ذكاء المخاطب وسياق الحديث وترتيب المفردات . . . وما إلى ذلك ؛ والروابط التى تشتمل عليها قليلة العدد ، غير متنوعة المعنى ، يرجع معظمها إلى علامات تدل على العطف وما شاكله .

وفى الشعوب الهندية الأوربية حيث ينشط التفكير ، ويعمق الإدراك ، ويدق البحث ، وتتجه العقول إلى التأمل الفلسفى ، وتميل إلى تفسير ظواهر الكون والمجتمع الإنسانى تفسيراً علمياً يربطها بأسبابها وقوانينها العامة — فى مثل هذه الشعوب تكثر فى اللغات الألفاظ الدالة على المعانى الكلية ، والتراكيب المعبرة عن الحقائق العامة ، وتغزر أزمنة الأفعال[1] ، وتطول الجمل وتتعدد أجزاؤها ، وتتنوع الروابط وتختلف دلالاتها فتتسع للتعبير عن دقيق الوجدان ، وعميق الإدراك ، وحقائق الفلسفة والعلوم

على عبد الواحد وافى
ليسانسيه ودكتور فى الآداب من جامعة السوربون

(1) ليس الفعل فى معظم اللغات السامية إلا زمنان : فعل انتهى زمنه (ماض) وفعل لم ينته زمنه (أمر ومضارع للحال أو للاستقبال) ، على حين أن له فى اللغات الهندية الأوربية أزمنة كثيرة لكل منها صيغة خاصة وقد بلغت هذه الأزمنة فى اللغة الفرنسية أحد عشر زمناً فى الجمل الاخبارية وحدها .

نحن وفرنسا

بين جنات الأرواح
وجحيم الأجساد

للأستاذ نجيب محمد البهبيتي

الصبح ينبلج فى صمت عميق ، وأعقاب الظلمة تذيبها تلك الأطياف المتهامسة من ضياء شمس لا تزال مختفية تحت الآفاق ؛ والبحر من بعيد يهدر هدراً لا ينقطع ، ويرغى إرغاء لا يلبث أن يزول بعد أن تزول العاصفة ، وبعد أن يسكن اضطرابها ... وهى لا بد أن تسكن . والنيل عن أيماننا يجرى زاخراً عارماً فى هدوء ووقار ، موكب الدهر الجبار قد أثقلته السنون ، وملأته الحكمة والتجربة . هـذا النيل لا يزال يجرى فى انتظام كأنه فى فيضانه وانقباضه بقدر ، أغنية خالدة منسقة قدسية تتجاوب فيها الفواصل ، وتتردد فى مقاطعها أنغام الحياة والبشر

ما أشبه هذين بأسلوبين من أساليب التفكير والنظر إلى الأشياء . قوم يثورون وينفعلون وتصطخب نفوسهم بالحلو والمر ، وتتأجج صدورهم بالعاطفة ، وتفيض الكلمات على ألسنتهم تعبر عن قوة الثورة ، وحدة الصخب ... ولكن الانفعال لا يبقى ، ولا يخلد ، وهو لابد زائل بزوال علته ، وقد يتجدد مرة أخرى وغيرها كما تتجدد ثورة البحر حين تهتاجه العاصفة ، ولكنه لا بد أن يخمد . وأصحاب هذا الضرب من التفكير أشبه بالشعراء ؛ ولكن الشعراء حين يفعلون ذلك يبينون عن خفية من خفايا النفس ، ويكشفون عن صورة من صورها التى لا تتناهى ، فهم يضيفون هذا إلى تراث النفس البشرية . ولا يجب أن نتناول قضاياهم على أنها حقائق ، وإنما يجب أن ننظر فيها على أنها مرايا لحالات تمر بالنفس عابرة ؛ فهى إنما تؤخذ ليستخرج منها علم ، ولتوضع على مقتضاها الكليات كما يقول المناطقة

وقوم آخرون يجرون فى وزن الأشياء على قياس ، يزنون الصغيرة والكبيرة ، ويعرفون أن فى الوجود حقائق باقية خالدة ، وأنها جديرة بالكشف ، قمينة بالتنقيب والبحث ، ينظرون إلى الأشياء من حيث قيمتها فى الوجود ، ومن حيث بناؤها الحقيقى ، ومن حيث خيرها الأبعد لا من حيث خيرها القريب . وهؤلاء لا يأخذ بخناقهم الهوى ، ولا يجيبون لداعى الانفعال ، وقد يكونون أشد من الطائفة الأولى انفعالاً ، وقد تكون نفوسهم أعرق فى تأججها وثورتها ، وقد يذوبون إشفاقاً وألماً ، لما عسى أن يمر به الآخرون مرور العابرين . ولكنهم يعلمون أن الحقائق تطلب لذواتها فى غير طويل وقوف عند الآلام والمسرات ، ينظرون إلى الأشياء فى وقار النيل وانتظام فيضه وانحساره ، وفى سكون الصبح واستنارته ، قد خلصوا نفوسهم من شوائب الحقد وأدران الشماتة ، ونسوا ما لقيت أجسادهم ، فسموا بنفوسهم إلى مسالك النجم ، وترفعوا عن أوغار الضعة

كل كائن يستطيع أن يفرح حين يرى عدوه صريعاً تحت أقدامه ، فهذه أقرب العواطف وأرخص الأحاسيس ، ولكن ليس كل إنسان يستطيع هنا أن يسد بقلبه تلك الثغرة من الفرح وأن يضع يده على موقع ذلك السهم ليخفيه فيه ، ثم ينظر إلى عدوه فى ألم حقيقى لأن إنساناً قد سقط ، ولأن روحاً قد فاضت ، ولأن نفساً قد تخلصت من سجون الجسد المغرى شيطانه المهلكة شهواته

هذان أسلوبان من التفكير البشرى ، ولم أشأ أن أصطنع أولهما ، ولكنى أصطنع ثانيهما ، ولست بهذا متصوفاً ، ولست بهذا مترفعاً فوق الحياة أعيش فى برج من العاج ، وأحيا فى فردوس الأحلام ، وأكبر نفسى عن دنيا الواقع بأفراحها وآلامها ، فإنما أحسست هذا كله ، وعانيت من مره وزقومه أشد ما يعانى بشر ، ولكنى أدع دائماً فى جانب من نفسى بقية من الاتزان والشرف ، أضع فيه دائماً مثالاً من مدنيتنا الروحية التى حملها الشرق إلى الوجود أمانة تنوء تحتها نفوس أولى القوة . أضع دائماً نصب عينى ما بشرت به نفوس كرام من آبائنا فى كل أطوار التاريخ ، وأنا به وفى لأهلى وبنى جلدتى ، آخذ بيدهم إلى المحافظة على أعز ما ورثوه عن ماضيهم ، وأقوم ما بشرت به كل الديانات التى نبعت فى الشرق ، وفاضت على الدنيا خيراً ونعيما وسعادة . ليس فى دين من الديانات التى انبثقت فى الشرق دين يطالب بالثأر وإن أمرت كل هذه الأديان بالقصاص ، وأجازت إلى جانبه العفو ، ونهت

عن التمثيل ، وكان الغرض من هذا الإصلاح ، ولم يكن الانتقام وإلا لما أجازت العفو. ولنا من أخلاقنا، بعد هذا، التى ورثناها عن هؤلاء الأمجاد ما يجعلنا نكبر فوق الضغينة ، ونتناول الأشياء تناولاً رحيباً ، فيه إباء العفو وكبرياء المتألم الكريم

فى هذا ذلك المعنى الخلقى السامى ، وفيه أيضاً محاولة للوصول إلى الحقيقة عن طريق العدل ، على طريقة الفلاسفة التى لم ترضك ؛ وفيه بعد هذا تطهير للنفس من آلام تخلفها الأحقاد ، لا يصلى نارها الجيل الحاضر وحده ، ولكن يتلقاها بعد أجيال تأتى ، وتقوم بها فى النفس قياماً دائماً مثارات الخلاف ، ولا يتحقق بها أبداً بين الشرق والغرب وفاق أو لقاء

تضرب لى يا عبد المنعم مثلاً بما فى أوربا اليوم من صراع تتداعى فيه أركان أقدس ما وقر فى النفس الإنسانية من مُثُل وأخلاق حاسباً أن من الخير لنا أن نتهمه فتقول : « إننا نشاهد أمماً حرة مثقفة تحطم حياة أمم أخرى عالمة مثقفة حرة فى سبيل إرضاء ما تعتقده كرامتها » ... إلى آخر ما قلت

إن هذا تام حقاً يا عبد المنعم ، ولكن هل تعتقد أن ما تفعله أوربا الآن يجب أن نفعله ، وأن ندعو إليه ، وأن نعمل فى سبيله ؟ هل تعتقد أن هذه الأجيال تعيش ربع قرن تحمل بين جنباتها بذور الحقد ، وتنميها وتعمل للانتقام من جارتها ، تفكر فى هذا الليل والنهار ، وتقف عليه كل جهودها ونواحى نشاطها ، تصوم لتبنى آلة الخراب ، ثم تدفع بعد هذا بزهرة شبابها ليحطموا غيرهم ولينحطموا ، ولتشقى بهم بعدهم أجيال وأجيال — هل تعتقد أن هذه القطعان البشرية التى تساق إلى الجحيم سوقاً فى غير رحمة قد عاشت المعيشة التى تطمح إليها الدنيا ، وأن هذه النفوس قد نالت من احترام أساتذتها وقادتها ما ترضاه أنت لقومك وبنى جلدتك ؟ وهل يعوض هذه الضحايا التى لا تنتهى أن يستمتع بالحياة من بعدهم قوم آخرون إن صح أن هذا سيكون ؟

إن أمماً كثيرة فى التاريخ قد نالت مكانتها فى الدنيا عن طريق تحقيق المثل العليا، وهذه قد احتفظ لها التاريخ بأمجد الذكر؛ وأمماً أخرى قد أقامت نفسها على حد تعبيرك — على بركان من نوازع الفطرة الأولى فلم تلبث أن انهارت كما ينهار القصر يبنى على الرمل . ذلك أن تلك المثل الأخلاقية لم تأخذ مكانتها فى وجودنا إلى الآن إلا لأن التجربة قد خلصتها واصطفتها، وأثبتت أنها كالحجر الكريم انكشف للباحث بعد طويل العناء، ومكابدة الآلام، من بين أكداس ضخمة لا تحصى من سقطات الناس وإصاباتهم

فإن أردنا أن نأخذ صفوف الدعاة فلندع إلى الخير ، ولننس الانتقام ، أما أن تكون فينا الوحشية اللازمة لكل حياة كريمة فذلك ما أخالفك فيه إن كنت تريد بالوحشية امتلاء النفس بالحقد على عدوك ، والتهليل إذا سقط أو أصيب لأن هذه ليست من شيمنا ، وأما إن كانت الرجولة والقوة الجسدية ، والابتعاد عن النعومة الناشئة عن الترف ، ورد المعتدى فذلك ما أوافقك فيه ولا أوافقك على غيره . ذلك أن رد الباغى شىء ، والدعوة إلى الحقد عليه والشماتة به شىء آخر ، كما أن تقدير سيئات عدوك لا يجب أن يجور مطلقاً على وزنك حسناته ، فإن خير استعداد لحربه أن تعرف مواضع قواه كما تعرف مواضع ضعفه؛ أما تصورك إياه كما يحلو لك ، وكما تتمناه ، وكما تزينه لك هواك ورغبات نفسك فأمور لم تكن فى يوم من الأيام سنة من سنن الشرق ، ولا تقليداً من تقاليده

وإذا كنا الآن نقف نفوسنا موقف المؤرخين من هذه الأمة الجليلة فيجب أن ننتحل صفة الإنصاف ، ويجب ألا ننسى أولاً أن الناس إخوان ، ويجب ألا ننسى المبدأ الذى سبقنا إلى وضعه الغربيين : وهو أن العقاب ليس معناه الانتقام ولكن غايته الإصلاح ؛ وسيكون من هذا لأعدائنا درس إن صح وصفهم بهذا الوصف

إن لمدنية أوربا وجهين ككل مدنية : وجه مادى ووجه معنوى . أما المادى فهو تلك الصور الظاهرة التى تتكيف فيها سبل العيش ووسائله . وأما الوجه المعنوى فهو الخلاصة المجردة لتلك المبادئ التى تنتظم على مقاييسها العلاقات بين الأمم والأفراد . وهذا الوجه الأخير تجده فى تاريخ كل أمة شاملاً لكل مثلها فى الأخلاق والشرع ولكل ما عسى أن يكون قد استخلصته عقول أبنائها من أصول علومها وفنونها ومختلف صور حضارتها . وتجد هذا دائماً فى عصور اتزان النفس البشرية ، وفى فترات

اطمئنانها ، وفى الأيام التى لا تهتز فيها لحادث جلل : تجده دائماً بحيث يرمى إلى تحقيق الخير المطلق للناس على السواء ، فى غير نظر إلى أمة دون أخرى ؛ أى أنه ينتفى فيه حب الذات والأثرة الفردية أو القومية . فلا تكاد تحس فيه تلك النعرة العنصرية التى إنما تكون دائماً رد فعل لحس الضعف الطارئ على أمة من الأمم لنكبة أصابتها ، ونازلة حلت بها فزعزعت من إيمانها بنفسها فهى تحاول التغلب على هذا الضعف ، وتقوية نفسها بتلك النفخة تصطنعها وتدعو إليها ، وقد تنخدع بصوابها ، فتؤمن بأنها حق ، وتغلو فى الإيمان بها حتى لترفع بها نفسها على هام الشموس . وقد يكون الداعون إلى هـذا فى الأمة المقهورة الباحثة عن التعويض أنفه الناس فيها ولكنها تستجيب لهم ، وتهتدى بهديهم لأن دعوتهم صدى لذلك الحس الفطرى الذى يدفع إليه قانون الحياة وحماية الذات .

ولذلك يجب إهمال هذا الوجه الشاذ لأنه عابر فى حياة الأمم وإن ترك أثراً إيجابياً فى حياة بعض الأجيال ، فتبقى الصورة الإنسانية التى تحدثت عنها ، وهذه تكون نظرياً سليمة لا غبار عليها ، ولـكن يأتى دور التطبيق فتتعرض هـذه المثل لنوايات الأفراد ، وتضطرب بها الأهواء ، ويعمل فيها قرب الفرد وبعده من الحيوانية التى لا تزال عنصراً أساسياً فى كيانه

ولقد ضربت لهذا مثلاً فى كلمتى السابقة باستيقاظ العصبيات فى الإسلام مع نهيه عنها ومع ما حاوله من قتلها ولما يكد يمر على بدء الدعوة نصف قرن ، وقلت إن الأمم فى هذا سواء ، إلا أنها تفترق فى ذلك القدر الباقى فى نفوس أبنائها من أثر تهذيب تتركه التعاليم ، أو يسطره عليها قدم عهد بالحضارة المادية . فإذا كان بعض أبناء الأمة الإسلامية قد أثاروا العصبية فتركت هـذه مضاعفاتها فى حياة المسلمين وتاريخهم فليس ذلك ذنب الإسلام ، ولا ذنب تلك الطبقات منهم التى دعت إلى أسمى المبادئ ، وحاولت بها أن ترتفع بالإنسان عن مرتبته الحيوانية فأباه عليه طبعه وارتد إلى حيث كان . ولكننا فى الحكم على المسلمين ننسى دائماً سيئات الأجيال التى لم تحسن لنذكر ذلك الإرث الخالد فى تاريخ الإنسان « فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض » فالشر عابر والخير باق دائماً ، لأنه حقيقة منتزعة من صميم النفس عن طريق التجربة والامتحان

لهذا قلت لك يا عبد المنعم إننا إن حكمنا على فرنسا فيجب أن نحكم عليها على أساس ما سيبقى من عملها للناس ، وما عسى أن تكون تركته من أثر فى خطوات الإنسانية فى السير إلى غايتها البعيدة . كما أنى قلت لك قولاً أساسه الحق يوم فرقت بين عمل الساسة وعمل الأمة كلها ، وفعلت هـذا بناء على تجربتى ، فقد عشت بين هؤلاء الناس فى بلادهم وبلوتهم ، فعرفت فيهم سلامة الطوية وحسن المعاملة ، والمساواة فى عدل اجتماعى لم يكد يتحقق فى أمة من الأمم فى كل أدوار التاريخ إلا فى هذه الأرض التى نكبت . إن مستوى الفرد فى فرنسا من كل نواحى حياته كان أرفع منه فى أى أمة أخرى . فالتعليم كان إجبارياً حتى السادسة عشرة ، والتعليم العالى بالمجان بحيث يقدر عليه كل إنسان أراده ، والمحاضرات العلمية فى كل مكان وفى كل وقت من أوقات الليل والنهار حتى تصبح ملكا مباحاً لكل طالب علم أو باحث عن حقيقة ، حتى أصبحت فرنسا كلها متعلمة . وكانت بعد هذا حريصة على كل لون من ألوان الحرية . وأنت تعلم أن العلم مع الحرية يترك السبيل دائماً لوضوح الشخصية وحس الذات . ومن هنا تعددت المذاهب وكثرت الآراء حتى لـكأن فى كل فرد أمة ، فكان من طريق الخير نوع من الانفصالية أساسها وضوح النظر واستنارة التفكير . وكان من هـذا انهيار فرنسا لا لشىء إلا لأنها تمسكت بمُثُلها وأبت أن تتخلى عنها

ولست أعرف حتى الآن هل كان الخير فى هذا أم أن الخير فى ذلك التكتل الحديدى للأمة بحيث لا يحسب فيها حساب لحياة الفرد ولا لحريته ولا لسعادته ولا لعقله . وعندى أنه ما لهذا خلق الناس

ليس انهيار فرنسا يا عبد المنعم لأنها كانت قائمة على « بركان من التفسخ العائلى » الخ ... فإننى كنت أعرف فى صميم باريس عائلات من المحافظة ، بحيث لا تستطيع أنت ولا أستطيع أنا إلا أن ترميها بالرجعية . وما كان عليك لتدرك معنى العائلة الفرنسية إلا أن تعرج قليلاً على بلد من ريف هذه البلاد لتفهم

حقاً هل تهدمت الدائلة فى فرنسا أم لم تهدم . إن بعض الدعاوى القائمة على الجهل تنتشر أحياناً لسوء الحظ حتى لتصبح أشبه بالمسلَّمات ، لأن الجمهور كما قلت لك لا يستطيع تحقيق كل ما يلقى إليه

إن فرنسا قد هدمت نفسها من حيث أرادت أن تبنيها ، فقد أعطت كل ابن من أبنائها حق الحياة كاملا ، وحق القول والفكر كاملا ، والمسئولية الاجتماعية عبء ثقيل على الأفراد . فأصبح دفع الضرائب عندهم ثقيلاً ، وأصبح إنفاق مليم واحد على الحرب ومعداتها أمراً يتشاجر من أجله النواب ، ويضج منه الشعب ، لأن كارثة الحرب الماضية كانت لا تزال عالقة بالأذهان ، ولم يكن أشق على الفرنسى من التفكير فى الحرب . كانوا يؤثرون أن تنفق هـذه الأموال على التعليم ، وعلى رفع مستوى الحياة ، على أن تنفق على المدافع . وهذا هو الذى حدا برجال الحرب كبيتان أن يقولوا : « إن الفرنسيين كانوا يطالبون الدولة بأكثر مما يعطونها » . ففرنسا هدمت نفسها مؤقتاً لتبنى مثلها ، وأقول مؤقتاً لأنى لا أشك فى أنها ستهب فى القريب العاجل جداً ، فإنى لا أعرف أمة يكمن فيها من الحياة ما يكمن فى هذه الأمة ، ولا أعرف فرداً قد ربى فيه الوازع الشخصى بمثل ما ربى فى الرجل الفرنسى . ولا أعرف جنديًّا قد ربى على خشونة العيش فهيء لتقبل طعم الحياة فى خيرها وشرها مثل الفرنسى

إن السير فى تربية الأمم على هدى المثل الأعلى قد لا يحقق النصر العاجل ، ولكنه من غير شك يخلق الصلاحية الحقيقية التى تكفل السيطرة على المستقبل

أما أن تقول إن بيتان وفيجان قد انقلبا بين عشية وضحاها بوقاً من أبواق هتلر فتلك دعوى قد ينخدع بها البسطاء ، ولكن لا ينخدع بها ذوو العقول الذين يدركون أن الكرامة الإنسانية قيمة ، وأن الإنسان مهما كان تافهاً لا يسهل عليه أن ينتزع نفسه من ماضيه انتزاعاً ، وأن يجرد نفسه من كيانه تجريداً .

إن بيتان وفيجان رأيا أن إنقاذ فرنسا وإقالتها من عثرتها سيتحققان عن طريق ما ينتهجان وليس يمنع هذا عمل عامل لإنقاذ فرنسا على طريقته . فبيتان وفيجان يعملان، وديجول يعمل، وكل هذا فى سبيل فرنسا

إن فرنسا قد أصابت وأخطأت ، شأن كل عمل إنسانى ، فليس أقل من أن نلومها على الخطأ ونذكر لها بالشكر والرثاء فضلها ونكبتها ، ونحن إذ نفعل هذا نرسخ تقاليدنا ، ونتخلق بأخلاقنا ونصطنع مثلنا، ولا نتخلى عن ميراثنا الروحى والحضارى، فضلاً عن أننا نحاول به تهذيب تلك الغرائز الأولية التى تدفع بالإنسان عملياً إلى الانتقام ، فهى ليست بحاجة إلى إذكاء ولا تأريث . هذه الدعوة — كما ترى — ليست سهلة ، لأنها محاولة للحد من اندفاعات الفطرة الحيوانية ، وهذا الحد يغضب الجماهير ويضيق صدورها ويرغمها على السخط . أما مسايرة هذه الغرائز فيها ومجاراة التيار، فمحاولة هينة لاستغلال براءة الجمهور والضحك من أذقانه . وقد يقوى عليها الساسة الذين يحاولون الفائدة العاجلة ولكن لا يقوى عليها أصحاب الخلق الراسخ والإيمان بالحق وهداة الأمم إلى الخير والمثل المحققة للقوة

أما رثاؤك لمثقفينا الذين لم تقدم إليهم أوربا من العلم إلا ما هو بمثابة السروج واللجم فإنى أمر به مرور الضاحك ملء شدقيه وآخذه على أنه جهل بأمر جدير بأن يصحح لمدعى علمه . فنحن يا عبد المنعم لم نذهب إلى هناك فتقدم إلينا أنواع من العلم وتمنع عنا أخرى ، وإنما الأمر كان كما قلت لك مورداً مباحاً تختار فيه ما تشاء ، فتذهب من الأساتذة إلى من تشاء ، وتجتنب منهم من تشاء، تتلقى العلم فى مدرستك إلى جانب الفرنسى والبولونى والألمانى لا يصدك صاد ، ولا يمنعك قيد من القيود . ولذلك عدنا لم نسرج ولم نلجم وإن كنا نوشك أن نحس أن هذه السروج واللجم إنما تلزمنا إياها أمتنا العزيزة ، بل الصفوة من أبناء هذه الأمة

* * *

قد يكون هناك ما أريد أن أقوله ، ولكنى سأتركه لفرصة أخرى ؛ وإنى ليسرى عنى أننا جميعاً فى هذا نبغى حقاً ، ونتلمس هدى ، وأحرى بنا أن نتلمس هـذا من نور القلوب ، وصفو النفس ، وخلوص السريرة .

(رأس البر) نجيب محمد البهبيتى

عراك فى غير معترك

للأستاذ محمد متولى

إن هذا الشجار المنيف الذى يؤلف به صديقانا الدكتور بشر فارس والأستاذ زكى طليمات جبهة تتناحر مع جبهة الشاعر المهندس على محمود طه ، هو فى نظرنا مما ينطبق عليه المثل المصرى : « خناقة على اللحاف »

كتب بشر عن ديوان الشاعر ، فغضب الشاعر لبنات قلبه وراح ينظر فى ماضى الدكتور الأديب حتى وقع على مسرحيته « مفرق الطريق » التى أخرجها منذ ثلاثة أعوام وبعض عام . ثم أخذ يكيل له صاعاً بصاع ، ويعدد له من السرقات كما عدد هو له من قبل ؛ وحينئذ انبرى رجل المسرح الأستاذ طليمات ، ليقوم بتصويبه الملوم ، كما قام بأنصبتهم فى هذه المعركة غيره كثيرون

والحق أن بطلينا كليهما شريفان — لم يسرق بشر فارس ، ولا سرق على محمود طه ، فحكاية السرقة غير معقولة إذا نحن تأملنا ماهية الفن وعرفناها

وقبل أن نبين هذه الماهية ، يجب أن نخرج من موضوعنا تلك الفلسفات التى يحكونها عن « كانت » Kant و « برجسون » Bergson ومن إليهما ، لأنها هنا لا لزوم لها . وأغلب الظن أنهم يحكونها تفلسفاً على القراء

كأنكم فهمتم يا سادتى أن الفن « فكرة » Ideé ؟ ! والحق أن الفن « صورة » Forme أولاً وأخيراً .

إن الأفكار من الأشياء المجردة التى تكون هى بعينها فى جميع العقول والأفهام . أما الفن فهو « أسلوب » الفنان فى « تصوير » عاطفته « الشخصية » بأدواته الخاصة المختلفة باختلاف الفنون السبعة . الفن هو « الإنسان مضافاً إلى الطبيعة » كما يقول الفيلسوف الإنجليزى بيكون Bacon

وإذن فكيف يأخذ العقاد الكبير عن « كانت » المعظم — مثلاً — ما دمنا نعتبره شاعراً ؟! والدكتور بشر ، كيف يمكن أن « يسرق » من أحدهما إذا كنا نعتقد أنه قدم لنا أثراً فنياً صحيحاً فى حدوده ؟ ! ثم الشاعر على محمود طه الذى غنى له عبد الوهاب فأطرب الناس جميعاً ، كيف يمكن أن « يشعر » لغيره ؟!

أخرجوا السرقة من حساب الفن ، لأنها « سيكولوجيا » لا يمكن أن تكون . وإذا أردتم أن تقدروا صورة فنية فاقصروا القول على نصيبها من « الصدق أو « التعبير » أو — فى كلمة واحدة — اقصروه على تقدير نصيبها من « الإيحاء »

إن الأستاذ على محمود طه رجل فنان بلا شك ، لأنه قال « الجندول » فكان « كذوباً » . إنه يمثل ذلك الفنان الذى يشعر بالشىء ولا يستطيعه فيتغنى به . هو نفسه يعلم أنه لم يركب تلك « الجندول » التى أرانا إياها فى عرض القناة فى ذلك الجو السحرى فى « فينسيا » ، ويعلم أنه إن كان رأى تلك السمات الشرقية والشعور الذهبية ، فهو لم يذق شيئاً منها ، ولم يقل لأحد « خذ » ولا أحد قال له « هات »[1]

هكذا نرى شاعرنا واحداً من أصحاب « بولان » Paulhan الفنانين الكذابين الذين يصفهم فى كتابه « كذب الفن » Le Mensonge de l'Art وعلى هذا الأساس يمكن أن ننظر فى أشعاره إذا أردنا أن ننقده ونبين قيمته كفنان

أما صاحبنا الدكتور ، فبيننا وبينه حساب قد يكون عليه عسيراً ، إذا هو لم ير حبنا وانعطافنا ، وبالتالى صدقنا ؛ وقد يراه يسيراً ، بل ولطيفاً ، إذا هو أدرك سعينا للحق الممكن ، وكان ممن تهفو فِطَرُهم السليمة إلى جمال هذا الحق ، وهو من أولئك فيما يخيل إلينا

وعلى أى حال ، فالطريق الصحيح عندنا هو أن نسأل : ما قيمة مسرحية « مفرق الطريق » من الناحية الفنية ؟

إن الدكتور بشر يقدمها إلينا صورة صادرة عن « نفسه » ويقدم لها ، فيذكر أنه عمد فى تأليفها إلى أسلوب الرمزيين فى الفن ، ثم يحاول أن يضمّن تقديمه تفسيراً لمذهب هؤلاء الرمزيين ، فهل بلغ فى هذا غاية تستدعى الرضا ؟ !

---

(١) الذى نعلمه ونؤكده أن صديقنا المهندس الشاعر قد زار البندقية فى سنة ١٩٣٨ ، وركب الجندول ، وعابث الحب ، ثم نظم هذه الأغنية الخالدة هناك . (الرسالة)

لقد ندعى أنه لم يبلغ غاية يمكن الوقوف عندها ، بل يبدو لنا أنه أراد أن يفسر الرموز الفنية فطمسها ، وأراد أن يطبق ما « تعلمه » منها فجاءت مسرحيته شيئاً مصنوعاً وناقصاً مما انظر يا دكتور ؟

ألست تحدثنا فى تقديمك عن « استنباط ما وراء الحس من المحسوس وإبراز المضمر وتدوين اللوامع والبواده بإهمال العالم المتناسق المتواضع عليه المختلق اختلاقاً بكد أذهاننا طلباً للعالم الحقيق ... عالم الوجدان المشرق » ؟ ! ألست تحدثنا بهذا النزوع الصوفىّ ناسياً الفرق بين الرمزية الصوفية التى تفيض عن المخيلة والشعور والرمزية الفنية التى تعتمد على المخيّلة مضافاً إليها عنصر عقلى كما يقول « ريبو » Ribot فى كتابه L'Imagination Créatrice ؟ !

أولم تحدثنا يا دكتور بشىء لا شعورى يطويه الإنسان « فى المكان القصىّ من سريرته ... لا يفصّل ولا يمال ولكنه يعرض خطفاً . فكأن المنشئ يتوجس كيف تجاوب نفسه جرس الأشياء الخارجية من دون أن يتحمل ترتيبها ولا تأويلها فتعدل عن البسط والتبيين إلى إثبات البرق الذى التوى فى السحاب ... » نقول ألم تحدثنا بهذا أيضاً ، مع أنه وصف للتخيل الصوفى الذى يؤلف بين الصور الباطنة المبهجة ويستخرج منها رموزاً يستعملها كما هى ، بعكس الرمز فى الفن الذى يحصل من تحليل الصور والحركات والألوان ؟ !

ثم ما رأيك فى أن « ريبو » يقصد بالرموز فى الفن : « أن يفقد بعض الألفاظ استعماله المعقول المعروف ليدل على معنى جديد » بينما أنت تقرر فى توطئتك أنه بعيد أن يكون الرمز لوناً من التشبيه أو الكناية إلى غير ذلك ؟ ! ما رأيك فى هذا ، وعلى الأخص بعد أن خالفت أنت نفسك ، فأشعت الكثير من هذه الرموز فى مسرحيتك ، كقول سميرة « مثلك يحرق ولا يدفىء » وكقولها « بينى وبين الدفء رائحة حريق » ؟ !

الحق أنه ليس يلزم أن يعرف الأديب فلسفة الفن لكى ينفحنا آثاراً جميلة ، بل نحن لا نعرف من الفنانين من كان يعرف هذه الفلسفة غير قليلين من أمثال « تولستوى » ، ولهذا نغفر للأستاذ بشر تلك الكبائر التى ساقها فى مقدمة مسرحيته ، لأننا لم نعرفه فيلسوفاً وإنما عرفناه أديباً

وإذن فكيف نجد « مفرق الطريق » ؟ ما قيمتها الفنية كقطعة رمزية ؟

إن « ريبو » فيلسوفنا نفسه ، يقرر أن الرمزية فى الفن « تستخف بتمثيل العالم الخارجى تمثيلاً صادقاً ... فإذا الناس والأشياء تمرُّ دون أن تنطبع بزمان أو مكان ، ولكنها تمضى وما ندرى أين حصلت ولا متى ، فلا هى تمتّ بصلة لأى بلد ، ولا هى تمثل عصراً بذاته ... وقد تمعن فى الإبهام فتقول : هو ـ أو ـ هى ـ أو ـ أحدهم » . هذا ما يقرره « ريبو » فهل هو مستوفى فى مسرحية بشر ؟

« مفرق الطريق » تجرى حوادثها فى مصر ، فى أحد شوارعها « أمام صفّ من المنازل المنخفضة على شكل المنازل التى تصاب الآن فى الأحياء القديمة » . والمؤلف مع أنه يستغرق فى الرمزية بتسمية « الأبله » و « هو » إلا أنه لا يلبث أن يضيع هذا التأثير باستعمال اسم « سميرة » . وما كان عليه لو سماها « هى » رمزاً كصاحبها وإبهاماً ؟ !

أولئك الهنود مثلاً ... تأمل كيف صوروا الذكاء العبقرى والقوة البارعة فى شكل شخص ذى رءوس كثيرة وأذرع وأرجل عديدة ؟ وهؤلاء المصريون أيضاً ، تأمل كيف جعلوا لأبى الهول رأس إنسان رمزاً للحكمة إلى جسم أسد رمزاً للبطش ؟ ! حتى إذا تخيلت سميرة والأبله و « هو » وجدتهم ناساً يمثلون ألواناً محلية محددة بزمان ومكان ! !

* * *

وبعد فيا دكتور ؟ ألا ترى الآن مسرحيتك « مطبوخة ... ولكنها غير ناضجة ... » ؟ وهلا ترى أن المركة كانت على اللحاف فى الواقع ؟

مهما يكن رأيك ، ومهما تكن آراء أصحابنا ، فنحن يسرنا أن نلاقى من يشاء منكم بشرط أن يكون كلامنا « موضوعياً »

محمد مندور
ماجستير فى الفلسفة
ومفتش شئون التمثيل بوزارة المعارف

على هامش النقد :

بمناسبة ذكرى حافظ

للأستاذ سيد قطب

كان مقدراً أن تنشر هذه الكلمة بمجلة الثقافة ، وكنت أعتبر هذا من جانبي مراعاة للياقة ، لأن المقال نقد لبعض آراء الأستاذ الكبير أحمد أمين فى الأدب ، فأولى أن ينشر فى مجلته ولكن « الثقافة » رأت غير هذا الرأى ، فلعلى لا أكون مسئولا عما فى نشر هذه الكلمة هنا من مجانبة للمجاملة الواجبة . سيد قطب

منذ أيام قابلنى أحد المتأدبين فبادرنى بقوله : « أين قصائدك فى الحرب وأهوالها ؟ » فلم أرد أن أجيب الجواب الجدى على هذا السؤال ، واكتفيت أن أقول : إنما يتكلم اليوم المدفع والدبابة ، فلا حاجة إلى ألسنة الشعراء !

ومنذ سنوات ، وأنا أقرأ فى الصحف أو أسمع فى المجالس ، أن الشعر قد مات بموت شوقى وحافظ ، لأن شعراء مصر الحاليين لا ينظمون فى أحداث مصر ولا يسجلون مناسباتها الهامة فى قصائدهم ، ولا ينوبون عن الجماهير فى تصوير عواطف الجماهير !

وأذكر أننى لم أحفل كثيراً بما قرأته وسمعته من هذا القبيل لأنه — لحسن الحظ — لم يكن يصدر من أناس لهم صفة الإمامة أو سلطة التوجيه ، فلم يكن له من الخطر ما يحفز إلى دفعه أو تصحيح الرأى فيه

وكنت مطمئناً إلى أن المدرسة الحديثة — وعلى رأسها الناقد الكبير الأستاذ العقاد — قد أفلحت فى تصحيح الأفكار عن الشعر والشاعر فى خلال ثلاثين عاماً لم تفتر فيها عن بذر بذور جديدة لتقدير الأدب والأدباء

ولكنى استمعت إلى كلة الأستاذ الكبير أحمد أمين عميد كلية الآداب مساء الأمس فى ذكرى المرحوم حافظ بك إبراهيم ، فأحسست حقيقة بالخطر . وعلى رغم أننى فى هذه الأيام مريض مرضاً يقتضى الراحة التامة لم أجد أن خطر المضاعفات المرضية أشد من خطر الفكرة التى بدت فى ثنايا كلة الأستاذ ، والدعوة الضمنية التى دعاها لشعراء الجيل ، فجعلت أكتب هذه الكلمة على عجل !

ليست أمامى نصوص خطبة الأستاذ الكبير ، وإنما أنا على ذكر من فحواها بعد السماع ، وهى تتمنى فيما أعتقد أن يقوم بيننا من يخلف شوقى وحافظ فى تسجيل أحداث مصر والهتاف بما فى نفوس جمهورها ، وبلورة أحاسيسه وصياغتها . ولم ينس الأستاذ أن يكون من هذه الأحداث التى لو رآها حافظ لقال فيها : توزيع البترول بالبطاقات . وبدا فى كلام الأستاذ ونبرة الأسى على موت حافظ دون أن يخلفه أحد فى منزلته هذه ، أن هذه المزية تقتضى الأفضلية ، وأنها أهم أدوات الشاعر وأفضل اتجاهاته ، ولهذا تمنى أن يخلفه فى مصر خلف من الشعراء

وهذه دعوة خطرة . ومنشأ خطرها أن الهاتف بها هو الأستاذ أحمد أمين مؤرخ الأدب وعميد كلية الآداب ورئيس لجنة التأليف والترجمة والنشر وصاحب مجلة « الثقافة » وهو بهذه الصفات وبماضيه الأدبى وحاضره يملك سلطة التوجيه وله صفة القدوة .

* * *

ولا يمنعنا مقام الأستاذ الكبير واحترامنا العميق لشخصه وعلمه ، أن نبدى الرأى الذى يقابل رأيه ، وأن نرسل بهذا الرأى إلى مجلة الثقافة التى يشرف عليها !

ونحن نقول فى جملة واحدة ، وفى نفس واحد كذلك : إن هذه دعوة إلى نكسة من نكسات الشعر بعد ما تجاوز مرحلتها فى مصر وفى العالم منذ أزمان ، ونتمنى على الله ألا يخلف شوقى ولا يخلف حافظ — مع احترامنا لذكراها — خلف من الشعراء فى خلة التعبير عن شعور الجماهير وبلورة هذا الشعور ، ورصد الشعر للأحداث القومية والعالمية على طريقتهما وطريقة من يقلدونهما فى هذا الزمان !

وأحب أن أبادر هنا بالتنبيه إلى أن شخص شوقى وشخص حافظ فى ذمة التاريخ وبين يدى الله ، أما شعرهما ففى ذمة النقد وبين أيدينا نحن ! فليس من العقوق وليس من عدم اللياقة أن نتناول طريقتهما وشعرهما بالنقد ، لأننا بحمد الله لا نؤمن بلياقة العوام ! ولا بآداب الصالونات !

وعلى وجود الفرق بين حافظ وشوقى فى تسجيلهما للأحداث إذ كان حافظ يسجلها لأنه واحد من الجماهير التى تحس بها ، ولأن شعور الجماهير كان يتبلور فى حسه فينطق به . أما شوقى فكان يسجلها تمشياً مع اتجاه الجماهير ، وتوخياً لمهاب الرياح ، وتيقظاً لما تتطلبه الأحاسيس العامة

على وجود الفرق بينهما فى هـذا ، وأفضلية حافظ ولا ريب بالقياس إلى بواعث القول فى نفسيهما ، وإن فضله شوقى فى الأداء واتساع الآفاق فى هذا المجال — على وجود هذا الفرق فإن كليهما كان يمثل شاعر القبيلة على وضع من الأوضاع

وشاعر القبيلة الهاتف بأحاسيسها العامة ، المسجل لأحداثها العامة ، الذى تفزع إليه فى الملمات ليقول ، وتتطلع إلى شفتيه لتتلقف منهما ما تحس به ولا تطيق التعبير عنه

هذا الشاعر على عظم فضله ، وجلال « منفعته » لأمته ليس هو الشاعر المثالى الذى تتطلع إليه الآداب الرفيعة ويحفل به تاريخ الفنون

وإنما هو حلقة بين الشاعر البدائى وشاعر الشخصية المستقلة هذا الذى يرى الكون من خلال نفسه الخاصة ويعرضه علينا فنتلقاه كأنه نموذج منفرد لكون جديد ، ونعرضه فى متحف الفنون مع زملائه ؛ فإذا لدينا أكوان جديدة بعداد الفنانين الذين نستعرضهم ، لا صوراً متشابهة من أحاسيس الجمهور فى فترة من الفترات

وشاعر الشخصية هذا قد يعرض لأحداث أمة أو لا يعرض، وقد يتلاقى إحساسه مرة مع إحساس الجماهير أو لا يتلاقى أبداً، ولكنه يبقى مع هذا شاعراً أصيلاً للحياة ، فى شاعريته غرض مقصود ، وللفن فى ديوانه نموذج من النماذج النفسية الموموقة . ويبقى فى أسوأ حالاته أرفع وأخلد من شاعر القبيلة الذى تلتقى فى نفسه وتتبلور أحاسيس الجمهور

وقد لا ينتفع جيل هذا الشاعر به كما ينتفع بشاعر القبيلة ولكن يجب أن نفهم أن نظرية المنفعة ليست هى المحكمة فى أقدار الفنون ، وأن الشاعر ليس مطالباً أن « ينفع » جيلاً بذاته من الناس ، وشاعر الشخصية لا بد نافع ونافع فى دائرة أسمى وأوسع وأبعد أثراً من شاعر القبيلة ، بما يجلوه من نماذج رفيعة قد لا تطرق أى حدث واضح من الأحداث العامة

ويجب ألا ننسى أن شاعراً واحداً من شعراء الشخصية يعلم أمته حب الجمال فى أنماطه العالية ، إنما يعلمها من معانى الحرية والثورة على الاستعباد أضعاف ما يعلمها شاعر من شعراء القبيلة يناديها كل يوم بتحطيم القيود ورفض الاستعباد

فالنفس الإنسانية لا تتسامى لحب الجمال الطليق ، ولا تحس حقيقة هذا الإحساس الرفيع ، ثم يبقى فيها ظل للاستعباد أو صبر على بقاء الأغلال ، وهى وشيكة حينئذ أن تخلص من الاستعباد الخارجى ومن مساوئ الحكم والاجتماع الداخلى فى آن لأنها تسامت بإحساسها وذوقها وكل عنصر داخلى فيها عن مهاوى الذل والفساد

وقصارى ما يقال فى شوقى أو فى حافظ ـ يرحمهما الله ـ أنهما شاعران ممتازان بالقياس إلى عصرهما ، وأنهما أديا الواجب عليهما فى حلقات النهضة الأدبيـة لأنهما شاعران ممتازان بالقياس إلى الشعر فى جميع الأزمان

وإنك لتجردهما من زمانهما وظروفهما فتجردهما من خير ميزاتهما الفنيـة ؛ وليس كذلك شعراء كالمتنبي وابن الرومى والمعرى وأضرابهم فى الشرق والغرب ، لأن هؤلاء من شعراء الشخصية النموذجية ، وهذان من شعراء القبيلة العامة

وليس أدل عنـدى من اطراد النهضة الأدبية فى مصر ـ مع قلة الأدلة على هذا مع الأسف ـ من أن أحداً لم يخلف شوقى ولم يخلف حافظ فى طريقتهما ، لأننا بهذا توقينا النكسة إلى شعراء القبيلة ، وإن لم نرتق إلى شعراء الشخصية إلا فى عدد نادر جداً من بين شعراء هذا الجيل

(حلوان) سيد قطب

مجموعات الرسالة

تباع مجموعات الرسالة مجلدة بالأثمان الآتية : السنة الأولى فى مجلد واحد ٥٠ قرشا ، و٧٠ قرشا عن كل سنة من السنوات : الثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة فى مجلدين. وذلك عدا أجرة البريد وقدرها خمسة قروش فى الداخل وعشرة قروش في السودان وعشرون قرشا فى الخارج عن كل مجلد .

على هامش الحرب

الطابور الخامس فى القرآن

المنـــافقون

للأستاذ عبد الرزاق ابراهيم حميدة

— ٥ —

مواقفهم من حروب الرسول : فى أحد . فى الأحزاب . فى تبوك . إشاعاتهم السيئة عن جيوش المؤمنين . إمهال النبي لهم عسى الله أن يتوب عليهم . عاقبة المصرين .

وقف المنافقون من حروب النبي موقف المُخذِّل المثبِّط ، الجبان الرعديد ، الناقض لما عاهد الله عليه ، الطامع فى المغنم ، المقصر عن نصرة الدين . ولقد كان شرهم مستطيراً حقاً . لأن المؤمنين كانوا يركنون إليهم ، ويَعُدُّونهم من أنصارهم ، فإذا الشر أبدى ناجذيه للمؤمنين قعد هؤلاء عن نصرتهم ، وشمتوا عند هزيمتهم ، وقبضوا أيديهم عن إعانتهم ، واعتلوا لذلك بعلل سخيفة مزيفة فَضَحَ الله على أنها كاذبة ، وبين أنهم دعاة الهزيمة ، وأنصار العدو ، بل زاد على ذلك فاعتبرهم عدواً وقال للرسول فيهم وفى جُبنِهم « يحسبون كل صيحة عليهم ، هم العدو فاحذرهم ، قاتلهم الله أنى يؤفكون . »

وأى طابور خامس أشد خطراً من المنافقين الذين أحسن المسلمون عشرتهم ، وائتمنوهم على أسرارهم وأخلصوهم الود ، واتخذوهم بطانة ، وأمنوا جانبهم ، ولم يحسبوا حساباً لخيانتهم وغدرهم ، ولم يضعوا خطة لتَوَقِّى شرورهم ، فاستغلوا بذلك على إيذائهم ، وإنزال الضر بهم ، وظنهم وقت الحرج والانتقاض عليهم عند المحن والشدائد ؟

وفى قَصَصِهم يوم أحد ، وفى وقعة الأحزاب وتبوك ما يبرهن على أنهم كانوا أضرّ على المؤمنين من العدو الخارجى ، وأنهم خانوا الله والرسول ، ونقضوا الأيمانَ ، رغبة فى إبادة المؤمنين ، وطمعاً فى إزاحة الدين الجديد من بلادهم .

لما انهزم المشركون ببدر فكروا فى الثأر من المسلمين ، وفى السنة الثالثة للهجرة خرج أبو سفيان فى ثلاثة آلاف مقاتل يريد غزو المدينة ، فسمع النبي بقدومه ، فاستشار أصحابه ، فأشار عليه عبد الله بن أبىّ ـ وكان رأساً فى الأنصار إلا أنه كان يضمر نفاقاً ـ أن يبقى بالمدينة ، وقال له : ما خرجنا على عدو قط إلا أصاب منا وما دخلوا علينا إلا أصبنا منهم . وكان رأى النبي البقاء ، لكن قوماً ممن لم يشهدوا بدراً ودُّوا الخروج لينالوا شرفاً مثل شرف الذين شهدوا بدراً . فنزل النبي عند رأيهم ودخل بيته ولبس لامته . فندم هؤلاء على إلحاحهم ، وقالوا للنبي : إن شئت خرجنا وإن شئت بقينا . فقال : ما كان لنبى لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوّه . وخرج جيش المسلمين ، وعلى مقربة من أحد انخذل ابن أبىّ بثلث الناس ورجع إلى المدينة ، وقال : علام نقتل أنفسنا وأولادنا ؟ وهمّ بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الأوس أن يفشلوا كذلك تقليداً للعمل السيء الذى قام به ابن أبى ، ولكن الله عصمهم وقال فيهم : إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليُّهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون . والتقى الجمعان بأحد ، ودارت الدائرة على قريش أولاً . فلما شغل المؤمنون بجمع الغنائم ، وخالف بعض الرماة أمر النبي ، وتركوا مكانهم الذى وقفهم فيه ، انكشف ظهر المسلمين للعدوّ ، وكان على فرسان المشركين خالد بن الوليد ، فأتى بفرسانه ، وأعمل السيف فى رقاب المؤمنين ، فاختلط أمرهم ، وفر كثير منهم ، وثبت النبي وصفوة أصحابه ، ونادى فى المنهزمين : إلىّ عبادَ الله ! فعادوا وكشفوا عنه جيش المشركين ، ثم تحاجز الفريقان ، بعد أن قُتِل من المسلمين سبعون ، منهم سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب

كان فى الجيش قوم من المنافقين لم ينخذلوا مع ابن أبى ، فلما رأوا ما حل بالمسلمين ظنوا بالله الظنون ، وقالوا : لو كان لنا من الأمر شىء ما قُتِلْنا هٰهُنا ، قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم . أما الذين لم يشهدوا الحرب ، فقد شمتوا بالمؤمنين ، وظنوا أن الهزيمة كانت بسبب مخالفة المؤمنين لرأى ابن أبى ، وهم الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا ، لو أطاعونا ما قتِلوا ، قل فادرأوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين . ثم بيّن الله أن سبب الهزيمة هو إرادته أن يَميزَ الخبيث من الطيب ، وليعلم المؤمنين ، وليعلم الذين نافقوا . ونهى الله المؤمنين عن اتخاذهم بطانة ، وحذرهم أمرهم فقال : يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم ، لا يألونكم خبالاً ، ودوا ما عَنِتُّم ، قد بدت البغضاء من أفواههم ، وما تخفى صدورهم

أ كبر ، قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون

ولما أخرج الرسول يهود بنى النضير من المدينة لم تهدأ لهؤلاء ثائرة حتى جمعوا الأحزاب من قريش ومن أطاعها من الأحابيش ، ومعهم أسد وغطفان ، وساروا إلى المدينة فى عشرة آلاف مقاتل يريدون استئصال المؤمنين ودينهم . واستطاع اليهود أن يضموا إلى جانب الأحزاب بنى قريظة ويحملوهم ينقضون عهدهم للنبى ، واتقى النبى الأحزاب بالخندق الذى حفره ليحجز الغزاة الفاتحين . أما بنو قريظة فقد حفظ الله المؤمنين من شرهم على الرغم من شدة خطرهم فى ذلك الوقت ، وأما المنافقون الذين ظنوا أن هزيمة يوم أحد كانت لخروجهم من المدينة إلى عدوهم ، فقد قالوا هم والذين فى قلوبهم مرض يوم الأحزاب : « ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً » وحاولوا أن يصدوا المدافعين ويضعفوا إيمانهم بالنصر لأن العدو كثير العدد ، واعتذروا عن الدفاع ، واستأذن بعضهم النبى فى الانسحاب إلى بيوتهم ، وفى ذلك يقول الله تعالى : « وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ، ويستأذن فريق منهم النبى يقولون إن بيوتنا عورة وما هى بعورة إن يريدون إلا فراراً ، ولو دخلت عليهم من أقطارها ، ثم سئلوا الفتنة لآتوها وما تلبثوا بها إلا يسيراً . ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار ، وكانَ عهدُ الله مسئولاً . قلْ لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل ، وإذاً لا تمتعون إلا قليلاً . قل من ذا الذى يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءاً أو أراد بكم رحمة ، ولا يجدون لهم من دون الله وليًا ولا نصيراً . قد يعلم الله المعوّقين منكم والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ، ولا يأتون البأسَ إلا قليلا » . أولئك هم المنافقون الجبناء الذين كانوا يحاولون إضعاف جيش المؤمنين ، وتثبيط الجنـد عن الدفاع والاعتذار بأعذار واهية كاذبة . وهم الذين يقول الله فيهم بعد : « فإذا جاء الخوف رأيتَهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذى يُغشى عليه من الموت ، فإذا ذهبَ الخوفُ سلقُوكم بألسنةٍ حدادٍ » من أجل طمعهم فى الغنائم بما لا يتفق مع جبنهم وقعودهم وتثبيطهم غيرهم « أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيراً »

وكان هناك المرجفون فى المدينة يؤلفون أخبار السوء عن سرايا رسول الله ، فيقولون هزموا وقتلوا وجرى عليهم كيت وكيت ، فأى خطر أشد من هذا ؟ أليس ذلك قتلاً للروح المعنوية وتنفيراً للناس من الجهاد ، وفضاً للمستضعفين من حول النبى ؟ من أجل هـذا هددهم الله وخوفهم ، وقال لرسوله الكريم : « لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ، والمرجفون فى المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلاً ، ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا »

فهل انتهى المنافقون بعد هذا التخويف ؟ وهل انتهى الذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة ؟ سنرى من موقفهم فى تبوك أنهم لم ينتهوا . وإن كثيراً منهم أخلفوا الله ما وعدوه . وزادهم حلم النبى الكريم ومعاملته لهم على حسب ظاهرهم ، وإمهال الله لهم ، إمعاناً فى النفاق ، وكيداً لنبيهم ودينه وأصحابه ، واستمر ذلك حتى فتحت مكة ، ودانت ثقيف وخضعت الجزيرة العربية ، ووجه الرسول جهاده إلى خارجها

فنى السنة الثامنة وجه جيشه إلى الروم فى الشمال ، وأمر على الجيش ثلاثة من كبار الصحابة ، وأحس النبى الكريم بأنهم قد يقتلون جميعاً ، فلما التقت جيوش الروم بالمسلمين عند « مؤتة » قتل قواده الثلاثة كما عينهم ، واختار المسلمون بعدهم خالد بن الوليد فأفلح فى الانسحاب ، ولم يتبعه الروم داخل الجزيرة خشية أن يكون انسحابه مكيدة حربية يجر بها الروم إلى داخل الصحراء ثم يضربهم

وفى السنة التاسـعة للهجرة أراد النبى أن يجهز جيشاً للثأر من الروم ، وإتمام ما بدأه فى مؤته . وكان الوقت الذى اختاره للخروج وقتاً شديد الحر ، والمسلمون فى عسرة من الظهر ، وقد طابت الثمار ، والناس يحبون البقاء فى ثمارهم وظلالهم ، وتجهز الجيش ، وساهم الصحابة بما يستطيعون لتجهيزه وخرج النبى بجيشه وركائبهم قليلة حتى كان يعتقب العشرة منهم على بعير ، وزادهم قليلٌ حتى اقتسم التمرة منهم اثنان . وماؤهم أقل حتى نحروا الإبل وشربوا ما فى كرشها . وكان العدو كثير العدد ، والشُّقة بينهم وبينه بعيدة ، والحاجة شديدة إلى كل مساعدة مهما قَلّتْ . فماذا فعل المنافقون لنجاحها ؟

الله يشهد أنهم عملوا جهدهم لإحباطها سواء منهم من خرج فى جيش المؤمنين ، ومن رضى بالقعود والتخلف عن رسول الله؛ أما الذين رضوا بالقعود فقد رغبوا بأنفسهم عن نفس رسول الله

واستبعدوا أن يفلح محمد فى هذه المغامرة ، وتحدثوا بذلك ، وأغروا غيرهم بالقعود ، وقالوا لا تنفروا فى الحر ، واستأذنوه صلى الله عليه وسلم فى التخلف معتذرين بأعذار كاذبة ، والحق أنهم جبنوا وبخلوا وكان أملهم ضعيفاً فى انتصار المسلمين والفوز بالغنائم ، وقد بين الله ذلك فى قوله : « لو كان عرضاً قريباً وسَفَراً قاصداً لاتَّبعوكَ ولكن بَعُدَتْ عليهم الشُّقَّةُ ، وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم . يُهْلِكون أنفسهم ، والله يشهد إنهم لكاذبون » وكان استئذانهم فى القعود لارتيابهم وحرصهم على حياتهم وعدم اهتمامهم بنصرة دين الله : « ولو أرادوا الخروج لأعَدُّوا له عُدَّةً ولكن كَرِهَ اللهُ انبعاثَهُمْ » لعلمه بما فى نفوسهم من غلّ وما يدبرون من فتن ، وما يحدثون من اضطراب وتفريق فى جيش المؤمنين « فَثَبَّطَهُمْ ، وقيل اقعدوا مع القاعدين » ، ثم بيّن الله نوع الضرر الذى يصيب المسلمين من خروجهم معهم فقال : « لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً ولأَوْضَعُوا خِلالكم يَبْغونكم الفتنة » ولأسرعوا بالوشاية والإفساد بينكم ، ومع ذلك فقد خرج قوم منهم يتجسسون لمن قعد وهم الذين عناهم الله بقوله : « وفيكم سَمَّاعونَ لهم »

سار الركب فى طريقه إلى تبوك (فى منتصف الطريق بين المدينة ودمشق) وفيه بعض المنافقين وسار هؤلاء يسخرون فى الطريق من الفكرة التى خرج النبى من أجل تحقيقها ، وقال بعضهم لبعض : أنظروا إلى هذا الرجل ! يريد أن يفتح قصور الشام وحصونها . هيهات هيهات ! أليس فى هذا القول ما يزلزل قلوب المستضعفين من الجند ، ويذهب حرارة الإيمان والثقة بالنصر من قلوب المؤمنين ؟ ومتى شاع مثل هذا الضعف ، وعدم الثقة فى جيش فعليه العفاء . ثم أليس ذلك مصداق قوله تعالى : « لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة » ؟

أطلع الله النبى على ما تهامس به أولئك المنافقون الذين خرجوا معه ، فقال : احبسوا علىّ الركب . وأخبرهم بما قالوا ، فحلفوا إنهم ما كانوا فى شىء من أمره ولا من أمر أصحابه ، وإنهم كانوا فى شىء مما يخوض فيه الركب ليقصروا على أنفسهم الطريق ، وذلك قول الله تعالى : « ولئن سألتَهُم لَيَقُولُنَّ إنما كنا نخوضُ ونلعب ، قل أَبِاللهِ وآياته ورسوله كنتم تستهزئون ؟ لا تعتذروا ، قد كفرتم بعد إيمانكم ، إن نَعْفُ عن طائفةٍ منكم نُعَذِّبْ طائفةً بأنهم كانوا مجرمين »

وقد فرح المخلفون بقعدهم خلاف رسول الله ، ولَمَزُوا الذين تطوعوا من فقراء المؤمنين بما يملكون لِقِلَّةِ ما قدّموا ، فتكفل القرآن بالاستهزاء منهم وألْحَقَهُمْ بالنساء ، لأنهم هم الذين وَضَعُوا أنفسهم هذا الوضع ، و « رَضُوا بأن يكونوا مع الخَوَالِفِ ، وطُبِعَ على قلوبهم فهم لا يَفقهون »

وكان لا بد بعد هذا الإمهال وفتح باب التوبة زمناً طويلاً من أن يكشف الله أمرهم ويهتك سترهم ، وأن يعاملهم المؤمنون بما يستحقون ؛ فنهى الله النبى عن قبولهم فى جيشه مرة ثانية . ونهاه عن الصلاة على من يموت منهم والدعاء له فقال : « فإن رَجَعَكَ اللهُ إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا مَعِىَ أبداً ، ولن تقاتلوا مَعِىَ عدواً ؛ إنكم رضيتم بالقعود أول مرة ، فاقعدوا مع الخالفين . ولا تُصَلِّ على أحدٍ منهم مات أبداً ولا تَقُمْ على قبره ؛ إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون »

ولم يكن النفاق مقصوراً على المدينة وحدها ، بل كان من الأعراب منافقون هم أشجع وأسلم وجهينة وغفار ، وهم بحكم بيئتهم وغلظة قلوبهم وبعدهم عن مُتنزل الوحى « أشدّ كُفْراً ونفاقاً وأجدرُ ألاّ يعلموا حُدودَ ما أنزلَ الله على رسوله » وكان منهم من يَتَّخذ ما ينفقُ فى سبيل الله مَغْرَماً ، ويتربص بالمؤمنين الدوائر ، عليهم دائرة السوء . لم يخرجوا إلى تبوك وجاءوا إلى المدينة ليؤذن لهم ، وقعد الذين كذبوا الله ورسوله ، ولكن منهم من اتخذ « ما يُنفقُ قربات عند الله وصلوات الرسول ، ألا إنها قُرْبةٌ لهم سيدخلهم الله فى رحمته . »

وما ظن القارئ الكريم بالنادى السياسى الذى بناه بنو غنم ابن عوف لخدمة الدين ظاهراً ، ومأوى للخارجين على الرسول ، والمدبرين للفتن ، والمعادين للمسلمين باطناً ، ليقعروهم ويفرقوا بينهم ، وليأوى إليه من حارب الله ورسوله ؟ بئس هذا البناء وبئس بانوه ، إنهم ساء ما كانوا يعملون .

أما هذا البناء فهو مسجد الضرار ، والذين بنوه هم بنو غنم ابن عوف . يروى أن بنى عامر بن عوف لما بنوا مسجد قباء ، وهو مسجدٌ أسس على التقوى من أول يوم — بعثوا إلى

رسول الله أن يأتيهم فأتاهم فصلى فيه ، فحسدهم إخوانهم بنو غنم ابن عوف وقالوا نبنى مسجداً ونرسل إلى رسول الله يصلى فيه ، ويصلى فيه أبو عامر الراهب إذا قدم من الشام — وهو الذى قال لرسول الله عليه السلام يوم أحد : « لا أجد قوماً يقاتلونك إلا قاتلتك معهم » فلم يزل يقاتله إلى يوم حنين — فبنوا مسجداً إلى جنب مسجد قباء . وقالوا للنبي : بنينا مسجداً لذى العلة والحاجة ، ونحن نحب أن تصلى لنا فيه . فقال : « إنى على جناح سفر ، وإذا قدمنا من تبوك إن شاء الله صلينا فيه » . فلما قدم من غزوة تبوك سألوه الصلاة فى المسجد ، أو بعبارة حديثة ، سألوه أن يفتتح هذا النادى السياسى المستور الغرض ليكون ذلك أستر لغرضهم وأدعى إلى تقوية مركزهم ، وأكثر جاذبية للمسلمين ، فنزل قوله تعالى فضيحة لهم ، وبياناً لغاياتهم الخفية ، إنهم اتخذوا هذا المسجد « ضِراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين ، وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل ، وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى ، والله يشهد إنهم لكاذبون . لا تقم فيه أبداً . لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه » وهـذا هو مسجد قباء ؛ فأمر النبي أن يهدم المسجد الجديد وأن يتخذ مكانه كُناسة تلقى فيها القمامة . ومات أبو عامر الراهب بالشام ، وفسدت الخطة التى دبرها بنو غنم بن عوف « إن الله لا يصلح عمل المفسدين »

وكانت غزوة تبوك حداً فاصلاً بين سياسة المسالمة وسياسة العداوة الصريحة من المسلمين للمنافقين بعد أن هيأ الله لهم الفرصة زمناً طويلاً ليتوبوا ، فمنهم من تاب فعفا الله عنه ، ومنهم من أصر على كفره ، وغضب الله عليه ولعنه ، وأعد له جهنم وساءت مصيرا وانتهى عملهم بعد ذلك ، واستراح النبي من شرهم وضرهم

ومن كل ما كتبناه فى الموضوع يتبين أن الطابور الخامس فى القرآن هم اليهود والمنافقون ، وكانت سياستهم ترمى إلى التشكيك فى الدين ، والطعن فى النبي وآله ومحاولة صرف الناس عنه بتجريحه ، والأمل فى القضاء على دعوته سراً وجهراً بمعاهدته حتى يأمن لهم ، ثم نقض هذه العهود وقت الشدة ، فكان جزاؤهم ما حل بهم من قتل وتشريد ، وما أنزل الله فيهم من طعن وإهانة ، وما أعده لهم من عذاب أليم ، ثم نصر الله رسوله والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ، ويوم يقوم الأشهاد ، وكان حقاً عليه نصر المؤمنين .

عبد الرازق ابراهيم حميدة

خواطـــر فى الحرب

للأستـاذ محمد عرفة

لقد لعب قانونا الترف والخشونة أعظم دور فى هذه الحرب . فمن عرف فتك الترف بالشعوب ، وتقويم الخشونة للأخلاق ، وساعدته ظروفه على التخلص من الترف ، والأخذ بالخشونة ، كان له النصر على من لم يوفق لذلك

هذه ألمانيا ألقت سلاحها فى سنة ١٩١٩ ، فشرطت عليها شروط ، وفرضت عليها مغارم ، ظنت فى هذه وتلك أنها مجحفة بها ، فأرادت أن تدفع هذا الإجحاف ، فلم يكن ما يسعفها إلا قانون الخشونة فلجأت إليه وفرضته على الناس فرضاً

كان كل كسبها موجها إلى تعزيز قوتها ، لا إلى رفاهية أبنائها ، حتى شاعت فيهم هذه الكلمة : المدفع قبل الزبدة ، وكان المرء فيهم يعمل ولا يمل العمل . وكان عليه أن يكسب ما يسد منه بعض الغرامة ، وما يعول أسرته ، وما يكون منه شراء السلاح وإنماء قوة ألمانيا

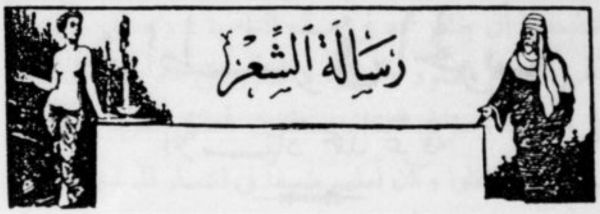
ما كان يستطيع أن يأتى بهذه المعجزات إلا قانون التقشف ، فبه وفرت هذا المال الذى أوجد هـذه الأسلحة التى لا تنفد ، ولو سلط على هذا المال الترف لابتلعه . وبه استطاعت أن تصبر فى ميادين الحرب المختلفة حتى كان الجندى يمكث أياما محاربا لا يذوق فيها النوم ولا الراحة

وهذه فرنسا لم توفق إلى ما وفقت إليه ألمانيا فى الاستعداد لهذه الحرب والأخذ بالخشونة فسلمت فى أول مراحلها

وهذه انجلترا وإن كانت قد تمتعت بثمر انتصارها فى الحرب الماضية ، وتباطأت لذلك فى الاستعداد عن ألمانيا ، ولكنها قد بدأت ، ودعت أخلاقها الموروثة التى ولدتها فيها الروح الرياضية المبنية على التقشف ، فاستجابت إليها ، فلما وقع حمل الحرب على كاهل بريطانيا وحدها لم تنؤ به ، ووجدت فيها ألمانيا خصما يساجلها ثباتاً بثبات ، ومقاومة بمقاومة .

ولم أسرد ما تقدم للمتعة ، ولذة القصص ، فما بى ذلك ، وإنما بى أن أضع يد قومى على موضع العظة ، وأدلهم على موضع العبرة ، وأبين لهم الترف ، وهدمه للأمم ، والخشونة وبناءها للشعوب ، فلعلهم يجديهم الموعظة ، ويكون منهم الاعتبار .

محمد عرفة



من أدب الحرب

محنـــة فرنسا

للأستاذ محمود غنيم

رحماكَ ربِّ إلام نصلى نارها ؟ ... فنىَ العباد ولم تضع أوزارها
غابت ملائكة السلام وأصبحت ... تذرو أبالسة الجحيم غبارها
قبضت على سكانها يدُ مارد ... جعل الصبيب من الدماء بحارها
رقطاء حول الكون لفّتْ جسمها ... فقضت عليه وما قضت أوطارها
فى كل واد ثورة مشبوبة ... لا يطفئُ البحرُ الخضم شرارها
حتى كأن الأرض من إعيائها ... سكنت وأخطأت النجوم مدارها
كتب الفناء على البرية ويحهم ... ما بالهم يستعجلون دمارها ؟
زمر من الأسماك ناطقة إذا ... ماجاعت ازدرد الكبار صغارها

***

حرب رأيتُ الجوع بعض سهامها ... فرضت على المتراشقين حصارها
غدت الجبال الشامخات سفينها ... والزاحفات من الحديد مهارها
الزيت والبترول من آلاتها ... والعلم ينفخ إن خبت أكوارَها
قد سيَّرت فوق الثرى دبَّابها ... وإلى الكواكب صعّدت طيارها
ملأت قذائفها المحيط فعكرت ... زبد البحار وكدرت أغوارها
يا بحر ما فعلت مياهك ويحها ... برفات قوم يسكنون قرارها ؟
كم لابن آدم فى المحيط عجائبا ... قلّتْ عجائبه الكثيرة جارها
ضجت بنات الماء منه وأوشكت ... تجفو الطيور لأجله أوكارها

***

يا رُبَّ شعب فى حماه وادعٍ ... جرفته لجتها نخاض غمارها
ومحاربين لغيرهم أسلابها ... لكنهم يتحملون خسارها
وذوى عروش طوحت بعروشهم ... وتخطفت من حولها أمصارها
تتطاير التيجان عن أربابها ... كالقِدر ترسل فى الفضاء بخارها
عبر على مر القرون تشابهت ... حتى أجاد العالم استظهارها
ورواية من عهد ذى القرنين ما ... برح الزمان مردِّدًا أدوارها
أو كلما كادت تتم فصولها ... منيت بشيطان يزيح ستارها ؟

***

سائل ضفاف السين كيف استهدفت ... للغزو واقتحم العدا أسوارها ؟
خط حسبنا الجن لو طافت به ... ولت أمام حصونه أدبارها
أتُرى فرنسا أطبقت أجفانها ... من خلفه وتجاهلت أخطارها ؟
هيهات لا الحصن المنيع أقالها ... كلا ولا الأدب الرفيع أجارَها
لا تعدم المرآة كسر زجاجها ... يومًا وإن كان الحديد إطارها
إن المعاقل لا تحصن أهلها ... ما لم تحاكِ طباعُهم أحجارها
قالوا : مهادنة . فقلنا : حبذا ... لو أن هدنتها تقيل عثارها
هيهات ما أرضت بذاك خصومها ... كلا ولا استبقت به أنصارها
ماذا تقول إذا الجدود تعثرت ... وإذا المشيئة أنفذت أقدارها ؟
وإذا قضاء الله أحدق بالشرى ... لم تلق آساد الشرى أظفارها
قالوا الملام لها فقلت : تريثوا ... يا قوم والتمسوا لها أعذارها
أو ما كفاها أنها ما سلمت ... حتى روت بدمائها أنهارها ؟
إن قيل عار أن تسلم أمة ... نهض الدم المسفوح يغسل عارها
إنى لأشفق أن يكون مصيرها ... أزرى بجوهرها وشاب نضارها
ومحا محاسنها فعدن مساوئا ... وأحال لؤلؤها فصار محارها
من يكبُ لم تعذِره عثرتُه ومن ... ينهضْ تقلدْه الأعادى غارها
والنفس تُعجب بالقوى وإن يكن ... جلادَ تلك النفس أو جزارها

***

أسألت باريس الجريحةَ مالها ؟ ... سل أهلها هل قوموا منهارها ؟
سلها بربك كيف ذل عزيزها ... وتحملت أسد العرين إسارها ؟
كيف الغوانى والمغانى بعد ما ... طمس المغير بجيشه آثارها ؟
بالله هل عاث العدو بأرضها ... وهل استرقَّ ببأسه أحرارها ؟

ماذا أصاب مدينة الأزياء هل   أبلى القتال المستحرُّ إزارها ؟
هل أظلمت آرادُها ولطالما   حسد النهار وشمسه أسحارها ؟
وهل المخابئ أصبحت مأوى لمن   كانت مقاصير المسارح دارها ؟
راعت أراملها الحروبُ وخلفت   فى حسرة لا تنقضى أبكارَها
من كل نافرة يدق فؤادها   لم ينفر الظبى الغرير نفارها
نفرت من الحرب الضروس وربما   كان النفار من الدلال شعارها
ما للتى ألف المزاهر سمعها   وزئيرَ آلات الوغى وخُوارها ؟
حملت همومَ الحرب فى باريس مَن   كانت يداها تشكوان سُوارها
كم غبّرت بدخانها وجهاً إذا   بصرت به شمس السماء أغارها
سائل عن القبلات أهليها أما   زالت تمس شفاههم تيارها ؟
كيف القلوب الخافقات صبابة   تفشى مواعيد الدجى أسرارها ؟
شهدت خمائلُها مواقع للهوى   ما حركت من خيفة أطيارها
شتان بين مواقعٍ ومواقعٍ   كلتاهما تشكو الضلوعُ أوارها

* * *

ما كنت يا باريس إلا روضة   منيت بسائمة رعت أزهارها
أصمى الحضارةَ من رماك فإنما   قد كان شعبك للبلاد أعارها
وجنت يداه على علوم طالما   أجريتِ شرعتها وشدتِ جدارها
ما ضرنى إن لم أزرها طالباً   وقد اقتبست العلم ممن زارها ؟
باريس أين دمشق أم بغداد هل   قصّتْ عليك رواتها أخبارها ؟
المدن مثل الناس فى آجالها   تفنى البلاد إذا قضت أعمارها

محمود غنيم
مدرس بمدرسة فؤاد الأول الثانوية

ذكرى الهمشرى

للأستاذ مختار الوكيل

طوِيَتْ بموتكَ صفحةُ الأحلامِ   وخَبت بفقدكَ شعلة الإلهامِ
لا النهرُ عند الفجرِ يرقصُ عابثاً   نَزِقا يُسِرُّ خوَافِتَ الأنغامِ
كلاَّ ولا البدرُ المظيمُ بمسعدٍ   فى الليل مهجةَ حاملِ الآلامِ !

* * *

مُنْذُ انطلقتَ مع الصباحِ مُسَارِعًا   بجناحِ مشتاقٍ ، صريعِ غرامِ
ونَزَعْتَ قَيْدَ الآدميةِ ساخراً   من نِيرِهِ ، ونَأَيْتَ دون سلامِ
عَلَّمْتَنِي أنَّ الحياةَ رخيصةٌ   ما دام عُقباها شرابُ حِمامِ !
والمجدَ والآمالَ غُلَّةُ ظامِئٍ   فى البِيدِ ما يَحْظَى بِبَلِّ أُوامِ !

* * *

قد أجدبَ الروضُ النضيرُ وصَوَّحتْ   أزهارُهُ وذَوَتْ على الأكمامِ !
والطيرُ شالَتْ عنهُ إلا بومةً   قَبَعَتْ هناكَ حليفةَ الإظلامِ
تُحْيِي الأماسى بالنعيبِ فيالها   من بومةٍ تشدُو بلحنٍ دامِ !
فَلَعَلَّهَا تبكيكَ في غَسَقِ الدُّجى   وتصوغُ مرثيةً من الأوهامِ !
ولعلها تأتى بلحنٍ صادقٍ   وَتَنِي بِدَمْعٍ فى الخُطوبِ سِجَامِ
وَلَرُبَّ لحنٍ عَاثِرٍ مُتَجَهِّمٍ   يَذَرُ النهى نشوى بِغَيْرِ مُدَامِ !

* * *

لَبَقِيتَ حتى فى خَفِيِّ سرائرى   وخَلَدْتَ حتى فى نُهَى الأيامِ
فإذا هَجَعْتُ فأَنْتَ فى أحلامِي   وإذا مَشَيتُ فأنتَ أَنْتَ أمامِي !
عَجَبِي مِنَ الدُّنيا ! أَأَنْتَ مَعَ البِلَى   أمْسَيْتَ كَوْمَةَ أعظُمٍ وَحُطَامِ ؟
وَيْلُمِّهَا[1] ! مَا إنْ جَلَتْكَ يَتِيمَةً   فى النـــاس حتى عَاجَلَتْكَ بِحِمَامِ

* * *

أَسَفِي لِفَقْدِكَ لا يُعَادِلُهُ سِوَى   سُخْرِي مِنَ الدُّنيا وَمِنْ آلاَمِي !
لا تَجْزَعَنَّ فَمَنْ قَرِيبٍ نَلْتَقِي   فى عالمِ النِّسْيَانِ وَالأَحْلاَمِ !
وهناكَ أُصْغِي للقريض تَصُوغُه   فى نَسْجِكَ الْحُرِّ الرفيعِ السامى
ونَقَرُّ لاَ هَمٌّ هُنَــاكَ يَؤُمُّنَا   مِنْ عَالَمِ الوَيْلاَتِ والإجْرَامِ !

مختار الوكيل

(١) ويلمها : أي ويل أمها . وهي لغة كثيرة الورود فى الشعر القديم

رسالة الفن

بالفن الى الله :

« هاللويا » كما قال داود !

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

روح قوية جارفة ، وجسم قوى حديد . الروح نزاعة إلى لذتها وسعادتها فى أعلى عليين ، والجسم نزاع إلى راحته ومتعته فى أسفل سافلين ، وصاحبهما بهما مسكين ، يرتفع وينخفض ، و (ينشال) وينحط ، ولا يملك أن يستقر ، لا فى الأرض ولا فى السماء ، فهو فى تخبط دائم ما بين مَسْمى روحه وما بين مهبط بدنه كأنه مجنون ، أو هو مجنون ، والجنون فنون ، والفنون جنون . . .

منى على الدنيا السلام

آخر ما غنى فى حياته دور « أنا هويت » ، وآخر بيت فى هذا الدور هو :

ما دمت أنا بهجره ارتضيت منى على الدنيا السلام

وراج دور الوداع هذا فى الناس ، وسمعه أولئك الذين كان يحبهم سيد درويش ، ومن بينهم تلك التى ظل يغنى لها طول حياته على البعد منها وعلى القرب ، فلم يشعر الناس ولم تشعر هى بشىء وراء هذا الكلام ، لأنه لم يكن أحد يتوقع الموت السريع لهذا المغنى الشاب المملوء صحة والمملوء حياة . . .

إلا هو ... فقد كان يتوقع الموت وينتظره ويهيء له نفسه ...

دعا صديقه الأستاذ بديع خيرى إلى بيته بعد هذا الدور وقبل وفاته بأيام ، وجلس معه فى حجرة علقت على أحد جدرانها صورة من صوره ، وفيما هما يتحادثان سقطت الصورة المعلقة ، فالتفت إليها سيد ، ثم التفت إلى صديقه بديع وقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، فقال له صديقه بديع : إن هذا حق ، ولكن ما الذى أجرى بهذا الحق لسانك ؟ فقال له سيد : ليس لسقوط هذه الصورة معنى إلا أنى سأموت . فقال له بديع : إنك مجنون ، وكان بديع يقصد بقوله هذا أن ما جال فى ذهن سيد ليس إلا وهما خيله له الجنون ، بينما الحق أن الذى جال فى ذهن سيد ليس إلا علماً يكشفه الجنون

آمن سيد بأنه ذاهب ، إيمان الجنون ، نخف من القاهرة إلى الإسكندرية ليودع ليلاه ، وإن كان قد أعلن لنفسه وللناس عزمه على السفر إلى إيطاليا ، فهو لم يكن يعرف عن نفسه أنه يعلم الغيب وما كان أحد ليعلم الغيب ، وإنما هو اضطراب يتلاطم فيه إحساسه بتفكيره ، فهو يقول القول أو يعمل العمل منطلقاً وراء شعور كامن فى نفسه قد يميزه وقد لا يميزه ، فإذا ميزه اطمأن عقله إلى تبريره ، وإلا اضطر عقله إلى السعى وراء تبرير ما يطمئن إن حقاً وإن زورا ...

بينه وبينها

سيموت وسيسافر إلى إيطاليا ...

زارها ، أو استدعاها ، أو التقى بها

— بأى شىء جئت لنا من القاهرة ؟ مانجة ؟

— لا ... بل « بأنا هويت »

— سمعته

— وما رأيك ؟

— « أنا عشقت » أحسن

— أحسن أو غير أحسن ... إنى انتهيت

— وكيف ؟

— سأموت ... قريبا جداً . وبعدها ستدركين أنك قد خسرت شيئاً كان يجب عليك أن تكرميه عند ما كان بين يديك ... أعوذ بالله منك ... كل الناس يهتزون ويرتجون لهذه الأغانى التى أذيعها فيهم إلا إياك ... جامدة كأنك الحجرة ، ومع أنى أعلم أنك حجرة فإنى لا أغنى إلا لك أنت وحدك . حقاً هو قضاء الله وقدره ، وليس لقضاء الله وقدره رد ولا دافع .

— الكوكايين أفقدك عقلك ...

— الكوكايين هجرته ...

— ولكن بعد أن قضى عليك ...

لم يقض علىّ أحد غيرك ... إن مت فدى فى يديك ، وإنه يتساقط من بين شفتيك ... لقد شربت منه حتى ارتويت وحتى جفت الحياة فىّ ...

— مجنون

— ولم أجن إلا بك ... لو أنك أعطيتنى من روحك مثل الذى أخذت من روحى لكنت عشت غير ما عشت ، ولكنت غنيت غير ما غنيت ... ولكن الحمد لله ... فما فى روحك خير ، وما كانت مثلك لتلهمنى شيئاً ...

— ولكنى ألهمتك

— كلا ... وإنما ألهمنى البعد عنك ، والحرمان منك ... قد كنت أستطيع أن أستبدل بك صنما ، قد كنت أستطيع أن أعشق عوضا عنك سلحفاة أو ثعبانا ...

— هل تقول « ثعبانا » يا سيد ... إننى لم أضرك مع أنى كنت أستطيع أن أضرك ، وأنت تعرف أنى أستطيع أن أضرك يا سيد ... فهل هذا جزاء الرحمة منى

— إنك لم تكونى تستطيعين لى ضراً ، كما أنك لم تكونى تستطيعين لى نفعاً ، وربما كنت تستطيعين لى ضراً لو أنك كنت رأيت غيرى أحبك ... ولكن أحداً غيرى لم يحبك ... وإن كان أحد غيرى قد أحبك فكما تعرفين الحب عند الناس ... كلام يقولونه هو التغرير والغش ... هو الخداع يرمون من ورائه إلى اللهو بك والعبث بجسدك ... أنت تعرفين هذا ، وأنت تعرفين أنى وحدى الذى تحدى شرك بخيره ، وكذبك بصدقه ، وخيانتك بوفائه ، ودعارتك بطهره : إن حبى لك كان تكفيراً عما أسأت إلى أهلى ونفسى . سأقف به أمام الله وأقول له يارب يا من أودعت هذه الأفعى من فنك سحراً غلفته بالموت والسم ... أنا وحدى من خلقك الذى رأى هذا الحسن وتغنى به ... فاغفر لى يارب كل ما ارتكبت من سوء وشر فما هما إلا آثار السم فى نفسى

— يا سيد ... يا سيد ... ليست هـذه المسرحيات بجائزة علىّ أنا إن جازت على الناس طراً ...

لست « أتمسرح » عليك ، وإنما هذه هى روحى ... هذه هى نفسى .. ولو لم أكن هكذا طلقاً حياً فيضاً لما استطعت أن أجرف من جرفت من أهل الفن العتاة على رسوخ أقدامهم فى الميدان الذى جندلتهم فيه ، وعلى ثبوت أشباحهم فى الحلبة التى صرعتهم فيها ... خبرينى ... من منهم استطاع أن يباسك أمامى ... من منهم قاومنى ولم يفر من طريقى ... من منهم ارتفع له صوت منـذ ارتفع بالغناء صوتى ... كلهم ذابوا ... لأنهم هم الذين كانوا يمثلون ويتكلفون ويتصنعون ، أما أنا فإن غنيت فإنما أغنى من قلبى ، وإن تحدثت فإنما أتحدث بروحى ... أنا الأصل الذى يمثله أولئك وغيرهم ... وأنت تقولين عنى إني أمثل ... أنا يا هذه سابق جيلى ... أنا يا هذه ستقدريننى بعد موتى ... وإنى لأشعر بأن الغيب يضمر كاتباً صغيراً سيطرق هذا الدرب الذى طرقته ، وسيذوق هذا المر الذى ذقته ، وأنه سينصفنى منك ... أنصفه الله من ثعبانه هو أيضاً ...

— هو ؟ من هو ؟

— لا أدرى !

— مجنون ! ... هل لك فى كأس ؟ !

— هات كأساً وكأساً وهات العود ... وهات شمة إذا كان عندك ...

— أما قلت إنك هجرته ...

— والآن بفضل عطفك وحنانك رددته ...

... وجاءت له بالعود ، وبالخمر ، وبالكوكايين ... ودعت له أتباعه وأصدقاءه ... وجلست إليه وراح هو يغنى ...

وظل يغنى ... ويغنى ... وليلتها مات !

هاللويا

فأى شيء غنى ليلتئذ ...

غنى « أنا هويت » ...

ولكن كيف غناها ؟ ...

غناها كما كان داود يرتل مزاميره ... كانت روحه تتقلص من بدنه فى كل شهقة وفى كل زفرة ... كان ينتفض فزعا من دنياه إلى بارئه شكاية ، وتسبيحا ...

كانت نفسه تصغى إلى النداء الآتى من الغيب فى خفوت

لا تسمعه الأذن وإن استجابت له الروح ...

كان يقول لربه : لبيك لبيك يا رب ... قالها معنى وإحساساً ونغماً وإن لم يفصلها لسانه لفظاً وحرفاً ...

لقد بكته

وبعد أن رحل سيد أدركت الظالمة أنها كانت ظالمة ، وأخذت تراجع نفسها وتسائلها : لماذا ظلمته ؟ ولماذا حرمته مما كان يطلبه منها على أنها كانت تعطى غيره ممن هم دونه حلاوة وبهاء وروعة ما كان يسعده بعضه لو أنها أعطته بعضه ...

وأخيراً أدركت السر

عرفت أنها كانت تنفر منه

قد كانت هى غانية ، وقد احترفت العبث بالنفوس وأتقنت هذا العبث ، وقد استهوته أول ما استهوته بدمعة ذرفتها من عينها عمداً ، وشكوى مدبرة باحت له بها قصداً ، لما رأته يتردد على مجلسها مغنياً تتعالى روحه عليها ، فما ينظر إليها نظرة الإعجاب المفرضة المتعجلة التى كان يوجهها إليها الناس جميعاً ، وإنما كان يراها كما يرى الإنسان الإنسان ، ويفتح لها نفسه كما يفتح الصديق نفسه لصديقه ... وقد رأت فى نفسه صورة قديمة لغرام قديم علمت أنه الذى يشغله عنها ... ورأت هذه الصورة القديمة أحاطها بإطار من الإخلاص والإجلال اشتهت لنفسها مثلهما ...

فزحفت إليه ... ولكنها فشلت معه فى كل محاولة حاولتها ...

وأخيراً صرعت هـذا الجبار بالدمع ... والدمع آخر سلاح تلجأ إليه المرأة ، وهى إن لجأت إليه لم تنس فيه مرارة الذل الذى دفعها إلى حمله ... فإن أفلحت به فى اقتناص فريستها ، فالويل بعدئذ لهذه الفريسة فلن ترضى المرأة منها إلا بدمع ودمع ودمع ودمع ... ولن تعطى هى بهذا الدمع شيئاً لأنها تذكر دائماً أنها سبقت وسفكت قبله دمعاً ...

هو ثأر !

والجبار يحتمله لأنه يذكر دائماً أن الذى صاده ذل ، وكل جبار شديد العطف على كل ملوع بائس ...

استدرجته إذن بهذا ... ثم راحت تجمع الناس عليه ، فإذا بالناس ينفضون عنها إليه ، مع ما كانت تتفنن فى لفت الأنظار أو الأسماع إليها فى حضور سيد ، فإن الأنظار والأسماع والأفئدة كانت تنفر منها إليه فقد وجدت فيه غذاء للأرواح ومتعة ...

وهكذا أصبح الثأر ثأرين ...

وبعد موته ... نسيت هى هذين الثأرين ، وحز الأسى فى نفسها حزاً إذ فقدت الذى آمنت أخيراً بأنه كان خيراً منها ألف مرة وأنه مع هذا كان يحبها كما قال قضاء وقدراً ...

له الفاتحة

« بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين . إياك نعبد وإياك نستعين . إهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم . ولا الضالين . آمين ... »

... آية من فن الله الأسمى . هى خير ما يهدى إلى روح اللهم الذى غنى ، فأطرب وأشجى ، وأضحك وأبكى ، وسبح بالمدى فناً ، نغماً ولحناً ، ما أجهده الفن وما أضنى ، وإنما كان وحياً يوحى . تبارك الذى أوحى

عزيز أحمد فهمى



غذاء العواطف والعقول

نشرت الرسالة كلمة للآنسة فوقية كامل فى الاعتراض على ما عقَّبنا به على كلمة الدكتور مشرَّفة بك : « العواطف من القُوى الأساسية فى حياة الإنسانية ، وهى تحتاج إلى غذاء كما تحتاج العقول » فقد نهينا القراء عن تصديق هذا الكلام ، ودعوناهم إلى متابعة أخبار الحرب بين الانجليز والألمان ، فأخبار الحرب هى زاد العواطف والعقول فى هذه الأيام العجاف !

والآنسة فوقية كامل تسأل عن معنى ذلك النهى ومدلول هذه الوصية

وأجيب بأن ذلك متصل بأحاديث مرَّت فى الرسالة منذ أسابيع فى الرد على من يتوهمون أن الحوادث العمومية تصرف الناس عن شواغلهم الخصوصية ، ومن تلك الشواغل نوازع القلب والوجدان

وعلى ذلك يكون الكلام ورد مورد السخرية من الذين لا يرضيهم إلا أن تكون أيام الحرب ملاحم ومناحات ، فلا يهفو قلب فى إثر قلب ، ولا يظمأ روح إلى روح

وبهذا يُحَلّ الإشكال ، والسلام ! زكى مبارك

سرقة أدبية قبيحة

لسنوات مضت كتب الأستاذ الجليل خليل جمعة الطوال من مثقفى شرق الأردن بحثاً على صفحات مجلة الشباب التى كان يصدرها الأستاذ محمود عزمى عن « الشاعر الفارسى والفيلسوف الرياضى عمر بن ابراهيم الخيام » — وقد قدم لبحثه « بتوطئة » استعرض فيها تواريخ الآداب العربية تخلص منها إلى « حياته » و « تاريخ ولادته » و « تصانيفه » و « رباعياته ومن قام على ترجمتها » — وختم بحثه بذكر أسانيد البحث ذاكراً أنه استمده من المصنفات الآتية :

١ — موسوعة العلوم البريطانية ج ١٦ ص ٧٨٦ طبعة ١٤

٢ — فيتز جرالد The Quatrian of Omer alkhayam by Fitiz Gerald

٣ — نزهة الأرواح للشهرزورى

٤ — تاريخ الحكماء للقفطى

٥ — جامعة التواريخ لرشيد الدين

٦ — Reinaudo geographie d'abaulfeda

٧ — ديوان عمر الخيام لأحمد صافى النجفى

٨ — ديوان عمر الخيام تعريب أحمد رامى

ومن العجب العاجب أن هـذا البحث الذى عالج فيه كاتبه مصاعب الاطلاع على المصادر السالفة مسنداً كل جملة إلى المصدر الذى استقاها منه يسطو عليه الأستاذ عبد الحميد سامى بيومى كما تنمته مجلة الثقافة فينقله إلى مجلة الثقافة فتنشره له بعددها ٨٦ الصادر فى ٣٠ أغسطس سنة ١٩٤٠ بعنوان عمر بن ابراهيم الخيام حياته وفلسفته !!! ...

(جرجا) محمود عساف أبو الشباب

الغناء المصرى

سيدى الأستاذ رئيس تحرير الرسالة

بعد التحية . إننى أعتقد أن الأستاذ سيد قطب فى مقاله عن الغناء المصرى قد ظلم المؤلفين خصوصاً بعد أن نزل إلى ميدان التأليف الغنائى كثير من أقطاب الأدب المصرى أمثال شوقى بك والأستاذ رامى وغيرهما . ونظرة واحدة فى أغنية « فى الليل » من شعر شوقى وفيها البكاء والأنين والنوح والشوق الخ ، ترينا أن الذنب فى الضعف ليس ذنب المؤلفين . وما يقال عن شوقى بك يقال عن رامى وغيره . وقد أحصيتُ أكثر من خمسمائة أغنية مصرية قديمة وحديثة ووجدتها إما أنها تحتوى على الضعف الذى ينعيه الأستاذ سيد قطب ، أو على إغراء رخيص للميول الجنسية ، وقد سبق أن تألفت لجنة من أفاضل الأدباء للعمل على ترقية الأغانى المصرية والسمو بها عن هذا الضعف ، وكان من بين أعضائها شاعر اشتهر بمجموعة أغانيه التى تنشرها له الصحف الأسبوعية ، ولم أجد فيمن ألف من اقترب من شكسبير الذى تعتبر أغاريده القياس الحى للأغانى ولو أن من القسوة أن نقارن شعراءنا بشكسبير ، إلا أن النهوض بالأغانى يجعلنا ننظر النظرة السامية لهذا الشاعر

الذى كان إذا اضطرمت عواطفه لا يلجأ للبكاء والنحيب بل كان يخرج من أزماته النفسانية رجلاً كامل الرجولة ، مما كتب لأغاريده الخلود

إن العلة إذن ليست فى التأليف ولا فى التلحين ، بل هى تتجه لنفسيتنا الخاصة ، فقد حتمت الظروف الطبيعية أن تتجاوب النفس المصرية بعاطفتى الفرح والحزن فى آن واحد لسبب واحد ، وتأصلت هذه النفسية فينا من أقدم العصور وورثناها عن أسلافنا فأصبحنا مثلهم نجد اللذة فيما يحزن كما فى أغانينا المريضة ، وقد كشفتُ أثناء إقامتى فى صعيد مصر عن سر هذه النفسية المعقدة ونشرت ملخصاً عنها فى البلاغ يوم ١٥ مايو سنة ١٩٣٣ بعنوان: « ندب النساء فى مصر وما يعرف عندنا بالعديد » ، وقد ذكرت فى هذا البحث أن نغمة الصبا محببة إلى قلوبنا لأنها تميل إلى الحزن ، وقد أيد الأستاذ الكبير العقاد هذا الرأى بعد ذلك بسنوات فى مقال له فى الجهاد عن « أغانى الزفاف والأفراح » وعلى ذلك يجب ألا نلوم التأليف أو التلحين ، لأن هذا الضعف عنصر من عناصر طبيعتنا المصرية ، وأرجو أن أتمكن قريباً من نشر بحثى الخاص بهذا الموضوع كاملاً

« كوم حمادة . بحيرة » كامل يوسف
عضو بالمعهد البريطانى الفلسفى بلندن

المعانى شائعة ، ولا تجوز الملكية فيها

تحت هذا العنوان فى عدد من الرسالة مضى كتب الأستاذ محمد عبد الغنى حسن مقالاً طريفاً ضمنه دفاعاً حاراً عن طائفة الشاعرين والناثرين ضد غارة جماعة الناقدين الذين يعطلون بنقدهم المواهب المتوثبة والاجتهاد المطرد . فعنده أن المعانى شائعة ولا يجوز أن نعد مَنْ يهتدى إلى تسجيل معنى قد سجله مَنْ سبقه ، ناقلاً ، أو سارقاً ، أو لصاً ؛ بل إن المعانى الإنسانية زاخرة تضطرم بها كل نفس ، ويجيش بها كل صدر ، وليست وقفاً على طائفة دون الأخرى . وهذا حق ، فما المعانى إلا وليدة مؤثرات تكاد تتشابه فى كل الأعصر والأزمان ، والناس هم الناس فى كل مكان ، فلا مبرر إذن لهذه الغارات إلا إذا كانت السرقات بينات ...

ولكن اقرأ معى هذين البيتين لكبيرين من الشعراء قيلا لغرض واحد ثم انظر ماذا ترى

قال المرحوم أحمد شوقى على لسان « أنوبيس » الكاهن فى رواية (كيلوبترا) يخاطب غزاة مصر من الرومان :

قسما ما فتحتمو مصر لكن قد فتحتم بها لرومة قبرا

وقال الأستاذ حسن القاياتى يخاطب حفدة الرومان الذين يغنون فتح لوبيا :

وما ملكوها غير نزلة ساعة وما القبر مملوكا لمن فيه ينزل

ألا ترى معى يا سيدى أن المعنى واحد فى البيتين ، وأوشك أن أقول إن أحدهما مأخوذ من الثانى ؟ فلمن تعطى الأفضلية فى الاهتداء إلى هذا المعنى النبيل ، أم تقول إن المعانى شائعة ولا يجوز فيها الملكية والاختصاص وكفى ؟

محمود المرسى خميس

حول « الجندول »

سمعنا أغنية « الجندول » مرة أخرى مسجلة على اسطوانات بعد ما سمعناها على شريط ماركونى ، وكنا نود من الأستاذ عبد الوهاب أن يتلافى — فى هذه المرة — الأخطاء التى وقعت منه فى المرة الأولى ، حتى يعيد إلى هذه القصيدة الجميلة ما أضاعه من معانيها الرائعة . فها هى ذى الأخطاء تمادعلينا ثانياً كما هى (فُسرى الجندول) كما فى ديوان الشاعر بضم السين ، يقولها (فَسرى) بالفتح ، و (ذهبى الشَّعر) بفتح الشين يقولها (الشِّعر) بالكسر ، والمعنى كما هو مفهوم الشَّعر لا الشِّعر ، (ويوم أن قابلتَه) بفتح التاء يقولها (قابلتُه) بالضم . ونحن هنا نريد أن نسأل الأستاذ عبد الوهاب عن السبب فى تكرير هذه الأخطاء مع أنها ظاهرة ، وقد أشار إليها كثير من النقاد ؟

محمد السيد شوشة

غلطة !

أستاذنا « الدكتور مبارك » مولع بتعقب الأخطاء اللغوية التى يقع فيها كبار الأدباء والكتاب ؛ حتى إنه تمنى أن تسجَّل دروس اللغة العربية التى يلقيها المدرسون المختصون على طلاب المدارس الثانوية بوساطة المذياع ... حتى يتسنى له أن يحاسب هؤلاء المدرسين على ما يقعون فيه من أخطاء محاسبة المفتش المختص . فلعله أن يكفكف من حدته ، ويلتمس لهم العذر

إذا نحن نبهناه إلى غلطة مكشوفة وقع فيها وهو من هو ، أجل ، فقد أورد فى كلمته المنشورة بالعدد الفائت من « الرسالة » الغراء هذا البيت :

فلا تحسبوا هنداً لها الغدر وحدها
سجيةَ نفس ، كلُّ غانية هندُ

بفتح تاء سجية ! ولا شك أن هذا خطأ والصواب ضمها ، وسبب ذلك لا يخفى على مثل الدكتور الفاضل .

ابرهيم محمد نجا

استدراك

سقطت من مقال « من عجائب الفهم أيضاً » للأستاذ زكى طليمات ، وذلك فى العدد ٣٧٤ صفحة ١٣٨٩ فيما بين السطرين السابع والثامن من العمود الثانى ، الفقرة الآتية :

« والمسرحية لا تنهض بناحيتها الفلسفية فحسب ، بل هناك عناصر أخرى تستند إليها وتستمد منها رونقها وبهاءها . وأهم هذه العناصر بلاغة العرض لحوادثها ، وجودة الحبك لمشاهدها ، وبراعة الحوار ، ومبلغ توفيق الكاتب فى تقدير المعلوم واستكناه الغامض مما يجول فى أقطار النفس البشرية ، وذلك عن طريق شخوص مسرحيته . وأعتقد – وأنا رجل مسرح – أن فى مسرحية « مفرق الطريق » لبشر فارس شيئاً كثيراً من هذا »

إلى الأستاذ ابراهيم أدهم

كان لوفاة المرحوم شقيقكم الدكتور اسماعيل أدهم وقع شديد فى نفوسنا لما له من اليد الطولى على الأدب العربى

وإنى أرجو من الأخ أن يسمح لى أن أسأله عدة أسئلة إظهاراً لما غمض علينا من حياة الفقيد :

أولاً : هل صحيح أن الدكتور إسماعيل أدهم ذهب إلى روسيا ونال درجة الدكتوراه ؟ وإذا كان قد مكث فى روسيا فكيف أذنت له الحكومة المصرية بدخول الأراضى المصرية ؟ وما هى المدة التى مكثها فى الأراضى الروسية ؟

ثانياً : هل صحيح أن الدكتور أدهم كان ملماً باللغة الألمانية ؟ ولقد أخبرنى من أثق به أنه أثناء التحقيق معه بصدد كتابه (لماذا أنا ملحد) تبين أنه لم يكن يعرف الألمانية بل ولا الروسية أيضاً ، وما هى المدة التى قضاها الفقيد فى تركيا ؟

ثالثاً : هل ألف الفقيد كتاب (لماذا أنا ملحد) أم ترجمه وعن أى لغة ترجمه ؟

هـذا ونرجو من الأستاذ الفاضل أن يظهر لنا الحقيقة على صفحات الرسالة الغراء

ابرهيم حسنى البربرى

نوّت بالحمل وناء بى

قرأت ما جاء فى عددى الرسالة الغراء ٣٧١ و ٣٧٣ خاصاً بهذا التركيب « نوّت بالحمل وناء بى » وما أثير حوله . ولقد أحسن الأستاذ أبو الفضل الدباغى حين ساق الآية الكريمة : « وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة » سنداً قوياً يدعم به رأيه فى أرجحية التعبير بالشطر الثانى من التركيب « ناء بى الحمل » ومؤيداً بذلك رأى الأستاذ على الطنطاوى

وقد رأيت خدمة للعربية أن أورد بعد التقرى والجهد ما ذكره (المبرد) خاصاً بهذا التركيب وأمثاله . قال رحمه الله معلقاً على معنى فى بيت الفرزدق :

وأطلس عسال وما كان صاحباً
رفعت لنارى موهناً فأتانى

هكذا الرواية . قال : « رفعت لنارى من (المقلوب) ، إنما المراد رفعت له نارى والكلام إذا لم يدخله لبس جاز القلب للاختصار . قال الله عز وجل : « وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة » . ومن كلام العرب : إن فلانة لتنوء بها عجيزتها . والمعنى لتنوء بعجيزتها

وقد سبق إلى هذا القلب كثير من شعراء العرب . أنشد أبو عبيدة للأخطل :

مثل القنافذ هدّاجون قد بلغت
نجرانُ أو بلغت سوآتِهم هجرُ

فجعل الفعل للبلدتين على السعة . وأنشد الفرزدق :

غداةَ أحلّت لابن أصرم طعنةً
حصين عبيطاتُ السدائف والخمرُ

بنصب طعنة ورفع عبيطات والخمر على ما وصفنا من القلب ، غير أن الكسائى أنشده عكس ما أسلفنا ، فرفع طعنة ونصب عبيطات رائياً عدم القلب

وعليه فالرواية بكلا الشطرين صحيحة فى محض العربية

محمود مصطفى بدوى

الكتب

على هامش التاريخ المصري

لمؤلفه الأستاذ عبد القادر حمزة باشا

للأستاذ عباس محمود العقاد

إذا حكم القارئ على هذا الكتاب من عنوانه ظلمه كما ظلمه مؤلفه الكبير بهذه التسمية

لأنه يتوهمه شذرات عرضية تحوم حول حواشى التاريخ المصرى القديم ، ولا تنفذ إلى صميمه أو تخلص إلى متنه ، وهو على نقيض ذلك أحرى أن يسمى « من عناصر التاريخ » أو من أسسه ، لأنه يلخص الأغراض التى من أجلها يدرس تاريخنا فى أدواره المختلفة ، ولا يمنع ذلك أن الكتاب لم يسلسل الأدوار من بدايتها المجهولة إلى نهايتها المعروفة ، ولم يفصل تراجم الملوك والأسر ملكا بعد ملك وأسرة بعد أسرة . فهذه كلها أرقام وأقسام ، والعبرة بما وراء تلك الأرقام والأقسام

وفى الكتاب فصول عن نشأة الحضارة المصرية وعلاقة الكلدان واليونان بها ، وعقائد المصريين فى الآلهة والحساب بعد الموت ، وما نسميه اليوم البروتوكول أو الآداب السلطانية عند الملوك الأقدمين ، ومقتبسات هومير والأدباء الإغريق من الاساطير الفرعونية ، وبحث عن التقويم المصرى وعن المعارك الحامية التى نشبت بين رجال العلم ورجال الكنيسة فى القرن الثامن عشر من جراء الكشوف والآثار التى دلت على قدم وجود الإنسان فى وادى النيل وسبقه للأزمان المقررة فى عرف رجال الكنيسة ومفسرى التوراة بما سنح لهم من وجوه التفسير ؛ وكل بحث من هذه البحوث شاف فى موضوعه مغن عن مراجعة الأسفار الكثيرة نافذ إلى اللباب المختار

وللكتاب مزيتان قيمتان بين كتب التاريخ : إحداهما أسلوب رائق بلغ من صفائه وإحكامه وسلاسته أنه يمتع القارئ بالأدب إلى جانب المعرفة التاريخية ، وأنه يرسل النضرة فى أوراق البردى اليابسة فإذا هو مخضوضر رفاف

والمزية الثانية أن الطريقة التى تناول بها الكاتب القدير موضوعاته طريقة موحية تفتح أمام الفكر أبواب التأمل والنظر ولا تقصره على ما يراه أمامه ماثلاً فى الكلمات والسطور

كنت أقرأ فصله عن الخلاف بين رجال العلم ورجال الكنيسة على تاريخ نشأة الإنسان فتحضرنى أمثال هذه الخلافات وأسأل هل يعادى هؤلاء الناس العلم أو يعادون الدين وهم يزعمون أنهم نصراؤه والغيورون عليه ؟ ففى الحقيقة هم يضيرون الأديان عامة ولا يضيرون العلوم أقل ضير ، فلو صدق الناس ما كان رجال الدين يفرضون عليهم تصديقه لشك الناس فيما يفرض عليهم ولم يشكوا فى الحقائق العلمية التى لا تقبل الجدل ولا تصبر عليه إلا إلى حين

وكنت أقرأ تارة فى هذا الفصل وتارة فى ذاك شيئاً عن عادات المصريين فى تسجيل المحفوظات أو فى التحنيط أو فى تدوين المعارف والملاحظات أو فى إحصاء السنين والأزمان ، فيوحى إلىّ ذلك كله معنى جديداً من معانى الفوارق العجيبة بين ثقافة المصريين وثقافة الإغريق

فها هنا حاسة تاريخية تثبت فى النقوش مظاهر الحياة لأنها تثبت كل شىء للحفظ والتذكار والبقاء

وها هنا حاسة علمية تثبت الظاهر لتنظمها فى سلسلة المعارف والمشاهدات الملحوظة

وما سر هذا الفارق بين الثقافتين ؟ هل سره امتياز فى عقول اليونان أو عجز فى عقول المصريين كما يحب الأوربيون أن يقولوا أو كما قالوا فى دراسة الحضارات والأجناس ؟

كلا ... بل سره أن المصريين أصحاب تاريخ وولع بالتخليد راجع إلى قدم الكهانة وسيطرتها على المعارف والأفكار ، وأن الإغريق لم يشعروا بضرورة التخليد ولا بأعباء الكهانة الموروثة فالتفتوا إلى مظاهر الحياة للعلم ، ولم يذهبوا بها مذهب الحفظ والتقديس . ويؤيد هذا أن الأوربيين غلبت فيهم صبغة الكهانة على صبغة المعرفة حين استقر للكهانة بينهم تاريخ طويل

وتقرأ الكلام عن معاملة الأسرى أو عن عروس النيل أو عن دساتير الحكم فإذا أنت مسترسل مع إيحاء الخواطر إلى حوادث هذه الأيام ، وإذا بالزمن الغابر قد دبت فى عيدانه اليابسة نضرة الحياة

مجلدان آخران من قبيل هذا المجلد الأول كفيلان بنقل الزمن القديم فى مصر إلى عالم الحياة الحاضرة ، فقد كفانا من التاريخ ما يخرجنا من الحياة الحاضرة إلى الزمن القديم .

عباس محمود العقاد

من الأدب الفرنسى

قصـائد وأقاصيص

لصاحب الرسالة

بقلم الأستاذ « عابر سبيل »

تفضل المحرر الأدبى بجريدة الدستور فكتب هذه الكلمة الكريمة :

لم يكد ينقطع الحديث بعد عن كتاب « وحى الرسالة » الذى قدمه لقراء العربية الأديب الكبير الأستاذ أحمد حسن الزيات ، حتى طلع علينا قلمه الزاخر بفيض جديد من أدبه الرفيع فى كتابه الجديد « من الأدب الفرنسى » ، وهو مجموعة من فرائد الأدب الفرنسى لأمراء الشعر والنثر فى فرنسا الخالدة : « لامرتين ، وهوجو ، وشاتوبريان ، وجى دى موباسان » .

نقلها الأستاذ من مكانها فى قمة الأدب الفرنسى إلى نظيره فى قمة الأدب العربى ، بأسلوب عربى لا حاجة به إلى التقريظ والإشادة ، ولا حاجة لصاحبه إلى كلمة ثناء بعد إذ شهدت كل آثاره الأدبية موضوعة ومعربة ، منذ أن عرب « آلام فرتر » إلى اليوم ، بأنه يختص فى عالم البيان بطريقة لا يشركه فيها كاتب ، وطابع لا أثر فيه للتكلف والاجتهاد ، وإنما هو طبع أدبى مستوعب لأسرار البلاغة العربية ، وذوق موهوب فى صياغة الجملة العربية من نثار لفظى متخير بحيث لا تند كلمة فى المعنى عن أختها ، ولا ينحرف جرسها عن الموسيقى المنسابة فى سائر الجمل والتراكيب ، وبحيث لا يصدم سمعك نبو فى الجرس ، ولا يرهق لسانك جسوء فى المخرج ، ولا يتعب يدك بحث فى القاموس عن معنى نافر غريب لكلمة وحشية جافية . وتتضافر كل هذه القوى البيانية لإبراز معنى من المعانى يتلبس بها جميعاً تلبس المطر النافع لأكام الزهرة الندية ، من أية ناحية تلمستها بدهك منها العبير المشبوب . ومعانى « الزيات » فى أغلب موضوعاته ومترجماته تهدف دائماً إلى نور الحق والخير ، وجمال الحب والرحمة ، وسحر الآلام الإنسانية الرفيعة التى تتموج بها قلوب الشعراء والعشاق والبائسين من بنى الأرض . ومن يقرأ طرفاً من شجن « رفائيل » وحيرة « فرتر » فى معربانه لهاتين القصتين العالميتين ، ويجرى وراء قلم الزيات فى فصوله المتماوجة منذ أنشأ « الرسالة » وأشرف على تحريرها إلى اليوم يدرك مدى هذه الحقيقة فى أدبه سواء فى ذلك الموضوع والمعرب . ويكفى أيضاً لإدراكها أن تطالع فصول الكتاب الجديد وتقف على عظمة اتجاه المعرب فى اختيار الموضوعات الإنسانية الرائعة التى عالجها الشعراء والكتّاب الفرنسيون الذين عرب لهم ؛ فالذى يطالع منها قصيدة « الشاعر المحتضر » للامرتين يتمنى من أعماق روحه أن لو كان هو ذلك الشاعر الفانى الذى يودّع الدنيا وعلى قيثاره آخر نغم من أنغام الحب والجمال ، وعلى فمه عطفة السخرية الماثلة بالمجد الذى يغنى العالم جيلاً بعد جيل فى سبيله ، وما هو إلا لفظة جوفاء مجرودة من كل هذه المعانى الزائفة التى خلعها عليه الإنسان . وقصيدة « المستقبل التى وجهها فيكتور هوجو إلى نابليون عقيب اندحاره فى (واترلو) حافلة بأخلد المعانى الإنسانية التى تتفجر بها قلوب الأحرار من الشعراء حيال الطغيان البشرى الذى يجره المفترون بالبطولة والعنفوان ، المتحكمون فى رقاب العالم إشباعاً لشهواتهم وأنانيتهم ... إلى آخر ما فى هذه النفحة الجديدة التى يشاء القدر أن تطلع على الناس فى وقت نرى فيه فرنسا مهد الشعر والفن والجمال والحرية أصبحت ميداناً لأكبر صراع فى تاريخ البشرية بين الحرية والاستعباد ، وفى لحظة يمتكر فيها ضباب الطغيان على أعظم منار فى العصر الحديث للفنون والحضارة

فلا أقل من أن نؤول ظهور هذا القبس الأدبى فى ظلام المحن تحية صامتة لفرنسا وصوتاً جديداً يذكر الشرق بفضلها على الأدب الإنسانى كله وعلى الأدب العربى بوجه خاص ... نسأل الله هداية كتابنا إلى مثل هذا المجهود الأدبى العظيم الذى يضم به الزيات يداً جديدة من أياديه الخالدة على الثقافة المصرية والأدب العربى الحديث

« عابر سبيل »



القديس لا يحار

للأستاذ يحيى حقي

تحلّل القديس من قيود الوطن والأهل والأصدقاء ورحل يبلّغ رسالته للناس ، يبيّن لهم باطل الدنيا ودنس المال ، ويدعوهم إلى اللحاق به فى هجرته إلى الله وحده ، لا يملك شيئاً ولا يستقر بمكان

وسار وراءه نفر من أتباعه . رجال جاوزوا سن الثورة والاستهتار ، خشنوا الجلد والملبس ، إذا نزلوا بلداً سهل إيواؤهم وإطعامهم ... وتشييعهم ؛ ولو لم يتبعوه لظلوا أمام بيوتهم يصطلون الشمس طول النهار . ولكن من هذا الشاب الجميل الذى يسير فى مؤخرة الموكب مديد القامة عليه سمة النبل ، متئد الخطوة كأنه متبوع لا تابع . ما أصفى بياض يديه ورخوصة أنامله ، يشد بها حافتى مسوحه فكأنها مشبك من الأحجار الكريمة ... من يكون ؟ ولماذا يسير مطرق الرأس ؟

إنه النبيل « ع » ، الابن الأصغر لسيد مقاطعة نائية ، تربى فى كنف العز وعاشر السعداء ولم تقع عينه على بؤس . ولما مات الأب ، وورث الابن الأكبر لقبه وضياعه ، دعا أخاه المدلّل وقال له :

— لا أطيق أن أصبح مميّزاً عنك فأنفرد بالخير كله ، ومقامك فى قلب أبى الكريم كان فوق مقامى ، فإن شئت عشنا سوياً لك مالى ، وإن شئت اقتسمنا التركة بالتساوى

فأطرق النبيل « ع » برأسه ، ولم يجب ؛ ثم غادر القصر واعتكف فى كوخ صغير أياماً طويلة خرج بعدها يعلن لمن حوله أن هاتفاً هتف به بين اليقظة والمنام يدعوه أن التحق بالقديس . فلما ترامى الخبر للناس عدّوها كبرى معجزاته ، وأكبروا فى النبيل نزوله عن الغنى الواسع والعز العريض ، واختياره التكفف وسؤال الناس كسرة الخبز فى سبيل الله

طارت شهرة النبيل بين الناس وتزاحموا حول الموكب لا ليروا القديس ، فهم لا يجهلونه ، بل ليتطلعوا إلى النبيل الوسيم كيف يبدو فى ثياب الراهب . ينصرف الرجال عن الموكب وهم أرضى نفساً وأهنأ بطعامهم وشرابهم . أما الأمهات والجدات فكن يسبحن لله الذى سبقت إرادته فاختار هذا الوُلَيِّد لحياة كلها حرمان وقسوة وما كان أجدر شبابه بالتمتع واللعب . أما الفتيات فكن إذا رأين يده الناعمة الرخصة فوق المسوح الخشن ، وتطلعن إلى وجه الشاب الذى أصبح مناله صعباً بل حراماً ، شعرن بقشعريرة تسرى فى أجسادهن وركعن على الأرض يتمتمن بصلاتهن ، ولكن أحداً لم يفلح فى أن يرى عينيه ... لماذا هو مطرق ، ولماذا يسير فى مؤخرة الموكب ولو شاء لكان فى أول الصفوف ؟ ليس بينه وبين القديس إلا خطوة واحدة

وفى يوم مر القديس وحاشيته على قصر منيف ، فسأل عن صاحبه فقيل له إنه لثرى عظيم لا هم له إلا اكتناز المال ولم يسمع عنه فى يوم أنه أحسن بدرهم . فعدل القديس عن مواصلة سيره ودخل القصر ليهدم منه للشيطان معقلاً ويظفر بتخليص أرواح ساكنيه . فوجد الثرى جالساً أمام مائدته تتكدس عليها الأطباق والأقداح ، عن يمينه زوجه ، وعن يساره ابنته ، وأمامه أولاده ، ومن حواليه أتباع وحشم يتطلعون لشفتيه لعلهما تنبسان بأمر

امتلأت الردهة بالأصوات ، ولكن الضجة لم تمنع النبيل — ولعل إطراقه ساعده على إجادة السمع — من أن ينتبه لضحكة رقيقة تحاول صاحبتها كتمانها فلا تقوى ... هل مبعثها سرور أو دهشة ؟ أم هى سخرية ؟ رفع رأسه فوجد ابنة الثرى تتطلع إليه بعيون ندية كلها أضواء ... ورأى كيف تحتال حتى جاء مقعده إلى جوارها

وتفجر القديس يلوم ، وكأن روحه ترمى بالشرر ، ثم يعظ ، فكأن قلبه يفيض بالغيث المنهمر ، وسحرت بلاغته الحاضرين فتقاربت الوجوه وتشابهت السحن فما يُميز بين السادة والخدم .

واختلت الفتاة بالنبيل وجرى بينهما حديث خافت :

— لو أنك مررت علينا من قبل لخطت لك هـذا المسوح على قدّك فإنني أشفق عليك وأنت تتعثر فى أذياله ، وتتيه ذراعاك فى أكمامه ، فقل لى بالله عليك كيف تحتمله ؟

— لا يكربك الأمر ؛ فلست دالفاً إلى مرقص ، بل ساعياً إلى رب ينظر إلى القلوب لا إلى الأثواب

— ويلى إذن ! لقد كنت أظن الرقص عبادة ؛ فما رقصت مرة إلا شعرت أننى أقرب إلى الله منى فى أوقات الفراغ والسأم

وهنا وجد الشاب نفسه أسير نظرة فاحصة ماكرة ، هازئة كلها عطف وفهم ، فيهـا بريق عين النهم وهو جائع مقبل على أشهى أطعمة

جرحه نفوذ النظرة إلى قلبه فانقبض ، ولـكنه استراح لعلمه أنه لو شاء لـكان سلطانه على الفتاة أقوى من سلطانها عليه

فأجابها قاصداً هدايتها كأنه لم يغضب ولم يبال :

— وما بعد الرقص ؟ ألا تفكرين أن كل هذا سراب . وأن هناك موسيقى غير موسيقاكم . اللهم إن كلى آذان لسماع أناشيد التسابيح بحمدك ، الصاعدة من الـكون ، المدوية فى الفضاء ، فأسألك اللهم أن تجعل من قسمتى سماعها !

— إن الله قد أغدق نعماءه على الـكون ولم يحرم منها إنساناً له قلب وبصر ، فذهابك الآن تقرع باب الله دليل على أنك عشت إلى اليوم غافلاً عن جماله . وهذا ماضٍ سيقعد لك فى مستقبلك وإن جاهدت . خذها عنى : إن الله لا يحب من عباده السائل اللحوح اللجوج ، ولا من يستعين للوصول إليه بمسبحة طولها أمتار ...

ثم مالت الفتاة على أذنه تقول :

— هلمّ اعترف أنك فهمت أننى أعلم لماذا ارتديت المسوح . أنت طموح ، مهدؤك إما الـكلّ وإما العدم . تركت الثروة لأنها نصف . والدنيا لأن كل لذة لك فيها تنقضى ، فإذا هى تقصر عن حد تتخيله . وتسير فى مؤخرة الصفوف لأنك لست على رأسها . ولو وقفت بين يدى الله لسألته : ما وراءك ؟ فتواضعك هو الكبرياء . وزهدك هو غاية الطموح . إننى أعلم أنك نشأت يتيم الأم، ولو عاشت لوجدت فى عطفها ما يرطب قلبك، وما أشبهه الآن بصخرة فى أعلى الجبل ... ومع ذلك لم يُفقد الأمل فيك . لقد اخترتك لنفسى ، فابق ، أنظر إلى ، وتمتع بجمالى . ستملك قوة حتى كيف تؤمن أولاً بإنسانيتك ليصح إيمانك بعدها بالله . إن لأبى جماعة من مهرة الموسيقيين إذا وقعوا على آلاتهم أرقصوا الجماد ، سأجعلهم يعزفون إذا أذن رئيسكم ولا أظنه يرفض وإلا لما كان قديساً — فماذا عليك لو خلعت المسوح وارتديت أبهى الأثواب ؛ فقمت إلىّ وانحنيت أمامى وتناولت يدى ودار ذراعك حول وسطى وضممتنى إلى صدرك ، ورقصنا فتمثّلت النغمة فى حركاتنا ، ثم انفلتُّ عنك وأنا أخبر بك وأنت أدرى بى ... وسترى أنه لا يزال هناك أمل

انهد كل شىء من حوله . لو أنه أطاع وسواسه لهوت يده عليها يشدها من شعرها ، ويجرها على الأرض . ولداسها بقدميه أو لسال عليها ينمرها بقبلاته . ولكنه خطا خطوة ليس عنها نكوص . ولو نكث لما صدقه من بعد ذلك أحد ، ولا صدق هو نفسه . ولقد بقى فى أذنه من كلام الفتاة لفظ (الأمل) . إنه سيظل حيث هو ، جاهداً فى طريقه متحملاً ما لا تقوى على تحمله الجبال ، آملاً أنه فى النهاية سيرى بارقة الرضا فى وجه ربه الـكريم ... ولكن الآن ! الآن ! الحياة كلها أمامه فى متناول يده . آلاف الأصوات فى تناديه : أقبل ! اشرب ! إننى عطشى

وكان القديس لا يزال يعظ ، ورويداً رويداً طأطأت الرؤوس على الصدور ، وتصاعدت الآهات ، وانفجرت الدموع ، وركع الجميع أمام القديس ، يلثم رداءه من لم يستطع الوصول إلى يديه المرفوعتين نحو السماء

وترك الثرى مائدته ووقف يقول للقديس بصوت يغالبه البكاء:

— أسلمت قيادى إليك . فأنا منذ اليوم من أتباعك، سأترك القصر وما فيه من متاع وما حوله من ضياع، سأترك مخازنى، بعتيق شرابها ، والحقل بعجيج دوابه سأتبعك كظلك ، ولن أكون وحدى ، بل سيتبعنى أيضاً كل هؤلاء : زوجى وأبنائى وزوجاتهم وبناتى وأزواجهن والأصهار وأبناء العمومة والخؤولة وكل من

انتسب إلىّ من خدم وحشم وأتباع . أرنا الطريق ونحن فى أثرك

لم يحر القديس جواباً ، لم يتعقد جبينه ، فهو وضاء منير . ولم يزم شفتيه ؛ فابتسامته الجميلة هى هى ، ولكنه غائب عن الجمع ، نظرته تائهة ، لعله يستمع إلى وحى خفى يقول :

— لو تبعوك لخرب القصر وبارت الأرض ونفقت الدواب ومن أين لك إطعامهم وإيواؤهم وإيجاد عمل لهذا الجيش العرمرم . هل سيتكففون الناس مثلك ؟

لم ينقص إيمان القديس ذرة ، ولم يهتز لحظة ، فكيف يكون قديساً إذا بدت له المسائل كما تبدو لبقية الناس متناقضة مضطربة، مضحكة مبكية ، لهؤلاء القديسين نظرة تشمل الكون وتفهم الأسرار ، فما يبدو عجيباً هو ذات الحكمة ، وما يبدو متناقضاً هو عين الاتساق

قال القديس بصوت كأنه يخرج من كهف عميق :

— يا بنىّ ! احمد الله أن هداك أنت ومن معك للحق . . . على يدىّ ! إن الطريق الذى تريد أن تسلكه وعر ، لا يقوى عليه إلا القديسون أمثالى . فامكث مكانك وأقبل على عملك ، واسكن إلى زوجك ، وداعب أولادك وبناتك ، وأشرف على شؤون خدمك وحشمك ، وحقولك وضياعك ، وتمتع بأكلك وشربك ، على أن تمدنى أن تفعل الخير وتذكر الله . تمثله لنفسك فى كل لحظة حتى تعلم أن كل ما حولك زائل وأنك ملاق ربك فحاسبك حساباً لا يضيع فيه مثقال ذرة من خير أو شرّ

بدا الوجوم على وجه النبيل وكأنه لم يفهم شيئاً . فاستمر القديس يقول :

— لا تحزن . إنك ستمكث فى القصر — فى نظرك — ولكنك ستكون مع ذلك من أتباعى . ما قيمة التمسك بالذيل واقتفاء الخطوة ، فى حين أن الروح متبلد والذهن غائب ؟ ستتبعنى بروحك . بإيمانك ... ولك علىّ أننى لن أنساك فى يوم. فلن يغيب عنك ندائى بل سأحمل شخصك فى قرار قلبى . سأنشئ لك ولأمثالك طريقة خاصة بكم تلتحقون بها فتربطنى وإياكم

وعادت الردهة إلى هرجها ومرجها ودبت فيها روح البهجة ودارت الأطباق والأكواب ، وسكن الثرى إلى زوجه وداعب أولاده وبناته ، ونادى كاتبه الأمين فألقى تحت قدميه

والتفت النبيل (ع) فوجد الفتاة عن يمينه ، والقديس يهم بالانصراف عن يساره ... ولكن هاتفاً هتف به فإذا هو يتمتم لنفسه :

— نعم ! لا تيأس من رحمة الله

فجمع أطراف مسوحه ، وجرى إلى الجمع واتخذ مكانه بينهم ، لا فى آخر الصفوف هذه المرة ، بل وراء القديس كأنه يلوذ به . وتحرك الجمع يرددون وراء القديس قوله :

اتركوا الباطل الزائل واتبعونى !

ووقفت الفتاة صامتة برهة ، ثم همست تقول :

— يا له من غر مسكين لم يفهم الوحى . لما نادته رحمة الله أن ابق ، فإذا به يولى عنها وينصرف

ثم ضربت الأرض بقدمها وصفقت تقول :

— موسيقى ! رقص !

يحيى حقى

8me Année No. 377

Lundi - 23 - 9 - 1940

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع البدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٣٧٧ « القاهرة في يوم الإثنين ٢١ شعبان سنة ١٣٥٩ — الموافق ٢٣ سبتمبر سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهـــرس

القـــدوة والاصلاح

للأستاذ عباس محمود العقاد

رويت في عدد مضى من « الرسالة » كلمة الفلاح الكبير صاحب الأفدنة الكثيرة في « حمالة الجورب » التي عابها على بعض المعلمين الإلزاميين وقال إنه لم يسمع بها إلا من هؤلاء المعلمين

وقد كتب أديب في « الرسالة » يعقب على تلك الكلمة ، ويرى أنه كان الأجدر بكاتب هذه السطور « ألا يسوق إلينا فكرة صاحب الأفدنة التي ترمى إلى إصلاح المعلم الإلزامي ، لأنه إذا سئل عن العيب الذي يراه لا يجد ما يقوله سوى أنه يعلم النشء التبطل والحذلقة ، وكيفية وضع « حمالة الجورب » ، وإحسان رباط الرقبة ، وهلم جرا ... »

وجاءتني رسائل شتى في هذا الصدد ينظر بعض كاتبيها إلى ملاحظة الوجيه الريفي نظرة الفكاهة والسهولة ، ويشتد بعضهم في الإنحاء عليها كأنها خطر على التعليم

وعندي أن المعلم الإلزامي هو آخر من يحق له أن يكتم أمثال هذه الملاحظات أو يطلب كتمانها ، لأن التعليم الإلزامي في اعتقادي مشتق من اللزوم قبل أن يشتق من الإلزام ، فلا يضيره أن ينكره كبير أو صغير حنقاً على حمالة الجورب أو حمالة الحطب ! ... ولا يفهم من اختلاف الآراء في برامجه ومواده وأساليبه أن الخلاف

على أصوله وأساسه ، وإنما هو فى نهاية الأمر خلاف على الفروع والتفصيلات

هذا سبب من الأسباب التى تأبى على المعلم الإلزامى خاصة أن يكتم ملاحظة تساق فى معرض الرأى أو فى معرض الفكاهة عن هذا التعليم

وسبب آخر أن المعلم الإلزامى مطالب قبل غيره باستطلاع « الحالة العقلية » أو الحالات العقلية التى تتصل بمعيشة الفلاح وأبناء الريف ، وهو أحرى أن يستطلع ما يخصه ويخص عمله من تلك الحالات العقلية التى يتصدى لها فى تعليمه ، قبل أن يتصدى لتعليم الحروف والأرقام وسائر الدروس

قيل فيما قيل عن التعليم الإلزامى وأشرنا إليه فى مقالنا السابق : « أليس الأجدى على الفلاح أن تطعمه وترفه عنه بهذه الأموال التى تنفقها على تعليمه إلزاماً وهو مفتقر إلى الطعام النافع والماء النظيف ؟ »

وكان من رأينا فى ذلك أنك إذا أعطيت الفلاح ماء نظيفاً وهو جاهل صدف عنه وعافه وآثر عليه الماء العكر لأنه ماء « دسم » يروى الأصلاب كما يروى التراب

وقلنا « إنك إذا أنشأت فلاحاً سليم الذوق مرهف الحس مفتوح العقل مستجيب السليقة ، فسيجرى وراءك لتعطيه الماء النظيف والغذاء الجيد والأدوية النافعة والنصائح القويمة ، ولا يجشمك كما يجشمك اليوم أن تعدو وراءه لتقصيه عن موارد الماء العكر « بدسمه وخيره » وتدنيه من مساق الماء المرشح وموائد الغذاء المفيد »

***

ومقطع الرأى فى كل إصلاح اجتماعى — كما أحسب — أن القدوة فيه خير أنواع التعليم

ولكن ممن تأتى القدوة فى الريف ؟

بعض إخواننا المعنيين بالإصلاح يخيل إليهم أن إقامة الوجهاء الريفيين فى قراهم وسيلة ناجعة لتعميم القدوة الحسنة فى المعيشة ، وتعويد الفلاح الصغير أن يحيا فى كوخه حياة الفلاح الكبير فى القصور

وهذا حق لو كان الفلاح الكبير قدوة صالحة فى جميع الأحوال ، أو لو كان الوجيه فى قريته مثلاً يحتذى فى نظام المعيشة ومناهج السلوك

لكننا نعلم أن الأمر لا يستقيم على هذا التقدير

ونعلم أن كل فلاح كبير يصلح للقدوة ويتخذ مثالاً حسناً للسلوك فإلى جانبه عشرة يضلون من يقتدى بهم ويأبون أن يتمثل بهم المتمثلون من الفقراء والضعفاء فيما هو من مظاهر « الوجاهة » واليسار

قال لى أحد هؤلاء الوجهاء مرة : لقد فسد الزمان وتغير الناس !

قلت : ولم ؟

قال : إنك لا تعرف الآن ابن فلان العظيم من ابن فلان الصعلوك ، ولا تميز الفتاة التى يملك أبوها ألف فدان من الفتاة التى يعمل أبوها فى دكان أو يعمل فى ديوان بين صغار الوظفين الموقوتين ... هذه تلبس كما تلبس تلك ، وهذا يتأنق كما يتأنق ذاك ، و « البركة » فى التقسيط لا بارك الله فيه

قلت : وما يضيرك من ذاك ؟ إن كان فيه ضرر فعلى جيب اللابس لا على جيبك ، وإن لم يكن فيه ضرر فهو جمال ونظافة ورواج للقصارين والخائطين

فتأفف وأبى أن يقتنع ، وظل يقول : إن الأصول أصول ، والمقامات « محفوظة » لا ينبغى أن تزول أو تحول

وسمعنا آخرين من الوجهاء لا يبالون أن يجهروا فى غير خجل ولا حرج قائلين : من يخدمنا إذا لبس الفلاح الطربوش أو اغتر بما حصّل فى المدرسة الإلزامية من دروس الكتابة والحساب ؟ وإذا خدمنا هذا « الأفندى » الجديد فكم يطلب أجراً على الخدمة التى كان يؤديها وهو حاف قانع باللبدة والجلباب الأزرق راض بالخبز القفار

هؤلاء الأغبياء لا يعقلون ما ينفعهم وما يضرهم ولا يدرون عاقبة هذا التفكير الأثيم

والأنكأ من هذا أن الفلاح الفقير قد يحجم عن الاقتداء بنظافة الأغنياء إذا كانوا من النظفاء ، كما يحجم عن شراء السيارة والاستمتاع بالطعام الفاخر واللباس الأنيق

فتمتنع القدوة من ثم لاعتقاد الغنى والفقير معاً أن النظافة والمعيشة الصالحة حق لصاحب المال كحقه فى ركوب السيارة

الحديث ذو شجون

للدكتور زكى مبــارك

شاعر ينبغ فوق سرير المرض — الملك الشبل — وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها — لا خوف من المستقبل مع صحة العزائم والقلوب

شاعر ينبغ فوق سرير المرض

مضت سبعة أعوام والأستاذ صالح جودت يحقد علىّ أبشع الحقد لسكوتى عن التنويه بمواهبه الشعرية ، وما هدّأ نار الحقد فى صدره إلا عرفانه بأنى لا أخصه بذلك السكوت وإنما هو مبدأ ارتضيته ودَرَجْتُ عليه ، وذلك المبدأ هو الضنُّ المطلَق بتشجيع الناشئين ، لأنى أعتقد أن كل شيء يجوز فيه التشجيع إلا الأدب والبيان ، فالتشجيع هنا مَفْسدة ولا يقع إلا من « الجماعة » الذين يحتاجون إلى أسندة من الهتاف والتصفيق ، والتحدث عنهم بحق وبغير حق فى الأندية والقهوات والجرائد والمجلات .

وهذا المبدأ هو الذى فرض على جمهور من شباب هذا الجيل أن ينفضُّوا من حولى ، فإيهمهم أن يذكرونى بالجميل فى مجلة أو جريدة ، لأنهم لا يذكرون أنى طوقت أعناقهم بشيء من التشجيع ، وأنا غير آسف على ما فاتنى من ذلك الحظ الجزيل !

ولو أنى استبحت التفريط فى الحرص على هـذا المبدأ مرة واحدة لاستبحته فى معاملة الأستاذ صالح جودت ، وهو صديقٌ لا أذكر أنه قصَّر فى حفظ العهد إلا بإتهامى بالسكوت عن التنويه بمواهبه الشعرية ، وهو اتهام مردود ، لأنى لا أذكر أن أشعاره نقلتْ قلبى من مكان إلى مكان حتى أُجشِّم نفسى مشقة الدرس لشعره البليغ !

كان صالح جودت يتقاضانى الـكلام عن شعره فى كل لقاء ، وكنت أجيب بأن ذلك سيكون يوم يظفر بدرجة من درجات الجامعة المصرية ، لأنى أخشى إن شجعته أن ينصرف عن الدرس وينقطع لقرض الشعر ومراسلة الجرائد والمجلات . فلما سمع صالح نصيحتى وظفر بالدرجة المنشودة جاء يذكّرنى بما كنت وعدتُ ، فهل وفيت بما وعدت ؟

حملنى الزهد فى اجتـلاب المودّات على وصل السكوت بالسكوت ، كما كنت صنعت فى معاملة صاحب « الجندول »

ثم شاءت الأيام أن أسمع أن صالحاً وَقَذه المرض فلم يَعُد يبهجة الأندية الأدبية ، ولم يبق رجاء فى التحدث إليه إلا بعد استئذان الطبيب

فإن كنتم سمعتم أن الشعراء وصفوا الدنيا بالخيانة والغدر

الخاصة والإيواء إلى الدار القوراء .

وتقول له كن نظيفاً كفلان بك أو فلان باشا فيستكبر هـذا الـكلام منك ويقول لك فى جد الواثق من صوابه وسداد رأيه : وأين أنا من هذا وذاك ؟ ولو استرسل قليلاً لزعم أن النظافة منه افتيات على حقوق الموسرين وخروج على الأدب الحميد ! . . .

***

نعود إذن فنسأل : ممن تأتى القدوة الصالحة إذا علمنا كما أسلفنا أن القدوة « الشخصية » خير وسائل التعليم فى الإصلاح الاجتماعى ؟

تأتى من بعض الأغنياء الرحماء العارفين حين يقيمون فى الريف إقامة يتصل فيها العطف والود الـكريم بينهم وبين الفقراء

وكم عدد هؤلاء الأغنياء الرحماء العارفين ! ؟

قليل ولا ريب ، والرجاء فى ارتقاء معيشة الفلاح الصغير أقرب من الرجاء فى زيادة هؤلاء

وأفضل القدوة وأنفعها على هذا ما جاء من قبـل المتعلمين الذين يشبهون الفلاح فى نشأته فيعمد إلى التشبه بهم غير متحرج ولا معتقد فى نفسه أنه يعدو طوره ويخرج من أفقه

وهنا يأتى دور المعلم الإلزامى فى الإصلاح ، فيجمع بين الإصلاح بالتعليم والإصلاح بالقدوة السائغة فى رأى الفلاح ، ويروح فى القرية وهو معلم الأبناء والآباء على السواء

كن أيها المعلم الإلزامى قدوة لمن حولك ، وكن على حال ينظر إليها الفلاح فيحب أن يتشبه بها ويرى بعينه دلائل الخير فى محاكاتها ، ثم يأنس إلى نصحك بعد ما أنس إلى عملك ، فيسمع منك القول ويحمد منك العمل . فأنت بما تهديه وتلقى فى روعه مصلح جليـل لا تفلح فى إصلاحه المدرسة وحدها ، ولا الـكلام الذى يجرى به اللسان أو تنطوى عليه الأوراق .

عباس محمود العقاد

والعقوق فاعرفوا أن ذلك الوصف لم يحقّ على الدنيا إلا لبغيها الأثيم على مثل هذا الشاعر، وله قلبٌ أطيب وأطهر من قطرات الندى فوق أزهار الربيع

ومرّت ثوانٍ ودقائق وساعات وأيامٌ وليالٍ وأسابيع وأشهر ولم يخرج صالح من سجن المرض، فما أطول شقائى بمحنتك القاسية، أيها الصديق العزيز!

وعلى حين غفلة أسمع أن الفتى الذى لم يُرضنى شعره قد نبغ فجأة فوق سرير المرض، فهو الذى يقول فى تصوير ما بقِىَ من أوطار هواه فى دنياه :

فليرحم الله آمالى وأهوائى   إنى قنعت بهذا الخدَع النائى
بقية العمر ايامٌ تدبّ على   صدرٍ تهدّم إلا بعض أشلاء
أعيشها ناسكاً فى ركن صومعةٍ   قامت على صخرةٍ كالموت صمّاء
يبدو خيال الأمانى لى فأطرده   حتى كأن الأمانى بعض أعدائى

ثم يصف عُزلة المستشفى وأحوال ساكنيه فيقول :

أوّاه من عُزلةٍ كالسجن مغلقةٍ   على جراحٍ وآلام وأرزاء
ما هذه الجُثث الملقاة فى سُرُرٍ   أنصاف موتى على أنصاف أحياء
صُفر الوجوه كأن السقم عفّرهم   بحفنةٍ من تراب القبر صفراء
للآه فيهم تراتيــلٌ منغّمةٌ   تنسابُ من قَصَباتٍ نصف خرساء
وما لهم من نهار فيه مرحمةٌ   ولا لهم ليلةٌ ليست بليلاء

ثم يتلفت إلى الممرضة الحسناء — ومن تقاليد المستشفيات أن تكون الممرضات صِباح الوجوه إلى حدّ الفتون ليغرسن بذور الأمل والحياة فى صدور المكروبين — يتلفت إلى الممرضة فيقول :

مَن يا ممرّضتى الحسناء قدّر لى   أن ألتقيك بأرضٍ غير حسناء
ماذا أتى بى هنا ؟ ما خَطْبُ عافيتى ؟   وكيف غال شــبابى غائل الداء
قد كان لى موعدٌ فى الصيف مرتقبٌ   على الشواطىء بين « الرمل » والماء
فما لذا الصيف يمضى بى على جبل   جهنّمىّ اللظى فى جوف صحــراء
وأنتِ ... هل عطفك المبقِى على رمق   عطف المحبين أم عطف الأطباء
إن كان ذاك فياسعدى ويا فرحى   أو كان هذا فإنى فى الأذلاء
الحب يشهد أنى يا ممرّضتى   ما صدّنى عنك إلا فرط إعيائى

أما بعد فهذه الشاعرية ليست صحوة الموت، يا صالح، وإنما هى الفجر الصادق، وسترجع إلينا بعد أيام وأنت فى غاية من عافية البدن والروح

لم أسأل عنك فى علتك، يا صالح، لأنى شغلت بك عنك، ولو سألت قلبك لشهد بأن عطفى عليك وأنا بعيد كان أرفق من عطف طبيبك وهو قريب، وأصدق الحديث حديث القلوب

سترجع إلينا يا صالح، بعد أيام، وسنعيد سهراتنا فى أندية القاهرة، وسأسمع لجاجتك فى العتاب، وسأقول إن البلبل لا يجيد السجع إلا وهو سجين، لأنى عرفتُ شاعراً لم يُجد الشعر إلا وهو عليل

الملك الشبل

لم أسمع أن جلالة الملك فيصل الثانى يوصف إلا بعبارة « الملك الطّفل » وهى عبارة جافية، فأرجو من الشعراء والكتاب أن يصفوه بعبارة « الملك الشبل » فهى بمقامه أنسب وأليق

وأذكر بهذه المناسبة أن صاحب المعالى الدكتور محمد حسين هيكل باشا تلطف فدعانى إلى مكتبه ليقدم إلىّ « وسام الرافدين » المهدى إلىّ من حكومة العراق

وقد وثب قلبى من الفرح والانشراح لقيمة الهدية ولقيمة من أتلقى من يده الهدية، فليس من الميسور فى كل وقت أن تكون وزارة المعارف إلى أديب فى مثل منزلة الدكتور هيكل باشا، الرجل الذى أفنى شبابه وعافيته فى خدمة الدراسات الأدبية والتاريخية، والذى يُعَدّ قلبه مثالاً فى الطيبة والصفاء

وقد نظرت فى الوسام فرأيته متوّجاً بكلمة « فيصل الأول » فأهلاً وسهلاً ومرحباً بوسام يُحلَّى باسم ملك هو الفيصل بين عهدين من عهود العراق : عهد العجمة وعهد الإفصاح، فقد كان فيصل الأول بمذاهبه ومسالكه هو التعبير الصحيح لعواطف العراق فى التشوف إلى رجعة المجد العربى فى أيام المنصور والرشيد

ومع أن مكاره الأيام ومتاعب النضال لم تُبق فى صدرى بقية من التأهب للجذَل والانشراح فقد سرنى أن تشهد جريدة « الوقائع العراقية » بأنى ذُكِرتُ بالخير فى « إرادة مَلَكية »

يُمضيها صاحب السمو الأمير عبد الإله ومعالى السيد صادق البسام وفخامة السيد رشيد عالى الكيلانى ، جعلنا الله ممن يرعون العهد ويحفظون الجميل

وإذا حييتم بتحية . . .

تفضل الزميل الكريم الأستاذ أبو بكر إبراهيم المفتش بوزارة المعارف فأعدّ كلمة لمجلة الرسالة فى ردّ التحية الجميلة التى وجّهتها جريدة الهدف البغدادية إلى مصر بإصدار عدد خاص عن أديب مصرى كان له نصيب فى خدمة الحياة الأدبية فى العراق ولم يكن بدٌّ من تلطف هذا الزميل الكريم بردّ هذه التحية الكريمة ، فليس فى مقدورى أن أرد تحية جريدة الهدف ، فذلك امتحانٌ لا أتقدم إليه وأنا طائع ، لأنى أشعر بالعجز عن وفاء هذا الدَّين النفيس

فى ذلك العدد الخاص تحدث الأساتذة عبد الحميد حسن الغزالى ، وحميد مجيد الهلالى ، وعبد المجيد لطفى ، وعبد المحسن القصاب ، وعبد السلام حلمى ، وعبد الله محمد الطائى ، وعبد الرحمن البناء ، وروبين عوبديا ، وصالح البدرى ، وعبد الرزاق الهلالى . تحدث هؤلاء الأماجد عن صديق العراق زكى مبارك حديثاً هو البرهان الساطع على أن الوداد لا يضيع عند أحرار الرجال

وقد فكرت كثيراً فى الأسباب التى جعلت لى هذا الحظ المرموق فى العراق ؛ ثم رأيت أن الأسباب كلها تنتهى إلى سبب واحد : هو الصدق . فما تحدثت عن العراق بالجميل إلا وأنا صادق ولا ذكرته بالملام إلا وأنا صادق

وكيف لا أصدُق فى حب وطنٍ كاد ينسينى وطنى ؟

ولو عبَّرتُ عن نفسى تعبيراً صحيحاً لقلتُ إنى لم أستطع أن أتوهم أن مصر والعراق وطنان مختلفان ، وما صح عندى أبداً أنى كنت غريب الدار فى بغداد . . . وكما كان الشريف الرضى يهدد خصومه فى العراق بأن له فى مصر أصدقاء يستنجد بهم حين يشاء ، فأنا أشعر بأن لى فى العراق أصدقاء أستنصر بهم حين أشاء ، والله سبحانه هو المَفزَع لأبرار القلوب

وفى اللحظة التى أكتب فيها هذه الكلمة يستعدّ فريق من الأساتذة المصريين للتوجه لخدمة العلم والأدب فى العراق ، فأرجو أن يذكروا جميعاً هذه الكلمة الصادقة :

« كما تكون للعراقيين يكونون لك »

فمن أراد أن يظفر بحب أهل العراق فليصدُق فى حب أهل العراق ، وليعرف جيداً أن العلانية قليلة الأهمية ، فالمعوَّل عليه هو صدق القلوب ، فقد كنتُ على جانب من جفاء الطبع حين كنت هناك فما ضرنى ذلك بشىء لأن قلبى كان مأمون الجوانب بالصدق فى حب أولئك الرجال الصادقين فى الحب والبغض ، وهم برغم قالة الحجاج أبعد الناس عن الرياء

ما أذكر أنى كلفت نفسى ما لا تطيق فى التودد إلى العراقيين وإنما أرسلت نفسى على سجيتها ، وعشتُ فى بغداد كما كنت أعيش فى القاهرة وفى باريس ، وكنت أصادِق وأعادِى كما أصادِق فى بلدى وأعادِى ، فكانت العاقبة ما عرف إخوانى فى مصر من تواتر العطف علىّ من جميع أهل العراق . والصدق فى النصح يستوجب النص على الحقيقة الآتية :

لم أفكر وأنا فى العراق إلا فى شىء واحد : هو أن أؤدى واجبى تأدية صحيحة لا يؤخذ عليها تقصير أو تفريط ، وكنت أشعر فى كل لحظة أنى مسئول أمام حكومتين : حكومة القاهرة وحكومة بغداد ، وأن التهاون فى تأدية الواجب يضيّع على مصر مزية عظيمة ، هى الثقة بكفاية أبنائها وقدرتهم على النهوض بما يُنتدَبون له من خدمة العلم والأدب فى البلاد العربية

ويجب أن أسجل أن إخوانى العراقيين قد أعانونى على تحقيق هذا الغرض الشريف ، فهم الذين خلطونى بأنفسهم ، ودعونى إلى الاشتراك فى أنديتهم الأدبية والعلمية ، وحضونى على المشاركة فى توجيه الرأى العام بالمقالات والمحاضرات ، حتى استطعت فى أشهر معدودات أن أدوّن ألوفاً من الصفحات لم يظهر منها غير ستة مجلدات

وأعترف بأنى كنت أشعر بالغيرة تحزّ فى صدرى من أربعة رجال سبقونى إلى كسب ثقة أهل العراق ، وهم الأساتذة : محمد عبد العزيز سعيد وأحمد حسن الزيات وعبد الرزاق السنهورى وعبد الوهاب عزام ، فكان من همى أن أزاحم أولئك الرجال مزاحمة جدية تجعل لى مَقام صدق فى بلاد الرافدَين ، وقد وصلت بحُسن النية وبرعاية الله إلى تحقيق ما أردت بلا مشقة ولا عناء

وأواجه الأمر بصراحة فأقول : إننا لم نصنع شيئاً يزيد على وضع الأساس للمودّة الصحيحة بين مصر والعراق ، فلست أنتظر من الأساتذة الذين يخلفوننا هنالك أن يحفظوا ما صنعناه ؛

فذلك مَطلَبٌ سهل المنال ، وإنما أرجو أن يمضوا فى رفع قواعد البناء بحيث لا تمرّ أعوام طوال قبل أن يصبح من القضايا المقررة أن لفظة الغربة لم يبق لها مدلول فى ذهن عراقى يعيش فى مصر ، أو فى ذهن مصرى يعيش فى العراق

ولكن ما جزاء من ينتفع بهذا النصح ؟ جزاؤه هو الشعور بأنه رجلٌ نافع ، والاطمئنان إلى أنه على جانب من قوة الأخلاق ، فليس من القليل أن يستطيع الرجل كسب الثقة بوطنه فى بلد مثل الحجاز أو فلسطين أو سورية أو لبنان ، والثقة لا تنال فى أمثال هذه البلاد إلا بالصدق فى الوطنية والصدق فى الجهاد

وقد اتفق لى فى بعض الأحايين أن أناوش فريقاً من السوريين واللبنانيين فما ضرنى ذلك بشىء ، لأن من ناوشتهم يعرفون فى ضمائر قلوبهم أنى سليم القلب ، وأنى لا أريد إلا جَذْبهم إلى الانضمام إلى القافلة العربية بلا تلفُّت إلى دسائس من يهمهم تقسيم الأقطار العربية إلى دُوَيْلات يذوق بعضها بأس بعض بلا موجب معقول

ومن حُسن الحظ أن تكون البلاد الشامية فى طريق من يسافر من العراق إلى مصر ، أو من مصر إلى العراق ، فتلك فرصة ذهبية لتوكيد المودة بين الأقطار العربية ، وبها نستطيع وَأد الدسائس التى تحاك فى أحلاك الليالى لتمزيق شمل العرب والمسلمين .

وقد شاءت الظروف أن نرى اليمن والمغرب من البلاد البعيدة لقلة رغبتنا فى الهجرة والارتحال ، فمتى يجىء اليوم الذى تقهرنا فيه المبادئ على التضحية بالأنفس والأموال فى سبيل التعرف إلى الأقطار العربية ؟

المصرىّ لا ينتقل من وطنه إلا وهو موظف مطمئن إلى أنه سيجد وظيفته حين يرجع ، فمتى يُخلَق المصرى المجاهد الذى يستهين بجميع المنافع فى سبيل المبدأ والعقيدة والرأى ؟

كنت أتمنى أن أكون ذلك المصرى المنشود ، ولكن ماذا أصنع وحولى « أكباد تمشى على الأرض » وليس فى شريعة الوطنية أو الدين ما يسمح بهجر تلك الأكباد ؟

أنا مقيد بقيود من حرير هى أقسى وأعنف من قيود الحديد ، فإن تلطّف الله وقَبِل أن يكون الجهاد بالقلم مما تُنصَب له الموازين فلن يكون ذلك أول نعمة يُسديها رجل لم يُشرّق أو يغرّب إلا وهو متوكل عليه توكل الواثق بأن الأمر كله إليه وأن له حكمة عالية تجمل الشر على بشاعته لوناً من الخير المستطاب

لا خوف من المستقبل مع صحة العزائم والقلوب

لم يبق ريب فى أن الشرق مقبل على قافلة تاريخية بسبب عدوان أهل الغرب بعضهم على بعض . وقد شاءت المقادير أن يتأثر الشرق بمصير الغرب لأسباب لا تخفى على اللبيب ، وربما جاز القول بأن العالم كله قد رُبط برباط وثيق يَفرض على من فى أقاصى بحر الهند أن يتأثر بما يقع لمن فى أقاصى بحر الشمال ، فليس من المستغرَب أن يرتجّ الشرق للمجازر التى تقع بين الإنجليز والألمان

فما واجبنا نحن إزاء هذه الظروف ؟ واجبنا أن نذكر أن مبادئنا فى تحرير الشرق لن ينالها تعديل ولا تبديل . واجبنا أن نذكر أن جهادنا فى سبيل الحرية جهادٌ قديم ، وأننا تسلمنا راية الكفاح من الآباء والأجداد . واجبنا أن نذكر أن الغرب الذى صنع ما صنع لم يفلح فيما تطاوَل إليه من وَأْد اللغة العربية والعقيدة الإسلامية

واجبنا ، واجبنا ، واجبنا

ذلك الواجب لا يحتاج إلى تعريف جديد ، فهو مسطور الملامح فى كل قلب ، وله جُذور فى كل نفس ، وله سلطان على كل ضمير ، ولا خوف من غَياهب المستقبل إذا صحت العزائم والقلوب

فليُقَلْقِل التاريخ كيف شاءت الظروف ، وليكن ما يكون بين الإنجليز والألمان ، فنحن نحن ، والعاقبة للصابرين فى ميدان الجهاد . وسيعلم المعتدُون على الشرق كيف تنهزم قوتهم المادية أمام قوته الروحية فى أمد أقرب مما يظنون

زكى مبارك

٢ ـ أخلاق القرآن

العدل

للدكتور عبد الوهاب عزام

بينت قبلاً أن القرآن يريد بتعليمه الأخلاق تحرير الإنسان من أهوائه وشهواته ، وتزويد عقله بالمعرفة ، ودفعه إلى العمل فى معترك الحياة لخيره وخير الناس ؛ ووعدت أن أتحدث عن أمهات الأخلاق فى القرآن ، فاليوم أبدأ الحديث بالعدل :

العدل القرآنى هو العدل المطلق الشامل الذى لا يختلف بين زمان وزمان ، ومكان ومكان ، وأمة وأمة ؛ والذى تستوى فيه نفس الإنسان وغيره ، ويستوى فيه القريب والبعيد ، والصديق والعدو ، ويستوى فيه الرضا والغضب ، والحب والبغض ، والنفع والضرر . هو أن يعطى الإنسان كل ذى حق حقه فى كل حين وفى كل أرض ، وعلى كل حال . يقضى على نفسه بالحق ويقضى لغيره بالحق ، ويعطى من يكره بالحق ، ويحرم من يحب بالحق ، ويعمل العمل فيه ضره إيثاراً للعدل ، ويكف عن العمل فيه نفعه إيثاراً للعدل . هو أن يعترف بإحسان غيره ولا يبخس الناس أشياءهم ، ويعترف بإساءته ، ولا يحب أن يحمد بما لم يفعل وأن ينقاد لرأى غيره حين يتبين له أنه الحق ، ويسرع الرجوع عن رأيه حين يعرف فيه الباطل

العدل القرآنى أن يصرّف الإنسان أمور نفسه وأمور الناس على قانون لا عوج فيه ولا زيغ ولا استثناء ولا ظلم ولا محاباة ، أن يسيّر أعماله على قانون إلهى لا تبديل فيه ولا تحويل ، كالقوانين التى تسيّر : الشمس والقمر والنجوم والرياح ، وتصرّف العالم كله كما يشاء الله

يقول القرآن الكريم : « والسماء رفعها ووضع الميزان ، ألا تطغوا فى الميزان ، وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان ، والأرض وضعها للأنام » ، أليس فى هذه الآية الكريمة إشارة إلى أن العدل الذى يأمر الله به هو قانون من قوانين الله بثّه فى خليقته . فهو قد رفع السماء ووضع الميزان فى خليقته ، كل شىء مقدّر بقدره ، وكل شىء محدود بحدوده ، كما قال فى آية أخرى : « والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل شىء موزون » . وكذلك أمر الله الناس أن تكون أعمالهم فى هذه الأرض على هذه الشاكلة لتستقيم أمورهم وتعتدل معايشهم ، فليس عدل الله أمراً يسيراً تتصرف فيه الأهواء ، وتتلاعب به الشهوات والعصبيات . ليس عدل الله أمراً مما يباع باليسير من متاع الحياة الدنيا ، ويهجر للحقير من أهواء النفوس ، ولكنه نظام فى العالم وفى الاجتماع البشرى لا يستقيم شىء فيهما بدونه كما جاء فى الحديث الشريف : بالعدل قامت السموات والأرض .

وآية أخرى من القرآن تجعل العدل أول صفات الله التى يقوم بها على خلقه : « شهد الله أنه لا إله إلا هو ، والملائكة وأولو العلم ، قائماً بالقسط ، لا إله إلا هو العزيز الحكيم » . فقد شهد الله وشهد أولو العلم من عباده أنه تفرد بالألوهية قائماً بالعدل فى خلقه

وآية أخرى تبين أن الله أوحى للناس علمه وشرائعه مع العدل ، ليقوموا بالعدل فى معايشهم وهو الغاية التى من أجلها أنزلت الشرائع . استمع هذه الآية الكريمة :

« لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط »

وأخرى من الآيات تبين أن أوامر الله وأحكامه قائمة بالصدق والعدل لا تتحول عنهما : «وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته »

يبيّن القرآن أن الله جعل العدل نظاماً للعالم ، وقياماً للخلق ، وأمر به فى كثير من آياته ، وحث المؤمنين على أن يكون ديدنهم القيام بالعدل بين الناس ، والشهادة لله على الناس بالعدل ، وأن ينزهوا العدل عن الهوى فلا يميلهم عنه حب ولا كره . قال فى سورة النساء : « يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا . وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً . » وقال فى سورة المائدة : « يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا . اعدلوا هو أقرب للتقوى

واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون »

أمر فى الآية الأولى أن يقوموا بالعدل ويشهدوا به لله . ولا يميلوا عنه لمحبة النفس أو الوالدين أو الأقربين . وأمر فى الآية الأخرى ألا يميلوا عن العدل مع من يبغضونهم فقال « ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا » يعنى لا يحملكم بغض قوم على أن تعاملوهم بغير العدل

وقال فى سورة الأنعام :

« وأوفوا الكيل والميزان بالقسط ، لا نكلف نفساً إلا وسعها ، وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون »

والآيات التى تأمر بالعدل كثيرة حسبنا منها الآية الجامعة : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون »

ويشتد القرآن فى النهى عن الظلم كما يشتد فى الأمر بالعدل ويبين عاقبة الظلم فى الأمم بأساليب شتى ؛ والظلم فى لغة القرآن وضع الأمر فى غير موضعه أو الخروج عن الحق . فالمجرم ظالم ، والكافر ظالم ، والمشرك ظالم ، والكاذب ظالم . يقول : « فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بآياته » . ويقول : « وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بُنىَّ لا تشركْ بالله إن الشرك لَظلمٌ عظيم » . ويحكى القرآن عن آدم وحواء حين تابا : « قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » . وما هذا الظلم إلا مخالفتهما ما أُمرا به

وعاقبة الظلم هلاك ودمار للفرد والجماعة والأمة . قلَّ أن يذكر القرآن هلاك أمة أو بلد إلا بيّن أنها أهلكت بظلمها . يقول فى سورة الأنبياء : « وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوماً آخرين » . وفى سورة الحج : « فكأيِّن من قرية أهلكناها وهى ظالمة فهى خاوية على عروشها ، وبئر معطلة وقصر مشيد » . « وكأين من قرية أمليت لها وهى ظالمة ثم أخذتها وإلىَّ المصير » . وفى سورة هود : « تلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد . وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم ، فما أغنت عنهم آلهتهم التى يدعون من دون الله من شىء لما جاء أمر ربك وما زادوهم غير تتبيب . وكذلك أخذُ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة إن أخذه أليم شديد »

هذا العدل المطلق الذى بينه القرآن وأمر به يقتضى الجزاء الحتم . فكل إنسان مجزىٌّ بعمله خيراً أو شرًّا . العدل يقتضى أن يميّز الخير من الشر والمحسن من المسيء . يقول القرآن : « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة[1] » ويقول : « أفنجعل المسلمين كالمجرمين . ما لكم كيف تحكمون[2] » « أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ؟ ساء ما يحكمون[3] » بل يقرن القرآن الجزاء بخلق السموات والأرض « وخلق الله السموات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون[4] »

فالجزاء حتم على كل صغيرة وكبيرة وليس للانسان إلا عمله ، ليس فى الناس مقربون إلى الله ولا مبعدون عنه إلا بالعمل

يقول : « وأن ليس للانسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يُجزاه الجزاء الأوفى[5] » ويقول فى الرد على من زعموا أن لهم مكانة عند الله تخرجهم من هذا القانون العام قانون الجزاء : « ليس بأمانيكم ولا أمانىّ أهل الكتاب ؛ من يعمل سوءاً يُجزَ به ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً ، ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً[6] » . « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره[7] »

ومن هذا العدل المطلق والجزاء الحتم أباح القرآن أن يقابل الشر بمثله من غير بغى . قال : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » وقال : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله » ويقول : « ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بُغى عليه لينصرنه الله » وفى سورة الشورى يوضح هذا أتم إيضاح . يقول فى مدح المؤمنين : « والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون ، وجزاء سيئة سيئة مثلها . فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين . ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل . إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون فى الأرض بغير الحق أولئك

(١) سورة فصلت (٢) نون (٣) الجاثية (٤) الجاثية
(٥) النجم (٦) النساء (٧) الزلزال

لهم عذاب أليم » . فمن حق الإنسان أن يردّ البغى عن نفسه فى غير عدوان ، وأن يلقى السيئة بمثلها وينتصر ممن ظلمه ، وله أن يعفو ويصفح إن رأى فى العفو خيراً .

***

ذلكم العدل الذى بثه الله فى خليقته ، وأمر به عباده ، وجعل فيه صلاحهم ، وفى تركه دمارهم . فمن شاء الخير لنفسه وللناس فليلزم العدل فى كل صغيرة وكبيرة ، وليكن كما أمر القرآن قائماً بالقسط شهيداً لله

إن الأمم تتهافت فى النار ، وتعود على ما شيَّدت بالخراب والدمار ، بما فقدت العدل وكفرت به ، واتخذت لأنفسها شريعة من الباطل والزور والبغى . يريد المفترون بقوامهم أن يسيطروا على الأرض بالباطل ، زاعمين أنهم يسيطرون عليها بالحق ، لا يرون لغيرهم حقاً ، ولا لأطماعهم حداً ، ولو أنصف الناس فقاموا فى خلق الله بالقسط ، وجعلوا الحق شريعة بين الناس ، ونبذوا العصبية للباطل ، ورفعوا عن أعينهم غشاوة الهوى ما سُخرت عقولهم وعلومهم وصناعاتهم للإهلاك والتدمير ، ولما قذفوا بأنفسهم فى جهنم وهم يستطيعون أن يعيشوا فى جنة على هذه الأرض

داء الأمم الظلم ودواؤها العدل — العدل الشامل المطلق الذى لا يختلف باختلاف الأزمان والأوطان والشعوب والأديان . إنما يأخذ الله الأمم بجرائرها عسى أن تتوب إلى رشدها وتتبين الطريقة المثلى التى حادت عنها ، وإن فى ذلك لعبرة

ويقول القرآن الكريم :

« ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة ، فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شىء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون . ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون » ... صدق الله العظيم

عبد الوهاب عزام

العلاقة بين الجسم والذكاء

للأستاذ عبد العزيز عبد المجيد

يقول المثل السائر : « العقل السليم فى الجسم السليم » . والأمثال تقبل عادة من غير محاولة إثبات . ولكن إلى أى حد يطرد هذا المثل ؟ إن الملاحظة تؤيد أن من بين أصحاء الأجسام كثيراً من الأغبياء وضعاف العقول ، كما أن من بين ذوى العاهات والمرضى عدداً من العبقريين . وقد عرفت فى انجلترا مصرياً كان قد أقعده المرض منذ سنوات طويلة ، فعطل من وظائف رجليه ويديه وظهره وأسنانه ، ومع هذا كان نشط العقل ، يفكر وينتج . كان يُقرأ له فى الفراش ، وكان يؤلف ويملى ، ويقرض الشعر العربى والإنجليزى ، ويملى مقالاته باللغتين . وكان لبق المنطق ، حاضر الفكرة . وقد لا يكون من الصعب أن نعثر على آخرين أمثال صاحبنا هذا ، ولكن الملاحظة العرضية لا تكفى لتحقيق القضايا العلمية . وسأعرض فى هذا المقال نتيجة أبحاث العلماء فى العلاقة بين الذكاء والجسم

شغل العلماء من القرن الثامن عشر بمعرفة ما إذا كان من الممكن الحكم على صفات الفرد العقلية من صفاته الجسمية . وقد ظهرت عدة نظريات كانت كلها محاولات لكشف العلاقة بين العقل والجسم . وقد تناولت بحوث العلماء فى هذا الصدد الموضوعات الآتية :

١ — شكل الجمجمة وحجمها ، وملامح الوجه ، وعلاقة كل هذا بالعقل

٢ — قدرة الرئة على التنفس وعلاقة هذه القدرة بالذكاء .

٣ — دقة تمييز الحواس المختلفة ، ومقدار سرعة إدراكها وعلاقة ذلك بالذكاء

٤ — زمن الرجع (أو رد الفعل) للمؤثرات الحسية الخارجية

٥ — الإفرازات التى تخرج من الغدد الصماء وأثرها فى الوظائف العقلية

٦ — العلل الجسمية وأثرها فى الإنتاج العقلى والذكاء

— ١ —

كتب لافاتير السويسرى كتاباً عن « الفراسة[1] الوجهية » فى النصف الأخير من القرن الثامن عشر ، قال فيه بإمكان الحكم على ذكاء الفرد من تقاطيع وجهه ، وشكل الجبهة والأنف وحجم الفك . ومع أن هذه النظرية لاقت أنصاراً حين ظهور الكتاب ، ولا يزال لها فى العصر الحاضر مؤيدون من عامة القراء ؛ فمن المؤكد علمياً أنها نظرية باطلة ؛ لأن مقاييس الذكاء الحديثة المتمدة لم تثبت وجود علاقة بين تقاطيع الوجه والذكاء ، إلا عند البله والمتوهين

وفى سنة ١٨١٠ ظهرت رسالة لعالمين فرنسيين هما جال Gall واسبورتزهيم Spurzheim تشرح نظرية القيافة الجمجمية Phrénologie ، وتشير إلى وجود عدد من الملكات العقلية المختلفة كملكة الإدراك ، وملكة الحفظ ، وملكة التذكر ، وملكة العزم الخ ، وحصرها فى ست وعشرين . ولكل ملكة من هذه الملكات مركز خاص فى الدماغ . ويقابل كل مركز من هذه المراكز الدماغية مساحة خاصة فى الجمجمة . وكل نمو فى مراكز هذه الملكات يقابله نمو فى مساحتها الجمجمية . أى أنه من الممكن معرفة قوى هذه الملكات العقلية بقياس بروز مساحتها الجمجمية . ولم تعمر هذه النظرية طويلاً

وفى أواخر القرن الماضى ظهرت فى إيطاليا مدرسة تقول بوجود تلازم إيجابى مطرد بين الصفات الجسمية التشريحية anatomical وبين ذكاء الفرد وخُلقه ، وزعيم هذه المدرسة هو البروفسور سيزارى لمبروزو Cesare Lombroso ، الإخصائى فى علم الإجرام . وتتلخص نظريته فى أنه من الممكن معرفة ضعاف العقول ، والبلهاء ، وذوى الميول الإجرامية من خلق الرأس وحجمه وتركيبه . فعدم انتظام شكل الجمجمة ، وبروز الجبهة ، وضيقها ، وانخفاضها ، وانفطاح الأنف وعرضه ، وضيق قوس الحنك وارتفاعه ، وعرض الأذنين وكبرهما ، وعدم انتظام شكلهما ؛ كل هذه دلائل على ضعف عقل الفرد . وكان ممن عنوا بكشف العلاقة بين حجم الرأس والعقل جولتن فى انجلترا وبينيه فى فرنسا ، وقد دلت تجاربهما على أن التلازم الإيجابى بين حجم الرأس وذكاء الفرد من القلة بحيث لا يعتمد عليه فى معرفة الذكاء

كان لنظرية لمبروزو صدى شديد فى المعاهد التى عنيت بدراسة الإجرام وصفات المجرمين ؛ ففى سنة ١٩١٠ وسنة ١٩١١

(١) G. Lavater's Essay on Physiognomy, 1772

أجريت تجارب فى السجون الإنجليزية لقياس جماجم المسجونين وبروز جباههم ، وأنوفهم ، وآذانهم الخ . ثم قورنت نتائج هذه المقاييس التى اتبعت فيها طريقة لبروزو بسجلات المسجونين ، ونتائج اختبار ذكائهم ، فانهارت بهذه التجارب نظرية لبروزو ، وامحت من بين النظريات العلمية . وكانت هذه آخر المحاولات التى قصد بها إثبات تلازم بين شكل الجمجمة وحجمها وتقاطيع الوجه وبين الذكاء . وفى هذا يقول الأستاذ « كارل بيرسن » بعد أن أجرى اختبارات على ستة آلاف تلميذ مدرسى وطالب جامعى : « إن التلازم الإيجابى بين مقاييس الجمجمة وبين الذكاء من القلة بحيث لا يعتمد عليه فى الحكم على ذكاء الفرد »

— ٢ —

وموضوع العلاقة بين القدرة على الشهيق وبين الذكاء قد يظهر غريباً . ولكن أحد الأطباء بمانشستر Dr. Mumford الدكتور (مامفورد) عنى بهذا الموضوع ، فأجرى اختبارات على تلاميذ مدرسة ثانوية Grammer School وعلى طلبة الجامعة ووجد تلازماً إيجابياً مطرداً بين القدرة على الشهيق العميق واتساع الرئتين ، وبين ترتيب التلاميذ فى الفصول . فالتلاميذ المتقدمون أقدر على الشهيق العميق والتنفس القوى من التلاميذ المتأخرين(١) . وقد لاحظ الدكتور أيضاً من نتائج الاختبارات أن هذا التلازم الإيجابى يضعف كلما كبر التلاميذ فى السن . وقد أيدت نتائج هذه الاختبارات اختبارات شبيهة بها أجريت فى كاليفورنيا بواسطة الأستاذ ترمان(٢) .

— ٣ —

أما دقة التمييز الحسى ، وإدراك الفروق الحسية — لمسية أو ذوقية أو شمية أو سمعية أو بصرية — وعلاقة ذلك بالذكاء فيرجعان إلى نظرية البروفسور فنت Wundt الألمانى ، التى كانت تشير إلى أن الحواس هى منافذ العقل ، والمدركات الحسية هى التى يتألف منها العقل(٣) . ومن الممكن إذاً قياس الذكاء بقياس قدرة الحواس ، وقوتها على تمييز المحسوسات المتقاربة . فأجريت تجارب

(١) صفحة ١٠٢ من كتاب Psychological Tests of Educable capocities

(٢) صفحة ٣٢١ من كتاب Individual Differences للأستاذ فريمان

(٣) المثل اللاتينى Nihie est in intellectu quod prius not fuerit in sensa

على الحواس استخدمت فيها أجهزة كأجهزة معامل الطبيعة والضوء ، بعضها لقياس قوة قبضة اليد ، وبعضها لقياس مقدار التمييز اللمسى ، وبعضها لقياس القدرة على إدراك الفروق الصغيرة فى الأنغام والألوان والظلال . وقد قام بهذه الاختبارات جولتن فى انجلترا وكاتل وثورنديك فى أمريكا . وكانت نتيجة هذه الاختبارات أن قدرة التمييز الحسى فى اللموسات والمذوقات والمشمومات لا تدل على ذكاء الفرد ، وأن لا تلازم بين هذه القدرة والذكاء . فلا فرق فى قوة التمييز هذه بين الأطفال والكبار ، ولا بين الأغبياء والأذكياء ، ولا بين المتحضرين وغيرهم

والأستاذ اسپيرمان وآخرون يقولون بأن القدرة على تمييز النغمات الموسيقية المختلفة أو المتقاربة علاقة بذكاء الفرد ، وأن بينهما تلازماً إيجابياً قوياً ، فكلما كان الفرد أكثر ذكاء كان أقدر على تمييز هذه النغمات . وهو يرى « أن الذكاء له ١/٦ من نجاح الفرد فى تمييز الأصوات ذات النغمات المتقاربة »

أما العلاقة بين الذكاء وبين حدة النظر والقدرة على تمييز المرئيات المتشابهة ، فقد أثبت عدد كبير من الاختبارات بين تلاميذ المدارس أن الأغبياء وضعاف العقول يكثر فيهم ضعف البصر ، ولو أن كثيراً ممن يشكون من « قصر النظر » أذكياء ونابهون . وإذا حكمنا بنتيجة الاختبارات التى أجريت قلنا إن بين القدرة على تمييز المرئيات قريبة الشبه وبين الذكاء علاقة قوية وتلازماً إيجابياً . وبهذا يقول أنصار اسپيرمان(١)

— ٤ —

من الملاحظ أن الإنسان إذا كان تعباً جسمياً فإن زمن الرجع للمؤثرات الحسية الخارجية عنده يكون أطول من زمن الرجع حين نشاطه . ونحن فى أوقات الصباح أسرع رجعاً منا بعد القيام بعمل عضلى طويل . وقد تنبّه علماء النفس لهذه الظاهرة ، وحاولوا أن يعرفوا إلى أى حد يرتبط الذكاء بزمن الرجع الحركى للمؤثرات الحسية . وقد اخترعت آلات خاصة تسجل الفرق بين زمن صدور المؤثر الخارجى — عن طريق اللمس أو البصر أو السمع أو الذوق — وزمن رد الفعل . وأجريت

(١) وقد وضع الأستاذ مقاييس حسية نظرية الذكاء نشرها بالعربية الدكتور القوصى

اختبارات لأفراد كثيرين لمعرفة ما إذا كانت سرعة الرجع دليلاً على شدة الذكاء ، والنتائج التى أسفرت عنها الاختبارات متضاربة بحيث لا يصح الجزم بها نهائياً

— ٥ —

اهتم علماء النفس منذ أوائل القرن الحالى بدراسة الشخصية Personality وعناصرها ، والعوامل الفيزيولوجية التى تؤثر فى تكوينها . ومن المدارس السيكلوجية التى لها رأي وجيه فى دراسة الشخصية مدرسة أمريكية ترى أن للغدد الصماء Indocrine أثراً هاماً فى تكوين الشخصية بما تفرزه من عصارات تسمى الهرمونات Hormunes ، والذكاء عامل من عوامل الشخصية

والهرمونات هذه عصارات ذرية تسير فى الدم وتعمل على تنشيط وظائف الأجهزة العضوية المختلفة أو إضعافها ، كالجهاز الهضمى والتنفسى والتناسلى والعصبى ؛ وبعض هذه الهرمونات يؤثر فى المخ ونشاطه . ومن الغدد التى تفرز الهرمونات الغدة الدرقية وموضعها الرقبة . وهى تفرز هرموناً يحتوى على كميات من « اليود » ضرورية لنمو الجسم ونشاطه . ويولد بعض الأطفال وعندهم ضعف فى هذه الغدة ، ولذلك لا ينمون نمواً طبيعياً ، فيظلون أقزام الأجسام ، ضعاف نمو المخ ، أغبياء ، بطيئين فى أعمالهم . ومعنى هذا أن للهرمون الدرقى أثراً فى ذكاء الفرد . وتوجد غدة أخرى اسمها الغدة النخاعية The pituitary gland وموضعها قاعدة الدماغ ، وتفرز هرموناً يشبه فى أثره الهرمون الدرقى ، أى أن له أثراً فى نمو الجسم ونشاطه وفى نمو العقل ونشاطه

من أجل هذه الصلة بين العقل والجسم وغدده كان من الضرورى لطلبة علم النفس فى الجامعات الأوربية والأمريكية أن يدرسوا علم وظائف الأعضاء ، والعلاقة بين الوظائف العقلية والوظائف العضوية ، كما أصبح من الضرورى أن يدرس طلبة الطب قدراً من علم النفس ، والحقيقة أن علم الطب وعلم النفس يكمل الواحد منهما الآخر ، لأن موضوعهما واحد وهو الإنسان

— ٦ —

ولمعرفة علاقة صحة الجسم أو مرضه بالذكاء يجب أن نفرق أولاً بين ما يسمى نسبة الذكاء الثابت عند الفرد وبين نوع الإنتاج وجودته ، وقد أجريت عدة تجارب فى هـذا الموضوع ، وكلها تقريباً يؤكد أنه ليس للمرض أو الصحة أثر فى نسبة الذكاء الثابت إلا إذا حدثت العلة فى سن مبكرة وأصبحت دائمة . وأما العلل الطارئة كتسويس الأسنان ، والتهاب اللوزتين ، والعمى ، والصمم فإنها تضعف من كية المنتج ونوعه ، وإن كانت لا تؤثر فى نسبة الذكاء الثابت . ويقول الأستاذ فريمان : « إنه ولو فرضنا أن مرض الجسم أو ضعف نموه لا يؤثر كثيراً فى نمو العقل فإنه من الممكن أن يؤثر تأثيراً محسوساً فى القدرة الإنتاجية للفرد وفى وظائف مواهبه العقلية ، وعلى كل حال يجب أن نذكر دائماً أثر المرض وضعف الجسم كلما حاولنا أن نحكم على ذكاء الفرد من مقدار إنتاجه »

أما صاحبنا الذى أشرت إلى ذكائه فى طليعة هذا المقال فمن يدرينا لعله لو كان سليما لكان إنتاجه أكثر وأكمل من إنتاجه أثناء المرض

(بخت الرضا . السودان) عبد العزيز عبد المجيد

بين مصر والهند

للأستاذ أبي الحسنات محمد محيي الدين

كلما درسنا تاريخ قدماء المصريين وتاريخ الهنود القدماء ، لاحظنا وجوه التشابه بينهما ظاهرة وواضحة . لذلك نورد هذا البحث عساه يكون موضع إيمان واهتمام لدى علماء مصر والهند

الديانة المصرية القديمة

تعتمد العقيدة الرسمية عند قدماء المصريين على أسطورة قديمة ترجع إلى ما قبل التاريخ فى نسبتها ، وهى عقيدة الثالوث المقدس : (١) أوزيريس إله الإنبات والخصوبة أو إله النيل ، (٢) إيزيس إلهة الحكمة والتشريع . (٣) توت إله العلم والتدبير

ثم عرتها قوانين التحول والتدرج وانتقلت إلى عقيدة التاسوع المقدس بدل الثالوث المقدس وهى ترجع إلى القوى الطبيعية المؤثرة فى الكون وهى : (١) الماء . (٢) رع (الشمس) (٣) سرا (الهواء) . (٤) تيفينة (الفراغ) . (٥) جيب (الأرض) . (٦) توت (السماء) . (٧) أوزيريس (النيل) . (٨) إيزيس (الأرض الخصبة) . (٩) سيت (الأرض القاحلة) أو الصحراء (نيفتيس)

وقد أعطى المصريون لهذه الأشياء صفة الألوهية واعتقدوا أيضاً أن هناك ربًّا هو رب الأرباب وأطلقوا عليه اسم (توم) ، واستمرت الحال على ذلك حتى جاء عهد (مينا) الأول فأعلن أن الإلهين (حوريس) خليفة (أوزيريس) فى الألوهية و (سيت) عمه وخصمه فى دعوى الألوهية قد حلاَّ فى جسده وابتدأ تأليه الملوك (الفراعنة) . ولم يستمر الفراعنة موضع القداسة لحلول الإلهين فقط ، بل ارتقى فرعون وصار يحل فيه (رع) كبير الآلهة

ثم تحولت عقيدة الحلول من الملك إلى الأجسام التى تتصل بالخصب والإنتاج والبذر والأثمار والأحياء التى تمتاز بميزة يعرفها الفلاسفة والكهان ، فأحلوا آلهتهم أحياناً فى ثور (عجل أبيس) وأحياناً فى قط وأحياناً فى ثعبان وأحياناً فى تمساح

ولقد وصف بعض الكتاب هذه العبادة قال : « على هياكل المعابد سجف منسوجة بالحرير ؛ فإذا تقدمت إلى نهاية المعابد لترى التمثال تقدم إليك كاهن فى سكينة ووقار وهو يرتل مزاميره فينزع قليلاً من الستار ليريك الإله ، فلا ترى إلا قطاً أو تمساحاً أو ثعباناً أو حيواناً مؤذياً ، فكان إله المصريين دابة ملونة على بساط أرجواني »

هذه هى الديانة المصرية القديمة فى أدوارها المختلفة وتلك هى أهم عناصر تكوينها . وبجانب هذا نعرض على القارئين الكرام أهم نواحى الديانة الهندية القديمة لنقارن بين الديانتين فنقول :

الديانة الهندية القديمة

تدل الأسفار القديمة والآثار العتيقة التى ترجع نسبتها إلى ما قبل التاريخ على أن قوام الديانة الهندية القديمة هى القوى المؤثرة فى الكون وهى الأقانيم الثلاثة المكونة من (١) براهما (الشمس) الإله الخالق للكائنات وهو إله العلم والتدبير ، والحكمة والتشريع (٢) سيفا (النار) إله القضاء والسحر والفناء (٣) فشنو (الأرض) إله الرحمة والخصوبة والسقاية (الكنج وجنا وبراهما بوترا وغيره من الأنهار المقدسة) ، ثم لم يلبثوا أن جسدوها واعتقدوا حلولها فى بعض الأجسام فأقاموا التماثيل وعبدوا الأصنام لحلولها فيها فتعددت آلهتهم حتى بلغت ستة وثلاثين من الماء (الأنهار) والهواء والسماء والشمس والأرض الخصبة والقاحلة والأشجار والأثمار وغيرها من الأجرام الأرضية والسماوية فأحلوا آلهتهم فى الأحياء التى تتصل بالخصب والإنتاج والبذور والأثمار والأجسام التى لاحظوا فيها ميزة فعبدوا الحيوانات المخيفة المؤذية كتنين مفزع وتمساح هائل مخيف وعبدوا البقر والفيل وهلم جرا

كل هذه الأشياء قد بلغت إلى درجة الألوهية فى نظرهم، لهذا أقاموا لعبادتها معابد وصوامع وزينوها على النمط المبين فى وصف الكاتب المؤرخ للمعابد المصرية وهياكلها . واستمرت الحال على ذلك حتى اعتقدوا أن بعض آلهتهم حلت فى جسم الإنسان وهو الملك، ومن ثم ابتدأت عقيدة تقديس الملوك أو حلول اللاهوت فى الناسوت ، ولا تزال هذه العقيدة باقية فى كثير من نواحى الهند كبلاد الأراكن وجزيرة برما وتيبارا فى شرق البنغال وآسام وغيرها من المناطق التى يدين سكانها بتأليه الملوك . واعتقدوا أيضاً أن هناك إله الآلهة وسموه (آتما) ، أى الإله الأكبر

هذه إلمامة موجزة لما فى الديانتين القديمتين من التشابه ، وهو من الوجهة الدينية ، وكذلك الحال من الوجهة الاجتماعية العامة من الأخلاق والآداب والعادات والتقاليد ، كما لا يخفى على الباحث الدقيق والدارس المحقق

يتساءل الباحث ما هو وجه التشابه بين الديانتين القديمتين ؟ وهل كانت هناك بين الأمتين علاقة دينية أو ثقافية أو اجتماعية ؟ وهل كانت أسباب المواصلات بينهما متوافرة ؟ أم كانت هناك جماعة رحالة طاب لها المقام فاستقرت أم ضاق بها المعاش فانتشرت ؟ أم طردها العدو فالتجأت ؟ وحلت معها الديانة والمدنية والحضارة والثقافة والتقاليد والعادات وغيرها من المقومات الضرورية للحياة، فعلى هذا أين كان موطنها الأصلى ؟ مصر ، أم الهند ؟ وما الذى دفعها للنزوح إلى ما وراء البحار ؟

كل هذه الأسئلة تمر بخاطر الدارس من غير شك ، ومفتاحها تصفح التواريخ السيكولوجية للأمتين للبحث عن نفسيتهما وعقليتهما وميزاتهما التى تمثل أصل حضارتهما ، وتتبع النقوش فى المعابد التى لم يؤثر فيها كر الغداة ومر العشى ، وكل ذلك يشير إلى أن فى طيات ذلك الدفين الذى لم ينشر بعد من قبره حضارة زاهية اشتركت فى تكوينها جميع أفراد هاتين الأمتين(١) بيد أن أكثر تلك الآثار لا تزال مبهمة ولم يبين كنهها ، ولا يزال البحث جارياً لكشف ذلك ، وقد أخذت الأسباب تتوافر ومادة الاستقراء تتكون بفضل الأجهزة العلمية الحديثة . وها نحن أولاء ندعو علماء مصر والهند للتعاون على هذا الموضوع التاريخى . فهل من مجيب ؟

أبو الحسنات محمد يحيى الندوى
« طاغور » الهندى

(١) أخبر ثقة جليل القدر أنه قرأ أن جماعة من أهل صعيد مصر رحلت إلى الهند واستوطنت جنوب الدكن بمملكة حيدر آباد فى حين أن جماعة أخرى من الوجه البحرى اقتدت بهم ونزلت فى الشمال الغربى والشمال الشرقى للهند ، واستدل كاتب ذلك بأن الآثار التى اكتشفت حديثاً فى بلاد الدكن على جانب كبير من الشبه بآثار الصعيد المصرى ، وكذلك نفسيتهم وعوائدهم . وكذلك أهل الوجه البحرى أيضا الذين اختاروا لهم البلاد الواقعة بالشمال الغربى والشمال الشرقى ، والمملوءة بالأنهار والمحيطة بالبحار الكثيرة ، إلا أن الغزاة الفاتحين من التتار والمغول قد تغلبوا على الكثير من عوائدهم على مر الزمان

خـــواطر فى الحرب

للأستاذ محمد عرفة

أخير هذه الحرب القائمة أم شر ؟ إن هذا السؤال يبدو غريباً ، إذ كيف يمترى أحد فى أن هذه الحرب جمعت من الرزايا والنكبات ما تقشعر من هوله الأبدان ؟ هذه دماء سفكت ، وبيوت دمرت ، ومئات الآلاف من السكان أصبحوا لا يجدون مأوى يأوون إليه ، وهذه أقوات وأرزاق قد سلطت عليها النيران فالتهمتها ، وأصبح فريق عظيم لا يجد الطعام . هذه شعوب كانت حرة فاستعبدت ، ومن هذه الشعوب شعوب كان فى إطلاقها وحريتها مجال فسيح لابتكار ما يفيد المدنية ، وفى استعبادها وقيودها الفكرية ما يعطل هذا الانتاج

هذه أمور ظاهرة لا تجعل مجالاً للشك فى أن الحرب نكبة عالية ، ولكن على الرغم من ذلك أتساءل أخير هى أم شر ؟ وأزيد فأقول إنها ربما تكون خيراً ، وربما تكون شراً : تكون خيراً إذا رأى المتحاربون ويلات ما صنعت الحرب ، وأنه يمكن التخلص منها ، إذا علم أسبابها واجتنبت ، وأن سببها هو إحلال قانون القوة فى الأمم محل قانون العدل

إذا علم المتحاربون ما فى قانون القوة من قدرة على إضرام الحرب وسعوا للتخلص منه ، كانت هذه الحرب التى أثمرت هذه الثمرة بركة على الناس . إن من الشعوب التى غلبت على أمرها فى هذه الحرب شعوباً كانت تعامل شعوباً أخرى بهذا القانون ، فكانت تغزوها ، فإذا تغلبت عليها فرضت عليها إرادتها ، ثم تمنعها أسباب الرقى العقلى والخلقى ، لأنها تخاف إذا هى ترقت فى هاتين استثارت وطلبت الخلاص ، وربما نالته ، وكانت لا تشعر بجرم ما تعمل ، لأنها تعمل ذلك فى غيرها . وقد دار دولاب الأيام ، ووقعت هذه الأمم فى قبضة غيرها ، وعوملت بقانون القوة ، وسقيت بالكأس التى كانت تسقى بها ، فوجدت لذلك ألمه ، وعندها ربما تدرك سوء ما كانت تفعل مع الأمم الأخرى وتستنكره ، فتنكر قانون القوة ، وتعرف قانون العدل فيخسر قانون القوة بعض الأنصار ، ويكسب قانون العدل ناصراً جديداً . وفى هذا الاحتمال أيضاً خير عظيم ، لأنه خطوة واسعة فى سبيل السلام

محمد عرفة

مطالعات عابرة

العقل عنـــد المعتزلة

للأستاذ صلاح الدين الشريف

المعتزلة فرقة من أعلى الفرق الإسلامية تفكيراً وأخصبها إنتاجاً وأبعدها أثراً في فسح آماد الفقه وتقعيده على قواعد من المنطق لم تكن لجدتها مألوفة ولا مقبولة من جمهور فقهاء الإسلام. وهي إلى التزامها جانب الطرافة في التفكير وأخذها النفس بتحكيم العقل الإنساني في تفسير ما تَبَهَّم من معميات الوجود وألغاز النفس وأسرار العمران البشري، ليست تنجو من إغراق وتطرّف لعلهما كانا لازمة من لوازم النفاح عن العقيدة والوثوق بما يرتئيه العقل من رأي، وما يتأدى إليه التفكير العميق من مبدأ، وما يرتصد له من فكرة. وليس بعجيب ألبتة أن يسبق رجالها إلى استنباط فكرة «القانون الطبيعي» الذي يستلهم دستوره في التشريع واستنباط الأحكام من وحي العقل الخالص من لوثة الهوى، المصون من نزوة النزيزة؛ وهم الذين تطلّقوا في النظر والبحث من قيود التقليد وتحرروا من اندفاع المجاراة، فلا جَرَم تتبدّى ثمرات قرائحهم في مسوح من الغرابة، ولا يقبل على تناولها جمهور الأمة الإسلامية وتتنذ إلا في كثير من الحذر والشك والتحرج والارتياب!

كانت الحركة الفقهية في مطالع النهضة العامة للمجتمع الإسلامي وفي أواخر عهد الراشدين وطيلة خلافة الأمويين فالعصر الأول من دولة العباسيين، قد اتخذت أسلوباً من النشاط ولوناً من النماء لم يعهده هذا المجتمع من قبل، فكان طبيعياً أن يتأدى بالفقهاء نشاطهم إلى ولوج أحرج مشاكل الفقه، وأكثر موضوعاته جفافاً وعمقاً. وكان حتماً أن تقودهم عقولهم المتلهفة المطشى إلى النظر في فلسفة التشريع والبحث في حقيقة المبادئ والقواعد التي تسير عليها أحكام الله وأحكام الإنسان، ليتخذوا من هذه وتلك دستوراً لا يخطئ في فهم المشيئة الإلهية والحكم على حُسن أو قُبح ما يتهدى إليه تفكير الإنسان، وما يطوّعه له كسبه الاختياري المركوز في طبيعته من أقوال وأفعال

فلما اتفق جمهور الأمة الإسلامية على أن مُعرِّف حكم الله بعد مجيء الرسل هو الرسول نفسه الذي يتلقى عن طريق الوحي شرع السماء، ويبلغه إلى من بعث إليهم ليؤدي رسالته، ظهر فريقان كبيران من المسلمين حاول كل منهما أن ينفذ بالنظر العميق والذوق السليم إلى مظهر الوحي الإلهي من أمر أو نهي ليرده إلى أصله الذي صدر عنه ومبدئه الذي درج منه. فقال فريق «الأشاعرة»: إن الله تعالى في أمره ونهيه وجماع تعاليمه التي يلقنها الأنبياء بالوحي، ليس يفعل سبحانه إلا ما يشاء ولا يشرع إلا ما يريد، فهو تعالى رب العالمين ومالك الملك كله لا يسأل عما يفعل؛ وينبني على هذا دستور الأشاعرة في التشريع السماوي، وهو أن ما يأمر به الله العلي القدير حسن جميل، وما ينهى عنه هو القبيح الرديء

وأما المعتزلة فقال فقهاؤهم إلى النظر في صفات الله تعالى من لطف وحكمة ورحمة وعلم، وفضلوا أن يجعلوا منها مصدراً بدهياً لما يوحى به الله إلى رسله من نهج ومن شرعة. فهو على قدرته تعالى في تحريم ما شاء والأمر بما شاء، لا يخالف منطق العقل فيما نهى أو أمر؛ أي أنه تعالى لا يأمر إلا بما يراه العقل حسناً من قبل، ولا ينهى إلا عما يراه العقل قبيحاً من قبل

والعقل أيضاً عند هذه الطائفة، هو المنظم لأحوال المجتمع الاسلامي قبل مجيء الرسل وبعث الأنبياء، فهو الذي يهدي الأفراد والجماعات إلى فعل ما يدركون أنه حسن بالفطرة، وهو دافعهم إلى أن ينتهوا عما بان قبحه وظهر ضلاله وخبثه وخالف حكم العقل مخالفة صريحة. وإذا كانت الجنة مثوى من أطاع شرع الله ونفذ أحكامه وانتهى بنواهيه، وإذا كانت النار قراراً لمن عصوا ربهم فارتكبوا محارمه وقارفوا مناكر ما نهوا عنه وصدوا عن سبيله، فإن العقل أيضاً هو المجيز المثيب وهو المعاقب المؤاخذ. فقدرة العقل على أن يستقل بإدراك الحسن والقبح في الأفعال، وعلى تقدير ما يترتب على فعل الحسن من استحقاق الثواب وما ينجم عن فعل القبيح من استحقاق العقاب، يصح أن يعد مصدراً لتعريف حكم الله تعالى ودستوراً، من باب أولى، لتشريع السماء، بله أحكام الفقهاء

فالتشريع ، سواء أكان من وحى السماء أم من وضع البشر فى عصور ما قبل الرسل ، يراه فقهاء المعتزلة كاشفاً ومقرراً لما أدركه العقل من قبل . فهو كما ذكرنا لا يستنكر إلا ما يراه قبيحاً ، ولا يرضى إلا بما يراه حسناً . وفى كلا الحكمين يعتمد على فطرته المادية وذوقه المرهف وإدراكه السليم . ولما كانت أحكام الله عند تشريعها قد قصد بها أن تحكم مصالح العباد وتنظم الروابط الاجتماعية بين الأفراد ، وبالجملة تهدى الناس إلى التى هى أقوم ، ولما اقتضت حكمته تعالى ورحمته بعباده أن تجىء شرائعه معقولة مفهومة من أولئك المطالبين بالأخذ بها والتسليم لها ، كان « واجباً » على الله سبحانه أن يشترع لعباده الأصلح الذى يغنى والأقوم الذى يهدى ، وكان « حراماً » عليه أن يترك هذا الأمر لا ضابط له ! ...

ولعلنا لا يتداخلنا العجب بعد هذا الذى قدمناه ، إذا رأينا المعتزلة يؤمنون بمبدأ « القدرية » حتى يغلب عليهم اسمه ويصير كنية لطائفتهم تمتاز به عن غيرها من الطوائف المتفرعة عنها .

فهى ما دامت تقول بالعقل حاكما مطلقاً للحسن والقبيح من الأفعال ، وما دامت تجعل منه دستوراً لا يخطئ فى تفسير شرائع الله ، وتنظيم مصالح العباد ، واستنباط الأحكام للناس فى دائرة المعاملة ومحيط المعاش ، فإنها لن ينقطع بها تفكيرها عن درك هذه النتيجة المنطقية ، وهى أن العبد قادر خالق لأفعاله خيرها وشرها ، مستحق على ما يفعله ثواباً وعقاباً فى الدار الآخرة ، وأن الله تعالى منزه عن أن يضاف إليه شر أو ينسب إليه سبحانه ظلم ، لأنه لو خلق الظلم لكان ظالماً ، وبالتالى لو خلق العدل كان عادلاً . فالحكيم عند المعتزلة هو من يفعل الخير لأنه الخير ، ويتنكب سبيل الشر لأن شره واضح له ، أو بمعنى آخر تتقاضاه الحكمة الراشدة والمعرفة المادية أن يعتنق الحسن ليثاب عليه ، ويصدف عن القبح خشية أن يجازى به ، لأنه يحفظ بالأول أمر دينه ودنياه ، ويخرج بالثانى على أمر عقله فيعصف بحياته ويكون خاسراً لدينه ودنياه

ومن ثم كانت تكاليف الله التى أمر رسله أن يأخذوا بها العباد ، هى بمثابة ابتلاء صادق للصالح والطالح من عباده . فمن هلك فى الدنيا أو الآخرة لأنه صدعنها ، فإنما يهلك عن « بينة » أى عن تعقل وتدبر ، ومن صلح وزكا وحقق له مرافه العيش الدنيوى ومناعم الآخرة ، فإنما كان ذلك عن بينة أيضاً ، لأن أصول المعرفة وإن كانت مستمدة من العالم الخارجى الذى يتكنفنا وتقع عليه حواسنا ، إلا أن إدراك مدلولاتها الحسنة أو القبيحة وشكران النعمة على هذا الإدراك إنما مصدرهما العقل ، فالإدراك الصحيح والشكران الحق واجبان على كل مكلف لأنه رزق العقل ووهب الاختيار فى الكسب

وبعد فهل أصاب المعتزلة فى فلسفتهم هذه ، وهل هى تصلح بذاتها لتعريف حكم الله وتقعيد التشريع والفقه على العقل الذى يستقل بالقدرة على تنظيم العباد تنظيما معقولاً مفهوماً يقربون به من الحسن ويبعدون به عن القبيح ؟

قلنا إن الأشعرية يرون أن الحاكم على الأفعال بالحسن والقبح هو الله الذى لا سبيل للعقل فى الحكم عليه لأنه سبحانه متعال عن أن يحكم عليه أحد من العباد فهو خالق أفعالهم وجاعل بعضها حسناً وبعضها قبيحاً ، ويلاحظ أن فى هذا أخذاً — إلى حد ما — بمذهب الجبرية الذى يقول إن الله قدر الأفعال حسنها وقبيحها ، على الناس أزلاً ، فلا مجال لهم فى كسب أو اختيار ما دام أن العبد لم يقدّر فعله ، فضلاً عن أن الثواب والعقاب هما لله وحده وليس فى طوق العبد أن يعلم بهما إلا منه تعالى

والواقع أن الحسن والقبح إذا تأملنا فيهما تأملاً تجريديًا حكمنا بحق أنهما ليسا صفة ذاتية فى الفعل وليسا أمراً ثابتاً مستقراً فيه حتى يصح حكم العقل على حسن الفعل أو قبحه . والعقول بجانب هذا مختلفة متفاوتة لا تتفق فى حكمها ، بل إن عقل الشخص الواحد لا يثبت فى حكمه على شىء من الأشياء على حالة واحدة ، تبعاً لاختلاف المؤثرات الزمانية والمكانية وتفاوت التفكير قوة وضعفاً

ونخلص من هذا إلى أن المعتزلة قالت بنظرية القانون الطبيعى قبل الغربيين بزمن مديد ، وهى النظرية التى تجعل العقل البشرى مصدراً للقانون يعلو على التشريع سواء كان صادراً من سلطة غير منظورة كالله ، أو من سلطة منظورة كالسلطان (الإمام) .

فالعقل — كما يقولون — هو الذى يستقل بكشف قواعد هذا القانون ومبادئه الخالدة معتمداً فى هذا على الإدراك الصحيح والذوق السليم

صلاح الدين الشريف
المحامى

الى معالى وزير المعارف

التعليم الزراعى

– ٢ –

دعوتك لما براني البلاء ... وأوهن رجلى ثقل الحديد
وقد كان مشيهما في النعال ... فقد صار مشيهما فى القيود
وكنت من الناس فى محفل ... فها أنا فى محفل من قرود
فلا تسمعن من الكاشحين ... ولا تعبأن بمحك اليهود
وكن فارقاً بين دعوى أردت ... ودعوى فعلت بشأو بعيد

(المتنبي)

المستقبل:

وهكذا تتكبد الدولة ستين وخمسمائة جنيه فى السنة للمكتب الزراعى الواحد ، أى حوالى خمسين جنيهاً للتلميذ الواحد فى السنة ، أى خمسين ومائة فى السنوات الثلاث لينتهى بعدها إلى جهل مسطور فى شهادة يسمونها (الدبلوم) ، ثم يُلفظ إلى الشوارع والطرقات يتسكع بطلب الوظيفة كدأب أى طالب تخرج فى مدرسته ليزداد به عدد العاطلين عاطلاً آخر

وقد تنفرج شفتا الحياة لواحد منهم عن ابتسامة فيجد عملاً فما يلبث أن يبدو جهله ، وكثير منهم طردوا من الدوائر والضياع وشرّدوا ولم يبق منهم إلا من أصاب عملاً فى مدارس الزراعة المتوسطة .

والآن حين أسفرت التجربة عن إخفاق يندى له الجبين ، قام ناس يتنالخون عنها ، ويريدون أن ينشروا الفكرة وينشئوا مكاتب أخر إشفاقاً على أنفسهم أن تجتاحهم العاصفة .

مشروع جديد:

إلى هنا هوى المشروع بين يدى النقد الصريح ، وما كان لى أن أهدم مشروعاً دون أن ألتمس له طريقاً يسلكه صوب النجاح . وبينا أنا أفتش عن طريق الإصلاح إذا بالجرائد تطلع علينا تقول :

« أشرنا من قبل إلى رغبة وزارة المعارف فى تيسير التعليم الزراعى لتلاميذ المدارس الإلزامية وقد انتهت إلى وضع النظام التالى على أن يعمل به ابتداء من السنة الدراسية القادمة

أولاً : يلحق تلاميذ المدارس الإلزامية بالمدارس الزراعية المتوسطة ليتمرنوا تمريناً عملياً فى أقسامها المختلفة كالحقل ومعامل الصناعات الزراعية ومعامل اللبن .

ثانياً : أن تكون مدة الدراسة خمس سنوات : اثنتان إعداديتان والسنوات الثلاث الباقية يوزع فيها التلاميذ للتخصص بأحد القسمين وهما : قسم الحقل ويشمل معمل الألبان وتربية الحيوانات . وقسم البساتين ويشمل الصناعات الزراعية وتربية النحل ودودة القز

ثالثاً : ألا تقل سن التلميذ عند الدخول عن ١٣ سنة ولا تزيد على ١٥ سنة وبشرط أن ينجح فى كشف الهيئة والكشف الطبى » (الأهرام ، ٣/٨/١٩٤٠)

فقلت : لاجرم ، فقد تكسر المكتب الزراعى القديم ليكون هذا المشروع مكتباً زراعياً آخراً من نوع جديد ، وهالنى أن « يلحق تلاميذ المدارس الإلزامية بالمدارس الزراعية المتوسطة » لأمور أفصلها فيما يأتى :

أولاً : لأن التعليم الإلزامى يعم القطر المصرى كله ، والمدارس الزراعية المتوسطة فى دمنهور وشبين الكوم ومشتهر والمنيا فحسب؛ فكيف يستطيع التلميذ الإلزامى فى قنا أو جرجا أو كفر الشيخ أو كوم حماده – مثلاً – أن يأخذ قسطه من التعليم الزراعى الجديد ونحن نعلم أن تلامذة الإلزام فقراء لا يستطيع الواحد منهم أن أن ينأى عن أهله ، وإن استطاع هو فلن يرضى أبوه وهو فى حاجة إليه شديدة ، وإذن لا يمكن أن ينتشر هذا التعليم بين تلامذة الإلزام فى سهولة وبتكاليف قليلة . وإذا قيل إن هذا المشروع ستنتفع به فئة قليلة ممن يستطيعون ... فقد ضاعت الفائدة المرجوة ؛ وانمحى مبدأ (التيسير) الذى تنشده الوزارة

ثانياً : لأن أجازات التعليم الإلزامى — ولا سيما فى القرى — مرتبطة بمواسم الزراعة فالتلميذ هو عضد أبيه ... ولقد جاء فى أهرام ٢٧/٧/١٩٤٠ ما يأتى : « وافق معالى وزير المعارف على تعديل نظام الأجازات بمدارس الزراعة المتوسطة ابتداء من أول السنة القادمة بحيث لا تقع هذه الأجازات أثناء المواسم الزراعية المهمة فيفوت على الطلبة ما يمكن أن يفيدوه من خبرة

ودربة على الزراعة العملية تحت إشراف أساتذتهم » . ولا ريب فهذا قانون يسرى على كل طالب وتلميذ فى المدارس الزراعية ومن بينهم تلميذ الإلزام ، فهل يا ترى ، يضحى الأب بقوته ، أم تضحى الوزارة بالفائدة ؟

ثالثاً : لأن تلاميذ التعليم الإلزامى سيخلقون فى المدارس الزراعية فوضى يحق لى أن أسميها « فوضى الاضطراب » أو « فوضى التوسع » . ذلك لأنهم لا يستطيعون أن يقوموا بما يقوم به الطالب الزراعى فى حين أنهم يقفون معاً جنباً إلى جنب فالطالب الزراعى يستطيع أن ينهض بأعباء الدراسة فى سهولة لأنه نال حظاً من الثقافة المتوسطة ، وأن ينتظم فى الدراسة فى غير عنت لأنه كرس حياته لهذا النوع من التعليم ، وأن يدفع المصروفات لأنه غنى . أشياء تعضل كلها على التلميذ الإلزامى

ولعل إنساناً يقول : إن التلميذ الإلزامى سيتعلم مجاناً . لا بأس وإذن يجب أن يتعلم الطالب الزراعى بالمجان أيضاً ، وإلا فعلى أى أساس تكون التفرقة بين هذين التلميذين . فإن اعترض إنسان بقوله إن لكل منهما عملاً . قلت : وكيف يضمهما بناء واحد يشعر أحدهما بالكبرياء والترفع ويشعر الآخر بالضعة والذلة ؟ وكيف يضم بناء واحد فئتين من التلاميذ يدرسان فناً واحداً غير أن إحداهما دون الأخرى . لا مرية ، فهذا عمل تأباه الإنسانية وإذن لا بد أن ينفصل أحدهما عن الآخر

وهنا يتهد هذا المشروع الجديد قبل أن يبدأ

رابعاً — لأن « فوضى الاضطراب » أو « فوضى التوسع » تبدو للعين واضحة جلية حين نرى أن ناظر مدرسة الزراعة المتوسطة سيشرف على المدرسة الجديدة والمدرسة القديمة وتلامذة الإلزام ولكل فئة من هؤلاء منهج ونظام ، ثم الحقل والعمال والمخازن والآلات و ... مما ينوء بالعصبة أولى القوة . ولكن الشغف بالشىء يعمى عن الحقيقة البينة

الإصلاح :

إن نشر التعليم الزراعى بأقل التكاليف وأبسط الطرق هو المبدأ الذى وضعته أمام عينى حين أخذت نفسى — بادئ ذى بدء — بنقد هذا التعليم . وهذا المبدأ يستطاع تحقيقه بتنفيذ عملين معاً

العمل الأول : أن تصير سنوات الدراسة فى المدارس الإلزامية خمساً وتلحق بكل مدرسة قطعة أرض صغيرة تقسم إلى خمسة أقسام لكل فصل قسم يزرعه نوعاً أو أنواعاً من المحاصيل الزراعية أو الخضروات حسب تقسيم المنهاج . وهذه القطعة يزرعها التلاميذ بأنفسهم لا يساعدهم أحد إلا أن يكون للتدريب والتوجيه ليشهدوا ويعملوا بأيديهم تحت إشراف مدرس من خريجى المدارس المتوسطة . أما الماشية التى يحتاجون إليها فيستطيعون الحصول عليها من أحد أعيان الناحية أو من عمدة البلدة . ويقوم التلاميذ على حساب الإيرادات والمصروفات ، ويكلفون بجمع الحشرات المختلفة ويتعلمون (سورة الفدان) . وهكذا يستطيع التلميذ أن يتعلم فن الزراعة وفلاحة البساتين ومبادىء الكيمياء الزراعية وعلوم الحيوان والنبات والحشرات ومساحة الأراضى فى صورة بسيطة . ولاريب عندى أن التلاميذ يستطيعون بجدهم أن يسددوا إيجار قطعة الأرض الملحقة بالمدرسة ، وبذلك لا تخسر الوزارة شيئاً فى حين قد كسب الوطن أشياء كثيرة

وهذا عمل تقوم به مراقبة التعليم الإلزامى فى سهولة ، وفى غير إرهاق

ولتمام فائدة هذا العمل ينشأ فى كل مركز معمل ألبان وآخر للصناعات الزراعية يقوم عليه طائفة ممن أتموا مرحلة التعليم الإلزامى ويبتغون الزيادة : يشترون المواد الخام ، ويبيعون المنتجات ، ويحسبون الأرباح والخسائر بأنفسهم

العمل الثانى : أن ينشأ فى كل قرية أو عدد من القرى المتجاورة مكتب إرشاد يشرف عليه أحد خريجى كلية الزراعة

ويكون رئيس هذا المكتب هو رئيس مدرس الزراعة بالمدرسة الإلزامية ، وحلقة الاتصال بينه وبين المباحث الحديثة ، فهو يبلغه النشرات الجديدة ، وما يطرأ على فن الزراعة من تجديد وتغيير ، ويفتش على عمله بالمدرسة وبالحقل ، ويكتب التقارير إلى جهة الاختصاص و ...

وهذا العمل تقوم به وزارة الزراعة أو وزارة الشئون الاجتماعية

***

هذا ... وللمدارس المتوسطة جولة أخرى إن شاء الله

« للموضوع تكملة » (*)

وداع الشاطئ

من الفردوس الى الجحيم

للأستاذ سيد قطب

أحْلُ يا شطُّ ما تشاء فإني رغمَ سحرِ الجمالِ والموجِ راحلْ
راحلٌ حشدُ نفسِه لفتاتٍ ليس عن فتنةِ الجمالِ بغافلْ
قدْ دعتْهُ إلى الرحيلِ ديارٌ في صميمِ الجحيمِ تُدعى الشواغلْ
هي قبرُ الآمالِ والفنِّ والحبْ بِ وقيدٌ عن كلِّ ماشاقَ شاغلْ
وهي داري التي درَجْتُ عليها وإليها المآبُ مهما أحاولْ !

أحْلُ يا شطُّ بالجمالِ طليقاً من قيودِ الزمانِ نشوانَ واهلْ
أسكرَتْهُ الأمواجُ وهي تُزجِّي دفعاتِ الحياةِ في كلِّ نازلْ
فيرى نفسَهُ خفيفاً غريراً قاهراً قادراً يجوزُ الحوائلْ
دفعاتُ الحياةِ في الموجِ أسْنَى من بريقِ الآمالِ في نفسِ آملْ

أحْلُ يا شطُّ بالعرائسِ حوراً سابحاتٍ والموجُ ظمآنُ ناهلْ
كانفتالِ الحيتانِ في البحرِ وثباً وانثناءِ الغزلانِ والشطُّ ذاهلْ
فتنةٌ تسكبُ الحياةُ عليها سِحرَها والعيونُ حورٌ قواتِلْ
واندفاعُ الأمواجِ يُوقظُ في النفْ سِ ظماءً مُرقرقاً في الدخائلْ
وانطلاقاً من التزمُّتِ والعُرْ فِ وشوقاً إلى المباهجِ واغلْ

أحْلُ يا شطُّ لن نُطيقَ انفلاتاً من رحيلٍ إلى جحيمِ الشواغلْ

القُبْلة

للأستاذ خليل شيبوب

يا حبيبي قدْ أموتُ غدًا ذائبًا في حسرتي كمدا
آهِ لوْ تشفي غليلَ لِي في قُبلةٍ ما تنتهي أبدا
أتملاها فما لِفمٍ لِتُذيبَ الروحَ والجسدا
ناهلاً أنفاسَها عبقاً نشرُهُ يستروحُ الخُلدا
شارباً من طيبِ رَشْفتِها خمرةَ الموتِ الذي عُهِدا
حافظاً من طعمِها بفمي لهبًا يشتدُّ مُتَّقِدا
علقمًا تحلو مرارتُهُ وتشُقُّ القلبَ والكبِدا
سكرةٌ مخمورُها تعِسٌ لنْ يُلاقي بعْدها رشَدا

إيهِ يا شمسَ حياتي التي نورُها قدْ شعَّ مُنفرِدا
أنتِ روحي ليسَ عنكِ غِنًى أو تُضحّي الروحُ عنكِ فِدى
أنتِ آمالي مُجسَّمةً تزدهي ألوانُها جُدُدا
وحياتي أنتِ زينتُها جُزْتِ فيها المالَ والولدا
أنتِ سِرُّ العمرِ أفهمُهُ أنتِ معناهُ يفيضُ هُدى
إنَّهُ قدْ صارَ لحنَ هوًى وغدا قلبي به غرِدا
كانَ لي عقلٌ يُدبِّرُني وهوَ في حُبِّكِ قدْ شرَدا
كانَ لي عزمٌ أعيشُ بهِ وهوَ منِّي اليومَ قدْ فُقِدا
كلُّ ما في العيشِ منْ فِتنٍ ذهبتْ غيرَ الغرامِ سُدى
أنا مُستغنٍ بحبّي عنْ كلِّ ما في الكائناتِ بدا
آهِ يا شمسَ حياتي ألا قُبلةً أحيا بها أبدا
أتملاها فما لِفمٍ لِتُذيبَ الروحَ والجسدا

عيد ميلاد سعيد

للأستاذ العوضي الوكيل

يومُكِ يومي ، وعيدُكِ العيدُ وفيهِ تحلو لِيَ الأناشيدُ
يا روضةً قدْ زهتْ مطالعُها هأنذا في رُباكِ غِرِّيدُ
أشدو بأحلامِ مُهجتي أبداً شِعراً تُعيي سِحرَهُ الجلاميدُ
تألقَ الحبُّ في جوانبِهِ وازدانَ بالفنِّ وهو منضودُ
وسلسلتْهُ عواطفٌ سَلِسَتْ فما بشعرِ الجمالِ تعقيدُ

يا زوجتي ، يا هوايَ ، يا أملي قلبي بمعنى سناكِ محشودُ
بقيتِ أنتِ في الحياةِ وما مخيلتي إلاّ إليكِ مردودُ
من مُنذُ عشرينَ غيرَ واحدةٍ ومعدنُ الفنِّ فيكِ موجودُ

نـداء...

للأديب عبد الرحمن الخميسى

[يا حمامتى فى محاجئ الصخر ، فى ستر المعاقل ، أرينى وجهك ، أسمعينى صوتك ، لأن صوتك لطيف ، ووجهك جميل] « التوراة * »

وجهها

سوّاه ربي فتنة الأحياء … من سر مدى الحسن واللألاء

ما وجه أفروديت إلا صورة … منه ، كظل الورد فوق الماء

خط الإله السحر فى قسماته … ونماه فى جناته الفيحاء

وسقاه أرواح الجمال فكله … كل الجمال مفصل الآلاء

فيه الربيع وفيه طير ماشدت … لكنها تشدو بغير غناء

فيه من الليل الوديع قدامة … تلقى بذور الخير فى أطوائى

فيه من الألق المصفى لمعة … خمرية مشبوبة الإغراء

فيه خفوت شاعرى ، تحته … نار الشباب تسير فى استخذاء

فيه النقاوة والبراءة جمعت … وتحدرت منه إلى البراء

هو معبد تعتاش فى محرابه … صلوات عشاق ، ونسك سماء

ضحيت فيه تقربا من خالقي … بزهور عمرى والمتاع هنائى

ونفضت عني الجد ، مجدا زائفا … ونشدت فيه رفعتى وعلائى

وعبدت فيه الله لا محبوبتي … فالله مبدع تلكم العذراء

ونسجت من أنواره غيبوبتي … فوجدتها أنقى من الأضواء

ياشعرها الغربيب ليت أنا الذي … أهتز فوق جبينها الوضاء

فأمد من ذاتي قناعا حالكا … يخفي ابتسامتها عن الأحياء

فأنا أغار ، وغيرتى مجنونة … هدت بنائى ، آه أين بنائى ؟

ما حركت أجفانها إلا وقد … لطمت فؤادى غمرة الإغماء

والسهد فى العينين كبل منطقى … وأصابنى بالرعشة الحمقاء

صوتها

ينساب كالصهباء فى حسى إلى … أن تحتويه نشوة الصهباء

فتميد بى الدنيا وأنسى صرفها … وتفك روحى من إسار بقائى

وأهيم فى أفق الذهول معانقا … وهمى إلى عش من الأضواء

تختال فيه القشب من أحلامنا … وترف حولى عذبة اللألاء

هو ذخر وجدانى إذا ما فرقت … بينى وبينك رجفة الأنواء

فيرن في غورى صداه مرقرقا … شوق الحبيب إلى الحبيب النائى

ويفيح حر الوجد من أنغامه … فى حبتى وعلى هدير دمائى

فيلفنى الإعصار إعصار الجوى … وتذيب نفسى غربة الشعراء

إنى أحس لرجع صوتك فى دمى … لهبا وبردا يترعان ذمائى

وأود لو أنى هواء عاطرا … تملأ بموسيقاه فى أحنائى

أطوى عليه النفس خشية سامع … وأغار يا دنياى من أحشائى

يا ليت أني فى لهاتك غنوة … علوية التلحين والإلقاء

لسكنت فى الألباب أخلد منزل … ما دمت أنت ترنمت بغنائى

إنى الشحيح وجرس صوتك فى دمى … وسواس تبر نافذ الأصداء

حول الرنين يطوف عمرى مثلما … يتطوف الحران بالأفياء

ولسانك الذهبى قيثار سرت … من قلبه أغرودة الجوزاء

وكأنها فجر ، أنا فى نوره … جسم الدجنة ذائب الأعضاء

وكأنها عطر يضمخ مهجتى … وأنا النسيم مطهر الأرجاء

وكأنها طل يغيث حشاشتى … وأنا البنفسج فى الربى القحلاء

وكأنها جمر يحرق معدنى … ويحيلنى روحا من العلياء

وكأنها كل الحياة تدب فى … جسدى دبيب النور فى الظلماء

(*) نشيد الانشاد . الاصحاح الثانى

وقد سخا الكون حين أخرجه … وهو شحيح اليدين منكود !

خذى، خذى الشعر من مصادره … ورددیه إن لذ ترديد

ورجعى لحنه على خلدى … فإن هذا للحسن تمجيد

إن حددته الحروف فى كلم … فما له فى الضمير تحديد

يومك يومى ، وتلك تهنئتى … تزفها نحوك الأغاريد

تبلبل القلب فى مقاطعها … يهتف : عمرك كالدهر ممدود



لابد من حل

الفن . الخبز . الروح

[والرجاء فى معالى وزير المعارف الفنان الكبير « الدكتور هيكل باشا »]

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

يذكر القراء أن مدرسة الفنون الجميلة العليا تورطت فى العام الماضى مع نفسها تورطاً عجيباً إذ حكمت على طلبة قسم النحت فيها بأن يرسبوا جميعاً وأن يعيد كل منهم دراسته فى سنته نفسها

ويذكر القراء أن إشاعات كثيرة راجت حول هذا التورط العجيب ، كما يذكر القراء أن الرسالة تناولت هذا الحادث الخارق للمادة بكلمة حدث على أثرها – ولا نقول بتأثيرها – أن نقل الدكتور ناجى مدير المدرسة السابق منها ، وأن عهد بإدارة المدرسة للأستاذ محمد حسن المراقب المساعد للفنون الجميلة بوزارة المعارف

والأستاذ محمد حسن رجل له خطط يرسمها وينفذها مستعيناً عليها بجماعة من أساتذة الفنون فى مدرستى الفنون الجميلة العليا والفنون التطبيقية . وهم كلهم من الشبان المتطلعين إلى فوق ، والذين يؤمنون بأنه قد آن للمصرى الفنان – كما آن لكل مصرى – أن يزيح عن مناصب الحكومة وعن ميادين الأعمال الحرة أيضاً كل أجنبى دخيل جاء إلى مصر ليربح المال ، وليجمع المال ، وليكسب المال

وأنا وإن كنت بعيداً عن كل تعصب ، وإن كنت أكره التفريق بين الناس لأى سبب من الأسباب ، فإنى لا أملك أن أصد الأستاذ محمد حسن عن المضى فى اتجاهه ، لأنه قد تم له فعلاً التخلص من كل الأساتذة الأجانب فى مدرسة الفنون الجميلة ، وقد أحل بدلاً منهم فعلاً فريقاً من الأساتذة الشبان المصريين ، وهؤلاء هم الذين نرجو اليوم على أيديهم الخير للمدرسة ، والله الموفق .

وكما دبر الأستاذ محمد حسن مسألة الأساتذة على هذا النحو الذى ارتآه ، فقد فكر أيضاً فى مسألة الطلبة والمتخرجين ، ورسم لهم أيضاً خطة قال لى إنه عرضها على معالى الدكتور هيكل باشا فى وزارته السابقة ، كما قال لى إن معاليه وافق عليها ، ورصد لها مبلغاً من المال ليبدأ تنفيذها به ، ثم حالت الظروف القاسية التى نعانيها اليوم فبطل الإنفاق وبطل التنفيذ .

وهذه الخطة هى موضوع حديثنا اليوم ، لأننا لا نزال نرى أن هذه الظروف القاسية لا يمكن أن تكون حائلاً دون تنفيذها ، بل إننا نرى أن هذه الظروف القاسية نفسها دافع قوى يحفزنا إلى التعجيل بها

تخرج مدرسة الفنون الجميلة العليا كل عام جماعة من الشبان الفنانين ، بعضهم يلتحق بوظائف الحكومة ، وبعضهم يظل يسعى وراء وظائف الحكومة إلى أن يلتحق بها ، لأنه لا سوق للفن فى مصر

فإذا كانت الحكومة تنوى أن تستبقى مدرسة الفنون الجميلة العليا مفتوحة للطلاب تستقبلهم وتخرجهم ، فإن عليها أن تفكر فى أمرهم ، فهى المسئولة عنهم ، كما أنها المسئولة عن كل عبد من عباد الله الذين تتولى أمورهم

ونحن لا نجرؤ على مطالبة الحكومة بتوظيف كل متخرج من هذه المدرسة ، فنحن نعرف أن وظائف الحكومة محدودة ، وأن الحكومة متخمة بالموظفين ، كما أننا نعرف أن الفن لا يحيا مرتاحاً ، ولا ينمو مزدهراً فى الدواوين والمصالح

فالباقى على الحكومة أن تفكر فيه إذن ، هو أن تنشئ للفن فى مصر سوقاً ، أو أسواقاً ؛ فإذا هى فعلت ذلك ، تفتحت أبواب الحياة أمام الفنانين ، وتفتحت عيون الناس على الفنون ، وتابع الجمهور الحكومة فى الاهتمام بالفن وفى الإقبال عليه

وإذا كانت الحكومة قد آمنت بأن التمثيل فن جدير بالرعاية والتشجيع لما يهذب النفوس ويرقيها ، فأنشأت الفرقة القومية ، وفتحت بها للممثلين باباً مطمئناً من أبواب الرزق ، وإذا كانت الحكومة قد آمنت بأن للغناء والموسيقى فنان جديران بالرعاية والتشجيع لما يصقلان النفوس ويرفهان عنها ، فرعت محطة الإذاعة ، ورصدت لها إعانة سنوية تنفق على المغنين والمطربين ،

وتضمن لهم باباً مطمئناً من أبواب الرزق أيضاً ، فإن على الحكومة كذلك أن تؤمن بأن النحت والتصوير فنان لهما أثرهما فى النفوس كنيرهما من الفنون ، وعليها بعد ذلك أن تفتح للنحاتين والمصورين الذين تربيهم باباً مطمئناً من أبواب الرزق كما فعلت ذلك مع غيرهم

فما هى هذه السوق التى تستطيع الحكومة أن تنشئها للنحاتين والمصورين ؟

« المتاحف » ، فهى أول ما يرد إلى الذهن ، ولكن التجربة أثبتت أن الجمهور المصرى منصرف عن المتاحف انصرافاً تاماً ، وأن كل ما ينفق عليها عبث لا يجدى ولا يعود بالنفع ، فهى بعيدة عن الجمهور ، لا يقصد إليها أحد ، ولا يستمتع بها أحد ، ولا يتأثر بها أحد . والذى نريده نحن أن نضع الفن تحت أعين الناس حتى يروه ويتأثروا به ، ثم يحبوه ، ويقبلوا عليه

وقد ألهم الله الأستاذ محمد حسن فكرة ضمنها تقريره الذى رفعه لمعالى الدكتور هيكل باشا فوافق عليه ولكنه توقف عنه للأزمة الطارئة ...

وتلك الفكرة هى أن تقرر الحكومة تزيين معاهدها ودورها العامة ، وحدائقها ومتنزهاتها ، وشوارعها وميادينها بالصور والتماثيل ...

وتستطيع الحكومة أن توفر آلاف الجنيهات من ثمن السجاجيد التى تفرشها على الأرض فى دورها ومعاهدها ، وأن تعطى هذه الآلاف للفنانين المصريين الذين يشكون اليوم أزمة البوار بينما اليوم هو يومهم الذى تلطب البلاد فيه نفثات أرواحهم

ومعالى الدكتور هيكل باشا أول من يعرف أن نفوس الجماهير لا يؤثر فيها شىء مثلما يؤثر فيها الفن ، وأنه لا يملؤها عزماً وحباً للحياة إلا الفن ، وإنى أخجل من التحدث إليه فى هذا الموضوع لأنى واحد من أبنائه فيه ، فقد تعلمت من كتابته كما تعلم غيرى أن تباشير النهضات دائماً لا تكون إلا فنوناً يتلوها العلم ، ثم يتلوه العمل

فإذا قيل لنا إن الظروف القاسية التى نعانيها اليوم تمنعنا من التبذير ومن الإنفاق على الفنون الجميلة فى الوقت الذى نحتاج فيه إلى الإنفاق على ما هو أهم منها وأكثر ضرورة ووجوباً فى هذه الظروف ، قلنا إنه لا شىء أهم من الفن فى هذه الظروف ولا شىء أكثر منه ضرورة ولا شىء أكثر منه وجوباً

وإن نظرة واحدة نلقيها على الدول المتصارعة فى العالم اليوم تثبت هذا الذى ندعيه ، فألمانيا وإيطاليا استمانتا بالفنون على تهييج شعبيهما ، فما فى برلين ولا فى روما ميدان إلا وفيه تمثال ، وما فى برلين ولا فى روما شارع إلا وفيه صور وخرائط ورموز تشعل الحقد والغرور فى نفوس الناظرين إليها من أهلها ، وإن بريطانيا العظمى اليوم لتستعين بالأدباء والخطباء على إثبات حقها فى الدفاع عن الديمقراطية التى تتحدى بها الديكتاتورية وتناصرها عليها . وكل من ألمانيا وإيطاليا وبريطانيا العظمى تنفق على التصوير والنحت والأدب والخطابة ملايين الجنيهات غير آسفة ، لأنها تعرف أن هذه الفنون غذاء لازم للأرواح لا تستطيع الأرواح الإقبال على الكفاح أو الثبوت فيه إلا إذا شبعت وارتوت منها . وإذا كانت هذه الدول تؤمن بفوائد الفنون هذه الإيمان ، وإذا كانت هذه الفنون قد أحدثت فى هذه الدول هذه الآثار التى نراها من احتمال المقل فى الألمان والطليان والصبر الجبار عند البريطان ، فإنه جدير بنا أن نهرع إلى هذه الفنون لنشبع أنفسنا ونرويها منها ، فلسنا نعيش فى دنيا غير الدنيا التى تعيش فيها هذه الدول ، وإنما نحن فى مركز الدائرة ، وإذا نحن فوتنا هذه الفرصة وقعدنا فيها عن استغلال الفنون فى إثارة الروح الوطنية فى نفوس المصريين ، فإننا قد لا نحتاج بعد اليوم إلى الفن يحيينا ، لأننا قد نحتاج بعد اليوم إلى أدوية وضروب أخرى من العلاج

هذه الظروف القاسية إذن هى أنسب الظروف لإنعاش الفنون الجميلة وإحيائها وتفتيح الأسواق للفنانين ، وتستطيع الحكومة أن تبدأ منذ اليوم بإنشاء مكتب جديد فى وزارة المعارف لشراء الصور والتماثيل من الفنانين لتوزيعها على الدور العامة والمعاهد الحكومية والميادين والمتنزهات والشوارع ، وأظن أن تاريخنا الطويل مملوء بالموضوعات الوطنية الجبارة التى تفعل فى النفوس فعل السحر ، كما أظن أنه كان من آبائنا وأجدادنا أبطال من حقهم علينا ، ومن حقنا على أنفسنا أن نخلد صورهم أمام أعيننا لننظر إليها دائماً ولنستقى من معانيها آيات المجد والحرية والإيمان .

ولعله مما يضيق به صدر الحق والفن أن تكون كليات الأزهر خالية من تماثيل أبطال الأزهر وصورهم ، وأن تكون الكلية الحربية خالية من صور زيتية تخلد البطولات المصرية

والانتصارات المصرية فى تاريخنا القديم وفى تاريخنا الجديد ، وأن تكون كليات الجامعة خالية من تماثيل رجال العلم ورجال الأدب المصريين والأجانب الذين لا نزال نتتلمذ عليهم ونأخذ عنهم ، وأن تكون دار البرلمان المصرى مزدانة بصور فوتغرافية ملونة صنعتها آلات جامدة فهى لا تجسد للعين ولا للقلب المزايا التى استحق أصحاب هذه الصور أن يحتفظ البرلمان المصرى بصورهم لها وأن يزين جدرانها بها من أجلها . ولعله مما يزور عنه الذوق أن تكون دور الأوبرا المصرية خالية من صورة أو تمثال لسيد درويش وسلامة حجازى ، وعبده الحامولى ، ومحمد عثمان وغيرهم من الفنانين المصريين ... ولعل ... ولعل ... ولست أريد أن أمضى فى تعداد نواحى النقص هذه البارزة فى حياتنا فنحن نعرفها ، وليس فينا من يجهلها ... والذى يهمنا اليوم هو أن نبدأ بعلاجها لأننا قد شبعنا كلاماً فيها

بقيت بعد ذلك فكرة طريفة ، قال لى الأستاذ محمد حسن : إن بعض الدول فى أوربا تنفذها بالفعل ، وهى أنها تلزم أصحاب العمارات والبنايات الكبيرة بأن يخصصوا اثنين فى المائة على الأقل من تكاليف بناياتهم وعماراتهم لزخرفة هذه العمارات والبنايات وتزيينها بالرسوم والتماثيل والصور . ولا شك أن تنفيذ هذه الفكرة يفتح الميدان واسعاً جداً أمام الفنانين ، وهو فى الوقت نفسه لا يضر أصحاب العمارات والبنايات فى شىء

* * *

والآن : الطريق أمامنا ممهدة معبدة . ونحن إذا آمنا بفائدة الفن وفعله فى النفوس وأردنا أن نستغله لترقية أنفسنا فإننا من غير شك سنجد أنفسنا حيال أزمة هى عكس الأزمة التى نشكو منها اليوم ... فنحن اليوم نبحث عن عمل للفنانين . ولكننا عند ما نبدأ بتنفيذ هذه الفكرة سنجد أنفسنا مشغولين بالبحث عن الفنانين لكثرة العمل

وعلينا أن نذكر أخيراً أن الحكومة إذا بدأت بتقدير الفن والفنانين المصريين ، فإن كثيرين من عظمائنا وأغنيائنا وفقرائنا سيتبعونها فى هذا التقدير ، لأننا شعب تعود أن يتأثر « الميرى » دائماً . ويا حبذا أن نتأثر « الميرى » فى الخير

عزيز أحمد فهمى



قصــــة الفيتامين

الأستاذ عبد اللطيف حسن الشامي

— ٣ —

عاد البحث ثانياً عن « الفيتامينات » عقب سني الحرب في سنة ١٩١٩ ، بعد ما انطفأت شعلة الحرب واتجهت الإنسانية تسير وجهة علمية مدنية، وعاد شغف البحاثين وولع العلماء في جميع المعامل بمتابعة التوسع في دراسة مبهمات هذه المادة الغذائية اللازمة للحياة ، والتي دلت عن طريق التجارب الغذائية على وجودها في كثير من الأطعمة مثل الخميرة والزبدة وكبد الحوت والبيض والقشدة وبذور الحبوب والكرنب والكرنبيت والخس والطماطم وغيرها ، كما اتضح أنه يستحيل نسبتها جميعاً إلى أصل مادة واحدة ، فهي إذن تنتمي إلى مجموعات عضوية مركبة مختلفة التركيب .

ومن المشاهد أنه في حالة غياب أي نوع واحد من الطعام يحمل الفيتامين تظهر أعراض مرضية تختلف عن تلك التي تظهر عادة عند نقصان نوع ما من الغذاء . فالحالة الأخيرة تتلاشى فيها الأعراض عند إكمال النقص بعكس الحالة الأولى التي تستدعي لزوال أعراضها مصادر عديدة مختلفة من الفيتامينات

وبتوالي استنباط وتجديد تراكيب غذائية مختلفة لا توجد فيها الفيتامينات إما من الأصل أو سُلبت منها قسراً ، وإجراء هذه التراكيب على الحيوانات كالفيران ، وملاحظة ما يطرأ من الأعراض ويجد ، ثم معالجة هذه الأعراض بالدقة والترتيب اللازمين ، وذلك باجتناب المواد المسببة لتلك الأعراض . من تلك المشاهدات ، ومع ما تستوجبه من الحرص والكفاية أمكن للعثور باديء ذي بدء على أربعة أنواع من الفيتامينات . ومع ضياع كل الجهود التي ذهبت حينذاك هباء للتدليل على الفيتامينات من الناحية الكيميائية ، أو لتكييفها طبيعياً ، فقد وضحت طريقها ووضعت لهــذه المواد الحيوية المبهمة غير المحدودة المعالم الرموز : A, B, C, D.

لم يثن هذا من عزم الباحثين ولم يقف الجمود أمام سر تركيب الفيتامينات حجر عثرة في طريق البحث والتطلع من الستار الحاجبة أخذت تنهتك وتشف ، وأخذ في تطبيق النتائج التي وُصل إليها عن طريق تغذية الحيوان — على الإنسان . وقد أدى هذا إلى معرفة وتشخيص كثير من الأمراض كانت مجهولة الأسباب حينذاك مثــل : البرى برى والأسخربوط والبلاجرا (الطفح الجلدي اللومباردي — نسبة إلى لومبارديا في إيطاليا) والراخيتيس فعُرّفت بعدئذ بأمراض نقص الفيتامين أو الفيتامينوزات

وكان من أثر هــذه النتائج وشيوعها ، واستغلال بعض الصناعيين لها في ترويج مستحضراتهم بعد ما عرف أن الأمراض سابقة الذكر غيرُ مستعصية العلاج — أن ظهر ما سُمي حينذاك « بشبح الفيتامين » أو « حمى الفيتامينات » الذي يُذكر من جديد « بشبح البكتريا » لعشرين سنة خالية قبل هذا التاريخ إذ قيل عند اكتشافها بأن كائنات دقيقة حية هي التي تنقل المرض وتسبب العدوى ، لذا وجب الإغلاء والتعقيم كي تموت هذه المسببات ، بينما قيل العكس في الحالة الجديدة التي يشار فيها بعدم الإغلاء أو الطهي إن أمكن حتى لا تؤذى الفيتامينات أو تتعرض حيويتها للهلاك

وقد أدى هذا إلى كثير من الخلط والالتباس ، تعرضت له حالة الفيتامين الجديدة إبان نشوئها إلى كثير من الشبهة ، وليس فقط في مستهلها بل وفي أثناء إتمام بحثها مما سنراه

ولقد أسيء كثيراً إلى كلمة الفيتامين نظراً لاستعمالها في أوضاع خاطئة ولتشعب النواحي والأفكار بخصوص ما ينتظر منها ومن أثرها ومدى عملها في منع أو شفاء كثير من الأمراض، ومع هذا فقد بلغ علم دراسة الفيتامينات شوطاً كبيراً في السنين الأخيرة حتى يومنا هــذا — شوطاً ذا أهمية عملية بالنسبة لحياة الإنسان اليومية ، مما لا يمكن أبداً الإقلال من قيمته بل على العكس إكباره وتقديره . وليس هذا فقط لما جدّ من اكتشاف أنواع أخرى من الفيتامين ولا لما عرف من عديد

الأمراض التى كانت مجهولة الأسباب فأضحت أسبابها بيّنة ممكنة العلاج ولا لما أمكن تحضيره من هذه الفيتامينات صناعياً وما يجرى العمل لإتمام تحضيره، بل لقد تهيأت الأسباب حديثاً لمعرفة طبيعة الفيتامين ومهمتها وعملها فى الجسم وقصرُ ما بين حجابها وبين الإنسان

وإذا ما أردنا بكلمات قليلة أن نحصر أو نعرف أهم ما عرف عنها إلى اليوم وجدنا أن الفيتامينات عبارة عن مجموعات أو مخلوطات عضوية مختلفة التركيب هى نتيجة تطورات (تعقيد) لعوامل مساعدة فى التمثيل (التحول الغذائى) وعليه تكون الحاجة إلى وجود الفيتامين فى الخلية الحية من أوجب الضرورات. وبما أن الفيتامينات قد وجدت فى أصل البحث فى النبات فيغلب على الظن أنها تقوم فيها مقام المواد الفعالة (الهرمونات) فى جسم الإنسان والحيوان، كما وجد أن بعض النباتات قد تصيبها بعض أمراض نقص الفيتامين وهذا ما وصل إليه حديثاً العالم النباتى بورجيف Burgeff إذ أثبت أن نبات Orchidecnsamen يموت تدريجياً إذا لم يحصل أثناء نموه على الفيتامين (ب) عن طريق نبات فطرى يعيش عليه معيشة اتحادية، وذلك لأن النبات نفسه غير قادر ولا مهيأ لعمل الفيتامين. وكما أن الفيتامينات ضرورية جداً فى جسم الإنسان والحيوان ولا معدى عن وجودها فيه فهى كذلك (ضرورية) حتى عند الحيوانات الدنيئة — فقد تصيب الحشرات مثل الصراصير (صراصير المطبخ) والنحل ويرقة السوس أمراض نقص الفيتامينات

يجب إذن تموين جسم الإنسان والحيوان دائماً بتلك المواد الحيوية، إما بفيتامينات كاملة أو أولية التركيب «بروفيتامين» وذلك لتسهيل عمل الخلية الحية أو مجموعة الخلايا وبالتالى لتنظيم سير الجهاز الحيوى (دورة الحياة)، وتكفى منها كميات صغيرة جداً وتعتبر كمصادر قوة أو كمواد البناء أو التشغيل فى عملية التمثيل الغذائى وقد تعمل بين بعضها وبعض بطريق التبادل أو يحتل جزئيًا بعضها أماكن بعض كمساعدة أو مدببة للأدوار المعقّدة التى تقوم بها الخلية فى عملية التمثيل

فكما أن أى رئيس لأية فرقة موسيقية لا يشترك كباقى الأفراد فى إدماج أو إدخال أى صوت آلى من عنده له أثرما فى النغم أو اللحن النهائى ولكنه كمشجع أو مهدىء أو ضابط للايقاع أو موجه للعمل الآلى لبقية الموسيقيين فكذلك يمكن تشبيه الفيتامينات بضابط للايقاع فى فرقة متنوعة الأصوات، هى تشبه فى مجموعها وعملها التداخل بعضه فى بعض التفاعلات الكيميائية فى الجسم؛ فإذا انعدمت هذه القوة الدافعة المشجعة تداعت بالتالى القوات الأخرى أو ثبطت همتها أو تراخت ثم يقف التعاون بينها ويضطرب التجانس، ثم لا يلبث أن يظهر هنا وهناك أمراض تسترعى الانتباه

وفى سبيل معرفة ميكانيكية أو تاكتيك المهام الدقيقة التى تقوم بها الفيتامينات بدأ العلم يجنى أول ثمار بحثه وجهوده لاسيما بعد أن أصبح من المحقق الثابت أن عمل الفيتامين فى الصميم يستقر هناك وراء كل دور أو عمل حيوى، فهو بهذا هناك حيث تجرى عملية تحويل المواد فى الخلية أى حيث يكمن سر الحياة.

ويقوم عمل الفيتامين فى الخليــة على ثلاثة أمور: أولها تأثير تلك المواد الحيوية فى شكل وصفات الخلية — فى نموها وفى بنائها وتكاثرها وتجددها. وثانياً تأثيرها فى قوة أسطح وجدر الخلية مما يفرق مسامية وشعرية (نفاذية) بعض الخلايا عن بعضها كالحال فى خلايا الأمعاء الماصة. وأخيراً وأهم أمر — هو قيادة وتوجيه التحليل الغذائى فى الخلية، كما تعمل على ترتيب تنفس الخلية ومباشرة تحويل المواد نتيجة الاحتراق إلى حامض كربونيك وماء فى الخلية مستخدمة فى ذلك ذرات دقيقة من المعادن الثقيلة كالحديد والنحاس والمنجان وغيرها كوقود لتدفئة وتسخين أفران الاحتراق — ويتعين على كل نوع من الفيتامين بدوره تقديم مساعدته الخاصة به فى الجهة الخاصة من الخلية للمساهمة فى ناتج العمل الحيوى الكبير، ولكنه لم يتهيأ للآن إكمال هذه النقطة الأخيرة بحثاً وقد يقف بعض الفيتامينات والهرمونات قريباً من بعض فى التعاون والعمل لدرجة يصعب معها أحياناً تمييز بعض أمراض نقص الفيتامين عن الاضطرابات الهرمونية

وكما تعمل المواد البوتينية فى الغدد الفارزة كذلك لا يعدو عمل الفيتامين أن يدير أو ينظم التحويلات الغذائية المعقدة التى يرتكز عليها سير ونظام الحياة؛ ولبلوغ مهمتها هذه حد الضبط والإنجاز هيأت الطبيعة ترتيبات وممدات عظيمة ما زال الإنسان يتخيلها ويضرب فى التعرف عليها.

وليس للفيتامينات ككميات مجتمعة (متكورة) أى تأثير، ولكنه — لكى تقوم بعملها — يجب أن تكون دقائق منتشرة فى كل تيارات العصارة؛ ولكن إذا بلغت هذه الدقائق مبلغاً متناهياً



سؤال وجواب !

توهم أحد القراء أنى وقعت فى غلطة إعرابية مكشوفة بنصب كلمة « سجية » فى هذا البيت :

فلا تحسبوا هندًا لها الغدر وحدها
سجية نفس ، كل غانيةٍ هندُ

ولو كان هذا القارئ يعرف أنى فى الإنشاء أسرع من أقدر الناسخين ، لفهم أن من الجائز أن يندّ القلم فيرسم الضمة فتحة أو بالعكس ، على فرض أن ما وقع لم يكن غلطة مطبعية

وإنى أوجّه الأسئلة الآتية إلى ذلك القارئ المُتحذلق :

أولاً : مَن قائل هذا البيت ؟

ثانياً : مِن أى شاعر سُرق هذا البيت ؟

ثالثاً : من هم النقاد الذين نصوا على أن هذا البيت مسروق ؟

رابعاً : ورد هذا البيت فى رسالة لأحد كتّاب الأندلس فمن هو ذلك الكاتب ؟

خامساً : فى هذا البيت دقيقة نحوية ودقيقة بلاغية ، فما هاتان الدقيقتان ؟

سادساً : فى هذا البيت كلمةٌ اختلفت فيها الروايات ، فما هى تلك الكلمة ؟ وما هو الكتاب الذى نص على ذلك الاختلاف ؟

سابعاً : أخطأ أحد الخطباء المشاهير فى هذا البيت، فجعل « الصدّ » مكان « الغدر » ، فمن هو ذلك الخطيب ؟ ومن هو الناقد الذى استدرك عليه ؟ وفى أى مجلة نشر ذلك الاستدراك ؟

ثامناً : نقل أحد الصوفية هذا البيت إلى معنًى من المعانى الروحية ، فمن هو ذلك الصوفى ؟ وفى أى بلد طُبع كتابه أول مرة ؟ وما اسم ذلك الكتاب ؟

تاسعاً : لو قال قائل : إن نصب « سجية » هو الصواب ، فما وجهه عندك ؟ وما نظائره فى كتب العربية ؟ وما وجه الإشكال فيه على التدقيق ؟

عاشراً : هل تعرف الشاعر الذى يقول :

وابنُ اللَّبون إذا ما لُزَّ فى قَرَنٍ   لم يستطع صولة البُزْل القناعيس

هذه عشرة أسئلة ، فيها ما تعرف ، وفيها ما تجهل ، وفيها ما تذُوق . فإن أجبت فلك الحق فى أن أشير إلى اسمك بعبارة كريمة ، وإن سكتَّ فعذرُك مقبول ، لأنك بالتأكيد من أبناء الجيل الجديد، وهم مَن أعرف وتعرف فى قلة الصبر على متاعب الجهاد

وإليك التحية من الباحث الذى يرجو ألا تضطره إلى التكبر والازدهاء ، والذى يوَدّ أن تذكره بالخير حين تخرج بمانية من هذه الرياضة الذهنية

زكى مبارك

فى الدقة والصغر تراجع تأثيرها . ولتشبيه هذا العمل نتمثل لعبة من لعب الأطفال تتكون من كور ذات أحجام مختلفة تقابلها حفر (فتحات) معينة ذات اتساع كاتساع الكرات ولكن تضيق عنها قليلاً ، ثم زد على الكرات الأصلية كرات أخرى أكبر منها وأخرى أصغر منها ، فالكور الكبيرة لا تدخل الفتحات ولا تستقر فيها ، والصغيرة تنفذ فيها ولا تستقر كذلك، والكور ذات الحجم الخاص هى التى تستقر وتملأ مواضعها . ولهذا قامت الطبيعة تبعاً لاختلاف انقسام جزئيات الكلوريد بعمل طريقة فذة لتنظيم سرعة الوظائف والأدوار الحيوية، وهذا من أهم ما تم معرفته للآن عن التأثير الميكانيكى الدقيق للفيتامينات

وتبعاً لنداء فيتامين ما — سرعان ما تلبى النداء الخلايا التى فى انتظار تغييرات هامة يجب حدوثها فيها . وهكذا يتعين بحضور الفيتامين فى خلايا الجسم قيام الوظائف الحيوية التى منها : اطراد النمو، المناعة ضد الأمراض الناقلة وغيرها، بناء العظام، منع النزيف الدموى ، حفظ نشاط مركز الجهاز العصبى ، قوة التوالد والنسل

ويبلغ عدد الفيتامينات التى عرفت للآن أو على الأقل عرفت مصادرها ومدى عملها وتأثيرها أربعة عشر فيتامينا، وهذا فى مدى ربع قرن من الزمان ، وسنكتفى هنا بالفيتامينات الهامة ذات الأثر الفعال فى حياة الإنسان وهى المواد الحيوية .A, B, C, D, E ،

ونبدأ أولاً بالفيتامين الذى كان سبباً فى البحث وراء المواد الشافية الموجودة فى الغذاء ، وبه بُدىء درس هذه المواد الحيوية ، ألا وهو الفيتامين B.

« يتبع »

عبد اللطيف حسن الشامى
مهندس

وفاة أمين الريحاني

نعت أخبار « بيروت » الكاتب الفيلسوف الأستاذ « أمين الريحاني » . قضى أجله بالفريكة ، بعد أن طوّف فى بلاد الشرق والغرب ، واستخدم قلميه العربي والإنجليزى فى التعريف بملوك العرب وآدابهم ، وله فى ذلك آثار باقية . وهو أحد ثلاثة أقاموا الأدب اللبنانى المعاصر على أسس جديدة من الفن الحديث : جبران خليل جبران ، وميخائيل نعيمة ، وهو . ومن أشهر مؤلفاته «ملوك العرب» فى ثلاثة مجلدات بالعربية والإنجليزية ، و « تاريخ نجد الحديث » ، و « كتاب المحالفة الثلاثية فى المملكة الحيوانية » ، و « كتاب الريحانيات » فى أربعة أجزاء ، ضمنه مقالاته وخطبه ، ورسالته عن الثورة الفرنسية ، و « المكارى والكاهن » وديوان شعر سماه «سبيل الرؤيا» وليس من شك فى أن رجلاً كأمين الريحانى لا يستطيع الموت أن يحجب عن الناس منه غير وجهه ، ولكن آثاره الخالدة ستنشره فى الوجود كتاباً تقرأه الأجيال ، فترى فيه مثلاً رائعاً للجهاد الصادق ، والفكر السليم ، والأدب اللباب .

ثقافة الدكتور أدهم

إنّ نوع الأسئلة التى طرحها الأديب ابراهيم حسنين البريدى مما يُباح فى حياة الأفراد ليدافعوا عن أنفسهم بأنفسهم ، ولكنه مما لا يُباح إطلاقاً فى أى أمة راقية بعد وفاتهم وقد عجزوا عن البيان والدفاع . ولا أدرى أين كان صاحبنا الفاضل هذه السنوات التى ملأت فيها بحوثُ أدهم ونقداته ونقاشه أشهرَ الصحف والمجلات؟!

وواضحٌ مما ذكره أحد الأدباء المعروفين الدكتور أبو شادى وردَّدته « الرسالة » الغراء أنه لم يفته فى حياة أدهم تبليغ القنصلية التركية فى الأسكندرية عنه ، بل تبليغ النيابة كذلك ، فكان ردّ الفعل الوحيد لذلك زيادة تقديره وحمايته

والأسئلة التى ردَّدها أديبنا « البريدى » ، أجاب عليها سلفاً فى كتاباته المرحوم الدكتور أدهم نفسه ، فهو أولى بالرجوع إليه والاعتماد عليه ، إلاّ إذا كان الغرض إثارة الغبار حول الميت ودعوة أخى الفقيد للمساهمة عن غير وعى فى ذلك !

وإنّ لمن العجيب أن يقال : إنّ الفقيد لم يكن يعرف الألمانية ولا الروسية ، وقد كانتا بين وسائل مراجعه كما يعلم كل من اختلط به وعرفه من أصدقائه الأدباء ؛ ولو قيل : إنه لم يكن واسع التضلع فى الأخيرة ، لكان هذا معقولاً . كذلك من العجائب أن يقال: إن كتاب « لماذا أنا ملحدٌ ؟ » مترجمٌ . مع أن ثلاثة أرباعه ذات صلات شخصية ، وقد انتقده بشدة الدكتور أبو شادى فى كتاب عنوانه « لماذا أنا مؤمن ؟ » ، فردّ عليه الفقيد رداً مطوّلاً بليغاً . فهل كان ناقلاً ذلك الردّ عن لغة أجنبية أيضاً ؟ ! يا سبحانَ الله ! أمحارَبٌ العبقرية فى بلادنا إلى هذه الدرجة ؟ !

ليقلْ الشانئون والحاسدون فى هذا الألمعى الفذّ ما طاب لهم أن يقولوا، فإنّ العبقرية غريبةٌ دائماً فى هذا الشرق، وقد اعتدنا جميعاً ذلك، ولكنّ العديدين الذين حضروا مجالس أدهم ومحاضراته شهودٌ أحياء على ذكائه النادر وثقافته المدهشة البعيدة عن كل ادعاء، وآثاره التى ستُطبع ـ بالرغم مما ضاع منها ـ شهودٌ عدولٌ. (مؤرخ)

حول مقال « أضرار التشجيع »

قرأت فى عدد مضى من الرسالة الغراء للسيد سعيد الأفغانى مقالة عنوانها « أضرار التشجيع » حمل فيها حملة طائشة علىّ ملأها كلمات كان ينبغى أن ينزه لسانه عنها ، وما كنت أبيح لنفسى أن أهبط للرد عليه لولا أنه تعرض لكتاب « سر الصناعة » الذى أريد نشره والذى يشهد أستاذى الجليل ابراهيم مصطفى أننى كنت عاكفاً على دراسته وتصحيحه عن نسخة دار الكتب المصرية منذ عام ١٩٣٢ حينما كنت أقرأ عليه العربية فى كلية الآداب . ولما أتممت دراستى فى مصر ورجعت إلى الشام ظفرت فى المكتبة الظاهرية بنسخة ناقصة الجزء الثالث ولكنها جيدة الخط مضبوطة فاستنسختها ، ثم أردت مقابلتها على الأصل فاستعنت بالأفغانى فى ثلاث أو أربع جلسات فى الغرفة التى كان يجلس فيها الأستاذ فوزى العانى أحد موظفى المكتبة، فكنت أقرأ عليه من المستنسخة وهو يقابل ذلك على الأصل، ولما اعتذر عن العمل طلبت من الأستاذ العانى أن يتم العمل فى أوقات فراغه ففعل وله الشكر . ثم ذهبت إلى باريس فقابلت نسختى على نسخة المكتبة الوطنية فيها ، وكان يعيننى فى ذلك الأستاذ الأديب عبد الوهاب حومد ، ثم عدت إلى الشام وفى نيتى الذهاب إلى استنبول للمقابلة أيضاً، ولكن الظروف الحاضرة منعتنى من السفر وأنا أرجو الله أن تزول هذه العقبات حتى أذهب فأتم الكتاب الذى عاهدت الله أن أخرجه خير إخراج ممكن

هذا تاريخ قصة «سر الصناعة» ، فما هى دعوى السيد سعيد؟ إنه يزعم أننى قرأت الكتاب كله أو أكثره عليه ، وأنه أملى علىّ تعليقات وشروحاً من فيض خاطره فتبنيتها ... الخ ما جاء فى مقال الأديب الأفغانى . وردى على ذلك منحصر فى النقاط الآتية :

١ — ليس فى النسخة المراد نشرها تعليقات ولا شروح ، وإنما فيها ذكر لما فى النسخ (نسخ باريس ومصر ودمشق واستنبول) من اختلاف ليس غير

٢ — شهادة الأستاذ العانى التى أداها بمحضر من الأساتذة يوسف العش محافظ المكتبة ، ويسن الخانجى أمين سر المجمع العلمى ، والمحامى طاهر خياط . وهى تؤيد ما قلت من أن اجتماعى بالسيد سعيد لم يتجاوز ثلاث أو أربع جلسات ، وأنه هو ـ أى العانى ـ الذى أتم المقابلة

٣ — تخلفه عن الحضور إلى الاجتماع الذى دعانا إليه الأستاذ الكبير خليل بك مردم لبحث القضية والتحقيق فيها

هذا ما أقوله وهذا ما أريد أن يطلع الناس عليه ليروا ضرباً من خلقنا العلمى والاجتماعى . وأنا أسأل الله أن يلهمنا الأدب ويوفقنى إلى نشر الكتاب

أسعد طلس
خريج الجامعة المصرية ودكتور فى الآداب

اكمال بيت فى المخصص وتصحيح احدى حواشيه

إن من شرائط نشر المخطوطات اقتناء الناشر لما يستطيع جمعه من نسخ الكتاب مخطوطة ومصورة واتخاذ أصح نسخة منها قطباً يرجع بسائر النسخ إليه ويديرها عليه بالعرض والمقابلة وقد لا يوجد من هذا الكتاب إلا مخطوطة واحدة . فإن كانت صحيحة مضبوطة بقراءة العلماء ومعارضتها بالأصل ، وكان الخط جلياً متقناً ، عدّ ذلك من بركة النسخة ويمن طائر الناشر ، وقد تكون بذلك أصح من المنشورة بعد المعارضة على كثير من المخطوطات غير المضبوطات ، ومن أشباه هذه النسخ الوحيدة المخدومة كتاب (المثنى والإبدال) لأبى الطيب اللغوى صاحب مراتب النحويين ، وصديق أبى الطيب المتنبى ، وتلميذ الإمام المطرزى غلام ثعلب ؛ فإنى قد ظفرت بدمشق فى مكتبة العلامة أبى اليسر عابدين (حفيد صاحب حاشية ابن عابدين المشهورة) بنسخة تغلب عليها الصحة ، وعلمت بعد طول البحث والتنقيب أنها يتيمة فى العالم فلم أتمكن من مقابلتها على مخطوطات أخرى ، وإنما هوّن علىّ خطب نشرها غلبة الصحة كما ذكرت عليها ، وسأصفها وصفاً علمياً ببحث خاص فى مجلتنا هذه الممتعة قريباً

أما مخطوطة المخصص لابن سيده المعروف بصاحب المحكم فإنها تشبه مخطوطة المثنى بكونها وحيدة يتيمة ، ولكنها « قد ركض فيها البلى ولعب ، وأكل منها الزمان وشرب ، حتى أبلى ثوبها القشيب وأذوى غصنها الرطيب » — كما ذكر ذلك الأستاذ طه محمود رئيس التصحيح بدار الطباعة الأميرية فى خاتمة المخصص ؛ وبذا كثر فى المطبوعة البياض والنقص والتصحيف ، ولولا مرجع اللغة والأدب فى عصره محمد محمود التركزى الشنقيطى وجميل عنايته بالمخطوطة لكثرت أغلاطها واستشرى فسادها ، ولكنها مع ذلك لم تخل من نقص ، والكمال الربانى معوز ، فوقعت فى المتن والحواشى الشنقيطية أغلاط لا يحسن السكوت عليها ولا سيما فى أصول اللغة، مثال ذلك ما جاء فى السفر العاشر من المخصص (ص ١٦٧س ٤) ، وما نصه ورسمه :

(١) وكنا ما اعتفت   طلاب الترات مطلب

فقد علّق عليه إمامنا الشنقيطىّ رحمه الله التعليقة التالية بنصها :

(١) قوله : (وكنا ما اعتفت) هكذا وقع فى الأصل ، وهى عبارة لا يدرى أهى شعر أم نثر ، وليس لها معنى ، وقوله (طلاب الترات مطلب) هو بعض بيت من الطويل ورد فى قول الخنساء :

تطير حوالىّ البلادُ براقشاً   بأروعَ طلابِ الترات مطلّب

والشاهد فى (براقش) ، لأن من معانيه الأرض الجدبة الخلاء ، ولكنه ضاع من الأصل مع ما ضاع منه هنا ، وكتبه محرره محمد محمود لطف الله تعالى به آمين . اهـ »

بعد التأمل فى هذا التعليق وجدنا مصحّح المخصص ومحرره لم تكشف له عبارة الأصل فجعلها قولين ، وهى قول أو بيت من الشعر واحد ، ولذا لم يدر هل القول الأول (وكنا ما اعتفت) شعر أم نثر مع أن ابن سيده ذكر قبله كلمة (وأنشد) ، ثم جعل القول الثانى (طلاب الترات مطلب) بعض بيت للخنساء ، مع أنها خاتمة أبيات جاهلية كثيرة ، وأخطأ فى الشاهد إذ جعله (براقش) وهو (الاغتفاف) أى تناول الغُفّة من العلف ، وهى الشىء اليسير منه ؛ والعبارة الأصلية الواردة قبل البيت لا يوقف عليها إلا بنسخة ثانية كاملة من المخصص ، ولعل التعبير التالى لا يبعد عنها كثيراً ، وقد ألّفته بعد مراجعة نصوص اللسان والتاج وهو : [وإذا كان الربيع[1] (مقارباً قيل اغتفّ المالُ اغتفافاً أى أصاب غفة منه) أى شيئاً يسيراً وأنشد :

وكنا إذا ما اغتفّتِ الخيل غُفّة
تجرّدَ طلابُ التراتِ مُطلّبُ]

وهذا هو البيت عينه الذى استشهد به ابن سيده ، وهو

(١) ما بين القوسين تمام العبارة النثرية ، أما بيت الشعر فبمراجعة نصه فى المخصص تعلم الزيادة

لطفيل الغنوى لا للخنساء ، وإنما استشهد به للاغتفاف لا لبراقش كما فعل مثل ذلك صاحبا اللسان والتاج فى مادتى (غفف وأغتف) ؛ وهو فى ديوان طفيل الغنوى ص ٢٦ ، ونسبه إليه صاحب الأمالى (٢ / ٣٤) ، وذكره الزمخشرى فى أساسه (غفف) وعزاه إلى طفيل أيضاً ، وآخره (يُطلَّب) بدل (مطلَّبُ) ولعله تصحيف أو رواية أخرى ، واستشهد به صاحب تهذيب إصلاح المنطق (ص ٧١) وغيره من أئمة اللغة ، فليست القضية إذن من الشكائك الجدلية[1] ، ولولا ما فى مخطوطة المخصص من التصحيف والنقص لما وقع كما بيّنت إمامنا الشنقيطى فى مثل هذا السهو اللغوىّ ، وسجدة السهو واجبة فى العلم والدين معاً ، وقد سجدتها بهذا التصحيح عنه ، وعسى أن يسجدها مى أيضاً من يصحح من المخصص نسخته ، ويغتفر للانسان الضعيف زلته .

(دمشق) التنوخى

الى الدكتور زكى

بدا لى أن ألفت نظرك إلى خطأ لا أشك فى أنك وقعت فيه فى كلمتك التى جعلتها افتتاحية للرسالة فى العدد الماضى ، وهو قولك : (والحس والروح جارحتان من أعظم الجوارح الإنسانية) ! وأنا وأنت والناس جميعاً يعرفون أن الحس والروح ليسا من الجوارح كما تقول ! ! فهل تتفضل بأن تدلنا من أين جئت بهذا ؟

(ع . ع)

كلمة منصفة

كتب الأستاذ محمد متولى مقالاً فى العدد ٣٧٦ من الرسالة الغراء عرض فيه لحديث السرقات الذى جرى على قلم كل من الأستاذين على محمود طه وزكى طليمات . فسماه عراكا فى غير معترك ، أو « خناقة على اللحاف » ، لأن الفن كما يقول « صورة » وليس « فكرة » . والحق أن الفن ليس فكرة فحسب ولا صورة فقط ، ولكنه مجموع الأمرين ، أو هو « فكرة مصورة » ؛ وليست الفكرة من الأشياء المجردة التى تكون بعينها فى جميع العقول والأفهام ؛ لأنها قد تكون فكرة خاصة لنفس خاصة ممتازة ، وقد تكون شائعة فى بعض النفوس ، ولكنها حتى فى هذه الحالة لا يمكن أن تكون على درجة واحدة من القوة أو العمق أو الاتساع ، وهل يمكن أن تتشابه النفوس جميعاً إلى هذا الحد الذى تصبح فيه قوالب مصبوبة على هيئة واحدة من مادة واحدة ؟ وهل يمكن أن تكون الأفكار التى جالت فى ذهن شكسبير ، مثلاً ، هى بعينها الأفكار التى جالت فى ذهن رجل الشارع ، ولكن هذا الأخير لم يتح له أن يعبر عنها كما أتيح لشكسبير ؟ على أن هذه النظرية ليست من المستحدثات كما يخيل إلينا الأستاذ متولى ؛ وإنما هى فى لبابها لا تخرج عن قول بعض الأقدمين : إن الشعر هو الأسلوب ، وإن المعانى على « قوارع الطريق » وهى نظرية كانت منذ بعيد

ويقول الأستاذ متولى بعد ذلك : « إن الأستاذ على محمود طه رجل فنان بلا شك ، لأنه قال «الجندول» فكان «كذوباً» ! إنه يمثل ذلك الفنان الذى يشعر بالشىء ولا يستطيعه ، فيتغنى به وهو نفسه يعلم أنه لم يركب تلك « الجندول » التى أرانا إياها فى عرض القناة فى ذلك الجو الساحر فى فينيسيا » فهل يكون الأستاذ على محمود (كذوباً) إذا صح أنه مثل ذلك الفنان الذى يشعر بالشىء ولا يستطيعه فيتغنى به ؟ كلا ! إنه يكون صادقاً كل الصدق ، لأنه يصور لنا حالة نفسية من حالات نفسه الممتازة التى تحلم وتتمنى ، وهل يكون الذى يحلم فى نومه برغبات نفسه المكبوتة كاذباً ، على أن أستاذنا «الزيات» قد قال كلمته النبيلة ، وإذن فقد « قطعت جهيزة قول كل خطيب » . نعرض بعد ذلك لزعم الأستاذ متولى فى أول مقاله إن الناقد الأديب هو نفس الأستاذ على محمود طه وأنه إنما نقد مسرحية بشر فارس تشفياً منه . فنقول له كيف اكتشف هـذا الاكتشاف ؟ إننا نعرف أن اسم « الناقد الأديب » لا يعرفه إلا الناقد الأديب نفسه ، والأستاذ الزيات ، فمن أيهما عرف الأستاذ اسم الناقد الأديب ؟ أمن الناقد الأديب نفسه ، أم من الأستاذ الزيات — وهذا مستحيل — الحق أنه لا هذا ولا ذاك ، ولكن الأستاذ متولى أراد أن « يمثل دور » البوليس السرى فى هذه القضية الأدبية

أما بعد فقد قرأنا حديث السرقة فى شعر الأستاذ على محمود فابتسمنا لصاحبه ابتسامة الرثاء والإشفاق ، ثم قرأنا المقال الذى ظاهره فيه الرحمة ، وباطنه من قبله العذاب ، فابتسمنا لصاحبه ابتسامة الرثاء والإشفاق أيضاً ، وأنا أنصح لهؤلاء السادة أن يحاولوا بلوغ شأو الأستاذ على محمود طه من طريق غير هذا الطريق . أما هـذه المناورات التى يقومون بها على اختلاف أساليبها ، وتعدد صورها ، فقد انتهت — والحمد لله — إلى الفشل والإخفاق ، وبقى الأستاذ على محمود طه عند جمهرة الأدباء « شاعر الحب والجمال » ، بلا جدال

ابراهيم محمد نجا

---

(١) من تعابير ابن سيده .

البعثة العلمانية الفرنسية

الليسيه الفرنسية

رقم ٢ شارع الحوياتى بالقاهرة

١ — ليسيه البنين : تحضر الطلبة لمختلف أقسام البكالوريا الفرنسية

قسم مصرى

قسم تجارى

٢ — ليسيه البنات : تحضر الطالبات لشهادات «البروفيه» والبكالوريا الفرنسية وهى منفصلة انفصالاً كلياً عن ليسيه البنين

٣ — ليسيه الأطفال

٤ — روضة أطفال

قسم خارجى ، خارجى تحت المراقبة

نصف داخلى ، سيارة للمدرسة

الكلية الفرنسية (للبنين)

٤٥ شارع الظاهر

تحضر الطلبة بمقتضى المناهج الابتدائية الفرنسية ومناهج البكالوريا المصرية



الليسيه الفرنسية المصرية

شارع فؤاد الأول بهليوبوليس

الثقافتان الفرنسية والمصرية تلقنان لجميع التلاميذ

اللغات الفرنسية والعربية والانجليزية إلزامية

ليسيه البنات منفصلة انفصالاً تاماً عن ليسيه البنين

روضة أطفال

كل أنواع الرياضة على أجمل أراضى مصر .

غذاء فى الليسيه

أتوبوس المدرسة

الكلية الفرنسية (للبنات)

شارع ذهنى بالظاهر رقم ٦

تحضر الطالبات بمقتضى المناهج الابتدائية لشهادة البريفيه

اللغتان العربية والانجليزية — فى جميع الفصول

تحدد يوم الافتتاح لجميع معاهد الارسالية العلمانية الفرنسية

فى أول أكتوبر ١٩٤٠



ثمن الأمومة

للأستاذ محمد سعيد العريان

فى الطابَق الرابع من الدار القائمة على حدود الصحراء من ضاحية حلوان ، كانت تعيش « سنية » وحيدة : لا أم ولا أب ، ولا زوج ولا ولد . لقد فارقها أبوها ولم تَزَل طفلةً بعد ، إلى حيث لا يرجع مَن يمضى ؛ وفارقتْ هى أمَّها العجوز وأخاها ، إلى حيث فرضتْ عليها « الوظيفةُ » أن تعيش غريبة منقطعة لتجد ما تعيش به. وما كان المرتب المحدود الذى تمنحها « وزارة المعارف » فى كل شهر ليُسعدَ فتاة فى مثل سنها ، ولكنها كانت به راضية سعيدة . وقد استطاعت على امتداد الزمن أن تزيد دخلَها بضعة جنيهات فى كل شهر ، مما تحصل عليه من أجرة الإشراف على بعض تلميذاتها فى دراستهن المنزلية ؛ فهيأ لها بذلك أن تنظم ميزانيتها الصغيرة تنظيما يكفل لها أن تستمر على إعانة أمها العجوز بما ترسل إليها فى كل شهر ، وأن تدّخر لنفسها شيئاً إلى شىء ، ارتقاباً ليوم تأمله ...

* * *

منذ بضع سنوات لم تغيِّر سنيةُ شيئاً من نظام حياتها ولم تحاول ؛ هذا منزلها الذى تسكنه منذ هبطت المدينة ، لم يتبدّل شىءٌ منه ولم يتبدّل شىء منها ؛ هنا الغرفة التى تأوى إليها إذا جنّ الليل ؛ وهنا المَثْوىْ الذى أعدته لاستقبال من يزورها فلم يطرقه زائر قط منذ كان ؛ وهنا الشرفة التى ترتفق إليها بذراعها كل مساء ساعة أو ساعات قبل أن تنام ، تسرّح النظر فى الفضاء الغارق فى ضوء القمر ، أو تنقِّل الطَّرف بين النوافذ المضيئة قانعة فى وحدتها الموحشة من سعادة الاجتماع بأنس النظر ! ... وهناك ، على مد البصر ، طفلٌ يقفز ويثب ؛ هذا هو حيث تراه كل مساء فى مجلسها من الشرفة ، جالساً بين أبويه أو عابثاً لاهياً يتوثب ؛ إن بينها وبينه لسبباً قوياً ؛ إنها لتحبه كأنها ولدته ، وإنها لتفتقده إذا غاب كأنها بعض أهله ، وإنها لتتحدث إليه على البعد كأنه منها بمرأى ومسمع ... ذلك صديقها الوحيد فى بلد لم تأنس فيه إلى صديق ؛ أتراه يعرفها ويعرف أين هو من نفسها ؟ ... أما هى فتعرفه عرفانَ الأخ والولد ؛ وتعرف تاريخه وماضيه منذ كان وقبل أن يكون ... ...

من هذه الشرفة العالية التى يكتنفها الظلام ، أبصرتْ أمّه عَروساً فى جَلوتها ، وأبصرت أباه ؛ ومن هذه الشرفة نفسها رأته جنيناً فى بطن أمّه تخيط له قُمُصه ولفائفه ؛ ومن هذه الشرفة جاءها البشير بمولده والناس نيام ؛ ثم أبصرته ذات صباح طفلاً يحبو ؛ ورأته من بعدُ غلاماً يقفز ويثب ... ولكنه هو لم يعرفها بعد ...

* * *

هذه حياة سنية : أما نهارها فجهاد ودأب بلا ونى ، تغادر بيتها فى الصباح الباكر إلى مدرستها ، وتغادر مدرستها إلى بيوت تلميذاتها ، فإذا جن الليل عادت ؛ وأما ليلها فهذه الشرفة وهذا الفضاء وهذا الغلام ؛ فإذا أوى الغلام إلى فراشه ، واختفى القمر وراء السحاب ، وأسدلت الستائر على النوافذ المضيئة — نهضت سنية من مجلسها فى الشرفة ، فتفتح صندوقها وتحصى ما فيه ثم تأوى إلى أحلامها

ومضت بضع سنين قبل أن يجتمع فى صندوق سنية ما كانت تؤمّل أن يجتمع ؛ وأيقنت — بعد صبر طويل — أنها من اليوم الذى كانت ترقب على مقربة ...

* * *

... وغربت الشمس ذات مساء ولم تعد سنية إلى دارها ؛ ثم عادت بعد العشية ، واتخذت مجلسها من الشرفة وسرحت النظر ، ولم يكن الطفل ثمة ولكنها لم تفتقده فى غيبته ؛ وأوت إلى فراشها ولكنها لم تنم حتى انتصف الليل ؛ وتراءى لها الطفل فى منامها وكان معه أبوه ، ثم أصبحت ...

وراحت تُعِد عدة السفر إلى أمها تطلب مشورتها فى أمر ذى بال ...

وابتسمت أمها فرحانة ، ثم غشيتها كآبة وهتف بها هاتف ؛ ثم عادت فابتسمت ونهضت إلى مصلاها تناجى ربها وتدعوه لابنتها العزيزة أن يتم لها ما تأمل …

* * *

وتغيّرت سنية منذ اليوم وتبدّلت وحشتها أنساً ومسرة ، وهجرت الشرفةَ فلم تكن تغشاها إلا حين تكون على موعد ترقب له الطريق ؛ وأنِست غرفةُ الاستقبال بعد وحشة وطرقها الزائر المنتظَر منذ سنين ، وتعددت زيارته ؛ وقالت له سنية ذات مساء وقد جلسا جنباً إلى جنب فى الشرفة العالية التى يكتنفها الظلام وأشارتْ إلى بعيد — : أنظر يا رشاد ؛ إنه طفل ظريف !

ونظر « رشاد » حيث أشارت سنية ، وقال : نعم ، وأظرف منه أن تكونى أمَّه !

وطأطأت الفتاة رأسها وتضرّجتْ وجنتاها وسبحت فى حلم لذيذ ، وتراءى لها غلام يقفز ويثب بين أبيه وأمه ، فى مثل مجلسهما من هذه الشرفة العالية التى يكتنفها الظلام !

* * *

وجلست سنية ورشاد يتبادلان الرأى ذات مساء ؛ وقال لها :

. . . وإنى لأخشى ألا توافق الحكومة على بقائك فى العمل بعد الزواج ؛ لتكونى لى وحدى !

وقالت : ولكن أمى يا رشاد … !

وأجابها : وعلىّ أن تكون أمك راضية سعيدة !

واطمأنت سنية وسُرِّى عنها ما كان يقلقها منذ أيام ؛ وجلست إلى مكتبها تكتب إلى الحكومة تلتمس الإذن فى الزواج ولم يطل بهما الانتظار ، ولم يقلقهما جواب الحكومة ؛ فقد كانت سنية متوقعة من قبل ألا يؤذَن لها ؛ وكانت مطمئنة إلى وعد خطيبها بأن يرضى أمها !

وراح الفتى والفتاة يعدان العدة ليوم قريب

* * *

وانتقلت سنية إلى بيت زوجها ، وشهدها صواحبها عروساً فى جلوتها ، وشهدت نفسها ؛ وكانت النوافذ المضيئة ترى أشعّتها إلى بعيد ؛ وكان فى الشرفات العالية التى يكتنفها الظلام عيون تنظر … …

… ومضت أشهر ، ونظر الجيران فإذا سنية جالسة إلى جانب النافذة تخيط قمصاناً ولفائف ؛ وفى هدأة الليل والناس نيام حل على الأسرة ضيف جديد ، وارتفع صوته يعلن البشرى بمقدمه …

… … … …

* * *

ثم استيقظت سنية من الحلم الذى ضرب على آذانها عاماً وبعض عام ؛ ونظرت ، فإذ هى وطفلها وحطامٌ من الذكريات ؛ ولم يكن الرجل ثمة ولم يكن الصندوق … !

وقبّلتْ فتاها فى جبينه وقالت وفى عينيها دموع : لا عليك يا بنىّ ؛ لقد خسرتُ الرجلَ ولكنى كسبتكَ ؛ فليذهب أبوك حيث يشاء ، ولتبق لى أنت !

وخرجت تلتمس الرزق ، واتخذت طريقها إلى المدرسة ، ولكن المدرسة كانت قد أغلقت أبوابها !

وَسَعَت إلى رئيس الديوان تلتمس الشفعاء إليه ليردّها إلى عملها ، فأغلق دونها بابه ؛ ووقفت فى مفترق الطريقين تنظر ، ثم سلكت إحداهما …

* * *

وعاد الرئيس من الديوان إلى داره ، وانفتح باب السيارة ونزل ، وسبقته إلى الباب امرأة ؛ وهمّ حاجبه أن يمنعها ثم كف

وهتفت المرأة فى ضراعة : سيدى بحقّ ولدك … !

قال : ولكنك خُيِّرْتِ من قبل فاخترتِ أن تكونى أمّا ؛ فهيهات …

ورقّت المرأة وصرخت فى غيظ : ولكنك أنت رضيتَ أن تكون أباً … فلِمَ لا خُيِّرْتَ أنت ؟ … كن أباً ، أو كن رئيساً فى الديوان ، إن صحّ ألا يجتمعا … !

وسكت الرجل وهتف هاتفٌ من وراء حجاب : « ولكن ثمن الأمومة أغلى … ! »

* * *

… ودخل (الرجل) داره وأغلق بابه ليجلس بين زوجه وولده فيقص قصته ؛ ومضت (المرأة) على وجهها يائسة ذليلة ، لتدفع وحدها ثمن الأمومة الغالى !

محمد سعيد العريان

﴿ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى — عابدين ﴾

8me Année No. 378

Lundi - 30 - 9 - 1940

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

السنة الثامنة « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٨ شعبان سنة ١٣٥٩ — الموافق ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٤٠ » العـدد ٣٧٨

الفهـــرس

خواطـــــر مهاجر

— ٣ —

أخذت نوافح الخريف الأولى تتنفس منذ أسبوع على وجه المنصورة رخيَّةً نديَّة ؛ وللخريف على شُطئان النيل الشرقى وهو فى عنفوان الفيضان سحر لا يبلغ كُنهه الشعور ولا تعبر عن تأثيره اللغة . فللسماء اللازوردية على صفحاته ألوان وأحوال ، وللسحب الرقاق البيض على حواشيه أطياف وأظلال ، وللشمس الأصيل على مويجاته المرتعشات الحمر انكسارٌ يخطف البصر ، كأنما ذاب قرص الشمس فهو يتدفق من السماء على الماء ، أو انبجست على النهر من الأفق الغربى عين من ذائب الماس لم يدخل علمها فى الكيمياء . وللأبكار والعشايا أنسام طيبة الشميم كأنما تنقل عن رياض الفردوس ؛ والطبيعة الريفية عطار حاذق يعرف كيف يفتق الطيبَ من سنابل الرز وأمطار الذرة وأقناء النخيل ونوار النيل ولوز القطن ومما ينبت على حفافى الترع والطرق من أشتات الريحان والبقل . وللمنصوريين والدقهليين على الجملة صباحة ووداعة يزيدها الخريف حلاوة وشاعرية . وإن بينهم وبين طبيعتهم المشرقة الجميلة من التآلف والتجاوب ما لا تجده بين الناس والطبيعة فى مكان آخر . والناظر فى أخلاق هذا الإقليم ومزاياه يرى أن مثله بين أقاليم مصر كمثل أوربا بين

قارات الأرض : تميز كما تميزت بالنبوغ والمدنية والجمال ، وتألف تاريخه القديم والحديث من فصول وضاءة فى الوطنية والعبقرية والبطولة

ففى الحروب الصليبية كان للمنصورة وإقليمها شرف القضاء على حملتها الأخيرة ؛ وكان الجيش المصرى قد ارتد إليها مهزوماً ؛ وامتحنه القدر القاسى فمات ملكه الصالح وقتل قائده فخر الدين ، فانتشر الأمر على جنوده ، واستبهم الرأى على قواده ؛ وكاد الرجاء من نجاة مصر ينقطع لولا أن نهض الظاهر بيبرس بالمماليك ونهض معه أهل المنصورة ، فأقاموا المتاريس فى الطرق وجعلوا من دورهم قلاعاً يرمون من نوافذها الفرنسيين بالأحجار والقذائف ، حتى قتلوا الكنت القائد أرتوا ، واستأصلوا فرقته ومزقوا الفرق الأخرى ؛ ثم كانت الهزيمة الحاسمة فى فارسكور حيث أبيد الجيش العدو وأسر الملك القديس سجيناً بيت ابن لقمان ومضروب الطواشى صبيح

وفى الغزوة النابوليونية كان للمنصورة وإقليمها فضل الجهاد السابق الصادق ، فقد ثاروا يوم السوق على جنود القائد (دوجا) ، وأعملوا فيهم السلاح حتى أفنوهم . وسجل التاريخ فى ثبت الخلود من أسماء القادة فى هذه الثورة : الأمير مصطفى كبير محلة دمنة ، وعلى المديسى شيخ القباب ، وحسن طوبار زعيم المنزلة

وفى الثورة المصرية على الاحتلال كان للمنصورة وإقليمها فى البطولة الوطنية مواقف سارت مثلاً مضروبة فى الإيثار والتضحية ولا تزال أسماء الشناوى والجيار وعبد النبى والأترنى عناوين لفصول خالدة من كتاب الجهاد الوطنى المقدس

* * *

على أن المزية الظاهرة للدقهلية هى انطباع أهلها على الأدب والفن حتى العامة والسوقة . وإنك لتتبين أثر ذلك فى كل ما يصدر عنهم من ثمار العقل والقلب حتى فى القانون والسياسة . وحسبك أن يكون من نوابغها فى الأدب : على مبارك ، ولطفى السيد ، وحسين هيكل ، وعوض إبراهيم ، ومحمد المشناوى ، ومحمد عوض محمد ، وإبراهيم رمزى ، وعبد الله عنان ، وصالح جودت الكبير . وفى الشعر : إسماعيل صبرى ، وعلى محمود طه ، والهمشرى ، وكامل الشناوى ، وصالح جودت الصغير ، وعبد الغنى حسن ، والوكيل . وفى الغناء والموسيقى : أم كلثوم ، ورياض السنباطى ، ونجاة على ، وسعاد زكى ، والدكتور الحفنى . وما اقتصرت على من ذكرت إلا لأنهم عرفوا بالأسماع فى أقطار العروبة فلا يضعف بهم المثل . والواقع أن فى كل بلد من بلاد هذا الإقليم الفنان هيكلاً لعطارد تناديه نفثات الأولمب ، وتراوحه نفحات عبقر !

أقامت جريدة الإصلاح فى السنبلاوين لمجلة الرسالة حفلة تكريم وترحيب ؛ وشاء زميلنا الكريم صاحب الجريدة أن تكون حفلته مظهراً من مظاهر الأدب الإقليمى فى صورة من صور العطف الجميل ؛ فدعا إليها جمهرة من أدباء البلد المختلفين فى الجنس والزى والثقافة ، فأسمعونا على موائد الشاى الحافلة أفانين من النثر المشرق الأسلوب ، والشعر المحكم الأداء ، والزجل البارع النكتة ، فعجبنا أن تجتمع هذه الجملة المختارة فى هذا البلد المغمور ؛ ثم علمنا أن فى كل بلد من بلاد الدقهلية عكاظاً يتبارى فيها صاغة القوافى وحاكة الفِقَر !

يا لله للريف المسكين ! لقد غبنته المدينة فى كل ما ينتج من مادة وأدب : ففلاحه يكد ولا ينال القوت ، وشاعره يغنى ولا يجد السامع ، وصحفيه يجاهد ولا يلقى الجزاء !

* * *

سحرتنى مفاتن الخريف والريف فى المنصورة فما ينفك ناظرى وخاطرى يسبحان فى جو مشرق عبق من حاضرها الجميل وماضيها المجيد . وكنت الساعة أتتبع بالخيال كتائب الصليبيين وهم يسيرون على ساحل النيل الأيمن من دمياط إلى المنصورة ، يقود الحملة الأولى (جان دى بيرين) ، ويقود الحملة الأخرى (لويس التاسع) ، حتى رأيتهم على الثرى الخصيب الحبيب جزراً للسيوف وطعاماً للوحش . وسرعان ما انتقل ذهنى إلى ساحل البحر الأبيض ، فرأيت أحفاد أولئك الصليبيين يزحفون من السلوم إلى الإسكندرية فى زى غير الزى وسلاح غير السلاح وعدد كأرجال الجراد ! فقلت لنفسى وهى تضطرب بين الرجاء والخوف : إن رب الكنانة يا نفس عسى أن يبعث (صلاح الدين) فى هذا العصر ، وأن يجعل فى (السلوم) السلامة كما جعل فى (المنصورة) النصر !

(المنصورة)

احمد حسن الزيات

الحديث ذو شجون

للدكتور زكي مبـــارك

جناية الجمال — ألفاظ صحيحة : الانسجام ، الصنائع ، الفسائم ، مرير ، البديه ، الهناء ، المسامحة ، أبحاث — إلى المنصورة ، إلى المنصورة وطن الشعر والخيال

جناية الجمال

أكتب هذه الكلمة فى مساء اليوم الرابع عشر من شعبان بعد إذ نقل المذياع دعاء شيخ الأزهر الشريف بأن يكشف الله الغُمـّـة عن الأمم الإسلامية ، وهو دعاء أمّن عليه جمهور كبير بدعوة صاحب الجلالة الملك « ملك مصر بعون الله » أيّد الله مُلكه ، واستجاب دعاءه ، فدفع السوء عن بلاد العرب والمسلمين

وفى هذا المساء يتحدث الناس عن المخاوف التى تساور مصر فى الحدود الغربية وفى بعض أقاليم السودان ... وتلك أحاديث تَقبِض الصدور ، وتُحزِن القلوب ، ثم تقهر النفس على التفكير فى جناية الجمال على الجيل ، فما تلقى مصرُ المكاره إلا بفضل ما تَميد من خيرات وثمرات ، وما تُـمكّـن للظاهرين عليها من السيطرة على الغرب والشرق ، لأنها منذ الأزل إقليد الغرب والشرق ، وإلا فكيف جاز أن تكون هدَفاً أبديًّا لكل مَن جُنّ له الدهر فى التاريخ القديم والتاريخ الحديث ، بحيث يُمكن الحكم بأن جمالها لم يفارق خيال الطامعين فى زمن من الأزمان ؟

وهل مرّ على مصر عامٌ واحد بلا ابتلاء بمكايد الطغاة والمسيطرين ؟

مَن يصدّق أن مصر جشّمت الناس المتاعب فى التاريخ القديم يوم كانت صعوبة المواصلات لا تسمح بأن يصل إليها المغيرون إلا بعد التعرض للمخاطر والمعاطب فى الشهور الطوال ؟

وهل يعرف أحدٌ كيف جاز أن تكون المعضلات الأخلاقية والاجتماعية فى مصر هى أهمّ ما شُغِلت به الكتب السماوية ؟

ومَن نحنُ حتى تكون بلادنا أخطر البلاد التى تحدّث عنها القرآن المجيد ؟

مَن نحنُ ؟ نحن الصابرون على مصاعب الإتقان والتجويد فى العلوم والفنون منذ العهد الذى سبق التاريخ بأجيال وأجيال

وهل لبلادٍ فى الدنيا ماضٍ يشبه ماضى هذه البلاد فى العناية بالعلوم والفنون ؟ فإن سألتم عن الحاضر فإليكم أسوق الحديث بلا تزّيد ولا إسراف :

كانت بلادنا الغالية هى الهدف الأول للحروب الصليبية ، وكانت تلك الحروب مبدأ اليقظة فى الغرب ، وبفضل اصطدام الصليبيين بمصر عرفوا أول مرة كيف تكون الحضارة والمدنية

ومن أين عرف الصليبيون معنى الاستشهاد فى سبيل النصرانية ؟

إنما نقلوا ذلك عن مصر ، فهى أول بلد تعصب لدين عيسى فى القرون الخوالى ، كما كانت أول بلد أذاع نظرية التوحيد ، يوم كان العالم كله لا يعرف غير الارتطام فى أوحال الوثنية ، وذلك هو السر فى حرصها على إعزاز الإسلام ، لأن الإسلام هو التعبير الصحيح عن نزعتها القديمة فى إيثار التوحيد

وجوّ مصر له فضلٌ عظيم على الإنسانية . وأين من يعرف أن جو مصر هو الذى هدى الناس إلى الطّيران ؟

فوق جبل المقطّم شرقىّ القاهرة وقف رجلٌ فرنسيٌّ فقير يكسب قوته من العمل بأحد متاجر القاهرة ، وقف يرقب حركات الطير فوق ذلك الجبل قُبيْل الشروق وُبعَيد الغروب ، وما زال يصوّب ويصعّد حتى اهتدى إلى سر الطيران

فهل يَذكر الألمان المغيرون بطائراتهم على لندن أو الإنجليز المغيرون بطائراتهم على برلين أن « جوّ مصر » هو الذى أمدّهم بذلك السلاح ؟ وهل يذكر الطليان الذين يهددون « مصر الجديدة » بغاراتهم الجوية أن « مصر الجديدة » فيها تمثال « مويار » الذى نَقَل عن « جوّ مصر » سرّ الطيران ؟

ما سمعتُ صفّارات الإنذار بالغارات الجوية وأنا قارٌّ بدارى فى « مصر الجديدة » إلا عجبتُ من إمعان بنى آدم فى العقوق ، فكل بلد يجوز الهجوم عليه بقاذفات القنابل إلا البلد الذى يقوم فيه تمثال الرجل الذى هداه « جو مصر » إلى سر الطيران

ولكن أين من يحفظ لمصر الجميل ؟

وجو مصر صنع ما صنع فى تقدم الطب الحديث ، فأهل الصين على بعد الدار ، وشط المَزار ، يعرفون أنهم أصبحوا فى أمان من أمراض لم تكتشف جراثيمها إلا فى البلاد التى أنجبت البارودى وشوقى وحافظ ومحمد عبده وعبد العزيز جاويش ومصطفى كامل وسعد زغلول ، كما أنجبت الفلكى والبقلى وعثمان غالب

وما استوطن أجنبىٌّ مصر إلا خلعتْ عليه أثواب القوة والبهاء ، وما دخل غريب مصر إلا نسى بلده الأصيل أبد الآبدين

فإن قيل إن بلدنا موطن الأخياف فهذا حقّ ، لأن حوض الزهر هو الوطن لجميع أمم النَّحل

وهنا أذكر أن النحل المصرىّ تفرّد بالشراسة والُحق ، لأنه يعرف أنه مَعْدُوٌّ عليه ، ويعرف أن أسراب النحل تأتى لمنافسته من جميع بقاع الأرض ، وكذلك يُتَّهَمُ المصرىُّ بالثورة على « الأجانب » من حين إلى حين

وطنى ! إن جمالك هو الذى يجنى عليك

أما رأيت كيف تباح حرية الإضاءة فى جميع الشواطئ ولا تُقيَّد إلا فى الإسكندرية وبور سعيد ؟ وهل كان ذلك إلا لأن هذين البلدين هما أجمل ما تملك فوق شواطئ البحر المحيط ؟

وطنى ! لهذا اليوم ما بَعدَه ، وسوف تلقانى وألقاك ، وإن أرجف المرجفون بأن لا لقاء بعد اليوم المخُوف

وطنى ! إن لم أحمل السيف فى حمايتك فقد حملتُ قلمى فى الدفاع عنك ، والقلمُ أبقى من السيف ، وفضلُك فى الدنيا هو فضل القلم قبل فضل السيف ، وقد أقسم الله بالقلم لا بالسيف ، فعِش إلى الأبد حجة العالمَ وبرهان الزمان

وطنى ! أنت تَذكُر أنه ما استطاع أميرٌ ولا وزير أن يَاجُرَنى فى العصبية لك ، لأنك وطنى وحدى ، ولأنى لا أسمح لأحد بأن يسبقنى فى الوصول إلى مواقع هواك

وطنى ! وطنى ! إن عشتُ لك فسأحمل رايتك فى المشرقين والمغربين ، وسأكون سفيرك فى كل أرض يصل إلى أسماع أهلها قلمى ، فإن مت قبل أن أدرك فى خدمتك ما أريد فسأكون برغم الحوادث بطل الوطنية والإخلاص

وسلامُ الله على أبرار الشهداء !

ألفاظ صحيحة

قلت فى بعض المناسبات إنى سريع الإنشاء ، فظن كثير من الناس أن هذه السرعة قد تعطِّل العناية بالأسلوب ، وقد تفوِّت الفرصة فى تخيُّر الألفاظ الصِّحاح

وأقول إن السرعة فى الكتابة لا ترجع إلى التحرر من قيود الألفاظ والأساليب ، وإنما السرعة فى الكتابة مَلَكة من الملكات النفسية يُكسب منها ما يكسب ، ويُوهب منها ما يوهب ، وقد ترجع إلى ما يتصف به الفكر فى بعض الأحيان من القوة والمَضاء ... فإن رأى أحد القراء فى مقالاتى أو مؤلفاتى كلمات أنكرها النقاد فليعرف جيداً أن وجه الصواب لم يغب عنى ، وإنما أثبت تلك الكلمات وأنا أعرف ما وُجه إليها من التجريح والتزييف ، لأنى أدرك من أحوالها ما لم يدرك أولئك الناقدون الفضلاء . وإليكم بعض الشواهد :

تلطَّف كاتب كبير فأوصى أحد الأصدقاء أن يبلغنى أنى أخطأت فى استعمال كلمة انسجام بمعنى Harmonie وأقول إنها وردت بهذا المعنى فى رسائل إخوان الصفاء

وأنكر أديب آخر أن أجمع صناعة على صنائع ، وأقول إنه جمع صحيح وله نظائر مثل رسالة ورسائل وبضاعة وبضائع

وأخطأ المتحذلقون بوزارة المعارف حين غيروا اسم « مدرسة الفنون والصنائع » ليصيروها « مدرسة الفنون والصناعات » ، ولو نظروا لعرفوا أن الناس يقولون : « فلان رجل صنايعى » بالنسبة إلى الجمع وهو صحيح ، ولو كان فى أولئك المتحذلقين من ساير كتب العرب فى أبواب الاقتصاد لعرف أن العرب فى مؤلفاتهم لا يجمعون صناعة إلا على صنائع . والقول بأن « صنائع » ليس إلا جمع صنيعة لا يخلو من التحكم البغيض

وأنكروا أن ترد « النسائم » فى كلامى جمعاً للنسيم ، وأقول إنها وردت كذلك فى نثر الشريف الرضى . وأنا راض بأن أخطئ مع الشريف !

وأنكروا أن أقول المساهمة بمعنى المقاسمة ، وقد طربت أشد الطرب حين وجدت لها شاهداً فى نثر الشريف ، ثم عجبت كل العجب من غفلة بعض النقاد حين رأيت الزمخشرى نص عليها

فى الأساس فقال : وتساهموا الشىء ، تقاسموه ، ثم أنشد :

تساهم ثوباها ففى الدرع رأدةٌ وفى المِرط لفّاوان ردفهما عبْلُ

وأنكروا أن أقول المرير بمعنى المر ، وقد استأنست بقول الشريف :

وما كلُّ أيام الشباب مريرةٌ ولا كل أيام الشباب عِذابُ

ثم عجبت أيضاً من غفلة بعض النقاد حين رأيت الزمخشرى ينص عليها فى الأساس فيقول : وشىء مُرٌّ ومَرِير ومُمِرّ ، ثم أنشد :

إنى إذا حذّرتنى حَذُورُ حُلْوٌ على حلاوتى مَرِيرُ

وأنكر الشاعر حسن بك حمدى أن يقول الأستاذ العقاد « البديه » فى مكان « البديهة » أو البديهى ، وأقول إن المعاجم نصت على البديهة لغرض واضح هو القول بوجود المؤنث ، وكذلك الحال فى « الهناء » وهى كلمة يمحوها أساتذة اللغة العربية كل يوم من دفاتر التلاميذ بحجة أن القاموس المحيط لم يذكر غير « الهناءة » وهم ينسون أن النصّ على المؤنث مقصود ... والشريف الرضى يقول :

وما أوفتْ على العشرين سنى وقد أوفى على الدنيا عزيمى

والعزيم مذكّر العزيمة وإن لم تنص عليه المعاجم

فإن قيل إن كلمة الشريف هى « غريمى » بالغين المعجمة فأنا أجيب بأن ذلك تحريف لا يخفى على أهل الذوق . وأنكر قوم أن أجمع بحثاً على أبحاث فأقول فى صدر كتاب « الموازنة بين الشعراء » إنه « أبحاث فى أصول النقد وأسرار البيان » وأقول إن البحث يُجمع على أبحاث كما يُجمع على بُحوث ، وقد نص على ذلك بعض اللغويين

إلى المنصورة ، إلى المنصورة

بعد ساعة واحدة من الشروع فى كتابة هذه السطور آخذ طريقى إلى المنصورة وطن الشعر والخيال ، فهل تلقانى المنصورة بالضم والعناق وهى كِناس الحُور العِين ؟

ما أذكر أبداً أن المنصورة دانتْ قلبى بشىء ، فما سر ذلك ؟ ما سر ذلك وما كنت أغلف القلب ولا أصمّ الفؤاد ؟

يرجع السرّ إلى أنى قضيتُ دهرى مُشْقَلاً بفوادح الأعباء فما دخلتُ بلداً شرقياً أو غربياً إلا وفوقَ كاهلى واجب مفروض وما ظهرت بمظهر التلاهى والتفرّج إلا لأكايد خصومى فأزعم أنى أعاقر من صهباء الحياة ما يُعاقِرون

فإن كنت زرت المنصورة قبل اليوم مرة أو مرتين أو مرات فما كان ذلك إلا تأدية لواجب أسأل عنه مرة أو مرتين أو مرات ، لأن قلبى يحدثنى فى كل وقت بأنى مضطهَد ، وبأن خصومى يسرهم أن يعلموا ولو من طريق الوهم أنى قصّرت فى أحد الواجبات ... وإذا كان الدكتور طه حسين لم ينس كلمة جافية سمعها من أبيه منذ أكثر من أربعين سنة فأنا لم أنس أن أحد الرؤساء بوزارة المعارف واجهنى بالكلمة الآتية :

« فى كل موسم لك كتاب جديد ، ولك فى أكثر الجرائد اليومية والمجلات الأسبوعية والشهرية مقالات وبحوث ، فمتى تشتغل لنا ؟ »

وكذلك كان الأمر فى زيارة المنصورة فلم أدخلها إلا مُثْقَلاً بواجب تأبَى فداحتُه أن ألتفت إلى ما فى رياض المنصورة من غرائب الأزهار والرياحين

إلى المنصورة ، إلى المنصورة

ولكن كيف ؟

كان فى مقدورى أن أسير إليها على نفقة الدولة لتأدية بعض الواجبات هناك ، ولكنى رأيت أن تكون الزيارة على جيبى الخاصّ ليعرف القلب أن له حقوقاً تُذال من أجلها نفائس الأحوال

وما حق القلب هناك ؟ أيكون هو الشوق إلى الصديق أحمد حسن الزيات الذى اتهمه أحد كتاب جريدة الهدف بالفزَع إلى المنصورة خوفاً من المعاطب ؟

هو ذلك ، مع إضافة واجب بسيط سأؤدّيه للدولة بالمجان

ولكن هل يخفّ الزيات لاستقبالى بالمنصورة النّجلاء ؟ سألقاه مشغولاً بتصحيح تجارب « الرسالة » وسيدعونى إلى معاونته على تصحيح تلك التجارب ، وسيرى حُضورى فرصة ترفع بها عن عينيه متاعب الإجهاد

فإن كان فى بلاد الشرق أو بلاد المغرب من يحسُدَ أدباء مصر على ما وصلوا إليه من نعمة السيطرة الأدبية فليذكر أننا وصلنا إلى تلك النعمة بجهاد شاق لم نقدّم له من ناضج الوقود

غير أقباس العزائم وألفاف القلوب ، ونحن مع ذلك نؤمن بأننا لم نصنع غير حفر الأساس ، فمتى نرى بأعيننا طلائع الجيل الجديد ؟

ومتى نطمئن إلى أن كتّاب اللغة العربية لا يُعَدّون بالعشرات وإنما يعدون بالمئات والألوف ؟ متى ؟ متى ؟ الجواب عند أبناء اللغة العربية وهم يزيدون على مئة مليون

وقد رجعتُ من المنصورة بعافية ، لأنى لم أبت فيها غير ليلة واحدة ، فلم يتسع الوقت لمقابيل الوجد حتى تجرّب حظها فى القدرة على تجريح قلب تكسّرتْ فيه النصال على النصال

لم ألق أحداً فى انتظارى على محطة المنصورة ، فأين الزيات ؟ وهل يشقّ عليه أن يُغبّر قَدَميْه بخطوات قصار لاستقبال صديق قضى فى الطريق ثلاث ساعات ، وإن مرت كومضة البرق فى صحبة الأستاذ عبد العزيز صقر شاهين ؟

وأتلفتُ فأرى الأستاذ محمود الشبيشى ، الصديق العزيز الذى لم أر منه غير كرم الأخوّة وصدق الوداد ، ثم أنظر فأرى الأستاذ عبد اللطيف على ، وهو مدرسٌ فاضل قد مكّنه التنقل من التعرف إلى ملامح البلاد المصرية

هذه القهوة المنشودة ، وتلك الكافورة الفيناء ، وذلك الأستاذ محمود زناتى ، فأين الزيات ؟

لقد ذهب الشقىُّ إلى « رأس البر » وخلاّنى ، فهل أعود إلى القاهرة قبل أن أنفض عن ثيابى غبار الطريق ؟

وما هى إلا لحظة حتى طاب المجلس وحَلاَ الحديث ، وأقبل المنصوريون فأحاطونى بوداد يذكّر بوداد أهل بغداد ، حتى كدت أتوهم أنى بين الرُّصافة والجسر ، أو فوق الجَزْرة فى مواجهة كَلْواذ . على ليلى بالجَزْرة أطيب التحية ، وأزكى السلام !

وأنظر فى الساعة من ثانية إلى ثانية ومن دقيقة إلى دقيقة لأرى كيف أفرّ إلى دار تعودتُ المضىّ إليها بلا دليل غير وحى القلب ، ولكن شيطانَين منصوريّين يصدّان عن سبيل القلب ويأبيان إلا مرافقتى حيثما توجهت ، ونعوذ بالله من كيد الشياطين

فإن كان حظى فى تقبيل تلك الجدران قد ضاع فحسبى من العزاء أن أطمئن إلى أن هواى لم يزل من السرّ المصون

أنا فى المنصورة فى صحبة القمر والنيل والنسيم ، وفى ضيافة الأستاذ محمود زناتى وبرفقة جماعة من أفاضل الأدباء والمدرسين ، فإن كان فى الدنيا من يصدّق أن الحديث الجذّاب قد يكون أطيب الطيبات وقد يُنسى القلب لواعج هواه فليعرف أن سهرتنا كانت من تلك الطيبات العِذاب . ألم أسهر حتى يبلل الندى ثيابى على نحو ما كان يصنع مى فى سهرات بيروت ؟

ثم أستيقظ على صفير القطار ، وهو يزفَر زفرة الشوق إلى القاهرة فأهبّ لأداء بعض الواجبات ، ثم أتجه إلى القاهرة قبل أن تصل الشمس إلى كبد السماء

فإن بدا للزيات أن يعَضّ بَنان الندم على ضياع حظه من لقائى بالمنصورة فليفعل ، فقد كانت معى أطايب من الحديث لا تذاع إلا هناك ، وكان في نيتى أن أدله على أشياء وأشياء من أسرار المنصورة الفيحاء ، وكان وكان ، ولكنه قليل الحظ من الطيبات

كان الزيات يهدّد ويهدّد : كان يقول إن زيارة المنصورة قد تكفّ شر المنصوريين فى التزيد على « ليلى المريضة فى العراق »

وذلك والله هو السرّ فى زيارة المنصورة بعد موسم الصيد : صيد الأسماك

أما بعد فللمنصورة حقوق تعرفها القلوب ، فإن قضى الدهر بألا أبيت فيها غير ليلة واحدة فقديماً صنع الدهر ما صنع فى حرمان أرباب القلوب

رباه ! متى تعود أيامى ؟

متى أرجع إلى تدوين المَلاحة فى البلاد التى يسقيها النيلُ الوفىُّ الأمين ؟

متى يتسع الوقت لدرس ما فى مرابع الوطن الغالى من غرائب السِّحرِ والفُتُون ؟

ما هَلّ بلدٌ فى وجه القطار إلا وثب القلب ، فما فى وادينا بلدٌ خلَتْ أربابه من آثار الحروب بين العيون والقلوب ، حتى كدت أومن بأن كل بلدٍ فى مصر هو صورة من صُوَر سِنتريس أو بغداد أو باريس

وطنى ! أنا أحبك ، أنا أحبك

ولو أننى أستغفر الله كلما ذكرتك لم تُكتَب علىّ ذُنوبُ

زكى مبارك

٣ - أخلاق القرآن

الوفاء بالعهد

للدكتور عبد الوهاب عزام

الوفاء بالعهد خُلق يقتضيه الإنصاف والصدق، وتوجبه المروءة وكرم النفس، وتحتمه الرجولة والنبل. ما أصغر وما أذل وما أخس النفس التي تتخذ عهدها وسيلة إلى التغرير بمن تعاهده، وتجعل يمينها سبيلاً إلى أن تفجئه وهو آمن مطمئن. الغادر كاذب حانث خادع، قد جعل كلامه وعهده حبالة لمآربه، حبالة واهية ذليلة كحبالة العنكبوت يصيد بها الذباب، ودبّ من وراء الأمن إلى خصمه كما تدب الثعالب والذئاب. أين هذا من الإنسانية في أخلاقها العالية، والرجولة في سجاياها الحرة؟ وأين هذا من أخلاق القرآن كتاب الإنسانية الكاملة؟

القرآن الكريم يأمر بالوفاء بالعهد، ويؤكد الأمر به، ويعظم شأنه، ويكبر الموفين، وينهى عن الغدر، ويشتد في النهي عنه، ويقبحه، ويلعن الغادرين

ومن يتدبّر آيات القرآن يجد العهد فيها ضربين: العهد العام، والعهد الخاص؛ فأما العهد العام فهو أداء الواجب الذي يقتضيه عمل الإنسان، فمن تولى عملاً فقد عاهد أن يفي به على الوجه الأكمل. فإذا لم يفعل فقد خالف العهد، ومن آمن بدين فقد عاهد أن يأتمر بأوامره وينتهيَ بنواهيه فإن لم يفعل فقد نقض العهد. ومن دخل في جماعة فقد عاهدها على أن ينفعها ولا يضرها، فإن ضرّها أو قصّر في نفعها فقد غدر. ومن تصدى للدفاع عن أرض أو جماعة أو عقيدة فقد عاهد ألا يألو جهداً في الدفاع. فإن نكص فقد خان. ومن أوتى علماً أو عرف حقاً فكأنه عاهد أن يبيّنه للناس ليهتدوا به، فإن كتمه فقد خاس بعهده. وهكذا

نقرأ في الكتاب الكريم: « وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتو الكتاب لتُبيِّنُنّه للناس ولا تكتمونه، فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون » « وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمننّ به ولتنصرنه. قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى؟ قالوا أقررنا. قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين. »

« وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم. وأخذنا منكم ميثاقاً غليظاً. ليسأل الصادقين عن صدقهم وأعد للكافرين عذاباً أليماً. »

فهذه مواثيق عامة تضمنتها رسالة الأنبياء وعلم الذين أوتو الكتاب، كأن النبوة عهد على الوفاء بما تقتضيه الرسالة من الدعوة والإصلاح والنصب واحتمال الأذى والصبر وكأنها عهد على أن ينصر النبيون الحق وينصروا من جاء به

وكذلك العلم الذي حمّل أهل الكتاب أمانته. هو عهد عليهم أن يعلّموه للناس ويظهروه غير مبالين ما ينفعهم وما يضرهم في إظهاره، وكذلك كل من عرف حقاً وهُدى إلى معرفة، وكل من ولى ولاية للناس، وكل من وكل إليه عمل، كل هؤلاء كأنهم عاهدوا الله والناس على أن يعرّفوا الناس ما عرفوا وأن يؤدوا أعمالهم على الوجه الأحسن

ومن ذلك قول القرآن الكريم في وقعة الأحزاب:

« من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً. ليجزى الله الصادقين بصدقهم. »

فهذا العهد هو ما التزمه المسلمون حين قبلوا الإسلام من القيام بفروضه ونصرته والدفاع عنه والاستماتة في تأييده

والقسم الثاني من العهد الخاص: معاهدة رجلين أو فريقين على أن يسالم بعضهم بعضاً وأن يجتنبوا الغدر فيما بينهم، أو تحالف فريقين على أن يتعاونوا على عمل، وهكذا؛ وهذه العهود شائعة بين الناس منذ اجتمعوا واحتاج بعضهم إلى بعض وخشى بعضهم بعضا

وقد حث القرآن على الوفاء بالعهد كله وبالغ في الأمر به. يقول في سورة الأنعام: « وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى. وبعهد الله أوفوا. ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون ». وفي سورة الإسراء: « وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولاً ».

وفى سورة النحل : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى . يعظكم لعلكم تذكرون . وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا . إن الله يعلم ما تفعلون . ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً ، تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم أن تكون أمة هى أربى من أمة إنما يبلوكم الله به ، ولَيُبَيِّنَنّ لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون . ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلاً ، إنما عند الله هو خير لكم إن كنتم تعلمون »

يأمر الله سبحانه فى هذه الآيات الجامعة بالعدل والإحسان وصلة الأرحام ، وينهى عن الفحشاء وكل منكر ، وعن البغى على الناس . وهذا أمر بكل خير ونهى عن كل شر

ثم يخص الوفاء بالعهد فيأمر به ويسميه عهد الله ، وكل عهد بين اثنين يسمى عهد الله ، لأن الله رقيب على أعمال الناس ، وقد أمرهم بأن يصدقوا ويحسنوا ويفوا بالعهود ، ولأن العهد قسم بالله وشهادة لله على الوفاء . وأكد الأمر بقوله : ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها ، وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً . فالإنسان حين يعاهد يشهد الله على عهده ويجعل الله كفيلاً عليه بالوفاء ، فكيف تنقض صفقة تكفّل بها الله ؟ إن الإنسان ليتخذ كفيلاً من وجهاء الناس فيحرص على الوفاء بعهده إكراماً لهذا الكفيل وحياء منه ، فكيف بمن جعل كفيله الله ؟ ثم نهاهم أن تكون أمورهم لعباً وعبثاً ، يبذلون وعودهم وعهودهم وأيمانهم ثم ينقضونها ، كالمرأة الحمقاء التى غزلت ثم نقضت غزلها ؛ ذلك عبث وصغار لا ترضى به النفوس الكريمة الكبيرة الحرة . نهاهم أن يفعلوا ذلك وأن يتخذوا أيمانهم غشاً وفساداً إذا لاح لهم نفع فى نقض العهد ، إذا وجدوا أن جماعة عاهدوها هى أقل عدداً وقوة من جماعة لم يعاهدوها ، فهم يريدون أن ينقضوا عهد الضعيف ليرضوا القوى أو يحالفوه . وهذا معنى قوله : « أن تكون أمة هى أربى من أمة » . ثم قال : « ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلاً » . يعنى : لا يحملكم على نقض العهد نفع تنالونه من وراء نقضه ، فإن كل ما تنالون بنقض العهود هو ثمن قليل فى جانب هذا الأمر العظيم . وكل ربح تتوهمونه فى ذلك خسران كبير

وقد أثنى القرآن كثيراً على الموفين بالعهد ، قال فى وصف المؤمنين المفلحين : « والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون » . وقال فى وصف الخيرين البررة : « والموفون بعهدهم إذا عاهدوا » . وقال : « إنما يتذكر أولو الألباب الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق » . وقال : « بلى من أوفى بعهده واتقى فإن الله يحب المتقين »

هذه إشادة القرآن بالموفين بالعهد ، وثناؤه عليهم بكل خير تعظيما لهذا الأمر العظيم

وأما الذين لا يوفون بعهودهم فقد ذمهم القرآن وشنع عليهم فقال : « والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض أولئك هم الخاسرون » . وقال فى موضع آخر : « والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار » . وقال فى جماعة من أهل الكتاب نقضوا العهد : « فبما نقضهم ميثاقهم لعنّاهم وجعلنا قلوبهم قاسية » . واستمع إلى هذه الآية الهائلة التى تبين غضب الله على من ينقض العهد ابتغاء منفعة : « إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً أولئك لا خلاق لهم فى الآخرة ، ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم . »

وقد أخرج القرآن ناقضى العهود من الإنسانية وجعلهم من الدواب بل جعلهم شر الدواب فى قوله :

« إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون ، الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة وهم لا يتقون »

ألا ترى أنه جعل الذين كفروا شر الدواب ثم وصفهم وصفاً يلائم هذه الحال فأخبر أنهم لا يثبتون على عهد كلما عاهدوا نقضوا عهدهم . كما قال فى آية أخرى : « أو كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم ؟ »

راعى القرآن العهود وأعظم شأنها حتى أوجب الدية فى قتل

في الاجتماع اللغوى

تطور اللغـــة وارتقاؤها

أثر العوامل الأدبية المقصودة : الرسم

للدكتور على عبد الواحد وافى

مدرس الاجتماع بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

تشمل هـذه الطائفة من العوامل جميع ما يبذله الأفراد والهيئات من جهود مقصودة فى سبيل حفظ اللغة وتعليمها ، وتوسيع نطاقها ، وتكملة نقصها ، وتهذيبها من نواحى المفردات والقواعد والأساليب ، وتدوين آثارها ، واستخدامها فى الترجمة والتأليف الأدبى والعلمى ... وهلم جرا

وتمتاز هذه الطائفة من العوامل عن الطوائف الثلاث التى تكلمنا عنها فى المقالات السابقة بأنها أمور مقصودة ، تسيرها الإرادة الإنسانية ؛ على حين أن الطوائف السابقة تتمثل مظاهرها فى أمور غير مقصودة تحدث من تلقاء نفسها ، وتبدو آثارها فى صورة جبرية لا اختيار للانسان فيها ولا يد له على وقفها أو تغيير ما تؤدى إليه ، وتمتاز عنها كذلك بأن هدفها الأصلى هو لغة الـكتابة ، بينما تتجه آثار الطوائف السابقة بشـكل مباشر إلى لغات المحادثة

ولهذه الطائفة مظاهر كثيرة من أهمها : الرسم ، والتجديد فى اللغة ، والبحوث اللغوية ، وحركة التأليف والترجمة ، ووسائل تعليم اللغة . وسنعرض فى هـذا المقال لبعض نواحى الرسم ، مرجئين التكلم عن نواحيه الأخرى وعن بقية العوامل الأدبية إلى المقالات التالية .

* * *

لم يتح الرسم إلا لعدد قليل من اللغات الإنسانية ، أما معظمها فقد اعتمدت حياته على مجرد التناقل الشفوى ، فالشرط الأساسى فى حياة اللغة هو التكلم بها لا رسمها ، فكثيراً ما تعيش اللغة بدون أن يكون لها سند تحريرى ، ولكن من المستحيل أن تنشأ لغة أو تبقى بدون أن يكون لها مظهر صوتى . ويصدق هذا حتى على اللغات الصناعية نفسها كالإسبرنتو Espéranto وما إليها ، فمن المتعذر أن تتاح الحياة للغة من هـذا النوع ما لم تتداولها الألسنة وتصبح أداة للـكلام ، ولذلك كان أول ما يتجه إليه المفكرون فى هذا النوع من اللغات هو وضع أصواته وأسلوب نطقه والبحث فى وسائل انتشار التحدث به

وعلى الرغم من ذلك ، فللرسم فى حياة اللغة ونهضتها آثار

غير المسلم من قوم معاهدين ، ولم يوجبها فى قتل المسلم من قوم غير معاهدين .

تلـكم شرعة الإسلام فى رعاية العهود ، وهى التى سار عليها المسلمون فى سلمهم وحربهم فكانوا أوفى ذمة وأثبت عهداً . . . تنطق بذلك سيرهم منذ جاءهم الإسلام حتى اليوم . كان للعهد عندهم حرمة لا تمتهن ، فى السراء والضراء ، والشدة والرخاء . كان للعهد الذى يعطيه أقل رجل من المسلمين ولو عبداً — نافذاً على المسلمين جميعاً لا يقبل تأويلاً ولا تبديلاً .

إن حفظ العهود ليلاقى الأمن والطمأنينة فى نفوس الأفراد والأمم ويقيم أمور الناس على شريعـة من المودة والإنصاف والتعاون . وإن العالم ليزلزل اليوم بما استخف بالعهود واتخذها وسيلة إلى المطامع ؛ فلم يركن الناس إلى معاهدة ، ولم يأمنوا الغدر والمفاجأة ، فصاروا فى ريبة وحيرة ، وزال ما كان يثبت الأمم من مواثيق تؤمن بها وتركن إليها وتسير فى تدبيرها عليها . صار الوعد لا يدل على الوفاء ، والعهد لا يؤمن من الغدر ، فاضطرب الناس فهم فى أمر مريج

وقد حدثنا القرآن عن بلاد أهلكت وأخبرنا أن مما أهلكوا به استخفافهم بالعهد فقال : « أو لم يهد للذين يرثون الأرض من بعـد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون . تلك القرى نقص عليك من أنبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل ، كذلك نطبع على قلوب الـكافرين . وما وجدنا لأ كثرهم من عهد وإن وجدنا أ كثرهم لفاسقين » ... صدق الله العظيم

عبد الوهاب عزام

تجل عن الحصر . فبفضله تضبط الأمة ، وتدون آثارها ، ويسجل ما يصل إليه الذهن الإنسانى ، وتنتشر المعارف ، وتنتقل الحقائق فى الزمان والمكان . وهو قوام اللغات الفصحى أو لغات الكتابة ودعامة بقائها . وبفضله كذلك أمكننا الوقوف على كثير من اللغات الميتة كالسنسكريتية ، والمصرية القديمة ، والإغريقية ، واللاتينية ، والقوطية ؛ فلولا ما وصلنا من الآثار المكتوبة بهذه اللغات ما عرفنا منها شيئاً ولضاعت منا مراحل كثيرة من مراحل التطور اللغوى

وترجع أساليب الرسم التى استخدمت فى مختلف اللغات إلى أسلوبين اثنين :

(أحدهما) أسلوب الرسم المنوى Idéographie, écriture idéographique وهو الذى يضع لكل معنى صورة خطية خاصة وقد استخدم هـذا الأسلوب فى لغات كثيرة ، منها الصينية والمصرية القديمة[1] ولا نعلم على وجه اليقين أول أمة استخدمته ولكن يظهر من شواهد كثيرة أنه أقدم أساليب الرسم الإنسانى

وترجع الصور الخطية التى تستخدم فى هذا الأسلوب إلى نوعين ، فأحياناً تكون صوراً حقيقية للأشياء التى يراد التعبير عنها ، أو لأجزاء من هذه الأشياء ؛ كما يشير الرسم الهيروغليفى إلى الشمس بدائرة فى وسطها نقطة ، وإلى القمر بقوس فى وسطه نتوء ، وإلى الزنبق بثلاثة فروع من شجرته فى طرف كل منها ثلاث زنبقات ، وإلى الصقر بصورته واقفاً ... وهلم جرا . وأحياناً تكون مجرد رموز مصطلح عليها للتعبير عن الأشياء والمعانى Symbolisme ، كما يشير الرسم الهيروغليفى إلى الشهر بصورة هلال فى وسطه نجمة ، وإلى اليوم بدائرة فى وسطها نقطة ؛ وكما يشير الرسم الصينى لمعنى الإنسانية بخطين يتكون منهما شكل يشبه رقم ٨

ولهذا الأسلوب من الرسم عيوب كثيرة . فهو أسلوب بطىء يقتضى الكاتب إسرافاً كبيراً فى الوقت والجهود . ولكثرة صوره ورموزه تبعاً لكثرة المعانى والأشياء ، يقتضى تعلمه وتعليمه جهوداً شاقة وزمناً طويلاً . ولذلك يقضى كثير من الصينيين زهرة شبابهم فى المدارس بدون أن يتموا تعلم الرسم الصينى ، وهو لا يقوى على تأدية وظيفته إلا فى صورة ناقصة مبتورة ؛ إذ من المستحيل ، مهما كثرت صوره وتعددت رموزه ، أن ينتظم جميع ما يخطر بالذهن الإنسانى من معان وأفكار وجميع ما ينطق به اللسان من ألفاظ وعبارات . هذا إلى أنه بمقتضاه لا يوجد للمعنى الواحد أكثر من صورة واحدة ، مع أنه فى معظم اللغات الإنسانية كثيراً ما يوجد للمعنى الواحد عدة ألفاظ مترادفة . فاستخدامه فى حالات كهذه يوقع فى اللبس ويؤدى إلى الاضطراب

(وثانيهما) أسلوب الرسم الصوتى Ecriture phonétique, ou, phonétisme الذى يضع لكل صوت صورة خاصة . وقد استخدم هذا الأسلوب من الرسم فى كثير من اللغات القديمة ، ويستخدم الآن فى معظم الشعوب المتمدينة

وترجع الصور الخطية التى استخدمت فى هـذا الرسم إلى طائفتين : إحداهما الصور المقطعية Syllabique وهى التى ترمز إلى مقاطع كاملة كما يرمز فى الهيروغليفى بشكل الشفتين إلى مقطع را ra والأخرى الصور الهجائية Alphabetique وهى التى ترمز إلى أصوات ساكنة ، كما يرمز فى الرسم العربى بهذا الحرف «ل» إلى صوت اللام مجرداً من جميع الحركات

ويظهر أن قدماء المصريين كانوا أول من استخدم هـذا الأسلوب بنوعيه (المقطعى والهجائى) منذ أكثر من ثلاثين قرناً قبل الميلاد . فمن بين صور الخط الهيروغليفى ما يرمز إلى مقاطع صوتية (صورة الشفتين مثلاً التى تعبر عن مقطع «را») بل من بينها ما يرمز إلى مجرد أصوات ساكنة (صورة الشفتين

---

(١) يرتكز الرسم الصينى على ٢١٤ رمزاً أصلياً (تسمى بالمفاتيح clefs أو الأصول radieaux) ، يعبر كل رمز منها عن معنى عام ، ويبين المقصود منه عدد الخطوط التى تضاف إلى هذا الرمز ونوعها

أما الرسم المصرى القديم فيسمى بالهيروغليفى Hiérogliphe . وقد اجتاز هـذا الرسم أربع مراحل . فقد كان فى المبدأ تصويراً للأشياء ، فيعبر عن الشمس مثلا بدائرة فى وسطها نقطة ، وعن القمر بقوس فى وسطه نتوء ... وهلم جرا . ثم دخل فيه بعد ذلك طريقة الرموز البسيطة والمركبة فيعبر مثلا عن اليوم بصورة الشمس (دائرة فى وسطها نقطة) ، وعن الشهر بصورة نجمة تعلوها صورة قمر مستعرضة (قوس فى وسطه نتوء) . وفى المرحلة الثالثة دخلت فيه الطريقة الصوتية المقطعية ؛ فاستخدمت مثلا الصورة التى كان يعبر بها قديما عن الفم (وهى صورة الشفتين) للتعبير عن مقطع « را ra » . وفى المرحلة الأخيرة دخلت فيه الطريقة الهجائية فاستخدمت مثلا الصورة السابقة لا للتعبير عن مقطع « را » بل للتعبير عن صوت الراء الساكنة غير المتبوعة بحركة كما هو شأن الراء فى الحروف الهجائية العربية . والمظهران الأولان فقط (الصورى والرمزى) هما اللذان يمدان من النوع الذى نحن بصدد الكلام عنه . أما المظهران الأخيران (المقطعى والهجائى) فمن النوع الثانى الذى سنتكلم عنه وهو الرسم الصوتى .

مثلاً التى أصبحت ترمز فيما بعد إلى صوت الراء غير المتبوع بأى حركة ، كما هو شأن الراء فى الحروف الهجائية العربية) . غير أن قدماء المصريين لم يستخدموا هـذا الأسلوب وحده ، بل مزجوه بالأسلوب الأول . فالرسم الهيروغليفى خليط من الرسم الصوتى والرسم المعنوى ؛ يستخدم بجانب الصور المقطعية والهجائية صوراً حقيقية ورمزية

ومن الراجح أن الفينيقيين هم أول من استخدم الأسلوب الهجائى وحده . وقد اضطرهم إلى ذلك نشاطهم التجارى وكثرة تنقلهم وتمدد علاقاتهم بمختلف الشعوب . فقد كانت هذه الشئون تقتضيهم فى جميع أعمالهم السرعة فى الحركة ، والاقتصاد فى المجهود ، وتحرى وجوه الدقة . والأسلوب الهجائى هو أسرع أساليب الرسم ، وأيسرها وأدناها إلى الـكمال . وليس من شك فى أنهم حاكوا فى أسلوبهم هذا ما كان يشتمل عليه الخط الهيروغليفى من صور هجائية . على أنه قد ثبت أنهم أخذوا أخذاً عن هذا الخط نحو ثلاثة عشر حرفاً من حروفهم

وقد انتشرت حروف الهجاء الفينيقية فى معظم أنحاء العالم القديم واستخدمها كثير من شعوبه ؛ ومنها تفرعت بشكل مباشر أو غير مباشر جميع حروف الهجاء التى استخدمت فيما بعد فى مختلف اللغات الإنسانية

فمن الحروف الفينيقية اشتقت الحروف العبرية القديمة ، ومن هـذه اشتق الرسم العبرى الحديث (الحروف العبرية المربعة l'hebreu carré) الذى استخدم بعد رجوع بنى إسرائيل من نفى بابل ، وظل مستخدماً إلى الآن بدون أن يناله تغيير ذو بال

ومن الحروف الفينيقية اشتق كذلك نوعان من الرسم قريبا الشبه بالعبرية الحديثة (الحروف العبرية المربعة) : أحدهما الخط التدمرى[1] (أو البالميرينى Palmyrénien[2]) ؛ والآخر الخط النبطى Nabatéen . ومن التدمرى اشتقت الحروف السريانية التى أخذت منها الخطوط المنولية والمنشورية . ومن الخط النبطى والخط السريانى اشتقت حروف الهجاء العربية .

(١) نسبة إلى تدمر وهى مملكة قديمة كانت تشمل جزءاً كبيراً من سوريا الحالية . ومعنى تدمر فى العبرية بلاد النخيل

(٢) نسبة إلى بالميرين Palmyrène وهو اسم فرنسى لبلاد تدمر . ومعناه فى الفرنسية هو نفس معنى تدمر فى العبرية ، أى بلاد النخيل

ومن الرسم الفينيقى أخذ كذلك الرسم الآرامى ، بل إن الرسم الآرامى فى أقدم أشكاله لا يكاد يختلف عن الرسم الفينيقى . وعن الآرامية أخذت الحروف الهندية البا كتريانية (Indo-Bacterien[1]) التى كانت مستخدمة فى شمال الهند ؛ ومن هذه الحروف اشتقت جميع الحروف المستخدمة الآن فى مختلف لغات الهند وسـيام Siam وكمبدج Cambodge (بالهند الصينية) ومالزيا Malaisie .

ومن الحروف الفينيقية اشتق كذلك الرسم الإغريقى ؛ ومن الرسم الإغريقى أخذت الحروف اللاتينية ، ومن الرسمين اللاتينى والإغريقى تفرعت جميع أنواع الرسم المستخدمة فى مختلف اللغات الأوربية فى العصر الحاضر .

على عبد الواحد وافى
ليسانسيه ودكتور فى الآداب من جامعة السربون

(١) نسبة إلى با كتريان Bactrian ، وهى منطقة قديمة كان يسكنها الايرانيون وتشمل بعض مناطق تركستان وفارس

أوليفر جوزيف لودج

OLIVER JOSEPH LODGE

يونيو سنة ١٨٥١ — أغسطس سنة ١٩٤٠

للدكتور أحمد موسى

ليس بين المثقفين من لا يعتبر أوليفر لودج من أئمة علماء العصر ، كما لا يوجد من بين هؤلاء من لم يقرأ شيئاً له أو عنه . وإذا أراد أحد المؤرخين أن يسجل فى قائمة أعظم علماء التاريخ من الناحية العلمية ، فإنه يضع اسم أوليفر لودج بين هذه الأسماء إن لم يضعه فى مقدمتهم

أنظر إلى حقل من الحقول وسر بنظرك إلى شجيراته التى غرست فى وقت واحد وتعهدها الفلاح بارى فى فترة واحدة ، تر من بينها شجيرة تبز غيرها وترتفع عنها ، مع أن البذور واحدة والعوامل البانية مشتركة . وكذلك كان الحال منذ بدأ القرن المشرون ، فظهر فى الأفق العلمى كثيرون كان من أبرزهم أوليفر لودج الذى حلق فى سماء الفكر تحليقاً عجيباً ووصل إلى نتائج من أبهر وأسمى ما يمكن الوصول إليه

لم يكن أوليفر لودج موسيقياً ، ولكنه كان يستمع إلى موسيقى الخلود ؛ فيتخذ من هرمونيتها قواعد وأصولاً يجعلها أساس بحوثه فى اللانهاية وفى علاقة الشموس والسيارات والكواكب بعضها ببعض ، وكما يحافظ الموسيقى العبقري من أمثال بيتهوفن وفاجنر على الانسجام والاتزان والارتباط الفائق فى مقطوعاته ، كان أوليفر لودج يتخذ القاعدة البسيطة إلى المبادئ المركبة ، وينتهى بالنتائج المحدودة إلى ما هو غير محدود

وإذا كان العلم رهيناً بالبيئة والاستعداد المولود مع الموهوبين فإن المصادفة قد لعبت دوراً هاماً فى توجيه أوليفر لودج إلى العلم

كان الفضل فى توجيهه لمجلة قديمة اسمها : « الميكانيكى القديم » تناولها صدفة فأثارت كامن استعداده ، ولم يكن فقر أبيه ليحول بينه وبين العلم ؛ فدرس وحفظ وأتقن وتفنن وتعلم وعلم من أجل الاستمرار فى الدرس ..

ولد أوليفر لودج يوم ١٢ يونيو سنة ١٨٥١ فى بيكنهال بمقاطعة ستافورد بانجلترا من أبوين متوسطي الحال ، وكان أبوه مشتغلاً بصناعة الخزف ، وقد تعلم الابن فى المدرسة الابتدائية فى بيوبورت إلى أن بلغ الرابعة عشرة ، واستمر مع أبيه سبع سنوات جمع خلالها بين العلم والعمل ، بحيث لم يكن اتجاهه العلمى متصلاً أقل صلة بحرفته التى كلفه بها واختارها أبوه ، وقد صادف يوماً تلك المجلة التى سبقت الإشارة إليها ؛ فانكب على الدرس والبحث والاستقصاء ، فما كان من أبيه إلا أن أرسله إلى لندن ليستمع إلى ما يروقه من المحاضرات

رأى الفتى أنه لا بد له من الدراسة الجامعية المنظمة ، ولا بد له من مال ينفقه فى هذه السبيل ؛ فاستعان بإعطاء الدروس الخصوصية للحصول على النفقات الضرورية ، وأمكنه بعد الجهد أن يحصل على أسمى شهادة تمنحها جامعة لندن وهى إجازة الدكتوراه بعد خمس سنوات قضاها فى الدرس المرهق

وعين فى سنة ١٨٧٩ مساعداً للرياضة التطبيقية بجامعة لندن ، وانتخب عضواً فى الجمعية الملوكية سنة ١٨٨٧ ، وانتقل أستاذاً للعلوم الطبيعية فى جامعة ليفربول سنة ١٨٨١ وظل فيها إلى سنة ١٩٠٠ حيث انتقل عميداً لجامعة برمنجهام

ومنحه الملك إدوارد السابع لقب فارس سنة ١٩٠٢ وحصل على لقب « سير » فيما بعد

ومن أوائل مؤلفاته « نظرات جديدة فى الكهربائية » وهو المؤلف الذى ترجم إلى الألمانية العلامة هلمهولتس سنة ١٨٩٦(١) وله كتاب ألفه سنة ١٩٠٨ أسماه « الحياة والمادة(٢) » تناول فيه بالنقد آراء الفيلسوف الألمانى هيكل صاحب كتاب « لغز الكون(٣) » .

وألف بعد ذلك الكثير من الكتب ، وله مقالات ومحاضرات لا يتناولها الحصر ، منها ما ألقاه فى الجامعات ومنها ما ألقاه فى مجمع

(1) Helmholz u. Du Bois-Reymond, Leipzig 1896.

(2) Lodge, Leben und Materie, Berlin 1908.

(3) Haeckel, Die Weltraetsel, Bonn 1899

تقدم العلوم البريطانى . أما مقالاته فقد نشرت عنها نبذة جيدة فى مجلة الطبيعة Nature ومجلة الاكتشافات Discovery وغيرهما من المجلات الأمريكية والألمانية والفرنسية والإيطالية

أما الجرائد اليومية التى نشرت له ، فأهمها التيمس التى بدأت منذ فجر القرن العشرين تنشر مقالاته وخلاصة محاضراته عن : « الكهرباء » و « الأتوم » و « المغناطيسية » و « المادة والروح » وغير ذلك

ولم يقف نشاطه عند حد التدريس والتأليف ، بل تعداه إلى الاشتغال العملى كمستشار لإحدى الشركات الكهربائية الكبرى ؛ فقام لديها بتطبيق أبحاثه النظرية فى الوقت الذى فيه استفادت الشركة فائدة عظمى

وقد ظل عميداً لجامعة برمنجهام حتى سنة ١٩١٩ ، أى أنه ظل فى هذا المنصب عشرين عاماً لا يتوانى عن العمل والإنتاج والسعى وراء ما هو جديد فى العلم .

وقد انتخب رئيساً لمجمع تقدم العلوم البريطانى سنة ١٩٣٣ ، ورئيساً للجمعية الطبيعية وجمعية الأبحاث النفسية وجمعية الأشعة المجهولة .

بهذا الوضع ترى أن لودج جمع بين العلم التجريبى والفلسفة ، وكان وسيطه الأثير ، وظل يتفلسف حتى حلّق بفكره الصافى وخياله السامى إلى عالم الروح !

ما هو الفضاء ؟ وما حدوده ؟ وماذا يشغله ؟ وما هذه الكواكب المنثورة فى رحابه ؟ وما الذى يربط بينها ؟ وما هى المادة ، ومم تتكون ؟ وماذا يربط بين الذرات ؟

صراع عنيف هذا الذى بين العالم وبين ظواهر الكون ! شجار هائل بين العقل البشرى وظاهرة اللانهاية . ينظر العالم البصير إلى الوجود نظرة المتأمل ؛ فيرتد منه البصر خاسئاً وهو حسير ! لقد قال « كانت » فى كتابه « نقد العقل الخالص[1] » : إن العقل البشرى محدود لا يستطيع اختراق الآفاق للوصول إلى ما يشفى غلته ، وهذه حكمة الخالق !

ولعل ما وصل إليه أوليفر لودج كان من نوع الانبثاقات المشابهة لتلك التى فاز بها أينشتاين دون مقارنة . ومهما يكن من شىء فإن العقل الخصب لا يقف فى البحث عند حد ؛ لذلك ترى لون التفكير الحديث عند لودج بمعناه الكامل

يتجه التفكير الحديث إلى تحقيق تأليف كل مادة من جزيئات منفصلة هى ذرات العناصر المركبة من كهارب وبروتونات وهذه هى الشحنات الكهربائية الدقيقة إلى أقصى ما يمكن للعقل أن يتصوره

أخذ هذا المبدع فى التفكير على هذا النمط ، واتخذ من البسيط قاعدة للمركّب ، واستطاع إدراك الموسيقى الكونية المعبرة عن الكمال المطلق فى الهارمونى الأزلية الأبدية !

كان لودج مؤمناً وكان ينبذ مذهب المادية كنتيجة لإيمانه . فتراه يقول : إن العالم لا يمكن أن يكون مادة خالصة ، فهناك رابط وضابط يربط بين الكائنات ويضبط علاقاتها ، وليس هو بالذات ماديًا

وما هو الأثير يا ترى ؟ أهو مادة ترى أم تلمس ؟ يقول لودج فى تعريف صفاته : إنه لا يرى ولا يلمس ولا يسمع ولا يشم ! بل هو ناقل الضوء وهو الرابط بين جزئيات المادة ، كما أنه الوسيط لنقل الأشعة الكونية إلى الأشعة اللاسلكية ، والأشعة الكونية تبلغ حدا قصيراً جدا بينما اللاسلكية قد تصل موجتها إلى اثنى عشر ميلاً أو أزيد

أما جولاته وصولاته فى عالم الروح فهى مشهورة وعظيمة فاعتقاده فى بقاء الروح بعد الموت نتيجة لتجاربه التى يقرر فى إحداها أنه استطاع التحدث إلى ابنه المتوفى ، ويعلل ذلك بقوله : إن الحياة والعقل يبدوان فى مجال لا يشترط أن يكون مادياً دائماً ، وعلى ذلك فبقاؤهما بعد انحلال الجسم المادى محتمل .

ولم يصل لودج إلى التحقيق العلمى فى هذا الشأن ، ولذلك فتعاليمه الروحية مثار كثير من الجدل ، ولكن هذا لا يمنع من اعتباره واضع النواة لاتجاه لا يبعد أن يحيط البحث عنه لثام

(1) Kant, Kritik der reinen Vernunft.

الغموض ، لا سيما وأن الكثير من المبادئ العلمية كانت فى أول أمرها مثار الشكوك ثم ثبت صدقها ونفعها فيما بعد

تذكر « لامارك » واذكر أبحاثه التى ظلت أعواماً طويلة فى عالم النسيان بعد طول الجدل والمناقشة ، وبعد أن كانت مثار الحقد والكراهية له من معاصريه العاملين معه فى معهد واحد ، وتذكر ما قاله « دارون » عن هذه الأبحاث تر أنه لا يبعد أن يجود الزمان بمن يواصل البحث فى عالم الروح على ضوء ما تركه لودج من تراث عظيم فى هذا المجال

جمع لودج بين عالم الروح وعالم المادة ، وله أبحاث هامة عظيمة قد أيدت ، وأبرزها النتائج التى وصل إليها فى ظواهر البرق والصواعق ، والمسلك الذى سلكه للوقاية منها

وله فضل عظيم على نظريات اللاسلكى والأمواج القصيرة والطويلة ، فلا غرابة إذا اعتبره البعض إمام الابتكارات اللاسلكية الحديثة قبل ماركونى

لقد وهب الله هـذا الرجل صدق النظر وعلو الهمة والرغبة فى العلم والإنتاج ، كما منحه إلى جانب ذلك عمراً مديداً ، فهو فى هـذا كله قد وفق تمام التوفيق وأدى رسالته على أحسن وجه

فإذا سجلنا اليوم بعض مآثره وتناولنا حياته ببيان قصير ، فإن هذا إلى جانب مكانته لا يعد شيئاً مذكوراً

***

ولعلنا نعود إلى أبحاثه الروحية فى وقت أكثر رحابة وأوسع مجالاً من هذا الذى اكفهر فيه الجو وخيم الظلام على عقول الناس ؟

أحمد موسى

في النقد الأدبي

أســــلوب أدهم
في كتبه ومباحثه

للأستاذ محمد عبد الغني حسن

كان المرحوم إسماعيل أدهم شخصية في الأدب النقدي الحديث، تستحق الدراسة من نواح متعددة. وإذا كان عرف عنه دائماً زيغ في العقيدة، أو تعصب للترك على العرب والإسلام فقد عرف عنه بجانب ذلك كثير من دقة البحث واستقصاء الدرس واستكمال عدة النقد اللازمة للناقد الحديث. وامتازت كتاباته ومباحثه الواسعة المنتشرة هنا وهناك بطريقة جرى عليها علماء المشرقيات في مباحثهم. وهي طريقة غير هينة ولا ممهدة لأنها تستلزم صبراً كثيراً وقراءة كثيرة وربطاً محكما لكل ما يقرأ وإدراكا واسعاً يستطيع به صاحبه الحكم في صحة، غير جانح إلى خطأ، أو مائل إلى انحراف عن الجادة

ولقد أثار موت أدهم — بالطريقة التي اختارها — أموراً كثيرة، تعرض فيها كثير من الناس لأمور ما كان بليق التعرض لها، لأنها تمس شخصه هو، وتلمس جزءاً خصوصياً من حياته. وكان الأولى بهم لو وقفوا أمام أدبه وتراثه الفكرى فاستعرضوه وبحثوه وأشبعوه درساً وتناولوه تناول الناقد – في رفق أو في غير رفق – لأنه تراث لم يعد من ملك اسماعيل أدهم، بل عاد من ملك الزمن ومن حق التاريخ

ولا نعرض هنا لما قيل في أدهم وما قيل عنه، فليس ذلك وارداً على بحثنا اليوم ولا داخلاً فيه. ولا شك أن الغبار التي أثيرت حوله ستمضي، وسيبقى الكلام في عقيدته مسألة حسابها بينه وبين ربه.

* * *

والكلام عن أدهم في أي ناحية من نواحيه قد يكون شائكا، وقد يكون دقيقاً، وقد يكون فيه غير قليل من الحرج، فليس من أسهل المواقف — في بيئة شرقية محافظة — أن يطيب الكلام عن أدهم المعروف بنزعاته الحرة غير المبالية بتقليد أو سنة[1]

وليس من أهون المواقف أن يكتب عربي عن شاب تركى الأب ألماني الأم أو صقلبيها كان يرى ويؤمن باحتقار الترك للعرب[2]

وليس من أحب المواقف إلى النفس أن يكتب كاتب يريد الإنصاف عن أديب تعددت فيه مذاهب الرأى، وأحيط علمه وعرفانه الألمانية والروسية وقيم شهاداته العلمية بكثير من الشك[3]

نعم، ليس الكلام عن أدهم سهلاً ولا لينا، ولا مما يرتاح إليه بعض الناس ممن يرون فيه رأياً خاصاً، ويذهبون في الحكم عليه مذهباً معيناً

على أن الناقد لا يتقيد بما يتقيد به سائر الناس، ولا يخضع نفسه لعاطفة ثائرة قد يكون لها أثر سيء في الحكم على المنقود. فلقد كان في أبي العلاء المعرى شك وسخرية وجرأة على الأديان، إلا أن ذلك لا يمنع من وضعه في المنزل الخليق به في أدب العرب. أما المتزمتون الذين يتحرجون حتى من حفظ شعر لأبي العلاء لرميه بالزندقة، فأولئك قوم لا نكتب لهم، ولا نود أن يقع حديثنا في أيديهم ... ...

على أن أدهم — كما قلنا — قد مات وراح في الطريق الذى نروح ونغدو له في الحياة ... وراح معه شكه وإلحاده ليلاقى بهما وجه الله الذى سيرى عنده اليقين. فمن السخف أن نغضب ونسخط على أدهم، لأن الله لم يهده كما هدى غيره. ومن الرحمة أن نرثى لأدهم بسبب هذه الحيرة السوداء التي سودت عليه آفاق الطريق. وقد يكون من المفيد أن يتفضل أحد الباحثين بمعالجة هذا الموضوع — موضوع إلحاد أدهم — والكشف عن بواعثه والظروف التي هيأت له، مستعيناً في ذلك بما كتبه هو عن نفسه في كتابه « لماذا أنا ملحد ؟ »

* * *

يجد المتتبع لأسلوب أدهم أنه لم يسلم من وقوع الأخطاء

(١) أنظر (لماذا أنا ملحد) لأسماعيل أدهم
(٢) أنظر (الزهاوى الشاعر) له ص ١٧
(٣) راجع أعداد الرسالة من يوم وفاة أدهم إلى اليوم

النحوية فيه . وكان أصحاب الصحف والمجلات التى ينشر فيها يعانون كثيراً فى سبيل إصلاح هذه الأخطاء وردها إلى وجه الصحة . على أن أدهم فى مباحثه الأخيرة قلت عنده هذه الأخطاء ولكنها لم تنعدم انعداماً تاماً

وكان خصوم أدهم يجدون فى هذه المآخذ وفى غيرها فرصة للتعريض بقيمة ما يكتبه . على أن ذلك عند المنصف لا يحط من القيمة العلمية لمباحثه

وضعف إسماعيل أدهم فى قواعد العربية من السهل رده إلى نشأته فى بيت غريب عن العربيـة . وكان للسنوات التى قضاها فى تركيا كما نعرف ـ وفى روسيا كما يقال ـ أثر فى زيادة هذا الضعف . إلا أنه بدأ منذ النصف الأول من عام سنة ١٩٤٠ يفطن إلى أخطائه . ولعله اكتسب ذلك من نشر مقالاته مصححة من قلم التحرير فلا يقع خطأ فى مقالاته المقبلة

وكان بجانب ذلك لا يحرص على استعمال الألفاظ العربية العريقة ، بل كان يعدل عنها إلى الألفاظ الدخيلة أو غير الصحيحة أو الألفاظ الأفرنجية نفسها مكتوبة بحروف عربية

وقد لاحظت عليه كثرة استعماله للفظة « رومانتيكية » بدلاً من « ابتداعية » ويقول عن ترجمة البستانى للألياذة إنها « ملحمة شعرية زخة بمثولوجيتها » بدلاً من أساطيرها ، وأكثر ما تلاحظ عليه هذه الطريقة فى الكتابات الأولى التى كتبها بين سنتى ١٩٣٥ ، ١٩٣٨ . وكتابه الموسوم « الزهاوى الشاعر » مشحون بأمثال هذه الألفاظ الأفرنجية المنبثة فى خلال كتاباته العربية

إلا إنه فى السنتين الأخيرتين قبل وفاته عدل عن هذه الطريقة إلى الطريقة الأخرى المقبولة ، وهى ذكر الكلمة العربية الأصيلة مع ذكر ما يقابلها فى الإنجليزية والفرنسية بين قوسين بحروف لاتينية . وهذه الطريقة تظهر بشكل واضح فى أبحاثه العميقة عن شاعر الأقطار العربية خليل مطران التى نشرت تباعاً فى مجلة (المقتطف) فى عام ١٩٣٩ وبعض شهور من عام ١٩٤٠ . وعلى سبيل التمثيل نذكر ما يأتى : يقول فى أحد هذه المباحث [1] : « إن الخيال الشعرى عند مطران إضافى Relative » . ويقول

أيضاً فى الصفحة نفسها : « وهذه أشياء يمكنك أن تخلص بها كقاعدة Regle من إمعانك فى مطالعة شعر ديوان الخليل » .

ويقول فى موضع آخر [1] : « وهى عناصر العاطفة Emotion والخيال والفكرة » . ويقول فى موضع آخر عن صناعة مطران الفنية [2] : « فإن الكمال Perfection فى الشعر يقوم على أساس الاتزان بين الروح الشعرية والتعبير الشعرى من جهة من جهاته »

وهكذا نجد الأمثلة كثيرة على ميله أخيراً إلى استعمال اللفظ العربى والعدول به عن اللفظ الإفرنجى الذى كان يشيع فى أوليات مقالاته ...

وقد لا أكون مخطئاً فى الظن أن السر فى هذا العدول هو كثرة ما تعرض له من النقد من ناحية — فقد كانت طريقة حشد الألفاظ الإفرنجية على اللغة العربية لا ترضى كثيراً من القراء — ومن ناحية أخرى أراد أن يظهر لبعض الغامزين عليه تمكنه من اللغتين الفرنسية والإنجليزية

وبالرغم من ذلك كله فإن أسلوب اسماعيل أدهم يتميز من غيره من الباحثين المعاصرين بطابع خاص انفرد به وحده ، وهذا الطابع تظهر فيه شخصية أدهم ظهوراً مستقلاً

وقد بلغ من استقلال هذه الشخصية الأسلوبية وتفردها أنها كانت تنم عن صاحبها حتى ولو لم يعرف القارئ اسم كاتب المقال . وهو فى ذلك يمتاز من كثير من الباحثين أو الكاتبين المعاصرين الذين يكادون يذوبون فى غيرهم كما يذوب الثلج فى الوهج ... وهـذه الميزة الفريدة لأدهم هى التى أعطته مكاناً طيباً فى عالم النقد ، فقد كان يُنظر إليه نظرة اعتبار من صاحب « الحديث » فى حلب ، وأصحاب « المقتطف » فى مصر ، وصاحب « الرسالة » الذى أفسح له صدرها غير عابئ بما كان ينسج حول أدهم وما يحاك له ...

على أن هذه الشخصية الأسلوبية لأدهم لا تعنى أنها استقلت بمقومات أو حسنات فقط ، فقد كان فيها بعض العيب ـ وسبحان الكامل ـ فقد كان فيها شىء من لكنة الأعاجم . إلا أنه لحسن الحظ أن هذه اللكنة الموروثة فيه لم تفسد معانى

(١) ص ١٣٢ من الكتاب

(١) ص ١٣٨ من الكتاب نفسه

(٢) ص ١٦٨ من الكتاب نفسه

كتابته ، وإن كانت تضيع من عربيتها

ويظهر أنه كان فقير المادة اللغوية العربية . وهو معذور في ذلك كل العذر لعجمته أولاً ولصغر سنه ثانياً . فلم يتح له عمره القصير أن يحيط بثروة لغوية واسعة ، وإن كنا نلاحظ عليه ازدياد محصوله اللغوي من عام إلى عام

ويؤيد ما نقول أنه كان له كثير من الألفاظ والتعبيرات والتراكيب الخاصة به يديرها في كل مبحث من مباحثه ، ويكررها في كل كتاب من كتبه ، وقد ينسى فيكررها في الصفحة أو الصفحتين المتقاربتين ثلاث مرات أو أكثر ، ولسنا نلقي الكلام هنا من غير دليل ، فهو يقول في أحد كتبه[1] « تقطعت نتيجة له أوصال عقليته التقليدية » ويقول في الصفحة المقابلة من الكتاب نفسه « تقطعت أوصال عقليته التقليدية تحت محراث العلم والثقافة الغربية » ، ويقول في صفحة ١٨ من الكتاب نفسه « فتقطعت عند الكثيرين من أبناء الشرق العربي أوصال العقلية القديمة »

وقد يكون العلة في هذا التكرير الواضح في كتابته ضعفُ محصول اللغة عنده كما أسلفت ، وقد يكون له سبب آخر غير ذلك ولكن الذي لا شك فيه أن هذه الظاهرةَ في أسلوبه تدل دلالة قاطعة على عدم مواتاة الفيض التعبيري عند الكاتب

ومن أساليبه الخاصة المتكررة عنده والغالبة فيما يكتب ما يأتي « تموج الإحساس . طفت موجة وسط هذه الموجات . استغوت على عجلة الزمن »

***

وفي كتابته فيض غزير من الألفاظ العلمية الخاصة التي تستعمل في العلوم الطبيعية أو الرياضية ، ولا شأن لها مطلقاً بمباحث الأدب والنقد ، وعلة ذلك أنه كان علمي العقل ، علمي الدراسة ، ثم اتخذ الاشتغال بالمباحث الأدبية غاية له بعد ذلك ، فانساب إلى كتابته الأدبية سيل عريض من ألفاظ كانت تشغل ذهنه في علم الرياضة والطبيعة وغيرهما

ومقالاته وكتبه مملوءة بهذه الألفاظ ، ونذكر هنا على سبيل المثال بعضاً منها . فهو يقول في كتابه عن مطران (ص ١٠٨)

« لأن الأصل في التعصب انطلاق الشحنات المفرغة من الأعصاب »

ويقول في الكتاب نفسه ص ١١٢ « وهذا الجو يفعل فعله في النفوس فعل مجال مغناطيسي في برادة الحديد » . ويذكر كثيراً « التعادل » « والتقبض » « والتمدد » « والطيوف » « وعالم الجزئيات » « والدقائق » « والذرات » ويسمي قوى الحب (جاذبية)

أما التحقيق العلمي في مباحثه واتباعه وسائل علماء المشرقيات في بحوثهم ، واهتمامه بالمصادر وذكرها ، والتعويل عليها دائماً للاستشهاد، فذلك كله معروف عن كتابته . وهي وسائل تحتاج بغير شك إلى كثير من الأناة والصبر والزمن

وقد انتفع رحمة الله بكثير من الأبحاث التي كانت دائرة في السنوات العشر الأخيرة في الصحف العربية : « كالمقتطف » ، و « أبولو » ، و « الهلال » ، و « السياسة الأسبوعية » ، و « الرسالة » . وكان يرجع إلى هذه الأبحاث مستشهداً على ما يعالجه هو نفسه من المباحث . ونظرة واحدة إلى هوامش مقالاته وكتبه تؤيد هذا الكلام

***

لقد أصبح أدب أدهم الآن في ذمة التاريخ ، فليكتب عنه المنصفون ليكشفوا النواحي الغامضة من أديب عاش عيشة الغموض ومات ميتة الغموض ، بعد أن ترك خلفه آثاراً جليلة جريئة في عالم النقد الحديث

(القاهرة) محمد عبد الغني حسن

(١) كتاب الزهاوي الشاعر ص ٢٢

عراك فى معترك ...

أى معـــترك !

للأستاذ زكى طليمات

« نحن هنا عند استهلال تطور يستطيع أن يحدث تجديداً فى الحياة الأدبية ، أو قل يجلب ثروة إليها ، ولا يكون هذا الجلب وذلك التجديد إلا بعد نضال عنيف » .

هكذا ختم الأستاذ المستشرق « بروكلن » دراسته لمسرحية « مفرق الطريق » للدكتور بشر فارس . وذلك فى الجزء الثالث من الكتاب الثالث لتاريخ الآداب العربية ، وهو الكتاب الذى وقفه المستشرق السابق الذكر للأدب العربى المستحدث .

وبهذا الحكم نفتتح ردنا على مقال الأستاذ محمد متولى الذى نشرته « الرسالة » فى عددها ٣٧٦ ، لنسكب فى واعيته أن « مفرق الطريق » عمل أدبى إذا جرى النزاع عليه ، فإنما هو يجرى فى معترك ... أى معترك !

وآية ما نقرره أن الحديث حول هـذه المسرحية يمتد من جديد بعد أن طوينا مكرهين صفحة منه مع « ناقد أديب »[1] وأن المسرحية لا تبرح تشغل أذهان الأدباء ، إمّا عن إعجاب وتقدير ، وإمّا عن استغراب وبطء فهم

***

الأستاذ متولى فى مقاله المذكور يهدف إلى غرضين رئيسيين :

أولهما : أنه يريد أن يزيل الخصومة القائمة بين الدكتور بشر فارس والأستاذ الشاعر على محمود طه ، وهى خصومة أساسها - كما كتب عنها الأستاذ متولى نفسه فى مطلع مقاله المذكور - أن بشر فارس نقد شعر الثانى فاتهمه بالإغارة والمسالخ من المتقدمين والمتأخرين ، فغضب الشاعر وانبرى يكيل له صاعاً بصاع ، فاتهمه بأنه أخذ فى كتابة مسرحيته « مفرق الطريق » من آراء وردت فى قصيدة « القمة الباردة » للأستاذ الكبير عباس محمود العقاد . فكان أن نصّب الأستاذ متولى نفسه قاضياً بين الخصمين ، على ما بين التهمتين من اختلاف فى الجوهر وملابسات الأحوال ، ليقضى بأن الخصمين شريفان ، وأن السرقة لم تقع من جانب واحد منهما ، ودعم رأيه هذا بأن الفن ليس « فكرة » ، وإنما هو « صورة » أولاً وأخيراً

والموقف كريم مهما كانت بواعثه ، ومهما بعدت أسبابه عن الموضوع الذى نحن فى صدده ، وهو تحديد قيمة هذه المسرحية من الناحيتين الفلسفية والفنية .

بيد أننا نبر بالكرم لنقول إن بشر فارس ما كان فى حاجة إلى الحكم الذى قضى به الأستاذ متولى فيما له علاقة بالمسرحية ، لأن أحداً — حتى ولا « الناقد الأديب » — لم يزعم أن بشراً سرقها من كاتب مسرحى متقدم أو متأخر ، وإنما المسألة محصورة فيما إذا كان بشر قد استلهم فى كتابة مسرحيته هـذه من الفيلسوف (كانت) التى تمت إليه قصيدة الأستاذ العقاد ، أو هو استوحى فلسفة (بيرجسون) .

***

وأما ما أورده الأستاذ متولى دعامة لحكمه هذا من أن الفن (صورة) وليس (فكرة) فأمر لم يغب عن ذهننا فيما سبق أن أجريناه فى حديثنا السابق ، بل سجلناه فى أسلوب أوضح وأدنى إلى الثقافة العربية[1] ، إذ قررنا « أن المعانى والفكر المتداولة أشياء يشترك فيها جميع الناس ، فهى دوّارة فى نفس الجاهل والسوق ، والمتعلم والأديب ، وإنمـا العبرة بطرائق معالجتها ، وبالكسى التى تضفى عليها ، من حيث حسن التأليف ، وجودة

(١) « الرسالة » رقم : ٣٦٨ ، ٣٧٠ ، ٣٧٢ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ .

(١) الرسالة رقم ٣٧٠ صفحة ١٢٥٩ سطر ٢٦ العمود الثانى

التركيب والابتداع والنفس المبتكر الخلاق ، وهنا مجال التفاوت بإبراز الشخصية الكاملة المستقلة » .

ولم ندل بهذا فى معرض الدفاع عن بشر فارس لأنه أغار على قصيدة الأستاذ العقاد فانتحل مذهبها الفلسفى لمسرحيته ، ولكننا أوردناه لندفع زعماً آخر لا يدور حول المذاهب الفلسفية المرسومة وإنما يدور حول حقيقة من حقائق النفس البشرية التى هى عامة ومبذولة لكل كاتب ، ألا وهى (الصراع بين العقل والشعور)

قررنا هذا المبدأ الذى له أصل عند نقاد العرب[1] والذى عليه نقاد الغرب ، محاولين أن نضع له قيوداً خشية أن يصبح الأمر فوضى فتنتحل المعانى وتنتصب الصور

واقتصار الفن على (الصورة) أو (الشكل) كما يرى الأستاذ متولى ، لا يعنى أن يكون هناك فن رفيع وفن رخيص ، وفن أصيل مبتكر وفن متبع مقلد ، وشاعر يسرق وكاتب يستمد . فالتسليم بأن المعانى والفكر المتداولة أشياء يشترك فيها الكتاب ، وبأن المتقدمين لم يتركوا شيئاً للمتأخرين ، كل هذا وما يدخل فى معناه ، لم يحجز النقد عن أن يقيم الحدود بين الإغارة على المعانى وسلخها ونسخها وبين الاستلهام والتوليد والاستيحاء والتخريج .

* * *

أما الغرض الثانى من مقال الأستاذ متولى ، فنقد مسرحية (مفرق الطريق) . وفى هذا المجال وثب الأستاذ متولى وثبة نقول إن التوفيق لم يحالفه فيها كما سنبين :

أراد الأستاذ متولى أن يحدد (الناحية الفنية) للمسرحية ، فإذا به يتحدث فى غير ذلك ، ذلك أن المعنى المباشر (للناحية الفنية) لمسرحية ما ، هو خضوعها لشرائط الفن المقطوع بها ، من حيث مراعاة بلاغة العرض لحوادثها وجودة الحبك لمشاهدها، وبراعة الحوار ولطفه ، وعمق التفكير وانسيابه إلى أعماق النفس يكشف عن خفاياها . . . الخ . ولكننا لم نطالع شيئاً من هذا فى مقال الأستاذ متولى ، بل طالعنا آراء تتطوح بين علم النفس وعلم الجمال ، والعلمان من صميم الفلسفة ، وإذا بالأستاذ متولى الذى نمت حديثنا عن الفيلسوفين (كانت) و (بيرجسون) « بالتفلسف » يكتب فصلاً فى الفلسفة — ونأبى أن نقول على غراره : فى « التفلسف » — وإذا بأسماء (ريبو) و (بيكون) وغيرهما تجرى مجنحة مطلقة العنان ، مما يدل على أن الأستاذ متولى أراد « بفنية المسرحية » أمراً غير ما يدل عليه المعنى المتداول المصطلح عليه لدى رجال المسرح ، إذ هو يريد بها ، ولا شك ، « الناحية الرمزية الفنية » للرواية ، يأتى بهذا اللبس فى فصل من القول يجب أن يكون قائماً على الدقة والإحكام .

* * *

والنقد الذى أراده الأستاذ متولى لمسرحية (مفرق الطريق) ، هو للمقدمة أكثر منه للمسرحية ، هذا فى حين أن « المقدمة » أمر عارض ، لأنه غير المسرحية التى هى مناط القول فى الجدل . وما أحسب أن بشراً كان يتجشم كتابتها متبسطاً لولا حرصه على أن يقرب المسرحية إلى أذهان القراء وييسر لهم أمر استيعابها وهى حدث جديد فى التأليف المسرحى المصرى

وعلى اعتبار أن « المقدمة » هى العنصر الأول ، كما يتعمد أن يراها متولى ، لينتقصها ثم ينفذ من هذا إلى انتقاص قدر المسرحية نفسها ، فأين الأخطاء التى وقع فيها كاتبها ، وما هى مزالق الكلام فيها ؟

لا أخطاء ولا مزالق كلام ، وإنما هو تعسف وعنت من جانب الأستاذ متولى ، ومرد هذا كله أن فكرته عن الرمزية محدودة ضيقة ، إذ هو يريد أن يخضع كل ما يؤلف فى الرمزية لما وجده عند (ريبو Ribot) فقط ، و (ريبو) هو واحد ممن كتبوا فى الرمزية وعلم النفس ، وواحد ممن

(١) كتاب (العمدة) لابن رشيق ، و (المثل السائر) لابن الأثير (والصناعتين) لأبى هلال العسكرى

أسقطت الآراء الفلسفية الحديثة أكثر ما ذهب إليه فيهما ، كما سنشرح هذا

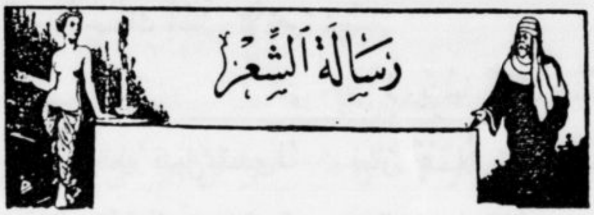
ويؤسفنا أن نقرر، لو أن الأستاذ متولى ، وهو الذي يحمل شهادة ماجستير للفلسفة ، تعقب المراحل الحديثة التي مر بها علم النفس بعد العهد الذى ألف فيه (ريبو) كتابه (المخيلة الخلاقة imagination créatrice) الذى هو عمدته في النقد ، أى بعد عام ١٩٠٠ ، لعرف أن علم النفس الذى أفادت منه الرمزية كثيراً قد دخل فى طور جديد تبدلت على أثره أوضاع فى الأدب عامة ، وفى الرمزية خاصة ، كما تشهد بذلك مسرحيات (بيراندللو) ، (جيرودو) ، (جانثيوم) ، وأن الرمزية المستحدثة أصبح مدارها خفايا النفس وبواطن الأشياء ، وهو ما عبر عنه بشر فارس فى مقدمته : « استنباط ما وراء الحس من المحسوس ... الخ »

وقبل أن ننتقل من هذا نود أن يقف القارىء على آراء علماء اليوم[1] فيما كتبه (ريبو) خاصاً بالمخيلة التي هى أساس فى كتابه المذكور، وذلك كما وردت فى مؤلف كبير يدرس اليوم فى جامعة السربون بباريس ، وضعه جمهرة من علماء فرنسا :

« يلوح لنا أن علم النفس عند (ريبو) فى مسائل المخيلة والاختراع لا يزال تحت تأثير النظرية الآلية البسيطة الخاصة بتجزؤ الذهن إلى ذرات متجاورة » ، ومن ذلك نرى أن حديث (ريبو) عن المخيلة فى جميع العناصر المختلفة ، قد أصبح موضع نظر ، بعد أن بيّن الفيلسوف الأمريكى المعاصر (وليم جيمس) وغيره ، أن مجرى الضمير متصل متلاحق من حيث إنه حقيقة متحركة ، ومن حيث إن الفكر فى تطور دائم . وكذلك قرر (بيرجسون) الفيلسوف الفرنسى المعاصر ، أن الحياة النفسانية اندفاع وابتداع فى زمن متصل الحركات .

(البقية فى العدد القادم) زكى طليمات

(١) كما جاء فى كتاب مطول من علم النفس Traité de Psychologie لجورج دوماس ، طبعة مارس ١٩٢٤ . الجزء الثانى ص ٤٤١



في رياض نيسابور

أسطورة الخيام

للأستاذ إبراهيم العريض

— ١ —

فى أرضِ إيرانَ حيثُ الهُضْبُ لابسةٌ
زنارَهـا
من الثُلوجْ
كالخُـوزْ
تستقبلُ الشمسَ ... والأنهارُ هامسةٌ
أسرارَهـا
بينَ المُروجْ
للنُـوزْ

جلا الربيعُ بنَيْسابورَ موكبَهُ — فزادَ عيداً إلى أعيادِها الأُخَرِ
يا ناعمًا فى رُبوعِ الخـلدِ ليلتَه — مستْ خُطاكَ ثرَى الوادى مع السحر
فلم تزلْ خُفَراءُ الطيرِ تهتفُ فى — أفنانِها لجُمُوعِ الأرضِ بالخبر
حتى تلألأنَ فى ضوءِ النهارِ ثنًى — وفُزْنَ منكَ فُرادى بالشذى العِطِر
فالزهرُ فى قاعِها يفترُّ مَبْسِمُه — يا ليلُ! هل صبغتْ فاهُ يدُ القمر
والعشبُ مِن حولِها يزهو بخُضْرتِه — يا أفقُ! هل هو مَيْدانٌ إلى النظر
والطيرُ من فوقِها فى ظلٍّ وارفةٍ — يا غصنُ! هل أخذتْهُ رشةُ المطر
والنهرُ من تحتِها فى موجِهِ ألقٌ — يا شمسُ! هل هو مِرآةٌ إلى الشجر
إنى لأسمعُ فى أرجائِها ضَحِكًا — كنغمةٍ بعثتْها هزةُ الوتر
يا مَنْ يُؤمِّلُ فى الفِرْدَوْسِ بُغْيَتَهُ — قرَّتْ عيناً بها فى هذهِ الصُّوَر
لبُّ الحيـاةِ فقد عمَّتْ بدعوتِها
وما الربيعُ سوَى تجديدِ ذِكراها

— ٢ —

أتى الربيعُ إلى الدُّنيـا كعادتِهِ
بما اجتناهُ
منَ الجِنانْ
مِلءَ اليَـدِ
فكادَ يُشغَلُ عنهـا فى عبادتِه
بمـا رآهُ
مِنَ الحِسانْ
فى المعْبَـدِ

وأقبلَتْ تتهادَى فى غلائلِها — بنتُ الجِنانِ تُحيِّيها كحَوّاء
لو حاولَ الليلُ أن يغزُو غدائرَها — لماجَ يسألُ أينَ الكوكبُ النائى
تضاحكَ الوردُ لما قبَّلَ وجنَتَها — أكنتَ (ياوردُ) مشغوفًا بإطراء
فأسفرتْ عن مُحيًّا فى بشاشتِهِ — يكادُ يَقطرُ مِنهُ الحسنُ كالماء
شفَّ الحريرُ الذى وارَى ترائبَها — عن فاتنَيْنِ ... فهل همَّا بأشياء
لم تسحبِ الذيلَ فوقَ الزهرِ ساترةً — إلا ومالَ بزُرْكيها بإيمـاء
حتى أتتْ مَحْفِلاً فى الروضِ منزوِيًا — قد لاذَ فى السُكرِ أهلوهُ بأفياء
هذا أخُو شَيْبةٍ ألقَى اليَراعَ على — ما خطَّه وانثَنى فى شبهِ إغفاء
فهيَّأتْ كأسَه حتى إذا نظرَتْ — ما فى الصحيفةِ غنَّتْ للأحبّاء
والشَّوْقُ فى دمِها والعُودُ فى يدِها — يُعيدُ نغمتَها الأُولَى بأصداء
يا نائمًا فى ظِلالِ الكرْمِ وابنتِه
فى الحُلْمِ تُؤنِسُه قُمْ وارْتَشِفْ فاها

— ٣ —

هذا الجمالُ الذى كم ودَّ ناظرُه

فى مَنبعـةٍ

من صِـباهْ

نوْ نَالَهْ

يا وردُ ! مِثْلَكَ إن حَيَّاهُ شاعرُهُ

بنغْمَـــةٍ

من هــواهْ

أصْغَى لهْ

شِيرينُ غنّيتِ صوتاً كانَ يُطْرِبُنى ليتَ الأحِبَّاء عادوا لى مع النغَمِ

ناموا وهدْهدَتِ الأزهارَ بعدَهُمُ يدُ الربيعِ على عَيْنى فلمْ تنم

ذكَّرْتِني بشبابى إذ تطوفُ بهِ فى باحةِ الخُلْدِ آمالٌ مدَى الحُلْم

إذ كنتُ أُطاقُ نفسى فى سجيّتِها فلاتنى السبْقَ من جرى على قدم

أشكو مواقعَ عينَىْ كلِّ فاتنةٍ مفتونةٍ بالذى أجلُو من الشَّم

باحتْ بسرٍّ شكاةِ القلبِ رائعةٌ تلوحُ كالبرْقِ في داجٍ من الظُّلَم

ما للبياضِ أحالَ الله جِدَّتَه يُفضى إلى الهمِّ لا يفضى إلى الهمم

نُعِدُّ للصَّــبْرِ أنفاساً محرَّقةً حتى تحولَ رماداً فَحْمَةُ اللِّمم

لأقطعنَّ نياطَ القلبِ إن وَجدَتْ نفسِى سبيلاً إلى غرْسِ المُنى بدمى

فلو سَفرْتُ عن الآمالِ كانَ بها ما بى من الزمنِ الموفِى على الهرم

تَجَدَّدِى لِيَ باللَّحْنِ الجميـــلِ رُؤًى

لا زالتُ تحتَ ظِلالِ الكرْمِ أرْعاها

— ٤ —

يا طرْفَها ! إنّهُ قضَى الحيــاةَ إلى

مَشيبِـــهِ

فى اكْتِنَــاهِ

الشُّهُـــبْ

وظلَّ مِجْمَرُهُ فى الأرضِ مُشتعِلا

بطيبِـــه

لِإلــــــهِ

الحُـسـبْ

شِيرينُ حُسْنُكِ أعطَى الأرْضَ زِينتَها حتى ولو لم يزِنْها كفُّ نَيْسانه

فكيفَ والطيرُ قد بلَّ الندى فمَهُ فطارَ يَمْــلأُ مَغناها بألحانه

هذا الربيعُ قد استلقى بحاشيةٍ من الزهورِ على الوادى وشطآنه

يُصيخُ البُلبل الغِرِّيدِ وَهْوَ على أُرجوحةٍ من نسيمِ الرَّوْضِ أو بانِه

يَهُـــزُّ أرجاءها هزًّا بنغمتهِ ولا يُفيقُ كأنَّ السُّكرَ من شانه

فلقِّنيهِ من الألحانِ أطربَها إلى النفوسِ وجازِيه بإحسانه

وبادِلي الرَّوْضَ أنفاساً مُعطرة فما أرقَّ الصِّبا فى ظلِّ أفنانه

وضاحِكى الوردَ فى إبَّانِ حُمْرَتِهِ فرُبَّما عادَ مطوِيًّا لأشجانه

ودونَكِ النهرَ فانسَىْ فى تدفُّقِهِ هذا القميصَ الذى يُزْرى بإنسانه

أما كفَى الحُسْنَ أنَّ الموْتَ يَرْصُدُهُ فماله فى الصِّبا يسعَى بأكفانه

وقَبِّلِى الكاسَ ما دامتْ مُشَعْشَعَةً

ولا تَشِحِّى على ثَغــــرى ببُقياها

— ٥ —

يا ربَّةَ الحُسْنِ ! إنَّ السُّكرَ مَنبَعُهُ

عَيْنَــاكِ

وخــدّهُمَا

لا الـكاسْ

وَأيْنَ من شفتَيْكِ السِّحْرُ ينفثُهُ

صــرْعَاكِ

باسمِهِمَـــــا

فى النـاسْ

طافتْ عليهمْ بها كالشمْسِ ساطِعَةً يُرِي عَلَى الخدِّ من لألائِها شفَقُ

فعبَّ فيها ثلاثاً وَهيَ تُنشِدُهُ حتى تماسَكَ فِي أحْشائِهِ الرمق

وعاوَدَ العُودَ شىْءٌ مِنْ تَملْمُلِهِ لما غدَا العُودُ بيْنَ الجمرِ يحترِق

فظلَّ يبعثُ فِي الأسْماعِ أنّتَهُ مَوْصُولَةً دُونَ أن ينتابَها قلق

ثم استمرّتْ تُغنّيهم ـ بما حملتْ   يدُ الربيع لهم ـ والعُودُ يصطفِق

«ياعاشِقَ الوَرْدِ اماجاءالربيعُ لكىْ   يحْيا حبيبُكَ مَحْفُوفاً به الودق »

وصوْتُها ماجَ بحراً لاَ هُدُوء لهُ   من كلّ نجمٍ عَلَى أمْوَاجِهِ ألق

يعلو ، فتحْسبُه شقّ القلوبَ إلى   حبّاتِها ، وطَوى آلامَها الغرق

حتى إذا خفّ ـ مغمورًا بموْجَتِه ـ   شيئاً فشيئاً ، تراءى حولَها الأفُق

فمالَ كلُّ نديمٍ فى ترنّحِهِ   على مِوَاهُ من الصوْتِ الذى عَشِقوا

فاقْطِفهُ فى زَهْوِهِ ... وانظُرْ إلى دَمِهِ

هل مَازَجَ الكاسَ إذْ تُسْقى وَنُسْقَاهَا

— ٦ —

باتَ الهزارُ بقرْبِ الوردِ يَعْبُدُهُ

يا طَـلُّ

كُنْ كالخمْرِ

رقـــراقا

وقُلْ إلى النّجْمِ إنّ الفجْرَ مَوْعِدُهُ

يظَـــلُّ

حتّى الفجــرِ

بـــرّاقا

وتمّ للشّمْسِ فى الأفلاكِ جولتُها   فجاوَزَتْ بخُطاها الغرْبَ فى خفَرِ

وظلّ من بعدِها ما احمرّ من شفَق   يسائِلُ الأرضَ هل غابت عن النظر

فانفضّ فى الرّوْضِ حفلٌ كان مُنشِدُه

من الطيــورِ وساقيهِ من الزَهَر

وأقبلَ الليــلُ يحْدُوه تطلّعُهُ   إلى الذى خَلّفَ النّدمانُ من أثر

ياليلُ أنفرطَ العِقدُ الذي امتلأَتْ   به يداكَ ففاض الكوْنُ بالدُّرر

لولا سناها لما عاينْتَ شاعرَهم   وقد توسّد كفيْهِ على النهر

بجنبِ شيرينَ مأخوذاً برَوْعتِها   تُدليهِ[1] فى مائه الجارى من الشّعر

ووجهُها باسمٌ يُغنى بطلْعتِه   عن الشُّمُوعِ ويُمناها على الوتر

قال : انظُرى كيفَ يبدُو فى الظلام لنا

سرُّ الجمـــالِ الذى يخفَى مَعَ السحَر

شِيرينُ ! لو كانَ لى بعْدَ البِلى أملٌ   لما تمَنّيْتُ إلاّ ثانياً عُمُرِى

فعشتُ فى هــذهِ الدنيا كعهْدِكِ بى

الحُسْنِ . . . يُشعِلُ لى نارًا فأغشاها

— ٧ —

لِلحُسْنِ فينا ـ كما فيهِ لنـا ـ وطَرٌ

مَنْ لمْ يَحُمْ

بَينَ يَدَيْ

نُورِهْ ؟

عاشَ الندامَى ... وحَلَى كأسَهُمْ قَمرٌ

على النغَمْ

مِنْ عَرْشِ دَرْ

جُورِهْ !

عادَ الربيعُ لنيْسَابورَ ثانِيةً   وقدْ تبدلَ زاهى أمْسِها بغدِ

فكانَ فى الموكبِ التالى كسابِقِهِ   يمْشى معَ الْحسنِ مُخْتالاً يداً بيد

كم ذابَ قلبُ هزارٍ فى ترنّمِهِ   حتى تضوعَ هذا الزّهْرُ وهْوَ ندِ

عادَ الربيع وقد حف الحِسانُ به   إلا الذى كانَ يهْوى الْحسْنَ لم يعُد

سلِ الوُرودَ وقد وارتْ بِكلّتها   ضريحَهُ لِمَ لمْ تُكْثِرْ من العدد

هُناكَ حيثُ قديماً طابَ مَحْفِلهُمْ   حلّ الندامَى على أنماطِها الجُدد

عادَ الربيعُ ... فلا ردُّوا تحيّتَه   إلا بأحْسَنَ منها ـ دائِمَ الأبد

بِشُعْلَةٍ فى يدَيْها رُوح شاعرِهِمْ   مثْلَ الفراشِ حوا ليْها معَ الحشد

حتى إذا تمّ دوْرُ الكاسِ بيْنَهُمُ   مالتْ إلى القبْرِ بالباقِى ولم تكد

فرددتْ قولَه ـ والعودُ فى قَلقٍ   تهتزّ أوتارُهُ من صَوتِها الغرِد ـ

« واضَيْعَةَ الكاسِ يوْمًا إن عثَرْتِ بها

على رُفاتى ... فلَمْ أنعَمْ برُؤْياها »

(البحرين)   ابراهيم العريض

(1) الضمير يرجع إلى « الليل »



قصة الفيتامين

ظهور مرض البري بري

للأستاذ عبد اللطيف حسن الشامي

— ٤ —

لقد كان من عادة الأطباء الهولنديين الذين قاموا بخدمات خارج بلادهم في المستعمرات الأسيوية الشرقية ألا يركنوا إلى الدعة والاستقرار إذا ما اطمأنوا إلى العيش — كيلا تبلد فيهم حاسة التفكير أو تصدأ روح الاستطلاع — بل كانوا في أوقات فراغهم يعملون ما يعود عليهم بالتسلية والنفع — فحوالى عام ١٨٩٠ وُكل إلى الطبيب الهولندي كريستيان إيكمان Christiaan Eykman إدارة مستشفى حكومي في جاوه Java وكان مولعاً باقتناء الطيور المنزلية ويُعيرها بعض عنايته ويخص منها الدجاج والحمام. ولم يطل به الانتظار حتى تسنّى له مشاهدة بعض الملاحظات. إذ رأى أثناء نظره إلى طيوره نظرة الفاحص وهي تمرح في الحديقة — بعضها تغدو ثقيلة الحركة بطيئة الخطى وبعضها الآخر قد فقد توازنه. ولكن لم تدم هذه الحال طويلاً فقد أصابها تصلب في عضلات الرقبة لاقت بعده حتفها

بهذه المشاهدات الأوليـة وُضع الحجر الأساسي لدراسة مرض البري بري في الهند الهولندية، وهو المرض ذو الأثر السيء في حياة الشرق الأقصى والذي لم يكتف بخطف ضحاياه من الكبار بل كان يهدد الصغار في مطلع حياتهم بشكل مخيف ويحمل هذا المرض اسمه من شكل الحركة المتصلّبة في مشية الخروف والتي تبدو على المصابين، وتدل كلمة (بري بري) في اللغة الهندوستانية على الخروف، وهنا نرى نجاح الدكتور إيكمان في اختيار هذا اللفظ للدلالة على هذا المرض نظراً للتشابه التام العجيب بين أعراض هذا المرض في الإنسان وفي مشية الخروف سرى مفعول هذا المرض خاضعاً مماثلاً للوصف الذي أشار إليه إيكمان بناء على ملاحظاته على دجاجة، وحمامة ولم يقتصر هذا المرض الذي ذهب ضحيته قديماً مئات الآلاف على موطنه الأصلي في آسيا الشرقية بل تعداه إلى جنوب أمريكا وإفريقية وأزهق في اليابان في مدى سنين قلائل خمسين ألفاً من الأنفس وفي الحرب الروسية اليابانية خمسة وسبعين ألفاً من الروس ذهبوا جميعاً بطريقة مماثلة للطريقة التي لاقت بها طيور إيكمان حتفها

تبعاً لالتهاب عصبي عام يقف عمل الأرجل وتضرب عن حركتها الحرة، وتذهب حساسية الجلد، وتشل العضلات نظراً لعدم استعمالها أو القدرة على تحريكها، وتضمحل وتضمر الأطراف السفلى حتى العجز، وأخيراً يهبط القلب ويتجمع الماء في الأنسجة ويعقب ذلك النهاية المحتومة

ومذ اكتشف حوالى عام ١٨٨٠ أن الأمراض الناقلة ترجع إلى وجود دقائق حية — عُزي كذلك انتشار مرض البري بري إلى تلك الكائنات الدقيقة — ولقد ذهبت عبثاً جهود الوفود الطبية التي أرسلتها الدول إلى البلاد الموبوءة للكشف والبحث عن مسببات مرض البري بري

ولا عجب إذا سلّم الدكتور إيكمان بهذا المبدأ السائد وعمل على فصل الدجاج الجديد الذي اشتراه عوضاً عن الفاقد وأبعده عن بقية الدجاج المصاب منعاً لانتقال عدوى الالتهاب العصبي — ومع هذا لم تمنع هذه الاحتياطات الجدية من إصابة الدجاج والحمام الجديد — ولكنه عند ما بدأ يغير لها أصناف أكلها لم يقف تقدم المرض في الحيوانات الجديدة فقط بل تحسنت كذلك حالة الطيور القديمة المريضة ولما تبيّن الدكتور إيكمان هذه الحقيقة فطن إلى أن بقايا الأرز التي ترسلها مطابخ المستشفى بسبب ما — لا تصلح لغذاء طيوره فأحب شراء ما يلزمها من حبوب الأرز من خارج المستشفى ومن هذا اليوم وقفت تماماً تطورات أعراض مرض البري بري.

ولكنه في كلتا الحالتين — حالة المرض السابقة وحالة زواله — استمر إطعام الطيور بحبات الأرز. فما سر هذا الانقلاب إذن؟ يبحث الطبيب وتقصيه تبيّن له اختلاف نوعي الأرز الذي أطعمه طيوره، فالأرز الذي قدمه للطيور من مخلفات مطابخ المستشفى حتى

يوم الانقلاب كان مقشوراً أبيض . أما الآخر الذى اشتراه من السوق فكان حافظاً لقشوره وما زال بأغلفته . لم يبق شك لدى الطبيب إيكمان فى الصلة بين قشرة الأرز وهـذا المرض بعد أن أوضحتها التجربة وأبانتها الخبرة ، ولما تأكد من نتيجته هذه أراد أن يعبر عليها إلى مرض البرى برى فى الإنسان كي يحصل على نتيجة أخرى أهم وأجدى ، ويصل إلى معرفة سبب إصابة بلاد الأرز بهذا المرض العضال

وكان لليابانى تاكاكى Takaki فضل السبق بيضع سنين فى الوصول إلى أن مرض البرى برى لا صلة له أصلاً بنظريات العدوى والانتقال ، وصرح بأن هناك صلة بين البرى برى ونوع الغذاء العام

فهل يا ترى لم يتم بعد — حتى مع الاكتشاف العرضى للبرى برى فى الطيور — فتح ثغرة ما تلقى شعاعاً من نور يبدد هذه الظلمات والتخمينات ؟

بحماس أكيد ورغبة صادقة تقدم الدكتور إيكمان لترتيب تجاربه السابقة العرضية ، فبدأ بمجموعتين صحيحتين من الدجاج والحمام ، أطعم أولاها أرزاً مقشوراً ، فما لبثت طويلاً حتى استشرى بينها المرض وتفشى فيها الداء ولم تقو أرجلها على حملها وذهبت سريعاً صرعى . أما المجموعة الثانية فأطعمها أرزاً غير مقشور ، فلم تظهر عليها أعراض ما ، وظلت صحيحة سليمة . ولما أبدل الغذاء لكلتا المجموعتين (بأن قدم لكل واحدة ما كان يقدمه للأخرى) . انعكست الصورة فبرئت الطيور السقيمة ، وظهر على الصحيحة أعراض الإصابة بالبرى برى

طار بعـدئذ إيكمان ظفراً وفرحاً لوصوله إلى النتيجة وإن لم تكن كلها ، لأن تعليله فى شرحه للظواهر التى فطن إليها كان مستقيماً وكافياً إذ ذاك ـ ولو أنه غير متمشٍّ مع الحقائق الثابتة ـ واعتقد إيكمان باحتواء حبات الأرز على نوع من السم سارى المفعول فى الإنسان والحيوان ، ويكون مرض البرى برى نتيجة أو أعراضاً لفعله فى الجسم وسريانه فيه ، كما اعتقد بأن الترياق المضاد لهـذا السم والذى يفسد مفعوله كامن فى قشور الأرز . فأكل الأرز إذن مع قشوره ضمان لمصاحبة الترياق الشافى . وبهذا قضى البحاثة الهولندى على النظرية الخاطئة السائدة حينذاك عن انتشار البرى برى أو الإصابة به عن طريق العدوى . وللايضاح يجب التنويه بأنه ليس هناك شىء فى حبوب الأرز ، ولـكن هناك شيئاً ينقصها ، وتبعاً لنقص هذا الشىء أو غيابه فى الطعام العام يستسلم الإنسان والحيوان للمرض ؛ ولمعرفة هذا الشىء احتاج العلم لأكثر من عشر سنين لاحقة لهذا التاريخ

ولقد كاد النسيان يطوى هذه النتائج الباهرة للبحاثة الجليل الشأن إيكمان ، ولم ينل من جهوده أى غنم أو مكسب إلا بعد مضى ثلاثين عاماً إذ حصل مع زميله الإنجليزى الكيميائى هوبكنز على جائزة نوبل فى عام ١٩٢٩

واعترض طريق إيكمان كثير من العقبات عنـد ما جاهر بنتائجه التى قلبت كل قديم وكل مسلمة رأساً على عقب ، ولم تسلم هذه النتائج من الطعن والتجريح ، ولم تدعم وتثبت إلا فى عام ١٩١٠ عند ما رحل الطبيب الألمـانى ماكس موسكفسكى Max Moszkowski إلى فينا الجديدة فى وسط أفريقية للبحث والتنقيب عن البرى برى ، وكان قد مهد لبحثه بقراءة ودرس ما كتب حتى ذلك الوقت ومطالعة المذكرات الصحيحة والمطبوعات عن مرض البرى برى ورأى ما صرح به إيكمان الهولندى عن نتائجه واتخذ كل هذا دليلاً ومرشداً ، وأخذ يجمع المعلومات من الوطنيين سكان البلاد . وكان من ضمن ما حصل عليه من أقوال هؤلاء المواطنين أن المرء يستطيع تحصين نفسه ضد البرى برى أو الشفاء من أعراضه عند سقوطه فريسة له إذا ما تناول بجانب وجباته نوعاً من الفاصوليا يسمى (الفاصوليا المشعّة) Phaseolus radiatus ، وفى لغة أهل الهند الهولندية : « كاتيانج إيدجو » Katjang-idjoe ، وقد يكفى حتى منقوع هذا البقل فى الماء بعد غليه فيه ، فاستنتج موسكفسكى من هذا أن هناك شيئاً فى قشور الأرز والبقل المذكور (الفاصوليا) ضرورياً جداً لحفظ الصحة وعند غياب هذا الشىء ينشط التهاب الأعصاب وأن هذا الشىء ليس بالبكتوريا ولا بالسم

وفرض على نفسه ورجال بعثته ألا يأكلوا سوى الأرز المطبوخ فى ماء من منقوع الفاصوليا — وبدلاً من انتظار ظهور أعراض المرض التى لا تسلم منها أبداً أمثال هذه البعثات — تمتع هو ورفاقه بصحة موفورة طوال عام عاد بعده إلى وطنه ألمانيا يفاخر بتغلبه على هذا المرض

وكما يقول المثل (زامر الحى لا يطرب) أو (لا يُسمع النبى



مجاملة أدبية نبيلة

تفضل الأستاذ عبد الفتاح محمد قنصوه صاحب جريدة (الإصلاح) بالسنبلاوين فدعانا إلى زيارتها لنتلاقى التحية التكريمية لأسرة الرسالة من رجال الصحافة وشباب الأدب؛ وشاء للأستاذ فضله أن يجعل هـذه الدعوة مظهراً فخماً من مظاهر الحفاوة والعطف فأقام لها سرادقاً وحشد إليها وجوه القوم وأعيان الفضل يتصدرهم صاحب العزة الأستاذ محمد عوض إبرهيم بك وكيل وزارة المعارف السابق، والعالم الفاضل الأستاذ أبو الفتوح سليط بك وصاحبا الفضيلة الأستاذ مصطفى الصاوى المدرس بالأزهر، والشيخ أحمد حافظ سليط المحامى، والوجيهان الفاضلان محمود سيد احمد سليط بك، وحامد طلبة صقر بك؛ ثم حفلت موائد الشاى بجمهرة مختارة من أهل المدينـة، وتعاقب الكلام عليها صفوة من البرزين فى الخطابة والشعر والزجل. ثم خصصت (الإصلاح) لوصف الحفلة ونشر ما قيل فيها عدداً وبعض العدد

ولا يسعنا إزاء هذا التكريم الخالص لفكرة الجهاد المشـترك فى سبيل الله والوطن والأدب إلا أن نسجل فى هذه الأسطر القليلة منى من الشكر القلبى الدائم الذى لا يتقيد بالألفاظ ولا يتحدد بالمناسبة، لأسرة (الإصلاح) ولحضرات الأفاضل الذين شاركوا فى هـذا الترحيب بالقول أو بالفعل. ونسأل الله أن يديم على (الرسالة) التوفيق لاستحقاق مثل هذا التكريم من مثل هذا البلد العظيم.

الشاعر صالح جودت

أكتب إليكم هذه السطور من سرير المرض وقد ضاعف آلامى ما قرأته للصديق الدكتور زكى مبارك عن مرض صديقى الشاعر الموهوب الأستاذ صالح جودت، فقد شغلتنى الهموم والأوصاب عن مكاتبته زمناً كما أقصته عنى، ولكنى ما كنتُ أقدر له إلا العافية والأنس فإنه مرآتهما المتألقة لكل من عرفه وخالطَه، وليس فى وسعى أن أتخيَّل صالح جودت إلاَّ مثال الشاعرية الرقيقة السليمة المرحة خُلقاً وكياناً

وقد بالغ بل أخطأ صديق الدكتور زكى مبارك فى قوله إن صالح جودت يحقد عليـه أبشع الحقد لسكوته عن التنويه بمواهبه الشعرية، وإنه كان يتقاضاه الكلام على شعره فى كل لقاء. أجل، أخطأ فى تفسيره هذا لعبث ودى ولمداعبة بريئة، فما عرفتُ عن صالح جودت هـذا الُخلقَ المنقودَ فى أىّ حال، وإن عرفتُ منه أنه لم يكن فى أى وقت يحترم موازين النقد الأدبى لدى صديق الدكتور زكى مبارك، وكلاهما لا يحسن الظن بشعر صاحبه!

وإنى أوافق الصديق الدكتور زكى مبارك على قوله الحكيم إن كل شىء يجوز فيه التشجيع إلا الأدب والبيان فالتشجيع هنا مفسدة، بيد أن ما احتاج إليه الأدب والبيان فى مصر زمناً طويلاً إنما كان « الإنصاف » وهـذا ما أباه الأدباء الشيوخ على الأدباء الناشئين، ولـكن الأحوال تبدلت الآن وتعددت المنابر الحرة لأدباء الشباب وانتفت دواعى شكاواهم

ولا أعد قصيدة صالح جودت (شاعر العيون الزرق والشعر الذهب) إلا مثالاً لشاعريته الأصيلة التى فات صديقى الدكتور زكى مبارك الالتفات إليها من قبل حتى وجد الجو الباطنى الملائم

فى بلده) كذلك شهر الناس بمسكفسكى وسفهوا رأيه، ولكنه لـكى يبرهن على صحة أقواله ويدلل على أن مرض البرى برى ليس من الأمراض المعدية التى تنتقل بالعدوى وأنه مرض يتصل اتصالاً كلياً بغذاء الإنسان وما يعده لطعامه ـ قام بإجراء التجربة على نفسه معرضاً حياته النافعة للخطر المحقق، وفى سبيل العلم ومنفعة بنى الإنسان امتنع عن جميع ألوان الطعام العادية غير الأرز مدة أربعة شهور ونصف شهر. وكانت النتيجة الحتمية طبعاً أن وقع مريضاً يرزح وينوء بمرض البرى برى فى أشد أعراضه وصوره. وعند ما بلغ به المرض مبلغاً كبيراً وأصبح خطراً يهدد حياته أخذ يعمل على دفع الداء ولـكن ليس بالامتناع أصلاً عن أكل الأرز بل بالاستمرار عليه مع إضافة صنف آخر من الطعام هو حساء من قشر الأرز، ولا عجب أن اختفت تماماً أعراض المرض بعد أسبوعين اثنين

(يتبع) عبد اللطيف حسن الشامى

لعقله الباطن فبدأ يستجيدها الآن وإن علل ذلك تعليلاً جديداً . ولعل كلمته النبيلة رسول الشفاء القريب إلى صديق الشاعر الفرّيد الذي أعده نسيج وحده في فنه

(الاسكندرية) أحمد زكى أبو شادى

أهذا توارد خواطر؟

سيدى الأستاذ رئيس التحرير

بعد التحية : قرأت فى عدد مضى من الرسالة مقالاً للأستاذ محمد عبد الغنى حسن بعنوان « المعانى شائعة ولا تجوز الملكية فيها » وقرأت فى العدد ٣٧٦ من الرسالة تعليقاً على هذا المقال للأستاذ محمود المرسى خميس . وقد تذكرت عند قراءة كلمة الأستاذ محمود المرسى أننى قرأت قصيدة لشاعر عباسى يقول فيها :

أغار على أعطافها من ثيابها إذا لبستها فوق جسم مُنَعَّم
وأحسد كاسات يقبلن ثغرها إذا وضعتها موضع اللثم فى الفم

ثم قرأت بعد ذلك فى الجزء الأول من ديوان الأستاذ على الجارم قصيدة بعنوان الحب والحرب جاء فيها البيت التالى :

إنى أغار من الكؤوس تَجُنَّبِى كأس المدامة أن تقبّل فاكِ

وأنا أقول إن المعنى منقول وإن هذا ليس بتوارد خواطر

والأستاذ محمد عبد الغنى حسن محق فى قوله إن المعانى شائعة ولا تجوز الملكية فيها ولكن لا ننكر أن الشاعر الذى يبتكر المعنى ويكتبه لأول مرة لا يمكن أن يساويه من ينقل عنه هذا المعنى ويصوغه فى قالب آخر . والسلام .

(كوم حماده) فؤاد كامل

بين الأستاذ مختار الوكيل والبارودى

جاء فى مرثية الأستاذ مختار الوكيل التى رثى بها الهمشرى البيت الآتى :

فإذا هجعت فأنتَ فى أحلامى وإذا مشيت فأنتَ أنتَ أمامى

ولقد سبقه إلى هـذا المعنى البارودى إذ قال فى المرثية التى رثى بها زوجته :

فإذا انتبهت فأنتِ أول ذكرتى وإذا أويت فأنتِ آخر زادى

فما رأى حضرته فى ذلك ؟

« بيا » محمود عبد المطلب حسين

(الرسالة) الحق أن الشاعرين قد نظرا إلى قول التهامى فى رثاء ولده:
فإذا نطقت فأنت أول منطقى وإذا سكت فأنت فى إضمارى

الطابور الخامس فى القرآن

فى الحق أنى مفتون بما تطالعنا به عبقرية صاحب هذا العنوان الجميل ... ذلك أن الأستاذ الباحث يكشف لنا عن أن أسرار القرآن ما تزال تبرق جلواؤها على دولاب الزمن كلما تواترت الأجيال ، وتزايلت الحضارات ، والأستاذ مصور بارع ، إذ نقل عالم قائد العروبة إلى دنيا زعيم النازية ، واستطاع بعد ذلك أن يصور لنا بالدقة كيف كانت المشابهات والملابسات بينهما — مع ملاحظة الفروق بين الزعيمين — وتباعد الشُّقة بين عصريهما . وهو ضرب من التوفيق والتطبيق لم يتح إلا لفنان أديب

وحرصى على استبقاء توفيقه فى مجرى البحث — يدفع بى إلى أن أشعره بمـا فاته من التوفيق فى الحلقة الثالثة من نظيم مقالاته — ذكر فى العدد ٣٧٢ من الرسالة الغراء تحت شرحه لغزوة الأحزاب « ثم ساروا — أى (جماعة من يهود بنى النضير بعد إجلائهم عنها) إلى غطفان . فأعدوها لحرب النبى — وخرجت قريش وغطفان يريدون المدينة »

وحقيقة التاريخ أن بنى النضير بعد ما أجلوا عن المدينة مرغمين لم تهدأ لهم ثائرة ، بل حملوا طاقتهم ليثأروا من الرسول وأصحابه . قام سيدهم حُيَىُّ بن أخطب ومعه سلام بن أبى الحقيق النضيرى وهوذة بن قيس وأبو عمار الوائليّان بدعاية واسعة النطاق ليؤلبوا العرب جميعاً على غزو المدينة وحرب المسلمين حتى يستأصلوهم

ولقد جعلوا نصب أعينهم تلك القبائل التى بينها وبين المسلمين شر . فعمدوا أول ما عمدوا إلى قريش وهى صاحبة المواقف الجلىّ مع الرسول ، وأبرموا معهم أمراً . ثم خرج أولئك الدُّعاة إلى غطفان وحدثوهم بما حدّثوا به قريشاً وبيتوا عليه . وفى النهاية جعلوا لغطفان نصف ثمار خيبر سنة كاملة إن هم نصروهم حتى يتم لهم الفوز . ومضوا إلى بقية الأحياء المعادية فطافوا على بنى أسد وسليم وهذيل ، وبعد أشهر كانت هذه الأحزاب قد أتمت جهازها للغزو . ففى شوال من السنة الخامسة خرج أبو سفيان ابن حرب على رأس أربعة آلاف مقاتل من قريش وأحابيشها يحمل لواءهم عثمان بن طلحة العبدرى الذى قُتل أبوه على لواء المشركين يوم أحد ، ولاقتهم بنو سليم بمرّ الظهران فى سبعمائة ، يقودهم سفيان بن عبد شمس حليف حرب بن أمية ، وخرج معهم

بنو أسد بن خزيمة يقودهم طليحة بن خويلد ، وجاءت فزارة في ألف رجل يقودهم عيينة بن حصن الفزاري ، وبنو مرة (من ذبيان) في أربعمائة يقودهم الحارث بن عوف المُرّيّ ، وبنو أشجع في أربعمائة كذلك يقودهم مسْعر بن رخيْلة ، ولحق بهم بنو سعد (من ذبيان) وانضمت إليهم اليهود حتى تكامل عددهم عشرة آلاف جندي مقاتل

من هذا يتبين أن كتائب التحزبين لم تكن من قريش وغطفان فحسب ، ولكن كانت قوة هائلة تكونت من مجموع هذه القبائل والبطون التي في قلبها من الرسول دخن

هذا ما أردت أن أذكر به الأستاذ صاحب البحث . وآمل أن يكون على ذكر منه لكن نكّب عنه مخافة الإسهاب ، لكني مع هذا الأمل لا تطاوعني نفسي أن أجامل أستاذنا إلى هذا الحد الذي قد يتهمني فيه خاطري وضميري بالمالقة والمداخلة ما دام المقام مقام تشريح وإطناب . ولأنه إذا تحتم علينا أن نصحح تاريخاً لزعيم فأجدرُ شيء بنا أول ما نعنى أن نصحّح تاريخ الزعيم الأول ، تاريخ الرسول الأعظم .

عبد الحميد اسماعيل

حول سؤال وجواب

حضرة الأستاذ الكبير صاحب الرسالة

نسب أحد القراء إلى الأستاذ القدير زكي مبارك غلطة إعرابية في بيت شعر أورده في مقال له

وقد اطلعت على عدد الرسالة ٣٧٧ فراعني ما كتبه الدكتور رداً على من لفت نظره إلى خطأ أصابه ، إذ قال : (لو كان هذا القارئ يعرف أني في الإنشاء أسرع من أقدر الناسخين لفهم أن من الجائز أن يندّ القلم فيرسم الضمة فتحة) وهذا تعبير له شأنه ، فالمرء لا يشكر على السرعة ، وفي المراجعة تصحيح لندود القلم

ماذا يضير الأستاذ لو اعترف بالزلة ولكل عالم هفوة ! وأي غبار يلحق قلمه الفياض إذا صرح بأن الخطأ مطبعي لا ذنب له فيه؟

أظن أن الدكتور استعظم الأمر فوجه امتحاناً على صفحات الرسالة إلى ناقده والناقد بصير قال : « هذه عشرة أسئلة فيها ما تعرف وفيها ما تجهل وفيها ما تذوق » هل اطلع على الغيب أم فحص مواهب صاحبه بمجهر بلاغته ، أم نسي نتيجة البحث والاطلاع وقت تحرير أسئلته ؟

ليت الأستاذ يتذكر أنه وسم الجيل الجديد وهو فيه بقلة الصبر على متاعب الجهاد في مقالته . وبعد فيا حبذا لو عامل الأدباء بالحسنى دكتورنا المبارك ليكثر رواد سوق الأدب .

عبد الله عبد التواب

تفسير بيتين

أفاد الأستاذ ناجي الطنطاوي على صفحات مجلة الرسالة سائله من اليمن عن قائل هذين البيتين :

بذكر الله تزداد الذنوب وتحتجب البصائر والقلوب
وترك الذكر أفضل منه حالاً فإن الشمس ليس لها غروب

فقال إنه وجدهما في ديوان محيي الدين بن عربي . غير أن هذه الإفادة قد أوجدت إشكالاً آخر وهو أن الناظر إلى هذين البيتين يجدهما غامضي المعنى أو هما على الأصح على طريقة الصوفية التي تشير إلى الباطن أكثر مما تشير إلى الظاهر كقول أحد الصوفية ولعله ابن عربي نفسه « معبودكم تحت قدمي » . فهل للأستاذ ناجي أن يتفضل مرة أخرى فيحل هذا الإشكال ؟

الأبيض — سودان ع . ا . سعد

اتهام

طالعت في عدد (الرسالة ٣٧٦) كلمة « اتهام » بالرجوع إلى مجلة الشباب في كتابة « عمر الخيام » وهو الموضوع الذي نشرته لي مجلة (الثقافة) بعددها ٨٦ الصادر في ٣٠ أغسطس سنة ١٩٤٠ ولقد استأنست ببحث الأستاذ « خليل جمعة الطوال » ورجعت إلى المصنفات التي استقى منها بحثه عن الفيلسوف الخيام هذا وإنني حللت شخصية الخيام من الناحية العلمية

وتحت يدي أعداد مجلة الشباب التي رجعت إليها في البحث فليرجع إليها من يشاء ، ليعلم أن اتهام الأستاذ « محمود عساف أبو الشباب » لا موضع له ، وقد كان الأجدر بالأستاذ انتقادنا علمياً لا اتهامنا تهمة هو مسئول فيها أمام ضميره .

وشكراً للأستاذ « خليل الطوال » فقد كان لنا في بحث الخيام مرشداً . ولم تأخذه حماسة صديقه أبو الشباب في قذف التهم من غير دليل .

عبد الحميد سامي بيومي



الهـــارب من الجيش

للكاتب الفرنسي ألفونس دوديه

ترجمة الأستاذ حلمي مراد

يعد ألفونس دوديه (١٨٤٠ — ١٨٩٧) أبرع أدباء فرنسا فى كتابة القصة القصيرة التى تدور وقائعها في جو الحرب المظلم الرهيب ، وقد يرجع ذلك إلى معاصرته لحروب الطويلة التى نشبت بين فرنسا وألمانيا ... وهو فى تعبيره من أرق وأعمق المشاعر وعطفه على الفقراء والمظلومين يشبه الأديب الانجليزى المعروف تشارلس ديكنز وينحو منحاه . ومن مؤلفات دوديه الخالدة : (سافو) ثم (فرومون وريزلر) و (تارتاران) و (جاك) .

... وقصة (الهارب) هى إحدى قصصه القصيرة التى نشرت فى مجلد عنوانه (وسط غمار باريس) ...

رفع الرجل كأس البيرة إلى شفتيه وهو جالس أمام حانوته يرقب العمال ، وقد تسربوا إلى الطريق ميممين شطر بيوتهم ... حيث تنتظر كلا منهم زوجته وأولاده

تلك هى الصورة التى اعتاد الناس أن يروها كلما مروا بحانوت مسيو جورج لورى الحداد ... فى مساء كل يوم

... إلى أن جاءت ليلة خالف فيها مألوف عادته، إذ ظل إلى جوار النار المشتعلة فى أتون حانوته ، إلى ساعة متأخرة بعد غروب الشمس ... ظل ساهما شارد الفكر ، يبدو عليه الهم وتعلو وجهه مسحة من الكآبة ، غير عابىء بزوجته التى اشتد بها القلق لتأخره فانساقت إلى مخيلتها مخاوف وأوهام صورت لها صنوفاً من البلايا والأرزاء ، فهى آناً ترى ابنها الذى اختطفته الحرب يروح ضحية مقذوف طائش ، وآونة تخاله صريع المرض أو الجوع ، تمتص الحمى دماءه فى نهم وشره

وأخيراً ، حين عاد الزوج ... عقد الخوف لسانها ، فلم تجرؤ على تقصى جلية الأمر منه خشية أن يجىء جوابه معززاً لمخاوفها ومبعثاً للحزن والألم ... فسكتت على مضض والقلق يعتصر قلبها فتعلو خفقاته ويشتد به الأنين

أما هو فلم يسكت ... بل قذف بالصحاف التى وضعتها أمامه حين جلس إلى المائدة ... قذف بها إلى الأرض ، فتحطمت محدثة ضجة أفزعت الأطفال فأجفلوا وجفت حلوقهم عن ازدراد ما فى أفواههم من طعام ... وكأن لم يكفه ذلك ، فصاح على الفور :

— يا للأنذال المجرمين

فقالت هى فى لهجة تساؤل لينة : من تعنى يا عزيزى ، وماذا أغضبك ؟ ... ولم تكد تتم قولها حتى زجرها بصياحه :

« من أعنى ؟ أتسألينني لِمَ أنا غاضب ؟ حسن ، إذاً فاعلمى أنى حاقد على نفر من الجبناء رأيتهم منذ حين ، خمسة أو ستة حسبما أذكر — ما لقد كرتى تخوننى كأنها تأبى أن تذكرنى بمن أهاجوا الدم فى عروق — ومع هذا فإنى أذكر أنهم أخذوا يذرعون طرقات المدينة محتمين بالجند الألمان الذين ساروا إلى جانبهم دون أن يعرف الخجل إليهم سبيلاً ... يا للحسرة ويا للألم ، لقد هربوا من الميدان وفروا من واجبهم المقدس ... لعمرى إنى لا أدرى أى شراب هذا الذى سلبهم كل نخوة وإدراك ... يا للعار ! »

وهنا عادت الزوجة إلى لهجتها الوادعة فقالت : « خفف عن نفسك يا عزيزى ولا تتعجل فى الحكم ، فلربما عاودهم الحنين إلى بلادهم فآثروا التحرر من خدمة الجيش ... أو ربما »

ولكنه لم يدعها تتم قولها إذ بادرها بالصياح :

« أو تجرؤين يا خائنة على تبرير فعلتهم ؟ »

قالها وهو يلوح بقبضته الغليظة فى الهواء ، ثم ما لبث أن أهوى بها على المائدة واستأنف القول « ولكنك — كسائر النساء — تعجزين عن فهم شىء من أمور الدنيا ، فلقد تأثرت عقلياتكن بسذاجة الأطفال وغطت غشاوة من الجهل على أبصاركن ، فباتت الواحدة منكن لا تحسن التمييز بين الضعف والخيانة ... أفلا تدركن ما قد فعل أولئك الأوغاد ؟ إنهم المارقون يجب أن تتبرأ منهم فرنسا بل وتاتى بهم إلى الموت . . . وإلا فإنى — وقد أمضيت فى الجيش سبعة أعوام كاملة — لن أتردد

فى الازواء مبتعداً عن الأرض التى يطأون بأقدامهم الدنسة » تناثرت هذه الكلمات من فم الرجل بل من قلبه ـ مصدر إيمانه وموطن عقيدته ـ قوية دافقة فاهتزت لها أركان الغرفة وردد البيت صداها مدوياً مزمجراً

وكأنى بها قد استنفدت كل جهده وهدت من كيانه ، فخرج إلى الفضاء كى يسرى عن نفسه بعض ما عانت وينعم بقسط من الهواء الذى تركه الله مباحاً حتى لأمثاله من البسطاء البائسين غير مفرق بينهم وبين من يشمخون بأنوفهم نحو السماء وهم من التراب وإليه مصيرهم المحتوم

... فانطوت الزوجة على نفسها حتى أوى أطفالها الثلاثة إلى مضاجعهم بعد أن اخترقت آذانهم الصغيرة الرهفة تلك الصيحات الجامحة ... ثم وقفت ومشت إلى النافذة فى خطوات وئيدة ، وحين بلغتها استندت إلى حافتها بالمرفقين وراحت تتطلع فى شوق ولهفة ممزوجين بالقلق ، إلى الحديقة التى ترامت الخضرة بين جنباتها ؛ وبين التنهدات والزفرات جال فكرها المرهق فى شتى المناحى وعاد حاملاً إليها خليطاً من الخطرات :

... إنه محق ، ويجدر بى أن أوافقه فهم حقاً جبناء أذلاء ... ولكن مالى وشأنهم ، ولِمَ لا يكون الحق فى جانبهم ... أفليست أمهاتهم لم يسعدن بلقائهم بعد فرقة طال عليها الأمد ... ألسن سيستقبلنهم بشغف وسرور وقلوبهن تقطر ضحكات عذبة رقيقة ، وإذاً فما الذى نبغى من الدنيا سوى ذاك ؟ »

واستمرت الخواطر المبعثرة تتجاذب ذهنها المكدود الذى مالبث أن نبذها جميعاً ليتمثل ابنها الحبيب فى صور سريعة متتابعة: ها هو ذا قبل رحيله إلى الميدان ... ثم وهو فى الحديقة قرب البئر التى اعتاد أن يملأ منها الدلاء ليسقى الزهور والشجيرات

وانتفضت فجأة ... على صوت باب الحديقة يفتح ثم ينلق بعد أن ولجه شخص فى حذر ، كلص متسلل ... ولكن الكلاب لم تنبح ، فماذا دهاها ؟

ومن خلفها انبعث صوت متهدج : «أماه» ... يا إلهى إنه هو ابنها الأكبر فى سترة الجندية التى كساها الغبار . ولكن ما باله يهمس هكذا ... صه ، إنه أحد الجبناء الهاربين من الجيش . وإلا لنطق صائحاً كعادته ... نعم فلم يلجمه سوى العار الذى يكتنف أوبته ...

وارتمى الابن بين ذراعى أمه معانقاً مستعطفاً فلمس منها صدراً حنوناً وقلباً رقيقاً يصفح عن زلته ، كيف لا وقد طغت على حواسها عاطفة جامحة من الحنين والشفقة ... بل والاغتباط بعودته إلى أبيه ... وأمه ... والمصنع . إنه لم يطق البعد عن هذا الجو الذى ألف ، ليستعيض عن بر الأسرة وعطفها بالأصوات الآمرة الزاجرة والحياة الجافة المضنية

... واكتفت الأم بدفاع الابن فصدقته وغسلت بدموعها آلامه ... وهل كانت تملك غير ذلك وعيونهما متواصلة القطرات وفماهما يفيضان بالبسمات

وصحا الأطفال على صوت الإخوة فهرولوا إلى الأخ الأكبر ، حفاة الأقدام ، ليتبادلو وإياه المناق والقبلات

وقدمت الأم إلى ابنها طعاماً ولكنه لم يقربه وإنما أقبل على الماء يروى ظمأه منه بأقداح متتالية اختلطت فى جوفه بما سبقها من الجعة والنبيذ

وبعد لحظات لم تطل ردد الممر أصوات خطى متزنة تقترب... إنه الأب الحانق

واندفعت الأم تهمس لولدها : « أسرع يا ولدى بالاختفاء حتى أوضح له الأمر على مهل » . وهكذا حثته على الانزواء بدل أن تفخر بالظهور إلى جانبه لو كان قد عاد ... رجلاً

وحين دخل الأب وجدها تطرز ويدها ترتعد ، فقد نسى الابن قبعته فوق المائدة ... وأبصر الرجل كل شىء فأدرك ووعى ، فلم يعد ينفع الإنكار ! وبقبضته الغليظة أطاح بالقبعة إلى الأرض وركلها بقدمه صائحاً :

« أين هو ... كريستيان ... كريستيان ... »

تقدم الابن ذاهلاً يكسو وجهه الاصفرار ، لا يكاد يقوى على السير . . . ثم لم يلبث أن تراجع متخاذلاً بينما ارتمت الأم على زوجها تستعطفه :

« بالله لا تقتله ... فأنا المذنبة ... لقد استدعيته حين لم أقو على الفراق ... اعف عنه ولا تكن قاسياً » . واسترسلت فى نحيب

جاراها فيه الأطفال وهم كالأصنام ... لا تفهم ولا تعى

ورنى الحداد ببصره إليها وقد ارتسمت على وجهه تجاعيد الصرامة ، فالتقطت نظرته القاسية ... وقد فقدت الجرأة على البكاء

رفعت الشمس عن وجهها حجاب الظلام بعد إغفاءة طويلة ، والأم المعذبة يقظى لم تنف ولم تغمض لها أجفان ... بعد أن قضت الليل تنتفض وجلاً من نزوة قد تزين للرجل القضاء على فلذة كبده – ابنها الحبيب – بدافع من الوطنية أو الشرف والكرامة ... تلك الأشباح التي تهددها فى أعز من لها ... وتوشك أن تفرض عليها ضريبة باهظة

أما الابن التعس فقد أمضى ليلة لم يكن يخلص منها من حلم مزعج رهيب إلا ليواجه حلماً آخر أكثر إزعاجاً ورهبة ... حتى فاض الضياء فغمر الكون كله خلا ذلك البيت الذى اكتنفته ظلمة قاسية ... موحشة

ومر الليل على الحداد العجوز ... طويلاً مخيفاً ، وهو يبكى وينتحب باحثاً بين غرف البيت عن شىء ، لا يدرك كنهه ، فقده قبل ساعات ... ولم يكد الفجر يرسل نوره فى عروق الظلام حتى قام الرجل يخطو نحو غرفة ولده حتى ولجها وتقدم إلى الفراش بخطى ثابتة صائحاً بالابن فى صرامة : « انهض » ورفع هذا عينيه المخضلتين بالدموع فرأى أباه بثياب السفر وفى يده عصاه المثقلة بالحديد ... فلم يتمالك نفسه من الوثوب من فراشه ، وأمسك رداء الجندية ليلبسه ، ولكن الأب صرخ قائلا : « كلا . . عليك بغيرها »

وحين اعترضت الأم بأنه لا يملك سواها ، صاح مزمجراً : « إذاً فليأخذ من ملابسى ... إنها لن تلزمنى بعد الآن » .

قالها وهو يتناول من ابنه رداءه العسكرى ثم عاود الكلام بعد حين : « هيا بنا ... »

... وحين ضمهما الطريق تتابعت فى ذهن الابن صور الطفولة فى سرعة خاطفة فذكر تلك الأيام السعيدة حين لم تكن السنون قد أثقلت كاهله بعد بأعباء الدنيا ... ولم يلبث أن أطلق من صدره آهة عميقة قال الأب على أثرها بصوت خفيض : « كريستيان ... إليك مصنعى ، فهو كل ما أملك ، خذه ما دمت قد ابتعته بدماء مواطنيك وسلامة بلادك ... خذه ولتنعم فى ظله بما تشاء ، مجرداً من الشرف الذى لم تعرفه ... أما أنا ، فذاهب إلى غير رجعة ... نعم سأوفى عنك الدين لفرنسا فَبِت قرير العين وعش بلا كرامة »

... تساقطت دموع الابن فى لحظة الوداع وانبثت إلى حلقه غصة أوشكت أن تخمد أنفاسه فنادى أباه بصوت مبحوح : « أب ... تاه »

... وخرجت الأم إلى الطريق صائحة : « لورى ... لورى إلى أين ... »

ولكنهما لم يسمعا سوى صدى صوتيهما ، فقد مضى الأب فى طريقه ... ليلحق بالجيش

مضى ليكفر عن خطيئة الابن ... الهارب

(حمامات القبة) حلمى مراد
المحامى

{ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولي — عابدين }

8me Année No. 379

Lundi - 7 - 10 - 1940

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع البدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العــدد ٣٧٩ « القاهرة فى يوم الاثنين ٥ رمضان سنة ١٣٥٩ — الموافق ٧ أكتوبر سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفـــهرس

تحيـــة إلى تاجور

للأستاذ عباس محمود العقاد

حيا الله تاجور وأبقاه !

إنه من ضيوف هذه الأرض المؤنسين ، ينظر إليه الناس بينهم فيستحضرون الرضوان والأمان ، كما تنظر الأسرة إلى الأب الوقور بينها فتطمئن ولا تخشى ، وإن لم يكن فى يديه سلاح ، ولم يكن للسلاح غنى إن كان فى يديه

أنبأنا البرق أمس أن تاجور يعاني شدة المرض فى شيخوخته المباركة ، فرجونا أن تظاهر تحيتنا هذه عند ظهور الرسالة ، وقد جاءت الأنباء بشفائه ، وشفاء تاجور بشرى تعلنها فى الهند أكبر جماعاتها وهيئاتها . كذلك أدركته الوعكة من قبـل فلما شفى علمنا بشفائه من خطاب رئيس المؤتمر الهندى وهو يفتتح لجنته العليا ، ويبدأ باعلان بشرى الشفاء قبل البدء بأمر من الأمور الجسام التى كانت اللجنة العليا مجتمعة لها فى تلك الجلسة

قال جوهرلال نهرو : « إن هذه اللجنة تهنئ الأمة بعناية الله التى شفت لها الدكتور رابندرانات تاجور : رجل من أعظم أبناء الأمة الهندية »

ورجاؤنا أن نسمع مثل هذه البشرى فى يوم قريب

***

نقل البرق نبأ اشتداد المرض عليه صباح يوم الأحد ، فخطر لنا أن نرجع إلى السنوية التاجورية لنستخرج منها الفأل فيما كتب فيها من أقوال تاجور بإزاء اليوم التاسع والعشرين من شهر سبتمبر ، ولكل يوم من أيام هذه السنوية كلمة أو بيت أو خاطرة من مأثورات الشاعر العظيم

رجعنا إلى صفحة اليوم فإذا بها تقول : « إن العقل يتركنا بمعزل عن الشيء الذي يعرفنا إياه ؛ ولكن الحب يعرفنا ما يعرفه بالامتزاج به والنفاذ إليه »

وإذا بها تقول : « إن العالم الإنساني هو عالم المرأة ، سواء كان من شئون البيت ، أو من الشئون التي تمتلئ بجهود الحياة التي تسمى جهود الإنسان »

وإذا بها تقول : « إن ظلال المساء تهبط كثيفة عميقة ... افتح نافذتك إلى الغرب ، وانغمر في سماء المحبة »

ثم رجعنا إلى صفحة اليوم الثلاثين ، وهو اليوم الذي نكتب فيه مقالنا هذا ، فإذا بها تقول : « هنا يموج البحر ، وهنا أيضاً يستقر الشاطئ الآخر في انتظار الوصول إليه ... نعم هنا الحاضر السرمدي ، لا على مسافة منك ولا في مكان غير هذا المكان »

وإذا بها تقول : « إن نفَس موسيقاك المحيي يسري من سماء إلى سماء »

وإذا بها تقول : « على جفنيك حياء عذب كأنه قطرة الندى على طرف الورقة الرفافة »

***

ومن عجب أن خطرات تاجور في هذين اليومين تلخص كل ما كتب تاجور ، بل تلخص روح تاجور في أعماقها وحواشيها أجمل تلخيص

صفاء وصوفية ، وجمال وحنان كحنان الأم العطوف ، وتفاؤل ورجاء وشدو رفيق

ذلك هو تاجور كله ، سرمدي لا تقول هو الماضي ولا تقول هو الحاضر ، وتهم بأن تقول : هو الهند فتسمع على البعد هامساً يقول : كلا ، بل هو النفس الإنسانية في براءة الطفولة وحكمة الأجيال

تاجور لا تروعه ضجة العصر الحديث فينسى الماضي الأزلي ، ولا يستغرقه الماضي الأزلي فينسى ضجة العصر الحديث . هو كطائر الشفق الذي يرفرف بين النهار المولي والليل المقبل . لحظة هنا ولحظة هناك ، ثم يغيب في القمراء لأنها ظل الصباح وغشاء المساء

أو كما يقول هو إن الماضي يحتوي الحاضر ، والحاضر يفسر الماضي ... أو كما يقول : وقّر الماضي ولكن لا تمش فيه

أهو رجل إنساني ؟

نعم ، ولكنه لا ينسى الهند . فلما دعته جامعات كندا للمحاضرة فيها أبى أن يلبي الدعوة لأن الكنديين في ذلك الحين لم يعطفوا على القضية الهندية . ولما اضطرمت نار الخلاف بين بلاده والحكومة البريطانية رد ألقابه وشاراته إلى تلك الحكومة

أهو رجل هندي ؟

نعم ولكنه لا يتعصب ولا ينسى سماحة الروح ، فقضى ما قضى من أيامه يدعو إلى اللغة البنغالية ليكتب بها الأدباء ويتعلم بها المتعلمون ، ولكنه لم يتقيد بأصولها العتيقة التي لا موجب للتقيد بها ... حتى كان الأساتذة الجامدون في الجامعات يمتحنون الطلاب بشذرات من كتب تاجور يفرضون عليهم أن يردوها إلى اللهجة البنغالية الصحيحة

كذلك قضى ما قضى من أيامه يؤمن بالصوفية الهندية ويدعو إلى الإيمان بها ، ولكنه سئل أن يختار نشيداً وطنياً فاختار نشيداً من الشعر الهندي القديم ، فلما أبى المسلمون أن ينشدوه لأنه يذكر الآلهة العديدة قال تاجور : لقد أصابوا ، فإني أنا أيضاً من الموحدين لخالق الكون العظيم . ثم أوصى بحذف الأبيات التي أباها المسلمون

أهو شيخ في تفكيره ؟

نعم هو يفكر تفكير الشيوخ ولم يتمرد قط تمرد الشباب . ونذكر في مصر أن شاباً متفقاً لقيه مستأذناً في ترجمة بعض كتبه ، فقال له ما معناه : لم العجلة يا بني ؟ عند ما تبلغ سن تاجور تترجم معاني تاجور !

لكنه ربح جائزة نوبل وجاءه منها ثمانية آلاف جنيه ، فبنى بها مدرسة جامعة لتعليم الشبان الحديث والقديم من العلوم ، ولإنشاء جيل جديد غير الجيل الذي نشأ عليه ونشأ عليه آباؤه

إذا شبهته بخير ما تشبهه به أنه نسيم لطيف لا يجمد في مكان

ولا ينطلق انطلاق الرياح لتزعزع ما يقف فى طريقه ؛ ولكنه أبداً يحمل عطر الأزاهير فى مروج البنغال

***

يرى بعض الناقدين أن شعر تاجور يفقد كثيراً بالترجمة من البنغالية إلى الإنجليزية أو الفرنسية

ويبدو لى أن هؤلاء الناقدين على صواب ، لأننى سمعت تاجور يغنى شعره البنغالى فأحسست لنغماته لطافة ووسوسة لا تنتقل بانتقال المعانى والكلمات

إلا أن الخسارة الكبرى هى فى نقل تاجور من البنغالية إلى الإنجليزية أو الفرنسية ثم فى نقله من إحدى هاتين اللغتين إلى العربية

وأخشى أن أقول إن هذه الترجمة قلما « تمسك » تاجور إلا كما تمسك الماء الغرابيل

على أنه لو نقل إلى العربية كما نقل إلى الإنجليزية لما أمسكه من القراء إلا القليل ، لأنه شماع لا يوزن بميزان الشعر الذى يسيغه الأكثرون من أولئك القراء ، وأدق موازينهم ميزان جواهر ودنانير

قال لى أديب كبير كان من أوائل المحتفلين بشاعر الهند يوم عبوره بالديار المصرية : أنا لا أدرى سر هذه الشهرة العالمية ، وما أحسب إلا أن الدولة البريطانية بسلطانها وجاهها أرادت أن تظهر للعالم مبلغ آلائها على الهند فأبرزت هذا الشاعر مثلاً لما أفادت به أهل الهند من أدب وثقافة

وكتب أديب آخر يعقب على التحية التى حييت بها تاجور فى تلك الأيام فقال : أولا نحسن نحن أن ننظم مثل هذا القصيد ونبدع مثل هذه الخواطر ؟ فما بال العقاد لا يكبرنا كما يكبر هنديه تاجور ؟ . . . أم زامر الحي لا يحظى بإطراب !

وكل جواب لهذين القولين عبث ، لأنه كجوابك من يقيس الجمال بعيون كعيون الغزلان ، وفم كأنه خاتم سليمان ، وبطن كأنه العجين الخمران ، إذ أنت تنظر إلى عين تناجيك بمعناها وفم يجتمع فيه شعور روح ، ويبدوان على « خلاف الشروط » أقرب إلى الدمامة منهما إلى الجمال !

***

إننى أقرأ تاجور فلا أقول أصاب أو أخطأ وأبدع أو جاء بالكلم المطروق

وإنما أقرأه وألتمس عنده « نفحة نفس لطيفة » وأنا على ثقة أننى واجدها فى كل ما ينظم وكل ما ينثر وكل ما يتخلل عباراته من صمت بعيد الغور مشبع بالهداية والإيحاء

خذ لذلك مثلاً قوله : « كل طفل يولد فى العالم هو آية على أن خالق الكون سبحانه لم ييأس من الإنسان »

هذه نفحة نفس محبة لا شك فيها ، وإذا كان الشرط الأول من شروط الشعر أنه تعبير عن نفس إنسانية فقد وفى تاجور الشروط كلها فى كلماته تلك ، لأنك تعرف نفس تاجور بتلك الكلمات معرفة لا يضيرك بعدها أن تقيسها بالبرهان فلا تثبت على القياس ، ولا تجيبك إذا سألت : وما القول فى كل بيضة جديدة تلدها الحية الرقطاء ؟

***

بيد أنك تقرأ لتاجور مع هذا حكمة إلهية لا ينقضها ناقض ولا تزال مطردة أتم اطراد مع نفحاته اللطاف

سأله تلميذ من تلاميذ مدرسته : ما هذا النظام الكونى الذى نعظمه ونمجده ولا فرق فيه بين الإنسان والجماد ؟ إن الريح العاتية لتعاملنى حين تلقانى كما تعامل صخرة أو شجرة ، فأين النظام الذى يزن كل شىء بميزانه ؟

فكان جواب تاجور : أتود أن تكون لك روح ولا تنفصل مما حولك كأنك القطرة فى النهار ؟ إنك إذن تفقد روحك وتزول من حيث أنت إنسان منفصل عن عالم الجماد . . . أم تود أن تنفصل عن عالم الجماد ولا تشعر به نافعاً وضاراً على اختلاف كما ينبغى الشعور بجميع المختلفات ؟ إنك إذن تقضى على الكون بزوال الحركة وقانون النظام

وما أرى أن حجة الشر فى الدنيا قوبلت بحجة أصدق من هذه الحجة على ما فيها من لطافة وشاعرية

ومن الذى ينقض حجة الشر بهذا الكلام ؟ تاجور الذى أصيب من الشرور بالشىء الكثير ، فماتت أمه وهو صغير ، وماتت زوجه وبنته وابنه وهو كهل ، وذاق من كيد الناس ما ينغص الحياة

حياه الله وأطال حياته ، فإنه من زينة الدنيا التى لا تعوض فى هذا الزمان .

عباس محمود العقاد

بمناسبة العودة المدرسية

اللغة العربية

فى المدارس الأجنبية

« توجيهات لأحد المشتغلين بشئون التعليم »

تمهيد

الغرض من تقوية اللغة العربية بالمدارس الأجنبية هو الوصول بتلاميذ تلك المدارس إلى منزلة من المعارف اللغوية والأدبية والقومية تمكنهم من الحياة فى المجتمع المصرى حياةً لا يشعرون معها بأنهم أعاجم فى أمة عربية ، كالذى كان يقع لتلاميذ تلك المدارس من عهد بعيد إلى اليوم ، وهى حال ضجّ منها آباء التلاميذ ، وفكر فى تغييرها نظار المدارس الأجنبية مرات كثيرة ، ومن المأمول أن تتغيّر تلك الحال بعد أن اهتمت وزارة المعارف بتقديم المعاونة الجدية لنظار تلك المدارس ، وبعد أن أعلنت رغبتها فى تشجيعهم على الوصول بمدارسهم إلى مكانة تسمح لأولئك التلاميذ بالقدرة على مسايرة الحياة العلمية والأدبية والاجتماعية بهذه البلاد

ومن الواضح أن الوصول إلى تحقيق هذا الغرض يستوجب النظر فى مناهج اللغة العربية بتلك المدارس نظراً جديداً يمكن به نقلها من حال إلى حال ، ويستوجب أيضاً أن يقوى الروح المصرى بتلك المدارس فيكون للغة العربية مكان ظاهر فى النشاط المدرسى ويكون للرحلات الخاصة بدرس الآثار المصرية مقامٌ ملحوظ ، بحيث يشعر أولئك التلاميذ أن مدارسهم تدعوهم إلى تذوّق الروح المصرى فى عهده القديم وعهده الحديث

وخلاصة القول أنه يجب أن نزوّد تلاميذ تلك المدارس بنصيب وافر من اللغة العربية ، ومن تاريخ مصر وجغرافية مصر وأنظمة مصر فى الحدود الآتية :

اللغة العربية

تنقسم الحياة المدرسية فى أكثر المدارس الأجنبية إلى ثلاث مراحل : مرحلة التعليم الأولى الممثَّل فى رياض الأطفال ، ومرحلة التعليم الابتدائى ، ومرحلة التعليم الثانوى

وفى المرحلة الأولى يحسن أن تعتمد هذه المدارس على المعلمين المتخرجين فى مدارس المعلمين الأولية ، لأنهم أُعدُّوا لهذا الغرض ولأن مرتباتهم بسيطة ، وذلك يساعد على الإكثار من دروس اللغة العربية فى رياض الأطفال

أما فى مرحلة التعليم الابتدائى ومرحلة التعليم الثانوى ، فيجب أن يكون المعوَّل على المدرسين الفنيين الذين أعدّتهم الوزارة لهذين النوعين من التعليم

ونفهم من هذا أن الطفل فى المدرسة الأجنبية يرى مدرس اللغة العربية منذ اليوم الأول لعهده بالحياة المدرسية فيأنس سمعه ولسانه للغة العربية بحيث يمكن أن تكون هى اللغة الأولى وبحيث يُرجَى أن تقوى على منافسة ما يدرس معها من اللغات الأجنبية

فى رياض الأطفال

المنهج فى رياض الأطفال يقوم على توجيه الأطفال إلى التعبير عن أغراضهم بعبارات عربية مقبولة ، ولا مانع من أن تكون لغة التخاطب هى الأساس لتذهب الوحشة التى تقع من شعور الطفل بغرابة اللغة الفصيحة ، ثم يتدرج المعلم رويداً رويداً فينقل لغة الطفل برفق من العامىّ إلى الفصيح ليشعر بعد عام أو عامين بشخصية جديدة هى شخصية من يتكلم بلغة أقوم وأرفع من لغة العوام ويستعد للانخراط فى سلك الخواص

وفى هذه المرحلة تكثر المحادثات كثرة ملحوظة ، ثم تلقَّن المحفوظات السهلة والأناشيد القصيرة ويترنم بها الأطفال بطريقة جمعية تزيد أنسهم بالدرس وتشوقهم إلى طلب المزيد . وفى هذه المرحلة يترفَّق المعلم فى تعليم القراءة والكتابة وفقاً للخطط المرسومة لرياض الأطفال

وإذا استطاع المعلم فى هذه المرحلة أن يفوق زملاءه من معلمى اللغات الأجنبية ، وأن يكون أقرب منهم إلى أنفس أولئك الناشئين كان ذلك خطوة محمودة فى خدمة اللغة العربية بالمدارس الأجنبية .

ولن يصعب على الوزارة أن تجد المعلمين الصالحين لتأدية هذا

الواجب تأدية صحيحة ، فهؤلاء المعلمون سيأخذون من المدارس الأجنبية مرتبات أكبر من مرتبات المدارس الأولية ، وذلك يمكن الوزارة من التخير ، وقد تستطيع عقد المسابقات لتحقيق هذا الغرض الشريف

فى التعليم الابتدائى

يصل الطفل إلى مرحلة التعليم الابتدائى وقد استعد لمتابعة دروس اللغة العربية وقدر على قراءة بعض الفقرات المفيدة مما يقع تحت بصره من الجرائد والمجلات . وقَدَر أيضاً على فهم بعض ما يذيع الراديو من أناشيد ومحاورات ، وهو لا يصل إلى ذلك إلا بعد أن يعنى به عناية وافية فى مرحلة التعليم الأولى بحيث لا يقل ما يتلقاه فى الأسبوع عن عشرة دروس

وفى التعليم الابتدائى يجيء الدور الجِدىّ فى تعليم اللغة العربية فيقسم التلاميذ إلى فريقين : فريق يستعد للأقسام الثانوية المصرية وفريق يستعد للأقسام الثانوية الأجنبية

وإنما فرضنا هـذا التقسيم لأن تلاميذ المدارس الأجنبية يدخلون الأقسام الثانوية المصرية بتلك المدارس بدون أن يؤدوا امتحان الشهادة الابتدائية المصرية . ويكون فى أثر ذلك أن يدخلوا تلك الأقسام وهم ضعاف فى اللغة العربية ضعفاً يجعلهم من الذيول فى الامتحانات العمومية ، وقد يلازمهم هذا الضعف طول حياتهم فلا يكون منهم كتّاب ولا شعراء ولا خطباء باللغة العربية

ومنهج اللغة العربية فى الأقسام الابتدائية التى تمد للأقسام الثانوية المصرية يجب أن يكون مماثلاً تمام المماثلة لمنهج اللغة العربية فى المدارس الابتدائية المصرية مع زيادة عدد الدروس زيادة تعوّض على التلاميذ ما يفوتهم من درس أكثر المواد باللغة العربية

أما منهج اللغة العربية فى الأقسام الابتدائية التى تمد للأقسام الثانوية الأجنبية فيكون أخفّ ويُكتفى فيه بسبعة دروس فى الأسبوع توزّع على موادّ اللغة العربية توزيعاً يضمن تمكن أولئك التلاميذ من القواعد والإملاء والمطالعة والإنشاء

ومن السهل وضع هذا المنهج الخفيف ، والمهمّ هو أن يشمل العناصر الأساسية من القواعد بحيث يستطيع التلميذ أن يُلقى خطبة أو يكتب رسالة بدون أن يقع فى أغلاط تشهد عليه بالتخرج فى مدرسة أجنبية !

وإذا تجاوزنا اللغة العربية إلى الجغرافيا والتاريخ رأينا من الواجب على تلاميذ الأقسام الابتدائية التى تُمدّ للأقسام الثانوية المصرية أن يدرسوا المقرر من هاتين المادتين فى المدارس الابتدائية المصرية

أما الأقسام الابتدائية التى تمدّ للأقسام الثانوية الأجنبية فتدرس جغرافية مصر بالتفصيل ، ثم تدرس التاريخ المصرى بإيجاز مع الاهتمام بتاريخ مصر الحديث وعلاقته بالأمم الغربية والشرقية

وما دام الغرض هو التعاون فمن حق وزارة المعارف أن تشير على المدارس الأجنبية بدعوة فريق من تلاميذها إلى اجتياز امتحان الشهادة الابتدائية ، فإن لم يسهل ذلك كان من الواجب على تلك المدارس أن تدقق فى نقل التلاميذ من الأقسام الابتدائية إلى الأقسام المصرية الثانوية ، فقد يساعد ذلك على تحسين النتائج فى امتحانات النقل والامتحانات العمومية

وبهذه المناسبة نذكر أن الليسيه فرانسيه بالاسكندرية رأت من المصلحة ألا تقبل فى القسم الثانوى المصرى إلا تلاميذ جازوا امتحان الشهادة الابتدائية المصرية ، وسيكون لذلك تأثير حسن فى نتائج الامتحان

فى التعليم الثانوى

وفى التعليم الثانوى نجد المدارس الأجنبية قد استغنت عن معونتنا فى توجيه الأقسام المصرية ، فهى تسير على مناهجنا خطوة خطوة ، وتزيد عدد الدروس لتضمن نجاح تلاميذها فى امتحانات النقل والامتحانات العمومية . ولا يبقى إلا اهتمام التفتيش بدروس التاريخ والجغرافيا والأخلاق والتربية الوطنيـة ، ولا موجب للنص على اهتمام التفتيش باللغة العربية ، لأن أقل تقصير فى ذلك يجعل اللغة العربية من المهملات فى تلك المدارس ، لأنها تملك وضع أسئلة امتحان النقل ، وذلك قد يعفى بعض المدرسين من الحرص على تدريس جميع المقررات !

وأعتقد أن مبالغة التفتيش فى تعقب دروس اللغة العربية لا يغض من كرامة تلك المدارس ، فذلك أفضل من تعريضها لإلغاء الامتحان كما وقع فى بعض الأعوام الماضية

والموضوع المهمّ هو موضوع الأقسام الثانوية الأجنبية ،

والشبان فى تلك الأقسام معرّضون لأصعب الأخطار من الوجهة القومية إن لم يُحرَسوا حراسة أمينة من طغيان الدعايات المذهبية ، ولا يعصمهم من تلك الدعايات إلا تزويدهم باللغة العربية تزويداً يمكنهم من مسايرة التيارات الأدبية والفكرية والاجتماعية بهذه البلاد ، ولا يتم هذا التزويد الواقى من الأخطار إلا إذا ضمنّا أن يدرسوا تاريخ مصر دراسة عميقة تصل بهم إلى الثقة بأنهم نشأوا فى وطن له ماض فى خدمة العلوم والآداب والفنون .

وفى هذه الحال يكون من الذوق أن يعتمد الأجانب على المصريين فى درس التاريخ المصرى ، وهم قد قبلوا فى أكثر مدارسهم أن يُدرس ذلك التاريخ باللغة العربية

وما يقال فى التاريخ يقال فى الأخلاق والتربية الوطنية ، فهذه المواد الثلاث لها اتصال وثيق بشؤون عربية وإسلامية لا يفقهها المدرسون الأجانب إلا فى قليل من الأحايين ، وهم حين يفقهونها لا يؤدونها بالروح الذى يؤديها به المدرسون المصريون

وأعتقد أن الأجانب لا يمانعون فى أن يتغلب العنصر المصرى فى مدارسهم ، لأن ذلك يحقق التضامن بين المصريين والأجانب ، وهو أيضاً يساعد على خلق جوّ من التعاطف كان انعدامه سبباً فى قلة التفاهم بين أولئك وهؤلاء

والواقع أن الأجانب الذين عرفتهم يتمنون لو ظفروا بالثقة المصرية ، فمن واجبنا أن ندلهم على السبيل لكسب هذه الثقة ، وهى سبيل واضحة يسير فيها بأمان كل من يؤمن فى سريرة نفسه بأن من واجبه أن يُعين من يؤتمن عليهم من الشبان المصريين على التزود بأصول التثقيف الصحيح الذى يجعلهم من الوطنيين الصادقين .

الأدب العربى

وبعد ما سلف من الإشارات إلى العناصر التى يجب أن توجد فى منهج الدراسة فى الأقسام الأجنبية نضع الأساس لدراسة الأدب العربى هنالك ، ونرى أن تكون المحفوظات كلها من الشعر السهل المقبول الذى يقل فيه المهجور والغريب من الألفاظ

أما مواد التاريخ الأدبى فتقتصر على العصر الحديث مع الاهتمام بالفنون الأدبية الجديدة التى نشأت عن اتصال مصر بالثقافات الأوربية والأمريكية فيكون للشعر التمثيلى وللقصص مكان ظاهر فى درس التاريخ الأدبى ، ويُعنَى عناية خاصة بدرس الخطابة البرلمانية ودرس القضايا الشهيرة التى برزت فيها براعة المحامين ، ويضاف إلى ذلك درس الصلات بين الأدب والمجتمع ، بحيث يشعر التلميذ أن اللغة العربية لا تقل قدرة عن اللغات الأجنبية فى الطب لأدواء المجتمع وتعقب أهواء النفوس وأوطار العقول

ومن البيّن أنه يجب الاهتمام بدرس تراجم الكتاب والخطباء والشعراء الذين كان لهم تأثير فى خلق التطور الحديث من الوجهة الاجتماعية والقومية والذوقية ، لأن ذلك يساعد على الأنس بالأدب ويُشعر أولئك التلاميذ بقيمة الحرص على المنافع الوطنية عساهم يصيرون فى المستقبل من أقطاب المصلحين ، وذلك هو المأمول من شبان تمترك فى صدورهم جذوات الثقافة الشرقية والثقافة الغربية .

التعاون بين المصريين والأجانب

وحين تحقق هذه المقترحات يكون من الواجب أن نخطو خطوة جديدة فى التقريب بين المدارس المصرية والمدارس الأجنبية فنزاهم ويروننا فى الحفلات وفى الرّحلات ، ويُرفَع الحجاب الكثيف الذى يجعل منا ومنهم أمتين مختلفتين ، مع أننا نعيش جميعاً فى ضيافة النيل

والله عز شأنه هو ولى التوفيق

« باحث »

بين مصر والعـــــراق

للأستاذ محمد أبو بكر ابراهيم

مما استرعى نظرى فى نسخة من جريدة الهدف العراقية صورة شمسية تهول وتروع للدكتور زكى مبارك ، وما كدت أقرأ بضعة أسطر فيها حتى بان لى أن العدد كله قد خصص لتكريم الدكتور والاحتفاء به والإشادة بفلسفته وعلمه ، فانطلقت ألسنة الأدباء العراقيين بالثناء عليه ، وانبرت أقلامهم لتسجيل أدبه ، وحفظ أثره ، ووصف براعته فى الكتابة التى تساوق براعته فى الشعر

وإنها لمدحة حقة صادفت أهلها ، وحلّت محلّها ، وجاءت تخليداً للمحمدة الباقية التى تفضلت الحكومة العراقية فأسبغتها عليه ، إذ أكرمته بوسام الرافدين تقديراً لجهوده ، ومعرفة لمعروفه وإن عرفان الجميل ، وتقدير أعمال العاملين ، وإعطاء الحقّ لمستحقيه ، لهى فضائل طيبة عزّ وجودها فى هذا الزمان الذى ابيضت عينه ، وغاض معينه ، وقل خيره ، وكثر شره وضيره ، وأغمطت فيه الحقوق ، واشتد به بلاء العقوق ، ولكن إخواننا العراقيين قد رفعوا فيه لواء هذه الفضائل ، وتحلوا بحللها وحلاها وتلك بعض مناقبهم الغراء ، وشيمهم الشماء

وليس بمستغرب أن يشغف الدكتور بالعراق حبًّا ؛ وأن يولع بالعراقيين وآثارهم وأخبارهم وأيامهم وتواريخهم وسائر أحوالهم فإن ميله إليهم قد خالط منه اللحم والدم ، وأصبح جزءاً من عاطفته وضرباً من تعصّبه وشطراً من فطرته ولوناً من غذائه الروحانى ومقومه النفسانى

فهو حينما يخطر بباله خاطر عنهم — وما أكثر توارد هذه الخواطر الملحّة على ذهنه — تراه يتهلّل بشراً ، ويسترسل فى الحديث عن مفاخرهم ومآثرهم استرسالاً يأسر انتباه السامعين ويملك لبّهم ، لحلاوة الأسلوب وحسن الأداء ولطف القول ؛ ويجذب نفوسهم بما فى حديثه من الطرائف والطرف ، والروائع والتحف وكل ما يستهوى ويستميل

وما أكثر المصنين من المعجبين ببلاد العراق الذين يشعرون بمثل ما يشعر به الدكتور من تقدير لها وميل نحوها . ويحسّون مثل ما يحسّه قبلها من عواطف نبيلة واتجاهات شريفة

ولا ريب أن المودّة والمحبة والرغبة الصادقة المتبادلة بين الأقطار الشرقية لتزداد قوة على ممرّ الأيام وكرّ الأعوام ، فتصل بين أطرافها ، وتربط بين أنحائها ، وتوثق العلاقة بينها من أدناها إلى أقصاها ، إلى أن تجمل منها وحدة متماسكة الأجزاء لا انفصام لها ولا انفصال . فإن روابط الجنس واللغة والدين قد صيّرت الممالك الشرقية توائم ، بل وطناً واحداً محبباً إلى كل النفوس هنا وهناك . وقد تنبهت أممنا إلى هذا الترابط ، فأخذت تفكر فيما كان عليه السلف من علوم وثقافة ومعارف لإحيائها وبعثها من جديد فى صورة شرقية عربية سليمة . وإن تعاون الأدباء فى العصر الحاضر على نشر هذه الثقافات ليبشر بمستقبل جديد باهر تصفو فيه الحياة الروحية من شوائب الغربيين ولوثات المحدثين المارقين

فإن التخلص من البدع الزائفة التى دخلت فى عقائدنا وأعمالنا وتصرفاتنا وتقاليدنا وسائر أحوالنا لمن أهم ما يجب البدء به فى هذا الإصلاح الذى ينشدونه للأمم الشرقية ، إذ يرجع بنا — نحن الشرقيين — إلى الأصول الأولى الحقة المبرّأة من كل زيف ، ومن كل مستحدث من البدع والتقاليد الضارة . وبذلك تتحد وجهات الأنظار وتتفق مسارح الأفكار ؛ وتقوى أممنا بالاتحاد فى الحق والائتلاف فى الفضيلة ، وتخرج من التطور الفاسد إلى التطور الصالح المؤسس على الفضيلة والحق ؛ فتجتمع القلوب بحكم الطبيعة ، وتتوحد الغايات ، وتتبين المثل العالية ، والأهداف البعيدة الرفيعة

وما أحوجنا إلى من ينهض بالشرق نهضات أدبية وخلقية واجتماعية ، بعد أن تناثرت أجزاؤه ، واضمحلت هيئته ، وضعف التئامه وقد كاد يتداعى للانحلال

أدرك هذه الحال رجال من العلماء المثقفين والأدباء المخلصين فأخذوا فى هذه الأيام يجاهدون بأقلامهم وقلوبهم ونفوسهم فى سبيل الدعوة إلى اتحاد الشرق ليكون جسما واحداً هائلاً كبيراً ، قوى البنية ، سليم الهيئة ، تتعاون أعضاؤه ، وتلتحم أجزاؤه .

وكم بذلوا من وقت ومال ، وعلم مذخور ، فى صون حقوقه وحفظ ملته وحياته من الضياع ، فصوبوا معاولهم إلى الأصول الفاسدة لهدمها وتقويضها ، وأكثروا من الكتابة فى المجلات والصحف لتأسيس الأصول الصالحة للمدنية القوية النافعة ، وتمهدوها بآرائهم وفلسفتهم وجهادهم حتى تكون كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء

وكم أنحوا على المقلدين للغربيين تقليداً طائشاً لا نفع فيه ، وعابوا عليهم انتحالهم أطوار الأوربيين التى لا تتلاءم مع الأوضاع الشرقية ، ولا تتناسب مع الحياة الإسلامية ، حتى كادت تجعل حياة الشرقيين وعاداتهم ومعايشهم خليطاً من القشور ومزيجاً من المظاهر الخلابة التى لم تخلق لنا ولم نخلق لها . وما كانت لتوائم طبيعتنا ، أو توافق أذواقنا ؛ لأنها إنما نقلت إلينا نقلاً فيه تعسف كما ينقل النبات قسراً من بيئة يجود فيها ويترعرع ، إلى بيئة أخرى لا تلائمه ولا تعينه على النمو والنضارة ، فلا يلبث أن يكون حطاماً لا خير فيه ، وحطباً لا حياة به ، وهشيما تذروه الرياح

فأهابوا بالشرقيين أن يأخذوا بأسباب النهضات القديمة ، وأن يقتدوا بالسلف فى صدر الإسلام وفى العصور الأولى الزاهرة ، وأن يستمدوا من أدبهم ومعارفهم وثقافتهم ما يقربهم إلى الخير ، ويبعدهم عن الضير . فكان لهذا الجهاد شيء من الأثر الطيب فى إزالة بعض الحواجز القائمة بين شعوب الشرق ، والقضاء على بعض الحجب الكثيفة الحائلة بين أممه والحق ، والتى خلقها خلفاً أولئك الذين يمجدون حضارة الغرب ، وينتقصون أعمال الشرق فكانوا نكبة على بلادهم ، ومنافذ فيها يدخل منها الأعداء إليها ؛ لأنهم وأمثالهم شؤم على أبناء أمتهم يمهدون السبيل ويفتحون الأبواب لأرباب الغايات والمطامع والحضارات الفاسدة . ومن آيات الجهاد تلك النزعة الجديدة القوية التى ترمى إلى إظهار الحضارة الشرقية - وهى أصل الحضارات كلها - لتبرز للوجود ، وتحل فى الميدان ، فلا تلبث الفوارق أن تضمحل ، والفواصل أن تتلاشى قليلاً قليلاً . وإن تقلبات الحوادث ، وتتابع الكوارث ، ونزول المصائب والأهوال ، هى التى أوجدت فى الشرق يقظة ظاهرة ، وربطت أفراده بوشائج متينة لا تقل فى قوتها عما بينهم من روابط النسب والجنس والدين واللغة والإنسانية ، وبعثت فيهم روح المقاومة لدفع ما هو باطل ، ومحو ما هو فاسد . وجعلتهم لا يغفلون عن مصيرهم ولا يستسلمون لإرادة سواهم . ودفعت نفوسهم إلى اتخاذ الوسائل للنهوض فيما أحبته ، والتخلص مما كرهته

وإن هـذه المقاومة الروحية والعملية لتبقى عنيفة شديدة فى الأمم الشرقية الناهضة ما بقى فيها رُمقة من عيش ، ومسكة من ضمير ؛ وما دامت تسترشد بنور إيمانها ، وتعمل بقوة عقيدتها وما بقى فيها رجال مخلصون ، وعلماء ناهضون ، وأدباء مثقفون ، يقومون برسالة الحضارة العربية الشرقية ، ويسعون لها سعيها ، وهم مؤمنون بها . وأولئك كان سعيهم مشكوراً

فإن الله إذا أراد بقوم خيراً جمع كلمتهم على الحق والهدى ، وألف بين قلوبهم بصلات المودة والمحبة وإن بعدوا وتناءت ديارهم وشطّ مزارهم ، فينالون شرفاً رفيعاً ، ومقاماً محموداً .

محمد أبو بكر إبراهيم

المفتش بوزارة المعارف

كلمـــة فى القرآن

[إلى كبار العلماء ، ومشيخة القراء ، وجـامة الأزهر المعمور]

للأستاذ على الطنطاوى

قال لى صديق عالم فى بعض حديث كان بينى وبينه : ما بال أحدنا يأخذ ديوان المتنبي مثلاً ، فما يدع قصيدة منه واحدة حتى يقتلها فهماً ، ويحيط بأسرارها علماً ، ويغوص على جواهر معانيها ، ويتبع خفيف إشاراتها ، وبعيد كناياتها ، حتى ينتهى إلى مراد الشاعر منها ، وقد تنطبع على صفحة قلبه آراء الشاعر فيؤمن بها إيماناً ، ويتخذها قدوة وإماماً ، وربما بدل ذلك من خلائقه ، وعدل من سلائقه . مع أن ديوان المتنبى ، وإن علت فى الكلام مرتبته ، وسمت فى البلاغة منزلته ، لا يعدُو أن يكون كلام مخلوق يخطئ ويصيب ، وليس من شأنه أن يكون كتاب هدًى ولا إرشاد ... ثم نتلو القرآن آناء الليل وأطراف النهار ، فلا يأمرنا ولا ينهانا ، ولا يكون له أثر فى حياتنا ، والقرآن كلام الله رب العالمين ، أنزله رحمة وهدى للناس أجمعين ؟

تأملت فوجدت كلامه حقاً ، فأطلت التفكير فيه ، فرأيت النقص إنما دخل علينا من أنفسنا لا من القرآن ، والقرآن لم يزل على ما كان عليه يوم أخرج من الأمة البدوية الجاهلة خير أمة أخرجت للناس ، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وأعطاها مقاليد الأرض ، ففتحت بها ما بين مشرقها والمغرب ... فما له اليوم وما لنا ؟ وكيف غدونا وأمورنا فى يد كل واغل علينا ، يغلبنا كل متغلّب ، ويستنسر فى أرضنا البغاث ، ومن إذا استغاث لا يغاث ، وإن أُتى فى عقر بيته لم يملك دفعاً ولا منعاً ؟

النقص منا لا من القرآن ، فلو أنّا أخذنا القرآن على وجهه ولم نعدل به عما أنزل له ، لم نذلّ ، والقرآن بين أيدينا ، وبالقرآن عز من عز من أسلافنا

نزل القرآن آمراً وناهياً ، ومذكراً وواعظاً ، وكان للمسلمين دستوراً وقانوناً ، فلم نفهم منه إلا أنه كتاب تبرُّك ، نتخذه تمائم ورق ، أو نتلوه تلاوة تطريب وتلحين ، وتطربة وتليين ، نؤخذ بحلاوة صوت القارئ ، وبراعة إلقائه ، وحسن تصرفه فى ألحانه ، ولا نتنبه الانتباه المطلوب إلى المعانى ، ولا نخشع الخشوع اللائق بمن يسمع كلام الخالق ، وإن كنتم فى شك من الأمر فاسألوا من يفتح (الرادّ) ليسمع قراءة الشيخ محمد رفعت ، أكان يسمع لو قرأ غيره ممن لم يؤت الجرس الحلو ولا اللحن المطرب ؟ واسألوهم ألا تهزهم (سحبة) صبا ، أو (حطَّة) على الرصد ، أكثر مما تهزهم معانى كلام جبار السموات والأرضين ؟

أما إنه لا جدال فى وجوب ترتيل القرآن وتجويده ، وضبط مخارجه وأحكامه وأدائه ، أما أن يكون القصد من الإصغاء إليه الطرب ، والغاية من تلاوته الإطراب ، فلا ، ثم لا ... وما مثل من يفعل ذلك إلا مثل ضابط فى الجيش بعث إليه القائد برسالة فيها بعض أمره ونهيه ، فلا هو ائتمر ولا انتهى ولا فهم معناها ولا حاول ، وإنما قبلها ووضعها من التعظيم على جبينه ثم تلاها خمسين مرة ، يتغنى بها ويرتلها ، ثم جعلها تميمة تعلق على الصدر ... ولله المثل الأعلى !

وقد حدثنى الصديق الفاضل الأستاذ عبد المنعم خلاف أن فى مصر قارئاً (سمّاه ونسيته) إذا قرأ أعطى المعانى حقها ففخّم وهوّل عند وصف العذاب ، ورقق وجمّل عند ذكر النعيم ، وحكى رنة صوت المستفهم والمتعجب عند الاستفهام والتعجب ، فإذا صار إلى آخر الآية ختمها بلحن قليل ، فلماذا لا يدعى هذا القارىء إلى المذياع ليسمعه الناس فيكون قدوة للقارئين صالحة ؟ إن القائمين على أمر الإذاعة يحسنون صنعاً إذا سألوا الأستاذ خلافاً عن اسمه ودعوه ... وأنا واثق أنهم لن يفعلوا !

هذه هى حال القراء ، جعلوا القرآن كالغناء ، بل ربما عدوه سلماً إلى الغناء ! ألا ترى إلى بعض المطربات المصريات المشهورات ، كيف ابتدأن قارئات ، فارتقين حتى صرن مغنيات ؟ أو لا ترى أن من كتاب الرسالة من ذكر المغنين مرة فعدّ الشيخ محمد رفعت فى أهل الغناء ؟

ثم إن فى القراء خصلة أخرى

ذلك أن منهم من أولع بالقراءة على السبع ، فى المساجد والمجامع ، يكرر الآية الواحدة على الأوجه المختلفة ، فلا يأتى من ذلك إلا فتنة العامة ، وتشكيك الجهلاء ، وما يخالط القارئ من العجب والزهو ، وذلك ما لا يستحبه الشرع . ولقد ثبت فى الحديث أن القرآن أنزل على سبعة أحرف ، تسهيلاً على العرب المختلفة لغاتهم ، وكانوا يقرؤون عليها جميعاً ، حتى إذا كان زمان

عثمان رضى الله عنه ، وسيطرت لغة قريش أو كادت ، وتوحدت اللغات ولم يبق للسبعة الأحرف من فائدة إلا اختلاف الناس ، أمر عثمان بالاقتصار على واحد منها ومنع ما عداه، وكتب المصحف الإمام وبعث به إلى الأمصار ، واقتصر الناس على الحرف الواحد حتى نشأ النحاة وأهل اللغة والقراء ، فوقع بينهم اختلاف يسير فى حركة أو إمالة أو مد أو همز فكان من ذلك القراءات السبع ، وهى على حرف واحد وليست على الأحرف السبعة كما يظن بعض من لا علم له ...

فإذا كان عثمان قد أمر بالاقتصار على حرف واحد من الحروف السبعة المنزلة ضماناً للمصلحة ، فلم لا نقتصر على قراءة أو قراءتين فقط من القراءات السبع نقرأ بها فى المساجد والجامع ، وندع لمن شاء من المتخصصين أن يحفظها ويرويها كلها من غير أن يذيعها على العامة الذين لا يعرفون إلا قراءة حفص فى المشرق كله وورش عند المغاربة ؟

هذا رأى فيه المصلحة ، وهو من روح الشريعة التى تكره الاختلاف والفتنة أرجو من سادتنا العلماء المقلدين المقدسين لكل ما درجوا عليه الثائرين على كل رأى جديد ، أن يفكروا ويتثبتوا قبل أن تقوم قيامتهم علىّ !

أما العامة وأشباههم فإن أكبر همهم أن يستكثروا من المتلوّ ولو أهملوا قواعد التجويد ، ويتسابقون إلى الختمة ، ولو قرؤوا شاردة أذهانهم ؛ حتى أن لى عمة عجوزاً تقرأ كل يوم ختمة وتفخر بذلك ، مع أن عمر بن الخطاب وهو أعلم من عمتى – ولو لم تقر بذلك – أنفق دهراً فى البقرة حتى قرأها قراءة فقيه متدبر ... وسبب هذا التسابق على الاستكثار من القروء اعتقادهم أن للتالى بكل حرف عشر حسنات ولو قرأ قراءة ببغاوية ...

ولندع هؤلاء ولنعرج على العلماء فنسألهم إذا لم يكونوا ممن يحرم الاجتهاد ، ويرى أن الأئمة قد استنبطوا من القرآن كل شىء ، ولم يبق إليه حاجة إلا استنباط ... البركة !

نسألهم : كيف يتدبر القارئ الآيات التدبر المطلوب ، وليس عند المسلمين إلى اليوم تفسير لمعانى القرآن مختصر ، حاوٍ لأسباب النزول والناسخ والمنسوخ ، وبيان المحكم والمتشابه ، خالٍ من فروع النحو والبلاغة ومسائل الفلسفة ، مبرأ من الأكاذيب والإسرائيليات وتضارب الروايات فى وضوح عبارة وبيان إشارة يفهمه الغبي قبل الذكى ، وطالب العلم قبل العالم ؟ ومتى يظهر التفسير الذى انتهى إلينا من سنوات عزم إدارة الأزهر على إخراجه للناس ، وأنها ألفت له لجنة وسمت لها رجالاً ؛ فاصنع الله بلجنته ورجالها ؟

وإذا لم تكن لجنة أفليس فى العلماء من يستطيع أن يؤلف هذا التفسير لمعانى القرآن ، لا كتفسير الجلالين المخل باختصاره ولا كالنسفى المقصور على النحو ، ولا كالكشاف المعنىّ بالبلاغة ، ولا كالفخر الرازى المترع بالفلسفة والعلوم والإشكالات والردود ، ولا كالخازن الفياض بالاسرائيليات المكذوبة ، ولا كالطبرى الذى يشتمل على الروايات الكثيرة المختلفة ، ولا كتفسير طنطاوى جوهرى الذى حشد فيه من قضايا العلم الطبيعى التى لم يكن من أهلها ما لم يدع مكاناً للتفسير ، ولا كتفسير المنار المطول الذى يشبه دائرة معارف تحتاج إلى عمر كامل، بل يأخذ من كل مزاياه ويجتنب عيوبه ، ويضم على ذلك ما لم يكن يدركه المتقدمون

هذا ولم نزل نسمع بالإعجاز ، ونعرف عجز العرب وهم شياطين البلاغة ومَرَدة القول ، عن أن يأتوا بمثل سورة من القرآن برغم التحدى الموجع ، والاستفزاز البيّن ، وقد قرأنا ما كتب فى بيان الإعجاز وأسراره من لدن عبد القاهر والباقلانى إلى الرافعى ولكننا لا نزال نجهل أسرار الإعجاز ، ولا نجد فى كل ما كتب ما يبرئ من علة ، أو يشفى الغلة ، على طول البحث ، وامتداد الزمان ، حتى كدت أقول بالصرفة كما قال المعتزلة ، فمتى يؤلف فى الإعجاز الكتاب الذى يضع أيدينا على سره حتى نلمسه لمساً ؟

إن كتاب الرافعى فى حسن عرضه ، وبلاغة عبارته ، وصفاء ديباجته ، يكاد يكون معجزاً لكتاب العصر عن تأليف مثله ، ولكن اقرأه ، ثم أطبق الدفتين ولخص لى رأيه فى الإعجاز ، وقل لى ما هى (نظريته) فيه ؟ وهل تشبع الباحث ، وتروى ظمأ الحيران ؟

* * *

هذا وإن ما تقدم من تصحيح التلاوة ، والتفسير والبحث فى الإعجاز ، إنما هى مقدمات ، وجوهر الموضوع فى دعوة العلماء إلى العودة إلى القرآن والسنة ، ودرسهما دراسة المجتهد الفقيه المتبصر ، واستنباط الأحكام منهما ، وتنقية عقائد المسلمين مما يخالفهما ، والفتوى بهما لا بالدر وحواشيه ، ولا بأقوال أئمة المذاهب ، فإنهم على ما بذلوا رحمهم الله وما أحسنوا ، إنما راعوا

مصلحة الناس فى زمانهم ، واعتمدوا العرف المعروف فى أيامهم ، والقرآن لكل زمان ومكان . وليس القصد أن ندع المذاهب جملة ، ونأمر الناس جميعاً بالاجتهاد ، فهذا ما لا يقوله ذو مسكة من عقل ، ولكن القصد النظر فى أدلة الأحكام الفقهية ، فما كان دليله النص فلا مساغ للكلام فيه ، وما بنى على العرف يتغير بتغيره ، وهذا معنى القاعدة المعروفة : « لا ينكر تبدل الأحكام بتبدل الأزمان »

فأفهموا الناس أن القرآن لم ينزل ليكون تمائم ورق ، ولا ليتخذ منه غناء وطرب ، ولكنه (كتاب الله ، فيه نبأ ما قبلكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذى لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا تشبع منه العلماء ، لا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه ، من قال به صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعى إليه هدى إلى صراط مستقيم .

علي الطنطاوي

دولة الأدب فى حلب

سيف الدولة بن حمـــدان

للدكتور محمد أسعد طلس

ما نعرف أن حلبا أو الشام كله قد أصاب عهداً أحفل بالعلماء والأدباء والشعراء والحكماء والأطباء من عهد سيف الدولة أبى الحسن على بن عبد الله بن حمدان عظيم الدولة الحمدانية ؛ فقد كان بنو حمدان « ملوكاً أوجههم للصباحة ، وألسنتهم للفصاحة ، وأيديهم للسماحة ، وعقولهم للرجاحة ؛ وسيف الدولة مشهور بسيادتهم وواسطة قلادتهم . وكان رضى الله عنه وأرضاه وجعل الجنة مأواه غرة الزمان وعماد الإسلام ومن به سِداد الثغور وسَداد الأمور ، وكانت وقائعه فى عصاة العرب تكف بأسها ، وتنزع لباسها ، وتفل أنيابها وتذل صعابها وتكفى الرعية سوء آدابها . وحضرته مقصد الوفود ، ومطلع الجود ، وقبلة الآمال ومحط الرحال ، وموسم الأدباء ، وحلبة الشعراء . ويقال إنه لم يجتمع قط بباب أحد من الملوك بعد الخلفاء ما اجتمع ببابه من شيوخ العصر ونجوم الدهر ، وإنما السلطان سوق يجلب إليها ما ينفق لديها ، وكان أديباً شاعراً محباً لجيد الشعر شديد الاهتزاز لما يمدح به[1] » وكان على عالماً وفقيهاً يناقش العلماء ويطرب لمحادثاتهم ومناظراتهم كما كان شاعراً له الشعر الجيد والتشبيه الملكى ، ولم يبق لنا الدهر من شعره إلا نحو خمسين بيتاً ذكرها من ترجم له وأكثرها مذكور فى اليتيمة ، ومن أجود شعره قوله :

أقبـله على جزَع كشرب الطائر الفزِع
رأى ماء فأطمعه وخاف عواقبَ الطمعِ
وصادف فرصة فدنا ولم يلتذ بالجرعِ[2]

وهو كما ترى شعر لطيف يدل على خفة روح ورشاقة خاطر لما تضمنه من صور سريعة وجميلة . ومن أجمل شعره أيضاً بل من أجمل الشعر العربى فى موضوعه قوله فى وصف ساعة من ساعات اللذة زانها ساق صبيح وقوس قزح رائع :

وساق صبيح للصَّبوح دعوته فقام وفى أجفانه سِنة الغمض
يطوف بكاسات العُقار كأنجم فمن بين مُنقض علينا ومنقض
وقد نشرت أيدى الجنوب مطارفاً على الجو دكناً والحواشى على الأرض[3]
يُطرزها قوسُ الغمام بأصفر على أحمر فى أخضر تحت مبيضّ
كأذيال خَوْد أقبلت فى غـلائل مُصبّغة والبعض أقصر من بعض[4]

هذا والله الشعر المرقص لما فيه من صور حية ومعان جميلة ، ولا سيما تلك الصورة الفنية الرائعة للقوس بألوانه الجذابة واستدارته الرائعة . وقد كنت أود أن أجمع هنا ما انتثر من شعر أبى الحسن فى بطون كتب الأدب ولكنى أرجئ هذا إلى أن أظفر بشىء أكثر مما جمعت

أما عناية أبى الحسن بالعلم فما كانت أقل من عنايته بالأدب ورجاله فقد كان مغرماً بنفائس الكتب وجياد الآثار العلمية . قال الحافظ الذهبى فى تاريخ الإسلام : « كان بجامع حلب خزانة كتب

(١) يتيمة الدهر الثعالبى ج ١ ص ١١ طبعة الصاوى
(٢) المصدر السابق ص ٢٤ — ٢٥
(٣) هذا البيت فى رواية الثعالبى هو ثانى أبيات المقطوعة ، وفى رواية ابن خلكان ثالثها وقد فضلنا الرواية الأخيرة لأنها أكثر ارتباطاً وتساوقا
(٤) أنظر اليتيمة ج ١ ص ٢٤ ووفيات الأعيان طبع الميمنية ج ١ ص ٣٦٥

كان فيها عشرة آلاف مجلدة من وقف سيف الدولة وغيره». وكان معنياً أيضاً بجمع الأطالس والآلات الفلكية، فقد ذكر الأستاذ أحمد تيمور باشا أن في دار الكتب المصرية نسخة مصورة من أطلس قيم ينتظم أشكال الكواكب وأطوالها وهي مما ألف للأمير العالم سيف الدولة بن حمدان(١). وكان يستكثر من الحكماء والأطباء والفلاسفة ويقربهم من مجلسه ويشجعهم على التأليف والترجمة ونشر العلم... قالوا: وكان إذا أكل الطعام وقف على مائدته أربعة وعشرون طبيباً، وكان فيهم من يأخذ رزقين لتعاطيه علمين، ومنهم من يأخذ ثلاثة لتعاطيه ثلاثة علوم. وفي دائرة المعارف الإسلامية: «أن الفضل الذي ناله سيف الدولة بنشر العلم والأدب واللغة لهو مجد عظيم لا يقل عن مجده في أعمال السياسة والحروب(٢)»

وأما عطاياه التي كان يغدق على أهل العلم والأدب فحدث عنها ما شئت. وقالوا: إنه صنع دنانير خاصة للهبات والعطايا زنة كل دينار منها عشرة مثاقيل، وكان على هذه الدنانير اسمه وصورته(٣) وقد عقد الثعالبي فصلاً في انفجار ينابيع جوده على الشعراء. قال أبو الحسن الهمداني: كنت واقفاً في الدهاطين بين يدي سيف الدولة بحلب والشعراء ينشدونه، فتقدم إليه أعرابي رث الهيئة فاستأذن الحجاب في الإنشاد فأذنوا له فأنشد:

أنت عليٌّ وهـــذه حلب ... قد نفد الزاد وانتهى الطلبُ

بهذه تفخر البـــلاد وبالأ ... مير تزهى على الورى العربُ

وعبدُك الدهرُ قد أضرَّ بنا ... إليك من جور عبدك الهرب

فقال سيف الدولة: أحسنت، ولله أنت، وأمر له بمائتي دينار(٤). ومن هذا الإسراف والعطاء بلا حساب ما رواه صاحب اليتيمة من أن أبا فراس كان يوماً بين يدي سيف الدولة في نفر من ندمائه فقال لهم سيف الدولة: أيكم يجيز قولي وليس له إلا سيدي (يعني أبا فراس)

لك جسمي تعُله ... فدَمي لِمْ تحِله

لك من قلبي المكا ... نُ فلِمْ لاَ تحُله

فارتجل أبو فراس

أنا إن كنت مالكا ... فلي الأمر كله

(١) مجلة الهلال سنة ٢٨ جـ ٤
(٢) دائرة المعارف الاسلامية مادة سيف الدولة جـ ٢ ص ٣٦٥
(٣) اليتيمة جـ ١ ، ص ١٥
(٤) اليتيمة جـ ١ ص ١٥ — ١٦ وابن خلكان جـ ١ ص ٣٦٥

فاستحسنه سيف الدولة وأعطاه ضيعة بمنبج تغل ألفي دينار(١) وقصص ينابيع جوده على الشعر أكثر من أن تحصر فقد كان يغدق على من يقصدونه المال الجسيم ويبعث إليهم بالثياب والماشية والوصفاء(٢)

كان من نتيجة هذا العطاء الراجح واليد الطولى أن اجتمع لدى أمير حلب جمهرة من العلماء الفحول أمثال: ابن نباتة، وابن خالويه، والفارابي، وأبي علي الفارسي، وكشاجم، والخالديين أبي بكر وأبي عثمان، والصنوبري، والمتنبي، والوأواء، والببغاء، والناشئ، والنامي أبي الحسن المصيصي، وأبي الطيب اللغوي، والسري الرفاء، وأحمد البازيار، وأبي فراس، وعلي بن عبد الملك القاضي، وأبي سلامة القاضي، والطبيب عيسى الرقي ... وغيرهم من رجال الأدب والعلم الذين سنقف عند كل منهم وقفة نبين فيها آثاره من علم وأدب إن شاء الله

لم تقف حركة سيف الدولة الأدبية والعلمية على الشام فحسب بل تمدنه إلى العراق وفارس، فهذا أبو الفرج الأصفهاني يأتيه من العراق، فيستظل بظله الوارف، ويفيد من عطاياه حين يقدم إليه أول نسخة من كتابه الفريد. وهذا أبو الفرج عبد الواحد الببغاء يأتيه من نصيبين فيصيب عنده مالاً وجاهاً(٣)

وممن أفادوا من رعايته من شعراء بغداد ابن نباتة السعدي، وله في سيف الدولة شعر رائق جزاه عليه أفضل الجزاء(٤). ومن أدباء فارس أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي(٥). وكان يقول: «ما فتق قلبي، وصقل ذهني، وأرهف حد لساني، وبلغ بي هذا المبلغ إلا تلك الطرائف الشامية واللطائف الحلبية التي علقت بحفظي وامتزجت بأجزاء نفسي، وغصن الشباب رطيب ورداء الحداثة قشيب(٦)» ونحن إذا رحنا نتتبع الفضلاء الذين أموا حلب وأفادوا من سيدها وأميرها وعالمها في القرن الرابع للهجرة ذكرنا العدد الجم مما لا مجال لسرد طرف منه في مقال كهذا

ظلت بقايا هذه الحركة الحمدانية في حلب بعد أن انقرضت دولة بني حمدان؛ فنحن نجد في القرن الخامس للهجرة

(١) اليتيمة جـ ١ ص ١٥
(٢) أنظر نبذاً من هذا في اليتيمة من ص ١٤ إلى ص ١٨
(٣) اليتيمة ج ١ ص ٢٠٠
(٤) المصدر نفسه جـ ٢ ص ٣٥٧ فما بعدها
(٥) المصدر نفسه جـ ٤ ص ١٩٢ (٦) المصدر نفسه جـ ١ ص ١٠

سيجموند فرويد
العــالم النفسانى الكبير

للأستاذ صديق شيبوب

— ١ —

كانت هذه الحرب القائمة فى شهرها الأول عنـد ما حملت أنباء البرق نبى العـالم النفسانى الكبير « سيجموند فرويد » الذى أثار فى حياته حرباً كلامية وقلمية لا تقل عنفاً عن حروب المدافع والقنابل ، وأحدث فى على الطب والنفس ثورة وانقلاباً لا يقل مداها عما تحدثه المدافع والقنابل فى طبيعة الأرض وما تخلفه الحروب من تغيير فى أحوال البلدان وطبيعة العمران ونفس الإنسان

ذلك هو « فرويد » الذى توفى فى ليلة الأحد الرابع والعشرين من شهر سبتمبر من السنة الماضية ، أى منذ عام تقريباً ، فى منزله بهامستيد بانكلترا عن ثلاثة وثمانين عاماً قضاها فى خدمة العلم باحثاً منقباً ، خالقاً مبدعاً ، لا تثنيه عن عمله هجمات مناوئيه ، ولا تشغله عن أغراضه أمور الدنيا ومشاكل العالم ، مخلصاً لفكرته ، معالجاً لأبحاثه ، ساعياً وراء غاياته ، حتى ركز علماً قائماً على التحايل النفسى وعلاقته بالغريزة الجنسية ، وأحدث حدثاً لم يقتصر أثره على الطب ومعالجة الأمراض العصبية وعلى علم النفس وتداخل الغريزة الجنسية فيه ، بل تعداهما إلى الفنون والأدب .

ولد « سيجموند فرويد » بمدينـة « فريبرج » الصغيرة بالنمسا فى ٦ أغسطس سنة ١٨٥٦ وتلقى فيها التعليم الابتدائى ثم انتقل إلى فينا ودخل جامعتها ودرس الطب فيها ، بينما كان يشعر فى قرارة نفسه بزهد فى هذا العلم . وقد كان صريحاً حين كتب متحدثاً عن نفسه : « لم أشعر فى طور الشباب وبعده بميل خاص لمهنة الطبيب أو مركز الطبيب من المجتمع . » ثم أضاف إلى هذا قوله : « على أنه كان يحركنى نوع من الظمأ للمعرفة يتجه خاصة إلى الصلات الإنسانية أكثر منه إلى الأشياء

ـ على اضطرابه السياسى والاجتماعى ـ حركة علمية قوية أفاد منها أبناء الشام كافة . وليس أدل على ذلك مما حفظه لنا أبو عبد الله الكاتب الأصبهانى فى « خريدة القصر وجريدة أهل العصر [1] » من الشعراء والأدباء الحلبيين والشاميين فى القرن الخامس ممن لم نسمع بذكرهم ولا يعرف عنهم الأدباء المعاصرون شيئاً [2] ، فإن نظرة واحدة إلى ما احتواه هذا السفر القيم من تراجم الأدباء الشاميين تؤيد ما نريد الذهاب إليه من أن الحركة الأدبية التى قام بها سيف الدولة ظلت تنتج حتى أواخر القرن الخامس . وممن أفاد من هذه الحركة أبو العلاء المعرى ، فقد ذكر ابن العديم المؤرخ الحى فى رسالته (الإنصاف والتحرى [3]) أن أبا العلاء بعد أن تلقى العلم واللغة والنحو بمعرة النعمان على والده … دخل وهو صبى إلى حلب ، فقرأ بهـا على محمد بن عبد الله بن سعد النحوى راوية أبى الطيب المتنبى وعلى أبى بكر محمد بن مسعود النحوى . . . وممن أفاد من هـذه الحركة أيضاً ثابت بن أسلم الشيبى قيم خزانة حلب وكان من كبار النحاة والقراء [1] ، ومنهم على بن منصور بن طالب المعروف بابن القارح وهو الذى كتب إلى أبى العلاء رسالته المشهورة فأجابه أبو العلاء برسالة الغفران [2]

أما بعد فهذه صفحة من صفحات تاريخ حلب الأدبية الخالدة التى خلفها ابن حمدان فرفع اسم حلب عالياً وخلده فى سجل الأدب العربى ، وما يضير ابن حمدان أن يأخذ عليه بعض المؤرخين أنه كان جائراً على رعيته فإنه ما كان يجور عليها إلا ليحارب العدو بأموالها أو لينفقها فى سبيل تعليمها وتأديبها .

محمد أسعد طلس

---

(١) من هذا الـكتاب بضعة أجزاء فى المكتبة الوطنية بباريس

(٢) كنت عزمت وأنا فى باريس على تصوير القطعة الخاصة من الخريدة بشعراء حلب ودمشق بمشاركة شاعر الشام الصديق العلامة خليل مردم بك ولـكن الظروف الحاضرة حالت دون ذلك ، والله المسئول أن يسهل لنا هذا بعد أن تزول السحابة السوداء الحالية

(٣) هذه الرسالة فى ٤٦ صحيفة نشرها بكاملها محمد راغب الطباخ فى الجزء ٤ ج ٧٨ من تاريخ إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء والرسالة مملوءة بالتحريف حرية بأن يعاد نشرها مضبوطة مصححة

(١) أنظر أعلام النبلاء ج ٤ ص ١٩٨

(٢) أنظر المصدر السابق ج ٤ ص ١٩٨ فما بعدها

الطبيعية . » وإذا عرفنا أنه ليس فى علم الطب مادة تعرف بالصلات الإنسانية فهمنا كيف وصف نفسه بأنه كان يؤدى واجباته فى الأبحاث الجامعية « فى كثير من الإهمال » وكيف وجه دروسه فى الوقت نفسه إلى اتجاهات أخرى . على أنه بالرغم من هذا التقصير وذلك الزهد فاز بشهادة الطب سنة ١٨٨١ ، وكان فى مؤخرة الناجحين

لم تكن مهنة الطب لتغرى ذلك الطبيب الشاب بالرغم من فقره وحاجته إلى دخل يعيش به . فدفعه ميله إلى علم النفس إلى التخصص فى مادة تتصل بهذا العلم وهى تشريح المخ والتحليل النفسى عامة ، لأن الطب لم يكن قد قرر أن لكل فرد حالة نفسية يجب فحصها ودرسها على حدة ، وهو ما استحدثه فيه « فرويد »

وقد تتلمذ فيما تخصص له على أستاذين اشتهرا بعلم التشريح وهما « بروك » و « مينير » فلم يلبثا أن لمسا فى الطالب ميلاً طبيعياً إلى الاستكشاف المبدع

نال « فرويد » سنة ١٨٨٥ درجة (أجريجاسيون) فى علم الأعصاب ، وهى درجة يحسد عليها لأنها تدر عليه المال الوفير ، ولكنه عندما أخذ يعالج مرضاه برزت فيه ميزة خاصة لازمته طول حياته وهى طول المراقبة وإنعام الفكر فى الأسباب والنتائج

كان يعرف أن الأساليب التى كان أطباء (فينا) يتبعونها فى معالجة المصابين بالأمراض العصبية غير ناجعة ولا شافية ، وكان قد بلغه كيف طرد شر طردة من عاصمة بلاد النمسا « فرانز أنطون ميسمر » حين شاء أن يدخل التنويم المغناطيسى على الطب ، فضاق فرويد ذرعاً بحالته ولم يجد له وسيلة ليتخلص بها من سيطرة أساتذة الجامعة على الأطباء عامة

فى تلك الحقبة من عمره بلغه أن بباريس طبيباً يعالج الأمراض العصبية والنفسية على طريقة تختلف تمام الاختلاف عن طريقة الأطباء النمساويين ، وهو «شاركو» المتخصص فى علم تشريح الدماغ ، وأنه يقوم بتجاريب عجيبة بوساطة ذلك الفن المستحدث الممقوت فى بلاده ، وهو التنويم المغناطيسى . فسعى « فرويد » حتى حصل على إعانة من الحكومة تساعده على السفر إلى باريس . وقد سافر فعلاً فى سنة ١٨٨٦ فوجد فيها جواً غير الجو الذى ألفه من قبل ؛ وطالع كتاب الطبيب الفرنسى الكبير المسمى « الإيمان الشافى » فعرف الوسائل التى يدرس مؤلفه بواسطتها الحالات النفسية التى أحاطت بالعجائب التى روتها كتب الدين والتى كان الطب ينفيها إلى ذلك العهد

شهد « فرويد » لأول مرة فى حياته طبيباً يأبى أن يرى فى (الهستريا) مرضاً يصطنعه العليل أو يتظاهر به ، كما كان يقرر أطباء النمسا ، ويعترف بأنها مرض نفسى ، بل لعله أجدر أنواع هذا المرض بالعناية والاهتمام ، ويدلل على أنه نتيجة اضطرابات داخلية يجب أن تكون لها أسباب نفسية . وقد برهن « شاركو » فى محاضراته على أنه يستطاع شفاء هؤلاء المرضى بالإيحاء فى حالات تنويمهم مغناطيسياً لأن عللهم خاضعة للارادة وليست ظاهرة جسمية

تأثر « فرويد » بما طالع وسمع وشاهد ، وعرف أن باريس من يعترف بأنه فى معالجة الأمراض العصبية ، لا يجب أن يحسب حساب الأسباب الناتجة عن الطبيعة فقط ، بل الناتجة عن النفس وما وراء النفس أيضاً

وعرف « شاركو » قدر تلميذه كما عرفه من قبل أساطين الطب النمساوى فقربه إليه ، وصيره من أخصائه ، ورغب إليه فى نقل كتبه إلى الألمانية

أقام «فرويد» بباريس شهوراً معدودة ، ثم عاد إلى وطنه ؛ وكان يشعر أن « شاركو » يسلك فى علمه طريقاً غير الطريق السوى الذى يحلم به ، لأن «شاركو» كان لا يزال يعنى بالجسم ولا يتوجه تماماً إلى ما يجب أن يتوجه إليه من الناحية النفسية . على أن هذه الشهور التى قضاها بباريس أذكت فى نفس الطبيب الشاب إرادة حملته على التحرر من الماضى ، وشجاعة دفعت به إلى السير فى النهج العلمى الذى اختطه لنفسه

قدم « فرويد » إلى الجامعة ، بعد عودته من باريس ، تقريره عن الدروس التى شهدها والعلوم التى استفادها والنتائج التى انتهى إليها . فابتسم أساتذتها عندما طالعوا فيه أن فى الإمكان استحداث عوارض الهستيريا فى الجسم العليل ، وضحكوا عندما انتهوا إلى أن هذا الداء يصيب الرجال أيضاً . وكان هؤلاء الأساتذة يعطفون عليه فى أول أمره ، ولكنهم أخذوا يزدرونه عندما رأوه يمعن فى آرائه ولا يحيد عنها . فأقفلوا فى وجهه باب الجامعة ، ونحوه

عن جمعية الأطباء ، فلم يفز بكرسي مدرس فوق العادة إلا بعد لأي ، وبعد أن توسطت له مريضة سرية من اللواتي عالجهن ، وكانت ذات نفوذ فعال . وقد ظل طيلة حياته أستاذاً ملحقاً غير أصيل . وعندما احتفل ببلوغ السبعين من عمره لم تعن جمعية الأطباء بتهنئته

على أن هذا جميعه لم يفل من عزيمة « فرويد » ولم يحط من جهوده ، فقد أكب على العمل منذ صباه جاداً مجتهداً وعاش حياته كلها على وتيرة واحدة

أقام «فرويد» أكثر من سبعين سنة بمدينة فينا لا يغادرها؛ وقد رحل عنها بعد أن اضطر إلى ذلك اضطراراً عندما ضمت ألمانيا النمسا إليها وفرض النازيون في هذه البلاد قوانينهم الجائرة على اليهود ، وقد كان يهودياً ، فكان من الأفراد القلائل الذين أجيز لهم مهاجرة النمسا وأخذ ما يكفيهم حاجتهم في الحياة

وقد سكن ، أثناء إقامته بفينا ، أربعين سنة في منزل واحد لم ينتقل منه إلى غيره ولم يبدل في أقسامه وأثاثه ؛ فهنا مكتبته وهناك عيادته التي يستقبل فيها مرضاه ، وهذا مجلسه للمطالعة ، وذاك مكتبه للكتابة والتأليف

وبالرغم من أنه رب عائلة ، ووالد ستة أولاد ، فقد كان يقوم بعمله بنفسه لا يحتاج فيه إلى مساعد ، ولا يعرف شهوة غير شهوة العمل والمهنة

لم يضيع لحظة من وقته الثمين سعياً وراء مظاهر باطلة وطلباً لألقاب زائلة . وقد كانت آلاف الأسابيع التي تألفت منها حياته تتتابع متشابهة متماثلة في دائرة العمل والاجتهاد ، ولا يستثنى منها غير المحاضرات التي كان يلقيها بالجامعة في كل أسبوع من شهور التعليم ، وغير مأدبة ثقافية على الطريقة السقراطية كانت تجمع طلبته حوله في مساء كل يوم أربعاء ، وغير اشتراكه في لعب الورق بعد ظهر كل يوم سبت

أما فيما عدا هذه الساعات القلائل فقد كانت كل دقيقة محسوبة عليه يستعملها في معالجة المرضى أو المطالعة أو الكتابة أو الأبحاث العلمية . وكان هـذا الرجل الجبار يكتفي بساعات معدودة للراحة والاستجمام ينام فيها نوماً عميقاً ثم يقبل بعدها على العمل بكل ما فيه من حيوية هائلة وإرادة قوية

كان « فرويد » يعمل نهاراً في عيادته فيستقبل عشرة مرضى أو أكثر ، ويدرس حالة كل واحد منهم فاحصاً مدققاً مكتنزاً في ذاكرته كل مظهر من مظاهر عللهم، فإذا أقبل الليل انقطع إلى عمله الخالق المبدع القائم على تدوين النتائج التي انتهى إليها مما شاهده في النهار

ولا شك أن هذا النشاط العجيب يحتاج صاحبه إلى صحة قوية وجسم سليم . وقد كان « فرويد » كذلك . فهو لم يعرف المرض في سني حياته الطويلة ، ولم يشعر بتعب أوونى ، ولم تفتر همته ولا ضعفت أعصابه أو تلاشت قدرته على العمل

وقد أخذ نفسه في حياته العقلية بالصرامة التي أخذها بها في حياته العادية حتى صار مبدأه الوضوح في أعمال الرأي والتفكير والعمل ، وصار التحليل غريزة في نفسه لا يستطيع الانفكاك منها

كان لا يهتدي في تفكيره بغير آرائه الخاصة؛ لذلك كان إذا عرض له أمر ولم يتبين له تفسير يرضى به عقله أبى أن يتخذ من رأي غيره تُكأة للوصول إلى غايته ، وظل يبحث ويدقق ويفكر حتى يبلغ قصده

كان قاسياً في تصرفاته ، عنيفاً في جدله ، صارماً في أوامره ، دقيقاً في تحليله ، جلداً في البحث عن الحقيقة ، حـذراً من أن يخطئ في هذا البحث ، لذلك لم تكن آراؤه مرتجلة وليدة الحدس أو الصدفة . فقد كان يدير الفكرة في نفسه سنين حتى إذا ثبت له أنها صحيحة أبرزها في جرأة وحرية . وقد صدق من وصفه بأنه كان بطيئاً في الوصول إلى الحقيقة ، ولـكنه إذا استقر على رأي صار من الصعب نقضه .

(البحث صلة)

صديق شيبوب

عراك فى معترك ...

أى معـــــترك !

للأستاذ زكى طليمات

(بقية المنشور فى العدد ٣٧٨)

بعد هذا التمهيد نزل إلى مناقشة الأستاذ متولى ، وإن كنا فى غنى عن ذلك

يدعى الأستاذ، حفظه الله، أن بشر فارس فى مقدمة مسرحيته « أراد أن يفسر الفنون الرمزية فطمسها » . وحجته فى ذلك كما يقول : « أن بشر فارس يحدثنا فى مقدمته بالنزوع الصوفى ناسياً الفرق بين الرمزية الصوفية التى تفيض عن المخيلة والشعور ، والرمزية الفنية التى تعتمد على المخيلة مضافاً إليها عنصر عقلى ، كما يقول (ريبو) فى كتابه (المخيلة الخلاقة) » وهكذا يقرر متولى أن بشر يخلط بين ألوان الرمزية !

وقد رجعنا إلى هـذا الكتاب وتتبعنا ماذهب إليه متولى فوجدنا — ويا للعجب — أن كلام (ريبو) لا ينطبق على ما عناه متولى بالرمزية الفنية ، بل هو كلام ينطبق على الرمزية الصوفية إذا اتجهت نحو ما وراء الطبيعة. وإلى القارئ نص (ريبو) كما ورد فى كتابه المذكور المطبوع فى باريس صفحة ١٩٦ :

"Orienté dans le sens religieux, le symbolisme mystique suppose deux éléments principaux; l'imagination et le sentiment. Orienté dans le sens métaphysique (ou philosophique), il suppose l'imagination et un élément rationnel assez faible."

وترجمة هذا : « إن الرمزية الصوفية فى اتجاهها إلى الدين تعتمد على عنصرين أساسيين ، هما المخيلة والشعور . فإذا ما اتجهت إلى الفلسفة أو ما وراء الطبيعة ، فإنها تعتمد على المخيلة مضافاً إليها عنصر عقلى واهن »

وعليه فالأستاذ متولى هو الذى يخلط خلطاً صريحاً بين (الرمزية الفنية) وبين (رمزية ما وراء الطبيعة) ، على ما فى كلام (ريبو) من الوضوح !

وقد تحدث (ريبو) عن هذه (الرمزية الفنية) فى غير هذا المقام[1] ، وذلك عند معالجته الرمزية فى الأدب ، أو بعبارة أخرى ، عند حديثه عن المخيلة الخاصة بطريقة الأدباء الرمزيين فى أواخر القرن التاسع عشر ، وهى مخيلة تقوم على قوة العاطفة والانفعال .

***

وثمت تعسف آخر : يقول الأستاذ متولى ، مستنداً إلى (ريبو) أيضاً : « إن الرمز فى الفن هو أن يفقد بعض الألفاظ استعماله المقول المعروف ليدل على معنى جديد » ، وعلى ذلك فتولى يخطئ بشر فارس إذ يقول فى مقدمة مسرحيته: إن الرمز الذى بنيت عليه المسرحية « بعيد أن يكون لوناً من التشبيه أو الكناية إلى غير ذلك من ضروب المجاز بل هو صورة ، أو قل سرب صور ينتزعها المنشئ من المبذول »

ونحن لا نعرف وجهاً لهذه التخطئة إلا أن يكون كلام بشر خارجاً عما يفهمه متولى من الرمزية . ويؤسفنا أن نذكر متولى بحقيقة كان يجب ألا تغيب عن ذهنه ، وهى أن بشر فارس حر فى أن ينحو النحو الذى يوافق هوى نفسه من ألوان الرمزية المستحدثة ، وأن يعرض عن (ريبو) . ويؤسفنا أيضاً أن نقول لمتولى ، إن الرمز عند (ريبو) ـ وذلك فى حدود الجملة السابقة لا يخرج عن (المجاز) ، إذ المجاز عندنا (هو اللفظ المستعمل فى غير ما وضع له لعلاقة) ، ومن ذلك ما يعرف فى باب (الكناية) بالرمز ، وهو الكناية التى قلّت الوسائط فيها وخفيت

وغريب ألا يفطن متولى إلى هـذا ، لا سيما بعد أن نبه بشر فارس إلى ابتعاد طريقته عن مثل هذا الرمز ، فأورد فى (مقدمته) : « إن مسرحيته مجراة على الطريقة الرمزية إذا شئت » ، ثم وضع بشر بعد ذلك فصلاً فى هذه المجلة شرح فيه لم قال « إذا شئت » ، فدلّ على أن الرمزية التى انساق إليها وارتاح ، هى شيء بين (التأثرية) و (التعبيرية) ، وقوامها الحياة الباطنة ، واعتمادها الاضطراب الدفين ! ...

***

من هذه المآخذ المتسقة فى نقد مقدمة المسرحية ، انساب الأستاذ بقلمه إلى المسرحية نفسها متسائلاً « ما قيمتها كقطعة رمزية ؟ » وسرعان ما أفتى بعد ذلك ، وبلسان (ريبو) ، فقال « إن ريبو فيلسوفنا نفسه يقرر أن الرمزية تستخف بتمثيل العالم الخارجى تمثيلاً صادقاً ... فإذا الناس والأشياء لا تنطبع بزمان أو مكان ... وقد تمعن فى الإبهام فتقول هو ـ أو ـ هى ـ أو ـ

(١) نفس الكتاب ص ١٦٩ — ١٧١

أحدهم » ، فهل هذا مستوفى فى مسرحية بشر فارس بعد أن أسمى بطلة مسرحيته (سميرة) ، وبعد أن حدد المكان الذى جرت فيه حوادث المسرحية وهو مصر ؟

وجوابنا على هذا :

١ — أن (ريبو) قال « وقد تمن » ، و« قد » هنا للتقليل ، وكان أن رجعنا بدورنا إلى النص الفرنسى فوجدنا أن « قد » هذه تساوى كلمة « Quelquefois » أى أن الإمعان فى الإبهام ليس أمراً لازماً

٢ — لو أحسن الأستاذ متولى استيعاب التبيين الذى عمله بشر عن شخوص مسرحيته فى النسخة المطبوعة لأحجم عن هذا المأخذ ؛ فقد جاء فى ذلك التبيين أن (هو) — أى بطل المسرحية — عنوان الإنسان العادى المنشأ فى حلقة المواضعات الاجتماعية » أما (سميرة) ، فقد بيّن المؤلف فى نفس التبيين أنها امرأة معينة . فمن المعقول أن يكون البطل (هو) لأنه عنوان لفئة غالبة من الرجال فى مصر ، وأن تكون (سميرة) ـ سميرة ـ لا (هى) ، لأنها ليست عنواناً لفئة خاصة

٣ — أن الأستاذ متولى أشكل عليه الأمر بين لون الرمزية عند (ريبو) وبين لونها عند بشر فارس ، وأنه يعتبر رمزية (ريبو) هى ما انتهت إليه الرمزية المستحدثة . والأمر غير ذلك ، فإن (ريبو) لم يفرض لونه فى الرمزية إلا على بعض الكتاب الرمزيين فى أواخر القرن الماضى ، وفى مقدمتهم المؤلف المسرحى (ماتيرنيك) الذى وضع أكثر رواياته قبل عام ١٩٠٠ . فهل يريد الأستاذ متولى ، وقد قطعت الرمزية مراحل بعد (ريبو) ألا يؤلف المعاصرون الذين يعيشون فى عام ١٩٤٠ إلا بحسب نظرية عمرها نصف قرن تقريباً ؟

بعد هذا نقول إنه ليس للأستاذ متولى أن يفرض على مؤلف معاصر وضع مسرحية رمزية وفاقاً لمخرجات نظرية فلسفية سجلت عام ١٩٠٠ ، وهو العهد الذى كان الأدب الرمزى فيه لم يتخط طوره الأول . وإنه لا يجمل بالأستاذ متولى — وهو ماجستير فى الفلسفة — أن يقف علمه بالرمزية وعلم النفس عند ما كتبه العلماء فى القرن الماضى ، فالعلم يتقدم ، والنظريات تتحور ، وإلاّ فما قيمة ما كتبه (بيرجسون) و (وليم جيمس) ، وهما العلمان البارزان فى عالم الفلسفة المعاصرة ، وما نفع مسايرة الأدب للعلم فى تقدمه وفى مستحدثاته ؟

زكى طليمات

قداســة النقــد

لبرنارد شو

لا يمكن للحضارة أن تتقدم بلا نقد ، ولذلك يجب أن تنقذ نفسها من الركود والتعفن بأن تعلن براءة النقد، ولكن هذه البراءة لا تكون للآراء الطريفة اللذيذة ، أو الحكيمة المحترمة فقط ، بل أيضاً للآراء التى تصدم من لم يألفوا النقد وتبدو لهم كأنها داعرة أو ثورية أو تدعو إلى الزندقة والكفر ؛ ولمن يدافع عن إبليس فى حق البقاء إذ لعله يكون بشيراً للمستقبل . وهناك صعوبة فى التمييز بين الناقد والمعتوه والمجرم، وكذلك بين حرية القول وحرية العمل . فقد يكون من الضرورات الحيوية اللازمة للأمة أن تجيز لأحد الأشخاص الدفاع عن العرى ، ولكن قد لا يكون من الصواب أن تترك هذا الشخص يسير وهو عريان فى شارع كبير فى لندن. وكذلك الحال فى كارل ماركس ، فإنه كان مقدساً حين كان يكتب ويؤلف فى الاشتراكية فى قاعة المتحف البريطانى. ولكن لو أن كارل ماركس هذا رفض أن يؤدى أجرة منزله لصاحبه، وأرسلها بدلاً من ذلك إلى وزير المالية ، وقتل وكلاء المالك الذين جاءوا لتحصيل الأجرة، أو أطلق الرصاص على المحضرين الذين جاءوا لتوقيع الحجز على أثاثه أو إخراجه من المنزل ، لما استطاع أن يدفع عن نفسه حكم الإعدام بالشنق بدعوى حرية النقد . ومعنى هذا أنه لا يمكن للقاضى أن يأذن للناقد بالعمل وفق نقده إلا إذا غير القانون . ونحن ناقصون فى التربية الدينية نقصاً خطراً حتى إن كثيراً منا يحسبون أن لهم الحق المطلق فى تغيير أخلاق الأمة لمجرد أنهم هم غيروا آراءهم. ومن الناس من لا يفهمون غير المعنى الغامض للاشتراكية ويعتقدون أنها تعنى حالاً من الاجتماع ينزل فيه كل إنسان عن كل ما يملك لكل إنسان آخر . ويسألوننى من وقت لآخر لماذا لا أنزل عن ممتلكاتى وأعيش فى فقر ما دمت اشتراكياً ؟ ومن الناس من يتخيلون أن الاشتراكيين يجب ألاّ يقتنوا السيارات. وقد أوشك بعض هؤلاء أن ينجحوا فى أن يجعلوا اقتناء رئيس الوزارة لسيارة خاصة من المسائل العامة التى تستدعى البحث والمناقشة ، وذلك حين كان المستر مكدونالد اشتراكياً . ولو أن هؤلاء المتوهون أدركوا حق الإدراك ما يقولونه لعرفوا أنهم مخطئون حين يفرضون أن الناقد الذى يكره النظام القائم يمكنه أو يجب عليه أن يعيش كما لو كان يعيش فى طوباه ، أى فى النظام الخيالى الذى يتخيله . وذلك أن كل ما يمكنه أن يحسب شاذاً فى بعض سلوكه الذى تتسامح فيه الهيئة الاجتماعية .

اسكندر البطرسى

الليـــل ...

[مهداة إلى الأستاذ الزيات ...]

للأستاذ أنور العطار

هَذَا هُوَ اللَّيْلُ الدَّجِيُّ الإطارْ   قد احتوى الشمسَ وضمَّ النهارْ
ألقَي وِشَاحاً حَافِلاً بالرُّؤى   عَلَيْهِ مِنْ سِحْرِ الدَّرَارِي نِثَارْ
طفَتْ عليهِ صُوَرٌ حُـلْوَةٌ   مَنْسُوجَةٌ مِنْ أَلَقٍ وَافْتِرَارْ
تلألأتْ أَنجُمُـهُ بالسَّنَا   وَرُصِّعَتْ أفلاكُهُ بالنُّضَارْ
وَهَبَّ مَلْكُ اللَّيْلِ يغْرِى الرُّبا   وَيَفْتِنُ النَّهْرَ وَيُصْبِي الدِّيَارْ
وَزَوْرَقُ الأحْلامِ فى زَهْوِهِ   حامَ عَلَى عَذْبِ مُنَاهُ وَدَارْ
تَحْمِلُهُ المَوْجَـةُ ثَرْثَارَةً   مُنْشِدَةً فى صُعُدٍ وَانْحِدَارْ
والشَّطُّ مَغْمُورٌ بِأَصْدَائها   مَشَى عَلَيْهِ خَشْيَةٌ وَانْكِسَارْ
والنَّخْلُ مَفْتُونٌ بِلَحْنِ الهَوَى   مَاجَ بِهِ الشَّوْقُ طَوِيلاً وَمَارْ
يُصْغِى إلى الأَنْغَامِ عُلْوِيَّةً   وَمَا غِنَاءُ الحُبِّ إلاّ ابْتِكَارْ

تَوَهَّجَتْ فَحْمَةُ هَذَا الدُّجى   فَشَاعَ فى الآفَاقِ مِنها شَرَارْ
يا حُسْنَهُ مِنْ عَالَمٍ سَاحِرٍ   يكْتُمُ النَّجْوى وَيُخْفِي السِّرَارْ
باحَ لهُ القَلْبُ بِأَشْجَانِهِ   وَمَا يُعَانِي مِنْ رَسِيسِ الأُوَارْ
والمُقْلَةُ الحَمْرَاءُ مِنْ سُهْدِهَا   نَاجَتْهُ لَهْفِي بِدُمُوعٍ غِزَارْ
الأَمَلُ الرَّفَّافُ عَنها انْطَوَى   وَبُلْبُلُ الحُبِّ تَغَنَّى وَطَارْ

السَّـامِرُ انْفَضَّ بِأُلاَّفِهِ   وَغَابَ فِي حُلْمٍ شَهِيِّ القَرَارْ
وَالرَّكْبُ أَغْفَى بعد طُولِ السُّرَى   وَلَمْ يَعُدْ يُلْمَحُ فِي الأَرْضِ سَارْ
وَنَامَتِ الأَدْوُرُ حتى الكُوَى   جَلَّلَهَا النَّوْمُ بِضَافِي الدِّثَارْ

يا هَاجِرِى لَمْ تَكْتَحِلْ مُقْلَتِي   بالغُمْضِ مُذْ غِبْتَ وَشَطَّ المَزَارْ
القَلْبُ مِنْ بَعْدِكَ مِلْكُ الجَوَى   مُعَذَّبٌ مُخْتَطَفٌ مُسْتَطَارْ
حَذِرْتُ أَنْ نُرْمَى بِسَهْمِ النَّوَى   فلم يُفِدْ إلاّ الرَّزَايا الحِذَارْ
وَحَظُّنَا العَاثِرُ أَوْدَى بنا   وَمَا يُرَجَّى أَنْ يُقَالَ العِثَارْ
هَلْ غَشِيَتْنَا عَادِيَاتُ الرَّدَى   أَمْ هَلْ بَغَى الدَّهْرُ علينا وَجَارْ
أَظَلُّ حَيْرَانَ أُنَاجِي المُنَى   كأَنَّنِى فِي غَمَرَاتِ العُقَارْ
أَذْكُرُ العَهْدَ فَأَبكِي أَسًى   وَمَا حَيَاةُ القَلْبِ إلاّ ادِّكَارْ
اللَّيْلُ ذُو الأَنْجُمِ أَفْنَيْتُهُ   مِنْ شِقْوَتِي فِي رِقْبَةٍ وَانْتِظَارْ
وَالسُّهْدُ أَضْنَانِى وَلَوْلاَ الهَوَى   مَابِتُّ نَهْبَ الشَّجْوِ رَهْنَ النُّبَارْ
أَقْتَاتُ بالوَهْمِ الذى مَضَّنِي   وَلَمْ يَدَعْ لِلرُّوحِ إلاّ البَوَارْ

يا هاجرى أَوْسَعْتَنِي حَسْرَةً   قَلبِي مُعَنًّى وَالجَوَى مُسْتَثَارْ
أَعِيشُ لِلْبَلْوَى وَمُرِّ الضَّنَى   فِي نَاظِرِى جَمْرٌ وَفِي الصَّدْرِ نَارْ
يَشُوقُنِي الحُبُّ وَأَوْجَاعُهُ   وَما حَوَى مِنْ قَلَقٍ أَوْ إِسَارْ
وَأَنْتَشِي مِنْ ذِكْرَيَاتِ الهَوَى   كأَنَّمَا تِلْكَ الأَمانى خُمَارْ

يا هاجِرِى لَمْ تَرْعَ عَهْدَ الهَوَى   أَسْرَفْتَ فِي الصَّدِّ وَزِدْتَ النِّفَارْ
أَفِقْ تَجِدْنِى سَاهِمًا سَاهِدًا   لَيْسَ لِهَذِى الروحِ عَنْكَ اصْطِبَارْ
وَتَلْمِسِ الشَّوْقَ الذى شَفَّنِي   مُحْتَـدِمًا فِي لَهَبٍ وَاسْتِعَارْ
أَوْجَعَ قَلْبِي وَأَثَارَ الجَوَى   وَهَاجَ مِنِّي الحَسَرَاتِ الحِرَارْ

... ...

الأُفْقُ مَحْجُوبٌ بِسُحْبِ الدُّجَى   وَالكَوْنُ مَسْدُولٌ عَلَيْهِ سِتَارْ

عينـــاك ...

للأستاذ خليل شيبوب

أَسْكَرَتْنِي عَيْنَاكِ إذ سَقَتَانِي   خَمْرَةَ اللَّحْظِ أَيْنَ منها الحُمَيَّا
نَبَتَتْ فى عَيْنَيَّ عَيْنَاكِ حَتَّى   أَصْبَحَ اللَّحْظُ مِنْهُمَا لِي رَئِيًّا(١)
وَهُمَا زَهْرَتَا حَيَـاتى وَنَجْمَا   عُمُرِى والهَوَى مَلِيًّا مَلِيًّا
وَهُمَا لِي مِرْآةُ عَيْنَيَّ يَبْدُو   فِيهِمَا لِي مَرْأَى الحياةِ جَلِيًّا
أَيْنَمَا سِرْتُ قَابَلَتْنِيَ عَيْنَاكِ   هُدًى لى واسْتَهْوَتَا عَيْنَيَّا
فِي غُدُوِّى وفى رَوَاحِي وفى اليَقْـ   ـظَةِ وَالحُلْمِ إِنْ أَنَا نِمْتُ شَيَّا
وَإِذَا ما قَرَأْتُ طَالَعَتَانى   فِي كِتَابِى وَاسْتَغْصَتَاهُ عَلَيَّا
وَإِذا ما شَرِبْتُ كَأْسِي أَرَى فى الكَأْ
سِ عَيْنَيْكِ تَنْظُرَانِ إِلَيَّا

(١) الرئى : التابع من الجن

إلى النشيد الهارب !

[مهداة إلى الأخ الحبيب الشاعر النابغة الأستاذ « صالح جودت » عجل الله بشفائه ورده إلينا معافى سالما]

للأستاذ مختار الوكيل

أين أزمعتَ هاربًا يا نشيدى ؟   كيف خلفتنى رهين قيودى
كيف راودتنى بحلمٍ سعيد ؟   ثم أرّقتنى بهمٍّ شديد ؟
كنتَ مَنَّيْتَنِي بِعُشٍّ فريدٍ   مشمسٍ باسمٍ نضير الورود !
أتغنَّى فيــه بلحن الخلودِ   فتطيبُ الحياةُ بالتغريد !

أين ما كان بيننا يا نشيدى   من عهودٍ مرعيةٍ ووعود ؟
من وفاقٍ وصحبةٍ ووفاء   وصفاء مُنَزّهٍ ممـــدود ؟

كنتَ علمتنى صراع الليالى   كنت زوّدتنى بقلبٍ جديد
كنتَ أعليتني على النجمِ غِرّيــداً ، وألهمتني قصيدَ الخلود !
كنت أسلمْتَنِي قلوبَ الغوانى   كنت أمتعتني بكل فريد !
كيف خلّفتنى رهينَ ظلامى؟   كيف بالله خنتنى يا نشيدى ؟

آدميًا أصبحتُ أمشى ثقيلاً   في قيودٍ خليقةٍ بالعبيــد
سادرًا، أخرسَ الشفاه ، حزيناً   غارقاً فى كآبتى وشرودى !
تملأ البسمةُ الشقيَّةُ وجهى   وينمُّ الذبول عن تسهيدى !

عُدْ كما كنتَ مُلهِمِي يانشيدى   لا تَدَعْنِي مُكَبَّلاً بقيودى !
عُدْ فما أرتجِي سِوَاكَ صَديقاً   ومُعِيناً على الحظوظ السُّودِ !
عُدْ تَعُدْ لى الحياة بعد أُفولٍ   وأغنِّ الأنام لحنَ الخلود !

الى الملاح التـــائه

[مهداة إلى الأستاذ على محمود طه]

للسيد أحمد عبد الجبار

أيها التائه فى بحر الحياه   تضرب المجداف يمنى ويسار
خذ بأيدينا إلى شط النجاه   واشدنا لحن كنار وهزار

أترك القارب بين اللج يطفو   وأدر حيزومه نحو النجوم
عله يتركُ هــذا البحر يغفو   ويغُذِّ السير فى بحر الغيوم

طفْ بنا فوق البرارى نتملى   حسن هذا الكون من برج السماء
واشـــدد الأوتار كيما نتولى   ساحة الأحلام فى صحن الفضاء

خلّ لى التجذيف واشرع بالغنـاء
واسكب الألحان فى صدر النسم
علها تحمـــل عنا ذا العناء   وتذيب العطر فى ثغر النغم

أيها الملاح ما هــذى الدُّنا   حل فى أرجائها سم الظلامْ
ملئت فيها ترانيــل السنا   وطغت فيها أحابيل الحرام

دع شراع الفلك يحمينا الخنا   واترك المزهر فى أيدى القصيد
نجميل الشعر دارات المنـــا
ينعش السكرى ويحيي من جديد

مر بنا يا فلك نحو المستحيل   وامش ياقارب صوب اللانهايه
فسكون الليل براق جميل   وعيون الله تومى بالهدايه

يا لطير الليل ما هذا المزيج   يا لقلب النجم ما هذا القلق
كل مافى الكون يسرى فى ضجيج   وضجيج الروح أحلى وأرق

آهة الأقدار فى كاس هوانا   ونعيم الخلد فى بحر الغيوم
غننا يا خل واطرب من غنانا   واشرب الراح على رقص النجوم

ها هو الشاطئُ قد طل علينا   وبدا وجه الروابى والفنار
واقفٌ جبريل مشتاق إلينا   وعلى أيكتنا رضوان خار

هذه الحور بأثواب الحبور   شفها الوجد وأضناها الغرام
قادمات نحونا تبدى السرور   فاغضض الطرف وبادر بالسلام

ها هنا جنتنا فارخ الشراعْ   واطوِ هذا القلع فوق الساريه
ودّع البحر فقد آن الوداع   وابق يا ملاح رب القافيه ...



تأملات:

بين الكواليس . . .

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

بدأوا يستعدون للموسم التمثيلي الجديد ، وسيكون موسماً حياً بإذن الله ، وستكون بدايته حافلة ببعض الروائع التي طال اشتياقنا إلى أمثالها . فأم كلثوم تعرض في هذا الأسبوع « دنانير » ، وهي أوبريت موسيقية ساهم في تلحينها كل من : زكريا أحمد ، ومحمد القصبجي ، ورياض السنباطي . والفرقة القومية تعرض في هذا الأسبوع أيضاً « يوم القيامة » ، وهي أوبريت كذلك ، انفرد بتلحينها زكريا أحمد ، ووضع أزجالها بيرم التونسي ، وأخرجها عمر جميعي . وملك تعرض هي أيضاً في هذا الأسبوع مسرحية بدوية زجلية لبيرم التونسي ، لحنت هي أغانيها وأناشيدها . ونجيب الريحاني مشغول في هذه الأيام بإعداد روايته الجديدة التي يظن أنه سيستطيع أن يفرغ منها في هذه الأيام ليبدأ العمل بها في رمضان ، والتي أظن أنا أنها ستتمطل بين يديه قليلاً أو كثيراً حتى يتم له إخراجها على النحو الذي يرضيه هو تدقيقاً وتنميقاً . ويوسف وهبي قد أعلن عن المسرح الجديد الذي سيحتله هذا العام ، وإن لم يكن قد أعلن عن روايته الجديدة ؛ ولكن يوسف مضمون من حيث محافظته على المواعيد ، فهو يستطيع أن يؤلف رواية في يوم وأن يخرجها في يوم ، وأن يطالع بها الجمهور في اليوم الثالث ، وهو واثق من أن الجمهور سيرضى بها وسيرضى عنه . . .

وقد خطر لي أن أقوم في هذا الأسبوع بجولة « بين الكواليس » ، لأرى كيف يهيئ هؤلاء الفنانون عملهم ، فرأيت ، وكما رأيت تذكرت حوادث قد يلذ للقراء أن يطالعوها :

اضربني يا علام . . .

كان على الأستاذ جورج أبيض أن ينطلق إلى المسرح ساخطاً هائجاً في موقف من مواقف « عطيل » أو « لويس » لا أذكر . . . وراح الأستاذ جورج يهيج نفسه ويثير فيها ألواناً من الغضب الصناعي يستعين به على الاندماج في الدور ، ولكن نفسه كانت في هذه الساعة مملوءة حلماً ووداعة ، فلم تتح له شيئاً من الهياج والغضب اللذين كان يطلبهما . . . فحزن ، وتبادر اليأس إلى نفسه ، وتراخت أعصابه ، وكاد يتسرب من المسرح ويدع الجمهور ويهرب ، لأنه كره أن يخرج إلى الناس بارداً في موقف يجب أن يكون فيه كالإعصار أو أشد ثورة . . . وبينا هو في هذا اليأس المتم أبصر بالأستاذ أحمد علام يتبختر بين الأستار منتظراً أن يحين موقفه وأن يناديه مدير المسرح . . . فأسرع الأستاذ جورج إلى الأستاذ علام وقال له بهذه الطفولة الضخمة المتجسدة فيه :

— هيجني يا علام . . . أغضبني !

— العفو يا أستاذ !

— لا عفو ، ولا يحزنون ، أريد أن أغضب وأن أثور . . . اضربني . . .

— لا يصح يا أستاذ . . .

— أرجوك يا علام . . .

— ولكن كيف أضربك يا أستاذ . . .

— هكذا . . .

. . . وهوى الأستاذ جورج بكفه على وجه الأستاذ علام بضربة كاد علام يفقد فيها أضراسه وأسنانه ، وكانت هذه الضربة مفتاح الغضب الذي نشده جورج ، فهاجت عندها أعصابه ، وكانت دخلته إلى المسرح أزفت ، فناداه مدير المسرح فدخل ، ورآه الجمهور هائجاً مائجاً ساخطاً كما يجب أن يكون السخط والغضب فرضي عنه . . .

ولكنهم لم يروا علاما الصريع الذى كان يتلوى بين الكواليس من الوجع والألم ...

يا حبيبتى يا بنتى

وكان على الأستاذ عزيز عيد أن يخرج على الناس باكياً فى مشهد من رواية لا أذكرها هى أيضاً ... والأستاذ عزيز فى طبعه صبر متأصل ، ورضى متمكن ؛ ورجل هذا شأنه ، لا يستطيع أن يبكى بسهولة . ولذلك ، فإنه حاول البكاء قبيل مثوله بين أيدى الناس ، فلم تجبه من عينيه دمعة واحدة فماذا صنع ؟

رأى ابنته عزيزة الصغيرة تلعب مع الممثلين والممثلات ، وتطفر فى أرجاء المسرح من هنا إلى هناك ، فجاءته فكرة عجيبة ...

نادى ابنته ... ونادى اثنين من عمال المسرح ، وطلب منهما أن يسرعا فيحضرا له نعشاً كانوا يستعملونه فى إحدى الروايات ، فأحضر العاملان النعش ، وطلب عزيز من ابنته أن تنام فيه ، وأن تغمض عينيها وقال لها :

... موتى قليلاً يا ماما ...

وابنته ، أبوها هو ، وأمها فاطمة رشدى ، فالتمثيل يجرى فى دمها وأعصابها ... نامت فى النعش ، وتماوتت ، بل إنها استطاعت أن تكتم أنفاسها وأن تبعث إلى وجهها صفرة وبرودة ، وأخذ عزيز ينظر إليها وهو يقول لها :

— يا حبيبتى يا بنتى ... الله يرحمك يا بنتى ... أنا مسكين بعدك يا زوزو ...

... انطلق لسانه بهذا ، فسمعته أذناه ، فصدقه عقله ، فأحسه قلبه ، فذرفت الدموع له عيناه ... بكى ، ولم يكن يريد إلا أن يبكى ، ودخل إلى المسرح باكياً كما أراد ...

الرقم القياسى

معروف عند أهل الفن أن الأستاذ نجيب الريحانى هو أشد المخرجين إتعاباً لممثليه ، فهو يكثر من البروفات إكثاراً مضنياً حتى ليحفظ ممثلوه أدوارهم حفظاً عن وجه قلب لا عن ظهر قلب . فالممثل منهم بعد أن تتم بروفات الرواية يجد نفسه قد لبس فى حياته الخارجية الدور الجديد الذى عهد إليه به ، ويجد نفسه يحادث أهله وأصدقاءه فى البيت والشارع بالجمل والعبارات التى تضمنها دوره ... هذا هو المعروف عند أهل الفن ، ولكن الأستاذ عمر جيمى قد وصل إلى رقم قياسى عال جداً فى اهتمامه ببروفات « يوم القيامة » فقد حمل ممثليها من أفراد الفرقة القومية على أن يقوموا بها أكثر من ثلثمائة مرة بدون مبالغة ، وليس ذلك لعجز فيه ولا ضعف ، فقد شهد كثير من الفنانين الذين يعتد برأيهم وعلى رأسهم الأستاذ منسى فهمى بأن كل الروايات التى أخرجها الأستاذ عمر للفرقة القومية كانت أكثر روايات الفرقة القومية نجاحاً وتوفيقاً ... وإنما يفعل عمر ذلك « بيوم القيامة » لأنها فتح جديد فى عمل الفرقة القومية ، فهى الأوبريت الأولى التى تقدمها الفرقة للجمهور ، وقد أنفقت الفرقة على إعدادها أكثر مما أنفقت على أى رواية أخرى ، وهو يشعر بخطورة هذه الأمانة الملقاة على عاتقه ، وهو لذلك يريد ألا تخرج هذه الرواية من بين يديه إلا على أكمل وجه يستطيع تحقيقه ...

ولا ريب أن الله سيكافئه على أمانته وجده هذين

أبو العلاء المعرى

أعلن الأستاذ على الكسار يوماً عن رواية البخيل لموليير ، وذكر فى الإعلانات أنه ترجمها إلى العربية بنفسه . والأستاذ على الكسار ممثل موهوب من غير شك وإن كان التعليم ينقصه ، فقد فاته حتى أن يلم بالقراءة والكتابة ، وهذا شىء لا يحط من موهبته الفنية

فسأله سائل : كيف جرؤت يا أستاذ « على » على أن تدعى أنك مترجم « البخيل » مع أن الناس يعلمون أنك لا تقرأ ولا تكتب ؟

فأجابه الأستاذ الكسار مسرعاً : وهل كان أبو العلاء المعرى يقرأ وهل كان يكتب ؟

وكان جواباً مسكتاً من غير شك

رهانه

يسبق إحساس الأستاذ يوسف وهبي عقله ولسانه وهو على المسرح أحياناً ، وفي هـذه الأحيان لا يرضى الأستاذ يوسف وهبي بأن يتريث وأن يتثاقل بإحساسه حتى يواتيه عقله ويواتيه لسانه بالألفاظ العربية التي يجب أن ينطق بها حتى يفهم الجمهور ماذا يريد أن يقول ، وإنما يترك الأستاذ يوسف في هذه الأحيان نفسه ويدع لسانه ينطلق بأي ألفاظ مفيدة كانت أو غير مفيدة ، عربية كانت أو غير عربية ، ويكتفي الأستاذ يوسف في هذه المواقف بأن يعبر بصوته المنغم وإشاراته المحكمة عما يريد أن ينقله من نفسه إلى الجمهور على شرط أن يختم هذه الانطلاقة بكلمة واحدة أو كلمتين فيهما تلخيص أو تركيز للمعنى الذي يريد أن يعبر عنه ... فإذا كان في حالة سخط مثلاً ، وحدث له هذا الذي يحدث له من مس الجن أو مما لا أدري ، قال مثلاً : «أنت يا من جهنم والحديد شرر من أبالسة النار ينهار فوق رؤوس الشياطين حمم ونار وكبريت» يقول هذا ، أو يقول ما يشبهه ، والجمهور مأخوذ به ، قد استولت عليه الكهرباء المنبعثة من أعصاب يوسف الذي يحرق نفسه على المسرح ؛ فلا يستطيع الجمهور إلا أن يقبل هذا الكلام على أنه معقول ومفهوم ، وعلى أن معناه متصل بالمتميز من ألفاظه ، وألفاظه المدركة المتميزة هي : نار ، وجهنم ، وأبالسة ، وشياطين وحمم وكبريت ... والجمهور لا يعنى في مثل هذه الحال بتحديد المعنى على وجه الدقة ، وإنما هو يرضى بعموم المعنى وعموم الحال ...

وقد حدث أن زار الأستاذان بديع خيري وزكريا أحمد الأستاذ يوسف وهبي في مسرحه يوماً ، ودار بينهم الحديث عن هذه المسألة واتهم الأستاذ بديع خيري الأستاذ يوسف وهبي بأنه «يهوش» الجمهور بها ... فقال له يوسف :

— إنني لا أهوش ... وها أنت ذا تعرف أنني أفعل هذا ، ولست أطلب منك إلا أن تنزل إلى القاعة ، وأن تشاهدني الليلة وأنا أمثل ، وهأنذا أحيطك علماً منذ الآن بأني سأختم الفصل الأول بشيء من هذا ، وكل ما أرجوه منك هو أنك تصدقني القول بعده ، وأن تقول لي هل اهتزت لي نفسك أو لم تهتز ، وهل صفقت لي أنت وصاحبك زكريا هذا أو لم تصفقا ... وأطلب قبل ذلك من الله أن يسهل لي الانطلاق الذي أريده ...

وتراهنوا ..

ونزل بديع وزكريا إلى القاعة ، وتابعا يوسف وهو يمثل ، ولم يشعرا بنفسيهما إلا والستار يسدل عن الفصل الأول وهما يصفقان مع المصفقين ليوسف .

ولم يدرك أحدهما أن يوسف فعل فعلته إلا بعد نزول الستار ، عندئذ ضحكا حتى كادا يختنقان من الضحك . ويقول الأستاذ زكريا أحمد إن الأستاذ بديع خيري صعد بعدها إلى حجرة يوسف وقال له :

— إنني آمنت بك ...

... أما أنا فأعوذ بالله من يوسف وهبي فهو جن وإن كان من المسلمين .

عزيز أحمد فهمي



الكرم الجارمى

الأستاذ على الجارم بك شُهرة عريضة بالكرم والجود ، وهذه الشهرة هى التى قضتْ بأن تَكِل إليه وزارة المعارف تحقيق كتاب « البخلاء » فما كان يمكن الوصول إلى أسرار ذلك الكتاب إلا إذا اضطلع بتحقيقه رجلٌ خبير بمعانى العرب فى العطاء والمنع ، والسخاء والشُّح ، وبضدها تتميز الأشياء

والكرم المأثور عن الجارم هو السبب فيما يقع من تغاضىَّ عن السؤال عنه حين يصطاف بالأسكندرية ، فقد كنت أكتفى فى تحيته بالسلام على الجدران فراراً من التعرض لكرمه العجاج ، وهو كرمٌ قد يطغى فيتلف أسماء المواهب ، وأنا أزهد الناس فى هذا الصنف من الجود !

وأخطأ من قال إنى كنت أتقرب إلى الجارم بترك السلام عليه ، وهو قول يُقبل لمعنًى واحد هو توشيته بالبراعة والذكاء

ماذا أريد أن أقول ؟

أنا أمشى على الشوك فى سبيل الوصول إلى عرض القصة الآتية :

منذ آماد طوال دخل الأستاذ سامى عاشور مكتب تفتيش اللغة العربية بوجه مشرق بسام وهو يقول : مبارك يا جارم بك ! مبارك يا جارم بك !

فتهلَّل وجه الجارم وقال :

— خير ، خير ! !

— خير جزيل ، ولكن هات « الحلاوة »

— يا حلاوة عليك يا سامى بك يا حبيبى يا نور عينى ، هات ماعندك هات !

— سيصدر قرار وزير المعارف بعد ثلاثة أيام بترقيتك إلى الدرجة الثانية

— الدرجة الثانية ؟ الله يبشرك بالخير ، ما يجىء من الجميل إلا الجميل

وبعد تروٍّ لم يطل أكثر من عشر دقائق توكل الجارم على الله وأعلن أن الحلاوة هى وليمة فيها « صيادية » مطبوخة على أسلوب أهل رشيد !

ثم توكل على الله مرة ثانية وقال : وسيكون معنا الدكتور مبارك ليعرف البيت وليحدِّث « أميرة » عن صيَّتها فى بغداد

فالتفت إلىَّ الأستاذ سامى عاشور وقال : ما رأيك ؟

فقلت : أفلح إن صدق !

فقال الجارم : سأصدُق لأكفَّ شرَّك عنى !

ومرَّ يوم وأيام وأسبوع وأسابيع وشهر وشهور ، ولم يف الجارم بما وعد ، وطال التسويف حتى نسيتُ ، وهل كنت أصدِّق أن الجارم يسره أن يعرف أحد أين يقيم ؟

ولكن الأيام تصنع الأعاجيب ، فقد لقيت الأستاذ سامى عاشور ونحن نراقب الامتحانات فى إحدى المدارس ، وبلغ منى العجب كل مبلغ حين رأيته لايزال يذكر « حكاية الوليمة الجارمية » !

— ماذا نصنع فى قهر الجارم على الوفاء بالوعد ؟

— لا أعرف ماذا نصنع !

— نخوِّفه بالشعر

— ولكنى لا أُجيد الهجاء

— وكيف تكون شاعراً إذا كان « الكرم الجارى » لا يوحى إليك معانى الهجاء ؟

وخِفتُ أن يقال : إنى لا أجيد الشعر إلا فى باب واحد هو النسيب ، فصخختُ الجارم بهذه الأبيات :

وما بالجارم الصنَّاج بُخلٌ ... بزادٍ من طعامٍ أو شرابِ
ولكنْ المكارم أتعبتْهُ ... ففرَّ من السخاء إلى الدَّعاب
فإن يُطعِمك فى « نيسان » يوماً ... بوعدٍ مثل رَقراق السَّرابِ
فصدِّقه ولكنْ لا تؤمِّل ... نداه ولو صبرتَ لشهر « آب »
فليس بُمنجِزٍ فى الجود وعداً ... ولو طاردته يومَ الحساب

ثم مضيتُ فأمليتُ هذه الأبيات على جماعة من الموظفين والمدرسين ، وترفَّق الأستاذ سامى عاشور فأنفذها إلى الجارم بك على يد رسول بارع فى إصلاح ذات البَيْن !

ثم ماذا ؟ ثم هرب الجارم إلى رشيد ، وهو يزعم أن الإقامة

في القاهرة أصبحت لا تطاق بسبب « الثارات الشّعرية » !

ولـكن الجارم سيرجع ، وقد رجع بالفعل ، فـما عسى أن نصنع لنروضه على الوفاء بالوعد

يرى الأستاذ محمود المزّب أن نشر هذه الأبيات في الأهرام بعد نشرها في الرسالة قد ينفع بعض النفع في إثارة النخوة الجارمية وإلا فسيدعو الأدباء إلى اكتتاب يُعين الجارم على إعداد الصيادية الرشيدية

أما أنا فأعرف أن الجارم سينكر القصة بحذافيرها ، وسيقول : إنها « سمكة رمضان » ، لا « سمكة نيسان » ؛ وهل يجتمع أهوال الحرب وأهوال الوليمة على رجل في مثل رقة الجارم الصنّاج ؟

زكي مبارك

حول كلمة « تبان »

جاء في عدد « الثقافة » رقم ٨٨٠ في مقال للدكتور بشر فارس عنوانه « الزاد المهمل » ما نصه : (أخذت مني لباس استحمام أحمر وقميصاً أصفر وتُبّاناً أزرق ثم سلكت في مطاويها ثلاثة كتب) . ثم علق على كلمة تبان في الحاشية بقوله : (أعرض لفظة التبان للتعبير بها عن كلمة Short) . ويفهم من كلام الدكتور بشر هذا أنه أول من اختار هـذه الكلمة للتعبير بها عن كلمة « شورت » غير أننا قد قرأنا في كتاب « وحي القلم » للمرحوم الرافعي ج أول ص ٢٠٠ ما نصه : (وها نحن أولاء قد انتهينا إلى زمن العرى وأصبحنا نجد لفيفاً من الأوربيين المتعلمين رجالهم ونسائهم إذا رأوا في جزيرتهم أو محلتهم أو ناديهم رجلاً يلبس في حقويه تُبّاناً قصيراً كأنه ورق الشجر على موضعه ذاك من آدم وحواء — إذا رأوا هذا المتعفف بخرقة أنكروا عليه وتساءلوا : من ... من هذا الراهب)

وواضح من هذا أن الدكتور بشر فارس ليس أول من تقدم بهـذه الكلمة معبراً بها عن كلمة « شورت » وإنما للرافعي فضل الأسبقية

(الأبيض ـ سودان) ع . ا . سعد

اعادة الحياة الى خلايا الجسم البشري

أذيع في نيويورك أن عالماً ألمـانياً كان يقوم باختباراته في مستوصف في قرطبة ، استطاع ـ وهو يحاول درس أنسجة خلايا جسم الإنسان ليعرف هل تموت فعلاً أو لا تموت ـ أن يرد الحياة إلى أنسجة خلايا جثث المصريين المحنطة منذ ٥٣٠٠ سنة

وقد بدأ هذا العالم ـ واسمه الدكتور بوزي جراوتز ـ تجاربه من عدة سنوات ، فتبين له أن الأنسجة البشرية بعد أن حفظت في الكحول منذ ٣٨ سنة أخذت تنمو نمواً كاملاً عند ما وضعت في مادة مقوية خاصة

كذلك يقال إنه أخذت من التحف الوطني في « لابلاتا » عينات من أنسجة ١٢ مومياء متوسط عمرها ٥٣٠٠ سنة ، وأن هذه الأنسجة وضعت في مواد مقوية فأخذت الحياة تدب في ذلك اللحم البشري

ويقال أخيراً إن آلة تكبير الصور قد سجلت حركة دبيب الحياة في الخلايا ، وأن هذا العالم يقول : إنه حينما يموت الإنسان لا يحدث له سوى انحطاط في الخلايا يبلغ حالة السبات ، ولكن هذه الخلايا تكون مستعدة للعودة إلى الحياة في حالات ملائمة

الى الدكتور زكي مبارك

قرأت كلمتك النبيلة التي وجهتها إلى في مقالكم السابق بالرسالة الغراء : قرأتها بعيني ، وأدركتها بقلبي ، فكأنما كانت لمشاعري نشوة ذكرى ، ولخواطري انتباهاً ويقظة ... وفهمت منها معنيين ! فقد أدركت بل أدرك قلبي أن وراء هذه الألفاظ ألفاظاً أخرى من الشعور لا تقرأ بالعين ولـكن يدركها القلب ، رأيت فيها تحية نبيلة من أخ عزيز نبيل ، وأحسها قلبي عتاباً نبيلاً !

فيا أخي العزيز الـكريم ... لئن تك قد تلفت فرأيت صديقك العزيز محمود البشبيشي ، وقد أسعده الحظ بلحظات كلحظات الحلم مرت بخيال مشرّد معذّب ... فإن قلبي هو الذي تلفت وسمع ورأى ! سمع أخاً وفياً ، ورأى شقيقاً كريماً

يا دكتور إن القلوب لتسمع وترى وتتلفت !

علم الله أن الذي منعني من العودة إليك تلك الليلة السعيدة هو مرض ابنتي ... علم الله أيضاً ... وتعلم شجرة الـكافورة السعيدة (بما كساها الأستاذ الكبير الزيات من النباهة والخلود) ... أنني عدت ثم عدت فلم أجدك

أخي الفاضل ... لعل من غريب المصادفات أن أحس قبل مقابلتي لك بأيام رغبة غريبة وإحساساً قوياً وميلاً جامحاً للتمتع بهديتكم الـكريمة « النثر الفني » ... ترى هل كانت رغبـة في الاطلاع والمعرفة بعد غفوة طالت !!؟ أم هو الشوق إليك

جملتي أتصوَّرك في أسلوبك !! وكم يتجسم الفنان البارع في أسلوبه !! ... إنها القلوب ... قلوب الإخوان تتلفت وتشعر وترى ... وإنه الشعور الحي لغة القلوب !!

والسلام عليك من أخ طالت غربته عن رياض القلم . ولكن لم تزل أوتار نفسه تهتز لكل رائع من الأساليب وفاتن من القول. إنها لا تزال تهتز لأنها تعودت ذلك عن طبع وخلق

أخوك المخلص

محمود البشبيشي

(المنصورة)

أجوبة عن أسئلة

وجه إلينا الدكتور زكي مبارك عدة أسئلة ، يطالب منا الإجابة عليها ، وكان ذلك رده على كلمتنا التي نبهنا فيها على الغلطة التي وقع فيها الدكتور الفاضل ؛ والذين يعرفون قوانين البحث والمناظرة يدركون خروج الدكتور عليها ، في رده علينا ؛ والدكتور معذور ، لأنه لم يجد ما يقوله ، فكان من الطبيعي أن ينتقل إلى ميدان آخر يصول فيه صولة « البازل القنعاس » وقد كنا نريد ألا نعرض لهذه الأسئلة لأنها ليست مما نحن بسبيله ولكننا خشينا أن يؤول سكوتنا تأويلاً سيئاً ، فنجيب بعون الله :

أولاً : قائل هذا البيت هو الشاعر الذي يقول :

أتيت فؤادها أشكو إليه ... فلم أخلص إليه من الزحام

والذي يقول أيضاً :

وإذا أراد الله نشر فضيلة ... طويت ، أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت ... ما كان يعرف طيب عرف العود

ثانياً : نظر هذا الشاعر إلى قول علقمة الفحل :

فإن تسألوني بالنساء فإنني ... خبير بأدواء النساء طبيبُ
إذا شاب رأس المرء أو قل ماله ... فليس له في ودهن نصيب

والمتنبي نظر إلى أبي تمام حين قال :

إذا غدرت حسناء أوفت بعهدها ... ومن عهدها ألا يدوم لها عهد

وكان أبو الطيب يتوكأ على حبيب ، كما كان امرؤ القيس يتوكأ على أوس

ثالثاً : لم يلتفت إلى ذلك ابن رشيق في باب السرقات من العمدة ، ولا العسكري في الصناعتين ، ولا الآمدي في الموازنة على تحامله المكشوف على أبي تمام

رابعاً : إذا كان هذا الكاتب جديراً بالالتفات ، فلم لم يترجم له الدكتور في « النثر الفني » بين من ترجم لهم من كتاب الأندلس ؟ ولم لم يثبت هذه الرسالة بين النصوص الكثيرة التي أثبتها في مؤلفه ، على أننا راجعنا مجلدين من نفح الطيب فلم نجد أثراً لهذه الرسالة ، فلعلها أن تكون في صبح الأعشى للقلقشندي

خامساً : الدقيقة التي في هذا البيت هي ورود « وحدها » حالاً من الضمير في لها مع تعرفها ، ولكنها تؤول بنكرة فتصير « منفردة » ومثل ذلك قول الشاعر :

فأرسلها العراك ولم يذدها ... ولم يشفق على نَغَص الدِّخال

أي أرسلها معتركة . والدقيقة البلاغية هي : فصل الشاعر بين جملة « كل غانية هند » وبين الجملة السابقة ، والفصل هنا واجب لأن بين الجملتين شبه كمال الانقطاع ، إذ لو وصل بينهما لتُوهِّم أن الجملة الأخيرة داخلة في ضمن الجملة التي قبلها ، فتكون داخلة في ضمن المفعول الثاني لتحسبوا ، وهذا غير مراد للشاعر

سادساً : اختلفت الروايات في « تحسبوا » فرُوى أيضاً هكذا : « فلا تحسبا هنداً لها الغدر وحدها[1] »

سابعاً : متى كان ذلك ياسيدي ؟ لعله كان إذ كنت صبياً مرضعاً !

ثامناً : لعل الحلاج التفت إلى هذا البيت حين قال :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا ... نحن روحان حللنا بدنا
فإذا أبصرتني أبصرته ... وإذا أبصرته أبصرتنا

تاسعاً : وجهه : أن تعرب « لها » خبراً مقدماً و « الغدر » مبتدأ مؤخراً ، وتكون « سجيةً » حالاً من المبتدأ ، ويشكل على ذلك أن الحال لا تأتي من المبتدأ إلا على رأي سيبويه ، ويشهد له قول طرفة :

لمية موحشاً طللُ ... يلوحُ كأنه خللُ

وهذا البيت يشهد أيضاً لصحة مجيء صاحب الحال نكرة إذا تأخر

عاشراً : أجل يا سيدي الفاضل أعرف قائل هذا البيت فهو الذي قال :

إني انصببت من السماء عليكمو ... حتى اختطفتك يافرزدق من عل

أما بعد : فلا نحب أن تشير إلى اسمنا بعبارة كريمة يا سيدي الدكتور « مع الشكر على هذه السنية الكريمة ! » ولا يضيرنا أن تتجاهلنا هذا التجاهل ، لأنك لست مهما عظمت إلا واحداً من الأدباء . وإليك التحية من أحد أبناء الجيل الجديد .

ابرهيم محمد نجا

(١) هكذا رواه الأستاذ عبد الرحمن شكري في مقالاته في الرسالة « أبو تمام شيخ البيان » والأستاذ عبد العزيز الميمني في « الطرائف الأدبية »



جنـــاية رجـــل

للأستاذ محمد سعيد العريان

... أجابني صاحبي :

نعم ، لقد كان ذلك عملاً لا ينبغي ، على أنه قد أودى بشرف امرأة ، وهناءة رجل ، وضَيْعة طفل يتيم في حياة أبويه ، وصيّرني في عين نفسي وفي عيون الناس إلى ما ترى ... وما أحاول أن أبرّئ نفسي ؛ بل إنني لأشعر أحياناً أن عليّ وحدي إثمَ هذه الجناية التي لم أقترفها ولم يكن لي يدٌ فيها !

وصمت صاحبي برهة وهو يحدّق في وجهي بعينين فيهما حيرة وارتياب ؛ ثم استأنف الحديث :

بلى ، وأقسم لك يا صاحبي ، ولكنني كنتُ رجلاً كما تعرف ؛ فلم يكن لي أملٌ في امرأة ولم يكن لامرأة حظٌ مني ؛ وأين تجد المرأة عندي ما يُغريها بي وأين أجد من نفسي ؟ ... لقد كنتُ أعرف نفسي عرفاناً حقاً ، ولم يكن يخفى عليّ ما يتحدّث به الرجالُ والنساء عني ، وما تتحدث به إليّ مرآتي ؛ لقد كنت وما يطيب لي أن أنظر إلى المرآة ، كأني حين أنظر إلى صورتي بإزائي أرى شخصاً غريباً عني بغيضاً إليّ لا أطيق أن أراه أو أنظر إلى صورته؛ وحين يتفق لي أن أرى شخصاً في وجهه بعضُ ما أعرف لنفسي من الدمامة ، أزوى عنه وجهي ، كأنما يذكّرني مرآه بشخص أكرهه ! ...

أراك تنكر عليّ ما أقول يا صديق ، ولكن ذلك كان هو رأيي في نفسي على حقيقته ؛ وقد يكون رأياً غريباً ، فما أعرف فيما قرأتُ أو سمعت أن أحداً كان له في نفسه مثلُ رأيي في نفسي وإن بلغت دمامته الحد الذي يوشك أن يبعده من حقيقة الآدمية !

... وكنت مؤمناً بأن القدر الذي تكتنفني صروفه منذ الطفولة قد هيأني لشيء غير ما يتهيأ له الرجال في عالم المرأة ، من الحب والزواج والأبوّة ؛ كأنما كانت تلك العلة التي شوّهتْ وجهي صغيراً ، وتلك الحادثة التي أصابتني بالعرج صبياً — تحولاً في إنسانيتي ، وحجازاً بيني وبين أحلام الطبيعة التي تهمس في الدم وتوسوس في القلب . وشعرت منذ فقدتُ أمي ولم أتجاوز السابعة بعد، أن آخر سبب كان يربطني بالمرأة قد انقطع ، فلستُ من دنياي ولستُ من دنياها ؛ وعشت عمري في هذه الحقيقة من بعد، لا تنظر عيناي إلى امرأة ولا أحس وقع نظرة امرأة ، ولو قد أحسستها مرة لخجلتُ ، لعلمي أنها لا تنظر حين تنظر إليّ — رجلاً مما يقع في عالمها ، ولكنها تنظر مسخاً مشوّهاً يشير إلى آية من آيات القدرة الخالقة !

... كذلك كنتُ عند نفسي حتى لقيتها ، فأرتني من نفسي صورة غير ما كنت أعرف لنفسي ؛ وكشفتْ لي عن صورتي في مرآتها ! ...

... كنتُ يومذاك جالساً إلى مكتبي أعالج عملاً دقيقاً لا يصلح أن يتولاه غيري ، حين دخل عليّ حاجبي يؤذنني أن سيدة تريد لقائي ؛ ونهرتُ حاجبي إذ قطعني عن عملي من أجل امرأة ؛ وما لي وللنساء ؟ ما شأنهن وشأني ؟

ودعوتُ شاباً من مساعديّ ليلقاها ويتقصّى أمرها فيخبرني ؛ وكثيراً ما كنتُ أندبه لمثل ذلك فيكفيني ويجزىء عني ؛ ولكنه في هذه المرة لم يُغنِ عني شيئاً ، وعاد إليّ ينبئني أن السيدة لا تريد لقاء أحد غيري ؛ وابتسمتُ على غيظ حين أنبأني ذلك ؛ فقد كنت أعلم من طول خبرتي في هذا العمل الذي أتولاه ، ما تدعونى له مثل هذه الزائرة ؛ فما هو إلا لاعتقادها أنني — وأنا رئيس المكتب — أقدَرُ على قضاء حاجتها من غيري ، وإن كانت حاجتها من التفاهة بحيث يستطيع ساعي المكتب أن يقطع فيها برأي ! ... ذلك رأي للنساء جميعاً ؛ وإن إحداهن ليبلغ منها الإلحاح في طلب لقائي أن تُضجرني وتحرج صدري ، فلا أجد عقاباً لها على ذلك إلا أن أخرج إليها فتراني ...

... ولم أكن في ذلك اليوم متهيئاً لاستقبال أحد ، ولم تكن بي رغبة إلى عقاب امرأة ؛ فطلبت إلى حاجبي أن يعتذر إليها . وخرجت السيدة ولكنها لم تلبث أن عادت ، وعاد حاجبي يُؤذنني برغبتها في لقائي ؛ وتكرر بيننا الرجاء والاعتذار ، ثم لم أجد بُدّاً في النهاية من الخروج إليها ...

ورأيتُها ورأتني ، ولكني لم أر في وجهها ذلك المعنى الذي طالما رأيته في وجوه النساء حين أجلس إلى امرأةٍ منهن . ولأول مرة منذ ماتت أمي ، جلستُ إلى امرأة أتحدث إليها وأستمع

لما تقول ، وإني لأحس في نفسي بَرْدَ الراحة ورَوْح الاطمئنان.

لا أعني أنها ذكَّرتني أمي ، فقد كانت أصغر كثيراً مما ظننت وأشبَّ شباباً ؛ ولكني شعرتُ إذ جلستُ إليها شعوراً لم أحسَّ مثله منذ بضع عشرة سنة ، منذ ماتت المرأة الوحيدة التي منحتني حبَّها واستحقت حبي !

كان في وجهها سماحةٌ وطهر ، وفي عينيها نظرة طفل يرى كل شيء جديداً على عينيه ، وقد افترَّت شفتاها عن ابتسامة حزينة تكتم معنى وتفصح عن معنى

لم أشك حين رأيتها أنها عذراء ، فتاة على طبيعتها الطاهرة لم تطبعها الحياة بعدُ بذلك الطابع المصنوع الذي يجمل لكل شيء لونين في ظاهره وباطنه . وأقبلت عليَّ تحدثني حديثها . لم يكن في صوتها ولا في نظراتها شيء يدل على أنها تراني رأيَ الناس وتنظر إليَّ

... أخشى أن أقول لك يا صديقي إنها كانت تحدثني كأنما تناجي حبيباً عزيزاً لقاؤه ؛ ولكني كذلك شعرتُ وقتئذ !

ومضتْ في حديثها ، ولم أسمع حرفاً واحداً مما قالت ؛ إذ كنتُ وقتئذ في حديث مع نفسي ؛ فلما أوشكتْ أن تنتهي من عَرْض أمرها وراحت تسألني رأيي ، بدأت أصغي إليها ... وكان لها مشكلة معقدة تقتضي تدبيراً وأناة وحسن احتيال ؛ وعنيت بأمرها

أتراني يا صديقي في حاجة إلى التأكيد بأن عنايتي بأمرها لم تكن شيئاً على خلاف عادتي في مثل مشكلتها ؛ ولكنك مُصدق ولا شك ، فقد كنت إلى تلك اللحظة مَن كنت ؛ ليس لي همٌّ إلا عملي وواجبي !

وزارتني بعدها في مكتبي مرة ومرة ومرات ؛ وتوثقت بيننا أواصر المودة ، وألِفَتْ أن تراني وأن تتحدث إلي ، وألِفْتُ أن أستمع إليها ، وكأنما كنت في نومة ثقيلة ثم استيقظت ، وانجاب عني غشاء صفيق كان يلقي على كل شيء من أشياء الحياة ظلاً يبغِّضه إلي ، وتزيَّنت لي الحياة ؛ وكأنما كانت مرآتي صدئة فجلتها بأنفاسها فعادت مصقولة لامعة !

ليس يعنيك كثيراً يا صديقي أن تعرف كل شيء ؛ ولكن الذي يعنيني أن تعرفه عرفان اليقين ، أنني لم أتودد إليها ولم أحاول اجتذابها ؛ فقد كانت أسرع إلي من خطرة الأمل ؛ فما هي إلا مرات التقيناها حتى كان كل شيء منها يتحدث إليَّ حديثاً أجد صداه في نفسي ؛ ومن غير مؤامرة ولا تدبير ، رأيتني أمشي معها ذراعاً إلى ذراع في الطريق ! ...

لم أنم تلك الليلة ولم أذق طعم الغمْض ، لعلك تحسب ذلك يا صديقي فرحاً بتلك النعمة التي سيقت إليَّ من حيث لا أدري ! كلا ، ولا بعض هذا ، لقد سهرت تلك الليلة إلى الصباح في قلق وهم ؛ وفي حديث بيني وبين نفسي كله تأنيب وملامة ؛ لقد كنت موقناً أنني لست الرجل الذي تؤهله صفاته ليكون حبيباً يلم طيفه بخيال امرأة ؛ ولم أكن من الغفلة بحيث أنسى بسهولة حقيقتي التي عشت بها ما فات من أيامي ؛ وكنت خائفاً أن يكون قد بَدَر مني شيء على هوى أشْعَرَها أملاً وأخفى عنها حقيقة ، فانقادت إليَّ مخدوعة وعلى عينيها غشاوة

بلى ، لقد كنت سعيداً بحبها ، ولكنني لم أحاول قط أن أشعرها معنى بدنها إلي ويزيدني حباً إليها ؛ وكان ضميري يخادعني حين كنت أستمع إلى نجواه في نفسي قائلاً : « لا عليك ملامة إذ كانت تحبك دون أن تطلب إليها ! » ويا لها خدعة ! وهل زادها حباً لي إلا شعورُها بأنها تجد لعواطفها في نفسي استجابة ؟ ... وفي مرات كثيرة ، كان يثوب إليَّ رشادي ويغيب عني هواي ، فأهمُّ أن أقول لها وإنها لجالسةٌ بإزائي : « أنظري إليَّ ! هل ترينني أصلح للحب ؟ » ، ولكني لم أجرؤ في مرة واحدة من هذه المرات أن أقولها ؛ لأن هواي كان يغلبني على رأيي ؛ فتقول لي نفسي : « أو ليستْ تراك دون أن تطلب إليها أن تنظر ؟ »

وحتى يوم أسلمتْ لي شفتيها وأغمضت عينيها في مثل غشية الوحي ، لم يقع في نفسي إلا أنه عمل منها لا مني ، والقبلة المسولة ما زال يرن صداها في قلبي !

ولكنني مع كل ذلك يا صديقي لم يغبْ عني قط ، أن ذلك عمل لا ينبغي ؛ كانت هذه الحقيقة قارة في أعماق ، على الرغم من هوى النفس وخداع الضمير ؛ ولم أكن يومئذ أعرف . فكيف لو عرفت ؟

... ومَضَت بنا الأيام على ما قُدِّر لي ولها ، لم أحاول أن أسألها شيئاً ولم تحاول أن تخفي عليَّ ؛ ومع ذلك فقد ظللتُ دهراً لا أعرف ، على غير إرادة مني ولا إرادة منها ، ولم تكن في يقيني إلا فتاةً على طبيعتها الطاهرة ، لم يزل بينها وبين الحياة باب مغلق ... وأغناني يقيني عن سؤالها ، وحال بيني وبين التماس أسباب المعرفة أنني لم أكن أريد أن يكون مني عملٌ إيجابي يُشعرها أن لي بأمرها عناية فأمد لها أسبابَ التمني !

ثم كان يوم وكانت الصلة بيننا قد توثقت حتى لا سر بيني وبينها ، وجلست تتحدث إلى ، وعرفت ...

يا لله ! ... ليتني كنت أدرى ! وهل كان يدور بخاطرى يوماً أن هذه الفتاة التي بعيني هي امرأة ، هي زوج قد انفتح الباب المغلق بينها وبين الحياة ... !

لم تكن خادعة فيما أعلم حين كتمت عنى حديثها طوال هذه الأشهر ، ولكنها لم تجد سبيلاً إلى أن تقول ، فصمتت ، فلما أمكنتها الفرصة جاء الحديث لوقته فراحت تقص على ...

وشعرت بالغيرة تلذع قلبي لأول مرة ، غير رجل يحاول أن يستأثر بما لا يملك دون الذي يملك ؛ ولكني لم ألبث أن فئت إلى رشادي واستيقظ ضميرى ، فرحت أوبخ نفسي على ما كان وأشبعها تعنيفاً وملامة ، ولكني لم أجرؤ أن أقول لم يكن لها خيار فيما فعلت . هكذا حكمت حين قصت على خبرها ؛ فقد ماتت أختها عن بنين وبنات وزوج في سن أبيها له مال وجاه وشفاعة ويد مبسوطة ؛ وكانت هي يومئذ تلميذة في السادسة عشرة ، دنياها معلم وكتاب ومسطرة ... وعادت يوماً من مدرستها فإذا في غرفة الاستقبال كاتب وشهود ، وباتت مسماة على زوج أختها ، ثم أصبحت زوجاً وأماً لبنين وبنات وما حملت ولا ولدت !

لم تفهم شيئاً مما مر بها إلا كما تفهم كل فتاة في بيت أبيها أن يقال لها قومى فتقوم ، واجلسى فتجلس !

وانتقلت من دار إلى دار ولكن قلبها لم يزل على نقاوته وطهره، في عينيها نظرة الطفل ، يرى كل شيء جديداً على عينيه ، وعلى شفتيها ابتسامتها الصامتة المبينة ، وفي رأسها أحلامها ، ثم التقينا ... هذا ما قالت لى ؛ وقال لى ضميرى : ويحك يا شقى ! إنك تحاول إفساد امرأة على رجلها !

وقال لى هواى : وماذا فعلت ؟ أيكون الاستماع إلى شقية بائسة تشكو بثها محاولة لإفساد امرأة ؟ وزدت من يومئذ آلاماً إلى آلامى ، وزدت إلى ذلك إعناتاً بنفسى وأيقنت من يومئذ أننى شيء ، وأيقنت إلى ذلك أننى في عمل لا ينبغى !

وحاولت منذ عرفت أن أبتعد عنها وإن قلبي لينازعني إليها ، فلا أنا صممت فيما حاولت ولا هدأ قلبي ؛ وعدت بين نزاع القلب وتأنيب الضمير في شقاوة وألم ؛ ولكنني كنت بشقاوتى سعيداً !

ويلى ! ليتني عرفت يومئذ كل شيء ! أم ليتني مضيت فيما صممت ولو كان فيه تدميرى وهلاكى ؛ إذن لاحتفظت لنفسي براحة الضمير إذ فقدت راحة القلب ! ولكنني لم أكن أعرف ؛ وكان الدهر يدخر لى البقية ...

... ولقيت صديقى « فلاناً » على غير ميعاد ؛ وجلس يتحدث إلى ... وأرهفت أذنى للسمع ، وخيل إلى وهو على مقربة منى وأنا أستمع إليه أن بينى وبينه من البعد مسافة تسافر فيها الأحلام وتئوب ؛ وجثم على صدرى كابوس مفزع لا يخف ولا يتحلحل ؛ وهممت أن أتكلم فما أطقت الكلام ؛ ودار رأسى مثل خذروف الوليد بين قوتين تتجاذبانه ، وتناثرت أشلاء على مكانى ...

ولما أفقت بعد برهة لم يكن بجانبى أحد غيره ، ورن صوته في مسمعى : « رفقاً بنفسك يا صديقى ! إنك تتعب نفسك أكثر مما تطيق ! »

ثم خلفنى وآلامى ، ومضى ! إذن فهو ذاك ؟ إنها زوجته ! وهجرت المدينة يا صديقى إلى حيث أحاول التكفير عن خطيئتى والفرار بنفسى ؛ وهجرتها بلا وداع ، ولكنها لم تتركنى وشأنى؛ لقد أصابها من ذلك مثل سعار الجوع في الكلب الضال

وكان زوجها يتحدث إليها حديثاً من حديثه ، فحسبته يعرض بها ، فثارت به ، ثم اندفعت في ثورتها ؛ وابتسم الرجل وتمتم بكلمات ، وألقى الشيطان في أذنها كلمات غير ما قال ؛ فزادت ثورة وهياجاً ، وقالت : « بلى ، إننى أحبه ، وسأتبعه إلى آخر الدنيا ! »

وعلا بكاء طفل ، طفل رضيع لم يفتح عينيه على الحياة إلا منذ أيام معدودات ؛ وقلب الرجل عينيه بين الطفل وأمه ، وقال في همس : « إذن فهو ولده ؟ . . . » . وفتحت الأم فمها مدهوشة وبرقت ، وسألت : « أتراه يظن ... ! ويلى ! »

ونالني رشاشها على مبعدة يا صديقى وما جنيت جناية . . .

. . . ذلك كل ما كان من أمرى وأمرها ؛ أم ترانى جنيت إذ أحببت امرأة أحبتنى ، أنا الذى عاش ما عاش من عمره لم يؤمل أن تعطف عليه امرأة ؟ . . . نعم ، لقد كان ذلك عملاً لا ينبغى ، ولكن ...

قلت : « ولكنه أودى بشرف امرأة ، وهناءة رجل ، وضيعة طفل يتيم في حياة أبويه ، وصيرك في أعين الناس إلى ما ترى . . . أنت ما جنيت يا صديقى ، ولكن ثمة جناية رجل ؛ فمن جناها ؟ »

محمد سعيد العريان

﴿ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى — عابدين ﴾

Lundi - 14 - 10 - 1940

8me Année No. 380

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٣٨٠ « القاهرة في يوم الإثنين ١٢ رمضان سنة ١٣٥٩ — الموافق ١٤ أكتوبر سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهـــــرس

خواطر مهاجر

— ٤ —

سار (موكب الرؤية) من (مركز البندر) في صفين طويلين من الجنود المشاة تتقدمهم فرقة الموسيقى في شتى آلاتها وشاراتها، وتتلوهم طوائف الصوفية في مختلف هيئاتها وإشاراتها، وعشاق رمضان محتشدون على جوانب الطرق وفي طنوف المنازل يجتلون الموكب المهيب ووجوههم يشرق فيها السرور كأنما يستقبلون وافداً من الملأ الأعلى سيغمرهم بالسرور ويطهرهم بالنور ويزكيهم بالبركة. فلما أتم الموكب خطاه الوئيدة الموزونة تفرق، واجتمع الناس على شاطئ النيل يرتقبون بشرى المحكمة بطلعة الهلال الوليد! ولرمضان في رأى الريفيين هلال غير أهلة الشهور، يولد من نور الجنة، ثم يدرج في رياض الشفق دروج الطفل المدلل الموموق، حتى إذا أبدر واستحار شبابه تردد كل يوم بين المشرق والمغرب في موكب ذاكر من كرام الملائكة، يختلط فيه تسبيح القائمين بذكر الصائمين، ويمتزج به سليل النور بسليل الطين؛ وتلك هى الأيام المباركة التى تتصل فيها السماء بالأرض من كل سنة

وهلال رمضان في لغة الريفيين هو رمضان نفسه. لذلك يتخيلونه رجلاً له حياته وعمره وأجله. فإذا لم يبق منه إلا ربعه

الأخير تمثلوه فى محفته السماوية محتضراً يعالج غصص الموت بين أناشيد الحور وصلوات الملائكة ، فيندبونه فى البيوت والمساجد ، ويرثونه على السطوح والمآذن ، ويبكونه يوم الجمعة اليتيمة أحر بكاء !

***

قصفت المدافع المصرية فى كل محافظة وفى كل مديرية فى لحظة واحدة وعلى فترات محددة ، فافتر البشر على الشفاه ، وجرت التهنئات على الألسن ، واستولى على المنصورة شعور تقى هادئ خاشع لا يصدر عنه إلا الكلم الطيب والعمل الصالح . ورمضان يُرجع المسلم الصادق نقياً كفطرة المزن ، طاهراً كفطرة الوليد ، لا ينغمس فى منكر ، ولا يخف إلى شر ، ولا يلغو فى حديث ، ولا يبغى فى خصومة . ومن ذلك كان كل حى سعيداً فى رمضان ، ماعدا الروى والشيطان !

كان فى كل طلقة من طلقات المدفع المبشر تنبيه إلى فضيلة من فضائل الصوم . فالمؤمن حين دوّى فى سمعه صوت البارود تيقظت فى نفسه نوازع الخير ففكر فى توثيق ما وهن بين القلب والدين ، وتقريب ما بعد بين الغنى والمسكين ، وتأليف ما نفر من القلوب المطمئنة ، ووصل ما انقطع من الأرحام الشابكة . ولكنه وا أسفا لم ير فى هذا العام المآذن تتلألأ فى أجيادها قلائد النور ، ولا فوانيس الأطفال تخفق شموعها فى الشوارع والدور ، فتذكر أن هناك على سواحل البحر الأبيض وشواطئ بحر المانش مدافع غير هذه المدافع ، تنطلق لتعاقب كل نور وتظلم كل قلب وتخرب كل عامر وتقتل كل حى وتقطع كل سبب وتغشى أجواء السماء بدخان من البوار والدمار لا يقوم تحته قائم ولا ينسم فيه حى !

ليت الذى حوّل لوثر هتلر ، ومسخ فى هتلر الإنسانية نازية ، جعل فى كل ركن من هذا الجحيم الأوربى رمضانَ بحكمته وطبيعته وعقيدته ! إذن لكان كل مدفع للسلام ، وكل مصنع للخير ، وكل مخترع للحياة ، وكل مورد للناس ! « ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ، ولكن لا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم . وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ! »

إن الفرق بين مدافع رمضان ومدافع هتلر ، كالفرق بين القرآن و (كفاحى) . كتاب الله دستور الخالق لجميع خلقه ، فهو خير مطلق وأمن شامل ؛ وكتاب هتلر نزغ من الشيطان للألمان ، فهو شر محض وفزع دائم . فأنا حين أسمع مدافع رمضان فى الغروب أو فى السحر ، أعتقد أن جياعاً سينالون القوت ، وضُلالاً سيجدون المثوى ، وجوارح ستكف عن اجتراح الإثم ، ونفوساً ستراض على مكاره الفضيلة ، وأمماً فى جميع بقاع الأرض سيغمرهم الشعور السامى الجميل بأنهم يسيرون إلى غاية الوجود قافلة واحدة ، ممتزجة الروح متحدة العقيدة متفقة الفكرة ، متشابهة النظام ، متماثلة المعيشة

وأنا حين أتصور مدافع هتلر أعتقد أن كتائب من الشباب الغريض قد صهرتهم النار فهم حمم على وجه الماء ، أو مزقتهم الشظايا فهم مِزَقٌ على أديم الثرى ؛ وأن آلافاً من الدور الأنيسة قد نبت مرافدها فهى حبوس ، وخمدت مواقدها فهى رموس ، ثم دكتها القنابل فهى أنقاض على أشلاء ، أو أحرقتها الصواعق فهى غسلين على لحم ؛ وأن ملايين من الأطفال قد حرموا عطف الأب وحنان الأم ، فهم يمانون فى مطارح الغربة غصص الحرمان ومرارة اليتم ؛ وأن ألوفاً من الأيامى والثكالى أصبحن بغير عائل ولا مأوى ولا أمل ، فهن يمشين فى ثيابهن السود بين الأطلال والخرائب كأنهن الأطياف الحزينة تجوس فى الليل خلال المقابر ؛ وأن ملايين من العمال والصناع أدركتهم المعطلة وقعد بهم الكساد فظلوا يكابدون حسرة الحاجة فى أنفسهم ولوعة الهم فى أهليهم ، وباتوا يضطربون بين البؤس واليأس اضطراب القنيص لا يجدون مخلصاً للحياة ولا للموت

إن الحرب فى تاريخ الديمقراطية الإسلامية لم توقد نارها إلا دعاء إلى سبيل الله ، أو ابتغاء لخير الناس ، أو ذياداً عن سلامة الوطن ؛ أما أن تنهب الممالك لأنك تريد أن تأكل ، وتسحق الشعوب لأنك تريد أن تنتقم ، وتخضع الدول لأنك تريد أن تسود ، فذلك ماضى البربرية الحمراء ، وحاضر الطغيان الأسود !

(المنصورة)

احمد حسن الزيات

الحديث ذو شجون

للدكتور زكى مبارك

اللغة العربية فى المدارس الأجنبية — كلمة صريحة إلى مدرسى اللغة العربية بتلك المـدارس — إلى الوكيل المساعد لوزارة المعارف — أسئلة وأجوبة — القلب الذى تلفت فرأى وسمع

اللغة العربية فى المدارس الأجنبية

تحت هذا العنوان نشرت « الرسالة » بحثاً سمّـته « توجيهات لأحد المشتغلين بشئون التعليم » فهل أستطيع التعقيب على ذلك البحث أداء لحق الواجب فى أمثال تلك الشؤون ؟

اهتم ذلك الباحث بتصوير حال اللغـة العربية فى المدارس الأجنبية وشغل نفسه وشغل القراء بالنص على ما يجب من حرص وزارة المعارف على الاهتمام بالتفتيش والاهتمام بالموادّ التى تكوّن الثقافة المصرية رعاية لمصاير التلاميذ المصريين بالمدارس الأجنبية

وأقول إن ذلك الباحث لم يأت بجديد : فوزارة المعارف لا تحتاج إلى من ينبهها إلى التدقيق فى التفتيش على المدارس الأجنبية ، ولا تحتاج إلى من يدلها على أهمية الحرص على تدريس المواد التى تكوّن الثقافة المصرية بالمدارس الأجنبية ، فمن المعروف أن معالى الدكتور هيكل باشا معنىٌّ بهذه الشؤون عناية جِدية ، ونظار تلك المدارس يعرفون عنه هذه العناية ، وهم يبذلون جهوداً محمودة فى تحقيق هذه المطالب

ولـكن المهم هو النظر فى الوسيلة التى تمكّـن وزارة المعارف من المعاونة على تحقيق تلك الأغراض ، وهى وسيلة معروفة ، ولكن معالى وزير المعارف يتجاهلها مراعاةً للظروف الاقتصادية ، وليست هذه أول مرة يكون فيها « تجاهل العارف » من صور الـكلام البليغ ؟ !

الحق أن معالى هيكل باشا يعانى صعوبات كثيرة فى تدبير المال المطلوب لتحقيق ما يسمو إليه من كرائم الأغراض ، وهو يتلطف ويترفق فى كل وقت ليقنع وزارة المالية بأن للتعليم شؤوناً هى من أوائل الضروريات ، وأن الاقتصاد فيما يمس شؤون التعليم قد يكون من الشُّح البغيض

وهنا أجد الفرصة لإقناع معاليه بأن تقوية اللغـة العربية فى المدارس الأجنبية لن تضطره إلى الوقوع فى نزاع مع وزارة المالية ، فهو يستطيع بكل سهولة أن يدبر لهذا العام أربعة آلاف جنيه للشروع فى تحقيق ذلك الغرض النبيل ، ومن هذا المبلغ تقدم الإعانات لعدد كبير من المدرسين الفنيين فى المدارس التى تتطلع إلى إعانة وزارة المعارف ... ولمعاليه أن يتصور كيف يكون فرح اللغة العربية بهذه الأربعة الآلاف وهى مبلغ ضئيل بالقياس إلى ما تجرّه من النفع الحق فى تقوية اللغة العربية بالمدارس الأجنبية

بأربعة آلاف فقط ، وهى مبلغ يقدّم لمدرسـة واحدة من المدارس المصرية ، بأربعة آلاف فقط يشهد التاريخ بأن معالى الدكتور هيكل باشا قدّم يداً كريمة للمدارس الأجنبية ، وبأربعة آلاف فقط يشهد الأجانب بأن المصريين يعرفون معنى الحرص على إعزاز اللغة القومية

وقد أمضِى إلى نهاية الشوط فأقول : إن معالى الدكتور هيكل باشا يستطيع أن يُصدر قراراً باعتبار مدرسي اللغة العربية بالمدارس الأجنبية مدرسين منتدبين من وزارة المعارف كالمدرسين الذين يُنتَـدبون للتدريس فى الحجاز والشام ولبنان والعراق ، وعندئذ يعرف هؤلاء المدرسون أن لهم حقوقاً محفوظة فى الأقدمية والترقية فتقل رغبتهم فى التطلع إلى الالتحاق بالوظائف الحكومية ، ويشعرون بأنهم فى رعاية الدولة ، وبأنهم ليسوا من المنسيين ، وبأن من الهوان أن يُردُّوا إلى مدارس الحكومة ، لأن ذلك معناه أنهم عجزوا عن الظفر بثقة المدارس الأجنبية ، وهى ثقة لها معـنًى دقيق

فما رأىُ معالى هيكل باشا فى هذين الاقتراحين ؟ وما رأيه إذا صارحتُـه بأن اهتمامه بمصاير اللغة العربية فى المدارس الأجنبية لن يُؤتى الثمرات المرجوّة إلا بتحقيق هذين الاقتراحين ؟

يجب أن يَذكر معالى هيكل باشا أن المدارس الأجنبية فى طريق التمـصُّر والاستعراب ، وهى خطوات تستأهل التشجيع ، فإلى مَن نتوجه إذا بخل بهـذا التشجيع ، وله أبناء يتعلمون بالمدارس الأجنبية ، ولهم عليه حقوق ؟

ولو كنت أعرف أنى أُحرج معالى وزير المعارف بهذين الاقتراحين لما استبحتُ نشرهما بطريقة علنية ، وإنما أعرف أنه اهتم بهذه المسألة مرات كثيرة ، ولم يعد من الأسرار أن يقال إنه يبالغ فى الحرص على إنهاض التعليم الحر ، وفى نفسه أن ذلك

طريق لجذب المدارس الأجنبية إلى تقوية مواد اللغة العربية والثقافة المصرية عساها تستطيع الظفر المطلق بثقة آباء التلاميذ فى زمن لم يبق فيه مجال للحياة فى مصر أمام الشبان العاجزين عن مسايرة المجتمع المصرى ، وهو مجتمع يعبر عن مطامحه فى الجد والحياة باللغة العربية .

كلمة صريحة

هى كلة أوجهها إلى مدرسى اللغة العربية بالمدارس الأجنبية ، فأغلب أولئك المدرسين ينسون أو يتناسون أن وجودهم بتلك المدارس فرصة ثمينة لتعلم اللغات الأجنبية ، والتعرف إلى ما عند الأجانب من آداب ومذاهب فى الميادين الاجتماعية والاقتصادية

كنت أرجو أن يفهم من يشتغل بالتدريس فى مدرسة فرنسية أو انجليزية أو إيطالية أو ألمانية أنه انتقل إلى جوّ من أجواء باريس أو لندن أو روما أو برلين

ولكن أولئك المدرسين يعيشون بمعزل عن الجوّ الروحى لتلك المدارس ، وتظلّ صِلاتهم بها صلات منافع تُحَدُّ بحدود المرتّب ولا تجاوزه إلا فى قليل من الأحايين ، وتكون النتيجة أن ينعدم التآلف والتعاطف ، ولذلك تأثير فى سير الأعمال المدرسية ، لأن التجاوب الروحى بين النظار والمدرسين يعاون على تخفيف ما فى مهنة التدريس من أعباء ثقال

أنا أحب لمن يشتغل بتدريس اللغة العربية فى مدرسة أجنبية أن يُضمر فى قرارة نفسه أنه لن يفارق مدرسته أبداً وأنه سيجعلها داره إلى أن يفكر فى الراحة من عناء التدريس

وقد اتفق لى فيا سلف أن أقضى أعواماً كثيرة فى التدريس بالمدارس الأجنبية ، وما أذكر أبداً أنى لقيتُ من أصحابها ما أكره ، وما زلت أذكر بالخير والعطف والحب أيامى بالليسيه فرانسيه والجامعة الأمريكية ، وإن كنت أذكر بالحسرة واللوعة أنه فاتنى أن أنتفع من صحبة أولئك القوم أكثر مما انتفعت ، فقد كانت قلوبهم مفتوحة أمامى ، وكنت أستطيع الانتفاع بمعارفهم وتجاربهم فى كل وقت

وخلاصة القول أنه يجب على مدرسى اللغة العربية بالمدارس الأجنبية أن يعتبروا أنفسهم فى دُورهم ، وأن ينسوا أنهم « أجانب فى دُور الأجانب » ، فما كانوا ولا كان رؤساهم بتلك المدارس إلا جنوداً فى الميدان العلمى ، وهو ميدان تظهر فيه المواهب وتختفى الأجناس

الى الوكيل المساعد لوزارة المعارف

لم يتفضل سعادة الأستاذ شفيق غربال بدعوتى إلى الاشتراك فى اللجنة التى ألفها لوضع القواعد الأساسية لاختيار المدرسين الذين يُنتدَبون للتدريس بمدارس العراق ، ولم أتطفل فأتشرف بعرض آرائى عليه فى هذا الموضوع الدقيق ، وليتنى فعلتُ فقد يجب التطفل فى بعض الأحيان !

فماذا صنع وماذا صنعت اللجنة البصيرة بالعواقب ؟ !

أعلنوا فى الجرائد عن موضوع يضرّ فيه الإعلان أكثر مما ينفع ، فاستجاب لهم مئات المدرسين ، إن صحّ ما أذيع !

فهل من الحق أن عندنا مئات تسمح لهم المواهب والكفايات بأن يكونوا أساتذة بالمدارس الثانوية والعالية بالعراق ؟ ولنفرض أننا نملك هؤلاء المئات من المدرسين الأكفاء ، فهل نراهم جميعاً صالحين للتمرس بأعباء مهنة التدريس فى ديار الرافدَين ؟

لم يبق إلا أن نتخيَّر ، ولكن كيف نتخيَّر عشرات من أولئك المئات ؟ وقد تخيَّرنا بالفعل ، فماذا وقع ؟

وقع أن بعض من تخيرناهم عادوا فآثروا التخلف ، فهل فكرت الوزارة فى معاقبة أولئك الجنود الفارّين ، وقد اكتفوا من التشريف بخطورهم فى بال وزارة المعارف ؟

يجب أن تكون للوزارة سياسة ثابتة فى هذه الشؤون ، ويجب أن تكون عندها إحصائية دقيقة بالمدرسين الذين يصلحون لأمثال هذه الواجبات وعندئذ يكون من حق الوزارة أن تنقل المدرس المنشود من القاهرة إلى بغداد أو البصرة أو الحلة أو الموصل كما تنقله من القاهرة إلى دمنهور أو المنصورة أو أسيوط أو أسوان ، ثم لا يكون من حق ذلك المدرس أن يتخلف لأنه جندىٌّ يُنقَل من ميدان إلى ميدان

أكتب هذا وأنا أعرف أن وزارة المعارف العراقية فى انتظار جواب وزارة المعارف المصرية عن هذا السؤال : « ما الرأىُ فى المدرس الذى يتخلف عن موعد افتتاح الدراسة أسبوعاً أو أسبوعين أو أسابيع ، وإلى من يحتكم التلاميذ الذين تضيع منافعهم بتخلف المدرسين ؟ »

ولكن لا بأس ، فالمصريون والعراقيون أشقاء ، ومن واجب الشقيق أن ينسى تقصير الشقيق ، فهو على كل حال أخٌ « شفيق » !

أسئلة وأجوبة

استطاع الأديب الذى وجهنا إليه عشرة أسئلة حول بيت من الشعر وقعتْ فيه غلطة مطبعية لا تحتاج إلى عناء فى التصحيح ، لأنها لا تزيد عن التنبيه إلى أن خبر المبتدأ واجب الرفع ، استطاع ذلك الأديب أن يجيب إجابة صحيحة عن ثلاثة أسئلة ، وأن يشرع فى الإجابة عن سؤال رابع ، ثم حاول الإجابة عن سائر الأسئلة فلم يوفّق ، فأرجوه أن ينظر من جديد فى الأجوبة التى ظنها تخرجه من ذلك الموقف الحرج ، إن كان يهمه أن يقال إنه سُئل فأجاب

وليعرف إن لم يكن يعرف أنى لا أعادى قرائى ، وإنما أهتمّ من وقت إلى وقت بجذبهم إلى المراجعة والاستقصاء ، فإن كان تأذى من هجوى عليه فليذكر أنى أتحت له فرصة ثمينة للنظر والتعقيب . وقد كنت هممتُ بشرح الأخطاء التى وقعت فى أجوبته « السديدة » ثم رأيت أن أكِل ذلك إليه ، فتلك فرصة لمحاورة نفسه فى الخطأ والصواب

القلب الذى تلفت

جاء فى الكلمة الروحية التى نشرتها « الرسالة » للأستاذ محمود البشبيشى أن قلبه تلفّت فرأى وسمع ، ثم أكّـد المعنى فقال « يا دكتور ، إن القلوب لتسمع وترى وتتلفّت »

هو ذلك ، يا صديقى ، منذ الفِطرة الأزلية ، أو منذ اليوم الذى « تلفّت القلبُ » فيه عند وقفة الشريف الرضى على ديار بعض الأحباب

ولكن أين حظى من حظك ، يا صديقى ؟

ما كاد قلبك يتلفّت إلى صاحب « النثر الفنى » حتى رأيت وجهه وسمعت صوته فى مدينة جميلة هى المنصورة العصماء

وقلبى يتلفت ويتلفت ويتلفت منذ شهور طِوال طِوال طِوال إلى رُوحٍ غالية كانت خلائقها الروحانية هى الشاهد على أن فى دنيانا نسائم من فراديس الجنان

وعلى طول التلفت والتسمّع « تلفّت القلب وتسمع القلب » لم أظفر من أخبارها بشىء ؛ ولعل الشريف كان فى مثل حالى يوم قال :

ومن حَذَر لا أسأل الركب عنكم	وأعلاقُ وجدى باقيات كما هيا
ومن يسأل الركبان عن كل غائب	فلا بدّ أن يلقى بشيراً وناعيا

فماذا تُضمر الدنيا فى أيامها المقبِلات ؟

وماذا عند القَدَر من مكنون النعيم أو الجحيم للقلب الذى صيّر الحديث عن الحب شريعة من شرائع الوجود ؟

أين بائع النسيان ، يا صديقى ، وأين بائع السُّلوان ؟

وأين من يوهمنى بأن تلك الزهرة لم تكن نفحة سماوية وإنما كانت نفحة أرضية لا نصيب لأرجها العَطِر من روح الخلود ؟

لقد بدأ قلبى يخمُد من لفح اليأس ، وإن دام هـذا الحال فلن ترى فى أحاديثى إليك غير التوجع للقلب الذى أضاعه تقلُّب القلوب

وما ذنبى عند تلك الروح ؟

ذنبى وذنوبى وعيبى وعيوبى أن لم أطمها بالافتضاح فى الحب ولم أسطّر فى هواها مئات الصفحات كما صنعتُ مع « ليلى المريضة فى العراق » كأنما كان مكتوباً على أن أقضى الدهر فى الهيام بالعيون المَكَّـلية والعيون السود ، عيون أهل القاهرة وعيون أهل بغداد ، والله وحده هو الذى يعلم مواقع هواى ، فلن أطيع تلك الشيمة فى الترحيب بمآثم الافتضاح

وما الموجب لقتل الوقت والعافية فى تذكر القلوب الغوادر ، وفى دنيانا تكاليف تميد من أثقالها الجبال ؟ ما الموجب ؟! ... المُوجب معروف وهو الوثاق المسطور فى اللوح المحفوظ بألا تعيش روح إلا مجذوبة إلى روح

أما بعد فإن قال قومٌ إنى كاذبٌ فى الحب فقد صدقوا ، وإن قال قوم إنى صادق فى الحبّ فقد صدقو ، فأنا كاذبٌ فى تصوير ما أعانى من شقاء : لأن الواقع يشهد أن الحب لم يشغلنى عما أضطلع به فى حياتى الخصوصية والعمومية من أعباء ثقال ؛ وأنا صادق فى تصوير ما أقاسى من لواعج وأشجان : لأن الواقع يشهد أيضاً أن حياتى لم تخلُ من التأثر بمكايد السحر والفتون

كم تمنيت أن أكون فى الحب من الكاذبين ! وكم تمنيت أن أكون فى الحب من الصادقين ، لو كان فى المقدور أن ينال الرجل ما يتمناه ! وأنا على كل حال أحكمت أحبولة الرياء فقلت ما قلت وأنا فى أمان من كيد الوشاة والعذّال ... وكيف يعظم علىّ الرياء وأنا أول من تقرب إلى الله بالرياء ؟

إنى أرائى من أحب، ولكنى لا أرائى من أبغض، فللأعداء الويل إن توهموا أنى سأجزيهم رياء برياء . كتب الله لى فى تأريق جفونهم المواجد أجر المجاهدين

زكى مبارك

في الاجتماع اللغوي

تطور اللغـــة وارتقاؤها

أثر العوامل الأدبية المقصودة : الرسم

للدكتور على عبد الواحد وافى
مدرس الاجتماع بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

تكلمنا فى المقال السابق عن أنواع الرسم وتاريخه ، وسنعرض فى هذا المقال لموضوع مطابقته للنطق ولأثره فى حياة اللغة وتطورها

الأصل فى الرسم الهجائى أن يكون معبراً تعبيراً دقيقاً عن أصوات الكلمة بدون زيادة ولا نقص ولا خلل فى الترتيب ؛ فيرسم فى موضع كل صوت من أصواتها الحرف الذى يرمز إليه، ولا يوضع فيها حرف زائد لايكون له مقابل صوتى . وقد حوفظ على هذا الأصل إلى حد كبير فى بعض اللغات الإنسانية ، وخاصة القديم منها . فرسم الكلمة فى السنسكريتية مثلاً لا يكاد يختلف فى شىء عن صوتها[1] ، ولكن معظم أنواع الرسم ، وخاصة الحديث منها ، لا تتوافر فيه هـذه المطابقة . فكثيراً ما يرسم فى الكلمة حرف زائد أو حروف زائدة ليس لها مقابل صوتى فى النطق (« مائة » فى العربية ؛ "loup" فى الفرنسية ؛ "thamb" فى الإنجليزية ... الخ) . ـ وكثيراً ما تشتمل الكلمة على أصوات لا تمثلها حروف فى الرسم (« هـذا » فى العربية ؛ "picture" فى الإنجليزية ... الخ . ـ وكثيراً ما يرسم فى الكلمة حرف أو أكثر للتعبير عن صوت غير الصوت الذى وضع له ("dompter" فى الفرنسية ؛ "enough" ، "ocean" ، "of" فى الإنجليزية ... الخ) ـ وكثيراً ما ينطق بالحرف الواحد أو بالمقطع الواحد فى صور صوتية مختلفة تبعاً لاختلاف الكلمات أو اختلاف أزمنتها ، أو اختلاف موقعه فيها ، أو اختلاف ما يسبقه أو يلحقه من حروف ... ؛ فيرقق فى بعض الكلمات ويفخم فى بعضها الآخر، أو يمد فى بعضها ويقصر فى بعضها الآخر، أو يضغط عليه فى بعضها ويرسل فى بعضها الآخر . . . وهلم جرا (اللام) فى « والله » « بالله » "law, low", "a piece of lead, I lead some men"; "I will read this book, I have just read this book"; "The lines that separate ..., this book contains separate sciences"; "I object against this way, the object of our book is..."; "a piece of bread, in time of peace" وكثيراً ما تختلف الحروف فى كلمتين ويتحد النطق بهما

ويرجع السبب فى هذه الظواهر وما إليها إلى عوامل كثيرة من أهمها عاملان :

أحدهما : أن حروف الهجاء فى معظم أنواع الرسم لا تمثل جميع أصوات اللغـة التى تكتب بها . فقد جرت العادة مثلاً فى معظم أنواع الرسم ألا يوضع لكل صوت عام أكثر من حرف هجائى واحد ، مع أن الصوت العام كثيراً ما يندرج تحته أصوات مختلفة فى مخرجها ونبرتها وقوتها ومدة النطق بها وما إلى ذلك . فالصوت العام للام مثلاً ليس له فى معظم أنواع الرسم الحديثة إلا حرف واحد (ل l ...) ؛ مع أن هذا الصوت يختلف نطقه باختلاف الكلمات والمواقع . فأحياناً ينطق به مرققاً (بالله low, hole) ، وأحياناً مفخماً (والله ، law) ؛ وتارة ينطق به مضغوطاً عليه (أقسم بالله) وأخرى ينطق به مرسلاً (نستعين بالله) . . . وهلم جرا ؛ ورسمه واحد فى جميع هذه الحالات . والصوت العام للألف اللينة ليس له فى العربية إلا حرف واحد ؛ مع أنه أحياناً ينطق به مستقيماً وأحياناً ينطق به ممالاً . والصوت العام للجيم ليس له فى العربية إلا حرف واحد ؛ مع أنه فى بعض اللهجات ينطق به مجرداً من التعطيش ، وفى بعضها ينطق به معطشاً كل التعطيش ، وفى بعضها ينطق به بين هذا وذاك .

وثانيهما : أن أصوات اللغة فى تطور مطرد وتغير دائم . فالأصوات التى تتألف منها كلمة ما لا تجمد على حالتها القديمة ، بل تتغير بتغير الأزمنة والمناطق ، وتتأثر بطائفة كبيرة من العوامل الطبيعية والاجتماعية واللغوية : فأحياناً يسقط منها بعض أصواتها

---

(١) وقد ساعد على ذلك أن الرسم السنسكريتى لم يكد يغادر صوتا من أصوات اللغة إلا وضع له حرفا يرمز إليه . ولذلك كثرت حروف الهجاء فى هـذا الرسم ، وقويت على التعبير عن مختلف الأصوات ، فقد بلغت ٤٦ حرفا ساكنا و١٣ حرفا لينا ، هذا إلى ثلاث علامات الشكل .

القديمة ، وأحياناً تضاف إليها أصوات جديدة ، وتارة يستبدل ببعض أصواتها أصوات أخرى ، وتارة تحرف أصواتها عن مواضعها فيختل ترتيبها القديم ... ؛ وقد ينالها أكثر من تغير واحد من هذه التغيرات . على حين أن الرسم لا يساير النطق فى هذا التطور ، بل يميل غالباً إلى الجمود على حالته القديمة أو ما يقرب منها ؛ فلا يدون الكلمة على الصورة التى انتهت إليها أصواتها ، بل على الصورة التى كانت عليها من قبل ؛ وهذا هو منشأ الخلاف فى معظم اللغات الأوربية الحديثة بين النطق الحالى لكثير من الكلمات وصورتها فى الرسم . فمعظم وجوه هذا الخلاف ترجع إلى جمود الرسم وتمثيله لصور صوتية قديمة نالها مع الزمن كثير من التغير فى ألسنة الناطقين باللغة

* * *

هذا، وللرسم فى حياة اللغة ونهضتها آثار تجل عن الحصر، فبفضله تضبط اللغة وتدون آثارها ، ويسجل ما يصل إليه الذهن الإنسانى ، وتنتشر المعارف وتنتقل الحقائق فى الزمان والمكان . وهو قوام اللغات الفصحى أو لغات الكتابة ودعامة بقائها . وبفضله كذلك أمكننا الوقوف على كثير من اللغات الميتة كالسنسكريتية والمصرية القديمة والإغريقية واللاتينية والقوطية. فلولا ما وصلنا من الآثار المكتوبة بهذه اللغات ما عرفنا منها شيئاً ولضاعت منا مراحل كثيرة من مراحل التطور اللغوى . غير أن عدم مطابقة الرسم للنطق يجعل له بجانب المحاسن السابقة بعض آثار ضارة، فهو يعرض الناس للخطأ فى رسم الكلمات، ويجعل تعلم القراءة والكتابة لأهل اللغة أنفسهم من الأمور الشاقة المرهقة ، ويطيل مدة الدراسة ، فيسبب إسرافاً كبيراً فى الوقت والمجهود ، وما يلاقيه أهل اللغة من صعوبات بهذا الصدد يلاقى أضعافه الأجانب الراغبون فى تعلمها ، ومن الواضح أن هذا يعوق انتشارها فى الخارج ، ويضيق سبل الانتفاع بآدابها وعلومها ، فيصعب التفاهم بين الشعوب وتضعف بينها حركة التبادل العلمى والثقافى . هذا إلى أن تمثيل الرسم لصور صوتية قديمة يعمل على رجع اللغة إلى الوراء وردها إلى أشكالها العتيقة . فكثيراً ما يتأثر الفرد فى نطقه للكلمة بشكلها الكتابى ، فلا يلفظها بالصورة التى انتهى إليها تطورها الصوتى ، بل ينطق بها وفق رسمها فتنحرف إلى الوضع الذى كانت عليه فى العهود القديمة . وليس الأجانب وحدهم المعرضين لهذا الخطر ، بل إنه كثيراً ما يصيب أهل اللغة أنفسهم . وإليك مثلاً الحرف المضعف فى اللغة الفرنسية فى مثل savamment, évidemment ... الخ فقد كان ينطق به وفق رسمه فى العصور الأولى لهذه اللغة . ثم انقرضت هذه الطريقة منذ خمسة عشر قرناً تقريباً ، وأخذ الفرنسيون ينطقون به مخففاً كما ينطقون بحرف واحد savaman, évidaman ولكن منذ عهد قريب أخذت عادة النطق به مشدداً تظهر فى ألسنة كثير منهم تحت تأثير صورته الخطية . فمن جراء الرسم نكصت اللغة على عقبيها فى هذه الناحية خمسة عشر قرناً إلى الوراء[1]

ومن أجل ذلك كان العمل على إصلاح الرسم وتضييق مسافة الخلف بينه وبين النطق موضع عناية كثير من الأمم فى مختلف العصور . فقد ظهر فى هذا السبيل بعض حركات إصلاحية عند اليونان والرومان فى العصور السابقة للميلاد . وفى أواخر القرن التاسع عشر عالج الألمان أساليب رسمهم القديم وأصلحوا كثيراً من نواحيه . ومثل هذا حدث منذ عهد قريب فى مملكة النرويج ثم فى جمهورية البرازيل . وقد بدت بهذا الصدد محاولات إصلاحية كثيرة فى البلاد الواطئة (هولاندا) وانجلترا والولايات المتحدة ؛ ولكن معظم هذه المحاولات لم يؤد إلى نتائج ذات بال

وأدخلت الأكاديمية الفرنسية - يشد أزرها ويعاونها طائفة من ساسة فرنسا وعلمائها - إصلاحات كثيرة على الرسم الفرنسى . وقد جانبت فى إصلاحاتها هذه مناهج الطفرة ، واتبعت سبل التدرج البطىء . فكانت تدخل فى كل طبعة جديدة لمعجمها - بجانب التنقيحات اللغوية والعلمية - طائفة من الإصلاحات الإملائية . وقد أقرت عام ١٩٠٦ مجموعة هامة من القواعد الجديدة فى الرسم الفرنسى . هذا إلى إصلاحات العلامة جريار Grèard التى تناولت كثيراً من نواحى الرسم وأقرتها الأكاديمية الفرنسية . وكانت كل مجموعة من هذه الإصلاحات تلق مقاومة عنيفة من جانب غلاة المحافظين . وعلى الرغم من ذلك ، فقد عم الأخذ بها ، وكان لها أكبر فضل فى تيسير الرسم الفرنسى

---

(١) ومن ذلك أيضا الحروف الساكنة (غير المبينة) فى آخر الكلمات فقد حذفت فى النطق الفرنسى في معظم المفردات منذ عهد بعيد ، ولكن أخذ كثير من الفرنسيين فى العهد الحاضر ينطقون ببعضها تحت تأثير صورته الخطية but (نطقها الصحيح bu) وقد تحولت الآن فى ألسنة كثير من الفرنسيين إلى « bute »

وتضييق مدى الخلاف بينه وبين النطق الحديث

والرسم العربى نفسه قد تناولته يد الإصلاح أكثر من مرة من قبل الإسلام ومن بعده . ومع ذلك لا يزال عدد كبير من المفكرين فى عصرنا الحاضر يأخذون عليه كثيراً من وجوه النقص والإبهام ، وينادون بإصلاحه من عدة نواح وخاصة فيما يتعلق برسم الهمزة والألف اللينة ، وابتداع طريقة لإحلال علامات ظاهرة ترسم فى صلب الكلمة محل الفتحة والكسرة والضمة حتى يتقى اللبس فى نطق الكلمات : (عَلِم ، عُلِم ، عِلْم ، عَلَمَ ... الخ) . ولكن الرسم العربى ليس فى حاجة إلى كثير من الإصلاح ، فهو من أكثر أنواع الرسم سهولة ودقة وضبطاً فى القواعد ومطابقة للنطق

***

هذا ، وعلى الرغم من المساوئ السابق ذكرها ، فإن لجمود الرسم على حالته القديمة أو ما يقرب منها بعض فوائد جديرة بالتنويه ، فهو يوحد شكل الكتابة فى مختلف العصور ، ويسهل تناقل اللغة ، ويمكن الناس فى كل عصر من الانتفاع بمؤلفات سلفهم وآثارهم . فلو كان الرسم يتغير تبعاً لتطور أصوات الكلمات لأصبحت كتابة كل جيل غريبة على الأجيال اللاحقة له ، ولا احتاج الناس فى كل عصر إلى تعلم طرق النطق والإلمام بحالة اللغة فى العصور السابقة لهم حتى يستطيعوا الانتفاع بمخلفات آبائهم . هذا إلى أن جمود الرسم على حالته القديمة يفيد الباحث فى اللغات أكبر فائدة . فهو يعرض له صورة صحيحة لأصول الكلمات ، ويقفه على ما كانت عليه أصواتها فى أقدم عصور اللغة فالرسم للألفاظ أشبه شىء فى هذه الناحية بالمتحف للآثار .

***

وقد كان للرسم فى اللغات الأوربية فضل كبير فى تيسير النطق بكثير من الأسماء المتداولة المركبة من عدة كلمات ، فقد جرت العادة أن يكتفى فى التعبير عن هذه الأسماء بذكر الحروف الأولى للكلمات التى تتألف منها : "t. s. f. = télégraphe sans fil; "M. A." = Master of arts . وشاع هذا الاستعمال فى أسماء المخترعات ، والشركات ، والأحزاب ، والفرق الحربية ، والنظريات ، والشهادات العلمية ... وما إلى ذلك . وقد أنزلت هذه الرموز منزلة الكلمات ، وأخذ الناس يصرفونها وينسبون إليها ويشتقون منها أفعالاً وصفات . وللاقتصار عليها وكثرة استخدامها فى الحديث والكتابة تنوسى أصلها عند عامة الناس ، وأصبح كثير منهم يعتقد أنها كلمات كاملة (النازى ، الأنزاك ... الخ)

وللرسم أثر كبير فى تحريف النطق بالكلمات التى يقتبسها الكتاب والصحفيون عن اللغات الأجنبية . وذلك أن اختلاف اللغات فى الأصوات وحروف الهجاء والنطق بها وأساليب الرسم ، كل ذلك يجعل من المتعذر أن ترسم كلمة أجنبية فى صورة تمثل نطقها الصحيح فى اللغة التى اقتبست منها . فينشأ من جراء ذلك أن ينطق بها معظم الناس بالشكل الذى يتفق مع رسمها فى لغتهم ، ويشيع هذا الأسلوب من النطق ، فتصبح الكلمة غريبة كل الغرابة أو بعض الغرابة عن الأصل الذى أخذت عنه . وليس هذا مقصوراً على اللغات المختلفة فى حروف هجائها كالعربية واللغات الأوربية ، بل يصدق كذلك على اللغات المتفقة فى حروف الهجاء كالفرنسية والإنجليزية . فجميع الكلمات الإنجليزية التى انتشرت فى الفرنسية مثلاً عن طريق رسمها فى الصحف والمؤلفات ينطق بها الفرنسيون فى صورة لا تتفق مع أصلها الإنجليزى ; boy-scout foot-ball; rugby; hockey; sterling, standard of living..etc. حتى إن كثيراً منها لا يكاد يتبينها الإنجليزى إذا سمعها من فرنسى

على عبد الواحد وافى
ليسانسيه ودكتور فى الآداب من جامعة السربون

القبر التائه !

الأستاذ على الطنطاوى

كم ذا يقاسى العاشقون ويألمون ، ولا يدرى بهم أحد ، ولا يبلغ وهمَ إنسان تصوّر ما يعانون

كم للحب من شهداء عاشوا بائسين ، وقضوا صامتين ، فما حازوا مجداً ولا فخاراً ، ولا اشتروا جنة ولا أمنوا ناراً ... مساكين ... يعيشون فى دنيا الناس وليسوا فيها ، يرون بغير العيون ، فلا يرى الناس ما يرون ، ولا يبصرون ما يرى الناس ، يموت عندهم كل حى ما لم يتصل بالحبيب ، ويحيا كل ذى صلة به حتى الجماد ...

إن فكروا ففى المحبوب ، أو تكلموا فَعنهُ ، أو اشتاقوا فإليه ، أو تألموا فعليه ...

فإن تكلمت لم أنطق بغيركم   وإن سكتُّ فشغلى عنكم بكم

وإن منحوا الدنيا باعوها كلها بقبلة منه أو شمّة أو ضمّة ، ثم لم يأملوا إلا دوامها ، أو الموت بعدها لئلا يجدوا فقدها ، لا يألمون إن قال الناس مجانين ، ولا يحزنون إن نالهم الأذى ، بل ربما سرهم ما يسوء ، إن كان فيه رضا المحبوب ...

وياويلهم من العذال ، يا ويل الشجىّ من الخلى !

يلومون قيساً ، لأنهم لا يرون ليلاه إلا امرأة كسائر النساء ، ففى كل امرأة عوضٌ عنها وبديل منها ، ولو استعاروا عينى قيس فنظروا بها ساعة لرأوا ليلى هى الدنيا ، وهى الأخرى ، وهى الروح ، لولاها ما كانت الحياة ، ولا أضاءت الشمس ، ولا أنار القمر ، ولا بسم الروض ، ولا ضحك الينبوع ، ولا همس النسيم ، ولا غنى الطائر ، ولا كان فى الدنيا جميل ...

قصة الحب هى القصة الأزلية التى تكرر دائماً ، وتعاد أبداً ، لا تمل ولا تسأم . وهل يمل حديث الحب ويحكم ! نقرؤها كل يوم فلا نراها تبدل فيها إلا الاسم ، فهى آناً قصة ليلى أو لبنى أو عفراء أو سلمى كرامة ، وهى آناً قصة هلويز أو ماجدولين أو فرجينى أو شارلوت ، ولا تَغيَّر إلا المنازل ؛ فمن بطاح نجد إلى ضفة البحيرة ، إلى ساحل الدنيا الجديدة ، إلى ظلال الزيزفون ... أما القصة فهى هى ما تبدلت ولا تغيرت ... ولا يمكن أن تتبدل حتى تبدل الأرض غير الأرض ...

على أن للحب مواسم ، وله منازل ، ينبت فيها كما ينبت النخيل فى البصرة ، والكرم فى الشام . فمن منازله لبنان ...

لبنان (شرقيه والغربى) الذى برأه الله على مثال الجنة : روح وريحان ، وحور وولدان ، فمن حل فيه مؤمناً ذاق نعيم الخلود فى دار الفناء ، وأحس فى الدنيا بسعادة الأخرى ؛ ومن حلّه غير مؤمن أذهب طيباته فى حياته الدنيا واستمتع بها ، وما له فى الآخرة من خلاق !

لبنان الذى كان دار الأولياء والشعراء والسياح والزهاد ، من كل عابد متبتل ، ومحب هائم ، وتائب أواب !

لبنان الذى جعل الله ماءه خمراً ، وجماله سحراً ، فلا تدرى أهو السحر قد خيّل لك أنك فى جنة الخلد ، أم هو السكْر قد جعلك تحس التخلص من هذا العالم ، الغارق فى الدم ، الملتحف بالهم ، وتشعر أنك تعيش فى الأفق الأعلى عيشة اللذة الدائمة ، والذهول الناعم الهنىء ، وسط عوالم من النور تدرك ولا ترى

لبنان الذى لا تدرى أى شىء فيه هو أجمل : أذراه التى تبرقعت ببراقع الثلج فلم تبصرها عين حى من يوم خلق الله العالم ، فعز بالحجاب جمالها حين ذل بالسفور الجمال ، أم سفوحه الحالية بالصنوبر ، أم القرى المنثورة على تلك السفوح ، أم صخوره الرهيبة الهائلة ، أم ينابيعه المتفجرة تفجر الحكمة على لسان نبى ، أم أوديته الملتوية التواء الفكرة فى رأس أديب لا يملك البيان عنها ؟ وأيُّه هو أبهى : أصباح (بلودان) ، أم ظهيرة (الشاغور) من (حمّانا) ، أم الأصيل الفاتن فى ربى (صوفر) ، أم المساء الوادع فى خليج (جونيه) ، أم مناجاة الملائكة فى قمة (جبل الشيخ) ، أم مسامرة الزمان عند (الأرز) ، أو فى (بعلبك) ؟

أم أنت تؤثر هذا كله ، وتتمنى لو شملته بنظرة منك واحدة ، ثم ضممته إليك ، ثم شددت عليه ، حتى أفنيته فيك ، أو فنيت أنت فيه ؟

تعالوا سائلوا سفوحه وذراه ووديانه ورباه ، كم شهد من فصول هذه القصة الخالدة ، قصة الحب ... وكم أريق على صخوره

من الحيوات والعواطف . . يطل جوابكم لو ملك الكلام ... ولكنه أبكم لا ينطق والناس بكم لا يروون إلا تاريخ الوحشية الدموية الماتية ويحفظونه أبناءهم ليكون لهم منه أظفار كأظفار الوحش ، ومخالب كمخالب النسور ، أما تاريخ الإنسانية العاشقة فإنهم يزدرونه ويترفعون عن حفظه ، ويرون من الخطر على الأخلاق أن يدرس فى المدارس !

وكذلك أرى أنا ... وهل أنا إلا من غزيّة ؟...

وإلا فمن يروى لى قصة هـذا القبر التائه ، الذى نأى عن موطنه ، وفارق إخوانه ، وطوّف حتى استقر عند قدم صخرة هائلة من صخور (رأس بيروت) ، يلطمه الموج صباح مساء ، فيستغيث استغاثة غريق عاين الموت ، ولا من مغيث !

* * *

قبر منفرد ضائع بين الصخور ليس ما يدل عليه إلا حجر منحوت نحتاً غير متقن ، عليه كتابة قد براها الماء فلم يبق منها إلا أنقاض هذه الأبيات :

الشمس تطلع تارة وتغيب والليـل يجمع شمل ... ...
وأنا محب لم أجد إلا الشقا أحيي الليالى ... ...
أفيجمع القبر الأحبة إن نمت ويكون ... ...

فمن (يا أهل بيروت) يعرف تلك القصة التى لم يبق منها إلا هذه الخاتمة الأليمة : قبر تائه ، عليه شعر إن لم يحفل به علماء اللسان ، كان حسبه أن يحفل به علماء القلوب ؟

هل فى هذا القبر عاشق من لبنان يوم لم يكن قد فسد لبنان ولا عاثت فيه يد الحضارة ، عرف فتاته فى الطفولة الحلوة البرأة التى تتهدى بين البيت السعيد ، والحقل الخصيب ، والمرعى الجميل ، والكرم البهى ، فكانا يلحقان الأفراخ (الصيصان) وهن بنات يوم واحد ، قد خرجن من البيض كرات ذهبية من الريش الأصفر الناعم ، تطير لخفتها مع النسيم ، وتحلّ حلاوتها فى الفؤاد ، فإذا رأتهما الدجاجة الأم ، فأقبلت عليهما نافشة ريشها مستنسرة ، خافا فارتدا إلى الجدى يلاعبانه ، والجحش يركبانه . وكان عالمهما صغيراً كله ، والصغير من كل شىء فاتن محبوب . ومن منا لا يحب الصبى ، والبنيّة ، وفرخ الطائر ، والهريرة ، والكليب ، وغصين الشجرة ، وزر الورد ، والكتيّب ، والقليم ، وكل لطيف من التحف والطرف[1] ، ودقيق من الأشياء ؟ من لا تنجذب إلى ذلك نفسه ، ويحنو عليه قلبه ؟

ثم كبرا ، فكانا يصحبان القطيع إلى القمم القريبة وإلى الوادى . ثم أبعدا المرعى ، فكانا يرافقان الشمس فى غدوها ورواحها ويطوّفان تطوافها . ثم اكتمل جمالها وتمت رجولته ، وكذلك تؤتى الفضيلة أكلها إذا عاشت تحت عين الشمس فى الأعالى التى لا ترق إليها جراثيم المرض وأمهاته ، فصارا يقاسمان الكبار السمر على (المصطبة) فى ليالى الصيف ، وفى (العلّية) فى الشتاء . ومرت الأيام ، فإذا هى فاتنة القرية وحسناؤها ، وإذا هو بطل الديرة ورجلها ، ومقدم الشباب فى المصارعة ، وحمل الأثقال ، والعدو ، والسباحة ، وتلك كانت مفاخر الشاب الجبلى فى تلك الأيام . وكان رقصهم الدبكة على (اليادل) أو على (دلعونه) وكان هو شيخ الدبكة

وكان الحب قد ولد فى نفسيهما ، فكانا يجلسان على قلة على شفير الوادى ، يرعيان هذا الحب الوليد ، ويدعان القطيع يرعى بنفسه ، وكان لها عنده مثل الذى له عندها ، فما الذى فرق بينهما ؟ أهو المال أم الدسائس أم قد زوجوها من غيره . أم ماذا ، من يحفظ قصتهما يا أهل بيروت ؟

وكيف عاشت من بعده ، وكيف عاش من بعدها ؟

* * *

أم كان متكئاً فى زورقه ، يرقب الشمس وهى فى موقف الوداع صفراء شاحبة ، لا يحفل بها أحد ممن كان فى الميناء ، لأن هموم العمل لم تدع فى قلوبهم مكاناً للشعر . فأيقظه من غفوة التأمل أسرة تريد أن تجول فى البحر جولة فى الزورق ... هنالك رآها ، واستقر حبها فى قلبه ، ولم يكن بذى صاحبة ولا ولد ، فهام بها هياماً وقلب الأرض يفتش عنها علّه يحظى منها بنظرة فلم يلقها . فعاش بقية عمره يتجرع غصص الألم المكتوم ، حتى مات حيث لقيها ، ودفن حيث مات

وهذا الحب هو النار التى تأكل القلب ... وما قرأت مرة قصة القاضى ابن خلكان إلا رحمته مما يقاسى . كان يبيت وحده

(١) الطرف أو الطرائف هي ما يسمى فى لسان التجارة وفى لغة العامة (نونوته nouveautés فياحبذا لو استبدلوها بها

فى المدرسة العادلية الكبرى (دار المجمع العلمى بدمشق) فإذا أراد أن ينام تمثلت له صورة المحبوب ، فغلى دمه فى عروقه وفار ، فأقبل يدور حول البركة ويقول :

أنا والله هالك   آيس من سلامتى

أو أرى القامة التى   قد أقامت قيامتى

حتى يؤذن الفجر ، وكان يحب من ليس فوقه إلا السلطان

قلت : ومن هنا ما تجدون من الذوق فى ترتيب كتابه (وفيات الأعيان) وما يختار فيه من الشعر !

* * *

أم أن هذا قبرها هى ، يقوم على الشاطئ ، على مسرح المأساة التى طالما مثلت عليه وأعيدت

هنا كانت تقوم ترقب عودته من المهجر من أمريكا ، تذكر أبداً كيف ودعته بالدموع الغزار ، وودعها بزفرة وعناق ، ومنّاها الغنى والجاه والعودة القريبة ؛ وانقضت الأيام وكرت الشهور ولا حس ولا خبر . . . والفتاة ترقب وتنتظر وقد عافت عشها ، وجفت أهلها ، واختصرت دنياها كلها ، فكانت هذه الصخرة الصلعاء التى شهدت مبدأ آلامها وتأمل أن تشهد نهايتها ، تظن من حبها وتذكرها أن السفينة لا تزال قريبة منها ، وأن الحبيب يلوح لها بمنديله ... وبينها وبين الحبيب بحار ولجج ، وأيام وليال ، والحبيب قد سلاها ونسيها ، وطمست صورتها فى نفسه أمواج الثروة واللذة والدنيا العظيمة فى نيويورك حتى محتها ...

فماتت شوقاً إليه ، وأسفاً عليه

أم هى لم تمت وإنما شهدت عودته ، فإذا هو قد عاد رجلاً غير الذى ذهب ، لم يبق فيه من ابن القرية إلا كما يبقى من ندى الصباح تحت شمس الهاجرة ، لا زيه زيه ، ولا لسانه لسانه ، فأعرض عنها وازدراها . ورأت إلى جانبه فتاة من بنات (باى باى) . فخولطت وعادت إلى صخرتها تنتظر عودة من ليس يعود ، حتى وافاها الأجل ، فدفنت مكانها ؟

أم هو قبر عاشق ماتت حبيبته كما ماتت ليلى ، فعاش بعدها كما يعيش كل حبيب يائس

أم كانت قصة هذا القبر شيئاً آخر ، فمن يعرف هذا الشيء ؟

من يهتم بشهيد من شهداء الغرام ؟ من يعنى بضحية من ضحايا العواطف ؟ من يبكى للمحب المجهول ، ويقف على قبره وقوف الناس على قبر الجندى المجهول ؟

يا رحمتا للعاشقين ! حيهم بائس ، وميتهم منسى ، وحديثهم ضائع ...

يا رحمتا للعاشقين ! لا يقام لشهيدهم قبر ، وإن أقيم له لم يقف عليه أحد ، ولم يحفظ تاريخه

ويا ضيعة هذا الكنز الأدبى العظيم ، هذه الدنيا من العواطف لم يبق منها إلا ما أودع ديوان (العتابا) فمن يعنى بجمع هذا الديوان ونشره فى كتاب ؟

ألم تعلموا بعد أن فى هذه العتابا من الصور والمعانى ما لا يملك بعضه غزل شعراء العرب كلهم مجتمعاً ؟ فمن يهتم به ؟ ومتى يأخذ الشعراء هذه الصور والمعانى فيودعونها الشعر الفصيح ؟

* * *

وبعد فيا أهل بيروت

إذا جزتم بهذا القبر التائه ، فقفوا عليه كما تقفون على قبر الجندى المجهول ؛ وقدسوا فيه المحبة كما تقدسون هنالك البغض ، وكرموا فيه الحياة ، فالحياة الحب والحب الحياة ، واجعلوه تمثال العاطفة ، فالعاطفة فوق العقل ، والإنسان إنسان بالعواطف لا بالتفكير ...

لا تحقروا العاطفة ، ولا تزدروا القلوب ، فإن للقلب منزل أقدس شيئين فى الوجود : الإيمان والحب . وحسب العقل جوداً وعجزاً أنه لا يستطيع أن يفهم الحب ولا يدرك الإيمان . وحسب العاطفة كرماً ونبلاً ، أن من ضروبها حب الوطن والوفاء ، والإحسان والرحمة ، وذلك ما يميز الإنسان من سائر الحيوان ...

ونحن اليوم فى حاجة إلى الإيمان بالعاطفة الخيّرة ، فلنجعل الحب العفيف وسيلة إليها ، ولنتخذ منه سلاحاً نحارب به الفسوق والدعارة ، والغلظة والوحشية ، ولنستكمل به إنسانيتنا فمن لم يعرف الحب لم يكن له قلب

إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى

فكن حجراً من يابس الصخر جلمداً

على الطنطاوى

إلى الدكتور زكى مبارك

للأستاذ محمود غنيم

سيدى الدكتور :

طالما ترددت فى الكتابة إليك لتهيبى من قلمك ، وأخيراً وجدتنى مدفوعاً إلى ما أتوق بعامل خفى ذى مصدر مجهول

ولست من أولئك المكلفين بالمصاولة والمجادلة ولا ممن يرغبون فى مهاجمتك حباً فى ثورتك أو إرضاء لنزيزتك التى حار فى مرادها — على ما أعتقد — الكثير من زملائك : فمن حاول منهم الارتقاء بك أحجم عن ذلك مخافة وصفك له بالملق والمصانعة ، ومن حدثته نفسه بنقد خطوة من خطواتك لدغته فى غير ما هوادة ولا رفق ، ومن سكت عن ذكرك بخير أو بشر وصفته بالجمود والخمول والنوم

وقد استخلصت من تتبعى لك واقتفائى لأثرك : أنك أخطر مخلوق فى المحيط الأدبى ؛ فلم ينج من سنان قلمك ـ على ما أظن إلا نسبة ضئيلة من أدباء هذا العصر سواء فى ذلك من يضمر لك الخير ومن يتمنى لك المكروه ، كما تساوى أمامك من تدين له بصقل لسانك وسلامة تفكيرك ، ومن شرب من منهلك واستظل بظل ثقافتك

رأيتك يا دكتور تطل على ذلك الجمع الزاخر من علو شاهق غير عابئ ولا مكترث بما قد يكون مخبأ لك من سقطة أو سقطات تهوى بك من ذلك العلو إلى هوة تجر عليك شماتة الشامتين، وكلهم بالمرصاد . ولست بصدد مناقشة آرائك ومعتقداتك وموقعها من آراء ومعتقدات من تتصدى لهم أو يتصدون لك، أو حيال الحكم لك أو عليهم، فقد تكون عادلاً فى كل ما قلت، وقد يكونون محقين فى ذكر ما يدعون، وبالعكس ؛ ولكنى أمام موقفك من أعصابك التى تطالبك فى إلحاح بإعطائها برنامجاً منظماً يخدم نواحى لا يناقض بعضها بعضاً ، وتطالبك كذلك بالترفق حين الزج بها فى تيارات مضطربة الاتجاهات

وعلى هامش نقدى لأعصابك يا دكتور أقرر أن الأدب مدين لثورة تلك الأعصاب بالشىء الكثير وبدرر غاليات تزن ثقل ما لك من خصوم فى هذا البلد . وإذا كانت تلك الثورات واحدة من اثنتين من تجاربك فى ازدهار أدبك فأنا أهنئك مغتبطاً بنجاح تلك التجربة وأطالبك فى رفق بإجراء التجربة الأخرى : نريد أن نقرأك يا دكتور هادئاً كالنيل فى غير إبان الفيضان ، وكالغصن عند سكون الريح ، وكالوردة قبل أن تهاجمها أشعة الشمس وأعين الرقباء

لو كنت يا دكتور من أشرار الأدباء — إن كان بين الأدباء شرير — أو كنت من أدباء الشرور (إن وجد بين ذخائر الأدب شر) لما ترددنا لحظة من يوم أن ظهرت على المسرح الأدبى فى الحكم عليك بما فيك ، وقدمنا لك حسابك وأسلمناك لما تقوم به من صراع ، ووقفنا فى صفوف المتفرجين ، أو قبعنا فى زاوية بمنأى عنك بعيدين عما يصب عليك . ولكنك رغم إقلاقك النائمين من مضاجعهم بصوتك المدوى نلمس إخلاصك ونؤمن برقة إحساسك

نريد أن نحكم عليك يا دكتور بعد أن تجرى التجربة الباقية وبعد أن اجتزت التجربة الأولى بكل نجاح

وإلا فاجعل لنا يوماً من نفسك على صفحات « الرسالة » تحدثنا فيه بالصراحة التى نعدها من أهم مقوماتك — عن زكى مبارك كما يعرفه زكى مبارك ، شارحاً لنا وجهتك فى الحياة الأدبية التى نعتقد أنك تعيش فيها منفرداً ، فأنت أجدر من يتحدث عن نوايا النفوس

المخلص

(إدكو) محمود غنيم

مجموعات الرسالة

تباع مجموعات الرسالة مجلدة بالأثمان الآتية : السنة الأولى فى مجلد واحد ٥٠ قرشا ، و٧٠ قرشا عن كل سنة من السنوات : الثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة فى مجلدين. وذلك عدا أجرة البريد وقدرها خمسة قروش فى الداخل وعشرة قروش فى السودان وعشرون قرشا فى الخارج عن كل مجلد .

سيجموند فرويد
العالم النفساني الكبير

للأستاذ صديق شيبوب

— ٢ —

زاول « فرويد » بعد عودته من فرنسا مهنة الطب بمدينة فينا وانصرف إليها يمارسها بالعناية التي انطبعت عليها نفسه والتي وصفناها في المقال الماضي

وكان قد عرف قبل رحلته إلى باريس طبيباً يدعى « جوزيف برور » فانضم إليه بعد أوبته واشتركا في مزاولة مهنتهما

تحدث هذا الطبيب إلى « فرويد » قبيل سفره عن فتاة هستيرية أصيبت بالشلل وغموض القوى الواعية ، وروى له أنه لاحظ أن حالة الفتاة تتحسن كلما استطاعت التحدث ملياً عن نفسها . وكان لهذا السبب يصغي في صبر لحديثها عند ما تترك فيه المجال لواهمتها الشعورية ، وأنه لاحظ أن اعترافات الفتاة متقطعة ، وأنها تخفى عن قصد أشياء يظهر أنها لعبت في حياتها دوراً هاماً ، وكانت من مسببات علتها . فخطر له أن يستعمل التنويم المغناطيسي على أمل أنها ، وهي معدومة الإرادة في حالة السبات ، تبوح بما تخفيه في يقظتها . وهكذا استطاع أن يعرف من الفتاة أنها بينما كانت تعنى بوالدها المريض أحست في نفسها بمشاعر كبتتها لأسباب أخلاقية فاتخذت هذه المشاعر شكلاً آخر برز في أعراض مرضها . وكانت أعراض الهستيريا تزول كلما باحت بحقيقة الأمر

لم يجد « برور » في هذه الفتاة غير حادث مرضي استطاع كشف الستار عنه ومعالجته . أما « فرويد » فشعر بغريزته العميقة أن الأمر أشد خطراً مما توهمه صاحبه ، وانتهى من ذلك إلى هذه الحقيقة وهي أن « قوى النفس تتحول عن مراكزها » وأنه يجب أن يوجد في العقل غير الواعي قوة عاملة تحول الشعور عن مجراه الطبيعي وتقذف به إلى مظاهر نفسية أو طبيعية

ولما كان هذا العارض الذي كشف عنه « برور » يؤيد الاختبارات التي شاهدها « فرويد » بباريس ويبرزها في صورة جديدة ، استقر رأي الزميلين على متابعة أبحاثهما التي قصدا إليها في طريق مظلمة وعرة . وهكذا وضعا كتاب « العمل النفسي في عوارض الهستيريا » الذي ظهر سنة ١٨٩٣ و « رسالة في الهستيريا » ظهرت سنة ١٨٩٥ فكشفا عن حقيقة هذا الداء في كتابيهما وأبرزاه تحت ضوء جديد

قررا للمرة الأولى في علم الطب أن الهستيريا ليست من علل الجسم الأصيلة ولكنها اضطراب ناتج عن صراع داخلي لا يشعر به العليل نفسه وأن تحت ضغط هذا الصراع تظهر عوارض هذا الداء ، وهو انحراف مرضي

تنتج إذن الاضطرابات النفسية عن كبت العواطف كما تنتج الحمى عن التهاب داخلي ، وكما تهبط درجة حرارة المحموم عند ما يجد الالتهاب منفذاً ، كذلك تزول أعراض الهستيريا عند ما يستطاع التفريج عن العواطف المكبوتة « والسير بها في السبل الطبيعية حيث تتركز القوى الشعورية منبسطة في حرية بعد أن كانت ملتوية أو بعبارة أخرى مخنوقة ، وكان هذا الخنق سبباً لاستمرار عوارض الداء »

على أن الزميلين ، « فرويد » و « برور » انفصلا بعد لأي لأنهما كانا قد وصلا إلى نقطة لم يتفقا عليها . كان « برور » طبيباً يخشى خطر الاعتماد المطلق على علم النفس ويصرف همه إلى وسائل معالجة الهستيريا والشفاء من أعراضها ، بينما صار « فرويد » الذي اكتشف في مواهبه ميلاً إلى علم النفس مأخوذاً بالعوارض النفسية وبالأسرار التي يكشف عنها تبدل العواطف ، وقد أثار فضوله أن هذه العواطف تكبت فتقوم مقامها عوارض جسمية فاستمر في البحث حتى بدا له أن هذه الظواهر تصلح أساساً للتحليل النفسي ، وأنها تفتح أبواب عالم جديد قائم على العقل غير الواعي ، فوقف حياته منذ ذلك العهد على « درس المناطق غير الواعية في الحياة والنفس » ، وكان ذلك أساساً لمذهبه الجديد الذي نفصله فيما يلي :

كان علماء النفس قبل « فرويد » يعرفون أن الطاقة النفسية لا تتلاشى كلها فى عمل العقل الواعى ، وأن هناك قوة أخرى خفية تؤثر فى حياتنا وتفكيرنا ، ولكنهم كانوا يجهلون هذه القوة ولا يحاولون إدخال العقل غير الواعى فى محيط العلم والتجربة

كان علم النفس أيامئذ ، أى قبل سنة ١٩٠٠ ، وهو العهد الذى قرر فيه « فرويد » نظرياته ، لا يهتم بالأعراض النفسية إلا بقدر ما تدخل فى دائرة الوعى الواضحة ، فلا تدرس العاطفة إلا إذا ظهرت تماماً ، ولا يعنى بالإرادة إلا إذا أملت مشيئتها فعلاً ؛ وهكذا كان علم النفس يستبعد كل الظواهر النفسية التى لا تطفو على سطح الحياة الواعية فى شكل بارز

رأى « فرويد » أن العقل الواعى لا يعد مصدراً لكل عمل نفسى ، وأن العقل غير الواعى ليس طبقة سفلى يختلف عن الأول ويخضع له ؛ وقرر أن كل الأعمال النفسية ناتجة أولاً عن العقل غير الواعى ، أو ما دعوه بالعربية العقل الباطن ، وأن الأعمال التى نعيها لا تختلف عن الأولى ولا تتفوق عليها ، لأن وعيها نتيجة عمل خارجى . ومثل هذا كمثل النور حين يضىء بعض الأشياء ، فهذه الأشياء موجودة وجوداً مادياً ، ولكن النور يجعلنا نراها فليس النور الذى أوجدها لأنها عالقة بالعالم الطبيعى سواء أكانت ظاهرة لتسليط النور عليها ، أم مختفية تحت ستار الظلام حيث نستطيع أن نتعرف باللمس شكلها وحجمها

وهكذا يجد « فرويد » أن « غير الواعى » لا يعنى المجهول أو « غير المستطاع الوصول إليه » ، كما كان يظن العلماء من قبل وقد اعتقدوا أن فى النفس خزاناً مظلماً راكداً أو مستودعاً يحوى المنسيات والمختلفات ، فتستمد الذاكرة منه بين وقت وآخر أشياء بمعاونة العقل الواعى . وكانوا يعتقدون كذلك أن عالم غير الواعى عاطل فى نفسه لا عمل له ولا شأن كأنه حياة انصرم عهدها وماض مدفون لا أثر له فى عواطفنا الحاضرة

أما فرويد ، فقد رأى أن غير الواعى ليس من رواسب النفس بل هو مادتها الأولى ولكنه لا يصل إلى سطحها المستنار بالوعى غير جزء يسير منه . ولا يعنى طى بعض أجزائه أنه عقل ميت أو أن لا قوة له ، لأنه فى الحقيقة حى عامل يؤثر فى تفكيرنا وعواطفنا ، ولعله أقوى العوامل فى حياتنا النفسية . وعليه فإنه يخطىء من لا يحسب حساب الإرادة غير الواعية فى كل ما تعمله وتمليه ، لأنه ينفى العنصر الأصيل فى قوانا الداخلية

ليست حياتنا مظهراً حراً للعقل الواعى يسيرها كما يشاء ، وليس عالمنا ملكا لإرادة واعية تسيطر عليه . إن من ظلمات العقل الباطن تنبع الأنوار التى تلقى ضوءها القوى على أعمالنا ، وفى أعماق عالم الغرائز تتألف العواصف التى تسيطر علينا وتغير المجرى الطبيعى للحياة التى كان مقدراً لنا أن نعيشها

تلتقى فى هذه الأعماق المظلمة من طبقات النفس البشرية العواطف التى مرت بالوعى فى حين من الزمان ، ورغبات الطفولة المنسية التى يظن أنها دفنت إلى الأبد ، والمخاوف والأهوال التى قيل إنها زالت ومحى أثرها ، وهى جميعها تضطرب حيرى قلقة عطشى إلى الظهور بواسطة الأعصاب

لا يعيش هذا جميعه فى أعماق النفس فحسب ، بل هناك أيضاً شهوات الأجيال التى انقرضت واحداً بعد واحد صعداً إلى عهد الهمجية ، فتلتقى فيها الذاتية الهمجية بالذاتية المتحضرة وفجأة تتحرك الغرائز الأولية الجامحة فتمزق سجوف المدنية الشفافة وتبرز قوية عنيفة من العالم غير الواعى إلى العالم الواعى وتحاول أن تنال قسطها من العمل الحر ، فيتولد صراع عنيف بين عاطفتنا الأخلاقية المتمدينة وبين غريزة اللذة الهمجية الدفينة فينا . ولا شك أن كل كلمة نتفوه بها ، وكل حركة نأتيها ، مظاهر لهذا الصراع الذى تحاول فيه العاطفة المتمدينة التغلب على غريزة اللذة ، بل إن حياتنا النفسية كلها صراع دائم مؤثر بين الإرادة الواعية وغير الواعية ، وبين العقل المسؤول والغريزة غير المسؤولة

وقد شاء « فرويد » من هذا جميعه أن يفهم كل إنسان معنى اندفاعاته غير الواعية ، لأنه ليس من المستطاع معرفة عواطف الإنسان إلا إذا أنيرت طبقات نفسه المظلمة ، ولا يعرف أسباب اضطراباته إلا إذا انحدر إلى أعماق نفسه ، وليست مهمة العالم

ولـــز فى كلمة موجزة

للأديب محمد جمال الدين أبو رية

حياته :

فى مقاطعه كنت بانجلترا سنة ١٨٦٦ ، خرج ذلك الأديب النابغ ، ذلك العقل الجبار ، ليظهر للعالم أنموذجاً صحيحاً للأدب الفنى ، للقريحة الممتازة القليلة النظير

حصل ولز الأديب على شهادة B. Sc. فى العلم فى سن مبكرة ، ولكن أبى القدر إلا أن يذوق ذلك الأديب من تجاربه القاسية ، فساءت حال ولز المادية ، فاضطر أن يشتغل فى محل للأقمشة ، ثم اشتغل بالصيدلة ، ثم اشتغل بالتدريس . فكادت كل هذه التجارب تودى بحياته ، إلا أنه اشتغل أخيراً بالتأليف والصحافة محافظة على حياته . وما من فنان أو عظيم بلغ أوج عظمته إلا وقد ذاق الأمرين .

لم يكن ولز كغيره من الأدباء ، إذ كانت له نظرية فريدة ، رفعته إلى المرتبة الأولى من الأدباء ، فهو يصل الماضى بالحاضر متغلغلاً فى أعماق المستقبل

كانت قصص ولز الأدبية ، قصيرة وطويلة ، موضوعاتها منوعة ، فقد عالج أساليب الحياة التى وصفها وصفاً دقيقاً ، وكتب فى الحب والحياة والموت والموضوعات العلمية

ولقد كانت تتخلل كتابات ولز قطع فنية ، يكتبها بمداد من خياله الرائع الجميل مثل قوله :

« لقد كانت الزهرات تتدفق وتتعانق كألحان الموسيقى العذبة ، وترفع إلىَّ عيوناً كعيون الأطفال ، وسرى إلى أذنى غناء سحرى من فم الزهر والأغصان والأوراق ، وفجأة سمعت من أعماقها أغرودة طائر وخفق جناح مرتاع ... الخ »

كان من أهم مميزات ذلك الأديب الفذ . . . صدق حدسه عن المستقبل ، حتى وصفه أدباء فرنسا فى ذلك الحين بأنه « رجل الأحلام » ووصفوا أحاديثه بأنها « أضواء تخطف الأبصار »

أغراضه :

١ — اهتم ولز بالفرد ، وأراد أن ينزهه عن التحبب إلى من يعلو عنه مرتبة وينزهه عن التسخير فيقول : « وما الأهرام ، وما تلك المشيدات الرومانية العظيمة إلا بيد الفرد المستعبد المسكين » .

٢ — ترى أن ويلز غاضب من الحكومات ، غاضب من الزعماء ، غاضب من الساسة ، لأنه يرى أن الزعيم لا يصل إلى المراتب العالية إلا بواسطة الفرد وإرضائه (رشوته) . فهم يجتمعون ويتكلمون ويأدبون المآدب ، كل ذلك لغرض واحد هو الوصول إلى الحكم ثم الاستبداد وحب الذات

٣ — يريد ولز أن تنتهى تلك الحروب وتخلق وحدة اقتصادية كبرى تشمل الدنيا ، ووحدة مالية تحفظ العالم من الخراب والدمار ثم يرجع ولز فيبشرنا بالرخاء والرغد فى المستقبل فيصيح قائلاً :

(إذن فاعلموا أنى متفائل أرى الفجر يقترب ، وأرى البشائر فى حواشى الأفق)

ألا ترى بعد ذلك أن ولز ذلك الأديب يستحق بعض وقتك فى قراءة تاريخه وكتبه .

(المنصورة) محمد جمال الدين أبو رية

النفسانى أن يكشف للانسان عما يعيه ، كما أن الطبيب لا يستطيع أن يعالج المريض إذا جهل حقيقة عقله الباطن

ولكن كيف السبيل إلى الوصول إلى أعماق النفس المجهولة ؟ يعتقد « فرويد » أن العقل الباطن يعبر عن نفسه بإشارات ورموز ، وأن على من يريد الكشف عن أسراره أن يتعلم لغته . وقد وضع « فرويد » أصول هذه اللغة على الطريقة التى جرى عليها علماء الآثار المصرية حين كشفوا عن اللغة الهيروغليفية . فقد أخذ يبحث إشارة بعد إشارة ورمزاً بعد رمز حتى انتهى إلى تدوين لغة العقل الباطن ووضع قواعدها . وهكذا استطاع أن يقيم لعلم النفس أسساً جديدة على طريقة علمية ، وأن يكشف عن عالم مجهول .

(للبحث صلة) صديق شيبوب

الى معالى وزير المعارف

التعـــــليم الزراعى

– ٣ –

« هذا الفلاح المزيف لا يصلحه تنظيم قريته ولا تجميل داره ؛ إنما يصلحه تربية ذوقه وإرهاف حسه . فان صاحب الذوق يبنى الدار الجميلة ويخط الحديقة البهيجة ؛ أما فاقده فخليق به أن يجعل القصر زريبة والبستان مزبلة »

(الزيات)

ثانيا : المدارس المتوسطة

الآن أطوى صفحة المكتب الزراعى وإنه ليروعنى أن يعيش هـذا الفرع من التعليم الزراعى خمس سنوات لا يحس به ُجلّ مَنْ يعنـُون أنفسهم بالبحث فى فروع التعليم ، وإن كثيراً ممن اشتغلوا بالتعليم الزراعى لا يعرفون عن المكتب الزراعى إلا قطرات لا تبل غلة . ولقد سألنى صديق من ذوى الرأى والمكانة فى دهشة : « وماذا عسى أن يكون المكتب الزراعى ؟ » قلت : « هذا نوع من التعليم أسدلت عليه سجف كثيفة خشية الفضيحة »

وبعد فلا عجب إن امتد الزمن بالتعليم الزراعى خمساً وعشرين سنة لا يفيق من غفوته ولا يتخفف من ثقله ، فهو لـُقى فى ناحية من الوزارة لا يستشمر وجوده أحد ، ولا يجد هو من يهتك عنه أستاره ليتكشف أمام الملأ فى غير تمويه ولا زَيْف . وأنا حين أجرّد القلم ليرفع صوت التعليم الزراعى وينشر شكاته على أعين أولى الأمر لا أبتغى سوى كلمة الإنصاف أول قول الحق

النظام و « فوضى النظام »

لا ريب فالطالب الزراعى خَلـْقٌ شاء هو ، أو شاء له القدر ، أن يتحلل من أثقال المدرسة ليقضى سنوات فى مدرسة ليست هى فى رأيه مدرسة ولـكنها بعض ُمتع الحياة ؛ وفى خاطره أنه سيطرح نصب الاستذكار وكدّ المطالعة وعناء الدرس ... سيطرحها جميعاً من وراء ظهره ، لأنه سيكون فلاحاً نظيفاً يغدو إلى الحقل ويروح إلى المدرسة ينعم بالهواء الطلق ويمرح فى الفضاء المنفسح ، وينشق الحرية اللانهائية ؛ يأكل وينام ويلعب ويهدأ متى شاء وأنى أراد ؛ ثم هو بعد ذلك لا يستشعر بأساء الاختبار، ولا شدة الامتحان ، ولا غلظة الدرس ، ولا جفاء المدرس ... ثلاث سنوات تمر مرّ السحاب ، فإذا هو رجل يحمل بين يديه (دبلوماً) فتفتح أمامه مغاليق الحياة، وتهش له مصالح الحـكومة!

يا ما أحلى هذه الأحلام حين تطيف بخيال الفتى وهو غِرّ قد وقفت به همته عن أن يبلغ مبلغ الرجال ، أو أعجزته الوسيلة عن أن يسمو إلى مراتب التعليم العليا ، أو ضاقت به فرج التفكير عن أن يصل إلى النهاية !

هـذا هو الطالب الزراعى ، وإن نزوات الشباب لتتوثب فى رأسه توحى إليه بأنه يوشك أن يكون رجلاً يعرف كل شىء فى حين أنه يخرج من مدرسته لا يعى شيئاً ، وهو أجهل ما يكون فى الزراعة التى وقف عليها ثلاث سنوات من عمره

وينغمر الطالب فى خضم هذه اللجة فتصفعه الحقيقة المرة صفعة تطير لها هذه الرؤى الجميلة بعد أن يكون قد استشمر لذتها حيناً من الزمان ؛ فتعود إليه نكسة اليأس حين يرى أن المدرسة التى فزع منها هى المدرسة التى زَجّ بنفسه فيها ؛ فهو هنا سيقرأ ويكتب ويطالع ويجلس على مقعد فى فصل يسيطر عليه مدرس ، ثم يتذوق مرارة الدرس ولذع الامتحان ونكد الرسوب و ... فإذا هو هو الطالب الذى أخفق ويخفق مرات ومرات ، الطالب الذى حطمته السنون العجاف ، الطالب الذى جاء ليموت فى التعليم الزراعى أو يموت به التعليم الزراعى

وليت كل طلاب المدرسة من بيئة واحدة وثقافة واحدة ووسط واحد ، إذن لاستطاع المدرس أن يوائم بين نوازعهم ورغباتهم ، أو أن يجد الحيلة فينفذ إلى عقولهم وأخلاقهم . ولكن هذا الجمع — وا أسفا — خليط لا يمت الأول إلى الآخر بسبب ؛ فالفصل الواحد يضم بين جدرانه أشتاتاً من الطلبة تضطرب فى غير ترابط ولا وفاق : فالحجرة الواحدة تجمع بين الطالب فى الخامسة عشرة والطالب فى الخامسة والعشرين ، وتؤلف بين من نال شهادة إتمام الدراسة الابتدائية هذا العام وبين من قضى سنوات ثلاثاً فى السنة الرابعة الثانوية ، وتربط بين من هو ما يزال فى فتوة العقل ومن نخر اليأس حشاشة قلبه ؛ وتلقى فى ركن الفتى الريفى الذى رأى الغيط وجلس إلى الفلاح ، وفى الركن الآخر الشاب الذى درج فى المدينة وشب وترعرع ونما واشتد فى حضن الحضارة الرفيق لا تربطه بالريف آصرة ... وهكذا يصطدم المرء

– أول ما يتغلغل فى المدارس الزراعية المتوسطة — بهذا الخلل الذى أسميه فى غير تحرج « فوضى النظام »

و « فوضى النظام » تتسلل إلى المدرسة منذ أول يوم من أيام السنة الدراسية ، حين تفتح المدرسة أبوابها على مصاريعها ، لا تدفع طالباً ولا ترفض طلباً ؛ ولقد تظرف مى صديق فقال : « لعل كل هم مدارس الزراعة أن تستنفد ما عندها من استمارات الدخول طلباً للربح ، كدأبها فى منتجاتها ومحاصيلها ، ولا عليها بعد ذلك ! » وقال آخر : « وإنه ليتراءى لى لو أن (عربجياً) تقدم إلى مدرسة زراعية لقبلته بين طلبتها فى غير غضاضة ، ولا أنفة ! » هذه عبارات كانت تحز فى نفسى وتؤج فى صدرى ، لأن فيها التهكم اللاذع والسخرية المرة . وليت شعرى أى مدرسة فى العالم تفتح أبوابها لكل من كان (أفندياً) يتأنق فى البذلة والطربوش ؟

وتدخل « فوضى النظام » المدرسة فتتشعب لتعم القسم الداخلى والقسم الخارجى ، والصلة بين المدرس والطالب ، وبين المدرس والناظر ، وبين المدرسة وأولياء أمور الطلبة ، و … ثم إلى بيت المدرسين

إن الاضطراب الذى رأينا – من قبل – بين جدران الفصل نشعر به أيضاً فى أركان (العنبر) فى القسم الداخلى ، فهناك مهزلة العلم يمثلها المدرس وتلامذته على مسرح الفصل حين يجهد نفسه ليتغلغل إلى عقول التلاميذ ، فلا يجد السبيل ، وقد ضرب بينه وبينهم بسور لا يستطيع أن يظهره إلا لماماً ؛ وهنا مهزلة الأخلاق يمثلها التلاميذ وحدهم على مسرح (العنبر) ، وإدارة المدرسة إما لاهية وإما عاجزة ، ولها عذر ؛ فهى لا تستطيع أن تسدل حجاباً بين الطالب الكبير والطالب الصغير وهما يقضيان عمر اليوم جنباً إلى جنب ، صديقين فى الفصل وفى الحقل ، ثم … ثم فى (العنبر) ، والكبير يوسوس للصغير ويزين له فيندفع فتنفرط أخلاقه فيهوى ، وينفض الساس عن أشياء تصم جبين العلم ، لأن كلا منهما ينطلق يريد أن يشبع رغباته الشريرة على حين قد غفا الرقيب …

وهكذا نجد أثر التباين فى السن والثقافة واضحاً فى هذه المدارس ، ولا سيما فى القسم الداخلى . ومن الغريب أن النظام الداخلى يوشك أن يعم التعليم الزراعى المتوسط ، فى حين أنه قد ثبت فساده فى التعليم العام

لهذا جاء ناظر المدرسة وإن أوصاله لترعد من شدة الخوف والفَرَق … جاء ليحول بين الطالب والمدرس ، وبين المدرس وولى أمر الطالب ، يبذل فى ذلك جهد الطاقة ؛ ثم هو يرى أشرف مبادئ التربية الحديثة بأقذع الهجاء وأقسى الألفاظ

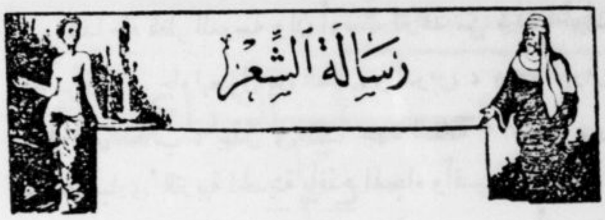
هذا الداء … داء اختلاط الشر بالخير ، حرى به أن يدفع أولى الأمر إلى أن يجتثوا أصول الشر ليذروا الخير وحده ينمو ويسمو فى هذا الوسط . غير أن شيئاً فى المدارس المتوسطة يقوى الشر وحده فيضوى له الخير ، هـذا هو داء (إعادة القيد) وهو أيضاً أثر من آثار (فوضى النظام)

وداء (إعادة القيد) هذا هو نظام احتال به الرئيس مرة ليعيد طالباً إلى مكانه من مدرسته بعد أن رسب سنتين فى فرقته فرفت ؛ فأصبح قانوناً . وهذا الضرب من الطلبة هم الشر المحض الذى يتخلل أثناء المدرسة ، وهم الفئة الباغية التى يجب أن تستأصل من هذه المدارس ليجد الخير سبيله فيها

وانسربت (فوضى النظام) إلى (بيت المدرسين) ، وهو بيت خلقته يد الإصلاح ليسكنه جماعة من المدرسين ليكونوا إلى جانب تلاميذهم ، يراقبونهم ويبثون لهم وسطاً علمياً أدبياً يستروحون من خلاله نسمات الهداية والرشاد ؛ غير أن الانكماش الذى أرادهم عليه الرئيس نفث فى هذا البيت معنى آخر ، فأصبح خلوة للمدرس ، وحاجزاً بينه وبين تلامذته ؛ أو هو كبعض (تكايا) العهد البائد يسكن فيه المدرس ويأكل ويستمتع بالراحة والهدوء ، لا يشعر بتكاليف الحياة ولا مضض العيش ، دون أن يدفع من ثمن ذلك فى الشهر إلا دريهمات لا تكفى غيره سوى يوم أو بعض يوم ، وهـذا البيت نفسه بث فى المدرس روح الكسل والتراخى والتواكل والحرص ، فما فيه من نشاط جسمى ولا عقلى ، وما فيه من فرحة للنفس ولا لذة للقلب ؛ وإذا قدر لإنسان أن يرقى إلى إلى (بيت المدرسين) ألفى هناك شرازم من المدرسين يزجون الوقت بين الهذر والمزاح والنرد والورق و … ثم لا يجد سوى بقايا مذكرات قديمة وأوراق متناثرة وجرائد ومجلات هزلية ، أشياء مما تنحط بالعقل والتفكير ، ثم لا يعثر على كتاب أدب ولا رسالة فى علم ولا نشرة زراعية ولا بحث فى موضوع ولا … ولا … مما يرقى بعقل المدرس ويفيد الطالب

(*)

« للموضوع تكملة »



الهـــوى يغني

للأستاذ أنور العطار

يَافُؤَادِي لَوْلاَكَ مَاهَدَّنِى الشَّجْـ وُ وَلاَ ذُبْتُ حَسْرَةً وَشَقَاء

كُنتَ تَشْكُو وَكُنْتُ آمَى لِشَكْوا ك وَأَسْتَنْفِـــدُ الدُّمُوعَ بُكَاء

وَأُسَلِّيكَ مَا وَدِدْتَ التَّسَلِّى وَأُعَزِّيكَ مَا حَبَبْتَ الْعَزَاء

أَرْقَأَ الدَّمْعَ خَيْرَ مَنْ رَقَأَ الدَّمْـ ع وَأَطْوِي الْجَوَى وَأُقْصِي الدَّاء

* * *

يَا فُؤَادِي لَوْلاَكَ مَا بِتُّ لَيْلِي سَاهِدًا أُضْجِرُ النُّجُومَ اشْتِكَاء

أَتَنَزَّى أَسًى وَأَنْتَ مِنَ الوَجْـ دِ تَعُبُّ الظِّلاَلَ وَالأَنْدَاء

وَتَرَى اللَّيْلَ خَيْمَةً لِلتَّمَنِّى تُلْهِمُ الشِّعْرَ وَالْهَوَى وَالْغِنَاء

هَاهُنَا يَرْقُدُ الْهُيَامُ كَئِيبًا مَضَّهُ الْيَأْسُ فَارْتَمَى إِعْيَاء

هَاهُنَا تَسْتَرِيحُ دُنْيَا مِنَ الأَشْـ وَاقِ تُغْرِي الأُلاَفَ وَالشُّعَرَاء

هَاهُنَا تَهْدَأُ الْمُنَى غَيْرَ نَجْوَى تَغْمُرُ الرُّوحَ هَاجِسًا وَنِدَاء

* * *

الْهَوَى جَدْوَلٌ يَظَلُّ يُغَنِّي يَتَنَــدَّى بَشَاشَةً وَرُوَاء

مَنْ يُسَايِرْ ضِفَافَهُ الْخُضْرَ يَهْتَـ زْ مِرَاحًا وَيَسْتَعِرْ خُيَلاَء

وَيَغِبْ فِى رَغَادَةِ الْفَرَحِ السَّمْـ حِ وَيَنْسَ الْحَيَاةَ وَالأَحْيَاء

* * *

ذَلِكَ الْجَدْوَلُ الشَّهِيُّ الْمُوَشَّى حُلُمٌ يُلْهِبُ الْقُلُوبَ اشْتِهَاء

رَفَّ بَيْنَ الْمُرُوجِ وَالْقَلْبُ ظَمْآ نُ يُنَاجِي الأَمْوَاهَ وَالأَفْيَاء

نَضَّرَ الْعُمْرَ فِى خَيَالِي وَهَزَّ الْـ ـكَوْنَ بِشْرًا وَزَيَّنَ الأَشْيَاء

أنور العطار

صفحات من الحب العظيم

الخلــوة الأولى

في أرض الجزيرة على النيل

للأستاذ محمود الشرقاوى

فى خلوةٍ كان الهوي بيننا وكانت النجوى وكانت دموع

وكانت الشكوي وكان الجوى وخافقٌ يضرب بين الضلوع

* * *

سقيتنى من روحك الطاهر عذبَ هوًى كنتُ إليه ظمِى

رويت فيــه ظمئى وانتشى قلبىَ منه وجرى فى دمى

* * *

شكا كلانا ما به وانثنى يستمع الشكوى إلى جاره

يستمع الشكوى وفى قلبه دنيا من الوجد ومن ناره

* * *

ومرَّت الساعات تعدو إلى حيث تهاوى فى قرار سحيق

ونحن فى خلوتنا نشتهى أن ينقضى الدهر وما إن نفيق

* * *

حتى أتت ساعتنا للوداع ثم وقفنا موقفاً موجعا

مددت يمنـــاك وأبقيتها فى قبضتى ثم صمتنا معا

* * *

وقلت لى : كيف سأبقى إلى أن يصبح الصبح ؟ أما نتّقى !

يا حسرتا لى ! تتوالى الليال لا نشتكى فيها ولا نلتقى !

* * *

بالله قل لى كيف كان الهوى وكنت بَعدى ياطويل الغياب

وكيف تُقضَى ليلةٌ فى الشتاء بغير شكوى فى الهوى أو عتاب

* * *

وكيف بالليـــل تولّى ولا تسمع فيه زفرةً من شجونى

وكيف بالأيام تمضى ولا تشهد فيها دمعةً من عيونى

يا قاسى القلب ، أما تشتهى   أن ترجع الأيام تلك العهود ؟
أين الوفا منك وميثاقه   وأين منه اليوم هذا الجحود

***

أين لياليـنا وأيامنا   ما بين شكوى فى الهوى أو عتاب
إذ نتلاقى فى الضحى والمسا   ونشتكى فى الصبح مرّ الغياب

***

طال ندائى لك فى خلوتى   وطال حرمانى وطال العذاب
من بعد أنسى منك في وحدتى   يوحشنى بعدك بين الصحاب

***

هلْ نسترجع عهدًا مضى   كنت لقلبى فيه دنيا المنى
هلْ نسعد بكئوس الرضى   من بعد ما ذقنا كئوس الضنى

***

هلْ نفرح بعد هذا النوى   ونسدل الستر على ما مضى
أسقيك من روحى صِرف الهوى   وتملأ الكاس بخمر الرضى

***

هيهات ! لا قلبى له مسعد   ولا حبيبٌ قربه يرتجى
بل أمنيات أشتهى أن تكون   أشقيت عمرى وهى ليست تجى

محمود الشرقاوى

نشيد

لك روحى ...

للأستاذ أحمد فتحى مرسى

لكِ رُوحى فاسلمِى مصرُ وسودِى   وابلغِى بالجِدِّ هاماتِ الوُجودِ
من صُعودٍ للسّما نحو صُعودِ   وَيَقِينٍ بالعُلا بعدَ يَقِينْ

***

لكِ صَدْرِى فاتقِى سهمَ المنونِ   وَيَمِينِى إن وَنَتْ شُلَّتْ يَمِينِى
إنْ عَدَا العادِى على الوادِى الأمينِ   أوْرَدَتْهُ القبرَ أيدٍ لا تلينْ

***

إنني نَسْلُ جُدودٍ خالِدِينَا   مَلأُوا الدُّنْيا جُنودًا وسَفِينَا
لاَ تقلْ ما كانَ منهمْ لنْ يكونَا   كلُّ ما هوّنتَ من صَعْبٍ يهونْ

***

صُلْبٌ فِى حقّ أوطانى فإنْ   لانت الأحجارُ فيها لمْ أَلِنْ
قدْ سقانى نيلُها ، إن لم أكنْ   حامِىَ النيلِ فمنْ غيرِي يكونْ ؟
سلِمَتْ مصرُ وسادَتْ فِى الحَياهْ
فِى عُلاَ « الفاروقِ » تعلو وحِماهْ
جلَّ ربّى منْ رعاها ورعاهْ
أنا فى الرَّوْعِ فِداها وفِداهْ
أيها الجُنْدِىُّ قمْ وافدِ الحِمَى   وابْلُغَنْ بالنيلِ أسبابَ السّما
لا تقلْ : أعجزُ عنها ، إنما   خلقَ العجزَ خيالُ العاجزينْ
هذه الرايةُ فى أوجِ العلاءِ   أنا إن جُدتُ فِداها بِدمائى
خَلّدتنى كلُّ حىّ للفناءِ   ليسَ يبقى غيرُ ذِكْرى الخالدين

***

يا ثلاثًا هُنّ خيرُ الأنجمِ   أنتِ : رُوحى ، وحياتى ، ودمى
خضْرةُ الجنّةِ فى ذا العالَمِ   وبياضُ الصُّبحِ والحقّ المبين

***

عشتَ يا فاروقُ والدنيا فِداكْ   وعُلاَ الأنجمِ بعضٌ من عُلاكْ
جنّةٌ للنيلِ ما شادتْ يداكْ   فاعمرُوها بسلامٍ آمنين
سلِمَتْ مصرُ وسادتْ فى الحياهْ
فى عُلا « الفاروق » تعلو وحِماهْ
جلّ ربّى منْ رعاها ورعاهْ
أنا فى الرَّوْعِ فِداها وفِداهْ

أحمد فتحى مرسى
المحامى



قصة الفيتامين

الفيتامين المضاد للالتهاب العصبى أو فيتامين البرى برى B_1

للأستاذ عبد اللطيف حسن الشامى

— ٥ —

زال كل شك على التقريب لدى من بقى متردداً فى احتواء قشرة الأرز الرقيقة على هذه المادة الحيوية العجيبة المضادة للالتهاب العصبى ، وخاصة بعد ما عزز اليابانيون هذه النظرية بنتائج قاطعة وقعت فى جيوشهم وبحريتهم إذ كانت هذه تعتمد فى غذائها على الأرز الأبيض المقشور ، وكانت تقدم سنوياً من ضحايا البرى برى من لا حصر لعدده من الرجال حتى بلغت نسبة الضحايا فى بعض السنين أربعين فى المائة من رجال القوات المحاربة مما تأثر به الجيش والبحرية ، ولكن حدث بعد هذا أن أضرب عن طعام الأرز كغذاء رئيسى أساسى وأضيف إليه البطاطس والفواكه والدرنات وخبز الحبوب ، فكانت النتيجة اختفاء مرض البرى برى ، وهذه الخطوة الأخيرة من أهم الخطوات العملية الجديدة التى خطاها البحث وقاوم بها الداء وكسرت بها شوكة المرض ، ولا يلعب الآن هذا المرض إلا دوراً ثانوياً بسيطاً فى تلك البلاد الأسيوية الشرقية التى عرفت الأهمية الصحية لما تحويه قشرة الأرز من المواد الحيوية ، فأحلت الأرز غير المقشور أو نصف المقشور محل الأرز المقشور ، وقد لا يقدر قيمة هذا العمل الأخير أحد مثل الذين رأوا بعيونهم الفعل الوبيل للمرض الذى كان يتخطف الناس زرافات من الوطنيين وآكلى الأرز بعد أن يهلك أبدانهم ويضنيهم

وربما يكتفى الإنسان فى مثل هذه الأحوال فى البلاد التى تعتمد فى غذائها على الأرز اعتماداً كلياً بسن قانون يمنع تبييض الأرز . ولكن مثل هذا العمل لا يحل المسألة ولا يرضى الروح العلمية البحاثة التى تصبو إلى تقرير معرفة وتكييف طبيعة هذه المادة التى تمنع حدوث المرض وعلة وجودها فى القشرة الفضية الرقيقة ضمن الطبقة البروتينية التى تكسو حبة الأرز ؛ وقد توصل بعض الباحثين من اليابانيين ، وكذلك البيولوجى فونك الذى سبق ذكره ، وكان أول من وضع لفظ (الفيتامين) — إلى فصل وتحضير مادة من كساء (الطبقة الكاسية) الأرز كفت كميات منها متناهية فى الصغر للقضاء التام على أعراض مرض الالتهاب العصبى الناتج من تناول الأرز الأبيض غذاء أساسياً . وبعدئذ وعند تصنيف وتبويب الفيتامينات أطلق على الجزء الفعال من هذه المادة المحضرة الحرف الهجائى B ولما كان الاسم العلمى للالتهاب العصبى هو Neuritis المأخوذ من الإغريقية Neuron بمعنى أعصاب لقب هذا الفيتامين بالأنتينوريتيك

وتوجد هذه المادة الحيوية فى الأرز الغير المقشور بنسبة جرام واحد فى كل ألف كيلو جرام أو بنسبة جرام ونصف فى كل مائة كيلو جرام من نخالة الأرز (نخالة الأرز هى القشرة الداخلية للأرز التى تنزع عن حبة الأرز وتفصل عنها أثناء تبييضه) وقد استبعد وجود هذه المادة فقط فى قشرة الأرز فدل البحث بعدئذ على وجود الفيتامين B كذلك ضمن الطبقة البروتينية فى الحبوب كالشعير والذرة والقرطم والقمح وفى بذورها كذلك، وقد لا يثير عجبنا غنى بذور تلك الحبوب بهذه المادة ، فالبذرة هى مصدر الحياة، فلا بدع إن حملت كذلك المادة الحيوية اللازمة للبناء والنمو والحفظ، أما فى داخل الثمرة (فى الحبوب) أى النسيج الخلوى النشوى ، حيث المستودع الغذائى للنبت الجديد ، فيندر وجود الفيتامين B أو ينعدم

ولهذه النتيجة أهمية فى حياتنا اليومية ، فتقل إذن أو تكثر نسبة الفيتامين فى الخبز الذى نأكله تبعاً للنسبة المئوية فى طحن الحبوب أى نسبة إنتاج الدقيق من القمح المطحون ، وهذا يعنى كثرة وجود أو قلة النخالة والبذرة فى الدقيق ؛ فكلما قلت نسبة الإنتاج وقل وجود قطيعات النخالة والبذرة فى الدقيق الأبيض الناتج قلت معه نسبة الفيتامينات ؛ أما الدقيق ذو الإنتاج العالى أو الدقيق الدكانى الذى يحوى معظم الحبة فنسبة وجود الفيتامين B عالية

وهذا ما أثبتته التجارب الغذائية التي قامت للتدليل على التأثيرات المختلفة للفيتامين في أنواع مختلفة الإنتاج من الدقيق ، وإحدى هذه التجارب قامت على تحضير عدة مجموعات من الفيران أطعمت كل واحدة على حدة نوعاً خاصاً من الغذاء من دقيق القمح والذرة والقرطم والشعير، فكانت أولى الضحايا هي مجموعة الفيران التي كان دقيق القمح من نصيبها ، أما المجموعة المطعمة دقيق الشعير فقد مكثت أربعين يوماً حية رغم صنف غذائها الواحد . أما الفيران التي أكلت من غذاء القرطم الأسود فلم يصبها أي سوء وذلك لاحتواء الدقيق الأسود على كميات وفيرة من الفيتامين

ولم لا يصاب الإنسان إذن بتلك الأعراض القاسية للالتهاب العصبي إذا ما اعتمد في غذائه على الخبز الأبيض لا سيما وقد أكد هذا القول نتائج تجارب قامت حول تغذية الحيوانات ، فالكلاب إذا ما أطعمت بالخبز الأبيض فقط تمرض بالبري بري بعد أربعين يوماً والدجاج بعد عشرين ، أما الفيران فبمضي اثنى عشر يوماً . وفي كل هذه التجارب تلاشت أعراض المرض سريعاً عندما أضيف إلى دقيق القمح نخالة القمح ، وإذا ما لاحظنا أننا قد لا نمرض إذا تناولنا الخبز الأبيض فإن لنا في بقية أصناف الطعام المتممة مصادر أخرى للفيتامين B . إذ نجد تلك المادة الأنتينوريتيكية خلاف الدقيق الأسود العالي الإنتاج في الخميرة بكميات كبيرة وفي الخضروات والفواكه الطازجة وفي الدرنات واللوز والبندق وصفار البيض واللبن والكبد واللحم الطازجة ، ولا يتأثر الفيتامين كثيراً في هذه الأطعمة عند طهيها طهياً عادياً ولا يفقد قدرته الفعالة عند سواد الأطعمة فيُموّن الجسم بكميات كافية من الفيتامين B عند ما نتناول ألواناً مختلفة من الطعام العادي . وهنا تضرب الطبيعة مثلاً غريباً في القناعة ، إذ يكفيها يومياً من ثلاثة أرباع إلى واحد على الألف من الجرام من فيتامين الأنتينوريتيك ضمن الغذاء اليومي للقيام بمهمتها في حفظ كيان الإنسان وصونه من الأمراض

ومن الثابت المحقق الآن أن مجال عمل الفيتامين الأنتينوريتيكي وموضع تأثيره هو عند تحول المواد في الخلية العصبية ، ولذا نرى أنه عند غياب هذه المادة الحيوية تحدث الاضطرابات وأعراض الإصابة في محيط الجهاز العصبي . وزيادة على ذلك يعمل هذا الفيتامين على تنظيم عمل الغدد الدرقية Schilddrusen وأخيراً وبفضل مجهود العالم إميل أبدرهالدن Emil Abderhalden ثبتت أهمية هذا الفيتامين عند تمثيل الكربوهيدرات (المواد النشوية والسكرية) وأثر هذا أنه بغياب هذا الفيتامين تحدث اضطرابات في تحليل الجليكوجين (سكر الكبد) أو في أية مادة سكرية نشوية تبقى في الجسم كاحتياطي من الكربوهيدرات، ونتيجة ذلك ازدياد كميات سكرية نشوية في الكبد وفي عضلات وأنسجة القلب ازدياداً غير عادي، وتأخذ هذه الكميات في الهبوط والنزول عند تموين الجسم ثانياً بالفيتامين B

ومع أن البحث العلمي بذل قديماً جهوداً عظيمة في سبيل التعرف على طبيعة تكوين هذه المواد الحيوية التي تكفي منها كميات ضئيلة لحدوث تأثيرات بيولوجية هامة في جسم الإنسان ، ورغم تعاون الكيمياء مع علم الطب لم تثمر هذه الجهود ولم يتحقق إلا حديثاً بعض الحلم في تحضير الفيتامين B في حالة نقية . إذ توصل الكيميائي فونك الذي تردد ذكره مرات في هذا المقام إلى تحضير بلورات دقيقة من نخالة القمح استخدمت منها أجزاء ضعيفة من الألف من الجرام الواحد في علاج حمام مصاب بالبري بالبري، فكان لها مفعول السحر في شفائه كما حضرت كذلك خلاصة من الخميرة كان لمفعول أربعة أجزاء من الألف من الجرام منها أثر بالغ العجب في إزالة أعراض الالتهاب العصبي في حمام مصاب بالبري بري ، وفي ردهة اجتماع مؤتمر طب المناطق الحارة الذي عُقد في برلين عام ١٩١١ وضع العالم الألماني شاومان Schaumann في حنجرة حمامة كسيحة مريضة بالبري بري - حبيبة من الفيتامين الخام كان من أثرها الشافي أن طارت الحمامة في اليوم التالي في جو ردهة المؤتمر . ولم تتضح درجة نقاء هذه المنتجات المحضرة إلا بالمقارنة . وعند ما توصل العالمان الهولنديان ، يانسن ودونات Jansen, Donath في سنة ١٩٢٦ بعد تحضير مجهد وتنقية تامة لبلورة محضرة من نخالة الأرز حالت كمية منها لا تزيد على عشرة أجزاء من مليون من الجرام دون إصابة حمامة رغم تقديم غذاء البري بري لها ورغم هذه الجهود الجبارة المضنية من يانسن ودونات ، فلم يثبت أن المادة التي استخلصاها ونقياها ذات تركيب كيميائي واحد ، ولم يتوصل أحد إلى معرفة الحجر الأساسي لهذا البناء الكبير ، وكذلك الاحتفاظ بسر تركيبه قبل العالمين الألمانيين : أدولف ونداوس ، فريتز لاكور Adolf Windaus & Fritz Laquer ، وذلك

فى أواخر عام ١٩٣١ ، إذ تمكنا مع مساعديهما من إزالة الستار عن الفيتامين B وتحضير مادة نقية بلورية من الخميرة يكفى منها جزءان من المليون من الجرام لإظهار أثر حميد فى شفاء حمام مصاب بالبرى برى . وقد وصلا إلى تحضير كمية هى $\frac{٧٠}{١٠٠٠}$ سبعين على ألف من الجرام من مائة كيلو جرام من الخميرة بينما توصل غيرهم من الباحثين إلى تحضير نصف جرام فقط من ألفى كيلوجرام من الخميرة مع الفارق العظيم فى الإنتاج الصناعى ، وللآن لم يذع أى شرح كيميائى تفصيلى لطبيعة هذه المادة

والمعروف عن فيتامين الانتينورتيك فقط أنه يتركب من الكربون والإيدروجين والآزوت والأكسجين ، وأحياناً من الكبريت ، وأنه سهل الذوبان فى الكحول والماء ، وأنه يتأثر بالحرارة الطويلة المدى عند درجة ١٢٠° وأنه لا يتأثر عند الإغلاء القصير المدة . ولو قدر يوماً ما الوصول إلى الإحاطة التامة بالتركيب الكيميائى لفيتامين البرى برى والإعلان عنه ، فسوف لا يصل العلم إلى هذا الفتح قبل الاصطدام بنواحى وأبواب كثيرة موصدة ، إذ كلما تعمق العلماء فى حل لغز الفيتامين B تكشف لهم أنهم ليسوا حيال فيتامين واحد ، بل أمام مجموعة من المواد الحيوية ، بل المعروف الآن أن ما اعتبره الباحثون قديماً فيتامين B ليس إلا مجموعة تتكون من خمسة فيتامينات مختلفة على الأقل والتى منها ما تكلمنا عنه فى هذا الباب تحت عنوان فيتامين الأنتينورتيك (الفيتامين المضاد للالتهاب العصبى) أو فيتامين البرى برى B_1 . أما الفيتامينات B_3 ، B_4 ، B_5 فلا يعرف عنها إلا ما استنتج من التجارب الغذائية التى أجريت على الحيوانات وهى معرفة علمية نظرية بعيدة عن الناحية العملية — بينما تأثيرها وصلتها بفسيولوجيا الإنسان فلم تُعرف بعد .

أما الفيتامين B_2 فصلته القريبة الهامة بالتمثيل عند الإنسان ووجوده فى الطبيعة ملازماً للفيتامين B_1 فسنخصص له الكلام فى المقال القادم .

عبد اللطيف حسن الشامى



أدهم قال لى

حضرة الأستاذ الجليل رئيس تحرير الرسالة

تضمنت كلمة الأستاذ عبد الغنى حسن دعوة لأصدقاء المغفور له اسماعيل أدهم أن يكتبوا عن مقدار ما وصل إليهم من العلم عن عقيدته . ولقد منعنى أن أكتب عنه أننى كنت أتوعده بأن أكتب عنه . فلما مات منتحراً تحرجت من إنفاذ الوعيد !

على أن الذى قدم الانتحار بكتاب إلى النيابة يطلب فيه تشريح جمجمته لم يفته أن يتحدانى فى يوم انتحاره بمطالبتى أن أكتب عنه بعد موته ، ولم يفته أن يختار للتحدى أقوى وسيلة عرفتها من وسائل الإغراء ، وهى أنه أهدانى كتاب ميخائيل نعيمة عن جبران خليل جبران ، وسألنى عما إذا كنت أستطيع أن أكتب عن صديق لى مثل هذا الكتاب إن مات

أما أنى كنت قد توعدته بالكتابة عنه فلذلك قصة تدل على طريقة تفكيره وعلى مقدار ما عانى من المتاعب التى أفضت إلى الانتحار بسبب هذه الطريقة :

ذلك أننى دخلت منذ أقل من عام إلى مكان اجتماعنا المعتاد فى نادى جماعة الفنون الجميلة ومعى كتاب « هتلر قال لى » ، فدار الحديث بين المجتمعين ، وما فيهم إلا مصور أو مثال أو شاعر أو أديب، عن شخصية هتلر . وانفرد أدهم بالثناء عليه وذم الانجليز والمصريين والمسلمين ، وأسرف فى كل ذلك أشد الإسراف ، فتوعدته إن لم يكف أن أضع كتاباً أجعل عنوانه «أدهم قال لى» وأدون فيه آراء أدهم كما سمعتها منه

سكت أدهم إلى اليوم الذى انتحر فيه . وفى هذا اليوم طلب إلىّ أن أكتب عنه كما قدمت . فهل أكتب ؟

أرجو أن يجيبنى مجيب فإنى حائر ألتمس النصح .

عبد اللطيف النشار

اضطراب فى مقال

حضرة الأستاذ الجليل صاحب الرسالة

بعد التحية ، كتب الأستاذ الدكتور زكى مبارك فى حديثه ذى الشجون بعنوان «إلى المنصورة وطن الشعر والخيال» فى عدد الرسالة رقم ٣٧٨ ما يلى :

« بعد ساعة واحدة من الشروع فى كتابة هذه السطور آخذ طريقى إلى المنصورة وطن الشعر والخيال ؛ فهل تلقانى المنصورة بالضم والعناق وهى كناس الحور العين ؟ »

واستطرد الدكتور فعرج على بعض ذكرياته إلى أن ذكر الجهود الشاقة التى بذلها أدباء الطليعة فى مصر (الستة أو السبعة كما كتب الأستاذ الزيات منذ ثلاث سنين فى عدد مضى بالرسالة) حتى وصلوا إلى السيطرة الأدبية ، ثم قال :

« وقد رجعت من المنصورة بعافية لأنى لم أبت فيها غير ليلة واحدة ؛ فلم يتسع الوقت لمقابيل الوجد حتى يجرب حظها فى القدرة على تجريح قلب تكسرت فيه النصال على النصال »

ثم استطرد الدكتور فذكر ما اتى بالمنصورة وما فعل . والذى يقرأ هذا الكلام يرى بعضه يناقض بعضاً إذ كيف يقول الدكتور فى أول المقال إنه سيأخذ طريقه إلى المنصورة بعد ساعة واحدة من الشروع فى كتابة تلك السطور ثم يعود بعد كتابة عمود واحد فيقول إنه رجع من المنصورة بعد أن أمضى بها ليلة واحدة . فالمعنى لا يمكن أن يستقيم إلا على فرض كون الدكتور قد كتب بعض مقاله قبل أن يأخذ طريقه إلى المنصورة ثم عاد فأتمه بعد رجوعه منها أى بعد يوم كامل على الأقل . وبفرض حدوث هذا فهلا كان واجباً أن يشير الدكتور إليه ليمنع اللبس وليستقيم المعنى .

لعل الإسراع فى الكتابة إلى جانب احتمال أن يند بالقلم — كما يقول الدكتور تعليقاً على من أخذ عليه فتح كلمة « سجية » فى بيت الشعر المشار إليه هنالك — يمكن أن يشرد بالذهن مما نود دائماً أن ننزه عنه قلم أديبنا الكبير الدكتور زكى مبارك .

وتفضلوا يا صاحب الرسالة بقبول إجلالى وإكبارى .

(المحلة الكبرى) محمود أحمد وصيف

القراءات السبع

حضرة الأستاذ الكبير صاحب الرسالة

السلام عليكم ورحمة الله . وبعد فقد كتب الأستاذ الباحث على الطنطاوى فى العدد ٣٧٩ من الرسالة الغراء (كلمة فى القرآن) جاء فيها :

(واقتصر الناس على الحرف الواحد حتى نشأ النحاة وأهل اللغة والقراء ؛ فوقع بينهم اختلاف يسير فى حركة أو إمالة أو مد أو همز فكان من ذلك القراءات السبع)

وهى عبارة تفهم القارئ أن للنحو واللغة والقراء مدخلا فى اختلاف القراءة . وما أظن الأستاذ — وهو باحث فاضل — يعتقد ذلك أو يميل إليه ؛ فان الحق الذى لا شبهة فيه أن النبى صلى الله عليه وسلم أقرأ أمته على الأحرف السبعة تخفيفاً وتيسيراً ؛ وأن هذه القراءات المشهورة الآن ـ وإن تكن على الحرف الذى اقتصر عليه عثمان رضى الله عنه حسما لمادة الخلاف ـ مروية عنه صلى الله عليه وسلم بطريق التواتر ، وإنما لم يكتب المصحف العثمانى مشكولا منقوطاً تيسيراً لقراءته على الأوجه التى صح سماعها عن صاحب الوحى قطعاً . ولا غرابة فى أن يكون للحرف الواحد أوجه كثيرة ؛ ومن ذلك ـ مثلا ـ اختلاف الكلمة بين الاسمية والحرفية فى مثل قوله تعالى « فناداها من تحتها » قرئ بكسر « من » وبفتحها . ومن ذلك اختلافها فى حرف المضارعة فى مثل قوله تعالى «وما ربك بغافل عما يعملون» قرىء بالتاء والياء ومن هذا أيضاً اختلاف حركة الاعراب فى نحو قوله جل ثناؤه « واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام » بنصب كلمة « الأرحام » وجرها .

فلو كتب المصحف الإمام مشكولا منقوطاً لثبتت به قراءة واحدة فقط ، وفيه من الحرج ما فيه . لكن لما كثر الناس ونشأ اللحن خيف على القرآن الكريم أن يلحن فيه ، وأن يقرأ على غير وجهه ، فطلب زياد بن أبيه ـ وكان أميراً على العراق ـ إلى أبى الأسود الدؤلى ، وهو من كبار التابعين المتقنين للقراءة أن يضع للناس علامات تضبط قراءاتهم ففعل ، وكان ذلك مبدأ للشكل ثم النقط

هذا ، وأكبر الظن أن الأستاذ اطلع على تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير ، وعلى الشفا للقاضى عياض ، فوجد فيهما بغيته أو ما يدنو منهما . ولعل علماءنا لا يزالون يرون أنه ما ترك الأول للآخر شيئاً ، أو أنهم ينتظرون من الشباب الناهض همة وإقداماً على أنى أؤيد الأستاذ فيما ذهب إليه ، وأسأل الله للعاملين سداداً وتوفيقاً .

هذه عجالة نمد بها سن القلم ، أو نرفع بها سهو الكاتب ، ولعل صدر الرسالة الغراء — وهى رسالة العلم والدين والأدب — ينشرح إن شاء الله لتحقيق معنى الحديث الشريف « أنزل القرآن على سبعة أحرف »

طه محمد الساكت
مدرس التفسير والحديث بمعهد القاهرة

أخلاق القرآن

أورد الدكتور عبد الوهاب عزام الآية الكريمة التى ختم بها بحثه فى أخلاق القرآن هكذا : « تلك القرى نقص من أنبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك نطبع على قلوب الكافرين » وقد نطق بها كذلك فى حديثه فى المذياع وصحتها : « ... كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين » الأعراف (١٠١) وأعتقد أنها اختلطت فى ذهنه بالآية الأخرى « فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على قلوب المعتدين » يونس (٧٤)

حسين محمد الأنصارى

سؤال

على قمة جبل قاسيون أثران قديمان على شكل قبتين يُعتقد أنهما شيدتا للرصد ، وقد اختلفت أقوال العلماء فيمن بناها ، فأرجو ممن عنده علم به أن يخبرنى على صفحات هذه المجلة الغراء وله منى الشكر .

(سائل)

تعقيب

سيدى المحترم رئيس تحرير الرسالة

سأل الأستاذ محمود المرسى خميس فى عدد الرسالة ٣٧٦ الصادر بتاريخ ١٩٤٠/٩/١٦ « لمن تعطى الأفضلية فى الاهتداء إلى من اشتركوا فى معنى واحد ؟ » ثم سأل : « أنقول إن المعانى شائعة ولا تجوز الملكية والاختصاص ؟ » وأظن أن هذا السؤال جدير بالبحث من الوجهة الأدبية

فالذى يعرفه كل مطلع على الأدب العربى أن الشعراء يتفقون كثيراً فى المعانى بل وفى بعض الألفاظ فى البيت الواحد ، وقد

تعرض لذلك النقاد ووضعوا للأمر قانوناً عادلاً من قوانين النقد ساروا عليه فى كل ما تعرضوا له فى هذا الصدد

ذلك القانون هو أن « من استرق شيئاً واسترقه ، فقد استحقه » أى أن الشاعرين بصرف النظر عن أيهما أسبق للمعنى يَفضُل أحدهما الآخر إذا اشتركا فى معنى واحد بجودة الصياغة وحسن السبك واختيار الألفاظ إلى غير ذلك من أصول البلاغة . فقد كان الناس ينشدون بإعجاب بيت الأعشى

وكأس شربت على لذة　　وأخرى تداويت منها بها

فلما جاء أبو نواس بعد هذه المرحلة الطويلة من الزمن بين الشاعرين ، وأخذ هذا المعنى بعينه وحسن فيه على قدر ما وسعه تملكه من زمام البلاغة ثم قال :

دع عنك لومى فإن اللوم إغراء　　وداونى بالتى كانت هى الداء

لما قال أبو نواس هذا نسى الناس بيت شاعرهم الأول وحكموا لأبى نواس بفصل الخطاب ، وأصبح هو صاحب المعنى ومبتكره وعلى ذلك قس كل شاعرين أو أديبين اشتركا فى معنى من المعانى

(الخرطوم — سودان)　　(ا . ب)

إلى علماء النحو فى جميع الأقطار

١ — تقول كتب النحو من صغيرها إلى كبيرها : إن مميز العدد من ثلاثة إلى عشرة حقه أن يكون جمعاً ، مثل : سبع ليال ، وثمانية أيام ، وخمسة آلاف ... فما بالنا نقول (وتسكتون على هذا القول) : ثلثمائة ، وخمسمائة ، وتسعمائة ... بإفراد لفظ مائة الذى هو تمييز للعدد ، ولم نقل ثلثمئات ، وخمسمئات و ... كنص القاعدة ، وكما تقولها فى الألف ، وما وجه العلة فى جمع الألف دون المائة ؟

٢ — وتقولون : إن ألفاظ العدد من ثلاثة إلى عشرة تكون على عكس المعدود فى التذكير والتأنيث ، فما قولكم فى قوله تعالى « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها » ؟ حذف التاء من عشرة مع إضافتها إلى الأمثال وواحدها مذكر ! وما تعليل ذلك ؟

٣ — وقلتم إن « لن » حرف وضع للنفى المؤبد « والعياذ بالله » ! فإذا كان ما زعمتم صحيحاً ، فما لى أقرأ فى كتاب الله تعالى قوله « فلن أكلم اليوم إنسياً » فأرى كلمة اليوم فى الآية جاءت بعد النفى بلن فأفسدت قاعدتكم ، واقتلعتها من أساسها ، ولو كانت (لن) لتأبيد النفى كما وهمتم لما كان هناك موجب لتقييد هذا النفى باليوم ! ...

وكذلك أقرأ قوله تعالى « ولن يتمنوه أبداً » فأرانى متحيراً فى إيراد لفظ أبداً بعد لن ، ولو صح ما قلتموه من تأبيد النفى بلن لكان لفظ (أبداً) تكراراً لا داعى له ، والأصل عدمه

وحاشا لكلام الله أن يخضع لأحكامكم ! ...

أفتونا فيما جئتم به من علم فى كتبكم ، وهاتوا برهانكم إن كنتم صادقين .

مصطفى محمد ابراهيم
مدرس لغة عربية



صفحة من حرب الجبابرة

جيوكندا

للأستاذ محمد محمد مصطفى

السماء يومئذ تمطر شهباً تزلزل الأرض وتفتت الصلب ، والمدافع تصم الآذان وتدك البنيان ، والقذائف تشمل الجو ناراً ودخاناً . وانقلبت « بورجيا » قرية فرنسا الجميلة إلى حطام يلتهب وأنقاضاً تنفر منها الشياطين ، وزخرت الطرق والمزارع بالنازحين منها والدبابات فى أثرهم ترسل عليهم الموت ولا عاصم لهم منها إلا العراء

وانتهت « جيوكندا » إلى ظل من ظلال النابة ، فجلست مكروبة محزونة تنظر من خلال الدمع إلى القرية وقد أضحت يباباً

لقد ماتت أمها كمداً لمصرع وحيدها فى الميدان ، وكان أبوها مسبوتاً على فراش المرض فبات تحت الأنقاض

ووقفت تنتفض ذعراً وهى ترى جوعاً مائجة ولججاً هائجة من دبابات الألمان تطوى الأرض وترسل ضوضاء وصفيراً يحطم العصب ويوهن القلب ، ومع ذلك فقد كانت مدافع الفرنسيين ترسل عليهم لظى من نار ، فلا يقفون ولا يهزمون كأنما قد بسط لهم أديم الأرض

ودنت منها الدبابات متراصة تنفث لهباً وموتاً ، وتترك ما وراءها صعيداً جرزاً ، فجرت هائمة إلى غير هدف ، ولبثت فى عدوها تنظر بين الحين والحين إلى الوراء فترى الدبابات تقترب منها فتواصل العدو ، وأضناها السير فسقطت لاهثة وانية ثم غابت عن رشدها

* * *

— أأنت قائد فرقة بإصقات اللهب الخامسة والستين ؟

— نعم

فحول الجنرال نظره وعبث بشاربه الأشهب وتمتم بصوت خافت :

— ولكنك صغير السن . . .

فأردف القائد الشاب :

— كبير القلب مخلص لألمانيا والزعيم

— حسن . . . ألم يسبق لك الاشتراك فى معارك ؟

— كان لى شرف الاشتراك فى حصار « لييج »

— تقضى أوامر الفوهرر بألا تقف دباباتك ولا تتراجع وسيكون هجومك على جبهة تمتد تسعين ميلاً من « بورجيا » دمرتها لك الطائرات وستسوق أمامك ألوف النازحين ليكونوا لك درعاً وليوقعوا الارتباك فى صفوف الحلفاء

والآن ما اسمك أيها القائد ؟

— جون فريتش

— إلى العمل يا جون فريتش . . .

* * *

لما اقتربت الدبابات من « جيوكندا » كانت نفس القائد جون فريتش تنازعه إلى إبعادها من طريق الدبابات

. . . ولما حملها بين يديه أفاقت وابتسمت له ابتسامة لو مات على أثرها لما أسف على نعمة تركته فى الحياة

. . . ولما سألها عن وجهتها لم تدر بم تجيب

. . . ولما جلست إلى جانبه بالدبابة ألهاها كثرة ما بها من عدد وآلات

قالت بعد ما أدركت أنها بين ألمان :

— أتسوقون المدنيين هكذا كالنعاج ؟

— إنها أوامر الفوهرر . . . والحرب لا ترحم

— وتقولون إنكم تنتشلون العالم من ربقة الديمقراطية وتريدون به السلام ؟

— لا شك فى ذلك

— فماذا أفاد حكمكم فيما اكتسحتموه من بلاد ؟

— قضاء على الرأسمالية وأصحاب الثروات

— وتقولون إنكم تناهضون الشيوعية ؟

— ليس فى القضاء على بطالة العمال بلشفة لهم . . . فأى عدل ترين يا فتاتى فى رجل يملك الملايين وينام عمال مصانعه على الطوى ؟

— ذا نصيبهم فى الدنيا (وجعلنا بعضكم فوق بعض درجات)

— درجات . . . وليس ملايين الدرجات فلا يكون البون بين صاحب المصنع وعامله شاسعاً . والعامل الذى أنتج الربح له

قسم فيه وللدولة مثله لتثقف به أولاد ذلك العامل، فليست العبقرية وقفاً على أولاد الأغنياء

— نازى[1] أنتم أعداء لكل ما يحرص عليه المتمدينون من تقدم اجتماعى وحرية بشرية ، وما من أمة تبيت اليوم فى أمان من ظل الصليب المعقوف . وقهقه القائد حتى بدت نواجذه وقال :

— يا صغيرتى العزيزة . ها أنت ذى ترين جنود الحلفاء يفرون من وجه آلاتنا التى أنتجتها عقولنا ، فهل بين علمائكم من يستطيع أن يصنع شيئاً يقفنا ولو لبضع ساعات ... والعقل الذى يذلل العلم لرغباته والأمة التى تخفف الفوارق المادية بين طبقات الشعب فلا يكون فيها فاحش الثراء ولا من يسمو بالفقراء ، هى أرفع مدنية من أمة تتخم خزائن أفراد قلائل منها بالذهب ولا يجد العامل الذى أنتجه ما يقتات به كفرنسا أو مصر التى يسخر شعبها بأزهد الأجور لخدمة القلة من الأغنياء والتى دل الإحصاء على أن اثنى عشر ألفاً منها يملكون نصف الثروة العقارية للبلاد مما لا أعرف له مثيلاً فى بلاد أخرى

وعملت هذه الكلمات فى نفس الفتاة عملها ، وذكرت أولئك الغارقين فى لذائذ الدنيا من أثرياء قومها ، وما لقيته من شظف العيش فى قريتها فأطرقت وأغرقت فى صمت طويل ، حتى إذا ما شارف سيل الدبابات على « باريس » كانت قد طوت نفسها على أمر .

***

(يبدى الفوهرر خالص ثنائه على المعاونة القيمة التى قدمتها الجاسوسة س ١٠٧ فى الميدان الفرنسى)

وافتر ثغر س ١٠٧ وهى تقرأ الرسالة الشفوية وملكها الزهو فأعادت قراءتها ثم سلطت عليها زفيراً من فمها تلاشت على أثره السطور وألقتها مزقاً فى الطريق

وأخذت سمتها شطر محطة « بوردو » ، تلك المدينة التى كانت مسرحاً لعملها الشاق ، وذكرت ذلك الحان الذى قضت فيه الوقت كله بين جواسيس الحلفاء تبيع لهم الخمور وتستدر الأسرار من الصدور ، وسمعت صوت أقدام تتبعها فالتفتت فى ذعر فلمحت شبحاً يقترب منها ويهمس فى أذنها :

— أأنت س ١٠٧

فلما سمعت صوته هتفت :

— ميجر براون ... لم جئت ؟

— برسالة يا جيوكندا ... وناولها إياها

فهتفت نفسها :

— ترى أتكون من جون ؟

... « تقوم فجر اليوم س ١٠٧ إلى مدينة إيفيل وترحل مع المهاجرات إلى دوفر لتتلقى الأوامر من ل ١٤ الذى سيستقبلها بربطة عنق زرقاء »

وألقت على الورقة زفيرها فابيضت ورمت بها إلى الطريق

***

قال « ل ١٤ » :

— شاء الفوهرر أن يترك قليلاً من قوات الحلفاء التى رحلت عن « دنكرك » لتصف الأهوال التى أذاقها لهم الألمان ، فيكونوا لألمانيا خير دعاة ، فعليك تصويرهم فى أعمالهم لدى نزولهم من البواخر لتزين بها المنشورات الألمانية التى تلقيها الطائرات على انجلترا ... والساحل الإنجليزى يا ...

فأشارت إليه بالسكوت فهمس :

أقول إن الساحل الإنجليزى حاجز من الجحيم ضد القوات التى تحاول اختراقه فعليك مراعاة الدقة فى تنفيذ هذه التعليمات ومد لها يده بورقة

وأبدت « جيوكندا » من الحذق والمهارة فى الحصول على صور الحصون وأوكار المدافع وحركات الجنود والقوافل البحرية ما ألهج ألسن الجستابو بالثناء

وجد قلم المخابرات البريطانى فى تعقب الجاسوسة س ١٠٧ وضاق بحيلها ذرعاً ، فهى آناً مهاجرة حليفة ، وآناً ممرضة تندس بين الجنود ، أومتطوعة توزع الحلوى فى المعسكرات والمستشفيات ومالأها الحظ فكان يكلل مجهودها بالنجاح

وطلعت عليها الصحف بنبأ الهدنة ، وأخذ المارشال بيتان ينظم ألمانيا الاشتراكية ، فخمدت فيها جذوة النشاط

لقد أدركت غايتها وأصيب الهدف الذى كانت تسعى إليه

ولكنها تعلم أن الجاسوس لا يمكنه التخلى عن عمله لأى حال كان ...

وفرت جيوكندا على باخرة تعيد اللاجئين إلى فرنسا

واستقبلها الجستابو على رصيف ميناء « كاليه » ، وأبلغها الأسف الشديد لصدور الحكم بإعدامها

---

(١) نشرة الدعاية البريطانية

وشدهت جيوكندا وفرقت وهتفت بصوت خائر :

— ألا يشفع لى ما قدمت يداى لألمانيا من خدمات ؟

***

سقطت « باريس » تحت أقدام الألمان تخيم على مدينة النور الظلام ...

وأخذ حذاء القائد « فرينتش » يدب فى رفق على إفريز « السين » ولم تزل صورة « جيوكندا » تعبر فى فكره وتتسلل إلى قلبه فتثير فيه الألم والشجون ، ومرت بخاطره خيبته فى إقناعها بالعدول عن الالتحاق بالطابور الخامس وإصرارها فى عناد وقولها له فى حزم :

— فلن أهدأ حتى تتحطم الرأسمالية فى فرنسا وأرى بعينى فيها نظم الريخ

وتصور أنهـا الآن تضرب فى أرض الدنيا لا تكاد تستقر فى بلد حتى يأمرها الجستابو بالانتقال إلى آخر

وملكته رغبة ملحة فى رؤيتها والوقوف على حالها

ربما اعتقلت ... ومن يدرى لعلها أعدمت بالرصاص، وأفزعه هذا الخاطر فخفق قلبه الملتاع وتهالك على مقعد قريب وقد تولاه طائف من الوجد والذهول ...

ووثبت صورة جيوكندا أمام ناظره تتهادى على صفحة السين الساكن ترنو إليه بعينين تحكى خضرة البحر ، وشعرها الذهبى الهفهاف يداعبه النسيم

وبدا له أن الجاسوسية أنهكتها ، وأن شبح الإعدام أرهف أعصابها ، ورآها بعين الخيال تهرع إليه وتسرد عليه ما خانته من أهوال ، وهو مع ذلك لاه عن حديثها بضمها وشمها ولثم ثغرها العطرى كأنفاس الياسمين

ودبت خيوط الفجر فى لحمة الليل فهب القائد من حلمه الجميـل يغشى خفق الفؤاد مبلبل الفكر ، وحينما مر بجريدة « بارى سوار » التى اتخذت مركزاً للجستابو ، طرأ عليه أن يسأل عنها صديقه الميجر « براون » ، فعلم أنه أوصل لها رسالة سرية فى بوردو وأنه رآها تركب عربة . ثم أردف : وأحسب أننى سمعتها تقول للسائق إلى « إبفيل »

وبذل الميجر لصديقه معاونة صادقة حتى علم أنها فى دوفر

ولـكن دوفر واسعة ، ووصول الألمانى إليها مستحيل

... وأخذ القائد يفكر ويفكر ...

وانتشله من أفكاره صوت طرق الباب ودخل ضابطه المساعد وبيده الثبت اليومى لمن طالبت القيادة والجستابو إعدامهم بالرصاص، فألقى عليه نظرة عجلى ، ولما أراد التوقيع عليه علق نظره باسم جيوكندا ، فازدلفت تحت ناظره الأرض وانتفض قلبه فى صدره كطائر مذبوح

وكذب عينيه وقام ينهب الأرض إلى ميدان الإعدام

وألفى فاتنته الوموقة معصوبة العين بين طابور المحكوم عليهم تقف مهيضة النفس كاسفة البال

يا لها من لحظة هائلة ... لقد آن موعد إعدامها ... وأى محاولة لإنقاذها تفقده شرفه وحياته ... فكيف السبيل ؟

وشحب لونه شحوباً هائلاً وغلى رأسه كالمرجل واصطرعت فيه أفكار سود

اقترب القائد من جيوكندا وهمس فى أذنها كلمات

وأمر الضابط أن يقف الإعدام لحظة ينهى فيها أمراً عاجلاً ويعود . وعاد بعد دقائق

قال القائد فرينتش لضابط الإعدام :

— أمتأكد أنت من حشو بنادق الجنود ؟

— كل التأكد يا سيدى ... وتفضل بالتفتيش

ومر القائد على الجنود . وفتش بنادقهم واحداً واحداً ليتأكد من حشو جميع البنادق . وسقطت من بد القائد رصاصة أحد الجنود فانحنى الجندى لأخذها ، ولكن القائد كان أسرع منه فى التقاطها ووضعها بيده فى بندقية الجندى ...

وأشار القائد ... فدوى الرصاص

***

— ولكن المعجزة يا جون ... كيف تمت

— كان جنوناً أن أراك تعدمين يا جيوكندا ولا أفعل شيئاً فهمست لك أن تتهاوى لدى إطلاق الرصاص وأتيت بطلقة فشنك[1] وحشوت بها بندقية الجندى المكلف بإعدامك بدل التى تعمدت إسقاطها عند التفتيش على بنادق الجنود

فطبعت جيوكندا قبلة طويلة على ثغر جون فرينتش .

محمد محمد مصطفى

بادارة مدرسة البوليس

(١) نوع من الرصاص ينفجر ولا يحدث ضرراً .

﴿ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى — عابدين ﴾

8me Année No. 381

Lundi - 21 - 10 - 1940

بدل الاشتراك عن سنة

مصـ

٦٠ فى مصر والسودان

٨٠ فى الأقطار العربية

١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى

١٢٠ فى العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤

عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـدد ٣٨١ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٩ رمضان سنة ١٣٥٩ — الموافق ٢١ أكتوبر سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الحـــرب والشعر

للأستاذ عباس محمود العقاد

من رأيى الذى شرحته قبل الآن أن الحروب والثورات تشحذ ملـكات الخطابة ولا تشحذ ملـكات الشعر ، بل تلجئها أحياناً إلى الصمت والركود ، لأن الشعر « فردى » والخطابة اجتماعية تنشط بنشاط الجماعات ، وتؤدى عملاً لا غنى عنه فى أيام الحروب والثورات

وما يروج من الأناشيد والأغانى فى إبان الحرب أو الثورة ، فإنما حكمه حكم الخطابة ، لأنه يتردد بين الجماهير فى حالات الاجتماع ولا ينظم بداءة كما تنظم القصائد التى يترنم بها الشاعر على انفراد

وقديماً نظمت الملاحم الـكبرى عن حروب الأمم البائدة ، فخيل إلى بعض الناقدين أن الملاحم تستدعى النظم وتلقح فراغ الشعراء ، وهو فى رأينا تخيل خاطئ ، لأن اتخاذ الملاحم موضوعاً شعرياً لا يستلزم أن يزدهر الشعر فى أيام الحروب ، كما أن وصف إنسان فى قصيدة لا يستلزم أن يكون ذلك الإنسان من عرائس الشعر التى توحى المعانى وتفتق الخواطر ، وقد يكون فى حقيقته على نقيض ذلك

ولقد كانت الملاحم فيما مضى تنظم على سبيل التدوين والتخليد

الفهــــرس

بعد انقضاء عهدها بزمن طويل أو قصير ، وكانت هذه الملاحم المنظومة هي وسيلة التدوين التي لا وسيلة غيرها بين أولئك الأميين من الأقدمين . فلما كثرت وسائل التدوين في العصر الحديث كان ذلك أقمن أن يضعف النزعة إلى تخليد الحروب بالمنظومات المطولة ، وأصبحت القصائد التي تنظم في هذا الغرض أقرب إلى التعليق والاعتبار والإعراب عن فلسفة الشاعر في الحياة وحوادث الأيام منها إلى سجلات الحفظ والتأريخ

فليست أيام الحروب من أيام الشعراء . ولعل الحرب من حروبنا الحديثة تشغل الملايين وألوف الملايين أعواماً ، ثم تنجلي عن بضع قصائد مختارة لا تملأ كراسة واحدة ولا تساوي في عدد سطورها رواية من الروايات التي تمثل في بضع ساعات وموضوعها محصور بين رجل وامرأة ، أو بين شرذمة قليلة من الرجال والنساء

إلا أن النفوس لا تخلو من الشعر في إبان المامع والمذابح البشرية ، فهي لا تميته ولا تحجر عليه، ولا تمنع الأذهان فينة بعد فينة أن تنصرف إليه ، وكل ما هنالك أنها ليست بالقاح الجيد لقرائح الشعراء

ومن العجيب أن أشيع القصائد التي خلقتها الحرب الماضية كانت لرجل ليس بالشاعر ولكنه طبيب

ولم يكن من عادته أن ينظم الشعر ، ولكنه فتح له في لحظة من اللحظات كما تفتح أبواب الإلهام

ولم تنشرها صحيفة البنش Punch الإنجليزية التي نشرتها دون غيرها إلا وهي تتردد في استحسان القراء لها بل في التفاتهم إليها

ثم كان من شأنها أنها ملأت العالم الإنجليزي في أيام ، وحاولت أمم أخرى أن تترجمها فلم تفلح في أداء بساطتها وجرسها وما يتخللها من الحزن والتفاؤل الرصين

ثم أصبح من عادة الجماهير الإنجليز كلما تجدد ذكرى الهدنة أن يلبسوا في عروة المعطف صورة أقحوانة مصنوعة تباع وتخصص أثمانها لأعمال الخير التي تقام باسم المارشال هايج ، لأن الأقحوانة كانت موضوع ذلك القصيد

قال الطبيب الشاعر :

« ترف الأقاحي في سهول الفلاندرس

بين صلبان القبور صفوفاً وراء صفوف

معلماً من معالم المكان الذي نحن فيه

والقنابر في الفضاء — يا لشجاعتها — لا تزال تغني غناءها ،

وندر أن تسمعها الآذان تحتها بين قصف المدافع وانطلاق النيران »

***

« نحن الموتى !

قبل أيام قليلة كنا أحياء

وكنا نحيا ونحس الفجر الطالع وننظر إلى الشفق الوهاج ،

وكنا نحب وكنا محبوبين

ونحن اليوم في سهول الفلاندرس نيام »

***

« خذوا بأيديكم عنان النضال مع الأعداء ،

أيدينا المتخاذلة ألقت إليكم بذلك العنان .

وارفعوا الشعلة عالية ... ارفعوها ولو بقيت في أيديكم سنوات

فإن نقضتم عهدكم لنا نحن الذين مضينا

فلن ننام في مضاجعنا

ولو ظلت الأقاحي رفافة في السهول »

***

نظمت هذه الأبيات قبل نيف وعشرين سنة ، وعادت الأقاحي ترف في سهول الفلاندرس ، وعادت الأجساد تهوى هنالك ألوفاً وراء ألوف ، وتناول شاعر انجليزي القلم من حيث ألقاه الطبيب الكندي الذي قضى قبل أن تنقضي الحرب الماضية فقال :

« الآن ، ومن تلك الأرض التي يطل من قبورها الأقحوان

ينهض موتانا كرة أخرى !

علموا من قبل أنهم لا يهجعون

إذا قيل يوماً إنهم عبثاً ماتوا وعبثاً ضرجوا تلك السهول بالدماء .

لقد غرسوا ولم يحصدوا ... أليس هؤلاء الأعداء يعودون ؟

فالآن ينهضون ليحصدوا ما غرسوه ، ويحصدوا الكيل ألف كيل

لأن للموتى كلمة يعرفون كيف يحفظونها ، فلا تموت »

والشاعر الذى أضاف هـذه الأبيات هو ألفريد نويس Alfred Noyes صاحب القصائد التى تقرأ اليوم حيث تقرأ اللغة الإنجليزية ، ولـكنه يحسب نفسه من السعداء إذا جرى مع الطبيب الـكندى فى مضمار

* * *

وتجرى مع هذه النغمة فى سهولتها وشجاها أبيات الشاعر المعروف لورنس بنيون التى يرثى فيها لضحايا الحرب ويغبطهم لأنهم لا يشيخون حيث يقول :

إنهم لن يشيخوا كما نشيخ نحن المتروكين

إنهم لن يعرفوا سأم العمر ولن تثقل على كواهلهم السنون.

سنذكرهم حين تهبط الشمس وحين تؤوب

« سنذكرهم وهم غائبون ! »

* * *

أما فى الحرب الحاضرة فالشعر الذى نشرته المجلات حتى الآن كثير ، والمختار منه قليل

ومن هذا القليل قصيدة للسير روبرت فانسيتارت Vansittart من رجال السلك السياسى النابهين ومن الشعراء الذين يروق فى شعرهم الترصيع الأنيق والإيحاء الوارب ، لأنه يذكرك لغة السياسيين

نظم هذه القصيدة بعد هزيمة فرنسا كأنه يخاطب بها محبوبة ناكثة فقال :

« ألم أكن وفياً لك من البداية ؟

ألم أخلص لك الحب منذ عهد الشباب ؟

ألم أحببك غير مضلل عن عيوبك ولا واهم فيك ؟

أعرف أسوأ ما عنـدك وأعرف أن الأحسن فيك هو الأقرب إلى الحق والصواب !

* * *

وإنك لمثلى كنت صفوحاً وكنت تعلمين ما لم أكن أخفيه من عيوب

فامتزجنا ومشينا جنباً إلى جنب

نواجه عالماً لانقوى على مواجهته منفردين

* * *

أ كنت تحفظين ودى والأيام مقبلة ؟

نعم ... ولكنى كنت أحفظ والأيام ليست كذلك ،

وكان الإغراء ينال من حصنك

وبضعفك مرة أخرى تنتصرين

وتنسين ! ...

* * *

تنسين نفسك وتنسين الحرية وتنسين الصديق ،

بل تنسين حتى ما ينفعك وحتى ما تغنمين .

واليوم يعود التورد اللماح من وهج الحب

مسحةً من الخجل ، وتنقضب القصة كما انقضبت قصص كثيرة من قديم

ويتم الوداع فى بوردو

* * *

وإياى الآن تكرهين ، ولن ينقص كرهك لى حين أذهب غير واهن ولا مهدود بما أصابك

وحين أقف وحدى فى وجه الدنيا ، وأنظر جنبى فلا أراك»

* * *

ومن قليل الشعر الرائق فى الحرب الحاضرة ولا يقال مثله فى حرب قبلها هذه الأبيات التى نظمها « ولفريد جبسون » وهو يصغى إلى موسيقى « بيتهوفن » من مذياع ألمانى ويستمع إلى دوى القذائف الألمانية على بلاده ... قال :

« من بعض الديار الألمانية يشدو العازفون بالنشيد الخامس المعظم ... كأن لا حرب هناك تعيث خلال الديار

يكرمون الفن والخراب جائع

ونصغى فى أ كواخنا فتتسرب إلينا الأصداء الملوية بين أزيز الطائرات ونذير الدمار

لحن خالد يحمله أى فضاء ؟ ... يحمله الفضاء الذى يطير عليه القاذفون ليصطرعوا صراع الموت تحت نجوم باردة العيون

واللحن الخالد من أرض إلى أرض ومن سماء إلى سماء ينفذ فى الأسماع والقلوب

٤٥٠٠ ثانية

فى صحبة أم كلثوم

للدكتور زكى مبارك

لم تسمح الظروف بلقاء الآنسة أم كلثوم بعد الذى دوّناه من لحظات التلاق فى كتاب « ليلى المريضة فى العراق » وهى لحظاتٌ قِصار ولكنها كانت جيّاشة بأقباس المعانى، ولو طالت تلك اللحظات لظفرنا من سِحر الحديث بأطايب وأفانين

ولم يكن ذلك الحرمان عن هجر منها أو صدود، فما يستطيع ذلك الروح أن ينسى أن له مآرب وجدانية من مسامرة أرباب الوجدان، وإنما شاءت المقادير أن تصرفنا بالشواغل القاسية عن التأهب لمداعبة الأفاعى والصِّلال

وما معنى ذلك ؟

معناه أنى سأتحف أم كلثوم بصورة وصفية تبسم لها فى حين وتَعْبَس لها فى أحايين، مع العرفان بأنى لم أقل غير الحق فى وصف ذلك الروح اللطيف

وهل لهذه الحمامة الموصلية رُوحٌ لطيف ؟

ما وازنتُ بين غناء أم كلثوم وحديث أم كلثوم إلا تذكرت قول شوقى فى الصوت الحنّان

وتَرٌ فى اللَّهاة ما للمغنّى   من يدٍ فى صفائه وليانِه

فهذه الحمامة تغرّد بلا وَعْى ولا إحساس فى نظر من يحكم بظاهر ما يندّ عن شفتيها الورديتين من أغانٍ وأحاديث

فهل تكون فى حقيقة الأمر كذلك ؟

إن كانت أم كلثوم بلا وَعْى ولا إحساس فعلى الأدب والفنّ العفاء. وكيف تُحرَم أم كلثوم قوة الروح وهى بلا نزاع ريحانة هذا العصر وأغرودة هذا الجيل ؟

وأين من يزعم أن قلبه سَلِم من الشوق لأغانى أم كلثوم، وما مرّت لحظة واحدة فى المشرق أو فى المغرب بدون زفرة أو لوعة تثيرها أغانى أم كلثوم ؟

وهل سمع الناس فى قديم أو حديث صوتاً أندى وأعذب من صوت أم كلثوم ؟

تلك الفتاة هى الشاهد على أن الله يزيد فى الخلق ما يشاء، فتبارك الله أحسنُ الخالقين !

ولكن كيف نحلّ هذه المشكلة : مشكلة الفرق بين غناء أم كلثوم وحديث أم كلثوم ؟

كأنما يخلق الألفة والانسجام حيث أبناء الفناء لا يعرفون الألفة والانسجام

وكأنما ينفث التوفيق والتنسيق فى قلوب تنحدر إلى قرار سحيق ... »

* * *

على أننا لا نظلم الشعراء النابهين فنقول إنهم يتخلفون حيث يسبق المصلّون المجهولون. ففى الحرب الحاضرة شعر حسن لبعضهم لا يمنعنا أن ننقله إلا أنه لا يقبل الإيجاز والاقتضاب

أما فى الحرب الماضية فقد ارتفع فيها « كبلنج » بالشعر الحماسى إلى الذروة التى رفعته الشهرة إليها، ونظم تلك القصيدة التى لا يسمعها انجليزى إلا سرت فى عروقه هزة الحمية وصالت نفسه صولة الكبرياء. ومنها :

الشأو هناك ...

لا يبلغنا إليه رجاء خادع ولا وهم كذوب

بل فداء من معدن الحديد

فداء بالأوصال والعزائم والأرواح

إنه لواجب واحد علينا

وإنها لحياة واحدة نعطيها

من ذا الذى تنهض قدماه وقد هوت الحرية

ومن ذا الذى يموت وقد عاش الوطن ! »

* * *

وموعدنا الحين بعد الحين بما نختار من هذه الشذرات، وهى على قلتها بالقياس إلى غيرها مما تتسع له صفحات وصفحات

عباس محمود العقاد

الحل سهل : لأن العقدة مشتركة بينها وبين محمد عبد الوهاب وإليه وإليها انتهى الإبداع في عالم الغناء

عبد الوهاب رجل أعمال وأم كلثوم رجل أعمال ، وذلك سر العبقرية عند هذين الروحين ، وهو الدليل على أن الله لا يهب المواهب لأهل التخاذل والانحلال ، والزهد في جمع الثروة هو الآية الحق على التخاذل والانحلال . وغضبةُ الله على من يحسبني أمزح في هذا الحديث !

دعتني أم كلثوم مرة لتناول العشاء في أحد مطاعم القاهرة فأجبت الدعوة ، ولكني رأيت أن أدفع عن نفسي ، فاستظرفتني جداً وصرّحتْ بأني لم أقل غير الحق حين قلت : « إني أعظم من الجاحظ ولو غضب الدكتور طه حسين »

ولن أنسى أبداً موقف القَصَبْجي الملحّن وقد زعم أنه صائم مع أن العَشاء كان في جوف الليل ولم نكن في رمضان ولا شعبان ، ولكنه كان يعرف أن « حمامة الشرق » لا يسرها أن يكون القصبجي رجلاً له أمعاء تظمأ وتجوع كسائر الناس ، وكيف يكون فناناً وهو يحس الظمأ والجوع ؟!

أشهد أن البخل حقّ ، وأنه من خصائص أهل العبقرية ، وإلا فكيف صحبتُ الدكتور طه حسين عشر سنين ولم أتناول الغداء في داره غير مرة واحدة لظروف قهرية قضتْ بأن نُفني النهار كله في درس شواهد الشعر المنحول سنة ١٩٢٦ ؟

وكذلك يكون شقيق الروح محمد عبد الوهاب ، فهو أبخل من الجاحظ بمراحل طوال ، وهو إلى اليوم لا يدرك أن الدينار قد ينقسم إلى دراهم ، وأن الدرهم قد ينقسم إلى فلوس، إنما الدينار دينار ، فإذا انقسم فهو هباء ، وإليكم هذا الخبر الطريف :

نشر الموسيقار محمد عبد الوهاب كلمات في مجلة الاثنين عن ذكرياته في زيارة العراق ، وقد قرأت تلك الذكريات وأنا في بغداد فحزنت لأني عرفت منها أن الأستاذ الصراف خدعه فزيّن له الذهاب من دمشق إلى بغداد في سيارة عربية لا انجليزية ، وكانت النتيجة أن يقضي ثلاثة أيام بلياليها في الطريق بين دمشق وبغداد ، فصممت على تأنيب الأستاذ الصراف حين أراه ، ثم عظُمت الدهشة وعظم الاستغراب حين عرفت من الأستاذ الصراف أن الموسيقار عبد الوهاب هو الذي اختار تلك السيارة لأن أجرتها أرخص بمبلغ لا يقل بحال من الأحوال عن دينارين !

ماذا أريد أن أقول ؟

لعلي أريد القول بأن الاهتمام بجمع الثروة يدل على الشغف بحب الدنيا ، وحب الدنيا هو الأصل الأصيل لحيوات النوازع والغرائز والأحاسيس

وحب الدنيا كان السرّ في عبقرية أحمد شوقي أمير الشعراء ، فقد صحبتُه مرات كثيرة وهو يطوف على أملاكه بالقاهرة وضواحي القاهرة ، وشهدتُ كيف ينظر إلى كل بقعة من أملاكه وقلبه يهتف : « كلُّ مليحة بِمَذاقِ » ورحم الله شوقي ، فما مات إلا وهو حزينٌ حزن على فراق أملاكه الواسعة بأرجاء هذه البلاد

وحب الدنيا هو السرّ في عبقرية عبد الوهاب وأم كلثوم ، عبد الوهاب ساكن العباسية وأم كلثوم ساكنة الزمالك ، وهل يستطيع مخلوق أن يقول إنه على شيء من الأدب أو الفن وجيوبه خاوية ؟

آه ، ثم آه ! !

كنتُ غنياً وكانت لي أموالٌ مرصودة في مصارف مختلفات ، ثم شاء القَدَر أن أترفّق بمرضاي من المِلاح فأنفق عليهم ما أملك ، فأنا اليوم فقير ، فقير ، فقير ، بحيث ترفض أم كلثوم أن تكون « ليلى المريضة في الزمالك » بحجة أنها صحيحة ، لا بحجة أني لم أعد أملك البِرّ بمرضاي من ذوات الخد الأسيل والطَّرف الغضيض !

وهجرتي إلى العراق هي سبب هذا البلاء ، فقد أغراني العراق بالكرم وراضني على البذل والجود ، فأنا اليوم بلا ذخيرة ولا عتاد

ألم تسمعوا أني كنت أتمرد على رؤسائي بالجامعة المصرية وبوزارة المعارف ، فكنت أملك الزهد في مناصب الحكومة في كل وقت ؟

فإن صح أني صبرت أخيراً على خدمة الحكومة أربع سنين فاعلموا أن أخاكم مُكرهٌ لا بطل ، وأنه لم يتمرغ في تراب « الميري » إلا وهو في فاقة وإملاق

وآه ثم آه من الصبر على خدمة الحكومة أربع سنين !

وهل خُلق الشعراء لهذا الاستعباد ؟ وهل كان ذلك هو المصير المنشود لمن يؤمنون بفاطر النخيل والأعناب ؟

ولكن لا بأس فمن واجب الشاعر الذى أخضعه الفن للقوافى والأوزان أن يقبل الخضوع لقيود الوظيفة وقيود المجتمع وما قيمة الفلسفة إن لم نحسن تعليل الصبر على قيود الوظيفة وقيود المجتمع ؟

وما حديث الـ ٤٥٠٠ ثانية فى صحبة أم كلثوم ؟

كانت النفس حدثتنى بوجوب السفر إلى الإسكندرية فى أواخر أيلول لأرى كيف ينجزر الصيف عن الخريف فى تلك الشواطئ الفسيح ، فرأيت على المحطة فتًى من عُصبة الفن الجيل وهو يهتف : « أما ترى ثُومة يا دكتور ؟ »

والتفتُّ فرأيت إنسانةً نحيلة تكبح سحر عينيها بمنظارَين سماوِيَّين وهى تحاور المودِّعين حِواراً تقع فيه ألفاظ غلاظ على غير ما يُنتَظَر من فتاة لها تلك المكانة بين البِيض الخفِرات من بُنيَّات وادى النيل

وأقبلتُ فسلَّمتُ تسليم الشوق بتهيُّب واحتراس ، لتفهم أنى لا أريد نضالها فى ميدان التنكيت ، ولكن الشقية تنابت وتجاهلتْ رغبتى فى البعد عن هذا الميدان ، ولم تكن إلا لحظة حتى اقتنعتُ بأن الزمالك تجاور بولاق !

ما الذى يحمل ثومة على خلع البُرقُع وهى تحاور الرجال وفيهم من لا يتأدب وهو يحاور النساء ؟

لم يبق بين ثومة وبين الفصيلة النسائية أية صلة ، فهى اليوم رجل أعمال ، وهى أبو كلثوم لا أم كلثوم ! !

وقتُ ثومة لا يضيع فى مراجعة الأدب القديم والأدب الحديث ـ كما تسمون ـ وإنما يضيع وقت ثومة فى تدبير المال لاقتناء النفائس من البيوت والبساتين

وثومة ليست غبية ، فهى تعرف أن البيئات الفنية يكثر فيها الوباء ، وأنه لا موجب لطاعة الفِطرة التى يتجلى فيها الحنان النِّسوى ، لئلا يكون من أثر ذلك أن تدور حولها الأقاويل والأراجيف فى زمن الأقاويل والأراجيف

ومن أجل هذا لا تُجيد أم كلثوم ممثلةً إلا فى مواقف الانفراد ، فهى كُتلةٌ من الثلج حين تحاور رجلاً فى مواقفها التمثيلية ، وهى نارٌ تتأجَّج حين تخلو إلى نفسها فى موقف من مواقف التذكر والاشتياق

العُزلة هى الفرصة الوحيدة لانفجار العواطف فى صدر أم كلثوم ، لأن هذه الإنسانة تتوهم أن المجتمع لا يُحسن غير التجريح والاغتياب ، فهى تلقاه بلسانٍ حديد لا يُجيد غير السخرية والاستهزاء ، فإذا اعتزلت الناس أو توهمتْ أنها اعتزلت الناس صارت أمّ كلثوم الحقيقية بشفتيها الورديتين وثناياها اللؤلؤية وأنفها المسنون . ولو استبحتُ مغازلة هذه الشقية لقلتُ إن ابتسامها يصدُر عن وادٍ سحيق هو وادى الخلود !

وما أسعدَ من يظفر بابتسامة صفية من أم كلثوم ولو لحظة واحدة من عمر الزمان !

ها نحن أولاء فى محطة القاهرة ، وإنى وإياها لمختلفان ، فهى ذاهبة إلى المنصورة وأنا ذاهب إلى الإسكندرية ، وسنفترق فى طنطا كارهين أو طائعين

وأترفق فأقول : ألا تحتاج الحمامة الوصلية إلى رجل يضايقها لحظات ؟

فتجيب : وأنت ؟ ألا تحتاج إلى من يضايقك ساعات ؟

ثم نأخذ فى الحديث بعنف ولجاجة وصيال ، فهل كان بينى وبين هذه الروح ثأرٌ قديم ؟ وهل سمعتْ أنى اغتبتها فقلت إنها ريحانة هذا العصر وأغرودة هذا الجيل ؟ وهل نقل الوشاة أنى زعمتُ أنها أطيب من العِطر وأرقّ من الزهر المطلول ؟

لا أعرف ما ذنبى عند أم كلثوم ، ولم أخرج على الأدب فأقول إنها خير ما أخرجتْ مصرُ من ثمرات ، وإنها ألطف روح سكن الزمالك وتخطَّر فى شارع فؤاد ؟

ما هفوتُ فى حق أم كلثوم إلا مرة واحدة حين قلت إن حنجرتها مسروقة من الحمائم الموصلية ، وكان الرأى أن أقول إن حمائم الموصل سرقت رخامة الصوت من الحنجرة الكلثومية

ثم تشتطّ أم كلثوم فى المزاح الثقيل ، ولكن مع مَن ؟ مع الرجل العليم بمواقع أهواء القلوب ولو سُدِل على سرائرها ألف حجاب !

هل تذكرون المصباح المغطَّى بالأوراق الزُّرق ؟

هو قلبُ أم كلثوم ، لو تعلمون !

وبلفظة واحدة نزعت تلك الأوراق لأواجه ذلك القلب الوهاج

فما هي تلك اللفظة السحرية ؟

قلت : إن حمامة الشرق تستر بمزاحها الثليظ قلباً يحترق

فالتفتت الفتاة الفتانة رشيقة وهي تستزيد ، فقلت : وقد حدثتني ليلى أن الأفعى تغفو أوقاتاً طويلة ثم تستيقظ حين تجد الفرصة لتخدير الفريسة بالسم الزعاف

وبهذا الكلام تنبهت أم كلثوم من سُباتها المتكلَّف المصنوع ، وابتسمت ابتسامة لن أنساها ما حييت ، فقصصتُ عليها قصة ليلى حين قرأتْ في كتب التاريخ الطبيعي أن الحيات تثور وتهتاج حين ترى إنساناً أخضر العينين ، فزعمت الشقية أنها لم تكن تعرف أني أخضر العينين ، فقلت : وما السرّ في نفرتك مني أيتها الرقطاء ؟

وترفقت أم كلثوم وتلاطفت بعد التأبي والتمنع ، وانطلقت تتحدث بلا تكبر ولا ازدهاء ، فمن قال إنه عرفها قبلي فهو كاذب ، لأني أول من نزع الأوراق الزُرق عن ذلك القلب الوهاج ، وأنا أول من فرض على أم كلثوم أن تعرف أن الدنيا فيها أمانة وصدق وإخلاص

من حق أم كلثوم أن تكون في دنياها رجل أعمال ، فنحن في عصر سخيف لا يقيم وزناً لمواهب أهل الأدب والفن إذا فاتهم سناد الجاه والمال

ولكن ... ولكن دنيا أم كلثوم صدّتها عن الانتفاع بأرباب المواهب ، فلو كان لأم كلثوم مستشار أمين لوصلت إلى الإعجاز في الغناء والتمثيل ، فلا عفا الله عمن صدُّوا هذه الروح عن الاستئناس بأذواق أهل الآداب والفنون !

وهل أنسى بشاعة الاستئثار بتصوير عصر الرشيد ؟

كان يمكن أن يكون فِلم « دنانير » أعجوبة الأفلام التاريخية لو كانت أم كلثوم تعرف أن في مصر رجالاً أدقّ ذوقاً وإحساساً من فلان وفلان ، وأن الانتفاع بآراء هؤلاء الرجال قد يعود عليها بالخير الجزيل ، ولكن أم كلثوم امرأة وإن كانت رجل أعمال ، والمرأة لا تفلح حين تتوهم أنها أعقل من الرجال

فلم دنانير جميل جميل ، ولكن تعوزه قوة الروح ، ولأم كلثوم أن تغضب كيف تشاء ، ولفلان أن يقتل نفسه من الغيظ ، فقد أخلف الظن به كل الإخلاف

إن هذا الفلم يلخص رأينا في أم كلثوم : فهي لا تجيد إلا عند العزلة والانفراد

فأين من يجعل أم كلثوم من أزهار المجتمع ؟

أين من يحوّل هذه الفتاة إلى روح لطيف يشيع في المجتمع معاني الأنس والانشراح ؟

إن كانت هذه الفتاة تحب أن تكون « ابن بلد » فقد ظفرتْ بما تريد ، أما إن كانت تحب أن تكون أعظم من أم كلثوم فلذلك حديث غير هذا الحديث

ثم وصل القطار إلى طنطا فانتقلت إلى قطار المنصورة وبقيتُ أتشوف إلى الأسكندرية ، وذلك آخر العهد بتلك الروح ، فإن رضيت عن هذا المقال فقد نلتقي في مصر الجديدة أو في الزمالك ، وإلا ... ...

زكي مبارك

محاورة أفلاطون الخيالية

حول التربية الانجليزية

للأستاذ عبد العزيز عبد المجيد

يعتبر سقراط أول من وضع الأسلوب الحوارى الاستنباطى أسلوب التهكم الذى يقف نفسه فيه موقف الجاهل ، ثم يسوق أسئلته البريئة اللاذعة التى تصير بالمسئول إلى حال التشكك والحيرة؛ غير أن سقراط لا يلبث أن يستدرج محاوره إلى الغاية الخفية التى يضمرها ، والتى يريد كشفها بأسئلته ونقاشه ، فيتجلى الأمر ويصل إلى النتيجة ، ولا يجد محاورُه مفرًا من التسليم له بوجهة نظره من غير أن يقصد إلى ذلك

ولقد نهج أفلاطون فيما كتبه — ولا سيما فى جمهوريته ومحاوراته — منهج أستاذه سقراط : ففى « الجمهورية » مثلاً يعالج مبدأ العدالة فى مدينته الفاضلة بأسلوب استنباطى حوارى على لسان سقراط نفسه . غير أن الحديث يتشعب به فينتقل من موضوع إلى موضوع ، ومن بحث إلى بحث ، حتى يخيل لقارئه أنه يكاد يفقد الفكرة التى بدأ بها موضوعه الأول ، ولكن لا يلبث حتى يعود إليها

ومما عالجه أفلاطون فى « الجمهورية » موضوع التربية . وآراؤه فيها — وإن كانت قد أصبحت قديمة كبعض فلسفته — تستحق إيرادها هنا كتمهيد لتلك المحاورة الخيالية التى سأنقلها للقراء من الإنجليزية ، والتى دارت بين أحد المربين الإنجليز وبينه حين بعث منذ أربع سنوات ، بعد أن مر على وفاته ثلاثة وعشرون قرناً

يرى أفلاطون فى « الجمهورية » أن هناك ثلاثة أنواع من الناس : نوع وهبه الله الحكمة والذكاء ، وهؤلاء يربّون إلى أن يصلوا إلى مرتبة الحكام الفلاسفة ، وهم الساسة المفكرون ، ذوو الأمر والنهى والرأى المطاع ؛ ونوع دونهم فى الذكاء والقدرة الفلسفية ، وهؤلاء يربّون ليكونوا مساعديهم فى الإدارة والتنفيذ وليكونوا رجال الجيش الذين يحفظون النظام داخل الأمة ويذودون عن حياضها فى الخارج ؛ ونوع فى المرتبة الدنيا غير الموهوبة التى لا تصلح إلا للزراعة والتجارة والصناعة ، وهؤلاء يكوّنون جمهرة الشعب وعامته

والمحاورة الخيالية التى سأوردها هنا من وضع الأستاذ كرُصمان Crossman بجامعة اكسفورد . وقد أذاعها من محطة لندن ضمن سلسلة أحاديثه التى تشمل أيضاً : أفلاطون والديمقراطية الانجليزية ، أفلاطون والأسرة الانجليزية ، أفلاطون والاشتراكية ، أفلاطون والنظام الفاشستى الخ[1] . وها هى ذى المحاورة :

أفلاطون للمربى : يقال إنكم أنتم معشر الإنجليز مهتمون بالتربية ومعضلاتها ، ومصممون على بنيان نظامها على أسس قوية لأنكم تدركون أن تربية النشء تربية صحيحة ، إنما هى عامل فعال فى إصلاح شؤون الدولة ، وأن سلامة الأمة لا تكون إلا بالتربية الحقة

المربى : نعم ، الأمر كذلك . ولقد خطونا خطوات مباركة فى الخمسين سنة الماضية . ولعلك لا تدرى أننا حتى سنة ١٨٧٠ لم يكن لنا نظام تعليم حكومى موضوع ، ولم يكن عندنا تشريع للتعليم الإجبارى ، ولم تكن عندنا كليات ثانوية للبنات بجانب العدد القليل من مدارس البنين الثانوية الصالحة ، ولم يكن لغير أتباع الكنيسة الإنجليزية حق فى التعليم العالى مهما كانت ثروتهم . أما الفقير فلم يكن له نصيب من التعليم الجامعى ولو كان من النابغين . ولكن كل هذا قد تغير الآن . فالتعليم الإجبارى إلى الرابعة عشرة ، والتعليم الثانوى إلى الثامنة عشرة . وهو نصيب نسبة كبيرة من الناشئة التى هى أهل له . وعندنا عدد لا بأس به من الجامعات التى تعينها الحكومة ماليًا ، والتى يتلقى فيها الشباب التعليم العالى إلى الثانية أو الثالثة والعشرين

أفلاطون : حقاً لقد كنتم نشطين فى ميدان التربية خلال هذه الحقبة الماضية ، وإنى لأهنئكم على أنكم أبيتم أن تدعوا التربية كما كانت فى يد الأسرة فقط ، أو غيرها من الهيئات التى لا تقدر هذه التبعة ، تبعة تنشئة الجيل القادم . ولكنى أود أن أعرف جليًا الأسباب التى من أجلها وجهتم كل طاقتكم لجعل التعليم العام حقاً لكل فرد من أفراد الشعب

المربى : مما لا شك فيه أن من بين الأسباب التى دعتنا لهذا إيماننا بمبدأ العدالة . فنحن شعب ديمقراطى ، ونعتقد أن التربية

(١) نقلا عن كتاب Plato to-Day لمؤلفه R. H. Crossman

يجب ألا تكون وقفاً على طبقة خاصة من الشعب ، بل يجب أن تكون حقاً مشاعاً لكل فرد . وما فائدة أن نخول للفرد حق الانتخاب واختيار من يمثله فى المجالس النيابية إذا كان هذا الناخب جاهلاً لا يحسن اختيار ممثله . وتربية الشعب هى الوسيلة التى بها يكون للانتخاب أو التمثيل النيابى معناه ومغزاه ، فلا يكون له ذلك المظهر الصورى التقليدى . ومن السهل أن يكون للأمة حكومة نيابية ، وهيئة برلمانية ، ومؤسسات ديمقراطية ، هى نتيجة الانتخابات العامة . ولكن كل هذه مظاهر خادعة ما لم يكن الشعب متعلماً . والمؤسسات الديمقراطية لا تجعل الشعب ديمقراطياً ، ما لم يكن أفراده قد عرفوا معنى الديمقراطية واستطاعوا أن يتمتعوا بها ، وأن يستفيدوا منها . ومعرفة معنى الديمقراطية واستغلالها الحكيم ليس شيئاً يسقط من السماء ، بل لا بد لخلقها فى نفوس الشعب من المال والمجهود . ونحن جادون فى هذا السبيل بالتربية التى نقدمها لأبناء الشعب فى مدارسنا . وليست التربية عندنا أن نصُبَّ عقول الناشئة فى قوالب منتظمة ، فتخرج قطعاً منتظمة تركب فى عجلات المحرك الحكومى ، فتؤدى وظيفتها دائرة مع هذه العجلات دوراناً آلياً ، حتى إذا عراها الصدأ أو تحطمت ألقينا بها جانباً ، واستبدلنا بها غيرها ، والحقيقة هى أننا لا نريد أن نجعل أبناء الجيل القادم صناعاً مهرة فحسب ، ولكنا نريدهم أن يكونوا مواطنين صالحين فى شعب ديمقراطى ، قادرين أن يقوموا بدورهم بنجاح فيما هم أهل له ، سواء أكان ذلك فى ميدان الكرة ، أم فى نقابة التجار أم فى المجلس المحلى أم فى دار النيابة . نريد أن ننشئهم بحيث يعرفون كيف يحكمون أنفسهم ويساعدون من يحكمهم . فأنت إذاً ترى أن غاية التربية فى مدارسنا ليست إقدار الناشئة على كسب الخبز ونيل الوظائف ، ولكن الغاية من تعليمهم التاريخ والجغرافيا والاقتصاد هى أن يصبحوا فى أمتهم أعضاء يقدرون حقوقهم المدنية ، ويعرفون واجب الأمة عليهم

أفلاطون : صحيح كل هذا ، وهو يطابق تماماً ما قرأته لأحد ساستكم إذ يقول : إن التعليم العام للشعب ما هو إلا تجربة فى الحكم الذاتى. ولقد كان لهذه العبارة أثرها ومعناها فى نفسى لأنى أنا كنت قد حاولت فى مدينتى الفاضلة أن أجعل جميع أفرادها يشتركون فى حكومتها الذاتية . غير أن تجربتى لم تنجح فحدثنى إذاً عن نتائج تجربتكم التربيوية هذه ، وهل توقظ فى الشعب شعوره بضرورة اشتراكه فى أمور السياسة الخارجية والداخلية ؟

المربى : نعم ، أعتقد ذلك ، فالشعب قبل الحرب الماضية مثلاً ما كان ليعنى بالشئون الخارجية ، أما الآن فالشعب جميعه يعنى بالسياسة الخارجية ، ووزير الخارجية فى البرلمان أكثر النواب حديثاً ، وأكثرهم إجابة عن الأسئلة المتنوعة التى توجه إليه من كل حزب ومن كل صوب ، ولا تسمع الآن فى أحاديث الأسرة الإنجليزية إلا أخبار الحرب والسلم

أفلاطون : ولكن هل تظن أن لاهتمام الشعب بالسياسة الخارجية وتدخله فيها كما ذكرت أثراً فى اعتدال هذه السياسة وتحسنها ؟

المربى : من غير ما شك . وآية ذلك أن الحكومة لا تستطيع الآن ـ كما كانت تستطيع من قبل ـ أن تقرر فى الخفاء أى شأن من شئون السياسة الخارجية

أفلاطون : إن سؤالى مرة أخرى هو : هل كان لاهتمام الشعب بالسياسة الخارجية أثر فى اعتدال هذه السياسة وتحسنها ؟

المربى : أجل ، لقد جعل اهتمام الشعب بالسياسة الخارجية الحكومة تدرك تبعة تصرفاتها ، وأنها مسئولة عنها أمام هذا الشعب الذى انتخبها ، فهى إذاً لا تستطيع أن تعمل ما تشاء ، ولكن ما يشاؤه الشعب

أفلاطون : ولكن هب الحكومة أرادت أن تفعل شيئاً تراه هى صالحاً ، ولا يراه الشعب كذلك ، فما هو الموقف ؟

المربى : نحن نعتقد أنه من الحكمة أن يفعل الشعب الفعلة الخاطئة بإرادته وحريته متى قرر ذلك بدلاً من أن يكره على عمل الصواب ...

أفلاطون : كأنى بك تعتقد أن الحرية خير من الفضيلة ؟

المربى : لا ، لا أعتقد هذا . ولكن الرأى عندى أن الفضيلة مستحيلة بدون الحرية . إنك لا تستطيع أن تكره الطفل على أن يكون خيِّراً ، بله الكبار من الرجال والنساء

أفلاطون : قد تكون على حق ! وإذاً فلماذا تريدون الحكومة ما دام الشعب يريد أن يعانى التجارب القاسية بأفعاله الخاطئة وتصرفاته الحمقاء ، وهو مطمئن لأنه قام بها بمحض حريته ومجرد رغبته . ألا ترى أن الأصلح إلغاء النظام الحكومى نهائياً ! ؟

المربى : إن أسئلتك كالحلقة المفرغة لا يدرى لها طرف . وإنك لتلعب بعبارتى وتتهكم حتى ليحسبها السامع جوفاء ...

لا يختلف اثنان فى أنه يجب أن يحال بين الأفراد وبين أى تصرف يتنافى مع حرية غيرهم . وهذه هى الحكمة فى قيام الحكومات ، ولكن يجب أن تترك الحرية لأفراد الشعب بقدر المستطاع ليقرروا بأنفسهم مصير شئونهم . إن الهدف الذى نرى إليه — نحن المربين — فى هذا العصر هو أن نمد مواطنين يحسنون استخدام حقهم الانتخابى ، ويعرفون كيف ولِمَ ينتخبون ، فلا ينتظر منهم أن يكونوا خبراء فى شئون السياسة والاقتصاد ، ولكن يكفى أن يكونوا ذوى بصر وفكر بهما

أفلاطون : ألست تقر أنكم لم تكوّنوا بعدُ هذا النوع من الرجال ؟ فلِمَ إذاً تتعجلون — قبل أن تتم مشروعاتكم التعليمية وتنضج — فتكلون إلى أنصاف المتعلمين من الشعب الفصل فى شئونكم السياسية ؟ إن هذا لقلب للموضوع وللوضع المنطقى ! الواجب أن يكون عندكم أولاً نظام عام للتربية يكوّن هؤلاء المواطنين الذين وصفتهم فى نقاشك ، وحينئذ تكلون إليهم مطمئنين الإشراف على سياسة الدولة داخلية وخارجية ، غير أنى أعتقد أنكم متى كوّنتم هذا النوع من المواطنين كامل التربية لم تعد ثمت حاجة إلى أية حكومة

المربى : لقد عدت بنا من حيث بدأنا . إن العالم لم يصل بعد إلى المثل الأعلى ، ولن يصل إليه ، فلا مفر من مواجهة الواقع كما هو ، ونحن فى بلادنا نعتقد أننا إذا وكلنا إلى المواطنين العاديين الإشراف على أمورهم ومستقبلهم فإنما نعطيهم الحرية التى بدونها نرى الحديث عن الفضيلة والخلق لغواً

أفلاطون : لقد قلت الآن إن الغاية من قيام الحكومة هو منع الأفراد أن يتعدوا فى تصرفاتهم إلى حقوق الآخرين ، وإلزامهم أن ينصرفوا لأمورهم ويدعوا غيرهم وشأنهم ، فإذا كان الأمر كذلك فمن واجب الحكومة ، فى سياستها الخارجية ، أن تحول أيضاً بين أفراد شعبها وبين تعديهم إلى حقوق غيرهم من أفراد الشعوب الأخرى . وأنت الآن تريد مواطنى بلادك أن يوجهوا الحكومة فيما تبحثه من الشئون العالمية ، وأن يتدخلوا فيما تقرره منها . ومعنى هذا أن سياستكم الخارجية ستكون طبعاً خاضعة لنفوذ ذوى المصالح الشخصية من المواطنين الذين همهم الوصول إلى منافعهم المادية على حساب الشعوب الأخرى

المربى : كلا ، إننا نتوقع عكس هذا . إن عامة الشعب لا ترغب فى الحرب ، وليس له مطامع مادية أو استعمارية ، إن هذه إلا مطامع تجار السلاح والذخيرة والرأسماليين . أما عامة الشعب فتريد السلم والعدالة العالمية

أفلاطون : هذا جميل حقاً ، ولكن هل يعرف أفراد الشعب كيف يحققون هذه المبادئ العالمية السامية ؟ دعنى أنبئك وما ينبئك مثل خبير ؛ إن فن السياسة فن دقيق صعب المراس ، وإن علوم الحرب ليست من العلوم التى تدرك فى يوم ؛ فهل ترى أن أفراد الشعب خبيرون بفنون السياسة عليمون بتاريخ العلاقات الدولية ؟ أو هم فقط غيورون متحمسون تدفعهم العواطف النبيلة ، فإذا ما صدمتهم الحقائق الصماء ذهبوا كفقاعات الصابون فى الهواء

المربى : نحن الآن جادون فى تعليمهم فن السياسة والعلاقات الدولية . ولكن الحق هو أن هذا العالم يحتاج إلى قليل من المكر السياسى ، وكثير من الخلق المستقيم

أفلاطون : نحن على وفاق . فإن كل ما يحتاج إليه المواطن هو العواطف الخلقية القوية القويمة . ولكن هذه العواطف وحدها لا تكفى لتكوين من يصلحون للحكم . وأنتم فى تجربتكم التى تقومون بها الآن بتربية الشعب تحاولون أن تُعدّوا جيلاً يستطيع أن يحكم نفسه بنفسه . وعندى أن هذا الجيل يحتاج إلى شىء آخر بجوار العواطف الخلقية التى أشرت إليها . إن مهنة السياسة تحتاج إلى مهارة ولباقة عقلية . وإذاً فلا بد أن نفرق بين التربية التى يحتاج إليها المواطن العادى والتربية التى يحتاجها الحاكم السياسى . فهذا الأخير يجب أن يعرف شيئين : قواعد السياسة التى يريد أن يتبعها ، والعالم الذى يريد أن يطبق فيه هذه القواعد . فهو باحترافه السياسة يشبه كل صاحب مهنة فقد تجد الرجل المغرم بالصور الجميلة ، الذى يدرك الجمال أنى يكون ويحبه بكل قواه ، ولكن هذا الإغرام أو الحب لا يخلق منه رساماً أو مصوراً . فالمصور لابد له من معرفة قواعد التصوير ، وخواص الألوان ومزجها ونتيجة أخلاطها ، وأنواع الأوراق والمواد التى يستعملها فى تصويره ، وأصناف الفراجين التى يستخدمها وهلم جرا . هذا إلى الهبة الطبيعية التى تكون فيه . والأمر كذلك فى الحكم ؛ فليس يكفى أن يكون الحاكم ذا ميول خلقية نبيلة تحببه للعدل والسلم ، لا ، بل لا بد من أن يعرف أصول السياسة ، وحوادث العالم اليومية ، العالم الذى سيطبق فيه أصول سياسته . فأمر السياسة العالمية الخارجية إذاً ليس

من السهولة بحيث يمكن أن يصير المرء بها وفيها خبيراً . ولهذا لا أفهم كيف يستطيع مواطنوك أن ينقدوا سياسة الحكومة وأن يوجهوها

المربي : إن المواطنين لا يستطيعون طبعاً أن يفهموا دقائق الأمور ، ولا أن يتعدوها أو يغيروها ، ولكنهم يستطيعون أن يقرروا اتجاهات السياسة العامة التي يجب أن تتبعها الحكومة

أفلاطون : أخالفك في هذا . لأن الاتجاهات العامة من المكان والأهمية بحيث تحتاج إلى فيلسوف لحل معضلاتها التي هي معضلات الحرب والسلم ، والاعتداء والدفاع ، ولكن مهما يكن من الأمر فلنترك بحث السياسة الخارجية ، ولنرجع إلى موضوع إصلاحاتكم في التربية ونظمها . لقد ذكرت في حوارك أن غايتكم المثلى في التربية هي أن تكون عامة لكل أفراد الشعب ، ولعلي لا أكون بعيداً عن الصواب إذا قلت إنك تريد « أن تكون فرص التربية والتعليم للجميع سواء » . فما الذي تريد أن تصل إليه بهذا كله ؟!

(يتبع) عبد العزيز عبد المجيد

عراك في غير معترك
وحكايات أخرى ...
للأستاذ محمد متولي

ذات صيف ، إذ كنت صبياً في المدرسة الابتدائية ، وكنت في الريف أقضي عطلتي ، صادفت الليلة الختامية للاحتفال بمولد أحد الأولياء هناك ، وذهبت أجوس خلال حلقات الذكر ليلتئذ ، فإذا (مجذوب) ناحل هزيل ، مأخوذ بشعور ما ، يهذي بما هو أشبه بالدمدمة أو « الملضمة » منه إلى الكلام الواضح المفهوم ، بينما وقف بجانبه فتى شاب يصلح من شأنه وهو يقول له : « وحّد الله وحد الله ... » ودفعني فضول المعرفة فرفعت قامتي القصيرة إلى الفتى وسألته : « الراجل دا بيقول إيه ؟ » فأجابني في ابتسام وإشفاق أنه يتكلم « اللاوندي »

ولقد كنت أنتظر من صديقي الأستاذ زكي طليمات ، بعد أن لفتّه في مقالي السابق إلى وجوب « موضوعية » كلامنا ، كنت أنتظر من هذا الصديق أن يكون أكثر لباقة فلا يدفعه الدكتور بشر في المزالق فيندفع وينزلق ويتورط في مسائل علمية وفنية ، ويشط بعيداً ، ويجيئنا بحكايات متناثرة متنافرة مشحونة بالزيف والبهرج ، حتى لقد غَمُض فحسبته ، أول الأمر ، يقصد بألفاظه إلى رموز خاصة بنفسه ، كما في الصوفية ؛ وصخِب فخلته يتكلم ذلك « اللاوندي » الذي سمعت في حلقة الذكر منذ ربع قرن من الزمان ، وجئت أردد له قول صاحبي الريفي : « وحد الله ... وحد الله ... »

* * *

كان العراك بين جبهتي بشر فارس والشاعر علي محمود طه في غير معترك ، ولكن الأستاذ زكي لم ير هذا ، لأنه لم يتفق معنا على أن « النقد الفني » يجب أن يقتصر على تبيين قيمة « الصورة » التي يقدمها الفنان كابداع له وحده ، بخلاف ما كان بين الجبهتين من خلط وتنابذ واتهام . إنما يتصور الأستاذ أني قصدت بتقريري أن « العراك كان في غير معترك » كون رواية « مفرق الطريق » تافهة ممسوخة ، وأنا لم أردْ غير ما رأيته من ضلال الجماعتين « أصول النقد » فليس ذنبي أن قصر فهمُ صديقي دون إدراك غرضي في تلك العبارة ، وهو قريب بيّن

وأحببت أن يكون العراك في معترك ، فبينت أن رواية بشر ليست من الرمزية في شيء ، كما دلّلت على أن الدكتور المؤلف لا يفرق بين « رموز الصوفية » و « رموز الفن » ، مع أنهما عمليتان تختلفان « سيكلوجياً » ؛ ولكن بشراً وزكياً عقدا جلستهما وقررا كتابة الرد على هذا الرأي ، ولعل لذة المعرفة فاتتهما ، أو لعل غريزة « حب الغلبة » غلبتهما فحجبت جمال المعرفة عن بصيرتيهما ، فنسيا موضوع الكلام وراحا يتفلسفان ويتعالمان !

وحدّ الموضوع كما قلنا – وكما يقرر « ريبو » – هو أن الرمزية في الفن « تستخف بتمثيل العالم الخارجي تمثيلاً صادقاً ... فإذا الناس والأشياء تمرّ دون أن تنطبع بزمان أو مكان ، ولكنها تمضي وما ندري أين حصلت ولا متى ؛ فلا هي (تمت) بصلة لأي بلد ، ولا هي تمثل عصراً بذاته » . والدكتور بشر يعرض علينا ، في مفرق الطريق ، صورة محلية « تجري حوادثها في مصر في أحد شوارعها ، أمام صف من المنازل المنخفضة على

شكل النازل التى تصاب فى الأحياء القديمة » . فهل حاول أحد الفارسين أن ينقض هذا التحديد الذى يجرد مسرحيتهما من صفة الرمزية ؟ !

اللهم لا شيء من ذلك ، ولكن بشراً يدفع زكياً ليقول أشياء لامعة ، ويذكر أسماء رنانة بينها وبين مسئلتنا من البعد قدر ما بين الدكتور بشر ومفهوم الرمزية فى الفن . وهذه الأشياء هى الحكايات التى استنبتها الفارسان على هامش المسئلة ، والتى أتناولها الآن بالتفنيد للتدليل على ما ذهبت إليه من أن صاحبينا يجترئان ويتأملان كتب الفلسفة والفن بالاجتهاد ، ويقرآنها كما يقرآن روايات الجيب - مثلاً - فيزلان ويقعان فيما يجب ألا يقع فيه المخلصون فى طلب المعرفة

وإذن ندور حول الموضوع تمشياً مع منطق الأستاذ طليات ونعتذر عن هذا اللغو لأستاذنا صاحب الرسالة ، ونعده ألا نعود إلى الكلام « خارج الموضوع » مهما يقل بشر أو زكى أو غيرهما

* * *

١ - استهل زكى مناقشته بنص للمستشرق « بروكلمن » وساقه برهاناً على أن مسرحية بشر عمل أدبى ، وترجمة ذلك النص الدقيقة هى « نحن هنا فى بداية تطور هو تجديد يمكن أن يؤثر فى الحياة الأدبية ، بعد نضال عنيف » وهذا النص بذاته برهان على أن الرواية « محاولة » فجة ، إذا صدقنا أن « بروكلمن » يمكن أن يقدم « دراسة » لعمل أدبى فى بعض صفحة من القطع المتوسط ، ولكن الواقع أن هذا المستشرق يعرض المسائل عرضاً تاريخياً بسيطاً ، ثم هو كالأستاذ زكى لا يحسن النظر فى الأشياء ويتورط فى أحكامه ، لأن بشراً قدم روايته عملاً مطبوخاً وغير ناضج عام ١٩٣٨ فيما أذكر ، بعد أن قدم توفيق الحكيم « شهرزاد » عام ١٩٣٤ مثلاً رفيعاً للأدب الرمزى ، ليس فى أدبنا وحده ، ولكن فى جميع الآداب ، فكيف لا نصف « بروكلمن » بالغفلة إذا اعتبر مفرق الطريق « بداية تطور » مع أننا قبل ذلك وصلنا إلى غاية الغاية برواية توفيق الحكيم ؟ !

٢ - والمسألة عند زكى « محصورة فيما إذا كان بشر قد استلهم فى كتابة مسرحيته... من (كذا) الفيلسوف « كانت » . أو هو استوحى فلسفة برجسون ، وهذا الحصر مرفوض لأنه لا معنى له عند من « يشعر » بمعنى الإيحاء أو الإلهام و « يعرف » طريق النظر فى أية فلسفة ، وكذلك هذا الحصر ليس إلا لفاً حول الموضوع ورجوعاً إلى « الخذاقة على اللحاف »

٣ - والأستاذ زكى يصف أسلوبه بأنه « أوضح وأدنى إلى الثقافة العربية » وأنا لم أعرف أنى « مستشرق » وإذا كانت المصطلحات الفلسفية غريبة على ثقافته ، فليس هذا من خطئى ولا هو مما يدعونى إلى أن أسوق له عبارات مبتذلة كى يفقه قولى . وعلى أى حال ، كنا نحب أن نحمد الله لأنه « لم يغب عن ذهن زكى » التفريق بين « الصورة » و « الفكرة » فى الفن ، لولا أنه عاد فقال إن « اقتصار الفن على الصورة أو الشكل لا يعنى أن يكون هناك فن رفيع وفن رخيص ، وفن أصيل مبتكر وفن متبع مقلد ، وشاعر يسرق وكاتب يستمد » قال هذا فبدا لنا عقله كصندوق حروف ، ورأيناه هو كأنه « مطبعجى » يرص الحروف وهو لا يقصد من ورائها إلى معنى فى نفسه محسوس ، ذلك أن الفن يجب أن يكون رفيعاً ، وإلا فهو تهريج لا نسميه فناً ، ويجب أن يفيض عن الروح طريفاً لطيفاً ، وإلا فهو شيء صناعى Technique لا حياة فيه ؛ أما عبارة الشاعر الذى يسرق والكاتب الذى يستمد ، فقد نرجو إعادة حروفها إلى « الصندوق » إذا كان ممكنا ، فلا يقرؤها الناس فيسيئوا الظن بصديقى المعروف من أهل الفن

٤ - ويحدثنا الأستاذ طليات عن (شرائط الفن المقطوع بها) فى المسرحية ، ويحددها بأنها (مراعاة بلاغة العرض لحوادثها وجودة الحبك لمشاهدها ، وبراعة الحوار ولطفه ، وعمق التفكير وانسيابه إلى أعماق النفس يكشف عن خفاياها) ؛ وهذا الحديث يذكرنا بذلك الطراز من نقاد المدرسة القديمة الذين يحتفظون بعدد من (الكليشيهات) يضيفونها إلى أسماء الشعراء والأدباء ، من غير نظر ولا تأمل ، فإذا الفرق بين شاعر وشاعر أن هذا (جزل الألفاظ) ، وأن ذاك (سلس الأسلوب) ، وأن الآخر (حسن الديباجة) . وزكى معذور فى هذا ، لأنه يتصور الفن تصوراً (ميكانيكياً) لا أثر فيه للعاطفة ، فيبتدع تلك « الشرائط » ويقطع بها وحده ، ويحاول أن يفرضها علينا قبل أن يطبقها ، ولو استطاع تطبيقها لما انطبقت إلا على الرواية الفاسدة التى لا يمكن أن تصدر عن روح فنان ، وإنما يخرجها (مصنع تزييف)

٥ - ولقد كان الأستاذ زكى يستطيع أن يصفنى بالتفلسف لو أننى أخذته إلى مجاهل ما وراء الطبيعة ، ورحت أحدثه فى نظرية المعرفة عند « كانت » أو « برجسون » ، بينما نحن نتكلم فى

مسألة فنية ، ولـكنى أردت أن أهديه سواء السبيل ، فأخذت بيده إلى علم الجمال الذى موضوعه الفن ، وبدلاً من أن يبهره هذا النور الجديد رأيته ، كالتلميذ الكسلان ، يركب رأسه ، ويأبى متابعتى ؛ بل رأيته أكثر من هذا يطالبنى بأن أترك مصطلحات علم الجمال إلى ما يدعى أن رجال المسرح اصطلحوا عليه حتى يكون قولى قائماً على الدقة والإحكام فى نظره . يطالبنى بهذا الـكفر ، وليته كان صادقاً ، فرجال المسرح لم يصطلحوا على شىء اسمه « الرمزية الفنية » ، وهذا الشىء لا وجود له إلا فى « صندوق حروف » الأستاذ المخرج الممثل

٦ — وفى هذه الحُزُون ، يصل الأستاذ زكى إلى الهاوية السحيقة ، ويدفعه بشر ، ويسقط ، فإذا هو مبقور البطن مجدوع الأنف مصلوم الأذن ، ثم هو ، مع ذلك كله ، يأسف من أجلى رائياً لأنى لم أتعقب « المراحل الحديثة التى مرَّ بها علم النفس بعد المهد الذى ألف فيه « ريبو » ... » ولأنى لم أعرف « أن علم النفس الذى أفادت منه الرمزية كثيراً قد دخل فى طور جديد تبدلت على أثره أوضاع فى الأدب عامة وفى الرمزية خاصة » وبعد الأسف والرثاء « يود » الأستاذ العالم أن نقف « على آراء علماء اليوم فيما كتبه « ريبو » خاصاً بالمخيلة ... وذلك كما وردت (كذا) فى مؤلف كبير يدرس اليوم فى جامعة السوربون بباريس » ويزّيف علينا أن « وليم جيمس » يقول فى هذا الـكتاب : « يلوح لنا أن علم النفس عند ريبو فى مسائل المخيلة والاختراع لا يزال تحت تأثير النظرية الآلية البسيطة الخاصة بتجزؤ الذهن إلى ذرات متجاورة » وأخيراً لا ينسى حضرته أن يصف وليم جيمس بأنه « الفيلسوف الأميركى المعاصر »

ولو أمكن إيجاد محكمة تحفظ كرامة العلم وتحاسب المستهترين بقدسيته وتعاقبهم على جناياتهم ، لو أمكن إيجاد هذه المحـكمة وقدمنا لها هـذا الـكلام الذى يرسله صديقى زكى إرسالاً ، إذن لحـكمت عليه بالحرمان الأبدى من القراءة والـكتابة ، ولحـكمت على الدكتور بشر بسحب شهادته بتهمة التحريض والإفساد

أما أنا فأؤكد للأسـتاذ زكى أنى أعرف موضوعى لدرجة تسمح لى أن أصحح له ولشريكه تلك الأوهام التى يعيشان فيها ؛ فليسمع ، أو ليسمعا

(ا) « وليم جيمس » ليس معاصراً ، بل هو متوفى عام ١٩١٠ ، أى منذ ثلاثين عاماً ، بينما « ريبو » متوفى عام ١٩١٦

(ب) ألـ Traité de Psychologie (طبعة ١٩٢٣ ـ ٢٤ ذات الثلاثة الأجزاء) التى يعتمد عليها زكى وبشر أصبحت منسوخة لأنها تطبع الآن فى تسعة أجزاء بزيادات وتفصيلات، وقد ظهر الجزء الخامس منها عام ١٩٣٦ ، وظهرت قبيل الحرب أجزاء لا علم لى بها

(جـ) لو أن الأستاذ زكى ذو عهد بالدراسة الجامعية لما قال إن كتابا يدرس بجامعة السوربون ، كما تقرر الكتب فى المدارس الابتدائية والثانوية، ولعرف أن أى كتاب يمكن أن يدخل الجامعة إنما ليقلب ويجرح ، حتى ولو كان مؤلفه زكى طليمات

(د) « ريبو » الذى لا يرضى زكى طليمات ، هو الذى عرف Dumas قدره فاختاره ليكتب مقدمة الـ Traité ، واعترف بفضله فأهدى السفر إلى ذكراه بعد موته

(هـ) لا وجود لـكلمة « المخيلة » ، ولا وجود لـكلمة « الاختراع » فى النص الذى ينقله زكى عن « وليم جيمس » . وإذا كان هـذا النص مذكوراً فى باب « الاختراع » فقد جاء فى عرض « جيمس » لوصف العملية الفسيولوجية لتداعى الخواطر l'Association des Ideés عند « ريبو » (راجع ص ٢٠ فى كتاب l'Imagination Créatrice) ، ولـكن زكى يفتى فيما لا يدرى فيضطر إلى تزييف هذا النص الذى يتعلق بمسألة « بسيكوفيزيولوجية » ولا يتعرض للظاهرة النفسية ذاتها ، والذى يدل على مكان فيلسوفنا المظيم ولكن من يقرأ ؟! قال « وليم جيمس »

La psychologie de Ribot à ce sujet nous semble encore très dominée par la conception automatique et simpliste de l'atomisme mental, bien qu'il ait insisté — ce qui le rangait parmi les novateurs à l'époque — sur ce fait que les etats associés ne sont pas juxtaposés, mais qu'ils « se modifient par le fait même de leur connextion »

(و) مفهوم علم النفس عند الأسـتاذ زكى شعبى خاطىء لا يزيد على ما نسمعه من بعض زبائن « قهوة بيرون » لأنه يفهم أن الرمزية « أفادت من علم النفس » والأمر بالعكس ، فهذا العلم الذى موضوعه ظواهر النفس هو الذى أفاد من وجود الرمزية .

٦ — وأنا لم أستنكر أن يحاول صديقى زكى أن يناقشنى فى مسائل الفن والفلسفة ، فهل هو يستكبر إذا فسرت له نصاً فلسفياً لم يفهمه فأفسد ترجمته ؟ (راجع النص الفرنسى وترجمة زكى ص ١٥٤٨ — العدد ٣٧٩ من الرسالة) رضى أو لم يرض

نفثات

أمـــاه . . .

للأستاذ سيد قطب

من نحن اليوم يا أمّاه ؟ بل ما نحن اليوم عند الناس وعند أنفسنا ؟ ما عنواننا الذى نحمله فى الحياة ونعرف به ؟

إننا لم نعد بعد أسرة ، ولم يعد الناس حين يتحدثون عنا يقولون : هذه أسرة فلان ؛ بل أصبحوا يقولون : هذا فلان وهذا أخوه ، وهاتان أختاه !

اليوم فقط مات أبى ؛ واليوم فقط أصبحنا شتيتاً منثوراً ، وإنى لأضم اليوم إلى صدرى ابنكما وابنتيكما ، أضمهم بشدة لأستوثق من الوحدة ، وأشعرهم بالرعاية . ولكن هيهات هيهات . فأنا وهم بعدك أيتام يا أماه !

لقد شعرت اليوم فقط بثقل العبء ، وعلمت أننى لم أكن أنهض به وحدى ، وأننى كنت أرعاهم وأرعاك معهم ، لأننى قوىّ بك . أما اليوم فالعبء فادح ، والحمل ثقيل ، وأنا وحدى ضعيف هزيل !

إن الشوط لطويل ، وإنى لوحدى فى الطريق ، وأخى وحده كذلك ، وأختاى وحدهما أيضاً ، وإن كنا نقطعه جميعاً !

والعش الذى خلفتِه سيظل فراخه زُغباً مهما امتد بها الزمن ، لأن يدك الرفيقة لا تمسح ريشها وتباركه ، وكفك الناعمة لا تدرب أجنحتها على التحليق ، وروحك الحنون لا تكلؤها فى أجواز الفضاء

نحن اليوم غرباء يا أماه

لقد كنا — وأنت معنا — نستشعر فى القاهرة معنى الغربة فى بعض اللحظات ؛ وكنا نشبّه أنفسنا بالشجرة التى نقلت من تربتها ، والتى ينبغى لها أن تكثّر من فروعها ، لتتقى الاندثار فى غربتها

أما نحن اليوم فغرباء فى الحياة كلها . نحن الأفرع القليلة ذوى أصلها ، بعد اغترابها من تربتها ، وهيهات أن تثبت أغصان

فواجبنا يحتم أن نعلمه أن الرمزية الميتافيزيقية (الفلسفية عند « ريبو » هى الرمزية الفنية التى يتكلم عنها الفيلسوف نفسه فى صفحتى ١٦٩ ــ ١٧٠ من كتابه l'Imagination Créatrice ، ولو أدرك زكى أنه لا وجود لغير نوعين من الرمزية ، لعرف أن الرمزية الميتافيزقية ، أو الفلسفية ، هى بعينها الفنية ، ولا استطاع أن يفهم « ريبو » ويترجمه فى أمانة ؛ وإلا فهل وجد هو « ريبو » يذكر اصطلاح Le Symbolisme Artistique فى أى فصل من فصول كتابه ؟!

إن زكي فى حيرته ودورانه يدعى أنى (أخلط خلطاً صريحاً) بين الرمزية الفنية وبين ما يسميه (رمزية ما وراء الطبيعة) ؛ فهل يتفضل الزميل بأن يفسر لنا هذه الرمزية الثالثة التى يضيفها إلى النفس الإنسانية وكأنه يريد أن نتصور إنساناً بثلاث أرجل أو عيون مثلاً ؟ !

٧ — بقى أن نهمس فى أذن الصديق زكى أن تاريخ الرمزية الفنية ، هو تاريخ تطور العقل البشرى ، وأن هذه الرمزية إذا كانت قد بلغت بهذه الصور المركبة ، فهى قد بدأت بالأساطير فى أحضان الدين ، بل يرجع تاريخها إلى ابتداع الحروف الأبجدية كرموز تدل على أصوات ، وهى فى جميع مراحلها تقوم على أساس « سيكلوجى » واحد . والفرق بين هذه الرمزية وبين الرمزية الصوفية هو أن الأخيرة تعتمد على رموز شخصية ينتزعها الصوفى من نفسه انتزاعاً ليس فيه أى عنصر عقلى ، ولهـذا السبب لا يفهمها أحد غيره ، بينما الرمزية الفنية تقوم على رموز تنتزع من الحياة العامة ، فتكون عند جميع العقول

ولقد أكتفى بهـذا القدر لأن الأستاذين زكيا وبشرا يذهبان فى مناقشتى على غير أساس من العلم الوضعى ، مما أشاع الغلط والسفسطة فى كل سطر كتبه زكى ، ومما جعل المناقشة معهما سقيمة عقيمة ؛ فإلى أن يجدا ما يقولانه فى « الموضوع » سيجدانى فى كل لحظة مستعداً لتقديم كل ما يحتاجانه لدراسة الرمزية وفهمها ، على أن يعاهدنى الدكتور بشر ألا يحاول التأليف ، فليس الفن قواعد وتطبيقات ، إنما الفن فيض من عند الله ، يؤتيه من يشاء

محمد متولى
ماجستير فى الفلسفة
ومفتش شئون التمثيل بوزارة المعارف

فى التربة الغريبة ... بلا أم ! ...

***

أماه ...

لقد امتلأ حسى إرهاصاً بالكارثة قبيل وقوعها ، يوم لم يكن يبدو فى الأفق نذير بها . ولقد حدثت بهذا الإحساس بعض الإخوان فعجبوا من أمرى ، وحسبوها وسوسة الشعراء . وقد ناديتها مراراً : « أقبلى أقبلى لطال انتظارى ! » . ولكننى لم أكن أتخيل الكارثة فجيعة فيك . لقد دعوتها لتقبل وأنا قوى بك ، فكم من كوارث صمدت لها وأنا معتصم بركنك الركين !

لقد تمنمت قبل الكارثة بليلتين اثنتين أقول : كم أنا فى حاجة لمن يربت على كتفى ويضمنى إلى أحضانه ! ولقد دعوتنى مرة — فى دعابة من دعاباتك الحلوة — أن آوى إلى حضنك كما كنت طفلاً . وكم كنت مشوقاً لتلبية دعوتك ، لولا الكبرياء ، الكبرياء التى أودعتِها نفسى منذ الطفولة ، فجعلتنى أهرب من كل مظاهر الطفولة . ولو علمت ساعتها يا أماه أنك راحلة لنسيت كل تعاليمك لأرتمى لحظة واحدة فى حضنك الرفيق ... كما كنت طفلاً !

***

أماه ...

من ذا الذى يقص على أقاصيص طفولتى كأنها حادث الأمس القريب ، ويصور لى أيامى الأولى فيعيد إليها الحياة ، ويبعثها كرة أخرى فى الوجود ؟

لقد كنت تصورينني لنفسى كأنما أنا نسيج فريد منذ ما كنت فى المهد صبياً . وكنت تحدثيننى عن آمالك التى شهد مولدها مولدى ، فينسرب فى خاطرى أننى عظيم ، وأننى مطالب بتكاليف هذه العظمة التى هى من نسج خيالك ووحى جنانك . فمنذا يوسوس إلى بعد اليوم بهذه الخيالات الساحرة ؟ ومنذا يوحى إلى بعد اليوم بتلك الحوافز القاهرة ؟

منذا الذى يصوغ لى الأحلام الذهبية فى الآمال ، ويبنى لى قصور المجد فى الخيال ، فتصح الأحلام بعد لحظة ، ويتجسم الخيال بعد برهة ، لأنك تنفخين فيها من حرارة القلب ، وتوسوسين لها برُقَى الإيمان ، وتسكبين عليها إكسير الوجدان

لمن أصعد درج الحياة بعدك يا أماه ؟ ومن ذا الذى يفرح بى ويفرح لى وأنا أصعد الدرج ، ويعتلىءُ زهواً وإعجاباً وأنا فى طريقى إلى القمة ؟

قد يفرح لى الكثيرون ، وقد يحبنى الكثيرون ... ولكن فرحك أنت فريد ، لأنه فرح الزارع الماهر يرى ثمرة غرسه وجهده ؛ وحبك أنت عجيب ، لأنه حب مزدوج : حبك لى وحب نفسك فى نفسى ... !

أماه ...

عندى لك أنباء كثيرة ، كثيرة جداً ومتزاحمة ، تواكبتْ جميعها فى خاطرى على قصر العهد بغيبتك . وإنه ليخيل إلىّ فى لحظات ذاهلة أننى أرقب عودتك لأسمعك هذه الأنباء ، وأحدّثك بما جدّ فى غيبتك من أحداث ؛ وأنك ستسرين ببعضها وتهتمين ببعضها ... وهى مدخرة لك فى نفسى يا أماه ، ولن تدب فيها الحياة إلا حين أقصها على سمعك ... ولكن هيهات ، فسيدر كها الفناء الأبدى ، وستغدو إلى العدم المطلق ، لأنك لن تنصتى إليها مرة أخرى ... !

أماه ... أماه ... أماه ... ...

ابنك المفجوع

« حلوان » سيد قطب

سيجموند فرويد
العالم النفسانى الكبير

للأستاذ صديق شيبوب

– ٣ –

العقل الباطن سر من أسرار النفس المغلقة التى يصعب الوصول إليها وإماطة اللثام عنها ، وكان الأطباء يلجأون إلى التنويم المغناطيسى فى أول الأمر لشفاء داء الهستيريا ، كما أشرنا إلى ذلك من قبل ، ولكن « فرويد » أبى الأخذ بهذه الطريقة وقرر ثلاث وسائل يستطاع بها معرفة دخائل العقل الباطن . فإما بانتزاع السر عنوة وقوة كما كان يفعل رجال التحقيق فى القرون الغابرة ، وإما بتقريب الأدلة وحل ألغاز العواطف المكبونة وتحليل بعض الظواهر ، وإما بالانتظار والصبر حتى تطرأ على المريض حالة ضعف عرضية فيبوح بسره

عند ما ابتدأ فرويد اختباراته اكتشف ظاهرة لم ينتبه إليها أحد من قبله ، وهى ما أسماه (الأفعال الفائتة) . ذلك أن الإنسان كثيراً ما يخطئ التعبير فيقول كلمة وهو يريد ضدها ، أو يدلى بأمر وهو يقصد عكسه ، وكان العلماء الأقدمون ، كما كانت عامة الناس ، يعزون هذه الأخطاء للغفلة أو الالتباس أو قلة الانتباه . أما « فرويد » فقد رأى أن الغفلة أو الالتباس معناهما أن أفكار الإنسان ليست حيث يريدها أن تكون . فنى (الفعل الفائت) فعل قام مقام آخر ، وهذا الأخير هو الذى كان المراد إتيانه . قد تدخل إذن فجأة بين الإنسان وعمله عنصر ثالث حال دون القيام به وفقاً لإرادته . فإذا عرفنا أن لكل حادث نفسى معنى مقصوداً كما أن لكل فعل فاعلاً ، وأن العقل الواعى ليس العامل الصحيح فى (الفعل الفائت) لأن العقل الباطن طغى عليه فيه ، قدّرنا أن الفعل الفائت ليس نتيجة غفلة أو التباس ولكنه دليل على ظهور عاطفة مكبونة ، والخطأ فى الحديث يدل على صميم فكرنا بينما تصحيحه لا يدل إلا على ما يقصده إليه وعينا

وهكذا نستطيع أن نقرر أولاً : أن كل فعل فائت وكل عمل يظهر أنه نتيجة خطأ إنما يعبران عن إرادة خفية ، وثانياً : أنه يوجد فى المنطقة الواعية مقاومة فعالة لمظاهر العقل الباطن

وقد اندفع « فرويد » فى التحليل بعد تقرير هذه الظاهرة ليفسر ظواهر وأعراضاً أخرى كان يظن أنها ضرب من المحال حتى انتهى إلى أشدها إمعاناً فى المحال وهى الأحلام

كان الأقدمون يعتقدون فى إيمانهم الخرافى أن الأحلام ضرب من وحى الآلهة ، فاستحدثوا فى أوائل عهد الإنسانية علم تفسير الأحلام ، وشاع فى هيا كل مصر وبلاد اليونان والرومان وفلسطين . ثم زال هذا الاعتقاد وصارت الأحلام أضغاثاً لا معنى لها ولا قصد ، وصار ينظر إليها كسديم ، أو كشىء لا قيمة له ، أو أنها ذبذبة متأخرة خرساء توقع على أوتار الجهاز العصبى ، أو أنها نتيجة عدم انتظام الحركة الدموية واندفاع الدم إلى الدماغ

ولكن « فرويد » رأى غير ذلك ، فنظر إلى الأحلام نظرة وضعية ، وقرر أنها الوسيط بين عواطفنا المكبونة والعواطف الخاضعة للفكر ، وقال إن الحلم ليس كله محالاً ، ولكن لكل واحد معناه الخاص به من حيث هو فعل نفسى كامل

صحيح أن الأحلام لا تعبر باللسان الذى تعودنا النطق به فى ساعات اليقظة ، لأن لغتها لغة أعماق الطبيعة غير الواعية ؛ لذلك لا نستطيع أن نفهم فهماً مباشراً معناها ورسائلها ، ويجب أن نتعلم وسائل تفسيرها ، ولغة الأحلام تعبر بوسائل الصور كما كانت تكتب اللغات القديمة

رى « فرويد » من تفسير الأحلام إلى قصد جديد . كان الأقدمون يحاولون بواسطة هذا التفسير الكشف عن المستقبل ، أما فرويد فقد أراد الكشف عن الماضى النفسى وأسرار الإنسان العميقة ، لأن « الذات » فى الحلم مثلنا شكلا فى حالة اليقظة ، ولكنها تختلف عنا من حيث انعدام الزمان ، فهى فى ساعات الحلم يستوى لديها الماضى والحاضر ، أى أنه يجتمع فى الحلم الطفل والمراهق ورجل الأمس ورجل اليوم مما تتألف منه (الذات) الكاملة

كل حياة مزدوجة إذن ، ففى الأعماق غير الواعية تتألف المجموعة الصحيحة من الأمس الدابر إلى اليوم الحاضر ، ومن الرجل الأوّلى إلى الرجل المتحضر ، بينما تطفو على السطح الحياة المستنيرة والذات الواعية القائمة فى الزمان

تلتقى هاتان الحياتان فى حرية كاملة فى عالم الأحلام الذى يعبر تماماً عن أدق عناصر حياتنا ، بحيث لا يستطاع معرفة مجموعة حياتنا الزمنية التى تتألف منها شخصيتنا ، ولا فهم مرامى إرادتنا ، إلا إذا تمعنا جيداً فى مغزى أحلامنا

ولكن كيف السبيل إلى ذلك ؟ وضع (فرويد) طريقة لحل الأحلام المعقدة ، فابتدأ بالسهلة البسيطة منها ثم قارب بين الشكل الأول والشكل الأخير ؛ والأحلام كالزهرة التي لا تعرف حقيقتها إلا بعد درس أصولها المغروسة

ابتدأ (فرويد) بأحلام الطفل الصغير بدلاً من أن يبتدئ بأحلام المراهق ، لأن الطفل الصغير لا يعي بينما المراهق يعي ويكتب ؛ والطفل الصغير لا يكتنز خياله إلا أشياء قليلة ، ودائرة تفكيره ضيقة ، والتداعي ضئيل لديه ، مما يجعل أحلامه سهلة المنال بالتفسير . يرى الطفل الحلوى فيلح في طلبها ، فإذا رفض والده أو أبت والدته مشتراها ، رآها في الحلم كما هي لأنه لا يفهم الخير من الشر . إنه يظهر رغباته بلا خشية كما يكشف عن جسمه بلا حياء

والأمر عكس ذلك عند المراهق فما فوق ؛ فصور الأحلام الرمزية تخفي في أغلب الأحيان شهوات مكبوتة ورغبات لم تتحقق في النهار فتتخذ سبيلها إلى حياتنا عن طريق عالم الأحلام

هذا ما فهمته العامة من طريقة (فرويد) في تفسير الأحلام ولكنه في الحقيقة لم يقف عند هذا الاكتشاف السهل لأنه يعرف أن الإنسان خاضع للعقل الواعي حتى في أوقات النوم عند ما يستسلم لعالم الأحلام . ففي الأحلام توجد عواطف تحاول أن تظهر ولكنها لا تجرؤ على ذلك في حرية خوفاً من المراقبة فتتحول إلى رموز في شكل دقيق والتواء مقصود وتختلط بضروب من المحال كيلا يظهر معناها الحقيقي ، والحلم كالشاعر كاذب صادق ، لأنه يخفي الحادث النفسي وراء مظاهر رمزية . ومهمة العالم النفساني أن يحل هذه الرموز وأن يفرق بين الصحيح والكاذب منها وأن يبحث عن الحقيقة من وراء مظاهرها الكاذبة

يريد « فرويد » أن يكون البحث علمياً وأن يكون عمل الطبيب كعمل الناقد الأدبي في دراسة ديوان من الشعر . فكما يحاول الناقد الفصل بين خيال الشاعر وبين المعنى المقصود والبحث عن أسباب استعمال الاستعارات والتوريات والتشابيه والوصول إلى نفسية الشاعر الكامنة وراءه ، كذلك يجب أن يفعل الطبيب النفساني لأن عليه أن يبحث في الحلم الخيالي عن دوافع المريض الشعورية . ولما كانت غاية علم التحليل النفسي معرفة الشخصية فإن على العالم أن يستخدم مواهب الإنسان الخيالية ، وأن يدرس العناصر التي تألف منها الحلم ، وأن يمعن تفكيراً وتحليلاً حتى يصل إلى الحقيقة

وهناك نظرية أخرى عرض لها فرويد لتدعيم رأيه

من المقرر أن النوم وسيلة طبيعية للراحة وتجديد القوى التي تستنفدها اليقظة . فيجب أن يكون النوم إذن سباتاً عميقاً في ظلام لا ينقطع . وإذا كان الأمر كذلك فلا معنى إذن للأحلام ، وهذا ما قرره الكثيرون من العلماء . ولكن «فرويد» رأى فيها وسيلة للتفريج عن العواطف والشهوات المكبوتة وتحريرها من حكم العقل وسيطرته عليها . وهكذا تقوم الأحلام مقام الأفعال التي أبينا إتيانها في اليقظة . وقد قال أفلاطون : « يكتفي الرجل الصالح بأن يحلم بما يفعله الرجل الشرير في اليقظة »

هذه هي النظريات الأساسية التي بنى عليها « فرويد » علم تفسير الأحلام . وقد أبينا شرح وسائل هذا العلم وطرق التفسير لأنها كثيرة متشعبة ، وهي في مجملها متروكة لفطنة الطبيب وذكائه

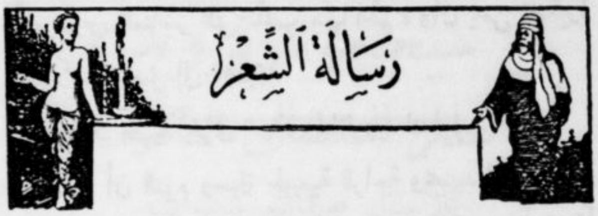
على أن الحلم ليس الوسيلة الوحيدة لتعرف شخصية المريض وشهواته المكبوتة . فهناك طريقة أخرى يقول « فرويد » بأن العالم النفساني يستطيع أن يمارسها في كثير من الدقة والصبر ، وهي أن يفسح المجال للمريض ليتحدث بكل ما يمر بخاطره من غير إمعان فكر أو تحكيم عقل

يستلقي المريض على مقعد طويل بينما يجلس الطبيب إلى مكتبه بحيث لا يراه المريض الذي يجب أن ينسى حضوره . ثم يأخذ المريض بالكلام يلقيه على عواهنه فيدلي بكل بادرة تمر بذهنه ، بينما يصغي إليه الطبيب ويلاحظ ما يجد فيه دلالة على حالة مريضه

ولا شك أن هذه الطريقة صعبة وخطرة لأن المريض الذي تعود الكبت قد لا يبوح بكل خلجات ضميره ، ولأن العقل الواعي يسيطر أبداً على اللسان بالرغم من إرادة الإنسان ، ولأن المريض كثيراً ما يكون قد أعد قصته ليرويها للطبيب فلا يستطيع الانفكاك من أسرها

لذلك يجب أن يطول المجلس وأن يتكرر أكثر من مرة ، وأن يتذرع الطبيب بالصبر الطويل حتى ينفد صبر المريض فتجري على لسانه ألفاظ يستطيع الطبيب بواسطتها أن يتعرف إلى حقيقة الداء . والأمر بعد ذلك موكول إلى مهارة الطبيب وذكائه .

صديق شيبوب



أصـــداء الحب

للأستاذ أنور العطار

خاطِرِى جَدْوَلٌ تَرَقْرَقَ أَلْحَا نًا وَقَلْبِى عُشٌّ يَمُوجُ غِنَاء
وَبِنَفْسِى قَصِيدَةٌ أنا مِنْهَا ثَمِلٌ ما تُفِيقُ رُوحِى انْتِشاء
كُلَّمَا رَنَّ هَمْسُهَا فى ضُلوعِى صَفَّقَ القَلْبُ واسْتَحَالَ نِدَاء
ياحَبِيبِى أراكَ فى نَغْمَةِ الذِّكْـ رَى فَأَصْبُو شَوْقًا وَأَهْفُو لِقَاء
عِشْ بِقَلْبِى لَحْنًا عَلَى الدَّهْرِ حُلْوًا
وَامْشِ فى حُلْمِىَ الشَّجِىِّ صَفَاء

أَتْرِعِ الرُّوحَ بَهْجَةً وَائْتِلاقًا وَامْلأ النَّفْسَ فَرْحَةً وازْدِهَاء
تَتَرَاءى فَيَعْبَقُ الكَوْنُ بِالعِطْـ رِ وَيَخْتَالُ جَنَّةً غَنَّاء
وَظِلالاً يُنَغِّمُ الحُبُّ فِيهَا وَيَذُوبُ السَّنَا بِهَا أَنْدَاء
أَنْتَ لى عَالَمٌ يَمُوجُ مِنَ الزَّهْـ رِ وَدُنْيَا تَأَلَّقَتْ أَفْيَاء
وَمُنًى تَسْكُبُ الرَّغَادَةَ فى القَلْـ بِ وَتُحْيِى فى نَاظِرَىَّ الرَّجَاء
وَتُعِيدُ الحَيَاةَ جَمْرَةَ شَوْقٍ وَهَجُهَا يَمْلأ الوُجُودَ ضِيَاء
يا حَبِيبِى تَرِنُّ فى القَلْبِ أَصْدَا ءٌ وبِالقَلْبِ أَنْتَدِى الأَصْدَاء
وَدَّتِ العَيْنُ أَنَّهَا تَسْمَعُ الهَمْـ سَ وَتَحْيَا عَلَى المَدَى عَمْيَاء
تَحْسُدُ الأُذْنَ أَنْ يُهَدْهِدَهَا اللَّحْـ
نُ وَتَفْنَى فى سِحْرِهِ إِصْغَاء

يا هَوَاىَ القَدِيمَ جَدَّدْتَ دَائى
فَتَفَجَّرْتُ مِنْ أَسَاىَ بُكَاء

أنور العطار

الشاطئ والحرب

عودة إلى الشاطئ!

للأستاذ مصطفى على عبد الرحمن

عدتُ واللهفةُ تدعونى إليكْ عودةَ المخذولِ من ساحِ الحروبِ
أذكرُ الأمسَ وأيامى لديكْ علَّ فى الذكرى شِفاء لذُنوبى
زاحفُ الأحداثِ قد أخنى عليك وخطوبٌ جُنَّ فى إثرِ خطوب
كل سحر قد تولى وتوارى عن عيونى
لم يعدْ للقلبِ إلا ذكرياتى وحنيني

هذه الصخرةُ بالأمس جلسنا فوقها نرعى العهودَ الباسماتْ
وعلى أقدامِنا الموجُ يغنى باعثاً فى الشط عذب النغماتْ
هاهنا نامت عيونُ الدهرِ عنا بعض حين والأمانى راقصاتْ
ها هنا فى كل منحى معهدُ
ترقصُ الذكرى به أو تقعدُ
وأنا الذكرى التى لا تنفد

ياحبيبي كيف تصفو لي الليالى والذى كان تولى واندثرْ
أترى تهفو لأيامى الخوالى وعهودٍ هُنَّ فى عمرِ الزهرْ
نتغنى بالمنى فوق الرمال ونسيم الود مجـلو عطِرْ
ها هو الموجُ عبوسٌ مزبدُ
ها هو الشاطئُ جسمٌ هامد
وأنا وحدى شقى واجد
كل سحر قد تولى وتوارى عن عيونى
لم يعد للقلب إلا ذكرياتى وحنينى

عدت واللهفةُ تدعونى إليك وبقلبى ما بقلبى من وجيبِ
ذاكراً عهداً قضيناه لديْك آهِ ما أحلاه من عهدِ حبيب
زاحفُ الأحداث قد أخنى عليك وخطوبٌ جُنَّ فى إثرِ خطوب

(الاسكندرية) مصطفى على عبد الرحمن

رسالة الفن

عهد جديد :

يوم القيـــامة ـ مايسة

للأستاذ عزيز أحمـــد فهمى

١ ـ يوم القيامة

منذ أنشئت الفرقة القومية وهى تعد الناس بأنها ستقدم لهم فى يوم من الأيام أوبرا أو أوبريت ، ولـكنها لم تبر بوعدها هذا إلا اليوم فقط ، ويقال إنها كانت مترددة إلى حد كبير فى البر بوعدها هذا ؛ ويقال إن عمر جيبى لاقى صعوبات جمة حتى استطاع أن يقنع ولاة الأمور فى الفرقة وفى وزارة المعارف بأن إخراج الأوبرا أو الأوبريت شىء لا خطر فيه ولا خوف منه ؛ ويقال إن هذه الصعوبات لم تزلل إلا بعد أن كتبت تقارير، وألفت لجان، وعرضت أبحاث ، وتبدت وجهات مختلفة للنظر ، وتضاربت وجهات النظر المختلفة هذه تضارباً حكومياً ممتازاً ... ثم انتهى الأمر أخيراً بأن قال ولاة الأمور: لا بأس فى أن نجرب هذا النوع لعله يفتح للفرقة فتحاً جديداً ، ولعله يقربها من الجمهور تقريباً ...

ولقد كان ... وأذن الله سبحانه وتعالى لنا بأن نسمع من الفرقة القومية ألحاناً ...

القصة :

قال الوالى للأهالى : إن يوم القيامة سيقوم يوم الجمعة المقبل فحزن الذين لهم بسمت الدنيا ، وفرح الذين كشرت لهم الدنيا عن أنيابها، وتصدق كثيرون بأموالهم، وفزع كثيرون على أرواحهم وارتبكت سوق التجارة ، وانخفضت أسعار الحاجات ، وزهد الناس فى الدنيا ، واستغلها الوالى فرصة لجمع الأموال واكتنز الذهب . ثم جاء يوم الجمعة الموعود فلم تقم القيامة ولم ينفخ فى الصور ولم تزلزل الأرض زلزالها ، ولم تخرج أثقالها ، ولم يقل الإنسان مالها بل قال الناس : ما للاشاعة المزعجة لم تتحقق ؟ وقال الأغنياء : ما لنا وزعنا أموالنا ؟ وقال الفقراء . يا خيبتنا فى رجائنا ، ويامرارة عودتنا إلى بؤسنا وشقائنا . . . ثم هاج الناس ، وكان فى البلد شيخ مجذوب فضح الوالى وقاد الثورة عليه

هذه هى الناحية التاريخية من القصة ، وقد دس المؤلف فيها قصة أخرى غرامية ليحليها بها ويزخرفها ، فابتدع عاشقاً ومعشوقة وزواجاً وزفافاً يشبع به شغف الذين لا يطيقون أن يظلوا الساعات يشاهدون قصة ولا يرون فيها امرأة ...

ولست أريد أن أعرض للرواية من الناحية التاريخية فأبحث وراءها لأخرج من البحث بحكم عن صدقها أو كذبها ، فهذا أمر أدعه للمؤرخين والباحثين والقارئين والمطلعين ، وفى الصف الأول منهم أستاذى الدكتور زكى مبارك الذى قال لى إن فى القصة غلطة تاريخية ، وإنه سيدحضها

فليدحضها أو لا يدحضها ، فأنا لا يعنينى من القصة شىء أكثر من اللذة الفنية التى أستمتع بها حين مشاهدتها ، ولست أنكر أنى ذقت لذة فنية سائغة فى يوم القيامة ، فموضوعها كما رأيت طريف ، وحوادثها كما رأيت شاذة ، وتأليفها لبق ولذيذ . وهذا كله من نعم الله التى لا أحب أن أتلفها على نفسى بمراجعة التاريخ وأسانيده

الإخراج !

قلت فى الأسبوع الماضى إن عمر جيبى أجهد نفسه ، وأجهد الممثلين معه إجهاداً مضنياً فى إخراج هذه القصة ، وأقول اليوم إن هذا الإجهاد قد أثمر ثمرته

وإنى أعتقد أن الأوبريت الثانية ستكون أبهى من هذه بإذن الله ، وأن الثالثة ستكون أبهى من الثانية ، وإن أملى فى عمر أمل كبير ، وقد يكفيه فخراً أنه كان يسأل كل من يتصل به عما يستطيع أن يبديه له من الملحوظات وعما يمكن أن يدلى به إليه من الاقتراحات ، مع أنه يعلم أن هذا السؤال قد يؤول تأويلاً سيئاً ، ولـكنه أعرض عن هذه الأوهام لأنه

أراد أن ينجح ، وقد نجح ، وما دام متلهفاً إلى النجاح هكذا فسينجح أكثر مما نجح وأكثر .

التمثيل

لم يشترك فى تمثيل هذه القصة من فحول الفرقة القومية إلا اثنان أو ثلاثة ومع هـذا فقد سرت فى الرواية من أولها إلى آخرها حيوية ملحوظة كان سببها أن الممثلين والممثلات الناشئين الذين أسند المخرج أدوار الرواية إليهم طاوعوه بقدر ما استطاعوا المطاوعة ، وقد نتج عن هذه المطاوعة أن توحدت روح التمثيل بين الممثلين ، فلم يكن فيهم من أراد أن يبرز على غيره ، ولا من أراد أن يشذ

صحيح أن بعض الحركات والإشارات والجمل كانت تلقى بأسلوب « أفرنجى » . وهذا عيب . ولـكنه ليس عيباً قاصراً على هذه الرواية وتمثيلها ، فأغلب الممثلين المصريين لا يزالون يتتلمذون على الممثلين الغربيين ، ولا يزالون قريبين من أساتذتهم بعيدين عن أنفسهم هم . وهذه حال ستنقضى يوم يكون لنا مسرح قوى يكتب له كتاب مصريون ، حوادث مصرية ، يعرفها الممثلون المصريون ، ويعرفون ذويها ويستخلصون منها ومنهم فنهم عن طريق مباشر ، لا بعد أن يصدر هنا الفن عنا إلى أوربا حيث يصنع صناعة غريبة ثم يعود إلينا وهو منا حقاً ولكن بعد أن لعبت اليد الأجنبية فيه ... كما يحدث لقطننا ...

الأزجال

كتبها بيرم التونسى ، وبيرم التونسى هو بيرم التونسى .

يقول فى يوم القيامة :

لا الطفـــل يقول يا باه ولا أم تقــول ولداه
وملايكة تقول : الله حاكم قهار يا ويل . . .
يا ويل النـــاس يا ويل
دا ميزان منصوب قسطاس ورصاص مصبوب ونحاس
فوق روس الناس ... الخ

الألحان

أربعة عشر لحناً صاغها كلها زكريا أحمد ، منها ألحان للمجموعة ومنها ألحان للأفراد ، وألحان المجموعة أرسلها زكريا إرسالاً سهلاً فى روعة واتساق امتاز بهما على غيره من الملحنين . وأما ألحان الأفراد فقد أودعها زكريا التطريب الشرقى الذى تتذوقه آذاننا وأرواحنا ، والذى لا يتعثر فى دخوله إلى أنفسنا . وقد كنت أحب أن أفيق ولو للحن واحد من هذه الألحان حتى أصفه لقرائى ، ولكنى مع كثرة ما سمعت هذه الألحان من زكريا ومن الفرقة لم أملك نفسى إلا أن أنساق لها مذهولاً مأخوذاً ، فلست أملك اليوم أن أقول لقرائى شيئاً أكثر من أن أحيلهم على هذه الألحان ليسمعوها وليسكروا بها كما سكرت

على أنى سأتربص منذ اليوم لزكريا وألحانه فى دنانير ، فقد كرهت أن أظل تحت تأثير سحره ، وقد عزمت على أن أتحفز له ...

الغناء

مع أن نجمة إبراهيم ليست من المطربات المعدودات فإنها مغنية بالطبع . يخيل إلىّ أنها حين تخلو إلى نفسها تغنى ، وأنها تبث فى غنائها لواعجها وهمومها . وهـذا هو ما مكنها من أن تمر فى يوم القيامة مغنية تلفت السمع وتلفت الشعور

وحسن سلامة مع أنه موسيقى أعده ممن يلهمون فى اتجاه خاص هو تصوير نفوس النساء ، فإنه استطاع أن يغنى كثيراً من عواطف الرجال ، وإنى أترك حسن سلامة اليوم عنـد هذا فهو جدير بأن أقدمه إلى الناس على حقيقته فى ظرف آخر على اعتبار أنه موسيقى لا مغن

فرقة الألحان

يتقاضى الفرد فى فرقة الألحان من الفرقة القومية عشرة قروش فى الليلة ، وهو يؤدى بصوته وروحه غناء يساوى القروش العشرة ... فلو أنه أعطى خمسين قرشاً فى الليلة أو جنيهاً فإنه من غير شك يكون شيئاً آخر ...

وماذا أيضاً :

لا أظنه بقى بعد ذلك فى يوم القيامة شىء ، ولـكنه لا يزال بعد يوم القيامة أشياء ، هى روايات الألحان التى ننتظرها والتى لا يمكن أن نشبع منها ولا أن نمل

٢ — مايسة

قصة تصور حياة البدو المصريين الذين يعيشون على حدود مصر ، وما يشعرون به من أنهم حماة السبل المؤدية إليها ، كتبها بيرم التونسى زجلاً ، ولحنتها ملك ، فهى ألحان من النغم فى ألحان من الكلام

وقد كنت، إلى أن سمعت ألحان ملك فى مايسة ، أحسبها مغنية كل ما تستطيعه هو أن تتلقى اللحن من غيرها وأن تؤديه بعد ذلك أداء فيه إتقان يتاح لها من قدرتها على أن تسلس راغبة لمن تريد أن تسلس له

ولكنى بعد أن سمعت ألحان مايسة رأيتنى أخاف من ملك ، وكأنى بها قد نفذت إلى عالم آخر غير هذا العالم استرقت منه هذه الألحان ، وإلا فمن أين أتتها هذه الشرارة التى اندلعت فى روحها فتوهجت فيها هذه الأنغام اللامعة المصقولة

لقد حرت ... وسألت ... فقيل لى إن ملك استعانت باثنين موسيقيين أخفت اسميهما ، ولكنى قلت إن هذه الألحان مطبوعة كلها بطابع واحد ، فلا بد أن يكون صاحبها واحداً ولا أكثر . ثم إنها ألحان ظاهر جداً أنها حريق امرأة اندلعت فى نفسها النار اللطيفة ذات السعير اللذيذ ...

لست أدرى . ولكن هذا هو رأيى ... وأنا أعلم أن فيه مفاجأة ، ولكنه شعورى . ولعل هذه هى المرة الأولى التى يستولى على فيها الخبل من فن امرأة ...

إن ملك تتكلف فى الغناء أحياناً ، وهى تثقل فيه على النفس أحياناً ... ولها فى هذه الأحيان العذر ، فما يستطيع الإنسان أن يستنبع روحه فى كل حين ... ولكنها كانت فى هذه الألحان نبعاً يتدفق ...

فهل هذه ألحانها حقاً ، وهل ننتظر بعد ذلك منها ألحاناً تشبه هذه ...

إذا كان الأمر كذلك فعلى الملحنين أن يأخذوا حذرهم ... وعلى بعضهم أن يتعلم وأن يتذوق .

عزيز أحمد فهمى



لا تناقض ولا اضطراب

لم أكتب عن المنصورة مقالاً واحداً، وإنما كتبت مقالين أحدهما قُبَيْل السفر وثانيهما بُعَيْد الرجوع، وبين المقالين فاصل هو الإمضاء. وقد نبهتُ مدير مطبعة الرسالة مرتين إلى ذلك الإمضاء، فقد كنت والله أشعر بأنه لن يُثبته في صُلب الحديث، وقد وقع ما توقعتُ وصحّ للسيد محمود وصيف أن يحكم بأن المقال وقع فيه تناقض واضطراب

ولعل هذه الملاحظة تذكّر مدير مطبعة الرسالة بأن ليس من حقه أن يتصرف بالحذف والإيصال في مقالات الكتّاب، فقد يكون من الذين يخفى عليهم وجه الصواب في بعض الأحايين، وإلى صاحب الملاحظة أقدم تحيتي وثنائي.

زكي مبارك

غناغراف

حضرة الأستاذ الجليل رئيس تحرير مجلة «الرسالة» الغراء

تعلمون كما يعلم قراء الرسالة أن لدى إدارة البرق (التلغراف) نوعاً من الرسائل أعد للتهنئة وهو يمتاز عن الرسائل البرقية العادية برسوم زخرفية ذات شكل بهيج

ومع أن هذه الميزة لا تكاد تؤدي مرح المهنئ المخلص وفرحه واغتباطه فقصاري ما أتمناه لكم ولقرائكم أن تتلقوا رسائل من هذا النوع بما يقر أعينكم ويطمئن قلوبكم

ولكن الذي أرجو أن أعرف وقعه لديكم وأثره فيكم هو نوع رسائل التهنئة الذي ابتكرته الولايات المتحدة، تلك الأمة الخالية القلب من متاعب العالم القديم

في عدد اليوم من جريدة الاجبشيان غازيت مقال ممتع بقلم المستر جرني وليمز عن ذلك النوع من الرسائل واسمه «الغناغراف» فماذا ترون لو ازدحمت غرفتكم بالرسالة أو بالمنزل العامر بفرقة من سعاة التلغراف تنشدكم برقية تهنئة من شعر رامي وتلحين السنباطي أو من شعر الدكتور زكي مبارك وتلحيني أنا؟!

يقول كاتب ذلك المقال إن مكاتب البرق في الولايات المتحدة أعدت نماذج مختارة من التهنئات المختلفة الأغراض وهي شائعة الألحان، ولكن للمهنئ أن يبعث بغيرها، ولدى السعاة مقدرة على الأداء، ولدى إدارة البرق مقدرة على التلحين

وفي هذا الخبر على قصره بشريات لنا لو أخذنا بهذا النظام فمن لنا بالفرصة التي تتيح حفظ مكتبة في كل مكتب للبرق تحتوي على كل دواوين الشعر العربي، ومن لنا بفرصة لتوظيف الملحنين وبعض المغنين والمغنيات سعاة للتلغراف!! ولقد ينشأ بعد ذلك شعراء عموميون كالكتبة العموميين لنظم التهنئات البرقية، فما أسعد البشرى!

ويصف الكاتب استغلال الماجنين لنظام التهنئة المغنية فهم يبعثون لحفلة متزمتة بفرقة من السعاة تنشدهم ما لا يتفق ونظام الحفلة، قال وعند ذلك يطرد الساعي المنشد المسكين قبل أن يتم إنشاد البرقية وقبل أن يعلن اسم المرسل

قال: وفي هذا النوع من الرسائل تكثر مداعبات الغزل بين الشبان والشواب، وروى قصة فتاة أرسلت أغنية كبعض شعر العباس بن الأحنف إلى صديق لها، فطرب الشاب وجعل الرد برقية إلى مكتب البرق في حي الفتاة يرجو فيها تقديم طعام الإفطار لها فقدمه المكتب على حساب المرسل للطريقة الداعبة في غرفة نومها في ساعة الفجر

سيدي الأستاذ:

لا علينا من طبيعة نظام الغناغراف ولكن أمة يمكن فيها إنشاؤه واستمراره لهي أمة سعيدة فهل تدعون إلى إنشائه بمصر إدارة المصلحة التي أنشأت قطار الفاجآت وقطار البحر

أحسب ذلك إن شاء الله.

عبد اللطيف النشار

أدهم قال لي

قرأت للأستاذ عبد اللطيف النشار كلمة بمناسبة دعوة أحد الأدباء لأصدقاء المرحوم الدكتور أدهم في أن يكتبوا عن مقدار ما وصل إليهم من العلم عن عقيدته

وفى الواقع كانت دهشتى عظيمة لأمرين : الأول هى تلك الدعوة الغريبة التى لا أجد لها أى داع ، وقد حرت فى فهم ما يرمى إليه الداعى من وراء دعوته ، فإن كان يقصد بالعقيدة « الدين » فإننى أعتقد أنها مسألة شخصية بحتة يجدر بنا أن نبعدها عن نطاق الجدل ؛ ثم إننى لا أفهم كيف يمكننا أن نخدم الأدب بتركنا الكلام عن الناحية الأدبية فى الكاتب إلى مسائل خاصة ، ويجب أن تظل كذلك

وإننى أتساءل : متى يمكن لأفكارنا أن تسمو عن الاهتمام بمثل هذه الفوارق التى يجب أن تتلاشى ما دامت رسالة الأديب نبيلة فى مرماها مجدة فى الرفع من شأن الأدب ؟

والأمر الثانى الذى دهشت له هو رد الأستاذ النشار نفسه وتلبيته دعوة كهذه ، ولم أخرج إلا بنتيجة واحدة من كلمته ، وهى أنه قد انتهز فرصة الكلام عن أدهم ليرميه بمر الذم والتعريض ؛ وإننى أرجو أن تكون نية الأستاذ النشار — وقد كان صديقاً لأدهم — بريئة مما استطعت استنتاجه من كلمته

ليتكلم عن أدهم وأدبه كما يشاء ، ليناقش آراءه الأدبية والعلمية إذا أراد ، فهذه رسالة الناقد ؛ أما أن يدخل فى أمور شائكة كهذه ، فهذا ما لا يقره عليه أحد ، وخاصة أنها تتعلق بشخص انتقل إلى جوار ربه ، فللموت حرمة يجب علينا تقديسها

شعبان فهمى

إلى الأستاذ النشار

فى عنقك الآن قلادتان : أولاهما للأستاذ اسماعيل أدهم — رحمه الله — وأخراهما للأدب الحديث

أما قلادة أدهم فأرى أن تَوْحك بما (قال لك) قد يحيك له وشياً من الخلود لا يخلق ولا يبلى . أما قلادة الأدب فأعتقد أن أدب الأستاذ — وإن كان جافاً لا يخلب كما قال الأستاذ محمد عبد الغنى حسن فى مقاله — إلا أنه جديد فى أفق الآداب ، ورأيه غريب فى سماء الآراء

وعالم الأدب الآن محتاج إلى كل جديد ، ودنيا الآراء عطشى إلى كل غريب

فإن صح ما تقول فهنيئاً لبحر أدهم بغواص يتصيد الدرر الخبيئة، ولعالم الأدب بمرآة تشع نفساً غامضة تاهت (حتى حقائق نسبها) عمن تمرضوا لموضوعه الشائك فراح أخوه يخطئهم (الرسالة من عدد ٣٦٩ إلى ٣٧٣)

على أنى لا أرى عليك حرجاً من (انفاذ الوعيد) بل إن انفاذه لزام عليك (إن صح إن هذا وعيد) لاسيما وقد اختارك هالك واختار لك أقوى الوسائل المغرية للكتابة عنه فى فلسفة عملية تكشف عن نية مبيتة للانتحار .

أيها الأستاذ : أن فى عنقك للعلم ثقة ، فدع عنك مبضع الجراح ، وانقل مزهرك فى خيال رقيق ، وانفذ إلى الحقائق فى تمحيص وتدقيق ، سدد الله خطاك

حلمى ابراهيم النبوى

إلى طلاب النحو فى جميع الأقطار

ما كان أظرف الأستاذ مصطفى ابراهيم حينما وجه (إلى علماء النحو فى جميع الأقطار) معضلاته الآتية :

١ — لِمَ أفرد لفظ مائة فى ثلثمائة إلى تسعمائة على خلاف القاعدة ؟

٢ — لِمَ حذفت التاء فى قوله تعالى : « فله عشر أمثالها » على خلاف القاعدة أيضاً ؟

٣ — كيف قلتم إن لن لتأبيد النفى ، وقوله تعالى : « فلن أكلم اليوم إنسياً » ، « ولن يتمنوه أبداً » ينافى ذلك ؟

وقد هممنا أن نفزع إلى أستاذنا العلامة صاحب النحو والنحاة ، ولكنا وجدنا الأمر أيسر من ذلك

١ — إنما يكون مميز الثلاثة إلى العشرة جمع قلة ما لم يكن لفظ مائة أو اسم جمع نحو تسعة رهط وخمس ذود ؛ لأن مائة — وهى مفردة فى اللفظ — جمع فى المعنى ، لأنها عشر عشرات وهو عدد قليل اهـ توضيح وأشمونى . وأقول ربما لوحظ فى إفراد لفظ المائة خفة النطق ؛ والتعداد بالمئات كثير بخلاف الآلاف ، ولذلك وصل الإملائيون المضاف بالمضاف إليه فيها لكثرة الاستعمال وفرقاً بين الجمع والكسر فى مثل رُبُع مائة وثُمن مائة الخ . ثم إن إضافتها إلى الآلاف جمعاً قد جاء على أصل القاعدة ، وعندهم (ما جاء على أصله لا يسأل عنه) وظاهر أن اسم الجمع فى حكم جمع القلة . هذا وشذ قول الفرزدق فى الضرورة :

ثلاث مشين للملوك وَفَى بها
ردائى وجلت عن وجوه الأهاتم

٢ — يُعتبر فى واحد المعدود ـ تأنيثاً وتذكيراً ـ لفظُه إن كان اسماً ؛ وموصوفه المنوىّ إن كان صفة ؛ فتقول ثلاثة أشخُص قاصدَ نسوة وثلاث أعين قاصدَ رجال ؛ وتقول ثلاثة رَبَعات إن قدرت الموصوف رجالاً ، وتحذف التاء إن قدرت الموصوف نساء ؛ لأن الربعة يوصف بها الذكر والمؤنث . وعلى هذا قوله عز وجل : « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها » ، تقديره فله عشر حسنات أمثالها . ويمكن تخريجها على تأنيث المعدود مراعاة للجمع ، ولكن الصحيح مراعاة واحد المعدود خلافاً للبغداديين . وقد يقال إن المعدود اكتسب التأنيث بإضافته إلى المؤنث . اﻫ أشمونى وتوضيح . واختر ما يحلو

٣ — النحاة جميعاً على أن « لن » لمجرد النفى . والتأكيد أو التأبيد يستفادان من القرائن ؛ ولم يخالفهم فيما نعلم إلا الزمخشرى . وكيف نجعل المرجوح راجحاً ثم نستشكل بناء عليه ؟

على أن من ينصر مذهب الزمخشرى فى إفادتها التأكيد أو التأبيد ، فله أن يجيب عنه بأنها إنما تكون للتأبيد عند الإطلاق . فإذا ذكرت قرينة تمنع منه مثل « اليوم » فى الآية الكريمة فهى للتأكيد فحسب . وبأن التكرار فى مثل : « ولن يتمنوه أبداً » يقع فى بليغ الكلام لزيادة التأكيد

وإذا لم ترتض مذهبه فقد قطعت جهيزة قول كل خطيب

طه محمد الساكت
مدرس بمعهد القاهرة

شرح بيت ونسبة آخر

حضرة الأستاذ صاحب الرسالة الغراء المحترم

١ — مررت وأنا أقرأ ديوان « أبى نواس » جمع الأستاذ محمود كامل فريد بقصيدة نسبها الأستاذ للنواسى مطلعها :

لدوا للموت وابنوا للخراب فكلكم يصير إلى تراب

على أنى قرأت هذه القصيدة بكتاب آخر منسوبة إلى أبى العتاهية . فهل لى أن أسأل سيدى الأستاذ أى القولين أصوب ؟

٢ — وفى صفحة (٢٤٧) من الديوان نفسه قرأت البيت التالى :

وتبسم عن أغر كأن فيه مجاج سلافة من بيت راس

يقول الشارح فى الحاشية : إن « بيت رأس » اسم لقريتين فى كل واحدة منهما كروم كثيرة ينسب إليها الخمر ، إحداهما بيت المقدس والأخرى من نواحى حلب . وأقول إن بيت رأس اسم لقرية صغيرة تقع قريبة من الحدود الأردنية السورية من جهة الشمال ، وهى كما وصف الأستاذ غنية بكرومها ، فلا يبعد أنها كانت مشهورة بخمورها ، وأنها هى التى عناها الشاعر ...

أرجو إفادتى فى أيهما وجه الصواب خدمة للحقيقة وتعميماً للفائدة

(عمان) مصطفى على عزام

(الرسالة) : القصيدة لأبى العتاهية لا لأبى نواس . وقولك فى بيت رأس هو الصحيح

من لصوص المجلات

نشرت « الرسالة » فى العدد (٣٧٩) فصلاً طريفاً عنوانه « قداسة النقد » بتوقيع « اسكندر البطرسى » ، الذى زعم لنفسه فضل ترجمته عن « برنارد شو » وأحب أن أبين أن هذا المقال منقول بنصه من العربية إلى العربية عن عدد شهر نوفبر سنة ١٩٣٤ من « المجلة الجديدة » التى نشرته فى صحيفة ٨٩ و٩٠ مترجماً بقلم صاحبها الأستاذ سلامة موسى ، وقد أردت بهذا البيان أن أضع الأمور فى نصابها وأفضح هذا الدعى وأمثاله ممن يسرقون آثار الناس ليوهموا أنهم من الناس

أسعد حسنى

حول مقال

أستاذى الكبير صاحب الرسالة

تابعت باهتمام ما دار على صفحات الرسالة حول مسرحية مفرق الطريق للدكتور بشر فارس ، حتى قرأت فى العدد ٣٧٩ مقالاً للأستاذ زكى طليمات يرد به على مقال سابق للأستاذ محمد متولى وقد عنّت لى عند قراءة هذا المقال الملاحظات الآتية :

أولاً : يقول الأستاذ زكى طليمات إنه لا حرج على الدكتور

بشر فى تسميته بطلة مسرحيته (سميرة) وتحديد المكان الذى وقعت فيه حوادث المسرحية وهو مصر . ولو علم الأستاذ أن القصة الرمزية يجب أن تكون رمزاً لما يحدث فى كل زمان وفى كل مكان بين أشخاص غير معينين ، لعرف أن هذه التسمية وذلك التحديد يتنافيان مع أبسط شروط القصة الرمزية . لذلك يجب أن يحيط الغموض والإبهام أبطال القصة الرمزية وحوادثها .

ثانياً : يذكر الأستاذ أنه « من المعقول أن يكون البطل (هو) لأنه عنوان لفئة خاصة من الرجال فى مصر وأن تكون (سميرة) ـ سميرة ـ لا (هى) لأنها ليست عنواناً لفئة خاصة . ونحن لا نفهم كيف تكون القصة رمزية إذا كانت بطلتها امرأة شاذة لا يوجد على طرازها ، فى هذه الحالة تفقد القصة صفة الرمزية ، لنفس السبب الذى أوضحناه فى الفقرة الأولى .

ثالثاً : يعتقد الأستاذ زكى طليمات — كما ذكر فى الفقرة الأخيرة من مقاله — أن الأستاذ متولى يقف علمه بالرمزية وعلم النفس عند ما كتبه العلماء فى القرن الماضى . لماذا ؟ لأن الأستاذ متولى أراد أن ينقد المسرحية فأتى بشاهد من فلسفة (ريبو) فالأستاذ زكى طليمات إذن قد أخطأ الفهم لأنه لو طُلِبَ من شاعر أن يأتى ببيت فى غرض من أغراض الشعر كالهجاء مثلاً فأتى ببيت من الشعر الجاهلى ، فليس ذلك دليلاً على أن الشاعر لا يحفظ من الشعر سوى الشعر الجاهلى

هذا ما أردت أن أنبه إليه الأستاذ زكى طليمات . والسلام

نزار كامل

أحوال النساء

كتب الأستاذ ابراهيم محمد نجا فى « أجوبة عن أسئلة » أبيات علقمة الفحل عن « أحوال النساء » على هذه الصورة : عدد ٣٧٩ من « الرسالة » :

فإن تسألونى بالنساء فإننى ... خبير بأدواء النساء طبيب
إذا شاب رأس المرء أو قل ماله ... فليس له من ودهن نصيب

وأنا لا أريد أن أدخل بين الدكتور زكى مبارك والأستاذ نجا فيما يجرى بينهما من سجال وصيال ، ولكنى أذكر أن الرواية الصحيحة لشعر علقمة هى :

فإن تسألنى بالنساء فإننى ... خبير بأحوال النساء طبيب
إذا قل جاه المرء أو قل ماله ... فليس له من حظهن نصيب
يردن ثراء المال حيث وجدنه ... وشرخ الشباب عندهن عجيب

وأظن صديقنا الدكتور زكى مبارك يطابق حفظه حفظنا فى هذا الشعر

محمود الشرقاوى

تصويب

ورد فى المقال الافتتاحى لرسالة هذا الأسبوع « خواطر مهاجر » نص الآية القرآنية الكريمة هكذا : « ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولكن لا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم ... » والصواب حذف (لكن)

ولكم فى النهاية واجب التحية والإكبار .

السيد محمد أحمد الفقى

تصويب

فى قصيدة (الخلوة الأولى) « عدد ٣٨٠ » من الرسالة نشر هذا البيت :

أين الوفى منك وميثاقه ... وأين منه اليوم هذا الجحود

وصحته : هذا الجحود

جريدة فتى النيل

دخلت زميلتنا « فتى النيل » فى عامها الثالث وعهدها الجديد حافلة بكل ما يهم القراء الاطلاع عليه . وقد اشترك فى تحريرها نخبة من حملة الأقلام الممتازين . وفى مقدمتهم الأستاذ عبد الحميد المشهدى . وجعلت موعد صدورها صباح الإثنين من كل أسبوع فنتمنى للزميلة كل تقدم ونجاح .

مجموعات الرسالة

تباع مجموعات الرسالة مجلدة بالأثمان الآتية : السنة الأولى فى مجلد واحد ٥٠ قرشا ، و ٧٠ قرشا عن كل سنة من السنوات : الثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة فى مجلدين . وذلك عدا أجرة البريد وقدرها خمسة قروش فى الداخل وعشرة قروش فى السودان وعشرون قرشا فى الخارج عن كل مجلد .



لقـــاء !...

للأستاذ محمد سعيد العريان

كان النَّدِيُّ مزدحماً بالسامرين على عادته كل مساء ؛ قد تحلّقوا حول الموائد جماعات جماعات ، فى البهو ، وفى الشرفات ، وعلى الطُّوار ؛ وكان الميدان الفسيح الذى يشرف عليه النديّ ، مَرادَ العيون ومُستراح النظر ؛ فما تقع العين منه إلا على منظر أنيق ومَرْأى فاتن ، والسيارات تتهادى ذاهبةً آيبةً تحمل كل منها قِصةَ حُب أو تُسِرّ حديثَ هوى ، وأسراب الملاح تتواكب فى مطارف الفتنة وعطر الشباب غادية إلى ميعاد أو رائحة إلى أمل ، ونسيم المساء الهادىء ينفح عطره ويهمس فى كل أذن حديثه ...

... وكان ثمة بضعة نفر جُلوساً إلى مائدة مستديرة فى ظلٍّ وارفٍ لَقِاء يتجاذبون الحديث ويتبادلون الفكاهات فى أنس ومسرة . أولئك « رفيق » وأصحابه

بضعة نفر لا يشغلهم من هم الحياة ما يشغل الناس ، جمعهم الشباب على هوى مشترك ، وألَّفت بينهم الحياة على رأى جميع ، واجتمع لهم من أسباب النعمة ما أغنى بعضهم عن بعض فقرّب بعضهم إلى بعض ؛ فهم قَدَمٌ واحدة بكل سبيل ، وقلبٌ واحد فى كل هوى ، ورأىٌ واحد فى كل مغامرة من مغامرات الشباب . ذلك مجلسهم كلَّ مساء حيث يلتقون فيقص بعضهم على بعض من حديث الهوى والشباب ؛ فلكل فتاة من فتيات المدينة بينهم حديث ؛ ولكل منهم من حديثها خبر ، ولكل غادية ورائحة لحظةُ عينٍ وبنتُ شفة

على أن رفيقاً وأصحابه لم يجتمعوا الليلة لمثل ما يجتمعون كل مساء ؛ فإن لهم اليومَ لشأناً يشغلهم عن لحظات العيون وبنات الشفاه وأقاصيص الهوى والشباب ؛ فقد غدا عليهم « رفيق » يُؤذنهم بخبر لم يكن لهم فى حساب ؛ لقد اعتزم رفيق أن يتزوج ...

وا أسفا ! لم يكن يحسب هؤلاء الأصحاب أن يصير اجتماعهم بعد تلك السنين إلى شتات ، وأن يكون رفيق أسبقَهم إلى الفراق ! ... أتراه يكون لهم بعد الزواج ما كان لهم قبله ؟ من يدرى ؟ بل إنهم ليكادون يدرون ؛ فما يتأتى له أن يلقاهم بعدُ ويلقونه ، وإنه لزوجٌ وربُّ دار ...

وتناولوه بألسنتهم وركبوه بالمزاح والدعابة ، وهو يستمع إليهم مبتسماً فى صمت ، ثم مضى ومضوا ...

***

لقد ذاق رفيق من ألوان اللذات ما ذاق ، وباع فى الحب واشترى ، وربح وخسر ، وتقلّبتْ على عينيه مناظر لعل مثلها لم يجتمع لشاب آخر فى مثل سنه ؛ على أنه قد ملَّ ذلك جميعاً وضاقت به نفسه ، وحنَّ إلى حياةٍ هادئة يحياها بين زوجٍ تحنو عليه ، وولد يجدِّد أمله ؛ فاعتزم أن يتزوج

وأتاح لرفيق ما لقى من تجارب الحياة ، أن يعرف من شئون المرأة أكثر مما يعرف الشباب ؛ فلم يكن تعجبه فتاة ممن رأى وعرف فيرضاها زوجة يملّكها داره ويأتمنها على سعادته ؛ إذ كان يعرف أكثر من غيره ما وراء هذه القشور التى يتزيّن بها النساء فى مجالس الرجال تجمُّلاً من غير جمال ؛ فراح إلى أمه العجوز يسألها أن تختار له ويصف لها ما يحب فى المرأة وما يكره .

وكان عجيباً من فتى مثل رفيق ـ رأى مَن رأى وعرف مَن عرف ـ أن يتوسّل بأمه إلى اختيار زوجته ؛ ولكن ما رأى وما عرف هو الذى دعاه إلى ذلك ؛ فقد كان مما جرَّب لا يثق بواحدةٍ ممن عرف ؛ فراح يتوسل بأمه أن تكون سببَه إلى من لم يعرف

تلك مسألة أخفاها رفيق على صحابته ، ولو عرفوها لنسبوه إلى فساد الرأى وأَفَن التفكير ؛ فما ينبغى لفتىً مثله من أبناء الجيل الجديد أن يخطب فتاةً إلى نفسها من وراء حجاب ، وأن ينظر إلى زوجته بعينى أمِّه ؛ ولكنه كان موقناً يقيناً لا شبهة فيه ،

أن تلك الوسيلة التي ينسبها أصحابه إلى الرجعية وفساد الرأي وأفن التفكير ، هي أسدُّ وأحكم من اختيار فتاة كبعض من يعرف، تقلبتْ على أعين الشبان وتنقلت بينهم من ذراع إلى ذراع كجارية النخّاس!

لو أن أحداً رأى له هذا الرأيَ منذ سنين ، لسخر منه واستهزأ به ورماه بما يرميه به صحابته اليوم ؛ ولكن تجارب الحياة لا تدع لذي رأي أن يثبت على رأيه إلا أن يكون أحمق ليس له رأي ولا إرادة !

* * *

وراحت أمه العجوز في حاشية من صواحبها تطرق الأبواب وتهتك الأستار لترى وتعرف وتتخير ، لتعود إلى ولدها كل مساء فتقص عليه ما رأت وما عرفت ؛ وكانت تعلم من شئون ولدها ما لا يجهل أحد ؛ فمن ذلك كان حرصها على أن تتخير له فتحسن الاختيار ؛ وعادت إليه ذات مساء تخبره :

لو رأيتها يا رفيق . . . ! لها غُرة الصبح الطالع ، وابتسامة الأمل المشرق ، وحياء الزنبقة البيضاء تحت عيون الزهر ... لله هي يا بني ! خارَ الله لك !

وقال رفيق : وددت لو رأيتها يا أمي !

ومطّت أمه شفتيها تنكر عليه ، وقالت : وددتُ يا بني ، ولو أنك رأيتها ما زادت في عينيك على ما أصف ؛ ولكن ، من أين لك ؟ ما أرى أباها يسمح يا رفيق ، ولو سمع أبوها ما أطاقت هي أن تتراءى لك ... إنها ...

وصمت رفيق وعاوده قلق الشباب ، وراح يؤامر نفسه : كيف يطيق أن يقطع برأي في المرأة التي يهم أن يشركها في عمره وما رآها ؟

ثم ثابت نفسه إلى الاطمئنان والرضا رويداً رويداً ، وغلبه عقله على هواه ؛ فقال لنفسه : ذلك أحب إليَّ ؛ وإن يقيني بطهارتها لأطيبُ لنفسي من اليقين بجمالها ؛ وهل رضيتُ أن أخطبها من وراء حجاب إلا زهادةً في الجمال المبذول لكل ناظر ؟

وذهب رفيق يتقصى خبرها ويسأل مَن يعرف عما لا يعرف، وأتاه جواب ما سأل ؛ ولم يبق إلا أن يراها ليُبرم أمره ؛ وأي حرج في ذلك ؟

وعادت أمه تسمى مسمّاتها بينه وبين عروسه ؛ ثم عادت تحمل إليه الإذن في أن يراها يوم يقدم لها هدية الخطبة

* * *

. . . لم ينقطع رفيق عن صحابته ولم يشغله أمرُه عن مجلسه وإياهم كل مساء ؛ فما كانت له طاقة على فراق بائن إلى غير لقاء ؛ وكذلك لم يهجر ما كان من عادته وإياهم حين يتحلقون حول المائدة المستديرة على الطوار ، يتجاذبون الحديث أو يتبادلون الفكاهات ، أو يُتبعون أعينهم كلَّ غادية إلى عمل أو رائحة إلى ميعاد ، أو يتداعون إلى سهرة حمراء في عُش من عشاش الحب المأجور إلى أن تشيب ذؤابة الليل !

كان يعلم أنه عما قليل مفارقٌ هذه الحياة الصاخبة التي عاش فيها عمراً من عمره ؛ فلا عليه أن يتزود لما يأتي من لياليه ، لا يمنعه عن ذلك مايشغله من أمر يعد له عدته ويهيئ أسبابه ... وتوزّعته شئونه ، فنهاره تأهُّبٌ واستعداد ، وليله ليلُ الهوى والشباب !

أرأيت إلى الصائم يتأهب لنهار ظامئ جوعانَ بالمائدة الحافلة بأطايب الطعام والشراب ؟ كذلك كان رفيق في إسرافه على نفسه وفي غلبة هواه !

وراح يوماً لموعده فجلس يقص على صحابته من مغامراته :

« . . . وكنتُ وحدي إلى هذه المائدة أنتظر ، وغاظني أنني بكّرت فلم أجد أحداً منكم آنس إليه ، وتخايلت لعينيَّ فتاةٌ على مبعدة ... ثم تجاوزتني ومضت ؛ ومضيت في أثرها .... »

وتقصَّف عليه أصحابه يستمعون إليه ؛ فإنه لفارس هذا الميدان غير منازَع ، ومضى في قصته :

« ... وقلت لها وهي جالسة إلى جانبي على الصخرة الناتئة والأمواج تحت أقدامنا تصفق على الشاطئ الغضبان : « إنك أولُ مَن أحببتُ ... ! » فنظرت إليَّ ساخرة وقالت : « صحيح ... ؟ » ثم انفجرت ضاحكة . قلت : « وما يمنع ...؟ » قالت وتكاد تنغص بضحكتها : « تلك كلمة ليست جديدة على أذني ،

كم مرة سمعتها قبل أن تلفظها شفتاك ! » ؛ وحدَّقت فى وجهى بعينين فيهما تصميم وإرادة ، كأنما تتحدانى لتبلو إرادتى ، وزويت جبينى وتحوّلتُ ناحية أنظر إلى رشاش الماء يتواثب تحت أقدامنا وقلت : « ولكنك لن تسمعيها بعد ، ولن أقولها ! » ... ورحت أجمع طائفة من الحصى فأقذف بها الماء وأصابعى ترتعد ؛ إذ لم يكن يعنينى إلا أن أثأر لكبريائى ...

قال رفيق: وتخاذلتْ سريعاً حين رأتْ وجهى مصروفاً عنها ؛ فدنت منى وهى تقول: « أنظر ، أترى هذين الطائرين ؟ » ونظرتُ ونظرتْ ، والتقت عينان بعينين ، وشفتان بشفتين ! ... ثم ...

قال الذى عن يمينه : ثم صحوتَ من النوم !

وعَلَت ضحكاتُ الجماعة ، وسكت رفيق ، ومضى أصحابه يتجاذبون الحديث ...

***

... ودنا الموعد الذى حدّده رفيق ليلقى عروسه فيقدّم لها هدية الخطبة ؛ وكأنما أحب أن يهيئ نفسه لهذا الحدث الجديد ، فانقطع أياماً عن موعد أصحابه ، ومضى يزوّر فى نفسه الكلام الذى يَلقى به خطيبته يوم يلقاها ؛ أتراه كان يخشى أن يخونه بإزائها بيانه وخلابتُه وما عجز قبلها فى مجلس فتاة قط ؟ تُرى ما ذا يقول الناس فى هذا المقام ؟ وتواردت على خاطره كلمات كثيرة ، كلمات طالما جرى بها لسانه فى مجالس الفتيات فكان لها فى نفوسهن فعل السحر ؛ ولكنها جميعاً على لياقتها فى هذا المقام وصدقها فى التعبير عن حقيقة موضعها ، لم تَرُقْ له ؛ كأنما كان ينزه لسانه فى خطابها أن يلقاها بكلمة لم ينطقها قط إلا كاذباً ولم يلقَ بها قط فتاةً تستحق الاحترام !

وأعجزه القول حين وجد الحاجة إليه ، إذ كان كل جديد فى لغة الحب الصادق قد حال فى لسانه عن معناه الحقيقى إلى معنى وضيع من معانى الخداع والغش والتغرير ؛ فما ثمة إلا كلام بالٍ قد أخلقه التكرار ، أو كلام ساقط قد نسخه الكذب وأحاله عن معناه ... !

وضحك رفيق حين أحس من نفسه العجز عما يريد ، وخطر بباله حديث الناس عن عجز المحبين عن التعبير حين يتراءى العاشقان وجهاً لوجه وتتناجى العيون ! فسأل نفسه : أترانى عشقتُها ؟

***

ثم جاء الميعاد ...

وسبق البشيرُ يؤذن بمقدمه ؛ وجلست فتاةٌ تنتظر ، وفى رأسها أخيلة تتراءى وفى قلبها أمل ...

وقال رفيق لنفسه والسيارة تقلّه إلى هناك : ينبغى أن تكون هى أولَ من أحبّ ؛ أليس كذلك ...؟ بلى ، ومن ذا يستحق الحب غير الفتاة التى أهم أن تَشركنى فى عُمرى ؟

وقالت الفتاة لنفسها وهى جالسةٌ مجلسها تنتظر : نعم ، ولمن تهب الفتاة قلبها غير الشاب الذى تشركه فى عمره ؟

ودق الجرس ، ودخل رفيق تسبقه البشرى . وعلى الكرسى المذهب فى صدر غرفة الاستقبال جلس ينتظر ، وكان إلى جانبه كرسىٌّ خالٍ ؛ ثم انفتح الباب ودخلتْ ...

وتراءيا وجهاً لوجه ، وعرفها وعرفتْه ... وهمّ الفتى أن يقول: « أنتِ أولُ مَن ... » ثم سكت ؛ وتهيأت الفتاة لتقول، ثم سكتت ...

ودوّى فى أذنيه مثلُ هدير الموج يتواثب رشاشه إلى وجهه، ودوّي فى أذنيها ؛ كمجلسهما هنالك فى يوم قريب ... وطأطأت الفتاة رأسها فى خزى ، وطأطأ الفتى رأسهُ ؛ وثقل على الفتى والفتاة موقفهما ، وأحسَّا مواقع النظرات تأخذهما من كل جانب ، فمشيا صامتين إلى مجلسهما ؛ وتبادلا نظرةً أخيرة أغنتْهما عن الكلام .

ولم تتحرك شفتاه بكلمة ، ولكنها سمعته يهمس فى أعماقها ساخراً : « أنتِ أول من أحببت !! »

ولم تنطق شفتاها ، ولم يجب ؛ ولكن صوتاً من أعماق الماضى كان يهمس فى نفسه : « ... تلك كلمة ... كم سمعتْها أذناى قبل أن تلفظها شفتاك !! »

وتحوّل وجهه إلى ناحية وهو يقول : « ولكنك لن تسمعيها بعدُ ، ولن أقولها !! »

وراحت أصابعه تعبث بحبات العقد الغالى فتتناثر على البساط كأنها حصيات من رمل الساحل ؛ وعاد هدير الموج يدوّى فى أذنيه ويتواثب رشاشه إلى وجهه ؛ ونهض ، ثم اتخذ طريقه إلى الباب فى صمت ! ...

محمد سعيد العريان

﴿ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولي — عابدين ﴾

8me Année No. 382

Lundi - 28 - 10 - 1940

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع البدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

ص	
٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـدد ٣٨٢ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٦ رمضان سنة ١٣٥٩ — الموافق ٢٨ أكتوبر سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهـــرس

من ليالى الملاح التائه

فى مخبأ الفيشاوى ...

جلست أنا وصديقى شاعر الجندول فى قهوة (الفيشاوى) عشية يوم الأحد الماضى نتحسى أقداح الشاى العنبرى المهنىء ، بعد إفطار من طهو رمضان الدسم المرىء ؛ وكان الظلام قد هب يتموج لطيفاً بين المصابيح الزرق كأنه ظلال الأجنحة الخفاقة فى جو بنفسجى قاتم ؛ والحركات الهامدة والأصوات الخاشعة قد أخذت تتخلص رويداً رويداً من فترة الصيام وسكرة الطعام ، فهى تنتعش فى البيوت ، وتنتشر فى الشوارع ، ويقبل الناس على المقاهى فيلقون ثقل بطونهم على مقاعدها ليعالجوها بالأفاويه المنبهة والأشربة الهاضمة . وكان صديقى الشاعر قد طفق بعد شايه يكركر فى شيشته الأعجمية وقد انمحى من خياله السباح جندول البندقية وخمرة الرين وبحيرة كومو ، فلم يعد يشعر إلا بعطر الشرق وسحر الشرق ونور الشرق ، وتراءت له من خلال ما يجلوه الحى الحسينى على عينيه من مختلف الأجناس والألوان والصور . بقايا الملك الإسلامى العظيم ، ودلائل المجد العربى الخالد ، فلم يتمالك أن قال فى لهجة تنم على الأسى والأسف :

— يا ضيعة الشعر ويا ضلّة الشاعر إذا لم يُسجّل هذا الملك فى ديوان ، ويُخلّد هذا المجد فى ملحمة !

وكان شعورى فى تلك اللحظة يجرى مع شعوره من غير تنبيه ولا توجيه ، فقلت له على الفور :

— لو أن شعراءنا فى الماضى والحاضر قد خلعوا كما خلعت أنت للساعة من أنانية الفكر وفردية الشعور لوجدوا فى حضارتنا الزاخرة وتاريخنا الحافل أفانين عجيبة من الشعر القصصى توحد شتات الهوى وتكمل نقص الأدب ؛ ولكنهم كانوا وما زالوا ينقلون عن ذاتية غالبة وطبع أَثِر . فالقصيدة عواطف الشاعر لا تكاد تخرج عن دخائل نفسه ومدارج حسه ، والأغنية لواعج المغنى فلا تعبر عن المعانى العامة ولا تهتف بالأمانى المشتركة . ولعل ملاحك التائه يُرسيه القدر الهادى على شطئان الشرق الجميلة فيقبس من شمسها نور إيمانه وأمانه ، ويأخذ عن إلهامها سحر أوزانه وألحانه !

* * *

غصت القهوة على عادتها فى ليالى رمضان بالسامرين من كل لون ومن كل طبقة ، وكان القمر يضرب بأشعته الباردة الرخية فى ضوء المصابيح الداخلية فيشمشمه ويقويه ، والمذياع على جدار القهوة ينقل الأغانى المسئومة فى فرقعة وصخب ، والجالسون يتجادلون فى السياسة أو يتحدثون فى الأدب ، والنُّدُل يذهبون ويجيئون وألسنتهم لا تفتر عن ترديد هذه الجمل : « واحد كشرى مظبوط . . . فلوسك يا محمود . . . أيوه حاضر . . . ولمّه لمين ؟ . . . واحد ساده ، مستوى زياده . . . »

وعلى حين فجأة سكت المذياع وانطلقت صفارات الإنذار تردد نعيبها المتقطع ، فأطفئ النور ، وأخذت الناس زلزلة من الفزع ، فنهضوا وتجمعوا ودخل بعضهم فى بعض كما تتداخل خراف القطيع إذا دهمتها العاصفة ؛ ثم تدافعوا متدفقين فى داخل القهوة وهى قبو مظلم مسلوك تحت بيت ضخم من البيوت القديمة ؛ وعلى جانبى هذا القبو حجرات ضيقة من غير أبواب للخلوة أو للعب . فدخلت أنا وصديقى إحداها فوجدنا فيها شيخاً هادئاً يكركر ، وشاباً مضطرباً يثرثر ، وآخرين قد ألجمهم الذعر فهم فى وجوم ذاهل . ثم أنصت الناس ونظروا ، فلم يسمعوا رعداً يقعقع ولم يروا برقاً يلمع ، فتساير عنهم الخوف ، وتذكروا أن القدر لا مفر منه ، والقضاء لا حيلة فيه ؛ فأخذوا يتنادرون على الصفارات والغارات ، ويجددون ما أريق من الأكواب وأطفئ من الشيشات . والمصرى أربط الناس جأشاً فى الخطوب متى زايلته بوادر الجزع ؛ لأن إذعانه لقضاء الله يكسر حدتها عنه ، وأخذه المكاره بالمزاح يضعف أثرها فيه . وهو فى ذلك كالإنجليزى ، إلا أن ثبات المصرى يرجع إلى حرارة يقينه ، وثبات الإنجليزى يرجع إلى برودة طبعه : هذا يبلد ثم يجلد ، وذاك يتفرق ثم يتماسك

* * *

ليت الذى صبغ وجوه المصابيح باللون الأزرق استطاع أن يصبغ به وجه القمر ! لقد كان أجدادنا القرويون يقولون : « لم يبق من ليالى الهناء غير ليالى البدر » فهل يصح هذا القول إذا قلناه اليوم ؟ إن بزوغ القمر أمسى نذيراً بالغارة ، ودليلاً للجارة إلى قتل الجارة . فمن يزعم الآن أن الليل لا يزال لباساً وأن الناس لا يزالون ناساً ، فقد جهل أن العالم الحاضر يسوسه الشياطين ، فهو يرتكس ليسقط ، وينتكس ليموت !

قال لى صاحبى وقد أعلنت الصفارة بصوتها المتصل زوال الغارة الأولى : قم بنا نتلمس الطريق إلى مكان آخر نتنفس فيه من كربة الحر والحرب

فقلت له وأنا أحبسه على كرسيه : هنا يا صديقى مخبأ هيأته لنا وقاية الله ؛ فإذا تركناه وأدركتنا غارة أخرى فأين نختبئ ؟

ليس فى القاهرة ولا فى غير القاهرة مخبأ حصين يعرفه الجالس فى بيته أو السائر فى طريقه . ولا أدرى أى ضرب من ضروب الغفلة أطبق على مصلحة الوقاية المدنية فلم تقم بإنشاء المخابئ الصالحة على وضعها الصحيح ! هل أخذوا على الدهر عهداً بالأمان ، أم حسبوا أن بضعة أخاديد فى أمكنة متباعدة مجهولة تعصم سكان القاهرة وهم فى المنازل أو فى الطرق من شظايا القنابل ؟

ليس من صالح الرأى يا صديقى أن تجهَّز قصور السراة ودور الحكومة بالمخابئ المسلحة المريحة ؛ ثم يقال للشعب المسكين تبرع بالقروش لنشق لك لحوداً فى ظاهرها الحمام المنقض ، وفى باطنها الزحام المهلك !

فقال لى الشاعر وهو يتمكن فى مجلسه : إن سياسة الملاح التائه لا تزال هى سياسة الحكومة فى كل أمر . فاسأل الله وحده أن يجعل لهذه الأمة حرزاً فى كل عاصفة وملجأ من كل غارة !

احمد حسن الزيات

الحديث ذو شجون

للدكتور زكى مبارك

الواقفون بالمرصاد — ما بينى وبين نفسى — طلعت حرب باشا فى ميادين الأدب والاقتصاد

الواقفون بالمرصاد

قرأت فى «الرسالة» كلمة كريمة للأستاذ محمود غنيم [1] دعا فيها كاتب هذه الأحاديث إلى الحذر من عواقب العنف والجموح، لئلا يقع القلم فى سقطة تشمت به الأعداء الواقفين بالمرصاد، وهو يرجو أن نخصص يوماً من أيام «الرسالة» نحدث فيه القراء بهدوء، على نحو ما يكون النيل فى غير أيام الطغيان؛ ثم استطرد فقسّم قراءنا إلى فريقين: فريق عدوّ، وفريق صديق؛ ونصّ على أن الصديق لايملك أن يقول فينا كلمة الثناء لئلا نتهمه بالتزلف، وأن العدو لا يستطيع مجاهرتنا بالعداوة لئلا نمسّه ببنان القلم مسًّا غير رفيق

والصورة التى قدّمها الأستاذ محمود غنيم صورة صحيحة، ولا تحتمل المناقشة إلا من جانب واحد: هو القول بأننا قد نَصم من يُثنون علينا بوصمة التزلف، فما يسمح لنا أدب النفس بأن نتلقى كلمات الإعجاب بغير الحمد والثناء، وإنما ينهانا العقل عن استزادة المعجبين فراراً من أخطار الزهو والخيلاء

وقد ترفق الأستاذ الزيات مرات كثيرة فدعانى إلى النظر فيما يَرِد إليه من كلمات الاستحسان لأقدم منها للنشر ما أريد، ثم نهانى الذوق عن الاستجابة لهذا الاقتراح النبيل، واكتفيت بالمرور عليه من وقت إلى وقت لأطلع على عواطف الأصدقاء من القراء، وهم بحمد الله أكثر عدداً من أعدائى، وفيهم أفراد على جانب كبير من شرف النفس وعظمة الروح

وإنما نصصت على هذا الفريق من القراء ليعرف بعض من أسكت عن كلماتهم الطيبات أنهم يخاطبون رجلاً وفيًّا، وأنى أحفظ لهم فى أعماق القلب أطيب الذكريات، وأن «الرسالة» لم تطو كلماتهم عن استهانة أو بخل، وإنما هو الواجب، الواجب الحازم الذى ينهانا عن الإصاخة لكلمات العطف والتشجيع

ثم ماذا؟ ثم ألتفت إلى الأعداء الواقفين بالمرصاد فأقول:

لم أُرزَق من الغفلة ما أطمئن به إلى أنى أعيش بلا خصوم وبلا أعداء، وكيف وحياتى كلها قامت فوق مخازن من البارود لو وقعت عليها شرارة واحدة من الخطأ لحوّلتنى فى مثل لمح البصر إلى رماد تذروه الرياح؟

فمن كان يريد أن ينتفع من تجارب الرجل الذى اكتوت يداه بنار الحياة الأدبية فليسمع هذا القول:

من الخطأ القبيح أن يعتمد الكاتب على ماضيه الجميل، وأن يتوهم أن القراء قد يَذكرون حين يخطئ أن الحسنات يُذهبن السيئات، وأن الذى يُحلِّق ألف مرة قد يُغتفر له الإسفاف مرة أو مرتين

هيهات، هيهات، هيهات، فليس للقراء ذاكرة، وليس للقراء ميثاق

إنما يعرف القراء آخر مقال، فإن كان جيداً فالكاتب مجيد، وإن كان وسطاً فالكاتب ضعيف، وربما أضافوه إلى أهل الغثاثة والهزال

الكاتب يواجه ميدان السباق فى كل وقت، وهو معرّض فى كل شوط للحكم له أو عليه. ولو كان الكاتب كالجواد لخفّ الأمر وهان، لأن السّباق بين الجياد لا يحتاج فيه الحكم إلى ذكاء، فأغبى الناس يدرك بنظرة عابرة مَن السابق ومَن المسبوق، ولا كذلك الحكم بين كاتب وكاتب، فهو يحتاج إلى ذوق وفطنة وذكاء، ولا يظفر الكاتب بقصب السبق إلا حين يكون له من اللوذعية ما يقهر به أهل الغرض واللجاجة والعناد، وهو لا يصل إلى ذلك إلا بقوة قاهرة عاتية لا يفلح فى صدها المكابرون إلا كما يفلح نجم الأرض فى مسايرة نجم السماء

نحن أشقى الناس يا صديقى، لأن من حق كل مخلوق أن يحكم لنا أو علينا، وإن كان من مواليد العقد الثالث من القرن العشرين!

وحظنا يا صديقى حظ ممسوخ، لأنه معرّض لانتقاص الممسوخين

وأعيذك أن تظن خيراً بسماحة الأقطاب من أهل البيان، فأولئك قوم يصعُب عليهم أن نُذكر بالجميل، لأنهم يتوهمون

[1] هو غير الأستاذ محمود غنيم الشاعر

أنك تعتدى عليهم حين تقضى ليلك ونهارك فى تزويد عقلك وذوقك بذخائر الأدب الرفيع

وهل عانى أحدٌ فى دنيا الأدب مثل الذى عانيتُ ؟

لقد انتزعتُ حظى من أنياب الحيات السُّود ، فهو حظٌ مَدُوف بالسم الزُّعاف ، ولو استطاع قومٌ أن يتجاهلوا وجودى لفعلوا ، ولكن كيف يستطيعون وقد ضيَّقتُ عليهم الخناق وقهرتهم على الاعتراف بأن العاقبة للصابرين على مكاره الجهاد

وهل كانت مُكايدة الأعداء هى أصل النار التى يقذف بها قلمى ؟ العدوّ الحق هو المغالطة الطبيعيّة التى وقعتْ فى سِفْر الوجود وهذه المغالطة قد تسمَّى أوهاماً أو عادات أو تقاليد ، ومن واجب القلم أن يصحح تلك المغالطة بلا ترفق ولا استبقاء

وأنا أصنع فى محو تلك المغالطة مثل الذى كان يصنع يأجوج ومأجوج ، فأنا أمحوها فى كل يوم ، وهى ترجع إلى ما كانت عليه فى كل يوم ، ولكنى سأنتصر ولو بعد حين ، لأنى أملك من الصبر واليقين ما لم يملك يأجوج ومأجوج

وهل يغيب عنى أن كتاب « التصوف الإسلامى » سيزعزع أقواماً وخلائق فى آمادٍ قِصار أو طوال ؟

إن وصل كتابى إلى سرائر المجتمع الإسلامى فسيغيِّر ما يغيِّر ويبدِّل ما يبدِّل ، وهو سيعيش لأنه لم يُخلَق ليموت ، وكيف يموت وهو مقدود من صخر الوجود ؟

ما بينى وبين نفسى

ويقترح الأستاذ محمود غنيم أن يُعنَى زكى مبارك بشرح سرائر زكى مبارك . وأجيب بأنى أخاف من ذلك أشد الخوف ، فما رجعت إلى نفسى مرة إلا تهيبتُ اقتحام ما فى شعابها من وعور وصخور وأشواك . وقد وقفت مرة على ساحل النفس فى ظلمات الليل فرأيتنى عندها من الغرباء ، وكيف لا أكون كذلك وأنا منها على بُعدٍ سحيق سحيق يُمدّ بالملايين من الأميال ؟!

وقد حاولت الاقتراب من نفسى مرات كثيرة ولكن الخوف فى كل مرة كان يشعرنى بصدق الحكمة التى تقول : الرفيق قبل الطريق

فأين الرفيق الذى أعتمد عليه فى مواجهة لجج النفس وحولها عواصف وأنواء ؟

الرفيق هو القارىء ، ولكن أين القارىء الذى يفهم عنك ما تريد ؟

كان لأسلافنا قراء ، ولنا قراء ، أما قراء الأسلاف فكانوا فئة قليلة تُمدّ بالآحاد أو العشرات ، وكان يَندُر جداً أن تصل إلى المئات ، وكانت تلك الفئة القليلة هى عُصارة العقلية العربية ، فكان الكاتب أو الشاعر أو المؤلف يلقاها بلا تكلف ولا تصنّع كما يلقى إخوانه الأصفياء ، وكذلك كان الحال فى أكثر الأمم الشرقية والغربية ، ولهذا السبب وحده كانت الآداب القديمة أصدق وأروع ، لأنها خلت من الزور والرياء

أما قراؤنا فيمدّون بالألوف وقد يصلون إلى الملايين ، وفيهم الغبىُّ والذكىّ والعدو والصديق ، وفيهم من يطيب له أن يُحمّل أقوالك غرائب التفاسير والتأويل ، فمن حدّثك من كتّاب هذا العصر وشعرائه ومؤلفيه أنه يصدُق كل الصدق فيما يكتب وما ينظم وما يؤلف فهو خادع أو مخدوع ، إلا أن يصنع مثل الذى أصنع فى إيثار الرمز والإيحاء

وإليك هذا الشاهد الطريف :

فى وزارة . . . موظف أديب هو الأستاذ فلان حفظه الله ، ومن هذا الموظف الأديب علمتُ وعلم جمهور من الأدباء أن مطبعة الرسالة نُقلتْ إلى المنصورة ، ولن تُردّ إلى القاهرة إلا بعد انتهاء الحرب . فهل تعرف كيف استقى ذلك الموظف « الأديب » هذا الخبر « الصحيح » ؟

استقاه من « خواطر مهاجر » التى ينشرها أخونا الزيات فى الرسالة من وقت إلى وقت كلما بدا له أن يسجل مشاهداته عن أهالى الريف وقد انتقل إليهم للترويح عن النفس فى أيام الصيف ، وسيرجع إلى القاهرة مع هلال شوال

ولو كان هذا « الأديب » أديباً لعرف أن نقل مطبعة الرسالة من القاهرة إلى المنصورة عسير لأسباب كثيرة أيسرها تكاليف ذلك النقل ، لأن نقل مطبعة مثل مطبعة الرسالة من مدينة إلى مدينة يتكلف نفقات لا تغيب عن ذهن ذلك الأديب

وما دام الحديث ذا شجون فأنا أذكر ما قصّه علينا المرحوم « أبو شادى بك » فى إحدى خطبه بالأزهر أيام الثورة المصرية سنة ١٩١٩ ، قال الخطيب رحمه الله :

« أردت أن أعرف إلى أى حدّ تجوز الخرافات على الناس

فقلت صباح الأمس وأنا راكب بالترام إن الألمان قد أتوا بالأعاجيب فى عالم الاختراع ، ومن ذلك أنهم حفروا بئراً فى المنطاد زِبلن لتغنيهم عن حمل الماء فى الأسفار الطوال ، فلما كان المساء رأيت الناس يتحدثون عن ذلك الاختراع فى إحدى القهوات »

ذلك ما قصّه علينا أبو شادى بك ، فهل أستطيع القول بأنى أعانى من بعض القراء لواعج هى أشدّ وقعاً من ذلك القصص الغريب ؟

تصل إلىّ من يوم إلى يوم رسائل أفهم منها أن فى القراء من يحرّف كلامى أبشع التحريف ، وهم فى الواقع على حق ، لأن مذهبى فى الأدب يقوم على أصول من الرمز والإيحاء ، ولكن لا مفرّ من التصريح بجزئى من هذا المصير المخيف ، فقد كنت أتوهم أني فررت من جماهير العوامّ حين تحصنتُ بمجلة الرسالة وقراؤها خواصّ ، لأنهم فى الأغلب من الصفوة المختارة بين أبناء هذا الجيل ، فإلى أين أفرّ إذا كان فى أمثال هؤلاء القراء من ينتظر أن أقدم إليه كلاماً فى وضوح الكلام الذى يقدم إلى قراء الجرائد اليومية ؟

وهل قلّت الرقابات حتى نحسب حساباً لرقابة القراء ، وهم فيما نفترض إخوان أصفياء ؟

حولنا رقابة المنافسين « وهم أكثر من الهمّ على القلب » ؛ وحولنا رقابة المتجاهلين ، ورقابة المتعالين ؛ وحولنا رقابة عنيفة جدًّا هى رقابة أعداء الأدب الصريح . وليس لنا أصدقاء غير القراء ، فهل نيأس أيضاً من القراء ؟

وإلى من نتوجه إذا يئسنا من قرائنا ، وإليهم نبث نجوانا بعبارات هى نجوى الحبيب إلى الحبيب فى محضر الرقباء ؟

ومن موجبات الأسى أنى لا أستطيع السكوت بحال من الأحوال ، ولا يمرّ يومٌ واحد بدون أن أخلو إلى قلمي ساعةً أو ساعتين ، ولو كان أخونا الزيات ينشر كل ما أقدم إليه لظفر الأدب بألوان كثيرة من الحلم والجهل واليقين والارتياب . ولكن الزيات يرى أنه أعقل منى ، وأنه يعرف من العواقب ما لا أعرف ، وبذلك يستبيح التغافل عن بعض ما أكتب فى بعض الأحايين ، وهو يعرف كيف يوشّى ذلك التغافل بوشى الترفق والتلطف ، كما كان يصنع سعادة عبد القادر حمزة باشا يوم كان يهذب ما أرسل إليه من المقالات الجوامح وأنا فى باريس

وفى ظلال الرقابة التى يفرضها المجتمع ويفرضها القراء الأوفياء يراد منا أن نصدُق كل الصدق فى جميع الظروف ، فهل رأيتم مثل هذا التحكم العنيف ؟ !

وأنا مع ذلك سأنتقم — وقد انتقمت — من أهل زمانى . سأتركهم فى بلبلة فكرية لا تنجيهم من أهوالها صفّارة الأمان . سأتركهم فى حيرة أقسى وأعنف من حيرتى حين أهمّ بمواجهة نفسى ، ولن أموت إلا وقد أوقدت فى صدر كل قارئ جذوة لا تخمد ولا تبيد . وتلك هى رسالتى الأدبية ، فأنا موكّلٌ بتأريق الجفون وتأريث النفوس ، ولن يرى منى الناس غير ما يَرُوع ويَهُول ، فقد ابتلانهم القادر بقلم يتقرب إلى الله بتوزيع الرَّوع والهول على أغنياء الآمنين !

أَمِثلى يُجزَى بمِثل الذى أتلقاه من بعض الناس من يوم إلى يوم ، وما كنت فى كل أدوار حياتى إلا نموذجاً من الصدق والأمانة والإخلاص ؟

لبعض الناس الويل ، وما أحب أن أزيد !

طلعت حرب

أخرج الأديب مصطفى كامل الفلكى كتاباً نفيساً عن طلعت حرب باشا ، وهو كتاب يسجل أعمال ذلك الرجل العظيم فى الميادين الاقتصادية بنزاهة وصدق . وهل يكذب الباحث حين يضيف ألوف الصفات الجليلة بلا تحقيق إلى طلعت حرب ؟ إن كلمة « بطل الاستقلال الاقتصادى » هى أصغر كلمة يوصف بها ذلك المصلح الهائل الذى استطاع بالصبر والصدق والمثابرة أن يروض المصريين على الثقة بأنفسهم فى ميادين الجد والكفاح والنضال . ولو أن طلعت حرب ظهر فى ظروف غير هذه الظروف لكتب عنه الباحثون ألف كتاب، فهوأهل لكل تكريم وإعزاز وإجلال . وقد ينسى الشعب المصرى كثيراً من الأسماء اللوامع ، ولكنه لن ينسى اسم طلعت حرب ، لأن اسم هذا الرجل أعظم وأخطر من أن يجوز عليه النسيان

كتاب الأديب مصطفى كامل الفلكى عن طلعت حرب كتاب نفيس ، وهو يمثّل حرص الشباب على تأثر خطوات ذلك الزعيم الحصيف ، ولكن ذلك الكتاب لا يصوّر من طلعت حرب إلا ناحية واحدة هى الناحية الاقتصادية ، وإلا فأين طلعت حرب الأديب والمفكر والمصلح الذى كانت له مواقف فى مخاصمة قاسم

أمين والاهتمام بمصير قناة السويس ؟

وهل صوّر هذا الكتاب جهود طلعت حرب فى إنهاض « الجمعية الخيرية الإسلامية » ؟

هل صوّر هذا الكتاب جهاد طلعت حرب فى إعزاز الشخصية الأدبية ؟

إن كتاب الأديب مصطفى كامل الفلكى على نفاسته قد أغفل هذه الجوانب ، فهل يعود إلى ترجمة طلعت حرب من جديد لنعرف كيف يصير الأديب رجل عمل واقتصاد ؟

هنا المشكلة الحقيقية وهى درس الصلة بين الأدب والمعاش ، فأين من يفهمنا كيف صار طلعت حرب الأديب طلعت حرب الاقتصادى ؟ وأين من يفهمنا كيف جاز أن ينتقل الرجل من نقد الألفاظ إلى نقد الأموال ؟

زكى مبارك

فى الاجتماع اللغوى

تطور اللغة وارتقاؤها

أثر العوامل الأدبية المقصودة : التجديد فى اللغة

للدكتور على عبد الواحد وافى

مدرس الاجتماع بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

تبدو حركة التجديد المقصود فى مظاهر كثيرة من أكبرها أثراً فى التطور اللغوى الأمور الآتية :

١ — تأثر الأدباء والكتاب بأساليب اللغات الأجنبية ، واقتباسهم أو ترجمتهم لمفرداتها أو مصطلحاتها ، وانتفاعهم بأفكار أهلها وإنتاجهم الأدبى والعلمى . فلا يخفى ما لهذا كله من أثر بليغ فى نهضة لغة الكتابة وتهذيبها واتساع نطاقها وزيادة ثروتها . والأمثلة على ذلك كثيرة فى تاريخ الأمم الغابرة وفى العصر الحاضر . فأكبر قسط من الفضل فى نهضة اللغة العربية فى عصر بنى العباس يرجع إلى انتفاع العلماء والأدباء باللغتين : الفارسية والإغريقية . فقد أخذوا فى ذلك العصر يترجمون آثارهما ، ويعقبون عليهما بالشرح والتعليق ، ويستغلونهما فى بحوثهم ، ويحاكون أساليبهما ، ويقتبسون منهما عدداً كبيراً من المفردات العلمية وغيرها ، ويمزجونها بمفردات لغتهم عن طريق تعريبها تارة وعن طريق ترجمتها تارة أخرى ؛ فاتسع بذلك متن اللغة العربية ، وازدادت مرونة وقدرة على تدوين الآداب والعلوم . ويرجع كذلك أكبر قسط من الفضل فى نهضة اللغة العربية فى العصر الحاضر إلى انتفاع الصحفيين والأدباء والعلماء باللغات الأوربية الحديثة ، ومحاكاتهم لأساليبها وتعريبهم أو ترجمتهم لألفاظها ومصطلحاتها ، واستغلالهم فى مؤلفاتهم ومترجماتهم لمنتجات أهلها فى شتى ميادين الحركة الفكرية . ولغة الكتابة بفرنسا فى العصر الحاضر مدينة بأهم نواحى رقيها إلى تأثرها باللغتين الإغريقية واللاتينية من جهة، وباللغات الأوربية الحديثة من جهة أخرى . فمنذ « عصر النهضة » لم ينفك أدباء فرنسا وعلماؤها دائبين على اقتباس المفردات اللاتينية واليونانية القديمة ، ومحاكاة أساليب هاتين اللغتين ، وترسم قواعدهما ومناهجهما فى البحث [١] . وقد أخذوا منذ عهد غير بعيد يقتبسون كثيراً من المفردات والأساليب عن اللغات الأوربية الحديثة وخاصة الإنجليزية والألمانية ؛ ولولا آلاف المفردات التى اقتبسها المحدثون من أدباء ألمانيا وعلمائها من اللغة اللاتينية وما تفرع عنها ومن اللغات الأوربية الحديثة ، وبخاصة الفرنسية والانجليزية ، ما قويت لغة الكتابة بألمانيا على أن تصل إلى الشأو الذى بلغته الآن . . . ومثل هذا يقال فى معظم لغات الكتابة فى العصر الحاضر

وكثيراً ما تقتبس لغة الكتابة عن اللغات الأخرى مفردات لها نظير فى متنها الأصلى . وكثيراً ما تقتبس مفرداً من لغة ، وتقتبس نظيره فى الدلالة عن لغة أخرى . وإلى هذه الظواهر وما إليها يرجع السبب فى كثرة الألفاظ المترادفة (المشترك المعنوى) فى لغات الكتابة . فما يذهب إليه بعضهم من أن الترادف بالمعنى الكامل لهذه الكلمة لا وجود له فى اللغات ليس صحيحاً إلا فيما يتعلق ببعض لغات المحادثة التى تظل بمأمن من الاحتكاك باللغات الأخرى . أما لغات الكتابة التى يستحيل بقاؤها بمعزل عن غيرها ، ولغات المحادثة التى يتاح لها هذا الاحتكاك ، فلا تخلو من الترادف بالمعنى الصحيح للسبب الذى ذكرناه

٢ — إحياء الأدباء والعلماء لبعض المفردات القديمة المهجورة

(١) انتشرت بفرنسا حركة المحاكاة للقواعد والأساليب اللاتينية بفضل كتاب القرن السابع عشر ، وعلى الأخص بلزاك وديكارت وبوسويه

فكثيراً ما يلجأون إلى ذلك للتعبير عن معان لا يجدون فى المفردات المستعملة ما يعبر عنها تعبيراً دقيقاً ، أو لمجرد الرغبة فى استخدام كلمات غريبة أوفى الترفع عن المفردات التى لاكتها الألسنة كثيراً

وبكثرة الاستعمال تبعث هذه المفردات خلقاً جديداً، ويزول ما فيها من غرابة ، وتندمج فى التداول المألوف . ولا يخفى ما لذلك من أثر فى نهضة لغة الكتابة واتساع متنها وزيادة قدرتها على التعبير . وقد سار على هذه الوتيرة بمصر فى العصر الحاضر كثير من الأدباء والعلماء والصحفيين ، فردوا بذلك إلى اللغة العربية جزءاً كبيراً من ثروتها المفقودة ، وكشفوا عن عدة نواح من كنوزها المدفونة فى أجداث المعجمات[1]

٣ — خلق الأدباء والعلماء لألفاظ جديدة . فكثيراً ما يلجأون إلى ذلك للتعبير عن أمور لا يجدون فى مفردات اللغة المستعملة ، ولا فى مفرداتها الداثرة ما يعبر عنها تعبيراً دقيقاً . وقد لا يضطرهم إلى ذلك إلا مجرد الرغبة فى الابتداع أو مجانبة الألفاظ المتداولة المألوفة ، أو إبراز المعنى فى صورة رائعة وتثبيته فى الأذهان وتذليل سبل انتشاره بالإغراب فى تسميته . وقد عم استخدام هذه الطريقة فى الأمم الأوربية منذ القرن التاسع عشر ، وكثر التجاء الأدباء والعلماء إليها بنوع خاص فى تسمية المستحدث من المخترعات الصناعية ، والمصطلحات العلمية والأحزاب والمبادئ السياسية والاجتماعية ، وفى التعبير عن بعض معان دقيقة فى عالم الأدب والفلسفة ، فناءت مؤلفاتهم بهذه الكلمات المصنوعة وتألف منها معظم المصطلحات فى الفلسفة وعلم النفس والعلوم الطبيعية والطب والصيدلة . . . وما إلى ذلك ، وصبغ معظم هذه المصطلحات بصبغة دولية ، فأقرته المؤتمرات والهيئات العلمية الممثلة لمختلف الأمم الأوربية وعم استخدامها فى لغاتها (تلغراف ، تليفون ، سوسيولوجيا ، جيولوجيا ... الخ) ، وقد أجاز المجمع اللغوى بمصر الالتجاء إلى هذه الطريقة حيث تدعو إلى ذلك ضرورة ، بألا يوجد فى مفردات اللغة متداولها ومهجورها ما يعبر تعبيراً دقيقاً عن الاصطلاح المراد التعبير عنه

ولا يخفى ما لهذه الوسيلة من أثر فى نهضة لغة الكتابة ، واتساع متنها ودقة مصطلحاتها وزيادة مرونتها وقدرتها على التعبير

وقد ارتضى الأدباء والعلماء بعض قواعد عامة فى وضع هذه الألفاظ ، ويستعينون عادة فى تكوينها بالنحت والاشتقاق الأكبر ومزج كلمتين أو أكثر فى كلمة واحدة . ويستمدون أصولها من اللغات الحية أو الميتة ، وخاصة اللاتينية واليونانية القديمة . وكثيراً ما يستعان فى تكوينها بأكثر من لغة واحدة . فمن هذه المفردات ما هو مؤلف من لغتين « سوسيولوجيا » أى علم الاجتماع : فصدر الكلمة « سوسيو » من أصل لاتينى معناه الجمعية ، وعجزها « لوجيا » من أصل يونانى معناه المقال أو البحث أو الخطبة (" Sociologie " : du latin " societas " = société, et du grec " logos " = discours) بل منها ما هو مؤلف من ثلاث لغات « بيسيكلت » أى الدراجة ، فإن « بى » من أصل لاتينى يدل على التثنية ، و « سيكل » من أصل يونانى معناه الدائرة ، وعجز الكلمة علامة فرنسية للتصغير (Bicyclette : du latin "bi" = deux fois, et du grec "kuklos" = cercle, dt du suffixe diminutif français).

وقوام هذه المفردات هو التواضع والاصطلاح . ولذلك كثيراً ما تختلف معانيها اختلافاً يسيراً أو كبيراً عن معانى الأصول التى استمدت منها

ولا تبقى هذه الألفاظ جامدة على الحالة التى وضعت عليها ، بل ينالها ما ينال غيرها من المفردات ، وتخضع فى تطورها الصوتى والدلالى لنفس القوانين العامة التى تخضع لها الألفاظ الأصيلة ؛ فبمجرد أن يقذف بها فى التداول اللغوى ، وتتناقلها الألسنة ، تفلت من إرادة مخترعيها وتخضع لنواميس الارتقاء العامة المسيطرة على ظواهر الصوت والدلالة . فاللفظ الموضوع أشبه شىء بحجر يقذف به القاذف فى جهة معينة بقوة خاصة ؛ فإنه بمجرد أن يفارق يده يخضع فى سيره لقوانين ثابتة صارمة لا يد للقاذف ولا لغيره فى تعطيلها أو وقف آثارها . ولذلك يختلف الآن النطق بالألفاظ الموضوعة ، ويختلف رسمها باختلاف الأمم واللغات . والأسلوب الصوتى الذى كانت تلفظ به منذ قرن أو قرنين مثلاً غير الأسلوب الصوتى الذى تلفظ به الآن . وقد أخذ كثير منها عند جميع الكتاب أو عند بعضهم ينحرف فى دلالته نفسها عن المعنى الذى وضع له فى الأصل

علي عبد الواحد وافي
ليسانسيه ودكتور فى الآداب من جامعة السربون

(١) لصديقنا الأستاذ أحمد حسن الزيات القدح المعلى فى هذا المضمار

من رسائل الصيف

النيـــل المنتصر

للأستاذ عبد الحميد يونس

أخى إبراهيم :

... وشاءت الأقدار أن تحول بيننا وبين اللقاء فوق تلك الصخرة الناتئة فى البحر عند سيدى بشر ، التى يعرفها الناس باسم صخرة « بئر مسعود » ... وكنا قد تعودنا اللقاء عندها كل صيف ، ولعلك لم تنس بعد ما كان لنا هناك من مجلس ، وما دار بيننا من حديث

ألم يكن يهولنا البحر الذى رأيناه كائناً حياً يفيض بالمشاعر ويزخر بالأحاسيس ؟ أما عجبنا من بغضه للقراءة وعداوته للأوراق مما يحجب الإنسان عن الاتصال به والفناء فيه ؟ وكم من مرة اختطفت نسائمه ، وما عرف عنها من فضول ، الصحف من أيدينا ، فما رددنا ذلك — لفرط افتتاننا به وقتذاك — إلى الجهل ، وإنما رددناه إلى اختلافنا وهذا البحر فى النظرة والاتجاه ، فنحن قد عكفنا على القراءة عكوفنا على لفائف التبغ إنفاقاً لجهد محتبس وتزجية لفراغ طويل ، وفراراً من العقل والقلب جميعاً !

ألم نكن نأخذ على هذا البحر ولوعه بالجمال وكلفه بالحسن ، لا يبالى فى ذلك احتشاماً ولا يحفل بتقليد ؟ ألم ننتقد فيــه تلك الإباحية التى تدفعه إلى إيثار العرى أو ما يشبه العرى ، ولا نأبه لدفاعه على ألسنة أمواجه المدمدمة ورياحه المصفقة ، بأن التخفى والتستر ضرب من النفاق يجب أن يزول ؟

ألم تكن تلمح فيه بنوع خاص عزوفه عن تكلف الزينة التى أصبح الناس يحذقونها إلى حد جعل السواد الأعظم منهم لا يفرق بين الطبيعة والصناعة فى قليل أو كثير ، بل وحتى أصبح للفن لوناً من التزييف المحكم الدقيق ؟

ألم نلاحظ فى ذوق هذا الهمجى توحيده بين الجمال والقوة ، أو على الأقل تقريبه بينهما ، ثم تفرقته بين الجمال والجنس حتى لـكأنه يونانى النزعة فى تفضيل الذكور على الإناث فى النوع الإنسانى ... ؟

لقد سرنا أيهـا الصديق شوطاً بعيداً فى محاولة الـكشف عن شخصية هذا الـكائن الموهوب ودراسة نوازعه ومعرفة أهوائه .

ومن يدرى فربما كنا نسكب عليه شعاعاً من نفوسنا نحن ، ونلقى عليه قبساً من نوازعنا نحن ، وأهوائنا نحن ؛ والإنسان يُضفى من مشاعره على كل ما يحيط به ، ينطق الصخور الصم الجلاميد بالشعر ، ويرسل الحـكمة على ألسنة الرياح المختلطة الأصداء والنغم ... وإلا فكيف غاب عنا ما فى هــذا البحر من غدر وبطش وفتون ؟ ...

واليوم لا مجلس لنا عند تلك الصخرة العاتية ، ولا سمر ولا حديث ! أين المظلة المنعزلة عن أخواتها لأن أصحابها زعموا لأنفسهم أنهم أكثر اتصالاً بالطبيعة وأقوى شعوراً بالجمال ؟ وأين جنيات البحر اللاتى لم يكن يراهن سوانا وهن ينشرن أجنحتهن على صفحة الماء بالألوان السبعة التى تتفرق وتتداخل حتى يرتد عنها البصر وهو حسير ؟ أين بنات (ليليت) وهن يرقصن فى نشوة وجنون على موسيقى الأمواج والرياح الزاعقة ؟ أين . . . أين ؟

***

ولست أدرى ماذا فعلت أنت فى هــذا الصيف . أما أنا فقد استعضت عن البحر بالنيل ، ولم يكن مجلسى منه على صخرة ناتئة صلبة اسفنجية السطح كصخرة بئر مسعود ، وإنما كان حيثما يلذ لى أن أجلس على شاطئه السخى الحنون . وما من مرة خلوتُ إليه إلا ذكرتك . ترى لو كنت معى فى هذه اللحظات التى لا تقاس بالأعمار ، أكنت تشاركنى فى الإعجاب به ؟.. إنه أسمر الطلعة ، ولـكنه وضاح الجبين ، تلتقى فية الحـكمة والشعر . إنه لا يحس الجمال فحسب ، ولـكنه يخلقه خلقاً ويبدعه إبداعاً ؛ ثم هو لفرط شعوره بالقدرة يعبد خالق القدرة وينفق جانباً كبيراً من وقته فى التسبيح والترتيل والصلاة !

فى كل بقعة من واديه حياة ، وفى كل ناحية من أنحائه حب ، وفى كل ركن من أركانه معبد للجميل الذى يحب الجمال ...

ولا عيب فيه إلا حلاوة فى طبعه ، ودماثة فى خلقه ، ورحابة فى صدره ، يراها الأغرار مظهراً من مظاهر ضعفه مع أنها سمة من سمـات قوته ، وشارة من شارات اعتزازه بنفسه صيانة لها عن ادعاء القوة فى معترك لا شبيه له فيه ولا قريب ...

النيل يبذل فى غير تبذير ، ويأخذ فى غير اغتصاب ، دائم الصدقة ، دائم الإحسان ، معتدل فى حالتيه بين البسط والقبض ، لا تهاون فيه ولا غفلة ولا طيش ...

النيل خلاق ولود فيه من الأبوة ميل إلى البناء والتعمير واختزان التجاريب على الأيام والعصور ...

* * *

أتذكر أيها الصديق كتاب طبقات الأرض الذى شقينا بدراسته أيام الحداثة ، والذي كنا نعتبره إذ ذاك أنجع دواء للأرق ؟ أنت تذكره ولا شك ، ولكنك لن تصدق أنني مشوق إلى قراءته من جديد ! إنه الكتاب الذى فتح عينيّ على سر العظمة فى هذا الملك العظيم ... ألم تقرأ فيه أن البحر كان يبسط سلطانه القاهر إلى الصعيد ؟ فمن الذى رده إلى حيث هو اليوم ، ومن الذى سيرده إلى أبعد من هذا غداً ؟

قل لهؤلاء الذين ظنوا به الهرم: لقد جهلتم طبيعته واستخفكم هدوؤه ... إنه يحتمل ويحتمل ، ولكنه لا يصبر طويلاً على الأذى . إنه يأخذ من الجبل الأشم ويبسط جناحيه على الصحراء الجافية ويطأ البحر بقدميه الثابتتين فى أناة وبطء وعزم !

قد يستعدى البحر قبضات من رمال الصحراء عليه تستدرجها أمواجه ثم تقذفها عليه ، وقد يرسل البحر رياحه تدفع الكثبان للاغارة عليه ، ولكنه يهضمها فيما يهضم ويحيلها مادة من مواده وكتيبة من كتائبه ، وما أندر ما عسر هضمه على معدته القوية الجبارة ، إنه يلفظه إلى حيث لا يمكن أن يعود

تعال أيها الصديق انظر إلى عرائس حقوله بعيونهن المعسلية التى تفيض بالوداعة والبشر والإيناس . إنهن يتحدثن فى همس ، ويتحركن فى لين وخفة ، يزيد شغفك بهن كلما سترن محاسنهن تحت الشفوف ذوات الألوان الثابتة ، وإذا رقصن أعدن عليك مشاهد الصلاة القديمة التى كان يمتزج فيها الفن بالعبادة

فتننا البحر كما فتن غيرنا لأن الإنسان يكلف بما ليس فى طبيعته . إننا ذرات صغيرة من هذا النيل ، وأنا فى هذه الأيام السود أشعر بقوة هذا الامتزاج حتى لكأن هذا النيل يسعى على قدمين

إنه يتأهب لوقعة حاسمة سينتصر فيها كما انتصر دائماً ، ولن يبذل فى سبيل ذلك إلا ذرات صغيرة ، وإن تكن عزيزة عليه ، وما أسعدنى يوم يضمنى إليها حين يدعو إلى التضحية والفداء

(طبق الأصل) « حمدى »

تاريخ مصر ونهضتها القومية

للأستاذ عبد المجيد نافع

فى نهاية القرن التاسع عشر ومستهل القرن العشرين أثارت طائفة من فلاسفة الغرب وعلمائه وكتابه ، حملة شعواء ظالمة على التاريخ كعلم من العلوم الإنسانية ، وبلغت تلك الحملة أشدها حين طغت موجة العلوم العملية على العلوم النظرية ، وجرف تيار الروح المادى كافة المثل العليا التى تغنت بها الإنسانية طوال السنين أو كاد ، وأسرف بعض الفلاسفة فى توجيه النقد فنادى بأن التاريخ لا يعدو أن يكون « مجموعة أكاذيب » لا ينبغى للشعوب أن تشغل أذهانها بها ، ولا يحل فى شريعة التربية الوطنية أن نسمم عقول النشء بحشوها فى ثناياها ؛ وأبى بعض أولئك الفلاسفة أن يسمو بالتاريخ إلى مرتبة العلم الجدير باسم علم ، إذ لم تكن له المبادئ الثابتة والمقاييس والضوابط والحقائق التى تنطوى عليها علوم الرياضة والهندسة والفلك وما إليها من العلوم المضبوطة ، وإن من ضياع الوقت الضرب فى مجاهل التاريخ بدل الإلمام بالكيمياء والميكانيكا والجيولوجيا والبيلوجيا والفزيولوجيا وغيرها من العلوم العملية . وذهب بعضهم إلى حد القول بأن الذى جنى على الحضارة الإنسانية شر الجنايات إنما هو التعلق بالخيالات ، واطراح الحقائق العملية ظهرياً ، ونعى أحدهم على التربية فى عصره العناية بالنظريات ، والتنكر للحقائق العملية إلى حد أن يجهل الناشئ جهلاً مطبقاً وظائف أعضاء جسمه ، على حين أنه يأتى عن ظهر غيب تاريخ ميلاد الملوك ووفياتهم ، وحروبهم ، ولو لم يكن لأولئك الملوك أثر بارز فى التاريخ ، ولو لم تغير معاركهم الحربية مجراه فى كثير أو قليل ، كأنما التاريخ بات ثبتاً بمواليد الملوك ووفياتهم ، وقائمة حمراء بالمعارك الدموية ! وعلى الجملة فقد قام أولئك العلماء ينشدون «الإنسان الآلى» ، ويضلون عن الإنسان المركب من جسم وروح وعقل !

كان يمكن أن ترجح وجهة نظر دعاة المذهب المادى لو أن التربية إنما تعنى بالجسم والعقل دون الروح ، ولكن التربية الحقة فى ضوء العلوم النفسية ، وعلى هدى التجارب التى تمليها نهضات الشعوب ، ينبغى لها أن تعنى بالجسم ثم بالروح ثم بالعقل ، بحيث يحصل التوازن فلا تطغى قوة على أخرى . والإنسان تسوقه العاطفة أكثر مما يسوقه العقل . والعواطف الملتهبة الجياشة التى تبلغ حرارة اليقين وغليان الإيمان ، وتترفع إلى الرضا بالاستشهاد فى سبيل ما يعتقد المجاهدون أنه الحق ، هى التى غيرت وتغير وجه التاريخ ، لا برودة العقل والبحث العلمى المجرد . والأمم فى جريها وراء تحقيق المثل العليا تشمر فى أعماق نفسها بقوة تحفزها للنهضة والتقدم إلى الأمام . وما كان لحفنة من العرب أن يخرجوا من جزيرتهم الجرداء القاحلة غير مزودين بعدة أو عدد ، أن يهدموا امبراطوريتى الرومان والفرس ويقيموا على أنقاضهما الامبراطورية العربية الضخمة ، وينشئوا الحضارة الإسلامية ، وهى أبقى على الزمن الباقى من الزمن ، لولا الإيمان الذى يغمر قلوبهم ، واليقين الذى يدفعهم إلى تحقيق مثلهم الأعلى

وفى الحروب أفلا تراهم يتحدثون عن الروح المعنوية ، وأنها هى التى ترجح كفة النصر . ثم ألا ترى أن الدعاية القوية هى التى تقود خطوات الشعوب . ولعله لا يكون من الإسراف أن نحمل طائفة من مؤرخى الألمان وفلاسفتهم وعلمائهم النصيب الأكبر فى تبعات الدماء التى سالت والأرواح التى أزهقت فى حربين لم تكد تخبو نار إحداهما حتى تأججت نيران الأخرى أشد ما تكون ضراماً فى فترة واحد وعشرين عاماً ، ولا يعلم إلا الله ماذا تلهم ومتى تخمد ! ومن ذا يستطيع أن ينكر أن تريتشكه ونيتشه يساهمان بنصيب كبير فى الروح الحربية الروسية ، وأن عقول وأقلام راتينا وكيزرلنج وتوماس مان وشبنجلر ومولر فان دن بروك وفيدر وروزنبرج وغيرهم من غلاة المذاهب الفلسفية المتطرفة هى التى صاغت ألمانيا النازية التى تتحدى اليوم العالم بمن فيه وما فيه ! لقد نفخ هؤلاء وأولئك فى روح الألمان أنهم من طينة غير طينة كثير من الأمم ، وأنهم خلقوا للتسلط والسيادة ، وأن الحرب إنما هى صدام بين إرادتين ، وإنما يعقد النصر بلواء الأقوى فيهما وأنه لا بد لألمانيا من أن تصفى حسابها مع الغرب ، إن لم يكن اليوم فغداً ، ليتسع لها المجال الحيوى ، ولتأخذ مكانها فى الشمس ،

ولتأخذ مكانها من سيادة العالم ، وتطالع الدنيا بنظام جديد ينهض على القوة والرقى بدل النظام الذى كان يقوم على الضعف والانحلال!

إنما تنكر بعض الفلاسفة والعلماء للتاريخ وأكبروا أن يرتفعوا به إلى مرتبة العلم ، لأنه كان قائماً على مجرد سرد الوقائع وذكر الأرقام ، وليس هذا من التاريخ فى شىء . فإذا اصطبغ بصبغة الأدب فهو أدنى إلى القصص التاريخي منه إلى التاريخ الحق . إنما المؤرخ ، الجدير بهذا اللقب ، هو الذى يعتبر المجتمع الإنسانى مثل الجسم الإنسانى يجوز على أحدهما مايجوز على الآخر من عوامل التطور ، ودواعى الصحة والمرض ، والقوة والضعف ؛ ويساير الأمة منذ نشأتها ، ويدرس البيئة وما يحيط بها من عوامل مؤثرة ، ويحلل المؤثرات التى تنتاب الشعوب ، ويعلل الظواهر الاجتماعية ، ويلقى شيئاً من الضوء على ما أبهم فى حياة الأمم ويضىء الجوانب المظلمة فى التاريخ الإنسانى ، ويجلو الغامض فى المسائل التاريخية التى أحدثت الانقلابات أو جرت إلى التحول والانتقال ، ويطالعنا كيف ارتفعت بعض الأمم إلى الذروة ، ثم هوت إلى الحضيض ، وعلى الجملة يكون فى تحليله وتعليله مثل العالم فى معمله ، والفلكى فى مرصده

توفرت على دراسة كتاب « مصر القديمة » للعالم الأثرى الكبير الدكتور سليم بك حسن ، فأوحى إلى فيما أوحى بتلك الخواطر جميعاً . والحق أنه جعل من التاريخ المصرى القديم مادة حية تغذى نهضتنا الحديثة الغذاء الروحى والعلمى والعقلى الصالح ، ووصل ما انقطع بين مصر المصرية ومصر القديمة

لقد ظل تاريخنا القديم السنين الطوال حرماً مقدساً لا يغشاه إلا الغربيون ، وكنا إذا شئنا أن نجيل الطرف فى مجدنا التليد عمدنا إلى مصنفات الفرنج نقلب صفحاتها ، ومن لم يكن ملماً بلغة أجنبية ضرب بينه وبين تاريخ بلاده حجاب ، وكنا إذا أردنا أن نرتوى من عظات الماضى نهلنا من موارد الإنجليز والفرنسيين والأمريكان والألمان ، فأكبر عالمنا الجليل أن تظل تلك الوصمة عالقة بنهضتنا ، وهذه الشائبة تشوب صحيفة ثقافتنا ، وذلك النقص يعتور حضارتنا ، فأقبل يستلهم الآثار والنقوش ، ويستهدى المحاجر والمقابر ، ويبحث وينقب ، ويبوب ويرتب ، ويتابع ويراجع ما كتبه الفرنج وغير الفرنج ، ويساير البيئة المصرية منذ نشأتها ويرقب تطورها وتحولها ، ويراقب العوامل التى أثرت فيها والملابسات التى أحاطت بها ، ويرتب النتائج على المقدمات ، ويفصل بين أصدق الآراء فى معترك الآراء ، ويجلو الغامض والمبهم ، ويمزج علم التاريخ بعلم الاجتماع ، ويقدم من مجد الماضى مادة لتغذية الوطنية المصرية المتوثبة ، ويكشف عن مواطن الأدواء التى انحدرت إلينا من الماضى السحيق ، ويضع مشرطه على مكمن العلة فى غير تهريج علمى ، ولا نعرة وطنية كاذبة ، بل فى تواضع العلماء ، فوفق إلى إبراز التاريخ المصرى فى حلة قشيبة يجدر بكل من شرب ماء النيل وأظلته سماء مصر أن يرجع البصر فى ذلك التاريخ الحى كرتين

لقد ساهم العالم الفرنسى الكبير شمبليون بقسط كبير فى خدمة قضية المدنية والعلم حين كشف عن الكتابة الهيروغليفية المنقوشة على حجر رشيد ؛ وما أحسبنى مسرفاً أو مغالياً حين أقرر أن الدكتور سليم حسن قد خدم النهضة المصرية بمؤلفه الجديدة أجل الخدمات

ولعلى لا أعد محلقاً فى أجواء الخيال إذ أجاهر بأن لفنجستون وستانلى قد كشفا عن مجاهل أفريقيا لخدما العلم والحضارة، وأن عالمنا المصرى قد كشف عن مجاهل التاريخ المصرى القديم فتوج النهضة الحديثة بأبهى التيجان وأغلاها

لم يكن التاريخ المصرى غامضاً فحسب، بل كان لفرط تشابهه يبعث السأم فى النفوس ، فانصرف عنه الشبان الذين يؤثرون تغذية الروح على تغذية العقل . ولكن عالمنا قد نفخ فيه من روحه وأسبغ عليه من فيض حماسه ، وأضفى عليه من وافر إخلاصه ما جعل النفوس التى على ظمأ تتشربه تشرباً

على أنه قد عف عن التهويش العلمى ، وتورع عن أن يجعل كتابه مصطبغاً بالصبغة الأدبية البحتة ليكون سائغاً للنفوس ، بل جعله بين ذلك قواماً فى أسلوب علمى هادئ وبحث أدبى رصين

إلى عهد غير بعيد كانت معرفة التاريخ المصرى القديم تعتبر ضرباً من ضروب الترف العقلى ولوناً من ألوان الزينة العلمية ، ولكن اليوم ونحن أمة تبتغى أن تأخذ مكانها بين الأمم الناهضة وتطمح لأن تساهم بنصيب فى خدمة قضية الحضارة ، ينبغى لنا أن نمد الإلمام بتاريخ وطننا ضرورة قومية

الكبرياء رذيلة للأفراد ، ولكن الكبرياء القومى فضيلة اجتماعية للشعوب ، والكبرياء القومى والعزة الوطنية لا يتوافران لشعب إلا إذا شعر شعوراً صادقاً وعميقاً بمكانة وطنه فى الماضى والحاضر ، وإذن فليس يكفى القومية المصرية أن تشهد نهضة حقة فى الحاضر ، وإنما ينبغى لها أن تعرف أن الأمة التى بلغت ذروة الحضارة فى الماضى البعيد بينما كانت أمم الغرب لا تزال تأوى إلى المغاور والكهوف لهى أمة خليقة بأن تكون فى طليعة الأمم المتحضرة

ما أحسب الذين يدينون بمبدأ العنصرية القائل بجعل الأجناس بعضها فوق بعض درجات إلا مريدين به أن يكون حافزاً لشعوبهم لتحقيق غاية التسلط والسيادة ، ولنا أن نسأل : إذا كان المصرى قد بلغ ذاك الشأو من الحضارة فى الماضى فما الذى يقعد به عن أن يكون فى مقدمة المتحضرين اليوم

ذهب بعض علماء الاجتماع إلى أن المدنيات نشأت أول ما نشأت فى الأمم التى تتوافر فيها وسائل العيش وتسهل، فى الأمم التى لا تكون الطبيعة فيها قاسية لا تعرف الرحمة ، ولهذه الاعتبارات نشأت المدنيات فى مصر وآشور والهند والصين ، فلما اشتد ساعد الإنسان فوق الأرض ، واستطاع مكافحة عوامل الطبيعة ومغالبتها انتقل مركز المدنية . ولكن الرد على تلك النظرية هين ميسر ، فالذين بنوا الأهرام ونحتوا أبا الهول فى الصخر ، وضربوا فى العلوم بسهم وافر ، وأنشأوا النظم على اختلاف أنواعها ، خليق بأبنائهم أن يأتوا فى هذا العصر بالمعجزات

لقد كانت مصر القديمة مهبط وحى الأديان جميعاً . فالله ، والروح ، والبعث ، والثواب ، والعقاب ، كل أولئك قد اهتدى إليه آباؤنا المصريون . وأين نبتت فكرة الخلود إلا فى الأرض المصرية ؟ ولعله ليس من العجيب أن يؤلهوا ملوكهم ، فعبادة البطولة كانت ولا تزال متأصلة فى أعماق النفس البشرية

كان لأجدادنا المصريين حكومة منظمة بكل ما تحمل هذه اللفظة من معنى ، يوم كان الغربيون يهيمون على وجوههم فى الآجام ، ويسكنون المغاور والكهوف ، وكانت إدارة مصالح الحكومة تسير على أحسن وجه ، وأكمل صورة ، يوم كان الأوربيون لا يدركون حتى مدلول تلك الكلمة ، وكانت لهم علوم وفنون ، يوم كان غيرهم يعيشون على الفطرة

وآمن المصريون القدماء بأن العدل أساس الملك ، فوضعوا التشريع المدنى والجنائى ، ونظموا الهيئات التى توزع العدالة بين النـاس

وفطنوا إلى أن الثروة عنصر من عناصر قوة الأمم فاستغلوها على خير وجوه الاستغلال

وأدركوا أن عزة الشعوب ومنعتها فى قوة جيوشها التى تحمي استقلالها وتصد المغيرين عن كيانها ، وأن الحروب هى القانون القاسى الذى فرض على تلك الانسانية البائسة ، وأن السلام ليس إلا هدنة بين حربين ، وأن الجار المتوثب لا يكبح جماحه إلا السلاح ، أدرك المصريون كل أولئك فجيشوا الجيوش وغزوا البلاد وقلموا أظافر المعتدين

ووضعوا نظاماً صالحاً للأسرة إذ آمنوا بأنها الأساس الذى يقوم عليه النظام الاجتماعى

وأحاطوا بكل عناصر المدنية ، فأوغلوا فى العلوم والفنون والآداب ، وما زالت آثارهم تنادى بالتقدم الذى بلغوه يوم كان العالم لا يزال يضرب فى ظلمات الجهالة

إذا كانت السياسة هى فن حكم الشعوب ، فلا مندوحة لمن يطمح لحكم شعب أن يلم بعلم التاريخ عامة وتاريخه خاصة

وسط ضجيج الحرب عمل الدكتور سليم فى صمت ، فطالع الأمة بذاك الأثر الخالد ، فما أجدر المصريين أن يجعلوه مصباحاً يضيء لهم طريق المجد والمدنية .

عبد المجيد نافع

بعد الفاجعة:

أمـــاه ...

للآنسة أمينة قطب

الثلاثاء ١٥ أكتوبر سنة ١٩٤٠ ...

أماه ...

أتراني أقوى الآن على أن أكتب شيئاً ؟ يخيل إلى أنى لا أستطيع ، وإن استطعت فبضع كلمات لا تعبر عما فى نفسى

لقد كنتِ القوة الغريبة التى تُشيع الحياة فى عقولنا ونفوسنا ، فنفكر ونحس ، ونقوى على العمل . كنت الأمل الباسم الذى ينير لنا الحياة . كنت المصباح الهادى نسير على ضوئه غير مبالين ما يعترض طريقنا من صعاب

والآن ماذا فقدنا بفقدك يا أماه ؟ لقد فقدنا كل شىء . فكفت عقولنا عن التفكير ، وأظلمت نفوسنا ، وخمدت فيها جذوة الحياة

كل هذا ولما يمض أسبوع على غيبتك . فكيف تمر بنا الأيام والسنون ؟

ها هو ذا القمر الذى كنت أجلس إليه الساعات الطوال أتأمل فى جماله وما يسبغه على الكون من جمال وسحر . ها هو ذا الآن يسطع أمامى ويملأ الكون نوراً ، فماذا أرى فيه ؟ إنه رقعة صفراء أو بيضاء لست أدرى ! لا توحى إلى النفس بشىء ، بل تشوه الفضاء الواسع بلونها الباهت المريض ... أى تبدل هذا الذى تم فى نفسى خلال أسبوع ؟ ... ويحى ماذا أقول ؟ أسبوع فقط ؟ إننى لأحس به سنين وأجيالاً

آه ما أقسى الحياة ، حين تموت فى النفس الحياة !

أماه ...

بربك تعالى وأعيدى إلينا الحياة . إن هذه الوحدة قاسية ومؤلمة . ولن نستطيع احتمالها أكثر من هذا الأسبوع ! تعالى فلن نستطيع احتمالها السنين الطوال

أماه ...

هل أطمع فى تلبية ندائى ؟ هل أطمع فى عودتك يوماً من الأيام ؟

***

الجمعة ١٨ أكتوبر ...

أمى ...

أصحيح أن ما مضى على رحيلك عنا هو تسعة أيام ؟ إذن كيف تمر الشهور والسنون ؟ تسعة أيام فقط تتبدل فيها نفسى هذا التبدل ؟ أين نفسى الأولى المرحة المشرقة المتفتحة للحياة الخالقة للآمال ؟ أين هى من هذه النفس الميتة الغائبة عن العالم وما فيه من آمال وأحلام ، البعيدة عن كل ما فى الكون من مباهج وجمال ؟ إن هاتين النفسين لتفصل إحداهما عن الأخرى سنون وأجيال !

لقد طرق سمعى من بعيد منذ لحظات صوت « أم كلثوم » فى تلك الأغنية الحبيبة إلى نفسك التى كنت تطربين لها حين أغنيها لك ... تنبهت فجأة وكأننى أحلم : أو ما زال صوت « أم كلثوم » يردد فى الآفاق ويسمعه الناس ويطربون له ؟ أو ما زال فى الدنيا غناء ؟ !

أين أنا إذن وأين نفسى التى كانت تطرب للغناء ؟ لقد جمعت شتات فكرى على نغمات هذا الصوت ، وأخذت أبحث عن نفسى التى كانت تسمع وتطرب ، فوجدت أنها كانت هنا قبل تسعة أيام !

أمى ...

يخيل إلىّ عند ما أسمع صوتاً كنت أسمعه أو أرى شيئاً كنت أراه هناك فى المنزل الآخر قبل أن نرحل إلى هذا البيت ... يخيل إلىّ أننى لو ذهبت إلى المنزل الأول لوجدتك هناك ! وعندئذ أجلس إليك وأحدثك وأغنى لك تلك الأغانى التى كنت تحبينها !

أجل ، يخيل إلىّ هذا فأصدقه وأعتزم الذهاب . ويومض فى نفسى شعاع من الماضى الحبيب ، ولكن سرعان ما يطفئه صوت الحقيقة المؤلم الحزين ، وتعود نفسى إلى ظلامها وموتها

أمى ...

هل أطيع ذلك الخيال مرة وأذهب إلى المنزل الآخر ؟ من يدرى يا أماه ، ربما أجدك وأجلس إليك ولو بضع لحظات ؟ !

ابنتك الحزينة

آنسة أمينة قطب

محاورة أفلاطون الخيالية
حول التربية الانجليزية

للأستاذ عبد العزيز عبد المجيد

— ٢ —

المحاورة بين أفلاطون وأحد المربين الانجليز . ولقد أسفرت فى المقالة السابقة من أن التربية الانجليزية إنما تعد الفرد ليشترك فى انتخاب الحكومة الديمقراطية التى يكونها الشعب لخدمة الشعب ، وليساهم فى حكم الأمة ، وتسيير شؤونها الداخلية والخارجية . غير أن أفلاطون يتساءل كيف يتمكن أفراد الشعب ، بما هم عليه من تربية محدودة ، وخبرة فى الحكم والسياسة ناقصة ، أن يوجهوا سياسة الحكومة ، وأن يشرفوا على نظام الحكم ، فهذا التوجيه والاشراف لا يقوى عليه إلا الفيلسوف . وكان آخر سؤال وجهه أفلاطون للمربى هو : لقد قلت إنك تريد أن تكون فرص التربية والتعليم سواء لجميع أفراد الشعب ، فما الذى تريد أن تصل إليه بهذا كله ؟

المربى : المسألة مسألة مبدأ العدالة العامة التى تقضى بأن يتاح لكل أطفال المجتمع على السواء جميع الفرص الممكنة فى التربية ، لا فرق بين غنى وفقير

أفلاطون : أى الفرص تعنى ؟

المربى : الفرص التى تمكن الطفل من تنمية مواهبه وقواه الطبيعية إلى أقصى حد ممكن . الفرص التى تفسح له طريق التعليم الجامعى إن كان عنده الاستعداد العقلى لذلك

أفلاطون : واضح كل هـذا . أنت تريد أن تعطى كل فرد فى المجتمع مجالاً ليتعلم ، وليتخذ المهنة التى يصلح لها بمواهبه الفطرية ، وتقصر التعليم الجامعى على ذوى الاستعداد العقلى ، والذين يمكنهم الإفادة منه ؟

المربى : أجل هذه هى غايتنا . وقد استطعنا — بوضع هذه الغاية نصب أعيننا — أن نبنى نظام التربية فى بلادنا على شكل هرمى ؛ يكوّن التعليم الأولى قاعدته ، وعليها يرتكز التعليم الثانوى ، أما التعليم الجامعى العالى فيكوّن القمة

أفلاطون : وهل تَعُدُّون الذين لم ينالوا التعليم الجامعى كاملى التربية ؟

المربى : لا أظن ذلك

أفلاطون : فكيف إذاً يجوز لكم أن تخوّلوا هذا الذى لم يُشمم التعليم الجامعى أن ينتخب الممثل النيابى ، وأن يكون له رأى فى شئون الأمة وسياستها ، على حين أنك أنت تقرر أنه غير قادر على ذلك ؟ فإذا كان السواد الأعظم من النشء لا يعدو مرحلة التعليم الأولى والثانوى ، ولا ينال أى حظ من التعليم الجامعى فإنه من البين أن هذا الشعب الذى يمثله سواده الأعظم يجب ألا يتحمل أمانة الحكم الثقيلة ويجب أن يترك سلطة الحكم والسياسة فى أيدى من ينجحون بتفوق فى الامتحانات الجامعية من الرجال والنساء

المربى : حقاً إن هذا لصحيح من الناحية النظرية ، غير أنا — معشر الإنجليز — لا نعتقد أن الدرجات العلمية والجامعية هى المؤهلات الوحيدة لتحمل أمانة الحكم وتبعة السياسة . والواقع أننا نجد معظم الجامعيين من الأساتذة والعلماء على نصيب قليل من الدربة السياسية ، والدراية بطرق الحكم ، إذا قسناهم بهؤلاء الذين تخرجوا فى جامعة الحياة اليومية

أفلاطون : إذا كنتم تعتقدون فى جامعة الحياة اليومية وإعدادها ، فلماذا إذاً أسستم الجامعات ، ولم تتركوا الأمر للعناية السماوية أو لظروف الحياة (أيهما تختار) لإعداد حكامكم وتكوينهم ؟ وإذا كنتم لا تعتقدون أن التربية تستطيع أن تنشّئ الفرد وتسويه وتخلق منه شخصاً آخر أصلح من ذى قبل لمهنته فى الحياة ، سواء أكانت الصّرافة Banking أم التجارة أم الحكم ، إذا كنتم لا تعتقدون هـذا فنصيحتى لكم أن تضربوا بمشروعات التربية عرض الحائط ، وأن تتركوا الأمر لظروف الحياة والقدر

المربى : يظهر أنه من المستحيل علىّ أن أبحث أمور التربية مع رجل مثلك يضحى بأية فكرة فى سبيل صحة القضايا المنطقية . إن نظام التربية عندنا فى انجلترا ليس منطقياً ، لأنه نما نمواً تاريخياً على أسس رسخ أصلها فى الماضى . فهو مملوء بالمتناقضات

والغموض ، لا لسبب إلا لأنه نشأ وتطور بحسب الحاجة والمناسبات المختلفة المعقدة . فليس نظام التربية عندنا من صنع أفراد مستبدين

أفلاطون : إن ما تقول لجائز . ولكن يجب أن تكون ثمت مبادئ ثابتة تسيرون عليها في إصلاحاتكم التعليمية ، ومناهجكم التربيوية، وحين تقررون خطوات الإصلاح الاجتماعي . هذه المبادئ الثابتة هي التي أحاول استيضاحها الآن في محاورتنا هذه . إن صحة المنطق واستقامته ليستا عيباً حتى ولو كان محاوري إنجليزياً ! وإنني أعتقد أن عدم استطاعتك أن تجيب عن أسئلتي البسيطة دليل على عدم وضوح غايات التربية عندكم . فبالرغم من أنكم لم تقرروا بعدُ لِمَ يُربَّى الشعب ولِمَ يُعلَّم ، أراكم دائبين على افتتاح مدارس جديدة ، ومطالبين البرلمان بمد أجل التعليم الإجباري إلى الخامسة عشرة بدلاً من الرابعة عشرة

دعني إذاً أشرح لك الأمر بوضوح أكثر . هناك نوع من التربية يسمى التربية المهنية أو الفنية ، أليس كذلك ؟ ونعني بهذه التربية إعداد الفرد لمهنة خاصة أو حرفة

المربي : نعم

أفلاطون : وكنتيجة لهذه القدمة المنطقية أعتقد أنه من الممكن أن نحكم على كل أنواع التربية بأنها فنية مهنية ، لأن كل إنسان لا يخلو من أن يكون صالحاً بطبيعته لمهنة من المهن التي يمكن أن يتعلمها ويحذقها بالتربية ؛ فالزارع يمكن أن يتعلم الزراعة ، والبناء يمكن أن يتعلم البناية وهكذا . وقد اعترفت أنت في حديثك أن الحكم مهنة من المهن ، أفلا يكون من المعقول أن يوجد نوع من التربية يمكن الفرد من التمرن على فن الحكم وإجادته ؟ فما رأيك ؟

المربي : ربما

أفلاطون : إنني أعتبر « ربما » هذه دليلاً على أن ناحية التعقل عندك — لو لم يشبها التحيز والتعصب للرأي — تميل إلى قبول وجهة نظري . وما دمت توافق على أن هناك نوعاً من التربية ، أو بعبارة أخرى أضبط يمكن أن يوجد نوع من التربية يعد طبقة الحكام ويكونهم ، فدعنا نشرع الآن في بحث ما إذا كانت التربية الجامعية قادرة على إعداد هذه الطبقة من الحكام ، أموافق ؟

المربي : أظن أنك تتوقع مني الإجابة (بنعم) ما دامت نظريتك هذه مبنية على المبادئ التي في (الجمهورية)

أفلاطون : لقد سررت كثيراً حينما عرفت أن التعليم الجامعي عندكم يشمل ناحيتين : ناحية البحث العلمي الحر ، وناحية الثقافة العامة ، وحينما وجدت أنكم في الجامعات تعنون بالمسائل المعنوية النظرية كجزء ضروري في التعليم الصحيح ، ولكنني أسفت حينما سمعتك تقول : إن خريجي الجامعات لا يعتبرون عندنا ساسة قديرين ، ولعل السبب في هذا هو أن معظم الشبان الذين يدرسون في جامعاتكم لا يهمهم أن يعدوا أنفسهم لمهنة السياسة والحكم ، ولكنهم يعدون أنفسهم لمهنة تجارية أو صناعية أو كتابية ، يستطيعون بها كسب قوتهم ومعاشهم . فإذا كان الأمر كذلك فإن جامعاتكم لا تحتفظ بتلك المبادئ التي قررتها أنا في أكاديمي ولكنها قد أصبحت مدارس فنية عليا لإنتاج الصناع وذوي المهن المهرة ، الذين يظلون دائماً بعيدين عن ميدان السياسة والحكم ، ذوي المهن الذين همهم محصور في الطاحونة أو دواوين أعمالهم ، ولا يعنيهم من أمر السياسة الدولية العليا وشئونها شيء

المربي : ربما يكون صحيحاً أن جامعاتنا قد أصبحت مدارس فنية عليا ، لأننا لا نعتبرها مجرد معاهد لتخريج الساسة ورجال الحكم . كما أننا لا نحظر الالتحاق بها على أي فرد - رجلاً كان أو امرأة - عنده الاستعداد للبحث العلمي ، أو يريد ثقافة عامة . إننا نريد أن يكون لكل فرد يلتحق بالجامعة حرية اختيار المادة التي يتعلمها والمنهاج الذي يتخذه ، لا أن نزج بهم جميعاً في حلبة السياسة

أفلاطون : أفهم من حديثك هذا أنكم واثقون بساستكم الحاليين مطمئنون إلى خططهم ، وإلا لما كنتم تتركون أبناءكم يختار كل منهم منهاج الدراسة الذي يريده . ونتيجة هذا هي أن خيرة أبنائكم ذكاء قد أقبلوا على دراسة ما يميلون إليه ، وانصرفوا عن تحمل تبعات الحياة التي يفرضها عليهم ذكاؤهم ، فتراهم منرمين بمزاولة أشياء لا أثر لها في تقدم مصلحة الشعب العامة

المربي : يخيل إلى أن فكرتك عن أهمية رجال السياسة ضخمة

ضخامة الطبل . إن الدولة لا يقبض على زمام شئونها ويسيرها رجال السياسة وإنما أمور الدولة فى أيدى الوظفين ورجال الدواوين والإدارة ، وأصحاب الصناعات والتجارة . هؤلاء هم ذوو الخطر والشأن فى أمور الدولة . أما رجال السياسة فمعظمهم كخطباء المسارح يقولون ما لا يفعلون

أفلاطون : الحقيقة أن الأمر تشابه على ، ولست أدرى أين أنا من رأيك . إنكم لا تنتخبون رجال الإدارة أو الموظفين ورجال الدواوين ، ولا تنتخبون الصناع والتجار ورجال الأعمال ، أتنتخبونهم ؟!

المربى : كلا ، لا يحدث هذا

أفلاطون : ومع هذا تقول لى إن هؤلاء الرجال هم ذوو الشأن والخطر فى نظام حكمكم الديمقراطى ، وإن السياسيين ما هم إلا خطباء مسارح ! فإذا كان الأمر كما تقول فكيف تزعمون أنكم تتمتعون بالحرية السياسية ، وأن لكم إشرافاً على شئون الدولة وأمور السياسة ؟ يجب أن أعترف بعجزى عن فهم هذا الموضوع ! كأنى بك تقرر أن مؤسساتكم الديمقراطية ، ومجالسكم النيابية ما هى إلا صورة ومظهر فقط ، ولكن من ورائها يعمل رجال الدواوين والإدارة بحكمة وجد . إننى أعتقد بوجاهة هذا النظام ، وأرى الآن كيف أن التربية عندكم لا ترى لإعداد الساسة والحكام ، ولكن لتخريج الكفايات – من الرجال والنساء – القادرة على أداء مهمتها ووظيفتها بإخلاص يحدوها المصلحة العامة ، مصلحة الشعب . فإذا كان الأمر هكذا فلتعلنه بصراحة ، ولتُلغ ما ذكرته من أن التربية عندكم إن هى إلا تجربة فى الحكم الذاتى للشعب ، لأن من الواضح أنه ما دامت التربية هى إعداد الأفراد للمهن المختلفة والوظائف التى يصلحون لها ، فأنواع التربية تختلف حتما باختلاف الإعداد

المربى : نعم ، الأمر كذلك .

(يتبع — بخت الرضا . السودان)

عبد العزيز عبد المجيد

سيجموند فرويد

العالم النفسانى الكبير

للأستاذ صديق شيبوب

— ٤ —

تعتبر الغريزة الجنسية أساساً لنظريات « فرويد » فى علم النفس وقد كان أول من تجرأ على القول بأنها أهم القوى الفعالة فى النفس

كانت الأجيال السابقة تعرف مدى انفعالات النفس بتأثير الغريزة، ولكنها كانت تضرب صفحاً عن ذكرها أو الإشارة إليها مراعاة للقوانين والأخلاق. وقد ساعدت الديانات والحكومات، على اختلاف أنواعها وأشكالها، على ضبط جماح الغرائز الأولية فلم يشذ عن هذا الإجماع إلا القليل

حاربت النصرانية شهوات الجسم بشهوات العقل والروح، وجعلت من تحقيق رغبات هذه الشهوات الأخيرة مثلاً أعلى فى الحياة، وأوجدت وسائل تختلف قسوة وليناً للتغلب على الغريزة الجنسية، وكان بعض هذه الوسائل جسمياً وبعضها الآخر عقلياً، وهو حل قائم على العقل والمنطق، لأن الأخلاق برزت فى شكل مادى قائم على فكرة تتصل بما وراء المادة. على أن هذا الحل ظهر غير فعال تماماً لأنه لم يشف الإنسانية من الغريزة الجنسية ولم يحل دون بروزها مسيطرة على الجسم والنفس معاً

أما الشرائع الوضعية فقد اختلفت عن الشرائع السماوية بأنها لم تحتم على الفرد أن يخضع للأخلاق فى نفسه وضميره بل أقرت المجتمع على مظاهر أخلاقية متواضع عليها ولم تطالب الفرد بمراعاة الأخلاق إلا فى المظهر فقط

أما القرن التاسع عشر، وهو عصر الاكتشافات الخطيرة والاختراعات الهامة والمذاهب المستحدثة التى غيرت مجرى العقل والذوق فى شتى أنواع الفنون ومختلف أساليب الفلسفة والعلم، فقد حارب الغريزة الجنسية بطريقة سلبية لأن كبار مفكريه تواطأوا على إهمالها وإغفال ذكرها أو الإشارة إليها، فلم يؤيدوا وجودها ولم ينفوه ولم يبحثوا فى أثرها

لم يقتصر هذا الإجماع على العلماء المفكرين بل تناول الأطباء الذين أبوا توجيه بحوثهم شطرها فى معالجة مرضاهم واكتفوا بمعالجة الأمراض العصبية بالوسائل الطبية المعروفة لديهم أو بإرسال مرضاهم إلى مستشفى الأمراض العقلية

على أنه عند ما أشرف القرن التاسع عشر على الزوال قام الطبيب الشاب « فرويد » يتحدث عن كبت الغريزة الجنسية وإمكان شفاء الأمراض العصبية، معتمداً فى ذلك على الأبحاث التى أجراها فى داء الهستيريا؛ وأخذ يقرر أن أكثر الأمراض العصبية — إن لم يكن كلها — ناتج عن ذلك الكبت. فثار به أساتذة الجامعة، ونصحه أصدقاؤه بأن يتحول عن هذه الأبحاث التى لا ترجى فائدة منها والتى تتناول مسألة دقيقة من الخير أن تظل طى الكتمان

على أن « فرويد » تجاوز عن هذا النصح وسار فى أبحاثه إلى أقصى حد؛ فاصطدم بمعارضيه واحتدم الجدل بين الفريقين الذين تتمثل فيهما طريقتان متباينتان لا سبيل إلى التوفيق بينهما؛ يتمثل فى إحداهما علم النفس فى أسلوبه القديم يحده مثل أعلى قائم على تغلب العقل على الغريزة فى الفرد المتمدين المثقف، ويتمثل فى الفريق الآخر فكرة مستحدثة تقرر أن الغرائز لا تقهر، وأنه من العبث أن نفرض أنها إذا كبح جماحها اندحرت واختفت إلى غير رجعة، لأن أقصى ما نستطيعه إزالتها من العقل الواعى وكبتها فى غير الواعى؛ فإذا تجمعت فى أعماق النفس اختمرت وأحدثت قلقاً واضطراباً فى الأعصاب لا يلبث أن يتحول إلى داء عضال!

***

يقول فرويد: إن الشهوة بمعناها العام أول نسمة يتنفسها الفرد فى حياته النفسية، فهى للنفس كالطعام للجسم، والنفس تصبو أبداً للوصول إلى اللذة، وهو ما يسميه « ليبيدو » الذى أطلق عليه بعض كتابنا لفظة « اللبيد »، ومعناها الطموح إلى اللذة رغم كل العقبات، وهو طموح يملى على الإنسان كل أعماله ولم تكن غاية (اللبيد) واضحة حتى اكتشف فرويد أن معناه

التفريج عن الغريزة الجنسية . على أنه قرر بعد ذلك أن القوى النفسية تتحول عن مراكزها ، وأن اللبيد لا يقتصر على الصلات الجنسية ، لأنه يمثل قوة هوجاء تطلب الظهور والبروز ، كوتر القوس المشدود المستعد أبداً لإنفاذ السهم ، أو السيل الجارف الذى لا يدرى أين مصبه . فقد يظهر اللبيد فى الصلات الطبيعية، وقد يتحرر من قيود الجسم فيسمو إلى النفس ويظهر فى مناطق رفيعة كالفنون الرفيعة أو الدين أو الفلسفة . وقد يصدف عن هذه الغاية أو تلك فيتيه فى مجاهل العالم أو يتمركز فى أشياء غريبة أثرت فى غريزة الفرد منذ صباه ، وقد ينحط إلى أسفل دركات البهيمة وقد يرق إلى أسمى الغايات . وهكذا تختلف أشكال اللبيد ومظاهره ، ولكن غايته تظل واحدة ترمى إلى رى صدا النفس الطموحة إلى اللذة ، وهى غاية أصيلة فيه عالقة به

هنا يظهر التجديد فى الآراء التى أقرها فرويد

كان علم النفس من قبله يجهل أن قوى النفس تتبدل وأن مراكزها تتحول ، وكان يخلط بين المسائل الجنسية وبين أعضاء جسم الإنسان ، ففصل فرويد بين هذه وتلك ودلل على تحول مراكز قوى النفس

وكان علماء التحليل النفسى يقررون أن المسائل الجنسية التى تسبب اضطراباً فى الأعصاب ترجع إلى عهد قديم ، وقد كان من الطبيعى أن يبحث عن هذه المسائل صعداً في حياة الإنسان إلى سن المراهقة ، ولكن فرويد اهتدى إلى أن من الخير ألا يقف البحث عند هذا الطور من حياة الإنسان ، بل يتعداه إلى الطفولة

وقد برهن فرويد على أن اللبيد أصيل فى نفس الطفل بالرغم من أنه يجهل الحياة التناسلية ، ثم ذهب إلى أبعد من ذلك فقرر أنه إذا كان للطفل حياة تناسلية فإن هـذه الحياة لا تستطيع أن تكون قويمة ، بل إنها خبيثة ، ولـكنها تعمل فى الذات غير الواعية بحيث يرضع الطفل كل اللذة من أثداء العالم

ثم تدرج فرويد فى دراسة الفرد من الطفولة إلى المراهقة إلى الرجولة ، فلاحظ أن حفظ الجنس يدفع الأفراد إلى مجرى طبيعى إذا سارت حياتهم على وتيرة متساوقة . أما إذا اعتورتها حالات خاصة ظهر الشذوذ الخلقى والتناسلى

وقد درس بعض هذا الشذوذ فى حياة مشاهير الرجال فانتهى من دراساته إلى أن الاضطراب النفسى ينتج عامة عن تجارب شخصية تناسلية ، وأن ما نسميه طبيعة ووراثة ليس سوى حوادث جرت فى الأجيال السابقة وأثرت فى الأعصاب . وهكذا وجد أن كل حادث — فى نظر علم تحليل النفس — عامل حاسم فى تكوين النفس ، وقرر أنه يجب بحث ماضى كل فرد للوصول إلى فهم حياته ، وأن العلل النفسية والعصبية فردية لا وجه للشبه بينها وبين أمثالها فى شخص آخر غير المصاب بها

وقد تفرعت عن هـذه الأبحاث نظريات عدة فى شذوذ الأخلاق وتفصيله إلى مراتب ودرجات يضيق مجال البحث دون استيعابها

وجملة القول أنه يتضح من مذهب « فرويد » أن كل شهوات النفس الأمارة بالسوء ، ونوازعها التى حاربتها الإنسانية بشتى الأسلحة الأخلاقية والثقافية لا تزال أصيلة فى النفس ، وأننا نحمل فى دمنا غرائز عصور الهمجية الأولى حين لم يكن للقوانين والأخلاق وجود ، وأننا مهما بذلنا من جهـد فى سبيل إبعاد الغرائز عن ميدان عمل العقل الواعى ، فإن هذا العقل لا يستطيع أن يتخلص منها تماماً

ولا غرابة إذا كثر نقاد هذه النظرية « المادية للمدنية » كما قالوا ، لأنها أقامت الغريزة الجنسية أساساً لسائر نواحى الحياة ، وجعلت اللبيد قوة لا تقهر

يقول « ستيفان زويج » فى كتابه القيم عن « فرويد » وهو الـكتاب الذى اعتمدنا عليه فى أكثر فصول هذا البحث : إن « فرويد » لم يقل إن نظريته عامة وإن اللبيد أو الغريزة الجنسية هما العاملان الوحيدان اللذان يحركان الفرد ويمليان عليه أعماله ومآتيه بل إنه قرر أن هناك غرائز أخرى تستولى على الفرد وتعمل فى عقله الباطن مثل غريزة الموت وغريزة الذات ولـكنه يؤخذ على « فرويد » أنه لم يسهب فى شرح نظرية الغرائز الأخرى كما فعل فى شرح غريزة اللذة ، فجاءت مبهمة قلقة

ولا شك أن النقد الذى وجه إلى « فرويد » صحيح من حيث أنه بوأ غريزة اللذة مقاماً أسمى مما يجب وأبرزها كقوة لا تقهر وحط من قدر المدنية والشرائع ومقدرتهما على محاربتها

(للبحث صلة)

صديق شيبوب

ليـــالى الملاح التائه

[أهدى الشاعر النابه الأستاذ على محمود طه نسخة من ديوانه إلى صديقه الأستاذ فؤاد بلبل فأوحت إليه هذه الهدية الأبيات التالية]

شاعرٌ تاهَ فى بِحَارِ خيالِهْ   واهتَدَى كلُّ تائهٍ بِضَلالِهْ
طافَ بالكونِ ينشدُ الحسنَ فيهِ   ضارِباً فى وِهادِهِ وجِبَاله
كلَّما شامَ بارِقاً من جمالٍ   راحَ يَشْدُو بسِحْرِهِ وَدَلاله
يَتَغَنَّى مُصَوِّرًا كلَّ ما يَبْـدو لِعَيْنَيْهِ أوْ يمرُّ بِبَاله
بارعُ الرَّسْمِ بالبليغِ مِنَ اللَّفْـظِ خَبيرٌ بمَوْضعِ اسْتِعماله
تِلْكَ ألْوَاحُ شِعْرِهِ ماثِلاتٌ   حافِلاتٌ بالعَذْبِ من أقْوَاله
قَدْ أرَانا بِبَدْرِهِ الصَّبِّ لَوْحًا   يَقِفُ المرء حائراً بِحِيَاله
قمرٌ عاشقٌ قد اقتَحَمَ الحِصْـنَ على شَمْسِ مَخْدَعٍ لم تُبَاله
وَتَدَلَّى عَلَى النَّوَافِذِ وَلْهَا   نَ إليها وَلَفَّها بِحِبَاله
واحْتَوَاها بِنُورِهِ وَهْيَ وَسْنَى   يا لَبَدْرٍ مُتَيَّمٍ بِمِثَاله !
وَهْوَ رَانٍ يَغَارُ من قُبَلِ البَدْ   رِ المُعَنَّى عَلَى شِفَاهِ غزَاله
وَأرَانا بِهِ وَقَدْ غادَرَ الخِدْ   رَ عَشِيقاً يَبْكِي عَلَى آماله
قَدْ سَبَانا مِنْ كلِّ فَنٍّ بسابٍ   مِنْ أغارِيدِهِ وَرِقَّةِ قاله
وَبِمَا عايَنَتْ مِنَ الحُسْنِ عَيْنَا   هُ وما قَدْ رآهُ فى نَجْوَاله
أيْنَ مِنْهُ (فِينيسيا) الآنَ و(الريـنُ) وَأيَّامُ حِلِّهِ وَارْتحاله ؟
أينَ ذاكَ (الجُنْدُولُ) يُرْقِصُهُ المَوْ   جُ فَيَنْسَابُ مُمْعِناً فى اختِياله
بُحَّ صَوْتُ القيثارِ فِي كَفِّ حَادِيـهِ وَطافَ السَّاقِي عَلَى آماله
مَوْكِبٌ يترُكُ العقولَ حَيَارَى   لَيتَ لِي أنْ أرَى سَنَا (كرنفاله)
أيْنَ تِلْكَ الآرامُ مِنْ فتيةِ (الآ   رِ) وَهَلْ حالَ عَهْدُهَا عن حاله؟
شاعرٌ هامَ بالجمـالِ فغنَّا   هُ بشعرٍ أيْنَ الطِّلا مِنْ زُلاله ؟
عَبْقَرِيُّ الإيقاعِ عَذْبُ القوافى   تَتَمَشَّى الحياةُ في أوْصاله
مَا لياليهِ غيْرُ فجرٍ مِنَ الوَحْـ   يِ عَلَيْهِ رَفَّتْ بَنَاتُ خَيالِهْ
فَاتِكَاتُ اللِّحاظِ مِنْ كلِّ بكرٍ   سَلَّحَ السحرُ جفنَها بِنِبَالِهْ
خاشِعَاتٌ، مُعَرْبِدَاتٌ، شَوَاجٍ   عَابِثَاتٌ بكلِّ قَلْبٍ وَالِهْ
أيْنَ (بودلير) مِنْ رَقِيقِ مَعَانيـهِ وَإبْدَاعِ نَظْمِهِ وَجَلالِهْ ؟
أعْتَقَ الشِّعْرَ مِنْ عَتِيقِ مَحَارِيـهِ وَمِنْ عِيسه وَمِنْ أطلالِهْ
وَتَمَشَّى مَعَ الحديثِ جَرِيئاً   لاَ يُبَالِي الرَّجْعِيَّ مِنْ عُذَّالِهْ
مُعْجِزَاتٌ مِنَ البَيَانِ تَجَلَّتْ   فِي قريضٍ يسبى النُّهى بجمالِهْ

(دار الأهرام)   فؤاد بلبل

موعـــد الشروق

[يا حبيبي ! إن الشامة الذهبية التى تلهم الهزار حب الانشاد عند مولد النور قمينة بأن تسعد قلوب العاشقين]

زَقْزَقَ الطَّيْرُ فِي الجزيرةِ يُذْكِي   وَقْدَةَ السِّحْرِ فِي القلوبِ الرِّقَاقِ
هُوَ ذَا الصُّبْحُ يا حَبِيبِي تَهَادَى   مَائِسَ النورِ ، أبْيَضَ الأطْوَاق
حَامَتِ الوُرْقُ حَوْلَ زَهْرِ الرَّوابِي   تَرْشُفُ الطَّلَّ مِنْ حَشَا الأوْرَاق
وَالنَّسِيمُ الوَئِيدُ يَنْفَحُ عِطْرًا   ذَوَّبَتْـهُ السَّمَاء لِلْعُشَّاق
لَيْتَنِي فِي جناحه خَفَقَاتٌ   سَابِحَاتٌ لِوَجْهِكَ الألاَّق
نَشَرَ الصُّبْحُ فِي الفَضَاءِ جَنَاحًا   قُرْمُزِيًّا مِنْ مَوْكِبِ الإشْرَاق
فَوْقَ قَلْبٍ مِنَ الغُيُومِ وَضِيءٍ   مُطْفَإِ الماسِ ، نَاصِعِ الأطْبَاق
وَبُرُوجُ العِقْيَانِ مُرْتَجَّةٌ لَمْ   يَعْصِمِ اللهُ شَمْلَهَا بِوِثَاق
فَضَحَ النُّورُ جَبْهَةَ السُّحْبِ فَابْيَضَّـ(م) تْ أسَارِيرُهَا عَلَى الآفَاق
وَأطَلَّتْ ذُكاء مِنْ شُرْفَةِ الغَيْـ   بِ تُزِيلُ الكَرَى عَنِ الآمَاق
لَيْتَمَا تُوقِظِين يا شَمْسُ حُبِّي   فَيُبَلَّ الأُوَامَ فِي أعْمَاقِي
أشْتَكِي فِي عَيْنَيْهِ ضُوءًا رَفِيقاً   ذَكَرِيهِ بِمَوْعِدِي وَاشْتِيَاقِي

عبد الرحمن الخميسى



قصـــة الفيتامين

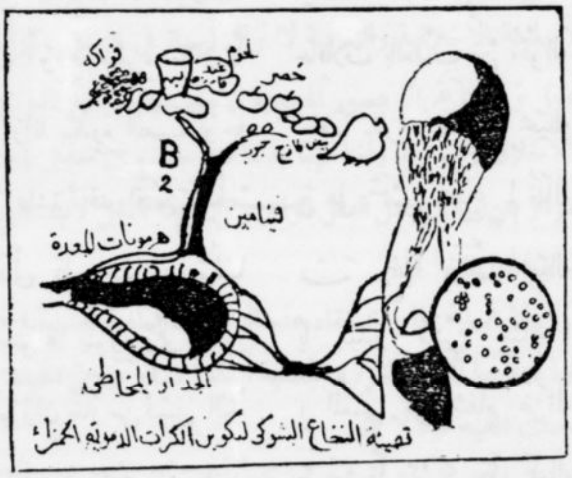
الفيتامين B_2 المانع لمرض البلاجرا

للأستاذ عبد اللطيف حسن الشامى

— ٦ —

يفشو المرض المعروف بالبلاجرا فى الطبقات الفقيرة فى البلاد التى تقوم فيها الذرة المقام الأساسى فى التغذية . وأعراض الإصابة بهذا المرض ظهور قروح وطفح جلدى على الأجزاء والأطراف من الجسم المعرضة للشمس (العارية) وتسميته الإيطالية بالبلاجرا pella agra يقابلها بالعربية الجلد الخشن . ويوجد هـذا المرض كذلك فى أوربا الوسطى والجنوبية وفى بلاد البترول ، ويكثر انتشاره فى شمال إيطاليا وجنوب فرنسا وإسبانيا والبرتغال وفى بلاد البلقان وشمال أفريقية وظهر أخيراً فى الأمريكتين . ويشهد على خطورة الإصابة به أن ١٥٣٥ شخصاً ماتوا بالبلاجرا فى سنة ١٩١٥ بأمريكا الشمالية فى ولاية مسيسبى . وفى السنوات الأخيرة أصيب به فى أمريكا الشمالية ما يقرب من نصف مليون من السكان مات منهم ما يزيد على خمسين ألفاً . وتبدأ الإصابة به غالباً فى فصل الربيع بأعراض مرضية عامة يتبعها اضطراب جلدى فوق الأعضاء الجسمية العارية . فعلى الوجه والرقبة واليدين يظهر على شكل طفح دميم قد يكسو اليدين تماماً كما يكسوها القفاز . ويصحب هذا آلام حادة فى الرأس والأطراف والظهر وضعف عام وخمول ثم اختلال فى الجهاز الهضمى يعقبه اضطراب عصبى يكون نذيراً بالاضمحلال الجسمانى والهلاك . وقد يقدر الجسم عند الإصابة على المقاومة ردحاً طويلاً من الزمن يمتد إلى عشر أو خمس عشرة سنة ، كما أنه قد لا يقاوم أكثر من أسابيع قليلة يضنى ويهلك بعدها سريعاً

ولقد كثرت الأقاويل قديماً حول أسباب البلاجرا . فكما اعتُقِد خطأً زمناً طويلاً عزو مرض البرى برى إلى العدوى عن طريق مُسببات دقيقة حية ـ ظُنّ ثانياً بالبلاجرا . بيد أنه ظهر بعدئذ ما ينقض هذا الزعم الخاطئ . إذ كيف لا ينتقل المرض وتقع العدوى مثلاً من المرضع المريضة بالبلاجرا إلى رضيعها . زدْ حقيقة ثابتة أخرى وهى انتشار مرض البلاجرا فى الأوساط الفقيرة فقط فى البلدان التى تعتمد فى غذائها على الذرة اعتماداً كلياً فاستنتج من هذا ارتباط مرض البرى برى بالتغذية . وذهب بعض الباحثين فى استنتاجهم إلى وجود مواد سامة فى حبوب الذرة التى تكون قد أصابها الفساد والعطب من جراء التخزين . واكتسب هذا الاستنتاج بعض الأهمية والسند من الحالة الاقتصادية الرديئة التى عليها الطبقات الزارعة الفقيرة التى ترغمها هذه الحالة إلى حصاد الذرة مبكرة قبل تمام نضجها ثم تخزينها رطبة تخزيناً غير صالح يضر الحبوب ويفسدها



العمل المزدوج بين الفيتامين B_2 وهرمونات جدار المعدة المخاطى

ومما قوى الزعم فى اتصال البلاجرا بالذرة أنه فى مدينة ترنتينو بإيطاليا حيث تنتشر البلاجرا ، أخذت الإصابة فى نقص تدريجى أثناء حرب ١٩١٤ — ١٩١٨ بسبب هبوط عام فى محصول الذرة؛ مما اضطر القوم إلى الالتجاء لأنواع أخرى من الغذاء غير الذرة ولكن الحقيقة التى لا جدال فيها ، والتى يؤيدها العلم الحديث — كما ثبت كذلك فى حالة البرى برى — هى أن مرض البلاجرا . لا يرجع إلى وجود مادة ما فى الذرة ، ولكن يرجع إلى شىء ينقصها ولا يوجد فيها، وينشأ عند غيابه ظهور أعراض البلاجرا. وتعليلاً لهذه الصلة الوثيقة التى تربط مرض البلاجرا كنتيجة للتغذية بالذرة ، نجد الذرة نفسها لا تحتوى على كميات ملحوظة من الفيتامين B_2 زد على ذلك افتقارها إلى المواد الزلالية . عاملان

أو مادتان لا بد عند نقصهما فى الغذاء العام من رضوخ الجسم إلى تجارب واضطرابات غذائية قاسية ، ولكنه يجب ، مع ذلك أن تظهر البلاجرا فى حالة أية تغذية أخرى لا تحتوى على الفيتامين B_2 ولا تدخلها الذرة بتاتاً ، وهذا ما حصل وشوهد أخيراً فى المناطق الصناعية الأوربية التى يسودها عدم كمال التغذية ووفرتها، ففى بعض البلاد السويسرية وفى برلين وفينا وبرسلاو وهامبورج أصيب بعض ساكنيها بالبلاجرا ، ولو لم يقربوا الذرة بتاتاً إلى مآكلهم وأفواههم

ومما دعم القول بأن مرض البلاجرا هو نتيجة لنقص الفيتامين B_2 وبدون سابق أية تغذية بالذرة — النتائج الأكيدة التى حصل عليها عند إجراء تجارب غذائية على القردة والكلاب والفيران ، فهذه أصيبت بأعراض مرضية شديدة الشبه بأعراض البلاجرا لدى الإنسان وذلك بإطعامها غذاء نزع منه الفيتامين B_2 كلية . ولقد توصل العلم إلى الكشف عن الفيتامين B_2 إلى درجة مرضية كما أمكن تحضير بلورات صغيرة منه من الخميرة . وهو فيتامين يقاوم الحرارة ويذوب فى الماء ويتأثر بالأشعة فوق البنفسجية ، وفى حالته النقية الدقيقة يمثل مادة ملونة صفراء تشبه المادة المعروفة باللاكتوفلافين Lactoflavin التى تحضر من اللبن (لبن Lac, Lat) أصفر Flavus ولقد حضر هذا الفيتامين على هيئة بلورات فى مجمع القيصر ولهلم الطبى فى مدينة هايدلبرج فى ألمانيا باستخدام خمسين ألف لتر من اللبن . وكانت كميات ضئيلة من بلوراته لا تزيد على ثلاثة أجزاء من المليون من الجرام كافية لانتظام واطراد النمو فى الفيران ، ولكن حدث بعد أن انتزعت المادة الملونة الصفراء منه أن قل ووقف تأثيره فى اطراد نمو الفيران ، وبهذا أخذ قديماً فى تسمية الفيتامين B_2 بفيتامين النمو، ولكن نسخت هذه التسمية فيما بعد عند ما ثبت أن كل نقص فى أى فيتامين يكون مدعاة لتأخير النمو الجسمانى العام

والمهام الملقاة على عاتقه عديدة وذات أهمية كبيرة . فبتعاون هذه المادة الملونة الصفراء مع مركبات عضوية أخرى عويصة هى الأنزيمات تكسبه تأثيراً ومفعولاً فى دورة الأكسيجين عند عملية الاحتراق فى الخلية أى فى التنفس الخلوى وكذلك فى حالة تحليل الكربوهيدرات التى يساهم فيها بقسط وافر . ويلعب الفيتامين B_2 كذلك دوراً هاماً فى تكوين الكرات الدموية الحمراء، تساعده فى إتمام هذه العملية مواد يفرزها الجسم هى الهرمونات الموجودة فى المصير المعدى التى تساهم بدورها فى تكوين الدم ، ولذا يعزى فقر الدم أو عدم القدرة على تكوين كرات حمراء جديدة لسببين أولهما نقص الفيتامين B_2 والثانى غياب الهرمونات فى المصير المعدى . ويأخذ العلم الحديث اليوم بأن فقر الدم البسيط يرجع إلى عدم وجود الفيتامين B_2 فى حين أن الأنيميا الخبيثة أى الضعف الدموى الحاد الذى كان يعتبر إلى زمن غير بعيد من الأمور المستعصية العلاج ، ترجع إلى غياب الهرمونات المكونة للدم عن المصير المعدى ، وكم أفادت هذه المعلومات الحديثة الطب العلاجى فائدة جليلة الشأن

ولقد كشف لنا ظهور الفيتامين B_2 فى هذا الميدان عن تأثيرات متداخلة جليلة الشأن والأثر لقوى عاملة . مادتان مؤثرتان يفرزهما الجسم تستأثران بمهام حيوية خطيرة لا تقومان بواجبهما على الوجه الأكمل حتى تظهر دعامة ثالثة لهما تكسبان بظهورها وحلولها قوة ذات حول وطول كما تكسب المواد القابلة للاشتعال زيادة قوة على الاشتعال بحلول الأكسيجين مثلاً ولا يقدر الجسم وحده على تكوين هذه القوة الثالثة حتى مع ضآلة جرمها وصغر الكمية التى يحتاج إليها ، ولا بد له من الحصول عليها إما من النبات والخضروات أو من لحم الحيوانات الآكلة للخضر والعشب وذلك فى صورة مادة ملونة صفراء مُشِعَّة . فإذا تم الحصول على هذه القوة الثالثة اتحدت هذه الأخيرة مع الأخرى الموجودة فى بطن الإنسان ، تارة للمساهمة فى عملية الاحتراق والتنفس الخلوى وتارة أخرى تتعاونان معاً على تنبيه النخاع الشوكى ودفعه إلى تكوين الكرات الحمراء الوسيطة فى تبادل الغاز

وقد قامت الطبيعة بتخزين كميات وفيرة من هذه المادة الحيوية التى بدونها لا تقوى الخلية الحيوانية على القيام بعملها . وكما سبق القول بأن الفيتامين المضاد للبلاجرا يوجد غالباً بصحبة الفيتامين B_1 المضاد للبرى برى ؛ فالمصادر الرئيسية التى يوجدان بها هى : الخميرة ، واللحم الطازج ، والكبد ، والأعضاء الفارزة الأخرى ، والحبوب ، وفى كثير من الخضر والفواكه ، وفى اللبن وفى زلال البيض . ويكونان فى أغلب الأحايين بنسب متساوية، مع ملاحظة أرجحية وجود الفيتامين B_1 فى الخضر والحبوب ومنتجاتها ، وأغلبية وجود الفيتامين B_2 فى المواد اللحمية (اللحوم) ؛ ومن الصعب جداً فصل تأثيرهما مع ضرورة وجودهما لحفظ الإنسان ، وتبعاً لتلازمهما فقد صح حصرهما تحت التسمية الجامعة فيتامين B

(يتبع) عبد اللطيف حسن الشامى



ديوان الطيران

حضرة الأستاذ الجليل رئيس تحرير مجلة الرسالة الغراء

يقول الشاعر العربي القديم في وصف الناقة :

فلو إنما تمشى على الأرض أدركت   ولكنما تهفو بتمثال طائر

وإني لأتمثل بهذا البيت كلما أطلقت صفارة الإنذار بالأسكندرية وشاهدت إحدى الطائرات المغيرة ، وإني لأحس أن البيت كأنما قيل لينشد اليوم في مثل هذه المناسبة ؛ ولقد أتمنى أن أطير لألحق بتلك التي لا يمكن إدراكها لأنها لا تمشى على الأرض ، فأتمثل بقول الشاعر العربي القديم :

أسرب القطا هل من يعير جناحه

لعلى إلى من (لا أحب) أطير

***

أستشهد بهذين البيتين بمناسبة كتاب أقرؤه الآن عنوانه « ديوان الطيران » جمعته الكاتبة الإنكليزية ستيللا واف موري ووضع مقدمته السير صمويل هور وزير الطيران البريطاني الآن ، والذي كان وزيراً للطيران أيضاً في سنة ١٩٢٥ ، وهى السنة التي طبع فيها هذا الديوان

والكتاب يختلف عن غيره من كتب أدب الحرب في الجزء الأول منه على الأقل لأنه مقسم إلى ثلاثة أجزاء أولها لم يوضع في زمن الحرب ولا بمناسبة الحرب وإنما جمع من الشعر القديم (ليدل على أن الطيران كان أمنية من أماني النفس الإنسانية أحسها الشعراء قبل الأوان الذي يمكن فيه تحقيقها فأعربوا عنها) وغرض الكاتبة من جمعه التنويه بفضل الفنون التي يرى أصحابها بأعين الخيال ما لا يستطيع الكافة أن يروه إلا بعد تجسيده حين تتحول الفكرة إلى عمل

ويشير السير صمويل هور في المقدمة إلى قصة حبشية قديمة تشبه قصة بساط سليمان المعروفة ولكن القصة الحبشية تذكر سفينة سليمان الطائرة في الموضع الذي نذكر فيه نحن كلمة بساط، كما يشير إلى أجزاء من شعر هوميروس فيها وصف لسباق في الجو بين مركبات تقصف مثل قصف الرعد . ويشير أيضاً إلى خيول مجنحة ذكرت في أدب أهل الشمال في عصوره الأولى ، وإلى البساط المسحور في الآداب الشرقية ؛ ويعد السير صمويل هور كل ذلك نبوءات بالطيران

وفي هـذا الجزء شعر كثير للمتقدمين لم يقصد به أن يكون من شعر الحرب ولكنه صار من شعرها لما أفادته المناسبة معنى جديداً – مثله في ذلك كمثل البيت الذي بدأت به هذه الكلمة .

أذكر هذا بمناسبة المقال الممتع الذي دبجته براعة العقاد في صدر العدد الأخير من الرسالة والذي تحدث فيه عن نوعين من شعر الحرب نوع يكتب بعدها ليؤرخها وهو شعر الملاحم ، ونوع يكتب في عهدها ليصفها

ولكن هذا النوع الثالث الذي لم يشر إليه العقاد لندرته هو الذي كتب قبل الحروب ولم يقصد به إلى وصف معنى من معانيها ولكنه تضمن من المشاعر أو الأخيلة ما أسفرت الحرب عن خروجه من حيز المعاني التي يراها الشعراء إلى عالم الحس الذي يراه الجميع

ولعلى أستطيع ترجمة بعض هذه المختارات فهى من غير النوع الذي ينشأ مع الحرب ويموت معها .

(الأسكندرية)   عبد اللطيف النشار

الحرب والشعر العربي

كتب الكاتب الكبير الأستاذ العقاد بالعدد الماضي من الرسالة في (الحرب والشعر) يقول بأن الحروب والثورات تشحذ ملكات الخطابة ولا تشحذ ملكات الشعر ، بل تلجئها أحياناً إلى الصمت والركود ، وفند القول بأن الملاحم الكبرى التي نظمت عن حروب الأمم البائدة تستدعى النظم وتلقح فراغ الشعراء إلى أن قال : « إلا أن النفوس لا تخلو من الشعر في إبان المامع والمذابح البشرية ، فهى لا تميته ولا تحجر عليه ، ولا تمنع الأذهان فينة بعد فينة أن تنصرف إليه ، وكل ما هنالك أنها ليست باللقاح الجيد لقرائح الشعراء » وعرض بعض ما قاله شعراء الغرب من الشعر القليل في الحرب الماضية والحرب الحاضرة

ساق الأستاذ الكبير كل ذلك ببيانه الرائع ومنطقه السديد . وكتابة الأستاذ العقاد تبعث على التأمل والنقاش . فلما رأيته يسير

فى بحثه على ضوء الشعر الغربى والحوادث الغربية فيرى الحروب لا تشحذ ملكة الشعر – جعلت أستضىء بالشعر العربى والحروب العربية فرأيت الحرب كانت لدى العرب من أفعل مثيرات الشعر كما يقولون : الشعر يوحيه الحب والحرب والموت

لقد هاجت الحروب شعراء العرب فقالوا فى التحريض على القتال ، ووصف المامع ، والصبر والإقدام فيها ، والجبن والفرار ، والنوح على القتلى ، والتغنى بالانتصار ؛ ووصفوا الخيل والسلاح ، وأكثروا فى كل ذلك وأتوا بالعجيب

وإننا لو نظرنا فيا بين أيدينا من شعر العصر الجاهلى لوجدنا نحو نصفه مقولاً فى الحروب وما يتعلق بها ، وكان كثير من الشعراء يستوحون الحرب أكثر ما ينشدون مثل عنترة الفوارس وعمرو بن معد يكرب

وقد اختار أبو تمام مجموعة من شعر العرب فكان نصيب الحروب منها أكثر من الثلث ، على تنوع الأغراض الأخرى ، وسماها (الحماسة) تغليباً للشعر الحماسى

وقد اطرد قول الشعراء فى الحروب ، فى العصور الإسلامية المختلفة ، فكان الشعراء يصفون المعارك الحربية فى صدد مديحهم للخلفاء والأمراء ويشيدون بشجاعتهم وبلائهم فيها . وقد صحب الثورات والانقلابات فى الدول الإسلامية قيام كثير من الشعراء مناصرين ومعارضين ، وهذا ابن هانئ الأندلسى – مثلاً – يجد متصفح ديوانه أغلب قصائده فى مديح الفاطميين ووصف حروبهم وشجاعتهم .

وقد كان من كل ذلك نتاج شعرى عظيم تزخر به كتب الأدب العربى

ومن أحسن ما قيل فى وصف الحروب قولُ عمرو ابن معد يكرب :

الحرب أول ما تكون فتية	تسعى بزينتها لكل جهول
حتى إذا حميت وشب ضرامها	عادت عجوزاً غير ذات حليل
شمطاء جزت رأسها وتنكرت	مكروهة للشم والتقبيل

ألا ليت شعرى ، ألم يشعر جبابرة الحرب الحاضرة الذين يحيلون خيرات العالم إلى حمم – أن الحرب قد صارت عجوزاً شمطاء لا تطاق عشرتها ... ؟

وللأستاذ العقاد تحيتى وإكبارى عباس حسان خضر

وفاة الأستاذ فخرى أبو السعود

تنعى الرسالة إلى قرائها أديباً من صفوة أدباء الشباب هو الأستاذ فخرى أبو السعود الشاعر الكاتب والمترجم العلم برم – رحمه الله – بالحياة فى ساعة من ساعات الضيق الكاربة فأطلق على رأسه المسدس وهو جالس على كرسيه الطويل فى حديقة داره برمل الإسكندرية ، وقد كان يعيش وحده فى المدة الأخيرة لأن الحرب فصلت بينه وبين زوجته الإنجليزية وولده الوحيد . وقد شاء القدر القاسى أن يغرق ولده مع السفينة التى كانت تحمل الأطفال الإنجليز إلى كندا وأن تنقطع عنه أخبار زوجه . ولعل فى هذه الحادثة الأليمة تفسيراً للدوافع الخفية التى دفعت هذا الشاب القوى الفتى إلى الانتحار وهو فى سن الثلاثين . رحمه الله رحمة واسعة وعوض مصر عن أدبه وشبابه خير العوض .

الديوان التائه بالبريد

أهدى الأستاذ الشاعر على محمود طه نسخة من ديوانه إلى صديقه الأستاذ محمود غنيم فتاهت فى البريد، ولما علم صاحب الديوان بذلك بعث إليه بأخرى فكان مصيرها كأختها فكتب إليه الأستاذ غنيم يقول :

بَعثتَ بملاَّحِكَ التائهِ	وطوَّقتَ جيدى بإهدائهِ
ولكنَّه تاهَ فى ظلمات المحيطِ وَضلَّ بأحشائه	
ألاَ ما لشعركَ فى البحرِ تاهَ	وشعرُك أعمقُ من مائه ؟
كأنى به ضلَّ بين اللآلى	فلألاؤها مثلُ لألائه
له الله كيف اهتدى للجميع	وأخطأ أشوقَ قرائه ؟
ترى هل ألحَّ عليهِ الحياء	فأعرضَ خشيةَ إطرائه ؟
لعمرك ما تاهَ تِيهَ الضلالِ !	متى ضلَّ نجمٌ بعليائه ؟
ولكنَّهُ تاهَ تِيهَ الدلالِ	وقام الجمال بإغرائه .

محمود غنيم

(مدرسة فؤاد الأول الثانوية)

تفسير بيتين

طلب الأديب « ع . ا . سعد » إلى الأستاذ ناجى الطنطاوى أن يفسر له البيتين :

« بذكر الله تزداد الذنوب	وتحتجب البصائر والقلوب
وترك الذكر أفضل منه « حالاً »	فإن الشمس ليس لها غروب »

وقد مضى على طلب الأديب السودانى أسابيع ولم يستجب الأستاذ له ، فكان لزاماً علىّ أن أتقدم لشرح معناها :

الشاعر يقول : بذكر الله تزداد الذنوب الخ . ويعنى بذلك أن ذكر الله يوسع أفق المعرفة ويظهر عظمة الله وسطوته وفضله على أتم ما تكون ، فيرى المرء ما كان يعده هيناً حقيراً من الذنوب حدثاً جللاً وأمراً عظيما ... وهذا يطرد مع قاعدتهم : حسنات الأبرار سيئات المقربين ... ثم أراد أن يعرج فى الشطر الأخير على الذين يذكرون الله بألسنتهم ، تاركين قلوبهم مغلقة وبصائرهم مطموسة ...

وفى البيت الثانى أراد الشاعر أن يشير إلى صفة معروفة عند الصوفية تسمى (الحال) . قال الدكتور زكى فى (التصوف) نقلاً عن (ابن عربى فى اصطلاحاته)

الحال : هو ما يرد على القلب من غير تعمد ولا اجتلاب اﻫ

فهو يقول :

إن المرء إذا ترك الذكر المجتلب والحديث المصطنع عن الذات العلية ، وأمعن فى الهيام الحقيقى ، والحب الربانى ، كان ذلك خيراً له وأجدى عليه . (فإن الحال إذا تمكنت لم تفترق الروحان ص ٢٣٢ — التصوف)

ثم جاء الشطر الأخير تذييلاً لما قبله فقال : إن الشمس ليس لها غروب . وكذلك ذات الله تعالى لا تغيب ولا تحتجب ولا تفنى ولا تحول ، فلماذا إذن نذكرها ؟ الواجب علينا أن نعبدها حق العبادة ، ونقدمها كل التقديس

وأدباء الصوفية هاموا باللغز والرمز . وما قول القائل : « معبودكم تحت قدمى » إلا من نوع « ما فى الجبة غير الله » . وهم يشيرون بمثل هذه الكلمات إلى مذهبهم فى الحلول ، وهو مذهب تحدث عنه المبارك فى الصفحات ١٨٠ إلى الصفحات ٢١٠ وهو يتلخص فى أن الله روح ، والعالم جسمه

السعيد جمعة

تاريخ الإنسانية العاشقة

جاء فى مقال الأستاذ على الطنطاوى « القبر التائه » الفقرة « أما تاريخ الإنسانية العاشقة فإنهم « الناس » يزدرونه ويترفعون عن حفظه ويرون من الخطر على الأخلاق أن يدرس فى المدارس — وكذلك أرى أنا — »

من ذلك عرفنا أن الأستاذ يتفق رأيه مع الناس فى خطر دراسة تاريخ الإنسانية العاشقة على الأخلاق، غير أن الأستاذ عاد وقال : « ولنتخذ منه (الحب) سلاحاً نحارب به الفسوق والدعارة والغلظة والوحشية ولنستكمل به إنسانيتنا »

فالأستاذ بقوله هـذا يدعو إلى إصلاح الأخلاق واستكمال الإنسانية عن طريق الحب . فكيف يدعونا إلى هذا وقد رأى معنا أن فى مجرد دراسة تاريخ الإنسانية العاشقة خطراً على الأخلاق ؟ وكيف تكون أخلاقنا لو سلكنا هذا الطريق ؟

هذا ما نسأل الأستاذ عنه وإنا فى انتظار ما به يجيب وله منى أعظم شكر وأطيب تحية

عبد العظيم حسن زيد

فى فلم دنانير

ابتدأ عرض (فلم دنانير) فى سينما ستديو مصر ، وانتقلت بنا الشاشة البيضاء إلى بغداد وإلى عصر الرشيد ، فرأينا بيئة عربية وسمعنا حواراً عربياً ، وغنت أم كلثوم (دنانير) فى أول الأمر غناء عربياً ، وكان كل ما نرى ونسمع عربياً صريحاً ، ثم إذا بنا نسمع دنانير تغنى أمام الرشيد ووزيره جعفر باللهجة العامية الخالصة :

هلالك هـل لعنينا فرحنـا له وغنينا
وقلنا السـعد جيجينا على قدومك يا ليـلة العيد

فيتبدد الخيال المحبوب وتصدمنا الحقيقة الواقعة ، وهى أن أغانى الرواية الواقعة حوادثها فى عصر الرشـيد ، وذات الحوار العربى — معظمها عامى ... ولعمرى لقـد أبدعت أم كلثوم فى القصائد العربية التى غنتها أيما إبداع ، فما الداعى لأن يتردد هذا الصوت الحنون فى جنبات قصر جعفر بعاميتنا الحاضرة ، فنسمع أمثال :

بكره السفر وبروق بالنا وافرح بقربك واتهنى

أم كلثوم تغنى فى عصرنا هذا كلاماً عربياً فصيحاً، أفلا تغنى

للرشيد غناء عربياً ؟ وكيف يكون حوار القصة بلغة والغناء بلغة أخرى ؟

وشيء آخر يجب التنبيه إليه فى هذا الفلم وهو أن المعروف فى العصور الإسلامية - أن الجوارى مغنيات وغير مغنيات - كن رقيقات يأسرهن المسلمون فى حروبهم مع الأعداء. ولكن دنانير فتاة عربية من قلب البادية وليست أخيذة حرب، فكيف تعيش فى قصر جعفر وتعاشره - على حبها - كجارية من جواريه ...؟ ثم كيف يطلب الرشيد ضمها إلى جواريه وهى تلك العربية الحرة ...؟

ع. ح. خ

رأياله بخنافضاله

حضرة الأستاذ الكبير صاحب الرسالة

تحيتى وإجلالى وبعد فقد قرأت بعدد « الرسالة » ٣٨١ مقالاً بعنوان « ٤٥٠٠ ثانية فى صحبة أم كلثوم » للدكتور زكى مبارك.

ولكنى عدت من جولتى مع الدكتور أتراوح بين الشك واليقين فى روح أم كلثوم الذى وعدنا الدكتور أن يتحفه بصورة وصفية.

فهو يقول فى افتتاحية مقاله « مع العرفان بأنى لم أقل غير الحق فى ذلك الروح اللطيف » ثم يقول فى ختاميته « فأين من يحول هذه الفتاة إلى روح لطيف يشيع فى المجتمع معانى الأنس والانشراح ؟ »

فكيف يجوز لرجل أن يطلب خفة الروح لروح خفيف ؟ اللهم إلا إذا طلب لذلك الروح المزيد من تلك الخفة.

يا دكتور هل أخذتك فتنة من إحدى (ذوات الخد الأسيل والطرف الغضيض) فاضطربت فى مخيلتك الأفكار ؟ ورحت تأخذ وتعطى من صفاتها ؟

أم كانت خفيفة الروح حين أرضتك، عديمة الخفة حين أغضبتك ؟

لعل الفلم لم يند فى هذه المرة، ولعل مدير المطبعة لم يصل مقالاً بمقال، ولعلنى لا أهاجم من دكتورنا بامتحان ذى عشرة أسئلة . . .

وإليك تحية أحد أبناء الجيل الجديد

(المحلة الكبرى) حلمى ابراهيم النبوى



التطوع للعـــذاب

للأستاذ نجيب محفوظ

انتهى الأستاذ حسان جلال — وهو محام تحت التمرين — من كتابة المذكرة القضائية — التي شرع بنشئها منذ الصباح الباكر — في تمام الساعة الثانية عشرة. وكان الجهد قد نال منه كل منال فاستند إلى ظهر كرسيه في إعياء ونصب. ومدّ يده إلى فنجال قهوة وارتشفه وهو ينظر إلى الأمام بعينين يوشك أن يلتقي جفناهما. ودخل الخادم عند ذاك فأقبل على سيده وبصّره بخطاب كان تركه على المكتب قبل ساعة والشاب مستغرق في عمله. فألقى عليه نظرة فاترة، وتناوله بغير اكتراث، ولكنه حين وقع بصره على الخط المكتوب به العنوان حدثت في وجدانه صدمة عنيفة مباغتة أرهفت حواسه وأثارت انفعاله وأقلقت باله، فالتمعت عيناه بنور خاطف وبدا شخصاً جديداً. عرف الخط من أول نظرة فتأمله بدهشة وكأنما ينظر إلى وجه كاتبه في ضوء النهار، فلم ير خطاً ولكن رأى وجهاً مستديراً كالبدر، خمري اللون، تدل قسماته الدقيقة على الأناقة والملاحة. وغشيه الانفعال ساعة لا يدري من أمره شيئاً. ثم جذبه الخطاب من العالم الداخلي الغارق فيه، ولكنه لم يطع لأول وهلة الدواعي الدفينة التي تهتف به أن يفض الغلاف، وأبقاه على يده وجعل يديم النظر إليه في شغف ولذة وارتباك وخوف. وقد فرح به وحزن، ورضي عنه وغضب. وتساءل في حيرة أيصح أن يطلع على ما فيه أم الأولى له أن يطرحه في سلة المهملات؟ ... على أنه كان يتساءل ويداه تفضان الغلاف بسرعة وتبسطان الخطاب. وما لبث أن قرأ مطلع الكتاب، وهو «عزيزي حسان» فلم يستطع أن يستمر في القراءة واستولت عليه خواطر وشجون، وأحس بخيبة لم يهون من شأنها أنه كان يتوقعها. كانت إذا كتبت إليه فيما مضى تبدأ خطابها فتقول: «حبيبي حسان» أما اليوم فإنها تتجنب هذه الكلمة الساحرة، ولعله دار بخاطرها ما يدور بخاطره الآن حين همت بالكتابة إليه فليس إبدال حبيبي بعزيزي بالشيء الهين، وإنما هو حدث من الأحداث وفجيعة من الفواجع. رباه ... لماذا تراسله وتجذب أفكاره إلى واديها فتنكأ جرحاً في فؤاده أوشك أن يلتئم وتثير بركاناً كاد يخمد بين جوانحه؟ وتنهد من أعماق صدره وكر بعينيه الحالمتين إلى صفحة الخطاب، وألقى عليها نظرة عامة، فأدرك إيجازها (التلغرافي) وأحس لذلك بكآبة خفية وانقباض صدر، وكأنه كان يرجو لو أنها أطالت وأسهبت. ثم قرأ ما يلي:

«راودت نفسي مراراً على الكتابة إليك فكانت تتمنع وتتأبى حتى كدت أسلم لليأس بعد أن تقادم الفراق، وبعد أن نالني من تغاضيك ما نالني، لولا سؤال حيرني إدراكه فرأيت أن ألقيه عليك عسى أن يكون لديك الجواب عليه. إني أسأل لماذا هذا الجفاء؟ ولماذا هذا الهجران؟ هل دعت إليهما دواع معقولة؟... فإني أخشى أن يظل كلانا يتعذب لغير سبب ...»

ورفع رأسه عن الخطاب وقد ثقل تنفسه ويبس حلقه. وحملق إلى لا شيء بعينين مظلمتين. يا له من سؤال! أليس يحق لها أن تسأل كما يحق له أن يسأل: لماذا هذا الجفاء؟ ... لماذا يتباعدان؟ لماذا يعانيان الألم والعذاب في صمت وعناد قرابة عام طويل ثقيل؟ أواه! كم كان يحبها وكم كانت تحبه! وإن آي ذاك الحب لتبدو لعينيه خلل الذكريات كما تبدو المشاهد الغارقة في الظلماء على ضوء المغنسيوم فإنه ليذكر إخلاصها ومودتها وشدة وفائها، وكأنه كان يرى تألق عينيها حين تراه، أو يسمع تنهدها لدى قربه وعطفه. كانا يعيشان في غمرة الحب ذاهلين عن كل شيء سوى آمالهما الناضرة، ومع ذلك قضى أن يتباعدا ويتفارقا ويذوقا مرارة الهجران وألم الجفاء؛ وكان هو البادئ ولعله كان الظالم. وعلى أي حال فقد استسلم للأوهام فلم تجد هي سبيلاً إلا أن تلوذ بالصمت والصبر. لماذا هذا كله؟ ... على أنه كان في تساؤله متجاهلاً متباهلاً. وكان بذلك عليماً. فذكريات الأمس من القوة والعمق بحيث لا يمحوها اليوم ولا الغد. وقد دعت أشجانه إلى ذاكرته صورة أخرى عزيزة حبيبة طالما سكنت قلبه محوطة

بالعطف والإجلال حتى انتزعها القبر بقساوة ولم يترك له منها إلا طيفاً رقيقاً يجفل من ضوء النهار ومشاغل الدنيا ويتسلل فى رفق إلى الذاكرة فى فترات الأحلام والحنين . جاءته بوجهها الذابل المكلل بالمشيب ونظرة عينيها الحنونة ، فتنهد حزيناً كئيباً وتمتم قائلاً : « أماه » ... نعم هى أمه العزيزة التى قضى حبه إياها على سعادته وآماله ، وفرق بينه وبين حبيبته ، وترك كلا لوحدته وآلامه ...

وارتدت عيناه إلى صفحة الخطاب تقلقان بين أسطرها التى اقتضبها الحياء ؛ واختزلها الحذر والكبرياء ، فلم يجد سوى هذه الكلمات : « سأنتظرك أصيل اليوم فى مكاننا المعهود بالحديقة الأندلسية ؛ فإن أنت أتيت لكى نصفى الحساب — أى حساب يا ترى ؟ — رحبت بك ؛ وإن أنت أصررت على الجفاء فسيكون هذا آخر ما بيننا إلى الأبد »

ويلى ذلك الإمضاء المحبوب : حسان . ج . وكان أول مافاه به بعد تلاوة هذه الكلمات أن قال باضطراب : « أصيل اليوم فى مكاننا المعهود » وأحس بدنو الموعد فاهتاج شعوره واضطرم صدره ، ثم استقر بصره على هذه العبارة : « فسيكون هذا آخر ما بيننا إلى الأبد . فجفل منها وذعر ، وانقبض صدره ؛ ألم يجعل فراق سنة هذه العبارة حقيقة واقعة ! ؟ أولم يكن يظن أنه نفض منها يديه إلى الأبد ! ؟ ... بلى ، ولكن ذاك الخطاب رده إلى ماضيه بسرعة ، فانبعثت فيه حرارة كما تنبعث الكهرباء فى المصباح بعد سريان التيار إليه . وضاق عند ذاك بمقعده وبالمكان ، فاعتزم مغادرة المكتب الذى يتمرن فيه وطوى الخطاب وارتدى طربوشه ومشى إلى الخارج . وفى الطريق ارتد خياله إلى الماضى يتعقب حوادث الأمس المنطوى ... لا يدرى بالضبط متى تعرف بإحسان وإن كان يشعر أنها تملأ ماضيه جميعاً ، ذلك أنه لم يعتد مطلقاً عادة كتابة الذكرات ، فسجلت ذاكرته الحادثات بنسبة تأثرها بها لا على حقيقة وقوعها ، ولكنه يذكر بغير ريب أنه فى صيف العام الماضى سكنت أسرة إحسان فى عمارة رقم ١٠ بشارع البستان بالسكاكينى ، وأنه تعرف بالفتاة قبل أن يمضى شهر على نزولها بالحى الجديد . وقد جعلت المقادير حجرة نومها تجاه حجرة نومه ، فهيأت لكل منهما الفرص لتذوق صاحبه وتقدير مزاياه . وجذبته بادئ الأمر ملاحتها وأناقة قسماتها ، فانجذب إليها ينشد الحب واللهو والعبث ، وما يدرى إلا وقد بهره ذكاؤها ورقة روحها وأنوثتها الناضجة ، فأحبها الحب الصادق ، وتعاهدا مخلصين أن يكون لها وأن تكون له ما امتد بهما العمر . وشاركا المحبين حياتهم الهنيئة التى تطرد فى هدوء بين المناجاة واللقاءات والوعود والآمال كأنها جدول صاف يشق حقلاً من بدائع الورود والرياحين إلى أن كان يوم عادت أمه فيه من إحدى الزيارات تكيل الذم لفتاة التقت بها لأول مرة فى بيت جارتها . فدفعه حب الاستطلاع إلى السؤال والتحرى فإذا بالفتاة فتاته دون غيرها ، وإذا بأسباب غضب أمه عليها أنه دار حديث بين السيدات عن أعمارهن . ولما سئلت أمه عن سنها قالت : « كنت ابنة عشرين أيام الحرب » وكانت تعنى الحرب الكبرى . ولكن إحسان تساءلت بخبث تعقب على قول السيدة — وهى تجهل أنها أم حبيبها — : « حرب عرابى يا تيزة » وضحك السيدات طويلاً وضحكت إحسان كذلك ولم تكن قالت ما قالت إلا بدافع الميل إلى الفكاهة ، ولكن أمه لم تحتمل هذر الفتاة ، وأحست بطعنة أليمة نغصت عليها صفوها

واستمع حسان إلى قصة والدته باستياء وغيظ وأسف وكان ينوى قبيل ذلك أن يعلن خطبته فاضطر إلى التريث مغلوباً على أمره ، وعهد بإسكات ذاك الغضب إلى الزمن ، ولما ظن أن ما كان من الأمر قد نسى وعفا أثره تقدم إلى والدته يحادثها فى أعز أمانى قلبه ، ولكنه وجد منها ازوراراً وإباء ، وكبر عليها جداً أن تستأثر بابنها غداً التي أهانتها بالأمس ، فرفضت الإصغاء إليه وأصرت على أن مثل تلك الفتاة غير جديرة به ولا كفء له وذهبت كل محاولاته وتوسلاته لاسترضائها أدراج الرياح ، وعجب حسان لغضب أمه أكان حقاً لتلك الدعابة المرة ، أم لإشفاقها من احتمال تحول قلب ابنها الوحيد عنها إلى امرأة أخرى ؟ أم كان لهذين معاً ؟ ... ومهما يكن من الأمر فقد أسقط فى يده وتوزع قلبه ألماً وحزناً بين أمه وحبيبته ، وكابد فترة من الحياة مليئة بالقلق والعذاب ، موزعة بين الألم والضجر واليأس والحنق . ثم أعلن ما كان سراً وافتضح ما كان خافياً ، فصار عداوة صريحة بين أمه وخطيبته تحدثت بها ألسنة الحى جميعاً . وإنها لعلى شدتها وقوتها إذ أحست أمه بالمرض فجأة فلزمت الفراش ثلاثة أيام ثم انتقلت إلى جوار ربها فى اليوم الرابع ، ووقع عليه الخبر بعنف وشدة ؛ ففزع وهلع وتقطع قلبه ألماً . كان يحب أمه حباً كبيراً ؛ وقد هاج الفراق الأبدى الحب المتغلغل فاختنق بالعبرات وأظلمت الدنيا فى عينيه ...

ووسوس له قلبه بخاطر زاد من ألمه ، قال عسى أن تفرح إحسان لموت أمه وقد كانت تعدها عثرة فى سبيل سعادتها ؛ فما من شك فى أنها سعيدة مغتبطة وإن تظاهرت بمشاركته حزنه . وآلمه هـذا الخاطر ألماً عميقاً وزاد من وقعه أن سمع من حوله يتهامسون به فانطوى على الحزن والغضب ورأى قبر أمه العزيزة يقوم حائلاً منيعاً بينه وبين الفتاة ...

فهجرها فجأة وامتنع عن الرد على رسائلها وانغمس فى الكآبة والأحزان ومكابدة الآلام والأشواق زائغ البصر بين ذكرى أمه وذكرى سعادته حتى تعود على الألم وألف التصبر والتجلد وظن أنه يتناسى الماضى بهمومه وآلامه أو أنه نساه بالفعل

ازدحمت هذه الذكريات برأسه فى طريق العودة إلى البيت . ولكنها لم تصحب بعواطف فى مثل مرارتها وحزنها إذ كانت الذكريات تمر برأسه أخيلة مجردة عن عواطفها وإحساساتها . أما وجدانه فكان كله مستغرقاً فى أثر الخطاب والموعد . لذلك انصرفت نفسه عن الغداء ، وعز النوم على جفنيه وحامت أفكاره حول فتاته فتمثلها أمامه بقدها المشوق ووجهها البدرى وكأنه كان يسمع رنة صوتها ، ويشم رائحة « سوار دى بارى » التى تتعطر بها ، فانفعل انفعالا شديداً نبا به عن الطمأنينة . ولم يكن قر رأيه على شىء ولا بت فى المسألة برأى ، بل كان يحاذر من مواجهتها مواجهة حتى لا يقطع فيها برأى ينغص عليه أحلامه أو يميل بها إلى حل يثير كوامن أحزانه . حتى إذا وافى الأصيل وجد نفسه يغادر البيت ويقصد إلى قصر النيل مستسلماً لتيار عنيف لا ينتكب عن طريقه ويأبى أن يقر بالاستسلام . ولكنه ألفى نفسه أمام ما يحاذره حين عبر الجسر ، وطالعته الحديقة الأندلسية بخمائلها المشوشبة ومدرجاتها السندسية ، هنالك أحجم عن التقدم وانعطف إلى يمينه يساير النيل مضطرباً حتى حجبه سورها الحجرى ثم استند إليه متريثاً وقد لفته الحيرة والاضطراب ولبث فى جمود تام ، وكانت أفكاره تنجذب بشدة نحو تلك التى لا يفصلها عنه سوى السور الحجرى . وسرى فى ملمسه من الحجر البارد تيار حار متدفق ، فخفق قلبه بعنف وكاد يتحول إلى الباب مندفعاً ، وفى تلك اللحظة الفاصلة ارتد خياله — فجأة — إلى بعض حقائق الماضى الأليمة ، فبردت حماسته وهبطت حرارته وانتكس انتكاساً غريباً أحس من جرائه بخجل واستحياء وألم فجمل يتساءل منيظاً محنقاً : كيف حملتنى قدماى إلى هنا ! ولم يلبث أن احتدم بقلبه الغضب وخال أن إقدامه على الذهاب إلى هناك عيب حقيق بأن يجعله ضحكة للضاحكين والشامتين

وهز منكبيه باستهانة وانحدر فى الطريق الضيق مبتعداً عن الحديقة ، ولم يعتوره التردد سوى مرة واحدة وقف عندها قليلاً والتفت وراءه ثم استأنف المسير بعزم وبأس ، ولم يكن يملأ فراغ خياله حينذاك سوى صورة أمه ... وهكذا خان عهد سعادته ليكون وفياً لذكرى أمه ، وكثيرون هم الذين يعانون الآلام والمتاعب فى سبيل ما يتمثل فى نفوسهم من الأوهام

نجيب محفوظ

{ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى — عابدين }

8me Année No. 383

Lundi - 4-11-1940

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٨٣ « القاهرة في يوم الاثنين ٤ شوال سنة ١٣٥٩ — الموافق ٤ نوفمبر سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهــــــرس

السنويات الأدبيــــة

للأستاذ عباس محمود العقاد

كتب إليّ أكثر من مستفهم يسألون عن « السنوية التاجورية » التي أشرت إليها في تحيتي إلى تاجور من مقال بالرسالة قلت فيه : « خطر لنا أن نرجع إلى السنوية التاجورية لنستخرج الفأل مما كتب فيها من أقوال تاجور بإزاء اليوم التاسع والعشرين من شهر سبتمبر ، ولكل يوم من أيام هذه السنوية كلمة أو بيت أو خاطرة من مأثورات الشاعر العظيم ... »

وهم يطلبون بياناً عن هذه السنوية ، هل هي من صنع الشاعر؟ وهل للشعراء والأدباء المشهورين غير تاجور سنويات على هذه الوتيرة ؟ وهل تتجدد في كل سنة أو تصدر في سنة واحدة ، ثم تتكرر على نمط واحد ؟ إلى أشباه ذلك من أسئلة وتعقيبات

وسنويات الأدباء والشعراء هي نوع من السنويات الكثيرة التي افتن فيها المطابعون والناشرون في الأمم الغربية

فهناك سنويات لمحبي الأزهار ينشرونها للفن والجمال ، أو ينشرونها للعلم والخبرة العملية . فما كان منها للفن والجمال زخرفوه بنقوش الأزهار الملونة ونثروا خلالها شذرات من أقوال الأدباء والشعراء في الرياض والرياحين ، وجعلوا بعض حروفها البارزة على مثال الورود والأوراق ، وجلوها بما استطاعوا من

جمال الشعر والتصوير . وما كان منها للعلم والخبرة العملية رتبوا فيه مواسم الغرس والنقل وبثوا فيه الوصايا والنصائح عن السقاية والتظليل أو التعريض للنور مما له نفع فى إنماء النبات وإنماء الزهر على الخصوص

وهناك سنويات لمحبي الكتب يذكرون فيها المعلومات المتفرقة عن المكتبات التاريخية والكتب النادرة ونشأة الكتاب فى أطواره المتعاقبة ، وقوانين الطبع والنشر وحقوق المؤلفين والمترجمين وما إلى ذلك من الحقائق والأنباء التى يعنى بها الكتاب والقراء ، وقد يصدرون السنوية بمقدمة نفيسة تختلف كما تختلف المعلومات الأخرى عاماً بعد عام

وهكذا السنويات التى ينشرونها لمحبي العصافير أو محبي الرحلات أو محبي الصيد أو محبي الرياضة وما إلى ذلك من ضروب اللهو والمتع النفسية والذوقية . فمن جمعها عنده فليس من الضرورى أن يملأ فراغها ويشتغل بما يشتغل به طلابها وهواتها ، بل لعله يجمع منها مكتبة للمعرفة : كل سنوية منها بكتاب جامع لأشتات الطوائف والمقتبسات والأخبار

أما سنويات الأدباء والشعراء فهي المفكرات السنوية المألوفة التى تخصص منها صفحة أو أقل من صفحة لكل يوم من أيام العام ، ولكنهم يجعلون للأديب أو الشاعر المشهور مفكرة باسمه يصدرونها بترجمته وفصل قيم لكاتب من كبار الكتاب فى نقده والتعريف بخصائصه ومزايا شعره ونثره ، ويقرنون كل صفحة ليوم من أيام السنة بصفحة من مختاراته تناسب الموعد أو تمت إليه بسبب ، وربما اشتملت الصفحة على فقرة واحدة أو بيت واحد ، وربما اشتملت على أكثر من ذلك ، حسب التفاوت فى الحجم والموضوع

وقلما تتغير هذه المفكرات سنة بعد سنة ، ولكن الطابعين المتعددين قد يصدرون مفكرات متعددة لشاعر واحد ، وقد تكون المفكرة المفردة أو المفكرات المتعددة أوفى من أحسن المختارات التى تختار لذلك الشاعر ، وأحظى بالقراءة والنظر من الكتب التى توضع على رفوفها ولا تحمل بالليل والنهار حيثما مضى صاحبها وكلما احتاج إلى النظر فى مفكراته اليومية

وهنا معرض للعجب لا يفرغ منه المتعجب !

فنى الغرب حيث يستغنى القراء عن التشويق والإغراء يوجد التشويق على أبرعه والإغراء على أشده

وفى الشرق حيث يحتاجون إلى جميع المشوقات والمغريات لا يوجد من يُغرِى ولا من يُغرَى ، ولا يزالون على ما بهم من الجهل كأنهم أزهد الناس فى الدرس والاطلاع

وليس هذا وحده بمعرض العجب فى شؤون الكتابة والقراءة عندهم وعندنا

فنى الغرب حيث يظفر الكاتب بأحسن الجزاء من قرائه يعطيهم ما يعطى من ثمراته ، ولا ترهقه الشروط ، ولا تثقل عليه القيود ، ولا يتمحلون له أسباب العيب والتجنى والانتقاص . فليس فى انجلترا من يشترط على برنارد شو مثلاً أن يحلق لحيته ، أو يقلع عن بدعة النباتية فى طعامه ، أو يدين فى السياسة والاجتماع بمثل ما يدين به ، أو ينهج فى معيشته أو اعتقاده نهجاً غير الذى ارتضاه لنفسه

وفى الشرق حيث لا يغنى الجزاء ، ولو وفر القراء ، ترى العالم القارئ أو جمهرة القراء كأنهم الطفل الممعود ، لا أكثر من شروطه ، ولا أقل من زاده ، ولا أعجب من مطالبه ومقترحاته : تعطيه الحلوى فيطلب الفاكهة ، وتعطيه الفاكهة فيطلب الخبز واللحم ، وتعطيه الخبز واللحم فيطلب المطبوخ إذا أعطيته الشواء ، ويطلب الشواء إذا أعطيته المطبوخ ، ويتحكم وهو فى مطعم الصدقة ، أو شبيه بمطعم الصدقة ! ! ثم لا هو بالآكل ، ولا هو بالشارى ، ولا هو بالملتمس العلاج لما عنده من ضعف القابلية قبل أن يلتمس العلاج للطاهى وأصناف الطعام

واسمع غرائب ما يطرق الآذان ويصك الأذهان : فهذا الكاتب لماذا لا يكتب فى القصة ، ولماذا لا يكتب فى الدين ، ولماذا لا يكتب فى الفكاهة ، ولماذا لا يكتب فى هذه الصحيفة أو تلك المجلة ؟ . . . وهذا الكاتب لماذا لا يطلق لحيته ، أو لماذا لا يقصها ؟ . . . وهذا الكاتب لماذا لا يعجب بفلان ولا يقلع عن الإعجاب بفلان ؟ وهذا الكاتب لماذا لا يتوجه إلى جمهرة القراء قارئاً قارئاً ليعفر وجهه بتراب الاعتذار والاستغفار ، ويعترف بما يسومونه من اعتراف أو ينكر ما يسومونه من إنكار ؟

وخذها قاعدة لا ريب فيها أن الشروط عندنا تزيد بمقدار

ما يقل الجزاء ، وأن الجزاء عندهم يزيد بمقدار ما تقل الشروط

أليس هذا بعجيب ؟

بلى . ولكنه عجب فى الظاهر دون الحقيقة ، وما من عجب صحيح فى كثرة الطهاة حيث يكثر الآكلون ، ولا من عجب صحيح فى كثرة الافتنان والتسابق إلى الإتقان حيث يكثر الطهاة فى مكان

فالغربيون يفتنون فى الطبع والنشر والتشويق والترغيب لأن طهاة الأدب كثيرون ، وآكلى الأدب كثيرون

وكذلك تقل الشروط عندهم لأن الطعام مطلوب هنا إن لم يطلب هناك ، وسائغ فى بعض الأذواق إن لم يسغ فى غيرها من الأذواق

أما الطفل الممعود فكيف يعيش الطاهى إلى جانبه ؟ وكيف يقلع عن الاقتراح والاشتراط وهو لا يأكل ولا يشتهى ؟

لو أنه أكل لما اشترط واقترح

ثم إنه ليجد شروطه كاملة وافية دون أن يطلبها ويلح فى تقاضيها ، لأن الطهاة يكثرون حيث يكثر الآكلون ، ثم يتنافس الطهاة فيجيدون ويبدعون .

* * *

لقد أخذنا المفكرات السنوية من الطباعة الغربية ، ولكننا لم نأخذ بعد افتنانهم فى أوضاعها ولا فى موضوعاتها . فقلما تختلف مفكراتنا السنوية بغير الحجم وصنف الورق ولون الغلاف ، وقد يزيدون عليها بعض الحكم والأمثال على غير قصد مرسوم أو تفرقة منوعة

وإنى لأكتب هذا المقال وأود أن يصل إلى طائفة من الناشرين والطابعين فيتخذوا من المفكرات مروجاً للأدب ومن الأدب مروجاً للمفكرات ، ويخرجوا لنا مفكرة للمتنبي ومفكرة للبحترى ومفكرة لابن الرومى ، ومفكرات للجاحظ وابن المقفع ومحمد عبده وقاسم أمين وسعد زغلول وسائر العظماء من الكتاب والمصلحين والقادة فى عصورنا الغابرة والحاضرة . وإذا خيفت قلة الإقبال على مفكرة مقصورة على أديب واحد فلتطبع منها طبعات متفرقة لأدباء متعددين . فيجتمع من المفكرة كلها ديوان منتخب لأدباء العربية ، ويقتنى القارئ الواحد أكثر من مفكرة واحدة إذا حسن الاختيار والتنويع

ومهما يكن من الإعراض عن القراءة فلا إخال أن الكتيب الصغير الذى يباع بدريهمات ويحتوى ثلثمائة وستين معنى للمتنبى أو المعرى يعدم مئات القراء إذا استكثرنا عليه الألوف ، وقد يقبل عليه من لا ينشط لقراءة الدواوين والكتب ، ولكنه يتسلى بالبيت بعد البيت والمعنى بعد المعنى كلما قلب صفحة لإثبات موعد أو تقييد حساب

* * *

ونعود إلى تاجور الذى بدأناه بالتحية وذكرنا من أجله هذه المفكرات السنوية

فنحمد الله أنه بات بمنجاة من الخطر وأن النبأ الذى انتظرناه مبشراً بسلامته قد سرى بين أرجاء العالم فى هذا العهد الذى ندرت فيه أنباء السلامة ، فكان له جمال الندرة الموموقة وغبطة الترفيه المنشود فى أوانه

ونفتح السنوية التاجورية على شهر أكتوبر فنقرأ له تحية الخريف التى يقول فيها : « المساء يومئ . وبودى أن أتبع السفر[1] الذين أقلعوا فى الزورق الأخير لعبور الظلام : منهم من هو راجع إلى مقره ، ومنهم من يذهب إلى الشاطئ البعيد ، وكلهم قد اجترأ على الرحيل ، وأنا على الورد وحدى قد تركت مقرى وأخطأت الزورق وذهب منى الصيف وليس لى فى الشتاء حصاد . وهأنذا أنتظر الحب الذى يجمع العثرات والخيبات ليبذرها دموعاً فى الظلام ، عسى أن تنبت الثمر حين يطلع النهار الجديد »

ثم نقرأ له فى الصفحة التالية : « تقبّلنى يارب . . . تقبلنى فى هذه السويعة ، واغمر بالنسيان تلك الأيام اليتيمة التى انقضت فى البعد عنك . وانشر هذه السويعة موسّمة فسيحة على حجرك وتحت ضيائك ، فكم ذا أقتفى الأصوات التى تجذبنى إليها ثم لا تهدينى إلى مكان . فاليوم هبنى يا رب أن أجلس فى سلام حيث أصغى إلى كلماتك من خلال هذه السكينة »

ذلك وحى الشاعر الذى له رسالة من الغيب وإلى الغيب فى صفحة كل يوم .

عباس محمود العقاد

---

(١) السفر أى المسافرون

إلى ...

للدكتور زكى مبارك

مولاتى

إليك أقدّم نجوى القلب وحنين الروح ، ثم أعتذر عنك إن سمحتِ ، ففى رسالتك الكريمة ألفاظ تحتاج إلى اعتذار ، فليس من الصحيح أنى أصانع فلاناً وأتوسل إلى فلان ، كما تتوهمين ، وإنما أنا رجلٌ مُرُّ المداوة حُلو الوداد ، ومن كان كذلك فهو خليقٌ بأن يوغل فى مخاشنة أعدائه حتى يوصَم بالإفراط فى القسوة والعُنف ، وأن يُكثر من محاسنة أصدقائه حتى يُتهم بالإسراف فى الرفق واللين

ومع أنى أنزه نفسى عن اختلاق المعايب لأعدائى فأنا أُرفق فى ابتداع المحاسن لأصدقائى ، ولست من الذين يستبيحون إيذاء أصدقائهم باسم الحرص على منفعة المجتمع ، أو الصوالح القومية ، لأن الصداقة عندى مبدأ من المبادئ ورأى من الآراء وعقيدة من العقائد ، وأنا أعدّ الاستهانة بحقوق الأصدقاء جريمة روحية تعرّض القلب لعقاب الله ذي العزة والجبروت

أنا يا مولاتى أومن بأنى مسئول أمام الله عن واجب التلطف مع أصدقائى ، بل أنا مسئول عن وجوب الاعتقاد بأنهم منزّهون عن المآثم والعيوب ، فاحترسى من اتهامى بالتقرب والتزلف ، فلله غَضَبات تنصبُّ على رءوس من يَتهمون الأبرياء ، حماكِ الله من التعرض لغضَبات السماء !

وقد يقع أن أصوّب سنان القلم إلى زميل أو صديق ، ثم أظلّ مع ذلك سليم القلب ، أمين الروح ، لأن لى رأياً فى البِرّ بأصدقائى ، وذلك الرأى يحتم الاهتمام بآثارهم الأدبية والعقلية من حين إلى حين ، لأنى أومن بأن النقد البرىء من الغرض صورة جميلة من صور العطف والرفق والإعزاز ، وأصدقائى يرون فى هذا المسلك ما أراه ، إلا أن ينحرفوا عن القصد فيروه من مذاهب الاستطالة والكبرياء ، كالذى وقع من فلان وفلان وفلان . على أيامى فى محبتهم ومودتهم سلام الروح وتحية الفؤاد !

أما بعد فما هذا الذى تقولين ؟

كنتِ مريضة منذ شهور طوال ؟؟؟

لله الحمد وعليه الثناء ، فما كان المرض أهول ما أخاف ، وإنما كنت أخاف عليك بَغْى الغدر وعُدوان العقوق !

كان قلبى فى تلك الشهور يهتف بالشوق إلى الروح اللطيف الذى كان يتصدق علىّ بالسؤال من وقت إلى وقت ، ثم انقطع عنى مع قدوم الصيف ، كأن لم يَكف ما حلّ بنا من المخاوف مع قدوم الصيف ! كان قلبى يقول ويقول ويقول ، لقد قال كل شىء ، ولم يقل إنك مريضة ، ولو أنه قال لقدمته فداء لأظرف فتاة فهمت أسرار قلبى وسرائر روحى

كنتُ يا مولاتى أرجو دائماً أن أصل من الهتاف بالحب إلى محصول نفيس من فهم ما فى الوجود من تيارات خفية تصنع ما تصنع فى وصل القلوب بالقلوب ، والأرواح بالأرواح ، بلا جهد ولا مشقة ولا عناء

فهل أستطيع القول بأن قلبك الغالى كان من نفائس ذلك المحصول ؟

وأعيذك أن تظنى — وبعض الظن حق — أنى أستهدى لمحة جديدة من لمحات العطف ، فأنا راض بأن تظلى محجوبة عنى ، ما دام لك هوًى فى ذلك الحجاب ، فهو على كل حال فرصة ثمينة لمن يزدهيها أن تقول : أتحداك أن تعرف من هى « ليلى من الليالى »

وأنا يا مولاتى أعرف ، فلقلبى أرصاد وعيون يطّلع بها على الذخائر التى تفرّد بها وطنى ، الوطن العظيم الذى ينجب عرائس لها أرواح فى مثل روحك العذْب الجميل

وهل خَفِى عنى منك شىء ؟

فى كل لفظة من رسائلك الكريمة عروسٌ تتخطّر وتميس فى دلال وكبرياء ، وفى كل نبرة من صوتك الرنّان — ولم أسمعه إلا عن طريق التليفون — فى كل نبرة من صوتك لحنٌ ينقل قلبى برفق ولطف إلى أجواز الخلود

فإن كنت فتاة حقيقية ، فأنت البشير بأمل معسول ، وإن كنت فتاةً خيالية ، فأنت المطلَع الجميل لأنشودة رائعة من وحى الخيال ...

ولى غرضٌ من هذا التشكيك ، فما أحب أن تكونى أنتِ أنت ، لئلا يعرف السفهاء باب التطاول على نجم السماء

إن الغرض الأصيل من نجوانا هو خلق روح جديد فى الأدب الحديث ، ولا بدّ من أن نقول مثل هذا القول دفعاً

لمكايد الرقباء ، وهل يكون السياسيون أعقل منا وهم يستبيحون تسمية الأشياء بغير أسمائها لغرض مدفون ؟

المهمُّ هو أن تعرفى بالرغم من هذا الرياء المصنوع أن قلبى أبرُّ وأعطف من جميع القلوب ، ألم أقل ألف مرة إنى أوّل من تقرّب إلى الله بالرياء ؟

وأنا مع ذلك أشهد بأنى لم أكن أصدّق أن فى مصر فتاةً ترجع إلى مقالات صدّها عنها المرض فى شهور طوال ، ثم تفكر فى تقسيمها إلى لوحات فنية مختلفة الظلال والألوان

ولكن ما السبب فى أن أطرب لرأيكِ الجميل كل هذا الطرب ؟

أيرجع السبب إلى أنه يزدهينى أن أشعر بأن هنالك قلوباً يسرُّها أن أكون فى دنيا الصبابة آمراً يطاع ؟

أم يرجع السبب إلى أنها أول مرة أشعر فيها بقسوة الحرمان من نشوة الافتضاح ؟

لو تعرفين أيتها الروح بعض ما أعرف لسرّك أن أكون فى الحب من أبطال الرياء ! !

ولو فهمتِ بعض الفهم لما آذاكِ أن أكون فيما تحدثت عن زيارة المنصورة من المرائين

اسمعى ، أيتها الروح الطروب

قيل وقيل : إن طيارات الأعداء قد تنتفع من النور الضئيل إذا أضيف بعضه إلى بعض ، لأنه عندئذ يكوّن هالة نورانية تدلّ على المستور من المنازل والقصور

وأنا كذلك أبخل بالكتابة عن الحب فى جميع الأحاديث ، كما تقترحين ، لأن ذلك لو وقع سينتفع به الحاقدون من أعداء الأدب الرفيع

ومن هذا الحديث تفهمين أنى أعرف هُويّتك الصحيحة ، فأنت طفلة بالتأكيد ، لأنك تجهلين عواقب الافتضاح

أنا افتضحتُ وسلمتُ — إن كنت سلمتُ — لأنى أقمت أدبى على أصول من الرمز والإيماء ، فما هواكِ فى أن أدلّ عليك بلا ترفق ولا استبقاء ؟ ؟

ومن يسترُنا إذا افتضحنا ، يا ظلوم ؟

ومن يستر الشمس إذا أطلّت بوجهها على الوجود ؟

الحب هو الشمس ، والرياء هو السحاب ، وللشمس قدرة سحّارة على تمزيق أردية السحاب ، فإن زعمتِ أنكِ مستورة بسحاب من فوقه ظلمات ، فاعرفى يا شقية أن ظلام الحب يعقُبه صباح ، وسنلتقى ولو بعد حين ، وسنذوق أذى الناس ولو بعد أزمان ! !

نحن أيتها الروح غرباء فى هذا الوجود ، وآية ذلك أنى لا أستطيع التسليم عليك فى صبيحة العيد ، لأنى ـ وفقاً للعُرف ـ لا أمتّ إليك بغير الوشيجة الروحية ، وهى وشيجة مجحودة الأصول والفروع عند أكثر الناس

فمن يعزّى المحروم من طلعتك البهية وصوتك الرخيم فى صبيحة العيد ؟

ومن يواسى الهائم الحيران وهو من الهُيام والحيرة فى شقاء وعناء ؟

أَمَا والله لو تَجدين وجدى   جمحتِ إلىَّ خالعةَ العذارِ

وهل كانت الحياة إلا فى الشعور بألا تعيش روح إلا مجذوبة إلى روح ؟

ما هذا الذى أقول ؟ وما الذى أجترح بهذا القول ؟

أمن الصحيح أننا لا نجد السعادة الحق إلا إذا تلاقينا فى صبيحة العيد وجهاً لوجه ، وتصافحنا يداً بيد ، وآذنّا الناس بما نحن عليه من وداد وصفاء ؟

أشعر يا مولاتى بأن موازين الأحكام الروحية قد اختلت بعض الاختلال ، وإلا فما بالُنا لا نصدّق بالتصافى التام إلا إذا تصافحت الأيدى وتلاقت الوجوه ؟

وماذا يصنع مثلى إذا ابتُلىَ بهوى فتاة روحانية ترى الأنس فى أن تلقانى فى مقالاتى ومؤلفاتى ، وأن ألقاها فيما تكتب إلىّ من رسائل معطَّرة بعَبير الرفق والحنان ؟

إننا غلبنا أسلافنا بكثرة الإنتاج الأدبى ، ولكننا لم نصل بعدُ إلى مسابقتهم فى ميدان الخلود ، لأن أدبهم على قلته مطبوع بطابع الصدق ؛ فقد كان فيهم من يقضى العمر وهو مجذوب إلى صورة لا تطمع فى رؤيتها العيون ؛ أما نحن فنيأس وننصرف لأول بادرة من بوادر المنع ، ويكون من أثر ذلك أن نُحرَم أكبادنا قسوة اللوعة والاحتراق ، وهى قسوة لطيفة محبوبة لا يتذوق عُذوبتها غير الأديب والفنان

ومن يدرى ؟ فلعل لى غرضاً فى العزلة يشبه غرضك فى الاحتجاب ، والإنسان حيوانٌ لئيم . وهل أجد نفسى إلا حين أخلو إلى قلمى ؟

وما سرّ تلك الخلوة ؟ وما أخبارها ؟

هى خلوة أقترب فيها من نفسى بعض الاقتراب ، وأشعر بمواجهة اللهب المقدّس الذى يمنّ به الله على أحد الأرواح فى إحدى الأحايين ، وأسمع صرير القلم بلهفة وشوق ، لأن كتاباتى لها فى أذنى وَقْع ، وفى قلبى وَقْع ، وما خططتُ حرفاً إلا وأنا مشغوف بتعرف ما يتسامى إليه من ألحان وأغاريد ، ولو شئتُ لقلت إن طاعة القلم هى التى تجذبنى إليه ، فهو لا يَصدُر إلا عن أمرى ولا يَصدَح إلا بما أشاء ، وهو لا يخطئ حين يخطئ إلا وهو مؤمن بأن أخطائى أصدق وأجمل من الحق ومن الصواب

فمن كان فى صدره عتاب أو ملام لانصرافى عن محضَره الأنيس فليذكر هذا القول ، فأنا لا أصادق من يتوهم أنى رجل يخطئ كما يصيب ، وإنما أصادق من يعتقد اعتقاداً جازماً بأن العيب حين يقع منى هو الغُرّة فى هلال شوال . وهل كانت لى عيوب إلا فى أوهام الذين أبنيهم ليهدمونى ؟ جزى الله بعض الزملاء « خير » الجزاء !

وماذا نصنع إذا التقينا يا شقية ، يا شقية ؟

سيهمُّك أن تعرفى الفرق بين زكى مبارك المؤلِّف وزكى مبارك المحدِّث (؟!)

وسيهمنى أن أعرف الفرق بين الفتاة التى تكتب إلىّ من بُعد والفتاة التى أراها من قُرب (؟!)

وعندئذ آثَمُ وتأثمين ، لأن شريعة الحب تبغض هذا الفضول

ألم تقولى فى إحدى رسائلك إنى أصانع فلاناً وأتوسل إلى فلان ؟

وأين كان التوسل والتصنع وقد صبرت على الحرمان من وجهك الجميل أكثر من عامين ؟

وهل حُرِمت منك عامين أو شهرين أو يومين أو ساعتين ؟

الجواب عند ليلى ، فاسألى ليلى ، ليلى المريضة فى العراق ، اسأليها تخبرك أن صدها عنى لم يكن إلا فنًّا من فنون الوصل ، والصدّ المقصود ليس قطيعة ، وإنما هو آية من آيات العطف ، لا حَرَمنى الله تعتُّب ليلاى هنا وليلاى هناك !

أين أنا مما أريد ؟ وهل ترينى أفصحتُ بما أريد ؟

ما نظرت فى رسائلك إلىّ إلا زاغ بصرى وطار صوابى ؟

فهل من الحق أنك تخافين عواقب التصريح باسمك المكنون ؟

أنا لم أجترح معك غير هفوة واحدة يوم استبحت تسجيل صورة من خطك البديع فى الكتاب الذى تعرفين ، وقد نهيتنى فانتهيتُ ، فما تحجُّبُكِ عن المحب الذى « أذنبَ ذنبَ » عقوبة الإفشاء » فتاب وأناب ؟

على أننى راضٍ عمّا صرنا إليه من الاكتفاء بمصافحة القلوب ، أدام الله عليك نعمة العافية ، وجعلك مصباحاً وهّاجاً لبيتك الرفيع ، ولا أرانى فيك إلا ما أحب ، يا زهرة الشباب فى الوطن المحبوب ، ويا أصدق شاهد على صحة ما قال قاسم أمين وهو يُهدى كتاب « المرأة الجديدة » إلى سعد زغلول

* * *

ثم ماذا ؟ ثم كان العطف النبيل فى منحى لقب « أمير البيان » فهل ترين هذا اللقب على سموّه يستوجب الدخول فى خصومات كالتى عاناها شوقى « أمير الشعراء » ؟

إن لقب « أمير البيان » أضيف إلىّ أول مرة على سبيل السخرية فى إحدى مجلات لبنان ، ثم أضيف إلى مرات على سبيل الإنصاف فى بعض جرائد مصر والعراق ، فماذا ترين أن أصنع فى حراسة هذا اللقب الرفيع ؟

أنا أومن يا مولاتى بأنه لا يمكن لأحد أن يكون أكتب منى ، إلا إذا استطاع أن يكون أصدق منى ، ومن المستحيل أن يكون فى الدنيا أحد أصدق منى ، وهل هان الصدق حتى يكون لى فيه منافسون من أبناء الزمان ؟

الصدق يحتاج إلى تضحيات عظيمة جدا ، ومن تلك التضحيات ما تعرفين وما تجهلين ، ولو علمت الغيب يا شقية لعرفت أن الصدق جرّنى إلى معاطب ومهالك لا يصبر على محرجاتها ومؤذياتها إلا من كان فى مثل إيمانى ، وقد صبرتُ وصبرتُ حتى اتهمنى الغافلون بالبلادة والجمود ، لأنهم لم يعرفوا أن دنيا الأدب فيها مبادئ تروض أهلها على الترحيب بمكاره الظمأ والجوع ، إن جاز القول بأن الله رضى لحظة واحدة بأن أحس مكاره الظمأ والجوع ، ولن أموت إلا مقتولاً بنعمة الترف فى الطعام والشراب ، فليغفر الله ما أدّعيه زوراً من الترحيب بمكاره الظمأ والجوع ، وهو الغفور التواب

وهل أنسى يا شقية أن الصدق حرمنى نشوة الاستصباح بوجهك الوهاج ؟

سيجموند فرويد
العالم النفسانى الكبير
للأستاذ صديق شيبوب

— ٥ —

حين أربى « فرويد » على السبعين كانت نظرياته فى علم النفس قد استحكمت حلقاتها وقامت كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً بعد أن عمل على تشييدها جزءاً فجزءاً ، وكان (الجزء يلد من الجزء تباعاً) كما يقول : « ليوناردو فينتشى ، وأخذت هذه النظريات تؤثر فى كل علم وفن . فهل استراح هذا الشيخ مطمئناً إلى ما قدم من خدمات وما أحرز من نصر ؟ »

لا شك أنه رأى مجال العمل ذا سعة ولكن أزعجه أنه سوف لا يجد فسحة من الأجل لإتمام ما يبتنيه من بناء للمستقبل . لذلك صار يلقى من الذروة التى تسنم قمتها نظرة شاملة على الماضى على طريقته التحليلية المعهودة ، ولكنه بدلاً من أن يعالج الأعصاب والنفس فى الفرد ، أخذ يعالج العالم ويبحث التاريخ كمجموعة إنسانية فريدة ، وبدلاً من أن يوجه أبحاثه شطر المادة أخذ يسوقها ناحية المسائل النظرية بالرغم من أنه كان يأبى هذا التوجيه فى شبابه ، وهو القائل من قبل : « إنى لا أرضى عن تركيب النظريات العامة » فكأنه أراد أن ينتحل لنفسه الأعذار حين قال :

« لقد طرأ على أساليبى فى العمل تغيير لا أنكر نتائجه . كنت من قبل لا أعرف كيف أحتفظ فى نفسى بنظرية أعتقد أنها جديدة وكنت أفضى بها بالرغم من أنه لم تجتمع لدى الأدلة على صحتها ... لأن الزمان كان منفسحاً أمامى ، كان الزمان خصباً واسعاً كما يقول شاعر ظريف . وكانت مواد البحث تتدفق عديدة بحيث أجد من الصعوبة اختيار كل ما بين يدى . أما اليوم فقد تغير وضع الأشياء فالزمان محدود الأجل ، وفيه من الفراغ ما لا يسده العمل بعد أن تضاءلت ظروف الاختبارات الجديدة . فقد أصبحت لا أجرؤ على الإفضاء بما أكتشفه من جديد مخافة ألا أجد متسعاً من العمر للتدليل عليه ... »

سلخ « فرويد » خمسين عاماً من حياته لا يقابل فيها غير مرضاه ، ولا يعرف من الإنسانية غير أفرادها المصابين التاعسين فلا غرو إذا نظر إلى الحياة فى مجملها نظرة مليئة بالتشاؤم فى الكتابين اللذين وضعهما فى طور شيخوخته وهما «مستقبل وهم» و « علة المدنية » ، ولا غرو إذا قرر أن « الحياة عبء ثقيل على الإنسانية جماء كما هى على كل فرد »

عرض « فرويد » للانسانية فى عصرنا الحاضر فوجد أنها بلغت من الرقى حداً بعيداً بينما لم يستطع هذا الرقى أن ينيل الفرد السعادة التى يصبو إليها كل إنسان

وللتدليل على هذا استعرض « فرويد » تاريخ العالم منذ الإنسان الأول أى منذ كان الإنسان يجهل القوانين والأخلاق ويعبث كالبهيمة حراً طليقاً من كل قيد . وعندما تألفت الجماعات والقبائل حد هذا التآلف من أطماع الفرد وأهوائه ، لأن كل حياة اجتماعية مهما كان شكلها أولياً تحد من حرية الفرد فى سبيل إخوانه ، فصار لزاماً عليه أن يمتنع عن أشياء كثيرة ، فاستحدث الحرام والحلال ، ونشأت التقاليد والتواضع والحقوق والواجبات واستتبع هذه جميعها العقاب الذى يقع على من يخالفها

هل أنسى أن الصدق جعل لأعدائى حججاً دوامغ فى مقاومة مؤلفاتى ؟

الصدق فى الدنيا غريب ، وأنا فى الدنيا غريب ، والله هو المسئول عن رعاية الغرباء !

أما بعد ، ثم أما بعد ، فسأظل إلى الأبد عند ظنك الجميل ، وسأغفر لك التطاول علىّ من حين إلى حين ، لأنى آخر من يتذوّق تجاهل المحبوب لأقدار الحبيب

من نِعم الله أن نعيش قلباً إلى قلب ، لا جنباً إلى جنب ، فما كان الهوى العذرىّ إلا الروح المكنون فى قصيدة الوجود

وإلى اللقاء يا شقية فى عالم الفكر والوجدان

ولكن متى ؟ متى ؟ متى ؟ وأنت تؤمنين بأن البخل أشرف خلائق الملاح !

قالوا عشقتَ فقلت كم من فتنة ... لم تغن فيها حكمة الحكماء
إن الذى خلق الملاحة لم يشأ ... إلا شقائى فى الهوى وبلائى

زكى مبارك

ولم تلبث معرفة الحرام وخوف العقاب ، وكانتا ظاهرتين ماديتين ، أن نفذتا إلى رأس الفرد وقلبه فاستحدثتا فيهما ما هو أبعد من الذات المادية ، أى أنهما أوجدتا فيه الضمير ، ونشأت فى الوقت نفسه الثقافة العقلية والفكرية والدينية ، وأوجدت فكرة الإله القدير العليم يقظة الضمير وكبت الشهوات فتحولت القوى المادية التى كانت تحرك الإنسان الأول إلى قوى عقلية وأخلاقية خالقة وأخذت تسيطر على العالم حتى أخضعت عناصره واستخدمتها فى سبيل غاياتها

ثم قرر « فرويد » أن الاختراعات والاكتشافات التى قربت الإنسان من درجة الألوهية من حيث الخلق لم توفر للانسانية أسباب السعادة ولم تدخل الغبطة والسرور عليها . وسبب ذلك أن الثروة الثقافية التى انتهى إليها الإنسان لم ينلها مجاناً لأن ثمنها الحد من حرية الغرائز . وكل ربح للانسانية خسارة تلحق بالفرد فى أسباب سعادته

تماودنا فى أحلامنا ورغباتنا الغرائز التى أجبرتنا المدنيـة والأخلاق على كبتها ، ولا تزال الذات الأخلاقية تصبو إلى الفوضى والحرية والحيوانية التى كان الإنسان الأول يتمتع بها . فكأننا نفقد من حيويتنا كلما تقدمت المدنية . ويحق لنا إذن أن نتساءل : هل المدنية لم تسط على نفس الفرد ، وهل (ذات) المجتمع لم تصب (ذات) الفرد بغبن فاحش ؟

فما هو الدواء الذى يصفه « فرويد » لمعالجة العلة التى وصفها ؟ إن علم تحليل النفس يقرر نظرياً تفوق العقل الباطن والغرائز على العقل الواعى ، ويقرر عملياً أن تغلب العقل الواعى هو الوسيلة الوحيدة لشفاء الإنسان

ترى هل يصف « فرويد » للمجتمع ما قرره من قبل للفرد بعد أن لاحظ ما فى قوله من الاختلاف بين النظريات وبين العمليات ، وهو الذى قرر بشكل حاسم أن الغرائز الهمجية هى التى تسيطر على العقل

كان فرويد قد شهد الحرب الأخيرة ، ولاحظ تغلب الغرائز على العقل ، فلم يقرر علاجه تقريراً باتاً ولكنه رجا أن تصل إليه اليد الإنسانية بعد ردح من الزمان متملاً بالأمانى فقال : « نستطيع أن نستمر على القول فى حق بأن العقل الإنسانى ضعيف إذا قيس بالغرائز ، ولكن هذا الضعف أمر عجيب . إن صوت العقل خافت ولكنه لا يفتأ يتردد حتى يسمع ، والعقل لا أشك واصل إلى غايته فى النهاية بالرغم من اندحاره أكثر من مرة ، وهى ظاهرة من المسائل النادرة التى تحملنا على التفاؤل فى مصير الإنسانية . إن تفوق العقل قائم فى منطقة نائية ، ولكنها ربما كانت غير بعيدة المنال »

* * *

وكان آخر مؤلفات « فرويد » كتابه عن موسى وفكرة التوحيد عند اليهود ، وهو الكتاب الذى قرر فيه أن موسى لم يكن من العبريين ، وأنه كان مصرياً مستدلاً على ذلك باسمه . إن كلمة « موسى » فى رأيه مصرية معناها الطفل أو العبد بدليل اسم الملك « تحوتمس » أو « تحوت موسى » أى عبد « تحوت » فيكون اسم موسى اختزالاً كما نقول بالعربية « عبده » لعبد الله . وقد أطلقت ابنة فرعون عليه هذا الاسم المصرى الذى لم يكن معروفاً عند العبرانيين

كان موسى من رجال حاشية الملك أخناتون الذى كان أول من قال بالتوحيد عند قدماء المصريين ، وجرى بعد وفاة هذا الملك أن ثار الكهنة واستردوا سلطانهم فتفرق أشياعه ، ومنهم موسى الذى هرب من مصر وأخذ معه الإسرائيليين لأنهم كانوا مستعبدين مضطهدين

وقد عرض فى كتابه لأدلة عديدة مثل مصرية أسماء اللاويين الذين يقول إنهم كانوا أشياع موسى ، واقتباس العبريين عن المصريين الختان وتابوت العهد وهندسة بيت المقدس إلى غير ذلك مما يطول بنا بيانه .

* * *

هـذه آثار « فرويد » فى العلم والفكر . ولا شك أن اسمه سيظل عالقاً بنظرية العقل الباطن التى اكتشفها والتى جعلته زعيم مذهب تشيع له علماء كثيرون نذكر فى طليعتهم « يونج » و « ادلر » اللذين بنيا أبحاثهما على نظرياته ووصلا إلى نتائج تختلف عن نتائجه خصوصاً فى تفوق الغريزة الجنسية واللبيد ، وقد أرادا بهذه الكلمة الأخيرة معنى آخر غير الذى قرره لها « فرويد »

على أن أثره لم يقتصر على علم النفس وطب الأعصاب بل تعداها إلى مختلف العلوم والفنون كالتربية (بداجوجيا) ودرس الميثولوجيا والشعر والنقد والفنون الرفيعة

حين قرر فرويد أن الناس قد يتشابهون في أجسامهم ولكن نفس كل فرد كائن قائم في ذاته لا وجه للشبه بينه وبين غيره فتح باباً جديداً، لا في العلم فحسب، بل في فن النقد والقصة وكتابة التراجم، وجعل من بعض العلوم التي كان العلم الحديث يعتبرها ضرباً من الوهم كقراءة الطالع بواسطة النجوم أو الكف أو الكتابة علماً يقوم على نظريات جديدة لعلها صحيحة

وخلاصة القول أنه مهما اختلف العلماء في الحكم على مذهب الفردية من ناحية العلم والأخلاق فلا سبيل إلى إنكار فضله لأنه أفاد الإنسانية فوائد جة في مختلف النواحي فسار بها شوطاً بعيداً في التقدم والرقي وساعد على تخفيف ويلاتها وزاد في ثروتها العلمية والفنية فاتسعت آفاق البحث وتشعبت أصوله وفروعه .

صديق شيبوب

١٥ - ٣٧

فخري أبو السعود

للأستاذ أحمد فتحي مرسي

قضى الأستاذ الشاعر فخري أبو السعود — طيب الله ثراه وخلد ذكراه — فانطوى بموته صديق يعزّ على الأصدقاء فقده، وأديب يشقّ على الأدب رزؤه فيه، وعالم لن ينساه العلم وإن نسى الكثير غيره، فمن حقه عليّ أن أكتب، ومن حقه على الرسالة أن يتسع صدرها لما أكتبه عن أديب طالما طلعت علينا بالكثير من آياته وغرره .

قال البعض إنه مات منتحراً برصاص مسدسه في لحظة ضيق بعد أن خط هذا البيت على رقعة :

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش
ثلاثين حولاً - لا أبالك - يسأم

وقيل إنه فقد ولده في باخرة ترحيل الأطفال الإنجليزية التي أغرقها الألمان، وقيل إنه انقطع اتصاله بأسرته في انجلترا، وقيل إن في الأمر جريمة قتل ... إلى غير ذلك مما يذيعه الناس في مثل هذه المناسبات، إذا عمى عليهم الأمر ووقعوا في الحيرة، فذهبوا يتقصصون الآثار، وينتحلون العلل، ويضربون في الأوهام ... ثم انبرت أسرته تكذب كل ذلك وتقول إنه مات برصاصة طائشة من رصاص مسدسه أثناء إصلاحه ... كل ذلك لا شأن لنا به فلقد مات الرجل — رحمه الله — وانقضى الأمر؛ إلا أن ما عرفته في فخري طول صحبتي له من صموده للحياة، وثقته بالله وعدم تطيره من الحادثات، يجعلني كثير الشك فيما قيل عن الانتحار ... فقد كنت معه مرة في معرض الحديث عن مقال في الانتحار لأديب كبير، ثم تطرق بنا الحديث إلى ذكر فلان من أدباء الشباب — وكان فخري يعجب بأدبه ولا يعرفه — وأنه قد حاول الانتحار في ذلك الحين، فسخر فخري منه، فلما عرضت على فخري أن أعرفه به ابتسم قائلاً : « إنني لا أود أن أعرفه »

***

عرفت فخري أول ما عرفته في أول عهده بالتدريس في المدرسة العباسية الثانوية، وكان ناظرها في ذلك العهد الأستاذ عبد الرحمن شكري . قدّمني إليه صديق، فخلت بادئ ذي بدء، أنه أحد الطلبة، فقد كان — رحمه الله — ضئيل الجسم، قصير القامة، قليل الكلام، شديد الخجل، لا تبدو عليه سنه؛ فلما قدمه الصديق إليّ، خلت أنه هازلٌ لا جاد، أو أنه ربما اشتبه عليه الاسم — فكثيراً ما تتشابه الأسماء —، وساعد على ذلك أن الصورة التي كنت رسمتها لفخري في ذهني - من المطالعة - تتباين مع ما أراه جد التباين، فسلّمت عليه في فتور ووناء، ثم إنه كان قليل الكلام — كما قدمت — فتوهمت أن ذلك قلة مبالاة، فقابلته بالمثل، فكانت مقابلة جافية أسرّها لي فخري، وعتب عليّ بعد ذلك بزمن

ثم مضت الأيام فذهبت إليه في بعض الشأن، وكنت قد نشرت قصيدة بجريدة الأهرام بعنوان « الصباح »، فقابلني مقابلة طيبة، وجلسنا نتحدث عن القصيدة، ثم عن الشعر في مصر، ثم قرأ لي قصيدة عنوانها « نجوم السينما » كان يعدّها للرسالة، وأهدى إلي كتابه عن الثورة العرابية؛ ... ثم تكررت المقابلات بعد ذلك، واتصلت بيننا أسباب المودة، فكنا نلتقي في أكثر الأيام

نقل نخرى بعد ذلك إلى الرمل الثانوية ، وتركت أنا الأسكندرية ، ثم عدنا فالتقينا فى الأسكندرية بعد ذلك بعام ، وكنت قد اتصلت بالرسالة ، وكان قد بدأ يكتب فيها سلسلة مقالاته عن المقارنة بين الأدبين العربى والانجليزى ، فأثارت اهتمام كثير من الأدباء ، وقد أبدى لى الأستاذ الزيات إعجابه بها أكثر من مرة ، وكتب إلى نخرى يقول فى ختام خطاب له — أطلعنى عليه نخرى — : « فأستزيدك ، ثم أستزيدك ، ثم أستزيدك » . وكان فى نية الأستاذ الزيات طبع هذه المقالات بعد إتمامها ، ولكن نخرى لم يتمها

ظهرت بعد ذلك مجلة الرواية ، وبعد ظهورها بنحو عام وقعت جفوة بين نخرى وبين الزيات أدت إلى قطع هذه المقالات ، وانقطاع نخرى عن الرسالة ... قابلته بعد ذلك بحين فشكا لى شيئاً من ركود الذهن بعد انقطاعه عن الرسالة ؛ وقال لى إنه شديد الخجل لأن الأستاذ الزيات ما زال يرسل إليه مجلتى « الرسالة » و « الرواية » فى حين أنه لا يؤدى له أية خدمة نظير ذلك ...

وظهرت فى ذلك الحين مسابقة وزارة المعارف فى التأليف ؛ فعرض علىّ بعض ما كتبه . وكان ـ رحمة الله عليه ـ كثير الشك فى الفوز ، فطمأنته ورجوته أن يتمّ ما بدأ ، فأتمه ـ وأظنه فاز بجائزتين ـ ؛ ثم انقطع حيناً عن الكتابة وانصرف إلى القراءة ، وكنت ألقاه فى ذلك الوقت كل يوم تقريباً ، فنمضى سيراً على الأقدام فى طريق « الكورنيش » ، ويمتد بنا الحديث فى الأدب والجدل أحياناً حتى نجد أنفسنا فى جهة لم نكن نقصدها ؛ وكثيراً ما كان يشغلنا الحديث حتى نقطع فى السير مسافات بعيدة دون أن ننتبه ؛ فقد كان رحمه الله يؤثر السير على الجلوس ؛ وكان شديد النفور من المجتمعات ولا أذكر أننى رأيته مرة فى مقهى أو منتدى ؛ ولعل ذلك هو السبب ، فى سعة اطلاعه ، ووفرة إنتاجه ، فكان يقسم فراغه بين التريّض والقراءة ، والكتابة . والظاهر أن ذلك يرجع إلى طبيعته الهادئة ، فقد كان يكره الضجة ، ويتجنب الناس . وكان منزله فى بقعة هادئة من رمل الأسكندرية ، وحتى طفله يبدو لى أنه ورث عنه هذه الميزة ، فكان ينفر من الغريب ، ويبتعد عن الناس ، أذكر أنه تركه معى مرة وذهب لبعض شأنه ، فجعل الطفل يصرخ ويبكى ويتملص منى ليجرى ، وعبثاً حاولت تهدئته ولكنه لم يهدأ حتى عاد والده فسار إلى جانبه مبتعداً عنى

* * *

ولا أود أن أختم هذه الإلمامة قبل أن أشير إلى دراسة نخرى واتجاهه فى الأدب ؛ فقد تخرج فى المعلمين العليا واشتغل بعض عام بالصحافة ، ثم اختارته وزارة المعارف فى بعثة لها فتخرج فى جامعة إكسترا فى انجلترا ـ وهناك تزوج من زميلة انجليزية له فى الدراسة ـ فلما عاد اشتغل بالتدريس فى المدرسة العباسية الثانوية بالأسكندرية ، وكان نخرى ـ رحمه الله ـ كما علمت منه مكباً على القراءة من صغره ، ولاسيما قراءة القديم ، حتى أوشك أن يستظهر كتباً بأكملها ، ويظهر ذلك جلياً فى أسلوبه ، فتمتاز كتابته بقوة الأسلوب وجزالة الألفاظ . كذلك تبدو فى شعره محاولة تقليد القدماء ، وقد تأثر فى هذا بالبارودى ، وكان يحفظ جل ديوانه ومختاراته . وكان يؤثر من الشعراء القدماء أبا تمام وبعض شعراء الجاهلية لا سيما طرفة بن العبد . كل هذه الدراسات القديمة كان لها أثر واضح فى شعره لا يخفى على قارئه ، وكان يختار منها أكثر شواهده فى مقارنته بين الأدبين العربى والإنجليزى . وكان يؤثر العقاد على شوقى وحافظ ، وكثيراً ما قام بيننا جدال طويل فى ذلك . وكان رحمه الله ينظم الشعر فى سيره فتراه يغمغم فى سيره بكلام لا تستبينه لانخفاض صوته ، حتى إذا جلس كتب ما قال ، ولا يزال كذلك حتى يتم القصيدة

وهناك ناحية تجب الإشارة إليها هنا وهى ضيق صدره بالنقد ، وإن كان سلم منه فى الصحف ، وكثيراً ما كنت آخذ عليه ذلك . حدث مرة أن عثرت له على بعض أخطاء فى نسبة الشواهد ، وعلى هنة لغوية فى قصيدة له ، وكان فى ذلك العهد يقضى الصيف بانجلترا ، فانتظرته حتى عاد فنبهته لذلك فغضب منى ، ودعانى فى اليوم التالى وقد جمع لى بعض ما كتبت فى الرسالة وجعل ينتقد لى بعض المعانى حتى يرد على بالمثل

وقد نشر نخرى القسط الأكبر من كتابته بمجلة الرسالة ، واتصل فى أواخر أيامه بمجلة الثقافة وجعل يكتب بها حتى توفاه الله ، وفيما عدا ذلك له متفرقات بجريدة الأهرام والهلال وغيرهما

من الصحف، هذا غير كتابيه (الثورة العرابية) وقصة (تيس)

***

رحمك الله يا فخرى، وأجل عزاء الأدب فيك، ولطف بأصدقائك وعارفيك. فقد كنت نعم الأديب ونعم الصديق...

هذا بعض حقك عليّ، أرجو أن تجد لى العذر إن كنت قد قصرت فيه أو أخطأت، فإن الحزن يغالب خاطرى وذاكرتى كلما أمسكت القلم لأكتب عنك، أو أنا كما يقول شوقى:

رثيتك لا مالكا خاطرى … من الحزن إلا قليلاً خطرْ
سقتك الدموع فإن لم … يدمن كمادتهن سقاك المطر

أحمد فهمى مرسى

عودة الى الروض!

للأستاذ محمود البشبيشى

كنت أعلم أن للقلم غفوة كما للقلوب، ولكن لم أكن أدرى أن للقلم صحوة كصحوة القلوب

وما كنت أعلم أن القلم يدرك معنى الحنين، ويحس لوعة الفراق، وأنه كالقلوب تحس أن الحنين دليل الرغبة، والرغبة سبيل المودة

لم أكن أعلم هذا، حتى قرأت كلمة الدكتور الفاضل زكى مبارك، فأحسست أن القلم غلبه الحنين والشوق، وأنه أصبح من مادة القلوب يسيره الشعور ويأمره فيطيع!

... ودبت فيه الحياة من جديد! وأخذ يمطرنى وابلاً من الخواطر السيالة بالعاطفة، المتلألئة بالنور، الفواحة بالزهر، تخاص من فكرة لفكرة خلوص كلمة الحب من قلب المحب! نقية طاهرة. وللقلم حق عزيز عليّ... آه من تبعاته ورغباته!

فيا ليتك يا صديقى ما تلفت فهجت أحلاماً كانت هى أيضاً فى حلم! ويا ليت قلبى ما تلفت وتسمّع... ياليته، ياليته!

فأيقظ القلم وحرك الطبيعة الكامنة فى النفس كون سر الحياة فيها... أنت السبب فى كل ذلك يادكتور... أنت السبب فى العودة وحنين المودة، فقد أحسست روحاً غريباً ينشره أريج كلماتك سحراً تتلفت إليه القلوب فيقيدها! ثم هى برغم ذلك تهنأ بالقيد لأنه قيد روحى نبيل فى ضغطه على النفوس... فأعجب لقلب ينعم بأن يتعذب ويتعذب بأن ينعم! إنى هذا القلب الغريب!

فن الناس من يرق ويرق، وينبل وينبل، ويدق شعوره حتى يُصبح كل جزء من جسده البشرى قلباً حياً... !

وأنت أيها الصديق من هذه القلوب التى تمشى على الأرض! وتتألم لأنها لا تستطيع إلا أن تتألم، وتحب لأنها لا تستطيع سوى أن تحب! هى حرة فى كيانها وليست بحرة... صريحة فى فعلها وميولها وليست بصريحة... يقيد حريتها خوف الجور على حرية الغير! وهذا نبل جميل... ويمنع صراحتها خوف جرح قلوب الغير... وهذا نبل آخر...

أنت من هذه القلوب أيها الصديق وإن احتار فى أمرك الكثير، وطالبك البعض برفع القناع عن زكى مبارك الأديب. وليتهم قالوا عن القلب المبارك الأديب!

أيها القراء إن أردتم معرفة زكى مبارك الرجل فأنا أقول: إنه الوفاء والشهامة والسهولة فى الطبع... وإن أردتم معرفة زكى مبارك الأديب أو القلب المبارك الأديب واحترتم فى أمره فعليكم بما كتب وما سوف يكتب فى عالم الحب والجمال وصوفية الحب والجمال

هناك تلمسونه روحاً تتدفق، وقلباً يعرف كيف يحب وكيف يكره، كيف يصارح وكيف يرائى، كيف يتألم فيستر الألم لعزة فى نفسه، ويفرح فيملأ الدنيا غناء، لأنه قلب إنسانى كما قلت لا يحب أن ينعم وحده. بل يسعده أن يُطلع قلوب الغير على أطياف السعادة!

أيها الحائرون فى أمر الدكتور، أنا لا أرى سبيلاً للحيرة فى أمره. وكيف تصح الحيرة فى رجل «يقتل الوقت والعافية فى تذكر القلوب النوادر، وفى دنياه تكاليف تميد من أثقالها الجبال. لأن الوجب معروف وهو الوثاق المسطور فى اللوح المحفوظ بألا تعيش روح إلا مجذوبة إلى روح»

كيف الحيرة فى رجل يرى من يكذبه صادقاً. لأنه كاذب فى تصوير ما يعانيه!

تلك يا دكتور فلسفة جميلة، وأجمل منها أنك أحكمت أحبولة الرياء فى وجه الوشاة والعذال . إنه رياء نبيل حقاً . . . ولكنى فى حيرة من أمر ذلك الرياء الذى تقربت إلى الله به . أنا فى حيرة فهل لك أن تأخذ بيد صديقك من هذه الظالمة فيطمئن قلبه عليك وعلى نفسه ! أهو رياء المجد كل ما فيه حب ووفاء ! . . . ما أصدق حنين القلم وما أجمل العودة إلى الروض !

يا صديقى ... لست أدرى أى سحر فى ظلال دوحة أفكارك استطاع أن يخرجنى من صمت ظننته لا يفارقنى ولا أفارقه . . . أى سحر يا صديقى أى سحر !

تُرى هل ودعنى الأدب يوم ودعته لغير عودة ، وفى نفسه أن يعود ، وأن يكون بعثه على يدك يا دكتور ، وإلا فما هذا الصوت الغريب الذى يناديني من تنور أزهارك ؟ وما هذه الألوان النفسية الصوفية التى تغمرنى من خواطرك الجريحة فى الشوق والحب !

تسأل يا دكتور ماذا تضمر الدنيا فى أيامها المقبلات ؟ ! إنها تضمر الخير والحب والنور والمجد ، وما كان لها سوى أن تضمر ذلك للقلب الذى صير الحديث عن الوفاء والحب شريعة من شرائع الوجود ! ! للقلب الذى يسأل أين بائع النسيان ؟ وأين بائع السلوان ؟ للقلب الذى علمته صوفية الحب ألا يرائى من يبغض ، ويرائى من يحب ! ! إنها القلوب أيضاً يا دكتور لها من منطق شعورها صراحة لا يعرفها سوى الذين خلقوا وكل ما فيهم قلوب حية ! !

يا طالما أحسست فى نفسى شيئاً لم أستطع إدراكه ، ومر على قلبى إحساس لم تفسره دقاته ! ولكننى اليوم واليوم فقط علمت هذا الشىء وعرفت هذا الإحساس . إنها أغنية العودة إلى الروض ، أغنية القلم تذكرنى بأيامه ولياليه، بل بأيامنا ولياليها أيام كنا يا دكتور نصل الحديث بالحديث ، نتقابل لنتكلم فى النثر والشعر ، ونفترق لنعود للنثر والشعر ··· أيام كانت نفس تشعر بالحياة لأن كل شىء فى الحياة يشعر بها ··· وقبل أن تسود الضمائر وتجحد الأيادى !

··· لا يكاد يظهر كتاب حتى نقتله بحثاً أو ننقده نقداً نزيهاً يعلمه الدكتور . تذكرت هذه الأيام والليالى ، وما كان منا فى هذه الأيام والليالى ، وهاجت الذكرى فى نفسى فأصبحت شعوراً قوياً، وكبر الشعور القوى فصار رغبة ، وتجسمت الرغبة فكانت عودة إلى الروض ، الروض الحبيب ، روض الأدب ، وكنت أنت باعث هذه الرغبة وصاحب الفضل فى تلك العودة

فيا أيها القلم تحية لقاء حبيب منى ! . . . علم الله ما تركتك زاهداً ... إنما عز علىّ أن أشرعك فى وجه من يشرع فى وجوههم السيف وشىء آخر أحقر من السيف ! ولكنها عودة جميلة ... ومن العيب أن أناديك فلا تلبى النداء ... إن الروض قد ابتسمت أزهاره فلم لا تبتسم ... وإن رفاق الفكر والقلب ينتظرون منك الأغنية ... والعودة إلى الروض ... بعد أن ظن رفاق السوء أنها غفوة لا صحوة بعدها ! أيها القلم ، عزيز علىّ هذه الغيبة الطويلة ... وحبيب إلى هذه العودة الجميلة ... وليعلم الذين جحدوا آياتك . . . أن الدائرة تدور . . . وأنك بالمرصاد ! وأن القلب الكريم إن هو لم يثر فى وجه المعتدى يوماً فله عودة وعودة غير عودته إلى الروض !

(المنصورة) محمود البشبيشى

عراك فى معترك أى معترك

الأســتاذ زكى طليمات

هذا التحدى بالسباب من جانب الأستاذ محمد متولى[1] نرده إلى صاحبه

نحن هنا ، على صفحات هذه المجلة للأدب الصرف وللعلم الخالص ، وقد نكون فى غيرها لما يريده الأستاذ الجامى الثقافة . لهذا نقول له إننا نحجم عن ذلك فى هذه الصحيفة ، لا إكراماً لشخصه ولا ترفقاً لحاله ، لأن من يقذف الناس بالحجارة من غير مبرر لا يرده ويحسن تأديبه إلا القذف بما هو دون الحجارة ، ولا لأى اعتبار آخر سوى وقار الموضوع الذى تبادلنا الحديث فيه ، وهو موضوع جدير بالرعاية فى معالجته على الوجه الصحيح . كشف عن لون جديد من ألوان المعرفة ، وتقرير صنف حديث من أصناف التأليف المسرحى ، نقول إنه موضوع طريف ، أثار وسيثير حوله جدلاً طويلاً ستتبارى فيه الأقلام وتختبر المعارف وتسقط الأقنعة الزيفة عن الوجوه ، فيتضح ـ وليس للمرة الأولى ـ كيف أن النقد يجب أن يقوم قبل كل شىء على الخلق الرضى المتواضع لا على التعلم المزهو فحسب ، لأن التعلم وحده لا يحقق إنتاج الأديب الأصيل الذى يصدر أحكامه عن عقيدة مخلصة فى الحق والعدالة ، وكيف أن الذكاء ، وهو من صقل التعلم ، مجرداً عن الخلق العادل ، إنما يكون أداة للتضليل ومعولاً للشر ، ثم ينهض البرهان من جديد على أن بعض التعلم « وإن أذهب عن العاقل طيشه ، فإنه يزيد الأحمق طيشاً ، كما أن النهار يزيد كل ذى بصر نظراً ، ويزيد الخفاش سوء النظر »

نحن إذن أمام قضية خطيرة للعلم وللقراء ولهذه المجلة ، قضية يجب أن يقضى فيها بشرعة الحق وبقسطاس العلم ، والعلم أمانة ، وذهن القارئ أيضاً أمانة لدى الكاتب ، ولدى أستاذنا صاحب هذه المجلة

(١) الرسالة رقم ٣٨١ صفحة ١٥٩٩

لهذا ، سنمضى فى أثر الأستاذ متولى مهما شاء له أدبه

***

وتمهيداً للبراهين التى سنسوقها للتدليل على ما وصفنا به نقد الأستاذ متولى ، نعرض أولاً للباب الموضوع حتى يحسن القارئ تفهمه

الرمزية المستحدثة أوسع نطاقاً من رمزية « ريبو »

مثار الخلاف أننى دفعت رأى الأستاذ متولى فى أن الرمزية التى نحن بصددها فى مسرحية « مفرق الطريق » أوسع نطاقاً من الرمزية التى حددها الأستاذ متولى ، نقلاً عن « ريبو » وحده فى كتابه (المخيلة الخلاقة . باريس سنة ١٩٠٠)

الأستاذ متولى يقول بلسان (ريبو) : « إن الرمزية فى الفن تستخف بتمثيل العالم الخارجى تمثيلاً صادقاً فإذا الناس والأشياء تمر دون أن تنطبع بزمان أو مكان ، ولكنها تمضى وما تدرى أين حصلت ولامتى ، فلا هى تمت بصلة إلى أى بلد ، ولا هى تمثل عصراً بذاته » ، ولما كانت (مفرق الطريق) تعرض صوراً محلية تجرى حوادثها فى مصر ؛ وما دام بشر فارس قد أسمى بطل مسرحيته (هو) وأسمى بطلتها (سميره) ، إذن فالمسرحية لا تمت فى نظر الأستاذ متولى إلى الرمزية فى شىء ، وأنها محاولة مخنقة ، وأن مؤلفها لا يصح له أن يؤلف ، إلى غير ذلك من العبارات التى أصدرها بمراسيم تحمل اسمه الكبير ! ! !

سجل متولى هذا فى أول مقال له فرددنا عليه فى مقالنا السابق

١ — بأن (ريبو) واحد ممن كتبوا فى علم النفس ، وأن ما أدلى به هذا (الريبو) بصدد الرمزية فى الأدب ، قد فات أوانه بعد أن انبسطت للرمزية أطراف جديدة أخذ بها مؤلفون محدثون فى تأليف المسرحية والقصص والشعر ، وذكرنا أسماء لبعض هؤلاء المؤلفين ، وكلهم من المبرزين فى عالم الأدب الرفيع أمثال (بيراندللو) ، (جيرودو) ، (حانتيون) ؛ وهم مؤلفو مسرحيات رمزية صميمة لم تتقيد بآراء (ريبو) من حيث الاستخفاف بتمثيل العالم الخارجى وغير ذلك ؛ بل هى مسرحيات تنطبع بزمان ومكان ، وشخوصها يحملون أسماء كسائر الناس ، وتجرى حوادثها فى مدن معروفة . وذلك أن الرمزية المستحدثة أصبح مدارها

الأول استكناه خفايا النفس وبواطن الأشياء ، أو بمعنى آخر « استنباط ما وراء الحس من المحسوسات الخ » ، كما أورده بشر فارس فى مقدمته لمسرحيته المذكورة

٢ — ولم نقف من هذه الأقوال عند مجرد الرد فحسب ، وإنما أضفنا إلى هذا النقص عند (ريبو) ذكر نقص آخر ، قرره العالم (أبيل راى Abel Rey) أستاذ تاريخ العلوم وفلسفتها بجامعة السربون . وذلك فى بحث له عن الاختراع بكتاب Traité de Psychologie لجورج دوماس (صفحة ١٤٤١ السطر ١٤ — ٢٠ الجزء الثانى طبعة باريس ١٩٢٤) هذا نصه :

La psychologie de Ribot à ce sujet nous semble encore trop dominée par la conception automatique et simpliste de l'atomisme mental, bien qu'il ait insisté — ce qui le rangait parmi les novateurs à l'époque — sur ce fait que les états associés ne sont pas simplement juxtaposés, mais qu'ils « se modifient par le fait même de leur connextion »

ومجمل ترجمته : « يلوح لنا أن علم النفس عند (ريبو) فى مسائل « المخيلة » والاختراع لا يزال تحت تأثير النظرية الآلية البسيطة الخاصة بتجزؤ الذهن إلى ذرات متجاورة »

٣ — وأيدنا هـذا النقص بذكر تقدم علم النفس فى هذه المسألة بعينها على أيدى الفيلسوفين (وليم جيمس) و (برجسون) !

(وقبل أن أنتقل من هذه النقطة أرجو القارىء أن يقف قليلاً أمام هذا النص الفرنسى ومجمل ترجمته فله قصة طريفة سنوردها بعد قليل !)

٤ — ولم نكتف بكل هذا ، وهو من صميم العلم الذى لا ترقى إليه الشبهات ، بل رجعنا إلى (ريبو) نفسه فى كتابه المذكور (المخيلة الخلاقة) ووقفنا عنـد النص الذى اقتطعه الأستاذ متولى ليدعم دعواه فى الرمزية ، فوجدنا ، ويا للعجب ، أن (ريبو) لم يتحرج التحرج الذى أراده متولى ، إذ أنه ، أى (ريبو) لم يحتم التحتيم كله أن تكون الرمزية ممعنة فى الإبهام إذ يقول « إنه كثيراً souvent ما تفلت الرمزية — فى عهده طبعاً — من التحديد الزمانى والمكانى ، وإذ يقول إن الأسماء ، أسماء الأشخاص فى المسرحية يعبر عنها أحياناً quelquefois بهو أو هى ، أو هم !

٥ — ثم تساهلنا مع الأستاذ متولى فقلنا إنه على فرض أن (ريبو) إله فى علم النفس ، وأن آراءه فى الرمزية لم يشحب لونها ، وعلى فرض أن العلماء مثل Abel Rey لم تطعن فى صحة موقف (ريبو) فى كلامه عن « الاختراع » و « المخيلة » كما قدمنا ، على فرض كل هذا ، فإنه من الغريب أن يأتى متولى عام ١٩٤٠ فيفرض على كل كاتب فى الرمزية أن يخضع ما يكتبه فيها لآراء (ريبو) ، فيقول للدكتور بشر فارس إما أن تنشىء على آراء (ريبو) وإما فما تنشئه لا يمت إلى الرمزية بصلة ما ! ثم سألناه ، بعد أن قررنا له أن العلم يتقدم والنظريات تتطور : وما نفع مسايرة الأدب — وفيه الرمزية — للعلم فى تقدمه وفى مستحدثاته ؟

أين موضوعية النقد يا أستاذ ؟

بهذا المنطق الواضح والبرهان المستقيم دفعنا أقوال الأستاذ متولى ، وهى أقوال اتخذها أساساً لانتقاص مسرحية (مفرق الطريق) ، فلم يدفع ما أدلينا به بحجة علمية واحدة مع أن ما نحن بصدده فى هذا يؤلف جوهر الموضوع !

فهل قرأ متولى هذا فى مقالنا ولم يفهمه ، أو هو قرأه ووعاه ثم أسقطه من حسابه فى رده علينا خشية أن يبدو أمام القراء فى غيبوبة وتباطؤ فى التحصيل لا يصح أن يكون عليهما من هو بإجازة الماجستير !!

لئن كان الأمر الأول فله المعذرة ولنا العزاء ، ولئن كان الأمر الثانى فيا خيبة الأمل فى نزاهة النقد وصدق النفس !!

الهارب المهزوم !!

بماذا طلع علينا متولى فى مقاله الأخير ؟؟

١ — سبحات فى خيال ، ونطحات فى جدار ، وسباب ساقه إلى وإلى بشر فارس يعزبنى فيه ، كما يعزى — على ما أظن — بشر فارس ، أنه امتد فى غير حياء إلى المستشرق الكبير الأستاذ

(بركلن) ، الحجة فى تاريخ الأدب العربى ، هجم متولى ، الماجستير فى الفلسفة من الجامعة المصرية على هذا الإمام الكبير فنعته « بالغفلة » لأنه قرر فى تاريخه عن الأدب العربى الحديث عن مسرحية (مفرق الطريق) : « نحن هنا عنـد استهلال تطور يستطيع أن يحدث تجديداً فى الحياة الأدبية أو قل يجلب ثروة إليها »

ما رأى أساتذة كلية الآداب فى هذا ، وبماذا يعاقبون التلميذ محمد متولى ؟

٢ — عمد إلى المغالطات الصريحة والادعاءات الجريئـة ، وإلى القارئ بعضاً منها :

(ا) ادعى أننا نسبنا — غفلة وجهلاً وإمعاناً فى تزييف الحقائق العلمية — ما قاله العالم (أبيل راى Abel Rey) خاصًّا بنقد (المخيلة) عند (ريبو) — ونص هذا القول سجلناه بالفرنسية مع ملخص ترجمته قبل هذا بسطور ورجونا القارئ أن يقف عنده — ادعى الأستاذ متولى أننا نسبنا هذا إلى (وليم جيمس) الفيلسوف المعاصر ، ولا نعرف لهـذه الدعوى وجوداً إلا فى مخيلة متولى المبتدعة ، لأننا أوردنا نص ما قال Abel فى مقالنا السابق[1] مع إشارة صريحة إلى أنها واردة فى كتاب Traité de Psychologie لجورج دوماس ، ولم نغفل تاريخ طبع الكتاب وأرقام الجزء والصفحة والسطر ! وما على القارئ إلا أن يتفضل بالمراجعة ليحكم هل أنا المزيف أم الأستاذ متولى !

(ب) يدرس لا يدرس

قلنا فى مقالنا السابق إن كتاب جورج دوماس هذا يدرس اليوم فى جامعة السربون بباريس ، ولم نضع شكلاً على كلمة (يدرس) باعتبار أن المعنى صريح لا يحتاج إلى ضبط لدى كل من له معرفة بدراسة الجامعات ، وقد قمت بدراسة فى جامعة السربون لتاريخ الفن Histoire de l'art الأمر الذى يصح أن يعرفه الأستاذ متولى ، ولـكن مخيلة الأستاذ شاءت أن ترى فى كلمة (يدرس) بمعنى يقلب ويقرأ ، معنى آخر تحدده كلمة (يُدرَّس) أى واجب على الطلبة الأخذ بكل ما جاء فيـه .

(١) الرسالة رقم ٣٧٨ ص ١٥٢٠ العمود الأول ابتداً من السطر ١٤

كبا متولى هذه الكبوة ليقول مزدهياً : إن زكى طليمات لا عهد له بالدراسة الجامعية وعليه فلا يجوز له أن يناقش خريجاً من جامعة

(ج) ولو ! !

أراد متولى أن يسجل علينا رذيلة التطاول والتهجم على رجال العلم ، وأولهم فى نظره (ريبو) ، لأنه عكازه ومنظاره فيما يكتب ، فقال : إن (ريبو) هذا الذى لا يرضينا هو الذى عرف (جورج دوماس) فضله فاختاره ليكتب له مقدمة كتابه السابق الذكر . هذا فى حين أننا لم ننتقص قدر (ريبو) هذا ولم نتطاول عليه ، وكل ما قلناه عنه أن آراءه فى الرمزية قد فات أوانها ، ولم نكن فى هذا أقل برأ من جورج دوماس نفسه الذى اصطفى (ريبو) لكتابة مقدمة كتابه ، ثم سجل عليه فى نفس الكتاب ما أخذه عليه العالم A. Rey السابق الذكر !

(د) الفيلسوف المعاصر !

قرر الأستـاذ متولى إرسالى إلى محكمة تحفظ كرامة العلم ومحاسب المستهترين بقدسيته لتماقبهم ، قرر هذا تتقدمه عريضة اتهام مُفَادُها أننى وصفت (وليم جيمس) بالفيلسوف المعاصر ، هذا فى حين (وليم) هـذا توفى فى عام ١٩١٠ ، فهو بذلك غير معاصر !

وهنا أقول إنه يؤسفنى أن أصرح بأنه ما كان يدور بخلدى أن متولى يجهل كل المعنى التى تحت كلمة معاصر (Contemporain) وموعدنا العدد القادم ليحكم القراء فيمن يقدم إلى هذه المحـكمة وإلى محاكم أخرى من نوعها ، أنا أم الأستاذ محمد متولى ؟

(الحديث بقية) زكى طليمات

قصة القمر العاشق

للأستاذ على محمود طه

للأديب محمد سيد الكيلانى

هى قصة بارعة فى قصيدة رائعة عدتها اثنان وثلاثون بيتاً ، ومع هذا ، فإنها تقع فى أربعة فصول تمثل لنا العشق فى صورة مستحدثة ، وتعطينا لوناً لا عهد لنا به من ألوان الموسيقى . وهذه القصة واضحة المعانى ، بينة المرامى ، بالرغم مما فيها من رموز وإشارات . وهى مفعمة بالشذوذ ، ولكنها مع هذا كله مما يستقيم به منطق الشعراء الواقعيين

يتحدث الشاعر فى قصيدته عن « قصة قمر عاشق » يهوى الصبايا الحور ، ويقتحم عليهن الخدور . ولقد تواضع الشعراء من قبل على أن يجعلوا من القمر معشوقاً جميلاً رقيقاً فاتن السمات ، بديع القسمات ، فشبهوا به وجه الحبيب ، وفى ذلك يقول قائلهم وهو يخاطب الليل :

لو كان عندى قمر ما بت أرعى قمرا

ولكن شاعرنا المهندس خرج على هذا الإجماع ، فجعل من هذا المعشوق الوادع الرقيق عاشقاً سابياً وعربيداً فاتكا ، فأسبغ عليه من صفات الرخاوة حيناً ، والضراوة حيناً آخر ، ما جعل قصيدته قمينة بالنظر ، حرية بالاستقراء ، جديرة بتأمل كل حسناء كأنما يوجه إليها الشاعر قصيدته ، كيلا يستخفها هذا الضوء الرطب المنحدر من قمر الليالى الصائفة ، فيلهبها عن نافذتها المفتوحة . قال مخاطباً هذه الغادة :

إذا ما طاف بالشرفة ضوء القمر المضنى
ورف عليك مثل الحلم أو إشراقة المعنى

فهنا شرفة يطوف حولها ضوء القمر متعباً من طول ما قطع من مسافة إليها . وهذا الضوء لطيف عذب كالحلم ، مشرق كالمعنى المتوقد فى خاطر الشاعر ، يرف على زنبقة نائمة فى مهدها ، وقد انحسرت غلالتها الرقيقة عن بعض جسمها . قال وأنت على فراش الطهر كالزنبقة الوسنى :

فضمى جسمك العارى وصونى ذلك الحسنا

وفى هذا النداء الأخير تتجلى عبادة الشاعر للجمال وتقديسه له، فهو يربأ بهذا الجسم الفاتن أن يكون نهب هذا الضوء المفتون ، أو بمعنى آخر نهب الأعين الشرهة الجارحة ، فالشاعر ينصح صاحبته الحسناء أن تضم جسمها العارى وأن تستره حتى يبقى حسنها مصوناً . فنظرة شاعرنا المهندس إلى المرأة وجمالها فى هذين البيتين نظرة فنية روحية فى حين أن شاعراً كاسماعيل صبرى كان ينظر إلى الجمال نظرته إلى المتعة المبذولة . قال :

إن هذا الحسن كالماء الذى فيه للأنفس رى وشفاء
لا تذودى بعضنا عن ورده دون بعض واعدلى بين الظماء

فنظرة على محمود طه إلى الجمال أسمى وأنبل . وهى على أنها نظرة شاعرية متخيلة إلا أنها واقعية مستمدة من صميم الحياة وطبائع الأشياء . أما نظرة إسماعيل صبرى فهى ساذجة أو قل إنها تنافى منطق الحياة وتجافى طبائع الأشياء . إن هذه المرأة التى يطلب منها اسماعيل صبرى أن تجعل من حسنها مورداً لكل ظمآن ومتعة لكل إنسان وأن تعدل بين الظماء فلا تزيد فى كأس هذا قطرة عما فى كأس ذاك لم تخلق بعد . وهى كما يصورها اسماعيل صبرى ليست من بنى البشر، إنما هى آلة مصنوعة توزع الطعام والشراب بالدرهم والمثقال . هذا هو التمهيد الذى قدمه الشاعر لقصته

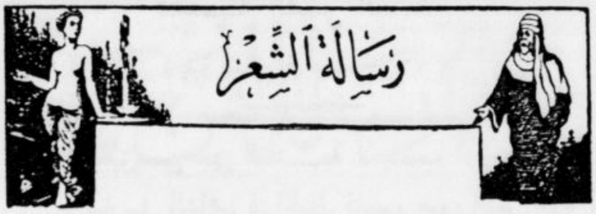
أما الفصل الأول فهو هذا الضوء الذى نظر من خلال السحاب فرأى هذه الفتاة النائمة وقد تعرى بعض جسمها ففتنه جمالها فهبط من عليائه إلى أرض حديقتها ، ثم نظر فإذا هى نائمة فى فراشها تحت نافذتها . وهنا يمثل الضوء دوراً تاريخياً من أدوار العشق والغرام التى قام بها روميو ، فيسترق الضوء الخطا حتى يصل إلى هذه النافذة فيراها عالية فيتسلق إليها الأغصان لا يبالى بأشواكها حتى يصل إلى فاتنته . قال الشاعر :

ومس الأرض فى رفق يشق رياضها الغنا
عجبت له وما أعجب كيف استلم الركنا ؟
وكيف تسور الشوك وكيف تسور الغصنا ؟

والفصل الثانى حين يقف الضوء فى مخدع الحسناء فيرى فى خديها خمر صبابة . ولقد ألفنا الشعراء يصفون خدود الملاح بالتفاح ولكن على محمود طه عمد إلى وصف ما ينبعث من الخدود من سحر وجمال بخمر صبابة لا ينضب معينها . قال :

على خديك خمر صبابة أفرغها دنا

(البقية على صفحة ١٦٦٢)



من أمسيات الخريف

للأستاذ محمود الخفيف

حتَّام توحى شمسُهُ الغاربهْ للنفس هذا الشجنْ ؟
حتَّام تحكى لى المنى الذاهبهْ وقد تراخى الزمن ؟
شحوبُهُ فى وجنتى الشاحبهْ يكشفُ من أسقامهِ ما كمنْ
من مبلغٌ آمرتى الغائبهْ أنى غريبٌ هاهنا فى الوطنْ ؟

* * *

أمسُ انقضتْ يا قلبُ أحلامُهُ ففيمَ هذا العذابْ ؟
لا تنفعُ المحزونَ أوهامُهُ إلاّ كلمحِ السراب
هذا الأسى النوّاحُ أنغامُهُ كالريحِ أنّتْ فى شعاب الهضابْ
ودمعُكَ السحّاحُ تسجامُهُ كما همى فى القفرِ دمعُ السحاب

* * *

وا حزنا هذي رياحُ الخريفْ نوّاحـــةً شاكيهْ
أرغولها غنّى بهذا الخفيفْ ألحانُها الناعيـــهْ
حشرجةٌ فيها نشيجٌ مخيفْ لم تخلُ من أنّاتها ناحيه
كم أسلمتْ للسُّقمِ قلبى اللهيفْ وأيقظتْ آلامىَ الغافيهْ !

* * *

تهيّأتْ للموتِ شمسُ الأصيلْ راجفـــةً كاسفهْ
ما زادَ فى العمرِ النهارُ الطويلْ عن لمحةٍ خاطفهْ !
فى مثلِ هذا الوقتِ كانَ الرحيلْ والشمسُ فى كفِّ الردى راعفه
لم أنسَ والقولُ دموعٌ تسيلْ أفئدةً يومئـــذٍ واجفه

* * *

تجهشُ يا أمّاهُ هذا السفرْ تحزنُ روحى لهُ
أمّاهُ ما أحسستُ هذا الأثرْ فى سفرٍ قبـــلهُ !
ولا تحيرُ الأمُّ غيرَ النظرْ فى شجنٍ ما عرفتْ مثلهُ
وذاكَ ربُّ الدارِ مهما صبرْ يكادُ لا يبصرُ ما حولهُ

* * *

والتفتتْ هامسةً بالسلامْ باسمـــةً دامعـــهْ
وحرتُ واستعصى علىَّ الكلامْ وانطلقتْ جازعـــهْ
تناوحتْ حولى بهذا المقامْ ريحٌ على أوتارها القارعهْ
كم نثرتْ حتى احتوانى الظلامْ سلسلةً من أدمعى الهامعهْ

* * *

هاهى ذى فى اليأسِ تطوى السنون وفى المنى الباطـلهْ
يوحى لنفسى فى الخريفِ المنونْ أطيـافُها المـائلهْ
الصمتُ فى وديانهِ والسكونْ والموتُ فى أوراقهِ الذابلهْ
والريحُ غنّتْ ناحلاتِ الغصونْ ألحانَ تلكَ الخضرةِ الزائلهْ

* * *

فى الأفقِ الغربىِّ ألقى المساءْ ظـلالَهُ الحـائمهْ
وانطفأتْ فى لازوردِ السماءْ جمـرتُها القائمـــهْ
وأقبـلَ الليلُ وماتَ الضياءْ وأنذرتنى الظلمـــةُ العارمهْ
معنًى جديدٌ من معانى الفناءْ يلمحُ لى فى هذهِ الخاتمهْ

* * *

فى كلِّ شىءٍ شاعَ حولى الفتورْ ودبَّ طيفُ الكرى
فى الدوحِ والزرعِ وهذى السطورْ من دورِ أهلِ القرى
تجثمُ الوحشةَ تلكَ القبورْ منظومةً فوقَ الثرى أسطرا
صائحةً مهما يطلْ من غرورْ فى العيشِ هذا مصيرُ الورى !

* * *

واللاغبُ الفلاحُ فى لحنـــهِ أشجى معانى الأسى
لحنٌ قبستُ الشجوَ من لونهِ وصغتُ هـــذا البكا
الذلُّ والحرمانُ فى فنّهِ والخوفُ والجوعُ وطولُ العنا
من شقوةِ الدنيا إلى كِنّهِ يأوى وما فى الكنِّ غيرُ الضنى

الخفيف

بين الشرق والغرب

آفَةُ الشَّرْقِ اهْتِضَامُ الضُّعَفَاءِ　　وَهَوى الظُّلْمِ وَإِرْهَاقُ الْعِبَادِ
وَبَلاَءُ الشَّرْقِ خُلْفُ الزُّعَمَاءِ　　وانْقِسَامُ الرَّأْيِ فى سَاحِ الْجِهَادِ

وَبنُو الشَّرْقِ أُنَاسٌ نَبَذُوا　　خِشْيَةَ اللهِ وَحُبَّ الوَطَنِ
تَبعوا الغَرْبَ عُمَاةً وَحَذَوا　　حَذْوَهُ فى الْقُبْحِ لا فى الْحُسَنِ
تَرَكُوا نَهْجَ التُّقَي واتَّخَذُوا　　سُبُلَ الْكفرِ وَطُرْقَ الْفِتَنِ
وَتَبَاهَوا بِالمَخَازِى ، بِالرِّيَاءِ　　بالمعاصِى ، بِأفانين الْفَسَادِ
فاتَهُمْ أنَّ الْعُلاَ بِنْتُ الإِبَاءِ　　وَبُلُوغُ الْمَجْدِ رَهْنُ الاتِّحادِ

غُلِبَ الشَّرْقُ عَلَى نَيْلِ الأَرَبْ　　وَأَبَى التَّفْرِيقُ أَنْ يَنْصُرَهُ
ولو أَنَّ الشَّرْقَ ضَحَّى وَدَأَبْ　　كَانَ لُطْفُ اللهِ قَدْ أَظْهَرَهُ
إنمـا أَهْلُوهُ زَادُوهُ نَصَبْ　　قُتِلَ الإِنْسَانُ ما أَكْفَرَهُ
لاَ يَمِيلونَ إلى غَـيْرِ الْهُرَاءِ　　أَوْ يَهِيمُونَ بِغَيْرِ الاِنْتِقَادِ
شَأْنُهُمْ فِي الْعَيْشِ شَأْنُ الْجُبَنَاءِ　　خَامِلو الذِّكْرِ قليلو الاِعْتِدَادِ

أَيُّهَذَا الشَّرْقُ يَكْفِيكَ عَمَى　　فَاتَّقِ الْغَرْبَ وَكُنْ فِي حَذَرِ
لاَ يَغُـرَّنَّكَ إِمَّا ابْتَسَمَا　　بَسْمَةَ الْبَرْقِ قُبَيْلَ الْمَطَرِ
فَهْوَ لَمْ يَعْشَقكَ إِلاَّ مِثْلَمَا　　يَعْشَقُ الجزَّارُ سِرْبَ الْبَقَرِ
سَائِلِ السِّكِّينَ عَنْ هَذَا الوَلاَءِ　　وَسَلِ الْمَسْلَخَ عَنْ ذَاكَ الوِدَادِ
وَاحْذَرِ السُّمَّ بِمَعْسُولِ السِّبَاءِ　　وَاجْتَنِبْ فِي وَرْدِهِ شَوْكَ الْقَتَادِ

لاَ تَظُنَّ الغَرْبَ صَبًّا مُفْتَتِنْ　　بكَ ، فَالْغَرْبُ وَلوعٌ بِفَنَاكَا
أَوْ تَخَلْهُ الطَّاعِمَ الكَاسِى الْمَرِنْ　　فَهْوَ مِنْ جِلْدِكَ يَا شَرْقُ كَسَاكَا
وَهْوَ مِنْ لَحْمِكَ غَذَّاكَ وَمِنْ　　دَمِكَ الْمَسْفُوكِ عُدْوَانًا سَقَاكَا
مُسْتَبِدًّا جَائِرًا باسم الإِخَاءِ　　شَائِقَ الأَقْوَالِ شِرِّيرَ الْمُرَادِ
قَدَّسَ الْغَدْرَ وَنَادَى بِالوَفَاءِ　　وَيْلُ هَذَا الشرقِ مِنْ ذاكَ المنادى

(دار الأهرام)　　فؤاد بليبل

قصة القمر العاشق

(بقية المنشور فى صفحة ١٦٦٠)

رحيق من جنى الفتنـــة لا ينضب أو يفنى

ثم استرسل الشاعر فى الخيال فتصور ضوء القمر غريماً له ومنافساً سبقه إلى هذه الغانية ، ثم ذكر غيرته عليها كلما قبّل ثغرها أو لف نهدها أو ضم جسدها ، قال :

أغار ، أغار إن قبـــل هـذا الثغر أو ثنى
ولف النهـد فى لين　　وضم الجسد اللـدنا

ثم أخذ ينصح صاحبته بألا تستهين بهذا الضوء وأن تأخذ حذرها منه ، وأن تخشى بأسه . وقد دعم أقواله بحقيقة من الحقائق العلمية ، فذكر أن هذا الضوء يؤثر فى الموجة الكبرى ويرغمها على الخروج من أعماق البحار . وفى هذا إشارة علمية لطيفة إلى المد فإن الأمواج ترتفع تحت جاذبية القمر . وهنا ينتهى الفصل الثانى

أما الفصل الثالث فيبدأ حينما تصور الشاعر هذا الضوء وقد عجز عن أن ينال من هذه الحسناء بعد أن أسبغ عليها كل فنه وجماله .. قال :

أراد فلم ينـل ثغراً　　ورام فلم يصب حضنا
حوتك ذراعه رسماً　　وأنت حويتـه فنـا

فى حين أن الفصل الرابع يتمثل فى ثورة هذا الضوء الذى أظهر الرعونة والطيش ومضى يطوى السهول والحزون :

يثـير الليـل أحقاداً　　وصـدر سحابه ضغنا
وعاد الطفل جبـاراً　　يهز صراعه الـكونا

فهذا الذى كان يجثو أمامها كالطفل ملتمساً العطف عاد جباراً يهز الكون هزا بصراعه الشديد المتواصل ، يثير الرياح ويرسل العواصف ، فيهرع الناس إلى منازلهم كما يهرعون عند سماع صفارة الإنذار من الغارات الجوية ، ويسرع كل منهم إلى لقاء زوجته . وحينئذ يذكر الناس أن القمر لا بد أن يكون مفتوناً بغادة ملكت عليه كل جوارحه . ثم نصحها بأن تتقى شر ذلك الجبار وتقفل النافذة حتى تصون حسنها من ثورة هذا العاشق ، وحتى لا يظن الناس بخدعها الظنون . وختم هذه الدرة الثمينة بقوله :

فـكم أقلقت من ليل !　　وكم من قمر جنا !

محمد سيد الكيهونى



تأملات:

الفن والاطمئنان

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

منذ سنة شاهدت السيدة ميمى شكيب فى رواية الدلوعة ، فأعجبت بها إعجاباً خفيفاً ، لأنى لم أجدها أكثر من ممثلة درست دورها على يد أستاذها الريحانى ، واتبعت إرشاداته وتعليماته بأمانة وتدقيق .

ومنذ أسبوع شاهدت السيدة ميمى شكيب فى رواية الدلوعة أيضاً ، فإذا بى أراها شيئاً جديداً ، وإذا بشبح الريحانى الذى كان يصاحبها فى السنة الماضية ويقودها على خشبة المسرح خطوة خطوة ، ويلون صوتها فى إلقائها نبرة نبرة ، قد اختفى تماماً ... وإذا بالسيدة ميمى شكيب ممثلة أستاذة تعربد على المسرح عربدة حية توحى بها إليها خواطرها هى ، وتتبع فيها اختيارها هى ، ولا تتقيد فيها بإرشادات موجهة إليها ، ولا تعليمات مدروسة ...

فما الذى حدث للسيدة ميمى شكيب ، حتى استطاعت أن تقفز هذه القفزة ، وأن تخرج فى عام واحد من صفوف التلميذات النجيبات إلى صفوف الأستاذات المجيدات ؟

لا بد أن يكون شىء ما قد حدث لها ، ولا يمكن أن يكون هذا الشىء اجتهاداً فى دراسة المسرح ، أو اهتماماً بالفن زاد عندها عن ذى قبل . فليس شىء من هذا بقادر على أن يخلق الإنسان خلقاً جديداً ، وإن كان قادراً على أن يصقله شيئاً ما ، وأن يهذبه شيئاً ما ، وأن يرفعه شيئاً ما ...

فما الذى حدث للسيدة ميمى شكيب إذن ؟

الذى حدث هو أنها تزوجت !

ولكن ما للزواج والفن ؟ وكيف يمكن أن يكون الزواج سبباً فى النهوض بفنانة نهضة تلفت الناقد هذه اللفتة المحيرة ؟ وإذا كان الزواج هو السبب فى هذه القفزة التى قفزتها السيدة ميمى شكيب ، فإن أستاذها الريحانى نفسه ليس متزوجاً ومع هـذا ، فهو أستاذها ، وهو الفنان الذى لا يشق له غبار ...

الواقع أن الزواج يبعث فى النفس اطمئناناً وارتياحاً ، وهو يبعثهما فى نفس المرأة أكثر مما يبعثهما فى نفس الرجل ، وكل فنان محتاج إلى الاطمئنان والارتياح كى يتفرغ لفنه ويجيد فيه ، وإذا عدم الفنان الاطمئنان والراحة فهو مهدد دائماً بأن ينعكس على فنه ذلك القلق الذى يتردد فى نفسه ، وهو مهدد كذلك بأن يصطبغ فنه بلون معتم مظلم أسـود هو لون اليأس والشقاء اللذين يعانيهما من قلقه . وكثيراً ما كان هذا القلق سبباً فى انحدار الفنانين وذبولهم ، وكثيراً ما كان سبباً فى الانزلاق بهم إلى مهاوى الخبل يطلبون الاطمئنان عبثاً فى الخمر ، والمخدرات ، والمواخير .

والخمر والمخدرات والمواخير ، لا شك فى أنها تبعث اطمئناناً عارضاً وارتياحاً وقتياً فى نفس الفنان ، ولكن آثارها عندما تزول أن يصبح الفنان فإذا به يرى نفسه فارغة كما كانت قبل السكرة ، وإذا به يرى نفسه وحيداً هائماً على وجهه لا يدرى له مستقراً ، ولا يعلم له هدفاً ، فيعود إلى ما كان فيه ، ويطلب السم الذى يطمئنه ويقتله فى الوقت نفسه ، ولا يطول به الزمن حتى تتلف صحته ، وتتحطم أعصابه ، ويخمد عقله ، ويتبلط إحساسه ، ويخبو من نفسه ذلك النور الذى يهديه ويلهمه ، فيصبح فى آخر الأمر إنساناً مسكيناً لا حياة له إلا الأوهام ، فهو يحسب نفسه قادراً على الإنتاج لأنه يلمح أطيافاً من الفكر تجول فى رأسه ، ولكنه إذا أراد أن يحصرها ، وأن يجندها ، وأن ينظمها ، وأن يطلقها إلى الدنيا فناً رآها تشق عصا الطاعة عليه ، وتستعصى ، وتفلت منه وتذوب فى رأسه كأنها لم تكن ... وإذا ابتلى فنان بحال كهذه

فمآله الانهيار من غير شك فإما أن يموت كما مات سيد درويش وإما أن ينتحر كما انتحر إيفان مسجوكين ، وإما أن ينطلق فى الدنيا مشرداً مسكيناً إن عطف عليه الناس اليوم فسينبذونه غداً

والفنانون فى الدنيا بأسرها ليسوا غائبين عن هذه الحقيقة ، كما أنه ليس فى الدنيا إنسان غائباً عنها ، فلماذا يعرض كثيرون من الفنانين والفنانات عن الزواج ، ولماذا يجرؤ بعضهم على أن يدعو غيره إلى الإعراض عنه حتى أصبح هناك مذهب فاسد عشش فى رؤوسهم أو فى رؤوس بعضهم ، واجتذب له أنصاراً يقولون بأن الزواج يعرقل الفن ...

هناك سبب خفى لهذا ، وهو أن فى الفنانين كثيراً من طبائع النساء ، فهم أشد إحساساً من غيرهم من الرجال ، ومن شدة إحساسهم هم أشد غيرة من غيرهم ، ومن شدة إحساسهم هم أقل حكمة من غيرهم . ولهذا كان مما يشبه الأمر العسير أن يجمع الرجل بين الفن والمرأة ، لأنه من العسير أو من المستحيل أن نجمع بين المرأة والمرأة

وقد نتج من هذا أن كثيرين من الفنانين شذوا عن الحياة الطبيعية ، وأصبحوا يطلبون الاطمئنان والارتياح فى المغالطات والأوهام . وقد كانت هذه المغالطات وهذه الأوهام مواد لذيذة لكثير من الفنون استمتع بها الناس ، ولكنهم كانوا وهم يستمتعون بها يشفقون على أصحابها ويقولون دائماً : يا لهؤلاء من أشقياء مساكين محرومين ...

والعجب أن هـذا لم يكن فى يوم من الأيام محرضاً على نبذ هذه المغالطات وهذه الأوهام ، وإنمـا كان دائماً محرضاً على الإقبال عليها ، فكلما نشأ فنان صغير وأحس فى نفسه شيئاً من الضعف حيال الحياة الطبيعية ، وأدرك أن ضعفه هذا راجع إلى قوة إحساسه وحدة نفسه ، لم يسرع إلى تنمية عقله التنمية التى تحفظ توازنه ، ولم يسرع إلى توطيد أخلاقه التوطيد الذى يحميه من الوقوع فى اضطراب الشذوذ ، وإنما طلبته صور هذا الشذوذ ، وحسبها نوعاً من الحياة يمكن أن يعيش إلى جانب الحياة الطبيعية التى لا سبيل إلى الخلود إلا بها ...

وهكذا ضعف كثيرون من الفنانين ، وهكذا انهاروا ، وهكذا أعقبوا فنوناً لا أنكر أنها لذيذة وإن كنت أسخط عليها وأمقتها مقتاً جدّ على نفسى ووجدته حقاً

وإلى هؤلاء الفنانين أريد أن أوجه الحديث اليوم

فليتصوروا سلماً يصل ما بين الأرض والسماء ، وأن الناس جميعاً مطالبون بأن يصعدوا هذا السلم ، وليقولوا لى أى الناس أضمن وصولاً إلى قمة هذا السلم !

الإنسان الذى يقبض عليه برجليه ويديه وأسنانه ويصعد درجة درجة فما تفلت منه درجة ، أم الإنسان الذى يقفز عليه برجليه فقط بينما يداه يلوح بهما فى الهواء ، وبينما يزعق بحنجرته مغنياً أو نادباً أو مهللاً ؟ ...

لاشك فى أن الأول أضمن وصولاً من الثانى ، كما أنه لاشك فى أن الثانى كلما قطع مع الأول مرحلة كان ذلك دليلاً على أنه أبرع منه وأقدر ...

فإذا كان الأمر كذلك ، فكيف يكون هذا الثانى البارع القادر إذا استغل قواه جميعاً ، واستخدم جوارحه جميعاً كما يفعل الأول ؟ ...

لابد أنه يسبقه بمراحل ، ولا بد أنه يشعر بعد ذلك بدافع من نفسه يدفعه إلى مساعدة غيره والأخذ بأيديهم ...

وهذا هو ما يفعله الأنبياء وأصحاب الرسالات ، فهم ليسوا إلا بشراً وهم أشبه الناس بالفنانين ، ولكنهم يزيدون على الفنانين قوة العقل وقوة الخلق إلى جانب قوة الإحساس ، ولذلك فإنهم ساروا دائماً نحو المثل الأعلى فى خطى ثابتة ومن غير قلق ، ومن غير يأس ، ومن غير شذوذ ولا خروج على قواعد الطبيعة وسننها

ولعل أقوى حجة من حجج أولئك الأنانيين الذين يمقتون الزواج هو قولهم إن مسئوليات الزواج تثقل على كاهل الفنان وتحرمه من الفن وتحرم الفن منه . وهذا قول سخيف ، لأن الحياة من غير زواج ليست إلا «رهبنة» أو فرصنة ، و «الرهبنة» شىء ليس من اليسير على الإنسان أن يحققه ، ولو حققه الناس جميعاً لتعطلت الحياة التى أرادها الله ، والفرصنة شىء قد يكون من اليسير على كل إنسان أن يحققه ، ولكنه لو حققه كل إنسان

لفسدت الحياة واضمحلت وتخاذلت ودبت إليها الأمراض البدنية والنفسية ، ثم يعاجلها بعد ذلك الموت السريع . ثم إن حياة الأسرة نفسها فيها تلخيص لقصة الخلق لا يمكن أن يتذوقه إلا من يباشرها ؛ والعجيب أنه لا يمكن أن يتذوقها إنسان مثلما يستطيع الفنان الحساس العاقل القويم الخلق أن يتذوقها ، فهى تجعل منه رباً صغيراً لجماعة من الناس الأحياء ، وتمكنه من أن يرزق ، ومن أن يعلم ، ومن أن يصلح ، ومن أن يوجه ، ومن أن يملى ، ومن أن يجازى ، ومن أن يحاسب ، ومن أن يرحم ، ومن أن يشفق ، ومن أن يغفر ، ومن أن يضمن الذكر لنفسه بعد موته ، فيكون هو الوصلة بين الماضى والمستقبل ، ومن أن يطلب حقه بلا تفريط ولا تهاون ، ومن أن يعز ويعتز ، ومن أن ينصر وينتصر ، ومن أن يقول لشىء كن فيكون ...

وهذا هو ما يريده الله لنا ، وما يريده منا ، ففى هذه الحياة من المعانى ما لو انتبه إليه الفنان واستغله لأخرج منها صوراً وسلاسل لا نهاية لها من الفن الزاخر بالعواطف والفكر والمثل الخلقية العليا التى تفيض بها أنفس الآباء العاديين ويعجزون عن تسجيلها .

وقد يعترض علىّ معترض من غير المجربين ويقول لى : ما لنا نرى كثيرين من أفذاذ الفنانين الذين مجدتهم أنت نفسك واقعين فى ذلك الشذوذ الذى تعيبه وهاربين من الزواج مع أنهم لا تعوزهم الحكمة ولا العقل ومع أن أفعالهم تشهد بأن لهم من الأخلاق الفاضلة ما ليس لغيرهم ، فهم محسنون غير أنانيين ، وهم يربون أولاد غيرهم بأموالهم ويصنعون ويصنعون ...

ولهؤلاء أقول ... إن غلطة واحدة يرتكبها الإنسان فى صغره مختاراً أو مجبراً قد تظل آثارها عالقة بأعصابه وبحياته إلى أن يموت . فإذا لم يلتفت الإنسان إليها التفاتاً خاصاً ، ويقاومها مقاومة خاصة ، فإنه يظل منساقاً وراء نتائجها ، ويظل يعانى الأمرين من آثارها ، وقد يخيل إليه فى ظرف من الظروف أنه مستطيع الانخراط فى طريق الحياة الطبيعية العادية إذا ما اعتزمها واصطنعها ، فيعتزمها ويصطنعها ولكنه لا يلبث أن يرى نفسه بعد حين عاجزاً عن المضى فيها ... كما حدث ذلك للفنان الكبير شارلى شابلن فإنه تزوج أكثر من مرة واحدة ، وأنجب من زوجه الأولى ولداً هو الآن شاب كبير . ومع هذا فإن شارلى لا يزال يتخبط فى حياته وإن كان له عذره فى تخبطه ، وإن كان فنه السامى مما يشفع له ، فنحن إذا طالبناه بإصلاح نفسه الآن بعد فوات الأوان فإن ذلك قد يستنفد منه بقية حياته ، وإن أنانيتنا نحن لتمنعنا من أن نسدى إليه هذه النصيحة ، نخيرنا فى أن نستمتع بفنه ، ولو كان فى ذلك هلاك روحه ...

إذن فمن الذى يستطيع أن يضع حداً لهذا الاضطراب ...

هم الآباء ، والمربون ، والأمهات قبل هؤلاء وهؤلاء . . .

فعلى أولئك تقع التبعة الأولى فى المحافظة على تعادل أبنائهم النفسانى . وإنى لا أشك فى أن حضارة القرن العشرين قد بدأت تحس بأنها فى حاجة إلى تبديل وتغيير ، وعلى الخصوص بعد أن انهارت فرنسا هذا الانهيار السريع الذى لم يكن المعجبون بها يتوقعونه لها ؛ وإنى لا أشك كذلك فى أن أصحاب الرأى والفكر يتربصون اليوم للحرب القائمة يريدون أن تضع أوزارها ليستطيعوا بعد ذلك أن يقولوا كلاماً صريحاً مفهوماً تلخيصه : أن عودوا أيها الناس إلى حياة الطبيعة فلا مفر منها ، ولا مهرب من الشر إلا بها ، وهى سنة الله

عزيز أحمد فهمى



١ – الى المفكر الكبير الأستاذ خليل مطران

إليك — وأنت مدير الفِرقة القومية — أوجه القول :

هل ترى أن الأدب اليوناني القديم يقدم غذاء نافعاً للعقل العربي الحديث ؟

لقد شهدتُ تمثيل رواية أوديب على مسرح الأوبرا الملكية فلم أرها إلا حماقة من حماقات الإغريق يوم كانوا يؤمنون بأن الآلهة أقوامٌ مجانين يتصرفون في شؤون الخلق بلا بصيرة ولا خُلق ولا رفق ولا ميزان

ومع أن المآسي تثير دموعي فقد أحسست قلبي وهو يتحول إلى جلمود عند شهود هذه المأساة ، لأنها لم تكن إلا صورة من سخف الوثنية اليونانية ، وهي وثنية عادت على أصحابها بأجزل النفع ، لأنها مثلت أهواءهم وأوهامهم أصدق تمثيل ، ولكنها لن تنفعنا بشيء ، لأنها بَلبلة خُلقية وذوقية تُلحق الضرر البليغ بأذواق الجيل الجديد . وهل هناك موجب لرياضة الجمهور على التحزن والتحسر والتفجع لمصاير مجهولة خلقها الروح الإغريقي ليوهم بني آدم أنْ لا قدرة لهم على الخير أو الشر وأنهم لم يخلقوا إلا ليكونوا ألعوبة في أيدي المقادير الهوجاء ؟

أنا أفهم أن تترجم أمثال هذه الروايات إلى اللغة العربية لتعين على تصوُّر بعض ما مر بالإنسانية من أوهام وأضاليل ، ولكني لا أفهم كيف يُتخذ من أمثال هذه الروايات نماذج لروعة الفن ، ونفاذ الفكر ، ورجاحة العقل ؛ وهي قد نشأت في أحضان الطفولة البشرية يوم كان الملوك والوزراء والحكام عبيداً مسخَّرين لسدَنة الهياكل الوثنية ، ويوم كانت مصاير الأحكام إلى من يحسنون الرجم بالغيب من الكهنة والعرافين

قد يقال إن في مصر رجلاً اسمه الدكتور طه حسين ، وأن هذا الرجل يُقسم بأبوللون أن الفن لفي خُسر إن لم يُلقح بأدب الإغريق القدماء

ولكن هذا الرجل لا يزعم ولا يستطيع أن يزعم أن الرأي ما يرى ، وأن القول ما يقول ، ففي مصر رجال يملكون رَجْعه إلى الصواب بلا مشقة ولا عناء ، وسيرى ما يسره إن همّ بنقض هذا الاعتراض ، ولكنه لن يفعل لأن كهنة دِلْف أنبأوه أن خير ما يجاب به على اعتراضات زكي مبارك هو الصمت البليغ !

للأستاذ خليل مطران أن يتفضل بالإجابة عن هذا السؤال :

هل استطاعت مأساة أوديب أن تصور مشكلة واحدة من مشكلات العدل والعقل والذوق ؟

وكيف ولم تكن تلك المأساة إلا صورة بهلوانية من صور الوثنية اليونانية ؟

كانت هذه المأساة مقبولة يوم كان الناس يتذوقون عبث الأساطير ، وهي قد تقبل في مدينة مثل روما أو باريس ، حيث يطيب للناس أن يتلهوا بخرافات الوثنية بعد أن شبعوا من أطايب الأدب الحديث، وهو عندهم يقوم على نقد خلائق المجتمع بنزاهة وصدق

فهل ترى الحال في القاهرة كالحال في روما وباريس ؟ وهل تظن أن الفِرقة القومية فرغت من تشجيع الروايات الاجتماعية والتاريخية التي تصور حاضرنا وماضينا ، ولم يبق إلا أن تتحفنا بخرافات اليونان ؟

الآن تذكرت ما كنت نسيت توجيهه إليك ، فقد كنت أحب أن أسأل عما صنعتَ وصنع زملاؤك في الانتفاع بما في مصر من مواهب وآراء ؛ وقد صح عندي أنكم ورجال الإذاعة سواء ، فأنتم جميعاً لا تعرفون غير من يتعرف إليكم ، ولا تذكرون إلا من يذكّركم بنفسه ، وليست عندكم طريق مرسومة لاستثمار المواهب المكنونة في هذه البلاد . أليس من العجيب أن يكون في زادكم الفني روايات بالية لا ينتظَر من بعثها غير إعلان الفاقة والإملاق ؟

والآن عرفت ما لم أكن أعرف ، فقد تعب المفكرون في البحث عن السبب الذي استوجب أن يهتم العرب بنقل ما عند اليونان من فلسفة وأن يزهدوا في نقل ما عندهم من آداب

اهتم العرب بنقل فلسفة اليونان لأنها وليدة العقل ، وزهدوا في آداب اليونان لأنها بهلوانية ، تقوم على قواعد واهية من الزخرف والبريق

فهل يظن الأستاذ خليل مطران أنه أعقل من أئمة العقل لعهد ازدهار الحضارة العربية ؟

وخلاصة القول أن الفرقة القومية فى حاجة إلى العلاج ، وهى لن تماثل من أدوائها المزمنة إلا بعناية أطباء بارعين لا يكون منهم فلان وفلان وفلان ، فللفن والأدب أصول لا يعرفها هؤلاء

فإن لم أكن على حق فحدثونى كيف جاز أن تنفرد الفرقة القومية بالإخفاق وقد جمعت نوابغ الممثلين والممثلات ؟ يعوزكم شىء واحد : هو التأليف . فابحثوا عن المؤلفين ، لأن التأليف هو الروح ، وكل شىء فى الفن ما خلا التأليف إخراج وتمثيل .

٢ — مسابقة الجامعة المصرية لطلبة السنة التوجيهية

ذلك مشروع جميل أقرته وزارة المعارف ودعت إليه ، وهو حين يحقق على الوجه المنشود يجذب الطلبة إلى مسايرة الأدب الحديث ، ويغرس فيهم الشوق إلى تعقب الآراء الأدبية والمذاهب الاجتماعية

ولكنى لاحظت مع الأسف أن أكثر الطلبة انصرفوا عن الانتفاع بهذا المشروع بعد أن أقبلوا عليه . وقد أخبرنى كثير من المدرسين أن طلبة السنة التوجيهية لم يعرفوا كيف يدرسون المؤلفات المختارة للمسابقة ، وأن المدرسين أنفسهم لا يعرفون على وجه التحقيق كيف يوجهون تلاميذهم إلى درس تلك المؤلفات ، لأن الوزارة لم تضع منهاجاً واضحاً للاستفادة من هذا المشروع الطريف

وقد دعتنى الرغبة فى معاونة طلبة السنة التوجيهية على الاستفادة من مسابقة الجامعة المصرية إلى درس تلك المؤلفات على صفحات « الرسالة » درساً تحليليًّا يستطيعون به الوصول إلى ما تشتمل عليه من مقاصد وأغراض، بحيث يصبح الانتفاع من المسابقة ميسوراً لكل طالب يُقبل على درس تلك المؤلفات بعناية واهتمام ، وقد وضح أمامه منهج الفهم والاستقصاء

وسنبدأ فى الأسبوع المقبل بتحليل كتاب « فيض الخاطر » للأستاذ أحمد أمين ، والله بالتوفيق كفيل

زكى مبارك

والرسالة تدعو أصدقاءها من الباحثين إلى معاونة الدكتور المبارك على تحقيق هذا الغرض ، فقد بعد العهد بالنقد الذى يراد به توجيه الشبان إلى فهم الأدب الحديث بطريقة موضوعية ينظر فيها إلى المحاسن قبل أن ينظر إلى العيوب . وقد يتضح المراد إذا تذكرنا أن الشبان يحتاجون إلى التعرف الباسم لأطايب الأدب الحديث ، وذلك فيما نعتقد هو غرض وزارة المعارف من الترحيب بمسابقة الجامعة المصرية لطلبة السنة التوجيهية

معنى القديد

وفق الأستاذ محمد فخر الدين السبكى فى حديثه عن « زيارة الرسول صلى الله عليه وسلم » الذى أذيع من محطة الإذاعة مساء ٢١ رمضان — توفيقاً كبيراً

بيد أنه فسّر (القديد) — فى قول الرسول صلى الله عليه وسلم للأعرابى حينما دخل عليه فارتاع من هيبته : « خفض عليك فإنما أنا ابن امرأة تأكل القديد بمكة » — تفسيراً لم أسمعه قط . إذ قال : أى أنا ابن امرأة تأكل التمر الجاف !

والذى أعرفه فى كتب اللغة ، وفى كتب السيرة أن القديد « هو اللحم المشرر المقدد ، أو ما قطع منه طوالاً » ا هـ قاموس

« لحم قديد : مشرح طولاً » ا هـ مصباح « هو اللحم . المجفف ، فعيل بمعنى المفعول تنبيهاً له على أنه مأكول المساكين » ا هـ شرح الشفا ، للفاضل على القارى

لهذا لزم التنبيه على ذلك فى الرسالة الغراء والسلام عليكم ورحمة الله

عبد الحفيظ أبو السعود

حول تفسير بيتى ابن عربى

كتب إلىّ أديب من القاهرة فى رسالة خاصة يشرح لى معنى بيتى ابن عربى اللذين استفتيت فيهما الأستاذ ناجى الطنطاوى على صفحات مجلة الرسالة وهما :

بذكر الله تزدادُ الذنوب ... وتحتجب البصائر والقلوب
وترك الذكر أفضل منه حالاً ... فإن الشمس ليس لها غروب

فجاء فى رسالته هذه ما نصه (إن ابن العربى يعارض الآية القرآنية « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » ، ويدعى أن الله ليس حتما أن يذكر لأنه حالٌ فينا « كشمس ليس لها غروب » فالذكر فى شرع ابن العربى يبعد بنا عن هذه الشمس ، أما الذى يقربنا منها فشىء آخر يسأل عنه هو ومن اتبعه من المتصوفة لا ناجى الطنطاوى)

وقد رأيت فى هذا الشرح ما تطمئن إليه النفس نوعاً ما فأحببت أن تتفضل مجلة الرسالة الكريمة وتسجله على صفحاتها فلعل من قرائها من ينتظره .

(الأبيض — سودان)

وجاءنا من صاحب الامضاء الفاضل هذه الكلمة فى هذا الموضوع :

عرفت رجلاً صوفياً وسمعت منه شرح هذين البيتين ، قال : « بذكر الله تزداد الذنوب الخ » . فى مذهب القوم ، إنما يُذكر الغائب ، والله تعالى حاضر لا يغيب ، وخاصة فى مقام الشاهدة . فكيف يُذكر ؟ إن ذكره حينئذ يدل على بعد عن ذاته وجلاله . والبعد حرمان يدل على كثرة الذنوب والعيوب . والبعد عن الذات طمس فى البصائر وظلمات فى القلوب

وترك الذكر أفضل كل شىء فشمس الذات ليس لها غروب

هكذا رويت عنه . وهو وجيه فى نظرى وخاصة لما تضمنه الشطر الثانى من تعليل طريف . قال : إذا استغرق العبد من مقام الشهود ، وبتّ أسبابه بالعالم وما فيه من مخلوقات بائدة ليس لها وجود . فلا داعى للذكر حينئذ ، لأنه فى حال دونها كل ذكر . وكيف يذكر من يراه ومن لا يغيب عنه طرفة عين ؟ لا . إن شمس الذات العلية مشرقة لا تغيب ، وضاءة لا تحتجب ، فذكر الله يدل على غيبته ، وهو سبحانه حاضر مشاهد لا يغنى ، وهو معكم أينما كنتم . اه باختصار .

وحديث القوم لا يفهمه غيرهم لأن لهم رموزاً تدق على الأفهام

محمود محمد بكر هلال

الأدب والانتحار

منذ شهرين انتحر الأستاذ اسماعيل أحمد أدهم بأن ألقى بنفسه فى اليم ليذيب فيه أحزانه ويدفن أحلامه . واختار الأستاذ الموت على هذه الصورة ليروى ظمأه ويطفئ حرارته

وفى هذا الأسبوع انتحر الأستاذ فخرى أبو السعود بأن أطلق على رأسه الرصاص

والأستاذ أبو السعود ليس غريباً عن قراء الرسالة فقد ساهم فى تحريرها عدة أعوام

فهل كان اتفاقاً أن ينتحر أديبان لهما قيمتهما فى المحيط الأدبى؟ أم هى مصادفة ألقت بها المقادير فى هذه الأيام التى كثرت فيها المجائب وطغى الشر

وأين أثر البحر الذى يشيد به الدكتور زكى مبارك فى أعصاب هذين الأديبين

الواقع أن الأديب رجل مرهف الحس شديد التأثر ، له من المنى ما أخفق فيه وما تحقق ، وحتى هؤلاء الذين ظفروا ببعض الأمانى يشعرون بالغبن ويحسون بالنقص

فلم تكن مصادفة أن ينتحر أديبان فى مدة وجيزة وفى بلد واحد هو الاسكندرية

وإنما هو الألم ... ولعل الأدباء يفكرون فى علاج هذه الظاهرة قبل أن تجر عليهم الفناء

رحم الله الأستاذ فخرى وأجزل لأدهم الثواب .

عبد العزيز سالم

الحرب والشعر

تفضل الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد فأتحف قراء « الرسالة » ببحثه التحليلى الممتع فى العدد الماضى ، وقد قرر فيه أن الحروب لا تشحذ ملكات الشعر ، لأن الشعر فردى ، وإن ما يروج فى أيام الحروب هو الأغانى والأناشيد ، فإن حكمها حكم الخطابة ، لأنها تتردد بين الجماهير فى الاجتماعات ، ثم قال أستاذنا الجليل إن الملاحم فى الأمم البائدة ليست هى التى شحذت تلك الأفكار التى نتج عنها تلك المنظومات الشعرية » .

فهل يسمح الأستاذ الجليل أن أقول : كيف لا تكون الحروب شاحذة للملكات الشعرية فى حين أن أستاذنا نفسه استشهد فى ثنايا مقاله بقطعة شعرية رائعة لشاعر انجليزى ، لولم تكن الحرب لظل مغموراً فى مهنته الطبية ؟ فإذا كانت الحروب تخلق من الطبيب شاعراً ، فكيف بالشاعر المطبوع ؟

وهل يتفضل أستاذنا الجليل ويزيد الموضوع إيضاحاً فى منظومات الملاحم ؟ ولماذا لا تكون دليلاً على أن الحروب تشحذ ملكات الشعر فى حين أنه لو لم تكن الحروب لما كانت تلك المنظومات ؟

أجل ، إن الشعر يتزر فى أيام الحروب ، ولعل السر فى ذلك « ورأى أستاذنا القول الفصل » أن الأمم فى أيام ثوراتها وحروبها تكون منهمكة بشئونها ما بين حاضرها ومستقبلها ، مضطربة الخواطر ، جياشة بمختلف الأحاسيس ، ليس لديها الصبر الكافى لقراءة الشعر والتروية فيه ، فالخطيب يستهويها لأنه يستطيع أن يتخذ من الحوادث اليومية مجالاً لقوله وجلجلته ، فهو لا يحتاج

إلى ساعات يزوّر فيها خطبة ، بل تأتيه الجمل عفو الخاطر ، وقد تكون فى أسلوبها عادية ، ولـكن موقفه الحماسي يجعل لها شأناً آخر ، أما الشاعر فلا بد له من سويعات يجمع فيها أشتات فكره ، ثم يدبج بيراعته صيحاته ، فإن كان شاعراً حقاً عبقرياً استطاع أن ينتصب منبر الخطيب ويستأثر بالجماهير لترديد شعره وقراءته ، كالشاعر الإنجليزى « كبلنج » ، وإلا فهو بالطبع سيمنى بالفشل ، ولعل هذا هو السر فى أنه لا ينزل إلى ميدان الشعر فى أيام الحروب إلا من وثق من نفسه أنه يستطيع بإلهامه وجودة شعره أن يستأثر بقلوب الجماهير ويحملهم على قراءة شعره

إذاً ، فالحرب تشحذ ملـكات الشعر وتجودها ، غير أنها تمتاز بأنه لا يقوى على الظهور فيها والشيوع إلا الشعر العبقرى الحق فحسب ، وأنا فى انتظار رأى الأستاذ الجليل والسلام

يحيى زبارة
عضو البعثة اليمانية



فتـــــوة العطوف

للأستاذ نجيب محفوظ

عند هبوط المساء غادر المعلم « بيومى » الفوال نقطة بوليس الحسينية يحمل « إنذار المتشرد » ، يكاد يتصدع صـدره من الغضب والغيظ . وكان يرغى ويزبد ويتمتم ويدمدم بأصوات كالخوار ، خشنة مبهمة ، ما زالت تعلو وتميز كلما باعدت الخطا بينه وبين نقطة البوليس ، حتى صارت فى ميدان فاروق لعناً وسباباً وقذفاً صريحاً مخيفاً عنيفاً . وجعل يهز قبضة يده الغليظة فى الهواء مهدداً متوعداً ، ويدير فى الفضاء عينين يتطاير منهما الشرر صيرهما الغضب جمرتين ملتهبتين. فوقع بصره على (تاكسى) واقف بالميدان ، فقصد إليه ، ورآه السائق — وكان يعرفه — ففتح له الباب ، فاندفع إلى الداخل وارتمى إلى جانبه . وأحس السائق بالثورة المضطرمة فى صدر صاحبه ، فسأله عما يقلقه ، ووجد المعلم فى السؤال متنفساً عن صدره ، فرمى إليه بالإنذار وهو يصيح غاضباً : « أنظر كيف تعاملنى الحكومة السنية ! » ، وشبك يديه على صدره وقال بلهجة تدل على السخرية والحنق : « ألا ترى أنه يحتم علىّ أن أجد عملاً فى ظرف عشرين يوماً ، أو يزج بى فى السجن مرة أخرى؟ ما شاء الله ! » . واشتد اكفهرار وجهه ، وأرسل من تحت حاجبيه الـكثيفين نظرة شريرة ، وكان صاحبه ساهما متفكراً يردد ناظريه بين وجه المعلم المـكفهر والإنذار المبسوط بين يديه

وكانت هيئة المعلم بيومى من الهيئات التى لا يمكن أن تقتحمها العين ، أو تمر بها دون التفات إليها ، لأن صورته كانت حافلة بآى القوة والجسارة . نعم كان مظهره الرث وملابسه البالية القذرة تنطق بما هو عليه من فقر وبؤس ، ولكن هيكله الصلب وصدره العريض وعضلاته المفتولة دالت على القوة والبأس ، ونظرة عينيه وإيماءاته توحى بالكبرياء والعنف ، وتلك الندوب تكتنف وجهه وجبينه ، وآثار من طعن سكين فى صفحة عنقه تثبت أنه خاض معارك عنيفة شديدة الهول ، ولذلك أحاط به فى غضبه صمت رهيب ألزم ألسنة الأقربين من سائق (التاكسى) الجمود الثقيل . وقد التفت إلى صاحبه وقال فى غيظ وحنق : « أنا ... أنا بيومى الفوال . تتنكر لى الدنيا إلى هذا الحد ؟ ! » وكبر عليه الأمر فجعل يضرب كفا بكف ولسانه لا يكف عن القذف والتهديد ، وأكثر من القذف والتهديد . وقليلاً ما كان يحرك لسانه ساعة الغضب فيما مضى من زمانه . فكان إذا غضب انطوى على الغضب حتى ينزل عقابه الصارم بعدوه، ولكن لم يبق له من ماضيه ذاك إلا ذكريات تطوف بين الحين والحين برأسه المثقل . فتنشر فى ظلماته ضياء منيراً مقتبساً من عز الماضى ومجده وسلطانه

كانت نشأة المعلم بيومى فى العطوف . وقد شهد صباه الأول على جـارته الطبيعية ، فكان من خيرة صبيان الأعور « فتوة » العطوف الذى أرهب السكان وأعجز رجال الأمن . يجلس بين يديه يستمع إلى قصص مغامراته ويشهد مشاجراته ويخرج فى مؤخرة عصابته إذا نفرت لقتال عصابات الدراسة أو الحسينية عند سفح المقطم ، يحمل فى حجره « الزلط » « وقطع الزجاج » يمد بهـا المتعاركين من قومه ويلاحظ فنون قتالهم عن كثب ويمتلئ حماسة للقتال وأعمال الجرأة فما شارف الثامنة عشرة حتى اشتد ساعده وانفتلت عضلاته ، ومهر مهارة عجيبة فى الضرب « بالروسية » والعصا والسكين والـكرسى ؛ واشترك فى معارك فردية وجماعية

فأبلى فيها أحسن البلاء . وذاع أمره كشمارك شديد المراس ، يقدم على مقاتلة عشرات الرجال بقلب لا يهاب الموت ، ويدمر مقهى كاملاً إذا حدثت النادل نفسه بمطالبته بثمن مشروب ، وأكبر الأعور فيه هذه الصفات فاصطفاه وآخاه وجعله ساعده الأيمن ، وقاسمه الغنائم والأسلاب . ومات الأعور فخلفه على أريكة « الفتونة » دون شريك . وأبى طموحه عليه الهدوء والراحة ؛ فتحدى فتوة الحسينية وظهر عليه ، وقاتل فتوة الدراسة فهزمه ، وخرج بجموعه إلى الوايلية فأذل كبيرها ومزق جموعه شر ممزق ، ودوى اسمه فى تلك الأحياء دوى نذير الغارات ، واستكانت له نفوس الفتوات ، وأفاد من سلطانه فائدة رمقتها عيون الحسد جيلاً طويلاً . فجعل مركزه قهوة غزال بالخرنفش حيث يجتمع بأنصاره وصبيانه . وفرض الأتاوة على كبار الأغنياء والتجار والقهوجية وشركة سوارس يؤدونها إليه صاغرين ، ومن يتردد عن دفع ما يطلب منه عرض نفسه وما يملك للهلاك المبين . هذا غير ما كان يؤجر له من أعمال الانتقام والتهديد وحماية بعض النسوة من أهل الهوى ، وتنافس كثيرون فى التودد إليه بإهدائه الهدايا الثمينة ، فكان يتقبلها تقبل الزاهد فيها وهو من غير الشاكرين . وعاش المعلم بيومى فى ظل سلطانه عيشة راضية فى بلهنية ونعيم . يلبس الجلباب الحرير والعباءة من وبر الجمل ، ويتلفع بالشال الكشمير الفاخر ويركب الدوكار تجره الجياد المطهمة . ثم عشق « عالمة » فتزوج منها وكان فرحه فرح أهل الجمالية والعطوف والدراسة جميعاً ، وانتظمت « زفته » الفتوات من جميع الأحياء وعدداً عديداً من أصحاب « السوابق » وحاملى الإنذارات والمترددين على السجون . . . وأحيا ليالى العرس الشيخ ندا وعبد اللطيف البنا وبمبه كشر . ثم ما زال يعلو نجمه يوماً بعد يوم حتى تسنم ذروة المجد فى الانتخابات الأولى عام ١٩٢٤ . فقد أقر بنفوذه كثير من رجالات السياسة فى مصر وسعوا إليه يرجون نصرته لهم ويساومون على شراء أصوات أنصاره وأتباعه ، وشهدت قهوة غزال محضر باشوات وبيكوات يجلسون إلى المعلم بيومى الفوال متوددين متحاذقين . وكان المعلم يصغى لهم ويستولى على نقودهم ، ولكنه فى يوم الانتخابات ذهب وصحبه إلى أقسام البوليس يعطون أصواتهم لمرشحى سعد زغلول

ومنذ ذاك العهد وهو يسمى أولئك الباشوات والبيكوات « بالكروديات » على أنه كان يباهى باتصالاته بهم فى أحايين كثيرة فيقول فى أثناء حديثه « وقال لى الباشا كيت وكيت » وقلت للباشا كيت وكيت

تلك أيام خلت . . . وخلفت وراءها دهراً قاسياً شديد الظلمات . فما يدرى أولئك الفتوات إلا والبوليس يضيق بهم ذرعاً ويشمر للقضاء على أعمالهم ، وكان من سياسته أن قذف الحسينية بضابط شاب لم تشهد الداخلية له من قبل نظيراً ، سواء فى قوته أم فى شجاعته وشدة عناده . وكان يعلم أن هدفه الأول هو المعلم بيومى الفوال ، فلم يحد عنه ، ولم ينتظر الأدلة القانونية لأنه كان يعلم أن أحداً من الناس لن تواتيه شجاعته على الشهادة ضده . فهاجمه بجنوده بغتة وقاده إلى النقطة وأمر الجنود بضربه ضرباً مبرحاً . وأصيب المعلم بذهول شديد لذاك العدوان الجرىء . فما كان من الضابط إلا أن أعاد الكرة مرة ومرتين حتى كسر شوكته . ثم جعل يسوقه أمامه محاطاً بجموع الجند الشاكى السلاح يصفعونه فى كل منعطف طريق ، ويركلونه أمام كل قهوة وينزلون بمن يظهر لهم من فتيانه أشد العقاب ، فأفاق الناس من غشيتهم وانحلت عقدة الذعر الممسكة بألسنتهم فهرعوا إلى رجل الأمن يشكون ويستعدون ، ووجد الرجل الدليل الذى يطلبه وزج بالمعلم فى غيابات السجون يذوق أشد الأهوال والآلام . وهكذا أخذ المعلم بالإرهاب الذى أخذ به الناس جميعاً . وقضى فى السجن بضع سنين . ولما فارقه لم يجد أحداً من الفتوات فى استقباله يهنئه ويقول له : « السجن للجدعان » فقد لاذ كل منهم بسبيله ، منهم من سجن ، ومنهم من هجر الحسينية ، ومنهم من راض نفسه على العمل كما يعمل الناس جميعاً سعياً وراء الرزق . فألفى المعلم عاله مهجوراً كئيباً ، ومجده ذكرى أليمة لا يترحم عليها إنسان ، حتى زوجه ضاقت بفقره وتسوله فهجرته وعادت إلى بنات فنها فى شارع محمد على . وطحنت الآلام تلك النفس الجبارة العاتية . وترنح صاحبها تحت أثقال الهموم لا يستطيع أن يجأر بصوت الشكوى خشية عيون البوليس المحدقة به من كل جانب ، وظل على حزنه وألمه حتى تلقى إنذار التشرد الذى يخيره بين العمل أو السجن

طافت برأسه – فى ساعة بؤسه تلك – صور من أيام مجده تراءت راقصة أمام ناظريه خلال أغشية الحزن والألم . وكان صاحبه السائق فى تلك الأثناء يراقبه بطرف خفى وأصابعه تعبث بالإنذار الذى أحدث كل ذاك الغضب . وكان يدبر أمراً هاماً

في عقله . فلما قلبه على أوجهه المحتملة التفت إلى المعلم وسأله :

— ماذا تقول يا معلم لو عرض عليك عمل يدفع عنك غائلة البوليس ؟ ...

وحدجه المعلم بنظرة غريبة دون أن يفوه بكلمة . وتشجع السائق بصمته فاستدرك قائلا :

— سبق أن علمتك قيادة السيارة . وهي صنعة في اليد تعمر بيوتاً ، وما من شك في أنك خبير بالطرق والمواصلات . وأستطيع أن أدلك على عمل في « الجراج » الذي أعمل فيه على شرط أن تتنازل وترضى ... فما رأيك يا معلم ؟

ولم يسارع المعلم إلى الفرح كما ينبغي لأي رجل في مكانه ، لأن العمل كان التجربة الوحيدة التي لم يعرفها ، وهو لم يكن شيئاً عظيما قط في نظر الفتوات المحترفين ، فتوجس منه خيفة ، ولكنه لم يكن في حالة يستطيع معها رفض ما يعرض عليه ما دام العمل هو المنقذ الوحيد له من السجن . فقال لصاحبه بلهجة لم تخل من الامتعاض : وهل من الممكن أن ألحق بهذا العمل قبل مضي العشرين يوماً ؟

— بغير شك ولا ينقصك إلا شيء واحد . فتساءل المعلم قائلا:

— وما هو ؟ . . .

— بذلة يامعلم ، لأنه لا يمكن أن تكون «شوفيراً» بغير بذلة . فاشتر بذلة أو أجرها أو استعرها كيفما اتفق . ولكن لا بد من بذلة

ومال إلى التفكير في الأمر تفكيراً جدياً ووجد نفسه يحاول حل مسألة العثور على بذلة . ولكنه لم يدر له بخلد أن يجد ضالته عند صاحبه السائق أو عند أحد من أقرانه ، لأنه كان يعلم أنهم لا يملكون سوى البذلة التي يلبسونها . على أنه لم ييأس لذلك من العثور على بذلة . فعليه بالأفندية الذين كانوا إلى عهد قريب يتقون أذاه ويرجون خيره ، فلا يمكن أن يضنوا عليه ببذلة قديمة ناطت الأقدار باقتنائها قوام حياته . واعترض على أولئك الأفندية سبلهم وطرق أبوابهم ورجاهم بلهجة غير التي ألفوا أن يسمعوها منه ، أن يتنازلوا له عن بذلة قديمة ، ولكنهم ردوا عليه بأوجه من الأعذار لا تنفد ، فقال فريق إنهم لا يملكون سوى بذلة واحدة غير التي يلبسونها ، واعتذر فريق آخر بسوء الحال وكثرة العيال ووطأة الأزمة . وقال واحد بقحة إن خادمه أحق ببذلته القديمة . وعجب المعلم لأولئك اللؤماء واهتاجه الغضب اهتياجاً شديداً وقال لنفسه بإصرار وعناد « ما دامت البذلة تنقذني من السجن فسأحصل عليها مهما كلفني ذلك من العناد » وكان يتخبط في الطريق على غير هدى حين وجد نفسه اتفاقاً أمام دكان كواء عند مبتدأ شارع السبيل ، فألقى عليها نظرة سريعة لصقت بالبذلة المعلقة ، فتراخت ساقاه عن المشي وأسند ظهره إلى شجرة قريبة ومضى يتفرس في البدل المتراصة تفرس الجائع النهوم في فرن الحاتي الملىء بالشواء من اللحوم ، ثم عاين المكان فرأى الدكان قائماً إلى جانب جراج يحدها من الخلف صحراء العيون . ودارت برأسه خواطر محمومة عنيفة وعزم عزماً أكيداً

وأصبح الصباح وجاء الكواء يفتح دكانه فما راعه إلا أن رأى في ظهرها ثغرة فانخلع قلبه وهرع إلى ثياب زبائنه . ووجدها كاملة إلا بذلة واحدة ... فكانت دهشته قدر انزعاجه !

وصار المعلم بيومي سائق تاكسي ولم يعد لضابط نقطة الحسينية من سلطان عليه ، ولأمر ما اختار الجيزة ميداناً لعمله فاراً بالبذلة التي لم تهده الحيلة إلى صبغها أو قلبها كما كان ينبغي أن يفعل اللص الماهر . وما كان يصبر على نظام العمل لولا أن السجن كان عوده على ما هو أشد إيلاماً ومقتاً ، فرضى كارهاً أن يلبي النداء ويحمل الراكبين ، ويبدي احترامه لمن كان بالأمس ينظر إليهم شزراً ويدعوهم « بالكرديات » ...

ولم تخل حياته في ذلك المهجر من حوادث ، ففي ذات أصيل وكان مضى عليه ما يقارب الشهر في عمله . وكان ينتظر في موقفه ، برز رجل وجيه من باب الفانتزيو وناداه ، ولبى المعلم مسرعاً وترك مقعده ليفتح الباب للسيد الوجيه ومضت دقيقة وهو ينتظر والرجل لا يتحرك ، فعجب المعلم للأمر ونظر إلى الرجل فرآه ينظر إليه بإنكار بل رآه يتمم النظر في بذلته . وخفق قلب المعلم واضطرب وأحس كمن وقع في فخ ، وهم بالتحرك ولكن الرجل دنا منه وأمسك بالياقة بسرعة وثناها ليقرأ اسم الطرازي ثم قبض على ذراع المعلم وصاح به بغضب :

— قف يا لص ... من أين لك هذه البذلة ؟

ونادى الشرطي بصوت عال . فحدجه المعلم بنظرة نارية وكان يستطيع بغير شك أن يبطش به لو أراد ، ولكنه استشعر بأساً غريباً خرج به عن وعيه فما يدري إلا والشرطي يقبض عليه ...

والظاهر أن الحظ الذي حالفه قديماً تخلى عنه إلى الأبد ، وإنه ليعاني الآن آلام السجن ؛ والله وحده يعلم ما هو صانع به بعد ذلك

نجيب محفوظ

الفنـــون أسرار

للأستاذ عبد اللطيف النشار

كانت غرفة المكتبة فى منزل المسيو « بنديبى » محتوية على (دواليب) قصيرة ذات طبقتين وفوق ظهورها عدد غير قليل من الصور والتماثيل الصغيرة والعاديات والتحف المختلفة الأنواع والأشكال ، وكان « بنديبى » على فقره رجلاً على درجة من الأهمية لاشتغاله بالآداب والفنون ، وكانت التحف الموضوعة فوق دواليبه مجردة عن النظام والترتيب ، وكانت زوجته مدام بنديبى الضعيفة البصر تعانى جهداً فى تنظيف الدواليب ومافوقها بمكنسها الصغيرة المصنوعة من ريش النعام

وفى يوم من الأيام أدت واجبها بالمنزل وجلست مستندة إلى ذراعى مقعد كبير تنتظر عودة زوجها فعاد وعلى وجهه كل علائم الاهتمام وقال : « انظرى إلى هذه القطعة » وأشار بأصبعه إلى شىء فوق الدولاب واستمر يقول : « لقد استكشفت أن هذه القطعة الفنية تساوى مائة ألف فرنك » . فأدارت السيدة نظرها الضعيف إلى حيث يشير أصبعه ورأت طبقاً عادياً من أطباق الحساء (سلطانية) فقالت : « أحقاً إنها تقوم بهذا الثمن ؟ »

قال المسيو بنديبى : « نعم والذى قومها بهذا الثمن من أشهر هواة العاديات ، وقد رفضت بيعها مع إلحاحه فى طلبها . وماذا أفعل بالمال ؟ إننى لست تاجراً ولكننى هاو . وأذكرك أيضاً بأنى كلما اشتريت تحفة من هذه التحف كنت تقولين لى إنها حقيرة لا تساوى شيئاً ، فهل تقدرين الآن أننى كنت مصيباً لما اشتريت هذه القطعة بسبعة فرنكات ؟ »

ومن ذاك اليوم لم تكن الزوجة تجرؤ على أن تمس الطبق خوفاً عليه من الكسر . وكانت تنظر إليـه فتتذكر أنه كان فى بيت جدها آنية مثله تماماً . وأنها كسرت فلم يحزن عليها أحد ، فكانت تقول فى نفسها : « حقاً إن الفن كله أسرار . وكان زوجها يقول : « أنظرى إلى بهجة لونها وإلى الرنين الذى تحدثه عند لمسها بالأصبع » . فتنظر ولكنها لا تجد جديداً فى اللون ولا فى الرنين . وكان الأولى بها أن تقول ما تعتقد ؛ فيحاول زوجها إقناعها ، وتنكشف لها الحقيقة فتعرف خطأها .

ولكنها كانت توافق زوجها إذعاناً . وكان ذلك من سوء حظها ، فات زوجها بعد أمد قصير ولم يبين لها سر الفن الذى يعرفه هو وجامع العاديات الذى عرض عليه مائة ألف فرنك فى القطعة الأثرية . ولم تكن القطعة هى الآنية ، ولكنها تمثال فتاة كان موضوعاً خلف الآنية . وكانت تلك المسكينة لضعف بصرها تحسب زوجها يشير إلى الآنية . وبعد موته رأت مدام بنديبى أن تبيع كل ما تركه زوجها إلا الآنية ؛ واستدعت أحد الهواة فأرته المكتبة وما فوق دواليبها ، وقالت إنها تريد أن تبيع ذلك كله صفقة واحدة . وكان التمثال لسوء الحظ لا يزال موجوداً وراء الآنية ، فنظر المشترى إلى كل الأشياء فأدرك قيمة التمثال وأشار إليه وقال : « وهل تدخل هذه القطعة ضمن الصفقة ؟ » فصاحت الأرملة محتدة « الآنية ! كلا فإننى لا أبيعها ، فهى أنفس شىء عندى . إننى لا أبيع هذه الأشياء لأنى محتاجة إلى الثمن ، ولكن لأنه ليس لها لزوم عندى » . ونظر المشترى إليها وقدر أنها مجنونة فلم يناقشها ، واشترى التمثال بخمسين فرنكا ثم باعه بعد ذلك فى أمريكا بنصف مليون . وباعت السيدة سائر التحف والمنزل وما فيه . وأخذت الآنية معها وذهبت إلى الريف . ولاحظ خدمها الجدد وأقاربها وجيرانها أنها لا تخشى على شىء غير الآنية ، وأنها تحذرهم من المساس بها كل التحذير . وشاع فى القرية أنها تعبد آنيتها هذه ، وأن عقلها غير سليم

وأخذوا يناقشونها وهى تجتهد فى طلب سكوتهم ، وتزيد فى حرصها على آنيتها وإيصاء الخدم بها ، فاستدعى أهلها طبيباً ، وسألها الطبيب عن سر هذه الآنية . فقالت : إنها مستعدة لإطلاعه على الحقيقة على شرط أن يعاهدها على الكتمان فالأمر سر عظيم ؛ وقالت : « لقد اشترى زوجى هـذه الآنية بسبعة فرنكات وهى الآن تساوى مائة ألف فرنك كما قرر ذلك أحد الهواة »

قال الطبيب : « أظنك يا سيدتى تمزحين ، فإن هذه الآنية لا تساوى شيئاً وأكثر العائلات تملك نظائرها » . فقالت : « أو بمثل هذه البهجة فى اللون ؟ وهل تحدث مثل هذا الرنين ؟! »

فاضطرب الطبيب ودهش لثقتها بشىء لا وجود له ، فلم يكن للآنية لون مبهج ولا لها أى رنين . ولم يشأ مجادلتها لاعتقاده أن مرضها هو « الجنون بالفكرة الواحدة » وأنها إذا عولجت فقد تشفى . وبناء على قرار الطبيب نقلها أقاربها إلى مستشفى الأمراض العقلية ، فدخلته راضية ومعها الآنية ؛ ولم يهمها هذا الانتقال ما دامت معها هذه الثروة العظيمة ، ولم يضن أهلها عليها بها ولكنها انتقاماً منهم لكيلا يرثوها أوصت بها لمتحف « اللوفر »

ومن يدرى كم بالمتاحف من أمثال هـذا الأثر ؟ أليست الفنون كلها أسراراً ؟ (عن الفرنسية) عبد اللطيف النشار

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع البدولى — عابدين)

8me Année No. 384

Lundi - 11 - 11 - 1940

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـدد ٣٨٤ « القاهرة فى يوم الاثنين ١١ شوال سنة ١٣٥٩ — الموافق ١١ نوفبر سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهـــــرس

بشائر السلام

أمة التوحيد تتحد . . .

قالت الأهرام فى عدد يوم الجمعة الماضى : « إن هناك بحثاً يدور الآن فى بعض الدوائر العربية حول تكوين حلف عربى يواجه به العرب الظروف الحاضرة التى يجتازها العالم اليوم . والمفهوم أنه إذا انتهى هذا البحث التمهيدى فستدعى الحكومة المصرية رسمياً إلى الاشتراك فيه . أما الدول التى يشملها هذا الحلف فهى : مصر وسورية وفلسطين والعراق والحجاز . وقد يتسع نطاقه فيشمل إيران وأفغانستان »

هذا التفكير على أي شكل كان يدل على تيقظ الروح الماجد فى الجسم العربى ، ويبشر بتجمع القوى الشتيتة فى أعضائه ، ويطمئن قلوب الأحرار الأبرار الذين تفتفارطهم الهموم على مستقبل العرب والإسلام والشرق . وكان من أعجب العجب أن نرى العالم العربى الخطوب تتواثب على جوانبه ، والنوازل تتفاقم فى أحشائه ؛ ثم تظل كل دولة من دوله سادرة فى مشاعب هواها تتلهى بالنظر الغرير إلى حركات زعمائها وهم يتصارعون على المناصب ويتنازعون على الحكم ؛ كأن السلامة والسلام أمران يجريان من حياتها مجرى الأمور الطبيعية كالنوم واللذة والضحك ، فهى لا تشغل بهما البال ولا تدير عليهما الفكر

ولقد قلنا منذ عام حين تحلبت أشداق النازية على حدود الدول الصغيرة : إن الدويلات الضعيفة كان لها فيما مضى من الزمن السعيد حارس من سلطان الدين وحكم القانون وعرف السياسة ، فكانت تعيش فى ظلال الخلق الإنسانى العام حرة آمنة ، لا تجد من جاراتها الكبرى إلا ما يجده الصغير من عطف الكبير ، والفقير من عون الغنى ؛ فلما كفر النازيون والفاشيون بشرائع الله وقوانين الناس أخذوا العالم بسياسة السمك ، ففسد النظام ، واختل التوازن ، واضطربت الحياة ، وذل الحق ، وأفلس المنطق. فليس لها اليوم من عاصم إلا أن تنضوى إلى الديمقراطية التى تجاهد فى سبيل السلام والحرية والمدنية بجانب جهادها فى سبيل نفسها ؛ حتى إذا انتصرت على هذا الطغيان المسلح الكافر نظرت هى فى يومها وفى غدها ، فتعالج ضعفها بما تعالج به الطبيعة ضعف النمل والنحل والقرود ، وهو التجمع والتعاون ، فيكون بين البلاد المتجاورة كشعوب الإسلام الأربعة عشر شبه ما بين الولايات الأمريكية الثمانى والأربعين : من اتحاد السياسة الخارجية ، والدفاع العام ، والدستور المشرع ، والرئيس الحاكم. وإذن لا يبقى على الأرض أمة صغيرة يقوم على استعمارها النزاع ويميل من جرّاها ميزان السلامة

***

إن من يستمع إلى الإذاعة العربية من بلاد المحور يرتمد فرقاً من هذا الإخلاص الإيطالى للإسلام وذلك العطف الألمانى على العرب. ومن شقاء العقل أن نحمله على أن يسيغ هـذه الدعاية الغريبة التى اتخذت وا أسفاه ألسنتها من بعض العرب الذين فتنهم المال الغرور لتقول : إن فيالق الدتشي وكتائب الفوهرر لم تحشد فى صحراء مصر وجبال البلقان إلا لتنقذ العرب والمسلمين من عذاب الديمقراطية البريطانية !

ليت شعرى من الذى حملهم هذه الرسالة وأوجب عليهم هذه التضحية ؟ لسنا إخوتهم فى الجنس ولا فى العقيدة ولا فى المنفعة حتى يكون لما يبذلون فى سبيلنا من الأموال والأنفس مسوّغ. ولسنا من السذاجة والغفلة بمكان القطيع الذى حالف الذئب الجائع الطامع على الكلب الحارس الأمين. إنما نحن شعب مختار حكم العالم فى ماضيه ، وتمرس بالشدائد فى حاضره ؛ فله من بصيرته الموروثة نفاذ إلى صميم الخديعة ، ومن تجاربه الأليمة سداد فى مزالق الفتنة ؛ فلا نجهل أننا نحن الغنيمة التى يحتربون عليها ، والطعمة التى يختصمون فيها ؛ وكلما أرسلوا الأمواج من مذاييع باري وبرلين تحمل إلينا منهم الشوق المبرح والحدب الشديد ، تضاممنا من الفزع ليتقى بعضنا ببعض سهام كيوبيد الأثيرية !

هذا التضام هو التكتل الذى يصير إلى الوحدة. والوحدة التى يقتضيها الدفاع عن النفس ويدعو إليها الخوف ، أوثق وأصدق من الوحدة التى يوجبها النزوع إلى الأنس ويبعث عليها الأمن

لقد كان العرب والمسلمون فيما غبر متواكلين متخاذلين ، لأنهم كانوا وهم على هـذه الحال يستطيعون فى حمى الديمقراطية السمحة أن يعيشوا بوجه من الوجوه. ولكن ماذا عساهم يصنعون وهذه الدكتاتورية الباغية تزحف شعبتاها إلى الشرق عن طريقين مختلفين : شعبة تبغى استغلال البلاد لأنها بطبيعة أرضها فقيرة ، وشعبة تريد استعباد الناس لأنها بطبيعة عنصرها على زعمها سيدة. وإذا دهمك من اليمين ومن الشمال الجائع السلاب والمتكبر الغلاب فقدت وجودك المادى والأدبى بين السلب والغَلب ؛ ثم لا تدرى أى شىء تكون بعد ذلك !

فاتحاد الأمم العربية أمام هذا الخطر الهاجم ضرورة خلقتها غريزة حب الحياة. وفى اعتقادى أن الأمر فى هـذا الاتحاد لن يقف عند مناقشة الفكرة ومواضعة الرأى ؛ ولكنه سيتعداها إلى إمضاء العزيمة وإنجاز العمل. ذلك لأن كل أمة من هذه الأمم تشعر فى وسط هذه الكوارث الداجية بما تشعر به الشاة الشاردة عن القطيع. وإن أسهل على الطبيعة أن تعيد اتحاداً ألفه الله من صلة الدم ونسب الروح ، من أن تبدئ اتحاداً ألفه الشيطان من النازية والفاشية والشيوعية والوثنية ؛ فإن هذه النِّحل المجرمة أضداد تنسجم فى الباطل وتتنافر فى الحق ، ولا بد أن يدركها داء البغى فتخر ضارعة صريعة أمام قوى الخير والعدل ولو بعد حين !

احمد حسن الزيات

أخـــلاق القرآن

الاحسان

للدكتور عبد الوهاب عزام

الإحسان الإتيان بالحسن من القول أو الفعل . والإحسان خلق ينزع بصاحبه إلى الحسن من كل شيء ، وينفر به عن القبيح من كل شيء ، ويطمح به إلى الأحسن فالأحسن رُقيًّا في درجات الكمال

فعل الخير إحسان ، وتأدية الواجب إحسان ؛ ولكن أكثر ما يقال الإحسان للتبرع الذي يزيد على أدنى درجات الواجب ، وللتفضل بأكثر مما يطلب . وذلك درجات يعلو بعضها بعضاً حتى تنتهي إلى الكمال

في كل عمل درجات من الإحسان يختلف فيها المتسابقون إلى الخير ، ينال أدناها كثير من الناس ، ثم يقلّون كلما علت الدرجات حتى ينقطع معظم الناس دون الدرجات العُلى فلا يبلغها إلا أفذاذ من الأخيار المحسنين

وفي كل صنعة درجات من الإحسان يتنافس فيها الصناع إلى أن يستأثر النابغون بدرجات يقف دونها الدهماء والأوساط

والأفراد والجماعات والأمم تتفاوت في الضروريات كالطعام والشراب اللذين يمسكان الحياة ، والملبس الذي يقي الجسم عوادي الحر والبرد ، بل يستوي في ذلك الأمم التي لا تزال في درك الهمجية والأمم التي بلغت في الحضارة مكاناً علياً ، وإنما يتفاوت الناس في الحاجيات والكماليات تفاوتاً بعيداً ، يقاس بما بين طعام الهمج وملبسهم ومعاملاتهم وبين نظائر أولئك في الأمم التي توفر نصيبها من الحضارة

وكذلك يعظم تفاوت الناس في الإحسان . الواجبات يحتمها القانون أو العرف ، وفوق الواجبات ضروب من التبرع في المعاملة أو الإتقان في الصناعة يتلاحق فيها الناس إلى درجة الكمال أو ما يقرب منها

وفي الناس من يقنع بأداء الواجب ، وهو الدرجة الدنيا من الإحسان ، وفي الناس من لا يعرف في الإحسان حداً ، ولا في الكمال غاية ؛ طماح كلما بلغ درجة استشرف لما فوقها . والنفوس الكريمة تنزع إلى العلاء نزوعاً دائماً ، وتتطلع إلى الكمال كل حين . تحس في سريرتها دعوة من الله العلي تدعوها إلى الرفعة وتهيب بها إلى الكمال ، وترى النقص في كل درجة فوقها درجة ، لا أعني درجات من الغنى والجاه والسلطان ، ولكن درجات من الخير والمواساة والرحمة ، وتكميل النفس في معارفها وعواطفها ، درجات من النظام والجمال في عقل الإنسان وخلقه وبيئته وكل ما يتصل به . رحم الله أبا الطيب الذي يقول :

ولم أر في عيوب الناس شيئاً كنقص القادرين على التمام

رحم الله النفس الطماعة اللوّامة التي لا تحدّ طموحها غاية ، النزاعة إلى الخير والكمال في غير نهاية . إنما يسيّر الله خلقه إلى الكمال بأمثال هذه النفوس ، ويهديهم إلى المثل العليا بأفعالها وأقوالها

وقد جاء في الحديث أن الرسول صلوات الله عليه سئل : ما الإسلام ؟ فقال : « أن تعبد الله ولا تشرك به ، وتقيم الصلاة وتؤدي الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان » ثم سئل : ما الإحسان؟ فقال : « أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » . فقد جعل الرسول الإحسان تأدية العبادة على أحسن الوجوه ، وأن يبلغ بها العابد أعلى الدجات

وقد أرشد القرآن الكريم إلى هذا في قوله : « ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طَعِموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ، ثم اتقوا وآمنوا ، ثم اتقوا وأحسنوا ، والله يحب المحسنين » . جعل الإحسان نهاية التقوى والعمل الصالح

والقرآن الكريم يأمر بالإحسان كله : الإحسان بفعل الحسن واجتناب القبيح ، والإحسان بمجاوزة الحسن إلى الأحسن . وقد أكّد الأمر به وكرره وبيّن مكانة المحسنين من الله سبحانه وجزاءهم عنده

بيّن القرآن أن الله تعالى أحسن خلق الناس وأحسن خلق كل شيء . قال : « ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم ، الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين » . وقال : « الله الذي جعل لكم الأرض قراراً والسماء بناء وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ، ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين » . وإذا كان خلق الله كله إحساناً فهذا العالم أولى به الإنسان ، وأقرب إلى سنته وإلى مرضاة خالقه

بل بين القرآن أن الغاية من الحياة والموت والعمران استباق الناس إلى الإحسان وتنافسهم فيه

قال : « الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً » وقال : « إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً »

أمر الكتاب الكريم بالإحسان فى العمل إذ قال : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان . » والإحسان هنا إما أن يكون فعل الحسن وإما أن يكون زيادة على العدل . فالعدل إيتاء كل ذى حق حقه ، والإحسان أن يعطى الإنسان ما لا يلزمه ويفعل أكثر مما يطلب منه . ومهما يكن فهذا وذاك يأمر به القرآن ويدعو إليه ويحث عليه

وأمر بالإحسان فى القول إذ قال : « وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن . » وقال : « وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها . إن الله كان على كل شىء حسيبا . » فالمسلم مأمور أن يحسن فى فعله وقوله جهد الطاقة ، حتى ينتهى به الإحسان إلى الكمال الذى هو أليق به وأقرب إلى مقاصد دينه

وهذا الإحسان الذى أمر به المسلمون عام لا يخص فريقاً دون فريق إلا من ظلم واعتدى فليس له من إحساننا نصيب . يقول القرآن الكريم : « ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم . »

الطريقة المثلى والدين الأحسن فى شرعة القرآن أن يؤمن الإنسان بالله ويخلص له ويفعل الحسن . بين هذا القرآن فى قوله : « ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن » . وفى قوله « ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى » ، وقوله « من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون »

هذه هى الطريقة المثلى والخطة التى تكفل للانسان سعادته واجتماع القلوب عليه وتجنبه الشقاء والبغضاء والشحناء مما يجعل الحياة شراً والأرض سعيراً . فى الكتاب المبين : « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة . ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم » وهذا مطلب عظيم يحتاج إلى رياضة النفس على الخير وصبرها على المكاره . لذلك يقول القرآن بعد هذه الآية « وما يلقاها إلا الذين صبروا ، وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم » وقال فى آية أخرى : « والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية ويدرءون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار »

وبين القرآن أن الإحسان يكون فى كل عمل وفى كل قول. فالاعتراف بالحق والإيمان به إحسان . حكى القرآن عن جماعة من القسيسين أنهم آمنوا وقالوا فيما قالوا : « وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين » وقال عقب هذا : « فأثابهم الله بما قالوا جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين » . فقد عد قولهم المنبئ عن الإيمان إحساناً . وفى آية أخرى يعد العفو عن المسىء والصفح من الإحسان قال : « فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين » وعدّ استجابة المسلمين لدعوة الرسول إلى تعقب المشركين بعد ما أصاب المسلمين فى أحد — عدّ هذا إحساناً فى قوله : « الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح ، للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم » وعد احتمال المشقة فى سبيل الحق إحساناً فقال فى المجاهدين : « ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة فى سبيل الله ، ولا يطئون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين »

النفس الكريمة الطيبة تنزع إلى كل عمل حسن وتنفر من كل قبيح ولا تقف فى الإحسان عند حد، فهى تواقة إلى الأحسن فالأحسن ؛ تحسن فى كل فعل وفى كل قول وتطمح فى كل درجة إلى ما فوقها وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء

والمحسنون مقربون إلى الله سعداء بقربه ومحبته ، لا يفارقهم إحسانه ورحمته . يقول القرآن : « وأحسنوا إن الله يحب المحسنين. ويقول إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون . ويقول : إن رحمة الله قريب من المحسنين »

وأما جزاء الإحسان فقد قال فيه القرآن : « هل جزاء الإحسان إلا الإحسان» . وقال : «للذين أحسنوا الحسنى وزيادة» جزاء الإحسان أن يحسن الله إلى المحسن فى الدنيا والآخرة . جزاؤه فى الدنيا صلاح النفس وتزكيها وفتح أبواب المعرفة عليها واستمتاعها بالحياة على أحسن وجه وتمكنها فى الأرض وسيادتها وبلوغ الكمال الذى أراده الله للمحسنين . جاء فى سورة يوسف : « ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما . وكذلك نجزى المحسنين » وقال فى السورة نفسها : « وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض يتبوأ منها حيث يشاء . نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين » . جزاء الإحسان فى هاتين الآيتين إيتاء الحكمة والعلم والتمكن فى الأرض والرحمة . وأعظم به من جزاء

وأما فى الآخرة فحسبك هذه الآية من آيات : « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا . أولئك لهم جنات عدن تجرى من تحتهم الأنهار »

ذلكم الإحسان الذى يدعو إليه القرآن ، وذلكم جزاؤه فى الدنيا والآخرة . على الإنسان أن يحسن ما استطاع ولا جناح عليه بعد إحسانه أن يستمتع بالطيبات من الرزق فى هذه الحياة . وأن يبلغ من هذه الدنيا ما يشاء ! وقد تلوت أنت هذه الآية :

« ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين »

وهذه آية أخرى جامعة :

« وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله إليك ، ولا تبغ الفساد فى الأرض ، إن الله لا يحب المفسدين »

ذلكم هدي القرآن فى الإحسان ، وقد جاء فى السنة حديث جامع : « إن الله كتب عليكم الإحسان فى كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة » يعنى إذا لم يكن بد من قتل إنسان قصاصاً فليقتل قتلة حسنة لا مثلة فيها ولا تعذيب؛ وإذا ذبحتم الحيوان فاذبحوه بأحسن وسيلة ، الوسيلة التى تؤدى إلى المقصود دون تعذيب كذلك

وبهذا الهدى سار المسلمون الأولون ، فأحسنوا أقوالهم وأفعالهم وأحسنوا إلى الناس وبالغوا فى الإحسان والإنفاق فنالوا جزاء المحسنين من السيطرة على الدنيا بالحق والسعادة بها وحسن الجزاء فى الآخرة

وإن فيهم لأسوة حسنة للمتخلفين من بعدهم ، فليجدوا فى الإحسان وليتنافسوا فيه . ليحرصوا على الإحسان فى العلم والمعرفة والقول والفعل وفى كل صنعة وكل نظام تستقيم به أمور الناس على هذه الأرض ، فقد دعا الإسلام إلى الإحسان كاملاً عاماً شاملاً . ومن أخلق من المسلمين بإجابة هذه الدعوة ؟

عبد الوهاب عزام

مسابقة الجامعة المصرية

لطلبة السنة التوجيهية

للدكتور زكى مبارك

— ١ —

تمهيد

كان يراد بالجامعة المصرية ، الجامعة التى أنشأتها الأمة سنة ١٩٠٨ ، والتى تحولت إلى جامعة أميرية سنة ١٩٢٥ ، وقد سميت «جامعة فؤاد الأول» سنة ١٩٣٨ تكريماً لذلك الملك المعظم ، لأنها أنشئت فى عهده ، ولأنه كان أول رئيس للجامعة المصرية .

وأنا حين أقول « الجامعة المصرية » ، لا أريد « جامعة فؤاد الأول » بالقاهرة ، ولا «جامعة فاروق الأول» بالأسكندرية ، وإنما أعنى «الجامعة المصرية» التى تنتظم هاتين الجامعتين ، وما سيُنشأ من جامعات فى مدائن الشمال ومدائن الجنوب: كالمنصورة وأسيوط والحال كذلك فى غير مصر ، فالفرنسيون يقولون « الجامعة الفرنسية » حين يريدون المعنى الجامعى بلا تقييد ، فإذا أرادوا التخصيص قالوا : « جامعة باريس » و « جامعة ليون » إلى آخر ما هنالك من جامعات

والمسابقة الجامعية التى أقرتها وزارة المعارف ، لا تخص جامعة فؤاد الأول ، ولا جامعة فاروق الأول ، وإنما تمسّ جامعة القاهرة وجامعة الأسكندرية ، فهى إذاً مسابقة « الجامعة المصرية »

موضوع هذه الدراسات

ويجب أيضاً أن نحدد الغرض من هذه الدراسات فنقول : هو أولاً توجيه لطلبة السنة الخامسة بالمدارس الثانوية ، وهو ثانياً تلخيص الطائفة من آثار الأدب الحديث

ولكن كيف نجمع بين هاتين الفائدتين ؟ وكيف نسلك مسلك « التحبيب » ، وهو منهج من مناهج أسلافنا الفضلاء ؟

يجب أن يكون مفهوماً أن هذه الدراسات موجهة إلى جميع القراء ، وإن كان الغرض منها توجيه طلبة السنة الخامسة الثانوية إلى الاستفادة من مسابقة الجامعة المصرية ، وذلك يوجب أن ننظر فى تلك المؤلفات بترفق وتلطف ، بحيث يمكن جذب الطلبة والجمهور إلى إدراك ما فيها من مقاصد وآراء بدون تزيد وبدون

إسراف ، فما يجوز أن نصف كتاباً بما ليس فيه ، أو أن نحمّل مؤلفاً ما لا يطيق

تنبيه يفرضه منهج الدرس

ليس الغرض من هذه الدراسات أن يرجع إليها الطالب قُبيل المسابقة بيوم أو يومين ، وإنما الغرض هو توجيهه إلى الاستفادة من تلك المؤلفات ، فهو مسئول عن مراجعتها فصلاً فصلاً وجملة جملة ليدرك بنفسه أغراض المؤلفين ؛ فإن لم يفعل فهو متواكلٌ مخذول ، ولن يظفر من المسابقة بشيء ؛ ولو كنتُ أتوهم أن طلبة السنة التوجيهية سيستغنون بهذه الدراسات عن المراجعة والاستقصاء لطويتها عنهم ، فما أحب أن يكون في شباب اليوم من يغنيه الوصف عن تعرف حقيقة الموصوف

قراءة الناقد وقراءة المستفيد

تنقسم القراءة إلى قسمين : قراءة فهم واستفادة ، وقراءة نقد واستقصاء

فما قراءة الطالب لهذه المؤلفات ؟

يجب أن تكون القراءة الأولى — أو القراءات الأولى — قراءة فهم واستفادة ، بحيث يهتم القارئ أولاً وقبل كل شيء بتفهم أغراض المؤلفين والانتفاع بما يحلون من مشكلات ، وما يعرضون من آراء ، فإذا انتهى من ذلك وتفهّم الكتابَ تفهماً صحيحاً رجع إليه فقرأه من جديد قراءة النقد والاستقصاء ، والمراد من النقد هو التعرف إلى نفسية المؤلف وإدراك ما في أقواله وآرائه من قوة وضعف ، وصحة وبُطلان ؛ والمراد من الاستقصاء هو ربط أفكار المؤلف بما سبق للقارئ الاطلاع عليه من أفكار الباحثين ، لتصح له الموازنات بين القراءات القديمة والقراءات الجديدة بصورة تقنعه بأنه تحرر من سيطرة المؤلف واطمأن إلى قدرته على المفاضلة بين رأي ورأي وأسلوب وأسلوب

وإذا انتفع الطالب بهذا التوجيه فسيفوز حتما وسيخرج بمحصول نفيس يكون من أنفع ذخائره الأدبية في الحياة الجامعية . والله عز شأنه هو الموفق

فيض الخاطر

ونبدأ هذه السلسلة بدراسة كتاب « فيض الخاطر » لحضرة الأستاذ أحمد أمين عميد كلية الآداب ، والمقرر للمسابقة هو الجزء الأول فقط ، فإذا استطاع الطالب أن ينظر في الجزء الثاني أيضاً وأن يأخذ عنه فكرة مجملة كان ذلك أبلغ في الإحاطة باتجاهات المؤلف ومعرفة ما يعتلج في نفسه من أفكار وآراء

نشر الجزء الأول سنة ١٣٥٧ هـ ١٩٣٨ م وهو يقع في ستين وثلثمائة صفحة بالقِطع المتوسط (إلى أن نضع تحديداً دقيقاً لما يسميه الفرنسيون Format)

والمؤلف يصوّر محتويات كتابه فيقول إنه « مجموع مقالات أدبية واجتماعية » نُشر بعضها في « الرسالة » وبعضها في « الهلال » وبعضها لم يُنشر في هذه ولا تلك »

ومقالات الكتاب تُعَدُّ بالعشرات ، أو هي بالضبط اثنتان وسبعون مقالة ، وقد وُضعت في أماكنها من الكتاب بدون ترتيب ، لأن الترتيب لم يكن ملحوظاً في إنشاء هذه المقالات ، وقد وضعت أيضاً بدون تأريخ ، لأن المناسبات لم تكن ملحوظة ، فهي آراء يتصل بعضها بالعصر الجديد وبعضها بالعصر القديم ، بدون التفات إلى روابط التاريخ

ومع هذا التلطف في الاعتذار عن المؤلف فقد كنا نحب أن يؤرخ تلك المقالات ، لأن منهج التأليف يوجب ذلك ، ولأن الباحث قد يحتاج إلى تواريخ تلك المقالات بعد حين

الأسلوب

يتفق الأستاذ أحمد أمين في أحيان كثيرة أن يقول إنه يراعي في أسلوبه ذوق العصر ، كالذي صنع منذ أكثر من عشرين سنة يوم نشر كتاب « الأخلاق » ، وكالذي صنع في مقدمة « فيض الخاطر » حين قال : « وخير أسلوب عندي ما أدى أكثر ما يمكن من أفكار وعواطف في أقل ما يمكن من عُسر وغموض والتواء ، وراعك بجمال معانيه أكثر مما شغلك بزينة لفظه ، وكان كالغانية تستغني بطبيعة جمالها عن كثرة حليها »

وهذا القول يشهد بشعور المؤلف بأن أسلوبه خالٍ من الزُّخرف والبهرج والرُّواء ، وبأنه لا يعوّل على جمال الألفاظ ، وإنما يعوّل على جمال المعاني

والأمر كذلك في أسلوب الأستاذ أحمد أمين ، فهو يكتب كما يتحدث ، بلا عُسر ولا غموض ، ولا يهمّه حين يؤدي المعنى تأدية واضحة أن يقال إن أسلوبه ليس بالأسلوب الرشيق ، وقد يتفق له أن ينقل العبارة الواحدة من موضوع إلى موضوع حين يراها تصل به إلى ما يريد ، كعبارة « رُواء في العين ، ولا شيء في اليدين » فقد كررها بلفظها في معرضين مختلفين ،

وقد يأنس بتعابير العوامّ حين يراها تؤدى الغرض المقصود ، كأن يقول : « وراحتْ أيام ، وجاءت أيام » وهو مع ذلك ينقل بعض تعابير القدماء إلى كلامه من حين إلى حين ؛ كأن يقول فى سياق أحد الأحاديث « تجيئك بجهاءة وقليل ماء »

أسلوب أحمد أمين ليس بالأسلوب الرشيق ، وأحمد أمين ليس من « دهاقين الكلام » كما كان يعبِّر القدماء ، ولا عبرة باعتذاره بأن المهمّ هو المعانى ، ولا قيمة للغض من الزخرف والبريق والرُّواء ، لأنها عناصر أساسية من الأسلوب الجميل

ولكن يجب الاعتراف بأن أسلوب أحمد أمين له شخصية تتميز بالسهولة والوضوح ، فهو يعبِّر عن ذات نفسه تعبيراً صحيحاً ، وهو يُقْنِع وإن كان لا يَفتِن ، لأنه يبنى الإقناع ولا يَنشُد الفُتُون ، وليس ما وصل إليه بالمغنَم القليل

موضوعات الكتاب

فى كتاب « فيض الخاطر » موضوعات أدبية واجتماعية ، وبعض الموضوعات الأدبية تراجم لرجال أَنِس بذكراهم المؤلف ، كترجمة أبى مِحجَن الثقفى ، وفى هذه الترجمة تحدث المؤلف عن « الطائف » فى الجاهلية والإسلام حديثاً طريفاً ، وكان أكبر همه أن يُبيِّن قيمة الشخصية الخُلُقية لشاعر لا ينتهى عن الخمر إلا حين تُصبح له من المباحات بفضل ما أبلَى فى الحروب . والنظر فى هذه الترجمة ينفع ، لأن فيها معارف تاريخية وجغرافية ، ولأنها تصور حِرص المؤلف على التنويه بقيمة الاعتزاز بالنفس فى بناء الشخصية الخلقية

وأبو محجن هو الشاعر الذى تعقّبه عمر بن الخطاب بالنفى والتشريد لهذين البيتين :

إذا مت فادفنّى إلى جنب كَرمةٍ
تروِّى عظامى بعد موتى عروقها
ولا تدفننّى فى الفــلاة فإننى
أخاف إذا ما مُتّ أن لا أذوقها

وهنا يقول المؤلف : « ويشاء قاصّ من الظرفاء فيروى أنه رأى قبره بنواحى أذربيجان أو جرجان وقد نبتت عليه ثلاث كروم قد طالت وأثمرت واعترشت »

ونقول إنه لا موجب لعبارة « قاصّ من الظرفاء » التى تفيد الكذب والاختراع ، فليس من المستبعَد أن يحقق العرب مثل هذه الوصية ، وكان من خير المدح عندهم أن يكون الرجل « شِرِّيبَ خمر مِسْعَراً لحروب » وقد صُقِلتْ أذواقهم بالانتقال إلى فارس وطن الأعناب والصهباء ، وهل يكثُر على العرب أن يصنعوا مع قبر أبى محجن ما صنع الفرنسيون مع قبر ميسّيه وما صنع الفرس مع قبر الخيّام ؟

العرب أظرف مما يتوهم الأستاذ أحمد أمين ، و « القاصُّ الظريف » لم يقل ما قال إلا استجابة لما فُطر عليه العرب من الظَّرف فى رعاية حقوق الشعراء

وفى كتاب « فيض الخاطر » ترجمة للأحنف بن قيس ، وهى ترجمة نفيسة جداً ، ويجب على الطالب أن ينظر فيها بعناية ، فقد تفيد فى الإجابات التحريرية أو الشفوية ، لأنها بالفعل من أطايب هذا الكتاب ، والأستاذ أحمد أمين يجيد حين يتعرض لموضوع وُجدتْ عناصره الأصيلة فى كتب القدماء

وفيه ترجمة لسيبويه المصرى ، وفى هذه الترجمة فكاهة وأدب وتاريخ ، وهى جديرة بالالتفات

ويتصل بهذا النوع ترجمته للّون الأصفر فى العصر العباسى وهى نبذة طريفة تصور جانباً من الذوق الاجتماعى فى ذلك العهد والأذواق تُترجَم كما يترجَم الأشخاص !

أما التراجم الحديثة فأهمها ترجمة عاطف بركات وترجمة على فوزى ، وقد أجاد الكاتب فى هاتين الترجمتين ، وإن كان انحرف بعض الانحراف فى الترجمة الثانية ، لأنه صور فرار على فوزى من المجتمع المصرى بصورة العقل ، ولو أراد الحق لعدّ ذلك الفرار من صور الجنون ، وعذر المؤلف أنه أراد الترفق بأستاذه وهو يرثيه ، وإلا فكيف يكون الانصراف عن الزواج رحمة بالمرأة وهى لا ترى الأمان إلا فى رحاب الزواج ؟

إن الكاتب حبّر هذه المقالة فى لحظة غضب على المجتمع ، وبذلك استجاز أن يرى الانسحاب من ميدان الجهاد دليلاً على رجاحة العقل ، ولو أنه كتب هذه المقالة فى لحظة هدوء لرأى أن تصرف المرحوم على فوزى بك لم يكن إلا تصرف رجل مريض صدّه المرض عن الاضطلاع بأعباء الأسرة ، وصرفه عن المشاركة فى النهوض بالواجبات الوطنية

وعلى ذلك تكون هذه المقالة من الأدب الذاتىّ ، وهو الأدب الذى يصوّر الكاتب قبل أن يصوّر المجتمع ، وهى مقابلة لها تفاسير فى أدب الأستاذ أحمد أمين ، فقد شهد على نفسه فى كتابه هذا بأنه قليل الضحك كثير البكاء ، وذلك سر نجاحه كاتباً ، لأن

الأمم التى تعانى الاضطهاد ، أو تتوهم أنها تعانى الاضطهاد تميل إلى الكاتب الذى يكثر من شرح معانى الضجر والاكتئاب

وننتهز هذه الفرصة فنشير إلى المقال الذى عنوانه « الضحك » والمقال الذى عنوانه « سيّدنا » فهما يصوران شقاء الكاتب بالناس والزمان ، فقد ضربه معلّمه فى الطفولة ضرباً قاسياً عنيفاً ، ضربه ضرباً قضى بأن يستريح فى المنزل نحو أسبوعين ، والذى يواجه بأمثال هذه المكاره وهو فى طهارة الطفولة لا يرى الناس إلا قطعاناً من ضاريات الذئاب

ولم يفت الأستاذ أحمد أمين أن يعقّب على ذلك السلوك الفظيع من معلمى الأطفال ، فقد عدّه رياضة على تحمل مكاره الحياة ، ولعله صدق ، فقد قام الدليل على أن الخوف من المجتمع هو أنجع الوسائل فى الانتصار على المجتمع

وهذه النظرة تفسّر ما يغلب على كتابات الأستاذ أحمد أمين من الميل إلى الجِدّ الصّرف ، واستهانته بالأزهار البواسم فى رياض الآداب والفنون ، كالذى وقع فى مقال « أدب القوة وأدب الضعف » وهو مقالٌ جيّد من حيث التصوير لنفسيته الذاتية ، وهى نفسية الرجل الذى صرّح فى مقالة « الموت والحياة » بأن الأمر فى السعادة إلى ما فى داخل النفس لا فى خارجها ، وأن فى الدنيا نفوساً قد تشقى فى النعيم ونفوساً قد تسعد فى الشقاء

وكذلك نرجو أن يفطن طلبة السنة التوجيهية وهم يقرأون كتاب « فيض الخاطر » إلى أن المؤلف أديب يصوّر لواعج نفسه قبل أن يصور بلايا المجتمع ، وإذا كان أحمد أمين قد نجح نجاحاً ملحوظاً فى حياته الأدبية والمعاشية ، فهو نجاح السبّاح الماهر الذى عانى ويلات الخطوب وهو يقارع الأمواج فى ليلة داجية مُثقلة الحواشى بالعواصف والأنواء

ونخرج من هذا بأن أحمد أمين لم يكن مرائياً فى قَصْر أدبه على الجِدّ الصّرف ، فهو فى حقيقة الأمر رجلٌ حزين ، وإن كان يستريح إلى أحاديث الدعابة والمجون حين يخلو إلى أصدقائه الخواصّ ، وهل يستريح إلى الدعابة إلا الرجل المكروب ؟

إن هذا الرجل أعلن فى كتابه أنه يتشهّى ضحكة قوية يمسك منها صدره ، ويفحص منها الأرض برجليه ، ضحكة تملأ شدقيه ، وتُبدى ناجذيه ، وتفرّج كربه الأليم ، وتكشف همه المقيم . ولكن تلك الضحكة القوية لن تتاح لمن كان فى مثل حاله من الحرص على الوقار والتزمُّت ، والخضوع لأهواء المجتمع البليد الذى يرى المرح من عيوب الرجال

وهنا أذكر نكتة قصّها رجلٌ سخيف ، رجلٌ لا يؤمن بأن الشيخ محمد عبده كان من العظماء ، لأنه شهده مرة وهو يضحك بقوة وعنف كما يضحك الأطفال

والنكتة هى ضحك الشيخ « محمد عبده » بتلك القوة وبذلك العنف ، والعظيم عظيم فى كل شىء حتى فى الهزل والمجون ، وكان محمد عبده عظيما فى الجِد وعظيما فى المزاح ، ولن تكمُل الشخصية الإنسانية إلا إذا استوفت معانى المرارة والحلاوة والقسوة واللين

قال الراوى : كان محمد عبده يضحك ضحكا ينافى وقار العلماء

وأقول إن محمد عبده لم يكن واحداً من العلماء ، وإنما كان أوحد العلماء ، وللأوحد مزايا لا يتمتع بها الآحاد

وقد أخبرنا الأستاذ « أحمد أمين » فى كتابه أنه سيحاول الضحك . فهل ضحك ؟ كتب الله لى وله نعمة القدرة على الاستهانة بمكايد الناس ومكاره الزمان !

أما بعد فنى كتاب « فيض الخاطر » مقالات نخصها بالحمد بلا تحفظ ، وندعو الطلبة إلى فهمها بعناية وحرص ، كمقالة « عدو الديموقراطية » وهى من أبدع ما كتب أحمد أمين ، ومقالة « الإشعاع » وهى مقالة رفضتُ النظر إليها فى الكتاب ، لأنى فوجئت بها فى مجلة الرسالة وأنا راجع من فرنسا فى صيف سنة ١٩٣٣ فكان لها تاريخ فى تحديد ما بينى وبين الأستاذ أحمد أمين ، ومع طول العهد ومع النُّفرة من مراجعة هذه المقالة فأنا أعتقد أنها من غُرر الأدب الحديث ، وقد كُتبتْ هذه المقالة فى لحظة من « لحظات التجلى » وهو عنوان لمقال طريف وُفّق الكاتب فى فقراته الختامية إلى معانٍ لا تصدُر إلا عن رجل موهوب ، وأحمد أمين فى بعض ما يكتبُ رجلٌ موهوب

وهنالك مقال « الحلقة المفقودة » وهو مقالٌ صادق ، وقد كان له تأثير فى بعض البيئات العلمية ، والكاتب الحق هو الذى ينقل الفكر من حال إلى أحوال ، ويعكر صفو الآمنين من حين إلى حين

ثم أما بعد فكتاب « فيض الخاطر » هو صور ذوقية وأدبية واجتماعية لرجل محترم يعاديه قومٌ ويصادقه أقوام ، رجل له أهل وأبناء وأصدقاء وأعداء ، ومن كان كذلك فهو خليق بأن يفهم سرائر المجتمع كل الفهم أو بعض الفهم ، وهو جدير بأن يُنصب لآرائه ميزان

في الاجتماع اللغوى

اللهجات المحليـــة

للدكتور على عبد الواحد وافى

مدرس الاجتماع بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

تقضى القوانين الخاضع لها تطور اللغات أن تختلف اللهجات فى الأمة الواحدة تبعاً لاختلاف أقاليمها وما يحيط بكل إقليم منها من ظروف وما يمتاز به من خصائص . وقد جرت العادة أن يطلق على هذا النوع من اللهجات اسم اللهجات المحلية Dialectes locaux وتختلف هذه اللهجات بعضها عن بعض اختلافاً كبيراً فى المساحة التى يشغلها كل منها : فمنها ما يشغل مقاطعة كاملة من مقاطعات الدولة ؛ ومنها ما تضيق منطقته فلا يشمل إلا بضع قرى متقاربة ؛ ومنها ما يكون وسطاً بين هـذا وذاك . وكثيراً ما تختلف هذه المناطق اللغوية فى حدودها عن المناطق المصطلح عليها فى التقسيم الإدارى والسياسى . فقد تقسم القرى التى تتألف منها منطقة لغوية واحدة بين مديريتين أو أكثر ؛ وقد يجتمع فى مديرية واحدة أو مركز واحد عدد كبير من المناطق اللغوية . ولدينا نحن المصريين على ذلك شواهد كثيرة فى مختلف أقاليم الصعيد والوجه البحرى

وتعمل كل لهجة من اللهجات المحلية على الاحتفاظ بشخصيتها وكيانها ، فلا تدخر وسعاً فى محاربة عوامل الابتداع والتغيير فى داخل منطقتها ، ولا تألو جهداً فى درء ما يوجه إليها من خارجها من هجمات . فاللغة نظام اجتماعى ، وكل نظام اجتماعى يحمل فى طيه قوة المقاومة والقهر ، على حد تعبير العلامة دوركايم Durkheim

أما محاربة عوامل الابتـداع فى داخل منطقتها فتتم بفضل العلاقات الوثيقة التى تربط الناطقين بها بعضهم ببعض وتربطهم ببيئتهم ومجتمعهم . وذلك أنه بقوة هذه العلاقات يقوى الضمير الجمعى ، وتتأكد سيطرة النظم الاجتماعية ، ويعظم نفوذها ، ويشتد بطشها بالمعتدين . فكل محاولة فردية للخروج على النظام اللغوى تلقى فى مجتمع كهذا مقاومة عنيفة تكفل القضاء عليها فى مهدها . وبذلك تتقى اللهجة ما عسى أن يوجه إليها فى داخل منطقتها من محاولات الابتداع وعوامل التغيير

وأما حمايتها من اللهجات المجاورة لها فيرجع الفضل فيهـا إلى ضعف الصلات التى تربط أهلها بمجاوريهم ، وقلة فرص احتكاكهم بهم ، وما يبدونه فى العادة من نزوع إلى العزلة والاستقلال . ويظهر هذا على الأخص فى البيئات الزراعية التى تقل فيها وسائل المواصلات ، وتضعف حركة انتقال الأفراد ، ويكاد سكان كل منطقة يعيشون فى معزل عن سكان المناطق الأخرى . حقاً إن تزوج بعض الرجال فى هذه البيئات إلى نساء من غير مناطقهم ، وهجرة بعض الأفراد من بلادهم إلى البلاد المجاورة لها ، كل ذلك وما إليه يجلب إلى البلد عناصر أجنبية عنه . ولكن قلة عدد من ينفذ من الأجانب عن هذه الطرق وما شاكلها وانتماءهم فى الأصل إلى مناطق لغوية مختلفة، ودخولهم البلد فرادى وفى أزمنة متباعدة ، وعدم وجود رابطة تربطهم بعضهم ببعض ، وإقامة كل منهم بين مجموعة من الناس تختلف لهجة أفرادها عن لهجته ، وما يبديه أهل المنطقة حيال لهجاتهم من سخرية وازدراء ، وصعوبة فهم حديثهم أحياناً ، كل ذلك وما إليه لا يحول دون تأثر لهجة البلد بلهجاتهم فحسب ، بل من شأنه كذلك أن يحملهم هم على محاكاة لسان المنطقة التى يقيمون فيها . وأما البيئات التجارية والصناعية والساحلية التى يكثر

أحمد أمين يمثل صورة الرجل المسئول ، والرجل المسئول مسكين مسكين ، هو مسئول أمام أهله وأبنائه وأصدقائه وأعدائه، وهو مسئول أمام تلاميذه بكلية الآداب، وقد كففتُ عنه قلمى منذ اليوم الذى عُيِّن فيه عميداً لـكلية الآداب، لأن الغض من عميد تلك الـكلية خروجٌ على ما لها فى عنق من عهود ومواثيق

ومعنى ذلك أننى أحب أن يقرأ طلبة السنة التوجيهية كتاب « فيض الخاطر » بتدبر وإمعان ، لأنه حقاً وصدقاً كتابٌ نفيس ، ولأنه صورة لرجل كريم لم يأخذ عليه خصومه غير هَنَوات لا تغض من أقدار الرجال ، ومن الدليل على كمال الرجولة أن يكون فيها ما يعاب ، لأن الرجولة الحق مزاج من الرشد والغيّ والهدى والضلال

ثم ماذا ؟ ثم أنتقل إلى كتاب « وحى الرسالة » يمثل هذا الأسلوب من الصدق فى تشريح أغراض المؤلفين ، وأنا أرجو أن يُقبل طلبة السنة التوجيهية على هذه المؤلفات بشغف وشوق ، ليكونوا برعاية الله أنصاراً أوفياء للأدب الحديث .

زكى مبارك

فى العادة احتكاك أهلها بغيرهم ، فيرجع الفضل فى حماية لهجاتها إلى قلة عدد الأجانب بالنسبة إلى سكانها الأصليين ، وانتمائهم إلى مناطق لغوية مختلفة ، وعدم وجود رابطة تربطهم بعضهم ببعض ، وقصر مدة إقامتهم ، لأن معظمهم يفد إلى البـلد فى شئون لا تقتضيه إلا إقامة ساعات أو أيام

غير أنه قد يتاح أحياناً لهجة محلية فرص للاحتكاك الدائم بلهجة أخرى . وحينئذ تشتبك اللهجتان فى صراع أهلى لا يختلف كثيراً فى مظاهره وطرقه عن الصراع الذى ينشب بين لغتين مختلفتين والذى عالجناه فى مقالات سابقة فى الرسالة[1]

وينتهى هذا الصراع إلى إحدى نتيجتين : فأحياناً لا تكاد إحدى اللهجتين تؤثر فى الأخرى ، وذلك إذا تساوى أهل المنطقتين فى الثقافة والقوة والنفوذ . وأحياناً تكون إحداهما عرضة للتأثر بالأخرى ، وذلك إذا كانت أقل منها فى مظهر من المظاهر السابقة . وتختلف درجة التأثر باختلاف الأحوال : فأحياناً يكون يسيراً لا ينال إلا بعض مظاهر ، وأحياناً يكون عميقاً ينتهى بالقضاء على اللهجة المغلوبة

فيكون يسيراً إذا لم تكن الفوارق كبيرة بين أهل المنطقتين فى الثقافة والنفوذ والسلطان . ويبدو هـذا فى تأثر لهجة القرى بلهجة المدينة التى تجاورها أو يكون بها مقر المديرية أو المركز ، أو فى تأثرها بلهجة البلد الذى يتخذ مقراً لنقطة البوليس أو للعمدة أو التى يقام فيها السوق الأسبوعى . . . وهلم جرا . فى هذه الحالات وما إليها يقف التأثر عند حد اقتباس الكلمات والتراكيب وطرق استخدام المفردات فى معانيها الحقيقية والمجازية . . . وما إلى ذلك . أما الأساليب الصوتية وطريقة النطق بالحروف والكلمات فتظل بمنجاة من التأثر والتحريف . ومن ثم نرى أن القرى المحيطة بقاعدة مديرية من مديريات القطر المصرى قد تقتبس عنها كثيراً من ألفاظها وتراكيبها ومدلولات مفرداتها . . . ، ولكن لهجاتها تظل سليمة فيما يتعلق بالأصوات ، وطريقة النطق بالكلمات . فالقرى المصرية التى تقلب فى لهجاتها القاف العربية (جافا) أى جيما غير معطشة (جلنا = قلنا) قد تجاور مثلاً مدينة تختلف عنها فى هذا الأسلوب الصوتى (بأن تقلب فيها القاف العربية همزة: ألنا = قلنا) ، فتقتبس عنها كثيراً من مفرداتها ، ودلالاتها وأساليبها؛ ولكن تظل طريقتها الصوتية حيال القاف العربية بمأمن

(١) أنظر أعداد ٣٤٧ و ٣٤٩ و ٣٥١

من التأثر بطريقة المدينة ، اللهم إلا فى الكلمات التى تقتبسها منها

أما إذا كانت الفوارق كبيرة بين أهل المنطقتين فى ناحية من النواحى السابق ذكرها ، فإن التأثر يكون عميقاً لدرجة تصل أحياناً إلى القضاء على اللهجة المغلوبة . ويحدث هذا فى حالتين :

الحالة الأولى : أن تكون إحدى المنطقتين خاضعة لسلطان المنطقة الأخرى ، ففى هذه الحالة يكتب النصر لهجة المنطقة ذات السلطان ، على شريطة ألا تقل عن المنطقة الأخرى حضارة وثقافة وآداباً . والأمثلة على ذلك كثيرة فى التاريخ القديم والحديث . فلهجة باريس حيث كان مقر الحكومة والسلطان ، قد قضت على كثير من لهجات المقاطعات الفرنسية التى خضعت لنفوذ باريس ؛ وكذلك فعلت لهجة لندن مع عدد كبير من اللهجات الإنجليزية الأخرى، ولهجة مدريد مع اللهجات الإسبانية ، ولهجة روما فى العصور القديمة مع أخواتها الإيطالية ؛ ولهجة قريش قبيل الإسلام مع اللهجات المضرية الأخرى . . . وهلم جرا . . .

الحالة الثانية : أن تفوق إحدى المنطقتين المنطقة الأخرى فى ثقافتها وحضارتها وآداب لغتها ، ففى هذه الحالة يكتب النصر لهجتها وإن لم يكن لهـا سلطان سياسى على المنطقة الأخرى . ولذلك أخذت اللهجة السكسونية بألمانيا تطارد اللهجات الألمانية الأخرى منذ القرن السادس عشر الميلادى ، أى قبل أن تتكون الدولة الألمانية الحديثة وقبل أن تظهر غلبة برلين[1] . وأخذت التوسكانية Toscan بإيطاليا تقهر اللهجات الإيطالية الأخرى منذ القرن الرابع عشر الميلادى ، أى قبل أن تتكون الدولة الإيطالية الحديثة ، وقبل أن يظهر سلطان روما[2] ؛ وذلك بفضل ما كان لكل من السكسونية والتوسكانية من إنتاج أدبى لا يذكر بجانبه إنتاج أخواتها التى اشتبكت معها فى هذا الصراع

وفى كلتا الحالتين السابقتين يختلف الصراع فى مدته وعنفه تبعاً لمبلغ قرب اللهجتين إحداهما من الأخرى ومبلغ ثقافة المنطقة المغلوبة . فيطول أمده ويشتد عنفه كلما كثرت وجوه الخلف بين اللهجتين أو قلت ثقافة الناطقين باللهجة المقهورة . فلهجة مدريد لم تقو بعد على التغلب على كثير من اللهجات الأسبانية الأخرى ولا تزال إلى الآن تلقى مقاومة عنيفة من جانبها ، وذلك لتفشى الجهل والأمية بين الناطقين بهذه اللهجات ، ولهذا السبب نفسه

(١) على أن برلين لم تكن مهد السكسونية ، بل انتقلت إليها كما انتقلت إلى غيرها (٢) على أن روما لم تكن مهـد الايطالية الحديثة ، بل انتقلت إليها كما انتقلت إلى غيرها

الانتحار وعلاقته بالشخصية

للدكتور محمد حسني ولاية

حفزني إلى تناول هذا الموضوع الاجتماعي الهام انتحار عالمين من علمائنا هما الدكتور اسماعيل أدهم ، والأستاذ فخري أبو السعود . وقبل أن أبين العلاقة بين الشخصية والميل إلى الانتحار أقول إن بعض علماء النفس والعقل يميلون إلى تقسيم الشخصيات البشرية « الطبيعية » إلى سبعة أقسام اختيارية على غرار الأمراض العقلية والنفسية الرئيسية

الشخصيات :

١ — الشخصية الهوسية : يمتاز صاحبها بالنشاط والحركة المستمرة والاعتداد بالذات ، وهي تنطوي على كفاح بين الذات والضمير .

٢ — الشخصية اللانخولية : تتصف بالهبوط النفساني ، والكسل واليأس ، واتهام النفس ، واستحواذ الأفكار السوداء على صاحبها . وتمتاز أيضاً بكفاح بين الذات والضمير .

يقول فرويد إن محتويات الهوس النفسانية لا تختلف في شيء عن محتويات اللانخوليا ، وإن الشخص في كلا الحالين يصارع نفس المعقد Complex وإن الذات تستسلم لهذا المعقد في حالة اللانخوليا ولكنها تسيطر عليه أو تطرحه جانباً في حالة الهوس

٣ — الشخصية الوسواسية : يميل صاحبها إلى حسن الهندام والذوق السليم ، ولكنه كثير التردد ضعيف الإرادة . وينطوي الوسواس على كفاح بين الذات ومستقر الغرائز الجنسية في العقل الباطن

٤ — الشخصية الهستيرية : تمتاز بتركيز الاهتمام على الذات egocentricity والأنانية الشديدة ، والاعتماد على معونة الغير . وتنشأ التصرفات الهستيرية من كفاح بين الذات ومستقر الغرائز الجنسية في العقل الباطن

لم يتم بعد للهجة القاهرة التغلب على لهجات المناطق المصرية المجاورة لها ، وفي القسم الفرنسي اللغة من سويسرا لا تزال اللهجات المحلية تقاوم الفرنسية الفصحى في المناطق الكاثوليكية (فاليه ، فريبورج Valais, Fribourg) ؛ على حين أنه قد تم انقراض هذه اللهجات أو كاد في المناطق البروتستانتية (نيوشاتل جنيف) وذلك لأن المناطق البروتستانتية من هذا القسم أرقى ثقافة وعلماً من المناطق الكاثوليكية وأقدم منها عهداً بالمدارس ، ولسان باريس قد تغلب بسهولة على اللهجات التي كانت منتشرة في إقليمي السين واللوار ، لقلة وجوه الخلاف بينه وبينها ؛ على حين أنه لم يقو بعد على التغلب على لهجات جنوب فرنسا ولا يزال يلاقي منها مقاومة عنيفة لكثرة الفروق التي تفصلها عنه

واللهجة التي يتاح لها التغلب في أمة ما على بقية أخواتها ، أو على معظمها تصبح غالباً « لغة الدولة » أو ما يطلق عليه اسم « اللغة القومية » أو « اللغة الفصحى » أو « لغة الكتابة » . فتعلم وحدها في مدارس الدولة ، ويجري بها تدريس المواد المختلفة في معاهدها ، وتؤلف بها الكتب والصحف والمجلات ، وتصدر بها المكاتبات الرسمية وغيرها ، وتستخدم في مختلف مناحي الوعظ والخطابة ، وتلقى بها الأوامر ويجري بها التخاطب في الجيش ، وهلم جرا [1] . فقد ترتب على تغلب لهجة باريس على معظم أخواتها أن أصبحت لغة الدولة بفرنسا ؛ وعليها وحدها يطلق الآن اسم اللغة الفرنسية. وهذا هو ما حدث عقب تغلب لهجة لندن بانجلترا ولهجة مدريد بأسبانيا ، واللهجة السكسونية بألمانيا والتوسكانية بإيطاليا ؛ فقد أصبحت هذه اللهجات هي اللغات الرسمية ، وعليها وحدها يطلق الآن اسم اللغات الإنجليزية والأسبانية والألمانية والإيطالية

وتسلك لغات الكتابة في تطورها طريقاً خاصة تختلف عن الطريق التي تسلكها لغات المحادثة . ولذلك نرى أن لغة الكتابة مع اتفاقها في المبدأ مع لهجة المحادثة الغالبة ، لا تلبث فيما بعد أن تختلف عنها في كثير من النواحي ، ولا تنفك مسافة الخلف تتسع بينهما ، حتى تستقل كل منهما عن الأخرى . فلغة الكتابة بفرنسا مثلاً تختلف الآن عن لهجة المحادثة الباريسية اختلافاً غير يسير .

علي عبد الواحد وافي

(١) قد لا يكون للأمة أي لغة قومية مستقلة ، كما هو شأن النمسا ، فإن لغتها هي الألمانية . وقد يكون للدولة أكثر من لغة رسمية واحدة ، كما هو شأن سويسرا ، فإن بها ثلاث لغات رسمية : الألمانية والفرنسية والايطالية . وقد تكون اللغة الرسمية ولغة الكتابة في الأمة هي اللغة القديمة التي انشعبت منها لهجتها ، كما كان شأن اللاتينية بفرنسا وإيطاليا وأسبانيا والبرتغال ورومانيا ، وكما هو شأن العربية الآن بمصر وبلاد العرب وشمال أفريقيا .

٥ — الشخصية القلقة : تتصف بالقلق ، وتوجس الشر ، وبلبلة الفكر ، والخوف من المجهول

يقول فرويد ليس القلق صفة محدودة لعدم تعلقه بموضوع ما. وهو وليد دفاع الذات ضد خطر غريزى غير معروف . وكثيراً ماتصبح الحاجة الغريزية خطراً داخلياً ويؤدى إشباعها إلى التماس خطر خارجى يمثله الخطر الداخلى ، ولكى تتأثر الذات لا بد أن يتحول الخطر الخارجى الموضوعى إلى خطر داخلى غريزى

٦ — الشخصية البارانوياوية : تمتاز بإساءة الظن بالناس وتوقع الشر منهم وبهواجس اضطهادية منظمة ، وتنطوى على كفاح إيجابى بين الذات والبيئة

٧ — الشخصية الشيزية Schizoid personality : وتمتاز بالانزواء عن الناس والأنانية وانقطاع التعامل مع البيئة . وينتسب إليها كثيرون من الفلاسفة والأدباء . وتنطوي على كفاح سلبي بين الذات والبيئة

***

تبرز فى كل إنسان « طبعى » ناحية أو أكثر من هذه النواحى الشخصية . والواقع أن شخصياتنا تتكون من خليط متفاوت من هذه الوحدات الشخصية ، وكلما ازداد تعدد جوانب الشخصية ازداد تعقدها وتعددت أمانيها

وأكثر الشخصيات التجاء إلى الانتحار الشخصيات القلقة والبارانوياوية؛ أما أكثرها ميلاً إليه فهى الشخصيات الملانخولية والقلقة والبارانوياوية وأحياناً الشخصيات الوسواسية

وكثيراً ما يحول الخمول المستحوذ على الملانخوليين وضعف الإرادة المتسلط على الوسوسين دون قتل نفوسهم . وإن أول ما يفكر فيه البارانوياويون هو الانتقام من الناس فيقتلون الزعماء والعظماء بسبب الهواجس الاضطهادية، غير أنهم ينتهون إلى التماس الانتحار إذا غلب عليهم اليأس . ويندر أن يلجأ المستيريون إلى الانتحار ، لأنهم يحبون أنفسهم حباً أنانيا ويحرصون على سلامة أنفسهم

يقول فرويد فى صدد الانتحار « إن السادية Sadism هى التى تحل مشكلة النزعة إلى الانتحار . وقد أظهر التحليل أن الذات تعمد إلى الانتحار عند ما تنصب عليها طاقة موضوعية، وحينئذ تعالج الذات نفسها كموضوع object أى أنها توجه العداء الذى كان موجهاً إلى موضوع ما إلى نفسها »

إن الشخص الذى يميل إلى الانتحار شخص مريض ، وهو فى حاجة إلى العلاج النفسى ككل مريض بمرض عصبي ، فمتى ما حلت المعقدات النفسية Complexes وجب إعطاء المريض علاجاً عضويًا كالغدد الصماء والفيتامينات والأملاح المدنية وغير ذلك لاستعادة النشاط الذهنى

ويتصف الراغب فى الانتحار ككل مريض بمرض عصبي بالمبالغة فى الطموح وشدة الحساسية والتماس الأمانى البعيدة المنال دون جهد ، والعناد والأنانية

والسبب فى أن كثيرين من كبار المفكرين يعمدون إلى الانتحار هو تعدد جوانب شخصياتهم وطموحهم الشديد وتلمسهم أهدافاً بعيدة المنال

ولا بد أن نبين أن إنهاك قوى العقل الواعى يؤدى إلى تقوية الباطن وظهوره على المسرح متحدياً العقل الواعى ، وحينئذ تتحكم فى النفس نزعات دفينة فى العقل الباطن ، قد تكون وجهتها التماس الموت

ولما كان للعقل الباطن علاقة وثيقة باتجاهات النفس ونزعاتها ونزواتها وتصرفاتها فقد رأيت أن أختم كلمتى بتفسير حلم رآه أحد مرضى العالم النفسانى « يونج » قال :

« حلم رجل مثقف فى الخمسين من العمر أنه حاول تسلق جبل عال فكان صعوده فى أول الأمر شاقاً ولكنه كلما أمعن فى الارتقاء كان التسلق أهون ، وبعد أن بلغ القمة مشى فى الفضاء ثم استيقظ

وبالتحرى علمت أنه رجل متمرن على تسلق الجبال بدون مرشد وأنه يشعر بلذة عند ما يرى نفسه فى موقف خطر، وقد كان عاثر الجد فى زواجه مشمئزاً من عمله ، وقد فسرت حلمه بالآتى :

عند ما كان متعلقاً بالحياة كان ارتقاء الجبل شاقاً إذ كانت تتنازعه رغبتان متضادتان : الرغبة الظاهرة فى الحياة والرغبة الدفينة فى الموت، ولكنه كلما أغرق فى استسلامه لهواه صار لديه الصعود أسهل

ولم يكن سيره فى الهواء سوى تعبير عن رغبته فى الموت وقد هوى من قمة جبل ومات بعد مضى نصف عام من هذا »

محمد حسنى ولاية

طبيب بصحة بلدية الاسكندرية

شعر الزواج (*)

للأستاذ عبد المجيد مصطفى خليل

لعل «شعر الزواج» على هذا النهج موضوع جديد، فإذا كان لكل جديد غرابة، فقد تزول الغرابة بالبيان

يتناول الشاعر، وسائر أهل الفنون، حوادث حيواتهم بالشعر والتعبير. والزواج من أهم حوادث الحياة. فإذا تزوج شاعر يحسن الشعور بالزواج فكيف لا يكتب القصيد في حياته الزوجية ؟! وإذا اقترن موسيقار فلماذا لا يشدو بقرانه ؟!

ويباح للشاعر وصاحب الفن الجميل الغزل بالفتاة الصبيحة، حتى نسب إلى أبي بكر الصديق أنه تغزل فقال[1] :

أمن طيف سلمى بالبطاح الدمائث
أرقت، أو أمرٌ في العشيرة حادث ؟

وحتى أنشد كعب بن زهير النبي محمداً عليه الصلاة والسلام شعراً بدأه بالغزل على عادة العرب فقال :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول   متيم إثرها لم يفد مكبول

فهذا الغزل بالفتاة مباح للشعراء فكيف بالزوجة ؟! إن الزوجة أحق بالغزل. ومن الغزل لائق وخليع. فللزوجة غزل لائق مهذب

هذا النقص في شعر الزواج يسترعي النظر. فهل وجد معظم الشعراء وأهل الفنون زوجاتهم تافهات ؟ فإذا فرضنا هذا فإن لكل جديد فرحة ولو كان تافهاً. على أن الزوجة التافهة قد لا تظهر تفاهتها سريعاً. والناس يختلفون في غنى الشخصية. فقد تفرغ شخصية بعد أيام من الصحبة وتفرغ أخرى بعد أشهر، على حين تفرغ أخرى بعد أعوام، وغيرها لا تفرغ أبداً ما عاشت ثم بعد الممات. ففي فجر الحياة الزوجية تحس النفس المعبرة بتحية صادقة لمذى الحياة الجديدة. هذا منطق الشعور، وتلك طبيعة الإحساس. فإذا ما جاشت النفس وسطر القلم العواطف ثم بدت الزوجة تافهة عز على صاحب الفن وأدفنه.

هنا يجب التفريق بين فن صادق وشيء خادع ألممه. فهذا (شلي) كتب قصيدة رائعة في فتاة باهرة السطوح بائرة الدخائل، ظهر زيفها قبل أن تتم القصيدة! راحت فرحة الشاعر، وضاع أمله، وعراه الخجل، وشابه الكدر، ومع ذلك أبقى على القصيدة وعاشت وخلدت وعلى رأسها إهداء تبطنته سخرية الحق من فطنة الإنسان!

في الحق أن نقص شعر الزواج يسترعي النظر!

لقد آن أن يكون أدب داري جنب ذاك الأدب الطليق من كل قيد اجتماعي. آن إنصاف الحليلة. آن أن ينصف الشعراء أنفسهم من ظنة حب ما لا يملكون ومقت ما يملكون لأنهم يملكونه كما يكثر بين البلداء والجهلاء والعامة

***

وللزواج نصيب عند شعراء أوربا في الأساطير والشعر الكلاسيك. غير أنه نصيب غير كاف وغير شامل عند شاعر واحد فيما أعلم

وله نصيب عند المثقفين

فمن الأساطير هذه القصيدة :

«أخيراً أقاما بيتاً كريماً، ظلة منزلية، والعرش غير بعيد من الأرض، مصنوع من القصب والقش معاً. عاش هناك بوسيس وفيليمون[1]، وهناك عاشا زوجين طويلاً، وزوجين سعيدين : والآن هما في الحب قديمان، مع أن ذخرهما ضئيل، ... والأمر عدم، حيث تبودل الحب المتكافئ، أو الأصح أن كليهما أمر، وكليهما أطاع ...

«هكذا حينئذ نظر رب الأرباب نظرات هادئة قائلاً : تمن يا واحد الرجال عدلاً؛ وأنت يا امرأة وجدت وحدها جديرة بمثل هذا الرجل في رباط زواج

«همسا هنيهة؛ عندئذ كلما (جوف)[2] هكذا يفضل فيليمون دعاء وسالها. ولأن أي عمل في حياتنا لم يدنسه النزاع الأهلي، نسأل ساعة موت واحدة : فلا هي تبكيني بدموع

(*) مقدمة لكتاب ظهر حديثاً عنوانه «أغاريد زفاف» للأستاذ عبد المجيد مصطفى خليل. وسيكون هذا الكتاب موضع تعليق من الرسالة في عدد قادم.

(١) هناك من ينكر صحة نسبة هذا الشعر إلى أبي بكر رضي الله عنه. على أن الناظم العربي كان إذا لم يشبب عن صدق شبب عن تقليد

(١) Baucis و Philfmon

(٢) Jove

الأرملة إذا عاشت لتدفنني ، ولا أنا بذراعين واهنتين أحمل بوسيس الهامدة إلى القبر باكيا

« وأشارت رؤوس الرب موافقة »

إلى أن قال بعد تحولهما معاً إلى شجرتين مورقتين :

« ... سنديانة فارعة قرب زيزفونة تنموان ... »[١]

ومن الكلاسيك :

تزوج لورد تنيسون بإميلي شلوود ، و « كان الزواج من كل النواحي ناجحاً ، وكان الشاعر يقول فيما تلا من حياته : حين تزوجتها نزل سلام الله على حياتي »[٢]

وقد نظم تنيسون شعراً عنوانه (صباح القران) جاء فيه :

« هنا للحب الختام الذهبي ، كل اختطابي قد فعل » إلى أن قال :

« لأن هذا للحب الصباح الذهبي ، وأنت نجم صباحه » حتى قال : « قلبي ، أأنت كاف المظمة لحب لا يكل ؟ أيها القلب ، أأنت للحب كاف المظمة ؟ فقد سممت بأوراد وأشواك »

وقد كان لورد تنيسون حيياً شديد الحياء ، وكان من الأرستقراط

اقترن شلي بهريت وستبروك ، وبعد عامين نظم فيها قصيدة عنوانها « مساء . إلى هريت » ختمها قائلاً : « كذلك كان محبك يا هريت . هل استطاع إطارة أفكار كل ما يحمل عاطفته عزيزة ؟ وينشد ثقوباً في نسيج سعادتنا الموصول عائداً بغير حس من مسك الدافىء ؟ »[٣]

وختم قصيدته « إلى أيانب » : « وأنت عزيزة أكثر حين تبدى خصائصك اللطيفة رسم جمال أمك »[٤]

ثم اقترن بماري جدوين ، ومضت سنوات ثلاث فنظم فيها حينئذ يقول بعنوان « إلى ماري شلي » :

« الدنيا موحشة ، وأنا تعب من تطوافي بدونك يا ماري ؟

« كان في صوتك وبسمك من قبل فرح . وقد ذهب ، يا ماري ، حين وجب ذهابي كذلك[٥] »

ونظم (إلى ماري شلي) يقول : « ماري العزيزة ، أين ذهبت وخلفتني وحدي في هذى الدنيا الموحشة ؟ في الحق هنا شخصك ـ شخص جميل ـ لكنك فررت منحدرة في الطريق الموحش

Ovid, Metamorphoses Trans. John Dryden (١)
Everyman's Encyc V. 12, p. 90 (٢)
Pœms written in 1819 (٤) و (٣)
Pœms written in 1819 (٥)

المؤدى إلى أظلم منازل الشجن ... ... »[١]

وله غير ذلك في الزواج قصيدة متبوعة ولكنها عامة السياق وليست في زواجه

وكان شلي « جاداً على الهموم ، وكان مع ذلك قديراً على المزاح وكان كامل الأدب الذي هو طابع الأرستقراط الصغير »[٢]

وكان على حياء العذارى ، يتورد وجهه من المقابلات أحياناً .

ومن المثقفين :

القائد الكبير الأرستقراطي فون هندنبرج ، يقول في سيرته :

« وجدت في زوجتي صاحبة محبة قاسمتني بولاء ودون ملل مسراتي وأحزاني ، ومهامي وأعمالي[٣] »

***

كذلك للزواج نصيب في الموسيقى الأوربية الكلاسيك .

فقد ألف الموسيقار تشرد شتراوس « السيمفونية الأهلية »[٤] و « السيمفونية الأهلية إحدى كبريات قصائد شتراوس السيمفونية . وتمثل يوماً في حياته هو وقرينته وابنه الطفل[٥] »

وألف الموسيقار يوهان شتراوس « فالزاً » سماه « أجراس القران »[٦] أيام عرسه

أما نصيبه عند العرب فضئيل ، وهو على ضآلته شتيت

قال الحسين عليه السلام في امرأته الرباب وابنته سكينة وقد عاتبه أخوه الحسن عليه السلام في امرأته :

لعمـــرك إنني لأحب داراً ... تحل بهـا سكينة والرباب
أحبهما وأبذل جـــل مالي ... وليس للائمي عندي عتاب[٧]

وقال الحسن بن هانئ يحكي عن زوجته :

تقول التي من بيتها خف مركبي: ... عزيز علينا أن نراك تسير
فقلت لها واستعجلتها بوادر ... جرت فجرى في جريهن عبير

وهنا نعوج فنذكر من مراثي الزوجات والأزواج ، فإنه غزل حزين

Pœms written in 1819 (١)
André Mrauois, Ariel, p. 106, Penguin (٢)
Hindenburg, Out of my Life, p. 40, Cassell, 1933 (٣)
"Sinfonia Domestica„ (٤)
Essays in Musical Analysis, Donald Françals Tovey, Reid professor of music in The University of Edinburgh, VIII, p. 206, Oxford (٥)
Wedding Bells (٦)
(٧) ج ١ ص ٢٢ ؛ الفصدة ١٩٣٤ ، ج ١ ص ١٨٤ ، وج ٢ ص ١٢١ ، الحسين

قال الوزير الشاعر محمد بن عبد الملك الزيات فى زوجته حين ماتت :

يقول لى الخلان : لو زرت قبرها فقلت : وهل غير الفؤاد لها قبر ؟
على حين لم أحدث فأجهل قبرها ولم أبلغ السن التى معها الصبر

وقال جرير فى قرينته :

لولا الحياء لهاجنى استعبار ولزرت قبرك والحبيب يزار

وقال الإمام علىّ فى عقيلته السيدة فاطمة كريمة النبى وهو على قبرها :

قلّ يا رسول الله عن صفيتك صبرى ، ورقّ عنها تجلدى

و « رثت » الرباب بنت امرئ القيس زوجها الحسين عليه السلام حين قتل فقالت :

إن الذى كان نوراً يستضاء به بكربلاء قتيل غير مدفون
سبط النبي ، جزاك الله صالحة عنا وجنّبت خسران الموازين
قد كنت لى جبلاً صعباً ألوذ به وكنت تصحبنا بالرحم والدين
من لليتامى ومن للسائلين ومن يغنى ويأوى إليه كل مسكين
والله لا أبتغى صهراً بصهركم حتى أغيب بين الرمل والطين (١)

والشعر العربى الحديث مقصر فى هذا الباب . وها هم أولاء جل أعلامه المتزوجين : البارودى وصبرى وشوقى وحافظ وولى الدين والزهاوى وشكرى والمازنى (٢) قد خلت دواوينهم من شعر الزواج الشخصى

ولا تثريب على كل شاعر عزب

أما البارودى فقد تأهل مرتين فلم يستقبلها بالقريض ولم يترنم بالزوجتين بعد ذلك . ولكنه رثى الأولى رثاء كأنه غزل حزين وكانت الوفاة بمصر والمرثاة بسرنديب . وهذه أبيات مجموعة منها :

لا لوعتى تدع الفؤاد ولا يدى تقوى على رد الحبيب الغادى
كم بين عادىّ تملى عمره حقباً ، وبين حديثة الميلاد ؟
سر يا نسيم فبلغ القبر الذى يحمى الإمام تحيتى ووداى
لا تحسبينى ملت عنك مع الهوى هيهات ، ما ترك الوفاء بعادى

وأما الأستاذ المازنى فحين كان ينظم لم يكن لقرينته نصيب من نظمه ، فلما هجر الشعر كان لها من نثره أكبر نصيب ؛ وكان النظم والتناول الشعرى أولى بهذا الحديث ! وهو مع هذا يقول

(١) الحسين ، طبعة ١٣٤٩ ، ج ٢ ص ٢٣٣

(٢) أما الأستاذ مطران وجبران والأستاذ العقاد ، هكذا على ترتيب مولدهم ، فلم يتزوجوا . والعهدة فى مطران وجبران على الشيخ يوسف البستانى صاحب مكتبة العرب

عن نفسه : « ... ومن متناقضاتى أنى على حيائى أرانى فى كثير من الأحيان ثقيل الصراحة (١) »

أستطرد من هذا إلى علمين من أعلام الأدب هما الدكتور هيكل باشا والدكتور طه بك ، فهما وإن لم يطرقا الموضوع فقد طرقا هامشه طرقاً خفيفاً . ذلك أن الدكتور هيكل تحدث عن قرينته فى كتابه « ولدى » ، وأن الدكتور طه قال عن قرينته يخاطب كريمته : « لقد حنا يا بنتى هذا الملك على أبيك فبدله من البؤس نعيما ، ومن اليأس أملاً ، ومن الفقر غنى . ومن الشقاء سعادة وصفواً (٢) »

وذكر كيف تعرف إليها وكيف كان أترسوتها فى نفسه (٣)

ثم أعود إلى حديث الشعر فإنى قرأت قصيدة « ليلة الزفاف » للأستاذ إبراهيم العريض ، وهى قصيدة « من وراء الستار » كما قال ، فإنه فصل فيها تفصيلاً ختمه بقوله : « فضمها شوقاً لأحشائه (٤) »

ثم قرأت قصيدة « عيد ميلاد سعيد » للأستاذ العوضى الوكيل (٥) قال فيها :

يا زوجتى ، يا هواى ، يا أملى قلبى بيمنى سناك محشود
من منذ عشرين غير واحدة ومعدن الفن فيك موجود

ولكن أين الخطبة وما تلاها إلى « عيد الميلاد » عند الوكيل ؟ وأين ما قبل ليلة الزفاف وما بعدها عند العريض ؟

فإذا جاز لى أن أمازحهما قلت : ألم يعجب الأستاذ العريض من الزواج غير ليلة الزفاف ؟ ... وهل كفى الأستاذ الوكيل نفسه شر غلاء الحرب فى هدية العيد فأهدى القصيد ؟ ...

وهكذا لم أجد شاعراً نظم الشعر فى حياته الزوجية أو نثره ، فشمل بشعره تلك الحياة . وقد وجدت الشعراء المجيدين الذين لا أثر للزوجية فيما رغبوا !

فى الحق أن نقص شعر الزواج يسترعى النظر

عبد الحميد مصطفى حنبل

(١) مجلة العزيمة ، العدد الثانى سنة ١٩٤٠ (٢) الأيام
(٣) بعض أعداد مجلة الهلال (٤) مجلة الرسالة ، ص ٩٠٧ ، سنة ١٩٤٠
(٥) مجلة الرسالة ، العدد ٣٧٧ ، سنة ١٩٤٠

حكم بتغريم محمد متولى شلبى البقال بباب الشعرية بالقضية ن ٢٣٨ تسعيرة سنة ١٩٤٠ استئناف ن ٩٧٣٧ بجلسة ٣٠ سبتمبر جنيهاً واحداً لبيعه ملحاً بأزيد من التسعيرة .

من وحى المنصورة

الهــــروب من النفس

للأستاذ حبيب الزحلاوى

صديقى الدكتور مبارك

سواء خُدِعت فوقعتَ فى الشرك المنصوب ، أو سولت لك نفسك صيد السمك فى المنصورة ، أو طمعتَ فى سماع أحاديث « الزيات والزناتى » الحلوة وغير الحلوة ، أو طاب لك أن تثرثر فى رفاق ظننت أنه لا يستوى عندهم كلامك المقول والمكتوب ، سواء أكان هذا أو ذاك ، فأكبر الظن عندى أنك فزعت إلى البلد الأمين تنشد الهروب من نفسك ! ! أليسَ كذلك ؟

للهاربين من نفوسهم قصص وحكايات يعرفها ويضمرها السكير والحشاش والمقامر ، وأيضاً المتسكع فى الطرق ، والضارب فى الفلوات ، والقاعد فى المقاهى ، وكل هذه أنواع من بواعث ، وأشكال من أسباب ، يفتعلها المأزوم للخلاص من همه ، فيها الظريف المستملح ، وفيها الجرح المؤلم

ومن أظرف حكايات الهاربين من نفوسهم حكاية فزع ابراهيم ناجى الشاعر إلى ديوان زميله ونِدّه الشاعر قسطندى داود كلما استحكمت أزمة نفسه أو افتعلها لها من توهماته وظنونه ، ومن يقرأ أشعار ناجى ير مسحة من روح « داودية » شفافة تجلى غمامة الصدر وتبعث الضحك ؟ ولو كنت يا صديقى ممن قدر « عليهم » أن يكونوا عرضة للأزمات النفسية التى يزنها الشاعر بميزان مزاجه وعاطفته وتصوراته ، فعليك بلا توان بواحد من ديوانى شعر الدكتور ناجى أو قسطندى داود فالبرء فى قراءة أشعارهما لا شك مضمون

وحكاية ثانية عن الهاربين من أنفسهم بطلها « العبد لله » فعندما تنشأنى الناشية وتكون مسببتها الشيطانة (هى) لا أعمد إلى السكر ، ولا إلى أى سبب يمت بصلة إلى تنشيــة الواقع بالأوهام ، أو طلائه بالضحك ، بل أتناول كتاباً ضخماً أسميته أنت تجوزاً أو اعتباطاً « ليلى المريضة فى العراق »

وكنت أقلب ، يا صاحبى المبارك ، صفحات كتابك صفحة فصفحة ، وأمعن وأغذ السير معك ، متشوقاً متطلعاً إلى رؤية وجه ليلى المرضة يصطفق روحها نفسى المريضة ، فكان يحاببنى وجه الحريرى ، أى الصفاح من خدك الأعوس ، فأضحك وأضحك ! ولكن سرعان ما أطرح الكتاب جانباً ، وأنطوى على نفسى أستجمع قواى المبعثرة وذهنى المرتكز حيال أمر واحد متكتل كخيوط فى الشوك

لسبب لا أذكره ترفعاً وكبرياء ، وجدت نفسى فى حومة الأزمة الجائحة تحيط بى الثائرة المجنونة من كل جانب ، تسد على المسالك

تعلقت بكل خيوط الفرج من أضراب ناجى وداود ومبارك وأمين فى قصة سارة ، أطبقت الأزمة على نفسى وألقتنى فى الأسر والعبودية ! وإن من الناس يا صاحبى من يفقدون آخر مزية لهم إذا هم انعتقوا من عبوديتهم

تذكرت الخدعة التى أوقعك فيها أصحابك ، ووسيلة « صيد السمك » التى حفزتك إلى السفر إلى المنصورة ، فلقيت أنت فيها الوحدة والوحشة وانقباض الصدر فأخذت تصرخ وتئن ! أما أنا فقد صفقت لها طرباً ، فعمدت فى التو إلى خداع نفسى ، فركبت السيارة إلى المنصورة ، وصدفت عمداً عن « الزيات » وكافورته ، وألقيت بنفسى فى وهاد الوحدة

حقاً إنه لأمر مروع يا مبــارك أن يبقى الإنسان منفرداً فى عتمة الليل عند شاطىء النيل الساجى لا يسمع إلا رشاش الأمواه تقطر من مجاذيف الفلك ، مع من أقامه قاضياً على نفسه ومنتقما منها بالشريعة التى اشترعها ، ولكنى لقيت الراحة فى الانفراد ليقين صادق منى بقول نيتشه القائل : « إن فى المنفرد عواطف تطمح إلى القضاء عليه ؛ فإن لم تنل منه نالت من نفسها وانتحرت »

لم أستسلم لهذه الأمنيــة بل صممت على الظفر بالعواطف والانتصار عليها

كدت أسقط ياصاحبى فريسة سمكة ليلية حاولت اصطيادى مستغلة وحدتى وانفرادى ، والمنفرد كما تدرى ، يمد يده مسرعاً بلا وعى لمصافحة من يلتقى بطريقه ، ولم يصدنى عن مدها سوى

عراك في معترك

أي معترك !

للأستاذ زكي طلبات

— ٢ —

نعسف الأستاذ محمد متولى في رده علينا[1] منسقطاً أخطاء لم تقم إلا في وهمه، وأسف إلى السباب وسقط الحديث في جدل يجب أن يسوده الوقار والحجة العلمية ، كما أوضحنا ذلك في مقالنا الأول ، فانحرف متولى بذلك عن (موضوعية) النقد التي تحدث عنها بطرف لسانه دون طرف سنانه

(١) مقالة الفيلسوف المعاصر

والدليل على ما نذهب إليه ـ وهو ليس الأول والأخير ـ أن متولى في غيبوبة ألمه — ومصدر هذا الألم أننا رددنا أقواله بالحجة — أصدر أمراً بإرسالنا إلى « محكمة تحفظ كرامة العلم وتحاسب المستهترين بقدسيته وتعاقبهم على جناياتهم » لأننا وصفنا في سياق حديثنا الفيلسوف الأمريكي (وليم جيمس) بأنه « الفيلسوف المعاصر » ، هذا في حين أن وليم جيمس هذا توفى عام ١٩١٠ ، وكأننا بالأستاذ متولى يقول إننا تكلمنا عن فيلسوف لا ندرى متى انتقل إلى الدار الباقية ، وإن كلمة (معاصر) هذه لا تنطلق وصفاً إلا لفيلسوف ما برح يعيش في عصرنا برئتيه وبقلبه !

وحرصنا على أن يزداد الأستاذ متولى علماً ، وبرنا بذهن القارىء الذي هو أمانة بين أيدينا يدفعاننا إلى التبسط في حديث ما كان أغنانا عنه لو كان الأستاذ متولى يعرف الموضوع الذي يجادل فيه ، أو يعرفه ولم يغالط ويعاند

إن كلمة « معاصر » هـذه تدمل على أقلام الكتاب عندنا كلمة Contemporain الفرنسية ، وهي في اصطلاح مؤرخي الأدب ونقاده تطلق وصفاً للآراء والاتجاهات الأدبية والعلمية والفنية التي يأخذ بها عصر من العصور في نواح من نتاجه الذهني.

وقد نص على هذا المعنى المصطلح عليه العلامة Littré في مؤلفه (معجم اللغة الفرنسية) وهو حجة المعجمات الفرنسية بما يأتي :

La raison contemporain : est l'ensemble des choses qu'une société admet comme vrai à une époque donnée.

وترجمة هذا النص : « إن الرأى المعاصر هو مجموعة أشياء يعتبرها مجتمع ما حقيقة في عهد معين »

فإذا نحن وصفنا (وليم جيمس) المتوفى عام ١٩١٠ بأنه (معاصر) فمعنى هـذا أن آراءه الفلسفية ما زالت يؤخذ بها في شئون الفلسفة وفي شئون الحياة . (فالبراجماتيزم) أو مذهب (الذرائع[1]) ، وهو المذهب الذى صاغه جيمس نفسه ما برحت له أطراف طويلة تمتد على الفلسفة الحديثة وعلى سلوك الناس . فقد قرر (موسوليني) يوماً[2] أنه « يدين لوليم جيمس بكثير من

(١) الرسالة رقم ٣٨١ . ص ١٥٩٩

(١) تتلخص (البراجماتيزم) في « أن يتخذ الانسان من أفكاره وآرائه ذرائع يستعين بها على حفظ بقائه أولا ، ثم على السير بالحياة نحو السمو والكمال » (قصة الفلسفة الحديثة للاستاذين أحمد أمين وزكي نجيب محمود الجزء الثاني . صفحة ٦٢٤)

(٢) « قصة الفلسفة الحديثة » ص ٦٢٥ الجزء الثاني

خيال بدا كالشبح أمامي وهمس في أذني : « إن كثيراً من ساميات الأفكار أضراب شيطانتك تمثل عمل الأكرة المتنفخة فلا تكاد تنتفخ حتى تضمر » وأردف قائلاً بصوته الأجش وقد شاع شيوع الروح في جوانب نفسي « أأنت عاشق أيها الأديب المنفرد؟ اعشق نفسك أولاً ثم احتقرها، فالأديب العاشق لا يبتدع إذا كان لم يبدأ باحتقار المحبوب !! »

غاب الشبح عن ناظري فلقيت نفسي أسير على غير هدى وبيدي ما يثقلها وهو كتاب لتوماس هاردي ترجمه الأديب فخري أبو السعود . جلست في أول قهوة رمضانية أقرأ روح هذا الشاب المنتحر وقد مزجها بروح المؤلف العبقري

عليك الرحمة أيها الأديب المنتحر فقد عرفت كيف تحب وتنجب وتحتقر ، وكيف تتفوق على إنسانيتك ، أما أنا فما زلت أحب ، وأحب الحياة ...

وأنت أيها الدكتور مبارك فسلام عليك من صديق يحبك ولا يحتقرك

حبيب الزحلاوي

آرائه السياسية ، وأنه بتأثيره لا يحتكم فى سياسته إلى نظريات العقل المجرد ، إنما يسلك من السبل ما يراه أقوم وأدنى إنتاجاً »

ونستطيع أن نذهب إلى أبعد من ذلك فنقول إن (نيتشه) الفيلسوف الألمانى المتوفى سنة ١٩٠٠ ، أى قبل وفاة وليم جيمس بعشر سنوات ، له جانب كبير من فلسفته ما زال (معاصراً) على الرغم من مرور السنين ووفاة صاحبها . فالدكتاتورية اليوم ، ومظهرها النازية والفاشية ، بدعوتها إلى استخلاص العنصر الآرى ورعايته بهدد جانب العناصر الأخرى ، إنما تستمد معينها من فلسفة (نيتشه) ، التى تقوم على عبادة القوة ، إذ القوة فى نظر هذا الفيلسوف ، كما هى فى نظر الألمان والإيطاليين اليوم ، هى الفضيلة السامية ، والضعف هو النقيصة السافلة ، والشر المستطير الذى يجب القضاء عليه ! !

فإذا كان الأستاذ متولى لا يفهم هذا ، أو هو لا يريد أن يفهمه مكابرة وعناداً فها نحن أولاء نسوق إليه براهين حسية تنهض حجة على ما نذهب إليه فى أن كلمة (معاصر) يذهب معناها إلى ما قررناه ، وقرره قبلنا كبار الكتاب والنقاد .

(ا) ألف العلامة دانيل مورنيه Daniel Mornet كتاباً فى الأدب الفرنسى أسماه (تاريخ الأدب والفكر الفرنسيين المعاصرين ١٨٧٠ — ١٩٢٧) [١] درس فيه الشعراء والكتاب منذ ١٨٧٠ ، فقدم أبحاثاً عن (زولا) و (دوديه) و (موباسان) و (فلوبير) وغيرهم من الكتاب و (بودلير) و (فيرهارين) و (مالارميه) و (فارلين) من الشعراء ، باعتبار أنهم كتاب وشعراء معاصرون في حين أن جلهم توفوا منذ سنوات بعيدة ، ذكر (مورنيه) هؤلاء وغيرهم إلى جانب المحدثين باعتبار أن مذاهبهم فى الأدب ما برحت تسود نواحى من نتاج الأذهان فى هذا العصر

هذا فى المؤلفات الأدبية ، وفى مؤلف يقرأه طلاب الأدب !

(ب) وفى الفلسفة — والأمثال عديدة — أخذ العلامة Parodi بالمعنى الذى ذكرناه لكلمة (معاصر) وذلك فى كتابه (المسئلة الأخلاقية والفكرة المعاصرة) [١] ، وهو كتاب ظهرت له طبعة بباريس سنة ١٩٠٩ ، وفيه أنشأ المؤلف بحثاً فى آراء العالم الأخلاقى الكبير Alfred Fouillée صاحب مذهب (الآراء على أنها قوى) ، وحصل بعد ذلك أن توفى العالم المذكور سنة ١٩١٢ ، وفى عام ١٩٢٠ أعيد طبع هذا الكتاب بعد الزيادة والتنقيح . فإذا هو لا يزال يحمل اسم (الفريد فوييه) باعتبار أن آراءه فى الأخلاق ما برحت قائمة ، ولم يأت بعدها ما يبطلها أو يضفى عليها مسحة فوات الأوان !

فما رأى الأستاذ متولى فى هذا ؟ وبماذا يحكم القارئ ؟ أنا أم متولى الذى يصح أن يقدم إلى المحكمة التى تحاسب المستهترين المتطاولين على العلم ؟

(٢) الرمزية وعلم النفس وأيهما أفاد من الآخر ؟

وثمت شىء آخر لا أسميه من جانب الأستاذ متولى الذى يحمل من العلم شهادة يزهى بها

ذكرنا عرضاً فى مقالنا [٢] الذى صححنا فيه أخطاء متولى أن علم النفس أفادت منه الرمزية ، فرد علينا متولى بأسلوبه الموصوف : « إن علم النفس عندنا شعبى خاطئ لا يزيد على ما نسمعه من بعض زبائن قهوة بيرون »

وردنا التواضع أن نكلف الأستاذ متولى مشقة قراءة كتاب (تاريخ الأدب والفكر الفرنسيين المعاصرين) السابق الذكر (الفصل الرابع الذى عنوانه « فى البحث عن العوالم الخفية » صفحة ٨٩ — ٩٢) حيث رسم المؤلف العلامة (مورنيه) اتجاهات علم النفس عند الكتاب الاتباعيين والرومانيين ، ثم عند الواقعيين والطبعيين ، ليستطرد القول بعد ذلك فى اللاوعية (l'inconscient) ونقتطع فقرة مما ورد فى صحفة ٩٢ خاصاً بما نذهب إليه ليقف القارىء على جلية الأمر ويحكم لنا أو علينا ، وها نحن نترجم هذه الفقرة حرفياً : « وعند الفيلسوف برجيسون وغيره أصبح (اللاوعى) الشكل المادى للحياة الروحية ، كما

---

(١) اسمه بالفرنسية Histoire de la littérature et de la pensée francaise contemporaines طبعة باريس ١٩٢٧

(١) اسمه Le problème moral et la pensée contemporaine

(٢) الرسالة عدد ٣٧٨ ص ١٥٢٠ . العمود الأول س ٧.

أنه غدا النبع الخفى الواسع العميق الذى تقطر منه حياتنا الواعية المنطقية . وإلى هـذا النبع قصد الرمزيون منذ سنوات عديدة يغترفون من معينه ، وسار على أثرهم القصاصون والمؤلفون المسرحيون »

وإتماماً للفائدة التى نبتغيها للأستاذ متولى من هذا الدرس العابر نحيله إلى (الفصل الخامس) من الكتاب نفسه (ص١٠٧) لنضيف إلى ما تقدم ذكره ، تأثير فلسفة برجيسون فى الرمزية عن طريق تغليب (البصيرة) على الذكاء والمنطق

وعليه فظاهر مما تقدم أن آراء برجيسون فى علم النفس أثرت فى الرمزيين ومن ذهبوا إلى استكناه العوالم الخفية ، بعد أن نفى برجيسون مقدرة الذكاء والمنطق ، وأكد تغليب الحياة الباطنة على الحياة الظاهرة . وكفى هذا دلالة على انبساط أطراف هذه الآراء على الرمزية وما تشعب منها فأفادت منها

(٣) أين هذا النص ؟

وهناك فى مقال الأستاذ متولى مثال ثالث ساقه لى ليقيم الحجة على أنه « يعرف موضوعه لدرجة تسمح له أن يصحح لى وللدكتور بشر فارس أوهاماً علمية نعيش فيها »

يقول متولى إن كتاب Traité de Psychologie لجورج دوماس (طبعة ١٩٢٣ — ١٩٢٤) ، وهو الكتاب الذى كان اعتمادنا عليه فى التدليل القاطع على أن آراء (ريبو) فى الرمزية فات أوانها ... متولى يقول إن طبعة هذا الكتاب « منسوخة لأنها تطبع الآن فى تسعة أجزاء زيادات وتفصيلات ، وقد ظهر الجزء الخامس منها عام ١٩٣٦ ... الخ »

والذى ندلى به فى هذا أنه من الجائز أن يعاد طبع هـذا الكتاب ، وأن تدخل عليه زيادات وتفصيلات ، ولكن الذى لا نجيزه أن يختلق الأستاذ متولى أن الكتاب قد (نسخ) ولما يمض على الطبعة التى اعتمدنا عليها عشر سنوات ، لأن (النسخ) إنما يأتى عن طريق إحلال آراء مكان آراء ، وما على الأستاذ متولى إلا أن يقدم النص الجديد فى الطبعة الجديدة . وهو النص الذى ينسخ النص الأول الذى سقناه عن كاتبه العلامة (أبيل راى Abel Rey) الذى عقد فصلاً بعنوان (الاختراع) فى الجزء الثانى من الكتاب المذكور ص ٤٢٦ ، وفيه طعن فى نظرية (ريبو) النفسية ...

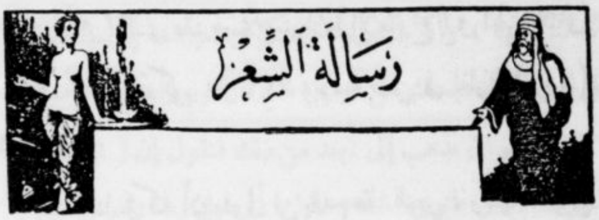
بيد أننا نؤكد أن متولى لن يقدم هذا النص ، وعليه فسيبقى قائماً طعن (أبيل راى) فى (مخيلة) ريبو ، من حيث إنها خاضعة بعض الشىء لمذهب (الذرية الذهنية) وهو مذهب لا يؤخذ به اليوم . سيبقى هذا الطعن قائماً على الرغم من أنف الأستاذ متولى ، مادام نظر العلماء إلى مذهب (الذرية الذهنية) حتى يومنا هذا يرفض الأخذ به

وقد يتساءل القارئ : لماذا يفتعل متولى هذه الأفاعيل ويفتئت على الآراء الفلسفية متحرجاً راكباً رأسه ؟ والجواب على هـذا لا يخفى على من يعرف حكاية الثعلب الذى يطلق من جوفه ريحاً تعافها الأنف إذا أخذته الأيدى من كل حدب ! !

نقف هنا وقد كفانا تدليلاً على ما تورط فيه متولى بعد أن ركب من غضبته شر الحمر

وفى مقالنا الآتى درس فى الرمزية ، كما نظر إليها (ريبو) نفسه ، وكما أساء فهمها الأستاذ متولى

(الحديث بقية) زكى طليمات



جيرة الحرم النبوى

للأستاذ على الجندى

أتتنى عنكمُ الأنباء تترى ... فإنْ صحتْ فقد عظمَ البلاء
أحقًا أنكم يتمٌ جياعًا ... ولولاكمْ لما عرفَ السخاء
وأنكمْ حيالَ (القبرِ) صرعى ... أبيتكمُ يغصّ به الفضاء
تفيضُ دموعكم ملءَ المآقى ... فيمسكها التصوّنُ والإباء
فإنْ ناحتْ صغارُكمْ بكيتمْ ... لهمْ من رحمةٍ وبكى النساء
ولو كنتمْ (لموسى) أو (لعيسى) ... من الأتباع عمّكمُ الرخاء
وأمسيتمْ وقفرُكمُ ظلالٌ ... وأشجارٌ وأزهارٌ وماء
وكانَ لكم (بأمريكا) حبوسٌ ... ووافاكم من (الغربِ) الحباء
ولكن ضعتمُ ما بينَ قومٍ ... أشحّاء ، وإنّ الشحّ داء
خبرتُ المسلمين ، فما نداهمْ ... سوى الألفاظِ يذروها الهواء
يفوقون الحصى والرملَ عدًّا ... وهمْ - إنْ نابتِ البلوى - غثاء
أيفنى جيرةُ الحرمين فقرًا ... ونحن بمصرَ يفنينا الثراء ؟
وهمْ ملحُ الأنامِ وآلُ (طه) ... عليهم تحسدُ الأرضَ السماء

***

أجيرانَ (الرسول) دمى وروحى ... فداؤكمُ ، وإنْ قلّ الفداء !
شجانى خطبكمْ فبكى قريضى ... عليكم ، والقريضُ له بكاء
ولوْ حيزتْ لىَ الدنيا جميعًا ... لجدتُ بها وفى وجهى الحياء
وكنتُ كفيتكمْ جدوى أناسٍ ... إذا نودوا أصمّهمُ النداء
وكان لكم - ولا منٌّ عليكم - ... ثوابُ الله - دونى - والجزاء
ولكنْ حسبكم - والمالُ يفنى - ... دعائى ، ربّما نفعَ الدعاء

على الجندى

الفجر

سكبَ الفجرُ بالدجى لألاء ... عبّهُ الشرقُ فانتشى وأضاء
فالسنا زاهرٌ يقبّلُ آنا ... رَ الدياجى ويرشفُ الأنداء
زفّت الشمسُ ركبهُ ثمّ ألقتـ ... ـهُ على الأفقِ صفحةً بيضاء
والجنانُ الحسانُ عانقها النو ... رُ مشوقًا فهزّها مرّاء
هتفتْ بينها الطيورُ وصاغتْ ... وحيها الحلوَ نغمةً وغناء
والغصونُ الرطابُ حليتُها الزهـ ... ـرُ عقودًا تتوّجُ الورقاء
أطرقتْ والنسيمُ طارحها الشو ... قَ فأغضتْ وباعدتهُ حياء
تنثنى كالقدودِ مالَ بها الد ... لُّ وتخضلُّ إذ تمسُّ الماء
والأزاهيرُ إنْ ترفُّ فسكرى ... رشفتْ من كؤوسها الصهباء
ألفتها يدُ الطبيعةِ فالبيـ ... ـضاء حبًّا تعانقُ الحمراء

***

قبسةَ الفجرِ لمحةٌ منكِ فضّتْ ... سدفَ الليلِ فانفلقنَ ضياء
ورسولٌ لمجتلاكِ سنىٌّ ... بلغَ الشهبَ فانتثرنَ هباء
هلْ لفجرِ الرجاءِ منكِ انبثاقٌ ... يطعنُ اليأسَ طعنةً نجلاء

(بغداد) مصطفى كامل ياسين

أنا وأنت...

أنا السماءُ وأنتِ البدرُ برعمهُ ... كِمُّ الظلامِ عنِ الإشعاعِ فى صدرِى
قدْ أوحشتْ رحباتى يا حبيبُ وما ... أجريتَ أنفاسكَ البيضاءَ فى نحرِي
همْ غلّفوكَ ، فمزّقْ سترَ حلكتهمْ ... واسطعْ على أفقِى المهجورِ يا بدرِى

***

أنَا الخَمِيلَةُ ، تِيجَانُ الوُرُودِ ذَوَتْ
عَلَى ضَفَائِرِ أَشْجَارِى مِنَ الحَرِّ
والطَّيْرُ أخْرَسَها عُرْىُ الغُصُونِ فَمَا
عَادَتْ تُسِرُّ أَغَانِيها إلى الفَجْـــرِ
وَأَنْتِ ... أَنْتِ رَبِيعٌ فى ضَمِيرِ غَدِى
وَسَوْفَ يُلْبِسُنِى ثَوْباً مِنَ التِّـبْرِ

* * *

أنَا الفيَافِى ، وَأَنْتِ القَطْرُ تَحْبِسُهُ
أَنَامِلُ الغَيْمِ فى العَلْيَاءِ عَنْ قَفْرِى
قَدْ أَخْمَدَتْ زَفَرَاتُ القَيْظِ فى كَبِدِى
رُوحَ الحَيَاةِ وَمِنْكَ البَعْثُ يا قَطْرِى
إنْ يَعْقِدُوكَ فَبِلُّورُ السَّحَابِ غَدًا
تُسِيلُهُ لَفَحَاتُ الشَّمْسِ فى ثَغْرِى

* * *

أنَا البَنَفْسَجُ لَمْ يُبْقِ الهَجِيرُ عَلَى
عُودِى سِوَى قَبَسٍ مِنْ هَالَةِ العُمْرِ
لَكِنَّمَا أَنْتِ دَمْعُ الطَّلِّ يَنْظِمُهُ
جِيدُ السموات أَسْمَاطاً مِنَ الدُّرِّ
وفى الصَّباحِ يَرُدُّ النَّسْمُ فى وَرَقى
بَعْضَ الدُّمُوعِ فَأَحْيَا صَافِىَ السَّحْرِ

* * *

أنَا لَكِ العُشُّ يا قُمْرِىُّ ... يُحْزِنُنى
أَنْ قَدْ نَأَيْتَ وَلَكِنْ أَنْتَ لاَ تَدْرِى
اعْشَوْشَبَتْ جَنَبَاتِى وَاللُّجَيْنُ جَرَى
تَحْتِى يُنَادِيكَ يا ظَمْآنُ !! لِلنَّهْرِ
إنْ يُسْكِنُوكَ بُرُوجَ المَاسِ سَامِقَةً
سَيَحْتَوِيكَ حَنِينُ الطَّيْرِ لِلْوَكْرِ

(السويس) عبد الرحمن الخميسى

أين يقيـــنى ؟

صحت بين جنبىَّ الهمومُ وأيقظتْ
دفيناً من الذكرى يثيرُ حنينِى
حنينى لأيامِ الهوى وملاعِب بهن صَبَاباتى وهنّ جنونى
عليهن قضينا الليالى هنيئةً تفيض بدنيا من منى وفتون
مضى الحُلُمُ البسّام وارفض سامرى
وغُيّبَ عن عينىَّ نورُ عيونى
وماتت أناشيدى وحطم أرغنى ويادهرُ هل شُوهدت غير ضنين

* * *

مضى فى هدوءِ الوادعين وأغرقت
لياليه فى صفوٍ وطيب سكون
وأين الأمانى الزهر والدهر باسمٌ
وهـذى يد الأيام قبضُ يمينى ؟
وأين ربيع العمر والعود مورق وأين يقينى؟ هل فقدت يقيني
فأصبحت لا ألقى الحياة ونورها وأفراحها إلا بعين سجين
سجين أضلته الهمومُ فما رأى سوى عصفِ أسقام وغبن سنين

(الاسكندرية) مصطفى على عبد الرحمن



قصة الفيتامين

الفيتامين C ومرض الأسخربوط

للأستاذ عبد اللطيف حسن الشامي

— ٧ —

غالباً ما يكون حلول الربيع مدعاة لبدء الإصابة بمرض الاسخربوط ، وذلك عند ما تعم الشكوى من الأمراض الناشئة عن تقلبات الجو كالضعف والخمول وفقد شهية الإقبال على العمل وآلام الرأس والشعور بالثقل فى الحركة وآلام فى الأطراف . ولم يهتد بادىء ذى بدء إلى تعليل هذه الأعراض ومعرفة أسبابها إلا بعد ظهور المعلومات الحديثة عن المواد الحيوية الموجودة ضمن الأغذية والطعام ، ولأنه كان غريباً وداعياً إلى الدهشة والتفكير تفشى هذه الأمراض بين الناس فى هذا الوقت من كل سنة ، وفى الشهور : مارس ، أبريل ، مايو ، التى ترتفع فيها أثمان الخضر الجديدة (حسب المقتضيات الأوربية) ، وصدوف سواد الناس عن شراء الخضروات أو إقلالهم من استهلاكها ، وبذا تقل طبعاً كمية الفيتامينات اللازمة لحفظ الكيان والصحة

ويعزى « مرض الربيع » هذا إلى نقص فى كمية الفيتامين التى تدخل الجسم ، يؤيد هـذا القول ظاهرتان هامتان أخذتا من الإحصائيات . وأولى هاتين الظاهرتين هو بطء النمو عند الأطفال فى هذه الشهور ، وطبقاً لما تردد ذكره من ارتباط النمو بالفيتامينات ، فقد تبين أنه تبعاً للنقص فى تموين الجسم بالفيتامينات فى وقت الربيع ينخفض مستوى النمو الجسمى العام ، وثانياً ازدياد نسبة الوفيات فى شهرى مارس وأبريل ؛ وهناك مثل ألمانى يشير إلى هذا المعنى ويقول : « إذا أخطأ مارس وولى، كان لأبريل القدح المعلى » . وإذا ما علمنا أن وجود الفيتامينات فى الجسم يدرء عنه العدوى من الأمراض المعدية ، ويحصنه ضد كثير غيرها ، وأن خلو الجسم منها يجعله أكثر قابلية للرضوخ لكثير من الأذى والعلل — قام هذا دليلا آخر على الصلة بين التغذية المفتقرة إلى الفيتامينات ، وبين الزيادة الظاهرة فى أرقام الوفيات . فاذا تم بهذا ولو لحد ما حصر الأسباب الرئيسية التى ترجع إليها أعراض مرض الربيع . أى انخفاض مستوى نمو الأطفال وصعود نسبة الوفيات ، فقد بقى سؤال آخر بلا جواب ألا وهو : أى نوع يا ترى يكون مرض نقص الفيتامين هـذا الذى يسمى أول أعراضه وأولى صوره بمرض الربيع ؟

ضمن أعراض مرض الربيع ظاهرة استعداد لحم الأسنان إلى الإدماء السريع حتى بأقل مجهود يبذل فى تنظيفها ، وتزداد هذه الظاهرة شدة وخبثاً وتتداعى عندها اللثة كلها إلى الإدماء . وقد استعمل قديماً اسم الأسخربوط للتدليل على هـذا المرض ولكنه نسخ بعدئذ بالتسمية الصحيحة بمرض نقص الفيتامينات . ويقابل الأسكربوط بالألمانية شاربوك، وهى منقولة عن الهولندية، شار بمعنى فتحة أو ثلمة ، بك بمعنى فم، فيكون معنى الكلمتين مجتمعتين الفم الجريح أو الفم الدامى

ولقد كانت صورة المرض قديماً من البشاعة فوق ما يتصوره الإنسان، يدل على هذا البقايا المظيمة للجيوش الرومانية فى عهود قياصرة الرومان وفى جيوش المحاربين الصليبيين . ويُحدِّث المؤرخ السويدى أولاوس ماجنوس Olaus Magnus المولود عام ١٤٩٠ فى كتابه « تاريخ الشعوب الشمالية » بإسهاب عن إصابة رجال السفن الشراعيـة من رائدى القطب الشمالى من البحائين وتابعيهم ومن صائدى الحيتان والسمك . كذلك كان ينشب المرض أنيابه على اليابسة بين الناس وقت الحروب والأسر والمجاعات ، وبلغ من شدة وطأته أحياناً فى العصور الوسطى وفى أزمنة الشدة أن اعتُبر فى المدن الكبيرة بجانب أمراض التدرن من الأمراض المستعصية التى لا يرجى معها شفاء . كما اتخذ فى عام ١٩١١ فى مدينة نورنبرج بألمانيا شكلا وبائياً كارثاً إثر نكبة فى المحاصيل الزراعية

وأعراض المرض فى أواخر الشتاء أو أوائل أيام الربيع على المصابين هى التهاب اللثة وإدماء أغشية الفم المخاطية وإدماء ونزيف من الجلد والأنسجة والعضلات ، ثم تثقل حركة الأرجل وتهزل هذه وتصاحبها آلام مبرحة فى العضلات ، وتفقد الأسنان تماسكها وارتباطها ، وتضعف العظام وتصير هشة غضروفية .

وإذا استمرت التغذية على ما هي عليه رغم هذه الأعراض فمصير المريض إلى التهلكة لا محالة . ولكنه إذا تنوع الغذاء وتمددت ألوانه وأضيف إليه الخضر واللحم الطازج ، ولو بمقدار طفيف ، تزول هذه الأعراض كما يزول كيد السحر

لم يبق شك بعد هذا في أن مرض الأسكربوط هو مرض غذائي . وفي أثناء الحملة الاستطلاعية التي قام بها شارل الثاني عشر ملك السويد على أراضي أوكرانيا في مستهل القرن الثامن عشر ، عالج أطباء حملته مرضى الجنود بالاسكربوط بالحقن بواسطة إبرة من الخشب بمادة أتت بنتائج طيبة مما جعلها تلقى طريقها إلى مستشفيات برلين للعمل بها في علاج الاسكربوط . وقاوم الإيطاليون من قديم الزمن مرض الأسكربوط بعصير العنب ، وصرح أحد الأطباء العسكريين النمسويين في عام ١٧٢٠ بأن عصير البرتقال والليمون أكثر فعلاً في مقاومة الأسكربوط ، وقد أخذت برأيه حينذاك رياسة البحرية البريطانية واستعملته في عام ١٨٠٤ فوق سفنها في علاج رجال بحريتها الذين انتشر بينهم هذا المرض الخبيث

ولقد ساعدت هـذه المعلومات القديمة حتى حرب سنة ١٩١٤ في مقاومة ودفع مرض الأسكربوط بالرغم من وجود بعض الإصابات الشاذة التي لم تنجح مقاومتها . وانتشر المرض في بعض الأقاليم الريفية في روسيا التي تقتات بالحبوب وظهرت أعراض الأسكربوط بانتظام في بعض جهات ألمانيا والنمسا التي كانت تتناول غذاءها من الأطعمة المحفوظة كاللحوم والبطاطس والخضر المجففة واللبن المكثف Kondense وتفشى كذلك بين الأتراك وأهل رومانيا ووجد مرتعاً خصيباً بين الأسرى الألمانيين والنمسويين الذين وقعوا في أيدي الروس . أما أثره في الكتائب الإنجليزية في العراق فيكفي أن أحصي عدد المرضى بالأسكربوط بأحد عشر ألفاً من الجند . وكذلك انتشر مرض الأسكربوط بين الأطفال في الجهات التي وقع عليها حصار بحري أو أرضي في الحرب الماضية ، إذ تبعا لهذا الخناق وانقطاع الصلات عبر البحر أو الأرض لم يكن هناك غير اللبن المعقم للتداول في إطعام الأطفال ، واللبن المعقم تقل حتى تنعدم فيه الفيتامينات ، وأخذ المرض في الأطفال شكلا خاصاً وكان يختطفهم ويلقى بهم في دور الرعاية والمستوصفات حتى امتلأت بهم . وكانت أعراضه عليهم آلاماً حادة في العظام ومبرحة في الأطراف ومضخمة في المفاصل ومصحوبة بإدماء في الفم والجلد والأغشية المخاطية. وأما الظاهرة الهامة فهي الخوف الذي استحوذ على الأطفال من لمس أي شيء عفواً

وإذا ما أضيف إلى الغذاء أنواع أخرى منه غنية بالفيتامين كالإسباناخ مثلاً أو عصيدة البنجر فلا بد من أمل في الشفاء في أجل قصير . ويجدر بنا أن نورد هنا ما تصنعه كثير من الفلاحات الأوربيات اللائي لا يرضعن أبناءهن بأنفسهن بحكم الضرورة فهن يضعن بعضاً من البنجر المقشور في زجاجات لبن الأطفال

وحتى مع هذه النتائج والتجارب العـديدة لم يتوصل أحد آنئذ إلى الكشف الصحيح أو إلى نتيجة حاسمة شافية تميط اللثام عن هذا المرض العضال الذي أخذ أشكالاً متعددة تارة عند الأطفال وأخرى لدى الكبار ، وفي كل يبدأ على هيئة « مرض الربيع » . وبين عامي ١٩٠٧ و ١٩١٢ توصل بعض العلماء النرويجيين بناء على تجارب غذائيـة دقيقة إلى إثبات حقيقة مرض الأسكربوط بأنه مرض غذائي . فقد حضّروا غذاء خاصا من الشعير واللبن والبرسيم والعلف الجافة خالية من الفيتامين الواقي من الأسكربوط وأطعموا منه عدداً كبيراً من الحيوانات ، فما لبثت أن ظهرت عليها أعراض شديدة الشبه بأعراض الأسكربوط لدى الإنسان . وفي هذه الآونة فقط أمكن البحث وراء المواد الشافية التي تحتوي على هذا الفيتامين المضاد للأسكربوط ، والذي أطلق عليه فيما بعد الفيتامين C . كما بدأت المحاولات لمعرفة الكميات اللازمة من هذا الفيتامين التي يجب أن تتوفر في الغذاء كي تقف وتحول دون ظهور أعراض المرض

وبما أن عصيري البرتقال والليمون يعتبران من المواد الشافية الواقية من الأسكربوط ، فكان طبيعياً أن يبدأ البحث فيها لاستخلاص الفيتامين ، وكان لا بد من التغلب على بعض العقبات التي اعترضت مجرى البحث في تحضير هذا الفيتامين في هيئة بلورية نقية ثم الكشف عن تركيبه الكيميائي . ولهذا ابتدأ تاريخ البحث عن الفيتامين C أشبه شيء بالقصة الروائية ، وكان من الأمثلة الحية على تعاون العلماء في مختلف البلاد تعاوناً جدياً للوصول إلى الحقيقة رغم بعض الاقتراحات الخاطئة المخلصة التي كانت تعرقل البحث وتؤخره .

« يتبع »

عبد اللطيف حسني الشامي



اللغة العربية فى ورقة رسمية

قال الأستاذ العقاد فى مقال له بالدستور :

« وعلى ذكر الكتابة والوزراء والعيد والعيديات نقول إن الحكومة المصرية على ما يظهر قد أرادت أن تعيد على الناس بالورقة الجديدة ورقة ربع الجنيه

فانتشرت هذه الورقة فى أيام العيد بعض الانتشار

وما أظن أن نقوداً وصلت إلى يدى قد نغصتنى كما نغصتنى هذه الورقة الخاطئة

ففيها يقرأ القارىء هـذه العبارة : « أتعهد أن أدفع لدى الطلب مبلغ خمسة وعشرون قرش صاغ »

ثلاث غلطات نحويات فى سطر واحد ... !

فهل يسمح بمثل هذه الغلطات فى عملة حكومة ؟ وأية حكومة ؟

حكومة مصر التى هى زعيمة الأقطار العربية ! !

وحكومة مصر التى تضن على التلميذ الصغير بالانتقال من السنة الثالثة إلى السنة الرابعة الابتدائية إذا أخطأ مثل هذا الخطأ فى ورقة الامتحان

لوا هذه الورقة مهما يكلفكم لها من الأسواق والبيوت ، وافرضوا على حصتى التى تخصنى من هذه التكاليف، فهى أرحم من هذه الصدمة مع كل خمسة وعشرين قرشاً صاغاً يكسبها الإنسان »

العربية الغريبة فى دارها

سيدى الأستاذ الفاضل الجليل محرر الرسالة

تحية الله ورحمته عليك يا محيى العربية، ومعيد شبابها إليها ، وملبسها قديم حلاها حلة جديدة توائم العصر وتوافق الزمن ، ولا تخرج — مع ذلك — عن المسنون من طرقها ، والمعروف من مناهجها . وبعد :

فلقد قرأتُ يا أخى من سنوات فى الأهرام قصيدة عصماء لشاعر عربى ممن رمت به مطارح الغربة إلى العالم الجديد يقول فيها هذا البيت عن اللغة العربية :

لغة يهون على بنيها أن يروا   يوم القيامة قبل يوم مماتها

وقرأت قصيدة المرحوم حافظ ابراهيم على لسان اللغة العربية وهى مشهورة مذكورة لا يخلو منها كتاب من كتب المحفوظات المدرسية التى تختارها وزارة المعارف

وتابعتُ – منذ أن تعلقت من اللغة بسبب – كل ما كتب لها وفى سبيلها أو اقترح لأجلها من إصلاح منهج ، أو إنشاء خطة أو تبسيط قاعدة . ولستُ فى ذلك نسيج وحدى وإنما أنا واحد من كثرة كثيرة يقلق جنوبها أن تصبح العربية غريبة فى دارها ، أعجمية إلى أهلها ، بغيضة إلى أحبائها

ومن أعجب العجب أن لغة لا يستهين بها أهلها كالعربية ، وأنها على الرغم مما وضع لها من قواعد ، وما عمل لها من ضوابط ، لا تزال تلقى من الكاتبين أو المتكلمين بها إهمالاً كثيراً وقلة مبالاة ، وعدم اكتراث، وذلك أمر لا تجده فى لغة أخرى غيرها.

فالانجليزية يكتب بها الانجليز وينطقون بها صحيحة منحّاة ؛ والفرنسية — على كثرة شذوذ الأفعال فيها — يكتب بها الفرنسيون وينطقون بها صحيحة منحاة ؛ والألمانية — على صعوبة نحوها — يكتب بها الألمان وينطقون بها صحيحة منحاة ...

أما العربية فهى مسكينة بين أهلها وبين الغرباء عنها ، وحق للغريب أن ينظر إليها شزراً ما دام أبناها لا يحسنها ولا يبالى أن يحسنها ...

هذا كلام ثار فى نفسى بمناسبة ظهور الورقة المالية الجديدة ذات الخمسة والعشرين قرشاً . ففيها غلطة نحوية شنيعة أشار إليها كاتب فاضل فى إحدى الصحف اليومية وهى لا تخفى على كل قارئ

ثم يشاء الله لهذه الثورة النفسية ألا تسكن ، فقد ألهبها من جديد فى نفسى إعلان غريب عن نوع من الصابون لا نذكره لئلا يؤخذ ذكرنا له على سبيل الإعلان عنه

وإنى لمقتبس من هـذا الإعلان (العربى) بعض عبارات وأقدمها هدية متواضعة إلى الأخ الدكتور زكى مبارك مفتش اللغة العربية بالمدارس الأجنبية ! فلعل عنده من الرأى ما يسعف ، أو من العزاء ما يسلى ... وإليك بعض العبارات :

(صابون كذا هو محصول فاخر نتيجة اختبارات (ثلاثون) سنة ... نظراً لكونه (صنف جيد) لتحلية وتنعيم الجلد ويجمله (تملى) ... والحرائر يمكن غسيلها بهذا الصابون الذى يستطيع بأن (يبيضوا) بدون ما يؤثر عليها . وبالإطلاق جميع الأصواف

يمكن بأن (يبيضوا) بصابون (كذا) . ولا تحصل للملابس أى ضيق أو كشش)

ومن الغريب أنه بجانب هـذا (الإعلان العربى) كتب إعلان آخر بلغة فرنسية صحيحة كل الصحة سليمة كل السلامة .

فإلى متى تظل اللغة العربية غريبة فى أهلها ؟ وإلى متى تبقى سقيمة عليلة والمداوون كثير ؟

محمد عبد الغنى حسن

(حاشية) : يقول الصديق القديم الدكتور زكى مبارك فى مقاله « إلى ... » « لا يمكن لأحد أن يكون أكتب منى » وصحة الكلام أن يكون هكذا « لا يمكن أحداً أن يكون أكتب منى » . لأن الفعل أمكن متعد لا لازم (عبد الغنى)

سكران طينة

حضرة الأستاذ الجليل رئيس تحرير مجلة الرسالة الغراء

قرأت أن الدكتور الأديب أحمد عيسى قـد نشر معجماً للمفردات العامية ذات الأصل العربى . وكان أحد عمداء الجامعة قد نشر أيضاً فى بعض المجلات الأسبوعية شيئاً غير قليل من هذه المفردات والتعابير؛ وعنى الأستاذ المازنى بالتنبيه إلى أنه يتحرى استعمال العربى الذى شاع أنه عامى فنبذ من أجل ذلك . ومثل الذى فعله المازنى قد فعله الأستاذ محمد سعيد العريان فى أقاصيصه

ويبدو أن أمر الاهتمام باللغة العامية لا يقتصر على أى عدد من الأدباء قل أو كثر وإنما هو ظاهرة من ظواهر النهضة الأدبية ، كأن اللغة العربية تبحث عن حقها المضاع وتبدأ أول ما تبدأ باللهجات العاميَّة فتستردُّ منها ما سلبته ؛ ففى غير تنبيه إلى مثل هذا الغرض نشر الأستاذ أحمد رامى وغيره عدة دواوين باللغة العامية ، حرصاً على خدمة المحافظة باسم التجديد ، جزاهم الله خيراً عن المحافظين

ومن دواعى الدهشة فى هذا البلد الشديد المحافظة أن تجد لفظاً جديداً فى عاميته ، فكلما سمعت كلمة خلتها جديدة أقنعتنى مصادفة فى كتب الأدب القديم بأنه لا جديد فى اللغة ، . . !

وآخر ما وجدته من ذلك كلمة سكران طينة ؛ ففى شعر كشاجم فى قصيدة مطلعها

متى تنشط للأكل فقـد كلمت الخونة

يأتى هذا البيت

فما عذرك فى أن لا ترى من سكرة طينة

أم لعل للفظ معنى آخر ، أم لدله من قواعد المطبعة ؟

عبد اللطيف النشار

سكان مصر فى الإحصاء الأخير

نقتطف هنا بعض ما تضمنه كتاب « الإحصاء السنوى العام » لمصلحة الإحصاء ، من بيانات عن أحوال السكان فى مصر

قدر عدد السكان فى عام ١٨٠٠ ، أى فى عهد الحملة الفرنسية بنحو ٢ر٤٦٠ر٢٠٠ نسمة ، وكان عددهم فى عام ١٨٤٦ ـ مقدراً على أساس عدد المساكن ـ ٤ر٤٧٦ر٤٤٠ نسمة

أما فى عام ١٩١٧ ، وهو التاريخ الذى بدأت فيه مصلحة الإحصاء باتباع النظم الحديثة ، فكان عدد السكان ١٢ر٧٥٠ر٩١٨ نسمة ، زادوا فى سنة ١٩٣٧ إلى ١٥ر٩٠٤ر٥٢٥ ، ثم بلغوا فى سنة ١٩٣٩ ـ ١٦ر٥٢٢ر٠٠٠ نسمة

وبلغ عدد سكان البحيرة حسب تعداد سنة ١٩٣٧ ، ١ر٠٦٠ر٨٨٢ نسمة ، بزيادة ٩١ر٠٤٣ نسمة عن التعداد السابق

وسكان الغربية ١ر٩٦٣ر٦٥٤ نسمة مقابل ١ر٧٩١ر٩٨٥ فى سنة ١٩٢٧ ، والدقهلية : ١ر٢١٥ر٦٦٣ نسمة مقابل ١ر٠٨٠ر٦٩٣ والشرقية : ١ر١١٩ر٤٥٦ نسمة مقابل ١ر٠١٦ر٩١٢ ، والمنوفية : ١ر١٥٧ر٤٣٣ نسمة مقابل ١ر١٠٥ر١٩١ ، والقليوبية : ٦٠٧ر٣٠٤ نسمة مقابل ٥٥٨ر٩٤٨

أما سكان محافظات أقسام الحدود فكان عددهم ١٢١ر٤٩٣ نسمة مقابل ٩٤ر٥٨٨ فى سنة ١٩٢٧

وبين سكان مصر ١ر٦٧٠ر٨٩٥ يلمون بالقراءة والكتابة ، منهم ١ر٣٨٦ر٨٤٣ من الذكور و ٢٨٤ر٠٥٢ من الإناث . أما عدد الأميين فبلغ ١٢ر٥٠٦ر٩٦٩ ، بينهم ٥ر٦٧١ر٢٠٣ من الذكور و ٦ر٨٣٥ر٧٣٩ من الإناث

كلية التاريخ فى أنقرة

من أنباء أنقرة أن الدكتور رفيق سيدام رئيس الوزارة التركية فتح كلية اللغات والتاريخ والجغرافيا بحضور جمهور من الكبراء والعلماء ، وقد ألقى خطبة قال فيها : « يسرنى أن أفتتح كلية اللغات والتاريخ والجغرافيا التى أمر أتاتورك العظيم بتشييدها ، وهى تعد من الأعمال المجيدة التى أنجزت خلال السنوات الأربع الأخيرة . وإنى أشكر زملائى فى العمل الذين وقفوا حياتهم على تلقين الشبيبة التركية مختلف العلوم

وقرأ الرئيس بعد ذلك فقرة من الخطاب الذى ألقاه رئيس الجمهورية التركية فى حفلة افتتاح المجلس الوطنى الكبير جاء فيه :



الملازم ألبير

للأستاذ محمد محمد مصطفى

كان يحمل أملا بساماً بين جنبيه ، وبشراً طافحاً فى عطفيه وهو يهب الطريق إلى قريته . لا يحس مسغبة وبطنه طاو ، ولا يشعر بظمأ وحلقه جاف . وبدا الطريق كئيباً موحشاً وسوق القرية خالية وعهده بها غاصة بالوافدين . . . لشد ما غيرت الحرب معالم الطريق فلا ظل وارف ولا طير غرد . وهذه الحفر من فعل الطائرات ، وتلك الغابة أحرقها الألمان فامتد لهيبها إلى الحقول وأهلك ما فيها من زرع وضرع

ورأى قسيس قريته مقبلاً عليه تخيل للفتى أن فاجعة ألمت به فهو يمشى وئيد الخطى أغبر الوجه ، كأنما يحمل على كاهله وقر السنين . وتراه يدنو من الفتى فيعرفه ويسلم عليه ويسأله :

— أحقاً يا بنى سقطت بروكسل وألقيتم السلاح ؟

فسقطت دمعة كبيرة من عين الفتى وقال :

— كان ذلك حقاً يا أبتاه . . . وإلا فكيف ترانى هنا . . . أمرنا الملك بإلقائه فأطعنا وما كان لنا أن نختار وآلات الألمان تفتك بنا فتك الوباء

— ليغفر الله لليوبولد زلته . . . وإلى أين يا بنى ؟

— إلى أمى وخطيبتى يا أبتاه . إلى قريتى الحبيبة (فورنتيه)

— خير لك يا بنى أن تعود . فقد مسحت القرية من خريطة الوجود

— ماذا . . . !

— أقول إن الجيش الألمانى لم يترك حتى ما يدل عليها

— وأمى يا أبتاه !

فربت القسيس على كتف الفتى، فكاد يسقط لفرط ما دهاه، وقال له :

— يا لها من ليلة هائلة يا بنى . تعال ، اجلس هنا على حافة الطريق ، فقد هدنى من يومها الهم وتضافرت على جسمى الأمراض... وسكت قليلاً كأنما يستعيد ماضياً بعيداً ثم أردف :

« إن أهم ما يتضمنه برنامج التربية الوطنية إقامة المعاهد الثقافية الكبيرة فى أنقرة ، لأننا نريد أن نجعل من هذه المدينة مركزاً الأناضول بما فيها من كليات ودور للأوبرا ومسارح ومعاهد، فيجب أن تمد أنقرة نموذجاً روحياً للجامعات الأخرى فى البلاد . وبعد أن يتحقق ذلك لا نحجم عن تشييد مراكز ثقافية أخرى »

الى علماء التاريخ

يقول الأستاذ الباحث صديق شيبوب فى الرسالة الغراء عدد (٣٨٣) أثناء تحليله للعالم النفسانى الكبير سيجموند فرويد ما نصه : « كان موسى من رجال حاشية الملك أخناتون الذى كان أول من قال بالتوحيد عند قدماء المصريين

ويقول الأستاذ طه الساكت فى مقال ترتيب الأنبياء بمجلة الإسلام عدد (٣٩) أول نوفمبر سنة ١٩٤٠ : « كليم الله موسى عليه السلام ... بعثه الله تعالى رسولاً إلى فرعون وقومه ومنقذاً لبنى إسرائيل من الذل والاستعباد . وكان فرعون موسى ـ وهو رمسيس الثانى على ما رجحه بعض الباحثين ـ يضطهد الإسرائيليين ويذبح أبناءهم » . وقص علينا أساتذتنا أثناء دراسة التاريخ القديم أن فرعون موسى — هو الملك منفتاح — فهذه ثلاثة آراء متخالفة ، فإلى أى رأى نتجه ؟ وبأى قول نقول ؟ فإلى علماء التاريخ وأساتذته نوجه الاستفهام والرجاء . وإنا لتحقيقهم لمنتظرون

محمود محمد بكر هلول

وصية أمين الريحانى

روت المكشوف أن السيد ألبير الريحانى عثر بين أوراق شقيقه فيلسوف الفريكة ، على وصية مكتوبة بخط يده ، تحتوى على عشرين بنداً ، ومؤرخة فى سبتمبر ١٩٣١

وتتناول هذه الوصية شؤوناً فى الأدب والسياسة والدين . ولكنه لا ينتظر فى الوقت الحاضر نشرها . وقد حفظت بين آثاره الكثيرة التى يعمل شقيقه ألبير على جمعها ومراجعتها وترتيبها بحسب تواريخها وموضوعاتها

ومما تجدر الإشارة إليه أن أمين الريحانى كان يحتفظ بنسخة من كل رسالة يبعث بها إلى صديق ، ومن كل بحث يرسله إلى صحيفة ، كما أنه كان يحتفظ بكل صحيفة له فيها مقالة .

— كانت فرقة من الجيش البلجيكي تعسكر في غابة القرية حينما هاجمتها الطائرات وأشعلت فيها ناراً امتد لهيبها إلى عنان السماء، فبدت القرية على وجهها هدفاً ممتازاً دكته الطائرات ...

وضرب الفتى في الطريق إلى بروكسل تنوء بحمله ساقاه وتخذله قوته، فيسقط في الطريق

* * *

— أماه ... أنظري! إنه ضابط من فرق القناصة يحتضر

— ماء يا فلورندا من النبع القريب

ويفيق الفتى ليرى رأسه على حجر امرأة فيشكرها، وتعاونه الأم وابنتها على السير إلى كوخهما القريب

— تفضل فاجلس على هذه الحشية فلم يعد لنا بيت ولا أثاث

وبدا على وجه الفتى آيات من الألم الممض والحزن العميق. ولما قدمت له فلورندا شيئاً من الحساء، أحس بالدفء والراحة واستطاع أن يتكلم ...

وانتشرت نفس الأم عليه رقة ورحمة، وأحبته الفتاة في صمت. ولم يأبه بذلك الفتى، ولم يجد له فراغاً بقلبه المعذب المفؤود

وجمعتهم نكبتهم المشتركة في قريتهم وأعزائهم فكان جل حديثهم يدور حول دمار بلادهم. وتصعب معرفة من كان منهم أشد سخطاً على الألمان، ولكن الفتى كان أكثرهم جنوحاً للصمت والتفكير العميق

... ويوماً قال ألبير:

— ليست فلاحة الأرض صناعة ضباط القناصة ولا يليق بي وقد رزئ وطني باحتلال النازي أن أكون هنا

— فأين يجب أن تكون يا ألبير؟

— في العاصمة أو حولها. ليشعر الألمان أننا لم نستكن لحكمهم، وأن في بلجيكا رجالاً

فأدركت الأم مرماه وقالت: إنك تلقي بنفسك في أوار الجحيم

قال: لأشارك أمي ميتتها وقريتي محنتها

وعبثاً حاولت الأم ثني عزمه ...

أما الفتاة فقد بكت قائلة:

— أرجو أن تبقى هنا إلى جانبي أعوضك من حناني ما فقدته من حنان الأم ... ألا تسمع ...؟ إنني أرجو ...

— أرجو أن تسكتي فقلبي عنك في شغل ...

* * *

صادفت دعوة ألبير هوى في نفوس المنكوبين المغامرين الذين سرحوا من فرقته، وكان عملهم منظماً شأن رجال الجيش، فبعضهم لنسف الكباري، والبعض الآخر لقطع الجسور، وهؤلاء للسطو ليلاً على المخافر الصغيرة، والاستيلاء على الأسلحة والذخيرة، وأولئك لاقتناص البارزين من رجال الحملة الألمانية، وغير ذلك من الأعمال التي سببت للمحتلين شتى المتاعب

وشاع اسم ألبير في وطنه وأكبره مواطنوه ووضع الألمان جائزة لمن يأتي به حياً أو ميتاً

وكانت فلورندا تتلهف شوقاً لأخباره وقلبها الطاهر الغض يذوب إشفاقاً عليه، وكان جل مناها أن تراه فتتبعه رضى أم كره وتمنى به، فمن يطبخ له ويوقد له النار ويرتق له الصدار ... كانت غارقة في الحب مسبوهة اللب، وكأنما كان ألبير يضفي على الحقل بهاء والدوح رواء والسماء صفاء، فلما ذهب أضحى الكون موحشاً كئيباً والجو خانقاً والشمس مصفرة حزينة كأنما تشاركها الألم وتقاسمها الشجون

وتأسى الأم لذهول ابنتها وإغراقها في حب رجل أهدر دمه ... ولن يعود، فتقول:

— وهبك ملأت الأرض أنيناً، أفتظنينه يسمعك يا فلورندا

وتحطمها كلمات الأم فهو حقاً رجل هالك كان في حياتها كل شيء فلما ذهب خسرت كل شيء ولكنها لا تطرف ولا تجيب وتلوي عنانها إلى الحقل تطوف بمجالسه، وتلثم آثاره، حتى إذا ما ألقى الليل غواشيه قفلت عائدة وفي صدرها سعير من الوجد يذيب الحشا ورمض الجوانح

ولم يذكرها ألبير فقد ملكت عليه ثورته لوطنه كل جارحة فيه، وكان ينفث من حميته المائلة وفكره الجبار ناراً تدفع بزملائه إلى أهول الأخطار. فإذا انكفأت إليه ذكرياته وألح عليه ماضيه بدت له فلورندا شبحاً باهتاً يظهر ويختفي كلما سلب من حياته الجديدة ساعة فراغ

وضجت قيادة جيش الاحتلال من فعاله فشددوا الرقابة وبثوا في مظان وجوده العيون

* * *

ويوماً شاع في العاصمة أن قطاراً قادماً يحمل زائراً عظيماً فسرى بين الناس أن هتلر هو راكب القطار

وكيفما كان الراكب فقد عزم ألبير على أن يفجع الألمان فيه. وكان بارع التدبير حار الحماسة لتدمير القطار

ووقف على شاطئ خياله ليرى هتلر تبمثره الألغام وإذا الدنيا كلها بين يديه تسأله أى جزاء يختار ... حقاً ... ماذا يختار ؟ قال لنفسه : « أأكون ملكا ... ولم لا . وأنا منقذ العالم من الدمار ؟ »

ودخل من خياله إلى قصره الملكى الموشى باليانع من الزهور الملفوف بالباسق من الأشجار تشدو عليها الطيور ، فإذا العرش ممرد منيف والفراش وثير ، وإذا المائدة تزخر بألوان من أشهى الأشربة وأطيب الآكال فيأكل ويروى ويسلم جسده لأريكة من فاخر الرياش

ويطير بأحلامه صفير القطار ... إن نوره القاتم يشق غياهب الظلام وهو يقبل مسرعاً إلى حتفه المحتوم - فتهيأ ألبير للعمل العظيم ... قال : القطار الآن فوق المنطقة الملغومة . فلأشعل الفتيل وى ... إن الألغام لا تنفجر ... أترى رفعها خائن أم أخطأ فى تركيبها زملائى المفاليك

وسمر ألبير فى مكانه ليرى بغتة صرح آماله ينهار بينما يجرى القطار على قضبانه متطامناً سلس القياد

وأخذت تنتاب رأسه فورات من اليأس والحزن العميق . فجلس على أنقاض حلمه وقد كست عينيه غشاوة حجبت عن ناظره المرئيات . وسمع قهقهة عالية فريع قلبه ونظر فإذا جنود تحيط به كأنما قد تناوبت عنهم الأرض

— لقد أجهدتنا كثيراً يا ألبير

قالها قائد القوة فى تهكم وتشف

وأسقط فى يد ألبير ولكن روعه أفرخ حينما ذكر أنه أدى لوطنه رسالته وإن كانت لم تتم ، وكان رافع الرأس شامخ الأنف وهو يمشى بينهم إلى حيث لا يعود

* * *

وطلعت الصحف بنبأ القبض على الثائر ألبير وقرار إعدامه فى ساحة عامة ليكون عبرة لمواطنيه

وزلزلت فلورندا ومادت برأسها الدنيا واحلولكت مرائيها

وضربت فى الطريق إلى بروكسل تتقصص أثره وتتسقط خبره ، بينما يصهرها الأسى ويفرى أحشاءها العذاب ، وشاطرتها الطبيعة الألم ، فاربد وجه الجو وهطل المطر غزيراً كأنما فتحت ميازيب السماء

وكنت ترى فى شوارع بروكسل فتاة ذاهبة العقل تمشى الهوينى منهكة الأوصال والناس يقتحمونها بأنظارهم مشفقين

ولم يجد قائد حامية بروكسل فى مظهر الفتاة القروية ريبة فسمح لها بوداع (شقيقها) ألبير

ومشت فلورندا فى ممرات السجن الرهيب تتلمس سبيلها كالعميان ، ونزلت إلى قبو رطب تنفذ أشعة ضئيلة من كوة فيه ، وكان ألبير يقبع هادئاً فى ركن منه ... وتبينته بعد لأى فرمت نفسها على صدره ، وطوقت عنقه وراحت تقبله :

— أواه يا ألبير ... ألا تنبئنى ... أنا الوالهة فلورندا

وأرتج على ألبير ... وشدهته زيارتها الطائرة وفاض صدره بالسعادة التى أقبلت عليه فى غمرة همه ... أى مفاجأة هذه ... أو كانت تضمر له هذا الوجد وهو عنها لاه بالفتك بالألمان ؟ قال :

— ولكن ذلك يحببنى فى الحياة يا فلورندا وقد نفضت يدى منها

وينغص فم الفتاة بالأنين والزفرات ، وتخرج كلماتها كحشرجة المحتضر ؛ وقد بح صوتها فلم يدرك منه ألبير إلا أنها مريضة مدنفة ، وأن نبأ إعدامه دمرها فهى راغبة عن الحياة ... قالت :

— إننى جد ظمأى يا ألبير

ولما قام ليأتى لها بماء أخرجت من ثنية فى ذيل ثوبها ورقة بها مسحوق قاتم الزرقة ، وفى غفلته وضعته فى الكوب

وداعاً يا ألبير ... وإلى اللقاء ... فى أطباق السماء .

وبدأت تتسلل روحها وتهمد أنفاسها

وبدت فى غفوتها الأبدية كطائر وسنان ، وكأنما أزال الموت ما رسمه الهم على محياها اللاغب الوهنان ؛ فأشرق وجهها وانتشرت عليه علائم الاطمئنان

وحدق فيها ألبير وحدثته نفسه :

— لقد تجرعت سكرة الموت من هذا الكوب ما فى ذلك ريب ، وفيه بقية تذهب بى إليها وتنقذنى من إصر الألمان ... وصبها فى جوفه !

وانبعث من خلال أوهامه شبح فلورندا يناديه :

— تعال ... تعال إلىّ يا ألبير

فأجابها وهو يلفظ نفسه الأخير :

— هأنذا قادم على أثرك يا فلورندا . . . ألا ترين جسدى يدب فيه الفناء ؟ !

محمد محمد مصطفى
بإدارة مدرسة البوليس

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

8me Année No. 385

Lundi - 18 - 11 - 1940

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٨٥ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٨ شوال سنة ١٣٥٩ — الموافق ١٨ نوفبر سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهـــــرس

حول الحرب والشعر

للأستاذ عباس محمود العقاد

كتب بعض القراء الأدباء يعقبون على مقالنا فى الحرب والشعر ، وطلب إلينا بعضهم مزيداً من الإيضاح ، فنحن نجمع هذه الملاحظات التى لعلها تلخص جميع الخواطر التى ترد على آرائنا فى ذلك المقال ، ونجيب على ما يحتاج منها إلى جواب فى شىء من الإيجاز

قال الأديب عباس حسان خضر : « لما رأيته يسير فى بحثه على ضوء الشعر الغربى والحوادث الغربية فيرى الحروب لا تشحذ ملكة الشعر جعلت أستفىء بالشعر العربى والحروب العربية فرأيت الحرب كانت لدى العرب من أفعل مثيرات الشعر كما يقولون : الشعر يوحيه الحب والحرب والموت » إلى آخر ما قال الأديب فى هذا المعنى

والذى نراه أن الشعر العربى الذى قيل فى الحرب كان ينبغى أن يبلغ عشرة أضعاف القصائد والمقطوعات التى قيلت فى الأغراض الأخرى ، لأن القبائل البادية قضت أيام الجاهلية فى قتال ، ثم اشتغل العرب بحروب الإسلام وفتوحه ، ثم أصبحت الشجاعة الحربيـة معرضاً لمدائح الشعراء فى الملوك والأمراء .

ومع هذا جيمه لا يبلغ شعر الحرب فى اللغة العربية ما بلغه شعر العشاق فى جيل واحد سواء نظرنا إلى قيمة الشعر أو مقداره

وقد استغرقت الحروب الصليبية ما استغرقت من الزمن ، وشملت ما شملت من الأمم ، وتناولت ما تناولت من الأقطار ، وليس محصولها الشعرى كله بمساو لقصائد عاشق واحد من المشهورين فى معشوقة واحدة . وحسبك هذا دليلاً على مبلغ إيحاء الحروب لقرائح الشعراء حتى فى الزمن القديم

ونقول « حتى فى الزمن القديم » لأن للزمن القديم فى هذا حكماً يخالف حكم الزمن الحديث . إذ كان الشاعر يومئذ يؤدى « وظائف شتى » كوظائف الخطيب والداعية والمسجل والشادى على السُّنة المعهودة فى اجتماع الوظائف ، ثم تفرقها بالتخصيص والتنويع . وعلى هذا النحو كان الرجل الواحد كاهناً وطبيباً ، ثم أصبح طبيباً لجميع الأمراض وبطل عمله فى الكهانة ، ثم أصبحنا فى الزمن الحديث وعندنا خمسون طبيباً لا يعالج أحدهم مرض الآخر ، وكلهم أطباء قادرون

وهذا ما أومأنا إليه فى مقالنا السابق عن الحرب والشعر فقلنا إن الملاحم المنظومة كانت « هى وسيلة التدوين التى لا وسيلة غيرها بين أولئك الأميين من الأقدمين ، فلما كثرت وسائل التدوين فى العصر الحديث كان ذلك أقمن أن يضعف النزعة إلى تخليد الحروب بالمنظومات المطولة ، وأصبحت القصائد التى تنظم فى هذا الغرض أقرب إلى التعليق والاعتبار والإعراب عن فلسفة الشاعر ... »

فإذا تعرض الشعراء لموضوعات الخطباء والمسجلين فى الزمن القديم فذلك شأن لا يدوم فى زماننا هذا الذى تعددت فيه مطالب الخطابة ووسائل التدوين ، فأصبح تضييع الشعر فيهما من الفضول ، أو من صرف الشىء فى غير منصرفه المعقول

***

وقال الأديب يحيى زيادة عضو البعثة اليمانية : « أما الشاعر فلا بد له من سويعات يجمع فيها أشتات فكره ثم يدبج بيراعته صيحاته ، فإن كان شاعراً حقاً عبقرياً استطاع أن يقتصب منبر الخطيب ويستأثر بالجماهير لترديد شعره وقراءته كالشاعر الإنجليزى كبلنج ، وإلا فهو بالطبع سيمنى بالفشل . ولعل هذا هو السر فى أنه لا ينزل إلى ميدان الشعر فى أيام الحروب إلا من وثق من نفسه أنه يستطيع بإلهامه وجودة شعره أن يستأثر بقلوب الجماهير ويحملهم على قراءة شعره »

وليس الأمر كما قال الأديب لأن ما نظمه كبلنج إنما كان من قبيل الأناشيد التى قلنا إنها اجتماعية وليست فردية ، فحكمها فى هذا الصدد كحكم الخطب والمقالات

وقد حضر الثورات والحروب شعراء فحول فى الذروة العليا بين أقوامهم فلم ينظموا فيها إلا قليلاً جداً بالقياس إلى سائر الأغراض والمعانى

فهذا ملتون كان أشعر أبناء عصره من الإنجليز ، وكان فى حومة الثورة الإنجليزية ، فماذا نظم فيها بالقياس إلى ما نظمه فى الأغراض الأخرى ؟

وهذا فكتور هوجو كان أشعر أبناء عصره من الفرنسيين وقد حضر الثورة وحرب السبعين فماذا نظم فيهما ؟ وماذا نظم فى سائر الموضوعات ؟ وما يقال عن هوجو يقال عن شاتوبريان ولامرتين وشينيه وجلة الشعراء الذين لابسوا الثورة الفرنسية فى عهد من العهود

وكذلك كاروودتشى الإيطالى كان أشهر شعراء قومه وحضر الثورات الإيطالية وكان ثائراً ابن ثائر ، ولكنه فضل الإعراب عن آرائه السياسية فى نشيد الشيطان على تسجيل الحوادث التى لا تنحصر فى الحروب

وكذلك جيتى وشيلر وهينى أعظم شعراء الألمان فى زمانهم لم ينظموا فى حروب عصرهم وهو عصر نابليون والثورات الوطنية إلا شذرات مهملة من شعرهم القيم المقدم على غيره

ولقد شغلت الحرب الماضية أقطار العالم قاطبة أربع سنوات وفيه مئات الشعراء من غربيين وشرقيين ثم لم يعقبوا جميعاً من الشعر القيم ما يضارع ديوان شاعر واحد . وجاء الشاعر الناقد ييتس الذى عهد إليه فى اختيار مجموعة اكسفورد من الشعر الإنجليزى فى خمسين سنة فلم يثبت من قصائد الحرب إلا النادر الذى نظم بعد انتهائها ، وقال فى مقدمة المجموعة إنه أهمل تلك القصائد لأن الموضوع بحذافيره لا يستحق الإثبات

وتلك هى الحقيقة التى تنجلى لنا من مراجعة دواوين الفحول ومن مراجعة أوقات الحروب الكبرى . فمن أين نأتى بزعم من يزعمون أن النظم فى الحروب شرط من شروط الشاعرية ، وأن

إهماله معيب فى أساطين الشعراء ؟

***

ولكن طالباً أديباً فى الجامعة كتب إلىّ يلفتنى إلى رأى للأستاذ أحمد أمين أذاعه فى يوم ذكرى حافظ رحمه الله وقال فيه عن قراء الصحف إنهم « يقلبونها اليوم فلا يجدون فيها شعراً فى غارة ولا فى هجرة الريف ولا فى بطاقة البترول كما لم يجدوا فيها ما هو أهم من ذلك فى آلام مصر والشرق وآمال مصر والشرق ... قد كان يقول حافظ بذلك كله ثم لم نجد له خلفاً »

ويسألنى الطالب رأيى فيما أفتى به الأستاذ أحمد أمين ، ورأيى أنه كان أولى به أن يسأل أستاذه علام اعتمد فى هذه الفتوى التى قرر بها أن ميزان الشاعرية هو النظم فى الغارات وبطاقات البترول والهجرة إلى الريف ؟

إن مشاكلنا التى من هذا القبيل لتغرق فى نظائرها من مشاكل الأوربيين كما يغرق الجدول فى العيلم الزاخر ، فما بالهم لم يفرغوا هممهم للنظم فى تلك الموضوعات التى يقترحها الأستاذ أحمد أمين ؟ أليس فى أوربا كلها شاعر فى طبقة حافظ رحمه الله ؟

نحن لا نحرم على الشاعر النظم فى بطاقات البترول وما إليها ، ولكننا نحرم على الناقد أن يجعل بطاقات البترول ميزان الشاعرية ، ونحسب أن إيمان الأستاذ أحمد أمين بخطئه أحرى به من هذا الجزم العجيب بخطأ الشعراء الذين لا يجارونه فى فهمه للشعر ، وليس هو بشاعر ولا ناقد ولا صاحب سند فيما يرتئيه ، وليست له إحاطة بما نظم الشعراء فى مختلف المقاصد ومختلف المناسبات

***

وورد إلى الرسالة الخطاب التالى من صاحب الإمضاء :

« ... وبعد ، نشرتم للأستاذ عباس محمود العقاد مقالاً افتتاحياً فى العدد ٣٨١ بعنوان (الحرب والشعر) ، اسمحوا لى أن أعلق على هذا المقال الممتع بما يأتى :

١ — ليس صحيحاً أن مجلة البنش الإنجليزية نشرت قصيدة جون ماك كراى التى عنوانها (فى سهول الفلاندرز) ، إلا وهى تتردد فى استحسان القراء لها ، بل فى التفاتهم إليها كما قال الأستاذ العقاد . والحق والواقع كما قال برنهارد راجنر الأمريكى فى مجلة نيويورك تيمس إن محرر المجلة قدر ما فى القصيدة من جمال ونشرها بالحروف الكبيرة التى لا تستعملها البنش إلا فى المناسبات الأدبية العظيمة

٢ — ذكر الأستاذ العقاد فى الترجمة ما يأتى : « كنا أحياء وكنا نحيا » والواقع أن هذا تكرار من الأستاذ المترجم لا معنى له لأن الأصل الإنجليزى هكذا We lived فقط

٣ — ترجم الأستاذ كلمة Torch بالعنان وهذا غريب ، ولو أنه قال شعلة النضال لكان أصدق ، لأن الشاعر يقول على لسان الموتى : إن الشعلة أسلمناها إليكم من أيدينا المتخاذلة

٤ — ويقول المترجم : وارفعوا الشعلة عالية ... ارفعوها ولو بقيت فى أيديكم سنوات . وليس فى كلام الشاعر الكندى مطلقاً ما يشير إلى هذا الشرط الأخير ، أى بقاء الشعلة سنوات . وأظن أن الأستاذ العقاد قرأ years yours وشتان بين الاثنين ... »

(محمد عبد الغنى حسن)

فأما أن تردد البنش فى استحسان القراء للقصيدة ليس صحيحاً فهو ليس بصحيح

وقد يفيد صاحب الخطاب أن يرجع إلى الصفحة (٧٣١) من كتاب « بعد عشرين عاماً » فى فصل الشعر والحرب العظمى فيقرأ هناك ما نصه بالإنجليزية :

It is most unlikely that either he or the editor of Punch who first printed it, in any degree foresaw the hold which it was to take on the imagination of the nation

وترجمته : « إنه بعيد جداً أن الناظم أو محرر البنش الذى نشرها أول مرة توقعا أىّ توقع ما سيكون لها من السلطان على خيال الأمة »

وأما أن قولنا « كنا أحياء نحيا » تكرار لا معنى له فهو خطأ يدركه من يدرك أن اللغة العربية لغة المفعول المطلق ولغة التوكيد بتكرار اللفظ والمعنى ، وأن قولنا « كنا أحياء » غير قولنا « كنا أحياء نحيا »

وأما أن ترجمة Torch بالعنان غريب فقد يكون ذلك صحيحاً لو كان هناك عنان حقيقى أو شعلة حقيقية ؛ ولكنها حين تكون مجازاً لا غرابة فيها ولا سيما إذا كان المترجم لا يجهل أن Torch معناها الشعلة كما ترجمها فى السطر التالى حين قال : « وارفعوا الشعلة عالية »

ونحن نترجم إلى اللغة العربية، والعرب يعرفون الأخذ بالبنان حين يراد به الاستلام، ولا يعرفون رفع الشملة إلا للذكر والذكرى والنظر من بعيد ، كما يتحدثون عن العَلَم الذى فى رأسه نار

وأما ذكر السنين فهو مفهوم بمعناه وإن لم يرد بلفظه ، وإلا فما هو بقاء الشملة إن لم يقصد بها البقاء طول السنين ؟

ونصيحتى لصاحب الخطاب أن يتعلم قبل أن يتهجم ، فذلك أنفع له وأسلم

* * *

وبعد ، فخلاصة القول فى الحرب والشعر أن نصيب الحادث من الشاعرية لا يقاس بالضخامة ولا يحسب بالمدد . فرب شاعر تناول حياة فرد واحد فصور منها فاجعة خالدة تعيش حين تنسى الحروب التى نشبت فى زمانها ، وربما مات فيها مئات الألوف

وقد تستغرق الحروب ما استغرقته الحروب الصليبية ولا يترك لنا معاصروها أثراً يضارع تلك القصيدة الواحدة التى تدور على حياة فرد واحد .

عباس محمود العقاد

مسابقة الجامعة المصرية

لطلبة السنة التوجيهية

للدكتور زكى مبارك

- ٢ -

نحن اليوم أمام كتاب « وحى الرسالة » لحضرة الأستاذ أحمد حسن الزيات ، وهو مختار من افتتاحيات « الرسالة » فى ست سنين ، ويقع فى ثمانين وأربعمائة صفحة من القِطع المتوسط ، ويشتمل على نحو عشرين ومئة مقالة ، فهو محصول غزير لا يستوعبه طلبة السنة التوجيهية إلا إذا أقبلوا عليه إقبال من يدرك ما فيه من معان وأغراض ، وذلك ما نحاول تيسيره على الطلبة فى هذا المقال الوجيز

الأسلوب

هو أسلوب كاتب يؤمن بأن الكتابة فن من الفنون ، فهو لا يكتفى بشرح الغرض الذى يرمى إليه ، وإنما يتجه عامداً متعمداً إلى تأدية المعنى تأدية جميلة توحى إلى القارئ فكرة العناية بالأسلوب الأنيق

والزيات يُغرِب فى بعض الأحيان ، ومعنى ذلك أنه يوشى كلامه بالألفاظ الغريبة من حين إلى حين ليحوّل تلك الألفاظ إلى الكلام المأنوس ، وذلك منهج مقبول فى إحياء المهجور من المفردات اللغوية ، فلم تُخلَق تلك المفردات مهجورة ، وإنما عاشت دهوراً ثم تناساها الكتّاب والشعراء فأضيفت ظلماً إلى الغريب

والزيات لم يبتكر هذا المنهج بين أدباء العصر الحديث ، فقد اختطه المرحوم الشيخ حمزة فتح الله والمرحوم السيد توفيق البكري ودعانا إليه أستاذنا الشيخ محمد المهدى ، ولكن مزية الزيات هى القصد فى الإغراب بحيث لا يقع منه فى المقال الواحد غير لفظة أو لفظتين ، وذلك يزيد ثروة القارئ من الوجهة اللغوية بدون أن يوقعه فى العَنَت أو الارتباك

ويستطيع الطالب وهو يراجع « وحى الرسالة » أن يقيد هذا النوع من المفردات ، فقد ينفعه ذلك يوم الامتحان ، لأن إحياء تلك المفردات خصيصة أصيلة من خصائص هذا الكتاب.

ولتوضيح هذه المسألة أذكر كلمة « الرّيازة » بمعنى المهارة، ثم أترك للطالب حرية الاستقصاء ليقنع لجنة الامتحان بأنه قرأ واستفاد

ويضاف إلى فكرة الإغراب فكرة الاجتهاد ، ومعنى ذلك أن الزيات يحاول إيجاد ألفاظ عربية لبعض الألفاظ الفنية المنقولة من لغات أعجمية ، كالذى صنع فى إيثار لفظة « التناظر » بمعنى « السيمترية » Symétrie

ولهذه اللفظة نظائر فى كتاب « وحى الرسالة » والطالب مسئول عن تقييد تلك النظائر ، ليقيم الدليل على أنه ساير المؤلف فى ميدان الاجتهاد

الموضوع

قلنا إن هذا الكتاب هو مختار افتتاحيات « الرسالة » فى ست سنين ، والرسالة مجلة أدبية ، ولكنها مع ذلك صحيفة أسبوعية تواجه تطورات الحوادث الاجتماعية والوطنية ، والمجتمع فى نظر الزيات هو المجتمع المصرى والعربى والإسلامى ، ومن هنا جاز أن تكون فى أبحاثه الاجتماعية آراء متصلة بالعرب والمسلمين فى بلاد لا تصلها بمصر غير روابط اللغة والدين . وهذا المذهب يبدو لقصار النظر بعيداً عن « النزعة المصرية » النزعة التى خلقتها أوربا باسم « القوميات » ولكن المصرى الحصيف يدرك جيداً

أن هـذا المذهب متصل أوثق الاتصال بالوطنية المصرية ، لأن مصر فى سرائر أبنائها الأحرار تريد أن تكون صلة الوصل بين الشرق والغرب ، ويهمها أن تحيي العواطف التى تربط أمم الشرق بعضها ببعض ، وذلك « الإحياء » لا يتيسر إلا بفهم ما يعتلج فى صدور أمم الشرق من آلام وآمال

فإن استطاع الطالب أن يفهم الموضوعات المتصلة بهذا الغرض كان ذلك شاهداً على أنه قرأ الكتاب بعناية وإدراك

فما تلك الموضوعات ؟ الطالب هو المسئول ، فقد شبعتُ من الابتلاء بمكاره الامتحان فى جامعة القاهرة وجامعة باريس !

وبجانب الموضوعات العربية والإسلامية تنهض الموضوعات المصرية ، الموضوعات التى تمثّل الزيات كاتباً مصريًّا يصوّر ما فى الضمير المصرى من قلق وتوثب وطموح فى ميادين الأدب والسياسة والاقتصاد

فالزيات زار الأقصر وشهد ما خلف المصريون القدماء فى ذلك الوادى الأفيَح ، فما الذى قال الزيات فى وصف ما رآه ؟ وكيف كانت تلك الزيارة سبباً فى أن يؤمن بأن فكرة « العروبة » لا تَطْمِس فكرة « المصرية » ؟ وكيف اطمأن إلى أن تاريخ مصر له فى أعناقنا حقوق ؟

والزيات شهد نمُوّ المصانع المصرية ، فما الذى قال فى تشجيع المجاهدين من أقطاب الاقتصاد ؟

والزيات تحدث عن بعض المؤلفات الحديثة ، فما هى تلك المؤلفات ؟ وما رأيه فى الأصول التى يقوم عليها التأليف الموصوف بالجودة والابتكار ؟

هل تكلم عن حافظ عفيفى ؟ هل تكلم عن عباس العقاد ؟ هل تكلم عن مصطفى المنفلوطى ؟ هل تكلم عن الرافعى ؟

والزيات تَرْجم لبعض رجال العصر الحديث ، فما هى آراؤه فى لطفى السيد ، وأحمد زكى ، ومحمد عبده ، ومصطفى كامل ، ومحمد فريد ، وطلعت حرب ، وأحمد شوقى ، وحافظ ابراهيم ؟ ؟

وتحدث الزيات مرات كثيرة عن المظاهر الإسلامية والقومية ، فما الذى قال عن رمضان والأعياد وشم النسيم ؟ وما هى الأوصاف الأساسية لمواسم هذه البلاد فى مقالات هذا الأديب الفنّان ؟

وتكلم الزيات عن الطيران، فما هى المناسبة التى استوجبت ذلك؟ وما هو المعنى «القوى» الذى قصد إليه فى مقاله عن الطيران ؟

وتحدث الزيات عن الريف ، فماذا قال عن الريف ؟

وتحدث عن الأوقاف ، فماذا قال عن الأوقاف ؟ ولأى غرض شغل نفسه بالأوقاف ؟

وتحدث عن سعد زغلول مرتين أو مرات ، فما هو رأيه فى سعد زغلول ؟

وفى « وحى الرسالة » صفحات مُوجِعات ، فما موضوع تلك الصفحات ؟

وتكلم عن الأدب المزيّف والأدب الصحيح ، فما الذى أوجب أن يثور هذه الثورة ؟

ونظر إلى الأزهر نظرة لها معان ، فماذا أراد ؟ ولأى سبب شغل نفسه بحاضر الأزهر وماضيه ؟

وتحدث عن « تنظيم الإحسان » فما الذى قال ؟ ومن هو الكاتب الذى شُغِل بهذا الموضوع قبل الزيات ؟

لا يمكن لطلبة السنة التوجيهية أن يقولوا إنهم اطلعوا على كتاب « وحى الرسالة » إلا إن نظروا فى الموضوعات التى أشرت إليها فى هذا المقال بعناية وتدبُّر وإدراك ، لأنها بالفعل أهم أغراض هذا الكتاب ، ولأنها متصلة بشؤون أساسية من معضلات الحياة المصرية فى هذا الجيل

والزيات يحس هذه المعانى أصدق إحساس ، لأن قيامه على « الرسالة » قرّبه من المجتمع ، وأخرجه من « العزلة » التى يفرضها ما فُطِر عليه من الاستحياء

بين الإجمال والتفصيل

قال الزيات فى مقدمة « وحى الرسالة » إن مقالاته لم تكن إلا وحى الساعة أو حديث اليوم أو صدى الأسبوع

وتلك دعوى تحتاج إلى بينات !

فليس من المعقول أن يكون الزيات صدق كل الصدق فى هذا القول ، والكاتب يباح له التمويه فى بعض الأحايين ؟!

وإلا فمن الذى يصدّق أن مقال الزيات فى « فنّ الجمال » كان وحى الساعة أو حديث اليوم أو صدى الأسبوع ؟

ومن الذى يصدّق أن ما كتب الزيات عن الفقر والغنى والبؤس والنعيم كان وحى ساعة أو يوم أو أسبوع ؟

هو يخدع نفسه ، أو يخدع قراءه ، ليقول إنه يأتى بالعَجب العُجَاب فى لحظة أو لحظات

والحق أنه رجلٌ ممتَحَن بنفسه وبالدنيا وبالناس ، فأدبه

الذى ينشره اليوم قد يكون صدًى لتجاريبه منذ أكثر من ثلاثين سنة ، والكاتب لا يعرف أين هو من حاضره وماضيه لأنه مشدود إلى قافلة الوجود

يقول الزيات إنه كان يكتب مقالاته هذه فى أصيل السبت من كل أسبوع ، فهل يذكر أحد أنه كان يستطيع رؤية الزيات ولو بالتليفون فى أصائل تلك السُّبوت ؟

كان الزيات يخلو إلى قلمه خلوة صوفية ، وكان فى لحظات الخلوة إلى قلمه يكره الاتصال بمن فى الوجود من أهل وأبناء وأصدقاء

فما الذى كان يصنع الزيات فى تلك الخلوة ؟

كان ينظر إلى معضلات المجتمع بقلب راضته الأفراح والأتراح على فهم ما للوجود وما عليه من محاسن وعيوب

والمزية الأصيلة للزيات أنه يخلو بنفسه وإن كان محفوفاً بالرفاق فى لحظة صفاء . ولن أنسى أبداً أننا كنا نقضى سهرات كوامل ونحن فى أودية بعيدة ، وإن كنا فى مكان واحد ، فلم أكن منه ولم يكن منى ، لأن عالم الفكر غير عالم الشُّهود ، ولأن الإقامة فى ظرف المكان لا تمنع القلب المتحرك من التجول فى آفاق العقول والقلوب والأحاسيس

وهذه الظاهرة الروحية تفسر المدوء « الظاهر » فى كتاب « وحى الرسالة » . فالكاتبُ يوهم قراءه أن حياته خَلَتْ من الابتلاء بالدنيا والناس ، وأنه يخاطبهم من شُرفة عالية لا تعرف ما يقع فى « الشوارع » من انحطاط وازلاق

والواقع غير ذلك

الواقع أن الزيات « يعيش » فى دنيا العصر الحديث ، فتجاريبه ليست تجاريب من يَعْبُر الطريق بلا وعى ولا إحساس ، وإنما هى تجاريب من له فى كل « شارع » دار وجيران . ويا ويل من كان له فى هذه الدنيا دار وجيران ، ولو اعتزل فى حدود الصحراء !

الزيات أديب له مجلة أسبوعية ، ومعنى هذا أنه يعرف الناس من جميع الأجناس ، ومعناه أيضاً أنه مسئول أمام من يباشرون تلك المجلة من عمّال ومراسلين ومحررين ؛ ثم معناه أنه مسئول أمام العقليات المختلفات فى مصر وفى الأقطار العربية ؛ وذلك يوجب أن يواجه الدنيا بعقل يقظ وقلب حساس

فإن لم تتفق التجارب الصحيحة لمثل هذا الرجل فلمن تتفق ؟

ومن الذى يفهم بلايا المجتمع إذا عزَّ فهمها على مثل هذا الكاتب الأسيف للدنيا والناس ؟

وهل يملك الزيات فى « خلوته الفنية » قدرة الاستهانة بزيارة رفيقة يمنّ بها طفلٌ كريمٌ لا يعرف أن الأديب له خَلَوات ؟

فما معنى ذلك ؟

معناه أن الزيات رجلٌ مسئول ولو أغلق بابه بألوف الأقفال

وفى هذا ما يكفى للحكم بأن موقفه فى فهم المجتمع موقف الأصيل لا موقف الدخيل

فهل يفهم طلبة السنة التوجيهية هذه المعانى ؟

ماذا أريد أن أقول ؟

أنا أريد النص على أن الأدباء الذين ظهروا فى هذا العهد لم يكونوا لاعبين ولا مازحين ، وإن توهم من لا يفهم أن فى أدبهم ميلاً إلى اللعب والمزاح فى بعض الأحيان

إن أدب المصريين فى هذا العصر هو الفَيْصَل بين عهدين : عهد الأدب الوادع الذى كان يعيش أهله فى رعاية الوزراء والأمراء والملوك ، وعهد الأدب المكافح الذى يعيش أربابه فى رعاية مواهبهم الذاتية ، فهم فى الأغلب موظفون أو مدرسون أو صحفيون ، ومن أجل هذا صح القول بأن أكثر أدباء مصر فى هذا العصر رجال أعمال

وهذه الحال أضرتْ من جانب ونفعت من جوانب : أضرتْ حين أيأست الأديب من الأريحية التى كان يعيش فى ظلالها أدباؤنا القدماء ، ونفعت حين قهرت الأديب على الإيمان بأنه لم يُخلَق إلا ليكون قوة فعّالة فى بناء المجتمع الجديد . وكذلك عاش الأديب مرفوع الرأس ، ولو اشترك بقلمه فى خدمة الأحزاب السياسية ، لأنه فى جميع أحواله عضو نافع فى المجتمع ، ولأن موقفه من الأحزاب قد يكون موقف الهداية لا موقف الخدمة . وأضاع الله من ينسى أن رجال السياسة يَدينون لرجال القلم أثقل الدَّين ؛ فبفضل الأقلام صار عندنا سياسة وسياسيون ، ولو كَرِه بعض الجاحدين !

والذى يهمنى هو دعوة الطلبة إلى التعمق فى فهم المؤلفات التى أحدثهم عنها فى هذه المقالات ، فهى مؤلفات متصلة بحياة المجتمع أوثق اتصال . وهى حين تعبّر عن تألم أصحابها من المجتمع

أو ارتياحهم إلى المجتمع سِجِلٌّ صادق لما فى الحياة الاجتماعية من قوة وضعف وتحليق وإسفاف

فإن نظر الطلبة إلى « وحى الرسالة » هذه النظرة رأوا فيه غير ما كانوا ينتظرون ؛ فهو ليس روائع لفظية أو بيانية ، وإنما هو تعبير عن آلام وآمال يحسّها أبناء الجيل الجديد ، حين تصح لهم مواجهة ما يعتلج فى صدورهم من آلام وآمال

والزيات لا يتكلم وحده عن تلك المعضلات ، وإنما يتمّ تصوير هذا العصر بتعقب ماظهر فيه من رسائل وقصائد ومؤلفات ، وذلك ما قصد إليه من وضعوا مسابقة الجامعة المصرية لطلبة السنة التوجيهية

وسننظر كيف ينتفع أولئك الطلبة بهذا المشروع المفيد

اختبار سهل

قال الزيات فى مقدمة « وحى الرسالة » إنه أعقب كل فصل بذكر اليوم الذى كتب فيه ، ولكنه مع ذلك أهمل تأريخ بعض الفصول ، فما هى تلك الفصول ؟ ولأي سبب أغفل التأريخ ؟

وأرخ فصلاً بالتاريخ الهجرى وكان يجب أن يؤرخ بالتاريخ الميلادى ، وأرخ فصولاً بالتاريخ الميلادى ، وكان يجب أن تؤرّخ بالتاريخ الهجرى ، فما ذلك الفصل ، وما تلك الفصول ؟ وفى أى المواضع يكون من الحتم أن ينص على تاريخ الهجرة أو تاريخ الميلاد ؟

وأهم فصل هو ما كتبه المؤلف « فى الجمال » وقد وقع فى هذا الفصل غلطتان مطبعيتان : الأولى تنافى المعنى ، والثانية تنافى السياق ، فما هاتان الغلطتان ؟

أنا أنتظر من أحد طلبة السنة التوجيهية جواباً عن السؤال الأخير لأشير إلى اسمه فى مجلة الرسالة إشارة تزيده ثقة بما فطر عليه من الفهم والعقل

وفى مقال الزيات « فى الجمال » فكرة منحرفة بعض الانحراف ، فما هى تلك الفكرة ؟

والزيات « فى الجمال » تلاقَى فى بعض مناحيه بكاتب معاصر ، فمن هو ذلك الكاتب ؟

وما شواهد الإغراب والاجتهاد فى هذا المقال وقد احتفل الكاتب لخَبَره فى أربعة أسابيع ؟

والزيات متأثر فى مناحيه الفنية والذوقية بمؤلف فرنسى مشهور تفرد أحد كتبه بالذيوع حتى طُبع أكثر من مئة مرة ، فمن هو ذلك المؤلف ؟

« يستعلم الطلبة من مدرسى الفلسفة بالسنة التوجيهية »

وذلك الكتاب الذائع قد ظهر أثره فى مقدمة كتاب لأحد أدباء العصر فى مصر ، فمن ذلك الأديب ؟ وما ذلك الكتاب ؟

غرة الكتاب

أهم فصل فى كتاب « وحى الرسالة » هو ما كتب الزيات « فى الجمال » وهو فصل يقع فى ثلاث عشرة صفحة ، وقد ضمّنه ملاحظاته الأساسية على فكرة الجمال وما يحف بها من مشكلات ومعضلات

والزيات لم يبتكر كل هذا الفصل النفيس، وإنما تجرد عن نفسه وأسبغ على الفكرة أثواباً « موضوعية » ليحوّلها إلى موضوع « كلاسيك » له قواعد وأصول ، وهو مع ذلك من المبتكرين فى أكثر نواحى هذا الموضوع الدقيق، فما هو الجمال أو ما هى أهم عناصر الجمال فى نظر هذا الكاتب ؟

لا أريد أن أحدّ من حرية الطلبة فى البحث والاستقصاء ؛ ولكنى أعتقد أن من الواجب أن أدلهم على أن الكاتب قد استشهد بآراء عربية وأفرنجية ، ولا يمكن للطالب أن يدرك هذا الموضوع بصفة جِدّية إلا إذا رجع إلى مصادر ذلك الاستشهاد ، فما هى تلك المصادر فى مؤلفات العرب واليونان والرومان ؟ وما هى الصور والرسوم التى تشرح الفكرة مع أن ثمنها لا يزيد على بضعة قروش؟

« يستعلم الطلبة من مدرسى الأدب والفلسفة بالسنة التوجيهية »

ثم ماذا ؟

ثم أقول إنى أنتظر أن يكون فى طلبة السنة التوجيهية مئات يظفرون بالفوز فى مسابقة الجامعة المصرية

ولو شئت لقلت إنى اطلعت على كثير من أجوبة الطلبة عن أسئلة امتحانات النقل والامتحان العمومية فلم أجد ما يرضينى ، لأن أكثر الطلبة يحفظون ولا يفهمون ، ولا قيمة للحفظ إذا انعدم الفهم ، فنحن نريد أن يكون أبناؤنا رجالاً يسمعون ويعقلون ، لا ببغاوات تحكى ما تسمع بلا إحساس ولا إدراك

جيـــل وجيل!

للأستاذ محمود البشبيشي

من الأجيال ما يطويه الزمن تبعاً لقانون الحياة، ولكنه يطوى الزمن تبعاً لقانون الفكر، فلا يذهب الزمن إلا بأهله، ويذهب فكر أهله فى الزمن كل مذهب! والذى يطيل فى عمر الأجيال برغم فنائها، ويُقصر فى عمرها وهى على قيد الحياة، هو قوة الروح فيها، وحيوية الفكرة فى مجموع أفرادها

... هذا ما أوحاه إلى حديث بينى وبين ولدى «حسين» وهو شاب له نظرته الخاصة فى نثره وشعره، لا يعترف بنظرة غيره إلا بمقدار ما فيها من صلات تربطها بفكرته وبصدق المنطق والعقل...

... تناقشنا، فكنت أنا وحججى أمثل جيلاً مضى، أو أوشك أن يمضى، يحاول أن يُحرج ويُقنع ويُصلح جيلاً جديداً تجسم فى نفس ولدى وفكره... وكان هو مؤمناً كل الإيمان بقوله، وإذا وجد الإيمان تفتحت أكمام الحياة والثناية عن ثغور النجاح باسمة جميلة...

... وحاولت أن أفهمه أن البقاء للقوى، وأن الذى لا يحصن نفسه، ولا يتخذ الأهبة للقاء الشرور والأفراح معاً لا يستطيع أن يقف على قدميه طويلاً، واضطرب أمام النسيم العابر قبل العاصفة الشديدة، وجار عليه كل من اتصف بالقوة وتحصّن بها... شخص كهذا يقطع مسافة عمره كما يقطعها الحيوان والنبات، لا يسلم من اعتداء القوى والضعيف!...

حاولت أن أفهمه هـذا فقال: إذن فأنت ترى أن البقاء للقوى، وأن الذى لا يتصف بالقوة مثله كمثل النبات والحيوان الضعيف، وظاهر قولك من حكمك على النبات بالضعف أن الإنسان يزرعه ليقلعه! وهذا ما يحدث... ولكنى لا أرى ضعف النبات كما تراه أنت ضعفاً بمعناه الذى هو ضد القوة، بل أراه قوة البقاء فى النبات! فالقوة عندى ليست تلك التى يقع تحت صفاتها التدمير والجور والشدة، وإنما هى قوة الروح فقط!

... وهذا الضعف فى النبات هو أسمى درجات قوة الروح، فأنت لا تقتلع النبات إلا بعد تمام اكتماله، أى بعد تمام قوة الروح فيه، فتستفيد منه بعـد ذلك غذاء وبناء للأجسام، وهذه الفائدة هى قوة الروح فى النبات، فهو لا يفنى لضعفه، إنما ليكوّن حياة أخرى ويجدد بناء آخر، الفضل فيه لقوة روحه الكامنة فى عناصره...

هكذا النبات، وفلسفة الطبيعة فى النبات، يضعف ليخلق قوة، ويفنى ليجدد حياة... وليت الإنسان كذلك...

— لقد أصبت فى ذلك يا بنى، ولكن الذى يصلح للنبات قد لا يصلح للانسان، والذى تراه أنت فلسفة فى طبيعة النبات قد لا تعترف به العقول البشرية — لا لضعف فيه — وإنما لأن هذه العقول قد اختلط بها من صفات الحياة القبيحة الكثير، فامتزج بها الطمع، ودفعها إلى حب السيطرة على أشياء الغير، فكانت العداوة، وكانت البغضاء، وشعر الإنسان بأن لا أمان من جانب أخيه الإنسان، وصار كل فرد إذا صادق ونسج ثوب الوفاء، نسج بجواره ثوب الرياء؛ وإذا أخذ العدة لحسن اللقاء، أخذ الأهبة لدواعى الفراق، فاضطربت الحياة... لهذه الأسباب يصعب تطبيق فكرتك على حياة الإنسان، ويصدق منطقها فى حياة النبات، لأن الطبيعة عادلة فى تصرفاتها، فلم تر نباتاً اعتدى على نبات، فظهر فى زمن نبات آخر. كل شيء يسير فى الطبيعة وفى منطقه عدل وحكمة، فللقمح ميعاد، وللقطن ميعاد، ولا يصلح الأول فى زمن الثانى. وهكذا سائر النبات... فهـل الإنسانية كذلك؟ لو كانت كذلك ما اشتعلت يا بنى

إذا استطاع طلبة السنة التوجيهية أن ينجحوا جميعاً فى المسابقة بتفوق مرموق، وأن يقهروا الدولة على قبولهم بكليات الجامعة المصرية بالمجان، فسيكون هـذا التفوق غرة فى تاريخ مصر الحديث

إن الدولة أمكنتكم من ناصيتها المالية، يا طلبة السنة التوجيهيـة، فعلّموها كيف تهرب من التعرض لذكائكم الموروث، فما كنتم ولن تكونوا إلا أزكى نبات فى أخصب أرض، وفى رعاية أصفى سماء

أنا معكم والله معنا، ونحن بالصدق والعزم أقوى من وزارة المعارف ومن الجامعة المصرية

وإلى الأسبوع المقبل فى تشريح كتاب حافظ عفيفى باشا. فلكتابه مَذاقٌ خاصٌ، لأنه يقدّم صوراً من أفق بعيد هو بلاد الإنجليز.

زكي مبارك

اليوم النيران ، واضطرب ميزان الحياة ، وذهبت الرحمة من القلوب

فقال : ليس معنى هذا أن الفكرة غير صائبة ، وأن فلسفة الطبيعة فيها نقص ، بل لعل ذلك يثبت ضلال الإنسانية وتحكم شهواتها في ميولها ونزعاتها الفكرية

— هذا حق يا بنى ، ولكن ما فرّط الناس فى أمور دنياهم والإنسانية والروابط الدينية ، إلا منذ أن فرطوا فى شخصيتهم وأخلاقهم ، فأصبحوا لا يحكمهم شعور حى ، ولا يقيد شرورهم رحمة ، وساء تقديرهم للأشياء ، فعبدوا الكم ، وابتعدوا عن الكيف ! ونشأ فيهم اختلاف الطبقات ، فقدروا الغنى بالمال ، والفقر بقلته ، ما أبعد القوم عن الصواب . . . ما أبعدهم !

ورب فقير له من عزة نفسه ثروة تسجد أمامها جبابرة السنين . . . ورب غنى تمر به الأيام كما تمر على الجماد لا تشعر به لأنه فقير الروح !

— أنت ترى يا والدى أن سبب انحدار الإنسانية هو التفريط فى أمور الدنيا والدين . . . وأنا أرى أن السبب هو فساد التأمل فى أفرادها واختلاطه بحب الذات ، فأصبح الإنسان لا يرى الشىء حسناً إلا إذا كان له نصيب من حسنه ! . . . ولكن هناك تأملات نقية وتأملات ساقطة . . . وأكبر الظن أن سر اضطراب الإنسانية اليوم هو تغلب التأملات الساقطة التى غلب عليها حب الذات . . . ولا بد للحياة من تأمل . . . إما فى غاية الحياة ومثلها العليا الإنسانية ، وإما فى الخلاص من قيود الحياة ومثلها الإنسانية العليا . وفرق بين التأمل الأول والتأمل الثانى

يصل بك الأول إلى الغاية — إذا صدقت فيه — ولم تأخذ فى ظنون الأمور بيقينها . . وهذا النوع كان موجوداً فى أيام طفرة الإسلام الأولى ، أيام كان تأمل الرسول الكريم يتغلغل فى المسلمين جميعاً . . . ما أحوج الإنسانية اليوم إلى هذا التأمل ، فإنه إذا وجد فى أمة بثَّ فيها روحاً يجعلها لا تصلُ بين شرِّيرها ومجاهدها الصادق إلا بمقدار ما يُصلح الثانى من أمرِ الأول ، ولا تحث على جوار النقائض إلا بمقدار ما يُشعر الحسَنُ القبيحَ بأن فيه قبحاً ! !

— إذن أنت ترى يا بنى أن الإنسانية اليوم تأملت ، ولكن فى الخلاص من قيود الحياة وثقل مُثلها الإنسانية وتبعاتها . . . هذا حق يا بنى ، فإن الفضائل اليوم أصبحت قيود الحياة ، لأن الإنسان قد غرق فى الشهوات وحب الذات ، ولأن نفسه قد فسدت فرأى الشرور فضائل ! !

وما هذه الحرب الضروس غير صورة لفساد تأمله . . . لقد صبغت الحرب يا بنى كل شىء فى الحياة بصبغة سوداء ، ظاهرها الخوف وباطنها الموت والدمار ، فدعنا من فلسفة تقودنا إليها ، وعرّج بنا على ناحية أخرى ... فقد عرفت منك أن التأمل أساس الحياة ، وأن هناك تأملاً فى غاية الحياة ومثلها ، وتأملاً فى الخلاص من غاية الحياة ومثلها وتبعاتها ، وأن الجيل يفسد بفساد تأمله ، كما قلت لى إن القوة هى قوة الروح ، وإن الضعف والفناء قد يكونان قوة سامية ما دام الضعف يولد قوة ، والفناء يجدد حياة ... عرفت كل هذا فأحسست أن الجيل الحديث — متجسماً فى روحك وفكرك — يختلف كل الاختلاف عن جيلنا الذى ذهب بعضه وبقى بعضه ! وأدركت أن الأجيال تتأثر بالفكرة التى تتولد فيها وتمتاز بها ، ولكنى لا أزال أشعر بامتياز جيلنا بالقوة والهيبة والشهامة . . . أحس فيه الهيبة الفطرية التى تتجلى فى رهبة الابن لوالده والتلميذ لأستاذه ، وكل الناس أمام رجل الدين . ولا زلت أشعر بامتيازه بسعة المعارف والمدارك وقوة الصبر والمجالدة . ولعل الدكتور زكى مبارك على حق فى ثورته على شباب الأدب اليوم ، وقلة صبرهم واضطلاعهم ...

فقال : هذا حديث آخر أحب أن أطلعك على خواطرى فيه ، فهنا خزان ماء صناعى يُزوَّد بالماء فى كل وقت ، وهناك نبع سيال له من طبيعته مدد لا ينقطع ، فأيهما تراه أنفع وأفضل ؟ إن الأدباء كذلك : فيهم من استفاد علمه وأدبه من كثرة الاطلاع ، فهو مقيد بألفاظ محفوظة ، وأفكار مسبوقة ، وإذا جاء منه الجديد جاء بعد عناء . وفيهم من فطر على دقة الحس وسهولة الطبع ، فهو يغرف من بحر متماوج بين وجدانه وعقله . كل أفكاره جديدة لأن شعوره الفطرى يتجدد ، ومن هؤلاء الفلاسفة من الشعراء والكتاب ، وقد يكون بعض الشباب اليوم من النوع الثانى

— هذا حق يا ولدى ، ولكنك لا تستطيع إنكار فضل الكثير منا ، فقد كشفنا لكم ظلمة الطريق وقدنا القافلة وسط تيارات من الشدة والظلم ، حتى وصلنا بكم إلى النور ، وحتى استطاع الابن منكم أن يجادل الوالد ويناقشه ! واضطر الوالد أن يقبل منه النقد لأنه هو الذى هداه إلى سبيله !

— حقاً أنا وغيرى لا نستطيع إنكار قدرة الأستاذ الزيات على حسن الصياغة ودقة المعنى وعبقرية الفكرة ، وسهولة الدكتور

السنوسيون

للأستاذ حسين جعفر

السنوسيون هم طائفة من الإخوان المسلمين تعتقد بولاية السنوسى . ومؤسس هذه الطائفة هو السيد محمد بن على ابن السنوسى الخطابى الحسنى الإدريسى المهاجرى ، ويسمى عادة الشيخ السنوسى أو السنوسى الكبير . ولد بالقرب من مستاجانم ببلاد الجزائر ، وأطلق عليه اسم السنوسى تيمناً بولى من أولياء الله موجود قبره بالقرب من تلمسان . وتاريخ ميلاده غير معروف بالضبط ، والمصادر المختلفة ذكرت السنين : ١٧٩١ ، ١٧٩٢ ، ١٧٩٦ ، ١٨٠٣ ميلادية

وهو ينتمى إلى قبيلة ولد سيدى عبد الله، ويتصل نسبه بالسيدة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحينما كان صغيراً قضى بضع سنوات فى فاس حيث درس التوحيد والفقه الإسلامى . ولما بلغ الثلاثين غادر مراكش فى رحلة إلى المناطق الصحراوية الواقعة فى بلاد الجزائر ، داعياً إلى إصلاح العقيدة والإيمان ، ومن الجزائر رحل إلى تونس ومراكش فالتف حوله كثير من المريدين والأتباع .

ثم ذهب إلى القاهرة حيث عارضه علماء الأزهر الشريف وعدوه مبدعاً فى أحكام الدين، فغادر مصر إلى مكة وهناك اتصل بسيدى محمد بن إدريس الفاسى زعيم الطريقة القادرية المراكشية . ولما توفى سيد محمد بن إدريس الفاسى أصبح السنوسى رئيساً لأحد فرعى طريقة القادرية . وقد أسس أولى زواياه فى سنة ١٨٣٥ فى أبو قبيس قريباً من مكة ، وأثناء إقامته بشبه جزيرة العرب اتصل بالوهابيين ، وكان لهذا الاتصال أثر محسوس فى النظر إليه بعين الشك والارتياب من علماء مكة . وفى مكة نفسها اكتسب السنوسى أكبر وأقوى عضد فى شخص محمد شريف أمير واداى الذى تولى ملكها فى سنة ١٨٣٨ وهى أقوى إمارة إسلامية فى وسط السودان . وحينما وجد السنوسى معارضة قوية فى مكة غادرها فى سنة ١٨٤٣ إلى برقة وهناك بالجبل الأخضر أسس الزاوية البيضاء بالقرب من بلدة درنة . وكان على اتصال دائم ووثيق بجميع المغاربة ، وأيده كثير من الأتباع الطرابلسيين والمراكشيين

وكانت الحكومة العثمانية الحاكمة لطرابلس فى ذلك العهد

زكى مبارك وجمال عبارته الفنى الذى يخيل إلىّ أنه ينسجها من روحه ودمه ، وتسلسل الدكتور طه حسين واختصاصه بأسلوب رائع ، ومنطق الأستاذ أحمد أمين وحرصه على الفكرة ، لا أستطيع أن أنكر هؤلاء جميعاً وغير هؤلاء لأنى أبحث عن الحق ، كما أنى لا أستطيع أن أنسى الرافعى وسحر الرافعى وشوق وحافظ والزهاوى ، لا أستطيع أن أنكر فضلهم ، كما أحب ألا ينكر منا النابغ ... فقد كان منا الشابى وشقيق الراحل ؛ ولم يزل فينا صالح جودت ، والعطار ، ومحمود اسماعيل ، ومختار الوكيل ، والعوضى الوكيل . ولم يزل فينا الذى يقول :

قد عصرتُ الفؤاد خمرة وجد وسكبت المصير فى شفتيك
فسكرنا من الغرام وجُنَّت نشوةُ الحب من سنا عينيك
قبلات الهوى صلاةُ محب قيَّد الحبُّ أصغريهِ عليك !

والذى يقول :

داعبت ثغرها بثغرى وقالت دائماً أنت فى ابتسام وفنّ
قلت لا غرو لو تبسم ثغرى مُذ رأى القلب فى الضلوع يغنى

ومنا الذى يقول :

لا تهابى الفناء روحى يوماً إنما المرء لا محالة مودى !
واضحكى واسخرى فدهرك يجرى ضاحكا ساخراً لتلك اللحود !

ثم فينا الذى يقول :

فسيرى بىَ يا ربة آلامى إلى السدره
فإنى ضقت بالإنسان لما أفسد الفطره
ألا يا ليتنى همت كما هامت به فكره
ولم ألق إلى الأرض كياناً سجنه بَشره

***

وأخيراً ما أجمل أن يتناقش جيل وجيل ! وما أروع حديث الأب لولده والولد لوالده ! إن فى مثل هذا الحديث صلة روحية تسعد الآباء ، وتشرح صدر الأبناء ، وتخلق فى نفوسهم صفة الاعتماد على النفس واستقلال الشخصية .

محمود البشبيشى

حاشية : كل ما جاء على لسان ولدى « حسين حسنى محمود البشبيشى » فهو من فكره ويكاد يكون فى ألفاظه .

تنظر إلى انتشار نفوذ السنوسية بعين غير عين الاستحسان . ومن الجائز أن انتقال السنوسي في سنة ١٨٥٥ إلى جغبوب وهي واحة صغيرة في الشمال الغربي من واحة سيوة على خط عرض ٣٠ كان لرغبته في تجنب الاحتكاك بالأتراك . وهناك في جغبوب توفي إلى رحمة الله في سنة ١٨٥٩ أو سنة ١٨٦٠ وخلف ولدين : الأكبر محمد شريف، سمي كذلك تيمناً باسم سلطان واداي ولد سنة ١٨٤٤، والثاني المهدي ولد سنة ١٨٤٥ . وقد خلفه في زعامة الإخوان المهدي . ويقال إن الولد الأصغر أظهر ذكاء وكفاية أكثر من أخيه ، ولذلك قرر الوالد أن يختبرهما ؛ وأمام جميع الإخوان في جغبوب أمر ولديه بتسلق نخلتين عظيمتي الارتفاع وسألهما باسم الله ورسوله أن يقفزا إلى الأرض ، فقفز المهدي في الحال ولم يصب بسوء في حين رفض الأكبر . وإلى المهدي الذي لم يخش أن ينفذ إرادة الله انتقلت ولاية العهد التي كانت من نصيب الأكبر . ويظهر أن محمداً قبل مصيره هذا بلا تذمر ، وقد تولى القضاء والتشريع في زاوية الإخوان تحت رياسة أخيه إلى أن توفي إلى رحمة الله في سنة ١٨٩٥

السنوسي المهدي

كان عمر السنوسي المهدي حين خلف والده أربعة عشر عاماً ومع ذلك كان يتمتع بجميع ما كان يتصف به والده من الشهرة والحكمة والعلم .وقد فاتنا أن نذكر أن الأمير محمد شريف سلطان واداي توفي سنة ١٨٥٨ ، وخلفه السلطان علي الذي حكم حتى سنة ١٨٧٤ والسلطان يوسف وتولى الحكم حتى سنة ١٨٩٨ وكلاهما كان مخلصاً في اتباع تعاليم السنوسية . وفي عهد السنوسي المهدي انتشرت تعاليم السنوسية من فارس إلى دمشق ومن القسطنطينية حتى الهند . وكان للطريقة في الحجاز أتباع عديدون ، وفي معظم هذه الأنحاء احتلت السنوسية مركزاً قوياً يفوق كثيراً من الطرق الإسلامية الأخرى . أما في بلاد النيجر وهي تقع شمال بلاد نيجريا فلم تنل السنوسية نجاحاً ، ذلك لأن مسلمي هذه البلاد ما كانوا يعترفون إلا بسلطة سلطان سوكوتو ، ولكن الحال كان مختلفاً في الصحراء الشرقية وفي أواسط السودان ، فإنه من حدود مصر الغربية جنوبي دار فور وواداي وبرنو ، وغرباً إلى بيلما ومرزوق، وشمالاً إلى شواطئ طرابلس كان السنوسي المهدي أقوى شخصية وكان له من النفوذ ما يجعله الحاكم الفعلي ، ولذلك كانت الواحات المنتشرة في صحراء ليبيا تحتل وتزرع بواسطة السنوسيين؛ وازدهرت التجارة مع طرابلس وبني غازي واستقر النظام والأمن بين البدو الرحل قاطني الصحراء

وبالرغم من أن والده سماه المهدي فإنه لا يوجد أقل دليل على أنه ادعى أنه المهدي المنتظر ولو أن بعض أتباعه يعتقدون فيه ذلك. وحينما قام محمد أحمد الدنقلاوي بثورته على المصريين في شرق السودان وادعى أنه المهدي المنتظر قلق السنوسي وأرسل وفداً عن طريق واداي إلى محمد احمد فوصل الوفد إلى معسكره في سنة ١٨٨٣ بعد سقوط مدينة الأبيض بوقت قليل . ونترك هنا للسير ريجنالد ونجت وصف ما حدث كما جاء بكتابه عن المهدية والسودان المصري الذي ظهر سنة ١٨٩١

كان وفد السنوسي مشبعاً بتعاليم السنوسية الدينية والأخلاقية فراع الوفد المذابح والخراب البادي حول محمد أحمد أينما حل، وكان الوفد يشعر بأن هداية العالم بواسطة المهدي المنتظر تكون بتأثيره في الغير كي يحيا الناس حياة صحيحة معتدلة عمادها العمل الشريف والاعتماد على النفس . وقد شاطر السنوسي المهدي وفده هذا الشعور وقرر قطع كل صلة بالمهدي السوداني بالرغم من أن محمد أحمد أرسل إليه مرتين ليقبل أن يكون أحد خلفائه الأربعة ، رامياً بذلك أن يكسب تأييد السنوسي ذي التأثير العظيم على المصريين ، ولكن ظلت رسالتاه بلا رد . وفي الوقت نفسه حذر أهالي واداي وبرنو والبلاد المجاورة بأن ينفضوا أيديهم من كل ما له علاقة بأمور السودان . ويجب ألا يخفى أن الثورة التي حدثت في سنة ١٨٨٨ وسنة ١٨٨٩ في دارفور ضد الخليفة عبد الله التعايشي كانت تدار باسم السنوسي

اشتباك السنوسية مع الفرنسيين

قلق الأتراك من ازدياد شهرة الشيخ السنوسي مرة أخرى . وقد لاحظ السلطان عبد الحميد الثاني أن سلطة الشيخ في كثير من أجزاء طرابلس وبنغازي أعظم من سلطة الحكام العثمانيين . ففي سنة ١٨٨٩ زار الشيخ السنوسي في جغبوب حاكم بنغازي التركي على رأس بعض قواته . وكان هذا الحادث سبباً في ترك الشيخ لجغبوب ونقل مركزه إلى الجوف في واحة الكفرة ،

وهو مكان بعيد بعداً كافياً يجعله فى مأمن من أى هجوم مفاجئ

وحوالى هذا الوقت بدا خطر جديد على السنوسية ، وهو أن الفرنسيين كانوا يزحفون من الكونغو متجهين إلى حدود مملكة وادای الغربية والجنوبية . وقد رأى السنوسى فى سنة ١٨٩٨ أن يجمع فى اتحاد واحد جميع البلاد المهددة من الزحف الفرنسى ، ولذلك فكر فى التحالف مع رابح الزبير وسلطان بجرمى ولم يكونا من أتباع السنوسية ، ولذلك كان سعيه بلا نتيجة

وفى وادای كان خلف السلطان يوسف وهو السلطان إبرهيم الذى تولى الملك سنة ١٨٩٨ يهمل نصائح الشيخ ، مشجعاً فى ذلك بهزيمة الخليفة عبد الله التعايشى فى أم درمان . وكان رد السنوسى على هذا أن حرم على أهالى وادای تدخين التبغ وشرب المريسة (البيرة الوطنية) فأرسل السلطان إبرهيم إلى السنوسى بأن شعبه يحارب ويموت فى سبيل المريسة ، وأنهم قد ينبذون تعاليم السنوسية ليشربوها . وكان السنوسى المهدى حكيماً فى تنازله عن رأيه ، معلناً أن الله أجاب على صلاته بأنه جل شأنه قبل أن يستثنى أهالى وادای من هذا التحريم . ولما توفى السلطان إبرهيم سنة ١٩٠٠ وقع خلفاؤه تحت سلطان السنوسى المهدى مرة أخرى

وفى سنة ١٩٠٠ غادر السنوسى واحة الكفرة إلى دار جوران على الحدود الغربية من سلطنة وادای، وهناك فى جيرو على قمة التل الصخرى أنشأ زاوية وحصنها تحصيناً قوياً رامياً بذلك أن يصد أو على الأقل يعوق تقدم الفرنسيين الذين قتلوا – فى نفس هذه السنة – رابح الزبير فى معركة واحتلوا بلاد بجرمى . ورأى الشيخ أيضاً أن يمنع الفرنسيين من احتلال قانم وهى بلاد تقع فى الشمال الشرقى من بحيرة تشاد على الحدود الصحراوية . وبذلك للمرة الأولى بدأ احتكاك السنوسية بالقوات الأوربية

وقد كان هناك اعتقاد بين بعض الرحالة الفرنسيين والإنجليز أن السنوسيين ربما يعلنون حرب الجهاد وأنهم بذلك ينالون مساعدة جميع المسلمين فى شمال وغرب أفريقيا، وهذا الاعتقاد كان بعضه مؤسساً على تعاليم السنوسية ذاتها والبعض الآخر على التخيلات المبالغ فيها من قوة السنوسيين

وكان عدد محاربى السنوسية الذين يدينون بالطاعة للسنوسى مباشرة عدة آلاف قليلة . ولذلك كان السنوسى يعتمد على سلطته الروحية وتأثيره فى هؤلاء الذين قبلوا تعاليمه بأن يأتمروا بما يريد

ويستدل من تاريخ السنوسى الأول والسنوسى الثانى على أنهما كانا دائماً فى صف المدافع . والسنوسى المهدى فى تعرضه للفرنسيين لم يكن فى الحقيقة يقوم بحرب هجومية ، وقد أضعف مركزه أنه لم يجتمع تحت إمرته من القبائل عدد عظيم

فأخذ يحارب فى قانم مع أتباعه من البدو متلقياً مساعدات قليلة كان يقوم بها أهالى هذه المدينة ، وفى أثناء ذلك أنشأ زاوية فى بيرعلالى ، وهى ملتقى تجارة طرابلس بالبلاد الموجودة حول بحيرة تشاد ، وحصنها تحصيناً قوياً واستؤنفت الحرب واستمرت ما يزيد على السنة ، وبعد قتال شديد سقطت بيرعلالى فى يد الفرنسيين فى يناير سنة ١٩٠٢

وقد تأثر السنوسى المهدى بهذه الهزيمة ومات بعدها بقليل فى ٣٠ مايو سنة ١٩٠٢ فى جيرو ودفن فى زاوية التاج ولكن البدو يعتقدون حتى الآن بأنه ما زال حياً وأنه غادرهم فى مهمة سرية

وكان أبناء المهدى السنوسى صغاراً قاصرين ، فانتقلت زعامة الإخوان إلى ابن أخيه السيد أحمد الشريف وهو رجل طموح ذو مقدرة فائقة ولكن تعوزه حكمة من سلفيه . واستمر سيدى أحمد فى سياسة عمه وهى مقاومة الفرنسيين ، ولكن رغم جهوده وبعد كفاح طويل دام من سنة ١٩٠٤ حتى ١٩١١ سقطت وادای فى أيديهم ، وبذلك انهار سلطان السنوسية فى أواسط السودان .

وكان السنوسيون يحتفظون لمصر وللسلطات البريطانية فيها بأجمل الود . ولما رأى سيدى أحمد نشاط الفرنسيين استحسن الانتقال إلى الجوف فى واحة الكفرة . وهناك وعلى واحات أخرى فى صحراء ليبيا كان السيد المطلق ، ولم يكن لاعتراف فرنسا بأن الصحراء واقعة فى دائرة النفوذ البريطانى أى أهمية لديه

وكان عدد أتباعه فى مصر دائماً فى ازدياد ، وفى الإسكندرية كان يعيش السيد محمد الإدريسى أكبر أبناء المهدى السنوسى وسط أملاكه مستقبلاً أتباع السنوسية من جميع أنحاء البلاد

(البقية فى العدد القادم)

حسين جعفر
المهندس الزراعى

عراك فى معترك

أى معترك !

فصل فى الرمزية

للأستاذ زكى طليمات

فى مقالينا السابقين[١] ، دفعنا تهماً مصنوعة لا تقوم على حجج علمية ، كما كشفنا عن مغالطات صريحة متعمدة لم يجد الأستاذ محمد متولى سواها مطية للرد علينا ، ليوهم نفسه ويوهم القارىء العابر أنه سوّد ثلاث صفحات تلمع ببهرج الجدل الفاسق

فعلنا هذا بعد أن جعلنا دبر آذاننا سباباً ومهاترات لفظية من جانبه تقيم الحجة على أن الأستاذ متولى لم ينزل إلى موضوعية النقد فيما نحن بصدده ، بل انحرف إلى أطراف الموضوع يشدها ويشدها ، متخذاً منها أرجوحة تطوحت به إلى فضاء ما كنا نحب أن نراه يشغل فراغه !

حول الرمزية الفنية

وإذا قلنا إن متولى لا يريد أن يفهم ما نكتب ، أو هو يفهمه ثم يتجاهله ، لما قررنا غير الواقع !! وآية ما نذهب إليه — وقد سقنا قبل ذلك آيات بينات — أننا قررنا ، فيما سبق أن كتبناه[٢] رداً على مقاله الأول[٣] ، أن متولى يخلط بين ألوان الرمزية ، وأيدنا ذلك بقولة من كلام (ريبو) نفسه ، مرجع متولى الأوحد فى كل جدل[٤] ، ثم شفعنا ذلك بتعليق آخر وارد فى نفس الكتاب (صفحة ١٦٩ — ١٧١) ، وهو تأييد لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فكان أن طلع علينا متولى بما زاده إمعاناً فى خطئه وفى حيرته ، ومرد هذا أن متولى هو أول من أسمى الرمزية الميتافيزيقية ، أو رمزية ما وراء الطبيعة ، أو الرمزية الفلسفية عند (ريبو) ، باسم (الرمزية الفنية)[٥] وها نحن أولاء نسجل جلته التى وجهها إلى الدكتور بشر فارس: « ألست تحدثنا بهذا النزوع الصوفى ناسياً الفرق بين الرمزية الصوفية التى تفيض عن المخيلة والشعور ، والرمزية الفنية التى تعتمد على المخيلة مضافاً إليها عنصر عقلى كما يقول ريبو » . أسمى متولى هذه التسمية عن عدم تثبت أو عن قصد مرسوم — أيهما لا أدرى — فلما جاريناه تساهلاً فى هذه التسمية التى هى وليدة مخيلته المبتدعة وليست وليدة مخيلة (ريبو) ، وناقشناه على هذا الأساس ليفهمنا ويتبعنا ، مدللين على أن متولى يخلط بين ألوان الرمزية لينفى عن مسرحية (مفرق الطريق) طابع الرمزية الأصيل ، قام يتهمنا بما أخذناه عليه ، وكأنه يأبى أن ينزل إلى حق أوحجة أو برهان ...

ولكننا أوتينا الصبر والجلد ، وها نحن أولاء نقدم فصلاً (فى الرمزية) كما أرادها (ريبو) فى محاولته (Essai sur l'imagination créatrice)[١] ، وليس كما أرادها الأستاذ متولى فى مقاليه السابقين ، وسنسوق فى عرض هذا الفصل الأخطاء التى تورط فيها متولى عفواً أو عمداً

المخيلة فى رأى ريبو

يقسم (ريبو) المخيلة قسمين رئيسيين عامين كلاهما إزاء الآخر مكان الماء من النار

١ — القسم الأول ، وأسماه (ريبو) المخيلة المصورة Imagination Plastique وخاصيته وضوح الصور الجزئية وتحددها ، وقربها من الإدراك ، وإيهامها بأنها حقائق ، وتداخل بعضها فى بعض لصلات بينها موضوعية ، قابلة للتعيين بدقة ، ومن ضروب هذه المخيلة : مخيلة المثال والمهندس والشاعر الوصفى ، وبعض أرباب العلوم والصناعات

٢ — والقسم الثانى ؛ وأطلق عليه ريبو اسم (المخيلة السيالة) Imagination Diffluente وخاصيته التقريب بين صور جزئية غامضة ملتبسة فياضة ، ويكون هذا التقريب على هوى الاستعداد الشعورى من غير قاعدة ولغير سبب منطق . ومن ضروب هذه المخيلة : أحلام اليقظة ، وجولان الفكر ، وتلفيق القصص ، وبعض التصورات الدينية ، وبعض ألوان الفن ، مثل فن الرمزية ولا سيما « الأدب الرمزى » الذى كان فى عصر (ريبو) حين صدور كتابه ، أى قبل عام ١٩٠٠

---

(١) الرسالة رقم ٣٨٣ ، ٣٨٤

(٢) الرسالة رقم ٣٧٩ ص ١٥٤٨ العمود الأول . س ٢٩

(٣) الرسالة رقم ٣٧٦

(٤) طبعة باريس ١٩٢٦ ص ١٩٦

(٥) راجع مقال الأستاذ متولى . الرسالة رقم ٣٧٦ ص ١٤٤٩ س ١٠ العمود الأول

(١) مرجعنا فى هذا البحث الطبعة السابعة من هذا الكتاب التى صدرت فى باريس سنة ١٩٢٦

ويذهب (ريبو) بعد ذلك إلى أن للمخيلة أنواعاً أخرى أقل عموماً من القسمين السابقين . منها (المخيلة الصوفية) . وفى رأى (ريبو) أن هذه المخيلة الصوفية تمت بسبب إلى « المخيلة السيالة » ولا سيما فى شكلها الشعورى ، وإن كانت لها خصائصها ، وهنا يحلل (ريبو) هـذه المخيلة ، ويميزها عن المخيلة الدينية والمخيلة الفلسفية[1]

ذلك هو مجمل مذهب (ريبو) فى المخيلة على أقسامها وضروبها . والآن نرجع إلى ما كتبه الأستاذ متولى فى الرمزية ، ونراجع استشهاداته لنتبين مدى فهمه ومقدار أمانته وهو يستند إلى كتاب مطبوع متداول . وفيما سنورده أقوال جديدة وأخرى سبق أن رددنا بها أخطاء الأستاذ متولى فى مقالاته السابقة ، وقد آثرنا تكرارها لترد متراصة فى صعيد واحد مع هذا الفصل ، بعد إيفائها حقها من الشرح والبيان :

١ — ظن متولى أن الرمزية فى توطئة مفرق الطريق محض صوفية ، فخاطب صاحب السرحية قائلا : « ألست تحدثنا بهذا النزوع الصوفى ناسياً الفرق بين الرمزية الصوفية التى تفيض عن المخيلة والشعور ، والرمزية الفنية التى تعتمد على المخيلة مضافاً إليها عنصر عقلى ، كما يقول (ريبو) »[2]

وإلى القارئ نص (ريبو) ص١٩٦ س٨ـ١١ عن التفريق بين الرمزية الدينية ، ورمزية ما وراء الطبيعة أو الفلسفية : « إن الرمزية الصوفية إذا اتجهت نحو الدين فإنها تعتمد على عنصرين أساسيين : هما التخيل والشعور ، وإذا اتجهت نحو الفلسفة أو ما وراء الطبيعة فإنها تعتمد على المخيلة مضافاً إليها عنصر عقلى واهن » فالقارئ يرى من معارضة حديث متولى بنص (ريبو) أن الناقد اعتسف الكلام إذ نسب إلى ما يسميه هو (الرمزية الفنية) ما خص به (ريبو) « الرمزية الصوفية » المتجهة نحو ما وراء الطبيعة أو الفلسفية . هذا ، وأما العنصر الذى خص به (ريبو) « المخيلة السيالة » فهو الاضطراب facteur émotionnel (راجع كتاب (ريبو) المذكور ص ١٧١ س ١٠ ـ ١٢) . وقد تقدم أن « المخيلة السيالة » هى التى تتمثل فى فن الرمزيين l'art des symbolistes . وهذا الفن — ومعظم كلام (ريبو) عليه فى ناحية الأدب ، وثمة إشارة إلى ناحية التصوير — يصبح بجرة قلم من الأستاذ متولى يحمل اسم « الرمزية الفنية » !!؟

وللقارئ أن يتأمل كيف خلط متولى الرمزية الصوفية بالرمزية فى الأدب والتصوير فجعلهما شيئاً واحداً ، هذا فى حين أنهما عند (ريبو) منفصلان أساساً وتقع كل منهما فى باب مستقل عن الآخر

هذا والمتمعن ذو النظرة العلمية السليمة فى توطئة « مفرق الطريق » يلحظ أن « الاضطراب » facteur émotionnel هو من أساس الإنشاء الفنى فيما نريد أن نقرره (راجع مثلاً القسم الخاص بالرقص فى التوطئة المذكورة)

٢ — يعود الأستاذ متولى إلى الرمزية الصوفية التى فى التوطئة الفنية البليغة فيقول مخاطباً صاحب المسرحية : « ألم تحدثنا بهذا أيضاً مع أنه وصف للتخيل الصوفى الذى يؤلف بين الصور الباطنة المبهجة ويستخرج منها رموزاً يستعملها كما هى بمكس الرمز فى الفن الذى يحصل من (تحليل الصور) والحركات والألوان ؟ »[1]

وإلى القارئ نص (ريبو) (ص ١٨٧ س ١٧ — ٣٠)

« إن مصدر طرافة المخيلة الصوفية أنها تحوّل الصور المعينة Images concrètes إلى صور رمزية فتستعملها على أنها كذلك comme telles لا كما هى ، ونوع تعبير المخيلة الصوفية لا بد له من أن يكون تركيباً

وتختلف الرمزية الصوفية — بسبب هذا النوع وبالأدوات التى تستخدمها — عن المخيلة الشعورية affective التى وصفناها آنفاً (السيالة) وعن المخيلة الإحساسية sensorielle (يعنى المصورة[2]) التى (تستخدم) الصور والحركات والألوان على أنها لها قيم خاصة »

فالقارئ يرى أن متولى عكس الكلام وقلب الحقائق ، إذ نسب إلى (المخيلة السيالة) ما نسبه (ريبو) إلى (المخيلة المصورة) من أن الصور والحركات والألوان « تستخدم » لديها ، (لا تحلل كما توهم متولى فى الترجمة !) على أن لها قيما خاصة ، وقد

(١) نفس الكتاب السابق الذكر . القسم الثالث ، الباب الأول والثانى والثالث ، ص ١٤٧ ـ ١٩٧

(٢) مقال الأستاذ متولى الرسالة ٣٧٦ ص ١٤٤٩ س ١٠

(١) مقال الأستاذ متولى ـ الرسالة ٣٧٦ العمود الأول ص ١٤٤٩ س ١٨ — ٢١ .

(٢) تقدم بنا فى عرض مذهب ريبو أن « المخيلة السيالة » قوامها الشعور ، affective فى حين أن « المخيلة المصورة » قوامها الاحساس ، sensorielle . راجع كتاب « ريبو » ص١٥٤س٣ـ٥، ص١٨٤ كلها

تقدم بالقارئ أن (المخيلة السيالة) ضد (المخيلة المصورة) وها نحن أولاء نسجل نص (ريبو) فى التفرقة بين هاتين المخيلتين كما هو وارد فى الكتاب المذكور ص ١٦٣ س ١ — ٢ ، ص ١٦٥ س ٤

Ainsi l'imagination dtffluente est, traits pour trais, le contraire de l'imagination plastique.

٣ — ويقول الأستاذ متولى : « ثم ما رأيك فى أن (ريبو) يقصد بالرمز فى الفن أن يفقد بعض الألفاظ استعماله المعقول المعروف ليدل على معنى جديد بينما أنت[1] »

وإلى القارئ نص ريبو « ص ١٧٠ » عند الكلام على أساليب الكتاب الرمزيين الذين يعمدون إلى الإيحاء فى التعبير ويترجون بالألفاظ عن اضطرابهم أكثر مما يترجمون عن تمثلاتهم : « الأسلوب الأول أن تُستَعمَل الألفاظ الجارية مع تبديل مدلولاتها المتعارفة ، أو أن يؤلف بينها بحيث تفقد معانيها المحددة ، وأما الأسلوب الثانى فاستعمال ألفاظ جديدة أو ألفاظ مهجورة ، وأما الأسلوب الثالث ـ وهو الأقطع هنا ـ فأن تجعل للألفاظ قيمة اضطرابية فحسب »

فأنت ترى أن السيد متولى استشهد بجزء من كلام (ريبو) ليؤيد نظره المتعرض ، وإلا فكيف يبرر وقوفه عند الشطر الأول من الأسلوب الأول لكتّاب الرمزيين ، ثم تركه الشطر الثانى من هذا الأسلوب ، ثم الأسلوبين الآخرين ؟ !

سبب هذا الترك المتعمد ، ثم هـذه الترجمة البتراء ، أنه جاء فى توطئة (مفرق الطريق) أن مؤلفها يعمد الرمز عن التشبيه والكناية ومختلف ضروب المجاز ـ وهو ما قصد إليه (ريبو) فى الشطر الأول من الأسلوب الأول ـ وعلى ذلك فقد زيّن اعتساف النقد المتعرض لمتولى أن يسقط من كلام (ريبو) ما لا يصح أن يكون عكازاً له ! !

٤ — وهناك خلط آخر ، والعجب ممنوع مقدماً ...

وقف القارئ فى عرضنا لمذهب (ريبو) على أن ريبو يدخل تحت (المخيلة السيّالة) بعض التصورات الدينية وبعض ألوان الفن . ويشرح ريبو كيف تدخل هـذه وتلك تحت المخيلة المذكورة . وقد عُنِيَ بأن يفصّل بينهما فى السياق ، فجاء كلامه على كل منهما قائماً بذاته (أنظر صفحة ١٦٦ — ١٧١) . ثم إنه ضرب مثلاً على التصورات الدينية المخيلةَ الهندية التى تعمل عن طريق الرمز per symbolisme فتمثل الآلهة بعدة أرؤس وأذرع وأرجل لتدل على الفطنة والعزة اللتين لا حد لهما[1]

وهذا الأسلوب فى التمثيل والتعبير معروف ، وهو الرمز بشيء إلى شيء آخر ، وهو أولى فطرى ، ولا صلة له ـ من حيث الجوهر ـ بالرمزية فى الأدب (والتصوير) ، وهى الرمزية التى ضربها ريبو مثلاً على بعض ألوان الفن كما مر بالقارئ . وقد شرح ريبو هـذه الرمزية ، وبيّن أغراضها وطرائقها على حسب مظهرها ومخبرها قبل عام ١٩٠٠ ، فدل على أنها تقصد إلى الإيحاء فتبسط الإبهام على الأشخاص والأشياء حتى إنها تطلقها من قيود الزمان والمكان ، وربما لم يعين الأشخاص بأسماء فيقال : « هو » و « هى » ... (ص ١٦٩)

ذلك مجمل حديث (ريبو) ... أفيدرى القارئ ماذا صنع السيد متولى ؟ خلط رمزية المخيلة الهندية ـ وهى من باب الرمز بشيء حسى إلى شيء معنوى ـ بالرمزية فى الأدب التى تطلب الإيحاء من باب بسط الإبهام ! ! ودليل ذلك أنه استشهد بهـذه وبتلك ، وهو يتكلم على ما يسميه « الرمزية فى الفن » عند ريبو فجعل مصدرها واحداً ، أى « فن الرمزيين » ليأخذ على صاحب المسرحية أنه جعل الرمزية فى توطئته تعدل عن الرمز بشيء إلى شيء آخر ، إلى « استنباط ما وراء الحس من المحسوس وإبراز المضمر وتدوين اللوامع والبواده » ! !

والآن ألا يصح أن نقول لمتولى ـ وقد أخذ علينا مزهواً متطاوساً أننا لا نحمل شهادة ماجستير ـ إننا نحمد الله على هذا المكروه الجميل ما دام لم يسلمنا إلى ما هو غير جميل ، وأن نهمس فى أذنه بأن الألقاب العلمية ، مهما كبرت ، فإنها لا تخلق الرجل المخلص والأديب الحق ، وأن هذه الألقاب إنما تزهى بحامليها ، وإلا فهي تيجان من ورق على رؤوس من خشب ! !

أعتقد أن هذا تساؤل مشروع ، ما دام (الصديق) محمد متولى لم يتعوذ بالله وبالفن من التكلف لما لا يحسن والعجب بما يحسن ، ولم يتعوذ بالأدب من السلاطة والهذر !

زكى طليمات

(١) مقال الأستاذ متولى . الرسالة رقم ٣٧٦ ص ١٤٤٩ ، العمود الأول س ٢٢ ـ ٢٣.

(١) ص ١٦٩ « المخيلة الخلاقة » لريبو



صاحب السلطان

حملنى من لا أطيق مخالفته من ذوى قرباى على مصاحبته لزيارة ذلك الذى أنعته بصاحب السلطان ، فبلغنا داره وقد متع النهار أول أيام العيد ...

واستقبلنا صاحب السلطان لدى مدخل حجرته ، ونظرت -وهو يمد يده للسلام- إلى وجهه المتنفخ المتورد، فإذا الذى يكون ابتساماً على غير وجهه من الوجوه لم يكن على وجهه هو إلا شبه ابتسام . وطاف برأسى خيال : ذلك أنه لا يبتسم قط إلا حين يضطره العيد إلى مثل ذلك النوع من الابتسام الذى بدا على وجهه كما يبدو الشىء فى غير موضعه

وجلسنا فأتممنا حلقة من الزائرين كانوا بين يدى صاحب السلطان قبل مقدمنا ، ودرت بعينى أو على الأصح درت بمنظارى فى نواحى الحجرة الفسيحة فعجبت لأول وهلة أن رأيت كل شىء حولى تشيع فيه الحمرة، فالبسط حمراء لا أثر فيها لنقش، والأرائك حمراء ، والستائر حمراء ، ونقوش الجدر حمراء

واستقرت عيناى على وجه صاحب الدار ونظرت إلى شاربيه المليطين المرهفين فوق شفته الضخمة وتحت أنفه الذى حرت فيه ، والذى لا أزال منه فى حيرة أهو الذى زاد الشاربين رهبة أم هما اللذان زاداه غلظاً وفخامة ! ولست أدرى لم قرنت وأنا أنظر إليه تلك الحمرة التى شاعت حولى فى كل شىء بلون الدم وكان الأحرى ونحن فى العيد أن أقرنها بلون الورد ! ولكن هيهات أن يتملق خيالى بالورد وأنا أنظر إلى تلك السحنة والأحاديث التى سمعتها عن صاحبها تتواثب إلى ذاكرتى فى نشاط عجيب وتتداعى صورة إلى صورة كلما بدت منه حركة أو ارتسم على محياه معنى ... ولو أن الورد الجنى كان فى تلك الحجرة ساعتئذ لما رأيت فى الورد نفسه إلا لون الدم !

وأسند صاحب السلطان ظهره إلى المقعد فظهر بطنه المتكرش أعظم ضخامة ، ونزل بذقنه حتى مست صدره فبدت لغاديده أعظم هولاً ، وتكلم فإذا صوت كأنه صوت الطبل إذا نقر ينبعث فى الحجرة وفيه على نكره صلف ، فهو يتضخم مرة فى الحنجرة ، ويبدو مرة أخرى كأنه ينبعث من الأنف وتسبقه فى كل مرة غمغمة يربد معها وجهه ويبدو الشر فى عينيه كأنما يتهيأ لما اعتاده فى غير ذلك الوقت من سباب

وينصت من فى الحلقة وكأن أكثرهم من فرط اهتمامهم كأنهم يستمعون إلى من يتلو عليهم حكم الإعدام ، اللهم إلا حين كان يشرق وجهه قليلاً إذ يزهى بما يتلو عليهم من غالى الحكم فيبتسمون ابتسامات عريضة ، ويتنافسون فى عبارات الموافقة والإطراء والإعجاب وإن لم يفقهوا شيئاً من حكمه الغوالى !

وتقاطر المزارعون والفلاحون للسلام على « البك » فكان يخلع الرجل منهم نعليه عند عتبة الحجرة ويسير حافياً على البساط الأحمر كأنما يخطو على نطع ليضرب عنقه: ففى وجهه من معانى الفزع ما لم يخفف منه إلا تذكره أن اليوم يوم عيد ، فإذا بلغ إلى حيث يتكئ البك ، ومد إليه البك أطراف أصابعه تناولها وانكب عليها فلثمها ورجع خطوتين دون أن يدير ظهره ، ومشى إلى الباب فلبس حذاءه وكأنه ألقى عن كاهله عبئاً أى عبء

وكان البك ينظر إلى كثيرين منهم نظرات ذات معنى فكأنما يذكر هذا بما بقى عليه من الإيجار ، وكأنما يتوعد هذا حتى ينتهى العيد ، وكأنما يستنجز غيره ما وعد ، وكأنما يقول بعينيه لآخر إنه لولا العيد لما سمح له بالدخول عليه ؛ إلى غير ذلك من المعانى التى كانت توحيها إلى نظرات هذا المتجبر المتكبر

وازدادت الحلقة واتسعت إذ انضم إليها من يجرؤون على مجالسة البك أو من يستطيعون ذلك فى العيد على الأقل ؛ وكان يسلم على كل قادم بمقدار ما له من مكانة ولو فى عرف الناس ، فهو مقتنع بما تنطوى عليه تحياته من معانى الشرف، ولذلك فهو ضنين بها عن الابتذال فلا يجود منها حتى فى العيد إلا بمقدار

وأدار صاحب السلطان الحديث إلى الحرب ، كأنه وقد رأى فى زائريه بعض المطربشين يريد أن يبرهن للجميع على أنه وإن كان من غير أبناء المدارس إلا أنه يعلم من أمور الدنيا ما يغيب أكثره عن الكاتبين القارئين .

وبدأ بألمانيا وانطلق يتحدث وأنا أعانى فى كتمان الضحك ما أعانى وأتمنى أن يجود البك بنكتة من سخيف نكاته لأفرغ فى جلبة الحلقة ما بنفسى من ضحك مكتوم كم خشيت أن ينطلق

على رغمى فأكون موضع استنكار الجالسين

وما لى حيلة فى أن أصور للقارىء كلامه وحسبك مما أذكره أنه كان يتحدث عن (هلتر) كما يسميه كما لو كان يتحدث عن أبى زيد الهلالى والزناتى خليفة وعنترة بن شداد وأضرابهم من المناوير

ويحرص البك أشد الحرص ويتوخى الدقة إذا تحدث عن أقطار الأرض وإن كانت سويسرا وسوريا عنده شيئاً واحداً وإن كانت كندا لتتاخم الهند ، وإن كانت دولة البلقان لمن أعظم دول الأرض ، وإن كانت استراليا لتقع جهة السودان ، وإن كان جبل طارق لذات ثروة عظيمة وبخاصة فى القمح والقطن ، وذات خطر يحسب له ألف حساب ، إلى غير ذلك من الأدلة على سعة علمه بجغرافية هذا الكوكب

ولن يقل علمه بالتاريخ عن علمه بالجغرافية، يتجلى ذلك فى سبب تفضيله هتلر على نابليون ، فنابليون كان يحارب منذ أكثر من خمسمائة سنة فكانت أمامه أمم ضعيفة، أما (هلتر) فإنه يحارب انجلترة التى ملكت العالم وسادت البحار

ويحاول البك أن يتكلم العربية كما يفعل المتعلمون ، فيأتى بضروب من القافات لم يسبقه فيها سابق ولن يلحقه لاحق إن شاء الله . فالقسطول الإنجليزى قسطول هائل ، وقيران دولة صديقة لنا ... إلى غيرها مما أخشى إن ذكرته أن يحمل على المبالغة

وينتقل صاحب السلطان إلى المباهاة بجاهه فيما يذهب فيه من ضروب الحديث ؛ فيصف كيف يقف له سعادة المدير إذا دخل عليه ؛ ويذكر من شملهم بعطفه فعينهم فى وظائف مشيراً إلى أنه إنما فعل ذلك لا يقصد غير البر والإحسان ؛ ويفخر بمن يزور داره من الحكام ومن وجوه البلاد . ويقص الأقاصيص عن خوف رجال الشرطة منه ، وآخر ما حدث له معهم أنهم ما كادوا يعلمون أن الحمير « المسلوخة » التى قبضوا عليها منذ يومين ملك له حتى أطلقوا سراحها معتذرين ! ! وأنهم عاجزون عن أن يقبضوا على رجل من رجال عزبته إلا بأمره ؛ وبدهى أنهم متى عجزوا عن الحمير كانوا عن الرجال أعجز

وتكلم عن الفلاحين ، وناهيك بحديثه عن الفلاحين ، فله فى ذلك من جوامع الكلم ومن أصول الاجتماع ما يعجب ويطرب ؛ خذ مثالاً لذلك قوله : « اضرب الفلاح على رأسه تأكل خيره » ؛ وقوله : « الفلاح جنس ما يستهاش النعمة » ، و « الفلاح يخاف ولا يختشى » . ولقد كان يذكر هذه العبارات فى لهجة الخبير الواثق الذى لا يقبل فيها جدلاً ؛ وهل كان فى الجالسين من يجرؤ على جداله ؟ !

وتداعت الصور فى ذهنى وهو يتحدث عن الفلاحين ، فتذكرت منظره وهو بين المزارع تركض به دابته وخلفه فلاح يجرى والعرق يقطر من جبينه وإنه ليلهث كما يلهث الكلب . وتذكرت أنى رأيته يركل رجلاً توسل إليه أن يترك له بضعة قروش بقية إيجار لضيق ذات يده ، ركلة قلبته على ظهره . وتذكرت أنه أمر بجماعة من الفلاحين فطاف بهم أعوانه القرية عراة بعد أن ألقيت ملابسهم فى النار لأنهم اعترضوا سيارة قريب له على غير علم كانت قد دهمت جاموسة لأحدهم . وتذكرت أنه ما من فلاح يستطيع أن يحجز الماء ليصرفه إلى حقله حتى تروى أرض البك كلها وإن تركت أرضه هو قاحلة جرداء

وحمل البك حملة قاسية على ما يسمونه الحرية ورد إليها أسباب جميع الجرائم ولعن العصر وسخافاته وترحم على الأيام الماضية أيام لم يكن يسمع أحد بحرية وانتخاب «ولا كلام فارغ زى ده» ونسى أنه كان نائباً مرتين !

وانصرفنا من لدنه وأنا أقول فى نفسى إذا كان مثل هذا يتصدى للنيابة عن أولئك الفلاحين، وإذا كان يفكر هذا التفكير فى هذا العصر ، فياضيعة العلم ويا خيبة الآمال .

الخفيف

فيض الخاطر

قرأ الأستاذ أحمد الزين كتاب « فيض الخاطر » للأستاذ أحمد أمين فأعجب به وحياه بهذه الأبيات :

قد سحرت النهى بسحر مبين ... فاتق الله يا يراع « أمين »
وسلبت القراء أفضل ما أو ... دعه الله فى سليل الطين
وعجيبٌ لسارق حَدُّه الشر ... عىُّ فينا تقبيل تلك اليمين
جنة فى يراعك الخصب تُؤتى ... أكلها طيب الجنى كل حين
قلم لم يقده فى الطرس إلا ... رفع شك أو اجتلاب يقين
ما جرى مرة بغل ولا تبصر ... يوماً بحده من طعين
ويميناً لو أنهم أنصفوه ... كتبوا فيضه بماء العيون

الملـــق ...

للأستاذ الشاعر الراوية أحمد الزين

يا لِسَانَ الحَقِّ لاَ تَنطَلِقِ فازَ بالحُظوَةِ أَهْلُ المَلَق
عَلِّمونَا يا أُولِي الحُظْوَةِ مَا قَدْ عَلِمْتُمْ مِنْ طِلاَءِ الخُلُق
وامْنَحُونَا ذَلِكَ الصِّبْغَ الّذِى يُظْهِرُ الحُسْنَ وَيُخْفِي مَا بَقِى
أَوْ فَدُلُّونَا عَلَى صُنَّاعِــهِ نَجْتَلِبْهُ بِبَقَــايَا الرَّمَق
أَىُّ صِبْغٍ ذَاكَ مَا أَعْجَبَهُ صَادِقُ الغِشِّ وَإِنْ لَمْ يَصْدُق
أَلْبَسَ الشَّمْسَ ظَلاَمًا دَامِسًا وَكَسَا الظُّلْمَةَ شَمْسَ المَشْرِق
عَلِّمُونَا نَصِفُ المَرْءِ بِمَـا لَيْسَ فِيهِ مَنْ يُنَافِقْ يَنْفُق
يَمْنَحُ الفِطْنَةَ أَغْبَى خَلْقِهِ وَالذَّكَاءَ المحضَ رَأْسَ الأَحْمَق
إِنْ سَمِعْنَا نَاهِقاً قُلْنَا لَهُ إِيهِ يا مَعْبَدُ بالصَّبِّ أَرْفُق
لا تقلْ أَفْنَيْتُ عمرِى دَائِباً وَبَذَلْتُ الجُهْدَ جُهْدَ المُرْهَق
لَيْسَ لِلدَّائِبِ حَظٌّ بَيْنَهُمْ لاَ وَلاَ الجُهْدَ سَبيلُ المُرْتَقى
تَزِنُ العُمْرَ وَعُمْرًا مِثْلَهُ لَحظَةٌ تَبْذُلُهَــا فى المَلَق
فاسْتَبِقْهَا فُرْصَةً إِنْ سَنَحَتْ إنمـا الفُرْصَةُ لِلمُسْتَبِق
لاتقلْ سُهْدِى وَجُهْدِى عُدَّتى إنمـا الجُهْد عَتاد الأَخْرَق
إِيهِ يا عِلْمِيَ عُدْ جَهْلاً عَسَى يَنْهَضُ الجَهْلُ بِحَظٍّ مُوثَق
يا ذَكَائى عُدْ غَبَاءً أَسْتَرِحْ بِغَبَائى مِنْ شَقَاءٍ مُطْبِق
كَمْ كِفَايَاتٍ نَفَاهَا قَوْمُهَا وَجُهُودٍ أُلْقِيَتْ فى الطُّرُق
وُضِعَتْ فى مَوْطِىءِ النَّعْلِ وَلَوْ أَنْصَفُوهَا وُضِعَتْ فى الحَدَق
فَأْتِ عَلْيَاءَهُمْ مِنْ بَابِهَا لا تُضِعْ عُمْرَكَ بَيْنَ الوَرَق
لمْ أَكُنْ فى نَعْتِهِمْ مُخْتَلِقاً لَعْنَــةُ اللهِ عَلَى المُخْتَلِق
عَلِّمُونَا إِنَّنَا فى بَــلَدٍ فِيهِ مَنْ لمْ يَتَمَلَّقْ يُمْلِق
أَوْدَعُونَا فَلَكُمْ دُنْيَا الغِنَى إنمـا نَحْيَا بدُنْيَا الخُلُقِ !

أحمد الزين

الحب ...

للأستاذ فؤاد بليبل

الحب أَسْعَدَنى وَالحبُّ أَشْقَانى أَبكى وَأَضحكُ مِنْهُ اليَوْمَ فى آنِ
وَيْلِي عَلَيْهِ وَوَيْلِي مِنْهُ مِنْ أَلَمٍ عَذْبٍ وَآسٍ شَفَى نَفْسى فأضنانى
طَغَى عَلَى القَلبِ عِرْبِيدًا فَقُلْتُ لَهُ
يا حُب رِفقاً بهذا الخَافِقِ العانى
فِيكَ الشِّفَاءُ وَمِنْكَ الدَّاءُ أَجْمَعُهُ كَفَاكَ أَنكَ أَنتَ الهادِمُ البانى
حَتَّامَ تُخمِدُ من وَجْدى وَتُشْعِلُهُ وَتَلْتَقِى فيك أَفْرَاحى بأحْزَانى
يَامَنْهلاً ظَلَّ يَرْوِينى وَيُعْطِشُنى رحماكَ رِفقاً براوٍ منكَ عطشان
قالوا هو البعدُ قد يُنسيكَ لوعتَهُ وَكُلمَا زَادَ بُعْدِى زادَ تَحْنَانى
أَبْغِى السُّلُوَّ ولا أَبْغِيهِ وا أَسفا قلبٌ تنازعَهُ فى الحبِّ ضِدَّانِ
وللصَّبابةِ أحكامٌ رَضِيتُ بها ما كانَ أَسعدنى فيها وأَشقانى
أُحِبُّ لِلحُبِّ لا أبغى به غَرَضاً لو كانَ يَرْحَمُ أَحشائى وأَجفانى
أنا الوَفِىُّ وَعَهْدِى لا يُغَيِّرُهُ بُعْدُ المَزَارِ وَعَذلُ العاذِلِ الشانى
فَإِنْ أَرَدْتِ دَليلاً فاسْأَلى أَرَقى سُهْدِى دَلِيلى ودَمعى خيرُ برهان
يامن أُحِبُّ وَأخشى أن أُسمِّيها لا يُثنِّينى عنكِ اليومَ من ثان
فلا تقولي فتًى لُبْنَانُ مَوْطِنُهُ هَلِ الكِنَانَةُ كانَتْ غيرَ لُبنان
إِنْ يَنْبُ بى وَطَنٌ نفسى الفِداءُ له لم يَنْبُ بى فى رُبَاها مَوْطِنٌ ثان
ياجارَةَ النِّيلِ ما أَهْلوكِ لو عَلِمُوا إلا رِفاقى وَإخوانى وأَعوانى
يَمَّمْتُهُمْ فإِذا بى منهم وإذا بالرَّبعِ رَبْعِي وبالأَوطانِ أوطانى
أنا الغريبُ بآرائى ورَوْعَتِها وَصِدقِ قَوْلى وأشعاري وألحانى
أَنَا الغَريبُ بِرُوحى بَيْنَ منْ جَعَلوا
لِلْحُبِّ مَعْنًى وَضِيعاً غيرَ رُوحانى
أنا الغريبُ غريبُ الدار فى وَطَنى
ما بَيْنَ أَهْلى وأَحْبابى وأخدانى



بعد دنانير

عودى فاصحى يا أم كلثوم

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

أم كلثوم . عبد الله أباظة . عبد الحليم محمود . زكريا أحمد . محمد القصبجى . رياض السنباطى . أحمد رامى . أحمد بدرخان . عباس فارس . سليمان نجيب ...

هؤلاء جميعاً ومعهم غيرهم تعاونوا فى إخراج « دنانير » . وهؤلاء وغيرهم الذين معهم ، جميعاً ، من جبابرة الفن فى مصر سواء منهم الذين يغذون الفن بالمال ، وسواء منهم الذين يغذون الفن بالفكر والجهد ، وسواء منهم الذين يغذونه بالشعور والحس

ومع يقينى بهذا ، واعترافى به ، فإنى أريد أن أقول إن فلم « دنانير » الذى تعاون فيه هؤلاء كلهم ومعهم غيرهم ... فلم فاشل ميت ! فكم من القراء يا ترى سيصدق قولى هذا ويعترف لى بالحق فيه؟ وكم منهم سيقول: «أسكت الفتون من عبدالوهاب فاندار على أم كلثوم !»

فليقل من يريد ما يشاء أن يقول ، فأنا مرتاح إلى حكمى هذا ، كما أنى أضمن مع صوتى فيه صوتين اثنين على الأقل ، هما الصوتان الصارخان فى انكتام ، المنبعثان من صدرى عبد الله أباظه بك والأستاذ عبدالحليم محمود المنفقين على الفلم والمغذيانه بالمال . فقد كانا من غير شك يؤملان فى ربح كبير يدره عليهما هذا الفلم ليبعث فى نفسيهما بعده التشجع على إخراج غيره وغيره تحقيقاً لما ينزعان إليه من النهوض « بصناعة السينما » على اعتبار أنها صناعة مصرية ناشئة ، وعلى رجاء فيها لو نمت وترعرعت وازدهرت أن تنمو معها الفنون الجميلة جميعاً فى مصر وأن تترعرع وأن تزدهر ، فالسينما هى المعرض الحى الباقى المتنقل الحفيظ على إنتاج الروح من أدب ، وتمثيل ، وموسيقى ، وغناء ، وتصوير ، وزخرفة ، وهندسة ، وتزيين ، ورقص ، وإخراج وغير ذلك ... وكلما راج هذا المعرض راجت بضائعه ، وكلما راجت بضائعه انتعش تجارها من أصحاب الفنون المختلفة ، وكلما انتعش هؤلاء سرى الانتعاش من أرواحهم إلى أرواح جماهيرهم ، وكلما شعرت أرواح الجماهير بفرحة الفن ونشوته انتفضت أعصابها وارتعشت فيها الحياة ، وعندئذ يرجى من هذه الجماهير الخير ، وعندئذ تراها الدنيا وهى شعوب مقبلة على حياة العمل والحركة والتوثب والسمو

وعندنا المثل على هذا ... أمريكا . فأبرز ما فى صناعاتها السينما ، وأبرز ما فى أخلاقها النشاط الذى يكاد يكون جنوناً

... هذه من غير شك آمال كانت تحقق بها نفس عبد الله أباظه بك ونفس الأستاذ عبد الحليم محمود ، ونزوعاً إلى تحقيقها أنفقا ما أنفقا فى إخراج هذا الفلم ، والذى أنفقاه لا بد أن يكون مبلغاً ضخماً جداً من المال ، فمناظر الفلم وأثاثه ورياشه وملابسه كلها مما يقصم الظهر إعداده وتجهيزه ، وأجر المؤلف وأجر المخرج وأجور الممثلين وإن كانت تقل بكثير عن أمثالها مما يدفع لزملائهم فى الخارج فهى من غير شك كانت فى مجموعها مبلغاً لا يستهان به ، وأجور الملحنين هى وحدها لا أستطيع أن أقول إنها كانت شيئاً مذكوراً فهؤلاء وحدهم هم المظلومون الذين يعطون مادة الغناء للأفلام الغنائية التى ترتكز على الغناء أول ما ترتكز

ضحت شركة أفلام الشرق ما ضحت فى سبيل دنانير ، وجمعت لأم كلثوم كل القوى التى حسبتها كفيلة بإبلاغ الفلم إلى درجة الكمال التى تتوق إليها ، فإلى أى حد أدت كل قوة من هذه القوى واجبها ، وحملت أمانة القسط المعهود إليها به ؟

وقبل أن أقول كلمتى المزبلة فى هذه القوى وفى أم كلثوم من فوقها يجب أن أذكر لشركة أفلام الشرق تضحية أخرى غير

يا مُنْيَةَ الرُّوحِ حَسْبِي فى هَوَاكِ ضَنًى
رُدِّى عَلَى الجَفْنِ صَوْبَ المَدْمَعِ القَانِى

رُدِّى عَلَيَّ شَبابى وارْحَمِى كَبِداً ... غَادَرْتِهَا نَهْبَ آلامٍ وَأَشْجَانِ
صِلِى مُعَنَّاكِ لا تَخْشَىْ عَوَاذِلَهُ ... قَوْلُ العَوَاذِلِ مَوْسُومٌ بِبُهْتَانِ
لا تَحْرِمِينِيهِ عطفاً عَزَّ مَطْلَبُهُ ... كَفَى بِنَفْسِى شَقَاءً طُولُ حِرْمَانِى
أَنْ يُنْكِرِ الأَهْلُ وَالخِلَّانُ مَوْقِفَنَا ... لا الأَهْلُ أهلى ولا الخِلَّانُ خِلَّانِى

فؤاد بلبيل

(دار الأهرام)

التضحية المالية ، بذلتها راضية عن حب وكرامة لتوفر لأم كلثوم كل أسباب الراحة والاطمئنان فى العمل ، تلك التضحية هى أنها أخضعت إرادتها لإرادة أم كلثوم فى اختيار هذه القوى التى ساندتها وعاونتها ، اللهم إلا واحداً فقط تشبث به عبد الله أباظه بك وهو زكريا أحمد فقد كان على خلاف مع أم كلثوم ، وأباظه بك هو الذى ذلل هذا الخلاف وأزاله ...

أم كلثوم أولا

والآن ... ما الذى حدث لأم كلثوم حتى أنها استحالت فى نظرى من فنانة تشبع النفس إشباعاً مريحاً إلى هذه الجديدة التى حين سيطرت على عمل فنى كبير مثل « دنانير » خرج من تحت يدها وهو فاشل ميت مع وفرة المال الذى بذل فيه وطواعية المعاونين الذين عاونوها فيه ... ؟

لا بد أن يكون قد حدث لأم كلثوم شيء أصاب نفسها وقعد على روحها ؟ فما هذا الذى حدث ؟ وما هى دلائله ؟ !

الكاميرا صاحبة العين النافذة تقول لنا ما الذى حدث !

قالت لنا الكاميرا إن أم كلثوم اغترت ، وإن إحساسها ركد ، وإن بدنها طغى على روحها ، وإنها استمرأت التكلف والتصنع حتى نضبت سجيتها وجفت عواطفها ؛ فانحرمت من الفرح تبعاً للذى أرادته من الامتناع على الألم . وقد قالت لنا الكاميرا أيضاً إن أم كلثوم – لها الله – قد تحجرت

أما غرور أم كلثوم فشيء رأيته شائعاً فى الفلم ولكنى لم أستطع أن أطبق على عنقه متلبساً بحادثة ، لأجره وأقفه أمام الأنظار وهو عريان . فللذين يريدون أن يروه أقول إن عليهم أن يشاهدوا الفلم ليتحسسوه فقد يلمسونه

وأما ركود الحس فقد قبضت عليه متلبساً بحادثة ، وقد ظهر على أم كلثوم فى موقفها مع الخليفة حين كانت تستعطفه على جعفر فما بدا فى هذا الاستعطاف إحساس بجعفر ولا بها ولا بالخليفة . وإنما الذى بدا منها فى هذا الموقف اهتزازات وغمزات بالكتفين وهمزات فى الصوت لا يمكن أن تصدر من موجع يستعطف لمنكوب ؛ وإنما هى قد تصدر من جارية تترى مولاها إذا هجرها

وأما طغيان البدن فظاهر فى هذا الموقف أيضاً لأنه مصاحب لركود الحس ؛ فكل من ركد حسه طغى عليه بدنه ، وهو ظاهر كذلك فى مواقف أم كلثوم الغنائية جميعها . فقد كانت تغنى وتحرص كل الحرص على أن تضم شفتيها وتصغر فمها فلا تفتحه مهما تطلب الغناء أن تفتحه ، كأنما كانت تخشى أن يرى الناس فمها واسعاً ؛ وكأنما كانت تخشى أن يرى الناس شفتيها غليظتين ؛ مع أن أهل الفراسة يقولون إن الفم الواسع والشفاه الغليظة من لوازم الغناء ، لأنهما عضوان من الأعضاء التى يتكون منها جهازه البدنى

ولأن أم كلثوم قد فعلت فعلتها هذه ، فقد كانت الألحان تخرج من بين شفتيها مخنوقة مصفاة الدم مجهدة الروح ، ولو كنت أنا زكريا أحمد لطالبت أم كلثوم بتعويض كبير ، لأنها خنقت لى لحن « بكره السفر » – على الأقل – فهو لحن كان من حقه أن يذيع فى مصر من أقصاها إلى أقصاها اليوم لو أن أم كلثوم أرسلته حياً نابضاً كما أعطى لها ...

وليس « بكره السفر » وحده هو اللحن الذى قتلته أم كلثوم ، وإنما هى سامحها الله قد قتلت ألحان الفلم جميعاً ، فبعضها مات موتاً ، وبعضها أغمى عليه ، وبعضها أصيب برضوض وعاهات

أما التكلف والتصنع فقد سجلته الكاميرا على أم كلثوم فى هذا الذى رأيته ، كما سجلته مع هذا فى كل موقف من مواقف الفيلم تبسمت أم كلثوم فيه ... فابتساماتها لم تكن إلا هذه الابتسامة الجامدة التى عرفت بها السيدة بديعة مصابنى

لقد كانت هذه الفتاة من عامين فقط حقيقة كالحلم الذى يطوف بروح القديس ، فأصبحت اليوم حلماً كالحقيقة التى لا تطوف بروح القديس ...

أختاه ... لا تقولى ما لهذا الولد يتصدى لنفسى ؟ فإنى لا أعرف سبيلاً إلى نقد الفن إلا نقد النفس ، لأنى لا أعرف الفن إلا على أنه ثمرة النفس ، ولست أعرف هذا من كتاب قرأته ، ولا من « هبسلتى » ولا من « شرونتسكى » ، وإنما عرفته منك ومن غيرك ممن أتلقى غذاء روحى عنهم

فافهمينى ، واسمعى كلامى ، وعودى واصحى ...

وإلى اللقاء ... إذا شئت

المؤلف

هو الأستاذ أحمد رامى ... والأستاذ أحمد رامى لا يؤلف شيئاً فى هذه الأيام إلا إذا طلب منه هذا الشيء

وأظنه لا يستطيع أن يقول إنه يدخر فى نفسه أفكاراً وأحاسيس يرسلها حين يطلب منه ويؤلف ، وهو لو قال ذلك لما صدقه أحد ، لأن فلم دنانير لا يزال معروضاً على الناس وقصته ها هى ذى أمامنا حوادث هادئة متتابعة ومناقشات متتالية

ليس فيها مفاجأة واحدة تصدم الفكر المادى مما يمكن أن يقال إنها من مدخرات كاتب فنان ...

وقد نبلغ للأستاذ رامى هذا كله إزاء أبيات قليلة من الشعر أفلتت منه حية إلى حد ما، كما أننا قد نقبل هذا كله لأن الناس اتفقوا فيما بينهم يأساً وتنوطاً على أن هذه الأفلام الغنائية لا يرجى فيها الموضوع ولا يقصد فيها إلى الاستمتاع بالأدب ... ومع أنى لا أحب أن آخذ بهذا فإنى آخذ به إرضاء للأستاذ رامى

الإخراج

إذا كان الإخراج هو التنسيق والتزيين والترتيب فإن الأستاذ أحمد بدرخان قد وفق فى دنانير إلى إدراك هذا كله

أما إذا كان الإخراج هو نفخ الروح فى التمثيل والممثلين، فإن الأستاذ أحمد بدرخان لم يوفق إلى شىء منه، وكان طبيعياً ألا يوفق الأستاذ إلى شىء منه لأنه إنما اختير لإخراج هذا الفلم اعتماداً على أنه رجل هادئ الطبع يرضى من يعمل معهم قبل أن يرضى نفسه. وعلى هذا الأساس نستطيع أن نعتبر كل ممثل فى هذا الفلم مسئولاً عن نفسه وعن تمثيله

التمثيل

عباس فارس ... قلت إنه يجوّد، وقد جوّد دور الخليفة وإن كان استهله استهلالاً بدا انجليزياً فى المشية والجلسة والإشارات والحركات، وقد ساعدته على هذا الموسيقى التى وضعها الأستاذ الشجاعى لهذا الاستهلال، فقد كانت هى أيضاً موسيقى أفرنجية بحتة لو أغمض الإنسان عينيه واستمع إليها لتذكر فرانسوا الأول، أو فردريك الأكبر، أو شارلمان، أو ملك من الملوك إلا هرون الرشيد العربى ...

سليمان نجيب ... قد يؤلمه أن أقول إنى أراه فى التمثيل كما أرى إخواننا من طلبة الجامعة أعضاء فرقتها التمثيلية. ولكن هذا رأيى، ولم يكن لرأيى فى يوم من الأيام قيمة تؤثر على مكانة إنسان ما ...

عمر وصفى ... كان عظيماً فى دوره القصير. دور أبى دنانير

فؤاد شفيق ... كان مكتوفاً فى دور أبى نواس. أراد أن يمثل شيئاً ولكن المؤلف أقعده.

التلحين

« بكره السفر » هو غرة الألحان فى هذا الفلم. فهو لحن حى راقص منساب سلس مطرب ثم إنه قبل هذا وذاك لحن شرقى. وهو من ألحان زكريا

« قولى لطيفك ينثنى » غنته أم كلثوم ثلاث مرات بثلاث تلاحين، وهذا مجد فنى لا يجرؤ عليه إلا زكريا أحمد

« لحن العيد » من ألحان السنباطى الحلوة لولا أنه بعيد عن روح عصر الرشيد

« لحن النبع » من ألحان القصبجى التى اعتاد أن يملأها هندسة وتفكيراً يستعيض بهما عن العاطفة التى اختطفت منه ...

انى أعتذر

وأخيراً ... لا بد لى من أن أعتذر عن هذا النقد القاسى، فأنا أعلم أن الذى يقرأه من غير أن يشاهد الفلم، ويكون ممن يصدقوننى، سيحكم على الفلم ـ بحكمى ...

ولذلك أبادر فأقول: إن فلم دنانير لا يزال فى طليعة أفلام الدرجة الأولى التى أخرجت فى مصر، وإنه يستحق أن يشاهد مرتين وثلاثاً وأربعاً ... وإن الذى يشاهده لا ريب سيخرج منه بمتعة ومتعة ومتعة. ولكننى إذ أقف أمامه هذه الوقفة المنكرة أرجو أن يصادف كلامى آذاناً مصغية، وقلوباً واعية، فإذ أتحقق هذا انتفت من أعمالنا الفنية هذه العيوب التى أعيبها وأحب الخلاص منها.

وقد كنت أستطيع أن أمالئ هذا الفلم بكلام يرضى أصحابه ولكننى أعلم أنهم فى غير حاجة إلى المالقة، فهم ليسوا صغاراً، وليسوا ضعافاً، وليسوا فقراء إلى مثلى ... بل ربما كنت أنا الفقير إليهم، أغنانى الله عنهم ...

وعلى هذا فإنى أهدى إليهم تهنئتى القلبية الصادقة، كما أؤكد لهم أن « الرسالة » ليست مسئولة معى عن هذه القسوة، وكما أعيد عليهم قولاً قالته « الرسالة » يوماً نقدت فيه « جندول » الأستاذ عبد الوهاب، وهو أنه فى أغلب الظن ليس كثير من النقاد ينضم إلىّ فى رأيى ...

عزيز أحمد فهمى



أغلاط نحوية وصرفية

قرأت فى « الرسالة » كلمة للأستاذ محمد عبد الغنى حسن عن استهانة الجمهور بقواعد اللغة العربية ، وقد ضرب الأمثال بما يقع من الأغلاط النحوية والصرفية فى الإعلانات ، وتلطف فقدَّم إلىّ تلك الأمثال «هدية متواضعة» لأُطِبَّ لها ولنظائرها فى المدارس الأجنبية ، كأن إنشاء الإعلانات بالعربية مقصور على المتخرجين فى تلك المدارس !

وأجيب بأن الأستاذ قد اشتط فى تصور لغة الإعلانات ، فن القبيح حقاً أن يُنصب جمع المذكر السالم وملحقاته بالواو فيقال « ثلاثون » فى مكان « ثلاثين » كالذى وقع فى الإعلان الذى نص عليه ، لكن من الواجب أن نتسامح حين نرى الإعلان يقول :

« نظراً لكونه صنف جيد »

فنصْبُ كلمة «صنف» فى خبر الكون من الدقائق النحوية ، وهى لا تُطلَب من موظف صغير فى مخزن بنزيون أو مخزن سمعان ، وكيف وهى من الألغاز عند طلبة الأزهر الشريف ؟

ولو أن الأستاذ تأمل لعرف أن الموظف الذى نصب ثلاثين بالواو لم يقصد إلا الإفصاح ، فهو يسمع الناس جميعاً يقولون ثلاثين ، ومن هنا صحّ عنده أنها لا تكون منحّاة إلا إن كانت « ثلاثون » لأنه يتوهم أن العامىّ هو الذى يسير على ألسنة الناس !

ومثل ذلك ما وقع فى الاعلان عن رواية سينمائية اسمها :

« الرجل ذو الوجهان »

وما رسمها الخطاط كذلك إلا لتوهمه أن « الوجهين » عامية لأن الجمهور لا ينطقها فى لغة التخاطب إلا بهذه الصورة فى جميع الأحوال

والحق أننا نسرف فى محاسبة الناس على الأغلاط النحوية والصرفية ، ولو أنصفنا لعرفنا أن التمكن من النحو والصرف لا يتيسَّر لجميع الناس . وإلى هذا الصديق أسوق السِيرة الآتية :

كان من عادتى حين يتحدث رجل مسئول فى الاذاعة اللاسلكية أن أستمع وبيدى قلم وأمامى قرطاس لأسجل ما يقع فى الحديث المذاع من الأغلاط النحوية والصرفية ، ثم أطلب المتحدث بالتليفون فأنبهه إلى تلك الأغلاط برفق ، إن كان من الأصدقاء ، أو أشير إليها فى مقالاتى إن كان « أيضاً » من « الأصدقاء »

ثم اتفق أن أذاع الأستاذ الدمرداش مراقب الامتحانات بوزارة المعارف حديثاً عن رحلة فى « وادى دجله » شرقىّ القطر فاستمعت وبيدى قلم وأمامى قرطاس ، وما زلت أعدُّ الأغلاط النحوية والصرفية حتى مللتُ ، مع أنى أصبر الرجال على المكاره وأقدرهم على تحمُّل الأرزاء

فكيف كانت حالى بعد ذلك ؟

هل ترانى نفضت يدى من الثقة بكفاية الأستاذ الدمرداش مراقب الامتحانات بوزارة المعارف ؟

وكيف وهو رجلٌ فاضل بشهادة الجميع ؟

لم يتغير رأيى فى الأستاذ الدمرداش من حيث إنه موظف كبير يؤدى واجبه بنشاط ملحوظ، وإنما اكتفيت بإضافته إلى من تصعب عليهم مراعاة قواعد اللغة العربية فى الخطابة والحديث

وهل ادّعى الأستاذ الدمرداش أنه من أقطاب الأدب العربى حتى نحاسبه على الخطأ فى النحو والصرف ؟

يكفى أن يستطيع مثل هذا الرجل الفاضل أن يؤدى أغراضه بعبارة واضحة جلية ، وإن خلتْ من الدقة فى التعبير ، لأن الدقة فى التعبير لا تُطلَب ولا تُنتظَر إلا من أعيان البيان ، ومن كان فى مثل عقله لا يدّعى ما لا يطيق

قد يقال إن من حق التلامذة أن يطلبوا التغاضى عما يقع فى أجوبتهم من أغلاط يقع فى مِثلها مراقب الامتحانات بوزارة المعارف

وأجيب بأن هذا اعتراض مردود ، فالأستاذ الدمرداش بَعُد عهدُه بقواعد النحو والصرف ، ولا يُطلَب فيمن كان فى مِثل حاله غير الوصول إلى الغرض بأسلوب مفهوم وإن كان غير دقيق

ولم يكن الأستاذ الدمرداش أول مَن حار بين الخطأ والصواب ، وإنما اتخذتُ الشاهد مما وقع فى حديثه الجميل ،

لأنه رجل تهمه الدقة فى كثير من الشؤون ، ولأنه بحكم وظيفته المالية يسره — أو لا يؤذيه — أن يكون النقد صدقاً فى صدق

أما بعد فهل يكون اعتذارى عن الأستاذ الدمرداش إيذاناً بأنى أبيح حرية الخطأ فى النحو والصرف ؟ هيهات هيهات ، فلن يكون جميع الخاطئين فى منزلة هذا الرجل المفضال !

زكى مبارك

الانتحار

سيدى الأستاذ الجليل رئيس تحرير مجلة الرسالة الغراء :

يبالغ بعض الكتاب مبالغة غير معقولة فى التنويه بما بين الانتحار وبين المشاعر السامية من صلات ، حتى لقد قال أحد الشعراء المصريين :

وحدثت نفسه عيسى بقتلهما   وكاد أحمد يقضى غير مذكور

وفى أعداد الصحف الأخيرة رسائل لكثيرين من الأدباء ينظرون فيها إلى الانتحار كأنه بعض فضائل المنتحر ، وذلك بمناسبة انتحار أديبين من أدباء الإسكندرية شملهما رحمة الله

ولقد نشرت كبرى الصحف اليومية أن أحدهما لم يمت منتحراً بل كان يجرب مسدسه فانطلق . والقول منسوب إلى رجال من أسرته فى الذروة العليا من المجتمع المصرى الكريم

وسواء أكان ذلك أم كان غيره فإن الفاضل فاضل والنابه نابه بسبب أعماله وأقواله الطيبة لا بسبب انتحاره ، والانتحار إن كان سبباً للاشفاق والرثاء ، فما يصلح أن يكون سبباً للاعجاب ولا يجوز اعتباره عذراً عاذراً

ينسب إلى أحد الحكماء قول أظن الحكمة فى عكسه . وهذا القول هو أن الناس لا يموتون بل ينتحرون ، وهو يعنى أن الموت الطبيعى إنما يكون نتيجة لخطأ

وأحسب القول الصحيح أن المنتحرين لا ينتحرون بل يموتون ، لأن الانتحار لا يقع إلا والمرء مسلوب الحيوية فاقد التدبير فهو فى حكم الميت حين اختار لنفسه الموت

على أن العرف لا يقف عند هذا الحد من تقديره ، وبعض القوانين تنظر إليه نظرة أقسى

ومهما تكن النظرة إليه فإن التغاضى عن استنكاره يوشك أن يكون أذى لطائفة يبلغ بها العجز مبلغ التفكير فى الانتحار

للكاتب فى نجواه أن يجامل أفراداً ولكن عليه ألا ينسى أن المقال المنشور موجه إلى سواد القراء لا إلى نفر من الأصدقاء والأهلين ، وأن المقال المنشور يجب أن يصف شعور الكاتب نفسه نحو الحياة لا شعور من فارقوا الحياة نحوها

فالى الذين قرأوا كلمة الأديب عبد العزيز سالم فى العدد الأخير من الرسالة بعنوان (الأدب والانتحار) تلك الكلمة التى تعقد الصلة بين الأدب وبين الانتحار وتحذر الأدباء من هذا المصير ، إليهم أقول :

يا شاكياً عنت الدنيا وقسوتها   دع لى الشقاء ودع لى فسحة الأجل

وإليهم أقول :

لو مدّ عمر الكون فى عمرى   لرميت هذا العمر بالقصر

وإليهم أقول :

انشق نسائمها فلم يك راحل   عنها لينتشق النسيم عليلا

أسأل الله أن يطيل أعمارهم وعمرى وأن يهبنا التدبير للخروج من المآزق من غير هذا الطريق ، ولا أسأل الله رد القضاء ولكنى أسأله اللطف فيه

عبد اللطيف النشار

الى الأستاذ النشار

إن العبارة التى تعود العامة أن يعبروا بها حين يريدون وصف السكران بأنه شديد السكر وهى قولهم « سكران طينة » قد وردت أيضاً فى كتاب « شفاء الغليل فيما فى كلام العرب من الدخيل » لشهاب الدين الخفاجى

قال فى الكتاب المذكور ص ١٢٦ ما يأتى :

« سكران طينة » تقوله العامة لمن سكر سكراً شديداً كأنه لوقوعه فى الطين ، ومن ملح المهار قوله :

وجرة أبرزوها   والروح فيها كمينة

شممت طينتها فيها   فرحت سكران طينة

وقد قالوا : الطين غالية السكارى . . . الخ .

آنسة
سناء محمد

بين الكتاب والقراء

أخذ بعض القراء على الدكتور عبد الوهاب عزام أنه حين روى هذا البيت فى مقالة أخلاق القرآن :

ولم أر فى عيوب الناس شيئاً كنقص القادرين على التمام

نسبه إلى (أبى الطيب) ويرى أن الصواب أن ينسب إلى (المتنبى)

وأخذ قارئان آخران على صاحب مقال « شعر الزواج » أنه نسب البيتين الآتيين :

تقول التى من بيتها خف محملى عزيز علينا أن نراك تسير . الخ

إلى (الحسن بن هانئ) والصواب أنهما (لأبى نواس)

وتحب (الرسالة) أن تذكر القراء الأفاضل أن (أبا الطيب) هو (المتنبى) . وأن (أبا الحسن بن هانئ) هو (أبو نواس) .

دار الثقافة بالسودان

جاء فى جريدة (المؤتمر) السودانية ما يأتى :

افتتحت أبواب دار الثقافة بالخرطوم ليجتمع بها السودانى والمصرى والبريطانى جنباً لجنب يتناظرون ويبحثون فى العلوم والفنون والآداب ، وينهلون من بحر مكتبة ضافية بالمراجع العلمية فى شتى ما وصل إليه الفكر الإنسانى من المعارف

وحكومة السودان كانت حريصة كل الحرص لنشر الثقافة العامة عن طريق هذه الدار ، ومازال أعضاء هذه الدار يواصلون محاضراتهم — منذ أن أنشئت — فى مختلف الشئون التى تهم الرجل المثقف . والدار فوق ذلك يراد بها أن تكون حلقة اتصال ثلاثى بين انجلترا ومصر والسودان ، أو إن شئت فقل محور ثلاثى ولكن للتعاون الثقافى وخلق التفاهم بين عناصر قد يكون من الخير لها جميعاً أن تتفاهم فكرياً حتى يأتى اليوم الذى تتفاهم فيه على أمور حيوية أخرى ، ونحن نأمل أن يكون قريباً إن شاء الله

وكثيراً ما سمعنا همسات وكلمات لا ينقص بعضها الصراحة نشرت فى الجرائد اليومية عن هذه الدار وعن الأغراض التى أنشئت من أجلها، ولست أرى معنى للتخوف والتردد فى كل أمر جديد إذا اقتنعنا بأننا أفراداً أو جماعة لا يمكن أن يغرر بنا أو نساق سوق البهائم ما دمنا مدفوعين برأى وعقيدة !

لكن هناك مسألة أراها جديرة بالذكر والتعقيب تلك المسألة هى خوف بعض الناس على « ثقافتنا التقليدية » أن تطغى عليها تيارات أخرى غريبة عنا فى وسط لا تتكافأ فيه عناصر المحور الثلاثى ، ومع احترامى لهذا الرأى فلست أرى وجهاً لهذا التخوف للسبب الآتى :

تقوم دعائم الثقافة السودانية على أسس عربية إسلامية وهذا هو الوضع الطبيعى لبناء الثقافة فى قطر كالسودان يدين بالإسلام ويمت إلى العروبة بوشائج الدم والرحم — والإسلام كما يعرف الناس جميعاً هو عقيدة وحضارة معاً ولا يمكن لأى حضارة أخرى مهما بلغ سلطانها واجتمع نفوذها أن تمحى معالم الحضارة الإسلامية — والثقافة فى رأينا تمثل جوانب عامة من النواحى العقلية والنفسية وأساليب العيش والتفكير التى تفرضها عادة الحضارة على الناس

ولست أريد هنا أن أتعرض لمن يتوهمون بأن السودانيين والشرقيين عامة يمكن أن يتخذوا الثقافة الغربية ثقافة عالية تشمل الشرق والغرب وتقرب أوجه النظر بين الشعوب والأجناس المختلفة، ذلك وهم ساد بعض العقول فظنت أنه حقيقة وأنكرت ميراث الناس واختلاف بيئاتهم ونزعات عقولهم ومناط تفكيرهم وما لهذه العوامل من الأثر الفعال فى خلق الثقافة العامة وتوجيهها فى الطريق الطبيعى الذى تسلكه

إن ثقافة هذا الشعب عربية إسلامية ، وهذه الثقافة قد كتب لها البقاء والتغلب لأن من خصائصها أنها تأخذ وتعطى فى وقت معاً فهى لا تأبى الأساليب الجديدة والأفكار والمبتكرات والاتجاهات بل تأخذ هذه كلها ثم تصهرها فى قوالبها الخاصة وتزيل عنها عوامل الضعف والفساد مما لا يتمشى مع روحها العام ثم تعيدها مرة ثانية وهى حرة خالصة عميمة النفع سليمة الأصل .

لهذا لا خوف على « ثقافتنا التقليدية » من هذا الاختلاط ما دمنا مدفوعين بعقيدة ، وهذه العقيدة هى أننا أبناء أمة ناشئة

تريد أن تبنى مجدها على ميراثها العربى الإسلامى ، وأن لا تتخلى عن مثقال ذرة من هذا الميراث الذى يأخذ ويعطى بطريقته الخاصة ، والذى غالب الزمن فغلبه ، وما زال حياً باقياً وسيظل كذلك ما دامت فى الدنيا حياة

حول تفسير بيتين

قرأت فى الرسالة الغراء أن الأستاذ السعيد جمعة رأى لزاماً عليه أن يتقدم لتفسير هذين البيتين

بذكر الله تزدادُ الذنوب ... وتحتجب البصائر والقلوب
وترك الذكر أفضل منه (حالاً) ... فإن الشمس ليس لها غروب

والتفسير الذى تقدم به مقطوع الاتصال بالمعنى المطلوب .

والذى أراه أن لرجال التصوف نظرات عكسية تقلب الحقائق المعلومة إلى حقائق أخرى عليا لايدركها غير أهلها . فالشاعر يشير إلى علمه بعيوب بشريته ومساقط نفسه ويرى أن مقام العزة الإلهية أجل وأعلى وأرفع من أن يتلوث بذكر لسان غير منزه عن فحش القول ويرى أن جرأته على ذكر العظمة القدسية وهو فى دائرة عيوبه النفسية ذنب ، وهذا المعنى العكسى ينبعث من مقام تنزيه الألوهية عن الحاجة إلى التنزيه

أما الشطر الثانى فليس المراد به ذكر اللسان الذى يترك القلوب مطموسة والبصائر مغلقة . وإنما المراد به وصف (حال) فى أرفع مقامات الشهود حيث يكون الذكر نفسه حجاباً للذاكر عن مذكوره

وهذا ما يشير إليه فى البيت الثانى بأنه راسخ القدم فى (حال) الشهود الرفيع الشأن كما تشهد الشمس عياناً فتستغنى بشهود ذاتها عن ذكر اسمها . وهو فى مقام شهوده لا يشهد فى ذاته غير أنه عين شمس الوجود فشمسه ليس لها غروب . ويشير الأستاذ السعيد جمعة إلى هيام رجال التصوف باللغز والرمز وأنهم يشيرون بمثل قولهم (معبودكم تحت قدمى) و (ما فى الجبة غير الله) إلى مذهبهم فى الحلول . وما هى حيلتنا مع من يتهمنا بما لا يعلم . فأهل الحقيقة ليس لهم مذهب يسمى (الحلول) لأن (الحلول) يستلزم الظرفية بقولك (حل فى كذا) وهذه الظرفية باطلة فلا يشهدون فى الوجود غير الله إذ لا غيرية ولا اثنينية، فهو الله الظاهر والباطن إله واحد لو كنتم تعلمون .

أحمد فهمى الباجورى

جريدة الواجب فى عامها الخامس عشر

دخلت جريدة الواجب التى تصدر عن المنصورة لصاحبها ورئيس تحريرها الأستاذ أحمد جاد جمعة فى عامها الخامس عشر ، وبالرغم من تلك الأزمة التى انتابت الصحف بسبب ما وصلت إليه حالة الورق ، ستظهر الواجب على عهدها صباح الاثنين من كل أسبوع فى ثوب قشيب بالألوان والصور مدبجة بأقلام مجموعة من كبار الكتاب والأدباء .



أمنيـــة تحققت ...!

للأستاذ محمد سعيد العريان

كانت « سمية » جالسة إلى مكتبها فى الغرفة العليا من إدارة « شركة المبيعات الوطنية » وبين يديها الآلة الكاتبة تنقر عليها بأصابعها وهى تترنح وتهتز فى مرح ونشوة كأنما توقّع لحناً موسيقياً تناجى به أمنية عزيزة من أمنيات الشباب ، وكان على شفتيها ابتسامةٌ راضية كأنها من الأمل الذى تأمله على ميعاد ؛ وإنها لجالسة مجلسَها ذلك منذ ساعات لم ترفع رأسها ولم تبرح مقعدها ، ولكن فى وجنتيها حمرة ناضرة كأنما هى عائدة لساعتها من مجلس قصْف وشراب ؛ وكان فى السماء برق ورعد ومطر ، ولكن فى قلبها هدوء الثقة ورَوح الاطمئنان

وفرغت « سمية » من نقش الرسالة التى بين يديها ، فكفَّت أصابعها عن الحركة وراحت تخلِّص الورقة من بين أضراس الآلة الكاتبة وهى تتغنى فى صوت هامس أغنية من أغنيات الهوى والشباب . ثم نظرت فى ساعتها وهمّت أن تنهض لميعاد الغداء ؛ ودق الجرس ، وهبَّتْ سمية واقفة لتردّ تحية المدير الشاب ، ثم استأذنتْ ومضتْ معجلة إلى مثواها حيث تتوقع أن يكون أخوها فى انتظارها لموعده على الغداء . . .

* * *

لقد كانت سمية سعيدةً بحياتها على ما فيها من نَصَب وجهد ورزق محدود ؛ إذ كان لها نفسٌ راضيةٌ قنوع ، لا تتطلع إلى ما لا تملك ، ولا تعرف من أيامها غير اليوم الذى تعيش فيه ؛ فلا هى تذكر ماضياً تأسَى عليه ، ولا غداً تتشوّف إليه ؛ فوجدتْ سعادة الرِّضا حين فقدتْ سعادةَ المال ورفاهة الغنى ، وتعوَّضت من شىء بشىء

على أنها لم تكن كذلك فى ماضيها ؛ فقد كان أبوها رجلاً من رجال المال ، وكان له جاه وصيت وشفاعة ، ولكنها لم تدركه حين أدركته إلا شيخاً حُطَمة قد لبسه الدهر فأخلقه وذهب بماله وجاهه ، فلم يترك لها حين آن أوانه إلا حطاماً من الذكريات ، وخلَّفها وأخاها وحيدين فقيرين تتدافع بهما أمواجُ الحياة من شاطئ إلى شاطئ غثاء من غُثاء البحر أو زَبَداً طافياً على الماء !

على أن من كرم الله على سمية أنها لم تفتح عينيها للحياة إلا على نور ذبالةٍ توشك أن تنطفئ ؛ وباكرها اليُتم والفقر قبل أن تذوق سعادة الاجتماع ورفاهة الغنى ؛ فلم تشعر بمرارة لما صارت إليه ، إذ كانتْ لم تشعر قبلُ بما كانتْ فيه ؛ وتناولتْ الحياة كما عرضت لها . . .

وراحت سمية وأخوها يسعيان لرزقهما فى رضاً واطمئنان ، كما يسعى كل ساعٍ إلى رزقه فى غير تبرُّم ولا سخط ؛ ووجد أخوها عملاً فى مصرف من مصارف المال يضمن له الكفاف ؛ واستخدمتها شركة المبيعات الوطنية كاتبة حاسبة لقاء أجرٍ معلوم يقوم بحاجتها ويَفضل ؛ وزادها شعورها بأنها كاسبة مأجورة - وأنها لفتاة - زهواً وسعادة واعتداداً بنفسها . ولم يكن هيناً أن تجد فتاة مثل سمية عملاً فى مثل الشركة التى استخدمتها ؛ لولا أنها ابنة أبيها وأنه كان ، وكانت له على شركة المبيعات الوطنية أيادٍ تقتضيها الوفاء ، فاستخدمت سمية عطفاً عليها وعرفاناً بأيادى أبيها ، ولكنها لم تكن تدرى ، وكان أكثر من تعرف عطفاً عليها وتشجيعاً لها المدير الشاب « شفيق »

* * *

... إن غداً يوم العيد ؛ هذه أسراب الفتيات يزحمن الطريق ويملأن السيارات العامة ومراكب الترام ، رائحات غاديات من متجر إلى متجر ينتقين ثياب العيد ؛ وهذه أفواج الشباب يخطرون فى مرح ونشوة على أرصفة الشوارع وعلى أبواب المتاجر يتأهبون لاستقبال العيد ؛ وهؤلاء آباء وأمهات ، وصبيان وبنات ، فى عيونهم نظرات البشر ، وعلى قسماتهم آيات المسرة ؛ وسميةُ بين هؤلاء وأولئك لا تلقى بالاً إلى أحد منهم ، مُسرعةً تجْلى إلى مثواها حيث تتوقع أن تلقى أخاها فى انتظارها لموعده على الغداء . . .

لقد أوشك شهر أن ينتهى ولم تجلس معه مرة واحدة إلى المائدة ، فإن مواقيتهما لمختلفة ، وإن عملها فى المكتب ليقتضيها أن ترابط هناك كل ليلة إلى المساء ؛ فلا تلقى أخاها إلا رائحاً إلى فراشه ، أو غادياً على عمله فى الصباح وهو عجلان ؛ ولكن غداً يوم العيد ؛ فما أحرى أن تفرغ له قليلاً ويفرغ لها وأن تمدّ له المائدة التى يشتهيها ، وأن يجلس إليها ساعة وتجلس إليه !

وهيأت سمية المائدة وجلست تنتظر ، وأذنها إلى كل خفقة نعل على سُلَّم الدار تترقب مطلعه ... وسرَّحت عينيها على المائدة بين ألوان الطعام فاستشعرت الرضا ؛ إنها لمائدة حافلة ؛ ولكن أين أخوها ؟ إنه لم يحضر بعدُ وقد مضى على موعده ساعة ... وسمعت طرقاً على الباب نخفَّت إليه ؛ وكان الطارق ساعي المصرف يؤْذنها أن أخاها لن يحضر لموعده ، لأن عمله هناك يشغله اليوم عن مشاركتها في مائدة العيد !

وأغلقت سمية الباب ودخلت الدار وحيدة ؛ ووقفت في الشرفة برهة تنظر عيدَها وعيدَ الناس ؛ وكان في الشرفات المقابلة رجال ونساء ، وبنون وبنات ؛ وهتفت : يا أخي ! الله لك وَلي ...!

***

بَلَى ، لم تكن سمية من بنات جيلِها ؛ ولكن في أعراقها من دم أمِّها حواء ؛ وألقى الشيطانُ في قلبها أمنيَّة ...

وعزَّ عليها أن يكون غداً عيد الناس جميعاً ولا عيدَ لها ، فتمنَّت ، وكانت متواضعة في أمنيتها ... فلم تبلغ بها المنى أن تكون مثلَ فلانة وفلانة ممن رأت وعرفت ، ولم تتسامَ إلى الأمل بأن تكون من ذوات الغنى والجاه والدلال ، ولم تنس الحقيقة التي تعيش فيها فتأمل أن تتغير حياتها من حال إلى حال ؛ ولكنها تمنَّت ... تمنَّت على الله الذي يهب للناس سعادة العمر أن يذيقها حلاوة هذه السعادة حيناً ثم ... ثم يسلبها ...

ورفعت يديها إلى الله داعية : يارب ! لا أريدها إلا مذاقاً أعرف به كيف يعيش السعداء من خَلقك ... !

وأومضت في حواشي الأفق بارقةٌ من نور ، ثم خَبَت ... وسمعت سميةُ طرقاً على الباب ، فأسرعت إليه لترى ...

« شفيق ... ! »

وظل المدير الشاب واقفاً بالباب وعلى شفتيه ابتسامة مستحية وفي عينيه رجاء ، وهمس : أتأذنين ياسمية !

وأذنت له ، فدخل ودخل وراءه ساعيه يحمل إلى سمية هدية العيد ؛ وقال الفتى وقد اطمأن به المجلس : سمية ، لعل زيارتي لا تسوءك يا آنسة ! لقد طالما راودتني نفسي فنهنهتها ، ثم هأنذا ...

وتضرَّجت وجنتاها من حياء ثم أطرقت ، واستطرد شفيق : ولعلي إذا اخترتُ هذه الليلة لأزورك هنا ، أن يكون رجائي مقبولاً لديك ... أنظري إليّ ... ولا يَضِق صدرُك بي يا آنسة ؛ إن عليّ لك حقاً ، ولعلني أستطيع أن أصارحك في يوم قريب ؛ أما اليوم ...

وخفق قلب سمية وترادفت أنفاسها ؛ وأحس الفتى خجلَها فلم يُثقل ، وتهيأ للنهوض ، وتواعدا على اللقاء !

وتمتمت الفتاة شاكرة وفي عينيها دموع التأثر !

***

وخلَت سمية إلى نفسها تفكر ... وخرج الفتى يفكر ... أما هي فتبدلت نفسها منذ الساعة واستغرقها حُلم عميق ، فراحت تعرض ماضيها وحاضرها وما تأمل أن يكون في غد ، وذاقت أولَ ما ذاقت من طعم السعادة معنى القلق ... !

وأما هو فقد خَفَّت نفسُه وحلَّقت في سماواتها وأحس شعور الراحة والرِّضا والاطمئنان ، ففي يدبِّر أمره ، أطيبَ ما يكون نفساً بما فعل وبما يريد أن يفعل من أجل الفتاة التي رفعه أبوها وهيأ له سبيل الغنى والجاه والرياسة ، فإنه ليحس بأن له عليه ديناً ثقيلاً يقتضيه الوفاء لابنته !

واسترسلت الفتاة في أحلامها ... !

لقد شعرت منذ زارها شفيق وأهدى إليها هديته شعوراً لم يكن لها به عهد ، فراحت تذكر ماضيها منذ رأته أول مرة ، ثم كيف كانت تراه بعد ؛ ومضت تعلِّل وتفسِّر وتستنبط وتستشف حجاب الغد . هذه الابتسامة التي كان يلقاها بها كل صباح ، وتلك النظرة التي يودِّعها بها كل مساء ، وذلك الإحسان في المعاملة ، وهذا السخاء في المكافأة ، وهذه الهدية في ليلة العيد ... إنها آيات بينات ، وإنها لتزعم لنفسها أنها تعرف دلائلها ؛ بل إنها لتحاول الليلة أن تقنع نفسها أن ذلك الشعور الذي تشعره منذ قريب ، ليس جديداً عليها ، ولكنه سر يستعلن ، وضمير يتكشَّف ، وحبٌّ كان يستره الحياء فانكشف عنه حجابه ؛ بلى ، إنها لتحبه حباً صريحاً رسخت جذوره على الأيام في أعماق قلبها إلى إبَّانه ! هكذا قالت لنفسها قبل أن تأوى إلى فراشها لتتم في منامها الحلمَ اللذيذ الذي بدأته في يقظتِها ... !

... وقال شفيق لنفسه وهو في طريقه إلى داره : حَسَن ! لقد فعلتُ اليوم شيئاً ولكن عليّ أشياء ؛ إن روح أبيها لتتمثَّل لي لتذكِّرني بواجبي أن أكون لها كما كان أبوها لي . زهرة غضة

لفحتها أعاصير الحياة الهوج فاقتلعتها من منبتها إلى حيث ألقتها دامية على الشوك فلم تشك حظها ولم تتسخط ، ما أحراها وأحر بي أن أذيقها طعم السعادة التي حرمتها ، وأن يكون لها عيد مثل عيد الناس ! . . . هؤلاء الفتيات اللاتي يغدون ويرحن مع أزواجهن أو آبائهن يحملن هدايا العيد ويرفلن في مطارف الشباب وأبراد السعادة ، لسن أولى بما يتمتعن من سمية ... ! دين طالما هممت بالوفاء به ، ثم نهنهت نفسي حذر أن أجرح كبرياءها إن مددت إليها بالإحسان يداً ؛ ولكنه دين الحي للميت، لا حيل منه ولا براءة ، وقد استأذنتها فأذنت . . .

* * *

وراح شفيق لموعده صبيحة يوم العيد ؛ وخرجا معاً يرودان مغاني الشباب ومجالي الأنس والمسرة ذراعاً إلى ذراع ، وفي كل قلب حديثه ونجواه ...

عاطفتان من أسمى ما غرس الله في قلوب البشر ؛ أما قلب فيخفق بالحب وسعادة الأمل ؛ وأما قلب آخر فتغمره سعادة الرضا وتملؤه عاطفة أسمى وأنبل ؛ وإن في الحياة لما هو أسمى من الحب وأنبل . . .

وشعر كلاهما أن الله يظلهما بجناحي رحمته حين تحققت لكل منهما أمنيته . . .

ومضت الأيام بها وبه سعيدين لا يكاد يشغلهما عن أمرهما شيء ؛ والشباب يجدد لسمية كل يوم مناها ويوقظ أحلامها وهي نائمة ؛ ثم استيقظت فجأة . . .

وغدا عليها شفيق ذات صباح ينبئها . . .

... كانت سمية قد ذاقت في أيام قلائل من ألوان السعادة مالم تكن تتوقع أن يتهيأ لها في عمر مديد ، ونالت — بمعونة صديقها — حظوة ورياسة في العمل الذي تتولاه لا تتسنى لمثلها بعد سنين من المثابرة والدأب ، وزاد أجرها زيادة مرموقة تهيئ لمثلها العيش الرغد في أمان وثقة بالمستقبل ؛ ولكن الغد السعيد الذي كان يتخايل لها في أحلامها ويقظتها ، وتتنوره على البعد قريباً قريباً دون مد ذراع — كان يشغلها عن الشعور بما هي فيه ؛ فلم تكن من كانت ، فتاة تعيش ليومها بلا ماض تأسى عليه ولا أمل تتشوف إليه ؛ وهل يعيش العاشق إلا في أحد يوميه: أمسه وغده ؟ ... ولكن هذا الغد الذي كانت تتوهم أنها تنظر إليه — حين تنظر — من وراء ستر رقيق ، لم يكن إلا صورة في إطار ليس وراءه إلا الحائط الصلب، على حين كانت تظن أنها بالغة إليه بين صبح ومساء ؛ ومدت يدها تهتك الستر لترى ، فإذا الإطار الذي يمسك الصورة الخادعة يردها إلى حقيقة دنياها فيوقظها من أحلامها ...

... وقال لها شفيق : أنت مدعوة غداً يا صديقتي إلى حفل زفافي ... !

وفغرت الفتاة فاها مدهوشة وهتفت : « حفل زفافك ! »

إذن فهو لم يكن يحبها ، ففيم كانت هذه العناية بها ؟ . . . وعرفت بعد لأي ، فسكتت ؛ ثم خلت إلى نفسها فأرسلت عينيها أسفاً وندامة !

نعم ، إنها لم تخسر شيئاً ، ولكنها فقدت الأمل الذي عاشت له أياماً من حياتها كانت كفيلة بأن تنشئها خلقاً آخر ؛ ولم يخدعها صديقها أو يزور لها الحقيقة ، ولكنها هي خدعت نفسها فباءت بالخسران والحسرة !

قلبان كانا يخفقان لمنيين متباعدين لم يتكاشفا ممنى لممنى ، ألقى الشيطان بينهما أمنية فرقت بينهما على حين كان يرجى بقاء الوداد ؛ ما ذنبها ؟ وما ذنبه ؟ ذلك حكم القدر !

* * *

وعادت سمية وحيدة إلى مثواها ، كعادتها يوم كانت ، ولكنها اليوم فتاة غير من كانت !

لقد نالت كثيراً مما كانت تتمنى ، وحظيت من حظ الحياة بما لم تكن تأمل ، ولكن . . .

وذكرت موقفها ذات ليلة ، يوم رفعت يديها إلى الله داعية : « يا رب ! لا أريدها إلا مذاقاً أعرف به كيف يعيش السعداء من خلقك . . . ! »

هكذا كانت دعوتها ، فهل كان شيء غير ما أرادت ؟

لقد استجاب الله دعاءها ، فأذاقها من ألوان السعادة ما لم تكن تتوقع ، وزادها على ما أرادت ؛ ولكنها لم تكسب شيئاً . . .

لقد باعت الغالي بالخسيس ، يوم باعت سعادة الرضا بسعادة الأمل . . . !

محمد سعيد العريان

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطانة حسين — عابدين)

8me Année No. 386

Lundi - 25 - 11 - 1940

بدل الاشتراك عن سنة

مـ

٦٠ فى مصر والسودان

٨٠ فى الأقطار العربية

١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى

١٢٠ فى العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

السنة الثامنة « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٥ شوال سنة ١٣٥٩ — الموافق ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٤٠ » العـــدد ٣٨٦

الفهــــــرس

إنجلترا هى المثـــل

قال شوقى : « وإنمـا الأمم الأخلاق ما بقيت » ... فقال تشرشل : صدق وإنجلترا هى المثل ! وكأنه حين قال : « فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا» ... قال بيتان : صدق وفرنسا هى المثل !

ولـكن الذى يضع القاعدة بالقول لا يستوى هو ومَن يطبقها بالفعل ؛ وشتان بين من يطبقها على وجه السلب وبين من يطبقها على وجه الإيجاب !

إن تحريك اللسان فى الفم أسهل على المرء من تقليب اليد فى العمل . وإن رجل التجربة والخبرة ، أصلح للحياة من رجل النظر والفكرة . وإن تنشئة الفرد على حب الفضيلة أدخل فى إمكان المربى من بناء الأمة على أساس الخلق . . . ذلك لأن تهذيب النفس عمل البيئة والقدوة والعادة ، وتهذيب الجنس أثر الانتخاب الطبيعى والدهر الطويل . ومن الـكثير الغالب أن تجد واحداً تصلح فيه كل غريزة ، ولـكن من القليل النادر أن تجد شعباً يصلح فيه كل واحد . ولعلك لا تجد فى عمر الإنسانية شعباً سـلم تجمُّعه بسلامة آحاده غير الشعب العربى فى الماضى والشعب الإنجليزى فى الحاضر . ومرجع ذلك فيما نظن إلى انعزال العرب فى الصحراء ، وانعزال الإنجليز فى البحر ، والعزلة فى مثل هذه الحال تنفى خَبَث الاختلاط عن مزايا العنصر الأصيلة فتنضج وتخلص كما ينضج الدر اليتيم فى قاع البحر، ويخلص

الحجر الكريم فى جوف الأرض . فلما خرج العرب للفتح ، ثم خرج الإنجليز للاستعمار ، ضيع بنو الصحراء خصيصتهم لأنهم انماعوا فى الشعوب الأخرى بالمصاهرة ، وحفظ بنو الماء ضريبتهم لأنهم انقبضوا عن الناس وترفعوا عن الأجناس فظالوا فى عزلة

كان الناس يقولون إن إنجلترا أدركتها أعراض الهرم من دوام النعيم وطول السلامة ، ويعجبون مع ذلك أن تملك سدس العالم وتستمكن فيه ، والإنجليز فى كل أرض قلة ، ووسائلهم فى تملق القلوب ومداهنة النفوس قاصرة ، والتمويه والخداع والاستغفال والمصادقة والحظ عوامل قد تساعد على الغَلب ، ولكن فعلها لا يجوز على كل الناس ولا يدوم على طول الزمن . فلم يبق إلا أن يكون فى هذا الشعب العجيب سر من أسرار الطبيعة تنبجس منه حياته الدفاقة الخلاقة كما تنبجس الحيوات الدنيوية بمظاهرها وآثارها عن الروح المجهول

فلما أخذت العالمَ هذه الرجفةُ النازية ووقفت انجلترا بقوتها وسطوتها وثروتها ووجودها فى سعير المحنة ، استعلن فى حلك الخطوب ذلك السر فإذا هو الخلق ، ولا شيء غير الخلق . ولم تسفر الأيام عن أصدق من هذا المثل الإنجليزى الحاضر لقدرة الخلق المظيم على حياطة الدولة ووقاية الأمة وخلق المعجزة التى تحيل القنوط أملاً والضعف قوة

كانت أوربا فى العام المنصرم من طول ما هوّلت عليها الهتلرية الباغية قد وقفت صفوفاً متلاصقة متلاحقة من الشباب والحديد والنار ترابط على الحدود لشياطين الصليب الأعقف ؛ وكانت انجلترا من وراء البحر تمدها بالمال والرجال والأسلحة لا تدخر لجزرها شيئاً منها ، ولا تكاد تخطِر على بالها أن العدو سيجد من بين هذه الصفوف المرصوصة ثغرة يقتحمها ليرميها عنها . ولكن هتلر هجم على أخلاق أوربا قبل أن يهجم على جيوشها ؛ فهتك أستار الدول بالجواسيس ، وبلبل عقائد الناس بالدعاية ، وشرى ضمائر الساسة بالمنى ، وبث فى دخيلة كل أمة دعاة الهزيمة وسماسرة النفاق يزيفون الوطنية فى كل نفس ، ويميتون الحمية فى كل رأس ، حتى تركوا القوم تماثيل من غير خلق ولا روح ؛ ثم أرسلوا على هيا كلهم المنخرة الجوفاء الدبابات كما ترسل على هشيم الحنطة آلة الحصاد . فلم تك إلا أيام تضيق عن فناء القطيع بالوباء السريع ، حتى استكان الضعيف ، واستخذى القوى ، وانبسط ظلام النازية على ممالك كانت بالأمس مسارح للسلطان والمجد ، فأصبحت اليوم سجوناً للأحياء وقبوراً للموتى ، ووقفت انجلترا وحدها أمام أوربا الصارعة المصروعة ، وقد فرغ لهما الطاغيتان وسلطا عليها فى الغرب والشرق ، وفى الجو والبحر ، كل ما ادخراه وأرصداه من آلات الدمار والبوار فى بضع سنين

كانت خطتها فى الدفاع قائمة فى أكثر ميادين البر على عاتق فرنسا ؛ فلما وهى هذا العاتق وانحل سقطت هذه الخطة على خلاء . فكان على انجلترا بعد نكبة جيشها فى الشمال وانهيار حليفتها المفاجئ أن تجدد العدة وتسد الخلل وتدفع الموت الهاجم على أرضها وبنيها من الجهات الأربع ؛ وكل ذلك كان يقتضى أن يكون لها فى كل أرض جيش ، وفى كل بحر أسطول ، وفى كل سماء أسراب . فلو أنها استجابت لهذه الجدود العواثر ونكلت نكول فرنسا لما خالف ذلك منطق الحوادث

ولكن هنا ظهرت المعجزة ، وما المعجزة إلا خلق هذا الشعب المختار ! تجرد هذا الشعب عن فرديته ، ونزل عن حريته وثروته ، وجعل مُلكه وجهده وروحه فى يد تشرشل ينفقها حيث يشاء وكيف يشاء ؛ وانكب هو على العمل الدائب ليل نهار ، لا تموّقه الأخطار ولا تضعضعه الكوارث ، حتى رأيناه فى أقل من خمسة أشهر يفسد على الفوهرر خطة الغزو ، ويفوّت على الدوتشى فرصة الهجوم ، ويشد على أنفاس أوربا بالحصر ، ويلجئ الطغاة العتاة إلى استجداء المونة من الأقل ، وابتغاء النصرة من الأذل ! ذلك ولم نسمع خلال هذا الصراع الجبار وذلك الخطر المؤيس أن جندياً عبث ، أو قائداً خان ، أو وزيراً غش ، أو حزباً نفس على حزب ما نسميه نحن نعمة الحكم

إن الله أمدّ الإنجليز بجيوش لا تقهر من الصدق والصبر والثقة بالنفس والإيمان بالله والحرية والديمقراطية والإمبراطورية

فياليتنا حين حالفناهم على السياسة والدفاع ، حالفناهم كذلك على الآداب والخلق ! لقد كنا بأخلاق القرآن قدوة للأقوياء ، فأصبحنا وا أسفاه بضلالات الأذهان عبرة للضعفاء !

احمد حسن الزيات

أخلاق القرآن

الصدق

للدكتور عبد الوهاب عزام

الصدق هو الإبانة عن الحق، والإخبار بالواقع. وبه يستقيم التفاهم بين الناس، ويكون التناصح والتعاون، وتسجل الحقائق والوقائع؛ وبدونه يصير تخاطب الناس غشاً، وتفاهمهم باطلاً، وتعاونهم محالاً

يتخاطب الناس ليخبر بعضهم بعضاً عن حقائق واقعة فى العالم أو فى أنفسهم، أو ليبين بعضهم لبعض عن أمل بأمله، ورأى فى بلوغ هذا الأمل. فإن كان الكلام غير مبين عن الحق فهو تضليل يسيّر أعمال الناس على ضلال، وهو غش يؤدى إلى التفريق بين الناس لا التعاون

ثم الكذب يجر بعضه بعضاً لأنه لا مكان له بين حقائق العالم فيُضطَر الكاذب إلى أن يغير حقائق كثيرة ليَخيل كذبه على السامع وليلائم بين ما أخبر به وبين حقائق تخالفه. فإذا قال قائل: قابلت فلاناً أمس فى مكان كذا، فقيل له إن فلاناً لم يكن أمس فى هذا المكان اضطر إلى أن يقول جاء إليه ثم سافر. وإن قيل إن هذا المكان لم يكن الذهاب إليه أمس ممكناً ادعى من الأباطيل ما يوهم أن الذهاب إليه قد أمكنه، ولم يكن بد من سلسلة من الأكاذيب يربط بها كلامه بالوقائع المعروفة بين الناس

وعلى قدر ما فى كلام الناس من صدق توافق أعمالهم حقائق هذا العالم فتنجح، وعلى قدر الكذب تبعد الأعمال من الحقائق فتخيب ...

وقد أجمعت أخلاق الأمم وشرائعها على الدعوة إلى الصدق، والنهى عن الكذب ووكّدت تجاربُ الناس ما عرفوا فى الصدق من خير، وما رأوا فى الكذب من شر. وهل كان التخاذل بين الناس والتنافر والتحارب والضلال إلا بضروب من الكذب والغش والخديعة؟ وهل ذهب كثير من أعمال الناس ضياعاً وكثير من أقوالهم هباء إلا بالكذب ونتائجه؟

والقرآن الكريم، وهو ترجمان الدين الحق والدعوة الصادقة، يؤكد الدعوة إلى الصدق ويُشيد بذكر الصادقين، ويشتد فى النهى عن الكذب ويلمز الكاذبين. كررت هذا آياته، ودارت عليه دعواته

والصدق، فيما يتبيّنه قارئُ القرآن، يكون فى القول والفعل؛ فكما يصدق الإنسان بالإنباء عن الحق يصدق بتأدية الواجب المرجوّ منه. فمن أوفى بعهده، ومن ثبت فى نصرة الحق الذى يدعو إليه، ومن قام فى الخير المقام الذى يجدُرُ به، فقد صدقت أفعاله ووافقت ما ينتظر منه فى معترك الحياة

وقد عدد القرآن خلالاً من البر كالصدق والوفاء بالعهد والصبر فى الشدة وختم الآية بقوله: «أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون.» فسمى هذه الأعمال صدقاً

ويقول القرآن الكريم: «من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا» ويقول: «وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطاناً نصيراً»

مدخل الصدق ومخرج الصدق أن يدخل الله الإنسان فى كل الأمور إدخالاً صادقاً ملابساً للحق والخير، وأن يخرجه من الأمور كلها كذلك إخراجاً مقارناً للحق والخير، فيجعل تصرفه فى الأمور كلها كما يجب عليه ويرجى منه، فى غير رياء ولا تزوير ولا تضليل ولا غش ولا خداع

وقال القرآن فى جزاء المؤمنين والمتقين: «وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم» وقال: «إن المتقين فى جنات ونهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر» فقدم الصدق يراد بها المسعى الصادق الذى يدّخر عند الله جزاؤه، أو المقام المحمود عند الله تعالى، ومقعد الصدق المنزلة التى تفى بما استحقوا من ثواب

والكذب فيما يفهم من الآيات القرآنية يكون كذب الأقوال وكذب الأفعال كذلك. فمن فعل غير ما يقتضيه حاله فهو كاذب، ومن حشر نفسه فى غير زمرته فقد كذب، ومن اتخذ غير شارته فقد كذب، ومن قعد عن نصرة الحق وهو قادر فهو فى مقام الكاذبين، ومن فرّ عما يلزمه الثبات له أو الدفع عنه فقد كذبت دعواه ومظهره؛ فإن هؤلاء جميعاً قد وعدت أحوالهم وأخلفت أفعالهم، وقد حكى القرآن الكريم عن قوم آمنوا بالرسل ثم دعوا إلى الارتداد، أنهم قالوا:

«قد افترينا على الله كذباً إن عدنا فى ملتكم بعد إذ نجّانا الله منها». فقد سمّوا الرجوع إلى الباطل بعد أن استبانت

دلائل الحق ، كذباً على الله . وقريب من هذا قوله فى قصة يوسف : « وجاءوا على قميصه بدم كذب »

وحسبنا هذا بياناً لوصف القرآن الأفعال بالصدق والكذب كما توصف الأقوال

والقرآن الكريم يأمر بالصدق فى كل صُوَره ، وينهى عن الكذب فى جميع أشكاله ؛ وكفى بقوله : « يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين »

واشتد القرآن فى تقبيح الكذب ولعن الكاذبين ؛ وجعل الكاذب أظلم الناس ، ووصفه أشنع الأوصاف

قال : « فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بآياته إنه لا يُفلح المجرمون[١] » . وقال : ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أولئك يعرضون على ربهم ، ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ، ألا لعنة الله على الظالمين[٢] » . وقال : « فمن أظلم ممن كذَب على الله وكذَّب بالصدق إذ جاءه ؟ أليس فى جهنم مثوى للكافرين . والذى جاء بالصدق وصدّق به أولئك هم المتقون ، لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين ، ليكفّر الله عنهم أسوأ الذى عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذى كانوا يعملون[٣] » . وقال : « ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودّة . أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين[٤] » . وقال : « انظر كيف يفترون على الله الكذب . وكفى به إثماً مبيناً[٥] »

وبين القرآن أن الكذب يمنع صاحبه الهدى ، ويجور به عن القصد . وكيف يهتدى الكذاب وهو يتعمد طمس الحق ، والعدول عن الرشد ؟ إنما يهدى الله من أخلص قوله وفعله وتحرّى الحق جهده غير مائل مع الهوى ، ولا سائر مع الباطل . قال : « إن الله لا يهدى من هو كاذب كفار[٦] » . وقال : « إن الله لا يهدى من هو مسرف كذاب[٧] »

وقد بالغ القرآن فى عقاب بعض الكذبة فجعل كلامهم مظنة الكذب دائماً وأهدر شهادتهم . وتلكم عقوبة المفترى على النساء الصالحات . قال : « والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون[١] » . وقال : « إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم . يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون[٢] »

بل أمر القرآن بالتثبت وحذر من الظن الكاذب وجعله إثماً فقال : «اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم»[٣] ؛ ونهى عن مظان الكذب والخطأ فقال : « ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا » وكذلك بين القرآن أن عاقبة الكذب أن يعود الإنسان على مخالفة الصدق ومجانبة الحق، حتى يستقر النفاق فى قلبه قال: « فأعقبهم نفاقاً فى قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون»

وكثيراً ما يقرن القرآن الكريم الصبر بالصدق ، وهما من منبع واحد ، هما من المروءة والكرامة والأنفة والشجاعة التى تقول الحق غير مبالية ، وتصبر على الشدائد غير مستخذية

الصدق فى القول والفعل خلق يبين عن صفاء النفس وخلوصها وصراحتها وحبها الحق ، وميلها عن الباطل ، ونفورها من المداجاة والمراءاة والنفاق والخداع ، خلق يأبى التكلف والتصنع ويربأ عن الذلة والخنوع ، خلق ينطق بالإباء والشجاعة ، وحب الخير للناس ، وتحكيم قوانين الله فيما بينه وبينهم لا يثنى صاحبه عن هذه القوانين حولاً ، ولا يرضى لمنفعة نفسه الاحتيال لإخفاء الحقائق ، والتماس غيرها من الوسائل المخترعة المزورة

وذلكم هدى القرآن وشرعة الإسلام ، وسيرة المسلمين الأولين نطقت به مآثرهم فى الحرب والسلم وفى معاملة العدو والصديق . كانوا فى أقوالهم وأفعالهم حرباً على الباطل والبغى والكذب ، فكانت سيرهم مثلاً من الحق الصريح الذى لا يشوبه رياء ولا مداراة ولا مداجاة ، فجزاهم الله بصدقهم أن مكن لهم فى الأرض وملكهم أزمة الأمم يسوسونها بعدل الله ابتغاء مرضاة الله كما قال : « ليجزى الصادقين بصدقهم »

وتلكم أيها المسلمون الأسوة الحسنة فاجعلوها نصب أعينكم واتخذوها هدياً فى رضاكم وغضبكم، ومنشطكم ومكرهكم، وحربكم وسلمكم، وشدتكم ورخائكم . فإنما هى قانون الله وهدى القرآن وصدق الإسلام وميراث السلف الصالح ، وذخر الخلف الطامح

« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين »

صدق الله العظيم .

عبد الوهاب عزام

(١) يونس (٢) هود (٣) الزمر (٤) الزمر
(٥) النساء (٦) الزمر (٧) غافر

(١) النور (٢) النور (٣) الحجرات

مسابقة الجامعة المصرية

لطلبة السنة التوجيهية

للدكتور زكي مبارك

— ٣ —

الإنجليز في بلادهم

كتب إليَّ أحد الزملاء يقول إنه كان ينتظر أن أكتب كلمة أنقد بها الطريقة التي اختيرتْ بها كتب المسابقة، وأجيب بأن هذا يعطل المشروع بعض التعطيل، وهو مع ذلك لن يغيِّر الواقع، فلن تعدل الوزارة مشروع المسابقة في هذه السنة، ولن تلتفت إلى انصراف فريق من الطلبة عن بعض تلك المؤلفات، فلم يبق إلا أن نؤجل الكلام عن نقد طريقة الاختيار، وأن نمضي في هذه الدراسات إلى آخر الشوط، تحقيقاً للغرض الذي رمينا إليه وهو توجيه أولئك الطلاب

وحديث اليوم عن كتاب « الإنجليز في بلادهم » لمعالي الأستاذ حافظ عفيفي باشا، فمن المؤلف؟ وما غرضه من تحبير تلك الفصول الطوال؟

نُشِر هذا الكتاب سنة ١٩٣٥. أما مواده فقد جُمِعتْ بين سنة ١٩٣١ وسنة ١٩٣٣، وكان هذا الرجل سفيراً لمصر في لندن، فهدته فِطرته السليمة إلى التفكير في تعريف المصريين بالإنجليز، « الإنجليز في بلادهم » لئلا يعترض معترض بما يضاف إلى الإنجليز خارجَ تلك البلاد، وكذلك كان التوفيق حليف المؤلف حتى في العنوان

لا أجد ما أقوله في حافظ عفيفي بعد الذي قلته في كتاب (الأسمار والأحاديث) ولكن يجب النص على أن حافظ عفيفي من الشخصيات الدبلوماسية التي تتجه إليها الأنظار من حين إلى حين، وكتابُه عن « الإنجليز في بلادهم » صورة من صور الدبلوماسية، ولكن بمعناها الحق، لا بمعناها المألوف، فهو يريد أن نعرف الإنجليز في محاسنهم التي خلا وصفها من الترفق والتلطف، وفي مساويهم التي سَلِم وصفها من التزيد والافتراء.

و « دبلوماسية » حافظ عفيفي طرازٌ جديد، لأنها تقوم على أساس التعارف الصحيح، وتنأى عن شوائب المصانعة والدهاء؛ ولهذا الطراز من الدبلوماسية عيوب، لأنه يعوِّق صاحبه في كثير من الأحايين، ولكن العواقب الحميدة لن تكون إلا من نصيب الدبلوماسية القائمة على المصارحة فيما جلَّ ودقَّ من شؤون السياسة وشؤون الاقتصاد، ومن هنا جاز أن تقع في كتاب حافظ عفيفي عبارات لا يقولها رجل كان سفيرنا في انجلترا بالأمس وقد يكون سفيرنا عندها في الغد، كالذي وقع حين نص على « أن انجلترا لم تدخل ميدان الاستعمار لأغراض إنسانية كتمدين الشعوب المتأخرة ولا لفائدة المهاجرين الأوربيين بل سعياً وراء الربح من الاتجار في محاصيل المستعمرات والحصول على ما تحتاج إليه من المواد الأولية، وإيجاد حمولة لأسطولها التجاري وسوق لتصريف محصولاتها ومصنوعاتها ».

وكالذي وقع منه حين أيَّد هذا الحكم بالقوانين التي أصدرتها انجلترا، القوانين القاضية باحتكارها للتجارة الخارجية للمستعمرات بالنسبة لأهم المحاصيل، وتحريم تصدير الدخان والسكر والقطن الخام والأصباغ الطبيعية والنحاس ومواد بناء السفن على المستعمرات، والقوانين القاضية بتحريم نقل ما يَصْدُر عن المستعمرات أو يرِد إليها على السفن الإنجليزية، وبعض القوانين التي كانت تحرِّم على المستعمرات إنشاء بعض الصناعات التي قد تنافس الصناعات الإنجليزية، كصناعة الحديد مثلاً؛ وبعض القوانين التي كانت تحرم على المستعمرات تصدير بعض المصنوعات التي تزاحم المصنوعات الإنجليزية

فهذا كلام لا يقوله دبلوماسيٌّ « مصقول »، وإنما يقوله دبلوماسي « صريح » والصراحة عيب جميل، إن جازت مجاراة الزمن المقلوب في عدها من العيوب!

ما هو الغرض من هذا الكتاب؟

حافظ عفيفي لم يبتكر هذا الفن من التأليف، وإنما سار في طريق مسلوك عبَّده الأوربيون من أجيال طوال، فالأدب الفرنسي مثلاً فيه عشرات من المؤلفات الجياد لتعريف الفرنسيين بحيوات الإنجليز والألمان والطليان والروس، وأهل مصر والشرق العربي يعرفون الكتاب الذي نقله فتحي زغلول عن الفرنسية منذ أكثر من ربع قرن عن « سر تقدم الإنجليز السكسونيين » وهو كتاب له نظائر وأشباه قد تصل إلى المئات إذا راعينا النشرات الطويلة والقصيرة التي أريد بها تعريف

الفرنسيين بأهم أمم الشرق والغرب ... ومؤرخو الأدب الفرنسي لم يفتهم أن ينصوا على التطور الذى صار إليه أدبهم بعد ذيوع كتاب مدام دى ستال عن الألمان

حافظ عفيفى لم يبتكر من الوجهة العالمية ، وإنما ابتكر من الوجهة المصرية ، فهو أظهر سفير مصرى تعقب البلد الذى عاش فيه بالاستقراء والاستقصاء

ومن الواضح أن فى أدباء مصر رجالاً قدموا لبلادهم خدمات من هذا النوع ، ولكن السفير يملك ما لا يملك الأديب من نواحى الوثائق والأسانيد ، وله أفق يختلف بعض الاختلاف عن أفق الأديب ، والمسئولية التى يحسها السفير قد تجعله أدق من الأديب فى الحكم على خصائص الممالك والشعوب

فهل يكون حافظ عفيفى قدوة لسفرائنا فى أقطار الشرق والغرب ؟ وهل ننتظر أن تضاف إلى الأدب العربى ثروات من هـذا الفن الطريف ، فنعرف من كل سفير ببعض ما عرفنا من حافظ عفيفى ؟

النظرة المصرية

إلى هنا عرف القارئ أن حافظ عفيفى يريد ضرب الأمثال ، فأين نجد النظرة المصرية فى كتاب هذا الباحث الحصيف ؟

فى كلام المؤلف عن الطبقات كلام ينفع أهل مصر ، وهو الـكلام الذى ينص على الأزمة الزراعية فى بلاد الإنجليز . وفى كلامه عن الدستور البريطانى أحاديث تنفعنا أجزل النفع ، وهى الأحاديث التى تشهد بقوة « التماسُك الإنجليزى » وأريدُ بالتماسُك القدرة الذاتية على مقاومة أسباب الضعف والانحلال ، فللتقاليد الدستورية فى نظر جميع الساسة البريطانيين احترام القانون « يرعاها الجميع حتى تحلّ محلها حقوق أخرى تكون أوفى منها فى تأييد سلطة الأمة » ، وتلك التقاليد تتغير دائماً مع الزمن ، ولكنها تتغير فى سكينة وهدوء ... وسُلطة البرلمان تستند إلى شخصية النواب ثم إلى التقاليد السياسية والسوابق أكثر مما تستند إلى المسطور من القوانين ... والحركات الشعبية التى قامت فى بريطانيا إنما كانت ترمى فى أكثر الأحيان إلى رغبة الشعب فى التمتع بحقوق الانتخاب أكثر مما كانت ترمى إلى زيادة سلطة البرلـمان ... ولم يحصل فى إنجلترا أن يناط بفريق من المشرعين أو بهيئة نيابية منتخبة مهمة تحرير دستور شامل يُرغَم على قبوله حاكم مستبدّ ، ويكون فاصلاً بين عهد الاستبداد وعهـد الحرية ... ومع أنه لا يوجد فى الدستور البريطانى نص يمنع الملك من حق الرفض لإمضاء أى قانون يقرّه البرلمان ولا يوافق عليه الملك ، فإنه لم يستعمل ملك بريطانى هذا الحق من عهد الملكة آن . . . ومع أنه لا يوجد نص مكتوب فى أى قانون دستورى يحدّد مسئولية الوزارة أمام مجلس النواب ويرغمها على الاستقالة إذا لم تنل ثقته ، فمبدأ مسئولية الوزارة محترم كل الاحترام ... ومع أنه لا يوجد نص دستورى يمنع الملك من رياسة مجلس الوزراء فقد روعيت سابقة وقعت فى عهـد جورج الأول وكان ألمـانيًّا يجهل الإنجليزية ، ولم نُرَ فائدة من رياسته لمجلس الوزراء

وهنا أرجو طلبة السنة التوجيهية أن يقرأوا ما كُتب فى هذا الـكتاب عن « الدستور البريطانى » قراءة فهم ونقد واستقصاء ، لأن المجال يضيق عن تشريحه فى هذا الحديث ، والمهمّ هو ربط ما جاء فى هذا الفصل بما درسه الطلبة فى مرحلة الثقافة العامّة عن التربية الوطنية ، فإن فعلوا ـ وسيفعلون ـ كان من السهل أن يدركوا مرامى المؤلف فى هذه الشؤون

وأقول بصراحة إن المؤلف يهمه أن يبيّن قيمة الشخصية الإنجليزية من ناحية التماسك السياسى والاجتماعى ، فأحوال انجلترا تتغير من وضع إلى وضع ، ولـكن فى هدوء وطمأنينة وثبات ، ولولا مَلَـكة التماسك لاستحال على شعب كان أفراده لا يزيدون على ثلاثة ملايين أن يملك شرف الاستقلال فى آماد ترجع إلى عشرة قرون

وينبغى للطالب أن يقرن ما كُتب عن الدستور البريطانى بما كُتب عن الامبراطورية البريطانية . فأقدم مستعمرة ظفرت بحقوق الاستقلال الذاتى هى المستعمرة التى وُجد فيها سكان بريطانيون ، ومعنى ذلك أن الإنجليزى ينقل مبادئه فى الحرية إلى أى وطن ينتقل إليه ، كما ينقل معه عقيدته الدينية . . .

ومن فصول هـذا الـكتاب نعرف أن الإنجليزى حين يغترب لا ينسى خصائصه الذاتية ، ونعرف أنه بطىء فى التطور إلى حد الجمود ، والبطء فى التطور هو ما أسميه التماسك ، لأن التطور السريع لا يخلو من ثورة على الشخصية الذاتية ، وما يقال عن « البُرود » الإنجليزى هو من ذلك ، فالإنجليزى بارد ، أى بطىء التحوّل ، وكذلك كان العرب سادة حين نعموا بمثـل هذا « البُرود » فكانوا فى رياض الأندلس « متطبّعين » بطباع

أرباب الشِّيح والقيصوم ، وكانت أخيلة الجزيرة العربية هى المثال فى التشبيهات والاستعارات والكنايات ، حتى صح لبعض الغافلين أن يقول إن العرب لم يتطوروا فى كثير أو قليل ، وأنهم ظلوا مشدودين إلى وطنهم الأصيل

وقد قلت مرة أو مرات « إن العرب كانوا إنجليز زمانهم » ومعنى ذلك أنهم كانوا أوفياء لخصائصهم الذاتيـة ، فكانوا يتكلمون كما كان يتكلم آباؤهم الأقدمون ، وكانوا ينقلون المصحف والمسجد إلى كل أرض ، كما ينقل الإنجليز الكنيسة والإنجيل إلى كل أرض . ولو كان التطور الشامل أداة من أدوات النفع لترك العرب قرآنهم فى الأندلس ، وترك الإنجليز إنجيلهم فى الهند ، فلم يبق إلا الاعتراف بأن التطور الشامل من صور الانحلال ، وإن كان فى نظر الغافلين من صور التحرر والاستقلال !

من كتاب حافظ عفيفى نعرف أن الإنجليز تطوروا تطوراً ملحوظاً ، ومن كتابه نعرف أنهم ظلوا برغم ذلك التطور الملحوظ إنجليزاً أقحاحاً ، فما معنى ذلك ؟ معناه أن الرجل الأصيل يحفظ خصائصه الذاتية وإن قهرته الظروف على التنقل من حال إلى أحوال

ومن كتاب حافظ عفيفى نعرف أن الإنجليز يلوِّحون دائماً بفكرة العدل — وما يهمنى فى هذا المقام تحقيق الغرض من هذا التلويح — وطواف الأذهان حول فكرة العدل له مدلول ، فهو يشهد بأن الإنجليز يهمهم دائماً أن تكون سمعتهم بمنجًى من الأقاويل والأراجيف ، فكل مشكلةٍ خليقةٌ بأن تُعقَد لها لجنة أو لجان ، وكل ثورة أهلٌ بأن يُطَبَّ لها بالترفق والاستبقاء ، ومن هنا كان الإنجليز أساتذة الأمم فى فن « الدعاية » وعنهم تعلم الطليان والألمان . وفن الدعاية يراد به « تحديد الموقف » وموقف انجلترا فى دعواها هو دائماً موقف المصلح المظلوم ، وهى سياسة تدل على براعة أولئك الناس فى التخلص من مواطن الشبهات . والسياسى الحق هو الذى يهتف فى كل لحظة بأنه من الأبرياء ، براءة الذئب من دم ابن يعقوب ، وإن كان أعزف المخلوقات بمصدر العدوان على ذلك الشهيد !

فإن نظر طلبة السنة التوجيهية إلى كتاب حافظ عفيفى ، كما نظرت إليه ، عرفوا منه أشياء وأشياء ، ولم يفتهم غرض المؤلف فيما طواه بفضل براعته الفائقة من دقائق الشؤون ، والسياسيون يطوون أغراضهم فى بعض الأحيان !

أسلوب المؤلف

هو أسلوب علمى يخلو خلوًّا تاماً من التحسين والتجميل ، ويمتاز بالوضوح والجلاء ، وقد تقع فيه ألفاظ تحتاج إلى تعديل ، كأن يقول « الجمعية الإنجليزية » وهو يريد « المجتمع الإنجليزى » وقد يقع فى تعابيره شىء من الغموض ، كأن يقول : « ولم يترتب على عدم وجود نصوص محدودة لسلطة مجلس النواب الإنجليزى تحديد فى الواقع لسلطاته » ، فهذه العبارة تحتاج إلى تأمل قليل ، ومن واجب الكاتب أن يجعل تعبيره أوضح من أن يحوج القارئ إلى تأمل ما يريد

والذى ينظر فى كتاب حافظ عفيفى لا يشعر أنه أجنبى يكتب عن الإنجليز ، فقد ملك المؤلف ناصية الموضوع بحيث يظن القارئ أنه ينظر فى كتاب ألفه أحد أبناء تلك البلاد ، ومع ذلك نلمح فى مواطن قليلة أن المؤلف استأسر للمراجع ، كأن يذكر عدد الجرائد فى انجلترا سنة ١٨٢٨ وسنة ١٨٨٦ وسنة ١٩٠٩ ، وكان المنتظر أن يذكر عدد الجرائد فى الوقت الذى ألف فيه الكتاب ، ولكنه فيما نرجِّح وقف عند أحد المراجع التى نشرت من قبل ، ولم يشغل نفسه بتحديد ما جد فى تطور الصحافة بعد ذلك الحين

توجيهات

ينقسم كتاب حافظ عفيفى إلى ستة أبواب ، وتنقسم الأبواب إلى فصول ، فضلاً عما فيه من مقدمات تشتمل على محصول نفيس. ولن يستطيع الطالب أن يقول إنه استفاد من مراجعة هـذا الكتاب إلا إذا جمع لنفسه خلاصة وافية لما كتب المؤلف عن تاريخ الحياة الدستورية ، وما قاله عن السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية ، وما فصَّل من الحديث عن الصحافة والأحزاب ، وحرية التجارة والحماية الجركية ، وما شرح من أحوال الميزانية ونظام البنوك ، وما دوَّن من أغراض التعليم وأنظمة الجامعات ، وما قيد من خصائص القضاء وأنواع المحاكم ومجالس التشريع ، وما تعرض له فى سرد أطوار الأمبراطورية البريطانية

تلك ملامح هذا الكتاب ، أما جوهر المحصول فهو ثمين إلى أبعد الحدود ، وهو مع ذلك سهل المنال على الطالب الذى اجتاز مرحلة الثقافة العامة بوعى وإدراك

ولكن كيف يجمع الطالب لنفسه تلك الخلاصة الوافية ؟ لنفرض أنه شرع فى الباب الخاص بتكوين الرأى العام فقرأ

الفصل الأول عن الصحافة الإنجليزية ، فاذا يفيد حين يقرأ هذا الفصل ؟

يفيد تطور الصحافة الإنجليزية من أول ظهورها إلى اليوم مع ملاحظة ما مرّ بها من تطورات مذهبية واقتصادية ، ثم يفيد انتقالها من أيدي الأفراد إلى أيدي الشركات مع بيان السبب فى هـذا الانتقال ، ثم يفيد عدد تلك الشركات ، ثم يقف وقفة طويلة عند الكلام عن المنافسة بين الجرائد الشعبية وجرائد الآراء ثم يلتفت التفاتة خاصة إلى ما أصيبت به شركة الديلى هرالد ، ثم يتعقب ما ابتُليت به الصحافة الانجليزية من الانحطاط بسبب الانحدار إلى استغلال أهواء القراء ، ثم يفيد الأخطار التى تعرضت لها السياسة الانجليزية بسبب طغيان الجرائد الشعبية ، ثم يفيد ماصنع فضلاء الإنجليز فى تأمين جريدة « التيمس » وجريدة « الإيكونوميست » من جشع الجماعات التجارية ، ثم يفيد الصلة بين الحكومة والصحافة ومراكز الصحفيين فى تلك البلاد ، ثم يفيد ما مرّ بالصحافة الإنجليزية من متاعب الجهاد فى سبيل الظفر بحرية الرأى ، ثم يفيد ما للصحافة فى انجلترا من أندية ومدارس ، مع الفهم الصحيح لعناصر هـذا الفصل الدقيق

ولنفرض أيضاً أنه قرأ الفصل الثانى عن الأحزاب الإنجليزية ، فاذا يفيد وهو يقرأ هذا الفصل ؟

من واجب الطالب أن يعرف الغرض الذى أنشئت من أجله الأحزاب فى بلاد الإنجليز ، وأن يعرف الفرق بين دعاية مصلحة الوطن ومنفعة الحزب ، وأن يدرك كيف صارت الأحزاب فى انجلترا من الضرورات ، وأن يفيد التاريخ الذى نشأ فيه النظام الحزبى بتلك البلاد

وهنا سؤال أو أسئلة :

ظهر فى فرنسا كتاب لمؤلف معروف ، فا اسم الكتاب ؟ وما اسم المؤلف ؟ وكيف اختصم الأحرار والمحافظون حول ذلك الكتاب ؟ ومن الباحث الذى اتخذ منه دعامة لنظرية الأحرار ؟ ومن الباحث الذى اتخذ منه دعامة لنظرية المحافظين ؟ وما جوهر الخلاف حول فكرة ذلك المؤلف ؟ وما السبب فى وصف المحافظين بالجمود ؟ وكيف حُرِموا الظفر بالحكم زمناً غير قليل ؟ ومن المفكر الذى انتشل المحافظين من ذلك الجمود ؟ وكيف ظهر حزب العمال ؟ وما هى الفلسفة التى أوجبت ظهور هذا الحزب ؟ ومن هو المفكر الذى خلق هذه النزعة ؟ ومن أتباعه فى بلاد الإنجليز ؟ وكيف كان حظ العمال حين واجهوا الجمهور الإنجليزى أول مرة ؟ وكيف تخوّف بعض الكتّاب من اتساع شقة الخلاف بين تلك الأحزاب ؟ وكيف نجت انجلترا من عُدوان الاشتراكية ؟ وما هى الأسباب التى قضت بأن يكون الاشتراكيون الإنجليز أقرب إلى المحافظة والاعتدال ؟ ومن أشهر الرجال فى حزب العمال وحزب الأحرار وحزب المحافظين ؟ ومن الرجل الذى خرج على حزبه فى إحدى ساعات الحرج فأصابه بضعضعة لم يسلم منها إلى اليوم ؟ وما مسلك الإنجليزى الشريف حين يختلف مع الحزب الذى ينتسب إليه ؟ وما أخلاق الإنجليز فى مصاولاتهم الحزبية ؟

فإذا ألمّ الطالب بهذه المشكلات كان من واجبه أن يدرك كيف يختلف الأحزاب حول السياسة الخارجية ، والسياسة الأمبراطورية ، والسياسة الاقتصادية والاجتماعية ، وأن يعرف كيف تتكون لجان الأحزاب ، وكيف تسيطر على الجمهور للظفر فى ميادين الانتخابات

كلمة ختامية

قرأت كتاب حافظ عفيفى فى ثلاث سهرات ، ولم أجد فى استيعابه أى عناء ، لأنه مفصّل أجمل تفصيل وبأوضح أسلوب ، ولكن يخيّل إلىّ أن الطلبة لن يدركوا مراميه فى مثل الوقت الذى راجعته فيه ، لأنى على أرجح الأقوال سبقتهم إلى الدنيا بأعوام قصار أو طوال ، وللتجارب تأثير فى إدراك أمثال هـذه الشؤون

فإلى أساتذة السنة التوجيهية أسوق الاقتراحات الآتية :

أولاً : يجب « إن أمكن » أن يحضروا مع تلاميذهم بعض جلسات مجلس النواب ومجلس الشيوخ ليكونوا من تصور الحياة الدستورية ، وإلا فمن واجبهم أن يقرأوا معهم بعض « المضابط » التى تسجلها « الوقائع المصرية »

ثانياً — من السهل جداً أن يحضروا مع تلاميذهم بعض جلسات المحاكم الأهلية والشرعية ليمطوهم فكرة واضحة عن نظام القضاء

ثالثاً — ليس من الصعب أن يزوروا مع تلاميذهم بعض البنوك ليروضوهم على تصور المعضلات الاقتصادية

رابعاً — من واجب المدرسين أن يُعلّموا تلاميذهم على

في الاجتماع اللغوى

اللهجات الاجتماعية

للدكتور على عبد الواحد وافى
مدرس الاجتماع بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

تنشعب أحياناً لغة المحادثة فى البلد الواحد أو المنطقة الواحدة إلى لهجات مختلفة تبعاً لاختلاف طبقات الناس وفئاتهم : فيكون ثمت مثلاً لهجة للطبقة الأرستقراطية ، وأخرى للجنود ، وثالثة للبحارة ، ورابعة للرياضيين ، وخامسة للبرادين ، وسادسة للنجارين ... وهلم جرا . ويطلق علماء الاجتماع اللغوى على هذا النوع من اللهجات اسم اللهجات الاجتماعية Dialectes sociaux تمييزاً لها عن اللهجات المحلية Dialectes locaux التى كانت موضوع حديثنا فى المقال السابق

ويؤدى إلى نشأة هذه اللهجات ما يوجد بين طبقات الناس وفئاتهم من فروق فى الثقافة والتربية ومناحى التفكير والوجدان ، ومستوى المعيشة ، وحياة الأسرة ، والبيئة الاجتماعية ، والتقاليد والعادات ، وماتزاوله كل طبقة من أعمال وتضطلع به من وظائف ، والآثار العميقة التى تتركها كل وظيفة ومهنة فى عقلية المشتغلين بها ، وحاجة أفراد كل طبقة إلى دقة التعبير وسرعته وإنشاء مصطلحات خاصة بصدد الأمور التي يكثر ورودها فى حياتهم وتستأثر بقسط كبير من انتباههم ، وما يلجئون إليه من استخدام مفردات فى غير ما وضعت له أو قصرها على بعض مدلولاتها للتعبير عن أمور تتصل بصناعاتهم وأعمالهم ... وهلم جرا ، فمن الواضح أن هـذه الفوارق وما إليها من شأنها أن توجه اللهجة فى كل طبقة وجهة تختلف عن وجهتها عند غيرها ؛ فلا تلبث أن تنشعب اللهجة العامة إلى لهجات تختلف كل منها عن أخواتها فى المفردات وأساليب التعبير وتكوين الجمل ودلالة الألفاظ ... وما إلى ذلك . وقد تذهب بعض اللهجات الاجتماعية بعيداً فى هذا الطريق ، فيشتد انحرافها عن الأصل الذى انشعبت منه ، وتتسع مسافة الخلف بينها وبين أخواتها ، حتى تكاد تصبح لغة مستقلة غير مفهومة إلا لأهلها : كما هو شأن اللهجات الفرنسية المستخدمة بين طبقات اللصوص والمجرمين وبعض طبقات العمال Argots des voleurs, des malfaiteurs et des ouvriers

ويزداد فى العادة انحراف اللهجة الاجتماعية عن أخواتها كلما كثرت الفوارق بين الطبقة الناطقة بها وبقية الطبقات ، أو كانت حياة أهلها قائمة على مبدأ العزلة عن المجتمع أو على أساس الخروج على نظمه وقوانينه . ولذلك كانت فى فرنسا لهجات الطبقات الدنيا من العمال واللهجات السرية لجماعات المتصوفين والرهبان ، ولهجات المجرمين واللصوص ومن إليهم ، من أكثر اللهجات انحرافاً عن الأصل الذى انشعبت منه ، وبعداً عن المستوى العام لبقية اللهجات الاجتماعية الفرنسية

ولا تظل اللهجات الاجتماعية جامدة على حالة واحدة ، بل تسير فى نفس السبيل الارتقائى الذى تسير فيه « اللهجات المحلية » ؛ فيتسع نطاقها باتساع شئون الناطقين بها ، ومبلغ نشاطهم واحتكاكهم بالأجانب وبأهل الطبقات الأخرى من مواطنيهم ، وما يخترعونه من مصطلحات ، ويتواضعون عليه من عبارات ، ويقتبسونه عن اللغات الأجنبية من مفردات وأفكار ، وتختلف أساليبها وطرق تركيبها باختـلاف العصور وتطور الظروف الاجتماعية المحيطة بالطبقات الناطقة بها ؛ فلهجات العمال والمجرمين بفرنسا تختلف بعد الحرب العظمى اختلافاً بيناً عما كانت عليه

ألوان الصحافة وأنظمة الأحزاب ليعلموهم كيف تساس الجماهير فى مختلف البلاد

خامساً — فى أسبوع واحد يستطيع المدرسون أن يزوروا مع تلاميذهم معاهد التعليم فى مراحله المختلفات ، ليُطلعوهم على الأساليب المعروفة فى تكوين الأذواق والعقول

سادساً ، وسابعاً ، وثامناً ، وتاسعاً ... (؟!) إلى آخر الاقتراحات التى يراد بها أن يفهم المدرسون أن سطور الكتاب منقولة عن سطور الوجود ، وأن المدرس الحق هو الذى ينقل تلاميذه إلى آفاق المشاهدة والعيان ، ليهديهم سبيل الفهم الصحيح

وعندئذ لن يكون من الصعب أن يقرأ الطلبة كتاب حافظ عفيفى فى حدود طاقتهم الفكرية والعقلية وأن يخرجوا منه بمحصول يرضى عنه أساتذة الجامعة المصرية ، وسبحان مَن لو شاء لجعل أولئك الطلاب طلائع الهداية للجيل الجديد .

زكى مبارك

قبل ذلك ؛ وتختلف فى القرن العشرين اختلافاً كبيراً عما كانت عليه مثلاً فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر . ولا أدل على ذلك من أن معظم القطع التى كتبها بتلك اللهجات فى القرن الخامس عشر الشاعر الفرنسى فرنسوا فيلون François Villon (١) لم يُستطع بعد فى العصر الحاضر حل جميع رموزها وفهم مدلولاتها

وتؤثر اللهجات الاجتماعية فى لغة المحادثة العادية تأثيراً كبيراً فتستعير منها هذه اللغة كثيراً من التراكيب والمفردات ، وبخاصة المفردات التى خصص مدلولها العام واصطلح على إطلاقها على أمور خاصة تتعلق بفن أو حرفة وما إلى ذلك . فلغة المحادثة العادية بباريس فى العصر الحاضر قد دخل فيها عن هذا الطريق كثير من مفردات اللهجات الاجتماعية وبخاصة لهجات العمال والمجرمين

ولا تتميز فى العادة اللهجات الاجتماعية بعضها من بعض تميزاً واضحاً إلا فى المدن الكبيرة حيث يتكاثف السكان ، ويزدحم الناس ، وتنشط الحركة الاقتصادية ، وتتنوع الوظائف ، وتتعدد المهن ، ويشتد النزاع بين الطبقات كنيويورك ولندن وباريس وبرلين فى العصر الحاضر وكبغداد فى العصر العباسى

وأهم أنواع اللهجات الاجتماعية ما يسمونه باللهجات الحرفية (نسبة إلى الحرفة) ، وهى التى يتكلم بها فيما بينهم أهل الحرفة الواحدة كالبرادين والنجارين والبحارة . . . وهلم جرا . وتتميز اللهجات الحرفية بعضها من بعض تميزاً كبيراً فى المناطق التى يسود فيها « نظام الطوائف » Regime des castes فتختص كل طبقة بحرفة أو وظيفة خاصة تكون وقفاً على أفرادها لا يجوز لهم ولا لأعقابهم من بعدهم الاشتغال بغيرها كما لا يجوز لغيرهم الاشتغال بها : كما هو الحال فى كثير من بلاد الهند ، على حين أنه فى الأمم الحديثة التى قضى فيها على نظام الطوائف ، فأصبحت الحرف حظاً مشاعاً بين جميع أفراد السكان ، يزاول كل منهم المهنة التى تروقه ، وينتقل إذا شاء من مهنة إلى أخرى ، وأصبحت الطبقات الاجتماعية غير واضحة الحدود ولا موصدة الأبواب على غير أهلها ، فى هذه الأمم تتداخل اللهجات الحرفية بعضها فى بعض ، ويتأثر بعضها ببعض ، وتقل بينها الفروق ، وتضعف المميزات .

***

هذا ، وقد خيل إلى بعض الباحثين أن « اللهجات الاجتماعية » لا تنشأ من تلقاء نفسها ، بل تخلق خلقاً ، وتبتدع بالتواضع والاتفاق بين أفراد الطبقة الواحدة ، وترتجل ألفاظها ومصطلحاتها ارتجالاً ، وتابعهم فى هذا الرأى بعض القدامى من علماء اللغة ؛ ولذلك لم تنل هذه اللهجات كبير حظ من عنايتهم

وليس لهذه النظرية أى سند عقلى أو تاريخى . بل إن ما تقرره ليتعارض مع النواميس العامة التى تسير عليها النظم الاجتماعية ، فعهدنا بهذه النظم أنها لا ترتجل ارتجالاً ولا تخلق خلقاً ؛ بل تتكون بالتدريج من تلقاء نفسها . هذا إلى أن معظم هذه اللهجات منتشر بين طبقات فقيرة جاهلة منحطة المدارك ضعيفة التفكير ، لا يتاح لمثلها أن تنشئ إنشاء لغة كاملة المفردات متميزة القواعد ، بل لا يتاح لها مجرد التفكير فى مثل هذا المشروع الخطير : طبقات المتسولين واللصوص والحدادين والصيادين . . . وهلم جرا

والحق أن « اللهجات الاجتماعية » لا تختلف فى نشأتها عن « اللهجات المحلية » التى تكلمنا عنها فى المقال السابق . . . كلا النوعين ينشعب عن اللغة الأصلية ويستمد منها أصول مفرداته ووجهة أساليبه وتراكيبه وقواعده ؛ وكلاهما تلقائى النشأة ينبعث من مقتضيات الحياة الاجتماعية وشئون البيئة . وكل ما بينهما من فرق أن السبب الرئيسى فى نشأة « اللهجات المحلية » يرجع إلى اختلاف الأقاليم وما يحيط بكل إقليم من ظروف وما يمتاز به من خصائص ... على حين أن السبب الرئيسى فى نشأة « اللهجات الاجتماعية » يرجع إلى اختلاف طبقات الناس فى الإقليم الواحد وما يكتنف كل طبقة منها من شئون ، وما يفصلها بعضها عن بعض من مميزات فى شتى مظاهر الحياة

غير أننا قد نعثر أحياناً فى بعض اللهجات الاجتماعية على مفردات لا أصل لها مطلقاً فى لغة البلد ولا فى اللغات الأجنبية . ومفردات كهذه يغلب على الظن أنها قد اخترعت فى الأصل اختراعاً من بعض الأفراد وانتشرت عن طريق التقليد . ولكن

(١) شاعر فرنسى ولد بباريس سنة ١٤٣١ وتوفى سنة ١٤٨٩ . وقد عاش فى وسط اللصوص والمجرمين ، واتهم أكثر من مرة بالسرقة والقتل . ومن أشهر مؤلفاته « العهد الصغير » و « العهد الكبير » Petit Testament; Grand Testament

كتب لم أقرأها

« شتاء فى بلاد العرب »

للأستاذ عبد اللطيف النشار

قد يظهر غداً من يترجم هذا الكتاب ، وقد يظهر من يكتب عنه بعد الفراغ من قراءته ، فلك أن تقول : لِمَ يكتب عنه هذا الذى لم يقرأه ؟

والجواب أنه ما من يوم إلا والصحف الإنكليزية تتحدث عن مؤلفات تعد بالمئات وفيها عشرات تهمنا . وقد يمر العام تلو العام ولا تظهر فى لغتنا ترجمة لأحدها ، ولا كتابة وافية عن ثلاثة أو أربعة منها . وليس بمتسع عمر كاتب لقراءة كل كتاب يقرأ عنه فى غير لغته ويتمنى أن تظهر له ترجمة فى لغته لما يتوسمه فيما كتب عنه من أهمية عند ذويه

وعن هذا الكتاب « شتاء فى بلاد العرب » نشرت مقالتان فى عدد ١٨ نوفمبر سنة ١٩٤٠ من جريدة الأجبشان غازيت . أما إحداها فهى افتتاحية الجريدة لمحررها بعنوان (الشرق والغرب) وأما الثانية ففى صحيفة « الكتب » بقلم المستر آرثر بنفولد

أما والكتاب يشغل من جريدة واحدة فى عدد واحد خمسة أعمدة طوال ، وأما وهو عن العرب ، وأما وهو واحد من عشرات تهمنا كلها موضوعاتها فلا أرى بداً من اقتراح أقترحه على أدبائنا، هو تلخيص ما يكتب عن كتب تهمنا ليكون هــذا التلخيص تعريفاً بالجديد فى الأدب الغربى مما يهم العرب ، ولمن شاء أن يزيد فضله ؛ وغير مجحود فضل السابق وإن بزه اللاحق ، وغير مغموط فضل المشير وإن لم يأت بالكثير

الكتاب من وضع الآنسة فريا ستارك — طبعة موراى . وهو يصف حياتها واثنتين من زميلاتها فى حضرموت فى فترة الشتاء الذى وقع بين عامى ١٩٣٧ — ٣٨

أما إحدى الثلاث الأوانس فعالمة فى علم الآثار، وأما الثانية فعالمة فى علم طبقات الأرض ، وأما الثالثة وهى المؤلفة فأديبة ذات شهرة خاصة بجمال الأسلوب وروعة البيان ؛ ولها كتب أخرى قبل هذا الكتاب

ويظهر من كتابة الكاتبين أن أداة البيان ضرورية جداً فى كتاب مثل هذا يتضمن شطر كبير منه وصف الطبيعة الدائمة التغير فى الصحراء ، ووصف الحيــاة بين الرمال وبين الصخور فى عزلة عن الناس وفى أجواء وأحوال مغايرة لما ألفه من يكتب هذا الوصف

وقد اقتبس المستر آرثر بنفولد فقرات كثيرات من هذا الكتاب للاستشهاد بها على تمكنها من ناصية اللغة والقــدرة على الوصف

فإذا ما تخطينا هذا إلى ما هو أشبه بأن يهمنا وجدنا محرر الجريدة يقتبس الفقرة الآتية من مقدمة الكتاب بقلم السير كينان كورنواليس :

« والعربى إذا عومل كما ينبغى أن يعامل على أساس المساواة والمودة نِيل منه خير ما يمكن أن ينال . أما إذا أحس بالتعالى عليه أو الانصراف عنه أو الميل إلى التحكم فيه ، فلن ينال منه من يعامله كذلك إلا بما هو أهله . والعربى أكثر حساسية من الرجل العادى ؛ فهو سريع اللمحة للدقيق ، سريع الاستجابة للود والمحبة . وقد زادت وضوحاً أمامنا قيمة الصلات الشخصية والصداقات مع أهل الشرق الأوسط ، كما وضح للجميع أذى الصلف والتعالى . وليس الإنكليزى العادى بالرجل المسرف فى إظهار مشاعره نحو أبناء الشعوب الأخرى ؛ ولكن الذى

هذه الظاهرة تكاد تكون مقصورة على لهجات الطبقات الراقية ، ولا تبدو إلا فى عدد قليل من الكلمات . أما معظم المفردات فترجع أصولها إلى كلمات منحدرة من لغة البلاد ، أو مقتبسة من بعض لغات أجنبية . غير أن الغالب أن ينالها مع تقادم الزمن كثير من التحريف والتغيير فتبعد بعداً كبيراً عن الأصل الذى أخذت منه . وقد تصل فى انحرافها هذا إلى درجة يخيل معها للباحث السطحى أنها ابتدعت بالتواضع والارتجال . ولعل هذا هو ما حدا ببعض العلماء على الظن بأن اللهجات الاجتماعية ناشئة عن تأليف واختراع .

علي عبد الواحد وافي

ليسانسيه ودكتور فى الآداب من جامعة السربون

يقرأ كتاب الآنسة ستارك يتعرف الفوارق بين ما ينبغي وما لا ينبغي فيفيد من ذلك »

ويقتبس المستر بنفولد من صلب الكتاب فقرات يؤخذ منها أن في قبائل حضرموت سيادة دينية لرجال من قريش يقال لأحدهم «منصب» . وهي تصف «المنصب» هذا بأن الناس يقبلون يده ، وأنه مهيب الطلعة ، يضع على رأسه عمامة خضراء ، وأن سلطانه يتجاوز النفوذ الروحي ؛ فهو يفرض ضرائب على الرؤوس ، ويستولي على مواشي الذين يتأخرون عن دفع الضريبة حتى يؤدوها

وتقول المؤلفة إن الخطوة الأولى من خطوات الشرق في سبيل الانحدار والسقوط هي تذمره من عوائده الموروثة ، لأنه لن يستطيع أحد في تلك البلاد أن يشعر بالسعادة إلا إذا حرص على عوائدها واقتنع بها ... إنه متى جنح إلى مثل الذي يجنح إليه الغربي من وسائل الراحة والرفاهية بدت له شدة فقره وصعوبة وسائله في الحياة وتراخى فنقد قوته الروحية ، وفقد اعتداده بأهمية القوة الروحية في هذه الحياة

وتقول الكاتبة في وصف المرأة العربية إنها تحتفظ في شيخوختها بالجمال والهدأة والعذوبة ، ولا تظهر على وجهها تلك التجاعيد التي تظهر على وجه المرأة الغربية ، وأحسب هذا نتيجة لنظام الاحتشام القاسي الذي يمنع اختلاف المشاعر المحدثة لتلك التجاعيد . وإذا كان لدى المرأة الغربية من ضبط النفس ما تقهر به تلك المشاعر ، فلدى العربية مما فطرت عليه من الجد ما يذلل مشاعرها التي تراد في الغرب لتذليلها قوة ضبط النفس . ومثل العربية في ذلك كمثل الراهبات اللواتي قلما تظهر على وجوههن في الشيخوخة تلك التجاعيد ، واللواتي يحتفظن بالوسامة رغم الشيخوخة ، ويحتفظن بملامح الاطمئنان والراحة

وفي الكتاب أقاصيص ونوادر يسرد منها مقرظه قول الكاتبة : إن قاضي المدينة أخبرها بأنه سيفتتح دكاناً ، وإن غرضه من ذلك تمضية الوقت

قالت في دهشة : وماذا تبيع به ؟ فقال : إن رأيه لم يستقر على شيء . ثم أخرج من جيبه أوراقاً وقال إنه لم يعد من مشروعه غير ما تضمنته هذه الأوراق من قصيدة سيعلقها على باب الدكان تحية للزبائن

وسواء أكان هذا القول من جانبها جداً أم هو هزل يراد به تجسيم محبة العرب للشعر فإن في الكتاب هزلاً لا شك فيه يراد به لفت نظر الغربيين ، فمن ذلك ما زعمته من اعتياد الرجل في حضرموت أن يتزوج خمسين زوجة . وفيه إغراق في الوهم فمن ذلك زعمها أن حاكما من حكام حضرموت اشترى ألف جارية من الصومال ، فلما نقلن في سفن إلى البلاد العربية اتضح أنهن حوامل جميعاً وأنهن تركن في مكان ما من الصحراء حتى يضعن فنشأ جيل من الناس بهذا المكان لا يشبهون العرب بل تدل ألوان بشرتهم وشكل شعرهم على أنهم من نسل صومالي

وتصف الكاتبة اعتقاد الأهلين بالجن وبالسحر وتنصف علماء الدين فتقول : إنهم ينكرون هذا كله ، وتقول : إن مهر العروس هناك لا يجوز أن يزيد على أربعة عشر دولاراً ولكن تكاليف حفلة العرس لا تقل عن ستين دولاراً . وتروي عن رجل عرفته اسمه السيد علوي أن نفقات زواجه بلغت ثلاثمائة دولار ، وأنه تزوج بدافع الحب ، وأنه يعتقد أن زواج الحب هو الزواج الصالح وأنه لذلك لن يعدد الزوجات

هذا بعض ما وصف به الكتاب ، ولعل فيه ما يكفي للتعريف به أو للاستزادة من التعريف

وأحسب أن في الكتابة عما لم أقرأه معتمداً على ما قرأت عنه ما لا تقل جدواه عن كتابتي عن كتاب قرأته إلى من لم يقرأوه ، كلا الأمرين تعريف لمن شاء أن يعرف ، وفي مجال البحث متسع للمستزيد

عبد اللطيف النشار

السنوسيون

للأستاذ حسين جعفر

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

غزو مصر :

خضع سيدى أحمد الشريف للحركة الإسلامية التى أحياها عبد الحميد الثانى سلطان تركيا واستمر فيها خليفته . و ذلك أدت السنوسية مساعدات مادية قوية للأتراك حينما غزا الطليان طرابلس الغرب فى سنة ١٩١١ ، ولما اضطر الأتراك إلى الاعتراف بالهزيمة استمر سيدي أحمد فى حربه ضد الطليان يساعده بعض الجنود التركية الذين ظلوا فى البلاد – خلافاً لما قضت به معاهدة لوزان – وفى ابتداء الحرب العظمى الماضية لم يكن للايطاليين غير جزء ضيق من الشاطئ ، وكان السنوسيون حكاماً على داخل البلاد ، وقد عرضت شروط للاتفاق بين الإيطاليين وسيدى أحمد فى النصف الأخير من سنة ١٩١٤ وكاد يتم الاتفاق لولا أن السيد أحمد رفض أن يقبل مركز (باى) تحت الحماية . وما جاء ربيع سنة ١٩١٥ إلا وكان السنوسيون يهاجمون الموانى الموجودة تحت يد الطليان

وحوالى هذا الوقت تمكن عدد من الضباط الأتراك والألمان الذين يتكلمون العربية من الهرب إلى داخل البلاد ، وبواسطة العروض المختلفة والتملق أمكنهم أن يؤثروا على سيدى أحمد – على كره منه – فيعلن حرب الجهاد ويغزو حدود مصر الغربية . وكان سيدى أحمد متردداً ، ولم يكن تردده هذا خافياً على الإنجليز فى مصر . ولذلك أرسلوا فى نوفمبر سنة ١٩١٥ ابن عمه السيد محمد بن إدريس من الاسكندرية ليتفق معه على أن يتخلص من مستشاريه الأتراك فى مقابل مبلغ من المال ، ولكن كان الوقت قد فات لأن سيدى أحمد كان مثقلاً بالأموال والأسلحة التركية والألمانية .

وفى نهاية سنة ١٩١٥ غزا سيدى أحمد حدود مصر الغربية بجيش عدده خمسة آلاف مقاتل على أكثر تقدير مع عدد من الجند الأتراك يبلغون الألف عدا . وكان الخطر الحقيقى فى أن أى نجاح يناله السنوسيون قد يدفع البدو المقيمين على حدود مصر الغربية وفى داخل البلاد نفسها إلى الثورة

وبسبب الاستعدادات الاحتياطية التى قام بها الجنرال السير جون مكسويل – قائد الجيوش البريطانية فى مصر إذ ذاك – فشل السنوسيون فى إحراز أى انتصار . ولم يأت فبراير سنة ١٩١٧ حتى هزم سيدى أحمد هزيمة تامة فتقهقر إلى واحة جغبوب . ويظهر أن عدم نجاح هذا الغزو أثبت بصورة جلية أن طريقة السنوسية لم تكن ذات قوة سياسية أو روحية كما تصور الناس من قبل

وقد بذل الألمان والأتراك جهدهم فى استخدام قوة السنوسى الروحية لإحداث اضطرابات فى جهات غير مصر . ففى السودان أمكنهم أن يؤثروا على السلطان على دينار سلطان دارفور ليثور ولكنه هزم هزيمة قاطمة بقوة مصرية تحت قيادة الماجور ب . ف كيلى فى مايو سنة ١٩١٦

ولم يكن للسنوسى فى باقى أنحاء السودان المصرى الإنجليزى إلا أتباع قلائل ، فإذا ابتعدنا غرباً متجهين نحو بحيرة تشاد نجد هناك أيضاً بعض الاضطرابات ولكن الفرنسيين فى تقدمهم نحو الشمال من بلدة كانين واحتلالهم الحدود الصحراوية واستيلائهم على عين جالا كا – فى إقليم بوركو وهى قاعدة السنوسى الجنوبية – فى سنة ١٩١٣ ، كل هذا مع بعض المراكز الفرنسية الأخرى كونت حاجزاً دفاعياً ضد غارات السنوسى . أما فى المناطق الداخلية من طرابلس فقد كان سلطان السنوسى قوياً اضطر الطليان معه إلى الانسحاب نحو الشاطئ ، وكان سيدى محمد العبيد وهو شقيق السنوسى يحكم مدينة فزان حتى صيف سنة ١٩١٧

العلاقات مع الطليان

لم يوافق سيدى محمد الإدريس وبعض رؤساء السنوسيين على غزو سيدى أحمد لمصر ، وكان سيدى محمد من طول إقامته بمصر قد اكتسب معلومات عن الأحوال التى كانت تعوز سيدى أحمد ، والإدريس رجل مسالم بطبيعته . وقد عقدت الحكومتان الإيطالية والإنجليزية معه اتفاقاً فى سنة ١٩١٧ ، وأقر شيوخ الطريقة سيدى محمد الإدريس على أن يكون السنوسى الأكبر . وفى أغسطس سنة ١٩١٨ وجد سيدى أحمد المقهور والمخلوع أن من الأفضل له أن يغادر طرابلس ، فغادرها على ظهر غواصة ألمانية من مصراطة إلى تركيا مع استمرار ادعائه أنه رأس الطريقة

وفى سنة ١٩١٩ أرسل الإدريس أخاه رضا فى بعثة إلى روما وبواسطة اتفاق عقد فى نوفبر سنة ١٩٢٠ اعترف الإدريس بسيادة

الطليان وأعطى لقب أمير وجعل وراثياً فى ذريته مع استمرار سلطته على واحات الكفرة وجغبوب وجالو وأدجيلة وجديبة . واستمرت العلاقات السلمية مدة من الوقت . ولكن الإيطاليين تحت حكم الفاشيست وجدوا موقفهم هذا متعباً ، وكان لديهم أدلة تثبت أن الإدريس كان يشجع الثوار فى طرابلس الذين عرضوا عليه أن يكون زعيمهم وأميرهم . ففى أوائل سنة ١٩٢٣ أعلنت حكومة الفاشيست أن الاتفاق السابق مع السنوسى يخل بكرامة الحكومة ولذلك فهى تنقضه . ولذلك انسحب الإدريس فى يناير من تلك السنة إلى مصر وظل هناك، والظاهر أنه لم يفقد أى سلطان روحى له على الناس . وأعلن أتباعه أن السلطان الروحى أهم بكثير من السلطان الزمنى . أما فى شمال طرابلس فقد ظلت المقاومة السنوسية للطليان تحت زعامة الشيخ رضا وكانت بطبيعتها حرب عصابات .

وقد حسن الطليان مركزهم فى مقاومة النشاط السنوسى بواسطة اتفاقهم مع مصر فى ٦ ديسمبر سنة ١٩٢٥ وقد منحهم الاتفاق واحة جغبوب على أن تكون الحدود جنوب هذا المكان على خط عرض ٢٥ درجة . وبذلك أدخلت واحة الكفرة ضمن الحدود الطرابلسية . واحتلت جغبوب بواسطة الإيطاليين فى فبراير سنة ١٩٢٦ بلا معارضة — وهى بالنسبة للسنوسيين مدينة مقدسة إذ أنها تضم جثمان مؤسس الطريقة السنوسية وكذلك تحتوى على زاوية لتعليم الإخوان

وفى سنة ١٩٢٧ قام الإيطاليون فى شمال طرابلس بحملة منظمة كانت نتيجتها تسليم سيدى رضا فى ٣ يناير سنة ١٩٢٨ فنفى إلى صقلية . وفى ربيع نفس السنة احتلت واحة جالو وبعض واحات أخرى . واستمرت الأعمال الحربية ضد رجال القبائل بشدة حتى ما جاءت سنة ١٩٢٩ إلا وكانت واحة الكفرة هى الباقية للسنوسيين

تعاليم الطريقة :

من المحتمل أن عدد الإخوان السنوسيين ليس كبيراً . ولكن لهم أتباعاً ومريدين فى كثير من البلاد ، وفى حين نجد كثيراً من طرق الصوفيين بلا أساس وبغير ضابط مع تداخل فى السياسة تداخلاً غير مجد — نجد السنوسيين شغلوا مركزاً واضحاً ومؤثراً فى السياسة ، وكل رائدهم فى ذلك إحياء الإيمان وتعاليم الإسلام الأول . ويمكن اعتبار الطريقة مقتبسة من الحركة الوهابية . ويفهم من المصادر التى يمكن الاعتماد عليها أن الطريقة ليست عديمة الأساس ، وأنها كذلك ليست محافظة بل مجددة . وهى قليلة الأسرار بالنسبة إلى غيرها من طرق الإخوان المسلمين، واستعمال التبغ والقهوة محرم ولكن الشاى مسموح به، وكذلك لبس الملابس الرفيعة . وفى حين أنهم يعترفون بأنهم على المذهب المالكى فإن علماء القاهرة كثيراً ما كتبوا عن انحراف السنوسيين عن الإيمان الصحيح ، ومعظم الاتهامات تنحصر فى أنهم فسروا القرآن الكريم والسنة بدون الاعتماد على مصادر معترف بها ، ولذلك يعتبر العلماء المصريون أن السنوسيين ينشئون بذلك مذهباً جديداً لا طريقة جديدة فى العبادة ، وهم فى ذلك يُشبهون الوهابيين خصوصاً فى دقة اتباعهم لنصوص الدين

وبصرف النظر عن التعاليم الدينية نجد أن عملهم الرئيسى — وذلك قبل احتكاكهم بنشاط القوات الأوربية الاستعمارية — الغرض منه الاستعمار وتشجيع التجارة ، وقد حفروا الآبار وزرعوا الواحات وأنشأوا أماكن للاستراحة على طول طريق القوافل ورحبوا بالتجار من طرابلس وبرنو ووادای ودارفور . كل هذا دوّنه الكتاب الإسلاميون ووكالات الفرنسيين والإنجليز فى تقاريرهم والسنوسيون كانوا على اتصال دائم بالإدارة المصرية فى واحة سيوه ، ولسنين عديدة خلت كان ممثل السنوسى على وفاق تام مع السلطات المصرية ، وإخلاص السنوسيين لرسالتهم لا شك فيه . وأتباع الطريقة خارج المناطق المجاورة لمركزهم من أوساط عالية على نقيض الطرق الإسلامية الأخرى ، ووكلاء الطريقة فى البلاد أشخاص معروفون أغنياء متعلمون تعلماً جيداً وخصوصاً فى فقه الإسلام وهم عادة على وفاق تام مع حكام البلاد التى يعيشون فيها ، وهؤلاء الوكلاء يقومون عادة برحلات سنوية إلى الزوايا المختلفة الموضوعة تحت إشرافهم شارحين لأتباعهم تعاليم السنوسية

حسين جعفر
المهندس الزراعى

المصادر

1. — Wingate "Mahdüsm and the Egyptian Sudan"
2. — Cromer "Modern Egypt"
3. — Count Gleichen "The Anglo Egyptian Sudan"
4. — Berman "The Mahdi of Allah"
5. — Wilfred Scawen Blunt Dairies
6. — Elgood "Egypt and the Army"
7. — Elgood "The Transit of Egypt"
8. — Julien "L-Afrique Française"
9. — Julien "Le Dar Ouadai"
10. — دائرة المعارف البريطانية جزء ٢٠

محاورة أفلاطون الخيالية

حول التربية الانجليزية

للأستاذ عبد العزيز عبد المجيد

— ٣ —

المحاورة خيالية بين الفيلسوف أفلاطون وبين أحد المربين الانجليز . وقد دارت فى المقالين السابقين حول نظام التربية فى انجلترا والغاية منها ، تلك الغاية التى يوضحها المربى بأنها إعداد الفرد ليشترك فى الحكومة الديمقراطية بطريق انتخاب رجال الحكم ، وأعضاء المجالس النيابية . وهذه التربية — كما يقول المربى الانجليزي — تجربة فى الحكم الذاتى ، أى حكم الشعب نفسه بنفسه . ويري أفلاطون أن تربية الشعب عامة محدودة ولا تكفى لاقداره على الاشراف على تصرفات الحكومة ، وسياستها الداخلية والخارجية . ولكن المربى يقرر أن نظام التربية فى انجلترا يسمح لكل فرد أن ينال خبرة مهنية فنية ، وأن يصيب من الثقافة العامة مايمكنه من معرفة شئون السياسة العامة للأمة . والفرص متاحة لكل من تؤهله مواهبه الطبيعية لأى نوع من أنواع التعليم أولياً كان أو ثانوياً أو جامعياً . وهنا يقترح أفلاطون أن تترك مقاليد الحكم للجامعيين ، وحملة الشهادات العليا ، لما هم عليه من ثقافة فلسفية وعلمية . بيد أن المربى لا يشاركه الرأى ، ويقول : إن الحياة هى جامعة الجامعات ، وأبواب المناصب مفتوحة لكل من تزكيه كفايته وخبرته لأيها ، سواء أكان من أبناء الجامعات أم من غيرهم .

أفلاطون : لا شك أنك ستجد ضرورياً أن تفرق بين نوع التربية الملائم للرجال المسئولين ، وذوى التبعات الوطنية ، وبين نوع التربية الملائم للصناع والعمال . فتربية الأول هى تربية ثقافية عالية ، بينما تربية الآخرين تربية فنية مهنية .

المربى : أنا لا أومن بهذا الرأى . إننا نعتقد فى بلادنا أن كل فرد يجب أن ينال نصيباً آخر من التربية غير تلك التربية الآلية التى تعده للمهنة أو الصنعة ، لأن كل الأفراد قد مُنحوا صفة البشرية ، وصفة التعقل والإدراك ، ولهم قوى كامنة يمكن أن تتقبل الثقافة والحكمة . ولهذا يجب أن ينال كل فرد إلى تربيته المهنية تربية ثقافية عامة .

أفلاطون : ولكن أتسمحون بهذه التربية الثقافية العامة للموهوبين وغير الموهوبين على السواء ؟

المربى : كلا . هذا مستحيل ، أولا لأن السواد الأعظم من تلاميذ المدارس يكتفون بالتعليم إلى نهاية المرحلة الأولية ، أعنى إلى سن الرابعة عشرة ؛ وثانياً لأنه ليس كل الأفراد صالحين للتعليم الجامعى .

أفلاطون : إننى موافقك على هذا بكل قواى . إن الطبقة قليلة الذكاء من أبناء الشعب والتى أسميها العامة فى « مدينتى الفاضلة » ، لا تفهم الفلسفة ولا تتمتع بها . والأفراد القلائل منها الذين يتذوقون طعم الفلسفة يخدعهم أول أفاك يقابلون ، أو متطبب ، أو متدين محتال يستولى على قلوبهم بعبارات الدين الخلابة . إن ذوق العامة يميل دائماً إلى الدون من كل شىء . ولا يفرق بين التكحل والكحل ، ولا بين الحقيقة والخيال . وهذا هو ما دعانى لأن أحظر على العامة دراسة الحقائق والعلوم الفلسفية ، وأن أقصرهم على الأساطير ، وأحاجى الآلهة ، والأقاصيص الخيالية . تلك الأشياء التى أسميها « الأكاذيب النبيلة » ، والتى يجب على الحكومة أن تهيئها للعامة لترضى رغبتهم الملحة فى التثقيف والتنوير ، ولتمدهم بشىء يتحدثون عنه وتلوكه ألسنتهم ، حينما يجلسون ليقتلوا أوقات فراغهم . ولقد سمعت بأمة مجاورة لكم قد عملت وزارة للدعاية وتنوير العامة . وكم أفعم هذا الخبر قلبى سروراً ، لأنه يدل على أن من بين أعضاء حكومة هذه الأمة من يقدرون الأخطار التى تنجم عن ترك العامة يطعمون أخلاط الثقافات والآداب والموسيقى لا فرق بين غثها وسمينها ، فتؤثر هذه الأخلاط فى نفوسهم ، وتحملهم على الثورة وسوء النظام

المربى : أحسب أنك لا تمتاز كثيراً عن الفاشستى ! كيف تحل هذا النوع من الدعاية الحكومية التى يقصد بها استرقاق عقول الناس ، وحقنهم بالأكاذيب ، والأخبار المموهة ؟ إن هذا لهو القضاء النهائى على الحرية

أفلاطون : وهل يتمتع حقاً أبناء شعبك بالحرية ؟ أليسوا هم أيضاً أرقاء للأكاذيب والأخبار الفجة التى يطالعونها كل يوم فى الصحف ، وفى السينما ، وفى القصص الروائية ، ويسمعونها من الخطباء فى الأندية والنقابات ؟

المربى : يجب أن أعترف بكراهيتى لهذا النوع البخس من الصحف اليومية التجارية ، ولهذا النوع الدون من إنتاج السينما . ولكن لا تنس أن الإنجليزى حر مهما كانت الحال ليختار لنفسه ، فهو ليس مجبراً لأن ينصت لجانب واحد من الدعاية ، بل له أن يسمع كل الآراء والقضايا ، ويكوّن هو بعد ذلك حكمه الخاص

أفلاطون : لا تتعجل فى نتائجك . أنت تقول : إنه حر الاختيار ، فكيف يتسنى له هذا إذا لم يكن عنده مقياس للاختيار ، ولم يكن له المحك الذى يميز به الزيف من الصحيح ؟ من المؤكد

أنه لا يستطيع الاختيار . ولذلك فهو يقف زائغ الفكر متحيراً ، قد بهرته أسراب الخيالات التي تطن فى أذنيه طنين النحل ، حتى لا يدرى أواقف هو على رأسه أم على قدميه . صحيح إن سماع أخلاط من الأخبار الموهة أكثر إمتاعاً من سماع خلط واحد ، ولكنى لا أستطيع أن أفهم لم تدعى أن الفرد فى الحال الأولى حر ليختار وفى الحال الثانية رقيق يقبل كل ما يسمع . إن حقيقة الأمر هى أنه ما دام الفرد لا يستطيع التمييز بين الزيف والصحيح فليس بحر ، سواء أكان هذا الفرد انجليزياً أم ألمانياً أم أثينياً

ولذلك فإننى حينما أفكر فى نظام التربية القائم عندكم ، والذى تقولون عنه إنه تجربة فى الحكم الذاتى ، لا أجد شيئاً من هذا الحكم الذاتي المزعوم ، لأن هذه التربية التي تبالغ فى حمدها لا تجعل العامة أحراراً ، ولكنها تبعث على الغرور والادعاء فى نفس متلقيها . والنتيجة هى أن هؤلاء العامة الذين تلقوا هذه التربية قد أصبحوا أكثر تعرضاً لخطر تجار الثقافه والمعارف ، وأعنى بهم أولئك الدجالين الذين يخدعون العامة بمقالاتهم الطنانة وإعلاناتهم الثقافية لابتزاز المال ، لا من أيدى الصناع والعمال ، بل من أنصاف المتعلمين . والدليل على قولى هذا بسيط . فلو كانت تربيتكم صحيحة حقاً لما ظل فى بلادكم هذا النوع من تجار الثقافة ، بل لضاقت عليهم الأرض بما رحبت فهاجروا إلى بلاد أخرى . أما وهم لا يزالون بين ظهرانيكم فهذا دليل على أن التربية القائمة عندكم لا تكوّن المناعة الكافية ضد تجار الدين والثقافة والعلوم

وشبيه هذا ما يحصل فى ميدان السياسة . فالجمهور لا يستطيع طبعاً أن يفكر فى شئون السياسة تفكيراً سليما . وهو يظن زعماً أن تربيته قد كونت منه سياسياً مفكراً ، هذا الظن الذى يجعله أكثر خضوعاً لأنواع الدعاية والإعلان السياسى . ويخيل إلى أن كل صانع أو عامل نال شيئاً من التربية العامة الأولية يعتقد أنه قدير على الفصل فى الأمور التى ليس له فيها تجربة أو معرفة

إنك تدرك معى الآن أنه من السهل على أى خطيب من خطباء السياسة ملىء الجيب وحاد اللسان ، أن يخرج على الناس بمشروعات ضخمة يخدع بها أنصاف المتعلمين ، فيرضي فيهم الميول الطائشة ، ويستولى على مشاعرهم بإثارة عاطفة الادعاء فيهم ولقد حدثت عن أنواع السفسطائيين الذين يحتالون باسم الثقافة والعرفان ، والذين يعيشون بينكم ناعمى البال . وأعتقد أنك لا تستطيع أن تنكر أن هؤلاء إنما يرتعون فى أموال المتعلمين من أبناء جنسك . على أن هذه الحال إن دلت على شيء فإنما تدل على أن النفس البشرية لا تخضع دائماً للحقائق والمعارف الصحيحة التى تقدم لها فى المدارس والمعاهد ، وإنما تجنح إلى شيء آخر : إلى الخيال والكرامات والمعجزات . وتتقبل — كلما سنحت لها الفرصة — الخرافات والخزعبلات ، بدلاً من أن تتقيد بقوانين العلم وأسس المعرفة الصحيحة . وذلك لأن الحقائق ليست حلوة المذاق دائماً ، وليس لها تلك الجاذبية التى للدعاوى الخادعة

من أجل هذا كله أرى لزاماً عليكم أن تكونوا حذرين فيما تعملون لأجل سعادة أمتكم وصلاحها . لأن التربية المحدودة تجعل الفرد يخدع نفسه بنفسه ، ويظن أن المعارف أمر سهل المنال ، وأن أبوابها مفتحة لكل من قرأ كتاباً أو سمع محاضرة

وهذا ينطبق أيضاً على الديمقراطية عندكم . فإننى أخشى أن تكون هى الدكتاتورية التى تكرهونها ، ولكن فى ثوب الديمقراطية ، فيخدع العامة بما يقول مروجوها

وفى ظنى أن قادة الرأى عندكم ليسوا أحراراً أيضاً فيما يقولون ويفعلون فمحررو الصحف، وواضعو الأفلام، والخطباء، ورجال السياسة، والناشرون، كل أولئك ليسوا أحراراً يعملون ما يشاءون، ولكنهم خاضعون لميول العامة وذوقهم، حريصون أن يقدموا لهم ما تستسيغ حلوقهم

المربى : لقد تحقق ظنى فيك ، فقد حسبتك فاشستياً من طليعة حديثك . والآن أصبح الحسبان يقيناً ، فأنت لا حرمة عندك للجماعة البشرية، وليس فى قلبك حدب عليها ولا حب لها. أنت تريد أن تسيطر على كل فرد ، وأن تجعله يعتقد ما تعتقد . وإنى أؤكد لك من الآن أنك لن تجد من يعطف عليك فى بلادنا ولا من يشاركك الرأى

أفلاطون : إن ما تقول لجائر ، ولكن اعلم أنى غير راغب فى إخفاء الحق رغبة منى فى عطف أهل بلادك على ، ومع هذا لا أعتقد أنهم سيكرهوننى كما تفكر ، إنهم أعقل مما تظن

المربى : إن ما أستطيع استنباطه من حديثك هذا هو أنك تريدنا أن نرجع إلى الوراء ، إلى الزمن القديم ، زمن جهالة العامة وحكم طبقة الأقلية الخاصة ، زمن مدارس أولاد الأعيان(١)

أفلاطون : كلا . أنا لا أريدكم أن ترجعوا إلى الوراء ، وإلى

(١) Public Schools

الزمن القديم . لأن الرجوع للوراء مستحيل ، ولكنى أحب أن أذكرك أنه ليس من الضرورى أن يكون القديم فاسداً والجديد صالحاً ، فقديماً — وقبل الحكم الديمقراطى ، وقبل التعليم العام — كان شعبكم مكوناً من طبقتين: طبقة الأرستقراط، وطبقة العامة. ولم يكن ثمت ضير . وكان العامة صناعاً وعمالاً وزراعاً . وكانوا مسرورين راضين بأعمالهم ومهنهم ، قادرين عليها ، وكانوا سعداء قانعين بحياتهم ، بالرغم من أنهم لم يتمتعوا بنظام التربية العامة الحالى . وقد تركوا شئون الدولة للأعيان والأرستقراط ، وكانوا يؤمنون بالتعليم الدينى ، وكل ما يتعلق بالفضيلة والخطيئة والحياة الآخرة، وهل لى أن أذكرك أيضاً أن ذلك الزمن القديم هو الذى بنت فيه بريطانيا امبراطوريتها ، وأنتجت النابغين من رجال الفن ورجال الأدب الذين يحق لها أن تفخر بهم ؟ وكان ولاة الأمور فى ذلك الوقت ذوى بصر واتزان وحكمة ، عليمين بالتبعات الشاقة الملقاة عليهم ، وكان الشعب معاضناً إلى أن السياسة الحكيمة للأمة لا يحسنها إلا الأرستقراط ورجال الدين

(يتبع — بخت الرضا . السودان) عبد العزيز عبد المجيد

يا عروسى ... فى قبرها

[لقد تعجلنا يوم الزفاف .. وتعجل القدر فزفها إلى قبرها ... ولم تلبس ثوب عرسها]

للأستاذ على متولى السيد

... منذ أربعة شهور تحقق الحلم الذى أملناه .. ودنت أو كادت - تلك الأمانى التى طالما ترقبناها ... ووضعت يد فى يد ... وسأل سائل وأجاب مجيب ... وأخذنا الميثاق ... وتعاقدنا أمام الله والناس ... ثم انفض المجلس وارفض السامر وخلا المكان إلا منى وإلا منك ... ونظرات الحياء ترمقيننى بها فى سحر وفتنة .. والابتسامة البنفسجية الرائعة تحدثيننى بها فى خجل ومتعة ... رويداً رويداً ترفع الكلفة بيننا ... فتنطلقين تحدثيننى وأنطلق ... ونظل زمناً من الزمن بعيدين عن العالم وما فيه ... الدنيا تبكى ونحن نضحك والعالم كله يقف على أسنة الحراب وألسنة اللهب ونحن فى نشوة الفرح نرشف عذب الهوى وفى غمرة الحب نسقى بكأس الأمل ونهزج سوياً بأغرودة السعادة ... وطيور السماء فوقنا تبارك بالنشيد الباسم حبنا الموفق ... وهمسات الأهل والصحب حولنا تؤيد بالدعاء الصادق عهدنا المقدس ... ونحن فى حلم الهناء نتعجل يوم الهناء ... فننطلق معاً إلى القاهرة نعدّ معدّات العرس ... ونختلف ونتفق... وأوثر اللون الأحمر وتفضّلين اللون الأخضر، ونفتّن فى اختيار الأثاث نقلبه على شتى وجوهه ونطرق من أجله كل معرض نزاوج بين ذوق وذوق . . . ونرسم معاً — فى أنفسنا — حجرة النوم وحجرة الاستقبال وموضع هذا فى هذه ومكان هذا فى تلك ، ثم نعود وقد أعددنا كل شىء ولم تبق إلاّ أيام قليلة نسعد بعدها بالزواج الموفق الهنىء ...

... ثم تدفعنى بعض أسباب الحياة لأسافر سفراً قصيراً ، وأعودك بعد العودة ، وقد حملت لك باقة من زهرات البنفسج التى تحبين وتعشقين... فأجدك طريحة الفراش، وأنظرك فأراك ساهمة واجمة، وأتأمل عينيك فأرى فيهما دمعة حارة تترجرج ... وأسألك ما بك ؟ فتشكين إلىّ بذات الجنب ... وأهدئ جزعك، وأنهنه شكواك، وأكتم فى نفسى الألم البالغ ، وأتمحّل الهدوء لأشعرك بأنها نكسة خفيفة ... ونذهب إلى الطبيب ليفحصك ... فيهون الأمر على نفسك وعلى نفسى . ويعطيك دواء حسبنا فيه الشفاء ... وخلناها جميعاً سحابة صيف سريعاً تنكشف . ولكن المرض يلح، ولكن العلة تزداد ... ولكن اللون الأحمر الطبيعى الجميل الذى زين وجهك يتحول إلى صفرة باهتة فيها معنى الموت ... ولكن عينيك النجلاوين يشوبهما تلون غريب يشعر الناظر إليه بمعنى الفناء ... وأقضى الليل مسهداً إلى جانبك مؤرق القلب والفكر مفتوح العين أرمق عينيك الساجيتين فأسمع من نظرتهما معنى الذبول، وأرنو إلى فك النائم فيهزنى صمته بنشيد الموت. وأجدك تحملين يدك بجهد وتمدينها إلىّ متثاقلة لأضعها بين يدىّ كما كنت تفعلين ... وكأنك تطلبين منى اليوم عهداً جديداً على الوفاء ...

ثم ... ثم ... ثم ما زالت يدك بين يدى تزلزلنى شهقتك الطويلة وتسلمين الروح لبارئها . . . وتنتقلين سريعاً — ونحن معاً — من دار إلى دار ...

يا عروساً لم تلبس ثوب عرسها ...

إنها دارك ... وقد زيناها معاً ... فهى محرمة على غيرك ... وسأقضى ما بقى من العمر فيها وحدى ... أرتل — خاشعاً — فى محرابها صلوات الهوى الطاهر العف والحب الملائكى النبيل ها هو ذا رسمك يا عروسى يطالعنى صباح مساء وكأنك أنبته

من وراء المنظار

صاحب السلطان الزائف

ليس لديه من دواعى السلطان غير رتبة البك ، أما المال فحظه الحقيق منه قد لا يسلكه حتى فى أمثالنا من عباد الله القانعين المتواضعين ؛ ومع ذلك فقد توافى له من البأس والسلطان ما يندر أن يتوافى لغيره من ذوى الثراء العميم والحسب القديم .

واتفق له فى غير مشقة من وسائل جمع المال ما لو اتفق لسواه من أهل الكدح والجد لعد عندهم من أنعم الله التى ينسى معها كل عنت ويهون فى سبيلها كل نصب . . . وهو والحق يقال أحد أفراد أسرة فيها من رزق حظاً عظيماً من الثراء وإن لم تكن كثيرها من الأسر الكبيرة القائمة حولها معرقة فى الفضل والحسب

كان يتداخلنى العجب كلما ترامى إلى شىء من أنبائه ، حتى لقد تاقت نفسى آخر الأمر إلى رؤيته كما كانت تتوق وهى غريرة إلى رؤية الغول ولكن على بعد وفى مأمن من أظفاره وأنيابه ، وكما قد تتوق اليوم إلى رؤية الهدنشى مثلاً وغيره من غيلان الإنسانية رؤية آمنة فى غير الورق أو السينما ! ولقد تميل النفس إلى رؤية ما تكره كما تميل إلى رؤية ما تحب وهذه من عجائب غرائزها !

وتحققت لى رؤيته أخيراً فى قريتنا وهى ملتقى عدد من القرى بينها قرية ذلك الآمر الناهى . وكان ساعة رأيته يجلس فى حاشية من (محاسيبه) أمام مقهى من المقاهى على الطريق العام ، وهو لا يحلو له الجلوس إلا حيث يراه الغادون والرائحون ، فما يراه أحد من ذوى المكانة إلا أقبل عليه مرحباً مسلماً ، وما من صاحب حاجة إلا ويشكو إليه حاجته ويلتمس عنده طلبته

وجلست غير بعيد أنظر إليه فى جلبابه الفياض وقد دفع طربوشه إلى مؤخر رأسه ، واتكأ على عصاه تحت إبطه ، وشمخ بأنفه ، ورفع رأسه إلى آخر ما يسمح به وضع طربوشه الذى ظللت أتوقع من حين إلى حين سقوطه وراء ظهره حتى رأيته يهوى ولكن ليرفعه أحد الجالسين فى أقل من ارتداد الطرف ، وقد تزاحم عليه نفر منهم يطمع كل واحد أن يحظى بشرف إزالة ما علق به من التراب بكم جلبابه

وجاء النُّدُلُ مذ رأوه فأحنوا جباههم ورفعوا أيديهم يحيون « سعادة البك » فى ابتسام واحتشام ، ودارت أقداح الشاى والقهوة على الجالسين ؛ وكان لا ينى البك عن طلبها لكل قادم فى لهجة كريمة حازمة

وشكا البك من غبار الطريق ، وسأل محنقاً : ماذا يصنع المجلس القروى إذاً ؟ ووعد أن يتحدث فى ذلك إلى المأمور فسليقاه فى المركز غداً ... وإذ جاء ذكر المأمور تقدم رجل فى يده عريضة وهو يقول : « يا سعادة البك الله يخليك ... » وقطع عليه سعادة البك كلامه متسائلاً : ألم تنته مسألته بعد ؟ ثم تناول منه ورقته ودسها فى جيبه وصرفه طالباً إليه أن يقابله عند باب المركز صباح الغد ، وما لبثت العرائض أن تزاحمت على جيب البك ... فهذا يرجو أن يكون خفيراً ، وذلك يطمع أن يمين فراشاً ،

عنك ليكون شاهداً علىَّ إن نكثت بالعهد ولعبت بالميثاق ...

ها هو ذا رسمك يا حبيبتى معى دائماً ... لن أقبّله .. لن أضمه إلى صدرى ... وكيف ؟ ! وقد تعاهدنا على أن نعيش فى الحرمان حتى يوم الزفاف ، وضننا على أنفسنا حتى بالقبل البريئة ... وكنا يهود الهوى فالخزائن ملأى ... وما بها حلال لنا ، والرقباء غفل ولكننا كنا البخلاء ندخر كل لذة وكل متعة ليوم الزفاف . . . يوم نعب كما نشاء فى عش الزوجية الجميل ...

يا عروسى ... فى سمائها !

لقد شئنا ... وشاء الله ... فما نملك من أمرنا شيئاً ، وإن رحلتك إلى هنا ختامها . وأما شوطى فما زال فيه بقية ... سأقطعها وفياً لعهدك صائناً حبك . . . مقدساً ذكرك . . . ولن أكون فى هذا إلا راداً لك بعض حقك ، مؤدياً لك يسيراً من دينك ...

يا عروساً ... زفت إلى قبرها ... !

لقد كنا نتعجل الزفاف ، نخشى أن يجرفنا تيار الحرب فنذهب فى غباره ... وكم أعددنا الهدايا الرقيقة الضاحكة نفاجئ بها محبينا تعجلنا يا عزيزتى ... وتعجل القدر ... فاختطفك الحمام وأثواب العرس مازالت تحاك . ووسائد الفراش ما زالت تنجّد . وضمك القبر قبل أن يضمك الحبيب ، وأعلام الفرح الخضراء نكسناها فى يومك الرهيب ... والبطاقات الوردية الجميلة التى أعددناها للمدعوين جللناها بالسواد ، ونعيناك بها للمشيعين والمعزين

يا عروسى ... فى جوار ربها ... !

وداعاً ... وداعاً ... إلى لقاء ...

على متولى السيد

وفلان يرجو نقل ابنه إلى بلد قريب ، وآخر يستعجله ما وعد في أمره ، وهو يكرر لهم جميعاً وعوده مؤكداً مستمهلاً إلى أمد قريب ...

وتسلل أحد جلسائه إلى هؤلاء فتحدث إلى كل منهم على انفراد برهة ، ثم عاد إلى حيث يجلس سيده وفي جيبه هو أيضاً ورق ولكن من نوع آخر !

ولاح ضابط الشرطة مقبلاً فأفسح الجالسون له مكاناً قبل وصوله ، وأقبل فسلم على البك في اهتمام عظيم لا تفلته عبارة من عبارات الترحيب ولا يفوته شيء مما يحفظ من التحيات يشفعها جميعاً بألقاب التعظيم والتبجيل ؛ وبدا لي أنه ضابط ذكي إذ كان يزيد في ترحابه وتحياته كلما رأى أثرها الطيب على قسمات البك ، وقل في الضباط من لا يتقن هذا التهويل في مناسبة كهذه ، فهو لا يكلفهم شيئاً ، أما ما يعود عليهم منها فأقل ما يرجونه أن يكف عنهم أمثال صاحب السلطان هذا ألسنتهم عند أولي الأمر إن لم يجودوا عليهم بالثناء والإطراء بل وبالشفاعة والرجاء إذا اقتضى الحال شفاعة أو رجاء

وارتاح البك إلى حضور الضابط فانطلق يتحدث عن مقابلاته التي ضاق بها ذرعاً ، فحسبه أن قابل فلاناً وفلاناً من الوزراء في أسبوع أكثر من ثلاث مرات، أما مقابلاته للمدير فأكثر من أن يحصرها عد ؛ ثم يمسك البك قليلاً ويعود فيقسم بحياة أبيه وقد تصنع الغضب أنه لولا ابتغاء وجه الله لما رضي بأن يسود وجهه من أجل الناس على مثل تلك الحال الأليمة

وتعلق منظاري بمرآه فما يكاد يتحول عنه ؛ وذكرت ما ترامى إليّ قبل من أنبائه وصدقت ما كنت أحمله قبل رؤيته على المبالغة ؛ فهذا الرجل جدير حقاً أن يذهب بنفسه، كما علمت وقد توسلت به بنى معروفة ، فيرجو لها من بيدهم الأمر ألا يحول الشرطة بينها وبين ما تأتيه من الفجور في أحد الموالد ، لا لشيء إلا ليثبت جاهه في ساحة المولد ... وهذا الرجل جدير بأن يوهم أغرار الناس بأنه قادر حتى على أن يحول بينهم وبين يد العدالة، وإلا فكيف ذهب يتوسل إليه ، كما قد علمت علماً لا يداخله شك ، من كانت تهمتهم جريمة القتل ؟ وهـذا الرجل جدير حقاً بأن يفهم كل من له به صلة بأن جاهه لا يقف عند الخفراء والفراشين وإنما يتعدى هؤلاء إلى العمد وإلى من هم أكبر خطراً من العمد من جماعة الموظفين ... وهذا الرجل جدير بأن يحتجز سيارات النقل عند مدخل قنطرة على حدود قريته فلا تمر إلا أن تدفع قدراً معيناً من المال ، وأخيراً هذا الرجل جدير بأن يصب نقمته على من يشاء وأن يختص بنعمته من يشاء ، وله في مجال النقم حديث طويل أراه نقمة بالغة أن أوذي به أنفس القراء

أما زرعه إذا حان وقت الزرع وأما حصاده إذا أراد الحصاد فحدث عنهما ولا حرج، فأهل قريته جميعاً لا يسألونه على جهودهم أجراً إلا الرضاء ... على أن حظه من الزرع والحصاد لا يتطلب عظيم مشقة لقلة ما يمتلك من الأرض إلا إذا شاء له جاهه فاستأجر أرضاً من أصحابها وزرعها في نظير أجر لا يحظى بمثله غيره من الناس

وحمدت الله أن لم تقع عليّ عين البك فلقد كنت منه كالجن أراه من حيث لا يراني، فما لي طاقة بأن أتلقى منه نظرات الكبرياء والاحتقار التي رأيته يشيع بها كل فرد ممن يسميهم المتعلمين سواء من سلم عليه منهم أو من أعرض عنه ، وكان لا يفوته أن يسأل عمن يعرض عنه ثم يذكر آباءهم متسائلاً — وإنه ليعلم — تساؤل الساخر المستطيل ، وهو يرد إلى هذا الصنف ممن يسمون المتعلمين في القرى كل أسباب الفساد والرذيلة ، ولست أدري ماذا كان عسياً أن يحدث بيني وبينه إذا أخذتني عيناه فتطلع إلى وهو لا يعرفني هاتيك النظرات ؟ على أنه لم يفطن إلى مكاني وكفى الله المؤمنين القتال !

وأرسل البك في طلب سيارة فحضرت ، ووقف السائق حتى نهض البك للركوب فخف به جلساؤه ، ونادى أحد الندل ووضع يده في جيبه ، ولكن الندل أسرع قائلاً : « الحساب خالص يا سعادة البك » ، وأشار إلى أحد الحاضرين وتظاهر هذا بالحياء وشكره البك واتخذ مكانه في السيارة بعد أن سلم على مودعيه ، وركب معه من يستصحبهم من أهل قريته

وانطلقت السيارة تحمل ذلك الوجيه المعظم ، ومن عجيب أمره أنه على عظمته التي رأيت لا يملك سيارة ولكن كل سيارة في هذه الجهة ملك له ، فهي جميعاً رهن إشارته ، ولن يعدم أن يجد « الحساب خالص » إذا اتخذ إحداها على يد رجل ممن يصحبونه

الحرب في أسبوع

للأستاذ فوزى الشتوى

هل تنتصر اليونان

هل يتاح للأمة اليونانية النصر فى صراعها الحالى مع إيطاليا؟ أو هل يتاح لها على الأقل أن تحتفظ باستقلالها من العدوان الفاشستى؟ سؤالان لا أكاد أجلس فى مجتمع حتى أسمعهما ، فأسمع أحاديث المتشائمين والمتفائلين ، وأسمع حججاً تبرر التشاؤم والتفاؤل ، وأسمع مقارنات تدل على الحيرة والتردد فى الأخذ برأى قاطع ؛ ويرى كثيرون أن مأساة الحرب الروسية الفنلندية تتكرر بين إيطاليا واليونان

ومن الواجب أن يقف الباحث لحظة أمام هذه الأسئلة الدقيقة ، فيستعرض موقف الدول الأربع مما يسمى الناحية العسكرية بما تضم من استعدادات عسكرية ، والقرب أو البعد من البلاد الحليفة والمؤيدة ، وسهولة صلتها بها أو صعوبتها ، وانشغال الدول المعتدية بالحرب فى ميادين أخرى

فبين إيطاليا والروسيا كثير من وجوه الاتفاق ، وبينهما أيضاً كثير من وجوه الاختلاف ولا يسعنا إلا أن نرجح فيها كفة اليونان ؛ وبين فنلندا واليونان كثير من وجوه الاتفاق والاختلاف أيضاً ؛ ولكن الاختلاف فى مصلحة اليونان أيضاً

فعدد سكان الروسيا ١٨٥ مليون ، وعدد سكان فنلندا ثلاثة ملايين ؛ وعدد سكان إيطاليا ٤٠ مليوناً وعدد سكان اليونان ثمانية ملايين . كانت الروسيا تحارب فنلندا وحدها ، أما إيطاليا فتحارب انجلترا فى مصر وفى شرق أفريقيا ، ثم اشتبكت بالحرب مع اليونان .

فنلندا واليونان

حقيقة إن الروح المعنوية فى فنلندا كانت عالية ، فباع جنودها أرواحهم بيع السماح ، ووفقوا فى أول أمرهم توفيقاً كبيراً ، وهو ما نرى مثيله عند اليونان وإن كانت اليونان تمتاز بعدد أوفر من الرجال تستطيع أن تضمه فى ميدان القتال ، فلا شك أن عدد المجندين الذين يمكن الانتفاع بهم فى ثمانية ملايين يزيد على ضعفى العدد الذى يستطاع تقديمه من ثلاثة ملايين فقط

وأن اليونان تمتاز — فى وضعها الجغرافى — بميزة عظيمة ، فميدانها قريب من الميدان الشرقى ؛ ومواصلاتها معه سهلة لا تعترضها صعوبات تمنع من إمدادها بالمساعدات العسكرية السريعة ، وتجهيز جيوشها الباسلة بالعتاد الحربى الذى كان نقصه السبب الأساسى فى هزيمة فنلندا التى تعذر إمدادها بالذخائر والجنود لصعوبة مواصلاتها مع انجلترا ، ولعدم وجود مرافىء لها على بحر الشمال ، ولمعارضة النرويج أثناء الحرب الفنلندية فى السماح للجنود المحالفة بالمرور فى أرضها ، فكانت هذه المعارضة وحدها عاملاً كافياً لحبس المساعدة عن فنلندا

أما فى اليونان ، فالجزء الشرقى فى البحر الأبيض المتوسط يقع تحت السيطرة الكاملة للأسطول البريطانى ، ويقع فى منتصفه تقريباً جزيرة كريت اليونانية التى احتلتها القوات البريطانية ، واتخذت منها قواعد حربية لإفساد خطط إيطاليا، ولإمداد اليونان بما يستطاع تقديمه من الرجال والمعدات ، وإذا كانت بريطانيا قصرت معونتها لليونان على المعونة البحرية والجوية الآن فالغرض من هذا الاحتفاظ بقوتها البرية فى ميادين أكثر أهمية وهو الميدان المصرى الذى يعتبر تعزيزه تهديداً قوياً يشتت شمل القوات الإيطالية ولا يسمح لها بتوجيه ضربتها الحاسمة إلى اليونان

من ألبانيا

وقع فى إيطاليا صعوبة أخرى فهى تهاجم اليونان من ألبانيا ؛

وهو غالباً لا يتخذ سيارة إلا إذا أحضرها له صاحب حاجة يرجو قضاءها على يديه ؛ فإن اتخذ سيارة فى أمر خاص به وركبها وحده فهو لا يمسك الأجر عن صاحبها إلا إذا مسها ، وقليلاً ما يسهو لأنه قل أن يتخذ سيارة وحده

وبعد ، فأمثال هذا العظيم فى الريف غير قليلين ، ولكننا نقول على رغم ذلك : إننا فى عهد العرفان والنور ، وليت شعرى إذا كان هذا عهد النور ، فكيف كانت الحال فى عهد الظلام ، وكيف تكون حالنا غداً إذا نحن أغمضنا العيون عما يشين ، ولم نلتمس السبل للخلاص منه ؟

الخفيف

ونظرة واحدة فى خريطة البحر الأبيض تبين الفاصل البحرى بين إيطاليا وألبانيا ، وتبين أن طريق الإمدادات الإيطالية يجب أن يعبر البحر، فيسهل على أسلحة الطيران تهديده من جزيرة كورفو أو من غيرها، فضلاً عما يحتاج إليه النقل البحرى من وقت واستعداد يفوق النقل البرى ؛ أضف إلى ذلك أن ألبانيا من الدول المحتلة التى تحمى للخلاص من الفاشست ، فإذا كان أهلها لا يستطيعون الثورة بضغط الحديد والنار ، فإنهم يكفون يد المساعدة للقوات الإيطالية على الأقل

والحوادث العسكرية فى اليونان تشابه إلى أمد بعيد مثيلتها فى فنلندا ، ففى أول الحرب الفنلندية أحرز الفنلنديون عدة انتصارات حربية ، وأوقعوا بالشيوعيين خسائر فادحة حتى أعجب العالم ببسالة ذلك الشعب الصغير، إلا أن الحظ أو الوقع الجغرافى للمدن السوفياتية لم يسعفهم بقدر ما أسعف زملاءهم اليونان ، فلم يتيسر لهم الإحداق بمراكز الهجوم الروسية كما أتيح لليونان الإحداق بكوريتزا مركز الزحف الإيطالى

فإذا قدر لليونانيين الاستيلاء على هذه المدينة التى تقع فى الميدان المتوسط للزحف الإيطالى تيسر لهم إحباط جانب كبير من خطط الغزو الإيطالى لبلادهم ، أو وقفوا الزحف الإيطالى مدة طويلة وأنقذوا سالونيك التى تقع على إحدى الطرق المتفرعة من هذه المدينة كما يهددون طرق المواصلات الإيطالية فى الجهتين الشمالية الممتدة إلى فلورينا فى الجبهة الممتدة إلى الشاطئ فى جبال أبيروس

ولو وفق الزحف الإيطالى فى الوصول إلى سالونيك لتيسر له أن يشطر بلاد اليونان إلى قسمين ولأصبحت مقاطعة تراقية اليونانية لقمة سائغة سهلة الهضم ، كما يتاح لإيطاليا الحصول على قواعد بحرية وجوية تعزز مركزها فى جزر الدوديكانيز فتستطيع منهما أن تهدد القسم الشرقى من البحر الأبيض المتوسط وتسيطر على بحر إيجة بأجمعه وعلى منطقة المضايق

الصمت التركى

وأثبت الساسة الترك فى حوادث اليونان الأخيرة مبلغ خبرتهم كرجال عسكريين وساسة حكماء بابتعادهم الحالى عن الاشتراك الفعلى فى الحرب مع ولائهم لقضية الديمقراطية والمدنية . فإن صمتهم الحالى أفعل وأجدى ، وهم بصمتهم يقدمون إلى اليونان مساعدة أجل من مساعدتهم المادية فيكرهون طرف المحور الآخر (ألمانيا) على الوقوف موقف المتفرج

فلو تقدمت الجيوش التركية فى تراقية لمساعدة اليونان لاستولت ألمانيا على بلغاريا ومنها تهاجم اليونان ومنطقة المضايق فى الدردنيل والبسفور . إلا أن تركيا وفرت قوتها لفترة أكثر مناسبة فأصابت طائرين بحجر واحد ، فصانت مصالحها أولاً ، واضطرت ألمانيا إلى الانتظار وفوتت عليها فترة كانت ترجوها ، حتى يتيسر لها الزحف إلى الشرق حيث منابع البترول فى العراق وإيران ، ثم تهديد قنال السويس

فاحتفاظ الجيوش التركية بمواقعها وانتظارها لخطط المحور الأصلية التى يستبعد — كما يرى بعض الساسة والعسكريين — أن تكون اليونان واحدة أساسية منها ، ينذر بفشل تحقيق هذه الخطط . فالجندى التركى خبير ببلاده متمرن على وعورة أرضها ورداءة جو جبالها بعكس الجندى الألمانى أو الإيطالى . أضف إلى ذلك ما يتكلفه اجتياز منطقة المضايق من أوربا التركية إلى أوربا الأسيوية من ضحايا عسكرية تزيد خطورة كلما زادت القوات الحامية لها فى الاستعداد ، وخصوصاً إن ألمانيا أو إيطاليا لا تملك القوات البحرية التى تستطيع أن تمهد للاستيلاء على هذه المناطق

وشعرت إيطاليا فى الأسابيع الماضية بخطورة المقاومة اليونانية فغيرت القيادة هناك ، ورأى القائد الجديد أن يسحب الجنود الإيطالية من مواقعها ليبدأ خطة جديدة تعيد لإيطاليا كرامتها العسكرية ، وهذا يدل على مقدار الخسارة التى منيت بها الجيوش الإيطالية حتى اقتنع القائد بفشل الخطط السابقة وفضل أن يبدأ حركاته من جديد دون أن يسيل لعابه من أجل المواقع التى تحتلها قواته

والخلاصة أن ظروف القتال فى اليونان تختلف عن مثيلتها فى فنلندا وتبعث على التفاؤل أكثر مما تبعث على التشاؤم . وإذا كانت بريطانيا لم تمدها بالرجال فليس معنى هذا ضعف الأمل فى نجاح اليونان بل ربما تجد القيادة البريطانية أنه سابق لأوانه الآن

فوزى الشتوى

بكالوريوس فى الصحافة

بين أثينا وبين روما

للأستاذ عبد اللطيف النشار

بين «أثينا» وبين «روما»   تغوص بالفكر أم تطير ؟
فى ظلمات بِقاعِ يمٍّ   ليس بها ذرّة تنير
تختنق العين فى دجاها   والنفس والروح والضمير
فتلك «روما» التى يباهى   بمجدها جيلها الأخير
ضخامة ما لها رواء   ينكرها الحس والشعور
يا زهرة ما لها عبير   فى ظلك الضيقُ والنفور
يا زمناً لم يزل يدور   مبدأ روما هو المصير
شعب ضعيف يسير كرها   كما يرى حاكم كبير
هيهات هيهات يا أثينا   لن تقبلى الحكم إذ يجور
دنيا من الحسن يا أثينا   لا برحت شمسها تنير
يريد إطفاءها غشوم   هذا لعمرى هو الغرور
قد عاش حراً ومات حراً   ذلكمو الشاكر الصبور
وارث سقراط فى حجاه   تعجز عن كيده الدهور
فى الحرب والسلم يا أثينا   تشرق فى جوك البدور
فيك بشير بكل ما لم   يأت بمصر له بشير
لو لم تكن مصر لى بلاداً   لقلت فى أرضك النشور
لبيك لبيك يا أثينا   أسمعنى صوتُك الجهير
ما جن «بيرون» فى هواها   لكنه شاعر بصير

طلع الفجر...

للأستاذ أمين عزت الهجين

طلع الفجر يا حبيبى وغنى الط   ير بين الغصون لحن الصباح
فاصح يا حلو ، قد صحا الور   د وطاف النسيم بالأقداح
خمرة هزت الغصون فمالت   تتناجي تناجيَ الأرواح

ها هو الغصن على الغصن يميل
والفراشات جرت بين الحقول
وحلت جلستنا تحت النخيل

ها هى الأزهار حولى ابتسمت   ذكرتنى بك فاشتقت إليك
فتعال إن روحى ظمئت   والكؤوس امتلأت بين يديك
أيها الساحر ماذا فعلت   بفؤادى مقلتاك
صفق القلب وروحى سكرت   حينما لاح بهاك
وهموم العيش بابدرى مَضَت   كلها عند لقاك
يا حبيبى كتب الله لنا   أن نُقضى فى الهوى أعمارنا
فتعال إنه يوم المنى   يا حبيبى . . . . . .
ها هى الأطيار تشدو حولنا   وتغني الروابي حبنا
أنت دنياى ودنياك أنا   يا حبيبى . . . . . .
ساعة فى العمر تقضيها معى   لا أبالى بعدها ماذا يكون
فإذا ما حان يومًا مصرعى   وبدت فى الأفق أطياف المنون
سوف لا أذكر إلا قبلة   منك توجتَ بها هذا الجبين

ما أكذب الأحلام

للأستاذ فؤاد بليبل

لاَ الْحُبُّ عَادَ وَلاَ جَمَالُكِ دَامَا   فَعَلاَمَ أَشْقَى فى هَوَاكِ عَلاَمَا ؟
أَغْرَيْتِنِى بِالْمَالِ حَتَّى خِلْتُنِى   نِلْتُ المَرَامَ وما قَضَيْتُ مَرَاما
خَابَ الرَّجَاءُ فَيَا لَشِقْوَةِ شَاعِرٍ   ضَلَّ الْحِسَابَ وَأَخْطَأَ الأَرْقَامَا
وَقَفَ الحَيَاةَ عَلَى الدُّمَى مُتَجَرِّدًا   مِنْ قَلْبِهِ وَتَعَشَّقَ الأَصْنَامَا
وَمَضَى يُخَادِعُ نَفْسَهُ فى وَصْلِهِ   مَنْ لا يُحِبُّ وَهَجْرِهِ الآرَامَا
أَغْرَتْكِ مِنْهُ صَبْوَةٌ كَذَّابَةٌ   فَحَسِبْتِهِ بِهَوَاكِ جُنَّ هُيَامَا
وَسَبَتْكِ رِقَّتُهُ وَعَذْبُ بَيَانِهِ   فَظَنَنْتِهِ أَرْعَى الأَنَامِ ذِمَامَا
هَلْ كَانَ حُبُّكِ غَيْرَ طَيْفٍ عَابِرٍ   نَادَى الغُرُورُ بِهِ فَزَارَ لِمَامَا
حُلْمٌ مِنَ الأَحْلاَمِ مَرَّ بِخَاطِرِى   يَوْمًا وَأَجْفَلَ مُعْرِضًا أَعْوَامَا



كتب لم أقرأها

تفضلت الآنسة سناء محمد فأرشدتنى إلى مرجع قيم لموضوع كنت قد ألممت به فى كلمة لى نشرتها الرسالة . أما المرجع فهو شفاء الغليل فيما فى كلام العرب من الدخيل، وأما موضوعى فيتعلق بالكلمات العامية . وسيرى القارئ أى فضل أسدته إلىّ الآنسة حين نبهتنى فى رفق ولين إلى وجوب البحث فى المراجع قبل تناول ما يتصل بها من الموضوعات

على أنى إن شكرت لها هذا الفضل فإنها قد أوحت إلىّ بخاطر سأظل معترفاً لها بالعجز عن الشكر عليه . وهذا الخاطر هو أن أنشر كتاباً عنوانه « كتب لم أقرأها »

أقسم إنه لعنوان رائع ... ولئن وفق كاتب إلى الإتقان فى وضع كتاب كهذا فهو بالغ به الذروة فى عالم التأليف ! ألا يتاح له بث مشاعره كلها نحو المجهول ؟ « كتب لم أقرأها » ... إنها لملايين وإن لدى الكاتب من الشوق إلى بعضها ومن العلم بشىء عن البعض، ومن الأوهام والجهالات عن أكثرها، ما تتسع له طوال الأعمار وطوال الأسفار

وفى غير هذا المكان من الرسالة كلمة عن أحد الكتب التى لم أقرأها ، ويبين منه أسلوبى فى تناول هذا الموضوع فلن أغرب وإن لم أعجب ، ولن أتبع طريقاً غير مألوف بل سأتحدث عن كتب قرأت عنها فى لغة أخرى وهى مكتوبة عنا ونحن أحوج إلى قراءتها

فإلى التى أوحت إلىّ بهذا الخاطر أهدى هذا المقال وما يتبعه تحت عنوانه — إن أفسحت الرسالة صدرها لهذى الرسائل وإلى الرسالة وإليها أهدى خالص التحية .

عبد اللطيف النشار

حول الحرب والشعر

يؤسفنى أننى أغضبت الأستاذ العقاد بملاحظات متواضعة على ترجمته لقصيدة مهول الفلاندر المشهورة للشاعر الكندى جون ماك كراى

وإذا كان الأستاذ تفضل فأسعفنى بالنص الإنجليزى من كتاب « بعد عشرين عاماً » الذى اعتمد عليه فى كتابة مقاله ، فإننى أهدى إليه النص الإنجليزى من مقال الأديب الأمريكى المشهور برنهارد راجز وهو فى مجلة نيويورك تيمس يناير سنة ٩٣٨ والنص هكذا

The Editor recognizing its beauty, printed it in heavy-leaded typte, which Punch uses only on great occasions

وترجمته هكذا (ولما أدرك محرر البنش ما فى القصيدة من جمال نشرها فى حروف كبيرة لا تستعملها الصحيفة إلا فى المناسبات العظيمة) وهذا الكلام هو ما قلناه بعينه فى خطابنا المنشور بالرسالة فى صلب مقال الأستاذ العقاد

أما ترجمة كلمة Torch بالعنان فلا زلت أخالف الأستاذ العقاد فيها لأنه كان الأصح أن يقول :

خذوا بأيديكم عنان النضال مع الأعداء

أيدينا المتخاذلة ألقت إليكم (بالشعلة)

فارفعوها أنتم أنفسكم عالية

أما ترجمته We lived بقوله : « كنا أحياء وكنا نحيا » فهو تكرار لا وجود فى الأصل كما قلت

وأما ذكر الجملة الشرطية فى ترجمة الأستاذ بقوله (ارفعوها

حُلمٌ، توسَّمتُ المسرَّةَ والرِّضا ... فيه، فكانَ كآبةً وخِصاما

حُلمٌ، رجَوْتُ به الشِّفاءَ ولم أكنْ ... لأظُنَّ أن الدَّاءَ كانَ عقاما

حُلمٌ، نعَمْ حُلمٌ تصرَّمَ وانقضَتْ ... أوْهامُهُ، ما أكذَبَ الأحلاما

أغنيَّةُ الحُبِّ الذى ألهمْتني ... أسْرارَه، فنظَمْتُها أنغاما

ماتَتْ على شفتيَّ حتَّى أصْبحَتْ ... أنَّاتِ حُزْنٍ تبْعثُ الآلاما

ياخيْبةَ الآمالِ كيفَ تصرَّمَتْ ... لم تشفِ جُرْحًا، أو تبلَّ أُواما

خِلتُ السَّعادةَ فِي غِناكِ حقيقةً ... وطلبْتُها، فوَجدْتُها أوْهاما

والمالُ! ساءَ المالُ! كم مِنْ شاعِرٍ ... لمَحَ الرَّدى بِبَريقِهِ فتَعامَى

ليسَ السَّعادةُ أنْ تعِيشَ علَى القِلَى ... إنَّ السَّعادةَ أنْ تموتَ غَراما

ولو بقيت فى أيديكم سنوات) فهو شرط لم يرد فى الأصل بقيت نصيحة الأستاذ المخلصة لى بأن (أتعلم قبل أن أتهجم) وهى نصيحة سأعمل بها ، وأجد من الشرف دائماً أن يكون الإنسان محتاجاً إلى العلم فى كل لحظة. وعليه منا ألف تحية وسلام.

محمد عبد الغنى حسن

تقسيم الجيش الحديث

ننشر هذا التقسيم لنساعد القارئ على فهم المصطلحات العسكرية التى ترد فى البرقيات اليومية ، وهى لا تكاد تختلف فى مختلف الجيوش

مجموعة جيوش	Army Group	وهى جيشان فأكثر
الجيش	Army	فيلقان فأكثر
الفيلق	Army Corps	فرقتان فأكثر
الفرقة	Division	جيش صغير كامل العدة (١)
اللواء	Brigade	آلايان أو ثلاثة (٢)
الآلاي	Regiment	كتيبتان أو ثلاث أو أربع
البطارية	Battery	أربعة أو ستة مدافع بمعداتها
الكتيبة (مشاة)	Battalion	٣ أو ٤ أو ٥ سريات
« فرسان	Squadron	« « « «
السرية	Company	٣ أو ٤ فصائل
سرية خيالة	Troop	« « «
الفصيلة	Platoon	٣ أو ٤ جماعات
الجماعة (الصنف)	Section	أصغر وحدة عسكرية

الى الأستاذ الباجورى

١ — شرحنا البيتين يا أخى شرحاً أيدتنا به كتب التصوف التى بأيدينا ووافقنا عليه أديبان فى العدد ٣٨٣ ، وإليك اليوم بعض أقوال الصوفية لتكون الحجة :

قال الشاعر :

(بذكر الله تزداد الذنوب وتحتجب البصائر والقلوب)
(وترك الذكر أفضل منه (حالاً) فإن الشمس ليس لها غروب)

والشطر الأول من البيت الأول يفسره قول الجنيد : « من قال (الله) عن غير مشاهدة فقد افترى » ، وقول الشاعر :

« وذكر يسرى النفس عنها لأنه
لها متلف من حيث تدرى ولا يدرى »

ويقول ثالث : « ... معناه أن التقرب إليه بالأعمال تفرقة » .
وسخر شاعر من (الذاكرين) فقال :

« هبنى أراعيك بالأذكار ملتمساً ما يبتغيه ذوو التلوين بالغير »

ويفسر الشطر الأخير منه ، ويبين كيف الذكر باللسان (يحجب البصائر ويتلف القلوب) قول القائل : « إنما يحجب العبد عن مشاهدة مولاه (أوصافه) »

وفى البيت الثانى انتقل الشاعر من الذكر اللفظى إلى الترغيب فى الحال الذى هو الغيبوبة عن هذا الوجود ، والاتصال بالله تعالى مباشرة ، وإلى هذا يشير (محمد بن إسحاق) فى كتابه (التعرف لمذهب أهل التصوف) قال : « فكأن جمى به فرقنى عنى فيكون حالة الوصل هو أن يكون الله عز وجل مصرفى ، فلا أكون أنا فى أفعالى ، فهو الله لا أنا ، كما قال لنبيه : (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) . وهذا لسان الحال ولسان العلم ... الخ » ويشير إليه أيضاً بقوله : « يكون فانياً عن أوصافه باقياً بأوصاف الحق » والحال هذا هو الذى يفسرونه أحياناً بالمعرفة الحقة : « المعرفة إذا وردت على السر ضاق السر عن حملها كالشمس يمنع شعاعها من إدراك نهايتها وجوهرها »

وهنا أحب أن أقول للأديب (الباجورى) إنه ذكر أن (أصحاب البصائر والقلوب حال) ، وليس الأمر كذلك ، وإلا لما اضطر إلى النص فى البيت الثانى على (الحال) ، ولا كتفى بدلاً عنه بالضمير

٢ — نحن لم نتهمكم بما لا تعلمونه يا سيدى ، وأنت وإن كنت صوفياً لا تقول (بالحلول) إلا أن غيرك من السادة آمن به وقال عنه بل واستشهد فى سبيله ، وصنف له الكتب . وما (الظرفية) التى تتحدث عنها إلا السلاح الذى يشهره أعداء الصوفية فى وجوههم ، ولنقرأ معاً بعض ما نقلوه وقالوه عن مذهبهم فى (الحلول)

نقلوا عن ابن عمر أنه قال : « كنا (نتراءى الله) فى ذلك (المكان) يعنى الطواف » ونقلوا قول محمد بن واسع : « ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله فيه » ، ونقلوا قول الرسول صلى الله عليه وسلم « كنت له سمعاً وبصراً ويداً فبى يسمع وبى يبصر » ، كل هذا

(١) تتكون الفرقة من ١٧ قسما وهى تعتبر جيشا كامل المعدات من جميع أنواع الأسلحة وتستطيع تأدية الأعمال العسكرية بمفردها وتعتبر أصغر وحدة فى الجيش وهي تتكون من أربع رياسات : (ا) مركز الرياسة العام (ب) رياسة المدفعية (حـ) رياسة للمهندسين (د) قسم خدمة الجيش . ويلحق بالفرقة آلاى فرسان ووحدات شئون صحية وبوليس حربى

(٢) لا يوجد فى تنظيم الجيش المصرى الحديث آلايات مشاة ويتألف اللواء من ٣ أو ٤ كتائب من المشاة وعدد من بطاريات المدفعية

نقلوه ليقولوا : « من ادعى شيئاً من ملكه — وهو ما سكن في الليل والنهار — من خطرة وحركة أنها له ، أو به ، أو إليه ، أو منه فقد جاذب القبضة ، وأوهن العزة » وليقول الجنيد : « هو العارف والمعروف » ، وليقولوا ما تقدم : « فهو الله تعالى لا أنا فيكون (المعبود والعبد) »

وبعد كل هذا أحيل الأديب على الدكتور زكى مبارك الذى دون فى كتابه (التصوف) ما يقرب من نحو سبعين صفحة فى تحليل هـذا المذهب — مذهب الحلول — وهو يفاخر بأنه استطاع أن يحصره

السعيد جمعة

بين الرسالة والكتاب

كَـثُر ما يرد على الرسالة مقالات وملاحظات لأسماء مستعارة فلا نستطيع نشرها لأن كتابها الأفاضل ينسون أن يذكروا أسماءهم الحقيقية بجانب أسمائهم الاصطلاحية ثم يلوموننا على إغفال النشر . وقد رجوناهم من قبل ألا يقفونا موقف الحرج بين رغباتهم الأدبية وبين واجباتنا الصحفية ، ولا بأس أن نكرر اليوم هذا الرجاء .

حول كتاب

كنت أتصفح عرضاً كتاب « شرح المحفوظات والنصوص العربية » للمدارس الثانوية (الجزء الثانى — الطبعة الرابعة) ، فاستوقفنى شرح المؤلفين لبيت المتنبي :

ولو أن الحياة تبقى لحى لعددنا أضلنا الشجعانا

فقد جاء فى شرحه : « لو فرض أن إنساناً يخلد حياً لكان هذا الإنسان من الجبناء الذين يفرون من مواقف الخطر على النفوس دون الشجعان الذين يحافظون على كرامتهم وشرفهم فى أحرج المواقف التى تعرضهم للهلاك . والواقع أن كل نفس ذائقة الموت متى حل أجلها »

ورأيت أن شرح البيت على الصورة المتقدمة لا ينطبق على معناه . والذى يدل عليه البيت هو أنه لو كان هنالك خلود وأن الإنسان يبقى حياً مهما امتد به العمر لا يموت موتة طبيعية لكان بالغ الطيش وعين الحماقة ومنتهى الضلال أن يكون شجاعاً يواجه الموت مختاراً . ولكن لما كان الموت مصير كل حى فإن فى التشبث بالحياة والتنحى عما يمليه الواجب مذلة وهواناً . ويتم هذا المعنى البيت الذى سبق البيت المذكور والبيت الذى تلاه

وقد عنّ لى بعدُ أن أطلع على شرح ديوان المتنبي للأستاذ عبد الرحمن البرقوقى فرأيته قد أورد شرحاً للبيت ما يلى :

« لو كانت الحياة باقية لكان الشجاع الذى يتعرض للقتل أضل الناس ؛ يعنى أن الحياة لا تبقى وإن جبن الإنسان ولزم عقر داره وحرص على البقاء ، ثم أكد هذا بالبيت التالى

ولعله لا يسوء الأساتذة الشارحين هذا التعليق ودافعى عليه وجه الحق وحدَه

محمود أحمد وصيف

أمة التوحيد نتحد

سيدى الأستاذ صاحب الرسالة الغراء

كان لافتتاحيتكم البليغة فى العدد ٣٨٤ تعليقاً على ما نشرته الأهرام عن مشروع تحالف بين الدول العربية رنة استحسان عظيمة فى الأوساط كلها لأنها عبرت عما يتمناه كل مسلم وعربى من لم شمل العربية والمسلمين وجمع كلمتهم وتوحيد قوتهم حتى يتألف منهم حلف يستطاع الانتفاع به فى هذه الظروف الدلهمة

وفى الأهرام الصادرة فى ٧ الجارى خلاصة لخطبة العرش التى ألقاها سمو الأمير عبد الإله الوصى على عرش العراق يوم ٥ الجارى وقد جاء فيها : « إن الأحوال العالمية لم تزل تتطور تطوراً خطيراً يدعو إلى أشد اليقظة والانتباه إلا أنه مما يستدعى ارتياحنا أن تكون حكومتنا ساهرة على مصالح البلاد واضعة نصب عينيها صيانة سلامة المملكة باتخاذها كل التدابير الممكنة، كما أنها لا تنفك عن مواصلة الجهود فى سبيل ما تصبو إليه الأقطار العربية المجاورة من الأمانى القومية . أما علاقاتنا الحسنة مع المملكتين الشقيقتين المملكة العربية السعودية واليمن وكذلك مع جارتينا العزيزتين تركيا وإيران فتزداد وثوقاً ولا سيما فى الظروف العصيبة هذه »

وللعراق فضل كبير فى سبيل توحيد كلمة العرب منذ ماتبوأ مقعده بين الدول المستقلة ومنذ بدأ بعقد أواصر الإخاء والمودة مع جاراته وأولاها المملكة العربية السعودية وكان بينهما جفاء شديد فعقد معها محالفة ثم عقد مثلها مع دولة اليمن وشرق الأردن ، ثم دخل العراق فى حلف سعد آباد فعقد أواصر الإخاء مع جاراته كلها ، ولم يقتصر على ذلك بل سعى فى بلاده وفى لندن وباريس وتركيا لخدمة فلسطين وسوريا

إن أول نواة كان لها أفضل الأثر فى كيان العرب هو عمل جلالة الملك فيصل — رحمه الله — مؤسس مملكة العراق إذ



هل كان حلماً

عن الفرنسية

أحببتها إلى حد الجنون ! ولماذا يحب الإنسان ؟ . . . لماذا يحب ؟ ما أغرب الحالة التى يصير إليها من لا يريد أن يرى غير امرأة واحدة ولا يفكر إلا فى فكرة واحدة ولا يضمر إلا رغبة واحدة ولاينطق إلا باسم واحد يخرج من أعماق نفسه متدفقاً كالماء من الينبوع ولا يزال يعيده فى وحدته كأنه بعض الصلوات والأدعية !

سأخبرك بقصتنا وهى قصة لجميع المحبين ، فإن للحب سيرة واحدة ... قابلتها فأحببتها وبقيت عاماً كاملاً أعيش فى حنانها ورحمتها ... بين ذراعيها وثوبها . فى كلماتها ونظراتها وكنت مغموراً فى كل ما يصدر عنها فلم أعد أعرف الليل من النهار ، ولا الحياة من الموت ، ولا هل كنت فى الأرض أم فى مكان آخر

ثم ماتت ولكن كيف ؟

لست أدرى ، لم أعد أذكر !

جاءت مبتلة الثياب فى ليلة ممطرة ، وفى اليوم التالى أصيبت بالسعال ، ثم اشتدت الحالة بعد أسبوع فلزمت الفراش . ولست أدرى ماذا حدث فى خلال هذه المدة سوى أن الطبيب كان يأتى ويكتب ورقة وينصرف . . . وكانت امرأة فى المنزل تحضر الدواء وتسقيها . وكانت يداها حارتين وجبينها يكاد يحترق وعيناها تسطعان فى حزن . وكنت أكلمها فتجيب ، ولكننى لا أعى ماذا كنا نقول ... لقد نسيت كل شىء ! كل شىء ... كل شىء ! وماتت وأنا لا أزال أتصور شهيقها الخافت الضعيف

وقالت الخادم إنها عرفت كل شىء . . . فأما أنا ففقدت إدراكى ؛ ثم رأيت القسيس يوجه الخطاب إلىّ ويقول : « خليلتك ... » ؛ فخطر لى أنه يريد إهانتها ، ولأنها قد ماتت فما ينبغى أن يشير أحد إلى ما كان بينى وبينها ، ولذلك طردت القسيس . . . وجاء رجل فى غاية الشفقة واللطف فكلمنى عنها كلاماً أجرى دموعى

واستشارونى فى أمر الجنازة ولكننى لا أدرك كلمة مما قالوه ، وإن كنت أتذكر شكل الصندوق وصوت الفؤوس ، وحينما فتحوا القبر ، عفوك اللهم ورضاك !

« دفنوها ! نعم دفنوها ! هى فى القبر ... وجاء صواحبها وهربت ، ولم أزل أجرى من طريق إلى طريق . وفى اليوم التالى بدأت السياحة ...

***

وفى الأمس رجعت إلى باريس ، ولما رأيت غرفتنا القديمة وسريرنا وأثاثنا وكل شىء يبقى من الحياة الإنسانية بعد الموت ، لما رأيت ذلك أصابتنى نوبة جديدة من الحزن حتى كدت أفتح النافذة وألقى بنفسى منها

ولما لم يكن فى وسعى البقاء بين تلك الجدران التى كانت تضمها فقد حملت قبعتى أريد الخروج ، فلما وصلت إلى الردهة رأيت مرآة طويلة كانت وضعتها هناك لتصلح من هندامها وهى خارجة فوقفت أمام المرآة وكدت أرى صورتها مطبوعة عليها

سعى سعيه المشكور للاجتماع بجلالة الملك عبد العزيز آل سعود ، ذلك الاجتماع التاريخى على ظهر باخرة بريطانية ، فقد أظهر الرجولة الملك فيصل فى كل تضحية فى سبيل نسيان العداء ، وتأسيس وحدة عربية قوية فعلت فعلها ، والعمل على ما فيه خير العرب والمسلمين ، وها هو ذا خطاب العرش فى عهد جلالة الملك فيصل الثانى حفيد مؤسس العراق يشير إلى خدمة العروبة فى هذه الظروف المدلهمة وهو صادق فى إشارته

فإذا تحققت الوحدة العربية والإسلامية كان للعراق أفضل الأثر فى هذا المضمار العظيم . وسيدى الأستاذ الزيات من أعلم الناس بفضل العراق على البعثات العربية فى بلاده وكيف يرسل البعثات العسكرية والعلمية والعملية إلى جاراته مثل اليمن والمملكة العربية السعودية للخدمة الفعالة فى الأقطار الشقيقة . وهذه كلها مقدمات لوحدة عربية عملية سريعة .

نسأل الله أن يحقق للعرب والمسلمين وحدة تزيدهم قوة . وأن يتولانا بلطفه وكرمه وينقذنا مما حولنا ، إنه خير مسئول .

محيى الدين رضا
(القاهرة)

وقفت أرتعش ونظرى معقود بتلك الصفحة الصقيلة المميقة المصنوعة من البلور فى تلك المرآة التى كانت تحتويها . وشعرت بأننى أحب هذه المرآة فلمستها ووجدتها باردة . ما أوجع الذكرى أيتها المرآة المحزنة ، المرآة المحرقة ، المرآة المفزعة التى جلبت أمامى كل هذه الآلام !

سعيد من يستطيع أن ينسى كل ما انطبع على صفحة المرآة وكل من مر بها وكل من نظر إلى نفسه فيها . لقد كان الوجه الذى يرتسم عليها هو وجه الحبيبة الراحلة . فما أشد ما أعانى

خرجت من المنزل من غير رغبة ولا مقصد ، وظللت أمشى حتى وجدت نفسى بين المقابر ، وجدت قبرها البسيط وعليه صليب صغير من المرمر قد نقش عليه (أحبت وماتت)

ها هى ذى هناك ولكن جسمها أصبح بالياً ، فما أكبر المصاب ، بكيت هنالك ورأسى منحن على القبر ، وظللت واقفاً مدة طويلة حتى أظلم الليل ؛ ثم قامت بذهنى رغبة جنونية غريبة رغبة المحب اليائس ؛ أردت أن أقضى الليل كله باكياً لدى القبر وخشيت أن يرونى فيطردونى فماذا أفعل ؟

ابتعدت عن القبر وظللت أمشى فى مدينة الأموات وما أضيقها بالقياس إلى مدن الأحياء ! ثم ما أكثر الموتى وأقل الأحياء بالقياس إليهم ! نحن نحب المنازل العالية والطرق المتسعة ، ونحب أن نشرب الماء من ينابيعه والخمر من كرومها ، ونأكل مما تنبت الأرض ، ولكن ليس للموتى شىء غير أن الأرض تأكلهم كما أكلوا نبتها

وعند نهاية المقابر وجدت أجداثاً قديمة تكاد الأرض تعلوها وقد بلى ما عليها من الصلبان والأحجار وامتنع زوارها ، وعند هذه الأجداث وجدت أشجاراً كثيفة وحديقة صغيرة جميلة تبعث الحزن لأن أعوادها تستمد الغذاء من لحوم الموتى

ولم يكن فى هذا المكان أحد غيرى فاختبأت وراء شجرة كثيفة متشبثاً بالتمامة كما يفعل الغرق

ولما اشتد ظلام الليل تركت مكانى ومشيت بخفة وبطء حريصاً على ألا يسمعنى أحد وإن كان المكان خالياً إلا من الموتى ؛ وظللت أمشى مسافة طويلة ولكننى لم أهتد إلى قبرها فبسطت يدىّ وصرت أتلمس بها كل قبر فلم أهتد إليه . وكنت أمشى كما يمشى العميان فعثرت مراراً بقطع من الصلبان والأحجار والحدائد وبأسلاك معدنية كانت فى وقت من الأوقات تلتف حولها أزاهر الأكاليل ، وصرت أقرأ أسماء الموتى المنقوشة على قبورهم . فما هذه الليلة ؟ ما هذه الليلة الرهيبة ! لقد كادت تنقضى ولم أهتد إلى القبر

ولم يكن فى السماء قمر ولا نجوم وكنت خائفاً فى هذه الممرات الضيقة بين صفوف القبور ... القبور القبور ، ولا شىء غير القبور ... ! عن يمينى وعن يسارى وأمامى وحولى قبور ... جلست على أحدها لأنى لم أعد أستطيع موالاة السير ، وكنت أسمع دقات قلبى ، وكنت أسمع صوتاً آخر يشبه ذلك الصوت ... ما هو ؟ جلبة ضعيفة قد اختلطت فيها الأصوات ، فهل كانت فى رأسى من التعب أم كانت تحت التراب الممتلئ بالرمم ؟

نظرت حولى ولكننى لم أتبين كم ساعة قضيت . وكنت كالمشلول من كثرة الخوف والانزعاج ، وكدت أصرخ ، بل كدت أموت

ثم تخيلت فجأة أن قطعة الرخام التى جلست فوقها قد بدأت تتحرك ، وانتقلت منها إلى التى بجنبها ، ورأيت القبر الذى تركته قد انفتح وظهر الميت الذى كان به ولم يكن غير عظام عارية من اللحم وكان هو الذى يدفع غطاء قبره ليفتحه

نظرت إلى الاسم المنقوش على القبر فرأيت هذه الكتابة :

« هنا جاك أوليفانت الذى مات فى الحادية والخمسين ، وكان محباً لأسرته رحيما شريفاً »

وقرأ الميت أيضاً هذه الجملة ، ثم أخذ من العظم قطعة حديدة الطرف ، وصار يمحو هذا النقش بعناية حتى طمسه ونظر بثقبى عينيه الأجوفين ، وكتب بقطعة العظم الباقية بين أصبعيه :

« هنا جاك أوليفانت الذى مات فى الحادية والخمسين وقد عجل بوفاة أبيه عقوقاً منه وشرهاً إلى الميراث ، وأشقى زوجته وعذب أولاده وخدع جيرانه وسرق كل ما استطاع أن يسرقه ثم مات منكوداً »

لما فرغ الميت من هذه الكتابة وقف بغير حراك ونظر إلى ما كتبه ، ونظرت أنا فرأيت كل من فى المقابر قد فتحوا قبورهم ومحوا الأكاذيب التى كتبها أقاربهم عليها وأثبتوا الحقائق بدلها ووجدت أكثرهم من أهل الحقد والدناءة والرياء والكذب والخداع والحسد ، وقد ارتكبوا أبشع الآثام . وقد كان منقوشاً



في الفرقة القومية

تسنى لي أن أستمع إلى الألحان التي وضعها الأستاذ عباس يونس لرواية القضاء والقدر فقلت : كيف لم تتح الفرقة القومية من قبل لهذا الشاب أن يبرز هذه الكفاية الموءودة بعد ما انتهى إليّ أن تاريخه الموسيقى يشهد له بالتفوق

إن العمق في الموسيقى يحببها إلى ذوى الأفئدة النابضة من الناس، ولسنا نقصد بالعمق عمق المستنقع الراكد العفن، ولكنا نعنى به عمق المحيط وعمق الفجر وعمق الليل ، فمن الناس من يعجب بائتلاق في رأد الضحى ، وهو لا يدرك الجمال الخافت في اهتزاز السحَر بين جوانح الظلماء

وعباس يونس فنان عميق أعنى أن يستمع إليه الصديق الأستاذ عزيز أحمد فهمى فهو أقدر منى على تحليل فنه وعلى التسرب بإحساسه إلى أغوار موسيقاه. وليس يسعنى هنا إلا أن أحمَدَ للأستاذ الشاعر خليل مطران بك الأخذَ بيد هذا المغنى راجياً كل الرجاء، وملحاً كل الإلحاح في إعطائه الفرص الكافية لإظهار مواهبه الغزيرة فقد تجمع له الإلهام والطبيعة الفنية والأداة

السينما المحلية

كثرت في هذه الأيام الأفلام المصرية التي في سبيلها إلى الظهور ، فشركة تلحمى تعد فلم « انتصار الشباب » لفريد الأطرش وأسمهان . وستديو لاما يعمل في فلم « صلاح الدين الأيوبى » . وآسيا داغر وتوجو مزراحى وكثيرون غيرهما يواصلون العمل في أفلام عديدة تتراوح بين القوة والضعف . وإنا لنكبر هذه الروح التي تحفز أصحاب الشركات إلى الإنتاج ، وخاصة في حالة الحرب ؛ ولكنا نأسف كل الأسف حين نصطدم بحقيقة مؤلمة ، وهى أنهم ينتجون لأن السينما صناعة رابحة تدر عليهم من المال ما ينسيهم جلال الفن السينمى ودقته ؛ فتخرج أفلامهم إلى الناس عرجاء مشوهة ، ولو توخوا العناية لخدموا الفن وخدموا أنفسهم ، وإنا لفي انتظار المشاهدة ...

عند بديعة

أقامت السيدة « بديعة مصابنى » حفلة للصحافيين كعادتها السنوية عرضت فيها فرقتها مجهوداً طيباً من تمثيل ورقص وغناء وقد دلت بذلك على مقدار ما بذلته من تضحية لإقامة المسرح الدائر ولاستكمال عناصر فنية قوية يرجع إليها نجاحها الدائم .

أخبار هوليود

* سيظهر الممثل نلسن إيدى في ثلاثة أفلام موسيقية كبيرة ، وهى : « قرصان النيومون » ، « تزوجت ملاكاً » ، « Bittre Sweet » ؛ بعد ما صادف نجاحاً منقطع النظير في فلم « بالاليكا »

* سيمود الكوكب شارلز ونتجر في فلم « نيلى كيلى الصغيرة » ، وهذا الفلم من إنتاج أرثر فريد منتج فلم « مائة فتاة وميكى واحد » ، ومن إخراج نورمان نورج . وسيشترك في هذا الفلم جودى جارلاند والكوكب الراقص جورج مارفي الذى سنراه قريباً في « أنشودة برودواى لعام ١٩٤٠ » ودوجلاس ماكفيل كوكب قصة « مائة فتاة وميكى واحد »

* يسرنا أن نزف إلى رواد السينما نبأ رجوع النجمة هيلين جيروم إيدى إلى حلبة العمل ؛ وهى صاحبة الشهرة الواسعة أيام السينما الصامتة فستظهر في رواية « Strike Up The Band »

عبد الرحمن الخميسى

على قبورهم أنهم أبرياء بررة وزوجات أمينات وأبناء رحماء وبنات طاهرات وتجار شرفاء

وظننت أنها قد كتبت شيئاً على قبرها، فجريت غير خائف بين صفوف الموتى حتى عرفتها وإن لم أنظر إلى وجهها بل كانت معرفتي لغطاء القبر الذى كان منقوشاً عليه : « أحبت وماتت » فرأيتها تمحو ذلك وتكتب : « خرجت يوماً لكى تخون حبيبها فأصابها البرد ومرضت فماتت »

ويظهر أنهم وجدوني في اليوم التالي بجانب القبر في حالة إغماء .

(ع . ا)

حكم بتغريم إسماعيل أحمد المدنى البقال بباب الشعرية بالقضية ن ٢٣٦ تسعيرة سنة ١٩٤٠ استئناف ٩٧٣٥ بجلسة ٣٠ سبتمبر جنيهاً لبيعه ملحاً بأزيد من التسعيرة .

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

8me Année No. 387

بدل الاشتراك عن سنة
مص
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

Lundi - 2 - 12 - 1940

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

السنة الثامنة «القاهرة في يوم الاثنين ٣ ذو القعدة سنة ١٣٥٩ — الموافق ٢ ديسمبر سنة ١٩٤٠» العـــدد ٣٨٧

الفهـــــرس

حكمة الأقاصيص

للأستاذ عباس محمود العقاد

قرأت فصولاً كثيرة في التفرقة بين الفلسفات الاجتماعية والسياسية فلا أذكر أنني قرأت في سطور معدودة تفرقة أظرف وأفكه من التفرقة التي تمثلها لنا قصة البقرتين الأمريكية التي نلخصها فيما يلي :

فالاشتراكية هي أن تكون لك بقرتان فتعطي جارك إحداهما.

والشيوعية أن تكون لك بقرتان فتأخذهما منك الحكومة كلتيهما وتعطيك من اللبن ما تحسب أنك في حاجة إليه

والفاشية أن تكون لك بقرتان فتبقى البقرتين عندك وترسل اللبن إلى الحكومة

والنازية أن تكون لك بقرتان فتأتي الحكومة فتأخذك أنت وتأخذ منك البقرتين

والإصلاح الأمريكي الجديد على طريقة روزفلت أن تكون لك بقرتان فتصطاد الحكومة إحداهما وتحلب الثانية وتريق لبنها على التراب !

والديمقراطية أن تكون لك بقرتان ملكاً فتؤدي ثمنهما مرة أخرى على التقسيط ضرائب وإتاوات

و « الرأسمالية » أن تكون لك بقرتان فتبيع إحداهما

وتشترى بثمنها ثوراً وتنتج منهما عجولاً وبقيرات

وفى هذه القصة من المبالغة ما فى معظم الفكاهات والصور الهزلية ، ولكن أين هى السطور القليلة التى تفرق بين الفلسفات السبع تفرقة أقرب إلى الفهم وحسن المقابلة من هذه التفرقة الفكاهية ؟ وأين هو الجد الذى يسلم من المبالغة كل السلامة على إرادة من صاحبه أو على غير إرادة ؟

ويبدو لنا أن المباحث الحديثة أحوج ما تكون إلى كتاب يعالجها على أسلوب القصة الأمريكية ، وإننا نحن الشرقيين أولى بإخراج هذا الكتاب لأننا حذقنا فن القصة الحكمية من عصور بعيدة ، ولأننا قليلو الصبر على دراسة المطولات فى هذه الموضوعات

والظاهر أن بلاد كليلة ودمنة — ونعنى بها الهند — تأبى أن يفوتها نصيبها من هذا الواجب الحديث ، وأن الأستاذ الفاضل عبده الزيات قد اهتدى إلى كتاب من قبيل الكتاب الذى نقترحه على العالم الشرقى ، حين ترجم إلى العربية « حكايات من الهند » يجتمع لها ما نبغيه من حسن التقريب وحسن الفكاهة وحسن الإيجاز

فكتاب « حكايات من الهند » ثروة لا تقل فى جوهرها عن الثروة الغالية التى ربحها العالم من كتاب كليلة ودمنة ، وأنفس ما فيه تلك البساطة التى قد تصغر من شأنه فى نظر السطحيين وهى هى مزيته الكبرى وغايته القصوى ، بل غاية جميع الحكماء من تبسيط المركبات وتسهيل المعضلات . . . أليس المقصود بهذه الحكمة القصصية أن تمثل لنا الحقائق العويصة فى صورة البدهيات التى لا تحتاج إلى بينة ولا إطالة بيان ؟

إليك مثلاً قصة الرجل الذى ترك لأبنائه الثلاثة بطيخة يحتفظون بها فظن أحدهم أنه يحتفظ بتراث أبيه إذا أبقاها عندهم حتى تفسد وتفسد ما حولها ، وظن الثانى أنه يحتفظ به إذا باعها واشترى غيرها ، وظن الثالث أنه يحتفظ بذلك التراث أجل احتفاظ إذا انتفع ببذور البطيخة ولم يحرص على قشورها وفضولها

أليست هذه معضلة التجديد فى أوضح صورة وأبسطها ؟ أليس المحتفظون بالبطيخة حتى تفسد ويفسد ما حولها هم الجامدين الغافلين ؟ أليس الذين يبيعونها ويشترون غيرها هم المجددين الذين يستبدلون جديداً بقديم ولكنهم يقطعون الصلة بين هذا وذاك ؟ أليس زارعو البذور هم المجددين الصالحين الذين يصونون تراث الآباء ويضاعفونه ولا يخسرون طرافة الجديد فى كل موسم ؟ أليست هذه حكمة يسيرة عسيرة تستدنى النجم البعيد فإذا هو فى متناول اليدين ؟

ولقد حكى المؤلف حكايته ثم عقب عليها بمغزاها فزاد الحكاية الصغيرة توضيحاً على توضيح حين قال : « . . . أما الاحتفاظ بالبطيخة الفاسدة حتى يأتى الدود عليها جميعاً فجلبة للسخرية والأمراض ومضيعة للبطيخة ... وأما رميها برمتها والاعتياض منها بجديدة نبتاعها فتبديد لتراث أبينا وللنقود التى نؤديها فى ثمن هذه وأثمان غيرها ، هذا إلى أن كل ما نشتريه لا بد أن يجرى عليه من الفساد مثل ما جرى على بطيختنا . إن التجديد هو ملاك الحياة والتقدم بيد أن كل جديد ينبغى أن يتولد من بذور الماضى »

وذلك فيما نعتقد فصل الخطاب فى مسألة التجديد

* * *

ولقد رأيت فى حياتى ألف مصداق لـ « عسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم » ، ورأيت مرات أننا لو اطلعنا على الغيب لاخترنا الواقع ، ولكنى لا أحسب أن قصة صغيرة تقرّب هذه الحقيقة البعيدة كما قربتها قصة المؤلف الهندى التى جعل عنوانها « لم كان الصخر صلباً ؟ » وروى فيها أن حجّاراً تعب من صلابة الصخر ، فتمنى على الله لو أصبح هذا الصخر الصلب رخواً كالزبد والعجين ، فلما استجيب دعاؤه قطع فى يوم واحد أضعاف أضعاف ما كان يقطع فى أيامه السابقة ، ولكن الصخر بار وكسد ، لأن الناس استغنوا عن البناء به وأعرضوا عن شرائه ؛ وعاد الحجار يقول : « رب ! إنك لأعلم أين الخير لعبادك ، فاغفر لى دعوتى ورد الصخر صلباً ثقيلاً كما رأنه أول مرة »

ويعرض المؤلف مزية الصلابة ومزية الرخاوة فى معرض آخر حين يروى عن الصخر أنه تكبر على الطينة القريبة منه ، فشمخ بأنفه عليها وقال لها : « أنا صلب نظيف جميل حمول قوى . أما أنت فرخوة قذرة متداعية قبيحة ضعيفة . . . »

فلم تنكر الطينة شيئاً من مزاياه ولا شيئاً من عيوبها ، ولكنها أجابته قائلة : « إنى لأنمى الحبوب والخضر التى يعيش عليها كل حى ، فماذا تنمى أنت ؟ إن قوتك عقيمة ، وأما ضعفى فمثمر »

وكثيرٌ ما يستفاد من أمثال هذه المقابلات والمساجلات ،

كما عرفنا أن ننقلها من كبار المشكلات وصعاب المعضلات

***

كنت فى سيارة من سيارات الأجرة لخطر للسائق أن يختصر الطريق فينحرف إلى الشمال مقاطعاً فى بعض الميادين الصغيرة بدلاً من الاستقامة على طريقه إلى الأمام

وفرق المسافة مائتا متر على أكبر تقدير

ولـكنه حسب فرق المسافة بالمتر وأهمل كل حساب آخر، لأن السيارات كانت مقبلة تترى من الجهة الأخرى، فكانت تعبره واحدة بعد واحدة وهو واقف فى مكانه، وحاول أن يرجع فإذا هو قد سد المجاز على من خلفه واستعصى عليه الرجوع، ثم تحوّل المرور وهو فى الانتظار حيث كان، ولو مضى من أول الأمر قُدُماً لوصل من جانب التطويل قبل أن يصل من جانب الاختصار!

هذا السائق لم يخطئ فى مسألة علمية أو مسألة سياسية أو عقدة من عقد البحث والفلسفة، ولكنه أخطأ فى العمل الذى يعمله كل يوم وينقطع له دون سائر الأعمال

ولـكنه مع هذا قد يشكو ظلم الأرزاق ويرشح نفسه لمهام الدولة التى يظفر بها المجدودون ولا يذوده عنها إلا غفلة الحظوظ. وإنه لمثل واحد من أمثلة خالدة قلما يخلو منها زمن

وما أكثر ما ذكرت من هذه الأمثلة وأنا أقرأ فى الكتاب قصة الوزير والخادم!

خادم سمعه الملك يوماً يقول: «إن هذا العصر عصر ظالم، فأنا أعمل طول اليوم ثم لا أنقد إلا سبع روبيات فى الشهر، والوزير الذى يركب السيارات ويضيع وقته فى الـكسل يقبض ألفين من الروبيات»

فامتحنه الملك باستطلاع أمر مسافر قادم على بعد، فذهب مرة ليسأل عن اسم ذلك المسافر، وثانية ليسأل عن إقليمه، وثالثة ليسأل عن المكان الذى قدم منه، ورابعة ليسأل عن الوجهة التى يقصدها، وخامسة ليسأل عن المرحلة التى يقف فيها، وسادسة وسابعة وثامنة وتاسعة ليسأل عن غرضه وعمن يلقاه وعن موعد اللقاء إلى غير ذلك من الأسئلة التى لا يذكرها إلا إذا أمليت عليه

ثم بعث بالوزير مستطلعاً فعاد بالخبر كله فى لحظة قصيرة وأجمل ما علم فى مقال وجيز

فاستدار الملك إلى خادمه وقال له: «أرأيت أن ما كلفك تسع رحلات مضنية وخمس ساعات قد كلف الوزير نصف ساعة ورحلة واحدة؟ لعلك تتعلم الآن لماذا تقبض سبع روبيات فى الشهر ويقبض الوزير ألفين . . .»

ومن السهل أن يقال إن من الوزراء من يخطئ خطأ الخادم ومن الخدم من يصيب إصابة الوزير، ولكن الحقيقة الباقية بعد هذا أن من الناس من يعمل فى رحلة واحدة ونصف ساعة ما يعمله غيره فى تسع رحلات وخمس ساعات، وإن الظلم كل الظلم أن يتساوى هذا وذاك

وقد اشتمل الـكتاب على نيف ومائة قصة من هذا الطراز، ما أظنها أهملت مسألة عصرية أو خلت إحداها من عبرة سهلة عصية، وكلها زاد قراءة سائغ لمن درس تلك المسائل فى مراجعها ولمن يكتفى منها بهذه الأشباه المخيلة والعبر الممثلة، وهم أكثر من الـكفاية فى بلادنا.

عباس محمود العقاد

مسابقة الجامعة المصرية
لطلبة السنة التوجيهية
للدكتور زكى مبارك

— ٤ —

على هامش التاريخ المصرى القديم

كلمة اليوم عن كتاب « على هامش التاريخ المصرى القديم » لسعادة الأستاذ عبد القادر حمزة باشا، وهو كتاب يقع فى أربعين ومائتى صفحة بالقِطع المتوسط، وبه كثير من الصور والرسوم التى توضح ملامح ذلك التاريخ

الأسلوب

أسلوب عبد القادر حمزة أسلوبٌ فريد بين أساليب الكتّاب فى هذا العصر، وهو فى غاية من الجمال، وإن لم يذكّرك بأنه جميل، لأن الصنعة فيه أخفى من الخفاء

وعبد القادر حمزة يقيم تعبيره على قواعد المنطق، فالتعبير عنده مقدمات تصل إلى نتائج، ولا تمرّ صفحة مما يكتب بدون أن تلمس فيها وضوح الحجة ونصاعة البرهان

وعبد القادر حرّ الفكر إلى أبعد الحدود، وما صحبه رجلٌ إلا عجب من الشجاعة التى يمتاز بها عقله الوثّاب، مع القدرة الغريبة على ضبط النفس، ومع المهارة فى تقديم الحجج « على أقساط » ليتسع له المجال فى تشريح المعانى والأغراض

ومن هنا كان عبد القادر عدوًّا خطِراً حين يعادِى، لأنه لا يحاول الإجهاز على خصمه بمقال أو مقالين، وإنما ينوشه برفق ودهاء من يوم إلى يوم ومن أسبوع إلى أسبوع، ثم يظل يراوحه ويغاديه إلى أن يأتى على مركزه من الأساس

بين العلم والسياسة

قد يقال إن هذا أسلوب عبد القادر فى مقالاته السياسية، لا فى أبحاثه العلمية

ونجيب بأن عبد القادر هوهو فى جميع الأحوال، فعبد القادر لم يفكر فى درس التاريخ المصرى القديم إلا فى سنة ١٩٢٤، فماذا صنع فى هذه الأعوام القصار ليكون من أقطاب المؤلفين فى ذلك التاريخ ؟

عمد الرجل إلى طائفة من المعضلات الأساسية فدرسها بتعمق واستقصاء، ثم خرج من ذلك الدرس بمحصول يحسده عليه الإخصائيون، وقد تمرّ أعوام وأعوام قبل أن تظفر اللغة العربية بكتاب يضارع كتابه فى دقة العبارة ونفاسة الاستطراد

حشو اللوزينج

وحشو اللوزينج فى تعبير كتّاب القرن الرابع يُضرَب مثلاً للشىء يكون حشوه أجود من قِشره، ومن أشهره قول عوف بن محلِّم :

إن الثمانين – وبُلِّغتَها !! – قد أحوجتْ سمعى إلى ترجمان

فعبارة « وبُلِّغتَها !! » حشوٌ، ولكنها أجل من المحشوّ، لأنها غاية فى الرفق والحنان

وكذلك ينقسم كتاب عبد القادر حمزة إلى حشو ومحشوّ، فالحشو هو الهامش، والمحشوّ هو الأصل، ولم أجد كتاباً يكون فيه الهامش أغزر من الأصل قبل أن أعرف كتاب عبد القادر الذى أغراه بحشو اللوزينج بعد التفات النقاد إليه بعشرة قرون

فأرجو الطلبة أن يلتفتوا إلى هامش هذا الكتاب أكثر من التفاتهم إلى الأصل، لأن عبد القادر جرى فى الهوامش على فطرته الأصيلة من التعقب والاستقصاء فأتى بالأعاجيب

وهل برع عبد القادر إلا فى الهوامش ؟

إن هذا الرجل يحارب بالأخبار المنثورة أعنف مما يحارب بالمقالات الطوال، وهو قد نقل أسلوبه فى الصحافة إلى أسلوبه فى التأليف، فليراع الطلبة هذا الفن الدقيق

شاهد

قلت إن عبد القادر يصل إلى غرضه بترفق وتلطُّف، فما شواهد ذلك ؟

إليكم الشاهد الأول :

قال ابن عبد الحكم : « لما فتح عمرو بن العاص مصر أتى أهلها إليه حين دخل بَؤُونة . فقالوا : أيها الأمير ! إن لنيلنا سُنّة لا يجرى إلا بها . فقال لهم : وما ذاك ؟ قالوا : إنه إذا كان لثنتى عشرة ليلة تخلو من هذا الشهر عمدنا إلى جارية بِكر من أبويها، فأرضينا أبويها وجعلنا عليها من الحلىّ والثياب

أفضل ما يكون ثم ألقيناها فى النيل . فقال لهم عمرو : هذا لا يكون فى الإسلام ، وإن الإسلام يهدم ما قَبْله . فأقاموا بؤونة وأبيب ومسْرَى وهو لا يجرى قليلاً ولا كثيراً ، حتى همّوا بالجلاء ، فلما رأى عمرو ذلك كتب إلى عمر بن الخطاب بذلك . فكتب إليه عمر : « أنْ قد أصبت ، إن الإسلام يهدم ما قبله ، وقد بعثت إليك ببطاقة فألقها فى النيل إذا أتاك كتابى »

فلما قدم الكتاب على عمرو فتح البطاقة فإذا فيها : « من عبد الله أمير المؤمنين إلى نيل مصر ؛ أما بعد فإن كنت تجرى من قِبَلك فلا تجر ، وإن كان الواحد القهار هو الذى يجريك فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك » . فألقى عمرو البطاقة فى النيل قبل يوم الصليب بيوم وقد تهيأ أهل مصر للجلاء ، لأنه لا يقوم بمصلحتهم فيها إلا النيل ، فأصبحوا يوم الصليب وقد أجراه الله تعالى ستة عشر ذراعاً فى ليلة وقطع السوء عن أهل مصر فى تلك السَّنة »

فماذا صنع عبد القادر حمزة فى تفنيد هذه الأسطورة البلهاء وقد انتقلت من عصر إلى عصر ومن جيل إلى جيل حتى احتلت بعض الكتب المدرسية بالمدارس الثانوية ، وحتى دخلت فى منهج الاحتفال بوفاء النيل بصورة رمزية ؟

أخذ عبد القادر يَدُور ويَدُور حتى صيَّر هذه الأسطورة أضعف من وهم الخيال

ولكن كيف ؟

هل فزع إلى المنطق فقرر أن من المستحيل أن يتوقف فيضان النيل على عروس تُلقَى إليه ؟ هل سارع فاستغرب قول ابن عبد الحكم إن النيل توقف ثلاثة أشهر عن موعده الموقوت وفى ذلك هلاك لأهل هذه البلاد ؟ هل أنكر أن يكون لبطاقة عمر ابن الخطاب قوة الموهوم من آثار التمائم والتعاويذ ؟

لو أن المؤلف اكتفى بهذه المحاولات لوصل إلى الغاية فى نقض ذلك الحكم السخيف ، ولكنه رأى الرجوع إلى المأثور عن المصريين القدماء فلم يجد لهذه الخرافة سنداً تعتمد عليه ، فلو كان لها أصل لسُجِّلت فى بعض ما سُجِّل من أخبار الفيضان ، ولو كان لها أصل لَعُدَّ فِقدان عروس النيل سبباً فى بعض ما أصاب مصر من مجاعات ، ولو كان لها أصل لذُكِرَتْ فى « نشيد النيل » وهو نشيد قد استوفى خصائص هذا النهر العظيم وتحدث عما أطاف به من أوهام وأضاليل ، ولو كان لها أصل لذكرت عروس النيل بين الهدايا التى كانت تقدم إليه فى الحفلات ، فلم يبق إلا أن تكون خرافة خلقها وَهْمُ القُصَّاص ، ثم تبعهم ابن عبد الحكم بلا تمحيص ولا تحقيق

سؤال

من حق طلبة السنة التوجيهية أن يوجهوا إلى سعادة عبد القادر حمزة باشا هذا السؤال :

كيف نشأت هذه الخرافة وهى من المستحيلات ؟

وأتطوع بالإجابة عن هذا الصديق فأقول :

يشهد كتاب الأستاذ نفسه بأن النيل كان يلقى فيه قرطاس من البَرْدِىّ يُدْعى فيه النيل إلى أن يفيض ، وكان الكهنة يزعمون أن للكتابة التى فى ذلك القرطاس قوة سحرية

فذلك القرطاس هو الأصل لبطاقة عمر بن الخطاب ، والأساطير يستقى بعضها من بعض

بقيت عروس النيل ، فما أصل تلك العروس ؟

يشهد كتاب الأستاذ نفسه بأنه كان يُتقرَّب إلى النيل بذبح عجل أبيض ، ومن السهل أن نقول إن الذبيح كان بقرة بيضاء والبقرة البيضاء يعبر عنها مجازاً بالجارية الحسناء ، وفى بعض تعابير الفرنسيين توصف البقرة بأنها Bonne femme

ويؤيد هذا التعليل أن المصريين القدماء لم يعبدوا البقرة إلا لأنهم رأوا فيها مخايل من حنان المرأة المفطورة على الطاعة والسماحة والصفاء

شاهد ثان

والشاهد الثانى على منطق الأستاذ عبد القادر باشا هو تحديده لمركز هيرودوت ، فهذا المؤرخ اليونانى هو الحجة على مصر فى تاريخها القديم ، وما عُرِفتْ مصر القديمة فى شرق ولا غرب بأكثر مما عُرِفتْ عن طريق هيرودوت

فما الذى قال عبد القادر باشا فى ذلك المؤرخ « الأمين » ؟

لقد قتله بكلمة واحدة حين قرر أنه لم يزر مصر فى عهد إشراقها وإنما زارها فى عهد الأفول ، فكان مثله مثل من يأخذ السيرة النبوية عن سَدَنة الكعبة فى هذا الجيل ، وهم لا يعرفون من سيرة الرسول غير أطياف تصوَّر عن طريق الزمن الواهم ما كان عليه الرسول من عظمة وجلال

شاهد ثالث

تحدث عبد القادر باشا عن « السذاجة المصرية » في تقدير ما للشهور والأيام من غرائب وأماثيل

ومن رأى هذا الباحث أن ما قيل عن الأيام والشهور في عهد رمسيس الثاني لا يزيد عما يقال في عهد فاروق الأول ، فهي هنا وهناك صور لأوهام العوامّ الجهلاء ، وليست حجة على العقل الصحيح لأهل هذه البلاد ، فما يقال عن يوم ٥ طوبة في عهد رمسيس الثاني شبيهٌ بما يقال عن يوم ٥ طوبة في عهد فاروق الأول . ومعنى ذلك أن العوامّ لهم آفاق غير آفاق الخواصّ ، وإلا فمن الذي يصدّق أن أهل مصر في هذه الأيام يَبْنون أحكامهم الماشية على ما يَرِد في مِثل تقويم « طوالع الملوك » ؟

شاهد رابع

وفي هذا الشاهد تظهر القوة المنطقية لهذا المؤلف الحصيف ، فالمدنية المصرية هي أقدم المدنيات في التاريخ ، وآثار المصريين هي أقوى وأنفس وأغلى ما أُثِر عن القدماء في جميع الممالك والشعوب ؛ وقد دامت المدنية المصرية القديمة أكثر من أربعين قرناً في وقت لم يكن فيه لغير مصر سلطان ملحوظ في المشرق أو في المغرب ، فهل كان يمكن للمصريين أن يتفوقوا على العالم القديم بلا علم وبلا أخلاق ؟

وكيف كان يمكن للمصريين أن يسودوا إذا صح أنهم كانوا جهلاء ؟ ؟

وكيف يجوز عليهم الجهل وقد خلّفوا آثاراً فنية وأدبية هي الغاية في براعة الأذواق ورجاحة العقول ؟

وهل من الجائز عقلاً أن تقام الأهرام في بلد لا يعرف أهله قيمة النظام وقيمة التطلع إلى الخلود ؟

وهل يستطيع إنسان موهوب أن ينكر أن آثار الأقصر هي أغلى ما خلّفت الإنسانية في عهدها القديم ، إن صح أنها استطاعت خلق ما يفوق تلك الآثار في العهد الحديث ؟

وبأي قوة سحرية جاز لتلك البقعة النائية أن تكون عروس القرون الخوالي ؟

لقد شغلتُ نفسي بأسرار تلك البقعة من الوجهة الطبيعية ، فلم أجدها تنتج غير اللحوم والبقول ، فهل يكون سرّ التفوق في غزارة اللحوم والبقول ؟

إن كان ذلك ، فكيف انقضى عهد العظمة « الأقصرية » بعد ذلك التاريخ ؟

وكيف انتقل مجد مصر من الجنوب إلى الشمال ؟

تلك أسئلة توجه إلى الأستاذ عبد القادر حمزة ، فهل يجيب ؟

أما أنا ، فأقول : كان المصريون تحصّنوا بالأقصر ليسلموا من عدوان الوافدين من جهة الشمال ، وبذلك حصروا نشاطهم الفني والاقتصادي في « كعبة » الأقصر ، كما حصر العرب نشاطهم الفني والاقتصادي في « كعبة » الحجاز ، والتاريخ هو التاريخ ، وإن تلونت الأشعة والظلال

عراقة المدنية المصرية

شغل المؤلف نفسه بالتدليل على عراقة المدنية المصرية ، وهي أقدم مدنية عرفها التاريخ ، ولا ينافسها في القدم غير حضارة الكلدان في وادي الفرات

وعلى الطالب أن يقرأ ما كتب المؤلف في هذا الموضوع بعناية وتدقيق ، ولكن يجب قبل ذلك أن يعرف الأصل الذي استوجب عراقة المدنية المصرية ، وذلك الأصل هو النيل ، فالنيل هو النهر الثاني في العالم بعد المسيسبي من حيث القوة ، ولكنه النهر الأول في العالم من حيث المدنية ، فهو أقدم نهر قامت على شواطئه كبريات المدائن ، وأقدم نهر نُظِّمَت فيه المِلاحة واتخِذت مياهه مطايا لخدمة الاقتصاد ، وهو كذلك أقدم نهر أوحى إلى أهله عرائس الشعر والخيال

فإذا تمثّل الطالب هذا المعنى كان عليه أن يذكر أن المصريين أسبق الأمم إلى حفر الآبار ، لأن أرض مصر لينة جداً ، ولأن الماء مخزون في جميع البقاع بهذه البلاد ، وقد يوجد في سفوح الجبال ، وهذا وذاك يشرحان السبب في تعلق المصريين بواديهم أشد التعلق ، حتى صاروا مثلاً في بغض الهجرة والارتحال

أقول هذا لأؤيد حجة الأستاذ عبد القادر حمزة في قوله بأن المدنية المصرية بِنْتُ مصر لا بنت شعب آخر ، ولو قال إنها نَبْتُ مصر لكان التعبير أظرف ، لأن المدنية المصرية نشأت في خصائصها الأصيلة وكأنها من عمل الطبيعة لا من عمل الناس

والمشكلة هي درس مسألة السبق إلى المدنية ، فهل كان السبق للمصريين أم للكلدانيين ؟

ولكن كيف خُلِقت هذه المشكلة؟ خلقها التشابه بين المدنية المصرية والمدنية الكلدانية فى كثير من الشؤون. فهل يدل هذا التشابه على النقل؟ أم يكون شاهداً على تبادل الصلات الأدبية والاقتصادية بين هذين الشعبين العريقَين؟

هنا تظهر قوة عبد القادر حمزة فى التعمق والاستقصاء، فقد وصل بالمنطق وبشواهد التاريخ إلى أن المصريين سبقوا الكلدانيين إلى الحضارة والمدنية ولم يترك الموضوع إلا بعد أن صيّره غاية فى الوضوح والجلاء

التقويم المصرى

وفى كتاب عبد القادر قضية من أغرب القضايا الإنسانية، وهى قضية التقويم، فقد كان العالم كله يعتمد فى تقسيم الزمن على الدورة القمرية، وهو تقسيم مقبول ولكنه غير دقيق، لأنه لا يصلح قاعدة لتعيين مواسم البذر والحصاد

وكذلك كان المصريون أول المتحولين عن التقويم القمرى إلى التقويم الشمسى، وقد قسّموا السنة إلى ثلاثة فصول، كل فصل منها أربعة أشهر، وهى فصل الفيضان وفصل البذر وفصل الحصاد

والتقويم المصرى هو التقويم الذى حمله يوليوس قيصر من مصر إلى روما، وهو التقويم الذى عدّله مجمع الكرادلة تعديلاً طفيفاً فى سنة ١٥٨٢ ثم صار تقويم العالم كله إلى اليوم

وإذا تذكرنا أن التقويم المصرى كان موجوداً إلى سنة ٤٢٣٨ قبل الميلاد، أى قبل حُكم الملك مينا بأكثر من ألف سنة، أدركنا فضل مصر فى السبق إلى دقة الحساب

وفيما كتب عبد القادر عن هذا الموضوع صفحات جديرة بالدرس والتعقيب، فليس من القليل أن نكون دِنّا أمم الشرق والغرب بذلك التقويم الدقيق.

معركة عقلية

هى المعركة بين الكنيسة وعلم الآثار المصرية، وهى المعركة التى انتهت بانهزام الكنيسة ورجوعها صاغرة إلى أن تفسّر التوراة تفسيراً جديداً لتسلم من التصادم مع الآثار المصرية

فما سبب تلك المعركة؟ ومن الرجل الذى درس البروج المصرية ثم انتهى من درسها إلى القول بأن الحضارة المصرية ترجع إلى أبعد من خمسة عشر ألفاً من السنين؟ وما الذى قال العلماء الموافقون لبونابارت؟ وما هو البُرج الذى نُقل إلى فرنسا فَبَلْبَلَ الأفكار الأوربية؟ ومن هو الشاب الفرنسى الذى أدى لمصر أعظم خدمة تاريخية ثم حماه الخوف من سلطان الكنيسة على المواربة فى قضية البروج؟ ومن هو العالم الذى قرر أن الثقة بالمسيح لا تمنع من مسايرة الحقائق العلمية؟ وعلى أى أساس برّرت الكنيسة خروجها على حَرفيّة العهد القديم لتصح النظرية المصرية فى قدم الوجود؟

عقيدة الحساب بعد الموت

ذلك بحث نفيس كتبه عبد القادر فى أيام صفاء، فما تفاصيل هذا البحث؟

لهذا البحث عناصر كثيرة، ولكنى أرجو أن يفكر الطلبة فى الموازنة بين الأخيلة المصرية والأخيلة اليونانية ليعرفوا كيف استطاع المؤلف أن يقيم البراهين السواطع على أن المصريين سبقوا اليونان إلى تصور عقيدة الحساب بعد الممات بما يدل على فهمهم لفكرة العدل

ودرس هذا البحث يُعِين على فهم البحث الذى يليه وهو تأثير المدنية المصرية فى المدنية اليونانية وتعيين ما اقتبس هوميروس من أساطير المصريين

وهذان البحثان يهمّان كل مصرىّ يحب أن يعرف مركز وطنه فى التاريخ، فقد استطاعت أرض يونان أن تزعم أنها أنقب فكراً من وطن النيل، وساعد على تأييد هذا الزعم أن كان العرب سفراء العقل اليونانى فى الممالك الآسيوية والأوربية، فى أوقات لم يملك فيها المصريون أدوات النقض لمزاعم اليونان

لحظة من التحقيق

المصريون هم أساتذة اليونان القدماء باعتراف الجميع، ولكن العقل المصرى كان غفا بعد أن تعب من اليقظة التى هدّمتْ أعصابه فى عشرات الأجيال؛ ثم كانت صحوة العقل اليونانى بعد ذلك، وهى الصحوة التى عرفها العرب يوم عزموا على «إحياء» المطمور من آثار القدماء. فمن طاب له أن يزعم أن مصر تعيش بعقلية يونانية فسيقهره المنطق الحق على الاعتراف بأن اليونان لم تؤدّ إلى مصر إلا بعض ما تلقّتْ من عِلمها الأصيل فى العصور الخوالى، ولا بُدّ يوماً أن تردّ الودائع، ولو كَرِهَ كهنة دِلف وسَدَنة أبولون!

نفسية المرأة الحديثة

مقتبسة من آراء العلامة « يونج »

للدكتور محمد حسنى ولاية

لا شىء يضر طبيعة المرأة نفسياً أكثر من قيامها بأعمال الرجال . ولما كانت طبيعة الإنسان مشتملة على عنصرى الأنوثة والذكورة معاً ، فإن الرجل يستطيع أن يعيش بالمرأة التى فى نفسه ، كما أن المرأة بدورها تستطيع أن تحيا بالرجل الكائن فى طبيعتها ، وفى ذلك ما يقيد ذاتية الشخص الأساسية ويقضى عليها . فلا بد للرجل من أن يعيش كرجل ، ولا بد للمرأة من أن تعيش كامرأة

إن تصرفات المرأة وانفعالاتها لا تتأتى من عقلها الباطن مباشرة ، بل هى من خصائص طبيعتها الأنثوية ، فليست انفعالاتها ساذجة ، ولكنها ترمى إلى غرض لا تصرح به .

إن ما يصدر من الآراء عن عقل المرأة الباطن يسير بها فى طريق شاذة ، فهذه الآراء تنتحل صفة الصدق والواقعية ما دامت لم توضع رهن الانتقاد الواعى . وهى تشبه تصرفات الرجل فى غموضها إلى حد ما ، كما أنها تشبهها فى عدم وصولها إلى العقل الواعى غالباً ، وعلى ذلك يندر أن ندرك ألوانها على حقيقتها

إن الافتراضات والأفكار المنتمية إلى العقل الباطن لهى ألد عدو للمرأة ، وذلك لأنها قد تنمو وتكبر فى شكل هوى شيطانى يستقبح الرجال ويخنق جاذبية المرأة وأنوثتها ، وينتهى مثل هذا الاتجاه إلى انفصام عميق فى الذاتية أو بعبارة أخرى إلى عصبية . على أنه ليس من الضرورى أن يصل الأمر إلى هذه الخاتمة ، لأن تلون عقلية المرأة بالذكورة يؤدى فى حد ذاته إلى نتائج سيئة غير العصبية . فقد تكون مثل هذه المرأة زميلة طيبة للرجل ولكنها لن تشق طريقها إلى مشاعره وعواطفه ، وهذا من قبيل تفاعل دفاعى ضد طابع الجنسية الذكرية .

إن كل ما حرم على المرأة فى العصور الخالية قد تجمع الآن وتمخض عن حدوث عمليات تعويض نفسى ، ورسل هذه العمليات هن كائنات السر والمختزلات والمشتغلات بالأزياء ، وهن اللاتى يقوضن أركان الزواج باتباعهن ملايين من الطرق الخفية ، وليست رغبة أولئك النساء موجهة إلى مناصبة العلاقات الجنسية والمجازفات الغرامية العداء ، بل محاربة الزواج هى غايتهن ، فهن يرمين إلى مطاردة المرأة المتزوجة ، ولكن بوسائل غامضة هادئة عنيدة تعمل كالسحر مثل عين الثعبان الجامدة

فما هو موقف المرأة المتزوجة من هذا ؟ ... لا ريب فى أنها تتعلق بالفكرة القديمة التى تلقى اللوم على عاتق الرجل والتى تتضمن استطاعة الإنسان أن يصنع الحب بمحض اختياره ، وأنها على أساس هذه التصورات الجامدة تنطوى على نفسها فى جو من الغيرة . على أن هناك أمراً أحمق من هذا ، فما من امرأة تستطيع

قصة الغريق

هى قصة أوحت ما أوحت إلى الآداب العربية والآداب الإنجليزية ، فكيف كان ذلك ؟

الطلبة هم المسئولون عن مراجعة هذا الفصل النفيس ، وعما كتب المؤلف فى الاستشهاد بآيات التوراة لتبرير ما جاء فيه من تكرير وترجيع

رسائل مصرية وفلسطينية وسورية

هو بحث شائق لا يحتاج إلى من يدل عليه ، وهو يشرح وسائل قدماء المصريين فى تسجيل الرسائل واللوائح والقوانين

الصور ، الصور ، الصور

بهذا الكتاب صور فنية نقلت عن المعابد والهيا كل والقبور ، وهى تحتاج إلى درس خاص ، فهل ينظر إليها الطلبة نظرة فحص وتأمل وتدقيق ؟

لو كنت أملك الوقت لكتبت عن هذه الصور صفحة أو صفحتين أو صفحات ، فهى أروع ما حُفِظ من آثار القدماء ، ولو كنت أملك المال لدعوت جميع طلبة السنة التوجيهية إلى رحلة فنية نتعرف بها إلى آثار مصر فى الشمال والجنوب

فلم يبق إلا أن أوجه أنظارهم إلى أن هذه الصور ستكون حتماً مما تفكر فيه لجنة الامتحان ، فقد سمعت أن فى أساتذة الجامعة المصرية قوماً يهتمون بالفنون !

ثم أكتفى بهذا القدر فى توجيه الطلبة إلى فهم كتاب « على هامش التاريخ المصرى القديم »

زكى مبارك

أن تتفادى أثر الحافز الذى يعمل فى الخفاء فى ذلك الجو الذى ربما غمرتها به ... أختها مثلاً ... ذلك الجو القاسى الذى لم تمش فيه بعد . وحينئذ يستبد بالمرأة المتزوجة ريب فى أمر الزواج

إن إمكان منع الحمل قد مهد السبيل للمرأة غير المتزوجة لأن تحيا حياة تشبه الزواج ، بل هو قد أصبح ذا أهمية للنساء المتزوجات . ولكن التخلص من حوافز نفسية عظيمة متعلقة بإنجاب الأطفال يؤدى إلى حدوث اضطراب فى التوازن العقلى ؛ فالطاقة التى لا تجد هدفاً واعياً تقوى العقل الباطن وتسبب الشك وعدم الاطمئنان

ينطوى الزواج فى عرف المرأة على علاقة مطلقة لا تربطها بالزوج فحسب ، بل بالأطفال والأقارب ، فإذا كان الرجل مستحوذاً على المرأة ضاق بهذا الإطلاق ذرعاً لأنه يجدها موزعة بين أطفالها والأقارب وبين نفسه . ولما كان أكثر الرجال عمياً فى غرامهم بزوجاتهم فإنهم يعتقدون أنهم ملكوا نواصى زوجاتهم واستحوذوا عليهن كلية

وترى المرأة أن الزواج علاقة روحية ، وأن المسألة الجنسية ليست سوى عامل ثانوى مرتبط بالزواج

وكما ابتدأت المرأة فى نهاية القرن التاسع عشر تنحاز إلى الذكورة فقد انحاز الرجل بدوره فى شىء من التردد إلى الأنوثة

المرأة أغنى نفسية من الرجل، فهو يقتنع فى أكثر نزعاته بالمنطق فقط، ويعاف ما ينضوى نفسياً تحت لواء العقل الباطن لأنه لا يعبأ إلا بالواقع ، ولا يعنى بالبدوات والمشاعر التى لا تنطبق على الواقع .

أما بالنسبة للمرأة فإن أكثر ما يهمها معرفته ماهية شعور الرجل إزاء أمر أكثر من فهمها الأمر نفسه . وكل ما يعده الرجل سفاسف وترهات ينال اهتماماً خاصاً من ناحية المرأة ، وإن كثيراً مما يمكن رؤيته بوضوح فى المرأة لا يمثل فى الرجل إلا عملية ضئيلة غامضة لا يرغب غالباً فى أن يعبر عنها

حملت الظروف المرأة على أن تتحكم فى شىء من الذكورة ، وهذا هو الشىء الوحيد الذى ينقذها من البقاء فى أنوثة عتيقة غريزية . أما الرجل فيضطر لأن ينشئ فى نفسه بعض صفات أنثوية . وهذا واجب عليه نحو نفسه لا قبل له بأن يتفاداه ما لم يفضل أن يتستر خلف المرأة فى شكل طفل بائس لأنه مستهدف لخطر سيطرة المرأة عليه

يرى رجل اليوم أن الزواج الحديث حافل بالمثل كل وترى المرأة الحديثة أن زواج القرون الوسطى لم يعد زواجاً مثالياً ، فالذكورة التى اكتسبتها المرأة تجعلها ترفض أن تقول : « إنه سيكون سيدى » فالذكورة تعنى أنها تعرف هدفها فهى تعمل كل ما هو ضرورى لإصابته

واكتسب الرجل بدوره أنوثة فى نفسه بعد بذل مجهود ليس بالقليل وعلى حساب كثير من الألم الذى عاناه . وهو لن يفرط فيما اكتسب لاقتناعه بأهميته

إذا نظرنا عن بعد إلى الرجل الحديث والمرأة الحديثة تبادر إلى ذهننا أنهما لا شك ناجحان فى زواجهما، ولكننا إذا رأيناهما عن كثب بدا لنا الأمر على النقيض لأن زواجهما إنما ينطوى على كفاح جديد ، فكل ما تريد أن تفعله المرأة كصدى لإرادة وعيها الحديث النشأة لإيلام الرجل، كما أن المشاعر التى يستكشفها الرجل فى نفسه ليست مناسبة للمرأة، فهما يريان أن ما استكشفاه فى نفسيهما حديثاً يمثل الجانب الوضيع من كل منهما ؛ ذلك لأن ذكورة المرأة لا تقل ضعة عن أنوثة الرجل . ولكننا من ناحية أخرى نرى أن فى المجموعة التى نسميها « الشخصية » ناحية غامضة ، فلا بد أن يكون الرجل القوى ضعيفاً من جانب ما وأن يكون الرجل الذكى غبياً من ناحية ما حتى يمكن للمرأة أن تعيرها الثقة ، فالمرأة تحب ضعف الرجل القوى أكثر من قوته، وغباوة الرجل الذكى أكثر من ذكائه

إن حب المرأة يلتمس الرجل كله كوحدة ... ليس الجانب الذكرى منه فحسب بل ذلك الشىء الذى ينافى الذكورة فيه أيضاً . وليس حب المرأة بعاطفة مجردة بل هو رغبة حيوية تخلو أحياناً من العاطفة، وقد تدفع المرأة أحياناً إلى التضحية بنفسها . والرجل الذى تغمره المرأة بمثل هذا الحب لا يستطيع أن يتجاهل الشطر الوضيع من نفسه إذ ليس فى مقدوره أن يواجه المرأة إلا به وأن يكون مغموساً فى قرارة نفسه

وليست قرارة الإنسان متشابهة فحسب بل هى متكافئة مع طبيعة الإنسان الأبدية التى تربط كل الإنسانية التى تمثلها صورة الحياة البشرية فى أعاليها وأعماقها المشتركة بيننا جميعاً ، فنحن لن نكون أشخاصاً مختلفين فى قرارة نفوسنا بل ندرك الروابط المشتركة التى تربط الإنسانية جمعاء . وفى هذه الأعماق نطرح

الفوارق الاجتماعية السطحية من شخصياتنا . ونصل إلى أساس المشاكل التى تعرض لنا فى حياة اليوم . وهذه المشاكل تمثل الحقيقة الواقعة ، لأننى هنا أشعر وأعرف أنى واحد من كثيرين وأن ما يحدونى يحدو الكثيرين . إننا فى ناحية قوتنا مستقلين ومنفردين بحيث يمكننا تشكيل مصيرنا بما نريد ، ولكننا فى ناحية ضعفنا بعضنا معتمد على البعض الآخر ومرتبط به ، وهنا يمثل كل منا آلة فى يد القضاء ، فليس الفرد هنا هو الذى يحكم بل هى الإرادة البشرية

ينطوى معنى الحياة الحقيقى على اكتساب الشخص قوة التغلب على العزلة الشخصية والابتعاد عن الأنانية فى سبيل اشتراك فعّال فى حل المعضلات الحديثة

فإذا أرخت امرأة اليوم تماسك الزواج واعية أو غير واعية ومستقلة استقلالاً روحياً أو اقتصادياً فإن هذا لا يأتى بدافع الرغبة الشخصية ولكن بدافع الرغبة الحيوية ذات القوة المسيطرة المستقرة فى أعماق البشر التى تتخذ من المرأة الفردية آلة لها

يمثل الزواج قيمة اجتماعية أدبية لا نزاع فيها، وليس الحط من هذه القيمة إلا من قبيل الفوضى . إن عدم تكامل الإنسانية ليس إلا نشوزاً يقطع انسجام نغمات مثلنا ، ومن سوء الحظ أننا لا نعيش فى الدنيا التى نريدها بل فى دنيا الواقع حيث يتناحر الطيب والخبيث ويهدم أحدهما الآخر ، وحيث لا تستطيع الأيدى البيضاء التى خلقت للابتكار والإنشاء تفادى التلوث بالدنس ... وكلما استجد شىء عرضة للنقد ومحط للريبة فهناك دائماً من يؤكد لنا وسط عاصفة من التصفيق أن لا شىء حدث وأن كل شىء يسير فى نظام

وإذا نفذت أبصارنا إلى كثير من الزيجات ألفينا بها كثيراً من أعراض ضعف خفى يتمخض عن مشاكل زوجية تشمل كل تصرفات الزوجة (والزوجة فقط) التى لا يمكن احتمالها كالعصبية والخيانة الزوجية

إن أولئك الذين يرون أنفسهم غير مضطرين إلى مجاراة ميول العهد الحديث يعتقدون فى مثال الزوجية ويعتنقونه، وعند ما يتهدم مثال الإنسان دون أن يحل محله شىء أفضل منه فإن الخسارة لا تعوض ، ولذا تظل المرأة مترددة سواء أكانت متزوجة أم غير متزوجة فهى لا تجسر على العصيان بكل قلبها وإنما تظل فى حيرة

لقد أصبح الزواج أحسن حل وكل من لم يدخل فى حظيرته عليه أن ينحنى على أخطائه

لم يعد الزواج سهلاً بالنسبة للمرأة الحديثة . وما دامت هناك فقرات قانونية تشرح ماهية الخيانة الزوجية فإن المرأة لا بد أن تظل متخبطة فى شباك الشك

ويصح أن نتساءل « هل تعرف الفقرات التشريعية ما هى الخيانة الزوجية ... وهل تعريفها لما هو الشكل النهائى الأبدى الصادق ؟ » فمن الناحية النفسية — وهى الناحية التى تعنى المرأة — نرى فى هذه الفقرات تشكيلة هازلة كما هو الحال فى كل ما يصطنعه الرجل لوضع قوانين تتعلق بمسائل الحب

وكثيراً ما يتعدى المؤمنون بالقانون حدود قوانينهم بما اتسموا به من غباوة ، أو بالخنوع لإغراء المرأة أو لمجرد الرذيلة المختلطة بنفوسهم . وإن المرأة الحديثة لتتساءل عما إذا كانت تنتمى إلى هذه الفصيلة ... أما من الناحية التقليدية فهى بلا ريب منتمية إليها . وعليها أن تفكر فى ذلك لاستجلاء الحقيقة حتى تهدم أصنام الاحترام التى نصبت فى نفسها

فما معنى أن يكون الإنسان محترماً ... أمعنى هذا أن يلبس قناعاً مثالياً يستر به حقيقته عن الناس ... أمعناه أن يكون خادعاً ... إن الطيبة ليست خدعة، ولكن عند ما يحبس الاحترام الروح ... تلك الروح الحقيقية المقدسة لا يصبح الإنسان إلا ذلك الشىء الذى وصفه المسيح بأنه « القبر الأبيض »

لقد أصبحت المرأة الحديثة على بينة من الحقيقة التى لا نزاع فيها ... إنها تستطيع أن تبلغ الأسمى والأحسن فى مجال الحب فقط ؛ وإن هذه المعرفة تحدوها للوصول إلى نتيجة أخرى هى أن الحب أبعد وأسمى من القانون . وإن احترامها الشخصى ليضيق حينئذ بنفسه ذرعاً . ولكن هناك ميلاً غريزياً يوفق بين تفاعلها والرأى العام وهذا أهون الشرين . أما أهول الشرين فهو أن يسرى هذا الرأى أيضاً فى دمها . وهو يبدو لها كصوت داخلى يبعثه الضمير وكقوة كامنة تقفها عند حدها

إنها لم تكن قط واعية للحقيقة المنطوية . على أن أعمق ما تملكه فى ذاتها يمكن أن يجعلها تصطدم بالتاريخ ؛ ولا ريب فى أن هذا الاصطدام يبدو لها مستهجناً وغير منتظر . ولكن أين هى التى فهمت واستوعبت جيداً هذا التاريخ كحقيقة واقعة

فليس هذا موجوداً فى المجلات الضخمة ولكنه يعيش فى الدماء

وما دامت المرأة تحيا حياة الماضى فهى لن تصطدم بالتاريخ ولكن يندر أن تنحرف المرأة عن ميل ثقافى سيطر على التاريخ . والآن نرى أن ترددها أصبح مفهوماً لأنها إذا خضعت لقانون الحب وقعت فى هاوية الألم والشك والحيرة ، وتدترت بين عاملين كبيرين : الجمود التاريخى والقوة الإلهية المبتدعة

فنى النهاية لا تجد حلاً سوى أن تنبذ الجمود التاريخى ، وحينئذ يتعين عليها أن تبتدع لنفسها تاريخاً جديداً أو أن تتعلق بالتاريخ وتخضع له . ولكنها لا تستطيع أن تبتدع تاريخاً حديثاً ما لم تجرؤ على المخاطرة بكل شىء لتحقيق غرضها ولو ضحت بنفسها ، لأن موضوع التجربة هو ذاتها التى تنتهى بها إلى نهاية مزيرة . وهى عند هذا الحد لا ترى حياتها خلفاً لسلف بل تبدأ حياتها هنا . وهذا بمثابة تمبير ثقافى موروث يرمى إلى إيجاد شكل إنسانى أتم ، وإلى إيجاد معنى للحياة ، وإلى نبذ انتحاء الإنسان ناحية واحدة من الحياة ، وإلى تطليق حياة غريزية محضة

إن المرأة ترى الآن أن الحب وحده هو الذى يمنحها قوامها ، وأن الرجل الآن يستطيع أن يدرك أن الروح فقط هى التى تمنح حياته أسمى معانيها . وكل من المرأة والرجل يسعى إلى علاقة نفسية تربطه بالجنس الآخر ، فالحب فى حاجة إلى الروح والروح فى حاجة إلى الحب

إنها تشعر الآن بأنه لم يعد فى الزواج طمأنينة ولا استقرار حقيقى ؛ فأى معنى سام يحمله إخلاصها إذا كانت تشعر بأنها مكبلة بأغلال الشهوة التى ترمى إلى اقتنائها اقتناء قانونياً يحبس روحها . هناك إخلاص أهم من هذا يلوح لها ، إخلاص للروح والحب ، إخلاص يقوى على غزو الضعف الإنسانى وعدم نضوجه ليقضى عليه . وربما تستطيع الوقوف على أن ما هو ضعيف وغير ناضج ليس إلا فوضى مؤلمة أو طريقاً محوطاً بالقلق ، وأنه يستطاع تفسير ما استكشفته تفسيراً مزدوجاً تبعاً لطبيعته الشكوك فيها

وهناك فى هذه التطورات طريق يؤدى إلى الإنسانية العتيقة التى تهوى إلى مستنقع العقل الباطن ، طريق تؤدى إلى هدم الشخصية والقضاء عليها

إن الإنسان الذى يستطيع أن يحتفظ بما اكتسبه هو الذى يستطيع أن يختبر لأول مرة معنى الذات ، وحينئذ يستطيع أن يغوص فى نفسه حتى يبلغ الإنسان الفطرى المستقر فيه

فكيف يستطيع أن يحرر الإنسان نفسه من ذلك الإنسان الفطرى المتغلغل فى أعماقه ... كيف يستطيع أن يقيم قنطرة تربط ذاته بالإنسان الناضج ؟

كلما أنكر الإنسان ذاته واكتسب الفضائل العليا ، كان بعيداً عن ذلك الإنسان الفطرى

إن كلمة الإنسان ذات الرنين الجميل لا تعنى فى أساسها شيئاً جميلاً أو فاضلاً أو ذكياً ولكنها تعنى دركات منحطة من هذه الصفات . إن الكفاح والخوف الذى يراودنا عند ما نحاول الانفصال عن الإنسان الفطرى يبين لنا أن قوة جاذبية عالمنا السفلى (أى العقل الباطن) ما زالت هائلة ، هذه القوة التى لا يمكن إنكارها ، وإذا أنكرناها فإن هذا لا يعنى الخلاص منها

لا يستطيع أحد أن يبدأ حياته بالحاضر ولكنه ينمو إليه رويداً رويداً ، ومن لم يكن له ماض فليس له حاضر . فالإنسان الصغير لا يقوى على ابتكار الثقافات ، فهو لا يملك شيئاً من المعرفة سوى أنه موجود ، وإن العمر الناضج الذى عبر منتصف الحياة هو الذى يخلق الثقافات

مزقت بربرية الحرب الجهنمية روح أوربا ... وفى الوقت الذى تمكف فيه أيدى الرجال على إصلاح الخراب الخارجى تبدأ المرأة بدافع من سريرتها العمل على التئام جروح البشر الداخلية بتأسيس العلاقات النفسانية البشرية على أساس وطيد ، ولا شىء يحول بينها وبين تحقيق أهدافها أكثر من الزواج التقليدى ... زواج العصور الوسطى ... ولن تتأسس تلك العلاقات على أساس عرفى ما لم تتعطر بشذى الحرية

المرأة الحديثة فى حاجة إلى وعى أوسع مدى حتى تتعرف هدفها وحتى لا تكون آلة الطبيعة العمياء . إن وسيلة المرأة هى وسيلة الطبيعة التى تعمل بطرق غير مباشرة بدون أن ترمى إلى هدف ظاهرى ، وأن يكون الهدف موروثاً فى سريرتها . على أن هذه الطرق الملتوية التى تنتهجها المرأة خطرة، فعبثاً تحاول أن تصل بها إلى أهدافها

إن على عاتق المرأة واجباً ثقافياً كبيراً ربما كان مستهل عصر جديد

محمد حسنى ولاية

في مجالس الأدب . . .

بين كاتب وشاعر وخطيب

تثبت هذه الدعابة الأدبية المستطرفة من أسمار ندوة « الأهرام » حيث يجتمع فى بعض الأمسيات فريق من أصحاب الرأى وأهل الأدب فى مكتب الأديب الكبير الأستاذ « أنطون الجميل بك » فيتناولون شتى الأحاديث بروح الجد تارة والتسلية تارة أخرى . وقد تساءل الأستاذ الخطيب « توفيق دياب » عن وحى الشاعر « على محمود طه » وكيف طال اختفاؤه وسكوته فى هذه الأيام وبدأ بنظم قصيدة على لسان الشاعر فى هذا المعنى استهلها بالشطر الأول من مطلعها ، وأتم الجميل بك شطره الثانى ، وأملى الشاعر البيت الثانى ثم ترسل ثلاثتهم فى النظم حتى أتمها صاحب الوحى المفتقد

يا وحىَ شعرى أين أنتْ   فى أيِّ زاويةٍ رَكَنْتْ ؟
هل رُحْتَ فى إغماءة   أم بالمخدِّرِ قد حُقِنْتْ ؟
أم نمت ، أم نام الزما   نُ ، أم اعتُقِلت أم انسجنت ؟
أم خِفْتَ من قلم الرقيب   فما أشرتَ وما أبنت ؟
أم هل سقاك (كزوزةً)   أم هل سقاك (البرمننت)[1]
أم قد شربتَ زجاجةً   من صنع بار (الكونتننت)[2]
أم فى خزانةِ (صالح)[3]   تركوكَ سهواً فاختُزِنْت
أم فى البنوك لأزمةٍ   حلَّتْ بأهلكَ قد رُهِنْت
أم ذاك جندولُ الحبيبِ   إلى لياليه حننت
وإلى عروس البحر هِمْتَ   وفى شواطئها كنت
أم زُغْتَ يوم الانتخا   بِ ولستَ عضوَ (البرلمنت)[4]
لم تَدْرِ ما نال الرئيـ   ـسُ أكان صوتاً أم (كَرَنت)[5]

(١) عراب اسمه اليرمنت ذكر هكذا للتخفيف

(٢) فندق الكونتنتال

(٣) الأستاذ صالح من سفراء صاحبة الجلالة له خزانة مشهورة داخلها مفقود وخارجها مولود

(٤) البرلمان

(٥) رقم أربعين بالفرنسية وفى هذا إشارة لانتخاب الرئيس سعادة أحمد ماهر باشا

أنكرت ضَجَّةَ معشرٍ   لم ينصفوكَ وقد غُبِنْت
أم طِرْتَ فى جوِّ الخليفةِ   منجداً أبطالَ (كِنْت)[1]
يا وحىُ كم من غارةٍ   شعواء فيها قد شننت
أم ثُرْتَ للحقِّ الطعينِ   وبالبطولةِ قد فُتِنْت
فسللتَ سيفَ مدافعٍ   عن (كالماس) أو (كُرِنْت)[2]
يا وحىَ شعرى ما سكو   تك فى الخطوب ألا حزنت !
أفقدت رشدك أم شعورك   بالحياة ؟ إذن جُنِنْت !
عشرون يوماً جاوز التقديرُ   فيها ما ظننت
عشرون يوماً أنفق الطليان   فيها كلَّ (سَنْت)[3]
عشرون يومًا والبوا   رجُ مائلات فى (تَرَنْت)[4]
والجيش مرتدٌّ يولـ   ـول كلُّ جندى كبنت
يا وحى شعرى مذ نأ   يتَ وَهَي بيانى أو وهنت
بعد القصائدِ كالقلا   ع مُشَيَّدَاتٍ (بالسمنت)
من كلِّ بيتٍ مشرق   يُزرى بقصر (اللابرنت)[5]
أمسيتُ بعدك كلُّ قا   فيةٍ نطقتُ بها لحنت
يا وحىَ شعرى هل أُسِرْتَ   وأنت تهجم أم طُعِنْت
أم غصتَ فى لجج البحا   ر وفى مجاهلها دُفِنْت
أبكى عليك بكاء (لامرتين)   قبراً فى (سُرَنت)[6]
يا وحىَ شعرى أين أنت   فى أى زاويةٍ ركنتِ ؟!

(١) مقاطعة انجليزية ورد ذكرها كثيراً فى أنباء الغارات الجوية على انجلترا

(٢) كالماس نهر فى شمال اليونان اندحر عنده الايطاليون ، وكورنت شبه الجزيرة اليونانية وقد حاول الايطاليون تخريبها بالطائرات

(٣) جزء من مائة من الليرة

(٤) الحادثة البحرية المشهورة وفيها أصيبت بوارج الأسطول الايطالى بطوربيد الطائرات البريطانية

(٥) من قصور الفراعنة لا تزال آثاره بالفيوم

(٦) خليج سورنتى شمال نابلى وفيه قبر جرازيلا التى بكاها الشاعر الفرنسى لامرتين فى قصيدته (الأسى الأول).

محاورة أفلاطون الخيالية

حول التربية الانجليزية

للأستاذ عبد العزيز عبد المجيد

— ٤ —

التربية فى كل الأمم وسيلة لاعداد الحكام والمحكومين . ويساير نظام التربية دائما نظم الحكم القائم . ولما كان نظام الحكم ديمقراطيا فى انجلترا كانت الغاية من التربية فيها هي أن يعرف الفرد كيف يساهم بنصيبه فى الحكم الديمقراطى ، أو الحكم الذاتى ؛ أى حكم الشعب نفسه بنفسه . وقد أظهر أفلاطون — فيما سبق نشره من محاورته — شكه في أن نوع التعليم الذي يتلقاه الشعب فى المدارس الأولية كاف لامكان الفرد من الاشتراك فى الحكم الديمقراطى بانتخاب ممثله النيابى ، والاشراف على سياسة الحكومة . ويرى أن يترك أمر الحكم نهائيا للجامعيين الذين هم خيرة أبناء الأمة ثقافة . وللمربى الانجليزى لا يشاركه هذا الرأى ، لأنه يقصر الحكم على الطبقة المتعلمة من أبناء الأرستقراط . وفى هذا رجوع إلى الوراء بنظام الحكم الى العهد القديم الذى كان رجال الحكم فيه هم أولئك الذين تخرجوا فى مدارس أولاد الأعيان (١). وهنا يبدأ أفلاطون هذا الجزء الأخير من محاورته .

ومدارس أولاد الأعيان هذه أقدم مؤسسات التعليم الانجليزية . وهى طراز من مدارس التعليم الثانوى . ومن أشهرها أيتون وهارو . ولا يدخلها إلا أبناء المثرين لكثرة نفقاتها . وفيها تخرج عدد كبير من قادة الرأى ، والساسة الانجليز ، وأغلب أعضاء حزب المحافظين. وبالرغم من فضلها التاريخى فى نهضة انجلترا نجد الآن من يقول بعدم صلاحيتها فى عصر الديمقراطية .

أفلاطون : لقد ذكرت فى حديثك السابق مدارس أولاد الأعيان ، وإن ما سمعته عنها يجعلنى أوقن أنها كانت يوماً ما ذات آثار جليلة . فقد كانت تأخذ الناشئة من أبناء الأرستقراط ، وتبعدهم عن نفوذ الأسرة ، وتقدم إليهم نوعاً من التربية السليمة فى الأخلاق ، وآداب اللغة ، والتمارين البدنية والألعاب ، من غير أن تحاول تنمية الناحية العقلية الفلسفية عندهم . وبهذا غرست فى نفوسهم حب الطاعة ، والإخلاص لتقاليد البلاد واحترامها ، وصاغت منهم نماذج صالحة لتكون حكاماً أمناء ، وجنوداً أشداء ، عقدوا النية على صيانة دستور البلاد ، وحماية نظام الحكم فيها ، والدفاع عنه ضد أى تغيير . وبإبعاد الناشئة هكذا عن نفوذ الأسرة لم تفسد تكوينهم العواطف المائعة التى يسرف الآباء فى إحاطة أبنائهم بها ، ولا شواغل المال والفقر التى هى دائماً حديث الأسرة . فعاشوا فى أماكن جميلة ، واكتسبوا بمعاشرة بعضهم لبعض واشتراكهم فى الحياة المدرسية صفات الرجولة النبيلة التى خلقت منهم خداماً للوطن مطيعين ، وقضاة أو حكاماً أو إداريين نزيهين ، رائدهم العدل والحق

وهذا النوع من المعاهد وما يليه من الجامعات أحسبه جديراً بالصيانة والبقاء . ولو كنت أعرف أنه من المجدى حث شخص مثلك لنصحتكم أن تجعلوا نظام هذه المعاهد جزءاً من نظام تربيتكم الحديثة ، ولكن يمنعنى من حتى هذا اعتقادى أن هذه المعاهد لم تبلغ فى تطورها درجة الكمال . وذلك لأسباب حيوية ثلاثة : السبب الأول هو أن أبناء مدارس أولاد الأعيان لم يتخرجوا فيها على فلاسفة ، ولكن على أفراد لا يمتازون كثيراً عنهم . ونتيجة هذا أنهم حينما أصبح زمام الحكم بأيديهم لم يستطيعوا توجيه جمهور الشعب من عمال وصناع وتجار التوجيه الصحيح الصالح . ذلك لأن عصر الاختراع العلمى العملى قد أتاح لهذه الطبقة من الشعب أن تجمع القناطير المقنطرة من الثروة بمجهود قليل . ولم يكن عند طبقة الحكام وولاة الأمر من قوة التعقل وفلسفة الحكم ما يجعلهم يتداركون ما حدث من نمو حب المال فى نفوس الشعب ، وروح الطمع والجشع المادى . وسرت هذه العدوى لطبقة الحكام أنفسهم ، بل لرجال الدين فلم يحاربوا هذه الميول ، وأصبحوا خاضعين لها بدلاً من خضوعهم لنداء العقل والحكمة . وإننى أعتقد أن ما اتصف به حكامكم من أخلاق كريمة طاهرة خفف كثيراً من حدة المطامع المادية الاستعمارية . وكثيراً ما قضت أخلاقهم الكريمة على أسوأ ما فى هذه المطامع من آثار . وإننى أصدقك النصح أنه لن يمكنكم أن تعيشوا آمنين ، وأن تبقوا على ثراء شعبكم إلا إذا حرمتم ملكية الأرض والشركات ورءوس الأموال على حكامكم ، وأصبحوا هم عقلاء وذوى عزيمة قوية يلجمون بها غريزة حب المال والكسب . والسبب الثانى هو أن هذه المدارس كانت ولا تزال غير خاضعة لإدارة الحكومة ، ومقصورة على هذه

---

(١) Public Schools

الجماعة الغنية من الشعب التى لها من وفرة المال ما تنفقه بسخاء على تعليم أبنائها . وربما لم تكن هناك فائدة من خضوع هذه المدارس لإدارة الحكومة فى الوقت الذى كان فيه رجال الحكومة أنفسهم من الأعيان ورجال المصارف وأغنياء التجار وأضرابهم .

أما الآن والحكومة شعبية ، وليس من الضرورى أن يكون أفرادها من الأغنياء ، فإن هذه المدارس يجب أن تكون حكومية لا خاصة ، وأن تفتح أبوابها لكل من تؤهله مواهبه للتعلم فيها من أبناء الشعب . والسبب الثالث هو أن جامعاتكم لم تدرك تماما المهمة الإلهية التى نصبها الله من أجلها ، لأنها وهى تخرج الرءوس المفكرة فى الدولة لم تصن خريجيها عن المطامع المادية وشهوة المال . والنتيجة هى أن رجال الحكم من أبنائها بدلاً من أن يخضعوا المادة لمبادئهم خضعوا هم لها .

من كل ما ذكرته تستطيع أن تعرف أى أنواع الإصلاح أريد إدخاله على نظام التربية . يجب أن تبدءوا من القمة فتصلحوا من الجامعات حتى تنتج نوع الحكام الذى تحتاج إليه بلادكم . ولست أزعم أن هذا سهل التحقيق . إن العلماء ولو أنهم يتمشدقون دائماً باسمى ، ويذكروننى بالإعجاب والثناء ، لم يفهمونى جيداً ، ولم يفهموا الغاية « من أكاديمى »[1] التى أسستها حتى لقد حرفوا معنى عبارة « التفكير الأكاديمى » ، فأصبحت تدل على كل تفكير عقلى لا يمت للحياة العملية بسبب . وأنا أعرف بالطبع إلى أى حد يكره فلاسفة هذا العصر وعلماؤه الحياة الحالية المحيطة بهم ويحتقرونها ، وهم لا يريدون فى الوقت نفسه أن يعترفوا أنهم طلقوا هذا النوع من الحياة لا لسبب إلا لأنهم عجزوا عن إقناع ولاة الأمر والمشرفين على شئون الأمة بمبادئهم الفلسفية السامية . ولا بد أن تتفق معى أنه لا فائدة من هؤلاء الفلاسفة العلماء ، لا لشعبهم ولا للعالم إلا إذا اعتقدوا أن هذا العالم يجب أن يحكم بمبادئ العقل والحكمة التى يدافعون عنها . وأظن أن هذا بعيد الحصول ، لأن العلماء والأساتذة الذين يتمتعون بحياة مريحة ، ورزق مضمون ، وهم مطمئنون لآرائهم وفلسفتهم الشخصية ، ليسوا مستعدين إلا قليلاً أن يخاطروا بكل هذه المزايا فى سبيل إعانة غيرهم . لهذا ستظل جامعاتكم فى الغالب قائمة بوظيفتها ، وهى تخريج رجال يخدمون العالم ولا ينتقدونه ، فرحين بالقدر اليسير من المعارف التى ينتجونها والعلم الذى يخدمونه وبالعبارات الشفهية التى يفوهون بها فى محاضراتهم وأحاديثهم عن المثل العليا للحرية العلمية والعدالة العالية

وفى هذه الحال يجب عليك أن تفعل كما فعلت أنا ، فتؤسس معاهد تنافس هذه المعاهد العلمية ودور التربية القائمة الآن ، جاعلاً غايتك خدمة الحقيقة ، والحقيقة فقط ، معلناً أن الحقيقة واحدة لا تتغير فى كل زمان ومكان ولكل فرد . وسوف تتهم بالتحيز والتعصب ، وأنك تفسد عقول الشباب بتعاليمك ، وتحطم المثل العليا للمبادئ العلمية الصحيحة ، فلا تصغ لهذه التهم واذكر أن الرجل العالم إذا لم يكن أيضاً رجل عمل فليس جديراً أن ينسب إلى أسرة العلماء الأكاديميين ، ولتكن الدراسة فى جامعتك شاملة للبحوث العلمية والدربة والمران لمباشرة الإيالة[1] واكتب على باب جامعتك هذا الشعار « يجب أن يكون الحكم للعلم فقط » .

ومتى ثبتت هذه العقيدة فى قلبك فلن يزعجك ما تتهم به من التحيز أو التعصب ، ومن إفساد عقول الناشئة ، لأنك ستعرف جيداً أن كل حقيقة جديدة يتهمها الناس بالزيف ، وأن اسم العدالة أداة تستخدم لإخضاع المصلحين للنظام القائم . وهناك تغيير آخر يجب أن يدخل على عقائد طلابك ، إنهم فى هذه السن كرام النفوس ، بيض القلوب ، يعتقدون بسذاجة أن الحقيقة والحكمة يمكن أن تسودا بطبيعتهما على القوة والحيلة ! وبهذا ينزلون ميدان الحياة غير مسلحين ليغزوا العالم . وسرعان ما يسفر النضال عن رضوخ فى الرأس ، وانخداع فى التفكير ، وحينئذ يظهر لهم أن الشر الذى يعيش ويترعرع فى القوة عدو لا تمكن ملاينته بالكلمة الطيبة والعاطفة النبيلة ، بل يجب أن يضرب ويصفع حتى يخضع ويصفد فى الأغلال ، وبهذا لا يستطيع النهوض مرة أخرى . وهذا الدرس يجب أن يتلقاه طلبتك كل يوم فى جامعتك الجديدة ، كما يجب أن يكتب فوق مدخل الجامعة شعار آخر وهو « لن يدخل هذه الجامعة محب للسلم » . ثم ذكر طلبتك دائماً أن حكم العقل لم يستطع ولم يفلح أن يسود البشر ولو مرة واحدة فى التاريخ باللين والرفق . ولهذا وجب على الفيلسوف أن يكون مستعداً لمواجهة خصومه بقوة وعزيمة أشد من قوتهم

(١) أكاديميا اسم البساتين التى أسس فيها أفلاطون معهده الذى سمى بهذا الاسم ، وكان قد نيف على الأربعين حين تأسيس هذا المعهد ، ومن بين تلاميذه أرسطو

(١) السياسة

وعزيمتهم . وأنا أنصح للفيلسوف أن يدرع بالقوة ، لأنى أعلم أن مبادئه ستكون دائماً عرضة لبعض الناس ، على عكس المبادئ الأخرى التى يروجها أعداء الفلسفة من حقائق مموهة يخدعون بها غيرهم . لهذا يجب أن يسلح الفيلسوف نفسه بكل أنواع القوة والشدة حتى يروض شهوات الشر المادية الجامحة فتخضع لحكم المعرفة . دع طلبتك إذاً يعلموا أنهم إذا أرادوا أن ينقذوا بلادهم من الخراب فعليهم ألا يجعلوا روح السلم تسيطر على نفوسهم ، بل يجب أن يألفوا نظام الجندية ، وأن يدربوا على الروح العسكرية ، تلك الروح التى لا تقشعر من سفك الدماء فى سبيل المصلحة العامة

ومتى ثبتت أركان جامعتك وأصبحت تشرف على شئون الدولة فوجه عنايتك بعد ذلك للمدارس ، وهنا يجب ألا تزعجك أخطار مبادئ الفاشستية أو الاشتراكية الوطنية التى ذكرتها أنت فى حوارك معى . فأنت توافق على أنه حتى الحكومات السيئة لها بعض الحسنات ، وستسر وتعجب حينما تعرف أن ألمانيا وإيطاليا قد اتخذتا كثيراً من تقاليد بلادك وعاداتها ، ولا سيما نظام مدارس أولاد الأعيان عندكم ، ولكن بشىء من التهذيب يناسب حاجات الوقت الحاضر . وأعتقد أن هذا الخبر سيجعلك أكثر تعلقاً بهذه المدارس فتبقيها كركن قوى للتعليم عندكم فى المستقبل ، وستقبل عليها مفتحاً أبوابها ، معلناً أنها أصلح المعاهد لإعداد القادة السياسيين . فاختر لها حينئذ من بين أطفال الشعب أكثرهم قابلية لتحمل تبعة القيادة السياسية . أما البقية من أطفال الشعب فأعد لهم المدارس الفنية ، الصناعية والزراعية والتجارية ، حيث يتعلمون المهن التى يصلحون لها . ولما كانت هذه الطبقة من أطفال الشعب ليست بذات خطر فلا داعى لأن يعيشوا فى المدارس بل اتركهم يعيشوا مع أهليهم ، ويحضروا للدروس بالنهار فقط . أما أولئك الذين اخترتهم لمدارس أولاد الأعيان فخذهم بتربية صارمة ، وامنعهم من رؤية ذويهم إلا فى أيام الأعياد والإجازات العامة ، وسير هذه المدارس فى نظامها الرياضى البدنى وفى بساطتها كمدارس اسبارطة القديمة ، وخلّ تلاميذ هذه المدارس يخدمون أنفسهم بأنفسهم ، فلا فراشين ولا فراشات ، ولا مشرفين ولا ممرضات ، ولا أى فرد من هؤلاء الذين يحوطون الأولاد بالعناية والعطف ، ويغرسون فى نفوسهم النعومة والرقة التى تضعف من خشونة تكوينهم . واجعل التعليم فى هذه المدارس للبنين والبنات معاً من غير تمييز ، ذاكراً دائماً أن غايتك هى إعداد شعب من الجنود والإداريين ، لا هذا النوع من الجنتلمان ولا من الجنس اللطيف ذى النعومة والرقة الذى يتخرج فى مدارسكم الآن . ويجب أن يكون النظام شديداً قاسياً يمرن العقل والجسم معاً على الدقة والطاعة والإتقان ، ويكوّن فى ذوق التلاميذ الإعجاب بما هو بسيط ومتين من مظاهر الجمال التى لا يشين الجندىَّ التحلى بها . ومن أجل هذا يجب أن يتعلموا مبادئ الحساب والعلوم ، وأن يدرسوا اللغة . هذا إلى معرفة خير منتجات آدابكم وموسيقاكم ، وأنواع الرياضة والألعاب العسكرية

ومتى فعلت هذا وجدت أنه من السهل حل معضلة التربية ، التربية العامة لطبقة الشعب التى من أجلها عقدنا هذه المحاورة . وإذا علمت أن طبقة الشعب هذه غير قادرة على أن تحكم نفسها بنفسها أدركت أنه من الضرورى أن تنمى فيها روح الخضوع والطاعة للحكام . وما دام من غير الممكن أن تعيد نفوذ الكنيسة الذى ربى هذه الروح فى الماضى ، فلا بد إذاً أن تكبت كل الكبت المذاهب الدينية المختلفة السائدة الآن فى بلادك والتى لا يفتأ بعضها يحارب بعضاً ، وأن توجد أنت ديناً سياسياً من عندك يقضى بالإعدام على كل من يؤيد مذهباً غير مذهبك الدينى . ولن تستطيع أن تفعل هذا إلا إذا كان لك الإشراف المطلق على النشر والطباعة وعلى الإذاعة وكل وسائل الإعلان ، وتسنّ إلى جانب هذا قانوناً يحظر تعليم أى أفكار أو مبادئ – كتابة أو شفهياً – من غير ترخيص من الحكومة ، وإلا فالعقوبة الإعدام . فإذا ما فعلت كل هذا كان لك أن تأخذ الشعب بأى نوع من التربية تشاء ، بشرط أن تتأكد أن هذا النوع الذى تختاره من التربية لا يشمل شيئاً من الحقائق أو العلوم ، ولكنه مجموعة أكاذيب نبيلة تلائم أولئك الذين لا تسمو بهم عقولهم إلى مرتبة إدراك الحكمة الصحيحة ومعرفة الله

المربى : شكراً جزيلاً على اقتراحاتك ، وليس عندى من شك أنها تتفق ومبادئ حزب جديد نشأ عندنا يسمى الحزب الفاشستى فعليك برئيسه

أفلاطون : لم أتشرف بعد بمعرفة رئيس هذا الحزب ، فإذا كانت اقتراحاتى تروقه ، فسأعمل على لقائه

(يتبع – بخت الرضا . السودان) عبد العزيز عبد المجيد

إلى جمهرة أهل الأدب

للأستاذ إسماعيل مظهر

أوجه هذه الكلمة إلى جمهرة أهل الأدب في مصر والأقطار العربية على صفحات الرسالة إقراراً لحق يجب أن يُقرّ، ورَدًّا لمادية ينبغي أن ترد، وتأييداً لدستور العرف المرعي بين الأدباء والناشرين وأصحاب الصحف على مختلف أنواعها

فقد نشرت مجلة الثقافة الغراء بحوثاً لحضرة الأب أنستاس ماري الكرملي نقداً على كتاب الذخيرة الذي نشره حضرة الأستاذ الدكتور جورجي صبحي بك الطبيب المصري المعروف، فتناول حضرة الأب ما شاء له علمه وبحثه أن يتناول من تصويبات في الكتاب، وحشا نقده وتصويبه بعبارات نال بها من حضرة الدكتور صبحي بك أشد النيل وأسف فيها شرّ إسفاف، فقد جاء في نقده العبارات الآتية:

١ — وهذا هو الجهل المركب الذي لا تركيب بعده وإن اجتمع جهلة العالم كله (العدد ٨١ ص ٣٧ من الثقافة)

٢ — حقيقة أني لا أفهم كيف أن مثل هذا الطبيب حصل على شهادته وكيف يجاز له أن يكون أستاذاً مساعداً في الطب في الكلية المصرية وطبيباً معالجاً في القصر العيني وأستاذاً للغة القبطية والدهاوية (الديموطيقية) إلى آخر ألقابه المديدة (العدد ٨٢ ص ٤٠ من الثقافة)

٣ — لما اتضح أن هذا التصنيف (يعني كتاب الذخيرة) ليس لثابت بن قرة، وبان بالعكس أن واضعه قليل البضاعة في علم العربية، والكاتب قبطي من أهل المائة السابعة أو الثامنة للهجرة لجهله الألفاظ الطبية وتشويهه لها، وجهله الأحكام اللغوية ومسخه لها مسخاً شنيعاً، لم يبق ذريعة لإصلاح هذه الأضرار المتنوعة إلا جمع النسخ المطبوعة — وتبلغ الألف عداً صادقاً — وإحراقها وإزالتها من عالم الوجود صيانة لشرف ثابت بن قرة، وشرف الجامعة المصرية التي فقدت شيئاً كثيراً من حسن سمعتها لأنها سعت بيمنها في الدنيا، مروجة إفساد العربية، وبائة الألفاظ المشوهة، وصيانة أيضاً لشرف الدكتور جورجي صبحي الذي خسر كل ثقة من صدور عارفيه، إذا اشتهر عنه أنه لا يفهم ذرواً في العربية ولا يحسن الإنجليزية، ويسيء النقل من لغة إلى لغة، ومثل هذا الأمر في طبيب طامة عظيمة لا تقدر نتائجها الوخيمة (العدد ٨٤ ص ٤٠ من الثقافة)

٤ — لو كنت وزيراً للمعارف في الديار المصرية لحكمت في أول يوم أتولى فيه الوزارة على الدكتور جورجي صبحي أن يؤدي جنيهاً مصرياً عن كل صفحة من صفحات هذه الذكرة المنسوبة ظلماً وكذباً إلى ثابت بن قرة. ولما كانت هذه الصفحات ١٨٦ في اللغة العربية و ٤٢ في اللغة الإنكليزية، فيكون مجموع ما يؤدي ٢٢٨ جنيهاً، ويزاد على ذلك حبسه يوماً واحداً عن كل صفحة أيضاً، فيسجن ٢٢٨ يوماً. فهذا أقل ما يستحقه هذا الرجل حتى لا يدفعه الغرور إلى نشر كتاب طبي آخر على هذا المثال المشوه ضناً بحياة الناس، وصوناً للغة الضاد، وتأديباً لمن يجرؤ على مجاراة هذا الدكتور في نشر الكتب وتشويهها تشويهاً شنيعاً فظيعاً، يكره في عيون الناس اللغة العربية والطب والعلماء على اختلاف درجاتهم وطبقاتهم، لأن نتائج مثل هذا العمل السيئ إهلاك الناس أولاً وإفساد لسانهم ثانياً، ودفعهم إلى المباهاة بأضرار الخلق ثالثاً

صاننا الله من هذه الشرور العظام الجسام، ووفقنا لخير الناس من خواص وعوام (العدد ٨٤ ص ٤٠ من الثقافة)

* * *

هذا طرف مما جاء في نقد الأب أنستاس الذي نشرته مجلة الثقافة الغراء. ولقد اتفق أني كنت عالماً بأن حضرة الأب سينقد الكتاب، وأن لهذا النقد تاريخاً قديماً ووقائع ينبغي أن يعرفها أهل الأدب ليظهروا بنشرها على لون من ألوان الأدب في هذا العصر، وليعرفوا شيئاً من العوامل التي تختفي وراء كثير من النقود التي ينشرها حضرة الأب أنستاس في مختلف المناسبات

فكتبت نقداً لما نشر حضرة الأب أنستاس وخصصت به مجلة الثقافة الغراء كالعرف السائر، وأرسلت النقد مع كتاب إلى حضرة الأستاذ أحمد أمين محررها. ولقد أرسلت النقد في الثامن والعشرين من اكتوبر فَرُدَّ إليَّ في التاسع من نوفمبر مع كتاب من حضرة محرر الثقافة الغراء نصه الآتي:

(جاءنا مقالكم والذي دعانا لنشر مقال الأب أنستاس ما فيه من تصحيح علمي يسوغ لنا نشره. ولكن مقالكم — مع قيمته — معظمه تعريض بالأب أنستاس من غير مناقشة

من وراء المنظار

مصري من الخارج

عرفته قبل أن يسافر ولقيته بعد عودته من الخارج ، وأشهد لقد آمنت إيماناً لن يكون بعده جحود بما للخارج من عظمة ، وتعاظمني ما بيننا نحن الشرقيين من بون في الحضارة وبين سادتنا الغربيين ، حتى لقد أوشك يتملكني اليأس من أي إصلاح لحالنا ، إلا أن نرسل جميعاً عالمنا قبل جاهلنا وكبيرنا قبل صغيرنا — اللهم خلا من سلف له أن سافر — بعثة واحدة في وقت واحد إلى بلاد الغرب لنعود بعدها كأهل تلك البلاد لنا ثقافتهم ولنا ذوقهم ولنا أسلوبهم فيما يأتون من ضروب التفكير والأعمال ماجل منها وما هان

ولا يحملن القارئ كلامي على اللهو والمبالغة ، فالأمر أجل وأخطر من أن يسمح بشيء من هذا ، ولو أنه رأى ذلك الذي أتحدث عنه ، كما رأيته قبل سفره وبعد أوبته ، لأيقن أني جاد كل الجد مقتصد غاية القصد فيما أقول ، وحسبك أنه اغترب زمناً ثم عاد إلى وطنه العزيز وهو شخص آخر قد تغير تغيراً جوهرياً من جميع نواحيه إلا ناحية واحدة ستعلم نبأها بعد حين ؛ وقد تم له ذلك على صورة أرى من الميسور معها على أن أصدق أن لماء التاميز وغيره من أنهار انجلترة فعلاً سحرياً ، فما هو أن ينزل المرء فيه ، أو أن يغترف منه غرفة فحسب ، حتى يصبح مهما كانت جنسيته ، بل إنه ليصبح وإن لم تك له جنسية إلا تلك الحلقة المفقودة التي لفقها خيال العلماء ، إنجليزي المظهر والجوهر والخلق!

ما ذهب صاحبنا هذا مذهباً في حديث له إلا جعل غايته تلميحاً أو تصريحاً أن يلقي في روع السامع أنه كان في انجلترة ، وأنه بذلك فوق مستوى من لم يتواف له مثل حظه مهما تكن مكانته ؛ وكيف يكون لمن لم يحظ بذلك مكانة في نفسه على أية صورة من الصور ؟ كذلك يعتقد ذلك الأستاذ الذي يتندر تلاميذه فيما أعلم من عبثهم أنهم يحصون عليه إشاراته إلى ذلك الشرف في دروسه ، وإن أحدهم ليراهن صاحبه على درس يأمل أن ينسى فيه الأستاذ ذكر ذلك ، ولكنه يخسر كل مرة ، حتى لتحدثه نفسه أخيراً أن يذهب إلى أستاذه فيتوسل إليه أن ينسى مرة واحدة وله ما شاء بعدها من الإذعان والمودة !

وكيف ينسى الأستاذ ، وإن هذا الأمر ليجري في نفسه مجرى النفس في رئتيه لا يكاد يستغني عنه لحظة ؟ وأول ما يستطيل به عليك — إذا اغتررت بنفسك فطاولته ، وأول ما يشتكي به إليك إذا اطمأن إليك فأفضى إليك بهمه على الرغم مما يتقلب فيه من

علمية فإذا سمحتم باختيار مقتطفات منه نشرناها وإلا فنحن معتذرون .)

أحمد أمين

ولقد توقعت أن نقدي سوف لا ينشر في الثقافة وكان السبب الأول لهذا أني وجهت بعض اللوم لحضرة الأستاذ أحمد أمين لأنه نشر في مجلته ألفاظاً وعبارات كتلك التي وجهها حضرة الأب إلى الدكتور جورجي صبحي وهو له زميل في الجامعة وأستاذ مثله فيها ، ولأنه قبل أن تُرمى الجامعة المصرية التي هو أحد أساتذتها وعميد كلية الآداب فيها بأنها فقدت شيئاً كثيراً من حسن سمعتها ، وأنها تروج إفساد اللغة العربية وأنها تثبت الألفاظ المشبوهة ! !

ولئن كبر على حضرة الأستاذ أحمد أمين أن يوجه إليه هذا النقد من كاتب، وعسر على نفسه أن ينشر هذا اللوم في الثقافة، فما كان أجدره أن يهذب نقد الأب ويطلب منه أن يرفع منه تلك الأقوال الثقيلة الجارحة ، ولكنه قد أجاز نشر كلمات الأب ورضي بأن يحكم على زميل له في الجامعة أن يدفع غرامة مالية وأن يسجن تلقاء نشره كتاباً قديماً مشوه الأصل ، فكيف لا يرضى لنفسه أن يلام وأن يوخز وخزة واحدة تلقاء ألف وخزة نال بها من أستاذ زميل له في الجامعة؟

وبأي حق يطلب الأستاذ مني ألا أعرض بالأب أنستاس مادام قد أجاز للأب نفسه أن يعرض برجل من أفذاذ المصريين ؟ أحرام علينا أن نعرض بالأب ، حلال للأب وللأستاذ أحمد أمين أن يعرضا بالدكتور صبحي ؟ ومن ذا الذي أعطى حضرتيهما هذا الحق وجعلهما فوق التعريض واللوم ما داما قد أجازاه لنفسيهما ؟

فإلى جمهرة أهل الأدب عامة وإلى حضرة الأستاذ محرر الرسالة خاصة، أحتكم وأطلب الحكم، وآمل أن أنصف وأن ينصف مني الدكتور صبحي بك فينشر نقدي في الرسالة في العدد الذي يتلو العدد الذي تنشر فيه هذه الكلمة إحقاقاً لحق لا ينكره علي وعلى الدكتور صبحي إلا جريء على حقوق الناس

اسماعيل مظهر

نسمة أنه رجل qualified ، وليعذرنى القارئ إذا ذكرت عبارته كما يوردها ، فإنى لأخشى ألا يؤدى تعريبها ما يريد من معنى ، فيضيف بذلك إلى أدلة جهلى عنده دليلاً آخر ، ولا تنس أن من لم يذهبوا إلى الخارج هم عنده جميعاً جهلاء أدعياء !

وهو لا يسمح أن تكون كفايته موضع شبهة من أحد رئيساً كان أو مرؤوساً ، وإنه ليخطئ الخطأ فى جدله لا يختلف اثنان فى أنه خطأ ، ومع ذلك فإنك لتزحزح الجبل الراسخ من موضعه ولا تزحزحه هو عن موقفه بأية وسيلة من الوسائل ؛ ويظل فى مكانه لا ينحرف قيد شعرة ، ولن تزداد أنت بمحاولتك عنده إلا أنك تمعن فى المكابرة وتسرف فى الحمق وتبالغ فى الغفلة ؛ وإنه لن يؤمن أنه يخطئ إلا إذا كان يجادل أحداً ممن اغتربوا ولو إلى قبرص !

وليته يقف عند هذا الحد ، فإنه ليقحم نفسه فى كل جدال فيستمع لحظة حتى إذا قرر أحد المتكلمين أمراً جابهه بأنه يقرر الخطأ قائلاً : « لا ، هـذا خطأ » يقولها فى غير مراعاة منه لأى وضع من أوضاع الذوق ، ثم يزيدك نكداً بأن يسمعك نصف عباراته بالإنجليزية ونصفها بالعربية ، ولقد يستكثر النصف على العربية أحياناً فلا يأتى منها إلا ببعض ألفاظ ؛ ويمعن فى الكيد لك فيستدل على رأيه بما قرأ من كتب يذكر أسماءها ، والله يعلم نصيب كل منها من الوجود ! ولن يذكر فيما يستدل به من الكتب اسم كتاب عربى . وكيف يفعل هذا وهو لا يتورع أن يقول فى صراحة إنه يضن بريال من ماله على شراء أى كتاب عربى بينما يدفع جنيهاً كاملاً ثمناً لأى كتاب إفرنجى ؟ !

إذا صرفت النظر عن طربوشه وسحنته فأنت منه — إذا تبق بعد ذلك شىء — حيال انجليزى لا حيال مصرى ؛ فسرواله وحلته وحذاؤه كلها انجليزية اللون والتفصيل ، وغليونه انجليزى الوضع والهيئة والحجم ، وأسلوبه فى تفريغ ذلك الغليون بدقه على كعب حذائه وفى حشوه وإشعاله أسلوب انجليزى على رغمى ورغم غيرى من الذين ينكرون عليه كفايته ، لأن الغيرة تملأ نفوسهم والحقد يوغر صدورهم

وإنه ليدق الأرض دقاً بحذائه الغليظ إذا مشى ، ويومئ برأسه مع كل دقة إيماءة الكبرياء ، فيكون فى ذلك إنجليزيًا أكثر من الإنجليز أنفسهم ؛ وهو يكمل بذلك أدلته على أنه قد صار أحد هؤلاء الإنجليز الذين أخذ عنهم ؛ وإنى لن يسعنى مع هذا إلا أن أسلم له بأنه Qualified حقاً ، وإلا فهل ثمة من فرق بينه وبين من يتشبه بهم ؟

ويسيطر على سلوكه خيال انجليزيته سيطرة عظيمة عند علماء النفس تأويلها ؛ أما أنا فعملى عمل المصور الخبيث ، فأراه إذا تكلم الإنجليزية مثلاً ـ وقل أن يتكلم غيرها ـ يلعب بفكيه لعباً لن أستطيع أن أنكر ما فيه من مهارة، وإلا كنت مكابراً حقاً. وأراه يلعب دور الملحن أيضاً فهو لا يقنع بالمبالغة فى إمالة ما يتطلب الإمالة من الحروف، ولا بتفخيم بعض الألفاظ وترقيق البعض، ولا بمد أواخر كلمات واختطاف أواخر كلمات غيرها، ولا بالإتيان بغنة هنا وشنشنة هناك ، ولا بقلقلة لسانه فيما يقابل « الراء » عندنا من الحروف ليخرجه بعد حشره بين وسط اللسان وسقف الفم ...

لا يقنع بذلك كله وإنما يحاول أن يكون صوته كصوت الإنجليز فلا يتسق له وا أسفاه إلا خليط من اللغط والمواء يحمل أشد المحتشمين على الضحك . ولقد رأيت أحد الإنجليز يستمع إليه وهم أهل كياسة ودماثة، فلم يتمالك نفسه من الضحك فحجب وجهه بورقة فى يده وضحك ملء نفسه ثم عاد يحاول فى جهد الاحتشام والوقار ...

وإذا اضطره إلى العربية جانب من عمله جاءك بها فى ثوب إنجليزى وتسمعها على لسانه غريبة أكثر عوجا ولكنة فى جرسها وإخراجها مما لو جرت على لسان أحد أساتذة إكستر أولفربول وقد تعلمها منذ أسبوعين !

وهو برم بمجتمعنا وتقاليده ، فكل شىء فيه سخيف عنده؛ وإنه ليعترف لديك فى غير تحرج أو استحياء أنه لا يزور ذوى قرباه إلا كل عامين أو ثلاثة لأن صدره يضيق بما يرى بينهم من تقاليد وعادات بالية عتيقة . رجا منه مرة أحد أصدقائه ألا ينسى أمراً من الأمور ، فهال الصديق أن يراه يغضب أشد الغضب ثم يصعر خده ويشمخ بأنفه قائلاً : « أنا أنسى ؟ No, it is you who forgets »

وليس للفن المصرى فى رأيه أثر فى الوجود ، ولا للموسيقى المصرية وقع فى النفس، ولا للأدب نصيب من الحياة، ولا للحياة المصرية كلها وضع من أوضاع الذوق ...

وبعد فليت هذا الذى يتشبه بالإنجليز هذا التشبه ؛ يحاكيهم فى غير الحلة والحذاء والغليون واللهجة ! نعم ليته ينقل عنهم بعض ما بهروا به العالم من خلائقهم ، بل ليته علم أن الإنجليز أبعد الناس عن التقليد السخيف لأنهم لا يرون بينه وبين الصعلكة كبير فرق !

ليته نقل علمهم وأتقن أسلوب تفكيرهم ، ثم اقتنع بهذا الجد وحافظ على مظهر قوميته وروح وطنيته ، وإن بعض إخوانه ليعود إلى وطنه وما أغناه ماء التاميز عن ماء النيل ، وما إن يرضى بأن يقيم من نفسه دليلاً على شعوره بحقارته !

وما لهذا المتكلف والمعلم وبيده « رخصة » بأنه كفء على الدوام أحسن أو أساء ؛ وما به حاجة إلى أن يعمل فهو سابق غيره إن جد وإن أهمل بحكم هذه الوثيقة بل هذه الحجة الدامغة التى تغنى عن كل شىء ! وإن وثيقته هذه لتذكرنى « بصكوك الغفران » التى كانت تبيعها الكنيسة للناس فى العصور الوسطى فتغفر لهم ما تقدم من ذنوبهم وما تأخر ، أو بما يكون لصوم يوم عاشوراء عند السذج من عامة المسلمين من جزاء فى الدنيا والآخرة ...

وإن إكبار المجتمع لمثل هذا المصرى الآتى من الخارج ليجرى على أسلوب كأسلوب العوام الذى تراه فى مثل قولهم : « فلان مترب فى بلاد بره » أو كأسلوب بعض جهلاء الذوات فى الجيل المنصرم عند ما كانوا يقولون « فلان جى من استنبول »

لقد ذهب الزمن الذى كان يراد فيه وضع هؤلاء القادمين من الخارج مهما يكن من عجزهم موضع التفوق ومات الغرض من ذلك بتيقظ قوميتنا وانبعاث نهضتنا ؛ فحتام نشهد على أنفسنا بالضعة ونقدح فى كفاية معاهدنا وأساتذتنا ؟

يا معالى وزير المعارف ! لأنت أحد أساطين نهضتنا القومية المباركة ، فمن غيرك اليوم يقتلع هذا الداء من أصوله ويقول لمن يعمل : المكافأة على قدر العمل ، وقيمة كل امرئ ما يحسن ! بذلك تقضى معاليك على عيب من أهم عيوب التعليم فى هذا الجيل الذى يرتقب الخير على يديك .

الخفيف

بواب مصر ...

السنيور « جرزبانى »

بوابَ مصرٍ قف بجنب الباب ... أرأيت فى الصحراء غير سراب

حرب ولا مثل الحروب، عجيبة ... دعوى المودة من عِدَى أوشاب

تركتك مصر بموضع ما اختاره ... من قبلُ أقوامٌ ذوو ألباب

سجن أمرت به جنودك طيِّعاً ، ... حسناً فعلت بجيشك الغلاب !

فلتبق حيث اخترت فى مهجورةٍ ... واسمع صداك جوابَ غير مجاب

يكفى عقاباً للجهول وقوفُه ... فى موقف يكفيه كل عقاب

البحر عن يسراك فارشف رشفة ... وانعم بأمواه لديك عِذاب

والرمل عن يمناك فاطعم سائغاً ... ماشئت بين رُبى و بين هضاب

بابٌ لمصرٍ لم يجادلك امرؤ ... فالزم مكانك فيه كالبواب

عبد اللطيف النشار

غنِّ ...

أيها الشاعرُ قمْ وانقرْ عَلَى ... عودِك الحانِي وَرَدِّدْ أغنياتِكْ

إنما أنتَ شُعَاعْ ... عن قريبٍ يغربُ

وأمانيكَ خداعْ ... ومرابٌ يكذبُ

اركب الزَّوْرقَ واسْبَحْ فغداً ... لا ترَى الزَّوْرقَ يجرى و يَهيم

واجمع الطيرَ حواليْك وكنْ ... أوَّل الشادينَ ألحانَ النعيم

وارْتَشِفْ أكوابك السكرى فنى ... هذه الأكوابِ صفوٌ مستديم

وابتذِلْ دنيا الجياعْ ... فهى هم يَنهبُ !

وهى عنف وصِراعْ ... وضَجيجٌ متعبُ !

موكبُ الدنيا يُغَنِّى لحنَه ... فانتَظِمْ فى موكب الدنيا وغَنّ

العــذارَى يتهــادين به ... راقصات فيه فى صفو وأمْنِ

قُمْ ترَنَّمْ ، قمْ وسَبِّحْ للهوى ... وانْسَ ما تحمِل من وهم وحزْن

وانهب الحسن المشاعْ ... فقريبًــا يذهبُ

إنما الدنيا متاعْ ... ونعــيمٌ طيبُ

عبد العليم عيسى



شيء قديم

السلطنة

« مع سلام الله ورحمته وبركاته إلى فضيلة الأستاذ عبد الفتاح خليفة ، مفتش الخط المتصوف بوزارة المعارف العمومية »

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

الذين يسمعون الغناء فى هذه الأيام معذورون إذا كانوا لا يعرفون ما هى السلطنة ، وهم معذورون أيضاً إذا سخروا من ذكرها وحسبوها رقاعة قديمة كان المغنون القدماء يصطنعونها تهريجاً منهم وتحلية لبضاعتهم ، وكان الجمهور القديم يحتملها صبراً منه ، وتضييعاً لوقته الطويل الرخيص الذى لم يكن ينتفع منه بشىء ...

وهم معذورون فى هذا وذاك لأن السلطنة قد انعدمت من عند المغنين فى هذه الأيام أو كادت تنعدم . والجمهور اليوم يسمع عنها — إن كان يسمع عنها — فلا يتصورها إلا نوعاً من أنواع التحكم الثقيل الممقوت يفرضه المغنى فرضاً على جمهوره تيهاً منه ودلالاً واستكباراً ، فقد قيل لهذا الجيل إن المغنى القديم كان لا يرد إلى المكان الذى سيغنى فيه إلا بعد أن تمضى من الليل ساعات . . .

وأنه بعد هذا كان يطلب خمراً أو شيئاً آخر غير الخمر يقلب به دماغه ويغيب به عن وجوده ، وأنه بعد ذلك كان يرجو أن إنساناً حلواً يقرب منه ليشاهده وهو يغنى ، وهو فوق هذا وذاك كان يصر على أن يصحب معه نفراً من الناس لا هم عازفون ولا هم مغنون وإنما هم مستمعون فقط يحبهم ويؤثرهم ويجرهم وراءه من حفلة إلى حفلة ، ويجرون هم وراءه من فرح إلى فرح ، والواحد منهم يعدل عنده ألفاً من وجهاء الناس الذين يدعون إلى سماعه والذين يجاملونه بالتطييب الرقيق والتشجيع الناعم . . .

وأنه بعد هذا كله لم يكن حضرته يغنى إلا إذا تسلطن ، وهو لا يتسلطن إلا بعد أن يقضى أفراد تخته زمناً طويلاً فى تصليح آلاتهم ، وبعد أن يعزفوا بشرفاً ، وبعد أن يغنوا توشيحاً ، وبعد أن يقسم صاحب العود بعوده تقسيمات كثيرة أو قليلة ، وبعد أن يتلوه صاحب القانون فيقسم هو أيضاً تقسيمات كثيرة أو قليلة ، وبعد أن يعقبه صاحب الكمان فيقسم كذلك تقسيمات كثيرة أو قليلة ، وربما بعد أن يغنى واحد من أفراد التخت أغنية طويلة أو قصيرة ، هذا كله وبعد طلوع الروح يبدأ حضرة المغنى فيغنى ، فإذا نشط فى غنائه قيل إن حضرته تسلطن

هذه هى الصورة التى يتصورها أهل هذا الجيل عن السلطنة ، وهى صورة تنطبق على الحق وعلى الذى كان واقعاً ، وإذا كان أهل هذا الجيل الذى نعيش فيه يكرهونها ويسخرون منها ولا يطيقون أن يرزأوا بها فإنما ذلك يرجع إلى أنه قد فاتهم تعليل كل ظاهرة من ظواهر هذه الصورة ...

ولو أنهم عرفوا لأى سبب كان القدماء يحبون السلطنة من المغنين ويستجدونها منهم استجداء ويتكلفون تهيئتها لهم تكلفاً قد يرهقهم فى أغلب الأحيان ...

لو عرفوا هذا . . . إذن لأسفوا لأنهم قد حرموا اليوم ألذ متعة فنية قضى عليها جيلنا الحديث المتعجل الذى يستمع الناس الغناء فيه وكأنهم راكبون فى قطار ، يعدون على المغنى أغانيه كما يعد ركاب القطار عليه المحطات ؛ ويهرعون إليه قبل موعد الستار كما يهرع الركاب إلى القطار قبل موعد القيام ، وينفضون عنه بعد الوصلة الأخيرة كما ينفض الركاب من القطار فى محطة الوصول ...

فلا تذوق ، ولا استسلام ، ولا واحد من المستمعين هؤلاء يتأخذ بالغناء ، ولا واحد من المغنين هؤلاء يغزو نفساً من نفوس مستمعيه . . . وإنما هو « سلق بيض » كما يقول عامتنا الحكماء . .

كان المغنى القديم لا يحافظ على ساعة محددة يحضر فيها إلى الحفلة ، وإنما كان يجعل موعده ليلة الحفلة بأكملها ، فيحضر إليها وقتما يحضر . قد يبكر وقد يتأخر غير متعمد تبكيراً ولا تأخراً وإنما الذى يتعمده هو أنه لا يذهب إلى هؤلاء الناس الذين جاءوا ليستمعوه إلا بعد أن يستوفى راحة بدنه على الأقل ، بأى صورة ما من صور الاستجمام تريحه هو .

ثم إذا جاء إلى مكان الحفلة طلب الخمر أو غير الخمر من قالبات الدماغ ، لأن الغناء عورة من عورات النفس ، لا يسهل على الإنسان أن يكشفها لغيره وهو يقظ منتبه إلا إذا كان فاجراً ، فإذا كان فاجراً لم يكن مغنياً ، لأن الغناء فن يستلزم فى النفس حناناً ورقة ورحمة وشوقاً وأملاً ولهفة ورجاء وحباً وعطفاً ورضا وتضحية ، وكل هذه عواطف بعيدة عن نفوس الفجار ...

فإذا انقلب دماغه واستخفته الخمر وغاب عن رشده وهان عليه أن يفضح نفسه وأن يكشفها عارية للناس ، لم يرضه أن يكشفها لكل الناس ، وإنما يرضيه أن يتعرى أمام الذى يعجبه هذا العرى ، والذى يرحم هذا العرى ، والذى يستجيب لهذا العرى ، والذى يكشف بالسماع من نفسه مثلما يكشف المغنى من نفسه بالغناء ...

وهذا هو الإنسان الحلو الذى كان المغنى القديم يطلبه قريباً منه ليشاهده ويغنى له ، وليتسى به أنه قد تعرى أمام جمهور من الناس

والحلاوة فى الإنسان تختلف ، ولكل مغن ذوق هو ناشئ عن تكوين نفسه ، فكما كانت حلاوة روحه كانت حلاوة مشهده . . .

والناس أجسام هى صور لأرواح محبيهم وعشاقهم ...

ولا ريب أن هذه حال تشبه أن تكون موقعة بين المغنى ومشهده الحلو ، والمواقع لا بد أن يحضرها شهود ، والشهود هؤلاء ليست مهمتهم الحكم على المغنى فى آخر الليل بأنه انتصر أو بأنه فشل ، وإنما مهمتهم أن يرقبوه وأن يرقبوا سامعه ، وأن يتابعوهما بالإيحاء والتنبيه والتحريض و « تسجيل النقط » والتحميس والتطييب وغير ذلك من وسائل تفتيح النفس وإرهاف الحس وإشعال الروح . . . وهؤلاء الشهود هم أولئك المستمعون الذين يجرهم المغنى وراءه من حفلة إلى حفلة ، والذين يجرون وراءه من فرح إلى فرح . وهو يحبهم وهم يحبونه . أما هو فيحبهم لأنه يشعر بأنهم يتلقون خفقات نفسه ووثباتها فلا تضيع منها خفقة فى الريح ، ولا تذهب منها وثبة إلى العدم ، فهم مسكن روحه ومأوى نفسه ونصراؤه المستجيبون له . وأما هم فيحبونه لأنهم يرونه كأنما هو قائد لهم ، إذا أنّ فكما كانوا يريدون أن يئنوا هم لو أن نفوسهم تفتحت تفتح نفسه ، وإذا حنّ فكما كانوا يريدون أن يحنوا هم لو أن نفوسهم فاضت كما تفيض نفسه ، وإذا هم فكما كانوا يريدون أن يهموا هم لو أن نفوسهم فزعت وارتمشت كما تفزع نفسه وترتمش . . . هم من لونه وهو من لونهم ولكنه أشدهم تميزاً فى لونه ، وأشدهم تمكناً من لونه ، وأشدهم انطباعاً على هذا اللون ...

هم جمهوره ...

فإذا جاء المغنى إلى مكان الحفلة أو الموقعة ، وتسلح بالخمر ، واستحضر شهوده ، وواجه غريمه الحلو الذى ينتصر له الحاضرون جميعاً ، والذى تجندت مع روحه أرواح الثلاث من المستمعين قاصدة تعززه ، أو غير قاصدة وإنما تعززه بطبيعة الفضول المنساب منها إلى روح المغنى يناوشه ويهاجمه ويقلقه . . .

إذا ما كان هذا استنجدت روح المغنى بأرواح أفراد فرقته وهم جيشه ، فما تلبث هذه الأرواح حتى تهب له ملبية ، ولكنها قبل أن تبدأ الهجوم تستشير فيما بينها إن بالكلام

وإن بالصمت عن موضع الضعف الذى يمكنها منه أن تبدأ الغزو ، فإذا لمست فى الغريم ألماً وشجواً أرسلت إليه الحنين « سيكا » ، وإذا أحست منه استعصاء وصلابة رققته بالحجاز ، حتى إذا ما اتفقت على مدخل روحه من أين هو ، أرسل المغنى وهو القائد أول رائد من رواده يناوش الغريم فإذا هى تقسيمات من الكمان أو القانون ، هذه التقسيمات ليست إلا ومضات من الروح تعرض على السامعين وعلى رأسهم السامع المقصود بالذات ، وهو كما علمنا من البدء مشوق للمغنى بالفعل أو بالقوة ، فبينه وبين المغنى وأفراد جيشه وشهوده تلاؤم وتعارف مستكنان ، وود متحفز للانطلاق ، فإذا لم يقو على إطلاقه الرائد الأول بالكمان ، استثاره الرائد الثانى بالقانون ، فإذا لم يقو عليه هذا أيضاً نكته الثالث بالعود ، ثم كان البشرف كالنفير الذى ينفخ فيه نداء وتحفيزاً ، ثم كان التوشيح كالمارش الذى يعزفه الجيش فى أول الهجوم ، ثم يبدأ المغنى بعد ذلك يسدد طعناته طعنة فى كل « ليل » يهتف بها ، وفى كل « آهة » ولكل ليل معنى يتضمنه نغمها ، ولكل آهة رجع مبثوث فيها ، وليست هى أشكال صوتية صماء خالية من المعنى والروح كهذه الآهات والليالى التى نسمعها اليوم فلا نعرف إن كان فيها فرح ، أو كان فيها يأس ، أو كان فيها رضا ، أو كان فيها هم ، أو كان فيها غم

ويبدأ الهدف الحلو يضعف وينساق ، ويبدأ المغنى يعلو ويتمكن ، ويجر الهدف الحلو وراءه تابعاً ، ثم تابعاً ، وأفراد الفرقة والشهود يجذبون هم أيضاً الأتباع أفواجاً أفواجاً ... حتى يشعر المغنى بأنه لم يعد يتحرج ولم يعد يخجل من أن يكشف نفسه لأمة لا لفرد، فكل عيوب نفسه الآن فضائل ما دامت لها أصداء فى نفوس الناس جميعاً وما دام هو وحده القادر على نثرها مستطابة مشتهاة ... لا يقصد منها قضاء الوقت ، ولا تحصيل الأجر ، فما خلف واحد من هؤلاء ثروة ...

عندئذ ، وعند ما تكمل له السيطرة على هذا النحو . . . يقال إنه تسلطن ، وهو فى الحق تسلطن على كل من فى حضرته فما ينفذ من سلطنته إنس ولا جان ... إلا لسلطان

وهذه حال لا يشبهها إلا حال الشيخ أو الإمام مع أتباعه . . .

ولكن أى إمام ؟ . . . إمام من غير المحترفين . . . قلبه يعرف الله . . .

عزيز أحمد فهمى



عراك في غير معترك

أرسل إلينا الأستاذ محمد متولى كلمة بعنوان (صورة) يرد بها على الأستاذ زكى طليمات فرأينا أن نقتصر منها على الجملة الآتية إيثاراً لخطة الرسالة من جهة ، وإبقاء على ما بين الصديقين من جهة أخرى ، والوضوع على كل حال لا يحتمل أكثر مما قيل فيه . قال الأستاذ متولى :

ولقد أقرر أن زكيا يهزل ولا يجد فلا يليق أن نشركه في المسائل العقلية ، وإلا أضعنا وقتنا هباء دون أن نصل معه إلى نتيجة ، وسأضرب مثلاً بمسألة واحدة مما هو شائع في مناقشاته

١ — قال في رده الأول « وقبل أن ننتقل من هذا نود أن يقف القارئ على آراء علماء اليوم فيما كتبه ريبو » وبعد سطور قال أيضاً إن كلام ريبو « قد أصبح موضع نظر بعد أن بين الفيلسوف الأمريكي المعاصر وليم جيمس » كيت وزيت

٢ — وأنكرنا عليه أن يصف جيمس بالمعاصر وقد توفى قبل ريبو بست سنين ، فعاد إلى كلمة معاصر يحاول أن يفسر معناها ، وأنا شخصياً أعرف هذه الكلمة منذ خمسة عشر عاماً ، وقد طالما سمعتها في دروس الجامعة المصرية من أستاذىّ أبل راى وأندريه لالاند ، وكثيراً ما استعملتها بين أيديهما فلم أعرف لها غير معنيين وردا في معجم لاروس ، في قوله « Contemporain = Qui est du même temps : Voltaire et Franklin furent contemporains — Qui est du temps actuel : nos contemporains » وهذا معناه أن المعاصر هو من يعيش مع غيره في وقت واحد فنقول إن فولتير وفرانكلين كانا معاصرين . كذلك المعاصر هو من يعيش في الوقت الحاضر فنقول معاصرونا

ونحن حينما ذهبنا مع زكى وبشر ، لن نجد أكثر من هذين المعنيين لكلمة معاصر — ولنذهب لتروا ضلال الفارسين

(١) ينقل زكى أن Littré قال « La raison contemporain est l'ensemble des choses qu'une société admet comme vrai à une époque donnée » وهو كلام صحيح ، لا كما فهمه بشر وزكى ، ولكن لأن معناه أن روح العصر هى مجموع الأشياء التى تقبلها جماعة على أنها حقائق فى فترة معينة ، فما دخل هذا فى أن ريبو أحدث من جيمس ؟!

ربما أراد الفارسان أن يضيفا إلى كلمة Contemporain معنى لا يعرفه أهل اللغة الفرنسية ، وربما يصدران غداً « أمراً عسكرياً » باعتبار أرسطو أو نتشه أو كانت أو سبنسر أو غيرهم ممن تنفذ تعاليمهم خلال القرون، نقول ربما يصدر الفارسان «أمراً عسكرياً» باعتبار أولئك جميعاً معاصرين برغم ما بيننا وبينهم من مئات السنين

(ب) إميل زولا (المتوفى ١٩٠٣) ، وألفونس دوديه (١٨٤٠ — ١٨٩٧) وفلوبير (١٨٢١ — ١٨٨٠) وموباسان (١٨٥٠ — ١٨٩٣) وشارل بودلير (١٨٢١ — ١٨٦٧) ، وفيرهارين (ولد ١٨٥٥) وفرلين (ولد ١٨٤٤) ومالارميه (ولد ١٨٤٢) . كل أولئك عاشوا معاً أياماً بعينها ، كما هو واضح فى تلك التواريخ ، فهم معاصرون بنسبة بعضهم إلى بعض ، ثم هم يمثلون الفكر الفرنسى فى عصر بذاته ، والحال هنا كما لو أردنا أن نؤرخ للفكر المصرى فى هذا العصر ، فتحدثنا عن : شوقى والعقاد وحافظ والزيات ومحمد عبده وطه حسين وقاسم أمين ومن إليهم ، فهؤلاء يمكن أن يمثلوا روح عصر مجتمعين

في أجرومية اللغة الإنكليزية

حضرة الأستاذ الجليل رئيس تحرير الرسالة الغراء :

ذكرني تعليق الأستاذ عبد الغنى حسن على ترجمة الأستاذ العقاد بحادثين لاثنين من المدرسين أحدهما انكليزى يدرس العربية ، والآخر مصرى يدرس الإنكليزية ، وكلا الحادثين يدل على أن الاجتهاد والجدة ينشئان نوعاً من (الحنبلية) قد يسفر عن ظرف محض ، وإن كانت الحنبلية فى أغلب الأحيان لا تسفر عن ذلك

أما المصرى الذى كان يدرس الإنكليزية فهو مجتهد مثابر على حفظ القواعد الجديدة عليه حتى كادت تنسيه قواعد لغته . قيل له أعرب كلمة جداً فى قولك أحبك جداً ، فأجاب على الفور : أحب فعل والفاعل ضمير مستتر تقديره أنا والكاف مفعول به ، وجداً يا أفندم، وجداً ... جداً is an adverb of condition إنها ليست وصفاً فهى لا تصف الاسم ولكنها تتمشى مع الفعل

أما الحادث الثاني فهو لمدرس انكليزي كان يؤدي امتحاناً في وزارة المعارف المصرية وقال له الممتحن أسند فعلاً إلى الضمائر، فأجاب وهو لاجتهاده قد حفظ الضمائر ونسى الأفعال: «أنا مالكش دعوى. أنت مالكش دعوى. أنتم مالكش دعوى. نحن مالكش دعوى. هم مالكش دعوى. هن مالكش دعوى. هي مالكش دعوى. أنتن مالكش دعوى ...»

عبد اللطيف النشار

المجمع العلمي المصري وكتاب الأخلاق

عقد المجمع العلمي المصري جلسته الأولى بعد العطلة الصيفية فألقى حضرة القس بولس سباط أحد أعضائه محاضرة عن كتاب نفيس عنوانه «علل اختلاف الناس في أخلاقهم وسيرهم وشهواتهم واختياراتهم» لقسطا بن لوقا العالم الكبير والطبيب الشهير في القرن التاسع

ذكر القس سباط في هذه المحاضرة أن لقسطا بن لوقا ثلاثة وستين مصنفاً وأن كتابه في الأخلاق أثر ثمين من الآثار العلمية التي تركها لنا العلماء المسيحيون القدماء، وختم المحاضرة بقوله: «أنشر هذا الكتاب راجياً أن يستفيد القارئ بمطالعته ويقدر عبقرية المؤلف وعلمه، فقد وصف قسطا بن لوقا في هذا الكتاب فوارق البشرية وصفاً بديعاً ورسم لنا بخطوط بارزة صورة للنفس الإنسانية يرى كل واحد منا صورة ميوله وشهواته ويلم بأسبابها فيجتهد في تهذيبها بما حباه الله به في القوى العاقلة التي تميز بين الخير والشر والنافع والضار»

عثر القس سباط على مخطوط من هذا الكتاب في مدينة حلب فاهتم بدرسه والتعليق عليه وترجمته إلى اللغة الفرنسية وسيبادر المجمع العلمي المصري قريباً إلى طبعه مع الترجمة فيضيف مأثرة جديدة إلى المآثر العديدة التي من بها على العالم العربي.

وفاة السير جوزيف طمسن

توفى السر جوزيف طمسن وهو من كبار علماء الطبيعة في العقد التاسع من سنه

واشتهر السر جوزيف هذا بإعلانه سنة ١٨٩٧ اكتشاف ما يعرف الآن باسم الألكترون وهو أصغر ما عرف من أجزاء المادة وأصغر مما كان يعرف باسم الجوهر الفرد

ولما أذاع اكتشافه هذا في المعهد الملكي قوبل بالشك الممزوج بكثير من السخرية. قال يصف مقابلة خطبته التي أذاع بها في المعهد هذا الاكتشاف:

«فلم يصدق كثيرون وجود هذه الأجسام التي هي أصغر من الجواهر بل إن عالماً طبيعياً مشهوراً قال لي بعد زمان طويل من إلقاء الخطبة إنه ظن أني أسخر بسامعي. فلم يدهشني قوله لأني أنا نفسي كنت أشك في اكتشافي وتعليله»

هل موسى عليه السلام مصري أو عبري؟

نقلت مجلة «الرسالة» الغراء في العدد (٣٨٣) عن الأستاذ «فرويد» أنه كان يذهب إلى أن موسى عليه السلام كان مصرياً لا عبرياً، وقد أيد رأيه في ذلك بأن موسى كلمة مصرية بمعنى عبد وذلك كما وردت في كلمة (تحوتمس) بمعنى عبد تحوت، ولكن هذا لا يمكن أن يؤيد رأى الأستاذ فرويد في أن موسى عليه السلام كان مصرياً لا عبرياً، لأنه لا يلزم أن يكون الشخص من أهل لغة من اللغات إذا سمي باسم من أسمائها، وها نحن أولاء الآن نسمى أولادنا بأسماء غير عربية، ومع هذا يبقى أولادنا عرباً ولا تؤثر فيهم هذه التسمية

على أن هناك أمراً أهم من هذا في هذه المسألة، فقد قرأت في بعض الكتب القديمة أن اسم موسى سرياني مركب من كلمتين (مو - و - شا) ومو هو الماء بالقبطية، وشا هو الشجر، فعرب وقيل موسى، وإنما سمى به لأنه وجد بين ماء وشجر، ولا شك أن هذا النص صريح في أن كلمة موسى سريانية أو مصرية، ولكنها ليست بمعنى عبد، بل بمعنى ماء وشجر، فبأى الأمرين نأخذ في هذه الكلمة؟ ولا شك أن جواب هذا عند علماء الهيرغليفية، وليس عندنا معشر علماء العربية

عبد المتعال الصعيدي

موسى

ذكر الأستاذ صديق شيبوب أن فرويد قال في كتابه عن «موسى» إنه كان مصرياً مستدلاً على ذلك باسمه لأن كلمة «موسى» مصرية معناها الطفل أو العبد بدليل اسم الملك «تحتمس» أو «تحوت موسى» أي عبد «تحوت» فيكون اسم موسى اختزالاً كما تقول بالعربية عبده أو عبد الله

والصواب أن كلمة موسى ليست مصرية وليست بمعنى

«عبد الله» كما التبس ذلك مرة على الدكتور زكى مبارك عند ما قال إن كلمة شنوده بمعنى عبد الله أيضاً . فكلمة عبد الله عند الفراعنة هى «باك» مثل «باك إن أمون» أى عبد الإله أمون وغير ذلك

ولما كان فرعون هو الشخص المؤله على الأرض أمام شعبه فكان على بعض الفراعنة أن يتخذ لنفسه اسماً يثبت به أنه الوارث الشرعى للعرش وأنه من نسل الآلهة ومن هنا أتت كلمة «تحتمس» أى «تحوت مس» المولود من صلب الإله تحوتى إله العلم والحكمة عند قدماء المصريين والأمثلة على ذلك كثيرة ، ولذلك أساطير طويلة

أما الرد على الأستاذ بكر هلال فيما يختص بسؤاله عما إذا كان موسى من حاشية الملك الفيلسوف أخناتون أو غيره فلم يهتد إلى ذلك أحد قط ، وكل ما ذكر هو من الحدس والاستنتاج

ولم تذكر الآثار شيئاً عن ذلك ، وكل ما هنالك عن خروج بنى إسرائيل من مصر مكتوب على لوح من الجرانيت موجود بالمتحف المصرى من عهد الملك منفتاح ، ولكن هذا لا يبرر خروجهم فى عهد هذا الملك إذ المفروض أنهم خرجوا من مصر قبل ذلك بكثير .

ونرجو الله تعالى أن يوفقنا إلى البحث عن حل لهذه المعضلة التاريخية الدينية قريباً .

محمد صابر
مؤلف كتب الفراعنة

معنى سوى

جاء فى كلمة الأستاذ على متولى السيد عدد ٣٨٦ هذه الجملة : «نهزج (سوياً) بأغرودة السعادة» ... فقد استعمل (سوياً) بمعنى (معاً) . والذى ورد فى كتب اللغة أن سوياً بمعنى مستو

جاء فى القاموس فى مادة (سوى) : «ومكان سَوِىٌ كغَنِىٍ وسِىً كزِىٍ مستوٍ، وسواء تسوية جعله سوياً» . وفى القرآن الكريم : «فتمثّل لها بشراً سويًّا» أى مستوياً تام الخلق .

فخر الدين غزى

ملاحظة على قصيدة طلع الفجر

قرأت فى العدد ٣٨٦ من (الرسالة) قصيدة عنوانها (طلع الفجر) للأستاذ عزت المجين ، فأعجبنى فيها قوة الأسلوب وبراعة التصوير ... إلا أن لى كلمة أرى من حق الأدب علىّ أن أبعث بها إلى الرسالة

بدأ الأستاذ قصيدته بلون من الشعر أسبغه على ثلاثة أبيات منها ، ثم تحول فجأة إلى لون آخر ، وإن كان المعنى ما يزال موصولاً . وقد ورد البيت الثانى هكذا :

فاصح يا حلو قد صحا الورد وطاف النسيم بالأقداح

ولعل صحة البيت :

فاصح ياحلو واستمع قدصحا الورد وطاف النسيم بالأقداح

حتى يستقيم الوزن ولا يختل المعنى . وما عن هذا أتساءل ؛ ولكن أما كان يصح للناظم إذ نظم من بحرين مختلفين أن يجعل للأول نصيباً من باقى أبيات القصيدة حتى لا ينتقل القارئ أو السامع من نغم موسيقى إلى نغم آخر من غير وجود آصرة تربط بينهما حتى النهاية ؟؟

وقد ورد لحضرته أيضاً : فتعالَ إن روحى ظمئت (يخاطب حبيبه) ، ثم عاد فكرر الكلمة ـ فتعال ـ فى قوله : (فتعال إنه يوم المنا) مما يضطر إلى إشباع اللام حتى يستقيم الوزن ، على أن مثل هذا الإشباع لا يجوز إلا فى القوافى من القصائد

وبهذه المناسبة أقول إن الرسالة كانت قد نشرت بالعدد ٢٩٣ قصيدة للأستاذ إيليا أبو ماضى ، عنوانها «ابنة الفجر» وقد ورد فيها مثل هذا الإشباع — غير الجائز — لحرف من الحروف فنبهت إليه وعلقت عليه

على سرور



عبث أرستقراطي

للأستاذ نجيب محفوظ

فى ذلك المساء من شهر مارس ازدان قصر الوجيه حامد بك عرفان بحلة لألاءة من الأنوار المتموجة ذات الألوان ، مدت أسلاكها الكهربائية على سور الحديقة فتعانقت مع الياسمين والبنفسج . وتعلقت بأفرع الأشجار والنخيل ، وتوجت بها شجيرات الورود المنتثرة على هيئة أهلة ونجوم . وكان أعجب ما فى القصر هو ذاك البهو المتسع الأنيق الذى فرش بفاخر الأثاث وحليت جدرانه وأركانه بروائع الفن من صور وتحف ، وترك فى وسطه مكان رحب للراقصات والراقصين ، أما فى صدر المكان فقد امتدت ردهة إلى مقصف حافل ، وإلى يمينها فيما يلى الشرفة المطلة على الحديقة احتلت فرقة الموسيقى الإيطالية مكاناً جميلاً ... وانتشر فيما بين البهو والشرفة والمقصف والحديقة المدعوات والمدعوون الذين لبوا الدعوة للاحتفال بعيد ميلاد كوكو الصغيرة ابنة الوجيه عرفان بك وزوجه أنجى هانم عرفان ... وكانوا يجلسون أزواجاً وجماعات يتجاذبون أطراف الأحاديث حيناً بالعربية وأحياناً بالفرنسية ويتضاحكون بأصوات عالية رقيقة وخشنة . وإذا دعت الأنغام قاموا للرقص والعناق . وقد شاع فى الجو عطر وأنس وحرارة كأنها أنفاس المودة نفثتها الأعين والشفاه والصدور والأمانى الهامسة

وكانت الأحاديث متنوعة ، ولكنها تدور فى الغالب حول موضوع واحد يتجاذبها كما يتجاذب النور الفراشة ، وهو المرأة ، ولا يستثنى من ذلك الجماعة التى كان محدثها الأول الأستاذ على الجميل الصحافى المعروف والنائب المحترم ، فما خرج الحديث فيها عن الزواج واختيار المرأة الصالحة ، وكان النقاش يحتدم بين المتجادلين من الجنسين بصورة عنيفة مضحكة . أما الوجيه نور الدين فكان يتوسط حلقة أخرى يروى فيها ما اتفق من قصص مغامراته الغرامية فى المواسم المالية ذوات الشهرة فى الحب والجمال ؛ وفى ركن منعزل امتاز بوفرة من حوى من الشابات والشبان أقيمت مسابقة سرية لاختيار أقبح امرأة بين المدعوات واتجهت أبصار المحكمات والمحكمين إلى امرأة اتخذت مكانها تحت صورة الفنانة وابنتها « لفيجيه لوبرن » ، وكانت عجوزاً إلا أنها تتصابى وتستعير من ألوان الجمال ما تظن أنه يغنى عما استرده الدهر من حياة شبابها ، فبدت تحت طلاء الأصباغ فى هيئة مضحكة ، وكانت تتجنب الناس وتقنع بالجلوس منفردة حتى تعود إلى مجالستها ربة الدار أنجى هانم كلما تاقت نفسها إلى الراحة . أما اسمها فدولت هانم ، وقد راضت نفسها على العزوبة بعد تجربة أربع زيجات غير موفقة ، وكادت تيأس من الرجال والحب . وقنعت من متاع الدنيا بمضغ الأعراض والخوض فيما تعلم وما لا تعلم من أسرار الناس ، فصارت معجماً لتواريخ السوء . وكانت فى تلك اللحظة التى اختيرت فيها سراً ملكة للقبح ... تجالس أنجى هانم، وكانت تلوذ بالصمت قسراً بعد أن لم تبق على أحد من الحاضرات والحاضرين ، حتى أتيحت لها فرصة جديدة للكلام بحضور الوجيه الأستاذ محمد جلال المحامى وزوجه الحسناء صفية هانم جلال . وكأنما يلفتان الأبصار حيثما سارا لثراء الزوج المالك لأربعة آلاف فدان فى الصعيد ، وجمال الزوجة ورشاقتها ، وقد استقبلتهما أنجى هانم بمودة ظاهرة وباطنة ، ولما عادت إلى جوار دولت هانم مالت هذه على أذنها وقالت بصوتها الخافت المبحوح :

— يالهما من زوجين سعيدين جميلين !

فقالت السيدة بحماس :

— الأستاذ جلال شاب يندر أن يوجد نظيره بين الشباب الناجح الثرى ... ألا تعلمين أنه مرشح لكرسى النيابة ؟ ... وأما صفية فهى آية للجمال والصفاء ...

فابتسمت المرأة ابتسامة باهتة وقالت :

— نعم ، نعم ... لا شىء يعيبه إلا أنه يقال إنه قد يتبارز من أجل راقصة ، أما إذا استثيرت غيرته الزوجية فقد يمضى ...

وضاقت أنجى هانم ذرعاً بحديث صاحبتها ، فلم تسألها إيضاحاً

وتشاغلت عنها بمشاهدة بعض الراقصين ، ثم استأذنت لاستقبال بعض صواحبها ...

وسلم الأستاذ محمد جلال وزوجه على عدد عديد من الأصدقاء والصديقات ، ثم اختارا أن يجلسا إلى زوجين جميلين مثلهما هما الوجيه طه بك العارف وزوجه الحسناء هدى هانم العارف ، وكان الأستاذ جلال يبدى إعجاباً خاصاً نحو السيدة هدى . فلما عزفت الموسيقى دعاها إلى الرقص معه وقبلت بسرور ورقصت زوجه مع طه بك ...

وطرب الجميع طويلاً وشربوا كثيراً ، فدارت رؤوس وثرثرت ألسنة كتومة ، وفاضت الأحاديث ، وامتلأ الجو برنين الضحكات ووميض الابتسامات وإيماءات الغزل ، والتقت أعين وتماست أنامل وارتعشت شفاه ... حتى جاءت تلك الساعة المختارة من الليل فتوسطت المدعوين السيدة أنجى هانم وقالت بصوتها الرخيم :

— اسمحوا لى سيداتى وسادتى أن أقدم إليكم مفاجأة العيد السعيد

وتطلعت الوجوه إليها من كل صوب وتجمع حولها المبعثرون ما بين الشرفة والمقصف ينتظرون فرحين . وبغتة أطفئت الأنوار بغير نذير وساد المكان ظلام دامس دام خمس دقائق ما كان يسمع خلالها سوى همس خافت أو ضحكات مكتومة ، ثم أضيئت الأنوار مرة أخرى فرأى القوم منظراً بديعاً ... مهداً على قوائم أربع طويلة ، مسقفاً بستار من حرير على هيئة هرمية ، وفيه جلست كوكو متكئة على يديها الصغيرتين فى قميص أبيض كأنها وردة بيضاء يانعة ، وكانت ترمق الناظرين بعينين دهشتين صغيرتين ينعكس النور على زرقتهما الصافية ! فصفق الجميع تصفيقاً رقيقاً وهتفوا باسمها ، وقبل الآنسات يدها الصغيرة ، ثم قدمت الهدايا النفيسة حول مهدها الجميل ، وشمل القوم سرور عظيم فاستأنفوا لهوهم بإرادة أشد نزوعاً للصبا والمسرة . على أن فترة الظلام القصيرة لم تمر بسلام كما توهم الجميع . فقبيلها بدقائق كان الأستاذ محمد جلال يجالس هدى هانم فى المقصف وقد دل عبثهما المرح على أنهما ثملان ، فلما أطفئت الأنوار لم يتردد الشاب فدنا برأسه منها حتى كادت تمس شفتاه أذنها وهمس قائلاً : « هدى » وارتجفت المرأة كالمذعورة ولم ترد عليه ، فقال لها همساً وهى تحس بلمس شفتيه لأذنها : « هذه فرصة طيبة . قومى واتبعينى »

وكان بودها لو تتباله كما يقضى الدلال ولكنها خشيت أن يضاء النور بسرعة ، فقالت همساً :

— إلى أين ؟

— إلى حجرة التدخين فى الطابق العلوى !

— قد يفتقدوننا

— وماذا يهم ! ... سيظنون أننا فى الشرفة أو فى الحديقة أو فى المقصف أوهنا أوهناك ، وسنعود من طريقين متباعدين ...

وأمسك بكفها وقام واقفاً فقامت بدورها ، واتجه نحو السلم وهى تتبعه ، وارتقياه بسرعة ، فوجدا نفسيهما فى ردهة مضاءة بنور بنفسجى هادئ ، تطل عليها أبواب متباعدة ، فسارا إلى هدفهما ودخلا معاً ثم ردا الباب فى سكون ، وكان الجو مظلماً شديد الظلمة ، ولكنه كان يعرف المكان فانعطفا إلى اليمين وتقدما خطوات ، حتى عثرت يده بكنبة كبيرة وثيرة ، فجلس وجلست ، وتنهد من أعماق صدره ، وقبض على كفها فوجدها ترتعش كالمقرورة ، فسرت رعشتها إلى قلبه ووجد به غمزاً لم يبرأ منه حتى ضمها إلى صدره بعنف وانهال على وجهها يقبله بشغف وجنون ، كم لبثا منفردين ؟ إنه لا يدرى ولكن المحقق أن تلك الخلوة السعيدة لم تخل مما ينغصها ، فقد خيل إليهما أن أقداماً خفيفة كالمحاذرة تدنو من باب الحجرة ، فتباعدا قلقين وأرهفا السمع واتجهت أعينهما فى الظلام ناحية الباب ، وخالا أكثر من هذا أن يداً تعالج الباب بلطف ... ترى أحق هو أم وهم ؟! ولكن الباب تحرك ونفذ إلى الحجرة شعاع هادئ كروح محتضرة ، فاشتد بهما الرعب وودا لو تبتلعهما الأرض ، وما لبث أن تسلل شبح فى حذر وتبعه آخر ، ثم رد الباب إلى ما كان عليه فساد الظلام مرة أخرى ، وكان الداخلان شديدى الحذر فلم يبديا حركة ، ولم يصدرا أصواتاً ، وكأنهما ذابا معاً فى الظلمة

الجائمة ... فسكن ذعر الآخرين وأحسا بشيء من الارتياح بل والطمأنينة ، وخطرت لهما فكرة مما هي أن الضيفين الجديدين مثلهما وأن لا خطر عليهما منهما ، وتأكد هذا الظن حين شعرا بهزة تصيب الكنبة فعلما أن صاحبيهما اختارا كنبتهما مقعداً لهما أيضاً ، وتريثا في قلق صار بعد حين ضيقاً وكدراً لأنهما لم يستطيعا أن يأتيا حركة خشية أن يتنبه الآخران فيفزعا ، وربما حدث ما لا تحمد عقباه !

أما الجديدان فكانا يظنان نفسيهما في أمان وخلوة فلم يحاذرا إلا بمقدار، واستطاع العاشقان أن يسمعا همساً وهمهمة وأن يسمعا الرجل يهانغ صاحبته وهي تهاننه ولم يكتفيا بذلك ، بل قال الرجل بصوت استطاع الآخران أن يميزاه : « حبيبتي ... صفية ... »

وارتجف محمد بك جلال كأنما قطعة من الثلج ألقيت على ظهره ؛ وأحس بارتجاف يد صاحبته في يده ... كان الصوت صوت طه بك العارف ... ومن هدى ؟ أليست زوجه هو ؟! ...

أي كارثة تجمعت في هذه الحجرة المظلمة ! ودق قلبه بعنف وغلى دمه غلياناً كاد يفجر الشرايين في دماغه ، ولكنه لبث ساكناً صامتاً وزوجه على قيد ذراع منه في أحضان خليلها ! ولم يكن يأسف على عجزه عن تحطيم رأس الرجل — فمثل هذا العمل يثير فضيحة حرية بالقضاء على مستقبله السياسي ومعركة الانتخابات على الأبواب — ولكنه كان منيظاً محنقاً لأن غريمه لا يدرك في تلك اللحظة أن زوجه بين يديه هو أيضاً ...

وانتظر دقائق كالأجيال ، وشعر أخيراً بحركة استدل بها على قيام الرجل وسمعه يقبل زوجه بحرية ويقول لها : « لو تعدل الدنيا ... فزوجك الذي ليس أهلاً لك وزوجتي ليست أهلاً لي . ولكن ما العمل ؟! » ... ثم تسللا خارجين كما أتيا ...

وكان الغضب قد أفسد على جلال بك مزاجه فقام هائجاً ، وبحث عن سترته حتى عثر عليها وأخذ بيد صاحبته وخرجا في حذر ثم افترقا في الردهة ...

ولبث ضيق الصدر شديد الكدر ساعة طويلة يلعن طه بك ويلعن زوجه المستهترة ، ولم تكن هذه أولى خياناتها ، ولكنها وقعت على كثب منه بحال بشعة لا يمكن أن تمحى من الذاكرة. فسحقاً لها ! ... وقام يتمشى في الحديقة فاراً بوجهه المتقع من الأعين جميعاً ، ولفحه هواء الليل البارد فرطب جبينه الساخن ، وأنعش فؤاده المضطرم . وصح عزمه في تلك اللحظة على أن يسلم قياده لمغامرات الغرام الجنونية غير مبق على شيء ولو أدى الجنون إلى الظهور مع هدى في المجتمعات العامة وميادين السباق . وعلقته هذه الخواطر فأحس بارتياح ومضى يفيق من همومه ويتنبه إلى نفسه . فاستطاع عند ذلك أن يشعر بتغير غريب ، فعجب لشأنه وتنامى انشغاله ، وبحث عن أسباب هذا التغير فوجد يديه بجسان السترة وكأنها أوسع مما كانت . . . ماذا حدث لها ؟ يا للعجب . . . إنها أوسع مما يتصور . وخطر له خاطر غريب اضطرب له فؤاده ، ولكي يتحقق من وساوسه وضع يده في جيب السترة وأخرج حافظة ، لم تكن حافظته ، ووجد بها بطاقة مكتوباً عليها « طه بك العارف »

ووضح الأمر ، وعاوده القلق والحنق ، ولم يكن ثمة خوف من الفضيحة ، فسترات بدل السهرة متشابهة ، ولكنه كان يشعر بحيرة شديدة ويسائل نفسه : « كيف يمكن أن تتبادل السترتان ؟! »

نجيب محفوظ

مجموعات الرسالة

تباع مجموعات الرسالة مجلدة بالأثمان الآتية :
السنة الأولى في مجلد واحد ٥٠ قرشا ، و ٧٠ قرشا عن كل سنة من السنوات : الثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة في مجلدين . وذلك عدا أجرة البريد وقدرها خمسة قروش في الداخل وعشرة قروش في السودان وعشرون قرشا في الخارج عن كل مجلد .

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

8me Année No. 388

Lundi - 9 - 12 - 1940

بدل الاشتراك عن سنة
ـــ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العــــدد ٣٨٨ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٠ ذو القعدة سنة ١٣٥٩ — الموافق ٩ ديسمبر سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهـــــــرس

الأخلاق وهذه الحرب

جلست ساعة إلى المذياع أقلب مفاتحه على أفواه المذيعين المختلفين فى أقطار أوربا المجنونة، فخيل إلى أنى انتقلت إلى عالم آخر من خلق الشيطان تقطعت بينه وبين خلق الله وشائج الآدمية؛ فلا الأيدى تستند فى أفعالها إلى العــدل، ولا الألسن تعتمد فى أقوالها على الحق، ولا النيات تتجه فى غاياتها إلى الخير؛ وإنما هو زِياط وعِياط(١) من الأضاليل السود والأراجيف الحمق والأفاعيل النُّكْر يحملها الأثير إلى النفوس الآمنة الرخوة فترتاع، وإلى القلوب المؤمنة الساذجة فتشك، وإلى العقول الراجحة الوزينة فتدهش

رباه ماذا جرى لأوربا العالمة العاملة المتمدنة حتى انقلب كل كلامها كذباً لا يستحى، وكل سياستها خداعاً لا يستتر، وكل قتالها تدميراً غاشماً أهوج لا يفرق بين المحارب والمسالم، ولا بين الشاكى والأعزل، ولا بين الرجل والطفل، ولا بين الحصن والكنيسة؟!

كانت الحرب فى العصور الخوالى نظاماً من البطولة الإنسانية له سننه وآدابه وعرفه: لا يقاتل القوى من ضعف أو قل، ولا ينازل الكمىُّ من هان أو ذل، ولا يطعن الفارس خصمه

(١) الزياط: اختلاف الأصوات. والعياط: الجلبة والصياح.

طعنة الغدر ، ولا يعطى التعهد من ذمته عهداً إلا جعل من ورائه دمه وماله . ثم دخلت الحروب فى سلطان الدين فنظمها بقيوده وحدوده تنظيمه للشر الذى لا بد منه ، حتى غدت سلاحاً من أسلحة الحق يظهر بها على الباطل . ثم انشعب من نظامها المهذب أنظمة أخرى كالفروسية والفتوة والمرابَطة والكشف وما يدخل فى بابها مما يقوم على المروءة والشهامة والشجاعة والإيثار والوفاء والعفة . وجرت المدنية الحديثة فى تنظيم الحرب على سَنن الدين والخلق ، فكفكفت طغيانها بالقوانين ، وفللت عدوانها بالعهود ، ووقفتها لدى الحدود التى رسمتها الطبيعة للدفاع المشروع والجهاد المقدس

وفى الوقت الذى طمحت فيه الإنسانية الأوربية إلى قطع أسباب الحرب بالمجالس التحكيمية والمحاكم الدولية والعصبة الأممية ، انبعث من ركنين متجاورين من أركان التمدن الحديث مسيخان دجالان فاستوحيا الشيطان دينين جديدين يجعلان الآخرة للدنيا ، والأمة للفرد ، والعقل للهوى ، والعلم للشر ، والحضارة للدمار، والحياة للموت . ثم خرجت هاتان النِّحلتان من الكهوف والمواخير وانتشرتا فى أجواء برلين وروما انتشار الظلام المضِل والغاز الخانق ؛ فعميت عيون كانت ترى ، وغبيت قلوب كانت تفقه ، ورمت النازية والفاشية جوانب الأرض وخوافق السماء بالموت الوحىّ فى شتى أشكاله وأهواله ، حتى أصبح أكثر أوربا الجيلة خليطاً من الأنقاض والأشلاء ، ومزيجاً من الدموع والدماء . وأشد ما أصاب العالم من هــذه الحرب المشئوم ضياع ما ورثته المدنية من حُر الخلال وكريم الأخلاق ، فإنها القبس الإلهى فى الإنسان تصدر عنه الألفة والثقة والاطمئنان فيكون لكل كلام معناه ولكل عَقد أثره . ومن المستطاع تجديد ما دُكَّ من البيوت وأغرق من السفن ، وتعويض ما أزهق من الأنفس وأنفق من الأموال ؛ ولكن تجديد ما انهار من البناء الأخلاق وهو عمل الأديان المختلفة والحضارات المتعاقبة على كر الدهور أمر لا تتعلق به طاقة المخلوق

افتح المذياع على أبواق الدعايات الأوربية واصبِر نفسَك على مكاره الفجور قليلاً تسمع الأعاجيب من فحش الكذب وسوء البغى : هذا يتبجح بما أحرق وأغرق ، وذاك يتمدح بما راع وأجاع ، وذلك يفيش بما أسر وقتل ؛ وكل أمة إنما تبدأ الكلام وتختمه بلعن أختها ورميها بما تبرأ هى منه من التزيد والافتراء والخور والدس واستغلال الضعف فى الشعوب الصغيرة . وكل شىء تسمعه من المذياع إلا الصدق والحق والرحمة . ومن كلال الحس وبلادة الضمير أن يصك الذيع مسمعيك بأخبار الدمار والبوار فى كل أمة وفى كل مدينة وفى كل أسرة وفى كل نفس ، ثم يرسل إليك فى خلال ذلك أفاكيه الغناء وأفانين الموسيقى ، كأنما فناء الشباب وثكل الوالدين وحرمان اليتامى وشقاء الأيامى وخراب الأرض أصبحت من توافه الأمور التى لا تنبه الوجدان ولا تمس القلب !

من كان يصدق قبل انهيار الأخلاق فى الأمم الدكتاتورية أن روسيا تحارب بولونيا وفنلندة ، وألمانيا تهاجم بلجيكا وهولندة ، وإيطاليا تغزو ألبانيا واليونان ؛ وكل أمة من هذه الأمم الباغية الثلاث تستطيع أن تحشد من الجنود ما يزيد على عدد السكان فى كل فريستين من فرائسها الست !

* * *

إن الدكتاتورية تدير هذه الحرب على غير قانون ولا خلق . ومن الصعب على العقل السليم أن يفرض القانون والخلق فيما يعقب هذه الحرب من سلم ويقوم عليها من نظام . وإذا كانت الأخطاء لا يتألف من مجموعها صواب ، والآثام لا تنشأ من جلتها براءة ، والأباطيل لا ينتج من تعددها حق ، فإن نَزوَ النازية وفِياش(1) الفاشية لا يمكن أن يؤديا إلى عدل شامل وسلام دائم. ولا نزال فى الديمقراطية المجاهدة رجاء الحــق المضاع والخلق الصريع ، لأن السلطان القائم على دستور الحق ، يساعدك على الانتصاف لنفسك منه بمنطق الحق . والنصر مكفول للديمقراطية لا ريب فيه ؛ فإن الديمقراطية هى الصحة التي انتهى إليها جسم الإنسانية العليل ؛ أما الطغيان والبربرية فهما نكسة المرض ؛ والنكسة خلل عارض لا يلبث بحسن علاج الطبيب وصدق إيمان المريض أن يزول !

احمد حسن الزيات

(1) النزو : الوثوب . والفياش : كثرة الوعيد فى القتال من غير فعل.

أخــلاق القرآن
الصبـــر

للدكتور عبد الوهاب عزام

الصبر خلق يعصم النفس من اليأس إذا طال بها الطريق إلى غاياتها ، ويعتمها من الارتداد إذا سدّت العقبات سبيلها ، ويكبر بها عن الجزع إذا نزلت بها من أحداث الزمان نازلة .

فى الحياة أعمال شاقة لا يستطيع الاضطلاع بها إلا الصابرون ، وفيها غايات بعيدة لا يبلغها إلا من صبر على مشقة الطريق وبعد المدى

والأخلاق الفاضلة تنأى بصاحبها عن شهواته ، وتعلو به عن سفاسفه ، وتكبر به على الهوان ، وتسوم النفس ضروباً من الصدود عن الهوى ، والعفاف عن الشهوة ، ولا يتخلق بهذه الأخلاق إلا أهل الصبر . وفى الحياة عقائد حق ومذاهب خيّرة ينفر منها الناس أولَ عهدهم بها ، وينال الدعاةَ إليها السخرية والأذى والألم فى النفس والنقص فى المال . فلولا الصابرون ما دعا إلى هذه العقائد داع ، ولا ذهب هذه المذاهب أحد

الصبر توطين النفس على المشاق والمكاره ، والإباء على الخطوب ، والاستكبارُ عن الخنوع للمصائب ، والثباتُ فى الموقف الضنك ، والمقام الهائل ، أو المسير إلى الغاية المخوفة حتى يستوفى العملُ أطواره ، ويبلغ نهايته ، ويُنجح الطلب ، ويحمد الدأب

والصابرون رواسى الأمم كلما زلزلتها الخطوب ، وسكينتها إذا طارت من الذعر القلوب . إذا طاشت الأحلام فى مآزق الحرب صبروا حتى يتبلج النصر ، وإذا خارت العزائم فى معارك الحياة دأبوا حتى يشرق الحق . والصابرون قادة الأمم إلى الحق والخير والظفر يسلكون إليها الأهوال حين ينكص غيرهم فزعاً ، ويستقيمون على الطريق حين يحيد غيرهم يأساً ، ويواصلون السير حين يقف مَن سواهم عجزاً ، ويحتملون المكاره حين تنوء بكل عاجز ، ويبسمون للمصائب حين تزلزل كل رعديد . هم الذين يصلون مبادئ الأعمال بغاياتها ، ومقدماتها بنتائجها وإن شق العمل وطال الطريق . هم الذين ينصرون كل دعوة إلى الحق ، وكل مذهب فى الخير وإن عظم ما يلقاهم من المحن ، وما يعترضهم من المكاره

ومن الكلام المأثور : الصبر على الطلاب عنوان الظفر . والصبر فى المحن عنوان الفرج

والصبر هو تجلى النفس الإنسانية فى أكمل صفاتها وأشرف درجاتها ، تجلى النفس الإنسانية فى عظمتها تمتز بقواها ، وتستكبر على الأحداث ، ولا تبالى الغضب والعنت ، ولا تخشى الهلاك حتى تبلغ دعوتها واضحة وتؤدى واجبها كاملاً

ولست أعرف فضيلة أكد القرآن الدعوة إليها توكيده الدعوة إلى الصبر ، إذ كان عماد كل نجاح ، وقوام كل جهاد ، ونظام كل عمل صالح ، وقرين كل خلق فاضل

الصبر فى القرآن قرين الحق لأن الحق لا ينصر إلا بالصبر . قال : « والعصر إن الإنسان لفى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر »

والصبر قرين العمل الصالح إلا صبر النفس عما زيّن لها من الشهوات ، وإقامتها على منهاج الفضيلة الذى يحرمها كثيراً مما تودّ . يقول القرآن : « إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير »

وقد جعل القرآن الكريم الصبر وسيلة إلى الإمامة والهداية فمن لم يصبر لم يقوم نفسه ، ولم يستطع الدعوة إلى الحق والمسير إليه والجهاد فى سبيله ، قال : « وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون »

وقد أعلى درجة الصابرين وأبان فضل الصبر أعظم إبانة إذ قال : « واصبروا إن الله مع الصابرين » وحسبك بمن كان الله تعالى معه يسدد قوله وعمله وينصره ، قد ذللت له كل الصعاب وضمن له كل ظفر . إن الله مع الصابرين لأنهم بصبرهم يستجيبون لدعوة الله ويسيرون فى سبيله على قوانينه حتى يبلغوا ما وعدهم به ، ومن سار فى سبيل الله إلى دعوة الله فأحرِ به أن يوقن بالنجاح وأحر به أن ينال النجاح غير منقوص

وجعل القرآن الصبر وسيلة إلى إدراك آيات الله فى خلقه . وهل كشف الباحثون عن الحقائق إلا بالصبر على الطلب والدأب فى البحث ؟ قال القرآن فى أكثر من آية : « إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور »

وبين القرآن أن الصبر عُدّة المؤمنين في جهادهم في هذه الحياة إذ قال: « يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين » أمرهم أن يفزعوا إلى الله فيما ينوبهم من النوائب، فيتوجهوا إليه بالصلاة ويصبروا به على المكروه. ونِعمَ هذان عوناً على كل خير

كما جعل الصبر في آخر درجات الفضائل حين عددها في آية البر فقال: ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب، لكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس. أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون »

وبين القرآن أن الله سبحانه يحب الصابرين الذين يثبتون على الشدائد، ولا يهنون لما يحزُبهم من النوائب: « وكأيّن من نبيّ قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين » وحسبك بمحبة الله نجحاً وفلاحاً وسعادة

والصبر قوة أعظم من قوة العدد، تغلب به الفئة القليلة الفئة الكثيرة. قال في قصة طالوت وجالوت: « فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة اليوم بجالوت وجنوده. قال الذين يظنون أنهم ملاقو الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله، والله مع الصابرين. ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين. فهزموهم بإذن الله ». وكذلك أمر القرآن المسلمين أن يلاقوا عدوهم الأكثر عدداً وهم صابرون، وبشرهم بأن الجماعة منهم تغلب عشر أمثالها بالصبر، وجعل الصبر أكثر من تسعة أمثال العدو غَناء في الحرب. قال في سورة الأنفال:

« يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال. إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين، وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون. »

ولما أراد أن يخفف عن المسلمين هذا التكليف أمرهم بأن تلقى الجماعة منهم مثليها فقال: « الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً، فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين، وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين » فأقل مراتب الصابرين أن يغلبوا ضعفهم. والحق أن العدد لا يثبت للصبر، وأن كثرة العدد فاشلة إذا خذلها الصبر، وأن قلته ظافرة إذا أيدها الصبر. وربما تغلب الفئة الصابرة مثليها، وربما تغلب عشر أمثال أو مائة مثل. وحوادث التاريخ على ذلك شاهدة

وأما في غير الحرب فالواحد الصابر يدعو إلى طريقته، ويصبر على دعوته، ويحتمل في سبيلها ما يلقى من عنت وأذى وسخرية حتى يغلب بصبره الأمة الكبيرة ويقودها إلى الخطة التي يدعو إليها

وأما جزاء الصابرين فالظفر في الدنيا والطمأنينة التي تلقى الشدائد ثابتة راضية، ورضا الله تعالى وحسن الثواب في الآخرة. يقول القرآن الكريم: « وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنّا لله وإنّا إليه راجعون. أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ». وقال: « أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ». وقال: « ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » وقال في جزاء الآخرة:

« والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية، ويدرءون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم. فنعم عقبى الدار »

والصوفية من المسلمين تعاليم في الصبر وتربية عليه جديران بأهل القرآن الذين استمعوا له واهتدوا بهديه، وقد كانت أقوالهم وأفعالهم أمثلة في الصبر

يقول الجنيد: الصبر تجرع المرارة من غير تعبيس. وقال ذو النون المصري: الصبر التباعد عن المخالفات، والسكون عند تجرع غصص البلية، وإظهار الغنى مع حلول الفقر بساحات المعيشة. وقال ابن عطاء الله السكندري: الصبر الوقوف مع البلاء بحسن الأدب. وقال أبو عثمان: الصبار الذي عود نفسه الهجوم على المكاره. وقال عمرو بن عثمان: الصبر هو الثبات مع الله تعالى وتلقي بلائه بالرحب والدعة. وقال أبو محمد الجريري: الصبر ألا يفرق بين حال النعمة والمحنة مع سكون الخاطر فيهما، والتصبر هو السكون مع البلاء مع وجدان أثقال المحنة. وقالوا:

مسابقة الجامعة المصرية لطلبة السنة التوجيهية

المنتخبات للطفى السيد

للدكتور زكى مبارك

— ٥ —

المنتخبات — شخصية لطفى السيد — أسرار المنتخبات — أسلوب لطفى السيد — القول الفصل — وطنية لطفى السيد

حديث اليوم عن الجزء الأول من « المنتخبات » وهو مختار ما نشر فى « الجريدة » من ٢٥ إبريل سنة ١٩٠٨ إلى ٥ سبتمبر سنة ١٩١٢ ، بقلم الأستاذ الجليل أحمد لطفى السيد باشا مدير الجامعة المصرية

وجامع هذه « المنتخبات » هو الأستاذ إسماعيل مظهر المحرر بالمجمع اللغوى ، وهو باحث معروف بالتعمق والاستقصاء ، وقد بذل جهوداً محمودة فى الصحافة والترجمة والتأليف ، فمن العقوق أن تمر هذه المناسبة بدون أن نخصه بكلمة ثناء ، وإنه لخليق بكل إعزاز وإجلال ، أسبغ الله عليه ثوب العافية ، وكتب له دوام التوفيق فيما يعالج من الدراسات الأدبية والعلمية !

تجرع الصبر فإن قتلك قتلك شهيداً ، وإن أحياك أحياك عزيزاً .

وقد كانت سيرة الرسول صلوات الله عليه وسير أصحابه والمسلمين من بعدهم امتثالاً لأمر القرآن ، وتصديقاً لبشارته ، وإكباراً لتربيته ، فغلبوا العدد الكثير والخطوب المتزاحمة بإيمانهم وصبرهم ، ولم يعسر عليهم مطلب ، ولا أملهم دأب ، ولا فاتت عزائمهم غاية ، ونالوا جزاء الصابرين فى الدنيا طمأنينة وظفراً وغلبة ؛ والله ولى جزائهم فى الآخرة

وما كان صبرهم استكانة للمصائب ولكن استخفافاً بها ، ولا ذلاً للخطوب ولكن كبراً عليها ، ولا خنوعاً للقوة ولكن ثباتاً لها ، وتصميماً على صدمها ، والظافر عليها . يقول القرآن الكريم : « يأيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون . وأطيعوا الله ورسوله ، ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، واصبروا إن الله مع الصابرين » . صدق الله العظيم

عبد الوهاب عزام

ثم أقول إن الأستاذ إسماعيل مظهر أشار بكلمات قصار إلى أنه آثر أن يخرج هذه « المنتخبات » بدون مقدمة « ذلك بأن المؤلف يجل عن أن يقدم له كاتب من أبناء هذا الأهل » ولم أفهم المراد من « هذا الأهل » ولعله يريد « هذا الجيل » ، وللعبارة وجه ، ولكنه لا يخرجه عن الإغراب فى غير موجب للإغراب

ويظهر أن هذا الصديق يفهم أن مقدمات المطبوعات لا يراد بها إلا التنويه بأقدار المؤلفين ؛ ومن هنا صح عنده أن لطفى السيد غنىٌ عن التعريف ، فهو أجلّ من أن يقدم له كاتب من أبناء هذا الجيل

ولو تأمل لعرف أن المقدمات يراد بها أيضاً شرح أغراض المؤلفين ، والنص على مذاهبهم فى فهم الحياة وسياسية المجتمع ، وبذلك يكون من الواجب أن يقدَّم لمنتخبات لطفى السيد ، لأنها تحتاج إلى من يدل على ما فيها من مذاهب وآراء

يضاف إلى ذلك أن هذا الصديق نصّ على أنه عُنِيَ « بأن يخرج الكتاب مبرءاً من الأوهام » فما تلك « الأوهام » التى يشير إليها بهذا التعبير المريب ؟ أيكون تدخَّل فى عبارات المؤلف بالحذف والإيصال ؟ أيكون طوى بعض الأغراض لأسباب متصلة بتطور أفكار المؤلف ، وتبدل ما كان يحرص عليه من أقوال ؟

إن كان شىء من ذلك فقد كان من الواجب أن يشير إلى ضروب تلك « الأوهام » لأن لطفى السيد له فى الحياة الفكرية تاريخ ، ومن كان فى مثل مركزه الأدبى فهو جديرٌ أن تؤرَّخ تطورات فكره بلا تحسين ولا تجميل

شخصية لطفى السيد

لا أنكر أنى لقيت عنتاً فى قراءة هذه المنتخبات ، لأن المؤلف لا يصل إلى شرح أغراضه إلا بعسر وعُنف ، وإن قيل ما قيل فى قدرته على البيان

ولكن القيمة الصحيحة لأستاذنا لطفى السيد باشا ترجع إلى أنه كان فى جميع أدوار حياته « شخصية » ، ولو أردت الدقة فى وصفه لقلت إنه كان Phénomène فهذه الكلمة الفرنسية تمثله أصدق تمثيل ... ألم يقولوا إنه أول كاتب عربى تحدث عن الديموقراطية والديماجوجية ؟

كان هذا الرجل ولا يزال قوىّ الحواس إلى أبعد الحدود ،

وله فى كل مسألة «ملحظٌ خاص» ، وهو يجمع بين البداوة والحضارة فيما يتناول من شؤون الفكر والمعاش . وقد استطاع بقوة الذاتية أن يكون رجلاً مرموق المكانة فى آماد طوال ، وربما صح القول بأنه أظهر البقية الباقية من الجيل الذى ظهر فيـه ، ولا يمكن ذلك لرجل غير مزوَّد بالزاد الأصيل من عافية البدن والروح

وكتابات هذا الرجل لا تصور ما يملك من المواهب ، لأن قلمه أضعف من روحه ، ولأنه فى سريرة نفسه يتهيب المجتمع ، وإن اشتهر بالثورة على المجتمع ؛ وإنما تظهر قيمة لطفى السيد حين يتحدث إلى أصفيائه بلا تكلف ولا افتعال ، فمنذئذ يظهر جيداً أنه خليق بما تسامى إليه من التفرد بين رجال العصر بشرح آراء أرسطاطاليس

لطفى السيد كاتباً رجلٌ هيوب ، ولكن لطفى السيد محدثاً رجلٌ شجاع ، ومن هنا كان تأثيره بالكتابة أضعف من تأثيره بالحديث ...

والحذَر المأثور عن لطفى السيد هو الذى قضى بأن تمرّ ثورته الفكرية بلا صخب ولا ضجيج ، كما مرّت ثورة محمد عبده وثورة قاسم أمين

فكيف أصيب لطفى السيد بمرض الحذَر ، وهو مرض يشلّ عزائم الرجال ؟

يرجع السبب فيما أفترض إلى أن الرجل بدأ جهاده الأدبى والسياسى فى عصر كانت تغلب عليه فورة الأقاويل والأراجيف ، فكان مَثَله فيما يكتب مَثَل من يمشى على الشوك . ثم انتقل من التطبع إلى الطبع ، فكان آية من آيات الحذر والاحتراس

وأضرب المَثَل فأقول : أشرف لطفى السيد على الجامعة المصرية فى عهدها القديم وعهدها الجديد عشرين عاماً أو تزيد ؛ فهل ظهر له فى توجيه سياستها العلمية شأنٌ خاص ، مع أنه فى حقيقة الأمر قد أثَّر تأثيراً شديداً فى أكثر ما امتازت به من الشؤون ؟

تاريخ لطفى السيد فى الجامعة المصرية ليس بشىء ، وهو مع ذلك كل شىء ، وتلك هى النقطة ، كما يعبِّر لافونتين !

وقد عرفت بالتجربة أن لطفى السيد من الحكماء ، فقد أراد هذا الرجل فى ظروف كثيرة أن يغيِّر من أسلوبى فى نقد الحياة والمجتمع ، ولكنه لم يفلح ، لأننى أردت غير ما يريد . أنا أردت ما كان يسميه فى شبابه بالحقيقة الدارية ، وهو أراد ما هدته إليه التجاريب من مصانعة الناس والزمان

والمهم هو أن أسجل أنك لا ترى لطفى السيد إلا حكيماً فى كل شىء . هو صورة صحيحة من صور العقل الصحيح ، لأنه أقام حياته على « الاعتدال » فلا يسرف فى الحب ولا فى البغض ، ولا يجهل الوسط بين النشاط والخمود ، ولا يغيب عنه أن اليوم له أغداء(١) ، وأن ما توجبه الساعة الحاضرة قد يمتد وقته إلى عام أو عامين ، فمن السخف أن يقتل الرجل نفسه ليقال إنه أنشطُ الرجال

أسرار « المنتخبات »

نحن أمام كتاب ممتع يقع فى اثنتين وثلاثين وثلثمائة صفحة بالقطع المتوسط . وكلمة « ممتع » لها عندى مدلول خاص ، فليس المراد أن هذا الكتاب يجذب القارئ إلى مسايرة المؤلف من الألف إلى الياء ، هيهات هيهات ! فما استطعت استيعاب موادّ هذا الكتاب إلا بمشقة وعناء

وإنما المراد هو وصف هذا الكتاب بجودة المحصول ، فهو شاهد على ما يملك المؤلف من قوة الفكر والعقل ، وهو شاهد على أن المنطق من أقوى خصائص الرجل الذى شغل نفسه بترجمة أرسطاطاليس ، وهو دليل على حصافة الرجل الذى لم ينس العناية بهندامه فى لحظة من اللحظات ، ولو كان فى قرار الخلوة بعقله الدقيق

لطفى السيد فى كتابه هذا مفكر حصيف ، وإن تبذّل فى عرض بعض التوافه من الشؤون : كالحديث عن زينة النساء ، والحديث عن عيوب « الانتخابات » ، والحديث عن أوهام الفلاحين !

ولكن ما نسميه اليوم « توافه » لم يصر كذلك إلا لكثرة ما خاضت فيه أقلام الكتاب ، وقد كان قبل ثلاثين سنة من الأمور ذوات البال

(١) الأغداء جمع غد

وبهذا نعرف أن ما نراه اليوم من المبتذل كان قبلاً من الطريف

قد يقال : وما الذي أوجب أن تثبت بعض الموضوعات البائدة في « المنتخبات » ؟

ونجيب بأن تلك الموضوعات لا يراد بها تعليم أبناء اليوم ما لم يعرفوه ، وإنما يراد بها تسجيل بعض مشكلات المجتمع في العهد الذي أثيرت فيه ، فهي من أسانيد التاريخ ، وللتاريخ ألوان

ومن هذا الباب ما جاء في كلام المؤلف عن صلة مصر بالدولة العثمانية ، وما قصّ من أخبار السوريين المقيمين بمصر ، وما تحدث عن رحلاته في بعض بلاد الغرب والشرق ؛ فكل أولئك لا يهمّ شبان اليوم إلا من جانب واحد هو التاريخ

لطفي السيد في كثير من آرائه رجل وسط ، ولكنه قد يحلّق من حين إلى حين تحليق الجوارح ، كالذي صنع وهو يتحدث عن أحمد عرابي باشا ، فقد سجل أن عرابي ليس وحده المسئول عن الثورة التي انتهت بالاحتلال . وحجة لطفي السيد في هذا الحكم الطريف أنه لم يثبت أن العرابيين قتلوا رجلاً واحداً لأنه تنبأ بسوء الخاتمة وحذّر من عواقب الثورة . ومعنى ذلك أن الثورة كانت فورة شعبية ، فليس من العدل أن يطوّق بآثامها عرابي حين انتهت بتلك النتيجة السوداء

وفي « المنتخبات » فصل يبدو لأول نظرة من المبتذلات ، لأنه في موضوع مطروق ، وهو الكلام عن الثقة بين الناس . ولكن هذا الفصل هو غرة هذه المنتخبات ، وليته يضاف إلى مطالعات التلاميذ

ومن هذه المنتخبات نعرف أن لطفي السيد زار « المدينة المنورة » وكتب عنها فصولاً تعد من الروائع ، وكلامه في توديع ولديه يشهد بأن هذا الرجل من أرباب القلوب

حدّث ولديه بأنه سيغيب « ثلاثين » يوماً فبكيا ، ثم ترفق فأخبرهما أنه سيغيب شهراً واحداً فاستراحا . وتلك دعابة لا تحتاج إلى من يدل على ما فيها من لطف وظرف

ولم يفت لطفي السيد عند زيارة المدينة أن يصور شعوره الديني تصويراً هو الغاية في الروعة والجلال

وقد استطرد فتحدث عن المرأة العربية وعن لغة العرب « في بلاد العرب » حديثاً يشهد بأنه مفطور على التطلع والاستقراء

وفي المنتخبات فصل عنوانه « أحبوا الجمال تحبوا الحياة » وقد بلغ الغاية في دقة النظر حين قرر أن تقدمنا في الأذواق لا يتناسب مع تقدمنا في العلوم ، وهو يشهد بأن وقار بعض الناس ليس إلا صورة من صور الجمود !

وكلامه عن الصداقة كلام نفيس ، ولعله استوحى هذا المعنى مما كان بين قاسم أمين وسعد زغلول

أما كلامه عن الحب المصوف فهو كلام رجل يخاطب عوامّ الناس في صحيفة سيارة ، وإن كان صدق حين قرر أن ذلك الحب يفسد الشعوب إذا تخلّق به جميع الرجال

وحديثه عن قاسم أمين يدل على إعزازه لحرية العقل والرأي ، وفيه عبارة تشهد بأن الخطوب هي التي تورث مواهب العبقريين

وأسفُه على حرمان أهل القاهرة من دخول حديقة الأزبكية بالمجان له مدلول

وأحاديثه الصوارخ عن الآباء والأمهات والأبناء والبنات تشهد بأن الفكرة الإصلاحية سيطرت على عقله منذ أعوام طوال

أسلوب لطفي السيد

جاء في المنشور الذي أذاعته مراقبة الامتحانات بوزارة المعارف على نظار المدارس الثانوية أن الطلبة الذين تقدموا للمسابقة الجامعة المصرية سيسألون عن أوصاف الأساليب من قوة وضعف ، فما أسلوب لطفي السيد في الجزء الأول من المنتخبات ؟

هو أسلوب لطفي السيد قبل ثلاثين سنة ، وكان في مطلع حياته الأدبية ، ولم يكن تمرّس على « بناء الجمل » بناء يعزّ على عوادي التصدع والانحلال

أسلوب لطفي السيد بطيء الحركة إلى حد الجمود ، وهو خال من البشاشة البيانية ، وليس في كتابه صفحة واحدة تشهد بأن بيانه من وحي الطبع أو فيض الوجدان

لطفي السيد كاتب متعمل متكلف ، وهو يجرجر كلامه بتثاقل وإبطاء ، ولولا البوارق الفكرية التي تلمع في كلامه من وقت إلى وقت لعد من المتخلفين

ومن المؤكد أن أسلوب لطفي السيد قد تمرّن بعد ذلك كثيراً أو قليلاً ، وشاعت فيه الحركة والحياة ، ولكن من المؤكد أيضاً

أن لطفى السيد قد طبع أسلوبه بطابع نفسه من التهيب والاحتراس ، والتخوّف ُ لا يكاد يُبين

أقول هذا وأنا مُشفِق ، فليس من الذوق أن أستبيح الحكم على أسلوب لطفى السيد بكل ما أطمح إليه من الحرية والصدق ، ولكن لطفى السيد أكبر من أن ينتظر كلمات المداهنة والرياء ، ومقامه فى التاريخ الأدبى الحديث فى غنًى عن التلطف المأثور عن بعض تلاميذه الأوفياء

وضعفُ الحركة والحياة فى أسلوب لطفى السيد لا يمنع من الاعتراف بأنه من المشاهير بين أصحاب الأساليب ، فقد يكون مقامه بين كتاب القرن الرابع عشر مقام ابن خلدون بين كتاب القرن التاسع ، ومعنى ذلك أنه تحرر من الزخرف كما تحرر ابن خلدون ، فكان أسلوبه ملحوظ الخصائص بين أساليب معاصريه من أمثال حفنى ناصف وعبد العزيز جاويش

ولطفى السيد له ألفاظ فى المنتخبات تحتاج إلى تعريف :

من ذلك كلمة « الدولة » وهى كلمة لا تُذكر بدون تخصيص إلا حين يريد الدولة العثمانية ، فعلى الطلبة أن يراعوا ذلك

و « التعليم الأدنى » فى كلام لطفى السيد هو التعليم الأولى والجامعة المصرية فى كلامه لا يراد بها الجامعة التى نُقِيات ْ ربوعها الأواهل إلى الجيزة الوحاء ، وإنما هى « الرابطة المصرية » أو « الآصرة المصرية »

والمجتمع فى كلامه هو الجمعية ، وعنه نقَـل حافظ عفيفى باشا وهو يكثر من ألفاظ المناطقة من أمثال « المقول » و « المحكومية » و « الماصدقات »

وقد يتسامح فى بعض الألفاظ الأوربية ، فيساير فى نطقها عوامّ الناطقين ؛ كأن يقول « اللورد كروم » والصواب « لورد كروم » لأن « كروم » مضاف إلى « لورد » وليس عطف بيان . وتلك غلطة وقع فيها الأستاذ أحمد أمين وهو يقدم ديوان حافظ ابراهيم

والنعت السببى حيران عند إضافته إلى الموصوف ، فقد يُعرَّى من اللام كما وقع فى أمثال عبارة « الرجل الفلاح طويل القامة ، كبير الرأس ، كثيف اللحية » وقد يحلَّى باللام فى مثل عبارة « الحديث القليل القيمة »

وقد يغيب وجه الإعراب عن أستاذنا لطفى السيد فى بعض الأحايين ، كأن ينصب « الصفات » بالفتحة كما ينصب « الذات » وهى غلطة غير مطبعية ، وقد يُشكل عليه الرسم الإملائى أحياناً فيرسم ألفاً بعد الواو من « يدعو الرجال » وهو ينسى أن الألف الفارقة لا ترسم إلا بعد واو الجماعة ، وتلك دقيقة إملائية تخفى على بعض الناس ؛ ولعلها لم تخف إلا على مصحح الـكتاب

ويقول « ألْفَتَ » والصواب « لَفَتَ »

ويتعرض للغة أحياناً فيخطئ ، كأن يمر بكلمة « التقمر » فيرى استعمالها فى القمر غير صحيح ، وحجته أن الـكميت يقول :

البالغون قُمُور الأمر ترويةً والباسطون أكفًّا غير أصفار

والمتأمل يدرك أن التقمُّر « تفعُّل » وهو من صور التكلف كالتشدّق والتصنّع

القول الفصل

والقول الفصل أن أسلوب لطفى السيد فى المنتخبات هو أسلوبه قبل ثلاثين سنة ، يوم كان قليل الاحتفال بالأداء ، ويوم كان قليل المحصول من ثروة اللغة العربية ، كما صرح هو نفسه بذلك فى الصفحة ١٦٢

ويجب وفاء للحق والتاريخ أن نسجل أن لطفى السيد اهتم بعد ذلك بالتزود من اللغة العربية ، حتى جاز له أن يشارك فى بعض المحاورات النحوية والبلاغية ، وحتى صار بالفعل من أعرف الناس بخصائص الأساليب

ذكره الله بكل صالحة ، فله علينا فضـل ٌ لن ننساه ، ولو طال الزمان

أما بعد فهذا لطفى السيد باشا فى أبرز نواحيه ، كاتباً ومفكراً ومديراً للجامعة المصرية ، ولـكن بقيت كلمة يفرضها الواجب رعاية لحق التاريخ

كنا نسمع فى عهد الحداثة أن « حزب الأمة » الذى تعبّر عنه « الجريدة » يسالم الاحتلال

فهل فى « المنتخبات » ما يؤيد ذلك ، وكان لطفى السيد رئيس التحرير لتلك « الجريدة » ؟

كان « حزب الأمة » يمثل فكرة الاعتدال ، ولكن مقالات لطفى السيد لا تشهد بأنه كان يسالم الاحتلال

وكيف تجوز مسالمة الاحتلال على من يقول : « الديار محتلة بأجنبى لاهو صريح نقدّر لشقائنا معه حداً، ولا نحن معه من الرجاء أو من اليأس فى إحدى الراحتين » ؟

كيف تجوز مسالمة الاحتلال على من يرثى مصطفى كامل أصدق الرثاء ، ثم يعلن رأى قاسم أمين فى أن وجيعة الشعب لوفاة مصطفى كامل فرصة لإذكاء الروح الوطنى ؟

كان لطفى السيد من أنصار الاعتدال ، ولكنه لم يكن أبداً من المفرّطين فى حق القومية ، ومقالاته هى الوثائق الباقية لجهاده فى سبيل الحرية والاستقلال .

والناس يشهدون اليوم تمثال مصطفى كامل فى أحد الميادين الجميلة بالقاهرة ، فمن يبلغهم أن لطفى السيد كان من أوائل الداعين لإقامة ذلك التمثال مع أنه كان من خصوم الرئيس الأول للحزب الوطنى ؟

لا يؤخذ على لطفى السيد إلا عيب واحدٌ : هو أنه لم يستهدف لأى خطر فى سبيل حرية الفكر والعقل والوجدان، وبذلك خلتْ آثاره من اللهب الذى احترق به المبدعون من أقطاب الفكر والبيان ، والسلامة ليست مَغنماً نفيساً فى أنظار أكابر الحكماء

لا يزال لطفى السيد قوة عاتية ، فهل يجرِّب الثورة على نفسه مرة واحدة فيخرج من بعض ماله لينشر مجموعة كاملة المختار من آثاره فى الأعوام الخوالى ؟

إن أخذ بهذا الرأى فسيحدّد مكانه الصحيح فى التاريخ الأدبى الحديث

وإلا فسيصير إلى ما صرت إليه يوم عققت نصائحه الغالية فى مصانعة الناس والزمان

وإلى أستاذى وصاحب الفضل علىّ ، إلى أحمد لطفى السيد باشا مترجم أرسطاليس ومدير الجامعة المصرية ، أقدم واجب الثناء ، راجياً أن يتناسى ما مرّ بهذا المقال من عبارات لم تكن على خشونتها إلا شاهداً على اتصالى الروحى بعقله الحصيف .

زكى مبارك

تعـــاليم الرجولة

للأستاذ محمد كامل سليم بك

سكرتير مجلس الوزراء

١ — لا تلمْ غيرك على إهمالك، واحتمل بشجاعة نتائج أعمالك

٢ — الاعتذار ضعف ، فلا تعتذرْ لكائنٍ من كان ، ولا سبيلَ إلى تلافى الاعتذار إلا إذا آليتَ ألا ترتكب ما يستدعى الاعتذار منه

٣ — لا تيأس : إذا المرض أصابك ، وإذا الحزن دهمك وإذا الإخفاق صدمك، وإذا الصديق خدعك وإذا العدو غلبك ، وإذا الحظ نكبك إذ مهما اضطربت الأمور وأظلم الجو فإنك بالصبر والعمل والشجاعة منتصر لا محالة

٤ — لا ترْجُ من اللئيم أن يصفح ، ولا من السفيه أن يحلم ، ولا من القوىّ أن يستكين . لأنك إن فعلت أرقت ماء وجهك وعدْتَ بخيبة الأمل

٥ — لا تكن متحيزاً لأقربائك ، ولا محابياً لأصدقائك ، ولا باغياً فى خصومتك ، ولا طاغياً فى رياستك . بل اجعل العدل قائدك ، والحزم رائدك ، والكرم ملطفاً لشهوتك ، والمصلحة العامة على الدوام قِبلتك

٦ — كن شجاعاً تكن صادقاً . فإذا اعتدت الصدق مشت الفضائل كلها فى ركابك

٧ — افعل ما تراه حقاً وعدلاً ، ولا تحاول أن تُرضى الناس جميعاً ، لأنك إن حاولت ذلك أسأت إلى نفسك ولم تُرْضِ أحداً

٨ — أذكر دائماً أن قيمة الأعمال بنتائجها ، فحذار أن تأتى عملاً تعرف مقدماً أن له نتيجة ضارة، اللهم إلا إذا أيقنت أن كِفّة الخير للمصلحة العامة أعلى وأرجح

٩ — إذا كنت تحب الحرية حقاً فلا تحتكرها لنفسك وتنكرها على غيرك

١٠ — حذار من لسانك وقلمك إذا كنت غاضباً أو ثائراً بعاطفة قوية فكلاهما يخونك ، واعتمادك عليه يجر عليك الندم أو الألم عند ما تهدأ وتستقر

كتب لم أقرأها

مؤلفات اللورد دنساني

للأستاذ عبد اللطيف النشار

أما الكتب التي أتحدث عنها اليوم فعشرون كتاباً صفقة واحدة لا أعرف اسم واحد منها ولا عرفت شيئاً عن مؤلفها إلا في هذا الأسبوع حينما نشرت الصحف له صورة ظريفة مع حضرة صاحب السمو الملكي الأمير محمد علي في نادي الاتحاد الإنكليزي المصري

وكانت مناسبة الاحتفاء به في هذا النادي أنه مر بمصر أثناء سفره إلى أثينا حيث يتقلد منصب الأستاذية في الأدب الإنكليزي بالجامعة اليونانية . وكرسي الأدب الإنكليزي في تلك الجامعة يلقب باسم الشاعر الإنكليزي بيرون. فيقال « كرسي بيرون » للأدب الإنكليزي تكريماً لذكرى هذا الشاعر الذي ساهم في تحرير اليونان بقلمه وبسيفه . وما زالت اليونان تحتفظ له بأطيب الذكرى وله في عاصمتها أكبر تمثال فيها

ولما مر اللورد دنساني بمصر نظم أبياتاً هذه ترجمتها نثراً :

انتظار طويل

« أيها الملوك الأربعة الجالسون في ساحة أبي سمبل متجهين نحو مشرق الشمس ، لقد رأيتم الإنسان يطير

قلت لهم ذلك وخلت أني أسمع جواب ثلاثة منهم أثناء مرورنا أمامهم بالطيارة (أما الرابع فقد كسر عند منتصفه فانشطر شطرين)

« وأحسب جواب الثلاثة :

« نحن لا نلحظ إلا ما كتب له الخلود . نلحظ نهرنا القديم في فيضانه ، والشمس في سطوعها ، والمطر في إبانه ، وكل خالد في تغلبه على زمانه . ورأينا ورأى معنا هذا الرابع قبل أن ينكسر شعاعاً ذهبياً ينبثق من صخرة فيوقظ الروح في بلدنا هذا المقدس وقد أخذ هذا الشعاع الذهبي من زمن فات يتجه نحو الشمال ، ونحن منذ ذلك العهد لم نلحظ ما يستحق أن يلحظ . »

هذه الأبيات في أصلها ذات جرس ورنين ، وهي كل الذي قرأته له عدا حديثاً له مع محرر الغازيت . أما الذي قرأته عنه فهو أنه أديب أرلندي له مسرحيات ودواوين شعر وأقاصيص وروايات ، ويبلغ عدد كتبه العشرين ، وأسلوبه من السهل الممتنع . وهو رحالة ومن هواة الصيد ، وقد قضى معظم الشباب في الجندية وعمره الآن قد تجاوز الستين

اشترك في حربين : حرب البوير والحرب العظمى . وجاب أقطار العالم في رحلاته ، وقلما استطاع البقاء أمداً طويلاً في مكان ومن غريب أمره أنه لا يستطيع مزاولة التأليف راحلاً ، ولا الرحلة ولديه موضوع يشغله بالتأليف . ويقول إن حياتيه : الروحية والجثمانية ليستا على ائتلاف، فهو يطلق لكل منهما العنان، حتى إذا فرغ من رحلة له عاد إلى وطنه فاستجم وترك لخواطره متنفساً من يراعه خلافاً لبعض الكتاب الذين يجمعون الجذاذات في أثناء الرحلات ، أو يدونون فيها بعض الخواطر أو المعلومات . وهو يقول في حديثه لمحرر الغازيت : إنه لا يرى في الكتابة واجباً يفرضه المرء على نفسه وينقطع له ، وأنه لا يرى للكاتب أن يكتب سواء أكان لديه أفكار أم لم تكن لديه

وحاول المحرر أن يستدرجه للحديث عن وطنه إيرلندا فأبى أن يخوض في ذلك الحديث . ويعرف القراء أن تلك البلاد لم تشترك مع انكلترا في حربها الحاضرة؛ ولكن هذا اللورد الذي بقي في إيرلندا حتى شهر أغسطس الماضي قد رحل عنها إلى لندن وتطوع جندياً في الجيش الإقليمي (الجيش المرابط) وعدده في انكلترا مليون وسبعمائة ألف لعل فيهم الكثير من هذا النوع

ولما سئل عن رأيه في الحرب قال إن هتلر قد خسرها ، لأنه أراد تحطيم روح الشعب البريطاني فأخفق ، ولن يستطيع تحطيم تلك الروح بعد ثباتها ستة أسابيع على قنابل الغارات الجوية

وهو يرى أن الحرب ضرورة لا بد منها كتناول الطعام وشرب الماء ما دام بعض الأمم يسبق البعض في اطراد النمو من ناحيتي الثروة وعدد السكان ، فلا مناص من الحرب ، لأن الذين تضيق بهم بلادهم لا بد لهم من طلب التوسع فتكون النزوات وتكون الحروب ، ولا يرى في الإمكان تدبير وسيلة للاحتفاظ بالسلام

قال : « بعد الحرب الماضية اجتمع العقلاء من مختلف الدول

حول نقد كتاب الذخيرة

فى علم الطب

للأستاذ إسماعيل مظهر

قرأت فى مجلة الثقافة الغراء منظومة من النقود وجهها الأب أنستاس مارى الكرملى إلى صديقى الدكتور جورجى صبحى ناشر كتاب الذخيرة المنسوب فى بعض المؤلفات القديمة إلى العلامة الكبير ثابت بن قرة.

ولنشر كتاب الذخيرة تاريخ لو أن حضرة الأب المهذب الرقيق قد علم طرفاً منه إذن لالتمس للدكتور صبحى بعض العذر عن أخطاء وقعت فى الكتاب. فقد كان موعد الاحتفال بالعيد المئينى للقصر العينى قد أزف. وحَسُنَ عند صاحب السعادة الدكتور على إبراهيم باشا أن يُطْبَعَ كتاب « الذخيرة » إحياء لأثر قديم وتعبيراً عن اتصال ثقافتنا بثقافة أوائلنا وتذكيراً بتراثنا المجيد. وبُدِئ بطبع الكتاب من نسخة سقيمة سيئة الخط محشوة بالتصحيفات قبل موعد الاحتفال بشهر واحد. وما إن حان الموعد حتى كان الكتاب مطبوعاً معداً للنشر. فكان لهذا العامل أثره فيما يكون قد وقع فى الكتاب من تصحيفات لا أشك أقل شك فى أن أكثرها موجود فى النسخة الأصلية؛ وكان من المتعذر مادياً بحثها وتصويبها فى مثل هذا الزمن القصير الذى استغرقه طبع الكتاب. وما قولك فى أن حضرة الأب اشترى الكتاب فى فبراير من سنة ١٩٣٤ ولم يستطع أن يحقق ماورد فى نقوده من الألفاظ إلا فى شهر يوليو من سنة ١٩٤٠ إذ بدأ بنشر نقوده التى ألمعنا إليها. يدلك هذا على أن تحقيق هذه الألفاظ كان صعباً والرجوعَ إليها فى مظانها أمر يستغرق السنين. فللدكتور صبحى على أية حال عذر إن تعذر عليه تحقيق بعض ألفاظ الكتاب وتصحيح عباراته تصحيحاً كاملاً.

ولا أريد أن أتعرض هنا لشىء مما صوب به حضرة الأب بعض أخطاء الكتاب، ولكن أريد أن أنشر حقائق ثابتة لا يتسرب إليها الباطل، عن الدوافع التى دفعت حضرة الأب المحترم إلى نشر نقوده هذه. فإن وراء هذا النقد ماضياً يجب أن يعرف، وله بداية كانت هذه النقود نهايتها. فقد أطلعنى الدكتور صبحى بك على كتاب بخط يد الأب المحترم يسأله فيه أجراً على تصحيح الكتاب، وكان الدكتور صبحى بك مريضاً فلم يعر الأمر اهتماماً

فى مدينة جنيف وحاولوا إيجاد الوسيلة لمنع الحروب فى المستقبل. وأحسب أنهم بعد الحرب الحاضرة سيرسلون عقلاءهم إلى مدينة ما لإيجاد وسيلة لمنع الطعام وسيقولون إنه متعب فى إعداده، متعب فى هضمه، متعب فى تناوله، فلنتدبر فى سيلة تريحنا منه... وسينجح هؤلاء الحكماء فى محاولتهم منع الطعام بمثل القدر الذى ناله من النجاح من سبقوهم فى محاولة منع الحرب. وهو مع رأيه هذا فى الحرب يرى أن أذى الحروب أقل من نفعها، ومن نفعها أنها تولد الشجاعة والجرأة والنخوة.

وهو متحدث بارع، وقد يدافع عن قضية خاسرة لمجرد الاغتباط بالحرب الكلامية

ومن رأيه أن حملة الأقلام جميعاً رجال غير عاديين

قال: وإذا نحن أحصينا من يكتبون وجدناهم قلة ضئيلة بالقياس إلى من لا يكتبون، وهذا وحده سبب كاف لاعتبارهم من طراز غير طراز الرجل العادى

هذه بداية تعرف على المؤلف الذى أدرجت مؤلفاته العشرين فى قائمة « كتب لم أقرأها » وليس كل ما فى هذه القائمة مندرجاً بالطبع فى قائمة « كتب لن أقرأها » فلعلى حين أزداد تعرفاً عليه أزيد تعريفاً به

أو لعل من سبقوا إلى معرفته أن يشركوا أهل لغتهم فيما أفادوه منه

***

وبعد كتابة ما تقدم قرأت فى جريدة الإجبشيان ميل عدد ٢٨ نوفبر سنة ١٩٤٠ أن اللورد دنسانى دعى إلى حفلة تكريمية أخرى بنادى الاتحاد الإنكليزى المصرى فألقى بها قصة طريفة له عنوانها « بنت رمسيس »

وأنه سيلقى فى الأسبوع القادم محاضرة عن الشعر الإنكليزى بالجمعية الملكية الجغرافية، وأرجو أن ألخص القصة والمحاضرة لقراء الرسالة.

عبد اللطيف النشار

وشغل بجرمته عن كل ما عداه . واتصل طبيب بالقاهرة بالدكتور صبحى بك يغريه على أن يجيب حضرة الأب إلى طلبه فرفض صبحى بك معتذراً . وإلى هنا تنتهى مقدمات النقد . وكان النشر بمجلة الثقافة نتيجة لهذه المقدمات .

ولعل القراء يعجبون كيف أن رجلاً من رجال الدين المنقطعين عن لهو الحياة الزاهدين فيها ، المترهبين فى سبيل الله والعلم ينزلق فى هذا المنزلق ويزل هذه الزلة ولا حاجة له بمال ولا مطمع له فى الدنيا ولا زوجة له ولا ولد ؟ نعم إن هذا لباعث على العجب مفض إلى طول التأمل . ولكن ذلك هو الواقع مع الأسف . وما كنت لأتطوع جاهداً فى كشف هذا السر العجيب لولا أن حضرة الأب المحترم قد تمادى فى الهجوم على رجالات مصر ، ومن قبل هاجم الدكتور شرف بك ثم الدكتور أحمد عيسى بك ثم حضرة صاحب العزة أحمد العوامرى بك ، وغيرهم من كبار رجالنا المشار إليهم بالبنان المكبّين على العلم لأجل العلم لا لأجل المال . أولئك الذين أفنوا أعمارهم وأموالهم فى الطلب والفحص والتنقيب غير مترقبين من الناس مالاً ولا مستجدين منهم أجراً ، عالمين أن أجرهم عند الله أبقى .

لئن كان حضرة الأب قد نشر هذا النقد خدمة للعلم حقيقة فما هى الحاجة التى حملته على أن يطعن حضرة الدكتور صبحى بك فى علمه وفى مهنته ؟ وإليك بعض أقواله فى مجلة الثقافة[1] .

إن هذا لمن أعجب العجب . يتساءل راهب لغوى كيف أن طبيباً مصرياً عظيما ، وأستاذاً فى كلية الطب ، ومن أشهر المشتغلين فى القطر المصرى بهذه الصناعة : يتساءل كيف حصل على شهادته ! ألست تجد أيها القارى أن مثل هذا الأمر يدل على حفيظة سببها أن هذا الدكتور لم يجُد عليه ببعض المال ليصحح أخطاء كتاب قديم وقف على طبعه ؟ كان إذن من الواجب على الذين أعطوا الدكتور صبحى إجازة الطب أن يرسلوه لحضرة الأب أولاً ليجيز لهم أن يعطوه شهادته

ومن أعجب العجب أيضاً أن يعترف حضرة الأب بأن كتاب الذخيرة (فى أصله) مشوه وممسوخ . قال فى الثقافة (العدد ٨٤ ص ٤٠) :

« اتضح أن هذا التصنيف ليس لثابت بن قرة ، وبان بالعكس أن واضعه قليل البضاعة بعلم العربية ، والكاتب قبطى من أهل المائة السابعة أو الثامنة للهجرة لجهله الألفاظ الطبية وتشويهه لها وجهله الأحكام اللغوية ومسخه لها مسخاً شنيعاً »

هذا اعتراف حضرة الأب الصريح يدل على أصل الكتاب ، أى الأصل الذى طبع عنه الدكتور صبحى بك . أفلا يصح أن يكون هذا شفيعاً عند حضرة الأب فى بضعة أخطاء اضطر الدكتور لإثباتها كما هى مراعاة للأصل المطبوع عنه التماساً لإصدار الكتاب فى شهر واحد من الزمان ؟

أما أن يخطئ الإنسان فذلك أمر طبيعى ، ولكن من غير الطبيعى ومن غير اللائق بالسداد أن يتمنى حضرة الأب أنستاس أن يصبح وزيراً للمعارف فى مصر فيفتتح عهده بالحكم بغرامة ٢٢٨ جنيهاً ، وبالحبس ٢٢٨ يوماً على الدكتور جورجى صبحى جزاء نشره كتاباً به بعض الأخطاء !

ولقد يدعى حضرة الأب أنه لا يخطئ ، لأنه لو كان يسلم بأن الخطأ واقع من أبناء آدم لما انزلق فى نقده إلى حيث انزلق ، ولكنى أقول له إنه يخطئ خطأ فاحشاً يعتدى فيه على العلم وعلى الثابت فى مظان العلم

فقد حدث فى دورة المجمع اللغوى السادسة أن قام حضرة الأب يدعى دعاوى عريضة فسقط وكبا كما يؤخذ من رد حضرة العلامة الأستاذ فيشر عليه فى محضر الجلسة السادسة عشرة من الدورة السادسة . وأنقل هنا نص رد الأستاذ فيشر عليه لأن به من البيان ما لا محل معه لبيانى . قال :

« قرأت أمس فى محضر الجلسة العاشرة بحث كلمة «موسيقى» « موسيقا » لحضرة الأب أنستاس مارى الكرملى . وقد أعجبنا جميعاً بكثرة معلوماته وذكائه ، ولكن لا معصوم من الخطأ إلا نبى . وعليه فإنى أعتقد أن حضرة الزميل العلامة قد زلّ فى بعض مواضع بحثه إذ قال فى صدر بحثه : « فأقول إن العرب لم يأخذوا لفظ الموسيقى عن الروم لا تينيين كانوا أم يونانيين ، وإنما أخذوها من الإرميين بدليل أنهم يقولون (هنا كلمة إرمية) وتقرأ موسيقى بالياء . والدليل الثانى أن الموسيقار العربية فى نفس الإرمية (هنا كلمة إرمية) وتلفظ موسيقاراً . والدليل الثالث أنهم « أى العرب » قالوا مثلهم موسيقاراً . ولم يراع أن كل

(١) انظر هذه النصوص فى كلمتنا التى نشرت بالعدد الماضى من الرسالة بعنوان (إلى جهرة أهل الأدب)

ما نقل عن اليونانية كان بواسطة الآراميين كما أن كل ما نقل عن اللاتينية قبل فتح العرب لشمال أفريقية كان بواسطة اليونان وعنهم بواسطة الآراميين

« ولم يراع أن الكلمة الآرامية (. . . . . . .) يرجع أصلها إلى الكلمة اللاتينية « Musicarius » وأهم من هذا ما وقع فيه من خطإ قائلاً : وأما عرب الجاهلية وصدر الإسلام فإنهم قالوا : « المِزيقَة » واستشهد على هذا القول ببيت للشماخ أورده كما يأتى :

له زَجَل كأنه صوت حاد   إذا سَمِع المِزيقة أو زَمِير

ولا أدرى من أين نقل هذا البيت . فإنه ورد فى ديوان الشماخ طبعة أحمد بن الأمين الشنقيطى صفحة ٣٦ ما يلى :

له زجل تقول أصَوْت حاد   إذا طلب الوَسِيقة أو زَمِير

« وهذه الرواية صحيحة فإن هذا البيت جاء وصفاً لحمار وحشى فى قصيدة للشماخ ، ومعناها يتفق مع ما أورده الشنقيطى فى الشرح إذ قال : « المعنى أن الحمار الذى يصفه يشبه صوته بأتانه إذا صوت بهاصوت حادى الإبل أو صوت مزمار »

« فكذلك لا توجد كلمة المزيقة فى شعر الشماخ ، ولا توجد فى أى شعر آخر ولا فى كل العربية

« وقد ظن حضرة الزميل العلامة ، بعد اعتقاده بأن كلمة « المزيقة » قد وردت فى شعر الشماخ أن فعل مَرَّق الذى ورد فى الشعر القديم بمعنى غَنَّى قد صحف عن مزَّق . وقد قال حضرة العضو الأستاذ الشيخ محمد الخضر حسين فى أثناء الجلسة :

« لا أوافق حضرة الأب أنستاس على أن لفظتى ممرِّق وتمريق مصحفتان من ممزق وتمزيق . إذ لا دليل على هذا التصحيف الخ »

« وإنى متثبت من أنه على حق ، فإنه قد وردت فى لسان العرب وأساس البلاغة شواهد على فعل مرَّق ، وقد بين هذه الشواهد بيت للشاعر « المزِّق » من قصيدة وردت مرتين فى ديوان « المفضليات » — (طبعة تشارلس لايل صحيفة ٦٠٣) ، وفسر الأنبارى شارح المفضليات الفعل مرَّق كما يلى » :

« ويمرِّق يغنى والتمريق الغناء . يقال : قد مرَّق يمرِّق تمريقاً فهو ممرِّقٌ إذا غنى ا . هـ » . وورد هذا الفعل أيضاً فى كتاب الأغاني (طبعة دار الكتب المصرية فى الجزء السابع صحيفة ٢٣٨) فى سياق الكلام كما يلى : قال الحسن وحدثنى غانم الوراق قال : خرجت إلى بادية البصرة فصرت إلى عمرو بن تميم فأثبتنى بعضهم فقال : هذا الشيخ والله راوية . فجلسوا إلىَّ وأتوا بى وأنشدتهم وبدأت بشعر ذى الرُّمة فعرفوه وبشعر جرير والفرزق فعرفوهما ؛ ثم أنشدتهم للسيد ... « أتعرف رسما ... الخ » ثمانية أبيات ؟ قال : فجعلوا يمرِّقون لإنشادى ويطربون ، وقالوا : لمن هذا ؟ فأعلمتهم ... فقالوا : هو والله أحد المطبوعين ... لا والله ما بقى فى هذا الزمان مثله » ا . هـ عبارات الدكتور فيشر

أيليق بنا يا حضرة الأب المهذب أن نسأل : كيف حصلت على لقب لغوى ما دمت تسقط فى مباحث اللغة هذه السقطات الشنيعات ، ثم تتدارى بعد ذلك وراء ألفاظ الهجاء لتخيف الناس من لسانك ومن قلمك ، ولتستر بذلك خطأك وحذلقتك وتهجمك على اللغة عفو الخاطر ، لأنه قيل إنك لغوى ، ولأنه جرى بين الناس أنك كذلك ؟ . . .

* * *

وبعد ، فإنى لا أود أن ألقى القلم قبل أن أفرغ من حضرة الأب المهذب أولاً وآخراً . فإنى اتهمته بأنه طلب من الدكتور صبحى مالاً لينتقد كتاب « الذخيرة » سراً ثم يسكت ؛ فإذا أبى الدكتور صبحى بك ، نشر الأب نقوده متظاهراً بالغيرة على العلم وعلى لغة القرآن : نسأل للغة القرآن منه العافية

والواقع أن هذه دعوى علىَّ إثباتها : فإن الكتاب الذى أرسله حضرة الأب إلى الدكتور صبحى بك يسأله فيه ذلك ، قد مُزِّق وألقى به فى سلة المهملات مع الأسف الشديد ؛ ولو أنه باق ، إذن لنشرته بخط يده . ولكن حضرة الأب قد ينسى أن كتاباً آخر يدل دلالة قاطعة على أنه يأخذ المال باسم اللغة والغيرة على اللغة ، ولكن بالسباب والشتم . وإنى أقتطف من هذا الكتاب عبارات مع حذف الأسماء . فإن أنكر الكتاب نشرته للناس بخط يده . جاء فى ذلك الكتاب :

« نعم إن إحسانات الدكتور ... قيدت يدى ورجلى ومنعتنى عن أن أهجم عليه هجماتى المعتادة على أصحاب سائر المعاجم [1] ، ولما رَدَّ علىَّ رده المعهود وكله سفاسف وجهل شنيع للقواعد العربية والأصول اللغوية ، أخذت القلم لأكشف عوراته ثم فكرت

(١) يقصد حضرة الأب « سائر أصحاب المعاجم » وأصحاب سائر المعاجم أسلوب هندى أو واقواقي كما يقول هو للناس

في نفسي وقلت أهذا مكافأة من أحسن إليك وأنقذ مجلتك[١] من أن تنغلق في تلك السنة للخسارة التي لحقتها . فكسرت القلم وقلت الإقرار بالفضل والإحسان من شيم كرام النفوس، والنفض عن الرد خير من الاستسلام للغيظ. وهكذا سكت، ولو لم يكن برُّ هذا الرجل وماله بالفضل علي لسحقته سحقاً، لأن ما في ... من الأوهام والخبط والخلط يسود عين الشمس في رائعتها. والآن أقول إن ... نصاب في الأدب ولا يقاربه أحد في نصبه، ولكن إذا كانت أموره تجوز على بعض السذج، فإنها لا تجوز على من له أدنى إلمام بالأدب »

ثم يقول حضرة الأب المهذب :

« أتعلمني بمنزلة ... وأنا أعلم علم اليقين أنه لا يرى في مادة واحدة من مواده إلا أغلاط جمة؟ ومع ذلك أقول ولا أخاف لومة لائم إن أغلاط ... دون أغلاط... فإن هذا الأخير أفسد كل مادة فساداً لا تقوم له قائمة، وليس للرجل أقل اطلاع على اللغة ولا على علم ... ولا على نقل الألفاظ من الأفرنجية إلى العربية . والآن أجيبك على سؤاليك :

« ١ — إني تسامحت كل التسامح في نقد ... لأنه أحسن إلي. ولم أفعل مثل هذا الفعل في نقد ... لأنه لا فضل له عليّ فلم أسامحه لأنه زاد فساد ألفاظ ... وأوهامه زيادة فاحشة

« ٢ — إذا نقدت ثانية ... أهتكه هتكاً من غير أن أستعمل كلمة جارحة كما فعلت مع ... لأن ... اشتغل أكثر من ... وعانى مشقات أعظم . أما لو أردت أن أنزله دركات جهنم لما صعب علي لأنه هيأ لي الوسائل والذرائع لإنزاله في تلك المهاوي » اهـ

هذا كلامك يا حضرة الأب عندي بخط يدك أنشره على الناس ليعرف الناس لماذا تكتب وتحت أي تأثير تكتب، فإن لم تسكت نشرته في كراسة مطبوعة بالزنكوغراف، ولو أني بذلك سأسيء إلى أصدقاءهم من ذي وأهلي الذين تتهاتر عليهم بعلمك، وأتحمل في سبيل ذلك حساب ضميري على أن أنزل أسماءهم الشريفة المنزلة التي لم أجد بدونها وسيلة إلى إسكاتك أبد الآبدين

وتحت يدي أيضاً كتاب آخر أرسلت به إلى صديق لك قديم يدل على مقدار ما تعرف من قدر الصداقة ، إن أنكرته نشرته أيضاً

وبعد فقد يكون في كتاب الذخيرة كل الأوهام التي أشار إليها حضرة الأب المهذب ، وقد يكون بعض هذه الأوهام من « حذلقاته » المعروفة فإني لم أعن بتحقيق ما جاء بنقده ، فإني ما أردت بهذا الرد إلا أن أقرر واقعاً وأنفي عن رجالنا شبهات يكيلها لهم هذا الرجل كيداً وظلماً. وإني لأعلم أني سأتلقى على يده من الإهانات والسباب ما سوف أتقبله

وكلمة أخيرة أتوجه بها إلى الأستاذ الفاضل أحمد أمين عميد كلية الآداب ومحرر الثقافة فأسأله : هل من اللائق أن يُوَجَّه على صفحات الثقافة ألفاظ وعبارات كتلك التي وجهها حضرة الأب إلى الدكتور صبحي بك وهو له زميل في الجامعة وأستاذ مثله فيها ؟

هل يقبل الأستاذ أن ترمى الجامعة التي هو أحد أساتذتها وعميد كلية الآداب فيها بأنها فقدت شيئاً كثيراً من حسن سمعتها وأنها تروج إفساد اللغة وأنها تثبت الألفاظ المشوهة ؟

اسماعيل مظهر

(١) مجلة لغة العرب التي كان يصدرها الأب

كلمات ...

تعريف

هذه « كلمات » كنت أكتبها فى مجلة أسبوعية أدبية منذ سنوات ست . ثم داومت على كتابتها فى جريدة « البلاغ » وفى صفحتها الأدبية والثقافية بعد ذلك بضعاً من السنين .

وهذه « الكلمات » القصيرة التى أرجو أن يشرفنى قراء « الرسالة » بقراءتها كل أسبوع لن تجاوز أن تكون نقداً لبيت قديم أو جديد من الشعر ، أو إعجاباً ببيت كذلك أو أبيات من الشعر جديد أو قديم ، أو نقداً لرأى أو فكرة أو عرَض من أعراض حياتنا الثقافية أو الأدبية ، إلى مثل هذه الشؤون الاجتماعية والأدبية التى هى وحى « الرسالة » ورسالتها لمصر والشرق .

***

كتب صديقنا الدكتور زكى مبارك يعلق فى الرسالة على كلمة الأستاذ محمد عبد الغنى حسن بشأن « استهانة الجمهور بقواعد اللغة العربية » على حد تعبير الدكتور مبارك . وكان الموضوع الذى أثار الأستاذ عبد الغنى فكتب ما كتب ، هو إعلان فى صحيفة ، وجد فيه طائفة من الأغلاط الشائنة .

وإذا كان الأستاذ محمد عبد الغنى يثور ويغضب لأغلاط وجدها فى كتابة إعلان تجارى حرّره عامل فى متجر لم يقرأ سيبويه ولم يعرف ألفية ابن مالك ولا ألفية ابن معطى ، وإذا كان الدكتور مبارك يثور ويغضب لأنه وجد صديقاً له من رجال وزارة المعارف يحاضر ويلحن ، فإن هذا وذاك — إذا قيس بغيره — ليس مما يغضب ولا مما يثير .

ليستمع صديقنا الدكتور مبارك إلى كثير مما يذاع فى الراديو المصرى من المحاضرات والأحاديث ، فإنه يجد كثيرين من المحدّثين وكثيرين من المحاضرين يحرصون الحرص كله على أن يكون نطقهم حين ينطقون الأسماء والأعلام الأفرنجية صحيحاً سليما ، ولا يعنيهم ولا يسوؤهم أن يكون نطقهم للعربى من الأسماء والأعلام عليلاً سقيما . فهم حين ينطقون اسم « بيتان » يحرصون على أن يضموا شفاههم على حرف الباء منه ضماً قوياً ثم يفرجون عنها مسرعة قوية كما يفعل الفرنسيون الأصيلون حين ينطقون به .

وهم حريصون على أن يدغموا فى أنوفهم حرف النون فى نهايته حتى لا يبين إلا غنة قصيرة مثلاً شبه ضعيفة كما يفعل الأصيلون من الفرنسيين .

ولكنهم حين ينطقون اسم محمد أو محمود أو غيرهما من الأسماء والأعلام العربية ، لا يحرصون ولا يسيئهم أن يكون نطقهم لها على وجه خاطئ بيّن الخطأ .

وليقرأ صديقنا الدكتور مبارك العدد الأخير من مجلة الراديو المصرى فسيجد أنها كتبت اسم الصحابى الجليل « أبا ذر الغفارى » هكذا (أبو زر) « عدد ٢٩٧ من المجلة » .

والراديو المصرى هو المجلة الرسمية للاذاعة اللاسلكية المصرية ويشرف على تحريرها كاتب أديب من الطراز الأول هو الأستاذ محمد سعيد لطفى .

ولكن حين كتبت هذا عن الذيعين والمحاضرين وعن المجلة الرسمية للاذاعة المصرية نسيت أننا فى مصر كنا إلى سنة واحدة نطبع جداول الجلسات لمجلس وزرائنا باللغة الفرنسية ولا نطبع باللغة العربية . . . !

وبلد هذا مقدار حرصه على لغته فى مجلس وزرائه ، لا يلام فيه عامل فى متجر أو محاضر أو محرر مجلة على اللحن والخطأ ... !

وأظن صديقنا الدكتور زكى مبارك والأستاذ محمد عبد الغنى حسن قد نسيا هذه الحقيقة من قبلى حين كتبا ما كتبا ... !

« محمود »

الحرب في أسبوع

للأستاذ فوزى الشتوى

الحرب اليونانية ونتائجها

هل تؤدى الحرب اليونانية إلى انتصار قضية الديمقراطية ؟ أو بعبارة أوضح هل يكون الميدان اليونانى الألبانى ذا أثر كبير فى وضع حد للحرب العامة ؟ سؤال وجهه إلىّ أحد القراء ، وهو سؤال طالما سمعته فى المجالس ، فرأيت أن أوضحه للقارئ .

فإن انتصار اليونانيين وتقدم قواتهم السريع أمر غريب كما قال ملكهم . ولم يتوقع أحد أن يكون غزو إيطاليا لليونان مهماً قاتلاً يوجه للحركة الفاشستية ، فيكشف عن ضعف عجيب فى أحد طرفى المحور

أما النصر النهائى لقضية الديمقراطية فى الميدان الألبانى فأمره مستبعد ، فإن موقع الميدان الألبانى الجغرافى لا يسمح بأن يرى العالم مصرع حكم الإرهاب ، وإن كان هذا الموقع يعتبر أحد المنافذ القاتلة لحركات المحور العسكرية والسياسية ، فقد كشف عن خطأ كبير ، وأتاح للامبراطورية البريطانية الحصول على مواقع كبيرة الخطورة جعلت الأهداف الألمانية والإيطالية أيسر تناولاً مما كانت عليه

وليتاح لنا فهم الموقف بسهولة يحسن بنا أن نوضح ناحية من نواحى السياسة العسكرية البريطانية ؛ فمنذ ما انهارت فرنسا انهارت معها جميع الخطط العسكرية ، سواء فى الشرق أو فى الغرب ، وأصبح الدفاع عن الميادين التى تسيطر عليها أمراً متعذراً فضلاً عن اتباع سياسة الهجوم . ولكن هذا الوضع العسير لم يضعف من عزيمة الإنجليز ، فرفضوا الصلح الذى عرضه هتلر وصمموا على مواصلة القتال . ولم يتمكن المحور من استغلال هذه الفترة والقضاء على قوات بريطانيا أو إضعافها فى ميادينها بفضل الأسطول البريطانى البحرى الذى عرقل مواصلات إيطاليا مع ممتلكاتها فى أفريقيا ومنع عنها الإمدادات ومنع ألمانيا أيضاً من غزو الجزر البريطانية

ويمكن القول أن سياسة انجلترا العسكرية منذ ذلك الوقت إلى الآن هى سياسة استغلال الفرص . وكانت حماقة موسيلينى فى غزو اليونان فرصة ثمينة ، مكنت القوات البريطانية من الحصول على أربع نتائج باهرة تحقق ثلاث منها وما زالت إحداها فى دور التحقيق ، وإن يكن جزء منها قد تحقق

الدودوكانيز

وإحدى هذه النتائج الثلاث زوال أهمية جزر (الدودكانيز) كقواعد حربية إيطالية ، فإن استيلاء القوات البريطانية على جزيرة كريت والجزر اليونانية القريبة من الدودكانيز عزلها عن قواعد تموينها ، وأصبح اتصال إيطاليا بها أمراً شديد الخطر واقتراب القواعد يتيح للدوريات سواء كانت بحرية أم جوية مراقبة البحر مراقبة دائمة ، وسرعة الاشتباك بالقوافل الإيطالية سواء بقوات تقصدها من الإسكندرية أو كريت أو اليونان ، ومن ثم أوصد الطريق فى وجه القوافل الإيطالية فضلاً عن سهولة مهاجمة جزر الدودكانيز واحتلالها من الجزر القريبة منها

وكانت جزر الدودكانيز طرف قواعد الارتكاز التى تكون خطاً بحرياً طرفه الآخر على شواطئ ليبيا الإفريقية ، والغرض منه عرقلة الملاحة فى الحوض الشرقى للبحر الأبيض ، وفقدان جزر الدودكانيز لأهميتها أو احتلالها يفقد إيطاليا كل سيطرة على الجزء الشرقى لحوض البحر الأبيض المتوسط، أضف إلى ذلك أنها كانت تعتبر إحدى القواعد التى يسهل منها تهديد تركيا فى منطقة المضايق وسوريا وفلسطين

الخسائر العسكرية

ومنى المحور أو طرفه الصغير بخسائر عسكرية فادحة لها أثرها فى استعدادات إيطاليا فى الميادين الأخرى وهى النتيجة الثانية ، فلم يكن غزو اليونان نزهة كما ظن موسولينى وأركان حربه ، ولكنه كان فاجعة إيطالية ، كلفتها عتاداً حربياً ورجالاً وهيبة عسكرية . ولا يتاح لنا الآن أن نكشف الغطاء عن حقيقة هذا الخذلان الإيطالى

وقالت بعض المصادر إن القوات الإيطالية استعملت فى زحفها طرقاً ضيقة محصورة بين الجبال ، وكانت قوات يونانية تكمن فيها ، فلما توغلت الوحدات الإيطالية صبت عليها الجنود اليونانية نارها ، وفى الوقت نفسه ثارت بعض القبائل الألبانية وهاجمت مؤخرة الجيوش الإيطالية فتعذر عليها التقدم أو التأخر ، واضطر

الإيطاليون إلى الهرب بأرواحهم مخلفين عتادهم وذخيرتهم فى عملية انسحابهم السريعة

فإذا أضيف هذا العتاد إلى ما أرسلته انجلترا إلى اليونان من معونة ، فإن استرداد الإيطاليين لمواقعهم السابقة يسبب لهم خسائر فادحة لا تتحملها مالية إيطاليا الضعيفة

ويتبين من خط الزحف اليونانى كما يرى بعض الخبراء العسكريين أن خطة اليونان تعمل على تطويق القوات الإيطالية إذ توالى زحفها إلى الباسان — وهى منطقة ثائرة تؤيد اليونان وتعادى إيطاليا — ومنها إلى تيرانا فالشاطىء ؛ فإذا تحققت هذه الخطة فلا يبقى للقوات الإيطالية إلا الانسحاب من ألبانيا

صدمة سياسية

وثالثة النتائج هى ضياع هيبة المحور السياسية ، فإن دول البلقان التى كانت تحرص على إجابة طلباته بدأت الآن ترى فى اليونان بارقة أمل فى الاحتفاظ بوحدتها ، وفى وقف هتلر عند حد ، ولاسيما أنها ترى القوات البريطانية والتركية بجوارها، فبلغاريا التى كانت إلى أمد قريب إحدى نصراء المحور قالت له أخيراً : لا . ويوجوسلافيا التى كانت ترى نفسها منعزلة عن العالم لا يتيسر إنجادها إذا دنت الساعة ترى النصير قريباً منها فى اليونان وألبانيا

وأخطأت السياسة الألمانية خطأ كبيراً بما ارتكبه رجالها فى رومانيا باسم الحرس الحديدى ، فإن جميع الوعود الألمانية لم يكن لها قيمة ، وجميع التضحيات التى بذلتها رومانيا بمشورة هتلر لم تنقذ بلادها من الاحتلال واختلال الأمن ، فقسمت أرضها بين الروسيا وهنغاريا وبلغاريا ، ومع هذا احتل الألمان أرضها ، فهل بعد هذا من داع يوجب الاستسلام؟ وإذا كان اغتيال رؤساء الوزارات هو النتيجة، فإن الساسة ليفضلون أن تحتل بلادهم قهراً وأن يموتوا فى ميدان القتال على أن تهدر دماؤهم دون ثمن

الأسطول السجين

والنتيجة الرابعة للحرب اليونانية هى تحكم انجلترا فى مدخل البحر الإدرياتيكى باحتلالها لكورفو وللشاطىء اليونانى الشمالى والألبانى الجنوبى . فمنذ احتل الإيطاليون ألبانيا أصبحوا سادة هذا البحر ، وزوال سيادتهم عن ألبانيا أو عن جزئها الجنوبى زوال لهذه السيادة ، ويتيح للأسطول البريطانى السيطرة على القوات البحرية الإيطالية التى اتخذته قاعدة حصينة لها فتمنعها من الخروج إلى البحر الأبيض بل قد يتيسر له مقاتلتها فيه

ونقص القوات البحرية الإيطالية معناه إضعاف مواصلاتها فى ليبيا وتعريض قواتها فيها إلى الهلاك جوعاً

مقتل المحور

والبلقان هو مقتل ألمانيا فليس لها من جهته الخطوط الحصينة التى أعدتها على حدودها الفرنسية ، فمنه يسهل غزوها . وكان البلقان فى بدء الحرب يتكون من دول محايدة لا يبيح العرف الدولى الاعتداء عليها ، وبريطانيا تحرص على هذا العرف ، ولكن سياسة ألمانيا الأخيرة أدت إلى كشف هذا المقتل ، فأصبحت دول البلقان إما محتلة وإما مشتركة مع المحور باستثناء بلغاريا ويوجوسلافيا ولن تتركهما السياسة الألمانية فى أمنهما . فإذا أزال المحور إحداهما زال الحائط الحايد ، وسهل على القوات الديمقراطية الوصول إلى الاشتباك بالقوات الألمانية نفسها حيث تتم المعارك الحاسمة

أما الميدان اليونانى فإن أقصى ما يمكن أن يحدث فيه هو طرد إيطاليا من ألبانيا ، ويبقى بعد ذلك احتلال إيطاليا نفسها وألمانيا أيضاً وهو متعذر الآن فضلاً عن أن القوات البريطانية لم تبدأ بعد فى تنفيذ سياستها الهجومية فما زالت سياستها حتى الآن سياسة استغلال للفرص .

فوزى الشتوى
بكالوريوس فى الصحافة

إلى « الملاح التائه »

ما جفاك الإلهامُ يا شاعر الجنـ — ـدول والحبِّ والجمالِ الحبيبِ
كيف يجفو وما رأى مثل قيثا — رك يا صاح لاعباً بالقلوبِ
هبه يجفو ! فأنت وحدك نبعٌ — عبقرى الظلال جمُّ الطيوبِ
غاب موسى عن قومه فتلقَّى — كَلِمَ الله من وراء الغيوبِ
ولقد غاب مثلَه فتنظرْ — أىَّ فن يأتيك منه عجيبِ
ثم غرِّد به فإنا ظماء — رِيُّنا فى غنائك المحبوبِ
دمت يا شاعر الجمال ودامت — أغنيات المزار والعندليب

(طنطا) **ابراهيم محمد نجا**

كما يرانا غيرنا

فى الطريق . . .

[عن جريدة « الاجبشيان غازيت »
عدد ٢٦ نوفمبر سنة ١٩٤٠]

لمصر وسائل متعددة لتعليم الأوربيين الصبر ، ومعظم الذين أقاموا بها خمسة أعوام إما أن يكونوا :

١ – قد تعلموا الصبر

٢ – أو استكشفوا فن (معلهش)

٣ – أو انغمسوا فى حماة مرذولة

٤ – أو غادروا البلاد وقد تحطمت أعصابهم

ومن أظرف الوسائل التى يستفاد بها الصبر أن تسير فى شوارع القاهرة ، وما من مدينة أصلح منها لذلك ، لأن الأسكندريين مثلاً قد هداهم بعض الغريب من حيل الأقدار إلى اعتياد المشى على الطوار فى غير حاجة إلى الزاحمة بالمناكب ، ودفع هذا ومنع ذلك من المارة فى الطريق ، وبغير أن يضطروا المسار إلى الإلقاء بنفسه تحت عجل السيارة أو الترام أو الدراجة أو تحت أرجل الحمير والخيل والجمال الضالة والثيران . ومعظم أهل القاهرة يسيرون كل خمسة منهم معاً فى خطوط متعرجة كالتى يرسم بها الضوء جماعة المصورين على لوحات التصوير ، وكأن الرجل متى خرج للمسير فى هذه المدينة الغريبة قد نسى أن له غرضاً معيناً من المسير ، أو كأنه يغضب إذ يعرف أن للغير من هذا المسير وجهة معينة

ومن المناظر المألوفة فى القاهرة مسير أبوين مع طفل أو اثنين أو خمسة من ذوى الأحجام المتفاوتة يصحبهم خادمان أو ثلاثة يحملون خمسة رؤوس من الخس وستة أعواد من القصب . فإذا ما رأيت جمعاً كهذا فخير ما تصنع أن تقفز من الطوار حتى لا يمر فوقك هذا الحشد الذى تتألف من مجموعه دبابة آدمية . ومن المناظر المألوفة كذلك أن يمر بك أربعة أو خمسة من النوبيين (السفرجية) بيد كل منهم عصا يلوح بها يميناً ويساراً وارتفاعاً وهبوطاً فإذا ما تخطاك دون أن يصيب رأسك بضربة عصا كان من الطريف أن تبلغ السلطات عن هذا الشذوذ النادر

ومن المألوف كذلك فى شوارع القاهرة أن ترى عشرة من البوابين قد جلسوا على مقاعد مصفوفة على شكل أفقى أو رأسى أو على شكل صليب فى منتصف الرصيف ، وقد حذقوا فن البصاق فى كل اتجاه . ونصيحتنا لكل رجل أو امرأة أو طفل أو طائر إن رأوا منظراً كهذا أن يعودوا إلى منازلهم وأن يؤجلوا المشى فى الطريق إلى يوم آخر

ومن المناظر المألوفة كذلك مشية (العقدة التى لا تنفصم) وهذه المشية تتكون من اثنين من (الأفندية) متوسطى القامة يد كل منهما فى يد الآخر وقد تشابكت أصابعهما وهما يسيران فى خط متعرج ، ولما يعرف العلم أية وسيلة لفك أحدهما من الآخر . إنهما يسيران على مبدأ الدبابة التى تسير فوق أى شىء أو تحت أى شىء أو تخترق أى شىء . إنهما شديدا التماسك حقاً ومنهما تتكون وحدة ميكانيكية وإن تسميا بأى اسم آخر

وأخيراً يرى السائر فى شوارع القاهرة امرأة يتراوح وزنها بين المائة كيلو والمائة والعشرين يتبعها أربعة أطفال وخادمان وكلب وزنه ثلاثة كيلو جرام ، والأطفال الأربعة يبكون ، هذا فى طلب كعكة وهذا فى طلب موز والآخر فى طلب عود من القصب أو رأس من الخس أو صفقة من البندق ، والأم فى انشغالها بالبحث عن (فستان) جديد لا تعنى بمطالب صغارها بل تضرب هذا وتصفع ذلك وتلطم الآخر وهم لا يزدادون إلا صراخاً والكلب يجرى من بينهم تحت أرجل المارة ثم يعود

إن رأيت منظراً كهذا فأسرع بالفرار قبل أن تصيبك من الأم لطمة أو صفعة .

ع

من أدب الحرب

أجنحة النمـــل

ضربُ المدائنِ ويْكَ ماسبَبُهْ ؟   عجبَ الحكيم وما انقضى عَجَبُهْ
المجد لا يُعطيه من يهبه   كلا ، ولا يعطاه مُنْتَهِبُـهْ
نبتٌ ترعرع فى مواطنه   ويعيش حيث يُظلُّه حَسَبُهْ
فتيانَ روما ليس ينفعكم   مجـــدٌ ترفع عنكمُ نسبه
شركاؤكم رفعوكمُ صَعَدًا ...   جاهٌ معارٌ بَعْـــدَه صببه
(وإذا استوت للنمل أجنحة   حتى يطير فقد دنا عطبه)
ماء « اللوار » يزيدكم سَغَبًا   لا شهده لـكمُ ولا ضَرَبُه
قد شاء « هتلر » أن يداعبكم   فأثار ثائر جدكم لعبـــه
تغدو فرنسا من توابعكم ... ؟   هـــذا المزاح كثيرة شُعبه
لا ، بل يجدُّ بكم ليوقعكم ...   أتتم ، وشارد لبكم ، سَلَبُه
ويزيدكم بمزاحـــه طمعاً   عجباً ، أينفق عندكم كذبه
الشام واليونان ملـكـكمُ   والنيل أيضاً بعض مايهبه ؟ !
جود ولا كالجود ... ما سببه   لا خوفه منكم ولا رهبه !
وعجزتمُ عن نصر أنفسكم   أيكون فى أمثالكم رغبه
عودوا بخيلكمُ ورجلكمُ   كم طامع قد ساء منقلبه
أو فاستمروا إن حلت لـكمُ   كثبان (بقبق) أو حات هُضُبه
فى مصر متسع لمقـــبرة   للبغى إن لم ينجه هربه

عبد اللطيف النشار

من صلواتى :

هنا محرابُها ... !

هُنَا مِحْرَابُهَا ! ... فَاخْشَعْ   مَعِى لِلْحُسْنِ يَا قَلْبِى !
وَبَارِكْ سِرَّ أَلْحَــانِى   فَهٰذَا مَعْبَــدُ الْحُبِّ
هُنَا وَكْرُ الْهَوَى ! ... كَمْ فِيـ   ـهِ هَدْهَدْنَا أَمَانِينَا !
وَكَمْ فِى ظِــلِّهِ يَا قَلْـ   ـبُ رَدَّدْنَا أَغَانِينَــا
فَيَا ذَاتِى ! ... تَعَالَىْ قَبْـ   ـلَمَا يَقْضِى مَعِى نَحْبِى
تَعَالَىْ ! ... حُبُّنَا يَا مَهْـ   ـدَ أَشْــوَاقِى يُنَادِينَا !

* * *

سَكَبْتُ الرُّوحَ قُرْبَانًا   عَلَى مِحْرَابِكِ الظَّامِى !
وَصُغْتُ الْحُبَّ أَنْغَـامًا   عَسَى تُرْضِيكِ أَنْغَامِى
فَيَا دُنْيَا تَسَـــابِيحِى   فُؤَادِى مِنْكِ مَسْحُورُ
أَنَا الشَّادِى ... تَغَنَّتْ فِى   لَمَانِى بِالْهَـــوَى الْحُورُ !
فَعِيشِى فِى حِمَى حُـــبِّى   تَرِفُّ عَلَيْكِ أَحْـلَامِى
وَيَرْعَاكِ الْهَوَى وَالطُّهْـ   ـرُ وَالإِيمَانُ وَالنُّورُ !

* * *

أَنَا الصَّادِى ! ... وَكَمْ رَفَّتْ   أَغَارِيدِى عَلَى ثَغْرِكْ !
وَكَمْ يَا فِتْنَتِى أَغْفَتْ   مُنَى نَفْسِى عَلَى صَدْرِكْ !
وَكَمْ ضَمَّ الدُّجَى الصَّابِى   عَلَى شَـــوْقٍ خَيَالَيْنَا
وَطَافَ السِّحْرُ يَا نَبْعَ الْـ   ـهَوَى الشَّـــافِى حَوَالَيْنَا
فَيَا دُنْيَاىَ ! ... مَاذَا لَوْ   غَمَرْتِ الرُّوحَ فِى نَهْرِكْ
وَقُلْتِ لَهَا : مَعِى عِيشِى !   وَقَرِّى بِالْهَوَى عَيْنَــا !

* * *

تَعَالَىْ يَا هُدَى رُوحِى !   وَعِيشِى لِلْخُلُودِ مَعِى ... !
تَعَالَىْ ! ... قَدْ مَضَى أَمَلِى   لِيَحْيَا فِى دَمِى جَزَعِى ...
وَمَا يُرْضِيكِ أَنْ تَمْضِى   حَيَاتِى فِى الْيَبَابِ سُدَى !
فَهَيَّا نَسْكُبِ الأَشْـــوَا   قَ فِى ثَغْرِ الزَّمَانِ هُدَى
وَنَسْقِ الْكَوْنَ بِالأَلْحَا   نِ حَتَّى لَا يَكَادَ يَعِى !
وَنَشْرَبْ مِنْ عُبَابِ النُّو   رِ ، قَدْ كِدْنَا نَمُوتُ صَدَى !

القاهرة   محمود السيد شعبان

وحي السويس

لهفـــات!

لَهْفَ نَفْسِي عَلَى رَبِيعِي النَّضِيرِ أَيْنَ يَمْضِي مُطَرَّزًا بِزُهُورِي
وَشَبَابِي كَالْفَجْرِ غَرَّدَ فِيهِ كُلُّ طَيْرٍ مُسْتَيْقِظٍ فِي ضَمِيرِي
وَأَنَا شَاعِرٌ أُصَلِّي لِفَنِّي وَفَتَاتِي فِي مَعْبَدِ التَّفْكِيرِ
الْغُيُومُ الْبَيْضَاءُ يَرْكُضْنَ رَكْضًا فِي أَصِيلٍ مُلَوَّنٍ مَسْحُورِ
قُدْرَةُ اللهِ صَوَّرَتْهُ فَجَاشَتْ فِي تَهَاوِيلِهِ فُنُونُ الدُّهُورِ
إِنْ هَذَا الْأَصِيلَ، وَالْأُفُقَ الْحَا لِمَ، وَالشَّمْسَ فِي ازْرِقَاقِ الْأَثِيرِ
كَالْبَسَاتِينِ فِي الْفَضَاءِ أَفَادَتْ عُمُرَ الْوَرْدِ وَانْطِفَاءَ الْعَبِيرِ
غَيْرَ أَنِّي قَدَّسْتُ أَلْوَانَهَا فِي وَجْهِكِ الْمُشْرِقِ الْبَهِيِّ النَّضِيرِ
فَلَأَنْتِ الْأَصِيلُ وَاللَّيْلُ وَالصُّبْحُ وَكَوْنٌ مِنَ الرُّؤَى وَالْعُطُورِ
عَالَمٌ أَنْتِ . . . عَالَمٌ مُسْتَقِلٌّ يَسَعُ الْخَلْقَ فِي خَيَالِي الْكَبِيرِ
مَا انْتِشَائِي بِحُسْنِ هَذِي الْمَجَالِي وَهُوَ بَعْضٌ مِنْ حُسْنِكِ الْمَفْطُورِ
وَابْتِعَادُ الْمَزَارِ يَقْدَحُ فِي صَدْ رِي لَهِيبًا مِنَ الْأَسَى الْمَسْعُورِ
آهِ لَوْ كُنْتِ يَا شَقِيقَةَ رُوحِي تَحْتَ جَنْبِي لَا صُورَةً فِي ضَمِيرِي
نَتَنَاغَى تَحْتَ الْجِبَالِ وَنَشْدُو كَالْعَصَافِيرِ بَيْنَ أَيْكٍ شَجِيرِ
لِلْغُرُوبِ الذَّهِيبِ، لِلْبَحْرِ، لِلْأَمْ وَاجِ، لِلْحُبِّ، لِلشَّبَابِ الْغَرِيرِ
لِلرِّمَالِ الصَّفْرَاءِ لِلْجَبَلِ الشَّا مِخِ لِلْعُشْبِ لِلدُّجَى الْمَنْشُورِ
آهِ لَوْ كُنْتِ يَا شَقِيقَةَ رُوحِي تَحْتَ جَنْبِي لَا صُورَةً فِي ضَمِيرِي
مَالَتِ الشَّمْسُ لِلْمَغِيبِ وَأَلْقَتْ جِسْمَهَا الدَّامِي فِي الْقَنَالِ السَّحِيرِ
وَاكْتَسَى الطَّوْدُ حُلَّةً مِنْ طُيُوفٍ غَازَلَتْهَا يَدُ الظَّلَامِ الْمُغِيرِ
وَسَرَى فِي الْأَجْوَاءِ رُوحٌ جَلِيلٌ شَاعِرِيٌّ مِنْ رَهْبَةِ الدَّيْجُورِ
وَزَفِيفُ الْمَسَاءِ يَمْعِنُ فِي السَّطْ وِ عَلَى النُّورِ أَوْ بَقَايَا النُّورِ
وَالْمِينَا يَبِيعُ نَجْمًا اللَّيْلُ سُودًا فِي بِطَاحِ السَّمَاءِ نَبْعَ الْغَدِيرِ
وَأَوَاذِي الظَّلَامِ مُرْتَطِمَاتٌ فِي خِضَمٍّ مِنَ الدُّجَى مَسْجُورِ
خَطَرَتْ فِيهِ سُفْنُ أَبُوسَ شَتَّى بَعْدَ مَا صَاغَهَا مِنَ الْبَلُّورِ (١)
وَالسُّكُونُ الْعَمِيقُ يَبْعَثُ فِي نَفْـ سِي حَنِينًا إِلَى الْبُكَاءِ الْمَرِيرِ
وَأَطَلَّ الْهِلَالُ يَغْسِلُ بِالضَّوْ ءِ جِبَاهَ الْآفَاقِ حُلْوَ الْفُتُورِ
وَتَدَلَّتْ ضَفَائِرُ الشَّجَرِ الْبَا سِقِ فِي الْفَجْرِ رَاقِصَاتِ الشُّعُورِ
دَاعَبَتْهَا الْأَنْسَامُ فِي هَدْأَةِ اللَّيْ لِ فَهَزَّتْهَا سَكْرَةُ الْمَخْمُورِ
وَانْبَرَى خَافِقِي يُنَادِي نِدَاءً عَالِيًا فِي عُمْقِي قَوِيَّ الْهَدِيرِ
آهِ لَوْ كُنْتِ يَا شَقِيقَةَ رُوحِي تَحْتَ جَنْبِي لَا صُورَةً فِي ضَمِيرِي
أَنَا يَا أُخْتُ قَدْ تَعَشَّقْتُ أُمًّا فِيكِ تَرْعَانِي كَالْوَلِيدِ الصَّغِيرِ
وَتَمَنَّيْتُ لَوْ عَلَى صَدْرِكِ النَّا هِدِ أَغْفُو إِلَى صَبَاحِ النُّشُورِ
لَا أُبَالِي بِضَجَّةِ الْكَوْنِ حَوْلِي لَا وَلَا أُصْغِي لِاصْطِخَابِ الْعُصُورِ
فَارْفَعِينِي إِلَى سَمَائِكِ . . . إِنِّي فِي حَضِيضٍ مِنَ الْخَنَا وَالْفُجُورِ
وَاسْمَعِينِي فَإِنَّنِي سَأُغَنِّي لَكِ لَحْنًا مِنْ أَدْمُعِي وَزَفِيرِي
آهِ لَوْ كُنْتِ يَا شَقِيقَةَ رُوحِي تَحْتَ جَنْبِي لَا صُورَةً فِي ضَمِيرِي

عبد الرحمن الخميسي

(١) أبوس : هو رب النور



من أمراء العلم

ماكسويل

J. C. MAXWELL

للأستاذ قدري حافظ طوقان

أليس عجيباً أن يستنبط العالم بعض النظريات عن طريق الأرقام والمعادلات الرياضية ؟ أليس مدهشاً أن تتنبأ المعادلات عن بعض الأجرام السماوية قبل أن يراها الفلكيون بالرصد ؟

لقد رأى فرادای بعين البصيرة النافذة أن هناك صلة بين الضوء والاهتزازات الكهربائية المغناطيسية فى الأثير ، ولكنه لم يثبت ذلك عملياً . وجاء ماكسويل Maxwell وأتى بالعجب العجاب ، إذ لجأ إلى الرياضيات فى حل هذه المعضلة : هل هناك صلة بين الضوء والاهتزازات الكهربائية المغناطيسية ؟

وكانت محاولة ، ولكنها موفقة، وانتصار عظيم للعلوم الطبيعية والرياضية . فلقد ابتدع معادلات أثبت بها أن فى الفضاء اضطرابات كهربائية مغناطيسية تتصف بصفات الضوء ، أى أن الاضطرابات الناشئة من شرارة كهربائية تبدو فى مظهر أمواج فى الأثير لا نراها، ولكنها كالأمواج التى تحدث الضوء والحرارة، وتسير جميعها بسرعة الضوء وقدرها ١٨٦٠٠٠ ميل فى الثانية ! فهو بذلك قد وضع أساس الفنون اللاسلكية التى نراها متغلغلة فى العمران ومنتشرة فى كل مكان

كانت معادلات ماكسويل من أعظم الأعمال العلمية التى قام بها عالم ، فقد رفعته إلى مصاف العلماء العالميين الذين أدوا للحضارة أجل الخدمات التى قامت عليها الاختراعات المديدة والاكتشافات المختلفة التى تفرعت عن بحوث اللاسلكى

رأي بعض العلماء أن هناك اضطراباً فى فلك أورانوس ، وقالوا بوجود قوة تقصيه عن الطريق التى تحددها الحسابات والأرصاد، وأن هذه القوة ليست إلا نتيجة لجذب كوكب غير معروف . وقام الفلكيان (ادمس) الإنكليزى و (الفريه) الفرنسى حوالى منتصف القرن التاسع عشر للميلاد، بالبحث فى هذه المسألة فاستطاعا بقوانين الجاذبية والمعادلات الرياضية وحساباتها المعقدة أن يعينا مكان السيار المجهول وأن يحددا موقعه والطريق التى يسير عليها حول الشمس . وقد وجه الفلكيون فيما بعد مراقبهم إلى مكان السيار الجديد (نبتون) فوجدوه فى الموضع الذى تنبأت عنه رياضيات ادمس والفريه

وكذلك تنبأ العلماء عن طريق المعادلات والأرقام عن موقع سيار تاسع جديد أطلقوا عليه إسم (بلوتو Pluto)

كانت هذه الحوادث واكتشاف الأمواج اللاسلكية من أجل الأعمال التى أقامت الدليل على صحة القوانين الطبيعية والمعادلات الرياضية ، وهى من العوامل التى زادت ثقة العلماء بأنفسهم وبمقدرتهم على اكتناه أسرار الكون وروائع الوجود ، كما كانت أيضاً من العوامل التى دفعت بالعلوم الطبيعية والرياضية والفلكية خطوات واسعة إلى التقدم والابتكار

انحدر ماكسويل من عائلة عريقة فى سكوتلاندة ، وولد فى ادنبرغ عام ١٨٣١ وتعلم فى جامعتها وفى جامعة كمبردج ونال الجوائز التى لا تمنح إلا للمتفوقين . شغل مركز أستاذ فى الفلسفة فى Marischal College مدة أربع سنوات ، وكذلك أستاذ فى الطبيعة والفلك فى كلية الملك التابعة لجامعة لندن مدة ثمانى سنوات (١٨٦٠ ـ ١٨٦٨) ثم اعتزل التعليم. وفى سنة (١٨٧١) تعين أستاذاً للعلوم الطبيعية التجريبية فى جامعة كمبردج ، وتحت رعايته نشأ معمل كافندش Cavendish Lab: الشهير بنتائج بحوثه وروائع تجاربه . وتوفى فى كمبردج عام (١٨٧٩) أى أنه مات وعمره (٤٦) سنة . وعلى الرغم من هذا العمر القصير ، فقد وصل إلى أعلى المراكز العلمية التى يطمح إليها رجال العلم ، وكان له مقام خطير بين علماء الفلسفة الطبيعية

لقد تفتحت مداركه ومواهبه حينما كان فى الخامسة عشرة من العمر فنشر رسائل علمية قيمة منها رسالة تبحث فى طريقة ميكانيكية لرسم الأشكال الديكارتية البيضوية ، وقد قرأها عنه

الأستاذ فوربس Forbes فى جمعية أدنبرغ الملكية

وفى سن الثانية والعشرين نشر فى مجلة هذه الجمعية رسالتين نفيستين تبحث إحداهما فى توازن الأجسام المرنة ، ويعترف العلماء بأن هذا البحث هو من الموضوعات الهامة التى تناولها ما كسويل ، وكان الأساس الذى بنى عليه ابتكاراته فيما بعد .

واعترف معاصروه بفضله وعبقريته فمنحوه جائزة أدمس Adams من كبردج وذلك على أثر نشر رسالة مبتكرة فى حلقات زحل ، فقد بين فيها أنها ليست مناطق جامدة أو سائلة وأنها مؤلفة من نيزكات . وكذلك منح جائزة رومفرد Rumford من الجمعية الملكية لبحوثه وتجاربه فى اللون والألوان الأساسية فى الطبيعة . وعنى بنظرية الغازات وحركاتها ، وكانت من أهم البحوث التى طرقها ، وظهر فيها كعالم جمع بين التجربة والرياضة فقد قدم سنة (١٨٦٠) إلى مجمع تقدم العلوم البريطانى موضوعاً يتعلق بنظرية (برنوى) القائلة بأن الغازات مؤلفة من دقائق عديدة متحركة فى حالة تصادم شديد ، فأثبت فى هذا الموضوع أن السنتمتر المكعب من الهواء (على درجة عادية) يحدث فيه (٨٠٠٠) مليون اصطدام بين دقائقه . وكذلك كشف قانون توزيع السرعات فى ذرات الغازات ويعرف هذا القانون بقانون (ما كسويل)

وألف كتاباً نفيساً فى نظرية الحرارة ورسالة قيمة فى المادة والحركة واشتهر بتبسيطه بعض البحوث الطبيعية ، تشهد بذلك محاضراته التى كان يلقيها أحياناً فى مجمع تقدم العلوم البريطانى فى (الجزيئات) و (المادة والحركة) و (التلفون) وبحوث أخرى فى الغازات ولزوجتها

درس الرياضيات وجال فيها وغاص فى أرقامها ومعادلاتها فرسخت قدمه فيها رسوخاً مكنه من تسخيرها لميادين الطبيعة ، وفى ذلك كشف أعظم مكتشفاته ، وبلغ درجة جعلته من المقدمين فى تاريخ تقدم الاختراع والاكتشاف . لقد فسر (ما كسويل) بحوث فراداى فى خطوط القوة lines of forc رياضياً ، وكان من ذلك أن مكّن العلماء فيما بعد من توسيع نطاق هذه البحوث وتطبيقها فى ميادين الاختراع

رأى فى انتظام برادة الحديد خطوطاً فى أشكال معينة عند نشرها على ورقة تحتها مغناطيس ، دليلاً على وجود قوة مغناطيسية وأن خطوط هذه القوة هى شيء حقيقى أكثر من مجرد تفاعل بين قوتين ، ويقول : « ... ولا يسعنا إلا الظن بأنه حيث توجد هذه الخطوط لا بد من وجود حالة طبيعية أو فعل طبيعى على جانب كاف من الطاقة لإحداث ظاهرة انتظام برادة الحديد ... »

وفوق ذلك فرض ما كسويل أن للتيارات الكهربائية وجوداً مستقلاً فى الفضاء والمواد المعزولة ، وقد أستند إلى هذه التيارات الخواص التى تسند إلى التيارات الكهربائية التى تجرى فى دورات كهربائية مقفلة ، وعلى ذلك فمن شأن هذه التيارات إحداث حقل مغناطيسى وتيارات بالتأثير بالإضافة إلى حقلها الكهربائى ... وضع هذه الفروض أساساً وسخر الأساليب الرياضية ، فإذا هو يستنتج وجود الأمواج الكهرطيسية وخرج بالقول إنه « ... إذا تغيرت قوة (الحقل الكهربائى) تغيراً دورياً فى السمة والاتجاه كان لا بد من حدوث موجة كهربائية ... » وأوضح أنه إذا طبق هذا الأسلوب على الحقل المغناطيسى أمكن إحداث أمواج مغناطيسية ، وقال : « إن الموجة الكهربائية يصحبها موجة مغناطيسية ، والمغناطيسية يصحبها موجة كهربائية وأن الواحدة لا تحدث إلا والثانية معها ، وأثبت أن قوة الحقل الكهربائى عمودية على قوة الحقل المغناطيسى ، وأن كلا منهما عمودى على اتجاه التيار ... » وظهر له أيضاً أن هـذه الأمواج مستعرضة تشبه أمواج الضوء وأنها تسير بسرعة الضوء

ولا يخفى أن هذا الاستنتاج ذو أهمية عظمى وكان له شأن كبير فى تقدم اللاسلكى ، وقد حمله على القول بأن الضوء قد يكون نوعاً من أنواع الطاقة الكهرطيسية [1] لولا بحوث ما كسويل ومعادلاته لما تقدمت المخاطبات اللاسلكية تقدمها الحاضر ، ولما كان فى إمكان العلماء أن يملأوا الجواء بعجيج الأمواج اللاسلكية وقد حملت على أجنحتها الأنباء والأخبار والصور

إن ما كسويل من الذين وضعوا الأسس التى يقوم عليها الاختراع فى هذا العصر ، ومن الذين أنعم الله عليهم بقوى خارقة عملت على ترقية الفكر العلمي وكشفت عن أسرار الطبيعة وغرائبها وأخضعت قواها لمطالب الإنسان ، فهو من مفاخر

---

(١) رجعنا فى هذا المقال إلى المصادر الآتية : دائرة المعارف البريطانية ، كتاب أعلام المقتطف ، كتاب أساطين العلم الحديث لصروف ، كتاب تاريخ الفيزياء لنظيف ، وكتاب كبار رجال العلم لويلسون ، وكتاب تاريخ الرياضيات لسمث ، وتاريخ الرياضيات لكاجورى وغيرها .

الإنسانية ومن كبار العلماء المقدمين الذين تركوا آثاراً خالدة ومآثر جليلة فى ميادين العلوم الطبيعية والرياضية . إن ماكسويل وأضرابه من المستنبطين من أغلى الممتلكات التى تملكها الأمة ويقول هوفر : « ... إن كل مبلغ من المال مهما يعظم ضئيل إزاء عمل هؤلاء الرجال الذين يملكون قوة الإبداع والتفانى والمثابرة على ترقية الفكر العلمى خطوة خطوة حتى يصلوا به إلى البيوت فينشروا فيها أسباب الصحة والراحة والرفاهة . إننا لا نستطيع أن نقيس ما عملوه لترقية العمران بكل أرباح البنوك فى جميع أنحاء المعمورة »[1]

قدرى حافظ طوقان

(نابلس)

(١) راجع كتاب فتوحات العلم الحديث لصروف ص ٦



حول مسابقة الجامعة المصرية

١ — كنت دعوت طلبة السنة التوجيهية إلى الإجابة عن طوائف من الأسئلة وأنا أوجههم إلى درس كتاب «وحى الرسالة» فأجاب الأديب فوزى مختار منصور الطالب بالمدرسة الخديوية إجابة تدل على فهم وذوق ، وإن كان انحرف قليلاً عما رميت إليه من النص على الغلطتين المطبعيتين

وأنص على الغلطة الأولى فأقول : جاء فى كلام الزيات « كان جمال المرأة (داعى) الرغبة خافض الجناح » ؛ والغلطة فى « داعى » وصوابها « وادع » كما يشهد السّياق . وقد يقول الزيات إنها من القلب المكانى ، فا هو القلب المكانى يا تلاميذ السنة التوجيهية ؟

أما الغلطة الثانية ، ففيها شبهة نحوية ، فما تلك الشبهة يا صديقنا العزيز بمدرسة الخديو إسماعيل ؟

٢ — كنت وجهت إلى الطلبة سؤالاً وأنا أدرس كتاب حافظ عفيفى باشا عن « الإنجليز فى بلادهم » ، والسؤال خاص بالفيلسوف الفرنسى صاحب العقد الاجتماعى ، وقد ظهر أن حافظ عفيفى أخطأ حين قرر أن كتاب روسو شغل عند ظهوره مفكرَين انجليزيين هما هوبس ولوك . أما وجه الخطأ ، فيرجع إلى أن روسّو لم يكن مفكراً معروفاً إلا بعد ظهور هوبس ولوك بعشرات السنين ، فمن المستحيل عقلاً أن يكون كتابه أثّر فى هذين المفكرين

وإلى الأستاذ شفيق غربال أقدم واجب الثناء

٣ — قال قومٌ : إنى بهذه الدراسات عطلت الغرض المقصود من مسابقة الجامعة المصرية ، وأجيب بأن هذا المذهب فى توجيه الطلبة مألوف فى الجامعات ، ولا سيما جامعة باريس ، وقد أديت امتحاناً من هذا الطراز فى أروقة السوربون ، فلم أر توجيه الأساتذة ينفع غير الطلبة النجباء

٤ — وقال آخرون : إنى غيرت مذهبى فى النقد الصريح ، وأجيب بأن المقام لا يسمح بغير ما صنعت ، لأنى وقفت موقف المدرس ، وقديما قيل : لكل مقام مقال

وأنا مع ذلك قلت كل شىء بأسلوب ينفع الطلبة ولا يؤذى المؤلفين

٥ — واعترض أحد الباحثين بأنى لم أشر إلى الناشرين ، وهو اعتراض وجيه ، وأقرر أن ناشر كتاب « فيض الخاطر » هو لجنة الترجمة والتأليف والنشر ، وناشر « وحى الرسالة » هو إدارة مجلة « الرسالة » ، وناشر « الإنجليز فى بلادهم » هو مكتبة النهضة المصرية ، وناشر كتاب « التاريخ المصرى » هو صاحب « البلاغ » ، وناشر « المنتخبات » هو مكتبة الأنجلو المصرية .

وفى الأبحاث الآتية سأنص على أسماء الناشرين ، بدون منّ عليهم ، لأنهم أصدق أعوان المؤلفين ، والله الموفق

زكى مبارك

سكان المريخ فى الشعر العربى القديم

لم يكتف الشاعر أبو العتاهية بالنص على أن فى المريخ سكاناً بل هو يصف سكان هذا الكوكب باصفرار الشعر واحمرار الوجوه وزرقة العيون

قال فى وصف والبة الشاعر :

وكأن وجهك حُمْرةً رئةٌ — وكأن رأسك طائر أصفر

فعرفنا من ذلك أنه أحمر الوجه أصفر الشعر

وفى قصيدة أخرى يقول فى وصف والبة :

أراك ولدت بالمريخ — يا ابن سبائك الذهب

فجئت أقيشر الخدين — أزرق عارم الذنب

ولقد نقر أبا العتاهية على أن هذه المجموعة من الألوان تصف أهل المريخ لأنها صفات الجنس النوردى وهم فيما يقول الألمان

أرق للبشر ، وسكان المريخ مفروض فيهم أنهم أرق من سكان الأرض .

ولكن بقيت مسألة أخرى هى عرامة الذنب . فإن صح أن سكان المريخ من ذوى الأذناب العارمة كما يقول أبو العتاهية فإن الجنس الذى يحارب الألمان من أجل سيادته من ذوى الأذناب العارمة كذلك ... أم ليس ذلك كذلك ؟

انشاء

حكايات من الهند

لصديقنا الأستاذ عبده حسن الزيات ملكة أصيلة فى القانون وقريحة بصيرة فى الأدب ؛ تجلت هذه وتلك فيما بحث من مسائل الفقه والاجتماع ، وفيما ترجم من عيون الروايات والقصص . واختياره لما يترجم كاختياره لما يكتب موسوم بطابع الجد والجمال والفائدة . وآخر ما أخرجه إلى قراء العربية « حكايات من الهند » وهى أمثال حكمية كتبها بالإنجليزية الكاتب الهندى « إيار » وأودعها الخلاصة الخالصة لفلسفة الهند وتصوفها وآدابها وأخلاقها وعاداتها ؛ ثم جلاها فى معرض أخاذ من البلاغة العالية والفن المحكم ، فجاءت « بعيدة المنزى على قرب منالها ، عميقة القاع على هدوء سطحها ، قوية الإيحاء على بساطة مظهرها » . ثم ترجمها الأستاذ « عبده الزيات » ترجمة أمينة رصينة جلتها على الوضع الأصيل من سلاسة الأسلوب وسلامة الإيجاز ودقة الأداء . وترجمة هذا النحو من الأمثال القصيرة أشق على المترجم وأدل على براعته ، لأنها لقصرها تكره الفضول ، ولإيجازها تخشى الغموض ، ولبساطتها تنكر التكلف . فإذا لم يتح الله لها قلماً كقلم الأستاذ الزيات رصيناً بطبعه بليغاً بفنه ، ذهب الجمال المستسر فيها ، وبعدت الغاية المقصودة منها . والكتاب بعد ذلك أنيق الوضع والطبع ؛ فنشكر للأستاذ الزيات هذا الجهد النافع . وننصح لقرائنا ألا يفوتهم الأنس بهذه الأقاصيص ، فإن فى معاربضها متعة وفى مغازيها عبرة

وفاة الأستاذ محمد مسعود بك

فى يوم الإثنين الماضى استأثر الله بالأديب البارع والعالم المحقق والمترجم الصادق الأستاذ محمد مسعود بك عن ٦٩ عاماً أنفقها فى رياضة القلم وخدمة الثقافة وتصحيح المعرفة . ففى شبابه حرر (المؤيد) ثم أصدر (المنبر) ؛ وفى كهولته ولى إدارة المطبوعات فوجه الصحافة والنشر التوجيه الصالح فى الطريق البالغ . وفى شيخوخته عكف على البحوث التاريخية والجغرافية واللغوية ، فنشر منها فى الصحف الطريف الممتع . وكان فى غضون عمره المبارك لا يفتر عن التأليف والتحرير والترجمة حتى ترك للمكتبة العربية ثروة قيمة لا ينقصها إلا الجمع والترتيب والنشر . رحمه الله رحمة واسعة ، وعوض اللغة والأدب منه خير العوض

موسى عليه السلام

نقل الأستاذ « شيبوب » عن العلامة « فرويد » أن موسى كان مصرياً لا عبرياً ، وأيد رأيه بأن كلمة « موسى » مصرية بمعنى عبد ، وفى العدد ٣٨٧ من الرسالة سأل الأستاذ عبد المتعال الصعيدى عن موسى عليه السلام أمصرى هو أم عبرى ، وذكر ما قرأه فى بعض الكتب القديمة من أن كلمة « موسى » سريانية مركبة من كلمتين « مو — شا » و « مو » بمعنى ماء ، و « شا » بمعنى شجر ، فهى بمعنى ماء وشجر ، لأنه وجد بين ماء وشجر

وأنكر الأستاذ محمد صابر أن كلمة « موسى » مصرية وأنها بمعنى عبد ، ولكنه لم يذكر رأيه فى أصلها

والحقيقة أن كلمة « موسى » هى اسم مفعول من الفعل « مَشَاهْ » بمعنى انتشل بالعبرية ؛ والتوراة تنص على ذلك ، ففى سفر الخروج — الإصحاح الثانى ص ٨٩ (١٠) « ودعت اسمه موسى وقالت : إنى انتشلته من الماء » « فتقراه شموموشى فتومركى من هاميم مشيتيهو » فموشى بمعنى المنتَشل فى العبرية

وأما أصله فعبرى أيضاً يدل على ذلك ما جاء فى العهد القديم فى سفر الخروج — الإصحاح الثانى (٦) « ولما فتحته رأت الولد وإذا هو صبى يبكى ، فرقت له وقالت : هذا من أولاد العبرانيين »

وفى القرآن الكريم « ... فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه ، فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه » . وفى سفر الخروج نجد (١١) « فرأى رجلاً مصرياً يضرب رجلاً عبرانياً من إخوته »

كل هذا يقطع بأن « موسى » عليه السلام عبرى أصلاً واسماً .

محمود السيد أبو السعود

مجلة الحديث تصدر عدداً خاصاً عن الدكتور أدهم

من شهرين ونصف تقريباً أعلن الأستاذ إبراهيم أدهم شقيق الدكتور إسماعيل أدهم بمجلة الرسالة عن صدور عدد خاص بالفقيد من مجلة الحديث وفاء منها لأحد كبار كتابها الذين خدموا الأدب العربي الحديث بتلقيحه بثمار الفكر الأوربي ونتاج البحث الاستشراق. وقد دعاني الأستاذ إبراهيم للاشتراك في تحرير هذا العدد كما دعا هو والأستاذ سامي الكيالي – صاحب (الحديث) – الكثيرين من كبار الأدباء والمفكرين في الشرق العربي للمساهمة في ذلك العمل النبيل . وكان المنتظر أن يكون أول المجيبين لتلك الدعوة الأدباء الذين قدّم لهم الفقيد الخدمات الأدبية الخالدة . وهل ينتظر فناننا المصرى توفيق الحكيم من يكتب عنه أمثال تلك الدراسة التى كتبها عنه الدكتور أدهم وصدر بها عدد خاص من مجلة الحديث ، تلك الدراسة التى لم تخدمه فقط بل خدمت القصة المصرية جماء لعرض تاريخ كتابها كمقدمة للكتابة عن الفنان الحائر توفيق الحكيم . ولا يسعنى أيضاً إلا أن أعجب من موقف الدكتور طه حسين الذى لم تلفته وفاة الدكتور أدهم لكتابة كلمة وفاء لذكراه التى إن لم تكن خالدة بالنسبة لما قدمه لأدبنا فهى خالدة لما قدمه من دراسة وافية عن الدكتور[1] . وليسمح لى الأستاذ الكبير الزيات بأن أعرض عرضاً سريعاً لمواد ذلك العدد من الحديث . ومجلة الحديث قبل كل شيء مجلة تخدم الفكر الحر وتعمل فى نهضة أدبنا الحديث بجد وإخلاص ، إلا أن ظروف الحرب قد اضطرتها كما اضطرت غيرها من زميلاتها فى الشرق العربى إلى أن تنقص من كمّها بدون أن يؤثر ذلك على كيفها . وقد ظهر ذلك فى العدد الخاص بالدكتور أدهم لمن يعرف الحديث قبل ذلك ، وزين العدد بصورة للفقيد وقت تخرجه من جامعة موسكو ، كما صدر العدد بكلمات قصيرة لبعض كتاب العربية من أمثال المرحوم الرافعى والأستاذ الزيات والأستاذ سلامة موسى والدكتور أبى شادى . وتأتى بعد ذلك كلمة وافية لمحرر المجلة الأستاذ سامى الكيالى تتبع فيها الفقيد فى جميع أدوار حياته كما كتب الأستاذ صديق شيبوب عن ذكرياته مع الدكتور أدهم . وأودع صديق الفقيد الشاعر حسن كامل الصيرفى عصارة قلبه المكلوم قصيدة من أروع شعره الرمزى الطليق الخيال. وقد تناول الأستاذ محمد عبد الغنى حسن أسلوب أدهم بالتتبع والنقد. وثم كلمة أخرى للأستاذ السحرتى المحامى. وعداها لا توجد كلمات أخرى لكاتب مصرى غير كلمتى عن (أثر الرياضيات فى حياة أدهم الفكرية والعملية) لا العلمية كما وقع خطأ فى المجلة . وما كنا ننتظر ذلك من أدباء مصر ولا كانت تنتظره مجلة الحديث فقد كاتبنى الأستاذ سامى الكيالى متأسفاً (لتقاعسهم) عن أداء الواجب عليهم

وقد ختم العدد بمقال لشقيق الفقيد تحت عنوان (مع أخى فى فترات حياته)

وغير هذه المقالات التى نشرت مقالات أخرى ضاق العدد عن نشرها فاضطر المحرر لتأخيرها إلى الأعداد التالية من الحديث

(دمنهور) عبد الحفيظ نصار

(١) كتبنا نقداً لتلك الدراسة التى صدر بها عدد خاص من مجلة الحديث بالعدد (١٨) و (١٩) من مجلة الامام عام ٣٩ م التى كانت تصدر من الأسكندرية تحت عنوان (نظرات فى دراسة الدكتور أدهم عن الدكتور طه حسين)



« سانياسى » أو الزاهد

مسرحية رمزية رائعة لشاعر الهند طاغور

ترجمة الأستاذ فخرى شهاب السعيدى

— ١ —

(« سانياسى » خارج الكهف)

— إنى لا أميز بين النُّهُر والليالى ، ولا أعرف فارقاً بين الأشهر والسنين ، لأن تيار الزمن الذى يتراقص العالم على متن أمواجه تراقص العُصَافة والمساليج ساكنٌ لدى . إنى فى هذا الكهف المظلم وحيدٌ ، مغمورٌ فى نفسى ؛ والليل الأبدىّ ساجٍ كبحيرة فى جبل خائفة من عمق ذاتها ؛ والماء يرشح وَيَنْقُطُ من الشقوق ، والضفادع القديمة سابحة فى البُرَكِ . فأجلس مترنماً بترانيم العَدم ؛ وحدود الكون تتناءى خطّاً إثر خط . أما النجوم فإنها تنطفئ انطفاء الشرر المتطاير من سندان الزمن ؛ وأما سرورى فهو سرورُ الإله « شيفا » الذى يستيقظ بعد دهور يقضّيها فى حلمه فيجد نفسه وُحيداً فى قلب الفناء الذى لا حَدَّ له . إنى حرٌّ طليق . إنى أنا هو الأحد الصمد العظيم . إنى إذ كنتُ عبدكِ يا أيتها الطبيعة : سَلَّطتِ قلبى على ذاته ، وجعلتِهِ يثير حرب الانتحار الشعواء فى عالمه . وقد أثارتْ فىّ سَوْرة الغضب تلك الشهوات التى لا غاية لها غير نهش ذاتها والتهام كل ما يقترب من أفواهها ، فركضْتُ ركضَ المجانين فى مطاردة ظلى . لقد سقتِنى بأسواط ملذاتكِ الخاطفةِ إلى خلاء الشبع ، ومشاعر الجوع ، وقادَتنى دوماً مغرياتُكِ إلى القحط الذى لا انتهاء له حيث انقلب الطعام إلى تراب واستحال الشراب إلى بخار !

وإلى الوقت الذى كان فيه عالمى مُبقعاً بالدموع والرماد أقسمتُ بالانتقام منك يا أيتها السيدة التى لا حَدَّ لمظهرها وتنكّرها . لقد لذْتُ بالظلام ، معقل اللامتناهى ، وكافحتُ النور الخادع يوماً فيوماً إلى أن فقد جميع سلاحه وارتمى منخذلاً عند قدمى . والآن ، وأنا منعتق من رق الخوف والشهوات ؛ الآن ، وقد زال الثمام وانبعث من عاقلتى نور الطهارة والذكاء . فَلأخرج إلى عالم الأكاذيب ولأجلس على قلبه غير ملموس وبلا حراك

— ٢ —

(« سانياسى » على الطريق)

— ما أصغر هذه الأرض وما أضيقها ، وما أشد هذه الآفاق ثباتاً فى تطويقها ! إن مرأى الشجرِ والدور وجميع الأشياء ليضغط على عينى ضغطاً . والنور ! إنه مثل قفص فى حبسه ظلام الأبدية عن الدخول . والساعات ! إنها لتصرخ وتتواثب داخل حواجزها كأنها الطيور إذ تُحبس . ولكن ما لهؤلاء الرجال الصاخبين ينطلقون راكضين ولأى مقصد يسعون ؟ لكأنهم خائفون من أن يضيعوا شيئاً لا تستطيع أيديهم بلوغه !

[تمر زحمة من الناس]

(يدخل شيخ القرية وامرأتان)

المرأة الأولى : يا لله إنك لتضحكنى

المرأة الثانية : ولكن من قال إنك عجوز ؟

شيخ القرية : إن بعض الحمقى يحكمون على الناس من مظاهرهم

المرأة الأولى : واحسرتاه ! لقد كنا نرقب مظهرك منذ عهد حداثتنا ، وهو باق على ما عهدناه لم يتغير فى خلال هذه السنين

شيخ القرية : مثل شمس الضحى

المرأة الأولى : أجل مثل الشمس فى رائعة النهار

شيخ القرية : أيتهـا السيدتان ، إن فى ذوقكما ميلاً إلى الصرامة فى النقد ، إنكما تمنيان بتوافه الأمور

المرأة الثانية : دعك من هـذا اللغو يا « أناكا » ولنسرع فى العودة إلى البيت وإلا ثار ثائر زوجى

المرأة الأولى : أستودعك الله يا سيدى . وأرجو أن تحكم علينا من ظواهرنا فلن نعير ذلك اهتماماً

شيخ القرية : ذلك لأنه لا ذات حقيقية لكما يمكن التحدث عنها غير هذا الظاهر !

[يخرجون]

(يدخل ثلاثة قرويون)

القروى الأول : أيشتمنى الوغد ؟ ليقرعنّ سنّ الندم إذاً

القروى الثانى : يجب أن يلقن الدرس بليناً

القروى الأول : المرس الذى سيتبعه إلى الرمس

القروى الثالث : أجل يا أخى ، فلا تثن عزيمتك ولا تترك له الفرصة السانحة

القروى الثانى : لقد أخذه الغرور والتعاظم

القروى الأول : تعاظم ينتهى به إلى الانفجار

القروى الثالث : إذا نبحت أجنحة النمل كان فى ذلك هلاكه

القروى الثانى : وهل أحكمتم لأنفسكم منهاجاً ؟

القروى الأول : لا منهجاً واحداً فحسب ، بل مئات المناهج سأقلب عالى بيته سافله بعجرائى ، وسأطوفه على حمار فى المدينة مشهراً به صابغاً وجهـه بالصباغ الأبيض والأسود ، وسأثير غضب العالم كله عليه و ... [ينصرفون]

(يدخل تلميذان)

التلميذ الأول : إنى واثق بأن الغلبة فى المناظرة إنمـا كانت للأستاذ « مدهب »

التلميذ الثانى : كلا ، بل الأستاذ « جاناردان » هو الذى فاز

الأول : لقد ثبت الأستاذ مدهب على رأيه حتى النهاية وقال بأن الرقة بنت الخشونة

الثانى : ولكن الأستاذ جاناردان قد أتى بالبرهان القاطع على أن الرقة هى أصل الخشونة

الأول : يستحيل ذلك

الثانى : بل هذا أمر واضح كالنهار

الأول : إنما أصل البذور الشجرة

الثانى : بل البذرة هى أصل الشجرة

الأول : ما قولك يا سانياسي ؟ أى هذا هو الحق ؟ أى هذين الأصل : آلرقة أم الخشونة ؟

سانياسى : لا هذه ولا تلك

الثانى : لا هذه ولا تلك ؟ إن فى هذا الكفاية

سانياسى : ما الأصل إلا النهاية ، وما النهاية غير الأصل . إنها حلقة ، وإن من جهلكما ينشأ الخلاف بين الرقة والخشونة

الأول : الأمر واضح جداً . وما أرى فى هذا غير قول أستاذى

الثانى : بل إن هذا لينطبق على تعاليم أستاذى أنا بغير شك [ينصرفان]

سانياسى : هذه الطيور لواقط كلم ، وما سعادتها إلا بالتقاط اللغو الملتوى الذى تملأ به أفواهها .

(تدخل بائعتا زهر)

تنتيان : « تمر الساعات بطيئة ؛

وتذوى الأزهار المتفتحة فى النور

فتسقط فى الظل

وقد خيل إلى أننى سأضفر إكليلاً

فى سجسج الصباح لمحبوبى ؛

ولـكن الصبح يجر ذيوله متثاقلاً ،

والزهر على غصونه لا يجد قاطفاً ،

لأن حبيب النفس مفقود ... »

أحد السابلة : ولم هـذا الأسف يا عزيزتى ؟ إذا ما تهيأت الأكاليل فالأعناق حينئذ متيسرة

إحدى الفتاتين : وكذلك الأرسان ![1]

الفتاة الثانية : إنك لشجاع مالك دنوت منى هذا الدنو ؟ !

الرجل : يا فتاتى ، شجارك هذا لنير ما داع ، فبينى وبينك ما يتسع لمرور فيل

الفتاة الثانية : أفى الحق هنا ؟ أمخوفة أنا بهذا القدر ؟ إنى ما كنت لآكلك لو أنك دنوت منى [يخرجون ضاحكين]

(يجىء سائل)

السائل : أيها السادة الرحماء ، اعطفوا ، فلعل الله أن يكتب لكم التوفيق . أعطونى يسيراً من خيركم الوفير

(يجىء جندى)

الجندى : هيا ابتعد من هنا ، أما ترى ابن الوزير قادماً ؟ [يخرجان]

سانياسى : هـذه ظاهرة النهار[2] . إن الشمس لتستطع وتتوهج ، والسماء كأنها طاس من النحاس منكفئة تتقد ، وهذه الأرض تزفر بأنفاس حرار فتتراقص الرمال المائجة . كم من مشاهد هذا الإنسان رأيت فهل فى استطاعتى أن أراجع ثانية فى صغر هذه المخلوقات لأكون منها ؟ كلا ، بل أنا طليق لا يعوقنى فى هذا الكون شىء . إنى إنما أعيش فى قفر موحش !

(تدخل « فاسنتى » الفتاة وامرأة)

المرأة : ألست ابنة « رافو » يا فتاة ؟ عليك أن تبتعدى عن هذه الطريق ، ألا تعلمين بأنها مؤدية إلى الهيكل ؟

فاسنتى : إنى يا سيدتى على الطوار الأبعد منها

---

(١) جمع رسن (٢) ساعة انتصافه

المرأة : حسبت أن قد مسك ثوبي . إني حاملة هداياي إلى الآلهة ، وأرجو ألا تكون نجُسَتْ

فاسنتي : أؤكد لك أن ثوبك لم يمسسني (تذهب المرأة) إني « فاسنتي » ابنة « رافوا » فهل أدنو منك يا أبت ؟

سانيامي : ولم لا يا طفلتي ؟

فاسنتي : لأني رجس كما يدعونني ؟

سانيامي : ولكنهم جميعاً دنسون . إنهم يتمرغون في تراب الوجود ؛ وليس من نقىٍّ غير من نقّى ذهنه من هذا الكون ، ولكن ماذا بدر منك يا ابنتي ؟

فاسنتي — لقد استهزأ أبي الذي اخترمته المنون بقوانينهم وآلهتهم ، ولم يكن يقيم شعائرهم

سانيامي — مالكِ تقفين بعيدة عني ؟

فاسنتي — وهل ستَمَسُّني ؟

سانيامي — نعم ، لأني لا يمسني في حقيقة الأمر شيء . إني موغل في اللانهاية ، إذا شئت أن تجلسي هنا فافعلي

فاسنتي — (متحسرة) لا تأمرني بمغادرتك إذا ما قربتني مرة منك

سانيامي — كفكفي عبراتك يا طفلة ، إني أنا سانيامي الذي ليس ينفذ في قلبه شيء من ضغينة ولا هوى ، وإذا لم تكوني لي فليس بوسعي أن أطردكِ . إن مَثَلَكِ إذا قيس بي كان كمثل هذه السماء الزرقاء . إني أراك كائنة وغير كائنة — أنت — في نظري

فاسنتي — أبتاه ، إني منبوذة من الآلهة والناس على حد سواء

سانيامي — وكذلك أنا ، لقد نبذتُ الآلهة والناس

فاسنتي — أليس لكَ أم ؟

سانيامي — كلا

فاسنتي — ولا عندك أب ؟

سانيامي — كلا

فاسنتي — ولا اصطفيْتَ خلاً ؟

سانيامي — كلا

فاسنتي — فسأكون معك إذاً . أفلا تنادرني ؟

سانيامي — لقد استثنيتُ من الفراق . في إمكانكِ أن تظلي بجانبي ومع ذلك فأنت بعيدة عني !

فاسنتي — إني لا أفهمك يا أبتِ ! خبرني أليس ثمة ملجأ لي في هذه الدنيا كلها ؟

سانيامي — أتريدين ملجأ ؟ ألم يبلغكِ أن هذا العالم هوة سحيقة لا تنتهي إلى قرار ؟ هذه جماهير الخلق خارجة من حفرة اللاشيء في البحث عن ملجأ لها ، فإذا هي تدخل في هذا الخواء الفاغر فاه وتضلّ فيه ! وتلك هي أخيلة الأكاذيب ملتفةً من حولكِ تقيم سوق أوهامها ؛ وما الأطعمة التي تبيعها سوى الظلال ! وإنها بذلك لتخدع جوعَكِ ولكنها لا تُشبِعُكِ ، فاخرجي من هنا يا ولدي ، اخرجي

فاسنتي — ولكني أراها في هذا العالم سعيدة يا أبتاه ! أفلا نستطيع أن ننتبذ من هذه الطريق مكاناً نرقبها منه ؟

سانيامي — إن هذه الجماهير لا تعي شيئاً ويا للأسف . إن بصائرها لا تدركُ أن هذا الكون إنما هو الموت الأبدي الذي لا انتهاء له ؛ إنه ليموت في كل لحظة ومع ذلك فلن ينتهي إلى الغاية . وأما نحن مخلوقات هذا العالم فإنما نحيا وقوام قوّتنا هذا الموت

فاسنتي — إنك لتملأ نفسي رعباً يا أبتاه !

(يدخل مسافر)

المسافر — هل أستطيع أن أتخذ لي ملجأ بالقرب من هذا المكان ؟

سانيامي — يا بني ليس ثمة ملجأ إلا في أعماق نفس الإنسان . فابحث عن هذا وتمسك به إن أردت نجاة

المسافر : ولكني متعب وفي حاجة إلى ملجأ ما

فاسنتي : إن كوخي على مقربة من هذا المكان فهل تجيء معي؟

المسافر : ولكن من عسيت أن تكوني ؟

فاسنتي : وهل لا بد لك من معرفتي ؟ إنني ابنة رافو

المسافر : بارك الله عليك يا طفلتي ؛ غير أني لا أستطيع بقاء

[ينصرف]

(البقية في العدد القادم)

فخري شهاب السعيدي

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطانة حسين — عابدين)

8me Année No. 389

Lundi - 16 - 12 - 1940

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٨٩ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٧ ذو القعدة سنة ١٣٥٩ — الموافق ١٦ ديسمبر سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهـــــــرس

صـفحة

القمـــــراء

للأستاذ عباس محمود العقاد

انظر القمر ، وارقب الخطر ، واسأل القدر !

واذكر قول صديقنا الزيات : « ليت الذى صبغ وجوه المصابيح باللون الأزرق استطاع أن يصبغ به وجه القمر ... إن بزوغ القمر أمسى نذيراً بالغارة ، ودليلاً للجارة إلى قتل الجارة »

واسمع من يقولون : « لقد أوشك القوم أن يخيفونا من الأقمار ... » فأقول : ومتى خلت الأقمار من الأخطار ؟

لقد كان آباؤنا ينتظرون من كل قمر سهماً إلى قلب ، واليوم ننتظر من كل قمر قذائف نيران !

إنه تقدُّم الزمن !

وهل تتقدم الأيام ، إلا لتظهر القذائف بعد السهام ؟ !

وتخيلت شاعراً من أصحاب « الاختراعيات » وممن يقرنون بين الاستحداث والطيارات والدبابات ، يتغزل فيقول :

قمري رمى بقذيفة من عينه وأذابني برصــــاصه ولجينه
وأطار نومى فانتفضت لأنني أنا هالك بحضوره وبيينه

فناديت بيني وبين نفسي : الأمان الأمان . الـكهوف أسلم من هذا الزمان ، والعقول أحوج إلى المخابئ من الأبدان ! !

***

قال بعض الفضلاء من قضاة المصريين : « متى نفهم هؤلاء الغربيين أو يفهموننا ؟ . . . إنهم يكتبون من الشمال إلى اليمين ، ونحن نكتب من اليمين إلى الشمال . وهم يدخلون المعبد فيخلعون القبعة ، ونحن ندخل المسجد فنخلع الحذاء . وهم يحبون فينتبطون ويشكرون ، ونحن نحب فنتأوه ونتألم . وهم يذكرون الشمس ويؤنثون القمر ، ونحن نذكر القمر ونؤنث الشمس . وكل أولئك نقيض من نقيض . فمتى نفهم هؤلاء أو يفهمنا هؤلاء ؟ »

خطرت لى خاطرة ذلك القاضى الفاضل وأنا أذكر النارات وأقمارها ، والأقمار وأخطارها ، فعاودنى العجب من تذكيرنا القمر وتأنيث الغربيين إياه ، وتساءلت : ماذا فى القمر من صفات الذكورة وهو مقرون بالحنين والحياء ، موصوف بالانباع والاقتفاء ، قليلٌ فيه ساطى المضاء وساطع الضياع ، عارض له من المحاق ما يعرض للنساء ؟

أهى زلة من زلات البداهة عند الشرقيين ؟ أم المستضعفون للأنوثة لا يفطنون لهذا المعنى الذى فطن له الغربيون ؟ أم هو إمعان فى البداهة أدركوا به من سطوة المرأة مالم يدركه مذكرو الشمس ومؤنثو القمر ، وأقاموا به ما عكسه أولئك الخاطئون ؟

هو على كل حال من مفارقات الشرق والغرب ، ولا بد لها من مفارقات ، ولو من طريق المصادفات !

* * *

وجاء البريد الإنجليزى الأخير فعاودتنى هذه الخاطرة المتجددة كرة أخرى

فى إحدى مجلاته مقال جميل للكاتب « ريتشارد ستراود Stroud » يستوحى به المعانى التى أوحت إلينا مخافة الأقمار ، وأن نقرن بينها وبين النارات والأخطار ، ولكنه جرى فيه على سنة التذكير فى موضع التأنيث ، والنبطة موضع الألم ، والكتابة من الشمال فى موضع الكتابة من اليمين ، لحمد ليالى القمر ، وود لو تتعاقب وتتكرر ، وحسب أنهم موشكون أن يفتتنوا بالأهلة والبدور ، وهم أمة فتنت بالشمس من قديم الدهور

قال إن التخبط فى الظلمات إن هو إلا رمز محسوس لتخبط العالم بأسره فى ظلمات رأس مخبول ، ودماغ جاهل مجهول ، فما أجدر الناس أن يحمدوا ليالى القمر كما يحمدون لمحات الصواب بعد غمرات الجنون ! وما أحق هذا الكوكب أن يرمز اليوم إلى العقل والرشاد ، وقد كان رمز الهيام والفتون !

ثم قال ما فحواه : إن سخرية القدر هى التى حكمت على عصر الكهرباء أن تقفر لياليه من الضياء ... فمنذ فجر التاريخ والطرقات ماخلت قط من ضياء مصنوع على يدى ابن آدم : انطفأت المشاعل فأضاءت الفتائل ، وانطفأت الفتائل فأضاءت مصابيح النفط والزيوت ، وانطفأت هذه المصابيح فأضاءت أشعة الكهرباء ، فلما بلغنا هذا المدى شاء لنا القدر أن نرجع إلى يوم لا مصباح ولا فتيلة ولا شعلة ! واقترن ذلك بضراوة كضراوة السباع ، وأصبحنا نبحث عن القمراء كما كانوا يبحثون عنها فى عصور الظلمات ، وعاد السؤال عن القمر كالسؤال عن الجو : نشيداً مطروقاً فى الأحاديث ، وتعلة معادة لابتداء الكلام !

* * *

دع هذا ثم اقلب الصفحة إلى حيث تلمح بين سطور هذا الكاتب لمحة مما فى سليقة أمته من روح الفن وحب الجمال

فهؤلاء القوم الذين تتساقط عليهم كِسَف الفضاء صباح مساء ، والذين ينظرون إلى السماء فلا يأمنون رجوم الموت وصواعق الأعداء

هؤلاء القوم تشوقهم ليالى القمر لما تعرض لهم من أشعة وظلال ، ومشاهد روعة وجلال ، ويقول كاتبهم هذا : « إن المدن والحقول وهى محلاة بالفضة القمرية لتبرز لك كأنها فى يوم خلقها الجديد . ولقد قيل : إن هتلر لخور بأن يسلك نفسه مع رجال الفنون . فمن الحق إذن أن نقول إنه أفلح فلاحاً يتجاوز الأوابد من أحلام ريمبران ... لأن الأشباح والظلال فى أحقر الشوارع التى يغمسها الأسى والشجى بالنهار ، لتضفى على أعطافها فى القمراء جمالاً وهيبة كأفخر ما تلقيه هيا كل يونان »

* * *

قلت : إن الكاتب الإنجليزى استوحى معانى القمراء على سنة النبطة فى موضع الألم وكتابة الشمال فى موضع كتابة اليمين ، وإخال أن الأمر فيه اختلاف غير اختلاف الشرق والغرب أوغير

اختلاف كبلنج الذى قال إن الشرق شرق والغرب غرب وليس لهما لقاء

فالمنيرون فى انجلترا ألمان ، والمنيرون فى مصر طليان ، والأولون ينيرون ليل نهار ، ولا يقصرون الإغارة على مواعد الأقمار .

أما الطليان فينيرون فى « القمراء » ، ويخطئون الأهداف فى الظلام والضياء على السواء

فإذا كان أنس الإنجليز بليالى القمر أعظم من أنسهم بليالى المحاق فلا غرابة فى ذاك ؛ وإذا عكسنا نحن الأمر فما نحن بمخطئين وإن كنا لنرجو أن يكثر فينا المحبون للأشعة والظلال ، إلى جانب المجفلين من الأوجال والأهوال

***

وخصلة أخرى فى هؤلاء الغربيين أنهم يصبغون خيالاً على كل حقيقة ، ثم يستخرجون عبرة من كل نكبة ، أو كما يقولون فضيلة من كل ضرورة

هم لا ينامون مع الغارات المتواليات إلا غراراً ، وفى النهزة بعد النهزة على غير موعد محدود ولا وتيرة معروفة

فهل تركوا هذه الحالة بغير عبرتها ؟ وهل أبطأوا فى استخراج الفضيلة المشكورة من هذه الضرورة القاهرة ؟

لا . لم يتركوها ولا أبطأوا فى الاستفادة منها . فقد رجع أناس من باحثيهم المتفرغين للملاحظة والدراسة إلى الأصل فى النوم المتعاقب بضع ساعات ، أو إلى الأصل فى زعم الزاعمين أن الرقاد فى الفراش ثمانى ساعات كل يوم ضرورة لا محيص عنها للانسان فيما بين الشباب الباكر والكهولة العاملة

فسألوا : أهذا صحيح ؟ ولم يا ترى يكون هذا كذلك ؟

وظهر لهم من مجرد السؤال أن هذا الزعم ليس بالحقيقة المقررة ، وليس بالرأى المستند إلى أصل وثيق

فالهرة تنام غفوات غفوات بالليل أو بالنهار ، وفصائل شتى من الماشية تنام كما تنام الهرة ولو لم تكن من كوادح الليل

فما بال الإنسان لا يشبع حاجته إلى النوم على هذا المثال ؟

كل ما أوجب النوم المتعاقب من قديم الزمن فإنما هو عادة الإنسان الأول أن يلوذ بالكهوف ويأوى إلى المضجع ، لأنه لا يحسن أن يصنع شيئاً غير ذلك قبل اختراع الضياء المصنوع الذى يشبه ضياء النهار

ولو أنه استطاع فى ذلك العهد الدابر أن يعمل بالليل عمله بالنهار لما رسخت فيه عادة الهجوع من مغرب الشمس إلى مشرقها ، ولأضاف إلى عمره بتفريق أوقات النوم عشر سنين ، وتعوّد أن ينام ساعة كلما أعياه الكد والكدح ساعات ، فإذا هو بعد ذلك مفيق ناشط للعمل من جديد

ولنرجع إلى الحساب فى عصر الحساب

فإذا صح أن غارات الليل ستعلمنا أن نضيف إلى كل حياة عشر سنين فقد نخرج من الجمع والضرب على أن الأعمار التى كسبها الإنسان أكثر وأغلى من الأعمار التى تضيع الآن !

عباس محمود العقاد

مسابقة الجامعة المصرية لطلبة السنة التوجيهية

« الأيام » لطه حسين

للدكتور زكى مبارك

— ٦ —

جواب

دعانا الأديب محمد متولى عوف إلى الإسراع بالكتابة عن « تحرير المرأة » و « ديوان اسماعيل صبرى » ، وأجيب بأن عند « الرسالة » بحثين جيدين : صدر أولهما عن أحد المفتشين ، وصدر ثانيهما عن أحد المدرسين . فإن وجدتُ ما يوجب الكلام عن هذين الكتابين بعد أن تنشر « الرسالة » ما ورد إليها فى درس أفكار قاسم أمين وأشعار اسماعيل صبرى ، فسأعقّب على ذلك الدرس بما يكمل الصور الأدبية والاجتماعية لموضوعات هذه السلسلة من الدروس ، والله هو الموفق

كتاب « الأيام »

هو قصة واقعية لحياة الدكتور طه حسين فى طفولته وصباه ، وهو يقع فى جزأين لطيفين ، بالقِطع الصغير ، والمقرر هو الجزء الأول ، ولكن النظر فى الجزء الثانى واجب ، لأنه يكمّل فكرة الطالب عن هذا النوع من القَصص الطريف ؛ ويطلب الجزء الأول من لجنة التأليف والترجمة والنشر ، أما الجزء الثانى فيطلب من مكتبة المعارف ، وثمن الجزء عشرة قروش

تاريخ « الأيام »

ولهذه الأيام تاريخ لم يُنشر من قبل ، فمن الخير أن نشير إليه فى سطور ، لأنه تاريخ مجهول ، ولأنه يصوّر كيف رجع الدكتور طه إلى ألفاف ماضيه لينشر منه صفحات تسير مسير الأمثال من حيث لا يقصد ولا يريد

فى مطلع الربيع من سنة ١٩٢٦ ثار الأزهريون وتبعهم فريق من النواب على الدكتور طه حسين لآرائه « فى الشعر الجاهلى » ، واشتدت الثورة ثم اشتدت ، حتى كادت تزلزل مكانه فى الجامعة المصرية

كنا فى ذلك الوقتِ صديقين ، وكنا نلتقى فى كل صباح وفى كل مساء ، لإعداد ما نُلقى من الدروس بكلية الآداب ، وللنظر فى صد الجمهور عن الثورة على آراء أدبية لم تصل إليه إلا وهى محرَّفة ببعض التحريف ، وإن كان فيها ما يَشُوك رجال الدين

ظهرت بوادر الثورة فى جريدة كوكب الشرق ، ثم انتقلت إلى جريدة الأهرام ، وكان الشر كل الشر أن تنتقل إلى جريدة الأهرام ، لأنها جريدة موسومة بالرزانة والعقل ، ولا يُطعن فيها على الرجال إلا حين تصبح أقدارهم أهلاً للتجريح والتزييف

وقد انزعج الدكتور طه من حملة الأهرام أشد الانزعاج ، ولم يعرف كيف يجيب، مع أنه من أقدر الناس على اللجاجة والجدال

وكان الشيخ محمد عبد المطلب ، طيب الله ثراه ، بطل الحملة « الأهرامية » ، فكتبتُ فى الرد عليه مقالاً ضاق به صدر الأستاذ داود بركات — رحمه الله — ورجانى أن أؤجل نشره على أن يقف حملة الشيخ عبد المطلب ، فصممت على أن ينشر مقالى ، وله بعد ذلك أن يفعل بهجوم الشيخ عبد المطلب ما يشاء !

وظهر مقالى فى صدر الأهرام ، ورأى فيه الدكتور طه انتصافاً من خصمه العنيد ، وشكر صنيعى بكلمات تدل على مبلغ ارتياحه لدفع قالة السوء عن مركزه المهدد فى ذلك الحين

وفى اليوم التالى حدثنى الدكتور طه بعبارة حزينة أن مقالى فى الدفاع عنه لم يقع من بعض المقامات موقع القبول ، لأنى مدرس فى الجامعة المصرية ، ولأن دفاعى عنه يصور الجامعة بصورة الإصرار على ما فى الكتاب المغضوب عليه من مذاهب وآراء .

فما تلك المقامات ؟

كان الدكتور طه فى ذلك الوقت مسنوداً بثلاثة رجال : عدلى يكن وعبد الخالق ثروت ولطفى السيد . وكان هؤلاء الرجال يريدون أن تمرّ العاصفة بسلام ، ولا يتمّ ذلك إلا إذا سكت طه حسين وأصدقاء طه حسين عن دفع العُدوان بالعدوان

وكذلك قررت أن أدفع عنه شر خصومه فى جريدة المقطم بدون إمضاء لئلا تغضب تلك « المقامات »

وهنا يجىء الشاهد :

قضى الدكتور طه بقايا العام الدراسى بحنق وغيظ ، فقد

كانت الجرائد الوفدية تنوشه فى كل وقت ، وكانت المجلات الدينية تسوق إليه التهم الجوارح بلا حساب ؛ ولا يملك الدفاع عن نفسه بحرف واحد ، وهو الرجل المِريّض الذى قضى صدر شبابه فى التلهى بمداوات الرجال

فماذا يصنع ؟

رحل إلى فرنسا مع الصيف ليتناسى كروبه الداجية فى ربوعها الفسيح !

وهنالك خطر له أن يُملى أشياء بعيدة كل البعد عن الشعر الجاهلى والأزهر والدين ؛ فكانت تلك الأمالى وهى تاريخ طفولته بلا تزيين ولا تهويل

وفى صباح يوم من أيام الخريف فى سنة ١٩٢٦ عرفت من الدكتور طه أنه كتب مذكرات عن حداثته ، وأنه قدمها للأستاذ عبد الحميد العبادي ليطمئن إلى أنها مما تجوز إذاعته بين الناس

وفى صباح يوم آخر حضر الأستاذ العبادى ومعه أصول المذكرات ، وهو يقترح أن تحذف الفقرة الخاصة بالضريرة نفيسة ؛ فلم ير الدكتور طه أن تحذف

وفى ليلة ثانية جلسنا نتجاذب أطراف الأحاديث ، فسألته عن موضوع تلك المذكرات ، فوقف وقفة الخطيب المكروب وقصّ علىّ قصته يوم بدا له أن ينقل اللقمة إلى فيه بيديه الاثنتين ، وكيف ضحك إخوته وبكتْ أمه وانزعج أبوه . فعرفت أن تلك المذكرات سيكون لها فى تاريخ الأدب مكان

ثم نقل الحديث إلى شؤون الجامعة المصرية وإلى المصير المحتوم فى مصر لحرية الفكر والرأى ، وما نقل الحديث إلى هذا الميدان إلا ليهرب من مكاره تلك الذكريات

مواهب طه حسين

هذا الرجل موهوب بلا جدال ، ولكنه قليل الصبر على تكاليف المواهب ، فهو يسطع فى اللحظة الأولى ثم يجنح إلى الأفول

ترجم لأبى العلاء فأفلح ، ثم ترجم للمتنبى فأخفق ، لأنه لم يصحب المتنبى بقدر ما صحب أبا العلاء

وأخرج الجزء الأول من الأيام فكان أعجوبة ، ثم فتر فى الجزء الثانى

والجزء الأول من « هامش السيرة » سِفرٌ نفيس ، أما الجزء الثانى فهو أيضاً « سِفرٌ نفيس »

وكان أستاذاً فى الجامعة المصرية القديمة ، أستاذاً عظيماً ، أستاذاً يملك القدرة على إسقاط زكى مبارك فى امتحانات الليسانس مرتين ؛ أما فى الجامعة المصرية الجديدة فهو أستاذ هيوب يستر كسله الجميل بالتغاضى عن ضعف الطلاب

وأمره فى الصداقة أعجب من العجب ، فهو يؤاخيك ويصافيك إلى أن تظن أنه قطعة من قلبك ، ثم يتحوّل فى مثل ومضة البرق إلى عدوٍّ مُبين

وهو على الرغم من ضعفه عن الاضطلاع بتكاليف المواهب رجلٌ جذّاب ، لأنه معسول الحديث ، ولأنه قد يصدُق فى الحب وفى البغض ، إلا أن تهديه حاسة النفع إلى أن يعادى من يصادق ويصالح من يعادى ، كالذى صنع فى طوافه بأركان الأحزاب

ويشهد الدكتور طه على نفسه بأنه ضرير ، وذلك فنٌّ من الإعلان ، فقد صحبته نحو عشر سنين ولم أتنبه إلى أنه ضرير . وكيف أصدّق دعواه وما رأيت رجلاً أرشق منه فى تناول الشؤون التى يتناولها المبصرون ؟

كنا نخرج من الجامعة المصرية حين كانت فى قصر الزعفران فنثب إلى « الترو » بعد أن يتحرك ولا يشعر أحد بأننى أصاحب رجلاً من المكفوفين

ومن يصدّق أنى لم أفكر فى حلق ذقنى بيدىّ إلا بعد أن رأيته يحلق ذقنه بيديه ؟

وهو يمشى بقامة منصوبة تزرى برشاقة الرمح المسنون

وهو — لتوهمه أنه ضرير — يحاول التأثير باللسان حين فاته التأثير بعينيه ، ومن أجل هذا نراه أعجوبة الأعاجيب فى إبراز مخارج الحروف

ولشعوره بأن لسانه مصدر قوته يلح فى الحديث وفى الإملاء إلحاحاً يترك سامعيه وقارئيه على أهبة الاقتناع بما يُملى وبما يقول

وخلاصة القول أن طه حسين هو طه حسين ، هو الرجل الذى استطاع أن يقيم البراهين على أنه من أقطاب الأدب فى هذا الزمان

ولو كنت أصدق أنه أعمى لكففت عنه قلمى ، ولكنى واثق بأنه مبصر ، وبأنه أستاذ قدير ، ومفكر حصيف ، وأديب

موهوب ، وأنا لا أكف قلمى إلا عن الضعفاء

وما قلت إنه أعمى إلا لأن درس اليوم يوجب ذلك ، فليتناس هذه المُنجِهية القلمية ، فما كنت ولن أكون إلا أعرف الناس بواجب الذوق

وإن استطال ناس على الدكتور طه بقوام البصرية ، فلن يستطيعوا الاستطالة عليه بقوى الفهم والذكاء ، وإنه لشاهد على أن الله يؤتى الحكمة من يشاء

أسرار كتاب « الأيام »

حدثنى الدكتور طه بك أنه ينتظر رأيى فى كتاب « الأيام » عساه يعرف كيف فتن به الناس حتى جاز أن يترجم إلى عدة لغات فى بضع سنين

وكلام الدكتور طه فى هذه القضية ليس من التواضع المصنوع ، فمن المحتمل أن تغيب عنه قيمة هذا الكتاب الطريف ، لأنه بالنسبة إليه غير طريف ، وإنما تظهر طرافته للبصرين ، لأنه يطلعهم على آفاق من حَيَوات العميان قد تكون عند أكثرهم من المجاهيل

ويزيد فى طرافة هذه الاعترافات أن بعضها معيب ، فصدورُها من رجل مثل طه حسين يشهد بأنه فنان يقيم فنه على قواعد من الصراحة والصدق ، وإلا فما الذى يضطر رجلاً فى مثل مركزه إلى أن يعترف بأنه كان فى طفولته يجلس من أبيه ومن سُمَّاره مَزْجَر الكلاب ؟ وما الذى يقهره على التصريح بأنه كان يرى الدنيا بيديه فيعبث بالنمال الموضوعة حول دكة معلم الأطفال ، ثم يمعن فى تقليبها واختبارها حتى يعرف بالضبط عدد ما فيها من خروق ورقوع ؟ وما الذى يحوجه إلى النص على أن ذمته كانت اتسعت كما اتسعت ذمة « العريف » ، وأنه كان يرشو ويرتشى بلا تحرج ولا استحياء ؟

وكيف يجوز لرجل أن يهجو إخوته ، وأن يعرض بجده وبأبويه ، إلا أن يكون رجلاً سما بعقله وفنه عما فى المجتمع من تصنع ورياء ؟

يشهد طه حسين بأنه كان يستغفل أباه فى بعض الظروف ، ويشهد بأن المكاره التى عاناها فى طفولته وفى صباه أورثته ألواناً من الاضطراب والخبال ، فهل تصدر هذه الشهادة عن رجل يستر ضعفه بتناسى ماضيه ؟ أم هى حجة على أنه أكبر من أن ينكر ذلك الماضى البغيض ؟

طفولة طه حسين كما صورها بنفسه لم تكن طفولة مهذبة الحواشى ، ولكن من الذى يزعم أن الأطفال ينشأون مبرَّئين من الهنوات والعيوب ؟

الطفل فى نشأته ضعيف ، وهو لضعفه يداور ويمارى ويحتال ، فليس من الغريب أن يلجأ طه حسين طفلاً إلى المراوغة والمهاراة والاحتيال .

وهنا يظهر صدق طه حسين ، فقد حدث عن نفسه أنه كان فى طفولته سريع النسيان ، وأنه لذلك قاسى مكاره الخجل والكسوف بضع مرات ، ولو أنه أخبرنا أنه كان يحفظ كل ما يسمع ، وأنه لم ينس أبداً ما كان يحفظ ، لما كان فى ذلك شبهة من تزيُّد أو إسراف ، لأن سرعة الحفظ لا تُستغرَب من العُميان ، ولكن طه حسين سما بفنه سموًّا هو الغاية فى الإخلاص للصراحة والصدق ، وهما الدعامة الأصيلة للأدب الرفيع

طه حسين أعمى ، فيما يزعم ، وهو كثير المزاعم ، والأعمى يرى الدنيا بأذنيه وبيديه ، أما أذناه فهما طويلتان ، وقد حدثنا أنه كان يمدهما مدًّا ليزيدهما طولاً إلى طول ، عساه يستوعب ما يدور حواليه من أقوال وأخبار وأقاصيص . وأما يداه فقد قويت فيهما عضلات اللمس إلى أبعد الحدود ، ألم يحدثنا أنه كان يعرف الناس بنعالهم لكثرة تقليبه فى النعال ؟

وخلاصة القول أن الدكتور طه قد التزم الصدق التزاماً تامًّا فى كتاب الأيام ، وكان من آثار ذلك الصدق أن يأسر جميع من قرأوا مذكراته عن طفولته وصباه ، لأن الصدق خُلقٌ نفيس ، وهو يزيد الأديب جلالاً إلى جلال

يضاف إلى ذلك أن صدقه يوجب العطف عليه ، ويحوِّل شانئيه إلى أنصار أوفياء

ماذا أريد أن أقول ؟

أنا ألاحق الفكرة التى تدور فى خاطرى عن كتاب الأيام ، وهى تنفر وتَشرُد ، فمتى أقتنص تلك الفكرة وهى نَفورٌ شرود ؟

لعلى أريد القول بأن طه حسين رجلاً قد نسى أنه مسئول عن طه حسين طفلاً ، فهو يشرِّح أوهامه وآثامه بلا ترفق ولا استبقاء ، وهو يتجنى عليه كما يتجنى على خصومه الألدّاء .

لعلى أريد القول بأن طه حسين قد أراد أن يقيم الدليل على أنه يملك السيطرة على هواه حين يريد ، وهل من هواه أن يسخر بماضيه وأن يعترف بأنه كان نفعيًّا فى طفولته وصباه ؟

لعلى أريد القول بأن طه حسين قد انسلخ عن ماضيه كل الانسلاخ ، ولم يعد يخشى أن يقال إن طه حسين الرجل ليس إلا صورة من طه حسين الطفل ، وإن بقيت فى وجهه وعقله وروحه ندوب من معارك ذلك العهد السحيق

لعلى أريد القول بأن طه حسين قد أراد أن يدلل ويبرهن على أن الأشجار البواسق لم تكن فى الحداثة إلا أعواداً أماليد لا تأمن شر العواصف إلا بالانحناء والسجود

لعلى أريد القول بأن طه حسين من أساتذة الأخلاق ، فهو يقصد إلى إفهام الشبان أن العظيم لم ينشأ عظيما ، وإنما عُظِّم بفضل الصبر على متاعب الجهاد ، ومن حق طه حسين أن يتسامى إلى الأستاذية فى الأخلاق ، وهو بذلك التسامى خليق ، فقد سمعت أنه أحرص الناس على رعاية واجبات الوفاء

لعلى أريد القول بأن طه حسين أراد أن يخرج على نفسه مرة واحدة فيشهد على نفسه بأشياء لا يعترف بها الرجل إلا وهو عارمٌ عَصوف

لعلى أريد القول بأن طه حسين أراد محاكاة جان جاك روسّو وأناطول فرانس ، وقد فاتته صراحة روسّو وعذوبة فرانس ، لأنه طوى أهواءه الجنسية ، ولأنه نسى أن الهيام بالجمال أشرف من الهيام بالنمال

لعلى أريد القول بأن طه حسين أراد أن يُفهمنا أنه طه حسين وتلك خدمة لن ينساها تاريخ الأدب الحديث

صور المجتمع المصرى فى كتاب الأيام

كنت قضيت عاماً أو يزيد فى استخلاص الصور التى رسمها الشعرانى عن مصر فى القرن العاشر ، وهى الصور التى سجلتُها فى كتاب « التصوف الإسلامى » والتى نهبها بعض الناهبين بكلية الآداب ، يوم كان كتابى محفوظاً فى تلك الكلية وهو مخطوط يأخذ عنه من شاء ما شاء ، وعند الله جزائى ، فما رُعى لى عهد ، ولا حُفظ لى جميل

واهتمامى بتسجيل صور المجتمع المصرى فى القرن العاشر وأنا أدرس مؤلفات الشعرانى جعلنى أحرص الناس على تقييد ما سجل صاحب العزة الدكتور طه حسين بك من صور المجتمع المصرى فى القرن الرابع عشر ، وهى صورٌ روائع ، لأنها منقولة بأمانة ونزاهة وصدق . ويزيد فى قيمة هذه الصور أنها أمست على شفا الانقراض ، ولو رجع الدكتور طه إلى مسقط رأسه لعرف أنها أسقطت فى غيابة التاريخ

فعلى طلبة السنة التوجيهية أن يتأملوا تلك الصور ، وأن يوازنوا بينها وبين ما يعرفون من أوهام العوامّ فى الحواضر والأرياف ، لأن فى بعض أوهام العوام صوراً شعرية ، ولأن خرافات اليوم لها نسبٌ صحيح إلى عهد الفراعين . . . وما أحب أن أزيد !

انتقال مزعج

تمضى فى قراءة « الأيام » وأنت لاهٍ عابث ، لأن الكاتب لاهٍ عابث ، ثم تصطدم فجأةً بانتقال مزعج ، هو الصورة المروّعة لإحساس أبويه بقسوة الثُّكل فى يوم عيد ، وما تكاد تفرغ من الجزع لهذه الصورة حتى يفاجئك بصورة أعنف وأفظع ، هى صورة أخيه الذى مات وهو مطعون

فلو قلتَ إن الصفحات التى صوّر بها طه حسين أحزانه وأحزان أهله لهاتين الفاجعتين تُعَدّ من أروع ما صوّرت به المآسى الإنسانية لكنت قريباً من الصواب

وطه حسين فى هذه الصفحات كاتبٌ قدير ، لأنه يفجّر الدمع فى جوامد الشئون ، ولقد هممت بأن أرسل إليه برقية عزاء ، مع أن الأعوام التى مضت على هاتين الفاجعتين كادت تشارف الأربعين

أما حديثه مع ابنته وهو يقص أخبار « أوديب » بعد أن فقأ عينيه ، فهو حديثٌ يذيب لفائف القلوب ، ومن واجب الدكتور طه نحو القَدَرَ المكتوب أن يذكر أن الله ترفق به كل الترفق ، فجعله رجلاً من أكابر الرجال

جلسنا مرة نسمُر بداره يوم كان يقيم بمصر الجديدة فأطلعته على خبر لطيف فى جريدة (لابورس) ، خبر يبشر بأن أحد الأطباء قد اهتدى إلى علاج يردّ به العميان مبصرين ، فهتفتْ زوجته : « إن صحّ ذلك فسأبيع آخر قميص لأردّ إليك بصرك ، يا طه ! »

وأغلب الظن أن الدهر سيبخل على الدكتور طه بالمودة

مختار الصحاح
وقيمة العناية به

للأستاذ حسن السندوبي

يحلو لمشيخة في وزارة المعارف، بلغوا فيها بمضي الزمن المراتب ذات الألقاب الملحوظة، أن يشيروا على الوزارة بطبع بعض كتب المتقدمين ليضعوا عليها أسماءهم بعد أن ينظروا فيها ويقوموا أودها ويصححوا أغاليطها، وأن يكون من ذوي الشأن في الوزارة المبادرة إلى إجابة طلبهم مع منحهم الأجر الحسن، وإخراج تلك الكتب في معرض من الطبع الجميل

وقد قام بعضهم بمراجعة طائفة من هاتيك الكتب وتصحيحها ونالوا أمنيتهم في وضع أسمائهم عليها بعد أن استولوا على المكافأة المرضية والثناء الحسن. غير أن الكثير من هذه الكتب قد صدر دون أن يكون حظها بالقائمين عليها مقارناً للتوفيق، ودون أن يكون القائمون عليها قد أدوا الأمانة العلمية، فلم يحسبوا أن إبلاغ الأخلاف تراث الأسلاف خالياً من الشوائب بريئاً من المعايب، من أفضل الخلائق الكريمة

وحسب القارئ أن يعلم أن من هذه الكتب كتاب «مختار الصحاح» فقد أصدرته وزارة المعارف بعناية بعض رجالها فجاء عيبة الأغاليط وجعبة الأباطيل. لم يعن فيه العناية الكافية في قيد الكثير من كلماته حتى تصحف منها ما تصحف، وتحرف من عباراته ما تحرف. وإذا علمت أنه كتاب لا يستغني عنه طالب، وكثيراً ما يفتقر إليه الدارس، علمت أي جناية تجني على اللغة العربية تحت سمع وزارة المعارف وبصرها. وما ظنك بكتاب هو عدة المعلم وعمدة المتعلم في تحرير الكلمات، وضبط الألفاظ اللغوية، يخرج إلى الناس في هذا التشويه والإهمال! ولا يكون همّ القائمين عليه إلا الإسراع في عرضه بالطبع لينساب المال إلى جيوبهم دون أن يكلفوا أنفسهم مشقة المراجعة والمعارضة، أو يتمثلوا بشيء من مثل التقوى في العمل والإخلاص في حسن القصد!

تفضل صديقي العلامة الأستاذ أحمد العوامري بك بإهدائي

المنشودة لنور عينيه، وسيبخل على مدام طه بلذة البيع المنشود لآخر قميص، ولكن العمى لن يمنع الدكتور طه من التبريز في كثير من الميادين

ولعل لله حكمة فيما وقع، فالدكتور طه هو حجتنا على أن مصر أخصب البلاد، وإلا فأين العميان الذين استطاعوا ما استطاع في هذا الجيل؟ ولولا خوف الإسراف لقلت إنه أشجع من أبي العلاء، لأنه رفض أن يعيش رهين المحبَسين، ولأنه وهو أعمى قد مهّد السبيل لمئات أو ألوف من المبصرين.

وأستغفر الله من الإشارة إلى عَمَى الدكتور طه، فتلك أول إشارة تصدر عن قلمي، ولم تصدُر أبداً عن لساني، وإنما استوجبها البحث، والبحث قد يستبيح ما لا يباح

الأسلوب

للدكتور طه أسلوبان، أسلوب حين يُملي، وأسلوب حين ينظم؛ أما أسلوبه حين يُملي فلا يخلو من ركاكة واضطراب لأنه رهين بما في الإملاء من سرعة وإبطاء، كالذي يكتب لمجلة الثقافة من أسبوع إلى أسبوع

أما أسلوبه حين ينظم - وله أبحاث ينظمها نظماً - فهو آية في السلاسة والعُذوبة والصفاء، ومن هذا الفن أسلوبه في كتاب الأيام، وهو بهذا الأسلوب من أقدر الناس على التصوير والتلوين، وله ألفاظ وتعابير هي العَجب العُجاب

أما بعد فهذا طه حسين، كما صور نفسه، وكما صوره قلمي، فإن كان أساء إلى نفسه بعض الإساءة فقد أحسنت إليه كل الإحسان، بلا منٍّ عليه، لأنه من كتّابنا ومفكرينا، ولأنه عاني من الصراحة بعض ما أعاني

والمهمّ هو أن ينظر الطلبة إلى كتابه كما نظرت إليه، فما كان كتاب الأيام ألفاظاً ضُمّ بعضها إلى بعض، وإنما هو جروح أضيفت إلى جروح، هو دماء تفجر بها قلبٌ حزين، هو لوعةٌ دامية لرجل طال شقاؤه بالوجود، منذ اليوم الأول لشهوده الوجود

لقد أبكاني طه حسين وهو يقص بعض مآسي طفولته وصباه، أبكاني وأنا خصمه الألد، فكيف يصنع إذا نفض هموم صدره إلى رجل يحمل بين جنبيه قلب الصديق الشفيق.

زكي مبارك

نسخة من هذا الكتاب فى طبعته الرابعة لسنة ١٩٣٨ ؛ وقد كتب عليها بالطبع أنه عنى بتصحيحها وتنقيحها وإكمال ضبطها وتعليق بعض حواشيها سنة ١٩١٦ ، أى منذ أربع وعشرين سنة ، وهو إذ ذاك فى سن القوة وعهد الفتوة . والظاهر أنه لم يراجع طبعات الكتاب منذ ذلك التاريخ ، ولذلك شاع فيه التحريف ، وعمه التصحيف . وأعجب من هذا ما علمته من أن وزارة المعارف ، لكى تيسر إعادة طبعه المرة بعد المرة ، قد كلفت بعض الصناع بحفر صفحاته فى رواشم (كليشيهات) زنك ! !

وقبل عرض أمثلة من أغاليط هذه الطبعة من الكتاب ، يحسن أن أعرض كلمة ألخص فيها التعريف بمؤلفه عن كتاب لى أضمه الآن فى تاريخ المعجمات العربية ومؤلفيها ، وهذه الترجمة لا أعلم أنها نشرت بمصر إلى الآن :

قال صدر الدين القونوى المتوفى سنة ٦٧٣ هـ — ١٨٧٤ م : الشيخ العالم العامل الفاضل سيد العلماء ، قدوة الفضلاء ، محيى السنة ، ناصر الشريعة ، زين الدين أبو عبد الله محمد بن شمس الدين أبى بكر بن عبد القادر الرازى . جاء إلى مصر وأقام بها زمناً ، وجال فى ربوعها وأخذ عن بعض مشايخها ، وأخذ عنه بعض طلبتها . وذكر المقريزى أنه وصف بركة الحبش التى بالقاهرة بهذين البيتين من الشعر :

إذا زين الحسناء قرط فهذه ... يزينها من كل ناحية قرط
ترقرق فيها أدمع الطل غدوة ... فقلت لآل قد تضمنها قرط

وهو من شعر العلماء الذى لا يعرج عليه الأدباء . ومن الغريب أن السيوطى لم يذكره فيمن وفد على مصر من العلماء أو من الأدباء أو من الحنفية . ثم ذهب إلى الشام وطوف فى أنحائها ، ومنها دخل بلاد الأناضول وأقام فى قونية وبها صحب الشيخ العالم المحقق صدر الدين القونوى وعليه سمع كتاب جامع الأصول فى أحاديث الرسول لابن الأثير الجزرى الموصلى إلى سنة ٦٦٦ والظاهر أنه توفى أواخر القرن السابع

وقد ترك من المؤلفات : شرح مقامات الحريرى ، والذهب الإبريز فى تفسير الكتاب العزيز ، وتحفة الملوك والسلاطين فى الفروع ، وحدائق الحقائق فى الأخلاق والمواعظ ، وأنموذج جليل فى أسئلة وأجوبة من غرائب آى التنزيل ، والأبيات التى يتمثل بها فى الأدب ، وروضة الفصاحة فى علم البيان ، وضعه باسم السلطان المؤيد المنصور نجم الدين أبى الفتح غازى بن قرا أرسلان الأرتقى صاحب ماردين المتولى سنة ٦٩١ والمتوفى سنة ٧١٢ . ومختار الصحاح الذى نحن بصدد من شأنه ، اختصر فيه صحاح الجوهرى ووضعه على ترتيبه وضم إليه الكثير من الفوائد أخذها عن التهذيب للأزهرى ، وديوان الأدب للفارابى ، والمجمل لابن فارس ، والمصادر للبيهقى ، والمفصل للزمخشرى ، والفصيح لثعلب ، والمغرب للمطرزى ، والغريب لأبى عبيد ، والغريبين وشرحهما للهروى وقد كتب بخطه فى نسخته من المختار ، بعد استشهاده بهذا البيت :

ألا يا اسلمى يادارى على البلى ... ولا زال منهلاً بجرعائك القطر

يقول : تم الكتاب المسمى مختار الصحاح بعون الله وحسن توفيقه على يد مؤلفه وكاتبه بيده محمد بن أبى بكر الرازى عفا الله عنه وغفر له ولجميع المسلمين ، ووافق فراغه عشية يوم الخميس غرة شهر رمضان المبارك ليلة الجمعة الغراء سنة ٦٦٠ الخ

هذا ، وفى المقال التالى نعرض إن شاء الله لذكر أمثلة من الأغاليط التى أشرنا إليها فيما سبق .

حسن السندوبى

كتاب تحرير المـــرأة

للأستاذ محمد أبو بكر إبراهيم

من بين ما قررته وزارة المعارف على طلبة السنة التوجيهية المتسابقين فى امتحان اللغة العربية فى خلال يناير المقبل كتاب « تحرير المرأة » للمرحوم قاسم بك أمين . وقد يكون من الخير أن نبين — فى إيجاز — بعضاً من المناحى والأغراض التى عنى المؤلف بعرضها فى كتابه ، لعلّ فى هذا توجيهاً للطلاب ، واستحثاثاً لهم على الاستزادة والاستفادة .

(١) شخصية المؤلف

ولد المرحوم قاسم بك أمين فى أسرة مصرية تنتسب إلى أصل كردى ، وتربى منذ نشأته تربية أمثاله ، ثم سافر إلى فرنسا حيث درس الحقوق وعاد فى سنة ١٨٨٥ ميلادية . وظل منذ ذلك الحين إلى أن عاجلته منيته فى سنة ١٩٠٨ قاضياً ممتازاً ، ثم مستشاراً بارعاً بمحكمة الاستئناف .

وكان من خلقه : الصراحة ، وحب العدالة ، وحرية الرأى . ولم يكن من القضاة الذين قال عنهم « أعرف قضاة حكموا بالظلم ليشتهروا بين الناس بالعدل » بل كان يحب الحق لأنه حقّ وفضيلة ، ويمقت الظلم لأنه ظلم ورذيلة .

ولم يكن يتقيد فى قضائه بآراء الفقهاء ، وأحكام المحاكم ، بل لم يتقيد بنص القانون إذا لم يصادف هذا النص مكان الاقتناع منه .

وكان مولعاً بالبحث والتنقيب عن كثير من شئون الإصلاح والاجتماع ؛ فدعا إلى تحرير المرأة من رق الجهل ، ورق الحجاب . وكانت هذه الدعوة من الأمور الشاقة الشائكة لأنها خالفت العرف المألوف ، والتقاليد الموروثة ، وأدت إلى ثورة فكرية انقسمت بهـا الأمة قسمين : معه وعليه . وقد أوضحها فى هذا الكتاب ، ودعمها بالحجج والبراهين .

(ب) تصوير فكرته التى أودعها كتابه

حمل المؤلف — رحمه الله — حملة صادقة على الرجعيين الذين رضوا للمرأة أن تعيش فى الإسار كما يعيش الذليل المستعبد ، وأن تحبس فى الدار كما يحبس الطائر المعذب ، وأن تقضى أيامها فى هذا الوجود كما يقضى السجين أيامه فى غياهب السجون ؛ فاستنّوا لها أن يتصرف فى شئونها الخاصة والعامة قيّمٌ قهار يملك عليها إرادتها ، ويقبض على ناصيتها ، ويسيطر على عملها وحريتها ؛ فلا تتحرك فى ظلامها الحالك إلا بعلمه ، ولا تتصرف فى حياتها الضيقة الأفق إلا بمشيئته .

توهم هؤلاء الفدامى أنها قليلة العقل ، ضعيفة الإرادة ؛ ومن ثم لا بد أن تحاط بسياج منيع يحول بينها وبين مشتهياتها ، وإلا اندفعت إلى الشر وارتكبت ما يجلب لها الإثم والعار ؛ فعطلوا فيها حرية الفكر والرأى ، وحجبوها عن الوجود بحجاب كثيف لا تستشف ما وراءه من نور وضياء ، وأقاموا بينها وبين حقوقها سداً لا تستطيع أن تظهره ، ولا تستطيع له نقباً .

ظن هؤلاء أنها لا تصلح إلا للمعيشة فى داخل منزلها فعزلوها عن البيئة الخارجية كما يعزل المريض عن الأصحاء ، وفصلوها عن المجتمع كما يفصل العضو من الكائن الحى ، وأخمدوا جذوتها ، وأطفأوا شعلتها ، حتى صارت لا حول لها ولا طول ، ولا قوة لها ولا ناصر . فبقيت رهينة المحبسين ، وثالثة الأذلّين أمداً طويلا

ويحكم بداهة العقل أن فى هذا التصرف جَوراً عن الاعتدال وإسرافاً فى العسف والإذلال ، وأن فيه كَبْتاً لغرائز المرأة وميولها وطبيعتها وسائر قواها ، وأن نتائج هذا الكبت ضارةٌ بها إلى حد كبير

ومن أجل ذلك نادى المصلحون فى عصور مختلفة بوجوب إعطائها حريتها المشروعة ، وهى الحرية الصحيحة المقيدة بالنظم الدينية والقوانين الخلقية ، ومن بينهم المرحوم قاسم بك أمين زعيم القائلين بإصلاح المرأة فى مختتم القرن التاسع عشر ومفتتح القرن العشرين ؛ إذ نادى بوجوب إنهاضها والأخذ بناصرها لتستمتع بما لها من الحقوق الطبيعية والأدبية والدينية والاجتماعية ولتؤدى رسالتها التى خلقت من أجلها

وإنه لم يجهر بهذه الفكرة إلا بعد أن محصها وقلبها على مختلف وجوهها ، حتى اقتنع بصحتها ، واستوثق من صدقها ، وحلت منه محل العقيدة والإيمان ، ثم أبرزها فى كتابه « تحرير المرأة » وهذا ما عبر عنه فى مقدمة هـذا الكتاب حين قال :

« هـذه الحقيقة التى أنشرها اليوم شغلت فكرى مدة طويلة كنت فى خلالها أقلبها وأمتحنها وأحللها ، حتى إذا تجردت من كل ما كان يختلط بها من الخطأ ، استولت على مكان عظيم من موضع الفكر منى ، وزاحمت غيرها ، وتغلبت عليه ، وصارت تشغلنى بورودها ، وتنبهنى إلى مزاياها ، وتذكرنى بالحاجة إليها . فرأيت أن لا مناص من إبرازها من مكان الفكر إلى فضاء الدعوة والذكر »

(جـ) موضوعات الكتاب

اشتمل كتاب تحرير المرأة على مقدمة تمهيدية تصف حال المرأة فى الأيام القديمة ، وتصوّر اضطهادها وإذلالها واستحواذ الرجل عليها بقوته وجبروته ، ومعاملته لها معاملة فيها قسوة وامتهان وبطش : بسجنها فى المنزل ، وعدم الثقة بها ، والحيلولة بينها وبين الحياة ، وتعطيل حقوقها وما وهبها الله من قوى التفكير والإرادة والشعور . وجاء الإسلام فسوّى بين الرجل والمرأة فى الحقوق ، وهذه الأحكام مقتبسة من تاريخ الأمم ، والتاريخ أكبر شاهد عليها

وعالج الباب الأول من الكتاب موضوع تربية المرأة وأثر هذه التربية فى تثقيف عقلها ، وتهذيب خلقها ، وتنشئتها تنشئة صالحة ، وإعدادها إعداداً تاماً للحياة الكاملة ، حتى تنهض بنجاح وجدارة فى الحياة العملية ؛ فتدبّر أمرها وأمر منزلها ، وأولادها ، وتقوم بوظيفتها فى المجتمع قياماً حسناً ، وتطرح الخرافات والأباطيل ، وتتمسك بالعقائد الدينية والآداب الاجتماعية وتتمتع بما فى الكون من علوم ومعارف وآثار

وقد حرمت فيما مضى — من التربية الصحيحة — فضعفت قواها الجسمية والعقلية والخلقية ، وصارت مصدر شقاء لنفسها وبعلها وذريتها وأسرتها . لأن التربية الحقة تحيى فى نفوس النساء معانى الشرف والكرامة والعفة ، وتصونهن عن الفساد

وأفاض الباب الثانى فى شرح حجاب النساء واعتباره أصلاً من أصول الآداب التى يلزم التمسك بها متى كان منطبقاً على ما جاء فى الشريعة الإسلامية . وقد أنحى فيه المؤلف باللائمة على الغربيين لغلوهم فى إباحة السفور والتكشف ، وعلى الشرقيين لمغالاتهم فى التحجب ، وأبان أن الفضيلة وسط بين هذين الطرفين ، ولا تتحقق إلا بالحجاب الشرعى . واستدل على ما يقول بما ورد فى الشرع الشريف ، وناقش موضوع الحجاب والسفور نقاشاً دل على درجة تمكنه من هذه المسألة الاجتماعية الخطيرة

واختتم كلامه فى هذا الباب بوجوب التدرج فى السفور ، وإلا حدث انقلاب فجائى ينجم عنه ضرر جسيم ، ويؤدى إلى عكس المقصود

والباب الثالث من الكتاب يبين علاقة المرأة بالأمة ، فهى النواة للأسرة ، إن صلحت صلحت الأسرة ، وإن فسدت هى فسدت الأسرة تبعاً لها ، فهى المحور والمرتكز . ومن ثم كانت تربيتها أوجب من تربية الرجل . ومعلوم أن الأسرة هى الأمة مصغرة ، ومن مجموع الأسر تتكون الأمة . فالمرأة المتمدينة تخدم بلادها أجل خدمة بما تؤديه من أعمال جليلة فى مواقف عدة

ولما كان ارتقاء الأمم يحتاج إلى عوامل شتى من أهمها ارتقاء المرأة ، وانحطاط الأمم ينشأ من عوامل مختلفة من أهمها انحطاط المرأة ، لزم العمل على إنهاض المرأة بتهذيبها وتطهيرها وتجميلها بالتربية الكاملة ؛ فهى الدعامة لبناء مجتمعها ، إن قويت قوى المجتمع ، وإن ضعفت ضعف المجتمع وساء مصيره

والباب الرابع خاص بنظام الأسرة وما يمس حياة العائلة من حقوق وواجبات وأحكام وعادات مما يتصل بمسائل الزواج ، وتعدد الزوجات والطلاق . واستند المؤلف فى هـذا على ما ورد بكتب الفقه والمعاملات ، والشرائع والاجتماع

وقد أساء الناس فهم ما قصد إليه المرحوم قاسم بك أمين فظنوا أنه يدعو إلى الإباحة والتنكر ؛ وهو إنما دعا إلى الخير والإصلاح بما يتمشى مع الشرائع ولا يتنافى مع روح الدين

(د) الأسلوب

فى أسلوب هذا الكتاب سهولة واسترسال . فلم يكن المؤلف متأنقاً فى اختيار الألفاظ ، ولا متحذلقاً فى صوغ العبارات ، ولم يعمد إلى زخرفة كتابته ، ولم يولع بالصنعة التى أغرم بها معاصروه من الكتاب ومن كانوا قبله

فجاءت كتابته خالية من التكلف والسجع . ولو أن قارئاً اطلع

على كتاب « تحرير المرأة » ولم يكن يعرف أنه لقاسم أمين لعدَّه من المؤلفات الحديثة فى الوقت الحاضر ؛ لأن أسلوبه يقارب الأسلوب الذى يتوخاه الأدباء والصحفيون فى هذه الأيام من حيث السهولة والسلاسة

أما المعانى والأفكار والبحوث فهى مرتبة ترتيبا منطقياً سليما لأنه كان يأتى بالقضايا والأحكام بعد أن يمهد لها بمقدمات موصلة إليها ، ثم يدلل عليها بأدلة عقلية ونقلية ، ويعززها بشواهد كثيرة يسوقها من التاريخ ومن الواقع ، ليمنع عنها كل لبس ، وينفى كل شبهة ، ويسد على المعارضين طريقهم بالحجج القاطعة ، والبراهين الساطعة . ولم تسلم ألفاظه وتراكيبه من أخطاء لغوية وصرفية ؛ ولم تخل تعابيره من التواء فى بنائها . والسبب فى هذا النقص يرجع إلى أمور من بينها أن اهتمامه كان متجهاً إلى ناحية الفكرة الإصلاحية التى يرمى إليها أكثر من اتجاهه إلى الناحية اللغوية ، وأنه لم يكن متضلعاً من فقه اللغة ولا من الدراسة الأدبية العربية فى الكتب القديمة التى هى المنبع الفياض للأساليب القوية الجزلة السليمة ؛ ونذكر على سبيل الاستشهاد بعضاً من هذه الأخطاء : فقد أكثر من استعمال كلمة « العائلة » وصوابها « الأسرة » ، وجمع كلمة « الأهل » على « الأهالى » وصوابها « الأهلون » ، وعدى الفعل « أعطى » باللام وهو يتعدى إلى المفعولين إذ قال : (وكثير من الرجال قد أعطوا لنسائهم مقاماً فى الحياة العائلية) ، كما عدى الفعل « أمكن » باللام إذ قال : (أمكن للأمة أن تنتفع بجميع أفرادها) ، وجمع « عادة » على « عوائد » والصواب « عادات »

ومن أمثلة الالتواء فى التعبير قوله : (وأذكر ملاحظة واحدة تؤيد ما قدمته ــ وهو أن نساء الإفرنج على العموم مهما كان حالهن فى الباطن يحافظن على الظواهر فيعيش الواحد بين رجل وامرأة يحب بعضهما بعضاً أياماً وأشهراً ولا يكاد تقع منهما هفوة تظهر ما كان خافياً بينهما الخ) إلى غير ذلك من الهفوات اليسيرة التى لا تخفى على الأديب .

ومهما يكن من شيء فالكتاب له قيمته الاجتماعية ، ويعتبر أثراً من الآثار الخالدة .

محمد أبو بكر ابراهيم
المفتش بوزارة المعارف

من الأدب الانجليزى

إذا ...

للشاعر الانجليزى كبلنج

إذا كان فى إمكانك أن تحتفظ بوقارك فى مجتمع فقده ثم عابه عليك ، وكان فى إمكانك أن تثق بنفسك حينما يشك فيك ، بعد أن تفهم رأيهم ووجهتهم التى يعيبونك فيها

إذا كان فى إمكانك أن تصبر دون أن تمل من الصبر ، وتصدق ولو كُذب عليك ، وتمتنع عن الحقد ولو حُقد عليك ، دون أن تفتخر بحكمتك وحسن شمائلك

إذا كان فى إمكانك أن تتصرف فى أحلامك دون أن تمكنها من نفسك ، وأن تفكر دون أن تجعل التفكير هدفاً لك

إذا كان فى إمكانك أن تثبت عند الهزيمة كما تثبت عند النصر

إذا كان فى إمكانك أن تكبح جماح نفسك فتصبر على أولئك الأوغاد الذين ينقلون كلامك بغير ما أمانة فيحرفونه ويبدلون فيه لغاية يقصدون بها نصب الشراك لأمثالهم الحمقى الجاهلين

إذا كان فى إمكانك أن تصبر على نوائب الدهر فتحاول اليوم بناء ما تهدم معك بالأمس ؛

إذا كان فى إمكانك أن تجازف بكل مالك فى مشروع نافع دون أن تظهر يأساً أو تذمراً إذا كانت عاقبتك الخسران ؛

إذا كان فى إمكانك أن تسخر قواك لخدمتك فى زمن شيخوختك ، وتثبت فى وقت لم يبق لك فيه إلا إرادتك التى هى مصدر قوتك

إذا كان فى إمكانك أن تخالط من هم أقل منك قدراً دون أن تخسر شيئاً من قدرك ومقامك ، وأن تماشى الملوك دون أن تفقد شيئاً من تواضعك ولين جانبك

إذا كان فى إمكانك أن تتجنب شر أعدائك وأصدقائك ثم تضع ثقتك فى الجميع دون أن تسرف فيها مع أحد

وإذا كان فى إمكانك أن تملأ فراغ دقيقة يملأك فيها الحقد على أحد بركض مسافة لا بأس بها ، لك الدنيا وما فيها ، وفوق هذا فستصبح رجلاً بكل معنى الكلمة يا بنى ...

(حيفا . فلسطين)

عبد الواحد الخطيب
المدرس بالمدرسة الاسلامية



من وراء المنظار

بين (دغف) وصعلوك ومغفل ... !

أبداً يظل الترام لمنظاري موضع فرجة لا تنفد، وذلك أنه ، من ناحية ، ملتقى ضيق يحشر فيه كل ساعة أنماط من الناس فى هذا المضطرب الواسع الذى ندعوه المجتمع ، ثم هو من ناحية أخرى المركب الوحيد الذى أتخذه فى ذهابي إلى مقر عملى وفى أوبتى من هناك ، فما كان لى وقد ضمت الفخر من أطرافه كما يقول مهيار وجمعت بين الحسنيين : وظيفة التدريس وحرفة الأدب ، أن يكون لى سيارة ، وبحسبى أن أركب كل شهر أو شهرين مع صديق فى سيارته أو أن أزحم الناس لأتخذ لى موضعاً بشق النفس فى سيارة عامة هى والترام شىء واحد !

كان الترام الجاهد بما يحمل من الخلق يجرى جرى من تقطعت أنفاسه ذات صباح ، وكان بينى وبين موعد الدرس الأول دقائق معدودات ، وكنت لا أفتأ أنظر إلى ساعتى وإنى لضائق بسرعة عقربها بقدر ما أنا ضائق ببطء الترام أخشى أن أتأخر فلا أدرى بماذا أعتذر لتلاميذى ولا كيف أخفى عنهم خجلى . دع عنك « البك الناظر » ونظراته على رأس السلم وغيظه المكظوم الذى لا آمن أن يظل مكظوماً ...

وظللت أدعو الله ألا تفسد الزمارة أو تخرج « السنجة » عن خيوط الكهرباء، أو تتدلى عجوز لتنزل فتزل قدمها، أو يمر رتل من سيارات الجيش فيقف المرور ، أو يدفع القدر أحد الناس إلى حيث يلتهمه الترام . وقضيت لحظة أليمة على هذه الحال أسأل الله وأستعجل الكمسارى وأرهف أذنى إلى زمارته وأتلفت نحوه كلما أبطأ فى النفخ فيها

وأبطأ الكمسارى ، والتفتت فإذا شاب « أفندى » يقف على سلم الركبة والكمسارى يرجوه ويتوسل إليه أن ينزل ، فلا يجود عليه ولو بنظرة ؛ ويغالظ له الكمسارى شيئاً فشيئاً ، ولكنه يظل ثبت الجنان منتصب القامة مرفوع الهامة ؛ وأنظر وقد كاد يخنقنى الغيظ ، وينظر الراكبون جميعاً نحو ذلك الأفندى عسى أن يستحى ، فلا يشاء أن يرد أو يلتفت إلى أحد ، ويعود الكمسارى فيلين ويستعطف مبتسماً ابتسامة فيها معنى ذلك الصفاء الذى يسبق العاصفة ويذكّر الأفندى بأن منع الوقوف على السلم قد بات أمراً معلوماً لكل الناس ، ولا حيلة له فى ذلك فهى مشيئة المصلحة والحكومة وعليه وحده الغرم إن تهاون ... ثم إنه ييأس أخيراً فيقابل العناد بالعناد ، ويقسم أن لن يسير الترام إلا إذا نزل ذلك الأفندى « التشبيط » ... كل ذلك وصاحبنا لا يزداد إلا إصراراً واستكباراً ! ...

ويضج الراكبون ، ويتقدم أحدهم بالرجاء فى رفق إلى ذلك الظريف المتعلق بالترام فيرد عليه بقوله : (موش شغلك يا أفندى) وتجرى على الألسن عبارات الاستنكار والتقريع والتوبيخ ... وهو برغم ذلك مصرٌ كأنه يجاهد فى قضية من قضايا الأوطان ، فلا يعرف فيها معنى الهوان أو الخذلان !

ويأتى صعلوك حافى القدمين ، حاسر الرأس ، فى يده عود ضخم من قصب السكر ، كأنه مدفع لطاردة طائرات العدو ، وفى جلبابه آثار تمزيق ، كأنه قادم لساعته من معركة ، ويتعلق هو أيضاً بالترام ، فلا يتمالك الناس أنفسهم أن يضحكوا ، على رغم ما كانوا يعانون من ضيق وغيظ !

ويحار الكمسارى بين الصعلوك والأفندى ، فقد أعلن أولهما أنه لن ينزل حتى ينزل الأفندى ، وهو لا يدرى أنه بذلك قد علق الأمر على المستحيل وأصبحت المصيبة مصيبتين ؛ وراح يتساءل ذلك الصعلوك فى حدة: لم يطلب إليه وحده النزول؟ أذلك لأنه « غلبان »؟ ويصرخ الكمسارى فى وجه الأفندى ضجراً ، فيرد عليه أخيراً بقوله « أما منفل صحيح » ويوقن الكمسارى أن الحرب واقعة لا محالة فيرد عليه بقوله « إذا كنت أنا منفل تبقى حضرتك دغف » . . . ويكتفى الصعلوك بذلك فينزل معتذراً وقد كان كفيلاً أن يحطم رأس الكمسارى بذلك « المترليوز » فى يده لو دعت الحال إلى ذلك

وينفد صبر المنفل فيجذب « الدغف » من كتفيه ويطول النزال ويعظم هول القتال ويتزاحم المتفرجون من السابلة ويتعطل الطريق ويضيع نصف الدرس وتنجلى المعركة أخيراً عن هزيمة « الدغف » ... ويمضى الترام وأنا أسأل نفسى أيهما المنفل حقاً وأيهما « الدغف » حقاً وأيهما الاثنان معاً ؟ ولكنى لا أحتاج إلى طويل فكر لأقول إن المنفل لم يفعل ما يستحق من أجله أن ينعت بهذا اللقب ، وإن نعته به من جانب ذلك الأفندى المهذب لهو الغفلة بعينها ؛ ثم أسأل نفسى كذلك أى الرجلين كان أفضل وأكبر فى أعين الناس الصعلوك أم الأفندى ؟ وأيهما إذاً هو الصعلوك حقاً ؟

أولى بنا والله أن نتساءل متى نتعلم النظام قبل أن نتساءل متى نظفر « بالاستقلال التام » .

الخفيف

وزارة المعارف العمومية

عـــدوان لطيف

للأستاذ محمود محمد شاكر

حضرة المحترم ناظر مدرسة ... الثانوية

قررت الوزارة (أى وزارة المعارف) كتاب المكافأة لأحمد ابن يوسف للسنة التوجيهية فى العام الدراسى الحالى ٤٠/٤١ ، والوزارة تطبع هذا الكتاب الآن بالمطبعة الأميرية ، بعد أن عهدت فى تهذيبه وتصحيحه وشرحه إلى حضرتى الأستاذين أحمد أمين عميد كلية الآداب ، وعلى الجارم بك وكيل دار العلوم

« وقد ظهرت أخيراً لهذا الكتاب طبعة أخرى قامت بنشرها المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة ، وهى طبعة فيها تحش وتحريف ونقص فى الشرح والتعريف بأعلام الرجال ، وغير ذلك من العيوب »

فنلفت نظر حضرتكم إلى أن الطبعة التى ينبغى استعمالها والاقتصار عليها بالمدارس الأميرية والحرة هى طبعة الوزارة التى ستصدر من المطبعة الأميرية قريباً

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام — السكرتير العام

١١/١١/١٩٤٠ — حسنى فائق

***

وكان من قصة هذه النشرة الظريفة التى أذاعتها وزارة المعارف على المدارس الأميرية والحرة ، أنى نشرت كتاب المكافأة لأحمد ابن يوسف من المكتبة التجارية الكبرى فى ١٤ / ١٠ / ١٩٤٠ ، بعد أن حققت أصله وراجعتُه على الأصول ، وشرحت ما يعرض للقارئ من غامضه ، وكتبتُ لأحمد ابن يوسف ترجمة وافية جمعتها من بين سطور كتب التاريخ والتراجم ، إذ أن ترجمة أحمد ابن يوسف لا تبلغ عشرة أسطر فى الكتاب الفرد الذى ترجم له ، وهو معجم الأدباء لياقوت الحموى

وكان حقاً على وزارة المعارف ، أو على الأصح ، كان من الأدب التبع أن تشكرنى على الجهد الذى بذلته فى تصحيح هذا الكتاب . ولكن الوزارة أبت أن تكافئ الجميل من العمل بالجميل من القول ، وقذفت الكتاب وناشره وطابعه قذفاً جارحاً لا مسوغ له ، وإذ كنت أعلم علم اليقين أن ليس بينى وبينها عداوة مستحدثة ، أو حقد متوارث ، فقد أذهلنى اجتراء هذه الوزارة على الطعن فى الكتاب طعن المتقحم المتضرم المغيظ الذى يفقده الغيظ سلطان الإرادة الحكيمة

والقارئ يعلمَ — ووزارة المعارف تعلمَ أيضاً — أن القانون يقدعها ويردها عن الطغيان كما يقدعنى ويردنى ، وأن هذه الجملة التى وضعناها بين الأقواس فى نشرة الوزارة ، إن هى إلا حشو لا معنى له ، وأن قد كان لوزارة المعارف مندوحة عنها ، وأن الكلام يستقيم بإسقاطها ، وأن أمرها لنظّار مدارسها وأساتذتها وطلبتها واجب الاتباع . فإذا قالت الوزارة لهؤلاء إن الطبعة التى ستصدر من المطبعة الأميرية قريباً ! ! هى الطبعة التى تنبغى استعمالها والاقتصار عليها ، فهذا كفاية وفوق الكفاية فى منع الأساتذة والطلاب ! ! من اعتماد طبعتى فى الدراسة

ومع ذلك ، فما لا شك فيه أن السنة الدراسية الحالية ، قد انقضى من عمرها أكثر من الثلث ولم تصدر طبعة وزارة المعارف . أفيكون ثمة بأس على الأساتذة والطلبة أن يوفروا من الوقت الضاع أشهراً أخرى بالنظر فى نسختى ، حتى إذا ظهرت نسخة وزارة المعارف اتبعوها وألقوا نسختى ومضوا فى دراستهم فى كتاب الوزارة ؟ إنه مهما يكن فى نسختى من العيوب ، فلا يمكن أن يكون الأصل الذى طبعتُه من الكتاب غير الأصل التى تطبع عنه وزارة المعارف ، وما دام الأصل واحداً ، والنصُّ واحداً ، فليس على الأساتذة والطلبة بأس . فهل تستطيع الوزارة أن تدَّعى أن نص الكتاب الذى طبعتُه — مهما يكن فيه الخطأ والتحريف — غير النص الذى يطبعونه ؟ وبالطبع نقول : لا ، وكلا ، وليس معقولاً ! !

وإذن ، فالجميل الذى أوليته وزارة المعارف ، وإخواننا من الأساتذة والطلبة ، جميل يوجب الشكر على من قدِّم له . هذا ، وأنت تعلم — ووزارة المعارف تعلم أيضاً — أن الأساتذة والطلبة مكلفون بشراء كتاب الوزارة كما اشتروا كتابى . فأمرُها للأساتذة والطلبة بالاقتصار على طبعة الوزارة التى ستصدُر من المطبعة الأميرية قريباً ! ! إيجاب عليهم بشراء كتابها وطبعتها ، فليس يضير الوزارة على ذلك شىء ، ما دامت ستنتهى إلى النهاية الطبيعية وهى بيع كتابها ورواجه بين المكلفين بدراسته

ونحن نعلم — ووزارة المعارف تعلم أيضاً — أن المفروض فى أمر هذه الكتب ، أن الوزارة لا تتجر بها للربح ، فإذا فرض

ـ وهذا مستحيل بعد أمر الوزارة للمدارس بالاقتصار على طبعتها التى ستصدر من المطبعة الأميرية قريباً ! ! ـ أن بقيت جميع نسخ الوزارة معطلة موقوفة لا تباع ولا تشترى ولا ترهن ! ! كالأوقاف والحبوس ، لما كان فى ذلك شىء ، ما دام الغرض من طبع هذا الكتاب قد حقق للطلبة والأساتذة على ما قد يكون فى طبعتى من العيوب

وبعد الاقتصار على هذا ، أظن وزارة المعارف قد استطاعت أن تفهم الآن مقدار ما أساءت به ، مع صرف النظر عن المسئولية الأدبيـة والقانونية التى وقعت فيها فى نشرتها التى أذاعتها على المدارس الأميرية والحرة

وسأدع المسئولية القانونية التى يكفلها القانون لى ولصاحب المـكتبة التجارية الـكبرى ـ إلى أن يحين حينها وتأخذ طريقها الذى تقتضيه ، وأنصرف الآن إلى المسئولية الأدبية التى أغمضت فيها هذه الوزارة بغير رفق ولا حكمة ولا حرص

إن عمل وزارة المعارف ليس إلا الإشراف على التعليم ، وكل أمر أو نهى يصدر منها يجب اتباعه على المدارس الأميرية والحرة ونظارها وأساتذتها وطلبتها ، هذا ما نعلمه — وأظن وزارة المعارف تعلمه أيضاً — ، وليس من عمل وزارة المعارف فيما نعلمه — وأظن هذه الوزارة تعلمه أيضاً — أن تكون حكما قاضياً على ما يصدر من الكتب غير مرسوم برسمها واسمها ، وإن كانت هذه الـكتب مما قررته الوزارة لمدارسها . وما دمتُ لم أشر بحرف واحد فى كتابى إلى أنى قد نشرته لطلبة السنة التوجيهية بالمدارس الأميرية والحرة ، فليس من حق وزارة المعارف أن تتعرض للحكم عليه أو الطعن فيه على الأصح

ومع ذلك فأنا وأنت نعلم — ووزارة المعارف تعلم أيضاً — أن حكمها على الـكتاب قد صدر ، وأن هـذا الحـكم ليس نقداً ولاشبيهاً بالنقد ، وإنما هو طعنٌ وتجريحٌ وطنينٌ كلامىٌّ مُؤذٍ كان يجب على هذه الوزارة أن تترفع عنه

ومع ذلك كله ، فالوزارة تقول إن هذه الطبعة التى نشرتها المكتبة التجارية الـكبرى فيها « تَخُشٌ » ، هذا الحرف ، بهذا النص ، على هذه الصورة ، فى هذا الوضع ! فأنا أتحدّى هذه الوزارة فى هذا المـكان وأطالبها باستخراج « الفحش » الذى وقع فى طبعتى ، أين هو ؟ فإذا فعلتْ ، فسنرى أىُّ الفُحشين أفحش ، أهـذا الذى تدعيه وزارة المعارف على كتابى ادّعاء ، أم الذى هو قائمٌ مقررٌ مثبتٌ فى الـكتب التى قررتها وزارة المعارف وطبعتها وأذاعتها ، وأمرت مدارسها بدراستها أعواماً طِوالاً ؟

وتقول وزارة المعارف إن فى طبعتى « تحريف » ؛ هذا الحرف ، بهذا النص ، على هذه الصورة ، فى هذا الوضع ! فأنا أتحدّى هذه الوزارة أيضاً فى هذا المـكان ، وأطالبها باستخراج هذا « التحريف » ، ليعلم من لم يكن يعلم أىُّ التحريفين أقبح ، ما أقع أنا فيه ، أم ما وقعتْ فيه هى فى الـكتب التى صححتها وشرحتها وأذاعتها وقررت دراستها أعواماً طوالاً ؟

ومع ذلك كله ، فأنا أقرر فى هذا المـكان أن « الفحش » ! هذه واحدة ، وأن « التحريف » ! وهذه أخرى ، ليسا سوى دعوى من الوزارة لا برهان لها عليها ألبتة ، وأن الجرأة والطغيان قد بلغا مبلغاً فى هذه النشرة الرسمية ، وأن كتب وزارة المعارف قد عرضت لى صفحتها ، فإن شئت قضيت وإن شئت أمسكت

أما ثالث أقوال الوزارة من أن الـكتاب فيه « نقص فى الشرح » ، فليس صحيحاً بوجه من الوجوه ، إذ كان شرحى مختصراً مبيناً عن وجه العبارة والمعنى ؛ وقاعدتى فى الشرح أن أدع نص أصحاب اللغة فى شرح اللفظ اللغوى ، إلى عبارة أعبر بها معنى الجملة على الوضوح والبيان . وبذلك أسقط من الـكلام ما تحشو به وزارة المعارف كتبها من الشروح التى لا معنى لها . وسأضرب فى كلمة أخرى أمثلة كثيرة أزعم أنها هى التى بغضت إلى الطلبة أكثر كتب الأدب التى وزعتها عليهم ، وصرفتهم عن الاستفادة منها

هذا ، ومن قرأ كتاب أحمد بن يوسف يعلم — ولعل وزارة المعارف تعلم أيضاً — أن الـكتاب مجموعة من القصص القصير ، فى عبارة قريبة واضحة ليس فيها من غريب اللغة إلا القليل ، ورب غريب فيها يبين عنه سياق الحكاية ، فلا معنى لإرهاق نظر الطالب والتهويل عليه بالشروح المستفيضة التى تخوفه أو تثقل عليه . ورب شرح قصير موجز واضح يكون أعظم بركة على القارئ من تعالم غليظ ثقيل وتقعر

وعندنا أن الأسلوب الذى جرت عليـه وزارة المعارف فى شرح كتبها أسلوب غير منتج إلا أسوأ النتائج ، لأنه يصرف الطالب عن الاستمتاع بالنص ، وعن التقليب له والنظر فيه ، وعن الترديد لطلب المعنى بالجهد القليل ، ويجعله حائراً بين الـكلام الذى يقرأ وبين الشرح الطويل الممل الذى تتدلى حواشيه على

كل كلمة أو حرف من عبارة قصيرة قريبة المعنى دانية البيان ، وأن هذه الطريقة المضحكة هى التى تجعل الطالب لا يهتم كثيراً بالإصغاء إلى أستاذه اعتماداً على ما يتوهمه فى الشرح الطويل العريض من الإبانة الصحيحة عن المعنى ، فإذا فعل ذلك ، ثم رجع إلى كتابه وقرأ شرح الشراح وأصحاب الحواشى لم يفهم ، وربما أضله هذا الشرح عن بعض الصحيح من الفهم الذى فهمه قبل قراءة الشرح . وأنا لا أقول هذا عن رجم وتظنٍّ ، بل أقوله وقد وقفت عليه من ملاحظتى لأكثر من عشرين طالباً من أبنائنا الذين كتب عليهم أن يتعلموا العربية فى وزارة المعارف . ولست أشك أن أكثر أساتذة العربية فى المدارس الأميرية ، لو أتيح لهم أن يتكلموا لأظهروا هذه العيوب كلها لما يقاسونه مع الطلبة فى دراسة النصوص العربية التى شرحتها وزارة المعارف

ومع كل ذلك ، فأنا أوافق وزارة المعارف على أن كتابى فيه نقص فى الشرح ! فهل يعيبه هذا ؟ إنما العيب أن يطول الشرح ويكثر ، وتلج لجاجته ، ثم يكون هذا الشرح تضرباً فى خطأ بعد خطأ ، وفى سوء فهم للعبارة ، وفى إبهام آت من قلة المعرفة بأساليب العرب فى كلامها . وأنا أتحدى وزارة المعارف أن تخرج من كل ما صححت من الكتب ، بل من كل ما أكتب ، شيئاً يدل على ذلك . وما دامت الوزارة تأبى إلا أن تعتدى علىَّ فسأضع يدها على ضرب مدهش من الشروح التى وقعت فيها فيما طبعت من الكتب ، يدل كل الدلالة على أن الشراح لم يفهموا حرفاً واحداً مما قرأوا ، وأنهم ينقلون من الكتب ما يصادفون من المعانى ، لا ما توجبه الجمل من معانى اللغة ، وأنهم لا يتذوقون الأدب إلا بالوظيفة وعن طريقها ! !

أما النقص فى التعريف بأعلام الرجال — كما تقول وزارة المعارف — فلا أظن أحداً قرأ كتاب أحمد بن يوسف ورأى ما فيه وعلم غرض مؤلفه منه ، إلا وجد من عيب وزارة المعارف لكتابى بهذا النقص — كما تسميه — أسلوباً مضحكا فى النقد . أتظن الوزارة أنها تستطيع أن تعرف بفلان وفلان وفلان ممن ذكر فى هذا الكتاب فى سطرين أو ثلاثة ، ثم يكون هذا تعريفاً ؟ كيف تستطيع هذه الوزارة أن تعرّف قارئ كتابها فى سطرين أو ثلاثة : بإبراهيم بن المهدى ، وابن طولون ، وابن بسطام ، والمأمون ، وابن مدبر ، وخالد المشرى ، وابن أبى الساج ، وخمارويه ، وفلان وفلان ممن لا نحصى كثرة ؟ ؟ وهل تعتقد أن التعريف بأحد هؤلاء إن هو إلا ذكر سنة مولده أو سنة وفاته أو وظيفته فى الدولة ؟ وقضى الأمر الذى فيه تستفتيان ! هذه طريقة فى التعريف بالرجال مضحكة ، لا نلجأ نحن إليها ولا نقرها ، ونعلم أن لا فائدة فيها للطالب أو غير الطالب بتة . وستخرج طبعة وزارة المعارف التى تطبع بالمطبعة الأميرية قريباً وسنعلم كيف فعلت ! وندلها على الصواب فى كل ذلك إن شاء الله

وأخيراً ... وأخيراً ، أيها القارئ ، تقول وزارة المعارف بعد أن أنهكها تعداد عيوب كتابى ، وبلغ منها ، وكدها ، وأوهى منتها ، واستصفى نشاطها ، وحيرتها الكثرة التى لا تحصى من بلادتى وغفلتى وأخطائى ... أخيراً تقول : وفى هذا الكتاب الذى نشرته : « غير ذلك من العيوب » : « فقطعَ دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين »

وأخيراً أيضاً ، أشكر وزارة المعارف على حسن جزائها لى فى كتاب لم أتقدم به إليها ، ولكنى تقدمت به إلى قراء العربية ، ثم أشكرها على توصيمها لاسمى واسم هذا الكتاب بالنشرة التى أذاعتها على مدارسها . وإذا كانت وزارة المعارف تجهل من أنا ، وما عملى ، وكيف هو — ووزارة المعارف تجهل أشياء كثيرة — فكل ذلك لا يبيح لها أن تهجم على الناس بالسيء من القول .

إنى أعلم كيف كتبت هذه النشرة ، ومن الذى أملاها ، ولأى غرض أمليت على من كتبها ، ومن المضحك أن يجرؤ إنسان كل درجته فى هذا الأمر تأتى من قبل وظيفته . أو أن يجرؤ إنسان كل علمه يأتيه من قبل شهادة نالها ، ثم من وظيفة قدر له أن يحرزها أو تحرزه ، ثم من ثالثة الأثافى التى هى الحظ .. أقول : من المضحك أن يجرؤ أحد هذين أن يدعى لنفسه حق الحكم على عمل أعمله مستتراً وراء نشرة تصدرها وزارة المعارف ، وهو لو وضعته بين أناملى التى أمسك بها هذا القلم لمزّقت عنه كل الوشى المصنوع الذى يكتسيه ويتجمل به ... ومع ذلك فسوف نرى

محمود محمد شاكر

حكم استئنافياً بتغريم حسين خليل عمر البقال بباب الشعرية بالقضية ٩٦٨٥ ت بجلسة ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٤٠ جنيهاً لبيعه ملحاً بأزيد من التسعيرة

حكم استئنافياً بتغريم مايرمفربى البقال بباب الشعرية بالقضية ٩٦٨٦ ت بجلسة ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٤٠ جنيهاً لبيعه ملحاً بأزيد من التسعيرة

حكم استئنافياً بتغريم هلال سويلم بسيونى البقال بشارع فاروق فى القضية ت ٩٦٩٥ بجلسة ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٤٠ جنيهاً لبيعه كبريتاً بأزيد من التسعيرة .

كلمـــات ...

الإصلاح الاجتماعي

قرأنا في الصحف أن وزير الشؤون الاجتماعية يقدم إلى مجلس الوزراء مشروع قانون بإنشاء مجلس أعلى للشؤون الاجتماعية

وما نظن حكومة من حكومات العالم ، ولا أمة من أمم هذه البسيطة ، هي أكثر لجاناً ولا أطول لساناً في الكلام عن الإصلاح من حكوماتنا ولا من أمتنا المصرية .

وهذه « لجنة » أخرى جديدة للشؤون الاجتماعية ، أي للاصلاح الاجتماعي

والإصلاح الاجتماعي هو تمدين الأمة ونقلها مما هي عليه — والمثقفون منا يعرفون وتضيق صدورهم مما هي عليه — ويكاد يكون من العجيب أن تؤلف لجنة لهذا الغرض قبل أن يتحدد بيننا هذا الغرض نفسه .

فهل نحن نريد أن نكون أمة أوربية ، أم نريد أن نكون أمة شرقية ... أم نريد أن نكون — كما يقول كثيرون من المترددين — بين هـذه الحضارة الشرقية التي ورثناها وبين هذه الحضارة الأوربية التي تغزونا ؟

ونحن ليس من همنا في هذه الكلمة أن نقول رأينا فيما يجب أن تكون حضارتنا وثقافتنا بين الحضارات ، بل همنا أن نقول : إنه عجيب أمر هذه اللجنة التي يؤلفها وزير الشئون الاجتماعية للاصلاح الاجتماعي

وقبل أن تؤلف لجنة لهذا الغرض يجب أن نحدد موقفنا قبل كل شيء ، ويجب أن نعرف في أي مكان نريد أن نضع أنفسنا بين أمم الأرض ، لا أن نسير فنخبط ونخالط كما نفعل الآن ، وكما فعلنا منذ لابسنا الحياة الأوربية وذقنا ثقافة الغرب وتفكيره وحضارة عصره

ويجب قبل ذلك أيضاً أن نهيئ الرأي العام لقبول ما نريد أن نسوقه إليه وأن نقوم حياة شعبنا عليه من إصلاح جديد

وسأضرب مثلين مفردين لتوضيح ما أريد :

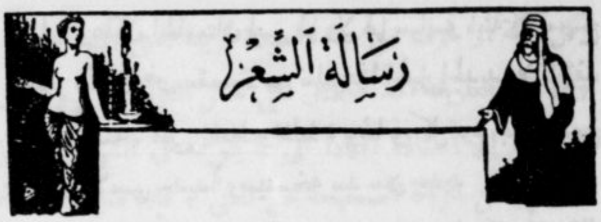
فهذا تعليم الأمة وتنوير الجيل الجديد منها تسيطر عليه وزارة خاصة هي وزارة المعارف ، وتهيمن على ثقافة الخلاصة منه جامعتان : جامعة فؤاد الأول ، وجامعة الأزهر . ولكن هذه الوزارة وهاتان الجامعتان ليس لها ولا لهما سياسة ثابتة ولا منهج مستقر ولا غرض مقصود من تعليم هذا الجيل الجديد ولا تثقيف الخلاصة منه . فهي تخبط وتخلط ، ولها في كل يوم جديد ينسخ ما كان بالأمس جديداً وسينسخه بعد حين جديد

وما يقال عن وزارة المعارف وعن جامعتينا يمكن أن يقال عن هذا الإصلاح الاجتماعي الذي تؤلف له وزارة الشؤون «لجنة» قبل أن تتحدد غاياته وأغراضه ومراميه . والمثل الثاني هو قانون أصدرته هيئة إصلاحية وصدر به قانون ألزم جميع المحاكم والناس أن يعملوا به : وهو قانون الطلاق الثلاثي يقع واحدة

فلا يزال كثيرون من سواد الناس ومن الفقهاء لا يرضى فيه بما رضى الأزهر ورضيت المحاكم الشرعية العليا ولا بما أمرت وزارة العدل وقوانين الدولة ، لا يزال هؤلاء الكثيرون من السواد ومن الفقهاء يوقعون الطلاق الثلاث ثلاثاً برغم هذا كله وقد مضت على هـذا القانون عشر سنين أو تزيد ، فهذا مثل للاصلاح الذي لم نهيء له الرأي العام ولم نمهد له نفوس الناس حتى يمكّن لذيوعه ورسوخه رضاهم واطمئنانهم إليه قبل أن تمكّن له قوة القانون

فقبل أن تؤلف وزارة الشؤون الاجتماعية لجنة للاصلاح الاجتماعي يجب أن يكون الغرض من هذا الإصلاح وأن تكون الغاية فيه واضحة بيّنة معلومة الحدود والمراسم والتفاصيل ، وأن نُهيأ لها قبل ذلك نفوس الناس .

(محمود)



من وحي الحرب

أوراق الخريف...

[مهداة إلى الأستاذ « العقاد »]

للأستاذ محمود الخفيف

يا هولَ ما توحيهِ من خاطرِ … جموعُها المائلهْ
الموتُ فى بطشٍ لهُ قاهرِ … ألقى بها ذابلهْ
مضمومةً بعدَ الصِّبا الناضرِ … مصفرّةً آلافُها الراحلهْ
مطعونةَ الأوّلِ والآخرِ … مذعورةً مُعجَلةً ذاهلهْ !

* * *

تسابقتْ فى وثبِها للفناءْ … صفوفُها الواهيهْ
كأنما يدفعُها فى الخفاءْ … لحتفِها طاغيهْ !
أوْ قادَها للموتِ كُرْهُ البقاءْ … فى عيشةٍ تُفضى إلى الهاويهْ
الذلُّ فى ناحيةٍ والشقاءْ … والبطشُ والطغيانُ فى ناحيهْ

* * *

يا سوءَ ما توحيهِ لى من خيالْ … أوراقُ هذا الخريفْ
فى حشدِها كمْ ذا أرى من مثالْ … لكلِّ عانٍ لهيفْ
كمْ موجَعٍ فيها وكمْ ذى كلالْ … مهدّمٍ أضناهُ كسبُ الرغيفْ !
يا قبحَها ! توحى لنفسى المآلْ … لكلِّ فينانٍ بهيجٍ رفيفْ

* * *

كمْ صوّرتْ ريحُ الشمالِ الطغاةْ … لمْ تلوهمْ عاطفهْ
من كلِّ عاتٍ شرُّ ما فى الحياةْ … حياتُه العاصفهْ

أممٌ كمْ تزجى المنايا يداهْ … والأرضُ من هولِ الردى راجفهْ
ما وطئتْ أذنيهِ يوماً شكاهْ … أوْ عطفتهُ الرحمةُ اللاهفهْ !

* * *

جنكيزُ أوْ تيمورُ هذا الزمنْ … فى عصفِها ماثلُ
يُترِعُ للعصرِ كؤوسَ المحنْ … زُعافُها عاجلُ
وذلكَ المسكينُ مهما افتتنْ … فى غدهِ من سمِّها ناهلُ
مهما يكنْ من هولِ هذى الفتنْ … عمّا قريبٍ يزهقُ الباطلُ

* * *

هذى الجموعُ الصفرُ كمْ نبّهتْ … شجوى أوصافُها
لشدَّ عندَ الموتِ ما أشبهتْ … بنيهِ آلافُها
فى غمرةٍ من خلفِهمْ ما وهتْ … أيدٍ بروقُ الوهمِ أهدافُها
فخارُها فى العيشِ ما شوّهتْ … ومنتهى العمرانِ إتلافُها !

* * *

تكرُّ بى أشلاءُ تلكَ الغصونْ … تذرى بكلِّ النواحْ
للريحِ فيها من نوازى الجنونْ … عصفٌ بها واجتياحْ
طيفٌ لروحى من طيوفِ المنونْ … الويلُ فيهِ والأسى والنواحْ
فيهِ الضحايا ساقها المبطلونْ … أشلاءَ هاملةً الربى والبطاحْ !

* * *

انتثرتْ أوراقُ هذى الشجرْ … وأوحشتْ عاريهْ
كأنها فى الأرضِ بعضُ الأثرْ … لهذهِ الغاشيهْ !
لكنها خضراءُ لمْ تُهتصرْ … تُكسى حلاها فى غدٍ ثانيهْ
إنْ أوحشتْ فى العينِ عندَ النظرْ … ففى حشاها تكمنُ العافيهْ

* * *

يا ويحَ للإنسانِ ما إنْ لهُ … فى غيِّهِ من فريعْ
تنثرُ كفُّ الدهرِ آمالَهُ … وما لهُ من ربيعْ
والبغىُ كمْ ينقصُ آجالَهُ … والعيشُ عجلانَ الليالى سريعْ
صريعُ هذا البغىِ يا ويلهُ … يرنى جنانى للشقىِّ الصريعْ !

الخفيف



شيء موجود

الانجـــــذاب

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

يصف عامتنا الرجل الطويل اللسان الذي لا يكتم الحق ، والذي يلقيه على عواهنه يخز به الصغير ويخدش به كبرياء المتكبر ، ويجر به الخير ويتسبب به الكارثة ... بأنه « مسحوب من لسانه »

وهذا الوصف يفهم فهمين : الفهم الأول هو ما تؤدي إليه هذه الصورة المادية التي يقعد عند إدراكها القانعون بالصور المادية ، والفهم الثاني هو ما يدركه الطامحون الذين يسمون إلى المعاني ، والموهوبون الذين تسمى المعاني إليهم ، وهو أن يُعتبر الرجل المسحوب من لسانه إنساناً إذا رأى الحق انشدّ إليه فلم يتثاقل عليه ، ولم يفكر في الامتناع عنه ، ولم يتريث في الذهاب إليه ، وإنما هو يندفع قاصداً إياه ليسكن فيه ، ولينعم بلذة هي السكنى ، ولينتشي بما تبعثه في نفسه من الاطمئنان الذي لا يرتاح إلا إذا حصله والذي يقلق إذا فوّته ، وهو في اندفاعه نحو الحق لا يمشي على رجليه ، ولا يطير بجناحيه ، وإنما يحرك لسانه بالقول يقرر به الحق الذي لمحه من غير جهد يبذله في تحريك لسانه ، ولا عناء يتجشمه في تقريره للحق . بل إن الجهد يبذله إذا أمسك لسانه ، والعناء يتجشمه إذا قاوم الحق وتمنت معه والتوى عليه ...

وهذه الصورة المعنوية للرجل المسحوب من لسانه هي نفسها صورة المجذوب الذي يبيع الدنيا بكلمة حق يقولها فيفتقر ويخسر الناس ، ويطيح إلى خارج أنظمتهم وقواعدهم ، ويعدم النصراء منهم والأنصار ويتلقى على أم ناصيته التهم تكال له جزافاً أشرفها وأنظفها أنه مجنون لا عقل له ولا تمييز ، والسخرية تنهال عليه من كل جانب لأنه الإنسان الشاذ الذي يقول ما لا يصح أن يقال والذي يفعل ما تواطأ الناس على ألا يفعلوه . . . وهذه الصورة هي أيضاً نفسها صورة الأديب الفنان الصادق الحس السليم المنطق الصادق التعبير الواضح القصد ، فهو نفسه المجذوب وهو نفسه المسحوب من لسانه الذي يقول للمجتمع مهما اغتر المجتمع : إنك يا أيها المجتمع مغرور ومخطئ ، والذي يقول للسلطان مهما قوى السلطان ومهما اشتد : أيها السلطان إنك حائد عن الحق ومنزلق إلى الباطل ، والذي يقول للعقيدة مهما تغلغلت في النفوس وتأصلت في القلوب : أيتها العقيدة إنك فاسدة ترتكزين على مغالطة ، فانهاري لأقيم مكانك في نفوس الناس عقيدة أخرى تقوم على أساس من الحق الصافي

وهذا الأديب لا يصل إلى هـذه الدرجة من قوة النفس إلا عن واحد من سبيلين . فإما أن يكون قد ولد من أبوين صادقين غربلا نفسيهما قبل أن ينتجاه ، ونفيا عن روحيهما كل خدعة وكل أكذوبة ، وركنا إلى الحق في إحساسهما وتفكيرهما ونزعاتهما ، ولم يعودا يتأثرا بالهوى ، ولم يعودا يظنان بأنه كان يصح أن يكون لهما أكثر مما لهما ، وهذان أبوان لم يلتقيا ... وإما أن يكون كبقية الناس قد ولد وقد ورث نواة الخطيئة الحادثة من تفاعل الغرور عند أبيه والطمع عند أمه ، وأن يكون قد انتبه إلى هذا على أثر حادثة من الحوادث ، فبدأ يأخذ نفسه بمراقبة الحق وتحريه والقصد إليه حتى تنفتح نفسه للحق انفتاحاً فيحبها الحق كما تحبه وينزل فيها كما تنزع إليه ، وليست نفس الإنسان إلا حقاً من الحق إذا صفت وانفلتت دون الغرور والطمع تمت خالصة واستدعت من الحق حقاً وحقاً ، وكلما أحاطت بحق مثلته فصار منها ، وكلما كبر ما فيها من الحق وزاد ، اشتدت قوتها على استدعاء الحق الذي غاب عنها ، وما تزال هكذا حتى يكون لها إذا أرادت أي حق أن يلبيها مهما كان نزاعاً إلى التستر

والإنسان الذي يحاول هذه المحاولة ويعاني فيها هذا العناء ، ليس له قصد إلا هذا الحق المجرد ، فهو إذا وصل إليه مجذوباً ، حدث بينه وبين الحق تصادم هو عناق اللقيا ، وكان لهذا التصادم صوت هو قبلة الشوق ، وهي من الأديب كلام ، ومن سواه فنون أخرى ...

وقد تعجز أي قوة في الأرض عن أن تحول بين الأديب المجذوب المسحوب من لسانه وبين كلمة الحق يفرقعها رنانة مدوية

كما يفرقع العاشق المجنون قبلة التحرق إذا التقى بحبيبه

وكما أن العاشق المجنون يظل يسعى ، ويظل يصبر الزمن الطويل حتى يلتقى بحبيبه بعد أن يكون قد داخ فى البحث عنه ، وفى الصبر عنه ، وفى الشوق إليه ، فإن الأديب المجذوب هو أيضاً يظل يسعى ، ويظل يصبر الزمن الطويل وهو مملوء شوقاً إلى حق يظل به حقاً ، أو يقيم عليه حقاً ، فكيف يمكنه إذا لمحه وتبينه أن يعود إلى الصبر عنه والصبر مر ؟ ! إنه لا يعود إلى الصبر ، وإنه ليتهافت على معشوقه الذى كان غائباً عنه ثم تجلى ... سبحانه من معشوق وتعالى !

هى دوخة يدوخها المجذوب قبل أن يصل ، فلا يلومنه إنسان إذا هتف كذلك الذى هتف وهو عريان فى الحمام ، وقال : « وجدتها » ! وانطلق من الحمام وهو عريان ليعلن أمام مخلوقات الحق أنه قد وجدها ، وهى أنه إذا غطس جسم فى الماء ازاح من الماء ما يساوى حجمه حجم ذلك الجسم الغاطس ...

وفى أثناء هذه الدوخة تظهر على الأديب المجذوب المسحوب من لسانه أمارات لا تظهر إلا على الدائخين فعلاً وحقاً فهو إذا انفرد بنفسه أو إذا لم ينفرد بنفسه فهو لا يفتأ يفكر مع نفسه ويتناقش مع نفسه ، ويتحدث مع نفسه بالإسرار أحياناً ، وبالجهر أحياناً ، وإن عقله ليهديه فى بعض الأحيان إلى ما يحسبه حقاً ثم يهديه بعد ذلك إلى ما يهدم هذا الذى حسبه حقاً فإذا به يضحك فجأة وهو منفرد أو بين الناس ساخراً من نفسه لأنه حسب باطلاً من الأباطيل حقاً فى زمن من الأزمان ، وقد لا تقف به الحال عند الضحك . بل إنه قد يلطم نفسه لطمة ، وقد لا يقف به الحال عند هذا بل إنه قد يضرب رأسه فى جدار إذا كان قد رتب على هذا الباطل الزور قولاً فأعلنه أو فعلاً فأداه

إنه يعامل نفسه كما يعامل غيره . بل إنه ليشتد مع نفسه ويصارحها بعيوبها أكثر مما يشتد مع الناس وأكثر مما يصارحهم بعيوبهم ، فليس هناك ما يدعوه إلى أن يترفق مع نفسه كما يترفق مع الناس مجاملة أو تهيباً أو توقيراً أو عطفاً أو شفقة ، وهو مع شدته هذه أشد الناس رحمة لنفسه ، فهذا الذى يصنعه ليس إلا تخليصاً لها من أدران البهتان وظلمات الأراجيف

وإذا كنا قد رأينا أديباً كهذا الأديب قد انشطرت نفسه شطرين وتسلط كل شطر منهما على الآخر يحاسبه ويناقشه ويناضله كمن بينهما عداوة تهدى إلى الحق ، فإننا قد رأينا أيضاً مغنين مجذوبين ورسامين مجذوبين وممثلين مجذوبين ومجذوبين آخرين من غير هؤلاء وهؤلاء .

والفرق بين كل واحد من هؤلاء وبين الأديب المجذوب ، أن الأديب المجذوب مسحوب من لسانه إلى الحق فهو يعلنه بالكلام الملفوظ أو بالكلام المقيد كتابة ، وأن الواحد من هؤلاء مندفع إلى الحق ومتجه إليه بناحية أخرى من نواحى نفسه المنشقة هى أيضاً شقين ، والشطورة هى أيضاً شطرين .

فالمغنى المجذوب تراه وهو فى حالة الانجذاب وقبيل أن يستقر على صوت روحه يهتز ويترنح — كما يفعل الشيخ على محمود — يريد ألا يمر من حنجرته إلى الخارج إلا صوت مبعوث من قرارة نفسه فيه التعبير الصادق عن المعنى الذى يقصد إلى التغنى به . وهو لا يزال فى هذا الاهتزاز وهذا الترنح المتعبين حتى ينطبق كل شطر من شطرى نفسه على صاحبه فإذا تم له هذا التوحد الروحى انطلق الغناء من صدره . . . من أعماق صدره . . . وجاز حنجرته منساباً مختاراً لا يتحسس أوتارها ، ولا يضغط على مقاماتها ، ولا يرعى ما يرعاه المغنون من وزن النغمات وربط الضرب وتقييد الواحدة ، وإنما أرسل الغناء إرسالاً تعبيراً ساذجاً صادراً من نفس تغنى ... وعندئذ يكون المغنى كما يكون الشيخ عبد الفتاح الشعشاعى وهو يقرأ غائباً عن الناس أو فى شبه غيبوبة عنهم ... وكما يكون أيضاً الشيخ على محمود عند ما يتجلى الله عليه فلا يجاريه إنسان

وقد ينجذب المغنى إلى حق التعبير عن نفسه بالغناء فلا يعبأ بالناس أن يستمعوه أو أن ينفضوا من حوله فهو يغنى لغير مستمع أو لأى مستمع ، وهو يغنى منفرداً كما يغنى فى الجماعة ، وهو يغنى فى مقام الغناء وفى غير مقامه ، وهو يحترف الغناء أحياناً ويكف عن احترافه أحياناً كما يفعل الأستاذ مصطفى أمين الذى كانت له (شنة ورنة) منذ سنوات والذى لا يكاد أحد يدرى أين هو الآن ، والذى قيل لى منذ عام أن نفراً من أصحابه يشتبهون فى متسول مغن أن يكون هو الأستاذ مصطفى أمين أرسل نفسه فى الدنيا ينشد تسبيحاً لله وصلاة وتسليما على رسوله ...

والرسام إذا انجذب ... فيا ويل الأوراق والأقلام والألوان منه ... إنه يخبط بعضها فى بعض ، ويخرج من هذا الخبط بأشكال يرضيه بعضها وينفره بعضها ، ويرى هو فيها جميعاً ما لا يراه غيره من العيب والنقص ، وقد يكون رسمه مؤدياً لما

لا تبلغ إليه أيدى الرسامين من معاصريه ، ومع هذا فهو الذى يعلم أن عمله ناقص ، لأنه هو الذى يحس أنه لا يزال فى الطريق مدفوعاً نحو تلك الصورة التى تتخايل أمام عينيه غامضة وراء أحجبة الزور وسحابات الباطل . . . فإذا ما اقترب . . . أو إذا ما وصل فعندئذ ينفجر بالصورة الواضحة البسيطة التى لا تعقيد فيها ، ولا اضطراب ، والتى لا أثر فيها لانشقاق النفس وانشطارها ، والتى هى أثر من آثار توحد النفس : إحساسها ، مع إدراكها ، مع خلقها ، مع تعبيرها ...

والممثل إذا انجذب إلى دور كان كالأستاذ عزيز عيد وهو مجذوب إلى دور مجنون ليلى ...

كل الممثلين ، وكل النقاد ، وكل الناس كانوا يسخرون منه ، وعلى الخصوص بعد أن شاهدوا المجنون من الأستاذ أحمد علام الممثل المتمشق المتأنق اللبق ، فلم يجدوا مطلقاً ما يبرر ظهور عزيز عيد فى هذا الدور الذى قال الناس جميعاً إنه لا يصلح له لا بجسمه ولا بنفسه ... وليس الأستاذ عزيز عيد بالرجل الذاهب العقل ، ولكن عقله ذهب إلى هذا الدور ، واستهان بعلام فيه ، كما استهان بحسين رياض فيه ، وهو لم يستهن بهما على تمكنهما المعترف به إلا لأنه كان يرى للمجنون صورة أبعد نحو الحق من الصورة التى رأياها هما . . . هى صورة لما رأيتها منه أبصرت فيها من المسيح ملامح . وقد ظل عزيز عيد يخاصم أهل الفن جميعاً فى سبيل هذا الدور حتى تعب هو نفسه منه لأنه اقتنع فى آخر الأمر بأن مادة بدنه تقعد عن تحقيق الصورة الخيالية اللطيفة التى يتصورها ، وأنه لن يستطيع أن ينقل من هذه الصورة إلى أذهان الناس حتى ولا التظليل الباهت الغامض ، وأنه محتاج إلى جمهور من الملائكة أو الجن يستشفون روحه من وراء مادة بدنه ....

عافاه الله من ممثل عاشق لفنه ، صادق فى عشقه ، مجذوب

عزيز أحمد فهمى



تشابه الفكرة عند الكتاب

إلى الدكتور زكي مبارك

لاحظت أثناء مطالعتي كثيراً من التقارب بين أفكار المؤلفين مما يثير حب استطلاعي في معرفة سبب ذلك وهل هو تأثر بعضهم ببعض، أو تشابههم في وجهة النظر والتفكير، أو نقل أحدهم عن الآخر، أو تشبع أحدهم بآراء مشابهة لآراء الآخر. فمن ذلك أني لاحظت مثلاً في أثناء قراءتي مقالاً للأستاذ أحمد أمين منشوراً بمجلة الثقافة تحت عنوان (في المدنية الحديثة) بتاريخ ١٩ / ١١ / ٩٤٠ في عددها رقم ٩٩ ـ أن بعض أفكاره خصوصاً عن الحقيقة العقلية في آخر الصفحة الثامنة وأول الصفحة التاسعة من المجلة ـ تشابه أفكار الأستاذ توفيق الحكيم السابق نشرها في كتابه « تحت شمس الفكر » في صفحة ١٠ و ١١ وما جاء بكتابه «عصفور من الشرق» في صفحة (١١١).

كما أني قد لاحظت من قبل في مقال سابق للأستاذ أحمد أمين في مجلة الثقافة عدد ٢ بتاريخ ١٠ يناير سنة ١٩٣٩ تحت عنوان « بين الشرق والغرب » نفس التشابه في الروح والأفكار لما جاء في بعض صفحات « عصفور من الشرق » خصوصاً في صفحاته ٩٠ إلى ٩٤ و صفحة ٢٠٣ و ٢٠٤

فالرجاء إذا كان لديكم متسع من الوقت لمراجعة مثل هذه المسائل أن تفيدونا في مقال من مقالاتكم الطريفة الممتعة في الرسالة عن رأيكم في مدى ملاحظتي هذه، وفي مدى العلاقات الفكرية التي تربط الكتاب من حيث الاتحاد في وجوه النظر وطرائق التفكير.

محمد الرفاعي
المحامي

جرائم أدبية !

هذا التعبير الفظيع هو الذي يصور ما أريد، وتلك الجرائم هي جناياتي على أدبي، الأدب الذي رجوت أن يكون صورة صحيحة لما يثور في القلب والعقل والوجدان، ثم لم يكن مع الأسف إلا شاهداً على أني أساير الناس وأصانع الزمان

أقول هذا وقد مزقت بالأمس صفحتين أنشأتهما في لحظة صفاء، وقد عرفت أن أصحاب « الحب الناصب » لا يزالون أحياء، وأنهم لم يكونوا غائبين، وإنما كانوا غاضبين

ألم أقل لكم إن القطيعة المقصودة من فنون الوصال ؟

ولا أعرف كيف مزقت هاتين الصفحتين وهما عُصارة قلبي وروحي ؟

هل كنت أخشى أن تكونا وثيقة جديدة على أني رجلٌ مفطور الفؤاد ؟

وما العيب في ذلك وما ظهر في الدنيا أديب بلا قلب ؟

هل كنت أخشى أن يقول السفهاء إن أصحاب القلوب لا يصلحون لكبار الأعمال ؟

وكيف أخاف أقوال السفهاء ومنهم عرفت أن التجريح لا يصوب إلا إلى الأديم الصحيح ؟

أمثلي يخاف الناس وهو يعبد الله كأنه يراه ؟

لقد فكرت في أمري مرات فوجدتني أصدق من توكل على الله، ورأيته عز شأنه يرعاني رعاية رفيقة هي البرهان الساطع على حمايته لأرباب القلوب

فما خوفي من زماني، وأنا بفضل الله في أمان من مكاره الزمان؟

النفاق عمل ضائع، والمنافقون ضائعون، ولن يبقى في صحيفة الخلود غير القول الصادق الصريح، ولو كان في ظاهره رجساً من عمل الشيطان

كنت أقسم ثم يسوقني الهوى إلى الحنث، فلما أقسمت بالله الذي أقسم بالقلم لم يعرف الهوى كيف يسوقني إلى الخُلف في اليمين

فهل أقسم بالذي أقسم بالقلم لأفنينَّ لوحي القلب أصدق الوفاء؟

أخشى أن تكون في صدري بقية من الشرك، وللشرك دلائل منها تهيب الناس، وأنا أكتم بعض آرائي عن الناس

فمتى يرحمني الله من هذا الشرك الوبيل؟ ومتى أنظر فلا أرى غير ما لذاته العالية من عظمة وجلال ؟ ومتى أعرف أن جُموح القلم من أشرف الأرزاق، لأنه من شواهد الاعتماد على صاحب العزة والجبروت ؟

زكي مبارك

سؤال الى علماء الآثار عن المحيا النبوى بالأزهر

جاء فى كتاب الخطط الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة للعالم الجليل على مبارك باشا وهو الكتاب المعروف باسم الخطط التوفيقية — كلام عن أثر بالجامع الأزهر يسمى ـ المحيا النبوى ـ فى أثناء ترجمة الشيخ أحمد شهاب الدين الكلبى المالكى (ج ١٥ ص ١٠١) وقد نقلت الخطط هذه الترجمة وما جاء فيها من ذلك الأثر عن كتاب خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر ، فذكرت أنه ممن ولد بمنفلوط الشيخ أحمد بن عيسى بن غلاب بن جبيل المنعوت بشهاب الدين الكلبى المالكى شيخ المحيا النبوى بالجامع الأزهر نشأ بمنفلوط ثم تحول مع أبيه إلى مصر لحفظ القرآن وعدة متون وأخذ عن والده وأعيان العلماء . إلى أن قالت : وجلس بالمحيا بعد والده ، ووالده بعد البلقينى ، والبلقينى بعد الشيخ صالح ، والشيخ صالح بعد الشونى المدفون بزاوية الشيخ عبد الوهاب الشعرانى . ثم ذكرت أنه توفى سنة سبع وعشرين وألف ودفن بالقرافة الكبرى بمصر

وهكذا عنيت الخطط كما عنى كتاب خلاصة الأثر (ج ٣ ص ٣٨٢) بسرد شيوخ هذا المحيا من الشيخ شهاب الدين الكلبى إلى الشيخ الشونى ، ولم يرد فيهما شيء يبين هـذا المحيا نفسه ، فلم يعرفانا أمره ، ولم يهتما ببيان مكانه بالجامع الأزهر ، ولم يشرحا الغرض المقصود منه فيه ، وقد أردت أن أعرف الآن شيئاً عن هذا المحيا النبوى من بعض شيوخنا بالأزهر ، فلم أجد عندهم شيئاً من خبره ، إذ نسى الآن أمره ، ولم يعد له شيوخ يجلسون فيه كالشيوخ الذين جلسوا فيه سابقاً

ولعلى بعد هذا أجد من قراء مجلة الرسالة الغراء — ولا سيما علماء الآثار — من يكون عنده علم بهذا المحيا النبوى ، فيبين لنا مكانه بالجامع الأزهر ، ويشرح لنا أمره فيه

عبد المتعال الصعيدى

تصويب وتعليق

ترجم الأستاذ النشار فى العدد الماضى من الرسالة أبياتاً نظمها « لورد دنسانى » أثناء مروره بمصر جاء فى مطلعها :

« أيها الملوك الأربعة الجالسون فى ساحة أبى سنبل متجهين نحو مشرق الشمس ، لقد رأيتم الإنسان يطير »

ولقد قرأت هـذه الترجمة فسحرنى خيال الشاعر المحلق وتعبيره الجميل ، واستمتعت بلحظات نشوى حوم فيها خيالى على تلك الربوع الجميلة الساحرة من بلاد النوبة التى قضيت خلالها أربعة أعوام كانت ربيع العمر وفجر أحلامه . ثم حلق خيالى فى أطباق الزمن إذ تمر مواكب القرون مطأطئة الرءوس أمام ذلك الأثر الخالد فى أعماق الجنوب ...

ولكنى أفقت من هذه السبحات الجميلة على هتاف ينبعث من ثنايا الذاكرة أفسد علىّ ما أنا فيه من متعة بجلال الفكرة وجمال الأسلوب ! فليس ثمة أربعة ملوك يجلسون فى ساحة أبى سنبل ، ولكنها أربعة تماثيل لملك واحد هو رمسيس الأكبر استقرت على واجهة معبده العظيم الذى أقامه هنالك تخليداً لذكرى انتصاره على الحثيين ...

يا لله ! لأحببت والله أن تتغير معالم التاريخ فتصير هذه التماثيل الأربعة لملوك أربعة لا لملك واحد ، ليظل هذا التعبير الجميل الرائع فى قصيدة لورد دنسانى خالداً خلود هذه الآثار !

فإن فى مخاطبة هؤلاء الملوك الأربعة وإشهادهم على ما وصل إليه الإنسان من عظمة مادية ومدنية شامخة ، وفى جواب هؤلاء الملوك من معانى الخلود والروحانية والسمو ، ما يفتح أمام الفكر عوالم من التأمل العميق والافتتان البالغ ، لا يكشف عنها التعبير التاريخى عن حقيقة هذه التماثيل

فلنسجل هذا التصويب للحقيقة والتاريخ ، ولنستمتع بما فى أبيات لورد دنسانى من أدب رفيع

(حلوان) محمد كامل عشه

قصر اللابرنت

قرأت فى عدد الرسالة رقم (٣٨٧) تحت عنوان : « بين كاتب وشاعر وخطيب » البيت الآتى :

من كل بيت مشرق يزرى بقصر اللابرنت

ووجدت فى هامش التفسير ما يبين أن اللابرنت كان قصراً من قصور الفراعنة لا يزال بالفيوم إلى يومنا هذا

ولكن الحقيقة أن اللابرنت هذا كان معبداً لهرم الملك (أمنمحيت الثالث) سادس ملوك الأسرة الثانية عشرة المصرية التى اتخذت إقليم الفيوم قاعدة لحكمها

إذ كان المتبع أن يشيد كل فرعون معبداً جنازياً شرق هرمه تقام فيه الطقوس الدينية والصلوات

وكان ينقسم إلى قسمين: الرئيسى المتصل بالهرم وهو خاص بالكهنة وأقارب الملك المتوفى

ثم القسم الثانى وهو ما نسميه بمعبد الوادى وكان خاصاً بالشعب لإقامة الشعائر الدينية على روح الملك المتوفى حتى يهنأ بالراحة الأبدية فى الدار الآخرة . وكان يصل المعبدين عادة طريق طويل مسقوف ينحدر بميل من معبد الهرم إلى معبد الوادى

ولكن تسمية معبد هرم الملك (أمنمحيت الثالث) بقصر اللابرنت أخذت عن كتاب اليونان الذين رأوا كبر المعبد واتساعه وتعدد حجراته أثناء زيارتهم لمصر فظنوه قصراً

ومع كل ما أظهره الكشف الحديث من تصحيحات فنية فإننا لا زلنا مع الأسف نجد المعبد منعوتاً باسمه القديم حتى فى الكثير من كتبنا المدرسية . وغير ذلك من الأعلام الأثرية الكثيرة .

محمد صابر

إخصائى فى الآثار المصرية القديمة

ومؤلف كتب الفراعنة

اقتراح

سيدى الأستاذ رئيس التحرير ...

فى العدد (٣٥٧) من الرسالة الغراء عقب الأديب حسن احمد باكثير مقالة الأستاذ عبد العزيز الدروى فى تفسيره للهند الصينية « بأندونسيا » بما نصه :

لا شك أن الأستاذ يقصد بذلك جزائر الهند الشرقية الهولندية لا الهند الصينية الخ .

نعم لا شك فى ذلك ولكن الواقع ـ مع الأسف الشديد ـ أن أكثر كتاب العرب ليس لهم أقل معرفة عن « أندونسيا » بما فيها من نهضات مباركة . إن أندونسيا التى لا ينقص عدد سكانها ـ حسب الإحصاء الأخير ـ عن خمسة وستين مليوناً ليتكون مسلموها من نحو ثمانين فى المائة أى لا ينقص عن خمسين مليوناً ، وإن فيها جمعية ـ وهى الجمعية المحمدية ـ هى أكبر جمعية دينية فى العالم الإسلامى . . . فكيف إذن يجوز لأديب من أدباء الإسلام أن يجهلها . . . لذا كم يكون نبيلاً من الرسالة ـ وهى على مالها من نفوذ ـ لو ازينت صفحة من صفحاتها بأبحاث عن العالم الإسلامى لسد هذا النقص ...

(مكة المكرمة) صلاح الدين سليمان هاشم

أخلاق القرآن

ذكر الدكتور عبد الوهاب عزام فى مقاله « أخلاق القرآن » المنشور بعدد الرسالة ٣٨٨ الآية الكريمة هكذا : « فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة اليوم بجالوت وجنوده » . والصواب « قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده »

مليم الحجرى

امرؤ القيس

إلى الأستاذ عبد المجيد مصطفى خليل

بعد التحية ... قرأت مقدمة كتابك « أغاريد الزفاف » المنشورة بالعدد ٣٨٤ من الرسالة إلى أن وصلت إلى :

ورثت الرباب بنت امرئ القيس زوجها الحسين عليه السلام حين قتل فقالت :

إن الذى كان نوراً يستضاء به   بكربلاء قتيل غير مدفون .. الخ

فمن هو امرؤ القيس هذا ؟ أرجو الإفادة على صفحات الرسالة الغراء

« سائل »



« سانياسى » أو الزاهد

مسرحية رمزية رائعة لشاعر الهند طاغور

ترجمة الأستاذ فخرى شهاب السعيدى

[بقية ما نشر فى العدد الماضى]

(يدخل رجال حاملين شخصا فى فراش)

الأول : إنه ما يزال نائماً

الثانى : ما أثقل هذا اللعين

مسافر (خارج من الجماعة) : من هذا الذى تحملون ؟

الثالث : إنه « بنــدى » الحائك الذى ينام نوم الأموات ، وها نحن أولاء قد حملناه لننأى به

الثانى : ولكنى تعب أيها الرفاق فدعونا نهزه هزاً عنيفاً لنوقظه

بندى : (مستيقظا) : إيه ؟ ... آ .. أو ...

الثالث : ما هذا الصوت ؟

بندى : من أنتم يا هؤلاء ؟ إلى أين تذهبون بى ؟ (يضعون من عواتقهم الفراش)

الثالث : ألا تستطيع المحافظة على السكينة مثل سائر الأموات المحتشمين ؟

الثانى : تلك حماقته ، توجب عليه الكلام وإن يكن ميتاً !

الثالث : لقد كان يخلق بك أن تلتزم جانب الصمت

بندى : إنى لآسف إذ أخلف ظنكم يا سادة ، لأنكم أخطأتم فما أنا بميت وما كان اعترانى غير سنة من النوم العميق

الثانى : إنى لأتمشق سلاطة هذا الرجل تمشقاً ! فهو لا يموت فحسب ، وإنما يموت مجادلاً

الثالث : إنه لن يعترف بالحقيقة ؛ فلنذهب لإعداد شعائر الميت وإتمامها

بندى : أقسم لكم بكرامة الحاكم هذه إنى حى مثلكم

سانيامى : لقد استغرقت الفتاة فى نومها متوسدة ذراعها تحت رأسها الصغير ، وما أرى إلا أن أدعها وأذهب الآن . ولكن هل يجب أن تلوذ بالفرار ، أيها الجبان ؟ هل تلوذ بالفرار من هذا الكائن الصغير ؛ إنما هذه فى الطبيعة أنسجة عناكبها وما ينال خطرها غير الفَراش ولا يتجاوزه ليبلغنى أنا الزاهد سانيامى

(تنتبه « فاسنتى » مذعورة)

فاسنتى : هل تركتنى يا سيدى ؟ هل ذهبت عنى ؟

سانيامى : وما الذى يوجب ابتعادى عنك ؟ مِمّ أخاف ؟ أوَ أرتاعَ من ظل ؟ !

فاسنتى : هل تسمع اللغط فى الطريق ؟

سانيامى : ولكن السكينة مخيمة على نفسى

(تدخل امرأة شابة ومن ورائها بعض الرجال)

المرأة : اذهبوا الآن ، غادرونى لا تتحدثوا إلىّ فى الحب

الرجل الأول : وَلِمْ ؟ ما هو ذنبى ؟

المرأة : إن قلوبكم ـ يا أيها الرجال ـ قد قُدّت من الصخر

الرجل الأول : كلام لا سبيل إلى تصديقه . إذا كانت قلوبنا مقدودة من الصخر فكيف تمكنت منها سهام « كيوبيد » إذاً ؟

رجل آخر : أحسنت . صدقت

الرجل الثانى : والآن ، فبماذا تجيبين على قوله يا عزيزتى ؟

المرأة : أتريد جواباً ؟ وهل حسبت أنك قلت شيئاً حسناً ؟ إنما هذا هذر محض

الرجل الأول : إنى أحتكم إليكم أنتم أيها السادة . لقد كان قولى : إنه لو كانت قلوب الرجال قد نحتت من الصخر ، فكيف...

الرجل الثالث : نعم ، نعم ، ليس على هذا الكلام من جواب

الرجل الأول : والآن ، فلأشرح لكم هذا : قالت إن قلوبنا نحن الرجال ، مقدودة من الصخر ، أليس كذلك ! حسن ؛ فأجبتها إن كانت قلوبنا من الصخر حقاً فكيف استطاعت سهام « كيوبيد » أن تنالها بالتخريب ؟ أتفهم ؟

الرجل الثانى : لقد كنت أبيع الدبس منذ أربعة وعشرين عاماً فى المدينة يا أخى ، أفتظننى لا أفهم ما تقول ؟ [ينصرفون]

سانيامى : ماذا تصنعين يا طفلتى ؟

فاسنتى : إنى أحدّق فى راحتِكَ الواسعة يا أبتِ ! وكأن يدى طير صغير قد وجد عشه فيها . إن راحتكَ فسيحة كهذه الأرض التى تتسع لكل شىء : هـذه الخطوط أنهارها ، وتلك فيها التلال . (تضم خدها على راحته)

سانيامى : إن مَلمسَكِ لناعم يا بنيتى كلمس النوم ، وإنه ليخيل إلىّ أن فى هذه اللمسة أثراً عظيماً من آثار الظلام الذى يجرح النفس جرح الأبد الخالد ؛ ولكنك يا طفلتى لست سوى فراشة النهار : لك طيورك وأزاهير حقولك . فماذا تستطيعين

أن تجدى فىّ أنا الذى حصرت مركزى فى الوحدانية ؟

فاسنتى : لا أريد شيئاً آخر غير حبّك هذا فإنه يكفينى

سانيامى : تتوهم الفتاة أنى أحبها ، فيا لَذّات القلب الطائش ! إنها سعيدة بهذه الفكرة فلتنعَمْها وتشجّعها ! دعها تتملّل بى لأنهم قد نشأوا فى أحضان الوهم فلا بد لهم منه لِتسليهم

فاسنتى : يا أبت ، هذه المُعَشِّبَةُ (١) التى تمتد على العشب فى التماس شجرة تلتف حولها إنما هى عُصبتى : لقد تعهدتها وأرويتها منذ أن نجمتْ منها ناجتان من صغار الورق فى الهواء كأنهما صرخة الطفل الصغير . إنى أنا هى تلك العصبة : نشأتْ على جانب من الطريق ، فمن السهل أن تقتلع . هل ترى هذه الأزهار الصغيرة الجميلة ذات اللون الأزرق الفاتح المنقّطة قلوبها بالنقاط البيض ؟ ما هذه النقاط سوى أحلامها ! دعنى أمسحْ جبينك فى لطف بهذه الأزهار ، فعندى أن الأشياء الجميلة إنما هى مفاتيح كل ما لم أرَ وما لم أهتد إلى فهمه

سانيامى : كلا ، كلا ، ما الجمال سوى ضربٍ من الخداع . وإن الزهرة والتراب فى نظر الحكيم العارف لشىء واحد . ولكن ما هذا الضعف الذى يدب فى عروق ويسدل على بصرى نقاباً خفيفاً من ألوان قوس قزح جميعها ؟ هل هذه هى الطبيعة تحوك أحلامها من حولى لتضلل حواسى ؟ (ينهض فجأة ساحقاً الأزهار) حسبى هذا ، فإنما هو الموت . ما لعبك هذا ، يا أيتها الفتاة ، مِى ؟ إنى أنا هو الزاهد « سانيامى » لقد قطعت عُقد نفسى كلها فأنا الآن حر طليق . كلا ثم كلا ، لا تذرفى الدموع فإنى لا أطليق احتمالها ؛ ولكن أين كانت تختبئْ هذه الحية فى قلبى أين كان هذا الغضب الذى زحف خارجاً من ظلماته مرهف الناب ؟ كلا ... إذاً فهى لم تمتْ بل ظلت حية لإنشاء المجاعة : هذه المخلوقات الجهنمية قد تجمّعتْ هيا كلَها القهقهة وقامت تتراقص بينا أخذت أستاذتُها ، الساحرة الخطيرة ، فى إيقاع ألحان شهابتها السحرية فى قلبى . لا تبكىْ يا طفلة ، وتعالى إلىّ تعالى. إنك لتشبهين فى نظرى صرخة عالم ضائع ، أو نشيد نجم جوال . إنك لتطيفين بذهنى شيئاً أوسع من هذه الطبيعة سعة لا تحد . بل هو أوسع من الشمس والنجوم جميعاً ... إنه لعظيم كالظلام ، وإني لا أدرك كنهه ، ولم أدر ما هو ، وذلك ما يبعث الرعب منه فى نفسى . وعلىّ أن أفارقك ، فعودى من حيث أتيت يا رسالة المجهول

(١) كل نبات لم ينم على ساق قائمة ، بل انتشر على الأرض وزحف حتى تسلق على شجرة يتكئْ عليها Creeper

فاسنتى : لا تفارقنى يا أبت ، فإنه ليس لى فى الدنيا من أحد سواك ...

سانيامى : بل يجب على أن أذهب . لقد حسبتُ أننى عرفت ولكنى لما أعرف ، ومع ذلك ، فيجب أن أهتدى إلى العرفان ؛ فأنا أغادرك لأعرف من عساك تكونين !

فاسنتى : أبت ، إن غادرتنى كنت فى الهالكين

سانيامى : اطلقى يدى ولا تمسكى بى ، فإنى يجب أن أتحرر

[يخرج راكضاً]

— ٣ —

(يشاهد « سانيامى » الزاهد جالسا على صخرة فى شعب جبل . يمر صبى راع مغنيا)

الأغنية : « لا تشح ، يا حبيبي ، بوجهك عنى ؛
« فهذا الربيع قد فتح صدره ،
« وهذه الأزهار تبوح بمكنون سرها فى الظلام .
« وحفيف أوراق الغابة يرتفع فى الفضاء
« مثل ارتفاع حسرات الليل ؛
« فتعال يا حبيبي ، تعال وأرنى وجهك ... »

سانيامى : إنَّ ذهب الأصيل ليذوب فى قلب البحر الأزرق وهذه الغابة التى تقوم على سفح الأكمة ترشف آخر أكؤس أنوار النهار . تلك أكواخ القرية ترى إلى اليسار من خلال الأشجار ، وكأن مصابيح المساء المضاءة فيها أمٌّ مبرقعة وقفت ترقب طفلها المستغرق فى النوم

يا أيتها الطبيعة إنما أنت أمتى ، لقد نشرت بساطك الهول فى القاعة الفسيحة التى أجلس فيها وحيداً جلسة ملك ، أرقبك تتراقصين وعلى صدرك تلتمع ونيتك (١) المنظومة من النجوم .

(تمر الصبايا الراعيات منشدات :)

« تجىء ألحان الموسيقى مما وراء النهر المشمول بالظلام فتناديني
« لقد كنت فى الدار ؛ وكنت فيها سعيدة ؛
« ولكن لحن الشبابة تعالى فى سكون الليل ،
« فإذا بفؤادى تنتابه وخزة من الألم .
« ألا فلتدلنى على الطريق يا من تعرفها ،
« دلنى على الطريق التى تقود إليه ؛
« فسأذهب إليه بزهرتى الصغيرة الواحدة لأضعها عند قدميه
« وخبره بأن موسيقاه وحبى شىء واحد ! » [يبتعدن]

(١) ضرب من العقود

سانيامي : أحسب أن مثل هذا المساء قد طرأ على مرة واحدة طوال حياتى ؛ فأترع كأسه إلى حافته بالحب والموسيقى ، وجلست مع شخص يعيد ذكرى وجهه إلى مرأى نجمة المساء ...

ولكن أين هى فتاتى الصغيرة ذات العينين السوداوين الحزينتين اللتين تترقرق فيهما الدموع ؟ أهى جالسة هناك خارج كوخها تحدق فى نجمة المساء ذاتها من خلال وحدة المساء الجليلة ؟

ولكن لا بد للنجمة من أفول ، ولا بد للمساء من إغماض عينيها فى الليل ؛ فأما الدمع فسيرقأ حتماً ، وأما الحسرات فسيهدئها النوم بغير شك . لا ، لن أقفل راجعاً ، ولتثبت لأحلام العالم أشكالها ؛ لن أعترض سبيلها ، ولن أختلق لها أوهاماً جديدة ، فلسوف أبصر ، ولسوف أتفكر وأعرف

(تدخل فتاة فى أسمال بالية)

الفتاة : أنت هنا يا أبت ؟

سانيامى : تعالى واجلسى بجانبى يا طفلتى . وبودى أن لو استطعت للمكث دعوتكم لنفسى . لقد دعانى بعضهم بـ « يا أبت » مرة ، وكان الصوت يشبه صوتك بعض الشبه ، وها إن الأب يجيب الآن ، ولكن أين هو النداء ؟

الفتاة : من أنت ؟

سانيامى : إنى « سانيامى » الزاهد ؛ تخبرينى أيتها الطفلة ما مهنة أبيك ؟

الفتاة : إنه يجمع الأحطاب من الغابة

سانيامى : وهل لك أم ؟

الفتاة : كلا ، لقد ماتت إذ كنت طفلة

سانيامى : وهل تحبين أباك ؟

الفتاة : أحبه الحب الذى ما فوقه شىء فى هذا الكون . إنى ليس لى فى الدنيا سواه

سانيامى : لقد فهمتك ، أعطنى يدك الصغيرة ، دعينى أمسكها فى راحتى ، فى راحتى الكبيرة هذه

الفتاة : وهل تحسن يا « سانيامى » قراءة الكف ؟ هل تستطيع أن تقرأ كل ما فى حاضرى ومستقبلى من كفى ؟ !

سانيامى : أحسب أننى أستطيع ، ولكن عسير على إدراك معناه ، ولسوف أعرف المعنى ذات يوم

الفتاة : يجب أن أبادر للقاء والدى

سانيامى : أين ؟

الفتاة : فى الطريق المؤدية إلى الغابة ، فإنه سيفتقدنى إن لم يجدنى هناك

سانيامى : قربى رأسك منى يا طفلتى . تعالى أقبلك قبلة التبريك قبل أن تذهبى [تغادره الفتاة]

(تدخل امرأة وطفلتان)

الأم : ما أقواكما وما أثقلكما يا ابنتى « ميسيرى » ! أما إنهما لتمة للنظر ! وما أراكما ، كلما أطعمتكما إلا قد زدتما هزالاً يوماً فيوماً !

الطفلة الأولى : ولم أراك تلومیننا على هذا يا أماه ؟ هلا فهمنا هذا !

الأم : ألم آمركما بالإخلاد إلى الراحة ؟ ولكنكما لا تفتآن تتراكضان من هنا وهناك

الطفلة الثانية : ولكنا نركض فى خدمتك يا أم

الأم : كيف تتجرئين على هذا الكلام ؟

سانيامى : إلى أين تريدين يا ابنتى ؟

الأم : لك تحيتى واحترامى يا أبت . إننا فى طريقنا إلى الدار

سانيامى : وكم شخصاً أنتم ؟

الأم : زوجى وأمه وطفلتان أخريان غير هاتين

سانيامى : وكيف تقضون أيامكم ؟

الأم : صعب على أن أعرف كيف تمضى الأيام . أما رجلى فيخرج إلى الحقل ، وأما أنا فأنصرف إلى منزلى أدبر شئونه ؛ فإذا أقبل المساء جلست مع كبريات بناتى للغزل (مخاطبة الطفلتين) اذهبا فحييا الزاهد . باركهما يا أبت [يخرجن]

(يجىء رجلان)

الأول . ارجع من هنا يا صديقى ولا تمد أبداً

الثانى : نعم ، أدرى ، فالأصدقاء إنما يجمعهم الاتفاق ، والاتفاق هو الذى يحملنا إلى بعض الطريق معاً ثم تحين اللحظة التى يتحتم فيها الفراق

الصديق الآخر : ولكن لنحمل أمل الاجتماع بعد الفراق

الصديق الأول : إنما يعود اجتماع الشمل وتشتته إلى سير العالم كله ، ولن ترعانا النجوم رعاية خاصة بنا !

الصديق الثانى : فلنحى النجوم التى جمعتنا إذاً سواء ، فإن ذلك لو كان للحظة واحدة فهو خير كبير

الصديق الأول : تريث لحظة قبل أن تذهب . هل تستطيع أن ترى لمعان الماء القليل فى الظلماء ، وأن ترى أشجار « الجزورين » على الضفة الرملية من النهر ؟ لكأن قريتنا كومة من الظلال القاتمة السود . إنك لا تتبين منها غير الأنوار فهل تستطيع أن تقول أى هذه ضوؤنا ؟

الصديق الثاني : نعم أحسبني أستطيع

الصديق الأول : إن ذلك النور هو نظرة التوديع التي تلقي بها أيامنا الخالية على ضيوفها الراحلين ، ثم إذا أوغلت قليلاً فهنالك تجثم الظلماء [يخرجان]

سانيامي : هذا الليل يشتد ظلمة ووحشة ، وكأنه في جلسته هذه المرأة المهجورة . وهذه النجوم دموعها قد انقلبت ناراً . لقد ملأ حزن قلبك الصغير يا طفلتي جميع ليالي حياتي حتى الأبد . ويدك المشتاقة الصغيرة قد تركت أثر ملمسها في هواء هذا الليل ! وكأني أحسها على جبيني مخضلة بدموعك . أي حبيبتي ! إن حسراتك التي تابعتني يوم أن هربت قد تعلقت الآن بقلبي ، وسأحملها إلى مماتي

— ٤ —

(سانيامي في مخرفة القرية)

لتذهب نذور زهدي هباء ، فقد كسرت عكازي وحطمت كشكولي ، وهذه السفينة العظيمة ، هذا الكون الذي يشق عباب الزمان ليحملني على متنه تارة أخرى كيما أدرك الحجاج ثانية ، واهاً للمجنون الذي يسبح في البحث عن السلامة وحيداً رافضاً أشعة النجوم ونور الشمس معتمداً في التماس سبيله على ضوء مصباحه الدوري . إن الطير ليحلق في الفضاء ليعود إلى هذه الأرض العظيمة ، لا لكي يضل في الفراغ ! إني طليق من أغلال الانتفاء غير المجسدة . إني متحرر من قيود الأشياء والأشكال والنايات والحدود هو في الحقيقة غير المحدود ! وإن الحب ليعرف حقيقته . يا فتاتي إنما أنت روح ذلك كله ، فلن أستطيع إلى تركك سبيلاً

(يجيء رئيس القرية)

سانيامي : هل تعلم يا أخي أين تكون ابنة « رافو » ؟

رئيس القرية : لقد غادرت قريتها وإنا بذلك لفرحون

سانيامي : وإلى أين ذهبت ؟

الرئيس : وهل تتساءل إلى أين ذهبت ؟ لا فرق عندها حيثما كانت [يخرج]

سانيامي : لقد ذهبت عزيزتي لتبحث لنفسها عن مكان حيث لا مكان في الفراغ ، فيجب أن تهدى إلى

(يدخل جمهور من القرويين)

الرجل الأول : وإذاً فسيتزوج ابن ملكنا الليلة

الرجل الثاني : وهل تستطيع أن تخبرني عن ساعة الزفاف متى تكون ؟

الرجل الثالث : إنما ساعة الزفاف للعريس وعروسه فمالك ولها ؟

امرأة : ولكن ألا تراهم سيعطوننا من أجل هذا اليوم السعيد بعض الكعك ؟

الأول : بعض الكعك ؟ ما أبلهك ! لقد سمعت من عمي الذي يعيش في المدينة أنهم سيوزعون علينا اللبن والرز المشوي

الثاني : شيء عظيم

الرابع : ولكن ثقوا بأنا مستنالنا كمية من الماء أكبر من كمية اللبن

الأول : ما أبلهك يا « موتي » أفي حفلة زواج الأمير يشاب اللبن بالماء ؟

الرابع : ولكنا لسنا بالأمراء يا « بانجو » . إنما لنا — نحن الفقراء — حيلة المذق بالماء الوفير

الأول : اسمعوا ، ذاك ابن الفحّام ما يزال منكباً على عمله فيجب أن نقفه عما هو فيه

سانيامي : هل علم أحد منكم أين تكون ابنة « رافو » ؟

المرأة : لقد خرجت مهاجرة

سانيامي : إلى أين ؟

المرأة : ذلك ما ليس يعلمه أحد

الرجل الأول : ولكنا واثقون بأنها ليست هي عروس الأمير ! [يتفرقون ضاحكين]

(تدخل امرأة ومعها طفلها)

المرأة : تحياتي أرفعها إليك أيها الأب . دع طفلي هذا يحني رأسه عند قدميك ، إنه مريض فباركه يا أبت

سانيامي : غير أني لستُ كما كنتُ زاهداً يا بنيتي فلا تسخري مني باحتراماتك

المرأة : فمن عساك أن تكون إذاً ! وماذا تصنع ؟

سانيامي : إني أبحث . . .

المرأة : وعمن تبحث ؟

سانيامي : إني أبحث عن عالمي الضائع – هل تعرفين ابنة (رافو) ؟ أين تكون الآن ؟

المرأة : ابنة (رافو) ؟ لقد ماتت !

سانيامي : لا . . . إنها لا تموت . . . كلا . . . كلا

المرأة : ولكن ما أنت وموتها أيها الزاهد ؟

سانيامي : ليس أنا وحدي الذي يعنيني موتها ؛ بل ذلك يعني موت الجميع

المرأة : إني لست أفهمك

سانيامي : إنها لا يمكن أن تموت قط !

(تمت المسرحية)

فخري شهاب السعيدي

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

8me Année No. 390

Lundi - 23 - 12 - 1940

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العــدد ٣٩٠ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٤ ذو القعدة سنة ١٣٥٩ — الموافق ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهـــرس

الى رجال الجامعة ورجال المعارف

كلمة صريحـــة

لكاتب كبير

لقد هدأت الفورة التى ثارت فى صدور طلبة الجامعة المصرية بمناسبة تفكير الوزارة فى رفع درجات النجاح فى الامتحانات ، وهى فورة لم يكن لها موجب ، لأن من واجب الطلبة أن يرتاضوا على المصاعب ، وأن يظهروا بمظهر التحدى الجرىء لمتاعب الدرس والتحصيل

ولـكن هناك فورة منتظَرة ، فورة حميدة العواقب ، لأنها ستصدُر عن الأساتذة لا عن الطلاب ؛ وفورة الأساتذة لا تعرف مغاضبة الشُّرطة ، ولا تفكر فى تحطيم المصابيح ، وإنما هى فورة يقع فيها التصادم بين الأفكار والعقول

ولـكن متى يقع ذلك التصادم فنسمع أن فريقاً من الناس رجعوا إلى ضمائرهم فأدركوا أن لهم « فضلاً » فى زعزعة التعليم الابتدائى والثانوى ، وأنهم مسئولون عن المصير الذى لا نجاة من شره إلا برفع درجات النجاح فى جميع الامتحانات ؟

لو ملكتُ حرية الخروج على الذوق لطوّقت رجال الجامعة ورجال المعارف بأطواق من حديد ، وكيف وأنا أخاطب أقواماً

تؤذيهم خطرات النسيم ، ويرون النصح — وإن لطُف — ضرباً من التمرُّد والثورة على مقاماتهم العالية ؟

وأنا مع ذلك سأحاول تذكير تلك القامات بما اجترحتْ في ميدان واحد هو ميدان اللغة العربية ، فأسأل في ترفّق وتلطّف :

من المسئول عن قصّ حواشي منهج اللغة العربية ، بحيث صار من المؤكد أن تلاميذ المدارس الابتدائية قبل عشر سنين كانوا يعرفون من القواعد أضعاف ما يعرف تلاميذ المدارس الثانوية في هذه الأيام ؟

ولأي غرض كثُر التغيير والتبديل في ذلك المنهج ؟ وبأي حق جاز أن يظفر الشاب بإجازة الدراسة الثانوية ، وهو لا يملك القدرة على تشريح فقرة واحدة من الجهات النحوية والصرفية والبلاغية ؟ ولأية غاية تدرس اللغة العربية في المدارس إذا كان من حق كل تلميذ أن يجهل من قواعد اللغة ما يشاء ؟

ثم قيل : إن كلية الآداب أطالت التأسف والتحسُّر على مصاير التعليم الثانوي ، وأنها فرضت على وزارة المعارف أن تكف يدها عن ذلك التعليم لتطبّ له بالأساليب الجامعية فتصيّره غاية في القوة والعافية

فماذا صنعت كلية الآداب وقد زعمت أنها تقدر على ما لا تقدر عليه وزارة المعارف من إحياء الموتى وهي رَميم ؟

أشارت بالاستغناء عن الواجبات التحريرية في النحو والصرف والبلاغة لتنقلب الدروس إلى محاضرات (!) وأشارت أيضاً بأن يُترك المدرسون لضمائرهم فيما يأخذون وما يدعون (!) ولم يبق إلا أن تشير بحرية المواظبة لتتمّ « النعمة الجامعية » على أولئك التلاميذ !

فإن قيل : وأين وزارة المعارف ؟ فأنا أجيب بأن وزارة المعارف موجودة بالفعل ، وإلا فمن الذي يوزع المنشورات التي تصدُر عن كلية الآداب « وتوزيع المنشورات يحتاج إلى رجال ! »

وهنا أذكر شيئاً من التناقض المزعج ، أذكر أن كلية الآداب قد توفّق إلى خاطر طريف يحبّب التلاميذ في اللغة العربية ، كالذي اتفق في « مسابقة الأدب العربي لطلبة السنة التوجيهية » ولكنها تترك تحقيق مثل هذا المشروع لمراقبة الامتحانات بوزارة المعارف . ومراقب الامتحانات لم يكلف نفسه دعوة نظار المدارس والمدرسين الأوائل للنظر في توجيه الطلبة إلى هذه المسابقة الطريفة ؛ فكانت النتيجة أن اكتفت كل مدرسة باختيار بعض الطلبة للمسابقة في الأدب ، كما تختار بعضهم للمباراة في الألعاب !

إن كان مشروع المسابقة من ابتكار وزارة المعارف فكيف تتركه لرجل بعيد من الحياة الأدبية ؟ وإن كان مشروع المسابقة من ابتكار كلية الآداب فكيف تتركه لمراقب الامتحانات بوزارة المعارف ؟

أين المسئولية في هذا الشأن الدقيق ؟ ومن الذي يتحمل وِزْرها الثقيل ؟

أشهد أن سيطرة كلية الآداب على السنة التوجيهية حقٌّ في حق ، فقد أرّق كاتب جفونَها في الأعوام الماضية لاختيارها كتاب « نقد النثر » وكانت حجته أنه لا يصلح للمطالعة بحال من الأحوال ، وقد استجابتْ الكلية لندائه فسحبتْ ذلك الكتاب ، ولكنها مع ذلك كلفت وزارة المعارف أن تذيع منشوراً يقول : إن كتاب « نقد النثر » مرجع لأكثر النصوص المقررة في السنة التوجيهية ! !

فهل سمع أحدٌ قبل اليوم أن كتاب قُدامة في نقد النثر من مراجع النصوص الأدبية ؟

ليتني أعرف إلى مَن أوجّه القول ! فوزارة المعارف مُدغمة في كلية الآداب ، ولن يُفكّ هذا الإدغام إلا يوم يُعرَف أن المسئولية لا تتضح إلا بتحديد جهات الاختصاص

أما بعد فهذا نَذيرٌ من النُّذُر الأولى ، فإن ظن قومٌ أن مصير اللغة العربية موكول إلى أذهانهم « الثواقب » فسيندمون بعد حين ، لأنّ النقد الأدبي لن يترك أهواءهم بلا تجريح ، وإن اعتصموا بأمنع الحصون

لن يكون مصير الجيل الجديد تحت رحمة الأهواء ، أهواء الداعين إلى « تيسير النحو » والقائلين بأن اللغة العربية لغة عصر ذهب وباد

مصير الجيل الجديد في اللغة العربية لن يصوغه غير أهل الغيرة الصحيحة على لغة القرآن

« لبيب »

مسابقة الجامعة المصرية لطلبة السنة التوجيهية

« في صحراء ليبيا »

لأحمد حسنين

للدكتور زكي مبارك

- ٧ -

بسم الله الرحمن الرحيم

كذلك هتفتُ وأنا أهمّ بكتابة مقال عن هذا الكتاب ، لأنه صعب المنال ، ولأن المقدمة التي حبّرها لطفي باشا السيد لم ترشدني إلى طريق تقديمه إلى القراء ، وأنا أرجو أن تنفعني بركة « البسملة » فأسجل بعض ما سنح من الخواطر عند قراءته السريعة ، وهي جهد المقل في ثلاث سهرات

الرحلة

هي رحلةٌ قام بها حضرة صاحب المعالي أحمد محمد حسنين باشا سنة ١٩٢٣ من السلوم على شاطئ البحر الأبيض المتوسط ، إلى الأُبيّض عاصمة مديرية كردفان بالسودان ، وهي مسافة قدرُها نحو ثلاثة آلاف وخمسمائة كيلو متر قُطعت على ظهور الإبل ، وفيها وُفّق الرحالة إلى كشف واحتين مجهولتين هما « أركنو » و « العوينات » ، وكانتا غير معروفتين قبل ذلك للجغرافيين .

وقد سُطّر تاريخ هذه الرحلة في نحو أربعمائة صفحة بالقِطع المتوسط ، وهي مقسمة إلى جزأين ، وفيها كثير من الرسوم العلمية والجغرافية

شخصية المؤلف

هو رجل لم تلده ولادة ، كما يعبّر أهل مصر حين يصفون فتًى من النجباء . وقد حدثنا هذا الفتى عن أهله ، فلم نعرف إلا أن أباه كان من علماء الأزهر الشريف ، وقد تلطّف لطفي باشا السيد فحدثنا أن جد المؤلف كان من الباشوات ، ولم يذكر بأية صفة نال ذلك الجد رتبة الباشوية ، وأغلب الظن أنها الباشوية التي كانت تمنح لرجال الجيش ، فإن لم تكن كذلك فهي باشوية لم تقض على وارثي جاهها الفخم بمحنة الترف والليان ، وإنما أورثت حفيدها القدرة على أن يقول : إن أهله كانوا من ساكني البادية ؛ وعلى أن يقول : نحن أهلَ الصحراء ، لا يغنينا النوم عن العشاء

وقد كان أحمد حسنين في كل أدوار ماضيه من نماذج الفتوّة واللوذعية ، عاش في انجلترا حيناً فكان صورة للفتى الموسوم بالبراعة والشهامة والصدق والجاذبية ، ولم يمنعه تحضّره من الاتصال بالبادية ، فاعتُمد عليه أيام الحرب الماضية في السفر إلى الصحراء الغربية للاتفاق مع زعمائها على رعاية واجب الجوار في احترام الحدود

ثم طوحت به همته إلى اختراق تلك الصحراء ليكشف واحتين كان لهما في أذهان أهل البوادي خيال ، ولم يكشفهما أحد من قبل ، فكان التوفيق من حلفائه الأوفياء

ثم أراد أن يكون طياراً ، ولكن الحوادث أرادت غير ما يريد ، فقد طار من انجلترا إلى إيطاليا ، ثم سقطت طيارته ، فأصلحها وطار ، ثم سقطت فأصلحها وطار ، وقد صمم على أن يدخل مصر طائراً ولو سقط بطيارته في جوف المحيط ، ولكن برقية كريمة صدرت إليه بوحي من الملك فؤاد ، فقهرته الطاعة على أن يدخل مصر وقد امتطى الماء ، لا الهواء ، وتلك أعظم محنة عاناها ذلك العربي الصوال

الإنسان الكامل

وما أريد الإنسان الكامل في اصطلاح الصوفية ، وإنما أريد القول بأن أحمد حسنين كان رجلاً كامل الرجولة حين اخترق الصحراء في سنة ١٩٢٣ ، والرجولة التي أعنيها هي الرجولة المبرأة من شوائب الضعف والغفلة والقنوط . كان أحمد حسنين في ذلك العهد رجلاً بكل معنى الكلمة : كان بدويًا في مواطن البداوة ، وحضريًا في معاهد الحضارة . كان حليماً في أوقات الحلم ، وجاهلاً في أوقات الجهل ؛ فكان له في كل حالة لَبوس ، وكان في جميع أحواله صورة من الرجل الذي يرى الخلُق الصحيح في رياضة النفس على مسايرة ظرف المكان والزمان

ومن المؤكد أن رحلة الصحراء نفعته في مركزه الحاضر ، وهو رياسة الديوان بقصر جلالة الملك ، فقد وصفته مجلة

« آخر ساعة » وصفاً هو أعجب الأوصاف ، حين قالت : إن أحمد حسنين يتمتع بأعظم المواهب السياسية ، لأنه أقنع الجميع بأنه رجل غير سياسي (١)

وأعود إلى تأثير الصحراء في عقل أحمد حسنين فأقول :

عاش هذا الرجل نحو ثمانية أشهر في ظلال المخاوف والحتوف ، وكانت الرِّيب تحيط به من كل صوب ، وكانت الشياطين تداعبه من حين إلى حين ، وكان يُؤْثِر سُرَى الليل ليتجه بصره إلى ناحية واحدة ، ومن هنا عرف أن الظلمة قد تنفع (والسياسي يعيش في عوالم من الظلمات ، ولو سطع النور حول أغراض السياسي لتخاذل وضاع) .

الرحالة :

لا يدلنا كتاب أحمد حسنين على أنه كان رجلاً من المُترفين حين قام بتلك الرحلة العاتية ، وإنما يشهد كتابه بأنه كان رجلاً من صميم البادية . كان رجلاً يهمه أن يقيم البراهين على أنه لم يتعلم في جامعة أكسفورد غير حزم الأمتعة ، والتعرف إلى مواطن الخوف والرجاء في مفاوز الصحراء

هو فلاح متحضر ، فهو لذلك أذكى الرجال وأعقل الرجال وقد عرف هذا الفلاح المتحضر ما في البادية من مكر ودهاء ، فهو يلبس حُلة ذكائه في كل وقت ، ويشتمل بثوب مكره في كل حين

وما ظنكم برجل تحيط به الشكوك من جميع الجوانب وهو فريد وحيد ثم ينتصر بلا مشقة ولا عناء ؟

ذلك هو أحمد حسنين الذي ائتمنه الملك فؤاد واصطفاه الملك فاروق ، ومن الصعب جداً أن يكون الرجل أهلاً لثقة الملوك ، فذلك مقام لا يظفر به إلا الأقلون من أعاظم الرجال

وقد فَطِن أسلافنا إلى أن صحبة الملوك تحتاج إلى تثقيف خاص ، فوضعوا المؤلفات الطوال في التعريف بما يجب أن يتحلى به أمناء الملوك من شمائل وآداب . وهذا الفن من التأليف لم يكثر إلا في العصور التي ازدهرت فيها الحضارة العربية والإسلامية ، وإنما كان ذلك لأن ازدهار الحضارة يزيد في مشكلات المجتمع

(١) السياسة في الأصل رياضة الخيل ، مشتقة من سوس بالعبرية وهو الفرس .

من النواحي الذوقية والاجتماعية ، وتلك حال تزيد فيها تبعات من يتصلون بالملوك ، لأنهم عندئذ يكونون صلة الوصل بين الحاكمين والمحكومين ، وعلى ذكائهم وبراعتهم وإخلاصهم يرجع الفضل في حل أكثر المعضلات ... فمن خَطَل الرأي أن يظن بعض المتحاملين أن إكثار أسلافنا من التأليف في هذه الشؤون دليل على أنهم كانوا يعيشون في عصور الاستبداد

أغراض المؤلف

للمؤلف في ظاهر الأمر غرض واحد : هو تسجيل رحلته في الصحراء ، ولكن من الذي يقف به القلم عند ما كان يريد ؟ إن النفس تتفتح عند حمل القلم من وقت إلى وقت ، وتتنادى خواطرها من فصل إلى فصل ، فإذا بلغ القلم نهاية الشوط كانت النسبة بين ما ابتدأ به وما انتهى إليه كالنسبة بين النواة الضامرة والسَّرحة اللفّاء

يقع كتاب أحمد حسنين في عشرين فصلاً ، وله في كل فصل مجالٌ خاص ، وفقاً لاختلاف الأغراض

فالفصل الأول عن الصحراء من نواحيها المادية والروحية ، وفي هذا الفصل كلام يقوله كل الناس ، إلا كلامه عن الشوق إلى ما في الصحراء من متاعب وصعاب ، ولا تظهر قيمة هذه النزعة لمن يقرأها في الفصل الأول إلا حين يعاني وقدها في الفصل الأخير ، ذلك بأنها تواجهه أول مرة وهي أشبه بالفلسفة الروحية ، والناس قد يقرأون الفلسفة هادئين ، ولكن هذه النزعة لا تواجه القارئ في الفصل الأخير إلا بعد أن يكون شارك المؤلف في الأنس بالصحراء ، وعندئذ يحق له أن يتوجع لبلواه حين يقول وقد وصل إلى دار الأمان :

« ودب في نفوسنا جميعاً دبيب الابتهاج بعودتنا إلى الاتصال بحياة الحركة ، ولكني شعرت حين انقلبت إلى فراشي بوخزة حزن في قلبي ، لأن ذلك اليوم كان آخر أيامي في الصحراء ، ورأيتني أضيف إلى صلوات شكري دعاء خالصاً أسأل الله فيه أن يقدر لي العودة إليها يوماً من الأيام »

وفي الفصل الثاني يتكلم المؤلف عن وضع خطة الرحلة فيقول كلاماً يقوله سائر الناس ، ولكنه يفاجئك بكلام نفيس عما صنع أبوه رحمه الله ، وهو يزوّده بالبخور والدعوات الصالحات

ومن كلامه عرفت أشياء من عادات العرب فى التأهب للرحيل

وقد أطنب المؤلف فى الثناء على أبيه ، ثم أعرب عن فجيعته لوفاته بعبارات لا تصدُر إلا عن نجباء الأبناء ، وما مات من خلَّف مثل أحمد حسنين

وفى الفصل الثالث يقف المؤلف موقف المعلم لمن يحاولون اختراق الصحراء ، فيقدم من المعارف الضرورية للمغامرين أشياء يحتاجون إليها أشد الاحتياج

وفى الفصل الرابع تظهر طلائع المخاوف ، ونرى كيف يضطر الرحالة إلى تغيير خطة السير لينجو من مكايد الأعراب

وفى الفصل الخامس يتحدث المؤلف عن السنوسيين بكلام ينهض على قواعد علميـة ، فيذكر تاريخهم بإيجاز ، ويشرح عقائدهم بالتفصيل ، ومن الواجب أن يدرس الطلبة هذا الفصل ، لأنه من عيون الكتاب ، ولأن موضوعه يهم أعضاء لجنة الامتحان

« وهنا أذكِّر الطلبة بأن الامتحان له قواعد ، ومن أهمّ قواعده أن تَرِد أسئلة فى الموضوعات الرئيسية ، فمن واجب كل طالب أن يُعنَى عناية شديدة بالموضوعات التى لا يجوز جهلها على الإطلاق ، فإن التمكن فى تلك الموضوعات يغفر الضعف فى الموضوعات الفرعية بعض الغفران ... وأذكِّرهم أيضاً بأن هناك شؤوناً تظهر كالتوافه ، ولكنها رئيسية ، كوجه التسمية لواحة أركنو ، فهى مسألة هينة ، ولكن الجهل بها يدل على عدم الاكتراث ... ثم أذكرهم بأن الطالب الذى يُختَبر فى كتاب أحمد حسـنين سيسأل حتما عما قال المؤلف فى وصف الواحتين الجديدتين ... وأذكِّرهم كذلك بأن فى المقدمة التى كتبها لطفى باشا كلمة مهمة عن ارتياد تلك الصحراء فى عهد الفراعين »

وفى الفصل السادس يتكلم المؤلف عن واحة جغبوب ، وهى واحة مصرية نهبها الطليان منذ سنين ، فليقرأ الطلبة أخبارها ، وليذكروا أن لهم إليها عودة بعد حين

وفى الفصل السابع يتحدث الرحالة عن الولائم والأدوية ، فيذكر أشياء تنفع من يفكر فى ارتياد تلك البقاع

وفى الفصل الثـامن يتكلم عن الزوابع فى طريق جالو ، ويصفها وصف العارف الخبير ، والبدو هنالك يرون الزوابع من عمل الجن ، فليذكر الطلبة أن الزوبعة هى الجِنّية فى لغة العرب ، ولها اسم بهذا المعنى عند عوام المصريين ، فهم يرون الزوبعة من الأنفاس الخلفية للعفريت

وفى الفصل التاسع يفصل القول عن واحة جالو ، ويذكر ما بينها وبين الطليان من نزاع وشقاق

ثم ماذا ؟ ثم ماذا ؟

لا أرى من الضرورى أن أشير إلى بقيـة الفصول ، لأن هذه الإشارات العوابر لا تغنى عن المراجعة والاستقصاء

وإنما أرى من الحتم أن أوجه الطلبة إلى درس هذا الكتاب ، ولا يتم ذلك إلا بدعوتهم إلى تعقب ملاحظات المؤلف ، وتعرُّف ما كان يجول بنفسه من خواطر وشجون

وأقول إن المؤلف مولع بوصف الأجسام فلا يرى شخصاً إلا حدثنا عن قوامه وعينيه ، فما سر ذلك ؟

يرجع السرّ إلى أن المؤلف عاش دهره موصول الأواصر بالأندية الرياضية ، ومن هنا غُرِست فى نفسه بذور الثقافة الجسمية ، فهو ينظر إلى الأجسام قبل أن ينظر إلى العقول ، وهى نظرة تدل على أنه رجل سليم Normal ويؤكد هذا المعنى غرام الرجل بالإبل والخيل ، فهو جمّال إن أردت ، وفارس إن شئت ، وهو فوق هذا وذاك يحسّ مذاق الظل ، وقد يتذوق طعم الغُبار فى بعض الأحايين

يمرّ أحمد حسنين بعظام رجل ميت فيستأنس ، وكان الظن أن يستوحش ، وإنما استأنس برؤية عظام الميت لأنها تشهد بأنه يسير فى طريق سلكها الناس من قبل

ويهتم أحمد حسنين بدرس عادات البدو دراسة مضمَّخة بعَبير الشوق والحنين ، وهو يرد تلك العادات إلى أصولها من العواطف الذاتية ، فالفتاة التى يحرق حِذاءها البارود تُزهَى وتختال ، لأن ذلك شاهد على أنها تَشغَل ألباب الرجال

وفى هـذه المرحلة يصرخ أحمد حسنين صرخات تنطق بأنه من أصحاب الأذواق

وهذا الرجل المفتون بالبادية هو أيضاً مفتونٌ بالحاضرة أعنف الفتون ، فلا يطيل المكث إلا فى المواطن التى يكثُر فيها اشتباك العواطف والأهواء

وهنا أظفر بأحد مقاتله فأصرح بأنه لم يمش طويلاً فى الواحتين

الجديدتين — وهما محصوله الأصيل فى تاريخ الاستكشاف — وإنما عَبَرَهما عُبور الطيف ، لأنهما خاليتان من مواسم العيون والقلوب

وما عددت هـذا من مقاتله إلا رياء ، فالجمال الحقيقى هو الجمال الإنسانى ، لأنه يفهم عنا ما نريد ؛ أما جمال الطبيعة فهو جمالٌ غبيٌّ بليد ، ولا يكتفى بالأنس به إلا الممتحنون بالحرمان ، وما كان أحمد حسنين من المحرومين

أحمد حسنين يتفاءل فى فرصتين : الأولى أن يَرِيَ ظبياً فيصميه ، والثانية أن يرى فى صبيحة السفر وجهاً جذاب الملامح وضّاح الجبين

فمن يكون الرجل السليم إن لم يكن هـذا الرجل نموذجاً للرجل السليم ؟

ثم يجب النص على اهتمام أحمد حسنين بأداء الصلوات ، والتبرك بالأذان ، فتلك شواهد على ما صرح به غير مرة من أن الصحراء تزيد فى قوة الإيمان ، وهو التصريح الذي أتاح لمعالى الشيخ مصطفى عبد الرازق بك أن يقترح إرسال علماء الأزهر إلى الصحراء !! والنكتة الدقيقة من أبرز عناصر الفن الرّفيع

الأُسلوب

أحمد حسنين ليس من أصحاب الأساليب ، فليس له فى الإنشاء مذهبٌ خاص ، وهو فيما نعلم لم يفكر فى أن يكون له مكان بين الكتّاب ، وإن كان من أكابر الأدباء

وقد أنشأ كتابه أول مرة بالإنجليزية ، ثم ترجمه إلى العربية وهذا يفسّر ما نشهد من تفاوت الأسلوب من حين إلى حين .

ولكن الكتاب مع هـذا على أعظم جانب من الحيوية ، فما سرّ ذلك ؟

يرجع السر إلى قوة إحساس المؤلف ، فكل سطر من كتابه ينطق بأنه يَعني ما يقول ، وسياق الحديث يدل فى كل صفحة على أن الرجل جابَ الصحراء وهو مرهف الحسّ ذكىّ الجنان ، وملاحظاته فِطرية بعيدة من التكلف ، فهو يُشعِرك بأنه بدوىٌّ لا يرى غير ما فى البادية من مخاوف وآمال ، وهو ينقلك إلى تلك المجاهيل بقوة سحرية فتسايره بتلهف وتشوق ، كأنك عانيت من صابها ما عانى وذقت من رحيقها ما ذاق

وإحساس أحمد حسنين يصل به إلى تذوق جميع الألوان ، هو إحساس رجل سليم يرى ويسمع ويذوق بقوة وعنف ، وكأنه طفلٌ يطّلع أول مرة على غرائب الوجود

تقدّم إليه المائدة وهو فى البادية فيُقبل عليها إقبال البدوى الغرثان ، وينص على أنه أكل بشهية ، ثم يصف ألوان الطعام بإسهاب ، وذلك لا يقع إلا من رجل مدرّع بالعافية

ويدرس الوجوه باهتمام شديد ، حتى جاز أن يحكم لفتاة بالجمال ، ولم ترها عيناه ، لأنه لاحظَ أن أخاها جميل

ويدرس عواطف أصحابه بمهارة وحذق فيعرف ما يطوون فى صدورهم من لواعج وأشجان ، ثم يمضى فيتعقب ما بينهم وبين نسائهم من كدر أو صفاء ، وهذا التطلع لا يقع إلا من رجل منشوف إلى درس الغرائز والطباع

وهل ننسى حديث « السبحة » فى ساعة أُنس ؟

كان فى القافلة فتًى رخيم الصوت ، وكان أحمد حسنين يشتهى السماع ، ولكن الفتى له عمٌّ كهل ، ومن العيب فى البادية أن يتغنى الشباب بحضرة الكهول

وتلطف أحمد حسنين فاستأذن للفتى من عمه الكهل ، فانطلقَ الشاب يغنّى ، واندفع الشيخ يسبّح ، ليشغل نفسه بالتسبيح عن الغناء

فماذا صنع أحمد حسنين ؟

أخذ يرصد السبحة ليرى كيف يتواتر خفق الحبات ، فعرف أن حباتها تصاب بالبطء من لحظة إلى لحظة ثم تعود إلى الإسراع ، وكان ذلك شاهداً على أن الكهل الوقور كانت له صَبَوات ، وأن رنين السبحة لم يُلهه عن تشوف المحبين إلى أوقات الوصال

وأحمد حسنين لا ينسى تسجيل ما مرّ به من عواطف ، كأن ينص على أنه استيقظ فى أعقاب حُلم رائع على وجه فتاة حسناء ، وكأن ينص على أنه كان يتلبّث فى بعض المواطن ليزوّد قلبه وعينيه بأطايب الجمال

وجملة القول أن أحمد حسنين شاعرٌ وصّاف : هو يحدّق فى كل شىء ، وهو يصف كل ما يراه وصفاً يشهد بأنه مفطور على قوة الإحساس

شخصية الأزهر العلمية

للدكتور محمد البهى

لا أريد هنا أن أحدد الشخصية القانونية للأزهر فذلك محله عند ما يتعرض لعلاقة الأزهر بغيره لتسهيل الفصل فى أموره الخاصة كؤسسة عامة ، وإنما أقصد بيان العناصر التى تتكون منها شخصيته « كجامعة علمية » ، وفى الوقت نفسه هى عدته التى ينزل بها ميدان الحياة ليحافظ بها على وجوده الخاص بهذا الوصف

قد يكون عطف الوالى على رجاله ورعايته له من أسباب قوته فى وقت من الأوقات ، وقد تكون شخصية شيخه إذا علت مكانتها وكانت محببة لدى كثير من نفوس الخاصة من أسباب قوته أيضاً فى وقت من الأوقات كذلك ، وقد يكون لنفر من علمائه إذا منحه الشعب نوعاً خاصاً من الإجلال والاحترام أثر فى قوة الأزهر أيضاً

ولكن هذه الأسباب خارجة عن شخصيته كمعهد للبحث والدرس العلمى وإن كانت من مقومات شخصيته الدينية لأن عطف الوالى مثلاً على رجاله لما لهم من الصفة الدينية ، والاحترام الذى يمنحه الشعب لبعض علمائه لا شك أن القسط الأكبر منه راجع إلى معنى دينى فيه ، وسيبقى عطف الوالى عليه ما دام معهداً للدين ، وسيبقى احترام الشعب لبعض دائر بين علمائه ماداموا ينتسبون للدين ، إذ الوالى فى بسط سلطانه النفسى على الشعب فى حاجة إلى رجال الدين ، والشعب أيضاً ما دام يعتقد يمنح احترامه للمشرف على شئون العقيدة ، واعتقاد الشعب باق ما دام هناك شعب ، فالأزهر من هذه الناحية لا يضمن وجوده الذاتى فحسب، ولكنه وجود عنيف فى قوته يتلاشى عند الاصطدام به أى شىء آخر

ولست أعنى أيضاً هذه الشخصية، إذ أن للأزهر وصفاً آخر وهو كما أنه معهد دينى هو معهد علمى ، فله بجانب الشخصية الدينية شخصية أخرى علمية ، وهذه الشخصية الأخيرة يكونها أفراد ولكن لا بوصف كونهم دينيين، بل بوصف كونهم علماء باحثين وإن تناول بحثهم فيما تناول الدين نفسه ، ويكونها كتاب ولكن لا بوصف أنه مصدر للأحكام الدينية ولكن بوصف أنه يتضمن إنتاجاً علمياً خاصاً ، وعلى عدد من العلماء الباحثين ، وعلى قيمة إنتاجهم العلمى تختلف الشخصية العلمية قوة وضعفاً ، فإذا وجدنا من بين الأزهريين فى عصر من عصور تاريخه عدداً يمتاز بالبحث ورأينا لبحثه قيمة علمية دل ذلك على أن الأزهر له بجانب قوة وجوده الدينى قوة أخرى لوجوده العلمى؛ وإن لم نجد بين رجاله من له ولعله هذه الميزة كان اعترافنا بوجوده فقط لقوته الروحية

وقد أطال أحمد حسنين فى وصف القمر والنجوم ، كما أطال فى وصف الشروق والغروب ، فكيف صنع فى هذه الأوصاف ؟

نقل إلينا أحاسيس أهل البادية بقوة وحيوية ، لأن الكواكب فى البوادى لها سحرٌ يجهله من يأنسون بأضواء المصابيح

ثم ماذا ؟ ثم أقول إن أحمد حسنين صوّر نفسه فى كتابه بصورة الرجل الممتحَن بهوى الصحراء ، ولو قال له القادون : ما تشتهي ؟ لقال : أعود ! ! كما عبر الشريف الرضى عند فراق بغداد

وهنالك صورة أبدع وأروع ، هى صورة العالم الحصيف الذي أباحه العلم ما لا يباح من هتك أسرار الصحراء

هنالك أحمد حسنين الذى يتمارض ليخلو إلى أجهزته العلمية فى غفوة الليل

هنالك الباحث المستقصى الذى يدوّن كل ما يرى وما يسمع وما يذوق بلا تأجيل ولا تسويف . . .

هنالك الرجل الذى يرصد الشمس من وقت إلى وقت ليُمدّ العلم بزاد جديد

هنالك الوطنى الغيور الذى ينص على قيمة بعض الواحات من الوجهة الحربية

هنالك المفكر الذى يشرح ما فى الصحراء الغربية من مذاهب وآراء

أما بعد فتلك هى الملامح الفكرية والعقلية والذوقية للرحالة أحمد حسنين ، وهى « الدليل » الذى « يوجّه » الطلبة إلى سرائر كتابه النفيس

وكل ما أرجوه أن تكون الفتوّة التى اتصف بها المؤلف من أعظم مطامح الشبان فى هذا العهد ، فقد رأوا بأعينهم كيف تكون الخشونة أقوى الدعائم فى بناء الرجال

زكى مبارك

الدينية ، وهى أبدية خالدة ، وأبديتها لا تتوقف على قيمة جوهرها فى نظر العقل الإنسانى لأنها وجدت فقط لانتسابها إلى شىء خارج عن نطاق الإنسان نفسه

وليس معيار البحث فى كثرة الجمع أو الاختصار ، وليست قيمته العلمية فى الحفظ والتحصيل ، بل فى الاستقلال فى التفكير فى النقد الإيجابى . فكثرة عدد « العلماء » ووفرة مواد الدراسة وكثرة الكتب المتداولة فى الدرس ليست عنواناً على وجود الشخصية العلمية ، بل لا بد من أن نلمس فى « العلماء » بوصف عام الاستقلال فى التفكير ، ونعثر فى هذه المواد وتلك الكتب على شخصياتهم

وبهذه الشخصية العلمية فقط يمكن للأزهر أن ينافس غيره من الجامعات المدنية ، وعلى نوعها يتوقف « مجاله الحيوى المدنى » فى الضيق والاتساع ونفوذه على الخاصة فى الضعف والقوة . والذى يتولى شؤون الأزهر ننعته بالمصلح العلمى ، لا من حيث أنه يغير فى مواد الدراسة بالزيادة أو بالنقص ، أو يعدل فى النظام العام مثلاً ، ولكن من حيث أن إشرافه كان ذا أثر فى الإنتاج العلمى وفى تكوين الشخصيات الباحثة . لا ننعته بالمصلح العلمى لأن فى عهده مثلاً يستطيع نفر من الأزهريين أن يخالف فهماً مألوفاً شائعاً فى بعض الأحكام الفقهية الفرعية دون أن يتعرض الباقون منهم له بالأذى مجاملة له أو خشية منه ، وإنما يستحق وصف المصلح العلمى حقاً إذا كان مبعث عدم التعرض من الباقين الاقتناع الذاتى بحرية التفكير وبجواز الاستقلال فى التفكير ، ولكنه لا يعدم فى كلتا الحالتين أن يلقب « بشيخ الدين » أو بالزعيم الدينى إذا قاد مع ذلك مدرسة دينية مخصوصة لها ميزة إيجابية فى حياة الإنسان العلمية . فالإمام المرحوم الشيخ محمد عبده زعيماً دينياً أكثر منه مصلحاً علمياً ، وإن كانت له شخصية العالم الباحث ، لأن بحثه قام على النقد ، وإنتاجه يمثل استقلالاً فى التفكير إلى حد ما ، على الأقل أكثر مما كان مألوفاً فى عهده

وفى العشرين سنة الأخيرة من قرننا العشرين ، أى فى المدة التى أخذ فيها الجامع الأزهر لقب جامعة علمية وأصبح الوصف العلمى جزءاً من شخصيته القانونية نجد نزاعاً متكرراً يأخذ ألواناً مختلفة بين جامعة فؤاد الأول المدنية والجامع الأزهر يدور من جانب رجال الجامعة على أن الجامعة دون سواها هى موطن البحث العلمى ، ومن جانب الأزهر على أن الأزهر يشارك الجامعة فى هذا العمل . وبينما يعلل « الجامعيون » دعواهم باستقلالهم فى التفكير فى البحث - عن التقليد وما ورد من الثقافة الموروثة - إذ بكثير من الأزهريين يلجأ فى تعليل المشاركة إلى نظام الكليات والتخصصات فى الأزهر ، وهو نظام جامعى . وكما يؤخذ على الفريق الأول عدم الدقة فى تحديد معنى الاستقلال فى التفكير ، يؤخذ على الفريق الثانى التعليل بالشكليات . ويجب على الفريقين أن يجاوزا هذا ويحتكما إلى عمل الأستاذ نفسه

ولكن ليس من السهل علينا نحن الأزهريين أن نحتكم إلى الأستاذ . وبالأخص إلى عمل النخبة من أساتذتنا ، إلى عمل جماعة كبار العلماء - وهم أساتذة الأساتذة - لأن من العسير أن يطلع أجنبى عنهم على مالهم من « رسائل » ومن هنا يصعب تقدير عملهم من الوجهة الفنية

والحكم على عملهم من عناوين رسائلهم فحسب لا يخلو من نقص . فعناوين كثير من رسائلهم وإن احتملت أن مضمونها جمع لمنثور أو اختصار لمطول أو معالجة مفككة لمسائل تافهة أى لا تشتمل على عمل علمى بالمعنى الصحيح ، إلا أنها فى ذاتها قد تكون - مع احتمال آخر - أبحاثاً مؤسسة على استقلال فى التفكير ونوع من النقد العلمى

فإلى أن تنشر رسائل جماعة كبار العلماء فينا - لأن عملهم وحده أمام التاريخ وأمام الحكم العدل هو الأساس الذى يبنى عليه الآن التقدير والاعتراف أو عدم الاعتراف بشخصية الأزهر العلمية - يجب علينا نحن الذين لم يصبحوا بعد من جماعة كبار العلماء إما أن نسعى فى أن نطالع غيرنا على أبحاثنا الشخصية ، وبذا نكون علماء ، أو نعمد إلى تناول عمل الجامعيين بالنظر العلمى فنؤمن بما يدعونه أو ندلهم على موضع الدعاية فيه

ومتى تنشر هذه الرسائل ؟ ... علمه عند الجماعة نفسها !

محمد البهى
مدرس علم النفس والفلسفة
بكلية أصول الدين

أومنُ بالإنسان !

للأستاذ عبد المنعم خلاف

أومن به إيماناً عميقاً بصيراً ... وأرصده رصداً مستوعباً يطيف به في جميع بقاعه ومختلف أوضاعه ، وأستوحي نظرة الله إليه ورحمته به وتسديده إياه في طريقه إلى مستقبله المجهول ...

أومن به حتى في هذه الأيام التي ساء الظن به فيها وقبح الرأي بقيمته وكفر هو بنفسه وسخط على حياته ، وبدت فيها خبائثه ومكايده وقسوته ، وذاق بعضه من بعضه البأس الشديد والشقاء المنكر ! وتهددت حياته عوادى فناء صنعها هو على أسلوب الصواعق والزلازل والبراكين وسائر غضبات الطبيعة التي طالما جأر إلى الله بالدعاء والبكاء أن يحفظه منها ويحفظ الأرض بما حملت من مواريث صناعاته وابتكاراته وأمواله وأعماله وعياله من سوء عقباها في التدمير والإبادة ...

أومن به لأومن بربه ... فلو طاوعناه على مقتضى قساوته وشقاوته في حياته الراهنة لأنكرنا كل مثل كريم هبط من السماء أو صعد من الأرض ... ولأخلدنا معه إلى عالم الجحيم الذي فتح أبوابه على نفسه في أكرم البقاع عليها في لندن وبرلين ... !

وأوصي به الناظرين إلى حاضره في يأس وقنوط وإلى مستقبله في تشاؤم ... فما ينبغي للذين آمنوا بالمثل العليا ، وعرفوا أن الإنسانية كلها مخلوقة لإدراكها أن يزلزلوا عنها ويجحدوها إذا ما أصاب الأرض نكسة إلى جهالة قديمة ، وارتداد إلى أعراض السفه الأول ... بل عليهم أن يرفعوا شعلة تلك المثل وسط احتدام الظلام والظلم حتى يمسك بخيوط نورها من يريد ألا تجرف روحه أمواج الظلمات ...

وإيماننا بالإنسان هو الذي يوحي إلينا أن نعمل له ونبسط عليه شعور حبنا ونقدم إليه ما نستطيع من خدمة . ولو أنكرناه وكفرنا بقيمته ما بقي لنا شيء في الأرض نلوذ به ونأنس إليه من وحشة الصمت المطلق والسكون المطلق ، والبكم والصمم والعمى التي تلف غيره من كائنات لم تدع في الحياة حديثاً مفهوماً عن غايات الحياة ...

وإنني ما أبصرت شيئاً غيره تَعمُق معه الحياة وتتسع وتتركب ويتنوع الإحساس بها ... ولولاه لكنت صندوقاً أبكم فارغاً إلا من معاني غرائز معطلة وتجارب شهوات قليلاً ما تتحرك ... ولا اضطربت بي مجهولات الكون كغريق طاف على أكف الأمواج ... إن كل شيء في الطبيعة صامت جامد لا يعطي جواباً عن غايات الحياة إلا هذا النوع الذي أحمله في جسدي وأستوحيه في فكري وأبادله ما صح وما فسد !

لقد قلت في مقال سابق : إن الإيمان بالإنسان هو عندي أول المعاني الدينية ، فلا يؤمن بالكون ولا خالقه من لم يؤمن بهذا النوع ... وكان قولي هذا كضربة معول موفقة وقعت على باب كنز مرصود فانفتح ! ولست أزعم أن ما رأيته وراء هذا الباب حقيقة ينشدها الناس ويجدون في ظلها راحة وطمأنينة فالله أعلم بموقع هذا القول من نفوس القارئين ... وإنما وجدت وراء اهتدائي إليه راحة لنفسي وحلاً لكثير من المشكلات التي أجدها فيها وفي الإنسانية والطبيعة

ولقد علمني الخروج من نفسي ونوعي بعض الأحيان ورصدهما بعين غريب عنهما أن أرى كثيراً مما خفي على الذين يلبثون رهناء سجناء في الشبكة التي تلفهم مع سائر أفراد القطيع .

أجل، إني أرصد هذا النوع كغريب عنه فأرى منه مالا يراه إلا الفارقون لنفوسهم الخارجون بالفكر عن حدود وجودهم الناظرون إلى حياتهم نظرات الملأ الأعلى ممن هم فوق الإنسان ، والملأ الأدنى مما هو دون الإنسان ...

فماذا وجدت في الإنسان ؟ من قلوبه وعقوله تنبثق المعاني المكتومة المسجونة في أطواء المادة . وفي بيانه أصوات ربطت الكون كله ولاءمت بين نسبه المختلفة ولخصته واختزلته ووضعته أمام الفكر ملموساً ... وفيه نغمة مفهومة رقيقة وسط صخب الأمواج التي لا عدد لها في البحار ، والهبوات التي لا عدد لها في الأجواء ...

إنه مشبوب الحاجة دائمها ، واسع الآمال والخيال في تنظيم المادة وتنويعها وتصريفها والاحتفاء بكل سر فيها ، لا يخرج من الأرض إلا بعد أن يصوغ ترابها ومواتها عرائس ومباهج، ويبنيها أجساماً محبوكة ذات أوضاع وفنون ...

لقد استمرت الأرض من قبله جامدة لا يتغير فيها شيء من موادها إلا الدورات الأبدية المتشابهة من الهواء والماء

والفصول وتعاقب الليل والنهار والشهور ... ولم تر يداً غير يده تضع فى الأرض حجراً على حجر أو تحفر قناة مستقيمة تصرف فيها ماء أو تجلب ماء ، أو ترسم صورة أو تقيم تمثالاً أو تمتهن حيواناً لخدمتها ... وإنما يبدو من الطبيعة أن كل شيء فيها كان ينتظر وجود هذا النوع ليقول ليده وفكره : هأنذا لكما !

وما زالت المرآة التي فيه وهى عقله تنطبع فيها صور الكائنات واحداً وراء آخر وهو يحولها وينقلها من عالم الجماد والصمت إلى عالم الأسماء والبيان والصور والتعبير حتى فرغ منها أو كاد ...

وما زال يدور حول ظواهر المادة وصورها وأشكالها ويحللها وينبش فيها ويسبر أغوارها حتى وصل إلى عالم الكهارب والأثير وهو الآن يجرى اختباراته وتحليلاته على هذه الأصول الأولى للمادة ليكتشفها أو يرقبها ويتحكم فى إخراج أنواعها بعد أن وصلت يده إلى مفاتيح توجيهها

إنه تعمق فى عالم الأجسام والقوى حتى وصل إلى مصادر الحياة الآلية ومادة الوجود الأولية ، وتعمق فى عالم المعانى والأفكار حتى وصل إلى الخفقات الروحية العليا والرياضيات العليا التى قام عليها تخطيط الطبيعة وهندستها

وإنه ليركب ما فى الكون من المعانى كما يركب ما فيه من مواد ، فيقيم الكتب العامرة والمقالات الحكيمة والصلوات المطهرة والألحان الساحرة كما يقيم القصر الكامل الجميل والصرح الشيد والقاطرة والطائرة والباخرة ... وإنه ليسافر بفكره فى الآفاق العليا كما يسافر بصوته وصورته فى صندوق الراديو ... وهكذا هو يتوجه فى عالم المادة والقوى العمياء كما يتوجه فى عالم الروح الواعى والفكر المميز المبصر الحاكم ... وهكذا هو رباط بين العالم الساكن الخفى وبين العالم المتحرك المرئى

* * *

إن تكن للشرق الإسلامى رسالة جديدة فى هذا العصر تضاف إلى رسالاته السابقة فى العصور الخوالى فهى رسالة الدعوة إلى الإيمان بالإنسان سيد الأرض ، وحبه وخدمته ومعرفة قيمته ... ثم الضرب على أيدى محترفى السياسة واللاعبين بالشعوب ومؤرثى العداوة بينها فى سبيل الأمجاد الشخصية والأطماع والتسلط والاستبداد والإخلاد إلى منطق الغرائز السفلى التى ما وضعها الله فى تركيب الإنسان إلا لتكون له كالعجلات ودواب الحمل وآلات الدفع للقافلة السائرة إلى غاية

تاريخ مصباح

ولنستعرض تاريخ الإنسان على هذه الأرض لندرك مدى مركزه فيها ، ولنعطيه من تاريخه مصباحاً يرى به نفسه : إن الله أسلمه الأرض ، وليس فيها شيء معقد التركيب غير الأجسام العضوية الحية ، وهى أجسامه وأجسام الحيوان والنبات . أما المادة فأسلمها إليه بسيطة فى صورها الأولى وخاماتها البكر ، فما زال يدور حولها ويعبث فيها وينبش ويخرج أسرارها واحداً بعد آخر حتى حدثته أخبارها ، وأخرجت له أثقالها ، ووضعت بين يديه أجنتها وعيالها ، واستفاد من تجاربه فيها عقله وحكمه — والعقل هو حفظ التجارب والحكم بمقتضاها — وعلمه ووثائق سيرته ومدونات فكره . وكلما أنماها وعقد نموها أنمت هى فكره وعقدته — والتجاوب بين المادة والفكر قانون — حتى ملأ الأرض بما ولد منها وأخرجه من كوامنها وركبه من بسائطها

وشاء الله أن تكون قوة الفكر فى الإنسان لا حد لها ، فصارت تخاريج المادة وفروقها وتمايزها لا حد لها ... وتارة يكون كشفه عن أسرارها بطريق الصدفة ، فيلقط ويدون ، كما هو واضح من نمو علم الكيمياء . فإن كل أمورها تجريبية لا دخل للفروض والظنون والتجريدات فيها ... وتارة يكون الفكر سابقاً قادراً على الفروض وقياس النسب الغائبة على الحاضرة

أى تارة تكون الطبيعة سابقة فى الوحى إليه ، وزيادة علمه وفكره ، وتارة يكون هو سابقاً فى الوحى إليها وزيادة موجوداتها ومشاهدها

وإنى لأستعرض أعماله فى الطبيعة منذ أن كان هائماً لا سقف له يصنع من ورق الشجر ستاراً لسوأته ، ويتخذ من الحجر خنجراً لسطوته ، إلى أن صنع لباسه الأوربى المعقد النوع المزين الملون ، وصنع بيته من ناطحات السحاب، وآلات سطوته من الطوربيد وسلة مولوتوف ... ومركبه من الحصون الطائرة ، واستوعب جميع أجزاء الآلات المعقدة فى رأسه قبل تركيبها بمساميرها وحذافيرها ... وصنع له مجاهر ومقربات يقرب بها مشاهد السموات والسدم ويحلل عناصرها ، ويكبر بها أحجام الجراثيم ويقيس بها الخلايا ويحكم بها على كل أولئك حكماً صحيحاً خاضعاً لمقاييس الحس والفكر ... أستعرض أعماله هذه فأراه بعد ذلك قانوناً نامياً لا حد لنموه فى ذاته وقانوناً منمياً

للطبيعة وصورها وأشكالها لا حد له كذلك

وجميع قوانين الطبيعة قوانين متحجرة صارمة إلا هـذا الإنسان فإنه قانون مرن يذهب فى كل اتجاه . أليس فيه نفخة من روح الله ليست فى سواه ؟! والله خالق هذه القوانين وواضعها ؛ فلا عجب أن تدفعه هذه النفخة إلى الأمام فى مجاهل الكون دائماً

إن الأطفال يقلدون الرجال بغريزة التقليد والمحاكاة التى فيهم للاستعداد لمستقبل الفرد ، والرجال يقلدون صنع الله للاستعداد لمستقبل الإنسانية كلها . وجميع آلاتهم التى ركبوها وجدوا نماذجها أمامهم مما خلق الله . وجسم الحيوان هو نموذج الآلات الكبيرة السريعة التى ابتدأ بها الإنسان يتسلط على المكان والزمان والمسافات والأبعاد . وجميع أعمالهم فى الكهرباء والقوى الخفية إنما وجدوا نماذجها من المجموعات العصبية فى الحيوان والنبات ، فأرسلوا الإشارات والصور والأصوات إلى عيون وآذان صناعية عـبر المحيطات والصحارى والقارات والجبال الشاهقات كما يرسل الجسم الواحد خواطره وصوادره إلى كل خلية فى أعضائه

وعلى ذلك صارت الأرض كجسم ينبض ويترابط ، وإنسانها فيها كالمراكز المصبية فى الجسم الحى : تصدر وتتلقى الجواب

حياة الشرنقة

ولـكن هل يجوز أن يقف الإنسان فى ضجة ما صنع من الآلات والمفرقعات ضائعاً مغموراً غائباً فيها كما تغيب دودة القز فى الشرنقة التى تنسجها ، وكما تغيب النواة فى النخلة السحوق والبذرة فى الدوحة الفارعة ؟

إنه يرسل فى الطبيعة لمحات فكره وومضات خواطره ، وصار الأثير والهواء والماء والتراب مليئاً بهمساته وأزيز محركاته وضربات معاوله إلى أعماق المناجم والركاز

وهذا حسن لو أنه لا ينسى نفسه وسط الضجة والقوة والجبروت الآلى ، والحديد البليد القاسى ، حتى يختنق ما فيه من وداعة الروح وتأمل الفكر ، والإحساس بالانفصال عما صنعته يداه

أجل يجب ألا يكون الإنسان قوة عمياء تعمل فى المـادة بدون فكر وروح وإحساس صوفى فيما تعمـل ولذة به وإلا استحال إلى قوة متنقلة فى عمليات التكوين والتركيب بدون وعى وفى ذهول وغفلات تشبه عمى القوى العمياء

إن طاعة الحديد البليد القاسى للفكر الطليق البارد تركت فى أعصاب الأمم الصناعية آثاراً عميقة ستطمر لا محالة جوانب من عواطف الرحمة والمروءة فى قلوب أفرادها ، وتمحو آثار المصور الصوفية التى أدرك الإنسان نفسه فيها حين كانت النبوات تتلاحق عليه

وإنى لأتخيل الآن ما جرى فى ساحات « الفلاندر » فأرى الإنسان وهو يدفع الحديد الجبار فيندفع ، ويطلق البارود الصاعق فينطلق ، والقنابل الصارخة فتصيح فى نكر وشدة ، ويملأ الجو بالدخان الأسود والنار الحمراء فيمتلئ ، ويسيل النار من « باصقات النار » فتسيل على الأجسام البيضاء الجميلة ذات العيون الزرقاء والشعور الذهبية والجماجم المستوية وتذيبها كالشمع ، وتسحقها كالرفات ، وتذروها كالرماد ... ويرفع القلاع الطائرة إلى أجواز الفضاء فترتفع ... أتخيله وسط هذا كله لا يسمع صوت نفسه إذا تحدث ، ولا يعى خروج نفسه إذا تنفس ، ولا يحس ألمه إذا تألم ، ولا صمم جسمه إذا أصيب ؛ فهو فى جنون الحرب يضرب الأجسام الحية النامية من شجر أو ضرع أو زرع أو حيوان أو إنسان ويخرب العامر ويهدم القائم فأقول : لقـد تحول إلى قوة عمياء ، وصار عاتياً كالريح ... جارفاً كالتيار ... أعمى كالصاعقة ... قاسياً كالحديد ... صابراً كالفولاذ ... فظيعاً كالنار ...

ولست أدرى متى يفيق لنفسه ويعنى بوضعه وتحولات حياته كما يعنى بمستقبل المواد والقوى ، ويربط ما بينه وبين الله مفيض الفكر والحياة كما يربط ما بين نفسه وأجزاء الأرض ؟!

إن الآلة لا تدركه وهو يعمل فيها ويقوم عليها ، وهى لا ترحمه من السحق أو البتر أو الصعق إذا تعرض لها جاهل بقوانين سيرها ، فلا قلب فيها ولا فكر ولا حياة دم وعصب وروح . ولـكن ما باله هو لا يفكر فى الانفصال بين أنشأه وركبه ونسقه وصوره وهو ذو الفكر والروح والوجدان والنزوع والإرادة والاختيار والتطلع والحزْر والحذَر والقدرة على قياس ما غاب بما حضر ؟!

إن الاستسلام لغيبوبة الحياة الآلية ضياع وتطبُّع بطابع الحديد البليد الأعمى الدائر فى غير وعى وإحساس ، وأخوف ما يخاف على الإنسان أن يترك هكذا فريسة وضحية للآلات يعيش معها ويقدم لها وقودها إلى أن يفنى وقود حياته هو وينطفئ

٣- جيـــل وجيـــل

للأستاذ محمود البشبيشي

... إذا كنت فى فكرك مع الفن الطبعى ، كانت كل آثارك من نثر وشعر ، صوراً فنية ، لا تكلف فيها ولا تعمل ، والحيوية فى الأثر الأدبى ، ترجع إلى الحيوية الكامنة فى نفس الأديب ، وكلما كانت فطرية كان الأديب ينتزع من الطبيعة صوراً ، ثم يخلع عليها من طبيعته ألواناً ضاحكة واضحة لا تنافر بينها . . . وكان موهوباً فى كل ما يكتب ويقول ... وأنت يا بنى فى كل ما حدثتنى موهوب ...

كنت قادراً على سرد أفكارك بوضوح ... والحيوية فى الكاتب هى قدرته على عرض أفكاره فى غير ما تعقيد ولا ضعف

وكانت لأفكارك القدرة على التأثير ... والحيوية فى الأفكار هى قدرتها على التغلغل فى النفوس ... وكانت ألفاظك لا تحمل غير معانيها ... والحيوية فى الألفاظ هى وجودها فى المكان الذى إذا رفعت منه فقدت حيويتها ، لا تستطيع أن تنقص منها أو تزيد عليها ... لأنها وضعت كما توضع المقادير فى سجل الوجود لا نقص فيها ولا زيادة ! !

— جميل يا والدى أن جعلت للكاتب حيوية وللأفكار والألفاظ ، ولكنى أحب أن أعرف شأن هذه الحيوية فى الكاتب

— شأنها عظيم يا بنى ... فقد يختلف الكتاب باختلاف الحيوية الفكرية فيهم ... فهذا كاتب يملك ناصية الفكرة ولا يجد صعوبة فى عرضها ... فتخلص خلوص ماء السيل لا يقف ولا يتعثر ، وتسطع كلماته أنواراً هى إشعاع نفسه وطبيعته ، فتراه فى أسلوبه ، وتلمس فى أسلوبه حيويته ... وينسيك سحره كل شىء إلا ما أراد هو أن يخبرك به ! !

وهـذا كاتب يملك ناصية اللغة ولا يملك ناحية الفكرة والحيوية ... مهما أوجز أو أطنب وملأ كتابته بكل لفظ شارد خرجت أفكاره عارية ، لأن ألفاظها لا تكسوها ، أو لأنها لا تلبس ألفاظها تماماً ... مثل هذا الكاتب يا بنى تستطيع أن تسميه صانع ألفاظ ...

— وكذلك الشعراء يا والدى ... فإنك لتجد شاعراً تسمو شاعريته ، ويدق إحساسه ، فينتزع من كل مرائى الطبيعة صوراً مهما صغر أصلها ، يرتفع بها إلى القمة فى تصوير عجيب ، وتدفق غريب ، لأن فى نفسه طبيعة خلق معنوية شاعرية تكسو كل أفكاره حيوية ساحرة ، فيخرج شعره صافياً كضمير الوليد ، باسماً كثغر النيد ، راقصاً كالقلب فى فرحة اللقاء ... وهو فى إحكام صياغته ، وارتباط معانيه بعضها ببعض ، وتسلسل أنغامه ، كأنه شىء حى تكاد تلمسه وتضمه ، لأن نفس صاحبه وحيويته توزعت فيه نغما وصياغة وتسلسلاً وصفاء

— وأكثر من هذا يا بنى ، فالحيوية فى الشاعر إذا سمت اجتمع لها من الإعجاز ما يفوق حيوية الكاتب ، لأنها هنا تقوم بأعمال كثيرة منها الوزن ، والقافية الرقيقة ، واللفظ الموسيقى ، والمعنى الشارد ، والروح الشعرى . على حين أنها هناك لا يطلب منها سوى صحة العبارة وسلامة المنطق . والحيوية فى الشعر لا تكتسب بالاطلاع كما قد تكتسب أحياناً فى النثر ، لأن الشعراء قوم خلقوا وفى طبيعتهم روح الشعر ، بل وفى منطقهم وفكرهم وحديثهم ونظرتهم . فمن قال الشعر من غير طبع وخلق شعرى خرج شعره يتعثر فى قيود الصنعة وفقد روح الشعر كما فقد تسلسل النثر ! أيحسبون أن الشعر حين يكتسب بالاطلاع ويشترى بالحفظ يكون شعراً بمعناه الصحيح ! ألا إن الحيوية الشعرية لا تكتسب أبداً ولا تباع . إنما هى تخلق مع الروح

— وكما توجد الحيوية يا والدى فى الأديب وأدبه ، توجد

مصباحه ويذهب إلى ظلمة القبور بدون بصيرة منيرة يسعى نورها بين يديه فى العالم الباقى غير المنظور

وعلى هذا ينبغى أن تقوم فى الناس دعوة إلى الإحساس بالنفس واليقظة الدائمة لها وتزكيتها والرفع من قيمتها ، وهذا لا يكون إلا بالدين والفن الرفيع : الدين العقلى الطبيعى المبنى على إسلام النفس لله البارئ والطبيعة الأستاذة ! والفن الرفيع الذى يخلق جواً يحضر للقلب بعض المعانى النائية التى ترى الإنسان وضعه الممتاز الفريد الطليق وسط ما فى الكون من المواد والقوى والمخلوقات السجينة ... تلك المعانى التى تتراءى وراء بيان ذوى البيان النظيف ، وألحان ذوى الأصداء البعيدة ، وعيون ذوى الصفاء والإدراك ..

عبد المنعم خفوف

أيضاً فى الرسام وفنه ، وكما يختلف الأدباء باختلاف الحيوية فيهم يختلف الرسامون كذلك ، فإنك لتقف أمام لوحة زيتية لفنان موهوب ، امتزجت روحه بالفن وامتزج بها ، وسبح فى عوالم لا يصل إليها غير من رقت روحه ، وكشفت عن كل خفى من المعانى ، وخلع إحساسه الفنى على صور الطبيعة ألواناً من نفسه ، وخامت صور الطبيعة على ألوانه ألواناً حية ، لو وقفت أمام صورة لمثل هـذا الفنان دبّ فى نفسك شعور غريب يملأ حواسك ، بل يخرج بحواسك من حقيقتها ، فتعتقد أن هذه الشجرة الزيتية شجرة حية تهتز وتتحرك ، وهذا النهر الملون تكاد تسمع له خريراً حلواً . ولا غرابة فى ذلك ، لحيوية الفنان هى سر حيوية لوحته الفنية . وأقسم أنى ما وقفت يوماً أمام لوحة لفنان موهوب ، تشع لوحاته إشعاعاً كله حيوية تتحرك وتؤثر وتعجب إلا وانقلب منطق إحساس . فأصبحت أسمع للألوان أصواتاً ، وألمس فى سكونها حركة . . . واللون الساحر يا والدى إذا وضعه فنان ساحر فى موضعه الفنى لا يظهر لوناً فقط ، بل يظهر لوناً وحقيقة حية !

— والحيوية فى الرجال يا بنى هى سر الرجولة الكاملة فى كل عمل يُعمل ، والرجل صاحب الحيوية هو الذى أحكم دقيق أمره وجليله ، وامتنعت صفاته السامية كثيرها وقليلها ، واحتوى من قوة الروح وهيبتها ما يغمر الجو الذى هو فيه هيبة غير مصطنعة وكانت فيه قوة ذات رحمة إذا قدرت ، وذات بطش إذا ظُلمت ! وارتفع بكل هذا عن كل منمز وكل مقالة ...

— وحيوية الحقيقة ياوالدى هى قدرتها على الذهاب بالباطل ، وإن الحقيقة لا تسمى حقيقة حتى تستطيع أن تقول للكذب أنت كذب فيقتنع ويخر ساجداً ، لأنه يعلم أنها تخاطبه بلسان الواقع والمنطق ... وقد تسكن الحقيقة أحياناً وتحتجب إذا كان فى نفس صاحبها ميل إلى الاستكانة إلى الواقع ولو كان ظلماً ! ! فتظل مقنعة تحاول الظهور كلما تمردت فى طبيعتها نزعة الحق ، فإن أفلحت فى ذلك خرجت تحمل قوتين : قوة الحق ، وقوة الإقناع . وكانت مدفوعة بدافعين : دافع استحقاق الوجود ، ودافع حب الانتقام من كل معارضة كاذبة ...

— وهـذا ما كان من أمر حقيقتك وحقيقة إخوانك شباب الأدب ، فقد ظلت ساكنة مقنّعة ، راضية بالواقع ، حتى تحركت طبيعة استحقاق الوجود فيها فقامت ثائرة تناقش ، وكان لها من نورها قوة تمطر مطرة من الأفكار والحجج ، كلها حق وكلها واقع فى المقالين السابقين ... ولكنى أرى أن قوتها ترجع إلى سر الحيوية الكامنة فى نفسك وفكرك ومنطقك . وإذا وجدت الحيوية فى شىء كان وجوده فى الحياة وجوداً للحياة نفسها

— أجل يا والدى كان لا بد أن يشعر الشباب بحقه فى الحياة الأدبية ، وبأن الواجب تشجيع الموهوبين منا ، فليس معنى الحياة أنك تحيا وتتحرك وتسكن ، وليس معنى الحياة أنك موجود فيها ... إنما الحياة الحقة أن تشعر هى بك ... فتكون فى الوجود وجوداً ، وفى الحياة حياة !!... وفرق بين أن تشعر أنت بالحياة ، وأن تشعر بك الحياة ، وفرق بين أن تكون خبراً من الأخبار وأن تكون الحياة خبراً من أخبارك !!... إن الرجل من امتلأ حيوية ، وظهرت حيويته فى أقواله صدقاً ، وفى أفعاله فلاحاً ، وفى نظراته صواباً ، وفى منطقه استقامة ، وكانت أقواله وأفعاله ونظراته ومنطقه هى حقيقته التى تقول إن صاحبها خلق فى الحياة حياة أخرى ... وجعلها خبراً من أخباره ! !

— هذا قول رائع يا بنى ولـكن كيف يصل الإنسان إلى هذه المرتبة السامية؟ وكيف يستطيع أن يكون نفسه هذا التكوين؟

— إن الأمر على شىء من الخطر والصعوبة يا والدى ، فهو يحتاج إلى خلق شخصية خاصة به فلا يكون صورة لغيره ، وعليه أن يتعود الصدق ، وإن صعب اليوم تعوده ، فلا يدخل فى كل خبر كلامه ، وأن يحمل ألفاظه من نور ضميره ، لا من سواد رغباته وأطماعه ! ! لأن الرغبات إذا اسودت بسطت سلطانها وسوادها على كل عمل يعمله الإنسان ... وأن يعرف كيف يكيف صور الحياة التكييف الذى يجعلها باسمة ... وأن يخلق لنفسه مثلاً أعلى ... وأخيراً أن يبث فى شخصيته وصدقه وضميره وتكييفه للحياة ومثله الأعلى حيوية تكفل له النجاح فى كل سبيل ينهجه ، وعمل يعمله ، وفكر يتأمله ... فتشعر الحياة بأنه موجود فيها ! !

ولـكن ليس من السهل يا بنى أن تشعر الحياة بك ، وإن هـذه الصفات التى بينتها لا تجتمع لـكل إنسان ، ثم إن الوصول إليها من الصعوبة بمكان ... وليس فى مقدور كل فرد أن يكون رجلاً ... يحسن مغالبة الحياة ومدافعتها ويحمل فكره وشعوره فى الناحية التى لا تقيم للخطوب وزناً ... وليس الرجل من يبكى لأن الطبيعة وهبته عيناً تدمع ! ويصرخ لأنها أعطته لساناً يصرخ ! وييأس لأنه عجز ، ولأن الحر من طبيعته اليأس إذا

لم يقدر ! إنما الرجل من يخرج من عينه إشعاع كله حياة وابتسام لأن الطبيعة وضعت السحر فى البصر ، ويضحك لأنها وهبت فه معنى الضحك ، ولا ييأس لأن الحياة لا يأس معها ... ولِمَ اليأس ... وليس فى الحياة ما تنقطع عنده حيلة من الخطوب ؟ فإذا نظر الإنسان فى أحوال حياته ، وصدق تأمله ، ولم يعقه إحجام ، ولم يقيده تردد ، ولم يذهب بجلده رهبة ، استطاع أن يجعل كل أمر قريب المتناول ، هين المحاولة ...

— أجل ياوالدى ... كم مرت على أيام ، علم الله لم يك فيها ألم ولا يأس ... ولكننى استقبلتها وفى نفسى ألم ويأس فنمّر إحساس نفسى الحزين كل صور الحياة فرأيتها عابسة قاتمة فشكوت منها قائلاً :

ظلام ببطن الأم ليس له سر   وليل ببطن القبر ليس له سر
لعمرى كأن العيش متصل الدجى   فأوله قبر وآخره قبر ! !
إذا كان فى موت الحياة مرارة   فموت شعور المرء حياً هو المر !

وقلت :

إيه يا قلب كم تعذبت بالدا   ء ودارت عليك شر الدوائر
ومشت فوقك الحياة بشوك   بعد ما بعثرت عليك الأزاهر
وظلال من الفناء ترامت   فوق جنبيك يا طريد المقادر !

وإن أسعد أيامى تلك التى نظرت فيها إلى الحياة بعين السرور فرأيتها فناً من السرور وجلعت لها روحى قيثارة تغنى :

ليتنى بسمة على شفة الور   د بفجر معطر الأنداء
وطيور تطير فى لهفة الشو   ق إلى دوحها الحبيب النائى
وابتسام يلوح كالأمل الحلو   على ثغر كاعب عذراء
ليتنى أرغن يغرد بالبشر   ويكسو القلوب ثوب الهناء
ليتنى لم أكن من الطين كالنا   س فأشقى بفكرتى قناء

— عرفتَ يابنى كيف تستقبل الحياة ، كما عرفت أن الحيوية هى سر وجود كل شىء ، وشعور الحياة بأنه حى فيها ، وعلمنا أن الكاتب من غير حيوية فيه ، يكون صانع ألفاظ ، وفهمنا أن الرسام يخرج لوحاته صامتة ميتة إذا حرم الحيوية الفنية ... وأدركنا أن الرجل من غير حيوية لا يكون رجلاً ... لأن أعماله تكون وليدة نقص فى الخلق والرأى والتأمل ... وقلنا إن حيوية الشاعر هى كل شىء فى شعره ... أما بعد فهل تتقيد الحيوية بسن ؟ وهل هى وليدة اطلاع ومثابرة ؟ وهل ظهرت فى جيل وانعدمت فى جيل ... ؟

— أظنها يا والدى لا تتقيد بطول مراية ، وليست وليدة اطلاع ... كما أنها تكون فى كل الأجيال

فكما نحسها فى قول الزهاوى :

هناك نواميس بها أنا عالم   وأخرى على جهدى بها لست أعلم
وما أنا شىء مثلما أنت فاهمى   ولا أنت شىء مثلما أنا أفهم

وكما نلمحها فى قول الدكتور أبى شادى :

تتلاقى الشفاه وهى ظماء   ثم تظمى على ارتواء وتنفس
وتطيل اللقاء وهى سواء   عن حياة بوجدها تتنفس !

وكما تتلألأ فى قول العقاد :

ليس بين الجنون والعقل إلا   خطوتا سائر ، فحاذر وأمسك
أول الخطوتين نسيانك النا   س وأما الاخرى فنسيان نفسك

تظهر أيضاً فى شعر كثير منا . أفلست تحسها فى قول صالح جودت :

جريان الندير يجرى دموعى   ومسيل الدموع يدمى المحاجر
ملأ الصب من جمالك سحراً   شفق الخد تحت ليل الغدائر

وفى قول مختار الوكيل :

حبذا أنت تطفرين مع الحلم   بكون من الخيالات نائى
ترسلين الأنفاس وسنى كعينيك   على وجنتى كالأنداء

وفى قول القائل :

يودعنى القلب لو ودَّعك   ويرجع لو قدر أرجعك
لقد مزق الهجر زهر الغرام   وضيعنى البعد إذ ضيعك
ولكن تعود لروحى الحياة   إذا عاد للقلب عهدى معك

* * *

أما بعد : فتلك أحاديث لا يسعنى إلا أن أقول إنها كشفت لعينى أبعاداً جديدة ، وعلمتنى أن الحقيقة لا تختفى وراء الظلام ، وأن الأجيال تتأثر بحيوية فكرتها ، ويؤثر فى حيويتها صدق التأمل فتفسد بفساده وتصلح بصلاحه ، وإن الضعف والفناء قد يكونان قوة سامية ، ما دام الضعف يولد قوة ، والفناء يجدد حياة ...

ورأيت فيها فلسفة تعارض فلسفة ، فآمنت بأن الحيوية فى كل شىء هى سر وجوده ، وليست الحياة ومعناها فى كونك خبراً من أخبارها ... إنما معنى الحياة أن تكون هى خبراً من أخبارك ... آمنت يا بنى بكل ما تقول .. لأنك قيدت حقيقتى بكل ما تقول

محمود البشبيشى

حاشية أيضاً : كل ما جاء على لسان ولدى « حسين حسنى محمود البشبيشى » فهو من أفكاره ويكاد يكون فى ألفاظه

كتب لم أقرأها

بريد الفراعنة

للأستاذ عبد اللطيف النشار

وهذا كتاب إلاّ أكن قد قرأته فإن قليلين من أدبائنا هم الذين قرأوه . وفى اعتقادى أنه لا عذر لأحد فى مصر ألاّ يكون ذا نصيب فيه إما مترجماً أو ناقداً أو قارئاً أو حاثاً على ترجمته أو قراءته .

وهو كتاب يقع فى جزأين ويشتمل على الترجمة الإنكليزية لوثائق فرعونية عددها أربعمائة يوجد من أصولها المنقوشة بالخط المسمارى على لوحات من الصلصال ١٩٤ وثيقة فى متحف برلين و ٨٢ فى المتحف البريطانى و ٥٠ فى متحف القاهرة ، وبقية الأربعمائة مبعثرة فى متاحف خاصة وعامة فى حواضر مختلفة ومن بينها وثيقتان فى نيويورك

هذه المجموعة تعرف باسم وثائق تل العمارنة. وأول عهد اللغات الأوربية بها فى برلين حيث نشر العالم النرويجى البروفسور كنودتسون طائفة منها ـ هى كل ما كان معروفاً منها إلى عهده. وقد استغرق مجهوده فى ترجمتها الفترة ما بين عامى ١٩٠٧ و ١٩١٤ وترجم هذه المجموعة إلى الإنكليزية العالم الإنكليزى البروفسور كلاى من جامعة ييل ، وأفرد لها جزءاً من كتابه « نقوش اللغة السامية القديمة » وأضاف إليها شروحاً وحواشى وقدمها بمقدمة طويلة

وفى المدة بين عامى ١٩١٩ و ١٩٢٩ اشتغل الدكتور مرسيه أستاذ اللغات السامية وعلم المصرولوجيا بجامعة ترنتى ـ بترجمة ما استكشف من الوثائق بعد نشر مجموعة كلاى وأضافها إليها ونشرها وهو يظنها كاملة . ولكن ظهرت بعد ذلك ثمانى عشرة وثيقة أخرى فاشتغل بترجمتها أيضاً بين عامى ١٩٣٦ و ١٩٣٧ ، وأعاد نشرها فكانت هى المجموعة موضوع هذا الحديث

وقد تحدث عنها المستر ألبرت فيلد جليمور فى عدد ٢١ نوفبر سنة ١٩٤٠ من جريدة الاجبشيان غازيت فقال :

« إن أهمية هـذه الوثائق إنما تتضح لك إن تخيلت ما يمكن أن يحدث بعد أربعة آلاف عام من استكشاف مجموعة فى مثل عدد هذه المجموعة من رسائل متبادلة بين رئيس جمهورية الولايات المتحدة وبين ملك انكلترا »

قال : إنه إن حدث ذلك فسيوضح هذا الأثر شطراً كبيراً من تاريخنا ومن أساليبنا السياسية وعلاقاتنا الثقافية وعاداتنا وصناعاتنا وحياتنا الاجتماعية

وأول العهد باستكشاف وثائق تل العمارنة هـذه كان فى سنة ١٨٨٧ إذ كانت فلاحة مصرية من سكان قرية قرب هذا التل تجمع سماداً فوجدت قطعاً من الصلصال يختلف طول إحداها بين بوصتين ونصف البوصة وبين تسع بوصات . ويختلف عرضها بين ثلاث بوصات وأربع وعليها نقوش غريبة

وسرعان ما انتشر الخبر بين العلماء فى القاهرة وفى باريس وبرلين ولوندرا واكسفورد وغيرها . وتبين أن هذه النقوش كتابة مسمارية ، وأن هذه المجموعة ليست إلا رسائل متبادلة بين الملك امنوفيس الثالث وابنه اخناتون ، وبين رجال مختلفين من حكام آسيا الغربية ، ومعظمهم من حكام بابل وأشور وسوريا وفلسطين ، وغيرها من بلدان آسيا الغربية

ويرجع تاريخ هذه الرسائل إلى المدة بين عامى ١٤١١و١٣٥٨ قبل المسيح

ويقول هذا الكاتب وهو أستاذ فى علوم الدين المسيحى : إن لهذه المجموعة أهمية خاصة لدى الذين يدرسون الكتاب المقدس لعلاقتها بسفر الخروج ، وأخبار بنى إسرائيل فى رحلتهم إلى أرض كنعان ، ولأنها تحدد التواريخ الدقيقة لبعض الأخبار التى تضمنها العهد القديم

* * *

لما اعتلى اخناتون عرش مصر خلفاً لأبيه امنوفيس الثالث نقل العاصمة من طيبة ، ولعل ذلك كان اضطراراً بسبب ما ترتب على تغييره عقيدة مصر من الوثنية إلى التوحيد من خلاف مع رجال الدين . وكان المكان الذى اختاره لعاصمته الجديدة هو المعروف الآن بتل العمارنة

ولقد عاد مقر الملك إلى طيبة بعد اخناتون وأصبحت عاصمته الجديدة أطلالاً . وعرفه الوثنيون من المصريين من بعده باسم « الكافر » لمخالفته عقائدهم

ولقد كان أخناتون شاعراً وفيلسوفاً ولم يكن ملكا فحسب.

ومن بين هذه الوثائق خمس تتضمن الحديث عن هدايا تبادلها الملك المصرى وبعض الحكام والولاة . وتدل المصارحات التى تضمنتها هذه الرسائل الخمس على أن الحكام القدماء كانوا يحفلون بالقيمة المادية للهدايا

ومن أمثلة ذلك كتاب من أمنوفيس الثالث يشكو فيه اختيار الرسل الذين حملوا إليه الكتاب والهدايا من بين ذوى المراتب الثانوية فى المجتمع ، وكان هذا الكتاب وتلك الهدايا من ملك بابل . وقد تضمن الكتاب كذلك شكوى من ضآلة قيمة الهدايا ولكنه مع ذلك بعث مع الرد بهدايا قيمة ووعد بأن يرسل أكبر قيمة منها متى قبل الملك البابلى تزويجه من بنته

وبدأت المنافسات بين الملكين المصرى والبابلى فى عهد أمنوفيس الثالث ، ولكن مداها اتسع فى عهد أخناتون إذ تفوقت بابل على مصر . وتدل بعض هذه الرسائل على ما كان ملك أشور يعلقه على نفسه من الأهمية فقد كان يلقب نفسه (الملك الكبير الذى يصر على المساواة مع فرعون مصر الذى يخاطبه بلفظ أخى) وهو ينوه فى خطابه لأخناتون بقدر الهدايا التى تلقاها جده من فرعون سابق فقد كانت عشرين وزنة من الذهب ، وهو يذكر فى الخطاب أنه لا يبدو جانب التواضع حين يطالب أخناتون بألا تقل قيمة هديته عن هذا القدر حفظاً لكرامته

وتدل الرسائل أيضاً على أن مصر رفضت التدخل فى المنازعات التى كانت بين بابل وبين آشور ، عدا أنه لما اقتصر الخلاف على أمر الحدود بين الدولتين قبل أخناتون أن يتوسط لمصلحة الآشوريين لدى البابليين سادتهم القدماء. وهذه السياسة بين الملوك الأقدمين تطرد مع ما يجرى فى زمننا كأنما التاريخ يعيد نفسه

وأكثر هذه الرسائل مبعوث به إلى ملك مصر ، وأقلها مبعوث به من مصر . ومن بين ما بعث به مصر أربعة كتب للملوك منها ثلاثة لملك بابل والرابع إلى ملك ارزاوا . أما الرسائل التى وردت إلى مصر فمنها ما هو من بابل ومنها ما هو من أشور أو من مملكة الحيثيين أو سوريا ، وأحدها إلى أمنوفيس الثالث والد إخناتون . ورسالتان أخريان إلى سيدتين مصريتين

ولهجات هذه الرسائل مختلفة اختلافاً بيناً ، حتى لقد وجد المترجمون مشقة شديدة فى ترجمتها ، فلها من هذه الناحية أهمية لغوية عند علماء اللغات السامية

وفى الرسائل وصف دقيق لبعض عادات القدماء ومراسيم الدين وتقاليد الزواج ، كما أن لها أهمية جغرافية . وتدل هذه الوثائق فى جلها على سيادة مصر على آسيا الغربية وعلى هيبتها منذ طردت الهكسوس إلى عهد أمنوفيس الرابع

ولقد كان ملوك مصر فى عهد مجدها محاربين ، أما أمنوفيس الثالث فبدت فيه ميول أدبية ، وأما ابنه إخناتون فقد بدأ به عهد الضعف ، وقد كان شديد الكراهية للحرب

(انتهى ملخصاً) عبد اللطيف النشار

الرسالة فى سنتها التاسعة

على الرغم من استحكام أزمة الورق ومواد الطباعة وارتفاع أثمانها الى عشرة أضعاف ، ستستمر الرسالة على نظام العام السابق من التخفيض والتقسيط والاهداء مع المشتركين القدماء . أما المشتركون الجدد فيؤدون الاشتراك كاملا مقسطاً أو غير مقسط . ومن المقرر أن المشتركين القدماء لن يتمتعوا بمزايا الاشتراك المخفض الا اذا بدأوا اشتراكهم من نصف ديسمبر الى آخر يناير سنة ١٩٤١ ، ولن يمد الأجل بعد ذلك

القدر والقصص

[بمناسبة شفاء أشخاص روائيين]

للأستاذ عبد المجيد مصطفى خليل

فى عام ١٨٥٠ قدمت شارلوت برونتى Charlotte Brontë الطبعة الثانية من قصة أختها إميلى برونتى Emily Brontë المسماة مرتفعات وُذَرِنج Wuthering Heights بمقدمة جاء فيها :

« لا أدرى أ كان صواباً أو ملائماً أن تخلق كائنات مثل هيثكليف [1] ، ويصعب أن أظن ذلك ، لكننى أدرى أن الكاتب الذى يملك الموهبة الخالقة يملك شيئاً لا يسيطر دائماً عليه ـ شيئاً يريد ويعمل لنفسه بغرابة أحياناً ، فقد يضع « الموهوب » قواعد ويبتكر مبادئ ، ثم ترقد « موهبة الخلْق » أعواماً فى خضوع لهذه القواعد والمبادئ ؛ وعندئذ ، ومصادفة وبغير إنذار بالثورة ، يحين وقت لا تعود تقبل فيه أن « تَسْلُفَ الأودية ، أو تربط رباط فى خط المحراث [2] » ـ حين « تضحك من زحام المدينة ، ولا تهتم بصياح الحوذى » ـ حين ترفض كل الرفض أن تصنع من رمل البحر حبالاً لحظة أخرى ، وتشرع تنحت التماثيل فتجد « أنت » صورة من بلوتو أوجوف A Pluto or a Jove[3] وتيسيفون أوسيكى A Tisiphone or a Psyche[4] ، وحورية ماء أو مريم العذراء A Mermaid or a Madonna[5] ، كما يوجّه القدر أو الإلهام . وليكن العمل عنيداً أو مجيداً ، مفزعاً أو سماوياً ، فإن لك اختياراً ضئيلاً متروكا ، غير أنه اختيار هادىء ساكت . أما أنت أيها الفنان الإسمى « الصورى » فإن نصيبك منه كان أن تعمل مستكيناً بإرشاد لم تفهمه ، ولا استطعت أن تستوضحه ـ إنه لا يلفظ فى صلاتك ، ولا يُبلى أو يغير على هواك . فإن كانت النتيجة خلابة ، فسيمدحك العالم أنت الذى تستحق من المدح قليلاً ؛ أما إن كانت تشمئز النفس منها ، فإن العالم نفسه يلومك ، أنت الذى تستحق من اللوم قليلاً كذلك »

وفى عام ١٩٣٠ قدم هـ . و . جَرُد H. W. Garrod لطبعة هذا العام من هذه القصة ، بمقدمة أيد فيها شارلوت فى تفسير قسوة القصة بالقضاء والقدر أو الإلهام ، قال :

« إذا لم يمكن وصف قصة مرتفعات وذرنج بأنها أعظم قصة « غير مسرحية » فى لغتنا ، فإن لنا على الأقل أن تدعونا بعدل إلى اعتبارها أسمى قصصنا إلهاماً [1] ؛ وقد أحسنت شارلوت برونتى كشف قوتها العجيبة إذ تكلمت على « القدر أو الإلهام » (إلى أن قال) : ليست الطبيعة ، بل القدر ، يبدو أنه أخذ القلم من الكاتبة ، وكتب لها . (حتى قال) : لو كان مدبر القصة شيئاً أقل من « القدر أو الإلهام » لكانت سفينتها غرقت وسط متاعب الأنانية »

هكذا قال مقدماً للقصة الغريبة الرفيعة . ولم يكن يسع شارلوت الموهوبة الملهمة إلا أن تتأمل غرائب القصة وسببها الدافع وإلا أن تجد أنه القدر . أما الإلهام فمن القدر . ولم يكن يسع « جَرُد » إلا أن يُعجب بهذا التوفيق إلى تفسير سبب هذا العمل الأدبى الطافح بالقسوة والغرابة ، وإلا أن يؤيده ويكرره فى راحة وسرور

ولو لم تتكلم « شارلوت » و « جرد » عن عمل القدر فى هذه الرواية لكان جديراً بنصف قراء هذه القصة أن يتساءلوا مستنكرين : لماذا قسمت حظوظ شخصيات هذه القصة كما قسمت ؟! ولماذا نجح الشر فيها كل ذلك النجاح ؟! ولماذا شقيت شخوصها الطيبة ما شقيت ؟!

طالت كثيراً من المآسى فلا أذكر أنى عجبت من المؤلف عجبى من إميلى برونتى وأن تكن قصتها المحشودة بالمآسى ليست فى قالب المأساة

---

(١) أهم شخصية فى القصة ، وهى شخصية بغيضة جداً . وكانت موفقة فى الشر إلى حد بعيد .

(٢) سلف الأرض أى سواها بالمسلفة أو حولها للزرع .

(٣) الأول إله الجحيم عند الرومان ، والثانى كبير الآلهة عندهم .

(٤) الأولى إحدى إلهات ثلاث للقضاء والقدر والانتقام فى الأساطير الأغريقية وكن ثمانيات الشعر . والثانية فى أساطير الأغريق هى الروح المجسدة ، أو النفس والروح الانسانيتان ، أو العقل الانسانى .

(٥) حورية الماء فى الأساطير كانت امرأة إلى الخصر ، بارعة الحسن ، ثم ينتهى الجسم بذنب سمكة . وكان يمكن أن توجد علاقات بينها وبين الانسان . لكن هذه العلاقات كانت تجلب المكاره غالبا .

(١) مكتوب على « جاكت » غلاف القصة أنها لو كانت فى قالب مأساة « تراجيديا » لكانت أسمى قطعة للقوة والعاطفة والطبيعة البشرية ، على الذوق الجاف ، منذ شيكسبير Oxford, 1936

الناس يشقون بمكتوب القدر، ويسألون الله اللطف والرحمة؟ وقد يتعجبون في تسليم من الحكمة الخفية كيف تكون. وقد يستغربون وجود غاية مجهولة معقولة لأن عقولهم لا تغني في هذه القضية بغير إيمان ثابت. فقد يسأل القارئ بعد تلاوة هذه المأساة وأمثالها: أما كفى المؤلف شقاء الناس في الحياة فيشقى شخوصه في الورق والخيال وهي من صنع يده لولا أن قدَر الحياة يتدخل في قدَر الخيال! إنه لا يجوز أن تشقى هكذا تلك الأحياء الخيالية الطيبة. فإن جاز شقاء شخوص روائية لحين يصف مؤلف أشخاصاً حقيقيين في قصة وصفية غير وضعية إلا أن يكون المؤلف قاسياً وحشياً

ويظهر أن مخرج هذه الرواية للسينما راعى شيئاً من ذلك، فرأيناها خلواً من شر ما فيها من شذوذ وقسوة. وإن يكن قد شوهها بالبتر والاقتضاب والتعديل

هذا، وقد كان كلام شارلوت على القدر والإنسان والاختيار المتروك له، وهو مناط الكسب، كلاماً صائباً يوافق في عمومه رأى السيد جمال الدين الأفغاني في مقالة «القضاء والقدر»(٢)

***

وفي «عهد الشيطان» للأستاذ توفيق الحكيم أقصوصة عنوانها «الأميرة الغضبى». وهي «بريسكا» بطلة قصته «أهل الكهف». والمؤلف يحاور بطلة قصته بهذا الحوار الذي طرق به موضوع القدر:

— قل لي أنت قبل كل شيء: ماذا عليك لو أنك أبقيت لي مشلينيا؟... لو أن قلمك تمهل لحظة قصيرة ولم يقصف تلك الحياة لسكنك ضننت بها أيها القاسي الظالوم!

— لست قاسياً ياسيدتي ولا ظلوماً. ولو كنت أملك أمر بقاء مشلينيا دقيقة واحدة لأبقيته لك عن طيب خاطر

— لو كنت تملك؟ ومن غيرك يملك؟

— لا تحمليني يا سيدتي هذه التبعة!

— جميل أن يتنصل خالق من تبعة خلقه كل هذا التنصل!

— آه، ما أظلم الإنسان! وما أحوج الخالقين إلى الرحمة والرثاء في هذا الوجود

— نحن الظالمون وهم المظلومون... شيء بديع!

— إنكم تحملونهم التبعات وترمونهم بالظلم، وهم براء من كل صفة من هذه الصفات. فلا ظلم ولا عدل، ولا قسوة ولا حنان، ولا غضب ولا رضى، تلك عواطف لا يعرفونها ولا يشعرون بها. ولو أصغى إله لصوت آدمي لا نحل السكون في طرفة عين، كما تنحل قصة أهل الكهف لو أني أصغيت إلى شخص واحد من أشخاصها! فأنت تريدين أن أؤخر موت مشلينيا دقيقة، ولا تعلمين أن هذه الدقيقة الواحدة كانت كفيلة أن تغير وجه القصة وتقلب مصير الأشخاص وتلقي عناصر الفوضى في العمل كله. كلا يا سيدتي. إني لم أرد موت مشلينيا ولم أرد بقاءه، ولم أحب ولم أكره، ولم أظلم ولم أعدل، إن الخالق لا يمكن أن يخضع لغير قانون واحد: «التناسق»(١)

فكيف لا يعرف الخالق الذي يحدثنا عنه الأستاذ الحكيم الظلم والعدل والقسوة والحنان والغضب والرضى وهو الذي خلقها؟! وكيف لا يشعر بها وهو يتصف بأكثرها؟ أو أن هذا الذي يصفه الأستاذ طراز من الخالقين طريف: اختصاصه الأبدان وليس من اختصاصه العواطف!

وكيف يجهل هذا الخالق المفاجآت ولا يحسب حساب الظروف وطارئ الطلبات، والمخلوقات يعرفونها ويعدون لها ما استطاعوا من عدة؟! أفينحل السكون العظيم لو أجاب الخالق دعاء إنسان يطلب شيئاً معقولاً هيناً على القدرة الإلهية؟!

وما عزاء المتدين عن مصائبه إذا لم يكن له أمل في رحمة الخالق وفي نعمة الجنة؟ إذن ما أضيع المخلوق!

وما هذا التناسق الغريب الذي لا يكون إلا مركباً من نسبة من الشر لا تنتقص؟! فكيف إذن يكون الحال في الجنة التي لا شر فيها، ألا يكون فيها تناسق؟! كذلك القصص التي ليست مآسي، هل انعدم التناسق فيها؟! فإن يكن المراد «التناسق الذي يقتضيه الحال» فأين إرادة الخالق واختياره؟! وكيف يكون خالقاً من ليست له إرادة ولا اختيار ولا تدبير فيسيطر عليه المقام والسياق والاتفاق! فقد يسوقه التناسق فينساق فيكتب في لوح القدر تراجيدية أو درامة أو كوميدية.. ثم هو بعد ذلك خالق وله قدر!

***

(١) ص ٧٠ — ٧٢، ١٩٣٨

(٢) العروة الوثقى ص ١١٩ — ٢١، بيروت ١٩٣٣

من وحي الريف

ريف وروح ...

للأستاذ حبيب الزحلاوي

السرعة إحدى خصائص العصر ، وهي على رغم أخذها الناس بالسوط تستحثهم على المضي ، تهيب الأديب ، لا تجرؤ على الدنو منه ساعة سبحه في الفراغ الطويل ، أو تأمله بدائع الكون المعظم ، أو انجذابه بسحر الطبيعة ومفاتنها

للأديب الذي يركب القطار من القاهرة إلى الأسكندرية ، أو منها إلى الصعيد بعض العذر في رمي الريف بالصورة الواحدة ذات الوجه واللون الواحد ، وله أن يدعي الملال من الرؤى الرتيبة ، لا لأن طبيعة الريف هي كذلك ، بل لأن أثر السرعة في نفسه أبلغ من أثر تهيئها لتقبل الجمال ولمح قسمات الروعة والبهاء المطوية والمنشورة ، البادية والخافية وللتشبع منها على مهل

والريف كالمرأة في مجموع تكوينها سحر يدرك بالغريزة ، وفي تفصيل قسماتها فتنة تمنيها لطافة الحس بالاشتراك مع الشعور والذوق وتفتق البصيرة

الريف للأديب المتسرع جمال موقوت وبهجة زائلة ، ولقرينه المتأمل هيكل في مباءة الأرواح . . .

ما سمعت من أديب ثناء على ريفنا الصامت ، بل رأيت ملامح الضجر تضج من الصمت فقلت هو ذا مظهر من مظاهر السطحية لا يقوى صاحبها إلا على مسايرة العصر في سرعته وتسرعه ، ويعجز عن مجاراة الروح في سبحه وتأمله وانجذابه

لم ترني « الدقهلية » نخيلاً تبدى لي في الصعيد بقامته المشوقة ، وأغصانه المروشة ، وعناقيده المدلاة ، وبلحه النحاسي القاتم والذهبي الصافي اللون ، بل أرتني منابت الأرز تلبس عشرات ألوان متناسقة متساوقة من خضرة السندسي المفرح ، تسبح في أمواه رقراقة لا تفيض حتى يدرك النبت النضج فيتناوله المنجل ، وكأني سمعتها تقول : « نعوم في أمواهنا نستكمل حياتنا فيها كما يستكملها الأديب الموهوب في حب متقطع متواصل يحيا به حياة دائمة التوقد والالتهاب حتى قطعه المنجل ! »

رأيت فصول العام مستوفاة في أرض الريف في ساعة واحدة هنا وهناك ربيع وخريف للقطن والقمح والأذرة والبرسيم ، وهنالك صيف وشتاء لأرض تتأهب لغرس جديد

إن تعجب يا صاحبي فاعجب لقطان هذا الريف السمح السخي إذ لا شيء أدعى للعجب بله الدهشة من تلقيك عكس ما كنت تتوقع وتتأمل

في طباع قطان الريف جود وبخل ، حلم وسفه ، ظرف

وقد انتهى دور أفلاطون في مسرح الدنيا ، لكن ديكنسون Dickinson استطاع أن يهيء له فيه مرة أخرى دوراً في محاورته « بعد ألفي عام »[1] وهي حوار بين أفلاطون وبين شاب عصري كذلك أسدل الستار على حياة فولتير ووشنطون ونابليون ، لكن مادارياجا Madariaga أنطقهم وبعثهم في الخيال المسطور في « ساحات الفردوس »[2] . وقد رقد المعري بعد مهاد دنياه ولكن الأستاذ العقاد أيقظه ليسجل في صفحات « رجعة أبي العلاء » أنباء رحلته في هذا العصر في الدنيا الحديثة . هذا وإن كان الأستاذ العقاد قد استصوب كلام الأستاذ الحكيم في « كناشة الأسبوع » بقوله :

« وهذا كلام جيل أصيل لا يحل به المؤلف مشكلة بريسكا وحدها ولا مشكلة الفن وحده ، بل لعله يحل به مشكلات كثيرة ، ويكشف به أسراراً كثيرة ، من مشكلات القدر وأسرار الوجود »

لقد أراد الأستاذ الحكيم أن يفسر القدر في القصص فنظر إلى القدر في الوجود فلم يوفق إلى حقيقتهما معاً حيث وفقت شارلوت برونتي إلى تفسير أقدار القصص برأي معقول . وللحكيم العذر في إخفاقه لأنه سلك سبيل القدر الإلهي ، وهو عمي على الأفهام

شجعني على إبداء هذه الملاحظات على « سُنَّة » الأستاذ الحكيم في « مخلوقاته » الروائية ، أنه « خالق » لا يعرف الغضب ولا يشعر به ، وأني لست مخلوقاً روائياً فأدخل في اختصاصه ...

عبد الحميد مصطفى خليل

(١) After Two Thousand Years

(٢) Elysian Fielps

وسماجة ، ذكاء وبلادة ؛ ولعلى لم أتلمس وألتفت إلى الاستكانة وضدها الأنفة ، والتواضع وضده الكبرياء ، والشجاعة يقابلها الجبن ، وسهولة الخلق وتوعره ، لأنها وإن كانت من الصفات التي تسم روح الفلاح بميسم الانطلاق والحرية والاعتماد على النفس ولكنها مكبوتة فيه ، مخنوقة من الجور الذي لا تبلى جدته ، ولا يصدأ معدنه ، الجور الناعم الباسم وقد توارثته الأجيال الحاضرة عن الظالمين والمظلومين من أقدم العصور

والريف وضيء الطلعة ، واضح السنة ، كفتاة في مستهل الصبا ، عفيفة الطوية ، إن تصدت تتصدى لأليفها ، أو للقريب من روحها ، وليس للمحة الخاطفة عندها مهما بان سناها سوى أثر البرق ...

اقتربت من فتيات ريفيات يجنين القطن ، وكنت إذ ذاك متيقظ النفس ، متشوقاً إلى رؤية جني محصول مصر العزيز ، ولكني ما كدت ألقي بالنظرة الخاطفة حتى غامت الرؤى في عيني ...

لقد تذكرت الأديب فخري أبا السعود ، هذا الرجل الذي صدمته الحياة فتغلب عليها بالموت ... تذكرته للفصل الممتع من الكتاب القيم الذي نقله إلى العربية لمؤلفه توماس هاردي في وصف فتيات ريفيات يجمعن القمح في الحقل ، وإني لأنقل شذرة من الفصل للدلالة على أدب السرعة الذي نأخذ ذواتنا به لسهولته وخفته وعلى الأديب الموهوب الذي يندمج في موضوعه فيمتزج به ، فيشيع فيهما روح واحد ، فنسمع تجاوب الروح الواحد ...

« تركت الآلة الحاصدة المحصول وراءها في أكوام صغيرة ، كل كومة منها تصلح لأن تكون حزمة ، وعليها أكب الحاصدون بأيديهم ، وكان معظمهم من النساء ، وكان الرجال يرتدون قمصاناً وسراويلات تجمعها حول أوساطهم أحزمة من الجلد » « أما بنات الجنس الآخر فكن أهم شأناً وأمتع منظراً ، شأن المرأة حين تندمج في مظاهر الطبيعة بدل أن تظهر بينها مجرد ظهور ، كما هي الحال غالباً ، فالرجل في الحقل يبدو شخصية قائمة فيه ، أما المرأة فتبدو جزءاً منه ، قد فقدت استقلال شخصيتها وتشربت روح المنظر المحيط بها ومزجت نفسها به »

وفي هذا الصباح كانت العين ترتد عفواً إلى الفتاة ذات السترة القرنفلية الشاحبة ، إذ كانت أعدل الجميع قداً ، وألينهن غصناً ، ولكنها كانت قد شدت قلنسوتها على جبينها حتى لم يعد يرى شيء من وجهها حين تنحني ، وإن كان من الممكن التنبؤ بلون وجهها بالنظر إلى خصلات شعرها الأسود الرمادي ممتدة من تحت حافة قلنسوتها ، ولعل من أسباب طموح العين إليها أنها لا تحاول اجتذابها ، وأن تلتفت الأخريات حولها من حين إلى حين

وظلت تنحني وتقوم في حركة رتيبة كسير الساعة ، تستخرج من آخر كومة هيئت ملء يمناها من السنابل ، وتضرب قممها براحتها لتسوى رؤوسها ، ثم تنحني ملياً ، وتتقدم ضامة الميدان بكلتا يديها إلى ركبتيها ، وتدفع يسراها ذات القفاز تحت الحزمة لتقابل اليمنى على الجانب الآخر ، معانقة القمح معانقة المحب ، وتجمع أطراف الحزمة وتجلس عليها وهي تربطها ، وتدفع أذيالها إلى أسفل كلما عبث بها النسيم ، وكان جزء من ذراعها يبدو عارياً بين جلد القفاز الخشن وبين كمها ناعماً رقيقاً ، وكلما تقدم النهار انضمت عليه الخدوش وبض منه الدم ، وكانت تعتدل قائمة من حين إلى آخر لتستريح وتصلح من ميدعها وقلنسوتها ، وعندها يرى الناظر وجه فتاة مليحة بيضاوياً ذا عينين سوداوين تحف به خصلات من الشعر الأسود سبطة تعلق بكل شيء تقع عليه ، وكان خداها أشد شحوباً ، وشفتاها الحمراوان أرق ، وأسنانها أكثر تناسقاً مما يشاهد في بنات الريف »

سلام على ريفنا اللهم ، وعلى أديب ليستلهم فيصور ، ورحمة لفخري أبي السعود فقد عاش وكتب بدمه ، ومات وهو يعلم أن الدم روح مسفوكة .

حبيب الزحلاوي



١ — صاحب السلطان الحقيقى

وهذا صاحب سلطان آخر لم أدر بادئ الرأى ماذا أسميه ، وترددت بين أن أنعتـه بصاحب السلطان الثعلبان وأن أسميه صاحب السلطان المهرج أو المشعوذ أو النصاب ، حتى رأيتنى أدعوه آخر الأمر على رغمى صاحب السلطان الحقيقى ، ولعلها بعد كرامة من كراماته ! والحق أنى لم أر حتى اليوم من أصحاب السلطان من بلغ من الجاه نصف ما بلغه منه ذلك الألعبان الثعلبان

دخل الحجرة فى نفر من حاشيته فسلم مسبل العينين خافض الجناح مطأطئ الرأس يكاد يتهدم من الضعف ويبدو كأنما ينوء بعمامته الحمراء الضخمة التى تعلو جبينـه العريض ، والتى زاد فى حمرتها شدة بياض لحيته وشعر عارضيه وفوديه ؛ وجلس وهو يلملم هلاهيله ويضمها بحيث لا تخفى مسبحته العظيمة التى تدور بعنقه وتتدلى إلى منتصف بطنه ، وما برح يتمتم ويحرك شفتيه وهو يخلع نعليه حتى تربع على الكنبة وأسند عصاه إلى جانبه

وأحسست وقد استوى على الأريكة جواً من الهيبة يشيع فى المكان كله ، فقد سكت الجلوس سكوناً لم تتخلله إلا عبارات الترحيب والتحيات تزجى إلى الشيخ من كل ناحية ، وهو لا يرد إلا همساً كأنما يحدث نفسه ؛ وما دخل إنسان من أهل القرية تلك (المنظرة) التى جلس فيها الشيخ ، والتى اتخذها العمدة مكان سهره وموضعاً للفصل بين المتخاصمين ، حتى أقبل على الشيخ فتناول يده من فوق المتكأ فلثمها وردها إلى مكانها فى خشوع ورهبة وفى نفسه من الغبطة من لثم يد الشيخ ما ينسيه قضيته إن كان صاحب قضية ، أو يذهب كربته إن كان ذا كربة ...

وما رأيت قط صاحب قضية جرؤ على الإفضاء بما جاء من أجله فى حضرة الشيخ ، فليس من اللائق أن ينشغل المجلس عن الشيخ بقضية من القضايا مهما بلغ من خطرها ، وإن كان الشيخ ليبدو وكأنه فى شغل عمن حوله بما هو فيه من تمتمته وإطراقه

ولبث الشيخ على تلك الحال إلى أن رأيته ورآه من فى الحجرة يهز رأسه هزاً عنيفاً ذات اليمين وذات الشمال ثم يدق كفاً بكف قائلاً فى صوت مرتفع وعيناه مغمضتان: «الله: الله لطيف بعباده .. حى يا قيوم اصرف عنا الأذى ... إصرف عنا الأذى يا ألله !»

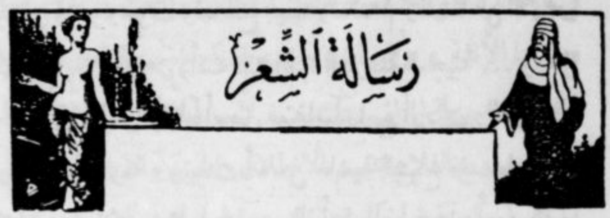
ونهض الشيخ فراح يمشى فى الحجرة جيئة وذهاباً وفى وجهه عبوس وضجر وخوف وقد فتح عينيه ولكنه لم يرفعهما عن الأرض كما أنه لم يفتر عن هز رأسه تلك الهزة السريعة العجيبة ... ودخل الحجرة فتى يلبس جلباباً أبيض فضفاضاً واسع الردنين والطوق إلى درجة غير مألوفة ، وتبينت أنه من حاشية الشيخ فقد جلس بين أصحابه دون أن يسلم على أحد حتى على أهل المنزل وهذه أمور يتقنها هؤلاء «المجاذيب» وينفردون بها من دون الناس إلا من المجانين

ورأيت الشيخ يلمحه عند دخوله لمحة خاطفة ما أحسب أحداً لاحظها لفرط سرعتها ؛ وبعد أن قطع الشيخ الحجرة فى ذهابه ومجيئه بضع مرات عاد إلى مكانه وجلس فأطرق قليلاً ثم هب واقفاً فى حركة «بهلوانية» عجيبة كأنما أطلقه لولب خفى وصاح قائلاً : «يا خفى الألطاف» وعاد فجلس والعيون ترمقه فى دهشة وحيرة . ودخل الخادم يقدم القهوة فبدأ بالشيخ ولكن الشيخ أشار إليه بيده إشارة عصبية، ونهض اثنان من دراويشه فصرفا الخادم عنه لأنهما يعلمان من حال شيخهما ما لا يعلمه ذلك الخادم الذى التقت الدهشة فى وجهه بالرهبة والاحتشام . ثم إن الشيخ عاد فوثب من موضعه وثبة من لدغته عقرب لدغة أطارت صوابه وصاح فى صوت مزعج : «يا لطيف ! يا لطيف ... حوش يارب حوش بحق جاه سيد المرسلين ... ألطف يا لطيف سقت عليك النبى ... سليمة إن شاء الله ، قلنا يا نار كونى برداً وسلاماً ... »

ولم يكد يتم كلامه حتى سمع الجالسون صفير الخفراء من أطراف القرية البعيدة ، وحضر العمدة ومعه بعض الرجال ، ثم عادوا بعد حين يعلنون أن الحرائق الثلاث أخمدت سريعاً والحمد لله . ونهض الشيخ يريد الخروج فقد رأى فى وجه العمدة ما لا يخفى معناه عليه ، وخرج الناس وراءه وما منهم إلا من يتمسح به ويزحم غيره ليحظى بلثم يديه فإن لم يستطع قنع بلثم ردائه ، وقد ازداد الشيخ عظامة فى نفوسهم بما أظهر من كرامة لا تنكر ؛ ولما كانوا عند الباب الخارجى سمع لغط شديد وجلبة تتخللها الأيمان بالله وبالطلاق ، وتبينا أن كلاً من هؤلاء يتمسك بأن ينال شرف مبيت الشيخ عنده ؛ وفصل الشيخ فى الأمر بإشارة منه أذعن لها الجميع فقد اختار من بينهم من يضيفه وأنعم عليه بهذا الشرف العظيم .

ودارت الأيام ورأيت الشيخ فى مواطن كثيرة ، أرجو أن أسوق إلى قارئى العزيز بعض ما التقطه منظارى منها ليؤمن معى إن لم يكن قد آمن بعد بأن الشيخ هو على رغم الناشئين المنكرين من أمثالى صاحب السلطان الحقيقى .

الخفيف



ميعاد ليلة الأحد

للأستاذ صالح جودت

والضحى ، والغدائرِ الذهبِ   والعيونِ الشهباء كالسُّحُبِ
وبخديكِ كأسَيْ العنبِ   وبنهديكِ حُلْوَيْ اللعبِ
قَسَمٌ صنتُهُ عن الكذبِ

ذكريات اللقاء لم تَنَمِ   يقظاتٍ في مهجتي ودمي
غردات في نظرتي وفمي   فبحقي ، وحقّ ذا القَسَمِ
هل تُعيدين ليلة الهرمِ ؟

ليلة كابتسامة القَـدَرِ   كنتِ فيها أحلى من القمرِ
جمعتنا بجانب حَـذِرِ   من أبي الهول ساخر النظر
ليت لي مثل قلبه الحجري !

قد رآنا بطرْفِ مُقلتِـهِ   ننقش العهد فوق رَمْلتِهِ
يا لجهـل الصِّبا وضلّته   وغرورِ الهوى وغفلتـه
درس العهدُ منـذ ليلتِهِ

أين ميعادُ ليـلةِ الأحَدِ ؟   أين ميثاقنـا إلى الأبدِ ؟
أتصونينه ؟ بل اقتصدي   وتعالَيْ هنيهـةً تجِدي
إنني في الثرى دفنتُ غَدِي

نصف عامٍ مضى ولم أركِ   أيُّ أمرٍ جرى فأخَّرَكِ ؟
أحبيبٌ عَلَيَّ غـيَّرَكِ ؟   أم طبيبٌ رأى فأخْبَرَكِ
أنني قد وقعتُ في الشَّرَكِ ؟

علمي الرفقَ قلبكِ القاسي   ذكِّري بي فؤادكِ الناسي
ملأ الحب بالضّنى كاسي   فارفقي ساعةً بإحساسي
أنا ما عُدتُ غيرَ أنفاسِ !

بعد عام

ثورة ...

[مهداة إلى أخي الأستاذ محمود الحنيف]

للأستاذ أحمد فتحي مرسي

أَسْبِلْ جُفُونَ العَيْنِ يا ساهِرُ   وَخَفِّضِ الثَّوْرَةَ يا ثائِرُ
اللَّيْلُ حَوْلَيْكَ بعيدُ المَدَى   لا أَوَّلٌ يُرْجَى وَلا آخِرُ
والنَّجْمُ رَجَّافُ السَّنا واهِنٌ   يَنْفُخُ فِيهِ العاصِفُ الماطِرُ
والكأسُ في كَفَّيْكَ قَدْ أَوْشَكَتْ   تَنْطِقُ : دَعْ جَنْبَيَّ يا ساكِرُ
خَواطِرٌ زارَتْكَ ما تَنْتَهي   فَزائِرٌ مِنْ بَعْدِهِ زائِرُ
أَتاكَ اللهُ ... أَمَا لَحْظَةً   يَثُوبُ فيها رأْسُكَ الحائِرُ
يا نَفْسُ قَدْ أَوْهَيْتِ جِسْماً وَهَى   وَهَدَّ مِنْهُ وَحْيُكِ الآمِرُ
ما الخُلْدُ ؟ ما يُغْرِيكِ ؟ ما لَفْظَةٌ   جَوْفاءُ قَدْ أَرْسَلَها ساخِرُ
فالنَّجْمُ إِنْ غابَ عَلَى أُفْقِهِ   لا يَحْفِلَنْ بالغَيْبَةِ النّاظِرُ
رَفِيقَةَ « الدَّانُوبِ » طالَ المَدَى   وَنالَ مِنّا الزَّمَنُ الجائِرُ
واسْتَأْنَتِ الأَيّامُ في سَيْرِها   وَعادَ يَحْبُو الفَلَكُ الدّائِرُ
وَبَيْنَنا دُنْيا عَلَى رَحْبِها   يَزْحَمُها القاتِلُ والآسِرُ
يَجُولُ فيها السّابِحُ المُتَّقِي   في سَبْحِهِ والصّاعِقُ الطّائِرُ
تَساقَطَ الضَّعْفَى بِأَرْجائِها   وَسارَ فيها الغالِبُ الظّافِرُ
لَوْ تَعْلَمِينَ اليَوْمَ ما سَطَّرَتْ   كَفِّي وَما فاضَ بِهِ الخاطِرُ
لَفاضَ مِنْ عَيْنَيْكِ - أَفْدِيهِما   بالرُّوحِ - يَجْرِي دَمْعُكِ الطّاهِرُ
أَتَذْكُرِينَ اللَّيْلَ إِذْ لَفَّنا   وَضَمَّنا زَوْرَقُنا العابِرُ
مُدَلَّلُ الخُطْوَةِ فِي عَبْرِهِ   يبدو وَيَخْفَى صَدْرُهُ الماخِرُ
وَيَنْثُرُ الأَمْواهَ فِي هَيْنَةٍ   مِنْ حَوْلِهِ مِجْدافُهُ النّاثِرُ
وَزُرْقَةُ « الدّانُوبِ » تَمْضِي بِنا   وَيَسْتَبِينا لَوْنُها الزّاهِرُ
تَلَصُّ مِنْ عَيْنَيْكِ لَوْنَيْهِما   وَأَيْنَ مِنْها سِحْرُكِ السّاحِرُ
وَالكأسُ فِي كَفَّيْكِ قَدْ أَشْرَقَتْ   وَضاءَ مِنْها وَجْهُكِ النّاضِرُ



تشابه الفكرة عند الأدباء

دعاني الأستاذ محمد الرفاعي إلى الفصل فيما نقل الأستاذ أحمد أمين عن الأستاذ توفيق الحكيم ، وأجيب بأن هذه القضية لا تحتاج إلى تحقيق ، فقد رأى في البحوث التي نشرتها الرسالة عن « جناية أحمد أمين على الأدب العربي » أن هذا الرجل الفاضل لا يهمه أن يرد الحقوق إلى أربابها إلا في موطن واحد ، هو الموطن الذي يقول فيه إنه استأنس بآراء المستشرقين ، ليقال : إنه يطلع على أقوال المستشرقين !

وهنا أذكر الغضبة المضرية ، غضبة الأستاذ الدمرداش ، حين حدثته في بغداد عن تهافت الأستاذ أحمد أمين في مقدمة الجزء الثالث من « ضحى الإسلام » ، فقد حدّث قراءه بأنه كان ينوي تأليف جزء رابع عن الأندلس ، ثم نهاه أحد المستشرقين فانتهى ، ونصحه فانتصح ، ومعنى ذلك أنه لا يتقدم ولا يتأخر إلا بوحي يصدرُ عن أمثال أولئك الناس !

والأستاذ الدمرداش معذور ، لأنه لا يساير حركة الترجمة والتأليف ، ولأنه يؤمن بأن أحمد أمين فوق الشبهة والظنون ، وتلك خصلة تستحق الثناء ، لأنها تشهد بأن الأستاذ الدمرداش رجلٌ حكيم ، والرجل الحكيم يرى المشكلات الأدبية من وجع الدماغ !

ولو أن الأستاذ محمد الرفاعي رجع إلى أحد أعداد الرسالة في سنة ١٩٣٤ ، لرأى أن الأستاذ أحمد أمين لم يعب على صاحب « النثر الفني » غير آفة واحدة ، هي النص على ما سرق منه الدكتور طه حسين ، ومعنى هذا أن السرقة لا تعاب ، وإنما هي من الرزق الحلال !

والحق أني أخطأت نحو نفسي في التنبيه على ما سرق مني طه حسين ، وما سرق مني أحمد أمين . فهذان رجلان فاضلان جداً ، وفي مقدورهما أن يشهدا صادقين بأنني الرجل المهذّب ، إذا تواضعتُ فصرحتُ بأنني المعتدي الأثيم على ما لهما من أفكار وآراء

أخطأت ، وأخطأت ، ثم أخطأت ، وإن غضب الأستاذ إسعاف النشاشيبي على هذا التعبير ، فقد أنكر وروده في كتاب « ليلى المريضة في العراق »

وَقُلْتِ و « الدّانوبُ » في لَغْوِهِ … مَاذَا يَقُولُ الأزْرَقُ الهادِرُ
فَقُلْتُ وَالقُبْلَةُ فِي خَاطِرِي … يقولُ هَيَّا . بادِرُوا : بادِرُوا
وَاقْتَرَبَتْ أعْطافُنَا وَاحْتَوَى … صَدْرَكِ صَدْرِي النّاحِلُ الضّامِرُ
وَاتّحَدَ النَّبْضَانِ فِي لَحْظَةٍ … فِدًى لَهَا مَاضِيَّ وَالحَاضِرُ
لَوْ قَلَبَ الزَّوْرَقُ مِنْ تَحْتِنَا … لَمْ يَشْعُرَنْ مِنّا به شاعِرُ
أوْ لَفّنَا الزّاخِرُ فِي مَوْجِهِ … لَمْ نَدْرِ مَاذَا فَعَلَ الزّاخِرُ
وَأيُّنَا المُبْتَلُّ فِي مائِهِ … وَأيُّنَا المَرْضُوضُ وَالخائِرُ
يا قلبُ ما الذِّكْرَى لنا ، خَلِّهَا … لاَ يَنْتَهِي مَا يَذْكُرُ الذّاكِرُ
يا طَاوِيَ الصَّحْرَاء ، في ظُلْمَةٍ … ضَلَلْتَهَا ، ما أنتَ وَالآخِرُ
وَسَائِلٍ أيْنَ أغانٍ مَضَتْ … وَأيْنَ أَلْحانُكَ يا شاعِرُ
وَمُسْكِرَاتُ اللفظِ أيْنَ انطَوَتْ … وَأيْنَ وَلّى وَحْيُكَ النّافِرُ
وَأيْنَ مِنْ وَجْهِكَ إشْرَاقَةٌ … وَضّاءةٌ ، أيْنَ الصِّبَا البَاكِرُ
مَرّتْ بِكَ البَسْمَةُ فِي جَفْوَةٍ … كما يَمُرُّ العاجِلُ السّائِرُ

فقلتُ ما ضَرَّكِ صَمْتُ امرِئٍ … طَوَاهُ جَدٌّ مُظْلِمٌ عاثِرُ
الصَّمْتُ أحْرَى بِيَ فِي أُمَّةٍ … أُمِّيُّهَا كاتِبُهَا القَادِرُ
يَسُودُهَا العِيُّ وَيَسْمُو بها … وَلاَ يَسُودُ النّاطِقُ الجَاهِرُ
أشْرِعَةُ الإنْصَافِ في الدَّهْرِ أنْ … يَسْتَوِيَ المَقْهُورُ وَالقَاهِرُ
وَكلُّ ما أعْجَزَ فِي فَهْمِهِ … بها بَيَانٌ سائِغٌ بَاهِرُ
لِلّهِ صَوْتٌ رَنّ في أُفْقِهَا … أخْفَتَهُ دَهْرٌ بِهِ غَادِرُ
وَأنْكَرَتْ دُنْيَايَ سَعْيِي بِهَا … وَالضّوْءُ لاَ يُنْكِرُهُ النّاظِرُ
حَتّى يَكَادَ الصَّبْرُ مِنْ ضِيقِهَا … يَهْتِفُ لاَ كانَ الفَتَى الصّابِرُ
إنْ نَالَ قَلْبِي اليَأْسُ في سَاحِهَا … فَغَفْرَكَ اللّهُمَّ يَا غَافِرُ
كَأَنّنِي فِي يَدِهَا مُصْحَفٌ … ضَاقَ السَّنَا يَحْمِلُهُ كافِرُ
شِعْرِي وَأَنْتَ القَلْبُ قَدْ صَاغَهُ … لَفْظًا بَنَانٌ صَنَعٌ مَاهِرُ
أنْتَ مَلاَذِي إنْ ألَمَّ الأَسَى … وَسَامِرِي إنْ أعْوَزَ السّامِرُ
كُنْ نَاصِرِي فِي عَالَمٍ خَادِعٍ … إنْ عَزَّ فِيهِ الخِلُّ وَالنّاصِرُ

ولكن الشبهة باقية ، شبهة السرقة الأدبية ، السرقة التي يستبيحها أحمد أمين وطه حسين ، وهما رجلان شهد لهما قلمي بالسبق في بعض الميادين

آه ، ثم آه ! !

يراد منا أن نخدم الأدب بأمانة وصدق ، ثم يراد منا في الوقت نفسه أن نكون متجمّلين متلطفين ، فأين من يدلنا على أساليب التجمل والتلطف في الأخذ بنواصي الناهبين لأفكار الكتاب ، وآراء الشعراء ؟

النقد الأدبي محنةٌ عاتية ، فلنحتمل بلاياها صابرين

زكي مبارك

حول كتاب « المنتخبات »

أخي محرر الرسالة الغراء

سلاماً وتحية وبعد فقد قرأت الكلمة الطيبة التي خصّني بها الأستاذ الدكتور زكي مبارك في الرسالة عند ما عرض للكلام في كتاب المنتخبات لأستاذنا الكبير أحمد لطفي السيد باشا والله يعلم أني لموقن بأني لم أنتج شيئاً له من القيمة ما يستحق ذلك الثناء . ولكن الدكتور أبى إلاّ أن يكون أسبق بالفضل .

أما مأخذه على كلمة « أهل » بمعنى : Generation والتي يستعمل الكتاب كلمة « جيل » لتقابلها فأظن أني على حق في استعمالها في هذا المعنى . فإن « الجيل » في العربية هو : الصّنف من الناس ؟ فالمصريون جيل والإنجليز جيل والفرنسيون جيل ؛ أما الأهل فيقصد به الطبقة الواحدة المتعاصرة من الناس . وشاهدنا على ذلك شعر للنابغة الجعدي قال :

لَبِسْتُ أُناساً فأفنيتهم   وأفنيت بَعد أُناسٍ أُناسا
ثلاثةَ أهلِينَ أفنيتُهُمْ   وكان الإلهُ هو المُستآسا

(أنظر الأغاني ص ٦ ج ٥ طبعة دار الكتب)

وأنشد (أي النابغة الجعدي) عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أبياته التي يقول فيها : ثلاثة أهلين أفنيتهم ؛ فقال له عمر : كم لَبِثتَ مع كل أهلٍ : قال سِتّين سنة (أنظر الأغاني ص ٧ ج ٥)

فالأهل إذن هو المعنى الحرفي لكلمة : Generation ؛ وكفى بما نقلت شاهداً - ومن العجيب أن هذا المعنى لم يثبت لكلمة « أهل » في القاموس واللسان ، فعسى أن يُلتفت إليه في المعجم الوسيط الذي يضعه المجمع اللغوي .

اسماعيل مظهر

موسى

رداً على كلمة الأستاذ محمود أبو السعود بالعدد ٣٨٨ من مجلة الرسالة الغراء أقول إني مصر على أن كلمة « موسى » ليست مصرية ، وذلك بعد أن بحثت عنها بحثاً هيرغليفياً دقيقاً ، وإنها ليست بمعنى عبد كما قال فرويد وغيره ولكني لم أتعرض لأصلها وكانت كل كتابتي أن أبين حقيقتها من الناحية المصرية فقط

وكل ما كتبه حضرات الكتاب الأفاضل عن أنها مشتقة من كلمة « موشا » القبطية التي صحتها موشي « مو » بمعنى « ماء » وشي بمعنى « شجر » على اعتبار أن اللغة القبطية هي الدور الأخير للغة المصرية القديمة ، وأولت على أنه وجد بين الماء والشجر فهذا كله من الحدس والتخمين لا أكثر ولا أقل

وأنا أميل إلى أن هذا الاسم عبري لعدم ورود ما يشابهه علينا أثناء دراستنا المصرية القديمة

وهو مشتق من كلمة « موشي تيو » العبرية أي الذي وجد سابحاً على وجه ماء النيل وانتشلته ابنة فرعون . وتقول القائمة الرسمية للاسرائيليين أن « موسى » ولد بالجيزة قرب منطقة الأهرام ٣٣٣٣

ومن كل ما ذكر لا نشك قط في أن موسى كان عبرياً اسماً وأصلاً

محمد صابر

إخصائي في الآثار المصرية القديمة

التماثيل الملوك

حضرة الأستاذ محمد كامل حتة ...

قرأت تصويبكم وتعليقكم على أبيات اللورد دنساني وأحسب الشبه قريباً جداً بين موقف البحتري أمام تماثيل ملوك الفرس ، وبين موقف اللورد أمام التماثيل المصرية . وقد قال البحتري :

يغتلي فيهمو ارتيابي حتى   تتقراهمو يداي بلمس
تصف العين أنهم جد أحيا   ء لهم بينهم إشارة خرس

فتحدث عن التماثيل بضمير العاقل وعناها هي لا الذين تمثلهم . وأحسب اللورد دنساني حين خاطب التماثيل وأثبت جوابها إنما عناها هي فهي التي شاهدت تطور الزمن ، وهي هي عنده الملوك

الأربعة فهى التماثيل الملوك لا تماثيل الملوك . وعندئذ لا أحسب من التصويب أن يقال إنها أربعة تماثيل لملك واحد . بل أحسب أن رمسيس إنما عنى بإقامة أربعة تماثيل أن يجمل منها أربعة ملوك، والمجال فى الفن كله من إقامة التماثيل أو من مناجاتها مجال خيال وللتحقيق التاريخى قيمته على كل حال ، ولكن التصويب إنما يكون فى موضع الخطأ ، ولا خطأ فى قول يقول :

وتوهمت أن كسرى أبرويز معاطى ...

ولا فى قول من يقول : فتخيلت ما أجابنى به الملوك الثلاثة لأن رابعهم كان قد كسر عند منتصفه فانشطر إلى شطرين ، ولم ينكسر ملك وإنما انكسر تمثال ...

ولكم خالص الشكر ... عبد اللطيف النشار

تأنيث الشمس وتذكير القمر !

يستنكر الأستاذ العقاد على العرب أن يذكروا القمر « وهو مقرون بالحنين والحياء ، موصوف بالاتباع والاقتفاء ، قليل فيه ساطى المضاء ، وساطع الضياء ، عارض له من المحاق ما يعرض للنساء» ، ويؤنثوا الشمس وهى مصدر الحياة والحيوية ؛ وذلك على عكس أكثر اللغات . ثم تساءل : « أهى زلة من زلات البداهة عند الشرقيين ، أم هم المستضعفون الأنوثة لا يفطنون لهذا المعنى الذى فطن له الغربيون ؟ أم هو إيمان فى البداهة أدركوا به من سطوة المرأة ما لم يدركه مذكرو الشمس ومؤنثو القمر ، وأقاموا به ما عكسه أولئك الخاطئون ؟ »

والحقيقة أنها ليست زلة من زلات البداهة عند الشرقيين أو الغربيين ، وليست إيماناً فى البداهة من أى الفريقين ، ولكنها اختلاف نظر وملاحظة

فالغربيون لاحظوا فى التأنيث الرقة والوداعة ، والاستسلام والليونة فكان « القمر » مؤنثاً ، ولاحظوا فى التذكير القوة والفتوة ، والقسوة والغلظة فكانت « الشمس » مذكرة عندهم .

أما الشرقيون فلاحظوا في الأنوثة الخصب ، والإنتاج ، والإخراج والولادة فكانت « الشمس » مؤنثة . والشمس هى التى ترسل بأذرعتها إلى معانقة الأكام فتتفتح ، وتبعث بها إلى الثمار فتنضج ، وتبخر المياه فى البحار ، وتحرك السحاب فى السماء فهى منتجة أى إنتاج ، مخصبة أعظم إخصاب . ولاحظوا فى الذكورة العقم ، وعدم الإنتاج والإخراج ، فكان « القمر » مذكراً

والقمر لا أشعته تذيب جلمداً ، ولا تهيج ساكناً

ومنشأ ذلك ـ كما يقول المازنى ، عافاه الله ـ « لأن آباءنا الأولين كانوا يقيسون حياة الطبيعة على حياتهم ، ويتصورونها قائمة على ما تقوم عليه حياتهم من التناسل وغيره . ومن هنا أنثوا الشمس فى لغتنا والريح وغيرها » من أرض ونخلة وروضة .

فالريح — مثلاً — أنثت دون الهواء ، لما بينهما من فرق فى الخصب والإنتاج ؛ فالهواء المادىّ لا يحمل الديم ، ولا ينقل اللقاح ، وعلى العكس من ذلك « الريح » فهى تفعل ذلك وأكثر منه

(الزقازيق) السعيد جمعة

أسرة الشعر بدار العلوم العليا

كون لفيف من أساتذة الأدب العربى بدار العلوم العليا أسرة للشعر تنتظم الطلبة الشعراء بالدار ، وقد أسندت رياستها للشاعر الكبير صاحب العزة الأستاذ على الجارم بك . وعقد الاجتماع الأول بمكتب الرئيس لرسم الخطوات البدائية للاحتفال بموسم الشعر بدار العلوم . وقد اختير « أحمد عبد المجيد الغزالى » للقيام بأعمال سكرتارية الأسرة

وفيما يلى أسماء الأعضاء من مختلف سنى الدراسة :

توفيق محمد جبر ، عبد الحليم داود ، عبد الرءوف عون ، عبد الستار فراج ، عباس الصاوى ، محمود شافع ، تمام حسان عمر ، عبد الرحمن أيوب ، أحمد شلبى ، عبد العزيز المندورى ، عبد العظيم دسوق ، سيد أحمد باشا ، مصطفى زيد



عبء السلطة

للروائي اليوغسلافي ميلان بوجلج

ولد « ميلان بوجلج » سنة ١٨٨٣ في مدينة ستيريا على الحدود بين سويسرا وبين الجانب الجنوبي الغربي من النمسا ، وكان أبوه مدرساً في قرية . وبدأ « ميلان » ينظم الشعر وهو طالب . ثم اشتهرت كتاباته النثرية حتى أصبح من كتاب لغته المعدودين . وهو من أنصار المذهب الواقعي وفيه فكاهة قوية ، وله مجموعات قصصية كثيرة . وقد تولى إدارة المسرح الملكي في يوغسلافيا في وقت ما .

كان كاتب العمدة جالساً إلى مكتبه وهو شاب طويل القامة نحيل ، وكان على أذنه قلم وفي يده قلم آخر يكتب به في سكون على ورقة أميرية

وكان يجلس في ركن الحجرة رجل من السوقة تبدو عليه علائم التشرد والشر وهو غريب عن القرية ، وكان قد دخلها بغير مبرر ظاهر منكراً اسمه ومسقط رأسه

دخل العمدة وظل واقفاً عند الباب حتى تنبه الكاتب إلى وجوده لحياه ، فاقترب العمدة من المكتب ونظر إلى الورقة وقال ويداه في جيبه : ما الذي تكتبه في هذا الصباح ؟

قال الكاتب : لقد استدعيت هذا المتشرد وأجلسته بجانب الموقد وبدأت أكتب تقريراً عن صفاته الجثمانية لأرسله إلى المركز

ثم لمس الكاتب جبينه واستأنف الكتابة ، ومشى العمدة نحو المتشرد البائس فتأمل ثيابه الخلقة وقدميه الحافيتين وعينيه الرماديتين الدائمتي الاختلاج وصاح به : « ما الذي جاء بك إلى هنا أيها المتشرد ؟ هل سقطت علينا من السماء ؟ قل الحق من أين جئت وإلى أين تريد الذهاب ؟ »

فهز الرجل كتفيه وقال : « لا أعرف ! لا أعرف »
واستمر العمدة يسأل واستمر المتشرد يجيبه نفس الجواب

ولما كاد صبر العمدة أن ينفد طرق الباب طارق، ودخل طحان القرية وهو قصير هزيل ورفع قبعته في احترام وتنحنح قليلاً ، ثم قال : « على شاطىء النهر بقرب الطاحون وجدت غريقين أظنهما انتحرا ... إن شكلهما غريب وقد وجدت كلاً منهما مستلقياً على ظهره فوق الحشائش، ويد كل منهما في يد الآخر - يده اليمنى مشتبكة في يدها اليسرى . إنني لم أشهد بغير الحق » .

بدت علائم الدهشة على العمدة ومد ذراعيه ونظر إلى كاتبه الذي نهض مسرعاً ، ورفع القلم الذي في أذنه واستعد لكتابة ما شهد به الطحان

وهنا صاح المتشرد بشكل يدل على الاهتمام : « هل هما ميتان ؟ » فضرب الطحان بيديه على ركبتيه وهو يضحك : « نعم هما ميتان بالطبع »

وأمر العمدة المتشرد بلزوم مكانه ولزوم الصمت، وقال الطحان للعمدة : « لقد جئت لأخبرك لكي تأمر بنقل الجثتين من مزرعتي »

فقال العمدة وهو يلمس بأصابع يديه جانبي رأسه : « حسن ! حسن ! إذهب وسأتبعك لأعاين الجثتين »

ومشى الطحان وظل يعبث بأظافره في شعر رأسه ثم التفت إلى المتشرد وقال : « أنظر أيها الوغد الذي لا يصلح لشيء . هذه هي أعمال أصحابك المتشردين ، إنهم يذهبون مع الشيطان في كل طريق ونحن الذين لا ذنب لنا نعاني نتائج شروركم »

ثم التفت إلى الكاتب وقال : « ما الذي نفعل ؟ عندنا الآن متشرد حي ومتشردان ميتان ، فما الذي نفعله بهم ؟ لعنة الله على هؤلاء المتشردين »

فهز الكاتب رأسه وقال : « إن حياتهم معصية لله وخزي للناس ، وهم حتى بعد الموت يضايقون خلق الله »

قال العمدة : « ولكن علينا عملاً نعمله قبل كل شيء » .
فقال الكاتب : « نعم يجب علينا أن نبلغ السلطات ثم ندفن الميتين على نفقة البلدية »

قال العمدة بلهجة التوكيد مناقضاً كاتبه ومستشاره : « كلا فإن أموال القرية لا تنفق على هؤلاء المتشردين الأفاقين . يجب أن نعرف من أين أتوا ، ثم ... ثم ... »

فقال الكاتب وهو أكثر تجربة من العمدة : « إن هذا لا يصلح، وإن النهر يحمل الجثث من أماكن بعيدة، وأنا أتذكر أنه حمل إلينا مرة جثة من مدينة تبعد أربعة عشر ميلاً ، وقد بقيت تلك الجثة أربعة أيام قبل الدفن ، فكتبنا إلى جهات متعددة ، فلم نهتد إلا بعد ثلاثة أعوام إلى المكان الذي غرقت فيه »

قال العمدة : « إذن فلماذا نكتب إلى السلطات ؟ ... ثلاثة أعوام ! » فقال الكاتب : « نحن في هذه الأيام مضطرون إلى إبلاغ السلطات ولو كان القتيل هرة »

قال العمدة : إذن فاكتب إلى السلطات في الحال . فقال الكاتب وهو يحاول صياغة جملته في الصيغة الرسمية : ولكن يا حضرة العمدة أنا الآن مشغول جداً بكتابة التقرير عن هذا المتشرد وذهني مركز في هذه القضية فقط ولا أستطيع تركها للاشتغال بقضية أخرى ... اسمع يا حضرة العمدة ... ثم رفع عن المكتب ورقة وأخذ يقرأ :

حضرة صاحب العزة مأمور مركز . . .

بالنظر إلى مرور أحد المتشردين في زمام هذه القرية ، وبالنظر إلى أن هذا المتشرد ينكر اسمه واسم بلده فقد حررنا هذا التقرير بتشبيهه :

« متشرد غير معلوم موطنه ، مجهول الاسم ، حافي القدمين ، نحيل ، أصبع قدمه الكبرى معوجة ، في ذقنه شعر قليل مثل شعر الثعلب ، أنفه محدودب رفيع مائل قليلاً إلى الجانب الأيسر وعند ما يتكلم تهتز لحيته مثل الأرنب ، ومشيته كمشية الثور . أي أن خطوته قصيرة ، وركبته بطيئة الحركة ، وإذا شده إنسان من أذنه اليمنى تهدلت شفته السفلى وأغمض عينه اليسرى »

وكف الكاتب عن القراءة وبدا عليه الزهو وشعور الثقة بالنفس وقال : « من المحال أن أقف عند هذا الحد من التقرير ، فإن أفكاري مركزة وقد حرصت على الدقة »

ظن العمدة أنه قد فهم وقال : « هذا حسن فاقتصر أنت على نظر قضية المتشرد وسأنظر القضية الجديدة . هات ورقاً وقلماً جديداً وسأفكر وأكتب تقريراً للمركز »

وبعد دقيقة كان العمدة يبدأ في كتابة الخطاب . وبعد ساعة فرغ منه

استدعى العمدة كاتبه القدير وقال : « اسمع وقل لي رأيك ؟

حضرة صاحب العزة مأمور مركز . . .

إن النهر ألقى على زمام القرية غريقين وجدا عند الطاحون ... وجاء الطحان وقال لي : يا عمدة أبعدهما عن أرضي ... فأنا العمدة أرجو من عزتكم إخباري بما أفعل ... إن الناس يشيرون بدفنهما ، ومن رأيي ذلك ، فأرجو صدور التعليمات اللازمة »

هز الكاتب رأسه وقال : « من المستحيل إرسال هذا الخطاب فإن لهجته غير رسمية »

قال العمدة في نفسه : « غير رسمية ؟ وماذا يكون الخطاب الرسمي إذن ؟ »

تناول الكاتب الخطاب وقال : إن في المركز موظفين محترمين ولن يعجبهم خط هذا الخطاب

قال العمدة : ولماذا لا تكتبه أنت ؟ أليس وجودك هنا من أجل هذا الغرض ؟

فقال الكاتب : نعم ، عفواً يا حضرة العمدة ، الأفضل ترك هذا التقرير مؤقتاً

ثم قام الكاتب فجلس أمام العمدة ووضع في القلم سناً جديداً وبدأ يكتب . ووقف العمدة في وسط الغرفة يتأمل في خط كاتبه والمتشرد متبلد في مكانه يراقب هذين الموظفين ، وكان وجه الكاتب مخضباً بالاحمرار لزهوه وتحمسه وثقته بأهمية نفسه

وانتهى من كتابة الخطاب فوقف وأخذ يتلو خطابه مرتلاً كما لو كان يقرأ قصيدة من الشعر ، وكان العمدة يصغي وهو معجب بهذا الأثر الرسمي البديع ، ثم قال وهو يعبث بأظافره في شعر رأسه : يجب أن تذهب الآن إلى الطحان

وأدخلا المتشرد في سجن « الدوار » وذهبا فقادهما الطحان إلى مكان الغريقين عند حافة الماء ، فلم يريا على وجهي الجثتين ما يدل على أثر جريمة ، بل كانا يظهران كما يظهر وجها نائمين يحلمان ببعض أحلام الحب ، وبدأ الكاتب يهز رأسه الضيق الجبين وقال : يظهر لي أنها جريمته هو

فقال العمدة : بل هي جريمة الشيطان

وقال الطحان : اسمح لي يا حضرة العمدة أن أقول إنه لا يمكن أن نعرف جريمة من هذه

وانتهت الحادثة والتحقيق عند هذا الحد ، وعاد العمدة

والكاتب إلى القرية ، وقال الأول : ألا يستطيع الإنسان أن ينعم بيوم راحة ؟ عندنا الآن متشرد حى ومتشردان ميتان ، فكيف ننتهى من أمرهم ؟

فقال الكاتب : لقد كانت الأمور كلها تسير سيراً حسناً لولا اضطرارنا إلى مخابرة السلطات ، فإن الصعوبة كلها ناشئة من تحرير المكاتبات

وأعقب هاتين الملاحظتين مسير نصف ميل فى صمت . ثم ضحك العمدة فجأة ضحكة عالية وقال وقد بدا له أنه سيدهش الكاتب بفكرة موفقة : لقد عرفت الحل فلا نكتب شيئاً إلى السلطات

كاد الكاتب أن يغمى عليه ، واستمر العمدة يضحك وكانت ضحكاته تزداد ارتفاعاً وقال : « لقد عرفت الحل وسأختصر الطريق ؛ لكن عليك أن تسكت ، وأن تخبر الطحان بلزوم الصمت » .

وفى المساء ذهب العمدة إلى المتشرد وقال : « أخبرنى ... ألم تعمل فى حياتك أى عمل نافع ؟ »

فحملق المجرم فى وجهه ولم يجب

قال العمدة : « ألا تعرف الطريق إلى الطاحون ؟ إنها بجانب النهر » فقال المتشرد : « نعم قد عرفتها »

قال العمدة : « بجانب الطاحون عند المزرعة ستجد جثتى رجل وامرأة . هل سمعت ؟ اذهب وألق الجثتين فى النهر حتى يحملهما الماء . هل سمعت ؟ »

هز المتشرد رأسه علامة على الموافقة وافترقا ، وبعد قليل كانت جثتا العاشقين طافيتين على الماء

وفى الصباح التالى كان الكاتب ماراً بجوار الطاحون وكان وراءه على مسافة قريبة حفار القرية يجر عربته الصغيرة وكان عليها إذ ذاك غطاء أسود ، فلما وصلا إلى شاطئ النهر نظر الكاتب إلى الماء فلم ير فيه أثراً لميت أو لحى ، وقال الكاتب : « بالأمس وصل بلاغ إلى (الدوار) بأن غريقين وجدا هنا على الشاطئ »

وقال الحفار : « هكذا سمعت ولكن يظهر أن البلاغ كاذب »

فقال الكاتب : لعله « كذلك »

وقال الحفار : « ربما عاد الماء فحملهما كما أتى بهما »

فهز الكاتب رأسه وقال : « ربما كان ذلك »

ثم مشى كل منهما فى طريقه

(ع . ا)

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطانة حسين — عابدين)

8me Année No. 391

Lundi - 30 - 12 - 1940

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٣٩١ « القاهرة فى يوم الإثنين ١ ذو الحجة سنة ١٣٥٩ — الموافق ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهـــــــرس

الحرب وكتاب الإنجليز

للأستاذ عباس محمود العقاد

فى انجلترا كتاب عالميون لا يقع فيها حادث كبير إلا كان له شأن معهم أو كان لهم شأن معه ، لأنهم أكبر من أن تعبرهم الحوادث منسيين فى بلادهم ، أو فى البلاد الغربية عامة . ومن هؤلاء — إن لم نقل فى طليعتهم — الرياضى الفيلسوف الناقد الاجتماعى برتراند رسل

هذا الرجل مؤلف كتاب فى الرياضة العليا . سئل القراء العلميون فى أنحاء الغرب عن مائة كتاب هى الأولى فيما ألف بنو الإنسان ، فكان كتابه هذا واحداً منها وعلى رأسها

وهذا الرجل هو ثالث النبلاء من آل رسل المشهورين ، ولكنه نزل باختياره عن لقبه لأنه يقول بإلغاء الألقاب

وهذا الرجل حكم عليه بالحبس وبالغرامة فى الحرب الماضية لأنه عارض الحرب اعتقاداً منه بإمكان اجتنابها . ودعته جامعة فى الولايات المتحدة لإلقاء محاضراته الرياضية والفلسفية على طلابها فحيل بينه وبين السفر مخافة الرأى الذى قد ينشره هنـاك ، ولم يبال قبل ذلك أن ينشره فى صميم بلاده

وهذا الرجل أجرأ من كتب فى الأخلاق من الإنجليز ، غير مكترث لما يصيبه من جراء ذلك فى حياته الخاصة وأعماله العامة ، وقد أصابه من الأذى كثير

فلما نشبت الحرب الحاضرة كان قراؤه فى أنحاء العالم يسألون : أين برتراند رسل ؟ أين برتراند رسل ؟ ... لأنهم قدروا له موقفاً لا يتخلى عنه ، ثم عجبوا من سكوته كما عجبوا من السكوت عن ذكره ، حتى جاء البريد الأمريكي يوماً فإذا بالرجل فى الولايات المتحدة ، وإذا بهم يحملون عليه هناك وقد كان مظنوناً فى إبان الحرب الماضية أن الولايات المتحدة ملاذه الأمين الذى يتقى فيه الحملات !

لكنه تلقى حملة بعد حملة من رجال الدين وهو مترفع عن ردها، على كونه أجرأ الكتاب على المصاولة ، ولم تمنع هذه الحملات أن يختاره العارفون به لتدريس الرياضة والفلسفة تارة فى كاليفورنيا وتارة فى نيويورك . ورأينا له صورة بين الطلبة الفتيان وهم حافون به كأنه واحد منهم وهو فى الثامنة والستين يجلل الرأس بالشيب ، وهم دون العشرين أو يتجاوزونها بقليل

وقد فتن هؤلاء الطلبة بآرائه فما يحفلون بحملات رجال الدين عليه . وسئل عن نية الإقامة فقال : نعم ، سأقيم فى هذه البلاد وأنشئ فيها أبنائى على النشأة الحرة التى أرتضيها !

***

ورحل إلى الولايات المتحدة خلال هذه الحرب كاتب آخر من كبار الكتاب الإنجليز وأصحاب المذاهب الإصلاحية فى العصر الحديث هو : ﻫ . ج . ولز الذى يعارض أفلاطون باختراع المدن الفاضلة على النمط العصرى ، ويغتنم فرصة الحرب الحاضرة للتبشير بالمستقبل المأمول ، وهو على شك فى إمكان الوصول إليه ، لأنه يريد أن يخلع جذور التفكير الإنسانى التى لا تزال متأصلة فى العقول من بقايا العقائد الأولى، والتى تغرى بالحرب، لأن أشرفها وأعظمها يلاقى أضعفها وأخبثها فى تقديس الموت وتفضيله على الحياة

وكان ولز فى الحرب الماضية « دماغ » الدعوة البريطانية التى كتب لها النجاح على يديه . وظن أناس من عارفيه أنه سيسود فى الحرب الحاضرة إلى مثل ذلك العمل الجليل ؛ ولكنه فضل السفر إلى الولايات المتحدة لخدمة أمته ومذهبه الإصلاحى هناك ، وكانت له حملة عنيفة على بعض القواد الإنجليز وعلى الأسلوب الذى اتبعوه فى ميادين الغرب والشمال ، وربما كان لهذه الحملة أثرها فى تنظيم القيادة على نحو جديد . فلما سمح له بالسفر إلى الولايات المتحدة خشى بعض الساسة أن ينطلق بالنقد العنيف بين الأمريكيين فلاموا الحكومة الإنجليزية على الترخيص له فى مغادرة البلاد . وقال وكيل الشؤون الداخلية يومئذ بمجلس النواب إنهم قصدوا بالسماح له ألا يحسب الأمريكيون أنهم يكتمون عنهم بعض الآراء ويقصرون الدعوة بينهم على ناحية واحدة دون سائر الأنحاء

وأبطل الكاتب الكبير مخاوف المتخوفين بمسلكه الذى توخاه فى نشر دعوته بين الأمريكيين ، فكان أول ما قاله بينهم أنه لم يلجأ إلى مخبأ قط، وأن الذين تخيلوا الإنجليز فزعين ليل نهار لا يبرحون المخابئ مخطئون . ولم يطلب إلى الأمريكيين أن يشتركوا فى الحرب ، ولكنه نادى بكبح الطغيان تمهيداً لكل إصلاح ، ونادى إلى جانب ذلك بضرورة إدخال الروسيين فى جملة النظام العالمى الذى تسفر عنه الحرب الحاضرة أياً كان هذا النظام .

***

ولا بد أن يسأل السائلون : وما شأن برناردشو ؟ وماذا يصنع الآن وماذا يقول ؟

والجواب أنه لا بريح ولا براح

فما مضت على إعلان الحرب أيام حتى راح المذيعون وكتاب الصحف فى ألمانيا وإيطاليا يزعمون أن برنارد شو يائس من مصير الحرب متنبئ منذ الآن بهزيمة الإنجليز

فلما سئل فى ذلك قال : إن القوم يتملقونه إذ يشجعون قلوبهم بكلامه ، ولعلها فى حاجة إلى تشجيع !

وحاول بعض خبثاء الصحفيين أن يصوروه وهو فى خوذة الوقاية فأبى أشد إباء

وأحبوا أن يلذعوه بالتسوية بينه وبين ملاكم مشهور ، فقالوا له : إنك وذلك الملاكم لثروة وطنية، ومن واجب كل منكما أن يحمى رأسه بخوذة !

فقال : بل عليه — إذا شاء — أن يحمى يديه بقفاز . . .

وسألوه : أين تنام إذا سمعت نذير الغارة ؟ فقال : حيث ينبغى أن ينام كل إنسان فى الفراش !

وقيل له مرة : أليس من رأيه أن تقصر الغارات على الأهداف العسكرية ؟ فقال : إن مراكز الحكومة محسوبة من الأهداف

العسكرية ، ولكنها قصدت مرة فأصابه هو تحطيم نافذتين في بيته وطارت الشارة بإفريز من باب ردهته

وليس من الضروري أن يظفر محدثو برنارد شو بجواب مفيد ، ولكنهم يظفرون لا محالة بجواب لاذع أو جواب ساخر أو جواب يجمع بين الصراحة والروغان ، والمقصود هو جواب من شو كيفما كان السؤال أو الجواب !

***

وفي انجلترا كتاب عالميون غير هؤلاء مثل موام وبريستلي وهكسلي وجود وطائفة من هذه الطبقة المقدمة بين الكتاب الأوربيين

فأما موام فقد كان في باريس منذ نشبت الحرب الحاضرة وهو في خدمة وزارة الاستطلاع كما كانت في الحرب الماضية . ثم صدر إليه الأمر بالعودة إلى وطنه عند ما خيف سقوطها فعاد مع ألف وثلثمائة من اللاجئين الإنجليز في سفينة فحم قذرة طافت بهم عشرين يوماً بين فرنسا والجزائر وجبل طارق حتى وصلت إلى الجزر البريطانية ، ولم ينس وهو يتجاوز السادسة والستين ويعاني متاعب السفر وقلة الزاد وخطر القبض عليه في تلك السفينة الهائمة أن يحصي ما تعوده من إحصاء النقائص الإنسانية ويحدثنا عن السيدات كيف حرصن على صبغة الشفاه والأظافر وهن بين الفحم والشحم ولا ناظر إليهن غير الجائعين الخائفين من أولئك اللاجئين الذين كانوا لا يفرغون من تهديد غواصة حتى يهددهم حكام هذا الميناء أو ذاك بالاستيلاء على السفينة أو يضنوا عليهم بالزاد القليل !

وحب هذا الرجل للاستطلاع والقراءة لا يقل عن حبه لتتبع النقائص والعيوب ، فهو هارب مهدد وفي حقيبته شيء عن ناكري وشيء عن سقراط ، وعقله مشغول بالحكمة السقراطية التي تعرف الجلد على الموت كما تعرف الجلد على الحياة

***

أما بريستلي – وقد مثلت له رواية بدار الأوبرا في القاهرة – فهو يوشك أن يتجرد اليوم للدعوة في طريق الإذاعة

وجوليان هكسلي يود لو أنه ولد في سنة ١٩٢٥ ليفقه شيئاً عن هذه الحرب القائمة ويعيش فتياً في الفترة التي بعدها مشتركاً بعمله فيما يراه حقبة من أمتع حقب التاريخ

وجود الفيلسوف اللخص للفلسفات يعلن أنه طلق الفلسفة السلمية وآمن بأن الحرب واجبة للخلاص من الطغيان

***

وكنت أود أن أسمع شيئاً عن فئة من الكتاب العالميين غير الإنجليز ، وأولهم الكاتب الفرنسي رومان رولان الذي كان له في الحرب الماضية شأن بين الفرنسيين كشأن برتراند رسل بين الإنجليز ، ولكني لم أسمع عنه خبراً من الأخبار ، ولعله قابع في سويسرة كدأبه حين يسأم النصح وينجو بنفسه من الكيد والضغينة

ومنهم موريس مترلنك البلجيكي وقد لاذ بالولايات المتحدة « خالي الوفاض بادي الأنفاض » ... كان له مال بمصرف بركسل فسقطت بركسل في قبضة الألمان ؛ وكانت له دار وعقار في نيس فسقطت نيس في قبضة الألمان والطليان ... وهو اليوم يستأنف العيش من جديد وقد بلغ الثامنة والسبعين !

أما راوية الألمان الكبير في الجيل الحاضر « ليون فيختوانجر » صاحب القصص التي عرض كثير منها على اللوحة البيضاء بالقاهرة فنجاته من ألمانيا ثم من فرنسا رواية كأغرب ما كتب الرواة : فر إلى فرنسا ثم اعتقل فيها ، ثم جاءه رجل لا يعرفه فاحتال على إخراجه من المعتقل في ثياب النساء ، ثم إخراجه من ميناء طولوز بجواز منحول ، ثم عبر به إسبانيا والبرتغال ، ولم يكشف عن حقيقته إلا وهو في سفينة أمريكية يلجأ إلى الولايات المتحدة مع غيره من اللاجئين !

لكن العجيبة الكبرى من عجائب الأدب والحرب هي تلك العجيبة التي قرأناها عن إقليم من أقاليم رومانيا التي احتلها المجريون والألمان

فقد سمعنا أن مائتي شاعر وكاتب هجروا ذلك الإقليم الواحد ولا ندري ماذا كانوا يصنعون فيه !

والحرب والله رحمة إلى جانب مائتي شاعر وكاتب في أقليم ، بين أميين وأشباه أميين ، ولعلها رحمة بالشعراء والكتاب أنفسهم قبل الرحمة بالقراء ومن لا يقرأون ! !

عباس محمود العقاد

مسابقة الجامعة المصرية لطلبة السنة التوجيهية

«أهل الكهف»

لتوفيق الحكيم

للدكتور زكي مبارك

- ٨ -

تمهيد

الأستاذ توفيق الحكيم مَدِينٌ في وجوده الأدبيّ لرواية «أهل الكهف» فهي الحجَر الأول في بناء شهرته الأدبية. وقد ظهرت أول مرة سنة ١٩٣٣ فظهر معها المؤلف أول مرة سنة ١٩٣٣ ولم يكن له قبل ذلك في حياة الأدب تاريخ

وكلمة اليوم تشريحٌ لتلك الرواية بلطف ورفق، فما أحسبها شُرِّحتْ قبل اليوم، لأنها استُقبِلتْ بإعجاب، ولأن المؤلف أسرع فشغل عنها النقاد بمحصول وفير من الرسائل والأقاصيص، فإن انتهى التشريح إلى أنها رواية ضعيفة فلا بأس، فتلك باكورة المؤلف، والبواكير لا تسلم من العطب في جميع الأحايين، وإن ظهر أن المؤلف لم يستعد لموضوع الرواية كل الاستعداد فلا استغراب، لأنه رجلٌ قليل الجَلَد على مصابرة المراجع والأسانيد، وإن وصل بنا الدرس إلى أنها رواية جيدة على ما بها من مآخذ وعيوب فذلك هو المصير المنتظر لأثر يصدر عن أديب موهوب مثل توفيق الحكيم

أهل الكهف

هي مسرحية شائقة، مُثِّلت أول مرة في القاهرة سنة ٩٣٥ وبها افتُتِحتْ أعمال «الفرقة القومية المصرية» ثم نُقلت إلى الفرنسية سنة ١٩٤٠ بتمهيد تاريخي للأستاذ جاستون ڤِيتْ مدير دار الآثار العربية

ولم يتسع الوقت للبحث عن النسخة الفرنسية، للاستفادة بما في ذلك «التمهيد» من معارف تاريخية، فلم يبق إلا النظر في هذه المسرحية بدون التفات إلى ما كتب ذلك المستشرق الفضال

ومن المؤكد أن المتسابقين لن يُسألوا عن ذلك التمهيد، لأن المقرر هو النسخة العربية، ولأنه بعيدٌ عن بعض أعضاء لجنة الامتحان، فلن يكونوا جميعاً من قراء لغة هوجو ولامرتين

أصحاب الرقيم

خصَّص الأستاذ توفيق الحكيم صفحة من كتابه لآية قرآنية شريفة منتزعة من سورة الكهف، فكان معنى ذلك أنه اعتمد على تلك السورة في زَخرفة ذلك التاريخ، والتاريخ المزخرف هو ما يسميه الفرنسيون Histoire romancée وكان معنى ذلك أيضاً أنه يجب على توفيق الحكيم أن ينظر في القرآن وتفاسير القرآن قبل أن يزخرِف ذلك التاريخ، فماذا صنع ؟

قال الله تعالى في أصحاب الكهف والرقيم :

« سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ، ويقولون خمسة سادسهم كلبهم ، رجماً بالغيب ، ويقولون سبعةٌ وثامنهم كلبهم »

وبمراجعة التفاسير نعرف أن أصحاب القول الأول هم اليهود، وأصحاب القول الثاني هم النصارى، وأصحاب القول الثالث هم المسلمون

وبمراجعة المسرحية «التوفيقية» نرى المؤلف اختار قول اليهود فجعل أصحاب الكهف ثلاثة رابعهم كلبهم ؟ وبمراجعة «حمار الحكيم» نرى المؤلف يتخاذل ويتهافت حين يسمع الحفيف «المعبود» لأوراق «البنكنوت» فهل يمكن القول بأن هذا المؤلف «المسلم» له أجداد تنسَّموا أرواح الأصائل والأسحار في أرض الميعاد ؟

ما يهمني أن أحقق نسب توفيق الحكيم في هذا الحديث، وهو إن سمحت الدعابة نسبٌ مدخول، وإنما يهمني النص على إساءته لفنه حين اختار قول اليهود

أصحاب الكهف في الرواية اليهودية ثلاثة، وهم في الرواية الإسلامية ثمانية، فأيُّ الروايتين أنفع للفنان ؟

لو فكَّر توفيق لأدرك أن المجتمع الذي يكوَّن من ثلاثة أضيق من المجتمع الذي يكوَّن من ثمانية، لأن المجتمع الأول

لم يصور غير ثلاث أواصر : آصرة الأسرة ، وآصرة الحب ، وآصرة المال البسيط الذى يحرص عليه راعى الغنم فى حاله الرقيق

ولو أن أصحاب الـكهف كانوا ثمانية — كما تريد الرواية الإسلامية — لاتسع المجال أمام المؤلف ، نخلق من مشكلات المجتمع فى نواحيه الاقتصادية والسياسية والذوقية آفاقاً رحيبة يجول فيها قلم الباحث ويصول

ثم ماذا ؟ ثم وقعت غلطة فى اسم الراعى ، فهو « يمليخا » عند صاحبنا توفيق ، ولـكن يمليخا فى التفسير « الـكشاف » وفى حاشية الجمل على « تفسير الجلالين » لم يكن راعياً ، وإنما كان من رجال « البَـلاط » ، بلاط الملك الوثنى « دقيانوس » ، أما الراعى فاسمه « فلسطيونيس »

ثم ؟ ؟ ثم سكت توفيق الحكيم عن اسم الملك الذى بُعث فى عهده أصحاب الـكهف ، فلم يعرف إلا أنه « الملك » ، ولكن أى ملك ؟ لو رجع إلى التفاسير لعرف أن ذلك الملك كان يسمَّى « بيدروس » والنصُّ على اسمه أوجب ، لأنه ورد فى القصة مقروناً بالتعظيم والتبجيل

العقدة المنسية

وهنالك « عُقدة منسية » فى رواية توفيق الحكيم هى عُقدة البَعث ، وتلك العقدة تنقل القصة من وضع إلى وضع ، فنشرُ أهل الـكهف كان مصادفة عند توفيق ، ولكنه فى الرواية الإسلامية وقع فى أعقاب أزمة عقلية بين رجال « بيدروس » هى الخلاف حول بعث الأرواح والأجساد ؛ وهو خلاف كان كثير الغليان فى تلك العهود

ولكن ما قيمة هذه العُقدة المنسية ؟

لهذه العقدة قيمةٌ عظيمة جدًّا ، فغاية القصة عنـد توفيق هى انتصار الحب ، أما غاية القصة إذا روعيتْ تلك العُقدة فهى انتصار الإيمان ، وتلك هى الغاية الأساسية إذا أردنا الوفاء لمكان القصة من العقيدة ومكانها من التاريخ

بطلة القصة عند توفيق هى « امرأةٌ أحبتْ » وكان الواجب أن تكون « امرأة آمنتْ » لو كان توفيق من أصحاب الفكر العميق

استجواب

تحت أى تأثير كتب توفيق الحكيم هذه القصة ؟

عندنا ثلاثة فروض :

الفرض الأول هو قوة الشهوة ، والفرض الثانى هو قوة الحب ، والفرض الثالث هو قوة الإيمان

أما الشهوة فلم يصورها توفيق الحكيم ، الشهوة العارمة التى تزلزل أعصاب الرجال

وأما الحب فقد عرض له توفيق بأدب ولطف ، كما يصنع المذريون الضعفاء

بقى الإيمان ، فـماذا صنع توفيق فى وصف الإيمان ؟ وماذا صنع فى تشريح أوصال الارتياب ؟ وأين المعركة التى أثارها بين نسائم الهدى وزوابع الضلال ؟

« أيها القديس ! أيها القديس ! »

تلك أنشودته فى التذكير بالنشوة الروحية ، فأين أنشودته فى التذكير بالغىّ والرِّجس والإثم والفتون ؟

المحصول الفنى لصاحبنا توفيق يرجع إلى صنف واحد هو البهرجة الروائية ، أما التعمق فى الفكرة ، فهو غرضٌ لا يصل إليه إلا بمجهود شاق .

لو كان التوفيق من حلفاء توفيق لأدرك أن من المستحيل أن تكون بريسكا لم تحسَّ الحب إلا أول مرة عند لقاء ميشلينا ، وقد نشأت فى أحد القصور الرومية ، وهى قصور أقيمت على قواعد من طغيان الأهواء والأحاسيس ، وكان من الخير لفنه أن يخضعها لذلك الطغيان

ولو كان التوفيق من حلفاء توفيق لجعل موت ميشلينا فى القصر لا فى الـكهف ، فالقصور هى ديار العطب ، أما الكهوف فهى ديار الأمان

وكان من همّ توفيق أن يجرِّد الراعى من جميع العواطف ، فـما سبب ذلك ؟

هنا عُقدة إنسانية لم يَفطِن إليها توفيق ، وهى احتباس العواطف فى النفوس الفطرية ، فـما الذى كان يمنع من تشريح أهواء العوامّ لذلك العهد ، وهم صورة مكررة فى التاريخ ؟

منع من ذلك أن الأستاذ توفيق الحكيم لم يحدد الغاية من تلك المسرحية ، وإنما حصر همه فى الرقش والتزيين والتهويل ، فكان ما أراد !

والمعروف عند مؤلفى المسرحيات فى أكثر الشعوب أن اللون المحلىّ La couleur locale يُنتصب له ميزان ، فأين اللون المحلىّ فى مسرحية أهل الكهف ؟ هل شعرنا بأن عهد دقيانوس يخالف عهد بيدروس — الذى جهله توفيق — إلا فى توافه الشئون ؟

الخلاف بين العهدين يرجع إلى اختلاف الملابس والنقود ، فأين الخلاف بين العادات والتقاليد وبينهما ثلثمائة سنة وتسع ؟

وأين الخلاف بين ألوان الحقائق وألوان الأباطيل ، بعد اعتراك الأهواء والآراء فى تلك العهود ؟

كانت المسيحية لعهد دقيانوس تعانى اضطهاد الوثنية ، وقد فصّل ذلك توفيق ، وهو معنى سجله القرآن من قبل ، فكيف كانت المسيحية فى عهد بيدروس ؟ لقد سكت عن ذلك توفيق سكوت أهل الكهف بعد الرقاد الأخير ، مع أن الكلام فى هذا الوطن أنفس من السكوت ، فقد كانت المسيحية تحولت إلى معضلة عقلية ، بعد أن كانت نفحة روحية ، ولكن توفيق نسى أن ميدان هذه القصة مَصال فكر قبل أن يكون مجال خيال

الظاهر أن الأستاذ الحكيم لم ينظر إلى عصر الرواية من الوجهة العقلية والدينية ، وأريد العصر الذى وقع فيه البعث ، وهو الفيْصل فى مكان تلك القصة من معترَك الشك واليقين .

وقد اهتم توفيق بأن يجعل فى أصحاب الكهف رجلاً مُقلقل الإيمان بالمسيحية — وهذا ينافى الاعتقاد الموروث — فماذا استفاد من هذا التشكيك ؟

كنت أنتظر أن يستفيد من هذا التشكيك فيقدم لنا بعض ملامح الوثنية على لسان ذلك المؤمن المرتاب ، ولكنه لم يصنع ، فلأية غاية فنية أو عقلية أثار ذلك التشكيك ؟

كان من واجب توفيق أن يشرح تلك الوثنية فى صفحة أو صفحتين ، ولو على طريق الغمز والتجريح ، لأن الوثنية لم تُخلَق من العدم ، وإنما هى صورة من أهواء النفوس وأحلام القلوب

توفيق لم يصنع شيئاً ذا بال فى هذه المسرحية . لم يصنع شيئاً يضيفه إلى أقطاب الفكر ، وإن كان صنع شيئاً يضيفه إلى أرباب الخيال

وهنالك فجوة عميقة فى صحة التخييل ، فأصحاب الكهف بُعِثوا فى مدينة اسمها طرسوس ، وكان يجب أن يبلبلهم المؤلف فيذكّرهم بأن مدينتهم كانت تسمّى أفسوس ، وقد تغير ما فى المدينة من ملابس ونقود ، ولم يتغير قصر المُلك ، فكيف وقع ذلك ؟ وكيف جاز أن يجد ميشلينا غرفة الزينة على عهدها المألوف قبل يومين وقد مرت عليها ثلاثة قرون ؟ وكيف جاز لميشلينا أن يحلق ذقنه بيديه كما يصنع توفيق الحكيم فى هذه الأيام ؟ ومتى كان حلق اللحية من مظاهر التزيُّن عند القدماء ، ولا سيما المتطلعين منهم إلى منازل التكريم والتشريف ؟

كان توفيق الحكيم يحتاج إلى هذا الدرس ليعرف أن المسرحيات لا تولد فى أيام معدودات ، وقد ترفقت به كل الترفق ، لأنه من أعز أصدقائى ، وللصداقة حقوق

توفيق الحكيم فى أهل الكهف

يتعثر المؤلف فى الفصل الأول ، وهو تعثُّر توجبه وضعية الرواية ، كما يعبِّر أهل العراق ، فأصحاب الكهف يستيقظون من سبات عميق ، يستيقظون على أهواء كان لها فى حياتهم وجود قهّار ، ولكنها أهواء مزعزعة الرسوم والحدود ، بفضل ذلك السُّبات العميق

فإذا كان الفصل الثانى رأينا المؤلف يصحو مع أهل الكهف فيقرر أن « قلب المرأة يتسع دائماً لله وغير الله » وأن « القصة ضمير الشعب ، وأنه لا يمكن للبشرية أن تخطى حين تتلاقى فى قصة واحدة على اختلاف الديانات والأجناس ، فنعرف أنه انتفع بكتاب لامرتين فى تشريح سِفر أيوب . ثم نراه يقرر أنْ ليس للحب عُمْر فنعرف أنه انتفع بكلمة الفرنسى الذى سُئل عن عمره فأجاب : J'ai l'âge de mon coeur ثم نراه يقول : « أستودعكما الله هانئين بشباب قلبيكما » فنعرف أن هذا من ذاك !

فإذا كان الفصل الثالث رأينا توفيقاً كبير العقل حين يقرر

أن الحياة المطلقة المجردة من كل ماض ومن كل صلة ومن كل سبب هى أقل من العدم ، وهل هنالك عدَم ؟ العدم الحق هو الحياة المجردة من التاريخ

ثم رأيناه يقرر أن الحب أقوى من العقيدة ومن الدين ، لأن عقيدة الملائكة لم تكن إلا فناً من الحب العَصوف

ثم نرى غيرة بريسكا من فتاة تقطع بها الزمن إلى أبعد من ثلاثة قرون فنعرف شيئاً من خلائق النساء

فإذا كان الفصل الرابع عرفنا من توفيق أن « الحلم أحياناً كالفن ، لا ينقل الحقيقة كما هى ، بل يسبغ عليها من عبقريته جمالاً لم يكن ، أو بشاعة لم تكن » وعرفنا أن « القلب أقوى من الزمن » وأنه لا يهمّ المرأة أن تكون قِدّيسة ، وإنما يهمها أن تكون « امرأة أحبت » فنفهم أن الحب فى قلب المرأة أعمق جذوراً من الدين ، وإلا فكيف صح أن تخاطب الراهبة فاطر السموات بمثل هذا التعبير : « زوجى العزيز ! »

وصدق شوقى حين قال . « الحياة الحبّ ، والحب الحياة » وحين قال :

سَيْطرَ الحبُّ على دنياكمُ كل شىء ما خلا الحبَّ عَبثْ

أما بعد فذلك توفيق الحكيم فى أهل الكهف

هو أديب موهوب تناغيه الحياة من حين إلى حين . هو أمشاج من الوجد المقهور والحب الدفين . هو قيثارة رنانة لأحلام الشباب والكهول ، وإن كانت قيثارة لا تعرف أصول الأنغام ، لأنه كاتب بلا أسلوب ، ولو كان توفيق من أصحاب الأساليب لأدّى للفكر والبيان خدمات تعزّ على من رامها وتطول

كم تمنيت وتمنيت أن يكون توفيق الحكيم من كتاب اللغة العربية !

لو كان هذا الرجل كاتباً لأتى بالأعاجيب ، لأنه قوى الملاحظة وقوى الإحساس إلى أبعد الحدود ، ولكن التعبير يعوزه فى أدق الشؤون ، والتعابير القوية لم تكن ولن تكون إلا شاهداً على عظمة الفكرة وقوة الروح

عيب توفيق الحكيم أنه نشأ مدللاً بين كتاب هذا الجيل ، فلم يتذوق صيال الأحقاد والأهواء والأباطيل

ألم يشهد على نفسه فى مجلة الرسالة بأنه مَدين لكاتب لم يعرف قدره فى جميع الأحايين ؟ ومن ذلك الكاتب يا توفيق ؟

حظك بيديك ، يا ابن آدم ، فاعرف نفسك بنفسك ، ولا تعتمد على غير واجب الوجود

ثم أما بعد فقد قضى توفيق عشر دقائق وهو ينمّق العبارة التى يهدى بها إلىّ «أهل الكهف» فأتت : « إلى الدكتور زكى مبارك إعجاباً بدراساته الصريحة ونقده الحر للأدب الحديث »

فكيف ترى مقامى منك ، يا توفيق ؟

هل هديتك ؟ هل أضللتُك ؟

تلك كلمة الحق فيك ، فغيّر ما بنفسك لألقاك وأنت أديبٌ صوّال الفكر ، جوّال البيان

والله يحفظك ويرعاك للصديق الوفى الأمين

زكى مبارك

الرسالة فى سنتها التاسعة

على الرغم من استحكام أزمة الورق ومواد الطباعة وارتفاع أثمانها الى عشرة أضعاف ، ستستمر الرسالة على نظام العام السابق من التخفيض والتقسيط والاهداء مع المشتركين القدماء . أما المشتركون الجدد فيؤدون الاشتراك كاملا مقسطاً أو غير مقسط . ومن المقرر أن المشتركين القدماء لن يتمتعوا بمزايا الاشتراك المخفض الا اذا بدأوا اشتراكهم من نصف ديسمبر الى آخر يناير سنة ١٩٤١ ، ولن يمد الأجل بعد ذلك .

من وحي الحرب

العلم والخلق

للأستاذ قدرى حافظ طوقان

إن الخلق من النفحات الإلهية ، به يكتب التوفيق وعليه تقام دعائم النجاح . والفرد بخلقه لا بعلمه ، وكذلك الأمم ليست بعلومها وفنونها بل بأخلاقها وضمائرها لا تصلح إلا بهما ولا تشاد عظمتها إلا عليهما .

فالعلم إذا دخل دائرة الخلق اتجه نحو الخير والبناء والنمو والإعمار ، وإذا خرق نطاقها ولم يتقيد بها أصبح أداة شر وهدم وتدمير ، وعلى هذا فمن صالح البشرية والحضارة أن يحيط الخلق بالعلم وأن يسيطر عليه ويرعاه ليسير به نحو الخير والجمال والكمال

لقد تقدم العلم تقدماً نتج عنه انقلاب خطير بعيد الأثر فى الحياة والعمران ، فقد قضى على المسافات ومحا آيتها ، وأتى على معجزة الاتصال بين الأقطار ، فجعلها طوع إشارته . كشف المجاهل ، وجفف المستنقعات ، وأروى الصحارى ، ومهّد الأدغال ، وأباد أكثر الأمراض ، فإذا الأرض أكثر تراميا وأرجاؤها أعظم اتساعاً . فتح أبواباً كانت مغلقة ، ووصل إلى نتائج ما كانت لتخطر على بال إنسان ، وتمكن من السيطرة على مصادر الطاقة فى أشكالها المختلفة فنمت الثروة العامة نمواً لم يحلم به أحد من قبل ، وطغت الاختراعات ، وكثرت الاكتشافات ، فالعائمات على الماء ، والسابحات فى السماء ، والساريات والراسيات على الأرض وتحتها ، والأسلاك الكهربائية تطوف هذه الكرة ، والأمواج اللاسلكية تمج فى الجواء حاملة على أجنحتها الأخبار والأنباء والصور ، وأصبح كثير من الناس فى هذا العصر يتمتعون بأسباب من الرخاء والرفاهة والترف لم يرْنُ إليها القياصرة فى الأزمان الماضية .

ولكن مهلاً ... هل هذا التقدم كاف ؟

هل هذا التقدم — وقد توافرت فيه كل الوسائل لتسهيل الحياة وتوفير الهناء — قضى على المشاكل الاجتماعية التى يعانيها المجتمع ؟ . . .

إن هذا التقدم قد زاد المشاكل الاجتماعية تعقداً ، وسلب راحة البال وطمأنينة النفس ، ويمكننى أن أقول إنه وضع الحضارة فى مركز خطر .

ولماذا ؟ ... لأن الإنسان فى تقدمه لم يحسب حساباً للخلق ومعانى الحق والواجب والمثل العليا ، وقد قصرت حكمته عن تثقيف الرغبات والنوازع الإنسانية .

والذى يخشاه كبار الفلاسفة والحكماء أن الحكمة البشرية إذا أفلست فى النهوض بعبء إدماج العلم وقواه العظيمة فى أغراض الروح والخلق ، اتجهت هذه القوى إلى التدمير والتخريب والتقتيل بدلاً من الاتجاه إلى البناء والإنتاج والإعمار والخير والجمال

لقد أصبح شعار هذا العصر « المادية فوق كل شىء » طغى هذا الشعار وتضاءلت أمامه قوة الناس المعنوية وتلاشت به الروابط الأدبية وانكمشت الرحمة والعطف والشفقة فى صحف الأديان ، وأشاحت الفضيلة بعزاياها عن النفس فإذا الإنسان فى غمار من الزهو والغرور يهزأ من العفة والاستقامة والفضيلة والصلاح ولا ينظر إلى الحياة إلا من ناحية المتع والمسرات

لهذا لا عجب إذا قام المفكرون فى أمريكا وانجلترا يدعون الناس إلى حركة إصلاحية غايتها الاتجاه نحو المعنويات والروحيات، والاهتمامُ بتكوين الخلق ، وجعلُ الحضارة قائمة عليها ، لينقذوا الإنسانية من الشرور المحيطة بها ويضعوا حداً للمشاكل العديدة التى يعانيها المجتمع . وهذا ما يجعلنى أومن بأن العالم — على الرغم مما هو فيه من تخبط — سيتجه نحو الروحيات ونحو الاحتفاظ بمقام الروح فوق مقام المادة ، ذلك أنه إن لم يفعل ، وسمح للمادة أن تسيطر غير آبه للخلق ومعانى الخير والكمال ، فلن تقوم لحضارة قائمة وسيبقى السلم مهدداً ، والمثل العليا فى خطر ،

والناس فى قلق ، والأفكار فى اضطراب ، والأعصاب فى توتر ، وتتضاعف مشاكل الإنسان ومتاعبه ، وتزيد تعقداً والتواء ، فلا يخرج من فوضى إلا ويجابه فوضى أشد وأنكى فلا اطمئنان ولا أمان ولا راحة ولا سلام

وعلى هـذا فالعلم وحده لا يكفى لوضع حدّ لشرور العالم وآثامه ، والعلم وحده لا يكفى للخلاص من المتاعب والصعاب المحيطة به من كل جانب

يجب أن يقوم العلم على عناصر روحية ومعنوية تعلى من شأن المثل العليا والأخلاق السامية ، كما يجب أن تقوم الحضارة على المعنويات وتوفق بين المادية والروحيات

وهل تكون حياة آمنة يسودها رحمة وسلام إذا كانت مادية ؟

وكيف تكون الحياة نامية رائعة إذا لم تسرْ على هدى الروحيات ؟

لن يستطيع الإنسان أن يردّ عن الحياة آثامها وشرورها ومفاسدها إذا سار فيها على العلم وحده منصرفاً عن معانى الخير والجمال !

بل كيف تكون الحياة سامية ذات أثمار إذا سيطرت عليها المادية من كل جانب ؟

وهل يصفو عيش فى جو مادى ؟

وهل تستقيم حضارة بالمادية ؟

لا . لا . لن تستقيم حضارة بها ولن تتخلص الإنسـانية من ويلات العـلم إذا لم تنزع إلى الروحية وتسر على هدي الخلق وطريق الحـق والعدل

بلاء هذا العالم فى طغيان المادية ، وخلاصه فى الجمع بين الخلق والعلم ، خلاصه فى روحانية تذكى فى الناس معانى الخير والكمال وتسمو بهم إلى ازدهار العواطف ، إلى حيث نمو الخلق وتفتح المواهب وبروز المزايا النفسية ... وإن فى هذا كله لثماراً يانعات تجنى منها الإنسانية الخير والطمأنينة والسلام

إن فى رجوعنا إلى عناصر الخلق وإلى الفضائل الاجتماعية التى نبتت فى أصول الأديان ، ما يضع حداً للمتاعب التى تواجه الإنسان وتجعل من العلم أداة خير وإصلاح وما يقضى على الفوضى الخلقية التى نراها سائدة فى مختلف نواحى الحياة

إن العلم قد وضع فى أيدينا قوة ، إذا لم نحطها بسياج من الخلق والفضائل ، انقلب إلى قوة هدامة مخربة . وعلى المعاهد والمفكرين أن يعملوا على حفظه ضمن هذا السياج ، ليجنى منه الإنسان قوى الخير والبناء والإعمار ؛ وأن يسيروا بجهودهم فى طريق إدماج العلم فى أغراض الروح العليا ، حتى يعرف النشء كيف يعيشون وكيف يقومون بواجبهم ويؤدون رسالتهم بنفحات روحية وعلى أساس متين من الأخلاق

(نابلس) قدرى حافظ طوقان

حول كتاب تحرير المرأة

للأستاذ مصطفى محمد ابراهيم

درجت الرسالة الغراء منذ شرعت وزارة المعارف سنة المسابقة بين طلبة السنة التوجيهية فى امتحان اللغة العربية — على نشر مباحث كريمة فيها توجيهات قيمة لأذهان الطلبة فى الكتب التى سيمتحنون فيها ، وكان المتولى أمر هذه المباحث النافعة الأستاذ الدكتور زكى مبارك

وقد قرأت فى عدد الرسالة الأخير (رقم ٣٨٩) بحثاً قيماً نفيساً حول كتاب من هذه الكتب هو كتاب « تحرير المرأة » للمرحوم قاسم بك أمين بقلم الكاتب الفاضل الأستاذ محمد أبو بكر ابراهيم المفتش بوزارة المعارف . وقد عنت لى بعد قراءته ملاحظات لم أر بداً من تدوينها تعميما لفائدة أبنائنا الطلاب

* * *

تناول الأستاذ شخصية المؤلف بشىء من الإسهاب فأحسن وأفاد ، إذ أن التعريف بالمؤلف والإبانة عن مقومات شخصيته ومدى ثقافته له أثر كبير فى تفهم آرائه والحكم على أفكاره . ثم عرض الأستاذ مباحث الكتاب عرضاً لطيفاً ، غير أنى تمنيت لو أنه أسهب فيه قليلاً حتى تزداد هذه المباحث الخطيرة وضوحاً ، خصوصاً وأن هذا الكتاب كان له من الأثر الاجتماعى العميق ما بزّ به كل كتاب فى هذا الباب فى هذا العصر ؛ فكان الطلبة خليقين أن يوجهوا فى دراسته توجيهاً واسعاً مسهباً

هذا وقد كنت قرأت كتاب تحرير المرأة هذا فرأيت من المباحث النفيسة التى احتفل لها المرحوم قاسم بك أمين وأعد لها ما استطاع من قوة وعتاد اقتضاه مجهوداً غير يسير — مبحث « الطلاق » وهو بحث سيبدو لمن يقرأه أنه مقطوع النظير

فقد عرض المباحث الإسلامية فى هذا الموضوع الخطير عرضاً قوياً مكيناً ، وأورد أقوال الأئمة وأصحاب المذاهب والفقهاء من أمثال الزيلعى والشوكانى وابن عابدين ، ثم استوعب كل الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأقوال الصحابة حول هذا الموضوع درس ذلك كله دراسة الفقيه المتفهم لروح الدين ، ثم هاجم أولئك العلماء الذين اشتغلوا بالتأليف فى هذه الموضوعات الخطيرة وكان أكبر همهم تأويل الألفاظ وتخريج الحروف ، حتى ملأوا كتبهم بنحو « طلقتك ، وأنت طالق ، وعلى الطلاق ، وبالتسمين ! وطلقت رجلك ورأسك » وما إلى هذا من الخيالات الغريبة ؛ وغفلوا عن أن الشرع إنما يقوم أولاً وقبل كل شىء على النية التى هى أساس الدين الإسلامى ، وكانت حملة موفقة كل التوفيق فقد ظهر عليهم ، ولا غرو فسلاح المرء يقينه

هذا الفصل من الكتاب هو فى ظنى البحث العلمى الفريد المبنى على الدراسة الدينية المستنيرة المدعمة بالحجج الدوامغ ، فليت الطلبة يولونه أكبر همهم ، ويدرسونه دراسة تثبت وتفهم ، ففى دراسة مثل هذا الفصل تنوير لأذهانهم وتعويدهم الصبر على مكاره العلم والقدرة على تخريج الأحكام الصحيحة من الاتجاهات المختلفة

هذه ملاحظاتنا على مباحث الكتاب . ولنا ملاحظات أخرى لغوية تعرض لها الأستاذ أبو بكر بالنقد :

فقد أخذ على المرحوم قاسم بك فى كتابه استعماله كلمة « الأهالى » بدل الأهلين جمعاً لكلمة « الأهل » . وليس جمع الأهل على أهالى خطأ . وقد ورد هذا الجمع فى الجزء الأول من كتاب « أساس البلاغة » — وهو من مراجع اللغة المهمة — فى مادة « أهل »

وخطأ الأستاذ فى استعمال كلمة « عائلة »[1] مكان « أسرة » وعندى أن الرفق خير من العنف وأننا نخدم اللغة وأهاليها بقبول الكلمات التى نجد لها وجهاً خصوصاً إذا كانت متواردة على الألسنة والأقلام منذ عهد طويل

ويخيل إلىّ أن الأستاذ الكبير حكم عليها بعدم الاعتبار لأنه لم يجدها فى كتب اللغة مع أن المعاجم لا تذكر المشتقات .

وأذكر أن أستاذنا الجارم بك كان يلقى منذ سنتين محاضرات عن طريق المذياع فى موضوع الأغلاط الشائعة فى العربية فورد على لسانه ذكر هذه الكلمة (العائلة) فأظهر غيظه

(١) كلمة « عائلة » من الكلمات التى ارتضاها مجمع فؤاد الأول للغة العربية بعد أن اقتنع بصحتها من الجهة اللغوية فى جلستيه الخامسة والعشرين والسادسة والعشرين . (الرسالة)

الأزهر وبعثاته العلمية

للأستاذ محمود الشرقاوى

فى عدد الرسالة الأخير (٣٩٠) كتب الأستاذ الدكتور محمد البهى مدرس علم النفس والفلسفة بكلية أصول الدين مقالاً فيه صدق كثير ، كان عنوانه « شخصية الأزهر العلمية »

وقد قلت إن هذا المقال فيه صدق كثير ، وهذا أكبر ما يمكن أن يُمدح به كاتب فى هذا الزمن ، وفى هذا البلد الذى فيه قول الصدق من أكبر العيوب ومن أكبر المعوقات للذى يريد أن ينجح وأن يصل إلى ما يريد يسلك له كل طريق

وقد أثار هذا المقال الجيّد الصادق فى نفسى طائفة من الخواطر أعتقد أن فيها — هى أيضاً — صدقاً كثيراً وفيها صراحة ، وهذا حسبى

***

عند ما عاد فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ المراغى إلى مشيخة الأزهر منذ سنوات خمس ، كان من ضمن مناهجه الإصلاحى لتجديد الأزهر والتفكير الدينى بعثُ البعوث من علمائه ومن أساتذته إلى أوربا ، وكان ذلك فى رأينا أجرأ ما أقدم عليه شيخ للأزهر وأعظم مافكر فيه مصلح شرقى بعد الشاذلى باشا[1] لتقويم الحياة العلمية فى الأزهر وتوجيه التفكير الدينى وجهة الحياة والنماء والإصلاح ، وتقويم هـذه الحياة العلمية وتوجيه هذا التفكير الدينى وجهة الخير ، هما أمتن المُمَد وأرسخ الأسس للاصلاح الشامل فى مصر والشرق

وعلى هذا الأمل العريض قابلنا وقابل المخلصون من المصلحين اختيار البعثة الأولى من هذه البعوث الأزهرية إلى أوربا ، وكانت بعثة فؤاد الأول إلى فرنسا وانجلترا وألمانيا

وقام لوداعها فضيلة الشيخ الأكبر ومن خلفه العلماء والأزهريون ، ثم خطبها وخطبهم أنه سيجعل الأزهر وتجديده ونماء غرسه الإصلاحى فيه وديعة بين يدى هذه الطائفة المختارة من رجاله ومن أساتذته ؛ إذ يعودون من بعثاتهم وقد تلقحت ثقافتهم الأزهرية بلقاح جديد واستفادوا من جامعات أوربا طرائق تفكيرها ومناهج بحثها وخصائص إنتاجها العلمى

وكان جميلاً وكان حقاً ما تحدث به شيخنا الأكبر لو أن الأمور سارت إلى نهايتها كما بدأت

(١) الشاذلى باشا هو أول من نفذ فكرة إرسال البعوث العلمية من الأزهر فى قرننا الحاضر

وتبرمه من محاربة المعلمين لهذه الكلمة الجميلة البلينة ومطاردتها من كراسات التلاميذ مع دورانها على الألسنة والأقلام أمداً طويلاً ، فقد ذكر أنه وجد هذه الكلمة فى شعر شعراء الدولة الأيوبية (وإن كان نسى أن يعطينا بيتاً نسكن به الثورة الدائرة حول هذه الكلمة) ! ...

ومما أذكره فى تخريج الأستاذ الجارم بك لهذه الكلمة قوله :

إن عائلة وزن فاعلة مشتقة من عال يعيل إذا افتقر ؛ فعائلة بمعنى مفتقرة ، وزوج الرجل وصغاره مفتقرون إلى من يعولهم ويمونهم — عال الرجل أهله كفاهم ومانهم وأنفق عليهم ، فعائلة فاعلة بمعنى مفعولة أى معولة ، وإنما استعمل فاعلة هنا مكان مفعولة لغرض بلاغى لا يخفى ، قال تعالى : فهو فى عيشة راضية . أى مرضى عنها .

وأحسبه قال أيضاً ما معناه : والمعنى البليغ فى أن العائلة بمعنى المعولة أنها تدفعه إلى الكد والسعى ، ولولاها ما جاهد ولا ثابر ، فكأنهم يعولونه . قال تعالى : « ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم » . فقدم الأبناء على الآباء ، لأن الآباء بأبنائهم يرزقون ، أو كما قال ...

فعائلة إذاً صحيحة من حيث الاشتقاق اللغوى

ويحلو لى بهذه المناسبة أن أطلب إلى أستاذنا الجارم بك أن ينشر أمثال هذه المباحث القيمة مما تعرّض له فى الإذاعة وليس أولى بها من صحيفة « الرسالة » حتى لا تضيع مثل هذه الفرائد بدداً فوق أمواج الأثير ، وأحسب الكثيرين من إخوانى المدرسين يؤيدوننى فى هذا المطلب والله المستعان

مصطفى محمد ابراهيم

وقد سافرت بعوث الأزهر إلى أوربا واستقر أعضاؤها في باريس وفي لندن وفي برلين يدرسون في جامعاتها . ومضت سنوات خمس عاد بعدها فريق من أعضاء هذه البعوث وقد أتم دراساته فيها ، وفاز بما قصد إليه من الألقاب العلمية والدرجات الدراسية

ومن قبل هذه البعوث أرسلت ثم عادت بعثة المرحوم الشيخ « محمد عبده » التي أرسلها الشاذلي باشا سنة ١٩٣١ إلى ألمانيا فدرست وفازت بما قصدت إليه من الألقاب والدرجات . وعاد هؤلاء وهؤلاء أساتذة في الأزهر يشرفون على توجيه الفرق النهائية في كلياته وتخصصاته ، حتى قام بعضهم يتساءل عن شخصية الأزهر العلمية ، ويريد أن يضع في الميزان إنتاج كبار العلماء وأن يحكم على القيمة العلمية لما ألف جماعة كبار العلماء

***

الأزهر محتاج إلى لقاح علميّ جديد وإلى ثورة فكرية جديدة وإلى أسلوب من البحث العلمي قائم على الإخلاص للعلم وحده ، وعلى الشجاعة في سبيل العلم وحده ، وعلى حب الخير للعلم وحده والأزهر وحده . ولا يزال في الأزهر روح قوى راسخ من الرجعية والردة والعود لعهود الظلم والظلام . وما من أحد يستطيع أن يرفع الشعلة ولا أن يديم اطراد السير لهذه الخطوات البطيئة من خطى التجديد والإصلاح ، سوى أعضاء هذه البعوث التي أرسلها الأزهر من خلاصة رجاله ، ولهذا وحده أرسلهم وانتظرهم حين غابوا ورجاهم حين عادوا

وأعضاء هذه البعوث العلمية التي فهمت الروح العلمي في جامعات أوربا واستقام تفكيرها على طرائق البحث العلمي فيها ، هم الذين يعرفون ويقدرون ما هي الشخصية العلمية ، وما هو الاستقلال في التفكير ، وما هو النقد الإيجابي ، وما هي حرية البحث ؟ وهم الذين يعرفون ويقدرون مما شهدوا في جامعات أوربا وفي حياة أهلها ما هي قداسة الفكر

فهم بما عرفوا وما قدروا وما أحسوا هم النواة الطيبة والبذرة المباركة النامية لبعث هذه الطرائق وهذا الروح العلمي في الأزهر. وهم الذين تنبعث من أفكارهم ومن نشاطهم ومن إخلاصهم لهذه الطرائق العلمية الجذوة الأولى لهذه الثورة الفكرية التي يحتاجها الأزهر ، والتي بها وحدها يأمن الأزهر وتأمن الحياة الدينية في مصر ما نخشاه من طغيان الرجعة وردة عهود الظلم والظلام .

ذلك ما فهمناه وارتقبناه حين اختيرت البعوث العلمية من رجال الأزهر ، ثم عادت لتقود فيه الطليعة من الرواد في حياته الإصلاحية الجديدة

فهل يرى الأزهريون أن هذه البعوث تكوّن فيه الآن « البيئة العلمية » الجديدة ؟ ... وهل يرى الأزهريون أن لهذه البعوث طابعاً علمياً خاصاً تتميز به عن أشياخها الذين ذهبت هذه البعوث لتكمل بما ليس عند هؤلاء الأشياخ من فهم ومن ثقافة ومن تفكير ؟ ...

وهل يرى الأزهريون أن هـذه البيئة العلمية الجديدة لها « معسكر خاص يتميز بنشاط خاص وبأسلوب خاص ، ويقصد في دراساته وفي إنتاجه وفي توجيهه التعليمي مقصداً خاصاً يقوم على حرية البحث وقداسة الفكر والشجاعة في مواجهة ما يلقون من عنت « المعسكر الآخر » القديم ؟ ...

وهل يرى الأزهريون أن هذه البيئة العلمية الجديدة قد اجتذبت حولها مدرسة خاصة من تلاميذها ومن مشايعيها تكثر بهم جيش الحرية والتجديد في الأزهر وتحصن به نفسها وقوتها من جيوش الرجعية فيه ؟ ... وهي جيوش لها هجمات ، ولها هبوب بعد كل سكون

نحن نسأل ولا نحكم . ولو أننا لا نرى دليلاً على أن البعوث الأزهرية (بعثة الشيخ محمد عبده ومن عاد من بعثة فؤاد الأول) قد أقامت في الأزهر مدرسة للتجديد خاصة ولا نهجت فيه منهجاً دراسياً ولا تأليفياً خاصاً ولا لمّت حولها معسكراً جديداً يرفع معها وبعدها شعلة النور في الأزهر ، ولم يبد من آثار رجالها وإنتاجهم ما يدل على تميزهم على أشياخهم ، وقد ذهبوا ودرسوا في جامعات أوربا لتكمل ثقافتهم بما ليس عند هؤلاء الأشياخ

نحن لا نرى دليلاً ولا شبه دليل على وجود شيء مما ذكرناه

ونحن عند ذلك أمام واحد من فرضين : أن تكون هذه البعوث لم تفد شيئاً مما درست فى جامعات أوربا ولم ترتفع بتفكيرها عن أشياخها وعن زملاء أعضائها الذين لم يبعثوا ولم يدرسوا

وهذا فرض بعيد يوشك أن يكون ممتنعاً لما رأينا ونرى من تبريز هذه البعوث فى دراساتها الجامعية وفى درجاتها العلمية التى نالتها فى أوربا وفى البحوث التى نالت بها ما نالت من الدرجات . . .

أو أن تكون هذه البعوث العلمية قد أفادت من دراساتها الأوربية عقلية جديدة حرة وتفكيراً جديداً حراً ومنهجاً فى البحث جديداً حراً . وهذا ما نراه ونعتقد به

وعند ذلك لنا أن نسأل : لماذا إذن كانت هذه العقلية الجديدة الحرة عقيما ، وكان هذا التفكير الجديد الحر متوارياً ، وكان هذا المنهج الجديد الحر مهجوراً من هذه البعوث فى دراساتها وإنتاجها وأثرها فى نفوس طلابها . . . ؟

لماذا لا يفيد أعضاء هذه البعوث بما أفادوا ولا يعلمون ما تعلّموا . . . ؟

وهل يتوجّه اللوم فى ذلك لهم أم أين يتوجّه . . . ؟

يقول صديقنا الدكتور البهى فى مقاله الذى فيه صدق كثير:

« فإلى أن تنشر رسائل جماعة كبار العلماء فينا – لأن عملهم وحده أمام التاريخ وأمام الحكم العدل هو الأساس الذى يبنى عليه الآن للتقدير والاعتراف أو عدم الاعتراف بشخصية الأزهر العلمية – يجب علينا نحن الذين لم يصبحوا بعد من جماعة كبار العلماء إما أن نسعى فى أن نطلع غيرنا على أبحاثنا الشخصية ، وبذا نكون علماء ، أو نعمد إلى تناول عمل الجامعيين بالنظر العلمى فنؤمن بما يدعونه أو ندلهم على موضع الدعاية فيه »

ونحن نرد عليه ما سأل فنقول :

إلى أن نرى أثركم وإنتاجكم وتجديدكم وما جملتم فى الأزهر من بيئة علمية جديدة وثقافة جديدة وحرية جديدة فى البحث . سنقول إنكم لم تفيدوا شيئاً مما تعلمتم ولا تميّز لكم على من لم يبعث ولم يدرس فى جامعات أوربا ، أو أنكم لا تجدون من نفوسكم شجاعة ولا قوة لكى تكونوا منتجين ولا مفيدين

وذلك قول أقوله لصديق كاتب مقال « شخصية الأزهر العلمية » وإلى أنداده أعضاء البعوث الأزهرية من أوربا

* * *

وقد كانت بعوث النهضة المصرية فى أيام محمد على الكبير وخلفائه سعيد وعباس الأول تكاد تكون فى مجموعها من طلبة الأزهر . تعلّم رجالها ثم عادوا فكانوا روّاد الحياة الجديدة والحضارة الجديدة فى مصر كلها ثم فى الشرق كله

ولكن الأزهر يبعث البعوث من رجاله ثم يعودون إليه يرجوهم لنفسه حياة جديدة وحرية جديدة وتفكيراً جديداً

فهل نجد عند رجال البعوث الأزهرية الجديدة هذه الحياة وهذه الحرية وهذا التفكير يبثونها بين رجاله وبين أهله ؟

وهل نجد عند الأزهر نفسه ما يمكّن لهذه البعوث أن تعمل وأن تنتج وأن تفيد ؟

ذلك سؤال ندع الجواب عليه لمن يجيب !

محمود الشرقاوى

خطرات سريعة

قصة كتاب الديارات (*)

للأستاذ صلاح الدين المنجد

كتب إليّ أخي من عمّان يطرفني بما كتبه الأديب السيد كوركيس عواد تعليقاً على المقالة التي أثبتناها نحن عن الديارات ولقد كنت بين إقبال على الرد وإدبار عنه، فقد عجبت من أمر من يدعى التحقيق والتدقيق «والعناية التي تفوق حد الوصف» ويسوق الدعاوى، ويغرق في الثناء على نفسه؛ ثم يعترف بأن الجهود كلها ليست جهوده، وأن الأساتيذ العلاّمات أمدّوه بكثير من تلك المعلومات، وأرشدوه إلى تلك الملاحظات، وأن الكتاب بعد ذلك سيحمل اسمه

وقد سنحت لي خطرات أردت أن أثبتها هنا ليتضح للقرّاء مبلغ صحة ما ذهب إليه الأستاذ

***

(ا) والحق أنه أتيح لنا بنشر قصة كتاب الديارات أن نتمتع — ويتمتع معنا القراء — بأسلوب عربي مبين، وسبك رصين، وعرض لأسماء المستشرقين ثمين، أشباه فيشر وكيشر ولاهين، وأسلوب لا اعوجاج فيه ولا سقطات إلا ما يربو على الثلاثين!...

(ب) ولكن الأستاذ — مع الأسف — لم يجد في مقالنا شيئاً ولا أقل مما يريد... وما ندري ماذا كان ينتظر من لمح موجزات تنشر في مجلة أسبوعية للتعريف بكتاب سنصدره بعد حين!... ترى أكان ينتظر أن نصبّ له فيها كل ما هبّ ودبّ، وما اتصل إلى الكتاب بسبب، وما لم يتصل، وأن نصوغ له قصة كقصته، فيها دعاوى كدعاواه... فنرسم للقراء كل خطوة خطوناها إبان عملنا...؟ أم كان ينتظر أن يجد الكتاب كله في مقال واحد، مشروحاً مضبوطاً، مفهرساً مهمشاً، كما قدم له ذلك الأستاذ مصطفى والأب أنستاس؟

(جـ) وعلى كل فقد كان اتفاقاً طريفاً — كما يقول كوركيس افندي — أن يقوم باحثان بنشر كتاب واحد. ولا أدري لم ساق الأستاذ تلك المحاكمة التي دارت بينه وبين نفسه... فانتهت إلى عزمه على نشر الكتاب «خدمة للعلم بذاته» مع أن الأمر جلل لا يستحق أن يستغرق ربع عامود في المجلة... لأن كتاباً يقوم عليه أستاذ يتقن اللغة الآرامية... وتدور فكرة نشره في رأسه منذ سبع سنوات، ويصححه أستاذان علامتان، يضمان له الملاحظات ويضيفان إليه الهوامش، ويحققان فيه ويدققان... إن كتاباً هذا شأنه وتلك قصته لحرى ألا يهمل نشره

ومهما يكن من أمر فإن تنفيذ ما عزم الأستاذ عليه سيكون حادثاً عظيماً وخطوة واسعة نحو التدقيق الصحيح... لأنه سيضم الفهارس المختلفة «وكلها في غاية الضبط» واللاحق الواسعة «وكلها على ما يرام»

(د) ومن يدرى كيف يكون الكتاب كتاباً إذا هو لم يضم الفهارس التي يفخر الأستاذ بها وقد كنا نتمنى ألا يضيع الأستاذ وقته في الإشادة بها، لأنه عمل آليّ لا يُفخر به يستطيع المبتدئون أن يقوموا به

(هـ) بقيت هذه الإشارات الكثيرة إلى نسخة «فيشر» وإلى نسخة «الكرملي»، وإلى «العناية التي تفوق حدود الوصف» في استنساخ النسخة «الكرملية». وما ندرى إن كان تعداد النسخ على هذا النمط يوهم القراء أن هناك طائفة من النسخ لهذا الكتاب

(و) ويصر الأستاذ على قراءة النسخة البرلينية، مع أننا ذكرنا في مقالنا الأول أن للكتاب نسخة قليلة الضبط كثيرة الأخطاء في دار الكتب المصرية، كما ذكر لنا ذلك صديقنا الأستاذ شكرى فيصل، وأثبته — كما أظن — صاحبكم حبيب الزيات

(ط) أما الملاحظات التي أراد كوركيس افندى أن نتغاضى عن ذكره لها فنقول فيها:

أولاً: لم نرتجل الرقم ارتجالاً — كما يفعل بعض من يعرفهم الأستاذ — فقد وجدنا الرقم هكذا على النسخة التي عندنا، ولقد أثبت الرقم نفسه، فيما أظن، السيد حبيب الزيات في كتابه

(*) تأخر هذا المقال في البريد

« الديارات النصرانية فى الإسلام » وكنا نود لو يهب الله لنا علم الغيب ، إذن لاستطعنا معرفة الأرقام الصحاح ... وقد أثبت ذلك أيضاً تيمور باشا على النسخة ... ولعلكم تستطيعون أن تسألوه من أين أتى به ... ولكن ...

ثانياً : ولقد كان الأستاذ فى غنى عن أن يسوق إلى القراء هذه القائمة الطويلة من أسماء المؤلفين ... فنحن لم نقصد فى قولنا إن أول من نقل عن الكتاب هو السيد حبيب الزيات ... إلى التعميم الذى يشمل كتب المستشرقين فى اللغات الأجنبية

ولو دقق الأستاذ لوجد أن السيد حبيب الزيات هو أول من نقل عن الكتاب كما قلنا . أما كتاب « الصليب والإسلام » فلم نتشرف بمعرفته ، وأحسب أن الأستاذ كوركيس افندى يقرنا أن هناك فرقاً كبيراً بين الإشارة إلى الكتاب فى هامش مقال أو فى ثنايا كتاب وبين النقل عنه والبحث فيه

وعلى كل فالأستاذ يشير فى مقاله إلى كتاب الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى الذى ترجمه السيد أبو ريده ، ويحتج بأصله الألمانى الذى نشر فى سنة ١٩١٧ ، وما من شك فى أن الأستاذ لم يطلع على الأصل الألمانى قبل الترجمة ، ولكنه يوهم القراء أنه بعيد عهد بالكتاب وبمن نقل عنه وأشار إليه ، ولو فى هامش من الهوامش

ثالثاً : أما الملاحظة الثالثة فقد أجهد الأستاذ نفسه فى تقسيم الأديار لينتهى إلى القول بأن ثمانية وثلاثين ديراً كانت فى العراق وأنه امرؤ عراق ، وأنه موظف بدار الآثار ، وأنه لم يستطع تعيين المواقع الحقيقية إلا لعشرة منها ، ولو دقق الأستاذ فيما كتب عن الأديار وخصوصاً ما كتبه ياقوت والعمرى والبكرى والشابشتى ، لوجد أنهم يحدون الدير ، ويقولون إنه يقع فى شرق كذا ، وغرب كذا بجوار كذا على ضفة كذا ، وتلك كلها حدود تقريبية يستطيع معها الباحث المدقق أن يعلم موضع الدير منها ، ولا شك فى أن الأستاذ كوركيس قد لاحظ أن « لوسترانج » قد حدد فى مخططه الذى وضعه لبغداد بين سنة (١٥٠ — ٣٠٠) للهجرة أماكن كثير من الديارات ، كدير سمالو وغيره ، (وإن كان الأستاذ مصطفى يخطئ لوسترانج)

وبدهى أننا لم نسلك فى تحديد الديارات والإشارة إلى معالمها ، ما يسلكه موظفو دار الآثار ومأمورو التسجيل ، وإنما رأينا أن ذلك يقرب للأذهان محال تلك الديارات

ولعل الأستاذ كوركيس يدرى بعد هذا كيف يمكننا أن نضع للأديار مخططاً

(ك) أما وفاة الشابشتى ، فنحن لم نكن فى معرض ترجمة المؤلف والتحقيق فى سنى حياته ، وما قصدنا بمقالنا إلى الظهور وإيهام الناس أننا نحقق وندقق ، وإنما ذلك شىء تركناه لغيرنا ! وما كلمتنا عن الشابشتى إلا إشارة سريعة ... خاطفة

(ل) على أنه مهما يكن من أمر قصة كتاب الديارات التى أطرفنا بها الأستاذ عواد ، فإننا أفدنا منها أموراً كثيرة كنا نجهلها ، فقد عرفنا أنه ذو اطلاع ومعرفة بأسماء المستشرقين ، وأنه سيجمع فى كتاب يضع عليه اسمه جهود عالمين ، وأنه موظف بدار الآثار وعالم من علماء العراق ، وملم باللغة الآرامية

هذا ما بدا لنا على تلك القصة ذكرناه وللأب أنستاس ، وللأستاذ مصطفى تحيانى على جهودهما ... أما كتابنا الذى بدأنا به منذ شهور ، ولم نستعن فى تحقيقه بأحد ، فسيظهر غداً ... وإن غداً لناظره قريب

(دمشق) صلاح الدين المنجد

كلمات ...

غرامك علمنى النوح . . . !

فى سيارة كبيرة من سيارات « الأوتوبيس » جلست وجلس من خلفى وإلى جانبىّ خلق من الناس رجال وسيدات

السيارة تسير فى طريق زراعىّ ، وكل من الركب مشغول بنفسه ، بعضهم يتحدث إلى جاره ، وبعضهم – وهو قليل – يطالع صحيفته ، وليس فى الصحف مكتوب ولا فى كلام الناس متحدث فى هذه الأيام غير هذه الحرب العاتية التى يتقدم فيها كل جندى فى كل أمة ، إما إلى النصر وإما إلى الموت . وبعض من فى السيارة يتسلى بالأكل وإلقاء الفضلات على أرضها وبين المقاعد

وارتفع من المقاعد الخلفية صوت رقيق ، صوت مغنٍّ ... وكان غناؤه مرتفعاً حتى سمعناه من أماكن جلوسنا ، وبينها وبين مجلسه سطور من الناس

وأبصرت خلفى أنظر هذا الذى يتطوّع لتطريب الناس ، وهم لم يستطربوه ، وهو لا يعرفهم ولا يعرف تهيؤ نفوسهم لقبول الغناء فى ذلك الوقت ، وعلى هذه الصورة ، وفى « الأتوبيس »

وكان الصوت الرقيق يخرج من أشداق رجل عملاق ضخم الجثة ، ضخم المنكبين ، ضخم الرأس ، ذى أكتاف عِراض ، قد استدارت حول ذراعه القوية حلقة حمراء ، ورصّعت على صدره أزرار نحاسية صفراء براقة ، وأمسك بيمناه عصا المارشالية ... !

إنه جندى من رجال جيشنا الباسل الذى فتح السودان وأداخ الدراويش والوهابيين فى الجزيرة ، والذى أوشك ابراهيم بن محمد على أن يقتحم به على الدولة العثمانية

كان الجندى من رجال جيشنا الباسل يغنى ويدير فى شدقيه بصوته الرقيق هذه الأغنية :

يا نور العين يا غالى   يا شاغل مهجتى وبالى
تعال اعطف على حالى   وهنى القلب ليلة العيد

نظرت ونظر غيرى من الركب إلى هذا الجندى يرفع عقيرته يصيح بهذه الأغنية ، وكأنما ظن أننا نستزيده فزاد ، ولا غرو ، فمن خلائق الجندية الشهامة ... !

ونظرتْ إليه سيدة من الركب نظرة فهمها الناس ... !

ولكن صاحبنا المغنى فهمها فهماً آخر ، فملأ صوته يعيد : تعال اعطف على حالى ... وجعل يعلو بها ويفتن فى تنغيمها كأنما قدر أن السيدة ستجيبه ، وقد ناداها : تعال اعطف على حالى ...

* * *

وانتهى الجندى الفخم الباسل من أغانيه ، وانتهت بنا السيارة إلى حيث نقصد ، وأتممت طريقى حتى صعدت إلى بيتى وما تزال صورة ذلك الجندى وما يزال صوته وما تزال أغنيته الذليلة فى خيالى وفى صماخ أذنى وفى ضميرى

ولقينى من مسكنى صوت الراديو بأنغام الموسيقى ، ثم استفتحت وجلست أستريح وأستمع حتى انتهى العزف ، وأعلن المذيع يقول :

سمعتم سيداتى وسادتى فرقة موسيقى « الجيش المصرى » تعزف لكم بعض القطع الموسيقية والأغانى المنتخبة وهى : كذا ... وكذا ... وكذا ... وأخيراً دور :

« غرامك علمنى النوح . . . ! »

* * *

ألا ترى – أيها القارئ – أننى وركب السيارة كنا ظالمين حين نظرنا إلى ذلك الجندى المغنى تلك النظرات ؟ « محمود »

كيف تضاءل التاريخ

في الازهر بعد الجبرتى

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

كان عصر الشيخ عبد الرحمن الجَبَرْتِي في أواخر القرن الثاني عشر الهجري وأوائل القرن الثالث عشر فاصلاً بين عصرين من عصور الجامع الأزهر؛ فالى عصر الشيخ الجبرتى كان الجامع الأزهر يستأثر وحده بالتعليم العالى فى مصر؛ وكان لرجاله نفوذ كبير فى البلاد يضارع نفوذ حكامها من الترك الجراكسة والعثمانيين؛ أما بعد عصره فإن المدارس الدنية التى أنشأها محمد على باشا أخذت تنافسه فى وظيفته، وتضعف من شأنه، فصار يذوى وينكمش، وأخذ يرضى بالقليل من العلوم الدينية والعربية، ويترك لتلك المدارس كثيراً من العلوم التى كان يعنى بها قبل إنشائها: كالتاريخ والأدب وتقويم البلدان وغير ذلك من العلوم التى كان يعنى بها؛ وكانت تزيد فى ثقافة رجاله، وتعلى من شأنهم، وتقوى من عزائمهم. فلما رضى بالقليل من تلك العلوم الدينية والعربية ضاقت ثقافة رجاله، وضعفت فيه الهمم، وفترت العزائم، حتى صرنا نرى من رجاله من يذكر فى تعليقه على بيت المتنبي الوارد فى كتاب التلخيص للخطيب القزوينى:

مُبارَكُ الاسمِ أغرُّ اللقبْ كريمُ الجرِشَّى شريفُ النسبْ

أن سيف الدولة الممدوح بهذا البيت من بنى العباس، لقول المتنبى فيه (شريف النسب) مع أن سيف الدولة كان من قبيلة تغلب، وهى من قبائل ربيعة، فأين هو إذن من بنى العباس وهم من بنى هاشم، وبنو هاشم من قريش، وقريش من مضر.

وكذلك يزعم بعضهم فى تعليقه على قول الفرزدق الوارد فى ذلك الكتاب أيضاً:

إن الذى سَمَكَ السماء بنى لنا بيتاً دعائمُهُ أعزُّ وأطولُ

أن المراد بالبيت فيه الكعبة لأن الفرزدق كان من قريش، مع أن الفرزدق كان من تميم، وهو يفتخر فى ذلك على جرير ببيته فيهم، وقد صرح به بعد ذلك فى قوله:

بيتاً زُرارةُ مُحْتَبٍ بفنائه ومُجاشعٌ وأبوالفوارس نهشلُ

ولا غرو بعد هذا فى أن يؤلف الجبرتى كتابه الجامع فى التاريخ المسمى (عجائب الآثار فى التراجم والأخبار) فيلم فيه بأخبار عصره كبيرها وصغيرها، ويترجم لرجاله تراجم وافية شاملة، وفيهم الفقيه والنحوى والأديب والشاعر والفلكى والطبيب والحاكم والقاضى وغيرهم

فإذا جاء بعده الشيخ أحمد مصلح فى أواسط القرن الثالث عشر الهجرى، يحاول أن يترجم لعلماء عصره كما ترجم الجبرتى قبله، أتى بشىء تافه يدل على مقدار ما وصل إليه الأزهر من ضعف فى الثقافة قبل نهضته الأخيرة، فيقول بعد حمد الله تعالى والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم: وبعد فهذه صورة قائمة أذكر فيها العلماء المستعدين الذين هم موجودون بمصر فى القرن الثالث عشر فى عام تسع وخمسين سنة، وذلك لما شاع أن مصر لم تزل من قديم الزمان مشهورة بالعلماء والفضلاء الذين هم ذو فطنة وعرفان[1]

ثم يذكر أن الذى دعاه إلى ذلك أن بعضهم قد قال بمقتضى وفور عقله: إن هذا الوقت لا يوجد فيه علماء مثل الذين أدركتهم من المتقدمين، وإنه لا يرى إلا الصم البكم من الجاهلين الجامدين، إلى أن قال: فحملتنى حَمِيَّة الحرية على أن أذكر أسماء العلماء المعتبرين، ليكون ذلك عبرة للمعتبرين، وتذكرة للمتذكرين، ولربما بصرف عنايته إليهم تكثر أفراد هذا النوع، وتشتعل العقول الفاترة بنار الفكرة، وينشب فيهم هذا الوصف الذى يتبعه علو الهمة، التى يتبعها عمار المملكة، وقوتها على من عداها من الممالك.

وتقع رسالة الشيخ أحمد مصلح التى قدم لها هذه المقدمة فى تسع صفحات من القطع الصغير، وهى رسالة مخطوطة بخط نسخى لا بأس به، وتوجد بمكتبة الجامع الأزهر بين كتب سليمان أباظة باشا رحمه الله، ورقمها الخاص ٣٩٦ والعام ٦٦٨٨

وهذا مثال مما كتبه الشيخ أحمد مصلح عن أولئك العلماء ليرد على ذلك الطاعن فيهم، وهو عبارة عن القائمة الأولى فى علماء الشافعية:

١ — الشيخ ابراهيم الباجورى عالم فاضل وله تأليف
٢ — الشيخ مصطفى البلقانى عالم فاضل وله تأليف

(١) فى عبارة المؤلف كثير من الأخطاء آثرنا إبقاءها على حالها لتكون صورة صادقة لعصرها

٣ — الشيخ عبد الله النبراوى كذلك وله تأليف
٤ — الشيخ أحمد المرصفى عالم فاضل
٥ — الشيخ مصطفى الذهبى عالم فاضل
٦ — الشيخ مصطفى المبلط عالم فاضل
٧ — الشيخ حسن البلتانى عالم فاضل
٨ — الشيخ أحمد أبو مصلح كذلك وله تأليف
٩ — الشيخ ابراهيم السقا كذلك وله بعض تأليف
١٠ — الشيخ سليم الشرقاوى كذلك عالم فاضل
١١ — الشيخ محمد الطوخى عالم فاضل أيضاً
١٢ — الشيخ صقر الأشمونى عالم فاضل
١٣ — الشيخ محمد الخضرى عالم فاضل
١٤ — الشيخ دسوقى المحلاوى عالم كذلك
١٥ — الشيخ محمد عبد القدوس عالم فاضل
١٦ — الشيخ نور الدين كذلك عالم فاضل
١٧ — الشيخ خليفة الفشنى كذلك عالم فاضل
١٨ — الشيخ محمد الحنانى عالم فاضل
١٩ — الشيخ سيد الأنصارى عالم فاضل

فهؤلاء تسعة عشر عالماً لايذكر الشيخ أحمد مصلح فى ترجمة كل واحد منهم إلا أنه عالم فاضل مرة ، وعالم فاضل وله تأليف مرة ثانية ، وعالم فاضل أيضاً أو كذلك مرة ثالثة ، وهكذا هان فن الترجمة فى عصر الشيخ أحمد مصلح إلى هذا الحد ، وصار الذى يعنى به لا يعرف فى كل من يترجم له إلا أنه عالم فاضل ، أو عالم فاضل وله تأليف ، أو عالم فاضل كذلك . ومن الغريب أن الشيخ أحمد مصلح ذكر اسمه فى هذه القائمة من علماء الشافعية ، وتبرع لنفسه بذلك الوصف الذى كرره فيهم ، ولعله تواضع فلم يزدنا تعريفاً بنفسه ، لئلا يمتاز بذلك على هؤلاء العلماء ويعنى بنفسه أكثر منهم . وقد ذكر بعد ذلك ترجمة ستة من علماء الحنفية ، ولم يزد فيها على ذلك الوصف السابق ، اللهم إلا فى الشيخ السادس ، وهو الشيخ محمد الكتبى ، فقد ذكر أنه عالم فاضل إلا أن ذكره وصلاحه كادا أن يميلا به إلى الجهل . ولست أدرى والله الجهل الذى يريده ، ولعله يريد جهل الناس به فيكون مصدر المبنى للمفعول ، لا مصدر المبنى للفاعل

ثم ذكر أسماء أحد عشر عالماً من المالكية على ذلك النحو الذى ذكره فيمن قبلهم من الشافعية والحنفية . وقال بعد الفراغ منهم : « هؤلاء هم العلماء الأذكياء الذين هم حقيقون بالاعتناء ، ومن عداهم فهو إما طالب علم لم يبلغ هذه الدرجة ، وإما متشبه بهم فى المقال والأفعال ، وإما مكتف بشهرة علم آبائه ، والبعض من هذا القسم قد ظن أنه وراثه ، فتصور وتطور بما ليس فيه ، وإما صاحب دعوى عمداً أو مع غفلته عن ذلك وإن جل فى أعين العوام ، وعلامة عدم صحة ذلك له الامتحان ، وإما مكتف بتصوره بصورة العلماء ، وتلبسه بزيهم ، وكونه يركب بغلة على سجادة ، وإما بشهرته بذلك بين بعض العوامّ الذين هم كالعوامّ ، وإما بدعوى الديانة والصلاح ، وإما بشقشقة اللسان بما تعورف بين العلماء ، فيظنّ أنه على شيء فى صنعة العلوم ، وإما بزخرفة الكلام والتنكيتات ، والدعابة والهزليات ، وعنده فى ذلك لكل مقام مقال ، وإما بنحو ذلك »

وهذه الخاتمة أهم ما فى هذه الرسالة ، لأنها ترينا كيف وصل حال الأزهر فى عصر صاحبها إلى ذلك الاختلاط والاضطراب والتلبيس ، حتى صار كل من يركب بغلة على سجادة عالماً ، وحتى صار العلم فيه ينتسب إليه بالوراثة ، لا بالجد فى الطلب ، والاجتهاد فى الدرس والتعليم ، بل نزل قدر العلم إلى أن صار يحشر فى زمرة العلماء من يجيد زخرفة الكلام والتنكيتات والدعابة والهزليات ، ولا يعلم إلا الله كيف كان مصير الأزهر فى هذه الوهدة التى تردى إليها لو لم يتداركه المخلصون من أبنائه بهذه النهضة الأخيرة ، فيقيلوه من عثرته ، ويقضوا على ذلك اللبس والاضطراب فيه .

ولا شك أن هذه الرسالة بضعف أسلوبها ، وبعجزها عن القيام بما حاولته من الترجمة لرجال عصرها ، تمثل الأزهر فى ذلك العصر أكثر مما تمثله تلك الشروح المنسوخة ، والحواشى المنقولة فى العلوم الدينية والعربية التى ألفت فيها ، فالنقل عمل سهل لا يكلف شيئاً ، وليس كالعمل المخترع فى دلالته على القدرة وحسن الاستعداد

ولم يكن لى بعد هذا بد من تسجيل كلمة عن هذه الرسالة الصغيرة فى مجلة الرسالة الغراء ، ليكون لنا فيها عظة وعبرة ، ونعلم فضل حاضرنا على ماضينا ، فلا نسمع لمن يحاول النيل منه ، ويحن إلى ذلك الماضى مفضلاً له . ومن جهل ماضيه لم ينتفع به فى حاضره ومن علمه أيا كان أمره كان له منه العظة النافعة ، أو القدوة الحسنة .

عبد المتعال الصعيدى

يا ساعة الصفو...

للأستاذ العقاد

قطعة من قصة شعرية سينمائية ألفها الأستاذ للفنانة «نادرة» وستغنيها من محطة الاذاعة مساء ٣٠ / ١٢ / ١٩٤٠ وهى من تلحين الأستاذ «السنباطى» من مقام (الحجاز) ... المويلحى

يا ساعة الصفو غبتِ عنى ... وحيرتْ لوعتى خطاكِ
غريبة أنت فى طريقى ... هداك نور الهوى هداك!

***

أبطأتِ يا ساعة التمنى ... وموعد الملتقى قريب!
هل يبطئُ الحزن لو سعى لي ... كما سعى الموعد الحبيب؟

***

أصبحت من لهفتى عليه ... أنتظر الليل بالنهار
طال انتظارى له فماذا ... فى الغيب يا ليل بانتظارى؟

من وحى الحرب

أبناء نيرون

للأستاذ عبد اللطيف النشار

أبناء برلين لهم عذرهم ... خيالهُم طاغٍ على الواقع
إلاّ تكن حقا أمانيُّهم ... فإنهم فى حُلمٍ رائع
أهل حروب صادفوا أهلها ... فدافعوا عن حسب رافع
إن يخفقوا فى الحرب، وليخفقوا، ... فقد أتوا بالعجب الرائع
وأنت يا روما بلا عاذر ... شربتِ من سم الوغى الناقع
(وإنما الفتك لذى خسة ... شبعان أو ذى كرم جائع)
حسبك يا روما رضى القانع ... أو فارقى عاقبة الطامع
كرامة الدافع والوازع ... هما عماد الفاعل المانع
وأنت لا حقٌّ ولا قوةٌ ... ولست أهلاً للسنا اللامع
وأنت لا شىء سوى نعرة ... أبلغ ما فيها أذى السامع
دعتك برلين فسايرتها ... هيهات ما المتبوع كالتابع
أبناء نيرون بكم ما به ... من قدرة، لكن على الوادع
أبناء نيرون بكم ما به ... من جزع فى الموقف الفاجع
أحرق روما طالبًا لذة ... لذته فى موقف الضارع
منتحراً يبكي على نفسه ... بين وميض اللهب الساطع
فى كفه الموسى وألحاظه ... حائرة فى المحجر الدامع
أبناءه لم تتركوا نهجه ... كلكمو من ذلك الطابع
وكلكم أجرم إجرامه ... وماله فى الغد من شافع
وكلكم موساه فى كفه ... فلتثأروا للأمل الضائع
أو هادنوا الإغريق من قبل أن ... يتسع الخرق على الراقع
أو احرقوا روما كنيرونكم ... تنجو من المخدوع والخادع

القلوب المرضى

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

أرَى العالمَ المجنونَ تَبْرِمُ أمْرَه ... عُقولٌ صحيحاتٌ وأفئدةٌ مَرضى
إذا العِلمُ أسْدَى مِن عوارفه يداً ... تَبَدَّلها هَدمًا وَأتبعها نَقْضا
لقد سَوَّد الناسُ السَّماء وقبلما ... كما زلزلوا بالخيلِ والغارة الأرْضا
ينامون إلا عن تِراتٍ دَفينةٍ ... تُؤَجِّجُ نيرانَ العداوةِ والبغضا
نَبَتْ بهمُ اليومَ المضاجِعُ واغتَدَوْا ... حِذارَ الرَّدَى لم يَطْعَموا فى الدُّجى غمْضا
تَغَنَّوا بألحانِ السَّلامِ جميلةً ... ولم يُمْهلونا نَجْتَنِى زَهرَها الغضَّا
إذا صاحَ فيهم صائح الشَّرِّ أرْقلوا ... كما يَنْفُذُ السَّهمُ المُنازِعُ أوْ أمْضى
عَجِبْتُ لهم قد حَرَّموا القتلَ مُفْرَدا ... ويقتلُ فى الهيجاءِ بَعْضُهُمُو بعضا

معضلة وجدت حلها

[مهداة إلى كل من وخط الشيب رأسه قبل الأوان]

للأستاذ على الجندى

شَعَرَاتٌ فِى مَفْرِقِ الرأس لاحتْ ... كنجومٍ تُضِىء فِى الدَّيْجُورِ
غَادَرَتْنِى فِى نَضْرَةِ العُمْر أبكى ... ذِكرَياتِ الصِّبَا بدَمْعٍ غزِيرِ
وَكَسَتْنِى ثوبَ الوقار، وهل أسْـ ... ـمجُ فى العين من وقار الصَّغير؟!
يَا لَظُلْمِ الأيامِ إذْ وَقَفَتْنِى ... بين رأس شَيْخ، وَقَلْب غرِيرِ

ذاكَ يدعو إلى الرشاد ، وهذا مُسْتَهامٌ بكلِّ وَجْهٍ نَضِيرِ

تَرَكانى فى حَيْرَةِ الدَّمْعَةِ الحَرَّى بجفن المتيَّمِ المهجُور

إنْ دَعَانى الشبابُ قَالَ لىَ الشَّيْبُ تَصَابى الشُّيوخُ رَأسُ الفجُور

أنزُوعًا إلى الصِّبا تحتَ سيفٍ للمنايا، فوق الشَّوَى[1] ، مشهور

هَبْ بياضَ القَذَال لم يَزَعِ الشَّيْخَ ألمَّا يَزَعْهُ صَوْتُ الضمير

أوْ أطعتُ المشيب صاح بيَ القلبُ رُوَيْدًا فلستُ بعضَ الصّخور

أتُرانى أرْضَى بجَنْبَيكَ أنْ أحْيَا - بلا صَبْوَةٍ - حياةَ الأسير

وَيمرُّ الشبابُ كالحُلُمِ السَّارِى ، وعُمْرُ الشباب جدُّ قصير

لستَ مِنِّى وَلستُ مِنْكَ فدعْنى سَادِرًا فِى غَوَايتى وَغُرورى

وَتخيَّرْ سِوَايَ قلبًا يُجَارِيك غليظَ الإحساس صُلْبَ الشُّعور

لاَ أُطِيق المُقَامَ بَين حَنَايا كَ ، كأنى أُقيم بين القبور

* * *

وَيْكَ رَأْسِى تركتَنِى أصْحبُ الدُّنيا بقلبٍ دامٍ ، وطَرْفٍ حسِيرِ

بَكرَ الشَّيبُ فِي النزول بفَوْدَيك وَيَا شُؤْمَ ذَلِكَ التَّبْكيرِ

قد خضبْنا مَا ابيَضَّ منه فما جَا زَ عَلَى فِطْنَة العليم الخبيرِ

وَبَرَزْنَا لِلنَّاظِرِين فقالوا : ذَاك رأسٌ يدْلِي بحقٍ وَزُور

يا رسولَ المَنون يا وافد الأسْقَا م يا طيفَ منكر ونكيرِ

أنتَ شَوَّهتَ لِي الحياةَ وَأفسَدْ تَ صِلاَتى بمُرْهَفَات الخُصور

كلُّ غيداء حين أبْدُو تُرَاعِينى بألحاظ كاشحٍ مَوْتور

ثم تَزْوَرُّ كالجواد - عَلَى الطعْن - وَتعْدُو كالشَّادن المذعور

ليتَ شعْرِى وَمَا نضَوْتُ شَبَابِى كيفَ صَبْرِى على جَفاء الحُور!

* * *

عَجبًا للحسان يَزْهَدْنَ فِي الشَّيْب وَمَا الشيبُ غيرُ هالةِ نورِ

قلتُ: يا «نُعْمُ» لاَ يرُعْك مَشيبي إنه حِلْيةُ الزَّمِيت الوَقور

هُوَ كالدّر فى نُحور الرَّعَابيب وكالنَّوْر فى حِفَافِ الغَدِير

نَاسَبَ الأوْجُهَ الرِّقَاقَ بياضاً وَحَكَى وَمْضُه رَفيفَ الثغور

وَهَبِيه قذَى العيون فمَنْ يَسْطيع دَفْعًا لِعَادِيَات الدهور

كلُّ طِفْلٍ - مَا أخطأتْه المَنَايا - سوفَ يلقَى عَلَى الزمان مَصيرى

وَإذَا مَا اجتوَيْتِ شَعْرِى فشَعْرِى حَلَبُ الكَرْم بالزُّلال النَّمِير

لَكِ مِنْهُ وَشْيُ الرُّبَا وَجَنَى الرَّوْض وَأكْمَامُ وَرْدِهِ المَنْضُور

وَنَسِيبٌ يَسْتَلُّ (قَيسًا) و (لَيْلاَ هُ) من الرَّمْس قبل يوم النُّشور

وَغِنَاءٌ ينساب فى مِسْمَع الكَوْ ن ويَسْرِى على جناح الأثِير

فأجابتْ والزَّهْوُ يَعْطِفُ منها خُوطَ بانٍ تحت الصَّباح المنير

لا تُحَاوِلْ خَدْعى فشيْبُكَ أزْرى بنظيمٍ - تزْهَى به - وَنَثِير

قَسَمًا بالصَّفا وزمزمَ والمَشْعَرِ والبَيْت حَالياً بالسُّتُور

لو نظمتَ النجومَ والشمسَ والبد رَ ، وفصَّلتَها بدرِّ البحور

وحَوَيْت البيانَ شَطْرَيْه حتى فُقْتَ فيه ابنَ هَانِئٍ والحَرِيري

لستُ أرضاكَ للغرام فدعْنى أنشُد العيْش فى ظِلال السُّرور

أبِرَأسٍ مِثْلِ الثَّغَامَةِ[1] عاثَ الشَّيْبُ فيـــهِ عَيْثَ الجَراد المُغــير

وَبِجَيْبٍ كَجُحْرِ ضَبٍّ خَرَابٍ تَعْمُرُ الرِّيحُ جوْفَه بالصَّفير

تبتغى خُلَّتِى وترجُو وِصالى شَدَّ ما سُمْتَنِي عذابَ السعِير!

يُمْلَكُ الحُسْنُ بالشباب وبالما ل فما الظنُّ بالكبير الفقير

* * *

قد رَضِينا مَشِيئَةَ الله فينا وامْتثَلْنَا لِحكمَةِ المَقْدُور

ولَبِسْنَا عَلَى الصِّبا حُلَّةَ الشيب فأهلاً وَمرحباً « بالنَّذير »

وَلَزِمْنا المحرابَ نجْأرُ بالتَّهليل فى صَدْره ، وبالتَّكبير

وعكفْنَا على تِلاوة آيِ الذِّ كر زُلْفَى إلى العزيز الغفور

وَثَنَيْنَا العِنان عن منهل الرَّا ح إلى منهل القَرَاح الطَّهور

وَأعَرْنَا القِيَانَ سَمْعَ أصَمٍّ وَمنحْنا الحِسان طَرْفَ ضرير

وَغَنِينا بالشمس مَطْلَعُهَا الأفْقُ عن الشمس تَزْدهى فى الخُدور

وَاسْتَعَضْنَا بالغُصْنِ يكسُوه آذَا رُ من الغصن رافلاً فى الحرير

وَلَهِينَا عن وَجْنَة الطَّفْلَةِ[2] الكا عِبِ بالوَرْد نَافِحًا بالعبير

وَسَلَوْنَا بِأعْيُنِ النرجس الغَضِّ عُيـــوناً يَقْتُلْنَ بالتَّفْتير

وَوَجَدْنَا الرُّمانَ أمْلأ لِلعين وللقلْبِ مِن ثِمَار الصُّدور

---

(١) جلد الرأس

(١) شجرة بيضاء الزهر والثمر

(٢) بفتح الطاء : الشابة الناعمة



الأهل والجيل

كنت قلت وأنا أعرض كتاب « المنتخبات » لسعادة الأستاذ الكبير لطفى باشا السيد إن الأستاذ إسماعيل مظهر وضع كلمة « أهل » فى مكان كلمة « جيل » ، وهى خفية المراد ، ثم قلت : « وللعبارة وجه ، ولكنه لا يخرجه عن الإغراب فى غير موجب للاغراب »

والآن ظهر أن ما فاتنى كان قد فات صاحب « لسان العرب » وصاحب « القاموس المحيط » فهو إذاً إغراب فى إغراب

كلمة أهل بمعنى Generation وردت فى شعر النابغة الجعدى ثم هُجِرت فماتت منذ قرون حتى فاتت صاحب اللسان وصاحب القاموس ، فأين نضع الأستاذ إسماعيل مظهر هذه المرة فقط إن لم نضمه بين المغربين ؟

والجيل هو الصنف من الناس، هذا حق بشهادة المعاجم، وهو كذلك دائماً فى كتابات ابن خلدون ، كما نص بعض المستشرقين، وهو أستاذنا ديمومبين ، حين كان يحاضرنا عنه فى السوربون

ولكنى أنظر فأرى الجيل بمعنى الطبقة المتعاصرة من الناس قد شاع فى تعابير المصريين منذ أزمان حتى قيل فى الأمثال : « من عاش فى غير جيله عاش غريباً » ، وحتى صح للأستاذ البشبيشى أن يصف الخلاف بينه وبين ابنه حسين بأنه خلاف بين « جيل وجيل » وحتى جاز لشوقى أن يصف سلامة حجازى بأنه « كان دنيا وكان فرحة جيل »

الجيل فى تعابير أهل مصر هو الطبقة من أعمار الناس ، وليس الأمة من الناس ، فهل نشأ ذلك الفهم من العَدَم ، وللمصريين عرق أصيل فى اللغة العربية ؟

المنطق يوجب أن يكون تصور المصريين لمعنى الجيل قام على أساس ، وهذا ما يجب النص عليه فى المعجم الوسيط الذى يضعه المجمع اللغوى ، قبل النص على المفهوم البائد لكلمة أهل ، لأن المعجم المنتظر سيكون معجما حيًّا ، لا معجما تاريخيًّا ، أعنى أنه سينص على مدلول الكلمة فى استعمالها الحىّ ، قبل أن ينص على مدلولها المطمور فى مهاوى التاريخ

وخلاصة القول أن كلمة جيل أدل على ما نريد من كلمة أهل ، وليس من المنفعة ولا من الفصاحة أن تقهر اللغة على تحمّل ما لا تطيق ، فاللغة أداء وبيان « من أقرب طرق الكلام » كما قال عبد الحميد ، وليس من الإفصاح أن تعبر بكلمة لم نجدها إلا فى حوار النابغة الجعدى مع عمر بن الخطاب

وأنا بعد هذا أذكر أنى قرأت فى مواطن كثيرة كلمة تنص على « تعاقب الأجيال » وهى تؤيد ما أقول ، فإن لم يقتنع الأستاذ مظهر بهذه البينات ، فسألقاه بشواهد جديدة ينحسم بها الجدل حول كلمة جيل

وكنت اعترضت على قول الأستاذ مظهر إنه عُنىَ بأن يخرج كتاب لطفى باشا مبرءًا من الأوهام فقلت : إنه تعبير مريب ، ثم لقينى أحد المتخرجين فى كلية الآداب ، فحدثنى أن الأستاذ لم يُرِد من « الأوهام » غير الأغلاط المطبعية ، وأنه أظهر عجبه من أن يجهل زكى مبارك أن الأوهام هى الأغلاط !

أنا لا أجهل أن الأوهام هى الأغلاط ، ولكنى أصر على القول بأن بين الكلمتين فرقاً دقيقاً ، وهو مع دقته صار من البديهيات — وإن كان الغلط والوهم قريبين جدًّا فى المدلول ، إذا راعينا مصطلحات القدماء — فإذا قال ناشر « المنتخبات » : إنه عُنىَ بأن تخرج سليمة من الأغلاط ؛ فهمنا أنه يريد الأغلاط المطبعية أما إذا قال إنه عُنى بأن تخرج « مبرّأة » من « الأوهام »

وَرَأَيْنَا أقاحِىَ الروض أشْفَى ... لِصَدَى الروح مِن أقاحى الثغور
إنّ فِى الشيب واعظاً لِلّذِى رَا ... نَ عَلَى قلبه ضَبَابُ الشُّرور
غرّنا الفاحِمُ البَهِيمُ فَنِمنَا ... وصحَونا عَلَى ضياء القَتِيرِ (١)
بلّغوا عَنّىَ الغوانىَ : أَنّى ... لستُ زِيرًا لَهُنّ أوْ خِدْنَ زِيرِ
لَا سُعَادُ أغدُو لها غُرّةَ الشهر ... وَلَا هِند فى سِرار البدور
رَقأتْ عبرتى ، وعادَ رُقَادِى ... وَخبَتْ لوْعَتى ، وَقرّ زَفيرِى

علي الجندي

(١) الشيب

فلن نفهم إلا أنه جردها من أخطاء الفكر والإدراك، وهو المسئول عن هذا التعبير المريب

أما قول الأستاذ مظهر بأن لطفى باشا أجل من أن يقدم له كاتب من أبناء هذا الجيل، فقد قوبل بالدهشة والاستغراب، لأن لطفى باشا نفسه وضع مقدمة لكتاب أرسطاليس فى الأخلاق، ولم يقل أحد بأن ذلك غض من منزلة أرسطاليس... والوثنية فى نظر الفكر لا تقل بشاعة عن الوثنية فى نظر الدين...

وإلى الأستاذ تحيتى وثنائى

زكى مبارك

تصحيح خطأ مطبعى فى القاموس وشرحه

لدى مراجعة (يَفتتنُون) فى كتب اللغة ظهر لى غلطة مطبعية فى القاموس وشرحه تاج العروس أحببت التنبيه عليها ليصلحها فى الكتابين من ظهر له غلطها مثلى فأقول:

قال فى القاموس فى نسخة خطية منه[1] فى مادة (ف ن ن) (أفنَنَ: أخذ فى فنون من القول) وشكلت أفنن بوزن أفعل، وفى طبعات متعددة منه قديمة وحديثة[2]: (أفنّ: أخذ فى فنون من القول) بنونين الأولى مفتوحة، والثانية مشددة

وفى تاج العروس: (افنن الرجل: أخذ فى فنون من القول ويقال افنن فى حديثه وفى خطبته إذا جاء بالأفانين، وافنن فى خصومته إذا توسع وتصرف) مورداً جميع الألفاظ بالنون

فأما شكل النسخة الخطية (أفنَنَ) بوزن أفعل فظاهر الغلط لأنه لا يقال: (أفنن) بفك الادغام، لأن هذا من باب الادغام الواجب، وكان الصواب — لو صح ورود هذا الوزن — أن يقال (أفنّ)

وأما (افْنَنّ) بالنونات الثلاثة فلا توجد فى كتب اللغة، والموجود فيها (افْتَنّ) بالتاء والنون المشددة بوزن افْتَعَلَ

ففى صحاح الجوهرى ولسان العرب: افتنّ الرجل فى حديثه وفى خطبته إذا جاء بالأفانين، وهو مثل اشْتَقّ. قال أبو ذؤيب:

فافتنّ بعد تمام الورد ناجيةً مثل الهِراوةَ ثِنيًا بِكرُها أبدُ

وذكر فى اللسان تفسير هذا البيت، ثم قال بعده: افتنّ أخذ فى فنون من القول إلى أن قال: والأفانين الأساليب، وهى أجناس الكلام وطرقه

وفى أساس البلاغة: أخذ فى أفانين الكلام، وافتنّ فى الحديث وتفنّن فيه

وفى مختار الصحاح: الأفانين الأساليب، وهى أجناس الكلام وطرقه، ثم قال: وافتنّ الرجل فى حديثه وفى خطبته بوزن اشتقّ جاء بالأفانين

ولا ذكر لهذه الكلمة فى جمهرة ابن دريد، وفائق الزمخشرى، ومغرب المطرزى، ولا فى نهاية ابن الأثير، والمصباح المنير، ولم يذكرها المرحوم أحمد تيمور باشا فى كتابه تصحيح القاموس المحيط، ولا الشدياق فى كتابه الجاسوس على القاموس

(دمشق) محمد الكامل القصار

تأنيث الشمس وتذكير القمر

هذه الفكرة على قدمها حديثة عند الشرقيين، فقد كانوا قديماً يذكرون الشمس ويؤنثون القمر، فقد كان الساميون فى سوريا والعراق يعبدون الإله بعل إله الشمس ورب السماء، كما كان الإغريق يعبدون الإله فيباس أبولو إله الشمس، وكان المصريون فى أون أو عين شمس أو هليوبولس يعبدون الإله رع إله الشمس، وكلمة هليوبوليس كلمة إغريقية معناها مدينة هليوس، وهى كلمة من مترادفات أسماء إله الشمس، وقد جاء فى كتب التاريخ أن عبادة إله الشمس رع جاءت إلى مصر السفلى من آسيا، أما المصريون فى مصر العليا، فكانوا يعبدون آمون ثم حاولوا توحيد الإلهين عند ما اتحدت مصر العليا ومصر السفلى، وكل هذا يدل على أن الشرقيين كالإغريق كانوا يذكرون الشمس، وكان القدماء يجعلون الأرض زوجة للشمس ويعبدونها بأسماء مختلفة مثل جيا أو بونا ديا عند الإغريق والرومان كما كانوا يعبدونها أيضاً باسم ما أو مايا أو ماما، وأحياناً يعدون الأرض أم الآلهة، وكلمة أم فى العربية مقاربة لكلمة ما التى كانت تطلق على ربة الأرض كما أن ربة القمر عند الإغريق كانت تسمى ديانا وهى مقاربة لكلمة الديّانة العربية مؤنثة الديّان أى المعبودة والمعبود، وكان الساميون فى غرب آسيا يعبدون الإلهة أشتورث

(١) لدى السيد حمزة القصيباتى الكتبى بدمشق

(٢) طبعة المطبعة الحسينية بمصر سنة ١٣٣٢، ١٣٥٤، ومطبعة بولاق مصر سنة ١٣٠٣ والمطبعة الميمنية سنة ١٣١٩ و ١٣٣٠. ومطبعة طهران سنة ١٢٧١. أما فى مطبعة بولاق سنة ١٢٧٢ والمطبعة الكستلية بمصر سنة ١٣٠٨ فقد ذكرت فيهما على الصواب

أو أرستارت ويسمونها الديانة ، وينسبون إليها الصفات التي كان الإغريق ينسبونها لإلهة القمر ديانا ، واتصال الإغريق بمدن سواحل آسيا الصغرى والشام أدى إلى تأثرهم بالثقافة الدينية الشرقية، كما أن الرومان في غربهم تأثروا بثقافة الإغريق الدينية حتى إنهم كانوا يوفقون بين كل إله من آلهتهم وكل إله من آلهة الإغريق ، ثم جاءت أمم غرب أوربا وتأثرت بالثقافة الإغريقية والرومانية . ولا يزال الشعراء في غرب أوربا يطلقون على الشمس اسم إله الشمس عند الإغريق وهو فيباس أبولو كما أنهم يطلقون على القمر اسم ربة القمر ديانا . ويستنتج من كل ذلك أن الشمس كانت قديماً مذكرة عند الشرقيين والقمر مؤنثاً ، وليس من البعيد أن يكون الأوربيون قد أخذوا هذه الفكرة عن الشرقيين .

عبد الله شاكر

الفياش

قرأت مقالكم المعجب « الأخلاق وهذه الحرب » في عدد الرسالة ٣٨٨ فوقع من نفسي موقع غيره من مقالاتكم الافتتاحية الممتعة . وأود — لو يسمح لي الأستاذ — أن أبدي الملحوظة التالية:

لقد ورد في المقال المذكور العبارة التالية: « فإن نزوّ النازية وفياش الفاشية لا يمكن أن يؤديا إلى عدل شامل وسلام دائم » وجاء في أسفل الصفحة : « الفياش : كثرة الوعيد في القتال من غير فعل » . والفياش في اللغة ، على ما أذكر ، هو المفاخرة فقد ورد في قصيدة لأبي الطيب المتنبي في مدحه لأبي العشائر العدوى عند إيقاعه بأصحاب باقيس ومسيره في دمشق البيت التالي:

تزيل مخافة المصبور عنه ... وتلهى ذا الفياش عن الفياش

والضمير راجع إلى مواقف الممدوح في الحرب ، والمعنى الذي يقصده الشاعر في هذا البيت دقيق معسر ، وقد جاء في تفسيره: إذا سمع المصبور بمواقفه المذكورة شجعته وأزالت عنه خوف القتل لما يسمع من ذكر إقدامه واقتحامه للمهالك ، وإذا سمع بها المفاخر ألهته عن مفاخرته ، لأنه يتواضع لديها فلا يفتخر بنفسه

وأعتقد أن هذا التفسير هو أقرب ما يرمى إليه الشاعر وهو ما يقصده الشارح . وللأستاذ الأكبر تحية المعجب المخلص

سعيد العيسى

(بيرزيت — فلسطين)

(الرسالة) : نعم من معاني الفياش المفاخرة ولكنها مفاخرة المرء بما ليس له أو بأكثر مما عنده . ومن معانيه كذلك ما ذكرناه ، والمعنيان من باب واحد .

تلميذ يجرح أستاذه !

ألقى الأستاذ السباعي بيومي بدار العلوم محاضرة عن « أسلوب المبرد في كامله » في مساء الثلاثاء السابع عشر من هذا الشهر

ولقد عقب على هذه المحاضرة أحد المستمعين بملاحظات تخالف ما ذهب إليه الأستاذ السباعي . ويبدو أن المعقب استقى آراءه مما كتب العلامة المرحوم سيد بن علي المرصفي فتملكت الأستاذ المحاضر عاصفة من الغضب الساخط لا على المعقب ولكن على المرصفي ؛ فقد وصفه بكثير من الأخلاق الذميمة كالغل والحقد والحسد وسطحية البحث والتطاول الذميم ؛ ثم تعداه إلى تجريح طوائف العلماء على اختلاف مهنهم ، والحكم بأن طبائع الحسد والحقد والغيرة لا تجد لها مراحاً خصيباً كالذي تجد من قلوب العلماء

ولست أدري ما الدافع إلى كل هذا وكان يكفي الأستاذ أن يدفع الرأي بالرأي في هدوء لا أن يتعرض لمثل ذلك الرجل الجليل بمثل ما تعرض به له ، حتى لقد حكم بأن أخلاقه ذهبت بفضله كما تذهب الريح العصوف بسحيق التراب

وإنه ليحزنني جد الحزن أن أرى مثل الأستاذ في علمه وفضله ومكانته يتناول السلف الصالح من الباحثين بمثل هذا الأسلوب العنيف من غير سبب ولا بينة ، فإن في هذا نكراناً للجميل وجحوداً للفضل

محمد فهيم عبيد

امرؤ القيس الكلبي

كتب « سائل » فاضل في العدد ٣٨٩ من الرسالة الغراء يسألني من هو امرؤ القيس الذي جاء في مقدمة كتابي « أغاريد زفاف » أنه أبو الرباب زوجة الحسين عليه السلام ، فأجيب بأنه « امرؤ القيس بن عدي الكلبي ، كان نصرانياً وأسلم على يد عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلافته ، فولاه عمر على من أسلم بالشام من قضاعة ، وخطب إليه عليّ عليه السلام ابنته الرباب على ابنه الحسين فزوجه إياها فولدت له عبدالله وسكينة عليهما السلام»

هذا ، وكان يُسمى امرأ القيس صحابيون وشعراء غير الملك الشاعر الجاهلي صاحب « قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل »

عبد الحميد مصطفى خليل

فهرس الموضوعات للمجلد الثاني من السنة الثامنة

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)